دار این حزم



تأكيفت الفَيَّةِ الفَيْنِيَّةِ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النِّهُ النَّهُ النَّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النَّهُ النَّهُ النِّهُ النَّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النِّهُ النَّهُ النِّهُ النَّهُ النِّهُ النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ النَّهُ النَّهُ اللَّهُ اللْ

المكتب الاسلامي

دار ابن حزم

جَمِيتُ عالِحِقُوقَ مِجَفُوظَتَ الطّبُعَة الأولات الجَديْدَة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢

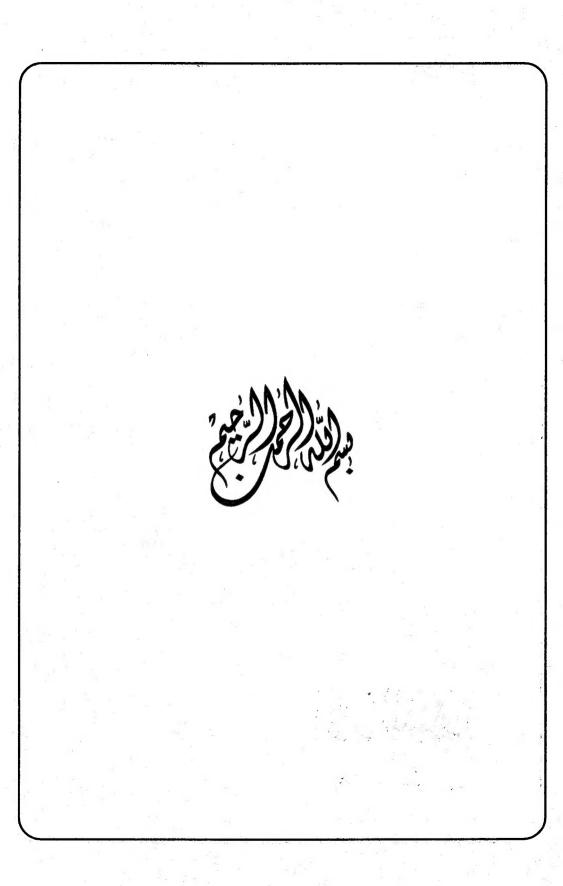
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتس الإسلامي

ىَبِرُوت : صَ.بَ : ۱۱/۳ ۷۷۱ ــ هَـاتْ ، ۱۲۲۵۵(۵۰) دَمَشْق : صَ.بَ : ۲ ۷ - ۱۳ ـ هَـاتْ ، ۲ ۲ ۱۱۱ ۲ عـــمّان : صَ.بَ : ۱۸۲۰۶۵ ــ هـَـاتْ ، ۲۰۵۵ ۲۱۵

كارابن منزم الطائباءة والنشد والتونهيم

بَيْرُوت - السِّنان - صَلَّ: ١٤/٦٣٦٦ - سَلفُون : ٧٠١٩٧٤



مقدّمة الطبعة الثالِثة

بقلم: زهير الشاويش

ينسد القو الكني التحسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذه الطبعة الثالثة من «زاد المسير» للإمام العلامة ابن الجوزي، الذي شرفني الله منذ عشرين سنة بإخراجه إلى دنيا الطباعة والانتشار، بين محبي كتاب الله، ونفع به. فله سبحانه الفضل والمنة، وبنعمته تتم الصالحات.

ثم يسر الله لي المتابعة في هذا الطريق، وتقديم العدد الكبير من تراثنا العظيم تفسيراً، وعقيدة، وحديثاً، وفقهاً، جعل ذلك ذخراً لي يوم الدين. يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يلقى الناس جزاء أعمالهم. ولا يظلمون فتيلا.

ومن ذلك «جواهر الأفكار» للعلامة الشيخ عبد القادر بدران؛ و«التفسير العصري القديم» للشيخ عبد الفتاح الإمام؛ و«قرة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد كنعان؛ و«البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان» للعلامة الشيخ سعدي ياسين؛ و«تفسير جزئي عم وتبارك» للاستاذ أحمد مظهر العظمة؛ و«الفلم القرآن» للأستاذ عبد الرحمن الباني؛ و«لمحات في علوم القرآن» للدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ؛ و«علوم القرآن» للاستاذ عبد البديع السيد صقر؛ و«فوائد قرآنية» للعالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي؛ و إقامة الدليل والبرهان العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع؛ و «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي بتحقيق الأستاذ سمير مجدوب، و «الدستور القرآني» للأستاذ عزة دروزة ؛ و وقصص القرآن اللاستاذ هوفق سليمة؛ و «الناسخ والمنسوخ» للعلامة ابن سلامة، و «قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن المشيخ البلوري؛ وغيرها.

كما أن تبحت الإعداد للطبع، عدد آخر أرجوه تعالى أن يكون لنا عوناً على الإتمام والإحسان؛ وأن يصرف عنا شر الأشرار، وحسد وكيد من لا خلاق لهم، إنه سميع مجيب.

وهذه الطبعة أقدمها بعد تصغير الكتاب من حجم ٢١/٢٨ إلى حجم ١٨/٢٥ بطريقة الأوفست، ليكون حجمه أصغر استجابة لرغبة الكثيرين من العلماء وطلاب العلم؛ وليبقى ثمنه ضمن الحدود المعقولة.

وقد قمت باستدراك الكثير مما قد نَدَّ عنّا سابقاً من الأخطاء ضمن الحدود التي تسمح بها طريقة الطبع؛ وأرجو الله سبحانه أن يتفع بها كما نفع بما سبقها، وأن يجعلنا من أهل طاعته، وخدام شريعته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

Andre Benger (1945), and the second All the second All the second second

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

the solution that is a facility to the solution.

بيروت ١٠ صفرَ ١٤٠٤

مقتتمنه

ينسبه ألتو النَعْنِ الرَحِيلِ

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شُرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلُ فلا هاديَ له. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هَدانا الله، وصلى الله وباركَ على سيدنا ومولانا محمد، رسول الله وخيرته من خلقه، خاتم النبيين، وأشرف المرسلين.

أما بعد فهذا كتاب وزاد المسير في علم التفسير؛ للإمام المحقِّق أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٠٩٧هـ).

نضعُه بين أيدي القُرَّاء لأول مرة بعد أن اضطلعنا بتحقيقه وضبطه على نحو نرجو أن نكونَ قد وُقُقْنا فيه.

ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا: إن هذا الكتابَ مِنْ أجلٌ ما انتهى إلينا من تُراث السَّلفِ في بابه، وأوفاها بالغاية من هذا العلم، مع تنقيح وتهذيب يُيسُّران الفائدة منه في أي غرض من أغراضه، وقد بعثه على تأليفه أنه نظر ـ كما يقول في مقدِّمته ـ في كُتُب التَّفسير، فوجدها بين كبير قد يَيْسَ الحافظ منه، وصغير لا يُستفادُ كلُّ المقصودِ منه، والمتوسط منها قليلُ الفوائد، عديم الترتيب، ورُبَّما أَهْملَ فيه المشكِلُ، وشُرحَ غيرُ الغريب؛ فأتى بهذا المختصر اليسير منطوياً على العلم الغزير.

ومن ثُمَّ حاول في تفسيره هذا أن يتلافى ما ألمعَ إليه من عيوب التَّصنيف التي وقع فيها مَنْ تَقدَّمه، فترك ما لا فائدة في استقصائه، واستدرك ما فات السَّابقينَ مما لا غنى عن ذكره، وحَرَصَ أن يجعله على اختصارِه وافياً بالغاية منه غيرَ مُخِلِّ بشيءٍ مما يحتاج طالب التفسير إليه.

وكان معوَّلُه في تفسير الآي على ما أُثِرَ عن رسول الله على من الأخبار، ثم على ما نُقِلَ عن الأفذاذ من علماء الصحابة من أمثال على بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس في، ثم على ما رُوي عَمَّنْ خَلَفَهم من جِلَّة التابعين، كسعيد بن جبير، وعكرمة بن عبد الله، وطاووس اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والحسن البصري، وأضرابهم (١) وقد ألمَّ أيضاً بمشهور القراءات، وأطراف من شواذها، ونقل توجيهها في العربية عن أئمة هذا العلم، ولم يفته _ وهو يفسر مفردات القرآن _ أن يذكر اشتقاقها استكمالًا للمعنى، وزيادةً في الفائدة، كما أنه استعرض آراء الصحابة والتابعين والأثمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة.

أما المصادِرُ التي نقل عنها، فغي طليعتها تفسير ابن جرير، وكتب الحديث، وكتابا ابن قتيبة: «مشكل القرآن»، و«فحريب القرآن»، وكتب الفرآن»، وكتب معاني القرآن، ولا سيَّما كتابا الفرَّاء والرَّجاج، و«الحجة» لأبي علي الفارسي، و«مجاز القرآن» لأبي عُبيدَة، وكتب ابن الأنباري في القرآن، واأسماء الله الحسنى، للخطابي، وغيرها.

⁽۱) لقد انبرى إلى تفسير القرآن من الصحاية الكرام عدد غير قليل، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله على مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله عليهم من طريق الفهم والتأويل. وأشهر من عرف بذلك عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلى بن أبي طالب، وأبي بن كعب في وقد نثر المؤلف رحمه الله في تفسيره أقاويل هؤلاء الصحابة الأعلام في تأويل الآي. وأشهر تلاميذ ابن عباس من التابمين الذين أخذوا التفسير عنه سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولاه، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وأشهر تلاميذ عبد الله بن مسعود علمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر، والشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة الدوسي. وأشهر تلاميذ علي بن أي طالب، عبيدة السلماني، وأبو الطفيل، والحسين ابنه. وأشهر تلاميذ أبي بن كعب، زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.

مُقَدِّمَة

وكان أكثر ما ينقل عنهم بحكاية لفظهم نفسِه، فإذا تجاوزَ ذلك إلى الحكاية بالمعنى لم يغفِلْ في الغالب الإشارة إلى ذلك.

هذا ولم يَخُلُ تفسيرُه من الاستشهاد ببعض الأحاديث المنكرة التي لا تَصِحُ، ومن إيراد طائفة غير قليلة من الأخبار الإسرائيلية الغريبة التي أغنانا الله عنها بما هو أصح منها وأنفع، وأوضحُ وأبلغ، وغالبه مما لا يتعلَّق به كبير فائدة، ولا حاصِلَ له مما ينتفعُ به في الدين (١) وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنى على معنى، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة، ولكن مثل هذه المآخذ اليسيرة التي لا يكاد يخلو منها كتاب لا تحطُّ من قدر هذا التفسير الجليل الزاخر بالفوائد.

e de la composition La composition de la

a notice that the second of th

aga katapat Piter akenda kanalah sebagai pendakan mendalah dipakin sebigai dan pendak pelangan dan sebagai pen Pendak dipaksi sebagai kerangan bandaran dipaksi dan sebagai pendak beranggan pendak pendak pendak pendak pend

⁽۱) يقول علماء الإسلام: إن الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، قلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايت، لما روى البخاري ٣٦١/٦ بشرح «الفتح» أن النبي قال: فبلقوا عني ولو آية، وحلثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كلب علي متعمداً فلينيوا مقمده من الناره قال الحافظ ابن كثير: وغالب ذلك مما لا قائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسخاء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيين البعض الذي في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿مَرَعُولُونُ ثَلْكُونُ وَلِمُ اللهِ عَلَى كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كلبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما فيها، شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا تكذبهم، فأي تصديق فرواياتهم وأقاويلهم أجل أجل فيه، وحاشا لله وكتابه من ذلك، وإن رسول الله قلي إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا تكذبهم، فأي تصديق فرواياتهم وأقاويلهم أحرى أن أن لا نصدقهم ولا تكذبهم، فأي تصديق فرواياتهم وأقاويلهم أحرى أن أن لا نصدقه ولا تكذبهم، فأي تصديق فرواياتهم وأقاويلهم أمرنا أن لا نصدقه ولا تكذبهم، فأي تصديق فرواياتهم وأقاويلهم أمرياً أن لا نصدة ولا تكذبهم، فأي تصديق في وأنهم أمرياً أن المنه المناؤ أن المناؤ أله أله المناؤ أل

نسخ الكتاب

كان اعتمادنا في نشر هذا التفسير على أربع نسخ مصورة عن أصول مخطوطة.

النسخة الأولى:

مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف هناك(١)، وقد خُتِمَت كل نسخة بخاتم الخزانة. ونصه: مخطوطات الأوقاف ـ الخزانة العامة بالرباط. وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة المكتبي، وهو (١٨٣) وتحته حرف أبجدي يشير إلى رقم الجزء، وإلى جانبه خاتم آخر باسم مكتبة الزاوية الناصرية ـ تمكروت. وقد سجل على غلاف كل جزء من أجزاء النسخة اسم مالكها الأصلي، وهو أحمد بن محمد بن ناصر، ولعل كتب مكتبة الزاوية الناصرية نسبت إليه، غير أن ما في غلاف الجزء الرابع من النسخة يبين أن ملك النسخة قد انتقل إلى أحمد بن ناصر هذا من شخص آخر، كتب اسمه تحت عنوان الجزء نفسه، ثم في هامش آخر صفحاته وهو: محمد بن محمد بري. وجميع أجزاء هذه النسخة منقولة عن أصل المصنف الذي كتبه بيده، ومقروءة عليه، ومقابلة، كما يظهر من السماعات التي سنثبت صورتها.

أما مقياسها فهو كما يبدو من القياس (السانتيمتري) الموضوع على وجه الغلاف (٢٠×١٣) أوصاف أجزائها:

الجزء الأول: (١٨٣): عدد صفحاته ٥٣٧ صفحة، في كل منها ٢١ سطراً في كل سطر ١٣ كلمة تقريباً، يبتدئ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة المائدة. خطه جميل ومقروء بوضوح، وصفحاته الأوائل أكثر حسناً من غيرها، وهي إلى ذلك مضبوطة بالشكل، ولم يذكر فيه اسم ناسخه، ولا متى نسخ.

الجزء الثاني: (١٨٣): عدد صفحاته يزيد عن سابقه بثلاث صفحات، ويساويه في عدد أسطره وكلماته، يبتدئ بسورة الأنعام وينتهي بسورة الحجر، ويشبه الجزء الأول من حيث جمال خطه ووضوحه، وهو مثله أغفل من ذكر اسم الناسخ، غير أن تاريخ النسخ ذكر فيه، وهو يوم السبت ثالث رمضان من سنة ست وتسعين وخمسمئة، وذكر في آخره بخط دقيق ما صورته: بلغ العرض بأصل الشيخ الذي بخطه العتيق، وصح حسب الإمكان والحمد لله والمنة. وكذلك أثبت بعدها السماعات والقراءات عن الأثمة والعلماء.

الجزء الثالث: (١٨٣): عدد صفحاته وعدد الأسطر في كل صفحة يطابق ما في الجزء الثاني، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريباً، وعلى صفّحة الغلاف كتبت أسماء السور المفسرة طيه، ويبتدئ بسورة (النحل)؛ وينتهي بسورة (يَس). خطه واضح جميل متوسط الحجم وعُلق على هامش آخر صفحاته ما نصه: بلغ مقابلة حسب الإمكان.

الجزء الرابع: (١٨٣): عدد صفحاته (٣٦٢) صفحة، في كل صفحة ٢٩ سطراً، أي بزيادة ثمانية أسطر عن صفحات الأجزاء السابقة، وفي كل سطر ١٤ كلمة. يبتدئ بسورة (يس) حتى آخر القرآن. خطه جميل مقروء وواضح، غير أنه ناعم دقيق الجسم متقارب الكلمات. ويبدو أن ناسخه غير ناسخ الأجزاء الثلاثة. ويظهر من التعليق على هامش الصفحة الأخيرة اسم الناسخ، إذ كتب ما نصه: وكتبه لي الشيخ إبراهيم بن الصارم القواس، أخذ أجرة كاملة، وعلقه تعليقاً، سامحه الله. وفي خاتمة الجزء ما يلي:

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر فزاد المسيرة، والحمد لله على الإنعام الغزير. وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يُعتقِدنُّ من رأى اختصارنا أنا قلَّلنا، فإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا وفللنا، فليكن الناظر كتابنا متيقظاً

⁽١) لا يقوتنا في هذه المناسبة أن نقدم خالص شكرنا، وجزيل امتناننا للسادة القائمين على الخزانة العامة بالرباط، لتقديمهم فظماً، مصوراً عن المخطوطة هدية خالصة، وللعالم القاضل الأستاذ عبد القتاح أبو غدة الذي كان الواسطة في قيسير ذلك.

لما أغفلنا، فإنا ضَمَّنا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير، فإن أراد مختصراً فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أبيه آدم وذريته والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثم يعقب ذلك فصل في ترتيب سور القرآن، ذكر في أوله أنه من صنع ابن الجوزي، وقد كتب عنوانه: وقصيدة، وليس كذلك، وإنما هو عبارة عن جمل مسجوعة تسهل حفظ أسماء سور القرآن الكريم مرتبة.

وفي هامش الصفحة التي قبل الأخيرة إلى جانب تفسير سورة (الناس) كُتِبَ بخط دقيق ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله كتب هذه البسملات من أوائل التفسير إلى آخره، وهو هذا الجزء الرابع مالكه العبد الفقير من الفقر إلى الفقر، الراجي رحمة ربه ذي الجود والبر، محمد بن محمد بري. بلغه الله ما أمله، وأم له، وكان له في حاله ومآله بمحمد وآله.

كما كُتِبَ في الهامش اليساري من الصفحة الأخيرة، عند آخر التفسير ما نصه: «بلغ لله الحمد» وتحته بقليل: من كتب العبد الفقير من الفقر إلى الفقر محمد بن محمد بري لطف الله به وبالمسلمين بمنه.

النسخة الثانية:

وهي نسخة المكتبة الأحمدية في حلب تحت رقم (٧٠)، وهي مؤلفة من أجزاء أربعة، في صفحة كل جزء (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

الجزء الأول: وعدد صفحاته (٤٩٢) ويبتدئ من (الفاتحة) حتى نهاية سورة (الأنعام) خطه حسن وهو مغفل من التاريخ في أوله وآخره، ويبدو أنه قديم قريب من عهد المؤلف أو بعده بقليل.

الجزء الثاني: عدد صفحاته (٥٤٢) ويبتدئ من أول تفسير سورة (الأنعام) إلى آخر سورة (الحجر)، وخطه أكثر وضوحاً من الجزء الأول، كما أن كاتبه غير كاتبه، وطريقة خطه ووضوحه وبيانه وصحة رسمه تظهر أنه كتب في عصر المؤلف أو بعده بفترة قريبة. وقد كتب في آخر الورقة بخط حديث: تمم بها النقص الواقع في هذا الجزء من الورقة الساقطة من المخطوط الأصل.

الجزء الثالث: غير موجود.

الجزء الرابع: وعدد صفحاته (٤٢٩) ويبتدئ بسورة (الأنبياء) وينتهي بانتهاء سورة (محمد) على وخط هذا المجلد غير منقوط على عادة كتب القدامى، وفي آخره على هامش الصفحة: «الحمد لله، مر عليه مصلحاً الفقير الحنبلي لطف الله به» وفي آخره أيضاً بجانب الصفحة: تاريخ ولادة لابن متملك له سنة ٩٦٦.

وفي آخر الجزء ما صورته: «يتلوه الجزء الخامس من أول سورة (الفتح)، إلى آخر القرآن. ونقل. . بعده من نسخة: تاريخ الفراغ من تعليقها يوم السبت حادي عشر من شعبان المكرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وهو الجزء الرابع من كتاب «زاد المسير في علم التفسير» تأليف الشيخ الأجل الإمام العالم الأوحد جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي رحمه الله ونفعنا به وبعلومه في الدنيا والآخرة آمين.

النسخة الثالثة:

وهي نسخة العثمانية بحلب ورقمها (٤٦). وهي ناقصة لا يوجد منها إلا جزء واحد عدد صفحاته (٦٧١)، يبتدئ من أول القرآن إلى نهاية (سورة الكهف)، مكتوب بخط غير قديم لعله من القرن التاسع، وليس في أوله أو آخره تاريخ لكتابته، وإنما كتب على وجه الورقة الأولى المذهبة فيه: «من نعمه سبحانه وتعالى على عبده الحقير عبد الكريم بن أحمد الشراباتي، وخطه واضح حسن صحيح ناعم غير قليل، وهو من بداية المجلد إلى آخره بخط واحد. وفي صفحته بعض الطول إذ تحتوي على (٣٣) سطراً. وعلى هوامشه بعض تعليقات تدل على أن النسخة مقروءة من بعض العلماء.

النسخة الرابعة:

وردت إلينا من مكتبة صاحب السمو الشيخ على آل ثاني حفظه الله في قطر، وقد صورت عن النسخة الأصلية

estal y v

The State of the S

en kantig giral**y**ja miga syt.

الموجودة في مكتبة راغب باشا باستنبول، وهي كاملة تقع في ٦١٣ ورقة من القطع الكبير، احتوت كل صفحة من صفحاتها على خمسة وثلاثين سطراً، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة، وخطها نسخي جميل واضح لم يذكر فيها تاريخ النسخ، وقد ذكر في آخرها اسم ناسخها، وهو محمد أمين بن المصطفى المذنب الخاطئ الضعيف الأنكداري. إلا أنه وقع فيها تحريف وتصحيف وسقط غير قليل.

عملنا في التحقيق:

لقد اعتمدنا في التحقيق من هذه النسخ على النسخة المصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، لأنها أوثق النسخ، وأكملها، وأصحها، وأضبطها، ولأنها مقابلة ومقروءة على المؤلف، وتولينا تصحيح النص وضبطه، ومقابلته على ما بين أيدينا من الأصول، ومراجعته على أمهات المصادر التي استقى منها المؤلف، رحمه الله، مادة كتابه، وبذلنا الجهد في تقصيله وترقيمه، وشرح شواهده، وتخريج أحاديثه، والكلام عليها حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية، مسترشدين في ذلك بأمهات المصادر، وأقاويل جهابذة علم الحديث ونقاده، وعلقنا عليه بما تدعو الحاجة إليه، وسنقوم _ إن شاء الله _ بوضع فهارس عامة للكتاب بعد تمامه، تُيسًر تمام الفائدة منه.

ونسأل الله المبتدئ لنا بنعَمِه قبل استحقاقها، المُديمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملًا يؤدي بها عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيده^(۱) ونسأله سبحانه السَّداد والتوفيق.

> الخميس ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤م

* * *

حراسارح الرصح لالد الالمدحدة للقالله المنافق متعوضا على حربالمتران المحده ودعانا بتونية على المالامير الرشبه وقرم تولغ لنوسنا ببرالوعاد والوعد وحبط من تعديجه وعرف العنب كالاسه الإطرام بريد به ولام حله مترام طام المعدعل التوبيق المتحدد اسكره على العقاق في التوجد والتعدال الألام العادة وحده كالشريك لوشمادة يسؤ وخره على التاسيد المعاعدة وال والعرالقوب والعبد والعالي ونذبرا دستواجا فالأكوان منهرا فوصب من فيله فيلك فيل وصله معدمات الكاكبيرا و لوعوار مورادان فيسه مالحة والتبليل باسد تعطياله وتوخرا فوائزل عكية كلاما ورصدن فوك معدين والمنال فالنماج عن البن الزعلان الوالمناهدا المعمد الما المعاوة المعاوم كالما والمعادم والمعادم والمعادمة والمعادمة والمعادمة والمعادمة والمعادمة والمعادمة والمعاند كبرود المراكا فطعمه وصغروا اسعادكا للغصود عدم على الموابد عديم الربيب ورعااه إفيد المشكل وشع عالغ فانتبنك فلفا المنتصر السبر صطوباعلى الحار الغزير وسميته براد المسترفع لتغسير والمعتد والمعتد وتعالم المعتد وتعالم الدوج ملا والدالعي المعتد " ما ذالجابد ابتوفيظة فعسل في فعنبان على النفسيرددي اوعداد الماليواد مستعود قالكنا تخلون رسول الدصل الدعلية والحشر فلاعا وذها لالعشر المحنو حتى مغرما ويعامم المعلم والعراور في مقتاده عن المسن إنه فالها الزاعد الدامة الأحد الدام الم فاستدائه والمالكا سرماسا وبربيط والام

المسادعيراساه رمالا يولد بعودون برجال اعنوساه بعقوله استنع نغير لمن الحيئ عذا مؤل انعرا وعلى خذا القول تلون التع ك النبيع زمعه الله ومعنا أخر سرما دالسبره والجاده الإنعام العزيرة ما ذيد للمناع دالله مرا دُنام المناهلا المااعنكاوناما منمشاللة بنيترنيل ينعد ساليا المرفل فعلما كوش امَّا وَزُمَّا ذَنَّ بَسْنَا إِلَّا النَّاسِينَ معليد كناينا المنعر والدفسارنان ازا لمرلدرس التكالمس وصلم الترك إست كالوي وانتذاء الأنعاد أين عَلَى شَلِيلِ عَلَى الْمَالِدِينَ وَالنَّرَةِ الْمَارَةِ الْمَالِدِينَ الْمَالِمُونَ وَالْ الْمُعَدُّهُ الْمُالِمُعَلِّمَالُ بِالْمَارِّمِنَ وَلِمَا وَالْمَاشِرِّ الْمَالِمِينَ الْمَالُ وَالْمَالُ الْم الْحُولُ لِلْمِينَالَةِ وَلَقَدَا الْمَالِمِينَ الْمِلْمِينَ وَالْوَرِّ وَهُودٌ مَعْدِيدً لَ مِذَا الْمِلْلُا المِنْ المامرالفيا فيموم احودهن غولت الماسراي لذا إنوضا

والا العالم الإعداد الدر عدال حرم ودر الا المراه المجالدي والمالا والعراق لحدود كالمؤومة كالكيال لاوالوست والما وللوصائل الوعد والوعيده وحمطام تعتم حمواك اعرف العندو الإالم الماطل يتنابد والإرجانية سرام بالمحدد والالالولين واعتده والكرا بالعمل الموحيد وأشرر ان لاالوالا اسه وحاج لا يبك لد شهاد وسع وحزها عرالها بتد موان عداعتك ورسوله ارسلما الانفريب والبعريدا بشراللجلاس ويديراو بإجاؤالا توان متبعزا وهيدانوس فصله خراكسرا وحعلو منفدما بالكل لبيرا والجعالمة دارتا يحدث بطير لاتهن ينتنى استعماله وتوفيرا والزك على كلاما في رصد في فولغ ما اعدد يصلد معرسا مفاله فالسن اجتمعت لامسروالحن على ما واعتبار عبد الفيران لا ما مون تعلم ولوكان معهم لتعفيظهم العباليد عليدوعا الدوافحا دواننا عدوا والجدرا أساع وسلها لنبوا للالان لقة الأالعد مراشرف العلوم كان الفهر لقائبه أو والفهري من شرف العديث العلوم واليهط الخلف البعستر ومصريه س كسرور ببيل كاولات وصفير لاستفاد كالمصود عجم ة التوسط منها فللسل العوابد عدم السونت ورغا اهرافية المشقل ونرج عنوالعرب فالنسك ومن المحتصل ليسيد مسطوما على لعز تروسيته مراد المتسير وعدما لعنه ع فتقار لفطه فاجهد ومفك المه وخفظه والشالص على عفين فازاله خابدا سوينيه يحسبا يافضله علاللنفسير دوي الوتيانة الوحن البياعن استعود فاله كناسعاس ليع البيوم الدوثيا يورا العشر فلاعاورها الياليث والاجرف تعاينا فيها فالعارا لعبار ودوي يتا ودعز الحس انه والدمالزل المراغرا لااحت الناع وما أتولت وعاداعي مهارماك إنا فالربعوم منكين مغواالغوان وعرفه إنعسن اولابع إمثل فوم عام لهات من صاحب الم للاوليس مزدهم مصاح ليعرفوا عرفوانا فتويد اظهم كم الكناك وعدلا درول مافيد فاولها فالمساح عرفواما فيداد المناف العلال فللنفسس والباوط فعي واحدام عَالِمُانَ فِدُهِ فَوْمَ مُعلُونَ إِذَا لَعُوسَمُ الصَّابِحِي وَهُذَا فُولَ مِنْ وَوَالْمُعَمِّينَ المنقدس ود ورج كالزن الى الغف الاختلاف الفالواللغسير لحراج السي ترفعام الحفا المقام العلى الناويل ما مرا الكلام من موصود إلى المناج والسائه على للولاه ما مرك طا صرالا فظ موق العروب فولك الألشى الكذا عصاداليه في عدم مزول المتران دوى عدوم عن المرجيال فارا تول الفؤال حله واحدة مؤاللوح المحفوظ وللذالعندوالي بت العن عم الزل يعد ولك وعد من سنة وقاله الشعبي وق المدنعاني سرط الفرال فكان من اولدون و والسالم المسالم الما فالنا فالنا في الما والمواحرة عان عشره سندا والعلم عَلَى اللَّهُ مِنْ وَالْمُدِسَةُ عَنُوسَيْنَ مِنْدُ الْحَكُمُوا وَإِوْلَ مَا يَوْلَ مِنَ الْفُوالْ فاعدالمنفوك والوا فايزلتا مراما سرربك وواه عرومي غانسة ويمقاك فناحة وابوصالح زوروي طب وعندانهان أول ما تزله من العران ما بعا الذروالصي العلا الزلة على المراكز المام والمناوج والمعتمر المالمدس واعله فالمدح والمعصى محديثهما ويرعبداس فالمد

では、これの意思を記されている。 المنادوا لإبدا فنا الرابا فأسلك والدوا سطاء واله المتوقا فأخرف عند الماري المالي وتنادما فاالنا المناال فالمالي وتناوا مانا لمعرضك يأعضنك افاسحوله وريانه فالدا نزجاج منشان بادديل كاشاه لأله أبناكا فأباذى فالدا اللغ يعالنهسيرنشتانغ لبريعه ديل وسعف فذل يجوظها خصه رين قال دواليه لد ومرسوم ماء عربين الحرار فريدمل إنس مدماع المودين وزوعة برشهم النافشادته بالمدعليل المكدموكسرا امتاد والخاشعة فالمتعلق بهريه ماسد من البهد مسلمان من الله وكذا منا معلى المرا المرا ك ما جروالمنابع واقل معديا جعني الماعنا قالسية المصيدوها والدين وذ بمندفات والباس الماسوران والمالك المتعالمة المارين المارين المالي على المال المالة مكرة ورواه لالناس خلواد لالومعان الناس والالال فيهر وكبيد عبره فالدالما الناس فالهترا والمسطاله ومراكلنا وليرس العشدود فافا ذكرا فدختر إمكت فال المتهاج الرضائل ماعنا فكأ فسواس وفالدابه طيشه المعدود حاحنا الملك الذى بن شويس في معدودا لمنابس عوالجناء وهرس الجير والشخاص شما لوشوا من طداللف البشنون فريرالم وودامة ب فيدالفلير كالع ينعه وياهنغ وتعاميما برامس لمغ المناب الكالئ العشعيب كالكلااب غغاظة ذاوي sisting.



والاستانية والاما بالعكام الدار مع ومع في والفارعل معراه الدع والمرافع الفاح لمعلى موجع ومعاراته والإرام والمارون محدوع ساندي توسالها وريعي بأريار المانوريس ومحابرتي ويشم المدابهمون والمستكسب مالة ماوتول في مدين وأوراح ملوصع التدعيم ماله مريضان متري تسراله أوسوع هايسلوبين بعوره ولمايم سع جمع جنا المروم واللحائد لا أنه يرجى ملذ الشوين ارائعا براي سجال المراكع آختى جذائ يفرط بار فرايعون من مناه والما والذراح العرور علما والدلية وسالة مريدالام والمرايدة وما المريد الما ومعارفة والمراد ما كودا و نوي شارد والريولية و والشير المري شد و بي التعال معالمة من المريد وسير والما المساح المريدة ها مُا أَهَا ٱلْمُرْجُودُ لِنَّا لَمُنظِّرُكُ وَصِلْمُهِ الْوَالْمُسْتِينَا وَالشَّرِينَا وَإِنَّا أَن المُعلل الماسم فالرَّب بمن ا استنسك ويطي فيار كوأسة أبواء المدعم والبرائين والهوائيسة الجرابي مضامه والفريج والمام والعيني عبالماع ارثهم والوائتية بالخياج بغروية وأبوائها نباح بيبائه ويوابي جهرعبا يجدر بيليها وربانجا الابسهر والاخترا ببالموجع بأجر أجدعا حرزك وزموع بالندف وللكاشرة بالخوع ليراس مهوال لجنسا مرزة كالأوالأكثرة لكالم فلي ويسا أواوا واخديد للوزان هعش ولايعيم وسار الثعا وكالسساراتها والمساراتها إلى خذا وأمّا بسيح الغري وأخر إلفنوا تهو أبوس أبين بدائع وريسا ومبيد وفي سأوه أأبينه وفريدين أرثاث والدعارة يوالي عباغيار فسطرا والمانية الوابر برايات مديع بدالصهابوز يا ونعاز الزاح وصلاف الزاح وارغسار مغريني المدرج مغرط شعداع المنزاكلة داوا تعجل همطاء زامة العاقب تعافرانية واحرر في المه واحر في إذا والسراد ويور في والله ويوهو برسيدانا الما والمعالم المعالمة ومداكرية مسعود نبطه الملاصليل ومعوزا فيريته السائرة واواني عسارهم وملعص والماعروني المرفية التاعد إلى منصوالسندا إساله في والوائمة عدارة بن في عادر فا والعلم والوشعور الكوس والمستعدد المسه وعليم كالبله والرسال وأساشران ويرا المالا ووسروا المسافوليين البناوالجال وعلى بالبزالين ليواء احمر بيبالله بزعند ذع وخويمانه وميرسياء وزياما واوهم بل أمكاه بالأثابي أنسا كدر ليخرش أصاب ألمعدى وكالخط واحود بالمؤنب مزوجيتك والمافاة أبركتم الومالك أنبع صوريتند تبدارا وينسب وأمراك بيسطف أكاسة فرين فيأوونسياس الفلاصل مسياله في المراه ويعيننا مديعي وم كالتوليان الما الماليه المالية المالية في والنافذة ألحله وسعها بعرفات والاسرعة بمدانة العالمان والماليون المعالقة من المعدومية أن فرواد على ساحد راه تسيخ الفعد الهادان المعالمة العالمة المعالمة المعالمة العالمة العد مقالت معالمين مهم المعدومية أن فرواد على ساعة مراه تسيخ الفعد المعالمة المعالمة على المقالمة المعالمة المعدومي ولا يساؤ محل المنصالة المعالمة المسبع نبعهرها والسنوياة كالاوتساق وكالساوجا بروالحوف والخدم كسالها الواسلة والمكد بما والألا والمدجع ه به مستسام با الدريك المرحد و خداكامة رضائع الدريميم المرابط الما الله والعاملة الما الما الله والعاملة المدر الله المضم با وماع المناز والمداود على مدرد حما الوق الدح رفعور المدين الموجود الموجود المدين الموجود المدين ا

سماعات الأجزاء الأربعة من زاد المسير(١)

قرأت هذه المجلدة جميعها، وهي الثانية من كتاب «زاد المسير» على شيخنا الإمام العالم زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي (٢) فسح الله في مدته بحق سماعه قراءة، فسمعها الفقيه الإمام الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالب بن يوسف بن سعيد الأنصاري، والفقيه الإمام الحافظ عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي المقدسي، وصح ذلك وثبت في مجلس الشيخ المسمع، شيخ جبل قاسيون ظاهر دمشق، في مجالس آخرها يوم الجمعة السادس عشر لشهر صفر سنة أربع وستين وستمئة، وكذلك قرأت المجلد الأول مثل هذا والثالث بعده والرابع وذلك جميع كتاب (زاد المسير في علم التفسير) فسمعه جميعه شمس الدين محمد بن غالب المذكور، وعبد الحافظ بن عبد المنعم المذكور، سمع بقراءتي المجلد الثاني والثالث والرابع، وسمع المجلد الأول بقراءة غيري، وسماع شيخنا زين الدين المذكور على مصنفه جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي المذكور من أول الكتاب العزيز إلى آخر سورة (القصص) ومن أول سورة (العنكبوت) إلى آخر الكتاب العزيز إجازة من المصنف، إن لم يكن سماعاً. وذكر الشيخ المسمع أن الكتاب جميعه سماعه من المؤلف، وكانت لديه نسخة وعليها سماعه، فذكرنا هذه الأجازة احتاطاً.

وأجاز الشيخ للجماعة السامعين جميع ما تجوز عنه روايته بشرطه.

وكتب أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد^(٣) اللخمي الأندلسي عفا الله عنه وسامحه وغفر له ولوالديه ولمشايخه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



⁽١) وهي مثبتة في آخر المجزء آلثاني من مخطوطة الرياط. إنظر لوحة رقم ٢ و٧.

⁽Y) هو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكر، المقدمي الصالحي، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمتة بفتدق الشيوخ من أرض نابلس، وسمع الكثير بدمشق من يحيى الثقفي، وأبي عبد الله بن صدقة، وأبي الحسن بن الموازيني، وعبد الرحمن الخرقي، وإسماعيل الجنزوي وغيرهم، وانفرد بالرواية عنهم، ودخل بغداد، وسمع بها من أبي الفرج بن كليب، والمبارك بن المعطوش، وأبي الفرج بن الجوزي، وغيرهم. وقرأ بنفسه، وعني بالحديث، وتفقه على الشيخ موفق الدين، وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه، وجمع تاريخاً لنفسه، وكان قاضلًا متنبهاً وله نظم. ولي الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة. كان حسن الخط سريعاً فيه، مكثراً من نسخ الكتب له وبالأجرة. لازم الكتابة أكثر من ٥٠ سنة. وكان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس، ويقال: إنه كتب بيده ألفي مجلدة، منها قتاريخ الشام؛ لابن عساكر مرتين. وقالمنني، لموفق الدين مرات. وكف بصره في آخر عمره. روى عنه الأثمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس مرات. وكف بصره في آخر عمره. روى عنه الأثمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ تقي الدين بن قيمة. وتوفي في رجب سنة ٦٦٨، ودفن بسفح قاسيون. انظر قبل طبقات الحنابلة، ٢٩٨/٢ ودنكت الهميان، ٩٩، وقوات الوفيات، ١/ ٨٥.

 ⁽٣) قال ابن العماد في «الشذرات» ٤٤٣/٥: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد الإشبيلي الشافعي المحدث الحافظ تفقه على ابن
 عبد السلام. قال الذهبي: وحدثنا عن ابن عبد الدايم وطبقه، عاش خمساً وضبعين سنة، وكان ذا ورع وعبادة وصدق.

ترجمَة ابن الجوزي^(۱)

نسبه _ مولده _ نشأته _ شيوخه:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حُمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي التّيمي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ المفسر، الأديب الملقب: جمال الدين.

وقد اختُلف في نِسْبَتِه، فقيل: إنَّ جدَّه جعفر نُسِبَ إلى فُرْضَةِ^(٢) من فُرَضِ البصرة يقال لها: جوزة. قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: فُرضة الجَوز. وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى: محلة الجوز، وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها.

وكما اختلف في نسبته، اختلف كذلك في مولده، فقد وجد بخطه: لا أُحقِّقُ مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، فعلى هذا يكون مولده: سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة وخمسمائة.

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب، فلما توفي والده، وهو صغير، كفلته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار. والصفر هو: النحاس.

ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقد قيل: إن أول سماعه كان سنة ١٦٥هـ. وحفظ القرآن، وقرأه مجوداً على جماعة من أثمة القراءة وفي كبره قرأ بالروايات بواسط على ابن الباقلاني، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب، كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدد، لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً، ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وسمع الكتب الكبار كالمسند للإمام أحمد (٢)، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب البغدادي، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا، وغيرها.

ثم صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولازمه، وعلق عنه الفقه والوعظ. قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة، وصحبته زماناً، فسمعت منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له حُلْقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ فيها بعد الصلاة، ويجلس يوم السبت أيضاً.

وشهد ابن ناصر الدين للزاغوني أنه كان فقيه الوقت، وأنه كان مشهوراً بالصلاح والديانة، والورع والصيانة. وتوفي ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم، فطلب ابن الجوزي خلفته (٤) فلم يُعطّ ذلك لِصغره، وأعطيت الخلفة لأبي علي الرذاني، فذهب ابن الجوزي إلى الوزير، فألقى بين يديه فصلًا في المواعظ، فأذن له بالوعظ في جامع المنصور، قال ابن الجوزي: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم

⁽١) أخذت ترجمة ابن الجوزي عن كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» ١٩٩٩/١، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٢٨/١٣. و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٢٣. ومما ألفه ابن الجوزي نفسه. وانظر ترجمته في كتاب «القصاص والمذكرين» تحقيق الدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ. وأصل هذه الترجمة كنت قد وضعتها في أول زاد المسير.

⁽٢) فرضة النهر: ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط السفن.

 ⁽٣) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي مع فهرس للصحابة من عمل المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني.

⁽٤) أي: أن يحل محله ني وظائفه.

عبد الواحد بن شعيب، وأبو علي ابن القاضي، وأبو بكر بن عيسي، وغيرهم.

ثم تكلمت في مسجد معروف (١)، وفي باب البصرة، ونهر المعلى، فاتصلت المجالس، واشتد الزّحام، وقوي اشتغالي بفنون العلم، وانقطعت مجالس أبي على الرذاني.

وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوه يحيى، وأبو عبد الله البارع، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحد، وأبو غالب الماوردي، وأبو منصور ابن خيرون، وأبو القاسم السَّمَرقَندي، وعبد المبلك الكرخوي، وأبو سعد الزُّوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم على الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن منده.

قال: ولم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق، وكنت أصبحُ وليس لي مأكلٌ. وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي أستاذ عصره في علوم العربية. وكان مدرسها في المدرسة النظامية، وكان إمام الخليفة المقتفي. وكان [الجواليقي] متديناً ثقة ورعاً، غزير الفضل، كامل العقل، مليح الخط. كثير الضبط، له التصانيف الكثيرة. قال ابن الجوزي: قرأت عليه كتابه: «المعرب» وغيره من تصانيفه.

صفاته وأخلاقه _ مجالسه _ مذهبه ومحاربته البدع:

كان ابن الجوزي يكثر الكلام عن نفسه في كتابه قصيد الخاطر، (٢) فيذكر أنه نشأ في النعيم، ورُبِّي على الدلال، وأنه قد حُبِّبَ إليه العلم من زمن الطفولة، ولم يرغب في فن واحد من فنونه، بل رغب في كل فن، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة، وبين العلم والبحث، وأن من لداته وأصحابه من أنفق عمره في اكتساب الدنيا، ثم لم ينل منها ما ناله هو، وأن عيشه ألين من عيشهم، وجاهه أعلى من جاههم، وتحدث كيف أنه كان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة، ويخرج في طلب الحديث، فيقعد على نهر عيسى عربي بغداد _، لا يقدر على أكل هذا الخبز اليابس إلا عند الماء كلما أكل لقمة شرب عليها شربة، وأنه وجد مع ذلك من لذة العلم وحلاوة الإيمان ما يخاف جعله على نفسه العجب إن شرحه.

وقال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول مالاً من جهة لا يتيقن حلها، ولا ذل لأحد، قال في الفتة الكبده (٢) يخاطب ولده: (وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئًا».

وقال أبن كثير: وكان فيه بهاء، وترفع، وإعجاب بنفسه، وسمو بها، أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه، ثم أورد له شعراً منه قوله:

لوكان هذا العلم شخصاً ناطقاً وسألته هل زار مشلي؟ قال: لا

قال ابن رجب: مما عيب عليه ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه، والترفع والتعاظم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، سامحه الله.

قال ابن الجوزي في الفتة الكبدة: ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في

 ⁽١) هو معروف الكرخي. ومسجده في محلة الكرخ غربي دجلة في بغداد.

⁽٢) طبع بتحقيق أستاذنا الكبير الشيخ علي الطنطاري، وعلق على أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ر

⁽٣) طبعها المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور مروان القباني.

نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة. . . وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعاناه الجهال(١١).

وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان زاهداً في الدنيا متقللًا منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف». وما خرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلًا وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر هي، لأن عائشة هي تحت رسول الله على، وقالت الشيعة: هو على هي، لأن فاطمة بنت رسول الله ي تحته (٢٠).

قال ابن خلكان: وهذه من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن، فضلًا عن البديهة. ومن أجوبته أن رجلًا سأله: أيهما أفضل، أسبّح، أو أستَغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

ومنزلته في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة، وحسن التصرف في فنون القول، وشدة التأثير في الناس، ما لم يؤت الكثيرون.

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة، والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنغمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين. . . ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدرب دينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة.

ويصف ابن الجوزي نفسه مجلساً من مجالسه فيقول: فسألني أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول، وانقلبت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة، رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بالف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء، وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون، وكان الزحام كالزحام بسوق الثلاثاء، فدخلت الحربية، وقد امتلأ الشارع، وأكريت الرواشين من وقت الضحى، ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس، وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمانة ألف ما أبعد القائل.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذَّاهب، فأعانني الله سبحانه عليهم، وكانت كلمتنا العليا.

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، ويصرح

⁽١) مثل ما يفعل اليوم السفهاء من إطالة الشعر والأظافر.. إلخ.

⁽٢) الحق أنه أبو بكر، لأنه آخر مذكور، كما أن السؤال عن فضلهما لا عن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة القرآن(١). وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً.

وقال يوماً على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقيل له مرة: قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:

أتسوب إلسيسكَ يسا دحسمسنُ مسمسا وأمسا مسن هسوى لسيسلسى وحسبِّسى

وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنبلي، فأنشد:

وعبيرني السواشون أني أحبها ثم قال: أهذا عيبي؟! ولا عيب في وجه نقط صحنه بالخال.

جسنيتُ فقد تعاظميتِ الذنوبُ زيسارتسها، فإنسي لا أتسوب

وتسلمك شكاة ظاهبر عمنمك عبارها

علمه ومصنفاته:

ذكره الحافظ الدبيثي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني فقال: شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال، ومعرفة ما يحتج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة، والانقطاع والاتصال، وله في الوعظ العبارة الرائقة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كافي...

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه ما أخذ على ابن الجوزي من كثرة أغلاطه في تصانيفه فقال: وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره (٢)، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف.

قال ابن رجب: قرأ على الشيخ أبي الفرج جماعة؛ منهم طلحة العلثي، ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه «زاد المسير» في التفسير قراءة بحث ومراجعة.

وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ^(٣)، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن الدبيثي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن الخليل، وابن عبد الدايم، والنجيب عبد اللطيف الحراني، وهو خاتمة أصحابه بالسماع.

قال ابن رجب: وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على

⁽١) أي قضية خلق القرآن التي فارق المعتزلة والجهمية وأتباعهم أهل السنة فيها. وكان ضلالهم فيها كبيراً. ومن زعم بأنها مسألة لفظية!! فقد دلّس وخدع.

⁽٢) أي: لا يراجعه.

⁽٣) وهذا لم يكن ثقة وهو صاحب التاريخ المعروف.

74

تصانيف من تقدمه (١).

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله على فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جداً بلغت ـ فيما يذكر الرواة ـ خمسين وماثتي كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناوله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولى من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

مصنفاته في القرآن وعلومه:

١ - «المغني» في التفسير ٨١ جزء. ٢ - «زاد المسير في علم التفسير» أربع مجلدات. ٣ - «تيسير البيان في تفسير القرآن» مجلد. ٤ - «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» مجلد. ٥ - «غريب الغريب» جزء. ٦ - «نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٨ - «الإشارة إلى القراءة المختارة» ٤ أجزاء. ٩ - «تذكرة المنتبه في عيون المشتبه» جزء. ١٠ - «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» مجلد. ١١ - «ورد الأغصان في فنون الأفنان» جزء. ١٠ - «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» ٥ أجزاء. ١٣ - «المصفى بأكف أهل الرموخ في علم الناسخ والمنسوخ» (١) - «دو. د

مصنفاته في أصول الدين:

18 _ «منتقد المعتقد» جزء. 10 _ «منهاج الوصول إلى علم الأصول» 0 أجزاء. 17 _ «بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد» جزء. 17 _ «غوامض الإلهيات» جزء. 1۸ _ «مسلك العقل» جزء. 19 _ «منهاج أهل الإصابة». ٢٠ _ «السر المصون» مجلد. ٢١ _ «نع شبه التشبيه» ٤ أجزاء. ٢٢ _ «الرد على المتعصب العنيد».

مصنفاته في الحديث والزهديات:

٣٣ ـ "جامع المسانيد بألخص الأسانيد". ٢٤ ـ "الحدائق" ٣٤ جزء. ٢٥ ـ "نفي النقل" ٥ أجزاء. ٢٦ ـ "المجتبى" مجلد. ٢٧ ـ "النزهة عزآن. ٢٨ ـ "عيون الحكايات مجلد. ٢٩ ـ "ملتقط الحكايات ٣١ جزء. ٣٠ ـ "إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين مجلد. ٣١ ـ "روضة الناقل عزه. ٣٦ ـ "غرر الأثر ٤٠ . ٣٠ جزء ٣٣ ـ "التحقيق في أحاديث السلف الصالحين ٣٠ ـ "المديح ٤١ أجزاء. ٣٨ ـ "الموضوعات من الأحاديث المرفوعات مجلدان. ٣٠ ـ "الضعفاء "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية مجلدان. ٤٠ ـ "الكشف لمشكل الصحيحين أربع مجلدات. ٤١ ـ "الضعفاء والمتروكين مجلد. ٤٢ ـ "إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه مجلد. ٣٣ ـ "إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث (٣٠ ـ جزء. ٤٤ ـ "السهم المصيب جزآن. ٤٥ ـ "أخاير الذخائر ٣٠ أجزاء. ٣٦ ـ "الفوائد عن الشيوخ ٢٠ جزء. ٤٧ ـ "مناقب أصحاب الحديث مجلد. ٤٨ ـ "موت الخضر ومجلد. ٤٩ ـ "مختصرة وتحقة النسب وي النسب مجلد. ٣٥ ـ "تحقة "مختصرة جزء. ٥٠ ـ "المسلسلات وتحقة المحتسب في النسب مجلد. ٥٠ ـ "المسلمة وتحقة المختسرة والمحتسب في النسب مجلد. ٥٠ ـ "المحلقة والتحديث والمسلمة والمحتسب في النسب مجلد. ٥٠ ـ "المحلقة والتحديث والمحتسب في النسب مجلد. ٥٠ ـ "المحقفة والتحديث والمحتسب في النسب والمديث والمحتسب في النسب والمديث والمحتسب في النسب والمحتسب وال

⁽١) قلت: وقد ألف رحمه الله كتاباً حافلًا في الأحاديث الموضوعات ليحترز منها الفقهاء والرعاظ وغيرهم، ومع ذلك فقد أورد في كتبه الوعظية أحاديث موضوعة وأخبار واهية منكرة دون أن يشير إليها أو ينبه عليها، بل تراه يستشهد بها كأنها من الصحاح أو الحسان، كما تجد ذلك في كتابه الأم الهوى، واقرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة، وارؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير، قال الحافظ السخاوي في الشرح ألفية العراقي، ١٩٧٧: وقد أكثر ابن الجوزي في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد العوضوع وشبهه.

⁽٢) وقد طبعته بالاشتراك في تحقيقه مع الأخ الفاضل الشيخ محمد كنعان.

⁽٣) طبع المكتب الإسلامي بتحقيق الشيخ محمد كنعان، وزهير الشاويش.

الطلاب ٣ أجزاء. ٥٤ - «تنوير مدلهم الشرف» جزء. ٥٥ - «الألقاب» جزء. ٥٦ - «فضائل عمر بن الخطاب» مجلد. ٥٧ - «فضائل عمر بن عبد العزيز» مجلد. ٥٠ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٥٠ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٥٠ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٦٠ - «مناقب إبراهيم بن أدهم» ستة أجزاء. ٦٣ - «مناقب بفيان الثوري» مجلد، ٦٥ - «مناقب معروف الكرخي» جزآن. أجزاء. ٣٦ - «مناقب سفيان الثوري» مجلد، ٦٥ - «مناقب معروف الكرخي» جزآن. ٦٦ - «مناقب رابعة العدوية» جزء. ٧٦ - «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» مجلد، ٨٦ - «صفوة الصفوة» مجلدات، ٩٠ - «مناقب القاصدين» أربع مجلدات (١٠). ٧٠ - «المختار من أخبار الأخيار» مجلد. ٧١ - «القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج» جزء. ٧٧ - «عجالة المنتظر لشرح حال الخضر» جزء. ٣٧ - «النساء وما يتعلق بآدابهن» مجلد. ٧٤ - «علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أمَّ الرسول». جزء ٧٥ - «المجوم». ٣٧ - «المغلق».

مصنفاته في التاريخ:

٧٧ ـ «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير» مجلد. ٧٨ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ١٠ مجلدات. ٧٩ ـ «طرائف الظرائف في تاريخ السوالف» جزء. ٨١ ـ مجلدات، ٧٩ ـ «طناقب بغداد» مجلد.

مصنفاته في الفقه:

٨٢ - «الإنصاف في مسائل الخلاف». ٨٣ - «جُنة النظر وجنة النظر» وهي التعليقة الوسطى. ٨٤ - «معتصر المختصر في مسائل النظر». ٨٥ - «عمد الدلائل في مشتهر المسائل» وهي التعليقة الصغرى. ٨٦ - «المذهب في المذهب» (٢٠). ٨٧ - «مسبوك الذهب» مجلد. ٨٨ - «النبذة» جزء. ٩٥ - «العبادات الخمس» جزء. ٩٠ - «أسباب الهداية لأرباب البداية» مجلد. ٩١ - «كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى». ٩٢ - «رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم» جزء.

مصنفاته في علوم الوعظ:

90 - «اليواقيت في الخطب» مجلد. 92 - «المنتخب في النواب» (٢٠ مجلد. 90 - «منتخب المنتخب» مجلد. ٦٠ - «اللطائف» - «نسيم الرياض» مجلد. ٧٠ - «اللؤلؤ» مجلد. ٩٨ - «كنز المذكر» مجلد. ٩٩ - «الأرج» مجلد. ١٠١ - «اللطائف» مجلد. ١٠٠ - «كنرز الرموز» مجلد. ١٠٠ - «المقتبس» مجلد. ١٠٠ - «موافق المرافق» مجلد. ١٠٠ - «شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٠ - «اللهب» جزآن. ١٠٠ - «المدهش» مجلدان. ١٠٠ - محلدان. ١٠٠ - «وسيا نجد» جزء. ١٠٠ - «محادثة العقل». ١١٠ - «لقط الجمان» جزء. ١١١ - «معاني المعاني» جزء. ١١٠ - «فتوح المنتوح» جزء. ١١٠ - «التعازي الملوكية» جزء. ١١٠ - «العقد المقيم» جزء. ١١٠ - «إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات» جزآن. ١١٦ - «نكت المجالس البدرية» جزآن. ١١٧ - «نزهة الأديب» جزآن. ١١٨ - «منتهى المجلد. ١١٩ - «تبصرة المبتدئ» ٢٠ جزء. ١٢٠ - «الياقوتة» جزآن. ١١٢ - «تحفة الوعاظ» مجلد.

مصنفاته في فنون مختلفة:

۱۲۲ _ «ذم الهوى» مجلدان. ۱۲۳ _ «صيد الخاطر» ٦٥ جزء. ۱۲٤ _ «أحكام الأشعار بأحكام الإشعار» عشرون جزء. ١٢٥ _ «أكداء» مجلد. ١٢٨ _ «الحمقى» جزء. ١٢٥ _ «القصاص والمذكرين» (٤٠ ـ «الحمق اللسان» مجلد. ١٢٧ _ «الأذكياء» مجلد. ١٢٩ _ «النسب والخضاب» مجلد. ١٢٩ _ «النسب والخضاب» مجلد.

⁽١) ومن مطبوعات المكتب الإسلامي لابن قدامة المقدسي، بتحقيق زهير الشاويش.

 ⁽٢) هو لابنه يوسف وقد طبعه المحسن الشيخ قاسم بن درويش فخرو جزاه الله كل خير.

 ⁽٣) وهو تحت الطبع في المكتب الإسلامي، تحقيق الدكتور عبده الراجحي وزهير الشاويش.

⁽٤) وقد تم طبعه في المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور محمد الصباغ.

١٣٢ ـ اأعمار الأعيان (١) جزء. ١٣٣ ـ الثبات عند الممات ، جزآن. ١٣٤ ـ اتنوير الغبش في فضل السود والحبش مجلد. ١٣٥ ـ «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ؛ جزء. ١٣٦ ـ "إشراف الموالى؛ جزآن. ١٣٧ ـ "إعلام الإحياء بأغلاط الأحياء). ١٣٨ - اتحريم المحل المكروه) جزء. ١٣٩ - المصباح لدعوة الإمام المستضيء) مجلد. ١٤٠ ـ اعطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء؛ جزء. ١٤١ ـ االنصر على مصر؛ جزء. ١٤٢ ـ االمجد العضدي، مجلد. ١٤٣ ـ «الفجر النوري، مجلد. ١٤٤ ـ «مناقب الستر الرفيم، جزء. ١٤٥ ـ «ما قلته من الأشعار» جزء. ١٤٦ ـ «المقامات» مجلد. ١٤٧ ـ (من رسائلي» جزء. ١٤٨ ـ «الطب الروحاني» جزء. ١٤٩ ـ (بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب، ١٦ جزء. ١٥٠ ـ «الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب. ١٥١ ـ «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ مجلدان. ١٥٢ ـ النور في فضائل الأيام والشهور، مجلد. ١٥٣ ـ اتقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد». ١٥٤ ـ «مناقب الإمام الشافعي». ١٥٥ ـ «العزلة». ١٥٦ ـ «الرياضة». ١٥٧ ـ «منهاج الإصابة في محبة الصحابة». ١٥٨ ـ افنون الألباب». ١٥٩ ـ الظرفاء والمتحابين». ١٦٠ ـ امناقب أبي بكر». ١٦١ ـ امناقب على، مجلد. ١٦٢ ـ افضائل العرب، مجلد. ١٦٣ ـ ادرة الإكليل في التاريخ، أربع مجلدات. ١٦٤ ـ االأمثال، مجلد. ١٦٥ ـ المنفعة في المذاهب الأربعة، مجلدان. ١٦٦ ـ المختار من الأشعار، عشر مجلدات. ١٦٧ ـ ارؤوس القوارير، مجلدان. ١٦٨ ـ المرتجل في الوعظ؛ مجلد كبير. ١٦٩ ـ اذخيرة الواعظ؛؟ أجزاء. ١٧٠ ـ الزجر المخوف. ١٧١ ـ «الأنس والمحبة». ١٧٢ ـ «المطرب الملهب». ١٧٣ ـ «الزند الورى في الوعظ الناصري» جزآن. ١٧٤ ـ «الفاخر في أيام الإمام الناصر، مجلد. ١٧٥ ـ «المجد الصلاحي، مجلد. ١٧٦ ـ «لغة الفقه، جزآن. ١٧٧ ـ «غريب الحديث، مجلد. ١٧٨ ـ املح الأحاديث؛ جزآن. ١٧٩ ـ الفصول الوعظية على حروف المعجم،. ١٨٠ ـ اسلوة الأحزان؛ عشر مجلدات. ١٨١ ـ «المعشوق في الوعظ». ١٨٢ ـ «المجالس اليوسفية في الوعظ». ١٨٣ ـ «الوعظ المقبري». ١٨٤ ـ «قيام الليل» ٣ أجزاء. ١٨٥ ـ «المحادثة». ١٨٦ ـ «المناجاة». ١٨٧ ـ «زاهر الجواهر في الوعظ» أربع أجزاء. ١٨٨ ـ` الكنز المذكرا، ١٨٩ ـ النحاة الخواتيم، جزآن. ١٩٠ ـ المرتقى لمن اتقى، ١٩١ ـ ازين القصص، مجلد. ١٩٢ ـ «نسيم الرياض». ١٩٣ ـ «لفتة الكبد في نصيحة الولدة(٢). ١٩٤ ـ «القرامطة»(٣).

وفاته :

قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان _ يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة _ تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، وكان في شهر تموز، فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام (٤)، وما وصل حفرته إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: الله أكبر. ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل ﷺ، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور، وثلاث إناث. تغمده الله برحمته ونفع المسلمين بعلومه، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله.



⁽١) وهو تحت الطبع بتحقيقي.

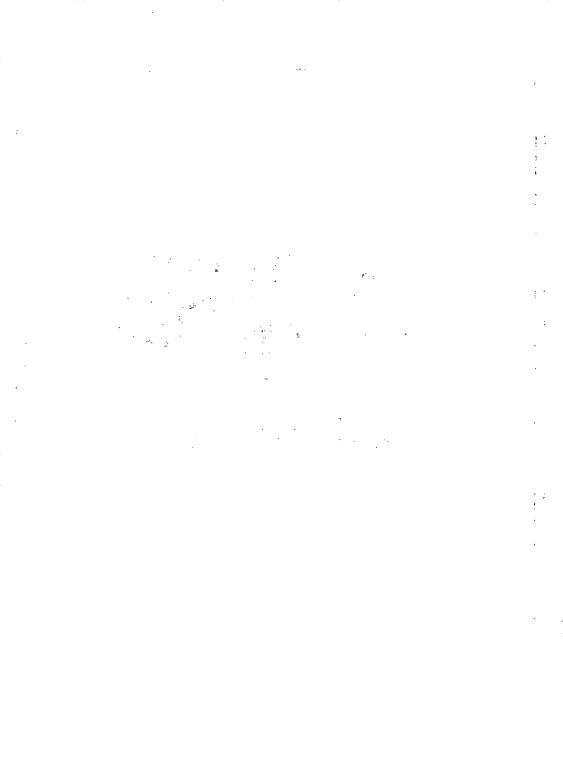
⁽٢) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور الشيخ مروان القباني.

⁽٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

٤) هذا الحفيد غير ثقة وصاحب مبالغات، وعجيب أن يترك الناص الفريضة من أجل نافلة، لأن صلاة الجنازة إذا قام بها البعض كان للآخرين نافلة.







بنب مِ اللهِ النَّهُ إِن النِحيب إِن

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه على الحكم إلى الأمر الرشيد، وقوَّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبقى ذخرها على التأبيد، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيراً للخلائق ونذيراً، وسراجاً في الأبكوان منيراً، وهب له من فضله خيراً كثيراً، وجعله مقدماً على الكل كبيراً، ولم يجعل له من أرباب جبسه نظيراً، ونهى أن يدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً، وأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً، فقال: ﴿قُلُ لَمِن اللهِ وَلَو كُنُ اللهُ وَالْ عَلَه اللهُ وَالْ اللهُ وَالْ عَلَه اللهُ وَالْ عَلَه وَالْ اللهُ وَالْ اللهُ وَالْ اللهُ وَاللهُ وَلِللْهُ وَاللهُ وَلِولُهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّ

لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملةٍ من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه (۱۱)، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطوياً على العلم الغزير، ووسمته (۲) بـ:

[زاد المسير في علم التفسير]

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، وإلله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه.

فصل في فضيلة علم التفسير

روى أبو عبد الرحمٰن السلمي، عن ابن مسعود قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر، فلا نجاوزها إلى العشر الأخر حتى نعلم [ما]^(۲) فيها من العلم والعمل^(٤).

وروى قتادة عن الحسن أنه قال: ما أنزل الله آية إلا أحبُّ أن أعلم فيم أنزلت، وماذا عني بها.

وقال إياس بن معاوية: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلًا، وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

قصل

اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى، أم يختلفان؟ قدهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل الولاه آ^٥ ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه ٢٠٠٠.

⁽١) في الأصل: عنه. (٢) في الأصل: ووسمه، والتصويب من نسخة (ب).

⁽٣) الزيادة من نسخة (ب). (واه الطبري، وإسناده صحيح،

 ⁽د) الزيادة من (تاج العروس) للزييدي. وفي نسخة (ب) (إلى دليل لولاه ترك ظاهر اللفظ».

[🔾] في الأصل: الأهل. والتصويب من نسخة (ب).

فصل في مدة نزول القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت [العزة، ثم](١) أنزل بعد ذلك في عشرين سنة(٢).

وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

وقال الحسن: ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين.

واختلفوا في أول ما نزل من القرآن، فأثبت المنقول أن أول ما نزل: ﴿ آفَرًا ۚ بِأَسْدِ رَبِّكَ﴾ [العلن: ١]. رواه عروة عن عائشة (٣) وبه قال قتادة وأبو صالح.

وروي عن جابر بن عبد الله: أن أول ما نزل ﴿ يَأَيُّنَا ٱلْمُتَّرِّرُ ۗ ﴾ [المدثر: ١].

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿أَثَرَا بِأَشِر رَبِّكَ﴾ رجع فتدتُّر فنزل: ﴿بَاأَيُّمَا لِلْكَائِرُ ﴿﴾ يدل عليه ما أخرج [في](١) (الصحيحين؛ من حديث جابر قال: سمعت النبي على وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثثت منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿بَاأَيُّهُ ٱلْكَثِّرُ ﴿ فَ﴾ ومعنى جنثت: فوقت. يقال: رجل مجووث [ومجثوث] (٥) وقد صحَّفه بعض الرواة فقال: جبنت من الجبن، والصحيح الأول. وروي عن الحسن وعكرمة: أن أول ما نزل: ﴿ يِنْكِ النَّهُ اللَّهُ النَّهُ النَّا اللَّهُ اللَّهُ النَّا اللَّهُ اللَّالِي اللَّالَّا اللَّهُ اللّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّالّ

واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً ﴿ إِذَا جَاءَ نَصَّرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَــَّتُحُ ۞﴾ [النصر: ١]. وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت ﴿ وَائتُوا يُومًا تُرْبَعُونَ لِيهِ إِلَى النَّهِ ﴿ (١) [البقرة: ٢٨١] وهذا مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَقْتُونَكَ قُل اللَّهُ يُنْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَلَّةِ ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت (براءة)(٧٠). وروي عن أبيّ بن كعب: أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدَ جَآءَكُمْ رَسُوكُتُ يِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النوبة: ١٣٨]. إلى آخر السورة (^^.

لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت^(٩) في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

(٣)

⁽١) الزيادة من نسخة (ب).

رواه الحاكم ج٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

⁽٤) الزيادة من نسخة (ب).

رواه مسلم. الزيادة من السان العرب. (0)

رواه الطبري وإسناده صحيح، وذكره الهيشمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

⁽٨) رواه أحمد والحاكم. رواه البخاري في تفسير سورة (براءة). (V)

وفي نسخة (ج): خرجت. وجواب لما "وقد أدرجت، وكان حقه أن يقال: "فقد أدرجت.

وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين؛ إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حين شروعنا فيما ابتدأنا(\) له، والله الموفق.

فصل في الاستعادة

قد أمر الله عَلَى بالاستعادة عند القراءة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَأْتَ ٱلثَّرْانَ فَاسْتَبِذَ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرِّمِيرِ ۞﴾ [النحل: ٩٨] ومعناه: إذا أردت القراءة. ومعنى أعوذ: ألجأ وألوذ.

قال ابن عمر: نزلت في كل سورة. وقد اختلف العلماء: هل هي آية كاملة، أم لا؟ وفيه [عن] أحمد روايتان. واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان أيضاً. فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأما من لم يرها من الفاتحة، فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سنة. ما عدا مالكاً فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة.

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن مغفّل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين.

وذهب الشافعي إلى أن الجهر مسنون، وهو مروي عن معاوية بن أبي سفيان، وعطاء، وطاووس، ومجاهد. فأما تفسيرها:

فقوله: "بِسمِ الله اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو: بدأت باسم الله. وفي الاسم خمس لغات: "إسم» بكسر الألف، و«أُسم» بضمها، و«سُمّا». قال الشاعر: والله أسسماك سُسماً مُسبَاركا الله بسماك سُسماً مُسبَاركا الله بسماك سُسماً مُسبَاركا الله بسماد الله بسماد وأنشدوا:

بــاســـم الـــذي فــي كــل ســورة سُــمُــة

قال الفراء: بعض قيس [يقولون:](٢) سمه، يريدون: اسمه، وبعض قضاعة يقولون: سُمُه. أنشدني بعضهم: وعامنا أعبج بنا مسقدة منه وعامنا السميح وقدرضاب سُمُه

والقرضاب: القطاع، يقال: سيف قرضاب (٣).

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»:

فقال قوم: إنه مشتق، وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل روايتان. إحداهما: أنه ليس بمشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن. والثانية: رواها عنه سيبويه: أنه مشتق. وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل يأله: إذا فزع إليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وَامَّنه، فسمي إلهاً

⁽١) وفي نسخة (ج) ابتداؤنا. (٢) الزيادة من نسخة (ب).

 ⁽٣) جاء في القرطبي بعد إنشاده البيت: وقرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب. وفي «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«شرحه»: قرضب الرجل: أكل شيئاً يابساً، حكوا ذلك عن ثعلب، وهو الأصح.

كما يسمّى الرجل إماماً. وقال غيره: أصله ولاه. فأبدلت الواو همزة فقيل: إله كما قالوا: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح.

واشتق من الوله، لأن قلوب الِعباد توله نحوه. كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْنَرُونَ﴾ [النحل: ٣٧]. وكان القياس أن يقال: مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علماً، كما قالوا للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب. وقال بعضهم: أصله من: أله الرجل يأله إذا تحير، لأن القلوب تتحير عند التفكر في عظمته. وحكى عن بعض اللغويين: أله الرجل يأله إلاهة، بمعنى: عبد يعبد عبادة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَـتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك. قال: والتأله: التعبد. قال رؤية: لله در السخانسيسات السمسدُّه سبَّحن واسترجعن من تألهي

فمعنى الإله: المعبود.

فأما «الرَّحمن»:

فذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها. وبناء قعلان، في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولؤن للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشبع: شبعان.

قال الخطابي: فـ (الرحمن): ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر. والرحيمة: خاصٌ للمؤمنين. قال ﷺ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والرحيم: بمعنى الراحم.

سورة الفاتحة

روى أبو هريرة أن رسول الله على قال وقرأ عليه أبيّ بن كعب أم القرآن نقال: والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته (الممائها: الفاتحة، لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. ومن أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها أمت الكتاب بالتقدم. ومن أسمائها: السبع المثاني، وإنما سميت بذلك لما سنشرحه في (الحجر) إن شاء الله. واختلف العلماء في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي ميسرة. والثاني: أنها مديرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس كالقولين.

فصل

بنب والموالكن الزيجية

فأما تفسيرها: فـ ﴿ الْحَمْدُ ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿ لِلَّهِ ﴾ الخبر والمعنى: الحمد ثابت شه، ومستقر له، والجمهور على كسر لام قشه وضمها ابن أبي عبلة، قال الفراء: هي لغة بعض بني ربيعة، وقرأ ابن السَّميغو^(۲): «الحمد» بنصب الدال قشه بكسر اللام، وقرأ أبو نهيك بكسر الدال واللام جميعاً. واعلم أن الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد شه. وقال ابن قتيبة: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروف أولاكه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر، فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته. فأما «الرب» فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد. وقيل: هو مأخوذ من التربية. قال شيخنا أبو منصور اللغوى: يقال: ربّ فلان صنيعته يربها رباً: إذا أتمها وأصلحها، فهو رب ورابّ. قال الشاعر:

يسرب السذي يسأتسي مسن السخسيسر إنسه إذا مستسل السمسعسروف زاد وتسمسمسا

قال: والرب يقال على ثلاثة أوجه: أحدها: المالك. يقال: رب الدار. والثاني: المصلح، يقال: رب الشيء. والثالث: السيد المطاع. قال تعالى: ﴿ لَيُسَتِّى رَبَّهُ خَمْلٌ ﴾ [يوسف: ٤١]. والجمهور على خفض باء «ربّه، وقرأ أبو العالية، وابن السَّميفع، وعيسى بن عمر بنصبها. وقرأ أبو رزين العقيلي، والربيع بن خيثم (٢٣)، وأبو عمران الجوني برفعها. فأما ﴿ ٱلْعَلَيْنِ ﴾ فجمع عالم، وهو عند أهل العربية: اسم للخلق من مبدئهم إلى منتهاهم، وقد سموا أهل الزمان الحاضر عالماً. فقال الحطيئة:

[تنحي فأجلسي مني بعيداً] أراح الله منسك العسالسميسسا

فأما أهل النظر، فالعالم عندهم: اسم يقع على الكون الكلي المحدث من فلكِ، وسماء، وأرض، وما بين ذلك. وفي اشتقاق العالم قولان: أحدهما: أنه من العلم، وهو يقوي قول أهل اللغة. والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل اللغة. والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل النظر، فكأنه إنما سمي عندهم بذلك، لأنه دالٌ على خالقه. وللمفسرين في المراد بالعالمين، هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الخلق كله، السموات والأرضون وما فيهنَّ وما بينهن. رواه الضحَّاك عن ابن عباس. والثاني: كل ذي

⁽١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ﴿ ٢) كذا في الأصل. وفي اللسانة واشرح القاموسة: السميقع بالقاف.

 ⁽٦) جاء في «التقريب» الربيع بن خثيم بضم المعجمة، وفتح المثلثة، وفي «الخلاصة» بفتح المعجمة والبثلثة بينهما تحتانية. أي: خيثم، كما في الأصول
 التي بين أيدينا.

روح دب على وجه الأرض. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الجن والإنس. روي أيضاً عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، ومقاتل. والرابع: أنهم الجن والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضاً، واختاره ابن قتيبة. والخامس: أنهم الملائكة، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿النَّكَثِرَ النِّيَكِ ۗ ﴾. قرأ أبو العالية، وابن السميفع، وعيسى بن عمر بالنصب فيهما، وقرأ أبو رزين العقيلي، والربيع بن خيثم، وأبو عمران الجوني بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿مناكِ يَوْمِ ٱلدِّيْنِ ﴿ ﴾. قرأ عاصم والكسائي، وخلف، ويعقوب: «مالك» بألف, وقرأ ابن السميفع، وابن أبي عبلة كذلك، إلا أنهما نصبا الكاف, وقرأ أبو هريرة، وعاصم الجحدري: «ملْكِ» بإسكان اللام من غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمان النهدي، والشعبي «مَلِك» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف, وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومورَّق العجلي: «مَلِكُ» مثل ذلك إلا أنهم رفعوا الكاف, وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو رجاء العطاردي «مليك» بياء بعد اللام مكسورة الكاف من غير ألف, وقرأ عمرو بن العاص كذلك، إلا أنه ضمَّ الكاف, وقرأ أبو حنيفة (٢٠)، وأبو حيوة «مَلكَ» على الفعل الماضي، «ويومَ» بالنصب، وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان أبو حنيفة (٢٠)، وأبو حيوة «مَلكَ» على الفعل الماضي، «ويومَ» بالنصب، وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان اللام، والمشهور عن أبي عمرو وجمهور القراء «مَلِك» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح، لأن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملك مكلًا. وفي «الدين» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله ابن مسعود. والثاني: الجزاء، قاله ابن عباس، ولما أقر الله على في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْمَالَمِينَ ﴾ أنه مالك الدنيا. دل بقوله: ﴿مَالِك يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ على أنه مالك الانجاء، في خلقه.

وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

باتت تشكى إليَّ النفس مجهشة

وفي المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الترحيد. روي عن علي، وابن عباس في آخرين. والثاني: أنها بمعنى الطاعة، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّذِيكَ وَالثَّالُثُ؛ أَنَهَا بمعنى الدعاء، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّذِيكَ يَشَكُّرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [بس: ٦٠]. والثالث: أنها بمعنى الدعاء، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّذِيكَ يَشَكُّرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [خافر: ٦٠].

قوله تعالى: ﴿آهَدِنا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثبتنا. قاله عليّ، وأبيّ. والثاني: أرشدنا. والثالث: وفقنا. والرابع: ألهمنا. رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس. و﴿ ٱلهِمرَكِ ﴾ الطريق. ويقال: إن أصله بالسين، لأنه من الاستراط وهو: الابتلاع، فالسراط كأنه يسترط المارّين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهد، وابن محيصن، ويعقوب، فعلى أصل الكلمة، ومن قرأ بالصاد، كأبي عمرو، والجمهور، فلأنها أخف على اللسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأصمعي عن أبي عمرو، واحتج بقول العرب: سقر وزقر (٢) وروي عن حمزة: إشمام السين زاياً، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين الصاد والزاي. قال الفراء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريش الأولى، وعامة العرب يجعلونها سيناً، وبعض قيس يشمُّون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ «الزراط» بالزاي، وهي لغة لعذرة وكلب وبني يقولون في [أصدق] (١) أزدق. وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله، رواه علي عن

⁽١) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة، فأخلت خط الدارقطني وجماعة؛ أن الكتاب موضوع لا أصل له. قال ابن الجزري: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه ﴿إِنَمَا يَغْنَى اللهُ مِنْ عِبَاوِهِ ٱلشَّلْمَتُوناً ﴾ برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة لبريء منها. انظر «النشر في القراءات المشر» لابن الجزري ١٣٦١.

⁽٢) قال في السان العرب؛ الزقر: لغة في الصقر.

⁽٣) الزيادة من القرطبي.

النبي ﷺ. والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين. والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضاً. فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ ففيه (١) ثلاثة أجوبة (٢): أحدها: أن المعنى: اهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقائم: قم حتى آتبك، أي: اثبت على حالك. والثالث: أن المعنى: زدنا هدى (٢٠٠٠).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعُمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. قال ابن عباس: هم النبيُّون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. وقرأ الأكثرون اعليهم، بكسر الهاء، وكذلك الديهم، واليهم، وقرأهنَّ حمزة بضمها. وكان ابن كثير يصل [ضم أنه الميم بواو. وقال ابن الأنباري: حكى اللغويون في "عليهم" عشر لغات، قرئ بعامتها "عليهُمْ" بضم الهاء وإسكان الميم "وعليهم" بكسر الهاء وإسكان الميم، واعليهمي بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة، واعليهمُوا بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة، و«عليهُّمُو» بضم الهاء والميم وإدخال واو بعد الميم، و«عليهُمُ» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو، وهذه الأوجه الستة مأثورة عن القراء، وأوجه أربعة منقولة عن العرب (عليهُمي) بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء، و"عليهُم" بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياءٍ، و"عليهِمُ" بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو، واعليهم، بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. فأما «المغضوب عليهم» فهم اليهود؛ «والضالون»: النصارى. رواه عدي بن حاتم عن النبي ﷺ (٥). قال ابن قتيبة: والضلال: الحيرة والعدول عن الحق.

ومن السنة في حق قارئ الفاتحة أن يعقبها بـ «آمين». قال شيخنا أبو الحسن على بن عبيد الله: وسواء كان خارج الصلاة أو فيها، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِذَا قَالَ الإِمَامِ: ﴿غَيْرِ ٱلْمُغْضُوبِ عَلَيْهُمُ وَلَا ٱلضَآلَابِينَ﴾ فقال من خلفه: آمين، فوافق ذلك قول أهل السماء، غفر له ما تقدم من ذنبهه(٢٠). وفي معنى آمين: ثلاثة أقوال: أحدها: أن معنى آمين: كذلك يكون. حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس، والحسن. والثاني: أنها بمعنى: اللهم استجب. قاله الحسن والزجاج. والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى. قاله مجاهد، وهلال بن يساف، وجعفر بن محمد. وقال ابن قتيبة: معناها: يا أمين أجب دعاءنا، فسقطت يا، كما سقطت في قوله: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَنذاً ﴾ [يوسف: ٢٩] تأويله: يا يوسف. ومن طوَّل الألف فقال: آمين، أدخل ألف النداء على ألف أمين، كما يقال: آزيد أقبل. ومعناه: يا زيد. قال ابن الأنباري: وهذا القول خطأ عند جميع النحويين، لأنه إذا أدخل "يا" على "آمين" كان مناديّ مفرداً، فحكم آخره الرفع، فلما أجمعت العرب على فتح نونه، دل على أنه غير منادى، وإنما فتحت نون «آمين» لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقول العرب: ليت، ولعل. قال: وفي «آمين» لغتان: «أمين» بالقصر، و«آمين» بالمد، والنون فيهما مفتوحة. أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

> سَفِّي اللهُ حيداً بين صَارَةً والحِمَى أميين وأدى الله ركسباً إلىهم وأنشدنا أبو العباس أيضاً:

(حِمَى)(V) فيد صوب المُدْجنات المَواطِر بخيير ووقّاهم حِمام المقادر (^)

أمَين فراد الله ما بسننا بُعُدا(١٠)

تَسباعدَ منِّى فُلط حُل وابن أمِّه

(٣)

في الأصلين: فعنه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

في نسخة (أ) أوجه. وكذلك كان كتبها ناسخ (ب) ثم أصلحها كما أثبتنا.

⁽٤) كلمة ضم من نسخة (ب).

في نسخة (ب) هداية. رواه أحمد والترمذي وحسنه. (0)

رواه البخاري ومسلم بلفظ: ﴿إِذَا أَمن الإِمام فأمنوا، فإن من والله تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من فنبه.

⁽Y)

 ⁽A) البيتان في «اللسان» في مادة «أمن» ورواية الثاني فيه: ورد الله. الزيادة من نسخة (ب). البيت سقط من نسخة (ب).

وأنشدنا أبو العباس أيضاً:

يا رَبُ لا تسلبَني حُبِّها أبداً وانشدني أبي:

أسيسن ومسن أعسطساك مستسي هسوادة وانشدني أبي:

فقلتُ له قد هجت لي بَارحَ الهوى أمينَ وأضناه الهوى ما به

ويَسرحه ألله عسبداً قسال آمِسيسنسا
رمسى الله في أطرافه فاقْفَعَلَتِ(١)
أصاب جمامُ الموتِ أهونَنا وجُدا
[أمين](٢) ولاقى من تباريحه جَهدا

فصل

نقل الأكثرون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تتعين، وهي رواية عن أحمد، ويدل على الرواية الأولى ما روي في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت عن النبي في أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله تعالى أعلم بالصواب.

⁽١) الاقفعلال: تشنج الأصابع والكف من برد أو داء.

⁽٢) الزيادة من نسخة (ب).

سورة البقرة

فصل في فضيلتها(١)

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان^(۲). وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، اقرؤوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، (۳). والمراد بالزهراوين: المنيرتين. يقال لكل منير (٤): زاهر. والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، مثل السحابة والغبرة، يقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلوه به. قال لبيد:

فستسدأ المسات عسليه قساف الأرض غيبايات السطف المسات السطف المسات

ومعنى فرقان: قطعتان. والفرق: القطعة من الشيء. قال عز وجل: ﴿ لَكَانَ كُلُّ فِرْقِ كَالطَّوْرُ ٱلْمَظِيرِ﴾ [الشعراء: ٢٣]. والصَّواف: المصطفة المتضامة لتظلَّ قارئها. والبطلة: السحرة.

فصل في نزولها

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. وذكر قوم أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عز وجل: ﴿وَاتَّـٰتُواْ يَوْمًا تُرْبَجُمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۗ [البقرة: ٢٨١]. فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع.

فصل

ينب القر النكن النعضية

وأما التفسير. فقوله: ﴿الَّمْ ﴿ اللَّهُ علمه إلا الله قله الله وبي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال: أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله قال أبو بكر الصديق ﴿ الله عن وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد. والثاني: أنها حروف من أسماء، فإذا ألفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب. وسئل ابن عباس عن «آلر» واحم» وانون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس. والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول عباس، وعكرمة قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزلة، وبها يذكر ويوحد. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ وَلِكَ ٱلْكِنَابُ لَا رَبُّ فِيهِ دليلًا على الجواب. والرابع: أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولاً للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفائدة في إعلامهم بهذا؟

⁽١) هذا العنوان ثابت في نسخة (ب).

 ⁽۲) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

⁽٣) رواه مسلم.

فالجواب: أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد ﷺ. والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبى فاختة سعيد بن علاقة مولى أم هانئ. والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. - يقول الرجل للرجل: هل تا؟ فيقول له: بلي، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفى [لنا] فقالت قاف [لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف](١)

أراد قالت: أقف. ومثله:

قالوا جميعاً كلهم ألا فا

نادوهم ألا البجموا ألا تا يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا

ولا أريب السشر إلا أن تسا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري. وقال أبو روق عطية بن الحارث الهمداني: كان النبي ﷺ يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يصفّقون ويصفّرون، فنزلت هذه الحروف المقطعة، فسمعوها فبقوا متحيرين. وقال غيره: إنما خاطبهم بما لا يفهمون ليقبلوا على سماعه، لأن النفوس تتطلع إلى ما غاب عنها معناه، فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإبلاغ، إلا أنه لا بد له من معنى يعلمه غيرهم، أو يكون معلوماً عند المخاطبين، فهذا الكلام يعم جميع الحروف.

وقد خص المفسرون قوله ﴿الَّمْرُ ﴿ إِلَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَز وجل، وقد سبق بيانه. والثاني: أن معناه: أنا الله أعلم. رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وسعيد بن جبير. والثالث: أنه قسم. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وخالد الحذاء عن عكرمة. والرابع: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الألف من «الله» واللام من «جبريل» والميم من «محمد» قاله ابن عباس. فإن قيل: إذا كان قد تنوول من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به، فلم أخذت اللام من جبريل وهي آخر الاسم؟! فالجواب: أن مبتدأ القرآن من الله تعالى، فدلُّ على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء، فتنوول من اسمه نهاية حروفه، والمحمد، مبتدأ في الإقراء، فتنوول أول حرف فيه. والقول الثاني: أن الألف من «الله» تعالى، واللام من الطيف؛ والميم من «مجيد» قاله أبو العالمية. والخامس: أنه أسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، والشعبي، وقتادة، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ ﴾ . فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش. واحتج بعضهم بقول خفاف بن ندَّبة:

أقلول لنه والسرمسح يسأطس مستنبه تسأمسل خفافاً إنسني أنا ذلكا

أي: أنا هذا. وقال ابن الأنباري. إنما أراد: أنا ذلك الذي تعرفه. والثاني: أنه إشارة إلى غائب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد به ما تقدم إنزاله عليه من القرآن. والثاني: أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَزْلًا نَشِيْلُ﴾ [المزمل: ٥]. والثالث: أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة، لأنهم وعدوا بنبي وكتاب. و﴿ ٱلْكِنْابُ﴾: القرآن. وسمى كتاباً، لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه الكتيبة، سمِّيت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض. ومنه: كتبت البغلة^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا رَبُّ فِيهُ﴾. الرَّيب: الشك. والهدى: الإرشاد. والمتقون: المحترزون مما اتقوه. وفرَّق شيخنا على بن عبيد الله بين التقوى والورع، فقال: التقوى: أخذ (٣) عدة، والورع: دفع شبهة، فالتقوى: متحقق السبب، والورع: مظنون المسبَّب. واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهرها النفي، ومعناها

الرجز: للوليد بن عقبة.

قال في «اللسان»: وكتبت البغلة: إذا جمعت شُفري حياتها بحلقة أو سير، لئلا ينزى عليها.

⁽٣) في نسخة (ب): «أشد».

النهي، وتقديرها: لا ينبغي أحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه. ومثله: ﴿مَا كَانَ أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْء﴾ [بوسف: ٣٥]. أي: ما ينبغي لنا. ومثله: ﴿فَلاَ رَفَتَ وَلا فُسُوفَ ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا مذهب الخليل، وابن الأنباري، والثاني: أن معناها: لا ريب فيه أنه هدى للمتقين. قاله المبرّد. والثالث: أن معناها: لا ريب فيه أنه من عند الله، قاله مقاتل في آخرين. فإن قيل: فقد ارتاب به قوم. فالجواب: أنه حق في نفسه، فمن حقق النظر فيه علم. قال الشاعر:

ليس في المحتق با أمامة ريب [إنها الريب ما يُقتول الكنَّذوب](١)

فإن قيل: فالمتقي مهتد، فما فائدة اختصاص الهداية به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد المتقين، والكافرين، فاكتفى بذكر أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿ مَرْبِيلُ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ٤٨]. أراد: والبرد. والثاني: أنه خصَّ المتقين لانتفاعهم به، كقوله: ﴿ إِنَّنَا آنَتُ مُنذِرُ مَن يَخْشَلُهَا ﴿ النازعات: ٤٥]. وكان منذراً لمن يخشى ولمن لا يخشى.

قوله تعالى: ﴿ اَلَّيْنَ يُوْمِنُونَ بِالْفَيْبِ ﴾. الإيمان في اللغة: التصديق، والشرع أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل. وأصل الغيب: المكان المطمئن الذي يستتر فيه لنزوله عما حوله، فسمي كل مستتر: غيباً. وفي المراد بالغيب هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله ابن عباس، وابن جريج. والثاني: القرآن، قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش. والثالث: الله عز وجل، قاله عطاء، وسعيد بن جبير. والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالمية، وقتادة. والمخامس: أنه قدر الله عز وجل، قاله الزهري. والسادس: أنه الإيمان بالرسول في حق من لم يره. قال عمرو بن مرَّة: قال أصحاب عبد الله له: طوبي لك، جاهدت مع رسول الله على وجالسته. فقال: إن شأن رسول الله على كان مبيَّناً لمن رآه، ولكن أعجب من ذلك: قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه، ثم قرأ: ﴿ ٱلنِّينَ يُوْمِنُونَ فِالْفَيْبِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَيُقِينُونَ أَلْسَكُونَ ﴾. الصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشريعة: أفعال وأقوال على صفات مخصوصة. وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك لرفع الصّلا، وهو مغرز الذنب من الفرس. والثاني: أنها من صليت العود إذا لينته، فالمصلي يلين ويخشع. والثالث: أنها مبنية على السؤال والدعاء، والصلاة في اللغة: الدعاء، وهي في هذا المكان اسم جنس. قال مقاتل: أراد بها هاهنا: الصلوات الخمس، وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به، روي عن ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إدامتها، والعرب تقول في الشيء الراتب: قائم، وفلان يقيم أرزاق الجند، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿وَمِمّا رَزَقْتُهُمّ ﴾. أي: أعطيناهم ﴿ يُفِقُوك ﴾ أي يخرجون. وأصل الإنفاق الإخراج. يقال: نفقت اللهابة: إذا خرجت روحها. وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال: أحدها: أنها النفقة على الأهل والعيال، قاله ابن مسعود، وحذيفة. والثاني: أنها الزكاة المفروضة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثالث: أنها الصدقات النوافل، قاله مجاهد، والضحاك. والرابع: أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسرين، وقالوا: إنه كان فرض على الرجل أن يمسك مما في يده مقدار كفايته يومه وليلته، ويفرق باقيه على الفقراء. فعلى قول هؤلاء، الآية منسوخة بآية الزكاة، وغير هذا القول أثبت. واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُوكَ بِمَا ٓأَنْزِلَ إِلَيْكَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، رواه الضحاك عن ابن عباس، واختاره مقاتل. والثاني: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما

⁽١) هذه الزيادة من نسخة (ب).

أنزل من قبله ‹‹رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال المفسرون: [الذي أنزل إليه، القرآن. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: القرآن](ا) وغيره مما أوحي إليه.

القرآن! وعيره مما أوجي إليه. قوله تعالى: ﴿وَمَّا أُزِّلُ مِن قَبِّلِكَ﴾. يعني: الكتب المتقدمة والوحي، فأما «الآخرة» فهي اسم لما بعد الدنيا، وسميت آخرة، لأن الدنيا قد تقدمتها: وقيل: سميت آخرة لأنها نهاية الأمر.

قوله تعالى: ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ . اليقين: ما حصلت به الثقة، وثلج به الصدر، وهو أبلغ علم مكتسب.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ عَلَىٰ هُدَى ﴾. أي: على رشاد. وقال ابن عباس: على نور واستقامة. قال ابن قتيبة: ﴿ أَلْمُولِكُنَ ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء. ويشهد لهذا قول لبيد:

نحل بالادا كلُّها حُلَّ قبالمنا ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

يريد: البقاء. وقال الزجاج: المفلح: الفائز بما فيه غاية صلاح حاله. قال ابن الأنباري: ومنه: حيَّ على الفلاح، معناه: هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ كَفَرُوا﴾. في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في قادة الأحزاب، قاله أبو العالية. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، قاله الضحاك. والثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيى بن أخطب، قاله ابن السائب. والرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب، وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم. قال مقاتل: فأما تفسيرها، فالكفر في اللغة: التغطية. تقول: كفرت الشيء إذا غطيته، فسمى الكافر كافراً، لأنه يغطى الحق.

قوله تعالى: ﴿ سُوَامٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . أي: متعادل عندهم الإنذار وتركه، والإنذار: إعلام مع تخويف، وتناذر بنو فلان هذا الأمر: إذا خوفه بعضُهم بعضاً. قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية وردت بلفظ العموم، والمراد به المخصوص، لأنها آذنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن، وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم، لكان خبر الله لهم خلاف مخبره، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. الختم: الطبع، والقلب: قطعة من دم جامدة سوداء، وهو مستكن في الفؤاد، وهو بيت النفس، ومسكن العقل، وسمي قلباً لتقلبه، وقيل: لأنه خالص البدن، وإنما خصَّه بالختم لأنه محل الفهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَمَلَ سَمْيهِمُ ۗ﴾. يريد: على أسماعهم، فذكره بلفظ التوحيد، ومعناه: الجمع، فاكتفى بالواحد عن الجميع، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمُ يُعْرِجُكُمُ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]. وأنشدوا من ذلك:

كلوا في نصف بطنكُم تعيشوا فيأ زمانكم زمن خميص

أي: في أنصاف بطونكم. ذكر هذا القول أبو عبيدة، والزجاج. وفيه وجه آخر، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر، والمصدر يوحد، تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضربكم. فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى. ذكره الزجاج، وابن القاسم. وقد قرأ عمرو بن العاص، وابن أبي عبلة: (وعلى أسماعهم).

قوله تعالى: ﴿وَهَلَ أَتَمَنُوهِمْ غِشَوَةً﴾. الغشاوة: الغطاء. قال الفراء: أما قريش وعامة العرب، فيكسرون الغين من «غشاوة»، وعكل يضمون الغين، وبعض العرب يفتحها، وأظنها لربيعة. وروى الفضل عن عاصم «غشاوة» بالنصب على تقدير: جعل على أبصارهم غشاوة. فأما العذاب، فهو الألم المستمر، وماء عذب: إذا استمر في الحلق سائغاً.

قوله تعالى: ﴿ وَهِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَامَنًا بِاللَّهِ ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو العالية، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها في منافقي أهل الكتاب.

⁽١) الزيادة من نسخة (ب).

رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن سيرين: كانوا يتخوفون من هذه الآية. وقال قتادة: هذه الآية نعت المنافق، يعرف بلسانه، وينكر بقلبه، [و] يصدق بلسانه، ويخالف بعمله، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيرها، ويتكفأ تكفأ السفينة، كلما هبت ريح هب معها.

قوله تعالى: ﴿ يُحَدِّعُونَ الله ﴿ وَ الله له وَ الله والله والل

[أبسيف السلسون لسذيسذ طعمه] طيب السريسق إذا السريسق خمع (١)

أي: فسد. رواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي. قال ابن القاسم: فتأويل: يخادعون الله: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. والرابع: أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً. والخامس: أنهم كانوا يخفون كفرهم، ويظهرون الإيمان به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمُذَعُونَ إِلاَ أَنشَهُمْ ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (وما يخادعون) وقرأ الكوفيون، وابن عامر: (يخدعون)، والمعنى: أن وبال ذلك الخداع عائد عليهم. ومتى يعود وبال خداعهم عليهم؟ فيه قولان: أحدهما: في دار الدنيا، وذلك بطريقين. أحدهما: بالاستدارج والإمهال الذي يزيدهم عذاباً. والثاني: باطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها. والقول الثاني: أن عود الخداع عليهم في الآخرة. وفي ذلك قولان: أحدهما: أنه يعود عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين، وذلك قوله: ﴿ قِلَ ٱرْحِمُوا وَرَاتَكُم ثَالَيْسُوا فَيُ فَتُوب يَنْهُم بِسُورٍ لَمُ بَائِه ﴾ [العديد: ١٣]. والثاني: أنه يعود عليهم عند اطلاع أهل الجنة عليهم، فإذا رأوهم طمعوا في نيل راحة من قبلهم، فقالوا: ﴿ إِلَى اللّهِ مِنْ اللّهُ اللّهُ والاعراف: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُهُونَ﴾. أي: وما يعلمون. وفي الذي لم يشُعروا به قولان: أحدهماً: أنه إطلاع الله نبيه على كذبهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إسرارهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فِى تُلُوبِهِم مِّرَضُ ﴾. المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقتادة. ﴿فَرَادَهُمُ اللّهُ مَرَمَنَا ﴾ هذا الإخبار من الله تعالى أنه فعل بهم ذلك، و«الأليم» بمعنى المؤلم، والجمهور يقرؤون (يكذّبون) بالتشديد، وقرأ الكوفيون سوى أبان، عن عاصم بالتخفيف مع فتح الياء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يَبِلَ لَهُمْ لاَ لُفُسِدُواْ فِي الْأَرْضِ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها، قاله سلمان الفارسي. وكان الكسائي يقرأ بضم القاف من "قيل" والحاء من "حيل" والغين من «غيض»، والحيم من «جيء»، والسين من «سيء» و«سيئت». وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة «حيل» و«سيق» و«سيق» والنين والآخرون يكسرون جميع ذلك. وقال الفراء: أهل الحجاز من قريش ومن جاورهم من بني كنانة يكسرون القاف في "قيل" واجيء" واغيض»، وكثير من عقيل ومن جاورهم وعامة أسد، يشمون (٢) إلى الضم من «قيل» واجيء». وفي المراد بالفساد هاهنا خمسة أقوال: أحدها:

⁽١) البيت نسبه في «اللسان» لسويد بن أبي كاهل اليشكري، وهو من قصيدة جيدة، تجدها في «المفضليات».

 ⁽٢) في الأصول التي بين أيدينا (يشيرون) وما أثبتناه هو الصواب، كما هو في كتب القراءات.

أنه الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية، ومقاتل. والثالث: أنه الكفر والمعاصي، قاله السّدي عن أشياخه. والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال مجاهد. والخامس: أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار، وأطلعوهم على أسرار المؤمنين، ذكره شيخنا على بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا غَنُ مُمْلِعُوك﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد. والثاني: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباس. والثالث: أنهم أرادوا مصافاة الكفار صلاح، لا فساد، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، قاله السّدي. والخامس: أنهم ظنوا أن مصافاة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أن الدولة إن كانت للكفار فقد أمنوهم بمصافاتهم، ذكره شيخنا.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُنْسِدُونَ ﴾. قال الزجاج. ألا: كلمة يبتدأ بها ينبه بها المخاطب، تدل على صحة ما بعدها. ودهمه: تأكيد للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ لَا يَشْمُرُهُنَ﴾. قولان: أحدهما: لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم. والثاني: لا يشعرون أن ما فعلوه فساد، لا صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ في المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد. وفي القائلين لهم قولان: أحدهما: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ولم يعين أحداً من الصحابة. والثاني: أنهم معينون، وهم سعد بن معاذ، وأبو لبابة، وأسيد، ذكره مقاتل. وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التصديق بالنبي، وهو قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنه العمل بمقتضى ما أظهروه، وهو قول من قال: هم المنافقون. وفي المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مقاتل. والثالث: معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وجماعة من وجوه الأنصار، عدهم الكلبي. وفيمن عنوا بالسفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: النساء والصبيان، قاله الحسن. والثالث: ابن سلام وأصحابه، قاله مقاتل. وفيما عنوه بالغيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا دين الإسلام، قاله ابن عباس، والسني. والثاني: أنهم أرادوا البعث والجزاء، قاله مجاهد. والثالث: أنهم عنوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظر في عاقبة، وهذا الوجه الذي قبله يخرج على أنهم المنافقون، والأول يخرج على أنهم اليهود. قال ابن قتيبة: والسفهاء: الجهلة، يقال: سفه فلان رأيه إذا جهله، ومنه قبل للبذاء: سفه، لأنه جهل. قال الزجاج: وأصل السّفه في عاقبة الحلم، ويقال: ثوب سفيه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفهت الربح الشجر: إذا مالت به. قال الشاعر: اللغة: خفة الحلم، ويقال: ثوب سفيه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفهت الربح الشجر: إذا مالت به. قال الشاعر:

مشين كلما اهتزت رماح تسفّهت أعداليكها مر الدرياح النواسم (1) قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن لا يَمْلُونَ ﴾ . قال مقاتل: لا يعلمون أنهم هم السفهاء .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنًا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَطِينِهِمَ قَالُوا إِنَّا مَمَكُمْ إِنَّمَا غَنُ مُسَتَهْ وُونَ ﴿ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في الممنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبي ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضده، قاله الحسن. فأما التفسير: فالله: والشياطين: جمع شيطان، قال فأما التفسير: فالله: والشياطين: جمع شيطان، قال الخليل: كل متمرّد عند العرب شيطان. وفي هذا الاسم قولان: أحدهما: أنه من شطن، أي: بعد عن الخير، فعلى هذا تكون النون أصليّة. قال أميّة بن أبى الصّلت في صفة سليمان ﷺ:

⁽١) في نسخة (أ): ابمتابعته.

 ⁽٢) البيت لذي الرمة يصف النساء. يقول: إذا مشين اهتززن في مشيهن، وتثنين فكأنهن رماح نصبت، فمرت عليها الرياح فاهتزت وتثنت. والنواسم:
 الرياح الضعيفة الهبوب.

ثم يُسلمني في المسجمة والأغلال

أيما شاطن عصاه عكاه

عكاه: أوثقه. وقال النابغة: على المسلمة على المسلمة على المسلمة المسلمة

نات بسسعاد عند فنوى شطون فيبانت وال والثاني النون (الله. وأنشدوا: والثاني: أنه من شاط يشيط: إذا التهب واحترق، فتكون النون (الله. وأنشدوا:

وقد يشيط على أرماحنا البطل(١١)

أي: يهلك. وفي المراد بشياطينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم رؤوسهم في الكفر، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، والسّدي. والثاني: إخوانهُم من المشركين، قاله أبو العالية، ومجاهد. والثالث: كهنتهم، قاله الصّحاك، والكلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكُمُّ ﴾. فيه قولان: أحدهما: أنَّهم أرادوا: إنا معكم على دينكم. والثاني: إنا معكم على النصرة والمعاضدة. والهزء: السخرية.

قوله تعالى: ﴿الله يُسَبِّرِينَا بِهِم ﴾. اختلف العلماء في المراد باستهزاء الله بهم على تسعة أقوال: أحدها: أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار، فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر، فيسرعون فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون. روي عن ابن عباس. والثاني: أنه إذا كان يوم القيامة جمدت النّار لهم كما تجمد الإهالة في القدر، فيمشون فتنخسف بهم. روي عن الحسن البصري. والثالث: أن الاستهزاء بهم: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، فيبقون في الظلمة، فيقال لهم: ﴿أَرْجُمُوا رَبِيّا مُنْ اللّه العداب، فيهو كقوله تعالى: مقاتل. والرابع: أن المراد به: يجازيهم على استهزائهم، فقوبل اللفظ بمثله لفظاً وإن خالفه معنى، فهو كقوله تعالى: ﴿وَرَجُرُوا سِيّنَةٌ سِيّنَةٌ مِنْ المردي: ١٤] وقوله: ﴿فَيْنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُم المردي: ١٤] وقوله: عمرو بن كلثوم:

الالا ينجهان أحدد عالينا فنجهل فوق جهل النجاهالينا

أراد: فنعاقبه بأغلظ من عقوبته. والمخامس: أن الاستهزاء من الله التخطئة لهم والتجهيل، فمعناه: الله يخطئ فعلهم، ويجهلهم في الإقامة على كفرهم. والسادس: أن استهزاءه: استدراجه إياهم. والسابع: أنه إيقاع استهزائهم بهم، وردّ خداعهم ومكرهم عليهم. ذكر هذه الأقوال محمّد بن القاسم الأنباري. والثامن: أن الاستهزاء بهم أن يقال لأحدهم في النار وهو في غاية الذل: ﴿ وَثَى إِنَّكَ أَنْ الْمَرْيِرُ السَّرِيمُ الله الله الله الله الله الله على كالستهزاء بهم. والتاسع: أنه لما أظهروا من أحكام إسلامهم في الذيا خلاف ما أبطن لهم في الآخرة، كان كالاستهزاء بهم.

قوله تعالى: ﴿وَرَمُدُمُ فِي كُلْفَيْنِهِمْ يَهْمَهُونَ﴾. فيه أربعة أقوال: أحدها: يمكن لهم، قاله ابن مسعود. والثاني: يملي لهم، قاله ابن عباس. والثالث: يزيدهم، قاله مجاهد. والرابع: يمهلهم، قاله الزجاج. والطغيان: الزيادة على القدر، والمخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة، يقال: طغى البحر: إذا هاجت أمواجه، وطغى السيل: إذا جاء بماء كثير. وفي المراد بطغيانهم قولان: أحدهما: أنه كفرهم، قاله الجمهور. والثاني: أنه عتوهم وتكبرهم، قاله ابن قتيبة. والمعمهون، بمعنى: يتحيرون، يقال: رجل عمه وعامه، أي: متحير. قال الراجز:

ومَـخُـفَـنِ مـن لُـهـلُـو ولُـهُـلُـو مـن مهـمـو يـجـتـبـنـه فـي مـهـمـه أعـمــى الــهــدى بــالــجــاهــلــيــن الــعُــمَّــه (۲)

⁽١) هو عجز بيت للأعشى، وصدره: (قد نخضب العير من مكنون قائله) والفائل: عرق في الفخذ يكون في خربة الورك ينحدر في الرجلين. ومكنون فائله: دمه الذي كن فيه، أراد: إنا حذاق بالطعن.

⁽٢) الشعر لرؤية بن العجاج يصف مضلة من المهامه. والمخفق: الأرض الواسعة المستوية التي يضطرب فيها السراب. ولهله: أرض واسعة، والجمع لهاله. والمهمه: الفلاة المقفرة التي ليس بها أنيس ولا ماء. وجاب المفازة واجتابها: قطعها سيراً. وقوله: في مهمه: أي: يقطعنه ويدخلن في مهمه آخر موغلين في الصحراء.

وقال ابن قتيبة: يعمهون: يركبون رؤوسهم، فلا يبصرون.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَكِنَكُ اللَّهِ مَ الشَّدَاةُ إِلَّهُدَىٰ ﴾. في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنها في أهل الكتاب، قاله قتادة والسدي ومقاتل. والثالث: أنها في المنافقين، قاله مجاهد. واشتروا: بمنى استبدلوا، والعرب تجعل من آثر شيئاً على شيء مشترياً له، وبائعاً للآخر. والضلالة والضلال بمعنى واحد. وفيهما للمفسرين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد هاهنا الكفر، والمراد بالهدى: الإيمان، روي عن الحسن وقتادة والسدي. والثاني: أنها الشك، والهدى: اليقين. والثالث: أنها الجهل، والهدى: العلم. وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مجاهد. والثاني: أن اليهود آمنوا بالنبي قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به، قاله مقاتل. والثالث: أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النبي من الهدى فردوه واختاروا الضلال، كانوا كمن أبدل شيئاً بشيء، ذكره شيخنا على بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَت يَجْنَرُتُهُمْ﴾. من مجاز الكلام، لأن التجارة لا تربح، وإنما يربح فيها، ومثله قوله تعالى: ﴿بَلُ مَكُرُ النِّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [سلم: ٢١] أي: عزم عليه. وأنشدوا: عزم اللَّمْدُ ﴾ [محمد: ٢١] أي: عزم عليه. وأنشدوا:

حارثُ قد فرَّجْتَ عني همي فنام ليلي وتجلي غمّي (١)

والليل لا ينام، بل ينام فيه، وإنما يستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال، ويعلم مقصود قائله، فأما إذا أضيف إلى ما يصلح أن يوصف به، وأريد به ما سواه، لم يجز، مثل أن تقول: ربح عبدك، وتريد: ربحت في عبدك. وإلى هذا المعنى ذهب الفراء وابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: وما كانوا في العلم بالله مهتدين. والثاني: وما كانوا مهتدين من الضلالة. والثالث: وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين. والرابع: وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة. والخامس: أنه قد لا يربح التاجر، ويكون على هدى من تجارته، غير مستحق للذم فيما اعتمده، فنفى الله عز وجل عنهم الأمرين، مبالغة في ذمهم.

قوله تعالى: ﴿مَثَلَهُمْ كَنَثَلِ الَّذِي اَسْتَرْفَدَ نَارًا﴾. هذه الآية نزلت في المنافقين. والمثل بتحريك الثاء: ما يضرب ويُوضع لبيان النظائر في الأحوال. وفي قوله تعالى: ﴿اَسْتَرْفَدَ﴾ قولان: أحدهما: أن السين زائدة، وأنشدوا:

وداع دعايا من يحيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب(٢)

أراد: فلم يجبه، وهذا قول الجمهور، منهم الأخفش وابن قتيبة. والثاني: أن السين داخلة للطلب، أراد: كمن طلب من غيره ناراً.

قول عسالى: ﴿فَلَمُا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَمُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكّهُمْ فِي ظُلْمَنتُو لَا يُبْعِيرُونَ﴾. وفسي ﴿أَضَاءَتُ﴾ قـولان: أحدهما: أنه من الفعل المتعدي، قال الشاعر:

م دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه(٣)

إُخِياءت لـهـم أحـسـابـهـم ووجـوهـهـم وقال آخر:

أضاءت لسنا السناد وجهاً أغررً ملتبساً بالفؤاد التباسا(١)

والثاني: أنه من الفعل اللازم. قال أبو عبيد: يقال أضاءت النَّار، وأضاءها غيرها. وقال الزجاج: يقال: ضاء القمر، وأضاء. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها زائدة، تقديره: أضاءت حوله، والثاني: أنها بمعنى الذي، وحول

⁽١) الشعر لرؤبة بن العجاج يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة.

⁽٢). البيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وهي في «الأصمعيات».

٣) الجزع: ضرب من الخرز. وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين.

⁽٤) البيت للجعدي كما في «اللسان».

الشَّيء: ما دار من جوانبه. والهام: عائدة على المشتوقد. فإن قيل: كيف وحد، فقال: ﴿كَشُلُو ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدُ﴾، ثم جمع فقال: ﴿ نَهُ مِنْ رِهِم ﴾؟ فالجواب: أن ثعلباً حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق. وإنما قال؛ ﴿ فَهَبَ اللَّهُ بِنُوهِمْ ﴾ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وحد أولًا للفظه، وجمع بعد لمعناه، كما قال الشاعر:

فإن المذي حانت بمضلع دماؤهم هم القوم كلُّ القوم يا أم خالد(١)

فجعل (الذي) جمعاً.

فصل

اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المنافقين على قولين: أحدهما: أنه ضرب بكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفوس وحقن الدماء، فإذا ماتوا سلبهم الله ذلك العزَّ، كما سلب صاحب النَّار ضوءه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنه ضرب لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إقبالهم على الكافرين والضلال، وهذا قول مجاهد. وفي المراد بـ«الظلمات» هاهنا أربعة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: ظلمة الكفر، قاله مجاهد. والثالث: ظلمة يلقيها الله عليهم بعد الموت، قاله قتادة. والرابع: أنها نفاقهم، قاله السدي.

وفي ضرب المثل لهم بالنار ثلاث حكم: إحداها: أن المستضىء بالنار مستضىء بنور من جهة غيره، لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، فكأنهم لما أقروا بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور إيمانهم كالمستعار. والثانية: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب، فهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم. والثالثة: أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد معها ضياء، فشبه حالهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿ مُثُمُّ بُكُمُّ عُنْكُ . الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش. وفي البكم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس. والثاني: أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل: إن الخرس يحدث عنه. والثالث: أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يعي شيئاً فيفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق، ذكر هذين القولين شيخنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُرْجِمُونَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله تتادة ومقاتل. والثاني: لا يرجعون إلى الإسلام، قاله السدي. والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى، وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والنطق به؛ كانوا كالصم البكم. والعرب تسمي المعرض عن الشيء: أعمى، والملتفت عن سماعه: أصم، قال مسكين الدارمي:

ألا يسكسون لسبسابسه سستسر حستسى يسوازي جسارتسي السخسدر حستسى يسكسون كسأنسه وقسر مسا ضرر جساراً لسي اجساوره أعسمسني إذا مساجسارتسي خسرجست وتسصم عسما بسيسنهم أذنسي

قوله تعالى: ﴿أَرْ كُمَّيْتِ مِنَ الشَّمَاءِ﴾. ﴿أَوْ*: حرف مردود على قوله: ﴿مَثَّلُهُمْ كَنَثُلِ ٱلَّذِي اسْتَوْتَدَ نَارًا﴾ واختلف العلماء فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه داخل هاهنا للتخيير، تقول العرب: جالس الفِقهاء أو النحويين، ومعناه; أنت

⁽١) البيت للأشهب بن رميلة. وفلج: واد بين البصرة وحمى ضريَّة، كانت فيه هذه الوقعة التي ذكرها.

مخير في مجالسة أي الفريقين شئت، فكأنه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني. والثاني: أنه داخل للإبهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكأنه قال: مثلهم كأحد هذين. ومثله قوله تعالى: ﴿فَهِى كَالْهِجَارَةِ أَرْ أَشَدُ فَسَوَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله. قال لبيد:

تسمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من رببيعة أو مضر

أي: هل أنا إلا من أحد هذين الفريقين، وقد فنيا، فسبيلي أن أفنى كما فنيا. والثالث: أنه بمعنى: بل. وأنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح

والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصيّب. ومثله قوله تعالى: ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَمَكَرَىٰ ﴾ [البقرة: ١٣٥] معناه: قال بعضهم، وهم اليهود: كونوا هوداً، وقال النصارى: كونوا نصارى. وكذا قوله: ﴿ فَهَا يَاسُنَا بَيْنَا أَوْ هُمْ تَآبِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤] معناه: جاءه بعضهم بأسنا بياتاً، وجاء بعضهم بأسنا وقت القائلة. والخامس: أنه بمعنى الواو. ومثله قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَأْكُواْ مِنْ بُبُوتِكُمْ أَوْ بُبُوتٍ ءَامَآبِكُمُ ﴾ [النور: ٢١] قال جرير: نال السخلافة أو كسانست لسه قسدراً على المسارة على المسارة عالى عالى المسارة السخلافة أو كسانست لسه قسدراً السخلونية أو كسانست الله قسدراً السخلافية أو كسانست الله قسدراً المسارة ا

والسادس: أنه للشك في حق المخاطبين، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتُ عَلَيْهُ والسادس: أنه للشك في حق المخاطبين، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتُ صَيْبًا عَلَيْهُ وَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّ

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب

وفي الرعد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٢)، وبه قال ابن عباس ومجاهد. وفي رواية عن مجاهد: أنه صوت ملك يسبح. وقال عكرمة: هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل. والثاني: أنه ربح تختنق بين السماء والأرض. وقد روي عن أبي الجلد أنه قال: الرعد: الربح. واسم أبي الجلد: جيلان بن أبي فروة البصري، وقد روى عنه قتادة. والثالث: أنه اصطكاك أجرام السحاب، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله. وفي البرق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ، وهو قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عن علي قال: هو ضربة بمخراق من حديد. وعن ابن عباس: أنه ضربة بسوط من نور. قال ابن الأنباري: المخاريق: ثياب تلف، ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً، فشبه السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق. قال عمرو بن كلثوم:

كأن سيسوفسنا فينا وفيهم مخاريق بأيندي لاعسبسنا

وقال مجاهد: البرق: مصع ملك، والمصع: الضرب والتحريك. والثاني: أن البرق: الماء، قاله أبو الجلد. وحكى ابن فارس أن البرق: تلألؤ الماء. والثالث: أنه نار تنقدح من اصطكاك أجرام السحاب لسيره، وضرب بعضه لبعض، حكاه شيخنا. والصواعق: جمع صاعقة، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار تحرق ما تصيبه. وروي عن شهر بن حوشب: أن الملك الذي يسوق السحاب، إذا اشتد غضبه، طار من فيه النار، فهي الصواعق. وقال غيره: هي نار تنقدح من اصطكاك أجرام السحاب. قال ابن قتيبة: وإنما سميت صاعقة، لأنها إذا أصابت قتلت، يقال: صعقتهم أي: قتلتهم.

⁽١) ولمنا اجتمعت الياء والوار، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت فصارت «صيب، ونظيره: ميت وسيد وهين ولين.

⁽٢) أخرجه أحمد في المسند، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وهو حديث طويل أجاب فيه الرسول 難 عن أسئلة يهود، انظر ومسند أحمد، (٢٤٨٣).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِطُّ بِالْكَفِرِينَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يفوته أحد منهم، فهو جامعهم يوم القيامة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَاطُ بِكُلِ شَيْءٍ عِلْنًا﴾ [الطلاق: ٢١] قاله مجاهد. والثاني: أن الإحاطة: الإهلاك، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَجِيطَ بِشَرِيهِ اللهِفَافَ: ٢٤]. والثالث: أنه لا يخفى عليه ما يفعلون.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَقُ يَخْطُفُ أَبْصَدُوكُمْمُ ﴾. يكاد بمعنى: يقارب، وهي كلمة إذا أثبتت انتفى العمل، وإذا نفيت ثبت الفعل. وسئل بعض المتأخرين فقيل له:

أنحوي هذا العصر ما هي كلمة جرت بلساني جرهم وثمود إذا نفيت والله يشهد أثبت وإن أثبتت قامت مقام جحود

ويشهد للإثبات عند النفي قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿إِنَّا لَفْتَجَ بَحَكُمُ لَرْ يَكُذُ يَرَبُهُا﴾ [النور: ٤٠] وهيئاًهُ البغرة: ٢٠] وهيئاًهُ البغرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ البغرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ البغرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ البغرة: ٢٠] وَهَالُهُ البغرة: ٢٠] وَهَالُهُ البغرة: كاد بمعنى: همَّ ولم يفعل. وقد جاءت بمعنى [الإثبات] قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه ميّ سافراً كاد يَبهرَق أي: لو تعرضت له لبرق، أي: دهش وتحير. قلت: وقد قال ذو الرمة في المنفية ما يدل على أنها تستعمل للإثبات، وهو قوله:

إذا غيَّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حبِّ ميَّة يبرح

أراد: لم يبرح.

قوله تعالى: ﴿ يَعْطَنُ أَضَرَهُمُ * قرأ الجمهور بفتح الباء، وسكون الخاء وفتح الطاء. وقرأ أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد كلاهما عن عاصم، بفتح يزيد كلاهما عن عاصم، بفتح الباء وسكون الخاء، وكسر الطاء مخففاً. ورواه الجعفي عن أبي بكر عن عاصم، بفتح الباء وكسر الخاء، وتشديد الطاء، وهي قراءة الحسن كذلك، إلا أنه كسر الباء. وعنه: فتح الباء والخاء مع كسر الطاء المشددة. ومعنى ﴿ يَعْطَفُ * يستلب، وأصل الاختطاف: الاستلاب، ويقال لما يخرج به الدلو: خطاف، لأنه يختطف ما علق به. قال النابغة:

خطاطيف حجْن في حبالٍ مسينة تُسمدة بسها أيدل إلسيك نسوازع والحجن المتعقفة (١) وجمل خيطف: سريع المر، وتلك السرعة الخطفى.

قوله تعالى: ﴿ كُلِّمَا أَضَاءَ لَهُم﴾. قال الزجاج: يقال: ضاء الشيء يضوء، وأضاء يضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة.

فصل

واختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم، قاله مجاهد والسدي. والثالث: أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد، وقتال من يبطنون مودته، ذكره شيخنا. واختلفوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما يتبين لهم من مواعظ القرآن وحكمه. والثاني: أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهرونه. والثالث: أنه مثل لما ينالونه بإظهار الإسلام من حقن دمائهم، فإنه بالإضافة إلى ما ذخر لهم في الأجل كالبرق. واختلفوا في معنى قوله: ﴿ يَجَمَلُونَ أَسَنِهَمٌ فِنَ مَاذَاتِهم مِن الشَهْرَةِ عَلَى قولين: أحدهما: أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت، قاله الحسن والسدي. والثاني: أنه مثل لإعراضهم عن

 ⁽١) في الأصل: المتوقفة، وهو خطأ. وقال ابن قتية في «الشعر والشعراء»: رأيت علماءنا يستجيدون معناء، ولست أرى ألفاظه جياداً، ولا مبينة لمعناه،
 لأنه أراد: أنت في قدرتك علي، كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدار تمد بتلك الخطاطيف.

القرآن كراهية له، قاله مقاتل. واختلفوا في معنى ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوًا فِيهِ على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أن إضاءة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعته، قاله قتادة. والثالث: أنه تكلمهم بالإسلام، ومشيهم فيه، اهتداؤهم به، فإذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل. والرابع: أن إضاءته لهم: تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان، ومشيهم فيه: إقامتهم على ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل. فرام شيخنا. فأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنّا أَظْلَمُ عَلَيْمَ ﴾ فمن قال: إضاءته: إتيانه إياهم بما يحرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿ قَامُوا﴾: يحبون، قال: إظلامه: إتيانه إياهم بما يكرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿ قَامُوا﴾:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمِهِم وَأَبْسَرِهِم ﴾. قال مقاتل: معناه: لو شاء لاذهب أسماعهم وأبصارهم عقوبة لهم، قال مجاهد: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين. قوله تعالى: ﴿ يَنَايُّهُا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الْنِي خَلَقَكُم وَالنِّينَ مِن قَبْلِكُم لَمَلُكُم تَتَعُون ﴿ وَلَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الْنِي خَلَق العلماء فيمن عنى بهذا الخطاب على أربعة أقوال: أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله السدي. والزابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل. و﴿ النَّاسِ ﴾ اسم للحيوان الآدمي. وسموا بذلك لتحركهم في مراداتهم. والنوس: خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل. و﴿ النَّاسِ ﴾ اسم للحيوان الآدمي. وسموا بذلك لتحركهم في مراداتهم. والنوس: الحركة. وقيل: سموا أناساً لما يعتريهم من النسيان. وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان: أحدهما: التوحيد. والثاني: الطاعة، رويا عن ابن عباس. والخلق: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأحوط في الحجة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبههم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع، ومعاقبة عاص. وفي العل، قولان: أحدهما: أنها بمعنى كى، وأنشدوا في ذلك:

وقبلتم لنا كفُوا التحروب لعبلنا فلما كففنا الحرب كانت عهودكم

نكفة ووقعة ما لنا كل مَوقِق كلمع سراب في الملا متألق (١١)

يريد: لكي نكف، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان. والثاني: أنها بمعنى الترجي، ومعناها: اعبدوا الله راجين للتقوى، ولأن تقوا أنفسكم بالعبادة عذاب ربكم. وهذا قول سيبويه. قال ابن عباس: لعلكم تتقون الشرك، وقال الضحاك: لعلكم تتقون النار. وقال مجاهد: لعلكم تطيعون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِى جَمَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا﴾. إنما سميت الأرض أرضاً لسعتها، من قولهم: أرضت القرحة: إذا اتسعت. وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل: أرض، وقيل: لأن الناس يرضونها بأقدامهم، وسميت السماء سماء لعلوها. قال الزجاج: وكل ما علا على الأرض فاسمه بناء، وقال ابن عباس: البناء هاهنا بمعنى السقف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزُلَ مِنَ السَّكَآءِ﴾. يعني: من السحاب. ﴿مَآهِ﴾ يعني: المطر. ﴿فَكَلا جَعَلُوا بِهَو أَندَادًا﴾ يعني: شركاء، أمثالًا. يقال: هذا ند هذا، ونديده. وفيما أريد بالأنداد هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد، والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَمَلَكُوكَ﴾. فيه ستة أقوال: أحدها: وأنتم تعلمون أنه خلق السماء، وأنزل الماء، وفعل ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل. الثاني: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والإنجيل، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو يخرج على قول من قال: الخطاب لأهل الكتاب. والثالث: وأنتم تعلمون أنه لا ند له، قاله مجاهد. والرابع: أن العلم هاهنا بمعنى العقل، قاله ابن قتية. والخامس: وأنتم تعلمون أنه حجارة، سمعته أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحد سواه. ذكره شيخنا على بن عبيد الله. والسادس: وأنتم تعلمون أنها حجارة، سمعته من الشيخ أبي محمد بن الخشاب.

⁽١) لا يعرف قائلهما. والملأ: الصحراء، والمتسع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَبِّ﴾. سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مروي عن ابن عباس ومقاتل. و"إن» هاهنا لغير شك، لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا عادة العرب، يقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فأطعني. وقيل: إنها هاهنا بمعنى إذ، قال أبو زيد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَرُوا مَا يَهِنَ مِنَ الْرَيْوَا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [البنم: ٢٧٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَثُوا بِسُورَةِ مِن مُثْلِدِ ﴾. قال ابن قتيبة: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت، يعني [أفضلت] لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سُورة البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النعمان:

السم تسر أن الله أعسطساك سُسورة تسرى كسل مَسْلَك دونها يستنبلب

والسورة في هذا البيت: سورة المجد، وهي مستعارة من سورة البناء. وقال ابن الأنباريّ: قال أبو عبيدة: إنما سُميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سورة البناء. ومعنى: أعطاك سورة، أي: منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك. قال ابن القاسم: ويجوز أن تكون سميت سورة لشرفها، تقول العرب: له سورة في الممجد، أي: شرف وارتفاع، أو لأنها قطعة من القرآن من قولك: أسارتُ سؤراً، أي: أبقيت بقية، وفي هاء همثله، قولان: أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزل، قاله قتادة، والفراء ومقاتل. والثاني: أنها تعود على النبي على فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم. فعلى هذا القول: تكون همن الابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون والثناء الغاية، وعلى الأول: تكون والثناء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أن معناه: استعينوا(١٠ من المعونة، قاله السدي والفراء. والثاني: استغيثوا من الاستغاثة، وأنشدوا:

فلما التقت فرساننا^(۲) ورجالهم دعوا يال كعب واعتزينا لعامر^(۳)

وهذا قول ابن قتيبة: وفي اشهدائهم أقوال: أحدها: أنهم آلهتهم، قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والفراء. قال ابن قتيبة: وسموا شهداء، لأنهم يشهدونهم، ويحضرونهم، وقال غيره: لأنهم عبدوهم ليشهدوا لهم عند الله. والثاني: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معناه: فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن، روي عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِيْنِكُ. أي: في قولكم: إن هذا القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَمْ تَنْمَلُواْ﴾. في هذه الآية مضمر مقدّر، يقتضي الكلام تقديمه، وهو أنه لما تحداهم بما في الآية الماضية من التحدي، فسكتوا عن الإجابة؛ قال: ﴿فَإِن لَمْ تَنْمَلُواْ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَن تَنْعَلُواْ﴾ أعظم دلالة على صحة نبوة نبينا، لأنه أخبر أنهم لا يفعلون، ولم يفعلوا.

قوله تعالى: ﴿فَاتَتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَلَلْمَجَارَةُ أُعِنَّ لِلْكَفِينَ﴾. والرقود: بفتح الواو: الحطب، وبضمها: التوقد، كالوضوء بالفتح: الماء، وبالضم: المصدر، وهو: اسم حركات المتوضئ. وقرأ الحسن وقتادة: وُقودها، بضم الواو، والاختيار الفتح. والناس أوقدوا فيها بطريق العذاب، والحجارة، لبيان قوتها وشدتها، إذ هي محرقة للحجارة. وفي هذه الحجارة قولان: أحدهما: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الربيع بن أنس. والثاني: أنها حجارة الكبريت، وهي أشد الأشياء حراً إذا أحميت، يعذبون بها. ومعنى ﴿أُعِلَتُ ﴾: هيئت. وإنما خوّفهم بالنار إذا لم يأتوا بمثل القرآن، لأنهم إذا كذبوه، وعجزوا عن الإتيان بمثله؛ ثبتت عليهم الحجة، وصار الخلاف عناداً، وجزاء المعاندين الناد.

⁽١) في دمعاني القرآن؛ للقراه: استغيثوا بهم. (٢) في الأصل: مرساننا.

 ⁽٣) هذا البيت للرامي النميري. عزى واعتزى: انتسب، ودعا في الحرب بمثل قوله: يا لفلان أو يا للمهاجرين أو يا للانصار، والاسم العزاء والعزوة،
 وهي دعوى المستنيث: فلسان العرب.

قوله تعالى: ﴿وَيَثِي الَّذِيكَ ءَامَنُوا﴾. البشارة: أول خبر يرد على الإنسان، وسمي بشارة، لأنه يؤثر في بشرته، فإن كان خيراً، أثر المسرة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغم، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، وقد تستعمل في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَثِي الْمُتَنِقِينَ بَأَنَّ لَكُمْ عَذَابًا لَلِيمًا ﴿ السَاهِ: ١٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَعَكِلُوا الْفَكِلِحَنْتِ﴾. يشمل كل عمل صالح، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال: أخلصوا الأعمال. وعن علي ﷺ أنه قال: أقاموا الصلوات المفروضات. فأما الجنات، فجمع جنّة. وسميت الجنة جنة، لاستتار أرضها بأشجارها، وسمي الجن جناً، لاستتارهم، والجنين من ذلك، والدّرع جنة، وجنَّ الليل: إذا ستر، وذكر عن المفضل أن الجنة: كل بستان فيه نخل. وقال الزجاج: كل نبت كثف وكثر وستر بعضه بعضاً، فهو جنة.

قوله تعالى: ﴿ يَجْرِى مِن تَمْنِهَا ﴾ أي: من تحت شجرها لا من تحت أرضها.

قوله تعالى: ﴿ هَنَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبَلُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فرزق المغداة كرزق العشيّ، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل. والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد. والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُنيّ خلفه مثله، فإذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿ هَنَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن فَبَالً ﴾ قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَتُواْ بِهِ مُتَشَبِهَا ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله مجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل. والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج. والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد. فإن قائل قائل: ما وجه الامتنان بمتشابهه، وكلمّا تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟! فالجواب: أنا إن قلنا: إنه متشابه الطعم، كان أغرب عند الخلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة؛ جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِهَا أَذَوَجُ مُطَهَرَةً ﴾ أي: في الخَلْق، فإنهن لا يحضن ولا يبلن، ولا يأتين الخلاء. وفي الخُلُق، فإنهن لا يحسدن، ولا يغرن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قال ابن عباس: نقية عن القذى والأذى. قال الزجاج: والمطهّرة البلغ من طاهرة ، لأنه للتكثير. والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَسْتَمْيَ أَن يَغْرِبَ مُشَلاً في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ مُشَرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَيْعُوا لَهُ إِلَى اللّهِ إِلَى يَغْلُقُوا ذُبِكابًا وَلَوِ الْحَبِيَمُوا لَهُ اللّهِ إِلَى يَغْلُقُوا دُبِكابًا وَلَوِ الْحَبِيمُوا لَهُ اللّهِ الله المنافق الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿ كَثَلُو اللّهِ السّتُوقَدُ والحسن وقتادة ومقاتل والفراء. والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿ كَثَلُو اللّهِ السّتُوقَدُ والحسن وقتادة ومقاتل والفراء. والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿ كَثَلُو اللّهِ السّتَوقَدُ الله أَلُو اللّهِ أَجْلُ وَاعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواه السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه. والحياء بالمد: الانقباض والاحتشام، فير أن صفات الحق الله لا يطلع لها على ماهية، وإنما تمر كما جاءت. وقد قال النبي على المتحيي كريم الله وقيل: معنى لا يستحيي: لا يترك. وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحيي: لا يخشى. ومثله: ﴿ وَمُغْتَى النّاسَ وَاللّهُ أَمَّنُ أَن تَغْشَدُهُ والاحزاب: ٢٧] أي: تستحيي منه. فالاستحياء والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر. وقرأ مجاهد وابن محيصن: لا يستحي بياء واحدة، وهي لغة.

قوله تعالى: ﴿أَن يَعْرِبُ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس: أن يذكر شبهاً. واعلم أن فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر الذي ضرب لأجله، فينجلي عامضه.

⁽١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن سلمان رقي وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ولفظه فإن ربكم حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رقع بديه إليه أن يردهما صفراً».

قوله تعالى: ﴿مَا بَهُومَهُ أَ﴾. ما زائدة، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين، وأنشدوا للنابغة: [قالت]: ألا ليتما هذا الحمام لنا [إلى حمامتنا أو نصفه فقد]

وذكر أبو جعفر الطبري أن المعنى: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر: «بين» و«إلى» إذ(١) كان في نصب البعوضة، ودخول الفاء في «ما» الثانية؛ دلالة عليهما، كما قالت العرب: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملًا، وهي أحسن الناس ما قرناً فقدماً [يعنون: ما بين قرنها إلى قدمها](١). وقال غيره: نصب البعوضة على البدل من المثل. وروى الأصمعي عن نافع: «بعوضة» بالرفع، على إضمار هو. والبعوضة: صغيرة البق.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا فَرْقَهَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، والفراء. والثاني: فما فوقها في الصغر، فيكون معناه: فما دونها، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وقد يكون الفوق بمعنى: دون، وهو من الأضداد، ومثله: الجون؛ يقال للأسود والأبيض. والصريم: الصبح، والليل. والسَّدفة: الظلمة، والضوء. والجلل: الصغير، والكبير. والناهل: العطشان، والريان. والماثل: القائم، واللاطئ بالأرض. والصارخ: المغيث، والمستغيث. والهاجد: المصلى بالليل، والنائم. والرهوة: الارتفاع، والانحدار. والتلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط من الأرض. والظن: يقين، وشك. والأقراء: الحيض، والأطهار. والمفرع في الجبل: المصعد، والمنحدر. والوراء: خلفاً، وقدّاماً. وأسررت الشيء: أخفيته، وأعلنته. وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته. ورتوت الشيء: شددته، وأرخيته. وشعبت الشيءً: جمعته، وفرقته. وبعت الشيء بمعنى: بعته، واشتريته. وشريت الشيء: اشتريته، وبعته. والحي خلوف: غيب، ومتخلفون. واختلفوا في قوله: ﴿يُمِينِلُ بِهِ. كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ. كَثِيرًا ﴾ هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَنذَا مَثَلًا ﴾ أو هو مبتدأ من كلام الله عظياً؟ على قولين: أحدهما: أنه تمام الكلام الذي قبله، قاله الفراء، وابن قتيبة. قال الفراء: كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يضل به هذا، ويهدي به هذا؟! [ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله] فقال الله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِمِهِ إِلَّا ٱلْفَسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. والثاني: أنه مبتدأ من قول الله تعالى، قاله السدي ومقاتل. فأما الفسق؛ فهو في اللغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين هاهنا، تلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسدي. والثالث: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿الذِّينَ يَنفُنُونَ عَهّدَ اللّهِ﴾. هذه صفة للفاسقين، وقد سبقت قيهم الأقوال الثلاثة. والنقض: ضد الإبرام، ومعناه: حل الشيء بعد عقده. وينصرف النقض إلى كل شيء بحسبه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه. وفي هذا العهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد والوصية باتباعه، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ما عُهد إليهم في القرآن، فأقروا به ثم كفروا، قاله السدي. والثالث: أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرية آدم من ظهره، قاله الزجاج. ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق، فيجب الإيمان به. وفي هما ومن قولان: أحدهما: أنها زائدة، والثاني: أنها لابتداء الغاية، كأنه قال: ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه. وفي ها وميثاقه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: أنها ترجع الناس وقتادة والسدّي. والثاني: أنه رسوله الله في قطعوه بالتكذيب، قاله الحسن. والثالث: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحد من رسله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، قاله مقاتل. وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استدعاؤهم الناس إلى الكفر، قاله أبن عباس. والثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله السدي، ومقاتل. والثالث: أنه المعلم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبي في ليمنعوا الناس من الإسلام. والخسران في اللغة: النقصان.

⁽١) في الأصل: إذا.

قوله تعالى: ﴿كَيْنَ تَكُفُّرُكَ بِاللَّهِ﴾ في كيف قولان: أحدهما: أنه استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب للمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون، وقد ثبتت حجة الله عليهم، قاله ابن قتيبة والزجاج. والثاني: أنه استفهام خارج مخرج التقوير والتوبيخ. تقديره: ويحكم! كيف تكفرون بالله؟! قال العجاج:

أطرب أوانت شيخ كبير؟!، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُم أَمْوَتَا﴾. قال الفراء: أي: وقد كنتم أمواتاً. ومثله: ﴿أَوْ جَاهُوكُمْ خَصِرَتَ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: 19] أي: قد حصرت. ومثله: ﴿وَإِن كَانَ فَيَسِمُمُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتَ ﴾ [يرسف: ٢٧] أي: فقد كذبت، ولولا إضمار «قد» لم يجز مثله في الكلام. وفي الحياتين، والموتتين أقوال: أصحها: أن الموتة الأولى، كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وثعلب، والزجاج، وابن قتيبة، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّذِى خَلْقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ بَمِيمًا ﴾ أي: لأجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للاعتبار. ﴿ فُتُم السَّمَوَى إِلَى السَّمَوَى إِلَى السَّمَوَى إِلَى السَّمَاء؛ لفظها لفظ الواحد، ومعناها، معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿ فَسَوَّنِهُنَّ ﴾. وأيهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان: أحدهما، الأرض، قاله مجاهد. والثاني: السماء، قاله مقاتل. واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها، فقال ابن عبَّاس: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السموات في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين. وقال الحسن ومجاهد: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين. والعليم: جاء على بناء: فعيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَتِهِكَةِ﴾. كان أبو عبيدة يقول: ﴿إِذَ مَلْغَاةَ، وتقدير الكلام: وقال ربك، وتابعه ابن قتيبة، وعاب ذلك عليهما الزجاج وابن القاسم. وقال الزجاج: إذ: معناها: الوقت، فكأنه قال: ابتداء حلقكم إذ قال ربك للملائكة. والملائكة: من الألوك، وهي الرسالة، قال لبيد:

فسلسست الإنسسي ولكن لسمائه تقال: مألكة ومألكة وملاكة. ومآلك: جمع مألكة. قال الشاعر: قال أبو إسحاق: ومعنى ملاك: صاحب رسالة، يقال: مألكة ومألكة وملاكة. ومآلك: جمع مألكة.

أبلغ السنعممان عسني مالكاً أنه قد طال حبسي وانسطاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحلهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أهبط إلى الأرض، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. ونقل أنه كان في الأرض قبل آدم خلق، فأفسدوا، فبعث الله إبليس في جماعة من الملائكة فأهلكوهم، واختلفوا ما المقصود في إخبار الله ظلى الملائكة بخلق آدم على ستة أقوال: أحلها: أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبراً، فأحب أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضحاك عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن، والمالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية والثالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: وبنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه، فأخبرهم حتى قالوا: ﴿أَيَّمَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ فأجابهم: ﴿إِنَّ أَعْلُمُ مَا أَدُونُوا معظمين له إن أوجده. والسادس: أنه أراد إطلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا

⁽١) الزيادة من السان العرب.

خلف فلان وخليفته. قال ابن الأنباري: والأصل في الخليفة خليف، بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف، كما قالوا: علَّامة ونسَّابة وراوية. وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن.

قوله تعالى: ﴿ أَجَمَلُ فِهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهر الألف الاستفهام، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق. قال جرير:

وأستم من ركب المطايا المعايا المعالمة المعالمة والمعالمة والما والمعالمة وال

معناه: أنتم خير من ركب المطايا. والثاني: أنهم قالوه لاستعلام وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض. ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك، أم لا؟ وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى، أم قاسوا على حال من قبلهم؟ فيه قولان: أحدهما: أنه بتوقيف من الله تعالى، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتيبة. وروى السدي عن أشياخه: أنهم قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَجَّمُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ والثاني: أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيَسُونُكُ الدِّمَاءَ﴾. قرأ الجمهور بكسر الفاء، وضمها ابن مصرف وإبراهيم بن أبي عبلة، وهما لغتان، وروي عن طلحة وابن مقسم: ويُسفِّك: بضم الياء، وفتح السين، وتشديد الفاء مع كسرها، وهي لتكثير الفعل وتكريره. وسفكُ الدم: صبَّه وإراقته وسفحه، وذلك مستعمل في كل مضيّع، إلا أن السفك يختص الدم، والصب والسفح والإراقة يقال في الدم وفي غيره. وفي معنى تسبيحهم أربعة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قول: سبحان الله، قاله قتادة. والثالث: أنه: التعظيم والحمد، قاله أبو صالح. والرابع: أنه الخضوع والذل، قاله محمد بن القاسم الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَنُلِثَدِّسُ لَكُۗ﴾. القدس: الطهارة، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: نتطهر لك من أعمالهم، قاله ابن عباس. والثاني: نعظمك ونكبرك، قاله مجاهد. والثالث: نصلي لك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ أَعْلَمُ مَا لَا نَمْلُمُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البغي والمعصية، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي عن أشياخه. والثاني: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة. والثالث: أعلم أني أملاً جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد. والرابع: أعلم عواقب الأمور، فأنا أبتلي من تظنون أنه مطيع، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية كإبليس، ومن تظنون به المعصية فيطيع، قاله الزجاج.

الإشارة إلى خلق آدم ﷺ

روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِنْ الله ﷺ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر [والأبيض] والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب، قال الترمذي: هذا حديث صحيح (١٠). وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً». وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، ما بين العصر إلى الليل». قال ابن عباس: لما نفخ فيه الروح، أتته النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري منه في شيء إلا صار لحماً ودماً.

· قُوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأُسْمَاءَ كُلُّهَا﴾. في تسمية آدم قولان: أحدهما: لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن

⁽١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصنححه ابن حبان.

عباس وابن جبير والزجاج. والثاني: أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب. وفي الأسماء التي علمه قولان: أحدهما: أنه علمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. والثاني: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية. علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة. ثم فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية. والثاني: أنه علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسان وملك وجني وطائر، قاله عكرمة. والثالث: أنه علمه أسماء ما خلق من الأرض من الدواب والهوام والطير، قاله الكلبي ومقاتل وابن قتيبة. والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَبَتُهُم ﴾. يريد: أعيان الخلق على الملائكة، قال ابن عباس: الملائكة هاهنا: هم الذين كانوا مع إبليس خاصة.

قوله تعالى: ﴿أَنْبِتُونِي﴾: أخبروني.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُرُ صَلِاقِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحسن. والثاني: أني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾. قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو: التنزيه لله تعالى عن كل سوء. والعليم بمعنى: العالم، جاء على بناء «فعيل» للمبالغة. وفي الحكيم قولان: أحدهما: أنه بمعنى الحاكم، قاله ابن قتيبة. والثاني: المحكم للأشياء، قاله الخطابي.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَكَادَمُ اَلْبِعَهُم ﴾ أي: أخبرهم، وروي عن ابن عباس: أنبئهم بكسر الهاء، قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم، ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء، والهاء والميم تعود على الملائكة، وفي الهاء والميم من فاسمائهم ولان: أحدهما: أنها تعود على المخلوقات التي عرضها، قاله الأكثرون. والثاني: أنها تعود على الملائكة، قاله اللائكة، وفي الذي أبدوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿ أَيَّمَتُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾، ذكره السدي عن أشياخه. والثاني: أنه ما أظهروه من السمع والطاعة لله حين مروا على جسد آدم، فقال إبليس: إن فضل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فضلت عليه لأهلكنه، ولئن فضل عليً لأعصينه، قاله مقاتل. وفي الذي كتموه قولان: أحدهما: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالى لا يخلق خلقاً أكرم منهم، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة. والثاني: أنه ما أسره إبليس من الكبر والعصيان، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْبَاتَتِكَةُ اسْجُدُوا﴾ عامة القراء على كسر التاء من الملائكة، وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمها في الوصل، قال الكسائي: هي لغة أزد شنوءة. وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم طائفة من الملائكة، روي عن ابن عباس، والأول أصح. والسجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

ساجد السمنتخبر ما يسرفعه خماشع السطرف أصم السمستسمع وفي صفة سجودهم لآدم قولان: أحلهما: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع.

قوله تعالى: ﴿إِلاَ إِبْلِيسَ﴾ في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو على هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس. وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، ثم مسخه الله تعالى شيطاناً. والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجن، قاله الحسن والزهري. قال ابن عباس: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر السماء الدنيا. فإن قيل: كيف استثني وليس من الجنس؟ فالجواب: أنه أمر بالسجود معهم، فاستثني منهم، لأنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرت عبدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبدي، هذا قول الزجاج، وفي إبليس قولان: أحدهما: اسم أعجمي ليس بمشتق، ولذلك لا يصرف، هذا قول أبي عبيدة، والزجاج وابن الأنباري.

والثاني: أنه مشتق من الإبلاس، وهو: اليأس، روي عن أبي صالح، وذكره ابن قتيبة وقال: إنه لم يصرف، لأنه لا سمي له، فاستثقل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والأول أصح، لأنه لو كان من الإبلاس لصرف، ألا ترى أنك لو سميت رجلًا: بإخريط وإجفيل؛ لصرف في المعرفة.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ﴾ معناه: امتنع، ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ استفعل من: الكبر، وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان: أحدهما: أنها بمعنى: صار، قاله قتادة. والثاني: أنها بمعنى الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَكَادَمُ اَسَكُنْ آلَتَ وَزَقَبُكَ الْجُنَّةَ﴾ زوجه: حواء، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: زوجات. قال الشاعر: فيجمعونها: زوجات. قال الشاعر: فيان السذي يستعمى يسحر ش زوجتي كماشٍ إلى أسد الشرى يستبيلها (١) وأنشدني أبو الجراج:

و الما من الما

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان: أحلهما: جنة عدن. والثاني: جنة الخلد. والرغد: الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان: إذا صار في خصب وسعة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَتْرَا مَدْو الشَّجَوَ ﴾ أي: بالأكل، لا بالدُّنو منها. وفي الشجرة ستة أقوال: أحدها: أنها السنبلة، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وقتادة، وعطية العوفي، ومحارب بن دثار، ومقاتل. والثاني: أنها الكرم، روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وجعدة بن هبيرة. والثالث: أنها التين، روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج. والرابع: أنها شجرة يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمخامس: أنها شجرة الكافور، نقل عن علي بن أبي طالب. والسادس: أنها النخلة، روي عن أبي مالك. وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وهب بن منبه أنه قال: هي شجرة الخلد، وإنما الكلام على جنسها.

قوله تعالى: ﴿ فَكَكُونا مِن الظَّلِمِينَ ﴾. قال ابن الأنباري: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سقاءه إذا سقاه قبل أن يخرج زبده. وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تربني شكاته ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجر

أراد بالصاحب: وطب اللبن، وظلمه إياه: أن يسقيه قبل أن يخرج زبده. والعرب تقول: هو أظلم من حية، لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماء الوادي: إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى. فإن قيل: ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي؟ فالجواب: أنه ابتلاء من الله تعالى بما أراد. وقال أبو العالية: كان لها ثفل من بين أشجار الجنة، فلما أكل منها، قيل: اخرج إلى الدار التي تصلح لما يكون منك.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطُنُ عَهُا فَأَخَرَجُهُمَا مِمَّا كُنَّ فِيهُ . أَزلهما بمعنى: استزلهما، وقرأ حمزة: (فأزالهما)، أراد: نحاهما. قال أبو على الفارسي: لما كان معنى ﴿أَشَكُنْ أَتَ وَرَيْجُكَ أَلْتَنَكُ الْبَتا فيها، فئبتا؛ قابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأَخَرَجُهُمَا ﴾ . والشيطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه، لأنه السبب، وفي هاء (عنها) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الجنة . والثاني: ترجع إلى الطاعة . والثالث: ترجع إلى الشجرة . فمعناه: فأزلهما بزلة صدرت عن الشجرة . وفي كيفية إزلاله لهما، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه احتال حتى دخل إليهما الجنة، وكان الذي أدخله الحية (٢٠) قاله ابن عباس والسدي . والثاني: أنه وقف على باب الجنة ، وناداهما، قاله الحسن والثالث: أنه وسوس إليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة، قاله ابن إسحاق، وفيه بعد . قال الزجاج: الأجود: أن يكون خاطبهما، لقوله: ﴿وَقَاسَهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢١]. واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قوم: إنه نهي عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها . وقال آخرون: تأول الكراهة في النهي دون التحريم .

⁽١) البيت قاله الفرزدق. ومعنى يستبيلها: أي يأخذ بولها بيده، كما فني اللسانه.

⁽٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا الْفَهِلُواْ بَعْضَكُمْ لِكُمِّنِ عَدُونًا وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَكِّر وَيَتَام إِلَى جِين ﴾ الهبوط بضم الهاء: الانحدار من علق، وبفتح الهاء: المكان الذي يهبط فيه، وإلى من انصرف هذا الخطاب؟ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه انصرف إلى آدم وحواء والحية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إلى آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: إلى آدم وإبليس، قاله مجاهد. والرابع: إلى آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل. والخامس: إلى آدم وحواء وذريتهما، قاله الفراء. والسادس: إلى آدم وحواء فحسب، ويكون لفظ الجمع واقعاً على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِمُكْيِهِمُ شُهْدِينَ﴾ [الانباء: ٧٨] ذكره ابن الأنباري، وهو العلة في قول مجاهد أيضاً. واختلف العلماء: هل أهبطوا جملة أو متفرقين؟ على قولين: أحدهما: أنهم أهبطوا جملة، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة، قاله كعب، ووهب. والثاني: أنهم أهبطوا متفرقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجُدَّة، وإبليس بالأبلَّة(١) قاله مقاتل. وروي عن ابن عباس أنه قال: أهبطت الحية بنصيبين، قال: وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم، فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه، فقال: أيها الملك ارفق بي. قال جبريل: إنى لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب، وذهب كلامه، وجبريل يعاتبه في معصيته، ويعدّد نعم الله عليه، قال: وأدخل الجنة ضحوة، وأخرج منها بين الصلاتين، فمكث فيها نصف يوم، خمسمائة عام مما يعد أهل الدنيا. وفي العداوة المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذرية بعضهم أعداء لبعض، قاله مجاهد. والثاني: أن إبليس عدو لآدم وحواء، وهما له عدو، قاله مقاتل. والثالث: أن إبليس عدو للمؤمنين، وهم أعداؤه، قاله الزجاج. وفي المستقر قولان: أحدهما: أن المراد به القبور، حكاه السدي عن اين عباس. والثاني: موضع الاستقرار، قاله أبو العالية، وابن زيد، والزجاج، وابن قتيبة، وهو أصح. والمتاع: المنفعة. والحين: الزمان. قال ابن عباس: ﴿ إِلَنْ حِينِ ﴾ ، أي: إلى فناء الأجل بالموت.

قوله تعالى: ﴿ فَلْلَوْتُ اَدُمُ مِن رَبِّهِ كُلْتُو فَلَابُ عَلَيْهِ إِلَّمُ هُو النَّوْابُ الْحِيمُ ﴿ . تلقى: بمعنى أخذ، وقبل. قال ابن عليه: وقبل الله تعالى أوحى إليه أن يستغفره [ويستقبله] بكلام من عنده، ففعل [ذلك آدم] فتاب عليه. وقرأ ابن كثير: (فتلقى آدم) بالنصب، (كلماتٌ): بالرفع؛ على أن الكلمات هي الفاعلة. وفي الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا طَلْتُنَا أَنفُنَا وَإِن أَرْ تَنْفِرْ لَنَا وَرَّعَمْنَا لَنَكُونَ مِن الكلمات هي الفاعلة. وفي الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا طَلْتُنَا أَنفُنَا وَإِن أَرْ تَنْفِرْ لَنَا وَرَّعَمْنَا لَنَكُونَ مِن الكلمات هي الفاعلة. وفي الكلمات أقوال: أو مسيد بن وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وعبيد بن عمير، وأبيّ بن كعب، وابن زيد. والثاني: أنه قال: أي رب؛ ألم تنقل عقبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسبق رحمتك إليّ قبل غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسبح لي ملائكتك، وتسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: ألم تسبق رحمتك إليّ قبل غضبك؟ قال: ألى الجنة؟ قال: نعم. حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ، إنك فارحمني، فأنت خير الراحمين؛ [اللهم] لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم. رواه ابن أبي نجيح (٢٠ عن مجاهد. وقد ذكرت أقوال من كلمات الاعتذار تقارب هذا المعني.

قوله تعالى: ﴿ فَنَابَ عَلَيْهِ ﴾. أصل التوبة: الرجوع، فالتوبة من آدم: رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالى: رجوعه عليه بالرحمة، والثواب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله، وإنما لم تذكر حواء في التوبة، لأنه لم يجر لها ذكر، لا أن توبتها لم تقبل. وقال قوم: إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً؛ جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَسُولُهُ أَكُنُ أَنْ يُرْشُونُ ﴾ [التوبة: ١٣] وقوله: ﴿ فَلا يُغْرِجُنَّكُم مِن اللّهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا آهْبِطُواْ مِنْهَا جَبِيمُا ۚ فَإِمَّا يَأْتِينَكُمْ مِنِي هُدَى فَمَن تَبِعَ هُدَاى فَلَا خُوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَمْزَنُونَ ﴿ ﴾: في إعادة ذكر الهبوط ـ وقد تقدم ـ قولان: أحدهما: أنه أعيد لأن آدم أهبط إهباطين؛ أحدهما: من الجنة إلى السماء، والثاني: من السماء إلى الأرض. وأيهما الإهباط المذكور في هذه الآية؟ فيه قولان. والثاني: أنه إنما كرر الهبوط توكيداً.

⁽١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى «معجم البلدان».

⁽٢) في الأصلين: ابن كثير، وهو خطأ، فإن الراوي لهذا الأثر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح كما في الطبري.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه (إن) التي للجزاء، ضمت إليها (ما) والأصل في اللفظ (إن ما) مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام، فإذا ضمت (ما) إلى (إن) لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة. وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكدة، ودخلت النون مؤكدة أيضاً، كما لزمت اللام النون في القسم في قولك: والله لتفعلن، وجواب الجزاء الفاء. وفي المراد بـ (الهدى) هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسول، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: الكتاب، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفُ عَلَيْمِ﴾. وقرأ يعقوب: "فلا خوفَ»: بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ ابن محيصن بضم الفاء من غير تنوين. والمعنى: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمر مستقبل، والحزن لأمر ماض.

قوله تعالى: ﴿ وَاَلَٰذِينَ كَفَرُهُا وَكَذَّبُوا إِعَائِتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ النَارِّ هُمْ فِهَا خَلِدُونَ ﴿ ﴾ في معنى الآية: ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العلامة، فمعنى آية: علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، والذي بعدها، قال الشاعر:

بايسة مسا يسحبون السطعسامسا

ألا أبسلسغ لسديسك بسنسي تسمسيسم وقال النابغة:

توهممت آيسات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وهذا اختيار أبي عبيد. والثاني: أنها سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، وأنشدوا:

خرجنا من النقبين لاحي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا(١)

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الأيات؛ أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري. وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتب التي تتلى. والثاني: معجزات الأنبياء. والثالث: القرآن. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته. وأصحاب النار: سكانها، سموا أصحاباً، لصحبتهم إياها بالملازمة.

قوله تعالى: ﴿يَنِيَ إِمْرُهِ بِلَ اذْكُرُا نِمْيَقَ الْيَقَ أَشْتُ عَلِيْكُو وَأُوفُواْ بِهَدِينَ أُونِ بِهَدِكُمْ وَإِنْنَ فَأَرْهَبُونِ ﴿ ﴾. إسرائيل: هو يعقوب، وهو اسم أعجمي. قال ابن عباس: ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجه، فقالت: إسرائل، وإسرال، وإسرائيل، وإسرائين. قال أمية:

> إنسنسي زارد السحسديسد عسلسى السنسا لا أرى مسن يسعسيسنسنسي فسي حسيساتسي وقال أعرابي صاد ضبًا، فأتى به أهله:

هــذا ورب الـــــــ إســـرائـــــــا.

يقول أهل السوق لما جيسا:

أراد: هذا مما مسخ من بني إسرائيل. والنعمة: المنة، ومثلها: النعماء. والنعمة، بفتح النون: التنعم، وأراد بالنعمة: النعم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَاتِكُةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. أي ظهراء. وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله على قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج. وإنما من عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال. والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر.

⁽١) نزجي: نسوق. اللقاح: ذوات الألبان من النوق. المطافل: النوق معها أولادها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْوَا﴾. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أوفيت، وأهل نجد يقولون: وفيت، بغير ألف. قال الزجاج. يقال: وفي بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

أمنا ابن طوق فنقند أوفى بنامنه كنما وفي بقلاص النجم حاديها(١)

وقال ابن قتيبة: يقال: وفيت بالعهد، وأوفيت به، وأوفيت الكيل لا غير. وفي المراد بعهده: أربعة أقوال: أحدها: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد على الله و صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإسلام، قاله أبو العالية. والرابع: أنه العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدَ أَخِكَذُ اللّهُ مِيثَنَقَ بَوِت إِسْرَهِ مِلَ وَبَعَثَنَا مِنْهُمُ ٱثْنَى عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [العالدة: ١٣] قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أُونِ بِمُهْدِكُمُ ﴾. قال ابن عباس: أدخلكم الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَى نَآرَهَبُونِ﴾: أي: خافون.

قوله تعالى: ﴿وَرَامِنُواْ بِمَا أَسْرَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُمَدِّقًا لِمَا مَمَّكُمْ﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُواْ أَنَلَ كَافِرٍ بِيْبُ ﴾ إنما قال: أول كافر، لأن المتقدم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادر لم يتأمل الحجة، وإنما بادر بالعناد، فحاله أشد. وقيل: ولا تكونوا أول كافر به بعد أن آمن، والخطاب لرؤساء اليهود. وفي هائه قولان: أحدهما: أنها تعود إلى المنزّل، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنها تعود على ما معهم، لأنهم إذا كتموا وصف النبي ﷺ وهو معهم، فقد كفروا به، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْتَرُهُا بِعَابَتِي ثَمَنَا قَلِيلًا وَإِنَى مَا تَشُونِ﴾. أي: لا تستبدلوا [بآياتي] ثمناً قليلًا. وفيه ثلاثة أقوال: أحلها: أنه ما كانوا يأخذون من عرض الدنيا. والثاني: بقاء رئاستهم عليهم. والثالث: أخذ الأجرة على تعليم الدين.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْمَثَى بِٱلْبَطِلِ وَتَكْتُبُوا الْمَقَ وَأَنتُمْ تَمَلَّونَ ﴿ الله على البسوا: بمعنى تخلطوا. يقال: لبست الأمر عليهم، ألبسه: إذا عميته عليهم، وتخليطهم أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي، ولم يذكر أنه من العرب. وفي المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه أمر النبي على قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو العالية، والسدي ومقاتل. والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا النَّهَاوَةُ وَمَاقُوا الرَّكَوَةَ ﴾. يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء، والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء، وقال ابن الأنباري: معنى الزكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات. ويقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلًا منه.

قوله تعالى: ﴿وَآرَكُمُوا مَعَ ٱلرَّكِينَ﴾. أي: صلوا مع المصلين. قال ابن عباس: يريد محمداً ﷺ، والصحابة ﴿... وقيل: إنما ذكر الركوع، لأنه ليس في صلاتهم ركوع، والخطاب لليهود. وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع، وهي إحدى الروايتين عن أحمد ﴿

قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾أي: تتركون. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

⁽١) قلاص النجم: هي العشرون نجماً التي ساقها الدبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب. والبيت لطفيل الغنوي.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالْهَبْرِ وَالْهَبْلُؤَ وَإِنّهَا لَكَبِيرَةً إِلّا عَلَى لَلْخَيْمِينَ ﴿ الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع. وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع، والمصبورة: البهيمة تتخذ غرضاً. وقال مجاهد: الصبر هاهنا: الصوم. وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ترك المعاصي، قاله قتادة. والثالث: عدم الرئاسة، وهو خطاب لأهل الكتابين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْهَا﴾ في المكنى عنها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن عباس والحسن، ومجاهد والجمهور. والثاني: أنها الكعبة والقبلة، لأنه لما ذكر الصلاة، دلت على القبلة، ذكره الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها الاستعانة، لأنه لما قال: ﴿وَلَشْتِمِينُوا﴾ دل على الاستعانة، ذكره محمد بن القاسم النحوي.

قوله تعالى: ﴿ لَكِيرَةً ﴾ قال الحسن والضحاك: الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالى: ﴿ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نَلْتَعُوهُمَّ إِلَيْمَ ﴾ [الشورى: ١٣] أي: ثقل، والخشوع في اللغة: التطامن والتواضع، وقيل: السكون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنْهُم مُلَنقُوا رَبِّهِمْ وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَجِعُونَ ۞﴾. الظن هاهنا: بمعنى اليقين، وله وجوه قد ذكرناها في كتاب «الوجوه والنطائر».

قوله تعالى: ﴿يَبَنِيَ إِمْرُوبِيلَ اذْكُرُوا بِمَنِيَ الْتِي أَنْمَتُ عَلَيْكُرُ وَأَنِي فَشَلْتُكُمْ عَلَ الْمَالِمِينَ ﴿ يَعْنِي: على عالمي زمانهم، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد. قال ابن قتيبة: وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَالتَّقُوا يَوْمُا لَا تَجْزِى نَفْسُ عَن نَفْسِ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَقَةٌ رَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْمَ يُنصَرُونَ ﴿ ﴾. قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم يوم القيامة، فآيسهم الله بهذه الآية من ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاتَنْتُوا يَوْمًا﴾ [فيه] إضمار، تقديره: اتقوا عذاب يوم، أو: ما في يوم. والمراد باليوم يوم القيامة والتجزي، بمعنى تقضي الله عني، وأجزأني يجزي، بغير همز، أي: قضى عني، وأجزأني يجزئني، مهموز، أي: كفاني.

قوله تعالى: ﴿نَشُ عَن نَنْسِ﴾. قالوا: المراد بالنفس هاهنا: النفس الكافرة، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، إلا أن قتادة فتح الياء، ونصب الشفاعة، ليكون الفعل شه تعالى. قال أبو على: من قرأ بالتاء، فلأنَّ الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث، ومن قرأ بالياء، فلأنَّ التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي، فحمل على المعنى، كما أن الوعظ والموعظة بمعنى واحد. وفي الآية إضمار، تقديره: لا يقبل منها فيه شفاعة. و«الشفاعة» مأخوذة من الشفع الذي يخالف الوتر، وذلك أن سؤال الشفيع يشفع سؤال المشفوع له. فأما «العدل» فهو الفداء، وسمي عدلًا، لأنه يعادل المفدى. واختلف اللغويون: هل «العدل» و«البدل» بفتح العين وكسرها، يختلفان، أم لا؟ فقال الفراء: العدل بفتح العين: ما عادل الشيء من غير جنسه، والبدل بكسرها: ما عادل الشيء من جنسه، فهو المثل، تقول: عندي عَدل غلامك، بفتح العين: إذا أردت قيمته من غير جنسه، وعندي عِدل غلامك، بكسر العين: إذا كان غلام يعدل غلاماً. وحكى الزجاج عن البصريين أن العَدل والعِدل في معنى المثل، وأن المعنى واحد، سواء كان المثل من الجس أو من غير الجنس.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَنِمَنَكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَّ ٱلْمَنَابِ يُذَيِّمُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَعْبُونَ فِسَآءَكُمْ وَفِي دَالُ مَسَكَّةٌ مِن رَبِكُمْ عَظِيمٌ ﴿﴾ تقديره: واذكروا إذ نجيناكم، وهذه النعم على آبائهم كانت. وفي «آل فرعون» ثلاثة أقوال: أحدها:

⁽١) في الأصل تقتضي. وفي نسخة (ب) ولتجزى بمعنى تقضى. والصواب ما أثبتنا.

أنهم أهل مصر، قاله مقاتل. والثاني: أهل بيته خاصة، قاله أبو عبيدة. والثالث: أتباعه على دينه، قاله الزجاج. وهل الآل والأهل بمعنى، أو يختلفان؟ فيه قولان: وقد شرحت معنى الآل في كتاب «النظائر». وفرعون: اسم أعجمي، وقيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: الوليد بن مصعب، قاله الأكثرون. والثاني: فيطوس^(۱)، قاله مقاتل. والثالث: مصعب بن الريان، حكاه ابن جرير الطبري. والرابع: مفيث، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ يَسُوبُونَكُمْ ﴾ أي: يولونكم. يقال: فلان يسومك خسفاً، أي: يوليك ذلا واستخفافاً. وسوء العذاب: شديده. وكان الزجاج يرى أن قوله: ﴿ يُدَيِّعُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ تفسير لقوله: ﴿ يَسُوبُونَكُمْ سُوّة الْمَنَاوِ ﴾، وأبى هذا بعض أهل العلم، فقال: قد فرق الله بينهما في موضع آخر، فقال: ﴿ يَسُوبُونَكُمْ سُوّة الْمَنَابِ وَيُدَيِّمُونَ أَنْنَا تَكُمُ ﴾ [يراميم: ٦] وإنما سوء العذاب: استخدامهم في أصعب الأعمال، وقال الفراء: الموضع الذي طرحت فيه المواو، تفسير لصفات العذاب، والموضع الذي فيه الواو، يبين أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح، فكأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح.

قوله تعالى: ﴿ وَرَسَتَعْبُونَ فِسَاءَكُمُ أَي: يستبقون نساءكم، أي: بناتكم. وإنما استبقوا نساءهم للاستذلال والمخدمة. وفي البلاء هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى النعمة، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن قتيبة والزجاج. والثاني: أنه النقمة، رواه السدي عن أشياخه. فعلى هذا القول يكون قذا في قوله تعالى: ﴿ وَلِيكُم ﴾: عائداً على سومهم سوء العذاب، وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وعلى القول الأول يعود على النجاة من آل فرعون. قال أبو العالية: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكهنة قالت لفرعون: سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فقتل الأبناء. قال الزجاج: فالعجب من حمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً، فما ينفع القتل؟! وإن كان كاذباً ؛ فما معنى القتل؟!

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ذَوْنَا بِكُمُ الْبَسْرَ فَأَنَيْنَكُمْ وَأَغَرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُد نَنظُرُونَ ﴿ وَأَنتُد الفصل بين الشيئين، وهبكم، بمعنى «لكم». وإنما ذكر آل فرعون دونه، لأنه قد علم كونه فيهم. وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُم نَظُرُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه من نظر العين، معناه: وأنتم ترونهم يغرقون. والثاني: أنه بمعنى العلم، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَنُ مَدَّ الظِّلَ ﴾ [الفرتان: ٤٥]. قاله الفراء.

الإشارة إلى قصتهم

روى السدي عن أشياخه: أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل، وألقى على القبط الموت، فمات بكر كل رجل منهم، فأصبحوا يدفنونه، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. قال عمر بن ميمون: فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتى يصبح الديك، فما صاح ديك ليلتنذ. قال أبو السليل: لما انتهى موسى إلى البحر قال: هيه (۲) أبا خالد، فأخذه أفكل، يعني: رعدة، قال مقاتل: تفرق الماء يميناً وشمالًا كالجبلين المتقابلين، وفيهما كوى ينظر كل سبط إلى الآخر. قال السدي: فلما رآه فرعون متفرقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانفتح لي؟! فأتت خيل فرعون فأبت أن تقتحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فتشامت الحصن ربح الماذيانة، فاقتحمت في إثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَعَدْنَا مُوسَى آرَبِهِينَ لِيَلَهُ ﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف هاهنا وفي (الأعراف) و(طه) ووافقهما أبان عن عاصم في (البقرة) خاصة. وقرأ الباقون «واعدنا» بألف. ووجه القراءة الأولى: إفراد الوعد من الله تعالى، ووجه الثانية: أنه لما قبل موسى وعد الله في صار ذلك مواعدة بين الله تعالى وبين موسى. ومثله: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًا ﴾ [البقرة: ١٣٥]. ومعنى الآية: وعدنا موسى تتمة أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة. وموسى: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية: موشا، فمو: هو الماء، وشا: هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعرب بالسين. ولماذا كان هذا الوعد؟ فيه قولان: أحدهما: لأخذ التوراة. والثاني: للتكليم. وفي هذه المدة قولان: أحدهما: أنها ذو

⁽١) في قالبحر المحيطة فنطوس.

القعدة وعشر من ذي الحجة، وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة. والثاني: أنها ذو الحجة وعشر من المحرم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم، وإنما ذكرت الليالي. دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعاً لليالي. وقال أبو بكر النقاش: إنما ذكر الليالي، لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي وليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الْغَذَاتُمُ الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿ ثُمَّ عَفْوَنَا عَنكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَمَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ مَن بعد انطلاقه إلى الجبل.

الإشارة إلى اتخاذهم المجل

روى السدي عن أشياخه أنه لما انطلق موسى، واستخلف هارون، قال هارون: يا بني إسرائيل! إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا له حفيرة، فادفنوه، فإن أحله موسى فخذوه، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه، ففعلوا. قال السدي: وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربه، فرآه السامريّ، فأنكره وقال: إن لهذا شأناً، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فقذفها في الحفيرة، فظهر العجل. وقيل: إن السامريّ أمرهم بإلقاء ذلك الحليّ، وقال: إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحلي، فاحفروا لها حفيرة وقربوه إلى الله، يبعث لكم نبيكم، فإنه كان عارية، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي سبب اتخاذ السامري عجلًا قولان: أحدهما: أن السامري كان السامري كان أصبام من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس، والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أحجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلها وأنكر عليهم؛ أخرج السامريّ لهم في غيبته عجلًا لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد. وفي كيفية اتخاذ العجل قولان: أحدهما: أن السامريّ كان صواغاً، فصاغه وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس. والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواريهم تنزها وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس. والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواريهم تنزها عنها، فألقى السامريّ القبضة من التراب، فصار عجلًا. روي عن ابن عباس أيضاً. قال ابن عباس: صار لحماً ودماً وجسداً، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريق، فعبدوه وزفنوا حوله السامري.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنْبَ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ مَّمَدُونَ ﴿ الكتاب: التوراة. وفي الفرقان خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني: أنه ما في التوراة من الفرق بين الحق والباطل، فيكون الفرقان نعتاً للتوراة، قاله أبو العالية. والثالث: أنه الكتاب، فكرره بغير اللفظ. قال عدى بن زيد:

فسألسفسى قسولسهسا كسذبسأ ومسيسنسا

, وقال عنترة:

اقسوى وأقسفسر بسعسد أم السهديسيسم

هذا قول مجاهد، واختيار الفراء والزجاج. والرابع: أنه فرق البحر لهم، ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم. والخامس: أنه القرآن. ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمداً الفرقان، ذكره الفراء، وهو قول قطرب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمَتُمْ أَنفُسَكُمْ بِالْتَحَاوِكُمُ ٱلْمِجْلَ فَتُوبُوّا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْلُوّا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَلْدَ لَكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنْهُ هُوَ ٱلنَّوَّابُ ٱلرَّحِيدُ ﴿ ﴾. القوم: اسم للرجال دون النساء، قال الله تعالى: ﴿ لَا يَمْخَرُ لَكُمْ عِندَ أَن يَكُونُوا خَيْلَ قِنْهُمْ وَلَا فِيمَالُهُ ثِن نِيمَالُهُ إِن لِيمَالُهُ فِي المحبوات: ١١]. وقال زهير:

ومـــــا أدري وســــوف إخـــــال أدري وســــوف إخــــال أدري أقـــوم آل حـــــــن أم نـــــــاء؟! وإنما سموا قوماً، لأنهم يقومون بالأمور.

قوله تعالى: ﴿فَتُوبُواۤ إِلَىٰ بَارِيكُمُۥ قال أبو علي: كان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. وروى اليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو: (بارثكم) بجزم الهمزة. روى عنه

⁽١) أي رقصوا.

العباس بن الفضل: «بارفكم» مهموزة غير مثقلة. وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة في: «بارثكم» و: «يأمركم» وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يسكن. والبارئ: الخالق. ومعنى ﴿ فَاتَنْكُواْ أَنْفُسَكُمْ ﴾: ليقتل بعضكم بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد. واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد، قاله مقاتل. والثالث: أنه خطاب للعابدين فحسب، أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الإشارة بقوله: «ذا» في: «ذاكم» قولان: أحدهما: أنه يعود إلى القتل. والثاني: أنه يعود إلى التوبة.

الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباس: قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً، فقالوا: فما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح فلا يقتل، وترفع الظلمة. فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى: العفو العفو. فبكى موسى، فنزلت التوبة، وقام السلاح، وارتفعت الظلمة. قال مجاهد: بلغ القتلى سبعين ألفاً. قال قتادة: جعل القتل للقتيل شهادة، وللحي توبة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُدْ كِنُوسَىٰ لَن نُوْيِنَ لَكَ حَقَى زَى اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتُكُمُ الطّنيقَةُ وَأَشَدْ نَظُرُونَ ﴿ فَي القائلين لموسى ذلك قولان: أحدهما: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيد، قال: وذلك، أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة؛ فيقول: هذا كتابي. وفي «جهرة» قولان: أحدهما: أنه صفة لقولهم، أي: جهروا بذلك القول، قاله ابن عباس وأبو عبيدة. والثاني: أنها الرؤية البينة، أي: أرناه غير مستتر عنا بشيء، يقال: فلان يتجاهر بالمعاصي، أي: لا يستتر من الناس، قاله الزجاج. ومعنى «الصاعقة»: ما يصعقون منه، أي: يموتون ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: ﴿ مُنْ بَمُنْتَكُم ﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَمُنْ صَعِفُ والإفاقة للمغشى عليه، والبعث للميت.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّدُ لَنظُرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ينظر بعضكم إلى بعض كيف يقع ميتاً. والثاني: ينظر بعضكم إلى إحياء بعض. والثالث: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَطَلَلْنَا عَلَيْكُمُ النّمَامَ وَأَرْلَنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسّلَوَىٰ كُلُواْ مِن طَبِبَتِ مَا رَزَقَنَكُمُ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَافُواْ انفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿ الْفَكَامَ ﴾ : السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غممته، وهذا كان في التيه. وفي المن ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك. والثاني: أنه الترنجبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه صمغه، قاله مجاهد. والرابع: أنه يشبه الرب الغليظ، قاله عكرمة. والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والسادس: أنه خبر الرقاق مثل الذرة، أو مثل النّقي، قاله وهب. والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي. وفي السلوى قولان: أحدهما: أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السماني، وقال بعضهم: هو السماني، والثاني: أنه الحسابي، وأنال بعضهم: هو السماني، وأنالد:

وقناسمها بالله جهداً لأنتسم ألد من السلوى إذا ما نسورها

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: ما نقصونا وضرونا، بل ضروا أنفسهم. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُلْنَا اَدْتُلُواْ مَلَاهِ ٱلْقَهَاءَ ذَكُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِنْتُمْ رَغَلَا وَأَدْتُلُواْ الْبَابَ سُجَكَنَا وَقُولُواْ حِظَةٌ نَفْتِرَ لَكُرْ خَطَايَتَكُمْ

 ⁽۱) نقل ابن عطية أن السلوى طير بإجماع المفسرين، وغلط الشاعر، وهو خالد بن زهير الهذلي حين ظن أن السلوى العسل في البيت الذي استشهد به
 المصنف، وقد رد عليه القرطبي، بأن دعوى الإجماع لا تصح.

وَسَنَزِيدُ ٱلْمُخْسِنِينَ ﴿ ﴾. في القائل لهم قولان: أحدهما: أنه موسى بعد مضي أربعين سنة. والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسى. والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء. وفي المراد به: ﴿ مَلَاِهِ ٱلْفَرَيَةَ ﴾ قولان: أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي. وروي عن ابن عباس أنها أربحا. قال السدي: وأربحا: هي أرض بيت المقدس. والثاني: أنها قرية من أداني قرى الشام، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿وَمَانَـٰئُواْ ٱلْبَابُ سُجُكُنا﴾ قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى: باب حطة. وقوله: (سجداً) أي: ركعاً. قال وهب: أمروا بالسجود شكراً لله تعالى إذ ردهم إليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِنَّاتُ﴾ وقرأ ابن السميفع وابن أبي عبلة (حطةً) بالنصب. وفي معنى حطة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: استغفروا، قاله ابن عباس ووهب. قال ابن قتيبة: وهي كلمة [أمروا أن يقولوها] في معنى الاستغفار، من: حططت، أي: حط عنا ذنوبنا. والثاني: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم، ذكره الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا إله إلا الله، قاله عكرمة. قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم. [وهو قول: ﴿لا إله إلا الله»]. ولماذا أمروا بدخول القرية؟ فيه قولان: أحدهما: أن ذلك لذنوب ركبوها فقيل: ﴿آنَتُولُوا مِنْهُ مَنْوِ النَّوْبَةُ فَيْوا مِنْهُ الله وهب. والثاني: أنهم ملوا المن والسلوى، فقيل: ﴿قَيْمُ الْمُسْلَا﴾ فكان أول ما لقيهم أريحا، فأمروا بدخولها.

قوله تعالى: ﴿ لَٰنَٰذِ لَكُمْ خَطَّيْنَكُمُ ۗ . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: (نغفر لكم) بالنون مع كسر الفاء. وقرأ نافع وأبان عن عاصم (يغفر) بياء مضمومة وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر بتاء مضمومة مع فتح الفاء.

حسنسى وقسمسنا كسيسده بسالرجز

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظلمة وموت، مات منهم في ساعة واحدة، أربعة وعشرون ألفاً، وهلك سبعون ألفاً عقوبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصابهم الطاعون، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿ فَهُ وَإِذِ اَسْتَسْتَنَ مُومَىٰ لِقَوْمِهِ فَتُلْنَا اَضْرِب بِمَمَاكَ ٱلْحَبَرُّ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اَنْنَا عَثْرَةَ عَيْنَا فَدْ عَلِمَ كُلُوا مَا مُشْرِيهُ مُعْمِدِينَ ﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: الرّض مُفْسِدِينَ ﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه حجر معروف عين لموسى، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وعطية،

الثابت عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة بلفظ «فدخلوا يزحفون على أستاههم» رواه البخاري في التفسير. أما لفظ «متزحفين على أوراكهم» فلم
 يرو عن أبي هريرة، و نما هو من قول الحسن وقتادة كما في «تفسير الطبري».

⁽٢) وأسند هذا القول الطبري أيضاً إلى ابن عباس وحكرمة.

وابن زيد، ومقاتل. واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه كان حجراً مربعاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان مثل رأس الشور، قاله علية. والثالث: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيد. وقال سعيد بن جبير: هو الذي ذهب بثياب موسى. فجاءه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول لك: ارفع هذا الحجر، فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه. والقول الثاني: أنه أمر بضرب أي حجر كان، والأول أثبت.

قوله تعالى: ﴿ فَانْفَجَرَتُ مِنْهُ ﴾ تقدير معناه: فضرب فانفجرت، فلما عرف بقوله: ﴿ فَانفجرت ﴾ أنه قد ضرب، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب. ومثله: ﴿ أَنِ اَضْرِب بِعَمَالُهُ ٱلْبَعْرُ فَٱنفَاقَ ﴾ [الشعراء: ١٣] قاله الفراء. ولما كان القوم اثني عشر سبطاً، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا ﴾ العثو: أشد الفساد، يقال: عثى، وعثا، وعاث. قال ابن الرقاع:

لولا المحسياء وأن رأسي قد عشا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قبولمه تسعالى: ﴿ وَإِذْ مُلْتُمْ يَسُوْمَنَ لَنَ نَمْدِ عَلَى طَمَامِ وَجِوْ مَانَعُ لَنَا يُعَلَى يُغْرِجُ لَنَا مِنَا تُلُبِثُ الْأَرْقُ مِنْ بَقِلِهَا وَقَلَهَا وَعَدَيهَا وَيَصَلِهُمُ وَيَعْمَلِهُمُ وَلَا يُسَجُدُ وَيَعْمَلُوا مِسْرًا فَإِنَّ لَحَمُ مَّا سَأَلْتُمْ وَمُثِيتَ عَلَيْهِمُ اللِّلَةُ وَمُثِيتَ اللَّهِ وَعَلَيْهِمُ اللِّلَةُ وَمَلْمِيتَ عَلَيْهِمُ اللِّلَةُ وَمَلْمَيتَ عَلَيْهِمُ اللِّلَةُ وَيَقْلُونَ النَّيْوَنَ بِعَيْدِ المَعْقُ وَكَانُوا وَحَالُوا وَعَلَا اللّهِ وَعَلَوا بَاللّهُ وَعَلَوا بَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَكَالُوا وَعَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَنُوا بِاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ وَعَنُوا بِاللّهُ وَعَنُوا بِاللّهُ وَعَلَيْ وَاللّهُ وَعَنَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَعَنَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِكُمُ النّاسُ وَالْبِهَامُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

تبقلت في أول التبقل بين رساحي مالك ونهشل

وفي «القناء» لغتان: كسر القاف وضمها، والكسر أجود، وبه قرأ الجمهور، وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وقتادة، وطلحة بن مصرف، والأعمش: بضم القاف. قال الفراء: الكسر لغة أهل الحجاز، والضم لغة تميم، وبعض بني أسد. وفي «الفوم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحنطة، قاله ابن عباس، والسدي عن أشياخه، والحسن وأبو مالك، قال الفراء: هي لغة قديمة، يقول أهلها: فوّموا لنا، أي: اختبزوا لنا. والثاني: أنه الثوم، وهو قراءة عبد الله وأبيّ: «وثومها» واختاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، والفاء تبدل من الثاء، كما تقول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والأثاثي: للحجارة التي توضع تحت القدر. والمغافير، والمغاثير: لضرب من الصمغ. وهذا قول مجاهد، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكسائي، والنضر بن شميل، وابن قتية. والثالث: أنه الحبوب، ذكره ابن قتية والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ لَنَنْ بَالِوْكَ ٱلَّذِى هُوَ أَذَكَ ﴾: أي: أردا ﴿ بِٱلَّذِمَ هُوَ خَيْرٌ ﴾: أي: أعلى، يريد: أن المن والسلوى أعلى ما طلبتم.

قوله تعالى: ﴿ اَمْبِيلُوا مِمْسِرًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وإنما أمروا بالمصر، لأن الذي طلبوه في الأمصار. والثاني: أنه أراد البلد المسمى بمصر، وفي قراءة عبد الله والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش «مصر» بغير تنوين، قال أبو صالح عن ابن عباس: أراد مصر فرعون، وهذا قول أبي العالية والضحاك، واختاره الفراء، واحتج بقراءة عبد الله. قال: وسئل عنها الأعمش، فقال: هي مصر التي عليها صالح (١) بن علي. وقال مفضل الضبي: سميت مصراً، لأنها آخر حدود المشرق، وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما. والمصر: الحد. وأهل هجر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها، أي: بحدودها. وقال عدى:

 ⁽۱) في الأصل: سليمان، وهو خطأ. وصالح هذا: هو ابن علي بن عبد الله بن العباس، أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣هـ.
 وتوفي بقنسرين وهو عامل على حمص سنة ١٥٤هـ.

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فيصلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصد الناس إياها، كقولهم: مصرت الشاة، إذا حلبتها، فالناس يقصدونها، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها.

قوله تعالى: ﴿وَشُرِيَتُ مَلِيْهِمُ اللِّلَةُ ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الذلة والذل: بمعنى واحد. وقال الحسن: هي المجزية. وفي المسكنة قولان: أحدهما: أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العالية، والسدي، وأبو عبيدة. وروي عن السدي قال: هي فقر النفس. والثاني: الخضوع، قاله الزجاج.

قُولُه تَعَالَى: ﴿ وَمُكَامِّهِ ﴾ أي: رجعوا. وقوله تعالى: ﴿ وَلَاكُ ﴾ إشارة إلى الغضب. وقيل: إلى جميع ما ألزموه من الذَّلة والمسكنة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقَتُلُونَ النَّهُونَ ﴾ كان نافع يهمز «النبيين» و«الأنبياء» و«النبوة» وما جاء من ذلك، إلا في موضعين: في الأحزاب: ﴿ وَلَا نَبُونُ النَّهُونُ ﴾ [الاحزاب: ٢٥]. وإنسما ترك الهمز في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وباقي القراء لا يهمزون جميع المواضع. قال الزجاج: الأجود توك الهمز. واشتقاق النبي من: نبأ، وأنبأ، أي: أخبر. ويجوز أن يكون من: نبا ينبو: إذا ارتفع، فيكون بغير همز: فعيلًا، من الرفعة. قال عبد الله بن مسعود: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمانة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْهِ الْعَقْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بغير جرم، قاله ابن الأنباري. والثاني: أنه توكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ تَمْمَى الْقُلُوبُ الْتِي فِي الشَّلُادِ﴾. والثالث: أنه خارج مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم، فهو كقوله تعالى: ﴿مَنِّ اَمْكُمْ مِلْكَيْبُ﴾ فوصف حكمه بالحق، ولم يدل على أنه يحكم بغير الحق.

قوله تعالى: ﴿فَكَالُوا يَسْتَذُوكَ﴾ المدوان: أشد الظلم. وقال الزجاج: الاعتداء: مجاوزة القدر في كل شيء. قـولـه تـعـالـى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ مَاشُوا وَالْذِيكَ هَادُوا وَاللَّمَنَوَىٰ وَالصَّنِيونَ مَنْ مَامَنَ بِاللّهِ وَالْيُورِ الْآينِ وَعَمِلَ صَدِيمًا فَلَهُمْ أَبْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْلُ عَلَيْهِمْ وَلَا مُمْمْ يَمْزَنُوكَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ مَامَتُوا﴾ فيهم خمسة أقوال: أحلها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يُبعث محمد للله، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فآمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد. وهذا قول السدي عن أشياخه. والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري. والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان. والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيكَ هَادُوا﴾ قال الزجاج: أصل هادوا في اللغة: تابوا. وروي عن ابن مسعود أن اليهود سموا بذلك، لقول موسى: ﴿مُنَّ الْمَكَاوِيّ إِلَى اللّهِ ﴾. وقيل: سموا النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصرهم. فأما «الصابئون» فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافع لا يهمز كل المواضع. قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين، يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دينه. وصبأت النجوم: إذا طلعت [وصبأ نابُه: إذا خرج]. وفي الصابئين سبعة أقوال: أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولًا منهم، وهم السائحون المحلَّقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، قاله الحسن والحكم. والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية. والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله أبن زيد.

قوله تعالى: ﴿مَنْ مَامَنَ﴾ في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر مع المؤمنين طوائف من الكفار رجع قوله: ﴿مَنْ مَامَنَ﴾ إليهما، والثاني: أن الإيمان الأول نطق المنافقين بالإسلام، والثاني: اعتقاد القلوب.

قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلَ مَلْلِحُنَّا ﴾ قال ابن عباس: أقام الفرائض.

فصل

وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟. فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك في آخرين، وقدروا فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَمَن مَبْتَعَ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلُ مِنْهُ ﴾، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَنَا مِيثَنَكُمُ وَرَفَعَنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُدُوا مَا عَاتِيْنَكُم بِمُوَّةٍ وَاذَكُوا مَا فِيهِ لَتَلَكُمْ تَنْتُونَ ﴿ . الخطاب بهذه الآية لليهود. والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول. وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكرهوا الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل. قال أبو سليمان الدمشقي: أعطوا الله عهداً ليعملن بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من التثقيل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم. والثاني: أنه ما أخذه الله تعالى على الرسل وتابعيهم من فيها بمحمد على ذكره الزجاج. والثالث: ذكره الزجاج أيضاً، فقال: يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّودَ﴾ قال أبو عبيدة: الطور في كلام العرب: الجبل. وقال ابن قتيبة: الطور: الجبل بالسريانية. وقال ابن عباس: ما أنبت من الجبال فهو طور، وما لم ينبت فليس بطور. وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس. والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد. وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السدي: لإبائهم دخول الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿ خُدُواْ مَا مَاتَيْنَكُمُ بِغُوَّةٍ ﴾. وفي المراد بالقرة أربعة أقرال: أحدها: الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وقتادة والسدي. والثاني: الطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: العمل بما فيه، قاله مجاهد. والرابع: الصدق، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُواْ مَا فِيهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباس. والثاني: معناه: ادرسوا ما فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ لَمُلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴾ قال ابن عباس: تتقون العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالِمُنْدُ مِنْ بَنْدِ ذَاكٌّ فَلَوْلًا فَشْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُشُد مِنَ الْحَيْمِينَ ۞﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء المواثيق لتأخذنَّه بجد، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِيْمُ الَّذِينَ اعْتَدُواْ مِنكُمْ فِي السّبّتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ وَرَدَةٌ خُنْرِينَ ﴾ السبت: اليوم المعروف، قاله ابن الأنباري: ومعنى السبت في كلام العرب: القطع، يقال: قد سبت رأسه: إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال: نعل سبتية: إذا كانت مدبوغة بالقرظ محلوقة الشعر، فسمي السبت سبتاً، لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض، أو: لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها. قال: وقال بعضهم: سمي سبتاً، لأن الله تعالى أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال، وهذا خطأ، لأنه لا يعرف في كلام العرب سبت بمعنى: استراح. وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان: أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت، قاله الحسن ومقاتل. والثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفيرة؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السدي.

الإشارة إلى قصة مسخهم

روى عثمان بن عطاء عن أبيه قال: نودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصوات. نودوا: يا أهل القرية، [فانتبهت طائفة، ثم نودوا: يا أهل القرية، قانتبه الرجال والنساء والصبيان، فقال الله لهم: ﴿ كُونُوا فِرَدَةٌ خَلِيثِينَ ﴾ فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان ألم ننهكم؟ والصبيان، فقال الله لهم: وكُونُوا فِرَدَةٌ خَليثِينَ ﴾ فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان ألم ننهكم؟ فيقولون برؤوسهم: بلى. قال قتادة: فصار القوم قردة تعاوي، لها أذناب بعدما كانوا رجالاً ونساء. وفي رواية عن قتادة: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، وما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم. وقال غيره: كانوا نحواً من سبعين ألفاً، وعلى هذا القول العلماء، غير ما روي عن مجاهد أنه قال: مسخت قلوبهم ولم تمسخ أبدانهم، وهو قول بعيد، قال ابن عباس: لم يحيوا على الأرض إلا ثلاثة أيام، ولم يحيا مسخ في الأرض فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. وزعم مقاتل أنهم عاشوا سبعة أيام، وماتوا في اليوم الثامن، وهذا كان في زمان داود ﷺ.

قوله تعالى: ﴿خَسِيْكِ﴾: الخاسئ في اللغة: المبعد، يقال للكلب: اخسأ، أي: تباعد.

قوله تعالى: ﴿ فَهَمَلْنَهَا نَكُلُلا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمُوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿ في المكنى عنها أربعة أقوال: أحدها: أنها الخطيئة، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: العقوبة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: الهاء: كناية عن المسخة التي مسخوها. والثالث: أنها القرية، والمراد أهلها، قاله قتادة وابن قتيبة. والرابع: أنها الأمة التي مسخت، قاله الكسائي، والزجاج. وفي النكال قولان: أحدهما: أنه العقوبة، قاله مقاتل. والثاني: العبرة، قاله ابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ إِلَمَا بَيْنَ يَدَيَّهَا وَمَا خَلَفَهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لما بين يديها من القرى وما خلفها، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: عن ابن عباس. والثالث: عباس. والثالث: لما بين يديها من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي، وما خلفها: ما كان بعدهم في بني إسرائيل لئلا يعملوا بمثل لما بين يديها من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي، وما خلفها: ما كان بعدهم في بني إسرائيل لئلا يعملوا بمثل أعمالهم، قاله عطية. وفي المتقين قولان: أحدهما: أنه عام في كل متق إلى يوم القيامة، قاله ابن عباس. والثاني: أن المراد بهم أمة محمد على قاله السدي عن أشياخه، وذكره عطية وسفيان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَسَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِدِء إِنَّ اللَّهَ يَأْثُرُكُمْ أَن تَذْبَعُوا بَقَرَّةُ قَالُواْ النَّخِذُنَا هُوُوَأُ قَالَ آعُودُ بِاللَّهِ أَنَّ آكُونَ مِنَ الجَهِلِينَ ﴿ قَالُواْ انْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنِ لَنَا مَا مِنْ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكُرُ عَوَانٌ بَيْبَ ذَلِكٌ فَالْمَسْلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ۞﴾.

ذكر السبب في أمرهم بذبح البقرة

روى ابن سيرين عن عبيدة قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له، وله مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله واحتمله ليلاً، فأتى به حياً آخر، فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه حتى تسلحوا، وركب بعضهم إلى بعض، فأتوا موسى فذكروا له ذلك، فأمرهم بذبح البقرة. وروى السدي عن أشياخه أن رجلاً من بني إسرائيل كانت له بنت وابن أخ فقير، فخطب إليه ابنته، فأبى، فغضب وقال: والله لأقتلق عمي، ولآخذن ماله ولأنكحق ابنته، ولآكلق ديته، فأتاه فقال: قد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فانطلق معي فخذ لي من تجارتهم لعلي أصيب فيها ربحاً، فخرج معه، فلما بلغا ذلك السبط، قتله الفتى، ثم رجع، فلما أصبح، جاء كأنه يطلب عمه لا يدري أين هو، فإذا بذلك السبط قد اجتمعوا عليه، فأمسكهم وقال: قتلتم عمي، وجعل يبكي وينادي: واعماه. قال أبو العالية: والذي سأل السبط قد اجتمعوا عليه، فأمسكهم وقال: قتلتم عمي، وجعل يبكي وينادي: واعماه. قال أبو العالية: والذي سأل موسى أن يسأل الله البيان: القاتل. وقال غيره: بل القوم اجتمعوا فسألوا موسى، فلما أمرهم بذبح بقرة، قالوا: وإسماعيل، وخلف في اختياره، والمواء عن عبد الوارث، والمفضل: "هزءاً"، بإسكان الزاي. ورواه حفص بالضم من وإسماعيل، وخلف في اختياره، والفراء عن عبد الوارث، والمفضل: "هزءاً"، بإسكان الزاي. ورواه حفص بالضم من غير همز، وحكى أبو علي الفارسي أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، فمن العرب من ينقله، ومنهم من يخففه، نحو العسر واليسر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُودُ بِاللّهِ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْجَاكِيكِ . وإنما انتفى من الهزء، لأن الهازئ جاهل لاعب، فلما تبين لهم أن الأمر من عند الله، قالوا: ﴿ أَنَّ لَنَا مَا مِنْ لَنَا مَا مِنْ كَنَا مَا مِنْ كَنَا مَا مِنْ كَنَا مَا لَكُونَ لَنَا مَا مِنْ كَنَا الله الزجاج: وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت. فأما الفارض فهي: المسنة، يقال: فرضت البقرة فهي فارض: إذا أسنت، والبكر: الصغيرة التي لم تلد، والعوان: دون المسنة، وفوق الصغيرة. يقال: حرب عوان: إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانة.

قوله تعالى: ﴿ وَالْوا الْهُ لِنَا رَبُّكَ يُبِينِ لَنَا مَا لَوَنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَعُولُ إِنَّا بَصَرَةٌ صَغُولَهُ فَاقِعٌ أَوْنُهَا لَسُواء وَلان: أحلهما: أنه من قَالُوا أَدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيْنِ لَنَا مَا مِنَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبّهَ عَلَيْنَا وَإِنَا إِن شَلّة اللّهُ لَمُهَتَدُونَ ﴿ فَي الصفراء قولان: أحلهما: أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنها السوداء، قاله المحسن البصري، ورده جماعة، فقال ابن قتيبة: هذا غلط في نعوت البقر، وإنها يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ فَاقِعٌ لُونُهُ اللّهِ وَالْمُوبُ وَالْمُوبُ ويلُولُ وَلَا اللّه واللّه والله والله

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَعُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولُ ثُنِيرُ الأَرْضَ وَلَا شَنِي لَلْزَكَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهِمَأْ مَسَالُوا النَّنَ حِثْتَ بِالْحَقِّ مُذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَغْمَلُونَ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَتُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولُهُ قال قتادة: لم يذلها العمل فتثير الأرض. قال ابن قتيبة: يقال في الدواب: دابة ذلول: بينة الذل بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذليل بين الذل بضم الذال. ﴿ثُيْدُ ٱلْأَرْضُ القَّلِمُ اللَّرُواءة، ويقال للبقرة: المثيرة. قال الفراء: لا تقفن على ذلول، لأن المعنى: ليست بذلول فتثير الأرض، وحكى ابن القاسم أن أبا حاتم السجستاني أجاز الوقف على ذلول، ثم أنكره عليه جداً، وعلل بأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقى الحرث؛ ومتى أثارت الأرض كانت ذلولاً. ومعنى: ﴿وَلَا شَتِي لَلْمُرْتُ اللهِ اللهِ عليه الماء لسقى الزرع.

قوله تعالى: ﴿ مُسَلِّمَةً ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مسلَّمة من العيوب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل. والثاني: مسلَّمة من العمل، قاله الحسن وابن قتيبة. والثالث: مسلَّمة من الشية، قاله مجاهد وابن زيد، والرابع: مسلَّمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني. فأما الشية، فقال الزجاج: الوشي في اللغة: خلط لون بلون، ويقال: وشيت الثوب أشيه شية ووشياً، كقولك: وديت فلاناً أديه دية. ونصب: لا شية فيها، على النفي، ومعنى الكلام: ليس فيها لون يفارق سائر لونها. وقال عطاء الخراساني: لونها لون واحد.

قوله تعالى: ﴿ أَلَكُنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ قال ابن قتيبة: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حدّ الزمانين، حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله، ومعنى ﴿ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ بينت لنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُوكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لغلاء ثمنها، قاله ابن كعب القرظي. والثاني: لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب. قال ابن عباس: مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل، فأبى أن يبيعها إلا بملء مسكها ذهباً، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وعبيدة، ووهب، وابن زيد، والكلبي، ومقاتل في مقدار الثمن. فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين: أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم. والثاني: لإكرام الله على صاحبها، فإنه كان براً بوالديه. فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني إسرائيل براً بأبيه، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق ليبيعه إياها، فإذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه، ورد

المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه، فوجده نائماً، فعاد إلى المشتري فرده، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتى ذهب المشتري، فأثابه الله على بره بأبيه أن نتجت له بقرة من بقره تلك البقرة. وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل أن فتى كان براً بوالديه، وكان يحتطب على ظهره، فإذا باعه تصدق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، فالت له أمه يوماً: إني ورثت من أبيك بقرة، فتركتها في البقر على اسم الله، فإذا أتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فأنطقها الله، فقالت: اركبني يا فتى، فقال [الفتى: إن أمي] لم تأمرني بهذا. فقالت: أيها البر بأمه! لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله [وينطلق معك] لانقلع لبرك بأمك. فلما جاء بها قالت أمه: بعها بثلاثة دنانير على رضى مني، فبعث الله ملكاً فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنانير على رضى من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملك، فقل مني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملك، فقل أمني، أنجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملك، فقل أمني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملك، فقل أمني، أبدء بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل.

﴿ وَإِذْ قَنَلْتُدُ نَفْسًا فَاذَرَهُمْ فِيهَا رَاللَّهُ نَفِيجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَنْلَتُمْ نَفْسًا﴾ هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها، فسألتم موسى فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَعُوا بَقَرَةً ﴾. ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْمَل لَمُ عِومًا فَاخر المقدم وقدم المؤخر، لأنه من عادة العرب. قال الفرزدق:

إن السفسرزدق صخسرة مسلسمسومة أراد: طالت الأوعال. وقال جرير:

طباف السخسيال وأيسن مسنبك لسماميا

` أراد: طاف الخيَّال لماماً، وأين هو منك؟ وقال الآخرُ:

خير من القوم البعضاة أميرهم ين الما قوم فاستحيوا ـ النساء الجلس

أراد: خير من القوم العصاة النساء، فاستحيوا من هذا. ومعنى قوله: ﴿فَأَذَّرَأَتُمْ ﴾: اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد. وقال الزجاج: ادّارأتم، بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقى بعضكم على بعض، تقول: درأت فلاناً: إذا دفعته، وداريته: إذا لاينته، ودريته إذا ختلته، فأدغمت التاء في الدال، لأنهما من مخرج واحد، فأما الذي كتموه؛ فهو أمر القتيل.

قوله تعالى: ﴿ فَتُلْنَا أَخْرِيُوهُ بِبَعْضِماً كَذَلِكَ يُعِي اللهُ الْمَوْقُ وَرُويكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ فَي الذي ضرب به ستة وللها أربعين سنة؛ قال: ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك أقوال: أحلها: أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك العظم هو أصل الأذن، وزعم قوم أنه لا يكسر ذلك العظم من أحد فيعيش. قال الزجاج: الغضروف في الأذن، وهو: ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشحمة، وجميع أعلى صدفة الأذن، وهو معلق الشنوف، فأما العظمان اللذان خلف الأذن الناتئان من مؤخر الأذن، فيقال لهما: الخشّاوان، والخششاوان، واحدهما: خُشّاء، وخُشُشاء. والثاني: أنه الأذن الناتئان من مؤخر الأذن، فيقال لهما: الخشّاوان، والخشماوان، واحدهما: عُرَّاء، وخُشُساء. والثاني: أنه صرب بالفخذ، روي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن. والثالث: أنه البضعة التي بين الكتفين. رواه السدي عن أشياخه. والرابع: أنه الذنب، رواه ليث عن مجاهد. والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبير. والسادس: أنه اللسان، قاله والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبير. والسادس: أنه اللسان، قاله الضحاك. وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيي، فقام فأخبر بقاتله. وفي قاتله أربعة أقوال: أحدها: بنو أخيه، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: ابنا عمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهذان القولان

طالت فبليبس تستاليها الأوعيالا

فارجع لنزورك ببالسسلام سنلاسا

يدلان على أن قاتله أكثر من واحد. والثالث: ابن أخيه، قاله السدي عن أشياخه، وعبيدة. والرابع: أخوه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَثَالِكَ يُمْىِ اللَّهُ ٱلْمَوْتَى﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لقوم موسى. والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب، قال أبو عبيدة: وآياته: عجائبه.

﴿ مَ مَ مَن مُ اللَّهُ مَن بَعْدِ ذَلِكَ نَهِى كَالْحِبَارَةِ أَوْ أَشَدُ فَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِبَارَةِ لَمَا يَشَغَقُ مِن الْمِبَارَةِ لَمَا يَشَغَقُ مَن بَعْدِ اللَّهُ مَن الْمُحْرَمِ مِنْ الْمُعَلِّمُ وَإِنَّا مِنْ كَالْحِبَارَةِ أَوْ أَشَدُ مِنْفِلٍ عَمَّا مَعْمَلُونَ ﴾ فيخُوجُ مِنهُ النّائَةُ وَإِنَّ مِنْهَا مِن خَشْمَةِ اللَّهُ وَمَا اللّهُ مِنْفِلٍ عَمَّا مَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتُ مُلُوكِكُم ﴾: قال إبراهيم بن السري: قست في اللغة: غلظت ويبست وعست، فقسوة القلب:
ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة. وقال ابن قتيبة: قست وعست وعتت واحد،
أي: يبست. وفي المشار إليهم بها قولان: أحدهما: جميع بني إسرائيل. والثاني: القاتل. قال ابن عباس: قال الذين
قتلوه بعد أن سمى قاتله: والله ما قتلناه. وفي كاف وذلك، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى إحياء الموتى، فيكون
الخطاب لجميع بني إسرائيل. والثاني: إلى كلام القتيل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسرون. والثالث: إلى ما
شرح من الآيات من مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل وانبجاس الماء، وإحياء القتيل، ذكره الزجاج. وفي «أو»
أقوال: هي بعينها مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كُمَيْسٍ ﴾ وقد تقدمت.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْمِبَارَةِ لَمَا يُنَفَجُّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ ﴾ قال مجاهد: كل حجر ينفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فمن خشية الله.

قوله تمالى: ﴿ الله المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي على خاصة، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: يَسْلَمُونَ فَي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي على خاصة، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه المؤمنون، تقديره: أفتطمعون أن تصدقوا نبيكم، قاله أبو العالية وقتادة. والثالث: أنهم الأنصار، فإنهم لما أسلموا أحبوا إسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم، ذكره النقاش. قال الزجاج: وألف ﴿ أَنْتَلْمُونُ ﴾ ألف استخبار، كأنه آسهم من الطمع في إيمانهم. وفي سماعهم لكلام الله قولان: أحدهما: أنهم قرؤوا التوراة فحرّفوها، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم، وتحريفهم: تغيير ما فيها. والثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، فسمعوا كلام الله كفاحاً عند الجبل، فلما جاؤوا إلى قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه؛ فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مقاتل، والأول أصح. وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي (١) صاحب «النوادر» هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة؟! وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً. ومعنى ﴿عَقَلُوهُ﴾: سمعوه ووَعوه، وفي قوله تعالى: ميزة؟! وجعل هذا من الأحاديث التي يعلمون أنهم حرّفوه. والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ اللَّذِنَ مَاسَوًا قَالُواْ مَامَنًا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُواْ أَتُحَدُّونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُمْ بِهِ عَلَا رَبِّكُمْ أَلَلًا نَمْقِلُونَ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ اللَّهِ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُسْلِمُونَ اللّهِ يَعْلَمُ مَا يُسِرُونَ وَمَا يُسْلِمُونَ اللّهِ يَعْلَمُ مَا يُسِرُونَ وَمَا يُسْلِمُونَ اللّهِ عَلَمُ مِنَا اللهود، كانوا إذا لقوا النبي والمؤمنين قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد، ومقاتل. وفي معنى ﴿مِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ قولان: أحدهما: بما قضى الله عليكم، والفتح: القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَنَا أَفْتَحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ فَوْيِنَا بِالْحَقِي ﴾ [الأعراف: هم] قال السدي عن أشياخه: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به، فقال بعضهم المعضهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم. [من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم] والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم: ما أنزله من التوراة في صفة والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم: ما أنزله من التوراة في صفة

⁽۱) هو محمد بن علي، أبو عبد الله، عالم بالحديث وأصول الدين، توفي نحو ٣٢٠هـ، وقد تكلم عليه بعض أهل العلم، انظر السان الميزان للحافظ ابن حجر (٢٠٨/٥).

محمد ﷺ وقال مقاتل: كان المسلم يلقى حليفه، أو أخاه من الرضاعة من اليهود، فيسأله: أتجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحق. فسمع كعب بن الأشرف وغيره، فقال لليهود في السر: أتحدثون أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، أي: بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمُّ ۚ فَيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: في حكم ربكم، كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَتِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ ٱلْكَنْلِبُونَ﴾ [النور: ١٣] والثاني: أنه أراد يوم القيامة.

﴿ وَمِنْهُمْ أَمِينُونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِنْدَ إِلَّا أَمَانِنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أَيْتِوْنَ﴾ يعني: اليهود. والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مجاهد. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه على خلقة الأمة التي لم تتعلم الكتاب، فهو على جبلته، قاله الزجاج. والثاني: أنه ينسب إلى أمه، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء. وقيل: لأنه على ما ولدته أمه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِئْنَبَ﴾ قال قتادة: لا يدرون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَادِنَا﴾ جمهور القراء على تشديد الياء، وقرأ الحسن، وأبو جعفر، بتخفيف الياء، وكذلك: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُهُمْمُ ۗ اللِّهُ: ١١١] و﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِيَ أَهْلِ الْكِتَنْبِ ﴾ [النساء: ١٢٣] ﴿فِي أَنْيَنَيْهِ. ﴾ [العج: ٥٦] ﴿وَغَرَّنْكُمُ ٱلأُمَّانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] كله بتخفيف الياء وكسر الهاء من «أمانيهم». ولا خلاف في فتح ياء «الأماني». وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأكاذيب. قال ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَافِئَ﴾: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وهذا قول مجاهد واختيار الفراء. وذكر الفراء أن بعض العرب قال لابن دأب^(١) وهو يحدث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيته؟ يريد: افتعلته؟. والثاني: أن الأماني: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم. قال الشاعر:

تسمسنسى كستساب الله أول لسيسلسة تسمسنسئ داود السزيسور عسلسي رسسل

وهذا قول الكسائي والزجاج. والثالث: أنها أمانيهم على الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمُ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴾ قال مقاتل: ليسوا على يقين، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا، تابعوهم.

قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكُنُبُونَ ٱلْكِنَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَلْذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ يِدِ. ذَ ' كَا قَلِيكُ ۚ فَوَيْلٌ لَهُم يَمَّا كُنَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْمِنْهُونَ ۞﴾ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [الذين] بدلوا التوراة وغيروا صفة النبي ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان. فأما الويل: فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿وَيُلَّ: واد في جهنم، يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، (٢) وقال الزجاج: الريل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، ويستعملها هو أيضاً (٣٠). وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك. قال ابن الأنباري: ويقال: معنى الويل: المشقة من العذاب. ويقال: أصله: وي لفلان، أي: حزن لفلان، فكثر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وي» وجعلت حرفاً واحداً، ثم خبر عن (ويل؛ بلام أُخرى، وهذا اختيار الفراء. والكتاب هاهنا: التوراة. وذكر الأيدي توكيد، والثمن القليل: ما يفنى من الدنيا. وفيما يكسبون قولان: أحدهما: أنه عوض ما كتبوًا. **والثاني**: إثم ما فعلوا.

﴿ وَقَالُواْ لَن تَسَسَّنَا النَّكَادُ إِلَّا أَنْكِامًا مَّسَدُورَةً مَٰلَ أَغَيْدُتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَكِن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥ أَمْ سُؤُلُونَ عَلَ اللَّهِ مَا لَا مَعْلَمُونَ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّكَارُ إِلَّا أَنْكَامًا مَّسْدُونَةً ﴾ وهم: اليهود. وفيما عنوا بهذه الأيام قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أربعين يومًا، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة

هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب المدني كان يضع الشعر، وأحاديث السمر، وكلاماً ينسب إلى العرب، فسقط وذهبت روايته.

 ⁽٢) رواه أحمد، والترمذي، من طريق دراج عن أبي الهيثم، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والمحاكم وصححه، وأقره الذهبي.
 (٣) أي: الذي يقع في الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يُعَيِّننَا إِنَّا كُمَّا طَلِيدِينَ ﴾ .

أقوال: أحدها: أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلّة القسم، وهذا قول الحسن وأبي العالية. والثالث: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يعذبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباس: ﴿ الله أَعَدْتُمُ عِندَ الله عَهدا إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار؟!.

﴿ كَنَ كُنْتُ سَيِّتُ وَأَحْطَتْ بِدِ خَطِيْتَتُهُ فَأُولَتِكَ أَصْحَتُ النَّنَارِّ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ وَالَذِيكَ ءَامَوُا وَعَمِلُوا الشَلِكَتِ أُولَتَهِكَ أَصْحَتُ الْجَنَاتِيِّ هُمْ فِيهَا خَلْدُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ الله الرجل لصاحبه: مالك عليّ شيء، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه. ولو قال: بلى؛ كان الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه: مالك عليّ شيء، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه. ولو قال: بلى؛ كان رداً لقوله. قال ابن الأنباري: وإنما صارت «بلى» تتصل بالجحد، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة «بل». وقبل» سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: ما قام أخوك، بل أبوك. وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: بلى؛ أراد: بل أقوم، فزاد الألف على «بل» ليحسن السكوت عليها، لأنه لو قال: بل؛ كان يتوقع كلاماً بعد بل، فزاد الألف ليزول هذا المتوهم عن المخاطب. ومعنى: ﴿ يَكُنُ مَن كَسَبُ سَيِّتَكُم ﴾ : بل من كسب. قال الزجاج: بلى: رد لقولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّكَ لُو إِلاَ أَنْكَامُ الله وَائل، وأبي العالمة، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل. ﴿ وَأَخَطَتُ بِدِ ﴾ أي: أحدقت به خطيئته. وقرأ نافع «خطيئاته» بالجمع. قال عكرمة: مات ولم يتب منها، وقال أبو وائل: الخطيئة: صفة للشرك. قال أبو علي: إما أن يكون المعنى: أحاطت بحسنته خطيئته، أي: أحبطتها، من حيث أن المحيط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿ إِلَا آنَ يُعَالَم بِكُمُ الله إلى المنهنة على المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿ إِلَا آنَ يُعَالَم بِكُمُ الله وقوله: ﴿ إِلَّا أَن يُعَالَم بُولَةً أَن يُعَالَم بِكُمْ ﴾ [النوبة: ٤٤] وقوله: ﴿ إِلَّا أَن يُعَالَم بِكُمْ الله إلى المحبط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن يُعَالَم بِكُمْ أَلُه الله الله عَلَى المحبط أن المحبط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن يُعَالَم بِكُمْ أَلَه الله الله عَلَم الله عَلَى المناطقة على المناطقة عنه المناطقة على المناطقة عنه الله المناطقة على ا

﴿ إِذْ آخَذْنَا مِيثَنَقَ بَيْنَ إِسْرَهِ بِلَ لَا تَشْبُدُونَ إِلَا اللَّهَ وَبِالْوَلِهَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْفِى وَالْبَتَنَىٰ وَالْسَكِبِو وَقُولُوا الِلَّـَامِن حُسْمًا وَأَيْسُدُوا الطَّسَلَوْةَ وَمَا تُوا الزَّكَوْةَ ثُمُّ تَوَلَّئِسُدُمْ إِلَا قَلِيهُ لَا يَسْكُمْ وَالنَّدُ ثُمْوِشُونِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَقَ بَنِيَّ إِسْرَتِهِ بِلَّ ﴾ هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة.

قوله تعالى: ﴿ تَمْبُدُونَ ﴾ قرأ عاصم ونافع وأبو عمرو، وابن عامر: بالتاء على الخطاب لهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى: بالياء على الإخبار عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: ووصيناهم بآبائهم وأمهاتهم خيراً. قال الفراء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وآمرك به خيراً والمعنى: آمرك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخير بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكونا ومن أبني دهماء إذ يتوصينا

وأما الإحسان إلى الوالدين؛ فهو برهما. قال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار. وقالت عائشة: ما بر والده من شدَّ النظر إليه. وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحبًاه.

قوله تعالى: ﴿وَذِى ٱلْقُرِّكِ﴾ أي: ووصيناهم بذي القربى أن يصلوا أرحامهم. وأما البتامى؛ فجمع: يتيم. قال الأصمعي: اليتم في الناس، من قبل الأب، وفي غير الناس: من قبل الأم. قال ابن الأنباري: قال ثعلب: اليتم معناه في كلام العرب: الانفراد. فمعنى صبي يتيم: منفرد عن أبيه. وأنشدنا:

أفاطم إنى هالك فتبيَّني (١) ولا تجزعي كبلُّ النساء يتيم

 ⁽۱) في «اللسان»: فتثبتي، وكلا الروايتين معناهما واحد.

قال: يروى: يتيم ويئيم. فمن روى يتيم بالتاء؛ أراد: كل النساء ضعيف منفرد. ومن روى بالياء أراد: كل النساء يموت عنهن أزواجهن. وقال: أنشدنا ابن الأعرابي:

لسلائسة أحسباب: فسحب عسلاقية وحسب تسملًاق وحسب هذو المقسسل

قال: فقلنا له: زدنا، فقال: البيت يتيم: أي: منفرد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا بلغ الصبي، زال عنه اسمه اليتم. يقال منه: يتم ييتم يُتما وَيَتما. وجمع اليتيم: يتامى، وأيتام. وكل منفرد عند العرب يتيم ويتيمة. قال: وقيل: أصل اليتم: الغفلة، وبه سمي اليتيم، لأنه يتغافل عن بره. والمرأة تدعى: يتيمة ما لم تزوج، فإذًا تزوجت زال عنها اسم اليتم، وقيل: لا يزول عنها اسم اليتم أبداً. وقال أبو عمرو: اليتم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البريطئ عنه. «والمساكين»: جمع مسكين، وهو اسم مأخوذ من السكون، كأن المسكين قد أسكنه الفقر.

قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنّائِن حُسَناً قرا ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: (حُسنا) بضم الحاء والتخفيف، وقراً حمزة والكسائي: (حَسناً) بفتح الحاء والتثقيل. قال أبو علي: من قراً "حُسناً» فجائز أن يكون الحسن لغة في الحسن، كالبُخل، والبُخل، والرُشد والرشد. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهم قالوا: العُرب والعرّب ويجوز أن يكون الحسن مصدراً كالكفر والشكر والشغل، وحذف المضاف معه، كأنه قال: قولوا قولاً ذا حسن. ومن قرأ (حَسناً) جعله صفة، والتقدير عنده: قولوا للناس قولاً حسناً، فحذف الموصوف. واختلفوا في المخاطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، وابن جريج. ومعناه: اصدقوا وبينوا صفة النبي. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ قال أبو العالية: قولوا للناس معروفاً. وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم. وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام. فعلى هذا؛ تكون منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ تَوَلَّيْتُمُ﴾ أي: أعرضتم إلا قليلاً منكم. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أوّلوهم الذين لم يبدلوا. والثاني: أنهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ في زمانه.

﴿ وَإِذْ أَخَذَنَا مِينَعَكُمُ لَا تَسْفِكُونَ وِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ النُسكُم مِن دِيكِرِكُمْ ثُمَّ أَفَرُدُمُ وَالشُرْ تَشْهَدُونَ ﴿ وَالْمَدُونِ وَإِن يَأْوُكُمْ أَسَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ النُسكُم مِن دِيكِرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْوَنْمِ وَالْمُدُونِ وَإِن يَأْثُوكُمْ أَسكرَى تُغَنَّدُوهُمْ وَهُو مُحَرَّمُ وَلَا يَخْرُهُمُ وَهُو مُحَرَّمُ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَلْفَكُمْ أَلْكُ وَمُن يَبْعَوْنُ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَالِكَ مِنصُمْمُ إِلَّا خِرْقُ فِي الْحَبَوْةِ الدُّنْيَآ وَوَقَمُ اللَّهُ مِنْفِلِ عَمَّا لَمُعَمِّونَ فَهَا لَهُ مِنْفُونَ فِي الْحَبَوْةِ الدُّنْيَآ وَوَمَ اللَّهُ مِنْفِلِ عَمَّا لَمُعْمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَقَكُمُ لَا تَسْفِكُونَ وَمَآءَكُمُ اَي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضاً من داره. قال ابن عباس: ثم أقررتم يومئذ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك، فالإقرار على هذا متوجه إلى سلفهم، والشهادة متوجهة إلى خلفهم. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَكُولاً تَقْلُوكَ أَنفُسكُمُ أَي: يقتل بعضكم بعضاً. روى السدي عن أشياخه قال: كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقاتلون في حرب سمير (١) فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءها، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم ويخربون الديار ويخرجون منها، فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى يفدوه، فتعيّرهم العرب بذلك، فتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟! فيقولون: أمرنا أن نفديهم، وحرم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحيي أن يستذل حلفاؤنا، فعيرهم الله على فقال: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَكُولاً وَ تَقْلُوكَ أَنفُسكُمُ وَتُغْرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُمْ مِن دِيكوهِم إلى قوله: ﴿ أَفَتُومُونَ بِبَعْضِ فعيلاهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿ تَطَاهُمُونَ ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تظاهرون) وفي (التحريم) (تظاهرا) بتخفيف الظاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظّاهرون) بتشديد

⁽١) سمير: حرب كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسمير: رجل من بني عمرو بن عوف، وخبر هذه الحرب تجدها في كتاب «الأغاني».

الظاء؛ أدغم التاء في الظاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة؛ حذف التاء التي أدغمها أولئك من اللفظ، فخفف بالحذف. والتاء التي أدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسن وأبي جعفر (تظهرون) بتشديد الظاء من غير ألف، فالتظاهر: التعاون. قال ابن قتيبة: وأصله من الظهر، فكأن التظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين [أو من القوم] الآخر ظهراً له يتقوى به، ويستند إليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَاأُوكُمُ أُسَكِرَىٰ تُكُندُوكُمُ اصل الأسر: الشد. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى)، وقرأ الأعمش وحمزة (أسرى) قال الفراء: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أسارى» وأهل نجد أكثر كلامهم «أسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصرعى. وروى الأصمعي عن أبي عمرو قال: الأسارى: ما شدوا، والأسرى: في أيديهم، إلا أنهم لم يشدوا. وقال الزجاج: «فَعْلى» جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى. فمن قرأ: (أسارى)؛ فهي جمع الجمع، تقول: أسير وأسرى وأسارى جمع أسرى.

قوله تعالى: ﴿تُنَدُوهُم ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (تفدوهم) وقرأ نافع وعاصم والكسائي: (تفادوهم) بألف. والمفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه. ﴿أَنَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِكَنْبِ﴾ وهو: فكاك الأسرى. ﴿وَتَكُمُّرُكَ بِبَعْضٌ ﴾ وهو: الإخراج والقتل. وقال مجاهد: تفديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟! وفي المراد بالخزي قولان: أحدهما: أنه الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: قتل قريظة ونفي النضير، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَتُكَ ٱلَّذِينَ اشْتَرُهُا ٱلْمَيَوْةَ ٱلدُّنِيَا بِٱلْآَيَوْمَةٌ﴾: قال ابن عباس: هم اليهود. وقال مقاتل: باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

﴿وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنَابَ وَقَلَيْتَنَا مِنْ بَنْدِهِ. مِالرُّسُلِّ وَمَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ الْبَيْنَاتِ وَأَيْدَنَاتُهُ بِرُبِجِ الْفُدُينُ الْمُكُلِّمَا جَاءَكُمُ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَى اَلْمُسْتَكُمُ اسْتَكْفَرَتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبَتُمْ وَفَرِيقًا نَقْنُلُوك ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ مَاتِينًا مُوسَى الْكِندَ ﴾ يريد التوراة. وقفّينا: أتبعنا. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من القفا. يقال: قفوت الرجل: إذا سرت في أثره. والبينات: الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. وأيدناه: قويناه. والأيد: القوة. وفي روح القدس ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل. والقدس: الطهارة، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. وكان ابن كثير يقرأ: (بروح القدس) ساكنة الدال. قال أبو علي: التخفيف والتثقيل فيه حسنان، نحو: العنّق والعنّق، والطنّب والطنّب. وفي تأييده به ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج: أحدها: أنه أيّد به لإظهار حجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله. والقول الثاني: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد.

﴿ وَقَالُوا فَلُوبُنَا غُلْثُ بَلِ لَتَنَّهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ظُلُوبُنَا غُلَفْكُ﴾ قرأ الجمهور بإسكان اللام، وقرأ قوم، منهم الحسن وابن محيصن بضمها. قال الزجاج: من قرأ: (غلف) بتسكين اللام، فمعناه: ذوات غلف، فكأنهم قالوا: قلوبنا في أوعية. ومن قرأ (غلف) بضم اللام، فهو جمع (غلاف) فكأنهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم؟! فعلى الأول؛ يقصدون إعراضه عنهم، كأنهم يقولون: ما نفهم شيئاً. وعلى الثاني يقولون: لو كان قولك حقاً لقبلته قلوبنا.

قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فقليل من يؤمن منهم، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: أن المعنى: قليل ما يؤمنون به. قال معمر: يؤمنون بقليل مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره. والثالث: أن المعنى: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. ذكره ابن الأنباري، وقال: هذا على لغة قوم من العرب، يقولون: قلما رأيت مثل هذا الرجل، وهم يريدون: ما رأيت مثله. والرابع: فيؤمنون قليلاً من الزمان: كقوله تعالى: ﴿مَامِنُوا بِاللَّهِيْ عَلَى اللَّهِيْ عَلَى اللَّهِيْ عَلَى اللَّهِيْ عَلَى اللَّهِيْ عَلَى اللَّهِيْ وحكى النّهادِ ﴾ [آل عمران: ٧٢] ذكره ابن الأنباري أيضاً. والخامس: أن المعنى: فإيمانهم قليل، ذكره ابن جرير الطبري. وحكى في «ما» قولين: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أن «ما» تجمع جميع الأشياء، ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها.

﴿ وَلَمَا جَاءَهُمْ كِنَبُّ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَمَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْنَفِيوُكَ عَلَى اَلَذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَمَاءَهُم مَا عَرَفُوا حَــَــَمُوا بِذِه فَلَمُـنَةُ اللّهِ عَلَى الكَفِرِينَ ۞ بِشَــَــَا اشْتَرَفا بِيءَ اَنفُسَهُمْ أَن يَـكُفُرُوا بِـمَا أَنزَلَ اللّهُ بَقْيًا أَن يُنزَلَ اللّهُ مِن فَضْلِهِ. عَلَى مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِمِةٌ فَبَاهُو بِفَصْبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَفِرِينَ عَذَاتِ مُهِينٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَّا جَآءَهُمَ كِنَنْتُ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن. وايستفتحون، يستنصرون. وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبي الله محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ بِنْسَكُمَا أَشَّمَوْاً بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ بنس: كلمة مستوفية لجميع الذم، ونقيضها: ﴿ يَعْمَ ا واشتروا، بمعنى: باعوا. والذي باعوها به قليل من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ بَعْنَا ﴾ قال قتادة: حسداً. ومعنى الكلام: كفروا بغياً، لأنْ نزّل الله الفضل على النبي ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿ بِعَمْسٍ عَلَى غَمْسٍ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن الغضب الأول لاتخذهم العجل. والثاني: لكفرهم بمحمد، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أن الأول لتكذيبهم رسول الله. والثاني: لعداوتهم لجبريل. رواه شهر عن ابن عباس. والثالث: أن الأول حين قالوا: ﴿ يَدُ اللّهِ مَنْلُولُهُ ﴾ [المائدة: ١٢] والثاني: حين كذّبوا نبي الله. رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والرابع: أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل، والثاني: لتكذيبهم بمحمد والقرآن. قاله الحسن، والشعبي، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل. والخامس: أن الأول لتكذيبهم التوراة. والثاني: لتكذيبهم محمداً ﷺ قاله مجاهد. والمهين: المذل.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْـنَا وَيَكَفُرُونَ بِمَا وَزَآءَمُ وَهُوَ الْعَقُ مُصَدِقًا لِمَا مَمَهُمُّ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَلْبِيَـاتُهُ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنــثُم مُؤْمِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ﴾ يعني: القرآن؛ ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْمَا ﴾ يعنون: التوراة. وفي قوله: ﴿وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَزَاءَمُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه أراد بما سواه. ومثله: ﴿وَأُمِلُ لَكُمْ مَّا وَزَاةَ ذَلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] قاله الفراء ومقاتل. والثاني: بما بعد الذي أنزل عليهم. قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ يعود على ما وراءه. ﴿ فَلِمَ تَقُنُّلُونَ أَلِيْكَآءَ اللَّهِ هذا جواب قولهم: ﴿ فَرْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ فإن الأنبياء، وتقتلون بمعنى: قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الوهم لا يذهب إلى غيره. وأنشدوا في ذلك:

أنَّ السولسيسدَ أحسقُ بسالسعسدر

شهد الحطيشة حين يلقى رَبِّه

أراد: يشهد.

﴿ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ الْخَذَمُ الْمِجْلَ مِنْ بَشْدِهِ وَأَنتُمْ طَالِمُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِينَاغَكُمْ وَرَفَعْنَا وَوَصَيْنَا وَأَشْرِيُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُافِهِمُ قُلْ بِقَسَمًا وَمُصَيِّنَا وَأَشْرِيُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكَافِهِمُ قُلْ بِقَسَمًا بَاشْرُكُم بِيَّةً إِمَانُكُمْ إِن كُنتُد مُؤْهِبِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّومَىٰ بِالْبَيْنَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباس. والثاني: الآيات التسع، قاله مقاتل. وفي هاء «بعده» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى موسى، فمعناه: من بعد انطلاقه إلى الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنها تعود إلى المجيء، لأن «جاءكم» يدل على المجيء. وفي ذكر عبادتهم العجل تكذيب لقولهم: ﴿ فُرْمِنُ بِمَا أُنْزِلُ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿فَالُوا مَهِمُنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب؛ قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْـلَ﴾ أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله: ﴿اَلْحَجُّ أَشَهُرٌ مَّعْلُومَتُ ۗ [البقرة: ١٩٧] [أي وقت الحج] وقوله: ﴿أَبَعَلَتُمْ سِقَايَةَ لَلْمَجَّ﴾ [النوبة: ١٩] [أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج]. وقوله: ﴿وَسَئِلِ ٱلْقَرِّيَةُ﴾ [يوسف: ٨٦] [أي: أهلها] وقوله: ﴿إِذَا لَّأَذَفَنَكَ ضِمْفَ الْمَيْزَةِ﴾ [الإسراء: ٧٥]. أي، ضعف عذاب الحياة. وقوله: ﴿ لَمُلِّمَتُ صَوَيْعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَتُ﴾ [الحج: ١٤٠]. أي: بيوت صلوات. وقوله: ﴿ بَلْ مَكُرُ النَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [سبا: ٣٠]. أي: مكركم فيهما. وقوله: ﴿ فَلْيَنْهُ نَادِيَمُ ﴿ ﴾ [العلق: ١٧] أي: أهله. ومن هذا قول الشاعر:

واستب بعدك يا كليب المجلس

أنب أن السنار بعدك أوقدت أي: أهل المجلس. وقال الآخر:

وشر المسنسايسا مسيّست بسيسن أهسلسه

أي: وشر المنايا منية ميت بين أهله.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ بِقَكَمَا يَأْمُرُكُم بِمِ الْمُسَكُم بِهِ الْمَسَكُمُ ﴾ أي: أن تكذّبوا المرسلين، وتقتلوا النبيين بغير حق، وتكتموا الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾ في ﴿إنَّ قولان: أحدهما: أنها بمعنى: الجحد، فالمعنى: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتم العجل. والثاني: أن تكون ﴿إنّ شرطاً معلقاً بما قبله، فالمعنى: إن كنتم مؤمنين؛ فبئس الإيمان إيمان يأمركم بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ عَالِمِسَةُ مِن دُونِ النَّاسِ فَنَسَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمِّ مَسَدِقِينَ ﴿ وَلَن يَشَمَّتُوهُ الْمَدُّ النَّاسِ عَلَى مَيْوَقِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُّهُمْ لَوْ يُمَتَّرُ أَلْكَ مِسَادِّ مِنَا لَمَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ بَعِيدٌ بِمَا يَسْمَلُونَ ﴾ مستنة وَمَا هُوَ بِمُنْفِيعِهِ مِنَ المَدَّابِ أَن يُمْمَرُ وَاللَّهُ بَعِيدٌ بِمَا يَسْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتَ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية. ومن الدليل على علمهم بأن النبي على صدقه أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ بَنَكَنَّوْهُ ﴾ فما تمناه أحد منهم. والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ﴾ اللام: لام القسم، والنون توكيد له، والمعنى: ولتجدنَّ اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا، وفي «الذين أشركوا» قولان: أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس، وابن قتيبة والزجاج. والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ يَرَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ في الهاء والميم من «أحدهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على الذين أشركوا، قاله الفراء. والثاني: ترجع إلى اليهود، قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما ذكر «ألف سنة» لأنها نهاية ما كانت المجوس تدعو بها لملوكها، كان الملك يحيًا بأن يقال له: عش ألف نيروز، وألف مهرجان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيه قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. والثاني: أن يكون هو كناية عما جرى من التعمير، فيكون المعنى: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل «أن يعمّر» مبيناً عنه، كأنه قال: ذلك الشيء الدنيء ليس بمزحزحه من العذاب.

﴿ ثُلْ مَن كَاتَ عَدُوَّا لِجِنْرِيلَ فَإِنَّهُ زَلَّهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذِنِ اللَّهِ مُصَلِّفًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُمَدَى وَيُشْرَعُ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلْتَهَكِّنِهِ وَرُسُلِهِ. وَجِنْرِيلَ وَمِيكُنلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَنْرِينَ ۞ وَلَقَدْ أَزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَنتِ بَيْنَتُوْ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَنسِقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَاكَ عَدُوًا لِجِبْرِيلَ ﴾ قال ابن عباس: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل: فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه الآية والتي تليها. وفي جبريل إحدى عشرة لغة: إحداها: جبريل، بكسر الجيم والراء من غير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ ابن عامر، وأبو عمرو. قال ورقة بن نوفل:

وجببريل يأتيه وميكال مغهما

من الله وحي يسسرح السعدر منزل

وقال عمران بن حطان:

والروح جبريل فيهم لا كفاء له وكان جبريل عند الله مأمونا وقال حسان:

وجسبسريسل رسسول الله فسيسنسا واللغة الثانية: جَبريل بفتح الجيم وكسر الراء، وبعدها ياء ساكنة من غير همز على وزن: فَعليل، وبها قرأ الحسن البصري، وابن كثير، وابن محيصن. وقال الفراء: لا أشتهيها، لأنه ليس في الكلام فَعليل، ولا أرى الحسن قرأها إلا وهو صواب، لأنه

وبين حيره وبين الشالثة: جَبرئيل: بفتح الجيم والراء، وبعدها همزة مكسورة على وزن: جَبرعيل، وبها قرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي. قال الفراء: وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل نجد. وقال الزجاج: هي أجود اللغات، وقال جرير:

عبدوا الصليب وكأبوا بمحمد وبحبراسيل وكأبوا مسكالا

والرابعة: جَبرئِل، بفتح الجيم والواء وهمزة بين الراء واللام، مكسورة من غير مد، على وزنَ جَبرعِل، رواها أبو بكر عن عاصم. والخامسة: جَبرُئِل، بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشذيد اللام، وهي قراءة أبان عن عاصم ويحيى بن يعمر. والسادسة: جبرائيل، بهمزة مكسورة بعدها ياء مع الألف. والسابعة: جبراييل؛ بيائين بعد الألف أولاهما مكسورة. والثامنة: جَبرين، بفتح الجيم ونون مكان اللام. والتاسعة: جِبْرين، بكسر الجيم وينون، قال الفراء: هي لغة بني أسد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن الأنباري قال: في جيريل تسع لغات، فذكرهنَّ. وذكر ابن الأنباري في كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان»: جبراثل، بفتح الجيم وإثبات الألف مع همزة مكسورة ليس بعدها ياء. وجبرئين، بقتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء ونون. فأما ميكائيل، ففيه خمس لغات: إحداهن: ميكاًل، مثل: مِفعال بغير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم. والثانية: ميكائيل بإثبات ياء سَاكنة بعد الهمزة، مثل: ميكاعيل، وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل نجد، وبها قرأ ابن عامر، وابن كثير، وحمزة، والكسائى، وأبو بكر عن عاصم. والثالثة: ميكائل بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء، مثل ميكاعِل، وبها قرأ نافع وابن شنبوذ وابن الصباح، جميعاً عن قنيل. والرابعة: ميكثل، على وزن ميكعل، وبها قرأ ابن محيصن. والخامسة: ميكائين بهمزة معها ياء ونون بعد الألف، ذكرها ابن الأنباري. قال الكسائي: جبريل وميكائيل، اسمان لم تكن العرب تعرفهما، فلما جاءا عرَّبتهما. قال ابن عباس: جبريل وميكائيل، كقولك: عبد الله، وعبد الرحمن، ذهب إلى أن «إيل» اسم الله، واسم الملك «جبر» «وميكا». وقال عكرمة: معنى جبريل: عبد الله، ومعنى ميكائيل: عبيد الله. وقد دخل جبريل وميكائيل في الملائكة، لكنه أعاد ذكرهما لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿فِهِمَا تَكِهَةٌ وَنَخَلُ وَرَكَانً ۞﴾ [الرحمن: ٦٨]. وإنما قال: ﴿فَهَاكَ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَنْفِرِينَ﴾ ولم يقل: لهم، ليدل على أنهم كافرون بهذه العداوة.

﴿ أَوَكُلُمَا عَنهَدُوا عَهْدًا نَبْذَهُ وَبِينٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَنَا جَمَآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنــدِ اللّهِ مُمَكَدِّقٌ لِمَنا مَمَهُمْ بَنَدَ وَبِينٌ قِنَ الّذِينَ أُوثُوا الكِنَبَ كِتَنبَ اللّهِ وَرَآءَ ظُلْهُورِهِمْ كَأَنْهُمْ لَا يَسْلَمُونَ ۞﴾

قوله تغالى: ﴿أَوْكُلُمَا عَهُدُوا عَهُدًا﴾ الواو واو العطف، أدخلت عليها ألف الاستفهام. قال ابن عباس ومجاهد: والمشار إليهم اليهود. وقيل: العهد الذي عاهدوه، أنهم قالوا: والله لئن خرج محمد لنؤمن به. وروي عن عطاء أنها العهود التي كانت بين رسول الله عليه وبينهم، فنقضوها، كفعل قريظة والنضير. ومعنى نبذه: رفضه.

قوله تعالى: ﴿بَنَدُ وَبِينٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَلَبُ﴾ يعني اليهود. والكتاب: التوراة. وفي قوله تعالى: ﴿كِتَلَبُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: القرآن. والثاني: أنه التوراة، لأن الكافرين بمحمد ﷺ قد نبذوا التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنْانُوا الشَّيَطِينَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق. وتتلو، بمعنى: تلت، و«على» بمعنى: «فى» قاله المبرد. قال الزجاج: وقوله: ﴿عَلَن مُلكِ سُلَيْمَانِ﴾ أي: على عهد ملك سليمان. وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال: أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه؛ كتبت الشياطين السحر، ودفنته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذباً، وأضافوه إلى سليمان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة. والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذه سليمان، فدفنه تحت كرسيه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة. والخامس: أن سليمان أخذ عهود الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخلَّى عنه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو مجلز. والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم [وأدخلوا فيه غيره]، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق [وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه]، فلما مات سليمان؛ جاء شيطان إلى نفر من بني إسرائيل، فدلهم على تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا، ففشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، هذا قول السدي. وسليمان: اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، وقد جعله النابغة سليماً ضرورة، فقال:

ونسبج سلسيسم كل قضاء ذائسل

واضطر الحطيئة فجعله: سلَّاماً، فقال:

فيه الرماح وفيه كل سابخة جدلاً محكمة من نسبج سلّام

وأرادا جميعاً: داود أبا سليمان، فلم يستقم لهما الشعر، فجعلاه: سليمان وغيرًاه. كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي. وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنْ﴾ دليل على كفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر، لا إلى الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِكَنَ الشَّيَطِيرَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم بتشديد نون (ولكنّ) ونصب نون (الشياطين). وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف النون من (لكنّ) ورفع نون (الشياطين).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنِلَ عَلَ الْمَلَكَيْنِ ﴾ وقرأ ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والزهري (الملكين) بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصح. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها معطوفة على «ما» الأولى، فتقديره: واتبعوا ما تتلو الشياطين وما أنزل على الملكين. والثاني: أنها معطوفة على السحر، فتقديره: يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين، فلماذا كُره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما، ابن السري، أحدهما: أنهما كانا يعلمان الناس: ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأن سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام. والثاني: أنه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين، فمن قبل التعلم كان كافراً، ومن لم يقبله فهو مؤمن، كما امتحن بنهر طالوت (١٠). وفي الذي أنزل على الملكين قولان:

⁽١) وقال القرطبي في «تفسيره»: قما» نفي، والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا حَكَفَرُ سُلَيَكُنْ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل =

أحدهما: أنه السحر، روي عن ابن مسعود والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه التفرقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مجاهد وقتادة. وعن ابن عباس كالقولين. قال الزجاج: وهذا من باب السحر أيضاً.

الإشارة إلى قصة الملكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلى الأرض لسبب، وهو أنه لما كثرت خطايا بني آدم؛ دعت عليهم الملائكة، فقال الله تعالى: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثل ما فعلوا، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا، اعتصموا، فأوحى الله إليهم [أن] اختاروا من أفضلكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت. وهذا مروي عن ابن مسعود، وابن عباس. واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما زنيا، وقتلا، وشربا الخمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهما جازا في الحكم، قاله عبيد الله بن عبة. والثالث: أنهما همّا بالمعصية فقط، ونقل عن على شهر أن الزهرة كانت امرأة جميلة، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراودها كل واحد منهما على نفسها، ولم يُعلم صاحبه، وكانا يصعدان السماء آخر النهار، فقالت لهما: بم تهبطان وتصعدان؟ قالا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمواتيتكما إلى ما تريدان حتى تعلمانيه، فعلماها إياه، فطارت إلى السماء، فمسخها الله كوكباً\(^\). وفي الحديث أن النبي من الزهرة، وقال: إنها فتنت ملكين\(^\) إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة\(^\) وتأول بعضهم، هذا فقال: إنه لما رأى الكوكب، ذكر تلك المرأة، لا أن المرأة مسخت نجماً. واختلف عن الصحة\(^\)

هاروت وماروت. فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكُمُ النَّيْفِيكِ كَذَرُوا بِيُكِنُونُ النَّامِيّ ﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قبل فيها، ولا يلتفت إلى ما سواه. وقال القاسمي رحمه الله: اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوها كثيرة، وأقوالاً عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين نقلة الغث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحت وتمحل لما اعترضه، بما المعنى الصحيح في غنى عنى عنه. ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير، ورد آخرها على أولها، بما جعلها أشبه بالألغاز والمعميات، التي يتنزه عنها بيان أبلغ كلام. إلى غير ذلك مما يراه المتتبع لما كتب فيها. والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلمان الناس السحر. ويلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنرا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله. ويلغ مكر هذين الرجلين، ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر. أي: إنما نحن أولو فتنة، نبلوك ونختبرك، أنشكر أم تكفر، ونصح لك أن لا تكفر، يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية، وصناعتهما ووحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير. وهما هنا نافية على أصح الأقوال، ولفظ «الملكين» هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك المتقدة.

 ⁽١) قال ابن كثير: غريب جداً.

 ⁽۲) رواه أبو بكر بن مردويه، وابن راهويه عن علي رقي قال: قال رسول الله ﷺ: قلعن الله الزهرة فإنها هي التي قتنت الملكين هاروت وماروت. وقال ابن
 كثير في انفسيره: لا يصح، وهو منكر جداً.

تنبيه: ما ورد من أن ابن عمر سمم النبي ﷺ يقول: (إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملاتكة: أي رب، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أهلم ما لا تعلمون. قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة، حتى يهبط بهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله أبدأ، فذهبت صنهما، ثم رجعت يصبي تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالاً: والله لا نقتله أبدأ، فلهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تشريا هذا الخمر، فشربا فسكرا، فوقعا عليها وتتلا الصبي، فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه علي إلا قد فعلتما حين سكرتما، فخيرا بين هذاب الدنيا والآخرة، فاختارا هذاب الدنياء. فقد رواه أحمد في االمسند، وابن حبان، وهو حديث ضعيف جداً، ولم يصح أن رسول الله 鵝 حدث بهذا، ولعله من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار عن بني إسرائيل. وقد ذكر ابن كثير في التفسير أن الحكاية خرافة إسرائيلية. وقال في التاريخ»: وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها عن نفسها فأبت. . . فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأخبار، وتلقاء عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. وكل هذا يرجح ما رجحه ابن كثير من أن الحديث من قصص كعب الأحبار الإسرائيلية، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبي 攤 وأن من رفعه فقد أخطأ ووهم. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. وقال القاضي عياض: وإن ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علمي وابن عباس رﷺ في خبرهما وابتلائهما، فاعلم ـ أكرمك الله ـ أن هذه الأخبار لم يرو منها سقيم رلا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن انحتلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم قيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراثهم، كما نصه الله تعالمي أول الآيات.

العلماء في كيفية عذابهما؛ فروي عن ابن مسعود أنهما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقال مجاهد: إن جباً ملئ ناراً فجعلا فيه . فأما بابل؛ فروي عن الخليل أن ألسن الناس تبلبلت بها . واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكوفة وسوادها، قاله ابن مسعود. والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، قاله قتادة. والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا لَمَنُ فِشَنَّةً ﴾ أي: اختبار وابتلاء.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِإِذَنِ اللَّهِ ﴾ يريد: بقضائه. ﴿ وَلَقَدْ عَكِلْمُوا ﴾: إشارة إلى اليهود ﴿ لَمَنِ اشْتَرَنَّهُ ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخلاق؛ فقال الزجاج: هو النصيب الوافر من الخير.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيلُسُ مَا شَكَرُواْ بِهِ ٱنْفُسَهُمُّ أَي: باعوها به ﴿ لَوْ كَانُواْ يَمْلَمُونَ ﴾ العقاب فيه.

فصل

اختلف الفقهاء في حكم الساحر؛ فمذهب إمامنا أحمد فله يكفر يسحره، قتل به، أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قتل بسحره وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك، قتل قوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يخطئ، لم يقتل، وفيه الدية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يقتل عند أحمد إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل، فأما المرأة الساحرة، فقال: تحبس، ولا تقتل.

﴿ وَلَوْ الْمُهُمْ مَامَنُوا وَاقْفُوا لَمَثْوَيَةً يَنْ عِندِ اللَّهِ حَنَيْرٌ لَوْ كَانُوا بَسْلَمُونَ ۞ يَعَائِهُمَا الَّذِيبَ مَامَنُوا لَا تَنْمُولُوا رَعِتَ وَقُولُوا الْعَلَى الْعُلِينَ عَمَدَاتُ الْهِدِ ﴾ انظرتا واستمُوا واستنبوا واستنبو

قوله تعالى: ﴿ وَلَا آلَهُمْ مَامَثُوا ﴾ يعني: اليهود، والمثوبة: الثواب. ﴿ لَوْ كَانُواْ يَمْلُمُوكَ ﴾ قال الزجاج: أي: يعلمون بعلمهم.

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيْكُا الَّذِينَ مَا مَنُوا لَا تَغُولُوا رَعِنَا ﴾ قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن محيصن بالتنوين، وقراعنا ، بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة، قال ابن قتية: راعنا بالتنوين: هو اسم مأخوذ من [الرعن و] الرعونة، أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حمقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصات صاحبه، قال: أرعني سمعك، فكان المنافقون يقولون: راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: (انظرنا) بمعنى: انتظرنا، وقال مجاهد: انظرنا: اسمع منا، وقال ابن زيد: لا تعجل علينا.

﴿ مَا يَهُ الَّذِيرَ كَنَدُوا مِنْ آهَلِ الْكِنْبِ وَلَا النَّفِرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرِ مِن نَبِكُمْ وَاللَّهُ يَغْمَلُ بِرَحْمَتِهِ. مَن يَشَكُمُ وَاللَّهُ يَغْمَلُ بِرَحْمَتِهِ. مَن يَشَكُمُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّالَا اللَّاللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُ اللَّذِينَ كُنْتُوا مِنْ أَهْلِي الْكِنْنِ ﴾، قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، فالمشركون مشركو أهل مكة. ﴿ أَن يُنذُلُ عَلَيْكُم ﴾ أي: على رسولكم، ﴿ قِنْ خَيْرِ مِن زَيْكُم ﴾ أراد: النبوة والإسلام. وقال أبو سليمان الدمشقي: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة. ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَفُ مِرَحَمَتِهِ مَن يَشَكَأَهُ ﴾ في هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله على بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد والزجاج. والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

﴿ ﴾ مَا نَسَخَ بِنَ مَايَةٍ أَو ثُنسِهَا نَأْتِ مِخْيَرٍ مُنْهَا أَوْ مِثْلِهِما أَلَمْ شَلَمَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِ مَنْهِ فَلِيرُ ۞ أَلَمْ تَعْلَمُ أَكَ اللهَ لَهُ مُلكُ التَسَكَوْتِ وَالأَرْضُ وَمَا لَحُمْم مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيْ وَلا نَصِيمٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ مَالِيَةٍ﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته، وحلت محله، وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال: أحدها: رفع اللفظ والحكم. والثاني: تبديل الآية بغيرها، رويا عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني: قول مقاتل. والثالث: رفع المحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية. وقرأ ابن عامر: (ما نُنسِخ) بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمدت فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه (١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسِها﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ننسأها) بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤخرها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسأها: إذا أخرتها، ومنه: النسيئة في البيع. وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال: أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفراء. والثاني: نؤخر إنزالها، فلا ننزلها البتة. والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو على الفارسي. وقرأ سعد بن أبي وقاص: (تنسها) بتاء مفتوحة ونون. وقرأ سعيد بن المسيب والضحاك: (تُنسَها) بضم التاء. وقرأ نافع: (أو ننسها) بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. أراد: أو نُنْبِكَها، من النسيان.

قوله تعالى: ﴿ فَأْتِ عِنْبِرِ مِنْهَا ﴾ قال ابن عباس: بألين منها، وأيسر على الناس.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلِهَا ﴾ أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار. ﴿أَلَمْ تَمْلَمُ لَفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التوقيف والتقرير. والملك في اللغة: تمام القدرة واستحكامها، فالله وَ الله على عباده، ويغير ما يشاء من أحكام.

﴿ أَمْ تُرِيدُونِ كَانَ تَسْعَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُهِلَ مُومَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْسُخْفَرَ بَالْإِبْنِ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّجِيلِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْفَلُوا رَسُولَكُمْ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن رافع بن حريملة، ووهب بن زيد، قالا لرسول الله: اثننا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا، وفجّر لنا أنهاراً حتى نتبعك، فنزلت الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً سألت النبي عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: «هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل [إن كفرتم] فأبوا، قاله مجاهد. والثالث: أن رجلاً قال: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقالى النبي ﷺ: «اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة؛ وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كِفرها كانت له خزياً في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الإخرة، فقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل. فقال: ﴿ وَبَن يَهُمَلُ سُوَّا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِر اللَّهَ يَجِدِ اللّهَ عَفُولًا رَّجِيمًا ﴾ [النساه: ١١٠]. وقال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن» فنزلت هذه الآية. قاله أبو العالية. والرابع: أن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ في رهط من قريش، فقال: يا محمد! والله لا أؤمن بك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلًا، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السائب. والخامس: أن جماعة من المشركين جاؤوا إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. وقال آخر: لن أؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله ابن أبي أمية: لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله رب العالمين إلى ابن أبي أمية: اعلم أني قد أرسلت محمداً إلى الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعاً، كما جاء موسى بالتوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمد بن القاسم الأنباري. وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قريش، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: اليهود، قاله مقاتل. والثالث: جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: بل، تقول العرب: هل لك عليَّ حق، أم أنت معروف بالظلم. يريدُون: بل أنت. وأنشدوا:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملح ذكره الفراء والزجاج. والثاني: بمعنى الاستفهام. فإن اعترض معترض، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت

⁽١) نص كلام أبي علي في القرطبي: قال أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدت الرجل وأبخلته بمعنى: وجدته محموداً وبخيلاً. قال أبو علي: وليس تجده منسوخاً إلا بأن ننسخه، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

مردودة على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدمها؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله:

إِنَّمْ مَنْكُم أَنْ الله عَلَى كُلِّ مَنْهُو عَلَيْكُ ، ذكره الفراء. وكذلك قال ابن الأنباري: هي مردودة على الألف في: ﴿ أَلَمْ مَنْكُم ﴾ فإن اعترض على هذا الجواب، فقيل: كيف يصح العطف ولفظ: ﴿ أَلَمْ مَنْلَمَ ﴾ ينبئ عن الواحد، و(تريدون) عن جماعة؟ فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع، لأن ما خوطب به النبي على قد خوطبت به أمته، فاكتفى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّمُ النّيُ إِنَّا طَلْقَتُمُ النّيَلَةُ وَمَنْ لِمِذْتِهِنَ ﴾ [الطلاق: ١]. ذكر هذا الجواب ابن الأنباري. فأما الجواب الثاني عن (أم)؛ فهو أنها للاستفهام، وليست مردودة على شيء. قال الفراء: إذا توسط الاستفهام الكلام؛ ابتدئ بالألف ويأم، وإذا لم يسبقه كلام؛ لم يكن يوسط ولا يتأخر، وقام، وأذا لم يسبقه كلام؛ هو يتوسط ولا يتأخر، وقام، استفهام مبتدأ، لا يتوسط ولا يتأخر، وقام، استفهام متوسط، لا يكون إلا بعد كلام. فأما الرسول هاهنا؛ فهو: محمد على والذي سئل موسى من قبل قولهم: ﴿ أَوْنَا اللّه جَهْرَهُ ﴾ [النساء: ١٥٦]. وهل سألوا ذلك نبياً أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم سألوا ذلك، فقالوا: ﴿ فَنَ نُولِهُ مَن الله من بهذه الآية: لعلكم تريدون أن تسألوا محمداً أن يريكم الله جهرة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والكفر: الجحود. والإيمان: التصديق. وقال أبو العالية: المعنى: ومن يتبدل الشدة بالرخاء. وسواء السبيل: وسطه.

﴿وَدَ كَثِيرٌ مِنَ أَمْلِ الكِنَبِ لَوَ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَنِيكُمْ كُفُلَا حَكُمًا مِنْ عِندِ أَنشيهِم مِنْ بَعْدِ مَا لَبَيْنَ لَهُمُ العَثُ فَاعْشُوا وَاصْفَحُوا حَقَّ يَأْنِي اللَّهُ بِأَمْرِيهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى حَمْلِ مَنْ وَقَدِيرٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَ صَحَيْرٌ مِنَ آهُلِ الْكِتَابِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن حيي بن أخطب، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قلمها، فأمر النبي بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك. والثالث: أن نفراً من اليهود دعوا حليفة وعماراً إلى دينهم، فأبيا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى قوده: أحب وتمنى. وأهل الكتاب: اليهود. قال الزجاج: ﴿وَمِنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ موصول: بارود كثير)، لا بقوله: (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه. والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد، فهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة، فإنها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوظ. وحد بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا وقال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْهِمِهِ﴾ قال ابن عباس: فجاء الله بأمره في النضير بالجلاء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبى.

فصل

وقد روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي العالية، وقتادة أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى: وقنيلُوا اللَّيْنَ لا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْبَوْرِ الْآخِرِ وَلا يُمُرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُمُ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ على القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر. ﴿ وَأَقِيمُوا الفَكَلَوْةَ وَمَاثُوا الزَّكُوةَ وَمَا لُتَوْمُوا لِأَنْشِكُمْ مِنْ خَيْرٍ عَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا شَمَلُوتَ بَعِيبِ ﴿ ۞ وَأَقِيمُوا اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّ

﴿ وَقَالُواْ لَنَ يَدَخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَرَونًا تِلْكَ أَمَانِيَّهُمَّ قُلْ هَمَاثُواْ ابْهَنَكُمْ إِن كُنْ شَرْ صَدِيْقِكَ ۖ لَهُ مِنَ أَسَلَمَ وَجَهَمُ لِلَهِ وَهُوَ مُحْسِسٌ لَ فَلَهُۥ أَجْرُمُ عِندَ رَقِدٍ. وَلَا خَوْقُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحَرَّئُونَ ﴿ وَقَالَتِ النَّهَرُكُ لَيْسَتِ الْهَمُودُ عَلَى مَنْ وَمُهُمْ يَنْلُونَ الْكِنَابُ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَمْلُمُونَ مِثْلَ قَرْلِهِمْ فَاللّهُ يَعْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْفِيكُمْ قِيمَ الْفِيكَدَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِمُونَ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَنَ يَدُخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَعَيْرُيَا ﴾ قال ابن عباس: اختصم يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي ﷺ فقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، وكفروا بالتوراة وموسى؛ فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِينُهُمُ ﴾ واعلم أن الكلام في هذه الآية مجمل، ومعناه: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. والهود، جمع: هائد. ﴿تِلْكَ أَمَانِينُهُمُ ﴾ أي: ذاك شيء يتمنونه، وظنّ يظنونه، هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد. ﴿قُلْ هَمَاتُوا بُوَكَنَكُمُ ﴾ أي: حجتكم إن كنتم صادقين بأن الجنة لا يدخلها إلى من كان هوداً أو نصارى. ثم بين تعالى بأنه ليس كما زعموا فقال: ﴿بَلَنَ مَنْ أَسْلَمَ وَجُهَمُ وأسلم، بمعنى: أخلص. وفي الوجه قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العملّ.

قُولُه تعالى: ﴿ وَمُونَ مُسَيِّبٌ ﴾ أي: في عمله؛ ﴿ فَلَلَّهُ ٱبْرُمُهُ ۚ قال الزجاج: يريد: فهو يدخل الجنة.

قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِنَابُ ﴾ أي: كل منهم يتلو كتابه بتصديق ما كفر به، قاله السدي، وقتادة. ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَمْلَمُونَ ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم مشركو العرب قالوا لمحمد وأصحابه: لستم على شيء، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم أمم كانوا قبل اليهود والنصارى، كقوم نوح، وهود، وصالح، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿ نَاللَهُ يَحَكُمُ بَيْنَهُمْ يَرَمُ الْقِيْكَمَةِ ﴾ قال الزجاج: يريد حكم الفصل بينهم، فيريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً على الصواب من الحجج. [ومن يدخل النار عياناً] فأما الحكم بينهم في العقد فقد بينه لهم في الدنيا بما أقام على الصواب من الحجج.

﴿ وَمَنْ أَظْلُمُ مِنَى ثَنَعَ مَسَنِهِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُتُمُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَأَ أُولَتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدُخُلُوهَمَا ۚ إِلَّا خَابِفِيكُ لَهُمْ فِي الدُّنِيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنَنَ ثَمَنَعُ مَسَحِدَ اللهِ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الروم، كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، فخرب وطرحت الجيف فيه، قاله ابن عباس في آخرين، والثاني: أنها في المشركين الذين حالوا بين رسول الله وبين مكة يوم الحديبية، قاله ابن زيد. وفي المراد بخرابها قولان: أحدهما: أنه نقضها، والثاني: منع ذكر الله فيها.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلّا خَامِنِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه إخبار عن أحوالهم بعد ذلك. قال السدي: لا يدخل رومي بيت المقدس إلا وهو خائف أن يضرب عنقه، أو قد أخيف بأداء الجزية. والثاني: أنه خبر في معنى الأمر، تقديره: عليكم بالجد في جهادهم كي لا يدخلها أحدٌ إلا وهو خائف. ﴿ لَهُمْ فِي اللَّهُ يَا خُرْقٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن خزيهم الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: أنه فتح القسطنطينية، قاله السدي. والثالث: أنه طردهم عن المسجد الحرام، فلا يدخله مشرك أبداً ظاهراً، قاله ابن زيد.

﴿ وَلَهُ الشَّرِقُ وَالْغَرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا ثُولُوا فَشَمَّ وَجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عَلِيمٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلَتُو ٱلْمَثْرِقُ وَٱلْمَزْبُ ﴾ في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن الصحابة كانوا مع رسول الله في غزوة في ليلة مظلمة، فلم يعرفوا القبلة، قجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلى، فلما أصبحوا إذا هم على غير القبلة، فذكروا ذلك لرسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. رواه عامر بن ربيعة. والثاني: أنها نزلت في التطوع بالنافلة، قاله ابن عمر. والثالث: أنه لما أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ أَدْعُونِ ٓ أَسْتَحِبُ لُكُو ﴾ [غانر: ٦٠]. قالوا: إلى أين: فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والرابع: أنه لما مات النجاشي، وأمرهم النبي ﷺ بالصلاة عليه؛ قالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة؛ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ فَمَمَّ وَجُهُ اللَّهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: فثم الله، يريد: علمه معكم أين كنتم، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: فثم قبلة الله، قاله عكرمة، ومجاهد. والواسع: الذي وسع غناه مفاقر عباده، ورزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغني.

فصل

وهذه الآية مستعملة الحكم في المجتهد إذا صلى إلى غير القبلة، وفي صلاة المتطوع على الراحلة، والخائف. وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت؛ توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُرُ فَوْلُوا وَبُوهُكُمُ مُطَرِّمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وهذا مروي عن ابن عباس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله: ﴿ فَأَيْنَكَا تُولُوا فَتُمّ وَجُهُ الله ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا؛ دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن.

﴿ وَمَا لُوا الْحَمَٰذَ اللَّهُ وَلَذَا سُمُتَحَنَّةُ بَلِ لَهُ مَا فِي السَّمَكُونِ وَالْأَرْضُ كُلُّ لَمُ قَانِنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَالُوا اعْمَدُ اللهُ وَلَدُا ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله، قالوا: الملائكة بنات الله، ذكره أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي. فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو إبراهيم بن السري، والرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي. فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو في اللغة بمعنيين: أحدهما: القيام، والثاني: الطاعة، والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين؛ فهو قيام بالنية. وقال ابن قتيبة: لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة، لأن جميع الخلال من الصلاة، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها. وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: القيام، قاله الحسن، والربيع، وفي معنى القيام قولان: أحدهما: أنه القيام له بالشهادة بالعبودية. والثاني: أنه القيام بين يديه يوم القيامة. فإن قيل: كيف عم بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه القيام بين يديه يوم القيامة، فإن قيل: كيف عم بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن يكون ظاهرها ظاهر العموم، ومعناها معنى الخصوص. والمعنى: كل أم مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه، وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على ذله للرب. ذكرهن ابن الأنباري.

﴿ بَدِيعُ السَّكَوَبِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَمَنَ آمَرًا فَإِنَّمَا يَعُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَهِمُ السَّكَوَاتِ ﴾ البديع: المبدع، وكل من أنشأ شيئاً لم يسبق إليه قيل له: أبدعت. قال الخطابي: البديم، فعيل بمعنى: مفعل، ومعناه: أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ آثرًا ﴾ قال ابن عباس: معنى القضاء: الإرادة. وقال مقاتل: إذا قضى أمراً في علمه، فإنما يقول له: كن فيكون. والجمهور على ضم نون (فيكون)، بالرفع على القطع. والمعنى: فهو يكون. وقرأ ابن عامر بنصب النون. قال مكي ابن أبي طالب: النصب على الجواب، لكن فيه بعد.

نصل

وقد استدل أصحابنا على قدم القرآن بقوله: ﴿ يُن ﴾ فقالوا: لو كانت «كن المخلوقة؛ لافتقرت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال. فإن قيل: هذا خطاب لمعدوم؛ فالجواب أنه خطاب تكوين يُظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب موجوداً، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه. ويحقق هذا أن ما سيكون متصور للعلم، فضاهى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَمْلَمُونَ لَوْلَا يُكُلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا مَايَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن تَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشْبَهَتْ مُلُويُهُمُّ مَّا بَيْنَا الْآيَتِ لِتَوْمِ بُونِتُوكِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوَلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: النصارى، قاله مجاهد. والثالث: مشركو العرب، قاله قتادة، والسدي عن أشياخه. و(لولا) بمعنى: هلا. وفي ﴿الّذِينَ مِن تَبَلِهِم ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: اليهود والنصارى، قال السدي عن أشياخه. والثالث: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، قاله قتادة. ﴿تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمُ ﴾ أي: في الكفر.

﴿إِنَّا أَرْسَلَنَكَ بِالْعَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلُ عَنْ أَصْمَتِ الْجَمِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلَنَكَ بِالْحَقِّ﴾: في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ قال يوماً: «ليت شعري م فعل أبواي!»؛ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(۱). والثاني: أن النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي المراد (بالحق) هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. قاله ابن عباس. والثاني: الإسلام، قاله ابن كيسان. والثالث: الصدق.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ ثُنتُلُ عَنْ﴾: الأكثرون بضم التاء، على الخبر، والمعنى: لست بمسؤول عن أعمالهم. وقر نافع ويعقوب، بفتح التاء وسكون اللام، على النهي عن السؤال عنهم. وجوز أبو الحسن الأخفش أن يكون معنى هذ القراءة: لا تسأل عنهم فإنهم في أمر عظيم. فيكون ذلك على وجه التعظيم لما هم فيه. فأما الجحيم؛ فقال الفراء الجحيم: النار، والجمر على الجمر. وقال أبو عبيدة: الجحيم: النار المستحكمة المتلظية. وقال الزجاج: الجحيم النار الشديدة الوقود، وقد جحم فلان النار: إذا شدد وقودها، ويقال لعين الأسد: جحمة لشدة توقدها. ويقال لوقوالم الحرب، وهو شدة القتال فيها: جاحم. وقال ابن فارس: الجاحم: المكان الشديد الحر. قال الأعشى:

يُعددون للهيجاء قببل لقائها غداة احتضار البأس والموت جاحم

ولذلك سميت الجحيم. وقال ابن الأنباري: قال أحمد بن عبيد: إنما سميت النار جحيماً، لأنها أكثر وقودها. من قول العرب: جحمت النار أجحمها: إذا أكثرت لها الوقود. قال عمران بن حطان:

يسرى طماعمة الله المهمدي وخملافه المصلالة يصلى أهلها جاحم الجمر

﴿وَلَنَ تَرْمَىٰ عَنكَ ٱلْبَهُودُ وَلَا النَّمَـٰزَىٰ حَتَّى تَنَيِّعَ مِلَتُهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْمُكَنَّ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الّذِى جَآءَكَ مِنَ الْمِلْمُ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِمْ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن رَّحَىٰ عَنكَ ٱلْبَهُودُ وَلَا ٱلنَّمَرُىٰ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف إلى الكعبة يئسوا منه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم دعوه إلى دينهم، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أنهم كانوا يسألونه الهدنة، ويطمعونه في أنه إلا هادنهم وافقوه؛ فنزلت، ذكر معناه الزجاج. قال الزجاج: والملة في اللغة: السنة والطريقة. قال ابن عباس: و(هدى الله) هاهنا: الإسلام. وفي الذي جاءه من العلم أربعة أقوال: أحدها: أنه التحول إلى الكعبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه البيان بأن دين الله الإسلام. والثالث: أنه القرآن. والرابع: العلم بضلالة القوم. ﴿مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِوَ ﴾ ينعك ﴿وَلَا نَصِيمِ ﴾ يمنعك مُن عقوبته.

﴿الَّذِينَ ءَاتَبْنَهُمُ الكِنَبَ يَنْلُونُهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أَوْلَتِكَ يُؤْمِنُونَ بِيُّ وَمِن يَكُفُرُ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ۞ يَبَقَ إِسْمُهِيلَ اذْكُمُوا نِمْمَوْ الَّيَ اَنْمَنْتُ عَلَيْكُرْ وَأَنِّ فَضَلْتُكُرُ عَلَى الْسَلَمِينَ ۞ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَا تَجْرِى نَشَّى عَن نَشْنِ شَيْنَ وَلَا يُشَلِّ مِنَا عَذَلُ وَلَا يَنْفُهُمَا شَعْفَةٌ وَلَا هُمُونُونَ ۞ ﴾ يُصَرُونَ ۞ ۞ وَإِذِ ابْتَكَ إِرَبِهِمَ رَئِمُ بِكِلِنَتُو فَاتَشَهُنَّ قَالَ إِنِّ جَاهِلُكَ النَّاسِ إِمَاثًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَقٍ قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِى الظّلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ۚ الكِنْبَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الذين آمنو

⁽١) رواه ابن جرير في التفسير من طريق موسى بن عبيلة الربذي، وهو ضعيف جداً.

ن اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، قاله عكرمة، وقتادة. وفي الكتاب قولان: حدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: أنه التوراة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ يَتَلُونَهُ حَتَّى تِلاَوَتِينِ ۚ أَي: يعملون به حق عمله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ في هاء «به قولان: أحدهما: أنها تعود على الكتاب. والثاني: على النبي حمد ﷺ، وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَ إِرَبُومَ رَئُهُ بِكَلِنَتِ ﴾ والابتلاء: الاختبار. وفي إبراهيم ست خات: أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية. والثانية: إبراهُم. والثالثة: ابراهُم. والرابعة: إبراهِم، ذكرهن الفراء.

الخامسة: إبراهام، والسادسة: إبرهم، قال عبد المطلب: عسلت بسمسا عساذ بسه إبسرهسم مستقبل الكعبة وهمو قسائسم

المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، ونتف الإبط، الاستطابة بالماء، والختان، رواه طاووس عن ابن عباس. والثاني: أنها عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. التي في الإنسان: حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، والسواك، والغسل من الجنابة، والغسل وم الجمعة. والتي في المشاعر: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حنش بن عبد الله عن ابن عباس. والثالث: أنها المناسك، رواه قتادة عن ابن عباس. والرابع: أنه ابتلاه بالكوكب، الشمس، والقمر، والهجرة، والنار، وذبح ولده والختان، قاله الحسن. والخامس: أنها كل مسألة في القرآن، مثل وله: ﴿ وَرَبُّ لَجْمَلٌ هَذَا الْبَلَّ وَابِيْهِ عَلَهَ } وابراهيم: ٣٠]. ونحو ذلك، قاله مقاتل. فمن قال: هي أفعال فعلها؛ قال: معنى

وفي الكلمات خمسة أقوال: أحدها: أنها خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس؛ فالفرق،

راً: (إبراهيمُ) برفع الميم (ربَّه) بنصب الباء (١٠)، على معنى: اختبر ربه هل يستجيب دعاءه، ويتخذه خليلاً أم لا؟. قوله تعالى: ﴿ فَهَن دُرِّيَّقِ﴾ في الذرية قولان: أحدهما: أنها فعلية من الذر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر. والثاني: أن أصلها ذرُّورة، على وزن: فعلولة، ولكن لما كثر التضعيف أبدل من الراء الأخيرة ياءً، فصارت: روية، ثم أدغمت الواو في الياء، فصارت: ذرية، ذكرهما الزجاج، وصوب الأول. وفي العهد هاهنا سبعة أقوال:

أتمهن: عمل بهن. ومن قال: هي دعوات ومسائل؛ قال: معنى فأتمهن: أجابه الله إليهن. وقد روي عن أبي حنيفة أنه

حدها: أنه الإمامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه الطاعة، رواه لضحاك عن ابن عباس. والثالث: الرحمة، قاله عطاء وعكرمة. والرابع: الدين، قاله أبو العالية. والخامس: النبوة، المدال عن أشياخه. والسادس: الأمان، قاله أبو عبيدة. والسابع: الميثاق، قاله ابن قتيبة. والأول أصح. وفي

لمراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله ابن جبير، والسدي. والثاني: العصاة، قاله عطاء. ﴿ وَإِذْ جَمَلُنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَنْنَا وَالنِّيْدُواْ مِن مَقَامِ إِبْرَهِيْمَ مُصَلِّ وَعَهِدَنَا ۚ إِنَّ إِبْرَهِيْمَ لَلْمَالِهِفِينَ وَالْمَكِفِينَ وَالرُّحَةِ عِ الشَّجُودِ ۗ

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَمَلُنَا ٱلْبَتَ مَثَالَةً لِلنَّاسِ ﴾ البيت هاهنا: الكعبة، والألف واللام تدخل للمعهود، أو للجنس، فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس؛ انصرف إلى المعهود، قال الزجاج: والمثاب والمثابة واحد، كالمقام والمقامة، فال ابن قتيبة: والمثابة: المعاد، من قولك: ثبت إلى كذا، أي: عدت إليه، وثاب إليه جسمه بعد العلة: إذا عاد، فأراد: أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمْنَا﴾ قال ابن عباس: يريد أن من أحدث حدثاً في غيره، ثم لجأ إليه؛ فهو آمن، ولكن ينبغي

المن أشرنا إلى عدم صحة نسبة هذه القراءة وأمثالها إلى أبي حنيفة أحد أثمة المذاهب الأربعة رحمه الله.

القاضي أبو يعلى: وصف البيت بالأمن، والمراد جميع الحرم، كما قال: ﴿ مَثَنّا بَلِغَ ٱلكَثّرَةِ ﴾ [المائذ: ٢٥] والمراد: الحرم كلا لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام، وهذا على طريق الحكم، لا على وجه الخبر فقط. وفي ﴿ مَقَارِ إِبْرِهِمَ كُلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس. والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين. وهو وقد روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير، وهو الأصح. قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّى، فنزلت. وفي سبب وقوف إبراهيم على الحجر قولان: أحدهما: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل، فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل، فأبى، فقالت: فدعني أغسل رأسك، فأتته بحجر فوضع رجله عليه، وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعته وقد غابت رجله فيه، فوضعته تحت الشق الآخر وغسلت، فغابت رجله فيه، فوضعته تحت الشق الآخر وغسلت، وإسماعيل يناوله الحجارة، قاله سعيد بن جبير. قرأ الجمهور، منهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: (واتَّخذوا) بكسر الخاء؛ على الأمر. وقرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء على الخبر. قال ابن زيد: قال النبي على والكسائي: (واتَّخذوا) بكسر الخاء؛ على المقام، فنزلت: ﴿ وَالْخِذُوا لِي مَقَادٍ إِبْرُوتُونَ الله على الخبر. قال النبي يَله المناء على ما أضيف إليه، كأنه قال: وإذ اتخذوا. ويؤكد الفتح في الخاء أن الذي بعده خبر، وهو قوله: وعهدنا.

لأهل مكة أن لا يبايعوه، ولا يطعموه، ولا يسقوه، ولا يؤووه، ولا يكلم حتى يخرج، فإذا خرج؛ أقيم عليه الحد. قال

قوله تعالى: ﴿رَعَهِدْنَاۚ إِنَّ إِبَرِيتِمَ وَإِسْمَعِيلَ﴾ أي: أمرناهما وأوصيناهما. وإسماعيل: اسم أعجمي، وفيه لغتان إسماعيل، و: اسماعين. وأنشدوا:

قال جواري المحيي لما جينا هذا ورب المبيت إسماعينا

قوله تعالى: ﴿ نَ كُلِهُرَا بَيْقٍ ﴾ قال قتادة: يريد من عبادة الأوثان والشرك، وقول الزور. فإن قيل: لم يكن هنالا بيت؛ فما معنى أمرهما بتطهيره ؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه كانت هناك أصنام، فأمرا بإخراجها، قاله عكرمة. والثاني أن معناه: ابنياه مطهراً، قاله السدي. والعاكفون: المقيمون، يقال: عكف يعكِف ويعكُف عكوفاً: إذا أقام، ومنه الاعتكاف. وقد روى ابن عباس عن النبي أنه قال: ﴿إن الله تعالى يُنزل في كل ليلة ويوم، عشرين وماثة رحمة ينزل على هذا البيت: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين، (٢٠).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرِيهِ مُنْ بَسَلَ هَدَا بَلِنَا ءَايِنَا وَازَاقَ أَمْلَتُمْ مِنَ النَّنَرَتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْرِ الْآنِيْزِ قَالَ وَمِن كُفَرَ فَأَمْيَتُهُمْ فَلِيلًا لَّذَ الْمُسَلِّرُهُمْ إِلَىٰ حَدَابِ النَّالِّرِ وَيْمُسَ الْسَمِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرِهِمُ رَبِّ آجُمَلَ هَذَا بَلْنَا عَرِمًا﴾ البلد: صدر القرى، والبالد: المقيم بالبلد، والبلدة: الصدر ووضعت الناقة بلدتها: إذا بركت، والمراد بالبلد هاهنا: مكة. ومعنى (آمناً): ذا أمن. وأمن البلدة مجاز، والمراد أمن من فيه. وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأله الأمن من القتل. والثاني: من الخسف والقذف والثالث: من القحط والجدب. قال مجاهد: قال إبراهيم: لمن آمن، فقال الله على: ومن كفر فسأرزقه.

قوله تعالى: ﴿ أَتُرْتُمُهُ ﴾ وقرأ ابن عامر: (فأمْتِعُه) بالتخفيف، من أمتعت. وقرأ الباقون بالتشديد من: مَتَّعت والإمتاع: إعطاء ما تحصل به المتعة. والمتعة: أخذ الحظ من لذة ما يشتهى. وبماذا يمتعه؟ فيه قولان: أحدهما بالأمن. والثاني: بالرزق. والاضطرار: الإلجاء إلى الشيء، والمصير: ما ينتهي إليه الأمر.

﴿ وَإِذَ يَرْفُعُ إِبَرْهِـثُمُ الْفَوَاءِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَىيِيلُ رَبَّنَا لَقَبَلْ مِثَاً ۚ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْمَلِيدُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَتُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَالِيَتِكَ أَنْ وَابْعَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَالِيَتِكَ وَوَهِيَهُمُ الْكِيدُمُ الْتَجِيمُ الْتَجِيمُ الْتَجِيمُ الْتَجِيمُ الْمَكِيمُ ۞﴾ ويُعْلِمُهُمُ الْكِنْتُ وَالْحِكْمَةَ وَرُوْيُهِمْ إِلَّكَ أَنْتَ الْمَزِيرُ لَلْمَكِيمُ ۞﴾

١) رواه أحمد والبخاري، ولفظ أحمد عن عمر: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت.

⁽٢) رواه الطبراني في االكبير؛ والحاكم في الكني؛ والخطيب في التاريخ؛ والبيهتي في الشعب؛ عن ابن عباس. قال الهيشمي في امجمع الزوائد؛ فو يوسف بن السفر، وهو متروك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْغُمُ إِبْرَهِمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَنِيلُ﴾ القواعد: أساس البيت، واحدها: قاعدة. فأما قواعد لنساء؛ فواحدتها: قاعد، وهي العجوز. ﴿وَرَنَّا نَقَبُلُ مِئَا ۗ أَي: يقولان: ربنا، فحذف ذلك، كقوله: ﴿ وَٱلْلَكَتِكُةُ يَدْخُلُونَ لِنَاءَ فَعَلُ لَلْمَالِغَةَ. فَقُوم مِن كُلُّ بَابِسَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۗ [الرعد: ٢٥]. أراد: يقولون. و(السميع) بمعنى: السامع، لكنه أبلغ، لأن بناء فعيل للمبالغة. الخطابي: ويكون السماع بمعنى القبول والإجابة، كقول النبي ﷺ: "أهوذ بك من دهاء لا يسمعه (١١) أي: لا

الإشارة إلى بناء البيت

روى أنس عن النبي على النبي المعافلة تحج إلى البيت قبل آدم. وقال ابن عباس: لما أهبط آدم؛ قال الله عالى: يا آدم ا اذهب فابن لي بيتاً فطف به، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي. فأقبل يسعى حتى تهي إلى البيت الحرام، وبناه من خمسة أجبل: من لبنان، وطور سيناء، وطور زيتا، والجودي، وحراء، فكان آدم أول ن أسس البيت، وطاف به، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان، فدرس موضع البيت، فبعث الله إبراهيم إسماعيل. وقال علي ابن أبي طالب على الله تعالى إبراهيم ببناء البيت؛ ضاق به ذرعاً، ولم يدر كيف صنع، فأنزل الله عليه كهيئة السحابة، فيها رأس يتكلم، فقال: يا إبراهيم! علم على ظلي، فلما علم ارتفعت. وفي واية أنه كان يبني عليها كل يوم، قال: وحفر إبراهيم من تحت السكينة، فأبدى عن قواعد، ما تحرك القاعدة منها دون الاثين رجلاً. فلما بلغ موضع الحجر، قال الإسماعيل: النمس لي حجراً، فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، فلما جاء إسماعيل، قال: من جاءك بهذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك. وقال السدي: لما أمره الله ببناء بن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية: رفعا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك. وقال السدي: لما أمره الله ببناء ببيت؛ لم يدر أين يبني، فبعث الله له ريحاً، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل ببيت؛ لم يدر أين يبني، فبعث الله له ريحاً، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا وَاجْمَلُنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الزجاج: المسلم في اللغة: الذي قد استسلم لأمر الله، وخضع. المناسك: المتعبدات. فكل متعبد منسك ومنسك، ومنه قيل للعابد: ناسك. وتسمى الذبيحة المتقرب بها إلى الله ﷺ: نسيكة. وكأن الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكُنا﴾ أي: مذابحنا. قاله مجاهد. وقال غيره: هي جميع أفعال الحج. وقرأ ابن كثير: وأرثنا) بجزم الراء. و﴿ رَبُّ أُدِفِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. و﴿ أَرْنَا ٱلْذَيْنِ أَضَلَانُهُ [نصلت: ٢٩]. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي أرنا) بكسر الراء في جميع ذلك. وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر كذلك، إلا أنهما أسكنا الراء من (أرثا اللذين) حدها. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: (أرنا) وكثير من العرب يجزم الراء، فيقول: (أرنا مناسكنا) وقرأ بها بعض عثات. وأنشد بعضهم:

قالت سليمى اشتر لنا دقيقاً واشتر فعجل خادماً لبيقا وأنشدني الكسائي:

ومسن يستق فسإن الله مسعسه ورزق الله مسيؤتساب وغسادي

قال قتادة: أراهما الله مناسكهما: الموقف بعرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، والطواف، والسعي. قال أبو مجلز: لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف، ثم أتى به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، أخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعاً، وقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم في به جمرة الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات، فقال: ارم

^() وواه مسلم عن زيد بن أرقم بلفظ: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينقع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به الجمرة القصوى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات. فقال أد ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، ثم أتى به منى، فقال: هاهنا يحلق الناس، ثم أتى به عرفة، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثم أتى به عرفة، فقال أعرفت؟ قال: فمن ثم سميت عرفات.

قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا وَابَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِتَهُمْ ﴾ في الهاء والميم من (فيهم) قولان: أحدهما: أنها تعود على الذرية واله مقاتل والفراء. والثاني: على أهل مكة في قوله: ﴿وَالَنُهُ أَهَلَهُ والمراد بالرسول: محمد ﷺ. وقد روى أبو أمام عن النبي ﷺ أنه قيل: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام (١٠). والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة، قاله ابن عباس. وروي عنه: الحكمة: الفة والحلال والحرام، ونواعظ القرآن. وسميت الحكمة حكمة، لأنها تمنع من الجهل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرُزِكِهِمُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباسر والفراء. والثاني: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: يدعوهم إلى ما يصيرون به أزكياء

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنَتَ الْمَزِيرُ ﴾ قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى الغلبة يقولون: من عز بزَّ. أي: من غلب سلب. يقال منه: عزَّ يعُزُّ، بضم العين من يعز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَنَّفِ إِلَّ لَلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٨]. والثاني: بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عز يعَزُّ، بفتح العين من يعز. والثالث: أن يكون بمعنى الفاسة القدر، يقال منه: عز يعزّ بكسر العين من يعز. ويتناول معنى العزيز على أنه الذي لا يعادله شيء، ولا مثل له.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبَرِهِـنَدَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَلُمْ وَلَقَدِ اصْطَلَنَيْنَهُ فِي الدُّنِيَّآ وَإِلَّهُ فِي الآثِيَّرَةِ لَينَ الصَّلَطِينَ ۞ وَوَمَّىٰ بِهَاۚ إِبْرِهِـثُمُ بَنِيهِ وَيَعْتُونُ يَبَنِئَ إِنَّ اللّهَ اصْطَلَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنشُد تُسْلِمُونَ ۞﴾ قال أَشْلَمْتُ لِرَبِّ الْمَنْلَمِينَ ۞ وَوَمِّىٰ بِهَاۤ إِبْرِهِـثُمْ بَنِيهِ وَيَعْتُونُ يَبَنِئَ إِنَّ اللّهَ اصْطَلَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنشُد تُسْلِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبَرِهِتمَ ﴾ سبب نزولها أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمة إلم الإسلام، فأسلم الله عنه الرسلام، فأسلم النهاء وهمن النهاء الفظها لفظها لفظها المنهاء، ومعناها التقرير والتوبيخ. والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. ويقال: رغبت في الشيء إذا أردته. ورغبت عنه: إذا تركته. وملة إبراهيم: دينه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَنِهُ نَنْسَمُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: إلا من سفّه نفسه، قاله الأخفش أأ ويونس قال يونس: ولذلك تعدى إلى النفس فنصبها، وقال الأخفش: نصبت النفس لإسقاط حرف الجر، لأن المعنى: إلا مر سفه في نفسه. قال الشاعر:

نعالي السحم للأضياف نبيشا ونسرخسصه إذا نسضج السقدور

والثاني: إلا من أهلك نفسه، قاله أبو عبيدة. والثالث: إلا من سفهت نفسُه، كما يقال: غبن فلان رأيه، وهذ مذهب الفراء وابن قتيبة. قال الفراء: نقل الفعل عن النفس إلى ضمير "من»، ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير، كه يقال: ضقت بالأمر ذرعاً، يريدون: ضاق ذرعي به، ومثله: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَكِيْبًا﴾ [مريم: ١٤]. والرابع: إلا من جها نفسه، فلم يفكر فيها، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَينَ ٱلْفَسُلِحِينَ﴾ قال ابن الأنباري: لمن الصالحي الحال عند الله تعالى. وقاا الزجاج: الصالح في الآخرة: الفائز،

قوله تعالى: ﴿ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ ۚ أَسَلِمٌ ﴾ وذلك حين وقوع الاصطفاء، قال ابن عباس: لما رأى الكوكب والقم والشمس، قال له ربه: أسلم، أي: أخلص،

 ⁽١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد في (المسند) عن أبي أمامة، وفي سنده الفرج بن فضالة، وهو ضعيف، وجاه الحديث بمعناه في (مسند أحمد) عا العرباض بن سارية، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر.

⁽٢) نقل القرطبي في التفسير؛ عن الأخفش في معنى (سفه نفسه) أنه فعل بها من السفه ما صار به سفيهاً. وعنه أيضاً: هي لغة، بمعنى سفّه.

نهم ثمانية.

صحفا أهل المدينة وأهل العراق في اثني عشر حرفاً: كتب أهل المدينة: (وأوصى) وأهل العراق: (ووضى) وكتب أهل المدينة: ﴿ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مِنْ رَبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. بغير واو، وأهل العراق: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مِنْ رَبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. بغير واو، وأهل العراق: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مِنْ رَبِكُمْ ﴾ [آلمانية: ١٥٥]. للمدينة: ﴿ وَالله العراق: (ويقول) وكتب أهل المدينة: ﴿ وَمَن يَرْتَلِوْ ﴾ [المانية: ١٥٥]. أهل العراق (والذين) وكتب أهل العراق: (من يرتد) وكتب أهل العدينة: ﴿ فَيَتُوكُلُ عَلَى العَزِيزِ المَّذِيزِ المَدينة: ﴿ وَالله العراق (والذين) وكتب للرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٧١]. وأهل العراق: (وتوكل) وكتب أهل المدينة: ﴿ وَأَنَ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [المدينة عن العراق: (أو أن يظهر) وكتب أهل المدينة في ﴿ حم عسق ٤: ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم ﴾ بغير فاء، وأهل العراق: أبما وكتب أهل المدينة ﴿ وَمَا لَشتهي وكتب أهل المدينة ؛ ﴿ وَمَا لَسَتُهِي وَكُتب أهل المدينة ؛ ﴿ وَمَا لَسُتُهِي وَكُتب أهل المدينة ؛ ﴿ وَمَا العراق: (أن الله هو الغني الحميد) وكتب أهل المدينة ؛ ﴿ فَلَا يَخُافُ المَدِينة ؛ وأهل العراق (ولا يخاف). ووصّى أبلغ من أوصى، لأنها تكون لمرات كثيرة، وهاء ﴿ بها عود في مقاتل عراها ألمانية والمائية والم

قوله تعالى: ﴿وَوَصِّىٰ﴾ قرأ ابن عباس وأهل المدينة: (وأوصى) بألف، مع تخفيف الصاد، والباقون بغير ألف شددة الصاد، وهذا لاختلاف المصاحف. أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا ثابت، قال: أخبرنا ابن قشيش، قال: خبرنا ابن حيَّويه، قال: حدثنا ابن الأنبارى، قال: أخبرنا ثعلب، قال: أملى علىّ خلف بن هشام البزار قال: اختلف

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُونُنَّ إِلَّا وَأَنتُم شُمْلِمُونَ﴾ يريد: الزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

﴿أَمْ كُشُتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَمْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَشَبُدُونَ مِنْ بَسْدِى قَالُواْ نَشِدُدُ إِلَىٰهَاتَ وَإِلَنَهُ ءَابَآبِكَ إِنَرِهِمَ وَإِسْتَنِيلَ إِسْحَقَ إِلَهَا وَبِيدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﷺ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبُثُمْ وَلَا ثَنْتَلُونَ عَمَّا كَافُواْ يَسْتَلُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآةً إِذْ حَضَرَ يَمْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أن مقوب أوصى بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ يَلْكَ أُمَّةً فَدَّ خَلَتْ ﴾ أي: مضت، يشير إلى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه.

﴿وَقَالُوا حَكُولُوا هُودًا أَوْ تَمَكَّرَىٰ تَبْنَدُواً ثُلْ بَلْ مِلَةَ إِبَرِيهِ خَيِيثًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُوا ءَامَكَا بِاللّهِ وَيَا أُولِ إِلَيْنَا بَمَا أُولِ إِلَّهِ إِبَرِيهِ مَا وَاسْتَحَقَ وَيَشْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُولِيَ سُومَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُولِىَ ٱلْقِيْتُونَ مِن رَبِّهِدُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَخَدٍ مِنْهُمْدُ يَحَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَكُونُوا هُودًا﴾ معناه: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، تهتدوا. (بَلْ مِلَةً إِنَهِصَرَ صَنِينًا ﴾ المعنى: بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته. وفي الحنيف قولان: أحدهما: أنه المائل إلى عبادة. قال الزجاج: الحنيف في اللغة: المائل إلى الشيء، أخذ من قولهم: رجل أجنف، وهو الذي تميل قدماه كل احدة منهما إلى أختها بأصابعها. قالت أم الأحنف ترقصه:

والله لسولًا حَسنسفٌ بسرجسلسه ودِقسة فسي سساقسه مسن هسزلسه مساكسة مسن مستسلسه

والثاني: أنه المستقيم، ومنه قيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلى السلامة، هذا قول ابن قتيبة. وقد وصف لمفسرون الحنيف بأوصاف، فقال عطاء: هو المخلص، وقال ابن السائب: هو الذي يحج. وقال غيرهما: هو الذي وحد ويحج، ويضحي ويختن، ويستقبل الكعبة. فأما الأسباط: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً. قال لزجاج: السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجرة لها قبائل، فالسبط: الذين من شجرة واحدة.

. ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِدٍ. فَقَدِ الْمُنْدَوَأْ وَإِن لَزَّازًا فَإِنَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبَنْبِكُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّنِيعُ السَّلِيمُ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ءَامَنُوا ﴾ يعني: أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ بِمِنْلِ مَا مَامَنتُم بِهِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحلها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿ وَهُوْنِى إِلَيْكِ بِهِذْعِ ٱلنَّغْلَةِ ﴾ [مريم: ٢٤]. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المراد بالمثل هاهنا: الكتاب، وتقديره: فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم، قاله أبو معاذ النحوي. والثالث: أن المثل هاهنا: صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به. ومثله قوله: ﴿ لَيْسَ كَمُ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ الللللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ الللللَّالَّةُ اللللَّالَّةُ اللَّهُ اللَّلْمُ الللللللَّالَّا اللللَّالَّاللَّا

يا عاذلي دعني من عندلكا

أي: أنا لا أقبل منك، فأما الشقاق؛ فهو المشاقة والعداوة، ومنه قولهم: فلان قد شق عصا المسلمين، يريدون: فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع إمامهم، فكأنه صار في شق غير شقهم.

قوله تعالى: ﴿نُسَبِّمُنِكُمُمُ اللَّهُ ﴾ هذا ضمان لنصر النبي ﷺ.

﴿ مِسْبَغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ مِسْبَغَةٌ وَتَحْنُ لَمُ عَبِدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ سِبْفَةَ اللّهِ ﴾ سبب نزولها أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمودية، ليطهروه بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك؛ قالوا: صاو نصرانياً حقاً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال ابن مسعود وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والنخعي، وابن زيد: ﴿ سِبْفَةَ اللهِ ﴾ [نصب] مردودة على الملة (١٠). وقرأ ابن عبلة: (صبغة الله) بالرف على معنى: هذه صبغة الله. وكذلك قرأ: (ملة إبراهيم) بالرفع أيضاً على معنى: هذه ملة إبراهيم. قال ابن قتيبة: المراه بصبغة الله: الختان، فسماه صبغة، لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء [ويقولون: هذا طهرة لهم، كالختان للحنفاء] فقال الله تعالى: ﴿ سِبْفَةَ اللهِ اللهِ على الإنسان، كظهور الصبغ على الثوب.

﴿ قُلْ أَنْحَاجُونَنَا فِي اللَّهِ وَلَهُو رَبُّنَا وَرَبُّكُم وَلَنَا آغَمَلُنَا وَلَكُمْ أَغَمَلُكُمْ وَغَنُّ لَمُ مُخْلِصُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَتُمَا تُونَكَا فِي اللّهِ ﴾ قال ابن عباس: يريد: يهود المدينة، ونصارى نجران. والمحاجة: المخاصمة في الدين، فإن اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظاهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنك موحدون، ونحن نوحد، فلم ظاهرتم من لا يوحد؟!

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا آغَمَالُنَا وَلَكُمُ أَغْمَالُكُمْ ﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآيا السيف.

﴿ وَأَمْ نَتُولُونَ إِنَّ إِرَاهِمَةِ وَإِسْتَنِيلَ وَإِسْخَوْحَ وَيَشْتُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَدَرُكُ قُلْ ءَأَشُمْ أَعَلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظُلُمُ مِتَّا كَتَدَ شَهَكَدَةً عِندَمُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَنِيلِ عَمَّا تَشَكُّرُنَ ۞ قِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَمَا مَا كَسَبَثُ وَلَكُمُ مَا كَسَبْثُمْ وَلَا نُسْتَكُونَ عَمَّ كَانُوا يَسْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَهِ عَرَ وَإِسْتَخِيلَ. ﴾ الآية. سبب نزولها أن يهود المدينة، ونصارى نجران قالو للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا على ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن الأعراضين الأنبياء، ولا أحد أعلم به منه. قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو: (أم يقولون بالياء على وجه الخبر عن اليهود. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: (تقولون) بالتاء لأن قبله مخاطبة، وهي ﴿أَنْهُمَا مُجْوَلُونُ بالتاء لأن قبله مخاطبة، وهي ﴿أَنْهُمَا مُؤْلُونُ مَاتُمُ أَقَلُمُ ﴾. وفي الشهادة التي كتموها قولان: أحدهما: أن الله تعالى شها عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتموها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم. والثاني: أنهم كتمو الإسلام، وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبئ دينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقتادة.

⁽١) يريد أنها بدل من (ملة إبراهيم).

ولا سيتول الشّنها من النّاس ما ولّنهم عن فِلنّهم اللّي كافًا عليها قل يتو المشرق والمنفرة يتهدى من يتناه إلى مرط شستقيم الله ومجاهد، وولم تعلى: فرسيتول الشّنها من والنالق الشّنها من والنالق الشنهاء الله البراء بن عازب، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والثاني: أنهم أهل مكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، ذكره السدي عن بن مسعود، وابن عباس. وقد يمكن أن يكون الكل قالوا ذلك، والآية نزلت بعد تحويل القبلة. والسفهاء: الجهلة. ما لاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم: يريد: قبلة المقدس. واختلف العلماء في مدة صلاة النبي الله الله المهدس بعد للمومه إلى المدينة على ستة أقوال: أحدها: أنه ستة عشر شهراً، أو سبعة عشو، قاله البراء بن عازب. والثاني: سبعة مشر شهراً، قاله معاذ بن جبل. والرابع: تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، قاله نس بن مالك. والخامس: ستة عشر شهراً، والسادس: ثمانية عشر شهراً، روي القولان عن قتادة. وهل كان استقباله لى بيت المقدس برأيه، أو عن وحي؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان بأمر الله تعالى ووحيه، قاله ابن عباس وابن بحريج. والثاني: أنه كان باجتهاده ورأيه، قاله الحسن، وأبو العالية، وعكرمة، والربيع. وقال قتادة: كان الناس توجهون إلى أي جهة شاؤوا بقوله: ﴿ وَلِلّهِ المُشْرَقُ وَلَلْمُورُ فَي البَعْرِ المناسية المفسرين. والثاني: المقدس ولان: أحدهما: ليتألف أهل الكتاب، ذكره بعض المفسرين. والثاني: لامتحان العرب بغير ما لفوه، قاله الزجاج.

﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلَتَكُمْ أَمَنَهُ وَسَطّا لِنَصَحُولُا شُهَدَآءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَمَلُنَ الْنِبَلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا يَعْمَ النَّبِيّ جَمَلُنَكُمْ أَنَكُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُخْبِيعُ إِيمَنْكُمْ إِلَى اللّهَ الْغِيمُ مَن يَظِيمُ عَلَى عَلِيْبُهُ وَإِن كَانَتُ لَكِيرَةً إِلّا عَلَى الْذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُخْبِيعُ إِيمَنْكُمْ إِلَى اللّهَ الْكِيمِ وَمُؤْفِقُ نَجِيمٌ ﴾ الكاس لرَهُونُ نَجِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَاكِ مَمَلَنَكُمُ أَمَةً وَسَطّا﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا: قبلتنا قبلة الأنبياء، ونحن عدلٌ بين لناس، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. والأمة: الجماعة. والوسط: العدل، قاله ابن عباس، وأبو سعيد، ومجاهد، وتادة، وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل، الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَلُمُ ﴾ [التلم: ٢٨]. أي: أعدلهم، وخيرهم. ال الشاعر:

هم وسط يسرضى الأنبام يسحكمهم إذا نيزلت إحدى السيالسي يسمُعْبطُم

وأصل ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان. وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في لفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء، وبدلوا كتاب الله، ولم يغلوا كالنصارى، فإنهم عموا أن عيسى ابن الله. وقال أبو سليمان الدمشقي: في هذا الكلام محذوف، ومعناه: جعلت قبلتكم وسطاً بين لقبلين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما.

قوله تعالى: ﴿ لِلْكُونُوا شُهُدَآءَ عَلَ النّاسِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: لتشهدوا للأنبياء على أممهم. روى أبو سعد الخدري عن النبي أنه قال: ﴿ يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي معه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلّغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ ال: محمد وأمته؛ فيشهدون أن الرسل قد بلّغوا، فيقال: ما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلّغوا، فصدقناه، فلك قوله: ﴿ لِنَكُونُوا شُهُدَآة عَلَ النّاسِ ﴾ (١) وهذا مذهب عكرمة، وقتادة. والثاني: أن معناه: لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُهُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ يعني: محمداً ﷺ. ويماذا يشهد عليهم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعمالهم، قاله ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وابن زيد. والثاني: بتبليغهم الرسالة، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إيمانهم، قاله أبو العالية. فيكون على هذا «عليكم» بمعنى: لكم. قال عكرمة: لا يسأل عن هذه الأمة إلا نبيها.

ملى الأمم: اليهود والنصاري والمجوس، قاله مجاهد.

١) رواه أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

. قولهِ تعالى: ﴿وَمَا جَمَلُنَا الْقِبْلَةَ الْتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ يريد: قبلة بيت المقدس. ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنرى. والثاني: لنميز. رُويا عن ابن عباس. والثالث: لنعلمه واقعاً، إذ علمه قديم، قاله جماعة من أهل التفسير، وهو يرجع إلى قول ابن عباس: «لنرى». والرابع: أن العلم راجع إلى المخاطبين، والمعنى: لتعلموا أنتم، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿مِنَّن يَنْقَلِتُ عَلَىٰ عَقِبَيَّةً﴾ أي: يرجع إلى الكفر، قاله ابن زيد، ومقاتل. ﴿

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتُ لَكِيدَةً﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنه التولية إلى الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها قبلة بيت المقدس قبل التحول عنها، قاله أبو العالية، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِمُعْنِمِعَ إِيمَنتَكُمُ إِنْ على سبب؛ وهو أن المسلمين قالوا: يا رسول الله! أرأيت إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟! فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْنِمِعَ إِيمَنتَكُمُ ﴾ (١) والإيمان المذكور هاهنا أريد به: الصلاة في قول الجماعة. وقيل: إنما سمى الصلاة إيماناً، لاشتمالها على قول ونية وعمل. قال الفراء: وإنما أسند الإيمان إلى الأحياء [من المؤمنين] والمعنى: فيمن مات [من المسلمين قبل أن تحول القبلة] لأنهم داخلون معهم في الملة.

قوله تعالى: ﴿ لَرُوفَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (لرؤوف) على وزن: لرعوف، في جميع القرآن، ووجهها: أن فعولاً أكثر في كلامهم من فعل، فباب ضروب وشكور، أوسع من باب حذر ويقظ. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: (لرؤف) على وزن: رَعُفِ. ويقال: هو الغالب على أهل الحجاز. قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقناً كفعل البوالد البروي

والرؤوف بمعنى: الرحيم، هذا قول الزجاج. وذكر الخطابي عن بعض أهل العلم أن الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها. قال: ويقال: الرأفة أخص، والرحمة أعم.

﴿ وَقَدْ زَىٰ نَعَلَٰتِ وَجْهِكَ فِي السَّمَالَةِ فَلَنُولِيَنَكَ قِبْلَةً زَمَنَهَا ۚ فَوَلِ وَجُهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَاذِ وَجَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُوا وُجُومَكُمُ مُطَرَّةً وَإِنَّ الَّذِينَ أُولُوا الْكِنَبَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمُ وَمَا اللَّهُ مِتَنِلٍ عَمَّا يَشْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَدْ رَى تَعَلَّى وَجُهِكَ فِي السَّمَاءُ ﴾ سبب نزولها أن النبي الله كان يحب أن يوجه إلى الكعبة، قاله البراء، وابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالمية، وقتادة. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى: ﴿سَيَعُولُ السُّمَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة على بيت المقدس على قولين: أحدهما: أنها كانت قبلة إبراهيم، روي عن ابن عباس. والثاني: لمخالفة اليهود، قاله مجاهد. ومعنى تقلب وجهه: نظره إليها يميناً وشمالاً. وقفي بمعنى قالى، وقترضاها بمعنى: «تحبها». وقالشطر»: النحو من غير خلاف. قال ابن عمر: أتى الناس آت وهم في صلاة الصبح بقباء، ققال: إن رسول الله قلة قد أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها [وكانت وجوههم إلى الشام] فاستداروا وهم في صلاتهم (٢)

فصل

اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة، قاله البراء بن عازب، ومعقل بن يسار. والثاني: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة، قاله قتادة. والثالث: أنها حولت في جمادى الآخرة، حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحربي. وفي ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ ﴾ قولان: أحدهما: اليهود، قاله مقاتل. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

⁽١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

 ⁽۲) رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» ولفظه: عن ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل
 عليه الليلة فرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.

قوله تعالى: ﴿لَيَمْلُونَ أَنَّهُ الْحَقُ ﴾ يشير إلى ما أمر به من التوجه إلى الكعبة، ثم توعدهم بباقي الآية على كتمانهم ما علموا. ومن أين علموا أنه الحق؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن في كتابهم الأمر بالتوجه إليها، قاله أبو العالية. والثاني: يعلمون أن المسجد الحرام قبلة إبراهيم. والثالث: أن في كتابهم أن محمداً رسول صادق، فلا يأمر إلا بحق. والرابع: أنهم يعلمون جواز النسخ.

﴿ وَلَهِنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُرِثُوا الْكِئَبَ بِكُلِ ءَابَةِ مَا تَبِعُوا فِلْلَتَكُ وَمَا أَتَ بِسَابِعِ فِلْلَهُمْ وَمَا بَشَنُهُم بِسَابِعِ فِبَلَةً بَعْوِنُ وَلَهِنِ الْخَبَعْتُ ۖ الْمُؤَاءَمُم فِنْ بَشَدِ مَا جَسَانَةَ مِنَ الْوَلَمِنِ اللَّهِ إِنَّاكُ إِذَا لَيْنَ الظَّلِيدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهِنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُرقُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ سبب نزولها أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للنبي: اثننا بآية كما أتى الأنبياء قبلك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَا تَبِمُوا قِلْتَكَأَى يريد: الكعبة ﴿وَمَا بَمْشُهُم بِتَاجِ قِسْلَةً بَعْضَ ﴾ لأن اليهود يصلون قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق ﴿وَلَهِنِ اتَّبَعْتَ أَمْرَآءَهُم ﴾ فصليت إلى قبلتهم ﴿قِنْ بَسْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْمِلْمِ ﴾ قال مقاتل: يريد بالعلم: البيان.

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِنَابَ يَمْرِفُونَهُ كَمَا يَمْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمٌّ وَلِذَ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكَشُمُونَ الْعَقَّ وَهُمْ يَسْلَمُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ مَاتَيْنَكُمُ الْكِنَبَ يَمْرِقُونَكُمُ ﴾ في هاء اليعرفونه، قولان: أحلهما: أنها تعود على النبي ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: تعود على صرفه إلى الكعبة، قاله أبو العالية، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وروي عن ابن عباس أيضاً. وفي الحق الذي كتموه قولان: أحلهما: أنه النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: أنه التوجه إلى الكعبة، قاله السدي، رمقاتل في آخرين. وفي قوله: ﴿وَهُمْ يَمْلُونَ ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنه حق. والثاني: وهم يعلمون ما على مخالفه من العقاب.

﴿الْحَقُّ مِن زَنِكُ فَلَا تَكُونَةً مِنَ الْمُسْتَرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّنِكُ ﴾ قال الزجاج: أي: هذا الحق من ربك. والممترون: الشاكُون، والخطاب عام. ﴿وَلِكُلِّ رِجْهَةً هُوَ مُولَيْمٌ فَآسَنَيْقُوا الْخَيْرَتُ آيَنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيتًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجُهَةً﴾ أي: لكل أهل دين وجهة. المراد بالوجهة: القبلة، قاله ابن عباس في آخرين. قال الزجاج: يقال: جهة، ووجهة. وفي «هو» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: الله مولّيها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها، والثاني: ترجع إلى المتولي، فالمعنى: هو موليها نفسه، فيكون «هو» ضمير كل. والثالث: يرجع إلى البيت، قال مجاهد: أمر كل قوم أن يصلّوا إلى الكعبة. والجمهور يقرؤون: (مولّيها)، وقرأ ابن عامر، والوليد عن يعقوب: «هو مولاها» بألف بعد اللام، فضمير «هو» لكل، ومعنى القراءتين متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَبِعُواْ الْخَيْرَةِ ﴾ أي: بادروها. وقال قتادة: لا تغلبوا على قبلتكم، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُّ اللّهُ جَيِيمًا ﴾ قال ابن عباس وغيره: هذا في يوم القيامة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ فَوْلِ وَجَهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ الْعَرَادِّ وَإِنَّهُ لَلْعَقُّ مِن رَبِّكُ وَمَا اللهُ بِنَنفِلِ عَنَا مَسْلُونَ ۞ وَمِنْ حَبْثُ خَرَجْتَ فَوْلِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْعَرَادِ وَحَبْثُ مَا كُشُرُ فَوْلُوا رُمُوهَكُمْ شَطْرَةٌ لِئَلًا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً إِلَّا الَّذِينَ طَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ وَلِأْدِمَ فِيْمَتِي عَلَيْكُرُ وَلَمَلَكُمْ تَهْنَدُونَ ۞﴾

فأما إعادة قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجَّهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِّ﴾ فإنه تكرير تأكيد، ليحسم طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين أبداً إلى قبلتهم.

قوله تعالى: ﴿لِئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ في الناس قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل. والثاني: مشركو العرب، رواه السدي عن أشياخه. فمن قال بالأول؛ قال: احتجاج أهل الكتاب أنهم قالوا للنبي: مالك تركت قبلة بيت المقدس؟! إن كانت ضلالة؛ فقد دِنت بها الله، وإن كانت هدى؛ فقد نقلت عنها. وقال قتادة: قالوا: استاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه. ومن قال بالثاني؛ قال: احتجاج المشركين أنهم قالوا: قد رجع إلى قبلتكم، ويوشك أن يعود إلى دينكم. وتسمية باطلهم حجة على وجه الحكاية عن المحتج به، كقوله تعالى:

﴿ جُنَّهُمْ دَاحِضَةً عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ١٦]. وقوله: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْمِلْمِ ﴾ [غانر: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظُلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم باحتجاجه فيما قد وضح له، كما تقول: ما لك عليَّ حجة إلا الظلم، أي: إلا أن تظلمني. أي: ما لك عليّ البتة، ولكنك تظلمني. قال ابن عباس: ﴿فَلا غَشْوَهُمْ ﴾ في انصرافكم إلى الكعبة ﴿وَالْخَشَوْنِ ﴾ في تركها.

﴿كُنَّا أَرْسَلْنَا فِيحُمْ رَسُولًا مِنْحُمْ يَسْلُوا عَلِيَكُمْ مَاكِنِنَا وَيُرْتِكِحُمْ وَتُسْلِمُكُمُ الْكِنْبَ وَالْلِحْمَةُ وَيُسْلِمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا مَشْكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿كُمَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ قال الزجاج: «كما» لا تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، والأجود أن تكون معلقة بقوله: ﴿فَاتَّارُلُونَ﴾ وقد روي معناه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والآية خطاب لمشركي العرب. وفي قوله: ﴿وَرُنَّكُهِمُ ﴾ ثلاثة أقوال، قد سبق ذكرها في قصة إبراهيم. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة.

﴿ مَا تَرُونِ ٱذَكُرَكُمْ وَاضْكُرُوا لِي وَلَا تَكُفُرُونِ ﴿ اللَّهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَا أَذُكُونَ ﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكرُكم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي. قال: فإن قيل: كيف يكون جواب: ﴿ كُمَّا أَرْسَلْنَا﴾: ﴿ فَالْأَكُونَ ﴾؟ فإن قوله: ﴿ فَالْأَكُونَ ﴾؟ فإن قوله: ﴿ فَالْأَكُونَ ﴾ أمر. وقوله: ﴿ أَذَكُرُكُمْ ﴾ جزاؤه؛ فالجواب: أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قوله تعالى: ﴿ وَالشَّكُولَا لِي ﴾ الشكر: الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه.

﴿ يَكَأَنُّهَا الَّذِينَ مَامَثُوا اسْتَعِينُوا بِالشَّبْرِ وَالصَّلَوْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ السَّدِينَ ١

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَثُوا اَسْتَعِيثُوا بِالنَّبَرِ وَالسَّلَاقَ ﴾ سبب نزولها أن المشركين قالوا: سيرجع محمد إلى ديننا، كما رجع إلى قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال ابن عباس: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة، وقد سبق الكلام في الصبر، وبيان الاستعانة به وبالصلاة.

﴿ وَلَا نَفُولُوا لِمَن بُمُنَّالُ فِي سَهِيلِ اللَّهِ أَنْوَتْنا بَنِ أَنْيَاتُ وَلَكِن لَا تَشْعُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ نَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَنَوْتُهُ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد: مات فلان ببدر، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات بإضمار مكني من أسمائهم، أي: لا تقولوا: هم أموات، ذكر نحوه الفراء. فإن قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي؟ فالجواب أن المعنى: لا تقولوا: هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في المجنة (۱)، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: أليس جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم؟ فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومآكلها، وغيرهم منعم بما دون ذلك، ذكره ابن جرير الطبري.

﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِنَيْءٍ مِنَ لَمُنْوَدِ وَالْجُرِعِ وَنَقْمِنِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُينِ وَالشَّمَرُبُّ وَيَشِرِ الصَّدِيرِيَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَسَنَبَتْهُم شُمِيبَةٌ قَالْرًا إِنَّا يَدِ وَائِنَا إِلَيْهِ رَبِيعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُونَكُم بِثَى وَمِنَ لَلْوَفِ وَالْجُوعِ وَلَقَصِ مِنَ ٱلْأَتُولِ﴾ قال الفراء: «من» تدل على أن لكل صنف منها شيئاً مضمراً، فتقديره: بشيء من الخوف، وشيء من الجوع، وشيء من نقص الأموال. وفيمن أريد في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب النبي خاصة، قاله عطاء. والثاني: أنهم أهل مكة. والثالث: أن هذا يكون في آخر الزمان. قال كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة. والرابع: أن الآية على عمومها. فأما الخوف؛ فقال ابن عباس: وهو الفزع في القتال. والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين. ونقص من الأموال: فقال ابن عباس والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والثمرات لم تخرج كما كانت تخرج. وحكى أبو سليمان الدمشقي عن بعض أهل العلم: أن الخوف في الجهاد، والجوع في فرض الصوم، ونقص الأموال: ما فرض فيها من

⁽١) جاء ني صحيح مسلم قأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت...؟ الحديث.

الزكاة والحج، ونحو ذلك. والأنفس: ما يستشهد منها في القتال، والثمرات: ما فرض فيها من الصدقات. ﴿وَيَشِيرِ العَمْيرِينَ ﴾ على هذه البلاوي بالجنة. واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم ليوطنوا أنفسهم على الصبر، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع. ﴿وَالْوَا إِنَّا يَدِهِ ﴾ يريدون: نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿وَلِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴾ يريدون: نحن مقرّون بالبعث والجزاء على أعمالنا، والثواب على صبرنا. قال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم ﴿الَّذِينَ إِذَا آصَبَتُهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا يَدِّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهُم صَلَوَتُ مِن رَبِهِمْ وَرَجْمَةً ﴾. ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب، ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَكَأْسَنَ عَلَى يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ١٤] قال الفراء: وللعرب في المصيبة ثلاث لغات: مصيبة، ومصابة، ومصوبة، زعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقول: جبر الله مصوبتك.

﴿ أُولَتِهِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوْتُ مِن رَّبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِكَ مُمُ الْمُهْتَدُونَ ۞﴾

﴿ ﴾ إِنَّ الشَّمَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْثَ أَوِ اعْتَكَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطْلُوك بِهِمَّا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهُ شَاكِرُ عَلِيدُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكُشُونَ مَا أَنزَكَا بِنَ الْهَوْنَتِ وَالْمُكَنْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيْكَلُهُ النَّاسِ فِي الْكِنَابِ أُولَتَهِكَ يَلْمَتُهُمُ اللَّهُ وَيَلْمَتُهُمُ اللَّهِ وَيُوكَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلمَّمَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَاهِرِ اللَّهِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجالاً من الأنصار ممن كان يهلُّ لمناة في الجاهلية _ ومناة: صنم كان بين مكة والمدينة _ قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نطُّوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة(٢). والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام؛ فنزلت هذه الآية. رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال الشعبي: كان وثن على الصفا يدعى: إساف، ووثن على المروة يدعى: نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام كفوا عن السعى بينهما، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الصحابة قالت للنبي ﷺ: إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإن الله تعالى ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة، فهل علينًا من حرج أن لا نطُّؤُف بهما؛ فنزلت هذه الآية. رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم. قال إبراهيم بن السري: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، وهو جمع، واحده صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شعائر الله، أي: من أعلام متعبداته. وواحد الشعائر: شعيرة. والشعائر: كل ما كان من موقف أو سعي أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر الله، والحج في اللغة: القصد، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقيل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما، فأعلم الله ﷺ أنه لا جناح في التطوف بهما، وأن من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والجمهور قرؤوا (ومن تطوّع) بالتاء ونصب العين. منهم: ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي (يطوعُ» بالياء وجزم العين. وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

طضل

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه.

المعدل بكسر العين: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. والعلاوة: هي ما يوضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، وأراد بالعدلين:
 الصلاة، والرحمة. وبالعلاوة: الاهتداء، وقد أخرج هذا الأثر البخاري تعليقاً، ووصله الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

[﴾] رواه ابن جرير الطبري في الفسيره، وسنده صحيح، ورواه أحمد والبخاري ومسلم مطولاً.

ونقل أبو طالب: لا شيء في تركه عمداً أو سهواً، ولا ينبغي أن يتركه. ونقل الميموني أنه تطوع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُتُمُونَ مَا آَرَانَا مِنَ آتَيِنَتِ وَالْمُكَىٰ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، كتموا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدى، فالبينات: الحلال والحرام والحدود والفرائض. والهدى: نعت النبي وصفته ﴿مِنْ بَمْدِ مَا بَيْنَكُهُ لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: لبني إسرائيل. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة، وهو قول ابن عباس. والثاني: التوراة والإنجيل، قاله قتادة. ﴿أُولَٰتَهِكَ﴾ إشارة إلى الكاتمين ﴿يَلْمَنْهُمُ اللهُ وَقال ابن قتيبة: أصل اللعن في اللغة: الطرد، ولعن الله إبليس، أي: طرده، ثم انتقل ذلك فصار قولاً. قال الشماخ وذكر ماة:

ذعنرتُ بنه النقبطنا وتنفيتُ عنده منقام النديب كالرجل البلغيين(١١)

أي: الطريد. وفي اللاعنين أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بهم: دواب الأرض، رواه البراء عن النبي ﷺ أن المراد بهم: دواب الأرض، رواه البراء عن النبي ﷺ فلا وهو قول مجاهد، وعكرمة. قال مجاهد: يقولون: إنما منعنا القطر بذنوبكم، فيلعنونهم. والثاني: أنهم المؤمنون، قاله عبد الله بن مسعود. والثالث: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العالية، وقتادة. والرابع: أنهم المحن والإنس وكل داية، قالم عطاء.

فصل

وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين، منصوصة كانت أو مستنبطة، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله، وقد روى الأعرج عن أبي هريرة أنه قال: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة على النبي ﷺ، والله الموعد، وايم الله: لولا آية في كتاب الله ما حدّثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَكُنُونَ مَا أَزَلَنَا﴾.. إلى آخرها(٣).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَمُوا وَبَيَّنُوا وَأُولَتِيكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا الْغَرَّابُ الرَّحِيدُ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال ابن مسعود: إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبينوا صفة رسول الله في كتابهم.

فصل

وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه منسوخة بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بنسخ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، ومما يحقق هذا أن الناسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالأخر، وهاهنا يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاثُوا وَمُمْ كُفَّارُ أُولَتِكَ عَلَيْهِمْ لَشَنَّهُ اللَّهِ وَالْسَلَتِهَكَةِ وَالنَّاسِ آجَمَهِ بنَ ﴿

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُحَلَّفُ عَنْهُمُ ٱلْمَدَّابُ وَلَا ثُمَّ يُطَرُّونَ ﴿ ﴾

⁽١) - قال في «اللسان» أرادٍ مقام الذئب الطريد، كالرجل. والرجل اللعين المطرود، لا يزال منتبذاً عن الناس، شبه الذئب به في ذله وشدة مخافته وذعره.

 ⁽۲) رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، وفي سنده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

 ⁽٣) رواه أحمد، والبخاري ومسلم، وغيرهم، وقوله: (والله الموهد) قال القاضي عياض في (المشارق): أي؛ عند الله المجتمع، أو إليه. وقال الحافظ في (الفتح): ومراده أن الله تعالى يحاسبني إن تعمدت كذباً، ويحاسب من يظن بي السوء.

قوله تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِهُ ۚ فِي هَاء الكناية قولان: أجلهما: أنها تعود إلى اللعنة، قاله ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى النار، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت.

﴿ وَلِلْهُ كُورِينَ لِلَّهِ وَيَدُّ لَا إِلَّهُ إِلَّا مُو الَّحْسَنُ الرَّحِيدُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَإِلنَّهُ كُرُ إِلنَّهُ وَعِلْتُهُ قال ابن عباس: إن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت هذه الآية، وسورة الإخلاص. والإله بمعنى: المعبود.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَفِ الْبَيْلِ وَالنَّهَادِ وَالْفُلْكِ الَّتِي جَمْدِى فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَزْلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءَ مِن مَآءِ فَأَخِمَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَبَثَ فِيهَا مِن كُلِ دَابَّةِ وَتَعْمِرِيفِ الرِبَيْحِ وَالشَّحَابِ الْمُسَخَمِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآبَتُمَ لِقَوْمِ يَمْقِلُونَ ﷺ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلِنِ ٱلسَكَوْتِ وَالْأَرْفِي﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا للنبي: اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً؛ فنزلت هذه الآية، حكاه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: انسب لنا ربك وصفه؛ فنزلت: ﴿وَلِلْهَكُرُ إِلَهُ وَبِيْكُ﴾ قالوا: فأرنا آية ذلك؛ فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَكوْتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْفِلُوبَ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزلت ﴿وَإِلَهُكُرُ إِلَهُ وَبِيَّ قال كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. فأما ﴿الشَهَوْتِ ﴾ فتدل على صانعها، إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها، وإرساء جبالها، إلى غير ذلك. ﴿وَاَخْتِلَكِ النِّبِلِ وَالنَّهُوبِ ﴾ كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن، وزائل بعد أن كان ﴿وَالْفُلْكِ السفن. قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد، وقال اليزيدي: واحده فلكة، ويذكر ويؤنث. وقال الزجاج: الفلك: السفن، ويكون واحداً، ويكون جمعاً، لأن فَعَل، وفُعُل جمعهما واحد، ويأتيان كثيراً بمعنى واحد. يقال: العجم والعُجم، والعرب والعرب، والفلك والفلك. والفلك: يقال لكل شيء مستدير، أو فيه استدارة. و﴿آأَبَتُو ﴾: الماء الغزير ﴿فِينا يَنفُ والعُرب والعرب، والفلك والفلك. والفلك: يقال لكل شيء مستدير، أو فيه استدارة. و﴿آلَبَتُو ﴾: الماء الغزير ﴿فِينا يَنفُ والمور ينزل على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأمل المختلفات، وفي ذلك رد على من الهواء على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفات، وفي ذلك رد على من قال: إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجبها، إذ المتفق لا يوجب المختلف، وقد أشار سبحانه قال: إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجبها، إذ المتفق لا يوجب المختلف، وقد أشار سبحانه قال: إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ يُسْتُولُ وَبِهُ وَلَهُ فَي النبات والمُعرب في آلاَتُهُ وَلَا اللهُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَهُ وَلَالُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالُولُ وَالْكُولُ وَلَالُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالُولُولُ وَلَالْكُولُ وَلَالْكُولُ وَلَ

قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُ ﴾ أي: فرق.

قوله تعالى: ﴿ وَتَعْرِيفِ الرِّيحِ ﴾ قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع: هاهنا. وفي الحجر: ٢٧. ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْقِعَ ﴾ وفي الكهف: ٤٦. ﴿ فَنْرُوهُ الرِّيَحُ ﴾ وفي الروم: ٤٦. الحرف الأول (الرياح). وفي البقرة، وفي ﴿ وَتَعْرِيفِ الرّبِيَحِ ﴾ وقرأ باقي القرآن (الريح). وقرأ أبو جعفر (الرياح) في خمسة عشر موضعاً؛ في البقرة، وفي الأعراف: ٥٦. ﴿ وَيُسِلُ الرِّبَعَ ﴾ وفي إبراهيم: ١٨. ﴿ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّبَاحِ ﴾ وفي الحجر: ٢٢. ﴿ أَلْيَهَ كُو وَي الأنبياء: ٨١. وفي الفرقان: ٤٨. ﴿ أَرْسَلُ الرِيْحَ ﴾ وفي النمل. والناني من الروم: ٤٨. وفي الكهف: ٥٤. ﴿ فَنْرَوهُ الرِيَّعُ ﴾ وفي الأنبياء: ٨١. وتابع نافع إلا في سبحان. ورياح سليمان: الأنبياء: ٨١. وتابع نافعاً أبو عمرو إلا في حرفين: (الريح) في إبراهيم، وعسق، ووافق أبا عمرو، وعاصم، وابن عامر. وقرأ حمزة (الرياح) جمعاً في موضعين: في الفرقان، والحرف الأول من الروم، وباقيهن على التوحيد. وقرأ الكسائي مثل حمزة، إلا إنه زاد عليه في الحجر: ٢٢. ﴿ أَلَيْحَ ﴾ وطحه، ومن يختلفوا فيما ليس فيه ألف ولام، فمن جمع؛ فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع، ومن وحد؛ أراد المجنس. ومعنى تصريف الرياح: تقلّبها شمالاً مرة، وجنوباً مرة، ودبوراً أخرى، وصباً أخرى، وعناباً ورحمة. ﴿ وَالشّمَابِ النُسْخُو ﴾: المذلل. والآية فيه من أربعة أوجه، ابتداء كونه، وانتهاء تلاشيه، وقيامه بلا دعامة ولا علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿ لَايَتَهُ اللهِ اللهِ عند الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿ لَايَتَهُ اللهِ اللهِ على العران عالم على المواب الحافظ قال: أخبرنا عاصم علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿ اللّهَ عَلَى اللهِ عَلَى العلامة العلمة المنان عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم على المواب الحافظ قال: أخبرنا عاصم على المنان على المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى العلمة العلامة المؤلى الم

قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني هارون قال: حدثني عفان عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون، يعني: أصحاب النبي على الحدث المبارك بن فضالة قال المبارك بن فضالة قال المبارك بن لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربّ لحادثه، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الأيات، إنه جاء بضوء طبّق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طبّقت ما بين الخافقين، وجعل فيه سكناً ونجوماً، وقمراً منيراً، وإذا شاء، بنى بناء، جعل فيه المطر، والبرق، والرعد، والصواعق، ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحرّ يأخذ أنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنْخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنذَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَمُتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوۤا أَشَذُ حُبًّا يَلَةٍ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْفُوۡةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَكِيدُ الْفَذَابِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِرَى النَّاسِ مَن يَنْغِذُ مِن دُونِ اللَّهِ النَّدَادًا﴾ في الأنداد قولان قد تقدما في أول السورة. وفي قوله: ﴿مُحِبُّونَهُمُ كَسُبِ اللَّهِ ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا شه، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالمية، وابن زيد، ومقاتل، والفراء. والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة. هذا اختيار الزجاج، قال: والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نقضه قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَامَنُوا أَشَدُ كُبًا يَتَدُ ﴾ قال المفسرون: أشد حبًا لله من أهل الأوثان لأوثانهم.

قوله تعالى: ﴿ وَرَوْ رَبِى الَّذِينَ ظَلَتُوا ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحمزة والكسائي: (يرى) بالياء، ومعناه: لو يرون عذاب الآخرة؛ لعلموا أن القوة شجميعاً. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿ وَرَوْ رَبَحَ ﴾ بالتاء، على الخطاب للنبي على والمراد به جميع الناس. وجوابه محذوف، تقديره: لرأيتم أمراً عظيماً، كما تقول: لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه. وإنما حذف الجواب، لأن المعنى واضح بدونه. قال أبو علي: وإنما قال: ﴿إذَ ولم يقل: ﴿إذَ ولم يقل: ﴿إذَ ولم يقل: وإذا والمعنى واضح بدونه، وإنما حذف جواب «لو» لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل لما مضى، لارادة تقريب الأمر، فأتى بمثال الماضي، وإنما حذف جواب «لو» لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد. وقرأ أبو جعفر، (إن القوة ش) و: (إن الله) بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف، كأنه يقول: فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم إنَّ ﴿الْمُونَةُ بِيَّهِ جَهِيما ﴾ قال ابن عباس: القوة: القدرة، والمنعة.

﴿ وَ تَبَرَّأُ الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَاؤُا الْعَكَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَذِينَ اتَّبَعُوا لَوَ أَكَ لَنَا كُرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كُمَا تَبَرَّهُوا مِثًا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْدَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمٌ وَمَا هُم مِخْرِجِينَ مِنَ النَّادِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِيرِكِ اتَّبَعُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم القادة والرؤساء، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: أنهم الشياطين، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَرَاكُمُ الْمَكَابُ ﴾ يشمل الكل. ﴿وَتَعَلَّمَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ أي: عنهم، مثل قوله: ﴿فَسَتُلْ بِهِ خَبِيرً ﴾ النزنان: ٥٩]. وفي (الأسباب) أربعة أقوال: أحدها: أنها المودات، وإلى نحوه ذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد. والثالث: أنها الأرحام. رواه ابن جريج عن ابن عباس. والرابع: أنها تشمل جميع ذلك. قال ابن قتيبة: هي الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا، فأما تسميتها بالأسباب، فالسبب في اللغة: الحبل، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود: سبب. والكرَّة: الرجعة إلى الدنيا، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين ﴿وَنَنَبَرَّ عِنْهُم ﴾ يريدون: من القادة ﴿كَى بَبَرَّهُم أَلُهُ مَنْ الله أعمالهم حسراتٍ من الأخرة. ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَلُهُم ﴾ قال الزجاج: أي: كتبرؤ بعضهم من بعض، يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم إذا رأوا أحسن عليهم، لأن أعمال الكافر لا تنفعه. وقال ابن الأنباري: يريهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها، فحذف الجزاء المجازاة للمؤمنين بأعمالهم، قال: ويجوز أن يكون: كذلك يريهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها، فحذف الجزاء وأقام الأعمال مقامه. قال ابن فارس: والحسرة: التلهف على الشيء الفائت. وقال غيره: الحسرة: أشد الندامة.

﴿ يَكَأَيُّكَ النَّاسُ كُلُوا مِنَا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا مَلِيَّهِ، وَلَا تَتَّبِمُوا خُلُوْتِ اللَّيَكَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَلُونٌ شَهِينُ ﴿

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ كَلَاكُ مَلِّبًا﴾ نزلت في ثقيف، وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة، فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرّموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبِعُوا خُلُوْتِ الشَّكِلَانِ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿خُلُونِ ﴾ مثقلة (١). وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة (خُطُوات) ساكنة الطاء خفيفة. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء (خُطُوات) بفتح الخاء وسكون الطاء من غير همز. وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء والطاء مع الهمز. قال ابن قتيبة: خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطوة، والخطوة بضم الخاء: ما بين القدمين، ويفتحها: الفعلة الواحدة. واتباعهم خطواته: أنهم كانوا يحرّمون أشياء قد أحلها الله، ويحلّون أشياء قد حرمها الله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُرٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن. وقيل: أبان عداوته بما جرى له مع آدم.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوَّةِ وَالنَّحْسُكَةِ وَأَن تَقُولُوا عَلَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوِّ ﴾ السوء: كل إثم وقبح. قال ابن عباس: وإنما سمي سوءاً، لأنه تسوء عواقبه، وقيل: لأنه يسوء إظهاره (والفحشاء) من: فحش الشيء: إذا جاز قدره. وفي المراد بها هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنها كل معصية لها حد في الدنيا. والثاني: أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. والثالث: أنها البخل، وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس. والرابع: أنها الزني، قاله السدي. والخامس: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَتُولُوا عَلَ اللَّهِ مَا لَا لَمْلَمُونَ ﴾ أي: أنه حرم عليكم ما لم يحرّم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ النَّبِمُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَنَّيُّعُ مَا أَلْفَيَا عَلَيْهِ مَابَاءَنّا أَرَلَو كَاكَ مَابَاؤُهُمْ لَا يَسْفِلُونَ شَيّا وَلَا يَهْ تَدُونَ فَهِلُ قَبِلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ أَقُوالُ: أحدها: أنها في اللهِ في اللهِ الهم: ﴿ كُلُوا مِننا فِي النّهِ مَلَى هذا تكون الهاء والميم عائدة عليهم، وهذا قول مقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس. والثالث: في مشركي العرب وكفار قريش، فتكون الهاء والميم عائدة إلى قوله: ﴿ وَمِن النّاسِ مَن يَدَّيِدُ مِن دُونِ اللّهِ أَنذَلُ اللهُ: تحليل الحلال، وتحريم الحرام. وعلى الثاني يكون: الإسلام. وعلى الثالث: التوجيد والإسلام. و﴿ أَلْسُلام. وجلنا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَاكَ مَاكَا وُهُمْ لَا يَشْفِلُوكَ شَيْكا﴾ من الدين، ولا يهتدون له، أيتبعونهم أيضاً في خطئهم وافترائهم؟!.

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفُرُوا كَنَتُلِ الَّذِى يَنِينُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاتُهُ وَنِئَاةً مُثّمٌ بُكُمُ عُمَّى فَهُمْ لا يَسْمِلُوا شَيْ يُعَالِّهَا الَّذِينَ مَاسَمُوا كُلُوا مِن طَلِبَنتِ مَا زَرْفَتَكُمْ وَاشْكُرُوا شِّهِ إِن كُنتُمْ إِيّاهُ مُشْبُدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ اللَّذِينَ كَفُرُوا كَنَالِ الَّذِى يَنِينُ ﴾ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي، وهذا قول الفراء، وثعلب، قالا جميعاً: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر ما يقول لها، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوفه الأسد [لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف]. قال الشاعر:

كانست فريسفسة منا تنقبول كنمنا كيان السزنساء فسريسفسة السرجسم والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزني. والثاني: أن معناها: ومثل اللين كفروا، ومثلنا في وعظهم، كمثل الناعق

⁽١) أي: مضمومة الطاء.

والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، اختصاراً، إذ كان في الكلام ما يدل عليه، وهذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينعق، هذا قول ابن زيد، والذي ينعق هو الراعي، يقال: نعق بالغنم، ينعق نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً. قال ابن الأنباري: والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال: نعق، إلا في الصياح بالمغنم وحدها، فالغنم تسمع المصوت ولا تعقل المعنى. ﴿مُثّمُ بُكُمُ إنما وصفهم بالصم والبّكم، لأنهم في تركهم قيول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.

﴿ إِنَّنَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْسَتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْمِعْنِرِيرِ وَمَا أُهِـلَ بِهِ لِنَيْرِ اللَّهِ مُمَنِ ٱخْطُرٌ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ فَلَا إِنْمَ عَلَيْهُ إِنَّ اللَّهُ عَنُورٌ رَجِيعُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنَّنَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةَ ﴾ قرأ أبو جعفر «الميتة» هاهنا، وفي المائدة، والنحل: و﴿ بَلْدَةً بَيَّنَا﴾ [ق: 11]. بالتشديد، حيث وقع. والميتة في عرف الشرع: اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة. وقيل: إن الحكمة في تحريم الميتة أن جمود اللم فيها بالموت يحدث أذى للآكل، وقد يسمى المذبوح في بعض الأحوال: ميتة حكماً، لأن حكمه حكم الميتة، كذبيحة المرتد. فأما الدم؛ فالمحرم منه: المسفوح، لقوله تعالى: ﴿ أَوْ دَمَا تَسْفُوكُ الانعام: ١٤٥]. قال القاضي أبو يعلى: فأما الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح، وما يبقى في العروق؛ فهو مباح. فأما لحم المختزير؛ فالمراد: جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود. قال الزجاج: الخنزير يشتمل على الذكر والأنثى. ومعنى ﴿ وَمَا أَيْسِلُ بِهِ، لِنَبِر اللَّهِ المُ وَفع الصوت بتسمية غير الله، ومثله الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالعلية.

قوله تعالى: ﴿ نَمَنِ ٱشْطَرٌ ﴾ أي: ألجئ بضرورة. وقرأ أبو جعفر: ﴿ فَمَنِ اصْطِرً ۚ بَكُسُرُ الطاء حيث كان. وأدضم ابن محيصن الضاد في الطاء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغِ﴾ قال الزجاج: البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى الفساد. وفي قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَا السبيل، هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد. والثاني: غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا متعدُ بأكلها وهو يجد غيرها، هذا قول الحسن، وعكرمة، وقتادة، والربيع. والثالث: غير باغ، أي: مستحل، ولا عاد: غير مضطر، روي عن سعيد بن جبير، ومقاتل. والرابع: غير باغ شهوته بذلك، ولا عاد بالشبع منه، قاله السدي.

فصل

معنى الضرورة في إباحة الميئة: أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه. سئل أحمد على عن المضطر إذا لم يأكل الميئة، فذكر عن مسروق أنه قال: من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار. فأما مقدار ما يأكل؛ فنقل حنبل: يأكل مقدار ما يقيمه عن الموت. ونقل ابن منصور: يأكل بقدر ما يستغني. فظاهر الأولى: أنه لا يجوز له الشبع، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وظاهر الثانية: جواز الشبع، وهو قول مالك.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْنُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَبِ وَشْنَرُونَ بِهِ غَنَا قِلِلَّا أَوْلَتِكَ مَا يَأْكُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا بُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَنَمَةِ وَلَا يُرْكِيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيدُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُنُمُونَ مَا آَنَزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَنِ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كتموا اسم النبي ﷺ وغيّروه في كتابهم، والشمن القليل: ما يصيبونه من أتباعهم من الدنيا. ﴿ أَنَاتِكَ مَا يَأْتُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ قال الزجاج: معناه: إن الذين يأكلونه يعذّبون به، فكأنهم يأكلون النار. ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُ مُ هذا دليل على أن الله لا يكلم الكفار ولا يحاسبهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُرْحَيِّهِ ﴾ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: لا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل. والثاني: لا يثني عليهم، قاله الزجاج. والثالث: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم، قاله ابن جرير.

﴿ أُولَتِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّكَلَلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْمَدَابَ بِالْمَغْفِرَةَ فَمَا آَصْبَرُهُمْ عَلَ النَّادِ ﴿ الْمَالَةِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ فَمَا آصَبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار! قاله الحسن، ومجاهد. وذكر الكسائي أن أعرابياً حلف له رجل كاذباً، فقال الأعرابي: ما أصبرك على الله، يريد: ما أجرأك. والثالث: ما أبقاهم في النار، كما تقول: ما أصبر فلاناً على الحبس، أي: ما أبقاه فيه، ذكره الزجاج. والرابع: أن المعنى: فأي شيء صبّرهم على النار؟! قاله ابن الأنباري. وفي دما قولان: أحدهما: أنها للاستفهام، تقديرها: ما الذي أصبرهم؟ قاله عطاء، والسدي، وابن زيد، وأبو بكر بن عياش. والثاني: أنها للتعجب، كقولك: ما أحسن زيداً، وما أعلمَ عمراً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية التعجب، والله يعجب هو كعجبهم.

﴿ وَالِكَ بِأَنَّ اللَّهِ نَذَٰلَ ٱلْكِنَابُ بِالْحَقُّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِي ٱلْكِتَابِ لَي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ بِأَنَّ اللّهَ دَرُّلَ الْكِنْبُ بِالْمَقِّ ﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدم من الوعيد بالعذاب، فتقديره: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: القرآن. وفي «الحق» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ضد الباطل، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ آخَتَلَنُواْ فِي الْكِتَابِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الترراة. ثم في اختلافهم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود والنصارى اختلفوا فيها، فادعى النصارى فيها صفة عيسى، وأنكر اليهود ذلك. والثاني: أنهم خالفوا ما في التوراة من صفة محمد على والثالث: أنهم خالفوا سلفهم في التمسك بها. والثاني: أنه القرآن، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: إنما يعلمه بشر. والشقاق: معاداة بعضهم لبعض. وفي معنى «بعيد» قولان: أحدهما: أن بعضهم متباعد في مشاقة بعض، قاله الزجاج. والثانى: أنه بعيد من الهدى.

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَ أَن تُولُوا رُجُوهَكُمْ ﴾ قال قتادة: ذُكر لنا أن رجلاً سأل عن البر»، فأنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله فتلاها عليه. وفيمن خُوطب بها قولان: أحدهما: أنهم المسلمون. والثاني: أهل الكتابين. فعلى القول الأول؛ معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وسفيان. وعلى القول الثاني؛ معناها: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية، وهذا قول قتادة، والربيع، وعوف الأعرابي، ومقاتل. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿ لَيْسَ الْبِرَ ﴾ بنصب الراء. وقرأ الباقون برفعها، قال أبو علي: كلاهما حسن، لأن كل واحد من الاسمين؛ اسم اليس، وخبرها، معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما تتكافأ النكرتان. وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال: أحدها: الإيمان. والثاني: التقوى. والثالث: العمل الذي يقرب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ آلِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ﴾ فيه قولانُ: أحلهما: أن معناه: ولكن البرّ برّ من آمن بالله. والثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله، حكاهما الزجاج. وقرأ نافع، وابن عامر: (ولَكِنِ البِرُّ) بتخفيف نون "لكن" ورفع "البر". وإنما ذكر اليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث. وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان: أحلهما: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى الكتب، فيدخل في هذا البهود، لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن.

قوله تعالى: ﴿ رَمَانَ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّمِهِ ﴾ في هاء «حبه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المال. والثاني: إلى الإيتاء. وكان الحسن إذا قرأها قال: سوى الزكاة المفروضة.

قوله تعالى: ﴿ ذَوِى النُّـرَبُكِ ﴾ يريد: قرابة المعطي. وقد شرحنا معنى: ﴿ وَٱلْيَكَنَىٰ وَالْسَكِينِ ﴾ عند رأس ثلاث

وثمانين آية من هذه السورة. فأما ﴿وَأَبْنَ السَّبِيلِ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضيف، قاله سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الذي يمر بك مسافراً، قاله الربيع بن أنس، وعن مجاهد، وقتادة كالقولين. وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: هو المنقطع به يريد بلداً آخر. وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وأبي سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى، ويحققه: أن السبيل الطريق، وابنه: صاحبه الضارب فيه، فله حق على من يمر به إذا كان محتاجاً. ولعل أصحاب القول الأول أشاروا إلى هذا، لأنه إن كان مسافراً، فإنه ضيف لم ينزل. والقول الثالث: أنه الذي يريد سفراً، ولا يجد نفقة، ذكره الماوردي وغيره عن الشافعي.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي: في فك الرقاب. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وابن زيد، والشافعي. والثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور. وعن أحمد كالقولين. فأما البأساء؛ فهي: الفقر. والضراء: المرض. وحين البأس: القتال، قاله الضحاك. ﴿وَلَكِتُكَ الدِّينَ صَدَوُا ﴾ قال أبو العالية: تكلموا بالإيمان وحققوه بالعمل.

﴿ يَتَانَّهُمُ الَّذِينَ ، امْنُوا كُذِبَ عَلَيْكُمُ الْمِصَاصُ فِ الْمَنْلِّى الْمُؤْ بِالْحُرِّ وَالْمَبَّدُ بِالْمَبْدِ وَالْأَنْنَى بِالْأَمْنَ مَمَنُ عُنِي لَمُ مِنْ أَجِيهِ مَنَى ۖ فَالِّبَاعُ الْمُؤْمِنِ وَأَذَاكُمُ اللَّهُ عَذَابُ البِيدُ ﴿ ﴾ وَحَمَدُ قَدَنُ أَمْنُ الْعَلَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمُ عَذَابُ البِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّكُ أَلَيْنَ مَامَثُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاسُ ﴾ روى شيبان عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان الحي منهم إذا كان فيهم عدة ومنعة، فقتل عبدهم عبد قوم آخرين؛ قالوا: لن نقتل به إلا حراً، تعززاً لفضلهم على غيرهم. وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين؛ قالوا: لن نقتل بها إلا رجلاً؛ فنزلت هذه الآية. ومعنى «كتب»: فرض، قاله ابن عباس وغيره. والقصاص: مقابلة الفعل بمثله، مأخوذ من: قص الأثر. فإن قيل: كيف يكون فرضاً والولي مخير بينه وبين العفو؟ فالجواب: أنه فرض على القاتل للولي، لا على الولي.

قوله تعالى: ﴿ فَنَنْ عُنِى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القبل، ورضي منه بالدية. ودل قوله: ﴿ وَمِنْ أَخِيهِ عَلَى أَن القاتل له يخرج عن الإسلام، ﴿ فَالْنِكُمُ ۚ بِالْمَمْرُونِ ﴾ أي: مطالبته بالمعروف، بأمر آخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها: ﴿ وَأَذَاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنِ ﴾ يأمر المطالب بأن لا يبخس ولا يماطل ﴿ وَالِكَ تَغْنِيثُ مِن رَبِّكُمُ ﴾ قال سعيد بن جبير: كان حكم الله على أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه دية، فرخص الله لأمة محمد، فإن شاء ولى المقتول عمداً قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

قوله تعالى: ﴿فَكَنِ اَعْتَدَىٰ﴾ أي: ظلم، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية؛ ﴿فَلَمُ عَذَابُ أَلِيدٌ ﴾ قال قتادة: يقتل ولا تقبل منه الدية.

فصل

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب (١٠ هذه الآية منسوخ، لأنه لما قال: ﴿الْمُرُ بِالْمُرِّ ﴾؛ اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر، وكذلك لما قال: ﴿وَالْأَنْقُ بِالنَّوْنَ ﴾ اقتضى أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جَهة دليل الخطاب، وذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَكَلّبُنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّقْسِ ﴾ قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا عند الفقهاء ليس بنسخ، لأن الفقهاء يقولون: دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْفِصَاصِ حَيْزٌ يُتأْوَلِي الْأَلْبَابِ لَمَلَّكُمْ تَتَّنُّونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيْزةً ﴾ قال الزجاج: إذا علم الرجل أنه إن قُتَل قُتِل؛ أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أبلغ أبا مالك عني مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام

⁽١) دليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وهو ثبوت نقيض حكم المنطوق للمسكوت.

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. والألباب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عاماً، لأنهم المنتفعون بالخطاب، لكونهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

قوله تعالى: ﴿لَمَا اللَّهُ مَا تَتَّقُونَ ﴾ قال ابن عباس: لعلكم تتقون الدماء. وقال ابن زيد: لعلك تتقي أن يقتله فتقتل

به

فصل

نقل ابن منصور عن أحمد: إذا قتل رجل رجلاً بعصى، أو خنقه، أو شدخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به. فظاهر هذا: أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها، وهو قول مالك، والشافعي. ونقل عنه حرب: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف. فظاهر هذا: أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبى حنيفة رحمه الله.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلنَولِينَيْ وَالْأَفْرِينَ بِالْمَعْرُونِ حَفًّا عَلَى ٱلسُّنَّقِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا سَمَرَ أَسَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: المعنى: وكتب عليكم، إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو. وعلم أن معناه معنى الواو، وليس المراد: كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت، لأنه في شغل حينئذ، وإنما المعنى: كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية، فيقول الرجل: إذا أنا متُّ، فلفلان كذا. فأما الخير هاهنا؛ فهو المال في قول الجماعة. وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال: أحدها: أنه ألف درهم فصاعداً، روي عن علي، وقتادة. والثاني: أنه سبعمائة درهم فما فوقها، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال. قالت والثالث: ستون ديناراً فما فوقها، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال. قالت عائشة لرجل سألها: إني أريد الوصية، فقالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: هذا شيء يسير، فدعه لعيالك. والخامس: أنه من ألف درهم إلى خمسمائة، قاله إبراهيم النخعي. والسادس: أنه القليل والكثير، رواه معمر عن الزهري. فأما المعروف؛ فهو الذي لا حيف فيه.

فصل

وهل كانت الرصية ندباً أو واجبة؟ فيه قولان: أحلهما: أنها كانت ندباً. والثاني: أنها كانت فرضاً، وهو أصح، لقوله تعالى: ﴿كُنِبَ﴾ ومعناه: فرض. قال ابن عمر: نسخت هذه الآية بآية الميراث. وقال ابن عباس: نسختها: ﴿لَيْبَالِ نَمِيتُ يِّمَا تَرُكَ ٱلزَّلِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]. والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟ على قولين، أصحهما أنها لا تجب لأحد.

﴿ وَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّهَا إِنْسُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلُهُ ﴾ قال الزجاج: من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فإنما إثمه على مبدله، لا على الموصي، ولا على الموصى، ولا على الموصى له ﴿إِنَّ اللهَ سَبِيعُ ﴾ لما قد قاله الموصى ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما يفعله الموصى إليه.

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُومِ جَنَفًا أَوْ إِنْمَا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِنْدَ عَلَيْدُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَ خَاكَ مِن مُّوسٍ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿ مُوسٍ ﴾ ساكنة الواو، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «مُوسٌ عفتوحة الواو مشددة الصاد. وفي المراد بالخوف هاهنا قبولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: نفس الخوف. فعلى الأول؛ يكون الجور قد وجد. وعلى الثاني: يخشى وجوده. و«الجنف»: الميل عن الحق. قال الزجاج: ﴿ مَنَفّا ﴾، أي: ميلاً، ﴿ وَالْ إِنْكَ ﴾، أي: قصد الإثم، وقال ابن عباس: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد. قال أبو سليمان الدمشقي: الجنف: الخروج عن الحق، وقد يسمى به المخطئ والعامد، إلا أن المفسرين علقوا الجنف على المخطئ، والإثم على العامد. وفي توجيه هذه الآية قولان: أحدهما: أن معناها: من حضر رجلاً يموت، فأسرف في وصيته، أو قصر عن حق؛ فليأمره بالعدل، هذا قول مجاهد.

والثاني: أن معناها: من أوصى بجور، فرد وليّه وصيته، أو ردها إمام من أثمة المسلمين إلى كتاب الله وسنة نبيّه؛ فلا إثم عليه، وهذا قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْلَمَ بَبَبُهُم ﴾ أي: بين الذين أوصى لهم، ولم يجر لهم ذكر، غير أنه لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له، وأنشد القراء:

وما أدري إذا يسمستُ أرضاً المنتخب الله المنتخب المنتخب المنتخب

أريد الخير أيهما يلينني؟! أم الشر الله هنو يبتغينني

فكتَّى في البيت الأول عن الشر بعد ذكره الخير وحده، لما في مفهوم اللفظ من الدلالة. ﴿ يَتَأَيُّكُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْتُكُمُ الْهِمِيَّامُ كَمَا كُيْبَ عَلَى الَّذِيرَ كِين قَبْلِكُمْ لَمَلَّكُمْ تَنْقُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَثُوا كُبِّ عَيُكُم الْهِيامُ ﴾ الصيام في اللغة: الإمساك في الجملة، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب. والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه. وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الكتاب، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو قول مجاهد. والثاني: أنهم النصاري، قاله الشعبي، والربيع. والثالث: أنهم جميع أهل الملل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. وفي موضع التشبيه في كاف ﴿ كُمَّا كُنِبَ﴾ قولان: أحدهما: أن التشبيه في حكم الصوم وصفته، لا في عدده. قال سعيد بن جبير: كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم لم يحل له أن يطعم إلى القابلة، والنساء عليهُم حرام ليلة الصيام، وهو عليهم ثابت. وقد أرخص لكم. فعلى هذا تكون هذه الآية منسوَّخة بقوله: ﴿ أُمِّلَ لَكُمْ مُ لَيَّلَةَ ٱلمِّسَيَامِ الرَّفَتُ ﴾ [البترة: ١٨٧]. فإنها فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين. والثاني: أن التشبيه في عدد الأيام. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه فرض على هذَّه الأمة صوم ثلاثة أيام من كل شُهر، وقذ كان ذلك فرضاً على من قبلهم. قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ كُمَّا كُنِبَ عَلَى ٱلَّذِيرَكَ مِن قَبْلِكُمْ ۗ قال: كان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ برمضان. قال معمر عن قتادة: كان الله قد كتب على الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَفَكَانَ ٱلَّذِيَّ أُنـزِلَ فِيـهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ والثاني: أنه فرض على من قبلنا صوم رمضان بعينه. قال ابن عباس: فقدم النصارى يوماً ثم يوماً، وأخَّروا يوماً، ثم قالوا: نقدم عشراً ونؤخر عشراً. وقال السدي عن أشياخه: اشتد على النصاري صوم رمضان، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا. فعلى هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة.

قوله تعالى: ﴿ لَمُلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لأن الصيام وصلة إلى التقى، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تنطلع إليه من المعاصي، وقيل: لعلكم تتقون محظورات الصوم.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَنَّ فَمَن كَاكَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَدْ عَلَى سَغَرٍ فَعِـذَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَآ وَعَلَ الَّذِيرَكَ يُطِيقُونَهُ وِدَيَّةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَعَلَيْعَ خَيْرًا فَهُوّ خَيْرٌ لَهُۥ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْمٌ إِن كُنتُد تَعْلَمُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ أَيَّانًا مَمْدُودَاتِ ﴾ قال الزجاج: نصب أياماً » على الظرف، كأنه قال: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام. والعامل فيه الصيام »، كأنّ المعنى: كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء. والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح. وتكون الآية محكمة في هذا القول، وفي القولين قبله تكون منسوخة، ﴿ فَمَن كَاكَ مِنكُم مَرِيعَنَا أَدْ عَلَ سَفَرٍ فَي نَبُكُم مِن كُلُ شَهر وَيُهُ النّامِ ﴾ فيه إضمار: فأفطر.

فصل

موقوفة على زيادة المرض بالصوم. واتفق العلماء أن السفر مقدر، واختلفوا في تقديره، فقال أحمد، ومالك، والشافعي: أقله مسيرة المتمة عشر فرسخاً؛ يومان، وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً. وقال الأوزاعي: أقله مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ. وقيل: إن السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف، يقال: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح: إذا أضاء، فسمي الخروج إلى المكان البعيد: سفراً، لأنه يكشف عن أخلاق المسافر.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اَلَذِينَ يُلِيقُونَهُ وَدَيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ نقل عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: ﴿وَمَن شَهِدَ مِنكُمُ النَّهُر فَلْيَسُمُ أَلنَّهُم فَلْيَسُمُ فَعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية، ثم نسخت. وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس: (وعلى الذين يُطَوِّقونه) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة.

قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَمَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي ﴿فِدْيَةٌ ﴾ منون ﴿طَمَامُ مِسْكِينٍ ﴾ موحد. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿فديةُ بغير تنوين ﴿طعامِ اللخفض ﴿مساكين اللجمع. قال أبو علي: معنى القراءة الأولى: على كل واحد طعام مسكين. ومثله: ﴿فَأَشِلْوُمُ ثَنَيْنِ ﴾ [النور: ٤]. أي: اجلدوا كل واحد ثمانين. قال أبو زيد: أتينا الأمير فكسانا كلنا حلّة، وأعطانا كلنا مئة، أي: فعل ذلك بكل واحد منا. قال: فأما من أضاف الفدية إلى الطعام، فكإضافة البعض إلى ما هو بعض له، وذلك أنه سمى الطعام الذي يفدى به: فدية، ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها، فهو على هذا من باب: خاتم حديد.

قوله تعالى: ﴿ نَمَن تُطَرِّع خَيْرًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والثاني: أن التطوع إطعام مساكين، قاله طاووس. والثالث: أنه زيادة المسكين على قوته، وهو مروي عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر، ﴿ وَأَن تَسُومُوا خَيْرٌ لَحَكُم ﴾ عائد إلى من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين المخيرين بين الصوم والإطعام على ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوي قول القائلين بسخ الآية.

قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ قال الأخفش: شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام، كأنه لما قال: ﴿ أَيَّاكَا مَدُودَتُ ﴾ فسرها فقال: ﴿ شَهَرُ رمضان) بالنصب، وأراه نصبه على معنى الإغراء: عليكم شهر رمضان فصوموه، كقوله: ﴿ قِلَةَ أَبِيكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ مِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ قلت: وممن قرأ بالنصب معاوية، والحسن، وزيد بن علي، وعكرمة، ويحيى بن يعمر. قال ابن فارس: الرمض: حر الحجارة من شدة حر الشمس، ويقال: شهر رمضان، من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر، ويجمع على رمضانات، وأرمضاء، وأرمضة.

قوله تعالى: ﴿ أَلَٰذِى أَنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا. قاله ابن عباس. والثاني: أن معناه: أنه أنزل القرآن بفرض صيامه، روي عن مجاهد، والضحاك. والثالث: أن معناه: إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي على قاله ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: والفرقان: المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهُرَ فَلِيَصُمُنَهُ ﴾ أي: من كان حاضراً غير مسافر. فإن قيل: ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر في هذه الآية، وقد تقدم ذلك؟ قيل: لأن في الآية المتقدمة منسوخاً، فأعاده لئلا يكون مقروناً بالمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اَلَيُسَرَ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصوم فيه. وقال عمر بن عبد العزيز: أي ذلك كان أيسر عليك فافعل: الصوم في السفر، أو الفطر.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْيِلُوا آلَمِدَةَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلِتُكْيِلُوا﴾ بإسكان الكاف خفيفة. وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الميم، وذلك مثل: «وصّى» و«أوصى» وقال ابن عباس: ولتكملوا عدة ما أفطرتم. وقال بعضهم: المراد به: لا تزيدوا على ما افترض، كما فعلت النصارى، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلَى مَا هَدَنكُمْ ﴾ قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال، أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم. فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَلِتُكْيِلُوا آلْمِدَةٌ وَلِتُكَبِّدُوا اللّه الواو عطفت اللام التي بعدها على لام محذوفة، والمعنى: ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم، ولتكملوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، ذكره ابن الأنباري.

فصل

ومن السنة إظهار التكبير ليلة الفطر، وليلة النحر، وإذا غدوا إلى المصلَّى. واختلفت الرواية عن أحمد رهم متى يقطع في عبد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة. ونقل الأثرم. إذا جاء المصلَّى قطع. قال القاضي أبو يعلى: يعني: إذا جاء المصلى وخرج الإمام.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِّي قَدِيثٌ أَجِيبُ دَعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِّ فَلَيْسَتَجِبُوا لِي وَلَيْؤُمِنُوا بِي لَمَلَّهُمْ بَرْشُدُوكَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِى عَنِى ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أعرابياً جاء إلى النبي على فقال: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية، رواه الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده. والثاني: أن يهود المدينة قالوا: يا محمد! كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم قالوا: يا رسول الله! لو نعلم أية ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا، فنزلت هذه الآية، قاله فيها دعوانا، فنزلت هذه الآية، قاله المسلمين بعد النوم الأكل والجماع؛ أكل رجل منهم بعد أن الحسن. والخامس: أنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين بعد النوم الأكل والجماع؛ أكل رجل منهم بعد أن نام، ووطئ رجل بعد أن نام، فسألوا: كيف التوبة مما عملوا؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: إذا سألوك عني؛ فأعلمهم أني قريب. وفي معنى «أجيب» قولان: أحدهما: أسمع، قاله الفراء، وابن القاسم. والثاني: أنه من الإجابة ﴿ فَلِسَتَجِبُولُ لِي ﴾ أي: فليجيبوني. قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الشدى فلم يستجب عشد ذاك مجيب

أراد: فلم يجبه. وهذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. ﴿لَمَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال أبو العالية: يعنى: يهتدون.

فصل

إن قال قائل: هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجيب أدعية الداعين، وترى كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم! فالجواب: أن أبا سعيد روى عن النبي على أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم؛ إلا أصطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء أمطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها أن وجواب آخر: وهو أن الدعاء تفتقر إجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله، ومنها أكل الحلال، فإن أكل الحرام

⁽١) رواه أحمد في المسندة عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ورواه البزار، وأبو يعلى بأسانيد جياد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

يمنع إجابة المدعاء، ومنها حضور القلب، ففي بعض الحديث: «لا يقبل الله دعاءً من قلب خافل لاها(۱). وجواب آخر: وهو أن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك، فيجاب إلى مقصوده الأصلي، وهو: طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع.

قوله تعالى: ﴿ أَيِلَ لَكُمُ يَلَةً السِّيَارِ الرَّفَ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع، حرما عليه إلى أن يفطر، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلى أهله، فقال: عشوني، فقالوا: حتى نسخن لك طعاماً، فوضع رأسه فنام، فجاؤوا بالطعام، فقال: قد كنت نمت، فبات يتقلب ظهراً لبطن، فلما أصبح أتى النبي عَلَيْهُ؛ فأخبره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله إني أردت أهلي اللبلة، فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فأخبرتني أنها قد نامت، فأنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب: ﴿ أَيلَ لَكُمُ لَنَكُم اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ اللّهِ اللّهُ وَانزل الله في الأنصاري: ﴿ وَكُولُوا وَاشْرَبُوا مَنْ يَبَيّنُ لَكُو النّبُيْنُ مِن النّبِيلُ الأَنْوَدِ مِن النّبِيلُ هذا قول جماعة من المفسرين، واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال: أحدها: قيس بن صرمة، قاله البراء. والثاني: صرمة بن أنس، قاله القاسم بن محمد. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلي: صرمة بن مالك. والثالث: ضمرة بن أنس، ومجاهد، وقالوب عبر في آخرين: هو الجماع.

تشنت فكانت عليبه لباسا

إذا مسا السضسجسيسع ثسنسى جسيسدهسا وقال غيره:

فسدى لسك مسن أخسى تسقسة إزاري

ألا أبسلسغ أبسا حسفسص رمسولاً يريد بالإزار: امرأته.

قوله تعالى: ﴿ عَلَمُ اللّهُ أَنْكُمُ كُنتُمُ كُنتُمُ عَنْتَاوُكَ أَنفُكُمُ ﴾ قال ابن قتية: يريد: تخونونها بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم. قال ابن عباس: وعنى بذلك فعل عمر، فإنه أتى أهله، فلما اغتسل أخذ يلوم نفسه ويبكي. ﴿ فَأَلْتُنَ بَنِيرُوهُنَ ﴾ : أصل المباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة. وقال ابن عباس: المراد بالمباشرة هاهنا: الجماع. ﴿ وَيَبْتَنُوا مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحلها: أنه الولد، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد في آخرين. قال بعض أهل العلم: لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع، أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد، فقال: ﴿ وَيَاتِتَنُوا مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾ يريد: الولد، والثاني: أنه الذي كتب لهم الرخصة، وهو قول قتادة، وابن زيد. والثالث: أنه ليلة القدر. رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والرابع: أنه القرآن، فمعنى الكلام: اتبعوا القرآن، فما أبيح لكم وأمرتم به فهو المبتغى، وهذا اختيار الزجاج.

 ⁽١) رواه أحمد في «المسند» عن عبد الله بن عمرو، وفي سنده ابن لهيعة، وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترمذي ولفظه: «ادعوا الله وأنتم موقنون
بالإجابة، واهلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غاقل لاه، وفي سنده ضعف.

 ⁽٢) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح؟ أن الناس اختلفوا في اسم الأنصاري هذا، فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكتيته، وبعضهم نسبه لجده، وبعضهم قلب نسبه، وبعضهم صحفه اضمرة! ورجح أن صوابه البو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن عالك بن عدي؟.

فصل

إذا شك في الفجر، فهل يدع السحور أم لا؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السحور، بل يأكل حتى يستيقن طلوع الفجر، فإن أكل فعليه القضاء. وقال الشافعي: لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُبُنِرُهُ كَ وَأَنتُدُ عَنكِفُونَ فِى الْسَنجِدِّ﴾ في هذه المباشرة قولان: أحدهما: أنها المجامعة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها ما دون الجماع من اللمس والقبلة، قاله ابن زيد. وقال قتادة: كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد، فلقي امرأته باشرها إذا أراد ذلك، فوعظهم الله في ذلك.

فصل

الاعتكاف في اللغة: اللبث، يقال: فلان معتكف على كذا، وعاكف. وهو فعل مندوب إليه، إلا أن ينذره الإنسان، فيجب. ولا يجوز إلا في مسجد تقام فيه الجماعات، ولا يشترط في حق المرأة مسجد تقام فيه الجماعة، إذ الجماعة لا تجب عليها. وهل يصح بغير صوم؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ يَلْكَ مُدُودُ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يعني: المباشرة ﴿ فَلَا تَفْرُوهُ كُا ﴾ قال الزجاج: الحدود ما منع الله من مخالفتها، فلا يجوز مجاوزتها. وأصل الحد في اللغة: المنع، ومنه: حد الدار، وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها. والحداد في اللغة: الحاجب والبواب، وكل من منع شيئاً فهو حداد. قال الأعشى:

فسقسمنا ولسا يسمخ ديكننا إلى جسونة عسند حسدادها

أي: عند ربها الذي يمنعها إلا بما يريده. وأحدت المرأة على زوجها، وحدّت، فهي حاد، ومحد: إذا قطعت الزينة، وامتنعت منها، وأحددت النظر إلى فلان: إذا منعت نظرك من غيره. وسمي الحديد حديداً، لأنه يمتنع به الأعداء.

قوله تعالى: ﴿ كَذَاكِ يُبَيِّثُ اللَّهُ ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطِلِ وَتُدَلُوا بِهَاۤ إِلَى الْمُصَاّدِ لِتَأْكُلُوا مَرْبِقَا مِنَ آمَوَلِ النَّاسِ بِالإِشْرِ وَأَشَدُ

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأَكُّوا أَمَوَلَكُم بِيَنَكُم بِالْبَطِلِ﴾ سبب نزولها: أن امرا القيس بن عابس^(۱)، وعبدان الحضرمي، اختصما في أرض، وكان عبدان هو الطالب ولا بينة له، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ عليه النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَمْدُ اللَّهِ وَالتَمْبِمُ ثَمْنَا قَلِيلًا﴾ الله عران: ٧٧]. فكره أن يحلف، ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية. هذا قول جماعة، منهم سعيد بن جبير. ومعنى الآية: لا يأكل بعضكم أموال بعض، كقوله: ﴿فَاتَنُلُوا أَنشُكُمُ عَالَ القاضي أبو يعلى: والباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه، كالسرقة، والغصب، والخيانة. والله يأخذه بطيب نفسه، كالقمار، والغناء، وثمن الخمر. وقال الزجاج: الباطل: الظلم، ﴿وَتُدَلُوا﴾ أصله في

⁽١) رواه أحمد في المسندة وهو في الصحيحين، من غير وجه.

اللغة من: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها: إذا أخرجتها. ومعنى أدلى فلان بحجته: أرسلها، وأتى بها على صحة. فمعنى الكلام: تعملون على ما يوجبه إدلاء الحجة، وتخونون في الأمانة، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن. وفي هاء "بها» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأموال، كأنه قال: لا تصانعوا ببعضها جَورَة الحكام. والثاني: أنها ترجع إلى الخصومة، فإن قيل: كيف أعاد ذكر الأكل فقال: "ولا تأكلوا» و"لتأكلوا»؟ فالجواب: أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، فأعادها للزيادة في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

﴿ ﴿ يَنْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَةِ فُلُ مِنَ مَوَقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْمَنَّجُ وَلَيْسَ اللِّرُ بِأَن تَنَاقُوا ٱلْمِيُونَ مِن ظُهُورِهِكَا وَلَكِنَّ اللِّرَ مَنِ اتَّقَلُّ وَالْمَائِّ اللِّرَ مَنِ اتَّقَلُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ يَسَتُرُنكَ عَنِ الْأَهِلَةِ ﴾ هذه الآية من أولها إلى قوله: ﴿ وَٱلْمَيّ ﴾ نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: ﴿ يَسَتُلُونكَ عَنِ ٱلْأَهِلَةِ قُلْ هِى مَوْقِتُ النّاسِ وَٱلْمَيّ ﴾ هذا قول ابن عباس. ومن قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ النّبُرُ بِأَن تَأْتُوا ٱلبّيُوتَ مِن طُهُورِهَ ﴾ إلى آخرها، يدل على سبب آخر، وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، فنسي رجل، فدخل من باب، فنزلت: ﴿ وَلَيْسَ النّبُ بِأَن النّبُوكَ مِن طُهُورِهِ ﴾ هذا قول البراء بن عازب (أ. وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال: أخدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا همَّ أحدهم بالشيء فاحتب عنه المهال بن عباس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن. والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبه. فأما التفسير؛ فإنما سألوه عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة وقصانها، فأخرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك. والأهلّة: جمع هلال. وكم يقى الهلال على هذه التسمية؟ فيه للعرب أربعة أقوال: أحدها: أنه يسمى هلالاً للبلتين من الشهر. والثاني: لثلاث يبهر ضوؤه سواد الليل. حكى هذه الأقوال ابن السري، واختار الأول، قال: واشتقاق الهلال من قولهم: استهل العبي: إذا بكى حين يولد. وأهلُ القوم بالحج: إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، فسمي هلالاً ، لأنه حين يُرى يُهل الناس بذكره.

قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرِّ مَنِ اَتَّقَلُ مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وقد سبق بيانه، واختلف القراء في البيوت وما أشبهها، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بكسر باء «البيوت» وعين «العُيون» وغين «الغُيوب» وروي عن نافع أنه ضم باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الغيون» وغين «الغيوب» وشين «الشيوخ» وروى عنه قالون أنه كسر باء «البيوت» وقرأ أبو عمر، وأبو جعفر بضم الأحرف الخمسة، وكسرهن جميعاً حمزة، واختلف عن عاصم. قال الزجاج: من ضم «البيوت» فعلى أصل الجمع: بيت وبيوت، مثل: قلب وقلوب، وفلس وفلوس. ومن كسر؛ فإنما كسر للياء التي بعد الباء، وذلك عند البصريين رديء، لأنه ليس في الكلام فعول بكسر الفاء. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: إذا كان الجمع على فعول، وثانيه ياء؛ جاز فيه الضم والكسر، تقول: بُيوتٌ وبِيوت، وشُيوخٌ وشِيوخ، وقُيود.

﴿ وَقَنْتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِلُونَكُو وَلَا شَــْتَدُوّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ اللَّهُ تَذِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴿ سَبِ نزولها أَنْ رَسُولَ الله ﷺ لما صُدّ عن البيت، ونحر هديه بالحديبية، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل؛ رجع، فلما تجهز في العام المقبل؛ خاف أصحابه أن لا

⁽۱) روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿ وَلَيْسَ اللَّذِ بِأَن تَـأَثُواْ ٱلبُّدُوتَ مِن ظَهُوهِ ﴾ ورواه مسلم، وابن جرير قرياً من لفظ المولف.

تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام؛ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَمْ تَدُوّاً ﴾ أي: ولا تظلموا. وفي المراد بهذا الاعتداء أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل النساء والولدان، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن معناه: لا تقاتلوا من لم يقاتلكم، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية، وابن زيد. والثالث: أنه إتيان ما نهوا عنه، قاله الحسن. والرابع: أنه ابتداؤهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، قاله مقاتل.

فصل

اختلف العلماء: هل هذه الآية منسوخة أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها منسوخة. واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين: أحدهما: أنه أولها، وهو قوله: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَجِيلِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ قالوا: وهذا يقتضي أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله: ﴿وَاَتُتُوهُمْ حَبُثُ ثَيْفُتُهُمْ ﴾ والثاني: والثاني: أن المنسوخ منها: ﴿وَلَا تَعْسَدُوا ﴾ ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان: أحدهما: أنه قتل من لم يقاتل. والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، وهذا منسوخ بآية السيف. والقول الثاني: أنها محكمة، ومعناها عند أرباب هذا القول: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اللّهِ لَنهُ عَلَى اللهِ اللهِ والمجان أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعدّ نفسه للقتال، كالرهبان والشيوخ الفناة، والزمنى، والمكافيف، والمجانين، فإن هؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكمٌ باقٍ غيرُ منسوخ (٢٠).

فصل

واختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين: أحدهما: أنها قوله تعالى: ﴿أَنِنَ لِلَّذِينَ يُفَـّتَلُوكَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواً﴾ [الحج: ٣٩]. قاله أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري. والثاني: أنها هذه الآية: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَكِيلِ اللّهِ﴾ قاله أبو العالية، وابن زيد.

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَلِغَتُمُوهُمْ وَاغْرِجُوهُمْ مِنْ حَبْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِئنَةُ أَشَدُ مِنَ الْقَنْلُ وَلَا لُقَنِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْمَرَامِ حَتَّى يُقَاعِلُوكُمْ فِيلَّا فَإِن قَنْلُوكُمْ قَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَفِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْتَكُومُ مَيْتُ ثَيْنَكُومُ مَيْتُ وَلَا فَي نسق الآية: ﴿ وَلَا نُتَيْلُومُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْمُرَادِ حَتَى اصْطروهم إلى الخروج، فكأنهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان: أحلهما: أنها لله المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكأنهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان: أحلهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان. قاله مجاهد. فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم من قتلكم إياهم في الحرم. وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل محقاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُتَنِيْوُمُمُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَلَا نُتَنِيُومُمْ عِندَ اَلْمَسْهِدِ اَلْمَرَادِ عَنَى يُعَنِينُوكُمْ فِيهُ نَاتَكُومُمُ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ولا تقتلوهم... حتى يقتلوكم... فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن. وقد اتفق الكل على قوله: ﴿وَالْتَلُومُمُ ﴾ واحتج من قرأ بالألف بقوله: ﴿وَقَائِلُومُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِئَنَةٌ ﴾ واحتج من حذف الألف بقوله: ﴿وَقَائِلُومُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِئَنَةٌ ﴾ واحتج من حذف الألف بقوله: ﴿وَقَائِلُومُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِئَنَةً ﴾

فصل

واختلف العلماء في قوله: ﴿وَلَا لُمُتَالِمُمْمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيدِّ﴾: هل هو منسوخ أم لا؟ فذهب مجاهد

⁽١) رواه الواحدي عن الكليي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكليي وأبو صالح لا يحتج بهما.

٢) قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب، لأن دعوى المدعي نسخ آية؛ يحتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواه، تحكم.

في جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل، ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي هي جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل، ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي، ولا أنه خطب يوم فتح مكة ، فقال: فيا أنها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي. وإنما أحلت لي ساعة من النهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة فلا أ. فبين في أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعاً، وهذا أمر مستمر، والحكم غير منسوخ، وقد ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقَلُوا الْمُنْهُمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقَلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَالْقُلُومُ مَنْ لَا تَكُونَ فِنَاهُ ﴾ والقول الأول

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَنُّوكُمْ أَنْتُنُّوكُمْ ۚ قَالَ مَقَاتُلَ: أَي: فقاتلُوهم.

﴿ فَإِنِ ٱلنَّهُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَنُونٌ رَّحِيمٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يَانِ اَنْهَرَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحلها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقتالكم. والثاني: عن كفرهم. والثالث: عن قنور والثالث: عن قتالكم دون كفرهم. فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة، ويكون معنى: ﴿ فَإِنَّ اللهَ عَثُورٌ رَحِيمٌ ﴾ غفور لشركهم وجرمهم، وعلى القول الأخير؛ يكون في معنى قوله: ﴿ غَثُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قولان: أحدهما: غفور لكم حيث أسقط عنكم تكليف قتالهم. والثاني: أن معناه: يأمركم بالغفران والرحمة لهم. فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية السيف.

﴿ وَمَنْالُوهُمْ حَنَّىٰ لَا تَكُونَ مِنْنَةً وَيَكُونَ الْذِينُ يَلَّوْ فَإِنِ انْهَوَا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَتَنْظِوْمُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة في آخرين: الفتنة هاهنا: الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ يِثِيُّ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد. والعدوان: الظلم، وأريد به هاهنا: الجزاء، فسمي الجزاء عدواناً مقابلة للشيء بمثله، كقوله: ﴿فَنَنِ اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُواْ عَلَيْكُ والظالمون هاهنا: المشركون، قاله عكرمة، وقتادة في آخرين.

فصل

وقد روي عن جماعة من المفسرين، منهم قتادة؛ أن قوله تعالى: ﴿فَإِنِ انْهَزَا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِينَ﴾ منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، فأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم؛ فالآية محكمة.

﴿النَّبْرُ لَلْمُرَامُ بِالنَّبْرِ لَلْمُرَامِ وَالْمُرْمَاتُ نِصَاصٌ مُنَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّعُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ النَّهُ مَعَ النَّهُ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّعُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ النَّهُ مَعَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَعَ اللَّهُ مَعَ اللَّهُ مَعَ اللَّهُ مَعَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَعْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ إِلَيْهُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا أَلُولُوا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ النَّبُرُ الْمُرَامُ بِالنَّبِي الْمُرَامِ ﴾ هذه الآية نزلت على سبب، واختلفوا فيه على قولين: أحلهما: أن النبي على أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي، فصلهم المشركون، فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلاح، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل؛ أقبل هو وأصحابه فدخلوها، فافتخر المشركون عليه إذ ردوه يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردوه فيه، فقال: ﴿ النَّهُمُ النَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ واللهُ اللهُمُ واللهُمُ والرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن، واختاره إبراهيم بن السري والزجاج. فأما أرباب القول في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن، واختاره إبراهيم بن السري والزجاج. فأما أرباب القول

⁽١) متفق عليه من حديث ابن عباس.

الأول؛ فيقولون: معنى الآية: الشهر الحرام الذي دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول. ﴿ وَالْمَرْ مُنْكُ تِمَاصُّ ﴾: اقتصصت لكم منهم في ذي القعدة كما صدوكم في ذي القعدة. وقال الزجاج: الشهر الحرام، أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، فأعلم الله تعالى أن أمر هذه الحرمات لا تجوز للمسلمين إلا قصاصاً، ثم نسخ ذلك بآية السيف، وقيل: إنما جمع الحرمات، لأنه أراد الشهر الحرام بالبلد الحرام، وحرمة الإحرام.

قوله تعالى: ﴿ فَنَنِ اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلِيهِ قال ابن عباس: مَنْ قاتلكم في الحرم فقاتلوه. وإنما سمى المقابلة على الاعتداء اعتداء، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية. قال الزجاج: والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته بظلمه. وجهل فلان عليّ، فجهلت عليه. وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة.

قوله تعالى: ﴿ وَاَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ قال سعيد بن جبير: واتقوا الله، ولا تبدؤوهم بقتال في الحرم.

﴿ وَأَنفِتُوا فِ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّبَلَكُةِ وَأَضِينُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُحْسِينَ ﴿ وَأَنفِتُوا الْمَنْ مِنْ أَلُو اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ أَلَى مِنْ الْمُحْسِينَ ﴿ وَأَنفِقُوا اللَّهِ عَلَا أَنْ اللَّهُ عَلَمُ أَمْ يَعِنّا أَدْ يِمِهِ أَذَى بَن زَأْسِهِ. فَيَذَيَةٌ بِن مِبَامٍ أَوْ مَسَدَقَةٍ أَوْ لُسُلَّا إِنْ مُسَدِّقَةً أَوْ لُسُلِّ اللَّهُ وَلَا غَلِيْمُ اللَّهُ عَلَى إِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْمٌ إِلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ وَاللّلَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَالْبَنْوَا فِي سَبِيلِ اللهِ هذه الآية نزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن النبي على أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ قوالله ما لنا زاد ولا مال! فنزلت، قاله ابن عباس (۱). والثاني: أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون، فأصابتهم سنة، فأمسكوا؛ فنزلت، قاله أبو جبيرة بن الضحاك (۱). والسبيل في اللغة: الطريق. وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين. والتهلكة: بمعنى الهلاك، يقال: هلك الرجل يهلك هلاكاً وهُلكاً وتهلكة. قال المبرد: وأراد بالأيدي: الأنفس؛ فعبر بالبعض عن الكل. وفي المراد بالتهلكة هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، قاله حديفة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أبوب الأنصاري. والثالث: أنها القنوط من رحمة الله، قاله البراء، والنعمان بن بشير، وعبيدة. والوابع: أنها عذاب الله، وواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَآخِينُوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: أحسنوا الإنفاق، وهو قول أصحاب القول الأول. والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة، وسفيان، وهو يخرّج على قول من قال: التهلكة: القنوط. والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

قوله تعالى: ﴿ وَأَيْتُوا الْمُحَمِّ وَالْمُسْرَةَ فِيهِ ﴾ قال ابن فارس: الحج في اللغة: القصد، والاعتمار في الحج أصله: الزيارة، قال ثعلب: الحج بفتح الحاء: المصدر، وبكسرها: الاسم. قال: وربما قال الفراء: هما لغتان. وذكر ابن الأنباري في العمرة قولين: أحدهما: الزيارة. والثاني: القصد. وفي إتمامها أربعة أقوال: أحدها: أن معنى إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب، والحسن، وعطاء. والثاني: أن يحرم الرجل من دويرة أهله (")، قاله علي بن أبي طالب، وطاووس، وابن جبير. والثالث: أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله ابن عباس. والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد. وجمهور القراء على نصب «العمرة» بإيقاع الفعل عليها. وقرأ الأصمعي عن نافع والقزاز عن أبي عمرو، والكسائي عن أبي جعفر برفعها، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي

⁽١) لم يرد هذا السبب بهذا اللفظ في كتب التفسير التي بين أيدينا، وإنما جاء فيها: عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلا تُلْتُوا بِأَيْكُم لِلَ الثَّهُاكُوِّ﴾ قال: لا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، إن لم يجد إلا مشقصاً، فليتجهز به في سبيل الله.

 ⁽٢) في الأصول التي بين أيدينا: الضحاك بن أبي جبيرة، وهو خطأ، وصوابه ما أثبتناه، فقد جاء في «تقريب التهذيب» أبو جبيرة - بفتح الجيم - ابن الضحاك الأنصاري المدني: صحابي، وقبل: لا صحبة له. والحديث رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وزاد: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقال الهيشمي: ورجالهما رجال الصحيح.

⁽٣) الدويرة: تصغير الدار: كل موضع حل به قوم، فهو دارهم.

رزين، والحسن، والشعبي. وقراءة الجمهور تدل على وجوبها. وممن ذهب إلى أن العمرة واجبة: عليّ، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأحمد، والشافعي. وروي عن ابن مسعود، وجابر، والشعبي، وإبراهيم، وأبي حنيفة، ومالك، أنها سنة وتطوع.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا تُعْيِرُمُ ﴾ قال ابن قتيبة: يقال: أحصره المرض والعدو: إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية. وحصره العدو: إذا ضيق عليه. وقال الزجاج: يقال للرجل إذا حبس: قد حصر، فهو محصور. وللعلماء في هذا الإحصار قولان: أحدهما: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً. وهذا مذهب ابن عمر، وابن عباس، وأنس، ومالك، والشافعي، وأحمد. ويدل عليه قوله: ﴿ إِذَا لَيْتُمُ ﴾. والثاني: أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر، وهو قول عطاء، ومجاهد، وقتادة، وأبي حنيفة. وفي الكلام اختصار وحذف، والمعنى: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم؛ فعليكم ما استيسر من الهدي. ومثله: ﴿ أَزْ يِبِه آذَى بَن زَلْبِه يَوْدُنَهُ تقديره: فحلق، ففدية. والهدي: ما أهدي إلى البيت. وأصله: هديّ مشدد، فخفف، قاله ابن قتيبة. وبالتشديد يقرأ الحسن، ومجاهد. وفي المراد ب﴿ فَا استيسر، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر، وعائشة، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر، وعائشة، وأقسم، والثالث: أنه على قدر الميسرة، رواه طاووس عن ابن عباس. وروي عن الحسن، وقتادة قالا: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شأة. وقال أحمد: الهدي من الأصناف الثلاثة، من الإبل والبقر والغنم، وهو قول أبي حنيفة وأوسطه بقرة، وأداك، والشافعي، رحمهما الله.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ بَيْلُمُ الْمَدَىٰ مَحِلَمُ ﴾ قال ابن قتيبة: المحل: الموضع الذي يحل به نحره، وهو من: حل يحل. وفي المحل قولان: أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين، والثوري، وأبو حنيفة. والثاني: أنه الموضع الذي أحصر به فيذبحه ويحل، قاله مالك، والشافعي، وأحمد.

قوله تعالى: ﴿ فَن كَانَ مِنكُمْ مَهِيسًا أَوْ بِهِ أَذَى مِن زَأْسِهِ نَوْدَيَةً ﴾ هذا نزل على سبب، وهو أن كعب بن عجرة كثر قمل رأسه حتى تهافت على وجهه، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: فيّ نزلت خاصة (١٠).

فصار

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اقتضى قوله: ﴿ وَلَا غَلِمُوا رُمُوسَكُم حَنَّى بَلِهُ الْمَتَى عِلَمٌ ﴾ تحريم حلق الشعر، سواء وجد به الأذى، أو لم يجد، حتى نزل: ﴿ فَنَ كَانَ مِنكُم مَرِيمًا أَوْ بِهِ آذَى بَن رَأْسِه فَيْدَيَة ﴾ فاقتضى هذا إباحة حلق الشعر عند الأذى مع الفدية، فصار ناسخاً لتحريمه المتقدم. ومعنى الآية: فمن كان منكم _ أي: من المحرمين، محصراً كان أو غير محصر _ مريضاً، واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام، ففعله، أو به أذى من رأسه فحلق؛ ففدية من صيام. وفي الصيام قولان: أحدهما: أنه ثلاثة أيام، روي في حديث كعب بن عجرة في عن النبي على المعام ستة مساكين، والثاني: أنه صيام عشرة أيام، روي عن الحسن وعكرمة، ونافع. وفي الصدقة قولان: أحدهما: أنه إطعام ستة مساكين، وهو قول من وي عديث كعب عديث كعب عديث كعب الله أيام. والنسك لغتان: ضم النون والسين، وهي قراءة الحسن.

قوله ثعالى: ﴿ فَإِذَا أَيْنُمُ ﴾، أي: من العدو، إذ المرض لا تؤمن معاودته، وقال علقمة في آخرين: فإذا أمنتم من الخوف والمرض. ﴿ فَنَ تَمَنَّعَ بِالْمُهُودَ إِلَى لَلْتُهِ ﴾ معناه: من بدأ بالعمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك؛ فعليه ما استيسر من الهدي. وهذا قول ابن عمر، وابن المسيب، وعطاء، والضحاك. وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدي.

(٢) متغنق عليه.

⁽١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عن كعب بن عجرة ﷺ.

⁽٣) متفق عليه.

﴿ فَنَ لَمْ يَمِدْ فَصِيّامُ نَلْتُغَ لَيَّارٍ فِي لَغَيَّهُ قال الحسن: هي قبل التروية بيوم، و[يوم] التروية، و[يوم] عرفة، وهذا قول عطاء، والشعبي، وأبي العالية، وابن جبير، وطاووس، وإبراهيم. وقد نقل عن علي ﷺ. وقد روي عن الحسن، وعطاء قالا: في أي العشر شاء صامهن. ونقل عن طاووس، ومجاهد، وعطاء، أنهم قالوا: في أي أشهر الحج شاء فليصمهن ونقل عن ابن عمر أنه قال: من حين يحرم إلى يوم عرفة.

فصل

فإن لم يجد الهدي، ولم يصم الثلاثة أيام قبل يوم النحر، فماذا يصنع؟ قال عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وإبراهيم: لا يجزئه إلا الهدي ولا يصوم. وقال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام منى. ورواه صالح عن أحمد، وهو قول مالك. وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيام التشريق، بل يصوم بعدهن. روي عن عليّ. ورواه المروذي عن أحمد، وهو قول الشافعي.

فصل

فإن وجد الهدي بعد الدخول في صوم الثلاثة أيام، لم يلزمه الخروج منه، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يلزمه الخروج، وعليه الهدي. وقال عطاء: إن صام يومين ثم أيسر؛ فعليه الهدي. وإن صام ثلاثة ثم أيسر؛ فليصم السبعة، ولا هدي عليه. وفي معنى قوله: ﴿فَي لَلَيّ وَلان: أحدهما: أن معناه: في أشهر الحج. والثاني: في زمان الإحرام بالحج. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبَّهُ إِذَا رَجَعتُم ولان: أحدهما: إذا رجعتم إلى أمصاركم، قاله ابن عباس، والحسن، وأبو العالية، والشعبي، وقتادة. والثاني: إذا رجعتم من حجكم، وهو قول عطاء، وسعيد بن جبير، وأبي حنيفة، ومالك. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله، يعني أحمد بن حنبل: فصيام السبعة أيام إذا رجع متى يصومهن؟ أفي الطريق، أم في أهله؟ قال: كل ذلك قد تأوله الناس. قيل لأبي عبد الله: ففرق بينهن، فرخص في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ يَلْكَ عَتَرَةً كَايِلَةً ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: كاملة في قيامها مقام الهدي، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، والحسن. قال القاضي أبو يعلى: وقد كان يجوز أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي في باب استكمال الثواب، فأعلمنا الله تعالى أن العشرة بكمالها هي القائمة مقامه. والثاني: أن الواو قد تقوم مقام «أو» في مواضع، منها قوله: ﴿ قَائِكُ وَ النَّهُ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَ وَتُلْتَ وَرُبُحُ ﴾ [انساء: ٣] فأزال الله عَلى احتمال التخيير في هذه الآية بقوله: ﴿ قَائِكُ عَتَرَةً كَامِلُةً ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثالث: أن ذلك للتوكيد. وأنشدوا للفرزدق:

هملا سمالمت جمموع كمشدة يسوم ولموا أيسن أيسما

وقال آخر:

كهم نسعهمه كسانست له كهم كهم وكهم

والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء لتوكيده. والرابع: أن معناه: تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج، والسبعة بعد، لئلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والمخامس: أنها لفظة خبر، ومعناها الأمر، فتقديره: تلك عشرة فأكملوها.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى لِمَن لَمْ يَكُنُ أَمْلُهُ حَاضِرِى الْسَنْعِدِ الْمُرَارِّ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلى الحج. والثاني: أنه الجزاء بالنسك والصيام. واللام من «لمن» في هذا القول بمعنى: «على». فأما حاضروا المسجد الحرام؛ فقال ابن عباس، وطاووس، ومجاهد: هم أهل الحرم. وقال عطاء: من كان منزله دون المواقيت. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: إن هذا الفرض لمن كان من الغرباء، وإنما ذكر أهله، وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون.

﴿ الْحَجُّ اَشْهُرٌ مَّمْلُومَتُ مَّ مَنَ وَمَنَ فِيهِ كَ الْمَجَّ فَلَا رَمَنَ وَلا فُسُوتَ وَلا جِمَالَ فِي الْحَجُّ وَمَا تَشْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ بِسْكَمُهُ اللَّهُ وَتَسَرَّقُهُوا فَإِنْ خَيْرٍ النَّفَوَىٰ وَالنَّقُونِ يَتَأُولِ الْأَلْبَابِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ الْمَجُ أَشُهُرٌ مَّمَلُونَكُ ﴾ في الحج لغتان. فتح الحاء، وهي لأهل الحجاز، وبها قرأ الجمهور. وكسرها، وهي لتميم، وقيل: لأهل نجد، وبها قرأ الحسن. قال سيبويه: يقال: حج حجاً، كقولهم: ذكر ذكراً، وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة. قال الفراء: المعنى: وقت الحج هذه الأشهر. وقال الزجاج: معناه: أشهر الحج أشهر معلومات. وفي أشهر الحج قولان: أحلهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبيز، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، والشعبي، وطاووس، والنخعي، وقتادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأبو حنيقة، وأحمد بن حنبل، والشافعي في والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو مروي عن ابن عمر أيضاً، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والزهري، والربيع، ومالك بن أنس. قال ابن جرير الطبري: إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، إنما هي للحج، وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء منى، وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها. قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: ﴿ المَحَ الْحَبُ اللهر وهي شهران وبعض الآخر على عادة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: ﴿ المَحَ الْحَب والمام، وأتيتك ألم الفراء: تقول العرب: له اليوم يومان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر. وتقول: (رتك العام، وأتيتك العرب. قال الفراء: تقول العرب: له اليوم يومان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر. وتقول: ﴿ وَحَكُنَا لِلْكَرِيمُ مُنْهِرِيكِ في يريد: الود وسليمان. والثاني: أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت.

فصل

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج، فقال عطاء، وطاووس، ومجاهد، والشافعي: لا يجزئه ذلك، وجعلوا فائدة قوله: ﴿الْحَجُّ أَشَهُرٌ مَّمْلُوكَتُ ﴾ أنه لا ينعقد الحج إلا فيهن. وقال أبو حنيفة، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل: يصح الإحرام بالحج قبل أشهر، فعلى هذا يكون قوله: ﴿الْحَجُّ أَشَهُرٌ مَّمْلُوكَتُ ﴾ أي : هلطم الحج يقع في هذه الأشهر، كما قال النبي ﷺ: «الحج عوفة)(١)

قوله تعالى: ﴿ نَمَنَ فَرَضَ فِيهِ كَ أَلْمَتُ ﴾ قال ابن مسعود: هو الإهلال بالحج، والإحرام به. وقال طاووس، وعطاء: هو أن يلبي. وروي عن علي، وابن عمر، ومجاهد، والشعبي في آخرين: أنه إذا قلّد بدنته فقد أحرم، وهذا محمول على أنه قلّدها ناوياً للحج. ونص الإمام أحمد بن حنبل في في رواية الأثرم: أن الإحرام بالنية. قيل له: يكون محرماً بغير تلبية؟ قال: نعم إذا عزم على الإحرام، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَكَ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وأبو جعفر: «فلا رفتٌ ولا فُسوقٌ ، بالضم والتنوين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير تنوين، ولم يرفع أحد منهم لام قجدال إلا أبو جعفر. قال أبو علي: حجة من فتح أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، لأنه بالفتح قد نفى جميع الرفث والفسوق، كقوله: ﴿ لَا رَبُّ فِيهِ ﴾ فإذا رفع ونوّن؛ كان النفي لواحد منه، وإنما فتحوا لام الجدال، ليتناول النفي جميع جنسه، فكذلك ينبغي أن يكون جمع الاسمين قبله. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفي جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد بالمعنى: الجميع، وفي الرفث ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع، وما وهو مروي عن ابن عمر أيضاً، وابن عباس، وعمرو بن

⁽١) رواه أحمد في المسند؛ وأصحاب االسنز؛ والحاكم، والبيهتي، كلهم عن عبد الرحمن بن يعمر اللفيلي ﷺ، وسنده صحيح.

دينار في آخرين. والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي. وفي الفسوق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه التنابز بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وقتادة في آخرين، وهو الذي نختاره، لأن المعاصي تشمل الكل، ولأن الفاسق: الخارج من الطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا حِدَالَ فِي آلَحَيُّ ﴾ الجدال: المراء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن معناه: لا يمارين أحد أحداً، فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاووس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهري، والضحاك في آخرين. والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه، قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي الحجة، فذلك حين قال: ﴿إِن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض (١) وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه، والقاسم بن محمد.

قوله تعالى: ﴿وَتَكَرُقَدُواْ فَإِكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقَوَيُّ﴾ قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فيسألون الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَكَرُقَدُواْ فَإِكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقُوعُ ﴾(٢) قال الزجاج: أمروا أن يُتزودوا، وأعلموا أن خير ما تزودوا تقوى الله عَلَى .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُسَاحُ أَن تَبْتَعُوا فَفَسَلَا يَن زَيْكُمْ فَإِذَا أَنَفَسُتُم فِن عَرَفَتَ وَفَاذَكُرُا اللّهَ عِندَ الْمَفْسَمَرِ
الْكَرَايُّ وَاذْكُرُهُ كُمَا هَدَنَكُمْ وَإِن كُنتُم قِن فَبْلِهِ. لَمِنَ الفَكَالِينَ ﴿ فُدَ أَفِيضُوا مِنْ حَبْثُ أَفَكَاضَ اللّاسُ وَاسْتَغَيْرُوا
اللّهُ إِن اللّهُ عَمُورٌ تَجِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُكَاحُ أَن تَبَتَعُوا فَضَهُ لِا مِن رَبِّكُمْ ﴾ قال ابن عباس: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم، ويقولون: أيام ذكر؛ فنزلت هذه الآية. والابتغاء: الالتماس. والفضل هاهنا: التماس الرزق بالتجارة والكسب. قال ابن قتيبة: ﴿ أَفَسَنُهُ ﴾ ، بمعنى: دفعتم. وقال الزجاج: معناه: دفعتم بكثرة، يقال: أفاض القوم في الحديث: إذا النفعوا فيه، وأكثروا التصرف. وفي تسمية «عرفات» قولان: أحدهما: أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفات قال: قد عرفت، فسميت «عرفة» قاله علي على الثاني: أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها، قاله الضحاك. قال الزجاج: والمشعر: المعلم، سمي بذلك، لأن الصلاة عنده. والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج، وهو مزدلفة، وهي جمع يسمى بالاسمين. قال ابن عمر، ومجاهد: المشعر الحرام: المزدلفة كلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُو كُمَا هَدُنْكُم ﴾ أي: جزاء هدايته لكم، فإن قيل: ما فائدة تكرير الذكر؟ قيل: فيه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كرره للمبالغة في الأمر به. والثاني: أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول، فحسن تكريره. فالمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته. والثالث: أنه كرره ليدل على مواصلته، والمعنى: اذكروه ذكراً بعد ذكر، ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم النحوي. والرابع: أن الذكر في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا الله عِنهُ هُو: الذكر الفَحْرَامِ هُوله: ﴿كُمَا هَدَنْكُم هُو: الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة جمع، حكاه القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن مِّلْهِ ، ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحلها: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابن

⁽١) متفق عليه من حديث أبي بكرة نفيغ بن الحارث. قال العلماء في شرح هذا الحديث: إن العرب كانت تمسكت بعلة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الأربعة، إلا أنهم كانوا إذا احتاجوا للقتال في شهر منها، أخروا تحريمهم إلى الشهر الذي يليه، هكذا شهراً إلى شهر، حتى اختلط الأمر عليهم، فصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم، لأنهم كانوا في تلك السنة حرموا ذا الحجة بمقتضى حسابهم، فأخبر ﷺ أن الاستدارة وافقت ما حكم الله سبحانه وتعالى به يوم خلق السموات والأرض.

⁽٢) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي.

عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الهدى، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيصُوا مِن حَيّثُ أَلَكَاسُ النّكَاسُ ﴾ قالت عائشة: كانت قريش ومن يدين بدينها، وهم الحمس، يقفون عشية عرفة بالمزدلفة، يقولون: نحن قطن البيت، وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية (١). قال الزجاج: سموا الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشلدوا. والحماسة: الشدة في كل شيء. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنهم جميع العرب غير الخمس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل على قاله الفسحاك بن مزاحم. والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الفهوري، وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورَّق العجلي: «الناسي، بإثبات الياء. والرابع: أنهم أمل اليمن وربيعة، فإنهم كانوا يفيضون من عوفات، قاله مقاتل. وفي المخاطبين بذلك قولان: أحلهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج على قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم. والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات؛ فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿ وَمَهُمُ النّف تَعديماً وتأخيراً الله ثم أنهضوا من عرفات؟! غير أني أقول: وجه الكلام على ما قال أهل التفسير: أن فيه تقديماً وتأخيراً، فأذكروا الله. واللغفور؛ من أسماء الله على من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكأن الغفور هو الساتر لعبده برحمته، أو الساتر لذنوب عباده. والغفور: هو من وطلك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكأن الغفور هو الساتر لعبده برحمته، أو الساتر لذنوب عباده. والغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة من الكثرة، كقولك: صبور، وضروب، وأكول.

قوله تعالى: ﴿ فَاإِذَا تَصْكُنُهُ مُنَاسِكُ مُ فَاذَكُوا الله في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك؛ فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروي عن الحسن، وعطاء، ومجاهد. والثاني: أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا؛ فنزلت هذه الآية. وهذا مروي عن الحسن أيضاً. والثالث: أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم، قام الرجل بمنى فقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه؛ فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. والمناسك: المتعبدات. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدها: أنه جميع أفعال الحج، قاله الحسن. والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد. وفي ذكرهم آبائهم أربعة أقوال: أحدها: أنه إرارهم بهم. والثاني: أنه حلفهم بهم، والثاني: أنه أول نطقهم بذكر آبائهم، وري هذا المعنى عن عطاء، والضحاك. وفي إليهم، والرابع: أنه ذكر الأطفال الآباء، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم، روي هذا المعنى عن عطاء، والضحاك. وفي أولان: أحدهما: أنها المرأة المالحة، قاله علي. والثاني: أنها العبادة، رواه سفيان بن حسين عن الحسن. والثالث: أنها العلم والعبادة، رواه هشام عن الحسن. والرابع: أنها العبادة، واله أبن قتيبة. وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرر العين، قاله علي عليهم، قالم مقاتل. والسابع: النعمة، قاله أبن قتيبة. وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحور العين، قاله علي ظهم، والثاني: الجنة، قاله الحسن، والسدي، ومقاتل. والثالث: العفو والمعافاة، أحدها: صناحسن، والشوي.

⁽١) روى البخاري في الصحيحه عن عائشة على قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَلْكَاسُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتَهِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَا كَسَبُراً ﴾ قال الزجاج: معناه: دعاؤهم مستجاب، لأن كسبهم هاهنا هو الدعاء، وهذه الآية متعلقة بما قبلها، إلا أنه قد روي أنها نزلت على سبب يخالف سبب أخواتها، فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله! مات أبي ولم يحج، أفأحج عنه؟ فقال: «لو كان على أبيك دين قضيته، أما كان ذلك يجزئ عنه؟ قال: نعم، قال: «قدين الله أحق أن يقضى!» قال: فهل لي من أجر؟ فنزلت هذه الآية (١). وفي معنى سرعة الحساب حمسة أقوال: أحدها: أنه قِلّته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: أن المعنى: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَاذَكُرُوا اللَّهَ فِي أَيْنَامِ مُمَّـدُورَتُكِ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج. والثاني: أنه التكبير عقيب الصلوات المفروضات. واختلف أرباب هذا القول في الوقت الذي يبتدئ فيه بالتكبير ويقطع على ستة أقوال: أحدها: أنه يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى [ما] بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله على، وأبو يوسف، ومحمد. والثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود، وأبو حنيفة. والثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك بن أنس، وهو أحد قولى الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ومذهب إمامنا أحمد أنه إن كان محلاً، كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة؛ أولها الفجر يوم عرفة، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محرماً كبر عقيب سبعة عشر صلاة؛ أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق. وهل يختص هذا التكبير عقيب الفرائض بكونها في جماعة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان: إحداهما: يختص بمن صلاها في جماعة، وهو قول أبى حنيفة رحمه الله. والثانية: يختص بالفريضة، وإن صلاها وحده، وهو قول الشافعي. وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن على، وابن عمر. والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبير، والنخعي. قال الزجاج: و«معدودات» يستعمل كثيراً للشيء القليل، كما يقال: دريهمات وحمامات.

قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَجُّلُ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى؛ فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منى، فلا إثم عليه. فإن قيل: إنما يخاف الإثم المتعجل، فما بال المتأخر ألحق به، والذي أتى به أفضل؟! فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال: لا إثم عليه، لتوافق اللفظة الثانية الأولى، كقوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُم الْعَنَدُوا عَلَيْه . والثاني: أن المعنى: فلا إثم على المتعجل والمتأخر التي كانت فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة. والثالث: أن المعنى: قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجهما. والرابع: أن المعنى: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى. وفي معنى «لمن اتقى ثلاثة أقوال: أحدها: لمن اتقى قتل الصيد، قاله ابن عباس. والثاني: لمن اتقى ليما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه. والثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْعَيَوْةِ الدُّنيَّا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْمِهِ. وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَارِ ﴿ ﴿ وَمِنْ النَّاسِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْمِهِ. وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَارِ ﴿ ﴿ وَمُونَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْمِهِ. وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَارِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْمِهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالَةُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْمَيَوْةِ الدُّنيَّا﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

⁽١) لم يذكر هذا الحديث في شيء من كتب الحديث والتفسير التي بين أيدينا على أنه سبب لنزول الآية، والأحاديث في جواز الحج عن الغير وردت من طرق صحيحة عن ابن عباس وعلى وعبد الله بن الزبير ﷺ.

أحدها: أنها نزلت في الأحنس بن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبي الحسن، ويحلف له أنه يحبه، ويتبعه على دينه، وهو يضمر غير ذلك، هذا قول ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول الحسن، وتتادة، وابن زيد. والثالث: أنها نزلت في سرية الرجيع (۱۱)، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي شي وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا، فابعث لنا نفراً من أصحابك يعلمونا ديننا، فبعث في خبيب بن عدي، ومرثداً الغنوي، وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت، فساروا نحو مكة، فنزلوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر، فأكلوا منه، فمرت عجوز فأبصرت النوى، فرجعت إلى قومها وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب، فركب سبعون منهم حتى أحاطوا بهم، فحاربوهم، فقتلوا مرثداً، وخالداً، وابن طارق، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهم، فقتل بكل سهم رجلاً من عظمائهم، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فأحم لحمي آخر النهار، ثم أحاطوا به فقتلوه، وأرادوا حزّ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، فنلرت: لئن قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالى رَجُلاً (۱۲ من الدبر وهي: الزنابير عدمته، فنلدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالى رَجُلاً (۱۲ من الدبر وهي: الزنابير عدمته، فلم يقدروا عليه، فقال: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه، فنأخذه، فجاءت سحابة فأمطرت كالعزالي، فبعث الله الوادي، فاحتمله فذهب به، وأسروا خبيباً وزيداً، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً ليقتلوه، لأنه قتل آباءهم، فلما خرجوا به ليتلوه قال: دعوني أصلي ركعين، فتركوه فصلى ركعين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب؛ لزدت، وأنشأ يقول: ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعين، فتركوه فصلى ركعين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب؛ لزدت، وأنشأ يقول:

عبلنى أي شبق كبان في الله منصرعي

ولست أبالي حين أقتل مسلماً وذلك في ذات الإله وإن يسشا

يسادك عسلس أوصال شسلسو مسمدرًع

فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك سلامي، فجاءه رجل منهم يقال له: أبو سروعة، ومعه رمح، فوضعه بين يدي خبيب، فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلا عتواً. وأما زيد، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فجاءه سفيان بن حرب حين قدم ليقتله، فقال: يا زيدا أنشدك الله، أتحب أن محمداً مكانك، وأنك في أهلك؟ فقال: وإلله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلك، ثم قتل ألابي الخبر، فقال: «أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله المجتفه؟ فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يمشيان بالليل ويمكنان بالنهار، حتى وافيا المكان، وإذا حول الخشبة أربعون مشركاً نيام نشاوى، وإذا هو رطب يتثنى لم يتغير فيه شيء بعد أربعين يوماً، فحمله الزبير على فرسه، وسار فلحقه سبعون منهم، فقذف الزبير بن خبيباً فابتلعته الأرض، وقال الزبير: ما جراكم علينا يا معشر قريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن خبيباً فابتلعته الأرض، وقال الزبير: ما جراكم علينا يا معشر قريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام، وأمي صفية بنت عبد المطلب، وصاحبي المقداد، أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما، فإن شتم ناضلتكم، وإن شئتم ناضرفتم، فانصرفوا، وقدما على رسول الله في وجبريل عنده، فقال: فيا محمد إن الملائكة لنباهي بهذين من أصحابك، وقال بعض المنافقين في أصحاب خبيب: ويح هؤلاء المقتولين، لا في بيوتهم قعدوا، ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية، وثلاث آيات بعدها. وهذا الحديث بطوله مروي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ وَيُثْنِهِدُ اللّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ ﴾ . فيه قولان: أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي. والثاني: أنه يقول: اللهم اشهد عليّ بهذا القول. وقرأ ابن مسعود: «ويستشهد الله» بزيادة سين وتاء. وقرأ الحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن وابن أبي عبلة: «ويَشْهَدُ» بفتح الياء «الله» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُ ٱلْخِصَاءِ ﴾ . الخصام: جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم. قال الزجاج: والألد:

⁽١) الرجيع: ماء لهنيل قرب الهداة بين عسفان ومكة، وهو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة، بالنفر الذي بعثهم رسول الله ﷺ. انظر هسيرة ابن هشامه ١٦٩/٢.

⁽٢) الرجل: الكثير.

٣) روى معنى هذا الحديث البخاري إلى هنا مطولاً في كتاب المغازي من اصحيحه، وفيه قصة مقتل خبيب وزيد وعاصم.

الشديد الخصومة، واشتقاقه من لديدي العنق، وهما صفحتا العنق، ومعناه: أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة، غلبه في ذلك.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَكَمْ فِي الْأَرْضِ لِيُنْسِدَ بِيهَا وَيُهْلِكَ الْمَرْثَ وَاللَّسَلُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ النَّسَادَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَىٰ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: غضب، روي عن ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله، قاله الحسن. والثالث: أنه من الولاية، فتقديره: إذا صار والياً، قاله مجاهد والضحاك. والرابع: أنه الانصراف بالبدن، قاله مقاتل وابن قتيبة. وفي معنى السعى، قولان: أحدهما: أنه بمعنى: عمل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه من السعي بالقدم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد قولان: أحدهما: أنه الكفر. والثاني: الظلم. والحرث: الزرع. والنسل: نسل كل شيء من الحيوان، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين. وحكى الزجاج عن قوم: أن الحرث: النساء، والنسل: الأولاد. قال: وليس هذا بمنكر، لأن المرأة تسمى حرثاً. وفي معنى إهلاكه للحرث والنسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإنساد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر، فيهلك الحرث والنسل، قاله مجاهد. وهو يخرج على قول من قال: إنه من التولي. والثالث: أنه إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك، حكاء بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ لا يُحِبُ النَسَادَ﴾ قال ابن عباس: لا يرضى بالمعاصي. وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة. منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فأما أنه لم يرده وجوداً؛ فلا. والثاني: أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين. والثالث: أن الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرّ، ويريد بط الجرح، ولا يحب شيئاً من ذلك. وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة؛ بطل ادعاؤهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِمِبَادِهِ ٱلْكُثْرُ ﴾ [الزمر: ٧].

﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُ انْتِي اللَّهَ أَخَذَتُهُ الْمِزَّةُ بِالْإِشْرِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمٌ وَلِيلْسَ الْمِهَادُ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

أخسلته عسزة مسن جسهساسه فتولى مغضباً فعل النضجر

ومعنى الكلام: حملته الحمية على الفعل بالإثم. وفي «جهنم» قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أعجميّة لا تجر للتعريف والعجمة. والثاني: أنها اسمّ عربي، ولم يجر للتأنيث والتعريف. قال رؤبة: رُكيّة جهنّام: بعيدة القعر. وقال الأعشى:

دعوت خليلي مِسْحَالاً ودعوا له جُهنام جدعاً للهجين المذمّر(١)

فترك صرفه يدلُ على أنه اسم أعجمي مُعَرب. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه. والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزه. والمهاد: الفراش، ومهدت لفلان: إذا وطّأت له، ومنه: مهد الصبي.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْدِى نَفْسَهُ أَيْنِفَآ مَهْمَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَدُونُ إِلَيْهَادِ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النّايِنِ مَن يَشَيُّ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو معنى قول عمر وعلى ﴿ والثاني: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباس والضحاك. والثالث: أنها نزلت في صهيب الرومي، واختلفوا في قصته، فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي ﴿ فاتبعه نفر من قريش، فنزل، فانتشل كنانته، وقال: قد علمتم أني من أرماكم بسهم، وايم الله لا تصلون إليَّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن شئتم دللتكم على مالي. قالوا: فدلنا على مالك نخل عنك، فعاهدهم على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلما رآه النبي ﷺ قال: ﴿ وبح البيعُ أبا يحيى الله القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب، وذكر نحوه أبو

⁽١) جهنام: لقب لشاعر كان يهاجي الأعشى اسمه «عمرو بن قطن» وقيل: هو اسم شيطان الشاعر على عقيدة بعض العرب في ذلك، كما أن «مسحلاً» اسم شيطان الأعشى.

صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق. وذكر مقاتل أنه قال للمشركين: أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم، ولي عليكم حق لجواري، فخذوا مالي غير راحلة، واتركوني وديني، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة، فأقام ما شاء الله، ثم ركب راحلته، فأتى المدينة مهاجراً، فلقيه أبو بكر، فبشره وقال: نزلت فيك هذه الآية. وقال عكرمة: نزلت في صهيب، وأبي ذر الغفاري، فأما صهيب، فأخذه أهله فافلت منهم حتى قدم مهاجراً. والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله، قاله الحسن وابن زيد في آخرين. والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهروا، هذا قول قتادة. وقيشري، كلمة من الأضداد، يقال: شري، بمعنى: باع، وبمعنى: اشترى. فمعناها على قول من قال: نزلت في صهيب؛ معنى: يشتري. وعلى بقية الأقوال بمعنى: يبيع.

﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ ءَاسَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلِمِ كَآفَـةَ وَلَا سَنَبِعُوا خُلُوَرَتِ الشَّكَيْطَانُ إِلَّهُ لَكُمْ عَدُقٌ ثَمِينٌ ﴿ فَهُ مَا إِن كَالْتُكُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الفَكَمَارِ وَلَا تَسْتَجُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الفَكَمَارِ وَلَا اللَّهُ عَرِيدُ حَكِيدُ ﴿ هَا يَظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الفَكَمَارِ وَلَا اللَّهَ عَرْبَعُ الْأَمُورُ ﴿ فَهُ اللَّهُ مِنْ الْفَكَمَارِ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ مُرْدَعُ الْأَمُورُ ﴿ فَهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيكَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْرِ كَافَدُّ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل، وأشياء يتقيها أهل الكتاب. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، أمروا بالدخول في الإسلام. روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها نزلت في المسلمين، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها، قاله مجاهد وقتادة. وفي (السلم) ثلاث لغات: كسر السين، وتسكين اللام؛ وبها قرأ أبو عمرو، وابن عامر في ﴿البقرة﴾ وفتحا السين في ﴿الأنفال؛ وسورة ﴿محمدُّ. وفتح السين مع تسكين اللام؛ وبها قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي في المواضع الثلاثة. وفتح السين واللام؛ وبها قرأ الأعمش في «البقرة» خاصة. وفي معنى «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول أبي العالية، والربيع. وقال الزجاج: واكافة؛ بمعنى الجميع، وهو في اشتقاق اللغة: ما يكف الشيء في آخره، من ذلك: كُفة القميص، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة: بضم الكاف. ويقال في كل مستدير: كِفة بكسر الكاف، نحو: كِفَّة الميزان. ويقال: إنما سميت كُفَّة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكف: المنع، وقيل لطرف اليد: كف، لأنها تكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: قد كف بصره أن ينظر. واختلفوا: هل قوله: •كافقه يرجع إلى السلم، أو إلى الداخلين فيه؟ على قولين: أحدهما: أنه راجع إلى السلم، فتقديره: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يخرج على القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية. والثاني: أنه يرجع إلى الداخلين فيه، فتقديره: ادخلوا كلكم في الإسلام، ويهذا يخرج على القول الثاني. وعلى القول الثالث يحتمل قوله: «كافة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أمراً للمؤمنين بالسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم. والثاني: أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع شرائِعه. والثالث: أن يكون أمراً لهم بالثبات عليه، كقوله تعالى: ﴿يَكَايُّهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦]. و: ﴿خُطُونِ اَلشَّيَطُانِّ﴾: المعاصي. وقد سبق شرحها. و﴿ ٱلْمِيْنَكِ ﴾: الدلالات الواضحات. وقال ابن جريج: هي الإسلام والقرآن. وفينظرون؛ بمعنى: ينتظرون.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ اللَّهُ ﴾ كان جمَّاعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال: المراد به: قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِنَ أَثْرُ رَبِّكُ ﴾ [الانعام: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُلٍ مِنَ ٱلْنَكَارِ﴾ أي: بظلل. والظلل: جمع ظلة. والغمام»: السحاب الذي لا ماء فيه. قال الضحاك: في قطع من السحاب. ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه عند الموت. قاله قتادة. وقرأ الحسن بخفض "الملائكة، و(قُضيَ الأمرُ): فُرغ منه. ﴿وَإِلَى اللَّهِ أَرْبَعُ ٱلْأَمُورُ﴾. أي: تصير. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم، الترجع، بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتحها. فإن قيل: فكأن الأمور كانت إلى غيره؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد به إعلام الخلق أنه

المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب، قاله الزجاج. والثاني: أنه لما عَبدَ قومٌ غيره، ونسبوا أفعاله إلى سواه، ثم انكشف الغطاء يوم القيامة؛ ردوا إليه ما أضافوه إلى غيره. والثالث: أن العرب تقول: قد رجع عليَّ من فلان مكروه: إذا صار إليه منه مكروه، وإن لم يكن سبق، قال الشاعر:

فإن تكسن الأيسام أحسسن مسرةً إلسيّ فقد عادت لهسنّ ذنوب ذكرهما ابن الأنباري. ومما يشبه هذا قول لبيد:

ومنا النمسرء إلا كالنشبهاب وضوف في المناطبيع المناطبيع المناطبيع ومناداً بسعيد إذ هيو سناطبيع أراد: يعير زماداً لا أنه كان رماداً. وقال أمية بن أبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا(١)

أي: صار. والرابع: أنه لما كانت الأمور إليه قبل الخلق، ثم أوجدهم فملكهم بعضها رجعت إليه بعد هلاكهم. فإن قيل: قد جرى ذكر اسمه تعالى في قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ فما الحكمة في أنه لم يقل: وإليه ترجع الأمور؟ فالجواب: أن إعادة اسمه أفخم وأعظم، والعرب إذا جرى ذكر شيء يفخم أعادوا لفظه، وأنشدوا:

لا أرى السموت يسبق السموت شيئاً نغص السموت ذا الغنسي والفقيسرا فأعادوا ذكر الموت لفخامته في صدورهم، ذكره الزجاج.

﴿ سَلْ بَنِي ۚ إِسْرُهِ بِلَ كُمْ ءَاتَيْنَهُم مِّنْ ءَايَتِم بَيْنَةً وَمَن يُبَدِّلْ نِسْمَة اللّهِ مِنْ بَندِ مَا جَآءَتُهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْمِقَابِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَن بَنِ إِسْرَينَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له وللمؤمنين. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «سل» بغير همز، وبعض تميم يقول: «اسأل» بالهمز، وبعضهم يقول: «إسلّ» بالألف وطرح الهمز، والأولى أغربهن، وبها جاء الكتاب. وفي المراد بالسؤال قولان: أحدهما: أنه التقرير والإذكار بالنعم. والثاني: التوبيخ على ترك الشكر. والآية البينة: العلامة الواضحة، كالعصا، والغمام، والمن، والسلوى، والبحر. وفي المراد بنعمة الله قولان: أحدهما: أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قتادة: والثاني: أنها حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ قاله الزجاج. وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد. والثاني: تغيير صفة النبي ﷺ، في التوراة. قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة.

وَّرُيْنَ لِلَيْنِ كَفُرُوا الْعَيْوةُ الدُّيْا وَيَسْخُرُونَ بِن الدِّينَ ءَامُواً وَالْدِينَ اتَقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيْدَةِ وَاللهُ يَرْدُو مَن الْمَافقين. قاله قوله تعالى: ﴿ وَإِن اللهِ عَلَمَ اللهُ اللهُ اللهُ الوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في علماء اليهود، قاله عطاء. والثالث: في عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين. قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما جاز في «زين» لفظ التذكير، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، إذ معنى الحياة ومعنى العيش واحد. وإلى من يضاف هذا التزيين؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يضاف إلى الله. وقرأ أبيّ بن كعب، والحسن، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبلة: «زَيِّن» بفتح الزاي والياء، على معنى: زيّنها الله لهم. والثاني: أنه يضاف إلى الشيطان، وي عن الحسن. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والتزيين من الله تعالى: هو التركيب الطبيعي، فإنه وضع في الطبائع محبة المحبوب، لصورة فيه تزينت للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لزينته، فالله تعالى يزيّن بالوضع، والشيطان يزيّن بالإذكار. وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سخروا منهم للفقر. والثاني: لتصديقهم بالآخرة. والثالث: لاتباعهم للنبي ﷺ. وقبل: إنهم ألك على الحق، سخرية منهم بهم. وفي معنى كونهم «فوقهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أن أنعيم المؤمنين في علين، والكفار في سجين. والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنصورون. أصله، لأن المؤمنين في علين، والكفار في سجين. والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنصورون.

⁽١) هو من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن إثر ظفره بالحبشة. القعب: القدح الضخم. شيبا: خلطا.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُنُ مَن يَشَاهُ مِنْيِ حِسَابِ﴾ فيه قولان: أحفهما: أنه يرزق من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيّق. والثاني: يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة.

﴿ كَانَ النَّاسُ أَمَّةً وَجِدَةً فَهَتَ اللَّهُ النِّهِيْتِينَ مُبَشِّرِينَ وَأُنزَلَ مَهُمُ ٱلْكِنْبَ بِالْحَقِ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَقُوا فِيهُ وَمَا اخْتَلَقُوا فِيهُ وَمَا الْخَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوثُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتُهُمُ الْبَيْنَتُ بَنْيًا بَيْنَهُمُ فَهْدَى اللَّهُ الّذِينَ مَامَثُوا لِمَا اخْتَلَقُوا فِيهِ مِنَ الْعَقِ بِإِذِيهُ وَاللَّهُ يَعْدِى مَن يَشَكُهُ إِلَّهَ اللَّهِ مِنْ الْمُعْقِيمِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كُانَ النَّاسُ أَمَّةً وَمِدَهُ ﴾ في المراد بدالناس الماهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمع على الجمع على الجمع على الجمع على الوحد. ومعنى الآية: كان آدم ذا دين واحد، فاختلف ولده من بعده. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق، فاختلفوا الواحد. ومعنى الآية: كان آدم ذا دين واحد، فاختلف ولده من بعده. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق، فاختلفوا حين قتل قابيلُ هابيلُ. ذكره ابن الأنباري. والأمّة هاهنا: الصنف الواحد على مقصد واحد. وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبيّ بن كعب، وتتادة، والسدّي، ومقاتل. والثاني: أنه الكفر. رواه عطية عن ابن عباس. ومتى كان ذلك؟ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه حين عرضوا على آدم، وأقروا بالعبودية. قاله أبيّ بن كعب. والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفاراً. قاله ابن عباس. والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة. والرابع: حين ركبوا السفينة، كانوا على الحق. قاله مقاتل. والمخامس: في عهد آدم، ذكره ابن الأنباري. ﴿ فَيَمَتُ اللّهُ النِّيتِينُ مُنَيّدٍ بِيكَ كُم بَيْنَ النّاسِ. وقل المحد، ومندرين لمن آمن بك يا محمد، ومندرين لمن كذبك. ﴿ وَأَرْنَ مَهُمُ الْكِنْبُ إِلْمَقِ لِيَعْكُم بَيْنَ النّابِي ﴾ والكتاب: اسم جنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وذكر بعضهم أنه في التوراة. وفي المراد بالحق هاهنا قولان: أحدها: أنه بمعنى الصدق والعدل. والثاني: أنه النها وفتح الكاف. وقرأ أبو جعفر: النُحكم عليه الكتاب، والثالث: الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ هَذَا كَلُولُ مَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهِ النّه على الخطاب للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فِيمَا اَخْتَلَنُوا فِيدُ ﴾ يعني: الدين.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَكَ فِيهِ ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى محمد ﷺ، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى الدين. قاله مقاتل. والثالث: إلى الكتاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما هاء «أوتوه» فعائدة على الكتاب من غير خلاف. وقال الزجاج: ونصب «بغياً» على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم. وقال الفراء: في اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثاني: تبديل ما بدلوا.

قوله تعالى: ﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ اللهُ الَّذِينَ المَنْوَا لِنا اخْتَلَتُوا فِيهِ أَي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال: أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارى الأحد، فروى البخاري ومسلم في والصحيحين، من حديث أبي هريرة عن رسول الله عليه أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة (١) بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم قاختلفوا فيه، فهداتا الله له فاليوم لنا، وفداً لليهود، وبعد غد للنصارى (٢). والثاني: أنه الصلاة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب. والثالث: أنه إبراهيم. قالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً. والرابع: أنه عيسى، جعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى إلهاً. والخامس: أنه الكتب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها. والسادس: أنه الدين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك.

أي: نحن الآخرون زماناً، السابقون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الأخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

⁽٢) متفق عليه، واللفظ الذي أورده المصنف لمسلم.

قوله تعالى: ﴿ بِإِذَبِهِ ﴾ قال الزجاج: إذنه: علمه. وقال غيره: أمره. قال بعضهم: توفيقه.

﴿ أَمْ حَسِبْشُدُ أَن تَدْخُلُوا الْجَنْكَةَ وَلَمْنَا يَأْتِكُم مِّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن فَبْلِكُمْ مِّسَتَهُمُ الْبَاْسَالُهُ وَالظَّرِّلَهُ وَزُلْزِلُوا حَتَى يَعُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَاسَوُا مَسَهُمْ مَتَى نَسْرُ اللَّهِ أَلَاَ إِنَّ نَسْرَ اللَّهِ وَإِبْتُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَيِثُمُ أَن تَدَّقُلُوا ٱلْجَكَةَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاء وحصر، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول قتادة. والثاني: أن النبي ﷺ لما دخل المعينة هو وأصحابه اشتد بهم الضر، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والثالث: أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لو كان محمد نبياً لم يُسلط عليكم القتل، فأجابوهم: من قتل منا دخل الجنة، فقالوا: لم تمنزن أنفسكم بالباطل؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وزعم أنها نزلت يوم أحد. قال الفراء: ﴿أَمْ حَيِبَتُهُ بمعنى: أظننتم، وقال الزجاج: أم بمعنى: بل. وقد شرحنا أم فيما تقدم شرحاً كافياً. والمثل بمعنى: الصفة. وازلزلوا خُوفوا وحُركوا بما يؤذي، وأصل الزلزلة في اللغة من: زل الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فتأويله: كررت زلزلته مِن مكانه، وكل ما كان فيه ترجيع كررت فيه فاء الفعل، تقول: أقل فلان الشيء: إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رفعه وردّه، قيل: قلقله. فالمعنى أنه تكرر عليهم فيه فاء الفعل، تقول: قاله ابن عباس. البأساء: الشدة والبؤس، والضراء: البلاء والمرض. وكل رسول بعث إلى أمته يقول: هَنَّ مُنَّ مُنَاهِ والنصر: الفتح، والجمهور على فتح لام ﴿عَنَّ يَتُولَ ﴾، وضمها نافع.

فصل

ومنا رُمنتُ السدُخول عبليهِ حتّى خَلَتْ منحلّة النعبد التلّيل وأصنتُ النفس عن قبال وقيبل وأضنتُ النفس عن قبال وقيبل

﴿يَسْتَكُونَكَ مَاذَا يُسْفِينُونَ قُلْ مَا أَسْفَتُم مِنْ خَيْرٍ مَيْلُولِيَّيْنِ وَٱلْأَوْرِينَ وَالْيَسَكِينِ وَإِنِ السَكِيلِ وَمَا تَشْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عِلَيْهِ وَالْتَمَانِي وَالْهِ السَّكِيلِ وَمَا تَشْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عِلِيثٌ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ يَتَكُونَكُ مُاذَا يُنفِتُونَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان له مال كثيرٌ، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق، وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح من ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي على إن لي ديناراً، فقال: «أنفقه على نفسك». فقال: إن لي دينارين، فقال: وأنفقها على فقال: إن لي أربعة، فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «أنفقها على خادمك» فقال: إن لي أربعة، فقال: «أنفقها على والديك». فقال: إن لي خمسة، فقال: «أنفقها على قرابتك» فقال: إن لي ستة، فقال: «أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها فنزلت فيه هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس (٣٠٠. قال الزجاج: «ماذا» في اللغة على ضربين: أحدهما: أن

⁽١) متفق عليه من حديث عائشة 🐉. 💛 (۲) رواه البيهتي. وقال المناوي: فيه اليمان بن المغيرة، قال اللهبي: ضعفوه.

⁽٣) ذكره الواحدي في اأسباب النزولة بدون سند وقد جاء معنى هذا الحديث مستداً من طريق أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سبب لنزول الآية. فقد روى أحمد في المستدة وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على "تصدقوا، قال رجل: عندي دينار؟ قال: تصدق به على نشك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تعدق به على ولدك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على ولدك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على خادمك. قال: هندي دينار آخر؟ قال: أثب أبصرة وإسناده صحيح.

تكون «ذا» بمعنى الذي، والينفقون»: صلته، فيكون المعنى: يسألونك: أي شيء الذي ينفقون؟ والثاني أن تكون «ما» مع «ذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: يسألونك أي شيء ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: على مَن ينبغي أن يفضلوا، وما وجه الذي ينفقون؟ الأنهم يعلمون ما المنفق، وأعلمهم الله أن أولى مَن أفضِل عليه الوالدان والأقربون. والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين. وقال: ومعنى: ﴿ فَيُلِنَوْنِكِنَ ﴾: فعلى الوالدين.

فصل

وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخة، قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة. وذهب الحسن إلى إحكامها، وقال ابن زيد: هي في النوافل. وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة على المذكورين فيها.

﴿ كُتِبَ عَلِنَكُمُ الْفِنَالُ وَهُوَ كُوَّ لَكُمُّ وَعَسَىٰ أَن تَكَرَّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمُّ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُوا شَيْئًا وَهُوَ خَرُّ لَكُمُّ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَشُدُ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ قال ابن عباس: لما فرض الله على المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و لاكتب بمعنى: فرض في قول الجماعة. قال الزجاج: يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً وكُرهاً، وكراهة وكراهية . وكل ما في كتاب الله من الكره، فالفتح فيه جائز، إلا أن أبا عبيد ذكر أن الناس مجتمعون على ضَمَّ هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقّته على النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال الفراء: الكُره والكره: لغتان. وكأن النحويين يذهبون بالكره إلى ما كان منك مما لم تُكره عليه، فإذا أكرهت على الشيء استحبوا «كرها» بالفتح. وقال ابن قيبة: الكره بالفتح، معناه: الإكراه والقهر، وبالضم معناه: المشقة. ومن نظائر هذا: الجُهد: الطاقة، والجَهد: المشقة، ومنهم مَن يجعلهما واحداً. وعُظْم الشيء: أكبره، وعَظمه: نفسه. وعُرض الشيء: إحدى نواحيه. وعَرضه: خلاف طوله. والأكل: مصدر أكلت، والأكل: المأكول، وقال أبو علي: هما لغتان، كالفَقر والفَقر، والضَّعف والضَّعف، والدَّف والدَّف، والشَّهد.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ آن تَـكُرَهُوا شَيْهَا ﴾ قال ابن عباس: يعني الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فتح وغنيمة أو شهادة. ﴿وَعَسَىٰ آن تُربُوا شَيْهًا ﴾ وهو: القعود عنه. ﴿وَهُو شَرٌّ لَكُمُ ﴾ لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة. ﴿وَاللّهُ يَسَلُمُ ﴾ أن الجهاد خير لكم. ﴿وَالتُمْ لا تَطْهُونَ عَنه الجهاد خير لكم. ﴿وَالتُمْ لا تَطْهُونَ عَنه الجهاد خير لكم. ﴿وَالتَّمُ لا تَطْهُونَ عَنه المعود عنه الجهاد خير لكم المناهات المناها

فصل

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَارِ فِتَالِ فِيهِ قُلْ فِتَالُّ فِيهِ كَبِيرٌّ وَسَدُّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ هِهِ. وَالْمَسْجِدِ الْحَرَارِ وَإِخَرَاجُ أَهْلِهِ. مِنْهُ آكْبُرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِشْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُعَالِّونَكُمْ مَنَّ يُرِدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَلْعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ. فَيَمْتَ وَهُوَ كَالِثُ فَأُولَتَهِكَ حَبِطَتْ آعَمَلُهُمْ فِي الدُّنِيَا وَالْآئِيدَ وَالْوَلَتِكَ أَصْحَبُ النَّالِّ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۖ ۖ ۖ ۖ

قوله تعالى: ﴿ يُسْتَلُونَكُ عَنِ ٱلنَّهُرِ ٱلْحَرَارِ فِتَالِ فِيدٍ ﴾ روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً،

وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحداً مِن أصحابك على المسير معك، فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعاً [وطاعة لأمر] الله ولرسوله [فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب]، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمِن رجب، أو من جمادى الآخرة؟ فقال المسلمين: للن كان أصابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ النِّينَ المَثُولُ وَالنِّينَ هَاجُرُوا ﴾ إلى قوله: ﴿رَجِيدٌ ﴾ [البقرة: المسلمين: لمن كان أصابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ النِّينَ عَبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان المحاب النبي على يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب. وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في أصحاب النبي على يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب. وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين: أحدهما: هذا. والثاني: دخول النبي على مكة في شهر حرام يوم الفتح، حين عاب المشركون عليه القتال في شيئين: أحدهما: هذا. والثاني: أنهم المشركون سألوه على وجه العيب على المسلمين، قاله الحسن وعروة، ومجاهد. عباس وعكرمة ومقاتل. والثاني: أنهم المشركون سألوه على وجه العيب على المسلمين، قاله الحسن وعروة، ومجاهد. والشهر الحرام: شهر رجب، وكان يدعى الأصم، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلاح قعقعة تعظيماً له، ﴿وَيَالِ فِيدِ كُبِينُ هَال ابن مسعود وابن عباس: لا يجل. قال القاضي أبو يعلى: كان أهل يسألونك عن قتال فيه. ﴿فَلُ فِنَالٌ فِيهِ كَبِينُ هَال ابن مسعود وابن عباس: لا يجل. قال القاضي أبو يعلى: كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر، فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية بيقاء التحريم.

فصل

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باق أم نسخ؟ على قولين: أحدهما: أنه باقي. روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله: ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا، وما نسخت. والثاني: أنه منسوخ، قال سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: القتال جائز في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَيْنِلُوا اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ السَّمِونَ السَّمِونَ لَا يَوْمِنُونَ لَا يَعْقَلُوا اللَّهِ وَلَا يَوْمِنُونَ لَا يَوْمِنُونَ لَا يَوْمِنُونَ لَا يَوْمِنُونَ لَا يَعْمِنُونَ لَا يَوْمِنُونَ لَا يَعْقَلُوا اللَّهِ مَا يَعْفِي اللَّهِ وَلَا يَالِيرُهِ اللَّهِ وَلَا يَالِيرُهِ اللَّهِ وَلَا يَعْلَى اللَّهِ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَهِ اللَّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَلْكُونُونَ لَا لَا يَسْتَعَالَى اللَّهُ وَلَا قَلْ فَقَامُ اللَّهُ وَلَا يَقْتُلُوا اللَّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَعْلُونُ اللَّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللَّهُ وَلَا يَاللُّهُ وَلَا يَسْتُعَالَمُ اللَّهُ وَلَا يُعْلِقُونَ اللَّهُ وَلَا يَعْلَى اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَلَا يَعْلَى اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الللَّهُ وَلَا يَعْلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ عَلَا يَعْلَمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُو

قوله تعالى: ﴿ وَسَدُّ مَن سَبِيلِ اللهِ هو مرفوع بالابتداء، وخبر هذه الأشياء: ﴿ أَكُثُرُ عِندَ اللهِ ﴾. وفي المراد بـ ﴿ سَبِيلِ اللهِ ﴾ هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ عن مكة. قاله ابن عباس والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿ وَكُفْرٌ بِدِ ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى السبيل. قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وخفض ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْمَرَامِ ﴾ نسقاً على قوله: ﴿ سَبِيلِ اللهِ ﴾ كأنه قال: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ آهْلِهِ، مِنْهُ لَما آذوا رسول الله وأصحابه؛ اضطروهم إلى الخروج فكأنهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر. «والفتنة» هاهنا بمعنى الشرك. قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة. والفتنة في القرآن على وجوه كثيرة، قد ذكرتها في كتاب «النظائر» ﴿وَلاَ يَرَالُونَ ﴾ يعني: الكفار، ﴿ يُقَالِمُونُ يعني: المسلمين. و﴿ حَيِطَتُ ﴾ بمعنى: بطلت:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ مَاجَرُوا وَجَنهَدُوا فِي سَكِيلِ اللَّهِ أُوْلَتَهِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيتُهُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَثُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن الحضرمي، قال بعض المسلمين: ما لهم أجر، فنزلت هذه الآية: وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُولَكَ عَنِ الشَّهُو ٱلْحَرَامِ ﴾ عن جندب بن عبد الله. والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: [يا رسول الله] أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال: ﴿هَاجَرُوا ﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَهَدُوا ﴾ في طاعة الله ابن الحضرمي وأصحابه. و﴿رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾: مغفرته

وجنته. قال ابن الأنباري: الهجرة عند العرب من هجران الوطن والأهل والولد. والمهاجرون معناهم: المهاجرون الأولاد والأهل، فعرف مكان المفعول فأسقط. قال الشعبي: أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام: مغنمه.

بَنْ الْمَدُونَا عَنِ الْحَدْرِ وَالْمَيْسِرِ ثُلْ فِيهِمَا إِنْمُ كَبِيرٌ وَمَنْفِعُ النَّاسِ وَإِنْهُمَا آكَبُرُ مِن نَفْمِهِمَا وَالْمَهُمَا آكَبُرُ مِن نَفْمِهِما وَالْمُهُمَا آكَبُرُ مِن نَفْمِهِما وَيَسْعُلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ عَلَى الْمَنْفُرُ كَذَالِكَ مَنْفِهِما الْكِيْمِ الْكَيْمِ لَلْكُمُ مِن نَفْمِهما وَمُناسِمِها مِن اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿ وَمَتَالِرَكَ عَنِ الْخَبْرِ وَ الْمَيْسِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية ((). والثاني: أن جماعة من الأنصار جاؤوا إلى النبي على وفيهم عمر، ومعاذ، فقالوا: أفتنا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية. وفي تسمية الخمر خمراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي: تخالطه. والثاني: لأنها تخمّر، أي: تعظى. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم، وقال الزجاج: الخمر في اللغة: ما ستر على والثالث: لأنها تخمّر، أي: تعظى. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم، وقال الزجاج: الخمر في اللغة: ما ستر على العقل، يقال: دخل فلان في خمار الناس، أي: في الكثير الذي يستتر فيهم، وخمار المرأة قناعها، سعي حماراً لأنه ينظي. قال: والخمر هاهنا هي المجمع عليها، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له: خمر، وأن يكون في التحريم بمنزلتها، لأن العلماء أجمعوا على أن القمار كله حرام، وإنما ذكر الميسر من بينه، وجعل كله قياساً على الميسر، والميسر إنما يكون قماراً في الجزر خاصة. فأما الميسر؛ فقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة في آخرين: هو القمار. قال ابن قتية: يقال: يسرت: إذا ضربت بالقداح، ويقال للضارب بالقداح: ياسر وياسرون، ويُسر وأيسار. وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً، ويجزئونها أجزاء، ثم يضربون عليها بالقداح، ويتنابون بتركها ويعيون من لا يبسر.

قوله تعالى: ﴿قُلُ فِهِمَا إِنَّمُ كَبِيرٌ ﴾ قرأ الأكثرون «كبير» بالباء، وقرأ حمزة والكسائي بالثاء. وفي إثم الخمر ثلاثة أقوال: أحدها: أن شربها ينقص الدين. قاله ابن عباس. والثاني: أنه إذا شرب سكر وآذى الناس، رواه السدي عن أشياخه. والثالث: أنه وقوع العداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز، قاله الزجّاج. وفي إثم الميسر قولان: أحدهما: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقع العداوة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق. رواه السدي عن أشياخه، وجائز أن يراد جميع ذلك. وأما منافع الخمر؛ فمن وجهين: أحدهما: الربح في بيعها. والثاني: انتفاع الأبدان(٢) مع التذاذ النفوس. وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْهُهُمَا آكَبُرُ مِن نَفْتِهِمَا ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. والثاني: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضاً، لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقول عن ابن جبير أيضاً. واختلفوا بماذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين: أحدهما: بقوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَتِ النَّخِيلِ وَالنَّاغَتُ بِنَدُّونَ مِنْهُ سَكِّا ﴾ [النحل: ١٦٧]. قاله ابن جبير. والثاني: بالشريعة الأولى، وأقر المسلمون على ذلك حتى حرمت.

فصل

اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثير في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تقتضي ذمها دون تحريمها، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة، ومقاتل. وعلى هذا القول تكون هذه

 ⁽١) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ الأحمد، عن عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً
 شافياً، فنزلت هذه الآية... الحديث. وصححه علي بن المديني، والترمذي.

 ⁽٢) كلا! ليست الخمرة بنافعة للبدن، وثبت في الطب الحديث أن الخمرة ضارة بالبدن والعقل، وقد ألف في بيان ضررها كثير من الأطباء، مسلمين وغير
 مسلمين، وهناك رسالة في هذا الموضوع للدكتور نبيل الطويل، وهي ضمن كتابه «أحاديث في الصحة» وقد قام المكتب الإسلامي بطبعه ونشره.

الآية منسوخة. والقول الثاني: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالى أخبر أن فيها إثماً كبيراً والإثم كله محرم بقوله: ﴿وَالْإِنْمُ وَالْبَعْلَى وَالْعَالِمَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَحَكُمُ الرَّجَاجِ، واختاره القاضي أبو يعلى اللهلة التي بيناها، واحتج لصحته بعض أهل المعاني، فقال: لما قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ فِيهِمَا إِنْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَعِعُ لِلنَّاسِ﴾؛ وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: ﴿وَإِثْنُهُمَا آكَبُرُ مِن نَتْمِهِما ﴾ كالما الما الإثم، وبقي النفع مستغرقاً في جنب الإثم، فعاد الحكم للغالب المستغرق، فغلب جانب الحظر.

فصل

قاما الميسر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلت على التحريم، فالميسر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على تحريم الميسر. أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على الكرآهة؛ فأقوم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسر. قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ عَلَوْكَ كَاذَا يُنوفُونَ ﴾ قال ابن عباس: إن الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجموح: قال ابن قتيبة:

والمراد بالنفقة هاهنا: الصدقة والعطاء.

قوله تعالى: ﴿ وَلَى الْمُعُو ﴾ قرأ أبو عمرو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها. قال أبو علي: «ماذا» في موضع نصب، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب. ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً. هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» بمنزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، قإذا قال قائل: ماذا أنزل ربكم؛ فكأنه قال: ما الذي أنزل ربكم؛ فجوابه: قرآن. قال الزجاج: «العفو» في اللغة: الكثرة والفضل، يقال: قد عفا القوم: إذا كثروا. و«العفو»: ما أتى بغير كلفة. وقال ابن قتية: العفو: الميسور. يقال: خدما عفاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراه ولا مشقة. وللمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المره وعيالة، رواه مقسم عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد مقسم عن ابن عباس. والثالث: أنه الفسم من قبل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير. والزابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر؛ إذا خفي ودرس، حكاه منيخنا عن طائفة من المفسرين.

فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون، وفصل الخطاب في ذلك أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصدق بفاضل المال، أو قلنا بابنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو على الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿كُنَاكِ يُبَرِّنُ اللهُ ﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك، وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها: القبيل، كأنه قال: كذلك يا أيها النبي، لأن الخطاب له القبيل، كأنه قال: كذلك يا أيها النبي، لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته. وقال ابن الأنباري: الكاف في «كذلك» إشارة إلى ما بين من الإنفاق، فكأنه قال: مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق يبين الآيات. ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارة إلى ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباس، ﴿لَمُلَكُمُ مُنَهُ اللَّذِينَ وَالنَّذِينَ وَالنَّذِينَ فَعَرَوْنَ فَصْل ما بينهما، فتعملون للباقي منهما.

قوله تعالى: ﴿وَيَشَالُونَكَ عَنِ ٱلْبُتَدَيِّ فِي سَبِبَ نَزُولُهَا قُولَانَ: أَحَدَهُمَا: أَنَهُ لَمِا أَنْزَل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ اللَّهِ مِلْكُونَ أَمْوَلَ اللَّهِ مِلْمُنَا﴾ [السّاء: ١٩] انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من شرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك

عليهم، فذكروه للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية (١) هذا قول ابن عباس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن العرب كانوا يشددون في أمر اليتيم حتى لا يأكلون معه في قصعته، ولا يستخدمون له خادماً. فسألوا النبي ﷺ عن مخالطتهم، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول الضحاك، وفي السائلين للنبي ﷺ، عن ذلك قولان: أحلهما: أن الذي سأله ثابت بن رفاعة الأنصاري، قاله مقاتل. والثاني: عبد الله بن رواحة، قاله أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ إِسَلَاحٌ لَمُ مَيْرٌ ﴾ قال ابن قتيبة: معناه: تثمير أموالِهم، والننزه عن أكلها لمن وليها خير. ﴿ وَإِن قَلْكُ مَا خَيْرُ كُمُ مَا فَي ذلك حكم إخوانكم. قال ابن عباس: والمخالطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل في قصعتك، وتأكل في قصعته. ﴿ وَاللّهُ يُمْلُمُ ٱللّهُ يَسْلَمُ ٱللّهُ الله إلى المنافقة ويلام، ولله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة ويلزمه عليه أداؤه [قال: ثم نقلت إلى معنى الهلاك] واشتقاق الحرف، من قول العرب: أكمة عنوت: إذا كانت شديدة شاقة [المصعد]، فجعلت هذه اللفظة مستعملة في كل شدة.

﴿ وَلا تَسَكِمُوا اَلْتُشْرِكَتِ حَتَى يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَ ۗ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةِ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمُّ وَلَا تُسَكِمُوا الْلَشْرِكِينَ حَتَى يُؤْمِنُواْ وَلَسَبَّدٌ مُؤْمِنُ خَيْرٌ مِن مُشْرِلِو وَلَوْ أَعْجَبُكُمُّ أُولَتِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِّ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِةِ وَاللّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّالِيْنِ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ مُنْ وَاللّهُ مُؤْمِنُونَ وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ مُؤْمِنَ وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ مُؤْمِنَا إِلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مُؤْمِنًا فِي اللّهُ وَاللّهُ مُؤْمِنَا وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَاللّهُ مُؤْمِنَا إِلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُؤْمِنًا إِلَى اللّهُ وَلَوْلُولُ اللّهُ الل

قوله تمالى: ﴿وَلَا نَكِمُوا النَّنْرِكُنُ مَنَّ يُوْمِنُ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد بعثه النبي ﷺ إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسرى، فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليلة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأتته فقالت: ويحك يا مرثد: ألا تخلو؟ فقال: إن الإسلام قد حال بيني وبينك، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك، فقالت له: أبي تتبرّم؟! واستغاثت عليه، فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة رجع إلى النبي ﷺ فسأله: أتحل لي أن أتروجها؟ فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس(٢٠). وذكر مقاتل بن سليمان أنه أبو مرثد الغنوي. والثاني: أن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم فزع، فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها؛ [فقال له النبي ﷺ هي يا عبد الله؟] فقال: يا رسول الله: هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وقال: إن عبد الله؛ وأنك رسول الله. وقال: إن عبد الله؛ وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه، وقال: أنكح أمة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه، وقد ذكر بعض المفسرين أن قصة عناق وأبا مرثد كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكِمُوا المفصّل: أصل النكاح: المهركات عنداً ووطءاً. وفي «المشركات عقداً ووطءاً. وفي «المشركات عقداً المفصّل: أصل النكاح: الجماع، ثم كثو ذلك حتى قبل المعقد: نكاح. وقد حرم الله ﷺ نكاح المشركات عقداً ووطءاً. وفي «المشركات هذا التفسير، فقال المفصّل: أصل النكاح:

⁽١) رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

⁽٢) رواه الواحدي في فأسباب النزول؟ عن ابن عباس، ورواه بسند حسن بغير هذا السياق وسبباً لآية أخرى، أبو داود والنسائي والترمذي من طريق صمرو بن شعيب عن أيه فن جده، ولفظه: 'فأن مرئد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق، وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله. قال: فجتت حتى انتهبت إلى ظل حائط من حوائط مكة في لبلة مقمرة. قال: فجامت عناق، فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إليّ عرفت، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً. هلم فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق حرّم الله الزنى، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة، فانتهبت إلى غار أو كهف، فدخلت، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظل بولهم على رأسي، وعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا، ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً بقبلاً، حتى انتهبت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله، فجعلت أحمله، ويمينني حتى قدمت المدينة. فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأسك رسول الله ﷺ، وقلت: يا رسول الله الكرة والنورة كان رجلاً أن مشركة، والزائبة لا ينكحها إلا زان أو مشركة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قولان: أحدهما: أنه يعُم الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين. والثاني أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة. وفي المراد بالأمة قولان: أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة. والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح. وفي قوله: ﴿وَلَوَ آعَبَهُمُ ۖ قولان: أحدهما: بجمالها وحسنها. والثاني: بحسبها ونسبها.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي محكمة، وزعم بعض من نصر هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بالله، وإن جحدوا بنبوة نبينا. قال شيخنا: وهو قول فاسد من وجيهن: أحلهما: أن حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله. والثاني: أن كفرهم بمحمد على يوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافة ذلك إلى غير الله شرك. فأما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان: أحلهما: أن بعض حكمها منسوخ بقوله: ﴿وَالْمُهُمِّنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ محكماً. والثاني: أنها ليست منسوخة، ولا ناسخة، بل هي من قبَلِكُم ﴾ [المائدة: ٦] وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً. والثاني: أنها ليست منسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة؛ فلدليل خاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْفُهُمَنِتُ مِنَ الَّذِينَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابِ معامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة؛ فلدليل خاص، وهو قوله تعالى: وقائمة من أيرة معناه أوثُوا الكتاب معامة من أباحة عن عمومة من إباحة وعلي هذا عامة الفقهاء. وقد روي معناه عن جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وطلحة، وحذيفة، وجابر، وابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِمُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم بمسلمة حتى يؤمنوا؛ والكلام في قوله تعالى: ﴿وَلَشَبَّدُ مُؤْمِنُ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَدَبُّهُ مِثلِ الكلام في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنْةِ وَالْمَشْفِرَةِ بِإِذْنِياتُهُ ﴾ وقرأ الحسن، والقزاز، عن أبي عمرو، برفعها.

﴿ رَبَسْتَاوُنَكَ عَنِ الْمَعِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا اللِّسَاءَ فِي الْمَعِيضِ وَلَا نَقْرَتُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرَنَّ فَإِذَا تَطَهَّرَنَ فَأَنُوهُۥ﴾ المَّذَي إِنَّ اللَّهُ يَكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَكُ النَّكُونِيكَ ﴿ وَلَا كَانُونُونُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّاللَّاللَّهُ اللللَّالَةُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الل

قوله تعالى: ﴿رَسَّكُولُكُ عَنِ الْمَحِينِ﴾ روى ثابت عن أنس قال: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسئل النبي على عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبي على أن يؤاكلوهن ويشاربوهن ويكونوا معهن في البيوت، وأن يغتلوا كل شيء ما عدا النكاح (١٠). وقال ابن عباس: جاء رجل يقال له: ابن المحداحة (١٠)، من الأنصار، إلى النبي على فقال: كيث نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية. وفي المحيض قولان: أحدهما: أنه أسم للحيض، قال الزجاج: يقال: قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومخاضاً ومعيضاً وقال ابن قتيبة: المحيض: الحيض، والثاني: أنه اسم لموضع الحيض، كالمقيل، فإنه موضع القيلولة، والمبيت موضع البيتوتة. وذكر القاضي أبو يعلى أن هذا ظاهر كلام أحمد. فأما أرباب القول الأول؛ فأكدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم، وهو أنه وصفه بالأذي، وذلك صفة لتفسير الحيض، لا لمكانه. وأما أرباب القول الثاني، فقالوا: لا يمتنع أن يكون المحيض صفة للموضع، ثم وصفه بما قاربه وجاوره، كالعقيقة، فإنها اسم لشعر الصبي، وسميت بها الشاة التي يكون المحيض صفة للموضع، ثم وصفه بما قاربه وجاوره، كالعقيقة، فإنها اسم لشعر الصبي، وسميت بها الشاة التي

⁽۱) أخرجه أحمد في «المسند» ومسلم في «صحيحه» ٢٤٦/١ ولفظه عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لَم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ النبي ﷺ قائزل الله تعالى: ﴿وَيَعَلَمُكَ عَنِ النّبِيضِ قُلْ هُوْ أَذَى فَاعَرُلاا اللّبَاءَ في النّبِيضِ ﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاع فيلم ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هلل الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن عنير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا، فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاهما و فعوفا أن لم يجد عليهما.

⁽٢) ويقال له: ابن الدحداح كما جاء في «الإصابة». والأثر ذكره ابن جرير عن السدي.

قوله تعالى: ﴿ عَنَى يَلْهُرُنَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم ﴿ عَنَى يَلَهُرَنَ ﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم (يطّهّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. قال ابن قتية: يطهرن: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهُرت المرأة وطهَرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ: فيطّهُرن ، بالتشديد أراد: يغتسلن بالماء. والأصل يتطهرن، فأدغمت التاء في الطاء. قال أبن عباس ومجاهد: حتى يطهرن من الدم، فإذا تطهرن اغتسلن بالماء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَتُّومُ ﴾ [باحة من حظر، لا على الوجوب.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ مَيْثُ أَمْرُكُمُ الله ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أن معناه: فأتوهن من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد. وقال من نصر هذا القول: إنما قال: ﴿ أَمْرُكُمُ الله ﴾ والمعنى: نهاكم، لأن النهي أمر بترك المنهي عنه وامن بمعنى وفي القولة تعالى: ﴿ إِنّا تُودِكَ السَّلْوَةِ بِن بَورِ الْجُمْمَةِ ﴾ [الجمعة: ٩]. والثالث: فأتوهن من قبل التزويج الحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية. والوابع: أن معناه: فأتوهن من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا قول الزجاج، وابن كيسان. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ التَّوْبِينَ ﴾ قولان: أحدهما: التوابين من اللنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿ وَيُحِبُ النَّمُوبِ كَ ثلاثة أقوال: أحدها: المتطهرين من إتيان أدبار النساء، دوي عن حياها.

فصل

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد. والثانية: يوم. وقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام. وقال مالك وداود: ليس لأقله حد، وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما: خمسة عشر يوماً، وهو قول مالك والشافعي، والثانية: سبعة عشر يوماً، وقال أبو حنيفة: أكثره عشرة أيام. والحيض مانع من عشرة أشياء: فعل الصلاة، ووجوبها، وفعل المصدف، وقعل المصدف، والإعتكاف، والطواف، وقراءة القرآن، وحمل المصحف، والاستمتاع في الفرح، وحصول نية الطلاق.

﴿ وَنَا وَكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَوْا حَرْنَكُمْ أَنَّ شِنْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَشْرِكُمْ وَأَقَوْا أَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنْكُم مُلْلُوهُ وَبَشِرِ الْمُوْمِنِينَ ﴿ وَلَا لَا لَهُ وَاعْلَمُوا أَنْكُم مُلْلُوهُ وَبَالِكُمْ عَرْثُ لَكُمْ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحلها: أن البهرد أنكرت جواز إتيان المرأة إلا من بين يليها، وعابت من يأتيها على غير تلك الصفة، فتزلت هذه الآية. روي عن جابر (١٠)، والحسن، وقتادة. والثاني: أن حياً من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة، تزوجوا من الأنصار، فلمبوا ليفعلوا ذلك، فأنكرنه، وانتهى الحديث إلى النبي على فنزلت هذه الآية. رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي على فقال: هلكت، حولت رحلي الليلة، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير عن

⁽۱) روى الشيخان وأبو داود عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جَاه الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسَاقَتُمْ خَرَتُ لَكُمْ فَاتُوا خَرْلَكُمْ أَنُوا خَرَالُكُمْ أَنْ أَنْ اللَّهُ عَرْلُكُمْ أَنْ أَنْ أَنْ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

ابن عباس^(۱). والحرث: المزدرع، وكنى به هاهنا عن الجماع، فسماهن حرثاً، لأنهن مزدرع الأولاد، كالأرض للزرع، فإن قيل: النساء جمع، فلم لم يقل: حروث؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرها ابن القاسم الأنباري النحوي: أحدها: أن يكون الحرث مصدراً في موضع الجمع، فلزمه التوحيد، كما تقول العرب: إخوتك صوم، وأولادك فطر، يريدون: صافعين ومفطرين، فيؤدي المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع. والثاني: أن يكون أراد: حروث لكم، فاكتفى بالواحد من الجمع، كما قال الشاعر:

كحلسوا فسي تنصف أخطنت تحسم تسعسي شخواء

أي: في أنصاف بطونكم. والثالث: أنه إنما وحَّد الحرث، لأن النساء شبهن به، ولسن من جنسه، والمعنى: نساؤكم مثل حروث لكم.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ شِئْمٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: كيف شئتم، مقبلة أو مدبرة، وعلى كل حال، إذا كان الإتيان في الفرج. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية، والسدي، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنها نزلت في العزل. قاله سعيد بن المسيب، فيكون المعنى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا. والقول الثاني: أنه بمعنى: إن شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحنفية والضحاك، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه بمعنى: حيث شئتم، وهذا محكي عن ابن عمر ومالك بن أنس^(٢)، وهو فاسد من وجوه: أحدها: أن سالم بن عبد الله لما بلغه أن نافعاً تحدث بذلك عن ابن عمر، قال: كذب العبد، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أدبارهن. وأما أصحاب مالك، فإنهم ينكرون صحته عن مالك، والثاني: أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى النساء في أدبارهن أن فذل على أن الآية لا يراد بها هذا. والثالث: أن الآية نبهت على أنه محل الولد بقوله: ﴿فَأَوا حَرْكُمُ ﴾ وموضع الزرع: هو مكان الولد. قال ابن الأنباري: لما نص الله على ذكر الحرث، والحرث به يكون النبات، والولد مشبه بالنبات؛ لم يجز أن يقع الوطء في محل لا يكون منه ولد. والرابع: أن تحريم إتيان الحاقف كان لعلة الأذى، والأذى ملازم لهذا المحل لا يفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَقَرْمُوا لِإِنْشِكُمُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وقدموا التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: وقدموا لأنفسكم في طلب الولد، قاله مقاتل. والرابع: وقدّموا طاعة الله واتباع أمره، قاله الزجاج.

﴿ وَلَا تَعْمَلُوا اللَّهَ عُرْضَكُ لِأَيْنَنِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَشْلِعُوا بَيْنَ النَّانِ وَاللَّهُ سَبِيعُ عَلِيتُ ﴿ فَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْتُ اللَّهُ عَلَيْتُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلِيتُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالِيلَالِكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ

(٦) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وباقي رجال
 الإسناد ثقات.

⁽۱) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي، وقال: حسن غريب، ولفظه عند أحمد اعن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا وسول الله هلكت. قال: الارما أهلكك؟» قال: حولت رحلي البارحة، قال: فلم يرد عليَّ شيئاً، قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللهُ عَرْفُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ والدير، واتقوا الدير والحيضة، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقوله: احولت رحلي البارحة، قال ابن الأثير في النهاية كنى برحله عن زوجته، وأراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها، لأن المجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلي وجهها، فحيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله. (والرحل): إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرحل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور.

⁽٢) ثبت عن رسول الله 雞 أحاديث في نهي الرجل أن يأتي المرأة في دبرها، فعن جابر قال: قال رسول الله 雞: «استحيوا إن أله لا يستحيي من الحق، لا يعل أن تأتوا النساء في حشوشهن» (الحش: الذبر) رواه الدارقطني، والطبراني ورجاله ثقات. وعن خزيمة بن ثابت الخطمي أن رسول الله 雜 قال: ولا يستحيي الله من الحق، لا الله عبد الترمذي والنسائي وابن حيان في «صححه»، وحسته الترمذي، وصححه ابن حزم. وعن رسول الله ﷺ: ولا ينظر الله إلى رجل أتى المرأة في اللبر» رواه الترمذي والنسائي وابن حيان في «الأوسط»، عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «الله يأتي المرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد والبزار والطبراني في «الأوسط»، وصححه المنذري والهيشمي. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو المرأة في دبرها أو كاهناً قصدة، فقد كفر بما أنزل على محمد». رواه أحمد في «المسند» وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح. فهذه الأحاديث الصحيحة تفسير قاطع للآية، فليس لمسلم أن يعدل عن تفسير وسول الله ﷺ إلى تفسير غيره مهما كان هذا الغير.

قوله تعالى: ﴿وَلا بَعْمَلُوا الله عُرْهَمَةً لِأَيْنِكُمْ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين ختنه (١) شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، فلا يحل لي، إلا أن تبرّ يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف لا ينفق على مسطح، قاله ابن جريج. والرابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، قاله المقاتلان: ابن حيان، وابن سليمان. قال الفراء: والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعترضاً لايمانكم. وقال أبو عبيد: نصباً لايمانكم، كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء، فتحلفون به. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرّوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين (٢٠). والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرّوهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرّوهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارّين مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه. هذا قول ابن ويد.

﴿ يُوَاحِنْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنِ فِ اَيْسَنِيكُمْ وَلَكِن يُوَاحِنُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ فَلُونِكُمْ وَاللَّهُ عَنْوُزُ سَلِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لا يُؤَيِّدُكُمُ اللهُ إِللَّذِي تِهَ أَيْكِكُم ﴾ قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما الطرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يعتد الله من أولاد الإبل في الدية وغيرها لغواً، يقال منه: لغا يلغو، وتقول: لغي بالأمر: إذا لهج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه [أي: يلهج صاحبها بها]. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أن يجلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياخه، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه: لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاووس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَلَذِي يُوَاخِذُكُم عَا كَسَبَتُ عَدَى أَن يحلف على البمين، يرى أنها كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة. والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنث، والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع غلى شيء، ثم ينساه. قاله النخعي. وقول وليكفّر، ولا إثم عليه. قاله صعيد بن جبير. والمخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينساه. قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجميع. قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلى والله، لا يريد عقد اليمين لزمته الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُوَاخِدُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمُّ وَاللَّهُ عَثُولً خَلِمٌ ﴾ قال مجاهد: أي: ما عقدت عليه قلوبكم الوالحليم »: ذو الصفح الذي لا يستفزه غضب، فيعجل، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته على العقوبة. قال أبو سليمان الخطابي: ولا يستحق اسم الحليم من سامح مع العجز عن المجازاة، إنما الحليم الصفوح مع القدرة، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال:

لا يدرك السمجة أقدوامٌ وإن كرموا ويُسشق موا فسترى الألوانَ مسفرةً

حستى يستنسوا وإن عسروا الأقسوام المستمسح ذل ولسكسن صفح أحسلام

⁽١) هو بشير بن النعمان، وكان ختنه على أخته.

٢) جاء في «غريب القرآن» لابن ثتيبة في تفسير الآية: (لا تجعلوا الله بالحلف به؛ مانعاً لكم من أن تبروا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا
 رحماً، ولا تصدقوا، ولا تصلحوا، وعلى أشياء ذلك من أبواب البر؛ فكفروا وأتوا الذي هو خير».

٣) في الأصل: يعد، والتصحيح من المعجم مقاييس اللغة.

قال، ويقال: حلَم الرجل يحلمُ حُلُماً بضم اللام في الماضي والمستقبل. وحَلم في النوم، بفتح اللام، يحلم حُلماً، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضموتان.

فصل

الأيمان على ضربين: ماض ومستقبل، فالماضي على ضربين: يمين محرمة، وهي: اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل. أو: لقد فعلت، وما فعل. ويمين مباحة، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلت. أو: لقد فعلت. والمستقبلة على خمسة أقسام: أحدها: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها معصية، مثل أن يحلف: لأصلين الخمس، ولأصومن رمضان، أو: لا شربت الخمر. والثاني: عقدها معصية، والمقام عليها مكروه، مثل أن معصية، وحلها طاعة، وهي عكس الأولى. والثالث: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها مكروه، مثل أن يحلف: ليفعلن النوافل من العبادات. والرابع: يمين عقدها مكروه، والمقام عليها مكروه، وحلها طاعة، وهي عكس التي قبلها. والخامس: يمين عقدها مباح، والمقام عليها مباح. مثل أن يحلف: لا دخلت بلداً فيه من يظلم الناس، ولا سلكت طريقاً مخوفاً، ونحو ذلك.

﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن لِسَابِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍّ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ أَلَنَهُ عَفُورٌ رَّحِيتُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِنُ يُؤَلُونَ مِن لِسَآمِهِم ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فأبت أن تعطيه؛ حلف أن لا يقربها السنة، والسنتين، والثلاث، فيدعها لا أيّماً، ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام، جعل الله ذلك أربعة أشهر، فأنزل الله هذه الآية (١٠). وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية. قال ابن قتيبة: يؤلون، أي: يحلفون. يقال: آليت من امرأتي، أولي إيلاء: إنا حلف لا يجامعها. والاسم: الأليّة. وقال الزجاج: يقال من الإيلاء: آليت أولي إيلاء وأليّة وألوة وألوّة والوّة، وهي بالكسر أقل اللغات، قال كغير:

قيل الألايا حافظ ليمينه وإن بدرت منده الأليّة بررّت

وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: «من بمعنى: «في» أو: «على» والتقدير: يحلفون على وطء نسائهم، نحذف الوطء، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَتُنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يؤلون يعتزلون من نسائهم. والتربص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك، لم يكن مؤلياً. وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي. وفاؤوا: رجعوا، ومعناه: رجعوا إلى الجماع، قاله عليّ، وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشعبي. وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه على الجماع، فإنه يقول: متى قدرت جامعتها، فيكون ذلك من قوله فيئة؛ فمتى قدر فلم يفعل، أمر بالطلاق، فإن لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَنُورٌ تَحِيمٌ ﴾ قال عليَّ، وابن عباس: غفور لإثم اليمين.

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنَوا الطَّلَقَ﴾ أي: حققوه. وفي عزم الطلاق قولان: أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة الأشهر استحق عليه أن يفيء أو يطلق، وهو مروي عن عمر وعثمان، وعليّ، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاووس، ومجاهد، والحكم، وأبي صالح. وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة، وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي. والثاني: أنه لا يفيء حتى يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق. واختلف أرباب هذا القول فيما يلحقها من الطلاق على قولين: أحدهما: طلقة بائنة. روي عن عثمان، وعليّ، وابن عمر،

⁽١) رواه الواحدي بمعناه في «أسباب النزول» بسنده إلى ابن عباس.

وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب. والثاني: طلقة رجعية، روي عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وابن شبرمة.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهُ سَمِعُ عَلِيدٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بنيته. والثاني: سميع ليمينه، عليم بها.

﴿ وَالْمُطَلَقَدَتُ يَثَرَبِّصْ مَن يَلْسَبِهِنَ ثَلَقَةً مُرْتِيَّوً وَلَا يَمِلُ لَمَنَى أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي آرْجَامِهِنَ إِن كُنَّ يُؤْمِنَ بِاللّهِ وَالْبُوْمِ الْآيَٰوِ وَمُولَئِهُنَّ أَخَقُ مِزَوِينَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَحَا وَلَمَنَّ مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمُتَرُونِ وَلِإِبَالِ مَلْبَئِنَ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَبِيرُ حَكِيمُ ۖ ۖ

قوله تعالى: ﴿وَالْطَالَنَكُ يَرْيَصَهُ إِنْشُهِنَ ثَلَثَةً وُرُووَ سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّمُ النِّيُ إِذَا طَلَقْتُهُ النِّيَ إِذَا طَلَقْتُهُ النِّيَ اللَّهُ وَوَا اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّه

تشدُّ لأقصاها ضريم عزائلكا لما ضاع فيها من قروء نسائكا(٢) وفي كل عام أنت جاشم غزوة مُورِّثةٍ مالاً، وفي التحي رفعة

أراد بالقروء: الأطهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارهن. واختلف أهل اللغة في أصل القروء على قولين: أحدهما: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقرئه، أي: لوقته الذي كان يرجع فيه، [ورجع لقارئه أيضاً] قال الهذلي (٢٠):

كرهبت العقر عقر بني شليل إذا هببت لقارئها الرياح(١٤)

فالحيض يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت، هذا قول ابن قنية. والثاني: أن أصله الجمع، وقولهم: قرأت القرآن، أي: لفظت به مجموعاً. والقرء: اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن، هذا قول الزجاج. واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين: أحلهما: أنها الحيض، روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضجاك، والسدي، وسنيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل في فإنه قال: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض^(٥). والثاني: أنها الأطهار، روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأوماً إليه أحمد. ولفظ قوله تعالى: ﴿ وَالْكُلْمُلُلُكُنُ

⁽١) عن عائشة ﷺ، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المستحاضة، فقال: فقدع الصلاة أيام أقرائها، ثم تغتسَل غسلاً واحداً، ثم تتوضأ عند كل صلاته رواه المن حبان في فصحيحه وقد رواه غير ابن حبان عن غير عائشة. انظر فتصب الراية ١١/١٠٠

 ⁽٢) هما من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي. جشم الأمرّ تجشمه جشماً وجشامة: تكلفه على جهد ومشقة. والغريمة والغرام: الجد وعقد القلب
على امرأتك فاهله. العزاه: حسن الصبر عن فقد ما يققد الإنسان. وقوله: مورثة؛ صفة لقوله: غزوة. يقول: لك في كل عام غزوة أنت جاشمها،
تجمع لها صبرك وجلدك، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعوضك عما عانيت من هجر نسائك في وقت طهرهن، فلم تقربهن.

⁽٣) هو عالك بن الحارث الهذلي.

إ) العقر: اسم مكان، كرهه لأنه قوتل فيه، وشليل: جد جرير بن عبد الله البجلي.

 ⁽٥) وقد نصر هذا القول ابن القيم في «زاد المعاد» والأحاديث الصحيحة تؤيده.

يُمْرَمُّنَ لَفظ الخبر، ومعناه: الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالْوَلِئَاتُ رُنْضِعْنَ أَوْلَاكُمُنَّ حَوَلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وقد يأتي لفظ الأمر في معنى الخبر كقوله تعالى: ﴿فَلَيْمَدُدُ لَهُ الرَّمْنَ مُنَّا ﴾ [مريم: ٧٥]. والمراد بالمطلقات في هذه الآية، البالغات، المدخول بهن غير الحوامل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِلُ لَمُنَّ أَنْ يَكُتُنَنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِى أَرْجَامِعِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحمل، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الحيض، قاله عكرمة، وعطية، والنخعي، والزهري. والثالث: الحمل والحيض، قاله ابن عمر، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيُورِ الْآمِرِّ ﴾ خرج مخرج الوعيد لهن والتوكيد، قال الزجاج: وهو كما تقول للرجل: إن كنت مؤمناً فلا تظلم. وفي سبب وعيدهم بذلك قولان: أحدهما: أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة، قاله ابن عباس. والثاني: لأجل إلحاق الولد بغير أبيه، قاله قتادة. وقيل: كانت المرأة إذا رغبت في زوجها، قالت: إني خائض، وقد طهرت. وإذا زهدت فيه، كتمت حيضها حتى تغتسل، فتفوته. والبعولة: الأزواج. واذلك ؛ إشارة إلى العدة. قاله مجاهد، والنخعي، وقتادة في آخرين. وفي الآية دليل على أن خصوص آخر اللفظ لا يمنع عموم أوله، ولا يوجب تخصيصه، لأن قوله تعالى: ﴿وَالْمُلْقَتُ بُرُيَّ مُنْكُ مِنْهِ عَام في المبتوتات والرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهِ وَاللهِ عَام في الرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهِ وَاللهِ عَام في الرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهِ فَي المبتوتات والرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهُ مِنْهُ فِي المبتوتات والرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهُ مِنْهُ خاص في الرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ مِنْهُ مِنْهُ خاص في الرجعيات، وقوله تعالى: ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَنَكُا﴾ قيل: إن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته، طلقها واحدة وتركها، فإذا قارب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدّة، ثم طلقها، فنهوا عن ذلك. وظاهر الآية يقتضي أنه إنما يملك الرجعة على غير وجه النضارة بتطويل العدة عليها، غير أنه قد دل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْتِكُونُكُ مِنْكُولًا لِمُتَكُولًا على صحة الرجعة وإن قصد الضرار، لأن الرجعة لو لم تكن صحيحة إذا وقعت على وجه الضرار؛ لما كان ظالماً بفعلها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْنَ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْنَ بِالْمُنْفِئِ﴾ وهو: المعاشرة الحسنة، والضحية الجميلة. روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن حق المرأة على الزوج، فقال: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت (٢) وقال ابن عباس: إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي، لهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَالرَّبَالِ عَلَيْنَ دَرَبَهُ ﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقال مجاهد: بالجهاد والميراث. وقال أبو مالك: يطلقها، وليس لها من الأمر شيء. وقال الزجاج: تنال منه من اللذة كما ينال منها، وله الفضل بنفقته. وروى أبو هريرة عن النبي الله أنه قال: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (٣). وقالت ابنة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم.

فصل

⁽۱) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي: وزوجها الذي طلقها أحق بردتها ما دامت في عدتها، إذا كان مزاده بردها الإصلاح والخير، وهذا في الرجعيات. فأما المطلقات البرائن فلم يكن خال نزول هذه الآية مطلقة بائن، وإنما كان ذلك لما حصروا في الطلقات البرائن فلم يكن خال نزول هذه الآية التي بمدها على ثلاث تطليقات، صار للناس مطلقة بائن نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة، فلما قصروا في الآية التي بمدها على ثلاث تطليقات، صار للناس مطلقة بائن وغير بائن. وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين من استشهادهم على مسألة عود الضمير؛ هل يكون مخصصاً لما تقدمه من لفظ العموم أم لا؟ بهذه الآية الكربية، فإن التمثيل بها غير مطابق لما ذكروه، والله أعلم.

⁽٢) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه واللفظ له، وحسَّنه النووي. ﴿ ٣) ﴿ رواه أحمد والترمذي؛ وقال: حديث حسن صحيح.

أولها محكم، والمنسوخ قوله تعالى: ﴿وَيُسُولَهُنَّ أَحَنُّ مِرَقِيقَ﴾ قالوا: كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعتها، سواء كان الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، فنسخ بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلْقَهَا فَلاَ عَبِلْ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۗ﴾ والقول الثاني: أن الآية كلها محكمة، فأولها عام. والآيات الواردة في العدد، خصت ذلك من العموم، وليس بنسخ. وأما ما قيل في الارتجاع، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَيُسُولُهُنَّ لَتَقُ مِرَقِينَ فِي ذَلِكَ﴾، أي: في العدة قبل انقضاء القروء الثلاثة، وهذا القول هو الصحيح.

﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانِ ۚ فَإِمْسَاكُ ۚ مِعَمُهِ فِي أَوْ تَسْرِيحٌ ۚ بِإِمْسَنَّقِ وَلَا يَمِيلُ لَحَصُمْ أَن تَأْخُدُواْ مِيثًا ءَانَيْشُمُومُنَ شَيْعًا إِلَا أَن يَخَافَا أَلَا يُمِيمًا حُدُودَ اللَّهِ عَلَى حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَشْتُدُومًا وَمَن بَنَقَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَالْوَاتِيكُ مُمُ الطَّلِيمُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿اَلطَّائِقُ مُرَّتَاقِ ﴾ سبب نزولها، أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينتهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: وإلله لا أؤيك إليَّ أبداً ولا أدعك تحلِّين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك، واجعتك، فكمبت إلى النبي على تشكو إليه ذلك، فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس [جديداً] من كان طلق، ومن لم يكن طلق. رواه هشام بن عروة عن أبيه (۱). فأما التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿الطَّلَقُ مُرَّتَاقِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه بيان لسنة الطلاق، وأن يوقع في كل قرء طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة، وابن قتية، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ عِطَاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِسَاكُ بِمَعْرُونِ ﴾: الرجعة بعد الثانية. وفي المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: قوله تعالى: ﴿ وَ تَمْرِيحُ المُحْتَاقُ ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتى تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي. قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: وهذا هو الصحيح، لأنه قال عقيب الآية: ﴿ وَإِن طَلْقَهَا فَلَا يَحْلُ لَهُ مِنْ بَعَدُ حَتَى تَنكِحُ رَدِّنًا غَيْرَةً ﴾ والمراد بهذه الطلقة: الثالثة بلا شك، فيجب إذن أن يحمل قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَمْرِيحُ إِلْمُسَانُ ﴾ على تركها حتى تنقضي عدتها، لأنه إن حمل على الثالثة، وجب أن يحمل قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلْهَا ﴾ وهذا لا يجوز.

فصل

الطلاق على أربعة أضرب: واجب، ومندوب إليه، ومحظور، ومكروه. فالواجب: طلاق المؤلي بعد التربص، إذا لم يفئ، وطلاق الحكمين في شقاق الزوجين، إذا رأيا الفرقة. والمندوب: إذا لم يتفقا، واشتد الشقاق بينهما، ليتخلصا من الإثم. والمحظور: في الحيض، إذا كانت مدخولاً بها، وفي طهر جامعها فيه قبل أن تطهر. والمكروه: إذا كانت حالهما مستقيمة، وكل واحد منهما قيم بحق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَمِلُ لَكُمُ أَن تُأُمُلُوا مِمَا التَبْتُمُوهُنَ شَيّا ﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس، أنت زوجته إلى النبي ﷺ فقالت: والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني [أكره الكفر في الإسلام] لا أطيقه بغضاً، فقال لها النبي ﷺ: «أتردّين عليه حديقته؟ قالت: نعم. فأمره النبي ﷺ أن يأخذها، ولا يزداد. رواه عكرمة عن ابن عباس (٢) واختلفوا في اسم زوجته، فقال ابن عباس: جميلة. ونسبها يحيى بن أبي كثير، فقال: جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكناها مقاتل، فقال: أم حبيبة بنت عبد الله بن أبيّ. وقال آخرون: إنما هي جميلة أخت عبد الله بن أبيّ. وورى يحيى بن سعيد عن عمرة روايتين: إحداهما: أنها حبيبة بنت سهل. والثانية: سهلة بنت حبيب (٢). وهذا الخلع

⁽١) أخرجه مالك في الموطأ؛ والترمذي، وغيرهما موسلاً، لأن عروة بن الزبير تابعي. وقد جاء الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه متصلاً مرفوعاً، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

 ⁽٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه البخاري في «صحيحه» والنسائي بمعناه.

 ⁽٣) الذي في كتب التفسير حبيبة بنت سهل، ولم يذكر أحد منهم سهلة بنت حبيب، ولا وجدنا لها ترجمة في الصحابيات. وقد اختلف العلماء فيمن
 اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس، أهي جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سلول، أم حبيبة بنت سهل؟ والذي رجعه الحافظ ابن حجر وارتضاه.

أول خلع كان في الإسلام. والخوف في الآية بمعنى: العلم: قال أبو عبيد: معنى قوله: ﴿إِلَّا أَن يَمَافاً ﴾: يوقنا. والحدود قد سبق بيان معناها. ومعنى الآية: أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه، وخاف الزوج أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته؛ جاز له أن يأخذ منها الفدية، إذا طلبت ذلك. هذا على قراءة الجمهور في فتح «ياء» ﴿يَمَافاً ﴾. وقرأ الجسن، ومجاهد، وأبو جعفر، وحمزة والأعمش: (يُخافا) بضم الياء.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِنْتُمْ﴾ قال قتادة: هو خطاب للولاة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة ﴿فِيمَا أَفْلَاتُ بِينُّهُ وعلى الزوج فيما أخذ، لأنه ثمن حقّه. وقال الفراء: يجوز أن يراد الزوج وحده، وإن كانا قد ذكرا جميعاً، كقوله تعالى: ﴿يَمْنُهُ ٱللَّوْلَةُ وَالْمَرْيَاتُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما. وقوله: ﴿نَبِيا حُونَهُمَا﴾ [الكهف: ٢١] وإنما نسي أحدهما.

فصل

وهل يجوز له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها؟ فيه قولان: أحدهما: يجوز، وبه قال عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، والنخعي، والضحاك، ومالك، والشافعي. والثاني: لا يجوز، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء، والشعبي، وطاووس، وابن جبير، والزهري، وأحمد بن حنبل، وقد نقل عن علي، والحسن أيضاً. وهل يجوز الخلع دون السلطان؟ قال عمر، وعثمان، وعليّ، وابن عمر، وطاووس، وشريح، والزهري: يجوز، وهو قول جمهور العلماء. وقال الحسن، وابن سيرين، وقتادة: لا يجوز إلا عند السلطان.

﴿ وَإِن طَلَقَهَا فَلَا نَمِلُ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَةً وَإِن طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَثَرَاجَمَا إِن طَلَآ أَن يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ وَيَلْكَ حُدُوهُ اللَّهِ يَبَيِّهُمَا يَقَرْمِ يَتَلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلْقَهَا فَلا يَحِلُ لَهُ مِنْ مَدُ حَتَى تَنكِحَ رَوْمًا غَيرَم الله الله الله الله الآية نزلت في تميمة بنت وهب بن عتيك النضيري، وفي زوجها رفاعة بن عبد الرحمن القرظي. وقال غير مقاتل: إنها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها ثلاثاً، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، ثم طلقها، فأتت إلى النبي على فقالت: إني كنت عند رفاعة، فطلقني، فأبت طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه طلقني قبل أن يمسني، أفارجع إلى ابن عمي وقبسم رسول الله على وقال: وأتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي هسيلته ويذوق هسيلتك (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلْقَهَا ﴾ يعني: الزوج المطلق مرتين. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: هي الطلقة الثالثة. واعلم أن الله تعالى عاد بهذه الآية بعد الكلام في حكم الخلع إلى تمام الكلام في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَقَهَا﴾ يعني: الثاني ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ يعني: المرأة، والزوج الأول ﴿ إِن ظُنَآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ قال طاووس: ما فرض الله على كل واحد منهما من حسن العشرة والصحبة.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُّهُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ قراءة الجمهور ﴿يُبَيِّنُهَا﴾ بالياء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والمفضل عن عاصم بالنون، ﴿لِقَوْرِ يَمْلُمُونَ﴾ قال الزجاج: يعلمون أن أمر الله حق.

﴿ وَإِذَا طَلَقَتُمُ النِسَآة فَلَكُنَ آجَلَهُنَ فَأَسِكُوهُ كَ يَمْهُدُ أَنْ سَرِّحُهُنَ بِمَرُودٌ وَلَا تُشيكُوهُنَ ضِرَارًا لِنَسْلُدُوا وَمَن يَهْمَلُ ذَلِكَ فَقَدَ طَلَمَ نَفْسَدُمُ وَلَا نَشْخِذُوا ءَايَدِ اللَّهِ هُزُواْ وَاذْكُواْ فِمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَبِ وَالْحِكْمَةِ فِيطُكُر بِيدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ مَنْ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طُلَّقُتُمُ النِّسَاءَ فَلَنَّنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ قال ابن عباس: كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء

أنهما كلتاهما اختلعتا منه، فقد قال في «الفتح» ٩/ ٢٥٠: والذي يظهر أنهما قصتان وقعتا لامرأتين، لشهرة الخبرين، وصحة الطريقين، واختلاف السيافين.

أخرج الحديث بمعناه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا أبا داود. وقوله: احتى تلوقي عسيلته ويلوق عسيلتك، شبّه لذة الجماع بلذة العسل،
 فاستمار لها ذوقاً، وإنما أنّت، لأنه أراد قطمة من العسل، وقيل: على إعطائها معنى النطقة. وقيل: العسل في الأصل يذكر ويؤنث، فمن صغره مؤنثاً
 قال: عسيلة، وإنما صغره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل.

عدتها، ثم يطلقها [يفعل ذلك]، يضارّها [ويعضلها]^(۱) بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل هاهنا: زمان العدة. ومعنى البلوغ هاهنا: مقاربة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال: بلغت المدينة: إذا قاربتها، وبلغتها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى: ﴿ أَسُكُونُكَ بِمَرُكُوبُ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة: المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿ سَرِّحُوهُنَّ عِمَرُونِ ﴾ وهو تركها حتى تنقضي عدتها. والمعروف في الإمساك: القيام بما يعجب لها من حق. والمعروف في التسريح: أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنى قوله: ﴿ وَلَا تُمْيِكُونُنَ ضِرَاكَ لِنَمْنَدُوا ﴾ قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين. وقال الضحاك: إنما كانوا يضارون المرأة لتفتدي. ﴿ وَمَن يَنْمَلْ ذَلِكَ ﴾ الاعتداء، ﴿ فَقَدْ ظَلَرَ نَفْسَلُمُ ﴾ بارتكاب الإثم.

قُوله تعالى: ﴿وَلَا نَنَفِذُوٓا ءَايَتِ اللّهِ هُزُواً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول: كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن. والثاني: أنه المضار بزوجته في تطويل عدتها بالمراجعة والطلاق. قاله مسروق، ومقاتل. ﴿ وَاَذْكُوا نِمْنَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَزْلَ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْكِنَبِ وَالْحِكْمَةِ يَيْظُكُم بِيْبُ قال ابن عباس: احفظوا منته عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه. ﴿ وَاَنْتُوا اللّه ﴾ في الضرار ﴿ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللّه بِكُلِ مَنْ بِهُ وبغيره ﴿ عَلِيمٌ ﴾ به وبغيره ﴿ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَإِذَا طَلَقَتُمُ النِسَآةَ قَبَلَنَنَ آجَلَهُنَ فَلَا تَمَّشُلُوهُنَ أَن يَنكِمَنَ أَنْوَجَهُنَ إِذَا تَرَضَوَا بَيْتُهُم بِٱلْتَمُووَدُّ ذَلِكَ يُوعَظُ بِدٍ. مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآنِيْرُ ذَلِكُو أَلَكُ لِكُو وَأَلْهَرُ وَاللَّهُ بِتَلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقُتُمُ النِّسَاةَ بَلَنْنَ أَجَلَهُنَ فَلَا شَمْنُلُوهُنَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلقها تطلبهة [ثم تركها] ومضت العدة، فكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب، فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلى معقل، فغضب معقل، وقال: أكرمتك بها، فطلقتها؟ إلا والله الا ترجع إليك آخر ما عليك. قال الحسن: فعلم الله والله الرجل إلى امرأته، وحاجة المرأة إلى بعلها، فنزلت هذه الآية، فسمعها معقل، فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها، فقال: أزوجك، وأكرمك (٢٠). ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمى هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يسار. والثاني: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم، فطلقها زوجها تطليقة، فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، وقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تنكحها الثانية؟! وكانت المرأة تريد زوجها، قد راضته، فنزلت هذه الآية، قاله السدي (٣٠). فأما بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العدة، بخلاف التي قبلها. قال الشافعي فيها: دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمْ شُلُوهُنَ ﴾ خطاب للأولياء. قال ابن عباس، وابن جبير، وابن قتيبة في آخرين: معناه: لا تحبسوهن. والعرب تقول للشدائد: معضلات. وداءٌ عضال: قد أعيا. قال أوس بن حجر:

وليس إخوك الدائم العهد بالذي وليسر أخوك الدائم العهد بالذي

.... وقالت ليلئ الأخيلية:

يسذمه إن ولسى ويسرضيك مسقسلا وصاحبه الأدنسي إذا الأمسر أعسفسلا

⁽١) - عضل المرأة، يعضلها: لم يحسن عشرتها ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها.

 ⁽٢) أخرجه بمعناه البخاري وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال الترمذي بعد روايته للحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز
 النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثبية، قلو كان الأمر إليها، لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله في
 هذه الآية الأولياء فقال: ﴿ فَلَا تَشْشُلُونَ أَنْ يَنْكِمْنُ إِنْنَجُهُنَ ﴾ تفي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن.

 ⁽٣) قال السيوطي في الباب النقول في أصباب النزول؛ والأول أصح، وهو أقوى.

و تستجم أقصدى دائسها فسيسف اها فعلامٌ إذا مَسرَّة السفياة سسفت اها إذا نسزل السحسجاج أرضاً مسريسضة شفاها من العاء العضال الذي بها

قال الزجاج: وأصل العضل، من قولهم: عضلت الدجاجة، فهي مُعضِل وأذا احتبس بيضها ونشب (١) فلم يخرج، وعضلت الناقة أيضاً: إذا احتبس ولدها في بطنها،

قوله تعالى: ﴿إِذَا تُرْسَرُوا بِيَنَهُم بِالْمُرُونِ﴾ قال السدي، وابن قتيبة: معناه: إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح. قال الشافعي: وهذه الآية أبين آية في أنه ليس للمرأة أن تتزوج إلا بولي.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ اِيُوعَظُ بِهِ ﴾ قال مقاتل: الإشارة إلى نهي الولي عن المنع. قال الزجاج: إنما قال: «ذلك»، ولم يقل: «ذلكم» وهو يخاطب جماعة، لأن لفظ الجماعة لفظ الواحد، والمعنى: ذلك أيها القبيل.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكُرُ أَنَكُ لَكُرُ ﴾ يعني ردّ النساء إلى أزواجهن، أفضل من التفرقة بينهم ﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ أي: أنقى لقلوبكم من الربية لئلا يكون هناك نوع محبة، فيجتمعان على غير وجه صلاح.

قولِه تعالى: ﴿وَالِلَّهُ يَمُلُمُ وَآلِتُكُمْ لَا تَمْلُمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: يعلم ودّ كل واجد منهيها لصاحبه، قاله إبن عباس، والضحاك، والثاني: يعلم مصالحكم عاجلاً وآجلاً، قاله الزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿ وَالْكِلْلَاتُ رُعْنِمَنَ أَوْلَدُهُنَّ ﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿ وَالْكُلْلَانَتُ يُرَبّمُن ﴾ بأنفُسِهن الأمر انصرف إلى الآباء، لأن عليهم الاسترضاع، لا إلى الوالدات، يدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْأَوْرِ لَهُ رِنَّهُنّ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَنَاتُوهُنّ أَجُورَهُنَ ﴾ النساء: ١٤ فلو كان متحتماً على الوالدة، لم تستحق الأجرة، وهل هذا عام في جميع الوالدات؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص في المطلقات، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه عام في الزوجات والمطلقات، ولهذا نقول: لها أن تؤجر نفسها لرضاع ولدها، سواء كانت مع الزوج، أو مطلقة، قاله القاضي أبو يعلى، وأبو سليمان الدمشقي في آخرين. والحول: السنة، وفي قوله: ﴿ كَامِلَيْنَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه دخل للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿ يَنْكُن لَلَهُ وَلَانَ أَوْمَعُنَ الْعَرْبُ } والبيرة: ١٩٦]. والثاني: أنه لما جاز أن يقول: الحولين، ويريد أقل منهما، كما قال: ﴿ فَمَن شَجُلَ فِي يَوْمَنِ ويريد أقل منهما، كما قال: ﴿ فَمَن شَجُلَ فِي يَوْمَنِ ويريدون: يوماً وبعض آخر. وتقول العرب: لم أر فلاناً منذ يومين، وإنما يريدون: يوماً وبعض آخر - قال: كاملين لتبين أنه لا يجوز أن يُنقص مِنهما، وهذا قول الزجاج، والفراء.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فقال بعضهم: هو محكم، والمقصود منه بيان مذة الرضاع، ويتعلق به أحكام، منها أنه كمال الرضاع، ومنها أنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدّة الحولين، ويجبره الحاكم على ذلك؛ ومنها أنه يثبت قيما زاد، ونقل عن قتادة، والربيع بن أنس في اخرين أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَادًا فِصَالًا عَن تَرَامِن يَبُهُما ﴾ قال شيكفنا عليّ بن عبيد الله: وبعدا قول بعيد، لأن الله تعالى قال في أولها: ﴿ إِنَن أَرَادَ أَن يُبِمُ الرَّمَاعَةُ ﴾ فلما قال في الثاني ﴿ وَإِن أَرَادًا فِصَالًا عَن رَامِن مِنها لا رادتين ، وذلك لا يعارض المدة المقدرة في التمام.

بَ قُولُه بِمَالَى: ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُنِمَّ الرَّمَاعَةُ ﴾ أي: هذا التقدير بالخولين لغريدي إتمام الرضاعة. وقرأ مجاهد بتامين «أن تتم الرضاعةُ» وبالرفع، وهي رواية الحلبي عن عبد الوارث. وقد نبّه ذكر التمام على نفي حكم الرضاع بعد الحولين، وأكثر القراء على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طلحة بنُ مصرِّف، وابن أبي عبلة، وأبو رجاء، بكسرها، قال الزجاج: يقال: الرضاعة بفتح الراء وكسرها، والفتح أكثر، ويقال: ما حمله على ذلك إلا اللؤم، والرضاعة بالفتح هاهنا لا غير (١).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْفَلُودِ لَهُ عِني: الأب ﴿رِنَّهُنَ كَتَّوَجُنَّ عِني: المرضعات، وفي قوله: ﴿ بِالْمَرُوبِ ﴾ دلالة على أن الواجب على قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر النزر الطفيف، وفي الآية دليل على تسويغ اجتهاد الرأي في أحكام الحوادث، إذ لا يتوصل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلا من جهة غالب الظن، إذ هو معتبر بالعادة.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكُلُّتُ نَفْسُ إِلّا رُسَّمَاً ﴾ أي: إلا ما تطيقه ﴿لَا تُعْتَكَآزٌ وَلِدَهُ ﴿ وَلَهُمَا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان عن عاصم (لا تضارُّ) برفع الراء، وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي بنصبها، قال أبو علي: من رفع، فلأجل المرفوع قبله، وهو ﴿لَا تُكُلِّتُ ﴾، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمراً، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتية: معناه: لا تضارر، فأدغمت الراء في الراء. وقال سعيد بن جبير: لا يحملن المطلقة مضارة الزوج أن تلقي إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأبى أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضار الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضى به غيرها، فهي أحق به. وقرأ أبو جعفر ولا تضاره بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُ الْوَارِثِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحلها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين. واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبته، كائناً من كان، وهذا مروي عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم وشفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلى، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حبل. وقال آخرون: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، روي عن أبي حتيفة، وأبي يوسف، ومحمد، والقول الثاني: أن المراد بالوارث هاهنا، وأرث الوالله، روي عن الحسن والسدي. والثالث: أن المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، روي عن سفيان. والرابع: أنه أربد بالوارث الصبي والثالث: أن المراد بالوارث أله الشحاك، وقيصة بن ذؤيب، قال شيخنا عليّ بن عبيد الله: وهنا القول لا ينافي قول من قال: المراد بالوارث وارث الصبي، لأن النفقة ثجب للموروث على الوارث إذا ثبت إحسار المنفق عليه. وفي قوله تعالى: ﴿ويثُلُ وَلِثُ لَا لَاكُ للله أولا الشارة إلى أجرة الرضاع والنفقة، روي عن عمر، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، وقبيصة بن ذؤيب، والسدي. واختاره ابن عبيد، والشائي: أنه الإشارة إلى المعين من الضرار، روي عن ابن عباس، والشعبي، والزهري، واختاره الزجاج. والثالث: أنه إشارة إلى جميع ذلك، روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل، وأبي سليمان الدمشقي، واختاره والقاضي أبو يعلى، ويشهد لهذا أنه معطوف على ما قبله، وقد ثبت أن على المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يضار، فيجب أن يكون قوله: ﴿ويْلُ وَلِكُ وَالله على ما على المولود له.

قوله تعالى: ﴿ إِلَا أِنَا فِسَالًا عَن تَرَاضِ ﴾ الفصال: الفطام. قال ابن قتيبة: يقال: فصلت الصبي أمه: إذا فطمته. ومنه قيل للحوار إذا قطع عن الرضاع: فصيل، لأنه فصل عن أمه، وأصل الفصل: التفريق. قال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين إن أرادت أن تفطم وأبى، فليس لها، وإن أراد هو، ولم قرد، فليس له ذلك حتى يقع ذلك عن تراض منهما وتشاور، يقول: غير مسيئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدُمُ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَرْتُدَكُرُ ﴾ قال الزجاج: أي: الأولادكم، قال مقاتل: إذا لم ترض الأم بما يرضى به غيرها، فلا حرج على الأب أن يسترضع لولده.

⁽١) قال في «اللسان»: الرضاعة بالفتح والكسر: الاسم من الإرضاع، فأما من الرضاعة اللؤم، فالفتح لا غير.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَلَمْتُمْ مَمَا مُلِئَمُ بِلَكُمُونَ ﴾ تولان. أحدهما: إذا سلَّمتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أُجور ما أرضعن قبل امتناعهن، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: إذا سلمتم إلى الظئر أجرها بالمعروف، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. وقرأ ابن كثير (ما أتيتم) بالقصر، قال أبو علي: وجهه أن يقدر فيه: ما أتيتم نقده أو سوقه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه [فكأن التقدير: ما آتيتموه، ثم حذف الضمير من الصلة] كما تقول: أتيت جميلاً، أي: فعلته.

﴿ وَالَّذِينَ بُتَوَفَّلَ مِنكُمْ وَيَلَامُونَ أَزْوَجًا يَرْيَمْنَ بِأَنسُهِنَ أَرْبَعَةَ أَنْهُرٍ وَعَشَرًا ۚ فَإِذَا بَلَغَنَ أَجَلَهُنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُو فِيمَا فَعَلَنَ فِيّ أَنشُهِنَ بِالْمَعْهُونِ وَاللَّهُ بِمَا شَمَلُونَ جَبِيرٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّرُنَ وَنكُمْ ﴾ أي: يقبضون بالموت. وقرأ المفضّل عن عاصم فيتوفون بفتح الياء في الموضعين. قال ابن قتيبة: هو من استيفاء العدد، واستيفاء الشيء: أن تستقصيه كله، يقال: توفيته واستيفاء كما يقاله: تيقتت الخير واستيقنته، هذا الأصل، ثم قيل للموت: وفاة وتَوَفّ و﴿ بَرَبّعُنك ﴾ ينتظرن، وقال الفراء: وإنما قال: ﴿وَعَشْراً ﴾ ولم يقل: عشرة، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام، غلبوا عليه الليالي، حتى إنهم ليقولون: صمنا عشراً من شهر رمضان، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره، كانت الإناث بغير هاء، والذكور بالهاء (١) كقوله تعالى: ﴿سَمَّمَا عَنْتِهم سَبْعَ لَيَالٍ وَنَسْنِيلَة أَيَارٍ مُسُومًا ﴾ [الماقة: ١٧] فإن قيل: ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة افالجواب: أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه، قاله سعيد بن المسيب، وأبو العالية، ويشهد له الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: ﴿إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة]، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح (١٠).

فصل

وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آيات، وهي قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتُوَفَّرَكَ يِنَكُمُ وَيُدَّدُكُ أَنْفَكُا وَمِينَّةُ لِأَرْدَجِهِم مَّتَمًا إِلَى ٱلْحَوْلِ إِلَهُ البَعْرَةِ: ٢٤٠]. لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة، وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسختها ﴿ وَأُولَئَتُ ٱلْأَمَّالِ أَبَلُهُنَّ أَن يَسَعَن حَمَّلُهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤]. والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها روجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت حاملاً، أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: ﴿ وَأُولَئَتُ ٱلْأَمَالِ أَبَلُهُنَّ أَن يَشَعَن حَمَّلُهُنَّ ﴾ خص أولات الحمل، وهي خاصة أيضاً في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَنْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ يعنى: انقضاء العدة.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُه بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْتَنَتُمْ فِي اَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنْكُمْ سَنَذَرُونَهُنَ وَلِنَكِن لَا فُرَاعِدُومُنَ سِرًا إِلَّا أَن تَتُولُوا فَوْلا مَصْرُوفًا وَلا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاجِ حَتَى يَبْلُغَ الْكِنَابُ أَجَلَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاصْدَرُوهُ وَلِي اللّهُ عَلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاصْدَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاصْدَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَنْورُ جَلِيمُ ﴿ اللّهِ اللّهُ اللّهُ عَنْورُ جَلِيمُ ﴿ اللّهِ اللّهَ عَنْورُ جَلِيمُ ﴿ اللّهِ اللّهَ عَنْورُ جَلِيمُ اللّهِ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْدُولُولُوا فَوْلًا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فلا جناح على الرجال في تزويجهن بعد ذلك،

(٢) . رواه البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن عبد الله بن مسعود ريد، ورواه أبو عوانة في امسنده، وزاد انطقة، بين قوله: الله أحدكم، وبين قوله: والسروة

⁽۱) قال أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط»: الذي نقل أصحابنا أنه إذا كان الممدود مذكراً وحذفته، فلك فيه وجهان. أحدهما وهو الأصل: أن يبقى المدد على ما كان عليه ولو لم يحذف المعدود، فتقول: صمت خمسة، وتريد خمسة أيام. قالوا: وهو الفصيح. قالوا: ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً. ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر، وكذلك قوله: وإلا فسسسيسري مسفل مساسر واكسب يستسمم خسمساً لسيس فسني سسيسره أمسم يريد: خمسة أيام.. وعلى ذلك ما جاء في العديث "من صام رمضان، وأتبعه بست من شوال». وإذا تقرر هذا فجاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَّلُ ﴾ على أحد الجائزين، وحسنه هنا، أنه مقطع كلام، فهو شبيه بالفراصل، كما حسن قوله تعالى: ﴿إِنْ لِلْتُمْ إِلاَّ عَثَرًا ﴾ [طه: ١٠٣] كونه فاصلة، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين.

والثاني: فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزين وتزوجن، قال أبو سليمان الدمشقي: وهو خطاب الأوليائهن .

قوله تعالى: ﴿ فِيمَا هَمَانَ فِي أَنفُسِهِنَ بِالْمَعُهُ فِيه قولان. أحدهما: أنه المتزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه المنكاح، قاله الزهري، والسدي. والخبير، من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته. (والخبير، في صفة المخلوقين، إنما يستعمل في نوع من العلم، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببدائه العقول. وعلم الله تعالى سواء، فيما غمض ولطف، وفيما تُجلى وظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خُنَاعَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّمْتُ لِهِ مِنْ خِلْمَةِ ٱلْشَكَةِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيماء والتلويخ من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخُطبة بضم النخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول؛ إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لإلى لحير.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكُنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ قال الفراه: فيه لغتان، كننت الشيء، وأكننته (١) وقال ثعلب: أكننت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكننته: إذا سترته بشيء، وقال ابن قتيبة: أكننت الشيء: إذا سترته، ومنه هذه الآية، وكننته: إذا صنته، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَانَهُنَ مَيْضٌ مَّكُونٌ ﴿ الصانات: ٤٩] قال بعضهم: يجعل كننته، وأكننته، بمعنى . المناها: ﴿ عَلمَ اللهُ أَنكُمُ مُتَذَكُّونُهُنَ ﴾ قال مجاهد: ذكره إياها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ لَا تُوَاعِدُومُنَ سِرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أخدها: أن المراد بالسر هاهناً. النكاح، قاله ابن عباس: وأنشد بيت امرئ القيس:

ألا زصمت بسياسة اليوم أنني

وفي رواية: يشهد اللهو^(٢). قال الفراء: ونرى أنه مما كنى الله عنه، كقوله تعالى: ﴿أَزْ جَآهُ أَعَدُّ مِنكُم مِّنَ الْمُعْلِمِ اللهِ الْمُعْلِمِ الساء: الْإنضاء بالنكاح [المحرم] وأنشد:

وي اكسل جسارة جسادتهم عبليهم ويساكسل جسادهم انسف السقيمساع(٢)

قال ابن قتيبة: استعير السرّ للنكاح، لأن النكاح يكون سراً، فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، [وهن في العدة] تضريحاً ﴿إِلاّ أَن تَقُولُوا قُولًا مَّمْسُرُوفًا ﴾ لا تذكرون فيه رفئاً ولا نكاحاً. والثاني: أن المواعدة سراً؛ أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن المراد بالسر الزني (١٤). قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والرابع: أن المعنى: لا تنكحوهن في عدتهم سراً، فإذا حلّ أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد. وفي القول المعروف قولان. أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس،

⁽Y) رواية إليت في الديوان مكِفّاء: الا زميمست يسسسيساسسة السيسوم أنسنسي كيبسرت وألا يبحسسن البلسهسو أمـــــالـــي وعلى جذه الرواية فلا شاهد في البيت

[&]quot;٢) البهت للجطيئة، وهو من قصيدة يمدح فيها بني رياح ويني كلب من بني يربوع، وأنف كل شيء: طرفه وأوله. والقصاع: جمع قصعة، وهي الجفنة . . الضخمة، يذكر علتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجاوة، واقتراب الاثم في حقها، ويصف كرمهم وإيثارهم جارهم بالطعام على أنفسهم، فلا يتقدمون إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهيه وما يكفيه.

⁽٤) قال الأعشي: ولا تسسطة مسمريسه بن جمنه ارة إنَّ مسمعره بسما على المرابع وسلسيسك حسوام فسانسك محسن أو تسأيسها وقد فسروا السر في هذا البيت بالزني، وهو ظاهر، وقد رجع هذا القول الطبري في «تفسيره».

وسعيد بن جبير، وعطاء، والمقاسم بن محمد، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه إعلام وليها برغبته فيها، وهو قول عبيدة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْرِمُوا عُقَدَةَ النِكَامِ ﴾ قال الزجاج: معناه: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذفت «على» استخفافاً، كما قالوا: ضرب زيد الظّهر والبطن، معناه: على الظّهر والبطن ﴿ حَقّ يَبُلغُ الْكِنَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ أَجَلَابُ البنوة: فرض الكتاب أجله. قال: ويجوز أن يكون «الكتاب» بمعنى «الفرض» كقوله تعالى: ﴿ كُنِبَ عَلَيْتُكُمُ الشّيامُ ﴾ [البنوة: ١٨٣]. فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض أجله. قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي: بلوغ الكتاب أجله: انقضاء العدة.

قُوله تعالى: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَهُ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ قال ابن عياس: من الوفاء، فاحذروه أن تخالفوه في أمره. والحليم قد سبق بيانه

﴿ لَا جُنَاعَ عَلَيْكُو إِن طَلَقَتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَغْرِشُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَثِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَّرُهُ وَعَلَى الْمُقْدِرِ قَدَرُهُ مَنْكَا وَاللَّهُ عَلَى الْمُقْدِرِ قَدَرُهُ مَنْكَا وَاللَّهُ عَلَى الْمُقْدِينَ ﴾ والتقريب عَلَّا عَلَى الْمُعْدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلِيْكُو إِن طَلَقَتُمُ النِّسَاةُ مَا لَمْ تَسَوّهُنَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو وتمسوهن بغيراً الف حيث كان، وبفتح التاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تُماشّوهن» بألف وضم التاء في الموضعين هنا وفي الأحزاب ثالث. قال أبو علي: وقد يراد بكل واحد من «فاعل» و«فعل» ما يراد بالأخر، تقول: طارقت النعل، وعاقبت اللص. قال مقاتل بن سليمان: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة، ولم يسم لها مهراً، فطلقها قبل أن يمسها، فقال النبي على: «هل متعتها بشيء؟» قال: لا. قال: همتعها ولو بقلنسوتك، ومعنى الراو، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ نُولِعَ اللّهِ وَلَا تَكُونَ وَأُو اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ اللللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الللهُ

والمسُّ: النكاح، والفريضة: الصداق، وقد دلت الآية على جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر. ﴿ وَمَيْمُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على قدر أحوالكم في الغنى والفقر. والمتاع: اسم لما ينتفع به، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ عَلَ اللَّهُ بِعَ قَدَرُهُ ۗ وَعَلَ اللَّهُ يُرِ قَدَرُهُ ﴾. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو اقذره السكان الدال في الحرفين، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بتحريك الحرفين، وعن عاصم: كالقراءتين، وهما لغتان.

فصل

وهل هذه المتعة واجبة، أم مستحبة؟ فيه قولان: أحدهما: واجبة، واختلف أرباب هذا القول، لأي المطلقات تجب، على ثلاثة أقوال. أخدها: أنها واجبة لكل مطلقة، روي عن علي، والحسن، وأبي العالية، والزهري، والثاني: أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقاً، ولم يمسها، فإنه يجب لها نصف ما فرض، روي عن ابن عمر، والقاسم بن محمد، وشريح، وإبراهيم، والثالث: أنها تجب للمطلقة قبل الدخول إذا لتم يسم لها مهراً، فإن دخل بها، فلا متعة، ولها مهر المثل، روي عن الأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، والثاني: أن المتعة مستحبة، ولا تجب على أحد، سواء سمى للمرأة، أو لم يسم، دخل بها، أو لم يدخل، وهو قول مالك، والليث بن سعد، والحكم، وابن أبي ليلي. واختلف العلماء في مقدار المتعة، فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب: أعلاها خادم، وأدناها كسوة يجوز لها أن تصلي فيها، وروي عن حماد وأبي حنيفة: أنه قدر نصف صداق مثلها، وعن الشافعي وأحمد: أنه قدر يساره وإعباره، فيكون مقدراً باجتهاد الحاكم، ونقل عن أحمد: المتعة بقدر ما تجزئ فيه الصلاة من الكسوة، وهو درع وخمار.

قوله تعالى: ﴿مَتَنَمُا بِٱلْمَعُهُونِ ﴾ أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمنفقين ضرب من التأكيد.

﴿ وَإِن طَلْقَنْتُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَنَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَمُنَّ فِيضَةً فَيْصَفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَسْفُوكَ أَوْ يَسْفُوا الَّذِي بِيهِو. عُقْدَةُ النِّكَاغُ وَأَن تَشْفُوا أَفْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْلَفَسْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَسْمُلُونَ بَعِيدً ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَشَنُوا أَوْبَبُ التَّقَوَىٰ ﴾ قيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل: والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: ﴿وَأَن يَعْفُو ۚ بِالْيَاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسُوا ٱلْنَصْلَ بَيْنَكُمُ ﴾ خطاب للزوجين. قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة لنظرها.

﴿ عَدْغِظُوا عَلَ ٱلعَبْدَلَوْتِ وَالضَّكَاذِةِ ٱلْمُسْطَىٰ وَقُومُوا يُّلِّهِ فَدَنِيْنَ ١٠٠٠

قوله تعالى: ﴿ عَنِيْنُواْ عَلَ ٱلشَّكَارَتِ ﴾ المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالألف واللام ينصرف إلى المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿رَالفَكَاذِةِ ٱلْوُسْطَلُ﴾ قال الزجاج: هذه الواو إذا جاءت مخصصة، فهي دالة على فضل الذي تخصصه، كقوله تعالى: ﴿وَجِنْرِيلَ وَمِكْدُلُ﴾ [البقرة: ٩٧] قال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطى هكذا، وشبك بين أصابعه (١٠). ثم فيها خمسة أقوال. أحدها: أنها العصر، روى مسلم في «أفراده» من حديث علي ﷺ عن النبي ﷺ، أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم فاراً (١٠) وروى ابن مسعود، وسمرة، وعائشة عن النبي ﷺ، أنها صلاة العصر (٣)، روى مسلم في «أفراده» من حديث البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية ﴿ كَنِينُلُواْ عَلَى الشَكَلُوتِ [وَالشَكَاؤَةِ ٱلْوَسْطَلُ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب ﷺ، وابن مسعود، وأبي سعيد، وأبي أبوب، وابن عمر في رواية، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية عطية، وأبي سعيد

⁽١) يُريد أنهم كانوا يختلفُون في تعيين الصلاة الوسطى.

 ⁽٢) وتمامه عند مسلم قم صلاها بين العشائين، بين المغرب والعشاء، ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «المسائيد» و«السنر» و«الصحاح».

 ⁽٣) حديث ابن مبعود هو في اصحيح مسلم؟ ٤٣٧/١، وحديث عائشة أيضاً في اصحيح مسلم؟ ٤٣٨/١. وأما حديث سمرة، فقد رواه الإمام أحمد في
 المسنده، والترمذي في اجامعه، وقال: حديث حسن صحيح.

⁽٤) هذه الزيادة التي أوردها المؤلف هنا لم ترد في رواية البراء، وإنما وردت من طريق عائشة ﷺ. انظر: •صحيح مسلم، ٤٣٨/١.

الخدري، وعائشة في رواية، وحفصة، والحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء في رواية، وطاووس، والضحاك، والنخعي، وعبيد بن عمير، وزرّ بن حبيش، وقتادة، وأبي حنيفة، ومقاتل في آخرين، وهو مذهب أصحابنا(١١). والثاني: أنها الفجر، روي عن عمر، وعلىّ في رواية، وأبي موسى، ومعاذ، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وابن عمر في رواية مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن عباس في رواية أبي رجاء العطاردي، وعكرمة، وجابر بن زيد، وأنس بن مالك، وعطاء، وعكرمة، وطاووس في رواية ابنه، وعبد الله بن شداد، ومجاهد، ومالك، والشافعي. وروى أبو العالية قال: صليت مع أصحاب رسول الله ﷺ الغداة فقلت لهم: أيما الصلاة الوسطى؟ فقالوا: التي صليت قبل. والثالث: أنها الظهر، روي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخدري، وعائشة في رواية، وروى ضميرة عن علي ﷺ قال: هي صلاة الجمعة، وهي سائر الأيام الظهر. والرابع: أنها المغرب، روي عن ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب. والخامس: أنها العشاء الأخيرة، ذكره على بن أجمد النيسابوري في اتفسيره. وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال. أحدها: أنها أوسط الصلوات محلاً. والثاني: أوسطها مقداراً. والثالث: أفضلها. ووسط الشيء: خيره وأعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَاكِ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطَّا﴾ [البغرة: ١٤٢]، فإن قلنا: إن الوسطى بمعنى: الفضلي، جاز أن يدّعي هذا كل ذي مذهب فيها. وإن قلنا: إنها أوسطها مقداراً، فهي المغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان، وأكثرها أربعاً. وإن قلنا: إنها أوسطها محلاً، فللقائلين: إنها العصر أن يقولوا: قبلها صِلاتان في النهار، ويعدها صلاتان في الليل، فهي الوسطى. ومن قال: هي الفجر، فقال عكرمة: هي وسط بين الليل والنهار، وكذلك قال ابن الأنباري: هي وسط بين الليل والنهار، وقال: وسمعت أبا العباس، يعني ثعلباً يقول: النهار عنه العرب أوله: طلوع الشمس. قال ابن الأنباري: فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل، قال: وقال آخرون: بل هي مِن صلاة النهار، لأن أول وقتها أول وقت الصوم. قال: والصواب عندنا أن نقول: الليل المحض حاتمته طلوع الفجر، والمنهار المحض، أوله: طلوع الشمس، والذي بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس يجوز أن يسمى نهاراً، ويجوز أن يسمى ليلاً، لما يوجد فيه من الظلمة والضوء، فهذا قول يصح به المذهبان، قال ابن الأنباري: ومن قال: هي الظهر، قال: هي وسط النهار. فأما من قال: هي المغرب، فاحتج بأن أول صلاة فرضت، الظهر، فصارت المغرب وسطى، ومن قال: هي العشاء، فإنه قال: هي بين صلاتين لا تقصران.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلّهِ قَلْنِيْتِنَ﴾ المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشعبي، وطاووس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿وَقُومُوا لِلّهِ تَنْزِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت [ونهينا عن الكلام](٢).

﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ فِيجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَمَكُم مَّا لَمُ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِنْتُمْ فَرِيمَالًا ﴾ أي: خفتم عدواً، فصلوا رجالاً، وهو جمع راجل، والركبان جمع راكب، وهذا يدل على تأكيد أمر الصلاة، لأنه أمر بفعلها على كل حال. وقيل: إن هذه الآية أنزلت بعد التي في سورة النساء، لأن الله تعالى وصف لهم صلاة الخوف في قوله: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَتَمْتَ لَهُمُ الصَّكَلَوَةَ ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم نزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَتَمْتَ لَهُمُ الصَّكَلَوَةَ ﴾ [النساء: ١٠٠] ثم نزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَالرَتُم. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه صلى يوم المخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق (٢٠٠)؟

⁽١) وهو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة الراجحة، وإليه ذهب الطبري واللمياطي وابن كثير، وأكثر أهل الأثر.

⁽٢) ... رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيره.

 ⁽٣) رواه الترمذي وأبو يعلى والبيهتي عن ابن مسعود، ورواه النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري، ورواه البزار، في «مسنده» عن جلبو بن عبد الله،
 ولم نجده من طريق ابن عباس كما ذكر المؤلف.

فالجواب: أن أبا سعيد روى أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُ مَرْجَالًا أَوْ رُكَبَانًا ﴾ قال أبو بكر الأثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم المختلق منسوخ (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمُ فَانْصُكُوا اللَّهُ فِي هَذَا الذَّكَرِ قُولانَ: أَحَدُهُمَا: أَنَهُ الصّلاة، فتقديره: فصلوا كما كنتم تصلون آمنين، والثاني: أنه الثناء على الله، والحمد له.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفِّرَتَ مِنكُمْ وَيَدَّرُونَ أَزْوَبًا وَسِنَّةً لِأَزْوَجِهِم مَّتَنعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْدَلِجُ فَإِنْ خَرْجَنَ فَلَا لَجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَمَلْكَ فِي ٱللَّهِ مِن مَشَرُونِ وَاللَّهُ عَهِيرُ حَكِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّرَنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَوْرَبَا﴾ روى ابن حيان أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة ومعه أبواه وامرأته، وله أولاد، فمات قرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبي ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولاً.

قوله تغالى: ﴿وَمِينَةَ لِأَزْدِجِهِم﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وابن عامر (وصيةً) بالنصب، وقرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي (وصيةً) بالرفع. وعن عاصم كالقراءتين. قال أبو عليّ: من نصب حَمَلَهُ على الفعل؛ أي: ليوصوا وصية، ومن رفع، فمن وجهين. أحلهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والخبر لأزواجهم. والثاني: أن يضمر له تحبراً، تقانيرة: فعليهم وصية. والمراد منه من قارب الوفاة، فليوص، لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى،

قوله تعالى: ﴿ مُتَنَمّا إِلَى الْمَوْلِ ﴾ أي: متعوهن إلى الحول ولا تخرجوهن والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتها وَسُكناها ﴿ وَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ أي: من قبل أنفسهن ﴿ وَلَا جُناعَ عَلَيْكُ ﴾ يعني: أولياء الميت. ﴿ وَفِي مَا نَمَلُ فِي النّسِهِ ﴾ مِن مَمّرُونِ ﴾ يعني التشوف إلى النكاح، وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال؟ فيه قولان. أحدهما: أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول. والثاني: في ترك منعهن من الخروج، لأنه لم يكن مقامُها الحول وأجباً عليها، بل كانت مخيرة في ذلك.

فصل

ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فإذا يم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعرة، فرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من علمتها، وكان معنى رميها بالبعرة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعرة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم على ما كانوا عليه من مكث الجول بهذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ يُتَوَفَّنَ مَكُم وَيَكُم وَيَدُرُكُ أَنْوَبًا يَثْرَفَهُنَ إِنْشُهِنَ أَرْبَعَةً أَنْهُر وَعَشْراً ﴾ (٢). ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه.

 ⁽١) وقد ذهب البعض إلى هدم النسخ، وجعل صلاة الخوف قسمين؛ أحدهما: أن تكون في حال القتال ـ وهو المراد بهذه الآية بـ والثاني: في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء: ١٠٢]. وقد روى مالك
 ن في «الموطأ» عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف، وصفها، ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالاً على أقدامهم أو ركباناً، مستقبلي القبلة أل غير مستقبليها.

⁽٢) وإليه ذهب الجمهور من أهل العلم سلفاً وخلفاً: وروى البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَالَذِينَ بَيْكُوْنَ مِنكُمْ وَيَدُونَ أَوْنَكُ ﴾ قبل نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه. قال الحافظ ابن كثير: ومعني هذا الإشكال الذي قال ابن النبير لحتمان: إذا كان حكمها قد تسخ بالأوبعة الأشهر، قما الحكمة في إبقاء وسمها مع زوال حكمها، وبقاه رسمها بعد التي نسختها يوهم بقاء حكمها؟ فأجله أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي، وأنا وجدتها هم الحكمة في المصحف كذلك بعدها، حيث وجدتها. وقال الحافظ ابن حجر في االفتحة جاء المحلما الحافظ ابن حجر في الفتحة جاء المحلم عما وقع فيه الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ، ثم أشار إلى آيات أخر في مثل هذا. ومن السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة، وإنما خص من الحول بعضه، ويقي البعض وصية لها، إن شاءت أقامت، فقد ووى البخاري عن متشرون من مجاهد ﴿ وَالَيْنَ يُمَوَّنَ كَي يَستُمُمُ وَلَذَنَا الله المحتوى عن متشرون المحل بعضه، ويقي البعض وصية لها، إن شاءت أقامت، فقد ووى البخاري عن متشرون في قد يحمل طله لها تحما وريد ويشرون المنافق وعند الماد وحديد المنافق عند عن المعاد على المعاد وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قول الهي تعالى: ﴿ عَبْرَ إِنْ مَرْمَنَ فَلا جُمُنَا عَلَى المعاد كُمَا في تربي الماد على عليها.

﴿ وَالْمُطَلِّفَاتِ مَتَنَّا إِلْمَعْرُونِ ۚ حَفًّا عَلَى ٱلْمُتَّوِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَكُم ۚ إِلْمَمْ رِبِّ ﴾ قد سبق الكلام في المتعة بما فيه كفاية.

﴿ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَسِهِ * لَمَلَّكُمْ تَمْقِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كَذَالِكَ بُبُينُ اللهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ ﴾ أي كما بين الذي تقدم من الأحكام ﴿ يُبَينُ اللهُ لَكُمْ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

﴿ اللَّهِ تَكَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَكِرِهِمْ وَهُمْ أَلُوكُ حَذَرَ النَّوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُونُوا ثُمَّ أَخَيْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَشَلِّ عَلَى النَّاسِ وَلَنكِنَّ أَكُثَرُ النَّاسِ لَا بَنْكُرُرِكَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُرُ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيُتُرِهِمْ ﴾ معناه: ألمْ تعلم. قال ابن قتيبة: وهذا على جهة التعجب، كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أَلُوكُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وهم مؤتلفون، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من العدد، وعليه العلماء. واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال. أحدها: أنهم كانوا أربعة آلاف. والثاني: أربعين ألفاً، والقولان عن ابن عباس. والثالث: تسعين ألفاً، قاله عطاء بن أبي رباح، والرابع: سبعة آلاف، قاله أبو صالح. والتخامس: ثلاثين ألفاً، قاله أبق مالك، والسادس: بضعة وثلاثين ألفاً، قاله السدي، والسابع: ثمانية آلاف، قاله مقاتل. وقي معنى: حدرهم من الموت، قولان: أحدهما: أنهم فروا من الطاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسن، والسدي. والثاني: أنهم أمروا بالجهاد، فقروا منه، قاله عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس كالقولين.

الإشارة إلى قصتهم

روى حصين بن عبد الرجلن عن هلال بن يساف قال: كانت أمّة من بني إسرائيل إذا وقع فيهم الوجع، خرج أغنياؤهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكناء وقال الفقراء: لو ظعنا كما ظعن هؤلاء سلمنا، فأجمع رأيهم في بعض السين على أن يظعنوا جميعاً، قطعنوا فماتوا، وصاروا عظاماً تبرق، فكنسهم أهل البيوت والطوق عن بيوتهم وطرقهم، فمر بهم نبي من الأنبياء، فقال: يا رب لو شئت أحبيتهم، فعبدوك، وولدوا أولاداً يعبدونك، ويعمرون بلادك. [قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم]، فقيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تكسى لحماً وعصباً، ثم قيل له؛ تكلم بكذا وكذا، فنظر فإذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه، وأنزل الله فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدل على بعد المنة التي مكثوا فيها أمواتاً. وفي بعض الأحاديث: أنهم بقوا أمواتاً مبعة أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبي الذي دعا لهم قولان: أحدهما: أنه حزقيل، والثاني: أنه شمعون. فإن قيل: كيف أميت هؤلاء مرتين وقد قال الله تعالى: ﴿وَالِيَ لَدَ تُمُتُ فِي مَنَانِهِكَا ﴾ ألمواتاً. وفي بعض الأحواب أن موتهم بالعقوبة لم يفن أعمارهم، فكان كقوله تعالى: ﴿وَالِي لَدَ تُمُت فِي مَنَانِهَا ﴾ اللهود إذ أخبرهم ﴿إِلاً النودَةُ الأُولَةُ النولة﴾ التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمر نادر. وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي بحبعه إبن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَ اللَّهُ لَذُر فَضَالٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ نبه ﷺ بذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلة شكرهم.

﴿ وَقَنْتِلُوا فِي سَكِيدِلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيبٌ ۗ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي المخاطبين بهذا قولان. أحدهما: أنهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحاك. والثاني: خطاب لأمة محمد ﷺ. فمعناه: لا تهربوا من الموت، كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهُ سَبِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنطوي عليه ضمائركم.

﴿ مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُصَاهِعَلُمُ لَهُۥ أَضْعَافًا كَيْثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْعُنُظُ وَإِلَيْهِ رُبَّعُمُوكَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا اللّهِ يُقْرِضُ الله والله والمنافعة على القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه، وأصله في اللغة القطع، ومنه أخذ المقراض. فمعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها. فإن قيل: ما وجه تسمية الصدقة ترضاً واللغة القطع، ومنه أخذ المقراض. فمعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها. فإن قيل: ما وجه تسمية المقامة، والثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به. فأما اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيستقرض الله منا وأما المسلمون فوثقوا بوعد الله، وبادروا إلى معاملته. قال ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدحداح: وإن الله ليريد منا القرض؟ فقال النبي على: نعم. قال: أرني يدك. قال: إني أقرضت ربي حائطي، قال: وحائطه فيه ستماثة نخلة، ثم جاء إلى الحائط، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط. فقد أقرضته ربي (١٠). وفي بعض الألفاظ: فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي على: «كم من علق وداح في الجنة لأبي الدحداح». وفي معنى القرض الحسن سنة أقوال: أحدها: أنه الخالص لله، قاله الضحاك. والثاني: وداح في الجنة لأبي الدحداح، وفي معنى القرض الحسن سنة أقوال: أحدها: أنه الخالص لله، قاله الضحاك. والثاني: أن يخرج عن طيب نفس، قاله مقاتل. والثالث: أن يكون حلالا، قاله ابن المبارك. والرابع: أن يحتسب عند الله ثوابه. والخامس: أن لا يتبعه مناً ولا أذى. والسادس: أن يكون من خيار المال.

قوله تعالى: ﴿ فَيُسَلِّمِنَهُ لَدُو ﴾ قرأ أبو عمرو «فيضاعفه» بألف مع رفع الفاء، كذلك في جميع القرآن، إلا في سورة الأحزاب ويُضَعَّف لَهَا العَذَابُ ضِعْفَينِ » وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، جميع ذلك بالألف مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثير (فيضعفه) برفع الفاء من غير ألف في جميع القرآن، ووافقه واصم على نصب الفاء في «فيضاعفه» إلا أنه أثبت الألف في جميع القرآن، قال أبو على: للرفع وجهان: أحدهما: أن يعطفه على ما في الصلة، وهو يقرض. والثاني: أن يستأنفه. ومن نصب حمل الكلام على المعنى، لأن المعنى: أيكون قرض؟ فحمل عليه «فيضاعفه» وقال: ومعنى ضاعف وضعف: واحد، والمضاعفة: الزيادة على الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر، وفي الأضعاف الكثيرة قولان. أحدهما: أنها لا يحصى عددها، قاله ابن عباس والسدي. وروى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال: إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة، وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة». والثاني: أنها معلومة المقدار، فالمرهم بسععت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة». والثاني: أنها معلومة المقدار، فالمرهم بسعمائة، كما ذكر في الآية التي بعدها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَقْمِضُ وَيَتَمَّكُمُّ فَرَأُ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي اليبسط، وابسطة، بالسين، وقرأهما نافع بالصاد. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: يقتر على من يشاء في الرزق، ويبسطه على من يشاء، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: يقبض يد من يشاء عن الإنفاق في سبيله، ويبسط يد من يشاء بالإنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين،

 ⁽١) رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وذكره الهيشمي في المجمع الزوائدة ٦/ ٣٢١ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. ثم ذكره أيضاً ٣٢٤/٩. وقال: رواه
أبو يعلى، والطبراني، ورجالهما ثقات، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

⁽٢) وواه أحمد في اللمسندة من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن خدةان عن أبي عثمان التهدي. وعلي بن زيد، ضعفه غير واحد. والحديث حسن. وقد قال الشيخ أحمد شاكر: رواه ابن أبي حاتم عن أبي خلاد سليمان بن خلاد المؤدب عن محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي، وزياد بن الجصاص، ذكره البخاري في «الشعفاه» عثمان النهدي، وزياد بن الجصاص، ذكره البخاري في «الشعفاه» وذكره ابن حبان في «الشات» وقال: ربما وهم. وهذا الحديث لم يتفرد به كما ترى، فقد رواه كما رواه علي بن زيد بن جدعان بنحوه، فارتفعت شبهة الخطأ والوهم، وصح الحديث من الوجهين، والحمد شه.

﴿ الله تَدَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِيَ إِسْرَهِ مِلْ مِنْ مِنْ إِذْ قَالُواْ لِنِيْ لَهُمُ ابْنَتْ لَنَا مَلِحَا أَنْدَوْلُ فِي سَهِيلِ اللَّهِ فَكَالَ هَلَّ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَالِمُ اللَّهِ فَكَالًا وَمَا لَنَا اللَّا ثُقَاتِلًا فِي سَهِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَدِيّا وَأَبْنَآمِنَا لَمُنَالًا لَكُ مُنْتُمْ إِللّهُ وَمَا لَنَا اللَّا ثُقَاتِلًا فِي سَهِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَدِيّا وَأَبْنَآمِنَا لَمُنَالًا لَلْمُ اللّهِ مُنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمُ إِلْعَالِيلِينَ ﴾ ﴿ كُنْتُ عَلَيْهُمُ اللّهُ فَلِيمُ اللّهُ فَلِيمُ اللّهُ فَلِيمُ إِلْعَالِيلِينَ ﴾ ﴿ كُنْتُولُ فَاللّهُ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمُ إِلْعَالِينِ اللّهِ فَلِيمُ اللّهُ اللّهِ فَلِيمُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ اَلَمْ تَدَ إِلَى اَلْمَلَا مِنْ مَنِى إِسَرَهِ مِلْ ﴾ قال الفراء: الملأ: الرجال في كل القرآن لا يكون فيهم امرأة، وكذلك القوم والنفر والرهط. وقال الزجاج: الملأ: هم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سمّوا ملاً، لأنهم مليؤون بما يحتاج إليه منهم. وفي نبيهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه شمويل، قاله ابن عباس، ووهب. والثاني: أنه يوشع بن نون، قاله قتادة. والثالث: أنه نبي، يقال له: سمعون بالسين المهملة (١٠)، سمته أمه بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقها غلاماً، فشمع دعاؤها فيه، فسمته، هذا قول السدي.

وسبب سؤالهم ملكاً أن عدوهم غلب عليهم.

قوله تعالى: ﴿ نُتَكَاتِلُ ﴾ قراءة الجمهور بالنون والجزم، وقرأ ابن أبي عبلة بالياء والرفع، كناية عن الملك.

قوله تعالى: ﴿ مَلَ عَسَيَشُرُ ﴾ قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ نافع بكسرها هاهنا وفي سورة المحمد، وهي غتان.

قوله تعالى: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْمِتَالُ﴾ أي: فرض ﴿أَلَّا لُتَتِلُزَّا ﴾ أي: لعلكم تجبنون.

قوله تعالى: ﴿وَقَدُ أُخْرِجُنَا مِن دِيَدِيّا﴾ يعنون: أخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا، فظاهره العموم، ومعناه الخصوص.

قوله تعالى: ﴿تُولُوا﴾ أي: أعرضوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا نَلِيـلًا﴾ وهم الذين عبروا النهر، وسيأتي ذكرهم.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيْهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَمَتَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَغَنْ أَخَقُ إِلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَكَةً مِنَ الْمَالُ قَالَ إِنَّ اللهَ اَمْتَطَفَنَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَمُ بَسَطَةً فِي الْمِلْدِ وَالْجِسْدُ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكُمُ مَن يَشَكَأَةُ وَاللهُ وَسِيعُ عَكِيدٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَمَتَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتي بعصا وقرن فيه دهن، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا، ومتى دخل عليك رجل، فنشق الدهن، فهو الملك، فادهن به رأسه، وملكه على بني إسرائيل، فقاس القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا على مقدارها. قال عكرمة، والسدي: كان طالوت سقاءً يسقي على حمار له، فضل حماره، فخرج يطلبه، وقال وهب: بل كان دباغاً يعمل الأدم، فضلت حمر لأبيه، فأرسل مع غلام له في طلبها، فمرا ببيث شمويل النبي على فدخلا ليسألاه عن ضالتهما، فنشق الدهن، فقام شمويل، فقاس طالوت بالعصا، وكان على مقدارها، فدهنه، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال طالوت: أما علمت أن وسبطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوتهم؟ قال: بلى. قال: فبأية آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، فكان كما قال.

قال الزجاج: طالوت، وجالوت، وداود، لا تصرف، لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف، فاجتمع فيها التعريف رالعجمة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ من أي جهة يكون له الملك علينا! قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين. قال قتادة: كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا.

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِهُ ﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملك. ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنْهُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال ابن كثير: والسين تصير شيناً بالعبرانية.

أي: اختاره، وهو «افتعل» من الصفوة. والبسطة: السعة، قال ابن قتيبة: هو من قولك: بسطت الشيء: إذا كان مجموعاً، ففتحته، ووسعته. قال ابن عباس: كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك، أم أحدثت له بعد الملك؟ فيه قولان. أحدهما: قبل الملك، قاله وهب، والسدي. والثاني: بعد الملك، قاله ابن زيد. والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً، كان أكثر قوة، والواسم: الغني.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيْهُمْ إِنَّ ءَاكِمَةً مُلْكِهِ أَن يَأْنِيَكُمُ النَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن زَيِّكُمْ وَيَقِيَّةٌ مِمَّا تَسَرُكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَسَرُونَ تَخْمِلُهُ الْمَلْتَهِكَةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم تُؤْمِنِينَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيّهُمْ إِنَّ مَاكِةَ مُلْكِوهِ الآية: العلامة، فمعناه: علامة تمليك الله إياه ﴿أَن يَأْيَكُمُ النّابُوتُ وهذا من مجاز الكلام، لأن التابوت يؤتى به، ولا يأتي، ومثله: ﴿ وَالَا مَلْمُ الْأَمْرُ وَإِنما جاز مثل هذا، لزوال اللبس فيه، كما بينا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَجَت يُحَرّبُهُم الله الله الله الله و قال وهب: خيّرهم، أيّ عباس: أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقاً، فأتنا بآية تدل على أنه ملك، فقال لهم ذلك. وقال وهب: خيّرهم، أيّ يريدون؟ فقالوا: أن يردّ علينا التابوت. قال ابن عباس: كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح اللهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السكينة. وقال وهب بن منبه: كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين. قال مقاتل: فلما تفرقت بنو إسرائيل، وعصوا الأنبياء، سلط الله عليهم عدوهم، فغلبوهم عليه. وفي السكينة سبعة أقوال. أحدها: أنها ربح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن فغلبوهم عليه. وفي السكينة سبعة أقوال. أحدها: أنها ربح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، أخرجت يدها، ونظرت على هيهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: السكينة لها رأس كرأس الهرّة، إليهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: السكينة لها رأس كرأس الهرّة، والمابع، أنها طست من ذهب [من الجنة] تغسل فيه قلوب الأنبياء. رواه أبو مالك عن ابن عباس. والرابع: أنها روح من الله تنكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون، رواه عبد الصمد بن وهب بن منبه. والخاص: أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، وذهب إلى نجوه الزجاج، فقال: السكينة، من السكون، فمعناه: فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم. والسلوم: أن السكينة مناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة، والسابع: أن السكينة: الرحمة. قاله الربيع بن أبي السكينة مناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة، والسابع: أن السكينة الرحمة. قاله الربيع بن أبيه الربية بن

وفي البقية تسعة أقوال: أحدها: أنها رضاض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسى وعصاه، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: لنها رضاض الألواح. قاله عكرمة، ولم يذكر العصا. وقيل: إنما اتخذ موسى التابوت ليجمع رضاض الألواج فيه. والثالث: أنها عصا موسى، والسكينة، قاله وهب. والرابع: عصا موسى وعصا هارون، وثيابهما، ولرحان من التوراة، والمنّ، قاله أبو صالح. والخامس: أن البقية؛ العلم والتوراة، قاله مجاهد، وعطاء بن أبي رباح. والسادس: أنها رضاض الألواح، وقفيز من مَنّ في طست من ذهب، وعصا موسى وعمامته، قاله مقاتل. والسابع: أنه قفيز من مَنّ ورضاض الألواح، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء. والثامن: أنها عصا موسى

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: فأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة، ما قاله عطاء بن أبي رباح، أنها الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها وقال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأتس به وتقوى. وقال الشوكاني رحمه الله في القسيره: وأقول: هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقماهم الله، فجاؤوا بهله الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين في والتشكيك عليهم، وانظر إلى جملهم لها تارة حيواناً، وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الربح، لها وجه كرجه الهر، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر. وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرزياً عن النبي في ولا رأياً رآه قائله، فهم أجل قدراً من التفسير بالرأي، وبما لا مجال للاجتهاد فيه. إذا تقرر لك هذا، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة.

والنعلان. ذكره الثوري أيضاً عن بعض أهل العلم. والتاسع: أن الممراد بالبقية: الجهاد في سبيل الله، ويذلك أمروا، قاله الضحاك.

والمراد بال موسى، وآل هارؤن: موسى، وهارون. وأنشد أبو عبيلة:

ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبة على وعباس وآل أبسي بكر

يريد: أبا بكر نفسه.

قوله تعالى: ﴿ تَمْنِلُهُ الْمَلَتِكُمُ ۚ قُواْ الجمهور: «تحمله» بالتاء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والأعمش بالياء. وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان. أحدهما: أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض منذ خرج عن بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أنه كان في الأرض.

وني أي مكان كان؟ فيه تولان: أحدهما: أنه كان في أيدي العمالقة قد دفنوه، قال ابن عباس: أخذ التابوت قوم جالوت، فدفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرى، فأخذهم بلام، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمس مدائن، فأخرجوه على بقرتين، ووجهوهما إلى بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة، والثاني: أنه كان في برية التيه، خلفه فيها يوشع، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة، قاله قتادة. وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان: أحدهما: أنها جاءت به بأنفسها، قال وهب: قالوا لنبيهم: اجعل لنا وقتاً يأتينا فيه، فقال: الصبح، فلم يناموا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حقيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض. والغاني: أن الملائكة جاءت به على عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضاً. فعلى القول الأول: يكون معنى تحمله: تقله. وعلى الثاني: يكون معنى حملها. إياه: تسببها في حمله. قال الزجاج: ويجوز في اللغة أن يقال: حملت الشيء إذا كنت سبباً في حمله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لَّصُمُمُ أَي: علامة تدل على تمليك طالوت. قال المفسرون: فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالى:

﴿ لَمْنَا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَ اللّهَ مُبْتَلِكُم بِنَهُ مِن شَرِبَ بِنَهُ فَلَيْسَ مِنْ وَمَن لَمْ يَظْعَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ إِلّا مَن اللّهِ عَلَى اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَا

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا فَمَكُلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ أي: خرج وشخص. وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال: أحدها: سبعون ألفاً، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون ألفاً، قاله عكرمة والسدي. والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاهم الله بالنهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النهز لغتان: إحداهما: تحريك الهاء، وهي قراءة المجمهور، والثاني: تسكينها، وبها قرأ الحسن ومجاهد. وفي هذا النهر قولان: أحدهما: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباس والسدي، والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقتادة، والربيع بن أنس. ووجه الحكمة في ابتلائهم به أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نية.

قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي ليس من أصحابي.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ الْفَرْقَ غُرْقَةً ﴾ قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، "غَرفة؛ بفتح الغين، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. قال الزجاج: من فتح الغين، أراد المرة الواحدة باليد، ومن ضمها، أراد ملء اليد. وزعم مقاتل أن الغرفة كان يشرب منها الرجل، ودابته، وخدمه ويملا قربته. وقال بعض المفسرين: لم يرد به غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة، أو ما أشبه ذلك. وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان: أحدهما: أنهم أربعة الآف، قاله عكرمة والسدي. والثاني: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهو الصحيح، لما

روي عن النبي ﷺ أنه قال الأصحابه يوم بدر: «أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت، وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً(١).

قوله تعالى: ﴿لاَ طَافَةَ لَنا﴾ أي: لا قوة لنا، قال الزجاج: يقال: أطقت الشيء إطاقة وطاقة، وطوقاً، مثل قولك: أطعته إطاعة وطاعة وطوعاً. واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا، ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم الذين قلت بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض، لما رأوا من قلتهم، وهذا اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الذِّينَ يَنْلُنُونَ ﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين، قاله السدي في آخرين. والثاني: أنه الظن الذي هو التردد، فإن القوم توهموا لقلة عددهم أنهم سيقتلون فيلقون الله، قاله الزجاج في آخرين. وفي الظانين هذا الظن قولان: أحدهما: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: ﴿كَمَ مِن فِنكُمْ قَلِيلُمْ غَبَثَ فِنَا اللهُ الفوقة، قال الزجاج: وإنما قيل لهم: فئة من قولهم: فأوتِ رأسه بالعصا، وفأيته: إذا شققته.

قوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن: بنصر الله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ المَّمَدَيرِينَ﴾ أي بالنصر والإعانة.

﴿ وَلَمَّا بَرَرُوا لِجَالُوتَ وَجُـوُوهِ قَالُوا رَبَّكَ أَفْرِغَ عَلَيْنَا مَكَبَّرًا وَقَدَيْتُ أَقْدَامَنَكا وَاَسْدَرَا عَلَى القَوْمِ الْكَنْفِينَ ﴿ وَلَمَّ مَنَا اللَّهِ وَاسْتُونَ وَهُو مَا ظهر واستوى. و ﴿ وَلَمْ بَمْعنى اصبب، ﴿ وَلَكَيْتُ أَقَدَامَنَكَ ﴾ أي: قرّ قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب. قال مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

﴿ فَهَـزَمُوهُم بِإِذِبِ اللَّهِ وَقَـٰتَلَ دَاهُدُ جَالُوكَ وَءَاتَنَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْمِكُمَةُ وَعَلْمَتُهُ مِـكَا يَشَكَآهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَهْضَهُم بِبَعْضِ لَفَكَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَ اللَّهَ ذُو فَشْـلِ عَلَ الْمَلَمِبِكِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَهَكُرُمُوهُم﴾ أي: كسروهم وردوهم، قال الزجاج: أصل الهزم في اللغة: كسر الشيء، وثني بعضه على بعض، يقال: سقاء منهزم [ومهزم] إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف، وقصب منهزم: قد كسر وشقق، والعرب تقول: هزمت على زيد، أي: عطفت عليه.

قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا ابنة مالك فجودي علينا بالنوال وأنعمي (٢)

ويقال: سمعت هزمة الرعد، قال الأصمعي: كأنه صوت فيه تشقق.

وداود: هو نبي الله أبو سليمان، وهو اسم أعجمي، وقيل: إن إخوة داود كانوا مع طالوت، فمضى داود لينظر إليهم، فنادته أحجار، خذني، فأخذها، وجاء إلى طالوت، فقال: مالي إن قتلت جالوت؟ فقال: ثلث ملكي، وأنكحك ابنتي، فقتل جالوت.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَــُنهُ ٱلشُّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ يعني آتى داود ملك طالوت. وفي المراد بـ«الحكمة» هاهنا قولان. أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الزبور، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَمْهُم مِمَا يَشَكَآءُ﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنها صنعة الدروع، والثاني: الزبور، والثالث: منطق الطير.

⁽١) رواه ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر، فلكره. وأخرج أحمد والبخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ـ ولم يجاوز معه إلا مؤمن ـ بضعة عشرة وثملائمائة.

 ⁽۲) البيت نسبة في «اللسان» لأبي بدر السلمي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْمَنُهُم بِبَعْضِ﴾ قرأ الجمهور ﴿وَفَعُ اللَّهِ﴾ بغير ألف هاهنا وفي «الحج»، وقرأ نافع، ويعقوب، وأبان (ولولا دفاع) بألف فيهما. قال أبو علي: المعنيان متقاربان، قال الشاعر:

ولقد خرصتُ بمأن أدافع صنهم فإذا التمنية أقبلت لا تدفع (١)

﴿ وَإِنَّكَ مَا يَنْكُ اللَّهِ لَتُعْلَمُهَا عَلَيْكَ إِلْحَقُّ وَإِنَّكَ لَيْنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ ءَايَـٰكُ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيكِ ﴾ حُكمُك حكمهم، فمن صدقك، فسبيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسبيله سبيل من عصاهم.

السجىز، المشالمَّت: ﴿ إِنَّ يَلْكَ الرُّمُلُ فَضَلْنَا بَعْمَهُمْ عَلَى بَعْنِ يَنْهُم مَّن كُلَّمَ اللَّهُ وَوَقَعَ بَعْمَهُمْ وَالْتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَدَ الْبَيْنَنَتِ وَالْيَدْنَةُ بِرُوجِ الْفُدُكِيُّ وَلَوْ شَنَاءَ اللَّهُ مَا افْتَسَتَلُوا وَلِيَكِنَ اللَّهُ مَا افْتَسَتَلُوا وَلِيَكِنَ اللَّهُ مَا الْقَيْنَ مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَاكِي الْحَتَلُوا وَلِيَكِنَّ اللَّهُ يَعْمَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ ﴾ وَمِنْهُم مِّن كَفَرُّ وَلَوْ شَنَةَ اللَّهُ مَا افْتَسَتَلُوا وَلِيكِنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَنْهُم مَّن كُلُم الله ﴾ يعني: موسى ﴿ وقرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وابن السّميفع: «منهم من كالم الله ؛ بألف خفيفة اللام، ونصب اسم الله ، وفي المراد بقوله: ﴿ وَرَفَعَ بَهَنَهُمْ وَرَجَعَ ﴾ قولان: أحدهما: عنى بالمرقوع درجات، محمداً ﴿ قُلَ ، فإنه بعث إلى الناس كافة، وغيره بعث إلى أمته خاصة، هذا قول مجاهد. والثاني: أنه عنى تفضيل بعضهم على بعض فيما آتاه الله ، هذا قول مقاتل. قال ابن جرير الطبري: والدرجات: جمع درجة، وهي المرتبة، وأصل ذلك: مراقي السلّم ودَرجه، ثم يستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب. وقد تقدم تفسير «البينات» و«روح القدس».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاآة اللَّهُ مَا الْتُسَتَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد الأنبياء. وقال قتادة: من بعد موسى وعيسى ﷺ. قال مقاتل: وكان بينهما ألف نبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَكِنِ ٱخْتَانُوا ﴾ يعني: الأمم.

﴿ يَكَانَّهُمَا الَّذِينَ مَامَنُوا ۖ أَنفِقُوا مِنَا رَزَقَتَكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوَمَّ لَا بَيْمٌ فِيهِ وَلا خُلَةٌ وَلا شَفَعَةٌ وَالْكَفِرُونَ هُمُ الظّلِبُونَ ﴿ ﴾ قُله الآية تحث على الصدقات، والإنفاق في وجوه الطاعات. وقال ألحسن: أراد الزكاة المفروضة.

قوله تعالى: ﴿ مَن قَبْلِ أَن يَأْتِنَ يَوْمٌ ﴾ يعني، يوم القيامة ﴿ لا بَيْعٌ فِيدِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) بالنصب من غير تنوين، ومثله في ﴿ إبراهيم ﴾ (لا بيعَ فيه) وفي الطور (لا لغز فيها ولا تأثيم). وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، جميع ذلك بالرفع والتنوين. قال ابن عباس: لا فدية فيه، وقيل: إنما ذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة، وأخذ البدل. والخلة: الصداقة. وقيل: إنما نفى هذه الأشياء، لأنه غني عن الكافرين، وهذه الأشياء لا تنفعهم، ولهذا قال: ﴿ وَالْكَنْرُونَ هُمُ الشِّيلُونَ ﴾.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْمَنُ الْقَيْوَمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةً وَلَا فَرَمُّ لَهُ مَا فِى السَّمَنَوَتِ وَمَا فِى اَلاَّرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندُهُۥ إِلَّا إِنَا شَائَةً وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضُ وَلَا يَتُوهُمُ حِفْظُهُمَا وَهُو اللَّهُ مَا بَيْنَ أَلَيْظِيمُ ﷺ وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضُ وَلَا يَتُوهُمُ حِفْظُهُمَا وَهُو اللَّهِ الْعَلِيمُ ﴾ وَهُو اللَّهِ الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ إِلَّا هُوَ آلَتُنُّ ٱلْقَيْوَمُ ﴾ روى مسلم في "صحيحه" عن أبتي بن كعب أن النبي على قال له: "يا

البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو من قصيدة جيدة، يرثي بها بنيه الخمسة الذين هلكوا بالطاعون.

أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿ الله لا يَزُول، لا ستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر» (١٠ قال أبو عبيدة: القيوم: الذي لا يزول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه، وقال الزجاج: القيوم: القائم بتدبير أمر الخلق، وقال الخطابي: القيوم: هو القائم المدائم بلا زوال، وزنه: «فيعول» من القيام، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيء بالرعاية، يقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة. وفي «القيوم» ثلاث لغات: القيوم، ويه قرأ الجمهور. والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن أبي عبلة، والأعمش. والقيم، وبه قرأ أبو رزين، وعلقمة. وذكر ابن الأنباري أنه كذلك في مصحف ابن مسعود، قال: وأصل القيوم: القيووم: فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، جعلتا ياء مشددة. وأصل القيام: القوام، قال الفراء: وأهل الحجاز يصرفون الفعال [إلى] الفيعال، فيقولون للصواغ: حيامًا عام مشددة. وأصل القيام، ومنه: الوسنان. قال ابن الرقاع:

وكأنسها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم وكأنسها بين النعاس فرنَّت في عينه سنة وليس بنائم (٢)

قوله تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْإِرْضِينَ ﴾ قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله ﴿ وَبَعَلَ الظُّنُتِ وَالنُّورُ ﴾ ولم يقل: الأنوار.

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا اَلَذِى يَشْفَعُ عِندُهُ، إِلَّا بِإِذْنِوْ ﴾ فيه رد على من قال: ﴿مَا نَمْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الذمراد قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الْخَلَق مَا مَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم ﴾ فلاقة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي بهم الملافكة. وفي المراد به هما أمر الآخرة، والله خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياحه، ومجاهد وابن جريج، والحكم بن عتية. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلفهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُعِملُونَ بِثَنَوِ﴾ قال الليث: يقال لكل من أحرز شيئاً، أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط به والمراد بالعلم هاهنا المعلوم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: احتمل وأطاق. وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش، قال النبي ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاقا⁽¹⁾ وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء. والثاني: أن المراد بالكرسي علم الله تعالى. رواه ابن جبير عن ابن عباس أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن (٥).

قوله تعالى: ﴿رَلَا يَكُونُونُ﴾ أي: لا يثقله، يقال: آده الشيء يؤوده أوداً وإياداً. والأود: الثقل، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والجماعة. والعلي: العالي القاهر، «فعيل» بمعنى «فاعل»، وقال الخطابي: وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال، كقوله تعالى: ﴿ الرَّمْنُ عَلَى الْشَرْنُ السَّرَيْنُ ﴿ اللهِ اللهِ المجد

⁽١) ورواه الإمام أحمد، ولفظه عند مسلم عن أبي بن كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: قيا أبا المتلر أتدري أي لَية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: قيا أبا المتلرا أتدري أي لَية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿أَلَهُ لاَ إِلَهُ مُو اَلَيْنُ الْقَيْوَمُ ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: قواله ليهنك العلم أبا المتلر؛ معنى قليهنك العلم؛ ليكن العلم هنيناً لك.

 ⁽۲) الجآذر: بقر الوحش، وهي حسان العيون. جاسم: موضع تكثر فيه الجآذر. الوسن: ثقل النوم وتجمعه. أقصده النعاس: قتله النعاس وأماته. رنقت:
 خالطت عينه. السنة: النوم الخفيف.

٣) رواه ابن مردويه وابن جرير الطبري، والبيهتي في «الأسماء والصفات». وقال البيهقي بعد روايته: تفرد به يحيى بن سعيد السعدي. وهو منكر الحديث، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد كما قال النقاد من المحدثين. وقد ساق البيهقي شاهلاً له، وفي إسناده إبراهيم بن هشام، كذبه أبو زرعة وأبو حاتم، ووصفه الذهبي بأنه أحد المتروكين، ولم يصب ابن حبان في توثيقه. فليس يتقوى الحديث بهذا الشاهد.

 ⁽٤) قال الشيخ أحمد شاكر: هي وواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب, ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي
 تقول: إن الكرسي موضع القدمين، وقال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، ومن روى عنه في الكرسي، أنه العلم، فقد أبطل.

⁽٥) رواه ابن جرير، وفي سنده جويبر بن سعيد الأزدي، وهو ضعيف جداً.

والشرف، يقلل منه: علي يعلى علاءً. ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى، منصرف إلى عظم الشأن، وجلال القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.

﴿ إِكْرَاهَ فِي الذِينِ قَد تَبَيْنَ الرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيَّ فَمَن يَكْنُرْ وِالطَّانُوتِ وَيُؤْمِنُ مِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَنْسَكَ وَالْمُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِسَامَ لَمُأْ وَاللَّهُ مَنِيعُ عَلِيمُ ﴾ وَاللَّهُ مَنِيعُ عَلِيمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّيْقِ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن المرأة من نساء الأنهنار كأنت في المجاهلية إذا لم يعش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودته. فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار: فقال الأنصار: وقال الشعبي: قالت الأنصار: وأله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين البهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصر له ولدان قبل أن يبعث النبي على ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصموا إلى النبي على، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله على إلى النبي على الناسي، قالوا: والله لنذهبن معهم. ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والوابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والوابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح،

فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام بل يخيرون بينه وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عبلس ومجاهد وقتادة (٢), وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراء عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا: هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والدين هاهنا: أريد به الإسلام، والرشد: الحق. والغي: الباطل، وقيل: هو الإيمان والكفر. فأما الطاغوت؛ فهو السيم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ الْمَنْدُلُ السَّلْمُوتُ أَنْ يَعْبُدُوها ﴾ [الزمر: ١١] والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، والشعبي، والسدي، ومقاتل في آخرين، والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين. والرابع: أنه الأصنام، قاله اليزيدي، والزجاج، والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَقَــٰدِ ٱسْتَنْسَكَ بِٱلْمُرْوَةِ ٱلْوَثْقَيٰ﴾ هذا مثَل للإيمان، شبَّه التمسك به بالمتمسك بالعروة الوثيقة. وقال الزجاج: معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً. والانفصام: كسر الشيء من غير إبانة.

﴿ اللَّهُ وَإِنَّ ٱلَّذِيرَ ، امْنُوا يُغْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَالَّذِيرَ كَكُرُوٓا أَوْلِيَٱقُهُمُ ٱلطَّلِخُوثُ يُغْرِجُونَهُم مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلنُّالِيَاتُ مُنْ النَّارِ مُنْمَ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾ الظُّلُفَتَاتِ أُوْلَتِهِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿اللهُ وَإِنَّ الَّذِيكَ مُامَنُوا ﴾ أي: متولي أمورهم، يهديهم، وينصرهم، ويعينهم. والظلمات: الضلالة. والنور: الهدى. والطاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة في آخرين. وقال مقاتل: الذين كفروا: هم

⁽١) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي في السنز) وابن حبان وابن أبي حاتم، والضياء في المختارة، عن ابن عباس، ولفظه عند أبي داود: عن ابن عباس المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهرّده، فلما أجليت بنو النغبير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا نناع أبناءنا، فأنزل الله على ﴿ إِكَمْ وَ الْمُؤَمِّدُ مِنَ الْمَنِّ ﴾. والمقلات: الموأة التي لا يعيش لها ولد.

⁽٢) ورجحه ابن جرير الطبري في اتفسيره!.

اليهود، والطاغوت: كعب بن الأشرف. قال الزجاج: والطاغوت هاهنا: واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة. قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب(١)

أراد جلودها. فإن قبل: متى كان المؤمنون في ظلمة؟ ومتى كان الكفار في نور؟ فعنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن عصمة الله للمؤمنين عن مواقعة الضلال، إخراج لهم من ظلام الكفر، وتزيين قرناء الكفار لهم الباطل الذي يحيدون به عن الهدى إخراج لهم من نور الهدى، والإخراج، مستعار هاهنا، وقد يقال للممتنع من الشيء: خرج منه، وإن لم يكن دخل فيه. قال تعالى: ﴿إِنِّ مُرَكُتُ مِلَةً فَوَمِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ اليوسف: ١٦٧ وقال: ﴿وَيَنكُم تَن بُرُدُ إِلَا المُمُوكِ النحل: ١٧٠ وقال: ﴿وَينكُم تَن بُرُدُ إِلَا المُمُوكِ النحل: ١٧٠ وقل فيه قبل الكتاب بالنبي قبل أن وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى الظلمات. والثالث: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله عليه كان يظهر نورٌ لهم، وكفرهم به بعد أن ظهر، خروج إلى الظلمات. والثالث: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله عليه كان المخالف له خارجاً من نور قد علمه، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿ اَلَمْ تَرَ إِلَى اَلَذِى خَلَجٌ إِبَرُهِمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَنَهُ اللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِنَّاهِمُ رَنِيَ الَّذِى يُعْيِ. وَيُمِيتُ قَالَ أَنَّ أَشِي. وَأُمِيتُ قَالَ إِنَرِهِمُ فَإِكَ اللَّهَ يَأْقِ بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِةِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمُمْرِيدِ فَبُهِتَ ٱلّذِى كَفَرُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَدَ إِلَى الَّذِى حَلَحٌ إِبَرُوتُم فِي رَبِّهِ ﴾ قد سبق معنى ﴿ أَلِم تر ﴾. وحاج : بمعنى خاصم ، وهو نمروذ في قول الجماعة . قال ابن عباس : ملك الأرض شرقها وغربها ؛ مؤمنان ، وكافران ؛ فالمؤمنان سليمان بن داود ، وذو القرنين ، والكافران : نمروذ ، ويختنصر . قال ابن قتية : معنى الآية : حاج إبراهيم ، لأن الله آتاه الملك ، فأعجب بنفسه [وملكه] .

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِنَّوْمِهُ رَبِي الذِي يُحْيِه وَيُربِيتُ ﴾ قال بعضهم: هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربك؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمروذ: أنا أحيي وأميت. قال ابن عباس: يقول: أترك من شئت، وأقتل من شئت. فإن قيل: لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، وعدل عن نصرة الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيم رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونسي اختلاف الفعلين، فانتقل إلى حجة أخرى، قصداً لقطع المحاج، لا عجزاً عن نصرة الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَبُهُتَ ٱلَّذِى كَثَرُ ﴾ أي: انقطعت حجته، فتحير. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن السميفع: ﴿فَبَهَتَ، بفتح الباء والهاء، وقرأ أبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر، وأبو حيوة: ﴿فَبَهُتَ، بفتح الباء، وضم الهاء، قال الكسائي: ومن العرب من يقول: بهِت، وبهُت، بكسر الهاء وضمها. ﴿وَالتَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِيدِينَ ﴾ يعني: الكافرين. قال مقائل: لا يهديهم إلى الحجة، وعنى بذلك نفروذ:

﴿ كَالَّذِى مَكَّرَ عَلَى قَيْتَةِ وَمِنَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ يُعِي. هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتُهُ اللَّهُ مِاثَةً عَامٍ ثُمَّ بَعْنَةُ قَالَ كُمْ لَبِنْتُ قَالَ لَبِفْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمُرُ قَالَ بَل لَبِشْتَ مِاثَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِك وَشَرَابِك لَمْ يَتَسَنَّةٌ وَانظُرْ إِلَى حِمَادِكَ وَلِنَجْمَلُكَ وَابْكَ لِلنَّامِثُ وَانظُرْ إِلَى الْمِطْامِ كَيْفَ تُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمَا فَلَمَّا تَبَيَّى لَهُ قَالَ أَعْلَمُ لَنَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ فَنَهِ قَلِيدٌ ﴿ اللَّهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَ كَالَذِى مَكَرَّ عَلَى وَيَكِرٍ ﴾ قال الزجاج: هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله، معناه: أرأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر على قرية؟ وفي المراد بالقرية قولان. أحدهما: أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر، قاله وهب، وقتادة، والربيع بن أنس. والثاني: أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت، قاله ابن زيد: وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عزير، قاله علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وناجية بن كعب، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه أرمياء، قاله وهب، ومجاهد، وعبد الله بن

⁽١) البيت لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس، من قصيدة مفضلية جيدة قالها يمدح الحارث بن جبلة ابن أبني شمر الغساني. الحسرى: الإبل المعينة يتركها أصحابها فتموت. الصليب: الجلد اليابس. وثوله: عظامها فبيض؛ كنى بذلك عن استخراج ما فيها من الودك، فصليب يريد: وأما جلودها فذوات صليب، وهو الصديد يسيل من الموتى، والأصل فيه صليب العظام، وهو ودكها.

عبيد بن عمير، والثالث: أنه رجل كافر شك في البعث، نقل عن مجاهد أيضاً. والخاوية: الخالية، قاله الزجاج. وقال ابن قتيبة: الخاوية: الخراب، والعروش: السقوف، وأصل ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها ﴿قَالَ أَنَّ يُكِي مَنذِو الله ﴾ أي: كيف يحييها. فإن قلنا: إن هذا الرجل نبي، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة، أو يستهولها، فيعظم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رجلاً كافراً، فهو كلام شاك، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَاتُهُ أَلَلُهُ مِأْتُهُ عَامِ ثُمَّ بَعَثَةً ﴾

الإشارة إلى قصته

روى ناجية بن كعب عن علي رهي قال: خرج عزير نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمر علي قرية، وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيها الروح. قال الحسن: قبضه الله أول النهار، ويعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة. قال مقاتل: ونودي من السماء: كم لبثت؟ قال قتادة: فقال: لبثت يوماً، ثم نظر فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. فهذا يدل على أنه عزير. وقال وهب بن منبه: أقام أرميا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الحق بأرض إيلياء(١)، فركب حماره، وأخذ معه سلة من عنب وتين، ومعه سقاء جديد فيه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى [والمساجد] نظر إلى خراب لا يوصف [فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم] قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وربط حماره، [وعلق سقاءه] فألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما مر منها سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك، فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت، [فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل، ولما يصلحه من أداة العمل، فأنظره ثلاثة أيام] فانتدب ثلاثمثة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل؛ وِما يصلحه من أداة الِعمل [فسار إليها قهارمته ومعهم ثِلاثمئة ألف عامل] فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميًا، وآخر جسده ميت، فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة، رد الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه [ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرّب، ونظر إلى الرّمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد أتى على ذلك ريح مائة عام، وبرد مائة عام، وحرّ مائة عام، لم تتغير ولم تنتقص شيئاً، وقد نحل جسم أرميا مِن البلي، فأنبت الله له لحماً جديداً، ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أنَّ الله على كل شيء قدير](٢). وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿كُمْ لِمُثَّ وَرا ابن كثير، ونافع، وعاصم البثت ولبثت، ولبثت، في كل القرآن بإظهار التاء، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بالإدغام [لبتً] قال أبو علي الفارسي: من بين البثت، فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والثاء من حيز، والطاء والتاء والدال من حيز، فلما تباين المخرجان، واختلف الحيزان، لم يدغم. ومن أدغمها أجراها مجرى المثلين، لاتفاق الحرفين في أنهما من طرف اللسان، وأصول الثنايا، واتفاقهما في يدغم. ورأى الذي بينهما من الاختلاف يسيراً، فأجراهما مجرى المثلين (12). فأما طعامه وشرابه، فقال وهب: كان المعمد مكتل فيه عنب وتين، وقلة فيها ماء. وقال السدي: كان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، لم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (يتسنّه) و(اقتده) و(ما أغنى عنى ماليه) و(سلطانيه) و(ماهيه) بإثبات الهاء في الوصل. وكان حمزة يحذفهن في الوصل، ووافقه الكسائي في حذف

⁽٢) ما بين المعقوفتين زيادة من الطبري.

⁽٤) قال النحاس: والإظهار أحسن لتباين مخرج الثاء من مخرج التاء.

 ⁽١) أي: بيت المقدس.
 (٣) أي: بإدغام الثاء في الناء.

موضعين (يتسنه) و(اقتده) وكلهم يقف على الهاء. ولم يختلفوا ئي (كتابيه) و(حسابيه) أنها بالهاء وصلاً ووقفاً. فأما معنى: (لم يتسنه)، فقال ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين: لم يتغير. وقال ابن قتيبة: لم يتغير بمر السنين عليه، واللفظ مأخوذ من السنّه، يقال: سانهت النخلة: إذا حملت عاماً، وحالت عاماً.

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَادِكَ ﴾ قال مقاتل: انظر إليه، وقد ابيضت عظامه، وتفرقت أوصاله، فأعاده الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَهُمَلَكَ ءَاكِمَ لِلْمَاسِ ﴾ اللام صلة لفعل مضمر تقديره: فعلنا بك ذلك لنريك قدرتنا، ولتجعلك آية للناس، أي: علماً على قدرتنا، فأضمر الفعل لبيان معناه. قال ابن عباس: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عزير، فقالوا: حدثنا آباؤنا أن عزيراً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها، فأملاها عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْظُـرٌ إِلَى الْفِطْامِ ﴾ قيل: أراد عظام نفسه، وقيل: عظام حماره، وقيل: هما جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ كَيْنَ كُنْشِرُكُما ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (ننشرها) بضم النون الأولى، وكسر الشين وراء مضمومة، ومعناه: نحييها، يقال: أنشر الله الميت، ننشرهم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ننشرها، بضم النون مع الزاي، وهو من النشز الذي هو الارتفاع. والمعنى: نرفع بعضها إلى بعض للأحياء. وقرأ الأعمش: ننشزها، بفتح النون، ورفع الشين مع الزاي، وقرأ الحسن، وأبان عن عاصم: ننشرها، بفتح النون مع الراء، كأنه من النشر عن الطي، فكأن الموت طواها، والإحياء نشرها.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّى لَهُ ﴾ أي: بأن له إحياء الموتى ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أعلم "مقطوعة الآلف، مضمومة الميم، والمعنى: قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة. وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف، وسكون الميم على معنى الأمر، والابتداء على قراءتهما بكسر الهمزة، وظاهر الكلام أنه أمر من الله له، وقال أبو علي: نزل نفسه منزلة غيره، فأمرها وخاطبها. وقرأ الجعفي عن أبي بكر، قال: «أعلِم» بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير.

﴿ وَإِذْ قَالَ ۚ إِنَامِتُمُ رَبِّ أَدِنِ حَـَيْفَ تُمْمِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَانِّ وَلَذِينَ لِيَطْمَمِنَ قَائِمٌ قَالَ فَخُذَ أَرْبَعَةُ مِنَ الطَّايِرِ فَصُرُّهُمَٰ إِلَيْكَ ثِمَدَّ أَجْمَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ يِنْهُنَ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَ يَأْتِينَكَ سَمْيَا ۚ وَأَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِنَّوْمِكُمْ رَبِّ أَرِنِي صَيْفَ ثُمِّي ٱلْمُوْقَى ﴾ في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال. أحلهما: أنه رأى مبتة تمزقها الهوام والسباع، فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وأبن جريج، ومقاتل. وما الذي كانت هذه المبتة؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كان رجلاً مبتاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان جوتاً مبتاً، قاله ابن زيد. والثاني: أنه لما بشر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك، قال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، ويحيي الموتى بسؤالك، فسأل هذا السؤال. والثالث: أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس، وهو قول عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنه لما نازعه نمرود في إحياء الموتى، سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله، وهذا قول محمد بن أسحاق.

قوله تعالى: ﴿إَوْلَمْ تُؤْمِنُ﴾ أي: أولست قد آمنت أني أحيي الموتى؟ وقال أبن جبير: ألم توقن بالخلة؟

قوله تعالى: ﴿ بَانٌ وَلَكِن لِيَطْمَهِنَ مَانِي ﴾ «اللام» متعلقة بفعل مضمر، تقديره: ولكن سألتك ليطمئن، أو أرني ليطمئن قلبي، ثم في المعنى أربعة أقوال: أحدها: لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، قاله ابن عباس. والثاني: ليزداد قلبي يقيناً، قاله سعيد بن جبير. وقال الحسن: كان إبراهيم موقناً، ولكن ليس الخبر كالمعاينة. والثالث: ليطمئن قلبي بالخلة، روي عن ابن جبير أيضاً. والرابع: أنه كان قلبه متعلقاً برؤية إحياء الموتى، فأراد: ليطمئن قلبة بالنظر، قاله ابن قتيبة. وقال غيره: كانت نفسه تائقة إلى رؤية ذلك، وطالب الشيء قلق إلى أن يظفر بطلبته، يدل على أنه لم يسأل لشك، أنه قال: ﴿ وَمَا لَا صَعِي الموتى.

قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرَبُكُ مُنَّ ٱلطَّيْرِ﴾ في الذي أخذ سبعة أقوال: أحدها: أنها الحمامة، والديك، والكركي، والطاووس، رواه عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الطاووس، والذيك، والدجاجة السندية، والأوزة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وفي لفظ آخر، رواه الضحاك مكان الدجاجة السندية الرأل، وهو فرخ النعام. والثالث: أنها الشعانين، وكانت قرباهم يومثذ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاووس، والنسر، والغراب، والديك، نقل عن ابن عباس أيضاً، والخامس: أنها الديك، والطاووس والغراب، والحمام، قاله عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد. والسادس: أنها ديك، وغراب، وبط، وطاووس، رواه ليث عن مجاهد. والسابع: أنها الديك، والبطة، والغراب، والحمامة، قاله مقاتل. وقال عطاء الخراساني: أوحى الله إليه أن خذ بطة وغراباً أسود وحمامة بيضاء، وديكاً أحمر.

قوله تعالى: ﴿فَمُرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ الجمهور بضم الصاد، والمعنى: أملهن إليك، يقال: صرت الشيء فانصار، أي: أبيلته فمال، وأنشدوا:

الله يسجملهم أنسا فسي تسلم فستسنيا يدوم المفسراق إلى جميسرانسنيا صدور فمعنى الكلام: أجمعهن إليك ﴿ ثُمَّ أَجْمَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلِ مِّنَّهُ خُرَّا ﴾ فيه إضمار قطعهن. قال ابن قتيبة: أضمر «قطعهن» واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْمَلُ عَلَى كُلِّي جَمَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْهَا﴾ عن قوله «قطعهن»، لأنه يدل عليه، وهذا كما تقول: خذ هذا الثوب، واجعل على كل رمح هندك منه علماً. يريد: قطعه، وافعل ذلك. وقرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف والمفضل، عن عاصم فقصِرْهُنَّ إِلَيْكَ، بكسر الصاد. قال اليزيدي: هما واحد، وقال ابن قتيبة: الكسر والضم لغتان. قال الفراء: أكثر العرب على ضم الصاد؛ وحدثني الكسائي أنه سمع بعض بني سليم يقول: صِرته، فأنا أصيره، وروي عن ابن عباس، ووهب، وأبي مالك، وأبي الأسود الدؤلي، والسدي، أن معنى المكسورة الصاد: قطعهن. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه بالضم: اجمعهن، وبالكسر: قطعهن.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّةً ٱجْمَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبُلِ يَنْهُنَّ جُزَّا﴾ قال الزجاج: معناه: اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً. وروى عوف عن الحسن قال: اذبحهن ونتفهن، ثم قطعهن أعضاء، ثم خلط بينهن جميعاً، ثم جزئها أربعة أجزاء، وضع على كل جبل جزءاً. ثم تنحى عنهن، فدعاهن، فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استوين كما كن، ثم أتينه يسعين. وقال قتادة: أمسك رؤوسها بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبضعة إلى البضعة، وهو يرى ذلك، ثم دعاهن، فأقبلن على أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه. وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان. أحلهما: أنه قسمهن على أربعة أجبل، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. وروي عن ابن عباس قال: جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الْإنسان الأربع. والثاني: أنه قسمهن سبعة أجزاء على سبعة أجبل، قاله ابن جريج، والسدي.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ آدَعُهُمَّ يَأْتِينَكَ سَعْيَا﴾ قال ابن قتيبة: يقال: عدواً، ويقال: مشياً على أرجلهن، ولا يقال للطير إذا طار: سعى ﴿ وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهُ عَلِيرُ ﴾ أي: منيع لا يغلب ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يدبر، ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد، وقبل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمْشَلِ حَبَّتُهِ أَلْبَتَتْ سَبَّعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّي سُئْبَلَةِ مِّاقَةً حَبَّتُو وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَالُهُ وَاللَّهُ وَاسِعُ عَلِيمُ ١

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حدثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المثل ـ والله أعلم ـ للنفقة، لا لهلزجال، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْمِجْـلَ﴾

⁽١) لم يعرف قائله، وهو في اللسان، والخزافة، واشرح شواهد المغني، وبعد البيت:

[·] وأنسنسي خيوانيمسا يستسنسي المهينوي يسعسري . · · · » . · · · مسن حسوات مساسكسوا أدنسو فسأنسظسود وهو من «الشواهد المستفيضة».

فأضمر «الحب»، لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشَكُنُ اللّهِ مِنَ اللّهُ مِن فَضَلِهِ مُو خَيْلًا لَمُ الله مان ١٨٠ يريد: بخل الباخلين، فحذف البخل. وفي المراد بدسبيل الله عولان. أحدهما: أنه الجهاد. والثاني: أنه جميع أبواب البر. قال أبو سليمان الممشقي: والآية مردودة على قوله تعالى: ﴿ يَكَانُهُمَا اللّهِ مَا مَنْوَا أَنْفِقُوا مِمّا رَبَقْنَكُم ﴾. وقد أعلم الله على بضرب هذا المثل، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف بسبعمائة ضعف (١٠).

وقال الشعبي: نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف سبعمائة ضعف. قال ابن زيد: ﴿وَاللَّهُ يُعَنَّفِكُ لِمَن يَشَآهُۗ أي: يزيد على السبعمائة.

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَتَرَوُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إَلَيْنَ يُنفِقُونَ آمُولَكُمْرُ فِي سَبِيلِ آللَهِ ﴾ قال ابن السائب ومقاتل: نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك، وشرائه بثر رومة، ركية بالمدينة، تصدق بها على المسلمين، وفي عبد الرحمٰن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم، وكانت نصف ماله (٢) وأما المن ففيه قولان. أحلهما: أنه المن على الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك، وهو قول الجمهور (٣). والثاني: أنه المن على الله بالصدقة، روي عن ابن عباس. فإن قيل: كيف مدحهم بترك المن، ووصف نفسه بالمنان؟ فالجواب: أنه يقال: منّ فلان على فلان: إذا أنعم عليه، فهذا الممدوح، قال الشاعر:

فمنّي علينا بالسلام فإنما كلامك ياقوت ودر منظم

أراد بالمن الإنعام. وأما الوجه المذموم، فهو أن يقال: منّ فلان على فلان: إذا استعظم ما أعطاه، وافتخر بذلك، قال الشاعر في ذلك:

أنيات قبلياً ثم أسرعت منَّة فينياك مستون كذاك قبليال

ذكر ذلك أبر بكر الأنباري. وفي الأذى قولان. أحدهما: أنه مواجهة الفقير بما يؤذيه، مثل أن يقول له: أنت أبداً فقير، وقد بليت بك، وأراحني الله منك. والثاني: أن يخبر بإحسانه إلى الفقير، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك، وكلا المقولين يؤذي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة. ولقد حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعتقهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو.

﴿ فَوْلٌ مَّشُرُونٌ وَمَغْفِرَةً خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَنْتُمُهُمَّا أَذَى وَاللَّهُ عَنَّ خِلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ قُولُ مُعْرُونٌ ﴾ أي: قول جُميل للفقير، مثل أن يقول له: يوسع الله عليك، ﴿ وَمُغْفِرُهُ ﴾ أي: يستر على

⁽١) أخرج مسلم عن ابن مسعود قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: قلك بها يوم القيامة سبعماتة ناقة، وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وكل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعماتة ضعف، قال ﷺ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطبب عند الله من ربح العسكة.

⁽γ) ذكره الواحدي في قاسباب النزول؛ عن الكلبي، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان في نفتهما في جيش العسرة. وأخرج البخاري تعليقاً عن أبي عبد الرحمن أن عثمان فلله حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي هي السمة تعلمون أن رسول الله في قال: همن حغر رومة فله الجنة، فحفرتها؟ السمة تعلمون أنه قال: همن جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال. قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد العروذي عن عبدان بتمامه. ورواه مطولاً الترمذي والنسائي والمدارقطني وقال الترمذي: حديث حسن. وذكر في «الإصابة» أنه قد جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه انتشد الصحابة في أشياه... وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي هي بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة، فترها في حجره، فرأيت النبي فله يلها في حجره، ويقول: هما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، مرتين، رواه أحمد والترمذي وحسه.

⁽٣) روى مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول على: الله لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم علاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

المسلم خلته وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده ﴿خَيْرٌ مِن صَدَقَةِ يَتَهُهُمُ أَذَى ﴾ وقد سبق بيانه.

﴿يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُبْطِلُواْ صَدَقَتَتِكُم بِالْمَنِ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَمُ رِئَلَةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْبَوْرِ الْآخِرِ مَسَلَمُهُ كَشَلِ صَغُوانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكُمُ مَسَلَتًا لَا يَشْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِسَّا كَسَبُواً وَاللَّهُ لَا يَشْدِى الْفَوْمُ الكَنوِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَتِكُم ﴾ أي: لا تبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿مَنَدَلُهُ ﴾ أي: مثل نفقته، كمثل صفوان، قال ابن قتيبة: الصفوان: الحجر، والوابل: أشد المطر، والصلد: الأملس، وقال الزجاج: الصفوان: الحجر الأملس، وكذلك الصفا. وقال ثعلب: الصلد: النقي، وروي عن ابن عباس، وقتادة ﴿مَنْرَكَكُمُ مَدَلَدًا ﴾ قالا: ليس عليه شيء. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمراثي بنفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُوكَ آمُولَهُمُ ٱبْيَفَكَآءَ مَرْمَتِكَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِينًا مِنْ ٱلنَّسِهِمْ كَمَثَكِلِ جَنْكَتْم بِرَبْوَةِ أَصَابَهَا وَابِلُّ فَعَالَتْ أَكُلَّهَا ضِعْفَيْبِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَلُ وَاللَّهُ بِمَا تَصْمَلُونَ بَصِيرً ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِئُونَ آمُولَهُمُ ابْتِنَكَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَي: طلباً لرضاه. وفي معنى التثبيت قولان. أحدهما: أنه الإنفاق على يقين وتصديق، وهذا قول الشعبي، وقتادة، والسدي، في آخرين والثاني: أنه التثبيت لارتياد محل الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وأبى صالح.

قوله تعالى: ﴿كَنْكُلِ جُكَمْ﴾ الجنة: البستان. وقرأ مجاهد، وعاصم الجحدري «حبة» بالحاء. والربوة: ما ارتفع. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي «بربوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر بفتح الراء، وقرأ البحسن والأعمش بكسر الراء، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، «برباوة» بزيادة ألف، وفتح الراء، وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري كذلك، إلا أنهما ضما الراء، وكذلك خلافهم في «المؤمنين». قال الزجاج: يقال: ربوة وربوة ورباوة، والموضع المرتفع من الأرض إذا كان له ما يرويه من الماء، فهو أكثر ربعاً من السفل. وقال ابن قتية: الربوة الارتفاع، وكل شيء ارتفع وزاد، فقد ربا، ومنه الربا في البيع.

قوله تعالى: ﴿ فَتَانَتُ أَكُلُهَا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: أكلها، والأكل بسكون الكاف حيث وقع، ووافقهما أبو عمرو، فيما أضيف إلى مؤنث، مثل: ﴿ أَكُلُهَا دَآيِدٌ ﴾ فأما ما أضيف إلى مذكر مثل: أكله؟ أو كان غير مضاف إلى مكنى: مثل ﴿ أَكُلُها مُقللاً بو عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي جميع ذلك مثقلاً. وأكلها، أي: ثمرها. ﴿ فِيعَقَرِ ﴾ أي: مثلين. فأما «الطل» فقال ابن قتيبة: هو أضعف المطر، وقال الزجاج: هو المطر الدائم، الصغار القطر الذي لا تكاد تسيل منه المثاعب. قال ثعلب: وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن الما يكن أصابها وابل فطل (١٠). ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل حسنت، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص. والبصير من أسماء الله تعالى، معناه: المبصر. قال الخطابي: وهو فعيل بمعنى مفعل، كقولهم: أليم بمعنى مؤلم.

﴿ أَيُودُ ٱحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةً مِن نَخِيلِ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَعْتِهَا الْأَنْهَدُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الْفَكَرُتِ وَأَمَـنَابُهُ الْكِبَرُ وَلَمُ ذُرِيَّةٌ ضُعْلَاهُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَآخَرَفَتُ كُنَالِكَ يُبَيِّتُ اللهُ لَكُمُ الْآيَنِ لَمَلَكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْرَدُ أَحَدُكُمْ ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿لَا نُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُمُ ﴾ ومعنى: «أيود» أيُحب، وإنما ذكر النخيل والأعناب، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين، وخصّ ذلك بالكبير، لأنه قد يئس من سعي الشباب في أكسابهم.

 ⁽۱) قال الفراء: كيف قال قوله: ﴿ وَإِن لَمْ يُعِيبُ وَإِلَى فَكُلُ ﴾ وهذا الأمر قد مضى؟ قيل: أضمرت «كان» فصلح المكلام، ومثله أن تقول: قد أعتقت عبدين، فإن لم أعتق اثنين، فواحداً بقيمتهما، والمعنى: إلا أكن، لأنه ماض، فلا بد من إضمار «كان» لأن الكلام جزاء. ومنه قول الشاعر:
 إذا صا انستمسسسنا لسم تسلسدني لمشيسمة
 ولسم تسجسدي مسن أن تسقسري بسهسا بسداً
 والبيت لزائد بن صعصعة الفقعسي يعرض بزوجته، وكانت أمها صرية.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ذُرِيَّةٌ مُنْمَفَاتُ ﴾ أي: ضعاف، وإذا ضعفت الذرية كان أحنى عليهم، وأكثر إشفاقاً ﴿ فَأَسَابَهَا ﴾ يعني: الجنة ﴿ إِغْسَارُ ﴾ أي ربح شديدة، تهب بشدة، فترفع إلى السماء تراباً، كأنه عمود.

قال الشاعرة

ر إن كسنست ريسجساً فسقد لاقسيست إعساراً(١)

أي: لاقيت أشد منك. فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها، ولم يقل: فيُصيبُها؟ أفيجوز أن يقال: أتود أن تصيبَ مالاً، فضاع، والمراد: فيضيع؟ فالجواب: أن ذلك جائز في «وددت»، لأن العرب تلقاها مرةً بدان، ومرةً بدلو،، فيقولون: وددت لو ذهبت عنا، ووددت أن تذهب عنا(٢)، قاله الفراء، وثعلب.

فصل

وهذه الآية مثلٌ ضربه الله تعالى في الحَسْرةِ بسلبِ النعمة عند شدّة الحاجة. وفيمن قَصَدَ به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مثل الذّي يختم له بالفساد في آخر عُمره، قاله ابن عباس، والثاني: أنه مثل للمفرط في طاعة الله تعالى حتى يموت، قاله مجاهد. والثالث: أنه مثل للمرائي في النفقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه، قاله السدي.

﴿ يَتَالَهُمَا ۚ الَّذِينَ مَامَنُوٓا أَنفِتُوا مِن طَيِّبَتِ مَا حَسَبُتُمْ وَمِثَا ۚ أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضُ وَلَا تَبَسَّمُوا النَّهِكَ مِنهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمُ يَتَافِيهِ إِلَّا أَن تُشْمِشُوا فِيهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَنُّ حَجِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَالَيْهَا الذِينَ ءَامَنُواْ أَنبِنُواْ مِن طَيْبَتِ مَا صَكَسَبُتُمْ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الأنصار كانوا إذا جدّوا النخل، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد، فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان أناسٌ ممن لا يرضب في الخير يجيء أحدهم بالقنو فيه الحشف والشيص (٣) فيعلقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البراء بن عازب (٤). والثاني: أن النبي عليه أمر بزكاة الفطر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابر بن عبد الله (٥). وفي المراد بهذه النفقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة المفروضة، قاله عبيدة السلماني في آخرين. والثاني: أنها التطوع، وفي المراد بالطيب هاهنا قولان: أحدهما: أنه الجيّد الأنفس، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحلال، قاله أبو معقل في

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرَبُّمُوا ﴾ أي: لا تقصدوا. والتيمم في اللغة: القصد. قال ميمون بن قيس الأعشى:

تَسَيَسَمَسَتُ قَسِيسَاً وكسم دونه من الأرض من مَسَهُ مَسِو ذي شَسَوَن (٢١)

وفي الخبيث قولان: أحدهما: أنه الرديء، قاله الأكثرون، وسبب الآية يدل عليه. والثاني: أنه الحرام، قاله ابن زيد.

⁽١) قال أبو عبيدة: الإعصار: ربح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض. يضرب مثلاً للمدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد.

 ⁽۲) وتمام كلام اللواه في دمماني القرآنة: فلما صلحت بدارة وبرةإنة ومعناهما جميعاً الاستقبال، استجازوا أن يردوا دفعل، بتأويل دارة على فيفعل، مع دأنه فلذلك قال: (فأصابها) وهي في مذهبه بمنزلة دارة إذا ضارعت دإنه بمعنى الجزاه، فوضعت في مواضعها، وأجيبت دإنه بجواب دارة ودارة بجواب دارة فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر.

 ⁽٣) القنو: الكياسة، وهي العذق التام بشماريخه ورطبه، هو في التمر بمنزلة العنقود من العنب وجمعه: أقناء. الحشف: هو التمر ما لم ينو، فإذا ببس صلب وفسد، لا طعم له ولا لحاه ولا حلاوة، والشيص: رديه التمر.

⁽ع) رواه ابن أبي حاتم، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ولفظه عند الترمذي عمن البراء، ﴿ وَلَا تَيَدُّمُوا النَّبِينَ مِنهُ تُنفِقُونَ ﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين، فيعلقه بالمسجد، وكان أهل الصفة فيس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع، أتى القنو، فضريه بعصاه، فيسقط البسر والتمر، فيأكل. وكان ناس معن لا يرغب في الخبر يأتمي الرجل بالقنو، فيه الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسر، فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَالَيْنَ اَسْتُوا أَنْنِ مَا نَوْلُهُ مَن مَن الحَم وَ المُحْمِينَ وَلَمُنا لَكُم مَن الحَم وَ المُحْم وَالمُعْم والمُعْم والمُعْ

 ⁽٥) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

⁽٦) • ديوانهه: ص١٩ وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب الكندي. ذي شؤن: غليظ، والشؤن: الغلظ، يصف وهورة الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى ممدوحه.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَتُم عِافِذِهِ إِلاَ أَن تُعْمِشُوا فِيهِ قال ابن عباس: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاه ذلك، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه. وقال ابن قتية: أصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً. ومنه قول الناس للبائع: أغمض، أي: لا تشخص، وكن كأنك لا تبصر. وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره، أغمض عينيه، لئلا يرى جميع ما يكره؛ جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنَى عَلَى قال الزجاج: لم يأمركم بالتصدق عن عوز، لكنه بلا أخباركم، فهو حميد على ذلك. يقال: قد غني زيد، يغنى غنى مقصوراً: إذا استغنى، وقد غني القوم: إذا نزلوا في مكان يغنيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مغنى، والغواني: النساء، قيل: إنما سمين بذلك، لأنهن غنين بجمالهن، وقيل: بأزواجهن، فأما «الحميد» فقال الخطابي: هو بمعنى المحمود، فعيل بمعنى مفعول.

﴿ الشَّيْمَانُ بَيدُكُمُ الفَقْرَ رَيْأَمُرُكُم إِلْفَعْسَ إِنَّ وَاللَّهُ بَيدُكُم مَّفْغِزَةً بِنْهُ وَفَضْكً وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيتُ ﴿

قوله تعالى: ﴿الشَّيِّانُ بَيِئَكُمُ النَقْرَ﴾ قال الزجاج: يقال: وعدته أعده وعداً وعدة وموعداً وموعدة وموعوداً، ويقال: الفَقر، والفُقر، ومعنى الكلام: يحملكم على أن تُؤدّوا في الصدقات الرديء، يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد. ومعنى: يعدكم الفقر، أي: بالفقر، وجذفت الباء. قال الشاعر:

أمرتُكَ النخير فافعل ما أُمِرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب

وفي الفحشاء قولان، أحدهما: البخل، والثاني: المعاصي. قال ابن عباس: والله يعدكم مغفرة لفحشائكم، وفضلاً في الرزق.

﴿ يُقِينِ البِحْمَةُ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ البِحْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَبْرًا حَكِيرًا وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَبْبِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يُرْتِى المِحْكُمَةُ مَنْ يَكَادُ ﴾ في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً: أحلها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين. والثاني: معرفة ناسخ القرآن، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، ونحو ذلك، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية، وقتادة، وإبراهيم، والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: الإصابة في القول، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسابع: الورع في دين الله، قاله الحسن، والثامن: الخشية لله، قاله الربيع بن أنس، والتاسع: العقل في الدين، قاله ابن زيد، والعاشر: الفهم، قاله شريك. الحادي عشر: العلم والعمل، لا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما، قاله ابن قيبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن بُؤْتَ الْمِحْمَةُ﴾ قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت»، ووقف عليها بهاء. والمعنى: ومن يؤته الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدَّحُوُهُ قَالَ الزّجَاجِ: أي وما يتفكر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذوو العقول. قال ابن قتيبة: ﴿أُولُو، بمعنى: ذوو، وواحد ﴿أُولُو، ﴿ذُو،، و﴿أُولَاتِ، ﴿ذَاتِ،

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِنْ لَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نُكَذَّرٍ فَإِكَ اللَّهَ يَسْلَمُهُ وَمَا لِظَلِيبِكَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿

قوله تعالى: ﴿أَوْ نَكَرْتُم يِّن نَكَدْرِ﴾ النذر: ما أوجبه الإنسان على نفسه، وقد يكون مطلقاً، ويكون معلقاً بشوط ﴿فَإِنَّ اللّهُ يَسْلَمُهُ﴾ قال مجاهد: يُحصيه، وقال الزجاج: يجازى عليه. وفي المراد بالظالمين هاهنا، قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله مقاتل. والثاني: المنفقون بالمن والأذى والرياء، والمنذرون في المعصية، قاله أبو سليمان المستمى. والأنصار: المانعون. فمعناه: ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿ إِن نُشِدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِصِمًا هِنِّ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوَقُّوهَا الْفُخَالَةَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَّ وَيُكَفِّرُ عَنِكُم مِن سَنِهَانِكُمُ وَاللّهُ بِمَا تَسْمَلُونَ خِيرٌ لَكُمُّ وَيُكَفِّرُ عَنِكُم مِن سَنِهَانِكُمُ وَاللّهُ بِمَا تَسْمَلُونَ خِيرٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمًا مِنْ ﴾ قال ابن السائب: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا آنفَقتُم مِن فَفَقَتِهُ

قالوا: يا رسول الله، صدقة السر أفضل، أم العلانية؟ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج، يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، وأبديته إبداءً: إذا أظهرته، وبدا لي بداء: إذا تغير رأيي عما كان عليه.

قوله تعالى: ﴿فَنِعِمّا هِنّ ﴾ في "نعم البيع لغات. ﴿فَعِمَ النعِن، وأما قوله ﴿فَنِعِمّا هِنّ اللهِ وَفَعِم النون، وتسكين العين، والغمّم المسر النون وتسكين العين. وأما قوله ﴿فَنِعِمّا هِنّ الفع في غير رواية وررش المون والعين ساكنة ، وقرأ ابن كثير ، وررش وأبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والمفضل: "فَنِعْمَا » بكسر النون والعين. وقرأ ابن عامر ، وحمزة والكسائي ، وعاصم في رواية حفص، ونافع في رواية (ورش ، ويعقوب بكسر النون والعين. وقرأ ابن عامر ، وحمزة والكسائي وخلف: فغنَعِمًا » بفتح النون ، وكسر العين ، وكلهم شددوا الميم . وكذلك خلافهم في سورة النساء . قال الزجاج : "ما الني تأويل الشيء ، أي: فنعم الشيء هي . وقال أبو علي : نعم الشيء إبداؤها . وقوله تعالى ﴿فَهُو بَيْرٌ لَحَكُم ﴾ يعني الإخفاء . واتفق العلماء على أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها أن وفي الفريضة قولان: أحدهما: أن إظهارها أفضل ، قاله ابن عباس في آخرين . واختاره القاضي أبو يعلى ، وقال الزجاج : كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله المحسن ، فأما اليوم ، فالناس يسيئون الظن ، فإظهارها أحسن . والثاني : إخفاؤها أفضل ، قاله الحسن ، وقادة ويزيد بن أبي حبيب . وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة ، وحملوا ﴿وَإِن تُحْفُوهَا على النافلة ، وهذا أبي حبيب . وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة ، وحملوا ﴿وَإِن تُحْفُوهَا على النافلة ، وهوا الله على النافلة ، وقربه من المعلى ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال ، الإخلاص ، والإعراض عما تؤثر النفس من العلائية . والثاني : يرجع إلى المعطى ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال ، لأنه في العلائية ينكسر .

قوله تعالى: ﴿ وَيُكُلِّمُ عَنَكُم مِّن سَيَّاتِكُم ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم (ونكفر عنكم) بالنون والرفع، والمعنى: ونحن نكفر عنكم، ويجوز أن يكون مستأنفاً، وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿ وَنَكَفَّرُ ﴾ بالنون وجزم الراء. قال أبو علي: وهذا على حمل الكلام على موضع قوله: ﴿ وَهُو َ نَيْرٌ لَكُمْ الله وَله: ﴿ فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ الله وَله: ﴿ فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ الله وَلَمُ الله وَله الله وَ قال: وإن تخفوها يكون أعظم لأجركم لجزم، ومثله ﴿ لَوَلا المُرْتَقِ الله الله وَ الله عَلَى موضع ﴿ فَأَصدُ قَلْ الله وَ الله عَلَى موضع ﴿ فَأَصدُ قَلْ الله وَ الله عَلَى وَله وَله الله عَلَى موضع ﴿ فَأَصدُ وَالله وَله الله عَلَى الراء. عن عاصم على الكناية عن الله عَلى وقرأ أبان عن عاصم، ﴿ وتكفر ﴾ بالتاء المرفوعة، وفتح الفاء مع تسكين الراء.

قوله تعالى: ﴿ يُن كَنِّ السَّمِ فِي امن قولان: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أنها داخلة للتبعيض. قال أبو سليمان الدمشقي: ووجه الحكمة في ذلك أن يكون العباد على خوف ووجل.

﴿ لَهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مُدَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مِّن يَشَكَأَهُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ لَلِأَنْسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَكَّة وَجُو اللَّهُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَى إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ مُدَنهُم ﴾ في سبب نزولها قولان: أحلهما: أن المسلمين كرهزا أن يتصدقوا على أقربائهم من المشركين، فنزلت هذه الآية، هذا قول الجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ، قال: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم» فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير (٢٠). والخير في الآية أريد به المال، قاله ابن عباس، ومقاتل: ومعنى: ﴿ لَمُناسَبُكُ الله أَي الكم ثوابه.

⁽١) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «المجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة» والمسر بالقرآن كالمحافظة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» وإسناده صحيح. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل قلبه مملق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله خالياً فقاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يعينه.

 ⁽٢) رواه الطبري بهذا اللفظ عن سعيد بن جبير. وروى النسائي. والحاكم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا
 لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرخص لهم، فنزلت هذه ا لآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والرضخ: العطبة القليلة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوكَ إِلَّا ٱبْتِعَكَآءَ وَجْهِ اللَّوْ﴾ قال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين؛ أعلمهم الله أنه قد علم أن مُرادَهم ما عنده، وإذا أعلمهم بصحة قصدهم، فقد أعلمهم بالجزاء عليه.

قوله تعالى: ﴿يُوكُ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: توفون أجره، ومعنى الآية: ليس عليك أن يهتدوا، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام، فإن تصدقتم عليهم أثبتم. والآية محمولة على صدقة التطوع، إذ لا يجوز أن يعطى الكافر من الصدقة المفروضة شيئاً.

﴿ لِلْمُتَزَّةِ الَّذِينَ ۚ أَحْسِدُوا فِ سَهِيلِ اللَّهِ لَا بَسَعْلِيمُونَ صَدَّا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ المحاهِلُ أَفْدِيَّآهُ مِن ٱلتَّمَنُّفِ تَمْدِيْنُهُم بِسِيمَهُمْ لَا يَسْتَلُوكَ النَّاسَ إِلْحَكَامًا وَمَا تُسْنِقُوا مِنْ خَسْمِر فَإِكَ اللَّهِ بِهِ. عَلِيمُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ لِلْتُكُمُّزُوا الَّذِيكَ أَحْسِرُوا فِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ لما حثهم على الصدقات والنفقات، دلهم على خير من تُصدّق عليه. وقد تقدُّم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿ فَإِنَّ أَشِيرُتُمْ ﴾ [البقرة: ١١] وفي المراد: بـ ﴿ الَّذِيبَ أَحْسِـرُوا ﴾ أربعة أقوال: أخدها: أنهم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم فقراء المهاجرين، قاله مجاهد، والثالث: أنهم قوم حبسوا أنفسهم على الغزو، فلا يقدرون على الاكتساب، قاله قتادة. والرابع: أنهم قوم أصابتهم جراحات مع النبي ﷺ، فصاروا زمني، قاله سعيد بن جبير، واختاره الكسائي، وقال: أخضروا من المرض، ولو أراد الحبس، لقال: حُصروا، وإنما الإحصار من الخوف، أو المرض، والحصر: الحبس في غيرهما. وفي سبيل الله قولان: أحدهما: أنه الجهاد، والثاني: الطاعة. وفي الضرب في الأرض قولان: أحدهما: أنه الجهاد لم يمكنهم لفقرهم، نقل عن ابن عباس. والثاني: الكسب، قاله قتادة. وفي الذي منعهم منّ ذلك ثلاثة أقوال: **أح**دُها: الفقر، قاله ابن عباس. **والثاني**: أمراضهم، قاله ابن جبير، وابن زيد. **والثالث**: التزامهم بالجهاد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَنُهُمُدُ ٱلْحَسَامِلُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي ايحسِبهم، وايَحْسِبَنَّ، بكسر السين في جميع القرآن، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، بفتح السين في الكل. قال أبو علي: فتح السين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فَعِلَ»، نحو: حسب، كان المضارع على «يفعل»، مثل: فرق يفرق، وشرب يشرب، والكسر حسن لموضع السمع. قال ابن قتيبة: لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبر، فكأنه قال: يحسبهم من لا يخبرُ أمرهم. والتعفف: ترك السؤال^(١)، يقال: عف عن الشيء وتعفّف. والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله من السمة، وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال: أحدها: تجملهم، قاله ابن عباس. والثاني: خشوعهم، قاله مجاهد. والثالث: أثر الفقر عليهم، قاله السدي والربيع بن أنس، وهذا يدل على أن للسيما حكماً يتعلق بها، قال إمامنا أحمد في الميت يوجد في دار الحرب، ولا يعرف أمره: ينظر إلى سيماه، فإن كان عليه سِيما الكفار من عدم الختان، حكم له بحكمهم، فلم يدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه، وإن كان عليه سيما المسلمين حكم له بحكمهم، وأما الإلحاف، فهو: الإلحاح، قال ابن قتيبة: يقال: ألحف في المسألة: إذا ألح، وقال الزجاج: معنى ألحف: شَمِل بالمسألة، ومنه اشتقاق اللجاف، لأنه يشمل الإنسان بالتغطية، فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير ملحفين؟ فالجواب: أن لا، وإنما معنى الكِلام: أنه لم يكن منهم سؤال، فيكون إلحاف.

قال الأعشى:

ولا يتعنقُ على شرسوفِ التصفر(٢)

لا يسخس إلى السساق من أين ولا وَصَب ا

⁽١) جاء في االصحيحين؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الميس العسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما العسكين الذي يتعلف، اقرؤوا إن شتتم، ويعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْتُونَ ٱلنَّاسُ إِلَّحَـالَمَّا﴾؛.

⁽٢) في الأصمعيات؛ من أين ومن وصب، والبيت لأعشى باهلة، من قصينة يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب. الأين: الإعباء والتعب. والوصب: الوجع والمرض. والشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن. والصفر: يزعم العرب أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. قال ابن السيد: وإنما أراد: لاصفر في جوفه، فيعض على شراسيفه. يصفه بشدة الخلقة، وصحة البنية.

معناه: ليس بساقه أين ولا وصب، فيغمزها لذلك. قال الفراء: ومثله أن تقول: فلما رأيت مثل هذا الرجيل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه، فهم لا يسألون الناس إلحافاً، ولا غير إلحاف، وإلى نحو هذا ذهب الزجاج، وابن الأنباري في آخرين.

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم وَالنَّهَادِ سِنَا وَعَلاَنِينَةَ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْزَنُونَ ۖ ۖ ﴿ الَّذِينَ لَنَا اللَّهِ اللَّهِ مَا لَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يُنفِقُوكَ آمْرَاتُهُم بِالنِّيلِ وَالنّهَادِ سِرًّا وَعَلاَيْكَ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله على، رواه حنش الصنعاني عن ابن عباس، وهو قول أبي اللرداء وأبي أمامة، ومكحول، والأوزاعي في آخرين. والثاني: نزلت في علي بن أبي طالب على، فإنه كان معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها نزلت في عليّ، وعبد الرحمٰن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمٰن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

﴿ اَلَذِينَ يَأْكُونَ الْرِيَوَا لَا يَنْوُمُونَ إِلَّا كَمَّا يَنْوُمُ الَّذِي يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْبَيْنُ ذَلِكَ إِنَّهُمْمُ قَالُوٓا إِنِّمَا الْبَيْمُ مِيْفُلُ الرِّيَوَأُ وَأَخَلُ اللّهُ الْبَيْمَ وَحَرَّمُ الرِّيُوَأُ فَمَن جَاءَمُ مَوْجِطَةً مِن رَبِّهِهِ فَانَهَمَىٰ فَلَهُمُ مَا سَلَفَ وَأَشِرُهُۥ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأَوْلَتَهِكَ أَصْحَتُ النَّالِ مُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ۖ ۖ

قوله تعالى: ﴿الَّذِيرِ ﴾ يَأْكُونَ الرِيَوا﴾ الربا: أصله في اللغة: الزيادة، ومنه الربوة والوابية، وأربى فلان على فلان: زاد. وهذا الوعيد يشمل الآكل، والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود. وقد صح عن النبي ﷺ أنه العن آكل الربا وموكله وشاهديه وكإتبه (۱).

قوله تعالى: ﴿لَا يَتُومُونَ﴾ قال ابن قتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس. فالناس إذا خريجوا من قبورهم أسرعوا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَوْجُونَ مِنَ ٱلْمُبْنَاتِ مِرْاً﴾ [المعارج: ٤٤]. إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإسراع. وقال سعيد بن جبير: تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكر من عقابهم ﴿ إِنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا ٱلْبَيْءُ مِثْلُ ٱلْإِيكَأَ﴾ وقيل: إن ثقيفاً كانوا أكثر العرب رباً، فلما نهوا عنه؛ قالوا: إنما هو مثل البيع.

قوله تعالى: ﴿ نَمَن جَآءً مُ مُوْعِلَةٌ مِن رَبِّهِ ﴾ قال الزجاج: كل تأنيث ليس بحقيقي، فتذكيره جائز، ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد.

قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ مَا سَلَفَ ﴾ أي: ما أكل من الرباء

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُۥ إِلَى اللَّهِ ﴾ قولان: أحدهما: أن «الهاء» ترجع إلى المربي، فتقديره: إن شاء عصَمَه منه، وإن شاء لم يفعل، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى الربا، فبعناه: يعفو الله عما شاء منه، ويعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَ عَامَهُ قال ابن جبير: من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْثُمُ مِثْلُ الْإِيَّالُهُ ﴿ يَمْعَنُ اللّٰهُ الْإِيْلَا وَيُرْبِي الْفَتَدَقَتُ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلّ كُنّارٍ لَنِيمِ ﴿ إِنَّ الْدِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الْفَتَلُومَ وَالْمُوا الْفَتَلُوهَ وَمَاتُوا الزَّكَوْدَ لَهُمْرُ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَرْنُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَمْمَثُنُ اللّٰهُ الرِّيَوَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى محقه: تنقيصه واضمحلاله، ومنه: محاق الشهر لنقصان الهلال فيه. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أنه إبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها، رواه الضحاك عن ابن عباس (٢٠).

⁽١) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، ورواه مسلم في قصحيحه، عن جابر بن عبد الله، ولفظه: قلعن رسول 動 着 آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هما سواه».

 ⁽۲) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن مسمود مرفوعاً: «إن الربا وإن كثر فإن حاقبته إلى قلّ والقل، بضم القاف وتشديد اللام: القلة، كالذل والذلة.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِي الْفَكَدَتَتِ ﴾ قال ابن جبير: يضاعفها. والكَفَّار: الذي يكثر فعل ما يكفر به، والأثيم: المتمادي في ارتكاب الإثم المصر عليه.

﴿ يَكَانَيْهَا الَّذِيرَ عَاسُوا النَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَيْنَ مِنَ الرِّيْوَا إِن كُنتُم شُؤْمِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَايُّهُا الَّذِيكَ عَامَنُوا التَّمُوا اللهُ وَدَرُوا مَا يَنِي مِن الرِيْوا ﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف، فلما وضع الله الربا، طالبت ثقيف بني المغيرة لما لهم عليهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول ابن عباس (''، والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عقان، والعباس، كانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال صاحب التمر: إن أخذتما مالكما، لم يبق لي ولعيالي ما يكفي، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك النبي على فنهاهما، فنزلت هذه الآية، هذا قول عطاء وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في العباس، وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية، وكانا يسلفان في الربا، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، فقال النبي على النبي المناه على من أربى قبل إسلام، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ربا ثقيف. وقال قوم: الآية محمولة على من أربى قبل إسلام، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويعفى له عما مضى. فأما المراباة بعد الإسلام، فمردودة فيما قبض، ويسقط ما بقي.

﴿ وَمُونَ لِّمْ يَتَمَلُوا تَاذَنُوا بِعَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِن تُبْتُرُ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۖ ﴿ فَالْمُونَ ۖ فَالْمُونَ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۖ فَالْمُونَ لَا اللَّهِ مُعْلِمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ لَا اللَّهِ مُعْلِمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ وَلا تُطْلِمُونَ وَلا تُطْلِمُونَ وَلا تُطْلِمُونَ وَلا تُطْلِمُونَ وَلا تُطْلِمُونَ وَلا تُعْلَمُونَ فَاللَّهُ وَلَا لَمُؤْلِمُونَ وَلا تُطْلَمُونَ فَاللَّهُ وَلَا لَمُؤْلِمُ فَاللَّهُ وَلَا لَمُؤْلِمُ فَاللَّهُ وَلا لَمُعْلِمُ وَلَا لِمُؤْلِمُ لِللَّهِ لَهُ لِمُؤْلِمُ لِللَّهِ فَاللَّهُ وَلَمُ لَا لَهُ فَاللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ وَلا لَهُ لِمُؤْلِمُ لَا لَهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَا لِللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهِ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِلْمُؤْلِقِ لَلْ لَهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلْمُ لِللْمُؤْلِقِ لَلْمُعِلِّلِهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللْمُؤْلِقِ لَلْمُؤْلِقِ لَلْمُؤْلِقِ لِلللَّهِ لِللْمُؤْلِقِ لَلْمُؤْلِقِ لِلللْمُؤْلِقِ لِللْمُؤْلِقِلْمُ لِللْمِلْمُ لِللللَّهِ لِلللَّهِ لِلللَّهِ لِلللْمُؤْلِقِ لِلللْمُؤْلِقِيلُولِ

قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَمْ تَعْمَلُوا عَادَتُوا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿ فَآذَتُوا ﴾ مقصورة، مفتوحة الذال. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «فآذنوا ، بمد الألف وكسر الذال. قال الزجاج: من قرأ: فأذنوا ، بقصر الألف، وفتح الذال، فالمعنى: أيقنوا. ومن قرأ بمد الألف، وكسر الذال، فمعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لأكل الربا: خذ سلاحك للحرب (٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبَثِّرُ فَلَكُمْ رُءُوسُ آمَرُلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: التي أقرضتموها، لا تَظْلمون، فتأخذون أكثر منها، ولا تُظْلَمون منها، والجمهور على فتح «تاء» تظلمون الثانية. وربي المفضل عن عاصم: ضم الأولى، وفتح الثانية.

﴿ وَإِن كَاكَ ذَرَ عُسَرَةٍ مَنَظِرَةً إِلَى مَيْسَرَةً وَأَن تَمَسَدُنُوا خَيْرٌ لَكُنَّ إِن كُنتُمْ تَسْلَمُوك ﴿ ﴾ قُولُه تعالى: ﴿ وَإِن كَاكَ ذُرَ عُسْرَةٍ ﴾ ذكر ابن السائب، ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَدَرُوا مَا بَيِنَ مِنَ الرِّيْوَا ﴾

⁽١) رواه الواحدي، من طريق الكلي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

⁽٢) رواه الواحدي عن السدي بدون سند. و أخرج مسلم من حديث جابر في صفة حجة النبي على وفيه: فخطب الناس وقال: «إن معاءكم وأموالكم حرام مليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية ثحت قدي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من دماتنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتله هذيل، وريا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

⁽٣) ثبت عن رسول الله على أحديث في النهي عن الربا، والتنفير منه، وأنه من الكبائر، وأن عاقبة من يقع فيه وخيمة. من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة على عن النبي على قال: فاجتبوا للسيخ المويقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: فالسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالمحق، وأكل الرباء وأكل مال البيم، والتولي يوم الرحف، وقلف المحصنات الفاقلات المؤمنات، وروى البخاري عن سمرة بن جندب على قال: قال النبي على: فرأيت الليلة وجلين أتباتي فأخرجاتي إلى أرض مقلسة، حتى أتبنا على نهر من ده فيه رجل قائم، وهلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأثبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج، رمى الرجل بحجر في ليه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان. قلت: ما هذا الذي وأبعه في النهر؟ قال: أكل الرباء. وروى أحمد بإسناد صحيح عن غيد الله بن حنظة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله على: هذهم وبا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلالين زنية، وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه ورواه الحاكم وزاد فليسرها مثل أن يتكع الرجل أمه، وإن أرض الربا لهما هي قربة حتى تطعم، وقال: فإلم الزا والربا في قربة، فقد الله بي، وروى المخاكم في فالمستدرك عن ابن عباس قال: نهى رسول الله يه أن تشرى النمرة حتى تطعم، وقال: فإذا فلهر الزنا والربا في قربة، فقد أحلوا باتفسهم هذاب الله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا، وندع لكم الربا، فشكا بنو المغيرة العسرة، فنزلت هذه الآية، فأما العسرة، فهي الفقر، والضيق. والجمهور على تسكين السين، وضمها أبو جعفر هاهنا وفي ﴿ كَاعَةُ الْمُسْمَؤُ ﴾ وقرأ الجمهور بفتح سين «الميسرة»، وضمها نافع، وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين، إلا أنه زاد، فكسر الراه، وقلب الناء هاء، ووصلها بباء. قال الزجاج: ومعنى ﴿ وَإِن كَانَ ﴾: وإن وقع. والنظرة: التأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً، وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا ﴾ والأكثرون على تشديد الصاد، وخففها عاصم مع تشديد الدال، وسكنها ابن أبي عبلة مع ضم الدال فجعله من الصدق.

﴿وَالْقُوا يَوْمَا رُبِّجَمُوكَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤلِّف كُلُّ نَفْسِ مَّا كَسَبَتْ وَمُمْ لَا يُطْلَبُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَاَنْقُواْ يَوْمَا رُبَّمُونَ فِيدِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو بفتح تاء «ترجعون» وضمها الباقون. قال ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وعطية، ومقاتل في آخرين: هذه آخر آية نزلت من القرآن^(۱). قال ابن عباس: وتوفي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين يوماً، وقال ابن جريج: توفي بعدها بتسع ليال. وقال مقاتل: بسبع ليال.

قوله تعالَى: ﴿ ثُمَّ تُولِّكَ كُلُّ نَشِنِ مَّا كَسَبَتْ ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿ يَكُنُهُ اللّٰهِ كَا اللّٰهِ كَا اللّٰهِ كَا اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ الْحَكُمُ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهُ وَلِيَتُنِ اللّٰهُ وَلَا يَبْخُلُ وَلَا يَبْخُلُ اللّٰهُ مَنْهُ اللّٰهُ وَلَا يَبْهُ وَلا مَنْهُ وَلا يَبْهُ وَلِمُ اللّٰهُ وَالْهُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَلا يُعْمُونُ وَلِا يَتُهُمُ وَلِهُ وَلِهُ اللّٰهُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَلَا مُنْهُ وَلا يَبْهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِمُ اللّٰمُ وَاللّٰمُ والللّٰمُ وَاللّٰمُ وَالللّٰمُ وَالللللّٰمُ وَالللللّٰمُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ وَاللّٰمُ الللللّٰمُ وَاللللللّ

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِيكَ مَامَرًا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنِ ﴾ قال الزجاج: يقال: داينت الرجل إذا عاملته، فأخذت منه بدين، وأعطيته.

قال الشاعر:

دايسنست أروى والديسون تقضى فماطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعض دين إلى أجل مسمى، فاكتبوه، فأمر الله تعالى بكتابة الدين، وبالإشهاد، حفظاً منه للأموال، وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة، قل تحديثه لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في السلم خاصة. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: "بدين» واتداينتم» يكفي عنه؟ فالجواب: إن تداينتم يقع على معنيين. أحدهما: المشاراة والمبايعة والإقراض. والثاني: المجازاة بالأفعال، فالأول يقال فيه: الدين بفتح المدال، والثاني: يقال منه: الدين بكسر الدال. قال تعالى: ﴿يَسَعُونَ أَيّانَ يَوْمُ الدِّينِ الله المداريات: ١٦] أي: يوم المجزاء.

⁽۱) رواه الطبري والنسائي في «السنن الكبرى» وذكره الهيشمي في «مجمع الزوائد»، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات. وظاهر هذه الرواية يعارض ما ثبت عن ابن عباس من أن آخر آية نزلت هي آية الربا، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس في قال: آخر آية نزلت على الرواية يعارض ما ثبت عن ابن عباس في قال الحافظ ابن حجر أن هذه الآية _ يريد آية الربا . ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن. وقال المزركشي في «البرهان» ١/ ٢٠٠ بعد أن ذكر الآثار المواردة عن الصحابة عن آخر آية نزلت من القرآن: قال القاضي أبو بكر في «البرهان» ١/ ٢٠٠ بعد أن ذكر الآثار المواردة عن الصحابة عن آخر آية نزلت من القرآن: قال القاضي أبو بكر في «الانتصار»: وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما وفع إلى النبي عليه ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله عليه في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ونزول الرحي عليه بقرآن بعد. ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول عليهم آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل منها، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل من الترتيب.

وأنشدوا:

... دنساهسم کسمسا دانسوا(۱)

فدل قوله: ﴿ يَدُينِ ﴾ على المراد بقوله: ﴿ تَدَايَنتُم ﴾ ذكره ابن الأنباري. فأما العدل فهو الحق. قال قتادة: لا تدعن حقاً، ولا تزيدن باطلاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبُ كَاتِبُ ﴾ أي: لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله، وفيه قولان. أحدهما: كما علمه الله الكتابة، قاله سعيد بن جبير. وقال الشعبي: الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد. والثاني: كما أمره الله به من الحق، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَيُمُلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني المطلوب، يقول: ليمل ما عليه من حق الطالب على الكاتب، ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص عند الإملاء. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أمللت أمل، وأمليت أملي لغتان، فأمليت من الإملاء وأمللت من الملل والملال، لأن الممل يطيل قوله على الكاتب ويكرره.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ اللَّذِى عَلَيْهِ الْحَقِّ سَنِيها ﴾ في المراد بالسفيه هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الجاهل بالأموال، والنجاهل بالإملاء. قاله مجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الصبي والمرأة، قاله الحسن. والثالث: أنه الصغير، قاله الضحاك، والسدي، والرابع: أنه المبذر، قاله القاضي أبو يعلى. وفي المراد بالضعيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العاجز والأخرس، ومن به حمق، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنه الأحمق، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: أنه الأحمق، قاله القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿ أَذَ لَا يَسْتَعِلِعُ أَن يُمِلَ هُوَ ﴾ قال ابن عباس: لا يستطيع لعيّه. وقال ابن جبير: لا يحسن أن يمل ما عليه، وقال القاضي أبر يعلى: هو المجنون.

قوله تعالى: ﴿ فَآلِيمُ لِللَّهُ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدها: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليملل ولي الحق، هذا قول ابن عباس، وابن جبير، والربيع بن أنس، ومقاتل، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحاك، وابن زيد، واختاره الزجاج، وعاب قول الأولين، فقال: كيف يقبل قول المدّعي؟! وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد، والقول قوله؟! وهذا اختيار القاضي أبي يعلى أيضاً. والعدل: الإنصاف. وفي قوله تعالى: ﴿ مِن رِبالِكُمُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه يعني الأحرار، قاله مجاهد، والثاني: أهل الإسلام، وهذا اختيار الزجاج، والقاضي أبي يعلى، ويذل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ أراد: فإن لم يكن الشهيدان رجلين ﴿ فَرَجُـ لُ وَٱمْرَأَتَكَانِ ﴾ ولم يرد به: إن لم يرجد رجلان.

قوله تعالى: ﴿ مِمَّن زَضَّوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ ﴾ قال ابن عباس: من أهل الفضل والدين.

قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَ إِحْدَنُهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحَدَنُهُمَا ٱلأُخْرَىٰ ﴾ ذكر الزجاج، أن الخليل، وسيبويه، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر إحداهما الأخرى. ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى.

اللفظ في معرض صاحبه، ليعلم أنه جزاؤه على حدّه وقدره، أو ابتداؤه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُمُنَاءِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَناءِعُهُمُۗ﴾ و﴿أَلَمُهُ يَسَتَهْزِعُ بُومُ﴾ وما أشبهه. والدين: لفظة مشتركة في عدة معان: الجزاء والعادة والطاعة والحساب، وهو هاهنا الجزاء، ويقولون: فكما تدين تدان، أي: كما تَصنع يُصنع ىك. وقرأ حمزة: «إن تضل» بكسر الألف. والضلال هاهنا: النسيان، قاله ابن عباس والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما قوله: «فتذكر» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بالتخفيف مع نصب الراء، وقرأ حمزة بالرفع مع تشديد الكاف، وقرأ الباقون بالنصب، وتشديد الكاف. فمن شدد أراد الإذّكار عند النسيان، وفي قراءة من خفف قولان: أحدهما: أنها بمعنى المشددة أيضاً، وهذا قول الجمهور. قال الضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، ومعنى القراءتين واحد. والثاني: أنها بمعنى: تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر، وهذا مذهب سفيان بن عيينة، وحكى الأصمعي عن أبي عمرو نحوه، واختاره القاضي أبو يعلى، وقد رده جماعة، منهم ابن قتيبة. قال أبو على: ليس مذهب ابن عيينة بالقوي، لأنهن لو بلغن ما بلغن، لم تجز شهادتهن إلا أن يكون معهن رجل، ولأن الضلال هاهنا: النسيان، فينبغي أن يقابل بما يعادله، وهو التذكير.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَآبَ الشَّهَدَآةُ إِذَا مَا دُعُواً ﴾ قال قتادة: كان الرجل يطوف في الحواء العظيم (١)، [فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة] فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال: أحلها: إلى تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقتادة، والربيع. والثاني: إلى إقامتها وأدائها عند الحكام بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبير، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد. ورواه الميموني عن أحمد بن حنبل، والثالث: إلى تحملها وإلى أداثها، روي عن ابن عباس، والحسن، واختاره الزجاج، قال القاضي أبو يعلى: إنما يلزم الشاهد أن لا يأبى إذا دعي لإقامة الشهادة إذا لم يوجد من يشهد غيره، فأما إن كان قد تحملها جماعة، لم تنعين عليه، وكذلك في حال تحملها، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ نَشَعُراً﴾ أي: لا تعلوا وتضجروا أن تكتبوا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلى أجله، أي: إلى محل أجله ﴿وَالْكُمْ آتَسَكُمْ عِندَ اللّهِ ﴾ أي: أعدل و ﴿وَأَقَوْمُ لِلشّهَدَةِ ﴾ لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه ﴿وَأَذَنّ ﴾ أي: أقرب ﴿ أَلّا تَرْبَالِيّا ﴾ أي: لا تشكوا ﴿ إِلّا أن تَكُون ﴾ الأموال ﴿ يَجَدُرة ﴾ أي: إلا أن تقع تجارة، وقرأ عاصم فتجارة بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منهما على صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل، فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تباعهم في مأكول أو مشروب.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِـ دُوٓا إِذَا تَبَايَشُتُمُّ ۖ الإشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

فصل

وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر ندب واستحباب(٢) فعلى هذا ُهو محكم،

⁽١) قال في اللسانة: الحواء بكسر الحاء: جماعة بيوت الناس إذا تدانت، والجمع: الأحوية.

⁽٢) قال ابن كثير: وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب، لا على الوجوب، والدثيل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري، وقد رواه الإمام أحمد، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي 難، أن النبي 難 النبي 難 النبي 難 النبي 難 النبي 難 النبي 難 النبو بن المستبعه النبي 難 ليقفيه ثمن فرسه، فأسرع النبي 謎، وأبطأ الأعرابي نطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي 難 ابناعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس، الذي ابناعه النبي 謎 منادى الأعرابي النبي 謎 فقال: إن كنت مبناعاً هذا الفرس فابتعه، وإلا بعته. فقام النبي 謎 حين صمع نداه الأعرابي: قال: قال ليس قد لبتعته منك؟! قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي 謎 والل الأعرابي: ويلك، النبي 謎 والأعرابي وهما يتراجعان؛ فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، فمن جاء من المسلمين، قال الأعرابي: ويلك، النبي 謎 لم يكن يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي، 甚 وهم تشهد؟! الأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد؟ والأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك. قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعت. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: وهم تشهد؟؟ فقال: بتصديفك يا، ورجاله كلهم ثقات، وهو حديث صحيح.

وذهبت طائفة إلى أن الكتاب والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمر، وأبي موسى، ومجاهد، وابن سيرين، وعطاء، والضحاك، وأبي قلابة، والحكم، وابن زيد، ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باقي، أم منسوخ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَيْنَ بَسْفُكُم بَسْفُ كُم بَسْفُ لَكُورٌ الَّذِى اقْتُمِنَ أَمَنتَهُم ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ وَلا يُعَارَ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدُ ﴾ قرأ أبو جعفو بتخفيف الراء من فيضاره وسكونها، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لا يضار بأن يدعى وهو مشغول، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، والفراء، ومقاتل. وقال الربيع: كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتب لي، فيقول: إني مشغول، فيلزمه، ويقول: إنك قد أمرت بالكتابة، فيضاره، ولا يدعه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت: ﴿ وَلا يُشَكِرُ كُلَتِ وَلا يَشَهِد بِما لَم يستشهد عليه، هذا قول الحسن، وطاووس، وقتادة، وابن زيد، واختاره ابن قيبة، والزجاج. واحتج الزجاج على صحته بقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ شُوقًا بِكُمْ الكتاب، أو كذب في يسمى من دعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول، أو شاهداً؛ فاسقاً، إنما يسمى من حرف الكتاب، أو كذب في يسمى من دعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول، أو شاهداً؛ فاسقاً، إنما يسمى من حرف الكتاب، أو كذب في الشهادة، فاسقاً. والثاهد أن يشهد، وهذا قول عطاء في

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَغْمَلُوا ﴾ يعني: المضارة،

﴿ ﴾ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَىٰ سَغَرِ وَلَمْ تَنَمِيدُوا كَاتِهَا فَهِمَنَّ مَّقْبُوضَةً ۚ فَإِنْ أَيْنَ بَعْشُكُم بَعْضَا فَلِيُؤَوْ ٱلَّذِى ٱفْدُينَ أَمَنتَكُم وَلِيَّا اللّهَ رَبَّلُمُ وَلَا تَكْتُنُوا الشَّهَادَةُ وَمَن يَصْغُنْهَا فَإِلْـُهُۥ مَانِيمٌ قَلْبُهُمْ وَاللّهُ بِمَا تَمْمَلُونَ عَلِيمٌ ۖ

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُدُ عَلَى سَكَرِ ﴾ إنما خص السفر، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه. ومقصودُ الكلام: إذا عدمتم التوثق بالكتاب، والإشهاد، فَتُخْذُوا الرهن.

توله تعالى: ﴿ وَمَكُنُّ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعبد الوارث (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وأسكن الهاء عبد الوارث، ووجهه المتخفيف، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (فرهان) بكسر الراء، وفتح اللهاء، وإثبات الألف. قال ابن قتيبة: من قرأ (فرهان) أراد: جمع رهن، وهن قرأ: (فرهن) أزاد: جمع رهان، فكأنه حمد الحمد ...

قوله تعالى: ﴿ مُتَبُّرُضَةً ﴾ يدل على أن من شرط لزوم الرهن القبض، وقبض الرهن أخذه من راهنه منقولاً، فإن كان مما لا ينقل، كالدور والأرضين، فقبضه تخلية راهنه بينه وبين مرتهنه.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَسْشُكُم بَسْتُ ﴾ أي: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب، ولا شهود، ولا رهن، ﴿ فَلَيْتُورَ الَّذِي اَقْتُمِنَ﴾ وهو المدين ﴿ أَمَنْتَكُم وَلِنَتِّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ أن يخون من اثتمنه.

قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّكُهُ مَائِمٌ قَلْكُهُ عَالَ السدي عن أشياخه: فإنه فاجر قلبه. قال القاضي أبو يعلى: إنما أضاف الإثم إلى القلب، لأن المآثم تتعلق بعقد القلب، وكتمان الشهادة إنما هو عقد النِية لترك أدائها.

﴿ يَلُو مَا فِي السَّكَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضُ وَإِن تُبَدُّواْ مَا فِي ٱلشَّيْكُمْ لِلْ اللَّهِ فَيَعْفِرُ لِمَن يَشَالُهُ وَيُعَلِّبُ مَن يَشَانُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ فَتَى وْ قَدِيرُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبَدُّواْ مَا فِي آلَشِيكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ الله البداء ما في النفس، فإنه العمل بما أضمره العبد، أو النطق، وهذا مما يحاسب عليه العبد، ويؤاخذ به، وأمّا ما يخفيه في نفسه، فاختلف العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين. واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في المؤاخذة، أم منسوخ؟ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ بقولُه تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّكُ اللهُ نَفْسًا إِلّا وَمُمْهَا في رواية، والحسن، والشعبي، وابن سيرين

وسعد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، ومقاتل (١٠). والثاني: أنه ثابت في المؤاخذة على العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء، وهذا مروي عن ابن عمر، والحسن، واختاره أبو سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية لم تسخ، ولكن الله في إذا جمع الخلائق، يقول لهم: أني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطّلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم، ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله تعالى: ﴿يُكَاسِبُكُم بِهِ الله ﴾ يقول: يخبركم به الله، وأما أهل الشرك والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله تعالى: ﴿يُكَاسِبُكُم وَيُكَابُ مِن يَشَكَاهُ ﴾ [١]. والأكثرون على تسكين راء فيغفر، وباء فيعفر، وباء منهم ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وإنما جزموا لإتباع هذا ما قبله، وهو فيحاسبكم، وقرأ أبو جمفر، وابن عامر، وعاصم ويعقوب: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قطعوا الكلام عن الأول. قال ابن الوب جمفر، وابن عامر، وعاصم ويعقوب: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قطعوا الكلام عن الأول. قال ابن ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي. ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي. المناء. والمقول الثاني: أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرباب هذا القول فيه قولان: أحدهما: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباس في رواية، وعكرمة، والشعبي، والثاني: أنه الشك واليقين، قاله مجاهد. فعلى هذا المذكور الآية محكمة.

﴿ اَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلِنَهِ مِن زَيِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمُلَتَهِكِيهِ، وَكُنُبُهِ، وَرُسُلِهِ، لَا نُغَزِقُ بَيْرَكَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ، وَسُلِهِ، لَا نُغَزِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ، وَمُسَلِّهِ، وَرُسُلِهِ، لَا نُغَزِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ، وَمُسَلِّهِ، وَرُسُلِهِ، وَرُسُلِهِ، لَا نُغْزِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ، وَمُسَلِّهِ، وَرُسُلِهِ، لَا نُغْزِقُ بَيْنَ وَإِنْكَ السَهِيرُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَامَنَ الرَّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّمِهِ ﴾. روى البخاري ومُسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ، أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه، "" قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن البيل (١٤). وقيل: إنهما نزلتا على سبب، وهو ما روى العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله

⁽٢) وهو اختيار آبن جرير الطبري، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، بالحديث الذي رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن صفوان بن محرز قال: أبينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله يخفي يقول: فيلنو المؤمن من ربه فحق حتى يضع عليه كنف، فيقرده بلنويه، فيقول له: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ، قال: فإتي قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أففرها لك اليوم، قال: فيمطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه، وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الأشهاد: ﴿ كَارَكُونَ اللَّهِ الذَا عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اذَا: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فتظهروه، أو تخفوه فتنطوي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله، فيعرف مؤسكم المفود عده، ومغفرته له، فيغفره له، ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحلاقية خالقه، ونبوة أنبيائه.

 ⁽٣) رواه مسلم بهذا اللفظ، ورواه البخاري بلفظ: امن قرأ بالايتين من آخر صورة البقرة في ليلة كفتاه.

⁽٤) ، وقيل: كفتاه عما يكون من الأفات تلك الليلة، وقيل: من الشيطان وشره، قيل: حسبه بهما أجراً وفضلاً، وروى مسلم في قصحيحه عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله على النهى به إلى سدرة المستهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض، قال: ﴿إِذْ يَنْنَى الْلِنَدُونَ مَا يَنْنَى الْلِنَدُونَ مَا يَنْنَى اللهُ وَاللهُ عَنْ اللهُ عَلَى السلوات الخمس، وأعطي حواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات. والمقحمات، بكسر الحاء: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.

تعالى: ﴿ وَإِن تُبَدُوا مَا فِي النّسِكُمْ أَوْ تُحَفُّوهُ يُكاسِبَكُمْ بِهِ اللّهُ ﴾ اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ [فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب] فقالوا: قد أُنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا ففرانك ربنا وإليك المصير؟. فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها ﴿ مَا مَن النّصُولُ ﴾ (١) . قال الزجاج: لما ذكر ما تشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام، ختمها بتصديق نبيه، والمؤمنين. وقرأ ابن عباس (وكتابه) فقيل له في ذلك، فقال: كتاب أكثر من كُتُب، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وقد وافق ابن عباس في قراءته حمزة، والكسائي، وخلف، وكذلك في (التحريم)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر (وكتبه) هاهنا بالجمع، وفي (التحريم) بالتوحيد. وقرأ أبو عمرو بالجمع في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿لَا نَفْرَقُ بَيْكَ أَحَلِ مِن رُّسُلِهِ ﴾ قرأ أبو عمرو ما أضيف إلى مكني على حرفين، مثل «رسلنا» و«رسلكم» بإسكان السين، وثقًل ما عدا ذلك. وعنه في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ روايتان، التخفيف والتثقيل. وقرأ الباقون كل ما في القرآن من هذا الجنس بالتثقيل. ومعنى قوله: ﴿لَا نَفُونُ مَيْكَ أَحَلُو مِّن رُّسُلِهِ ﴾ أي: لا نفعل كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. وقرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء، وفتح الراء.

قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ أي: نسألك غفرانك. والمصير: المرجع.

﴿ يُكَلِّفُ اللَّهُ لَنْسًا إِلَّا وُسْمَهَما لَهَا مَا كُسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا آكَشَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤاخِذُنَا إِن لَسِينَا أَوْ أَخْطَأَةً رَبَّنَا وَلا نَحْمِلُ عَلَيْهَا مَا كَمُسَلِّقًا رَبَّنَا وَلا تَحْمَلُنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِيدٍ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمَنَا أَلَتَ مَوْلُسَنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِيدٍ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمَنَا أَلْتَ مَوْلُسَنَا مَا لا طَاقَةً لَنَا بِيدٍ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمَنَا أَلْتَ مَوْلُسَنَا مِنْ لِللَّهُ وَلا يُعْمِلُونَا مَا لا طَاقَةً لَنَا بِيدٍ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمَنَا أَلَتُ مَوْلُسَنَا إِلَيْهِ لِللَّهُ وَلا يُعْمِلُونَا مِنْ لِللَّهُ وَلَا يُعْمِلُونَا مِنْ اللَّهُ وَلا يُعْفِرُونَا إِلَيْ لِللَّهُ وَلَا يُعْمِلُونَا مِنْ اللَّهُ وَلَا لِنَا وَالْعَلَمُ عَلَى اللَّهُ لِللَّهُ وَلِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلِنَا لَكُونُ وَلَا يُعْمِلُونَا مِنْ اللَّهُ وَالْعَلْمُ عَلَى اللَّهُ وَلَا لِللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَاللَّهُ لَا اللَّهُ إِلَّا لِمُعْلِقًا لَهُ مَا لَلْمُ وَاللَّهُ لَنَا مُؤْلِمُونَا لَكُونُ لِلللَّاقِلَ لَا لِللَّهُ إِلَيْ لِللَّهُ لَا لَكُونُ وَلا لِمُعْلِمُ لَا مُعْلَىٰ اللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِلْمُ لِللَّهُ لَا لَقُولُوا لِلللَّهُ لِللَّهُ لَا لَعُولُولُوا لَاكُولُونُونَا لَكُونَا لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللْمُعْلِقُ لَا لَعَلَى اللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لَا لَعُلَالِكُونِ لِلْمُؤْلِقُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَا لَعَلَّا لَا لَاللَّهُ لِلللّهُ لِللللللَّهُ لللللَّهُ لِللَّهُ لِلللّٰ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَا لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللللّٰ لِللْمُؤْلِقِ لِللللّٰ لِلللّٰ لِلْمُؤْلِقِلْ لِللللَّهُ لِلللللّهُ لِلللّهُ لِلللْمِلْلِيلَالِمُ لِللْمُؤْلِقِلْمُ للللّهُ لِلللّهُ لِللللّهُ ل

قوله تعالى: ﴿لا يُكلِّكُ اللهُ نَنْسًا إِلّا وُسْمَهَا الوسع: الطاقة. قاله ابن عباس، وتتادة. ومعناه: لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزمن السعي، والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف، لا لفقد الآلات، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن الإيمان، فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿رَبُّنَ وَلا تُحكِلنًا مَا لا طَاقَهُ لَنَا يِعِبُ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعاً، كان السؤال عبثاً، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿وَلَن تَدَعُهُمُ إِلَى ٱلهُدَىٰ فَان يَهَدُوّا إِذًا أَبْدَا وَ الكهف: ٧٥] وقال ابن الأنباري: المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم، وتحمل مكروه، فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يُسْتَعِيهُ [مرد: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ قال ابن عباس: لها ما كسبت من طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْسَبَتْ﴾ من معصية. قال أبو بكر النقاش: فقوله: الها» دليل على الخير، و«عليها» دليل على الشر. وقد ذهب قوم إلى أن «كسبت» لمرة ومرات، و«اكتسبت» لا يكون إلا لشيء بعد شيء، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحد، كقوله ﷺ: ﴿فَهُلِ ٱلْكَنْبِينَ أَتَهِلُهُمْ رُبِياً ﷺ [الطارق: ١٧].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا نُؤَائِذْنَا ﴾ هذا تعليم من الله للخلق أن يقولوا ذلك، قال ابن الأنباري: والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنى الغفلة قد أمنت الآثام من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو^(۲)، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا غفل. وفي الإصر، قولان:

⁽١) رواه أحمد ومسلم وابن حيان بمعناه.

⁽٢) يويد هذا التفسير قوله ﷺ: فإن الله وضع عن آمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والطبراني عن ابن عباس. ورواه الحاكم ١٩٨/٢ ولفظه «تجاوز الله عن أمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه اللهبي. وقال أبو جعفر الطبري: والنسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط، وهذا الذي يرغب العبد إلى الله الله الله في تركه مؤاخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله في به تدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدُمّا إِلَى هَادَمُ مِن فَسَلُ فَنِينَ وَلَمْ تَجِدُ لَكُ عَلَى الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدًا إِلَى هَادَمُ مِن فَسَلُ فَنِينَ وَلَمْ يَجِدُ لَلهُ عَرْمًا ﴾

.

10 St. 10 St. 10 St.

أخدهما: أنه العهد، قالد ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثاني: الثقل، أي: لا تثقل علينا من الفروض ما ثقلته على بني إسرائيل، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلُنَا مَا لَا طَاتَدٌ لَنَا بِيرِ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يصعُب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور، والثاني: أنه المحبة، رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم. والثالث: الغلمة(١) قاله مكحول. والرابع: حديث النفس ووساوسها. والخامس: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿أَنَكَ مَوْلَدَنَا﴾ أي: أنت ولينا ﴿فَأَنصُرْنَا﴾ أي: أعنا. وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة قال:

•

العبد غير معصية، وهو به غير آثم، ولا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له. وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما من وجه ما نهي عنه، فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خِطأ بهنه، وهو يه مأخود، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً. والأخر منهما: ما كان منه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فِعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهير يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم غيم، وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الموضوع عن العبد الذي وضع الله 🍇 عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه ألا يؤاخذه به. انتهى باختصار.

الغلمة: غليان شهوة المواقعة من الرجل والمرأة,

سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدراً من أولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي على في ستين راكباً، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلى بضع وثمانين آية منها.

ينسبد الله الكنن التحبيد

﴿اللَّهِ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ النَّمُ اللَّيْءُ ۞ زَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ بِالْمَقِّ مُسَدِّقًا لِنَا يَهَنَ يَدَيَّةً وَأَزَلَ الْفَرْزَنَةَ وَالْإِنِيلَ ۞رِن تَبْلُ هُمُنَى اِلْنَائِسُ وَأَزَلَ الْمُزَوَّانُ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَزَلَ عَيْنَكَ الْكِنَبَ ﴾ يعني: القرآن ﴿ إِلْعَيْ ﴾ يعني: العدل. ﴿ مُمَّدِقًا لِمَا بَيْكَ يَدَيِهِ ﴾ من الكتب، وقيل: إنما قال في القرآن: ﴿ وَزَلُ التوراة و التوراة و الإنجيل: أنزل، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فأما التوراة و فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعلها من: وري الزند يري: إذا خرجت ناره وأوريتُه عريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: ورى يري، ويقال: وريت بك زنادي، والإنجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجته، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبح الله ناجليه، أي: والديه، وقبل للماء يقطر من البثر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزروه]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كأن الله أظهر به عافياً من الحق دارساً. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والإنجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عربياً، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، وقبل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم، . وفي الفرقان هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور. قال أبو عبيدة: سعي القرآن فرقاناً، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، قائزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فيه هدى للناس.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَكُمْوُا بِعَايَدِتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَلَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَنِيدٌ ذُو ٱنتِقَامِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُهُا بِكَايَدَتِ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمد. والانتقام: المبالغة في العقوية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفَى مَلْتِو مَقَدُّ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّتَمَلَةِ ۞ هُوَ ٱلَّذِي يُسَوِّيُكُمْ فِي ٱلْأَرْسَارِ كَيْفَ يَشَآأَهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ ٱلمَهَانِيلُ الْمُتَكِيمُ ۞﴾

، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغَفَىٰ عَلَيْهِ ثَنَ ۗ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَالَةِ ﴿ فَال أَبُو سَلَيمَانِ الدمشقي: هذا تعريض بنصارى أهل نجران فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النبي ﷺ، وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر عيسى.

﴿ هُوَ ٱلَّذِينَ أَزَلَ مَلِيْكَ ٱلْكِنَابَ مِنْهُ مَايَثُ مُنْكَنَتُ هُنَّ أَمُّ ٱلْكِنَابِ وَأَخَرُ مُتَشَنِهِكَ ثُمَّ الْفِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبْعٌ فَيَكَهُمُونَ مَا تَشَكِمُ مَنْ أَمُّ ٱلْكِنَابِ وَأَخَرُ مُتَشَنِهِكَ ثُمَّ الْفِيلَةِ وَالْفِيلِةِ وَمَا يَشَكُمُ الْفِيلِةِ وَمَا يَشَكُمُ اللَّافِيلِةِ وَمَا يَشَكُمُ اللَّهُ وَالنَّسِمُونَ فِي الْفِيلِمِ بَعْلُونَ مَاسَنًا بِهِدِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ۖ مَنَا لِمُنْفِقُونَ مَا سَنَا لِهِ وَمُؤْلِنَا وَاللَّهِمُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ يَنْهُ مَايَتُ مُحَكَدَبُ ﴾ المحكم: المتقن المبيّن، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه الحلال والحرام، روى عن ابن عباس،

⁽١) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المعوب» للجواليقي: والصحيح أن الكلمة يونانية الأصل، أصلها «أونجيليون» مركبة من كلمتين معناهما: البشري الحسنة.

ومجاهد. والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله. روي عن جابر بن عبد الله. والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة. والثامن: أيه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى^(١). وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكأنه قال: هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام. وفي المتشابه سبعة أقوال: أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. والثالث: أنه الحروف المقطعة كقوله: ﴿ آلَتَ ﴾ ونحو ذلك، قاله ابن عباس. والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. الخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفي على مميّز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات. والسابع: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ فعنه أربعة أجربة: أحلها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين: أحدهما: الموجز الذي لا يخفي على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستحلي عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكأنه قال: عارضوه بأي الضربين شنتم، ولو نزل كله محكماً واضحاً، لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفضح وأغرب.

قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتنضربي بسهميك في أعشار قلب مقتّل (٢)

فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد، وزاد في بلاغته. وقال امرؤ القيس أبضاً:

رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم أنتصر (٣) وقال أيضاً:

فقلت له لما تسطى بُصلبه وأردف أعـجازاً وناء بـكـلـكـل(١٤)

فجعل لليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه، فحسن بذلك شعره. وقال غيره:

من كمميت أجادها طابخاها للم تممت كل موتها في المقدور أراد بالطابخين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:

تبكي هاشماً في كل فحر كما تبكي على الفنن الحمام

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» ص٧٥٧: للعلماء في المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابغة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان. ويعني بهذه المقالة الرسالة الموسومة بـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» وقد أثبتها القاسمي رحمه الله في تفسيره بطولها.

(٢) شرح القصائد السبع ص٤٧. ذرفت: سال دمعها. وأراد بالسهمين: العينين. الأعشار: القطع والكسور. المقتل: المذلل. يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً، أي: مكسراً، ولم تبكي، لأنك مظلومة. وقال غير الأصمعي: كافرفت عيناك إلا لتذهبي بقلبي كله، كالرجل الذي يأخذ المعلَّى والغريب، وهما من سهام القمار ولهما عشرة أنصباء، والجزور يقسم عشرة أعشار، وهذا مثل ضربه لذهابها بقلبه كله.

(٣) ديوانه عص١٥٥. وقوله: رمتني بسهم، أي: نظرت إليّ نظرة فلم أنتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاهنا: عناها.

(3) شرح القصائد السبع ص٧٠. تمطى: تمدد. جوزه: وسطه. يقال: تمطى الرجل إذا تمدد، أي مد مطاه: أي ظهره: يقول: قلت لليل لما أفرط طوله، وناءت أوائله، وازداتدت أواخرة تطاولاً، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد، والسهر المتولى منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسرور يستقصر ليله.

وقال آخر:

عجبت لها أنى يكبون غناؤها فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فما

فجعل لها غناء وفماً على جهة الاستعارة. والجواب الثاني: أن الله تعالى أنزله مختبراً به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيغ، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاهم بنهر طالوت. والثالث: أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولماتت الخواطر، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم، وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنه يورث البلادة، وفضل الفقر: أنه يبعث على الحيلة، لأنه إذا أحتاج احتال. والرابع: أن أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معاني غامضة، ومسائل دقيقة ليحرجوا بها من يعلمون، ويمرتوهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة (۱)، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي تُلُوبِهِمْ زَيَّةٌ ﴾ في الزيغ قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عباس كالقولين. وقيل: هو الميل عن الهدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن. والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج. والثالث: وفد نجران من النصارى، قاله الربيع. والرابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجُمّل، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ يَنْكُبُهُ مَا تَنْكُبُهُ مِنْهُ قال ابن عباس: يُحيلون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبسون. وقال السدي: يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت؟! وفي المراد بالفتنة هاهنا، ثلاثة أقوال: أخدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إنساد ذات البين، قاله الزجاج. وفي التأويل وجهان: أحدهما: أنه التفسير. والثاني: العاقبة المنتظرة. والراسخ: الثابت، يقال: رسخ يرسخ رسوخاً. وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون، وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ: (ويقول الراسخون في العلم آمنا به) وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبيّ ابن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري: وقراءة عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم) وفي قراءة أيّ، وابن عباس: (ويقول الراسخون) وقد أنزل الله تعالى: ﴿ وَلَمْ إِنَّا عِلْهُمُ اللهُمُن عَلِي الأعراف: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَنِي كُلُك كُيرًا ﴾ [الفرةان: ٢١] فأنزل الله تعالى المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع، واختاره ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقي. قال ابن أنبي نجيح، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد.

﴿ رَبُّنَا لَا ثَيْغَ قُلُوبَنَا بَهَدَ إِذْ هَدَيْنَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَذَكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَابُ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَبَّ فِيمُ إِثَ اللّه لَا يُمُؤلِكُ الْسِيمَادَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُنَا لَا نُوغُ قُلُوبًا﴾ أي يقولون: (ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ هديتنا) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر، والجحدري «لا تَزغْ» يفتح الناء «قُلُوبُنَا» برفع الباء. ولدنك: بمعنى عندك. والوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استثابة، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولداً لعقيم، والله تعالى قادر على أن يهب جميع الأشياء.

⁽١) انظر: امشكل القرآن، ص٦٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَاوًا لَن تُنْفِي عَنْهُمْ أَمْوَلُهُمْ وَلَا ٱلْتَلَهُم مِنْ إِلَهَ شَيْئًا وَأَوْلَتِهِكَ لَهُمْ وَقُودُ ٱلنَّادِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ لَنَ تُشَوِّكَ مَنْهُمْ آمَوْلُهُمْ ﴾ أي: لن تدفع، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده. وقوله تعالى: ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: من عذابه.

﴿ كَنَا أَبِ مَالٍ فِيهَمْوَدُ وَالَّذِينَ مِن تَبْلِهِمْ كَذَهُمُا بِتَايَعْنَا فَأَخَذُهُمُ اللَّهُ بِدُنُومِيمٌ وَاللَّهُ شَدِيدُ ٱلْوِقَابِ ۞ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿كَدَأُبِ اَلِ فِرْعَوْدَ﴾ في الدأب قولان: أحدهما: أنه العادة، فمعناه: كعادة آل فرعون، يريد: كفر اليهود، ككفر من قبلهم، قاله ابن قتيبة، وقال ابن الأنباري: و«الكاف» في «كدأب» متعلقة بفعل مضمر، كأنه قال: كفرت اليهود، ككفر آل فرعون. والثاني: أنه الاجتهاد، فمعناه: أن دأب هؤلاء، وهو اجتهادهم في كفرهم، وتظاهرهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى ﷺ، قاله الزجاج.

﴿ لَكُ لِلَّذِي كِنَوُا سَنُنْتُونِ رَبُعْتُونَ إِنَّ جَهَنَّةً وَيَقْسَ ٱلْمِعَادُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لِلَّذِيكَ كَنَّهُ السَّنَائُوكَ وَتُعْتَرُكَ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر (ستغلبون وتحشرون) بالتاء و(يرونهم) بالياء، وقرأ نافع ثلاثتهن بالتاء، وقرأهن حمزة، والكسائي بالياء. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحلها: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر، همّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا له وقعة أخرى، فلما كانت أحد، شكّوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهداً كان بينهم وبين النبي، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة، فقالوا: تكون كلمتنا واحدة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس (١٠). والثاني: أنها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عباس، والضحاك. والثالث: أن أبا سفيان في جماعة من قومه، جمعوا الرسول الله تشير وقعة بدر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب.

﴿ وَقَدْ كَانَ لَكُمْ مَايَدٌ فِي يَشَتَيْنِ النَّقَتَأُ لِيَقَةً ثَنْتَيْلُ فِ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْدَىٰ كَافِنٌ بَرَوْنَهُم يَغْلَيْهِمْ رَأْمَ الْمَنْيُنِ وَاللَّهُ لِكُونِيهُ يَغْمِيهِ مِن بَكَنَاهُ إِنَّ لِهِ ذَلِكَ لَمِسْمَةً لِأَوْلِي الأَبْعَكِمِ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ حَكَانَ لَكُمْ مَالِهُ فِي فِتَكَيْنُ التَقَتَّ﴾ في المخاطبين بهذا ثلاثة أتوال: أحدها: أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعود، والحسن، والثاني: الكفار، فيكون معطوفاً على الذي قبله، وهو يتخرج على قول ابن عباس الذي ذكرناه آنفاً. والثالث: أنهم اليهود، ذكره الفراء، وابن الأنباري، وابن جرير، فإن قيل: لم قال: ﴿قَدْ صَكَانَ لَكُمْ ﴾ ولم يقل: قد كانت لكم؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن ما ليس بمؤنث حقيقي، يجوز تذكيره، والثاني: أنه ردّ المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ، وأنشدوا:

إن امسرءاً غسره مستحسنٌ واحسلةً بعدي ويتعلك في الدنسا لمغرور

وقد سبق معنى «الآية» و«الفئة»، وكِل مشكل تركت شرحه، فإنك تجده فيما سبق، والمراد بالفئتين: النبي الله وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة. وفي قوله تعالى: ﴿ يَرَفَنَهُم وَمُلْيَهِمُ ﴾ قولان: أحدهما: يرونهم ثلاثة أمثالهم، قاله الفراء، واحتج بأنك إذا قلب: عندي ألف دينار، وأحتاج إلى مثليه، فإنك تحتاج إلى ثلاثة آلافً الأفاني: أن معناه يرونهم ومثلهم، قال الزجاج: وهو الصحيح (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ أي: في رأي العين. قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأيته، يقال: رأيته رأياً،

 ⁽١) رواه الواحد في قاسباب النزول؛ عن الكلبي، عن أبي صالح.

⁽٢) نص كلام الفراء في المعاني القرآنة ١٩٤/١. فإن قلت: فكيف جاز أن يقال: فبثليهم يريد ثلاثة أمثالهم؟ قلت: كما تقول وعندك عبد: أحتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه، وإلى مثله، وتقول: أحتاج إلى مثلي، فهو يحتاج إلى ثلاثة، فلما نوى أن يكون الألف داخلاً في معنى المثل صار المثل اثنين، والمثلان ثلاثة، ومثله في الكلام أن تقول: أراكم مثلكم، كأنك قلت: أراكم ضعفكم، وأراكم ضلكم: يريد ضعفيكم، فهذا على معنى الثلاثة.

 ⁽٣) في القرطبي ٢٦/٤: قال الزجاج: وهذا باب الغلط ما ذهب إليه الفراء - فيه غلط في جميع المقايتس، لأنا إنما نعقل مثل الشيء مساوياً له، فنعقل مثليه ما يساويه مرتين.

وروية. واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال، هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ الْكُمْ عَلَيْ هُم عليه، ثم الفئة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فرأوهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: «ترونهم» بالناء. قال ابن الأنباري: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال القواد، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ لَكُمْ مَايَةٌ ﴾ لأن العرب ترجع من الخطاب بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في «الفاتحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يقال: إن المشركين المنتكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: ﴿ وَلَدْ يُرِيكُوهُمْ إِنِ النَّقَيْتُمْ فِي أَعْدُوكُمْ وَلِيلُكُوهُمْ إِنْ النَّقَيْتُمْ فِي أَعْدُوكُمْ وَلِيلُكُمُوكُمْ إِنْ النَّقَيْتُمْ فِي أَعْدُوكُمْ وَلِيلُكُمُوكُمْ أَوْ النَّقَيْتُمْ فِي أَعْدُوكُمْ وَلِيلُكُمُ فَلِيلًا المسلمين. وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: ﴿ وَلَوْدَيُرِيكُمُوهُمْ إِنْ النَّقَيْتُمْ فِي أَعْدُوكُمْ فَيلًا عَلَى الله المشركين عند بداية القتال على ما هم وَنُعْلَمُ عَلَيلُهُ الله المشركين في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فنصرهم الله بذلك السبب, قال ابن مسعود: نظرنا إلى عليه، ثم قلل الله المشركين في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فنا رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قللوا في أعينا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا منهم رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قلنا وإن قلنا: إن الفئة الرائية المشركون، فإنهم استقلوا المسلمين في حال، فاجترؤوا عليهم، واستكثروهم في حال، فاحترؤوا عليهم، واستكثروهم في حال، فكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ، قالوا للمسلمين: كم كنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائة وثكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين علينا.

قيله تعالى: ﴿وَاللهُ يُوَيِدُ ﴾، أي: يقوي. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ في الإشارة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النصر. والثاني: إلى رؤية الجيش مثليهم. والعبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنه طريق يُعبر به، ويتوصل به إلى المراد. وقيل: العبرة: الآية التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم. والأبصار: العقول والبصائر.

﴿ وَيَنَ لِكَاسِ حُبُّ الشَّهَوَتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُقَطَرَةِ مِنَ النَّهَبِ وَالْفَسَيْرِ وَالْفَسَوْمَةِ وَالْأَنْسَدِ وَالْفَسَاءِ وَالْفَسَامِ وَالْفَالِمِ وَالْفَسَامِ وَالْفَسَامِ وَالْفَسَامِ وَالْفَسَامِ وَالْفَالَمِ وَالْفَسَامِ وَالْفَالَمِ وَالْفَسَامِ وَالْفَسَامِ وَالْفَسَامِ وَالْفَالَمِ وَالْفَالِمِ وَالْفَالِمِ وَالْفَالِمِ وَالْفَالِمِينَ وَالْفَالِمِ وَالْفَالِمِ

قوله تعالى: ﴿ وَنُهِنَ لِلنّاسِ مُنُ النّهَوَتِ ﴾ قرأ أبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي، ومجاهد، وابن محبصن وربع بنتح الزاي همجرً بنصب الباء، وقد سبق في «البقرة» بيان التزيين. والقناطير: جمع قنطار، قال ابن دريد: ليست النون فيه أصلية، وأحسب أنه معرب. واختلف العلماء: هل هو محدود أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه محدود، ثم فيه أحد عشر قولاً: أحدها: أنه ألف ومتنا أوقية، رواه أبي بن كعب عن النبي النبي النبود، والحسن في رواية. والثاني: أنه اثنا عشر ألف أوقية، رواه أبو هريرة عن النبي النبي النبود، والحسن في رواية. والثاني: أنه اثنا عشر أوقية. والثالث: أنه ألف ومتنا دينار، ذكره الحسن، أبي هريرة كالقولين، وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً: اثنا عشر أوقية. والثالث: أنه ألف ومتنا دينار، ذكره الحسن، ورواه العوفي عن ابن عباس، والرابع: أنه اثنا عشر ألف دينار، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول، والذي قبله. والخامس: أنه سبعون ألف دينار، روي عن ابن عمر، ومجاهد. والسامد، قاله ومنا ذهب أو فضة، قاله مبعة آلاف دينار، قاله عطاء. والثامن: ثمانية آلاف مثقال، قاله السدي. والتاسع: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله المبيع. والتاسع: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله الكبير، والعاشر: أنه ملء مسك ثور ذهباً، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة. والحادي عشر: القنطار: رامل من الذهب، أو الفضة، حكاه أبن الأنبازي. والقول الثاني: أن القنطار ليس بمحدود. وقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد، وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

⁽١) وواه الطبري في النفسير؛ وذكره ابن كثير، وقال: وهذا حديث منكر أيتماً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبيّ بن كعب، كغيره من الصحابة.

⁽٢) رواه أحمد في «المسند» وابن ماجه مرفوعاً، ورواه ابن جرير ووكيع موقوفاً. قال ابن كثير: وهذا أصح.

قال ابن الأنباري: قال بعض اللغويين: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمة من المال. وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المضعَّفة، قال ابن عباس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها المحملة، كما تقول: بدرة مبدَّرة، وألف مؤلَّفة، وهذا قول ابن قتيبة. والثالث: أنها المضروبة حتى صارت دنانير ودراهم، قاله السدي. وفي المسومة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال: سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسوَّمة: إذا رعيتها، والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسيَّماء، أي: بالعلامة. والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكي، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، ومجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقر، والغنم، واحدها: نعم، وهو وإما لا واحد له من لفظه. والمآب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

﴿ اللَّهُ الْمُؤْتِثَكُمُ بِغَيْرِ مِن ذَلِحُتُمْ لِلَّذِينَ اتَّفَوَا حِندَ رَبِّهِمْ جَنْتُ تَنْمِى مِن تَمْتِهَا الْأَنْهَادُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَذَيَّ مُطَهَّكَوَّ الْمُؤْتِثُ مِن عَنْهَا الْأَنْهَادُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَذَيَّ مُطَهَّكَوَّ مُعَلِّكُونُ مِن عَنْهَا الْأَنْهَادُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَذَيَّ مُطَهَكُونُ وَمِنْوَتُ مِن اللَّهِ وَاللّهُ بَعِيدِ إِلْهِسِبَادِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنْ الْمَانِينَ كُم بِسَيْرِ مِن ذَلِكُم الله وي عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ الْمَانِينَ مُبُ الشَّهَوَتِ ﴾. قال عمر: يا رب الآن حين زينتها؟! فنزلت: ﴿ أَنْ أَفْيَتُكُم بِخَيْرِ مِن الرضوان، فقرأ الآية أنه خبَّر أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليتركوا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، إلا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعليمي كسر الراء في المائدة في عاصم، ولا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعليمي كسر الراء في المائدة في قوله تعالى: ﴿ مَن الله عنه الله الزجاج: يقال: رضي ومرضاة ورضواناً ورُضواناً. ﴿ وَاللّه المِه الله الله على من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

﴿ اَلَّذِيكَ يَكُولُونَ رَبُّنَا ۚ إِنْنَا ۚ ءَامَكَا فَاغْفِدْ لَنَا دُثُوبَتَا وَقِنَا عَذَابَ النَّادِ ۞ الفَتَكِيرِينَ وَالفَكِيفِكَ وَالْفَنْفِيكَ وَالْسُنَفْدِيكَ وَالْسُنَفْدِيكَ وَالْسُنَفْدِيكَ وَالْسُنَفْدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنْفِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفِيكَ وَالْسُنَفَدِيكَ وَالْسُنَفِيكَ وَلَوْلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلِيكُ وَلَوْلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلَاللَّهُ وَلِيكُ وَلِيلُولِكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ ولِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلِيكُ وَلْمُنْ وَلِيكُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُولُ وَلِيكُولُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُولُولُولُ وَلِيكُولِيكُولُ وَلِيكُولِيكُ وَلِيكُولُولُولُولِيلُولُولِكُولِيكُ وَلِيلُولِيكُولِيلُولُولِيكُولِيكُولُولُولُولُولُولِيلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ وَلِيلُولُولُولُولِيلُولِكُولُولُولُولُولُولُولُولُ

قوله تعالى: ﴿النَّكَيْرِينَ﴾ أي: على طاعة الله على وعن محارمه ﴿وَالنَّكَيْنِينَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَالْفَئِينِينَ﴾ بمعنى المطيعين لله ﴿وَالنَّذِينِينَ﴾ في طاعته. وقال ابن قتيبة: يعني بالنفقة: الصدقة. وفي معنى استغفارهم قولان: أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين (١٠). والثاني: أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل في آخرين. فعلى هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة. فأما السحر، فقال إبراهيم بن السري: السر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنّهم لشدة خوفهم يستغفرون.

﴿ مَنْهِ لَا أَنَهُ لَا إِنَّهَ إِلَّا هُوَ وَالْمُلْتَاجِكُةُ رَأُولُوا الْهِلْمِ قَالِمَنَّا بِالْفِسْطِ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْمَجِبُمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُرٌ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا

⁽۱) ثبت في «الصحيح» وغيرهما من «المسانيد» و«السنن» من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: فينزل لله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستففر قأففر له». وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبرى.

على النبي على النبي الله و مدوناه بالصفة، فقالا: أنت محمد؟ قال: «نعم». قالا: وأحمد؟ قال: «نعم». قالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها، آمنا بك وصدقناك، فقال: «سلاني». فقال: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فنزلت هذه الآية، فأسلما، قاله ابن السائب (١٠). وقال غيره: هذه الآية رد على نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى على وقد سبق ذكر خبرهم في أول السورة. وقال سعيد بن جبير: كان حول الكعبة ثلاثهائة وستون صنما، وكان لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية، خرّت الأصنام سجداً. وفي معنى ﴿شَهِدَ الله وسلان: أحدهما: أنه بمعنى قضى وحكم، قاله مجاهد، والفراء، وأبو عبيدة. والثاني: بمعنى بين، قاله ثعلب والزجاج، قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمات عند خلقه، أنه لا إله إلا هو. وسئل بعض الأعراب: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على الصانع الخبير؟! وقرأ ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وابن السميفع، وعاصم الجحدري (شهداء الله) بضم «الشين» وفتح الهاء والدال» وبهمزة مرفوعة بعد المد، وخفض «الهاء» من اسم الله تعالى: ﴿فَآيَتُم اللهاء الله الله الهاء والدال» وبهمزة مرفوعة بعد المد، وخفض «الهاء» من اسم الله تعالى: ﴿فَآيَتُم اللهاء الله اللهاء والدال» وبهمزة مرفوعة بعد المد، وخفض «الهاء» من اسم الله تعالى: ﴿فَآيَتُم الله على قولوا: لا إله إلا هو.

﴿إِنَّ الَذِينَ عِسْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَسْدِ مَا كَانَهُمُمُ الْوَلَمُ بَشْيَا بَيْنَهُمُ ۚ وَمَن يَكُمُرُ يَايَاتِ اللَّهِ فَإِنْ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَادِ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللِّيكِ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ الجمهور على كسر (إنه إلا الكسائي، فإنه فتح (الألف، وهي قراءة ابن مسعود، وابن عباس، وأبي رزين، وأبي العالمية، وقتادة. قال أبو سليمان اللمشقي: لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من النصرانية، نزلت هذه الآية. قال الزجاج: الدين: اسم أفضل من اليهودية، وادعت النصاري أنه لا دين أفضل من النصرانية، وبه يجزيهم، وقال شيخنا علي بن عبيد الله: لجميع ما تعبد الله به خلقه، وأمرهم بالإقامة عليه، وأن يكون عادتهم، وبه يجزيهم، وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الدين: ما التزمه العبد لله على قال ابن قتيبة: والإسلام الدخول في السلم، أي: في الانقياد والمتابعة، ومثله الاستسلام، يقال: سلم فلان لأمرك، واستسلم، وأسلم، كما تقول: اشتى الرجل، أي: دخل في الشتاء، وأربع: دخل في الربيع. والثاني: أنهم النهود والنصاري، قاله ابن السائب. وقيل: الكتاب هاهنا: اسم جنس بمعنى محمد بن جعفر بن الزبير. والثالث: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن السائب. وقيل: الكتاب هاهنا: اسم جنس بمعنى الكتب. وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوال: أحدها: دينهم. والثاني: أمر عيسى. والثالث: دين الإسلام، وقد عرفوا صفته. والرابع: بوة محمد على وقد عرفوا صفته.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَمْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْوِلْمُ ﴾ أي: الإيضاح لما اختلفوا فيه ﴿بَنْيًا بَيْنَهُمُ ﴾قال الزجاج: معناه: اختلفوا للبغي، لا لقصد البرهان، وقد ذكرنا في «البقرة» معنى: سريع الحساب.

﴿ فَإِنْ عَنْجُولَا فَقُلْ اَسْلَتُ وَجْهِى لِلَهِ وَمَنِ النَّبَعُ وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ وَالْأَيْتِينَ ءَاسْلَتُكُمُّ فَإِنْ اَسْلَمُوا فَقَدِ الْعَسَدَةُ وَإِن تَوَلَّوا مَا لِكُمَا عَلِيْكَ الْبَلَثُةُ وَاللّٰهِ بَعِيدًا بِالْفِيهِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَابُولَهُ أَي: جادلوك، وخاصموك. قال مقاتل: يعني اليهود، وقال ابن جرير: يعني نصارى نجران في أمر عيسى، وقال غيرهما: اليهود والنصارى. ﴿ فَتُلّ أَسَّلَتُ وَجَهِىَ لِللَّهِ قال الفراء: معناه: أخلصت عملي، وقال الزجاج: قصدت بعبادتي إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ اَتَّبَعَنُ ﴾ أثبت الياء في الوصل دون الوقف أهل المدينة والبصرة، وابن شنبوذ عن قنبل، ووقف ابن شنبوذ ويعقوب بياء. قال الزجاج: والأحب إليَّ اتباع المصحف. وما حذف من الياءات في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنُ ﴾ و﴿ لَهِنَ أَخَرَتَنِ ﴾ و﴿ رَقِتَ أَكْرَمُنِ ﴾ و﴿رَقِ أَهُنَنِ ﴾ . فهو على ضربين: أحدهما: ما كان مع النون، فإن كان رأس آية، فأهل اللغة يجيزون حذف الياء، ويسمون أواخر الآي الفواصل كما أجازوا ذلك في الشعر.

⁽١) رواه الواحدي في فأسباب النزول؛ يدون سند عن أبن السائب الكلبي.

قال الأغشى:..

ومسن شسانسي كسياسسف بسيالسه إذا منا انستسسيست لسه أنسكسرن وهسل يسمشعشي ارتسيادي السيسلا المناف المساوت أن يسأتسيسن (١١)

فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية، فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد أيضاً، خاصة مع النونات، لأن أصل «اتبعني» «اتبعي» ولكن «النون» زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء، فأما إذا لم تكن النون، نحو غلامي وصاحبي، فالأجود إثباتها، وحذفها عند عدم النون جائز على قلته، تقول: هذا غلام، قد جاء غلامي، وغلامي بفتح الياء وإسكانها، فجاز الحذف، لأن الكسرة تدل عليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يريد-اليهود النصارى ﴿وَالْأَيْتِينَ ﴾ بمعنى مشركي العرب، وقد سبق في البقرة شِرح هذا الاسم.

قوله تعالى: ﴿ءَاسْلَمْتُدُّ﴾ قال الفراء: هو استفهام ومعناه الأمر(٢٠)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنَّمُ شُنهُونَ﴾. [المائدة: ٩٦].

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، وأن المراد بها تسكين نفس النبي على عند امتناع من لم يجبه، لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة. وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاقتصار على التبليغ، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿إِذَ الَّذِينَ يَكَثَرُونَ بِنَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ مِنْدِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ بَأْشُونَ وَالْمَانِ وَالْمَانِينَ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى ا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَكُنُرُكُ وَايَتِ اللَّهِ قال أبو سليمان الدمشقي: عنى بذلك اليهود والنصارى. قال ابن عباس: والمراد بآيات الله محمد والقرآن. وقد تقدم في «البقرة» شرح قتلهم الأنبياء، والقسط، والعدل. وقرأ الجمهور: ﴿وَيَقْنُلُوكَ اللَّذِيكَ يَأْمُرُوكَ بِالْقِسْدِ ﴾ وقرأ حمزة «ويقاتلون» بألف. وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي الله قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً في آخر النهار، فهم اللين ذكرهم الله في كتابه (٣) وأنزل الآية فيهم الله ويخ بهذا اليهود الذين كانوا في زمن النبي الله الأنهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم ﴿ تَبَرِّمُ مَا مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَالْمُعْلَى وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَ

﴿ أَلَّوْ تَرَ إِلَى النَّيْكِ أُرْتُواْ نَسِيبًا ثِنَ الْسَجِتَابِ يُنْقُونَ إِلَى كِتَبِ اللّهِ لِيَعْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّا فَرِينٌ مِنْهُمْ وَفُم مُمْرِشُونَ ﴿ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحلها: أن النبي ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم: على أي دين أنت؟ فقال: على ملة إبراهيم. قالا: فإنه كان يهودياً. قال: فهلموا إلى التوراة، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس (١٠). والثاني: أن رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلى النبي ﷺ رجاء أن يكون عنده

⁽١) الديوان ص١٩، ورواية صدر البيت الأول فيه: ومن شأنئ كاسف وجهه. والشانئ: السغض. والكاسف الوجه: العابس المتغير.

٢) قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية وأمثالها من أصح الدلالات على عموم بعثت 義 إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَايُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْسَكُمْ يَمِيسًا﴾ [الأعرف: ٥٥] وقال تعالى: ﴿تَالَهُ اللَّهِى ثَلَ اللَّرُونَ مَلَ عَبْدِهِ لِكُمْ اللَّهُ المَعْدة أنه بعث كتبه 難 يدهو إلى الله ملوك الآفاق، وطوائف بني آدم، من عربهم وعجمهم، كتابيهم وأميهم، امتثالاً لأمر الله بذلك. وعن إبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ووالذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار، رواه مسلم. وقال ﷺ: فبعثت إلى الأحمر والأصود، وواه أحمد في «الرسند» من حديث أي موسى الأشعري، ورواه أيضاً من حديث أي ذر.

⁽٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وفي سنده أبو الحسن مولى من بني أسد، وقد قال الحافظ في اللسان، مجهول.

⁽٤) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير.

رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقالوا: جرَّت علينا يا محمد، ليس علينا الرجم. فقال: بيني وبينكم التوراة، فجاء ابن صوريا، فقرأ من التوراة، فلما أتى على آية الرجم، وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديِّين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس(١). والثالث: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفى: هلم نحاكمك إلى الأحبار. فقال: بل إلى كتاب الله، فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في جماعة من اليهود، دعاهم المنبي ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نحن أحق بالهدى منك، وما أرسل الله نبياً إلا من بني إسوائيل. قال: فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها أني نبي، فأبوا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان. فأما التفسير، فالنصيب الذين أوتوه: العلم الذي علموه من التوراة. وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التوراة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهورقول الحسن، وقتادة. وفي الذين أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال: أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقنادة. وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال. أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: حد الزني. رويا عن ابن عباس. والثالث: صحة دين الإسلام، قاله السدي. والرابع: صحة نبوة محمد ﷺ، قاله مقاتل. فإن قيل: التولى هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: التأكيد. والثاني: أن يكون المعنى: يتولون عن الداعي، ويعرضون عما دعا إليه. والثالث: يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم. والرابع: أن يكون الذين تولوا علماءهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابن الأنباري.

﴿ وَهِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوا لَنَ تَمْتَكَنَا النَّالُ إِلَّا أَيَّامًا تَمْدُونَاتُو رَفَرُهُمْ فِي بِيبِهِ مَّا كَانُوا يَفْتَرُف ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوّا ﴾ يعني: الذي حملهم على التولي والإعراض أنهم قالوا: ﴿ لَنَ تَمَتَكَنَا النَّارُ إِلّآ أَيَامًا مُمْدُونَاتُو ﴾ وقد ذكرناها في «البقرة». و﴿ يُفَتَّرُونَ ﴾: يختلقون. وفي الذي اختلقوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، قاله مجاهد، والزجاج. والثاني: قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قاله قتادة، ومقاتل

﴿ لَكَيْنَ إِذَا جَمَعْتُهُمْ لِيَوْرِ لَا رَبِّ نِيهِ وَقُلِيَتْ كُلُّ نَشِ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُطْلَعُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَكُنَّكُ إِذَا جَمَنَتُهُمْ ﴾ معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿ لِيُوْمِ ﴾ أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم. وقيل: «اللام» بمعنى: «في».

﴿ فَلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ النَّلُكِ ثُوْقِ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَهَزُّعُ النَّلْكَ مِمَّن نَشَاةً وَتُعِزُّ مَن نَشَاءُ وَتُدِولُ مَن نَشَاةً مِيدِكَ الْغَيْرُ إِلَّكَ عَلَى كُلُ مَن وَشَاءً مِيدِكَ الْغَيْرُ إِلَّكَ عَلَى كُلُ مَن وَشَاءً مِن النَّالِ الْعَيْرُ اللَّهِ عَلَى الْعَيْرُ اللَّهُ عَلَى عَلَى الْعَيْرُ اللَّهُ عَلَى عَلَى الْعَيْرُ اللَّهُ عَلَى عَلَى الْعَيْرُ اللَّهِ عَلَى الْعَيْرُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلّ

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ النَّالِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك. والثاني: أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية، حكاه قتادة (٢٠). والثالث: أن اليهود قالوا: والله لا نطبع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما التفسير، فقال الزجاج: قال: الخليل، وسيويه، وجميع التحويين الموثوق بعلمهم: «اللهم» بمعنى «ياالله»، و«المبم» المشددة

⁽۱) جاء في «الصحيحين» وفي «سنن أبي داود» واللفظ له عن ابن عمر أنه قال: إن اليهود جاؤوا إلى النبي على فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقاًل لهم رسول على قد التجدون في التوزاة في شأن الزني» وققالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة، فنشروها، فجعل أحدهم يده على آية الرجم، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفعها، فإذا فيها آية الرجم، فقام بهما رسول الله في فرجما. فهذا الحديث الصحيح ليس فيه أن هذه القصة سبب لنزول الآية. وأثر المصنف رحمه الله إنما هو من رواية الكلبي عن أبي صالح. والكلبي هذا هو محمد بن السائب وقد اتفق العلماء على عدم الاحتجاج به، بل بعضهم نسبه إلى الكذب، وقال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى عن سفيان، قال لي الكلبي: كلما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب.

⁽٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا...

زيدت عوضاً من «يا»، لأنهم لم يجدوا «يا» مع هذه «الميم» في كلمة، ووجدوا اسم الله على مستعملاً بـ «يا» إذا لم تذكر الميم، فعلموا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها والضمة التي في «الهاء» هي ضمة الاسم المنادى المفرد. قال أبو سليمان الخطابي: ومعنى «مالك الملك»: أنه بيده، يؤتيه من يشاء، قال: وقد يكون معناه: مالك الملوك، ويحتمل أن يكن معناه: وارث الملك يوم لا يدعيه مدّع، كقوله تعالى: ﴿ آلَمُكُ يُومَهِدُ ٱلْمَثُولِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ يوم لا يدعيه مدّع، كقوله تعالى: ﴿ آلَمُكُ يُومَهِدُ ٱلْمَثُولِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿ ثُوَّقِ النَّلُكَ مَن تَشَامَهُ في هذا الملك قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن جبير، ومجاهد. والثاني: أنه المال، والعبيد، والحفدة، ذكره الزجاج. وقال مقاتل: ﴿ ثُوَّقِ اَلْمُلْكَ مَن تَشَامُ ﴾ يعني محمداً وأمته، وتنزع الملك ممن تشاء، يعني فارس والروم. ﴿ وَتُوتُ مَن تَشَامُ ﴾ محمداً وأمته ﴿ وَتُلِلُ مَن تَشَامُ ﴾ فارس والروم. وبماذا يكون هذا العز والذل؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: العز بالنصر، والذل بالقهر، والثاني: العز بالغنى، والذل بالفقر، والثالث: العز بالطاعة، والذل بالمعصية.

قوله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ قال ابن عباس: يعني النصر والغنيمة، وقيل: معناه بيدك الخير والشر، فاكتفى بأحدهما، لأنه المرغوب فيه.

﴿ ثُولِجُ النَّهَارِ وَقُلِجُ النَّهَارَ فِي النَّبَلِّ وَتُغْرِجُ الْعَمَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُغْرِجُ الْمَيّتِ وَتُغْرِجُ الْمَيّتِ وَتُغْرِجُ الْمَيّتِ وَتُغْرِجُ الْمَيّتِ وَتُغْرِجُ الْمَيّةِ وَقَالَ ابن عباس، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر. قال الزجاج: يقال: ولج الشيء يلج ولوجاً وولجاً وولجة.

ومسنسهسل فبيسه السغبراب مسيستُ فهذا قد مات. وقال آخر:

لسيسس مَسن مسات فساستسراح بسمسيست

سَفَّيتُ مِنه النقومَ استقيت

إنسما السمَنِيتُ مَنِيتُ الأحسِساء(١)

فخفف ما مات، وشدد ما لم يمت. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيْتُ وَلَيْمُ مَيْتُونَ ﴿ الزمر: ٢٠] ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخراج الإنسان حياً من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة، وإخراج البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور. والشاتي: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحيّة من بالإيمان، ووي نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحيّة من الخية، والنواة الميّتة، والنواة الميّتة من النخلة الحيّة، قاله السدي. وقال الزجاج: يخرج النبات الحي من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي.

قوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: بغير تقتير. قال الزجاج: يقال للذي ينفق موسعاً: فلان ينفق بغير حساب، كأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً.

⁽١) البيت نسبة في «اللسان» لعدي ابن الرحلاء وبعده:

إنسما السمسيت مسن يسعسيسش شسقسياً إنسانساس يسمسيقس شسون إسسماداً

كسامسقساً بسالسه قسلسيسل السرجساء وأنسناس حسلسوقسهسم قسي السمساء

﴿ لَ يَتَخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَنْفِرِينَ أَوْلِيكَةَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينُّ وَمَن يَفْصَلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي فَنْهُ إِلَّا أَن تَسَغَّواْ مِنْهُمْ ثَقَنَاةً وَيُعَذِّرُكُمُ اللَّهُ تَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَسِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿لا يَتَغِذِ اللّهِمُونَ الْكَنْفِينَ آولِيكَة﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحلها: أن عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ، وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي على فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من اليهود، كانوا يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله على عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، وابن حيان. فأما التفسير، فقال الزجاج: معنى قوله تعالى: ﴿ مِن دُونِ ٱلنُومُنِينَ ﴾ أي: لا يجعل المؤمن المكان، وابن حيان. كما تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال في المكان. ومعنى ﴿ فَلْيَسُ مِنِ كَافَو فِي المكان، والخسة كالاستفال في المكان، ومعنى ﴿ فَلْ السَّرَا فِي المكان، والخسة عنه المكان، والخسة عنه المنال في المكان، ومعنى وقبله بيء منه عنه المنال في المكان. ومعنى ﴿ فَلْهَنُ مِن كُلُولُ اللهُ بريء منه .

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَكَنَّفُوا مِنْهُمْ تُقَافُّهُ قرأ يعقوب، والمفضل عن عاصم ^وتَقيَّةً، بفتح التاء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مُصانعة في الدنيا. قال أبو العالية: التقاة باللسان، لا بالعمل.

فصل

والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد ـ وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ ـ قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَصَّرِكُ النحل: ١٠٦]، إن شاء الله.

﴿ فَلُ إِن تُخَفُواْ مَا فِي مُدُورِكُمْ أَزْ تَبُدُوهُ بِهَلَنَهُ اللَّهُ وَيَشْلَمُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى حُدُلِ شَوْرٍ قَدِيلٌ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَلُ إِن تُخْفُواْ مَا فِي مُدُورِكُمْ أَزْ تُبْدُوهُ﴾ قال ابن عباس: يعني اتخاذ الكافرين أولياء.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتُ مِنْ خَبْرٍ تُحْمَنَدُّا وَمَا عَمِلَتْ مِن شُوَّهِ قَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥ أَمَدًا بَصِيدًا ۚ وَيُخَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ وَاللَّهُ رَهُوكًا بِالْسِبَادِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَشِ مَّا عَبِلَتَ مِنْ خَيْرٍ مُتَمَكِّكُ قال الزجاج: نصب «اليوم» بقوله: ﴿ وَيُعَذِّرُكُمُ اللهُ لَمُ اللهُ الْمُصير، والتقدير: وإلى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن يكون متعلقاً بالمصير، والتقدير: وأن يكون متعلقاً بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم تجد. وفي كيفية وجود العمل وجهان: أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح:

رِ ومُسودٍ إذا أنسة منطسين أمسدُه (١)

كلُّ حيُّ مُستَكَمَّلٌ عِدةَ العمر

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُجُرُنَ اللَّهَ قَاتَبِعُونِ يُعْيِبَكُمُ اللَّهُ وُنِيْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَنُولٌ رَّحِيثُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُر تُعِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّيْعُونِي يُعْيِبَكُمُ اللَّهَ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ وقف

كــل حــي مــــــــكــمــل عــدة الــعــمـــ يريد أن المرء هالك إذا انقضى عدد أيامه وأكله في هذه الحياة الدنيا.

⁽۱) فديوانه؛ ۱۱۲ وروايته فيه:

على قريش، وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها، فقال: إلى امعشر قريش: لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم، فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حباً لله، ليقربونا إلى الله زلفى. فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس (١٠٠٠. والثاني: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحبًاؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النبي على عليهم، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن ناساً قالوا: إنّا لنحب ربنا حبّاً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل هذه الآية، قاله الحسن، وابن جريج، والرابع: أن نصارى نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حباً لله، وتعظيماً له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره أبو سلميان الدمشقي.

﴿ فَلَ أَطِيعُوا اللَّهُ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلكَفِيهِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلُ أَطِيمُوا الله وَالرَّمُوكَ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي على دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبّاً لله مما تدعونا إليه، فنزلت: ﴿ فُلُو إِن كُنتُر تُربُّونَ الله ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿ إِنَّ اللَّهُ آمْمُ الذَّهُ مَا وَمُوكُمُ وَمَالَ إِشْرَاهِيمَ وَمَالَ عِمْرَنَ مَلَ ٱلْمُنْكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَ اللَّهُ اسْتَلَنَّ مَادَمُ﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى، لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عياناً، فنحن نُعاين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، وصِفوة، وصُفوة. وأما آدم فعربي، وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نوح، فأعجمي مُعرب، قال أبو سليمان الدمشقى: اسم نوح: السكن، وإنما صمي نوحاً، لكثرة نوحة. وفي سبب نوحه خمسة أقوال: أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي. والثاني: أنه كان ينوح لمعاصى أهله، وقومه. والثالث: لمراجعته ربه في ولده. والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعبتني يا نوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد الَّل إبراهيم؛ هو نفسه، كقوله: ﴿وَيَقِيَّةٌ يِّسَّا تَــُوكَ عَالَ مُوسَوْلِ وَمَالُ هَسَدُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ذكره بعض أهل التفسير. وفي (عمران) قولان: أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن، ووهب. والثاني: أنه والد موسى، وهارون، قاله مقاتل. وفي «آله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عيسي ﷺ، قاله الحسن. والثاني: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد بدآله؛ نفسه، ذكره بعض المفسرين، وإنما خصّ هؤلاء الذكر، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم. وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد اصطفى دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، والجتاره الفراه، والدمشقى. والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم. والمراد ب «العالمين»: عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

﴿ ذُرِيَّةً بَعْنَهَا مِنْ بَعْنِ ثَالَةً سَمِيمٌ عَلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّةُ مَسْهُمَا مِنْ مَسْرِكُ فَ قال الزجاج: نَصْبُهَا على البدل، والمعنى: اصطفى ذرية بعضها من بعض. قال ابن الأنباري: وإنما قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذرية. وفي معنى هذه البعضية قولان: أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناصُّرِ والذين، لا في التناسل، وهو معنى قول ابن عباس،

 ⁽١) ذكره البواحدي في فأسباب النزول؛ من طريق جوبير، عن الضحاك، عن ابن عباس. وجوبير، هو أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة، راوي التفسير،
 قال الحافظ في فالتقريب: ضعيف جداً.

وقتادة. والثاني: أنه في التسلسل، لأن جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، ذكره بعض أهل التفسير. قال أبو بكر النقاش: ومعنى قوله: ﴿ وَرُبِيَّةٌ بَسْنُهُا مِنْ بَسْوِتُ ﴾ أن الأبناء ذرية للآباء، والآباء ذرية للأبناء، كقوله تعالى: ﴿ حَلْنَا وَرَبَتُهُمْ فِي ٱلنَّمْلِي ٱلسَّمْحُونِ ﴾ آيس: ١٤]، فجعل الآباء ذرية للأبناء، وإنما جاز ذلك، لأن اللرية مأخوذة من: ذرأ الله الخلق، فسمي الولد للوالد ذرية، لأنه ذرئ منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب: ذرية للابن، لأن ابنه ذرئ منه، فالفعل يتصل به من الوجهين، ومثله: ﴿ يُحُونُهُمُ كُمُّتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأضاف الحب إلى الله، والمعنى: كحب المؤمن لله، ومثله ﴿ وَيُلْكِمُونُ ٱللَّهُ مَا الْمَالَ الْحَب لِلطعام.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَاتُ عِمْرَنَ رَبِّ إِنِّ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَعْنِي مُكِّرًا فَتَقَبَّلْ مِنَّ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسِّيعُ ٱلْعَلِيمُ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِذَ قَالَتِ امْرَاتُ عِنْوَنَ ﴾ في فإذه قولان: أحلها: أنها زائدة، واختاره أبو عبيدة، وابن قتية. والثاني: أنها أصل في الكلام، وفيها ثلاثة أقوال: أحلها: أن المعنى: اذكر إذ قالت امرأة عمران، قاله المبرد، والأخفش، والشائي: أن العامل في ﴿إِذْ قَالَتِ امريم، هذا اختيار الزجاج، والثالث: أنها من صلة "سميع" تقديره: والله سميع إذ قالت الملائكة: يا مريم، هذا اختيار الزجاج، والثالث: أنها من صلة "سميع" تقديره: والله سميع إذ قالت، وهذا اختيار ابن جرير الطبوي، قال ابن عباس: واسم امرأة عمران حنة، وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماتان(۱)، وليس: "عمران أبي موسى" ولست هذه مريم أحت موسى. وبين عيسى وموسى ألف وثمانمائة سنة. والمُحَرّر: العنيق، قال ابن قتيبة: يقال: أعتقت الغلام، وحررته: سواء. وأرادت: أي نذرت أن أجعل ما في بطني محرراً من التعبيد للدنيا، ليعبدك. وقال الزجاج: كان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبدهم. وقال ابن إسحاق: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت، فرأت طائراً يطعم فرخاً له، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على شريعتنا، فإنه إذا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته، وأن يعلمه القرآن، والفقه، وعلوم الدين، صحيع في طبع النذر،

﴿ لَمُنَا وَمُعَتْبًا قَالَتْ رَبُ إِنِّ وَمُعَمُّنَا أَنَىٰ وَاللَّهُ أَعَارُ بِمَا وَمُعَمَّتُ وَلِيْسَ الذَّكِ كَالْأَنَانَى وَإِنِّي سَنَيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِلَكَ وَلَاّتِيتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَغَارُ بِمَا وَضَمَتُ ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم إلا حفصاً ويعقوب قبِمَا وَضَعْتُ بإسكان العين، وضم الناء. وقرأ الباقون بفتح العين، فيكون في الكلام وضم الناء. وقرأ الباقون بفتح العين، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت. ومن قرأ بضم الناء، فهو كلام متصل من كلام أمّ مريم.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيْسَ الدَّكِرَ كَالْأَنْيُ ﴾ من تمام اعتذارها، ومعناه: لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر، من خدمته المسجد، والإقامة فيه، لما يلحق الأنثى من الحيض والنفاس. قال السدي: ظنت أن ما في بطنها غلام، فلما وضعت جارية، اعتذرت. ومريم: اسم أعجمي. وفي الرجيم قولان: أحدهما: الملعون، قاله قتادة. والثاني: أنه المرجوم بالحجارة، كما تقول: قتيل بمعنى مقتول، قاله أبو عبيدة، فعلى هذا سُمْي رجيماً، لأنه يرمى بالنجوم.

﴿ فَنَقَبَلُهَا رَبُهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَلْبَقَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكُفَّلُهَا ذَكِيَّا كُلّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيَّا ٱلْمِيتَوَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزَقًا قَالَ يَمَرْيَمُ أَنَّ لَلَّفِ هَانَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّا ٱللَّهَ يَزْقُ مَن يَشَاتُه بِغَيْرٍ حِسَابٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبُّكُمَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنِ ﴾ قرأ مجاهد (فتقبُّلها) بسكون اللام (ربَّها) بنصب الباء (وأنبِتُها) بكسر الباء وسكون الناء على معنى الدعاء قال الزجاج: الأصل في العربية: فتقبُّلها بتقبُّل حسن، ولكن «قبول» محمول على قبلها

⁽١) في «الطبري» عمران بن ياشهم.

قبولاً يقال: قبلت الشيء قَبُولاً، ويجوز قُبولاً: إذا رضيته. ﴿وَأَنْبَتُهَا نَهَاتًا حَسَنَا﴾، أي: جعل نشوءها نشوءاً حسنا، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أنبت، على معنى: نبتت نباتاً حسناً. وقال ابن الأنباري: لما كان «أنبت» يدل على «نبت» حمل الفعل على المعنى، فكأنه قال: وأنبتها، فنبتت هي نباتاً حسناً. قال امرؤ القيس:

فيصرنا إلى الحسنى ورقّ كلأمنا ورضتُ فنلَّت صعبةٌ أيَّ إذلال(١١)

أراد: أي رياضة، فلما دل «رضت» على «أذللت» حمله على المعنى. وللمفسرين في معنى النبات الحسن، قولان. أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، والثاني: أنه ترك الخطايا. قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلْلُهُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: اوكفلها ، بفتح الفاء خفيفة، والإكرياء ، مرفع ممدود. وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء و نصب الإكرياء ، وكان يمد الكرياء في كل القرآن في رواية أبي بكر. وروى حفص عن عاصم: تشديد الفاء و لاكريا ، مقصورة في كل القرآن. وكان حمزة والكسائي بشددان و كفلها ، ويقصران الزكريا ، في كل القرآن. فأما الإكريا ، فقال الفراء: فيه ثلاث لغات: أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء ، مقصور ، وزكريا ، ممدود ، وأهل نجد يقولون: زكري ، فيجرونه ، ويلقون الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي ، عن ابن دريد ، قال: زكريا اسم أعجمي ، يقال: زكري ، وزكرياء ممدود ، وزكريا مقصور . وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء ، فمن قال: زكريان ، ومن قال: زكريا بتخفيف الياء ، قال في التثنية : زكريان ، ومن قال: زكريا بالقصر ، قال في التثنية : زكريان ، ومن قال: زكري بتخفيف الياء ، قال في التثنية : زكريان - بطرح الياء .

الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السدي: انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيهم يومئذ: أنا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها. قال ابن عباس: كانوا سبعة وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن صعد قلمه مغالباً للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمصاعدة قلمه، وعلى قول السدي بوقوفه في جزيان الماء. وقال مقاتل: كان يغلق عليه الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحداً، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى، فإذا طهرت، ردها إلى بيت المقدس. والأكثرون على أنه كفلها عند طفولتها بغير قرعة، لأجل أن أمها ماتت، وكانت خالتها عنده، فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك بمدة، لأجل سنة أصابتهم، فقال عمد بن إسحاق: كفلها زكريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن محمد بن إسحاق: كفلها ركريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى اقترعوا، فخرج السهم على جريج النجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها باليسير، فينمي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قدر نفقة جريج؟ فمن أين هذا؟ قالت: هو من عند الله. والصحيح ما عليه وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها. فأما المحراب، فقال أبو عبيدة: المحراب سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد. وقال الأصمعي: المحراب هاهنا: الغرفة. وقال الزجاج: المحراب في اللغة: الموضع العالى الشريف.

 ⁽١) الديوانه؛ ص٣٦. وصرنا إلى الحسنى. أي: لما نحب من الأمور. ورق كلامنا: أي: صرنا إلى الصبا وجد اللعب واللهو والغزل، فلم نرفع أصواتنا
 لئلا يشعر بنا. ورضت فذلت: بعد امتناع وصعوبة. والمعنى: ليتها بالكلام والمداراة، كما يراض البعير بالسير حتى يذل. وقوله: أيّ إذلال، محمول على: رضت، لأن معناه: أذللت.

قال الشاعر:

ربَّةُ محمراب إذا جستسها لم القها أو أرتقي سلما(١)

قوله تعالى: ﴿وَبَعَدَ عِندَهَا رِزَقًا ﴾ قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهذا قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَكِ هَذَا ﴾ أي: من أين؟ قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسن: لم ترتضع ثدياً قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة. وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئراً، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنى لك هذا؟ لاستكثار ما يرى عندها. وما عليه الجمهور أصح. والحساب في اللغة: التقتير والتضييق.

﴿ هُمَنَالِكَ دَعَا زَكَرِنَا رَبَّتُهُمْ قَالَ رَبِّ هَمْ لِي مِن لَدُنكَ ذُبِيَّةً لِمُبْرَبِّةٌ إِنْكَ سَمِيعُ ٱلنُّعَلَّو ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مُنَالِكَ دَعَا رَكَوْرَا رَبَّهُ ﴾ قال المفسرون: لما عاين زكريا هذه الآية العجيبة من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على الكبر. و﴿ يَ لَدُنكَ ﴾ بمعنى: من عندك. والذرية، تقال للجمع، وتقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد، قال الفراء: وإنما قال طيبة، لتأنيث الذرية، والمراد بالطيبة: النقيّة الصالحة. والسميع: بمعنى السامع. وقيل: أراد مجيب الدعاء.

﴿فَنَادَتُهُ ٱلْمَلَتِهِكَةُ وَهُوَ قَالَهِمٌ يُمَكِلِي فِي ٱلْمِيْمَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَقِّرُكَ بِيَحْيَن مُصَدِّقًا بِكُلِيكِةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَنِيدًا وَحَصُونًا وَنَبِيتًا مِنَ السَمَالِحِينَ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتُهُ ٱلْمَلَتِكُهُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر: «فنادته بالتاء، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿فناداه بألف ممالة، قال أبو علي: هو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ آيوسف: ١٠]. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس: «فناداه» بألف. وفي الملائكة قولان: أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: أنهم جماعة من الملائكة، وهو مذهب قوم، منهم ابن جرير الطبري. وفي المحراب قولان: أحدهما: أنه المسجد. والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال: أحدها: لانفراد الإمام فيه، ويُعده من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشيطان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهُ يُبَوِّرُكَ بِيَعَىٰ﴾ قرأ الأكثرون بفتح الألف على معنى: فنادته الملاكة بأن الله، فلما حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بكسر "إِنَّ فأضمر القول. والتقدير: فنادته، فقالت: إن الله يبشرك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: يبشرك بضم الياء: وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في ﴿حدَ ۞ عَسَقَ ۞﴾: ﴿يُبَيِّرُ اللهُ عِبَادَهُ ﴾ الشررى: ٢٢] فإنهما فتحا الياء وضما الشين، وخففاها. فأما نافع، وابن عامر، وعاصم، فشددا كل القرآن. وقرأ حمزة: (يبشر، خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿فَيَدَ تُبُشِّرُونَ﴾ المحجر: ١٥٤. وقرأ الكسائي ويبشر، مخففة في خمسة مواضع، في (آل عمران) في قصة زكرياء، وقصة مريم، في (بني إسرائيل)، وفي الكسائي ويبشرك، بفتح الباء وتشديد الشين. والثاني: «يبشرك» بإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد والثاني: «يبشرك» بضم الياء وإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد وهيشرك، بضم الياء وإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد وبشر الرجل أبشُرُه،: إذا أفرحته، وبشر الرجل يبشر: إذا فرح.

⁽١) البيت لوضاح اليمن، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل، وهو من قصيدة أثبتها صاحب «الأغاني» ٢٢٣/٦.

وأنشد الأخفش والكسائي:

وإذا لقيت الباهشين إلى العلبي فأعنهم وابشروا به

غُسنسراً أكفُسهم بسقاع مُسمحل في وإذا مُسم نسزلوا بسفسنيك فسإنسزل(١)

فهذا على بشر يبشَر: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: يلقاني ببشرٍ. أي: بوجهِ منبسط، وفي معنى تسميته "يحيى" خمسة أقوال: أحلها: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه، قاله ابن عباس. والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، قاله قتادة. والثالث: لأنه أحياه بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل. والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها، قاله الزجاج. والخامس: لأن الله أحياه بالطاعة، فلم يعص، ولم يُهمَّ، قاله الحسن بن الفضل. وفي «الكلمة» قولان: أحدهما: أنها عيسى، وسمى كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن، وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدّي، ومقاتل. وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. ووجهه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة. وفي معنى السيد ثمانية أقوال: أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والربيع، ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير. والسادس: أنه الحَسَن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير. فأما «الحصور» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على انعولُ بمعنى المفعول!: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب. واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال: أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحبى بن زكرياً، قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يَدُه إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: (وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصوراً (٢) وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة. والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النشاء، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. والرابع: أنه كانَ يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

> قوله تعالى: ﴿وَنَبِينًا مِنَ الصَّلِحِينَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحي الحال عند الله. ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ لِي غُلَنَمُ وَقَدْ بَلَغَنِي ٱلْكِبُرُ وَآمْرَأَقِ عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْمَـٰلُ مَا يَشَآهُ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ لِي غُلَنَهُ﴾ أي: كيف يكون؟!.

> > قال الكميت:

أتَّسسى ومسسن أيسسنَ آبُسسكَ السسطسرب(٢)

⁽۱) البيتان لعبد قيس بن خفاف البرجمي من قصيدة حكمية أثبتها صاحب «الأصمعيات» رقم ۸۷» و «المفضليات» رقم ۱۱۲، بهش إلى الشيء: قرح به فاسرع إليه. القاع: أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجيال والأكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر. الممحل: المجدب. يقول: إذا رأيت الكرام الأسخياء، قد أجهدتهم السنّة، والقحط، والجلب، حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس فأعتهم. وأبشر من: بشر على وزن فرح يبشر، يقال: أثاني أمر بشرت به، أي: سررت به. يقول: شاركهم في ارتباحهم، وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة. الضيق، يقول: كن مع الكرام حيث كانوا، وأنزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم، من ضنك، وحاجة.

 ⁽٢) رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوقاً، ووصف ابن كثير المرفوع بأنه غريب جداً، وقال: الموقوف أصح إسناداً من المرفوع،
 وكذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» المرفوع والموقوف، وقال: الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع.

 ⁽٣) تمامه: من حيث لا صبوة ولا ريب. وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله ﷺ. آبك: جاءك وغشيك، وهو قعل ماض من الأوب. الطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. الصبا: الصبي والشوق. الريب: جمع ريبة، وهي الشبهة. يقول: كيف طريت مع أثبر سنك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبوة للفرح، والريب للحزن.

قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان: كأنه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العقر عن زوجتي، ورد شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك. قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلوميَّة، وبين الغلوميَّة، وبين الغلومة. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من الغُلمة، وهي شدة شهوة النكاح. ويقال للكهل: غلام.

قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج:

غلام إذا هزَّ القناة سقاها(۱)

وكأن قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلاماً. وقولهم للطفل: غلام على معنى التفاؤل، أي: سيصير غلاماً. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية غلامة. قال الشاعر:

يهان لنها الخلامة والخلام

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَنَنَى الْكِبُرُ ﴾ أي: وقد بلغت الكبر، قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك. وفي سنة يؤمثذ سبة أقوال: أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة. والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل. والرابع: ابن سبعين، حكاه فضيل بن غزوان. والخامس: ابن خمس وستين. والسادس: ابن ستين، حكاهما الزجاج. قال اللغويون: والعاقر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد، وإنما قال: (عاقر»، ولم يقل: عاقرة، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار، فأجري مجرى (طالق) و(حائض) هذا قول الفراء.

﴿ وَالْ رَبِّ اَجْمَل لِنَ مَايَةٌ قَالَ مَايَئُكُ أَلَا تُحَكِير النَّاسَ ثَلَانَةً أَيَامٍ إِلّا رَمْزُا وَالْذَى وَسَبْحَ بِالْمَشِي وَالْإِنكُو ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَسَيَحْ ﴾ قال مقاتل: صل. قال الزجاج: يقال: فرغت من سُبحتي، أي: من صلاتي. وسمّيت الصلاة تسبيحاً، لأن التسبيح تعظيم الله، وتبرئته من السوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من السوء.

قوله تعالى: ﴿ إِلْمَشِيَّ ﴾ العشي: من حين بزول الشمس إلى آخر النهار ﴿ وَٱلْإِنْكُو ﴾: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى: قال الشاعر:

فلا الظلُّ في بَردِ الضّحى تستطيعه ولا النفيء من بردِ الشعبيّ يندوق^(٣) قال الزجاج: يقال: أبكر الرجل يبكر إبكاراً، وبكر يبكر تبكيراً، وبكر يبكر؛ في كل شيء تقدم فيه.

إذا مبط الحجاج أرضاً مريضة تتبنع أقصي دائها فيشفاها

ومُسركسضة صسريسحسيُّ أبسوهسا

⁽١) الأمالي ١/٨٦: وصدره: شفاها من الداء العضال الذي بها. وقبله:

⁽٢) هو عجز بيت من قصيلة ألوس بن غلفاء الهجيمي، وصدره:

 ⁽٣) البيت لحميد بن ثور الهلالي: الديوان ص٣٣. وهو من قصيدته الغزلية الجيدة التي قالها لما تقدم عمر بن الخطاب رهم إلى الشعراء: ألا يشبب أحد بامرأة إلا جلده، فخرج من عقوية عمر بأن ذكر «سرحة» وسماها سرحة ملك. ورواية البيت في الديوان:
 فـــلا السظلل مستهما بسالسفحى تسميت طبيعه
 ولا السفلل مستهما بسالسعسمي تسذوق

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمُلَتِّكُ مُ يُمْرِيُّمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱمْمَطَفَلِكِ وَطَهَّرَكِ وَأَمْطَفَلِكِ عَلَى نِسَآءِ ٱلْمُكَلِمِينَ ﴿ ﴾

﴿ يَنْمُرْيَدُ ٱمُّنَّتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِى وَازْكِنِي مَعَ ٱلزَّكِينِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَمْرَيْمُ اَتَّنِي رَبِكِ ﴾ قد سبق شرح القنوت في «البقرة»، وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن. والثاني: طول القيام في الصلاة، قاله مجاهد. والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبير. وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال: أحدها: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تؤذن بالجمع، فالركوع مقدم، قاله الزجاج في آخرين. والثاني: أن المعنى استعملي السجود في حال، والركوع في حال، لا أنهما يجتمعان في ركعة، فكأنه حثّ لها على فعل الخير. والثالث: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي واسجدي، كقوله تعالى: ﴿ إِنّ مُتَوَيِّكَ وَرَافِئُكَ إِنّ ﴾ [آل ممران: ٥٥]، ذكرهما ابن الأنباري. والرابع: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع، ذكرة أبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: ومعناه: اركعي مع المصلين قُرًا وبيت المقدس. قال مجاهد: سجدت حتى قرحت.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاتُهِ ٱلْعَبْبِ نُوسِهِ إِلِنَكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ ٱلْلَهِهُمْ أَيَّهُمْ يَكُمُلُ مَرْيَمٌ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَهِمُونَ ﴿ ذَلِكَ مِن ٱلْمُنْ لِهِ ٱلْمُنْتِمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱلسَّمُهُ ٱلسَّيعُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنِيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُتَعَرِّينَ ۞ وَيُكِيلُمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَمْهُلًا وَمِنَ ٱلشَّكِلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالِنَ مِنْ آلَابُهُ الْفَيْتِ ﴾ وذلك السارة إلى ما تقدم من قصة زكرياء، ويحيى، وعيسى، ومريم. والأنباء: الأخبار. والغيب: ما غاب عنك. والوحي: كل شيء دللت به من كلام، أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة، قاله ابن قتيبة. والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم به «الوجوه والنظائر» مونقة. وفي الأقلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي. والثاني: أنها العصيّ، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها القداح، وهو اختيار ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: هي قداح جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة. وإنما قيل للسهم: القلم، لأنه يقلم، أي: يبرى. وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء، فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به، لأنه قُلم مرة بعد مرة، ومنه: قلمتٍ أظفاري. قال: ومعنى: ﴿ أَيُّهُمْ يَكُمُنُ مُرّيمٌ ﴾ لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعنى: ﴿ (مَنَهِمَ عندهم. وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفاً. وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: ﴿ كن فكان، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى. وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال: أحدها: أنه كان لا يمسح أبو يعلى. والأحمص: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه كان لا يمسح أخمص، والأخمص: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه كان لا يمسح

⁽١) قال الحافظ ابن حجر ٣٣٩/٦ في قوله تعالى: ﴿ رَمْتَكَنَّكِ عَلَى نِكَمْ الْكَلَيْرِيكِ ﴾ وظاهر أن مريم أفضل من جميع النساء، وهذا لا يمتنع عند من يقول: إنها نبية، وأما من قال: ليست نبية فيحمله على عالمي زمانها، وبالأول جزم الزجاج وجماعة، واختاره القرطبي، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة.

بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد. والرابع: أن معنى المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى هذا أن الله مسحه، فطهره من الذنوب. والخامس: أنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ذكره ثعلب. وبيانه: أنه كان كثير السياحة. والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد: المسيح في كلام العرب على معنيين: أحدهما: المسيح الدجال، والأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح أحد العينين. والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية «مشيحا» بالشين، فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سيناً، كما قالوا: العينين. وأصله بالعبرانية موشى. قال ابن الأنباري: وإنما بلاً بلقبه، فقال: المسيح عيسى ابن مريم، لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سميً يشتبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. فأما قوله: عيسى ابن مريم، فإنما نسبه إلى أمه، لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا﴾ قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول. وقال ابن قتيبة. الوجيه: ذو الجاه. وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، يقال: قد وجُه الرجل يؤجه وجاهة، ولفلان جاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن النَّمْرَينَ ﴾ قال قتادة: عند الله يوم القيامة. والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخود من التمهيد، وهو التوطئة. وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان: أحدهما: لتبرئة أمه مما قذفت به. والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته. قال ابن عباس: تكلم ساعة من مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. ﴿ وَكَهَلاً ﴾ قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله. وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله. قال ابن الأنباري كان على قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهل عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتهل النبات. وقال ابن فارس: الكهل: الرجل حين وخطه الشيب. فإن قيل: قد علم أن الكهل يتكلم، فعنه ثلاثة أجوبه: أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿ وَكَهُلاً ﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء. والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهل: الحهل: الحليم، قاله مجاهد.

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّنِى بَثَرٌ قَالَ كَذَكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَثَلَةُ إِذَا قَضَىٓ أَمْرًا فَإِنْمَا يَغُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَاللّهِ مَلْ عَلَمُ وَلَهُ ﴾ قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكّاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا الجمهور. والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدمياً يريد بها سوءاً، ولهذا قالت: ﴿ أَعُودُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَوَيَّا﴾ [مريم: ١١٨]، فلما بشرها لم تتيقن صحتة قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: ﴿ أَنْ يَكُونُ لِى وَلَهُ ﴾ قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَكُثُرَ يَتَسَسِّنِى بَثَرُ ۗ أَي: ولم يقربني زوج. والمس: الجماع، قاله ابن فارس. وسمي البشر بشراً، لظهورهم، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان، وأبشرت الأرض: أخرجت نباتها. وبشرت الأديم: إذا قشرت وجهه، وتباشير الصبح: أوائله. قال يعني جبريل: ﴿ كَنَالِكُ اللَّهُ يَمْلُكُ مَا يَشَاأً ﴾ أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسر في «البقرة».

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِنَبُ وَالْمِكْمَةُ وَالْتَرْبَعَةَ وَالْإِنْمِيلَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَيُمَلِّمُهُ ٱلْكِنْبَ﴾ قرأ الأكثرون "ونعلمه" بالنون. وقرأ نافع، وعاصم بالياء، فعطفاه على قوله: «يبشرك». وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه كُتُبُ النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس. والثاني: الكتابة: قاله ابن جريج، ومقاتل. قال ابن عباس: والحكمة: الفقه، وقضاء النبيين. ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرُهِ مِلَ أَنِى قَدْ حِشْلَتُكُمْ بِنَايَةِ مِن رَبِّكُمْ أَنِّ أَخَلُقُ لَكُم مِنَ الطِينِ كَيْسَتَةِ الطَّيْرِ فَاتَغُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا وإذهِ اللهِ وَأَثْرِعَهُ الأَحْسَمَةَ وَالْأَثَرَامَ وَأَتِّي الْمَوْقَ وِإِذْنِ اللهِ وَأَنْبَشُكُمْ بِمَا تأكُونَ وَمَا تَنْضِرُونَ فِي يُوْتِكُمْ إِنَّ وَلَكَ لَابَتُ لَكُمْ إِن كُشُر تُغْوِنِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولُا﴾ قال الزجاج: ينتصب على وجهين: أحدهما: ونجعله رسولاً. والاختيار عندي: ويكلم الناس رسولاً.

قوله تعالى: ﴿ أَنِّ أَعْلَيُ ﴾ قرأ الأكثرون "أني" بالفتح، فجعلوها بدلاً من آية، فكأنه قال: قد جئتكم بأني أخلق لكم، وقرأ نافع بالكسر، قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مستأنفًا. والثاني: أنه فسر الآية بقوله: إني أخلق، أي: أصور وأقدر. قال ابن عباس: أخذ طيناً، وصنع منه خفاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو يطير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن بني إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسألوه أشد الطير خلقاً، لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطيز ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم، سقط ميتاً، ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق. والأكثرون قرووا ﴿فَيَكُونُ طَيِّرًا﴾ وقوأ نافع هاهنا وفي (المائلة) اطائراً. قال أبو علي: حجة الجمهور قوله تعالى: ﴿ كَهَيْتَةِ الطَّايْرِ﴾ ولم يقل: كهيئة الطائر. ورجهة قراءة نافع: أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائراً. وفي «الأكمه» أربعة أقوال: أحدها: أنه الذي ولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الأعمى، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمر عن قتادة، ويه قال الحسن، والسدي. وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكمه: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمى، وإن كان بصيراً. والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة. والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك. والأبرص: الذي به وضح. وكان الغالب على زمان عيسى على علم الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إبراء الأكمه والأبرص، ركان ذلك دليلاً على صدقه. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداويهم بالدعاء. وذكر المفسرون أنه أحيا أربعة أنفس من الموت، وعن ابن عباس: أن الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتِنْكُمْ بِمَا تَأْكُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: كان عيسى إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيؤوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه (١٠٠ وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن قتادة كان يقول: وأنبئُكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يتَّخروا، فلما خانوا، مُسخوا خنازير(٢).

﴿وَمُمْسَلِقًا لِمَا بَيْكَ يَدَى مِنَكَ التَّوْرَكَةِ وَلِأُحِلَ لَكُم بَعْنَ الَّذِى حُمِّمَ عَلِيَكُمْ وَجِثْنَكُمْ بِنَايَةٍ مِن زَيِّكُمْ فَاتَّلُوا اللهَ وَالْمِيغُونِ ۞ إِنَّ اللهَ رَبِّ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ مَلَا مِرَمَّا شُسْتَنِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمُمَدِيَّا لِمَا بَيْرَكَ يَدَىًّ﴾ قال الزجاج: نصب «مصدقاً» على الحال، أي: وجنتكم مصدقا ﴿وَلِأُصِلَّ لَكُمْ بَسْنَ الَّذِي حُرِّمَ عَلِيْكُمْ عَلَيْكُمْ قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثروب^(٣) وأشياء من الطير، فأحلها عيسى.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ تُكُرُ بِكَايَةٍ ﴾ أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما وحد، لأن الكل من جنس واحد ﴿ مِن رَبِّكُمْ ﴾ أي: من عند ربكم.

﴿ ﴿ فَالْمَا آخَسَ عِيسَو، مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَصَحَادِى إِلَى اللَّهِ قَالَتَ الْحَوَارِئِينَ خَنُ أَصَحَارُ اللَّهِ عَامَنًا بِاللَّهِ وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾

⁽١) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر ﷺ.

⁽٣) الثروب: جمع ثرب، وهي الشحم الرقيق الذي ينشى الكرش والأمعاء والمصارين من اللبائح والأنعام.

قوله تمالى: ﴿ فَلَمّا آحَسُ عِبْود﴾ أي: علم. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أحستُ بالشيء، وحسس به، وقول الناس في المعلومات «محسوسات» خطا، إنما الصواب «المحسات» فأما المحسوسات، فهي المقتولات، يقال: حسه: إذا قتله. و«الأنصارة: الأعوان. و«إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة، قال الزجاج: وإنما حسنت في موضع «مع» لأن «إلى» غاية و«مع» تضم الشيء بالشيء "أ. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله. واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريين. وقال غيره: لما كفروا به، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين، وقيل: استنصرهم، الإقامة الحق، وإظهار الحجة. والجمهور على تشديد «ياء» الحواريين. وقرأ الجوني، والجحدري، وأبو حيوة: الحواريون بتخفيف الياء، وفي معنى الحواريين ستة أقرال: أحدها: أنهم الخواص الأصفياء، قال ابن عباس: الحواريون: أصفياء عيسى، وقال النواء: كانوا خاصة عيسى، وقال الزجاج: الحواريون في اللغة: الذين أخلصوا، ونقوا من كل عيب، وكذلك وقال الفراء: كانوا خاصة عيسى، وقال الزجاج: الحواريون في اللغة: الذين أخلصوا، ونقوا من كل عيب، وكذلك الذين خلصوا وأخلصوا في تصديقهم ونصرتهم، ويقال: عين حوراء: إذا اشتد بياضها وخلص، واشتد سوادها، ولا أن تكون مع حور عينها بيضاء. والثاني: أنهم البيض الثياب، روى سعيد بن جبير عن ابن ييضونها. قال الضحاك، ومقاتل: الحواريون: هم القصارون، سموا بذلك، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها. قال الضحاك، ومقاتل: الحواريون: هم القصارون، قال اليزيدي: ويقال للقصارين: الحواريون: المجاهدون. يبيضونها. قال الشبب، ومنه سمي الدقيق: الحواريون: هم القصارون. قال اليزيدي: ويقال للقصارين: الحواريون: المجاهدون. يبيضون الثياب، ومنه سمي الدقيق: الحواريون: هم القصارون. قال اليزيدي: ويقال للقصارين: المجاريون: المجارون؛ النقية المحاجر. والرابع: الحواريون: المجاهدون.

وأنشدوا

ونحن أنباسٌ يملأ الببيض هامنا

وندحن حواريون حين نزاحف

والخامس: الحواريون: الصيادون. والسادس: الحواريون: الملوك، حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري. قال ابن عباس: وعدد الحواريين اثنا عشر رجلاً. وفي صناعتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يصطادون السمك، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضحاك، وأبو أرطاة.

﴿ رَبُّكَا ۚ وَامْكُنَّا مِنَا أَرْكُ وَانْتُمْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ النَّهِدِيكَ ﴿ وَا

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ءَامُكَا بِمَا أَرَثُتَ ﴾ هذا قول الحواريين. والذي أنزل: الأنجيل. والرسول: عيسى. وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال: أحدها: أنهم محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنهم من آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الأنبياء، لأن كل نبي شاهد أمته، قاله عطاء. والرابع: أن الشاهدين: الصادقون، قاله مقاتل. والخامس: أنهم الذين شهدوا للأنبياء بالتصديق، فعمني الآية: صدقنا، واعترفنا، فاكتبنا مع من فعل فعلنا، هذا قول الزجاج.

﴿ وَمَكْرُوا وَمَكْرُ اللَّهُ وَلَلَّهُ خَيْرُ الْمُكَرِينَ ١

قوله تعالى: ﴿ وَمَكُرُوا وَمَكُرُ اللهُ ﴾ قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وخداع، ومن الله ﴿ المجازاة، فسمي باسم ذلك، لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿ أَلَتُهُ يُسَتَهْزِئُ بِهِم ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿ وَاللهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥]، لأن مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسى، فدخل خوخة، فدخل رجل منهم، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم، ظانوه عيسى، فقتلوه.

⁽۱) قال الفراء في «معاني القرآن» ص٢١٨: المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله. وهو وجه حسن، وإنما يجوز أن تجمل اإلى، موضع «مع» إذا ضممت إلى الشيء، مما لم يكن معه، كقول العرب: إن الذود إلى الذود إلى؛ أي: إذا إذا ضممت اللود إلى اللود صارت إبلاً. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان «مع» «إلى» ألا ترى أنك تقول: قدم فلان، ومعه مال كثير. ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله. ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَأْكُوا أَنْزَلِكُمْ إِلَى أَمْوَالُكُمْ إِلَى أَمْوَالُكُمْ اللهِ عَلَى أَمُوالُكُم.

قولمه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَبِيسَىٰ إِنِّ مُتَوَنِّيكَ وَرَائِنُكَ إِنَّ وَمُعَلِّهُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَنْرُوا وَبَهَا الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفُوًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةُ ثُمَّ إِلَى مُرْجِمُكُمْ فَأَحْسُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَنْخَلِفُونَ ﴿ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِيسَى إِنِّ مُتَوَفِّيكَ﴾ قال ابن قتيبة: التوقّي، من استيفاء العدد، يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوف. وأنشد أبو عبيدة:

إن بسنسي الأدرد لسيسسوا مسن أحسد ليسسوا إلى قيس وليسسوا من أسد ولا تسوفساهسم قسريسش فسي السعسدد(١)

أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التمام. وفي هذا التوفي قولان: أحدهما: أنه الرفع إلى السماء (٢٠). والثاني: أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء، ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿ فَلْمَا وَقَيْتَنِى كُنَتَ أَنتَ الرَّوْيِبَ عَلَيْمٍ ﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، هذا قول الفراء، والزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. قال سيعد بن المسيب: رُفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان. وقيل: عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال: مات قبل رفعه.

قوله تعالى: ﴿وَمُنَائِهُ رُكَ بِرَ ٱلَّذِينَ كَنُرُا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم. والثاني: منعهم من قبله. وفي الذين اتبعوه قولان: أحدهما: أنهم المسلمون من أمة محمد ﷺ، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته، هذا قول قتادة، والربيع، وابن السائب. والثاني: أنهم النصارى، فهم فوق اليهود، واليهود متسذلون مقهورون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَعْنَلِنُونَ ﴾ يعنى الدين.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كُفَرُوا مَأْمَذِبُهُمْ عَدَابًا شَكِيدًا فِي الدُّنيَا وَالْآخِيرَةُ وَمَا لَهُم مِن نَسِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: هم اليهود والنصارى، وعذابهم في الدنيا بالسيف والُجزية، وفي الآخرة النار.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ مَا سَنُوا وَعَكَمِلُوا الفَكَلِحَاتِ فَيُؤْفِيهِمْ أَجُورُكُمٌّ وَاقَدُ لَا يُعِبُّ الظَّلِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَيُوْنِيهِمُ أَجُورُهُمُ ۗ﴾ قرأ الأكثرون بالنون، وقرأ الحسن، وقتادة، وحفص عن عاصم: «فيوفيهم» بالياء معطوفاً على قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِيبِهَ ﴾ .

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ آلَايَتِ وَالذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يعني ما جرى من القصص. ﴿ مِنَ ٱلْآيَكَ ﴾، يعني الدلالات على صحة رسالتك، إذ كانت أخباراً لا يعلمها أمي. ﴿ وَالذِّكِ الْعَكِيرِ ﴾ قال ابن عباس: هو القرآن. قال الزجاج: معناه: ذو الحكمة في تأليفه ونظمه، وإبانة الفوائد منه.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كُنْكُلِ ءَادَمٌّ خَلَقَتُمْ مِن ثُرَابٍ ثُمٌّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿

⁽١) الرجز لمنظور الوبري كما في اللسان؛ ١٥/ ٤٠٠. يريد: أن قريشاً لا تجعلهم تمام عددهم، ولا تستوفي بهم عددهم.

⁽٢) وهو الصحيح المتعين، قال الطبري: وأولى هذه الأتوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك، لتواتر الأخبار عن رسول الله هي أنه قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض ملة ـ ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها ـ ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ثم قال: فومعلوم أنه لو كان قد أماته الله هين، لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتنين، لأن الله هي إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ أَللَهُ اللّذِي عَلَكُمُ ثُرٌ رَبَقَكُمُ ثُرٌ رَبَقَكُمُ ثُرٌ رَبَقَكُمُ ثُرٌ مَيْتُكُمُ مُن يَعْمَلُ مِن وَلِكُم مِن وَلِكُم مِن وَلِكُم مِن وَلَا للهِ على اللهِ على الله الله على الله

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمُ ۚ قالِ أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية، مخاصمة وفد نجران من النصارى للنبي ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكرناه في أول السورة. فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنهما جميعاً من غير أب.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمُ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: آدم. قال ثعلب: وهذا تفسير لأمر آدم. وليس بحال(١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ ﴾ يعني لآدم، وقبل لعيسى: ﴿ كُن فَيَكُونُهُ ۚ أَي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَنْلُوا الشَّيَطِينُ ﴾ أي: ما تلت الشياطين.

﴿ ٱلْعَقُّ مِن زَيْكَ فَلَا نَكُنْ مِنَ ٱلنُّمْنَدِّينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِكُ ﴾ قال الزجاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنبأتك به في قصة عيسى الحق من ربك ﴿ فَلا كَثُنُ مِن ٱلشُنتَرِينَ ﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبي خطابٌ للخلق، لأنه لم يشك.

﴿ نَمَنْ حَابَكَ فِيدِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْمِـلِمِ فَقُلْ تَمَالَوَا نَدْعُ أَبْنَآءَكُمْ وَالْبُنَآءَكُمْ وَشِيَاءَكَا وَلِيَاآءَكَا وَلِيَسَآءَكُمُ وَشِيَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّةً نَبْتَهِلْ مَنْجَمَـال لَمُنْتَ اللّهِ عَلَى ٱلصَافِينِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَمَنْ حَابَنَكَ فِيهِ ﴾ في هاء النيه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى. والثاني: إلى الحق. والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْسَكَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي. والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه. والثاني: أراد الإخوان، قاله ابن قتيبة. والثالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أراد الأزواج. والمخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما علي بن أبي أحمد النيسابوري. فأما الابتهال، فقال ابن قتيبة: هو التداعي باللَّعن، يقال: عليه بَهلةُ الله. وبُهلته، أي: لعنته. وقال الزجاج: معنى الابتهال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: الالتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمباهلة بعد إقامة الحجة. قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيّد والعاقب، فذكر الحديث... إلى أن قال: فدعاهما إلى الملاعنة، فوعداه أن يفادياه، فغدا رسول الله يَعْيُ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج، فقال: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم ناراً»(٣).

﴿ إِنَّ هَنذَا لَهُوَ ٱلْمَسَكُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْمَزِيزُ ٱلْمَكِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا اللَّهِ عَالَ الرَّجَاجِ: دخلت قمِن الله الوكيدا ودليلاً على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة.

﴿ فَإِن تُولَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ وَالْمُفْسِدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تُولُّوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عن الملاعنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه عن البيان الذي أتى به

 ⁽۱) يريد أن جملة اخلقه، تفسيرية لمثل آدم، فلا موضع لها من الإعراب، ولا يصلح أن تكون حالاً، لأن اخلقه، فعل ماض، ولا يكون الحال منه،
 وقيل: هي في موضع الحال، و(قد، مع (خلقه) مقدرة، والعامل فيها معنى التشبيه. انظر: (معاني القرآن، للفراء، و(البحر المحيط) ٢/٨٧٤.

⁽٢) رواه مسلم في افضائل الصحابة، مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

 ⁽٣) قال الحافظ ابن كثير: رواه ابن مودويه، ورواه الحاكم بمعناه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، هكذا قال. وقد رواه أبو داود الطيالسي
 عن الشعبي مرسلاً، وهو أصح، وقد روي عن ابن عباس، والبراء نحو ذلك.

النبي ﷺ، قاله الزجاج. والثالث: عن الإقرار بوحدانية الله، وتنزيهه عن الصاحبة والولد، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد هاهنا قولان: أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل، والثاني: الكفر، ذكره الدمشقي.

﴿ وَلَمْ يَكَأَهَٰلَ ٱلْكِنَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوْلَمِ بَيْشَنَا وَبَيْنَكُو أَلَّا نَصْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ. شَكِنًا وَلَا يَشَخِنَا بَعْضَا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ فَإِن نَوَلُواْ مَشُولُوا الشّهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَهُلُ ٱلْكِتَبِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة، وابن جريج، والربيع بن أنس. والثاني: وفد نجران الذين حاجوا في عيسى، قاله السدي ومقاتل. والثالث: أهل الكتابين جميعاً، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في القسيسين والرهبان، فبعث بها النبي على إلى جعفر وأصحابه بالحبشة، فقرأها جعفر، والنجاشي جالس، وأشراف الحبشة. فأما «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله. فإن قيل: فهذه كلمات، فلم قال كلمة؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات. قال اللغويون: ومعنى كلمة: كلام فيه شرح قصة وإن طال، تقول العرب: قال زهير في كلمته؛ يراد في قصيدته.

قالت الخنساء:

وقسافسيسة مسشل حسد السسنسا تسقسد السفوابسة مسن يسأبسل نطقت ابن عسرو فسسة لتها

ن تبقى ويلهب من قالها أبست أن تُسزايسل أوعسالها ولم ينطق النناس أمشالها(۱)

فأوقعت القافية على القصيدة كلها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة من البيت، وإنما سميت قافية، لأن الكلمة تتبع البيت، وتقع آخره، فسُميت قافية من قول العرب: قفوت فلاناً: إذا اتبعته، وإلى هذا الجواب يذهب الزجاج وغيره. والثاني: أن المراد بالكلمة: كلمات، فاكتفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة:

بها جيفُ الحسرى فأمّا عظامُها فبيضٌ وأما جلدُها فصليب

أراد: وأما جلودها، فاكتفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ سَوَامَ بَيْنَــَنَا وَبَنِيْكُتُرُ ﴾ قال الزجاج: يعني بالسواء العدل، وهو من استواء الشيء، ويقال: للعدل سَواء وسِواء وسُواء.

قال زهير بن أبي سلمي:

أروني تُحطةً لا ضيم فسيها يسوّي بيننا فيها السّواء فإن تدعوا السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء(٢)

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتُبُدُرًا إِلَّا آلَتَهُ خفض على البدل من «كلمة». المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قائلاً قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي ألَّا نعبد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَهَ مُنَا لَبَايَا مِن دُونِ اللَّهِ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود بعضهم لبعض، قاله عكرمة. والثاني: لا يطبع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله رباً، كما قالت النصارى في المسيح، قاله مقاتل والزجاج.

﴿ يُكَافَلُ الْحِكَتَٰبِ لِمَ تُحَاجُّرُكَ فِى إِبْرَهِيمَ وَمَا أَيْرِلَتِ النَّوْرُكَةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَسْدِوَ ۚ أَنْلَا تَسْقِلُوكَ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ يَكَافَلُ الْحِتَٰبِ لِمَ تُحَاجُّرُكَ فِى إِبْرِهِيمَ ﴾ قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي ﷺ

⁽١) الأبيات من قصيدة ترثي بها أخاها معاوية. وفي الديوان: فيهلك بدل فيذهب وقفارق بدل فتزايل. تقد: تشق. الذؤابة: أعلى كل شيء. يذبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب. تقول: إن هذه القصيدة التي ينطق بها ماضية، كسيف قاطع تقد قمم الجبال. وقولها: أبت أن تزايل أوعالها. أي: أن ذؤابة جبل يذبل ألغت الرعول، فكادت لا ترضى بأن لا تفارقها، تريد بذلك وصف علو الجبل، لأن الوعول لا تسكن سوى أعالى الجبال. وقولها: سهلتها، أي: جنت بها سهلة.

 ⁽٢). الديوان ص١٥ وفيه: أروتي سنة لا عيب فيها. والسواء: العدل. يقول: أرونا سنة لا تعاب عليكم تسوي بيننا في الحق. وقوله: تدعو السواء. أي:
 تتركوا العدل، فلا يقى بعضنا على بعض.

نصارى نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانياً. فنزلت هذه الآية.

﴿ مَكَانَكُمْ مَتَوُلَاءَ مَنْجَنُتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ ثُمَاتَجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَسْلَمُ وَأَنشُدُ لَا تَعْلَمُونَ ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كَانَتُمْ ﴾ قرأ ابن كثير «هأنتم» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أأنتم. وقرأ نافع وأبو عمرو «هانتم» ممدوداً، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «هاأنتم» ممدوداً مهموزاً، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء».

قوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلَمٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما رأوا وعاينوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم ﷺ. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة والنتان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في (البقرة) معنى الحنيف.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُويًا وَلَا نَصْرَائِنًا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَ ٱلنَّاسِ بِإِبْرِهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُۥ وَهَذَا النِّيمُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاقَهُ وَلِيُّ الْمُتَّهِدِينَ ۞﴾

﴿ وَذَت ظَالَهِمَةٌ ۚ يَنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُسِلُّونَكُو ۚ وَمَا يُضِلُّونَ ۚ إِلَّا أَنْسُتُهُمْ وَمَا يَشْمُرُونَ ۖ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّت ظَاآمِنَةٌ مِن آهْلِ ٱلْكِتَبِ لَو يُعِلْوَهُ سبب نزولها أن اليهود قالو لمعاذ بن جبل، وعمّار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والطائفة: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك. وفي هذه الطائفة قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي. والضلال: الحيرة. وفيه هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاستنزال عن الحق إلى الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الإهلاك، ومنه ﴿أُوذَا صَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجد: ١٠]. قاله ابن جرير، والدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمَا يَشْمُرُونَ ﴾ قولان: أحدهما: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أن الله يضلون أنفسهم.

﴿ يَتَأَمَّلُ ٱلْكِسَٰبِ لِمَ تَكُفُّرُونَ بِنَايَتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَكُفُرُونَ بِتَايَتِ ٱللَّهِ قَالَ قَتَادَةً: يعني: محمداً والإسلام ﴿ وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ ﴾ أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

﴿ يَاأَهُلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُوكَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكْثُمُونَ ٱلْحَقُّ وَٱنتُمْ تَمْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُوكَ ٱلْعَقُّ بِٱلْمَطِلِ﴾ قال اليزيدي: معناه: لم تخلطون المحق بالباطل؟ قال ابن فارس: واللبس:

⁽١) قال في «اللسان» الدهورة: جمعك الشيء، وقلفك به في مهواة، ودهورت الشيء كذلك، وفي حديث النجاشي: قلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم، كأنه أراد: لا ضبعة عليهم، ولا يترك حفظهم وتعهدهم..

اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: إقرارهم بعبعض أمر النبي على غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، رويا عن ابن عباس. والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: الحق: الإسلام، والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿رُبَّكُنُسُونَ ٱلْحَقُّ﴾ قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا محمداً ﷺ.

﴿ وَمَالَت ظَاهِمَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَنْبِ مَامِنُوا بِالَّذِي أَنِلَ عَلَ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَجْهَ النّهادِ وَأَكْفُرُوا مَاخِرُمُ لَمَلَّهُمْ بَرْجِعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَاآيِنَهُ مِنْ آهَلِ آلِكِتُكِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب مجمد أول النهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فينقلبون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فنزلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. والثاني: أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿وَالِيُ اللَّذِي الزّلِ عَلَى اللَّذِي الله الله الله الله عن ابن عباس، قال مجاهد، الصبح، واكفروا بالتي صلوا إليه اتحر النهار، لعلهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال مجاهد، وقتادة، والزجاج في آخرين. وجه النهار: أوله.

وأنشد الزجاج:

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسراً يَنْدبنه قد قُمن قبل تبلُج الأسحار(١)

﴿ وَلَا تُثْمِينُوا إِلَّا لِمَن تَمِعَ دِينَكُرُ قُلْ إِنَّ ٱلْهُمَنَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْقَ أَحَدُّ يَثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ بُعَا بَؤُولُو عِندَ رَبِيَكُمُ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاهُ وَاللَّهُ وَسِمُ عَلِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُوْيِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُر ﴾ اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحدٌ مما أوتيتم من العلم، وفلق البحر، والمنّ، والسلوى، وغير ذلك، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصح ديناً منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى اللّهِ كلاماً معترضاً بين كلامين، هذا معنى قول مجاهد، والأخفش. والثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُرُ ﴾ والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيءٌ من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلّا أن تجادلكم اليهود بالبالطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحسن، وسعيد بن جبير. قال الفراء: معنى: «أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، إلا من يؤتى»: أن لا يؤتى. والثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة

 ⁽١) البيتان للربيع بن زياد العبسي، من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير، وحمي لقتله، واستعد لطلب ثأره. وروايتهما في «شرح الحماسة»
 للمادة قانا:

من كان مسروراً بسمة تال مالك يجد النساء حواسراً يندبُنه

فليأت ساحت البوجه نهاد

قال المرزوقي في شرحهما: كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتيل أو يدرك ثأره. فيقول: من كان فرحاً بمقتل مالك، شامتاً بأوليائه، فلينزع ملابس المسرة، وليطرح أردية الشماتة، فقد أدركت الأثآر، وأريقت اللماء، وشفيت الأدواء، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليرى أن ما كان محرماً من الرئاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببكائه قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس، يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومحاله، فإن ذلك متصل من فعلهن، غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والأصال والأسحار.

التوكيد، كقوله تعالى: ﴿عَمَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمُ﴾ [النمل: ٧٧] أي: ردفكم. وقال الشاعر:

ما كنتُ أخدعُ للخليل بخلَّة حتى يكون ليَ الخليلُ خدوعا

أراد: ما كنت أخدع الخليل. وقال الآخر:

يسذمون للدنسيا وهم يحلبونها أفاويق حشى ما يَدِزُ لها ثُعُل (١)

أراد: يذمون الدنيا، ذكره ابن الأنباري، والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين، كان عوناً لهم على تصديقه، قاله المزجاج. وقال ابن الأنباري: لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم، فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تقروا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي. وقرأ ابن كثير: أان يؤتى بهمزتين، الأولى مخفّفة، والثانية مليّنة على الاستفهام، مثل: أانتم أعلم، قال أبو علي: ووجهها أن «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو ينكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أتشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى أحدٌ، ومثله في يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أتشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى، بكسر الهمزة، على المعنى: ما يؤتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ بُمَابُورُهُ عِندَ رَبِّكُمُ ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم على طريق التعبّد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيدِ ٱللَّهِ قال ابن عباس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى. ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَأَهُ ﴾ لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿ يَخْلَشُ بِرَحْ مَتِهِ مَنْ بَشَآتُهُ وَاللَّهُ ذُوْ ٱلْفَضِّ لِ ٱلْفَلِيمِ ﴿ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يُغَنَّمُ رِحْ مَنِهِ مَن يَشَكَأَهُ ﴾ في الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: النبوة، قاله مجاهد. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

﴿ ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ مِقِنِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَنْ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَا مَا مُمْتَ عَلَيْهِ قَايِمُمُّ وَلِيْكَ إِلَّا مَا مُمْتَ عَلَيْهِ قَايِمُمُّ وَلِيْنَا إِلَّا مِنْ مُنْفِي كُونِهِ وَلِيْكَ إِلَّا مَا مُمْتَ عَلَيْهِ قَايِمُمُّ وَلِيْنَا وَلَيْنَا فِي ٱلْفُرْتِينَ سَكِيدِلُّ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ٱلْكَذِبَ وَمُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تُلْمَنُهُ بِقِطَارِ﴾ قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانه، وأهل الكتاب: اليهود، وقد سبق الكلام في القنطار. وقيل: إن «الباء» في قوله: «بقنطار» بمعنى «على» فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرّب، وأصله: دِنّار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فِعلاً، فقالوا: رجل مُدنّر: كثير الدنانير. وبرذون مدنّر: أشهب مستدير النقش ببياض وسواد. فإن قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بينه في قوله تعالى: ﴿ وَلَمُ عَلَيْنَ فِي الْأَمْتِينَ سَكِيلٌ ﴾ فحذّر منهم، وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم، وقيل: إن الذين يؤدّون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ثُمْتَ عَلِيَهِ قَالِهِماً﴾ قال الفراء: أهل البحجاز يقولون: دُمتَ ودُمتم، ومُت ومُتم، وتميم يقولون: مِت ودِمت بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدوم ويموت. وفي هذا القيام قولان: أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد،

 ⁽١) نسبه في «اللسان» لابن همام السلولي، وروايته فيه: وذموا لنا اللنيا وهم يرضعونها. الأفاويق: واحدها: فيقة، وهي اسم للبن الذي يجتمع بين
 الحلبتين. والثعل: زيادة في أطباء الناقة، والبقرة، والشاة، وإنما ذكر الثعل للمبالغة في الارتضاع، لأن الثعل لا يدر.

وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى: ما دمت مواظباً بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرَّف، والتارك له يقعد عنه. [قال الأعشى:

يسقسوم عملى السرَّغهم في قسومه في عملو إذا شماء أو يستسقم

أي: يطالب بالذحل(١) ولا يقعد عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَلَهُ] مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَبِ أُمَّةً فَآيِمَةً ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: عاملة غير تاركة، وقال تعالى: ﴿أَفَتَنْ هُوَ فَآيِمُ عَلَى كُلِّ نَفْيِ بِمَا كَسَبَتُ ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: آخذ لها بما كسبت(٢). والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائماً على رأسه، فإنه يعترف بأمانته، فإذا ذهبت، ثم جثت، جحدك، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَاكَ ﴾ يعني: الحيانة. والسبيل: الإثم والحرج، ونظيره ﴿مَا عَلَ ٱلْمُخْسِنِينَ مِن سَهِيلٍ ﴾ [النوبة: ٩١] قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَثُولُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ قال السدي: يقولون: قد أحل الله لنا أموال العرب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسَلَنُوكَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

﴿ إِنَّ مَنْ أَوْفَى بِمَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُنبِتُ السُّنَّقِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كَانَ ﴾ رد الله على عليهم قولهم: ﴿ لِيْسَ عَيْنَا فِي ٱلْأَيْسِينَ سَبِيلٌ ﴾ بقوله: ﴿ كَانَ قال الزجاج: وهو عندي وقف النمأم، ثم استأنف، فقال: ﴿ مَنَ أَدِّنَ بِمَهْدِهِ ﴾ ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿ بَلَ مَنْ أَدْنَ ﴾ . والمعلم: ما عاهدهم الله على عليه في التوراة، وفي «هاء ، ﴿ مَهْدَهُ * ولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: إلى الموفى.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَثْقُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنَيْمَ ثَمَنَا قَلِيلًا أُوْلَتِهِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِى الْآخِدَرَةِ وَلَا يُسْكَلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ وَلَا يُرْحَجِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ الْبِـرِّ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَغَمُّونَ بِهَهِ اللَّهِ وَلَيْتَنَبِمْ ثَنَا قَلِيلًا ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض البهود في أرض، فجحده البهودي، فقدّمه إلى النبي ﷺ، فقال [له]: «ألك بينة»؟ قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف»؟ فقال الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم (٣). والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة تبيين صفة النبي ﷺ، فجحدوا، وخالفوا لما كانوا ينالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل، والثالث: أن رجلاً أقام سلعته في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منتعها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد. فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهده إلى اليهود في التوراة، واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في اليهود ألى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرُكِيهِمْ ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

الذحل: الثأر، وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه، من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

⁽٢٪) ﴿ هَٰلَمَا نَصَ كَلَامَ ابن قَتِيمَ فَي ۚ (تأويل مشكل القرآن) ص١٣٨ _ ١٣٩، وما بين معقوفتين مزيد منه.

 ⁽تصه كما في البخاري ٥٣/٥ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله 養 : هن حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو صليه ضضبان قال: فقال الأشعث: في والله كان ذلك. كان بيني وبني رجل من اليهود أرض، فجحدتي، فقدمته إلى النبي 義 فقال لي رسول الله ﷺ: قال بينة؟ قلت: لا قلل الله تعالى: ﴿ وَالله وَله وَالله وَله وَالله وَلّه وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَلّه وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغَرِيتًا لِمُؤْدِنَ ٱلۡسِنَتُهُم بِالْكِنْبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْمَكِنَبِ وَمُعْمَ يَعْلَمُونَ ﴾ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ٱللّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُم لَنَرِيتًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين، أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية، عن ابن عباس، والثاني: في اليهود والنصاري، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِن﴾ هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: ﴿لَفريقاً وتوكيد زائد على توكيد ﴿إنَّ الله قَتيبة : ومعنى ﴿يَلْوُنَ أَلْسِنَتُهُم﴾ : يقلبونها بالتحريف والزيادة. والألسنة : جمع لسان، قال أبو عمرو: اللسان يذكر ويؤنَّث، فمن ذكره جمعه: السنة، ومن أنَّه، جمعه: ألسناً، وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً، وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكُرونه. وأنشد ابن الأعرابي:

وعند الشريا من صديقك مالُكا

لسانك معسولٌ ونفسُك شحّة وأنشد ثعلب:

أتستنسي لسسان بسنسي عسامسر أحساديسشها بسعد قسولي تسكسير فأنث اللسان، لأنه عنى الكلمة والرسالة.

﴿مَا كَانَ لِيَشَرِ أَن يُؤْتِبَهُ اللَّهُ الْكِتَنبَ وَالْمُكُمِّمَ وَالشُّبُوَّةَ ثُمَّ يَكُولَ لِلسَّاسِ كُونُوا حِسَادًا لِى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّكِلِيْمِنَ بِمَا كُنتُد تُمْلِمُونَ الْكِتَنبَ وَبِمَا كُنتُد مَّدَّرُسُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلسَهِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قوماً من رؤساء اليهود والنصاري، قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال: ﴿لا، فإنه لا ينبغي أن يُسجّد لأحد من دون الله فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضجاك، ومقاتل. وفيمن عنى باللبشرة قولان: أحدهما: محمد ﷺ. والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: عيسى، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل. والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوّة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطفى الكذبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا ﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

فأما الربانيون، فروي عن علي بن أبي طالب على أنه قال: هم الذين يغذّون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، وقال ابن عباس، وابن جبير: هم الفقهاء المعلّمون، وقال قتادة، وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قال ابن قتية: واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون، وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي. وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين: الرباني: منسوب إلى الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُر تُمُكِمُونَ ٱلْكِئْبَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو: "تَعْلَمُونَ"، بإسكان العين، ونصب اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "تعلّمون" مثقلاً، وكلهم قرؤوا: "تدرسون" خفيفة. وقرأ ابن

⁽١) قائله الحطيئة؛ قديرانه؛ ص٣٤٧، اللسان هاهنا: الكلام، وأدخل الباء على قأن؛ مع قليب؛ وهو قليل، وأراد: ليت أنه في جوف عكم، فقحم الباء على قأن؛ وهو حجة في العربية. ويروي: قليت بيانه؛، وقوددت بأنه، والعكم: داخل الجنب على المثل بالعكم، وهو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وطلحة بن مصرّف، وأبو حيوة، التُدرّسون، بضم التاء مع التشديد، والدراسة: القراءة. قال الزجاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

﴿ وَلَا يَامُرُكُمْ أَن تَنَّفِئُوا لَلْتَتِهِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَامُرُكُم بِالكُذِّر بَسْدَ إِذَ أَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمُ أَنَ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه، وعبد الوارث عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، بنصب الراء. وقرأ الباقون برفع الراء، فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله. قال ابن جريج: ولا يأمركم محمد.

﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَقَ النَّبِيْنَ لَمَا ءَانَبَنُكُمْ مِن حِنتَبٍ وَمِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَمَكُمُ لَتُؤْمِنُنَ بِهِ. وَلَسَنَمُرَنَّمُ قالَ مَأْفَرَرْتُمْ وَأَخَذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِشْرِقْ قَالُواْ أَقَرَرْناً قالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَمَكُم تِنَ الشَّلِهِدِينَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَقُ النّبِيِّينَ ﴾ قال الزجاج: موضع ﴿إذَ نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله، قال ابن عباس: الميثاق: العهد. وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان: أحدهما: أنه تصديق محمد ﷺ، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم، قاله طاووس. قال مجاهد، والربيع بن أنس: هذه الآية خطأ من الكتّاب(١)، وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿ وإذ أخذ الله على أخذ الميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴾ واحتج الربيع بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمُ رَسُلُ ﴾ (٢). وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين، وأممهم، فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عباس، والزجاج.

واختلف العلماء في لام الما عقراً الأكثرون الما عنت اللام والتخفيف، وقراً حمزة مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سعيد بن جبير الما مشدَّدة الميم، فقراءة ابن جبير، معناها: حين آتيتكم، وقال الفراء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم، ثم جعل قوله: ﴿ الْتُوْبُدُنَ بِهِ لَهُ مِن الأخذ قال الفراء: ومن نصب اللام جعلها زائدة . واما هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة . قال ابن الأنباري: اللام في قوله تعالى: ﴿ لَمُنا الله الله الله الله الله الله وعلى قراءة من شدَّد أو كسر: جواب الأخذ الميثاق . قال: لأن أخذ الميثاق يمين، وعلى قراءة من حففها، معناها: القسم اللام في قوله : ﴿ لَتُوْيُنُنَ بِهِ ﴾ . وإنما خاطب، فقال: آتيتكم، بعد أن ذكر النبيين وهم غيّب، لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطباً لهم: لما آتيتكم. وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والألف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَاءَكُمْ رَسُولُ﴾ قال على ﴿ الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه منع من الأمر الذي أخذ له، وثقل وتشديد. وكلهم كسر ألف وإصري، وروى أبو بكر، عن عاصم؛ ضمَّه. قال أبو على: يشبه أن يكون الضم لغة.

⁽١) في الطبري امن الكاتب، قال الشيخ محمود شاكر: قلت: والقول الذي ذكره مجاهد إنه خطأ من الكاتب، إنما عنى به أن قراءة ابن مسعود هي مع القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة، فأخطأ وكتب القراءة الأولى، ولم يرد بقوله: خطأ من الكاتب، أنه وضع ذلك من عند نفسه؟ كيف والقرآن كنا متلقى بالرواية والورائة عن رسول الله ﷺ، لا بما هو مكتوب في المصحف.

⁽٢) قال أبو بكر الباقلاني في كتاب «الانتصار لنقل القرآن»: وأما نحن وإن كنا نوئق جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم، فأنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً، قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم وما يمكن أن يكون باطلاً، ولا يثبت عليهم من طريق العلم البتات بأخبار الآحاد، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم المخالفة لما في مصحفنا، مما لا نعلم صحتها وثبوتها، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان وقراءتهم وإقرائهم ما فيه، والعمل به دون غيره، لم يجب أن نحفل بثيء من هذه الروايات عنهم لأجل ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاشَهُدُوا ﴾ قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما شوهد. وفيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنه خطاب للنبيين، ثم فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: فاشهدوا على أنفسكم، قال مقاتل. والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن المسيب. فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور.

﴿ فَكَنَ تَوَلَّى بَشَدَ وَالِكَ فَأُولَتِهِكَ هُمُ النَّسِيلُوكَ ﴿ أَنْفَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَمُوعَا وَكَانَ بَرَجُمُونَ ﴾ وكري الله يَبْغُونَ وَلَهُۥ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَمُوعَا

قوله تمالى: ﴿أَنْكُرُ وِينِ اللّهِ يَبْغُونَ ﴾ قرأ أبو عمرو: قيبغون اللياء مفتوحة، ﴿وَلَلْيَهِ تُرْتَعُونَ ﴾ بالتاء مضمونة ، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حفص عن عاصم: قيبغونه وقيرجعون اللياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب على أصله. قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كلَّ فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقاله النبي ﷺ ولا كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم، فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية. والمراد بدين الله، دين محمد ﷺ ﴿وَلَهُ السّلَمَ ﴾ انقاد، وخضع ﴿ وَلَوْعَا وَكَرِّهَ ﴾ الطوع: الانقياد بسهولة، والكره الانقياد بمشقة وإباءٍ من النفس. وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال: أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرها، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي. والثاني: أن المؤمن يسجد طائعاً، والكافر يسجد ظلّه وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد. والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فإقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد. والرابع: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن. والمخامس: أن المؤمن أسلم مخافوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع من جبّلةٍ جبله عليها، ولا على تغيرها، هذا قول الزجاج، وهو معنى قول الشعبى: انقاد كلهم له.

﴿ وَاللَّهُ مَامَتُكَا بِاللَّهِ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَيْمَنَا وَمَآ أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَىٰ وَيَمْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُونِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن وَيَقِيمُ لَا مُسْلِمُونَ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَيْمِ وِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّائِمُونَ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَيْمِ وِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي الْآخِرَةِ مِن النَّائِمِينَ ﴿ وَمُعْلِمُونَ ﴿ وَشَهِدُوا أَنْ الرَّسُولَ حَقْ وَيَآءَهُمُ الْبَيْنَاتُ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الظَّلِمِينَ ﴿ وَالْمَالِمِينَ ﴿ وَالْمَالِمِينَ اللَّهِ وَالْمَلْمَاحِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ وَهُ الْمُعَلِمِينَ اللّٰهِ وَالْمَلْمِكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ وَهُ اللَّهُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ وَهُمْ الْمَلْمُ اللّٰهِ وَالْمَلْمِكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ وَهُمْ اللّٰمِنْ اللّٰهِ وَالْمَلْمُ كُونُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ وَهُ اللّٰمُ وَاللّٰمِ اللّٰهُ وَالْمَلْمُ اللّٰمُ اللّٰهِ وَالْمَلْمَالِمُ وَاللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰهُ وَاللّٰمُ اللّٰمُ اللّلْمُ اللّٰمُ اللّٰمُلّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمِينَ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِينَ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ الللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمِ الللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ الللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ الللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمُ ا

قوله تعالى: ﴿كَيْنَ يَهْدِى اللهُ قُومًا كَفُرُوا بَعْدَ إِيكَنِيمَ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ارتدً، فلحق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله تعالى ﴿إِلّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع تائباً [فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلّى عنه] رواه عكرمة عن ابن عباس (۱). وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد، والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبي ﷺ، ثم كفروا به، رواه عطية عن ابن عباس، وقال الحسن: هم اليهود والنصارى، وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدى الله هؤلاء.

﴿ خَلِلِينَ فِيهَا لَا يُحْفَفُ عَنْهُمُ ٱلْمَذَابُ وَلَا هُمْمَ يُعَظِّرُونَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَعُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ نَجِيمُ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ قال الزجاج أي: في عذاب اللعنة ﴿ وَلَا ثُمْ يُظَرُّونَ ﴾ أي: يؤخرون عن الوقت. قال: ومعنى: ﴿ وَأَشْلَمُوا ﴾ أي: أظهروا أنهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه، وغرّوا به من تبعهم ممن لا علم اله.

 ⁽١) رواه النسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والطبري والبيهقي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد أيضاً، وإسناده
 صحيح.

.فصل

وهذه الآية استثنت مَن تاب ممن لم يتب، وقد زعم قوم أنها نَسخت ما تضمنته الآيات قبلها من الوعيد، وليس بنسخ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَثَرُواْ بَمْـذَ إِيمَنِهِمْ ثُكَرُ اَزَدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلُ قَوْبَتُهُمْ وَأُولَتِكَ كُمُ ٱلظَّيَالُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّرِينَ كَفَرُوا بَمَدَ إِيمَنِهِم ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فإنهم قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني. والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية. قال الحسن: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً، وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم ارتدوا، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قرم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية. والثالث: أن: معناه: لن تُقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاثُوا وَهُمْ كُفَارٌ فَلَن يُقِبَكُن مِنَ أَحَدِهِم قِلَءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ الْفَتَدَىٰ بِلِّهِ أُولَتَهِكَ لَهُمْ عَذَابُ اللِّيمُّ وَمَا لَهُمْ ن تُغيرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَثَرُواْ وَمَا تُواْ وَمُمْ كُنَّارُ ﴾ روى أبو صافح عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن يسويد حياً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً. قال الزجاج: ومل الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملأ، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس ممدودة، والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديداً، وتمل حبيباً، أي: عش معه دهراً طويلاً. و﴿وَهَمُا ﴾ منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِ ٱفْنَدَىٰ بِلَهِ ﴾ (١) قال الفراء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذفت كان صواباً، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِئِينَ ﴾ [الانعام: ٥٠] قال النحاس: قال وكيكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِئِينَ ﴾ [الانعام: ٥٠] قال النحاس: قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة، وتقديره: فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى.

﴿ نَالُوا الَّذِ حَتَّى ثُنْفِتُوا مِنَا قِبْتُونً وَمَا ثُنْفِئُوا مِن تَنْهُو فَإِنَّ اللَّهَ بِدِ عَلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿نَ نَنَاتُوا اللّهِ ﴾ في البر أربعة أقوال: أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا برالله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم. والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الطاعة، قاله عطية. والرابع: الخير الذي يُستحق به الأجر، قاله أبو روق، قال القاضي أبو يعلى: لم يرد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال، فكأنه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنفِقُوا مِنَّا يُحُبُّونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله، وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ^(۲). والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة

 ⁽١) روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: فيقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً
 به؟ قال: فيقول: نعم. فيقول: قد أردّت منك أهون من ذلك، قد أخلت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي، وأخرجه البخاري، ومسلم.

 ⁽٢) لم نقف على هذه الرواية التي ذكرها المؤلف من طريق ابن عمر في شيء من كتب السنة، وإنما الذي جاء فيها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ; فقال: يا
 رَسُولُ الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصلّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان
 كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان و واه البخاري ومسلم.

أقوال: أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثالث: أنها جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن، واحتاره القاضي أبو يعلى. وروى البخاري، ومسلم في "الصحيحين، من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي على يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الّهِ مَنْ يُنِينُوا مِنَا يُجبُونُ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء (١)، وإنها صدقة لله، أرجو برحا وذخرها عند الله تعالى، فضعها حيث أراك الله، فقال على: وبغ بغ، ذلك مال رابح أو رائح [شك الراوي(٢)] وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمّه. وروي عن عبد الله بن عمر أم هذه الآية فقال: لا أجد شيئاً أحب إليَّ من جاريتي رميثة (٢)، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أني أعود في شيء جعلته لله، لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده، وسُئل أبو ذر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة: عماد المسي لا أراك ذكرته. قال: ما هو؟ قال: الصيام. فقال: قربة وليس هناك، وتلا قوله تعالى: ﴿ نَنَالُوا الّهِ حَنَّ شُيئُولُوا الله على وتلا قوله تعالى: ﴿ نَنَالُوا الْهِ حَنَّ شُيئُولُوا الله على على الله على وله نَنَالُوا الله على على يتجاري عليه الله على عليه المنه على الله المنه على المنه المنه على المنه على الله المنه على عليه المنه المنه على المنه المنه على الله المنه على المنه على المنه المنه على المنه المنه المنه المنه على المنه على المنه المنه على المنه المنه على المنه المنه على المنه على المنه على المنه على المنه على المنه على المنه المنه على المنه على المنه على المنه على المنه على المنه على المنه المنه على الم

﴿ اللهُ كُلُّ ٱلطَّمَارِ كَانَ حِلَا لِبَنِيَ إِسْرَةِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَةِيلُ عَلَى نَفْسِهِ. مِن قَبَلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوَرَئِلَا قُلْ فَأَنْوَا بِالتَّوْرَئِلَةِ عَلَى الْعَوْرَئِلَا اللَّوْرَئِلَةِ عَلَى الْعَالَوْنَ اللَّوْرَئِلَةِ عَلَى الْعَالَوْنَ اللَّوْرَئِلَةِ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْ

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّمَارِ كَانَ حِلَّا لِبَيِّ إِسْرَةِيلَ ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ قال: «أنا على ملة إبراهيم افقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل. وتشرب ألبانها؟ فقال: «كان ذلك حلاً لإبراهيم افقالوا: كل شيء نحرَّمه نحن، فإنه كان محرَّماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو روق، وابن السائب (٥٠): و«الطعام الماكول. قال ابن قتية: والحِل: الحلال، ومثله الحرم والحرام، واللبس واللباس، وفي الذي حرَّمه على نفسه، ثلاثة أقوال: أحدها: لحوم الإبل وألبانها. روي عن النبي ﷺ (١٠)، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين، والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (٧) وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. والثالث: أنه زائدتا الكبد، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر، قاله عكرمة. وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه طال به مرضٌ شديد، فنذر:

⁽۱) قوله: بيرحاء، قال الحافظ ابن حجر: بقتح الموحدة، وسكون التحتانية، وفتح الراء، وبالمهملة والمد، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة، جمعها ابن الأثير في النهاية، فقال: يروى بفتح الباء، ويكسرها، ويفتح الراء وضمها، وبالمد والقصر. فهذه ثمان لفات. وفي رواية حماد بن سلمة الريحا، بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتانية. وفي اسنن أبن داود، البارياء مثله لكن بزيادة ألف. وقال البابي: أفصحها بفتح الباء، وسكون ألياء، وفتح الراء مقصور، وكذا جزم به الصغاني، وقال: إنه البعلي، من البراح. قال: ومن ذكره بكسر الموحدة، وظن أنها بثر من آباو المدينة فقد صحف.

 ⁽٢) جاء في البخاري: رابح أو رائح، شك ابن مسلمة. قال الحافظ ابن حجر: أي القمني، والرواية الأولى واضحة من الربح، أي: ذو ربح. وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: هو مال مربوح فيه. وأما الثانية فمعناها: رائح علية أجره. قال ابن بطال: والمعنى أن مسافته قريبة، وذلك أنفس الأموال.
 وقيل: مغناه يروح بالأجر ويغدر به، واكنمي بالرواح عن الغد.

⁽٣) في اللهن المتثورا: مرجانة ...

⁽٤) رواه ابن جرير الطبري ٦/ ٥٩١، وهذا الخبر منقطع لأن ميمون بن مهران لم يدرك أبا ذر.

 ⁽٥) رواه الواحدي في قاسباب النزول، ولم يذكر له سنداً.

٦) روى الإمام أحمد بسند حسن عن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله في ققالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي [فذكر الحديث، وفيه لأنهم قالوا:] أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ [وأن رسول الله في قال لهم:] فأنشدكم بالذي . أنؤل التوراة على موسى في علم تعلمون أن إسرائيل أي: يعقوب في مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، قنذر له تلرأ، ثن شفاه الله من سقمه ليحرس أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟، فقالوا: اللهم نعم. فقال: واللهم الشهد

⁽٧) رواه البيهقي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

لثن شفاه الله، ليحرّمن أحبّ الطعام والشراب إليه، روي عن النبي على والثاني: أنه اشتكى عرق النسا() فحرّم العروق، قاله ابن عباس في آخرين. والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النسا اجتناب ما حرمه، فحرمه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النسا، فيبيت وقيذا أن فحرمه، قاله أبو سليمان الدمشقي. واختلفوا: هل حرم ذلك بإذن الله أو باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه على اليهود، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرماً في التوراة، قاله عطية. وقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد. والثاني: أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿ قُلْ فَأَنُوا بِالتَّوْرَانَةِ فَأَنْوا بِالتَّوْرَانَةِ فَاتَلُوهَا إِن كُنتُم صَالِقِين فيها معام قول الضحاك. والثالث: أن الله حرمه عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب. قال ابن عباس: ﴿ فَأَنُوا بِالتَّوْرَانَةِ فَاتَلُوهَا ﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها!

﴿ فَنَنِ اَفَذَىٰ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنْ بَشِّدِ ذَالِكَ فَأُوْلَتِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿ ﴾

. قوله تعالى: ﴿ فَمَنَ الْفَرَىٰ ﴾ يقول: اختلق ﴿ عَلَى اللَّهِ ٱلكَّذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي: من بعد البيان في كتبهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها.

﴿ مُن مُنكَ اللَّهُ فَاتَّبِهُوا مِلَّهُ ۚ إِبْرَهِيمَ حَضِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهُوكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْ صَدَنَ اللَّهُ ﴾ الصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به، وضده الكذب. واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين: أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِنَهِيمُ يَهُونِنًا ﴾، قاله مقاتل، وأبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنه عنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّمَارِ كَانَ جِلًا ﴾ قاله ابن السائب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتِ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَازَكًا وَهُدُى لِلْمَكَمِينَ ۗ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتِ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ قال مجاهد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون: الكعبة أفضل، فنزلت هذه الآية. وفي معنى كونه فأول، قولان: أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة حشفة على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة، وقال ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط، فأوحى الله إليه، أن: ابن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أنه أهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفع فصار معموراً في السماء، وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة. القول الثاني: أنه أول بيت وُضع للناس للعبادة ("")، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "أ، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين، فأما بكة، فقال الزجاج: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقاً من البّك. يقال: بك الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام من البّك. يقال: بك الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام من البّك. يقال: بك الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام من البّك. يقال: بك الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها:

⁽١) النسا: هو العرق الذي يخرج من الورك، فيستبطن الفخذين، ثم يمر حتى يبلغ الكعب، وهو الذي يأخذه المرض المعروف.

⁽Y) قال في «اللسان»: الوقيذ والموقوذ: الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت. وفي «الطبري» «فكان يبيت وله زقاء». والزقاء: صوت الباكي

⁽٣) يؤيده ما رواه أبو در رهي قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي: ؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما ؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة قصل فكلها مسجد». رواه أحمد في «المسند» والبخاري ومسلم.

⁽٤) أثر علي، رواه ابن أبي حاتم، وصححه الحافظ ابن حجر.

الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل. والثاني: لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي: تدُّقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج. والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمٰن اليزيدي، وقُطرُب. واتفقوا على أن مكة اسمٌ لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال: أحدها: أنه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم. وعطيَّة. والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة. والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب. والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم؛ يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله، وشر لازم، ولازب.

قوله تعالى: ﴿مُبَازًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الخال. المعنى: الذي استقر بمكة في حال بركته.

قوله تعالى: ﴿وَهُدَى﴾ أي: وذا هدى. ويجوز أن يكون إهدى، في موضع رفع، المعنى: وهو هدى، فأما بركته، ففيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمّن مَن دخله. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: امن طاف بالبيت، لم يرفع قدماً، ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَهُدَى لِلْكَالَيِينَ ﴾ ، في الهدى هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى القبلة ، فتقديره: وقبلة للعالمين . والثاني: أنه بمعنى: الرحمة ، والثالث: أنه بمعنى: الصلاح ، لأن من قصده ، صلحت حاله عند ربه . والرابع: أنه بمعنى: البيان ، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره ، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم ، فلا الكلب يهيج الظبي ، ولا الظبي يستوحش منه ، قاله القاضي أبو يعلى .

﴿ فِيهِ مَايَكُ ۚ بَيْنَكُ مَّقَامُ إِبْرَهِيمٌ وَمَن دَخَلَمُ كَانَ مَامِنًا ۚ وَلِلَهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ السَّلَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَيْنً عَنِ الْمَنْلِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَبِهِ مَايَكُ عُبِيْنَتُ ﴾ الجمهور يقرؤون: آيات. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: «فيه آية بينة مَقَامُ إِبْرَاهِيم» وبها قرأ مجاهد. والآية: مقام إبراهيم. فأما مَن قرأ: «آيات» فقال علي بن أبي طالب ﷺ: الآيات: مقام إبراهيم، وأمنُ مَنْ دخله. فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّ لِلْكُيْمِ مُنْهِدِينَ ﴾ [الأنياء: ٢٨]. وقال أبو رجاء: كان الحسن يعدّهن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت، وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهم مقام إبراهيم، قال المفسرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخرابه، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليست في البيت، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر، فأثّرت قدماه فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَةُ كَانَ ءَامِناً﴾، قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومَن دخله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمَّن، لأنه هتك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه، ثم لجأ إلى الحرم، وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أحمد في رواية المروذي: إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتى حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحدَّ، ولم يقتصَّ منه، ولكن لا يبايع، ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئاً من ذلك في

⁽١) رواه أحمد في «المسنده رقم ٤٤٦٢»، والترمذي في «جامعه» والحاكم في «المستدرك» وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر، ولفظ المصنف عند ابن خزيمة. قال الهيشمي في مجمع «الزوائد» ٢/ ٢٤٠: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلاط. وهشيم الراوي عن عطاء سمع منه بعد اختلاطه. وقد حسن الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على «المسند» فانظره.

الحرم، استوفي منه. وقال أحمد في رواية حنبل: إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنه يقام عليه جميع ذلك في النفس، وأنه يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس. وفيما دون النفس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَةُ كَانَ ءَامِنَا ﴾؛ دليل على أنه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، وابن عباس، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير، وطاووس.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْهِ عَلَ النَّاسِ حِبُّ ٱلْبَيْتِ﴾، الأكثرون على فتح حاء «الحج»، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، بكسرها. قال مجاهد: لما أنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسْلَئِمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْـهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحجه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبداً.

قوله تعالى: ﴿ مَن السَّعَلَاءَ إِلَيْ سَبِيلاً ﴾، قال النحويون: من استطاع بدل من «الناس»، وهذا بدل البعض من الكلُّ، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. وقد روي عن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وعائشة عن النبي ﷺ أنه سُئِل: ما السبيل؟ فقال: «من وجد الزاد والراحلة» (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَنَ كَارَ﴾، فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: من كفر بالحج فاعتقده غير واجب، رواه مقسم عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، ويه قال الحسن، وهطاء، وعكرمة، والضحاك، ومقاتل: والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنى مروي عن عكرمة، ومجاهد. والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر. والمخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي أنزلت في ذكر البيت، لأن قوماً من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

﴿ قُلْ بَكَأَهُلَ الْكِنْبِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَايِنتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدً عَلَى مَا تَشْمَلُونَ ﴿ قُلُ يَتَأَهُلَ الْكِنْبِ لِمَ تَشَمُلُونَ عَن سَهِيلِ اللّهِ مَنْ مَالَتُهُ مَنْ مَنْفُونَ ﴿ وَهُمُ مَا اللَّهُ بِعَنْفِلِ عَمَّا تَشْمَلُونَ ﴾ مَالَتُنَ مَنْفُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يُتَأَهِّلُ ٱلْكِسَبِ﴾، قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله؛ فقال ابن عباس: هي القرآن ومحمد ﷺ. وأما الشهيد، فقال ابن قتيبة: هو بمعنى الشاهد، وقال الخطابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنه الحاضر الشاهد.

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَهْلَ ٱلْكِنْبِ لِمَ تَسُدُّكَ عَن سَكِيلِ اللّهِ مَنْ وَامَنَ ﴾. قال مقاتل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية، وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان: أحدهما: أنهم اليهودُ والنصارى، قاله الحسن، والثاني: اليهود، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل، قال ابن عباس: لم تصدون عن سبيل الله: الإسلام، والحج، وقال قتادة: لم تصدون عن نبي الله، وعن الإسلام، قال السديُّ: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: لا، فصدوا عنه الناس.

⁽۱) قال الحافظ في «التلخيص»: رواه الداوقطني ٢٥٤/ والحاكم ٢٥٤/ والبيهتي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس، عن النبي الله في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ عَلَ النّبِي حَجُّ أَلَيْتِ مَن اسْتَعَلَامٌ إِلَّهُ سَيِداً ﴾ قال: قبل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة». قال البيهتي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً، يعني الذي خرجه الدارقطني، وسنده صحيح إلى الحسن ولا أرى الموجول إلا وهماً. وقد رواه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد العرائي، وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث، وقد رواه الشافعي في «المسند» ٢٨٤/ والترمذي ص٠٥، وابن ماجه ص٢١٤، والدارقطني ص٥٥٥ من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: حسن، وهو من رواية إبراهيم بن يزيد الخوزي، وقد قال فيه أحمد والنسائي: متروك الحديث، ورواه ابن حاجه ٢١٤/ والدارقطني من حديث ابن عباس، ورواه الدارقطني من حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة، ورواه ابن المنذر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وطرقها كلها ضعيفة، وقد قل المؤلى عن الحديث في فنيل الأوطار، ولا يعني أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسئلة، والصحيح من الروايات رواية الحديث مسئلة من طرق حسان مرسلة وموقوقة تدل على هذه الطرق يقوي بعضها بعضاً نصطح للاحتجاج بها. وقال شيخ الإسلام ابن تبعة: فهذه الأحاديث مسئلة من طرق حسان مرسلة وموقوقة تدل على أن مناط الوجوب الزاد والراحلة، مع علم النبي ﷺ أن كثيراً من الناس يقدون على المشي.

قوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا﴾ قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكّر ويؤنَّث. وأنشدوا:

فلا تبعُد فَكُلُّ فتى أناس سَيُصبِحُ سالكاً تلك السبيلا

ومعنى «تبغونها»: تبغون لها، تقول العرب: ابغني خادماً، يريدون: ابتغه لي، فإذا أرادوا: ابتغ معي، وأعني على طلبه، قالوا: أَبغني، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهماً، كما يقولون: وهبت لك. قال الشاعر:

فت ولَّى غُلامُ هم تم نادى اظليما أصيدُكم أم حماراً؟

أراد: أصيدُ لكم. ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزيغ والتحريف، ويريدون ردَّ الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد، وهذا قول الفراء، والزجاج، واللغويين. قال ابن جرير: خرج هذا الكلام على السبيل، والمعنى: لأهله، كأن المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحق، عوجاً، أي: ضلالاً، قال أبو عبيدة: العوج بكسر العين في الدين، والكلام، والعمل، والعوج بفتحها، في الحائط والجذع، وقال الزجاج: العوج بكسر العين: فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص قلت: عوج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عوج، وفي العصا عوج. وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العوج عند العرب بكسر العين: في كل ما لا يحاظ به، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل، فيقال: في الأرض عوج، وفي بكسر العين: عوج، لأنهما يحاط بهما، ويبلغ كنههما، وقال ابن فارس: العوج بفتح العين: في كل منتصب، كالحائط. والعوج: ما كان في بساط أو أرض، أو معاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَكَاّهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحة ما صددتم عنه، وبُطلان ما أنتم فيه، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وقتادة، والأكثرين. والثاني: أن معنى الشهداء هاهنا: العُقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

﴿ يُكَأَيُّنَا الَّذِينَ مَامَنُوا إِن تُطِيعُوا مَرِهَا مِنَ الَّذِينَ أَرْقُوا الْكِنَتَ يُرْدُّرُكُم بَعْدَ إِبَنِيكُمْ كَفْرِينَ ﴿ ﴾

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكّرُهما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنادى كل واحد منهما بقومه، فخرجوا بالسلاح، فجاء النبي ﷺ، فأصلح بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة. قال المفسرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج. قال زيد بن أسلم: وعنى بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه. قال الزجاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم.

﴿ وَكَيْقَ تَكُفُّرُونَ وَأَنتُمْ تُتُلُ عَلَيْكُمْ مَايَتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُةٌ وَمَن يَعْنَصِم وَاللَّهِ فَقَدْ هُمْدِى إِلَى صِرَاطٍ تُسْتَقِيمِ ۖ ۞ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَمْنَهِم بِاللَّهِ﴾. قال ابن قتيبةً: أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع، قال الزجاج: ويعتصمَ جزمٌ بدمن، والجواب ﴿فَنَدْ مُدِيَّ﴾.

﴿ يُكَانُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُقَالِهِ. وَلَا تَمُونُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾

قال عكرمةُ: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبي ﷺ بينهم. وفي احق تقاته، ثلاثة أقوال: أحدها: أن يُطاع الله فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ (١٦) وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

⁽١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٤ موقوفاً غير مرفوع، وإسناده صحيح. ورواه ابن مردويه مرفوعاً كما ذكر المصنف، قال ابن كثير. والأظهر أنه موقوف.

فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين: أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: ﴿ فَالنَّقُوا اللهُ مَا استَطَعَتُم الله التنابن: ١٦]. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاوس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق تقاته» الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله عن الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق تقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿ مَن الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق تقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿ مَن الواحد مفسراً لاحق تقاته الا ناسخاً ولا مخصصاً.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِمَبَلِ اللَّهِ جَمِيمًا وَلَا تَشَرَقُواْ وَاذَكُرُوا نِمْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاتُهُ فَالْكَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ؞ إِخْوَانً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا مُغْرَوْ مِنَ النَّارِ فَانتذَكُم مِنتَاتًا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ مَائِتِهِ. لَمَلَكُرْ نَبْتَدُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَعْتَمِمُوا عِمَلِ اللهِ مَمِيمًا﴾ قال الزجاج: اعتصموا: استمسكوا. فأما الحبل، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله: القرآن: رواه شقيق عن ابن مسعود (۱۱ وبه قال قتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود. والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. وقال ابن زيد: هو الإسلام. والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيد، واحتج له الزجاج بقول الأعشى:

أخلت من الأخرى إليك حبالها(٢)

وإذا تُسجورُوُها حسيالُ قسيسلة وأنشد ابن الأنبارى:

فلوحبلاً تناول من سُليمي لمد يحبيلها حبيلاً متينا

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية. والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان. قال الزجاج: وقوله: «جميعاً» منصوب على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به. وأصل «تفرّقوا»: تتفرّقوا» إلا أن التاء حلفت لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحذوفة هي الثانية، لأن الأولى دليلة على الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال، وهو مجزوم بالنهي، والأصل: ولا تتفرقون، فحذفت النون، لتدل على الجزم.

قوله تعالى: ﴿وَاذَكُرُواْ يَمْتَ اللّهِ عَلَيْكُمُ ﴾ اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على قولين: أحدهما: أنهم مشركو العرب، كان الشعيف، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق. والأعداء: جمع عدو. قال ابن فارس: وهو من عَدَا: إذا ظَلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَعْتُم ﴾ أي: صرتم، قال الزجاج: وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخى مسار فلان، أي: ما يسره. والشّفا: الحرف. واعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك، وقربهم من العذاب، كأنه قال: كنتم على حرف حفرةٍ من النّار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكفر. قال السدي: فأنقذكم منها محمد ﷺ.

﴿ وَلَتَكُن مِنكُمْ أَمَّةٌ ۚ يَدْعُونَ إِلَى الْمَنْيَرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَرُونِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِّ وَأُولَتِكَ هُمُ الْمُغْلِعُونَ ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ يَنكُمُ أَنَهُۗ﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَاَجْتَكِبُواْ ٱلرِّبِتِسَكِ مِنَ ٱلْأَوْلَانِ﴾ [الحج: ٢٠] معناه: اجتنبوا الأوثان، فإنها رِجس. ومثله قول الشاعر:

⁽١) رواه الطبري وإسناده صحيح، ولفظه: «إن المسراط محتضر تحضره الشياطين، يتادون: يا عبد الله، هلمٌ هذا الطريق، ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله على علم الله على عبد الله ع

 ⁽٢) من «ديوانه» ص٢٧ من قصيدته في قيس بن معد يكرب، وهذا البيت في ذكر ناقته. يقول: إذا ما أخذت من قبيلة عهودها حتى اجتاز ديارها آمناً، أعطتها القبيلة التي تليها عهداً وذماماً أن تخترق ديارها آمنة لا ينالها أحد بسوء، وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخاف، فكل قاصد إليه، واجد الأمان حيث سار.

يأبى الظلامة منه النَّوفل الزفر(١)

أخورغائب يعطيها ويسألها

وهو النوفل الزفر. لأنه وصفه بإعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر: الذي يحمل الأثقال. ويدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿ ثُنتُم خَير أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعُرُونِ وَيدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿ ثُنتُهُونِ عَنِ الشُنكِ فِي قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة، لأن الدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض، كالجهاد، فأما الخير، ففيه قولان: أحلهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل. والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وأما المعروف، فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر، وقبل: المعروف ها هنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَنْدِ مَا جَآءَمُمُ الْبَيِّنَكُ وَأُولَتِكَ لَمُمْ عَذَابُ عَظِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَنُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: أنهم الحُرورية^{٢١)} قاله أبو أمامة.

﴿ وَمَ تَبْيَشُ وَجُوهُ وَمَسْوَدُ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ السَوَدَت وُجُوهُهُمْ أَكَثَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَائِكُمْ فَذُوفُوا الْفَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ تَبْيَضُ مُرُجُوهٌ وَشَرَوُ وَجُوهٌ ﴾ قرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عمران الجوني، وأبو نهيك: «تبيض» و«تسود»، بكسر الناء فيهما. وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبو الجوزاء: «تبياضٌ» و«تسوادُ» بألف، ومدة فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: فأما الذين اسوادَّت وابياضَّت، بألف ومدة. قال الزجاج: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيض وجوه. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنَّة، وتسود وجوه أهل البدعة. وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال: أحدها: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أبيّ بن كعب. والثاني: أنهم المحافروية، قاله أبو أمامة، وأبو إسحاق الهمذاني. والثالث: اليهود، قاله ابن عباس. والرابع: أنهم المنافقون، قاله الحسن. والخامس: أنهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ أَكُنْرُ ثُمُ ﴾ قال الزجاج: معناه: فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَلِسْمَنِيلُ رَبّنا لَتَبَلّ مِنَا لَهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: ويقولان: ربنا تقبّل منا. ومثله: ﴿ قِن كُلِّ بَابٍ سَلَامُ عَلَيْكُمْ ﴾ [الرمد: ٢٥] المرهد: ٢٥] والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم، وأنكروا بقلوبهم.

قوله تمالى: ﴿ فَلَا وَلَهُمَا الْمُدَابَ ﴾ أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكأنهم جعلوا ما يُتَعَرَّف ويُعرف مذوقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند النطعم، تقول العرب: قد ذُقتُ من إكرام فلان ما يُرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ما عنده. قال تميم بن مقبل:

أو كالمُستِرِّ إِلْ رُديني تُلاوِقُه أيدي التجار فزادوا متنه لينا(")

 ⁽١) هو لأعشى باهلة، من قصيدة جيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي. والظلامة: ما أخذ ظلماً. النوفل: الكثير النوافل، وهي العطايا، واحدتها: نافلة. الزافر: القوي على الحمالات، وهي الغرامات التي تحملها عن القوم. قال في «اللسان» وقوله: «منه، موقدة للكلام، كما قال تعالى: ﴿بَغْفِرَ
 لَكُمْ مِن نُوْبُورُ ﴿ الأحقاف: ٣]. والمعنى: يأي الظلامة، لأنه النوفل الزفر.

⁽٢) الحرورية: هم المخوارج الذين قاتلهم علي ﷺ، نسبة إلى حروراء. قال ياقوت في المعجم البلدان،: وحروراء، بفتحتين وسكون الواو، وراء أخرى وألف ممدودة: قرية بظاهر الكوفة، وقبل: موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً ﷺ فنسبوا إليها.

 ⁽حيوانه، ص: ٣٢٨. وقد جاه فيه وتداوله، مكان وتذاوته، والرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تنفن هي وزوجها سمهر صنع الرماح بخط هجر. التجار: جمع تاجر، وهو الذي يتجر في الشيء، الحاذق بالأمر. شبه تثني النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن. وقال الشماخ في وصف القوس:

فذاق فأعطت من اللين جانباً

وقال الآخر:

وإذَّ الله ذاق حُسلسومَ قسيبس فسلمَا راءَ خِفُسَتَها قسلاها()

يعنون بالذوق: العلم. وفي كتاب الخليل: كُلُّ مَا نزل بإنسان من مكروهٍ. فقد ذاقه.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱلْبَضَتَ وُجُوهُهُمْ فَنِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فَهَا خَلِدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اَبَيْضَتْ وُجُومُهُمٍّ﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون. ورحمة الله: جنته، قال ابن قتبة: وسمَّى الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته. وقال الزجاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها» توكيداً. ﴿وَلَكَ مَائِكُ أَلَتُو نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقُّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْتَكَذِينَ ﴿

. قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْتَالِمِينَ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جُرمٍ. وقال الزجاج: أعلمنا أنه يعذب من عذبه باستحقاق.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّكَنَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضُ وَإِلَى اللَّهِ زُبِّيمُ ٱلْأَمُودُ ۞ كُنتُمْ خَيْرَ أَمْنَةٍ أَخْرِجَتْ الِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَمْنَهُونَكَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوَ مَامَكَ آهَلُ الْكِتَبِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يَنْهُمُ اللَّوْيِنُوكَ وَآخَرُهُمُ اللَّنيِنُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ﴾ سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة [وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل]: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل. وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل بدر. والثاني: أنهم المهاجرون(٢٠). والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس. وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿إِنكُم تُوفُونَ سَبِعَينَ أُمَّةُ أَنتُم خيرِها، وأكرمها على الله تعالى،(٣٠). قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمته(٤٠). وفي قوله تعالى: ﴿كُنتُهُۥ قولان: أحلهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ. والثاني: أن معناه: خُلِقتم ووُجِنْتم. ذكرهما المفسرون. والثالث: أن المعنى: كنتم مذكنتم، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّجِيمًا﴾ [النماء: ٩٦]. ذكره الفواء(٥)، والزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راهن، أو مستقبل، كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾ ومعناه: أنتم، ومثله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِمِيسَى ﴾ [الماندة: ١١٦]، أي: وإذ يقول. ومثله: ﴿ أَنَّهَ أَنْرُ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١]، أي: سيأتي، ومثله: ﴿ كُنْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيتًا﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هو في المهد، ومثله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَكِيمًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٤]. أي: والله سميع بصير، ومثله: ﴿ فَتُنْبِرُ مَمَانًا نَسُقَتُهُ﴾ [فاطر: ٩] أي: فنسوقه. وفي قوله تعالى: ﴿ كُنُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

رآها لا تسطيسع لها أمسيراً فسخسلاهسا تسردة فسسي خسلاهسا قلاهاً: أبغضها. وخلاها: تركها. والخلَّى، مقصورة: الرطب من النبات، واحدته: خلاة، يقول: جعلها كالسوائم ترتاد المراعي.

رواه أحمد، والنسائي، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح؛ حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات. وروى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لمي طهوراً، وجملت أمتي خير الأمم، وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير بعدما ساقى الأحاديث الثابتة في فضل أمَّة محمد ﷺ: فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿ تُشُمُّم خَيْرَ أَنَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَتْرُوبِ وَتَنْهَرُكَ عَنِ ٱلنَّحَدِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَمَن اتصفَ من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب اللَّين ذمهم الله بقوله: ﴿ كَانُواْ لَا يَـنَّنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ نَسْلُوهُ لِبَشَى مَا كَانُواْ يَسْمَلُونَ ﴾.

(٥) جاء في «معاني القرآن»: وقوله: ﴿ كُنُمُمْ خَيْرَ أَنْتَهُ في التأويل في اللوح المحفوظ، ومعناه: أنتم خير أمة، كقوله: ﴿ وَانْكُرُوٓا إِذْ كُنتُدُ قَلِيلًا فَكُنُّرَكُمْ [العائدة: ٨٦]. و﴿ إِذْ أَنتُدْ قَلِلُّ شُتَفَتَمَنُونَ فِي ٱلْأَيْرِينَ [الأنفال: ٢٦]. فإضمار فكان، في مثل هذا وإظهارها سواء.

⁽١) قال الجاحظ في الحيوان، ٥/ ٣٠: قال يزيد بن الصعق لبني سليم حين صنعوا لسيدهم العباس بن أنس ما صنعوا، وقد كانوا توجوه وملكوه، فلما خالفهم في بعض الأمر، وثبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رهطه: فسلسمسا ذاق خسفستسهسا قسلاهسا

لِلنَّاسِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: كنتم خير الناس للناس. قال أبو هريرة: يأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام^(١). والثاني: أن معناه: كنتم خير الأُمم التي أُخرجت.

وفي قوله تعالى: ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَمْرُونِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه شرط في الخيريَّة، وهذا المعنى مروي عن عمر بن الخطاب، ومجاهد، والزجاج. والثاني: أنه ثناء من الله عليهم، قاله الربيع بن أنس. قال أبو العالية: والمعروف: التوحيد. والمنكر: الشرك. قال ابن عباس: وأهل الكتاب: اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْهُمُ الْمُؤْمِنُوكَ﴾: مَنْ أسلم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَأَكَثَرُهُمُ الْنَسِقُونَ﴾، يعني: الكافرين، وهُم الذين لم يسلموا.

﴿ نَ بَشُرُوكُمْ إِلَّا أَذَكُ ۚ وَإِن بُعَنِيلُوكُمْ بُولُوكُمْ ٱلْأَذَبُازُّ ثُمَّ لَا بُعَمُونَ ﴿

﴿مُرِيَّتُ عَلَيْهِمُ الذِلَّةُ أَيْنَ مَا ثَيْفُتُوا إِلَّا بِحَبِّلِ مِنَ اللّهِ وَحَبْلِ مِنَ النّايِن وَيَآءُو بِنَضَبِ بِنَ اللّهِ وَمُبرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَالِكَ بِأَنْهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِتَايَنتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَبْيِنَاةَ بِغَيْرِ حَقُّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَشَدُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا ثُوَفُوا﴾ معناه: أدركوا وَوُجِدوا، وذلك أنهم أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية. قال الحسن: أدركتهم هذه الأمة، وإن المجوس لتجبيهم الجزية. وأما الحبل، فقال ابن عباس، وعطاء، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد: الحبل: العهد، قال بعضهم: ومعنى الكلام: إلا بعهدٍ يأخوذنه من المؤمنين بإذن الله قتادة، والسدي، وما بعد الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا يُعَبِّلِ مِنَ اللَّهِ ﴾ ليس من الأول، وإنما المعنى: أنهم أذلاء، إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه. وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي الآية.

﴿ ﴿ لَيْسُوا سَوَاتُهُ مِنْ أَمْلِ ٱلْكِتَابِ أَمَّةً فَآلِمَةً يَتْلُونَ مَايَاتِ اللَّهِ مَانَاتَهَ ٱلْيَالِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاتُهُ ﴾، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي التبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل، ثم جاء فبشرهم، فقال: ﴿إنه لا يصلي هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب (٢) فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه لما أسلم ابن سلام في جماعة من اليهود، قال أحبارهم: ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، ومقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدي. والثاني: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: الوقف التام ﴿لَيْسُوا سَوَاتُهُ أَي: ليس أهل الكتاب متساوين. وفي معنى ﴿قائمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الثابتة على أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها العادلة، قاله الحسن، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيد، والزجاج. قال الفراء: ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى، والكلام مبني على أخرى، لأن «سواء» لا بد لها من اثنين، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه. قال أبو ذؤيب:

 ⁽١) أخرجه البخاري ج ١٦٩/٨ موقوفاً، وهو في حكم المرفوع، الأنه في معنى الجديث المرفوع الذي رواه البخاري: اعجب الله ﷺ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل.

 ⁽۲) رواه أحمد والطبري وأبو يعلى والبزار وإسناده حسن، ولفظ أحمد: عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى العسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوْلَةٌ بِنْ أَمْلِ
 الْكِتَبِ﴾ حتى بلغ ﴿وَيَا يُنْمَكُوا مِنْ خَبْرِ فَلْنَ يُصْحَدُونُ وَاللّٰهُ وَلِيدًا إِلْكَيْرِي﴾

عسسيت إلى ها القلب إنسي لأمرو ولم يقل: أم لا، ولا أم غيّ، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر:

وم ين، بم د ، ود بم عي، د ن ، بعدم عروف العلقي، ودن ، بور. وما أدري إذا يسمَّ مستُ أرضاً أرضاً أرضاً أرساً المشرَّ الله هو يستغيني (٢)

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَنَ هُو قَنِتُ ءَانَاءَ اللّهِ سَاجِدًا وَقَابِمًا ﴾ [الزمر: ١٩] ولم يذكر ضده، لأن في قوله: ﴿فُلْ هُلْ يَسْتَوِى اللّهِينَ يَسْتَوَى وَالْدِينَ لَا يَسْتَوَى وَالزمر: ١٩]. دليلاً على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا يَكَمُّرُونَ فِايَنتِ اللّهِ وَيَقَتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾، فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مبايناً لهؤلاء. قال: و﴿ مَانَاةَ اللّهِ إِلَى اللّهِ النّهِ وَاحد الآناء: إني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إني، وإنيان، والجمع: الآناء. واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العشاء، وأله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور. والثالث: جوف الليل، قاله السدي. والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، قولان: أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه السجود المعروف، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التلاوة والسجود.

﴿ بُؤْمِنُوکَ بِاللَّهِ وَالْبَوْرِ الْآخِدِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَيُسْرَعُونَ فِى ٱلْمَنْزِعُونَ فِى ٱلْمُغَرِّرُونَ وَاللَّهِ عَنِينَ السَّنَالِدِينَ ﴿ وَمَا يَغْمَلُوا مِنْ خَيْرِ فَلَن يُصْحَفُرُونُ وَاللَّهُ عَلِيدًا بِالسَّنَابِكِ ﴿ ﴾ وَمَا يَغْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُصْحَفُرُونُ وَاللَّهُ عَلِيدًا بِالسَّنَابِكِ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفُكُواْ مِنْ خَيْرِ فَلَن يُكَكَرُوهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "تفعلوا"، وتكفروه، بالتاء في الموضعين على الخطاب، لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَيَّهِ . قال قتادة: فلن تُكفروه: لن يضل عنكم. وقرأ قوم، منهم حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: يفعلوا، ويكفروا، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة. ويقية أصحاب أبي عمرو يخيّرون بين الياء والتاء.

﴿إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُشْنِى عَنْهُمْ أَمْوَلُهُمْ وَلَا ۚ أَوْلَدُهُم مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَحْمَتُ النَّارِ هُمْ فِهَا خَلِدُونَ ۖ مَثَلُ مَا يُنِفَرُونَ فِي هَذِهِ الْمُعَرِّوْ اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ مَا أَفَلَكُنَّ أَنفُسَهُمْ مَا أَفَلَكُنَّ وَمَا طَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ يَطْلِمُونَ ﴾ يَظْلِمُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ مَا اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ مَا اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ مَا أَفَلُكُنُونَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاكِنَ أَنفُسَهُمْ مَا أَفَلُكُمْ أَلِلَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَاكُونَ أَنفُسَهُمْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُو

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَلَاهِ الْحَيَوْةِ الدُّنيا﴾ اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في نفقات الكفار وصدقاتهم، قاله مجاهد. والثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن المماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم. وفي الصرّ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النار، قاله ابن عباس، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صرّ لتصويتها عند الالتهاب. والثالث: أن الصرّ: التصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه: صرير النعل، ذكره ابن الأنباري. والحرث: الزرع. وفي معنى ﴿ ظَلَنُوا أَنفُسَهُم ﴾ قولان: أحدهما: ظلموها بالكفر والمعاصي، ومنع حق الله تعالى. والثاني: بأن زرعوا في غير وقت الزرع.

ويروى: دعاني إليها. وهما روايتان صحيحتان. وتمام معنى البيت في الذي يليه:

فسقسلست لُسقسلسبي يسا لسك السخسيسر إنسمسا يستوليسك لسلسمسوت السجسديسد حسبسابسهسا يقول: عصاني القلب، وذهب إليها، فأنا أتبع ما يأمرني به.

⁽٢) للمثقب العبدي من قصيدة جيدة في المفضليات، والبيتان تعبير صادق عن جهل الإنسان بما يخبئ له القدر من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ ﴾ قال ابن عباس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أُنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة. وحدثنا عن ثعلب، قال: بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح، والمعنى: على الحرث، كقوله تعالى: ﴿كَمْثَلِ الّذِي يَنْفِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ ﴾ وإنما المعنى على المنعوق به. وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَالَذِينَ يُتَوَفِّنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَنْوَبَا يَرْبَصَنَ فِأَنْشِهِنَ ﴾ فخبر عنه «الأزواج» وترك «الذين» كأنه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فبدأ بالذين، ومراده: بعد الأزواج. وأنشد:

لعلِّيَ إِن مالت بي الربح ميلةً على ابن أبي ديًّا ن أن يستندُّما

فخبر عن ابن أبي ديان، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندما إن مالت بي الريح ميلةً. وقد يبدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَكَةِ تَرَى اَلَّذِينَ كَنَبُواْ عَلَى اَللَّهِ وَجُوهُهُم مُسْوَدَّةً ﴾ [الزمر: ٦٠] والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَالَةُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِى مُدُورُكُمْ أَكْبُرُ قَدْ بَيْنَا لَكُمُ الْآيَدَتِّ إِن كُنتُمْ شَوْلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّا اَلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمٌ ۚ قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قوم من المومنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصِلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مباطنتهم. قال الزجاج: البطانة: الدُّخلاء الذين يستبطنون [أمره] وينبسط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس. ومعنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمُ ﴾: لا يتقون غاية في إلقائكم فيما يُضرُّكم (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِثُمُ ﴾ أي: ودُّوا عَنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرَّ، يقال: فلان يعنت فلاناً، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمةٌ عنوتٌ، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿مِّن دُوكِكُمُ ﴾ أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

﴿ فَدْ بَدَتِ الْبَغْنَا لَهُ مِنْ أَفْرَهِهِ مُ قَال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنَّه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذَّمة على قتال أهل الحرب. وروي عن عمر أنه بلغه أنَّ أبا موسى استكتب رجلاً من أهل الذمة، فكتب إليه يعنفه، وقال: لا تردوهم إلى العزّ بعد إذ أذلهم الله.

﴿ مَتَانَتُمْ أَوْلَآءَ غُيثُونَهُمْ وَلَا يُمِيثُونَكُمُ وَتُوْمِنُونَ بِالْكِنَٰبِ كُلِّهِ. وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوّا مَامَنًا وَإِذَا خَلَوْا عَشُوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَايِلَ مِنَ الْفَيْظُ قُلُ مُوتُوا بِنَسْظِكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الشُّدُودِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَا اَنَّمُ أُولاَهُ عَبُرُهُمُ قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتيبة: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فأما «تحبونهم» فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافاتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال: أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس. والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة. والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية. والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، والزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَتُوكُمُ قَالُوا ۚ ءَامَنًا﴾ هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود. والأنامل: أطراف الأصابع. قال ابن عباس: والغيظ: الحنق عليكم، وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضُرِب مثل لما حلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة، ومعنى ﴿مُوثُوا بِنَيْظِكُمُ ﴾: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئماً. قال

⁽١) قال القرطبي: معنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالُا﴾ لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

ابن جرير: هذا أمر من الله تعالى لنبيِّه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمداً من الغيظ.

﴿إِن تَسَسَّكُمْ حَسَنَةً شَوْهُمْ وَإِن تُصِبَّكُمْ سَيِّنَةً يَشَرَحُوا بِهَا ۚ وَإِنْ تَصْهِرُوا وَتَنَقُوا لَا يَعَبُرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْمَلُونَ نُحِيدًا ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَكُمْ مَسَنَةٌ﴾ قال قتادة: وهي الألفة والجماعة. والسيئة: الفرقة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين. وقال ابن قتيبة: الحسنة: النعمة. والسيئة: المصيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَمَّمْ يُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس. والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُواُ﴾ قولان: أحدهما: الشرك،قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لاَ يَشُرُّكُمُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، «يضِرْكم» بكسر الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿لاَ يَضُرُّكم» بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاج: الضر والضير بمعنى واحد. فأما الكيد فقال ابن قتيبة: هو المكر. قال أبو سليمان الخطابي: والمحيط: الذي أحاطت قدرته بجميع خلفه، وأحاط علمه بالأشياء كلها.

﴿ وَإِذْ غَدُوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَامِدَ لِلْقِتَالُّ وَاقَهُ سَمِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَرُتَ مِنْ أَمَّلِكَ ﴾ قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله ببدر، وإذ خدوت من أهلك. وقال ابن قتيبة: تبوئ، من قولك: بوَّأتُك منزلاً: إذا أندتك إياه، أو أسكنتكه. ومعنى ﴿مَكَلِيدُ لِلْقِتَالِ ﴾: المعسكر والمصافّ. واختلفوا في أي يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم أحد، قاله عبد الرحمٰن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال. والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: يوم بدر، نقل عن الحسن أيضاً. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿إذْ هَسَّت طَالَهُ عِنْكُمُ أَن تَفْشَلَا ﴾ وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيدٌ ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: سميع لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم للخروج، عليم بما يخفون من حب الشهادة.

﴿إِذْ هَمَّت ظَامِّهُمَّانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلًا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَّا وَكُلْ اللَّهِ فَلْيَمَوَّكِي النَّوْمِثُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِذْ مَنَّتَ ظَايِّفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ قال الزجاج: كانت التبوئة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخورا. ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمُ ﴾، أي: ناصرهما. قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحبُّ أن لو لم يكن ذلك لقول الله: ﴿وَاللّهُ وَلِيُّهُمُ ﴾. وقال الحسن: [هما] طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله. وقيل: لما رجع عبد الله بن أبي في أصحابه يوم أحد، همَّت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله.

فصل

فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز [في الأمر]، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وُكلَة تُكَلّة أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَّكُمُ اللَّهُ بِبَدْدٍ وَأَنتُمْ أَوْلَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهِ لَمَلَكُمْ مَسْتَكُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ ﴾ في تسمية بدر قولان: أحدهما: أنها بئر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي. والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَتُولُ لِلْتُوْمِنِينَ أَنَ يَكُنِيكُمْ أَن يُبِدَكُمْ وَلَكُمْ قالَ الشَّعبِي: قَالَ كُرْز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحلهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والثاني: يوم أحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكفاية: مقدار سد الخلة. والاكتفاء: الاقتصار على ذلك. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: ﴿ مُنزلِينَ ﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزايء وشدها ابن عامر.

﴿ بَلَ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَنْقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوَرِهِمْ هَذَا يُسْدِدَكُمْ رَبُّكُم مِخْسَةِ ءَالنبي مِنَ الْمَلْتَهِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ وَاللَّهِ إِن نَصْبِرُوا وَتَنْقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُسْدِدَكُمْ رَبُّكُم مِخْسَةِ ءَالنبي مِنَ الْمُلْتَهِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ وَاللَّهِ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُعَالِمُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُعَالِمًا لللَّهِ مُعَالِمًا لللَّهُ مِن اللَّهُ مُعَالِمًا لللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعَالِمًا لللَّهِ مِنْ اللَّهُ مُعَالِمًا لللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعَالِمٌ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعَلِّمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعَالِمٌ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مِن أَلَّهُ مِنْ أَنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلّمُ مِنْ أَلَّا مُعْلِمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلِي مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلَّا مُنْعِلًا مِنْ أَلِي مِنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلَّا مِنْ أَلِي مِنْ أَ

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِم هَذَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير: من قال: من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر أن المراأ، وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان، ثم اتصل، وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن، وفي يوم فورهم قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة. والثاني: يوم أحد، قال مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: ﴿ مُرَوِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها، فمن فتح الواو، أراد أن الله سوّمها، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها. وقال الأخفش: سوّمت خيلها، وفي الحديث عن النبي في أنه قال يوم بدر: «سوموا فإن الملائكة قد سومت ونسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر. قال ابن قتيبة: ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء [مأخوذ]، والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال علي في: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها. وقال أبو هريرة: العهن الأحمر. وقال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة، وفيها العهن. وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمائم صفر. وروى ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدراً، ونحن على شركنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الخيل سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت (٣٠). وقال أبو داود المآزني: إني لاتبع يوم بدر رجلاً من

⁽١) نص كلام ابن جرير: فالذي قال في هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿ يَن فَرْرِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله: ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين. وأما الذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنما عنوا أن تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش، وتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها.

⁽٣) رواه ابن هشام في «السيرة» ١٣٣/، ورواه ابن جرير في «التفسير»: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، نتنظر الوقعة على من تكون النبرة، فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فعات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت، النبرة: الهزيمة في القتال. أقدم: كلمة زجر تزجر بها المخيل، وأمر لها بالتقدم. حيزوم: اسم فرس من خيل الملائكة يومنذ، ويقال: هو فرس جبريل على المدني عشاؤه. وجاء في الحديث الذي أخرجه «مسلم» ١٣٨٤، قال أبو زميل ـ هو سماك الحنفي ـ فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أماه، إذ سمع ضرية بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر =

المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله (١). وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال: أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن. وروى جبير بن مطعم عن علي ﷺ، قال: بينا أنا أمتح من قليب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يساره، وهزم الله أعداءه. والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي. والثالث: ألف، قاله مجاهد. والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج. والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

﴿ وَمَا جَمَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِلْطَمْيِنَّ ثُلُونِكُمْ بِيِّهِ وَمَا اَلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْمَزيدِ الْمُكِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَمَلَهُ اللّهُ ﴾ يعني المدد ﴿إِلّا بُشَرَىٰ ﴾، أي: إلا بشارة تطيّب أنفسكم، ﴿وَلِنَطْمَينَ قُلُوبُكُم بَدِّهِ ، فتسكن في الحرب، ولا تجزع، والأكثرون على أن هذا المدد يوم بدر. وقال مجاهد: يوم أحد، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعاً، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي: ليس بكثرة العَدد والعُدد.

﴿ لِيَغْطُعُ مَلَوْنَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْ يَكْجِتُهُمْ فِيَنْقَلِمُوا خَيْرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَقَطَعَ طَرَنَا﴾ معناه: نصركم ببدر ليقطع طرفاً. قال الزجاج: أي: ليقتل قطعةً منهم. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور. والثاني: يوم أحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إَذْ يَكِنْتُهُمْ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس، والزجاج. والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه. والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة. والمخامس: يلعنهم، قاله المبرد. والسابع: يغيظهم، قاله النبر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن قتيبة: أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال، كأن الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرقت العداوة كبده، والعرب تقول: العدو أسود الكبد. قال الأعشى:

فسما أجُشِمْتُ من إتسان قدوم هم الأعداء والأكباد سود(٢)

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشحه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد، لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وأضمر أضغاناً على كشور أضعالً

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقه، وكذلك: كبت العدو، وكبده، ومثله كثير.

إلى المشرك أمامه. فخر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِم أنفه، وشق وجهه كضربة بالسوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك
 رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومنذ سبمين، وأسروا سبمين.

 ⁽١) ذكر هذا الأثر ابن هشام ١٣٣/١ عن ابن إسحاق عن أبيه، عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني. ومن طريقه أخرجه الطبري وغيره.

 ⁽۲) دديوانه، ص٣٢٣. وأجشمت: على البناء للمجهول من أجشمه الأمر: إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة. إتيان قوم: يقصد قوم صاحبته التي انصرفت عنه.
 عدو أسود الكبد: أحرقت كبده العداوة.

⁽٣) هو للنمر بن تولب، وتمامه:

أقسارض أقسوامساً فسأونسي قسروضههم

قوله تعالى: ﴿ نَهُ عَلِيهُ إِ خَالِيهِ ﴾ قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أمَّل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل.

﴿ لِيْسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءُ أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُوكَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنَّسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءُ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟! فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في «أفراده» من حديث أنس (١١). وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع، والثاني: أن النبي ﷺ ممّ والربيع، والثاني: أن النبي ﷺ ممّ بسب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكفّ عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس. والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتِلوا جميعاً، فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله الواقدي. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء. والثاني: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِم﴾ قال الفراء: في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفاً على قوله تعالى: ﴿لِيَقَطَعَ طَرَفَا﴾ وإن شئت جعلت نصبه على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني، ولما نفى الأمر عن نبيه أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ﴿وَيَقِ مَا فِي اَلْتَكَوْرَ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَلَهُ وَيُمَذِّبُ مَن يَثَالَةُ وَاللّهُ عَفُورٌ رَّحِيدٌ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّينَوْا أَضْعَمَنُنَا مُضَمَعَنَةُ وَاتَّقُوا اللّهَ لَمَلَّكُمُ تُمثّلِحُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِي ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّيَوَا﴾ قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلّ الأجل، فيقول: أخّر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة (٤).

⁽١) ورواه أحمد في المسندة والترمذي وغيرهما، والرباعية على وزن ثمانية: الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا بين الثنية والناب.

⁽٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿ لِنَسَ لَكَ مِنْ اللَّهُمِ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ عَلَيْمُ عَلِيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْكُ عَلَيْمُ عَلِي عَلَيْمُ عَلَيْم عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِيْمُ عَلِي

⁽٤) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «عمدة التفسير» ٣٨/٣ تعليقاً على هذه الآية: والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا، وأولياؤهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي، بل التشريع اليهودي في الربا يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة، ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا، على ما ترضى أهواؤهم وأهواه سادتهم، ويتركوا الآية الصريحة: ﴿وَإِن تُبُنِّمُ تَلَكُمُ مُرُوسُ أَمْرَاكُمُ لَا تَظَيْمُونَ لَا تَعَلَّمُ الْمَيْتُ الْكِنَّةِ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ الْمُعْرَافِ الله فاحذروهم﴾. وقال في تلاعبهم بتأول هذه الآية الصريحة أسوأ حالاً ممن ﴿ فَيَهِّمُونَ مَا تَتَكَبُهُ الْمِيْتُة وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالْمِيْتُ وَالله الذين سمى الله فاحذروهم﴾. وقال الشيخ محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم» ص١٥٥، بقي علينا أن ننبه في هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولمين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي، ليعرفوا بالتجديد، وعمق التفكير، يحاولون أن يجدوا تخريجها للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير، أو السندات الحكومية أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك. فمنهم من يزعم أن القرآن إنها حرم الربا الفاحش بدليل قوله: ﴿ أَشَكَمُنَا مُنْكُنَمَا قَدْ فِي التحريم لا بدأن يكون له فائدة، وإلا كان الإنيان به عبشاً، تعالى الله عن ذلك، وما الفاحش بدليل قوله: ﴿ أَشَكَمُنَا مُنْهُ فَهِ فَا قيد في التحريم لا بدأن يكون له فائدة، وإلا كان الإنيان به عبشاً، تعالى الله عن ذلك، وما =

﴿ وَائْتُمُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَنْدِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَاتُـتُوا اَلنَارَ الْنِيَ أُعِدَّتَ لِلْكَنْدِينَ ﴿ قَالَ ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لثلا يستحلوا الربا. قال الزجاج: والمعنى: اتقوا أن تحلوا ما حرّم الله فتكفروا.

﴿ وَالْطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَمَلَكُمْ مُرْحَمُونَ ﴿ وَسَادِعُوا إِلَى مَمْ فِرَوْمِن وَيْكُمْ وَجَمَّةُ عَمْهُ السَّمَوَتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتَ لِلمُنَوِينَ ﴾ ﴿ وَسَادِعُوا إِلَى مَمْ فَرَوْ اللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَ

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّمَ عَهْنُهَا اَلسَّكُونَ وَالْأَرْضُ ﴾ قال ابن قتيبة: أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة. وقال النبي الله للمنهزمين يوم أحد: (لقد ذهبتم فيها عريضة). قال الشاعر: كسأن بسلاد الله وهسى عسريسضسة على الخائف المطلوب كِفةُ حابل(١)

قال: وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق. وقال سعيد بن جبير: لو ألصق بعضهن إلى بعض كانت الجنة في عرضهن.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلتَّرَّآءِ وَالغَنْرَآءِ وَالصَّطِيبَ ٱلْغَنْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُعْيِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالشَّرَآءِ ﴾ قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطرهم الرخاء، فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا.

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَوْلِينَ ٱلْمَيْطَا ﴾ قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظم البعير (٢) على جرّته: إذا رددها في حلقه. وقال ابن الأنباري: الأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم. وروى ابن عمر عن النبي على أنه قال: (ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى (٣).

فائدته في زعمهم إلا أن يوخذ بمفهومه، وهو إباحة ما لم يكن أضغافاً مضاعفة من الربا. وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله:

﴿ أَشْكِنا مُنْ الْمَنْ الله وَ وَيَحْدُ لِمفهومه، وهو إباحة ما لم يكن أضغافاً مضاعفة من الربا، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا لَمْ يَسَلُمُ مُنَّ الْمَنْوَا مُرْمَ لَلْمَرْزِ ﴾ [النور: ٣٣] فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراء الفتيات على البغاء في حالة إرادتهن التحصن، وأن بيجه لهن إذا لم يردن التحصن، ولكنه يبشع ما يفعلونه، ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أفظع ما يصل إليه مولى مع مولاته، فكذلك الأمر في آية الرباء يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافاً مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً، ووعد الله بمحق الربا قل أو كثر، ولمن آكله ومؤكله، وكاتبه وشاهديه، كما جاء في الأثار، وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله، واعتبره من الظلم الممقوت، وكل ذلك ذكر فيه في الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أوكثير. ومنهم من يميل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا، وإلا اضطربت أحوالها بين الأم، فقد دخلت بذلك في قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وهذا أيضاً مغالطة، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه، إنما هو وهم من الأوهام، وضعف أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء. وخلاصة القول: إن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جرأة على الله تعالى، وقول عليه بغير علم، وضعف في الذين، وتزاؤل في القين.

 ⁽١) البيت غير منسوب في «الكامل» و«اللسان» وروايتهما: «كأن فجاج الأرض». والحابل: الصائد. وكفته: حبالته التي يصيد بها.

⁽٢) الجرة، بالكسر: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلغه.

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» وابن ماجه عن ابن عمر، ونقل السندي عن «زوائد البوصيري» قال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه ابن ماجه، ورواته محتج بهم في الصحيح. الجرعة: يجوز فيها ضم الجيم، وهي الاسم من التجرع، أي: الشرب، ويجوز فتحها، وهي المرة الواحدة منه، والمجرعة بالضم أيضاً: مل اللم يتلمه، وتجرع الجرعة: شربها وابتلمها. قال في «اللسان»: وجرع الغيظ: كظمه على المثل بذلك. وفي «النهاية»: كظم الفيظ: تجرعه واحتمال سبه، والصبر عليه.

آل عمران: ١٣٥ ... ١٣٦

قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فيه قولان: أحلهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والربيع. والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

﴿وَالَذِبِكَ إِذَا فَمَـٰلُوا فَنَحِشَةً أَنَّ ظَلَمُوٓا النُسُهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِلنُّوْيِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلَّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَمَـٰلُوا وَهُمْ يَمْلُنُوكَ ۞ أُوْلَتَهِكَ جَزَاؤُهُم مِّغْفِرَةً مِن زَّيْهِمْ وَجَنْتُ جَسِرِى مِن تَفْتِهَا الأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيها وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَكِيلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيكَ إِذَا فَمَالُوا فَاحِشَةً ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمراً فضمّها، وقبّلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس(١٠). والثاني: أن أنصارياً وثقفياً آخى النبي ﷺ بينهما، فخرج الثقفي مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعهد أهل الثقفي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فلخل ولم يستأذن؛ فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فأدبر راجعاً فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، قال: فخرج يسيح في الحبال، ويتوب إلى الله من ذنبه، فلما قدم الثقفي أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخي، فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك منه مخرجاً، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس(٢٠). وذكره مقاتل. والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: ﴿ الْا أَخْبُرُكُم بِخْير من ذلك افقرا هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء^(٣). واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين: أحدهما" أنها نعت لهم، قاله الحسن. والثاني: أنها لصنف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها الزني، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين. واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظُّلم للنفس فاحشة أيضاً، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر. وفي قوله تعالى: ﴿ ذَكُرُوا اللَّهَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك. والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدي. والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير. والرابع: ذكر نهى الله لهم عنه. والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي. فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه (٤). وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مواقعة الذنب عند الاهتمام به، وهذا مذهب مجاهد. والثائي: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة (٥)، وابن إسخاق. والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدى(١): وفي معنى ﴿وَهُمْ يُمْلُمُوكِ﴾ ثلاثة أقوال:

⁽١) ذكره الواحدي في أأسباب النزول؛ بدون سند. (٢) رواه الواحدي في أأسباب النزول؛ من طريق الكلبي، وهو ضعيف جداً

 ⁽٣) دواه الواحدي عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

⁽٤) جاء في معجم المقايس اللغة؛ ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وإنما جعلناه قياسه، لأن العزم على الشيء والإجماع عليه، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء.

⁽٥) روى الطبري عن قتادة قوله تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَكُواْ وَهُمْ يَسْلَمُونَ﴾ فإياكم والإصرار، فإنما هلك المصرون الماضون قدماً لا تنهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك؟

⁽٦) قال أبو جعفر الطبري ٧/ ٢٣٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: الإصراز: الإقامة على الذنب عامداً، وترك التوية منه. ولا معنى لقول من قال: الإصرار على الذنب هو مواقعته، لأن الله في مدح بترك الإصرار على الذنب مواقعة فقال: ﴿ وَالَّذِيكَ إِذَا فَسَكُوا مَنِحَةٌ أَزَ طَلَكُوا المُنْهُم ذَكُرُوا الله في قال: ﴿ وَالَّذِيكَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله المواقع الذنب مصراً بمواقعته للله المنتفار عن الدنب مصراً بمواقعة عاصله وجه. وقد الله على كل للاستففار وجه مفهوم، لأن الاستففار وإن عاد في اليوم سيمين موقة، حدثني بللك الحصين بن يزيد السبعي قال: حدثنا عبد الحميد وي عن النبي في أنه قال: هما أصر من استففر وإن عاد في اليوم سيمين موقة، حدثني بللك الحصين بن يزيد السبعي قال: حدثنا عبد الحميد الحميد الحميد من عثمان بن واقد، عن أبي نصورة، عن مولى لأبي بكر، عن أسول الله في فلو كان مراقع الذئب مظراً لم يكن لقوله: قما =

أحدها: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التمادي، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة. والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

﴿ وَمَدْ خَلَتْ مِن مَّبْلِكُمْ سُنَنٌّ مَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيْمَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَدَ خَلَتَ مِن فَبُلِكُمُ سُنَنٌ ﴾ السنن: جمع سنة، وهي الطريقة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس. والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد. وفي معنى ﴿ فَسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه السير في السفر. قال الزجاج: إذا سرتم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم. والثاني: أنه التفكر. ومعنى: فانظروا: اعتبروا، والعاقبة: آخر الأمر.

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدُى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هَلَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ قال سعيد بن جبير: هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران» وفي المشار إليه باهذا» قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وتتادة، ومقاتل. والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن إسحاق. والبيان: الكشف عن الشيء، وبان الشيء: اتضح، وفلانٌ أبين من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي: هذا بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا غَنزَنُوا وَانتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُشُتُم تُقْمِينِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحَرَثُوا ﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوَّة لنا إلا بك فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس(٬٬٬ قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿وَلا تَهِنُوا ﴾ أي: ولا تضعفوا. وفيما نهوا عن المحزن عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس. والثاني: أنه هزيمتهم يوم أحد، وقتلهم، قاله مقاتل. والثالث: أنه ما أصاب النبي ﷺ من شجه، وكسر رباعيته، ذكره الماوردي. والرابع: أنها ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابن عباس: يقول: أنتم الغالبون فآخر الأمر لكم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْسَكُمُ قَرَّ ﴾ قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النبي ﷺ ما لقوا، نزلت هذه الآية. فأما المس، فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع قرح، بفتح القاف وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم قرَّر وبضم القاف. واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو ببيد: القرح بالفتح: الجراح، والقتل. والقرح بالضم: ألم الجراح، وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح والمها، قال: ومعنى نداولها، أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون، قال: ومعنى ﴿وَلِيّعَلَمُ اللّهُ ﴾ أي: ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا: الرؤية.

أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة معنى، لأن مواقعة اللنب إذا كانت هي الإصرار، فلا يزيل الاسم الذي لؤمه معنى غيره، كما لا يزيل
 عن الزاني اسم زان، وعن القاتل اسم قاتل تويته منه، ولا معنى غيرها. وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير المواقعة، وأنه المقام عليه، على ما قاتا قبل.

وقال ابن كثير بعد ذكره الحديث السابق الذي استدل به الطبري: ورواه أبو داود، والترمذي، والبزار في قمسند، من حديث عثمان بن واقد، وقد وثقه يحيى بن معين، وشيخه أبو نصيرة الواسطي، واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد، وابن حيان، وقول علي بن المديني، والترمذي: ليس إسناد هذا الحديث بذاك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي يكر، ولكن جهالة مثله لا تضر، لأنه تابعي كبير، ويكنيه نسبته إلى أبي بكر، فهو حديث حسن.

⁽۱) رواه ابن جرير ۱/۲۳۲. عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاتُهُ قال أبو الضحى: نزلت في قتلى أُحد، قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نلتمس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون: وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أُحد مع ابن أبيّ المنافق، من المنافق، الم

﴿ وَلِيُمْتَحِمَنَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَيَمْعَقَ ٱلكَنْدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَجِّمَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين. وفي التمحيص قولان: أحلهما: أنه الابتلاء والاختبار، وأنشدوا:

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففا فكشَّفه التمحيص حتى بدا ليا(١)

وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قيبة في آخرين. والثاني: أنه التنقية، والتخليص، وهو قول الزجاج. وحكي عن المبرّد، قال: يقال: محص الحبل محصاً: إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص، ومعنى قولهم: [اللهم] محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا^(٢). وذكر الزجاج عن الخليل أن التمحيص: التخليص، يقال: محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا أخلصته. فعلى القول الأول التمحيص ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك. قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله باللنوب عن الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّمَ عَنَى الْكَنْزِينَ ﴾ فيه أربعة أقوال. أحدهما: يهلكهم، قاله ابن عباس. والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل. والثالث: ينقصهم ويقللهم (٣)، قاله الفراء. والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج.

﴿ أَرْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَنَا يَهَدُ الَّذِينَ جَنهَكُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ القَدْيِدِنَ ۞ وَلَقَدْ كُنتُمْ قَمَنَوْنَ ٱلْمُوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُنُوهُ رَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدَ كُنتُمُ تَمَنَوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ قال ابن عباس: لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿ وَلَقَدَ كُنتُمْ تَمَنَوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ يعني القتال ﴿ مِن قَبْلٍ أَن تَلْقَوهُ ﴾ أي؛ من قبل أن تنظروا إلا من شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿ وَلَقَدُ كُنتُمْ تَمَنَوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ يعني القتال ﴿ مِن قَبْلٍ أَن تَلْقَوهُ ﴾ أي؛ من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد ﴿ فَقَدَ رَأَيْتُمُوهُ ﴾ يومئذ، قال الفراء وابن قتيبة: أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح، وفي معنى ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش، وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بُصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيتُه رؤية حقيقة. والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمنيتم. وفي الآية إضمار [أي: فقد رأيتموه وأنتم تنظرون] فلم انهزمتم!؟

﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِن مَّاتَ أَوْ فَتِسَلَ انقَلَتُمْ عَلَىٓ أَعَقَىٰبِكُمُّ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَفِيَنِهِ فَلَنْ يَشُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الظّنكِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُحَمَّدُ إِلّا رَسُولُ ﴾ قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا، ولو كان محمد حياً لم نهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية (٤٠). وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية. وقال فتادة: قال أناس: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناس من عِليّة أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرسل، أفإن مات على فراشه، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء، أتنقلبون على أعقابكم؟! أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقيبه، وأصله: رجعة القهقرى، والعقب: مؤخر القدم.

⁽١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وهو في «عيون الأخبار» ٣/ ٧٥ و الكامل؛ ١٨٣/١، وفي «الأغاني» أنه قاله في صديقه قصي بن ذكوان، ثم قال في ص٦٧ أنه قاله في صديقه الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، بعد أن تهاجرا.

 ⁽٢) في القرطبي: أي: «خلصنا من عقويتها».
 (٣) في «معاني القرآن»: «يفنيهم» بدل من «يقللهم».

⁽٤) أخرجه ابن جرير: ٧/ ٢٥٧.

قوله تعالى: ﴿ فَكُن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه. ﴿ وَسَيَجْزِى ﴾ أي: يثيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي ﷺ، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.

والثاني: أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية. والثالث: على الدين.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُوتَ إِلَا بِإِذْنِ اللَّهِ كِلنَّهَا مُؤَجَّلًا وَمَن يُرِدٌ ثَوَابَ الدُّنَيَا ثُؤتِهِ. مِنهَا وَمَن بُرِدٌ ثَوَابَ الْآنِيَا ثُؤتِهِ. مِنهَا وَمَن بُرِدٌ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤتِهِ. مِنهَا وَسَنَغْزِى الشَّكِرِينَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ في الإذن قولان:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ومعنى الآية: ومَا كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿ كِنَبُا مُؤَجِّلاً ﴾ توكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً، أي: كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد ﴿ كِنَبَ اللهِ عَلِيَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] لأنه لما قال: ﴿ حُرِّمَتَ عَلِيْكُمْ أَلَهُ لَمُهَ أَلَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] لأنه لما قال: ﴿ وَمُنْعَ اللهِ ﴾ [النمل: ٨٨] لأنه لما قال: ﴿ وَرَزَى عَلَيْكُمْ ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ مُنْتَمَ اللهِ ﴾ [النمل: ٨٨] لأنه لما قال: ﴿ وَرَزَى اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الله على أنه خلق الله فأكد بقوله: ﴿ مُنْتَعَ اللهِ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدّ ثَوَابَ الدُّنِيَا نُؤْتِدِ مِنْهَا ﴾ أي: من قصد بعمله الدنيا، أُعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أُعطي منها. وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

فصل

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم، وذهبت طائفة إلى نسخة بقوله تعالى: ﴿عَبَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآهُ لِمَن نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] والصحيح أنه محكم، لأنه لا يؤتى أحد شيئاً إلا بقدرة الله ومشيئته.

ومعنى قِولهِ تعالى: ﴿نُؤَوِّهِ مِنْهَا ﴾ أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل: ما يشاء هو.

﴿ وَكَأَيْنَ يَن نَبِي قَنْنَلَ مَمَمُ رِبِّبُونَ كَثِيِّهُ بَنَا وَمَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَمُفُواْ وَمَا اَسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُ الصَّنهِمِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيْنَ مِن نَبِيّ ﴾ قرأ الجمهور (وكأين، في وزن (كمّين، وقرأ ابن كثير (وكائن، في وزن (كاعن، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: (عكائن، مثل: «كمّين، ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: (وكائن، كأنها فاعل من كنت، وأنشدني الكسائي:

وكمائِن تىرى يىسىعى من النماس جاهداً وقال آخر:

عملى ابن غدا منه شجاع وعقرب

وكائِن أصابت مؤمناً من مُصيبة على الله عُقباها ومنه ثوائِها

وقال ابن قتيبة: كاثن بمعنى «كم» مثل قوله: ﴿وَقَائِن مِن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَثْرٍ رَبِّهَا﴾ [الطلاق: ٨] وفيها لغتان: «كأين» بالهمزة وتشديد الياء، و«كاثن» على وزن «قائل»، [ويائع] وقد قُرئ بهما [جميعاً في القرآن] والأكثر والأفصح تخفيفها. قال الشاعر:

إذا ما ازدرانا أو أصررً لمائسمٍ (١)

وكائن أريسها السموت من ذي تسحيه ي وقال الآخر:

وكائِن ترى من صامِتِ لكَ مُعجِبٍ زيدادتُه أو نقصه في التَّكالم(٢) قوله تعالى: ﴿ وَنَنَلَ مَمْمُ رَبِيُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: ﴿ قُتِل ﴾

أنشده ابن فارس في «الصاحبي» ص١٣٢، ولم ينسبه لقائل.

بضم القاف، وكسر التاء، من غير ألف، وقرأ الباقون: «قاتل» بألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، والحسن، وأبو يعمر، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «ربيون» بضم الراء، وقرأ ابن عباس، وأنس وأبو مجلز، وأبو العالية، والمجدري، بفتحها. فعلى حذف الألف يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون قتل للنبين، ويكون: ﴿فَمَا وَهُنُوا للمعنى: وكأين من نبي قتل، ومعه ربيون، فما وهنوا بعد قتله. والثاني: أن يكون قتل للربيين، ويكون: ﴿فَمَا وَهُنُوا للمعنى؛ أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال: لمن بقي منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى؛ أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال: أحدهما: أنهم الألوف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، واختاره الفراء. والثاني: الجماعات الكثيرة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي، والزجاج. والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد. والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى، قاله ابن فارس. قوله تعالى: ﴿فَنَا وَهُنُوا هُنُوا لقتل نبيهم، والا ضعفوا بنقصان قولان: أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان الخشوع، والذل، ومنه أخذ المسكين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع، والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عنوهم، ولا استكانوا بالخضوع، والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عنوهم، ولا استكانوا بالخضوع، والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا بلما أصابهم.

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَا أَن قَالُوا رَبُنَا أَغْفِرُ لَنَا ذُنُونِنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَأَنِهُمْ اللَّهُ مَا الْقَوْرِ الْكَافِينَ ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ أي: لم يكن قولهم غير الاستغفار. والإسراف: مجاوزة الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكبائر.

قوله تعالى: ﴿ وَتُكَرِّتُ أَقَدَامَنَكَا﴾ قال ابن عباس: على القتال. وقال الزجاج: معناه: ثبتنا على دينك، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه.

﴿ وْمَانَئُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُمْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةُ وَاللَّهُ بُحِبُّ الْمُعْمِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنِيّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة. والثاني: الغنيمة، قاله ابن جريج، وروي عن ابن عباس، أنه قال: النصر والغنيمة. وفي حسن ثواب الآخرة قولان: أحدهما: أنه الجنة. والثاني: الأجر والمغفرة، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو.

﴿ يَتَانَهُمَا الَّذِيرَ مَا مَنُوا إِن تُطِيمُوا الَّذِيرَ كَلْتُرُوا بَرُدُركُمْ عَلَى أَعْقَدِيكُمْ فَقَا تَلِبُوا خَسِرِينَ ﴿ فَاللَّهُ اللَّهِ مِن اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ يَتَايَّهُا الَّذِيكِ مَا مَنُوا إِن تُطِيمُوا الَّذِيكِ كَنْكُوا ﴾ قال ابن عباس: نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه، وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون على قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج. والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم. ومعنى ﴿ يَرُدُوكُمْ عَلَىٰ آَعَمَدِكُمُ ﴾: يصرفوكم إلى الشرك. ﴿ فَتَنْقَلِكُمُ عَلَىٰ العقوبة.

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَنَكُمُّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّصِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهُ مُولَدَكُمْ ۗ أَي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغنوا عن موالاة الكفار.

﴿ سَكُنْتِي فِي قُلُوبٍ ۖ الَّذِينَ كَفَتُرُوا الرُّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ. سُلَطَنَأً وَمَأُونَهُمُ النَّالُ وَبِلْسَ مَنْوَى الْطَلِينِ ﴾ الطّلِينِ الله

قوله تعالى: ﴿ سَكُنْلِقِ فِي تُلُوبِ الَّذِينَ كَفَكُوا الرُّعْبَ ﴾ (١) قال السدي: لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشرذمة، تركتموهم؟! ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية. والإلقاء: القذف. والرعب: الخوف. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو

⁽١) ثبت في الصحيحين؛ من حديث جابر رفي أن رسول الله على قال: المعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرهب مسيرة شهر، وجملت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة.

عمرو، وحمزة «الرُّعْب» ساكنة العين، خفيفة. وقرأ ابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر، مضمومة العين، مثقلة، أين وقعت. والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة. والمأوى: المكان الذي يؤوي إليه. والمثوى: المقام، والثوى: الإقامة. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿ وَلَقَتَدُ مَكَنَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُۥ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۚ حَقَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي ٱلْأَسْرِ وَعَصَكِيْتُم قِنْ بَسْدِ مَا أَرَيكُمُ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مِّن يُرِيدُ الدُّنِيَا وَمِنكُم مِّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ مَكَوْنَكُمْ عَنْهُمْ لِبَنْتَلِيكُمُّ وَلَقَدُ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَغَسْلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَرَدُ مَكَدُكُمُ اللّهُ وَعَدَهُ وَاللّهُ اللهُ وَعَدَهُ وَاصحابه من أحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟! فنزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم، فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزِموا. وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله عليه موطن ما نُصر في أحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿ وَلَقَرَدُ مَكَدُكُمُ اللّهُ وَعُدَهُ وَ لَا تَحُسُونَهُ مَ بِإِذْنِهِ فَي فاما الحسُّ، فهو القتل، قاله ابن عباس (١١)، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة. وقال ابن قتيبة: تحسونهم، أي: تستأصلونهم بالقتل، يقال: سَنةٌ حسوس: إذا أتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد.

وفي قوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِدِيُّ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس. والثاني: بعلمه، قاله الزجاج. والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ حَقَى إِذَا فَشِلْتُ مُ قَالَ الزجاج: أي: جبنتم. ﴿ وَتَنَزَعْتُمْ ﴾ أي: اختلفتم ﴿ يَنَ بَسَدِ مَا أَرَسَكُم مَّا يُحبُونَ ﴾ يعني: النصرة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتم وعصيتم، وهذه الواو زائدة، كقوله تعالى: ﴿ فَلَنَا آسُلُنَا وَنَلَمُ لِبَجِينِ ﴿ وَالْكَانَا عُلَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَ﴾ قال المفسرون: هم الذين طلبوا الغنيمة، وتركوا مكانهم. ﴿ رَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِـرَةُ﴾ وهم الذين ثبتوا. وقال ابن مسعود: ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ مَكَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ أي: ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم. ﴿ لِبَتَلِيكُمْ ۗ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدَ عَمَا عَنَكُمُ فيه قولان: أحلهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس. والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن. وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب لله، يقاتلون في سبيل الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَمَسْلِ عَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس. والثاني: إذ لم يقتلوا جميعاً، قاله مقاتل.

إِذْ نُسْمِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٓ أَحَكِ وَالرَّسُولُ بَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَىنَكُمْ فَأَنْبَكُمْ غَمَّنَا بِغَنْمِ لِكَيْمِلَا تَحْدَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَدَبُكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿
 مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَدَبُكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

⁽١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠٩ والحاكم ٢٩٦/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» و ٢٤/٨، وقال: وهذا حديث غريب، وهو من مرسلات ابن عباس، وله شواهد من وجوه كثيرة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسْمِدُوكَ وَلاَ تَكُونُكِ ﴾ قال المفسرون: ﴿إِذَى متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ عَفَا عَنصَامُ ﴾ وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين، من قوله: «تصعدون» وهو من الإصعاد وروى أبان عن ثعلب، عن عاصم فتحها، وهي قراءة الحسن، ومجاهد، وهو من الصعود. قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار، والمخارج، تقول: أصعدت من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على سلم أو درجة، قلت: صعدت، ولا تقول: أصعدت. وقال الزجاج: كل من ابتدأ مسيراً من مكان، فقد أصعد، فأما الصعود، فهو من أسفل إلى فوق. ومن فتح التاء والعين، أراد الصعود في الجبل، وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة، وابن قتيبة، و«تلوون» بمعنى: «تعرّجون». وقوله تعالى: ﴿عَلَ أَحَدِ ﴾ عام، وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي على قال: والنبي على يناديهم من خلفهم: ﴿إِلَيُ عباد الله، أنا رسول الله، وقرأت عائشة، وأبو الجوزاء، وحميد (على أحد) بضم الألف والحاء، يعنون الجبل.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْبَكُمْ ﴾ أي: جازاكم. قال الفراء: الإثابة هاهنا بمعنى عقاب، ولكنه كما قال الشاعر: أخساف زيساداً أن يسكسونَ عسطساؤه أداهِمَ سوداً أو مسحدرجة سُسْرا(١)

المحدرجة: السياط. والسود فيما يقال: القيود.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا بِنَحِ ﴾ في هذه الباء أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى قمع ، والثاني: بمعنى قبعد ، والثالث: بمعنى قعلى هذه الثلاثة الأقوال يتعلق الغمان بالصحابة. وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال: أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل. والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني: فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل قاله مجاهد. والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: عين سمعوا أن النبي تلا قد قتل، قاله قتادة. والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي. والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، ذكره الثعلبي. والقول الرابع: أن الباء بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غممتم غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد والقول الرابع: أن الباء بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غممتم غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غمومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جُوزوا لأجله لغيرهم. وفي المراد بغيرهم قولان: أحدهما أنهم المشركون غموهم يوم بدر، قاله الحسن. والثاني: أنه النبي على غموه حيث خالفوه، فجوزوا على ذلك، بأن غموا بما أصابهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ لِصَّيْلًا تَحْدَنُوا ﴾ في «لا » قولان: أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها النفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: فأثابكم غماً أنساكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أن النبي قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم. والثاني: أنه متصل بقوله: ﴿ وَلَقَدُ عَتَا عَنصُمُ ﴾ فمعنى الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم، لأن عفوه يذهب كل غم. والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم عقوبة لكم في خلافكم. ومثلها قوله تعالى: ﴿ إِنْكُلَّ يَمْدَ أَهْلُ ٱلْكِنْبِ أَلَّا يَهْدِرُونَ عَلَ شَيْهِ تَن فَضَلِ اللهِ فَا المعنه. والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم: القتل والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم:

﴿ مُنَمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ بَعْدِ الْفَرِ أَمَنَةً شَاسًا يَفْشَى طَآمِفَتُهُ مِنكُمُّ وَطَآمِفَةٌ فَدُ أَهَمَّتُهُمْ اَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ إِلَّهِ غَيْرَ الْحَقِ ظَنَّ الْمُعَلِيَّةِ يُمُولُونَ لَكُ يَتُدُونَ لَكُ يَتُولُونَ لَكُ يَمُولُونَ لَوَ كَانَ لِنَا مِنَ الأَمْرِ كُلُمُ يَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِم مَا لَا يُبْدُونَ لَكُ يَهُولُونَ لَوَ كَانَ لِنَا مِنَ الأَمْرِ مَنْ وَيُعْمَرُونَ لَكُ يَعْمُ لِنَا إِلَيْنَ كُنِيَ عَلَيْهِمُ الْفَتْلُ إِلَى مَضَاهِمِهِمْ وَلِيَبْتَئِلِ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمْجَمِّسَ مَا فِي مُنْدُورِكُمْ وَلِيُمْجَمِّسَ مَا فِي مُشْدُورِكُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُشَاهِمِهِمْ وَلِيمُتَهُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُدُورِكُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُنْدُورِكُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُنْدُورِكُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُنْدُورِكُمْ وَلِيمُجَمِّسَ مَا فِي مُنْدُورِكُمْ وَلِيمُونَ فَلِيمُ وَلِيمُ مِنْ إِلَى مَسَامِهِمْ وَلِيمُتَهُمْ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ مَنْ إِلَيْنَ مُنْهُمُ وَلِيمُ وَلِيمُ مَنْهِمُ اللّهُ مَنْ إِلَيْهُمْ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِمُ مِنْ وَلِيمُومُ وَلِيمُ وَلِيمُونَ فَي مُنْ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَوْمَ مُنْهُمُ وَلِيمُ مُنْ مُنْ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَهُ مُنْ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَهُ مُنْ وَلِيمُ وَلِهُمْ وَلَوْمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَا لِنَا مُنْ فِي مُنْ وَلِمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَا لَا مُنْهُونَ وَلَا مُنْهُونُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُولُومُ وَلِيمُونُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُومُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلِيمُ وَلَالِمُ وَلِيمُ وَلِيمُولِكُمُ وَلِيمُ وَلِ

⁽۱) قائله الفرزدق، وزياد: هو ابن أبيه، كان قد توعّد الفرزدق، ثم أظهر الرضى عنه، وأنه سيحبوه إن قصده، فلم يركن لذلك الفرزدق. والأداهم، جمع أدهم: وهو القيد. والمحدرجة: السياط، وهو وصف، من: حدرج السوط: إذا أحكم فتله حتى استوى، وسوط محدرج: مغار محكم الفتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَمْدِ النَّدِ أَمَنَةُ﴾ قال ابن قتيبة: الأمنة: الأمن. يقال: وقعت الأمنة في الأرض. وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام. وانعاساً» منصوب على البدل من «أمنة»، يقال: نعس الرجل ينعس نُعاساً، فهو ناعس. وبعضهم يقول: نعسان. قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتهيها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم. وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان: أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف لا ينام. والثاني: قواهم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآبِكَةً مِنكُمْ الله وَرَا ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يغشى» بالياء مع التفخيم، وهو يعود إلى النعاس. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى الأمنة. فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهمتهم أنفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم. قال أبو طلحة: كان السيف يسقط من يدي، ثم آخذه، ثم يسقط، وآخذه من النعاس. وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يميد تحت حَجَفَته (١) من النعاس (٢). وقال الزبير: أرسل الله علينا النوم، فما منّا رجل إلا ذقنه في صدره، فوالله إنى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا)، فحفظتها منه (٣).

قوله تعالى: ﴿يَظُنُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم ظنُّوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل. والرابع: ظنُّوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ ظُنَّ الْجُلُهِ لِيَّاتِّهِ ۗ قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ مِن ثَيَّوُ ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء. قال الحسن: قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أخرجنا كرهاً. وقال غيره: المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ ﴾، أي: النصر، والظفر، والقضاء والقدر ﴿إِلَّهِ ﴾. والأكثرون قرؤوا ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلُمُ يَتُو ﴾ بنصب اللام، وقرأ أبو عمرو برفعها، قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كله» بمنزلة «أجمعين» في الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النَّصب، و«كله» بمنزلة «أجمعين». ومن دفع، فلا أبدأ بقوله تعالى: ﴿وَرَأُهُمْ مَاتِيهِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِم ﴾ في الذي أخفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قولهم: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَنَهُمْنَا ﴾. والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله. والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد. قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن مَنَ وَ هُ عبد الله بن أبي. والذي قال: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن مَنَ وَ هُ عبد الله بن أبي. والذي قال: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ مِن مَنَ وَ ﴾ معتب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿قُلُ لَوْ كُنُمُ فِي بُيُوتِكُمُ ﴾ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتب عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى ﴿وَلِيَبْتَلِلُ مَارَانَ، وهو المكان المنكشف، ومعنى ﴿وَلِيَبْتَلِلُ اللّهُ مَا فِي مُدُورِكُمُ ﴾ أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَوِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمُّ﴾ قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتياب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمحيص خاص للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتمحيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

⁽١) الحجفة: ضرب من الترسة، تتخذ من جلود الإبل مقورة، يطارق بعضها على بعض، ليس فيه خشب، وهي الحجفة والذّرّقة.

⁽٢) روى البخاري ج٨/١٧١ عن أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النماس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سبني يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم ٢/٧٩٦ بنحو معناه. وروى ابن جرير ٧/٣١٧، والترمذي ٢/ ١٢٥، والحاكم ٢/٧٩٧ وصححه، ووافقه الذهبي، عن أنس عن أبي طلحة قال: ونعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النماس، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يَرَا بُهَدٍ النَّهِ مَنْ أَمَدُ فَلَكُ أَلَى اللهُ مَنْ عَلَيْكُمْ يَرَا بُهَدٍ النَّهَ فَلَكُ قُل الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

 ⁽٣) أخرجه ابن إسحاق، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في اللدلائل.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيكُمْ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

﴿إِنَّ النِّينَ قُولُوا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمَّمَانِ إِنَّمَا السَّرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَمْضِ مَا كَسَبُواً وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ الله عَنُورُ حَلِيمٌ ﴿ الله وَمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: قوله تعالى: ﴿إِنَّ النِّينَ تَوَلَّوا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمَّمَانِ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد (١٠). واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتيبة: هو كما تقول: استعجلت فلاناً، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان: أحدها: أنهم سمعوا أن النبي على قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج.

﴿ يَكَانُهُمُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَكُونُوا ݣَالَدِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلأَرْضِ أَوَ كَانُوا غُزَّى لَوَ كَانُوا عِندَنَا مَا مَانُوا وَمَا تُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُومِيمُ وَاللَّهُ بِمَى وَيُمِيثُ وَاللَّهُ بِمَا شَمْلُونَ بَصِيبُرُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفُرُواْ ﴾ أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب، قال الزجاج: وإنما قال: ﴿إذا ضربوا » ولم يقل: إذ ضربوا » لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً ، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضُرِب صبر. و﴿إذا » لما يستقبل إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى ﴿ مَرَبُوا فِي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فماتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى: ﴿ لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، ﴿حَسْرَةٌ فِي تُلُوبِيُّهُ أي: حزناً. قال ابن فارس: الحسرة: التلهّف على الشيء الفائت.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُمِّيءُ وَيُمِيُّ ﴾ أي: ليس تحرُّز الإنسان يمنعه من أجله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَنْمَلُونَ بَمِيدُ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿يعملون بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قبلها غيبة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَرْنِهِمْ ﴾، ومن قرأ بالتاء، فحجته ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَذَرُوا﴾.

﴿ وَلَهِن مُتَلِنَدُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أَوْ مُثُدُّ لَمَغْفِرَهُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَدُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَهِن ثُمِّتُمْ ﴾ اللام في «لئن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد ﴿أَوْ مُتَّدُ ﴾ في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتَّ» وهمُتنا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: ﴿أَوْ مُتَّدٌ ﴾ ﴿وَلَهِن مُتَّمَ ﴾ برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجَمَعُونَ ﴾ أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها. وقرأ حفص عن عاصم: (يجمعون) بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعه. قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

⁽۱) روى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبري، والبزار، بإسناد حسن، عن عاصبم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم أنخلف عن بدر، ولم أثرك سنة عمر! قال: فانطلق فخير بذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عينين، فكيف يعيرني بذلك وقد عفا الله عنه؟! فقال: في الأين وَلَوْا مِنكُمْ بِوَمَ النَّعَ الشَّيَكُلُ بِيَمْنِي مَا كَسَبُوا وَلَقَتُ عَنَا اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عنه الله عنه؟! فقال: فإني كنت أمرٌ صول الله على الله عنه بسهم، ومن ضرب له رسول الله على بسهم، فقد شهد. وأما قوله: إني تحلفت يوم بدر، فإني لا أطيقها ولا هو، فأته فحدثه بذلك. عينين، بلفظ تثنية العين: جبل من جبال أحد، ولذلك يقال له: يوم أحد، ويوم عينين.

﴿ وَلَهِن ثُنُّتُمْ أَوْ فُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ شُمَّدُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْن مُثِّمُ ﴾ أي: في إقامتكم. ﴿ أَوْ تُتِلَّتُمْ ﴾ في جهادكم. ﴿ لَإِلَى اللَّهِ شُتَمْرُونَ ﴾ وهذا تخويف من القيامة. والحشر: الجمع مع سوق.

﴿ فِهَمَا رَحْمَةِ فِنَ اللَّهِ لِنِكَ لَهُمٌّ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظً الْقَلْبِ لاَنْفَشُوا مِنْ حَوْلِكً فَاعْلُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَمُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَنَّيْ فَإِذَا عَنْهَتَ فَتَوَكَّلْ عَلَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لِحِبُّ اللَّهَ يَجِبُ اللَّهَ يَجِبُ اللَّهَ يَعِبُ اللَّهَ

قوله تعالى: ﴿ فَهِمَا رَعْمَةِ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ ۚ قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج: ‹ما› هاهنا صلة، ومثله: ﴿ فَهِمَا نَقْضِهِم يّبِتَنَقَهُرٌ﴾ قال ابن الأنباري: دخول ‹ما، هاهنا يحدث توكيداً. قال النابغة:

السمسرء يسهسوى أن يسعسيس ش وطول عيش مسا يسفسره (١)

فأكد بذكر (ما) وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها تتعلق بالنبي على والثاني: بالمؤمنين. قال قتادة: ومعنى ﴿ لِنتَ لَهُمُ ۗ لان جانبك، وَحسن خُلقُك، وكثر احتمالك (٢٠). قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيئ الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظة وفظظاً، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظاً لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظة والغلظ _ وإن كانا بمعنى واحد _ توكيداً. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: ﴿ لِاَنْفَشُولُهُ أَي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه. ﴿ فَأَعْفُ عَهُمْ ﴾ أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَتْرِ ﴾ (٣) معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنهم من: شرت العسل. وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم ألذُّ من السَّلوى إذا ما نشورُها(١)

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوراً، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاوريت فلاناً، أظهرت ما

⁽۱) (أمالي المرتضى) ١/٢٦٦، و(حماسة البحتري) ص١٣٦ و(أمالي القالي) ١٨/١، والخزانة) ١/١٥٥ وفيهما (قد يضره) بدل (ما يضره).

⁽٢) روى الإمام أحمد رقم ٦٦٢٢ والبخاري ٤/ ٢٨٧ عن صطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَكَأَيُّمُ النَّيُّ إِنَّا أَرْسَلَنَكَ مَنْهِذَا وَمُبَرِّرً وَمُدِيرً ﴾ وحرزاً للأميين، وأنت عبدي ورسولي، صميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا ينفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلقاً.

⁽٣) قال الشيخ أحمد شاكر في دعمدة التفسيرة تعليقاً على هذه الآية: وهذه الآية: ﴿ وَكَاوِرُهُمْ فِي الْأَبُ وَالآية الأخرى ﴿ وَأَدُمُمْ شُورَى يَبْهُمُ اللاعبون بالدين في هذا العصر من العلماء وغيرهم عدتهم في التضليل بالتأويل ليواطئوا صنع الإفرنج في منهج النظام الدستوري الذي يزعمونه، والذي يخدعون الناس بتسميته النظام الديمقراطي، فاصطنع هؤلاء اللاعبون شعاراً من هاتين الآيتين يخدعون به الشعوب الإسلامية أو المنتسبة للإسلام، يقولون كلمة حق يراد بها الباطل، يقولون: الإسلام يأمر بالشورى، ونحو ذلك من الألفاظ. وحقاً إن الإسلام؟ إن الله سبحانه يقول لرسوله على ﴿ وَكَاوِرُهُمْ فِي اللّهُ عَنْ عَيْنَ كُولُونَ كَلَ اللّهُ ومعنى الآية واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير، ولا يحتمل التأويل، فهو أمر للرسول على ثم لمن يكون ولي الأمر من بعده أن يستعرض آراء أصحابه الذين يراهم موضع الرأي الذين هم أولو الأحلام والنهى في المسائل التي تكون موضع تبادل الآراء، وموضع الاجتهاد في التطبيق، ثم يختار من بينها ما يراه حقاً أو صواباً، أو مصلحة، فيعزم على إنفاذه غير متقيد برأي فريق معين، ولا برأي عدد محدود، لا برأي أكثرية، ولا برأي أقلية، فإذا عزم توكل على الله، وأنفذ العزم على ما التأثين على حدود الله، المتقون الله المعتمو الصلاة، المؤدو الزكاة، المجاهدون في سبيل الله، هم الذين قال فيهم وسول الله على المهالحون الأحلام والنهى ليسوا هم الملحدين ولا المحاربين لدين الله، والمنجاد الذين لا يتورعون عن منكر، ولا الذين يزعمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله، وتهدم شريعة الإسلام، هؤلاء وأولئك من بين كافر وفاسق، موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط، لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء.

⁽٤) البيت لخالد بن زهير، ديوان الهذليين ١٥٨/١ وشرح أشعار الهذليين ١/٥٢٠. والسلوى: العسل. تشورها: تأخلها من خلبتها. قال في اللسانه: قال الزجاج: أخطأ خالد إنما السلوى طائر. وقال الفارسي: السلوى: كل ما سلاك، وقيل للعسل: سلوى، لأنه يسليك بحلاوته وتأتيه عن غيره مما تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة، يرد بذلك على أبي إسحاق الزجاج.

عنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتحنتها: فعرفت هيئتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كسأنّ السقونسفسل والسؤنسجسيسيس ل بساتسا بسفنيسها وأريساً مسسارا(١)

والأري: العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال: أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة. والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق. ومقاتل. قال الشافعي على: نظير هذا قوله الله البكر تُستأمر في نفسها أنه أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للأب أن يزوجها أن وكذلك مشاورة إبراهيم الله لابنه حين أمر بذبحه. والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك. ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال على المشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل عن الإحاطة بفنون المصالح. قال على المشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل عرف النها أمر النبي المشاورة، ولا حُصّنتِ النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. واعلم أنه إنما أمر النبي المشاورة أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارِب منهم. وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان. حكاهما القاضي أبو يعلى: أحدهما أنه أمر الدنيا خاصة. والثاني: أمر الدنيا، وهو أصح. وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض أنه أمر الدنيا خاصة. والثاني: أمر الدنيا، وهو أصح. وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض أنه أمر الدنيا،

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَرْبُتَ ﴾ قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله (١٠). وقد قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والجحدري: (فإذا عزمتُ) بضم التاء. فأما التوكل، فقد سبق شرحه. ومعنى الكلام: فإذا عزمت على فعل شيء، فتوكل على الله على المشاورة.

﴿ ﴿إِن يَشَرَّكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُّ مَ إِن يَغَذُّلُكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَشُرُكُم مِّنْ بَعْدِيدٌ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَنْمُرُكُمُ أُلِنَّهُ ﴾ قال ابن فارس: النصر: العون، والخذلان: ترك العون. وقيل: الكناية في قوله ﴿يِنْ بَعْدِهِ ﴾ تعود إلى خذلانه.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَنْلُلْ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةُ ثُمَّ نُوفَى كُلُ نَفْسِ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُطْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَن يَغُلُّ ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعل النبي ﷺ أخذها، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس (۵). والثاني: أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من

(وى الجماعة إلا البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول ا都 : «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها، وفي رواية لأحمد ومسلم وأبي داود والنسائي «والبكر يستأمرها أبوها». وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، تستأمر النساء في أبضاعهن؟ قال: قلمت: قلت: إن البكر تستأمر فستحي فسكت؟ فقال: «سكاتها إذنها».

⁽۱) روايته في الديوان ص٩٣: كسان جسنديًا مسن السنزنسجسبيس لل خسالسط فساهسا وأريساً مسشسوراً جنيًا: فعيل من: جني الثمر يجنيه. الزنجبيل: نبات طيب الرائحة معروف. الأري: عسل النحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

⁽٣) قال النووي في «شرح مسلم». وأما قوله ﷺ في البكر: «ولا تتكح البكر حتى تستأمر» فاختلفوا في معناه، فقال الشافعي وابن أبي لبلن وأحمد وإسحاق وغيرهم: الاستئذان في البكر مأمور به، فإن كان الولي أباً أو جداً، كان الاستئذان مندوباً إليه، ولو زوجها بغير استئذانها، صح، لكمال شفقته، وإن كان غيرهما من الأولياء، وجب الاستئذان، ولم يصح إنكاحها قبله. وقال الأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين: يجب الاستئذان في كل بكر بالغة.

⁽٤) في «معجم مقاييس اللغة» ٣٠٨/٤ قال الخليل: العزم: ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، أي: متيقته. ويقال: ما لفلان عزيمة، أي: ما يعزم عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم أمره، بل يختلط فيه ويتردد.

⁽٥) رواه ابن أبي حاتم، وأبو داود، والترمذي، والطبري، وقال الترمذي: حسن غريب. وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن الجزري ضعفه أحمد، وقال ابن عدي: إذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه، والراوي عنه في هذا الحديث عبد الواحد بن زياد العبدي، وهو ثقة، روى له الجماعة.

رسول الله على أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن النبي على بعث طلائعاً، فغنم النبي على غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك (۱). والمخامس: أن قوماً غلّوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبي على «من أخذ شيئاً، فهو له وقال لهم النبي الله المهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظنتم أنا نفل؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل. والسابع: أنها نزلت في غلول الوحي، قاله القرظي، وابن إسحاق. وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عبب دينهم والهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية. واختلف القراء في «يغل» فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الياء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخياثة قولان: أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين. والثاني: خيانة الوحي على قول الترظي، وابن إسحاق. وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الغين، ولها وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى وأحملته: وبحدته محموداً أن يكون: يلفى خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأجملته: وجدته محموداً أن علله الحسن، وابن قيبة. والثاني: يُخوّن، قاله الفراء، وأجازه الزجاج، ورده ابن قيبة، فقال: لو أراد: يخوّن، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر. وقيل: «اللام» في قوله ولنبي» منقولة، وهغنى وأحمدة: وما كان النبي ليُغلّ، ومثله: ﴿ كَانَ شِهَ لَن يَشَيدُ مِن وَلَيْ ﴿ [مربم: ٢٦]، أي: ما كان الله ليتخذ ولداً. وهذه الآية من الطف التعريض، إذ قد ثبت براءة ساحة النبي على من الطف التعريض، إذ قد ثبت براءة ساحة النبي على من الطف التعريض، إذ قد ثبت براءة ساحة النبي على من الطف التعريض، إذ قد ثبت براءة ساحة النبي عنه من العُلول فدل على أن الغلول في غيره. ومثله: ﴿ وَلِنَا أَلُولُ الله عَلَى العَلْول في غيره. ومثله: ﴿ وَلَا الله عَلَى الله عَلَى الله العَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى العَلَى الله عَلَى العَلْول في غيره. ومثله: ﴿ وَلَا الله عَلَى الله

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلُ يَأْتِ بِمَا عَلَ يَوْمَ الْقِيْكَةُ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري بين الشجر، والغِلُّ: وهو الحقد الكامن في الصدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال: قام فينا رسول الله على يوماً فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: ولا اللهيئ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبة بعير له رفاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثناء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا وسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا وسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا وسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. المائن والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل. والثالث: أنه يردُ عوض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿ مُثَمَّ ثُونَا كُلُ نَنْسِ مَا كَسَبَتْ ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.
 ﴿ أَنْمَنَ النَّجَ رَضْوَنَ اللَّهِ كَمَنْ بَآهَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْونَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَدِيرُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَكَنِ اتَّبُّمَ رِضُونَ اللَّهِ ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين. أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع

⁽١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير من طريق سلمة بن نبيط عن الضحاك.

⁽٢) الزيادة من فخريب القرآن؛ ص١١٥ لابن قتية.

⁽٣) رواه الإمام أحمد رقم ٩٤٩٩، والبخاري ١٩٢٦، ومسلم ١٤٦١، واللفظ الذي ساقه المصنف لمسلم. وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول ا 夢 قالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول ا 夢 الأخراب وكلان شهيد، فقال المؤمنون، قال: رسول ا 夢 الأخراب وكلان ألم المؤمنون، قال: فلان شهيد، فقال فناديت: إنه لا يدخل المجتم إلا المؤمنون، قال: فناديت: إنه لا يدخل المجتم إلا المؤمنون، وكذا رواه مسلم، والترمذي، وقال: حديث صحيح.

رضوان الله، فلم يغل، ﴿كُمَّنَّ بَآءَ بِسَخَطِ مِّنَ اللَّهِ﴾ حين غل؟! هذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحدً، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، ومن تخلف عنه، هذا قول الزجاج.

﴿هُمْ دَرُجُتُ عِندُ اللَّهِ وَاللَّهُ بَعِيدُ إِنَّا يَعْمَلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿هُمَّ دَرَجَتُ﴾ قال الزجاج: معنَّاه: هم ذورَ درجات. وفي معنى درجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن. والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتيبة. وفيمن عنى بهذا الكلام قولان: أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس. وا**لثاني:** أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَمَتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنشِيغٌ يَسْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَنتِهِ. وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِمَنْبَ وَالحِكْمَةُ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَغِي صَلَالٍ شَبِينِ ﴿

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى ٱلنُّمُوَّمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم. و«أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نسبَهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: ﴿ يُنْ النُّسِهِمَ ﴾ بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال. أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج. والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والوابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي. وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عائشة (١٦ والجمهور. والثاني: أنَّها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غيرٌ بني آدم، وهذا اختيار المزجاج. وقد سبق في [البترة] بيان باقي الآية (٢٠).

﴿ لَمَّا أَصَابَتُكُمْ شُمِيبَةٌ قَدْ آصَبَتُمْ مِثْلَتُهَا قُلْتُمْ أَنَّ هَدَأْ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنشُيكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَايِبِرٌ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَلَبْنَكُمُ مُّصِيبَةً﴾ قال عمر بن الخطاب ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَم أحد، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفرَّ أصحاب النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية [إلى قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱنْفُسِكُمْ ۗ قال: بأخذكم الفداء](٣).

قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له: أو هو ممن يڤول ذلك؟ فأما «المصيبة» فما أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنهم قتل منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحد مثلها، ويوم بدر مثلها، فجعل المثلين في اليومين. قوله تعالى: ﴿أَنَّ هَٰذَاً﴾ قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون.

⁽١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» ومعنى قول عائشة هذا: أن هذا الامتنان خاص بالعرب المسلمين، لأنهم يققهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، وليس كذلك الأعاجم.

⁽٢) قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: يعني بذلك: لقد تطؤل الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً؛ حين أرسل فيهم رسولاً: ﴿يَنْ أَنْسِهِمَ﴾ نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يققهون عنه ما يقول: ﴿ يَشَلُّوا عَلَيْهِمْ ۚ الْكِنْدِيمُ يقول: يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله، ﴿ وَيُرْكُلُومُ ﴾، يعني: يطهرهم من ذلوبهم بانباعهم إياه، وطاعتهم له فيمه المرهم ونهاهم، ﴿ وَثَوْلِكُمُهُمُ الْكِنْبُ وَالْمِكْمُهُمُ ال تأويله ومعانيه، والحكمة؛ ويعني بالحكمة، السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم، ﴿وَإِن كَانُواْ مِن فَبَلُ لَفِي صَلَامٍ شِّين﴾ يعني: وإن كانوا قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، لقي ضلال مبين، يقول في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء،

لا يعرفون حقاً، ولا يبطلون باطلاً. رواه ابن أبي حاتم، وما بين معقفين منه، وزواه الإمام أحمد في «المسئلة رقم ٢٠٨ بأطول وإسناده حسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب. وقال علي بن أبي طالب ﷺ : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدَّتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشائرنا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدّتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر (۱) فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداء، واختياركم القتل لأنفسكم. والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد، وتركهم أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أحد، فإنه أمرهم بالتحصّن فيها، فقالوا: بل نخرج، قاله قتادة، والربيع. قال مقاتل: ﴿إِنَّ اللهُ عَلَى كُلُ شَيَّو﴾ من النصر والهزيمة ﴿فَلِيرُ﴾.

﴿وَمَاۤ أَصَٰكِكُمْ بَرْمَ الْنَتَى الْمُتَمَانِ فَبِإِذِنِ اللَّهِ وَلِيمَلَمُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِيمَلَمُ الَّذِينَ نَافَتُواْ وَفِيلَ لَمُمْ تَفَالُواْ فَنَيْلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ آوِ ادْفَعُوٓاْ قَالُوا لَوْ نَفَلَمُ قِتَالَا لَائَبَعَنْكُمُ هُمُمْ لِلصَّفْرِ بَوْمَهِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ الْإِيمَانِ بَعُولُوكَ بِأَفَوْهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِيمُّ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٓ أَصَبَكُمْ يَوْمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجِمَانِ﴾ الجمعان: النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله تعالى: ﴿فَيَإِذْكِ اللَّهِ فَيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمره، والثاني: قضاؤه، رويا عن ابن عباس، والثالث: علمه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلِيْمَا مَ الْمُوْمِينَ ﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين ببوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المؤمنين بفشلهم وقلة صبرهم. قال ابن قتية: والنفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر من جِحَرتِه يخرج منه كثيراً، ويدخل منه الذي دخل فيه. قال الزيادي عن الأصمعي: ولليربوع أربعة أجحرة، النافقاء: وهو الذي يخرج منه كثيراً، ويدخل منه كثيراً، والقاصعاء، سمي بذلك لأنه يخرج تراب الجحر، ثم يقصّع ببعضه كأنه يسد به فم الجحر، ثم يدمَّ به فم فلان قد قصع بالمم: إذا امتلأ ولم يسل. والدّامّاء، سمي بذلك، لأنه يخرج التراب من فم الجحر، ثم يدمُّ به فم الجحر، كأنه يطليه به، ومنه يقال: ادمم قلوك بشحم، أي اطلها به. والرّاهطاء، ولم يذكر اشتقاقه، وإنما يتخذ هذه المجحر عدداً، فإذا أخذ عليه بعضها، خرج من بعض. قال أبو زيد: فشبه المنافق به، لأنه يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب. قال ابن قتيبة. والنفاق: لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام (*). قال ابن عباس: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي، وأصحابه. قال موسى بن عقبة: خرج النبي في ثلاثمئة. فأما النبي ها لمسلمون، وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه ابن أبي في ثلاثمئة. فأما النبي ها المرب. وغي المراد بالذعم ثلاثة أقوال: أحلها: أنه التكثير بالعدد. رواه مجاهد عن ابن عباس وهو القال، فصريم من رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه بمعنى القتال أيضاً. قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَمْلَمُ فِتَالَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحلها: أن معناه: لو نعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلمناكم، ذكره ابن إسحاق. والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم. والثالث: إنما معناه: أن هناك قتلاً وليس بقتال، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُمُ لِلْكُنْرِ﴾ أي: إلى الكفر ﴿أَقَرَبُ مِنْهُمْ الْإِيكَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، وإنما قال: يومنذ، لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ يَتُولُونَ يَأْنَوُهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم ﴾ فيه وجهان ذكرهما الماوردي: أحدهما: ينطقون بالإيمان،

⁽۱) ذكره ابن كثير ٣٢٦/٢، وقال: رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في اصحيحه من حديث الثوري به، وهذا حديث غريب جداً. وذكره السيوطي في االدر المنتور؛ ٩٣/٢، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، ونقل تحسينه عن الترمذي.

 ⁽٢) في «اللسان» وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره، ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً.

وليس في قلوبهم إلا الكفر. والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء. وذكر في الذي يكتمون وجهين: أحدهما: أنه النفاق. والثاني: العداوة.

﴿ اَلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْزَجِمْ وَقَعَدُوا لَوَ أَلَمَاعُونَا مَا تُتِلُوا أَقُلَ فَآدَرَهُوا عَنْ أَنْسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَكِيفِينَ ۞

قوله تعالى: ﴿ اَلَذِينَ قَالُوا لِإِخْرَبِمَ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أبي. وفي إخوانهم قولان: أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس. والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل. فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المنافقين: لو أطاعونا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا، وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا.

قوله تعالى: ﴿ وَقَمَدُوا ﴾ يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

قوله تعالى: ﴿ فَآدَرَهُوا ﴾ أي: فادفعوا ﴿ عَنْ أَنشُيكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ مَكِيلِقِينَ ﴾ أنَّ الحذر ينفع مع القدر.

﴿ وَلَا تَعْسَبُنَّ الَّذِينَ قُبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَتًا بَلَ أَحْيَاهُ عِندَ رَبِّهِمْ يُزَفُّونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلا غَسَبَنَ اللَّيْنَ فُيْلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الْمَوْتَا﴾ قرأ ابن عامر: قتلوا بالنشديد. واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في شهداء أحد، روى ابن عباس عن النبي على أنه قالى: «لما أصيب إخوانكم بأحد، بعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد [ولا ينكلوا(١) عن الحرب] قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١) وهذا قول سعيد بن جبير، وأبي الضحى. والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى وقالوا: ربنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في شهداء بثر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي على بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بثر معونة، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله يلى، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الأخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قله لهينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلاَ عَسَينَ الْلَينَ ثُولُوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحلها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله المن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين أن ينجبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين الستشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا: نحن

⁽١) نكل عن عدوه: جبن فنكص على عقبيه، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٣٨٨، وأبو داود رقم ٢٣٨٩، والطبري ٧/ ٣٨٥، والحاكم ٢/ ٢٩٧ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهب...

⁽٣) أخرجه ابن جرير الطبري ٣٩٣/٧ مطولاً وسنده حسن. ورواه الإمام أحمد ١٣٧/٣ و ٢١٠ و٢٨٩ بأسانيد صحيحة، وليس فيه: فنزلت هذه الآيقه ولفظه عن أنس: أن رسول الله على لما بعث حراماً خاله أخا أم سليم في سبعين رجلاً، فقتلوا يوم بئر معونة، وكان رئيس المشركين يومئذ عامر بن الطفيل، وكان هو أتى النبي على نقال: اختر مني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل، ويكون لمي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بغطفان ألف أشقر، وألف شقراه، قال: فطعن في بيت امرأة من بيت فلان، فقال: غدة كفدة البعير في بيت امرأة من بني فلان، التوني بفرسي، فأتي به، فركبه، فمات وهو على ظهره، فانطنق حرام أخو أم سليم ورجلان معه، رجل من بني أمية، ورجل أعرج، فقال لهم: كونوا قريباً مني حتى أتيهم، فإن أمنوني وإلا كتتم قريباً، فإن قتلوني، أعلمتم أصحابكم. قال: فأتاهم حرام، فقال: أتؤمنوني، أبلغكم رسالة رسول الله الله إليكم؟ قالوا: نعم. فبعل يحدثهم، وأومؤوا إلى رجل منهم من خلفه، فطعنه حتى أنفذه بالرمع، قال: الله أكبر، فؤت ورب الكعبة، قال: ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، قال أنس: فأنزل علينا وعالى وعصية اللين عصوا الله ورسوله. ورواه البخاري ٢٩٧/٧، وانظر تفصيل القصة في دالبداية والنهاية ١٤/٧، وانظر تفصيل القصة في دالبداية والنهاية ١٤/٧ على.

في النعمة والسرور، وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبنهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها(١). قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

﴿ يَصِينَ بِمَا ۚ مَاتَنَهُمُ اللَّهُ مِن نَصْلِمِهِ وَيُسْتَنِثُورُهَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِينِ مِنْ خَلِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا لَهُمْ يَحْزَقُونَ ۖ ﴿ وَمِعِنَا بِمَا مَا مَنْهُمُ اللَّهُ مُنْ يَحْزَقُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَرَحِينَ ﴾ قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه، والاستبشار: السرور بالبشارة، ﴿ بِالنِّينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِيم يِنْ خَلْنِهِم ﴾ إخوانهم من المسلمين. وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم، فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة. والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي، واللهاء والمهم، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الفراء: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن، وفي ماذا يرتفع «الخوف» واللحزن عنهم؟ فيه قولان: أحدهما: لا خوف عليهم فيما يقدمون خوف عليهم فيما يقدمون عليهم فيما يقدمون عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموائه، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموائه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

﴿ ﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَبْرَ ٱلشُّؤْمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَنْبُورُنَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَنَشْلِ﴾ قال مقاتل: برحمة ورزق.

قُوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهُ﴾ قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله، وقرأ الكسائي بالكسر على لاستثناف.

﴿ الَّذِينَ اَسْتَجَابُوا يَهُ وَالرَّسُولِ مِنْ بَمْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلدَّرَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَمُّو عَظِيمُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ اللّٰهِ السّمَابُوا بِيّهِ وَارْسُولِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، نلب النبي على أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قوماً، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أني في جمع كثير، ونراك في قلق، فأبي إلا أن يطلبه، فسبقه أبي في جمع كثير، ونزاك في قلق، فأبي إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس (٢٠)، والجمهور. والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، وخرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نُعيم بن مسعود (٢٠)، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جدب، لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أنّا في جمع كثير، فلقيهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الركيل، وخرج النبي على المصحابه، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فنزل قوله تعالى:

⁽١) روى الإمام مسلم في فصحيحه عن مسروق قال: إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا غَسَرَةً اللَّيْنَ تُمِثْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَنًا بَلَ أَمْيَاهً عِندَ رَبِهِمْ بِرَرُوْنَ فَي اللهِ فَقَالَ: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أارواحهم في جوف طير خضر لها قناهيل بالمرش، تسرح من الجنة حيث شاهت، ثم تأوي إلى تلك القناديل. وقال الحافظ ابن كثير في الجنة ترك ٤٢٦/١ : وقد روينا في الجنة تسرح [وان كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله امن الكرامة! وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأثمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك بن أنس الأصبحي، عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ:

⁽٢) رواه الواحدي في (أسباب النزول؛ ص٧٥ بإسناده إلى عمرو بن دينار/

٣) في رواية ابن إسحاق أن الرسول بذلك كان معبداً الخزاعي، وقال الحافظ ابن حجر: ويقال: إن الرسول بذلك كان نعيم بن مسعود الأشجعي.

﴿ الَّذِينَ اَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآيات. وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وعكرمة (١٠). والاستجابة: الإجابة. وأنشدوا:

أي: فلم يجبه. وفي مراد النبي ﷺ وخروجه وندب الناس للخروج ثلاثة أقوال: أحدها: ليرهب العدو باتباعهم. والثاني: لموعد أبي سفيان. والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم. وقد سبق الكلام في القرح.

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَخْسَنُواْ مِنْهُمْ ﴾ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ فَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْتَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُواْ حَسَّبُنَا اللَّهُ وَيَعْتُمُ الْوَكِيلُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ في المراد بالناس ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، فضمن لهم ضماناً لتخويف النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عباس، وابن إسحاق. والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنهم المنافقون، لما رأوا النبي ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتموهم في ديارهم، لم يرجع منكم أحد، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَّعُوا لَكُمُّ ﴾ يعنى أبا سفيان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿فَرَادَهُمُ إِيكَنَا﴾ قال الزجاج: زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرة نبيهم، وقالوا: ﴿حَسَّبُنَا اللَّهُ﴾ (٣ أي: هو الذي يكفينا أمرهم. فأما «الوكيل»، فقال الفراء: الوكيل: الكافي، واختاره ابن القاسم. وقال ابن قتيبة: هو الكفيل، قال: ووكيل الرجل في ماله: هو الذي كفله له، وقام به. وقال الخطابي: الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقة: أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه. وحكى ابن الأنباري أن قوماً قالوا: الوكيل: الرب.

﴿ ثَانَقَلَهُ أَ بِيعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَمُّمْ مُوَّةٌ وَاتَّبَعُواْ رِضُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنْفَلُوا بِنِمْتُمْ مِنْ اللّهِ الإنقلاب: الرجوع. وفي النعمة، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد. والثاني: العافية، قاله السدي. والثالث: الإيمان والنصر، قاله الزجاج. وفي الفضل، ثلاثة أقوال: أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان. قال الزهري: لما استنفر النبي على المسلمين لموعد أبي سفيان ببدر، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا، وكانت بدر متجراً يوافى كل عام، فانطلقوا فقضوا حوائجهم، وأخلف أبو سفيان الموعد. والثاني: أنهم أصابوا سرية بالصفراء، فرزقوا منها، قاله مقاتل. والثالث: أنه الثواب، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَسْسَهُمْ سُوَّهُ ﴾ قال ابن عباس: لم يؤذهم أحد. ﴿ وَالتَّبَعُواْ رِضْوَنَ اللَّهُ في طلب القوم. ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَاسَّلُ ﴾ أي: ذو منّ بدفع المشركين عن المؤمنين.

⁽۱) جاء في «الدر المشور» ۱۰۱/۲ و أخرج النسائي، وابن أبي حاتم، والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لما رجع المشركون عن أحد، قالوا: لا محمداً تتلتم، ولا الكواعب أردفتم، بشسما صنعتم، ارجعوا، فسمع وسول الله على بذلك، فندب المسلمين. فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد، أو بثر أبي عنبة _ شك سفيان _ فقال المشركون: نرجع قابل، فرجع رسول الله على فكانت تعد غزوة، فأنزل الله ﴿ اللَّيْنَ السّتَكِابُوا لِللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْنَ اللَّهُ وَلَكُمْ مُوسِم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والنجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنْقَلُولُ إِنْهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ تعالى: ﴿ إِنْقَلُولُ إِنْهَ اللَّهِ اللَّهُ تعالى: ﴿ إِنْقَلُولُ إِنْهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ وَلَوْلُهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

⁽٢) صدر البيت:

وداع دهسا يسا مسن يُسجسيسب إلسى السئسان

والبيت لكعب بن سعد المغنوي، وهو من قصيدة أصمعية جيدة، يرثى بها أخاه أبا المغزار، قال الأصمعي: ليس في الدنيا مثلها.

⁽٣) روى البخاري ج٨/ ١٧٢ عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسُ مَذَ جَمْوا لَكُمْ مَا وَكُولُ مَا الله الله وَاللها محمد ﷺ حين مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: جسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: (ودوا علي الرجل، فقال: ما قلت؟) قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل فقال: مع الله ونعم الوكيل. في الكيس، فإذا فلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل. وكذا رواه أبو داود والنسائي بنحوه.

﴿ إِنَّا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُعَزِّفُ أَوْلِيآءَمُّ فَلَا غَنَاقُوهُمْ رَعَاقُونِ إِن كُنتُم مُقْرِينِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا ذَلِكُمُ الشَّيَكُنُ ﴾ قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سوّله للمخوّفين. وفي قوله تعالى: ﴿يَكُونُ أَوْلِيَاتُهُ ﴾ ولان: أحدهما: أن معناه: يخوّفكم بأوليائه، قاله الفراء، واستدل بقوله تعالى: ﴿ لِنُنْوِرَ مَنْ النَّلَاقِ ﴾ [خانر: ١٥]، أي: بيوم التلاق. وقال الزجاج: معناه: يخوفكم من أوليائه، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَا غَنَاقُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وإبراهيم، وابن قتية. وأنشد ابن الأنباري في ذلك:

وأيسة خنتُ الستفرُقَ يسوم قسالسوا تُسقُسمَ مسال أربسد بسالسسهام(١١)

أراد: أيقنت بالتفرق. قال: فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه. قال: والذي نختاره في الآية أن المعنى: يخوفكم أولياءه. تقول العرب: قد أعطيت الأموال، يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. فهذا أشبه من ادعاء «باء» ما عليها دليل، ولا تدعو إليها ضرورة. والثاني: أن معناه: يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي، وذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿ وَخَافُونِ ﴾ في ترك أمري. وفي «إنْ» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: «إذ» قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين.

﴿ وَلَا يَصْرُنكَ الَّذِينَ يُسَدِعُونَ فِي ٱلكُنْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَعُمُّوا اللَّهُ شَيِّكًا مُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْمَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْآخِرَةً وَلَمْ عَلَابُ عَظِيمُ ۗ ۗ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَمَرُّنُكَ ٱلْذِينَ يُسَرِعُونَ فِي ٱلكُنْزِ ﴾ قرأ نافع «يُحزِنك» وليُحزِنني» واليُحزِن» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في (الأنبياء) ﴿لاَ يَمَرُّنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾ [الانبياء: ١٠٣]، فإنه فتح الياء، وضم الزاي. وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء وضم الزاي. قال أبو على: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة (الأنبياء) أثراً، أو أحب أن يأخذ بالوجهين. وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد. والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك. والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام، ذكره الماوردي. وقيل: معنى مسارعتهم في الكفر: مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم. فإن قيل: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟ فالجواب: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَعُنُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لن: ينقصوا الله شيئًا بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: لن يضروا أولياء الله شيئًا، قاله عطاء. قال ابن عباس: والحظ: النصيب، والآخرة: الجنة. ﴿ وَلَهُمْ عَذَاكُ عَظِيمٌ ﴾ في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْتَرُوا ٱلكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَفْسُرُوا اللَّهِ شَيَّنَا وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَاءًا ٱلْكُفَرَ بِٱلْإِيمَانِ ۚ قال مجاهد: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في (البقرة) معنى الاشتراء.

﴿ وَلَا يَمْسَنَنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَنَا نُسْلِي لَمُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّنَا نُسْلِ لَمُمْ لِيَزَدَادُواْ إِنْسَمَّا وَلَمُمْ عَذَابٌ شُمِينٌ ۖ ﴿ وَلَا يَمْسَهُمْ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَهُ عَلَامٌ مُعَابُّ شُمِينٌ ۗ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْسَبُنَ الَّذِينَ كَفَرُّواْ أَنَمَا نُشِلِ لِمُتَمْ خَيْرٌ لِلْتَفْسِمِمَ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال. أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء. والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل. والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي (٢٠). وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، ﴿وَلَا يَصْبَنَ الَّذِينَ كَنُواكُ الله عمران: ١٨٨]، ﴿وَلَا يَصَبَنَ الَّذِينَ يَبَعُلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، ﴿لَا يَحْسَبُنَ اللَّذِينَ يَبْرُحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] بالياء وكسر

⁽١) البيت للبيد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أربد، ذكر بعضها صاحب «الأغاني» ١٣٣/١٥.

 ⁽٢) أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة، ولا فاجرة،
 إلا والمموت خير لها من الحياة. إن كان براً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ أَنَّو خَيْرٌ لِلأَيْزَارِ ﴾ وإن كان فاجراً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلا يَشْكَنُ الَّذِينَ كَانَرُوا أَنْنَا يُشَاعِ لَمُ اللهِ عَلَى اللهِ إِنْدَادُوا إِنْسَكَا ﴾ وإسناده صحيح.

السين، ووافقهم اين عامر غير أنه فتح السين، وقرأهن حمزة بالتاء، وقرأ عاصم والكسائي كل ما في هذه السورة بالتاء غير حرفين ﴿وَلا يَحْسَبَنُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ فإنهما بالياء، إلا أن عاصماً فتح السين، وكسرها الكسائي، ولم يختلفوا في ﴿وَلا يَحْسَبَنُ الَّذِينَ فُتِلُوا﴾ أنها بالتاء. ﴿نَتْلِي لَمُمْ﴾: أي: نطيل لهم في العمر، ومثله: ﴿وَالْهَجُرُفِ مَلِكَا﴾ قال ابن الأنباري: واشتقاق "نملي لهم، من الملوة، وهي المدة من الزمان، يقال: مَلوة من الدهر، ومِلوة، ومُلوة، ومُلاوة، ومُلاوة، بمعنى واحد، ومنه قولهم: البس جديداً وتملّ حبيباً، أي: لتطل أيامك معه. قال متمم بن نويرة:

بسودِّيَ لسو أنسي تسمسلَّسيتُ عسمسرَه ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيلَدَرَ المُوَّمِنِينَ عَلَىٰ مَنَ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى بَيهِزَ الْحَيِّيتَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِقَكُمْ عَلَى الفَيْبِ وَلَاكِنَّ اللَّهُ يَجْتَبِى مِن رُسُلهِ. مَن يَكَنَّهُ فَنَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِن تُوْمِنُوا وَتَـتَمُوا فَلَكُمْ أَجُرُ عَظِيثٌ

قوله تعالى: ﴿حَنَّ يَبِيرُ النَّبِتُ مِنَ الطَّيْبُ فِ وَالْهَائِي وَخَلْف، ويعقوب: أَيْمِيرٌ النَّهُ بِفَتِ الماء والتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: أيُميِّرٌ التشديد، وكذلك في ﴿لِيَمِيرُ اللهُ الْحَيِثُ اللهُ الانفال: ٢٧]. قال أبو علي: مزت وميَّزت لغتان. قال ابن قتيبة: ومعنى يميز: يخلص. فأما الطيب، فهو المحوّمن. وفي الخبيث قولان: أحدهما: أنه المنافق، قاله مجاهد، وابن جريج. والثاني: الكافر، قاله قتادة، والسدي. وفي الذي وقع به التمييز بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الهجرة والقتال، قاله قتادة، وهو قول من قال: الخبيث: الكافر. والثاني: أنه الجهاد، وهو قول من قال: هو المنافق. قال مجاهد: فميَّز الله يوم أحد بين المؤمنين والمنافقين، حيث أظهروا النفاق وتخلفوا. والثالث: أنه جميع الفرائض والتكاليف، فإن المؤمن مستور الحال بالإقرار، فإذا جاءت التكاليف بانَ أمرُه، هذا قول ابن كيسان. وفي المخاطب بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُلِلُكُمُ عَلَى النَّبِ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم التكاليف بانَ أمرُه، هذا قول ابن كيسان. وفي المخاطب بقوله: وما كان الله ليطلع محمداً على الغيب، قاله السدي. يؤمن، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنه النبي على فعناه: وما كان الله ليطلع محمداً على الغيب، قاله السدي. يؤمن، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنه الله لا يطلع على القول الأول: أن الله لا يطلع على الغيب أحداً إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه على ما الأنبياء الذين اجتباهم، وعلى القول الثاني: أن الله لا يطلع على الغيب أحداً إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه على ما يشاء.

﴿وَلَا يَعْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ٓ اَنَنْهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ. هُوَ خَيْرًا لِمُمَّ بَلْ هُوَ شَرُّ لَمَّمَّ سَيُّطَوَّقُونَ مَا بَعِلُوا بِهِ. يَوْمَ الْقِيَاحَةُ وَلِلَّهِ مِيزَتُ السَّمَوْنِ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ بِمَا تَشْمُلُونَ خَيِيرٌ ﴿ ﴾

⁽١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٧٦ عن الكلبي بدون سند. ﴿ ٢﴾ الخبر في «أسباب النزول» للواحدي ص٧٦.

⁽٣) ذكر، في (أسباب النزول) للواحدي ص٧٥ عن السدي بدون سند.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْسَكِنَ الَّذِينَ يَبَعَلُونَ بِمَا ءَاتَنْهُمُ اللَّهُ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين. والثاني: أنها في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، واختاره الزجاج. قال الفراء: ومعنى الكلام: لا يحسبن الباخلون البخل هو خيراً لهم، فاكتفى بذكر «يبخلون» من البخل، كما تقول: قدم فلان، فسررت به، أي: سررت بقدومه. قال الشاعر:

إذا نُسهي السسفيمة جرى إليه وخالف والسفيم إلى خلاف(١١)

يريد: جرى إلى السفه. والذي آتاهم الله على قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النبي ﷺ هو العلم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ إشارة إلى البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه بالبخلون، وفي معنى تطويقهم به أربعة أقرال: أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثَل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿سَيُطُوّتُونَ مَا بَعِنُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيدَ مَنْ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضُ ﴾ قال ابن عباس: يموت أهل السموات وأهل الأرض، ويبقى رب العالمين. قال الزجاج: خوطب القوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراناً إذا كان ملكاً له، وقال ابن الأنباري: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا ينفرد به، فلما مات الخلق، وانفرد عزّ وجل، صار ذلك له وراثة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَشْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿يعملون› بالياء إتباعاً لقوله تعالى: ﴿سَنُطَوَّقُونَ﴾ وقرأ الباقون بالتاء، لأن قبله ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَنَفُّواْ﴾.

﴿ لَقَدْ سَجِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِيكَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَغَنُ أَغْنِيَّاهُ سَنَكُتُبُ مَا قَالُوا وَقَنْلَهُمُ الْأَلْبِيكَةَ بِمَنْدِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوثُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿لَنَدُ سَيمَ اللهُ قُولَ الذِيكَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل ببت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنياً عنا ما استفرض منا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿ وَاتَسْمَعُنُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَبَ مِن فَبَلِكُمُ وَمِنَ الَّذِينَ أَشَرَكُوا أَذَك كُشِيراً ﴾ الله من أبي بكر من الغضب ﴿ وَاتَسْمَعُنُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَبَ مِن فَبَلِكُمُ وَمِنَ الَّذِينَ أَشَرَكُوا أَذَك كُشِيراً ﴾ الله

⁽١) أنشده الفراء في قمعاني القرآن؛ ٢٠٨١، وثعلب في قمجالسه، ٢٠/٥، و قامالي الشجري، ٢٠٨١، والبغدادي في قالخزانة، ٣٨٣/٢ ولم ينسبوه إلى قائل. وقوله: إذا نهي، متعلق النهي هام محلوف، أي: هن أي شيء كان. وقوله: وخالف: مفعوله محلوف، أي: خالف زاجره، وقوله: والسفيه إلى خلاف: جملة تذيلية، أي: شأن السفيه العيل إلى مخالفة الناصح.

⁽٢) أخرجه أحمد في «المسند» رقم ٧٥٧٧» والترمذي، وابن خزيمة، وأبن ماجه ١/٧٢٥، ولفظه: هما من أحد لا يؤدي زكاة ماله، إلا مُثَلُ له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق عنقه» ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْسَنَ ۚ اللَّهِ يَسَعَلُونَ بِما َ النَّهُمُ اللّٰهُ مِن فَشَيه ﴾ الآية. وقال الترمذي: حسن صحيح. وروى البخاري ج٢/٣٧٧، ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: همن آثاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ يقول: أنا مالك، أنا كترك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَسْبَكُنُ اللّٰهِينَ يَبْتُمُونَ لِيهَ عَنْ الله على المعراة المنات الحياة الخبيثة، يأمنه عن أبه عرب من الحيات خبيث مارد. وأقرع: صفة من صفات الحياة الخبيثة، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية، وكثر سمه، جمعه في رأسه حتى تتمعط منه فروة رأسه.

عمران: ١٨٦] هذا قول ابن عباس^(١) وإلى نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه لما نزل قوله همّان ذا اللهي يُقرِضُ الله قرَضًا إلى البقرة: ١٤٥] قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، وقتادة. وفي الذين قالوا: إن الله فقير، أربعة أقوال: أحدها: أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حيي بن أخطب، قاله الحسن وقتادة. والثالث: أن جماعة من اليهود قالوه. قال مجاهد: صكّ أبو بكر رجلاً من الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرُ وَغَنُ أَغْنِياً ﴾ لم يستقرضنا وهو غني؟ (١). والرابع: أنه النبَّاش بن عمرو اليهودي، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ سَنَكُنُتُ مَا قَالُوا ﴾ قرأ حمزة وحده: ﴿ سَيُكتب ؛ بياء مضمومة و ﴿ قَتَلُهم ﴾ بالرفع و ﴿ يقول ﴾ بالياء ، وقرأ الباقون : ﴿ سَنَكُتُتُ مَا قَالُوا ﴾ بالنون ، وقرأ النون ، وقرأ ابن مسعود ﴿ ويقال ﴾ ، وقرأ الأعمش ، وطلحة : و ﴿ يقول ﴾ . وفي معنى ﴿ سَنَكُتُ مَا قَالُوا ﴾ قولان : أحدهما : سنحفظ عليهم ما قالوا ، قاله ابن عباس . والثاني : سنأمر الحفظة بكتابته ، قاله مقاتل .

قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْدِيكَآءَ﴾ أي: ونكتب ذلك. فإن قيل: هذا القائل لم يقتل نبياً قط، فالجواب أنه رضي بفعل متقدميه لذلك، كما بينا في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِنَيْرِ ٱلْحَقِّيُ ﴾. قال الزجاج: ومعنى ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ عذاب محرق، أي: عذاب بالنار، لأن العذاب قد يكون بغير النار.

﴿ وَالِكَ بِمَا فَذَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظُلُّامِ لِلْعَبِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى العذاب، والذي قدمت أيديهم: الكفر والخطايا.

﴿ الَّذِيكَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِـدَ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِرَ لِرَسُولِ حَتَّى يَأْتِينَا بِعُرْبَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ فَلَ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلُّ مِن فَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ قَلِمَ فَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَعَدِقِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِيكَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ قال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأسرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا نومن لرسول، أي: لا نصدق رسولاً يزعم أنه رسول، حتى يأتينا بقربان تأكله النار (٢٠). قال ابن قتيبة: والقربان: ما تُقرب به إلى الله تعالى من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان، لأنه كان من سنن الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول. قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق، فإذا قبلت منه، نزلت نار من السماء، فأكلته، وكانت ناراً لها دويّ، وحفيف. وقال عطاء: كان بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون أطايب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فبقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار، فتأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ساجداً، فيوحي الله إليه ما يشاء. قال ابن عباس: قل يا محمد لليهود ﴿ وَدَدُ جَاءَكُمْ رُسُلُ مِن فَيْلِ بِالْبَيْنَتِ ﴾ أي: بالآيات، ﴿ وَبِالَّذِي ﴾ سألتم من القربان،

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلُّ مِن مَنْكِ جَاءُو بِٱلْبَيِّنَتِ وَالزُّبُرِ وَالكِتَنبِ المُذِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَبُوكَ نَفَدَ كُذِب رُسُلٌ مِن قَبِكِ ﴾ معناه: لست بأول رسول كذب. قال أبو علي: وقرأ ابن عامر وحده «بالبينات وبالزبر» بزيادة باء، وكذلك في مصاحف أهل الشام، ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور أن الوار قد أغنت عن تكرير العامل، تقول: مررت بزيد وعمرو، فتستغني عن تكرير الباء. وقال الزجاج: والزبُّر: جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذي حكمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ﴾ قال أبو سليمان: يعني به الكتب النيرة بالبراهين والحجج.

⁽١) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، فإنه مجهول تفرد عن ابن إسحاق كما قال الحافظ في «التقريب» وقال الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» ٣/ ٨٢: وإسناده جيد أو صحيح.

⁽٢) رواه عبد بن حميد، وابن جرير ٧/٤٤٣، وابن المنذر عن مجاهد. (٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص: ٧٧، عن الكلبي.

﴿كُلُّ نَنْسِ ذَابِقَةُ الْنَوْتُ وَإِنَّمَا ثُوَفَّوْكَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَكَمَةُ فَمَن رُّمْنِحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَكَةَ فَقَدْ فَازَّ وَمَا الْحَيَوْةُ الدُّنِيَّا إِلَّا مَتَكُ الشُرُورِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَنْسِ ذَا لِمَةُ الْمَرْتِ اللَّذِي وَكُلُّ بِكُمْ ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿ فَلْ بَنُولَنَكُم مَلَكُ الْمَرْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١]. قالوا: يا رسول الله إنما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجن، والطير، والأنعام، فنزلت هذه الآية. وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا، وتنبيه على اغتنام الأجل.

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُونَّوْكَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِّ ﴾ بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين.

قوله تعالى: ﴿ فَمَن رُحْزَح ﴾ قال ابن قتيبة: نُجِّي وأُبعد. ﴿ فَقَدْ فَاذْ ﴾ (١) قال الزجاج: تأويل فاز: تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقى ما يغتبط به: قد فاز.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوْةُ الدُّنِيَا ۚ إِلَّا مَتَنعُ الْفُرُودِ ﴾ يريد أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنّيه من طول البقاء، وسينقطع عن قريب. قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

﴿﴾ لَتُبَلَّوُكَ فِن أَمْوَلِكُمْ وَالشَيكُمْ وَالشَيْمُكُ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَمْنُوا الْكِتَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَمْنُولِ ﴾ كَشِيرًا وَإِن تَصْدِيرُوا وَتَنَفُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَذْمِ الْأَمُودِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَتُبَارُكَ فِي أَمْوَلِكُمْ وَأَنْسِكُمْ ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحلها: أن النبي هم رَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة، فخمر ابن أبيّ أنفه بردائه، وقال: لا تغبّروا علينا، فنزل رسول الله هي م دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبي: إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا في مجالسنا. وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله، فإنّا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون، والمشركون، واليهود، فنزلت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد (٢٠ . والثاني: أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبي هي وأصحابه أشد الأذى، فنزلت هذه الآية، قاله كعب بن مالك الأنصاري (٣٠ . والثالث: أنها نزلت فيما جرى

⁽١) روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فموضع سوط في المجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ مَن رُحْنَى عَن النَّارِ وَأَدْخِلَ الْمَبَّكَةُ فَكَذْ فَلَا ﴾ ورواه أحمد في المسند، والتمذي، والحاكم في المستدك، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وروى الإمام أحمد في المسند، وقم ٧٠٨٠، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: فعن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل المجنة، فلتلوكه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتي إليه، ورواه الإمام مسلم بأطول منه.

⁽٢) آخرجه البخاري بأطول منه ج/١٧٣/، ولفظه: عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد 🃸 أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المره، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلي يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي 韄 يخفضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي 鐷 دايته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي 譯: فيا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب ـ يريد هبد الله بن أبي ـ قال: كلا وكذاه. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه، فيمصبوه بالعصابة، فلما أبي الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي 義، وكان النبي 藝 وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون عن الأذى. قال الله تعالى: ﴿وَلَشَمُّكُ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا ٱلكِتَنَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَن ٱلَّذِيك أَشْرَكُوا أَذَك كَشِيرًا﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَةَ كَذِيْرٌ مِنْ أَمْدُلِ الكِنْسِ لَوْ بَرُدُونَكُمْ مِنْ بَسْدِ إِيمَنِيكُمْ كَلَمَالًا حَسَمًا مِنْ عِندِ أنفيسهم مِنْ بَسْدِ مَا بَنَيْنَ لَهُمُ الْحَثُ فَاعْمُوا وَاسْمَعُوا حَنْ بَانِنَ اللَّهُ إِلْهَامِهُ ﴾ وكان النبي 蟕 يتأول العفو وما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله 纖 بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش. قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأرثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. قوله: يتثاورون، أي: يتواثبون. والبحرة: وفي رواية «البحيرة» هذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد، والمراد به هنا: المدينة النبوية، ونقل ياقوت أن «البحرة» من أسماء المدينة المنورة. شرق: غص، وهو كناية عن الحسد.

⁽٣) رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، ولفظه: أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ من الشعر.

بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس (۱). والرابع: أنها نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر والميدق، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل. وقال عكرمة: نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي. والمخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرِّض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري. قال الزجاج: ومعنى «لتبلون» لتختبرُنَّ، أي: توقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقاً من غيره. و«النون» دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون. وفي البلوى في الأموال قولان: أحدهما: ذهابها ونقصانها. والثاني: ما فرض فيها من الحقوق. وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال: أحدها: المصائب، والقتل. والثاني: ما فرض من العبادات. والثالث: الأمراض. والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر. وقال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَكُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَبَ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، والذين أشركوا: مشركو العرب ﴿ وَإِنْ تَصْمِيُوا﴾ على الأذى ﴿ وَتَنَّقُوا ﴾ الله بمجانبة معاصيه.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَكْرِمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: ما يعزم عليه، لظهور رشده.

فصل

والجمهور على إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيتَنَ الَّذِينَ أُونُوا ٱلْكِتَنَبَ لَنُبَيِّنُتُمْ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُمُ فَنَسَبَدُوهُ وَرَاءَ طَهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ. فَمَنَا قَلِيلًا ۚ فَيْضَ مَا يَشْتُرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ آللَهُ مِيئَنَ آلَذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَبَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل. فعلى هذا، الكتاب: التوراة والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل. والثالث: أنهم جميع العلماء، فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿ لَنَبْيَنُنَهُ لِلنَّاسِ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب «لينيِّننه للناس ولا يكتمونه» بالياء فيهما، وقرأ الباقون، وحفص عن عاصم بالتاء فيهما. وفي هاء الكناية في «لتبيننه» و«تكتمونه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي محمد على وهذا قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينهم ما فيه إظهار صفة محمد على وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب. وقال علي بن أبي طالب على: ما أخذ الله على أهل العلم أن يعلموا.

قوله تعالى: ﴿ فَنَـٰهَدُوهُ﴾ قال الزجاج: أي: رمَوْا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبأ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر. قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها(٢)

معناه: لا تكونن حاجَتي مُهمَلة عندك، مطرحة. وفي هاء «فنبذوه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق. والثاني: إلى الكتاب^(٣).

⁽١) قال الحافظ في الفتح، ج٨/ ١٧٣ : رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس.

⁽٢) ديوانه ٨٦/١، واللسان؛ ٨٢/٤، والأغاني، وروايته في الديوان: تسمسيسم بسن زيسد لا تسهسونسن حساجستسي

قوله تعالى: ﴿ وَٱشْتَرُا ْ بِهِ. ﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ﴿ ثَهَنَا قَلِيلًا ﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا.

﴿لَا تَحْسَبَنَ الَّذِينَ يَغْرَكُونَ بِمَا أَنْوَأَ وَيُجِبُونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَنْعَلُوا فَلَا غَسَبَنَّهُم بِمَنَازَةٍ مِنَ الْمَدَابُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيتُ ﴿

قوله تعالى: ﴿لَا غَسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَنْوَا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿لا تحسبنَّ الناء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ، سأل اليهود عن شيء، فكتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول، والذي قبله عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكتموا ذكر محمد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير(١). والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها: أن محمداً ليس بنبى، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، ففرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك، والسدي. والخامس: أن يهود خبير أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم رده، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أن ناساً من اليهود جهزوا جيشاً إلى النبي ﷺ، واتفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي. والسابع: أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجاج. والثامن: أن رجالاً من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي ﷺ، فإذا قدم، اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري(٢)، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود. وفي الذي أتوا ثمانية أقوال: أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق. والثاني: تبدليهم التوراة. والثالث: إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب. والرابع: إضلالهم الناس. والخامس: اجتماعهم على تكذيب النبي. والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده. والسابع: اتفاقهم على محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والثَّامن: تخلُّفهم في الغزوات، وهذا قول من قال: هم المنافقون. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُجِبُونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَنْعَلُوا﴾ (٣٠) ستة أقوال: أحدها: أحبوا أن يُحمدوا على إجابة النبي ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه. والثاني: أحبوا أن يقول الناس: هم علماء، وليسوا كذلك. والثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة، والصيام. وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس. والرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن

استشهد به ابن كثير أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وأبو يعلى، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث أبي هريرة به مرفوعاً، وهو عند الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مروعاً، وهو عند الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وهو حديث صحيح.

⁽١) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

 ⁽۲) رواه البخاري ج٨/ ١٧٥، ومسلم، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في اشعب الإيمان، ولفظه عند البخاري: اعن أبي سعيد الخدري 為، أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله 察 كان إذا خرج رسول الله 義 إلى الغزو، وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله 內 فإذا قدم رسول الله هي فإذا قدم رسول الله هي اعتلاق الله، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لاَ تَحْسَكُنَّ اللَّهَ يَشْرُكُنَ بِمَا آلُوا وَيُجْبُونَ أَن يَعْسَدُوا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لاَ تَحْسَكُنَّ اللَّهَ يَشْرُكُنَ بِمَا آلُوا وَيُجْبُونَ أَن

⁽٣) روى الإمام أحمد عن حميد بن عبد المرحمن بن عوف: أن مروان قال: اذهب يا رافع - لبوابه - إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لتعذبن أجمعين؟. فقال ابن عباس: ﴿ وَاذَ خَلَدَ اللهُ يَعْمُونَ إِنَا نَزِلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿ وَإِذْ أَشَدُ اللهُ يَعْمُونَ إِنَا أَوْا الْكِتَبُ الْبَيْنَةُ إِليَّانِي... ﴾ الآية، وتلا ابن عباس: ﴿ وَإِذْ أَشَدُ اللهُ يَعْمُونَ إِنَا أَوْا الْكِتَبُ اللهُ يَعْمُونَ أَن يُحْمَدُوا إِنا أَن عباس: ﴿ وَاذْ أَشَدُ اللّهُ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك الله، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، والحاكم، وابن مردويه.

جبير. والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين إذ نصروا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا غَتَسَنَتُهُم﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "فلا يحسبُنهم"، بالياء وضم الباء. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: بالتاء، وفتح الباء. قال الزجاج: إنما كررت "تحسبنهم" لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة "حسبت" وما أشبهها، إعلاماً أن الذي يجرى متصل بالأول، وتوكيداً له، فتقول: لا تظنن زيداً إذا جاء وكذا، فلا تظننه صادقاً.

قوله تعالى: ﴿ بِمَفَازَةِ ﴾ قال ابن زيد، وابن قتيبة: بمنجاة.

﴿ وَيَلِّهِ مُلَكُ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى اكْلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير. وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى حَجُلِّ شَيْمٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لهم، أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

﴿إِنَّ فِي كُلُقِ السَّمَكَوْتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَفِ الَّذِلِ وَالنَّهَارِ لَاَيْتِ لِأُولِي ٱلأَلْبَبِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلِقِ التَكْنُوتِ وَالْأَرْضِ﴾(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قريشاً قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء. وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: ادع ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جباس. جبير عن ابن عباس (٢). والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلْهُمُ إِلَهُ وَجِدُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قالت قريش: قد سوى بين آلهتنا، اثننا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى، واسمه: مُسلم بن صُبيح. فأما تفسير الآية فقد سبق.

﴿الَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ قِيكُمُا وَقُمُودًا وَعَلَى جُنُومِهِمْ وَيُتَفَكَّرُهَ فِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَعِلِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّادِ ﷺ عَذَابَ النَّادِ ﷺ عَذَابَ النَّادِ ﷺ

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذَكُّرُونَ اللَّهَ قِينَمًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذكر في الصلاة، يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فإن لم يستطع، فعلى جنب^(٣)، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين. والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قياماً في تصرفهم، وقعوداً في دعنهم، وعلى جنوبهم في منامهم.

قوله تعالى: ﴿ رَبُنَكُ رُدَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن فارس: التفكر: تردد القلب في الشيء ـ قال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خيرٌ من قيام ليلة، والقلب ساه.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ قال الزجاج: معناه: يقولون: ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَنَدًا بَطِلًا﴾، أي: خلقته دليلاً عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياؤك. ومعنى ﴿شُبْحَتَكَ﴾: براءةً لك من السوء، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتهما باطلاً، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فقد صدَّقْنا أنَّ لك جنَّة وناراً.

⁽٢) أخرجه ابن المنذر، وأبن أبي حاتم، والطبرآني، وابن مردويه، ورجاله ثقات إلا الحماني فإنه تكلم فيه. قال الحافظ: وقد خالفه الحسن بن موسى، فرواه عن يعقوب عن جعفر عن سعيد مرسلاً وهو أشبه، وعلى تقدير كونه محفوظاً وصله، ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية، وقريش من أهل مكة، ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة.

⁽٣) جاء في اصحيح البخاري، عن عمران بن حصين: أن رَسُولَ 歌 قال: اصل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب،

﴿رَبُّنَاۚ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُنَا إِنَّكَ مَن تُدَّخِلِ النَّارَ فَقَدْ آخَزَيْتَهُ﴾ قال الزجاج: المخزى في اللغة: المذل المحقور بأمرٍ قد لزمه، وبحجة. يقال: أخزيته، أي: ألزمته حجةً أذللته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان: أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلَّداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروي عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَادٍ﴾ قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿ رَبُّنَا ۚ إِنَّنَا سَمِمْنَا مُنَادِبًا يُنَادِى لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَتِيكُمْ فَعَامَنًا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَفْرَ عَنَا سَيِّعَاتِنَا وَتُوفَّنَا مَعَ ٱلأَبْرَادِ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ۚ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيا﴾ في المنادي قولان: أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَانِ﴾ فيه قولان: أحدها: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: ﴿آلَٰذِى هَدَنَا لِهَالُهُ [الأعراف: ٤٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَوَّى لَهَا ﴿ ﴾ [الزلزلة: ٥]، [يريد: هدانا إلى هذا، وأوحى إليها] قاله الفراء. والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَكَكَفِرُ عَنَا سَيِّعَاتِنَا﴾ قال مقاتل: امح عنا خطايانا. وقال غيره: غطها عنا، وقيل: إنما جمع بين غفران اللنوب، وتكفير السيئات، لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَادِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «الأبرار» و«الأشرار» و«ذات قرار» وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح: ومعنى: ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَادِ﴾ فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون.

﴿ رَبُّنَا وَءَالِنَا مَا وَعَدَتُنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا غُنِّونَا بَوْمَ ٱلْفِيكُمَةُّ إِنَّكَ لَا غُنْلِفُ ٱلْمِيكَادُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا وَمَالِنَا مَا وَعَدَتُنا﴾ قال ابن عباس: يعنون: الجنة ﴿مَلَى رُسُلِك﴾ أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه الخبر، تقديره: فآمنا، فاغفر لنا لتؤتينا ما وعدتنا: والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تزكية لأنفسهم. والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدهم نصراً غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكأنهم قال: لا صبر لنا على حلمك عن الأعداء، فعجل خزيهم، وظفرنا بهم.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِى لَا أَشِيعُ عَمَلَ عَنِيلِ مِنكُم فِن ذَكِرِ أَوْ أَنْتُنَ بَعْشُكُم مِنْ بَعْضٌ فَالَذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرِجُوا مِن دِيَندِهِمْ وَأُودُوا فِي سَكِيلِي وَقَنتُلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَتِّعَاتِهِمْ وَلَأَدْظِئَهُمْ جَنَّنتِ بَخْدِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَدُرُ فَوَابَا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسُنُ النَّوَابِ ﷺ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَاسْنَجَابَ لَهُمْ رَبُهُمْ ﴾ روي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء؟! فنزلت هذه الآية (١٠) واستجاب: بمعنى أجاب. والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أضبع عمل عامل منكم، ذكراً كان أو أنشى. وفي معنى قوله تعالى: ﴿ بَسَشُكُم مِن بَسِن ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بعضكم من بعض في الدين، والنصرة والموالاة. والثاني: حكم جميعكم في الثواب واحد، لأن الذكور من الإناث، والإناث من الذكور. والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله تعالى: ﴿فَأَلَذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر ﴿وَأُمْرِجُواْ بِن دِيَنرِهِمْ ﴾ يعني: المؤمنين الذين

⁽١) رواه ابن جرير الطبري ٧/١٩٥، والحاكم في «المستدرك» ٧/ ٣٠٠، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهمي.

أخرجوا من مكة بأذى المشركين، فهاجروا، ﴿ وَقَتِيلُوا﴾ المشركين ﴿ وَقَيْلُوا﴾. قرأ إبن كثير، وابن عامر: «وقاتلوا وقتّلوا» مشددة التاء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿ وَقَنَتُواْ وَقُئِلُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: و«قتلوا وقاتلوا». قال أبو علي: تقديم «قتلوا» جائز، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، مؤخراً في اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ ثَوْاَبًا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ قال الزجاج: هو مصدرٌ مؤكد لما قبله، لأن معنى ﴿ وَلَأَدْظِنَّهُمْ جَنَّدتٍ ﴾ : لأثيبنَّهم (١).

﴿ لَا يَشْرَلُكَ تَقَلُّتُ الَّذِينَ كَفَنُوا فِي الْمِلَدِ ﴿ مَنْتُعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاْوَعُهُمْ جَهَنَّمُ وَبِقَسَ الْلِهَادُ ﴿ ﴾

﴿ لَكِينِ ٱلَّذِينَ ٱتَّـْقَوُّا رَبَّهُمْ لَمُنَّمْ جَنَّتُ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَنُرُ خَلِدِينَ فِيهَا نُزُلَا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَادِ ﴿ لَكِينِ ٱللَّذِينَ ٱلنَّقِوْ رَبَّهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر: «لكنَّ» بالتشديد ها هنا، وفي (الزُمر) قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: «النزل» الثواب. قال ابن فارس: النُزُل: ما يهيأ للنزيل، والنزيل: الضيف.

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِكْنَى لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَاۤ أَزِلَ إِلَيْتِمْ خَشِمِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَابَنتِ اللَّهِ ثَمَنَكَا قَلِيلًا ۚ أُوْلَتَهِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِكَ اللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ آهْلِ ٱلْكِتَبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟! فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله (٢٠)، وأبن عباس، وأنس. وقال الحسن، وقتادة: فيه وفي أصحابه. والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصاري، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

⁽١) روى ابن جرير ٧/ ٤٩ بإسناده صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَ أَوْلُ لِللّهُ تَدَخُلُ الْجَنّهُ لَفَقُواهُ الْمَهَاجِرِينِ اللّهِنِ تَتَقَى بِهِم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كان لرجل منهم حاة إلى السلطان، لم تقض حتى يموت وهي في صدوه، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي اللين قاتلوا في سبيلي، وقتلوا، وأونوا في سبيلي، وجاهلوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير هذاب ولا حساب، وتأتي الملاتكة، فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء اللين آثرتهم هلينا؟ فيتول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي اللين قاتلوا في سبيلي، وأونوا في سبيلي، فتدخل الملاتكة عليهم من كل باب ﴿ اللّهُ عَلَيْكُم مِن مُنْتُم اللّهُ عَلَيْكُم مِن مُنْتُم اللّهُ عَلَيْكُم مِن المستدرك ٢/ ١٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد ١٠ الله عنه النوائد المغراني، ورجالهم ثقات، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبراني، ورجاله الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عشائة، وهو ثقة.

⁽٢) رواه ابن جرير ٧/٩٥٤ وإسناده ضعيف، وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أنس بن مالك، قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم». فقال بعض الناس: يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة؟! فتزلت: ﴿ وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ الْحَكْبُ لَكَن يُؤُمِنُ بِأَنَّهِ وَمَا أَزْلَ إِلْبَكُمْ وَمَا أَزْلَ إِلْبَكُمْ وَمَا الطبراني أَيْهِ الآية... وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» ورجال الطبراني ثقات كما قال الهيشمي ٣٨/٣: أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي، فقيل: يا رسول الله، تصلي على عبد حبشي؟! فأنزل الله ﷺ: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْحَكْبُ لَمَن يُؤْمِنُ بِأَلِيهُ الآية. وصلاة النبي ﷺ على النجاشي صلاة الجنازة الغائبة، ثابتة صحيحة، رواها الشيخان من حديث جابر، ومن حديث أبي هريرة.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والوابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمُ ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمُ » يعني: كتابهم. والخاشع: الذليل. ﴿لَا يَشْتُرُونَ يِعَايَنتِ اللَّهِ ثَمَنَكَا قَلِيلاً ﴾ أي: عرضاً من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود، وقد سلف بيان سرعة الحساب.

﴿ يَالَيْهَا الَّذِيرَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَانَّقُوا اللَّهَ لَمَلَّكُمْ تُثْلِحُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يَالَهُ اللَّهِ عَامَنُوا اصَرُوا ﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمٰن: نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة (١٠)، وليس يومئذ غزو يرابَط. وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال: أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس. الثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، والزجاج. والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضاً. والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبير. والخامس: طاعة الله، قاله قتادة. وفي الذي أمروا بمصابرته قولان: أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: الوعد الذي وعدهم الله، قاله عطاء، والقرظي. وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان: أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأصل المرابطة والرباط والرباط المؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كل يُعدُّ لصاحبه. والثاني: أنه الصلاة، أمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وقد ذكرنا في (البقرة) معنى «لعل»، ومعنى «الفلاح».



⁽١) روى مسلم ٢١٩/١، والنسائي ٨٩/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به المعرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ﴿إِسَاعُ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، بعد الصلاة فللكم الرباط، فللكم الرباط، فللكم الرباط،

⁽٢) وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ ني فضل المرابطة، وحفظ ثغور المسلمين، وصيانة البلاد الإسلامية عن دخول الكفار إليها، فروى البخاري ٦٣/٦ عن سلمان ٢٠ ١٥٠٠ بن سمد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: "دباط يوم في سبيل الله خير من المنتيا وما عليها». وروى مسلم ١٥٠٠ عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "درباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفقائه، وروى الإمام أحمد ٢٠/١ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: "كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبرة ورواه أبر داود ٣/١٤، والترمذي ١٩٥١، وقال الترمذي: حسن صحيح.

٤ _ سورة النساء

ينسد ألقر ألكني التجسير

﴿ يُكَانِّهُمُ النَّاسُ اتَّعُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقُكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوَجَهَا وَيَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَذِيرًا وَلِمَنَاأً. وَاتَّعُوا اللهَ الَّذِي فَسَاتُهُونَ بِهِـ وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيْكُمْ رَفِيهَا ﴾

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكيَّة، رواه عطيّة عن ابن عباس، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فيسلَّمها إلى العباس، وهي قوله: ﴿إِنَّ لَمْلِهَا ﴾ ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّتُواْ رَبِّكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الخشية. قاله مقاتل. والنفس الواحدة: آدم، وزوجها حواء وابن في قوله: ﴿وَيَنَقَ بِنَهُ للتبعيض في قول الجمهور، وقال ابن بحر: منها، أي: من جنسها(١). واختلفوا أي وقت خلقت له، على قولين: أحدهما: أنها خلقت بعد دخوله الجنة، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: قبل دخوله الجنة، قاله كعب الأحبار، ووهب، وابن إسحاق. قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضِلَع من أضلاعه اليُسرى(٢)، فلم تؤذه بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبداً، فلما استيقظ؛ قبل: يا آدم ما هذه؟ قال: حواء.

قوله تعالى: ﴿وَبَنَكَ مِنْهُمَا﴾ قال الفراء: بثَّ: نشر، ومن العرب من يقول: أبث الله الخلق، ويقولون: بثنتك ما في نفسي، وأبشتك.

ثُ قوله تعالى: ﴿اَلَٰذِى نَسَآءَلُونَ بِهِ.﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث، عن أبي عمرو: •تسّاءلون، بالتشديد. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف.

قال الزجاج: الأصل: تتساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم الناء في السين، لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف الناء الثانية لاجتماع الناءين. وفي معنى ﴿ يَلَمَهُونَ بِهِ عَلَاثَة أَقُوال: أحدها: تتعاطفون به، قاله ابن عباس. والثاني: تتعاقدون، وتتعاهدون به. قاله الضحاك، والربيع. والثالث: تطلبون حقوقكم به، قاله الزجاج. فأما قوله: ﴿ والأرحام ان تقطعوها، وفسّرها على هذا ابن عباس، ومهاهد، وعكرمة، والسُّدّي، وابن زيد. وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش، وحمزة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام، وفسرها على هذا الحسن، وعطاء، والنخعي. وقال الزجاج: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تحلقوا بآبائكم اللهُ وذهب إلى نحو هذا الفرّاء،

 ⁽١) في اللبحر المحيطة ٣/١٥٤: وقيل: هو على حلف مضاف، التقدير: وخلق من جنسها زوجها، قاله ابن بحر، وأبو مسلم، لقوله تعالى: ﴿ يَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّوْمُا ﴾ و﴿ رَسُولُهُ يَنْهُمْ ﴾ .

 ⁽۲) روى البخاري ٢/ ٢٦١ ومسلم ٢/ ١٠٩١ عن أبي هريرة رئيج، قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المعرأة خلقت من ضِلَع، وإن أهوج شيء في الفيلع أهلاء، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أهوج، فاستوصوا بالنساء، هذا لفظ البخاري.
 قال النووي في «شرح مسلم» ٧/٧٥: وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضِلَع آدم.

⁽٣) روى الإمام مسلم ٢/ ١٢٦٧ عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يحلفاً فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: "لا تحلفوا بآبائكم، وروى أيضاً عن عبد الله بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم، والطواغي: الاصنام، واحدتها: طاغية. وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من حلف بغير الله فقد أشرك، وفي رواية «فقد كفر» =

وقال ابن الأنباري: إنما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به، فالمعنى: الذي كنتم تساءلون به وبالأرحام في الجاهلية. قال أبو علي: من جر، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن (١٠). فأما الرقيب، فقال ابن عباس، ومجاهد: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الأدميين الموكل بحفظ الشيء، المترصد له، المتحرز عن الغفلة فيه، يقال منه: رَقَبُتُ الشيء أَرْقُبُه رَقُبَةً (٢٠).

﴿ وَمَا فُوا ٱلْمُنْكُمُ أَنْهُ لِلْمُ مَنْدَلُوا لَلْمِيتَ بِاللَّهِيِّ وَلَا تَأْكُوا أَمْوَكُمْ إِنَّ أَمْوَلِكُمْ إِنَّهِ كَانَ حُويًا كَيْمِيرًا ﴿ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا ٱلْمِنَكِيَّ أَتُوكُمُ عَبِ نزولها: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ، طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبي ﷺ فنزلت، قاله سعيد بن جبير (٣٠). والخطاب بقوله: ﴿وَآتُوا ۗ للأولياء والأوصياء. قال الزجاج: وإنما سموا يتامى بعد البلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يقال للنبي ﷺ: يتيم أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَبّدُ لُوا لَكُبِكَ بِالْكَبِّبِ ﴾ قرأ ابن محيصن: «تبدلوا» بتاء واحدة. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه أخذُ الجيّد، وإعطاء الرديء مكانه، قاله سعيد بن المسيب، والضحاك، والنخعي، والزهري، والسُّدِي قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد، ويطرح مكانها الزيوف. والثاني: أنه الربح على اليتيم، واليتيم غرّ لا عِلْمَ له، قاله عطاء. والقول الثاني: أنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكاً، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال، فنصيب الرجل من الميراث طيب، وما أخذه من حق اليتيم خبيث، هذا قول ابن زيد. والثاني: أنه أكل مال اليتيم بدلاً من أكل أموالهم، قاله الزجاج. و«إلى» بمعنى «مع» والحوب: الإثم. وقرأ الحسن، وقتادة، والنخعي بفتح الحاء. قال الفرّاء: أهل الحجاز يقولون: حُوب بالضم، وتميم يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباري: وقال الفراء: المضموم الاسم، والمفترح المصدر. قال ابن قتيبة: وفيه ثلاث لغات: حُوب، وحوب، وحاب.

﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ أَلَا لُقْسِطُوا فِي الْنِتَنَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَلَةِ مَثْنَىٰ وَثُلَثَ وَرُبَيَّۃٌ فَإِنْ خِنْتُمُ أَلَا تَسْلِمُا فَوَسِدَةً أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْسَلَكُمُّ وَوَالْكُونَ وَرُبَيِّةً فَإِنْ خِنْتُمُ أَلَا تَشْلِمُا ﴾ وَلِكَ أَنْكَ أَلَا تَعُولُوا ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِنْتُمْ أَلَا لُقَسِطُوا فِي الْيَنَيَ﴾ اختلفوا في تنزيلها وتأويلها على ستة أقوال: أحدها: أن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية، ولا يتحرّجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرّجون في شأن اليتامى، فقيل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء، كما تحذرون من تركه في اليتامى، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير (٤) والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء

ورواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

⁽۱) قال ابن عطية: وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض. وانظر «الطبري» ٧/٥٩ ووالقرطبي» ٥/ ٢ و«البحر المحيط» ٣/ ١٩٧٧.

⁽۲) قال ابن كثير في «التفسير» ۱۸۵۱ : وقوله: ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَيْتُمْ رَفِيا﴾ أي: هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: ﴿وَلَهُ: ﴿وَلَهُ عَنْ مُ عَيْتُمْ وَمَهِا إِرشاد وأمر بمراقبة الرقيب، ولهذا ذكر تعالى: أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض، ويحثهم على ضعفاتهم. وقد ثبت في «صحيح مسلم» ۲/ ۲۰٤ من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء. متقلدي السيوف، عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ من مار رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَايِّا إِنَّانُ النَّمُ الرَّي كَلَكُمْ رَبِّ اللهُ عَلَىٰ لَسُونَ عَلَىٰ اللهُ وَلَمْ اللهُ عَلَىٰ اللهُ وَلَمْ عَلَىٰ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَاللهُ اللهُ إِلَىٰ اللهُ وَلِمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ عَلَىٰ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ وَلِمْ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ عَلَىٰ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ عَلَىٰ وَلَمْ اللهُ اللهُ عَلَىٰ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَمْ وَلَا اللهُ وَلَمْ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ وَلَمْ اللهُو اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلُمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلُمُ اللهُ وَلِه

 ⁽٣) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١١٧/٢: أخرجه ابن أبي حاتم.

⁽ع) رواه بمعناه عن سعيد بن جبير الطبري ٧/٥٣٦ وإسناده صحيح، ونسبه السيوطي في «الدر» ١١٨/٢ إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

بأموال اليتامى، فلما كثر النساء، مالوا على أموال اليتامى، فَقُصِروا على الأربع حفظاً لأموال اليتامى. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة (١٠). والثالث: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتموهن، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحلَّ الله لكم، وهذا المعنى مروي عن عائشة (١٠). والرابع: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهن، وحذرتم سوء الصحبة لهن، وقلة الرغبة فيهن، فانكحوا غيرهن، وهذا المعنى مروي عن عائشة أيضاً، والحسن. والخامس: أنهم كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى، فأيروا بالتحرّج من الزنى أيضاً، ونُدبوا إلى النكاح الحلال، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. والسادس: أنهم تحرجوا من أموالهم، فرخّص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه، فكأنه من نكاح اليتامى، كما تحرجوا من أموالهم، فرخّص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه، فكأنه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن غفتم أن لا تعدلوا فيهن، فواحدة، وهذا المعنى مروي عن الحسن. قال ابن قتبة: ومعنى قوله: وإن خفتم، أي: [فإن] علمتم أنكم لا تعدلون [بين اليتامى] يقال: أقسط الرجل: إذا عدل [ومنه قول النبي ﴿ المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم تعدلون أيقادًا إربيا اليتامى، والثاني: في أموالهم.

قوله تعالى: ﴿ فَالْكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ أي: ما حل لكم. قال ابن جرير: وأراد بقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ ﴾، الفعل دون أعيان النساء، ولذلك قال: «ما» ولم يقل: «من» واختلفوا: هل النكاح من اليتامى، أو من غيرهن؟ على قولين قد سبقا.

قوله تعالى: ﴿مَثَنَ وَثُلَثَ وَثُلِثَ وَثُلِثَ وَثُلِثَ وَثُلِثَ وَثُلِثَ وَثُلِثًا وَإِنما خاطب الله العرب بأفصح اللغات، وليس في شأن البليغ أن يعبّر في العدد عن التسعة باثنتين، وثلاث، وأربع، لأن التسعة قد وضعت لهذا العدد، فيكون عِيًّا في الكلام. وقال ابن الأنباري: هذه الواو معناها التفرق، وليست جامعة، فالمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثُلاث في غير الحال الأولى، وانكحوا رُباع في غير الحالين. وقال القاضي أبو يعلى: الواو هاهنا لإباحة أيَّ الأعداد شاء، لا للجمع (١٠)، وهذا العدد إنما هو للأحرار، لا للعبيد، وهو قول أبي حنيفة والشافعي. وقال مالك: هم كالأحرار. ويدل على قولنا: أنه قال: فانكحوا، فهذا منصرف إلى من يملك النكاح، والعبد لا يملك ذلك بنفسه، وقال في سياقها: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا لَمَلِكُا فَوَحِدَةً وَالْ التين.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِنْتُمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: علمتم، والثاني: خشيتم. قوله تعالى: ﴿ أَلَّا نُدِلُوا ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أراد العدل في القسم بينهن.

⁽۱) رواه ابن جرير ٧/ ٥٣٥ وابن المنذر، وابن أبي حاثم، عن ابن عباس. ورواه ابن جرير ٧/ ٥٣٥ عن عكرمة بمعناه. ولفظ الطبري: عن ابن عباس قال: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامي.

 ⁽٢) روى البخاري ١٧٩/٨ ومسلم ٢٣١٣/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل جائشة عن قول الله ثمالى: ﴿وَإِنْ خِنْتُمَ أَلَا نَشْيَطُوا لِم ٱلْنَتْنَ﴾ فقالت: يا ابن أختى هذه البتيمة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن يتكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

 ⁽٣) افريب القرآن؟ ١١٩، وما بين معقفين منه. وحديث المقسطون على منابر من لؤلؤ؟. رواه مسلم: ١٤٥٨/٣ ولفظه اإن المقسطين عند الله على منابر
من نور عن يمين الرحمن عزجل ـ وكاتا يديه يمين ـ الذين يمدلون في حكمهم وأهليهم وما وأبوا؟.

ورى الإمام أحمد رقم (٢٠٠٩) عن صالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: فاختر منهن أربعة، ورواه الترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، قال الحافظ ابن حجر: وأعله البخاري وأبو زرعة، وقال الحافظ ابن كثير في «الإرشاد»: رواه الإمامان أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حبل، والترمذي، وابن ماجه، وهذا الإسناد رجاله على شرط الشيخين، إلا أن الترمذي يقول: سمعت البخاري يقول: هذا حديث غير محفوظ، والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهري، قال: حدثت عن محمد بن شعيب الثقفي أن غيلان... فذكره، قال البخاري: وإنما حديث الزهري، عن سالم عن أبيه أن رجلاً من ثقيف طلق بساءه، فقال له عمر: لتراجعن نساءك... الحديث. قال ابن كثير: قلت: قد جمع الإمام أحمد في روايته لهذا الحديث بين هلين الحديث، بهذا السند، فليس ما ذكره البخاري قادحاً، وساق رواية النسائي برجال ثقات. فسيل السلام، ٢/ ١٨٠. انظر كلام الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في «المسند»، فإنه قد فصل الكلام فيه.

قوله تعالى: ﴿ فَرَحِدَةٌ ﴾ أي: فانكحوا واحدة، وقرأ الحسن، والأعمش، وحميد: «فواحدةٌ» بالرفع، المعنى، فواحدة تقنع.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكُتُ أَيْمَنَكُمُ عني: السراري. قال ابن قتيبة: معنى الآية: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا [أيضاً] أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فَقَصَرَهم على أربع، ليقدروا على العدل، ثم قال: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هؤلاء الأربع، فانكحوا واحدة، واقتصروا على ملك اليمين (١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَكَ أَدَكَ ﴾ أي: أقرب. وفي معنى «تعولوا» ثلاثة أقوال: أحدها: تميلوا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء. وقال أبو مالك، وأبو عبيد: تجوروا. قال ابن قتيبة، والزجاج: تجوروا وتميلوا بمعنى واحد. واحتكم رجلان من العرب إلى رجل، فحكم لأحدهما، فقال المحكوم عليه: إنك والله تعول علي، أي: تميل وتجور. والثاني: تضلوا، قاله مجاهد، والثالث: تكثر عبالكم، قال ابن زيد، ورواه أبو سليمان الدمشقي في قتفسيره عن الشافعي، ورده الزجاج، فقال: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ، لأن الواحدة يعولها، وإباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع (٢٠).

﴿وَمَاثُواْ النِسَاةَ صَدُقَتِهِنَّ لِخُلَّةً لَهِن طِلْبَنَ لَكُمْ عَن مَنْ رَبَّتُهُ نَشَكَا تَكُونُهُ هَبِيتَا تَرْبَنَا ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا النِّسَةَ صَدُقَتُهِنَ غِنَةً﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم الأزواج، وهو قول الجمهور، واحتجوا بأن الخطاب للناكحين قد تقدم، وهذا معطوف عليه، وقال مقاتل: كان الرجل يتزوج بلا مهر، فيقول: أرثكِ وترثيني، فتقول المرأة: نعم، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه متوجّه إلى الأولياء (٢) ثم فيه قولان: أحدهما: أن الرجل كان إذا زوّج أيّهة جاز صداقها دونها، فنهوا بهذه الآية، هذا قول أبي صالح، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن الرجل كان يعطي الرجل أخته ويأخذ أخته مكانها من غير مهر، فنهوا عن هذا بهذه الآية، رواه أبو سليمان التيمي عن بعض أشياخه. قال ابن قتيبة: والصدقات: المهور، واحدها: صدقة. وفي قوله فنحلة أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الفريضة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريح، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها الهبة والعطية، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: كانت العرب في الجاهلية لا تعطي النساء شيئاً من مهورهن، فلما فرض الله لهن المهر، وقبل: إنما سمي المهر: نحلة، لأن الزوج لا يملك بدله شيئاً، لأن البضع بعد النكاح في ملك المرأة، ألا ترى أنها لو وقبل: إنما سمي المهر نهورهن مهورهن وأنتم كارهون، قاله أبو عبيدة. والرابع: أن معنى «النحلة»: الديانة، فتقديره: فض مدانه قال: لا تعطوهن مهورهن وأنتم كارهون، قاله أبو عبيدة. والرابع: أن معنى «النحلة»: الديانة، فتقديره: وآتوهن صدقاتهن ديانة، يقال: فلان يتحل كذا، أي: يدين به، ذكره الزجاج عن بعض العلماء.

 ⁽١) نص كلام ابن قتيبة في «المشكل» ٥١: والمعنى أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة. وحرم عليهم أنيرينكجوا أكثر منهنَّ، لأنه لو أباح لهم أن
ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين البتامى إذا كفلتبوهم،
 فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين البساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تتجاوزوا ذلك فتمجزوا عن العدل.

 ⁽۲) قال ابن كثیر ۱/ ٤٥١: وقوله ﴿ وَلِهَ أَنْكَ أَلّا تَتُولُوا﴾ قال بعضهم: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم، قاله زيد بن أسلم، وسفيان بن عيينة، والشافعي، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ عَبَـلَهُ ﴾ أي: فقراً ﴿ فَسَوَى يُقْرِيكُمُ اللهُ بِن فَشَـلِهِ: إِن شَـٰآهُ ﴾ وقال الشاعر:

فسمسا يسدري السفسة سيسر مستسى غسنساه ومسا يسدري السفسنسي مستسى يسعسيسل وتقول العرب: علل الرجل يعيل عيلة: إذا افتقره ولكن في هذا التفسير هاهنا نظره فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً، والصحيح قول الجمهور ﴿وَإِنْ أَذَتُهُ أَلَا تُشُولُا﴾ أي: لا تجوروا، يقال: عال في الحكم: إذا قسط وظلم وجار.

⁽٣) - اختار ابن جرير ٧/ ٥٥٤ أن الخطاب للازواج، قال: لأن الله تعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور هليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن. ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم، قاذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قبل لهم ﴿ اللَّذِينَ قبل لهم اللَّذِينَ قبل لهم: ﴿ وَمَا اللَّهِ مَن النَّاءَ صَدُقَتِينَ ﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في أول الآية: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، ولم يقل: ﴿ وَالرَّا اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّلْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّاءُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُو

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طِبْنَ لَكُمْ ﴾ يعني النساء المنكوحات. وفي «الكم» قولان: أحدهما: أنه يعني الأزواج. والثاني: الأولياء. و«الهاء» في «منه» كناية عن الصداق، قال الزجاج: و«منه» هاهنا للجنس، كقوله: ﴿ فَاجْتَكِنِبُوا الرِّحْسُ مِنَ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللللّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللللَّاللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ الللل

﴿ وَلَا تُؤْمُوا اَلسَّمَنِهَاتُهُ اَنَّوَالَكُمُ الَّتِي جَمَلَ اللَّهُ لَكُو يَنِمَا وَآرَزُمُوكُمْ بِهَا وَاكْتُمُوهُمْ وَقُولُوا لَمَدِ قَوْلًا مَتُوبَا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ نُؤَنُوا السُّعَهَاءَ اَمُولَكُمُ ﴾ المراد بالسفهاء خمسة أقوال: أحدها: أنهم النساء، قاله ابن عمر. والثاني: النساء والصبيان، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتية. وعن الحسن، قال: هم كالقولين. والثالث: الأولاد، قاله أبو مالك. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس، وروي عن الحسن، قال: هم الأولاد الصغار. والرابع: اليتامى، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير في رواية. قال الزجاج: ومعنى الآية: ولا تؤتوا السفهاء أموالهم، بدليل قوله: ﴿وَارَدُوكُمُ فِهَا ﴾ وإنما قال: «أموالكم» ذكراً للجنس الذي جعله الله أموالاً للناس. وقال غيره: أضافها إلى الولاة، لأنهم قوامها. والخامس: أن القول على إطلاقه، والمراد به كل سفيه يستحق الحجر عليه، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي، وغيرهما، وهو ظاهر الآية (١٠). وفي قوله: ﴿أَنْوَلَكُمُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه أموال اليتامى. والثاني: أموال السفهاء.

قوله تعالى: ﴿ الَّي جَمَلَ اللَّهُ لَكُرُ قِبَنا﴾ قرأ الحسن: «اللاتي جعل الله لكم قِواماً». وقرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو: «قياماً» بالياء مع الألف هاهنا، وقرأ نافع، وابن عامر: «قيّماً» بغير ألف. قال ابن قتيبة: قياماً وقواماً بمنزلة واحدة، تقول: هذا قوام أمرك وقيامه، أي: ما يقوم به [أمرك]. وذكر أبو على الفارسي أن «قواماً» و«قياماً» و«قياماً» و«قياماً» وهيمة» هاهنا: جمع «قيمة» بشيء.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّوْلُومُمْ فِيهَا﴾ أي: منها. وفي «القول المعروف» ثلاثة أقوال: أحدها: العدة الحسنة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الردّ الجميل، قاله الضحاك. والثالث: الدعاء، كقولك: عافاك الله، قاله ابن زيد.

﴿وَاَيْنَكُوا الْيَنَتَىٰ حَقَّ إِذَا بَلَغُوا الذِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسَتُمْ مِثْمُتُمْ رُشُكًا فَادْفَقُواْ إِلَيْهِمْ آمُوَلَمُتُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافَا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيَا فَلَيْسَتَمْفِفُ وَمَن كَانَ فَفِيْرًا فَلْيَأْكُلُ بِالْمَشْرُوفِ فَإِذَا دَفَعَتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَلَتُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكُفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَابِنَكُوا الْمِنْنَى ﴾ سبب نزولها أن رجلاً ، يقال له: رفاعة ، مات وترك ولداً صغيراً ، يقال له: ثابت ، فوليه عمّه ، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : إن ابن أخي يتيم في حجري ، فما يحل لي من ماله ؟ ومتى أدفع إليه ماله ؟ فنزلت هذه الآية ، ذكر نحوه مقاتل (٢) . والابتلاء : الاختبار . وبماذا يختبرون ؟ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أنهم يختبرون في عقولهم ، قاله ابن عباس ، والسدي ، وسفيان ، ومقاتل . والثاني : يختبرون في عقولهم ودينهم ، قاله الحسن ، وقتادة . وعن مجاهد كالقولين . والثالث : في عقولهم ودينهم ، وحفظهم أموالهم ، ذكره الثعلبي . قال القاضي أبو يعلى : وهذا الابتلاء قبل البلوغ .

قوله تعالى: ﴿ حَنَّ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحُ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بلغوا أن ينكحوا النساء ﴿ فَإِنْ مَالسَّمُ ﴾ أي: علمتم،

ا) قال ابن كثير: ١/ ٤٥٣: ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معايشهم من
التجارات وغيرها، ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام؛ فتارة يكون الحجر للصغر، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر
للجنون، وتارة لسوء التصرف، لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو إذا ما أحاطت الديون برجل، وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء
الحاكم الحجر عليه حجر عليه.

⁽٢) ذكره الواحدي ص ٨٢ بدون سند.

النساء: ٥ ـ ٦

وتبيَّنتم. وأصل: أنست: أبصرت. وفي الرشد أربعة أقوال: أحدها: الصلاح في الدين، وحفظ المال، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: الصلاح في العقل، وحفظ المال، روي عن ابن عباس والسدي. والثالث: أنه العقل، قاله مجاهد، والنخعي. والرابع: العقل والصلاح في الدين، روي عن السدي.

فصل

واعلم أن الله تعالى علَّق رفع الحجر عن اليتامى بأمرين؛ بالبلوغ والرشد، وأمر الأولياء باختبارهم، فإذا استبانوا رشدهم، وجب عليهم تسليم أموالهم إليهم. والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء؛ الاحتلام (۱۱)، واستكمال خمس عشرة سنة (۲۱)، والإنبات (۳۲)، وشيئان يختصان بالنساء: الحيض والحمل (٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأَكُّلُوكَا إِسْرَانًا﴾ خطاب للأولياء، قال ابن عباس: لا تأكلوها بغير حق. وابداراً؟: تُبادرون أكل المال قبل بلوغ الصبيّ ﴿وَنَى كَانَ غَنِيَا نَلْيَسْتَمْوَفَتُ بِماله عن مال البتيم. وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال: أحدها: أنه الأخذ على على وجه القرض، وهذا مروي عن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وأبي العالية، وعبيدة، وأبي وائل، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، والنخعي، وقتادة، والسدي. والثالث: أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً، روي عن ابن عباس، وعائشة (٥٠)، وهي رواية أبي طالب، وابن منصور، عن أحمد عليه. والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر، فهو في حل، وهذا قول الشعبي.

فصل

واختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ على قولين. :أحدهما محكمة، وهو قول عمر، وابن عباس، والصعبي، وأبي العالية، ومجاهد، وابن جبير، والنخعي، وقتادة في آخرين. وحكمها عندهم أن الغني ليس له أن يأكل من مال اليتيم شيئاً، فأما الفقير الذي لا يجد ما يكفيه، وتشغله رعاية مال اليتيم عن تحصيل الكفاية، فله أن يأخذ قدر كفايته بالمعروف من غير إسراف. وهل عليه الضمان إذا أيسر؟ فيه قولان لهم: أحدهما: أنه لا ضمان عليه، بل يكون كالأجرة له على عمله، وهو قول الحسن، والشعبي، والنخعي، وقتادة، وأحمد بن حنبل. والثاني: إذا أيسر وجب عليه القضاء، روي عن عمر وغيره، وعن ابن عباس أيضاً كالقولين. والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿لَا تَمَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَالِنَكُمْ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عباس، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿ فَأَشَّهِدُوا عَلَيْهُم ﴾ قال القاضي أبو يعلى: هذا على طريق الاحتياط لليتيم، والولي، وليس بواجب،

⁽۱) لقوله ﷺ: قرفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يحتلم، وعن الناتم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق؟. رواه النرمذي ١/ ١٧٠ وأبو داود ٤/ ١٩٧ عن علي ﷺ. ورواه الدارمي ٢/ ١٧١ عن عائشة، وابن ماجه ١/ ٢٥٨ عنهما، وهو حديث صحيح.

⁽٢) أعل الفقهاء ذلك من الحديث الثابت في «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: «عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يُجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، قال ناقع: فقدت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث؛ فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة.

⁽٣) يدل لذلك ما روى الإمام أحمد ٤/ ٣١٠ عن عطية القرظي، قال: عرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلي سيله، فكنت فيمن لم ينبت، فخلي سبيلي. وقد أخرجه أصحاب «السنن» بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال ابن كثير: وإنما كان كذلك، لأن سعد بن مماذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الذرية. وكون البلوغ يثبت باستكمال خمس عشرة سنة والإنبات: هو مذهب الشافعي، وأحمد، وابن وهب، وأصبغ، وعبد الملك بن الماجشون، وعمر بن عبد العزيز، واختاره ابن العربي.

⁽٤) قال القرطبي: ٥/٣٠: فأما الحيض والحبل فلم يختلف العلماء في أنه بلوغ، وأن الفرائض والأحكام تجب بهما.

⁽٥) في البخاري ٨/ ١٨١: عن عائشة ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَتَن كَانَ غَيْنًا قَلْبَتَكُونَةٌ وَتَن كَانَ فَيْمًا فَلْمَاكُمْ بِالْمَمْدِيْ ﴾ أنها نزلت في مال البتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شجيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مال، ولي يتيم، فقال: وكل من مال يتيمك غير مُسْرِفِ ولا متألِّي ولا متألِّي مالاً، ومن غير أن تقي مالك؟ أو قال: «تقدي مالك بماله». ورواه أبو داود ١٥٦/٥٠ والنسائي ١٩/١٥٠، وأبن ماجه ١٩/٣٨ بنحوه، وهو حديث حسن. وقوله: «بدلا متأثل» بتشديد الثاء المثلثة المكسورة. قال ابن الأثير: أي: غير جامع، يقال: مال مؤثل، ومجد مؤثل، بقتح الثاء المشدّدة فيهما، أي: مجموع ذو أصل.

فأما اليتيم، فإنه إذا كانت عليه بينة، كان أبعد من أن يدّعي عدم القبض، وأما الولي، فإنه تظهر أمانته، ويسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم للدَّفع. وفي «الحسيب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، والسدّي، ومقاتل. والثاني: أنه الكافي، من قولك: أحسبني هذا الشيءُ [أي: كفاني، والله حسيبي وحسيبك، أي: كافينا، أي: يكون حكماً بيننا كافياً.

قال الشاعر:

ونُـ قُـ في وليد الحيُّ إن كان جائعاً ونُحسِبُ ان كان ليس بجائع (١)

أي: نعطيه ما يكفيه حتى يقول: حسبي]^(٢) قاله ابن قتيبة والخطابي. والثالث: أنه المحاسب، فيكون في مذهب جليس، وأكيل، وشريب، حكاه ابن قتيبة والخطابي.

﴿ لِإِبَّالِ نَمِيتُ مِّمَا تُرَكَ الْوَلِدَانِ وَالْأَمْرُونَ وَلِلْسَالُو نَعِيتُ مِّمَا تُرَكَ الْوَلِدَانِ وَالْأَمْرُونَا ﴿ اللّهِ اللّهِ عَلَى الْوَلِدَانِ مَن الْوَلِدَانِ وَالْأَمْرُونَا ﴿ سَبِيتُ مِمّا مَلُو اللّهِ اللهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللللهُ اللهُ اللهُ الللّهُ اللهُ اللهُ اللللهُ الللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

﴿ رَإِذَا حَشَرَ ٱلقِسْمَةَ أُولُوا ٱلقُرْقَ وَٱلْمِنَكُنُ وَالْمَنْكِ أُلْرَاقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا لَمُثرَ قَوْلًا مَشْرُوفًا ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَشَرَ ٱلْوَسْمَةَ أُولُوا ٱلقُرْقَ﴾ في هذه القسمة قولان: أحدهما: قسمة الميزاث بعد موت

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا عَنْرُ الْقِسْمَةُ اَوْلُوا العَرْبُقِ ﴾ في هذه القسمة قولان: الحلهما: قسمة الميزات بعد موت الموروث، فعلى هذا يكون الخطاب للوارثين، وبهذا قال الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، والزهري. والثاني: أنها وصيّة الميّت قبل موته، فيكون مأموراً بأن يعيّن لمن لا يرثه شيئاً، روي عن ابن عباس، وابن زيد. قال المفسّرون: والمراد بأولي القربى: الذي لا يرثون، ﴿ فَأَرْتُوهُم يَنْهُ ﴾ أي: أعطوهم منه، وقيل: أطعموهم، وهذا على الاستحباب عند الأكثرين، وذهب قوم إلى أنه واجب في المال، فإن كان الورثة كباراً، تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً، تولّى عنه الأكثرين، وذهب قوم إلى أنه واجب في المال، فإن كان الورثة كباراً، تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً، تولّى هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي (٥)، وكذلك فعل محمد بن سيرين في أيتام وليّهم، وكذلك روي عن مجاهد: أن ما تضمّنته هذه الآية واجب. وفي «القول المعروف» أربعة أقوال: أحدها: أن يقول لهم الولي حين يعطيهم: خذ بارك الله فيك، رواه سالم الأفطس، عن ابن جبير، والثاني: أن يقول الولي: إنه مال يتامى، ومالي فيه شيء، رواه أبو بشر عن ابن جبير، وولن كانوا صغاراً، قال وليّهم: إني ليست أملك هذا المال، إنما هو للصغار، فذلك كان المورف. والثالث: أنه العِدّة الحسنة، وهو أن يقول لهم أولياء الورثة: إن هؤلاء الورثة صغار، فإذا بلغوا، أمرناهم أن يعرفوا حقكم، رواه عطاء بن دينار، عن ابن جبير، والرابع: أنهم يُعطّؤن من المال، ويقال لهم عند قسمة أمرناهم أن يعرفوا حقكم، وهذا القول المعروف. قال الحسن والنخعى: أدركنا الناس يفعلون هذا.

 ⁽١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ١٧، و«الصحاح»: مادة: حسب، و«اللسان»: مادة: قفي، وفيه ١/ ٣١٣ لامرأة من بني قشير، وقوله: «نقفيه»
 أي: نوثره بالقفية، ويقال لها: القفاوة أيضاً، وهي ما يؤثر به الضيف والصبي.

 ⁽۲) ما بين معقفين من تمام كلام ابن قتيبة في (غريب القرآن) ص ١٧.

٣) في ب «مكرمة وعرفطة» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٨٢ سويد وعرفجة، وفي «الدر المنثور» ٢/ ١٢٢: خالد وعرفطة، والخبر أخرجه أبو
 الشيخ وابن حبان في «كتاب الفرائض» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح، ضعيفان لا يحتج بهما.

 ⁽٤) أخرجه ابن جرير ٧/ ٥٩٧ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن تتادة.

⁽٥) رواه ابن أبي حاتم عن أبي صعيد الأشج عن إسماعيل بن علية عن يونس بن صيد عن ابن صيرين...

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، وهو قول أبي موسى الأشعري، وابن عباس^(۱)، والحسن، وأبي العالية، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والنخعي، والزهري، وقد ذكرنا أن ما تضمنته من الأمر مستحب عند الأكثرين، واجب عند بعضهم. والقول الثاني: أنها منسوخة؛ نسخها قوله: ﴿يُوسِيكُ اللهُ فِي ٱللَاكِثُ وَهُ أَوْلَاكُمُ وواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن المسيّب، وعكرمة، والضحاك، وقتادة في آخرين.

· ﴿ وَلِيَخْسَ الَّذِينَ لَوَ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِدَ دُرِّيَّةً ضِمَانًا خَافُوا عَلَيْهِمٌ فَلْبَـقَّمُوا اللَّهَ وَلَيْتُولُوا فَوْلَا سَدِيدًا ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْحَشَ الَّذِيرَ لَوْ تَرُّكُوا مِنْ خَلِنِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِمَاغًا﴾ اختلفوا في المخاطب بهذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للحاضرين عند الموصى. وفي معنى الآية على هذا القول قولان: أحدهما: وليخش الذين يحضرون موصياً في ماله أن يأمروه بتفريقه فيمن لا يرثه، فيفرِّقه، ويترك ورثته، كما لو كانوا هم الموصين، لسَرَّهم أن يحثُّهم من حضرهم على حفظ الأموال للأولاد، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: على الضدّ من هذا القول، وهو أنه نهى لحاضري الموصي أن يمنعوه من الوصية لأقاربه، وأن يأمروه بالاقتصار على ولده، وهذا قول مقسم، وسليمان الثيمي في آخرين. والقول الثاني: أنه خطاب لأولياء اليتامي متعلق بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَانًا وَبِدَارًا﴾ فمعنى الكلام: أحسنوا فيمن وليتم من اليتامي، كما تحبُّون أن يحسن ولاة أولادكم بعدكم، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وابن السائب. والثالث: أنه خطاب للأوصياء أمروا بأداء الوصيّة على ما رسم الموصى، وأن تكون الوجوه التي عينها مرعيّة بالمحافظة كرعي اللريّة الضعاف من غير تبديل، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ فَنَمَنْ خَافَ مِن مُومِ جَنَتُ أَوْ إِنْمَا فَأَصْلَحَ بَيْتُهُمْ فَلا ٓ إِنْمَ عَلِيمَهُۗ ۖ [البغرة: ١٨٢] فأمر الوصى بهذه الآية إذا وجد ميلاً عن الحق أن يستعمل قضيّة الشرع، ويصلح بين الورثة، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله، وغيره، في «الناسخ والمنسوخ» فعلى هذا تكون الآية منسوخة، وعلى ما قبله تكون محكمة. و«الضعاف»: جمع ضعيف، وهم الأولاد الصغار. وقرأ حمزة: «ضعافاً» بإمالة العين. قال أبو على: وجهها: أن ما كان على فنعال، وكان أوله حرفاً مستعلياً مكسوراً، نحو ضعاف، وقفاف، وخفاف؛ حسنت فيه الإمالة، لأنه قد يُصَعَّدُ بالحرف المستعلى، ثم يُحْدَرُ بالكسر، فيستحب أن لا يُصَعَّد بالتفخيم بعد التصوُّب بالكسر، فيجعل الصوت على طريقة واحدة، وكذلك قرأ حمزة: ﴿غَاثُوا عَلَيْهِمُّ ﴾ بإمالة الخاء، والإمالة هاهنا حسنة، وإن كانت •الخاء، حرفاً مستعلياً، لأنه يطلب الكسرة التي في اخِفت، فينحو نحوها بالإمالة, والقول السَّديد،: الصواب.

روى البخاري ٨/ ١٨١ عن ابن عباس في الآية قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة. تابعه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الحافظ ابن حجر: وصله في الوصايا بلفظ فإن ناساً يزهمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما تسخت، ولكنها مما تهاون الناس بها، هما واليان، والي يرث، وقلك اللهي يرق، ووالي لا يرث، وظلك اللهي يقال له بالمعروف، يقول: لأأملِكُ لك أن أهطيك، وهذان الإسنادان الصحيحان هما المعتمدان، وجاءت عنه روايات من أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد أن وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأثمة الأربعة وأصحابهم. وجاء عن ابن عباس قول آخر، أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن في حياة عائشة، قلم يدع في الذار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاء من ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، قلم يدع في الذار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاء من ميراث أبيه، وتلا الآية. قال القاسم: فلكرته لابن عباس، فقال: ما أصاب، وليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في الوصية، أي: ندب للميت أن يوصي لهم. قلت: _ أي: الحافظ ابن حجر _ وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة، وليست بمنسوخة. وقيل: معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرث، واليتامي والمساكين، فإن نفوسهم تتشوف إلى أخذ شيء منه ولا سيما إن كان جزيلاً، فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بقلك: هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وأن للى المتراث بعنه منه وأن ذلك على سبيل الاستحباب، وهو المعتمد، لأنه لو كان على ولي المحبور، وقيل: لا بل يقول: ليس المال لي، وإنما هو لليتيم، وإن هلا هو المراد يقوله: ﴿ وَرُولُوا كُلُو مُن المال المحبور وغيره . وله المحبور، وقيل: لا بل يقول: ليس المال لي، وإنما هو لليتيم، وإن هذا هو المراد يقوله: ﴿ وَرُولُوا كُلُو مُن المال المحجور وغيره . ولن هلا عو المراد يقوله: والقيا على العموم في مال المحجور وغيره . وله المصوم، وعن ابن سيرين وطائفة: المواد يقوله: ﴿ وَانْ هلا هو المراد يقوله الإكونه وإنها على العموم في مال المحجور وغيره . وله

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَلَ الْيَتَنَكَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَازًا وَسَبَفَاؤَكَ سَعِيرًا ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَذِينَ يَأْكُونَ أَمَرُلَ الْيَتَنَىٰ ظُلْمًا ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً من غطفان، يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، فأكله، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أن حنظلة بن الشمودل ولي يتيماً، فأكل ماله، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وإنما خصّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود، وقيل: عبر به عن الأخذ. قال سعيد بن جبير: ومعنى الظلم: أن يأخذه بغير حق. وأما ذكر «البطون» فللتوكيد، كما تقول: نظرت بعيني، وسمعت بأذني، وفي المراد بأكلهم النار قولان: أحدهما: أنهم سيأكلون يوم القيامة ناراً، فسمي الأكل بما يؤول إليه أمرهم، كقوله: ﴿ أَيْمِيرُ خَمْرً ﴾ [يوسف: ٢٦] قال السدي: يبعث آكل مال البتيم ظلماً، ولهب النار يخرج من فيه، ومِن مسامعه، وأذنيه، وأنفه، وعينيه، يعرفه من رآه يأكل مال البتيم (١٠). والثاني: أنه مَثَل. معناه: يأكلون ما يصيرون به إلى النار، كقوله: ﴿ وَلَقَدَ كُنُمُ مَنَوَلَهُ وَلَدَ مَنْ رَآه يُلَونَ مَنْ قَلَ أَن تَلَقَوهُ فَقَدَ رَأَيْتُوكُ الله عراه: ١٤٦٤ أي: رأيتم أسبابه.

قوله تعالى: ﴿ وَسَبَنَاؤَكَ سَمِيرٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، •وسيصلون، بفتج الياء، وقرأ الحسن، وابن عامر، بضم الياء، ووافقهما ابن مقسم، إلا أنه شدّد. والمعنى: سيُحرَّقون بالنار، ويُشْوَوْن. والسعير: النار المستعرة، واستِعار النار: توقُّدها.

فصل

وقد توهم قومٌ لا علم لهم بالتفسير وفقهه، أن هذه الآية منسوخة، لأنهم سمعوا أنها لما نزلت، تحرَّج القوم عن مخالطة اليتامى، فنزل قوله: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمُ ۗ [البقرة: ٢٢٠] وهذا غلط، وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح، لا على إباحة الظلم.

﴿ يُوسِيكُو الله فِى أُولَدِكُمْ لِلذَّكِرِ مِثْلُ حَلِّا الْأُنْمَيَّيْنَ فَإِن كُنَّ نِسَالَهُ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَكُونَ ثُلْنَا مَا تَرَكُّ وَإِن كَانَتُ وَحِدَةً فَلَهَا الشَّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ وَلَا أَنْ لَهُ وَلَا لَا يَكُنُ لَلُمُ وَلَا وَوَيْقَهُمْ أَبُواهُ فَلِأَتِيهِ الثَّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُمْ وَلَا أَيْنَ لَهُ وَلَا لَذَهُ إِخْوَةً وَلِأَيْتِهِ الشَّلُسُ مِنَا الشَّلُسُ مِنَا أَوْ مَنْ أَنْ لَهُ وَلَا لَذَهُ وَلَا اللهُ كَانَ لَهُ وَلَا اللهُ كَانَ لَهُمْ الْوَبُ لَكُو نَفْما فَرِيضَكُهُ فِي عِهَا أَوْ مَنْ مُ اللهُ عَلَى اللهُ كَانَ مَنْ لَكُونُ اللهُ كَانَ لَهُمْ الْوَبُولُونُ لِللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَسِسَمَةً فِرْضِ عِهَا أَوْ مَنْ مُ اللَّهُ كَانَ لَهُ لَذَهُ وَلَا لَلْهُ كَانَ لَهُ اللَّهُ كُانَ لَهُ وَلِمُ لَا مُؤْمِنُ وَلِمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ مِنْ مِنْ بَعْدِ وَسِسَمَةً فِرْضِ عِهَا أَوْ مَنْ مُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ أَوْلُهُ لَا مُؤْمِلُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ مِنْ مَنْ فَرَالِكُونُمُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْتُنْ وَلِمُ لَكُونُ وَلِمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ لَهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ لَا لِمُ لِلْلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْمًا عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ فَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا لَهُ عَلَالُهُ وَاللّهُ عَلَيْكُوا لَلْهُ عَلَالُهُ عَلَالًا لَا عَلَاللّهُ عَلَيْكُوا لَا عَلَّا لَا لَا لَاللّ

قوله تعالى: ﴿ يُوسِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلَدِكُمْ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن جابر بن عبد الله مرض، فعاده رسول الله على فقال: كيف أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت هذه الآية، رواه البخاري ومسلم (٢٠. والثاني: أن امرأة جاءت إلى النبي على بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله قُتِل أبو هاتين معك يوم أحد، وقد استفاء (٣٠) عمهما مالهما، فنزلت، روي عن جابر بن عبد الله أيضاً (٤٠. والثالث: أن عبد الرحمن أخا حسان بن ثابت مات، وترك امرأة، وخمس بنات، فأخذ ورثته ماله، ولم يعطوا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت امرأته تشكو إلى النبي على فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. قال الزجاج: ومعنى يوصيكم: يفرض عليكم، لأن الوصية منه فرض، وقال غيره: إنما ذكره بلفظ الوصية لأمرين: أحدهما: أن الوصية تزيد على الأمر، فكانت آكد. والثاني: أن في الوصية حقاً للموصي، فدل على تأكيد الحال بإضافته إلى حقه. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة: «يوصيكم» بالتشديد.

⁽١) أخرجه ابن جرير ٢٦/٨ من طريق أسباط عن السدي.

⁽٢) البخاري: ٨/ ١٨٢ ومسلم: ٣/ ١٢٣٥ من طريق ابن جربج عن ابن المنكدر عن جابر، وقد وهم بعض المحدثين ابن جربج في هذا الحديث، وقالوا: الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه، الآية الأخيرة من (النساه) وهي ﴿ يَسَتَنْتُونَكَ تُلِي اللّهُ يُشْبِيكُمْ فِي ٱلكَلْمَالِكَ ۖ وقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام عل هذا الحديث في «الفتح» فانظره.

 ⁽٣) قال ابن الأثير ٣/ ٢٢٠: أي: استرجع حقهما من الميراث وجعله فيثاً له، وهو استفعل من الفيء.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود ١٦٦/٣، والترمذي ٢٠/٣ وحسنه، وابن ماجه ٩٠٨/٢، وصححه الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تتكمان إلا ولهما مال، قال: فقال: «يقضي الله في ذلك»، قال: فتزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ الى عمهما، فقال: «أهط أبنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما يتي فهو لك».

قوله تعالى: ﴿ لِلذَّكِرِ مِثْلُ حَلِلِ ٱلْأُنشَيَّيْنِ عِني، للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين، ثم ذكر نصيب الإناث من الأول، فقال: ﴿ وَإِن كُنّ كَا يَعني: البنات ﴿ فِيكَانُ فَوْقَ ٱلْمُنكَيْنِ ﴾ وفي قوله: «فوق» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: ﴿ وَالنَّانِينَ إِنّ اللّهُ الله على الأنتين، والواحدة، ولم ينص على الاثنتين، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث، كان لها مع الأنثى الثلث أولى.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَتُ وَحِدَةً ﴾ قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ نافع بالرفع، على معنى: وإن وقعت، أو وجدت واحدة.

قوله تعالى: ﴿وَلِأَبُوَيْهِ﴾ قال الزجاج: أبواه تثنية أبِ وأبة، والأصل في الأم أن يقال لها: أبة، ولكن استغني عنها بأم، والكناية في قوله: ﴿لأبويه عن الميت وإن لم يجرِ له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرُتِهِ النَّلْتُ﴾ أي: إذا لم يخلف غير أبوين، فثلث ماله لأمه، والباقي للأب، وإنما خص الأم باللكر، لأنه لو اقتصر على قوله: ﴿وَوَرِئَهُو أَنَوَاهُ﴾ ظنّ الظان أن المال يكون بينهما نصفين، فلما خصها بالثلث، دل على التفضيل. وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿وَلِأَتِهِ﴾ و﴿فِي بُطُونِ أَتَهَنِكُمُ ﴾ [الزمر: ٦] و﴿فِي التفضيل. وقرأ ابن كثير، وأن أير الكِتنبِ ﴾ [الزعرف: ٤] بالرفع (١٠). وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالكسر إذا وُصِلا، وحجتهما: أنهما أتبعا الهمزة ما قبلها، من ياء أو كسرة.

قوله تعالى: ﴿ يَإِن كَانَ لَذُ إِخْوَ اللهِ أِي مَع الأبوين، فإنهم يحجبون الأم عن الثلث، فيردونها إلى السدس، واتفقوا على أنهم إذا كانوا ثلاثة إخوة، حجبوا، فإن كانا أخوين، فهل يحجبانها؟ فيه قولان: أحدهما: يحجبانها عن الثلث، قاله عمر، وعثمان، وعلي، وزيد، والجمهور (أ). والثاني: لا يحجبها إلا ثلاثة، قاله ابن عباس (أ)، واحتج بقوله: إخوة. والأخوة: اسم جمع، واختلفوا في أقل الجمع، فقال الجمهور: أقله ثلاثة، وقال قوم: اثنان، والأول: أصح. وإنما حجب العلماء الأم بأخوين لدليل اتفقوا عليه، وقد يُسمّى الاثنان بالجمع، قال الزجاج: جميع أهل اللغة يقولون: إن الأخوين جماعة، وحكى سيبويه أن العرب تقول: وضعا رحالهما، يريدون: رَحْلَي راحلتهما (ع).

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَمْدِ وَمِسَيَّةٍ ﴾ أي: هذه السهام إنما تقسم بعد الوصيّة والدّين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم «يوصّى بها» بفتح الصاد في الحرفين. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «يوصي» فيهما بالكسر، وقرأ حفص، عن عاصم الأولى بالكسر، والثانية بالفتح. واعلم أن الدّين مؤخّر في اللفظ، مقدم في المعنى، لأن الدين حق عليه، والوصيّة حق له، وهما جميعاً مقدمان على حق الورثة إذا كانت الوصيّة في ثلث المال، و«أو» لا توجب الترتيب، إنما تدل على أن أحدهما إن كان، فالميراث بعده، وكذلك إن كانا (٥٠).

⁽١) أي: برفع الهمزة.

 ⁽٢) قال الشوكاني في افتح القدير، ٣٩٨/١: وقد أجمع أهل العلم على أن الاثنين من الأخوة يقومون مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأم إلى السدس،
 إلا ما يروى عن ابن عباس أنه جعل الاثنين كالواحد في عدم الحجب.

⁽٣) أخرجه البيهتي في «السنن الكبرى؟ ٢٢٧/٦ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن شبابة عن ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس. قال ابن كثير ١/ ١٥٥. وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمنقول عنهم خلافه. وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال: «الأخوان تسمى إخوة» وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة، وفي «التقريب»: شعبة بن ديار الهاشمي مولى ابن عباس المدني: صدوق سيئ الحفظ.

⁽ع) في همجاز القرآن؛ ١١٨/١: فإن كان له إخوا، أي: أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجميع على معنى الاثنين، قال الراعي:

أخسلسيسددُ إن أبساك فسساف وسسادَه هستُسانِ بسانسا جسنسبسةَ ودخسيسلا طرقاً فستلك هماهمي أقريهما... قُسلُسساً لدواقسع كسالسقسسي وخُسولا

فجعل الاثنين في لفظ الجميع، وجعل الجميع في لفظ الاثنين. وقال المرتضى في «أماليه» ٢/١٥٥: فعبر بالهماهم، وهي جمع عن الهمين، وهما اثنان. وخليدة: ابنة الشاعر، والمعنى أن أحد الهمين بات جنبه، والآخر داخل جوفه.

⁽٥) أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن المجارود والدارقطني والبيهقي في =

﴿ الله وَلَكُمْ يَمْتُ مَا تَدَكَ أَزَدَمُكُمْ إِن أَرْ بَكُن لَهُ ﴾ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَ وَلَدٌ فَإِن كُمْ الرَّبُعُ مِمَّا تَرَكُنُ اللَّمُنُ مِمَّا وَمِينَ لَكُمْ وَلَدُّ فَإِن كُمْ وَلَدُّ فَإِن كُمْ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدُّ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدُ فَإِن اللَّمُنُ مِمَّا وَمُرَاةً وَاللَّهُ وَلِهُ وَمِن بَعْدِ وَصِيْتِهِ وَمُون بِهِمَّا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلُ يُورَكُ كَلَنَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ وَلَا أَوْ دَيْنٍ عَبْرَ مُضَارَةً وَصِيبَةً مِن اللَّهُ اللَّهُ مَلِكُمْ وَلِلْهُ عَلِيمً مُركَامًا فِي النَّاكُ مِنْ بَعْدِ وَصِيبَةٍ يُومَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ عَبْرَ مُضَارَةً وَصِيبَةً مِن اللَّهُ مَا لَهُ عَلِيمًا مَا اللَّهُ عَلَيْهُمْ مُركَامًا فِي اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلِيمًا مَا اللَّهُ عَلِيمًا مَا اللَّهُ عَلَيْهُمْ مُركَامًا فِي اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلِيمًا لَوْ وَعِيبَهُمْ عَلِيمًا أَوْ دَيْنٍ عَبْرَ مُضَارَةً وَصِيبَةً مِن اللَّهُ عَلِيمًا عَلَيْهُ عَلِيمًا مُن اللَّهُ عَلَيْهُمْ مُركَامًا فَي اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلِيمًا اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْمًا عَلَيْمُ عَلَيْكُونُ وَمِن عَلِيمًا أَوْ وَيَنِ عَبْرَ مُضَالًا وَعِيمِهُمْ عَلِيمًا اللَّهُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَيْهُ عَلِيمًا عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمًا مُنْ اللَّهُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلَيْمً عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمًا وَاللَّهُ عَلَيْمً عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيمًا عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمًا عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمً عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلِيمًا عَاللَّهُ عَلَيْمُ عَلَيْمًا عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمً عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلِيمً عَلِيمً عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمً عَلِيم

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَاتَ رَجُلُّ يُورَثُ كَلَنَةٌ ﴾ قرأ الحسن: ﴿يُورَثُ المنتِ الواو، وكسر الراء مع التشديد. وفي الكلالة أربعة أقوال: أحدها: أنها ما دون الوالد والولد، قاله أبو بكر الصديق. وقال عمر بن الخطاب: أتى عليّ حين وأنا لا أعرف ما الكلالة، فإذا هو: من لم يكن له والد ولا ولد (١١) وهذا قول علي، وابن مسعود، زيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفراء، وذكر الزجاج عن أهل اللغة، أن «الكلالة»: من قولهم: تكلله النسب، أي: لم يكن الذي يرثه ابنه، ولا أباه. قال: والكلالة سوى الوالد الولد، وإنما هو كالإكليل على الرأس. وذكر ابن قتيبة عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب (٢): إذا أحاط به. والابن والأب: طرفان للرجل، فإذا مات، ولم يخلفهما، فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين: كلالة [وكأنها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه؛ نحو هذا قولهم: وجهت الشيء: أخذت وجههه، وتُغرت الرجل: كسرت ثغره] (٢). والثاني: أن

هسننه عن على على الله الدين قبل الوصية، وإن بحد وصية وصية وصية المناه الله الله الله الله الله المسلمان المسلم

⁽۱) أثر عمر أخرجه البيهتمي في السنية ٢٢٤/٦ من طريق محمد بن نصر عن عبد الأعلى عن حماد عن عمران بن حدير، عن السميط بن عمير. وروى ابن أبي حاتم في وتفسيره عن طاووس .. بسند صحيح ـ قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول: القول ما قلت، قلت: وما قلت؟ قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد. قال ابن كثير: وهكذا قال علي وابن مسعود، وصح عن غير واحد عن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي، والنخعي، والحسن، وقتادة، وجابر بن زيد، والحكم، وبه يقول أهل المدينة، وأهل الكوفة، والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف، بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد.

⁽٢) في المجاز القرآن؛ ١٩٩/١ اليورث كلالة؛ مصدر من تكلله النسب، أي: تعطف النسب عليه، ومن قال اليورث كلالة؛ فهم الرجال الورثة، أي: يعطف النسب عليه.

 ⁽٣) ما بين معقفين من تمام كلام ابن قتية في اغريب القرآن، ص ١٣١.

الكلالة: من لا ولد له، رواه ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، وهو قول طاووس. والثالث: أن الكلالة: ما عدا الوالد، قاله الحكم (''). والرابع: أن الكلالة: بنو العم الأباعد، ذكره ابن فارس، عن ابن الأعرابي (۲۰). واختلفوا على ما يقع اسم الكلالة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم للحي الوارث، وهذا مذهب أبي بكر الصديق. وعامة العلماء الذين قالوا: إن الكلالة مِن دون الوالد والولد، فإنهم قالوا: الكلالة: اسم للورثة إذا لم يكن فيهم ولد ولا والد، قال بعض الأعراب: مالي كثير، ويرثني كلالة متراخ نسبهم (۳). والثاني: أنه اسم للميت، قاله ابن عباس، والسدي، وأبو عبيدة في جماعة. قال القاضي أبو يعلى: الكلالة: اسم للميت، ولحاله، وصفته، ولذلك انتصب. والثالث: أنه اسم عبيدة في جماعة. قاله ابن زيد. وفيما أخذت منه الكلالة قولان: أحدهما: أنه اسم مأخوذ من الإحاطة، ومنه الإكليل، لإحاطته بالرأس. والثاني: أنه مأخوذ من الكلال، وهو التعب، كأنه يصل إلى الميراث من بُعدٍ وإعياءٍ. قال الأعشى: فاسيستُ لا أرشي لسها مسن كسلالية ولا من حفي حتَّى تسزور محمداً (۱)

المانيات لا ارتبي الها المان الدانية ما المركز كافراك المراز المانية

قوله: ﴿ لَا إِنَّ أَنَّ أَنَّا أَخَتُّ ﴾ يعني: من الأم بإجماعهم.

قوله ثعالى: ﴿ فَهُمُ شُرَكَا ٓ أَ فِي ٱلثُّلُثِّ ﴾ قال قتادة: ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضَارِّ ﴾ قال الزجاج: «غير» منصوب على الحال، والمعنى: يوصي بها غير مضار، يعني: للورثة.

﴿ وَمَاكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولُمُ يُنْجِدُهُ جَنَّدَتُو نَجْدِف مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَكُو خَالِدِينَ فِيهِكُأُ وَذَالِكَ ٱلْغَوْزُ ٱلْمَطِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَاكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يريد ما حدَّ الله من فرائضه في الميراث ﴿وَمَن يُعِلِع اللّهَ وَرَسُولَمُ ﴾ في شأن المواريث ﴿يُدَخِلُهُ جَنَسَ ﴾ قرأ ابن عامر، ونافع: «ندخله بالنون في الحرفين جميعاً، والباقون بالياء فيهما.

﴿ وَمَن يَمْسِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَبَنَّمَدَّ حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ أَمَارًا خَسَلِمًا فِيهِمَا وَلَهُ عَذَابُ شُهِيتُ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ يَعْمِنُ ٱللَّهَ﴾ فلم يرض بقسمه ﴿يُدَّخِلُهُ نَارًا﴾ فإن قيل: كيف قطع للعاصي بالخلود؟ فالجواب: أنه إذا رد حكَم الله، وكفر به، كان كافراً مخلداً في النار.

﴿ وَالَّذِي بَأْنِيكِ النَّحِثَةَ مِنْ لِيَكَآبِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَتَهُ مِنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَاسْكُونُكِ فِي ٱلْبُنُوتِ حَتَى يَوَفَّهُنَّ اللَّوْتُ أَوْ يَجْمَلُ اللَّهُ لَمَنَّ سَهِدُوا فَاسْكُونُكِ فِي ٱلْبُنُوتِ حَتَى يَوَفَّهُنَّ اللَّهُ لَكُنَّ سَهِدُوا فَأَسْكُونُكِ فِي الْبُنُوتِ حَتَى يَوَفَّهُنَّ اللَّهُ لَكُنْ سَهِدُوا فَأَسْكُونُكِ فِي الْبُنُوتِ حَتَى يَوَفَّهُنَّ اللَّهُ فَيْ سَهِدُوا فَاسْتُونُ اللَّهِ فَي اللَّهُ فَي سَالِمُ اللَّهُ فَي سَالِمُ اللَّهُ فَي سَالِمُ اللَّهُ فَي اللّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ اللللّهُ اللللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّ

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيرُكَ الْفَنْحِشَةَ ﴾ قال الزجاج: «التي، تجمع اللاتي واللواتي. قال الشاعر:

من السلواتي والستي والسلاتي والسلاتي والسلاتي السيان السي

وتجمع اللاتي بإثبات التاء وحذفها. قال الشاعر:

⁽١) ذكره ابن جرير ٨/٨ عنه.

⁽٢) ذكره في المعجم مقاييس اللغة؛ ١٢١/٥

 ⁽٣) قوله: متراخ: أي بعيد نسبهم، من قولهم: تراخى فلان عني، أي: بعد عني. والخبر في الطبري ٨/ ٢٦ عن العلاء بن زياد، قال: جاء شيخ إلى
 عمر رقيد، فقال: إنني شيخ وليس لي وارث إلا كلالة أعراب متراخ نسبهم.

 ⁽٤) (ديوانه) ص ١٣٥ والبيت من قصيدة يمدح بها النبي رهم مللمها:

السم تسغيدة تصة مشهورة مؤداها أن الأعشى خرج إلى النبي فلا يريد الإسلام، وقد أعدَّ له هذه القصيدة ليمدحه بها، وكان ذلك في العدة التي بين صلح الحديبية وفتح مكة، فلما بلغ مكة، وعرفت قريش ما قصد له، لم يزالوا يبغضون إليه الإسلام، ويحدثونه بأسوأ ما يقدون عليه، ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهه بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفل الأعشى راجعاً إلى اليمامة، ثم لم يلبث أن مات من عامه. «الأغاني» ١٢٥/٩.

 ⁽٥) قال البغدادي في (خزانة الأدب، ٢/ ٥٦٠: لا أعرف ما قبله ولا قائله مع كثرة وجوده في كتب النحو، قلت: وهو في «الصحاح» و«اللسان» و«التاج» والقرطبي ٨٣/٥ وقوله: لداتي جمع: لِدة، ولدة الرجل: تربه الذي ولد معه قريباً.

ولكن لِيَقْتُلْنَ البريء المغفِّلا(١)

من اللاتي لم يحججن يبغين حِسبة

والفاحشة: الزنى في قول الجماعة. وفي قوله: ﴿ فَآسَتَمْبِدُوا عَلَيْهِنَ ﴾ قولان. أحدهما: أنه خطاب للأزواج. والثاني: خطاب للمحكام، فالمعنى: اسمعوا شهادة أربعة منكم، ذكرهما الماوردي. قال عمر بن الخطاب: إنما جعل الله الله الشهرد أربعة ستراً ستركم به دون فواحشكم. ومعنى «منكم»: من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْكُونُكُ فِي ٱلْبُيُوتِ ﴾ قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت، حبست في البيت حتى تموت، فجعل الله لهن سبيلاً، وهو الجلد، أو الرجم (٢٠).

﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِينَنِهَا مِنكُمْ فَعَادُوهُمُمَّا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَغْرِضُوا عَنْهُمَأً إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَوَّابًا تَجِيمًا ١

قوله تعالى: ﴿ وَالدَّانِ ﴾ قرأ ابن كثير: ﴿ واللذانَّ ﴾ بتشديد النون، و هذانً ، في (طه) و (الحج) و هاتينً ، في (القصص): ﴿ إحدى ابنتيَ هاتينً ٩ و هذانً ك كله بتشديد النون، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، بتخفيف ذلك كله، وشدد أبو عمرو ﴿ فذانَّك ٩ وحدها. وقوله: واللذان: يعني: الزانيين. وهل هو عام، أم لا، فيه قولان: أحدهما: أنه عام في الأيكار والثيب من الرجال والنساء، قاله الحسن، وعطاء. والثاني: أنه خاص في البكرين إذا زنيا، قاله أبو صالح، والسدّي، وابن زيد، وسفيان. قال القاضي أبو يعلى: والأول أصح، لأن هذا تخصيص بغير دلالة.

قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيَنِهَ ﴾ يعني الفاحشة. قوله: ﴿ فَنَاذُوهُمَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الأذى بالكلام، والتعيير، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه التعيير، والضرب بالنعال، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. ﴿ فَإِن تَاكِ ﴾ من الفاحشة ﴿ وَأَصَلَكَ ﴾ العمل ﴿ فَأَعْرِشُو ﴾ عن أذاهما. وهذا كله كان قبل الحد.

فصل

كان حد الزانيين، فيما تقدم، الأذى لهما، والحبس للمرأة خاصة، فنسخ الحكمان جميعاً، واختلفوا بماذا وقع نسخهما، فقال قوم: بحديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، النَّيب بالنَّيب اللَّيب بالنَّيب بالنام النام وما يوب بالمحلم بالمحلم، ونسخ حكم النَّيب من النساء بالرجم (٤). وقال قوم: يحتمل أن يكون النسخ وقع بقرآن، ثم رفع رسمه، ويقي حكمه، لأن في حديث عبادة «قد جعل الله لهن سبيلاً» والظاهر: أنه جعل بوحي لم تستقر تلاوته. قال القاضي أبو يعلى: وهذا وجه صحيح، يخرج على قول من لم ينسخ القرآن بالسنة. قال: ويمتنع أن يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الآحاد، والنسخ لا يجوز بذلك.

⁽١) البيت في امجاز القرآن؛ ١/ ١٢٥ منسوب إلى حمر بن أبي ربيعة، وليس في اديوانه؛ .

⁽٢) أخرجه ابن جرير ٨/ ٧٤، وابن المنذر، والتحاس في «ناسخه»: ٩٨، والبيهةي في «سننه» من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس، وعلي بن طلحة ـ كما في «التهذيب» ـ روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ورواه أبو داود ٢٠٢/٤ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سنده علي بن واقد، قال المنذري: وفيه مقال.

⁽٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/٣١٨، والشافعي في «الرسالة» ١٢٩، ٢٤٧، ومسلم في «صحيحه» ١٣١٦/٣، وأبو داود ٢٠٢/٤ عن عبادة بن الصامت فله، قال: قال رسول الله بلله «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً. البكر بالبكر جلد مائة وتفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم، هذا لفظ مسلم.

⁽٤) قال الإمام الخطابي في «معالم السنز» ٢٤١/١؛ واختلف العلماء في تنزيل هذا الكلام _ يريد الحديث السابق _ ووجه ترتيه على الآية، وهل هو ناسخ للاية أو مبين لها؟ فذهب بعضهم إلى النسخ، وهذا على قول من يرى نسخ الكتاب بالسنة، وقال آخرون: بل هو مبين للحكم الموعود بيانه في الآية، فكأنه قال: عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلاً، فوقع الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس، وحان وقت مجيء السبيل، قال رسول الله ﷺ فخلوا هني تفسير السبيل وبيائه، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، وإنما هو بيان أمر كان ذكر السبيل منطوياً عليه، فأبان المبهم منه، وفصل المبجمل من لفظه، فكان نسخ الكتاب لا بالسنة، وهذا أصوب القولين. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَدُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِيكَ يَمْمَلُونَ ٱلنُّورَ بِجَهَلَةِ ثُمَّ يَثُوبُوك مِن قَرِيبٍ فَأُولَتَهِكَ يَنُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهُمْ وَكَاتَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِياً ﴿

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِيرَ يَمْمَلُونَ ٱلسُّوَّةَ بِجَهَلَةٍ ﴾ قال الحسن: «إنما التوبة التي يقبلها الله». فأما «السوء»، فهو المعاصي، سمي سوءاً لسوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿ يَهَهَارَ ﴾ قال مجاهد: كل عاص فهو جاهل حين معصيته (١٠). وقال الحسن، وعطاء، وقتادة، والسدي في آخرين: إنما سُمّوا جهالاً لمعاصيهم، لا أنهم غير مُميّزين. وقال الزجاج: ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء، لأن المسلم لو أتى ما يجهله، كان كمن لم يوقع سوءاً، وإنما يحتمل أمرين: أحدهما: أنهم عملوه، وهم يجهلون المكروه فيه. والثاني: أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة، وآثروا العاجل على الآجل، فسموا جُهّالاً، لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة، والعاقبة الدائمة. وفي «القريب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوبة في الصحة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: أنه التوبة قبل معاينة ملك الموت، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال أبو مجلز. والثالث: أنه التوبة قبل الموت، وبه قال ابن زيد في آخرين (٢).

﴿ وَلَيْسَتِ النَّوْبَـُهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ النَّكَيِّعَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْثُ قَالَ إِنِي ثَبْتُ الْثِنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُونُونَ وَهُمُّمَ كُفَّارُّ أُولَتِيكَ أَعْتَدْنَا لَمُنْمُ عَذَابًا لَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ النَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَسْمَلُونَ اَلنَّمْتِنَاتِ﴾ في السيئات ثلاثة أقوال: أحدها: الشرك، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنها النفاق، قاله أبو العالية، وسعيد بن جبير. والثالث: أنها سيئات المسلمين، قاله سفيان الثوري، واحتجّ بقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُونُونَ وَهُمْ كُفَارُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿ عَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ في الحضور قولان: أحدهما: أنه السَّوْق (٣)، قاله ابن عمر. والثاني: أنه معاينة الملائكة لقبض الروح، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: أنزل الله تعالى بعد هذه الآية ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَشْهِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ ﴾ الآية [النساء: ١١٦]. فحرّم المغفرة على مَن مات مشركاً، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته [فلم يؤيسهم من المغفرة] (٤). فعلى هذا تكون منسوخة في حق المؤمنين.

﴿ يَتَأَيُّهُمَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن ۚ نَرِثُواْ اللِّيكَآءَ كَرُمَا ۚ وَلَا تَشْهُلُوهُنَ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَبْتُمُوهُنَ إِلَآ أَن بَأَيْنَ بِفَاحِشَةٍ
مُتِينَةً وَعَاشِرُوهُنَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كُوهُنُوهُنَ فَمَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَيْمِيرًا ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَهِلُ لَكُمْ أَن تَرِبُوا اللِّسَآءَ كَرَّمًا ﴾ سبب نزولها: أن الرجل كان إذا مات، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس (٥٠). وقال في رواية أخرى: كانوا في أول الإسلام إذا مات الرجل، قام أقرب الناس منه، فيُلقي على امرأته ثوباً، فيرث نكاحها. وقال مجاهد: كان إذا توفي الرجل، فابنه الأكبر أحق بامرأته، فينكحها إن شاء، أو يُنكحها من شاء. وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فنزلت

⁽١) في «الطبري» ٨٩٨٨ من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قوله: ﴿ لِلَّذِينَ يَسْتَكُونَ السُّوّةِ عِبْمَلَةٍ ﴾ قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي به، فهو جهالة عمداً كان أو غيره. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير ٨٩٨٨ وابن المنذر عن أبي العالية، أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة. وسنده صحيح.

 ⁽۲) روى الإمام أحمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (إن لله يقبل توبة العبد ما لم يفرغو، ورواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب،
 ورواه الحاكم ٢٥٧/٤، وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد والحاكم مطولاً من حديث عبد الرحمن البيلماني، قال الهيشمي في «المجمع»
 ١٩٧/١٠ ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.

⁽٣) يقال: حضرت فلاناً في السوق، وفي سياق الموت، أي: في النزع عند إقبال الموت.

 ⁽٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٨/ ١٠١ والزيادة منه، وأبو داود في (ناسخه)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

⁽ه) الأثر رواه البخاري في اصحيحه ١٨٤/٨، ١٨٦ ولفظه: اكانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك ورواه ابن جرير ١٠٤/٨، وأبو داود في «سنته ٢٩٠٠/٣.

هذه الآية^(١). قال عكرمة: واسم هذه المرأة: كبيشة بنت معن بن عاصم، وكان هذا في العرب. وقال أبو مجلز: كانت الأنصار تفعله. وقال ابن زيد: كان هذا في أهل المدينة. وقال السدّي: إنما كان ذلك للأولياء ما لم تسبق المرأة، فتذهب إلى أهلها، فإن ذهبت، فهي أحق بنفسها. وفي معنى قوله: ﴿أَن تَرِثُواْ ٱللِّسَآءَ كَرَمّآ﴾ قولان: أحدهما: أن ترثوا نكاح النساء، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن ترثوا أموالهن كرهاً. روى ابن أبى طلحة، عن ابن عباس، قال: كان يُلقى حميم^(١) الميت على الجارية ثوباً، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دَميمة حبسها حتى تموت، فيرثها^(١٢). واختلف القراء في فتح كاف «الكره» وضمّها في أربعة مواضع: هاهنا، وفي (التوبة) وفي (الأحقاف) في موضعين، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بفتح الكاف فيهن، وضمهن حمزة. وقرأ عاصم، وابن عامر بالفتح في (النساء) و(التوبة)، وبالضم في (الأحقاف). وهما لغتان، قد ذكرناهما في (البقرة). وفيمن خوطب بقوله: ﴿وَلَا تَمْضُلُومُنَّ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه خطاب للأزواج، ثم في العضل الذي نهى عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان يكره صحبة امرأته، ولها عليه مهر، فيحبسها، ويضربها لتفتدي، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدى. والثاني: أن الرجل كان ينكح المرأة الشريفة، فلعلها لا توافقه، فيفارقها على أن لا تنزوّج إلاّ بإذنه، ويشهد على ذلك، فإذا خطبت، فأرضته، أذن لها، وإلا عضلها، قاله ابن زيد. والثالث: أنهم كانوا بعد الطلاق يعضلون، كما كانت الجاهلية تفعل، فنهوا عن ذلك، روي عن ابن زيد أيضاً. وقد ذكرنا في (البقرة) أن الرجل كان يطلق المرأة، ثيم يراجعها، ثم يطلقها كذلك أبداً إلى غير غاية يقصد إضرارها، حتى نزلت ﴿اَلْفَالَقُ مُرَّتَانِّ﴾ [البنرة: ٢٢٩]. والقول الثاني: أنه خطاب للأولياء، ثم في ما نهوا عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كانت له قرابة قريبة، ألقى عليها ثوبه، فلم تتزوّج أبداً غيره إلا بإذنه، قاله ابن عباس. والثاني: أن اليتيمة كانت تكون عند الرجل، فيحبسها حتى تموت، أو تتزوّج بابنه، قاله مجاهد. والثالث: أن الأولياء كانوا يمنعون النساء من التزويج، ليرثوهن، روي عن مجاهد أيضاً. والقول ا**لثالث**: أنه خطاب لورثة أزواج النساء الذين قيل لهم: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً. كان الرجل يرث امرأة قريبه، فيعضلها حتى تموت، أو تردّ عليه صداقها. هذا قول ابن عباس في آخرين^(٤). وعلى هذا يكون الكلام متّصلاً بالأول، وعلى الأقوال التي قبله يكون ذكر العضل منفصلاً عن قوله: ﴿أَن تَرِثُواْ اَلنِّسَآءَ﴾. وفي الفاحشة قولان: أحدهما: أنها النشوز على الزوج، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة في جماعة. والثاني: الزني، قاله الحسن، وعطاء، وعكرمة في جماعة. وقد روى معمر، عن عطاء الخراساني، قال: كانت المرأة إذا أصابت فاحشة، أخذ زوجها ِما ساقِ إليها، وأخرجها، فنسخ ذلك بالحد. قال ابن جرير: وهذا القول ليس بصحيح، لأن الحد حق الله، والافتداء حق للزوج، وليس أحدهما مبطلاً للآخر، والصحيح: أنها إذا أتت بأي فاحشةٍ كانت، من زنى الفرج، أو بذاءة اللسان، جاز له أن يعضلها، ويُضيِّق عليها حتى تفتدي (٥٠). فأما قوله: ﴿فَبَّيِّنَةً﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو بكر، عن عاصم: المُبيَّنة، واآيَاتٍ مبيَّنات؛ بفتح الياء فيهما جميعاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وحفص، عن عاصم: بكسر الياء فيهما، وقرأ نافع، وأبو عمرو «مبينة؛ كسراً و«آيات مبينات؛ فتحاً. وقد صِبق ذكر «العِشرة».

⁽١) أخرجه ابن جرير ٨/ ١٠٥ وابن مردويه، ورجال إسناده ثقات. ﴿ ٢) الحميم: القريب الذي توده ويودك، وتهتم لأمره.

⁽٣) في الأصل فذميمة، وما أثبتناه هو الصواب، والخبر رواه ابن جرير ٨/١٠٩.

⁽٤) اختار الإمام أبو جمغر الطبري في وتفسيره ١٦٣/٨ القول الأول نقال بعد أن ذكر أقوال السلف في الآية: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله: ﴿وَلاَ تَشْلُومُنَّ لِتَذْكَبُوا بِيَسِن مَا مَاتَيْتُمُوكُنَّ﴾ قول من قال: نهى الله جل ثناؤه زوج العرأة عن التضييق عليها، والإضرار بها، وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب، لتقتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق. وإنما قلنا: ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلا لأحد رجلين: إما لزوجها بالتضييق عليها، وحبسها على نقسه وهو لها كاره، مضارة منه لها بذلك، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك، أو لوليها الذي إليه إنكاحها، وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما، وكان الولي معلوماً أنه ليس مما آتاها شيئاً، فيقال: إن عضلها عن النكاح: وعضلها ليذهب بعض ما آتاها، كان معلوماً أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها، هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضراراً لتفتدي منه.

⁽٥) قال أبو جعفر: فمعنى الآية: ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم، فتضيَّقوا عليهن، وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صَدَّقَاتِكم، إلا أن يأتين بفاحشة ـ من زنى، أو بذاء عليكم، وخلافٍ لكم فيما يجب عليهن لكم ـ مبنية ظاهرة، فيحل لكم حيئلًا عضلهن والتضييق عليهن، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق إن هنّ افتلين منكم به.

قوله تعالى: ﴿فَسَنَىٰ أَنْ تَكُرَهُواْ شَيِّئًا﴾ قال ابن عباس: ربما رزق الله منهما ولداً، فجعل الله في ولدها خيراً كثيراً. وقد نَدَبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبَّهت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وُجوهَ الصلاح، فرب مكروه عاد محموداً، ومحمودٍ عاد مذموماً. والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يُحِبُ(١). وأنشدوا في هذا المعنى:

> وَمَن لم يُخَمِّضُ عينته عن صديقه ومَن يستَستَ ببّع جاهداً كسل عَنْ رَةِ

وعن بعض ما فيه يَمُتُ وهو عاتِبُ يجدها ولا يسلم له الدُّهْرَ صاحِبُ ﴿ إِنْ أَرَدَتُكُمُ ٱسْنِبْدَالَ زَوْجٍ مُكَاكَ زَوْجٍ وَمَاتَيْتُمْ إِخْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَكِيْنًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْ تَكُنَّا وَإِنْمَا تُهِيبُنَا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَرْدَتُهُمُ اَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾ هذا الخطاب للرجال. والزوج: المرأة. وقد سبق ذكر «القنطار» في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَكِيَّا ﴾ إنما ذلك في حق من وطثها، أو خلا بها، وقد بيِّنَتْ ذلك الآية التي بعدها. قال القاضي أبو يعلى: وإنما خصّ النهي عن أخذ شيء مما أعطى بحال الاستبدال، وإن كان المنع عاماً، لثلا يظن ظان أنه لما عاد البضع إلى ملكها، وجب أن يسقط حقها من المهر، أو يظن ظان أن الثانية^(٢) أولى بالمهر منها، لقيامها مقامها. وفي البهتان قولان: أحدهما: أنه الظلم، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: الباطل، قاله الزجاج. ومعنى الكلام: أتأخذونه مباهتين آثمين.

﴿ وَكَيْنَ ثَأْخُذُونَامُ وَقَدْ أَنْعَنَ بَعَنُكُمْ إِنَّ بَعْضِ وَأَخَذْتُ مِنكُم مِّيثَنَنَّا غَلِيظًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُبِّكَ تَأْخُذُونَامُ ﴾ أي: كيف تستجيزون أخذه. وفي الإفضاء؛ قولان: أحدهما: أنه الجماع، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الخلوة بها، وإن لم يغشها، قاله الفراء. وفي المراد بالميثاق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال؛ الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان. هذا قول ابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وتتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه عقد النكاح، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه أمانة الله، قاله الربيع.

﴿ لَا تَنكِمُوا مَا نَكُمْ مَابَازُكُمْ مِنَ اللِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّامُ كَانَ فَنجِنَةً وَمَقْتَا وَسَاءَ سَهِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَا لَنَكِمُوا مَا نَكُمَ مَا الْحَمْمُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فنزلت هذه الآية " : وقال بعض الأنصار: توفى أبو قيس بن الأسلت، فخطب ابنه قيس امرأته، فأتت النبيﷺ تستأذنه، وقالت: إنما كنت أعده ولداً، فنزلت هذه الآية. قال أبو عمر غلام ثعلب: الذي حصلناه عن ثعلب، عن الكوفيين، والمبّرد عن البصريين، أن االنكاح، في أصل اللغة: اسم للجمع بين الشيئين. وقد سموا الوطء نفسه نكاحاً من غير عقد. قال الأعشى:

ومسنسكسوحسة فسيسر مسمسهسورة

يعنى المسبية الموطوءة بغير مهر ولا عقد. قال القاضى أبو يعلى: قد يطلق النكاح على العقد، قال الله تعالى: ﴿إِذَا نَكُحْتُدُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُنُومُنَّ مِن تَبْلِ أَن تَمَشُّوهُ﴾ [الاحزاب: ٤٩] وهو حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، لأنه اسم للجمع، والجمع إنما يكون بالوطء، فسمَّى العقد نكاحاً، لأنه سبب إليه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا فَدْ سَلَفَ ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها بمعنى: بعد ما قد سلف، فإن الله يغفره، قاله الضحاك، والمفضّل. وقال الأخفش: المعنى: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم، فإنكم تعذَّبون به، إلا ما قد سلف، فقد وضعه الله عنكم. والثاني: أنها بمعنى: سوى بما قد سلف، قاله الفراء. والثالث: أنها بمعنى: لكن ما قد سلف فدعوه،

في قصحيح مسلم؛ ١٠٩/٢ عن أبي هريرة مرفوعاً: ﴿لا يَفْرَكُ مؤمِنٌ مؤمنة، إنْ كَرِهَ منها خُلُقاً رضي منها آخر؛ أو قال: ﴿غيرهِۥ والفرك: البغض. (١)

في النسخة الأحمدية: ﴿البَائِنَةِ وَهُو خَطًّا. (٣) أخرجه ابن جرير ٨/ ١٣٣ وسنده حسن... **(Y)**

دديوانه، ص ٧٥ وعجزه: وأخرى يقال له: فادها. يقول: كم في بيته من سبيَّة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطلب أهلها أن يفتدوها بالمال. (٤)

قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: لكن ما قد سلف، فإنه كان فاحشة. والرابع: أن المعنى: ولا تنكحوا كنكاح آبائكم النساء، أي: كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا تجوز في الإسلام إلا ما قد سلف في جاهليتكم، من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الإسلام، فإنه معفو لكم عنه، وهذا كقول القائل: لا تفعل ما فعلت، أي: لا تفعل مثل ما فعلت، ذكره ابن جرير^(۱). والخامس: أنها بمعنى «الواو» فتقديرها: ولا ما قد سلف، فيكون المعنى: اقطعوا ما أنتم عليه من نكاح الآباء، ولا تبتدئوا، قاله بعض أهل المعاني. والسادس: أنها للاستثناء، فتقدير الكلام: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز [الذي كان عقده بينهم] إلا ما قد سلف منهم بالزنى، والسفاح، فإنهن حلال لكم، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يعني النكاح، والفاحشة»: ما يفحش ويقبح. والمقت»: أشد البغض. وفي المراد بهذا المقت، قولان. أحدهما: أنه اسم لهذا النكاح، وكانوا يسمّون نكاح امرأة الأب في الجاهلية: مقتاً، ويُسمّون الولد منه: «المقتي». فأعلموا أن هذا الذي حرِّم عليهم [من نكاح امرأة الأب] لم يزل منكراً [في قلوبهم] ممقوتاً عندهم. هذا قول الزجاج. والثاني: أنه يوجب مقت الله لفاعله، قاله أبو سليمان الدمشقي. قوله: ﴿وَسَاآة سَهِيلًا﴾ قال ابن قتية: أي: قبح هذا الفعل طريقاً.

﴿ مُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أَنْهَكُمُ وَبِنَاتُكُمُ وَالْمَوْتُكُمُ وَعَنَتُكُمُ وَكَالْتُكُمُ وَبَنَاتُ الْأَخْ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَالْمَنْتُكُمُ اللَّهِي وَ عَمُورِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخْ وَبَنَاتُ الْأَخْتُ وَالْمَنْتُكُمُ وَلَا يَعْمَلُكُمُ وَلَا لَمْ مَكُونُوا وَلَا مَا لَذِي وَلَا مَا لَذِي وَلَا مَا فَدْ سَلَقَ وَمَلَتَهُلُ اللَّهِكُمُ اللَّذِينَ مِنْ أَمْلَئِكُمُ وَآنَ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَتُينِ إِلَّا مَا فَدْ سَلَقَ وَمَلَتَهُلُ الْبَالْهِكُمُ اللَّذِينَ مِنْ أَمْلَئِكُمُ وَآنَ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَتُينِ إِلَّا مَا فَدْ سَلَقَ اللَّهِكُ اللَّهِ كَانَ عَنْوُرًا رَجِيمًا ﴿ إِلَّا مَا فَدْ سَلَقَ اللَّهِ كَانَ مَا لَهُ وَلَا يَعْمُورًا وَيَعِيمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلَيْكُولُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهِ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ الْمُعْلِقُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ مُ أَمُكَ تُكُمُّمُ قَالَ الزجاج: الأصل في أمّهات: أمّات، ولكن الهاء زيدت مؤكّدة، كما زادوها في: أهرقت الماء، وإنما أصله: أرقت.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْهَنْكُمُ الَّذِي اَرْضَعْنَكُمُ إنها سُمّين أمهات، لموضع الحرمة. واختلفوا: هل يعتبر في الرضاع العدد، أم لا؟ فنقل حنبل، عن أحمد؛ أنه يتعلق التحريم بالرضعة الواحدة، وهو قول عمر، وعلي، وابن عباس، وابن عمر، والحسن، وطاووس، والشعبي، والنخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، ومالك، وأبي حنيفة وأصحابه (٢٠) ونقل محمد بن العباس، عن أحمد: أنه يتعلق التحريم بثلاث رضعات (١٠). ونقل أبو الحارث، عن أحمد: لا يتعلق بأقل من خمس رضعات متفرقات، وهو قول الشافعي (٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّهَكُ نِسَآبِكُمْ﴾ أمهات النساء: يحرَّمن بنفس العقد على البنت، سواء دخل بالبنت، أو لم يدخل، وهذا قول عمر، وابن مسعود، وابن عمر، وعمران بن حصين، ومسروق، وعطاء، وطاووس، والحسن، والجمهور. وقال علي ﷺ في رجل طلق امرأته قبل الدخول: له أن يتزوج أمها^(ه) وهذا قول مجاهد، وعكرمة.

⁽١) واختاره ووصفه بأنه أولى الأقوال بالصواب، انظر تتفسيره، ٨/١٣٧.

⁽٢) لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَلْهَنْكُمُ ٱلَّذِيَّ ٱلْمُنْمُنَكُمُّ وَلَفَرَتُكُمُ مِنْكَ ٱلرَّضَعَةِ ﴾ وقوله ﷺ: فيحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة رواه مسلم ١٠٦٨/٢.

⁽四) لما ثبت في «صحيح مسلم» ٢/١٠٧٣ عن عائشة أن رسول ال 霧 قال: «لا تحرم العصة والعصتان» وعن أم الفضل قالت: قال رسول الله 霧: «لا تحرم الرضعة أو الرضعان أو العصة أو العصتان، وفي لفظ آخر: «لا تحرم الإملاجة والإملاجان» روا، مسلم ٢/١٠٧٤.

⁽³⁾ ذكر أبن قدامة المقدسي في «المغني» ١٩٢/٩ الأقوال الثلاثة عن الإمام أحمد، وقال: إن الذي يتعلق به التحريم خمس رضعات فصاعداً، هذا الصحيح في المذهب، لما روى مسلم ١٩٢/٩ عن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وفي حديث سهلة بنت معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وفي حديث سهلة بنت سهيل أن رسول الله ﷺ المرحم أن ترضع سالماً مولى أبي حذيفة خمس رضعات، والآية فسرتها السنة، وبيئت الرضاعة المحرمة. وصريح ما رويناء يخص مفهوم ما رواه المخالف، فنجمع بين الأخبار، ونحملها على الصريح الذي رويناه.

 ⁽٥) رواه ابن جرير الطبري ٨/١٤٥، وفي سنده خلاس بن عمرو الهجري، نص البخاري في التاريخ الكبير، بأنه لم يسمع من علي، وأن حديثه عنه من
صحيفة كانت عند، فمن أجل ذلك قال القرطبي في هذا الأثر: وحديث خلاس هن علي لا تقوم به حجة، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث،
والصحيح عنه مثل قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿رَرَبَتِهُ كُمُ الربية: بنت امرأة الزوج من غيره. ومعنى الربيبة: مربوبة، لأن الرجل يربيها، وخرج الكلام على الأعم من كون التربية في حجر الرجل، لا على الشرط(١٠). قوله: ﴿وَحَلَتُهُلُ أَبْاَهِكُمُ ﴾ قال الزجاج: الحلائل: الأزواج. وحليلة: بمعنى مُحلَّة، وهي مشتقة من الحلال. وقال غيره: سُميت بذلك، لأنها تحل معه أينما كان. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الحليل: الزوج، والحليلة: المرأة، وسُمّيا بذلك، إما لأنهما يحلان في موضع واحد، أو لأن كل واحد منهما يحال صاحبه، أي: ينازله، أو لأن كل واحد منهما يحل الأصلاب، لأجل الأدعياء. والكلام في قوله: ﴿إِلّا ما قَد سلف من أمر سَكَنَ ﴾ على نحو ما تقدم في الآية التي قبلها. وقد زادوا في هذا قولين آخرين: أحدهما: إلا ما قد سلف من أمر يعقوب ﷺ، لأنه جمع بين أم يوسف وأختها، وهذا مروي عن عطاء، والسدي، وفيه ضعف لوجهين: أحدهما: أن هذا التحريم يتعلق بشريعتنا، وليس كل الشرائع تنفق، ولا وجه للعفو عنا فيما فعله غيرنا. والثاني: أنه لو طولب قائل هذا التحريم يتعلق بشريعتنا، وليس كل الشرائع تنفق، ولا وجه للعفو عنا فيما فعله غيرنا. والثاني: أنه لو طولب قائل هذا التحريم يتعلق بشريعتنا، وليس كل الشرائع تنفق، ولا وجه للعفو عنا فيما فعله غيرنا. والثاني: أنه لو طولب قائل هذا التحريم أختان، فأتيت النبي ﷺ فقال: أسلمت وعندي أختان، فأتيت النبي ويكل فقال: ويكون للإنسان أن يختار إحداهما، ومنه حديث فيروز الديلمي قال: أسلمت وعندي أختان، فأتيت النبي الله فقال: العلم إحداهما، ومنه حديث فيروز الديلمي قال: أسلمت وعندي أختان، فأتيت النبي الله فقال:

﴿ وَالْمُعْمَنَتُ مِنَ النِّسَاءُ إِلَا مَا مَلَكُتْ اَيْنَتُكُمُّ كِنَتِ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُمِلَ لَكُمْ مًا وَزَاة ذَالِكُمْ أَن تَبْـنَاوُا بِأَمْوَلِكُمْ تَحْمِينِينَ غَيْرَ مُسَنفِحِينُ فَمَا اسْتَمْتَعُمُ بِدِ. مِنْهُنَّ فَعَاتُوهُمَنَّ أَجُورُهُمَّ فَرِيصَةً وَلَا جُمَنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَحَىيَتُد بِدِ. مِنْ بَعْدِ الْفَرِيعَنَةُ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُعْمَدُكُ مِن النِسَاءِ ﴾ أما سبب نزولها، فروى أبو سعيد الخدري قال: أصبنا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن، فسألنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية، فاستحللناهن (٤٠). وأما خلاف القُرّاء، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة بفتح الصاد في كل القرآن، وفتح الكسائي الصاد في هذه وحدها، وقرأ سائر القرآن بالكسر، وهالمحصنات وهمحصنات ، قال ابن قتية: والإحصان: أن يحمي الشيء، ويمنع منه، فالمحصنات [من النساء]: ذوات الأزواج، لأن الأزواج أحصنوهن، ومنعوا منهن. [قال الله تعالى: ﴿ وَاللّمُ عَلَيْكُمُ اللّم اللّم الله الله الله الله الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عَلَى اللّم الله الله الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عَلَى اللّم الله الله الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عَلَى اللّم الله الله الله تعالى: ﴿ وَاللّم الله عَلَى اللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَالله الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم الله على الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم الله عالى: ﴿ وَاللّم عالى الله عالى: ﴿ وَاللّم عالى الله الله الله عالى الله الله عالى الله عالى الله الله عالى: ﴿ وَالله الله عالى الله الله عالى الله عالى الله الله عالى الله الله عالى الله عالى الله عالية، وعله الله وعله الله عالى العالية، وعباد وعباد والسادى عالى الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبى العالية، وعطاء، وعبيدة، والسادى على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبى العالية، وعطاء، وعبيدة، والسادى على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبى العالية، وعطاء، وعبيدة، والسادى على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبى العالية، وعطاء، وعبيدة، والسادى على على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. المدار المداله المدارك المدا

⁽١) قال الإمام الطحاوي: وإضافتهن إلى الحجور إنما ذلك على الأغلب مما يكون عليه الربائب، لا أنهن لا يحرمن إذ لم يكن كذلك.

 ⁽٢) في نسخة الأحمدية المحل، وكذلك جاءت في اللسان،

⁾ رواه الإمام أحمد ٢٣٢/٤ وأبو داود ٢٥٨/٣ والترمذي ٢٦٢/٤ وابن ماجه ٢٦٧/١ عن الضحاك بن فيرز عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، إني أسلمت وتحتي أختان! قال: قطلق أيتهما شئت، ولفظ الترمذي: قاختر أيتهما شئت، وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الحافظ ابن حجر في قالإصابة، ٢٠٥/٣: وفي سنده مقال، فإنه من رواية ابن لهيمة عن أبي وهب. وقال ابن القيم في قتهليب السنن، ٢٠٥/٣: هذا الحديث يرويه أبو وهب الجيشاني عن الضحاك بن فيرز عن أبيه، قال البخاري: في إسناد هذا الحديث نظر، ورجه قوله: أن أبا وهب والضحاك مجهول حالهما، وفي يحيى بن أبوب: ضعيف. وقال الشوكاني: حديث الضحاك أخرجه أيضاً الشافعي، وصححه ابن حبان، والدارقطني، والبيهتي، وحسنه الترمذي، وأعله البخاري والمقبلي.

وفيروز الديلمي راوي هذا الحديث، كان من جملة الأمراء باليمن الذين ولوا قتل الأسود العنسي لعنه الله.

⁽٤) المسند ٣/ ٧١، ومسلم ٢/ ١٠٧٩، والترمذي ٨٦/٤، وأبو داود ٢/ ٣٣٢، والنسائي ٦/ ١١٠، والبيهقي ٧/ ١٦٧.

٥١) ﴿مشكل القرآن؛ ٣٩١؛ وما بين معقفين منه.

والثالث: الحرائر، فالمعنى: أنهن حرام بعد الأربع اللواتي ذُكِرْنَ في أول السورة، روي عن ابن عباس، وعبيدة. فعلى القول الأول في معنى قوله: ﴿إِلّا مَا مَلَكُتَ أَيْنَكُ اللهِ وَلانَ الحدهما: أن معناه: إلاّ ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب، وعلى هذا تأوَّلَ الآية علي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عباس، وكان هؤلاء لا يرون بيع الأمة طلاقاً. والثاني: إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء ذوات الأزواج، بسبي أو غير سبي، وعلى هذا تأوَّلَ الآية ابنُ مسعود، وأبيُّ بن كعب، وجابر، وأنس، وكان هؤلاء يرون بيع الأمة طلاقاً. وقد ذكر ابن جرير، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن أنهم قالوا: بيع الأمة طلاقها، والأول أصح، لأن النبي على خير بريرة إذ أعتقتها عائشة، بين المقام مع زوجها الذي زوَّجها منه سادتُها في حال رقّها، وبين فراقه، ولم يجعل النبي على عتى عائشة إيّاها طلاقاً، ولو كان طلاقاً لم يكن لتخييره إياها معنى. ويدل على صحة القول الأول ما ذكرناه من سبب نزول الآية (١٠). وعلى القول الثاني: الحرائر حرام بعد الأربع إلا ما لمكت أيمانكم من الإماء، فإنهن لم يُحصّرن بعد.

قوله تعالى: ﴿ كِنَبَ اللهِ عَلَيْكُمُ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التوكيد، محمول على المعنى، لأن معنى ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ ﴾ أكنك كُمُّ أَكَمَكُمُ ﴾: كتب الله عليكم هذا كتاباً، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر، ويكون «عليكم» مفسراً له، فيكون المعنى: الزموا كتاب الله. قال: ﴿ وَأُمِلَ لَكُمْ مَّا رَزَاتَهُ ذَالِكُمُ ﴾ أي: ما بعد هذه الأشياء، إلا أن السُّنة قد حرَّمت تزويج المرأة على عمتها، وتزويجها على خالتها (٢) وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران: «كتب الله عليكم» بفتح الكاف، والتاء، والباء، من غير ألف، ورفع الهاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: وأحَلَّ بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائى: بضم الألف.

فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأَمِلَ لَكُمْ مَا وَرَآةَ ذَلِكُمْ ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصص له نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، أو على خالتها. وليس هذا على سبيل النسخ. وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث (٣).

قوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَنُوا بِأَتَوَلِكُمُ أَي: تطلبوا إمّا بصداق في نكاح، أو ثمن في ملك ﴿ تُحْمِنِينَ ﴾ قال ابن قتيبة: متزوّجين، وقال الزجاج: عاقدين التزويج، وقال غيرهما: متعقّفين غير زانين. والسفاح: الزني، قال ابن قتيبة: أصله من سفحت القربة: إذا صببتها، فسُمّي الزني سفاحاً، لأنه [يسافح] يصب النطفة، وتصب المرأة النطفة. وقال ابن فارس: السفاح: صب الماء بلا عقد، ولا نكاح، فهو كالشيء يسفح ضياعاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اَسْتَمَتَّمُمُ بِهِ مِنْهُنَّ فَكَاتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستمتاع في النكاح بالمهور، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه الاستمتاع إلى أجل مُسمّى من غير عقد نكاح. وقد روي عن

⁽۱) قال ابن كثير: ٢٤٤/١؛ وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً من زوجها، أخذاً بعموم هذه الآية، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها، لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة، وياعها مسلوبة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في «الصحيحين» وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقتها، ولم ينفسخ نكاحها من زوجها منيث، بل خيرها رسول الله على بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقها كما قال هؤلاء، ما خيرها الني على، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية المسيبات فقط، والله أعلم.

 ⁽۲) حدیث (نهی رسول 他 遊 أن یجمع الرجل بین المرأة وحمتها وبین المرأة وخالتها) رواه البخاري ۱۰۷/۲۰ ، بشرح العیني، ومسلم ۱۰۲۹/۲ وغیرهما عن أبي هریرة.

⁽٣) والأول هو الصواب، لأن قوله تعالى: ﴿وَأَيِلَ لَكُمُ مَا وَزَاءَ ذَلِكُمُ ﴾ عام مخصوص بمحرمات دلت عليها دلائل أخر، فمن ذلك ما صح عن النبي ﷺ من النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. وقد حكى الترمذي المنع من ذلك عن كافة أهل العلم، وقال: لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك، ومن ذلك نكاح المعتدة، ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك القادر على الحرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك من عنده أربع زوجات لا يجوز له نكاح الدخامسة، ومن ذلك الملاعنة فإنها محرمة على الملاعن أبداً. فالآية مما نزل عاماً، ودلت السنة ومواضع من التنزيل على أنها مخصصة بفيرها.

ابن عباس: أنه كان يفتي بجواز المتعة، ثم رجع عن ذلك وقد تكلف قوم مِن مفسّري القُرّاء، فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن متعة النساء، وهذا تكلّف لا يُحتاج إليه، لأن النبي ﷺ أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله (١٠). وأما الآية، فإنها لم تتضمّن جواز المتعة. لأنه تعالى قال فيها: ﴿ أَن تَسْتَغُوا بِأَنوَلِكُمْ تُحْصِيْنِ عَبِرٌ مُسْنِحِينً فَر المُتَعَقَمُ مِهِ مَنها نكاح الصحيح. قال الزجاج: ومعنى قوله: ﴿ فَمَا اسْتَنتَعُمُ مِهِ مِنهُنَ ﴾ فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت، وهو قوله: ﴿ تُحْمِينِينَ غَيْرَ مُسْنِحِينً ﴾ أي: عاقدين التزويج ﴿ فَالْوَهُنَ الْمَعْدَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ يِمَا رَّمَكِيْتُم بِدِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيعَةُ فيه ستة أقوال: أحدها: أن معناه: لا جناح عليكم عليكم فيما تركته المرأة من صداقها، ووهبته لزوجها، هذا مروي عن ابن عباس، وابن زيد. والثاني: ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من مقام، أو فرقة بعد أداء الفريضة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ولا جناح عليكم أيها الأزواج إذا أعسرتم بعد الفرض لنسائكم فيما تراضيتم به من أن ينقصنكم، أو يُبرِئنكم، قاله أبو سليمان التيمي. والوابع: لا جناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزدنكم في الأجل، وتزيدونهن في الأجر من غير استبراء، قاله السدي، وهو يعود على قصة المتعة. والخامس: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب هو للتي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه. قاله الزجانج. والسادس: أنه عام في الزيادة، والنقصان، والتأخير، والإبراء، قاله القاضي أبو يعلى (۱).

﴿ وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَسَحِحَ النُحْمَنَتِ الْمُؤْمِنَتِ فَيِن مَا مَلَكُتْ أَيْمَنْكُمْ قِن فَيَسَٰذِكُمُ الْمُؤْمِنَتُ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِنْكُ مَنْ فَيَسَٰذِكُمُ مِنْ بَعْضُ فَانكِمُوهُ فَا إِنْنِ أَهْلِهِنَ وَاللّهُ أَمْدُوهُنَ إِلْلَمْهُونِ مُحْمَنَتِ غَيْرَ مُسَنوِحَتِ وَلَا مُثَنِدُاتِ أَخْدَاوُ فَإِذَا أَخُدَاوُ فَإِذَا أَخْدَاوُ فَإِذَا أَخْدَاتُ أَخْدَاتُ مِن الْمُدَاتِ فِي الْمُعْمَنَتِ مِن الْمُدَاتِ فَيْكُوا خَيْرٌ لَكُمُ أَنْ اللّهُ مَنْ الْمُنْتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبُوا خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ اللّهُ مَنْدُوا خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ اللّهُ مَنْوَدُ رَجِيدٌ ﴿ لَكُمْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ الطول؛ الغنى والسعة في قول الجماعة. والمحصنات؛ الحراير. قال

⁽١) عامة فقهاء الأمصار، وجماهير السلف والخلف على تحريم المتعة، وأنها منسوخة بعد الترخيص بها، وقد ثبت النسخ من حديث جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أخرج مسلم ٢/ ١٠٢٥ من حديث سبرة الجهني أنه كان مع رسول الله هذا، فيا أيها الناس إني قد كنت أذنت في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، وفي لفظ له قال: أمرنا رسول الله هذا بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها.

وفي البخاري ١١١/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٧/٢ والترمذي ١٠٣٢/١، وابن ماجه ١٠٣١ عن علي الله النبي الله نهى عن نكاح المتعة يوم خيير، وعن لحوم الحمر الأهلية. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي الله وغيرهم، وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخير عن النبي الله وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وروى مسلم ٢١٣٢/٢ عن سلمة بن الأكوع الله العلم على تعلى أوطم والعالم على المتعة ثلاثًا، ثم نهى عنها .

وأخرج ابن ماجه ١٣١/١ عن ابن عمر قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها، والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة. قال الحافظ في التلخيص؛ ٢٩٤/٢ : إسناده صحيح.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند قوي كما قال الحافظ من طريق إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم قال: أتي ابن عمر فقيل له: إن ابن عباس يأمر بنكاح المتعة، قال: معاذ الله ما أظن ابن عباس يقمل هذا، فقيل: بلى! قال: وهل كان ابن عباس على عهد رسول الله 養 الا غلاماً صغيراً، ثم قال ابن عمر: نهانا عنها رسول الله 義 ورجاله ورجاله رجال المانى بن سليمان وهو ثقة. المسحيح، خلا المعانى بن سليمان وهو ثقة.

وروى الدارقطني في «سننه ٢٩٨/٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: حرم أو هذم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. قال الحافظ في «التلخيص»: وإسناده حسن، وله شاهد صحيح أخرجه البيهقي في «السنن» ٢٠٧/٧ عن سعيد بن المسيب. وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» ٦/ ٢٠٤ عن سعيد بن المسيب. وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» ٦/ ٢٠٤ ونحن متعبدون بما بلغنا عن الشارع، وقد صح لنا عنه التحريم المؤيد، ومخالفة طائفة من الصحابة له غير قادحة في حجيته، ولا قائمة لنا بالمعذرة عن العمل به، كيف والجمهور من الصحابة قد حفظوا التحريم، وهملوا به، ورووه لنا.

 ⁾ قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر أقاويل السلف والعلماء: ٨/ ١٨١: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم أيها
 الناس فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حطً ما وجب لهن عليكم أو إبراء أو تأخير ووضع، وذلك نظير قوله جل ثناؤه. ﴿وَيَاتُوا الوّيَاتُ مَنْدُونِينَ غِيْلاً فَإِن طِينَ لَكُمْ مَن مُنْ مِنْ وَنَهُ فَنَا لَكُونُ مَنِينَا ثَهِينًا ﴿ وَلَا اللهِ قاله السدي،
 نقول لا معنى له، لفساد القول: بإحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين.

الزجاج: والمعنى: من لم يقدر على مهر الحرّة، يقال: قد طال فلان طَولاً على فلان، أي: كان له فضل عليه في القدرة. والمراد بالفتيات هاهنا: المملوكات، يقال للأمة: فتاة، وللعبد: فتى، وقد سُمّي بهذا الاسم من ليس بمملوك. قرأت على شيخنا الإمام أبي منصور اللغوي قال: المتفتية: الفتاة والمراهقة، ويقال للجارية الحدثة: فتاة، وللغلام: فتى. قال القتيبي: وليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال^(١١). فأما ذكر الإيمان، فشرط في إباحتهن، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية، هذا قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: يجوز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلُمُ بِإِيمَانِكُمْ ۗ قال الزجاج: معناه: اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض(٢٠). قال: وفي قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعَيْنِ﴾ وجهان: أحدهما: أنه أراد النسب، أي: كلكم ولد آدم. ويجوز أن يكون معناه: دينكم واحد، لأنه ذكر هاهنا المؤمنات. وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب، وتُسمّي ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله ﷺ أن أمر العبيد وغيرهم مستوِ في باب الإيمان، وإنما كُره التزويج بالأمة، وحَرُمَ إذا وجَدَ إلى الحُرّة سبيلاً، لأن وُلْدَ الأمة من الحُرّ يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة ممتهنة في عشرة الرجال، وذلك يشق على الزوج. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: كلكم بنو آدم، فلا يتداخلُكم شُموخ وأنفة من تزوج الإماء عند الضرورة. وقال ابن جرير: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات [المؤمنات]، فلينكح بعضكم من بعض، أي: لينكح هذا فتاة هذا.

قوله تعالى: ﴿ فَانْكِكُومُونَ ﴾ يعني: الإماء ﴿ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾، أي: سادتهن. و«الأجور»: المهور. وفي قوله: ﴿ بِٱلْمَمْرُينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه مقدم في المعنى، فتقديره: انكحوهن بإذن أهلهن بالمعروف، أي: بالنكاح الصحيح: ﴿وَيَاتُوهُكِ أَبُورَهُنَّ﴾. والثاني: أن المعنى: وآتوهن أجورهن بالمعروف، كمهور أمثالهن. قال ابن عباس: «محصنات»: عَفِائف غير زوانٍ ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانُكُ يعني: أخلاًّ ، كان الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنى، ويستحلّون ما خفي. وقال في رواية أخرى: «المسافحات»: المعلنات بالزنى. و«المتخذات أخدَان»: ذات الخليل الواحد. وقال غيره: كانت المرأة تتخذ صديقاً تزني معه، ولا تزني مع غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْمِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿أَحَصَنِّ﴾ مضمومة الألف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: بفتح الألف، والصاد. قال ابن جرير: من قرأ بالفتح، أراد: أسلمن، فصرن ممنوعات الفروج عن الحرام بالإسلام، ومن قرأ بالضم، أراد: فإذا تزوّجن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج. فأما «الفاحشة»، فهي الزنى، و«المحصنات»: الحرائر، و«العذاب»: الحد. قال القاضي أبو يعلى: وليس الإسلام والتزويج شرطاً في إيجاب الحدّ على الأمة، بل يجب وإن عُدِما، وإنما شرط الإحصان في الحدّ، لئلا يتوهم متوهّم أن عليها نصف ما على الحرة إذا لم تكن محصنة، وعليها مثل ما على الحرّة إذا كانت

قوله تعالى: ﴿ وَالِنَّهُ الْإِشَارَةَ إِلَى إِبَاحِةِ تَزُويِجِ الْإِمَاءِ. وفي «العنت؛ خمسة أقوال: أحدها: أنه الزني، قاله ابن

قسد يسدرك السشسرة السغسسى ورداؤه وقال الأسود بن يعفر:

مسا بسعسد زيسي فستساؤ فسرقسوا فسي آل غسرف لسو بسخسيستِ لسي الأمسى فتنخب يسروا الأرض المفضاء لمعزهم

قستسلأ ونشفسيسا بسعسد حسسسن تسآدي السوجدت فسيسهسم أسسوة السعسلاد ويستريسد والسدمسم عسلسي السرأنساد

⁽١) وتمام كلام ابن قتيبة كما في «اللسان»: مادة: فتى: يدلك على ذلك قول الشاعر: لبيبس النفتي بمستسعسم السشبان إذَّ السفسنسي حسمُسالُ كسلٌ مسلسمُسةِ وقال أبن هرمة: خَــلُـــقُ وجــيــب قــمــيــمـــه مــرقــوع

⁽٢) ﴿ فِي ﴿ البحر المحيط؛ ٣/ ٢٢١ : ﴿ وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِإِيكَنِكُمُّ ﴾ لما خاطب المؤمنين بالحكم الذي ذكره من تجويز نكاح عادم طول الحرة المؤمنة للأمة المؤمنة، نبه على أن الإيمان هو وصف باطن، وأن المطلع عليه هو الله، فالمعنى: أنه لا يشترط في إيمان الفتيات أن يكونوا عالمين بذلك العلم اليقين، لأن ذلك إنما هو لله تعالى، فيكفي من الإيمان منهن إظهاره، فمن كانت مظهرة للإيمان فنكاحها صحيح.

عباس، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنه الهلاك، ذكره أبو عبيدة، والزجاج. والزاجاج. والزاجاج. والزاجاج. والزاجاج. والزاجاج. والخامس: الإثم. والخامس: أنه العقوبة التي تعنته، وهي الحد، ذكرهما ابن جرير الطبري (١٠). قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على إباحة نكاح الإماء المؤمنات بشرطين: أحدهما: عدم طول الحرّة. والثاني: خوف الزنى، وهذا قول ابن عباس، والشعبي، وابن جبير، ومسروق، ومكحول، وأحمد، ومالك، والشافعي. وقد روي عن علي، والحسن، وابن المسيّب، ومجاهد، والزهري، قالوا: ينكح الأمة، وإن كان موسراً، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ قال ابن عباس والجماعة: عن نكاح الإماء، وإنما ندب إلى الصبر عنه، لاسترقاق الأولاد.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُمْ يَنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُعَالِمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُولُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُسَبِّنَ لَكُمُ اللام بمعنى وأن وهذا مذهب جماعة من أهل العربية، واختاره ابن جرير، ومثله ﴿ وَأَمِرْتُ لِأَعْلِلُ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿ وَأَمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ [الأنمام: ٧] ﴿ يُرِيدُنُ لِلْعَلِيْلُ ﴾ [السف: ٨]. والبيان من الله تعالى بالنص تارة، وبدلالة النص أخرى. قال الزجاج: ووالسَّنن ؛ الطُّرُق، فالمعنى يدلكم على طاعته، كما دل الأنبياء وتابعيهم. وقال غيره: معنى الكلام: يويد الله ليُبيّن لكم سُنن من قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل وتجيبوا الحق، ويهديكم إلى الحق.

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ بَشِّيمُونَ ٱلنَّهَوَتِ أَن يَبِيلُوا مَبْلًا عَظِيمًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُرُبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: يريد أن يدلكم على ما يكون سبباً لتوبتكم. وفي الذين اتبعوا الشهوات أربعة أقوال: أحدها: أنهم الزناة، قاله مجاهد، ومقاتل، والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم اليهود خاصة، ذكره ابن جرير. والرابع: أهل الباطل، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ أَن يَبِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ أي: عن الحق بالمعصية.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَانُ صَعِيفًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ أَن يُحَنِّفَ عَنكُمُ ﴾ التخفيف: تسهيل التكليف، أو إزالة بعضه. قال ابن جرير: والمعنى: يريد أن يُيسًر لكم بإذنه في نكاح الفتيات المؤمنات لمن لم يستطع طولاً لحرّة. وفي المراد بضغف الإنسان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة. قال الحسن: هو أنه خُلق من ماءٍ مهين. والثاني: أنه قلة الصبر عن النساء، قاله طاووس، ومقاتل. والثالث: أنه ضعف العزم عن قهر الهوى، وهذا قول الزجاج، وابن كيسان.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَطِلِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكَرَةً عَن تَزَضِ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْسُكُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكَرَةً عَن تَزَضِ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْسُكُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكُرَةً عَن تَزَضِ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْسُكُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكُرَةً عَن تَزَضِ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْسُكُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَعْمُونُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَل

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْرَاكُمْ بَيْنَكُم بِٱلْبَطِلِّ﴾ الباطل: ما لا يحل في الشرع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُوكَ يَحَكَرَهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «تجارةٌ بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بالنصب، وقد بيّنا العلة في آخر (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَتْتُكُوا أَنْسُكُمْ فيه خمسة أقوال: أحلها: أنه على ظاهره، وأن الله حرم على العبد قتل نفسه، وهذا الظاهر (٢٠). والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضاً، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وابن قتية. والثالث: أن المعنى: لا تكلفوا أنفسكم عملاً ربّما أدّى إلى قتلها وإن

 ⁽١) قال الطبري: والصواب من القول في قوله: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِنَ ٱلْمَنْتَ مِنكُمَّ ﴾ ذلك لمن خاف منكم ضرراً في دينه ويدنه.

⁽٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٨٥/١٣ عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ: "من قتل تقسه بتحديدة قحديدته بيده يجأ بها في بطنه في نار جهتم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهتم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن الرقى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهتم خالداً مخلداً فيها أبداً ورواه البخاري ٢١١/١٠ ومسلم ٢٠٣/١ وغيرهما.

كان فرضاً، وعلى هذا تأولها عمرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جُنباً في ليلة باردة، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال له: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فقال: يا رسول الله إني احتلمتُ في ليلة باردة، وأشفقت إن اغتسلت أن أهلِك، فذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُواْ أَنفُسَكُم ۗ فضحك رسول الله ﷺ (۱). والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظها، فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض. والخامس: لا تقتلوها بارتكاب المعاصي.

﴿وَمَن يَغْمَلُ ذَلِكَ عُدُونَـٰنَا وَظُلْمَا نَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًأ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْمَلُ ذَاكِ عُدُونَا وَظُلْمًا ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتل النفس، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه عائد إلى كل ما نهى الله عنه من أوّل السورة إلى هاهنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: قتل النفس، وأكل الأموال بالباطل، قاله مقاتل.

﴿إِن تَعْتَيْبُوا كَبَايَرَ مَا تُنْهَوَنَ عَنْـهُ تُكَيِّرَ عَنكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ وَتُنْظِكُم مُدْخَلًا كُرِيمًا ﴿

وقال ابن القيم في ازاد المعادة ١٥٥/٢ : اختلفت الرواية عنه، فروي عنه فيها أنه غسل مغابنه، وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم، ولم يذكر التيمم، وكأن هذه الرواية أتوى من رواية التيمم. قال عبد الحق الإشبيلي _ وقد ذكرها وذكر رواية التيمم قبلها _ ثم قال َ: وهذا أوصل من الأول، لأنه عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو، والأولى التي فيها التيمم من رواية عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا قيس.

- (٢) البخاري ٥/ ٢٩٤، ١٢/ ١٦٠، ومسلم ١/ ٩٣ والمويقات: المهلكات، قال المهلب: سميت بذلك، لأنها سبب لإهلاك مرتكبها.
- (٣) قال الحافظ ابن حجر ١٦٠/١٢: العراد بالعوبقة _ يريد حديث البخاري «اجتنبوا السبع العوبقات» _ هنا الكبيرة، كما ثبت في حديث أبي هريرة من
 رجه آخر أخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه: «الكبائر الشرك بالله وقتل النفس. . . »
 الحديث مثل رواية أبي الغيث إلا أنه ذكر بدل «السحر» «الانتقال إلى الأعرابية بعد الهجرة».
 - قلت: ومعنى هذه الجملة: الرجوع إلى سكنى البادية كالأعراب.
- (٤) رواه ابن جرير ٨/ ٢٣٥، ولفظه: عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة، وعلي يخطب الناس على المنبر، فقال: يا أيها الناس إن الكبائر سبع، فأصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: ألا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت لأبي: يا أبه ما التعرب بعد الهجرة؟ كيف لحق هاهنا؟ فقال: يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان!!. ورواه ابن مردويه مرفوعاً، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، ورفعه غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير.

⁽۱) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٠٣/٤، وأبو داود ١٤١/١، ورواه البخاري تعليقاً ١/ ٣٨٥، قال الحافظ ابن حجر: هذا التعليق وصله أبو داود والحاكم من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أختسل فأهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: فيا حمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلاَ نَشَكُمُ أَنْ اللهُ كُلُ وَيكُمُ وَجِيكًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا. وروياه أيضاً من طريق عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب، لكن زادا بين عبد الرحمن بن جبير وعمرو بن العاص رجلاً، وهو أبو قيس مولى عمرو بن العاص، وقال في القصة: ففضل مغابته وتوضأ، وقال فيه: قلو اغتسلت مت، وذكر أبو داود أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية هذه القصة فقال فيها: فتيمم. ورواها عبد الرزاق من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يذكر التيمم. والسياق الأول أليق بمراد المصنف _ يعني البخاري _ وإسناده قوي، لكنه علقه بصيغة التمريض، لكونه اختصره. وقال البيهقي: يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثم تيمم عن الباقي، وقال النووي: وهو متعين.

والتعرّب شهادة الزور وعقوق الوالدين(١). والثاني: أنها تسع، روى عبيد بن عمير، عن أبيه، وكان من الصحابة، عن النبي ﷺ أنه سئل ما الكبائر؟ فقال: «تسع، أعظمهن الإشراك بالله، وقتل نفس المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والسحر، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً"). والثالث: أنها أربع: روى البخاري، ومسلم في "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر؛ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين المغموس، (٢٠). وروى أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عنها، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين؛ وقال: ﴿الا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو شهادة الزورا^(٤). وروي عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربع: الإشراك بالله، والأمن لمكر الله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله^(ه). وعن عكرمة نحوه. والرابع: أنها ثلاث، فروى عمران بن حصين، عن النبي على أنه قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين ـ وكان متكناً فاحتفز ـ قال: والزوره (٦٠) . وروى البخاري، ومسلم في (الصحيحين) من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ الا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ــ وكان متكثاً فجلس ــ فقال: وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. وأخرجا في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله تعالى نداً وهو خُلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» . والخامس: أنها مذكورة من أوّل السورة إلى هذه الآية، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والسادس: أنها إحدى عشرة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر، والخيانة. روي عن ابن مسعود أيضاً. والسابع: أنها كل ذنب يختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثامن: أنها كلُّ ما أوجب الله عليه النار في الآخرة، والحدّ في الدنيا، روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس، ويه قال الضحاك. والتاسع: أنها كلُّ ما عُصى الله به، روى عن ابن عباس، وعبيدة، وهو قول ضعيف. والعاشر: أنها كل ذنب أوعَدُ الله عليه النار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك في رواية، والزجاج. والحادي عشر: أنها ثمان: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة، والزنا، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، واقتطاع الرجل بيمينه وعهدِه ثمناً قليلاً. رواه مُحْرِزٍ، عن الحسن البصري (^).

عي برعم. هم عي الحراء الوطون فصياحك وعلي محمده العاري، ١٠٠ / ١٠٠ عان بين عبد البير. المن العدم د يورون عي المعوض معاره، وللتداري بطال أيضاً عن جمهور العلماء، وبه قال النخعي، والحسن البصري، ومالك ومن تبعه من أهل المدينة، والأوزاعي في أهل الشام، والثوري وسائر أهل الكوفة، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأصحاب الحديث. وقال الشافعي: فيها الكفارة، وبه قال طائفة من التابعين.

⁽۱) رواه این جاید ۸/۸۲۲.

⁽٢) رواه الحاكم مطولاً ٢٥٩، ٢٥٩/٤، وقال: قد احتجا برواة هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي، وابنه عبيد متفق على إخراجه والاحتجاج به. وتعقبه الذهبي في «مختصره» بأنهما لم يحتجا بعبد الحيمد لجهالته، ووثقه ابن حبان. ورواه أبو داود ٣/٧٥١، والنسائي ٨٩/٧ وذكره ابن كثير ١/ ٤٨١ عن رواية الحاكم، ثم قال: هكذا رواه الحاكم مطولاً، وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن عائن به، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم: رجاله كلهم محتج بهم في «الصحيحين»

إلا عبد الحميد بن سنان، قلت: وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال البخاري: في حديثه نظر.

"ا البخاري ٤٨١/١١، ولن نجده في مسلم من رواية عبد الله بن عمرو، وإنما هو فيه من رواية أنس بن مالك، وفيه همول الزور، مكان قوله الالهمين المعموس، وزواه الإمام أحمد في «المسند، ١١١/١١، وذكره ابن كثير ٤٨٣/١، من رواية «المسند» ونسبه للبخاري، والترمذي، والنسائي. واليمين الفموس: قال ابن الأثير في «النهاية»: هي اليمين الكاذبة الفاجرة، كالتي يقتطع بها الحالف مال غيره، سميت غموساً، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار، «وفعول» للمبالغة. وفي «عمدة القاري» ١٩٣/١، قال ابن عبد البر: أكثر أمل العلم لا يرون في الغموس كفارة، ونقله ابن

 ⁽٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٣/ ١٣١، والبخاري ١٠/ ٣٤٥، ومسلم ١/ ٩٢.

خبر ابن مسعود ساقه الطبري من طرق كثيرة، وقال ابن كثير: هو صحيح إليه بلا شك.

⁽٦) رواه البخاري في االأدب المفرد؛ ١/ ١٠١ وزاد الحافظ ابن حجر في (الفتح؛ ١٦١/١٢ نسبته إلى البيهقي، والطبراني وقال: صنده حسن.

 ⁽٧) البخاري ٤١٣/١٣، ومسلم ١٩٠١، والحليلة: الزوجة، سميت بللك لكونها تحل للزوج، وقبل: لكونها تحل معه.

⁽٨) قال أبو جعفر الطبري: وأولى ما قيل في تأريل «الكبائر» بالصحة، ما صح به الخبر عن رسول ا的 海، دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً =

قوله تعالى: ﴿ نَكَفِرْ عَنكُمْ سَيِعَاتِكُمُ ﴾ روى المفضّل، عن عاصم: "يكفر" "ويدخلكم" بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون فيهما، وقرأ نافع، وأبان عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر، عن عاصم: "مَدخلاً بفتح الميم هاهنا، وفي (الحج) وضم الباقون "الميم"، ولم يختلفوا في ضم «ميم" ﴿ مُنْدَخَلُ صِدْقِ ﴾ و﴿ مُنْخَجَ صِدْقِ ﴾ [الإسراء: ٨٠] قال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون «المدخل" مصدراً، ويجوز أن يكون مكاناً، سواءً فتح، أو ضمّ. قال السدي: السيئات ها الصغائر. والمدخل الكريم: الجنّة. قال ابن قتية: والكريم: بمعنى: الشريف.

﴿ وَلَا تَنْمَنَّوْا مَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ. بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضُ لِرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْنَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْنَسَبُوا اللَّهَ مِن فَضْمَاؤُهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ نَكْمَنّواْ مَا فَعَبّلَ اللّهُ بِيهِ بِعَصَبُكُمْ عَلَى بَعْنِنَ ﴾ في سبيب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله: يغزو الرجال، ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد (۱۱ والثاني: أن النساء قلن: وددن أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت هذه الآية، قاله عكره (۱۲ والثالث: أنه لما نزل ﴿لِلذَّكْرِ مِنْلُ حَلِّل ٱلأَنْتَيَنّ ﴾ قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا، كما فضلنا عليهن في الميراث، وقال النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، والسدي (۱۱ وفي معنى هذا التمني قولان: أحدهما: أن يتمنّى الرجل مال غيره، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتمنى النساء أن يكن رجالاً. وقد روي عن أم سلمة أنها قالت: يا ليتنا كنا رجالاً، فنزلت هذه الآية. وللتّمني وجوه: أحدها: أن يتمنّى الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويزول عن الغير، فهذا الحسد. والثاني: أن يتمنّى مثل ما لغيره، ولا يحب زواله عن الغير، فهذا هو الغبطة (١٤ وربما لم يكن نيل ذلك مصلحة في حتى المتمنّي. قال الحسن: لا تمنّ مال فلان، ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال؟ والثالث: أن

من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالغ في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب. وقال الحافظ ابن حجر في الفتحه ١٩٣/ ١٢: ومن أحسن التعاريف، أي: تعريف الكبيرة قول القرطبي في اللمفهم؟: كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق هذه العكبرة قول القرطبي في القرآن، أو الأحاديث الصحيحة علق عليه المحد، أو اللعن، أو الفسق، من القرآن، أو الأحاديث الصحيحة والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك، عرف منه تحرير عدها. وقال الذهبي في أوائل كتاب الكبائر، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا، كالقتل، والزنى، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الأخرة من عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لمن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض، ألا ترى أنه ﷺ هذا الشرك بالله من الكبائر؟ مع أن مرتكبه مخلد في النار، ولا يغفر له أبداً. وقال الحافظ ١٩٢/ ١٣ بعد أن وجه جمع كثيراً من الأحاديث في بيان الكبائر: فهلا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريع بأنه من الكبائر، أو من أكبر الكبائر صحيحاً وضعيفاً مرفوعاً وموقوفاً، وقد تتبعته غاية التتبع وفي بعضه ما ورد خاصاً ويدخل في عموم غيره، ثم قال: والمعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعاً بغير تداخل من وجه صحيح، وهي السبعة المذكورة في حديث الباب _ يعني حديث فلجتنبوا السبع المويقات، والانتقال عن الهجرة والزنى والسرقة والمقوق واليمين صحيح، وهي السبعة المذكورة في حديث الباب _ يعني حديث فلجتنبوا السبع المويقات، والانتقال عن الهجرة والزنى والسرقة والمقوق واليمين خصلة، وتنفاوت مراتبها، والعجمع على عده من ذلك أقوى من المختلف فيه إلا ما عضده القرآن أو الإجماع فيلتحق بما فوقه.

رواه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٣٢٢ والترمذي ٢/ ١٢٧ والحاكم ٢/ ٣٠٥، عن سفيان عن ابن أبي نُجيح عن مجاهد عن أم سلمة. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة، ووافقه الذهبي على تصحيحه، قال الشيخ أحمد شاكر: وأما حكم الترمذي في روايته من طريق ابن عيبة بأنه حديث مرسل، فإنه جزم بلا دليل، ومجاهد أدرك أم سلمة يقيناً وعاصرها، فإنه ولد سنة ٢١، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٢٠ على اليقين، والمعاصرة من الراوي الثقة تحمل على الاتصال إلا أن يكون الراوي مدلساً، ولم يزعم أحد أن مجاهداً مدلس إلا كلمة قالها القطب الحلبي في «شرح البخاري» حكاها عنه الحافظ في «التهذيب» ١٠/ ٤٤، ثم عقب عليها بقوله: ولم أر من نسبه إلى التدليس. وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١/ ١٩٤ ردة على من زعم أن مجاهداً لم يسمع من عبد الله بن عمرو: لكن سماع مجاهد من عبد الله بن عمرو ثابت وليس بمدلس.

⁽٢) في «الدر المنثورة: أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن عكرمة.

⁽٣) أخرجه ابن جرير ٨/٢٦٤، وابن أبي حاتم عن السدي.

قال ابن كثير: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية، قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في صحيح البخاري ٩/ ٦٥ ولا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل مال فلان لعملت مثله، فإن هذا شيء غير ما نهت عنه الآية، وذلك أن الحديث حض على تمني مثل نعمة هذا، الآية نهت عن تمني عين نعمة هذا.

تتمنى المرأة أن تكون رجلاً، ونحو هذا مما لا يقع، فليعلم العبد أن الله أعلم بالمصالح، فليرضى بقضاء الله، ولتكن أمانيه الزيادة من عمل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِلرِّبَالِ نَصِيبٌ يِّمَا أَكَتَسَبُوا وَلِلِنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّا أَكَلَسَيْنٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد بهذا . الاكتساب: الميراث، وهو قول ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه الثواب والعقاب. فالمعنى: أن المرأة تثاب كثواب الرجل، وتأثم كإثمه، هذا قول قتادة، وابن السائب، ومقاتل. واحتج على صحته أبو سليمان الدمشقي بأن الميراث لا يحصل بالاكتساب، وبأن الآية نزلت لأجل التمنى والفضل.

قوله تعالى: ﴿وَسَّعَلُوا اللهَ مِن فَصَّلِمِ ﴾ قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبان، وخلف في اختياره «سَلُوا الله» "فَسَلْ الذين الفَسَلْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ» (وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا» وما كان مثله من الأمر المواجه به، وقبله (واو» أو (فاء» فهو غير مهموز عندهم. وكذلك نقل عن أبي جعفر، وشيبة (۱۰). وقرأ الباقون بالهمز في ذلك كله، ولم يختلفوا في قوله: ﴿وَلِسَتَلُوا مَا الْفَشَلُ اللهِ اللهِ عنه المواد بالفضل قولان: أحدهما: أن الفضل: الطاعة، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه الرزق، قاله ابن السائِب، فيكون المعنى: سلوا الله ما تتمنونه من النعم، ولا تتمنوا مال غيركم.

﴿ وَلِكُلِ جَمَلْنَا مَوَلِى مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَوْرُونُ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَعَالُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْمِ شَهِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِ جَمَلَنَا مَوَالِي﴾ الموالي: الأولياء، وهم الورثة من العصبة وغيرهم. ومعنى الآية: لكل إنسان موالي يرثون ما ترك. وارتفاع الوالدين والأقربين على معنيين من الإعراب: أحدهما: أن يكون الرفع على خبر الابتداء، والتقدير: وهم الوالدان والأقربون، ويكون تمام الكلام قوله ﴿مِّمَّا تَرْكَ﴾. والثاني: أن يكون رفعاً على أن الفاعل التارك للمال، فيكون الوالدان، هم المولى.

قوله تعالى: ﴿وَالَذِينَ عَقَدَتَ آيَنَنُكُمْ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «عاقدت» بالألف، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «عقدت» بلا ألف. قال أبو علي: من قرأ بالألف، فالتقدير: والذين عاقدتهم أيمانكم، ومن حذف الألف، فالمصاف إليه مقامه. وفيهم ثلاثة أقوال: ومن حذف الألف، فالمعنى: عقدت حِلْفهم أيمانكم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الحلف، كان الرجل يحالف الرجل، فأيهما مات ورثه الآخر، فنسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْمَارِ بَعْشُهُمْ أَوْلَى بِبَعْنِى ﴾ رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس (٢٠). وروى عنه عطية قال: كان الرجل يلحق الرجل في الجاهلية، فيكون تابعه، فإذا مات الرجل، صار لأهله الميراث، ويقي تابعه بغير شيء، فأنزل الله ﴿وَالَذِينَ عَقَدَتُ أَيْمَنُكُمْ ﴾ فيكون تابعه، فإذا مات الرجل، صار لأهله الميراث، ويقي تابعه بغير شيء، فأنزل الله ﴿وَالَذِينَ عَقَدَتُ أَيْمَنُكُمُ وعَلَيْ وممن قال هم الحُلفاء: سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنهم الذين آخى بينهم رسول الله على بينهم. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس (٣٠). وبه قال ابن زيد. والثالث: أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية، هذا قول سعيد بن المسيّب. فأمّا أرباب القول الأول، زيد. والثالث: أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية، هذا قول سعيد بن المسيّب. فأمّا أرباب القول الأول،

⁽۱) في اطبقات القراء؛ ٣٢٩/١: شبية بن نصاح بن سرجس بن يعقوب إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيها، ومولى أم سلمة رضيًا، مسحت على رأسه، ودعت له بالخبر.

⁽٢) في الطبري، ٢٧٥/٨ عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتُ أَبَنْتُكُمْ فَعَاثُومُمْ نَصِيبُمْ ﴾ فكان الرجل يعاقد الرجل: أبهما مات ورثه الأخر، فأنزل الله ﴿ وَأَزْدُلُ الْرَحْيَرِ بَسَمْتُمْ أَوْلَكَ بِبَسْنِ فِي حَجَنْبِ اللّهِ مِنْ النَّيْرَينَ وَالنَّهُ عِينَ إِلَا أَن تَشَمَلُوا إِنَّ أَوْلِيَا إِلَيْهُمْ مَشْرُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٦] يقول: إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت، وذلك هو المعروف. قلت: وعلي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عبام ولم يره، فالخبر منقطع.

 ⁽٣) أخرجه البخاري ١٨٦/٨ وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن العنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهةي في «سننه» عن ابن عباس، وتمام الحديث: فلما نزلت: ﴿وَلَهُ عَمَلَتُ مَوْلِكُ نُسخت، ثم قال: ﴿وَٱلَٰذِينَ عَقَدَتُ آَيْنَتُكُمْ فَعَانُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.

فقالوا: نسخ حكم الحلفاء الذين كانوا يتعاقدون على النصرة والميراث بآخِرِ (الأنفال)، وإليه ذهب ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والثوري، والأوزاعي، ومالك، وأحمد، والشافعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هذا الحكم باقي غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالي المعاقدة. وذهب قوم إلى أن المراد: فآتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة من غير ميراث، وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد. وذهب قوم آخرون إلى أن المعاقدة: إنما كانت في الجاهلية على النصرة لا غير، والإسلام لم يُغيّر ذلك، وإنما قرّره، فقال النبي على: قأيما حلف كان في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة، أن أن الآية محكمة.

﴿ الرِّبَالُ فَوَّمُونِ عَلَى الشِّكَآءِ بِمَا نَمَنَّكُ اللهُ بَمْضَهُمْ عَلَى بَعْنِ وَبِمَاۤ أَنفَعُواْ مِنْ أَمْوَلِهِمْ فَالْمَتَلِخَتُ فَانِيَّتُ حَفِظَتُ اللهُ وَلِيَّا إِنَّ لِللهِ اللهِ وَالْمِيْرُومُنَ فِي الْمَشَاجِعِ وَاشْرِيُوهُنَّ فَإِنَّ أَلْمَنَاكُمْ فَلَا بَنْعُوا عَلَيْهِنَ سَيِيلًا إِنَّ الْمُتَنَاجِعِ وَاشْرِيُوهُنَّ فَإِنَّ أَلْمَنَاكُمْ فَلَا بَنْعُوا عَلَيْهِنَ سَيِيلًا إِنَّ اللهُ كَانِ عَلِيًا ﴿ وَاللّٰهِ مَا اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ اللّٰهِ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللللللّٰهُ الللللللللللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللللللللللللللللّٰ ال

قوله تعالى: ﴿الرِّبَالُ قَوَّمُونَ عَلَ الشِّكَآهِ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً لطم زوجته لطمةً فاستعدت عليه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس (٢٠). وذكر المفسّرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري. قال ابن عباس (قوّامون) أي: مسلّطون على تأديب النساء في الحق. وروى هشام بن محمد، عن أبيه في قوله: ﴿الرِّبَالُ فَوَّمُوكَ عَلَ السّكَآهِ﴾ قال: إذا كانوا رجالاً، وأنشد:

أكسلَّ امسريَّ تسحسسسين امسرءاً ونساراً تسوقَّدُ بسالسُّسيل نسارا(٣)

قوله تعالى: ﴿ يَمَا نَضَكُلُ اللَّهُ بَهَنَهُمْ عَلَى بَهْنِ ﴾ يعني: الرجال على النساء، وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل، وتوفير الحظ في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والخلافة، والإمارة، والجهاد، وجعل الطلاق إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَبِمَا آنَفَقُوا مِنْ آمَوَلِهِمْ قال ابن عباس: يعني المهر والنفقة عليهن. وفي «الصالحات» قولان: أحدهما: المحسنات إلى أزواجهن، قاله ابن عباس. والثاني: العاملات بالخير، قاله ابن المبارك. قال ابن عباس: و«القانتات»: المطيعات لله في أزواجهن، و«الحافظات للغيب»، أي: لغيب أزواجهن. وقال عطاء، وقتادة: يحفظن ما غاب عنه الأزواج من الأموال، وما يجب عليهن من صيانة أنفسهن لهم.

قوله تعالى: ﴿ يِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ قرأ الجمهور برفع اسم «الله» وفي معنى الكلام على قراءتهم ثلاثة أقوال: أحدها: بحفظ الله إياهن، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. وروى ابن المبارك، عن سفيان، قال: بحفظ الله إياها

⁽۱) رواه مسلم في الصحيحه ١٩٦١/٤ والإمام أحمد في المسنده ٨٣/٤ وأبو داود، وابن جرير، والنسائي، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: الا حلف في الإسلام، وأيّما جلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة، قال القرطبي في المفهم؛ معنى: لا حلف، لا يتحالف أمل الإسلام كما كان أهل الجاهلية، كانوا يتحالفون، وذلك أن المتحالفين كانا يتناصران في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وإن كان ظالماً، ويقوم دونه، ويدفع عنه بكل ممكن حتى يمنع الحقوق، ويتصر به على الظلم والفساد، ولما جاه الشرع بالانتصاف من الظالم، وأنه يؤخد ما عليه من الحق لا يمنعه أحد من ذلك، وحد الحدود، وبين الأحكام؛ أبطل ما كانت الجاهلية عليه من ذلك. قال النووي: وأما المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باق، لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: وأبما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة، وأما قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، قالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم.

⁽٢) الخبر في الأصول كلها معزو لابن عباس، وقد بحثت في كتب «التفسير» فلم أجد أحداً عزا، إليه، ولا نقله عنه وقد ذكره ابن جرير ٨/ ٢٩١ عن الحسن، وابن جريج، والسدي، وفي «الدر المنثور» ٢/ ١٥١: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق حميد، وابن حرير، عن الحسن. وأخرج ابن مردويه عن على قال: أتى النبي 震…

٣) البيت في «سيبويه» ٣٣/١، و«الأصمعيات» ص ٢٢١، و«الشعر والشعراء» ١٩٢ و«شواهد العيني» ٤٤٢/٣، و«الخزانة» ١٩١/٤، وهو لأبي دؤاد
الأيادي من قصيدة يصف بها فرساً. وقوله: «وناراً توقد» هكذا الأصل، وهو موافق لرواية ابن قتيبة. وفي «الأصمعيات» «ونار توقده وهو الموافق
لرواية سيبويه، و«الخزانة»، والعيني. والبيت شاهد للعطف على معمولي عاملين يتقدير «كل» و«تحسبين» قال النحاس: ومن لم يعطف على عاملين
رواه «وناراً» بالنصب.

أن جعلها كذلك. والثاني: بما حفظ الله لهن مهورهن، وإيجاب نفقتهن، قاله الزجاج. والثالث؛ أن معناه: حافظات للغيب بالشيء الذي يحفظ به أمر الله، حكاه الزجاج. وقرأ أبو جعفر بنصب اسم الله. والمعنى: بحفظهن الله في طاعته.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّنِي تَنَاثُونَ نُشُونَهُ ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الظن لما يبدو من دلايل النشوز، قاله الفراء، وأنشد:

ومساخ فست يسا سسلام أنسك عسايسبسي (١)

قال ابن قتيبة: والنشوز: بغض المرأة للزوج، يقال: نَشَرَت المرأة على زوجها، ونشصت: إذا فركته، ولم تطمئن عنده، وأصل النشوز: الانزعاج (¹⁷⁾. وقال الزجاج: أصله من النشز، وهو المكان المرتفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿ فَوَظُوهُ ﴾ قال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب. قال الحسن: يعظها بلسانه، فإن أبت وإلا هجرها. واختلفوا في المراد بالهجر في المضجع على أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الجماع، رواه سعيد بن جبير، وابن أبي طلحة، والعوفي، عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير، ومقاتل. والثاني: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وخصيف عن عكرمة، وبه قال السدي، والثوري. والثالث: أنه قول الهجر من الكلام في المضاجع، روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة. فيكون المعنى: قولوا لهن في المضاجع مُجراً من القول. والرابع: أنه هجر فراشها، ومضاجعتها. روي عن الحسن، والشعبي، ومجاهد، والنخعي، ومقسم، وقتادة. قال ابن عباس: اهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرّح. وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرّره، واللجاج فيه. ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز. قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد. وقال الشافعى: يجوز ضربها في ابتداء النشوز.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ أَلَمْنَكُمْ قال ابن عباس: يعني في المضجع ﴿ فَلَا نَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَكِيلَكُ أي: فلا تتجنّ عليها العلل. وقال سفيان بن عيينة: لا تكلّفها الحُبّ، لأن قلبها ليس في يدها. وقال ابن جرير: المعنى: فلا تلتمسوا سبيلا إلى ما لا يحل لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل، وذلك أن تقول لها وهي مطيعة لك: لست لي مُحبّة، فتضربها، أو تؤديها.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَاتَ عَلِيًّا كَيْ عَلِيًّا كَالِهِ عَلَيْكَا عَلَيْكَا عَلَيْكَا عَلَيْكَا عَلَي منكم. وقال الخطابي: الكبير: الموصوف بالجلال، وكبر الشأن، يصغر دون جلاله كل كبير. ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

﴿ وَإِنْ خِنْتُدُ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابَعَنُواْ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدُا إِصْلَامًا يُوَيِّقِ اللهُ يَنْهُمَا أَإِنَّ اللهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿ وَإِنْ خِنْتُمُ شِقَاقَ بَيْنِهِمَ ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه الحذر مِن وجود ما لا يتيقّن وجوده، قاله الزجاج. والثاني: أنه العلم، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: والشقاق: العداوة، واشتقاقه من المتشاقين، كل صنف منهم في شتّى. والحكم: هو القيّم بما يسند إليه. وفي المأمور بإنفاذ الحكمين قولان: أحدهما: أنه

قوله تعالى: ﴿ إِن يُرِيدُا إِصْلَامُ قَالَ ابن عباس: يعني الحكمين. وفي قوله: ﴿ يُوَفِّقِ اللَّهُ يَنْتُهُما قَالُان: أَحَدَهُما: أَنه راجع إلى الحكمين، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه راجع إلى الزوجين، ذكره بعض المفسّرين.

السلطان إذا ترافعا إليه، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والثاني: الزوجان، قاله السدي.

⁽١) صدره: أتاني كلامٌ عن نُصيب يقولُه. وهو لأبي الغول الطهوي، شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية. والبيت في «الخزانة» ٢٠٩/٣، و«سمط اللالي» ٥٧٩، وهماني القرآن» ١٤٦/، ٢٥٥، وفزوادر أبي زيده و«الطبري» ٤/٥٥، ٨/ ٢٩٩.

 ⁽٢) في فغريب القرآن، ١٢٦ ﴿إذا تركته... الارتفاع».

فصل

والحكمان وكيلان للزوجين، ويُعتبرُ رضا الزوجين فيما يحكمان به، هذا قول أحمد، وأبي حنيفة، وأصحابه. وقال مالك، والشافعي: لا يفتقرُ حكمُ الحكمين إلى رضا الزوجين(١١).

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُوا بِدِ- شَيْعًا ۗ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْفُـرَّبَى وَالْيَتَنَمَن وَالْمُسَكِكِينِ وَالْجَادِ ذِى الْفُـرْبَى وَالْجَادِ اللَّهُ وَالْجَنّبِ وَالْعَمَادِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّكِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنْتُكُمّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِيْبُ مَن كَانَ ثُخْتَالًا فَخُورًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإَغْبُدُواْ اللَّهَ ﴾ قال ابن عباس: وحَّدوه.

قوله تعالى: ﴿وَيَالُولِدَيْنِ إِحْسَنَا﴾ قال الفرّاء: أغراهم بالإحسان إلى الوالدين.

قوله تعالى: ﴿وَلَلْمَادِ نِى الْفُرْدَى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذي بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الجار المسلم، قاله نوف الشامي. فيكون المعنى: ذي القربى منكم بالإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ٱلْجُنْبِ﴾ روى المفضّل، عن عاصم: قوالجَارِ الجَنْبِ، بفتح الجيم، وإسكان النون. قال أبو على: المعنى: والحار ذي الجنب، فحذف المضاف. وفي الجار الجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه جارك عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنه اليهودي والنصراني، قاله نوف الشامي^(٢). وفي الصاحب بالجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزوجة، قاله علي، وابن مسعود، والحسن، وإبراهيم النخعي، وابن أبي ليلى. والثاني: أنه الرفيق في السفر، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتية. وعن سعيد بن جبير كالقولين. والثالث: أنه الرفيق، رواه ابن جريج، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. قال ابن زيد: هو الذي يَلصَتُ بك رجاء خيرك. وقال مقاتل: هو رفيقك حضراً وسفراً. وفي ابن السبيل أقوال قد ذكرناها في (البقرة).

⁽۱) قال ابن جريد // ٣٣١ وأي الأمرين كان. فليس لهما _ أي للحكمين _ ولا لواحد منهما الحكم بينهما بالفرقة، ولا بأخذ مال إلا برضى المحكوم عليه بذلك، وإلا ما لزم من حق لأحد الزوجين على الآخر في حكم الله، وذلك ما لزم الرجل لزوجته من النفقة والإمساك بمعروف إن كان هو الظالم لها، فلم أن هو الظالم المرأة فللإمام السبيل لها، فأما غير ذلك، فليس ذلك لهما، ولا لأحد من الناس غيرهما، لا السلطان ولا غيره، وذلك أن الزوج إن كان هو الظالم للمرأة فللإمام السبيل إلى أخذه بما يجب لها عليه من حق، وإن كانت المرأة هي الظالمة زوجها الناشزة عليه، فقد أباح الله أخذ الفدية منها، وجعل إليه طلاقها على ما قد بيناه في سورة (البقرة). وإذ كان الأمر كذلك، لم يكن لأحد الفرقة بين رجل وامرأة بغير رضا الزوج، ولا أخذ مال من المرأة بغير رضاها بإعطائه إلا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس. وإن بعث الحكمين السلطان، فلا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة إلا بتوكيل الزوج إياهما بذلك، ولا لهما أن يحكما بأخذ مال من المرأة إلا برضى المرأة.

قلت: وقد تمسك الإمام مالك بلفظ الحكم، فرأى نفاذ حكم الحكمين عليهما في المال والفرقة، بخلاف أبي حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وابن حزم الظاهري وأصحابه، فإنهم يرون جميعاً أن نفاذ حكمهما عليهما متوقف على رضا الزوجين بتحكيمهما من قبل، لأن السياق يعين أن شأن الحكمين السعي في الإصلاح لا التفريق، ولا يعرف في اللفة، ولا في الشريعة: أصلحت بين الزوجين، أي: طلقتها عليه، كما في المحلى، ٧١/١٨ لابن حزم، وقال ابن حزم: ليس في الآية ولا في شيءٍ من السنن أن للحكمين أن يفرقا، ولا أن ذلك للحاكم.

⁽٢) ذهب ابن جرير الطبري في تفسير معنى «الجنب» في هذا الموضع إلى أنه الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً، وقال: إن «الجنب» في كلام العرب البعيد، كما قال أعشى بني قيس:

أتسيست محسريسنا زائسراً عسبن جسنسايسة في المحانب المحانب فسكسان محسرية في عسطسائسي جسامساً يمني بقوله: (عن جنابة) عن بعد وغربة، ومنه قبل الجنب: جناً، لانتا بقد منه وتجنبه، وجنبه خيره: إذا منعه إياه، ومنه قبل للجنب: جناً، لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل. فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله على المجانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله على المحانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله على المحانب في «المستدك عملية» وصعيحه كتاب «الأدب» ومسلم ٤/ ٢٠٥٥. ومنها ما رواه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ١٦٨، والتحاكم في «المستدك ٤ / ١٦٤ عن عبد الله عن رسول الله على أنه قال: «غير الأصحاب عند الله خيرهم لجاره». وروى الإمام مسلم في «صحيحه ٤ / ٢٠٥٥ عن أبي ذر قال: قال رسول الله قلى الله ومن كان يؤمن بالله طبخت مرقة، فأكثر ماها، وتماهد جيراتك، وروى البخاري في «صحيحه» كتاب «الرقاق»، ومسلم كتاب «الإيمان»: مرفوعاً قومن كان يؤمن بالله والليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتَ أَيْمَنَكُمْ اللَّهِيمِ. قال ابن عضهم: يدخل فيه الحيوان البهيم. قال ابن عباس: والمختال: البطرُ في مشيته، والفخور: المفتخر على الناس بكبره. وقال مجاهد: هو الذي يعد ما أعطى، ولا يشكر الله، وقال ابن قتيبة: المختال: ذو الخيلاء والكبر، وقال الزجاج: المختال: الصَّلِف التيّاه الجهول. وإنما ذكر الاختيال هاهنا، لأن المختال يأنف من ذوي قراباته، ومن جيرانه إذا كانوا فقراء.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُحْـلِ وَيَحْتُمُونَ مَا مَاتَنَهُمُ اللَّهُ مِن فَشَـلِهُ. وَأَعْتَدْنَا لِلْكَنفِرِينَ عَذَابًا مُهِمِينًا ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود. فأما سبب نزولها، فقال ابن عباس: كان كرُدّم بن زيد، [حليف كعب بن الأشرف] وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار من أصحاب رسول الله على وكانوا يخالطونهم، وينتصحون لهم، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم ألفقر [في ذهابها] ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون، فنزلت هذه الآية (في الذي بخلوا به وأمروا الناس بالبخل به قولان: أحدهما: أنه المال، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه إظهار صفة النبي على ونبرته، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «بالبخل» خفيفاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «بالبَخل» محركاً، وكذلك في سورة (الحديد). وفي الذين آتاهم الله من فضله قولان: أحدهما: أنهم اليهود، أوتوا علم نعت محمد ﷺ فكتموه، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أرباب الأموال بخلوا بها، وكتموا الغنى، ذكره الماوردي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتُدُنا﴾ قال الزجاج: معناه: جعلنا ذلك عتاداً لهم، أي: مثبتاً لهم.

﴿وَالَّذِينَ يُسْفِئُونَ ٱمْوَلَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَقِهِ وَلَا إِلْهُؤِمِ الْآخِرُ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَمُز قَرِينا هَا تَرْيَنا ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِئُونَ آمُولَهُمْ رِكَآءَ النَّاسِ﴾ (٣) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنهم المنافقون، قاله السدي، والزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. والثالث: مشركو مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ، ذكره الثعلبي. والقرين: الصاحب المؤالف، وهو فعيل من الاقتران بين الشيئين. وفي معنى مقارنة الشيطان قولان: أحدهما: مصاحبته في الفعل. والثاني: مصاحبته في النار.

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ مَامَنُوا بِاللَّهِ وَٱلْمِرْمِ الْآخِرِ وَأَنفَتُوا مِنَّا رَدَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَمَاذَا عَلَيْمٍ ﴾ المعنى: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله، لو آمنوا!. وفي الإنفاق المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: الزكاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ تهديد لهم على سوء مقاصدهم.

⁽۱) قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَا مُلَكُتُ أَيْنَتُكُمُ وَصِية بِالأَرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس، فلهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول: والصلاة الصلاة وما ملكت أيماتكم، فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه. قلت: والحديث رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه ١٩٥١ عن أنس، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في «الزوائد». وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب، قال قال رسول الله ﷺ: فما أطعمت نقسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولئك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لل صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لل صدقة، وما أطعمت ما أطعمت ورواه النسائي، وإسناده صحيح وله الحمد. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطبق، وواه مسلم. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «هم إخواتكم، جعلهم الله تحت أيديكم، قمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم هليه أخرجاه.

 ⁽۲) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في «سيرته» ۲۰۸/۲» وابن جرير ۳۵۳/۸ عن ابن عباس، وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال
 الذهبي: لا يعرف. قلت: ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

٧) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن الله ذكر الباذلين المراتين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة، وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي حديث والثلاثة الذين هم أول من تسجر نهم النار، وهم: العالم والغازي والمنفق، المراؤون بأعمالهم، يقول صاحب العال: ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك، فيقول الله: كذبت إنما أردت أن يقال: جواد فقد قيل، أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا، وهو الذي أردت بغملك. والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، عن أبي هريرة.

﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِنْقَالَ ذَرَّةٌ وَإِن نَكُ حَسَنَةً يُعَنَّدِهُمَا وَيُؤْتِ مِن لَدَّتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: حسنة بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب. قال الزجاج: من رفع، فالمعنى: وإن تحدث حسنة، ومن نصب، فالمعنى: وإن تك فعلته حسنة.

قوله تعالى: ﴿ يُمُنَنِهِهَا ﴾ قرأ ابن عامر، وابن كثير: يُضعّفها بالتشديد من غير ألف. وقرأ الباقون: يضاعفها بألف مع كسر العين. قال ابن قتيبة: يضاعفها بالألف: يعطي مثلها مرات، ويضعفها بغير ألف: يعطي مثلها مرّة (۱).

قوله تعالى: ﴿ مِن لَّدُنَّهُ ﴾ أي: من قبله. والأجر العظيم: الجنة (٢).

﴿ لَكُنْكَ إِذَا حِسْمًا مِن كُلِّ أَمَّتْم بِشَهِيدِ وَجِشْنَا بِكَ عَلَى مَتَوُلَآم شَهِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْكَ إِذَا حِشْنَا مِن كُلِّ أَتَمْ مِسْهِيدِ ﴾ قال الزجاج: معنى الآية: فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، فحذف الحال، لأن في الكلام دليلا عليه. ولفظ «كيف» لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ. والشهيد: نبي الأمة. وبماذا يشهد؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: بأنه قد بلغ أمّته. قاله ابن مسعود (٣٠)، وابن جريج، والسدي، ومقاتل.

 ⁽١) نص كلام ابن تتيبة في «غريب القرآن» ١٢٧: يضعفها، أي: يؤتي مثلها مرات، ولو قال: يضعفها لكان مرة واحدة. وفي «مجاز القرآن» ١٢٧/١:
 «بضاعفها»: أضعافاً، وايضمّفها»: ضعفين. وفي «الطبري» ٨٣٦٦، وأما قوله: «يضاعفها» فإنه جاء بالألف، ولم يقل «يضعفها»، لأنه أريد به في قوله: يضعف ذلك ضعفين، لقيل: «يضمّفها» بالتشديد.
 قول يعض أهل العربية يضاعفها أضعافاً كثيرة، ولو أريد به في قوله: يضعف ذلك ضعفين، لقيل: «يضمّفها» بالتشديد.

قلت: وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ٢١٦٢/٤ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطمم بحسنات ما حمل بها لله في اللنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بهاه. ورواه الإمام أحمد ٣/ ١٢٣، والطيالسي في «مسنده».

⁽٣) روى الإمام أحمد في «المسند، ٢٥٥٠ والبخاري ٨١/٩، ومسلم ١/٥٥١ عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» فقرأت «النساء» حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْكَ إِذَا يِحْمَنَا مِن كُلِ أَتَتَمْ يَشْهِيدِ وَحِشْنَا بِكَ عَلَ كَتُؤَلَّم شَهِيدًا ۞﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنب، فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل. هذا لفظ مسلم.

والثاني: بإيمانهم، قاله أبو العالية. والثالث: بأعمالهم، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: يشهد لهم وعليهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَجِثْنَا بِكَ ﴾ يعني: نبينا ﷺ. وفي «هؤلاء) ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع أمته، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يشهد عليهم، والثاني: يشهد لهم، فتكون «على» بمعنى: اللام. والقول الثاني: أنهم الكفار يشهد عليهم بتبليغ الرسالة، قاله مقاتل. والثالث: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي.

﴿ يَوْمَهِ ذِ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوَ شُوَّىٰ بِهِمُ ٱلأَرْضُ وَلَا يَكُنُنُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ١

قوله تعالى: ﴿ لَوَ شُورًى بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ قرأ بن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «لو تُسُوى»، بضم الناء، وتخفيف السين. والمعنى: ودُّوا لو جُعِلُوا تراباً، فكانوا هم والأرض سواء، هذا قول الفرّاء في آخرين. قال أبو هريرة: إذا حشر الله الخلائق، قال للبهائم، والدّواب، والطير: كوني تراباً. فعندها يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً (1). وقرأ نافع، وابن عامر: «لو تَسُوى»، بفتح الناء، وتشديد السين، والمعنى: لو تتسوى، فأدغمت الناء في السين، لقربها منها. قال أبو علي: وفي هذه القراءة اتساع، لأن الفعل مسند إلى الأرض، وليس المراد: ودّوا لو صارت الأرض مثلهم، وإنما المعنى: ودّوا لو يتسرّون بها. ثم في المعنى للمفسرين قولان: أحدهما: أن معناه: ودّوا لو تخرقت بهم الأرض، فساخوا فيها، قاله قتادة، وأبو عبيدة، ومقاتل. والثاني: أن معناه: ودّوا أنهم لم يبعثوا، لأن الأرض كانت مستوية بهم قساخوا فيها، قاله ابن كيسان، وذكر نحوه الزجاج، وقرأ حمزة، والكسائي: «لو تُسرّى»، بفتح الناء، وتخفيف السين والواو مشدّدة ممالة، وهي بمعنى: تتسرّى، فحذف الناء التي أدغمها نافع، وابن عامر. فأما معنى القراءتين، فواحد.

قوله تعالى: ﴿ وَلا يَكُنُونَ اللّهَ عَدِيثًا ﴾ في «الحديث» قولان: أحدهما: أنه قولهم: ما كنا مشركين، هذا قول المجمهور. والثاني: أنه أمر النبي على وصفته ونعته، قاله عطاء. فعلى الأول يتعلق الكتمان بالآخرة، وعلى الثاني يتعلق بما كان في الدنيا، فيكون المعنى: ودّوا أنهم لم يكتموا ذلك. وفي معنى الآية ستة أقوال: أحدها: ودّوا إذا فضحتهم جوارحهم أنهم لم يكتموا الله شركهم، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما شهدت عليهم جوارحهم لم يكتموا الله حديثاً بعد ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم في موطن لا يكتمونه حديثاً، وفي موطن لم يكتمون، ويقولون: ما كنا مشركين، قاله الحسن. والرابع: أن قوله: ﴿ وَلا يَكُنُونَ اللّهَ حَدِيثاً ﴾ كلام مستأنف لا يتعلق بقوله: ﴿ وَلا يَكُنُونَ اللّهَ حَدِيثاً ﴾: لا يقدرون على كتمانه، لأنه ظاهر عند الله ("). والخامس: أن المعنى: ودّوا لو سوّيت بهم الأرض، وأنهم لم يكتموا الله حديثاً. والسادس: أنهم لم يعتقدوا قولهم: ما كنا مشركين كذباً، وإنما اعتقدوا أن عبادة الأصنام طاعة، ذكر القولين ابن الأنباري. وقال القاضي أبو يعلى: أخبروا بما توهّموا، إذ كانوا يظنون أنهم ليسوا بمشركين، وذلك لا يخرجهم عن أن يكونوا قد كذبوا.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا العَسَلَوْةَ وَأَنتُرَ شُكَوَىٰ حَقَّى تَمْلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلَا جُندُمًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ حَتَّى تَفْتَسِلُواْ وَإِن كُنْمُ مُهَنَّى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَسَلَةَ أَسَدُّ مِنكُم مِنَ ٱلْفَالِهِلِ أَوْ لَنَمَسُنُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجَدُوا مَنَاهُ فَتَبَيْسُوا صَيِيدًا طَبِبًا فَامْسَحُوا مِوْجُومِكُمْ وَأَبْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا ضَفُوا ﴿ ﴾

قُوله تعالى: ﴿ يَتَأَبُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نَقَـرَبُوا الطَّمَـكُوٰةَ وَأَنتُدُ شَكَرَىٰ﴾ روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي

 ⁽١) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/ ٢٦ طبع مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية، وإسناده قوي.

⁽٢) قال ابن كثير: قوله: ﴿ وَلَا يَكُشُرُنَ اللّٰهَ حَدِينَ﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتمون منه شيئاً. وروى ابن جوير عن سعيد بن جبير، قال: ﴿ جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: سمعت الله ﷺ يقول ـ يعني إخباراً عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا: ﴿ وَاللّٰهِ رَبَّنَا مَا كُمّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ وَلَا يُكُشُرُونَ اللّٰهَ تَدِينَا﴾ فقال ابن عباس: أما قوله ﴿ وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُمّا أَشْرَكِينَ ﴾ فالوا: منافع الله الإسلام قالوا: ﴿ وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُمّا مُشْرِكِينَ ﴾ فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتمون الله حديثاً. فلت: وسنده حسن. ورواه الطبري أيضاً بإسنادين آخرين، وذكرهما ابن كثير عنه.

طالب على قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت [الخمر] منّا، وحضرت الصلاة، فقدّموني، فقرأت «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون» فنزلت هذه الآية (١٠). وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي على أن الذي قدموه، وخلط في هذه السورة، عبد الرحمن بن عوف (١٠). وفي معنى قوله: ﴿لاَ تَقَرَبُوا الشّكَلُوّةُ ﴾ قولان: أحدهما: لا تتعرّضوا بالسكر في أوقات الصلاة. والثاني: لا تدخلوا في الصلاة في حال السكر، والأول أصح، لأن السكران لا يعقل ما يخاطب به. وفي معنى: ﴿وَأَنتُرُ سُكَرَى ﴾ قولان: أحدهما: من الخمر، قاله الجمهور. والثاني: من النوم، قاله الضحاك، وفيه بعد. وهذه الآية اقتضت إباحة السكر في غير أوقات الصلاة، ثم نسخت بتحريم الخمر (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ قال ابن قتيبة: الجنابة: البعد، قال الزجاج: يقل: رجل جنب، ورجلان جُنب، ورجال جُنب، ورجال جُنب، كما يقال: رجل رضى، وقوم رضى، وفي تسمية الجنب بهذا الاسم قولان: أحدهما: لمجانبة مائه محله. والثاني: لما يلزمه من اجتناب الصلاة، وقراءة القرآن، ومس المصحف، ودخول المسجد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَارِى سَبِيلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين غير واجدين للماء فتتيمموا، وتُصلُّوا. وهذا المعنى مروي عن على ﷺ، ومجاهد، والحكم، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين، ولا تقعدوا. وهذا المعنى مروي عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، والحسن، وسعيد بن المسيَّب، وعكرمة، وعطاء المخراساني، والزهري، وعمرو بن دينار، وأبي الضحى، وأحمد، والشافعي، وابن قتيبة (٤٠). وعن ابن عباس، وسعيد ابن جبير، كالقولين، فعلى القول الأول: «عابر السبيل»: المسافر، و«قربان الصلاة»: فعلها، وعلى الثاني: «عابر السبيل»: المسجد الذي تفعل فيه الصلاة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنُمُ مُرْهَى ﴾ في سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضاً، ولم يكن له خادم، فأتى رسول الله ﷺ، فذكر له ذلك، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِن كُنُمُ مُرْهَى أَوْ سَكُوا عَلَى سَدَمٍ ﴾ قاله مجاهد. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم جراحات، ففشت فيهم، وابتلوا بالجنابة، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿ وَإِن كُنُمُ مُرْهَى ﴾ الآية كلها، قاله إبراهيم النخعي. قال القاضي أبو يعلى: وظاهر الآية يقتضي جواز التيمم مع حصول المرضى الذي يستضرّ معه باستعمال الماء، سواء كان يخاف التلف، أو لا

⁽۱) أخرجه أبو داود ٣/٥٤٤، والترمذي ٢/١٢٧، وابن جرير ٨/٣٧٦، كلهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، هن علي ظه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

⁽٣) روى الإمام أحمد ٢٧٩/١ عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية التي في سورة (البقرة) ﴿ يَسْتُونَكُ عَنِ الْخَمْرِ وَالْكَيْسِ قُلْ فِيهِمَا إِنَّمْ حَكَيْرٌ ﴾ قال: فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في سورة (النساء) ﴿ يَاكُنُ مَا مَنْوَلُ لا تَقْرَيُوا الفَسَكَوَةُ وَانْشُر شَكَرَى ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقرين الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ فَهَلْ سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ فَهَلْ سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ فَهَلْ الله الله عَلَيْ الله عَلَيْ المديني: هذا الإسناد أنه عنه على بن المديني: هذا الإسناد صححه الترمذي.

يخاف، وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء، سواء كان قصيراً، أو طويلاً، وعدم الماء ليس بشرط في جواز التيمم للمريض، وإنما الشرط: حصول الضرر، وأما السفر، فعدم الماء شرط في إباحة التيمم، وليس السفر بشرط، وإنما ذكر السفر، لأن الماء يُعدم فيه غالباً.

قوله تعالى: ﴿أَرْ جَاءَ أَمَدُ مِنَكُم مِنَ ٱلْمَالِكِ ﴿أَو بمعنى الواو ، لأنها لو لم تكن كذلك ، لكان وجوب الظهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث. والغائط: المكان المطمئن من الأرض ، فكني عن الحدث بمكانه ، قاله ابن قتيبة . وكذلك قالوا للمزادة: راوية ، وإنما الرَّواية للبعير الذي يُسقى عليه ، وقالوا للنساء: ظعائن ، وإنما الظعائن: الهوادج ، وكنَّ يكن فيها ، وسموا الحدث عذرة ، لأنهم كانوا يلقون الحدث بأفنية الدور .

قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَنَسَنُمُ النِّسَانَةِ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿ أُو لامستم الف عاهنا، وفي (المائدة)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف في اختياره، والمفضّل عن عاصم، والوليد بن عتبة، عن ابن عامر ﴿ أَوْ لَمَسْتُم الله بغير ألف هاهنا، وفي (المائدة). وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي، والحكم، وحماد (١٠). قال أبو علي: اللّمس يكون باليد، وقد اتسع فيه فأوقع على غيره، فمن ذلك ﴿ وَأَنّ لَسَنَ السَّمَةِ ﴾ [البن: ٨] أي: عالجنا غيب السماء، ومنا من يسترقه فيلقيه إلى الكهنة، ويخبرهم به. فلما كان اللّمس يقع على غير المباشرة باليد، قال: ﴿ فَلَسُوهُ إِلَيْهِم الله الأن الابن قد يدعى وليس من يلتبس بالوجه الآخر، كما قال: ﴿ وَمَلَنَهُ لُهُ أَلَيْنَ مِنْ أَمُلَدُ عَلَيْهِ النساء: ٢٣] لأن الابن قد يدعى وليس من الصلب.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَهِدُوا مَاكَ فَتَيَمَّوا ﴾ سبب نزولها: أن عائشة الله كانت مع النبي على في بعض أسفاره، فانقطع عقد لها، فأقام النبي على على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فنزلت هذه الآية، فقال أسيد بن تُحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. أخرجه البخاري، ومسلم (٢٠)، وفي رواية أخرى أخرجها البخاري ومسلم أيضاً: أن

⁽۱) قال ابن جرير ۱۳۹۸؛ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى الله بقوله ﴿أَرْ لَنَسَتُمُ السِّمَاتِهُ الجماع دون غيره من معاني اللمس، لصحة الخبر عن رسول الله 難 أنه قبل بعض نسائه، ثم صلى ولم يتوضأ، ثم روى عن عائشة قالت: «كان رسول الله 難 يتوضأ، ثم يقبّل، ثم يصلي ولا يتوضأ، ثم روى عن عروة، عن عائشة قان رسول الله 難 للمن نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت، وحديث عائشة هذا، رواه أبو داود ۱۸۳۱، وابن ماجه ۱۸۲۱، وأحمد في «المسند» ۱٬۲۱۰، وقد تكلم على هذا الحديث بعض الألمة، والحق أنه صحيح، قال أبو عمر بن عبد البر: صححه الكوفيون وثبتوه لرواية الثقات من أثمة الحديث له، وحبيب لا ينكر لقاؤه عروة، لروايته عمن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً.

قلت: ولم ينفرد حبيب برواية هذا الحديث، فقد تابعه عليه هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير. انظر فسنن الدارقطني؛ ص: ٥٠، وقد جاء الحديث بإسناد آخر صحيح عن عائشة، انظر «الجوهر النقي» ١٣٥/١، وفنصب الراية؛ ٢٨/١.

⁽٢) البخاري / ١٨٩/، ومسلم ٢٧٩/١، ولفظه عن عائشة أنها قالت: خوجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماه، وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس معه، وليسوا على ماه، وليس معهم ماه. فجاه أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماه، وليس معهم ماه! قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في =

عائشة استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله الله وجالاً في طلبها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، وشكوا ذلك إلى رسول الله الله التيمم (١٠). والتيمم في اللغة: القصد، وقد ذكرناه في قوله: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا اللَّهَيِكَ ﴾ وأمّا الصعيد: فهو التراب، قاله علي، وابن مسعود، والفراء، وأبو عبيد (٢) والزجاج، وابن قتيبة. وقال الشافعي: لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار. وفي الطيّب قولان: أحدهما: أنه الطاهر. والثاني: الحلال.

قوله تعالى: ﴿فَاتَسَحُوا بُوجُوهِكُمُ وَأَلِدِيكُمُ ﴾ الوجه الممسوح في التيمم: هو المحدود في الوضوء. وفيما يجب مسحه من الأيدي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلى الكوعين حيث يقطع السارق، روى عمار عن النبي ﷺ أنه قال: «التيمم ضربة للوجه والكفين» وبهذا قال سعيد بن المسيّب، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، والأوزاعي، ومكحول، ومالك، وأحمد، وإسحاق، وداود. والثاني: أنه إلى المرفقين، روى ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه تيمم، فمسح ذراعيه (بهذا قال ابن عمر، وابنه سالم، والحسن، وأبو حنيفة، والشافعي، وعن الشعبي كالقولين. والثالث: أنه يجب المسح من رؤوس الأنامل إلى الآباط، روى عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلت الرخصة في المسح، فضربنا بأيدينا فربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى الممناكب والآباط (٥٠). وهذا قول الزهري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَثْرًا﴾ قال الخطابي: «العفو»: بناء للمبالغة. و«العفو»: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء. وقيل: إنه مأخوذ من: عفت الربح الأثر: إذا درسته، وكأن العافي عن الذنوب يمحوه بصفحه عنه.

﴿ أَلَمْ ثَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَ يَنَ الكِنتِ يَشَكُّونَ الضَّلَلَةَ وَثُرِيدُونَ أَن تَضِلُوا السَّييلَ ﴿ ﴾

(١) البخاري ١/ ٣٧٣، ومسلم ١/ ٢٧٩.

(Y) في النسخة الأحمدية قوأبو عبيدة وفي قمجاز القرآنه ١٩٨١: الصعيد: وجه الأرض، وفي قاللسانه ٣/ ٢٥٤: وقال أبو إسحاق: الصعيد وجه الأرض، قال: وعلى الإنسان أن يضرب بيديه وجه الأرض، ولا يبالي أكان في الموضع تراب أو لم يكن، لأن الصعيد ليس هو التراب، إنما هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره، قال: ولو أن أرضاً كلها صخر لا تراب عليه، ثم ضرب المتيمم يده على ذلك الصخر، لكان ذلك طهوراً إذا مسح به الأرض تراباً كان أو غيره، قال: ولو أن أرضاً كلها صخر لا تراب عليه، ثم ضرب المتيمم يده على ذلك الصخر، لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه، قال الله تعالى ﴿فَتُمْتِعُ صَبِيدًا﴾ لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة خلاقاً فيه أن الصعيد وجه الأرض. اهـ. ونقل القرطبي أيضاً ٢٩٣/: عن الخليل، وابن الأعرابي، والزجاج. أن الصعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، وقد ذهب إلى تخصيص التيمم بالتراب الشافعي وأحمد وداود. وذهب مالك، وأبو حنيقة، وعطاه، والأوزاعي، والثوري إلى أنه مجزئ بالأرض وما عليها. وقال ابن القيم في قزاد المعاده ١٣٣/١ وكذلك كان يتيمم بالأرض التي يصلي عليها، تراباً كانت أو مبخة أو رملاً. وصح عنه أنه قال: قحيثما أهركت رجلاً من أمن الصلاة فعنده مسجده وطهوره، وهذا نص صريح في أن من أدركته الصلاة في الرمل قالرمل له طهوره. ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطموا تلك الرمال في طريقهم، وماؤهم في غاية القلة، ولم يرووا عنه أنه حمل معه التراب، ولا أمر به، ولا فعله أحد من أصحابه، مع القطع بأن في المفاوز الرمال أكثر من التراب، وكذلك أرض الحجاز وغيره. ومن تدير هذا قطع بأنه كان يتيمم بالرمل؛ والله أعلم، وهذا قول الجمهور.

(٣) البخاري ١/ ٣٧٧، ومسلم ١/ ٢٨٠، وأبو داود ١/٦٣١، والنسائي ١٦٩/١، وابن ماجه ١٥٨/١.

(3) لم نجد في كتب السنة التي بين أيدينا هذا الحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس، وروى البزار من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد عن ابن عباس، عن عمار، قال: كنت في القوم حين نزلت الرخصة في المسح بالتراب إذا لم نجد الماه، فأمرنا، فضربنا واحدة للوجه ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين؟. قال الحافظ في «الدراية» ص٣٦ بعد أن حسن إسناده: لكن أخرجه أبو داود، فقال: فإلى المناكب، وذكر أبو داود علته والاختلاف فيه. وحديث التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، وراه الدارقطني، والحاكم من حديث ابن عمر وقد تفرد علي بن ظبيان برفعه، ووقفه غيره، وصوب وقفه الدارقطني، وأخرجه الدارقطني، والحاكم أيضاً من طربقين واهيين عن ابن عمر. قاله الحافظ ابن حجر. وقد روي من حديث جابر، ومن حديث عائشة، انظر فنصب الراية» ١٥٥/ ١٥٤،

(0) أبو داود ١٣٤/١، والنسائي ١٦٧/١، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٥٠/٣٥: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها صوى حديث أبي جهيم، وعمار، وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجع عدم رفعه، فأما حديث أبي جهيم، فررد بذكر اليدين مجملاً، وأما حديث عمار، فورد بذكر الكفين في «الصحيحين»، وبذكر المرفقين في «السنن» وفي رواية «إلى نصف الذراع» وفي رواية «إلى الأباط». فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع، ففيهما مقال، وأما رواية الأباط، فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي ﷺ، فكل تيمم صح للنبي ﷺ بعده، فهو نامخ له والكفين كون عمار كان يعده، في الاقتصار على الوجه والكفين كون عمار كان يغتي بعد النبي ﷺ بذلك، وراي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، ولا سيما الصحابي المجتهد،

خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخلي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم وفتيمموا، فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت حائشة: فبمثنا البعير الذي كنت عليه. فوجدنا العقد تحته. والبيداء: هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة، قاله ابن التين.

قوله تعالى: ﴿ إِلَى اللَّذِينَ أُونُوا نَصِيبُ ا يَنَ الْكِتَابِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت. والثاني: أنها نزلت في رجلين كانا إذا تكلّم النبي ﷺ لويا ألسنتهما وعاباه، روي القولان عن ابن عباس (١٠). والثالث: أنها نزلت في اليهود، قاله قتادة. وفي النصيب الذي أوتوه قولان: أحدهما: أنه علم نبوة محمد النبي ﷺ. والثاني: العلم بما في كتابهم دون العمل.

قوله تعالى: ﴿ يَشَنَّرُونَ الضَّلَلَةَ ﴾ قال ابن قتيبة: هذا من الاختصار، والمعنى: يشترون الضلالة بالهدى، ومثله: ﴿ وَيُكّا عَلَيهِ فِي النَّبِينَ ﴿ وَهُ وَالسَاءَ لَهُ اللَّهُ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُوا ٱلسَّيِيلَ﴾ خطاب للمؤمنين. والمراد بالسبيل: طريق الهدى.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآبِكُمُ وَكُنَنَ بِاللَّهِ وَلِنَّا وَكُنَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآبِكُمْ ﴾ فهو يعلمكم ما هم عليه، فلا تستنصحوهم، وهم اليهود، ﴿وَكَلَفَ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ لكم، فمن كان وليه، لم يضره عدوه. قال الخطابي: «الولي»: الناصر، و«الولي»: المتولي للأمر، والقائم به، وأصله من الولي، وهو القرب، و«النصير»: فعيل بمعنى فاعل(٢).

﴿ وَمَنَ الَّذِينَ هَادُوا يُمَرِّقُونَ الْكِلِمَ عَن مُواصِمِهِ. وَيَقُولُونَ سَمِمْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعِ وَزَعِنَا لِنَّا بِأَلْسِلَنِهِمْ وَمَلْمُنَا فِي الدِّينَ وَلَوْ أَنْتُهُمْ قَالُوا سَمِمْنَا وَأَلْمَمْنَا وَاسْطَرُهَا لَكَانَ خَيْرًا لِمُمْمُ وَأَقْوَمُ وَلَكِن لَمَنْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِلِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مِن الَّذِينَ هَادُوا ﴾ قال مقاتل: نزلت في رفاعة بن زيد، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وكلهم يهود. وفي «مِن اقولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنها من صلة الذين أوتوا الكتاب، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. والثاني: أنها مستأنفة، فالمعنى: من الذين هادوا قوم يحرّفون، فيكون قوله: يحرّفون، صفة، ويكون الموصوف محذوفاً، وأنشد سيبويه:

وما اللَّه مر إلَّا تَارتَانِ فمنهما أَحْدَدُ وأُخرى أبتغي العيش أَخْدَدُ (٢)

والمعنى: فمنهما تارة أموت فيها. قال أبو علي الفارسي: والمعنى: وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا، أي: إن الله ينصر عليهم. فأما «التحريف»، فهو التغيير، و«الكلم»: جمع كلمة. وقيل: إن «الكلام» مأخوذ من «الكلم»، وهو الجرحُ الذي يشق الجلد واللحم، فسمي الكلام كلاماً، لأنه يشق الأسماع بوصوله إليها، وقيل: بل لتشقيقه المعاني المطلوبة في أنواع الخطاب. وفي معنى تحريفهم الكلم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يسألون النبي عن الشيء، فإذا خرجوا، حرفوا كلامه، قاله ابن عباس: والثاني: أنه تبديلهم التوراة، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿عَن مُّوَاضِمِهِ، ﴾، أي: عن أماكنه ووجوهه.

 ⁽١) أخرج الأول ابن جرير ٨/٤٢٨ من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول. ونسبه السيوطي في «الدلائل».
 أبي محمد مجهول. ونسبه السيوطي في «الدر» ٢/٨٦٨ إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهتي في «الدلائل».

⁽٢) قال ابن كثير ٧/١٠ في تفسير الآيتين: يخبر تبارك وتعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقلمين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام اللنيا ﴿ وَرَبُيُونَ أَن تَخِيلُوا اللَّبِيلَ ﴾ أي: يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَالِكُمُ أَيْهَا المؤمنون، وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَالِكُمُ اللهِ الله ومنون أنه ويعلم بهم، ويحلوكم منهم ﴿ وَلَكُن بِأَنْو وَلِيكُمُ إِنَّو تَهِيرًا ﴾ أي: كفي به ولياً لمن لجأ إليه، ونصيراً لمن استنصره.

 ⁽٣) البيت لتميم بن مقبل، «ديوانه» صن٢٤، و«الكتاب» ٢٧٦/١، و«الكامل» ٢٠٨/١» و«حماسة البحتري» ١٨٣، والحيوان» ٢٨/١٠. والكدح:
 الاكتساب، يقال: فلان يكدح على أهله. يقول: لا راحة في اللنيا، لأن وقتها قسمان، إما موت وهو مكروه عند النفس، وإما حياة وكلها سعي في المبيشة. واستشهد به صيبويه والمبرد على حلف الاسم لدلالة الصفة عليه، وتقديره الكلام: فمنهما تارة أموت قبها، كما ذكره المؤلف رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِمْنَا وَعَمَيْنَا﴾ قال مجاهد: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْهُمْ عُيْرَ مُسْمَعِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: اسمع لا سمعت، قاله ابن عباس، وابن زيد، وابن قتيبة. والثاني: أن معناه: اسمع غير مقبول ما تقول، قاله الحسن، ومجاهد. وقد تقدم في (البقرة) معنى: وراعنا.

قوله تعالى: ﴿ لِيَا ۚ بِالسِنَهِمَ ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك السنتهم بذلك. وقال ابن قتيبة معنى ﴿ لَيَّا بِالسِنَهِمَ ﴾: أنهم يحرفون «راعنا» عن طريق المراعاة، والانتظار إلى السبّ بالرّعونة. قال ابن عباس: ﴿ لَكَانَ خَيْرًا أَمْمُ ﴾ مَمّا بدلوا، و﴿ أَقَوْمُ ﴾ أي: أعدل، ﴿ وَلَذِينَ لَمُنْهُمُ اللّهُ يِكُنْرِهُم ﴾ بمحمد(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلَا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا قليل، وهم عبد الله بن سلام، ومن تبعه، قاله ابن عباس. والثاني: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، قاله قتادة، والزجاج. قال مقاتل: وهو اعتقادهم أن الله خلقهم ورزقهم.

﴿ يُعَانِّبًا الَّذِينَ أُرْتُوا الْكِنْنَبَ ءَامِنُوا بِمَا نَرَّكَ مُصَدِّقًا لِمَا مَصَكُم مِن قَبْلِ أَن نَطْمِسَ وُجُوهَا فَنَرُدُهَا عَلَىٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ تَلْعَنْهُمْ كُمَّا لَمَنَّأَمُ اللَّهِ عَمْمُولًا ﷺ وَمَا لَمُنْتُمْ كُمَّا لَمُثَلًا اللَّهُ اللَّهِ مَفْمُولًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّا الَّذِينَ أُونُوا الْكِنَتُ مَامِنُوا مِمَا زُرِّلُنَا﴾ سبب نزولها: أن النبي على دعا قوماً من أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب [ابن أسد] إلى الإسلام، وقال لهم: إنكم لتعلمون أن الذي جنت به حق، فقالوا: ما نعرف ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس(٢٠). وفي الذين أوتوا الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. وعلى الأول يكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: التوراة والمراد بما نزلنا: القرآن، وقد سبق في (البقرة) بيان تصديقه لما معهم.

قوله تعالى: ﴿ يَن مَبُلِ أَن نَطَيِسَ وُجُوهًا ﴾ في طمس الوجوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إعماء العيون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه طمس ما فيها من عين، وأنف، وحاجب، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، واختيار ابن قتيبة. والثالث: أنه ردّها عن طريق الهدى، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي. وقال مقاتل: من قبل أن نظمس وجوها، أي: نحوّل الملّة عن الهدى والبصيرة. فعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً. والمراد: البصيرة والقلوب. وعلى القولين قبله يكون المراد بالوجه: العضو المعروف.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرُدَّهَا عَلَى آذَبَارِهَا ﴾ خمسة أقوال: أحدها: نُصيِّرُها في الأقفاء، ونجعل عيونها في الأقفاء، هذا قول ابن عباس، وعطية. والثاني: نُصيِّرُها كالأقفاء، ليس فيها فم، ولا حاجب، ولا عين، وهذا قول قوم، منهم ابن قيبة. والثالث: نجعل الوجه منبتاً للشعر، كالقرود، هذا قول الفراء. والرابع: نَنفيها مدبرة عن ديارها ومواضعها. وإلى نحوه ذهب ابن زيد. قال ابن جرير: فيكون المعنى: من قبل أن نطمس وجوههم التي هم فيها. وناحيتهم التي هم بها نزول، فنردها على أدبارها من حيث جاؤوا بديًا من الشام (٣٠). والخامس: نردها في الضلالة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل.

⁽١) في «مشكل القرآن» ٢٩١: هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا حدثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا، وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، ويقولون له: راعنا، يوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انتظرنا، حتى نكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أرعني سمعك وراعني، أي: انتظرني وترفق بي وتلوم علي، هذا ونحوه، وإنما يريد سبه بالرعونة في لفتهم، فقال الله سبحانه: ﴿وَيَنَ الدِّينَ هَادُوا يُشْيَرُونَ الكِيلَمُ عَن مُواسِمِهِ ﴾ ويقولون كذا وكذا، ويقولون: ﴿وَرَبَعَا لِنَا إِلَيْنَهِ ﴾ أي: قلباً للكلام بها، ﴿وَلَمْنَا فِي اللهِ عَن اللهُ عَن اللهُ عَن اللهُ العلام بها، ﴿وَلَمْنَا فِي اللهُ عَن اللهُ عَن اللهُ اللهُ عَن اللهُ عَن اللهُ اللهُ عَن اللهُ اللهُ عَن اللهُ إِلْ وَلَلْهَا عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ وَالْمَا فَي اللهُ وَاللهُ وَلِهُ وَاللهُ وَلِلهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَاللهُ وَاللهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْقُولُونَ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلِمُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلِلْمُ وَلِلْهُ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلَهُ وَلَيْلُونُ وَلِهُ وَلِمُ وَلَا للهُ وَلِهُ وَلِللهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلِمُ وَلَهُ وَلِمُ وَلَوْمُ وَلْهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَوْمُ وَلَهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِمُ وَلِهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلِمُ وَلِهُ وَلِمُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِ

وقسد نسظ رَبُّ كُسم إيسنساءَ عساشسيسة في الساخ مُسِي طال بها حَموزي وتَسْساسي

 ⁽٢) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهةي في «الدلائل» من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني
 سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس.

⁽٣) في تفسير الطبري ٨/٤٤٢: وقال آخرون: معنى ذلك: من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التي هم بها، وناحيتهم التي هم بها، فنردها على أدبارها من حيث جاؤوا منه بديًا من الشام.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَلْتَنَهُمُ ﴾ يعود إلى أصحاب الوجوه. وفي معنى لعن أصحاب السّبت قولان: أحدهما: مسخهم قردة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: طردهم في التيه حتى هلك فيه أكثرهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْمُولًا﴾ قال ابن جرير: الأمر هاهنا بمعنى المأمور، سُمّي باسم الأمر لحدوثه عنه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ. وَيَقْفِرُ مَا مُرَنَ ذَلِكَ لِمِن يَشَالُمُ وَمَن يُشْرِكَ بِأللَّهِ نَقَدِ آفَتَرَكَ إِنْمًا عَظِيمًا ﴿إِنَّ اللَّهِ لَهُ عَلَيْمًا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِمِهُ قال ابن عمر: لما نزلت ﴿يَمِبَادِىَ الَّذِينَ آَسَرَفُوا عَلَىٓ أَنَفُسِهِمَ لَا نَشْنُطُوا مِن رَّحَمَةِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [انزمر: ٥٣] قالوا لرسول الله ﷺ: والشرك؟ فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه (١٠). وقد سبق معنى الإشراك.

والمراد من الآية: لا يغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله: ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين: أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميّت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً(٢٠). والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

﴿ اللَّهِ مَرْ إِلَّ الَّذِينَ يُزَكُّونَ الفُسَهُمْ بَلِي اللَّهُ يُزَّقِي مَنْ يَشَلَهُ وَلَا يُظَلَّمُونَ فَتِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ يُرَكُّونَ أَنفُتُهُم ﴾ سبب نزولها: أن مرحب بن زيد، ويحري بن عون _ وهما من اليهود. _ أتيا النبي ﷺ بأطفالهما، ومعهما طائفة من اليهود فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، قالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كُفِّر عنا باللهل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفّر عنا بالنهار، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس(٣).

وفي قوله: ﴿ آلَمْ تَرَ ﴾ قولان: أحدهما: ألم تُخبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: ألم تعلم، قاله الزجاج. وفي الذين يزكون أنفسهم قولان: أحدهما: اليهود على ما ذكرنا عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، وبه قال الحسن، وابن زيد. ومعنى ويزكون أنفسهم " يزعمون أنهم أزكياء، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. وفي الذي زكّوا به أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم برَّووا أنفسهم من الذنوب، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن اليهود قالوا: إن أبناءنا الذين ماتوا يزكوننا عند الله، ويشفعون لنا، رواه عطية، عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، هذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك. والرابع: أن اليهود والنصارى قالوا: ﴿ غَنُ أَبْتَكُوا اللّهِ وَأَجِبّلُومُ ﴾ [المائدة: ١٨] وقالوا: ﴿ فَنُ الْجَنّهُ إِلّا مَن كَانَ هُولًا أَنْ نَصَرَونًا ﴾ [البترة: ١١١] هذا قول الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿ يَلِ اللهُ يُرَكِّى مَن يَكَآهُ ﴾ أي: يجعله زاكياً، ولا يظلم الله أحداً مقدار فتيل. قال ابن جرير: وأصل «الفتيل»: المفتول، صُرف عن مفعول إلى فعيل، كصريع، ودهين. وفي الفتيل قولان: أحدهما: أنه ما يكون في شتّ النواة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، وقتادة، وعطية، وابن زيد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ إذا دلكن، رواه العوفي، عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو مالك، والسدي، والفرّاء.

⁽١) ابن جرير ٨/٤٤٩، ونقله عنه ابن كثير، ثم قال: وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر.

⁽Y) قال ابن جرير الطبري ٨/ ٤٥٠: وقد أبانت هذه الآية على أن كل صاحب كبيرة فني مثينة الله تمالى، إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى. قلت: وروى البخاري في «صحيحه» ١/ ٦٠ عن عبادة بن الصامت فله وكان شهد بدراً، وهو أحد النقباء ليلة المقبة وأن رسول الله فله قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيليكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في اللغيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في اللغيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عقا هنه، وإن شاء على ذلك. ورواه مسلم ٢/ ١٣٣٣ والترمذي. وروى الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ١٦٦ عن أبي ذر أن رسول الله فله قال: هما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زني وإن سرق؟ قال: هوان زني وإن سرق؟ قال: وإن رغم أنف أبي ذر، ودواه الشيخان.

 ⁽٣) ذكره الواحدي في اأسباب النزول، ٨٨ بمعناه عن الكلبي.

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَانِبُّ وَكَفَىٰ بِدِهِ إِنْمًا ثُمِّيبًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اَنظُرْ كَيْفَ يُفَدُّدُنَ عَلَ اللَّهِ الكَيْبَ ﴾ وهو قولهم: ﴿ غَنُ آَبَنَتُواْ اللَّهِ وَآحِبَتُوهُ ﴾ وقولهم: ﴿ إَنَّ الْجَنَّةُ إِلَّهُ مَن كَانَ هُرِدًا أَزْ نَمَنزِينًا ﴾ وقولهم: لا ذنب لنا، ونحو ذلك ممّا كذَّبوا فيه ﴿ وَكَنَىٰ بِدِيهُ أَي: وحسبُهم بقيلهم الكذب ﴿ إِنَّمَا تُمِينًا ﴾ يتبين كذِبهم لسامعيه.

﴿ اَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيكِ أُونُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّانُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتَؤُكَمْ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ مَامَنُوا سَبِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَبِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدُها: أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أديننا خيرٌ، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس^(۱). والثاني: أن كعب بن الأشرف، وحيى بن أخطب، قدما مكة، فقالت لهما قريش: أنحن خيرٌ، أم محمدٌ؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة في روايةٍ^(٢). وقال قتادة: نزلت في كعب، وحيي، ورجلين آخرين من بني النضير قالوا لقريش: أنتم أهدى من محمد. والثالث: أن كعب بن الأشرف وهو الذي قال لكفار قريش: أنتم أهدى من محمد، فنزلت هذه الآية. وهذا قول مجاهد، والسدي، وعكرمة في رواية. والرابع: أن حبي بن أخطب قال للمشركين: نحن وإياكم خيرٌ من محمد، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد. والمراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود. وفي (الجبت) سبعة أقوال. أحدها: أنه السّحر، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد، والشعبي. والثاني: الأصنام، رواه عطية، عن ابن عباس. وقال: عكرمة: الجبت: صنم. والثالث: حيى بن أخطب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: كعب بن الأشرف، رواه الضحاك، عن ابن عباس، وليث عن مجاهد. **والخامس**: الكاهن، روي عن ابن عباس، وبه قال ابن سيرين، ومكحول. والسادس: الشيطان، قاله سعيد بن جبير في رواية، وقتادة، والسدي. والسابع: الساحر، قاله أبو العالمية، وابن زيد. وروى أبو بشر، عن سعيد بن جبير، قال: الجبت: الساحر بلسان الحبشة. وفي المراد بالطاغوت هاهنا ستة أقوال: أحدها: الشيطان، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد في رواية، والشعبي، وابن زيد. والثاني: أنه اسم للذين يكونون بين يدي الأصنام يعبّرون عنها ليضلوا الناس، رواه العوفي، عن ابن عباس. والثالث: كعب بن الأشرف، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: الكاهن، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. والخامس: أنه الصنم، قاله عكرمة. وقال: الجبت والطاغوت صنمان. والسادس: الساحر، روي عن ابن عباس، وابن سيرين، ومكحول. فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسميين. وقال اللغويون منهم ابن قتيبة، والزجاج: كل معبود من دون الله، من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جبت وطاغوت(٣).

⁽١) صيرة ابن هشام ٢/ ٢١٠، والطبري من طريق ابن إسحاق ٨/ ٤٦٩ وفي سنده مجهول.

⁽٢) أثر عكرمة، رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم مرسلاً. وروى ابن جرير ١/ ٢٦٤ عن ابن عباس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ثرى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه. يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السعاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فأنزلت: ﴿إِنَّ سَائِنَكَ هُوَ الْأَبْنُ ﴿﴾ [الكوثر: ٣] وأنزلت ﴿أَلُمْ تَرَ إِلَى الْفِينَ أَلْحَيْثِ يُؤْمِنُونَ بِالْعِبْتِ وَالْمُلْتُونِ ﴾ إلى قوله: ﴿فَنْ غَيدَ لَهُ مَيرًا ﴾ وإسناده صحيح. وزاد السيوطي نسبته في «الده ٢٧١/ لأحمد، وابن أبي حاتم. وقولهم فألا ترى إلى هذا الصنبور الأبتر، في «النهاية» الصنبور: سعفات تنبت في جذع النخلة، لا في الأرض، ثم قالوا للرجل الفرد الضعيف الليل الذي لا أهل له ولا عقب ولا ناصر: «صنبور»: قال الاستاذ محمود شاكر: فأراد هولا «الكفار من قريش أن محمداً على المربل الذي لا أهل له ولا عقب ولا ناصر: «صنبور»: قال الاستاذ محمود شاكر: فأراد هولا «الكفار من قريش أن محمداً على وقطع دابر الكافرين. والأبتر: الذي لا عقب له.

⁽٣) قال أبو جعفر الطبري ٨/ ٤٦٥: والصواب من القول في تأويل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبّتِ وَالْكَانُونِ ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودَين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين، وذلك أن «الجبت» و«الطاغوت» اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كانناً ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله، فقد كانت جُبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطبعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيى بن أخطب، وكمب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله، والكفر به، ويرسوله، فكانا جبين وطافوتين.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني لمشركي قريش: أنتم ﴿أَهَدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، يعنون النبي وأصحابه طريقاً في الديانة والاعتقاد.

﴿ أُولَتِكَ ٱلَّذِينَ لَمَنْهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْمَنِ ٱللَّهُ فَلَن يَجِدَ لَمُ نَصِيرًا ۞ أَمْ لَمُتم نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلِّكِ فَإِذَا لَا يُؤْثُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۞﴾

﴿أَمْ لَمُمْ نَصِيتُ مِنَ النَّلُو ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، فالتقدير: ليس لهم. وقال الفراء: قوله: ﴿فَإِذَا لَا يُؤتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ جوابٌ لجزاء مضمر، تقديره: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نقيراً (١٠). وفي النقير، أربعة أقوال: أحدها: أنه النقطة التي في ظهر النواة، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل، والفرّاء، وابن قتيبة في آخرين، والثاني: أنه القشر الذي يكون في وسط النواة. والثالث: أنه نقر الرجل النوة، رواه التيمي، عن ابن عباس. وروي عن مجاهد: أنه الخيط الذي يكون في وسطها، رواه أبو العالية، عن ابن عباس. والرابع: أنه حبّة النواة التي في وسطها، رواه ابن أبي نجيع، عن مجاهد. قال الأزهري: والمقتيل، والقطمير، تضرب أمثالاً للشيء التافه الحقير.

﴿ أَرْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا مَانَعُهُمُ اللَّهُ مِن فَشَائِدٍ. فَقَدْ ءَاتَيْنَا ۚ وَالْ إِبْرِهِيمَ ٱلْكِنْبَ وَالْمِكْمَةَ وَءَاتَيْنَتُهُم مُلكًا عَظِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَّ يُحَسُدُونَ النَّاسَ﴾ سبب نزولها: أن أهل الكتاب قالوا: يزعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأي ملك أفضل من هذا، فنزلت، رواه العوفي، عن ابن عباس^(۲). وفي ^(أم) قولان: أحدهما: أنها بمعنى ألف الاستفهام، قاله ابن قتيبة. والثاني: بمعنى ⁽⁴بل) قاله الزجاج، وقد سبق ذكر اللحسد، في (سورة البقرة) والحاسدون هاهنا: اليهود. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: النبي هم، رواه عطية، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: النبي هم، وأبو بكر، وعمر، روي عن عباس، فيه نالله قطله ثلاثة أقوال: أحدها: إباحة الله تعالى نبيه أن ينكح ما شاء من النساء من غير عدد، روي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه النبوة، قاله ابن جريج، والزجاج. والثالث: بعثة نبي منهم على قول من قال: هم العرب^(۲).

قوله تعالى: ﴿ نَقَدُ مَاتَهُنَا آلَ إِبْرَهِمَ الْكِنْبَ ﴾ يعني: النوراة، والإنجيل، والزبور. كله كان في آل إبراهيم، وهذا النبي من أولاد إبراهيم. وفي الحكمة قولان: أحدها: النبوة، قاله السدي، ومقاتل. والثاني: الفقه في الدين، قاله أبو سليمان الدمشقي، وفي الملك العظيم خمسة أقوال: أحدها: ملك سليمان، رواه عطيّة، عن ابن عباس (٤٠). والثاني: ملك داود، وسليمان في النساء، كان لداود مائة امرأة، ولسليمان سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سريّة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس (٥٠)، وبه قال السديّ. والثالث: النبرّة، قاله ابن زيد في آخرين،

⁽١) قال الطيري ٨/ ٤٧٥: ورفع قوله: ﴿لا يُؤثّرَنُ النّاسُ﴾ ولم يُنصب بـ ﴿إذنه ومن حكمها أن تنصب الأفعال المستقبلة إذا ابتدئ الكلام بها، لأن معها فقاعه ومن حكمها إذا دخل فيها بعض جروف العطف على توجه إلى الإبتداء بها مرة، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى، وهذا الموضع مما أريد بـ ﴿اللّهاء فيه النقل عن ﴿إذنه إلى ما بعدها، وأن يكون معنى الكلام: أم لهم نصيب، فلا يؤتون الناس نقيراً إذن. وانظر استيفاء الكلام على ﴿إذنه من وسيبويه ١/ ٤١١)، وهعاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٣/.

⁽٢) رواه أبن جرير ٨/٨٧٤ قالًا: حدثني محمد بن سمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء: محمد بن سعد، قال الخطيب: هو لين في الحديث، وأبره سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد، قال الخطيب: هو لين في الحديث، وأبوه عد أبوه: هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف الخصين بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف أيضاً. قال البخاري في «الكبير»: ليس ذاك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وأبو أبيه: عطية بن سعد بن جنادة العوفي، قال الحافظ في «الكبير»: صدوق يخطئ كثيراً، كان مدلساً.

 ⁽٣) قال ابن جرير ٨/ ٤٧٩ : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تول قتادة وابن جريج الذي ذكرناه قبل، أن معنى «الفضل» في هذا الموضع: النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم، لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية تدل على أنها تقريظ للنبي تقد وأصحابه، رحمة الله عليهم، على ما قد بينا قبل، وليس النكاح وتزوج النساء _ وإن كان من فضل الله جل ثناؤه الذي آتاه عباده _ بتقريظ لهم ومدح.
 (٤) سنده ضعيف.

والخامس: الجمع بين سياسة الدنيا، وشرع الدين، ذكره الماوردي (١).
﴿ نَوْنَهُم مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَنْ صَدَّ عَنْةً وَكُفَّى إِجْهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ا

قوله تعالى: ﴿ فَيَنْهُم مَّنَ مَامَنَ هِمِ ﴾ فيمن تعود عليه الهاء والميم قولان: أحدهما: اليهود الذين أنذرهم نبينا محمد ﷺ، وهذا قول مجاهد، ومقاتل، والفراء في آخرين. فعلى هذا القول في هاء فهه ثلاثة أقوال: أحدها: تعود على ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ، قاله مجاهد. قال أبو سليمان: فيكون الكلام مبنياً على قوله ﴿ عَلَى مَا مَانَنَهُمُ اللهُ مِن فَشَيْرِيّ ﴾ وهو النبوة، والقرآن. والثاني: أنها تعود إلى النبي ﷺ، فتكون متعلقة بقوله: ﴿ فَمَ يُعْمُ مُن مَامَنَ هِم عَبد الله بن سلام، وأصحابه. والثالث: أنها تعود إلى النبيا عن آل إبراهيم، قاله الفراء. والقول الثاني: أن الهاء، والميم في قوله قفمنهم "تعود إلى آل إبراهيم، فعلى هذا في هاء فه قولان: أحدهما: أنها عائدة إلى إبراهيم، قاله السدي. والثاني: إلى الكتاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مِّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير، وعكرمة، وابن يعمر، والجحدري: «من صُدّ عنه» برفع الصاد. وقرأ أُبيُّ بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو رجاء والجوني: بكسر الصاد.

﴿ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَعَمِيلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدَخِلُهُمْ جَنَّتِ تَجَرِّى مِن غَيْهَا الْأَنْهَـٰرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدَأً لَمُتُمْ فِيهَا أَوْرَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ فِلْلَّا عَلَيْهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلَا ظَلِيلَا﴾ قال الزجاج: هو الذي يُظلُّ من الحرِّ والريح، وليس كلُّ ظلِّ كذلك، فأعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حرِّ معه، ولا برد. فإن قيل: أفي الجنة برد أو حر يحتاجون معه إلى ظل؟ فالجواب: أن لا، وإنّما خاطبهم بما يعقلون مثله، كقوله: ﴿ وَلَمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيّا ﴾ [مريم: ٦٢] وجواب آخر: وهو أنه إشارة إلى كمال وصفها، وتمكين بنائِها، فلو كان البرد أو الحرِّ يتسلط عليها، لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَامُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الاَكْتَنَتِ إِلَىَّ آهَلِهَا وَإِذَا حَكَمَتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَخَكُوا بِالسَّدُلِ إِنَّ اللَّهَ بِينًا بَيُطَكُم بِيَّه إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِينًا بَسِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهُ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمْتَتِ إِلَّهَ أَمْلِهَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، طلب مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة، فذهب ليعطيه إياه، فقال العباس: بأبي أنت وأمّي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه للعباس، فقال النبي ﷺ: «هات المفتاح» فأعاد العباس قوله، وكفّ عثمان، فقال النبي ﷺ: «أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله وباليوم الآخر» فقال: هاكه يا رسول الله بأمانة الله، فأخذ المفتاح، فقتح البيت، فنزل جبريل بهذه الآية، فدعا عثمان، فدفعه إليه. رواه أبو صالح، عن ابن عباس (٢)، وبه قال مجاهد،

⁽١) رجح ابن جرير رحمه الله في "تفسيره ٢/ ٤٨٢ قول ابن عباس في تفسير «الملك» بملك سليمان، قال: إن ذلك هو المعروف في كلام العرب، دون الذي قال: إنه ملك النبوة، ودون قول من قال: إنه تحليل النساء والملك عليهن، الأن كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه، إلا أن تأتي دلالة، أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجب التسليم لها.

 ⁽۲) قال السيوطي في «الدر المنثورة ٢/١٧٤: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس مطولاً. قلت: والكلبي وأبو صالح
ضعيفان لا يحتج بهما.

والزهري، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في الأمراء. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال زيد بن أسلم، وابنه، ومكحول، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وقال: أمر الأمراء أن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين. والثالث: أنها نزلت عامة، وهو مروي عن أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى. واعلم أن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها، فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات. وقال ابن مسعود: الأمانة في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الصوم، وفي الحديث، وأشد ذلك في الودائم (١).

قوله تعالى: ﴿ يَبِنَا يَعِظُكُم بِيِّهِ ﴾ يقول: نعم الشيء يعظكم به، وقد ذكرناه في (البقرة).

﴿يَكَانِهُمُ الَّذِينَ مَامَنُوٓا أَطِيمُوا اللَّهُ وَأَطِيمُوا الرَّمُولَ وَأَوْلِ الأَخْرِ مِنكُزُّ فَإِن نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُمُثُمْ ثَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْبَرْمِ الْكَنِيْرِ وَلِكَ خَبْرٌ وَاحْسَنُ تَأْوِيلًا ﷺ

قوله تعالى: ﴿ يَائَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا أَوْلِيمُوا اللَّهَ وَالْمِيمُوا أَرْسُولَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن خُذافة بن قيس السّهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سريّة، أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث ابن عباس (٢٠). والثاني: أن عمّار بن ياسر كان مع خالد بن الوليد في سريّة، فهرب القوم، ودخل رجلٌ منهم على عمار، فقال: إني قد أسلمتُ، هل ينفعني، أو أذهب كما ذهب قومي؟ قال عمار: أقم فأنت آمن، فرجع الرجل، وأقام فجاء خالد، فأخذ الرجل، فقال عمّار: إني قد أمنته، وإنه قد أسلم، قال: أتجير علي وأنا الأمير؟ فتنازعا، وقدما على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس (٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَوْلِيمُوا أَرْسُولَ﴾ طاعة الرسول في حياته: امتثال أمره، واجتناب نهيه، وبعد مماته: اتباع سُنته (٤). وفي أولي الأمر أربعة أقوال: أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة (٥)، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالمية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف عن مجاهد. والثالث: أنهم أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن

⁽١) قال ابن كثير في تفسير الآية: يغبر تمالى أنه يأمر بأداه الأمانات إلى أملها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله على قال: «أد الأمانة إلى من التحتك، ولا تخن من خانك» رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله على عباده من الصلاة والزكاة والصيام، والكفاوات، والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله على بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما بثت في الحديث الصحيح أن رسول الله على قال: «لتؤذن الحقوق إلى أملها حتى يقتص للشأة الجمّاء من القرناه، قلت: وحديث أد الأمانة...) رواه أبو داود في سننه ٢٩٣٣، والترمذي ٢/ ٢٥١، والدارمي ٢/ ٢٦٤، والحاكم ٢/ ٤٦٠ كلهم من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: وهو حديث صحيح. وقد وهم الشيخ أحمد شاكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في عزو الحديث إلى الإمام أحمد وأهل السنن من طريق سمرة. وللإمام ابن تيمية رحمه الله رسالة أسماها «السياسة الشرعية» بناها على هذه الآية الكريمة، فارجع إليها، فإنها فريدة في بابها.

 ⁽٣) ذكره ابن جرير بأطول مما ذكره المصنف ٤٩٨/٨ عن السدي، ونقله ابن كثير عنه ٥١٨/١ ثم قال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طرق عن السدي مرسلاً، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس، فذكره بنحوه والله أعلم.

⁽³⁾ قال الحافظ ابن حجر في «النتح»: النكتة في إعادة العامل في «الرسول» دون «أولي الأمر» مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى، كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف، هما القرآن والسنة، فكأن التقدير: وأطيعوا الله فيما قضى عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، والمعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن. قلت: وقد روى أبو داود ٢٧٩/٤ بسند صحيح عن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسول الله ﷺ: قالا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أربكته يقول: عليكم بهلا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله».

⁽٥) رواه ابن جرير عن أبي هريرة بإسناد صحيح، وقد ذكره الحافظ في االفتح، ١٩١/، وقال: أخرجه الطبري بإسناد صحيح.

أبي نجيح، عن مجاهد، وبه قال بكر بن عبد الله المزني. والرابع: أنهم أبو بكر، وعمر، وهذا قول عكرمة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَنَزَعُلُمْ فِي شَيَّوِ﴾ قال الزجاج: معناه: اختلفتم وقال كل فريق: القول قولي. واشتقاق المنازعة: أن كل واحد ينتزع الحجة.

قوله تعالى: ﴿ وَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ ﴾ في كيفية هذا الرد قولان: أحدهما: أن ردّه إلى الله ردّه إلى كتابه، ورده إلى النبي رده إلى سنّته، هذا قول مجاهد، وقتادة، والجمهور. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الرّد يكون من وجهين: أحدهما: إلى المنصوص عليه باسمه ومعناه. والثاني: الرّد إليهما من جهة الدلالة عليه، واعتباره من طريق القياس، والنظائر. والقول الثاني: أن ردّه إلى الله ورسوله أن يقول من لا يعلم الشيء: أله ورسوله أعلم، ذكره قوم منهم الزجاج. وفي المراد بالتأويل أربعة أقوال: أحدها: أنه الجزاء، والثواب، وهو قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنه العاقبة، وهو قول السدي، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أنه التصديق، مثل قوله: ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُمْيُكَ ﴾ [يرسف: ١٠٠] قاله ابن زيد في رواية. والرابع: أن معناه: ردّكم إياه إلى الله ورسوله أحسن من تأويلكم، ذكره الزجاج.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيرَ كَنْعُمُونَ أَنَهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَعَاكُمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أَيُهُوا أَن يَكَفُرُوا بِدٍّ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلِّهُمْ مَنَكَلًا بَعِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِرَ يَرْعُتُونَ أَنَّهُمْ ءَامَثُوا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحلها: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودي، فأتيا النبي ﷺ، فقضى لليهودي، فلمّا خرجا، قال المنافق: ننطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إليه، فقصًا عليه القصّة، فقال: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، فاشتمل على السيف، ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس (٣٠). والثاني: أن أبا بردة الأسلمي كان كاهناً يقضي بين اليهود، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة، عن ابن عباس (٤٠). والثالث: أن يهودياً ومنافقاً كانت بينهما خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي، لأنه لا يأخذ الرشوة، فلما اختلفا، اجتمعا أن يحكما كانبي، لأنه لا يأخذ الرشوة، هذا قول الشعبي (١٠). والرابع: أن رجلاً من بنى النضير قتل رجلاً من بنى قريظة، فاختصموا،

⁽١) قال أبو جعفر: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء، والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله 難بالأمر بطاعة الأثمة والولاة فيما كان لله طاعة، وللمسلمين مصلحة. ثم ذكر الأحاديث التي وردت في الباب.

⁽٣) ذكره الواحدي في اأسباب النزول؟: ٩٢ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

⁽٤) نقل الخبر الهيثمي في «المجمع» 7/٧ وقال: رواه الطبراتي، ووجاله رجال الصحيح، وذكره السيوطي في «اللدر المنتور» 7/٧ كا عن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة أبي بردة: وعند الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود، فذكر القصة في نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّيْبَ كَرْعُمُونَ...﴾ قلت: وقوله: «فتنافر إليه ناس من المسلمين» هكذا جاءت في الأصول وفي «مجمع الزوائد» 7/٧، و«الدر المنتور» ٢/٨٧، و«لباب النقول» ص: ٦٧، والطبري ٨/ ٥١٠ من راوية السدي «فقال المنافق من بني قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي بردة ينفر بيننا» وفي ابن كثير ١٩٥١: «فتنافر إليه ناس من المشركين» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٩٢ «فتنافر إليه ناس من أسلم». وفي «المجمع» و«ابن كثير» و«الفتح» ه/ ٢٩ و«الدر المنتور» و«أسباب النزول»: «أبو برزة» بدل «أبي بردة» وهو خطأ.

ابن جرير ٨/ ٥٠٨، عن الشعبي، ونسبه السيوطي في «الدر» لابن المنذر، وذكره الواحدي في أسباب النزول: ٩٣ بسنده إلى الشعبي.

فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن، فقال المسلمون من الفريقين: بل إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون، فانطلقوا إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون، فانطلقوا إلى الكاهن، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي(١٠). والزَّعم والزَّعم لغتان، وأكثر ما يستعمل في قول ما لا تتحقق صحته، وفي «الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله» قولان: أحدهما: أنه المنافق، والذي زعم أنه آمن بما أنزل من قبله اليهودي. والطاغوت: كعب بن الأشرف، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والربيع، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَيْرُوا أَن يَكُفُرُوا بِدِّ ﴾ قال مقاتل: أن يتبرؤوا من الكهنة، و«الضلال البعيد»: الطويل.

﴿ وَإِذَا يِبِلَ لَمُمْ تَكَالُواْ إِلَىٰ مَا أَنــٰزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنفِقِينَ بَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ تَمَالُواْ إِنَى مَا أَنزَلَ الله ﴾ قال مجاهد: هذه الآية والتي قبلها نزلتا في خصومة اليهودي، والمنافق، والهاء والميم في الهما: إشارة إلى الذين يزعمون. والذي أنزل الله: أحكام القرآن. واإلى الرسول؛ أي: إلى حكمه.

﴿ لَكُيْتُ إِذَا أَصَلَبْتُهُم شُمِسِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَمْلِئُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلّاَ إِحْسَنَا وَتَوْفِيقًا ﴿ ﴾ قول المراد قوله تعالى: ﴿ فَكَيْتُكُ إِذَا أَصَابِتُهُم عَقْوِبَةً مِن الله؟ وفي المراد بالمصيبة قولان: أحدهما: أنه تهديد ووعيد. والثاني: أنه قتل المنافق الذي قتله عمر. وفي الذي قدمت أيديهم ثلاثة أقوال: أحدها: نفاقهم واستهزاؤهم. والثاني: ردّهم حكم النبي ﷺ. والثالث: معاصيهم المتقدّمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْدُنَا ﴾ بمعنى، ما أردنا.

قوله تعالى: ﴿إِلَا إِحْسَنَا وَتَوْفِيقًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما قتل عمر صاحبهم، جاؤوا يطلبون بدمه، ويحلفون ما أردنا بالمطالبة بدمه إلا إحساناً إلينا، وما بوافق الحق في أمرنا. والثاني: ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحساناً وتوفيقاً. والثالث: أنهم جاؤوا يعتذرون إلى النبي على من محاكمتهم إلى غيره، ويقولون: ما أردنا في عدولنا عنك إلا إحساناً بالتقريب في الحكم، وتوفيقاً بين الخصوم دون الحمل على مُرّ الحق(٢).

﴿ أُوْلَتِكَ الَّذِينَ يَمْلُمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَغْرِضْ عَنْهُمْ وَعِلْهُمْ وَقُلْ لَهُمْدَ فِي آنفُيهِمْ قَوْلًا بَلِيمًا ۞ ﴾

قولُه تعالى: ﴿ وَ اللّهِ عَلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم ﴾ أي: من النفاق والزيغ والله ابن عباس: إضمارهم خلاف ما يقولون ﴿ اللّهِم عَنْهُم ﴾ ولا تعاقبهم ﴿ وَعِظْهُم ﴾ بلسانك ﴿ وَوَلَ لَهُم فِي النّه لِهِم قَوْلًا بَلِيعًا ﴾ أي: تقدّم إليهم: إن فعلتم الثانية، عاقبتكم. وقال الزجاج: يقال: بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ: إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. وقد تكلم العلماء في حدّ «البلاغة» فقال بعضهم: «البلاغة»: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: «البلاغة»: الإيجاز مع الإفهام، والتصرّف من غير اللفظ، وقيل: «البلاغة»: الإيجاز مع الإفهام، والتصرّف من غير إضجار. قال خالد بن صفوان: أحسن الكلام ما قلّت ألفاظه، وكثرت معانيه، وخيرُ الكلام ما شوّق أوّله إلى سماع آخره. وقال غيره: إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.

فصل

وقد ذهب قوم إلى أن «الإعراض» المذكور في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

⁽١) رواه ابن جرير ٨/ ٥٠٨ عن السدي.

^{γ) قال أبو جمفر في تفسير الآية: يعني بذلك جل ثناؤه، فكيف بهؤلاء الذين يويدون أن يتحاكموا إلى الطاغرت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ﴿إِنّا أَسْبَتُهُم شُوبِيَةٌ ﴾ يعني إذا نزلت بهم نقمةً من الله ﴿إِنّا مَنْتَمَ إَيْبِيمٌ ﴾ يعني بذنوبهم التي سلفت منهم، ﴿ثُمّ جَارُولَد يَقِلُونَ عَلَيْوَنَ عَلَيْوَ ثَمْ جاؤوك يحلفون بالله كذباً وزوراً ﴿إِنّ أَرْدَنَا إِلّا إِحْسَنًا وَتَوْقِيمًا ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنقم، وأنهم إن تأتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم يتيبوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذباً وجرأة على الله: ما أردنا باحكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصواب فيما احتكمنا فيه إليه.}

﴿ وَمَا ۚ أَرْسَلْنَا مِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذ ظُلْمَتُوا أَنفُسُهُمْ حَكَةُ وَكَ أَسْتَغَفْرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهَ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهُ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهِ وَاسْتَغَفّرُوا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّ واللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ و

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن زَسُولٍ إِلَّا لِيُعَلَّى ۚ قَالَ الزجاج: ﴿من ﴿ دَخَلَتَ لَلْتُوكِيد. والمعنى: وما أرسلنا رسولاً إِلّا ليطاع. وفي قوله: ﴿ بِإِذْبِ اللَّهِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى: الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الإذن نفسه، قاله مجاهد. وقال الزجاج: المعنى: إلا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَهُمْمُ إِذِ ظُلَمُتُوا أَنْفُسُهُمُۥ يرجع إلى المتحاكمين اللَّذين سبق ذكرهما. قال ابن عباس: ظلموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول ﴿ جَآءُوكَ فَاسْتَغْنَرُوا اللَّهُ من صنيعهم.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّىٰ يُعَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي آننسِهِمْ مَرَبًا مِمَّا تَعَنَيْتَ وَيُسَلِّمُوا بَسْلِيمًا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في خصومة كانت بين الزبير

قوله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِكُ لا يَؤْمِنُونَ ﴾ في سبب نزولها قولان: احدهما: انها نزلت في خصومة كانت بين الزبير وبين رجل من الأنصار في شِراج الحرّة (١)، فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري، قال: يا رسول الله: أن كان ابن عمتك! فتلوّن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدّر، قال الزبير: فوالله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك. أخرجه البخاري، ومسلم (٢). والثاني: أنها نزلت في المنافق، واليهودي اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف، وقد سبقت قصتهما، قاله مجاهد (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يحكموك، وقيل: ﴿ لا ﴾ رد لزعمهم أنهم مؤمنون، والمعنى: فلا، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف، فقال: وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، أي: فيما اختلفوا فيه. وفي ﴿ الحرج ﴾ قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: الضيق، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وفي قوله: ﴿ وَيُكَلِّمُوا لَمُ المرتهم به، فلا يعارضونك، هذا قول ابن عباس، والزجاج، والجمهور. والثاني: يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك، ذكره الماوردي.

﴿ وَلَوْ أَنَا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوا ٱنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَرِكُمْ مَّا فَمَلُوهُ إِلَا قَلِيلٌ مِيثُمُّ وَلَوْ ٱنَّهُمْ فَمَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِدِ لَكَانَ خَيْرًا لَمُنْمُ وَاشَدً تَشِيتًا ۞ وَإِنَا كَانَيْنَهُمْ مِن لَدُنَآ ٱجْرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَهُمْ مِيزطا تُسْتَقِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَا كَنَبَنَا عَلَيْهِمْ أَنِ آقَتُلُوّا أَنفُسَكُمْ اللَّهِ سبب نزولها: أن رجلاً من اليهود قال: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم، فقتلناها. فقال ثابت بن قيس بن الشماس: والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي (٤٤). قال الزجاج: «لو» يمتنع به الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جاءني زيد لجئته. والمعنى: أن

⁽١) الشراج، بكسر الشين، جمع شَرْج: مسيل الماء من الحرّة إلى السهل. والحرة: موضع معروف بالمدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنما أُحرقت بالنار،

⁽۲) البخاري (۲۲، ومسلم ۲۰۱۶، ولفظه عن عروة، عن عبد الله بن الزبير في أنه حدّثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شرَاج الحرّة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سرح الماء يعر، فأبي عليه، فاختصما عند النبي في فقال رسول الله ﷺ للزبير، السام على يا زبير، ثم احبس العاء حتى يرجع ثم أرسل العاء إلى جارك، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك، فتلزن وجه النبي قلل ثم قال: السق يا زبير، ثم احبس العاء حتى يرجع إلى الجُلْبِ فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿ فَلا رَرِبُ لا يُرْبِئُونَ مَثَى يُحَكِّمُونَ فِيما شَجَرَ يَبْتُهُم ﴾. وقد أفاض الحافظ ابن حجر في «الفتح» في بيان صحة الحديث واتصاله فانظره. قوله: «فقال الأنصاري سرح» أي: أطلق العاء، وإنما قال له ذلك، لأن العاء كان يعر يأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبسه لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع، وقوله: «أن كان ابن عمتك، وقوله: الحتى يرجع إلى المجلم؛ أي: يصير إليه، والجبر، بفتح الحيم: الحواجز التي تحبس الماء.

⁽٣) الطبري ٨٧٣/٥. قال الحافظ في الفتح ٢٩/٥: إسناده صحيح. وقد رجح ابن جرير هذا القول، وقال: إنه أولى بالصواب، لأن قوله ﴿ فَلا وَرَئِكَ لَا يُمْرَدُنَ كَنَّ يُكَكِّمُوكَ فِيمًا شَجَرَ بَيْنَهُمْ في سياق قصة الذين ابتدا الله الخبر عنهم يقوله: ﴿ أَلَمْ مَنَ إِلَى النَّبِرَ كَنَ مُمُونَ أَنَّهُم مَاسَوُا بِمَنَا أَبْلَ إِلَيْكُ وَلا لالله تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى. ثم قال: وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري.

 ⁽٤) ابن جرير ٨/٥٢٦، ونقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم أيضاً.

مجيئك امتنع لامتناع مجيئه، واكتبنا بمعنى: فرضنا. والمعنى: لو أنا فرضنا على المؤمنين بك أن اقتلوا أنفسكم. قرأ أبو عمرو: «أنِ اقتلُوا» أنفسكم، بكسر النون، «أوُ اخْرُجُوا» بضم الواو. وقرأ ابن عامر، وابن كثير، ونافع، والكسائي: «أنُ اقتلوا أوُ اخرجوا» بضم النون والواو. وقرأ عاصم، وحمزة بكسرهما. والمعنى: لو فرضنا عليهم كما فرضنا على قوم موسى، لم يفعله إلا قليل منهم، هذه قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر: «إلا قليلاً» بالنصب. ﴿وَلَوْ أَنَهُمْ ﴾ يعني: المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك ﴿قَمْلُوا مَا يُوعَظُونَ بِدِ ﴾ أي: ما يذكرون به من طاعة الله، والوقوف مع أمره، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَمُمْمُ وَاثبت لأمورهم. وقال السدي: ﴿وَاَشَدٌ تَشِيدُا ﴾ أي: تصديقاً.

﴿ وَمَن يُعِلِعِ اللَّهَ وَالرَّمُولَ مَأْوَلَتِهِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْمَمُ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّيْهِينَ وَالشِّهِدَيْنِ وَالشَّهَدَآءِ وَالسَّلِحِينُ وَحَسُنَ أُولَتِهِكَ رَفِيعًا ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِع الله وَإِرْسُولُ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن ثوبان مولى رسول الله كله شديد المحبّة لرسول الله يهيء فرآة رسول الله يوماً فعرف الحزن في وجهه، فقال: فيا ثوبان ما غير وجهك؟ قال: ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس(۱). والثاني: أن أصحاب رسول الله يله قالوا له: ما ينبغي أن نفارقك في الدنيا، فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق(۱). والثالث: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي وهو محزون، فقال: فما لي أراك محزونا؟ فقال: يا رسول الله غذا ترفع مع الأنبياء، فلا نصل إليك. فنزلت هذه الآية. هذا قول سعيد بن جبير الله محرونا؟. والسائن والسول في السنن. قال ابن قتيبة: والصدّيق: والصدّيق: الكثير الصدق، كما يقال: فسّيق، وسرّيب، وخبّير، وسكّيت، وفجّير، وعشّيق، وضلّيل، وظلّيم: إذا كثر منه ذلك. أو يكون عادة. فأما الشهداء، فجمع شهيد وهو الثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده. والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي. والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: لأنه يشهد ما أعد الله من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد الله. فأما الصالحون، فهو اسم لكل من صَلْحَتْ سريرتُه وعلانيتُه. والجمهور على أن النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين عام في جميع من هذه صفته (٤٠). وقال عكرمة: المراد بالنبين هاهنا محمد، والصديقين أبو بكر، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة.

⁽١) ذكره الواحدي في قأسباب النزول؛ بدون سند عن الكلبي. (٢) الطبري ٨/ ٥٣٤، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح.

⁽٣) ابن جرير ٨/ ٩٣٤ بإسناد لا بأس به. وروى الطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، ٨/ ١٢٥ والضياء المقدسي في الحبنة عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنك لأحبُ إليّ من نفسي، وأحبُ إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؟ فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَن يُطِع آلَة وَالرَّمُولُ فَأَوْلَتِكَ مَع الدِّينُ أَنَمَ آلَتُ عَلَيْهِم مِن الثَّيْتِينَ وَالوَلْمِينَ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهِمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَلَتُهَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمِينَ وَاللَّهُمَا وَلَيْ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَلَيْ اللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَلَا اللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَلْمُعَلِّهُ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَا و

⁽³⁾ في الصحيح مسلم؟ ١٩٥١ عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: اكنت أبيت عند النبي ﷺ، فأنيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: الساه، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: (أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: (قامني على نقسك بكثرة السجود» وروى الإمام أحمد، والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصلبت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: (هن مات على ذلك كان مع النبيين، والصيفين، والشهداء يوم القيامة هكلاً ونصب أصبعه علم لم يعتى والديه، قال الهيثمي في (الزوائد» ١٤٧/ ١٤٤ وراء أحمد، والطبراني بإسنادين، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح. وذكره قبل ذلك ١٨٤ مختصراً، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخي البزار، وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. قال ابن كثير بعدما روى جملة من الأحاديث: وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في (الصحيح» و(المسانيك وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القرم ولما يلحق بهم؟ فقال: (قالمره مع من أحبه قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر ﷺ، وأرجو أن يمثني الله معهم، وإن لم أعمل كعملهم.

قوله تعالى: ﴿وَحَمُنُ أَوْلَيْكَ رَفِيقًا﴾ قال الزجاج: (رفيقاً) منصوب على التمييز، وهو ينوب عن رفقاء. قال الشاعر: بها جيف الحسرى فأمّا عظامُها فيسيضٌ وأما جلدُها فيصليب (١) وقال آخر:

في حمل قب كسم عنظم وقد شنجينا(٢)

يريد: في حلوقكم عظام (٣).

﴿ ذَلِكَ ٱلْفَضْلُ ﴾ الذي أعطى المذكورين ﴿ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكُفَّىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ بالمقاصد والنيات.

﴿ يَمَا يُهُا الَّذِينَ مَامَنُوا خُذُوا حِلْرَكُمْ فَانِيرُوا ثَبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿خُذُوا حِدْرَكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: احذروا عدوكم. والثاني: خذوا سلاحكم.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْفِرُوا ثَبَاتِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: جماعات، واحدتها: ثبة، يريد جماعة بعد جماعة. وقال الزجاج: «الثباث»: الجماعات المتفرّقة. قال زهير:

فصل

وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله: ﴿آنفِرُوا خِفَانًا وَثِثَالَا﴾ [التوبة: ٤١] وقوله: ﴿إِلَّا نَنفِرُوا بُعُذِبْكُمْ صَلَابًا أَلِيسًا﴾ [التوبة: ٢٩] منسوخات بقوله: ﴿وَمَا كَاكَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] قال أبو سليمان الدمشقي: والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء.

﴿ وَإِنَّ مِنكُو لَنَ لَيُمَلِئَنَّ وَإِنْ أَصَنَتُكُم شُمِيبَةً وَالَ قَدْ آنَتُمَ اللَّهُ عَلَى إِذْ لَتَرَ أَكُن شَمَهُمْ شَهِيدًا ۞ وَلَهِنَ أَصَنَبَكُمْ فَضَلَّ مِنَ اللّهِ لَنَ اللّهِ لَكُن لَمْ تَكُن لِيَنتُكُم وَرَدًا ۗ يَنلِيَتُني كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُرُ لَنَ لَيَكِأَنَّ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، كعبد الله بن أبيّ، وأصحابه كانوا يتثاقلون عن الجهاد، فإن لقيت السرية نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله عليّ، وإن لقوا غنيمة، قال: يا ليتني كنت معهم. هذا قول ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قلّت علومُهم بأحكام الدين، فتثبطوا لقلة العلم، لا لضعف الدين، ذكره الماوردي، وغيره. فعلى الأول تكون إضافتهم إلى المؤمنين بقوله «منكم» لموضع نطقهم بالإسلام، وجريان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقة. قال ابن

(٣) قال سيبويه في «الكتاب» ١٩٧١: وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام، ثم أنشد البيتين اللذين ذكرهما المصنف. وفي «مجاز القرآن» ١٣١/١: والعرب تلفظ بلفظ الواحد، والمعنى يقع على الجميع.
 قال العباس بن مرداس:

⁽١) البيت لعلقمة بن عبدة وهو في «المفضليات» ٣٩٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٣١، و«الكتاب، ١٠٧/١ وقد تقدم. قال الأعلم: الشاهد فيه وضع الجلد موضع الجلود، لأنه اسم جنس ينوب واحده عن جيمعه فأفرد ضرورة لذلك. وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه، فجيف الحسرى ـ وهي المعيبة من الإبل ـ مستقرة فيه. وقوله: «فأما جلدها المعيبة من الإبل ـ مستقرة فيه. وقوله: «فأما جلدها قصليب» هنا الودك، أي: قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه.

 ⁽۲) «الكتاب» ۱۰۷/۱، وصدره: لا تُنكِرِ القُتْل وقد سبينا. وهو للمسيب بن زيد مناة الغنوي، قال الأعلم: الشاهد فيه وضع «الحلق، كان الحلوق.
 وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه، فيقول: لا تنكروا قتلنا لكم، وقد سبيتم منا، ففي حلوقكم عظم بقتلنا لكم، «وقد شجينا» نحن أيضاً، أي: غصصنا بسبيكم لمن سبيتم منا، وهذا مثل.

فسقط من الأخراب المسلود والمعنى: أطفالاً. وفي «البحر المحيط» ٢٨٨/٣: وجاء مفرداً، إما لأن «الرفيق» مثل الخليط، والصديق يكون للمفرد والمثنى، والمجموع بلفظ واحد، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاءً وبراد به الجمع، ويحسن ذلك هنا كونه فاصلة.

٤) دديوانه، ٧٧، ودمختار الشعر الجاهلي، ٧٧٠، ودمجاز القرآن، ١/ ١٣٧، و«الطبري» ٨/ ٥٣٦، و«اللسان، دئيا، ودنشا، وفي الديوان: وقد أغدر على شرب كرام. والرواية التي استشهد بها المؤلف وغيره هي رواية الأعلم.

⁽٥) الزيادة من الطبري.

جرير: اللام في «لمن» لام تأكيد. قال الزجاج: واللام في «ليبطئن» لام القسم، كقولك: إن منكم لمن أحلف بالله ليبطئن، يقال: «أبطأ الرجل» و«بطؤ». فمعنى «أبطأ»: تأخر، ومعنى «بطؤ»: ثقُل. وقرأ أبو جعفر: (لَيُبْطِئنُ) بتخفيف الهمزة. وفي معنى: «ليبطئن» قولان: أحدهما: ليبطئن هو بنفسه، وهو قول ابن عباس. والثاني: ليبطئن غيره، قاله ابن جريج. قال ابن عباس: و«المصيبة»: النكبة. و«الفضل من الله»: الفتح والغنيمة.

قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَمْ تَكُنُ يَنتَكُمْ وَيَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص، والمفضّل، عن عاصم: «كأن لم تكن» بالناء، لأن الفاعل المسند إليه مؤنّث في اللفظ. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: «يكن» بالباء، لأن التأنيث ليس بحقيقي. قال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: ليقولن يا ليتني كنت معهم، كأن لم يكن بينكم وبينه مودّة، أي: كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم. ويجوز أن يكون هذا الكلام معترضاً به، فيكون المعنى: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم، فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله علي، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. فيكون معنى «المودّة» أي: كأنه لم يعاقدكم على الإيمان (١١).

 اللَّهُ عَلَيْمَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْمَ اللَّهُ اللّلِهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشَرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ يشرون هاهنا: بمعنى يبتغون في قول الجماعة. وأنشدوا: وشـــرَيْــــتُ... بُـــرداً لــــيـــــــــــــي

وِقْبُردٌ: غلام له باعه. ومعنى الآية: ليكن قتال المقائِلينَ على وجه الإخلاص، وطلب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ فَيُغْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ ﴾ خرج مخرج الغالب، وقد يثاب من لم يَغلِب وَلم يُقتل.

﴿ وَمَا لَكُرُ لَا لُقَنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّمَقَمَنِينَ مِنَ الرِّبَالِ وَالنِّسَلَةِ وَالْمِلَدُنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَلاهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِرِ أَهْلُهَا وَآجْمَل لَنَا مِن لَدُنكَ وَلِيَّا وَاجْمَل لَنَا مِن لَدُنكَ نَمِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ السَّمَنَمُنِينَ مِنَ الرِّمَالِ ﴾ قال الفراء: تقديره: وفي المستضعفين. وكذلك روي عن ابن عباس. وقال الزجاج: المستضعفون في موضع خفض، والمعنى في سبيل الله، وسبيل المستضعفون، أي: ما لكم لا تسعون في خلاص هؤلاء؟ قال ابن عباس: وهم ناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا. والقريقة: مكة في قول الجماعة. قال الفراء: وإنما خفض (الظالم) لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمئزلة فعلها، تقول: مررت بالرجل الواسعة داره (١).

قوله تعالى: ﴿ الْحَمْلُ لَنَا مِن لَذَكَ رَبَّا ﴾ قال أبو سليمان: سألوا الله ولياً من عنده يلي إخراجهم منها، ونصيراً يمنعهم من المشركين. قال ابن عباس: فلما فتح رسول الله مكة، جعل الله على النبي على وليهم، واستعمل عليهم رسول الله على عتاب بن أسيد، فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي (٤٠).

﴿ لَذِينَ ءَامَنُوا يُعَنِّيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَنِيلُونَ فِي سَبِيلِ الطُّلغُوتُّ فَقَائِلُواْ أَوْلِيَاتُهُ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ صَبِيغًا ۞﴾

⁽۱) قال ابن حطية: المنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على النزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقاً وشكاً وكفراً بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجيء قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَبِيْنَكُمْ وَيُؤَدُّ ﴾ النفاتة بليغة، واعتراضاً بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبع فعلهم «البحر المحيط» ٢٩٣/٣.

⁽٢) البهت لابن مفرغ، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، شاعر إسلامي، ولقب جده مفرغاً، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه، فشربه حتى فرغ، فلقب مفرغاً، ويتب لابن مفرغ، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، شاعر إسلامي، ولقب جده مفرغاً، والأغاني، ١٨٨/ ١٨٨، والبيت في «مجاز القرآن» ١٨٨/ ٤٨٥، وهالأغاني، ١٨٤/ ١٨٨، والبيت في «مجاز القرآن» ١٨٤/ وهالأغلام وهالأضداده لابن السكيت: ١٨٥، وهالشعر والشعراء، ٣٢١٥/، والكامل: ١٠٧٥/، وهالخزانة، وهالخزانة، والخراب، ٣٢١/، والكامل: ١٠٧٥/، وهالخزانة، ١٨٤/ وهالخزانة، وهالخزانة، وهالخزانة، وهالخزانة، وهالخزانة، وهالخزانة، وهالخزانة، ويوجد في البيار مستوحشاً، فيصلح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم، وهو أبداً مستوحش، ويوجد في الديار المعطلة، ومصادع القتلى والقبور، وإنها لم تزل عند ولد الميت، ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره.

⁽٣) ﴿ معانى القرآن ١ / ٢٧٧.

رع. (٤) قال الحافظ في «الإصابة» ٢/ ٤٤٤: أورده العقيلي في ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده إليه عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس...

قوله تعالى: ﴿ يُمَّيِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّلْعُوتِ ﴾ الطاغوت هاهنا: الشيطان. وقال أبو عبيدة: الطاغوت هاهنا في معنى جماعة، كقوله: ﴿ وَلَكُمَ الْفِنْزِيرِ ﴾ معناه: ولحم الخنازير (١١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ﴾ يعني: مكره وصنيعه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ حيث خذل أصحابه يوم بدر.

﴿ اَلْرَ نَرَ إِلَ الَّذِينَ فِيلَ لَمُمْ كُفُّواً أَيْدِيكُمْ رَأْقِيمُوا الصَّلَوَةَ وَمَاثُواْ الزَّكُونَ فَلَنَا كُيبَ عَلَيْهِمُ الْفِئالُ إِذَا فَإِنَّى مِنهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشَيْهِ اللَّهِ أَوْ اَشَدَّ خَشَيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِرَ كَنْبَتَ عَلَيْنَا الْفِئالَ لَوْلَا الْخَرْنَا إِلَى آخِلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْثُمُ الدُّنَيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِينِ الْفَنَى وَلَا نُطْلَمُونَ فَلِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَرَ ثَرَ إِلَ الَّذِينَ قِلَ هُمْ كُلُوا آيَدِيكُمْ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في نفر من المهاجرين، كانوا يحبون أن يؤذن لهم في قتال المشركين وهم بمكّة قبل أن يُفرّض القتال، فنهوا عن ذلك، فلما أذِنَ لهم فيه، كَرِههُ بعضُهُم. روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس (٢)، وهو قول قتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت واصفة أحوال قوم كانوا في الزمان المتقدّم، فحُدِّرت هذه الأمّة من مثل حالهم، روى هذا المعنى عطية، عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئ إلى قصة الذين قالوا: ابعث لنا مَلِكاً. وقال مجاهد: هي في اليهود. فأما كفُّ اليد، فالمراد به: الامتناع عن القتال، ذلك كان بمكة. وهُرتب بمعنى: قُرض، وذلك بالمدينة، هذا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فِينٌ يَهُمُهُ فِي هذا الفريق ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون. والثاني: أنهم كانوا مؤمنين، فلما فرض القتال، نافقوا جُبناً وخوفاً. والثالث: أنهم مؤمنون غير أن طبائعهم غلبتهم، فنفرت نفوسُهم عن القتال. قوله: ﴿يَغَنَوْنَ النَّاسَ ﴾ في المراد بالناس قولان: أحدهما: كفار مكة. والثاني: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَ خَشَيَةً﴾ قيل: إن «أو» بمعنى الواو، و«كتبت» بمعنى: فرضت. و«لولا» بمعنى «هلاّ». قالن الفراء: إذا لم تر بعدها اسماً، فهي استفهامٌ، بمعنى هلاّ، وإذا رأيث بعدها اسماً مرفوعاً، فهي التي جوابها اللام، تقول: لولا عبد الله لضربتك. وقال ابن قتية: إذا رأيتها بغير جواب، فهي بمعنى «هلاّ» تقول: لولا فعلت كذا، ومثلها «لوما» فإذا رأيت لـ «لولا» جواباً، فليست بمعنى «هلاّ» إنما هي التي تكون لأمر يقعُ بوقوع غيره، كقوله: ﴿ فَلُولا الّهُ كُانُ وَلَا اللهُ عَلَى النّسَيَمِينُ ﴿ لَا لَهُ عَلَى الكلام، وأنشدوا في يَن النّسَيَمِينُ ﴿ لَا لَهُ عَلَى الكلام، وأنشدوا في ذاك.

لسولا السحسيساء وأن رأسسي قسد عسشسا وأما التي بمعنى (هلاً) فأنشدوا منها:

تعدون عقر النبب أفضل مجدِكم

فيه المشيبُ لرُرتُ أمَّ الساسم (٣)

بني ضَوْ طَرى لولا الكَميَّ المقنَّعا(١)

(١) في المجاز القرآن؛ ٧٩/١: ﴿ أُولِيارُهُمُ الطَّاعُوتِ فِي مُوضِعَ جَمِيعٍ ، لقوله: ﴿ يَخْرَجُونَهُم ﴾ .

لسولا السحسيساء وأن رأسسي قسد عسنسا وينكر على من يرويه: (عساة قال: وكيف يعسو الشيب وهو إلى أن يرق في كبر الرجل ويلين، أقرب منه إلى أن يغلظ ويقسو ويصلب.

⁽٢) ذكره الواحدي عن الكلبي، وروى ابن جرير ٨٩٤٨ عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: ﴿إِنّي أمرت بالعقو، فلا تقاتلوا»، فلما حوله الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَرْتُرُ إِلَى اللَّهِ عَبْرَ لُمُ كُفّراً أَيْرِيكُم ۗ الآية. وإسناده جيد، ورواه الحاكم في «المستدرك» مع اختلاف في لفظه، وقال: هلما حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

⁽٣) البيت لمدي بن الرقاع، وهو في فغريب القرآن؛ ص٥٠، وفالشعر والشعراء؛ ٢/٢٠، وفالكامل؛ ١٢٧/١، وفالأغاني؛ ١٢١/٩، وفأمالي المرتضى؛ ١/١١٥، وفالسعط؛ ١/٢١٠، وهذا فيه المشيب: أنسده أشد الإنساد، وهي بالثاء المثلثة، وهي كذلك في فالشعر والشعراء؛ وفاللسان؛. وفي فالسعط؛: علا. وفي فأمالي المرتضى؛: بدا. وفي حاشية أصل المرتضى: فشا. وفي فغريب القرآن؛: عنا. وفي فالأغاني، وفالكامل؛: عسا. قال ابن قتية: وكان بعض الرواة ينشذ بيت عدي بن الرقاع:

⁽³⁾ البيت لجرير بن عطية، ونسبه بعضهم للأشهب بن رميلة، وهو خطأ، وهو في ديوان جرير: ٣٣٨، و«النقائض» ٨٣٣، من قصيدة طويلة في مناقضة جرير والمرزدق، وامجاز القرآن، ٢/١٥، و«شرح المفصل» ١٤٤/، و «المخزانة» ١/٤٦١، ورواية «الديوان والنقائض»: «أفضل سعيكم». وقوله: «مقر النيب» عقر الناقة أو الفرس: ضرب قوائمها فقطعها، والعرب تفعل ذلك إذا أرادوا نحر البعير كيلا يشرد عند النحر. والنيب، جمع ناب: وهي الناقة المسنة. ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معاقرة أبيه غالب بن صعصعة، وسحيم بن وثيل الرياحي بمكان يقال له: صوفر، فعقر »

أراد: فهلاً تعدون الكمي، والكمي: الداخل في السّلاح. وفي الأجل القريب قولان: أحدهما: أنه الموت، فكأنهم قالوا: هلاّ تركتنا نموت موتاً، وعافيتنا من القتل، هذا قول السدي، ومقاتل. والثاني: أنه إمهال زمان، فكأنهم قالوا: هلاّ أخرت فرض الجهاد عنّا قليلاً حتى نكثر ونقوى، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ مَنْهُ الدُّنَّا قَلِلُّ ﴾ أي: مدّة الحياة فيها قليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُظْلَمُونُ فَئِيلًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ولا يظلمونُ بالياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: بالتاء، وقد سبق ذكر المتاع والفتيل.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنُمْ فِي بُوْجِ مُشَيَّدَةً وَإِن تُصِبَهُمْ حَسَنَةٌ يَتُولُوا هَذِيهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّعَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ. مِنْ عِندِكُ قُلْ كُلُّ مِنْ عِندِ اللَّهِ فَلَالِهَ الْفَوْمِ لَا بَكَادُونَ يَنْقَهُونَ حَدِيثًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن المنافقين قالوا في حقّ شهداء أُحُد: لو كانوا عندنا ما ماتوا، وما قتلوا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، ومقاتل. والبروج: الحصون، قاله ابن عباس^(۱)، وابن قتية. وفي «المشيّدة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الحصينة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المطولة، قاله أبو مالك، ومقاتل، وابن قتيبة. والثالث: المجصصة، قاله هلال بن خبّاب، واليزيدي. والرابع: أنها المبنيّة بالشّيد، وهو الجص، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها بروج في السماء، قاله الربيع بن أنس، والثوري. وقال السدّي: هي قصور بيض في السماء مبنيّة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن نُمِنْهُمْ﴾ اختلفوا فيهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون واليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله الحسن. والثالث: اليهود، قاله ابن السري. وفي الحسنة والسيئة قولان: أحدهما: أن الحسنة; الفتح الحسنة; الخصب، والمطر. والسيئة: الجدب، والغلاء، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن الحسنة: الفتح والغنيمة، والسيئة: الهزيمة والجراح، ونحو ذلك، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وفي قوله: ﴿وَينْ عِندِكُ ﴾ قولان: أحدهما: بشؤمِك، قاله ابن عباس. والثاني: بسوء تدبيرك، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَلْ كُلُّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: الحسنة والسيئة، أما الحسنة، فأنعم بها عليك، وأما السيئة، فابتلاك بها.

قوله تعالى: ﴿فَالِهَ خَوْلَاهُ الْقَوْمِ ﴾ وقف أبو عمرو، والكسائي على الألف من افما، في قوله: ﴿فَالِهَ خَوْلَاهُ اللَّوْمِ ﴾ و﴿مَالِهُ خَوْلَاهُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ وَالْمَا لَلْذِينَ كَفُرُوا ﴾ والباقون وقفوا على اللام. فأما الحديث، فقيل: هو القرآن، فكأنّه قال: لا يفقهون القرآن، فيؤمنون به، ويعلمون أن الكل من عند الله.

﴿ أَمَا أَصَالِكَ مِنْ حَسَنَوْ فِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَالِكَ مِن سَيِّنَتُو فِين نَفْسِكُ وَأَرْسَلَنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُفَى بِاللَّهِ ضَهِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَ أَصَابُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فِنَ اللهِ ﴾ في المخاطب بهنا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، فتقديره: ما أصابك أيها الإنسان، قاله قتادة. والثاني: أنه خطاب للنبي هي والمراد به غيره، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: ما أصابك الله من حسنة، وما أصابك الله به من سيئة، فالفعلان يرجعان إلى الله في. وفي «الحسنة» و«السيئة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحسنة: ما فتح عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثاني: الحسنة: الطاعة، والسيئة، البلية، قاله ابن والثاني: الحسنة: النعمة، والسيئة، البلية، قاله ابن قيبة، وعن أبي العالية نحوه، وهو أصح، لأن الآية عامة. وروى كرداب، عن يعقوب: «مَا أَصَابُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنُ الله وقية، وعن أبي العالية نحوه، وهو أصح، لأن الآية عامة. وروى كرداب، عن يعقوب: «مَا أَصَابُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنُ الله

سحيم خمساً وأمسك وعقر غالب مئة أو متنين. قال ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ١١٤: وفي حديث ابن عباس: «لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا أمن أن يكون مما أهل به لغير الله هو عقرهم الإبل، كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيمقر هذا إبلاً، ويمقر هذا إبلاً حتى يعجز أحدهما الأخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعة وتفاخراً، ولا يقصدون به وجه الله، فشبهه بما ذبح لغير الله. وقوله: «بني ضوطرى» يعني: يا بني الحمقى، قال في «اللسان»: ويقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناه: «بنو ضوطرى». الكمي: الشجاع الذي لا يرهب، فلا يحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. والمقتع: الذي على رأسه البيضة والمنفر، ومعنى «تعدون»: تجعلون وتحسبون، ولهذا عداء إلى مفعولين.

⁽١) ذكره الواحدي من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

بتشديد النون، ورفعها، ونصب الميم، وخفض اسم «الله» ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن مَيِّتَوْ فِن نَفْسِكُ بنصب الميم، ورفع السين (١٠). وقرأ ابن عباس: وما أصابك من سيئة، فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك، وقرأ ابن مسعود: وأنا عددتها عليك (٢٠).

قوله تعالى: ﴿فَين نَفْسِكُ﴾ أي: فبذنبك، قاله الحسن، وقتادة، والجماعة. وذكر فيه ابن الأنباري وجهاً آخر، فقال: المعنى: أفمن نفسك، فأضمرت ألف الاستفهام، كما أضمرت في قوله ﴿وَتِلْكَ شِمَةٌ﴾ أي: أو تلك نعمة^٣).

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَتُكُ لِلنّايِنِ رَسُولُكُ قَالَ الزجاج: ذكر الرسول مؤكّد لقوله: ﴿ وَأَرْسَلَتُكُ ﴾ والباء في «بالله» مؤكّدة. والمعنى: وكفي بالله شهيداً. و«شهيداً»: منصوب على التمييز، لأنك إذا قلت: كفي بالله، ولم تبيّن في أي شيء الكفاية كنت مبهماً. وفي المراد بشهادة الله هاهنا ثلاثة أقوال: أحلها: شهيداً لك بأنك رسوله، قاله مقاتل. والثاني: على مقالتهم، قاله ابن السائب. والثالث: لك بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب والنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف عاب الله هؤلاء حين قالوا: إن الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي على، وردّ عليهم بقوله: ﴿ فَلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ عَلَى عاب الله هؤلاء حين قالوا: إن الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي على، وردّ عليهم بقوله: ﴿ فَلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ الله عَلَا القوم إلا هكذا؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم أضافوا السيئة إلى النبي على تشاؤماً به، فرّد عليهم، فقال: كل بتقدير الله. ثم قال: ما أصابك من سيئة، فبذنبك، وإن كان الكل من الله تقديراً. والثاني: أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدّ، تقديره: فمن اله ويكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من سيئة، فمن نفسك. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدّر في القرآن أصابك من سيئة، فمن نفسك. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدّر في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿ زَبّنَا لَقَبْلُ مِنْ أَلَى السَوَدَة وَجُومُهُمُ مَ أَكَثَرُهُ وَلَنْ الله وَيْ يُعِرِ الله المهم. ومثله ﴿ أَوْ يُعِدَ أَذَى يَن تَأْمِوهُ المعمدوف المقدّر عن القرآن فعله المعمد ومثله ﴿ أَوْ يُعِدَ أَنْ مَنْ يُلِهُ اللّهِ المعمدوف المقدّر على المعرف ومثله ﴿ أَوْ يُعِدُ الله مَنْ الله مَنْ الله المعمدوف المقدّر على المعرف ومثله ﴿ أَنْ اللّه رَبّع الله المعرف ومثله ﴿ وَالله الله المعرف الله المعدوف المقدّر على الله المعاني المعاني المعاني المعاني ومثله ﴿ وَالله الله المعرف الله المعرف المعاني ومثله ﴿ وَالله الله المعاني والمعدوف المعدوف الله الله المعرف الله أَنْ يُلِمُ الله المعرف الله المعرف الله المعرف الله المعرف الله المعرف الله المعرف المعاني والمعدوف المعرف الله ﴿ وَالله الله الله المعرف الله المعرف الله المعرف المعاني والمعدوف المعرف المعرف الله المعرف الله المعرف المعرف

فَــــَـــوْنَ تُــصَــادِفُــه أيــنــمــا(١)

فإنَّ المنبَّة مَنْ يخشَها

أراد: أينما ذهب. وقال غيره:

مسواكَ ولكن لم نجد لَك مَذْفعا^(ه)

ف السسم لسو شيءٌ اتبانا رسوله أراد: لرددناه.

﴿ مَن يُعِلِمِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَلَمَاعَ اللَّهُ وَمَن تَوَلَّى فَمَا ۚ ٱرْسَلَنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۞﴾

(٣) في «البحر المحيط»: والعرب تحدّف ألف الاستفهام، قال أبو خراش:

رفوني وقيالوا يها خسويها مدام تسرع في قيان الشارح: وقوني: أي سكنوني وكان أصلها: وقوني، قال أبو سعيد: وأهل الحجاز يهمزون، فترك الهمزة، قلت: وفي «البحر المحيط»: «رموني» وهو تحريف.

(٤) • همشكل القرآن؛ ١٦٨، وفأدب الكاتب: ١٨٣، وفالمعاني الكبير؟ ٢/ ١٣٦٤، وهو من قِصيدة له في فمختارات ابن الشجري؛ ١٩، وقبل هذا البيت قوله:

(ه) البيت لأمرئ القيس، وهو في «ديوانه: ٢٤٧ وفيه «أجدّك» قال شارح الديوان: وقوله: «لو شيء» يريد لو أحد، وليس لـ «لو، هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْ تُرْمَانًا شَيْرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. فيقول: لو أحد أنانا رسوله لما أجبناه، ولكنا لم ندفعك عن ذلك.

⁽١) في اللبحر المحيط؛ ٣/ ٣٠٣: وقرأت عائشة ﷺ: فمن نفسك، بفتح الميم ورفع السين، فمن: استفهام معناه الإنكار، أي: فمن نفسك حتى ينسب إليها، المعنى: ما للنفس في الشيء فعل.

قوله تعالى: ﴿ نَن يُطِع الرَّسُولَ فَقَدَ أَطَاعَ اللَّهُ ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني، فقد أطاع الله (١)، ومن أحبني، فقد أحب الله فقال المنافقون: لقد قارب هذا الرجل الشرك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: من قبل ما أتى به الرسول، فإنما قبل ما أمر الله به، ومن تولّى، أي: أعرض عن طاعته. وفي «الحفيظ» قولان: أحدهما: أنه الرّقيب، قاله ابن عباس. والثاني: المحاسب، قاله السدي، وابن قيبة.

فصل

قال المفسّرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السيف.

﴿ وَبَقُولُوكَ مَاعَةً فَإِذَا بَرَزُواْ مِنَ عِندِكَ بَيْتَ طَآمِنَةً مِنهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْضِ عَنهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ وَكِيلًا ﴾ اللّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَثُولُوكَ طَاعَةٌ ﴾ نزلت في المنافقين، كانوا يؤمنون عند رسول الله ﷺ ليأمنوا، فإذا حرجوا خالفوا، هذا قول ابن عباس. قال الفرّاء: والرّفع في «طاعة» على معنى: أمرُك طاعة.

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَابِفَةٌ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة: بيت، بسكون «التاء»، وإدغامها في «الطاء» ونصب الباقون «التاء». قال أبو علي: التاء والطاء والدال من حيز واحد، فحسن الإدغام، ومن بين، فلانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين. قال ابن قتيبة: والمعنى [فإذا برزوا من عندك، أي: خرجوا، بيت طائفة منهم غير الذي تقول، أي] (٢) قالوا: وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهاراً. قال الشاعر:

أتسونسي فسلسم أرض مسا بسيَّستسوا وكسانسوا أتسونسي بسشسيء نُسكُسرُ^(٣) والعرب تقول: هذا أمر قد قُدُّر بليل [وفرغ منه بليل، ومنه قول الحارث بن حِلَّزة:

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء]()

أجسمعوا أمرهم عسشاة فسلسما

قاتلك الله عبيداً كيف وراً (٥)

وسيَّتَ قولِيَ عند السمليك

وفي قوله: ﴿غَيْرَ أَلَٰذِى تَقُولُ ﴾ قولان: أحدهما: غير الذي تقول الطائفة عندك، وهو قول ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: غير الذي تقول أنت يا محمد، وهو قول قتادة، والسدى.

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَكُنُّهُ مَا يُبَيِّدُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يكتب في الأعمال التي تثبتها الملائكة، قاله مقاتل في آخرين، والثاني: ينزله إليك في كتابه، والثالث: يحفظه عليهم ليجازوا به، ذكر القولين الزجاج، قال ابن عباس: فأعرض عنهم: فلا تعاقبهم، وثن بالله ﷺ، وكفى بالله ثقة لك. قال: ثم نسخ هذا الإعراض، وأمر بقتالهم، فإن قيل: ما الحكمة في أنه ابتدأ بذكرهم جملة، ثم قال: ﴿بَيَّتَ طَآبِفَةٌ ﴾ والكل منافقون؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما أهل التفسير: أحلهما: أنه أخبر عمن سهر ليله، ودبًّر أمره منهم دون غيره منهم. والثاني: أنه ذكر من علم أنه يبقى على نفاقه دون من علم أنه يرجع.

 ⁽١) قول الرسول ﷺ: همن أطاعني فقد أطاع الله، رواه البخاري ٩٩/١٣، ومسلم ٩/٢٤٦٦ عن أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ في «الفتح»: قوله: همن أطاعني فقد أطاع الله»: هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿مَن بُطِع الرَّسُولَ, فَكُذَ أَطْاعَ اللهُّهُ.

⁽۲) الزيادة من «غريب القرآن» ۱۳۱.

 ⁽٣) البيت لعبيدة بن همام، أخو بني العدوية من بني مالك بن حنظلة من بني تميم، وهو في «مجاز القرآن» ١٣٣/، و«غريب القرآن» ١٣٦، و«الكامل»
 ٢٧٩٧/، و«الحيوان» ٤/٣٧٦، و«تفسير الطبري» ٨/٦٣٥. نكر، بضمتين، مثل نكر بضم فسكون: الأمر المنكر الذي تنكره، والبيت يتممه الذي بعده وهو:

لأنسكِ حلى السعدة حسر السحد؟! وقد ذكر الجاحظ في «الحيوان» خبر هذين البيتين في خبر النعمان بن المنذر ومثالبه، وذلك أن أخاه المنذر بن المنذر خطب إلى عبدة بن همام، فرده أقبح الرد، وذكر البيتين.

⁽٤) الزيادة من (غريب القرآن) ١٣١. والبيت في اشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ٤٥٢.

⁽٥) البيت للاسود بن عامر بن جوين الطائي، وهو في اغريب القرآن، ١٣٢، واتفسير الطبري، ٩/١٩٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٩/٥ وفيهما هجد المليك، وفي االطبري، «قاتلك الله عبداً كنوداً».

﴿ أَنْكُ بَنَدَبُرُونَ الْقُرْمَانُ وَلُو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَرَجَدُوا فِيهِ اخْدِلَنَهَا حَجَيْمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَلَا يَتَدَبِّرُونَ ٱلْقُرِّمَانِّ﴾ قال الزجاج: «التدبّر»: النظر في عاقبة الشيء، و«الدّبر» النحل، سُمي دبراً، لأنه يُعْقِبُ ما يُنتفع به، و«الدّبْر»: المال الكثير، سُمى دبراً لكثرته، لأنه يبقى للأعقاب والأدبار. وقال ابن عباس: أفلا يتدبّرون القرآن، فيتفكّرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه. قال ابن قتيبة: والقرآن من قولك: ما قرأت الناقة سلى(١) قط، أي: ما ضمَّت في رحمها ولداً، وأنشد أبو عبيدة:

ر : هِسجسانُ السلّسون لسم تسقسراً جسنسيسنسا(٢)

وإنما شُمي,قرآناً، لأنه جمع السور؛ وضمَها(٣٪..

قُولُه تَعَالَى: ﴿ لَرَجُدُواْ يَهِ ٱخْيِلَانَا كَيْرِاكُ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التناقض، قاله ابن عباس، وابن زيد، والجمهور. والثاني: الكذب، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومرذول، إذ لا بدّ للكلام إذا طال من مرذول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكره الماوردي في جماعة (١٠).

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِو وَإِلَى أَوْلِيَ ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمُّ وَلَوْلَا فَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُكُمُ لَاتَّبَعْتُكُمُ الشَّيْطُانَ إِلَّا فَلِيلًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمُ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلَّقت نساءك؟ قال: ﴿لاً . فخرج فنادى: ألا إن رسول الله لم يطلّق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استنبط الأمر. انفرد بإخراجه مسلم، من حديث ابن عباس، عن عمر (°). والثاني: أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سريّة من السرايا فَغَلَبَتْ أَو غَلِبَت، تحدثوا بذلك، وأفشوه، ولم يصبروا حتى يكون النبي هو المتحدِّث به. فنزلت هذه الآية, رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي المشار إليهم بهذه الآية قولان: أحدهما: أنهم المنافقون. قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أهل النفاق، وضعفة المسلمين، ذكره الزجاج. وفي المراد بالأمن أربعة أقوال: أحدها: فوز السريّة بالظفر والغنيمة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله عليه من الموادعة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمَن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مُخرجاً من حديث عمر. وفي االخوف؛ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النكبة التي تُصيب السريّة، ذكره جماعة من المفسّرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجمعون للنبي ﷺ، فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَذَاعُواْ بِدِّبُ قَالَ ابن قَتِية: أَشَاعُوه. وقال ابن جرير: والهاء عائدة على الأمر ```.

⁽١) ﴿ فِي قَالَلْسَانَهُ السَّلِّي: لَفَافَةِ الولد مِنْ الدوابِ والإبل، وهو مِنْ الناس المشيمة. ﴿ ﴿

صدره: ذراعي عيطل أدماه بكر. والبيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة، وقد انفرد أبو عبيلة يهذه الرواية، انظر فشرح القصائد السبع الجاهليات؛ ٣٨٠. وهو في امجاز القرآن؛ ٢/١ وغريب القرآن: ٣٣ وانفسير الطبري؛ ٩٦/١ واالجمهرة؛ ٢٢٩/١، وااللسان؛ والتاج؛ مادة قرأ. والعيطل: الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن. والأدماء: البيضاء مع سواد المقلتين، ووصفها بأنها بكر، لأن ذلك أحسن لها، وهي في عهدها ذلك ألين وأسمن، وهجان اللون: بيضاء كريمة.

رجح الطبري في «تفسيره ١/ ٩٤/ قول ابن عباس في تأويل «القرآن» بالتلاوة والقراءة. ونقل عنه أنه فسر قول الله تعالى (فإذا قرأناء) أي: بيناه (فاتّبع قرآنه) يقول اعمل به. شم قال: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك بالقراءة.

قال ابن جرير ٨/٥٦٧: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَلَمَّا يُتَدَّبُّونَ النُّومَانَ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك، واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه، والتلاف أحكامه، وتأبيد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عن غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

مسلم ٢/ ١١٠٥ وهو حديث طويل فيه فوائد عظيمة، وتوجيهات ثيمة، فارجع إليه.

في الطبري، ٨/ ٥٦٨ : والهام، في قوله: فأذاعوا به، من ذكر الأمر؛ وتأويله: أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جامهم، يقال منه: فأذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه؛ ومنه قول إني الأسود: بعدارا أوقدت بسنسف فسوب

أذاع بسه فسي السنساس حسنسى كسأتسه

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ عِنْ يَا الْمَر ﴿إِلَى الرَّسُولِ ﴾ حتى يكون هو المخبر به ﴿وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُم ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أبو بكر، وعمر، قاله عكرمة. والثالث: العلماء، قاله الحسن، وقتادة، وابن جريج. والرابع: أمراء السرايا، قاله ابن زيد، ومقاتل. وفي ﴿الَّذِينَ يَستَنُطُونَهُ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الذين يتتبعونه من المذيعين له، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أولو الأمر، قاله ابن زيد. والاستنباط، في اللغة: الاستخراج. قال الزجاج: أصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، يقال من ذلك: قد أنبط فلان في غضراء، أي: استنبط الماء من طين حُرّ. والنبط: سُموا نبطاً، لاستنباطهم ما يخرج من الأرض. قال ابن جرير: ومعنى الآية: وإذا جاءهم خبر عن سريّة للمسلمين بخير أو بشر أفشوه، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وذوو الأمر يتولون الخبر عن شريّة للمسلمين بخير أو بشر أفشوه، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وذوو الأمر يتولون الخبر عن ذلك، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يبطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك من يبحث عنه من أولي الأمر (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَشَلُ اللَّهِ هَلِيَكُمْ ﴾. في المراد بالفضل أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله. والثاني: الإسلام. والثالث: القرآن. والرابع: أولو الأمر. وفي الرحمة أربعة أقوال: أحدها: أنها الموحي. والثاني: اللَّطف. والثالث: النممة. والرابع: التوفيق.

قوله تعالى: ﴿لَأَنْبَعْتُمُ الشَّيَعُلَنَ إِلَّا فَلِيلَا﴾ في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه راجع إلى الإذاعة، فتقديره: أذاعوا به إلا قليلاً. وهذا قول ابن عباس، وابن زيد، واختاره الفراء، وابن جرير^(۲). والثاني: أنه راجع إلى المستنبطين، فتقديره: لَعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، وهذا قول الحسن، وقتادة، وإختاره ابن قتيبة. فعلى هذين القولين، في الآية تقديم وتأخير. والثالث: أنه راجع إلى اتباع الشيطان، فتقديره: لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم، وهذا قول الضحاك، واختاره الزجاج. وقال بعض العلماء: المعنى: لولا فضل الله بإرسال النبي إليكم، لضللتم إلا قليلاً منكم كانوا يستدركون بعقولهم معرفة الله، ويعرفون ضلال مَن يَعبُد غيره، كقس بن ساعدة.

﴿ لَقَائِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلُّفُ إِلَّا نَفْسَكُ وَحَرِضِ النَّذِينَةَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَنَرُواْ وَاللَّهُ أَشَدُ بَاسًا وَأَشَدُ أَنْ يَكُفُّ بَأْسَ الَّذِينَ كَنَرُواْ وَاللَّهُ أَشَدُ بَاسًا وَأَشَدُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ لا تُكلُّفُ إِلَّا نَفْسَكُ ﴾ أي: إلا المجاهدة بنفسك (٣). والجرِّض »: بمعنى حضَّض. قال الزجاج:

⁽۱) نص كلامه في فجامع البيانة ٥٦٨/، ٥٧١، وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا عن عدوهم بغلبتهم إياهم ﴿أَوْ الْمُحْوَفِ﴾ يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم، ﴿أَنَاعُوا بِينَّ يقول: أفشوه ويشوه في الناس قبل رسول الله 数، وقبل ما أتى سرايا رسول الله 数. . . ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله 数، وإلى أولي أمرهم، يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذبعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله 数، أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن تثبت عندهم صحته، أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يبطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه، ويستخرجونه قمنهم عني أولي الأمر، وقالهاء، وقالميم، في قوله قمنهم عن ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستبطه.

 ⁽٢) انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٩، و«جامع البيان» ٨/ ٧٧٥.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: فأما توله ﴿لاَ تُكُلُّتُ إِلاَ نَشَكُ وَإِنه يعني لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك إلا ما حمّلك من ذلك من دون ما حمّل غيرك منه، أي: إنك إنما تتبّع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك. وقال الزجاج: أمره بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه ضمن له النصرة. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عبده ورسوله محملاً ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل فلا عليه منه، ولهلا قال: ﴿لاَ كُلُلُ إِلاَ نَشَكُ ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل أيكون ممن قال الله فبه: ﴿وَلاَ تُلْقُلُ إِلَيْ اللّهِ اللّهِ ﴾ قال: قد قال الله تعالى: ﴿ فَنَشِلُ إِنْ سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكُلُّتُ إِلاَ نَشَكُ وَمَعِنِ اللّهِ بِينَ اللّهِ بِعَدْ وواه الإمام أحمد عن أبي إسحاق، قال: لا، إن الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿ فَقَيْلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكُلُّتُ إِلاَ الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿ وَاللّهُ بِعَلْ مِنْ النّهِ المُعْلِقُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وقال: ﴿ وَاللّهُ وَلا كُلُكُ اللّهُ وَاللّهُ وقال: وقال: وألله وقال: وقال: وقد الهاشمي وهو ثقة.

ومعنى «عسى» في اللغة: معنى الطمع والإشفاق. والإطماع من الله واجب. و«البأس»: الشدّة. وقال ابن عباس: والله أشدّ عذاباً. قال قتادة: و«التنكيل»: العقوبة.

وذي ضِغْنِ كَفَفْتُ النَّفس عنه وكنتُ على مساءته مُقيتاً(١)

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، وابن جرير، والسدي، وابن زيد، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والخطّابي. والثاني: أنه الحفيظ، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال: هو بالحفيظ أشبه، لأنه مشتق من القوت، يقال: قُتُ الرجل أقوته قوتاً: إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته. والقوت: اسم الشيء اللي يحفظ نفسه [ولا فضل فيه على قدر الحفظ]، فمعنى المقيت: الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ. قال الشاعر:

السيّ السفَسِطُ لُمْ عسلسيّ إذا حُسو مسبْتُ إنّى عملى الحساب مُقيتُ (٢)

والثالث: أنه الشهيد، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد، واختاره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أنه الحسيب، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: الرقيب، رواه أبو شيبة عن عطاء. والسادس: الدائم، رواه ابن جريج عن عبد الله بن كثير. والسابع: أنه معطي القوت، قاله مقاتل بن سليمان. وقال الخطّاب: المقيت يكون بمعنى معطي القوت، قال الفراء: يقال: قاته وأقاته.

﴿ وَإِذَا حُبِينُم بِنَجِيَةُ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۚ أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ حَبِيبًا ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُبِينُم بِنَجِيَّةِ ﴾ في التحيّة قولان: أحدهما: أنها السلام، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني:

⁽۱) «غريب القرآن؟ ۱۳۲، واتفسير الطبري؟ ٩/٥٠، و«اللسان؟ مادة: قوت، و«الجمهرة» ٣٦/٢، ونسبوه للزبير بن عبد المطلب. قال الاستاذ محمود شاكر: لم أجده للزبير، بل وجدته لأبي قيس بن رفاعة، مرفوع القافية في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: ٢٤٣، وفي «الطبقات»: بعد أن ذكر تخريج البيت: وروايتهم «مقيتاً» وهو خطأ، ورواه ابن الشجري: «وإني في مساءته مقيت» والرفع في رواية ابن سلام وجه عربي صحيح، انظر ابن مالك في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامم الصحيح» ٢٤/٤، وتأويل البيت «وكنته على مساءته مقيت» فحذف خبر كان، لأنه ضمير متصلاً، ويستغنى عنه بنية الفسير، يعني: وكنت ذا ضغن مثله وأنا على مساءته مقيت. ومقيت: مقتدر، من قولهم: أقات على الشيء: اقتدر عليه وأطاقه.

 ⁽۲) البيت للسموأل بن عادياء، وهو في المجاز القرآن، ١/ ١٣٥، و والأصمعيات، ٨٥، واطبقات فحول الشعراء، ٢٣٧، واغريب القرآن، ١٣٣، واللسان، ٢٥/٧، وقبله:

لسيست شسعسري! وأشسعسريًا فاسسعسريًا أذا مسا قسريستُ وقد الله المنتقام، يقول: وهل أشعرن. وقوله: «قربوها منشورة يعني وقوله: «ليت شعري» أي: ليت لي علماً حاضراً يعيط بما سوف يكون. وأشعرن: استفهام، يقول: وهل أشعرن. وقوله: «قربوها منشورة يعني صحف أعماله يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفي «الصحاح»: المقيت: الحافظ للشيء والشاهد له. أي: أعرف ما عملت من السوء، لأن الإنسان على نفسه بصيرة.

الدّعاء، ذكره ابن جرير، والماوردي. فأما «أحسن منها» فهو الزيادة عليها، وردها؛ قول مثلها. قال الحسن: إذا قال أخوك المسلم: السلام عليكم، فرد السلام، وزد: ورحمة الله. أو رُدّ ما قال ولا تزد. وقال الضحاك: إذا قال: السلام عليك، قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله ولا منهى السلام. وقال قتادة: بأحسن منها للمسلم، أو ردّوها على أهل الكتاب.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوٌّ لِيَجْمَعَنَّكُمُ إِلَى يَوْرِ الْقِيَنَمَةِ لَا رَبِّبَ فِيدُّ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا مُوَّ﴾ قال مقاتل: نزلت في الذين شكّوا في البعث. قال الزجاج: واللام في «لَيجمعنكم» لام القسم، كقولك: والله ليجمعتكم، قال: وجائِز أن تكون سُميت القيامة، لقيام الناس من قبورهم، وجائِز أن تكون، لقيامهم للحساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ إنما وصف نفسه بهذا، لأن جميع الخلق يجوز عليهم الكذب، ويستحيل في حقه.

﴿ لَهُ فَمَا لَكُرْ فِى النَّكُونِينَ فِتَنَيْنِ وَاللَّهُ أَزْكَتَهُم بِمَا كُشَبُوا ۚ أَثْرِيدُونَ أَن تَهَـدُوا مَنْ آضَلَ اللَّهُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِمَدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُو فِي النَّيْفِينَ فِتَكَيّنِ ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وياء بالمدينة وجماها، فخرجوا فاستقبلهم نفر من المسلمين، فقالوا: مالكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتويناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: ناققوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه (١٠). والثاني: أن رسول الله الله المنتجج إلى أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه، فانترق فيهم أصحاب رسول الله، ففرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا نقتلهم، فنزلت هذه الآية، هذا في «الصحيحين» من قول زيد بن ثابت (١٠). والثالث: أن قوماً كانوا بمكة تكلموا بالإسلام وكانوا يعاونون المشركين، فخرجوا من مكة للحاجة لهم، فقال قوم من المسلمين: اخرجوا إليهم، فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عدوّكم. وقال قوم: كيف نقتلهم وقد تكلموا بمثل ما تكلمنا به؟ فنزلت هذه الآية، رواه عطية، عن ابن عباس (١٠). والمرابع: أن قوماً قدموا المدينة، فأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة، فأظهروا الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، ومجاهد، والشاهس: أن قوماً علنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية، وهذا قول الضحاك. والسادس: أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصابتنا أوجاع في المدينة، فلعلنا نخرج أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصابتنا أوجاع في المدينة، فلعلنا نخرج فنتماثل، فإنا كنا أصحاب بادية، فانطلقوا واختلف فيهم أصحاب رسول الله على، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي. والسابع: أنها نزلت في شأن ابن أبيّ حين تكلّم في عائشة بما تكلّم، وهذا قول ابن زيد (١٠).

· وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُرُ﴾ خطاب للمؤمنين. والمعنى: أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟ والفئة؛ الفرقة.

⁽۱) «المسنده ۱۳۱/۳ وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ۷/۷ عن أحمد وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، قلت: ولم يصرح ابن إسحاق بالتحديث، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ۷۱، وقال: في إسناده تدليس وانقطاع. وقال الحافظ في «الفتح»: وفي سبب نزولها قول آخره أخرجه أحمد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، وذكر الحديث، ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاثم من وجه آخر عن أبي ملمة مرسلاً، فإن كان محفوظاً، احتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعاً. وقوله «اجتريناها» أي أصابنا الجوى، وهو المرض وهاء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، ويقال: اجتريت البلد: إذا كرهت المقام فيها وإن كنت في نعمة، قاله في «النهاية».

⁽٢) • المسندة ٥/ ١٨٤٤، والبخاري ١٩٣/٨ ومسلم ١٩٣/٨. قال الحافظ في «الفتح»: وهذا هو الصحيح في سبب نزولها. وفي «الفتح»: وقوله «رجع ناس ممن خرج معه» يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، وقد ورد ذلك صويحاً في رواية موسى بن عقبة في «المغازي»، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأيه النبي على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج، وأجابهم النبي على فخرج، قال عبد الله بن أبي: أطاعهم وعصائي، علام نقتل أنغسنا؟ فرجع بثلث الناس. قال ابن إسحاق في رواية: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر، وكان خزرجياً كمبد الله بن أبي، فناشدهم أن يرجعوا فأبوا، فقال: أبعدكم الله .

⁽٣) ابن جرير ٩/ ١٠، وابن أبي حاتم من طريق العوفي، وإستاده ضعيف جداً.

⁽٤) ابن جرير ١٣/٩. وقوّى قول من قال: إنها نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم من أهل مكة.

وفي معنى «أركسهم» أربعة أقوال: أحدها: ردّهم، رواه عطاء، عن ابن عباس، قال ابن قتيبة: ركست الشيء، وأركسته: لغتان، أي: نكسهم وردهم في كفرهم (١)، وهذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أوقعهم، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثالث: أهلكهم، قاله قتادة. والرابع: أضلّهم، قاله السدّي. فأما الذي كسبوا، فهو كفرهم، وارتدادهم. قال أبو سليمان: إنما قال: أتريدون أن تهدوا مَن أضل الله، لأن قوماً من المؤمنين قالوا: إخواننا، وتكلموا بكلمتنا.

قوله تعالى: ﴿ قُلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الحجة، قاله الزجاج. والثاني: إلى الهدى، قاله أبو سليمان الدمشقى.

﴿ وَدُوا لَوَ تَكُفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآةً فَلَا تَشْخِدُوا مِنْهُمْ آوَلِيَّةً حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن قَوَلُوا فَخُذُوهُمْ وَافْتُنْلُوهُمْ حَيْثُ وَبَدَنْنُوهُمْ وَلَا لَنَجْوَدُوا بِيَهُمْ وَلِيَنَا وَلَا نَصِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُوا لَوْ تَكُفُرُونَ كُما كَنَرُوا ﴾ أخبر الله ﴿ المؤمنين بما في ضمائِر تلك الطائِفة، لئلا يحسنوا الظن بهم، ولا يجادلوا عنهم، وليعتقدوا عداوتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا لَتَاخِدُوا مِنْهُمُ أَوْلِيَا ﴾ أي: لا توالوهم فإنهم أعداء لكم ﴿ عَنَى بُهَاجِرُوا ﴾ أي: يرجعوا إلى النبي ﷺ. قال ابن عباس: فإن تولوا عن الهجرة والتوحيد، ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ أي: السروهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم في الرجل والحرم (٢).

فصل

قال القاضي أبو يعلى: كانت الهجرة فرضاً إلى أن فتحت مكة. وقال الحسن: فرض الهجرة باق، واعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب: من تجب عليه، وهو الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب، خوفاً على نفسه، وهو قادرٌ على الهجرة، فتجب عليه لقوله: ﴿ آلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَسِمَةٌ فَلْهَ عِرُوا فِيهً ﴾ والثاني: من لا تجب عليه بل تستحب له، وهو من كان قادراً على إظهار دينه في دار الحرب. والثالث: من لا تستحب له، وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ولا على الحركة كالشيخ الفاني والزّمن فلم تستحب له للحوق المشقة.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَرْمِ بَيْنَكُمْ وَيَنْتُهُم يَيْنَتُمْ وَيَنْتُهُمْ يَيْنَقُ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَايِلُوكُمْ أَوْ يُقَايِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَّطُهُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۞﴾ عَلَيْكُرْ فَلَقَنْلُوكُمْ فَانِ الْقَائِلُوكُمْ فَانَمْ يُقَايِلُوكُمْ وَالْقَوْا إِلِيْكُمُ السَّلَمَ فَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُوْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَعِلُونَ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة. وفي اليصلون، قولان: أحلهما: أنه بمعنى يتّصلون ويلجؤون. قال ابن عباس: كان هلال بن عويمر الأسلمي وادّع رسول الله ﷺ على أن لا يُعينه ولا يُعين عليه. فكان من وصل إلى هلال من قومه وغيرهم، فلهم من الجوار مثل ما لهلال(٣). والثاني: أنه بمعنى ينتسبون، قاله ابن قتيبة، وأنشد:

إذا اتَّـصلَتْ قالتْ أبكر بن واثل الله الله الله ويكر سَبَتْ هما والأنسوف رواغم (١٠)

⁽١) نص كلام ابن ثنية في غريب القرآن؛ ١٣٣ : ﴿وَاللَّهُ أَرْكَتُهُم﴾ أي: نكسهم وردّهم في كفرهم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود فركسّهم، وهما لغتان: ركست الشيء وأركسته.

⁽٢) في العقب ٣ (٢٨١ : دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشتهرين بالزندقة والإلحاد، وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَلَى أَنَهُ لَا يَجُوزُ مُوالاة المستحنة: ١] والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين، لأن ذلك هو الأمر الذي يتقرب به إلى الله تعالى، ويتوصل به إلى طلب السعادة في الأخرة، وإذا كان كذلك، كانت المداوة الحاصلة بسببه أعظم أنواع المداوة، وإذا كان كذلك، امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات المداوة حاصلاً فيه.

 ⁽٦) قال ابن كثير رحمه الله: ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ بَسِيلُونَ إِلَا فَرَم بِيَّتُكُم وَيَتَهُم بِيَّتُنَ ﴾ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيُّزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة، أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم، وهذا قول السدي، وابن زيد، وابن جرير. وانظر تفصيل القول في «المغني» ١٠/ ١٥٠ وفيل الأوطار؟ ٨/١٧٦.

⁽٤) البيت للأعشى وهو في قديوانه؛ ص ٨١، وقمجاز القرآن؛ ١٣٦/١، وقفريب القرآن؛ ١٢٣، وقنفسير الطبري؛ ٢٠/٩، وقالناسخ والمنسوخ؛ للنحاس ١٠٩ =

41.

يريد: إذا انتسبت، قالت: أبكراً، أي: يا آل بكر. وفي القوم المذكورين أربعة أقوال: أحدها: أنهم بنو بكر بن زيد مناق، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم بنو مدلج، قاله الحسن^(۱). والرابع: خزاعة وبنو مدلج، قاله مقاتل. قال ابن عباس: «والميثاق»: العهد.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمُ ۚ فِيهِ قُولان: أحدهما: أن معناه: أو يصلون إلى قوم جاؤوكم، قاله الزجاج في جماعة. والثاني: أنه يعود إلى المطلوبين للقتل، فتقديره: أو رجعوا فدخلوا فيكم، وهو بمعنى قول السدي.

قوله تعالى: ﴿ حَصِرَتَ صُدُورُهُم ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه إضمار "قد". والثاني: أنه خبر بعد خبر، فقوله: ﴿ حَاءُوكُم ﴾ خبر قد تم، و﴿ حَصِرَت ﴾: خبر مستأنف، حكاهما الزجاج. وقرأ الحسن، ويعقوب، والمفضل، عن عاصم: "حَصِرة صُدُورُهُم على الحال. و"حصرت ان ضاقت، ومعنى الكلام: ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي عاصم: "وينهم، أو يقاتلوا قومهم، يعني قريشاً. قال مجاهد: هلال بن عويمر هو الذي حصِر صَدرُه أن يقاتلكم، أو يقاتل قومه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَطُهُمْ عَلَيْكُرُ ﴾ قال الزجاج: أخبر أنه إنما كفّهم بالرعب الذي قذف في قلوبهم. وفي «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله الحسن. والثاني: الصّلح، قاله الربيع. ومقاتل.

فصل

قال جماعة من المفسّرين: معاهدة المشركين وموادعتهم المذكورة في هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال القاضي أبو يعلى: لما أعزّ الله الإسلام أمروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف(٢).

وفي المحيح البخاري، في قصة صلح الحديبية: فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد على وأصحابه وعهدهم.

من قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني. قال في «اللسان» اتصلت: انتسبت، وفسرها شارح شعر الأعشى: إذا دعت: يعني بدعوى الجاهلية، وهو الاعتزاء. يقول: تدعى إليهم وتنتسب، وهي من إمائهم اللواني سبين وقد رضت أنوفهن وأنوف رجالهن الذين كانوا يدافعون عنهن، ثم انهزموا عنهن وتركوهن للسباء. قلت: وما جرى عليه ابن قتيبة في تفسير هذه الآية سبقه إليه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١٣٦/ وتعقبهما النحاس بقوله في «الناسخ والمنسوخ» ١٠٥ : وهذا خلط عظيم، لأنه يذهب إلى أن الله تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهل الاحتجاج بأن ذلك كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له (براءة)، وإنما نزلت (براءة) بعد الفتح وبعد أن انقطمت الحروب، وإنما يؤتى هذا من الجهل بقول أهل التفسير، والاجتزاء على كتاب الله، وحمله على المعقول من غير علم بأقاويل المتقدمين. والتقدير على قول أهل التأويل: فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أولئك خير علم بأقاويل المتقدمين. والتقدير على قول أهل التأويل: فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أولئك خزاعة صالحهم النبي على على أنهم لا يقاتلون، وأعطاهم الزمام والأمان، ومن وصل إليهم، فدخل في الصلح معهم، كان حكمه كحكمهم خُتُونَمُ عَورتُ مُؤلِّمُ مُؤلِّمُ عَصِرتُ صدورهم أن يقاتلوا المسلمين، أو يقاتلوا قومهم بني مدلج. وحصوته: خبر بعد خبر.

⁽۱) قال ابن كثير ۱٬۳۳۱ : وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن أن سراقة بن مالك المدجلي حدثهم، قال: لما ظهر يعني النبي ﷺ على أهل بدر وأحد، وأسلم من حولهم، قال سراقة بلغني أنه يريد أن يعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتبته فقلت: أنشدك النعمة. فقالوا: صَة، فقال النبي ﷺ : «دعوه ما تريد؟» قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا، لم تخشن قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد، فقال: «أذهب معه فافعل ما يريد»، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا، فأنزل الله ﴿وَنُوا لَوْ تَكُمُّرُونَ كُمُا لَكُولُ لَتَكُولُونَ سَرَاتُهُ فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم. قلت: والحسن لم يسمع من سراقة، وعلي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

⁽٢) قال الخرقي: ولا تقبل الجزية إلا من يهودي أو نصراني أو مجوسي إذا كانوا مقيمين على ما عوهدوا عليه، ومن سواهم فالإسلام أو القتل. قال في المغني، ١٠ / ٧٣٠: يعني من سوى اليهود والنصارى والمجوس لا تقبل منهم الجزية، ولا يقرّون بها، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن لم يسلموا قتلوا، هذا ظاهر مذهب أحمد، وروي عن الحسن بن ثواب أنها تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب، لأن حديث بويدة يدل بعمومه على قبول الجزية من كل كافر إلا أنه خرج منه عبدة الأوثان من العرب لتغلظ كفرهم من وجهين: أحدهما: دينهم، والخاني: كونهم من وهط النبي ﷺ. وفي فنيل الأوطار، ٨ / ٥٣، وقوله: قسلهم الجزية، ظاهره عدم الفرق بين الكافر العجمي والعربي، والكتابي وغير الكتابي، وإلى ذلك ذهب مالك، والأوزاعي، وجماعة من أهل العلم.

﴿ مَسَتَجِدُونَ مَاخَرِينَ بُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا فَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوًا إِلَى اَلْفِنْدَةِ أَنْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَمْ يَشْزَلُوكُمْ وَيُلْقُوا الْبَكُرُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ اَيْدِيَهُمْ فَخُذُومُمْ وَافْلُلُومُمْ حَيْثُ ثَوْفَتُمُوهُمْ وَأُولَتِهِكُمْ جَمَلُنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ شَلْعَلَنَا مُبِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَتَعِوْدُونَ مَاخَرِينَ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أسد وغطفان، كانوا قد تكلموا بالإسلام ليأمنوا المؤمنين بكلمتهم، ويأمنوا قومهم بكفرهم، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في بني عبد الدار، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم أرادوا أخذ الأمان من النبي عليه، وقالوا: لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، قاله قتادة. والرابع: أنها نزلت في نُعيم بن مسعود الأشجعي، كان يأمن في المسلمين والمشركين، فينقل الحديث بين النبي عليه وبينهم، ثم أسلم نُعيم، هذا قول السدي. ومعنى الآية: ستجدون قوماً يظهرون الموافقة لكم ولقومهم، ليأمنوا الفريقين، كلما دعوا إلى الشرك، عادوا فيه، فإن لم يعتزلوكم في القتال، ويلقوا إليكم الصلح، ويكفّوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم، أي: انسروهم، واقتلوهم حيث أدركتموهم، وأولائكم جعلنا لكم عليهم حجة بيّنة في قتلهم.

فصل

قال أهل التفسير: والكف عن هؤلاء المذكورين في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿ وَمَا كَاكَ لِمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَا خَطَنَا وَمَن قُنْلَ مُؤْمِنًا خَطَنَا فَتَعْرِرُ رَفَبَةِ مُؤْمِنَةِ وَدِيَةً مُسَلَّمَةً إِلَّهَ أَهْلِهِ إِلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَمْدَ مُؤْمِنُ وَمُو مُؤْمِنُ فَتَعْرِرُ رَفَبَةٍ مُؤْمِنَةً وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم فِينَتُ فَوَ مُؤْمِنُ فَعَى مُؤْمِنُ فَعَى مُؤْمِنَ فَعَيْمُ مُنْكَامِمُ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُم وَمُو مُؤْمِنَةً فَمُن لَمْ يَجِدْ فَصِيّامُ شَهْرَيْنِ مُنْكَامِمَيْنِ فَوْجَةً مِن اللهِ وَكَانَ الله عَلِيمًا فَا مُنْكُومُ مُنْكَامِمَيْنِ فَوْجَةً مِن اللهِ وَكَانَ الله عَلِيمًا حَجَيْمًا اللهِ وَاللهِ مُنْكُومُ مُؤْمِنَ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُومُ مُؤْمِنُ مُنْفُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنَالِمُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُمُ مُنْكُمُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُكُمُ مُنْكُمُ مُنْكُومُ مُؤْمِنُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُؤمِنُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنَالِمُ مُؤْمِنُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنْكُمُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُنْكُومُ مُومُ مُنْكُومُ مُنَالِمُ مُنْكُومُ مُنْ

قوله تعالى: ﴿وَمَّا كَانَ لِمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلُ مُؤْمِنًا إِلّا خَطَانًا ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله، ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه، فخرج إلى المدينة فقالت أمّه لابنيها أبي جهل، والحارث ابني هشام، وهما أخواه لأمّه: والله لا يُظلنّي سقف، ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتياني به فخرجا في طلبه. ومعهما الحارث بن زيد، حتى أتوا عيّاشاً وهو مُتحَصّنٌ في أُظم، فقالوا له: انزل فإن أمّك لم يُؤوها سقف، ولا متنق طعاماً، ولا شراباً، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك، فنزل، فأوثقوه، وجلده كلُّ واحد منهم مائة جلدة، فقدموا به على أمّه، فقالت: والله لا أحلّك من وثاقك حتى تكفر، فطُرح موثقاً في الشمس حتى أعطاهم ما أردوا، فقال له الحارث بن زيد: يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته. فغضب، وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم أفلت عياش بعد ذلك، وهاجر رسول الله بالمدينة، ثم أسلم الحارث بعده، وهاجر ولم يعلم عياش، فلقيه يوماً فقتله، فقيل له: إنه قد أسلم، فجاء إلى النبي في فأخبره بما كان، وقال: لم أشعر بإسلامه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وهو قول سعيد بن جبير، والسدّي، والجمهور، والثاني: أن أبا الدرداء قتل رجلاً قال لا إله إلا الله في بعض السّرايا، ثم أتى النبي بي فذكر له ما صنع، فنزلت هذه وإنما المعنى: إلا أن يُخطئ المؤمن. وروى أبو عبيدة، عن يونس: أنه سأل رؤية عن هذه الآية، فقال: ليس له أن يقتله عمداً ولا خطأ، ولكنه أقام وإلا» مقام «الوَاو» قال الشاعر:

وكالُّ أَخِ مُسَفِّسارةُ مُسَارةُ السَفَّرةُ السَفَّرةُ السَفَّرةَ السَفَّرةَ السَفَّرةَ السَفَّرةَ الإِلَّا السَفَّرةَ الإِلْاَ

⁽۱) قال ابن جرير الطبري ٩/٣٤: والصواب من القول في ذلك.أن يقال: إن الله عرف عباده بهذه الآية ما على من قتل مؤمناً خطأ من كفارة ودية، وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتيله، وفي أبي المدواء وصاحبه. وأي ذلك كان، فالذي عنى الله تعالى بالآية: تعريف عباده ما ذكرنا. وقد عرف ذلك من عقل عنه من عباده تنزيله، وغير ضائرهم جهلهم بمن نزلت فيه.

 ⁽۲) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل لسوار بن المضرب، وقيل لحضرمي بن عامر. وهو في سيبويه ١/ ٣٧١، و«الكامل، ٣/ ١٢٤٠، و«البيان والتبيين، ١/
 ٢٢٨، و«شرح المفصل، ٢/ ٨٩، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٣١، و«شواهد المغني، ٨٧، و«خزانة الأدب، ٢/ ٥٠. قال الأعلم: والشاهد فيه نعت «كل»

أَرَادَ: والفَرْقَدَانِ. وقال بعضُ أهل المعاني: تقديرُ الآية: لكن قديقتله خطأً ، وليس ذلك فيما جعل الله له ، لأن الخطأ لا تصح فيه الإباحة، ولا النهي. وقيل: إنما وقع الاستثناء على ما تضمعه الآية من استحقاق الإثم، وإيجاب القتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِرُ رَقَبَةِ مُؤْمِنَةِ﴾ قال سعيد بن جبير: عتق الرقبة واجبٌ على القاتِل في ماله، واختلفوا في عتق الغلام الذي لا يصح منه فعل الصلاة والصيام، فروي عن أحمد جوازه، وكذلك روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهذا قول عطاء، ومجاهد (۱). وروي عن أحمد: لا يجزئ إلا من صام وصلى، وهو قول ابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وإبراهيم، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿ وَدِينَةٌ مُسَلَّمَةً إِنَّ أَمْلِهِ ﴾ قال القاضي أبو يعلى: ليس في هذه الآية بيان من تلزمه هذه الدية، واتفق الفقهاء على أنها عاقلة القاتل، تحملها عنه على طريق المواساة، وتلزم العاقلة في ثلاث سنين، كل سنة ثلثها، والعاقلة: العصبات من ذوي الأنساب، ولا يلزم الجاني منها شيء (٢٠). وقال أبو حنيفة: هو كواحد من العاقلة. وللنفس ستة أبدال: من الذهب ألف دينار، ومن الوَرِق اثنا عشر ألف درهم، ومن الإبل مائة، ومن البقر مائتا بقرة، ومن الغنم ألفا شاة، وفي الحلل روايتان عن أحمد، إحداهما: أنها أصل، فتكون مائتا حلة. فهذه دية الذكر الحرّ المسلم، ودية الحرّة المسلمة على النصف من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن يَصَنَّكُ تُؤَّا ﴾ قال سعيد بن جبير: إلا أن يتصدّق أولياء المقتول بالدية على القاتل.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَاكِ مِن قَوْمٍ عَدُوِّ لَكُمُّ وَهُو مُؤْمِنُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وإن كان المقتول خطأ من قوم كفار، ففيه تحرير رقبة من غير دية، لأن أهل ميراثه كفار. والثاني: وإن كان مقيماً بين قومه، فقتله من لا يعلم بإيمانه، فعليه تحرير رقبة ولادية، لأنه ضيّع نفسه بإقامته مع الكفار، والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال النخعي، وبالثاني سعيد بن جبير. وعلى الأول تكون (مِن) للتبعيض، وعلى الثاني تكون بمعنى في.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِن قَوْمِ بَيْنَكُمُ وَبَيْنَهُم مِيثَنَّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل من أهل الذّمة يُقتل خطأ، فيجب على قاتله الدية والكفارة، هذا قول ابن عباس، والشعبي، وقتادة، والزهري، وأبي حنيفة، والشافعي. ولأصحابنا تفصيل في مقدار ما يجب من الدية (٢٠). والثاني: أنه المؤمن يقتل وقومه مشركون، ولهم عقد، فديته لقومه، وميراثه للمسلمين، هذا قول النخعي.

بقوله: ﴿إلا الفرقدان على تأويل أغير والتقدير: وكل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه، وهذا على مذهب الجاهلية، كأنه قال هذا قبل الإسلام،
 ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا. والفرقدان، تثنية فرقد: وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. وقال أبو حيان رحمه الله بعد أن نقل مقالة أبي عبيدة: والذي يظهر أن قوله: ﴿إلا خطأ استثناء منقطع، وهو قول الجمهور منهم أبان بن تغلب، والمعنى:
 لكن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ.

⁽١) قال ابن كثير ١/ ٥٣٤: والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة، سواء كان صغيراً أو كبيراً. ٢

⁽Y) في «المعني» 19.48: ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً في أن دية الخطأ على العاقلة، قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من تحفظ عنه من أهل العلم، وقد ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ تفضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به، وقد جعل النبي ﷺ دية عمد الخطأ على العاقلة بما قد رويناه من الأحاديث، وفيه تنبيه على أن العاقلة تحمل دية الخطأ، والمعنى في ذلك أن جنايات الخطأ تكثر، ودية الأدمي كثيرة، فإيجابها على العاقلة بما قد رويناه من الأحاديث، وفيه تنبيه على أن العاقلة تحمل سيل العواساة للقاتل، والإعانة له تخفيفاً عنه إذا كان معلوراً في فعلم، وينفرد هو بالكفارة. قال ابن كثير: وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله، قال الشاقعي: لا أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ فضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في جر ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي المدينة قل القاتلة، وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الأخرى بحجر، فقلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى أن دية جنيها غرة عبد أو أمة، وقضى بدية العرأة على عاقلتها، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب المهة. لكن هذا تجب فيه المهة أثلاثاً عبد أو أمة، وقضى بدية العرأة على عاقلتها، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب المهة. لكن هذا تجب فيه اللهة أثلاثاً كالمحد لشبهه به. وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله ين عمر، قال: يعت رسول الله ﷺ فرنع يديه وقال: «المهم إني الواللام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرنع يديه وقال: «المهم أني أبرأ إليك من عسنط خالدة قال ابن إسحاق: وبعث علياً، قودى قتلاهم، وما أتلف من أموالهم حتى عيلغة الكلب. وهذا يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

⁽٣) في «الكافي» ٣/ ٧٨: ودية الكتابي نصف دية المسلم، لما روى صمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: فدية المعاهد نصف دية المسلم، رواه أبو داود. وروي عنه: أن ديته ثلث الدية، لما روي أن عمر جعل دية اليهودي والنصراني أربعة الآف، إلا أنه رجع عن هذه الرواية، =

قوله تعالى: ﴿ فَكُمَن لَمْ يَجِلَ فَوسَيَامُ شَهَرَيْنِ مُكَتَابِعَيْنَ ﴾ اختلفوا هل هذا الصيام بدل من الرقبة وحدها إذا عدمها، أو بدل من الرقبة والدية؟ فقال الجمهور: عن الرقبة وحدها، وقال مسروق، ومجاهد، وابن سيرين: عنهما. واتفق العلماء على أنه إذا تخلل صوم الشهرين إفطار لغير عذر، فعليه الابتداء، فأما إذا تخللها المرض، أو الحيض، فعندنا لا ينقطع التتابع، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة: المرض يقطع، والحيض لا يقطع، وفرق بينهما بأنه يمكن في لعادة صوم شهرين بلا مرض، ولا يمكن ذلك في الحيض، وعندنا أنها معذورة في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿وَرَكِمَةً مِنَ اللَّهِ ﴾ قال الزجاج: معناه: فعل الله ذلك توبة منه. قوله ﴿وَكَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ أي: لم يزل عليماً بما يُصلح خلقه من التكليف ﴿حَكِيمًا ﴾ فيما يقضي بينهم، ويدبّره في أمورهم.

﴿ وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَ يَقْتُلُ مُؤْمِنَ الْمَحَذَا فَجَزَآؤُمُ جَهَنَدُ حَلِاً فِيهَا وَعَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَمَنهُ وَأَعَدُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَ اللّهُ عَلَيْهِ فَلَكُر ذَلكُ له، فأرسل رسول الله رسولاً من بني فهر، فقال له: إيت في بني النجار، وكان مسلماً، فأتى رسول الله على فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولاً من بني فهر، فقال له: إيت بني النجار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله على يأمركم إن علمتم قاتل هشام، فادفعوه إلى مقيس بن صبابة، وإن لم تعلموا له قاتلاً، فادفعوا إليه ديته، فأبلغهم الفهري ذلك، فقالوا: والله ما نعلم له قاتلاً، ولكنّا نُعطي ديته، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن صبابة، فقال: تقبل دية أخيك، فيكون عليك سبّة ما بقيت. اقتل الذي معك مكان أخيك، وافضل بالدية، فرمى الفهري بصخرة، فشدخ رأسه، ثم وكب بعيراً منها، وساق بقيتها راجعاً إلى مكة، وهو يقول:

قتلت به فهراً وحمَّلْتُ عقلهُ والدركت ثاري واضطجعْتُ موسداً

سُراةً بني النجار أرباب فارع وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي على دمه يوم الفتح، فقتل، رواه أبو صالح، عن ابن عباس (١٠). وفي قوله: ﴿ مُتَكَمِدًا ﴾ قولان: أحدهما: متعمداً لأجل أنه مؤمن، قاله سعيد بن جبير. والثاني: متعمداً لقتله، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿ وَنَجَزَآ وُرُ جَهَنَدُ ﴾ قولان: أحدهما: أنها جزاؤه قطعاً. والثاني: أنها جزاؤه إن جازاه. واختلف العلماء هل للمؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً توبة أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أن له توبة، وذهب ابن عباس إلى أنه لا توبة له.

وقال: كنت أذهب إلى أن دية اليهودي والنصوائي أربعة آلاف، فأنا اليوم أذهب إلى نصف دية المسلم. قلت: أما حديث عمرو بن شعيب فرواه أيضاً أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وهو حديث حسن. وأما أثر عمر فقد رواه عنه سعيد بن المسيب، وهو منقطع، لأن سعيداً لم يسمع من عمر.

⁽۱) أخرجه الواحدي في السباب النزول؛ ص٩٨ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونسبه السيوطي في الله المنثور؟ ١٩٦/٢ إلى البيهقي في الشعب الإيمان؛ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري ١٩/٨ من طريق ابن جريج عن عكرمة ولفظه: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة، فأعطاه التبي الله الدية، فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج: وقال غيره: ضرب النبي الله ديته على بني النجار، ثم بعث مقيساً، وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبي الله المتمثل مقيس الفهري، وكان أيّداً فضرب به الأرض، ورضح رأسه بين حجرين، ثم ألفي يتغنى:

شغى النَّغُنَ أن قد مان بالقاع مُسنياً تُسني ويوان الخساوع وكانت هنصوم النَّغُني وطاء المضاجع وكانت هنصوم النَّغُني من قبيل قتسله وكانت منصوبات السيفاجع وكانت منسوبات السيفاجع وكانت المناولية والمراب الأوليات الأوليات المناوع وكانت المناوع

الفزاري عن الثوري كذلك.

فصل

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟ فقال قوم: هي محكمة، واحتجوا بأنها خبر، والأخبار لا تحتمل النسخ، ثم افترق هؤلاء فرقتين، إحداهما قالت: هي على ظاهرها، وقاتل المؤمن مخلد في النار. والفرقة الثانية قالت: هي عامّة قد دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتله كافر، ثم أسلم الكافر، انهدرت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا ثبت كونها من العام المخصّص، فأي دليل صلح للتخصيص، وجب العمل به. ومن أسباب التخصيص أن يكون قتله مستحلاً، فيستحق الخلود لاستحلاله. وقال قومٌ: هي مخصوصة في حتى من لم يَتُب، واستدلوا بقوله تعالى في المفسرقان: ﴿إِلّا مَن تَابَ وَمَاكِنَ وَعَمِلَ عَمَلًا مَهْلِكًا فَأَوْلَتِهَكَ يُبَيِّلُ اللّهُ سَيِّعَاتِهِم حَسَنَعَ وَكُن اللهُ غَفُولًا تَومِماً ﴿ الساء: ١٤٥ (النوناة). وقال آخرون: هي منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللهُ لاَ يُغْفِرُ أَن يُشَرِّكُ بِهِد وَيَنفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَتَاهُ ﴿ الساء: ١٤٤ (١٠).

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامُولًا إِذَا مَرَيْمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيْمُولُ وَلَا نَقُولُواْ لِمَنَ الْفَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسَتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَمَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيْنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَمَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيْنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَمَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيْنُواْ إِنِي اللَّهَ كَانَ مِنْ اللَّهُ مَنْ فَمَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا ضَرَبَتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَنَيْسُواْ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي على بعث سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم، وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مالٌ كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، فأهوى إليه الممقداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله ، فقتله المقداد، لأذكرن ذلك للنبي على فلما قدموا على النبي على قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله ، فقتله المقداد، فقال: إلى المقداد فقال: يا مقداد أقتلت رجلاً قال لا إله إلا الله ، فكيف لك بد ولا إله إلا الله خداً ا قال: فأنزل الله ﴿ يَتَالَيْنَ اللّهَ عَلَيْكُمُ السّلَمَ مُؤْمِنًا تَبْتَعُونَ عَرَضَ وَيَتَأَيُّهَا الّذِينَ مَامَنُوا إِنَا صَرَبُونُ وَلَا نَتُولُواْ لِمَنَ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السّلَمَ مُؤْمِنًا تَبْتَعُونَ عَرَضَ المقداد: وكان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته؟ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (٢). والثاني: أن رجلاً من بني سليم مرَّ على نفرٍ من أصحاب رسول الله على وندلت هذه فسلم، فقالوا: ما سلّم عليكم إلا ليتعرّذ [منا]، فعمدوا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله على فنزلت هذه فسلم، فقالوا: ما سلّم عليكم إلا ليتعرّذ [منا]، فعمدوا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله على فنزلت هذه

الفتح بعضه مختصراً تمليقاً، فقال الحافظ: وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في «الأفراد» والطبراني في «الكبير» من رواية أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدمي عن حبيب وذكر الحديث يطوله ـ ثم قال: قال الدارقطني: تفرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه. قلت: ـ أي الحافظ ابن حجر ـ قد تابع أبا بكر صفيان الثوري، لكنه أرسله. أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق

⁽۱) قال الشوكاني في وفتح القدير ١/ ٤١١ : وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من ثوية أم لا توبة له ؟ فروى البخاري عن سعيد بن جبر قال: اختلف فيها علماء أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَيَن يَقْتُلُ مُوْمِكَ مُتَمَوِدًا﴾ وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقد روى النسائي عنه نحو هذا. وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه. وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبو سلمة، وعبيد بن عمير، والحسن، وقتادة، والفيحاك بن مزاحم، فقله ابن أبي حاتم عنهم. وذهب الجمهور إلى أن التوبة منه مقبولة، واستلوا بمثل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلمُسْتَنِي يُدْهِجُنَّ التَّوَيِّاتُوْ﴾ وقوله: ﴿وَهُوْ ٱلْذِي يَجْلُ النَّيِّةُ مَنْ يَكِوبِ﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُ لِمَن ثَلَكُ ﴾، قالوا أيضاً والمعجم ممكن بين آية النساء هذه، وآية الفرقان فيكون معناهما: فجزاؤه جهتم إلا من تاب، لا سيما وقد اتحد السبب، وهو القتل والموجب وهو المتوهد بالعقاب. واستدلوا أيضاً بالحديث المذكور في الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنه قال: قبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا بُونوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ثم قال: فقمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء علم عليه ويحديث أبي عريرة الذي أخرجه مسلم في قصحيحه، غيره في الذي قتل مئة نفس. وذهب جماعة منهم أبو جنيفة وأصحابه، الشافعي إلى أن القاتل عمداً داخل تحت المشيئة تاب أو لم يتب. وقد أوضحت في شرحي على «المنتقى» متمسك كل فريق. والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذبوب وأشدها – تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً من تعليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها أو بعضها. وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن وأجها. وراه البزار والطبراني في «الكبر» والدارقطني في «الأفراد» قال الهيثمي في همجمع الزوائده الأراد والطبراني في «الكبر» والمناد، وقد الناد والمبراني في «الكبر» والشاد، وذا من الدارا وطبرا والمبراني في «الكبر» والمناذ، والمناد، وينا عدان افتان أف يختلفون. (٢)

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَلَقَيْ إِلِيَّكُمُ السَّلَمَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم، والكسائي:
«السلام» بالألف مع فتح السين. قال الزجاج: يجوزأن يكون بمعنى التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام. وقرأ نافع، والمنه من غير ألف، وهو من نافع، وابن عامر، وحمزة، وخلف، وجبئة عن المفضل عن عاصم: (السَّلَم) بفتح السين واللام من غير ألف. و«السلم»: الصُلح. وقرأ الاستسلام. وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم: بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف. و«السلم»: الصُلح. وقرأ الجمهور: ﴿لَسَّتَ مُؤْمِنًا﴾، بكسر الميم، وقرأ علي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن يعمر، وأبو جعفر: بفتح الميم من الأمان.

قوله تعالى: ﴿ تَبَنَّغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا﴾ و•عرضها»: ما فيها من مال، قلَّ أو كشر. قال المفسرون: والمراد به: ما غنموه من الرجل الذي قتلوه.

قوله تعالى: ﴿فَمِندَ اللَّهِ مَفَكَانِدُ كَيْرِةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ثواب الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنها أبواب الرّزق في الدنيا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿كَنَالِكَ كُنتُم مِن قَدْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كذلك كنتم تأمنون من قومكم المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تُخفون ايمانكم بمكة المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تُخفون ايمانكم بوائد عن ابن عباس. والثالث: كذلك كنتم من قبل مشركين، قاله مسروق، وقتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فَمَرَ كَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ في الذي مَنّ به أربعة أقوال: أحدها: الهجرة، قاله ابن عباس. والثاني: إعلان الإيمان، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الإسلام، قاله قتادة، ومسروق. والرابع: التوبة على الذي قتل ذلك الرجل، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَيَّنُوا ﴾ تأكيد للأول.

﴿ لَا يَسْتَوِى التَّعِيدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الطَّمَرِ وَالْمُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ أِتَوَالِهِمْ وَأَنْشِيمٍمْ فَشَلَ اللّهُ الْمُجَهِدِينَ غَيْرُ أُولِي الطَّمَرِ وَالْمُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إِنْمَوْلِهِمْ وَأَنْشِيمُ عَلَ الْقَعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّا وَعَدَ اللّهُ الْمُشْتَىٰ وَفَشَلَ اللّهُ اللّهُجَهِدِينَ عَلَ ٱلتّعِيدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﷺ

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْنَوِى التَّلُودُونَ مِنَ ٱلنُّوتِينِينَ ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: نزلت هذه الآية من أجل قوم كانوا إذا

 ⁽۱) «المسند»، والترمذي ٤٠/٤، والحاكم: ٢/ ٢٤٥ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه بمعناه البخاري
 ۸/ ١٩٤٨، ومسلم ٢٣١٩/٤ من طريق سفيان عن عمرو، عن عطاء عن ابن عباس.

٢) أخرجه ابن جرير ٢/ ٧٦ عن أبي صالح، واسم الذي على رأس السرية عنده الليب، وانظر الاختلاف في اسمه اقليب، أو افليت، في االإصابة،

⁽٣) إضم: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة، وهو واد ألشجع وجهيئة.

 ⁽³⁾ قالمسند، ١١/٦، وابن جرير ٩/٣/٩، وذكره الهيثمي في «المجمع»، ٨/٨، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. قلت: وفي سند أحمد
القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، أورده الحافظ ابن حجر في العجيل الحنفية»، ونقل عن البخاري أن له صحبة ولا تصح، ولم يذكر عن أحد توثيقه.

حضرت غزاة يستأذنون في القعود. وقال زيد بن ثابت: إني لقاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ غشيته السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اكتب» (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الآية، فقام ابن أمَّ مكتوم، فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فوالله ما قضى كلامه حتى غشيت رسول الله السكينة، ثم سرَّي عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون، فقال النبي ﷺ: ﴿عَيْرُ أُولِي الطَّرَرِ﴾ فألحقتها (١).

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى التَّكِيدُونَ ﴾ يعني عن الجهاد، والمعنى: أن المجاهد أفضل. قال ابن عباس: وأريد بهذا الجهاد غزوة بدر (٢). وقال مقاتل: غزاة تبوك.

قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أَوْلِ الظَّرَرِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة: (غيرُ) برفع الرّاء، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وخلف، والمفضل: بنصبها. قال أبو علي: من رفع الراء، جعل فير، صفة للقاعدين، ومن نصبها، جعلها استثناء من القاعدين. وفي «الضرر» قولان: أحلهما: أنه العجز بالزّمانة والمرض، ونحوهما. قال ابن عباس: هم قوم كانت تحبسهم عن الغزّاة أمراض وأوجاع. وقال ابن جبير، وابن قتيبة: هم أولو الزّمانة. وقال الزجاج: المضرو: أن يكون ضريراً أو أعمى أو زمناً. والثاني: أنه العذر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ نَشَلَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى الْتَعِينَ دَرَجَهُ في هؤلاء القاعدين قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بالضرر، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: والدرجة: الفضيلة. فأما الحسنى فهي الجنة في قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿ وَهَذَلَ اللَّهُ ٱلنُّبَكِهِدِينَ عَلَ ٱلتَّكِيدِينَ ﴾ قال ابن عباس: القاعدون هاهنا: غير أولي الضرر، وقال سعيد بن جبير: هم الذين لا عذر لهم.

﴿ وَرَجَنتِ مِنْهُ وَمُنْفِرُا وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَلْمُوا رَّجِيمًا ﴿

⁽١) «المسند» ٥/١٨٤، والبخاري ٨/١٩٥، وأبو داود ٦/٧، والترمذي ٤/٩٠، والنسائي ٦/٩، ولفظه عند البخاري عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن النبي 豫أمل عليه ﴿ لا يَسْرَى التّنيدُن مِن التُؤين وَلَلْجَهْدُن فِي سَبِل الله ﴾ فجاء ابن أم مكترم وهو يملها علي قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، وكان أحمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فتقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُريّ عنه، فأنزل الله ﴿ مَبُر أَنِل الشّري ﴾ . ويملها ـ بضم أوله وكسر الميم وتشديد اللام ـ هو مثل يمليها ـ والمرض: المدق. وسري: كشف. ودوى البخاري عن البراء، قال: لما نزلت ﴿ لا يَسْتَرِى التَيْدُن مِن النَّرَاء، قال: لما نزلت ﴿ لا يَسْتَرِى التَيْدُن مِن النَّرَاء الله ﴿ مَبْ أَنْلِ الله ﴿ مَبْ أَنْلِ الله ﴿ مَبْ أَنْلِ اللّه ﴿ مَبْ أَنْلِ اللّه ﴾ .

⁽۲) ﴿ (البخارى) ٨ / ١٩٧.

⁽٣) حضر الغرس: ارتفاعه في عدوه، يقال: أحضر الفرس يحضر إحضاراً: عدا عدواً شديداً. والغرس المضمر: هو الذي أعد إعداداً للسباق والركض.

روى البخاري ٩/٦، و٣٤٩/٣ عن أبي هريرة مرقوعاً: «إن في المجنة ماتة هرجة أعدّها الله للمجاهلين في سبيل الله ما بين اللدوجتين كما بين السماء والأرض، وروى مسلم ١٥٠١/٣ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله وباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجبنة فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فقعل، ثم قال: «واشخرى يرفّعُ بها العبد مائة هرجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

﴿إِنَّ اَلَٰذِينَ ثَوَقَنْهُمُ السَكَتِهِكُهُ طِالِينَ اَنشِيمِ قَالُواْ فِيمَ كُنُمُ قَالُوا كُنَّا مُسْتَفْعَنِينَ فِي الْآنِينَ قَالُوا اَلَمَ تَكُنَّ اَرْضُ اللّهِ وَسِمَةَ مَنْهَاجِرُوا فِيهَا فَالْعِنَ اللّهِ وَسِمَةَ مَنْهَاجِرُوا فِيهَا فَاللّهِ مَانَهُمْ جَهَنَّةٌ وَسَادَتُ مَعِيرًا ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَكِكُمُ طَالِينَ آننُوبِمَ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أناساً كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فلما خرج النبي على إلى بدر لم تدع قريش أحداً إلا أخرجوه معهم، فقتل أولئك الذين أقروا بالإسلام، فنرجوا مع أبي فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس (١). وقال قتادة: نزلت في أناس تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع أبي جهل، فقتلوا يوم بدر، واعتذروا بغير عذر، فأبى الله أن يقبل منهم. والثاني: أن قوماً نافقوا يوم بدر، وارتابوا، وقالوا: غير هؤلاء دينهم وأقاموا مع المشركين حتى قتلوا، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس، والثالث: أنها نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله على والترقي، قولان: أحدهما: أنه قبض الأرواح بالموت، قاله الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس (١). وفي «الترقي» قولان: أحدهما: أنه قبض الأرواح بالموت، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الحشر إلى النار، قاله الحسن. قال مقاتل: والمراد بالملائكة ملك الموت وحده. وقال في موضع آخر: ملك الموت وأعوانه، وهم ستة، ثلاثة يَلون أرواح المؤمنين، وثلاثة يَلون أرواح الكفّار. قال الزجاج: ﴿ظَالِينَ أَنْهُمِمُ ﴾ نصب على الحال، والمعنى: تتوقاهم في حال ظلمهم أنفسهم، والأصل. ظالمين، لأن النون حذفت استخفافاً. فأما ظلمهم لأنفسهم، فيحتمل على ما ذكر في قصّتهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الهجرة، والثاني: رجوعهم إلى الكفر، والثالث: الشك بعد اليقين، والرابع: إعانة المشركين.

قوله تعالى: ﴿فِيمَ كُنُهُ ۚ قَالَ الرِّجَاجِ: هو سؤال توبيخ، والمعنى: كنتم في المشركين أو في المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَمَّمَهِ بَنَ إِنَّا إِنْ قَالَ مقاتل: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نستطيع أن نذكر الإيمان، قالت الملائكة: ﴿ أَلَمْ تَكُنَّ أَرْشُ اللَّهِ وَسِمَةً ﴾ يعني المدينة ﴿ فَنَهَا عِمْ أَلْ يَعْنِي: إليها. وقول الملائكة لهم يدل على أنهم كانوا يستطيعون الهجرة.

﴿إِلَّا ٱلسُنتَغَمَنِينَ مِنَ ٱلرِّبَالِ وَالنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَنِ لَا يَسْتَطِيمُونَ حِيلَةً وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِهِلَا ۞ فَأُولَتِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَمْفُو عَنْهُمُّ وَكَاكَ اللّهُ عَفُواً عَفُورًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلسُّنَعْمَلِينَ﴾ سبب نزولها: أن المسلمين قالوا في حق المستضعفين من المسلمين بمكة: هؤلاء بمنزلة الذين قتلوا ببدر، فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد. قال الزجاج: «المستضعفين» نصب على الاستثناء من قوله: ﴿مَأْوَنَهُمْ جَهَمْمُ ﴾ قال أبو سليمان: «المستضعفون»: ذوو الأسنان، والنساء، والصبيان.

قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِبلةً ﴾ أي: لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة، ولا قرّة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلا يَبْتُكُنُ سَبِيلاً ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. والثاني: أنهم لا يعرفون طريقاً يترجّهون إليه، فإن خرجوا هلكوا، قاله ابن زيد. وفي اعسى، قولان: أحدهما: أنها بمعنى الإيجاب، قاله الحسن. والثاني: أنها بمعنى الترجّى، فالمعنى: أنهم يرجون العفو، قاله الزجاج.

(۲) ابن جرير ۹/ ۱۰۵.

⁽۱) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في "سننه" عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فاخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرِهُوا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ اللَّيْنَ وَتَشْهُمُ اللَّهِيَّةُ ظَالِينَ أَشْيَتِهُ ﴾ الآية. قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهله الآية: لا علد لهم، قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتة فنزلت فيهم ﴿وَيَنَ النَّائِينَ مَنْوَلُ مُنْكَا بِأَنِّهُ فَإِنَّا أَوْنَ فِي اللَّهِ ﴾ [المسلمين المهم ولان اليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزل فيهم ﴿ثُمِّنَ إِنَّ لَكَ كَلَيْكِ مَاكِمُ اللَّهِ فَإِنَّا أَوْنَ فِي اللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠] فكتبوا إليهم بذلك: وإن الله قلم مخرجاً، فخرجوا فأدرجهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. وإسناده صحيح، وذكره الهيشمي في بذلك: وإن الله قلم عخرجاً فخرجوا فأدرجهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. وإسناده صحيح، وذكره الهيشمي في ومجمع الزوائد، ١٧/ ٩، ١٠ وقال: رواه البزار، ورجاله رجال المسجيح غير محمد بن شريك وهو ثقة. وقوله فأعطوهم الفتنة أي: كفروا بعد إسلامهم. وفي البخاري ١٩٧/ مب آخر لهله الآية عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، قال: قُطِعَ على أهل المدينة بَعَثُ، فاكتُنِثُ فيه، فلقيت عكره مولى ابن عباس، فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد اله شَيَّة باتي السهم يرمي به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فانزل الله ﴿إِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللّ

﴾ وَمَن يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَغَمًا كَبِيرًا وَسُمَةً وَمَن يَخْرُخ مِنْ بَيْتِيدِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. ثُمَّ يُدْرِكُهُ ٱلمُؤْتُ فَقَدْ وَقَعَ آجْرُمُ عَلَ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُولًا رَجِيمًا ﷺ﴾

قوله تعالى: ﴿ عَبِدَ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَمَةً ﴾ قال سعيد بنُ جبير، ومجاهد: متزحزحاً عما يكره. وقال ابن قتيبة: المراغم والمهاجر: واحد، يقال: راغمت وهاجرت، وأصله: أن الرجل كان إذا أسلم، خرج عن قومه مُراغِماً، أي: مغاضِباً لهم، ومهاجِراً، أي: مقاطِعاً من الهجران، فقيل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي عليه هجرة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه. [قال الجعدي: عزيزُ المراغَم والمذهب] (١٠). وفي السّعة قولان: أحدهما: أنها السّعة في الرّزق، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: التمكّن من إظهار الدين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاهِم الله وَسُولِه ﴾ اتفقوا على أنه نزل في رجل خرج مهاجراً، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه ضمرة بن العيص، وكان ضريراً موسِراً، فقال: احملوني فحمل وهو مريض، فمات عند التنعيم (٢٠)، فنزل فيه هذا الكلام، رواه سعيد بن جبير (٣٠). والثاني: أنه العيص بن ضمرة بن زنباع الخزاعي أمر أهله أن يحملوه على سريره، فلما بلغ التنعيم مات، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو بشر عن سعيد ابن جبير. والثالث: أنه ابن ضمرة الجندعي مرض، فقال لبنيه: أخرجوني من مكة، فقد قتلني غمّها، فقالوا: أين؟ فأوما بيده نحو المدينة، يريد الهجرة، فخرجوا به فمات في الطريق، فنزل فيه هذا، ذكره ابن إسحاق. وقال مقاتل: هو جُندب بن ضمرة. والرابع: أن اسمه سبرة، فلما نزل قوله: ﴿ إِنَّ اللِّينَ تَوَقَّنُهُمُ ٱلنَكَتِكُةُ ظَالِي ٱلنَّيْمِ ﴾ إلى قوله ﴿ مُرْكَفًا كُيرٍ ﴾ قال لأهله وهو مريض: احملوني، فإني موسِر، ولي من المال ما يُبلغني إلى المدينة، فلما جاوز الحرم، مات. فنزل فيه هذا، قاله قتادة. والخامس: أنه رجل من بني كنانة هاجر، فمات في الطريق، فسخر منه قومُه، فقالوا: لا هو بلغ ما يريد، ولا أقام في أهله حتى يدفن، فنزل فيه هذا، قاله ابن زيد. والسادس: أنه خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام، خرج مهاجراً، فمات في الطريق، ذكره الزبير بن بكّار، وقوله: «وقع» معناه: وجب.

﴿ وَإِنَا مَنَرَئُمُ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُرْ جُنَاجُ أَن نَفْمُرُوا مِنَ السَّلَوْةِ إِنْ خِفْتُمُ أَن يَنْدِيْكُمُ الْلِينَ كَفَرُوا إِنَّ الكَفِرِينَ كَانُوا لَكُرُ عَدُواً شِيئًا ﴿ وَإِنَا مَنَرَئُمُ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُرْ جُنَاجُ أَن نَقْمُرُوا مِنَ السَّلَوْةِ ﴿ روى مجاهد عن أبي عياش الزَّرقي قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بعُسفان (٤٠)، وعلى المشركين خالد بن الوليد، [قال]: فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غِرّة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر فيما بين الظهر والعصر (٥٠). والضرب في الأرض: السفر،

ما بين معقفين من تمام كلام ابن قتيبة في الخريب القرآن، ١٣٥. وصدر البيت اكطود يلاذ بأركانه، وهو في الديوانه، ٣٣، والمجاز القرآن، ١٣٨/، ووالطبري، ١١٢/٩، واللسان، والتحاج، مادة رغم، والطود: الجبل العظيم المنيف. يلاذ: يتحصن، والمراغم: المضطرب في البلاد والعذهب.

 ⁽٢) التنعيم: موضع في الحل بين مر وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة.

⁽٣) أخرجه سعيد بن منصور، وهبد بن حميد، وابن جرير ١١٤/٩، والبيهقي في هسننه ١٤/٩ عن سعيد بن جبير. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَيَنْ يَتْرَجُ مِنْ بَيْنِدِ مُهَاجِرًا إِلَّ اللَّهِ وَيَسُولِدِ. ۚ قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ قمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَيَنْ يَتْرَجُ مِنْ بَيْنِدِ مُهَاجِرًا إِلَّ اللَّهِ وَيَسُولِدٍ. وفي إسناده أشعث بن سوار، وهو ضعيف. ورواه ابن جرير ١١٨/٩ بنحوه بإسناد آخر، وفيه شريك بن عبد الله القاضي، وهم صدوق يخطئ كثيراً، وذكره الهبيشي في «الدر المنثور» ٢٠٧/٢ وقال: رواه أبو يعلى وابن أبي حاتم من وجه آخر.
حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات، ثم لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من وجه آخر.

⁽٤) عسفان: على مرحلتين من مكة.

مر قطعة من حديث طويل أخرجه الطبري: ١٩/ ١٦١، وأحمد في «المستدكة ٤٥/٤، وأبو داود ١٦/٢، والنسائي ١٧٧/٣، والحاكم في «المستدكة ١٣٧/١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وواققه الذهبي، وصححه البيهقي، وقال الحافظ ابن كثير في: «تفسيره»: وإستاده صحيح، وله شواهد كثيرة، ولفظه بتمامه: عن أبي عيَّاش الزُّرَقي، قال: كنا مع رسول الله يَهِ بعُسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لقد أصبنا غفلة لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر بين الظهر والمصر، فلما حضرت المصر، قام رسول الله يَهِ صف، وصف بعد ذلك الصف صف آخر، فركع حضرت المصر، قام رسول الله يهي، وركموا جميعاً، ثم سجد، وسجد الصف الذين يلونه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما صلى هؤلاء السجدتين وقاموا، سجد الآخرون اللين كانوا خلفهم، ثم تأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين، وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول، ثم ركع رسول الله يه وركموا جميعاً، ثم سجد السف الأخيرون يحرسونهم، فلما جلس رسول الله يه والصف الذي يليه، سجد الآخرون، ثم جلسوا جميعاً، فسلم عليهم جميعاً، فصلاها بصفان، وصلاها يوم بني سليم. هذا لفظ أبي داود.

والمُجناح: الإثم، والقصر: النقص، والفتنة: القتل. وفي القصر قولان: أحدهما: أنه القصر مِن عدد الركعات. والثاني: أنه القصرُ من حدودها. وظاهر الآية يدل على أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية على غالب أسفار رسول الله على وأكثرها لم يخل عن خوف العدو. وقيل: إن قوله: ﴿أَن نَقَمُوا مِن الْمَلَوّةِ كلام تام. وقوله: ﴿إنّ خِنْتُم كلام مبتداً، ومعناه: وإن خفتم (١٠). واختلف العلماء هل صلاة المسافر ركعتين مقصورة أم لا ؟ فقال قوم: ليست مقصورة، وإنما فرض المسافر ذلك، وهو قول ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وسعيد بن جبير، والسدي، وأبي حنيفة، فعلى هذا القول قصر الصلاة أن تكون ركعة (١٠) ولا يجوز ذلك إلا بوجود السفر والخوف، لأن عند هؤلاء أن الركعتين في السفر إذا لم يكن فيه خوف تمام غير قصر، واحتجوا بما روى ابن عباس أن النبي على صلى بذي قرد، فصف الناس خلفه صفين، صفاً خلفه، وصفاً موازي العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ولم يقضوا (١٠). وعن ابن عباس أنه قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة (١٠). والثاني: أنها مقصورة، وليست بأصل، وهو قول نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة (١٠). والثاني: أنها مقصورة، وليست بأصل، وهو قول مجاهد، وطاووس، وأحمد، والشافعي. قال يعلى بن أميّة: قلت لعمر بن الخطاب: عجبت من قصر الناس اليوم، وقد أمنوا، وإنما قال الله تعالى ﴿إنْ خِنْتُهُ فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرت ذلك لرسول الله مخفقال: هو قال محدة عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرت ذلك لرسول الله مخفقال:

فصل

وإنما يجوز للمسافر القصر إذا كان سفرُهُ مُباحاً، ويهذا قال مالك، والشافعي، وقال أبو حنيفة: يجوز له القصر في سفر المعصية. فأما مدة الإقامة التي إذا نواها أتم الصلاة، وإن نوى أقلَّ منها قصر، فقال أصحابنا: إقامة اثنين وعشرين صلاة. وقال أبو حنيفة: خمسة عشر يوماً. وقال مالك، والشافعي: أربعة أيام (1).

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الفَتَكَاوَةَ فَلْنَقُمْ طَآمِنَةً يَنْهُم مَّمَكَ وَلِتَأَخُدُوا أَشِيحَتُهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَالِهِكُمْ وَلَتَأْتِ طَآمِنَهُ أَفْدُوا مِن كَالْمَتُكُمُ وَلَتُلْفُدُوا حِدْرَهُمْ وَأَصْلِحَتُهُمْ وَدَ اللَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنَ أَسْلِحَتِكُمْ وَالْتَيْعَيْرُ فَيَالُونُ عَلَيْكُمْ مَنْفُونَ عَلَيْكُمْ مَنْفُونَ عَلَيْكُمْ مَنْفُونَ مَلَا عَلَيْكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ فَيْسِلُونُ عَلَيْكُمْ مَنْفُونَ أَسُوحَتُكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ فَيْسِلُونَ عَلَيْكُمْ مَنْفُونَ أَسُوحَتُكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ فَيَالِكُمْ مَنْفُونَ أَسُوحَتُكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ وَمُؤْوَا حِدْرَكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ فَيْكُمْ مَنْفُونَ أَسْلِحَتُكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ وَاللَّهُ وَعُولُوا حِدْرَكُمْ وَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْفُوا أَسْلِحَتُكُمْ وَعُدُوا حِدْرَكُمْ وَاللَّهُ وَعُولُوا مِدْرَكُمْ وَاللَّهُ وَعُولُوا مِدْرَكُمْ وَاللَّهُ وَعُولُوا مِدْرَكُمْ وَاللَّهُ وَعُلْمُ مَنْوَا اللَّهُ وَعُلْمُ مَنْ مُعَلَّمُ مَنْفُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا مُنْ فَيْمُ مُنْفُونَ اللَّهُ مُونَا اللَّهُمُ مَنْهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَوْلًا مِنْ إِنْ كُنْمُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْولُولُونُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوا لَعُلُولًا مُؤْمِنَا لِلللَّهُ وَلِكُونُ مِنْ اللَّهُ وَالْمُولِقُونُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالِمُوالِقُولُونُ مِنْ وَاللَّهُ وَاللَّ

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الْعَكَلَوْةَ﴾ سبب نزولها: أن المشركين لما رأوا النبي ﷺ وأصحابه قد

⁽١) في فقتح القدير، للشوكاني ١/ ٤٧٠: ذكر معنى هذا الجرجاني والمهدوي وغيرهما ورده القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي. وقد حكى القرطبي عن ابن عباس معنى ما ذكره الجرجاني ومن معه. ومما يرد هذا ويدفعه الواو في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِ ﴾ وقد تكلف بعض المفسرين، فقال: إن الواو زائدة، وإن الجواب للشرط المذكور، أعني قوله: ﴿إِن خفتم، هو قوله: ﴿فَالتَمْ طَائِفَة».

 ⁽۲) جاء في «المبسوط» للسرخسي ٢/٢٤ والثاني: وهو ألا ينقص عدد الركعات بسبب الخوف عندنا، وكان ابن عباس يقول: صلاة المقيم أربع ركعات،
 وصلاة المسافر ركعتان، وصلاة الخوف ركعة، وبه أخذ بعض العلماء.

٣) رواه النسائي ٣/ ١٦٩ ورجال إسناده ثقات، وذكر الحافظ في «التلخيص» ١٤١؛ أن الشافعي ذكر هذا النوع، فقال: روي حديث لا يثبت أنه صلى بذي قرد ـ وذكره ـ ثم قال: فتركناه. قال الحافظ ابن حجر: وقد صححه ابن حبان وغيره. وذو قرد: موضع على ليلتين من المدينة. وعن ثعلبة بن زهدم قال: كنا مع صعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا، فصلى بهؤلاه ركمة وبهؤلاء ركمة ولم يقضوا. رواه أبو داود، والنسائي، وسكت عنه أبو داود، والمنذري، ورجال إسناده رجال الصحيح.

٤) ﴿ المسند؛ ٣٦٣/٣، ومسلم ١/ ٤٧٩، وأبو داود ٢٣/١، والنسائي ٣/ ١٦٩.

⁽٥) المسندة ١٧٥/، ومسلم ١٧٥/، وأبو داود ٤/٢، والنسائي ١١٦/، وابن ماجه ١٣٥/، والترمذي ٤/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحافظ ابن كثير ١/٤٤٥: وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ فِنْتُمْ لَا يَقْدَكُمْ الْنِينَ كُثْرَاً ﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كمان غالب أسفارهم مخوفة، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عامٌ، أو في سريَّة خاصَّة، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب، أو على حادثة، فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَكْرُمُوا فَنْيُوكُمْ طَلَ الْبَيْقُ إِنْ أَنْدَ فَسَنَا﴾ [النور: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلا تَكْرُمُ مُنْ الْبَيْقُ إِنْ أَنْدَ فَسَنَا﴾ [النساء: ٣٣]. قلت: وروى الإمام أحمد ٣/٧٥٧، والترمذي ٢/ ٤٣١، والنسائي ٣/١١٧ عن ابن عباس: أن النبي في خبر من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا الله رب العالمين، فصلى ركعتين. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

⁽٦) انظر «المغني لابن قدامة» ٢/ ١٣٢، وقرّاد المعاد» ٣/ ٢٩، وفنيل الأوطار، ٣/ ٢٥٦.

صلّوا الظهر، ندموا إذْ لم يكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم صلاة هي أحبُّ إليهم من آبائِهم وأبنائِهم، يعنون العصر، فإذا قاموا فشدوا عليهم، فلما قاموا إلى صلاة العصر، نزل جبريل بهذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيمٌ ﴾ خطابٌ للنبي على الله على أن الحكم مقصورٌ عليه، فهو كقوله ﴿ غُذَ بِنَ النَّهِمَ مَدَقَةً ﴾ [النوبة: ١٠٣] وقال أبو يوسف: لا تجوزُ صلاة الخوف بعد النبي على اللهاء والميم مِن "فيهم" تعودُ على الضاربين في الأرض.

قوله تعالى: ﴿ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الْمَتَكَوْةَ ﴾ أي: ابتدأتها، ﴿ فَلْنَقُمْ طَآمِتُ مِّنَهُم مَّمَكَ ﴾ أي: لتقف. ومثله ﴿ وَإِذَا أَظُلَمُ عَلَيْهِمُ قَالُوا ﴾ [البقرة: ٢٠]. ﴿ وَلِيَأْخُدُوا السِّلَاحَ تَالُمُ فَيهم قولان: أحدهما: أنهم الباقون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه، ذكره ابن جرير. قال: وهذا السّلاح كالسّيف، يتقلده الإنسان، والخنجر يشده إلى ذراعه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَجَدُوا ﴾ يعني المصلين معه ﴿ وَلَيْكُونُوا ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: هم الطائفة التي لم تصل، أمرت أن تحرس الطائفة المصلية، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه أمروا إذا سجدوا أن ينصرفوا إلى الحرس. واختلف العلماء كيف ينصرفون بعد السجود، فقال قوم: إذا أتموا مع الإمام ركعة أتموا لأنفسهم ركعة، ثم سلموا، وانصرفوا، وقد تمت صلاتهم. وقال آخرون: ينصرفون عن ركعة، واختلف هؤلاء، فقال بعضهم: إذا صلوا مع الإمام ركعة وسلموا، فهي تجزئهم. وقال آخرون منهم أبو حنيفة: بل ينصرفون عن تلك الركعة إلى المحرّس وهم على صلاتهم، فيكونون في وجه العدو مكان الطائفة الأخرى التي لم تصل، وتأتي تلك الطائفة. واختلفوا في الطائفة الأخرى، فقال آخرون: بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة آخرون: بل يسلم هو عند فراغه من الصلاة بهم، فإذا سلم قضوا ما فاتهم. وقال آخرون: بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة ويسلم هو، ولا تسلم هي، بل ترجع إلى وجه العدو، ثم تجيء الأولى، فتقضي ما بقي من صلاتها وتسلم، وتمضي وتجيء الأخرى، فتق من صلاتها، وهذا مذهب أبي حنيفة (١).

قوله تعالى: ﴿وَلِيَأَنُدُوا حِذْرَهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِحَتُهُم وَأَسْلِعَه وَاللَّهِ وَمِاء العدو، لأن المصلي غير مقاتل، ويجوز أن يكون الجماعة أمروا بحمل السلاح، لأنه أرهب للعدو، وأحرى أن لا يقدموا عليهم. وقالجناح الإثم، وهو من: جنحت: إذا عدلت عن المكان، وأخذت جانباً عن القصد. والمعنى: أنكم إذا وضعتم أسلحتكم، لم تعدلوا عن الحق.

قوله تمالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمُّ أَذَى مِن مُطَرِ ﴾ قال ابن عباس: رخّص لهم في وضع الأسلحة لثقلها على المريض وفي المطر، وقال: وخذوا حذركم كي لا يتغفّلوكم.

﴿ وَإِذَا تَضَيْتُمُ السَّلَوَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِينَمًا وَقُمُودًا وَعَلَ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَتُمْ فَأَقِيمُوا السَّلَوَةُ إِنَّ ٱلصَّلَوَةَ كَانَتْ عَلَ النَّوْيِينِ كِنَابًا مَوْقُوتًا ﴾ النّويين كِنَابًا مَوْقُوتًا ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَضَيَّتُكُمُ الصَّلَوْءَ ﴾ يعني صلاة الخوف، واقضيتم بمعنى: فرغتم.

⁽۱) في المعني، ٢٦٨/٢: ويجوز أن يصلي صلاة الخوف على خل صفة صلاها رسول الله على المأحمد: كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز، وقال: منة أرجه أو سبعة يروى فيها كلها جائز، وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: تقول بالأحاديث كلها، كل حديث في موضعه، أو تختار واحداً منها؟ قال: أنا أقول: من ذهب إليها كلها فحسن، وأما حديث سهل، فأنا أختاره. قلت: وحديث سهل الذي اختاره الإمام أحمد رواه الجماعة ولفظه عند مسلم ٢/٥٥٥: عن صالح بن خوّات بن جبير عن سهل بن أبي حثمة أن رصول الله يلى صلى بأصحابه في الخوف، فصفهم خلفة صفى بالذين يلونه ركعة، ثم قام، فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة، ثم سلم. وقال الحافظ في «التلخيص» ص ١٤١: رويت صلاة الخوف عن النبي على أربعة عشر نوعاً ذكرها ابن حزم في جزه مفرد، وبعضها في «صحيح مسلم» ومعظمها في «سنن أبي داود»... وذكر الحاكم منها ثمانية أنواع، وذكر ابن حبان تسعة، وقال: ليس بينها تضاد، ولكنه يلى صلى صلاة الخوف مراراً، والمرء مباح له أن يصلي ما شاء عند الخوف من هذه الأنواع، وهي من الاختلاف العباح. ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: ما أعلم في هنا الباب حديثاً إلا صحيحاً.

قوله تعالى: ﴿ فَأَذْكُرُوا اللّهَ ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الذكر لله في غير الصلاة، وهذا قول ابن عباس، والجمهور قالوا: وهو التسبيح، والتكبير، والدعاء، والشكر. والثاني: أنه الصلاة، فيكون المعنى: فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم، هذا قول ابن مسعود. وفي المراد بالطمأنينة قولان: أحدهما: أنه الرجوع إلى الوطن عن السفر، وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الأمن بعد الخوف، وهو قول السدي، والزجاج، وابن والزجاج، وأبي سليمان الدمشقي. وفي إقامة الصلاة قولان: أحدهما: إتمامها، قاله مجاهد، وقتادة، والزجاج، وابن قتية. والثاني: أنه إقامة ركوعها وسجودها، وما يجب فيها مما قد يترك في حالة الخوف، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَ ٱلْنُوْمِنِينَ كِتَبَا مُوَقُونَا﴾ أي: فرضاً. وفي «الموقوت» قولان: أحدهما: أنه بمعنى المفروض، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الموقت في أوقات معلومة، وهو قول ابن مسعود، وقادة، وزيد بن أسلم، وابن قتيبة.

﴿ وَلَا نَهِـنُوا فِي اَبْعِنَاهِ اَلْعَوْرُ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَزَّجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهِمُواْ فِي الْيَفَاءِ الْقَوْرِ ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزولها: أن النبي ﷺ أمر أصحابه لما انصرفوا من أحد أن يسيروا في أثر أبي سفيان وأصحابه، فشكوا ما بِهِم من الجراحات، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى «تهنوا»: تضعفوا، يقال: وَهَنَ يهِنُ: إذا ضَعُف، وكلُّ ضَعْف فهو وَهْنٌ. وابتغى القوم: طلبهم بالحرب. و«القوم» هاهنا: الكفار ﴿إِن تَكُوُّواْ تَأْلُونَ ﴾ أي: توجّعون، فإنهم يجدون من الوجع بما ينالهم من الجراح والتعب، كما تجدون، وأنتم مع ذلك ترجون ما لا يرجون. وفي هذا الرجاء قولان: أحدهما: أنه الأمل، قاله مقاتل. قال الزجاج: وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم. والثاني: أنه الخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: ولم يُوجد الخوف بمعنى الرجاء إلا ومعه جحد، [فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك] كقوله: ﴿ لاَ يَرْجُونَ أَيّامُ اللّهِ البائية: ١٤٤ قال الشاعر:

أسبعة لاقت معاً أم واحداً (١)

لا تسرتسجسي حسيسن تسلاقسي السذائسدا وقال الهذلي:

إذا لُسَعَتْه النَّحل لم يَرْجُ لَسْعَها وخالفها في بيت نُوبِ عَوامِلٍ (٢)

ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك (٢٣). قال الزجاج: وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف، لأنه أمل قد يخاف أن لا يتم، فعلى القول الأول يكون المعنى: ترجون النصر وإظهار دينكم والجنة. وعلى الثاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ۚ إِلَّكَ ٱلْكِنْبَ بِٱلْحَقِّ لِتَعْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْمُغَايِنِينَ خَصِيمًا ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ۚ إِلَّكِ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْمُغَايِنِينَ خَصِيمًا ﴿ إِنَّا النَّاسِ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْمُغَايِنِينَ خَصِيمًا ﴿ إِنَّا اللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْمُغَايِنِينَ خَصِيمًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَزَلْنَا ۚ إِلَّكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن طُعمة بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق يَتُنَشِرُ من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار،

فلو كانُ حبيل من ثمانينَ قَامةً وتسمعينَ باعداً ناليها بالأناويلِ تعالى معليها بالحبيالِ مُوثِّقاً شياييلُ البوَصاةِ نيابيلُ وابين نيابيل

⁽۱) همعاني القرآن؛ للفراء ٢٨٦/١، والأضداد؛ لابن الأنباري ص١١، واللسان؛ مادة رجا، من غير نسبة. والذائد؛: من ذاد الإبل: إذا طردها وساقها ودفعها.

 ⁽۲) فشرح أشعار الهذليين، ١٤٤/، و معاني القرآن، ١/٣٨٦، و الطبري، ٩/١٧٤. وهذا البيت لأبي ذؤيب من قصيدة له، وصف فيها مشتار العسل من يبوت النحل، فقال قبل هذا البيت:

وقوله: لم يرج لسعها: أي: لم يخف ولم يبالها. وقوله: خالفها: أي دخل بيت النحل ليأخذ عسلها وقد خرجت إليه حين سمعت حسه فخالفها إلى بيوت عسلها غير هياب للسعها. ويروى «وحالفها» بالحاء، أي لازمها. والنوب: جمع نائب: وهو صفة للنحل أي: أنها ترعى ثم تنوب إلى بيتها لتضع عسلها، تجيء وتذهب. والعوامل: التي تعمل العسل؛ ويروى «العواصل» أي ذوات العسل.

⁽٣) ﴿معاني القرآن؛ للفراء ٢٨٦/١، وما بين معقفين منه. `

ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمست الدرعُ عند طُعمة، فلم توجد عنده، وحلف: مالي بها علم، فقال أصحابها:
بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إليَّ طعمة، فقال قومُ طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وليجادل عن صاحبنا فإنه بريء، فأتوه فكلموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالح عن ابن عباس (۱۱). والثاني: أن رجلاً من اليهود، استودع طُعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مُليل الأنصاري، فجادل قوم طعمة عنه، وأتوا النبي ﷺ فسألوه أن يبرئه، ويكذّب اليهودي، فنزلت الآيات، هذا قول السدي، ومشر، والثالث: أن مشربة رفاعة بن زيد نُقبت، وأخذ طعامه وسلاحه، فأتهم به بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة؛ بشير، ومبشر، وبشر، فذهب قتادة بن النعمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أهل بيت منا فيهم جفاء نقبوا مشربة (المهم وصلاح، فقال: انظرُ في ذلك، فذهب قوم من قوم بني أبيرق إلى النبي ﷺ، فقال النبي لقتادة: فرميتهم بالسرقة على غير بيتنة ا فنزلت هذه الآيات. قاله قتادة بن النعمان (۱۱) أمل بيت منا يرمونهم بالسرقة وهم أهل بيت أبيرق إلى النبي قشال النبي لقتادة: فرميتهم بالسرقة على غير بيتنة افنزلت هذه الآيات. قاله قتادة بن النعمان (۱۱) أمل بيت منا يرمونهم بالسرقة وهم أهل بيت والكتاب: القرآن. والحق: الحكم بالعدل. ﴿ لِتَعَمُّ مَ بَنَ النَّين هُ أَن للله الله علمه، والذي علمه أن لا يقبل دعوى أحد على أحد إلا ببرهان. والثاني: أنه ما يؤدي إليه اجتهاده، ذكره الماوردي (١٠٠٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِلْمُعَلِّمِينَ خَصِيمًا﴾ قال الزجاج: لا تكن مخاصماً، ولا دافعاً عن خائن. واختلفوا هل خاصم عنه أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه قام خطيباً فعذره. رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه همَّ بذلك ولم يفعله، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدلَّ على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه، وهو غير عالم بحقيقة أمره، لأن الله تعالى عاتب نبيّه على مثل ذلك.

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَنُوزًا رَّحِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمَّفِرِ اللَّهُ ﴾ في الذي أمر بالاستغفار منه قولان: أحدهما: أنه القيام بعذره. والثاني: أنه العزم على ذلك.

﴿ وَلَا جُمْدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَغْتَانُونَ ٱنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللّهِ وَهُو مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞﴾

٣) هو قطعة من حديث طويل رواه الترمذي: ٤/٩٣، وابن جرير: ١٨١/٩، والحاكم: ٤/ ٣٥٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: وليس كما قال، ففي إسناده عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني لم يخرج له مسلم، وهو مجهول، لم يوثقه غير ابن حبان، انظر •تهذيب التهذيب، ١/٩٨٩.

⁽١) إسناده ضعيف جداً.

⁽٢) الجفاء: غلظ الطبع، والمشربة، بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها: وهي الغرفة، أو العلية، أو الصفة بين الغرفة، والمشارب: العلالي.

⁽٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره ١/ ٥٥٠: وقوله: ﴿ لِتَحَكُمُ بَرُونَ النّاين مِمّا أَرْكُ أَنَّهُ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في «الصحيحين» عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، ولمل أحدكم أن يكون ألحن بعجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو ليلرها، وروى الإمام أحمد عن أم سلمة، قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد دَرَست، لبس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: فإنكم تختصمون إلى، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخله فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطاماً في عنته يوم القيامة فيكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فأفعها فاقتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم لبحلل كل واحد منكما صاحبه وقد وراه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد: ﴿ إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه، قلت: الحديث الأول في البخاري ٥/٧٧، ٢٩٩٩، ١٩٩٨، ولم داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد: ﴿ إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه، قلت: الحديث الأول في البخاري ٥/٧٧، ٢٩٩٩، ١٩٩٨، وفي «الفسندة ٢٠ ٣٠، ٣٠ وإسناده حسن، ورواه أبو داود: ٣ / ٤١ مختصراً. والإسطام؛ بكسر الهمزة وسكون السين: الحديدة التي تحرك بها النار وتسعر. وفي «تفسير ابن كثيرة: «انتظاماً» وهو تحريف.

قوله تعالى: ﴿وَلِا بُمِكِلَ عَنِ اللَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُم ۗ أَي: يخوّنون أنفسهم، فيجعلونها خائنة بارتكاب الخيانة. قال عكرمة: والمراد بهم: طُعمة بن أبيرق، وقومه الذين جادلوا عنه. وفي حديث العوفي عن ابن عباس قال: انطلق نفرٌ من عشيرة طُعمة ليلاً إلى رسول الله علي فقال: إن صاحبنا بريء. والاستخفاء الاستتار، والمعنى: يستترون من الناس لئلاً يطلعوا على خيانتهم وكذبهم، ولا يستترون من الله، وهو معهم بالعلم. وكل ما فكر فيه، أو خيض فيه بليل، فقد بُيّت. وجمهور العلماء على أن المشار إليه بالاستخفاء، والتبييت، قوم طعمة. والذي بيّتوا: احتيالهم في براءة صاحبهم بالكذب. وقال الزجاج: هو السارق نفسه، والذي بيّت أنه قال: أرمي اليهودي بأنّه سارق الدرع، وأحلف أني لم أسرقها، فقبل يميني، ولا تقبل يمين اليهودي.

﴿ هَتَأَنَّتُمْ هَتُؤُكُمْ جَدَلَتُمْ عَنَهُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَدِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿ اللّهِ قُولُهُ تَعَالَمُ مَتُوكُمْ جَدَلَتُمْ عَنْهُمْ ﴾ قال الزجاج: «ها» للتنبيه، وأعيدت في أوله. والمعنى: ها أنتم اللين جادلتم. و«المجادلة، والجدالة»: شدة الفتل. والكلام يعود إلى من احتج عن السارق. فأما قوله: «عنهم» فإنه عائِد إلى السارق. و«عليهم» بمعنى «لهم». والوكيل: القائم بأمر مَن وكّله، فكأنه قال: من الذي يتوكّل لهم منكم في خصومة ربهم؟!

﴿ وَمَن يَهْمَلْ شَوْمًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَكُم ثُدَّ يَشْتَغْنِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّجِيمًا ﴿ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَبَنَ يَشْمَلُ سُوّمًا أَوْ يَظْلِمٌ نَنْسَهُ ﴾ اختلفوا في نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت خطاباً للسارق، وعَرْضاً للتّوبة عليه. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها للذين جادلوا عنه من قومه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه عنى بها كل مسيء ومُذنب. ذكره أبو سليمان الدمشقي. وإطلاقها لا يمنع أن تكون نزلت على سبب. وفي هذا السوء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السرقة. والثاني: الشرك. والثالث: أنه كل ما يأثم به. وفي هذا الظلم قولان: أحدهما: أنه رمي البريء بالتُهمة. والثاني: ما دون الشرك.

﴿ وَمَن يَكْسِبُ إِنْمَا فَإِنْمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِدُ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبُ إِنَّهُ ﴾ أي: ومن يعمل ذنباً ﴿وَإِنَّمَا يَكْسِبُمُ عَلَى نَشِيدً. ﴾ يقول: ما يعود وباله عليه. قاله مقاتل، وهذه في طُعمة أيضاً.

﴿ وَمَن يَكْسِبُ خَطِيْتَةً أَوْ إِنَّا ثُمَّ بَرْهِ بِهِ. بَرِيَّنَا فَقَدِ أَحْشَلَ بُهْتَنَا وَإِثْمَا شُهِينَا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكُوبُ مَن عَلِيْتَهُ أَوْ إِنّا ﴾ جمهور العلماء على أنها نزلت متعلقة بقصة طُعمة بن أبيرق. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول إذ رمى عائشة على بالإفك. وفي قوله: ﴿ خَلِيْتَهُ أَوْ إِنّا ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن «الخطيئة» يمين السارق الكاذبة، و «الإثم»: سرقته الدرع، ورميه اليهودي، قاله ابن السائب، والثاني: أن «الخطيئة» ما يتعلق به من الذنب، و «الإثم»: قذنه البري»، قاله مقاتل. والثالث: أن «الخطيئة» قد تقع عن عمد، وقد تقع عن خطأ، و «الإثم»: يختص العمد. قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وذكر الزجاج أن الخطيئة نحو قتل الخطأ الذي يرتفع فيه الإثم. والرابع: أنه لمّا سمّى الله في بعض المعاصي خطيئة، وبعضها إثماً، أعلم أن من كسب ما يقع عليه أحد هذين الاسمين، ثم قذف به بريئاً، فقد احتمل بهتاناً، ذكره الزجاج أيضاً. فأما قوله: ﴿ ثُرَ يَرِي كَا ﴾ أي: يقذف بما جناه بريئاً منه. فإن قيل: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف قال: «به» فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه أراد: ثم يرم بهما، فاكتفى بإعادة الذكر على الإثم من إعادته على الخطيئة، كقوله: ﴿ أَنفَشُوا إِلْيَهَا ﴾ فخص التجارة، والمعنى للتجارة واللهو. والثاني: أن الهاء تعود على الكسب، فلما دل به يكسب على الكسب، كنى عنه. والثالث:

⁽١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٧٤/١ عن علي ﷺ تال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: قال رسول الله ﷺ: قما من مسلم يلنب فنباً ثم يتوضأ فيصلي ركمتين، ثم يستغفر الله تعالى لللك اللنب إلا غفر له، وقرأ هاتين الأبينين: ﴿وَبَن يَمْكُل سُوءًا أَوْ يَطْلِمَ فَنَسَمُ ثُمَدٌ يَسْتَغفِر الله يَصِد الله عَشَولًا رَحِيمًا ﴿ وَاللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى عَرضًا عَلَيْكَ إِلَيْهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللل

أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: ومن يكسب ذنباً، ثم يرم به. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والرابع: أن الهاء تعود على الإثم خاصة، قاله ابن جرير الطبري. وفي المراد بالبريء الذي قذفه هذا السارق قولان: أحدهما: أنه كان يهودياً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وابن زيد، وسمّاه عكرمة، وقتادة، زيد بن السُّمَير(۱). والثاني: أنه كان مسلماً، روي عن ابن عباس، وقتادة بن النعمان، والسدي، ومقاتل. واختلفوا في ذلك المسلم، فقال الضحاك عن ابن عباس: هو عائشة لما قذفها ابن أبيّ، وقال قتادة بن النعمان: هو لبيد بن سهل. وقال السدي، ومقاتل: هو أبو مُليل الأنصاري. فأما البهتان: فهو الكذب الذي يُحيّر من عِظَمه، يقال: بهت الرجل: إذا تحيّر. قال ابن السائب: فقد احتمل بهتاناً برميه البريء، وإثماً مبينا بيميته الكاذبة.

﴿ وَلَوْلَا فَصْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُم لِمُتَمَّتَ طَالِهِكَةً مِنْهُمْ أَن يُضِلُوكَ وَمَا يُضِلُوكَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءُ وَانزَلَ اللهُ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضَلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحَمْتُهُ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبَّسُوا على النبي على أن سابب هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب. والثاني: وقد ثقيف قدموا على رسول الله على فقالوا: جنناك نبايعك على أن لا نُحشر ولا نُعشر، وعلى أن تمتعنا بالعرَّى سنة، فلم يجبهم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك. وفي المراد بفضل الله ورحمته قولان: أحلهما: النبرة والعصمة. والثاني: الإسلام والقرآن، رويا عن ابن عباس. قال مقاتل: لولا فضل الله عليك حيث بين لك أمر طعمة، وحوّلك بالقرآن عن تصديق الخائن؛ لهمّت طائفة منهم أن يُضِلّوك. قال الفرّاء: والمعنى: لقد همّت. فإن قبل: كيف قال: ﴿وَلَوْلا فَشَلُ اللهِ عَلَى وَرَحَمْتُهُ لَمُسَتَ عَالَهُ مُن السائب عن ابن عباس: قوم طعمة، وعلى رواية الضحاك: وقد ثقيف. وفي الإضلال قولان: أحدهما: التخطئة في الحكم. والثاني: الاستزلال عن الحق. قال الزجاج: وما يضلُون إلا أنفسهم، لأنهم قولان: أحدهما: التخطئة في الحكم. والثاني: الاستزلال عن الحق. قال الزجاج: وما يضلُون إلا أنفسهم، لأنهم بالوحي، قاله ابن عباس. والثاني: الحلال والحرام، قاله مقاتل. والثالث: بيانُ ما في الكتاب، وإلهام الصواب، وإلقاء بعم الموب في الرّوع، قاله أبو سليمان الدمشقي، وفي قوله: ﴿وَعَلَنكُ مَا لَمْ تَكُنُ تَمَلُمُ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الماوردي، وفي قوله: ﴿وَعَلَنكُ مَا لَمْ المُن المناف: الكتاب والحكمة، ذكره الماوردي، وفي قوله: ﴿وَمَالَكُ الله أبو سليمان. والثاني: المنة بالإيمان. والثاني: المئة بالنبوّة، الماوردي، وفي قوله: ﴿وَمَا قوله: أنه المنة بالإيمان. والثاني: المئة بالنبوّة، الماوردي، وفي قوله: ﴿وَمَا قَلْهُ أَلُو عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَهُ أَلُو عَلَيْكُ عَلْهُ المناف. والثاني: المئة بالنبوّة، المناف المناف. والثاني: المئة بالنبوّة، المناف الذان عن ابن عباس. والثالث: المناف.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَعُهُمْ إِلَا مَنْ أَمَرَ بِمِمَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُونِ أَوْ إِصْلَنِج بَيْرَك النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آبَيْنَآةً مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُوْلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَيْرِ مِن نَجُونهُم ﴾ قال ابن عباس: هُم قومُ طعمة، وقال مقاتل: وكلهم يهود تناجوا في أمر طعمة، وقال مجاهد: هو عام في نجوى جميع الناس. قال الزجاج: ومعنى النجوى: ما تنفردُ به الجماعة أو الاثنان، سِرّاً كان أو ظاهراً. ومعنى فنجوت الشيء في اللغة: خلّصته وألقيته، يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير وغيره. قال الشاعر:

سيُرضيكما منها سَنَامٌ وغارِبُهُ ٢٧

فقلتُ انجُوا عنها نجا الجلد إنّه

⁽١) في «الطبري» ٩/١٨٧، و«ابن كثير» ١/٣٥٥ زيد بن السمين.

⁾ البيت لأبي القمر الكلابي كما في «الخزانة» ٢٧٢/٢ و«الميني» ٣٧٣/٢، ونسب في «الخزانة» أيضاً إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وهو في «المجمل» و«اللسان» مادة نجا، و«إصلاح المنطق» ٩٤ و«المخصص» ١٥/ ١٨، ١٤٣ بدون نسبة. وقال في «اللسان»: قال الفراء: أضاف النجا إلى الجلد [وهما مترادفان] لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقوله تعالى: حق اليقين، ولدار الآخرة، والجلد نجا مقصور أيضاً، وقال ابن بري: ومثله ليزيد بن الحكم:

وقد نجوت فلاناً: إذا استنكهته، قال الشاعر:

نجوتُ مُجالِداً فوجدتُ منه كريحِ الكلب مات قديمَ عهد(١)

وأصله كله من النَّجوة، وهو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلاً:

فَسَمَىنْ بسنجوته كَسَن بعَقوته والمُسْتكنُّ كَسَن يسمشي بقِرُواح(٢)

والمراد بنجواهم: ما يدبِّرونه بينهم من الكلام. فأما قوله: ﴿إِلَّا مَنَّ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، فيجوز أن يكون بمعنى: إلا في نجواهم نجوى من أمر بصدقة، ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول، فيكون بمعنى: لكن من أمر بصدقة، ففي نجواهم خير^(۱۲). وأما قوله: ﴿أَمَرَ بِمَدَتَةٍ﴾ فالمعنى: حتَّ عليها. وأما المعروف، ففيه قولان: أحدهما: أنه الفرض، روي عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع أفعال البر، وهو اختيار القاضي أبي يعلى، وأبي سليمان الدمشقي.

﴿ وَمَن يُشَافِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَنَبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَدِ. مَا قَوْلَى وَنُصْسلِدٍ. جَهَـنَّمْ وَسَآءَتْ سَمِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَن يُشَاتِقِ الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بتكذيب طُعمة، وبيان ظلمه، وخاف على نفسه من القطع والفضيحة، هرب إلى مكة، فلحق بأهل الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والسدي. وقال مقتل: لما قدم مكة نزل على الحجاج بن علاط السُلمي فأحسن نزله، فبلغه أن في بيته ذهباً، فخرج في الليل فنقب حائِط البيت، فعلموا به فأحاطوا بالبيت، فلما رأواه، أرادوا أن يرجموه، فاستحيا الحجاج، لأنه ضيفه، فتركوه، فخرج، فلحق بحرّة بني سليم يعبُد صنمهم حتى مات على الشرك، فنزل فيه: ﴿ إِنَّ اللّهَ لَا يُنْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَكَم ﴾ وقال غيره: بل خرج مع تجارٍ فسرق منهم شيئاً، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقيل: ركب سفينة، فسرق فيها مالاً، فغلِمَ به، فألقي في البحر. والقول الثاني: أن قوماً قدموا على رسول الله على المحارة، ثم ارتدوا، فنزلت فيهم هذه الآية، روي عن ابن عباس. ومعنى الآية: ومَن يخالف الرسول في التوحيد والحدود، مِن بعد ما تبيّن له التوحيد والحكم، ويتبع غير دين المسلمين، نولًه ما تولى، أي: نكله الرسول في التوحيد والحدود، مِن بعد ما تبيّن له التوحيد والحكم، ويتبع غير دين المسلمين، نولًه ما تولى، أي: نكله

وقسفستُ فسيسها أصسيسلانساً أسسائسلُسها إلا الأواريُّ لأيسساً مسسا أيسسيُّسنسهسسا وقد يحتمل قمنه على هذا التأويل أن يكون رفعاً كما قال الشاعر:

وبسلسدة لسيسس بسهسا أنسيسس

عسيَّست جسوابساً ومسا بسالسرسع مسن أحسد والسَّدي كالسحوض بسالسمنظللومية السجّلل

إلا السيعانسيسر وإلا السعسيسس

قلت: وأراد ببعض نحوبي الكوفة: الفراء، وكلامه هذا في همعاني القرآن، ٢٨٧/١ مع بعض تغيير.

تسفساوض مسن أطسوي طسوى السكسشسح دونسه ومسن دون مسافسية ومسافسية النست مسنسطسوي قال: ويقوي قول الفراء بعد البيت قولهم: عرق النساء وحبل الوريد، وثابت قطنة، وسعيد كرز. وفي اللخزانة؛ وقال ابن السيرافي في شرح أبيات المنطقة: يريد: قشر عنها لحمها وشحمها، كما يقشر الجلد فإنها سمينة. وغاربها: ما بين السنام والمنق. قال صاحب اللخزانة؛ ويؤخذ من هذا التفسير أن «النجا» هنا اسم مصدر بمعنى النجو، على أنه مفعول مطلق، وليس اسماً للجلد فلا يكون كما قاله الفراء فتأمل.

⁽١) البيت في «الحيوان» ٢/ ٢٥٢ للحكم بن عبدل الأسدي، وورد بدون نسبة في «معجم مقاييس اللغة» ٣٩٨/٥، و«المخصص» ٢٠٩/١، و«اللسان» مادة: جلد، ونكم، ونجا وفي «الحيوان» (واللسان»: «قريب عهد»، وفي «المخصص» و«معجم مقاييس اللغة»: «حديث عهد»، قلت: وقد جاء في النسخة الخطية لكتاب «الحيوان» التي رمز لها محقق الكتاب به «ل» وانجوت» بالجيم، على الصواب كما هو في سائر المراجع، ولكن المحقق حذفها، ووضع مكانها «تحوت» بالحاء» ثم أثبت ما في نسخة «ل» بالهامش، وقال: هو تحريف.

⁽٧) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» ٥٣، و«الأزمنة والأمكنة» ٢/٩٣ و«الأمالي» ١٧٧/١، و«مختارات ابن الشجري» ١٠١، و«اللسان» ٥٠٨/١٥ وبالأمالي» و١٩٠/١، و«الخيوان» ١٩٢/١، و«الأغاني» ١٠/١٠. وفي الليوان وبعض ويروى أيضاً لأوس بن حجر في «ديوانه» ١٦، و«الشعر والشعراء» ١٩٠/١، و«الحيوان» ١٩٢/١، و«الأغاني» ١٠/١٠. وفي الليوان وبعض المراجع: فمن بنجوته كمن بمحفله»، والمحفل: مستقر الماء. النجوة: ما ارتفع من الأرض. والعقوة: المساحة، وما حول الدار، والمحلة. والمستكن: الذي استكن في بيته، والكن: البيت. والقرواح: الأرض البارزة للشمس لا يسترها شيء. يريد أن المطر عم المرتفعات والمنخفضات، وأدرك الناس الذين في بيوتهم وخارجها.

 ⁽٣) في «الطبري» ٢٠٢/٤: وقال بعض نحويي الكوفة: قد تكون «من» في موضع خفض ونصب، أما الخفض فعلى قولك: لا خير في كثير من نجواهم إلا في من أمر بصدقة، فتكون «النجوى» على هذا التأويل هم الرجال المناجون، كما قال جل ثناؤه • (من يَسَكُرُتُ مِن نَبَوَى ثَلَتَةَ إِلَا هُو رَامِهُمْتُهُ)» [المجادلة: ٧] وكما قال ﴿وَإِنْهُمُ مُرَى ﴾ [الإسراء: ٤٧] وأما النصب فعلى أن تجعل «النجوى» فعلاً فيكون نصباً، لأنه حينئذي يكون استثناء منقطعاً، لأن هن، خلاف «النجوى» فيكون ذلك نظير قول الشاعر:

إلى ما اختار لنفسه، ونصله جهنم: ندخله إياها. قال ابن فارس: تقول صليت اللحم أصليه: إذا شويته، فإن أردت أنك أحرقته، قلت: أصليته. وساءت مصيراً، أي: مرجعاً يُصار إليه(١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِدِ. وَيَشْفِرُ مَا دُونَكَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآأَةُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صَلَلًا بَعِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَهَ لَا يَمْفِرُ أَن يُثَرَكَ بِمِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في حق طعمة بن أبيرق لما هرب من مكة، ومات على الشرك، وهذا قول الجمهور، منهم سعيد بن جبير. والثاني: أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مُنهَمك في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله منذ عرفته، وإني لنادمٌ مستغفرٌ، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. فأما تفسيرها، فقد تقدم.

﴿ إِن يَدَعُونَ مِن دُونِهِ: إِلَّا إِنَكَا وَإِن كِنْعُونَ إِلَّا شَكِيْطَكَا مَرِيدًا ۞ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَنْجُدَذَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَقْرُومُنا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا﴾ (إنْ) بمعنى: (ما) والدعون) بمعنى: يعبدون. والهاء في الدونه ترجع إلى الله ﷺ. والقراءة المشهورة إناثاً. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وأبو المجوزاء: ﴿إِلا وَثَناً›، بفتح الواو، والثاء من غير ألف. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين: ﴿أَنْتُا﴾ برفع الهمزة والنون من غير ألف. وقرأ أبو العالية، ومعاذ القارئ، وأبو نُهيك: «أناثاً»، برفع الهمزة وبألف بعد الثاء. وقرأ أبو السوار العدوي، وأبو شيخ الهنَّائي: ﴿أُوثَاناً ﴾، بهمزة مفتوحة بعدها واو وبألف بعد الثاء. وقرأ أبو هريرة، والحسن، والجوني: ﴿إلا أنشي،،، على وزن افعلى». وقرأ أيوب السختياني: «إلا وُثُناً»، برفع الواو والثاء من غير ألف. وقرأ مورّق العجلي: «أُثُناً»، برفع الهمزة والثاء من غير ألف. قال الزجاج: فمن قال: إناثاً، فهو جمع أنثى وإناث، ومَن قال: أنثاً، فهو جمع إناث، ومن قال: ﴿ أَثُناً ﴾، فهو جمع وثن، والأصل: وُثنَّ، إلا أن الواو إذا انضمّت جاز إبدالها همزة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ارْسُلُ أَيْنَتَ ﴿ ﴾ [المرسلات: ١١] الأصل: وتنت. وجائز أن يكون أثُن أصلها: أثْن، فأتبعت الضمّةُ الضمةَ، وجائِز أن يكون أثن، مثل أَسَد وأَسْد. فأما المفسرون، فلهم في معنى الإناث أربعة أقوال: أحدها: إن الإناث بمعنى الأموات، قاله ابن عباس، والمحسن في رواية، وقتادة. قال المحسن: كل شيء لا روح فيه، كالحجر، والخشبة، فهو إناث. قال الزجاج: والموات كلها يخبر عنها، كما يخبر عن المؤنّث، تقول من ذلك: الأحجار تعجبني، والدراهم تنفعني. والثاني: أن الإناث: الأوثان، وهو قول عائشة، ومجاهد. والثالث: أن الإناث اللات والعُزّى ومناة، كلهن مُؤنَّث، وهذا قول أبي مالك، وابن زيد، والسدي. وروى أبو رجاء عن الحسن قال: لم يكن حيٌّ من أحياء العرب إلاَّ ولهم صنم يسمُّونه: أنثى بني فلان، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: والمعنى: ما يدعون إلا ما يُسمُّونه باسم الإناث. والرابع: أنها الملائكة كانوا يزعمون أنها بناتُ الله، قاله الضحاك. وفي المراد بالشيطان ثلاثة أقوال: أحدها: شيطانٌ يكون في الصنم. قال ابن عباس: في كل صنم شيطان يتراءى للسدنة فيكلمهم. وقال أبئ بن كعب: مع كل صنم جنيّة. والثاني: أنه إبليس. وعبادته: طاعته فيما

⁽۱) قال ابن كثير ۱/ ٥٥٤ في تفسير الآية: قوله: ﴿وَمَنْ يُكَاتِقِ ٱلرَّسُولَ بِنْ بَعْدِ مَا بَيْنَ لَهُ ٱلهُدَىٰ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول يهيء فضار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمدٍ منه بعد ما ظهر له الحق، وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَرَسُّعُ عَبِرٌ سَبِيلِ ٱلنَّوْمِينِ﴾ هذا المرام للصفة الأرلى، ولكن قد تكون مخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفاً لهم، وتعظيماً لنيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب وأحاديث الأصول، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها. والذي عول عليه الشافعي في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك، واستبعد الدلالة منها على ذلك. ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَلَوْدِ مَنْ أَرْقُ وَنُصُهِدِ جَهَيَّمُ وَسَاتَةَ سَمِياً﴾ أي: إذا سلك هذا الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له، استدراجاً له، كما قال تعالى: ﴿فَنَنِ وَنَ يُكْنِّ بِكُنَا لَيْقِيُّ مُتَعَيِّهُم وَنَ عَنْ عَنْ النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَيْ النَّمُ مُنَاقِعُهُم وَنَ الْمُؤلِّ بَيْنُ فَيْ مِنْ مُنْ اللَّه الله على النار هوم الم المنار وورد أكثر من حديث يصرح بأن الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، انظر وكشف الخفاءه للمجلوني ٢٠ -٣٥. قلت: وورد أكثر من حديث يصرح بأن الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، انظر وكشف الخفاءه للمجلوني ٢٠ -٣٥.

سؤل لهم، هذا قول مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه أصنامهم التي عبدوا، ذكره الماوردي. فأما «المريد»، فقال الزجاج: «المريد»: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرد مُروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المرود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املساس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. وفي قوله: ﴿لَمَنهُ اللهُ ﴾ قولان: أحلهما: أنه ابتداء دعاء عليه باللعن، وهو قول من قال: هو الأوثان. والثاني: أنه إخبار عن لعن متقدم، وهو قول من قال: هو إبليس. قال ابن جرير: المعنى: قد لعنه الله. قال ابن عباس: معنى الكلام: دحره الله، وأخرجه من الجنة. وقال يعني إبليس ..: ﴿ لاَ يَخِذُنُ مِنْ عِبَاكِ كَن نَويبًا مَفْرُوصًا ﴾. وقال ابن قتيبة: أي: حظاً افترضته لنفسي منهم، فأضلهم. وقال مقاتل: النصيب المفروض: أنَّ مِنْ كل ألفٍ إنسانٌ واحد في المجنة، وسائرهم في النار^(۱). قال الزجاج: «الفرض فيما ألزمه الله العباد: جعله حتماً عليهم قاطعاً.

﴿ وَلاَ شِلْنَهُمْ وَلاَمْزَئِنَهُمْ وَلاَمُرَنَّهُمْ فَلَبَقِكُنَّ ءَاذَاكَ ٱلأَنْعَادِ وَلَاَمْرَأَهُمْ فَلَيُغَيِّرُكَ خَلَقَ اللَّهِ وَمَن يَشَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيَّنَا مِن وُوبِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانَا تُهِينَنا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِنَّنَهُمُ ﴾ قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدعاء إليه. وفي قوله: ﴿وَلَأُمْنِنَّتُهُمُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الكذب الذي يخبرهم به، قال ابن عباس: يقول لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث. والثاني: أنه التسويف بالتوبة، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه إيهامهم أنهم سينالون من الآخرة حظاً، قاله الزجاج. والرابع: أنه تزيين الأماني لهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ فَلِبُنْ عَاذَاكَ الْأَنْتَارِ ﴾ قال قتادة، وعكرمة، والسدي: هو شق أذن البّحيرة. قال الزجاج: ومعنى ويبتكنه: يُشققن، يقال: بتكت الشيء أبتكه بتكاً: إذا قطعته، وبنّكه وبنّك، مثل: قطعه وقطع. وهذا في البحيرة كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن، وكان الخامس ذكراً، شقّوا أذن الناقة، وامتنعوا من الانتفاع بها، ولم تُطردُ عن ماءٍ، ولا مرعى، وإذا لقيها المعيي، لم يركبها. سوّل لهم إبليس أن هذا قربة إلى الله تعالى. وفي المراد بتغيير خلق الله خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير دين الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن في رواية، وسعيد بن المسيّب، وابن جبير، والنخعي، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل. وقيل: معنى تغيير الدّين: تحليل الحرام، وتحريم الحلال. والثاني: أنه تغيير الخلق بالخصاء، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو مروي عن أنس بن مالك. وعن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، كالقولين. والثالث: أنه التغيير بالوشم، وهو قول ابن مسعود (٢٠)، والحسن في رواية. والرابع: أنه تغيير أمر الله، رواه أبو شيبة عن عطاء. والمخامس: أنه عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرّموا من الأنعام، وإنما خلق ذلك للانتفاع به، قاله الزجاج (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيُّ ابِّن دُونِ ٱللَّهِ في المراد بالولى قولان: أحدهما: أنه بمعنى الرب،

⁽١) وفي «القرطبي» ٣٨٨/٥ قلت: وهذا صحيح معنى، يعضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة: «ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمانة وتسعة وتسعير». أخرجه مسلم. وبعث النار: هو نصيب الشيطان.

⁽٢) أحمد في «المسند»، والبخاري ٨/ ٨٤»، ومسلم ٣/ ١٦٧٩، ولفظه: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله . . . ، قلت: الواشمة هي التي تشم، والمستوشمة: هي التي تطلب الوشم، والوشم: أن يغرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحثى بحكل أو نؤور فيخضر. والمتنمصة والنامصة: التي تتف الشعر من وجهها. وقبل: هي التي تزبل شعر الحاجبين بالمنقاش حتى ترققه وترفعه وتسويه. والمتفلجة: التي تصنع الفلج بأسناتها إذا كانت متلاصقة، وذلك بأن تحك ما بينهما بالمبرد حتى يتسع ما بين أسنانها.

أ قال أبو جعفر الطبري ٢٢٢/٩: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: ﴿ وَلَا سُوْمَ مُلْكُونُكُ عَلَىٰكُ اللّهُ ﴾ قال: دين الله، وذلك للالة الأية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ﴿ وَفَلْرَتَ اللّهِ اللهِ اللهِ

قاله مقاتل. والثاني: من الموالاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قال قائل: من أين لإبليس العلم بالعواقب حتى قال: ولأضلنهم. وقال في (الأعراف): ﴿ وَلَا عِبُدُ أَكْرَكُمْ شَكِرِكَ ﴿ وَقَالَ في (بني إسرائيل): ﴿ لَأَخَرُكُمْ شَكِرِكَ ﴾ وقال في (بني إسرائيل): ﴿ لَأَخَرُكُمْ مَنْكِئَكُ وَيُلِكُ ﴾ وقال في (بني إسرائيل): ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْم إليلِسُ ظَنَمُ ﴾ وليد الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْم إليلِسُ ظَنَمُ ﴾ [سا: ٢٠] قاله الحسن، وابن زيد. وفي سبب ذلك الظن قولان: أحدهما: أنه لما قال الله تعالى له: ﴿ لَأَتَلاَنَّ جَهَمُّم بِنكَ وَمِنَن بَيْمَكَ مِنْهُم أَجْمِينَ ﴾ [س: ١٨٥] علم أنه ينال ما يريد. والثاني: أنه لما استزلَّ آدم، قال: ذرّية هذا أضعف منه. والثاني: أن المعنى: لأحرضن ولأجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب، قاله ابن الأنباري. والثالث: أن من الجائِز أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يشكرون، ذكره الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على بعضهم فقال: ﴿ وَلَو عَلْم مَن جهة الملائكة بنا. والثاني: أنه لما لم ينلُ من آدم كل ما أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون علم مال الخلق من جهة الملائكة، كما بينا. والثاني: أنه لما لم ينلُ من آدم كل ما يريد، طمع في بعض أولاده، وأيس من بعض. والثالث: أنه لما عاين الجنّة والنار، علم أنهما خلقنا لمن يسكنهما، فأشار بالنصيب المفروض إلى ساكني النار.

قوله تعالى: ﴿يَيدُكُمُ ﴾ يعني: الشيطان يعد أولياءه. وفيما يعدهم به قولان: أحدهما: أنه لا بعث لهم، قاله مقاتل. والثاني: النصرة لهم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفيما يُمنَّيهم قولان: أحدهما: الغرور والأماني، مثل أن يقول: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا مرادك. والثاني: الظفر بأولياء الله.

﴿يَمِدُهُمْ وَيُمَنِيهِمْ وَمَا يَمِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُهُمًا ۞ أُولَتِهِكَ مَاْوَنَهُمْ جَهَنَّدُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا يَجِيمُنَا ۞ وَالَذِينَ ءَامَنُوا وَعَيَلُوا الشَالِحَتِ صَائَدْخِلَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَنَرُ خَلِدِينَ فِيهَا آبُدًا وَعْدَ اللّهِ حَقَّا وَمَنْ أَمْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلنَّبَعَلانُ إِلَّا عُهُدًا﴾ أي: باطلاً يغرُهم به. فأما المحيص. فقال الزجاج: هو المعدل والملجأ، يقال: حِصتُ عن الرجل أحيص، ورووا: جضتُ أجيض بالجسم والضاد، بمعنى: حصت، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً، لأن القراءة سنّة، والذي في القرآن أفصحُ مما يجوز، ويقال: حُصتُ أحوص حوصاً وحياصة (۱): إذا خطت، قال الأصمعي: يقال: حصْ عين صقرك، أي: خط عينه، والحوصُ في العبن: ضيق مؤخرها، ويقال: وقع في حيصَ بيصَ. وحاص باص: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه (٢).

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا ۚ أَمَانِيَ آهْـلِ ٱلْكِتَتَبُّ مَن يَمْمَلْ سُوَّءًا يُجْرَز بِهِ. وَلَا يَجِـدْ لَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَعِيدًا ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَيْسَ بِأَمَانِيَكُمُ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الأديان اختصموا، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية، ثم خير بين الأديان بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَنْ أَسْلَمَ وَجُهِمُ لِلَّذِ ﴾ رواه العوفي عن ابن عباس (٢٠) وإلى هذا المعنى ذهب مسروق، وأبو صالح، وقتادة، والسدي. والثاني: أن العرب قالت: لا نُبعث، ولا نعذب، ولا نحاسب، فنزلت هذه الآية، هذا قول مجاهد (٤٠). والثالث: أن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: لا نُبعث، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة. قال الزجاج: اسم هليس، مضمر، والمعنى: ليس ثواب الله عَيْقُ بأمانيكم، وقد جرى ما يدل على الثواب، وهو قوله: ﴿ سَنُدُ عِلْهُمْ جَنَاتٍ جَرِّى مِن عَيْبًا ٱلأَنْبَرُ ﴾. وفي المشار إليه بقوله ﴿ أمانيكم، قولان: أحدهما: أنهم المسلمون على قول الأكثرين. والثاني: المشركون على قول مجاهد.

 ⁽١) في الأصول التي بين أيدينا «حياصاً» والتصويب من «اللسان».

٢) قال ابن يعيش شارح «المفصل» ١١٤/٤ : العرب تقول: «وقع الناس في حيص بيص» إذا وقموا في فتنة واختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وهما اسمان رُكبا اسماً واحداً، وبنيا بناه «خمسة عشر» و«خيْصُ» مأخوذ من اسمان رُكبا اسماً واحداً، وبنيا بناه «خمسة عشر» و«خيْصُ» مأخوذ من قولهم: باص يبوص: أي: فات وسبق، لأنه إذا وقع الاختلاط والفتنة، قمنهم هارب، ومنهم فائت، ولذلك فسرهما _أي الزمخشري _ ابفتنة تموج بأهلها متأخرين ومتقدمين» فالحيص: التأخر والهرب، والبوس: التقدم والسبق، وكان ينبغي أن يقال: حيص بوص، غير أنهم أتبعوا الثاني الأول.

⁽٣) رواه ابن جرير الطبري: ٩/ ٢٣٠.

٤) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، ورجح هذا القول الطبري ٢٣٢/٩

فأما أماني المسلمين، فما نقل من قولهم كتابنا ناسح للكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، وأماني المشركين قولهم: لا نبعث، وأماني أهل الكتاب قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وإن النار لا تمسنا إلا أياماً معدودة، وإنَّ كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، فأخبر الله على أن دخول المجنة والجزاء، بالأعمال لا بالأماني. وفي المراد «بالسوء» قولان: أحدهما: أنه المعاصي، ومنه حديث أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿مَن يَممَلَ سُوّهَا يُجْزَ بِدِيك فإذا عملنا سوءاً جزينا به، فقال: فقفر الله لك يا أبا بكر، ألست تعرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ (١) فذلك ما تُجزَون بهه (٢٠). والثاني: أنه الشرك، قاله ابن عباس، ويحيى بن أبي كثير. وفي هذا الجزاء قولان: أحدهما: أنه عام في كل من عمل سوءاً فإنه يجازى به، وهو معنى قول أبيً بن كعب، وعائشة، واختاره ابن جرير، واستدل عليه بحديث أبي بكر الذي قدمناه. والثاني: أنه خاص في الكفار يجازَوْن بكل ما فعلوا، فأما المؤمن فلا يجازى بكل ما جنى، قاله الحسن البصري. وقال ابن زيد: وعد الله المؤمنين أن يكفّر عنهم سيئاتهم، ولم يَعِد المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: لا يجد من أراد الله أن يجزيه بشيء من عمله ولياً، وهو القريب، ولا ناصراً يمنعه من عذاب الله وجزائه.

﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الفَكَلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمِلُ مِنَ الفَكَلِيحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِيكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الشَكِلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنُّ﴾ قال مسروق: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْتُكُمْ وَلَآ أَمَانِ آهْلِ الْكِتَابُ ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت ﴿وَمَن يَعْمَلُ مِنَ . . . الفَنَلِكَتِ﴾ الآية، وهذه تدل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل أحدهما إلا بوجود الآخر، وقد سبق ذكر «النقير».

﴿ وَمَنْ آخْسَنُ دِينًا يَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُم لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَهِيدَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَهِيدَ خَلِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ وِينًا مِّمَّنَ أَسْلَمَ وَجَهَمُ يِنَوَى قال ابن عباس: خير الله بين الأديان بهذه الآية. وأسلم بمعنى: أخلص. وفي اللوجه قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل وفي البراهيم قولان: التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القيام لله بما فرض الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي اتباع ملة إبراهيم قولان: أحدهما: اتباعه على التوحيد والطاعة. والثاني: اتباع شريعته، اختاره القاضي أبو يعلى. فأما الخليل، فقال ابن عباس: الخليل: الصفي، وقال غيره: المصافي، وقال الزجاج: هو المُحبُّ الذي ليس في محبته خلل. قال: وقيل: الخليل: الفقير، فجائِز أن يكون إبراهيم سُمّي خليل الله بأنه أحبّه محبةً كاملةً، وجائِز أن يكون لأنه لم يجعل فقرة وفاقته إلاّ إليه، والخُلّة؛ الصداقة، لأن كلَّ واحد يسدُّ خلل صاحبه، والخُلة، بفتح الخاء: الحاجة، سُميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمي الخُلّ الذي يؤكل خلاً، لأنه اختل منه طعم الحلاوة. وقال ابن للاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمي الخُلّ الذي يؤكل خلاً، لأنه اختل منه طعم الحلاوة. وقال ابن الأنباري: الخليل: فعيل من الخُلة، والخلّة: المودّة. وقال بعض أهل اللغة: الخليل: المحب، والمحب الذي ليس في محبته نقص ولا خلل، والمعنى: أنه كان يحبُ الله، ويحبهُ الله محبة لا نقص فيها، ولا خلل، ويقال: الخليل: الفقير، فالمعنى: اتخذه فقيراً إليه ينزل فقره وفاقته به، لا بغيره. وفي سبب اتخاذ الله له خليلاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخذه خليلاً لإطعامه الطعام، روى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: اليا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً قال: الطعام، وكانت له ميرة من صديق الخطامة الطعام، وكانت له ميرة من صديق

⁽١) اللأواء؛ بفتح اللام والواو بينهما همزة ساكنة بالمد: المشقة والشدة.

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١٨١/١، وابن جرير ٢٤٢/٩، والحاكم في «المستدرك» ٧٤/١، والبيهقي في «المسند» ٢٣٣/٣ عن أبي بكر ظله» وفي إسناده انقطاع بين التابعي أبي بكر بن أبي زهير الثقفي راويه عن أبي بكر الصديق وبين أبي بكر، لكن للحديث شواهد تؤيد صحته، من ذلك ما رواه الإمام أحمد في «المسند» ١١٥/١٣، ومسلم في «صحيحه» ١٩٩٣/٤، والمترمذي ٩٤/٤ عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَن يَشَلُ سُوّاً يُجْزَ بِهُمُ سُقَت على المسلمين وبلغت منهم ما شاه الله تَبلُغ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ: فقال لهم رسول الله ﷺ: فقاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها». وقوله: قاربوا: أي: اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا. وسددوا: معناه: إقصدوا السداد وهو الصواب. والنكبة: ما يصب الإنسان من الحوادث.

⁽٣) نسبه السيوطي في «الدر» ٢٠/ ٢٣٠ للبيهقي في «شعب الإيمان».

له بمصر في كل سنة، فبعث غلمانه بالإبل إلى صديقه، فلم يعطهم شيئاً، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بميرة، فملؤوا الغرائر(۱) رملاً، ثم أتوا إبراهيم على فأعلموه، فاهتم إبراهيم لأجل الخلق. فنام وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان، ففتحت الغرائر، فإذا دقيق خُواري، فأمرت الخبازين فخبزوا، وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم، فقال: من أين هذا الطعام؟ فقالت: من عند خليلك المصري، فقال: بل من عند خليلي الله كلى، فيومئذ اتخذه الله خليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس (۱). والثالث: أنه اتخذه خليلاً لكسره الأصنام، وجداله قومه، قاله مقاتل.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّي شَيْءٍ غُيطًا ﴿ ﴾ قُولُهُ تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّي شَيْءٍ غُيطًا ﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء.

﴿ وَيَسْتَغَثُونَكَ فِى النِسَلَةُ قُلِ اللّهُ يُنتِيكُمْ فِيهِنَ وَمَا يُتُلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَكِ فِي يَتَكَمَ النِسَاتِي النِّيَ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُيبَ لَهُنَّ وَرَّغَبُونَ أَن تَنكِمُومُنَّ وَالسَّغَنْمَنِهَا مِن الْوِلْدَانِ وَأَلَى تَتُومُواْ الِتِتَنكَيْ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ. عَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَمَّتَ نَتُولُكَ فِي النِّسَآءِ ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنهم كانوا في الجاهلية لا يورَّتُون النساء والأطفال، فلما فرض الله المواريث في هذه السورة، شق ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية (٢٠)، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أن ولي البتيمة كان يتزوّجها إذا كانت جميلة وهَوِيها، فيأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت، فإذا ماتت ورثها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس (٤). والثالث: أنهم كانوا لا يؤتون النساء صَدُقَاتِهنَّ، ويتملَّك ذلك أولياؤهن، فلما نزل قوله: ﴿ وَهَا النِّهَ مَدُقَاتِهنَّ غِمَلَا ﴾ سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة ﷺ والرابع: أن رجلاً كانت له امرأة كبيرة، وله منها أولاد، فأراد طلاقها، فقالت: لا تفعل، واقسم ليس في كل شهر إن شئت أو أكثر، فقال: لئن كان هذا يصلح، فهو أحبُ إليّ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «قد سمع الله ما منها أجابك»، فنزلت هذه الآية، ونهوا أن ينكحوهن، أو يبلغوا بهن البيمة كان إذا رغب في مالها وجمالها لم يسط لها في صداقها، فنزلت هذه الآية، ونهوا أن ينكحوهن، أو يبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، ذكره القاضى أبو يعلى. وقوله: ﴿ رَمَنَاتُهُونَكُ ﴾ أي: يطلبون الفتوى، وهي تبيين المشكل من أعلى سنتهن من الصداق، ذكره القاضى أبو يعلى. وقوله: ﴿ رَمَنَاتُهُونَكُ أَن إذا رغب في مالها وجمالها لم يسط لها في صداقها، فنزلت هذه الآية، ونهوا أن ينكحوهن، أو يبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، ذكره القاضى أبو يعلى. وقوله: ﴿ رَمَنَاتُهُونَكُ أَن ينالون الفتوى، وهي تبيين المشكل من

١) الغرائر: جمع غرارة بكسر الغين: وهي الجوالق التي يوضع فيها التبن والقمح وغيرهما.

إسناده ضعيف، وقد رواه ابن جرير الطبري في «التفسير» بدون سند، ونقله عنه ابن كثير، وقال: وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب.

⁽٣) ابن جرير: ٩/ ٣٥٣ وابن المنذر من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وعطاء هذا صدوق لكنه اختُلِط، فمن روى عنه قبل الاختلاط فحديثه صحيح، ومن روى عنه بعده فإنه يتوقف في حديثه ولا يحتج به. قال الحافظ في التهذيب»: قلت: فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن صفيان الثوري وشعبة وزهيراً، وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه صحيح، ومن عداهم يتوقف فيه.

⁽³⁾ لم نجد هذا الأثر عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في كتب المصادر التي بين أيدينا، وفي الطبري ٢٥٥/٩ عن إبراهيم قال: كان الرجل منهم تكون له اليتيمة بها الدمامة والأمر الذي يرغب عنها فيه، ولها مال، قال: فلا يتزوجها ولا يزوجها، حتى تموت فيرثها. قال: فنهاهم الله عن ذلك. وفيه أيضاً عن ابن عباس من طريق العوفي: كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فيرغب أن ينكحها أو يجامعها، ولا يعطيها مالها رجاء أن تموت فيرثها، وإن مات لها حميم لم تعط من الميراث شيئاً، وكان ذلك في الجاهلية، فين الله لهم ذلك.

⁽۵) رواه ابن جریر ۹/ ۲۸۱ بمعناه.

روى البخاري: ١٩٩/١، ومسلم ١٩٩/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله: ﴿ وَأَنْ جَنَّةُ أَلَا نَفْيَطُوا فِي الْلِنَيْقُ فَاتِكُمْ مِنَ النِّيرَةُ فَقَالَتَ: يا ابن أختي هذه البتيمة تكون في حِجْر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره. فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوه ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله في بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله في ﴿ وَرَبَّتَنُونَكُ فِي النِّسَامُ فَي النَّسَامُ فَي اللَّهُ اللّهُ لِللّهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَال

الأحكام. وقيل: الاستفتاء: الاستخبار. قال المفسّرون: والذي اسْتَفْتَوه فيه، ميراث النساء، وذلك أنهم قالوا: كيف ترث المرأة والصبي الصغير؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتَلَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الْكِتَكِ قَالُ الزجاج: موضع قما وقع المعنى: الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن. وهو قوله: ﴿وَمَاتُوا النِّنَيْ أَتَوَكُمْ مِن الآية. والذي تلي عليهم في التزويج قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا نُقْسِطُوا فِي النِّنَيْنَ فَاكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءَ الناء: ٣]. وفي يتامى النساء قولان: أحدهما: أنهن النساء اليتامى، فأضيف إليهن النساء اليتامى، فأضيفت العن العنم، فأضيف إليهن أولادهن اليتامى، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الميراث، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الصداق. ثم في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم أولياء المرأة كانوا يحوزون صداقها دونها. والثاني: ولي الميتمة، كان إذا تزوجها لم يعدل في صداقها. وفي قوله: ﴿وَرَّغَبُونَ أَن تَنكِمُومُنَ ﴾ قولان: أحدهما: وترغبون في نكاحهن رغبة في جمالهن، وأموالهن، هذا قول عائشة، وعبيدة. والثاني: وترغبون عن نكاحهن لقبحهن، فتمسكوهن رغبة في أموالهن، وهذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْسُنَمُنَهُ إِنَّ الْوِلْدَانِ ﴾ قال الزجاج: موضع المستضعفين خفض على قوله: ﴿ وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِلْدَانِ. قال ابن عباس: يريد أنهم لم يكونوا يورّثون صغيراً من الغلمان والجواري، فنهاهم الله عن ذلك، وبيّن لكل ذي سهم سهمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَكَىٰ بِالْقِسَطِ ﴾ قال الزجاج: موضع «أن» خفض، فالمعنى: في يتامى النساء، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط. قال ابن عباس: يريد العدل في مهورهن ومواريثهن .

﴿ وَإِنِ ٱثْرَاَةً خَانَتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُونًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُمُنَاعٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالطُّلُحُ خَيْرٌ وَأَحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشَّحُّ وَإِن تُخْسِنُوا وَتَـتَقُوا فَإِنْكَ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَمْمَلُونَ خَبِيرًا ﷺ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ أَمْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُونًا ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله الا تطلقني، وأحسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس (۱). والثاني: أن بنت محمد بن مسلمة كانت تحت رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما كِبَراً، وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فنزلت هذه الآية، رواه الزهري عن سعيد بن المسيب (۱). قال مقاتل: واسمها خويلة. والثالث: قد ذكرناه عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في نزول الآية التي قبلها. وقالت عائشة: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها تكون له محبة أو يكون لها ولد فتكره فراقه، فتقول له: لا تطلقني وأمسكني، وأنت في حل من شأني. رواه البخاري، ومسلم (۱).

(٦) البخاري ١٩٩/٨، ومسلم ٢٣١٦/٤ ولقظه عن عائشة في قوله هن ﴿ وَإِن أَتُمَاأً كَافَتَ مِنْ بَدُلِهَا نُشُونًا ﴾ قالت: «نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلعله
 أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، فتكره أن يفاوقها، فتقول له: أنت في حل من شأني».

⁽۱) أخرجه أبو داود الطيالسي ۱۷/۲، والترمذي ٩٤/٤، والبيهتي في «السنن» ۲۹/۲، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في والفتح» بعد نقل هذا الحديث عن الترمذي: وله شاهد في «الصحيحين» من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية. قلت: روى الشيخان عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي 蒙يشسم لعائشة بيومها ويوم سودة. وأخرج أبو داود في استنه ٢٣٢١/٣ عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكته عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطرف علينا جميماً، فيلنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وفرقت أن يفارقها رسول الله يقل يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله الله منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها، أراء قال: ﴿وَإِن الرَّأَةُ عَامَتُ بِنْ بَسِكِهَا مُوْسُونًا ﴾. وإسناده جيد.

⁽۲) «الموطأ» ۲۸/۲» عن ابن شهاب عن رافع بن خديج. و «الأم» ٥/ ١٧١، و «المسئلة للشافعي ۲۸/۲» و «جامع البيان» ٩/ ٢٧٥، عن الزهري عن سعيد بن المسيب. ورواه الحاكم في «المسئلوث» ٢٠٨/٢» من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مرفوعاً إلى رافع بن خديج، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في «السنن» من طريق أخرى مطولاً من طريق أبي اليمان عن شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري.

قولان: أحدهما: أنه العلم به عند ظهوره. والثاني: الحذر من وجوده لأماراته. قال الزجاج: والنشوز من بعل المرأة: أن يُسيء عشرتها، وأن يمنعها نفسه ونفقته. وقال أبو سليمان: نشوزاً، أي: نبواً عنها إلى غيرها، وإعراضاً عنها، واشتغالاً بغيرها. ﴿فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِما أَن يُصَلِحا بينهما قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: فيصالحا بينهما بغتح الياء، والتشديد. والأصل: فيتصالحا بينهما أمراً يرضيان به، وتدوم بينهما الصحبة، مثل أن تصبر بضم الياء، والتخفيف. قال المفسرون: والمعنى: أن يوقعا بينهما أمراً يرضيان به، وتدوم بينهما الصحبة، مثل أن تصبر على تفضيله. وروي عن علي، وابن عباس: أنهما أجازا لهما أن يصطلحا على ترك بعض مهرها، أو بعض أيامها، بأن يجعله لغيرها. وفي قوله: ﴿وَالشَلْحُ خَيْرٌ ﴾ قولان: أحدهما: خير من الفرقة، قاله مقاتل، والزجاج. والثاني: خيرٌ من النشوز والإعراض، ذكره الماوردي. قال قتادة: متى ما رضيت بدون ما كان لها، واصطلحا عليه، جاز، فإن أبث لم يصلح أن يجسها على الخسف.

قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنْسُ ٱلشُّحُ الْحضرت : بمعنى: ألزمت. والشح الإفراط في الحرص على الشيء. وقال ابن فارس: الشح : البخل مع الحرص، وتشاح الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما. وفيمن يعود إليه هذا الشح من الزوجين قولان: أحدهما: المرأة ، فتقديره: وأحضرت نفس المرأة الشح بحقها من زوجها، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: الزوجان جميعاً، فالمرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح عليها بنفسه إذا كان غيرُها أحبً إليه، هذا قول الزجاج. وقال ابن زيد: لا تطيب نفسه أن يعطيها شيئاً فتحلله، ولا تطيب نفسها أن تعطيه شيئاً من مالها، فتعطفه عليها.

َ قُولُه تَعَالَى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالصبر على التي يكرهها. :والثاني بالإحسان إليها في عشرتها.

قوله تعالى: ﴿وَتَسَّقُوا ﴾ يعني الجور عليها ﴿فَإِثَ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَمْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَمْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآيَ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَصِيلُوا كُلَّ النَّيْلِ فَتَذَرُّوهَا كَالْمُتَلَقَّةُ وَإِن تُصْلِعُوا وَتَتَقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَنُورًا رَحِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَمْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءَ﴾ قال أهل التفسير: لن تطيقوا أن تسوّوا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك ليس من كسبكم ﴿وَلَوْ حَرَّصْتُمُ ﴾ على ذلك (١) ﴿وَلَلَا تَعِيدُوا ﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسم. وقال مجاهد: لا تتعمّدوا الإساءة فتذروا الأخرى كالمعلقة وقال ابن عباس: المعلقة: التي لا هي أيّم، ولا ذات بعل. وقال قتادة: المعلقة: المسجونة.

َ **قوله تعالى: ﴿**وَلِن نُصَّلِحُوا﴾ أي: بالعدل في القسمة ﴿وَتَشَقُّوا﴾ الجور ﴿فَإِكَ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لميل القلوب. ﴿ ﴿وَإِن يَنَفَرُهَا يُشُنِ اللَّهُ كُلَّ مِن سَمَتِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَسِمًا حَرِيمًا ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي اَلسَّكُوتِ وَمَا فِي اَلاَرْضِ وَلَقَدْ وَمُلِّنَا

﴿ وَإِنْ يَنْفَرُقَا يَنْمِنِ ٱللّٰهُ كُلَّا مِنْ سَمَتِهِ. وَكَانَ ٱللّٰهُ وَسِمًا حَرِيمًا ۞ وَلِلّٰهِ كَا فِى ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنًا الَّذِينَ أُوقُوا الكِتَكِ مِن تَبْلِكُمْ وَإِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ وَإِن تَكَفَرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمَوَتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَيْنًا جَمِيدًا ۞ وَلِهُ مَا فِى ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ وَكَانَ بِاللّٰهِ وَكِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَنَفَرَّفَا ﴾ يقول: وإن أبت المرأة أن تسمح لزوجها بإيثار التي يميل إليها، واختارت الفرقة، فإن الله يغني كل واحد من سعته. قال ابن السائب: يغني المرأة برجل، والرجل بامرأة. ثم ذكر ما يوجبُ الرغبة إليه في طلب الخير، فقال: ﴿ وَلَهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ وَلَقَدٌ وَصَّيْنَا الْلِيْنَ أُوقُوا الْكِتَبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني: أهل

⁽۱) قال أبو بكر بن العربي في «شرح الترمذي» ٥٠/٥: قال الله تعالى: ﴿وَلَن نَسْتَطِيعُوا أَن شَدِلُوا بَيْنَ النِّسَلَةِ وَلَوْ حَرَّمَتُمْ فَلَا تَعِيلُوا صَكُلَ النَّيْلِي مَتَنْدُوهَا كَالْمُلُقَةُ فَاخِير صبحانه أن أحداً لا يملك العدل بين النساء، والمعنى فيه تعلق القلب لبعضهن أكثر منه إلى بعض، فعذرهم فيما يكنون، وأخذهم بالمساواة فيما يظهرون. قلت: روى أبو داود ٣٣٢/٢ والترمذي يشرح ابن العربي ٥/ ٥٠، والنسائي ٧/ ٣٤، وابن ماجه ١/ ٣٤٤ بسند جيد عن عائشة قالت: إن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيمدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، وصححه أيضاً ابن كثير في «الغسير». ورواه الحاكم ٢٤/٧٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الترمذي: ومعنى قوله: «لا تلمني فيما تملك ولا أملك» إنما يعني به الحب والمودة.

التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهل القرآن^(١) ﴿ أَنِ اتَّقُواْ اَللَّهُ قيل: وحّدوه ﴿ وَإِن تَكُفُرُوا ﴾ بما أوصاكم به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾ فلا يضرّه خلافكم. وقيل: له ما في السموات، وما في الأرض من الملائكة، فهم أطوع له منكم. وقد ذكرنا في سورة (البقرة) معنى «الغني الحميد»، وفي (آل عمران) معنى «الوكيل».

﴿ إِن يَشَأَ يُدْمِنِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ يِحَاخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَّدِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأُ يُدُمِبَكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين والمنافقين ﴿ وَيَأْتِ إِنَّا خَيْنَ ﴾ أطوع له منكم. وقال أبو سليمان: هذا تهدّد للكفار، يقول: إن يشأ يهلككم كما أهلك مَن قبلكم إذ كفروا به، وكذبوا رسله (٢).

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنيَا فَصِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنيَا وَالْآخِرَةُ وَكَانَ اللَّهُ سَرِيمًا بَصِيرًا

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثُوَابَ الدُّنِيَا﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت من أجل المنافقين كانوا لا يصدُّقون بالقيامة، وإنما يطلبون عاجل الدنيا، ذكره أبو سليمان. وقال الزجاج: كان مشركو العرب يتقربون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا، ويصرف عنهم شرّها، ولا يؤمنون بالبعث، فأعلم الله عزَّ وجلَّ أن خير الدنيا والآخرة عنده. وذكر الماوردي أن المواد بثواب الدنيا: الغنيمة في الجهاد، وثواب الآخرة: الجنة. قال: والمراد بالآية: حث المجاهد على قصد ثواب الله.

﴿ ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَتُوا كُونُوا فَوَمِينَ بِالْتِسْطِ شُهَدَاتَه بِلَهِ وَلَوْ عَلَى اَنفُسِكُمْ آوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَفْرِبِينُ إِن بَكُتْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ اللَّهِ كَانَ بِمَا تَصْدُلُونَ خَبِيًا ﴿ ﴾ أَوَلَى بِهِمَا فَلَا تَشْبِعُوا الْمُوَىٰ أَن يَعْدِلُوا وَإِن تَلُومُ اللَّهِ كَانَ بِمَا تَصْدُلُونَ خَبِيًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَآأَيُّا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَرِينَ بِالْقِسَوِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن فقيراً وغنياً اختصما إلى النبي على فكان صَعُوه (٣) مع الفقير يرى أن الفقير لا يَظلم الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي (١٠). والثاني: أنها متعلقة بقصة ابن أبيرق، فهي خطاب للذين جادلوا عنه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. و القوّام، مبالغة مِن قائِم، و القسطة: العدل. قال ابن عباس: كونوا قوّالين بالعدل في الشهادة على من كانت، ولو على أنفسكم، وقال الزجاج: معنى الكلام: قوموا بالعدل، وأشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على الشاهد، أو على والديه، أو قريبه، ﴿إن يَكُنّ المشهود له ﴿ غَنِينًا ﴾ فالله أولى به، وإن يكن ﴿ فَقِيرًا ﴾ فالله أولى به. فأما الشهادة على النفس، فهي إقرار الإنسان بما عليه من حق. وقد أمرت الآية بأن لا ينظر إلى فقر المشهود عليه، ولا إلى غناه، فإن الله تعالى أولى بالنظر إليهما. قال عطاء: لا تحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغني، فتمسكوا عن القول فيه. وممن قال: إن الآية نزلت في الشهادات، ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَشَيِعُوا الْمُوَى آن تَشْدِلُوا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فلا تتبعوا الهوى، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق، قاله مقاتل. والثاني: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا، قاله الزجاج. والثالث: فلا تتبعوا الهوى كراهية أن تعدلوا عن الحق. والرابع: فلا تتبعوا الهوى فتعدلوا، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلْوُرُا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي: تلووا، بواوين، الأولى مضمومة، واللام ساكنة (٥٠). وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال: أحدها: أن يلوي الشاهد لسانه بالشهادة إلى غير الحق، قال ابن عباس: يلوي لسانه بغير الحق، ولا يقيم الشهادة على وجهها، أو يعرض عنها ويتركها. وهذا قول مجاهد،

⁽١) أي: ووصيناكم أنتم يا أهل القرآن، كما وصينا من كان قبلكم من أهل الكتابين: أن اتقوا الله.

 ⁽٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿إِن يَبَأَ يُدِينَكُم أَيُّ النَّاسُ وَيَأْتِ بِعَالَمِيتُ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَكِ قَدِياً ﴿ إِن يَبَالُ وَمَا يَدُه اللَّهُ عَلَى أَيْكُم أَمُ اللَّه عَلَى اللَّه إذا أضاعوا إذا عصيتموه، كما قال: ﴿ وَإِن تَنَوَلُوا يَسْتَبَيْلُ وَمًا عَيْرَكُم ثُمُّ لَا يَكُونُوا أَشْتَلُكُ ﴾ [محمد: ٣٨] وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره.

 ⁽٣) ابن جرير ٩/ ٤٠٣، وقوله (فكان صغوه أي: ميله، وفي (الطبري، فضلعه وهو الميل أيضاً.

⁽٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٦١).

 ⁽٥) من لوى يلري، والأصل: تلويوا، حذفت الضمة عن الياء التملها، ثم الياء الالتقاء الساكنين، وضمت الواو من أجل واو الضمير.

وسعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد. والثاني: أن يلوي الحاكم وجهه إلى بعض الخصوم، أو يُعرِضَ عن بعضهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن يلوي الإنسان عنقه إعراضاً عن أمر الله لكبره وعتوَّه (١). ويكون: «أو تعرضوا» بمعنى: وتعرضوا، ذكره الماوردي. وقرأ الأعمش، وحمزة، وابن عامر: «تلوا» بواو واحدة، واللآم مضمومة. والمعنى: أن تلوا أمور الناس، أو تتركوا، فيكون الخطاب للحكام(٢٠).

﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَالْكِنْبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ. وَالْكِتَبِ الَّذِي أَزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَتِهَكَيْدِ. وَكُنْبِهِ. وَرُسُلِهِ. وَالْيُوْمِ الْآخِرْ فَقَدْ مَنَلَ ضَلَلَأ بَهِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّمُا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا مَامِنُوا بِأَلَّهِ وَرَسُولِيهِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عبد الله بن سلام، وأسداً، وأسيداً ابنى كعب، وثعلبة بن قيس، وسلاماً، وسلمة، ويامين. وهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله نؤمن بك، وبكتابك، وبموسى، والتوراة، وعزير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣). والثاني: أن مؤمني أهل الكتاب كان بينهم وبين اليهود كلام لما أسلموا، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. وفي المشار إليهم بقوله: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ ثلاثة أقوال: أحلها: أنهم المسلمون، قاله الحسن، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن اثبتوا على إيمانكم. والثاني: اليهود والنصاري، قاله الضحاك، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة، وبعيسى والإنجيل: آمنوا بمحمد والقرآن. والثالث: المنافقون، قاله مجاهد، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بألسنتهم، آمنوا بقلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِنَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ.﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: اثْزَّل على رسوله والكتاب الذي أُنزل من قبل؛ مضمومتين (٤). وقرأ نافع، وحاصم، وحمزة، والكسائي: «نَزَّلَ على رسوله، والكتاب الذي أنزَلَ؛ مفتوحتين. والمراد بالكتاب الذي نزل على رسوله القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل: كل كتاب أنزل قبل القرآن، فيكون (الكتاب) هاهنا اسم جنس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ مَاسَنُوا ثُمَّدُ كَثَرُوا ثُمَّدُ مَاسَنُوا ثُمَّدَ كَمْرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كَفْرًا لَذ يَكُنِ اللَّهُ لِينْفِرَ لَمُمْ وَلَا لِيَهْدِيَّهُمْ سَبِيلًا ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُدَّ كَنَرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في اليهود آمنوا بموسى، ثم كفروا بعد موسى، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، هذا قول ابن عباس. وروي عن قتادة قال: آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا به بعد عوده، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد. والثاني: أنها في اليهود والنصارى، آمن^(ه) اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل، وآمن النصارى بالإنجيل، ثم تركوه فكفروا به، ثم ازدادوا كفراً بالقرآن وبمحمد، رواه شيبان عن قتادة. وروي عن الحسن قال: هم قوم من أهل الكتاب، قصدوا تشكيك المؤمنين، فكانوا يظهرون الإيمان ثم الكفر، ثم ازدادوا كفراً بثبوتهم على دينهم. وقال مقاتل: آمنوا بالتوارة وموسى، ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كفروا من بعده، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن. والثالث: أنها في المنافقين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا على كفرهم، قاله مجاهد. وروى ابن جريج (٦٦ عن مجاهد ﴿ ثُمُّ أَذَادُوا كُفْرًا ﴾ قال: ثبتوا عليه حتى ماتوا. قال ابن عباس: ﴿ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَمُهُم ﴾ ما أقاموا علَى ذلك ﴿وَلَا لِيَهْلِيُّهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين. قال: وإنما علق امتناع المغفرة بكفر بعد كفر، لأن المؤمن بعد الكفر يُغفرُ له كفرُه، فإذا ارتدَّ طُولِبَ بالكفر الأول.

﴿ بَيْرِ ٱلْمُنْفِقِينَ إِأَنَّ لَمُتَّمَ عَذَابًا أَلِيمًا ١

قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَفِقِينَ﴾ زعم مقاتل أنه لما نزلت المغفرة في (سورة الفتح) للنبي والمؤمنين قال عبد الله بن

في النسخة الأحمدية: وعلوه. (٢) في الأحملية: للحاكم.

⁽٢)

في النسخة الاحمدية: وهلوه. رواه الواحدي في فأسباب النزول؟ ١٠٦ عن الكلبي، وليس فيه فيامين؟. التحديث في فأسباب النزول؟ ١٠٦٠ عن الكلبي، وليس فيه فيامين؟. (٤)

في االأحمدية): ابن جرير. والخبر رواه ابن جرير عن ابن جريج، عن مجاهد.

أُبِيّ ونفر معه: فما لنا؟ فنزلت هذه الآية. وقال غيره: كان المنافقون يتولَّون اليهود، فأُلحِقوا بهم في التبشير بالعذاب. وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب. والعرب تقول: تحيتك الضَّربُ، أي: هذا بدلٌ لك من التحيّة. قال الشاعر:

وَحَـيــلِ قَــدُ دَلَـفــتُ لَــهــا بِـخــيــل تــحــيّــةُ بِـيــنــهــم ضَــرْبٌ وجــيـــهُ (۱) ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلكَفِذِينَ أَرْلِيَاتَهُ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْنَغُونَ عِندَهُمُ الْمِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْمِزَّةَ لِلَّهِ جَيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلكَفِرِينَ أَوْلِيَاتَهُ قال ابن عباس: يتخذون اليهود أولياء في العون والنُّصرة.

قوله تعالى: ﴿ آَيَبْنَنُوكَ عِندَهُمُ ٱلْمِزَّةَ ﴾ أي: القوة بالظهور على محمد وأصحابه، والمعنى: أيتقون بهم؟ قال مقاتل: وذلك أن اليهود أعانوا مشركي العرب على قتال رسول الله ﷺ. وقال الزجاج: أيبتغي المنافقون عند الكافرين العزة. والعزّة: المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض عزاز. قال الأصمعي: «العزاز»: الأرض التي لا تنعلق بها إذلال. قالت الخنساء:

كأن لهم يكونوا حمييً يستّقى إذ السنساس إذ ذاك مَسن عَسز بسزّا(٢)

أي: من قوي وغَلَب سَلَب. ويقال: قد استُعِزَّ على المريض^(٣)، أي: اشتد وجعه. وكذلك قول الناس: يَعزُّ عليّ يفعل، أي: يشتد، وقولهم: قد عزَّ الشيء: إذا لم يوجد، معناه: صعب أن يوجد، والباب واحد^(١).

﴿ وَقَدَ نَزُلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِنَبِ أَنْ إِنَا سَمِعَتُمْ مَايَنتِ اللَّهِ يُكْفَرُ جِا وَيُسْتَهَزَأُ جِا فَلَا نَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَى يَخُومُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِةً إِلَّذُ إِذَا يِثْلُهُمُ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ النُتَنيَتِينَ وَالكَنْفِينَ فِي جَهَنَمْ جَيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نُزُلَ عَلَيكُم فِي الكِتَابِ ﴾ وقرأ عاصم، ويعقوب: ﴿ نَزُل ﴾ بفتح النون والزاي. قال المفسّرون: الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم، قوله في (الأنعام ٢٨) ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّذِي يَغُومُونَ فِي ٓ ، اَيُكِنَا فَأَعْرِضْ عَنَهُم ﴾ وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم. وآيات الله: هي القرآن. والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا من حديث غير الكفر والاستهزاء. ﴿ إِنْكُمُ ﴾ إن جالستموهم على ما هم عليه من ذلك، فأنتم ﴿ مِنْلُهُمْ ﴾ وفي ماذا تقع المماثلة فيه قولان:

(۱) • (الكتاب، لسيبويه ۱/ ٣٦٥، ٤٢٩، و(الخزانة، ٣/٤٥ قال البغدادي: وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي العمدة، لابن رشيق: ٢٩٢/٢؛ ومما يعد سرقاً وليس بسرّق اشتراك اللفظ المتعارف، كقول عشرة:
وخسيسل قسد دلسفست لسهسا بسخسيسل عسليسهسا الأشسدُ تسهستسمسر اهستسمسارا وقول عمرو بن معدي كرب:

وخسيال قدد دلسفت لسها بسخسيال تسحية بسيستهم ضمرب وجسم / والخيل الأول: خيل الأعداء، وبالثاني: خيله، والضمير في البنهم، والخيل: اسم جمع الفرس لا واحد له من لفظه، والمراد به الفرسان، وأراد بالخيل الأول: خيل الأعداء، وبالثاني: خيله، والضمير في البنهم، للخيلين. ودلفت: دنوت وزحفت. ووجيع: بمعنى موجع، يقول: إذا تلاقوا جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع، وهذا على سبيل

- ديوانها، ١٤٤ والكامل ٢٩٣/ ٢٩٣/ ١ ومجمع الأمثال ٢٧/٢١ وهيومه المنان ٢٨٠ وهنواهد المغني ٨٨ والحماسة لابن الشجري ١٤٤ قال ابن الشجري: وهوزا: معناه: غلب، من قول الله ظلى: ﴿ وَمَرْتَ فِي اَلْجِطَابِ ﴾ [ص: ١٣]. وهبرا معناه: سلب، تقول: بززت الرجل: إذا سلبته سلاحه ويقال للسلاح المسلوب: هذا بز فلان. وهمناه في البيت بمعنى الذي، وموضعها مع هوزا وفع بالابتداء وهبرا خبرها، والجملة التي هي المبتدأ وخبره خبر عن المبتدأ الأول الذي هو الناس، والعائد إلى الناس معذوف، كما حذفوه من قولهم: «السمن منوان بدرهم ويريدون: منوان منه، وكذلك التقدير: من عز منهم بز، ولا يجوز أن يكون وإذ ذاك خبراً عن الناس لما ذكرته لك من امتناع الأخبار بظروف الزمان عن الأشخاص، وإذا بطل أن يكون إذ ذاك خبراً عن الناس، بقي أن يتعلق ببز، ولا يجوز أن تكون همن شرطية، لأن الشرط وجوبه لا يعمل واحد منهما فيما قبله بإجماع البصريين، كما لا يتقدم على الاستفهام ما يكون في حيزه، وأجاز قوم من البغداديين أن يعمل جواب الشرط فيما تقدم عليه لمفارقته الاستفهام بكونه جزاء، فعلى قول هؤلاء تحتمل ومن أ نكون شرطاً، فأما وذاك فموضعه رفع بالابتداء وخبره محلوف. أي: ذاك كائن أو موجود، ولا يجوز أن يكون موضع ذاك على انفراده خفضاً، لأن وإذاك لا تضاف إلا إلى جملة، فموضع الجملة التي هي ذاك وخبره جر.
 - (٣) استعز: بالبناء للمجهول، وفي الحديث (أنه استعز برسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أي: اشتد به المرض وغلبه، وأشرف على الموت.
- (3) في «الصحاح»: عزّ الشيء يعزّ عزاً وعزة وعزازة: إذا قل لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعزّ فلان يعزّ عِزّاً وعزازة أيضاً: أي: صار عزيزاً، أي: قوي بعد ذلة. وعزّ علي أن تفعل كذا، وعزّ علي ذاك، أي؛ حق واشتد، وفي المثل: "إذا عزّ أخوك فهنّ» وعزه يعزّه عزاً: غلبه، وفي المثل "من عز بزً".

أحدهما: في العصيان. والثاني: في الرضا بحالهم، لأن مُجالس الكافر غير كافر. وقد نبّهت الآية على التحذير من مجالسة العصاة (١١). قال إبراهيم النخعي: إن الرجل ليجلس في المجلس فيتكلم بالكلمة، فيرضي الله بها، فتصيبُه الرحمة فتعمُّ من حوله، وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعم من حوله.

﴿ الَّذِينَ يَثَرَبْصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتَحٌ مِنَ اللَّهِ فَكَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ اِلْكَنِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَشَتْعِوْ عَلَيْكُمْ وَإِن كَانَ الْكَنْفِينَ سَبِيلًا ﴿ ﴾ وَنَشَتَعُمْ مِنَ اللَّهُ لِلْكَنْفِينَ عَلَ ٱلْتُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ مَن بَكُمْ مُون بِكُمْ قال أبو سليمان: هذه الآية نزلت في المنافقين خاصة. قال مقاتل: كان المنافقون يتربصون بالمؤمنين الدوائر، فإن كان الفتح، قالوا: ألم نكن معكم؟ فأعطونا من الغنيمة. وإن كان للكافرين نصيب، أي: دولة على المؤمنين، قالوا للكفار: ألم نستحوذ عليكم؟ قال المبرّد: ومعنى: ألم نستحوذ عليكم: ألم نغلبكم على رأيكم. وقال الزجاج: ألم نغلب عليكم بالموالاة لكم. وانستحوذ في اللغة، بمعنى: نستولي، يقال: خُلْت الإبل، وحُزْتها: إذا استوليت عليها وجمعتها. وقال غيره: ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة؟ وقال ابن جريج: ألم نبين لكم أنا على دينكم؟ وفي قوله: ﴿ وَنَسْتَمْكُم يِنَ النَّرَينِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: نمنعكم منهم بتخذيلهم عنكم. والثاني: بما نعلمكم من أخبارهم. والثالث: بصرفنا إياكم عن الدخول في الإيمان. ومراد الكلام: إظهار المنة من المنافقين على الكفار، أي: فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم.

قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُ يَمَكُمُ بَيْنَكُمُ بَيْنَكُمُ مَ آوَيَنَمَوَّ عني المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباس: يريد أنه أخر عقاب المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْمَلُ اللّهُ لِلكَنفِينَ عَلَ الْتَرْمِينَ سَبِيلاً ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا سبيل لهم عليهم يوم القيامة، روى يُسيع الحضرمي عن علي بن أبي طالب أن رجلاً جاءه، فقال: أرأيت قول الله وهي و وَلَن يَجْمَلُ الله للكافرين عَلَ الْتُرْمِينَ سَبِيلاً ﴾ وهم يقاتلوننا [فيظهرون ويقتلون]، فقال: ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلاً. هذا مروي عن ابن عباس^(۲)، وقتادة. والثاني: أن المراد بالسبيل: الظهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظاهرون، والعاقبة لهم، وهذا المعنى في رواية عكرمة، عن ابن عباس. والثالث: أن السبيل: الحجة. قال السدي: لم يجعل الله عليهم حجة، يعني فيما فعلوا بهم من القتل والإخواج من الديار. قال ابن جرير: لما وعد الله المؤمنين أنه لا يدخل المنافقين مدخلهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخل المنافقين، لم يكن للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم: أنتم كنتم أعداءنا، وكان المنافقون أولياءنا، وقد اجتمعتم في النار^(۲).

﴿إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ يُخْلِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَلِيمُهُمْ وَإِنَا قَامُوا إِلَى الشَّلَوْةِ قَامُوا كُسُالَى بُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا بَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَا قَلِيلاً ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ يُخْلِعُونَ اللَّهَ ﴾ أي: يعملون عمل المخادع. وقيل: يخادعون نبيّه، وهو خادعهم، أي:

⁽۱) روى الإمام أحمد ١٤٨/٢ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٢٠/٤ وحسنه، والنسائي ١٩٨/١ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الجمر» وهو حديث صحيح. قال ابن حجر: أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعاً وإسناده جيد، قلت: وليس في النسائي الشطر الثاني من الحديث، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود في «سننه ٢/ ٤٧٧ عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد ١/ ٢١٠ عن عمر بسند فيه مجهول. وفي «القرطبي» ٥/٤١٤: فكل من جلس في مجلس معصية، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق ٥١، وابن جرير ٣٣٧/٩ بإسناد صحيح، الحاكم ٣٠٩/١، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٢ نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر. واينسيم عنه الياء في أوله وفتح السين، وسكون الياء الثانية: هو ابن معدان الحضرمي، ويقال: الكندي، وهو تابعي وثقه النسائي وغيره، مترجم في «التهذيب» ١١/ ٣٨٠ ووقع في «الأحمدية» وانتصبر ابن كثيرة: «سبيم» وهو تصحف.

٢) ذكر القرطبي في انفسره ١٩٥٨ للآية التأويل الثالث: وهو أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتقاعدوا عن التوبة، فيكون تسليط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَمّا أَسَبُكُمُ مِن تُمِيكُمُ فِهَما كُنّاتُ أَبِيكُمُ ﴾ [الشورى: ٣] قال ابن العربي: وهذا نفيس جداً. فيكون المعنى إذن: إن الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيل ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون، يقومون بحقوق الإيمان ويتبعون هديه.

مجازيهم على خداعهم. وقال الزجاج: لما أمر بقبول ما أظهروا، كان خادعاً لهم بذلك. وقيل: خداعه إياهم يكون في القيامة بإطفاء نورهم، وقد شرحنا طرفاً من هذا في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُوا كُسَالَ﴾ أي: متثاقلين. و«كسالى»: جمع كسلان، و«الكسل»: التثاقل عن الأمر، وقرأ أبو عمران الجوني: «كَسَالى» بفتح الكاف، وقرأ ابن السميفع: «كسلى»، بفتح الكاف من غير ألف. وإنما كانوا هكذا. لأنهم يصلّون حذراً على دمائهم، لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً(١٠).

قوله تعالى: ﴿ رُآاهُونَ النَّاسُ﴾ أي: يصلُّون ليراهم الناس. قال قتادة: والله لولا الناس ما صلى المنافق^(٢). وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سُمّي قليلاً، لأنه غير مقبول، قاله علي ﷺ، وقتادة. والثاني: لأنه رياء، ولو كان لله لكان كثيراً، قاله ابن عباس، والحسن. والثالث: أنه قليل في نفسه، لأنهم يقتصرون على ما يظهر، دون ما يخفى من القراءة والتسبيح، ذكره الماوردي.

﴿مُنَائِدَيِنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِنَّ مُعَوِّلَا وَلَا إِلَى مَعُولَاةً وَمَن يُسْلِلِ اللَّهُ مَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مُلْدَنَدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ المذبذب: المتردّد بين أمرين، وأصل التذبذب: النحرّك، والاضطراب، وهذه صفة المنافق، لأنه محيّر في دينه لا يرجع إلى اعتقاد صحيح. قال قتادة: ليسوا بالمشركين المصرّحين بالشرك، ولا بالمؤمنين المخلصين. قال ابن زيد: ومعنى "بين ذلك، بين الإسلام والكفر، لم يظهروا الكفر فيكونوا إلى الكفار، ولم يصدقوا الإيمان، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباس: ﴿ وَمَن يُصْلِلِ اللّهُ فَانَ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله المه مرة ، وإلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، ولا تنري أيها تتّبع الله .

﴿ يَالَيْنَ الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا الكَفِينَ أَرْلِيَاتَه مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبِيُونَ أَن تَجْمَلُوا يَدِّ عَلَيْكُمْ سُلطَنَا شُهِينًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا نَتَخِذُواْ الْكَنْوِينَ أَرْلِيَآةَ ﴾ في المراد بالكافرين قولان: أحدهما: اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قال الزجاج: ومعنى الآية: لا تجعلوهم بطانتكم وخاصتكم. والسلطان: الحجة الظاهرة (أ)، وإنما قبل للأمير: سلطان، لأنه حجة الله في أرضه، واشتقاق السلطان: من السليط. والسليط والسيط ما يستضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السلطان، والعرب تؤنّث السلطان وتذكّره، تقول: قضت عليك السلطان، وأمرتك السلطان، والتذكر أكثر وبه جاء القرآن، فمن أنّث، ذهب إلى معنى الحجة، ومن ذكّر، أراد صاحب السلطان. قال ابن الأنباري: تقدير الآية: أتربدون أن تجعلوا لله عليكم بموالاة الكافرين حجة بينة تلزمكم عذابه، وتكسبكم غضبه؟.

﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَكِلِ مِنَ النَّادِ وَلَن يَجِمَدُ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّفِقِينَ فِي ٱلدَّرُّكِ ٱلْأَسْفَكِل﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الراء، وقرأ

⁽١) أخرج الإمام مسلم ١/ ٤٥١ عن أبي هريرة الله قال: قال رسول الله على المنافقين صلاة العشاء وصلاة القجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو جواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنارة. وفي «المسندة عن أبي هريرة الله والله المي البيوت من النساء واللوية لأقمت صلاة العشاء، وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنارة. وروى الإمام مالك في «الموطأة ٢٠ / ٢٢ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله على: هتلك صلاة المنافق، يجلس برقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً لا يلكر الله فيها إلا قليلاً ورواه مسلم ١/ ٤٣٤، والترمذي ١/ ٢٠١، والنسائي ١/ ٢٥٤.

 ⁽٢) في «الأحمدية» المنافقون.

⁽٣) رواه الإمام أحمد ٧/ ١٣٩، ومسلم ٤/ ٢١٤٦ وابن جرير ٩/ ٣٣٣. والشاة العائرة: هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع، من قولهم: عار الفرس والمكلب وغيرهما يعير عباراً: إذ ذهب كأنه منفلت من صاحبه، فهو يتردد هنا وهنا. وقوله: تعير إلى هذه مرة. أي: تذهب في ترددها إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

 ⁽٤) روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله ﴿سُلطَنَّا مُّبِينًا﴾: كل سلطان في القرآن حجة.

 ⁽٥) في الأحمدية؛ التسليط، وهو خطأ. والسليط؛ الزيت. قال: النابغة الجعدي:

عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتسكين الراء. قال الفراء: وهي لغتان: قال أبو عبيدة: جهنّم أدراك، أي: منازلٌ، وأطباق^(۱). فكل منزل منها: درك. وحكى ابن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: الدركات: مراق، بعضها تحت بعض. وقال الضحاك: الدرج: إذا كان بعضها فوق بعضها، والدرك: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقال ابن فارس: الجنة درجات، والنار دركات. وقال ابن مسعود في هذه الآية: هم في توابيت من حديد مبهمة [عليهم]^(۱). قال ابن الأنباري: المبهمة: التي لا أقفال عليها، يقال: أمرٌ مبهمّ: إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه، ولا بابه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ قال ابن عباس: مانعاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَتُكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في «مع» قولان: أحدهما: أنها على أصلها، وهو الاقتران. وفي ماذا اقترنوا بالمؤمنين؟ فيه قولان: أحدهما: في الولاية، قاله مقاتل. والثاني: في الدين. والثواب. قاله أبو سليمان. والثاني: أنها بمعنى «مِن» فتقديره: فأولئك من المؤمنين، قاله الفراء.

﴿مَّا يَفْكُلُ اللَّهُ بِمَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُدْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْكُلُ اللَّهُ بِمَذَابِكُمْ﴾ «ما» حرف استفهام، ومعناه: التقرير^(٤)، أي: إن الله لا يعذّب الشاكر المؤمن، ومعنى الآية: ما يصنع الله بعذابكم إن شكرتم نعمه، وآمنتم به ويرسوله. والإيمان مقدّم في المعنى وإن أخّر في اللفظ. وروي عن ابن عباس أن المراد بالشكر: التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ أي: للقليل من أعمالكم، عليماً بنياتكم، وقيل: شاكراً، أي: قابلاً.

﴿ ﴿ لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ وَالسُّوَّهِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِرٌّ وْكَانَ اللَّهُ سَمِيمًا عَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱللَّرَةِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن ضيفاً تضيّف قوماً فأساؤوا قِراهُ فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصةً في أن يشكوا، قاله مجاهد (٥٠. والثاني: أن رجلاً نال من أبي بكر

⁽١) تمام كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١٤٢: ويقال للجمل الذي عجز عن بلوغ الركية: أعطني دركاً أصل به.

⁽۲) قال السيوطي في «الدر» ۲۳۲/۲: رواه ابن أبي شيبة، وهناد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في صفة النار عن ابن مسعود. قلت: وفي سنده انقطاع، لأن خيشة بن عبد الرحمن الراوي عن ابن مسعود لم يسمع منه، ذكره الإمام أحمد، ورواه ابن أبي حاتم من طريق حماد بن سلمة: أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود... وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم بن عبد الرحمن صدوق يرسل كثيراً. وفي «الطبري» ٣٩٩/٩ عن أبي هريرة: ﴿إِنَّ للتَنْوَيْنَ فِي الدَّرْكِ الاستمالي على من توابيت تُرتَجُ عليهم» وفي «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٠٠: ورواه ابن أبي حاتم بسند حسن، ولفظه: «الدرك الأسفل: بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم».

⁽٣) في «صحيح البخاري» ٨/ ٢٠٠٠ عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام علينا، فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ الْكَيْوَتِينَ فِي اللَّرَكِ الْأَسْمَلِي مِنَ النَّارِ ﴾ فتبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، فضرق أصحابه، فرماني بالحصى، فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم. قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا النِّيرَتِ كَابُوا وَأَسْلَحُوا وَيَشَهُمُ وَيَعْهُمُ فِي وَأَنْكُلُكُ ثَعُ النَّرِينِ ﴾ صحة توبة الزنديق، وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله: ﴿ إِنَّ النَّيْوَيْنَ فِي الدَّرُكِ الْأَسْكُلِي مِنَ النَّارِ ﴾ وقد استدل بذلك جماعة، منهم أبو بكر الوازي في ﴿أحكام القرآن».

⁽٤) في االأحمدية؛ التقدير، وهو خطأ.

⁽ه) ابن جرير ۲۷/۹، ونسبه السيوطي في «الدر» للفريابي وعبد بن حميد، وجاء في «تفسير ابن كثير» ۱/ ۰۷۰: قال ابن عباس في تفسير الآية: يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوفاً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله ﴿إِلَا مَن ظُؤَ﴾ وإن صبر فهو خير له. وروى أبو داود ۲۰۷/۲ عن عائشة قالت: سُرِق لها شيء، فجعلت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: ﴿لا تسبخي عنه ﴿ وَال الخطابي: لا تسبخي عنه، ⇒

الصديق والنبيُ على حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم ردّ عليه، فقام النبي على، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت؟! فقال: «إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه، ذهب الملك، وجاء الشيطان، فنزلت هذه الآية (١)، هذا قول مقاتل. واختلف القراء في قراءة ﴿ إِلّا مَن ظُرِّ ﴾ فقرا الجمهور بضم الظاء، وكسر اللام. وقراً عبد الله بن عمرو، والحسن، وابن المسيب، وأبو رجاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، بفتحهما. فعلى قراءة الجمهور، في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن يدعو المظلوم على مَن ظلمه، فإن الله قد أرخص له، قاله ابن عباس. والثاني: إلا أن ينتصر المظلومُ من ظالمه، قاله الحسن، والسدي. والثالث: إلا أن يخبر المظلوم بظلم من ظلمه، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وروى ابن جريج عنه قال: إلا أن يجهر الضيف بذم من لم يضيفه. فأما قراءة مَن فتح الظاء، فقال ثعلب: هي مردودة على قوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِمَدُوكِمُ ﴾ إلا من ظلمً. وذكر المظلوم يجهر بالسوء ظلماً والثاني: إلا أن تجهروا بالسوء للظالم. فعلى هذا تكون «إلا» في هذا المكان استثناءً منقطعاً، ومعناها: لكن المظلوم يجوز له أن يجهر لظالمه بالسوء. ولكن الظالم قد يترع.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللّهُ سَكِيمًا ﴾ أي: لما تجهرون به من سوء القول ﴿عَلِيمًا ﴾ بما تخفون. وقيل: سميعاً لقول المظلوم، عليماً بما في قلبه، فليتق الله، ولا يقل إلا الحق. وقال الحسن: من ظُلِم، فقد رخّص له أن يدعو على ظالمه من غير أن يعتدي، مثل أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد (٢٠).

﴿ إِن لَبُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوَو فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُواً فَدِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن نُبَدُوا خَيْرً﴾ قال ابن عباس: يريد من أعمال البرّ كالصيام والصدقة. وقال بعضهم: إن تبدوا خيراً بدلاً من السوء. وأكثرهم على أن «الهاء» في «تخفوه» تعود إلى الخير. وقال بعضهم: تعود إلى السوء.

أي: لا تخففي عنه بدعائك) وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه واستخرج حتى منه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه لكن إن افترى عليك فلا تفتر عليه، لقوله: ﴿ وَكَنَّ التَمْرَ بَعْدَ عَلْيِهِ فَالْيَهِ مَن سَبِلِ ﴿ ﴾ وروى أبو داود ٤٧٧/ عن أبي هريرة أن رسول الله في قال: «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم» [قلت: ورواه أحمد في المسند ١٩٤/٤٤ والبخاري في «الأدب المفرده ١٣٥/ ٥١/ ١٥ وسلم ١٣٠٥/ ١٥ والترمذي ١٣٩/١]. وقد روى البخاري ٥٧/ ١ ومسلم ١٣٥٣/ ١٥ عنه عنه بن عامر قال قلنا: يا رسول الله إنك تبعثنا، فتنزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى في ذلك؟ فقال: «إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وإن لم يفعلوا، فخلوا منهم حق الضيف اللي ينبغي لهم وروى الإمام أحمد [٤/ ١٣١، وأبو داود] عن المقلام أبي كريمة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما مسلم مناف قوماً فأصبح الضيف محروماً، فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه ورواه أبي داود ٣/ ٢٦٤، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبر بكر البزار عن أبي هريرة «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال أبو داود ٣/ ٢٦٤، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبر بكر البزار عن أبي هريرة «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: وأخرج مناعك، فضمه على الطريق، فأخذ الرجل مناعه، فطرت على من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم اخزه. قال: فقال: ارجع إلى منزلك، وقال: لا أوذيك أبداً ورواه أبو داود ٤/ ٢٠٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٢/ وهو

ا) لم يذكره أحد من المفسرين سبباً لنزول الآية، وقد جاء معنى الحديث بدون ذكر سبب، فعن ابن المسيب قال: بينما رسول ا 專 جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر ﷺ انذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر، فقام رسول ا 專 表 الشيطان فلم أكن فقال: أوجدت علي يا رسول ا الله، فقال رسول ا الله الله الله الله الله، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان وواه أبو داود هكذا مرسلاً ٢٣٧/٣ ومتصلاً من طريق ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه، قال المنازي: وذكر البخاري في وتاريخه أن المرسل أصح.

⁾ في «مجمع البيان» للطبرسي ٦/ ٢٧٣ قال ابن جني: ظُلَمَ وظُلِمَ جميعاً على الاستثناء المنقطع، أي: لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره، ودل عليه قوله: وقد وقل الطبرسي ٦/ ٢٧٣ قال ابن جني: ظُلمَ وظُلِمَ جميعاً، قال الزجاج: فيكون المعنى: لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بللك ظلماً، قال: ويجوز أن يكون موضع «من» رفعاً، على معنى: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا منظوم، قال: وفيها وجه آخر لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، وهو بدلاً من معنى «أخلة. المعنى: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول. وقال الطبري: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿ الله من مُن المنافع، لا بحماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحتها، وشاؤذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح.

⁽٣) ابن جرير ٩/٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًا﴾ قال أبو سليمان: أي: لم يزل ذا عفو مع قدرته، فاعفوا أنتم مع القدرة (١٠). ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ يَكَفُرُونَ بِاللَّهِ وَدُسُلِهِ. وَيُويدُونَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَيُعْوَلُونَ ثُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنُصَحَمُرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَيَعُولُونَ يُؤْمِنُ وَبُعْضٍ وَيُرِيدُونَ

رَبُونَ مِنْ مَنْ مَالِكُ مَا يُسْرُقُ مِنْ وَرَسِيْوِ، وَرِيْدُونَ مَنْ يَوْنُو بَيْنَ مَنْوَ وَرَسُومِ، ويتولون توين بِبَعْض ويتوليدور. أَن يَشَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود كانوا يؤمنون بموسى، وعزير، والتوراة، ويكفرون بعيسى، والإنجيل، ومحمد، والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، آمن اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمن النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بمحمد والقرآن، قاله قتادة. ومعنى قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُمُولِهِ أَي: يريدون أن يفرّقوا بين الإيمان بالله، والإيمان برسله، ولا يصح الإيمان به والتكذيب برسله أو ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّغِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: بين إيمانهم ببعض الرُسُلِ، وتكذيبهم ببعض ﴿كَبِيلُهُ أَي: مِن إيمانهم ببعض الرُسُلِ، وتكذيبهم ببعض ﴿كَبِيلُهُ أَي: مِن إيمانهم ببعض الرُسُلِ، وتكذيبهم ببعض ﴿كَبِيلُهُ أَي: مِن إيمانهم ببعض إليه.

﴿ أُولَتِكَ مُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا ۚ وَأَعْتَدُنَا لِلْكَنْزِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ مَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَمْ يُمُزِيُّوا بَـٰيْنَ أَحَـدِ مِنْهُمْ أُولَتِهِكَ سَوْتَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّجِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ حَقّاً﴾ ذكره «الحق» هاهنا توكيداً لكفرهم إزالةً لتَوَهّمِ مَن يتوهم أن إيمانهم ببعضِ الرسلِ(٢) يزيل عنهم اسم الكفر.

﴿يَسْتَلُكَ أَمْلُ الْكِنْبِ أَن ثُنَزِلَ عَلَيْهِمْ كِنَبُا مِنَ السَّمَاءُ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوٓا أَرِيَا اللّهَ جَهْرَةُ فَأَخَدُنْهُمُّرُ الْمُسْتِعَةُ بِطُلْمِهِمُّ ثُمَّزً أَغَذُوا الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْمَيْنَتُ فَمَغَوْنَا عَن ذَلِكُ وَمَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلَطَنَا ثُبِينَا ﷺ

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلَكُ أَهْلُ ٱلْكِنْبِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سألوه أن ينزّل كتاباً عليهم خاصة، هذا قول الحسن، وقتادة. والثاني: أن اليهود والنصارى، أتوا إلى رسول الله هنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج. بكتابٍ من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج. والثالث: أن اليهود سألوا النبي المحرد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: اليهود. وفي المراد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: اليهود. وفي المراد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بيّنا في الكتاب المنزّل من السماء قولان: أحدهما: كتاب مكتوب غير القرآن. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بيّنا في الكتاب المنزّل من السماء قولان: أحدهما: كتاب مكتوب غير القرآن. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بيّنا في اللهرة ألله معنى سؤالهم رؤية الله جهرة، واتخاذهم العجل. و«البينات»: الآيات التي جاء بها موسى. فإن قبل: كيف قال: ثم اتخذوا العجل، وهثم، تقتضي النراخي والتأخر، أفكان اتخاذ العجل بعد قولهم: «أرنا الله جهرة»؟ فعنه أربعة أبية، فخالفوا أيضاً، ثم اتخذوا العجل. والثاني: أن تكون مقدمة في المعنى، مؤخرة في اللفظ، والتقدير: فقد اتخذوا العجل، فاضمر الكون. والمرابع: العجل، ثم سألوا موسى أكبر من ذلك. ومثله ﴿ فَالْقِدْ إلْتِمْ ثُمْ قَرْلُ عَنُمْ مَّانُطُر مَاذَا يرجعون، ثم تول عنهم. والثالث: أن المعنى، ثم كانوا اتخذوا العجل، فاضمر الكون. والرابع: أن هذم، معناها التأخير في الإخبار، والتقديم في الفعل، كما يقول القائل: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شرب الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شرب الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، والتقديم المورد على القول القائل المعني المورد المورد علي المعلى المورد على المورد المورد عنه المورد المورد المورد المورد المورد

قوله تعالى: ﴿ فَمَكَوْنَا عَن ذَالِكُ ﴾ أي: لم نستأصل عبدة العجل. و السلطان المبين »: الحجّة البيّنة. قال ابن عباس: اليد والعصا. وقال غيره: الآيات التسع.

⁽١) روى الإمام أحمد في االمسنده ١٢/ ١٩٤، ومسلم في (صحيحه؛ ٢٠٠١/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما تقصت صدقة من مال، وما زاد الله صداً بعقوٍ إلا هؤاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

⁽٢) في «الأحمدية»: ذكرهم بزيادة «هم» ولا معنى لها هنا.

⁽٣) في «البحر المحيط» ٣/ ٣٨٧: «ثم» للترتيب في الأخبار لا في نفس الأمر، ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل، آباؤهم والذين صُوقوا فمير الذين اتخذوا العجل.

﴿ وَرَفَتَنَا فَوَقَهُمُ الظُورَ بِسِيَتَهِم وَقُلْنَا لَمُمُ ادْخُلُواْ البَّابَ سُجِدًا وَقُلْنَا لَمُمْ لَا تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم يَيْنَقًا غَلِيظًا ﴿ وَمُولَةً مَا اللَّهِ اللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿لَا تَمْدُواْ فِي السَّبْتِ﴾ قرأ نافع: لا تعُدُّوا، بتسكين العين، وتشديد الدال، وروى عنه ورش «تَعَدُّوا» بفتح العين، وتشديد الدال. وقرأ الباقون «تَعْدوا» خفيفة، وكلهم ضم الدال^(۱). وقد ذكرنا هذا وغيره في (البقرة) و«الميثاق الغليظ»: العهد المؤكّد.

﴿ فَيَمَا نَقْضِهِم مِّيثَقَهُمْ وَكُفْرِهِم كِايَتِ اللَّهِ وَقَلِهِمُ الْأَنْيَاءَ بِفَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُأَ بَلَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَا قَلِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَيِمَا نَقْضِهِم مِّيثَقَهُمُ ﴾ (ما) صلة مؤكّدة. قال الزجاج: والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم، وهو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يُبيّنوا ما أنزل عليهم مِن ذكر النبي ﷺ وغيره. والجالب للباء العامل فيها، وقوله: ﴿مَرَّمَا عَلَيْهَم عَلِيبَتُ الله عليه مِن ذكرت بعده حرّمنا عليهم. وقوله: ﴿فَيَطَّلُو ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿فَيَمَا عَلَيْهُم ﴾، وجعل الله جزاءهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم. وقال ابن فارس: الطبع: الختم و[من ذلك] طبع الله على قلب الكافر [كأنه] ختم [عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور] فلم يوفق لخير، والطابع: الخاتم يختم به (٢٠).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا فَلِيلاً﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا القليل، وهم عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: المعنى: إيمانهم قليل، وهو قولهم: ربنا الله، قاله مجاهد.

﴿ وَيِكُنُوهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُبَّتَنَّا عَظِيمًا ﴿ وَمِكْنُوهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُبَّتَنَّا عَظِيمًا

قوله تعالى: ﴿وَيَكُثُرِهِمُ ﴾ في إعادة ذكر الكفر فائدة: وفيها قولان. أحدهما: أنه أراد: ويكفرهم بمحمد والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: وبكفرهم بالمسيح، وقد بشروا به، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما «البهتان» فهو في قول الجماعة: قذفهم مريم بالزني.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا ٱلْسَبِيعَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُئِمَّ لَمُثَمَّ وَإِنَّ ٱلْذِينَ ٱخْتَلَمُوا ينيهِ لَلِي شَلِّي مِنَّةُ مَا لَمُتم يهِ. مِنْ عِلْمٍ إِلَّا النَّاعَ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوهُ يَفِينًا ۞ بَل زَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهُ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَلْلْنَا ٱلْسَيَعَ﴾ قال الزجاج: أي باعتبارفهم بقتلهم إيّاه، وما قتلوه، يُعلَّبون عذاب من قتل، لأنهم قتلوا الذي قتلوا على أنه نبي. وفي قوله: «رسول الله قولان: أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: أنه رسول الله على زعمه. والثاني: أنه من قول الله، لا على وجه الحكاية عنهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن شُيِّهَ لَمُمُ اي: ألتي شبهه على غيره. وفيمن ألتي عليه شبهه قولان: أحدهما: أنه بعض من أراد قتله من اليهود. روى أبو صالح عن ابن عباس: أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى، أدخله جبريل خوخة لها روزنة، ودخل وراءه رجل منهم، فألقى الله عليه شبه عيسى، فلما خرج على أصحابه، قتلوه يظنونه عيسى، ثم صلبوه، وبهذا قال مقاتل، وأبو سليمان. والثاني: أنه رجُلٌ من أصحاب عيسى، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عيسى خرج على أصحابه لما أراد الله رفعه، فقال: أيكم يُلقى عليه شبهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: أنا، فقال: أنا، فقال: نعم

(۲) «معجم مقاييس اللغة؛ ٣/ ٤٣٨، وما بين معقفين منه.

⁽۱) في الطبري ٢٠٣٩: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرأة أمصار المسلمين ﴿لاَ شَدُّوا في اَلسَّبَتِ﴾ بتخفيف العين من قول القائل: عدوت في الأمر: إذا تجاوزت الحق فيه، أعدو عَدواً وعُدُراً وعدواناً وعداءً، وقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة ووّقلْنَا لَهُم لا تمثّوا المسلمين العين وتشديد الدال، والجمع بين ساكنين، بمعنى تعتدوا، ثم تدهم الدال فتصير دالاً مشددة مضمومة، وفي «النشر» ٢٤٤/٢ واختلفوا في اتعدوا فقراً أبو جعفر: بتشديد الدال مع إسكان العين، وكذلك ووى ورش إلا أنه فتح العين، وكذلك قالون إلا أنه اختلف عنه في إسكان العين واختلاسها، فروى عنه العراقيون من طريقيه: إسكان العين مع التشديد كأبي جعفر سواء، وهكذا وردت النصوص عنه، وروى المغاربة عنه: الملاختلاس لحركة العين، ويعبر بعضهم عنه بالإخفاء فراراً من الجمع بين الساكنين، وانظر وإبراز المعاني» ٢٩٣٠.

أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الرجل، فقتلوه، ثم صلبوه (١٠). وبهذا القول قال وهب بن منبه، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ يِهِ مِنْ عِلْمِ إِلَّا أَلِيَاعَ الطَّيْبَ قَالَ الزجاج: «اتباع» منصوب بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. والمعنى: ما لهم به من علم إلا أنهم يتبعون الظن، وإن رُفع جاز على أن يجعل علمهم اتباع الظن، كما تقول العرب: تحيّتك الضّرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَنُلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الظن فيكون المعنى: وما قتلوا ظنّهم يقيناً، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى العلم، أي: ما قتلوا [العلم به] يقيناً، تقول: قتلته يقيناً، وقتلته علماً [للرأي والمحديث] (١) هذا قول الفراء، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا: أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به، إنما كان ظناً. والثالث: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً، هذا قول الحسن. وقال ابن الأنباري: اليقين مؤخر في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه يقيناً.

﴿ وَإِن يَنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ. فَبَلْ مَوْبَدٍّ وَيُؤُمَّ ٱلْفِيْمَنَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَنْ أَمِّلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لِبُوْمِنَ بِهِ وَهُ قال الزجاج: المعنى: وما منهم أحد إلا ليومنن به، ومثله ﴿وَإِن يَنْ أَمْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لِبُومِنَ بِهِ وَلان: أحلهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الحسن، وعكرمة. وفي هاء قبه قولان: أحلهما: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها راجعة إلى محمد على الله عكرمة. وفي هاء قموته قولان: أحلهما: أنها ترجع إلى المؤمن. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ليس يهودي يموتُ أبداً حتى يؤمن بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهُويِّ قال: وهي في قراءة أبي: قبل موتهم (أك). وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبير. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد. وقال عكرمة: لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد على والثاني: أنها تعود إلى عيسى. روى عطاء عن ابن عباس قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا أحدٌ يعبد غير الله إلا اتبعه

⁽١) هو قطعة من خبر طويل رواه ابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٧٤/١ وصحح إسناده إلى ابن عباس. وقد استبعد الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسيره ۴١/٤ صحة هذا الأثر، ورده، واستنتج أنه من أوهام المنهال بن عمرو الأسدي، راويها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم قال: فالذي نؤمن به موقنين هو ما أخبرنا الله به في كتابه نصاً أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم دون أن ندخل في تفصيل كيف شبه لهم، وعلى من من الناس ألتي شبه؟ فهذا التفصيل لم نكلف الإيمان به، إذ لم يعلمنا الله ولا رسوله بشيء من ذلك التفصيل.

 ⁽۲) فغريب القرآن، ص ۱۳۷، والزيادة منه.
 (۳) الديء، بضير الهاء، وكن الداو والباء المشددة: مصدر هدى، بدي، إذا سقط من قدق الرأسفا.

۲) الهوي، بضم الهاء، وكسر الواو والياء المشددة: مصدر هوى يهوي: إذا سقط من فوق إلى أسفل.
٤) رواه ابن جرير الطبري ٩/ ٣٨٢، ولفظه: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَلَه يَنْ أَهَّلِي ٱلْكِتَنِي إِلَّا لِيُزِيئُنَّ بِهِ. فَبَلَ مَوَقِبُهُ قال: هي في قراءة أبي اقبل موتهم، ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى. قبل لابن عباس: أرأيت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي، فقبل: أرأيت إن ضرب عتى أحد منهم؟ قال: يلجلج بها لسانه.

وصدّقه، وشهد أنه روح الله، وكلمته، وعبده، ونبيّه(۱). وهذا قول قتادة، وابن زيد، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير(۲)، وعن الحسن كالقولين. وقال الزجاج: هذا بعيدٌ، لعموم قوله: ﴿ وَإِن مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ ﴾، والذين يبقؤن حينئذِ شرذمة منهم، إلا أن يكون المعنى: إنهم كلهم يقولون: إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجّال نؤمن به.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَكَةِ يَكُونُ عَلَيْمٍ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يكون عليهم شهيداً أنه قد بلّغ رسالات ربه، وأقرّ بالعبوديّة على نفسه.

﴿ فَيُطْلَمِ تِنَ الَّذِينَ مَادُوا حَرَّمُنَا عَلَيْهِمْ لَمِينَتِ أَجِلْتَ لَكُمْ وَيِصَدِّهِمْ عَن سَيِيلِ اللَّهِ كَتِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَيَطُلِم مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال مقاتل: حرّم الله على أهل التوراة الربا، وأن يأكلوا أموال الناس ظلماً، فعلوا، وصدوا عن دين الله، وعن الإيمان بمحمد على فعلوا، فحرّم الله عليهم ما ذكر في قوله: ﴿ وَعَلَى اللَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا كُولُ حَرَّمَنَا كُولُ وَ عَلَيْكُ ﴾ [الانعام: 187] عقوبة لهم. قال أبو سليمان: وظلمهم: نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وما ذكر في الآيات قبلها. وقال مجاهد: ﴿ وَبِصَدِهِم عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ قال: صدّهم أنفسهم وغيرهم عن الحق. قال ابن عباس: صدهم عن سبيل الله، يعني الإسلام، وأكلهم أموال الناس بالباطل، أي: بالكذب على دين الله، وأخذ الرُّشي على حكم الله، وتبديل الكتب التي أنزلها الله ليستديموا المأكل.

﴿ وَالْمَذِيمُ الزِّيْوَا وَقَدْ ثَهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَلَ النَّاسِ بِالْبَطِيلُ وَأَعْتَدَنَا لِلْكَنْدِينَ مِنْهُمْ عَدَابًا أَلِيمًا ﴿ وَآمْنَذِهِمُ الزِّيوَا وَقَدْ ثَهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَلَ النَّاسِ بِالْبَطِيلُ وَأَعْتَدَنَا لِلْكَنْدِينَ مِنْهُمْ عَدَابًا أَلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَآعَتُدْنَا﴾ أي: أعددنا للكافرين، يعني اليهود. وقيل: إنما قال «منهم»، لأنه علم أن قوماً منهم يؤمنون، فيأمنون العذاب.

ابن جرير ٩/ ٣٨٠ وإسناده صحيح، وقد صحح الحافظ ابن كثير الروايات التي جاءت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية.

 ⁽۲) قال أبو جمفر الطبري ٣٨٦/٩ وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في العوارثة والصلاة عليه، وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته، لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم، كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له، وأن يكون حكمه خكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره، لأن من مات مؤمناً بعيسى، فقد مات مؤمناً بمحمد ﷺ ويجميع الرسل. وذلك أن عيسى صلوات الله عليه، جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم، فالمصدق بعيسي والمؤمن به، مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله، كما أن المؤمن بمحمد، مؤمن بعيسي ويجميع أثبياء الله ورسله. فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذباً. وقال الحافظ ابن كثير ١/٧٧ه: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جربر هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبًا ـ فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينتذٍ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿ وَإِن يَنْ أَمْلٍ ٱلْكِنَّبِ إِلَّا كِيْزِينَنَّ بِهِ. فَلَمْ مَرْقِيرٌ ﴾ أي: قبل موت عيسى ﷺ الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿ وَيُوِّمُ ٱلْقِيْكَةِ يَكُونُ عَلَيْمٌ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام ـ فهذا هو الواقع، وذلك: أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَيْسَتِ الثَّوْبَــةُ لِلَّذِيبَ يَسَمَلُونَ الشَيْهَانِ حَقَّ إِذَا حَضَرَ أَصَدُهُمُ السَّرَكُ قَالَ إِنْ ثَبْتُ التَّنَ وَلَا الَّذِينَ يَشُونُونَ وَهُمْ كُفَّاكُ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَأَوا بَأَسْنَا قَالُوا مَاسَنَا عَالُوا مَاسَنَا عَالُوا مَاسَنَا عَالُوا مَاسَنَا بِمَا كُنَّا بِهِ. مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ بِلَنَّهُ مُهُمَّ إِيمُنَّهُمُ لَمَّا رَأُوا بِلَّمَاتُكُ [المدومن: ٨٤، ٨٥] وهذا يدل علمي ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول، حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد 攤 أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئلٍ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه، لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته. فهذا ليس بجيد، إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً. ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق، أو ضرب بالسيف، أو افترسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى! فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره، لما قدمنا والله أعلم. ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع ــ لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها الذي ذكرناه من تقرير وجود عيسى ﷺ، ويقاء حياته في السماه، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصاري الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصاري، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى لله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزه وتقدم لا إله إلا هو.

﴿ لَكِينِ الرَّسِحُونَ فِي الْفِلْدِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِدُنَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنِلَ مِن قَبْلِكُ وَالْمُؤْمِنِينَ الطَّلَوَةُ وَالْمُؤْمُونَ الرَّكَوْةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنِلَ مِن قَبْلِكُ وَالْمُؤْمِنُونَ الرَّكُونَ الرَّكُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهِلُ وَاللَّهُ مِنْكُونِ الْفَائِمُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْكُونُ وَاللَّهُ مِنْكُونُ وَاللَّهُ مِنْكُونُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْكُونُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ أَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُ

قوله تعالى: ﴿ لَكِينَ ٱلرَّسِحُونَ فِي ٱلْمِلْ وَ قَال ابن عباس: هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب، فأما الراسخون، فهم الثابتون في العلم. قال أبو سليمان: وهم عبد الله بن سلام، ومن آمن معه، والذين آمنوا من أهل الإنجيل ممّن قَدِمَ مع جعفر من الحبشة، والمؤمنون، يعني أصحاب رسول الله. فأما قوله: ﴿ وَٱلْمِيْمِينِ ٱلمَّلَوَةُ ﴾ فهم القائمون بأدائها كما أمروا. وفي نصب "المقيمين" أربعة أقوال: أحدها: أنه خطأ من الكاتب، وهذا قول عائشة، وروي عن عثمان بن عفان أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها (١٠). وقد قرأ ابن مسعود، وأبيّ، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والمحدري: ﴿ والمقيمون الصلاة ﴾ بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأ ، بعيدٌ جداً ، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة ، والقدوة ، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلحه غيرهم ؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم . وقال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح ، لأنه غير متصل ، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً ، ليُصلحه من بعده (٢٠) . والثاني: أنه نسقٌ على هما والمعنى: يؤمنون بما أنزل إليك ، وبالمقيمين الصلاة ، فقيل: هم الملائكة ، وقيل: الأنبياء . والثالث: أنه نسقٌ على الهاء والميم من قوله ﴿ يُنَهُمُ ﴾ فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك ، قلمقيمين الصلاة ، وهم المؤتون الزكاة . وأنشدوا ! في الشعر . وأنل إليك . قال الزجاج: وهذا رديء عند النحويين ، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في الشعر . والرابع : أنه منصوبٌ على المدح ، فالمعنى: اذكر المقيمين الصلاة ، وهم المؤتون الزكاة . وأنشدوا :

سُسمُ السعُسداة وآفسةُ السجُسزُرِ والسطسيسبون مَسعساقِسدَ الأُذْرِ^(٣)

لا يَسبُسعَسدَنْ قسومسي السذيسن هُسمُ السندسن هُسمُ السنسازلسيسن بسكسلٌ مسعستسرّكِ

⁽١) قال السخاري: هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع، لأن عثمان رﷺ جعل للناس إماماً يقتدون به، فيكف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيمه غيرهم؟ وقد نقل ابن هشام في شرح «شذور الذهب» ٥٠ عن الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه قال: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ ﴿إِنَّ كِنَانِ﴾ لحن، وأن عثمان ﷺ قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها. وهذا خبر باطل لا يصبح من وجوه. أحملها: أن الصحابة ﷺ كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقبع اللحن غاية الاستقباح في الكلام، فكيف لا يستقبحون بقاء في المصحف. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم، لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي. والرابع: أنه قد ثبت في «الصحيع» أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوت» بالهاء على لغة الأنصار» فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان ﷺ، فأمرهم أن يكتبوه بالثناء على لغة قريش. وقال الزمخشري: نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشبواهد، ولا يلتقت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظره في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السبابقين الأولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم. وقد روى أبو جعفر الطبري الرواية التي نسبت إلى عائشة أم المؤمنين بقوله: فلو كان ذلك خطأ من الكاتب، لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا . وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخطء لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول ﷺ يعلمون من علّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بالسنتهم، ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءةً على ما هو به في الخط مرسوماً أدلُّ اللـليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب.

⁽٢) انظر كلام الزجاج هذا وكلام ابن ثيمية رحمهما الله على الآية في فمجموع فتاويه؛ ١٥٣/١٥.

⁽٣) «مجاز الترآن» ١٠٤/١، والسيوية ١٠٤/١، والكامل» ٢/ ٧٥١، والأمالية ٢/ ١٥٤، واخزانة الأدب، ٣٠١/٢ وهما للخرزق بنت هفان من قصيدة رئت بها زوجها بشربن عمرو بن مرثد الضبعي، وابنها علقمة بن بشر، وأخويها حسان وشرحبيل، ومن قتل معه من قومه. قال البغدادي: وقولها: سم العداة. السم: معروف وسيته مثلثة. والمداة: الأعداء، جمع عاد، كقضاة: جمع قاض. حكى أبو زيد: أشمت الله عاديك، أي: عدوك. ولا يكون المدافة جمع عدو، لأن اعدواً العمل، وفعول لا يجمع على فعلة، وإنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام. والأعداء: جمع عدو، أجروا فعولاً مجرى فيل كشريف وأشراف، وقد جمعوا أعداء على أعادي. والأقة: العلة. والجزر، بضم فسكون: جمع جزور، والأصل بضمتين كرسول ورسل، فسكن الثاني تخفيفاً. والجزور: هي الناقة التي تنحر، فإن كانت من الغنم فهي جزرة بفتحتين. وصفتهم أولاً بالشجاعة والنجلة، وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم، وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف، فكأنهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها. والباء في ويكل؛ ظيفة متعلقة بالنازلين. والمعترك، والمعرك، والمعرك، والمعرك، والمعركة: موضع القتال، وهو مشتق من: عركت الرحى الحب؛ إذا طحنته، أوادوا أن موضع القتال: يطحن كما تطحن الرحى ما يحصل فيها. وقولها: النازلين بكل معترك. يعني أنهم يتزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتداعون: نزال. وقولها: وقولها: النازلين بكل معترك. يعني أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتداعون: نزال. وقولها: =

وهذا على معنى: اذكر النازلين، وهم الطيبون، ومن هذا قولك: مررت بزيد الكريم، إن أردت أن تخلصه من غيره، فالخفض هو الكلام، وإن أردت المدح والثناء، فإن شئت نصبت، فقلت: بزيد الكريم، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريم. وتقول: جاءني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وهذا القول اختيار الخليل، وسيبويه. فهذه الأقوال حكاها الزجاج، واختار هذا القول.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَكَ كُنَّا أَوْحَيْنَا إِلَى ثُوج وَالنِّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُوبُ وَيُولُسَ وَهَدُونَ وَسُلَيْمَنَ وَمَائِينَا دَاوُدَ وَيُؤُولُ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيّناً إِلِكَ وَال ابن عباس: قال عدي بن زيد، وسُكين: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشرٍ من شيء بعد موسى، فنزلت هذه الآية (١٠). وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوحي، وذكر هنالك. وإسحاق: أعجمي، وإن وافق لفظ العربي، يقال: أسحقه الله يسحقه إسحاقاً، ويعقوب: أعجمي. فأما اليعقوب، وهو ذكر الحجل وهي القبح (١٠) فعربي، كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي (١٠). وأيوب: أعجمي، ويونس: اسم أحجمي. قال أبو عبيدة، يقال: يُونُس ويُونِس بضم النون وكسرها، وحكى أبو زيد الأنصاري عن العرب همزه مع الكسرة والضمة والفتحة. وقال الفراء: يونس بضم النون من غير همز لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: يونس بالمهم النون من غير همز. والمشهور في القراءة يونُس بوفع النون من غير همز. والمشهور في القراءة يونُس بوفع النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يؤنس بكسر النون مهموزاً. قرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والمجدري: يُونَس بفتح النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يؤنس بفتح النون مهموزاً. وقرأ أبو السماك العدوي: يونِس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزاً. وهارون: اسم أعجمي، وباقي الأنبياء قد يونِس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزاً. وهارون: اسم أعجمي، وباقي الأنبياء قد تقدم ذكرهم. فأما الزبور، فأكثر القرّاء على فتح الزاي، وقرأ أبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش، وحمزة بضم الزاي. قال الزجاج: فمن فتح الزاي، أراد: كُتباً، ومعنى ذكر «داود» أي: لا تنكروا تفضيل محمد بالقرآن، فقد أعطى الله داود الزبور. وقال أبن قتيبة: الزّبُور فعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو من قولك: زبرت الكتاب أزبره زبراً: إذا كتبته، قال: وفيه لغة أخرى: الزُبور بضم الزاي، كأنه جمعه عنه النادي وقراً أبورين المؤبور بضم الزاي، كأنه حمد عمره على المنات أوبوري الكتاب أزبره زبراً: إذا كتبته، قال: وفيه لغة أخرى: الزُبور بضم الزاي، كأنه حمد عمره عمره أباد.

﴿ وَرُسُلَا قَدْ فَصَمْمَتُهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُمْهُمْ عَلَيْكُ وَكُلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَحْلِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّمُ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكُولِيمًا﴾ تأكيد كلّم بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة. روى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت إسماعيل بن محمد الصفّار يقول: سمعت ثعلباً يقول: لولا أن الله تعالى أكّد الفعل بالمصدر،

والطيبون. أرادت أنهم أعفاء في فروجهم، لأن العرب تكني بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه، كقولهم: ناصح الجيب، يريدون الفؤاد، فكنوا عنه
بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً من. قال ابن خلف: إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه، فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج، يراد أنه: لا يعقد إزاره
على فرج زانية وكذلك طهارة الذيل. وإذا وصف بطهارة الكم أو الردن وهو الكم بعيته: أرادوا أنه لا يسرق ولا يخون وإذا وصفوه بطهارة الجيب:
أرادوا أن قلبه لا ينطوي على غش ولا مكروه، وقد يكنون عن عفة الفرج بطيب الحجزة كما قال النابغة:

رقاق النعال طيب حسجزاتهم يحيدون بالريحان يدوم السسباسب

⁽۱) قسيرة ابن هشامه ٢/ ٥٦٢، وابن جرير ٩/ ٤٠٠ عن ابن عباس، وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: لا يعرف. وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد من بني قينقاع، ذكرهم ابن هشام في اللسيرة، في الأعداء من يهود.

⁽٢) في «اللسان» ٢/ ٣٥١: القبج: الحجل، والقبج: الكروان معرّب، وهو بالفارسية كبج معرب، القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والثبجة: تقع على الذكر والأنش حتى تقول: يعقوب، يختص بالذكر، لأن الهاء إنما دخلته على أنه الواحد من الجنس، وكذلك النعامة حتى تقول: ظليم، والنجلة حتى تقول: يعسوب.

⁽٣) انظر «المعرب» ١٤، ٥٥٥.

لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمتُ لك فلاناً بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولاً، فلما قال: تكليماً لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله (١٠).

﴿زُسُلًا مُنَبِشِرِينَ وَمُنذِدِينَ لِثَلًا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَنِيزًا حَكِيمًا ﴿

قوله تعالى: ﴿لِنَكَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً﴾ أي: لئلا يحتجوا في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل، لأن هذه الأشياء إنما تجب بالرُسُل^(٢).

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا ۚ أَزَلُ إِلَيْكُ أَنزَلَهُ بِعِلْمِيدُ وَالنَّاتِيكَةُ يَشْهَدُونًا وَكُفَن بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَكِنَ اللهُ يَشْهُدُ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحلهما: أن النبي ﷺ دخل على جماعة من اليهود، فقال: ﴿ إِنِي واللهُ أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس (٣). والثاني: أن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فاتتنا بمن يشهد لك أن الله بعنك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن السائب. قال الزجاج: الشاهد: المبين لما يشهد به، فالله ﷺ بين ذلك، ويعلم مع إبانته أنه حق. وفي معنى ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلَمِ اللهُ الذِجاج. والثاني: أنزله من علمه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أنزله إليك بعلمٍ منه أنك خيرته من خلقه، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَتَهِ كُمُّ يَشْهَدُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يشهدون أنَّ الله أنزله. والثاني: يشهدون بصدقك (). قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّى لِأَلَّهِ شَهِدَا﴾ قال الزجاج: «الباء» دخلت مؤكِّدة. والمعنى: اكتفوا بالله في شهادته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُواْ ضَلَالًا بَصِيدًا ﴿ إِنَّ الَّهِ عَن

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَسَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قال مقاتل وغيرُهُ: هُم اليهود كفروا بمحمد، وصدُّوا الناس عن الإسلام، قال أبو سليمان: وكان صدُّهم عن الإسلام قولهم للمشركين ولاتباعهم: ما نجد صفة محمد في كتابنا.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَتَم يَكُنِ ٱللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَـَمَ خَلِدِينَ فِهَآ أَبَدَأُ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَ لَقَهِ يَسِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلْمُوا﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود أيضاً كفروا بمحمد والقرآن. وفي الظلم المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه جحدهم صفة النبي محمد ﷺ في كتابهم.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَمُنْمَ﴾ يريد من مات منهم على الكفر. وقال أبو سليمان: لم يكن الله ليستر عليهم قَبيح فعالهم، بل يفضحهم في الدنيا، ويعاقبهم بالقتل والجلاء والسّبي، وفي الآخرة بالنار ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ينجون فيه. وقال مقاتل: طريقاً إلى الهدى ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَلَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني كان عذابهم على الله هيناً.

﴿ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ مَّذَ جُمَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن دَّتِكُمْ فَامِنُوا خَيْرًا لَكُمُّ وَإِن تَّكَفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا ﷺ عَكِيمًا ﷺ عَكِيمًا ﷺ

أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: «تكليماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.

 ⁽١) وفي «القرطبي» ١٨/٦: قال التحاس: وأجمع التحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وأنه لا يجوز في قول الشاعر:
 امسمت الأ السمح السوض وقسال قسمط المسمي

⁽٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٣٧/١٦، ومسلم ٢١١٤/٤ واللفظ له عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: اليس أحد أحب إليه العلح من الله فقق من أجل ذلك أنزل من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

⁽٤) في (الأحمدية): بصدق.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّ النَّسُ ﴾ الكلام عام، وروي عن ابن عباس أنه قال: أراد المشركين. ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ إِلْمَتِيّ ﴾ أي: بالهدى، والصدق.

قوله تعالى: ﴿ فَنَامِئُوا خَيْرًا لَكُمُ ۗ (١) قال الزجاج عن الخليل وجميع البصريين: إنه منصوبٌ بالحمل (٢) على معناه، لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، وأنت تدفعه عن أمرٍ فتدخله في غيره، كان المعنى: انته وأتِ خيراً لك، وادخل في ما هو خير لك. وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

أو الشرُّبْ إن المستحد استها استهاد (٣)

فسواعسديسه سسرخستسي مسالسك

كأنه قال: إيتي مكاناً أسهل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكَفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ ۖ أَي: هو غني عنكم، وعن إيمانكم. ﴿وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا ﴾ بما يكون من إيمان أو كفر ﴿ يَكِيمًا ﴾ في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

﴿ يَكَأَمْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْـلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَـقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْمَكَنَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْبَمَ رَسُوكَ اللّهِ وَكِيمَتُهُۥ اَلْقَنَهَمَا إِلَى مَرْبَمَ وَرُوحٌ مِنَةٌ فَنَايِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِّةٍ. وَلَا نَقُولُواْ فَلَنَقُ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ أَبِنَا اللّهُ إِلَهٌ وَحِـثُ سُبْحَنَهُۥ أَن يَكُوتَ لَمُ وَلَدُّ لَمُ مَا فِي السَّمَوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ وَكُفَى بِاللّهِ وَرَكِيلًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يُتَأَمَّلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا آشَـُواۡ فِي دِينِكُم ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، السيّد والعاقِب، ومَن معهما. والجمهور على أن المراد بهذه الآية: النصارى. وقال الحسن: نزلت في اليهود والنصارى. والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السّعر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغلو النصارى في عيسى: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه قولهم: إنه لغير رشدة. وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالزيادة في التشدّد فيه (٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْوُلُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا تقولوا: إن الله له شريك أو ابن أو زوجة. وقد ذكرنا معنى «المسيح» و«الكلمة» في (آل عمران). وفي معنى ﴿وَرُرِحُ مِنَةٌ ﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه روحٌ من أرواح الأبدان. قال أبيّ بن كعب: لما أخذ الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحاً من تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم، فحملت به. والثاني: أن الروح النفخ، فسُمّي روحاً، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم. ومنه قول ذي الرّمة:

⁽۱) - وفي «مجاز القرآن» ١٤٣/١ ﴿فَمَامِرُمُ خَيْرًا لَكُمُ﴾ نصب على ضمير جواب «يكن خيراً لكم» وكذلك كل أمر ونهي. قلت: ويريد بقوله: «ضمير» الإضمار الذي هو المصدر، لا بمعنى المضمر في اصطلاح النحاة.

⁽٢) في (الأحمدية) على الحمل.

⁽٣) ﴿ديوانها ٣٤٩ وروايته فيه:

وواعسديسه مسسدرتسي مسسالسسك أو ذا السذي بسيد به مسالسسك واعسبويه ١٤٣/، والخزانة ١/ ٢٨٠، وابن جرير ١/ ٥/٤. قال الأعلم: الشاهد فيه نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله، لأنه لما قال: وفواعديه سرحتي مالك أو الربا بينهما علم أنه مزهج لها داع إلى إتيان أحدهما، فكأنه قال: إتني أسهل الأمرين عليك. وهذا تفسيره على مقالة ميبويه. ونقل صاحب الخزانة عن ابن خلف معناه أنها قالت لأمتها: واعديه الليلة أن يقصد السرحتين، ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع، لأنهما إذا علوا الربى عرف مكانهما وشنع أمرهما. وأسهل أفعل: تفضيل من السهولة ضد الحزونة، والمفضل عليه محذوف تقديره: أسهل منهما، وسرحتا مالك: شجرتان لمالك، والسرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر عظيم لا شوك له، والربى: جمع ربوة: المشرف من الأرض، وكانت الربى بين السرحتين.

⁽٤) قال ابن كثير رحمه الله: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاء الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه منادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ورسوله ورواه البخاري: ٢١ ٣٥٠. قلت: قال الحافظ ابن حجر: وقوله: «لا تُطروني» بضم أوله، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً: مدحته فأفرطت في مدحه، وقوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

وَقُلْتُ لِهُ ارْفِعِهَا إليك وأَحْيِها . بروحِك واقْتَتْه لها قيتَة قَدْرًا(١)

هذا قول أبي رَوق. والثالث: أن معنى ﴿ وَرُرَحُ مِنَةً ﴾ إنسان حيّ بإحياء الله له. والرابع: أن الروح: الرحمة، فمعناه: ورحمة منه، ومثله ﴿ وَآيَدَهُم بِرُوج عِنْدُ ﴾ السجادلة: ٢٧]. والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى مريم، والذي ألقاها روحٌ منه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان الدمشقي. والسادس: أنه سمّاه روحاً، لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح، ولهذا المعنى سمي القرآن روحاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: ﴿ يُنِزُلُ اللّهَ اللهُ عَنِي مِنْ أَمْرِينَ ﴾ [النعل: ٢] أي: بالوحي، ذكره الثعلبي. فأما قوله: قمنه فإنه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: ﴿ وَسَنَعُ لَكُرُ مَا فِي السَّنَكِيْتِ وَمَا فِي الْجَنِي جَيِمًا يَنْكُ اللمائية: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَتُولُوا نَلْنَقَةً ﴾ قال الزجاج: رفعه بإضمار: لا تقولوا آلهتُنا ثلاثة ﴿إِنَّا اللهُ إِلَهُ وَحِدَّ ﴾ أي: ما هو إلا إلهُ واحد ﴿سُبْكَنَهُ ﴾ ومعنى السبحانه: تبرئته مِن أن يكون له ولد. قال أبو سليمان: ﴿وَكَفَنَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: قيّما على خلقه، مدبراً لهم.

﴿ لَنَ يَسْتَنَكِنَ الْسَيِعُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِنَهُ وَلَا الْمُلَتَهِكُةُ الْقُرْبُونَ وَمَن يَسْتَنَكِفَ عَنْ عِبَادَيْهِ. وَيَسْتَحَبُّمُ أَمْ إِلَيْهِ بَحِيمًا ﴿ لَا يَسْتَعُمُومُ إِلَيْهِ بَحِيمًا ﴿ لَا يَسْتَعُمُومُ الْمَسِيعُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِنَهِ ﴾ سبب نزولها: أن وفد نجران وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد لَمْ تذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول له؟ هو عبد الله، قالوا: بلى هو الله، فقال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله، قالوا: بلى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: معنى يستنكف: يأنف، وأصله في اللغة من نكفت المدمع: إذا نحيته بأصبُعِكَ من خدّك. قال الشاعر: من الرجاع: من ينكف لعينيك مَدْمعُ (٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَتِكُةُ الْمُثَرِّبُونَ ﴾ قال ابن عباس: هم حملة العرش.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ مَاسَوُا وَعَيِلُوا الطَّنلِخَتِ نَبُونَيْهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِن فَضَـلِّهِ. وَأَشَا الَّذِينَ السَّتَكَمُّوا وَاسْتَكَبُّوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا لَلِيمًا وَلَا يَعِيدُونَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَبُونَهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿ وَيَزِيدُهُم يَن فَفَسَلِدِ. ﴾ مضاعفة الحسنات. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ فَيُونَيْهِمُ أَجُورَهُمْ ﴾ قال: يدخلون الجنة، ﴿ وَيَزِيدُهُم مِن فَضَـ لِلْهِ. ﴾ : الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا^(٣).

﴿ يَا أَيُّمَ النَّاسُ مَّذَ جَاءَكُم مُرْهَدُنُ مِن زَيِّكُمْ وَأَرْلَنَا ۚ إِلَيْكُمْ فُولَا مُبِيدُنا ﴿

(۱) قديوانهه ص ٢٤٦، وابن جرير ٢٠/٤٢٠، وفاللسان» مادة فروح» من جملة أبيات نعت بها النار وقبل البيت: فسلسمسا بَسدتْ كسفَسنْستُسهسا وهسي طسفسلسة بسطسلسسساءَ لسم تَسكسهُسل فراعساً ولا شِسبسرا

وقلت. . . . البيت ويعده:

عمليمها المصبا واجمعل يديك لها وسترا دوابسل مسمسا يسجمسمسون ولا تحسفسرا سننا البيرق أحمدثنا لمخالمقها شكرا

وظناهنار لنهنا من ينابس النشّنخت واستنعن. ولسمننا تستنسمّنت تسأكسلُ السرّم لسم تَسدَعُ فسلسمننا جُسرَت فني السجسارُكِ جِسريناً كسأتَنه

وقوله: ارفعها إليك. أي: قال لصاحبه: خلحا بيدك، وارفعها إلى فعك، ثم أحيها بروحك أي: انفخ لها نفخاً يسيراً، واقتته لها قيتة قلواً، يأمره بالرفق والنفح القليل شيئاً فشيئاً، كأنه جعل النفخ قوتاً لهذه النار، يقدر لها تقديراً شيئاً بعد شيء حتى تكتمل.

(٢) ﴿ اللَّمَانَ ٩ /٣٤٠ و قالج العروس؛ ٦/ ٢٦١ ولم ينسباه لقائل. وفي «التهذيب»: فماتوا. وانظر كلام الزجاج في «القرطبي، ٢٦/٦.

في «الدر المنتور» ٢٤٩/١: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والإسماعيلي في «معجمه» بسند ضعيف عن ابن مسعود فله قال: قال رسول الله فله في قوله: ﴿فَيْرَيْهُمْ أَبُورُكُمْ وَرَبِدُهُم مِن فَشَـلِيْهِ قَال: أجورهم: يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضلة: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا، وذكره ابن كثير عن ابن مردويه، ثم قال: وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد. وفي «الممبوث» إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا. ثلت: ذكره الذهبي في «المبيزان» ١٠٩/١، وقال: روى عن الأعمش، وعنه بقية بخبر عجيب منكر، قلت إلى المبدر، هذا الخبر.

قوله تعالى: ﴿وَدَ جَاءَكُم بُرُهَنَّ مِن رَبِّكُم ﴾ في البُرهان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحجة، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: القرآن، قاله والثاني: القرآن، قاله والثرآن، قاله عندة، وإنما سمّاه نوراً، لأن الأحكام تبين به بيان الأشياء بالنور.

﴿ فَأَمَّا الَّذِيرَ مَامَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَكُواْ بِهِ. نَسَكُنْ يَلْهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضَّلٍ وَيَهْدِيهِمْ إلِيَّهِ صِرَكًا مُسْتَقِيمًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْتَتَمَكُوا بِهِ هِ أَي: استمسكوا. وفي هاء "به قولان: أحلهما: أنها تعود إلى النور وهو القرآن، قاله ابن جريج. والثاني: تعود إلى الله تعالى، قاله مقاتل. وفي «الرحمة» قولان: أحلهما: أنها الجنة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نفس الرحمة، والمعنى: سيرحمهم، قاله أبو سليمان. وفي "الفضل" قولان: أحلهما: أنه الرزق في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه الإحسان، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ مِرَطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي: يوفقهم الإصابة الطريق المستقيم. وقال ابن الحنفية: الصراط المستقيم: دين الله.

﴿ يَسْتَغَنُّونَكَ قُلِ اللَّهُ يُغْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةَ إِنِ الرَّهُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌّ وَلَهُ, أَخْتُ فَلَهَا يَشْفُ مَا زَكُ وَهُوَ يَرِثُهَمَا إِن لَمْ يَكُن كَمَا وَلَدُّ فَإِن كَانَنَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلْنَانِ مِنَا زَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّبَالًا وَيَسَاءُ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ ٱلْأَنْذَيْنِ ثُيَتِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُواْ وَاللّهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيطٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِ آمُرُهُا هَلَكَ﴾ أي: مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ يريد: ولا والِد: فاكتفى بذكر أحدهما، ويدل على المحذوف أنَّ الفتيا في الكلالة، وهي مَن ليس له ولد ولا والد.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخْتُ ﴾ يريد من أبيه وأمه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا زَرَاتُ ﴾ عند انفرادها ﴿وَهُو يَرِثُهَا ﴾ أي: يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن لها ولد ولا والد، وهذا هو الأخ من الأب والأم، أو من الأب ﴿فَإِن كَانَتَا النَّنَيْنِ ﴾ يعني: أختين. وسئل الأخفش ما فائدة قوله «اثنتين» و«كانتا» لا يُفسّر إلا باثنتين؟ فقال: أفادت العدد العاري عن الصفة، لأنه يجوز في «كانتا» صغيرتين، أو حرتين، أو صالحتين، أو طالحتين، فلما قال: «اثنتين» فإذاً إطلاق العدد على أي وصف كانتا عليه ﴿فَلَهُمَا النَّلْنَانِ ﴾ من تركة أخيهما الميت ﴿وَلِن كَانَوّا ﴾ يعني المخلفين.

قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَن نَصِٰلُواْ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تضلواً. وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما: أن لا تضلوا، فأضمرت لا. والثانى: كراهية أن تضلوا، وهو قول البصريين. قال ابن جريج: أن تضلوا في شأن المواريث.

⁽۱) أبو داود: ٣/ ١٦٤، والطيالسي في «مسنده ٢٧/١، و«ابن جرير» ٢٣١/٩، وألبيهتي في «السنن» ٢/ ٢٣١. وروى مسلم في "صحيحه ٣/ ١٧٣٤ عن جابر بن عبد الله قال: مرضت، فأتاني رسول الله في أبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي عليّ، فتوضأ، ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم يردِّ علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَتَنَفُونَكُ فُلِ اللّهُ يُشِيَحُمُ فِي أَلْكَالُهُ ﴾ وروى البخاري: ٨/ ١٨٢، ومسلم: ١٧٣٥ عن جابر هي قال: عادني النبي يَقِيْدُ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي يَقِيْدُ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت ﴿يُوبِيكُمُ اللّهُ فِي أَلْكِ عُنْهُ ﴾.

⁽٢) أخرجه ابن جرير ٩/ ٤٣١، وهو حديث مرسل، وفي سنده سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف.

سورة المائدة(١)

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية. وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلّها مدنية. وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿ آلِيْوَمُ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ قال: وقيل: فيها من المكي ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُوا شَعَلَهُمْ اللَّهِ ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿ آلَيْوَمُ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة.

ينسب أنقر ألكنن ألتجسن

﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرَفُوا بِالْمُتُورُ أُحِلَّ لَكُمْ يَهِيمَةُ الْأَنْفَرِ إِلَا مَا يُئِلَ عَلَيْكُمْ غَيْرَ عُبِلِ الصَّبِدِ وَالْعَبْدِ وَالْمَا وَلَهُ الْمَوْدِن مِن أَمَنا ، وهذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج. والعقودة: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة. وقال الزجاج: العقودة: أوكد العهود. واختلفوا في المراد بالمهود هاهنا على خمسة أقوال: أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن. والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلْفُ الذي كان بينهم، قاله قاله التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد على قاله ابن جريج، وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابين. والخامس: أنها عقود الناس بينهم، من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نئر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أُمِلَتُ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْكِرِ﴾ في بهيمة الأنعام ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس (٢). والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. وقال الربيع: هي الأنعام كلها. وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها. والثالث: أنها وحوش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، روي عن ابن عباس، وأبي صالح. وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والخمر الوحشية. قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميز، وكل حي لا يميّز فهو بهيمة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائِر ما في القرآن تحريمه. وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿حُرِّمَتَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْنَةُ﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿ عَبْرَ يُحِلِي الصَّبْدِ ﴾ قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال. وقال غيره: المعنى: أحت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطيادها وأنتم حرم، قال الزجاج: الحرم: المحرمون، وواحد الحرم: حرام، يقال: رجل حرام، وقومٌ حرمٌ. قال الشاعر:

⁽١) روى الحاكم في «المستدرك» ٣١١/٣ عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضياً، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وواققه الذهبي، ورواه الإمام أحمد وزاد: «وسألتها عن خلق رسول الله عليه قالت: القرآن».

 ⁽٢) في الحديث عن النبي ﷺ قال: فذكاة المجنين ذكاة أمه وواه أبو داود ١٣٦/٣، والترمذي ١٧٨/١، وابن ماجه ١٠٦٧/٣ من حديث جابر وهو حديث صحيح. وفي فالمغني، ١١/١١: إذا خرج الجنين ميتاً من بطن أمه بعد ذبحها أو وجده ميتاً في بطنها، أو كانت حركته بعد خروجه كحركة المذبوح فهو حلال, روي هذا عن عمر وعلي وبه قال صعيد بن المسيب، والنخعي، والشافعي، وإسحاق وابن المنذر.

 ⁽٣) وفي «القرطبي» ٦/٥٣: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى ﴿يُوَمِنَ عَلَيْكُمُ ٱلنِّيدَةُ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: • وكل ذي ناب من السباع حرام».

فقلت لها فيشي إليك فانني حسرامٌ وإنسي بعدد ذاك لبيب بُ(١)

أي: ملَّتِ. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يخل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على مَن يريد. ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَوُا لَا يُحِلُوا شَكَيْرَ اللَّهِ وَلَا النَّهْرَ الْمُلَامَ وَلَا الْمُلَّتِيدَ وَلَا النَّابَةِ الْمُلَامِنَ وَلَا النَّهْرَ الْمُلَامِعَ مَن الْمُسْجِدِ الْمُرَّارِ أَن تَمْتَدُوا وَتَمَاوَنُوا عَلَى الْبِرِ وَالنَّقُونُ وَلَا يَعَارِمَتُكُمْ شَنَانُ قَوْرٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْمُرَّارِ أَن تَمْتَدُوا وَتَمَاوَنُوا عَلَى الْبِرِ وَالنَّقُونُ وَلَا يَهْرَمُنَكُمْ شَنِيْكُ الْمِقَابِ ۞﴾ نَمَاوُنُوا عَلَى الْهِذْرِ وَالشَّدُونُ وَاتَمُوا اللَّهُ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْمِقَابِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُحِلُواْ شَكَيْرَ اللهِ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن شريح بن ضبيعة (٢٠ أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فقال: إن لي أمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر، وما الرجل بمسلم، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحديبية، خرج شريح إلى مكة معتمراً، ومعه تجارة، فأراد أهل السّرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس (٣٠). وقال السدي: اسمه الحُظمُ بن هند البكري (٤٠). قال: ولما ساق السَّرح جعل يرتجز:

ليسس بسراعسي إبسل ولا غسنسم باتوانيًاماً وابنُ هند لسم يسسم خَدلًجُ الساقين ممسوحُ القدم(٥) قدْ لَفَها السليلُ بسواقِ مُعطَّم ولا بسجوزادِ عسلسى ظَهم وضر بسات يُسقاسسيهَا غيلامٌ كالرَّلَمْ

(١) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، وهو في «مجاز القرآن» ١/٤٥١، و«السمط» ١٩٩١/، و«الاقتضاب» ٤٧٥، و«شرح أدب الكاتب» للجواليقي ٤١١، و«القرطبي» ٦/٦٦. قال البطليوسي: سمي المضرب، لأنه شبب بامرأة، فغار أخوها لذلك، فضربه بالسيف ضربات عديدة، ويروى لشبل بن الصامت المري وبعده:

فسمسد تن بسعسيست بسعسي فسر لسهسن فحسر لسهسن فحسر المهسن فحسروب

وأراد بالغر: أسنانها، والغروب: جمع غرب، وهو حد الأسنان. وصف أن محبوبته لقيها وهو محرم ملب، فتورع عن الكلام معها، ومعنى «فيثي»: ارجعي. والحرام»: المحرم. والبيب» هاهنا بمعنى: ملب وهو نادر، لأن فعيلاً لا يستعمل بمعنى «مفعل». وابعد، بمعنى: «معه وقوله: «فيثي إليك، أمر بعد أمر على معنى التأكيد في إبعادها عن نفسه.

(٢) في فأسباب النزول؛ للواحدي: ضبيع الكندي. (٣) ذكره الواحدي في فأسباب النزول؛ ص ١٠٧ عن ابن عباس بدون سند.

(٤) رواية السدي هذه أخرجها ابن جرير ٩/ ٤٧٢. ورواه أيضاً ابن جرير، وابن المنذر من طريق عكرمة.

(٥) الرجز في «الأغاني» ٤٤/١٤، و«حماسة» أبي تمام ٢/ ٣٥٤. و«رغبة الآمل» ٤/٥٧، و«البيان والتبيين» ٣٠٨/٢. وقد اختلفوا في نسبة هذا الشمر اختلافاً كثيراً، فنسبه في «الحماسة» لرشيد بن رميض العنزي، ونسب أيضاً للأغلب العجلي، وللأخنس بن شهاب، ولجابر بن مُخني التغلبي، وانظر «السمطة ٢٧٩، ولعل الحطم أنشده مدحاً لنفسه فيما فعل من سَوق السَّرح. وقبل هذا الرجِز:

قال المروزقي: وزيم اسم فرس، وقوله: قد لفها. يريد الإبل، وجعل الفعل لليَّل على المجاز. والمعنى: جمعها برجل متناهي القوة، عنيف السوق، يكسر الطرائد بعضاً على بعض، لقلة رفقه وكثرة عسفه، ولأنه قليل الفكر فيها إذا كانت تُصلت بالفارة، فإن سلمت فهي غُنْم، وإن تلفت فليست بتُرم، فالعوض منها بالقرب. وقوله: الحطم: بناء للمبالغة، وهو من الحطم: الكسر. وقوله:

السيسس بسراهسي إبسل ولا غسنسم ولا بسجرزار عسلسي ظسهسر وضسم

يقول: لا يرفق هذا الرجل بوسائقه رفق الرعاة، ولا رفق الجزار، وذلك أن الراعي مكترى لاستصلاح مرعيّه، وحفظ ما ضم إليه بجهده، والجزار لا يستهلك ماله، ولا يعنف عنف من لا يبالي به، وهذا صفة المغوار، القليل الفكر في فساد ما يحويه منها، الذاهب عن استبقائها، لا يبالي كيف استوسقت، على أي حالة تحصلت. وقوله: باتوا نياماً... يقول: مكث الناس النائمين في ليلهم، وهذا الرجل لم ينم، لأنه كان بيّت للغارة، ثم قال: بات يقاسيها أي: يعاني الغارة كيف يوقعها ويدبرها، متى يأخذ فيها غلام مدمّج الخلق، خفف ثقف مشمس، كأنه قدح. يعني ابن هند. والزلم، بفتح الزاي وضمها: القدح كان يستقسم به. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ نَسْنَقْسِوا إِلالاَنْتِيْ ﴾. ويجوز أن يكون المضمرون في قباتوا، المغار عليهم. وقوله: خدلج الساقين، يصفه بأنه غليظ الساقين، وهذا غير حسن في ثباته وقوته في العمل والسير، وشدة بلائه وصبره على الكد. وقال الأستاذ محمود شاكر: وخدلج الساقين: ممتلئ الساقين، وهذا غير حسن في الرجال، وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابي:

مسهسف بهنأ السكسسحين خسفاق السقدم

أي: ضامر أخصر، وخفاق القدم: لأقدامه خفق متتابع على الأرض من سرعته وهو يحدو بالإبل. ورواية المصنف «ممسوح القدم» أي: ليس لباطن قدميه أخمص، فأسفل قدميه مستو أملس لين، ليس فيهما تكسر ولا شقاق. والثاني: أن ناساً من المشركين جاؤوا يؤمون البيت يوم الفتح مهلين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل نغير عليهم، فنزل قوله: ﴿ وَلا ءَلَيْنَ اللَّيْتَ لَلْمُرْاً ﴾ قال ابن قتية: وشعائير الله: ما جعله الله علماً لطاعته. وفي المراد بها هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك. والثاني: أنها ما حرم الله تعالى في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: دين الله كله، قاله الحسن. والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء. والخامس: حرم الله، قاله السدي. والسادس: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة، والزجاج. والسابع: أنها أعلام الحرم، نهاهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أراوا دخول مكة، ذكره الماوردي، والقاضي أبو يعلى (٢).

قوله تمالى: ﴿وَلا الشّهرَ المَرّامَ﴾ قال ابن عباس: لا تُجلّوا القتال فيه. وفي المراد بالشهر الحرام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذو القَعدة، قاله عكرمة، وقتادة. والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم. قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كلَّ سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرمت كذا، والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري، والهدي: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء. وفي القلائد قولان: أحدهما: أنها المقلَّدات مِن الهدي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم في الجاهلية، ليأمنوا به عدوهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحُرُم، فمن لقوه مقلَّداً نفسه، أو بعيره، أو مشعراً بُدنَهُ أو سائِقاً هدياً لم يُعرض له. قال ابن عباس: كان من أراد أن يسافر في غير الأشهر الحُرُم، قلد بعيره من الشعر والوبر، فيأمن حيث يُعمر وروى مالك بن مِغوّل(٢) عن عطاء قال: كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم. فنزلت هذه الآية(١٤). وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلّد من السَّمُو، فلم يَعرض له أحد، وإذا رجع تقلّد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد (٥). وقال الفراء: كان أهل مكة يُقلّدون بلحاء الشجر، وسائر العرب يُقلّدون بالوبر والشعر. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تستحلّوا المقلّدات من الهدي، والثاني: لا تستحلّوا المقلّدات من الهدي، والثاني: لا تستحلّوا المقلّدات من الهدي، والثاني: لا تستحلّوا أصحاب القلائد. والثالث: أن هذا نهي للمؤمنين أن ينزعوا شيئا من شجر الحرم، فيتقلّدوه كما كان المشركون ينعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء، وبه قال مطرف، والربيع بن أنس (٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا ءَآتِينَ ٱلْمِيْتَ ٱلْمُرَامَ﴾ «الآمّ»: القاصد، و«البيت الحرام»: الكعبة، والفضل: الربح في التجارة، والرضوان من الله يطلبونه في حجّهم على زعمهم. ومثله قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ إِلَيْهِكَ ٱلَّذِى﴾ [طه: ٤٧] وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَنْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره ﴿فَإِذَا تُضِيَتِ الصَّلَوَةُ فَانتَشِـرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١٠٠] وهو يدلُ على إحرام متقدّم(٧).

⁽١) أخرجه ابن جرير ٩/ ٤٧٤: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...

⁽٢) رجح ابن جوير الطبري ما ذهب إليه عطاء من قوله _حين سئل عن شعائر الله _: حرمات الله، اجتناب سخط الله، واتباع طاعته، فذلك شعائر الله.

 ⁽٣) في االأحمدية، امعول، وهو تصحيف. ومالك هذا ثقة، روى له الجماعة، مترجم في التهذيب، ١٠/ ٢٢.

 ⁽³⁾ أبن جرير ٩/ ١٦٨ وفي سنده سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. واللحاء؛ بكسر اللام: قشر الشجرة.

 ⁽٥) ابن جرير ٩/ ٢٦٨ وإسناده صحيح. والسّمُر، بفتح السين وضم الميم: ضرب من الشجر، صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صغراء يأكلها الناس،
 وليس في العضاه شيء أجود خشبةً منه، ينقل إلى القرى فتغمى به البيوت. وقوله: «تقلد من السّمُر» يريد قشر.

اختار ابن جرير أن أله نهى عن استحلال حرمة المقلد، هدياً كان أو إنساناً دون حرمة القلادة، قمعنى الآية على ما اختاره: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شمائر الله، ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا المقلد نفسه بقلائد الحرم.

⁾ قال أبن كثير ٢/٥: وقوله: ﴿وَإِنَّا كُلْتُمُ قَامُكَادُولُ﴾ أي: فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه، فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبر أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح، ومن قال: إنه على الرجوب يتنقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أخر، والذي يتنظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْرِمُنْكُمُ ﴾ وروى الوليد عن يعقوب اليجرمنْكم السكون النون، وتخفيفها. قال ابن عباس: لا يحملنكم، وقال غيره: لا يدخلنكم في الجُرم، كما تقول: آثمتُه، أي: أدخلته في الإثم. وقال ابن قتيبة: لا يكسبنكم يقال: فلان جارمُ أهله، أي: كاسبُهم، كذلك جريمتهم (١١). وقال الهُذلي ووصف عقاباً:

جريسمة ناهضٍ في رأس نِـيْـتِ تَـرَى لِعظَامِ ما جَمَعَتْ صَليبا(٢)

والمناهض: فرخها، يقول: هي تكسب له، وتأتيه بقوته. و«الشنآن»: البغض، يقال: شنئته أشنؤه: إذا أبغضته. وقال ابن الأنباري: «الشنآن»: البغض، و«الشنآن» بتسكين النون: البغيض. واختلف القراء في نون الشنآن، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بتحريكها، وأسكنها ابن عامر، وروى حفص عن عاصم تحريكها، وأبو بكر عنه تسكينها، وكذلك اختُلف عن نافع. قال أبو علي: «الشَّنآن»، قد جاء وصفاً، وقد جاء اسماً، فمن حرّك، فلأنه مصدر، والمصدر يكثر على فَعلان، نحو النَّزوان، ومن سكَّن، قال: هو مصدر، وقد جاء المصدر على فَعلان، تقول: لويته دينة لَيَّاناً، فالمعنى في القراءتين واحد، وإن اختلف اللفظان. واختلفوا في قوله: ﴿أَن سَدُوكُم ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح، فمن فتح جعل الصد ماضياً، فيكون المعنى من أجل أن صدوكم، ومن كسرها، جعلها للشرط، فيكون الصد مترقباً. قال أبو الحسن الأخفش: وقد يكون الفعل ماضياً مع الكسر، كقوله: ﴿إِن بَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ كُلُ بِن فَبَلُ ﴾ [يوسف: ٧٧] وقد كانت السرقة عندهم قد وقعت، وأنشد أبو علي الفارسي:

إذا ما انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْني لئيمة وَلَمْ تَنجِدي من أن تُقِرِّي بها بُدّالًا (٣)

[فانتفاء الولادة أمر ماض وقد جعله جزاء، والجزاء إنما يكون بالمستقبل، فيكون المعنى: إن ننتسب لا تجدني مولود لئيمة [(١٤). قال ابن جرير: وقراءة من فتح الألف أبيّن، لأن هذه السورة نزلت بعد الحديبية، وقد كان الصدّ تقدم. فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: ولا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم، وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا يحملنكم بغض أهل مكة، وصدّهم إياكم أن تعتدوا بإتيان ما لا يحل لكم من الغارة على المعتمرين من المشركين، على ما سبق في نزول الآية.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَارَثُواْ عَلَى ٱلْدِّرِ وَاللَّقَرَيُّ﴾ قال الفراء: لِيُجن بعضكم بعضاً. قال ابن عباس: البرّ ما أمرت به، و«التقوى»: ترك ما نُهيت عنه. فأمّا «الإثم»: فالمعاصي. والعدوان: التّعدّي في حدود الله، قاله عطاء (٥٠).

⁽١) في الأحملية): احرمتهم) وهو خطأ.

⁽٧) البيت لأبي خراش الهذلي كما في قديوان الهذليين؟ ٢/٣٣/، وقالمعاني الكبير؟ ١/ ٢٨٠ وقفريب القرآن؟ ١٣٩، وقمعجم مقاييس اللغة، ١/٤٤٦، وقاللسان؛: مادة جرم وهو في وصف عقاب شبه فرسه بها وقبله:

كسأنسسي إذ غسدًوا ضسمة سنست بين بين من السعمة المسان خسائسة طسلسويسا جريمة : كاسبة و وناهض: فرخ والنيق: أرفع موضع في الجبل. والصليب: الودك. وقال الأزهري في التهذيب، عن هذا البيت: يصف عقاباً تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته وبقى عظامه يسيل منها الودك.

⁽٣) قمعاني القرآن؛ للفواء ١/ ٢١، ١٧٨، وقابن جرير؟ ٢/ ١٦٥، وقشذور الذهب، ٣٣٩، وقشواهد المغني؛ ٣٣. وهو لزائدة بن صعصعة الفقعسي يعرض بزوجته، وكانت أمها صرية، وقبل البيت:

رمستسنسي حسن قسوس السعسدة وساقسكت والمستقد على المستقدة والمستقد المستقدمة والمستقد الله مسا بسيستسنسا بسعسدا والشاهد فيه قوله: «إذا ما انتسبنا لم تلدني المعنى وإن كان قعلاً مضارعاً في اللفظ، لكن هذا الظاهر غير مراد؛ لأن الشاعر بريد أن يقول: إننا إذا تفاحرنا بأنسابنا، تبين أني لم تلدني لثيمة.

⁽٤) ما بين معقفين من «مجمع البيان» للطبرسي ١١/٦.

⁽ه) قال ابن كثير ٢/٢: وقوله تعالى ﴿ رَمَدَوَهُا عَلَى النِّرِ وَالنَّقَوْقُ عَلَى النِّرِ وَالنَّمَاوُهُا عَلَى النِّرِ وَالنَّمَاوُهُا عَلَى النَّهِ الباطل، والتعاون على المائم والعماوم؛ قال ابن جرير: الإثم: ترك ما آمر الله بفعله، والعدوات: مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم. وقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله عليه العملة المعاونة من المعام، قبل على الموسول الله، هذا نصرته مظلوماً، قبلية المعارفة من الطلم، فللك ورسول الله على المعارفة ويتابعه من الظلم، فللك نصوحه ورواه البخاري ٥/ ٢١، ومسلم ٤/ ١٩٩٨، وروى الإمام مسلم في «صحيحه ٣/ ١٥٠٦ عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله على كان له من الأجر همن هل أجر في هلك عن أبي مسعود الأنصاري قال على كان له من الأجر عمن هل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإتم مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أنامهم شيئاً،

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء، كذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدي قبل أوان ذبحه. واختلفوا في «القلائد» فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدي حتى ينحر، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلّد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلُّوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت. والثاني: أنها منسوخة، وفي الممنسوخ منها أربعة أقوال: أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي. والثاني: أنها وردت في حق المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنُهي المسلمون بهذه الآية عن التعرّض لهم، ثم نسخ يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنُهي المسلمون بهذه الآية عن التعرّض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَالَّ عَلْنُوا النَّسُرِينَ حَيْثُ وَبَدْتُومُ النوبة: ٥] وهذا قول الأكثرين. والثالث: أن الذي نُسخ قوله: ﴿وَلَا عَلْنِينَ لَلْمُرَامُ ﴾ النوبة: ٢٨] روي عن ابن عباس، وقتادة. والرابع: أن المنسوخ منها: تحريم الشهر الحرام، وآمّون البيت الحرام: إذا كانوا مشركين. وهدي المشركين: إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان المشقي.

﴿ حَرِمَتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَمْتُمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَلِمَلَ لِفَيْرِ اللَّهِ بِدِ. وَالْمُنْخَيْقَةُ وَالْمُنْوَوْدَةُ وَالْمُعَلِيْتُهُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكُلُ السَّبُعُ إِلَّا مَا وَكَنْ السَّبُعُ إِلَا مَا وَكَنْ اللَّهِ مَا أَلِكُمْ فِيسَّ اللَّهِ مَنْ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوهُمْ وَاخْشُونُ الْبَوْمَ الْمُسْلَمُ وَيَا أَمْنِ اللَّهِمَ الْمُسْلَمُ وَيَا فَمُ اللَّهُ مَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ الْمُسْلَمُ وَيَا فَعَلَى وَالْمُسْلَمُ وَيَا فَعَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ الللِهُ اللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ عُرِيرَتْ عَائِكُمُ النَبِيّةُ ﴾ (١) مفسرٌ في (البقرة)، فأما «المنخنقة» فقال ابن عباس: هي التي تختنق فتموت، وقال الحسن، وقتادة: هي التي تختنق بحبل الصائد وغيره. قلت: والمنخنقة حرام كيف وقع ذلك. قال ابن قتية: والموقوذة: التي تُضرب حتى توقّف، أي: تشرف على الموت، ثم تترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة (٢)، ومنه يقال: فلان وقيذ، وقد وقلته العبادة. والمعتردية: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بئر، يقال: تردى: إذا سقط. والنطيحة: التي تنظحها شاة أخرى، أو بقرة، وفعيلة في معنى «مفعولة» ﴿ وَمَا آكَلَ النّبُ عُ ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السّبع: بسكون الباء. والمراد: ما افترسه فأكل بعضه ﴿ إِلّا مَا ذَكِيَّاتُم ﴾ أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه. فأما الاستثناء، ففيه قولان: أحلهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: ﴿ وَالنّائِيَةُ ﴾ . والثاني: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله:

فصل في الذكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السُّن. قال الخليل: الذكاء:

⁽۱) يستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواه مات بتذكية أو غيره، لما رواه مالك ٢٢/١، والشافعي ٢١/١، وأحمد ٢١٤/١، وأبو داود ٢١٥٠ والترمذي ٢١٤/١، والنسائي ٢١٤/١، وابن ماجه ٢١٣/١، وابن خريمة، وابن حبان في «صحيحيهما؛ عن أبي هريرة: أن رسول الله على سئل عن ماه البحر، فقال: قلو المحل ميته» وكذلك الجراد لما روى الشافعي ٢١٧٢، وأحمد ٢٠٣/١، وابن ماجه ٢٠٧٢/١، والدارقطني ٤٥٠ والبيهتي ٢٠٤/١، وابن ماجه ٢٠٤/١، والدارقطني ٤٥٠ والبيهتي ٢٥٤/١ عن ابن عمر قال: قال رسول الله على الحكم ميتان ودمان، فأما الميتان فالسمك والجراد، وأما اللعان فالكبد والطحال، وقد رواه مليمان بن بلال أحد الأثبات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقعه عليه، وصحح الموقوف أبو زرعة الرازي وأبو حاتم. قال الحافظ ابن حجر في «التخيص» ٩: نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع.

⁽٢) في المحيح مسلم ١٥٢٩/٣ أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، قال: الإذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيد فلا تأكله وفي «المفني» ٢٥/١١: المعراض: عود محدد، وربما جعل في رأسه حديدة، قال أحمد: المعراض يشبه السهم يحذف به الصيد، قريما أصاب الصيد بحده فخزق وقتل فيباح، وربما أصاب بعرضه فقتل بثقله فيكون موقوذاً فلا يباح، وهذا قول علي، وعثمان، وعمار، وابن عباس وبه قال النخمي ومالك، والثوري، والشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأبو ثور. وقال الشوكاني في افتح القدير، ١٨/٤ وقد سألني جماعة من أهل العلم عن الصيد بالبنادق الحديثية التي يجعل فيها البارود والرصاص إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً. والذي يظهر لي أنه حلال، الأنها تغزق وتدخل في الغالب من جانب منه، وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال هذ في الحديث الصحيح: وإذا رميت بالمعراض فخزق فكله؛ فاعتبر الخزق في تحليل الصيد.

أن تأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول. وذكيت النار، أي: أتممت إشعالها. وقد روي عن عليّ، وابن عباس، والحسن، وقتادة أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عين تُظرِف، أو ذنب يتحرك، فأكله حلالٌ. قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شُقَ جوفه، وأبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن شُق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله. ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلاً لو قطع حُشُوةٌ آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول(١٠). وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان: إحداهما: أنه الحلقوم والمريء، والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً، لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله. والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً، لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله. والثائية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. وقال مالك: يجزئ قطع الأبوداج، وإن لم يقطع الحلقوم الحلقوم (١٠). وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، وهو موضع النفس، وفيه شعب تنشعب منه في الرئة. والمريء: مجرى الطعام، والودجان: عرقان يقطعهما الذابح. فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفرى الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين، أو غير منزوعين أو غير منزوعين أو غير منزوعين أو جونكة وقال أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين. فأما البعير إذا توحش، أو تردى في بثر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره (١٠). وقال

⁽١) - في «المغني» لابن قدامة ٢١/١١ والمنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وأكيلة السبح وما أصابها مرض فماتت به محرمة إلا أن تدرك ذكاتها لقوله تمالي: ﴿إِلَّا مَا ذَّكِنُّهُ﴾ وفي حديث جارية كعب أنها أصيبت شاة من ضنمها، فأدركتها فذبحتها بحجر فسئل النبي ﷺ فقال: «كلوهاه رواه أحمد والبخاري. فإن كانت لم يبق من حباتها إلا مثل حركة المذبوح لم تبح بالذكاة، لأنه لو ذبح ما ذبحه المجوسي لم يبح، وإن أدركها وفيها حياة مستقرة بحيث يمكنه ذبحها حلت لعموم الآية والخبر، وسواء كانت قد انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه أو تعيش لعموم الآية والخبر، ولأن النبي ﷺ لم يسأل ولم يستفصل. وقد قال ابن عباس في ذئب عدا على شاة فمقرها، فوقم قصبها بالأرض، فأدركها فذبحها بحجر قال: يلقي ما أصاب الأرض ويأكل سائرها . وقال أحمد في بهيمة عقرت بهيمة حتى تبين فيها آثار الموت إلا أن فيها الروح يعني فلبحت قال: إذا مصعت بذنبها، وطرفت بعينها، وسال الدم، فأرجو إن شاء الله تعالى أن لا يكون بأكلها بأس، وروى ذلك بإسناده عن عقيل بن عمير وطاووس وقالاً: تحركت، ولم يقولاً: سال الدم، وهذا على مذهب أبي حنيفة. وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن شاة مريضة خافوا عليها الموت، فلبحوها فلم يعلم منها أكثر من أنها طرفت بعينها أو حركت يدها أو رجلها أو ذنبها بضمف فنهر الدم قال: فلا بأس به، وقال ابن أبي موسى: إذا انتهت إلى حد لا تعيش معه لم تبح بالذكاة، ونص هليه أحمد فقال: إذا شق الذئب بطنها فخرج قصبها نذبحها لا تؤكل، وقال: إن كان يعلم أنها تموت من عقر السبع فلا تؤكل وإن ذكاها، وقد يخاف على الشاة الموت من العلة والشيء يصيبها فيبادرها فيذبحها فيأكلها وليس هذا مثل هذه، لا يدري لملها تعيش، والتي قد خرجت أمعاؤها يعلم أفها لا تعيش، وهذا قول أبي يوسف والأول أصح، لأن عمر ﷺ انتهى به الجرح إلى حد علم أنه لا يعيش معه فوصى فقبلت وصاياء، ووجبت العبادة عليه، وفي ما ذكرنا من عموم الآية والخبر وكون النبي ﷺ لم يستفصل في حديثه جارية كعب ما يرد هذا وتحمل نصوص أحمد عل شاة خرجت أمعاؤها وبانت منها فتلك لا تحل بالذكاة، لأنها في حكم الميت، ولا تبقى حركتها إلا كحركة المذبوح، فأما ما خرجت أمعاؤها ولم تبن منها فهي في حكم الحياة، تباح بالذبح ولهذا قال الخرقي فيمن شق بطن رجل فأخرج حشوته فقطمها فأبانها، ثم ضرب عنته آخر، فالقاتل هو الأول، ولو شق بطن رجل، وضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الثاني. وقال بعض أصحابنا: إذا كانت تعيش معظم اليوم حلّت بالذكاة، وهذا التحديد بعيد يخالف ظواهر النصوص ولا سبيل إلى معرفته، وقوله في حديث جارية كعب: «فأدركتها نذكتها بحجر» يدل على أنها بادرتها بالذكاة حين خافت موتها في ساعتها، والصحيح أنها إذا كانت تعيش زمناً يكون الموت بالذبح أسرع منه، حلت بالذبح، وأنها متى كانت مما لا يتيقن موتها كالمريضة أنها متى تحركت وسال دمها حلت والله أعلم.

⁽٢) في «المغني» ١١/٤٤: وأما الفعل فيعتبر قطع الحلقوم والمري»، وبهذا قال الشافعي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يعتبر مع هذا قطع الودجين، وبه قال مالك وأبو يوسف، لما روى أبو هريرة رفي قال: فهي رسول الله عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فتقطع الجلد ولا تفري الأوداج، ثم تترك حتى تموت. رواه أبو داود ٣/١٣٦. [قال المنذري: وفي إسناده عمرو بن عبد الله الصنعاني وقد تكلم فيه غير واحد] وقال أبو حنيفة: يعتبر قطع الحلقوم والمديء وأحد الودجين.

⁽٣) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ٩٤/٥، وأبو داود: ٩٣٤/٣، والنسائي: ٢٢٦/٧، والترمذي: ١٨٠/١ وابن ماجه: ١٠٦١/٢ عن رافع بن خديج قال: قلت: يا رسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى، فقال النبي ﷺ: قما أنهر اللم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم، وأما الظفر قمدى الحيشة».

⁽٤) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨، والنسائي: ٧/٨٢٨، وأبو داود عن رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فند بعير من إبل القوم، ولم يكن معهم خيل، فرما، رجل بسهم فحبسه، فقال رسول اللهﷺ وإن لهله البهائم أوابد كأرابد الوحش، فما فعل منها هلا فافعلوا به هكذاك. وفي =

مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه^(۱). فإن رمى صيداً، فأبان بعضه، وفيه حياة مستقرة، فذكّاه، أو تركه حتى مات جاز أكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَ ٱلنَّمُبُ ﴾ في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب فتُعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النَّصب، وقيل لأجلها، فتكون اعلى بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله: ﴿فَسَلَدُ لَنَ الله الراقعة: [1] أي: عليك، وقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأَتُم فَلَهَا ﴾ [الإسراه: ١٧]. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرِّحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج. وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو: على النَّصْب، بفتح النون، وسكون الصاد، قال ابن قتية، يقال: نُصُبُّ ونُصْبُ، وجمعه أنصاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَن مَسْنَقْسِمُواْ بِالْأَرْكَمِ ﴾ قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا عِلم ما قُسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استفعلت من القسم [قسم الرزق والحاجات]. قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَم وزُلَم. والاستقسام بها: أن يضرب [بها] فيعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو نهي، فكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم، فأحبُّوا أن يعرفوا قسم كل امرئ تعرفوا ذلك منها، فأخِذ الاستقسام من القِسم وهو النصيب. قال سعيد بن جبير: الأزلام: حصى بيض، كانوا إذا أرادوا غدواً، أو رواحاً، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به. وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقامرون بها. وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة. وقال مقاتل: في بيت الأصنام. وقال قوم: كانت عند سدنة الكعبة (٢٠). قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك، وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو أخرج من أجل نجم كذا.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكُمُ فِسَقُ ﴾ في المشار إليه بذلكم قولان: أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والفسق: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته (٣).

قوله تعالى: ﴿ اَلْيَوْمُ يَهِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ في هذا اليوم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم. والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه لم يرد يوماً بعينه، وإنما المعنى: الآن يئسوا كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: كبرت، قاله الزجام استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد. قال الشاعر:

فيدومٌ عمليدنا ويدوم لنا ويدومٌ تُمساء ويدومٌ تُمسدرنا

(١) ذكر في «المغني» أن الإمام أحمد قال: لعل مالكاً لم يسمع حديث رافع بن خديج. وتأول ابن العربي في «أحكام القرآن» الحديث بأن مفاده جواز
 حبس ما ند من البهائم بالرمي وغيره، لا أن ذلك ذكاة لها.

٢١) روى البخاري ٦/ ٢٧٦ عن ابن هباس 歲 أن النبي 養 لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل 鄉 بأيديهما الأزلام، فقال: وقاتلهم الله إن استقسما بالأزلام قط».

والمغني؛: روي ذلك عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وأبن عباس، وعائشة رفي، وبه قال مسروق، والأسود، والحسن، وعطاء، وإسحاق، والشعبي، والحكم، وحماد، والثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور.

قال الحافظ ابن كثير: وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما روى الإمام أحمد والبخاري ٢/ ٤٠ وأهل السنن عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله يجهّ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: وإذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركمتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الفيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه باسمه خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، أصرفني عنه واصرفه أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شراً في في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به افظ أحمد. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

⁽٤) البيت للنمر بن تولب كما في االشواهد الكبرى، ١/٥٦٥ للعيني، والنمر بن تولب: شاعر مخضرُم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر =

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره. وفي معنى يأسهم قولان: أحدهما: أنهم ينسوا أن يرجع المؤمنون إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: ينسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وإنما ينسوا من إبطال دينهم لما نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعلموا أنهم لا يقدرون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظناً منهم أن كفرهم يبقى.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا نَخَشُوهُمْ قَالَ ابن جريج: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم، وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري.

قوله تعالى: ﴿ اَلَوْمَ اَكُمْلُتُ كُمُّم دِيكُمُ وَى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية من كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لا تخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿ اَلَوْمَ اَكُمْلُتُ لَكُمْ دِيكُمُ وَاَتَمْتُ عَيَكُمْ نِمْتَوَى فقال عمر: إني لأعلم الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعوفة اليم والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعوفة في يوم جمعة. وفي لفظ «نزلت عشية عرفة» (۱ قال سعيد بن جبير: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحداً وثمانين يوماً. فأما قوله: ﴿ اَلَيْرَ ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور (۱). والثاني: أنه ليس بيوم معين، رواه عطية عن ابن عباس، وقد ذكرنا هذا آنفاً. وفي معنى إكمال الدين خمسة أقوال: أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسُدّي، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائِع ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسُدّي، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائِع وينكم. والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامئذ، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. وقال الشعبي: كمال الذين هاهنا: عزه وظهوره، وذل المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم. والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفرائض فلم تزل تنزل عليه حتى قُبض، روي عن ابن جبير أيضاً. والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج. والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها. وفي إتمام النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة. والثاني: الهداية إلى النعمة الله السدى.

قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ آمَنْظُرَ ﴾ أي: دعته الضرورة إلى أكل ما حُرم عليه. ﴿ فِي مُخْمَدَ اللهِ أي: مجاعة، والخمص: الجوع. قال الشاعر يَدْم رجلاً:

يَىرَى الخمْصَ تعذيباً وإن يلق شَبْعَةً يَبِتْ قلبُه من قِلَة الهمِّ مُبْهماً (٣)

وهذا الكلامُ يرجع إلى المحرمات المتقدّمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما. قوله: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفِ لِآثِي ﴾ قال ابن قتيبة: غير ماثل إلى ذلك، و«الجنف»: الميل. وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: غير متعمد الإثم، وفي معنى «تجانف الإثم» قولان: أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين. والثاني: أن

الرباب، وكان من ذوي النعمة والوجاهة جواداً ومّاباً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي ﷺ فكتب له كتاباً فكان في أيدي أهله.
 وقوله: •فيوم علينا ويوم لنا* يريد أن الدهر يومان، يوم يكون علينا وفيه نساه، ويوم يكون لنا وفيه نسر ونفرح.

⁽۱) البخاري ٨/ ٢٠٣، ومسلم ٤/ ٢٣١٢، ولفظ مسلم قريب من سياقة المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ١/ ٢٣٧، والترمذي ٤/ ٩٦، والنسائي

⁽Y) قال ابن كثير: والصواب الذي لاشك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة؛ كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، ﷺ، وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأثمة والعلماء، واختاره ابن جرير رحمه الله.

 ⁽٣) البيت لحاتم الطائي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«نوادر أبي زيد» ١١١، و«طبقات فحول الشعراء» ٤٨٣، و«الأغاني» ١٢٢/١٦، و«غريب القرآن» ١٤١.
وقبله:

لحما الله صُمعللوكاً مُستاه وهمها. وللثعر في اطبقات ابن سلام، خبر فانظره.

من البعيبشِ أن يبلقي لَبُسوساً ومنطبعها

يتعرّض لمعصية في مقصده، قاله قتادة. وقال مجاهد: من بغى وخرج في معصية، حرم عليه أكله. قال القاضي أبو يعلى: وهذا أصح من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماع تجانف الإثم مع الاضطرار، وذلك إنما يصح في سفر العاصي، ولا يصح حمله على تناول الزيادة على سد الرّمق، لأن الاضطرار قد زال. قال أبو سليمان: ومعنى الآية: فمن اضطر فأكله غير متجانف لإثم، فإن الله غفور، أي: متجاوز عنه، رحيم إذْ أحل ذلك للمضطر (١٠).

﴿ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أَحِلَ لَمُثُمَّ قُلْ أَحِلَ لَكُمُ الطَّيِبَاتُ وَمَا عَلَسْتُد مِنَ الْجَوَاجِ مُكَلِّبِينَ ثَمْلُونَهُنَ بِمَا عَلَمَتُمُ اللَّهُ تَكُلُوا مِنَا أَسَسَكُنَ عَلَيْكُمُ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَانْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكُ مَاذَا أَمِلَ لَمُ عَنِي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب، قال الناس: يا رسول الله ماذا أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، أخرجه أبو عبد الله الحاكم في الصحيحه عن حديث أبي رافع عن النبي ﷺ استأذن على رسول الله ﷺ فأذن له، فلم يدخل وقال: ﴿إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة افنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو (٣٠). والثاني: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سمّاه رسول الله: زيد الخبر، قالا: يا رسول الله إنا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرّم الله المبتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير (١٠). قال الزجاج: ومعنى الكلام: يسألونك أي شيء أحل لهم؟ قل: أحلَّ لكم الطيبات، وأحل لكم صيد ما علمتم، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي ما علّمتم من الجوارح، والتأويل أنهم سألوا عنه ولكن حذف ذكر صيد ما علمتم، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها المباح من الذبائح. والثاني: أنها ما استطابته العربُ مما لم يحرّم. فأما «الجوارح» فهي

⁽١) قال ابن كثير رحمه الله ٢/١٤: وقوله: ﴿ نَمْنَ ٱشْطَارٌ فِي تَخْمَلُو غَيْرُ مُنْجَانِفِ لِإِثْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ عَنُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي: فمن احتاج إلى ثناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناوله، والله غفور رحيم له، لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له . وفي االمسند، ٨٠٠/١ واصحيح ابن حبان، عن ابن عمر مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ وإن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته لفظ ابن حبان. [قلت: وفي «المجمع» ٣/ ١٦٢: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن] وفي لفظ لأحمد ٢٣٨/٧ ومن لم يقبل رخصة الله كان عله من الإثم مثل جبال عرفة. ولهذا قال الفقهاء: قد يكون تناول العيتة واجباً في بعض الأحيان، وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً، بحسب الأحوال. واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق، أو له أن يشبم ويتزود؟ على أقوال، كما هو مقرر في كتاب «الأحكام». وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير، أو صيداً وهو محرم، هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء، أو ذلك الطعام ويضمن بدله؟ على قولين، هما قولان للشافعي رحمه الله. وليس من شرط جواز تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاماً كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم! بل متى اضطر إلى ذلك جاز له. وقد روى الإمام أحمد ٢١٨/٥ عن أبي واقد الليثي، أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال: ﴿إذَا لم تصطبحوا، ولم تغتيقوا، ولم تحتفثوا **بقلاً، فشأتكم بها». تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو إسناد صحيح على شرط «الصحيحين». وكذا رواه ابن جرير ٥٣٨/٩. ومعنى قوله: •ما لم** تصطبحوا» يعني به الغداء، فرما لم تغتيقوا» يعني به العشاء. فأو تحتفئوا بقلاً فشأنكم بها» أي: فكلوا منها. قال ابن جرير: يروى هذا الحرف ـ يعني قوله أو تحتفثوا _ على أربعة أوجه: «تحتفثوا» بالهمزة و«تحتفيوا» بتخفيف الياء والحاء. و«وتحتفوا» بتشديد الفاء. و«تحتفوا» بالحاء والتخفيف، ويحتمل الهمز، كذا ذكره في «التفسير»، وقوله: «غير متجانف لإثم» أي: متعاط لمعصية الله فإن الله قد أباح ذلك له. وسكت عن الآخر، كما قال في سورة البقرة ١٧٣ : ﴿ فَمَنِ امْطُلَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا ۚ إِنَّمَ عَلَيْهُ إِنَّ أَلَمْ غَفُورٌ رَّجِيمُ﴾ . وقد استدل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر، لأن الرخص لا تنال بالمعاصي. والله أعلم.

⁽٢) «المستدرك» ٢١١/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه على تصحيحه الذهبي. وفي سنده محمد بن إسحاق وقد عنعن. ورواه ابن جرير ٩/٥٤٥ بسند فيه موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، وهو منكر الحديث لا تحل الرواية عنه. وروى الإمام أحمد في «المسند» ٩/٦، ٩٦٦ نحو هذا المعنى عن أبي رافع في تقل الكلاب ولكن ليس فيه أنه سبب لنزول هذه الآية. قلت: وإطلاق المصنف لفظ الصحيح على «مستدرك الحاكم» فيه تساهل إذ ليس كل ما في «المستدرك» صحيحاً، بل فيه الضعيف والموضوع.

⁽٣) ورى الإمام مسلم ٢/ ١٦٦٤ عن عبد الله بن عباس هم قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم! قال رسول الله ﷺ: ﴿إِن جبريل كان واعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني، قال: فظل وسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جِرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: فقد كنت وهدتني أن تلقلني البارحة، قال: أجل لكنا لا ندخل بيناً فيه كلب ولا صورة، فأصبح رسول الله ﷺ يومنذٍ فأمر بقتل الكلاب، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير، ويترك كلب الحائط الكيير.

 ⁽٤) رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم، وزيد بن مهلهل الطائبين. وفي سنده ابن لهيعة، قال الحفاظ في «التقريب» صدوق خلط بعد
 احتراق كتبه، وعطاء بن دينار الراوي عن سعيد بن جبير، قيل: لم يسمع منه.

ما صيد به من سباع البهائم والطير، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم. قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح. وفي تسميتها بالجوارح قولان: أحدهما: لكسب أهلها بها. قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب. والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسّدته استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك عليك لا على نفسه، وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئاً، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعلّم الصيد بالأكل، والفهد والكلب وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

وفي قوله: ﴿مُكَيِّبِنَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: رجل مكلّب وكلاّبي، أي: صاحب صيد بالكلاب. والثاني: أن معنى «مكلبين»: مُصرّين على الصيد، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثالث: أن «مكلبين» بمعنى: معلمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قبل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب. قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين، «مُكلِبين»، بسكون الكاف، يقال: أكلب الرجل: إذا كثرت كلابه، وأمشى: إذا كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكلبًا.

قوله تعالى: ﴿ لَيُكُونَهُنّ يَا عَلَكُمُ اللّهُ ﴾ قال سعيد بن جبير: تؤدبونهن لطلب الصيد. وقال الفراء: تؤدبونهن أن لا يأكلن صيدهن. واختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم يؤكل، روي عن ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي. والثالث: أنه شرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي، وهو أصح لما بينا أن جوارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فأبيح ما أكلت منه. فعلى هذا إذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبخ أكله. فأما ما ل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه، وقال مالك: يباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أبيح. وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أبيح، وإن أمكنه فلم يذكّه، لم يبخ، وبه قال مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين. فأما الصيد بكلب المجوسي، فروي عن أحمد أنه لا يكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري، لقوله تعالى: المحوسي، فروي عن أحمد أنه لا يكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري، لقوله تعالى: كان معلماً، لأن النبي على أمر بقتله (١٠)، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله تعالى: ﴿فَكُنُواْ مِنَّا أَنْسَكُنَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال الأخفش: "من" زائدة، كقوله: ﴿فِيهَا مِنْ بَكِر ﴾ النور: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَالْأَكُرُا أَنَّمَ اللَّهِ عَلَيْمٌ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسدي، وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد^(٢). والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبّة.

قوله تعالى: ﴿وَاَتَّقُوا اللَّهُ ﴾ قال سعيد بن جبير: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

⁽٢) . قال في «المغني»: فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً، لم يبح. هذا تحقيق المذهب. وروى البخاري ٩٢/٢١ ابشرح العيني، ومسلم ١٥٣١/٣ عن عدي بن حاتم رضي قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل كلبي وأسمي. قال: «إن أرسلت كلبك وسميت فانحذ، فقتل، فكل، وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، قلت: إني أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذ؟ قال: «فلا تأكل فإنما سميت على كلبك، ولم تسم على خيره.

﴿ اَلَيْوَمَ أَشِلَ لَكُمُ الطَّيِبَكُ وَمُلَمَامُ الَذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ طِلَّ لَكُرُ وَمُلَمَامُكُمْ طِلَّ لَمُثَّ وَالْتُحْمَنَتُ مِنَ الْفَيْسَتِ وَالْخُمَسَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ مِنْ لَكُرُ وَمُلَمَامُكُمْ طِلًّا لِمَثَمِّ وَلَا مُشَيِّدِينَ أَمْدَانُ وَمَن يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُمُ وَهُوَ فِي الْكَيْسِينَ فَلَدُ حَبِطَ عَمَلُمُ وَهُو فِي الْكَيْسِينَ فَلَدُ مَا لَكُونُ مِنْ لَكُورِينَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُمُ وَهُو فِي الْكَيْسِينَ فَلَدُ مَا لَكُونُ مِنْ لَكُورُونُ فَا اللَّهُ وَهُو فِي اللَّهُ وَهُو فِي اللَّهُ وَلَا مُشَيِّدِينَ فَلَدُ مَا لَهُ مُنْ اللَّهُ وَلَوْ مِنْ لَلْتُورِينَ فَلَدُ مَا لِمُنْ اللَّهُ وَلَوْ فَي اللَّهُ وَلَوْ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ وَلَوْلًا لَكُونُ اللَّهُ وَلَوْلًا لَكُونُ وَلَا مُشَافِعُ مِنْ اللَّهُ وَلَوْلًا اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلًا لَهُ اللَّهُ وَلَوْلًا لَهُولُونُ وَمِن اللَّهُ وَلَوْلُونُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا لَهُ مُعَلِّلُمُ إِلَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُلِكُمُ اللَّالِقُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّلِيلِينَ فَلَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلِكُمُ إِلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ مُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَكَمَانُكُمْ مِلْ لَمُمْ ﴾ أي: وذبائحكم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئاً كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً. قال الزجاج: والمعنى: أحل لكم أن تطعموهم.

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْصُلُوا مِنَا لَرَ لِيُكُو اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الانعام: ١٢١] والصحيح أنها أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله، فيُحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره، فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب على، وابن عمر، وعبادة، وأبو اللرداء، والحسن في جماعة.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّمُ يَنَ النَّهِ يَتَ ﴾ فيهن قولان: أحلهما: العفائف، قاله ابن عباس. والثاني: الحراثِر، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿ وَالْمُتُمَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُونُوا الكِنتَبَ ﴾ قولان: أحلهما: الحراثِر أيضاً، قاله ابن عباس. والثاني: العفائِف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي، فعلى هذا القول يجوز تزويج الحرّة منهن والأمة.

فصل

وهذه الآية أباحث نكاح الكتابية. وقد روي عن عثمان أنه تزوج نائِلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية. وعن طلحة بن عبيد الله أنه تزوج يهودية. وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك. واختلفوا في نكاح الكتابية الحربية، فقال ابن عباس: لا تحل. والجمهور على خلافه، وإنما كرهوا ذلك، لقوله تعالى: ﴿لاّ يَحَدُ قَرْمًا يُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَالمُولَةُ وَالمُجادلة: ٢٢] والنكاح يوجب الود. واختلفوا في نكاح نساء تغلب، فروي عن علي علي علي المحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي، وروي عن ابن عباس الإباحة. وعن أحمد روايتان. واختلفوا في إماء أهل الكتاب، فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه قال الأوزاعي، ومالك،

⁽۱) في «الأم» للشافعي 1/ه: «ولا يحل نكاح حرائر من دان من العرب دين اليهودية والنصرانية، لأن أصل دينهم كان الحنيفية، ثم ضلوا بعبادة الأوثان، وإنما انتقلوا إلى دين أهل الكتاب بعده، لا بأنهم كانوا الذين دانوا بالتوراة والإنجيل فضلوا عنها وأحدثوا فيها، إنما ضلوا عن الحنيفية ولم يكونوا كذلك، لا تحل فبالحهم، كذلك، كما أهجمي كان أصل دين من مضى من آبائه عبادة الأوثان ولم يكن من أهل الكتابين المشهورين، التوراة والإنجيل، فدان دينهم، لم يحل نكاح نسائهم».

واللّيث بن سعد، والشافعي، وأصحابنا، وروي عن الشعبي، وأبي ميسرة جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة. فأما المجوس، فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شذّ بن قال: إنهم أهل كتاب، ويبطل قولهم قولُه ﷺ: «سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب» (١). فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السّفاح»، و«الأخدان» فقد سبق في سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ إِلَا يَكِن فَقَدُ حَبِطَ عَمَلُمُ سَبِ نزول هذا الكلام؛ أن الله تعالى لما رخّص في نكاح الكتابيات قلن بينهن: لولا /أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوّج الرجل منا الكتابية وليست على ديننا، فنزلت: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ إِلَا يَكِنُ فَقَدُ حَبِطَ عَمَلُمُ وَاه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل بن حيّان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر. وروى ليث عن مجاهد: ومن يكفر بالإيمان، قال: الإيمان بالله تعالى. قال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرّم الله، أو حرّم ما أحلّه الله، فهو كافر. وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدّم. وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه يقول: إنما أباح الله وكافي الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَّرَ ناكحهنَّ () من الميل إلى دينهن بقوله: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَّرَ ناكحهنَّ () من الميل إلى دينهن بقوله: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ الكتابيات، لأن عَمْ المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَّرَ ناكحهنَّ ()

قوله تعالى: ﴿إِذَا قُسُتُمْ إِلَى الصَّلَوْ قَالَ الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: ﴿ إِذَا آلَتُوانَ السَّيَدَ بِاللَّهِ النحل: ١٩٩ قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا آخيت فآخ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البرّ. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدّماً ومؤخراً، تقديره: إذا فسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة. وللعُلماء في المراد بالآية قولان: أحدهما: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضمراً في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء. والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثاً كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن على على الله الله على الله عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ، ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجباً، ثم نسخ بالسنة، وهو ما روى بُريدة أن النبي قُشُّ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: لقد صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عمداً فعلته يا عمر» (أ). وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا

⁽١) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٢٧٨، والشافعي في «مسنده ٢/ ١٣٠، وغيرهما، وفيه كلام انظره في انصب الراية، ٣/ ١٤٤.

⁽۲) في نسخة الرباط: نكاحهن.

⁽٣) روى ابن جرير ١١٢/١، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١١٩ عن مسعود بن علي الشبياني قال: سمعت عكرمة يقول: كان علي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية ﴿ يَكَائِمُ اللَّذِينَ مَاسَوًا إِذَا فُسَتَّمْ إِلَى السَّلَاةِ قَاضَيلُواْ رُجُوهَكُمْ . . . ﴾ الآية. وهذا الأثر ساقه ابن كثير في «تفنيره» ٢٢/٧، وساق معه اثرين إخرين عن علي، ثم قال: وهذه ظرق جيدة عن علي، يقوي بعضها بعضاً.

⁽³⁾ أحمد في «المسند» ٥٠/٥٠» ومسلم ٢٣٢/١ ، وأبو داود ٢٠٢/١ ، والنسائي ٢٠٨١ ، وابن ماجه ٢٠٧١ ، والترمذي ٨٩/١ وقال: حديث حسن صحيح . وروى البخاري ٢٧٣/١ عن صويد بن النعمان قال: «خرجنا مع رسول الله 愛عام خبير حتى إذا كنا بالصهباء صلى لنا رسول الله 愛المعسر، فلما صلى دعا بالأطعمة ، فعل يؤت إلا بالسويق ، فأكلنا وشرينا ، ثم قام النبي 愛إلى المغرب ، فمضمض ثم صلى لنا المغرب ولم يتوضأ . قال أبو جعفر الطبري ١٩/١٠ : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: إن الله عني يقوله : ﴿ إِنَا ثُنتُد إِلَى المَكْزُوة فَاغَيلُولُ جميع أحوال قيام القائم إلى المعرب والله عن يقوله : ﴿ إِنَا ثُنتُد إِلَى المَكْزُوة فَاغَيلُولُ جميع أحوال قيام القائم إلى صلاته ، بعد حدث كان منه ناقض طهارته ، وقبل إحداث الوضوء منه ، وأمر ندب لمن كان على طهر قد تقدم منه ، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته ، ولذلك كان على يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة ، ثم صلى يومئلٍ الصلوات كلها بوضوء واحد ، ليعلم أمته أن ما كان يفعل على من تجديد الطهر لكل صلاة ، إنما كان منه أخذاً بالفضل وإيثاراً منه لأحب الأمرين الساله ، ومسارعة منه إلى ما ندبه إليه ربه لا على أن ذلك كان على قريرة قال: قال رسول الله ﷺ الولا أن أستى على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء او مع حاله على عالم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ الولا أن أستى على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ، أو مع حالاما أحمد في «المسندة ٣/١٥ ملك ملاة بوضوء ، أو مع حالاما أحمد في «المسندة ٣/١٥ ملك ملاة بوضوء ، أو مع حاله ما ملك المسارعة منه إلى الله على أن قال على أن قال على أن قال على أن قال المسؤل الله على أن قال على أن هذا الله على أن قال المسؤل الله على أن على أما المسؤل الما أحمد في «المسئدة ٢٠٥٠ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله قلولا أن أشته على أمتى لأمرة موضوء ، أو مع حاله وموسوء المعرب المناس المال الله على أن على المناس المال الله على أمال المناس الماله الماله المناس ا

قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمُ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وإلى * حَرْفٌ موضوعٌ للغاية، وقد تدخل الغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين. فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه، وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره، وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدّر بربع الرأس. والثانية: بمقدار ثلاث أصابع (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَرْبُلُكُمْ إِلَى ٱلْكَمْبَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفاً على مسح الرأس، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بفتح اللام عطفاً على الغسل، فيكون من المقدم والمؤخّر. قال الزجاج: الرُّجل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدِّ الكعبين، عُلم أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحيد البد وإلى المرافق، ولم يجئ في شيء من المسح تحديد. ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحدد بالكعبين يدل على الغسل، فينسق بالغسل على المسح. قال الشاعر:

متقلداً سيفاً ورُمحاً (٢)

يا ليت بَعْداك قد غدا والمعنى: وحاملاً رمحاً. وقال الآخر:

علفتها تبنأ وماءً بارداً (٢)

والمعنى: وسقيتها ماءً بارداً. وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجر على الإتباع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جحر ضب خرب. وقال ابن الأنباري: لما تأخّرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه، كقولهم: جحر ضبٌ خَربٍ⁽¹⁾، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمّي الغسل مسجاً، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح. وقال أبو على: من جرّ فحُجَّتُه أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارّة، ووجه العاملين إذا اجتمعا: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين: أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف

كل وضوء سواك، ولأخرت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل؟ وإسناده صحيح، وقد سقط من إسناده في طبعة الشيخ أحمد شاكر للمسند: أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة. وعن أنس قال: كان رسول الله على يتوضأ عند كل صلاة. قيل له: فأتتم كيف تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث. رواه أحمد في «المسند» بترتيب الساعاتي ٢/٥٤، والبخاري ١/٥٨، والنسائي ١/٥٨، وأبو داود ١/١٨، والترمذي ١/٨٨، والبيهقي في «المسنن» ١/١٧٠، وعن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل أن رسول الله على كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث. رواه أحمد ٥/٢٠٥، وأبو داود ٢٣١، وإسناده حسن.

⁽١) قال الحافظ ابن كثير ٢٧ ٢٤: وقوله: ﴿ وَأَنْسَكُوا مُرُورِكُمْ ﴾ اختلفوا في هذه الباء هل هي للإلصاق وهو الأظهر، أو للتبعيض وفيه نظر، على قولين، ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل، فليرجع في بيانه إلى السنة. وقد ثبت في «الصحيحين» من طريق مالك عن عمرو بن يحيى الماؤني عن أبيه: أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو جد عمرو بن يحيى - وكان من أصحاب النبي ﷺ: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ ققال عبد الله بن زيد: نعم، فدعا بوضوه، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه. قلت: الحديث في البخاري ٢٥٨١، ومسلم ٢٠١١، وفي «المعني» ٢١١١ لا خلاف في وجوب مسح الرأس، وقد نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿ وَأَنْسَحُوا مُرْوَسِكُم ﴾ واختلف في قدر الواجب، فروي عن أحمد وجوب مسح جميعه في حق كل أحد، وهو ظاهر كلام الخرفي، ومذهب مالك، وروي عن أحمد: يجزئ مسح بعضه، قال أبو الحارث: قلت لأحمد: فإن مسح برأسه وترك بعضه؟ قال: يجزئه.

⁽٢) البيت غير منسوب في قمشكل القرآن؛ ١٦٥، وتقسير الطبري؛ ١٤٠/١، وقالكامل؛ ٢٨٩/١، وقامالي المرتضى؛ ١/٥٤، وقامالي ابن الشجري؛ ٢/ ٢٨١، وقاسر المحروفي ٣٨٤ الله الله بن ٢٣١، وقشرح الحماسة؛ للمرزوقي ٣/١٤، وقاللهان؛ مادة: قلد، ونسيه في حواشي ابن القوطية على قالكامل؛ ١٨٩ طبع ليبسك لعبد الله بن الزيمرى. ويروى الشطر الأول منه قروأيت زوجك في الوغي، وفي قاللهان؛ تقلد الأمر: احتمله وكذلك تقلد السيف.

 ⁽٣) تمامه: حتى شَتتُ همَّالة عيناها. وهو في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«أمالي المرتضى» ٢٥٩/١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٢١، و«الإنصاف» ٢٥٣، وشراهد المغني» ٣٢٤، و«الخزانة» ١٩٩/١. قال العيني: ١٨١/٤: أنشده الأصممي وغيره، ولم أر أحداً عزاه إلى قائله. وشتت: بمعنى أقامت شتاء، ففي القاموس: شتا بالبلد: أقام به شتاء، كشتى وتشتى. وهمالة: من هملت المين: إذا صبت دمعها، وعيناها فاعل «همالة».

⁽٤) قال أبو حيان في «البحر» ٣/ ٤٣٧: وهو تأويل ضعيف جداً، ولم يرد إلا في النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد قرر في علم العربية.

الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة، وقال أبو عبيدة: ﴿ فَطَنِقَ مَسَّعًا بِالسُّونِ ﴾، أي: ضرباً، فكأن المسح بالآية غسل خفيف. فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثاً؟ قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون. والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، عُلم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حَمل ذلك على الغسل لاجتماع فُقهاء الأمصار على الغسل (١٠).

قوله تعالى: ﴿إِلَّ ٱلْكُمَّبَيِّنُ ﴾ [إلى بمعنى «مع» والكعبان: العظمان النائنان من جانبي القدم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمُ جُنُبُا فَاطَّهَرُواً ﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، واجتلبت الهمزة توصّلاً إلى النطق بالساكن، وقد بين الله ﷺ طهارة الجنب في سورة (النساء) بقوله: ﴿مَنَّى تَغْلَيلُواْ ﴾ [النساء: ٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلِيَكُم مِّنَ حَرَجٍ ﴾ و«الحرج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعاً حين رخص في التيمم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِينَ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمُ ﴾ أي: يريد أن يطهركم. قال مقاتل: من الأحداث والجنابة، وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

⁽١) قال القرطبي ٦/ ٩٢: إن لفظ «المسح» مشترك يطلق بممنى المسح، ويطلق بممنى الغسل، قال الهروي: أخبرنا الأزهري أخبرنا أبو بكر محمد بن هثمان بن سعيد الدّاري هن أبي حاتم هن أبي زيد الأنصاري قال: «المسح» في كلام العرب يكون غسلاً ويكون مسحاً، ومنه يقال للرجل إذا توضاً، فغسل أعضاءه: قد تمسح، ويقال: مسح الله ما بك: إذا غسلك وطهرك من الذنوب. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن «المسح» يكون بمعني «الغسل» فترجح قول من قال: إن العراد بقراءة الخفض الغسل، بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجها الأثمة. وقال الحافظ ابن كثير ٢٦/٣: ومن أحسن ما يستدل به على أن «المسمع» يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ٧٥/١ عن النزال بن سَبّرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بكوز من ماء، فأخذ منه حنفة احدة، مسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضلته وهو قائم، ثم قال: إن أناسأ يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول ا仏 ﷺ صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث، رواه البخاري في «الصحيح؛ ببعض معناه. قلت: رواه البخاري في فكتاب الأشرية، ١٠/ ٧١ ولفظه: عن عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي ﷺ أنه صلى الظهر، ثم قعد في حواثج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرة صلاة العصر، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه وذكر رأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناسأ يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي 選 صنع مثل ما صنعت. قال الحافظ: وفي رواية بهز: ففأخذ منه كفاً فمسح وجهه وذراعيه ورأسه ورجليه؛ وكذلك عند الطيالسي ففغسل وجهه ويديه ومسح على رأسه ورجليه؛ ومثله في رواية عمرو بن مرزوق عند الإسماعيلي. ويؤخذ منه أنه في الأصل: ومسح على رأسه ورجليه، وأن اآدما _ وهو أحد رواة الحديث _ توقف في سياقه، فعبر بقوله: وذكر رأسه ورجليه. وووقع في رواية الأعمش، فغسل يديه ومضمض واستنشق، ومسح بوجهه وذراعيه ورأسه، وفي رواية علي بن الجمد عن شعبة عند الإسماعيلي: فمسح بوجهه ورأسه ورجليه. والأحاديث التي جاءت بالغسل كثيرة، ففي البخاري ٢٣٣/١، ومسلم ٢١٤/١ عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: ا**أسبغوا الوضوء، ويل** للأعقاب من النار؛ وهو في «الصحيحين؛ أيضاً من حديث أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم؛ ٢١٣/١ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للأعقاب من الناره، وروى مسلم ٢١٥/١ عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأيصره النبي ﷺ فقال: اارجع فأحسن وضوءك فرجع ثم صلى. وروى أبو دادو ٨٢/١، وابن ماجه ٢١٨/١ عن أنس بن مالك أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقد توضأ وترك موضع الظفر لم يصبه العاء، فقال له النبي ﷺ: «ارجع فأحسن وضوءك قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح. وفي «الصحيحين» و«السنن» عن عثمان، وعلمي، وابن عباس، ومعاوية، وعبد الله بن زيد بن عاصم، والمقدام بن معد يكرب: أن رسول الله ﷺ غسل الزجلين في وضوئه إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم.

لهم(۱). والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد. والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل، وأبو سليمان. والرابع: ببيان الشرائع، ذكره بعض المفسّرين.

﴿وَاذَكُرُوا نِمْمَةُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِينَقَهُ الّذِى وَافَقَكُمْ بِهِ إِذْ قَلْتُمْ سَيِمْنَا وَأَطْمَنَا وَافَقُوا اللّهَ إِنَّا اللّهَ عُلِيدٌ بِذَاتِ العُهدُودِ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِمْمَةُ اللّهِ عَلِيكُمْ ﴾ يعني النعم كلّها. وفي هذا حث على الشكر. وفي الميثاق أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به. قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكرهم ميثاقه الذي أقرُّوا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء. والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجهم من ظهره، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه عليه من الأمر بالوفاء بما أقرّوا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والوابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة المقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسّرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّقُوا اللَّهُ ﴾ قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيدٌ بِذَاتِ الشُّدُودِ ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

﴿ وَكَانُهُمُ الَّذِينَ مَامَنُوا كُونُوا فَوَمِينَ بِلَهِ شُهَدَلَةً بِالْفِسْطِ وَلَا يَجْرِينَكُمْ شَنَكَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلَا تَعْدِلُواْ أَعْدِلُواْ هُوَ أَفْرَبُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنَا تُعْمَلُونَ ﴾ لِلتَّقْوَئُ وَاقْفُواْ اللهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ تَعَالَيْنَ الدِّينَ مَامَنُوا كُونُوا قَوَيَينَ بِيَرِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحلها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضاً، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿ لَا يَقِرِمَكُمُ شَنَكُ فَوْمِ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ النَسْجِدِ الْقَرَامِ ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس (٢٠ وبه قال مقاتل. والثاني: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقتل رسول الله ﷺ فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية والتي بعدها، هذا قول الحسن. والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهموا بقتله، فنزلت هذه الآية النها مجاهد، وقتادة. ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل ﴿ عَلِي الولي والعدو ﴿ مُو الْمَرْبُ التَّقُونَ ﴾، أي: إلى التقوى. والمنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

﴿ وَقَدَ اللَّهُ الَّذِينَ مَامَثُوا وَتَكَمِلُوا الفَكَالِكَ فِي لَهُم مَغْفِرَةٌ وَلَجُرُ عَظِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِعَائِدِينَا أَوْلَتَهِكَ أَنْسَكَتُ الْمُؤْمِدِ ۞ ﴾

⁽۱) نسبه السيوطي في «الدر» ۲٤٦/۲ إلى ابن المبارك في «الزهد»، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن دارة عن حمران مولى عثمان، عن عثمان فلله ... وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث صحاح عن النبي فللله . (وي مسلم ٢١٦/١ عن عثمان بن عفان فله قال: قال رسول اله فلله : (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسله حتى تخرج من تبحت أظفاره وروى مالك في «الموطأ» ٢٠٩١، والبخاري ٢٠٥١، ومسلم ٢٠٥١، والنسائي ٢١/١ عن عثمان فله قال: سمعت رسول اله فلله يقول: هما من أمري يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا فَيْرَ له ما بيته وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها». وروى مسلم ٢٠٩١، وأبو داود ٢٠٨١، والنسائي ٢٠٤١، والنسائي ٢٠٨١، والنسائي ٢٠٨١، والنسائي ٢٠٨١، والنسائي ٢٠٨١، والنسائي ١٣٤١، والترمذي ١٨٥١، والنسائي ١٩٤١، والترمذي ١٥٠١، والنسائي ١٩٤١، والترمذي أنها من امري يتقل أو الموجد أ

⁽٢) في النسخة الأحمدية: روي نحو هذا عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

⁽٣) أخرجه ابن جرير ١٠/٩٦ عن عبد الله بن كثير.

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِيلُوا الصَّكَلِحَتِ لَكُم مَّغْفِرَةً ﴾ في معناها قولان: أحدهما: أن المعنى: وعدهم الله أن يغفر لهم ويأجرهم، فاكتفى بما ذكر عن هذا المعنى. والثاني: أن المعنى: وعَدَّهُم قَقّال: لهم مغفرة. وقد بيّنا في (البقرة) معنى «الجحيم».

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا اذْكُرُوا نِصْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمُ أَن يَبْسُطُوَا إِلنِّكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ الَّذِيبَهُمْ عَنكُمْ وَانْقُوا اللَّهِ فَلَيْمَكُمْ اللَّهِ فَلْيَمَوُّكُو اللَّهُونِينُونَ ﴾ اللَّهُ وَعَلَ اللَّهِ فَلْيَمَوَّكُو اللَّهُونِينُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهُ الّذِينَ ءَامَنُوا الْكُرُوا يَحْمَتُ اللّهِ عَلَيْكُمْ أَوْ يَبْمُعُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهُمْ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من محارب قال لقومه: ألا أقتل لكم محمداً ؟ فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله علي وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزّه، ويهم به، فيكيتُه الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: لا ، قال: لا تخافني وفي يدي السيّف؟! قال: يمنعني الله متك، فأغمد السيف، فنزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر بن عبد الله. وفي بعض الألفاظ: فسقط السيّف من يده. وفي لفظ آخر: فما قال له النبي الشيئا، ولا عاقبه. واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة (١٠٠ والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله على فكفاه الله شرّهم. قال ابن عباس: صنعوا له طعاماً، فأوجي إليه بشأنهم، فلم يأت (١٠٠ وقال مجاهد، وعكرمة: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحّاش: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية (سول الله الله أنها من نظم صلاة هي أحبّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فأطلع الله نبيه على ذلك، وأنزل صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة (١٠٠ والرابع: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين وأنزل صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة (١٠٠ والرابع: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله يله، هذا قول ابن زيد.

﴿ ﴿ وَلَقَدْ أَخَكَ اللَّهُ مِيثَنَقَ بَغِت إِسْرَةِ مِنَ مَنْفَنَا مِنْهُمُ اثْنَىٰ عَشَرَ نَتِيبًا ۚ وَقَـالَ اللَّهُ إِنّ مَمَكُمُّ لَهِنْ أَنْمَتُمُ الطَّكَاوَةُ وَمَانَيْشُمُ الزَّكُوْةُ وَمَامَسَتُم مِرْسُلِ وَعَزَنْشُومُمْ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْمَنَا حَسَنَا لَأَكْفِرَنَا عَنكُمْ سَيِّنَاتِكُمْ وَلَأَنْبِلَتُمُ جَنَّاتِ تَجْرِى مِن غَيْهَا الْأَفْهَدُرُ فَمَن كَفَر بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ مَثَلَ سَوَآءَ السَّكِيلِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَكَدُ اللّهُ مِيثَنَ بَنِ إِلَهُ مِيلَاقَ قَال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره. وقال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة. وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن، ومعناه: أنه ضمين ليعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضميناً عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصنح ضمانه. وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنقابة شبيهة بالعرافة. والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة. وقال ابن

⁽۱) رواه أبو نميم في «دلائل النبوة» ۱۹۷ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عمرو بن عبيد عن جابر أن رجلاً . . . وقد سقط من إسناده الحسن، فقد رواه ابن هشام في «السيرة» ۲۰۵ عن ابن إسحاق وحدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ص١ من طريق معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر . وقصة هذا الأعرابي ـ وهو غورت بن الحارث ـ ثابتة في «الصحيحين» بدون ذكر السبب، فقد روى البخاري // ٣٣٠، ومسلم ١٩٧١ عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن جابر بن عبد الله أخيره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ وتنهى الناس في العضاه يستظلون بالشجر وزئل رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ يدعونا، فجتناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ وإن هلا اخترط سيغي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلناً ، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت له: الله. فها هوذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

⁽۲) رواه ابن جرير ۱۰۰/۱۰ وابن أبي حاتم وسنده ضعيف لا يحتج به.

⁽٣) خبر مجاهد وعكرمة رواه ابن جرير ١٠٢/١٠، ١٠٣، وانظر ابن هشام ١٩٠/٢.

⁽٤) ابن جرير ١٠٥/١٠ وفيه فرهو ببطن نخل؛ قال الأستاذ محمود شاكر: هكذا قال فني الغزوة السابعة؛ وهمي في كثير من الروايات فالغزوة التاسعة، وهمي فغزوة ذي أمر؛ بنجد، انظر ابن سعد ٢٤/١/٤٪، وفإمتاع الأسماع؛ للمقريزي ١١٠/١. والذي جاء في الأخبار أن صلاة الخوف كانت في السنة السابعة.

فارس: النقيب: شاهد القوم، وضمينهم. والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي، وهذه الأقوال تتقارب. قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نقب الرجل على القوم ينقب: إذا صار نقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عُرِّف عليهم: إذا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النقبة، ويجمع النُقَب والنُّقُب. قال الشاعر:

متبذًّلاً تسبدو محاسنته يضع الهناء مواضع النَّقب (١)

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عُمق ودخول، ومن ذلك نقبت الحائط، أي: بلغت في النقب آخِرَه، والنقبة من البجرب: داءٌ شديد الدخول. وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم. ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبّارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وخُذْ من قومك اثني^(٢) عشر نقيباً، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاختاروا النقباء. وفيما بعثوا له قولان: أحدهما: أن موسى بعثهم إلى بيت المقدس، لبأتوه بخبر الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنهم بعثوا ضمناء على قومهِمْ بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي نبوّتهم قولان؛ أصحهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَتَالَ اللهُ ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم. وفي المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور. والشاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل. ومعنى ﴿إِنّ مَعَكُمُ أَي بالعون والنصرة. وفي معنى: ﴿وَيَرْتُنُوهُمُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنَا﴾ في هذا الإقراض قولان: أحدهما: أنه الزكاة الواجبة. والثاني: صدقة التطوع. وقد شرحنا في (البقرة) معنى القرض الحسن.

قوله تعالى: ﴿ نَهُ مَن كَفَر بَهْدَ ذَالِكَ مِنكُمْ ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآة ٱلتَكِيلِ ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.

﴿ فَيِمَا نَقْضِهِم يَيثَقَهُمْ لَمَنَّهُمْ وَجَمَلَتَا قُلُوبَهُمْ فَسِسَيَةٌ يُمَرِّقُونَ الْكَلِرَ عَن مَوَاضِعِهِ. وَنَسُوا حَظَا مِمَا ذَكِرُوا بِيْهِ. وَلَا لَوَالُ تَطَلِعُ عَلَى خَآيِنَةِ مِنْهُمْ إِلَا قَيِيلًا مِنْهُمْ فَآعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَهَمَا نَقَضِهِم ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقضوا، فبنقضهم لعنّاهم. وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل. والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُنَا تُلُوبَهُمْ تَنسِيَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: اقاسية، بالألف، يقال: قست، فهي قاسية، وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضّل، عن عاصم: اقسيّة، بغير ألف مع تشديد الياء،

خيروا تُصافرُ واربعوا صَحْبي وقِـنُـوا فهان وقـوقـكـم حَسبي الْحَبُـي وَأَصِحَابِه تَسبِلٌ مِس السَحُبِ الْحَب السَحُب الْمَالِ السَحُوبُ والمسمعت به كالسيوم طالبي أيسنـ ق جُـرُب محــيد الله السَحْب السَحْب السَحْب السَحْب السَحْب السَحْب السَحْب المَحْب السَحْب المَحْب المَحْ

فخطبها إلى أبيها فردته وقالت: أتراني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح، ومرتثَّة شيخ بني جشم؟ا

⁽۱) البيت لدريد بن الصمة من جملة أبيات في «الشعر والشعراء» ٣٠٢/١ و«الأغاني» ٢٢٢/١، و«اللسان» مادة نقب، قالها في الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وقد مرَّ بها وهي ثهنأ بعيراً لها، قود تبذَّلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت، ودريد يراها وهي لا تشعر به، فأعجبته، فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

⁽٢) في الأحمدية (اثنا عشر) وهو خطأ.

لأنه قد يجيء فاعل وفعيل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم. والقسوة»: خلاف اللّين والرّقة. وقد ذكرنا هذا في (البقرة). وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال: أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ،﴾ مبيّن في سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًا مِّمَا ذُكِرُواً بِقِهِ النسيان هاهنا: الترك عن عمد. والحظ: النصيب. قال مجاهد: نسوا كتاب الله الذي أنزل عليهم. وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم. وفي معنى ﴿ ذُكِرُوا بِقِهِ قولان: أحدهما: أمروا. والثاني: أوصوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَايَنَةِ مِّنَهُمْ ﴾ وقرأ الأعمش «على خيانة منهم» قال ابن قيتبة: الخائِنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائِن، كما يقال: رجلٌ طاغية، وراوية لحديث. قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قريظة عهد رسول الله ﷺ وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله ﷺ ﴿ إِلَّا فَيْلِا مِنْهُمُ ﴾ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْثُ عَبُهُمْ وَأَصْفَعُ ﴾ واختلفوا في نسخها على قولين: أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور. واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آية السيف. والثاني: قوله: ﴿ فَيَٰلُوا اللَّذِبُ لَا يُوْمِئُونَ بِاللَّهِ... ﴾ [النوبة: ٢٥] والثالث: قوله: ﴿ وَإِمَّا تَعَافَنَ مِن قَوْمٍ خِيَانَهُ الانفال: ٥٥]. والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي على عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي على، فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ. قال ابن جرير: يجوز أن يعفى عنهم في غدرة فعلوها، ما لم ينصبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصّغار، فلا يتوجّه النسخ (١٠).

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواۚ إِنَّا نَصَكَنَوَى أَحَدُنَا مِيئَنَقَهُمْ فَنَشُواْ حَظًا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ. فَأَغْتَهَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاةَ إِلَى يَوْمِ الْفِينَمَةُ وَسَوْفَ بُنَيِّتُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ بَعْسَنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِبَ قَالُوٓا إِنَّا نَمَكَنَرَى آكَذُنَا مِيثَنَهُم وَال الحسن: إنما قال: ﴿ قَالُوٓا إِنَّا نَمَكَرَكَ اللَّهِ وَلَم يُقَلَّ مِن النصارى، لِيَدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين اتبعوا المسيح، وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فسمّوا بهذا الاسم. قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد، فتركوا ما أمروا به.

قوله تعالى: ﴿ فَأُغْبَنَا بَيْنَهُمُ ﴾ قال النضر: هيّجنا، وقال المؤرّج: حرّشنا بعضهم على بعض. وقال الزجاج: ألصقنا بهم ذلك، يقال: غريت بالرّجل غرى مقصوراً: إذا لصقت به، هذا قول الأصمعي. وقال غير الأصمعي: غريت به غراءً ممدود، وهذا الغراء الذي يُغرى به إنما يلصق به الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقاً يكفّر بعضهم بعضاً. وفي الهاء الميم مِن قوله «بينهم» قولان: أحلهما: أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها ترجع إلى النصارى، منهم النسطوريّة، والملكيّة، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى. وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

َ ﴿ يَكَأَهُلَ الْحِنْبُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّثُ لَكُمْ حَيْيَا يِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْحِنَبِ وَيَعْفُوا عَن حَيْدُ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَحِنَثُ ثَمِيثُ ۞﴾

⁽١) نص كلام ابن جرير ١٠/١٣٥: قال أبو جعفر: والذي قاله قتادة وهو أن الآية منسوخة بقوله: ﴿ تَنْيَالُوا الَّذِبُ لَا يُؤْمِنُوكَ بِاللَّهِ . . . ﴾ ـ غير مدفقٌع إمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافياً كل معاني خلافه الذي كان قبله، فأما ما كان غير ناف جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله فلق أو من وسوله ﷺ وليس في قوله: ﴿ فَنَيْلُوا اللَّهِيكَ لا يُؤْمِنُوكَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْدِ اللَّهِ على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود. وإذا كان ذلك كذلك وكان جائزاً مع إقرارهم بالصفار وأدائهم الجزية بعد القتال الأمر بالعفو عنهم في غدرة هموا بها، أو نكث غرموا عليها، ما لم ينضبوا حرباً دون أداء الجزية ويمتنعوا من الأحكام اللازمتهم _ لم يكن واجباً أن يحكم لقوله: ﴿ فَنَيْلُوا اللّذِبُ لا يُؤْمِنُوكَ بِاللّهِ وَلا يَأْمُولِكُ . . . ﴾ الآية ، بأنه ناسخ قوله: ﴿ فَأَعْفُ عَيْمٌ وَاصَفَعُ إِنَّ اللّهُ يُحِبُّ السُمْحِينَةِ».

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَمُلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود. والثاني: اليهود والنصارى. والرسول: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّتُ لَكُمُّ كَيْرًا مِنَا كُنتُم تُخَفُوكَ مِنَ الْكِتَابِ قال ابن عباس: أخفوا آية الرّجم (١) وأمر محمد ﷺ وصفته ﴿ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرُ ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه. فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟ فعنه جوابان: أحلهما: أنه كان متلقياً ما يؤمر به، فإذا أمر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلّا سكت: والثاني: أن عقد الذّمة إنما كان على أن يُقرّوا على دينهم، فلما كتموا كثيراً مما أمروا به، واتخذوا غيره ديناً، أظهر عليهم ما كتموه مِن صفته وعلامة نبوته، لتتحقّق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله تعالى: ﴿ فَدَ حَامَكُم مِنَ اللَّهِ ثُورٌ ﴾ قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمداً ﷺ. وقال غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المبين، فهو القرآن.

﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضُوَنَكُمُ سُبُلَ السَّلَاءِ وَبُغْرِجُهُم قِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّودِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَهَدِى بِرِ الله ﴾ يعني: بالكتاب. ورضوانه: ما رضيه الله تعالى. و «السُبل»، جمع سبيل، قال ابن عباس: سبل السلام: دين الإسلام، وقال السدي: «السلام»: هو الله، و «سبله»: دينه الذي شرعه. قال الزجاج: وجائز أن يكون السلام، طريق السَّلامة التي مَن سلكها سَلِمَ في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله عزَّ وجلَّ، فيكون المعنى: طرق الله عَنْ.

قوله تعالى: ﴿رَبُنُمْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني الكفر ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿ بِإِذْنِهِ.﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهَدِيهِدْ إِلَىٰ صِرَاطٍ تُسْتَقِيــوِ﴾ وهو الإسلام. وقال الحسن: طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿لَقَدَ كَفَرَ الدِّبِ قَالُوٓا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَهَيَمُ ۖ قَالَ ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلها ﴿فَلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيّا ﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئاً ﴿إِنّ أَرَادَ أَن يُهِ النّسِيحُ ابْنَ مَرْيَامُ ﴾ أي: فلو كان إلها كما تزعمون لقدر أن يردّ أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أبّه، ولما نزل أمر الله بأمّه لم يقلر أن يدفع عنها. وفي قوله: ﴿ يَمْلُقُ مَا يَشَاأُ ﴾ ردٌ عليهم حيث قالوا للنبي: فهات مثله من غير أب. فإن قيل: فلم قال ﴿ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّكَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمّا ﴾ ولم يقل: وما بينهن؟ (٢) فالجواب أن المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير.

﴿ وَقَالَتِ الْبَهُودُ وَالنَّصَرَىٰ غَنُ أَبْنَتُواْ اللَّهِ وَآجِبَتُؤُوْ قُلْ فَلِمَ يُمَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُم بَثَثُرٌ مِنَنَ خَلَقٌ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآةُ وَيَقِهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰكَوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَّا وَإِلَيْهِ ٱلسَّصِيرُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلْمَكَرَىٰ﴾ قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران. وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: إنَّ ولدك بكري من الولد(٣)، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهّرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي منادٍ: أخرجوا كلَّ مختون من بني إسرائيل. وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان

⁽١) ابن جرير ١٤١/١، والحاكم في المستدرك ٣٥٩/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

 ⁽٢) في النسخة الأحمدية (وما بينهم والتصويب من نسخة (الرباط) والطبري.

⁽٣) الخبر في «القرطمي» ٢٠/١٦، وابن كثير ٢/٣٥ ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم. وجاء في «الطبري» ١٥١/١٠: إن الله أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدك فأدخلهم النار...، وقال الأستاذ محمود شاكر في «المخطوطة»: «إلى إسرائيل إن ولدك من الولد أدخلهم النار، وهو خلط بلا معنى صوابه ما في المطبوعة على الأرجع. قلت: الصواب ما جاء في «المخطوطة» بزيادة «بكري» كما وردت في الأصل وفي «تفسير ابن كثير» وغيره.

معنى قولهم: ﴿غَنُنُ آَبَنَتُواْ اللَّهِ﴾ أي: منّا ابن الله. وفي قوله: ﴿قُلَّلَ لَيْمَ يُمَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذّب ولده، والحبيب لا يُعذّبُ حبيبه (۱) وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يَوماً بالنار. وقيل: معنى الكلام: فلمَ عذّب منكم من مسخه قردةً وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائِدة.

قوله تعالى: ﴿بَلَ أَنتُد بَشَرٌ مِّمَنَ خَلَقٌ﴾ أي: أنتم كسائِر بني آدم تُجازَوْن بالإحسان والإساءة. قال عطاء: يغفر لمن يشاء، وهم الموحدون، ويعذّب من يشاء، وهم المشركون.

﴿ يَتَأَهُلُ ٱلكِنَابِ فَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُسَيِّقُ لَكُمْ عَلَنَ فَتُمَوْ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرِ وَلَا نَذِيْرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيْرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّي شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَهُلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ بَحَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ سبب نزولها: أن معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته. فقال وهب بن يهوذا (٢٠)، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولاً بشيراً ولا نذيراً [بعده]، فنزلت هذه الآية (٢٠)، قاله ابن عباس. فأما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً: إذا سكنت حدّته، وانقطع عما كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف. وفي مدّة الفترة بين عيسى ومحمد على أربعة أقوال: أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد على ستمانة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس (٤٠)، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل. والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة، قاله قتادة. والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله ابن السائب. وقال أبو صالح عن ابن عباس ﴿ عَنَ فَنَرَةً مِنَ الرسل، فذلك قوله: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا الْبَيْمُ النَبْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَرَزَنَا مِثَالِئِ ابس عباس أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا الْبَيْمُ النَبْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَرَزَنَا مِثَالِئِ ابس عباس أوالها والرابع لا أدري من هو. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون نبوة وسائرها فترة. قال أبو سليمان الدمشقي: والرابع وقال أبو م - والله أبع الله بن سنان الذي قال فيه رسول الله علي ضيعه قومُه (٥).

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا﴾ قال الفراه: كي لا تقولوا: [ما جاءنا من بشير](٦)، مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَقِلُواً﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال غيره: لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ. يَنَقُومِ ٱذْكُرُواْ نِمْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَمَلَ فِيكُمْ ٱلْلِيآةَ وَجَمَلَكُمْ مُلُوكًا وَمَاتَنكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ ۞﴾

⁽١) روى الإمام أحمد ٢/ ١٠٤/ قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى، وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال: فخفضهم النبي ﷺ، فقال: ولاء والله لا يلقي حبيبه في النار، قلت: وإسناده صحيح، وحميد الطويل وإن قال بعضهم: إنه يدلس عن أنس، فإن الواسطة بينه وبين أنس ثابت، وهو ثقة صحيح كما قال المحافظ العلائي.

 ⁽٢) في «الطبري»، و«السيرة» و«الدر المنثور»: «يهودا» بالدال.

⁾ ابن هشام ٢/٩٦١، وابن جرير ١٥٥/١٠ وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول. وزاد السيوطي نسبته في «الدر» ٢٢٩/٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الدلائل».

٤) ونسبه ابن كثير إلى أبي عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي. قال ابن كثير: وهو المشهور.

⁽۵) روى البخاري ٦/ ٣٥٤، ومسلم ١٨٣٦/٤ عن أبي هريرة قال; قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبي، قال الحافظ ابن كثير ٢/ ٣٥؛ وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له: خالد بن سنان، كما حكاء القضاعي وغيره. وقال الحافظ في الفتح؛ واستدل به، أي: بالحديث على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة (يس) كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى. والجواب أن هذا المحديث يُضَعِّفُ ما ورد من ذلك، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقير شريعة عيسى. وقصة خالد بن سنان أخرجها الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس، ولها طرق جمعتها في ترجعته في كتابي في الصحابة. قلت: يريد كتاب والإصابة فانظره ٢/ ٤٥٥.

⁽٦) ما بين معقفين من المعانى القرآن اللغراء ٣٠٣/١.

قوله تعالى: ﴿إِذَ بَحَمَلَ فِيكُمْ أَنْدِياَهُ﴾ فيهم قولان: أحلهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الحبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء الذين أرسلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي. وبماذا جعلهم ملوكاً؟ فيه ثمانية أقوال: أحدها: بالمن والسلوى والحجر. والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجة وخادماً. والثالث: بالزوجة والخادم والبيت (۱)، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد. والرابع: بالخادم والبيت، قاله عكرمة. والخامس: بتمليكهم الخدم، وكانوا أول من تحذ خادماً فهو ملك، قاله قتادة، والسادس: بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السدي. والسابع: بالمنازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك. والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَمَاتَنكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْمَالِينَ ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد. قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم (٢٠). وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوال: أحدها: المن والسّلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن جرير: ما أُوتي أحد من النّعم في زمان قوم موسى ما أوتوا. والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي. والثاني: أن الخطاب لأمه محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبير (٣٠)، وأبى مالك.

﴿ يَقُورِ ٱدْخُلُوا ٱلأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَنَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا نَرْتُوا عَلَى ٱذَاكِرُهُ فَنَنقَلِمُوا خَسِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَتَقَرِّمُ اتَّخُلُوا ﴾ وقرأ ابن محيصن: يا قومُ، بضم الميم، وكذلك ﴿ يَتَقَرِّمُ اتَّخُلُوا أَيْمَةً ﴾ ﴿ يَتَقَرِ اتَّخُلُوا ﴾ الاعراف: ٤٥] وفي معنى المقدسة قولان: أحلهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج. قال: وقيل للسطل: القدّس، لأنه يُتطهّر منه، وسُمّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمّاها مقدّسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدّسة: المباركة، قاله مجاهد. وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال: أحدها: أنها أربحا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أربحا: هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس، فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو معرّب. قال الفرزدق:

وبسيستسانِ بَسينستُ الله نسخسنُ ولاتُسهُ وبَسيْستُ باعلي إيسلساء مُسشرَّتُ (1)

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردُن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ كَلَمْ ۖ اللَّهُ لَكُمْ ۗ لَلْهُ لَكُمْ ۗ لَلْهُ لَكُمْ اللهُ ا

⁽١) روى مسلم في (صحيحه: ١١٠/٨٨ بشرح النووي، وابن جرير ١٦١/١٠ عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِّي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل، فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين، فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

 ⁽۲) قال ابن كثير: ۳۷/۲: والمقصود كانوا أفضل زمانهم، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل هند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملوكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً. قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أَنْهَ أَخْرَجَتُ النَّايِهِ [آل عمران: ١١٠]. وخبر ابن عباس رواه الحاكم في «المستدرك» ٣١٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

⁽٣) أثر سعيد بن جبير رواه ابن جرير ١٦٤/١٠ عن السدي.

⁽٤) • (ديوانه) ٢/ ٣٣، و(المعرب) ٣٣، و(معجم البلدان) ٣٩٢/١، و(اللسان): مادة (أيل) وفي النسخة الأحمدية: و(بنيان) وهو تصحيف. وإيلياء: بكسر الهمزة في أوله ثم ياء، ثم لام مكسورة ثم ياء وألف ممدودة. قال في (القاموس): ويقصر ويشدد فيهما، وإليا: بياء واحدة ويقصر.

لكم، قاله محمد بن إسحاق. وقال ابن قتية: جعلها لكم. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم. فإن قيل: كيف قال: فإنها محرمة عليهم، وقد كتبها لهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصَوْا حرَّمها عليهم. والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يعنِ موسى أن الله كتبها للذين أُمِرُوا بدخولها بأعيانهم. قال ابن جرير: ويجز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأُريد به الخصوص، فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَرْتَدُواْ عَلَىٓ أَدَبَارِكُرُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته. والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

﴿قَالُواْ يَكُوسَىٰۚ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِنَ وَإِنَّا لَن نَدَّخُلَهَا حَتَّى يَقْرُجُوا مِنْهَا ۚ فَإِن يَغْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَخِلُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَنَّارِينَ ﴾ قال الزجاج: الجبار من الآدميّين: الذي يُجبر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيِّنُ الجَبَرِيَّة، والجِبِريَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّةُ والجُبُورة والتَّجبار والجَبَرُوت، وفي معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ذوي قوّة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا عظام الخلّق والأجسام، قاله قتادة. والثالث: أنهم كانوا قتَّالين، قاله مقاتل.

الإشارة إلى القصّة

قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلاً ليأتوه بخبرهم، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائِه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيّه بخبركم، فأعطوهم حبَّةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم: قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكههم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين. وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجرته وعلى رأسه حُزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خليً عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكتم رجلان. وقال مجاهد: لما رأى النُقباءُ الجبارينَ وجدوهم يدخل في تُم أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عنقود عنهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرّمانة إذا نزع حبها خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرّمانة إذا نزع حبها خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرّمانة إذا نزع حبها خمسة أو أربعة، وبدل في وبدع النقباء كلّهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع، وابن يُوقنًا(١٠).

﴿ وَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَمَا فُونَ ٱلْمُمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَ البَّاجِ ۗ فَإِذَا دَخَنَتُمُوهُ فَإِلَّكُمْ عَلِيُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ كَتُتُم مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَعَافُونَ ﴾ في الرجلين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: ابن يوقنا، وهما من النقباء. والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس. والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأيوب: ﴿يُخافون عضم الياء، على معنى أنهما كانا من العدو، فخرجا مؤمنين، وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خافوا الله وحده، والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قول الحق، والثالث: يُخاف منهم، على قراءة ابن جبير. وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال: أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء. والثالث: الهُدى، قاله الضحاك. والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف.

 ⁽١) كان الأجدر بالمصنف أن لا يذكر هذه الأخبار الإسرائيلية الكافية التي وضعها القصاص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم، فدونوها في
 كثير من التفاسير. وخير لنا أن نقتصر في وصفهم على ما ذكر الله تعالى في الأيات الكريمة دونما زيادة.

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَاكِ ﴾ قالُ ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية، فإنهم قد مُلئوا منا رُعباً وفَرَقاً.

﴿ عَالُواْ بَشُومَيْ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَمْ آبَدًا مَّا دَامُوا فِيهِمَّ ثَاذَهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَنتِلا إِنَّا هَنهُمَنَا قَعِدُورَك ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَاذَهَبُ أَنتَ وَرَبُكَ فَقَنبِ ۗ قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء. وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربًك النصر. وقال غيرهما: إذهب أنت وليُعِنْكَ ربك. قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به، أتى النبيُّ على وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله على أشرق لذلك وجهه وسُرِّ به (۱۱). وقال أنس: استشار رسول الله الله الناس يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله الا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك (۱۲).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَشْبِي وَأَخِنَّ فَأَفْرُقَ بَيْنَـٰنَا وَبَيْتَ الْفَوْمِ ٱلْمُنسِفِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ أَمْلِكُ إِلاَ نَفْسِى وَأَخِنَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. والثاني: لا أملك إلا نفسه والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلّا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالمِلْكِ له، وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نفعني مال [قط] ما نفعني مال أبي بكر، فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله (٣) يعني: أنّي متصرّف حيث صرّفتني، وأمرك جائز في مالي.

قوله تعالى: ﴿ فَأَفْرُقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْرِ الْفَنْسِقِينَ ﴾ قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم. وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميّز. وفي المراد بالفاسقين ثلاثة أقوال: أحدها: العاصون، قاله ابن عباس. والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد. والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة. قال السدي: غضب موسى حين قالوا له: اذهب أنت وربك، فدعا عليهم، وكان عجلة من موسى عجلها.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُمَّرَّمَةً عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةٌ يَنِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ النَّسِيقِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا عُمَرَمَةً عَلَيْهِم ﴾ الإشارة إلى الأرض المقدَّسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها. فامّا نصب الأربعين، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوباً بـ «يتيهون أن. وقال الزجاج: لا يجوز أن ينتصب بالتحريم، لأن التفسير جاء أنها محرَّمة عليهم أبداً. قلت: وقد اختلف المفسرون في ذلك، فذهب الأكثرون،

⁽١) والمسنده / ٣٤٩، ٦/ ٦٥، ١٧٤، والبخاري // ٢٠٣، ٢٠٥/، والحاكم في «المستدرك» ٣٤٩/، وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» عن البخاري، ثم قال: انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في مواضع من «صحيحه». وقوله: «مما عُدل به» قال الحافظ: بضم المهملة وكسر الدال المهملة» أي: وزن، أي: من كل شيء يقابل ذلك من الدنيريات.

 ⁽٢) والمسئلة ٩٧/٢٠ بترتيب الساعاتي. ورواه النسائي وابن حبان وابن مردويه. قال الحافظ ابن كثير في البناية والنهاية ٣٦٣/٣ بعدما رواه عن المسئلة: وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. ويرك الغماد: قال في «النهاية» بفتح الباء وتكسر، وتضم الغين وتكسر، وهو موضع بالبمن.
 وقال السهيلي في «الروض الأنف» ٢٠٥٢: وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحبشة.

⁽٣) المسندة ١٨٣/١٣، وابن ماجه ٢٦/١١. وقال البوصيري في الإوائده: إسناده إلى أبي هريرة فيه مقال، لأن سلميان بن مهران الأعمش يدلس وكذا أبو معاوية إلا أنه صرح بالتحديث، فزال التدليس، وبقية رجاله رجاله الصحيح، وتعقبه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسندة بقوله: وهذا تعليل منه غير جيد ولا صديد، فإنه ـ كما قال ـ قد صرح أبو معاوية والأعمش بالتحديث في رواية ابن ماجه، فلم يبق موضع للكلام، ولا يسمى هذا الإسناد حيثني بأن فيه مقالاً. ثم رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح صحيحة على شرط الشيخين، والصحيحان رويا الكثير بهذا الإسناد. قلت: الذي في اسن ابن ماجهة تصريح أبي معاوية بالسماع، وأما الأعمش فلم يصرح. ورواه ابن حبان في «صحيحه» ٢/ ٣٣١ من مصورة «التقاسيم والأنواع» وذكر السيوطي أوله في «الجامع الصغير» ونسبه لأحمد وابن ماجه ورمز له بالحسن، وزاد شارحه المناوي أنه رواه أبو يعلى أيضاً، ثم قال: قال الهيشمي: والماله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل وهو ثقة مأمون، وليس هذا الحديث من شرط «الزوائدة للهيشمي، ولم يوجد فيه.

⁽٤) في «العكبري» ٢١٣/١: «أربعين صنة» ظرف لـ «محرمة» فالتحريم على هذا مقدر وايتيهون» حال من الضمير المجرور، وقيل: هي ظرف لـ ايتيهون»، فالتحريم على هذا غير مؤقت.

منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرّمت عليهم أبداً. قال عكرمة: فإنها محرمة عليهم أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة، وذهب قومٌ، منهم الربيع بن أنس، إلى أنها حُرِّمَت عليهم أربعين سنة، ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير. قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عاماً في حق الكلِّ، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم. قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون ويضلون(١).

الإشارة إلى قصتهم

قال ابن عباس: حرّم الله على الذين عَصَوًا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الحبارين فافتتحها. وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنَّ. قالوا: فأين الشالُ؟ فظلّل عليهم الغمام، قالوا: فأين اللهُلُ؟ فظلّل عليهم الغمام، قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرّق لهم ثوب، وقبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرّق لهم ثوب، وقبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى التيه، وقال لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حي شئتم رغداً، وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطةً. . إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح مدينة الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح مدينة الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن الصحيح، وأن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من فراسخ، قاله ابن عباس. قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخاً، والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخاً، حكاه مقاتل أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْرِ ٱلْنَسِقِبِ ﴾ قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل(٢٠). وقال ابن قتية: يقال: أسبت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسي أسّى.

﴿ وَاتُلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اَبَقَىٰ ءَادَمَ بِالْحَقِي إِذْ قَرَبَا قُرْبَانَا فَنُقُيِّلَ مِنْ آحَدِهِمَا وَلَمْ يُتُقَبِّلَ مِنَ ٱلْآخَرِ مَالَ الْأَقْنُلَدَّكُ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ ٱلنَّمُقِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّلُ عَلِيْمٍ نَبَا آبْنَى ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ النبأ: الخبر. وفي ابني آدم قولان: أحدهما: أنهما ابناه لِصُلبه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلب، هذا قول الحسن، والعلماء على الأول، وهو أصح، لقوله: ﴿كَيْفَ يُؤرِي سَوْءَةَ أَخِيلُ ﴾ المائدة: ٣١ ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدفن، ولأن النبي ﷺ قال عنه: ﴿إنه أول من سن القتل)(٣٠). وقوله تعالى:

 ⁽١) في المجاز القرآنا ١٦٠: أي: يحورون ويحارون ويضلون. وفي «الطبري» ١٩٩/١٠: يحارون ويضلون. قلت: وجاء في هامش نسخة الرباط ما
 نصه: لعله: يحارون.

⁾ قال الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٠ بعد تفسير الآيات: وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود، وبيان فضائحهم ومخالفتهم أله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالفتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، وهذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال، والغرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون، لتقرّ به أعينهم، وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم. فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يفطيها الليل، ولا يسترها الذيل. هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك: نحن أبناه الله وأحباؤه!! فقيح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأبيد الخلود، وقد غمل، وله الحمد من جميع الوجود.

٣ المفسندة (٢٢٦، والبخاري ١٦٩/١، ٢١٢٩/١، ١٦٩/١، ومُسلم ١٣٠٣/، والترمذي ٩٢/٢، والنسائي ٧/ ٨٢، وابن ماجه ٨٧٣/، من حديث ابن مسعود مرفوعاً، ولفظه: ﴿لا تُقلُ نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من همها، لأنه أول من من الفتل، وقوله: ﴿كفل منها الكفل، =

﴿ إِلْكَتَ ﴾ أي: كما كان. والقربان: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في (آل عمران). وفي السبب الذي قربا لأجله قولان: أحدهما: أن آدم ﷺ كان قد نُهِي أن يُنْكِحَ المرأة أخاها الذي هو توأمها(۱۱)، وأجير له أن يُنكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فولدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة صاحب غنم، فقال: هلم فلنقرّب قرباناً، فأينا تُقبُّل قربانه فهو أحقُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أحين أورن، وجاء صاحب الحرث بصُبْرَقُ (۱۱ من طعام، فتُمُّل الكبش، فخزنه الله في الجنة أربعين خريفاً، فهو الذي أعين أورن، وجاء صاحب الحرث، فوكلاً آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (۱۳). والثاني: أنهما قرباه من غير سبب (۱۰). روى العوفي عن ابن عباس أن ابني آدم كانا قاعدين يوماً، فقالا: لو قربنا قرباناً، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرعه، فنزلت النار، فأكلت الشاة، وتركت الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تُقبُّل، وأنك خيرٌ مني! لأقتلنك. واختلفوا هل قابيل وأخته وُلدا قبل هابيل وأخته، أم بعدهما؟ على قولين، وهل كان قابيل كافراً أو فاسقاً غير كافر؟ فيه قولان. وفي سبب قبول قربان هابيل وأخته، أم من قبل أنفسهما؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت. والثاني: أن آدم أمرهما بلم من قبل أنفسهما؟ فيه قولان: أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لئلا يصل إليها. والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقَنُلُنَكُ ﴾ وروى زيد عن يعقوب: ﴿لأقتلنْك السكون النون وتخفيفها. والقائل: هو الذي لم يُتقبَّل منه. قال الفراء: إنما حذف ذكره لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت (٥) ، وإذا اجتمع السفيه والحليم حُمِد، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مرّ بي رجلٌ وامرأة ، فأعنت ، وأنت تريد أحدهما، لم يجز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مُرادِك (١٠). وفي المراد بالمتقين قولان: أحدهما: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿مَا آنا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنَاكُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أنا بمنتصرِ لنفسي، قاله ابن عباس. والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة. وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان: أحدهما: أنه منعه التحرُّج مع قدرته

بكسر أوله وسكون الفاء: النصيب، وأكثر ما يطلق على الأجر، والضعف على الإثم. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَكْنَلَيْنِ مِن تَحْيَرِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨] ووقع على
 الإثم في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشْفَةُ سَيِّئَةٌ بَيْكَ لَلْم كِفَلَّ يَنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

⁽١) التوأم والنُّتُمُ والنُّتُوم والتثيم: هو من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، ذكراً وأنثى، أو ذكراً مع الأنثى. ويقال أيضاً: توأم للذكر، وتوأمة للأنثى. فلسان المرب».

⁽٢) الصَّبرة: كومة من الطعام بلا كيل ولا وزن، ويقال: اشتريت الشي صُبرةً، أي: بلا كيل ولا وزن.

٣) ابن جرير الطبري ٢١٣/١٠، وابن كثير ٢/٣٤ عن ابن أبي حاتم، وجود إسناده، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢٧٣/٢ نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر، وجود إسناده أيضاً. قال الشيخ أحمد شاكر: وهو خبر ـ كما ترى ـ ليس من السنة النبوية، بل ظاهره يدل على أنه معا أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

⁽٤) قال ابن كثير: وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّهَا قُنْتُيْنَا فَنْقُيْلَ مِنْ أَسَدِهِمَا وَلَمْ يُنَقَبَّلَ مِنَ ٱلْآخَرَ قَالَ لِأَقْلَلْنَكُ قَالَ إِنَّمَا يَنْقَبَلُ اللّهُ مِنَ ٱلسّاق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دونه. قلت: وخبر ابن عباس الذي ساقه المصنف عن العوفي ضعيف جداً.

 ⁽٥) في النسخة الأحمدية: (أعيت) وهو تحريف.

⁽٦) اختصر المؤلف رحمه الله كلام النراه في «معاني القرآنة ٢٠٥/١ وإليك نصه بتمامه قال: ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلنك، لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلنك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفيه والحليم حمد، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يشكل. ولو قلت: مر يي رجل وامرأة فأعنت، وأنت تريد أحدهما لم يجز حتى يبين، لأنهما ليس فيهما علامة تستدل بها على موضع المعونة، إلا أن تريد: فأعتهما جميعاً.

على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر^(۱)، وابن عباس. والثاني: أن دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً، قاله الحسن، ومجاهد^(۲). وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذُكر أنه قتله غِيلةً، فلا يدَّعى ما ليس في الآية إلا بدليل^(۲).

﴿ إِنَّ أُرِيدُ أَن تَبُتُوا ۚ بِإِثْمِي وَاثِمَكُ مَنْ أُمْحَنْ النَّارُّ وَذَلِكَ جَزَّؤُا ٱلظَّالِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَ أُويدُ أَن بَهُوا إِلَيْهِ وَإِقْكَ فيه قولان: أحدهما: إني أُريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروي عن مجاهد أيضاً أقال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول. وقد روى البخاري، ومسلم في "صحيحيهما" من حديث ابن مسعود عن النبي أنه قال: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول ومسلم في "صحيحيهما" من حديث ابن مسعود عن النبي أنه قال: ها تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل" فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثاني: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إني أريد أن لا تميد بكم، تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله: ﴿وَأَلْقَنْ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَّوكَ أَن نَيِيدَ بِكُمْ الفمان: ١٠ أي: أن لا تميد بكم،

فقلتُ يسمينُ الله أبسرحُ قناعداً ولو قطّعوا رأسي لَدَيْكِ وأوصالي (٥٠

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب. والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء باثمي وإثمك، فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْمِجْـلَ﴾ [البنر:: ٩٣] أي: حبّ العجل، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَذَالِكَ جَزَّةًا الظَّالِمِينَ ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَمُ نَفْسُتُمْ قَلْلَ أَخِيهِ فَقَلَلُمُ فَأَصْبَحَ مِنَ لَفُنيرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَكُوْعَتُ لَهُ نَنْسُلُمُ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: شجّعته، قاله مجاهد. والثالث: زيَّنت له، قاله قتادة. والرابع: رخَّصت له، قاله أبو الحسن الأخفش. والخامس: أنَّ «طوّعت» فعَّلت من «الطرع» والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أتاه طوعاً، حكاه

⁽١) في الطبري، عن عبد الله بن عمرو.

⁽٢) قال القرطبي ١٣٦٦: قال علماؤنا: وذلك مما يجوز التعبد به، إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعاً، وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر. وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع، واحتجوا بحديث أبي ذر، وحمله العلماء على ترك القتال في الفتة، وكف اليد عند الشبهة على ما بيناه في كتاب «التذكرة». قلت: حديث أبي ذر في «المسند» ١٤٩/٥، وأبي داود ١٤٢/٤، وابن ماجه ١٣٠٨/٧ وفيه «أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعني حتى تغرق حجارة الزيت من اللماء كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: اقعد في بينك، وأغلق عليك بابك. قال: فإن لم أترك؟ قال: فأت من أنت منهم، فكن فيهم. قال: فأخذ سلاحي؟ قال: إذن تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك، وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة، انظر «سنن أبي داود»، كتاب الفتن.

⁽٣) انظر كلام ابن جرير مطولاً في «التفسير» ١٠/٢١٤.

⁽٤) قال ابن كثير ٢٤/٤٤: وهذا قول وجدته عن مجاهد وأخشى أن يكون غلطاً، لأن الصحيح من الرواية عنه خلاف. قلت: القائل ابن كثير -: وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له هما ترك القاتل على المقتول من ذنب، وقد روى البزار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به، فروى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: قتل الصير لا يعم بلنب إلا محاه. وهذا لا يصح، ولو صح قمعناه: أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فأما أن تحمل على القاتل فلا. ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب، فإن المقتول بطالب القاتل في العرصات، فيأخذ له من حسناته بقد مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها، والقتل أعظمها وأشدها.

⁽ه) وديوانه، ٣٢، وومشكل القرآن، ١٧٤، والصناعتين: ١٧٤، والطبري ٢٣/ ٤٣. وقد أضمر حرف النفي _ وهو ولا، _ لدلالة المعنى عليه، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد، ولو كان الكلام إثباتاً لوجب توكيد الفعل بالنون. والأوصال: جمع وصل بالكسر: وهو كل عضو ينفصل من آخر.

الزجاج عن المبرد. وقال ابن قتيبة: شايعته وانقادت له، يقال: لساني لا يَطوع بكذا، أي: لا ينقاد (١) وهذه المعاني تتقارب. وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال: أحلها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياحه. والثالث: رضخ رأسه بين حجرين. قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثّل له إبليس، وأخذ طائِراً فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان له هابيل، يومئذ عشرون سنة. وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال: أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس. والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق. والثالث: عند عَقْبة حِراء، حكاه ابن جرير الطبري. وفي قوله: ﴿ فَأَصَبَحُ مِن لَلْتَيْرِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخسرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج. والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إيّاها، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ عُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَثُم كَيْفُ يُؤرِى سَوْءَةً آخِيةً قَالَ يَنَوَيْلَقَ أَعَجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِشْلَ هَلَذَا الْفَرَابِ فَأُورِى سَوْءَةً أَخِينًا قَاضَبَتَ مِنَ النَّدِمِينَ ﷺ

قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللّهُ عُزِاً يَبَعَثُ ﴾ قال ابن عباس: حمله على عاتقه، فكان إذا مشى تخطُّ يداه ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جنبه حتى رأى غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث له الأرض حتى واراه بعد أن حمله سنين. وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة. وقال عطية: حمله حتى أروح (٢٠). وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام، وفي المراد بسوأة أخيه قولان: أحدهما: عورة أخيه، والثانى: جيفة أخيه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَصَّبَحَ مِنَ ٱلنَّدِمِينَ ﴾ فإن قيل: أليس الندم توبة، فَلِم لم يقبل منه؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدَّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصّت بخصائص لم تشارَك فيها، قاله الحسن بن الفضل. والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله. والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله. والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. وفي هذه القصّة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ أَنَّمُ مَن قَسَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْدِهُمْ وَسُكًا وَاللَّهِ عَلَيْهِ الْمَرْضِ لَلْسَرِقُوكَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عِلْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكِ عَلَيْهِ عَلْهَ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكِ عَلَيْكُ عَلَيْكِ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكِ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكِ عَلْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْهُ عَلَيْكُ عَلْكَ

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلماً. وقال أبو عبيدة: من جناية ذلك، ومن جري ذلك. قال الشاعر (⁷⁾:

وأهمل خسباء صمالسح ذَاتُ بسيستهم قبل احسربوا في عماجِل أنما آجملُه (٤) أي: جانبه وجارٌ ذلك عليهم. وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

الساعين بالشر المهيجين له بين القوم، كما يسأل الإنسان عما جهل.

 ⁽١) وتمام كلام ابن قنيبة في «فريب القرآن» ١٤٢: ومنه يقال: أتيته طائماً وطوعاً وكرهاً، ولو كان من «أطاع» لكان مطيعاً وطاعة وإطاعة.

⁽٢) يقال: أروح اللحم، وأراح: أنتن وسطعت له ربح خبيثة.

⁽٣) نسبه أبو عبيلة في المجاز القرآن، إلى الخنوت وهو توية بن مضرس أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تعيم، وإنما سعاء الجنوت الاحنف بن قيس، لأن الأحنف كلمه، فلم يكلمه احتقاراً له، فقال: إن صاحبكم هذا لجنوت. والخنوت: المتجبر الذاهب بنفسه، المستصغر للناس. وذكره الأمدي في «المؤتلف والمختلف، ٩١ وقال: قتل أخواه... فأدرك الأخذ بثارهما، وجزع على أخويه جزعاً شديداً. وكان لا يزال يبكي أخويه، فعلاب إليه الأحنف أن يكف فأبى، فسعاء الخِنوت، وهو الذي يمتعه الغيظ أو البكاء من الكلام، وتسبه التبريزي في شرح «إصلاح المنطق» والشتعري في شرح الشتري المنطق، والشتمري.

⁽٤) همجاز القرآن» ١٦٣/، وفإصلاح المنطق، ٩، وفالطبري، ١٠/ ٢٣١، وقديوان زهير، بشرح الشنتمري ٣٣، وفاللسان، مادة: أجل. وفي رواية لابن بري في فاللسان،

وأهـــل خِـــبـــاو آمــنــــــن نـــجــعــــهـــم بـــشــــي و عـــزيـــز عـــاجـــل أنـــا آجـــكــه وأقـــبــلت أســعــى أســـأل الـــقــوم مــالــهــم وأقـــبــلت أســعــى أســأل الــقــوم مــالــهــم وروى الشطر الأول من البيت الثاني وفأقبلت في الساعين أسأل عنهم». قال الشنتمري: ومعنى البيتين: أنه وصف تأريشه بين قوم مصطلحين وسعيه بينهم بالفساد حتى أوقعهم في حرب وعاجل شر أجله عليهم، أي: جناه وأحلثه، ثم زعم أنه بعد ما كادهم ويعث الحرب بينهم جعل يسأل عن

فعلى هذا يَحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسُن الوقف. والأول أصح. واكتبنا، بمعنى: فرضنا. ومعنى ﴿قَنَكَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَقْسٍ﴾ أي: قتلها ظلماً ولم تقتل نفساً. ﴿أَوْ فَسَاوِ فِي ٱلأَرْضِ﴾ "فساد" منسوق على "نفس"، المعنى: أو بغير فساد تستحق به القتل. وقيل: أراد بالفساد هاهنا: الشرك. وفي معنى قوله: ﴿فَكَأَنَّا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ خمسة أقوال: **أحدها**: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، قاله الحسن، والزجاج. **والثاني:** أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعاً، قاله مجاهد، وعطاء. وقال ابن قتيبة: يُعذَّبُ كما يُعذَّب قاتل النَّاس جميعاً. والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً، قاله ابن زيد. والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا ولى المقتول حتى يُقيدوه منه، كما لو قتل أولياءَهم جميعاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والخامس: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والقول بالعموم أصح. فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم من قتل الناس جميعاً، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَن يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفني الناس؟ فالجواب: أن المقدار الذي يستحقُّه قاتل الناس جميعاً، معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثلاه، وكلما زاد قتلاً زاده الله إثماً، ومثل هذا قوله: ﴿مَن جَآة بالمُسَنَةِ فَلَمُ عَشْرُ أَتْنَالِهَا ﴾ [الأنمام: ١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطى بمثل ذلك عشر مرات. وهذا الجواب عن سؤال سائل إن قال: إذا كان من أحيا نفساً فله ثواب مَن أحيا الناس، فما ثواب من أحيا الناس كلّهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين. والذي أراه أن التشبيه بالشيء تقريبٌ منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كإثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائِق من شخص واحد، فالمقتول يتصوّر منه نشر عدد الخلق كلُّهم(١١). وفي قوله: ﴿وَمَنْ آخَيَاهَا﴾ خمسة أقوال: أحدها: استنقذها من هلكةٍ، روي عن ابن مسعود، ومجاهد. قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك. وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شدًّ عَضُدَ نبي أو إمام عادِلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعاً. والثاني: ترك قتل النفس المحرّمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية. والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة. والرابع: أن يزجر عن قتلها وينهى. والخامس: أن يعين الوليَّ على استيفاء القصاص، لأن في القصاص حياةً، ذكرهما القاضي أبو يعلى. وفي قوله: ﴿فَكَأَنُمَّا أَنْيُهَا النَّاسَ جَكِيهُمَّا﴾ قولان: أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعاً، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثانى: فعلى جميع الناس شكره، كما لو أحياهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتُهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

﴿إِنَّمَا جَزَاوُا الَّذِينَ يُمَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَمُ وَيَسْتُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُشَكِّلُوا أَوْ يُمُكَلِّبُوا أَوْ تُفَسَطَّعَ أَنْدِيهِـ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفُواْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزَقٌ فِي الدُّنيَّا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَّرُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَمُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من عُرّينة قدموا المدينة، فاجتَرَوْهَا، فبعثهم رسول الله في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فصحوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله في آثارهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم

⁽۱) قال ابن جرير ۱۲در ۱۲۰ عندي بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلتها، فاستحقت القود بها والقتل قصاصاً - أو بغير فساد في الأرض بحرب الله ورصوله وحرب المؤمنين فيها - فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه، كما أوعده ذلك - من فعله - ربه بقوله: ﴿وَمَن يَقَشُل مُؤْمِنَ عُنها حَمُوالاً وَمُحَمَّدُ خَلِياً وَعَنهِ وَلَمَنَهُ وَاعَدُ لَلَهُ عَلَيْهِ وَلَمَنهُ وَاعَدُ لَكُ وَمَن يَقشُل مُؤْمِنَ عُنها حَمْوَالُوهُ بَهِمُ كَلُهُ عَلِيهِ وَلَمَنْهُ وَاعَدُ لَلْهُ عَلَيْهِ وَلَمَنْهُ وَاعَدُ لَلْهُ عَلَيْهِ وَلَمْنَهُ وَاعَدُ لَلْهُ عَليه وَلَمْنَهُ وَاعَدُ لَلْهُ عَلِيم وَلَمْنَهُ وَاعَدُ لَلْهُ الله وَلَ عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلم بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلم بهنا الاعتبار، ولهذا قال: ﴿فَصَاعُولُنَ آلَهُمُ النَّهُمُ بَكِيمًا ﴾ . وفي «البحر المحيط» لأبي حيان ٣/ ٢٤٨٤: وقال ابن عطية: والذي أقول: إن التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات، لكن الشبه قد يحصل من ثلاث جهات. إحداها: القود فإنه واحد، والثانية: الوعيد، فقد وعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك فاية العذاب، فإن ترقبناه يخرج من النار بعد ذلك بسبب التوحيد، فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك. والثالثة: انتهاك الحرمة، فإن نفساً واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمنتهك في واحدة ملحوظ بعين متهك الجميع.

وأرجلهم من خلاف، وسمَّر أعينهم، وألقاهم بالحرَّة حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس أن وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أن قوماً من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخيّر الله رسوله بهذه الآية: إن شاء أن يقتلهم، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أن أصحاب أبي بُردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاؤوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائيب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي على على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهَجْ، ومن مرّ بهلال إلى رسول الله الله له لهم أبه فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال، فنَهَدُوا إليهم، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضراً، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس أن به سمّاهم محاربين له تشبيها بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب، فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي. والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله. وقال سعيد بن جبير: أراد يعالمحاربة الله ورسوله، الكفر بعد الإسلام. وقال مقاتل: أراد بها الشرك. فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السيل.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يُشَيِّنُوا أَوْ يُصَلِبُوا ﴾ اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟ فمذهب أحمد وله يأخذوا على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتلوا وصلّبوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال، نُفوا. قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون أوا مبعضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَرَى ﴾ [البنزه: ١٦٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول اختيار أكثر اللغويين. وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال، قُتلوا ولم يُصلّبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا، قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف. وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أي الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل. وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصلب ويُبعج برمح حتى يموت. واختلفوا في مقدار زمان الصّلب، فعندنا أنه يُصلب بمقدار ما يشتهر صلبه. واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام، وهو مذهب

⁽۱) «المسند» ٣/١٦٠ من طريق معمر عن تتادة، ١٧٠، ٣٣٣ من طريق سعيد عن تتادة، ٢٨٧ من طريق حماد عن تتادة، ٢٩٠ من طريق عفان عن تتادة، والمسند» ٣/١٦٠ من طريق معمر عن تتادة، ٢٩٠ من طريق عفان عن تتادة، ١٩٠/١٠ والمسائي ١٩٧/١٠ ، و«سنن البيهقي» ٨/٦٠ والبخاري: ١٩٥/١٠ ، ١٠٩/١ ، و«سنن البيهقي» ٨/٦٠ عرينة، بضم العين المهملة وفتح الراء وآخرها نون ثم هاء: حي من قضاعة وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني. واجتوى الأرض والبلد: إذا كره المهام قيه وإن كان في نعمة، وقيده الخطابي بما إذا تشهر بالإقامة وهو المناسب هنا، وقيل: أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول. و«سمر» روي بتشديد الميم وبتخفيفها، وضبطت في والأصل بالتشديد. ووقع لمسلم من رواية عبد العزيز «وسمل» بالتخفيف واللام، قال الخطابي: السمل: فقء العين بأي شيء كان. قال أبو ذويب الهذلي:

النسائي ١٩٠/، وأبو داود: ١٨٧/٤ وتمامه: قمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل، وليست هذه الأية للرجل المسلم، فمن قتل وأفسد في الأرض وحارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصاب. وإسناده حسن، ورواه الطبري ١٩٠٤ من قول عكرمة والحسن البصري. وقد ضعف القرطبي هذا القول، ورده بقوله تمالى: ﴿ وَلَمْ لِلْمَائِنِ صَحَفُرُما إِن يَنتَهُوا يَشْفُر لَهُم تَا الطبري ١٩٠٤ من قول عكرمة والحسن البصري. وقد ضعف القرطبي هذا القول، ورده بقوله تمالى: ﴿ وَلَمْ لِلْمَائِنِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ ع

أبي حنيفة، وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده. قال أبو عبيدة: ومعنى «من خلاف» أن تُقطّع يدُه اليُمنى ورجله اليسرى، يُخالَف بين قطعهما. فأما «النغي» فأصله الطرد الإبعاد. وفي صفة نفيهم أربعة أقوال: أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطر إلى ذلك. والثاني: أن يُطلبوا لِتُقام عليهم الحدود، فيبعدوا، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إخراجهم مِن مدينتهم إلى مدينة أخرى، قاله سعيد بن جبير. وقال مالك: ينفى إلى بلدٍ غير بلده، فيحبس هناك. والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه. وقال أصحابنا: صِفّةُ النفي: أن يُشرّد ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصل في بلد نفي إلى بلد غيره. وفي «الخزي» قولان: أحدهما: أنه العقاب. والثاني: الفضيحة. وهل يثبت لهم فكم المحاربين في المصر (١) وهو قول أبي حنيفة. وقال الشافعي، وأبو يوسف: المصر والصحارى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حقّ السَّارِقِ، خلافاً لمالك(٢).

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن تَبِّلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْمٌ فَاعْلَمُواْ أَنَ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيثٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهِينَ تَابُوا﴾ قال أكثر المفسّرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحربهم وفسادهم، وآمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دم، وهذا لا خلاف فيه، فأما المحاربون المسلمون، فاختلفوا فيهم، ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم مِن انتحتام القتل والصلب والقطع والنفي. فأما حقوق الآدميين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي (٣).

﴿ يَتَابُهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَابْتَقُوّا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَلَّكُمْ ثَنْلِوُنَ ۚ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَمَّوُا لِهِ مَنْ عَدَابٍ يَوْمِ الْفِيْمَةِ مَا نُقُتِلَ مِنْهُمْ وَلَمُمْ عَدَابُ اَلِيدٌ ﴿ يُرِيدُونَ اللّهِ مُعْرَجُوا مِنْ النّادِ وَمَا هُم مِخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَابْتَتُمُواْ إِلَيْهِ اَلْوَسِيلَةَ﴾ في «الوسيلة» قولان: أحدهما: أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء. وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه. قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقرّبت إليه. وأنشد:

إذا خسفسل السوالسُسونَ عُسدُنَسا لِسوَصلِسنَسا وَعَسادَ السََّسَسافِي بسينسَا وَالوَسسائسلُ (٤)

والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله، هذا قول إبن زيد:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَـ مُوَّا أَيْدِيَهُمَا جَزَّاءٌ بِمَا كُسَبًا نَكُلًا مِنَ اللَّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ عَكِيدٌ ﴿

⁽١) في المغني ٢٠١١، وتنبت أحكام المحاربين بشروط ثلاثة. أحدها: أن يكون ذلك في الصحراء، فإن كان ذلك منهم في القرى والأمصار، فقد توقف أحمد رحمه الله فيهم، وظاهر كلام الخرقي أنهم غير محاربين، وبه قال أبو حنيفة، والثوري، وإسحاق... وقال كثير من أصحابنا: هو قاطع حيث كان، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي، وأبو يوسف، وأبو ثور.

⁽٢). في الفرطبي؛ ١٥٣/٦: ولا يراعى في العال الذي يأخذه المحارب نصاباً كما يراعى في السرقة، وانظر «أحكام القرآن؛ لابن العربي ١٩٨/٢.

 ⁽٣) قال الخرقي: فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا يحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعفى
 لهم عنها. قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي، وأبو ثور.

⁽٤) «مجاز القرآن» ١٦٤/١، و«الطبري» ٢٩٠/١٠، و«القرطبي» ١٥٩/٦ وقائله لا يعرف. واستشهد أبو عبيد أيضاً ــ على أن الوسيلة معناها القرية ــ ببيت عتدة:

لا تسنكسري مُسهسري ومسا أطسعسمتُه إن السغسسوق لسه وأنست مسسووةً بسارد كسلب السعست بي ومساء شسنً بسارد إن السسسرجسسال......

فسيسكسون جسلسدُك مستسل جسلسد الأجسرب فستساؤهسي مسا شسفست ثسم تسحسوبسي إن كسنست مسائسلستسي ضيسوقساً فساذهسسي

وابسن السنسعسامسة عسنسد ذلسك مسركسيسي

قوله تعالى: ﴿وَالسَارِقُ وَالسَّارِقُةُ فَاقَطَمُوا آيْدِيهُما﴾ قال ابن السائب: نزلت في طُعمة بن أبيرق، وقد مضت قصته في سورة (النساء). والسارق»: إنما سُمِّي سارقاً، لأنه ليس القصد منه واحداً بعينه، وإنما هو كقولك: مَنْ سَرَق فاقطعُ قال المبرّد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحداً بعينه، وإنما هو كقولك: مَنْ سَرَق فاقطعُ يده (۱۱). وقال ابن الأنباري: وإنّما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يَدَهُ. قال الفرّاء: وإنما قال: ﴿ فَاقَطَعُوا آيْدِيهُمَا ﴾ لأن كلَّ شيءٍ موحد من خلق الإنسان إذا ذُكِرَ مضافاً إلى اثنين فصاعداً، جُمع، تقول: قد هشمت رؤوسَهما، وملأت [ظهورهما] وبطونهما [ضرباً]. ومثله ﴿ فَنَدْ سَنَتُ قُلُولُكُما ﴾ [التحريم: ٤] وإنما اختير الجمع على التثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الإنسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، ذُهِبَ بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية، وقد يجوز تثنيتهما. قال أبو ذؤيب:

كَنْ وَافِيدُ النُّهُ بُط السِّي لا تُرقَع (٢)

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كلِّ سارق، وبينت السُّنَّة أن المراد به السارقُ لِنِصابٍ من حِرْزِ مثله، كما قال تعالى: ﴿ فَاقْنُلُوا ٱلْمُتَرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء، والصبيان، وأهل الصّوامع (٣). واختُلِفَ في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسّرقة نصابين: أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الوَرِق ثلاثة دراهم، أوقيمة ثلاثة دراهم مِن العروض (٤) وهو قول مالك (٥). وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السّرقة

- (١) في «معاني القرآن» للفراء ٢٠٦/١: وقوله: ﴿ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِةِ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِةِ وَالْتَارِةِ وَالْتَارِةِ وَالْتَارِةِ وَالْتَارِقُ وَلْتَالِيَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَالِقِ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَارِقُ وَالْتَالِقُولُ وَالْتِلْتِيْلِقَالِقُولُ وَالْتَالِقُ وَالْتَالِقُولُ وَالْتَالِقُولُ وَالْتَالِقُ وَالْتَالِقُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتَالِقُ وَالْتَالِقُ وَالْتَلْتِقُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتَلْتِقُولُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعِلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتَعْلِقُ وَالْتَعْلِقُ وَالْتُعْلِقُ وَالْتُعْلِ
- (٧) وديوان الهذليين، ٢٠/١، وشرح فأشعار الهذليين، ٢٠/١، وومعاني القرآن للفراء ٢٠٧١، وفجمهرة أشعار العرب، ٢٤٨ طبع صادر، وجاء فيها:
 وهطه وهو تحريف. والبيت من قصيدته المينية المشهورة التي يرثي بها بنيه. تخالسا: جعل كل واحد منهما يختلس نفس صاحبه بالطعن، والنوافذ:
 جعم نافذة وهي الطعن تنفذ حتى يكون لها رأسان. عُبُط: جعم عبيط، وأصل العبط: شق الجلد الصحيح، ونحر البعير من غير علة. قال الأخفش:
 شبه الطعنة بالثوب الجديد الذي قد قطع قِطعة قطعة، فلا يقدر أحد على رقعه، وروى الأصمعي: وكنوافذ المُقلب، والعطب: القطن. يقول: إن كلاً
 من هذين البطلين قد اختلس نفس صاحبه بطعنات نوافذ تشبه في اتساعها ونفاذها وعدم التنامها شقوقاً في ثياب جدد، لا ترقع بعد شقها، وهي شقوق
 الجيوب وأطراف الأكمام والليول.
- (3) وذلك أنه ورد عن النبي 養 أنه قطع يد السارق في ربع دينار، وفي ثلاثة دراهم. فقد روى أحمد ١١٠/١٦ بترتيب الساعاتي، ومالك: ٣٠٦، والبخاري ١٩٠/١٨، ومسلم ١٩٢/٢، وأبو داود ١٩٢/٤، والنسائي ١٩٨/٨، والترمذي ١/١٧٤ عن عائشة قالت: كان النبي 潔 يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً. وفي رواية لمسلم ١٣١٢/٣، والنسائي ١٨/٨، وابن ماجه ٢/١٨: ولا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً، وفي رواية للبخاري ١٨/٨، وأبو داود ١٩٢/٤: تقطع يد السارق في ربع دينار، وفي رواية للبخاري ١٨/٨، وتقطع اليد في ربع دينار فصاعداً، وروى الإمام أحمد ١٦٠/١، والبخاري ١٩٢/١، والبخاري ١٩٢/١، والنمذي ١٧٤/١، وابن فصاعداً، وروى الإمام أحمد ١١٠/١، والبخاري ١٩٢/١، ورام، وفي رواية وقيمته ثلاثة دراهم، وفي رواية وقيمته ثلاثة دراهم،
- (ه) في «المدونة» ١/ ٥٥ قلت: أرأيت إن سرق ما يساوي ثلاثة دراهم ذلك اليوم وهو لا يساوي ربع دينار اليوم لارتفاع صرف الدينار، أيقطع فيه في قول مالك؟ قال: قال مالك: قال مالك: تعم يقطع إذا سرق قيمة ثلاثة دراهم ذلك اليوم. قال مالك: لأن النبي ﷺ قطع في ثلاثة دراهم، وإن عثمان بن عفان قطع في ثلاثة دراهم، وإن عبر قط النبي عشر ألف درهم، فلا ينظر إلى الصرف في هذه الأشياء إن ارتفع أو انخفض، وإنما ينظر في هذا إلى ما مضت به السنة. قلت: أرأيت إن اتضع الصرف صرف الذهب فسرق ربع دينار من ذهب وهو لا يساوي ثلاثة دراهم، أتقطع يده لأنه وبع دينار؟ قال: نعم وإنما تقوم الأشياء كلها بالذهب والفضة.

441

عشرة دراهم (۱). وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوّمٌ به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قطع، فإن سرق نصاباً من التّبر، فعليه القطع. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصاباً مضروباً، فإن سرق منديلاً لا يُساوي نصاباً، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع. وقال الشافعي: يقطع. فإنسرق ستارة الكعبة، قطع، خلافاً لأبي حنيفة. فإن سرق صبياً صغيراً حُراً، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلي. وقال مالك: يقطع بكل حال. وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقيلاً يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال (۱) ويجبُ القطع على جاحد العارية عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافاً لأكثر الفقهاء (۱).

فصل

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها، فكل ذلك حِرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرِق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محجّر بالبناء. فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه، ونقل الميموني عن أحمد: إذا كان المكان مشتركاً في الدّخول إليه، كالحمام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبر الحافظ، ونقل عنه ابن منصور: لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع أجير حافظ، فأما النبّاش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

⁽١) في «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن ٣٠٤: قال محمد: قد اختلف الناس فيما تقطع فيه اليد، فقال أهل المدينة: ربع دينار، ورووا هذه الأحاديث، وقال أهل العراق: لا تقطع في أقل من عشرة دراهم، ورووا ذلك عن النبي على وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن عبد الله بن مسعود وعن غير واحد، فإذا جاء الاختلاف في الحدود، أخذ فيها بالثقة، وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهاتنا. وانظر أدلة الحنفية في «نصب المراية» ٣٠ لـ ٣٥٥ للزيلعي، و«سنن أبي داوه» ٣١٩ ١٩٣/، و«مسند أحمد» ١١/ ١٣٩، و«التعليق الممجد» ٣٠٤ للكنوي، و«التعليق المغني على سنن الدارقطني» ٣٠٨.

⁽٧) في التفسير القرطبي، ١٦٣/١: إذا اجتمع جماعة فاشتركوا في إخراج نصاب من حرزه فلا يخلو، إما أن يكون بعضهم ممن يقدر على إخراج، أو لا، إلا بتماونهم، فإذا كان الأول فاختلف فيه ملماؤنا على قولين: أحدهما: يقطع فيه. والثاني: لا يقطع فيه، وبه قال أبو حنية والشافعي، قالا: لا يقطع في السرقة المشتركون إلا بشرط أن يجب لكل واحد من حصته نصاب، لقوله ﷺ: الا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً، وكل واحد من هؤلاء لم يسرق نصاباً فلا تقطع عليهم. ووجه القطع في إحدى الروايتين أن الاشتراك في الجناية لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل، قال ابن العربي: وما أقرب ما بينهما فإنا إنما قلنا: الجماعة بالواحد صيانة للدماء، لئلا يتماون على سفكها الأعداء، فكذلك في الأموال مثله، لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على أن الجماعة إذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا ولا فرق بينهما. وإن كان الثاني وهو مما لا يمكن إخراجه إلا بالتعاون، فإنه يقطع جميعهم بالاتفاق من العلماء، ذكره ابن العربي.

⁽٣) في المفردات المبهوري ١٩٠٨: يقطع جاحد العارية كالسارق، وجزم به جماعة من الأصحاب وهو المذهب، قطع به في التنقيح، والإقناع، والمستهي، وهو قول إسحاق بن شاقلا، وأبي الخطاب، وسائر الفقهاء، لقوله ﷺ: ولا قطع على المخائن، وواه أحمد وأصحاب اللسنن، وصححه الترمذي، وأبي إسحاق بن شاقلا، وأبي الخطاب، بسارق، فأشبه جاحد الوديعة وغيرها من الأمانات. ولنا حديث عائشة قالت: كانت امرأة تستمير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلموه فكلم النبي ﷺ بقال كلاء ولا الأمانات. ولنا حديث عائشة قالت: كانت امرأة تستمير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلموه فكلم النبي ﷺ بقال اللاء الله على من كان قبلكم أله إذا سرق فيهم الضعيف تطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطمت بدها، قال: فقطع يدها، متفن عليه، قال أحمد: لا أعرف شيئاً يدفعه، والجواب عنه بأنها قطعت بسرقتها لا بجحدها، لا يلائم سياق الخبر. قلت: وجاء في البخاري: أنها مسرقت. قال الحافظ ١٧٩/١٢ وقد وقع في وواية معمر عن الزهري في هذا الحديث أن المرأة المذكورة كانت تستمير المتاع وتجحده. أخرجه مسلم وأبو داود، وأخرجه النسائي من رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري بلفظ: «استمارت امرأة على السنة ناس يعرفون وهي لا تعرف حليا فباعته وأبع والمحديث. قال المبدئ المعمر تفرد عن الزهري بقوله: وإسحاق بن راشد: سرقت، وقال معمر وشعيب: إنها استمارت وجحدت. ثم قال الحافظ: وجزم جماعة بأن معمر تفرد عن الزهري بقوله: «استمارت وجحدت، في دائل المباغظ: وبرخ جماعة بأن معمر تفرد عن الزهري بقوله: «استمارت وجحدت» وليس كذلك، بل تابعه شعيب كما ذكره شيخنا عند النسائي، ويونس كما أخرجه أبو داود من رواية أبي صالح كاتب الليث عن ونظر الكلام على هذا الحديث في دائلتم، ٢٧/١٧.

فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مَفْصِل الكَفّ، ومِن مَفْصِلِ الرِّجْلِ. فأما اليد اليُسرى والرجل اليُمنى، فروي عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروي عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي. ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين (١١)، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرّة. ويجتمع القطع والغرم موسِراً كان أو معسراً. وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربَّها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان. وقال مالك: يضمنها إن كان موسِراً، ولا شيء عليه إن كان معسراً.

قوله تعالى: ﴿ تَكَنَّلُا مِّنَ اللَّهِ ﴾ قد ذكرنا «النكال» في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ عَزِيرٌ حَكِيرٌ ﴾ قال سعيد بن جبير: شديد في انتقامه، حكيم إذ حكم بالقطع. قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابيّ، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: والله عزيز حكيم، فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزَّ فحكم فقطع، ولو غفو ورحم لما قطع.

﴿ فَنَ تَابَ مِنَ بَمْدِ طُلْمِدِ وَأَصْلَعَ فَإِكَ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَلُورٌ رَّحِيمٌ ۞ أَلَدَ تَمْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمُر مُلْكُ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضِ يُمَذِّبُ مَن يَشَلَهُ وَيَغْنِرُ لِهَن يَشَأَةُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْرٍ قَدِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَنَ تَابَ مِنْ بَمْدِ ظُلِيهِ ﴾ سبب نزولها: أن امرأة كانت قد سرقت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبد الله بن عمرو^(٢). وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب.

﴿ ﴿ يَكَأَيُّهُ الرَّمُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِيبَ يُسَرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِيبَ قَالُواْ ءَامَنَا بِأَفْوَهِمْ وَلَا تُوْمِن فُلُوبُهُمْ وَمِن اللَّهِنِ مَادُوا سَتَعُونَ السَّعُونَ الْوَيْسَدُ هَذَا الْحَدُوهُ اللَّهِينَ هَادُوا سَتَعُونَ اللَّهِ سَتَعُونَ الْوَيْسَدُ هَذَا اللَّهِ مَادُوا سَتَعُونَ اللَّهِ اللَّهُ مَن اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللللللَّا اللللللَّلْمُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللللللللللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهُا الرَّسُولُ لَا يَحَرُّنكَ الَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي الْكُثْرِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مرّ بنيهودي وقد حمموه (٣) وجلدوه، فقال: أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدُك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنّه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، وتُقيمه على الوضيع، فقلنا: تعالوا نُجْمِعْ على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: قالهم إني أول من أحيا أمرَك إذ أماتوه، فأمرَ به فَرُجم،

 ⁽١) قال الخرقي: ولا يقطع إلا بشهادة عدلين أو اعتراف مرتين. ولم يذكر المصنف رحمه الله الشهادة، لأن كل من حفظ عنه من أهل العلم يوجب القطع بشهادة حرين مسلمين.

⁽٢) «المسندة ١٠/ ١٨٥، وابن جرير ٢٩٩/١ ولفظه (عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ، فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله: إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نفديها، يعني أهلها، فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسمنة دينار، قال: «القطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولمدتك أملك فأنزل الله هلى في سورة المائدة ﴿نَن تَابَ مِنْ بَبِدِ ظُلِيمِ وَأَسِلَمُ. . ﴾ إلى آخر الآية. وهو في «مجمع الزوائله ٢٦ ٢٧٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وقيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. قلت: وفي إسناده أيضاً حُبي بن عبد الله بن شريع المعافري. قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس باللتوي. وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة. ونقله ابن كثير في «التفسير» ٢/٥ عن «مسند أحمد، وقال: وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في «الصحيحين» من رواية الزهري عن عروة عن عائشة.

 ⁽٣) في االلسان، وحمم الرجل: صخم وجهه بالحمم، وهو الفحم، وفي حليث الرجم: أنه مر بيهودي محمَّم مجلود، أي: مسود الوجه.

ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب^(١). والثاني: أنها نزلت في ابن صوريا آمن ثم كفر، وهذا المعني مروي عن أبي هريرة (٢٠). والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهودياً، ثم قال: سلوا محمداً فإن كان بُعِثَ بالدّية، اختصمنا إليه، وإن كان بعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي^(٣). والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والخامس: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حِصارهم على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبح، قاله السدي(٤). قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أننزل على حُكم سعدٍ، فأشار بيده: إنه الذَّبح، وكان حليفاً لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أني قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذين يسارِعُون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود. ﴿سَتَنَّمُونَ لِلْكَذِب﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء. قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكون رَفعُه على معنى: ومن الذين هادوا سماعون لْلكذب. وفي معناه أربعة أقوال: أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك. والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له. والثالث: سماعون للكذب الذي بدُّلوه في توراتهم. والرابع: سماعون للكذب، أي: قابلون له، ومنه: السمع الله لمن حمده اي: قبل. وفي قوله: ﴿ سَتَنَّعُونَ لِقَوْرٍ ءَاخَرِينَ لَرْ يَأْتُوكَ ﴾ قولان: أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم. والثاني: سمّاعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدِّلون التوراة. وفي السمّاعين للكذب، وللقوم الآخرين قولان: أحدهما: أن «السمّاعين للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون [الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ] يهود فدَك. والثاني: بالعكس من هذا. وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيّروا الرّجم، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: تغيير ما يسمعونه من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن. والثالث: إخفاء صفة النبي ﷺ. والرابع: إسقاط القود بعد استحقاقه. والخامس: سوء التأويل. وقال ابن جرير: المعنى يُحرَّفون حكم الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَمّدِ مَوَاضِعِيّ ، ﴾ قال الزجاج: أي: من بعد أن وَضَعه الله مواضعه، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه . قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُدُوهُ ﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلاً وامرأةً من أشرافهم زنيا، فكان حدهما الرّجم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي على يسألونه عن قضائه في الزّانيين إذا أحصِنا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرّجم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت قريظة من النضير لم يَرْضوا إلا بالقودِ تعزُّزاً عليهم، فقتل بنو النضير رجلاً من قريظة عمداً، فأرادوا رفع ذلك إلى قتلت قريظة من النصير لجل من المنافقين: إن قتيل عمد، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيتُ عليكم القود، فإن قُبِلَتُ منكم الدِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر (٥٠). وفي معنى ففاحذروا» ثلاثة أقوال: أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله منكم الدِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر (٥٠).

الشديد. والثاني: فاحذروا أن تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به. والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتَنْتَمُ﴾ في «الفتنة» ثلاثة أقوال: أحداها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثانى: العذاب، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَأَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي على مسارعتهم في الكفر.

⁽٢) ابن جرير: ٢٠١٤، و•سنن البيهقي؛ ٨/ ٢٤٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٨١ وزاد نسبته إلى ابن إسحاق، وابن المنذر. قلت: وفي سنده مجهول.

⁽٣) ابن جرير ١٠/ ٣٠٢، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

⁽٤) ابن جرير ١٠/٣٠٢، رابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

ه) ابن جریر: ۱۰/۳۱۵ من طریق یزید بن زریع قال: حدثنا سعید عن قتادة...

قوله تعالى: ﴿لَرَ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُعَلِهِـرَ قُلُوبَهُمُّ ۚ قال السدّي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدُ أن يطهر قلوبهم من دَنَس الكُفر، ووسَخ الشّرك بطهارة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى: ﴿ لَمُمْ فِي الدُّنِيَا خِزَى أَمَا خزى المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاع النبي على كفرهم، وخزى اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم. قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم.

﴿ سَنَعُونَ لِلكَذِبِ أَكَنُونَ لِلسُّحْتِّ فَإِن جَمَاءُوكَ فَأَحَكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَان يَضُرُوكَ شَنِيْنَا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَخَكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُتْسِطِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ سَمَنَهُونَ لِلَكَذِبِ ﴾ قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذبُ عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها. وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله تعالى: ﴿ أَكُنُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر «السُّحُتُ» مضمومة الحاء مثقلة وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة «السُّحْتُ» ساكنة الحاء خفيفة. وروى خارجة بن مصعب عن نافع «أكالون للسَّحْت» بفتح السين وجزم الحاء. قال أبو علي: السُّحْت والسُّحُت لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليسا بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحت، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الله مضرب الأمير. وفي المراد بالسحت ثلاثة أقوال: أحدها: الرُّشوة في الحكم، والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود. والثانث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَاآءُوكَ فَأَعَكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضَ عَنْهُمْ ﴾ فيمن أريد بهذا الكلام قولان: أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيريّ ديتين، والقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حُيى، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَإِن جَمَاءُوكَ فَاعَكُم بَيْنَهُمْ ﴾ الآية.

فصل

اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: أحلهما: أنها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ولله كان مخبَّراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَنِ اَحَكُم بَيْتُهُم بِنَا أَنْلَ الله النبي ولله كالله عنهم، وزال التخبير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي (١٠). والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخبرون إذا ترافعوا إليهم، إن شاؤوا حكموا بينهم، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح (٢٠)، لأنه لا تنافي بين الحكم وتركه. والثانية بينت كيفية الحكم إذا كان (٣).

﴿ وَكِيْنَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدُمُ ٱلنَّوْرَيَّةُ فِيهَا خُكُمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتُوَلَّوْتَ مِنْ بَسْدِ ذَلِكٌ وَمَا أُولَتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿

⁽۱) قال أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ۱۲۹: وهو الصحيح من قول الشافعي. قال في كتاب «الجزية»: ولا خيار له إذا تحاكموا إليه» لقوله كلى: ﴿ يَمُ مُنْ مُنْ رَدِّ مُنْ مُنْرُرُك ﴾ [التوبة: ٢٩] وهذا من أصلح الاحتجاجات، لأنه إذا كان معنى: «وهم صاغرون» أن تجري عليهم أحكام المسلمين، وجب آلا يردوا إلى أحكامهم، فإذا وجب هذا فالآية منسوخة، وهو أيضاً قول الكوفيين: أبي حنيفة، وزفر، وأبي يوسف، ومحمد، لا اختلاف بينهم إذا تحاكم أهل الكتاب إلى الإمام أنه ليس له أن يعرض عنهم، غير أن أبا حنيفة قال: إذا جاءت المرأة والزوج، فعليه أن يحكم بينهما بالعدل، فإن جاءت المرأة وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم. . . وقال الباقون: بل يحكم.

⁽٢) وقد أفتى بهذا القول عطاء بن أبي رباح، ومالك بن أنس. ذكر ذلك النحاس عنهما في «الناسخ والمنسوخ» ٢٩١، والقرطبي في «الأحكام» ١٨٤/١، وإليه ذهب فتادة كما في «الطبري» ١٠/ ٣٣٠، وسعيد بن جبير كمنا ذكره المؤلف عنه في «ناسخ القرآن» الورقة ٨٣. واختاره أبو جعفر الطبري، لعدم التعارض بين الآيتين، ولأنه لم يصح به خبر عن رسول الله ﷺ، ولم يجمع عليه علماء المسلمين.

 ⁽٣) ذكر هذا الكلام المؤلف رحمه الله أيضاً في (نواسخ القرآن) الورقة: ٨٤.

قوله تعالى: ﴿وَكِنْكَ يُمُكِّمُونَكَ وَعِندُهُمُ ٱلتَّوْرَنَةُ﴾ قال المفسرون: هذا تعجيب من الله ﷺ لنبيه من تحكيم اليهود إياهُ بعد علمهم بما في التوراة من حكم ما تحاكموا إليه فيه، وتقريع لليهود إذ يتحاكمون إلى من يجحدون نبوته، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون صحتها.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكُمُ اللَّهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن. والثاني: حكمه بالقود، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْتَ مِنْ بَصَّدِ ذَالِكُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة. والثاني: من بعد تحكيمك. وفي قوله: ﴿وَمَا أُوْلَتِكَ بِالْمُوْمِنِينَ ﴾ قولان: أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة. والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوتك.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَدُةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ يَحَكُمُ بِهَا النَّيْنُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالزَّغَذِينُونَ وَالأَخْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِن كِنْبِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهُدَاةً فَكَا تَخْشَوُا النَّمَاسَ وَاخْشُونُ وَلَا نَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنَا قَلِيلًا وَمَن لَد يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ تَأُولَتِهِكَ هُمُ الْكَثِمِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْنَا التَوْرِيَةَ فِيهَا هُدَى وَوُرِّ قَال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: استفتاء اليهود رسول الله يله . في أمر الزانيين، وقد سبق. و«الهدى»: البيان. فالتوراة مبينة صحة نبوة محمد على ومبينة ما تحاكموا فيه إليه . و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات. وفي النبيين الذين أسلموا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الأنبياء من لَدُنْ موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة أقوال: أحدها: سلموا لحكم الله، رضوا بقضائه. والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء. والثالث: أسلموا أنفسهم إلى الله في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى على قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان: أحدهما: أنه شمّى بذلك لاستسلامه وانقياده لربه. والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله: «وَرَجُلاً سَلاماً لِرَجُلٍ» (الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له. والثاني: أن المراد بالنبيين محمد على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله: ﴿أَدُ يَعْمُدُونَ النَّانَ عَلَى مَا مَاتَلَهُمُ اللهُ مِن وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله: ﴿أَدُ يَعْمُدُونَ النَّانَ عَلَى مَا مَاتَلَهُمُ اللهُ مُن الم يرد في شرعه ما يخالف. والثاني: الحكم بسائرها ما لم يرد في شرعه ما يخالف. والثاني: الدي محمد على ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، قاله عكرهة.

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ قال ابن عباس: تابوا من الكفر. قال الحسن: هم اليهود. قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا، فأما «الربانيون» فقد سبق ذكرهم في (آل عمران). وأما «الأحبار» فهم العلماء واحدهم حَبر وحِبر، والجمع أحبار وحبور. وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء. وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الحبار وهو الأثر الحسن، قاله الخليل. والثاني: أنه من الحبر الذي يكتب به، قاله الكسائي. والثالث: أنه من الحبر الذي يكتب به، قاله الكسائي. والثالث: أنه من الحبر الذي هو الجمال والبهاء. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب حِبْره وسِبْره» أي: جماله وبهاؤه. فالعالم بَهي بجمال العلم، وهذا قول قطرب. وهل بين الربانيين والأحبار فَرْق أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لا فرق، والكل العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج. وقد روي عن مجاهد أنه قال: الربانيون: الفُقهاء العُلماء، وهم فوق الأحبار. وقال السدي: الربانيون العلماء، والأحبار القُرّاء. وقال ابن زيد: الربانيون: الولاة، والأحبار: العُلماء، وقيل: الربانيون: علماء النصارى، والأحبار: علماء اليهود.

قوله تعالى: ﴿ بِمَا أَسَتُحْفِظُوا مِن كِتَبِ اللهِ عَالَ ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا. والثاني: العلماء بما استحفظوا. قال ابن جرير: «الباء» في

كذا في الأصل (سالماً) بالألف وكنير اللام اسم فاعل. وهي قراءة ابن كثيراً وأبي عمرو، ويعقوب؛ أي خالصاً من الشركة، ووافقهم ابن محيصن،
 واليزيدي، والحسن. وقرأ الباقون: بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وصف به للمبالغة في الخلوص من الشركة.

قوله: ﴿ بِمَا أَسْتُحْفِظُوا ﴾ من صلة الأحبار. وفي قوله: ﴿ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ قولان: أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرَّجم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وكانوا شهداء لمحمد عِلَيْه بما قال إنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ فَكَلا تَحْشُوا النَّ اسَ وَاحْتُونِ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي "واخشون؟ بغير ياء في الوصل والوقف، وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف، وكلاهما حسن. وقد أشرنا إلى هذا في (آل عمران). ثم في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد، والعمل بالرّجم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: الخطاب ليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرّجم، ونعت محمد، واخشوني في كتمانه. والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَشْتُرُوا بِتَايِّقِ ثَنَا قَلِيلاً ﴾ في المراد بالآيات قولان: أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن. والثاني: الأحكام والفرائيض. والثمن القليل مذكور في (البقرة). فأما قوله: ﴿وَمَن لَذَ يَمَّكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَأُولَتِكَ هُمُ الْفَالِمُونَ ﴾ ﴿ فَأُولَتِكَ هُمُ الْفَالِمُونَ ﴾ . فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا المعنى. والثالث: أنها عامّة في اليهود، وفي هذه الأمّة، قاله ابن مسعود، والحسن، والنخعي، والسدي. والمرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز. والمخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي. وفي المراد بالكفر والمخامس: أن الأولى قولان: أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى. والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملّة. وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود، فهو ظالم وفاسِق (١٠). وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومَن أقرً به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم (٢٠).

﴿ وَكَنْبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْمَنْبُ بِالْمَنْفِ وَالْأَنْفَ بِاللَّانْفِ وَالْأَدُّثِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُرُوعَ فِلْمَاصُّ فَمَن تَصَلَّقُ بِهِ. فَهُوَ كَفَارَةً لَمُّ وَمَن لَذ يَمْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الظَّلِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكِنْبَنا﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمُ ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيها﴾ أي: في التوراة. قال ابن عباس: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس، فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين بالنفس، ويفقؤون العينين بالعين؟ وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جُرح، فخفف الله عن أمة محمد بالدية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّقْسِ وَالْمَرْبِينِ وَالْأَمْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنُ كَالِمَّذُنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِينَ ﴾، ينصبون ذلك كلَّه عورا والجروحُ وكان نافع، وعاصم، وحمزة ينصبون ذلك كلّه، وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصباً،

⁽۱) وقد ارتضى هذا المذهب أبو جعفر الطبري في النفسيره ٣٥٨/١٠ فإنه قال: فكل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، فهو بالله كافر، كما قال ابن مسعود، عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي. وفي القرطبي ٢/ ١٩٠: قال ابن مسعود، والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرَّم، فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. وقال إسماعيل القاضي في الحكام القرآن»: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا _ يعني اليهود _ واخترع حكماً يخالف به حكم الله، وجعله ديناً يعمل به، فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره.

 ⁽۲) • الطبري، ۲۰۷/۱۰، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس في الحاكم في • المستدرك، ۳۱۳/۲ من طريق سفيان بن عيينة، عن هشام بن حُمجير عن طاووس عن ابن عباس: أنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَدُ يَعَكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ قُرْلَتِهَكَ هُمُ ٱلْكَثِيرُينَ ﴾
 كفر دون كفر. ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

ويرفع ما بعد ذلك. قال أبو علي: وحجّته أن الواو لعطف الجُمل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجّة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفاً، لا أنه ممّا كُتب على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب. قال القاضي أبو يعلى: وقوله: العين بالعين، ليس المراد قلع العين بالعين، لتعذّر استيفاء المماثلة، لأنا لا نقف على الحدِّ الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمة ، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع، وتُحمى مرآة، فتقدّم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها. وأما الأنف فإذا قطع المارِن، وهو ما لانَ منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا وقطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد. وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب. وأما الأذن، فيجب القصاص إذا استُوعِبَت، وعرف المقدار. وليس في عظم قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضُها، برد بمقدار ذلك. وقوله: ﴿وَالنَّجُرُوحَ فِسَاصُ فِي سائِر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِدِ﴾ يشير إلى القصاص. ﴿فَهُوَ كَفَارَةٌ لَأَهُ في هاء اله، قولان: أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كفِّر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص^(۱)، والمحسن، والشعبي. والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفِّر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب^(۲) من جنايته، لأنه إذا كان مُصرَّاً فعقوبة الإصرار باقية.

﴿ وَقَلَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم بِعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمَ مُمَكِنَا لِمَا بَيْنَ يَكَذَيْهِ مِنَ ٱلتَّوَرَئَةِ وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدُى وَثُورٌ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْهِ مِنَ التَّوَرَئَةِ وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدُى وَثُورٌ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْهِ مِنَ التَّوْرَئَةِ وَهُدُى وَمُوعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَقَيْنَا عَلَى ٓ مَاتَزِهِم﴾ أي: وأتبعنا على آثار النبيّين الذين أسلموا ﴿بِمِيسَى﴾ فجعلناه يقفوَ آثارهم ﴿مُمَدِّتًا﴾ أي: بعثناه مُصدّقاً ﴿زِنَا بَيْنَ يَدَبِّهِ﴾ ﴿وَمَاتَيْنَهُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ هُدَى وَثُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكراراً للأول، لأن الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيلُ أُنزِلَ وفيه ذكر التصديق بالتوراة.

﴿ وَلَهُ مَكُوا آهُلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيدٌّ وَمَن لَّذَ يَمْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فأُولَتِكَ هُمُ الْنَسِئُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْمَكُو أَمْلُ ٱلْإِنْجِيلِ﴾ قرأ الأكثرون بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأعمش، وحمزة بكسر اللام، وفتح الميم على معنى «كي»، فكأنه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

﴿وَأَنْزَلْنَا ۚ إِلَىٰكَ الْكِتَٰبَ وَالْحَقِّ مُصَلَّفِكَ لِمَا بَبْرَى يَدَيْهِ مِنَ الْسَحِتَٰبِ وَمُهَيْمِنَا عَلَيْتِهِ فَآحَكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَشَيْعُ الْمُواْءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَلَكُمْ أَنَةُ وَمِدَا أَنْ وَكُو تَنْفِكُمْ فَاسْتَهِفُواْ الْمُغَيِّرَبُ إِلَى اللّهِ مَرْجِمُكُمْ جَمِيمًا فَيُشِيِّكُمْ بِمِا كُشُتُمْ فِيهِ تَخْلِئُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَرُكُنَا إِلِيْكَ ٱلْكِتَبَ﴾ يعني القرآن ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْكَ يَدَيْدِ مِنَ ٱلْكِتَبِ ﴾ قال ابن عباس: يريد كلَّ كتاب أنزله الله تعالى. وفي «المهيمن» أربعة أقوال: أحدها: أنه المؤيمن (٢) رواه التميمي (٤) عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك. وقال المبرّد: "مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقت الماء، وهرقت، وإيّاك وهيّاك. وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن

١) قول عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه الطبري ١٠/٣٦، والبيهةي في «السنن» ٨/٥٤، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢٣/٢ من تفسير ابن أبي
 حاتم من طريق الطيالسي عن شعبة، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٨٨/٢ وزاد نسبته للفريابي، وابن أبي شببة، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

⁽٢) في النسخة الأحمدية (مات؛ وهو خطأ.

⁽٣) قوله: «المؤيمن» كذا في الأصول المخطوطة التي بين أيدينا، وفي الطبري وسائر المراجع: «المؤتمن».

⁽٤) هو أربدة ويقال: أربد التميمي الكوفي، روى التفسير عن ابن عباس، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي. قال الحافظ في التقريبه: صدوق.

مؤتمن على ما قبله من الكتب، إلا أن ابن أبي نجيح روى عن مجاهد: ومُهيمَناً عليه (۱). قال: محمد مؤتمن على القرآن. فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمناً عليه، فتكون هاء «عليه» راجعة إلى القرآن. وعلى غير قول مجاهد ترجع إلى الكتب المتقدّمة. والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثالث: أنه المصدّق على ما أخبر عن الكُتُب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريبٌ من القول الأول. والرابع: أنه الرقيب الحافظ، قاله الخليل (۱).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ يشير إلى اليهود ﴿يِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَشِّعْ أَهْرَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّقُ ﴾. قال أبو سليمان: المعنى: فترجع عما جاءك. قال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جَلد المُحصَن.

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُمْ شِرَعَةُ وَمِنْهَا جُأَهُ قال مجاهد: الشرعة: السُّنة، والمنهاج: الطريق. وقال ابن قتيبة: الشرعة والشريعة واحد، والمنهاج: الطريق الواضح. فإن قيل: كيف نسق "المنهاج» على "الشرعة» وكلاهما بمعنى واحد؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقاً من وجهين: أحدهما: أن "الشرعة» ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرّد. والثاني: أن "الشرعة» الطريق الذي ربما كان واضحاً، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنباري. فلما وقع الاختلاف بين الشرعة والمنهاج، حَسُنَ نسق أحدهما على الآخر، والثاني: أن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين. قال الحطيئة:

فنسق البُعد على النأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقاً له في المعنى، ذكره ابن الأنباري، وأجاب عنه أربابُ القول الأول، فقالوا: «النأي» كل ما قلّ بعده أو كثُر كأنه المفارقة، والبعد إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لكل ملة جعلنا شرعةً ومنهاجاً، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، هذا قول الأكثرين. قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمةٍ موسى، وعيسى، وأمة محمد، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللفرقان شريعة يُجلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرّم [ما يشاء] بلاء، ليعلم من يعصيه، و[لكن] الدين الواحد الذي لا يُقبل غيره، التوحيدُ والإخلاصُ لله الذي جاءت به الرسل. والثانى: أن المعنى: لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شرعةً ومنهاجاً، هذا قول مجاهد(1).

⁽١) في التحاف فضلاء البشر؛ ١٣١: وهن ابن محيصن اومهيمناً، بفتح الميم الثانية واعليه؛ في موضع رفع على النيابة إن كان حالاً من الكتاب، فإن كان حالاً من كاف الليك، فنائب الفاعل ضمير مستتر يعود إليه 議، والجمهور على كسرها اسم فاعل.

قال ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٦٥: وقوله تعالى ﴿وَتُهْيَيْنًا عَيِّو﴾ قال ابن عباس: مؤتمناً عليه، وقال: القرآن أمين على كل كتاب قبله، وروي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد نحو ذلك. وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حتى، وما خالفه منها فهو باطل. وعن ابن عباس: أي: حاكماً على ما قبله من الكتب. وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جمل الله هذا الكتاب المنظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشعلها وأعظمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، ولهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة، نقال: ﴿إِنَّا مَنْ زَلْنَا اللَّرِّرَ وَلِهًا لَمْ لَمُؤَفِّرُونَ ﴿} [الحجر: ٩] فأما ما حكاه ابن أبي والميناً عن عكرمة وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، وابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم قالوا في قوله: ومهيمناً عليه: يعني محمداً قبل أمن على القرآن، فإنه صحيح في المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر. وبالجملة فالصحيح الأول. وقال أبو جعفر ابن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ. وذلك أن «المهيمن» عطف على «المصدق» فلا يكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، مهيمناً عليه. يعنى: من غير عطف.

 ⁽٣) «ديوانه» ١٤٠، و«الموشح»: ٩١ من قصيدة يمدح بها بني سعد، و«اللسان» مادة: «نأى» وفيه قول الحطيئة:
 وهسشسد أتسمى مسمن دونسهسا السنساي والسبسمسد

إنما أراد المفارقة، ولو أراد البعد لما جمع بينهما.

 ⁽³⁾ قال ابن كثير في «التفسير» ٢٦/٢: ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام،
 المتفقة في التوحيد، كما ثبت في «صحيح المخاري» عن أبي هريرة في أن رسول الله قي قال: «تعن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحمله يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَيَمَا أَرْسَلْنَا مِن فَلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا فُرِينَ إِلَيْهِ أَنْمُ لاَ إِلَهُ إِلَّا لاَلَا إِلَى اللهِ لَهُ لاَلاً على الله التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَيَمَا أَرْسَلْنَا مِن فَلِيكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا فُرِينَ إِلَيْهِ أَنْمُ لاَ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ على اللهِ التولية اللهِ اللهُ اللهِ ا

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَبَمَلَكُمُ أَنَةُ رَحِدَهُ فيه قولان: أحدهما: لجمعكم (١) على الحق. والثاني: لجعلكم على ملةٍ واحدةٍ ﴿وَلَكِن لِيَتَلُوكُمُ ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِي مَا مَاتَنكُمٌ ﴾ من الكتب، وبيّن لكم من الملل. فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةٌ ﴾: نبينا محمداً مع سائِر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ ﴾؟ فالجواب: أنه خطاب لنبينا، والمراد به سائِر الأنبياء والأمم. قال ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائباً، فأرادت الخبر عنه إن تغلّب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب.

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَتِ ﴾ قال ابن عباس، والضحاك: هو خطابٌ لأمة محمد على قال مقاتل: والخيرات، الأعمال الصالحة. ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ فَيُنْتِئَكُمُ بِمَا كُمُنُدّ فِيهِ تَغْلِلُونَ ﴾ مِن الدِّين. قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلّة والحجج، وغداً ببينه بالمجازاة.

﴿ وَأَنِ اَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنَيْعُ أَهْوَآمَهُمْ وَاحْدَرْهُمْ أَن بَغْينُوكَ عَلْ بَعْضِ مَا أَزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن نَوْلُواْ فَاعْلَمُ أَنَّهَا بُرِبُهُ اللَّهُ أَنَّهُ بَرِبُهُ اللَّهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اَعْكُمْ بَيْنَهُم رِمَا أَزَلَ اللهُ ﴾ سبب نزولها: أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد (٢)، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفتَ أنّا أحبارُ اليهود وأشرافُهم، وأنّا إن تبعناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله على ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس (٢). وذكر مقاتل: أن جماعة من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبلُ، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية. قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكراراً لما تقدّم، وإنما نزلتا في شيئين مختلفين، أحدهما: في شأن الرّجم، والآخر: في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَاحْدَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي: يصرفوك ﴿عَلْ بَعْضِ مَا أَزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الرّجم، قاله ابن عبّاس. والثاني: شأن القصاص والدماء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَاتُوا ﴾ فيه قولان: أحدهما: عن حكمك. والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم. وفي ذكر البعض قولان: أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما يصيبهم ببعض ما يستحقونه. والثاني: أن المراد به الكل، كما يُذكر لفظ الواحد، ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿ يَكَانَّمُ النَّيِّ إِذَا طَلْقَتُمُ النِّسَآةِ ﴾ [الطلاق: ١] والمراد: جميع المسلمين. وقال الحسن: أراد ما عجَّله من إجلاء بنى النضير وقتل بنى قريظة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَتِيكَ مِنَ النَّاسِ لَغَسِفُونَ﴾ قال المفسّرون: أراد اليهود. وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: الكذب، قاله ابن زيد. والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

﴿ أَنْكُمُ مُ الْمُهِلِيَّةِ يَتْفُونُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ عُكُمًا لِغَوْمِ يُوقِنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمُ اَلْجَهِلِيَّةِ يَبَثُونُ﴾ قرأ الجمهور اليبغون؛ بالياء، لأن قبله غَيبة، وهي قوله: ﴿وَإِنَّ كَيْبِا مِنَ النَّاسِ لَنَسِفُونَ﴾. وقرأ ابن عامر اتبغون؛ بالتاء، على معنى: قل لهم. وسبب نزولها: أن النبي ﷺ لما حكم بالرَّجم على اليهوديّين تعلّق بنو قريظة ببني النضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً أعطونا سبعين وسقاً (٤) من تمر، وإن قتلنا منهم واحداً أخذوا منا أربعين ومائة وسَّق، وإن قتلنا منهم رجلاً قتلوا به

أَنَّا فَآمَيْدُونِ ﴿ ﴿ إِلَانبِياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَشَتَا فِي حَمُّلِ أَنْتُو رَبُولًا أَنِ اَمْبُدُواْ اللهَ وَالْحَدَى وَالْعَدُونَ النَّهِ فَي الشريعة عراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالمكس، وخفيفاً، فيزاد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامنة.

⁽١) في النسخة الأحمدية: لجعلكم.

⁽٧) كذا في الأصول المخطوطة اأسيد، بالياء، وفي «سيرة ابن هشام» ١/ ٧٦، ، والطبري. ٩٠ / ٣٩٣، وابن كثير ٢ / ٢٧، واللمر المنثور، ٢ / ٢٩٠ (كعب بن أسده.

⁽٣) قلت: في سنده عند الطبري محمد مولى زيد بن ثابت لم يوثقه غير ابن حبان.

⁽٤) الوسق بفتح الواو وكسرها: حمل بعير، أو ستون صاعاً، وهو مكيال لهم.

رجلين، وإن قتلنا امرأةً قتلوا بها رجلاً، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم، فقال بنو النضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولنأخذن بأمرنا الأوّل، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(۱). قال الزجاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل الجاهلية؟!^(۱).

قوله تعالى: ﴿وَمَنَ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ مُكُنّا﴾ قال ابن عباس. ومن أعدل؟!. وفي قوله: ﴿لِنَوْمِ يُوتِنُونَ﴾ قولان: أحدهما: يوقنون بالقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: يوقنون بالله، قاله مقاتل. وقال الزجاج: مَن أيقن تبيّن عدلَ الله في حُكمه.

﴿ ﴿ يَمَائِهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَجِدُوا النَّهُودَ وَالشَّمَرَىٰ أَوْلِيَّةُ بَشَمُهُمْ أَوْلِيَّاهُ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَكُّمْ يَنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الغَوْمَ الطَّلِيدِنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَالِيُّا الَّذِينَ مَامَوُا لَا يَتَخِذُوا اليَهُودَ وَالتَّمَرَى الرَّلِيَّةُ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذّبح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول عكرمة (١٠٠). والثاني: أن عُبادة بن الصّامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود، وإني أبراً إلى الله مِن ولاية يهود، فقال عبد الله بن أُبيّ: إنّي رجلٌ أخاف الدوائر، ولا أبراً إلى الله مِن ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطية العوفي (١٠٠). والثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفةٌ من الناس أن يُدال عليهم الكُفَّارُ، فقال رجل لصاحبه: أمّا أنا فألحق بفلان اليهودي، فآخذ منه أماناً، أو أتهوّد معه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي (٥٠)، ومقاتل. قال الزجاج: لا تتولوهم في الدين. وقال غيره: لا تستنصروا بهم، ولا تستعينوا، ﴿ يَسْتُهُمْ أَرْبَالُهُ بَتَغِنَّ ﴾ في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكُمُ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِتَهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر. والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

﴿ نَفَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَثُنَّ يُسَرِعُوكَ فِيهِمْ يَقُولُونَ غَشَقَىٰ أَن تُعِيبَنَا وَآيَرَةٌ فَمَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ يَنْ عِندِيدِ فَيُصْعِحُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِيهَ الشَّهِمْ نَدِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَتَرَى اللَّذِينَ فِي أَمُوبِهِم مَرَضٌ يُسَرِّعُوكَ فِيمٌ ﴾ قال المفسّرون: نزلت في المنافقين، ثم لهم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يميرون (٢٠) المنافقين ويقرضونهم فيُوادُّونهم، فلما نزلت ﴿ لاَ تَشْغِدُوا البّهُود وَالنصارى كانوا يميرون (٢٠) المنافقين ويقرضونهم فيُوادُّونهم، فلما نزلت ﴿ الله تَغْفِرُهُ البّهُود وَالنّهُمُونَ وَاللهُمُونَ وَاللهُمُ وَاللهُمُ وَاللهُمُونَ وَلَم يعين: مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ، قاله عطية العوفي. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مقاتل. والثاني: النفاق، قاله الزجاج، وفي قوله: السارعون فيهم ولانة أقوال: أحدها: يسارعون في موالاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: في رضاهم،

⁽۱) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقد جاءت آثار عن ابن عباس أن بني النِضير وبني قريظة تحاكموا إلى النبي ﷺ، وأن رسول الله 靏 حملهم على الحق، وجعل الدية بينهم سواء. انظر «مسند أحمد» (١٤٥/٥»، و«الطبري» ٢٧٧/١، و«ابن كثير» ٢/ ٢٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٨٤.

رع) روى البخاري ١٨٥/١٢ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: البغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سُنة الجاهلية، ومطَّلِبُ دم امرئ بغير حق ليهريق دمه.

٣) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقول عكرمة ذكره ابن جرير في اتفسيره ١٠/٣٩٨.

٤) ابن جرير ١٩٥/١، وفيه عطية بن سعد العوفي، وصفه الحافظ في «التقريب» بقوله: صدوق يخطئ كثيراً، وأنه مدلس. وروى الطبري بمعناه أيضاً من طريق ابن إسحاق: حدثني والدي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد... وسنده حسن، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ١٩٠/٢» وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر. وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال: في نزلت هذه الأية حين أتيت رسول الله على قبرأت إليه من حلف يهود، وظاهرت رسول الله على والمسلمين عليهم.

⁽ه) ﴿ الطبري؟ ٣٩٧/١٠. وقوله فيدال عليهم الكفار؟، الإدالة: الغلبة، يقال: أديل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. ومنه حديث أبي سفيان، وهرقل: نُدال عليه ويُدال علينا، أي: نغلبه مرة ويغلبنا أخرى.

⁽٦) أي: يجلبون لهم الطعام.

قاله ابن قتيبة. والثالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزجاج: وفي المراد "بالدائرة" قولان: أحدهما: الجدب والمجاعة، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه، يعنون الجدب، فلا يبايعونا، و[نمتار فيهم] فلا يعيرونا. والثاني: انقلاب الدولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل. وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: فتح مكة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: فتح قرى اليهود، قاله الضحاك. والثالث: نصر النبي على من خالفه، قاله قتادة، والرجاج. والرابع: الفرّج، قاله ابن قتيبة. وفي "الأمر" أربعة أقوال: أحدها: إجلاء بني النضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السائِب، ومقاتل. والثاني: الجزية، قاله السدي. والثالث: الخصب، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن يؤمر النبي على إظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج. وفيما أسرُّوا قولان: أحدهما: موالاتهم. والثاني: قولهم: لعل محمداً لا ينصر.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْتُؤُلَّتُهِ الَّذِينَ أَتَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنَيْمٌ إِنَّهُمْ لَمَكُمُّ خَيِطَتْ أَعْمَلُهُمْ مَأَصْبَحُوا خَدِرِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ رَبُعُولُ الَّذِينَ ءَامَنُولُ قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى: وعسى أن يقول. ورفعه الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفاً. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: يقول، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة. قال المفسرون: لما أجلى رسول الله على النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقيهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جاداً في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك؟ فلما تُتلت قريظة، لم يُطق أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حُصِدوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿ أَمَوُلاَ فَي يعنون المنافقين ﴿ اللَّذِينَ أَنْسَعُوا بِأَلَّهِ جَهّدَ أَيْسَنِهُمْ قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان. وقال مقاتل: جهد أيمانهم: القسم بالله. وقال الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿ إِنَّهُمْ عَلَى عدوكم ﴿ حَيِطَتَ أَعَنَائُهُمْ ﴾ بنفاقهم.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا مَن يَرْبَدُ مِنكُمْ مَن وبيهِ. مَسَوَّفَ بَأْنِي اللَّهُ بِغَنْهِ يُحَيُّمُ وَيُجِيُّونَهُۥ أَوْلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمِنَّاهُ عَلَى الْكَفِيْرِينَ بُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَآمِمْ وَالِكَ فَشَلُ اللَّهِ يُؤْمِنِهِ مَن يَشَكُمُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَن يَرَدُّ مِنكُمْ مَن يِبِيهِ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: قيرتدًا، بإدغام الله الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: قيرتده، بدالين. قال الزجاج: قيرتده هو الأصل، لأن الثاني إذا شكّن مِن المضاعف، ظهر التضعيف. فأما قيرتدا فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحرِّكت الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين. قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم على، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم يُحبّهم ويحبُّونه. وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدَة، قاله على بن أبي طالب، والحسن على، وقتادة، والضحاك، وابن جريج. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانِعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلّد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بُداً من الخروج على أثره. والثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن، أيضاً. والثالث: أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، روى عياض الأشعري (أ) أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله على: قهم قوم هذا، يعني: أبا موسى (أ). والرابع: أنهم أهل اليمن، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي. والسادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وعَد فأتى بقومٍ في زمن عمر كانوا أحسن موقعاً في الإسلام ممّن الديد.

⁽۱) عياض الأشعري: هو عياض بن عمرو الأشعري. مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وروى عن أبي موسى وامرأة أبي موسى، وروى عنه الشعبي وسماك بن حرب. قال الحافظ: وروايته عن امرأة أبي موسى عند مسلم. مترجم في «التهذيب» ٢٠٢/٨، و«الإصابة» ٣/ ٥٠، و«التاريخ الكبير» للبخاري ٤/١/٤.

 ⁽۲) ابن جرير ۱۰/ ٤١٥، واطبقات ابن سعدة ١٠٧/٤، والحاكم في (المستدرك ٣/ ٣١٣ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه المذهبي. وذكره الهيثمي في (الدر المنثور، ١٦/٧، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في (الدر المنثور، ٢٦/٧ وزاد نسبته لابن أبي شينة في السيدة، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في (الدلائل).

قوله تعالى: ﴿ إَوْلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال علي بن أبي طالب ﷺ: أهل رِقَّة على أهل دينهم، أهل غِلظةٍ على من خالفهم في دينهم. وقال الزجاج: معنى «أذلة»: جانبهم لين على المؤمنين، لا أنهم أذلاءً. ﴿ يُمُهَدُونَ فِ سَبِلِ اللّهِ وَلا يَعْلَوْهُ لَوْمَةً لَا يَمْ ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷺ أن الصحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه، فقال: ﴿ وَالِنَ مَشْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاتُهُ ﴾ يعني: محبّتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين (١٠).

﴿ إِنَّا رَفِيكُمُ اللَّهُ رَرَسُولُمُ وَالَّذِينَ مَاسَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الشَّلَوَةَ رَنُوتُونَ الزَّكُوةَ رَحُمْ وَكِمُونَ ۞ وَمَن يَتُولُ اللَّهَ وَرَسُولُمُ وَالَّذِينَ مَاسَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هَمُ النَّذِيدُنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَلِكُمُ اللّهُ وَرَسُولُمُ احتلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاؤوا إلى رسول الله على وقالوا: إن قوماً قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وأذّن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله على فإذا مسكين يسأل الناس، فقال رسول الله على: فهل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: قماذا؟ قال: خاتم فضة. قال: قمن أعطاكه؟ قال: ذاك القائم، فإذا هو على بن أبي طالب، أعطانيه وهو راكع، فقرأ رسول الله على هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس (٢٠)، وبه قال مقاتل. وقال مجاهد: نزلت في على بن أبي طالب، تصدق وهو راكع. والثاني: أن عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه اليهود نزلت هذه الآية في حقه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، قاله عكرمة. والرابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَرَقَوْقُونَ الرَّكُوةَ وَهُمْ وَكِكُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدق علي على المخاتمه في ركوعه أو الثاني: أن من شأنهم إيتاء الزكاة وفعل الركوع. وفي المراد بالركوع ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نفس الركوع على ما روى أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: إن الآية نزلت وهُم في الركوع. والثاني: أنه صلاة التطوّع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له، وهذا مووي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه الخضوع والخشوع، وأنشدوا: لا تُسنِلُ السفسة سيسر عَسلسك أن تَسرُ كستَ يَسوْماً والسلَّهُ والسلَّهُ وَسَدُ رَفَسَعَهُ (٤)

ذكره الماوردي. فأما فحزب الله فقال الحسن: هم جند الله. وقال أبو عبيدة: أنصار الله(٥). ثم فيهم قولان:

⁽۱) قال ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٧٠: وقوله ظلى: ﴿ يَهُمُهُمُونَ فِي سَهِم اللّهِ وَلا يَهُولُونَ الرّبَعُ لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وتال اعداد، والا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وتال اعداد، والا يصد عما منه صاد، والا يحيك فيهم لوم الائم، والا عاذل، وروى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: «أمرني خليلي في بسبع؛ أمرني بحب المساكين والدنؤ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني والا أنظر إلى من هو قوتي، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني والا أنظر إلى من هو قوتي، وأمرني أن أنظر منها الرحم وإن أدبرت، وأمرني ألا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول اللحق وإن كان مراً، وأمرني ألا أخاف في الله لومة الائم، وأمرني أن أكثر من قول والا وحد المعالمين عن عنوال والا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش». قلت: أخرجه أحمد في «المستله» ٥/ ١٥٩ وسند، حسن، وذكر، الهيشمي في «المجمع» ٧/ ٢٦٥، ونسبة للطبراني في «الصغير» و«الله: ورجاله رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر وهو ثقة، ورواه البزار.

⁽٢) رواه ابن مردوبه من طريق محمد بن السائب الكليي عن أبي صائح عن ابن عباس. قلت: محمد بن السائب متروك، نقل الذهبي في «ميزان الاعتدال» عن البخاري أن يحيى وابن مهدي تركاه، وروى عنه عن سفيان قال: قال لي الكليي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب، وأبو صالح ضعيف، وخاصة فيما يروي عنه الكلبي. ولذلك قال ابن كثير رحمه الله: هذا إسناد لا يفرح به، ثم قال ابن كثير: ورواه ابن مردوبه من حديث علي بن أبي طالب رفي نفسه، وهمار بن ياسر، وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسائيدها، وجهالة رجالها.

⁽٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٧١: وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة - أي جملة: وهم راكمون - في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤَوْنَ الزَّكَوَةُ الزَّكَوَةُ الرَّكَوَةُ الرَّكَوَةُ الرَّكَوَةُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَا عَلَّهُ عَلَّهُ

⁽³⁾ قائله الأضبط بن قُرِيع بن عوف بن كعب السعدي التميمي، شاعر جاهلي قديم، أساء قومه إليه، فانتقل عنهم إلى آخرين فقعلوا كالأولين، فقال: بكل واد بنو سعد. يعني: قومه. والبيت في «البيان والتبيين» ٣٤ /٣٤١، و«الأمالي» ١/٧١، و«حماسة ابن الشجري» ١٣٧، و«الحماسة البصرية» ١٣٤، و «وحماسة ابن الشجري» ١٣٧، و «الحماسة البصرية» ١٣٤، و «وولمد السيوطي» ١٥٥، و ووله: لا تذلل. ووي: لا تُعاو، وروي: لا تُعار، وروي: لا تُعرب، والأصل: لا تَعين الفقير حذفت النون الخفيفة لالتقاء الساكنين، ويقيت الفتحة.

 ⁽a) وأنشد أبو عبيدة في ذلك قول رؤبة:

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عباس. والثاني: الأنصار، ذكره أبو سليمان.

﴿ يَكُنُّهُ الَّذِينَ مَاسَوُا لَا يَشَوْدُوا الَّذِينَ الْخَذُوا وِيتَكُرُ هُزُوا وَلِمَبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْوًا الكِنتَ مِن مَلِكُمْ وَالكُفَّارَ أُولِيّاتُ وَالْفُوا اللَّهَ إِن كُمُم مُؤْوِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ تَشَيْدُوا اللَّذِينَ الْخَلُوا وَيَتَكُرُ هُرُكًا وَلَيْبًا﴾ سبب نزولها: أن رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (۱). فأما اتخاذهم الدِّين هُزوا ولعباً، فهو إظهارهم الإسلام، وإخفاؤهم الكفر، وتلاعبهم بالدين. والذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، والكفار: عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة: «الكفار» بالنصب على معنى: لا تتخذوا الكفار أولياء. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: و«الكفار» خفضاً، لقرب الكلام من العامل الجارِّ (۱)، وأمال أبو عمرو الألف. ﴿وَالنَّهُ أَن تولُّوهم.

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوْقِ الْخَنَّاوُهَا هُزُوا وَلَهِبَّا ذَلِكَ إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْتِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيُتُمْ إِلَى الشَّلَاقِ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن منادي رسول الله على الذات إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلّوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب (٢). والثاني: أن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله على والمسلمين على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدَّعي النبوّة، فقد خالفت في هذا الأذان الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت، وأسمج هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسّرين. وقال الشدّي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذ سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرِق الكاذب، فدخلت خادمه ذات ليلة بنار وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله. والمناداة: هي الأذان، واتخاذهم إيّاها هزواً: تضاحكهم وتغامزهم ﴿ وَاللِّكَ إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْقِلُونَ ﴾ ما لهم في إجابة الضلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿ قُلْ يَكَاهُلَ ٱلْكِنْبِ مَلْ تَنفِمُونَ مِنَا ۚ إِلَّا أَنْ مَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرُكُمْ فَاسِتُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فُلْ يَاأَهُلُ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَقِمُونَ مِنَا ﴾ سبب نزولها: أن نفراً من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمن يؤمن به من الرُّسل، فذكر جميع الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوّته، وقالوا: والله ما نعلم ديناً شراً من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عباس. وقرأ الحسن، والأعمش: «تَنْقَمون بفتح القاف. قال الزجاج: يقال: نقمتُ على الرجل أنقِمُ، ونقِمْت عليه أنقَمُ، والأول أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منا إلا إيماننا، وفسقكم، لأنكم علمتم أننا على حق، وأنكم فسقتم.

﴿ قُلْ هَلْ أَنْيَتْكُمْ بِشَرِ مِن ذَاكِ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَمَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَمَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَلَلْمَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّلَخُوتُ أُولَتِهِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُ عَن سَوْلَهِ السَّبِيلِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَ أُنْيَكُمُ بِثَرِ مِن ذَلِكَ ﴾ قال المفسرون: سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دين أقل حظاً منكم في الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم. وفي قوله: ﴿ بِثَرِ مِن ذَلِكَ ﴾ قولان: أحدهما: بشر من المؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: بشر مما نقمتم مِن إيماننا، قاله الزجاج. فأما «المثوبة» فهي الثواب. قال الزجاج: وموضع «مَنْ» في قوله: «مَنْ لعنه الله» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان خفضاً، فمن خفض جعله بدلاً مِن «شر» فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأنَّ قائلاً قال: مَن ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله. قال وأبو صالح عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله. وروي عن ابن

⁼ وهو في اديوانه ١٦ من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة، وأضوى: أضعف وأرق.

 ⁽١) ابن جرير الطبري: ٢٩/١٠ ورجاله ثقات، خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان.
 (٢) وتقدير الآية على هذه القراءة: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء.

⁽٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٩٤ لليبهقي في «دلائل النبوة» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

عباس أن المسخين من أصحاب السبت: مسخ شبابهم قردة، ومشايخهم خنازير. وقال غيره: القردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار ماثدة عيسى. وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظنُّ أن هذه القردة والخنازير هي المسوخ بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَمَلَ مِنْهُمُ الْقِرْدَةَ وَلَلْتَآزِيرَ ﴾ فدخول الألف واللام يدل على المعرفة، وعلى أنها القردة التي تعاين، ولو كان أراد شيئاً انقرض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصحّ حديث أم حبيبة في «المسوخ» فيكون كما قال على قلت أنا: وحديث أم حبيبة في «الصحيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النبي في ، فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممّا مُسِخ؟ فقال النبي في « [إن الله] لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك (القردة والخنازير عن ابن عباس زيادة بيان ذلك، فلا يُلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّانُونُّ ﴾ فها عشرون قراءة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكسائى: «وعبد» بفتح العين والباء والدال، ونصب تاء «الطَّاغُوتَ». وفيها وجهان. أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت. والثاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت. وقرأ حمزة: ﴿وعُبُدَ الطاغوتِ، بفتح العين والدال، وضم الباء، وخفض تاء الطاغوت. قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعْل على فَعُل. وقال الزجاج: وجهها أن الاسم بني على ﴿فَعُلِ كما تقول: عَلَم زيد، ورجل حَذُر، أي: مبالغ في الحذر. فالمعنى: جعل منهم خَدَمة الطاغوت ومن بلغ في طاعة الطاغوت الغاية (٢). وقرأ ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، ﴿وعَبَدُوا﴾ بفتح العين والباء، ورفع الدال على الجمع (الطاغوتَ﴾. بالنصب. وقرأ ابن عباس، وابن أبي عبلة: ﴿وعَبَدَ بفتح العين والباء والدال، إلا أنهما كسرا تاء «الطاغوت». قال الفراء: أرادا «عبدة فحذفا الهاء(٣). وقرأ أنس بن مالك: ﴿وعَبيدًا بفتح العين والدال وبياء بعد الباء وخفض تاء ﴿الطاغوتِ، وقرأ أيوبٍ، والأعمش: ﴿وعُبُّدًا، برفع العين ونصب الباء والدال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن السميفع: "وعابد" بألف، مكسورة الباء، مفتوحة الدال، مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: ﴿وعُبُدًا برفع العين والباء وفتح الدال، مع كسر تاء الطاغوت. قال الزجاج: هو جمع عبيد، وعُبُد مثل رغيف، ورغُف، وسرير، وسُرُر، والمعنى: وجعل منهم عبيد الطاغوت. وقرأ أبو عمران الجونى، ومورّق العجلى، والنخعى: ﴿وعُبِدَ ؛ برفع العين وكسر الباء مخففة، وفتح الدال مع ضم تاء «الطاغوت». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: ﴿وعَبَّدُ عِفْتِ العين والدال، وتشديد الباء مع نصب تاء الطاغوت. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: "وعَبْدُ» بفتح العين والدال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء الطاغوت. وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: "وعَبَدة" بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ منصوبة بعد الدال «الطواغيت» بألف وواو وياء بعد الغين على الجمع. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «وعُبُدًا» برفع العين وفتح الباء والدال مع تخفيف الباء، وكسر تاء الطاغوت. وقرأ سعيد بن جبير، والشعبي: "وعَبْدُة، مثل حمزة، إلا أنهما رفعا تاء (الطاغوت). وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: "وعَبُدُه بفتح العين ورفع الباء والدال مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو الأشهب العطاردي: "وعُبْده برفع العين وتسكين الباء، ونصب الدال، مع كسر تاء

⁽١) مسلم: ٤/٢٠٥١، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٢٦٠.

 ⁽۲) في امعاني القرآن اللفراء ١/٢١٤: وأما قوله: الوعبية الطاغوت فإن تكن فيه لغة مثل: حَذُرَ وعجل فهو وجه، وإلا فإنه أراد ـ والله أعلم ـ قول الشاعر:

أبيني لُبيينني إِنَّ أميكُم أَمينَ المَستَّ وإنَّ أبيساك م عسبُ سِنُ وهذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي، فأما في القراءة فلا. قلت: والبيت لأوس بن حجر، وهو في «ديوانه» ٢١، «والصحاح»، و«اللسان» و«التاج»: عبد. قلت: وروه ابن سيده في «المُخصص» ١/ ٩٠؛ «وإن أباكم وغب».

^{• «}معاني القرآن» ١١٤/١، وفي الطبري ١٤٤//١٠: ولو قرئ ذلك «وعَبّد الطاغوت» بالكسر كان له مخرج في العربية صحيح، وإن لم أستجز اليوم القراءة بها، إذ كانت قراءة الحجة من القرأة بخلافها. ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها: وعبدة الطاغوت، ثم حلفت الهاء للإضافة كما قال الراجز: قام ولاها فسقوه صرخداً، يريد: قام ولاتها، فحلف الثاء من «ولاتها» للإضافة. قلت: وصرخد: موضع بالشام، من عمل حوران، تنسب إليه الخمر الجيدة.

«الطاغوت». وقرأ أبو السمّاك: «وعَبَدَةُ» بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ بعد الدال مرفوعة مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ معاذ القارئ: «وعابد» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضم الدال. وقرأ أبو حيوة: «وعُبّاد» بتشديد الباء وبألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدال. وقرأ ابن حَذْلَمْ، وعمرو بن فائد: «وعَبّادُ» مثل أبي حيوة إلا أن العين مفتوحة والدال مضمومة. وقد سبق ذكر «الطاغوت» في سورة (البقرة). وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام. والثاني: الشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَهِكَ شَرٌّ مَّكَانَا﴾ أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكاناً من المؤمنين، ولا شرّ في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا نعرف شراً منكم، فقيل: من كان بهذه الصّفة، فهو شرّ منهم.

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُواْ مَامَنَا وَهَد ذَخَلُواْ بِالكُنْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِذِه وَاللّهُ أَغَلَز بِمَا كَانُواْ بَكْتُنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوّا ءَامَنَا﴾ قال قتادة: هؤلاء ناسٌ من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيخبرونه أنهم مؤمنون بما جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِٱلكُنْرِ﴾ أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، فالكفر معهم في حالتيهم، ﴿وَاللَّهُ أَعَلَّ بِمَا كَانُوا يَكَتُنُونَ﴾ من الكفر والنفاق.

﴿ وَزَىٰ كَتِيرًا مِنْهُمْ يُسَرِعُونَ لِى ٱلإِنْدِ وَٱلْمُدَوٰنِ وَأَحْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَيْقَسَ مَا كَانُواْ بَشَمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ عِمني: اليهود ﴿ يُسَكِرعُونَ ﴾، أي: يبادرون ﴿ فِي ٱلإِنْبِ وَفِيه قولان: أحدهما: أنه المعاصي، قاله ابن عباس: والثاني: الكفر، قاله السدي. فأما العدوان فهو الظلم. وفي «السحت» ثلاثة وأقوال: أحدها: الرّشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين. والثالث: الربا.

﴿ لَوَلَا يَبْهَمُمُ ٱلرَّنَيْنِيُّونَ وَٱلأَحْبَادُ عَن قَوْلِمُ ٱلْإِنْدَ وَأَكْلِمِهُ ٱلشَّحْتُ لِلْفَتِ مَا كَانُوا يَسْتَعُونَ ﴿ لَهِا لَهُ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَنْ لَا لِلْمَا اللَّهُ عَنْ لَا لِللَّهِ اللَّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ اللَّهُ عَلَيْعِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْعَالَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْعِلَى اللَّهُ عَلَى اللّ

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَنَهُمُ الرَّيَّنِيُّوكَ وَالْأَحْبَادُ﴾ «لولا» بمعنى: «هلّا» و«الرّبانيون» مذكورون في (آل عمران)، و«الأحبار» قد تقدم ذكرهم في هذه السورة. وهذه الآية من أشد الآيات على تاركي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذم. قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشدَّ توبيخاً من هذه الآية.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَعْلُولَةً عُلَتْ ٱلَّذِيمِ مَلْمُونًا بِمَا قَالُواً بَلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُمِيقُ كَيْفَ يَشَاهُ وَلَيَزِيدَ كَ كَيْرًا يَعْبُم مَّا أَزِلَ إِلَكَ مِن وَلِيَنَا مُ مُنْسَادًا وَلَا مُنْ وَاللَّهُ مَا أَنِهُ لَا اللَّهُ مِن اللَّهُ وَيَسْمَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ مَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَوْمِ ٱلْمِينَا مُنْ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَازَ الْمُحَرّبِ ٱلْمُفَالَمَا اللَّهُ وَيَسْمَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ مَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُعْرَبُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ في اللَّوْضِ مَسَادًا وَاللَّهُ لا يُعْرَبُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْبُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَتْلُولَةً﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فنحاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة. وقال مقاتل: فنحاص وابن صلوبا (١١)، وعازر بن أبي عازر. وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به كفّ عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة. والثالث: أن النصارى لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحاً، لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً. والمغلولة: الممسكة المنقبضة. وعن ماذا عنوا أنها ممسكة، فيه قولان: أحدهما: عن العطاء، قاله ابن عباس، وقتادة، والفراء، وابن قتية، والزجاج. والثاني: ممسكة عن عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿ عُلَتُ آئِرِجِمَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: غلت في جهنم، قاله الحسن. والثاني: أمسكت

⁽۱) في «البحر المحيط» ٣/ ٥٢٢: صوريا.

عن الخير، قاله مقاتل. والثالث: جُعِلوا بُخلاء، فهم أبخل قوم، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى الحال. تقديره: قالت البهود هذا في حال حكم الله بغل أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى: فغلت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله: ﴿ نَتَنَفُنُ النَسْجِدَ الْمَوَلَمَ إِن شَاةَ اللهُ عَامِيبِكَ اللهتِ الله ندعو عليهم، كقوله: ﴿ نَسْتُ الله عَلَى اللهبِ الهبِ اللهبِ المن المناسِ ا

قوله تعالى: ﴿وَلَيْرِيدَكَ كَيْرًا يَنْهُم ثَا أَنْزِكَ إِلَكَ مِن رَّبِكَ مُلْنِكًا وَكُفْرًا﴾ قال الزجاج: كلما أُنزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم. والطغيان، هاهنا: الغلو في الكفر. وقال مقاتل: وليزيدن بني النضير ما أُنزل إليك من ربك من أمر الرجم والدّماء طغياناً وكفراً.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّتِنَا بَيْنَهُمُ ٱلْمَدَرَةَ وَالْبَنْضَاتَهُ فيمن عنى بهذا قولان: أحدهما: اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. فإن قيل: فأين ذكر النصارى؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قوله: ﴿لَا تَتَخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّمَدَى اَلْيَاتُهُ. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ كُلْتَا أَوْتَدُواْ نَارًا لِلْحَرْبِ الْمُقَاْمَا أَلَتُهُ ۚ ذِكْر إِيقاد النار مَثَلٌ ضُربَ لاجتهادهم في المحاربة، وقيل: إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم. وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجدّ في حربهم، أوقدوا ناراً، وتحالفوا. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي على فرقهم الله. والثاني: كلما مكروا مكراً رده الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَمْوَنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بمحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزجاج. والثالث: بالكفر. والرابع: بالظلم، ذكرهما الماوردي.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَغَّرْنَا عَبُّهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَنْطَلْنَهُمْ جَنَّتِ النِّهِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿ مَامَنُوٓا ﴾ بالله وبرسله ﴿ وَاَتَّقُوا ﴾ الشرك ﴿ لَكَفَّرَنَا عَهُمْ سَيِّتَاتِهِمْ ﴾ التي سلفت.

﴿ وَلَوْ أَنَهُمْ أَنَامُوا التَّوْرَيَةَ وَالْإِنِجِيلَ وَمَا أُنِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِدْ وَمِن غَنْتِ أَرْشُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةً مُّقَتَمِيدَةٌ وَكَلِيمُ مِنْهُمْ سَلَةً مَا يَسْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَاتُواْ التَّرْرَيَةَ وَالْإِغِيلَ﴾ قال ابن عباس: عملوا بما فيهما. وفيما أنزل إليهم من ربهم قولان: أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل. والثاني: القرآن، لأنهم لما خوطبوا به، كان نازلاً إليهم.

قوله تعالى: ﴿ لَأَكُلُواْ مِن فَرْقِهِدَ وَمِن تُمَّتِ أَنْهُلِهِمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لأكلوا بقطر السماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أن المعنى: لوسّع عليهم، كما يقال: فلان في خير من قونه إلى

⁽١) روى البخاري ٨/ ٢٦٥، ٣٤٧/١٣، ومسلم ٢/ ٦٩، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ يَمِينَ اللهُ مَلَى لا يَمْيَهُمُ الْفَقَّ، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أثقق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يقض ما في يمينه. قال: وهرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفع ويتخفض. وقال: يقول الله تمالى: أثقِق أَنْفِق عليك، وقوله: محاء، بفتح السين وتشديد الحاء، أي: دائم الصب والهطل بالمطاء. وقوله: لا يغيضها، أي: لا ينقصها. والليل والنهار: منصوبان على الظرف.

قدمه، ذكره الفراء، والزجاج. وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال: ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهم بَرَكُنتِ يِّنَ السَّكَنَاهِ وَالأَرْضِ﴾ [الاعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَرَرْنُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ أَنَدٌ مُتَنَسِدَةٌ ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس، ومجاهد. وقال القرظي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله. وقالاقتصاد، الاعتدال في القول والعمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿ يُمَانِينَ الرَّسُولُ بَلِغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِّكُ وَإِن لَّذَ تَقْمَلُ فَمَا بَلَقْتَ رِسَالَتَمُّ وَاللّهُ يَمْمِسُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى النَّامِينَ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى النَّامِينَ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى النَّامِينَ النَّامِينَ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى النَّامِينَ إِنَّ اللّهُ لَا يَهْدِى النَّامِينَ إِنَّ اللّهُ لَا يَهْدِى النَّامِينَ إِنَّ اللّهُ لَا يَهْدِى

﴿ يُكَانِّهُا ٱلرَّسُولُ بَلِنَّمُ مَا أُنِلَ إِلَيْكَ ﴾ ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت على أسباب، روى الحسن أن النبي ﷺ قال: المما بعثني الله برسالته، ضقت بها ذرعاً، وعرفت أن من الناس من يكذُّبني،، وكان رسول الله ﷺ، يهابُ قريشاً واليهود والنصارى، فأنزل الله هذه الآية(''). وقال مجاهد: لما نزلت ﴿ يَكَأَيُّنَا ٱلرَّسُولُ بَلِغٌ مَا أُنِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِيِّكَ﴾ قال: ﴿يا رب كيف أصنع؟ إنا أنا وحدي يجتمع علىّ الناسِّ، فأنزل الله ﴿ وَإِن لَّدَ تَفَكُّلْ فَمَا بَلَفْتَ رِسَالَتُكُم وَاللَّهُ يَعْمِمُكَ مِنَ النَّاسِ؟ . وقال مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم جعلوا يستهزؤون به، فسكت عنهم، فحُرِّض بهذه الآية. وقال ابن عباس: كان رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحرَّسُ فيرسل معه أبو طالب كلُّ يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه الآية، فقال: ﴿يا عمَّاه إن الله قد عصمني من الجن والإنس، (٢٠). وقال أبو هريرة: نزل رسول الله ﷺ ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجلٌ فأخذه، فقال: يا محمد من يمنعني منك؟ فقال: ﴿اللهُ، فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَتَّصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ (٣٠). قالت عائشة: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: ﴿ أَلا رَجُّلُ صَالِحٍ يَحْرَسُنِي اللَّيلة ؛، فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السّلاح، فقال: (من هذا)؟ فقال: سعد وحذيفة جثنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه، فنزلت ﴿وَاللَّهُ يَنْهِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة أدم وقال: النصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالىه' ٤٠). قال الزجاج: قوله: ﴿ بَلِنَةِ مَا أَنِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلغ جميع ما أنزل إليك، ولا تواقبن أحداً، ولا تتركنَّ شيئاً منه مخافة أن ينالك مكروه، فإن تركت منه شيئاً، فما بلُّغت (٥٠). قال ابن قتيبة: يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْمِمُكُ﴾ وقال ابن عباس: إن كتمت آية فما بلُّغت رسالتي. وقال غيره: المعنى: بلُّغ جميع ما أنزل إليك جهراً، فإن أخفيت شيئاً منه لخوف أذى يلحقك، فكأنك ما بلَّغت شيئاً. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿رسالتهـــ على التوحيد. وقرأ نافع ارسالاته على الجمع.

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَمْوسَمُكَ مِنَ النّاسِ؟﴾ قال ابن قتية: أي: يمنعك منهم. وعصمة الله: منعه للعبد من المعاصي، ويقال: طعام لا يعصم، أي: لا يمنع من الجوع. فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسِرتَ رباعيته، وبولغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسرِ وتلفِ الجملة، فأمّا عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من أواخر ما نزل.

 ⁽١) نسبه السيوطى في «الدر المنثور» ٢/ ٣٩٨ لأبي الشيخ.

 ⁽٢) نقل ابن كثير في التفسير، ٧٨/٢ عن ابن مردويه خبراً بمعناه عن جابر بن عبد الله، ثم قال: وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية،
 وهذا الحديث يقتضي أنها مكية، ثم أخرج عن ابن مردويه الحديث الذي ذكره المصنف، وقال: رواه الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني عن أبي
 كريب به، وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مئنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم.

 ⁽٣) الخبر في «موارد الظمآن في زوائد ابن حبان» ٤٣، ونقله ابن كثير عن ابن مردويه وابن حبان. وفي سنده مؤمل بن إسماعيل العدوي وهو صدوق سيء
 الحفظ، وانظر ترجمته في «التهذيب» ١٠/ ٣٨٠.

 ⁽٤) الترمذي ٩٦/٤، والطبري ٤٦٩/١، والحاكم ٣١٣/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد حسن الحافظ في
 والفتحة إسناده.

⁽٥) روى البخاري ٢٠٦/٨، ومسلم ١٥٩/١ عن عائشة رضي قالت: من حدثك أن محمداً 憲كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: ﴿ يَأَيُّهَا اَرْسُولَ بَلْغَ مَا أَنِزَلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّنَهُ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَنْدِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة. والثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

﴿قُلْ يَتَأَهَّلُ الْكِنْبِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى ثَتِيمُوا التَّوْرَيَّةَ وَالْإِنِجِيلَ وَمَا أَنِلَ إِلَيْكُمْ مِن زَيِّكُمُّ وَلَنِرِيَدَكَ كَيْبِاً مِنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِّكَ مُلْفَيْنَنَا وَكُفْزاً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَوْرِ الْكَنْبِرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْ يَكَافَلُ الْكِنْبِ لَسَمُ عَلَى ثَى وَ عَب سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألست تؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حق؟ قال: قبلى، ولكتكم أحدثتم وجحدتم ما فيها، فأنا بريء من إحداثكم، فقالوا: نحن على الهدى، ونأخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. فأما أهل الكتاب، فالمراد بهم اليهود والنصارى. وقوله: ﴿لَسَنُمُ عَنَ شَيْءٍ ﴾ أي: لستم على شيء من الدين الحق حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وإقامتهما: العلم بما فيهما، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ. وفي الذي أنزل إليهم من ربهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّائِئُونَ وَالشَّمَرَىٰ مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْرِ الْآلِخِرِ وَعَمِلَ صَالِمًا فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ عَرْنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ مَامَنُوا وَاللَّذِينَ هَادُوا وَالعَّنِمُونَ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في (البقرة). وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بينا هناك. فأما رفع «الصابئين» فذكر الزجاج عن البصريين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: «والصابئون» محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء. والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً، وأنشدوا:

وإلَّا فَاعَلَمُوا أَنَا بُغَاةَ مَا بِقِينَا فِي شَقَاقَ، وأنتم أيضاً كذلك.

﴿لَقَـدُ أَخَذُنَا مِيثَنَى بَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ وَأَرْسَلَنَآ إِلَيْمِ رُسُلَا كُلِّا كُلُمَا جَآءَكُمُ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِينَا كَلَّهُواْ وَفَرِينَا يَقْتُلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَدُ أَخَذُنَا مِيثَنَى بَنِى إِسْرَهِيلَ﴾ قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التوارة بأن يعملوا بما فيها. قال ابن عباس: كان فيمن كذبُوا، محمد، وعيسى، وفيمن قتلوا، زكريا، ويحيى. قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود، والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختص اليهود.

﴿ وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ نِشَنَّةً فَمَمُوا وَمَسَمُّوا ثُمَّ نَابَ اللَّهُ مَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَمَسَمُّوا كَذِيرٌ مِنتُمَّ وَاللَّهُ بَصِيرًا بِمَا يَصْمَلُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَحَمِرَة اللّه عَكُوكَ فِتَنَة ﴾ قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر : «تكون ، بالنصب . وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي : «تكون ، بالرفع ، ولم يختلفوا في رفع «فتنة » قال مكي بن أبي طالب : من رفع جعل «أن مخفّفة من الثقيلة ، وأضمر معها «الهاء » وجعل «حسبوا» بمعنى : أيقنوا ، لأن «أن» للتأكيد ، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين . والتقدير : أنه لا تكون فتنة . ومن نصب جعل «أن» هي الناصبة للفعل ، وجعل «حسبوا» بمعنى : ظنوا . ولو كان قبل «أن» فعل لا يصلح للشك ، لم يجز أن تكون إلا مخففة من الثقيلة ، ولم يجز نصب الفعل بها ، كقوله : ﴿ أَفَلا يَرْقِنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ﴾ [طه: ٨٩] و ﴿ عَلَمُ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزمل: ٢٠] قال أبو علي : الأفعال ثلاثة : فعل يدل على ثبات الشيء واستقرار ، وفعل يجذب إلى هذا مرة ، وإلى هذا أخرى ، فما كان معناه العلم والتيقن ، وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار ، وفعل يجذب إلى هذا مرة ، وإلى هذا أخرى ، فما كان معناه العلم ، وقعت بعده «أن» الثقيلة ، لأن معناها ثبوت الشيء واستقرار ، كقوله : ﴿ وَيَعَلَمُونَ أَنَّ اللّهُ هُرَ

درن أبداً .

⁽۱) البيت لبشر بن أبي خازم من قصيدة يهجو بها أوس بن حارثة. وهو في «ديوانه» ١٦٥، وسيبويه ٢٩٠،، وفشواهد العيني، ٢٧١/٣ وقبله: إذا جـــــــــزت نـــــــــواصــــــــــي آل بـــــــــدر وقصة البيتين أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤوا بني لأم من طيء، فأسرتهم طيء، وجزوا نواصيهم، وقالوا: مننا عليكم ولم نقتلكم، فغضب بنو فزارة، فانتصر لهم بشر للحلف الذي كان بينهم وبين بني أسد قومه. والمعنى: أدوا إلينا نواصي بني بدر، واحملوا معها أسراهم، وإلا فإنّا وأنتم

اَلْمَقُ النّبِينُ ﴾ [النور: ٢٥] ﴿ أَلَّ يَتُمْ وَأَنَّ اللّهَ يَرَىٰ ﴿ ﴾ [العلق: ١٤] وما كان على غير وجه الثبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده أن الخفيفة، كقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا يُتِيَا حُدُودَ اللّهِ ﴾ [النمراء: ٢٨] ﴿ فَغَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ [الكهف: ١٥] ﴿ أَطْمَعُ أَن يَقْفِرَ لِي ﴾ [النمراء: ٢٨] وما كان متردداً بين الحالين مثل حسبتُ وظننت، فإنه يُجعلُ تارة بمنزلة العلم، وتارة بمنزلة أرجو وأطمع وكلتا القراءتين في ﴿ رَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ قل جاء بها التنزيل. فمثل مذهب من نصب: ﴿ أَمْ حَسِبَ النّينَ لَجَمَّوا النّبِيّاتِ أَن يُسْتِفُونًا ﴾ [المعبكوت: ٤] ﴿ أَحَسِبَ النّينَ أَنْ يُتَرَكُونًا ﴾ [العنبكوت: ٢] ومثلُ مذهب مَنْ رفع: ﴿ أَيَحَسَبُونَ أَنّا لَن يُتَركُونًا ﴾ [العنبكوت: ٢] ومثلُ مذهب مَنْ رفع: ﴿ أَيَحَسَبُونَ أَنّا لَا يَسْتَعُ سِرَهُمْ ﴾ [الزعرف: ١٥] قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم، ولا يبتليهم بقتلهم الأنبياء، وتكذيبهم الرسل.

قوله تعالى: ﴿ فَنَكُوا وَمَكُوا ﴾ قال الزجاج: هذا مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا، ورأوا من الآيات، فصاروا كالعمى الصمّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمُ فِيه قولان: أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل. وقال غيره: هو ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرِّةَ عَلَيْهِمْ [الإسراء: ٦]. والثاني: أن معنى اتاب عليهم،: أرسل إليهم محمداً يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدَّقوا، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَسَمُّوا ﴾ قولان: أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل. والثاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ كَنُوهُم يَتُهُم أَي: عمي وصم كثيرٌ منهم، كما تقول: جاءني قومُك أكثرُهم. قال ابن الأنباري: هذه الآية نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل أن يُبعَث رسول الله على المعند كذبوه بغياً وحسداً، وقدَّروا أن هذا الفعل لا يكون مُوبقاً لهم، وجانياً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَسِبْرًا أَلَا تَكُون نِتَنَةٌ ﴾ أي: ظنوا ألا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصموا بمجانبة الحق. ﴿ ثُمُّ تَابَ الله كَلُهُم أي : عرَّضهم للتوبة بأن أرسل محمداً على وإن لم يتوبوا، ثم عموا وصموا بعد بيان الحق بمحمد، كثيرٌ منهم، فخصّ بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلهم على خلاف رسول الله على .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْسَسِيعُ ابْنُ مَرْبَدَّ وَقَالَ الْسَسِيعُ يَنَبِي إِسْرَاهِ بِلَ الْفَدَ رَبِّ وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَدَّمَ اللَّهُ مَلْتِهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ النَّـازُ وَمَا الطَّللِيبِينَ مِنْ أَنْسَسَادٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْبَيِّمٌ ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله علمه الجنة.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَ اللَّهَ ثَالِثُ تَلَاعَةُ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِنَهُ وَمِدُ وَإِن لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَسَمَّنُ الَّذِينَ كَنْرُوا مِنهُدَ عَذَابُ الِيمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَتُدَ كُفَرُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَ اللّهَ ثَالِكُ ثَلَنْتُو ﴾ قال مجاهد: هم النصارى. قال وهب بن منبه: لما ولد عيسى لم يبق صنمٌ إلّا خرَّ لوجهه، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي ولد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة قد حفّت بأمّه، فليتخلف عندي اثنان من مردتكم. فلما أصبح، خرج بهما في صورة الرجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أب. فقال إبليس: ما هذا بيشر، ولكن الله أحبَّ أن يتمثَّل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحب أن يتخذ ولداً. وقال الثالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلها في الأرض، فألقوا هذا الكلام على ألسنة الناس، ثم تفرَّقوا، فتكلم به الناس. وقال محمد بن كعب: لما رُفع عيسى اجتمع مئة من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة، فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما

بدا له، ثم صعد إلى السماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكمه والأبرص إلا الله. وقال الثاني: ليس كذلك، لأنا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أمه، ولكنه ابن الله. وقال الثالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أمه من عمل غير صالح. فقال الرابع: لقد قلتم قبيحاً، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته، فخرجوا، فاتبع كلَّ رجل منهم عُنُنَّ من الناس. قال المفسّرون: ومعنى الآية: أن النصارى قالت: الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكل واحد منهم إله. وفي الآية إضمار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دل على المحذوف قوله: ﴿وَكَا مِنْ إِلَكِهِ إِلَّا إِللَهُ وَمِدُ وَكَا مِنْ إِللهِ لللهِ وَلَا اللهُ عَلَى المحذوف قوله: ﴿وَكَا مِنْ إِللهِ لللهِ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ والذين يقولون: إن الله هم المقيمون على هذا القول. وقال ابن جرير: المعنى: ليّمسّن الذين يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر يسلك سبيلهم، عذا بالم.

﴿ أَنَالَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَهَنَانُونُونُهُ وَاللَّهُ مَنْتُورٌ تَحِيبٌ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ قال الفراء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُم مُنتَهُونَ﴾ [الماندة: ٩١].

﴿ مَا الْسَيِّحُ ابْتُ مَرْيَعَ إِلَا رَسُولُ مَدْ خَلَتْ مِن مَبْسِهِ الرُّسُلُ وَأَمْثُمُ صِدِيقَةٌ كَانَا بَأْكُلُو الطَّكَامُ الظَّرَ كَيْفُ بُنَيِّتُ لَهُمُ الْآينَتِ ثُمَّةَ الظَّرَ أَلَّكَ بُؤْنكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَا الْسَيِحُ ابَّنُ مُرْيَدَ إِلَّا رَسُولُ ﴾ فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادّعائهم إلهيّته. والمعنى: أنه ليس بإله، وإنما حكمُه حكم من سبقه من الرسل. وفي قوله: ﴿ وَأَشُهُ مِدِيثَةٌ ﴾ رد على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة. قال الزجاج: والصدّيقة: المبالغة في الصدق، وصدّيق فِعيّل من أبنية المبالغة، كما تقول: فلانٌ سكّيت، أي: مبالغ في السكوت. وفي قوله: ﴿ كَانَا يَأْكُلُانِ الطّمَامُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه بيّن أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يُقيمه إلا أكل الطعام فليس بإله، قاله الزجاج. والثاني: أنه نبَّه بأكل الطعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لآكل الطعام من الحدث، قاله ابن قتيبة. قال: وقوله: ﴿ أَنْظُرُ حَكَيْكَ نُبُرِّتُ لَهُمُ ٱلآيكتِ ﴾ من الطف ما يكون من الكناية. وايؤفكون ا: يُصرفون عن الحق ويُعذَلون، يقال: أفِك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه وأرض مأفوكة: محرومة العطر والنبات، كأن ذلك صُرِف عنها وعدل.

﴿ فُمْ أَنْتُبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْمَأُ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْتُبُدُوكَ مِن دُوبِ اللَّهِ ﴾ قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى ابن مريم ما لا يملك لكم ضراً في الدنيا، ولا نفعاً في الآخرة. والله هو السميع لقولهم: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، العليم بمقالتهم.

﴿ فَلَ يَكَأَمْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَشْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَشْبِعُوا أَمْوَاتَهُ قَوْمٍ قَـذَ مَنكَلُوا مِن قَبْـلُ وَأَمْنكُوا كَثِيْرًا وَصَكُوا عَن سَوَاءِ السّكِبِيلِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَهُلَ ٱلْكِنَبِ﴾ قال مقاتل: هم نصارى نجران. والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا غير الحق في عيسى. وقد بيّنا معنى «الغلو» في آخر سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْبِعُوا أَمْوَاتَ قَوْمِ قَدْ مَسَلُواْ مِن قَبْلُ﴾ قال أبو سليمان: من قبل أن تضلوا. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم رؤساء الضَّلالَةِ من اليهود. والثاني: رؤساء اليهود والنصارى. والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبينا ﷺ نُهو أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

﴿ لُمِنَ ٱلَّذِينَ كَنْرُواْ مِنْ بَنِي إِسْرَهِ بِلَ عَلَى لِيكَانِ دَانُهُ وَعِيسَى ٱبُّنِ مَرّبَيَّةً ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَمْتَذُونَ ۞ ﴾

⁽١) العنق: الطائفة من الناس.

قوله تعالى: ﴿ لَهِ َ كَانُونَ كَعَنُوا مِنْ بَوْتَ إِمْرُكِيلَ ﴾ في لعنهم قولان: أحدهما: أنه نفس اللعن، ومعناه: المباعدة من الرحمة. قال ابن عباس: لُعنوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى في الإنجيل. قال الزجاج: وجائز أن يكون داود وعيسى أُعْلِما أن محمداً نبيّ، ولعنا من كفر به. والثاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى، فصاروا خنازير. وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية، فمسخوا قردة. ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا؛ قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير.

قوله تعالى: ﴿ذَالِكَ بِمَا عَصَواً﴾ أي: ذلك اللعن بمصعيتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره ونهيه، وباعتدائهم في مجاوزة ما حدّه لهم.

﴿كَاثُوا لَا يَكْنَاهُونَ عَن مُنكَوِ نَعَلُومُ لَكِنْسَ مَا كَاثُوا يَنْمَلُونَ ١٠٠٠ ﴿

قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرِ فَكُوهُ التناهي: تفاعل من النهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر. وذكر المفسّرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال: أحدها: صيدُ السّمك يوم السبت. والثاني: أخذ الرشوة في الحكم. والثالث: أكل الربا، وأثمان الشحوم. وذِكْر المنكر منكَّراً يدل على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدلُ على ما قلنا، ما روي عن النبي على أنه قال: ﴿إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أنحاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريبه، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على لسان داود وهيسى ابن مريم، (١٠).

قوله تعالى: ﴿لَٰٰٓئِشَى مَا كَانُوا يُنْمَلُونَ﴾ قال الزجاج: اللّام دخلت للقسم والتوكيد، والمعنى: لبئس شيئاً فعلهم.

﴿ وَتَكَرَىٰ كَيْمِيَا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْتَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِبَقْنَ مَا فَذَمَتْ لَمُمْ الْنَصُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَكَابِ لَهُمْ خَلِلُونَ ﴾ خَلِلُونَ ﴿ وَلَوْ كَانُولُ إِلَيْهِ مَا الْخَذَرُهُمْ أَوْلِيَاتَ وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِلُوكَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ تَكَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَ فِي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المنافِقُون، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين، فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿ فَنْزَى اللّهِ مُرَمِّنُ يُسْكِيمُونَ فِيمٌ ﴾. وفي الذين كفروا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأول. والثاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب هذا القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿ لِيَنْسَ مَا قَدَّمَتْ لَمُدُ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: بئسما قدموا لمعادهم ﴿ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون (أن؛ في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم.

﴿ ﴿ لَنَجِدَّةً أَشَدَّ النَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْمِيهُودَ وَالَذِينَ أَشْرَكُواً وَلَتَجِدَةً أَوْرَبُهُم مُودَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ عَالَمُوا إِنَّا نَعَكَدَئِنَّ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ فِشِيسِيكِ وَمُعْبَانًا وَأَنَهُمْ لَا بِسَتَكْبُرُهَ ۞ وَإِنَا سَمِعُوا مَا أَزُلَ إِلَى الرَّسُولِ زَى آَعَيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّنِعِ مِنَا عَهُوْا مِنَ الْكُفِّ بِمُؤْلُونَ رَبِّنَا عَامَنًا فَآكُنْبُتِكَ مَعَ الشَّهِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَّرَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ﴾ قال المفسّرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه. قال سعيد بن جبير: بعث النجاشي قوماً إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها(٢)، وسنذكر قصتهم فيما بعد. قال الزجاج: واللام في التجدن لام القسم، والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال، واعداوة منصوب على التمييز، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ.

⁽۱) أحمد ۲۲۸/۵، وأبو داود ۲۷۲/۶، والترمذي ۹۷/۶، وابن ماجه ۱۳۲۷/۲، وابن جرير ۲۹۲/۱۰ عن عبد الله بن مسعود ﷺ. قال الَمنذري: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه فهو منقطع.

اختار الإمام أبو جعفر الطبري أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُواً ﴾ يعني: عبدة الأوثان. فأما الذين قالوا: إنا نصارى، فهل هذا عام في كل النصارى، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصارى كانوا متمسّكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد عليه أسلموا، قاله قتادة. والقول الثاني: أنه عام. قال الزجاج: يجوز أن يراد به النصارى، لأنهم كانوا أقلَّ مظاهرةً للمشركين من اليهود.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ وَتِيمِينِ ﴾ قال الزجاج: «القس» و«القسيس»: من رؤساء النصارى. وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما «الرهبان» فهم العباد أرباب الصوامع. قال ابن فارس: الترقب: التعبّد، فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهباناً، وليس ذلك من أمر شريعتنا؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسّك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد للله. قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهلٌ أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح مَن آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا بَسَّتَكُبُونَ﴾، أي: لا يتكبرون عن اتباع الحق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَيِعُواْ مَا أَزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ قال ابن عباس: لما حضر أصحاب النبي ﷺ بين يدي النجاشي، وقرؤوا القرآن، سمع ذلك القسيسون والرهبان، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى: ﴿وَيَلَكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ فِيسِيبِكِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَنَ ٱلثَنْهِدِينَ ﴾. وقال سعيد بن جبير: بعث النجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقُوا، وقالوا: نعرف والله، وأسلموا، وذهبوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَيِمُواْ مَا أَزِلَ إِلَى ٱلرَّمُولِ ﴾. الآية. وقال السدي: كانوا اثني عشر رجلاً ؟ سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم.

قوله تعالى: ﴿ فَاكْنُبُنَكَا مَعَ الشَّهِدِينَ ﴾، أي: مع من يشهد بالحق. وللمفسرين في المراد بالشاهدين هاهنا أربعة أقوال: أحدها: محمد وأمته، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن. والرابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَتَطْمَعُ أَن يُدْخِلْنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلْصَّلِحِينَ ۞ فَأَنْبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّدَتِ تَجْرِى مِن تَمْقِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِلِينَ فِيهَاۚ وَدَلِكَ جَزَّاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَبُواْ بِتَايَنِنَا أُولَئِهِكَ أَصْحَبُ لَلْمَحِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: لامهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا. وفي القوم الصالحين ثلاثة أقوال: أحدها: أصحاب رسول الله، قاله ابن زيد. والثالث: المهاجرون الأولون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَوَالِكَ جَزَّاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: ثواب المؤمنين.

﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُواْ لَا خُمَرَمُوا طَبِبَنتِ مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوّاً إِنَ اللَّهَ لَا يُحِبُّ اَلْمُعَتَدِينَ ۞ وَكُلُوا مِنَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ أَلِكُ مَلِيكًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِينَ أَشُد بِهِد مُؤْمِنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَدِ مَا أَمَلُ اللهُ لَكُمْ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرّموا اللحم والنساء على أنفسهم، وأرادوا جبّ أنفسهم ليتفرّغوا للعبادة، فقال رسول الله: «لم أُومر بذلك»، ونزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على

ذلك، فبلغ ذلك رسول الله على مقال: همن رغب عن سنّتي فليس مني، ونزلت هذه الآية (۱). قال السدي: كان سبب عزمهم على ذلك أن رسول الله على خلس يوماً، فلم يزدهم على التخويف، فرق الناس، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه. وقال عكرمة: إن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظغون، والمقداد، وسالماً مولى أبي خُذيفة في أصحابه، تبتّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح (۱) وحرموا طببات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت هذه الآية، والثاني: أن رجلاً أتى رسول الله على النالث، والثالث: أن ضيفاً نزل بعبد الله بن رواحة، النساء، وإني حرَّمته علي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس (۱). والثالث: أن ضيفاً نزل بعبد الله بن رواحة، ولم يكن حاضراً، فلما جاء، قال لزوجته: هل أكل الضيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! ابن رواحة قال: قربي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي على غاخبره بذلك فقال: أحسنت، ونزلت هذه الآية، ابن رواحة قال: قربي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي أغيه، فأخبره بذلك فقال: أحسنت، ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لاّ يُؤَافِلُهُ الله إللَّقِ فِي قوله: (ولا تعتدوا) خمسة أقوال: أحدها: لا تجبّوا أنفسكم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن. والثالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة. والرابع: لا تحرّموا الحلال، قاله مقاتل. والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرّمة، ذكره الماوردي.

﴿لَا يُوَاحِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّذِ فِي آيُمَانِكُمْ وَلَكِن يُوَاحِدُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَبْمَانُ فَكَفْرَبُهُم إِلْمَامُ عَشَرَةِ مَسَكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُقلِمِمُونَ آهْلِيكُمْ أَو كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْوِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَدْ يَجِدْ فَوَسِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَالِكَ كُذَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُدُ وَاحْمَى طُوّا أَيْمَانُكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَايَتِيهِ لَمُلَكُونَ الشَّكُونَ ﷺ

قوله تعالى: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّذِو فِي آيَتَكِيكُمُ سبب نزولها: أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَمَلُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قال القوم الذين كانوا حرّموا النساء واللحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيْماننا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد سبق ذكر «اللغو» في سورة (البقرة).

قوله تعالى: ﴿ يِمَا عَنَّدَ ثُمُ الْأَيْدَنَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: (عقدتم المغير ألف، مشددة القاف. قال أبو عمرو: معناها: وكدتم. وقرأ أبو بكر، والمفضّل عن عاصم: (عقدتُم الخفيفة بغير ألف، والحتارها أبو عبيد. قال ابن جرير: معناه: أوجبتموها على أنفسكم. وقر ابن عامر: (عاقدتم الف، مثل (عاهدتم اقال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشددة لا تحتمل إلا عقد قول. فأما المخففة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول. وذكر المفسّرون في معنى الكلام قولين: أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم عليه قلوبكم في التعمد لليمين، قاله مجاهد. والثاني: بما عقّدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿ فَكُفَّارَنُّهُ ﴾ قال أبن جرير: الهاء عائلةٌ على الما، في قوله: ﴿ بِمَا عَقَّدَتُمُ ﴾

فصل

فأما إطعام المساكين، فروي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن في آخرين: أن لكل مسكين

⁽١) ابن جرير ١٩/١٠ عن عكرمة بمعناء، وخرجه السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ.

⁽٢) المسوح: جمع مسح بكسر فسكون: وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان.

 ⁽٣) الترمذي ٩٧/٤، وابن جرير ٥٢٠/١٥. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى البخاري ٢٠٧/٨ عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع النبي 響، وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن ننزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: ﴿يَكَأَيُّ الَّذِينَ مَامَنُواْ لَا تُحْيَمُوا كَمْ عَبْرُهُوا كَمْ اللهِ عَلَيْهُوا كَاللهُ اللهِ لَكُمْ إِلَيْنَ عَلَيْهُ وَاللهُ اللهِ لَكُمْ إِلَا لَهُ لَكُمْ إِلَى اللهِ عَلَيْهُ وَلَيْهُ اللهُ إِلَيْنَ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ وَلَيْهُ إِلَيْهُ لَكُمْ إِلَى اللهِ اللهِ عَلَيْهُ وَلَيْهُ إِلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَيْهُ إِلَيْهِ عَلَيْهُ وَلِيْ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

⁽٤) ابن جرير ١٠/ ٥١٩، وزاد السيوطي في «الدر المبتور» نسبته إلى ابن أبي حاتم.

مدَّ بُرٌّ، وبه قال مالك، والشافعي. وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكل مسكين نصف صاع من بُرّ، قال عمر، وعائشة: أو صاعاً من تمر، وبه قال أبو حنيفة. ومذهب أصحابنا في جميع الكفارات التي فيها إطعام، مثل كفارة اليمين، والظهار، وفدية الأذى، والمفرّطة في قضاء رمضان، مدَّ بُرِّ، أو نصف صاع تمر أو شعير. ومِن شرط صحة الكفارة، تمليك الطعام للفقراء، فإن غدًّاهم وعشًّاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جبير، والحكم، والشافعي. وقال الثوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك. ولا يجوز صرف مدّين إلى مسكين واحدٍ، ولا إخراج القيمة في الكفارة، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز. قال الزجاج: وإنما وقع لفظ التذكير في المساكين، ولو كانوا إناثاً لأجزأ، لأن المغلُّب في كلام العرب التذكير. وفي قوله: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُعْلِمِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ قولان: أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلى، وابن عباس، ومجاهد. والثاني: مِن أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، الحسن، وابن سيرين. وروي عن ابن عباس قال: كان أهل المدينة [يقولون]: للحُرِّ مِن القوت أكثر مما للمملوك، وللكبير أكثر ما للصغير، فنزلت ﴿وَنَّ أَوْسَطِ مَا نُتْلِمِنُونَ أَمْلِيكُمْ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسَّه. وفي كسوتهم خمسة أقوال: أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، والشافعي. والثاني: ثوبانْ، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيّب، والحسن، وابن سيرين، والضحاك. والثالث: إزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر. والرابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إبراهيم النخعي. والخامس: كسوة تجزئ فيها الصلاة، قاله مالك. ومذهب أصحابنا: أنه إن كسا الرجل، كساه ثوباً، والمرأة ثوبين، درعاً وخماراً، وهو أدنى ما تُجزئ فيه الصلاة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر: «أو كُسوتهم»، بضم الكاف. وقد قرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ (١٠): «أو كاسوتهم» بهمزة مكسورة، مفتوحة الكاف، مكسورة التاء والهاء. وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنهما فتحا الهمزة. قال المصنف: ولا أرى هذه القراءة جائزة، لأنها تسقط أصلاً من أصول الكفارة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ غَيْرِيرُ رَفَيُوْ كَ تحريرها: عتقها، والمراد بالرقبة: جملة الشخص. واتفقوا على اشتراط إيمان الرقبة في كفارة القتل لموضع النص. واختلفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين: أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيد. والثاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد رفي أيمان الرقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع، والمنذورة، روايتان.

قوله تعالى: ﴿ فَنَنَ لَذَ يَجِدَ ﴾ اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال: أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن. والثاني: ثلاثة درهم، قاله سعيد بن جبير. والثالث: إذا لم يجد إلا قَدْرَ ما يكفّر به، صام، قاله قتادة. والرابع: مِثتي درهم، قاله أبو حنيفة. والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته يومه وليلته، قاله أحمد، والشافعي. وفي تتابع الثلاثة أيام، قولان: أحدهما: أنه شرط، وكان أبيّ، وابن مسعود يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، وقتادة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا. والثاني: ليس بشرط، ويجوز التغريق، وبه قال الحسن، ومالك، وللشافعي فيه قولان.

ق**وله تعالى: ﴿**ذَالِكَ كَفَّنَرَةُ اَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمَّ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتم وحنثتم. وفي قوله: ﴿وَاَحْفَظُواْ آيَمَنْكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أقلّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْمَلُوا اللّهَ عُرْضَكَةً لِأَيْمَنِكُمْ﴾ وأنشدوا:

فليسل الألايسا حافظ ليسمسينه (٢)

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها. والثالث: راعوها لكي تؤدُّوا الكفارة عند الحنث فيها.

⁽١) هو معاذ بن الحارث أبو الحارث، ويقال: أبو حليمة، الأنصاري المدني المعروف بالقارئ. روى عنه نافع وابن سيرين، وحدث عنه نافع مولى ابن عمر، توفي بالحرة سنة ثلاث وستين، وهو ابن تسع وستين. وطبقات القراء الابن الجزري ٢/ ٣٠١.

⁽٢) وتمامه: وإن سبقت منه الأليَّة برت. والبيت لكثيِّر عرَّة. «ديوانه» ٢٢٠/٢، و«اللسان»: مادة «ألي»، ولم يتسبه.

﴿ كِنَائِهُا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّنَا الْمَتَدُ وَالْمَنْيِدُ وَالْأَصَابُ وَالأَرْائَمُ رِجْتُ بَنْ عَمَلِ الشَّيْطُنِ فَاجْتَيْبُوهُ لَمَلَّكُمْ تُعْلِحُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يُكَانُّهُ ۚ الَّذِينَ ؞َامَنُوٓا إِنَّا لَفَتُر وَالْمَيْسُ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن سعد بن أبي وقاص أتى نفراً من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تحرم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجلٌ لَحْي (١١) جمل فضربه، فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه (٢). وقال سعيد بن جبير: صنع رجل من الأنصار صنيعاً، فدعا سعد بن أبي وقاص، فلما أخذت فيهم الخمرة افتخروا واستبُّوا، فقام الأنصاري إلى لحي بعير، فضرب به رأس سعد، فإذا الدم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النبي ﷺ، فنزل تحريم الخمر في قوله: ﴿ إِنَّا ٱلْمَتُرُ وَٱلْمَيْسُ﴾ إلى قوله: ﴿ تُلْلِحُونَ ﴾ (٣). والثاني: أن عمر بن الخطاب قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في (البقرة) فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في النساء ﴿لَا تَقَرَبُواْ ٱلصَّكَلُوٰةَ وَٱنتُرْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو ميسرة عن عمر^(؛). والثالث: أن أناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما تُمِلوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحَوًا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!! والله لو كان بي رؤوفاً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(ه). وقد ذكرنا الخمر والميسر في (البقرة)، وذكرنا في ^والنصب؛ في أوّل هذه السورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب. وذكرنا هناك الأزلام؟. فأما الرجس، فقال الزجاج: هو اسمٌ لكل ما استُقُذِرَ من عمل، يقال: رَجُس الرَّجل يرجُس، ورَجِسَ يَرْجَسُ: إذا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجس بفتح الراء: شدّة الصوت، فكأن الرِّجسَ، العملُ الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رعدٌ رجّاس: إذا كان شديد الصوت.

قوله تعالى: ﴿وَنَ مَلِ ٱلنَّيْطَنِ﴾ قال ابن عباس: من تزيين الشيطان. فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس من فعله؟ فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، المزّين له، ألا ترى أن رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله تعالى: ﴿ مَا جَيْبُوهُ ﴾ قال الزجاج: اتركوه. واشتقاقه في اللغة: كونوا جانباً منه. فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه، ذكره ابن الأنبارى.

﴿إِنْمَا يُرِيدُ الشَّيْطُنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَانَ وَالْبَغْضَاةِ فِ لَلْمَتِرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُلَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلَوَّ فَهَلَ أَنْمُ مُننَهُونَ ۖ وَالْمِينُ اللّهِ وَالْمَيْسُونَ اللّهِ وَالْمِينُ اللّهِ عَلَيْتُ اللّهِ اللّهِ عَلَيْتُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطُنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَّرَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي لَلْمَتْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أما «الخمر» فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمماراة. وأما الميسر، فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيُقدَرُ ويبقى حزيناً سِليباً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فِيكسبه ذلك العداوة والبغضاء.

⁽١) لحي الجمل، يفتح اللام ومكون الحاء، وهما لحيان، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل القم

⁽٣) - ابن جرير ١٠/٥٦٩، و«المسندة ٣/ ٨٢، ومسلم ٤/ ١٨٧٧، و«سنن البيهقي» ٨/ ٢٨٥، و«الناسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر النحاس ٤٠.

 ⁽٣) لم نجد هذا الخبر عن سعيد بن جبير في شيء من المراجع التي بين أيدينا.

 ⁽³⁾ فالمسئلة ٣١٦/١، وقسنن أبني داودة ٣/ ٤٤٤، وقسنن النسائي، ٣٨٦/٨، والترمذي ٩٨/٤، والطبري ١٩٨/٠، وقسنن البيهقي، ٨/ ٢٨٥، وقالناسخ والمنسوخ، للنحام. : ٣٩. ونقل الحافظ في «الفتح» وابن كثير في «التفسير» تصحيحه عن علي بن المديني والترمذي.

ه) ابن جرير ١٠/١٠، وهمنن البيهقي، ٨/ ٢٨٥، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٤١، قال الذهبي: قلت: صحيح على شرط مسلم. وخرجه الهيثمي في
 همجمع الزوائد، ١٨/٧ وقال: رواء الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَهَلَ أَنْمُ مُنتُهُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه: الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: ردّد علي أعرابيّ: هل أنت ساكتّ، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى: الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: لم يحرّمها، إنها قال: ﴿فَهَلَ أَنّهُ مُنتُونَ﴾، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم ننته، فلما نزلت ﴿قُلْ إِنّها حَرِّمَ رَبّي الْفَوَيَصَ مَا ظَهَرَ مِنّها وَمَا بَعَمْ وَالْأَوْلُ أَسْمَ مُنافِونَهَ وَالْعَرافُ. عَنْ الْفَوْلُ فَيْ الْفَوْلُ لَيْسٍ بشيء والأوّل أصح.

قوله تعالى: ﴿وَاَلِيمُوا اللَّهَ وَاَطِيمُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمرَاكم، واحذروا خلافهما ﴿فَإِن تُوَلِّتُمْ ﴾ أي: أعرضتم، ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنا﴾ محمد ﴿الْبَلَنُعُ الشِّينُ﴾ وهذا وعيدٌ لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققتم العذاب لتوليكم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ مَاسَوُا وَعَسِلُوا العَنلِمَتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَيْمُوّا إِذَا مَا انْغَوَا وَمَاسَئُوا الطَّلِحَتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَمَاسَئُوا ثُمَّ انْغُوا وَأَحْسَنُوا وَلَمَّهُ بِجُبُّ النَّمْدِينَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِيلُوا ٱلطَّلِحَتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَمِمُواَ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب (١٠). و «الجناح»: الإثم. وفيما طعموا ثلاثة أقوال: أحلها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، والجمهور. قال ابن قتية: يقال: لم أطعم خُبزاً وأدماً ولا ماءً ولا نوماً. قال الشاعر:

ف إن شنت حرَّمتُ النِّساء سِواكُم وإن شنتِ لم أَطْعَمْ نُقَاحاً ولا بَرْدَا(٢)

النقاخ: الماء [البارد] الذي ينقخ الفؤاد ببرده، والبرد: النوم. والثاني: ماشربوا من الخمر وأكلوا من الميسر. والثالث: ما طعموا من المباحات. وفي قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّغَوا ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوا بعد التحرم، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا المعاصي والشرك. والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره. وفي قوله: ﴿وَمَامَنُوا ﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله ورسوله. والثاني: آمنوا بتحريمها. ﴿وَعَكِيلُوا الْفَكَلِكَةِ ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ اَنَّقُوا﴾ في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال: أحدها: أن المراد خوف الله ﷺ. والثاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم. والثالث: أنها الدوام على التقوى. والرابع: أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم، والثانية لمن شربها بعد التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَمَامَنُوا ﴾ في هذا الإيمان المُعاد قولان: أحدهما: صدَّقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ. والثاني: آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ اَتَّقُوا رَّاحْسَوُاً ﴾ في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال: أحدها: اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا ظلم العباد. والثالث: توقوا الشبهات. والرابع: اتقوا جميع المحرّمات. وفي الإحسان قولان: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل.

﴿ يَمَانُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَنْهُونِكُمُ اللَّهُ بِغَيْءٍ وَيَنَ الصَّيْدِ تَنَالُتُهُ الَّذِيكُمْ وَرِمَاشَكُمْ لِيَشَكَرْ اللَّهُ مَن يَعَافُمُ بِالْفَيْبِ ۚ فَمَن اعْتَدَىٰ بَشَدَ دَلِكَ فَلَمُ عَذَاكُ الَّذِيمُ ۖ ۞﴾

⁽۱) امسند الطيالسي، ۱۸/۲، والطبري ۷۹/۱۰، والترمذي ۹۸/٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وخرجه السيوطي في الدر المنثور، ۲۳ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وروى البخاري ۲۰۹/۸، ومسلم ۱۶۸/۱۳ والسلم ۱۶۸/۱۳ والسلم ۱۶۸/۱۳ عن أنس ولي قال أبو طلحة: أخرج فانظر ما والنسائي ۸/۲۸۷ عن أنس ولي قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، قنزل تحريم الخمر، قام منادياً قنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت، فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فاهرتها، قال: فمرك المدينة، قال: وكانت خمرهم يومثر الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿ يَسَنَ كُلُّ اللَّذِينَ مَاتُوا وَهُم يشربونها فأنزلت ﴿ يَسَنُ طَلُ وَكُولُوا الشَّيْكُ بِنَا عَلِينَ عَالَ أَنْ الله وَ الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿ يَسَنُ طَلُ اللَّذِينَ مَاتُوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿ يَسَنُ اللَّذِينَ مَاتُوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿ يَسَنُ عَلَ اللَّذِينَ مَاتُوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿ يَسَنُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ وَعَلْ الْقَائِدَة عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

 ⁽۲) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عثمان العرجي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«اللسان» مادة:
 نقخ.

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُ اللَّهِنَ مَامَنُوا لِيَتِلْوَلْكُمُ اللَّهُ بِثَنَّهُ مِنَ المَنْتِدِ﴾ قال المفسّرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النبي على المنتعيم المنتعيم المنتعيم المنتعيم المنتعيم المنتخيم المنت

قوله تعالى: ﴿تَنَالُهُ آيَدِيكُمْ وَرِمَا مُكُمْ ﴾ قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصيد، والذي تناله الرماح: كبار الصيد.

قوله تعالى: ﴿لِيَمَلَرَ اللّهُ﴾ قال مقاتل: ليرى الله من يخافه بالغيب ولم يَره، فلا يتناول الصيد وهو مُحرم ﴿فَمَنِ اَصَّتَكُنَ﴾ فأخذ الصيد عمداً بعد النهي للمُحرِم عن قتل الصيد ﴿فَلَهُمْ عَدَابٌ اَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يوسع بطنه وظهره جلداً، وتسلب ثيابه.

﴿ كَائَيُّنَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ لَا تَشْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمُ ۚ وَمَن تَلَاثُو مِنكُم مُتَّعَيْدًا فَخَرَاتُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِن النَّسَرِ يَسْكُمْ مِدِدَ ذَوَا عَدْلِ فِينكُمْ مَدَيًا بَدَلِغَ ٱلْكَتَّبَةِ اَوْ كَافَدَرَةٌ طَمَادُ مَسَكِكِينَ أَوْ حَدَلُ ذَلِكَ صِبِيامًا لِيَدُوقَ وَبَالَ أَشْرِدُ حَمَّا اللَّهُ حَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَسْنَتِمُ اللَّهُ عَيْدُهُ وَاللَّهُ عَيْدٌ ذُو انبِقَسَامٍ ۖ ۖ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ تَتَنَّلُواْ اَلمَنَيْدَ وَانَتُمْ مُومُمُّ ﴾ بيّن الله ظَنَّ بهذه الآية من أيّ وجهٍ تقع البلوى، وفي أيّ زمانٍ، وما على من قتله بعد النهي؟. وفي قوله: ﴿وَإَنَّمُ مُومُ ۗ ثلاثة أقوال: أحدها: وأنتم محرمون بحج أو عمرة، قاله الأكثرون. والثاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجداً. والثالث: الجمع بين القولين.

قوله تعالى: ﴿وَمَن قَلْلَمُ مِنكُم مُّتَكِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يتعمّد قتله ذاكراً لإحرامه، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتعمد قتله ناسياً لإحرامه، قاله مجاهد. فأما قتله خطأ، ففيه قولان: أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور. قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السُنة في الخطأ، يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمّد في جوب الجزاء. وروي عن النبي على أنه قال: «الضبع صيد وفيه كبش إذا قتله المحرم) (٢٠ وهذا عام في العامد والمخطئ. قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختص ذلك بالعامد. والثاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداود. وعن أحمد روايتان: أصحهما الوجوب.

قوله تعالى: ﴿ فَجُزَاتُ مِنْكُ مَا فَتَلَ مِنَ النَّمَوِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمور، وابن عامر: «فجزاءُ مِثْلِ مضافة وبخفض «مثل». وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «فجزاءً منون «مثل» مرفوع. قال أبو علي: من أضاف، فقوله: ﴿ مِن النَّمِ ﴾ يكون صفة للجزاء، وإنما قال: مثل ما قتل، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أُكرِمُ مثلك، يريدون: أنا أُكرِمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومَن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول، والتقدير: فعليه جزاء. قال ابن قتيبة: النعم: الإبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإبل، وقال الزجاج: النعم في اللغة: الإبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نعم، وإن انفردت البقر والغنم، لم تسم نعماً.

فصل

قال القاضى أبو يعلى: والصيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللحم، كالغزال، وحمار الوحش،

التنميم: موضع بين مُرِّ وسُرِف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنميم يحرم من أراد العمرة.

 ⁽٢) نسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧ إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

أبو داود ٢/ ٤٨٥، وابن ماجه ٢/ ١٠٣٠، والدارقطني ٢٦٦١، والبيهقي ١٨٣٠، والحاكم ٢/ ٤٥٣، ٤٥٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. ورواه النسائي ٥/ ١٩١، والترمذي ٢٠٤١ ولفظه عن ابن أبي عمار قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع، فأمرني بأكلها. قلت: أصيد هي؟ قال: نعم. قلت: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال في «هلله الكبيره: سألت عنه البخاري فصححه، وقال البيهقي: هو حديث جيد تقوم به الحجة.

والنعامة، ونحو ذلك، أو كان متولداً من حيوان يؤكل لحمه، كالسَّمع، فإنه متولّد من الضبع والذئب، وما عدا ذلك من السباع كلها فلا جزاء على قاتلها؛ سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه، فقتلها دفعاً عن نفسه، لأن السبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية، ولأن النبي على أجاز للمحرم قتل الحيّة، والعقرب، والفويسقة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسَّبع العادي (1). قال: والواجب بقتل الصيد فيما له مثلٌ من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة، وظاهرُ الآية يردُ ما قال، ولأن الصحابة حملوا الآية على المثل من طويق الصورة، فقال ابن عباس: المثل النظير، ففي الظبية شاة، وفي النعامة بعير.

قوله تعالى: ﴿ يَعَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلِ مِنكُمْ ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

قوله تعالى: ﴿ مِنكُمْ ﴾ يعني: من أهل ملتكم.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَيَّا بَالِغَ ٱلكَتَبَةِ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدّراً أنْ يهدى. ولفظ قوله «بالغ الكعبة» لفظ معرفة، ومعناه: النكرة. والمعنى: بالغاً الكعبة، إلا أن التنوين حُذف استخفافاً. قال ابن عباس: إذا أتى مكّة ذبحه، وتصدّق به.

قوله تعالى: ﴿أَذَ كُنُّرَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أَدْ كُنُّرَةٌ﴾ منوناً ﴿ طَمَاهُ﴾ رفعاً. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿أَدْ كُنُّرَةٌ﴾ رفعاً غير منزن الطعام مو الكفارة، ولم يضف الكفارة إلى الطعام، لأن الكفارة لقتل يضف، جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان، لأن الطعام، فو الكفارة، ولم يضف الكفارة إلى الطعام، والكفارة إلى الطعام، فلأنه لما خير المكفّر بين الهدي، والطعام، والصيام، جازت الإضافة لذلك، فكأنه قال: كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعامُ مساكين. وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظير، أو قيمة الصيد؟ فيه قولان: أحدهما: قيمة النظير، وبه قال عطاء، والثاني، وأحدد. والثاني: قيمة اللهام لكل مسكين قولان: أحدهما: مدّان من بُرٌ، وبه قال ابن عباس، وأبو حنيفة، والثاني: مُذَّ برٍ، وبه قال الشافعي، وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله تعالى: ﴿أَرْ عَنْكُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ قرأ أبو رزين، والضحاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: ﴿أَوْ عِدْلُ ذَلِكَ، بكسر العين. وقد شرحنا هذا المعنى في (البقرة). قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدّ بُرّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يوماً. وقال أبو حنيفة: يصوم يوماً عن كلُّ مدَّ من الجميع.

فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب، أم على التخيير؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير، وبين الصيام، وبين الإطعام. والثاني: أنه على الترتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعاماً، فإن كان معسراً صام، قاله ابن سيرين. والقولانِ مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال جمهور الفقهاء.

⁽١) روى البخاري ٢٠/٤، ٣٢، ومسلم ٢/ ٨٥٧، والترمذي ١٠٣/، والنسائي ٥/ ١٨٨، وابن ماجه ١٠٣١/٢ عن عائشة في أن رسول الله قلق أل: وخمس فواسق يقتلن في الحرم، القارة، والمقرب، والقراب، والجداة، والكلب المقور، ورواه البخاري ومسلم من طريق ابن عمر مرفوعاً ولفظه: وخمس من اللواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: المقرب، والقارة، والكلب المقور، والغراب، والحداة، وقول المصنف والفريسقة، يريد بها الفارة، وقد وردت اللفظة في البخاري من حديث جابر. وقؤله: «السبع المعادي، هو قطعة من حديث، قال الحفاظ في «التلخيص» ٢٢٤/١: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في حديث. وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف وإن حسته الترمذي، وفيه لفظة منكرة وهي قوله: وويمي الغراب ولا يقتله». وأما الحية، فقد روى مسلم ٢٢٥٠ عن عائشة مرفوعاً وخمس فواسق يقتلن في الحلّ والحرم: الحية والغرب الأبقع، والفارة، والكلب المقور، والحديًا». وروى مسلم أيضاً من حديث ابن مسمود أن النبي تقل أمر بقتل حية وهو بعني.

قوله تعالى: ﴿ لِيَدُوقَ وَبَالَ أَسْرِقِ ﴾ أي: جزاء ذنبه. قال الزجاج: «الوبال»: ثقل الشيء في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيلٌ: إذا كانا ثقيلين. قال الله ﷺ: ﴿ قَأَخَذَتُهُ أَخَذَا وَبِيلَ﴾ المزمل: ١٦] أي: ثقيلاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿ عَنَا اللهُ عَنَا سَلَتَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما سلف في الجاهلية، من قتلهم الصيد، وهم محرمون، قاله عطاء. والثاني: ما سلف من قتل الصيد في أوّل مرّة، حكاه ابن جرير، والأول أصح. فعلى القول الأول يكون معنى قوله: ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ في الإسلام، وعلى الثاني: ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ ثانية بعد أولى. قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد:

إن يستمعوا ريبة طاروا بها فرحاً وإن ذُكِرتُ بستوء عسدهم أذِنُوا(١)

قوله تعالى: ﴿ فَهَنَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة، وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد. وقد روي عن ابن عباس، والنخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثاني، إنما وعد بالانتقام.

﴿ أَيِلَ الْكُمْ مَتَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَمَامُهُ مَتَكَا لَكُمْ وَلِلْكَيَّارَةٌ وَهُوْمٌ عَلَيْكُمْ مَتِدُ ٱلْبَرِ مَا ذُمْتُمْ حُومًا وَالْتُمُوا الله الْمَنْدِع وَالنَّمساح، لأن التمساح يأكل قوله تعالى: ﴿ أَيِلَ لَكُمْ مَتَيْدُ ٱلْبَكِم كَنْ التمساح يأكل الناس يعني: أنه يَفْرِسُ. وقال أبو حنيفة، والثوري: لا يباح منه إلا السمك. وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كلُّ ما فيه من ضِفْدِع وغيره. فأما طعامه، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما نبذه البحر ميّتاً، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة. والثاني: أنه مليحة (٢٠)، قاله سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والسدّي. وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين. واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح وما لفظه. والثالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البرّ، وإنما قبل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بائه، حكاه الزجاج. وفي المتاع قولان: أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنه الحلّ، قاله النخعي. قال مقاتل: متاعاً لكم، يعني: المقيمين، وللسيارة، يعني: المسافرين.

قوله تعالى: ﴿ وَمُوْمَ عَلَيْكُمُ مَسَدُ ٱلْبَرِ مَا دُسُتُم حُومًا ﴾ أما الاصطياد، فمحرّم على المحرم، فإن صيد لأجله، حَرُم عليه أكله خلافاً لأبي حنيفة، فإن أكل فعليه الضمان خلافا لأحد قولي الشافعي. فإن ذبح المُحرم صيداً، فهو ميتة خلافاً لأحد قولي الشافعي أيضاً. فإن ذبح الحلال صيداً في الحرم، فهو ميتة أيضاً، خلافاً لأكثر الحَنفيّة.

﴿ حَمَلَ اللَّهُ الْكَفْبَــةَ الْبَيْتَ الْمُكَرَامَ فِينَا لِلنَّاسِ وَالنَّهْرَ الْحَرَامُ وَالْمَدَى وَالْفَاتِيدُ ذَلِكَ لِتَمْلُمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَدُوتِ وَمَا فِي اللَّذَيْنِ وَأَنْ اللَّهَ عَلْوُرٌ رَحِيدٌ ﴿ ﴾ وَمَا فِي اللَّهُ عَنْوُرٌ رَحِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ عَمَلَ اللّهُ ٱلكَفْيَكَ ﴾ جعل بمعنى: صيّر. وفي تسمية الكعبة كعبة قولان: أحدهما: لأنها مربعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثاني: لمُلوها ونتوثها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب: إذا نتأ ثديها. ومعنى تسمية البيت بأنه حرام: أنه حَرُم يصاد عنده، وأن يختلى ما عنده من الخلا، وأن يُعضَدَ شجرُه (٣٠)، وعظمت حرمته. والمراد بتحريم

مسنسي ومسا سسمسعسوا مسن صسالسح دفسنسوا

ربعد البيت:

وإن ذكرت بسشر عسنسده م أذنسوا

صحم إذا سعم عدوا خديرا ذكرت به جمالاً عمل عملون المستاد وجبيناً عن عملوهم

(٢) المليح: على وزن فعيل: هو المملح، يقال: سمك مليح ومملوح ومملّح.

⁽۱) البيت لقمنب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه: ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو من جملة أبيات قالها في أناس من قومه، كانوا يناصبونه العداوة، ويتتبعون عثراته، ويشهرونها في الناس. وهو في همجاز القرآن» / ١٧٧/، وقالحماسة» ٣/ ١٤٥٠ وقالسمط» / ٣٢٦، وقالاتضاب» ٢٩٢، وقشواهد المغني، للسيوطي: ٣٢٦، وقشرح المضنون به ٤٧٠، وقاللسان»: أذن. ورواية الشطر الثاني في المراجع التي ذكرت آتفاً عدا قمجاز القرآن»:

٣) روى البخاري ٤٠/٤ عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿إِنْ الله حرَّم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلَّت لي ساعة من نهار، ولا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرّف، قال العباس: يا رسول الله إلا الأذخر لصاغتنا =

البيت سائرِ الحرم، كما قال: ﴿ هَدَيًا بَلِغَ ٱلكَثَبَةِ ﴾ وأراد: الحرم (١). والقيام: بمعنى القوام. وقرأ ابن عامر: قيما بغير الف. قال أبو علي: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدراً، كالشبع، أو حذف الألف وهو يريدها، كما يُقصر الممدود. وفي معنى الكلام ستة أقوال: أحلها: قياماً للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: قياماً لأمرِ مَن توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس. قال قتادة: كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها، لم يُتناول، أولم يُقْرَب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام، لم يعرض له ولم يقربه، وكان الرجل إليها، لم يُتناول، أولم يُقْرَب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام، لم يعرض له ولم يقربه، وكان الرجل فمنعته من الناس حتى يأتي أهله. حواجز ألقاها الله بين الناس في الجاهلية] (٢). والثالث: قياماً لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستُقْبِلت، قاله الحسن. والرابع: قوام دينا وقوام دين، قاله أبو عبيدة (٣). والخامس: قياماً للناس، أي: مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزجاج. والسادس: قياماً لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها، ذكره بعض المفسرين. فأما الشهر الحرام، فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بغضاً فيها، فكان ذلك قواماً لهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً أو قلد بعيره أمِنَ كيف تصرّف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى لِتَمَلَوْا ﴾ ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأتكم به عن الله يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا تخفى عليه خافية. والثاني: أن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها، وتأخذ الأموال بغير حقها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشهر الحرام، كفّوا عن القتل. والمعنى: جعل الله الكعبة أمناً، والشهر الحرام أمناً، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتاً يزول فيه الخوف لهلكوا، فذلك يدل على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والثالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكة في الشهور المعلومة فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك والثالث: أن الله تعالى جعل مكة أمناً، وكذلك الشهر الحرام، فإذا دخل الظبي الوحشي الحرم، أنس بالناس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب، فإذا خرجا عن حدود الحرم، طلبه الكلب، وذعر هو منه، والطائر يأنس بالناس في الحرم، ولا يؤال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا قرب منه عدل عنه، ولم يطر فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجع طرح نفسه على ولا يؤال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا قرب منه عدل عنه، ولم يطر فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجع طرح نفسه على سقف البيت استشفاء به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشهر قد دللن على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض.

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَثُمُّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا نُبْتُوذَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَثَةُ﴾ في هذه الآية تهديدٌ شديد. وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شُريح بن ضُبيعة وأصحابه، وهم حجاج اليمامة حين همّ المسلمون بالغارة عليه، وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وقبورنا. قال: «إلا الإذخر» قال الحافظ: وقوله: «ولا يختلي خلاها» بالخاء المعجمة، والخلى: مقصور، وذكر ابن النين أنه وقع في رواية القابسي
 بالمد، وهو الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه. وقوله «لا يعضد» أي: لا يقطع. قوله «الاذخر» هو نبت معروف عند أهل مكة طيب الربح، له أصل مندفن، وقضبان دقاق، ينبت في السهل والحزن، وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب، ويسدون الخلل بين اللبنات في القبور» ويستعملونه بدلاً من الحلقاء في الوقود.

⁽۱) حد حرم مكة، من طريق المدينة: ثلاثة أميال هند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت نفار، وهي دون التنعيم، ويعرف الآن بمساجد عائشة. وحده من طريق المبدن سبعة أميال على ثنية خل بالمقطع. وحده من الجعرانة: تسعة أميال في شعب عبد الله بن خالد، وحده من طريق جدة: هشرة أميال عند منقطع الأعشاش. وحده من طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة: سبعة أميال عند طرف عرفة، وحده من بطن عرفة: أحد عشر ميلاً. عن «مفيد الأنام» ١٥٥/١.

⁽۲) الخبر في الطبري ۲۱/ ۹۳، والزيادة منه.

⁽٣) الذي في «مجاز القرآن» ١/٧٧٠: «جعل الله البيت الحرام قياماً للناس؛ أي: قواماً. وقال حميد الأرقط: قِوام دنيا وقوام دين.

وهل هذه الآية محكمة، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدل على أن الواجب على الرسول التبليغ، وليس عليه الهُدى. والثاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السيف(١).

﴿ فُل لَا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالْطَيْتُ وَلَوْ اَعْجَكَ كُفَّةُ الْخَبِيثُ قَاتَتُوا اللَّهَ يَتَأْوَلِ الْأَلْبَنبِ لَمَلَّكُمْ ثَلْلِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِى ٱلْغَيِثُ وَالْلَيِّبُ﴾ روى جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: إن الله لا يقبل إلاّ الطيب، فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ أن وفي الخبيث والطيب أربعة أقوال: أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: المؤمن والكافر، قاله السدي. والثالث: المطيع والعاصي. والرابع: الرديء والجيّد، ذكرهما الماودي. ومعنى الإعجاب هاهنا: السرور بما يتعجّب منه.

﴿ يَكَانُهُمُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَشْعَلُوا مَنْ أَشْبَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤُكُم ۚ وَإِن تَشْعَلُوا عَنْهَا حِينَ يُسْزَلُ الفُرْءَانُ ثُبُدَ لَكُم مَّمَا اللهُ عَنْهُ وَاللهُ عَنْهُ وَاللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

قوله تعالى: ﴿لاَ تَسْتُواْ عَنُ آشَيْلَة إِن بُّدُ لَكُمْ تَسُوْكُمْ ﴾ في صبب نزولها ستة أقوال: أحلها: أن الناس سألوا النبي على احتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فقال: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيءٍ ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم، فقام رجل من قريش، يقال له عبد الله بن حُذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله مَن أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، إنّا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم مَن أباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة (٣)، وقتادة عن أنس (٤). والثاني: أن رسول الله على خطب الناس، فقال: ﴿إن الله كتب عليكم الحج»، فقام عكاشة بن مُحصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: ﴿أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لمضللتم، اسكتوا عني ما سكتُ عنكم، فإنما هلكَ من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أبيائهم»، فنزلت هذه الآية»، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة (٥). وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس (١) والثالث: أن قوماً كانوا يسألون رسول الله على استهزاء، فيقول الرجل: مَن أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجورية عن ابن عباس (٧). والرابع: أن قوماً سألوا رسول الله على عن البحيرة، والسائبة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجورية عن ابن عباس (٧). والرابع: أن قوماً سألوا رسول الله على عن البحيرة، والسائبة،

⁽١) القول الأول هو الصحيح، لأن الآية خبر، وهو لا يقبل النسخ، والقصر فيها إضافي يراد به تقرير أن الرسول ﷺ ليس مكلفاً إيجاد الإيمان في قلوبهم، إذ هذا ليس في مقدور أحد سوى الله جل جلاله.

⁽۲) «أسباب النزول» ص۱۲۰ للواحدي.

⁽٣) الطبري ١٠٣/١١ من طريق عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة. وعبد العزيز: هو عبد العزيز بن أبان الأموي من ولد سعيد بن العاص، ذكره الذهبي في «الميزان»، وقال عه: أحد المتروكين، وكذبه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: فيه نظر. وقيس: هو ابن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي صدوق تغير لما كبر. على أن ابن كثير نقله في «تفسيره» ٢/ ١٠٥ عن الطبري، وقال: إسناده جيد.

⁽٤) البخاري ١٣٠/ ٢٣٠، ومسلم ١٨٣٤/٤، وابن جرير ١١/ ٧٩ بألفاظ مقاربة وبأطول مما رواه المصنف. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤ نسبته إلى ابن حميد، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

⁽٥) ابن جرير ١٠٥/١١ رسنده حسن، وفيه (فقام محصن الأسدي» في الرواية الثانية (عكاشة بن محصن الأسدي». ورواه أحمد في المسند ٢٠٥/١ ومسلم ٢٠٥/١٢، والسائل رجل، ولم يبين في الخبر اسمه، وليس فيه ذكر الآية ونزولها، ولفظه (خطبنا رسول الله ﷺ: قال: فأيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: الو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: فروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم يكثرة سؤالهم، واختلائهم على أنبياتهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه. وقد أشار الحافظ في «الفتح» ٢٢٠/٢٢ إلى هذا الحديث، وما فيه من زيادة السؤال عن الحج، ثم قال: وأخرجه الدارقطني مختصراً، وزاد فيه إلى المطبى في «التضير».

⁽٦) قال النوري في فشرح مسلم؟ ٩/ ١٠١: •هذا الرجل هو الأقرع بن حابس، كذا جاء مبيناً في غير هذه الرواية، قلت: الرواية التي جاء فيها مبيناً هي من حديث ابن عباس عند أحمد في «المسند» ٤/٤، ٤٢٤، ٤/٢١، ١٧٥.

⁽٧) البخاري: ٨/٢١٢، والطبري: ٩٨/١١، وأبو الجورية: هو حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح بن عرعرة الجرمي، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة.

والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاد عن ابن عباس^(۱)، وبه قال ابن جبير. والخامس: أن قوماً كانا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة. والسادس: أنها نزلت في تمنيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذِنَ لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: «أشياء» في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف. و«تبد لكم»: تظهر لكم، فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه. وقال ابن عباس: إن تبد لكم، أي: إن نزل القرآن فيها بتغليظ، ساءكم ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَسَكُوا مَنْهَا حِينَ يُسَنَّلُ آلَثُرَةَ انْكُ أَي عين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتم حيننذِ عنها تبد لكم. وفي قوله: ﴿ عَنَا اللّهُ عَنْهُا ﴾ قولان. أحدهما: أنه إشارة إلى الأشياء. والثاني: إلى المسألة. فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. وعلى القول الثاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

﴿ فَدْ سَأَلُهَا قَوْمٌ مِن مَبْلِكُمْ ثُدَّ أَسْبَحُوا بِهَا كُنبِينَ ١

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَالَهَا قُرُمٌ مِن قَبِلِحَكُم ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوال. أحدها: أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، الحسن. والثاني: أنهم قوم صالح حين سألوا الناقة، هذا على قول السدي. وهذان القولان يخرجان على أنهما سألوا الآيات. والثالث: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزأت، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم، قاله ابن زيد. وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدّد عليهم بالزيادة في الفرض لشدّد. والرابع: أنهم الذين قالوا لنبيّ لهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضاً، وهو يخرج على من قال: إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنياً لذلك. قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذ أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدّقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين.

﴿ مَا جَمَلُ اللَّهُ مِنْ يَجِيرَةِ وَلَا صَالِبَةِ وَلَا وَسِيلَةِ وَلَا عَالْمٍ وَلَكِئَ الَّذِينَ كَثَرُوا يَشْتُرُونَ عَلَ اللَّهِ ٱلكَذِبُّ وَٱكْتَرَاهُمْ لَا يَشْتِلُونَ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿مَا جَمَلَ اللهُ مِنْ يَعِيرَ ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به. وفي «البحيرة» أربعة أقوال. أحدها: أنها الناقة إذا نُتِجَتْ خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنشى شقوا أذنها، وكانت حراماً على النساء لا ينتفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتية. والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيتغيدون إلى الخامسة، فيَبْتِكُون أذنها، قاله عطاء. والثالث: أنها ابنة السائية، قاله ابن إسحاق، والفراء. قال ابن إسحاق: كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس فيهن ذكر، شيبت، فإذا نُتِجَتْ بعد ذلك أنثى، شقت أذنها، وسميت بحيرة، وخليت مع أمها. والرابع: أنها الناقة كانت إذا نُتِجَتْ خمسة أبطن، وكان آخرها ذكرا بحروا أذنها، أي: شقّوها، والسائبة ما مركبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها لم يركبها، قاله الزجاج. فأما «السائبة» أنها التي تُسيّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجزّون منها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يُسيّب من ماله ما شاء، فيأتي به

⁽۱) ابن جرير: ١١/ ١١١ من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس وخرجه السيوطي في «الدر المتثور» ٣٣٦/٢ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه وخصيف: هو خصيف بن عبد المرحمن الجزري. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، سيء الحفظ، خلط بآخره، رمى بالإرجاء.

 ⁽۲) روى البخاري ۲۱۳/۸، ومسلم ۲۱۹۲٪ عن أبي هريرة 處 قال: قال رسول ا協 婆 (أيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب، وروى البخاري ۱۱۶٪ عن عائشة قالت: قال رسول ا協 婆: (رأيت جهنم يعطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب، والقصب، بضم القاف وسكون الصاد المهملة: الأمعاء.

خزنة الآلهة، فيطعمون ابن السبيل من ألبانِه ولحومه إلا النساء فلا يطعمونهن شيئًا منه إلا أن يموت، فيشترك فيه الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الشعبى: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجلٌ، فإن مات منها شيءٌ أكله الرجال والنساء. والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث، سيّبت، فلم تركب، ولم يجز لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدُها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء. والرابع: أنها البعير يُسيّب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله تعالى من مرض، أو بلّغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قتيبة. قال الزجاج: كان الرجل إذا نذر لشيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى. والخامس: أنه البعير يحج عليه الحجة، فيُسيّب، ولا يستعمل شكراً لنجحها، حكاه الماوردي عن الشافعي. وفي االوصيلة؛ خمسة أقوال: أحدها: أنها الشاة كانت إذا نُتِجَتْ سبعة أبطن، نظروا إلى السابع، فإن كان أنثى، لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً، ذبحوه، فأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فتترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وذهب إلى نحوه ابن قتيبة، فقال: إن كان السابع ذكراً، ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تركت في النعم، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح لمكانها، وكانت لحومها حراماً على النساء، ولبن الأنثى حراماً على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء. والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر^(١) في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تثنّى بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويَدْعونها الوصيلة، أي: وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيّب. والثالث: أنها الشاة تنتج عشر إناثٍ متتابعاتٍ في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين^(٢) عناقين، فإذا ولدت في سابعها عناقاً وجدياً، قيل: وصلت أخاها، فجَرت مجرى السائبة، قاله الفراء. والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، قاله الزجاج. وفي االحام؛ ستة أقوال: أحدها: أنه الفحل، ينتج من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم، ولا يحملُ عليه، قاله إبن مسعود، وابن عباس، واختاره أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزُّون وبره، ولا يمنعونه ماءً، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثالث: أنه الفحر يظهر من أولاده عشر إناثٍ من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء. والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الذي لصلُبه عشرة كلها تضرِب في الإبل، قاله أبو روق. والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين، فيخلَّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي عن الشافعي. قال الزجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما روينا عن أهل اللغة. وقد أعلم الله ﷺ في هذه الآية أنه لم يحرّم من هذه الأشياء شيئًا، وإن الذين كفروا افتروا على الله كَتُنَّا. قال مقاتل: وافتراؤهم: قولهم: إن الله حرَّمه وأمرنا به. وفي قوله: ﴿وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَتْقِلُونَ﴾ قولان: أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي. والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُنْ تَمَالُواْ إِلَىٰ مَا أَنْزُلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّمُولِ قَـالُواْ حَسَّبُنَامَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَّا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَمْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْدُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُولاء المشركين الذين حرَّموا على أنفسهم هذه الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرَّمتهم على أنفسكم، قالوا: ﴿ حَسْبُنَا﴾ أي: يكفينا ﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَّا ﴾ من الدين ﴿ وَلَا يَهْدُونَ ﴾ له، أيتّبعونهم في خطنهم.

⁽١) يقال: ابتكرت الحامل: إذا ولدت بكرها، وأثنت في الثاني، وثلثت في الثالث.

⁽٢) العناق: الأنثى من ولد المعز.

﴿ يَكَانُهُا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا عَلَيْكُمْ ٱنْسَكُمْمُ لَا يَغُرُّكُم مَن صَلَّ إِذَا ٱلْمَتَدَيَّدُ إِلَى اللَّهِ مَرْحِمْكُمْ جَيمًا فَيُسَيِّفُكُم بِمَا كُنتُمْ ضَمَلُونَ ۖ ﴿ قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا عَلَيْكُمُ أَنفُسَكُمُّ ۗ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ كتب إلى هَجَر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليُؤدُّوا الجزية، فلما أتاه الكتاب، عرضه على مَن عنده من العرب واليهود والنصاري والمجوس، فأقرُّوا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: "أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيّف، وأما أهل الكتاب والمجوس، فاقبل منهم الجزية» فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجباً لمحمدٍ يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هَجر، وأهل الكتاب الجزية، فهلاّ أكرههم على الإسلام، وقد ردُّها على إخواننا من العرب، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً، قبلها من مجوس هَجَر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن الرجل كان إذا أسلم، قالوا له: سفهت آباءك وضللتهم، وكان ينبغي لك أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضال، وليس بمهتدٍ^(١). وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلُها بعد. وقال ابن مسعود: تأويلُها في آخر الزّمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم(٢). وفي قوله: ﴿لَا يَعُمُّرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمُّ ۖ قولان: أحدهما: لا يضركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا اهديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قاله حُذيفة بن اليمان، وابن المسيّب. والثاني: لا يضرُّكم من ضل من أهل الكتاب إذا أدُّوا الجزية، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمُ بِمَا كُتُتُم تَمَمُلُونَ﴾ تنبيةٌ على الجزاء.

فصل

نعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسّرين إلى أنها منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه آية السيف. والثاني: أن آخرها نسخ أولها. روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لاَ يَشُرُكُمُ مَّن صَلَ ﴾ والناسخ: قوله: ﴿إِذَا مَتَدَيَّمُ مُن صَلَ ﴾ والناسخ: قوله: ﴿ إِذَا اللهُدى هاهنا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر (٣).

⁽٢) ابن جرير الطبري ١٣٩/١١، وذكر الهيثمي في «المجمع» ١٩/٧، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود.

 ⁽٣) ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه انواسخ القرآن، ورقة ٨٥ أربعة أشياء تدل على إحكام هذه الآية هي في إيجاز:

﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَاسَوُا شَهَدَهُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَمَّرَ لَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيئَةِ الْشَانِ ذَوَا عَدَلِ مِنكُمْ أَوْ مَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَسَدُّ ضَرَيْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصَنِبَتْكُم شُهِيبَهُ المَوْتُ غَيْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الفَّسَلَاةِ فَيُغْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ انْتَبَشَّدَ لَا نَشْتَرِى بِدِ ثَمَنَا وَلَوْ كَانَ فَا قُوْنٌ وَلَا نَكْتُدُ شَهَدَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَيْنَ الْأَثْنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيَّنِكُمْ ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان تميم الدّاري، وعدي بن بداء يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجلٌ من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جاماً كان معه من فضة، وكان مخوّصاً بالذهب، فقالا: لم نره، فأتي بهما إلى النبي ﷺ، فاستحلفهما باله: ما كتما، وخلى سبيلهما. ثم إن الجام وُجدَ عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الدَّاري، وعدي بن بداء، فقام أولياء السهمي، فأخذوا الجام، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق مِن شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها(١٠). قال مقاتل: واسم الميّت: بُزيلُ بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيين، فأسلم تميم، ومات عديٌ نصرانياً (٢٠. فأما التفسير، فقال الفراء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت^(٣). قال الزجاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فحذف «شهادة»، ويقوم «اثنان» مقامهما. وقال ابن الأنباري: معنى الآي: ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت، وأردتم الوصيّة اثنان. وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشهادة على الوصيّة التي ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور. والثاني: أنها أيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد. والثالث: أنها شهادة الوصيّة، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآةً إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣] جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيداً، واستدل أرباب هذا القول بقوله: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِأُشِّيهِ قالوا: والشاهد لا يلزمه يمينٌ. فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته. وقوله: ﴿حِينَ ٱلْوَسِيَّةِ﴾، أي: وقت الوصية. وفي قوله: «منكم» قولان: أحدهما: من أهل دينكم وملتكم، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وابن سيرين، والشعبي، وهو قولِ أصحابنا والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله الحسن، وعكرمة، والزهري، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ تقديره: أو شهادة آخرين من غيركم. وفي قوله: «من غيركم» قولان: أحدهما: من غير ملتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول. والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله أرباب القول الثاني. وفي «أَوْ» قولان: أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس، وابن جبير، والثاني: أنها للتخيير، ذكره الماوردي.

٢-أن الآية تدل على وجوب الأمر بالمعورف والنهي عن المنكر، لأن قوله: ﴿مَلْتِكُمْ أَنْشُكُمْ أَمْر بإصلاحها وأداء ما عليها، وقد ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدليل قوله الله فيها: ﴿ إِنَّا اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

٣ ـ أن الآية قد حملها قوم على أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، فحينتا. لا يلزمون بغيرها.

٤ ـ أنه لما عابهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة، أعلمهم بهذه الآية أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه، وأنه لا يضره ضلال غيره إذا كان مهتدياً،
 حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الذم والعقاب قال: وإذا تلمحت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هاهنا مدخل، وهذا أحسن الوجوه في الآية.

⁽¹⁾ البخاري ٣٠٧/٥ وابر داود: ٣٤١٨/٥، والترمذي ١٠٠/٤ وحسنه، وابن جرير ١٨٥/١١، والبيهقي في السنن، ١١٠/١٠. وخرجه السيوطي في الدر المنثور، ٢/ ٣٤٢، وزاد نسبته إلى ابن المنذر والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه. والجام: إناء من فضة. وقوله: (كان مخوصاً بالذهب أي: عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل وهو ورقه، والتخويص: أن يجمل على الشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل.

⁽٧) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي منسوب إلى جده الدار بن هانئ وقد على رسول الله 露 سنة تسع وأسلم، وكان تصرانياً، وأما عدي بن بداء، فكان نسرانياً، ويذكر أنه أسلم، لكن الحافظ ابن حجر صحح في االإصابة، في ترجمته أنه مات نصرانياً.

⁽٣) نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٢٣ يقول: شاهدان أو وصيان، وقد اختلف فيه، ووقع الأثنين الشهادة، أي: ليشهدكم اثنان من المسلمين.

فصل

فالقائل بأن المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إحْكَامِ هذه الآية. فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿ أَوْ مَا هَرَكُمُ ﴾ أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصيّة في السفر، فلهم فيها قولان: أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عباس، وابن المسيب، وابن جبير، وابن سيرين، وقتادة، والشعبي، والثوري، وأحمد في آخرين. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدّلٍ مِنكُو ﴾ وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول، والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنفاس والاستهلال (۱۰).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ مَرَيِّتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الشرط متعلق بالشهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم. ﴿فَآَمَنِتُكُم تُصِيبَةُ الْمُوْتِ ﴾ فيه محلوث ، تقديره: وقد أسندتم الوصية إليهما، ودفعتم إليهما ما لكم ﴿غَيْسُرَتُهُمَا مِنْ بَقِدِ السَّلَوَةِ خطابٌ للورثة إذا ارتابوا. وقال ابن عباس: هذا من صلة قوله: ﴿أَو آخران من غيركم »، أي: من الكفار. فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال شريح، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والشعبي. والثاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السدي عن ابن عباس (٢)، وقال به. وقال الزجاج: كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت يعظمه أهل الأديان.

قوله تعالى: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ ﴾ أي: فيحلفان ﴿ إِن آرَبّتُمّ ﴾ أي: شككتم يا أولياء الميت. ومعنى لآية: إذا قَدِم الموصى إليهما بتركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلفا بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا. فالشرط في قوله: إن ارتبتم مبعلق بتحبسونهما، كأنه قال: إن إرتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله: ﴿ لاَ تَشْتَرَى بِيهُ أَي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فالهاء عائدة على المعنى. ﴿ فَكَنّا ﴾ أي: عرضاً من الدنيا ﴿ وَلَوْ كَانَ فَا قُرْبُهُ ﴾ أي: ورضاً من الدنيا ﴿ وَلَوْ كَانَ فَا قُرْبُهُ ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخص ذا القزابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحداً، ولانميل مع ذي القربى في قول الزور. ﴿ وَلَا تَكْثُرُ شُهَدَةً اللّهِ إِنَما أَضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونيهه عن كتمانها، وقرأ سعيد بن جبير: قولا نكتم شهادة التنوين والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني فشهادة النون في الوصل. وقرأ معيد بن المسيب، وعكرمة فشهادة المائتوين والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني فشهادة المائنا في الوصل في الوصل فالله الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء. وقرأ الشعبي، وابن السميفع فشهادة المائين وإسكانها في الوصل في الوصل فالله الهمزة ، ومدّها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العالية ، وعمرو بن دينار مثله، إلّا أنهما نصبا الهاء. واختلف العلماء لأي موسى الأشعري. والثاني: لوصيّة وقعت بخط الميّت وفَقَدَ وَرَثَتُهُ بعض ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن المعنى عن أبي موسى الأشعري. والثاني: لوصيّة وقعت بخط الميّت وفَقَدَ وَرَثَتُهُ بعض ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عاس. والثالث: لأن الورثة كاتوا يقولون: كان مال ميّتنا أكثر، فاستخانوا الشاهدين، قاله الحسن، ومجاهد.

⁽۱) جاء في الشرح المفردات ص ۱۳۳۳: إذا كان مسلم مع رفقة كفار مسافرين ولم يوجد غيرهم من المسلمين فوصى وشهد بوصيته اثنان منهم قبلت شهادتهما ويستحلفان بعد العصر لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة الله وأنها وصية الرجل بعينه، فإن عثر على أنهما استحقا إثماً قام آخران من أولياء الموصي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ولقد خانا وكتما ويقضى لهم. قال ابن المنظر: وبهذا قال أكابر العلماء وممن قاله شريع، والنخعي، والأرزاعي ويحيى بن حمزة وقضى بذلك عبد الله بن مسعود في زمن عثمان، رواه أبو عبيدة: وقضى به أبو موسى الأشعري، رواه أبو داود، والخلال. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: لا تقبل لأن من لا تقبل شهادته على غير الوصية لا تقبل في الوصية كالفاسق وأولى... (ولنا) قوله تعالى ﴿ يَأَيُّ اللَّيْ مَا مُنْوَا فَهَنَى بَرَنُكُم اللَّهُ عَلَى المَنْ رَبِي المُنْ مَنْ مُنْ الله الله على عبد الآية على أنه أراد من غير (ولنا) قبل الله الله يتراكم لا يصح لأن الآبة نزلت في قصة عدي وتميم بلا خلاف بين المفسرين ودلت عليه الأحاديث ولأنه لو صح ما ذكروه لم تجب الأيمان لأن الشاهدين من المسلمين لا قسامة عليهما.

⁽٣) هذه رواية شاذة، رواها الطبري ١١/١٧٠ في قصة طويلة، ثم ردها رداً شديداً، وجزم بأن البعراد الصلاة المعروفة للمخاطبين التي كان رسول الله 機 يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه، وهي صلاة العصر.

﴿ وَإِنْ عُثِرُ عَلَىٰ أَنْهُمَا السَّتَحَقَّا إِنْمَا فَعَاخَهُمَا مِنَ الَّذِينَ السَّتَحَقَّ عَلَيْهُمُ الأَوْلِيَانِ فَيُفْسِمَانِ بِاللَّهِ لَنَهَمَدُنُنَا ۖ أَحَفُ مِن الْمُدْتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظّلِيمِينَ ﴿ ﴾ فَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظّلِيمِينَ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عُبُرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا اَسْتَحَفَّآ إِنَّمَا﴾ قال المفسرون: لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عديًّا وتعيماً، فاستحلفهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما، فحلفًا، وُخلِّي سبيلهما، ثم ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿ فَإِنْ عُيرٌ عَنْ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِنْمَا﴾ ومعنى "عثر": اطلّع، أي: إن عثر أهل الميت، أو مَن يلي أمره، على أن الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا ﴿اسْتَحَقَّا إِنْمَا﴾ لميلهما عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَكَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ الَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهُ ٱلأَوْلِيَانِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «استُحِقٌّ بضم الناء، «الأولَيان؛ على التثنية. وفي قوله ﴿مِرَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَحَقَّ عَلِيْهُ﴾ قولان: أحدهما: أنهما الذمّيان. والثاني: الوليَّان. فعلى الأول في معنى ﴿أَسْتَكُنَّ عَلَيْهُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: استحق عليهم الإيصاء، قال ابن الأنباري: المعنى: من القوم الذين استحق فيهم الإيصاء، استحقه الأوليان بالميت، وكذلك قال الزجاج: المعنى: من الذين استحقت الوصية أو الإيصاء عليه. والثاني: أنه الظلم، والمعنى: من الذين استحق عليهم ظلم الأولَيان، فحذف الظلم، وأقام الأوليين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضاً. والثالث: أنه الخروج مما قاما به من الشهادة، لظهور خيانتهما. والرابع: أنه الإثم، والمعنى: استحق منهم الإثم، ونابت «على» عن «بين» كقوله: ﴿عَلَ ٱلنَّاسِ يَشْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] أي: منهم. وقال الفراء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْكُنَّ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو على الفارسي. وعلى هذه الأقوال مفعول «استُحق» محذوف مُقدّر. وعلى القول الثاني في معنى ﴿اَسْتَكُنَّ عَلِيْهُ﴾ قولان: أحدهما: استحق منهم الأوليان، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزجاج. فأما ﴿الأوليانِ؛، فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما: الأولى، والجمع: الأولون. ثم للمفسرين فيهما قولان: أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور. قال الزجاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البَدَلِ مما في «يقومان» والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين. وقال أبو على: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محدوف، كأنه قال: فآخران يقومان مقامهما، هما الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في «يقومان». والتقدير: فيقوم الأوليان. والقول الثاني: أن الأوليان: هما الذميان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، فعي هذا يكون المعنى: يقومان، إلا من الذين استحق عليهم. قال الشاعر:

فسلبت لنا مِنْ مِاءِ ذَمْ زَمَ شَرْبَةً مُسْرِبًة مُسْرِدًة بِالَّتْ عِلْمِي طهيان(١١)

أي: بدلاً من ماء زمزم. وروى قُرَّة عن ابن كثير، وحفص وعاصم (٢): «استحق» بفتح التاء والحاء «الأوليان» على التثنية، والمعنى: استحق عليهم الألوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «استحق» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأولين» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع، والتقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذكر. ألا ترى أنه قد تقدم ﴿ ذَوَى عَدْلِ مِن مُؤَكِم على قوله: ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ عَيْرِكُم ﴾ . وروى الحلبي عن عبد الوارث «الأولين» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهي تثنية: أوَّل. وقرأ الحسن البصري: «استحق» بفتح التاء والحاء، «الأولان» تثنية «أوَّل» على البدل من قوله: «فآخران». وقال ابن قتية: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرفنا كيف يشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال: ﴿ ذَرَى عَدْلِ مِن كُنْ عَدْلُ مِن المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿ أَوْ ءَلَوْلِ مِنْ عَيْرِكُم ﴾، أي: من غير أهل دينكم، آ ﴿ وَإِنَا صَرَاتُم فِي الأَرْضِ ﴾ أي: على العطر والسفر خاصة إن أمكن إشهادهما في يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿ أَوْ ءَلَوْلِ مِنْ عَيْرِكُم ﴾، أي: من غير أهل دينكم، آ ﴿ وَإِنَا صَرَاتُم فِي المُكارِ مِن الكلام. فالعدلان من السلمين للحضر والسفر خاصة إن أمكن إشهادهما في سافرتم ﴿ فَأَمَيْنَكُم شُومِيتُه أَلَوْلِ مَن أَلَانَ مِن المسلمين والسفر خاصة إن أمكن إشهادهما في

 ⁽۱) في «اللسان» الطهيان: كأنه اسم قلّة جبل، والطهيان: خشبة يبرد عليها الماء، ثم أنشد البيت، ونسبه للأحول الكندي.

⁽٢) في النسخة الأحمدية: وروى قرة عن ابن كثير، وحفص عن عاصم.

السفر] والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما [ثم قال] ﴿ غَيْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ اَلْمَسَانُوةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِن اَرْبَسْمُ في شهادتهما، وخشيتم أن يكونا قد خانا، أو بدّلا، فإذا حلفا، مضت شهادتهما. فإن عثر [بعد هذه اليمين] أي: ظهر على أنهما استحقا إثماً، أي: حنثا في اليمين بكذب [في قول] أو خيانة [في وديعة]، فآخران، أي: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان، يقال: هذا الأولى بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال: هذا الأولى، وهذان الأوليان، واعليهم» بمعنى: «منهما، فيحلفان بالله: لقد ظهرنا على خيانة الذميين، وكذبهما، وما اعتدينا عليهما، ولشهادتنا أصح، لكفرهما وإيماننا، فيرجع على الذّميين بما اختانا، وينقض ما مضى من الحكم بشهادتهما تلك(١٠). وقال غيره: لشهادتنا، أي: ليميننا أحق، وسميت اليمين شهادة، لأنها كالشهادة على ما يحلفُ عليه أنه كذلك. قال المفسرون: فلما نزلت هذه اليمين المعنى والمقلب بن أبي وَداعة السهميان، فحلفا بالله، ودُفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت.

﴿ وَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجِهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن ثُرَّدَ أَبَئنٌ بَعَدَ أَيْنَاجِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَمُواْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْغَرْمُ النَّسِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ أَذَقَ ﴾ أي: ذلك الذي حكمنا به من ردّ اليمين، أقرب إلى إتيان أهل الذّمّة بالشهادة على وجهها، أي: على ما كانت، وأقرب أن يخافوا أن تردّ أيمان أولياء الميت بعد أيْمانهم، فيحلفون على خيانتهم، فيفتضحوا، ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك. ﴿ وَاَتَّقُوا اللّهَ ﴾ أن تحلفوا كاذبين، أو تخونوا أمانةً، واسمعوا الموعظة.

﴿ فِي مَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ لَيَنُولُ مَاذَا أَجِمْئُتُمْ قَالُوا لَا عِلْدَ لَنَّا إِنَّكَ أَنتَ عَلَمُ ٱلفَّيُوبِ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَجْتَعُ اللهُ الرُّسُلَ ﴾ قال الزجاج: نصب قيوم، محمول على قوله: قواتقوا الله: واتقوا يوم جمعه للرسل. ومعنى مسألته للرسل توبيخ الذين أرسلوا إليهم. فأما قول الرسل: ﴿ لَا عِلْمُ لَنّا ﴾ ففيه ستة أقوال: أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنم، فقالوا: ﴿ لَا عِلْمُ لَنّا ﴾ ثم تُردُّ إليهم عقولُهم، فينطلقون بحجتهم، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أن المعنى: ﴿ لا عِلْمُ لَنّا ﴾ إلا علم أنت أعلم به منا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المراد بقوله: ﴿ مَاذَا أَيْصَنُدُ ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿ لا عِلْمُ لَنّا ﴾ مقاله ابن جريج، وفيه بُعُدّ. والرابع: أن المعنى: ﴿ لا عِلْمُ لَنّا ﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزجاج. والخامس: أن المعنى: ﴿ لا عِلْمُ لنّا ﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمروا، ونحن نعلم ما أظهروا، ولا نعلم ما أضمروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباري. والسادس: ﴿ لا عِلْمُ لنّا ﴾ بجميع أفا المفسرون: إذا ردَّ الأنبياء العلم إلى الله أَبْلِسَتِ الأممُ، وعلمت أن ما أته في الدنيا غير غائب عنه، وأن الكل لا يخرجون عن قبضه.

قوله تعالى: ﴿ عَلَامُ ٱلْنَبُوبِ ﴾ قال الخطابي: العلَّام: بمنزلة العليم، وبناء (فعَّال) بناء التكثير، فأما «الغيوب» فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ يَعْمَى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِمَئِكَ إِذْ آيَدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكِلِّدُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلَّا وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِنْتُ وَالْفِكْمَةَ وَالْقِرْرَدَةَ وَالْإِنْجِيلُ وَإِذْ غَنْكُ مِنَ الطِينِ كَهْيَئةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَسْفُحُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَثُمْرِئُ الأَكْمَةُ وَالْأَرْمَى بِإِذَاتِي وَإِذْ تُخْمِحُ الْمَوْنَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَنْتُ بَنِيّ إِسْرُوبِلَ عَنك إِذْ جِنْتَهُم بِالْبَيِّنَةِ فَقَالَ اللَّذِينَ كَافُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِخْرٌ ثُمِيتُ ﴾ هَذَا إِلَا سِخْرٌ ثُمِيتُ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ﴾ قال ابن عباس: معناه: وإذ يقول.

قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ يَمْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ في تذكيره النعم فائدتان: إحداهما: إسماع الأمم ما خصه به من

⁽١) دمشكل القرآن، ٢٩٣، وما بين معقفين منه.

الكرامة. والثانية: توكيد حجَّته على جاحده. ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهرها، وأتاها برزقها من غير سبب. وقال الحسن: المراد بذكر النعمة: الشكر. فأما النعمة، فلفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع. فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿
فَتَنفُتُ فِهَا ﴾ وفي (آل عمران) قفيه؟ فالجواب: أنه جائِز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع، وأنَّث على معنى الجماعة، وجاز أن يكون أبو على الفارسي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ إِلَّا سِمَّرٌ شُهِينٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي (هود) و(الصف) ﴿إِلَّا سِمَّرٌ شُهِينٌ ﴾، وقرأ في (يونس) ﴿لَمَنَوِرٌ شُهِينٌ﴾ بألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة ﴿سِمَّرٌ ثُهِينُ ﴾ بغير ألف، فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحر»، أشار إلى الشخص.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْثُ إِلَى ٱلْحَوَارِتِينَ أَنْ مَامِنُواْ بِ وَرِرَسُولِي قَالُواْ مَامَنًا وَاشْهَدْ بِأَنْنَا مُسْلِمُونَ ﴿

وفي الوحي إلى الحواريين قولان. أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفراء. وقال السدي: قذف في قلوبهم. والثاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الحواريين واليء صلة، قاله أبو عبيدة. وفي قوله: ﴿وَاشْهَا ﴾ قولان: أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى. والثاني: عيسى ﷺ. وقوله: ﴿إِلَيْنَا مُسْلِمُونَ ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتوحيد. وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم.

إلى أمسيس السمسؤمسنسيسن السمسمستساد^(٦)

وَمَادَ زِيدٌ عَمْراً: إذا أعطاه. قال الزجاج: والأصل عندي في «ماثدة» أنها فاعلة من: ماد يميد: إذا تحرّك، فكأنها تميد بما عليها. وقال ابن قتيبة: المائدة: الطعام، من: مادني يميدني، كأنها تميد الأكلين، أي: تعطيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الأكلون.

قوله تعالى: ﴿أَتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُوْمِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إن نزلت وكذّبتم، عُذبتم، قاله مقاتل. والثاني: أن تسألوه ما لم تسأله الأمم قبلكم، ذكره أبو عبيد. والثالث: أن تشكُّوا في قد ته.

﴿ قَالُواْ مُرِيدُ أَن نَا أَكُلَ مِنْهَا وَتَعْلَمَهِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمُ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّلِهِدِينَ ﴿ ﴾

⁽١) في انسخة الرباط؛ اما يفعل ذلك بمسألتك إياه؛ . (٢) في الأحمدية؛ اأي، بدل اأن، وهو خطأ .

⁽٣) الرجز لرؤية، وهو في قديوانه ٤٠، وقمجاز القرآن» لأبي عبيدة ١٩٣١، وقاللسان»: مادة قميد»، وقبله: نهدي رؤوس المترفين الأنداد. والمترفون: المتنعمون المترسعون في لذات الدنيا وشهواتها، والأنداد: جمع ند بكسر النون، وهو هنا بمعنى الفهد، يقال للرجل إذا خالفك، فأردت وجهاً تذهب إليه، ونازعك في ضده: هو ندّي ونديدي، حكاه قطرب كما في قالأضداد، ٢٩/ ٢٥٣ لأبي الطيب الحلبي. ويأتي أيضاً بمعنى المثل والشبيه، وانظر قالأضداد، ٣٤ لابن الأنباري. يقول: نقتل الخارجين على أمير المؤمنين، ثم نهدي إليه رؤوسهم، وهو المسؤول دون الناس.

وْقَالَ عِيسَى اَبْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا آزِلَ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِّنَ السَّمَاةِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِنَا وَمَاخِرَا وَمَاخِرَا وَاَلَهُ مِنْكُ وَاَرْزُقِنَا وَالْحَدِينَ وَالْمَوْلِنَا وَمَاخِرًا ﴾ وقرأ ابن محيصن، وابن السميفع، والجحدري: اولأولانا وأخرانا، في المورد من موردان قاله وتادة،

برفع الهمزة، وتخفيف الواو، والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيداً لنا، نعظُمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسدي. وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيداً. وقال ابن قتيبة: عيداً، أي: مجمعاً. قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه. وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ عيداً للعودِ من الترح إلى الفرح.

قوله تعالى: ﴿وَمَايَةٌ مِنكٌ ﴾ أي: علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة نبيك. وقرأ ابن السميفع، وابن محيصن، والمضحاك قوأنه منك، بفتح الهمزة، وبنون مشدَّدة. وفي قوله: ﴿وَأَرْزُقْنَا ﴾ قولان: أحلهما: ارزقنا ذلك من عندك. والثانى: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا.

﴿ اللَّهُ إِنَّى مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكُفُرُ شِدُ مِنكُمْ فَإِنَّ أَعَذِبُهُ عَذَاكًا لَا أَعَذِبُهُ أَعَدًا مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالَ اللهُ إِنّ مُرَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر قمنزّلها الباتشديد، وقرأ الباقون خفيفة . وهذا وعد بإجابة سؤال عيسى . واختلف العلماء: هل زلت، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدّوا في طلبها لبس جُبّة من شعر، ثم توضأ ، واغتسل، وصفّ قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع ، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره ، وطأطأ رأسه خضوعاً ، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده ، وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، فينما عيسى كذلك ، هَبَطَتْ علينا مائدة من السماء ، سفرة حمراء بين غمامتين ، غمامة من تحتها ، وغمامة من فوقها ، وعيسى يبكي ويتضرَّع ، ويقول: إلهي اجعلها سلامة ، لا تجعلها عذاباً ، حتى استقرَّت بين يديه ، والحواريون من حوله ، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها ، وإذا عليها منديل منظى ، فقال استقرَّت بين يديه ، والحواريون من حوله ، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها ، وإذا عليها منديل منظى ، فقال أولانا بذلك ، فاكشف عنها ، فاستأنف وضوءاً جديداً ، وصلى ركعتين ، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها ، ثم قعد رأسها أولان المنديل ، فإذا عليها سمكة مشوية ، ليس فيها شوك ، وحولها من كل البقل ما خلا الكرَّاث ، وعند رأسها الخل ، وعند ذنبها الملح ، وحولها خمسة أرغفة ، على رغيف تمر ، وعلى رغيف زيتون ، وعلى رغيف خمس رمانات . الخل ما عدون رأس الحواريين : يا روح الله أمِن طعام المنة ، قال عيسى : سحان الله أما تتهون! ما أخوفني عليكم . قال شمعون رأس الحواريين : لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً . قال عيسى : سحان الله أما تتهون! ما أخوفني عليكم . قال ما ميكم . قال ما مين ما علها من طعام الجنة ؟ قال عيسى : مسحان الله أما من طعام الجنة عليكم . قال ما مون عليا من طعام المعام ال

الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيءٌ ابتدعه الله، فقال له: «كنَّ فكان أسرع من طرفة عين. فقال الحواريون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية؛ فقال: صبحان الله! ما اكتفيتم بهذه الآية؟! ثم أقبل على السمكة فقال: عودي بإذن الله حيةً طريةً، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، فقال: يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها مَن سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزَّمني واليتامي، فقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم، ليكون مُهنؤها لكم، وعقوبتها علي غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون عنها شباعاً وهي كهيئتها حين نزلت، فصحَّ كل مريض، واستغنى كل فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يوماً، تنزل يوماً وتغبُّ يوماً، وكانت تنزل عند ارتفاع الضحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا، ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض(١٠). وقال قتادة: كانت تنزل عليكم بكرةً وعشية، حيث كانوا. وقال غيره: نزلت يوم الأحد مرتين. وقيل: نزلت غدوة وعشية يوم الأحد، فلذلك جعلوه عيداً. وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال: أحدها: أنه خبز ولحم، روي عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿نزلت العائدة من السماء خبزأ ولعماً ١٤٠١. والثاني: أنها سمكة مشوية، وخمس أرغفة، وتمر، وزيتون، ورمان. وقد ذكرناه عن سلمان. والثالث: ثمرٌ من ثمار الجنة، قاله عمار بن ياسر، وقال قتادة: ثمرٌ من ثمار الجنة، وطعامٌ من طعامهاً. والرابع: خبزٌ، وسمكٌ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو عبد الرحمن السلمي. والخامس: قطعةٌ من ثريد، رواه الضحاك عن ابن عباس. والسادس: أنه أنزل عليها كل شيء إلا اللحم، قاله سعيد بن جبير. والسابع: سمكة فيها طعم كلِّ شيءٍ من الطعام، قاله عطية العوفي. والثامن: خبز أرز وبقل، قاله ابن السائِب. والقول الثاني: أنها لم تنزل، روى قتادة عن الحسن أن المائِدة لم تنزل، لأنه لما قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكُنُرُ مَبْدُ مِنكُمْ فَإِنْ أُعَذِّبُهُم عَذَا ﴾ لَآ أُعَذِّبُهُۥ أَحَدًا مِن الْهَلَمِينَ ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أنزلت مائدة عليها ألوانٌ من الطعام، فعرضها عليهم، وأخبرهم أنه العذاب إن كفروا، فأبوها فلم تنزل. وروى ليث عن مجاهد قال: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لخلقه، لينهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه، ولم ينزل عليهم شيء، والأول أصح (٣).

قوله تعالى: ﴿ فَنَن يَكُثُرُ بَبِدُ يِنكُمُ ﴾ أي: بعد إنزال المائدة. وفي العذاب المذكور قولان: أحدهما: أنه المسخ، والثاني: جنسٌ من العذاب لم يعذّب به أحد سواهم. قال الزجاج: ويجوز أن يعجّل لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة. وفي «العالمين» قولان: أحدهما: أنه عام. والثاني: عالمو زمانهم. وقد ذكر المفسرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا. وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمروا أن لا يخونوا، ولا يدَّخِروا، فخانوا وادخروا، فمسخوا قردةً وخنازير، رواه عمار بن ياسر عن النبي على والثاني: أن عيسى خصَّ بالمائدة الفقراء، فتكلم الأغنياء بالقبيح من القول، وشكّكوا الناس فيها، وارتابوا، فلما أمسى المرتابون بها، وأخذوا مضاجعهم، مسخهم الله خنازير، قاله الله عنه أن الذين شاهدوا المائدة، ورجعوا إلى قرمهم، فأخبروهم، فضحك بهم من لم يشهد، وقالوا: إنما سحر أعينكم، وأخذ بقلوبكم، فمن أراد الله به خيراً، ثبت على بصيرته، ومن أراد به فتنة، رجع إلى كفره، فلعنهم عيسى، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، قاله ابن عباس،

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ بَعِيسَى ابْنَ مَرْتَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِ وَأَتِيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَننَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

 ⁽١) ذكر الخبر بطوله الحافظ ابن كثير في الفسيره ١١٧/٢ - ١١٧ من رواية ابن أبي حاتم، ثم قال: هذا أثر غريب جداً. وذكره السيوطي في «الدر
 المنثور، ٣٤٦/٢، وزاد نسبته إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وأبي الشيخ في «العظمة» وأبي بكر الشافعي في «فوائده» المعروفة بـ «الفيلانيات» عن سلمان الفارسي.

 ⁽٢) الطبري ٢٢٨/١١، والترمذي ١٠٢/٤ مرنوعاً وموقوفاً ولفظه: «أنزلت المائنة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يذّخروا لغد، فخانوا
 ولاخروا، ورفعوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير، وجزم بأن الموقوف أصح، وقال: ولا نعرف للحديث المرفوع أصلاً.

 ⁽٣) وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأن الله تعالى أخبر بنزوله في قوله تعالى: ﴿إِنْ مُنْزِلُهَا عَنَيْكُمْ فَمَن يَكُفُرُ سَدُ عِنكُمْ فَإِنْ أُعَذِلُهُ عَذَاهُ لَا أُعَذِلُهُ أَحَدًا فِن السلف.
 التَكْمِينَ﴾ قال: ووعده ووعيده حق وصدق. قال ابن كثير: وهذا القول هو _ والله أعلم _ الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف.

لِي بِعَقِ ۚ إِن كُنتُ ثَلْتُهُ نَفَدَ عَلِمْتَتُم مَسَلَمُ مَا فِي نَشْيِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَشْيِكُ إِنَّكَ أَنتَ عَلَتُم اللَّبُوبِ ﴿

ثـــم جــزاكَ الله عــنّــي إذ جــزى جنّاتِ عَـذنِ في الـسموات العلا(١)

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادّعى ذلك على عيسى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: "إلّهين"، لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أنثى [غُلّب فعل الذكر] ذكّروهما. فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلّها، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشراً، وإنما ولدت إلّها، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أي: براءة لك من السوء ﴿مَا يَكُونُ لِيَّ أَنَّ أَوُلَ مَا لِيَسَ لِي بِحَيِّ ﴾ أي: لست استحق العبادة، فأدعوا الناس إليها. وروى عطاء بن السائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى: ﴿مَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْغَبَادِينِ وَأَبِيَ رَبُونِ اللَّهِ عَلَى لَعَيْسِ مَنه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: ﴿وَلَى كُنتُ مُلْتُمُ نَقَدٌ عَلِمَتَمُ ﴾ فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادّعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرارٌ من عيسى بالعجز في قوله: ﴿وَلاَ اللهِ مَنْ عَلَى عَلَى عَلَى وَالعَبُودَةِ فَي قوله: ﴿وَلَا اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿ تَمُنَلَمُ مَا فِي نَفْيِي وَلاَ أَعْلَرُ مَا فِي نَفْسِكُ ﴾ قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم.

﴿ مَا قُلْتُ لَمُمْ إِلَّا مَا آَمْزَتِينِ بِهِ ۚ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَفِي وَرَقِكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَنَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّي مَن مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمُعِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَنَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمُوا مِنْهِمُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمُوا مِنْهِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ وَكُنتُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ وَمُعْتَمُ وَمُعَلِّمُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَمُؤْمِنُهُمْ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ وَلَيْهُمْ وَلَوْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا أَمْ وَاللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَيْكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْكُمْ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَكُنَّ فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَا

قوله تعالى: ﴿ إَنِ اعْبُدُواْ اللَّهُ ﴾ قال مقاتل: وحَّدوه.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (٢) أي: على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم، [وقوله] ﴿فَلْمَا تَوَقَّيَنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالرفع إلى السماء. والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل. و«الرقيب» مشروحٌ في سورة (النساء)، و«الشهيد» في (آل عمران).

﴿إِن تُمَذِّبُمْ فَإِنُّهُمْ عِبَادُكُّ وَإِن تَغْفِر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنَّ ٱلْمَرْبُرُ لَقُكِيمُ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ عِبَادُكُ ۚ قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبتوبة كانت منهم. وقال الزجاج: علم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِن تُعَذِّبُهُم ۗ أَي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا،

 ⁽۱) «الأضداد» لابن الأنباري: ١١٩، وفاضداد» أبي الطيب ٢٨/١، وابن جرير ٢١٥/١١، والصاحبي: ١١٢، وفاللسان»: طها. وفيها: العلالي بدل السموات، وهي جمع «علية» بكسر الغين وتشديد اللام المكسورة، والياء المشددة: وهي الغرقة العالية من البيت، وأراد ذلك في (عليين) المذكورة في القرآن.

وإن تغفر لهم، أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمَن، فذلك تفضّل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبتهم؛ فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم ـ ولست فاعلاً إذا ماتوا على الكفر ـ فلا اعتراض عليك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله على العنو لا ينقص عزّك، ولا يخرج عن حكمك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله على قيام ليلة بآية يردّدها: ﴿ إِن تُمْ يَادُهُ وَلَا تَمْ يَلُونُ لَهُمُ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَرْبِذُ لَقَهُمُ اللهُ ال

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّندِقِينَ صِدْقُهُمُّ لَكُمْ جَنَّكُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِينَ فِيهَا ٱلذَّ رَضِى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَشُوا عَنْهُ دَلِكَ ٱلفَرْدُ الْمَظِيمُ ۚ إِنَّهُ مُلْكُ ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُو عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِينًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا لَعَيْمُ يَنَفُعُ المَّنْدِقِنَ صِدَّقُهُمُّ ﴾ قرأ الجمهور برفع اليوم، وقرأ نافع بنصبه على الظرف. قال الزجاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وينجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، والمراد باليوم: يوم القيامة، وإنما خصّ نفع الصدق به، لأنه يوم الجزاء، وفي هذا الصدق قولان: أحدهما: أنه صدقهم في اللنيا ينفعهم في الآخرة، والثاني: صدقه في الآخرة ينفعهم هنالك، وفي هذه الآية تصديقٌ لعيسى فيما قال.

قوله تعالى: ﴿ يَضِى اللَّهُ عَنْهُم ﴾ أي: بطاعتهم، ﴿ رَيَضُوا عَنَهُ ﴾ بثوابه. وفي قوله: ﴿ لِلَّهَ مُلُكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تنبيهٌ على عبودية عيسى، وتحريضٌ على تعلق الأمال بالله وحده.

^{* * *}

⁽١) «المسندة ١٤٩/٥ ولفظه عن أبي ذر قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة، فقرآ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿إِن تُمَوِّتُهُمْ عَائِمُهُمْ عَائِمُهُمْ عَائِمُهُمْ عَائِمُهُمْ عَائِمُهُمْ عَالَمُهُمْ عَالَمُهُمْ عَالَمُهُمْ عَلَمُهُمْ عَلَمْ عَلَى السلام عَلَمَ عَلَى السلام عَلَمَ الله ما زلت تقرآ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها . قال: •سألت رمي ڨ الشفاعة لأمتي فأمطاتيها، وهي نائلة إن شاه الله لمن لا يشرك بالله ڨ شيئاً ورجاله ثقات، خلا جسرة بنت دجاجة العامرية، فإنه لم يوثقها سوى العجلي وابن حبان، وقال البخاري: عند جسرة صحائب. انظر «تهذيب التهذيب» ٢٠/١/١٤.

سورة الأنعام

فصل في نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس: أن (الأنعام) مما نزل بمكة. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: نزلت سورة (الأنعام) جملة ليلاً بمكة، وحولها سبعون ألف مَلك (١٠). وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هي مكية، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً؛ وكتبوها من ليلتهم، غير ست آيات وهي: ﴿ وَلَمُ تَكَالُوا أَتَلُ مَا حَرَمٌ رَبُّكُمُ عَيْبَكُمُ عَيْبَكُمُ إِلَى آخر الثلاث آيات الانعام: ١٥١ ـ ١٥٣ وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا أَلَة حَقَّ قَدْدِهِ ﴾ إلى آخر الثلاث آيات الانعام: ١٥١ ـ ١٥٠ وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا أَلَة حَقَّ قَدْدِهِ ﴾ إلى آخر الآيتين الانعام: ٩٣، ١٤٤]. وذكر الآية الانعام: ١٩١ . ووله: ﴿ وَالَذِينَ عَالَيْنَهُمُ الْكِنَبُ يَسَلُونَ أَنَّمُ مُنْزَلٌ مِن رَبِّكَ بِلُمُؤَنِّ اللانعام: ١٩١ . وووله: ﴿ وَالَذِينَ الله وقاله: هي مكية، إلا آيتين نزلتا بالمدينة؛ قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا أَللَة حَقْ قَدْرِهِ ﴾ الآية الانعام: ١٩١ . وقوله: ﴿ وَمُولَ اللَّذِي أَلْتَكُمُ الْذِي مَنْرُونَتُونَ وَقَيْر مَنْرُونَتُونَ وَقَلْه الله وقالة عَمْرُونَتُونَ وَقَيْر مَنْرُونَتُونَ وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَتُون وَقَيْر مَنْرُونَاتُون وَقَيْر مَنْرُونَاتُون وَقَيْر مَنْرُونَاتُون وَقَيْر مَنْرُونَاتُون وَقَلْتُونُ وَلْهُ وَلَا أَنْ مَنَالَة الله والمنع وقالة عنه وقي وقيله عنه الله المدينة ﴿ فَهُ قُلْ تَمَالُونَا ﴾ والتي بعدها (الانعام: ١٥١) . وقوله: ﴿ وَمُولُونُ الله وَلَوْتُ وَلَا الله والفتح ابن شيطا أنها مكية، غير آيتين نزلتا بالمدينة ﴿ فَيْ فَلَ تَمَالُونُ ﴾ والتي بعدها (الانعام: ١٥١) .

ينسدانو الكني التتسير

﴿ الْحَسَدُ يَدُو الَّذِي خَلَقَ السَّمَدَوَتِ وَالأَرْضَ وَجَمَلَ الظُّلُمَتِ وَالنُّورُّ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَتِهِمْ بَعْدِلُوتَ ۖ ۗ ﴾

فأما التفسير، فقال كعب: فاتحة (الكهف) فاتحة (الأنعام)، وخاتمتها خاتمة (هود)؛ وإنما ذكر السموات والأرض، لأنهما من أعظم المخلوقات. والمراد اللبجعل، الخلق. وقيل: إِنَّ فَجَعَلَ، ههنا: صلة؛ والمعنى: والظلمات. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن. والثاني: الليل والنهار، قاله السدي. والثالث: جميع الظلمات والأنوار. قال قتادة: خلق الله السمواتِ قبل الأرض، والظلماتِ قبل النور، والجنة قبل النار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان ﴿مِرَبِهِمْ يَمْدِلُونَ﴾، أي: يجعلون له عَدِيلاً، فيعبدون الحجارة الموات، مع إقرارهم بأنه الخالق لِما وُصِف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به. قال أبو عبيدة: هو مقدَّم ومؤخَّر، تقديره: يعدلون بربهم. وقال النَّصْر بن شُميل: الباء: بمعنى «عن».

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن طِيمِ ثُدَّ نَعَنَىٰ آجَلاٌّ وَآجَلُ مُسَمًّى عِندَتُّمْ ثُدَّ أَنتُد تَمَتَّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم يِّن طِينٍ ﴾ يعني: آدم، وذلك أنه لما شك المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام؟ أعلمهم أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَعَيَّ آجَلًا مُآجَلُ مُسَمَّ عِندَهُ ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت، والثاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقْبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية. والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني. والخامس: أن الأول: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا،

 ⁽١) ذكره ابن كثير ٢/ ٢٢٪ عن الطبرائي في الكبير، وقيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف ضعفه ابن سعد، والإمام أحمد، وابن معين وغيرهم. وزاد
 السيوطي في «الدر المنثور، ٣/ ٣ نسبته لأبي عبيد، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه.

قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياهم وخاطبهم. والسادس: أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت بعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمُ ﴾ أي بعد هذا البيان ﴿تَمَثَوُنَ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: تشكّون، قاله قتادة، والسدي. وفيما شكوا فيه قولان: أحدهما: الوحدانية. والثاني: البعث. والثاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماوردي.

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَتِ وَفِي ٱلأَرْفِيلُّ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللّهَ فِي السّمَوَتِ وَفِي الْأَرْضُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحلها: هو المعبود في السموات وفي الأرض، قاله الزجاج. والثالث: وهو الله في الله ابن الأنباري. والثاني: وهو الله في السموات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير. والرابع: أنه مقدَّم ومؤخَّر. والمعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض، ذكره بعض المفسِّرين.

﴿وَمَا تَأْفِيهِم مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُمْهِنِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَنَا جَآءَهُمُّ هَسَوْفَ يَأْفِيهِمْ ٱلْبَتُواْ مَا كَانُواْ بِهِـ يَسْتَهْزِيُّونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْنِيهِم مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِّمَ ﴾ نزلت في كفار قريش. وفي «الآية» قولان: أحدهما: أنها الآية من القرآن. والثاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر. والمراد بالحق: القرآن. والأنباء: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

﴿ أَنْ يَرَوْا كُمْ أَمْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنِ مَكَنَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مَا لَرَ نُنكِن لَكُرْ وَأَرْسَلُنَا ٱلسَّمَاةَ عَلَيْهِم يَدْوَالَا وَجَمَلُنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَقْيِهِمْ فَأَمْلَكُنَّهُم بِلَثُوبِهِمْ وَأَنشَأَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَا ءَاخَرِنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كُمْ أَهْلَكُنّا مِن قَبِهِم مِن قَرْفِ القرن: اسم أهل كل عصر، وسموا بذلك لاقترانهم في الوجود. وللمفسرين في المراد بالقرن سبعة أقوال: أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النبي على والثاني: ثمانون سنة، دواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بشر المازني، وأبو سلمة بن عبد المرحمن. والرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإياس بن معاوية. والمخامس: عشرون سنة، حكاه المحسن البصري. والسادس: سبعون سنة، ذكره الفراء. والسابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبيّ، أو طبقة من العلماء، قلّتِ السّنون، أو كثرت؛ بدليل قوله على في خيركم قرني عني: أصحابي الثم الذين يلونهم عني: التابعين التابعين عني: أصحابي الله الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم؛ واشتقاق القرن: من الاقتران. وفي معنى ذلك الاقتران قولان: أحدهما: أنه سمي قرناً، لأنه يَقْرِنُ المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج. والثاني: أنه سمي قرناً، لأنه يَقْرِنُ زمانً بزمانٍ، وأمّةً بأمّةٍ، قاله ابن الأنباري. وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون من قرناً بأمة.

قوله تعالى: ﴿ مَكَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: أعطيناهم ما لم نُعطِكم. يقال: مكَّنتُه ومكَّنتُ له: إذا أقلرته على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة. وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب. فأما السماء: فالمراد بها المطر. ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا. و «المدرار»: مفعال، من درَّ، يَلِرُّ؛ والمعنى: نرسلها كثيرة الدَّرِّ. ومِفعال: من أسماء

⁽۱) رواه بهذا اللفظ البخاري في قصحيحه ١٩٠/ بشرح «الفتح» عن عمران بن حصين هي، وتمامه، قال عمران: لا أدري أذكر النبي هي بمد قرنين أو ثلاثة، قال النبي هي: «إن بمدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويتلوون ولا يونون، ويظهر فيهم السمن ورواه البخاري ١٩١٥، ومسلم ١٩٦٣؛ في قصحيحيهما عن عبد الله بن مسعود هي عنه بلفظ قخير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجي، أقوام تسبق شهادة أحدهم يميته، ويميته شهادته ورواه مسلم ١٩٦٢/٤ بلفظ قخير أمتي قرني..، وانظر الكلام على هذا الحديث في قفتح الباري، ٧/٥.

المبالغة، كقولهم: امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مثناث. فإن قيل: السماء مؤنَّقة، فلم ذكَّر مدراراً؟! فالجواب: أن حكم ما انعدل من النعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التذكير في كلِّ حال، سواء كان وصفاً لمذكر أو مؤنث؛ وهي كفور، وشكور. ولو بُنيتْ هذه وصفاً لمذكر أو مؤنث؛ وهي كفور، وشكور. ولو بُنيتْ هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذْكِرَة؛ فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة؛ كقولهم: النعلَ لبستُها، والفأسَ كسرتُها، وكان إيثارهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل، والمعدول عن مِثْلِ الأفاعيل. والمراد بالمدرار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه؛ يعني: أنها تَلِرُّ وقت الحاجة إليها؛ لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، فتفسد، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ نَزُّلْنَا مَلَئِكَ كِنَابًا فِي قِرْلِمَاسِ مُلْسَوُّهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرَّأُ إِنَّ هَذَا ۚ إِلَّا سِنتُرَّ شُهِينٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزْلُنَا عَلَيْكَ كِنْنَا فِي قِطَاسِ﴾ سبب نزولها: أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنك رسوله، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. قال ابن قتيبة: والقرطاس: الصحيفة، يقال للرامي إذا أصاب الصحيفة: قَرْطَسَ (١). قال شيخنا أبو منصور اللغوي: القرطاس قد تكلموا به قديماً. ويقال: إن أصله غير عربي. والجمهور على كسر قافه، وضمها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر.

فأما قوله تعالى: ﴿ لَمُسَوُّهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ فهو توكيد لنزوله، وقيل: إنما علَّقه باللمس باليد إبعاداً له عن السحر، لأن السحر يُتخَيَّلُ في المرثيات، دون الملموسات. ومعنى الآية: إنهم يدفعون الصحيح.

﴿وَعَالُوا لَوْلَا أَنِلَ عَلَيْهِ مَكُ ۚ رَلَوْ أَنِّكَ مَلَكُم لَلَّئِنَ الْأَمْنُ ثُدَّ لَا يُظَوُّونَ ۗ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أَنِلَ عَلَيْهِ مَلَكُ ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خُويلد؛ و «لولا» بمعنى «هلا» ﴿أَيْتُونَ مَلَكُ ﴾ نصدقه؛ ﴿وَلَوْ أَنْزَلَنَا مُلكًا﴾ فعاينوه ولم يؤمنوا، ﴿لَقُونَى ٱلْأَنْمُ﴾؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: لماتوا، ولم يؤخروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عباس. والثاني: لقامت الساعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثالث: لعجل لهم العذاب، قاله قتادة.

﴿ وَلَوْ جَمَلَتُهُ مَلَكُ الْجَمَلَنَّهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْسِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَمَلْتُهُ ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم مَلَكاً، لجعلناه في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية المَلَك عى صورته، ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِم ﴾ أي: لشبّهنا عليهم. يقال: ألبست الأمر على القوم، ألبسه: أي: شبهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكّوا، فلا يدرون أملَكُ هو، أم آدميّ؟ فأضللناهم بما به ضلّوا، قبل أن يُبعث الملك. وقال الزجاج: كانوا يلبّسون على ضعفتهم في أمر النبي عليه في نقال تعالى: لو رأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيه من اللّبسِ مثلُ ما لحق ضعفتهم منه. وقرأ الزهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: ﴿ وللبّسنا ﴾، بالتشديد، ﴿ عليهم ما يلبّسون ﴾، مشددة أيضاً.

﴿ وَلَقَدِ اَسْنَهْزِئَ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَكَانَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا هِدِ. يَسْتَهْزِهُونَ ۞ قُلَ سِبُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَنْكَ كَانَ عَنِقِبَةُ الْتُكَذِّينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ نَحَانَ بِالَّذِي سَخِرُوا ﴾ أي: أحاط. قال الزجاج: الحيق في اللغة: ما اشتمل على الإنسان من

عَسَفُتِ السَّمِنَ اذَلُ عَبِيرِ مُسَثِّلِ الأَنْفُسِ بِعِيدِ النَّرِّمِنَانِ عِسِرَفَتَهُ بِالسِّقِسِرُطُّسِ فوقفَت تعترِف السَّرِّمِيفَةُ بِعِيلِمِنا عسمس البِكِتِيابِ وقيد يُسرى لِسم يَسَعْمَسِ

⁽١) اختصر المؤلف رحمه الله كلام ابن قتيبة، وإليك نصه بتمامه من «غريب القرآن» ١٥٠: ﴿وَلَوْ نَزُّكَا عَلِئَكَ كِنَاۖ فِي فِرَطَاسِ﴾ أي: صحيفة، وكذلك قوله: ﴿جَمَّلُومُ وَاطِيسَ﴾ أي: صحفاً. قال العرار:

والأنقس: جمع نقس، مُثل قدح وأقدح وأقداح. أراد غير مثل النقس عرفته بالقرطاس، ثم قال: «فوقفت تعترُف الصحيفة» فأعلمك أن القرطُّاس هو الصحيفة، ومنه يقال للرامي إذا أصاب: قرطس، إنما يراد أصاب الصحيفة.

مكروه فعله، ومنه: ﴿وَلَا يَحِينُ ٱلْمَكُرُ ٱلسَّيَّةُ إِلَّا يِأَهْلِيَّهُ [ناطر: ٤٣]؛ أي: ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم. قال السدي: وقع بهم العذاب الذي استهزؤوا به.

﴿ وَمَا لِمَن مَا فِ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضُ قُل اِلَّهِ كَنَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَبَّ فِيهِ اللَّهِ حَسِرُوٓا الْقَسَمُمْ فَهُدُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أَنفُسَهُمْ فَهُدُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لِمَن مَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿ قُل لِلّهِ كَنَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ قال ابن عباس: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين. قال الزجاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وجائز أن يكون كتب في اللوح المحفوظ؛ وإنما خُوطِبَ الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخّر أن يحفظ بالكتاب. وقال غيره: رحمته عامة؛ فمنها تأخير العذاب عن مستحقّه، وقبول توبة العاصي.

قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَمُنَكُمُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ﴾ اللام: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه. وذهب قوم إلى أن وإلى، بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَيرُوٓا أَنشُهُمْ﴾ أي: بالشرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِما سبق فيهم من القضاء. وقال ابن قتيبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَيرُوٓا أَنشَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا.

﴿ وَلَهُمْ مَا سَكَنَ فِي الَّذِلِ وَالنَّهَارُّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَمُ مَا سَكُنَ فِى الْيَلِ وَالنَّهَارِ ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة؛ فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وفي معنى «سكن» قولان: أحدهما: أنه من السكنى. قال ابن الأعرابي: «سكن» بمعنى حلّ. والثاني: أنه من السكون الذي يضاد الحركة. قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقر بالنهار، وينتشر بالليل؛ وينتشر بالنهار، فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن السكون أعم وجوداً من الحركة. والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك. والثالث: أن في الآية إضماراً؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله: ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرِ ﴾ [النحل: ١٨] أراد: والبرد؛ فاختصر.

﴿ قُلْ أَفَيْرَ اللَّهِ أَنْجِذُ وَلِنَا فَاطِرِ السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَدُ قُلْ إِنِّ أَرْتُ أَنَّ أَكُونَ مَنْ أَسْدُ وَلَا تَكُونَكَ مِنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ عَلَيْلُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ عَلَّا عَلَيْكُونُ عَلَيْ

قوله تعالى: ﴿ثُلُ أَفَيْرَ اللَّهِ أَقَيْدُ وَلِيّا﴾ ذكر مقاتل أن سبب نزولها، أن كفّار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية. وهذا الاستفهام معناه الإنكار؛ أي: لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه، وأعبده، وأستعينه.

قوله تعالى: ﴿ فَاطِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الجمهور على كسر راء "فاطر". وقرأ ابن أبي عبلة برفعها. قال أبو عبيدة: الفاطر، معناه: الخالق. وقال ابن قتيبة: المبتدئ. ومنه "كل مولود يولد على الفطرة" أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائه. وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بثر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها. قال الزجاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق؟ والانفطار: الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّا السَّمَاةُ اَنفَطُرَتُ ۞ ﴿ [الانفطار: ١] فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى "فطرهما": خلقها خلقاً قاطعاً. والانفطار، والفطور: تقطعٌ وتشقيّ .

⁽۱) البخاري (۱۹۷/۳) عن أيلي هريرة مرقوعاً بلفظ (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء، ورواه البخاري أيضاً (۱۷٦/۳) ومسلم في «صحيحه، (٢٠٤٧/٤) بلفظ: هما من مولود إلا يولد على الفطرة، ثم يقول أبو هريرة: ﴿ وَشَرِّتَ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَهُو يُكْلِمُ وَلَا يُطْمَدُۗ﴾ قرأ الجمهور بضم الباء من الثاني؛ ومعناه: وهو يَرزق ولا يُرزق، لأن بعض العبيد يرزق مولاه. وقرأ عكرمة والأعمش (ولا يَطعم) بفتح الياء. قال الزجاج: وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية، ومعناه: وهو يَرزق ويُطْعِمُ ولا يأكل.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أُرْبَتُ أَنْ أَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَسَلَمْ ﴾ أي: أول مسلم من هذه الأمة؛ ﴿ وَلَا تَكُونَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ قال الأخفش: معناه: وقيل لي: لا تكوننَّ، فصارت: أمرت، بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: أمرت، قد أخبر أنه قيل له.

﴿ فَلَ إِنَّ أَخَافُ إِنْ عَمَكَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلَ إِنَّ أَخَاتُ إِنْ عَمَرَيْتُ رَبِّ مَذَابَ يَرْمِ عَظِيمٍ ۞﴾ زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿لِيَنْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَذَّمَ مِن ذَلِكَ وَمَا تَأَخِّرَ﴾ [النتج: ٣] والصحيح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، وإنما هو معلق بشرط، ومثله: ﴿لَهِنْ أَشْرُكَ لَيَحْبَلُنَّ كَلُكُ﴾ [الزمر: ٢٦].

﴿ مَن يُشْرَفُ عَنْهُ يَوْمَهِـاذٍ فَقَدْ رَحِـمَةً وَذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْشِينُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُمْرَفَ عَنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مَنْ يُمْرَفَ﴾ بضم الياء وفتح الراء، يعنون: العذاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يَصْرِفْ» بفتح الياء وكسر الراء؛ الضمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّهُ﴾؛ ومما يحسنُ هذه القراءة قوله ﴿فَقَدَ رَحِمَةً﴾، فقد اتفق إسناد الضميرين إلى اسم الله تعالى، ويعني بقوله: ﴿يُمْرَفَ ﴾ العذاب ﴿يَوْمَيْدِ ﴾ ، يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَالِكَ ﴾ يعني: صرف العذاب.

﴿ وَلِن يَمْسَسُكَ اللَّهُ بِنُدِّرٍ فَلَا كَاشِكَ لَهُ إِلَّا هُوَّ وَإِن يَسَسُكَ بِغَيْرِ فَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِن يَمْسَنَكَ اللّهُ بِمُنْرِ﴾ الضر: اسم جامع لكل ما يتضرَّرُ به الإِنسان، من فقر، وموض، وغير ذلك؛ والخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإِنسان. وللمفسرين في الضر والخير قولان: أحدهما: أن الضر: السقم؛ والخير: العافية. والثاني: أن الضر: الفقر، والخير: الغنى.

﴿ وَهُوَ الْفَاهِمُ فَوْقَ عِبَادِوْ. وَهُوَ لَلْفَكِيمُ لَلْبَيْرُ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَرْقَ عِبَادِةً.﴾ القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلّق فصرّفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً؛ فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التسخير والتذليل.

﴿ وَهُلَ أَئُ خَنْ وَ أَكْثُرُ خَهَدَاتًا قُلُ اللّٰهُ شَهِدًا بَيْنِ وَيَيْتَكُمُّ وَأُوحِنَ إِلَّا كَلَا ٱلتُرْوَانُ لِأُنذِرَكُم بِذِ. وَمَنْ بَلَغٌ آبِلَتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَتَ مَعَ ٱللَّهِ وَالِهَةً الْخَرَىٰ قُل لَا ٱشْهَدُ قُلْ إِنَّنَا هُوَ إِلَهٌ وَبِيْنِ بَهِيَّةً غِنَا تُشْرِكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنُ نَنْ اللّٰهِ مَهَدَةً ﴾ سبب نزولها: أن رؤساء مكة أتوا رسول الله على فقالوا: يا محمد، ما نرى الحداً يصدّقُك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: قل لقريش: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول. وقال الزجاج: أمره الله أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نُبُوّته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿ وَأُرْضَ إِنّ هَا اللّٰمِ اللّٰهِ الْمُوالِي اللّٰهِ اللّٰهِ الله يأتَي وقيه خبر ما كان وما يكون؛ ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال. وقرأ عكرمة، وإبن السميفع، والجحدري «وَأَوْحَى إَلَى» بفتح الهمزة والحاء: «القرءان بأشياء، فكانت كما قال. وقرأ عكرمة، وابن السميفع، والجحدري «وَأَوْحَى إَلَى» بفتح الهمزة والحاء: «القرءان بأشياء، فكانه القرآن فكأنما رأى النبي على وكلَّمه (١٠٠). وقال أنس بن مالك: لما نزلت هذه الإية، كتب رسول الله الله كلى كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كلى كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله كسرى وقيصر وكل جبًار يدعوهم إلى الله الله الله كله المؤلفة القرآن المؤلفة المؤ

 ⁽١) الطبري ٢٩١/٢١ دون قوله: وكلمه وفيه: ثم قرأ ﴿وَمَنْ بَنَةً أَيْلَكُمْ لَتَتَهَدُونَ﴾ ونسبه ابن كثير: ٢٩٢/٢ إلى ابن أبي حاتم، وقال: زاد أبو خالد ـ وهو أحد رواة الخبر ـ و وكلمه.

قوله تعالى: ﴿ أَبِنَكُمْ لَتَقْهَدُونَ أَنَ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخَرَىٰ ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم. قال الفراء: وإنما قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْلَىٰ ﴾ [الاعراف: ١٨١] «أخرى» ولم يقل: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْلَىٰ ﴾ [الاعراف: ١٨١] وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَرْفِ الْأُولُونِ اللهِ اللهِ ١٩٤٠.

﴿ الَّذِينَ مَاتَيْنَهُمُ الكِتَبَ يَهْ فِوْتُمُ كُمَّا يَمْ بِفُوتَ أَبْنَآءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوٓا أَنْفُسُهُمْ فَهُدُ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ۖ ۖ

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ مَاتَيْنَهُمُ الْكِنْدَ ﴾ في الكتاب قولان: أحلهما: أنه التوراة والإنجيل؛ وهذا قول الجمهور. والثاني: أنه القرآن. وفي هاء اليعرفونه ثلاثة أقوال: أحلها: أنها ترجع إلى النبي على الله السلاي. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه بمكة ﴿ الَّذِينَ مَاتَيْنَهُمُ الْكِنْبَ يَمْرُونَهُ كُمّا يَمْرِفُونَ أَنْنَاهُمُ الْكِنْبَ وَلاَنَا أَسْد معرفة بمحمد الله والنمام: ٢١] فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد على بابني. فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع النساء. والثالث: أنها ترجع إلى اللين والنبي. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله على صدقه؛ ذكره الماوردي. وفي ﴿ اللَّذِينَ خَيْرُوا أَنْشُهُم فولان: أنها أحدهما: أنهم مشركو مكة، والثاني: كفار أهل الكتابين.

﴿ وَمَنْ أَلْمَادُ مِنَّنِ ٱفْتَرَىٰ مَلَ ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِكَايَتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُنْلِخُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿ ﴿ وَمَنْ أَلْمَالِكُونَ ﴿ وَاللَّهِ مُوا لَا يُنْلِخُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّلَّالِي اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّل

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلُ مِنَّنِ ٱلْمُتَىٰ عَلَ ٱللَّهِ كَذِيّا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادعاء شريك معه. وفي «آياته» قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثاني: القرآن، قاله مقاتل. والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية: الشرك.

﴿ وَيَوْمَ خَشَرُهُمْ جَيمًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرِّنَّاؤَكُمُ الَّذِينَ كُشُمْ زَعْمُونَ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَرَوْمَ غَنْدُرُهُمْ جَيِما ﴾ انتصب «اليوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم. قال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم، وقرأ يعقوب: ﴿ يَمْتُرُهُمْ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَتُولُ ﴾ بالياء فيهما، وفي الذين عنى قولان: أحدهما: المسلمون والمشركون، والثاني: العابدون والمعبودون، وقوله: ﴿ أَيْنَ ثُكُمَّ وَكُنُ اللهِ سؤال توبيخ، والمراد بشركائهم: الأوثان؛ وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله، وفي معنى: ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾ قولان: أحدهما: يزعمون أنها شفع لهم،

﴿ ثُمَّ لَا تَكُن يَعْتَلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَلَقَو رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ ثُرُّ لَا تَكُن بِنَنَهُمْ عَرا بن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثم لم تكن» بالتاء، «فتنتهم» بالرفع. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالناء أيضاً، «فتنتهم» بالنصب؛ وقد رُويت عن ابن كثير أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكن» بالياء، «فتنتهم» بالنصب. وفي «الفتنة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عباس، والضحاك: لم يكن كلامُهُم. والثاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم. قال ابن الأنباري: فالمعنى: اعتذروا بما هو مُهْلِكٌ لهم، وسبب لفضيحتهم. والثالث: أنها بمعنى البلية، قال عطاء الخراساني: لم تكن بليتهم. وقال أبو عبيد: لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة. والرابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتتهم. قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه. ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً، فإذا وقع في هَلَكَةٍ تبرأ منه؛ فيقول: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه. قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرف العرب في ذلك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «واللّهِ ربُّنا» بكسر الباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بنصب الباء. وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: المنافقون^(۱). ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إِذَا رَاْوا أنه لا يدخل الجنة إِلا من كان مسلماً، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عباس^(۱). والثاني: أنهم إِذَا دخلوا النار، ورأوا أهل التوحيد يخرجون، حلفوا [واعتذروا]، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أنهم إِذَا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرؤوا، وحلفوا: ما كنا مشركين، قاله مقاتل.

﴿ النُّورَ كَبْنَ كَذَبُوا عَلَى النَّسِيمِ أَوْمَنَكُ عَتْمُ مَّا كَانُوا بَنْتُرُفُنَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿اَشُرْ كَيْكَ كَنْبُواْ عَلَىَ اَنْسِيمٌ ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُفُنَ ﴾ أي: ذهب ما كانوا يدّعون ويختلقون من أن الأصنام شركاء لله، وشفعاؤهم في الآخرة.

﴿وَيَنْهُم نَن يَسْتَبِعُ إِلَكَ وَجَمَلَنَا عَلَىٰ قُلُوبِمْ أَكِنَةً أَن يَنْقَهُوهُ وَفِي مَانَانِيمْ وَقُأْ وَإِن بَرَوَا كُلَ مَابَوَ لَا يُؤْمِنُوا بِمَا حَقَّ إِنَا جَابُولَدَ يُجَدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَذَرًا إِنْ هَذَا إِلَاّ أَسَطِيرُ الأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ بَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَتَوْتَ عَنْةً وَإِن يُثْلِكُونَ إِلَاّ الشَّسُهُمْ وَمَا يَشْمُرُنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبُّهُم مَن يَسْتَعُ إِلَكُ ﴾ سبب نزلوها: أن نفراً من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث: ما يقول المحارث، وأميته وأبيّ ابنا خلف، جلسوا إلى رسول الله على واستمعوا إليه، ثم قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بَنِيَّة، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرُّك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية؛ وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما «الأكتّة»، فقال الزجاج: هي جمع كِنان، وهو الغطاء؛ مثل عِنان وأعِنَّة. وأما: «أن يفقهوه» فمنصوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أكثة لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة؛ ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبُها إلى «أنّه. «الوقر»: يُقَلُ السمع، يقال: في أذنه وَقْر، وَقد وُقِرَتِ الأذن، تُؤقَر. قال الشاعر:

وكسسلامٌ سَسيةً عن قسد وُقِسرَتْ أَذُنسي حسنه وسابسي مسن صَسمَسمُ (٣)

والوقر، بكسر الواو: أن يُحمَّل البعير وغيره مقدار ما يطيق، يقال: عليه وَقُر، ويقال: نخلة موقِر، وموقِرة. وإنما فعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفهموه، ولم يسمعوه؛ ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. ﴿ وَإِن يَرَوَّا صُلَّ مَايَةٍ ﴾ أي: كل علامة تدل على رسالتك، ﴿ لا يُوبِدُوا يَمَّ ﴾. ثم أعلم الله وقت مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿ إِنَّ مَذَا ﴾ أي: ما هذا ﴿ إِلا أَسَوْلِهُ الْأَوْلِينَ كُنبهم، وأحاديثهم في دهرهم. وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أسطورة. وقال بعضهم: أساطيرة؛ ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عبديد، ومذاكير، وأبابيل. وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سطر منها، أي: ما كتب، ومنه قوله: ﴿ نَ عَادِيد، ومذاكير، وأبابيل. وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سطر منها، أي: ما كتب، ومنه قوله: وأقوال، وأقاويل أن واحدة الأساطير: أسطورة، وإحدها سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل أن واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، قال أبو عبيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز الثرهات. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشكلة، يقول قائلهم: قد ومجازها مجاز الثرهات. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشكلة، يقول قائلهم: قد

 ⁽١) قال ابن كثير بعد أن نقل هذا القول عن ابن عباس: وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية ﴿يَمْ َ لَكُ كِيمًا لِمُوالِمُ لَنَا لِمُؤْمِدُ لَكُ كِيمًا لِمُؤْمِدُ لَهُ ﴾ [المجادلة: ١٨].

٢) الطبري ٢٠٢/١، وذكره ابن كثير ٢٧/٢ عن ابن أبي حاتم وإسناده حسن، ونصه: عن سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿ وَاللَّهُ مَرْكِكَ ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ وَالا يَكُشُونَ اللّهَ حَدِيكًا ﴾ [النساء: ٤٢] قال ابن عباس: أما قوله: ﴿ وَاللَّهُ مَرْكِكَ ﴾ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا نجحد، فقالوا: ﴿ وَاللَّهُ مِرْكِنَا كَا كُمُّ مُشْرِكِكَ ﴾ فختم الله على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿ وَلا يَكْشُونُ اللّهَ حَيْكًا ﴾ وفي رواية للطبري ٨/ ٣٤٤: تبين أن السائل هو نافع بن الأزرق، وكان يأتي ابن عباس ليلقي عليه متشابه القرآن.

 ⁽٣) البيت للمثقب البعدي من قصيدة حكمية جيدة أثبتها صاحب «المفضليات» ٢٩٣.

⁽٤) ﴿ عَرِيبِ القرآنِ ٣٧.

أخذنا في ترهات البسابس، يعني: قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل؛ وعما يعرف إلى ما لا يعرف. و «البسابس»: الصحاري الواسعة، والتُرَّهات: طرق تشعب من الطريق الأعظم، فتكثر وتُشكِل، فجُعلت مثلاً لما لا يصح وينكشف. فإن قبل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحي من الله. والثاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل. فعلى الجواب الأول تكون «أساطير» من التسطير، وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات، وقد شرحنا معنى التُرَّهات.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهُونَ عَنْهُ وَيَتَوْتَ عَنْهُ وَيَتُونَ عَمْ وَ بن يَوْدُوا رسول الله عليه عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة (١). وقال مقاتل: كان رسول الله عند أبي طالب يديدون بالنبي عليه سوءاً، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه، فقال: ما لي عنه صبر؛ فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك؛ فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعتُه إليكم، وقال:

والله لَنْ يَسِسلُوا إِلَيْكَ بِجَمْدِهِم فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً وَعَسرَضْتَ دِيسناً لَا مَسَحَالَةَ أَنَّه لَسولا السمَسلَامَةُ أو حَسذَاري سُبَّةً

حَدِثَى أُوَسَّدَ في السَّرَابِ وَفِيدِنَا وابْسِرْ وقَرَّ بداكَ مِسنَكَ عُيُسونا مِن خَيْسِ أَدْيسانِ السبريَّةِ دِيسنا لَـوَجَدْتَني سَمْحَاً بِلَاكَ مُبِيئَنَا

فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي على، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال ابن الحنفية، والضحاك، والسدّي. فعلى القول الأول، يكون قوله: "وهم" كنايةً عن واحد؛ وعلى الثاني: عن جماعة. وفي هاء "عنه" قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي على ثم فيه قولان: أحدهما: ينهون عن أذاه. والثاني: عن اتباعه. والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. ﴿وَيَهُونَ ﴾ بمعنى يبعدون. وفي هاء "عنه" قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى النبي على والثاني: إلى القرآن.

بِ ، بَا مَالِى: ﴿ وَإِنْ يُتُمِلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿ إِلَّا أَنشَتُهُمْ﴾ بالتباعدُ عنه ﴿ وَمَا يَشْمُرُونَ﴾ أنهمَ يهلكونها . ﴿ وَلَدُ تَرَىٰ إِذْ رُنِفُوا عَلَ النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْنَنَا نُرَدُّ وَلَا تَكَذِّبَ وَابْتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُوْمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ زَكَةَ إِذْ وُتِنُوا عَلَ النَّارِ ﴾ في معنى «وقفوا» سنة أقوال: أحدها: حبِسُوا عليها، قاله ابن السائب. والثاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل. والثالث: عاينوها. والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبيّنتُه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: «على» هاهنا بمعنى «في». والسادس: جعلوا عليها وقفاً، كالوقوف المؤبّدة على سبلها، ذكره الماوردي. والخطاب بهذه الآية للنبي ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لدأت عجاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكُلَّذِكَ فِالِنُو رَبِّنا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «نكذُب»، والنون من «نكونُ». قال الزجاج: والمعنى أنهم تمنّوا الرد، وضمنوا أنهم لا يكذّبون. والمعنى: يا ليتنا بُرَد، ونحن لا نكذب بآيات ربّنا، رُدِدْنا أو لم نُردً، ونكون من المؤمنين، لأنا قد عاينا ما لا نُكذّب معه أبداً. قال: ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى «يا ليتنا نرد»، يا ليتنا لا نكذب، كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق. وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذب ـ والله ـ بآياتِ ربّنا، ونكون ـ والله ـ من المؤمنين.

 ⁽١) هو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي، نزيل دمش، ثقة فاضل مترجم في «التهذيب».

وقرأ حمزة إلا العجليّ^(۱)، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذبّ»، والنون من «نكونّ». قال مكي بن أبي طالب: وهذا النصب على جواب التمني، وذلك بإضمار «أن»، حملاً على مصدر «نرد»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدراً، فعطف بالواو مصدراً على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا رداً، وانتفاءاً من التكذيب، وكوناً من المؤمين. وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نُكذبُ»، ونصب النون من «نكونَ»؛ فالرفع قد بيَّنا علته، والنصب على جواب التمني.

﴿ بَلَ بَدَا لَمُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِن مَبَلِّ وَلَوْ رُدُّوا لَمَادُوا لِمَا نَبُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَانِهُونَ ۞ وَقَالُوّا إِنْ هِي إِلَّا حَيَالْنَا الدُّنَا وَمَا خَمْنُ بِبَتِمُونِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ بَلَ بَدَا لَمُم مَّا كَانُوا يُحْنُونَ مِن تَبَلُّ﴾ قبلّ: هاهنا ردّ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردوا لأمنوا. وقال الزجاج: قبل استدراك وإيجاب بعد نفي؛ تقول: ما جاء زيد، بل عمرو. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن. والثاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بالسنتهم، قاله مقاتل. والثالث: بدا لهم جزاءً ما كانوا يخفونه، قاله المبرد. والرابع: بدا للأتباع ما كان يُخفيه الرؤساء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَمَا نُهُواْ مَنْهُ﴾ قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهوا عنه من الشرك، وإِنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا نَكُذِّبَ بِتَابَتُ رَبِّاً وَنَكُونَ مِنَ الْتَهِينَ﴾. قال ابن الأنباري: كذَّبهم الله في إِخبارهم عن أنفسهم، أنهم إِن رُدُّوا، آمنوا ولم يكذبوا، ولم يكذَّبُهم في التمني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلَا حَيَالُنَا ٱلدُّنِيا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث. قال مقاتل: لما أخبر النبي ﷺ كفار مكة بالبعث، قالوا هذا. وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو ردوا لقالوه.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰتَ إِذْ وُقِقُوا عَلَى رَبِّيمٌ قَالَ ٱلنِّبَسَ هَذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَنَ وَيُونَأُ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْمَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْمُرُونَ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِئُواْ عَلَ رَبِّهِمْ ﴾ قال مقاتل: عُرِضُوا على ربهم ﴿قَالَ ٱلنَّسَى مَذَا﴾ العذاب ﴿ إِلْحَقَّ ﴾. وقال غيره: أليس هذا البعث حقاً؟ فعلى قول مقاتل: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿ تَكُفُرُونَ ﴾ بالبعث.

﴿ وَلَدْ خَبِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَلَو اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَلَةَتُهُمُ السَّاعَةُ بَنْتَةً قَالُوا يَحَسْرَبُنَا عَلَ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَكُمْمَ يَعْيِلُونَ ٱوْزَادَكُمْمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاتَهُ مَا يَزِيُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَيِرَ الَّذِينَ كَلَّهُما بِلِقَلَوَ اللَّهِ ﴾ إِنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفو، فعظم خسرانهم، والمراد بلقاء الله: البعث والجزاء؛ والساعة: القيامة؛ والبغتة: الفجأة. قال الزجاج: كل ما أتى فجأة فقد بغت، يقال: قد بغته الأمر يَبْغَتُه بَغْتًا ويغتةً: إِذا أتاه فِجأة. قال الشاعر:

ولَكِ نُسهم بسائسوا وَلَسم أَحْسَنَ بَسَعْسَتَةً وَأَفْظَعُ شَيءٍ حِسِنَ يَفْجَوُكَ البَعْتُ(٢)

قوله تعالى: ﴿يَحَسُرُنَا﴾ الحسرة: التلهف على الشيء الفائت، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا. فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقِلُ؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، بعلته نداء، فَتُدْخِلُ عليه فيا للتنبيه، والمراد تنبيه الناس لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينك هاهنا، لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمنهي؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله، وقال سيبويه: إذا قلت: احضر وتعال يا عَجَبُ، فهذا زمانك. فأما التفريط فهو: التضييع. وقال الزجاج: التفريط في اللغة: تقدمة العجز (٢٠٠٠). وفي المكنى عنه بقوله: فيها، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الدنيا، فالمعنى: على ما

⁽١) هو أبو أحمد عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح العجلي الكوفي نزيل بغداد، مقرئ مشهور ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيات، وعن سليم عن حمزة أيضاً، مات في حدود العشرين وماتنين.

 ⁽۲) دمجاز القرآن، ۱۹۳/۱، و «الكامل، ۸۷۸، و «اللسان»: بغت، وهو ليزيد بن ضبة مولى لئتيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه، غلبت على نسبه، لأن
 أباه مات وخلفه صغيراً. وهو شاعر إسلامي.

 ⁽٣) في «اللسان»: وقال الزجاج: ﴿ وَكَاكَ أَشُرُهُ لُمِناً ﴾، أي: كان أمره التفريط، وهو تقديم العجز.

ضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل. والثانمي: أنها الصَّفقة، لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة، وتَرك ذكرها اكتفاءً بذكر الخسران؛ قاله ابن جرير. والثالث: أنها الطاعة، ذكره بعض المفسرين. فأما الأوزار، فقال ابن قتيبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظهر. وقال ابن فارس: الوزر: الثقل. وهل هذا الحمل حقيقة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هانئ: يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلَّما كان هَوْلُ عظمه عليه، وزاده خوفاً، فيقول: بئس الجليس أنت، مالي ولك؟ فيقول: أنا عملك، طالما ركبتني في الدنيا، فلأركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤوس الناس، فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَمُمْ يَحْوُلُونَ أَوْلَاكُمْ مَ عَلَى ظُهُورِهِمُ ﴾ وهذا قول السدي، وعمرو بن قيس الملائي (١٠)، ومقاتل. والثاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزجاج. قال فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقلٍ ما يُتَحَمَّل، ومعنى ﴿أَلَا سَلَة مَا يَرْدُونَ ﴾: يمس الشيء شيئاً يزرونه، أي يحملونه.

﴿ وَمَا الْحَيَوْةُ الدُّنيْنَا إِلَّا لِيتُ وَلَهُ إِلَى اللَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْفُونَ أَفَلَا تَسْفِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اَلْحَيْوَةُ الدُّنِيَّا إِلَّا لِيَثُّ وَلَهُوَّهُهُ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها، إلا كالشيء يلعب به. والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدنيا. والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أُمروا به. واللعب: ما لا يُجدي نفعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيِرٌ﴾ اللام: لام القسم، والدار الآخرة: الجنة ﴿أَلَلَا يَمْقِلُونَ﴾ فيعملون لها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، فيعقلون بالياء، في (الأنعام) و (الأعراف) و (يوسف) و (يَس)، وقرؤوا في (القصص) بالتاء، وقرأ نافع كل ذلك بالياء، وروى حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء، إلا في (يَس) ﴿فِي اَلْخَلَقِ أَلَلاً يَمْقِلُونَ﴾ [يس: ١٦٧، بالياء، وقرأ ابن عامر الذي في (يَس) بالياء، والباقي بالتاء.

﴿ فَلَ نَمْلُمُ إِنَّهُ لَيَحْرُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا بَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِعَابَتِ ٱللَّهِ يَجْمَدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَنَ نَمْمُ إِنَّهُ لِبَحُرُنُكَ الّذِى يَتُولُونَ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتَّهِ مَك اليوم، ولكنا إن نتَّبعُك نُتَخَطَّف من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذَّب النبي في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي هي، قالوا فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح. والمثالث: أن أبا جهل قال للنبي هي: إنا لا نكذبك، ولكن نُكذب الذي جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب (١٠). وقال أبو يزيد المدني: لقي رسولُ هي أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف؟ فأنزل الله هذه الآية. والرابع: أن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السدي (١٠). فأما الذي يقولون، فهو التكذيب للنبي هي والكفر بالله. وفي الآية تسلية للنبي هي وتعزية عما يواجهون به.

 ⁽١) هو أبو عبد الله عمرو بن قبس الملائي الكوفي، ثقة فاضل متعبد، مترجم في «التهذيب» وغيره. وقد خرج الطبري أثره ٣٢٧/١١، وذكره السيوطي في
 اللدر المنثور، ٣/٣ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وإسناد ابن أبي حاتم فيما رواه ابن كثير (١٢٩/٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا أبو خالد
 الأحمر عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق.

⁽٢) الطبري: ١١/ ٣٣٤، مرسلاً عن ناجية بن كعب الأسدي، ورواه الترمذي ١٠٣/٤ عن علي، ثم رواه مرسلاً من رواية ناجية بن كعب دون ذكر علي، وقال: وهذا أصح، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٥ موصولاً بإسناد آخر غير إسناد الترمذي، وصححه على شرط الشيخين، قال الشيخ أحمد شاكر في اعمدة التفسيره (٥/ ٥/): قالوصل زيادة من ثقتين، فهي مقبولة على اليقين، وقد تعقب الذهبي تصحيح الحاكم إياه (على شرط الشيخين) بأنهما لم يخرجا لناجية بن كعب الأسدي شيئاً، ولكه تابعي ثقة، فالحديث صحيح، وإن لم يكن على شرطهما.

⁽٣) الطبري: ٢١/ ٣٣٢.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لا يُكْتِونَكَ كاذباً ؛ قاله ابن قتيبة. والثاني: ﴿ يُكْذِبُونَكِ اللّهِ اللّهِ اللهِ الكاف. وفي معناها قولان: أحدهما: لا يُلفُونَك كاذباً ؛ قاله ابن قتيبة. والثاني: لا يكذّبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آياتِ الله ويتعرَّضون لعقوباته. قال ابن الأنباري: وكان الكسائي يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبتُ الرجل: إذا نسبتُه إلى الكذبه وصنعة الأباطيل من القول؛ وأكذبته: إذا أخبرت أن الذي يحدّث به كذب، ليس هو الصانع له. قال: وقال غير الكسائي؛ يقال: أكذبتُ الرجل: إذا أدخلته في جملة الكذّابين، ونسبتَه إلى صفتهم، كما يقال: أبخلتُ الرجل: إذا نسبتَه إلى البخل، وأجبتُه: إذا وجدّته جباناً. قال الشاعر:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكُفَرونِي بِحُبِّكِم وَطَائِفَةٌ قالوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ(١)

وقرا ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، وابن عامر: «يكذّبونك» بالتشديد وفتح الكاف؛ وفي معناها خمسة أقوال: أحدها: لا يكذّبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد وبَهْت، قاله قتادة، والسدي. والثاني: لا يقولون لك: إنك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذّبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب. والثالث: لا يكذّبونك في السر، ولكن يكذّبونك في السائب، ومقاتل. والرابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في يكذّبونك في العلانية، عداوة لك، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كلبت. والمخامس: لا يكذّبونك بقلوبهم، لانهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزجاج. وقال أبو علي: يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلفت اللفظتان، إلا أن «نعّلتُ»: إذا أرادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من «أنعلتُ». ويؤكد أنَّ القراءتين بمعنى، ما حكاه سيوبيه أنهم قالوا: قلّلتُ، وأقللت، وكثّرتُ، وأكثرت بمعنى. قال أبو علي: ومعنى «لا يكذّبونك»: لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما أخبرتَ به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما يقال: أحمدتُ الرجل: إذا أصبتَه محموداً، لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة: معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما يقال: أحمدتُ الرجل: إذا أصبتَه محموداً، لأنهم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد يُثين الظّلِينَ بِنَابَتِ الله يَعْمَدُونَ به بالسنتهم ما يعلمونه يقيناً، لعنادهم. وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد يُثين، قاله السدي. والثاني: محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثالث: القرآن، قاله مقاتل.

﴿ وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِن مَبْلِكَ مَصَبَرُهُا عَلَى مَا كُذِبُواْ وَأُودُواْ حَتَّى آئنُهُمْ نَصْرُأً وَلَا مُبَذِلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن أَبْإِيْ النَّرْسَلِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ كُذِبَتَ رُسُلٌ مِن تَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقى منهم. قال ابن عباس: ﴿فَسَبَرُوا عَلَى مَا كُذِيُوا﴾ رجاء ثوابي،: ﴿وَأُودُوا﴾ حتى نُشروا بالمناشير، وحُرقوا بالنار: ﴿حَقَّ ٱلنَّهُمْ نَسَرًاً﴾ بتعذيب من كذبهم(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا مُبُدِلَ لِكُلِمَتِ اللّهِ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا خُلْفَ لمواعيده، قاله ابن عباس. والثاني: لا مبدل لحكوماته، وأقضيته النافذة في عباده، فعبّرت مبدّل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج. والثالث: لا مبدل لحكوماته، وأقضيته النافذة في عباده، فعبّرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله: ﴿ وَلَكِنْ حَقّتُ كُلِمَةُ الْعَلَابِ عَلَى ٱلْكَثَهِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي عليهم. فعلى هذا القول والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿ لَأَطِبُكَ أَنَا وَرُسُولٍ ﴾ [المجادلة: ٢١]. والمرابع: أن معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يُبدّلُن أحد كلمات الله، فهو كقوله: ﴿ لا رَبِّ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]. والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنُصروا. وقيل إن: •مِن∙: صلة.

⁽١) البيت للكميت بن زيد الأسدي من قصيدته الرائعة في مدح آل البيت.

ا روى البخاري في "صحيحه (٤٥٦/٦) و (١٩٦/١٧) و (٢٨/١٨٦) عن خباب بن الأرت رضي قال: شكونا إلى رسول الله يَشِخ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحقر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويعشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلونه.

﴿ وَإِن كَانَ كُبُرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْنَغِى نَفَقًا فِي ٱلأَرْضِ أَوْ سُلَمًا فِي ٱلسَّمَاءِ فَتَأْتِيهُم بِعَايَةً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱللَّهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَ مِنَ ٱلجَهِلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كُبُرُ عَلِكَ إِمْرَاشُهُمْ سبب نزولها: أن الحارث بن عامر أتى النبي على في نفر من قريش فقال: يا محمد، اثتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. و قكبران بمعنى قطمان وفي إعراضهم قولان: أحدهما: عن استماع القرآن. والثاني: عن اتباع النبي على فأما قالنق فقال ابن قتيبة: النفق في الأرض: المدخل، وهو السَّرب. والسَّلَم في السماء: المصعد. وقال الزجاج: النفق: الطريق النافذ في الأرض. والنافقاء، ممدود: أحد جِحرة اليربوع يَخرِقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقَها، حتى إِنْ رابه ريب، دفع برأسه ذلك المكان وخرج، ومنه سمي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنافقاء الذي ظاهره غير بين، وباطئه حفر في الأرض. و قالسلّم، مشتق من السلامة، وهو الشيء الذي يسلّمك إلى مصعدك. والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف قفافعل، لأن في الكلام دليلاً عليه. وقال أبو عبيدة: السلّم: السبب والمرقاة، تقول: اتخذتني سُلّماً لحاجتك، أي: سبباً. وفي قوله: ﴿فَتَأْتِيّهُم بِاَلَةُ صالح. والثاني: بآية قد سألوك إياها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك، ومثل آبات الأنبياء، كعصا موسى، وناقة صالح. والثاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعُهُمْ عَلَى اللَّهُدَئَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لو شاء أن يطبعهم على الهدى لطبعهم. والثاني: لو شاء لأمنوا كلهم، فأخبر أنما تركوا لإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى. والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر بعضهم. والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له، لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين. ﴿ اللهِ إِنَّا يَسْتَجِبُ الَّذِينَ يَسْمُعُنُّ وَٱلْمَوْنَ يَبَعْتُهُمُ اللهُ ثُمُّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِبُ الَّذِينَ يَسْمُعُونَ ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد به سماع قبول. وفي المراد بالموتى قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون؛ فأما الكفار، فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله، ثم يحشرهم كفاراً، فيجيبون اضطراراً (١٠). والثاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله مثلاً؛ والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فكذلك الذين لا يسمعون.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ إِلَّهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكل.

﴿ وَمَا لُوا اللَّهِ اللَّهِ مَا يَدُّ مِن ذَرِيدً ثُلَّ إِنَّ اللَّهَ قَادِدُ عَلَى أَن يُنَزِّلَ ءَابَةً وَلَكِنَ أَكُوكُمُ لَا يَعْلَمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِلَ عَلَيْهِ مَايَةٌ مِن دَيْدِهِ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء قريش. و «لولا»: بمعنى «هلا» ؛ وقد شرحناها في سورة (النساء). وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء. وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنبوّة. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَتَكِنَّ أَكَثَرُهُمْ لَا يَمْلَنُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يعلمون بأن الله قادر على إنزال الآية. والثاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم. والثالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

﴿ وَمَا مِن ذَابَتُوْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَلَيْمِ يَطِيرُ بِمِنَاحَيْهِ إِلَا أَمُمُّ أَنْنَالُكُمُّ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَبِ مِن شَيَّءُ ثُمَّرً إِلَى رَبِّهِمَ يُحْشَرُوكَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن ذَابَةِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: يريد كل ما دبَّ على الأرض. قال الزجاج: وذكر الجناحين توكيد، وجميع ما نحُلق لا يخلو إما أن يدبَّ، وإما أن يطير.

 ⁽¹⁾ قال الطبري ٢١/١١: ﴿ وَالْمَنْ يَمَنْهُمُ اللهُ ﴾ يقول: والكفار يبعهثم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، لا يعقلون دعاءً، ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رسول الله وخلافهم.

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنَّمُ أَنَالُكُمُ ۗ قال مجاهد: أصناف مصنفة. وقال أبو عبيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه. وفي معنى «أمثالكم» أربعة أقوال: أحدها: أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في معرفة الله، قاله عطاء. والثالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله المزجاج. والرابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبتغي الرزق، وتتوقى المهالك، قاله ابن قتيبة. قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركَّب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً الزمهم بها أن يتدبَّروا أمر النبي على في ويتمسكوا بطاعته، كما جعل للطير أفهاماً يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذَّكرَ منها لإِتيان الأنثى، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركّب ذلك فيها.

قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَتِ مِن شَيْءٍ ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه القرآن. روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم. فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به المخاص، فيكون المعنى: ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجملاً، وإما دلالة، كقوله تعالى: ﴿ وَزَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِيَّبُ بَنِيْنَا لَكُمْ اللهِ النحل: ١٨٩ أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.

قوله تعالى: ﴿ ثُرُرٌ إِنَ رَبِّمْ يُمُنَرُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة. روى أبو ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر، ﴿أندري فيما انتطحتا؟ قلت: لا. قال: ﴿لَكُنَّ اللهُ يدري، وسيقضي بينهما ﴿ أَلُونُ وَلَا أَبُو هُورِرَةَ: يَحْسُر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فيقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً (والثاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عباس، والضحاك.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِنَايَتِنَا مُسَدٌّ وَبُكُمْ فِي الظُّلْسَتِ مَن يَشَا إِللَّهُ يُعْدِلِلَّهُ وَمَن يَشَأْ يَجْمَلُهُ عَلَى مِرَاطِ مُسْتَقِيدِ ﴿ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايَتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ ﴿مُثْمَا﴾ عن القرآن لا يسمعونه، ﴿وَبَثُمُّ ۗ﴾ عنه لا ينطقون به، ﴿فِي الظُّلْمَدَّ ﴾ أي: في الشرك والضلالة. ﴿مَنْ يَكَإِ اللَّهُ يُشْلِلُهُ ﴾ فيموت على الكفر، ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْمَلُهُ عَلَنَ مِكُولٍ مُسْتَقِيدٍ ﴾، وهو الإسلام.

﴿ فُلُ أَرْمَ يَتَكُمْ إِنْ أَنَكُمْ مَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنَكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُ مَدْدِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ قُلُ أَرَهَ يَنَكُمُ إِلَى البن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: ﴿ أَرأيتم و ﴿ أَرأيتكم و ﴿ أَرأيت الله الله و ﴿ أَرأيت الله وَ إِلَا لَكُ الله وَ الله وَ أَرأيت الله وَ الله والله وال

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرُ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتدعون صنماً أو حجراً لكشفِ ما بكم؟!! فاحتج عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُر صَدِينَ﴾ جواب لقوله: «أرأيتكم»، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قبل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

⁽۱) - «المسندة ٥/ ١٦٢ و ١٧٣، و«الطبري، ١١/ ٣٤٨.

⁽٢) الطبري ٢٤٧/١١، والحاكم ٢١٦/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٢١٦/٢ ثم قال: وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢١/٢ وزاد نسبته لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وروى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٧/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة المقرناه». والجلحاء: الشاة إذا لم تكن ذات قرن، والقرناء: الشاة الكبيرة القرن.

﴿ بَلَ إِيَّاهُ نَدَّعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآةَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ بَلَ إِنَّاءُ تَدَعُونَ ﴾ قال الزجاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشدائد إِلا إِياه؛ وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام. ﴿ فَيَكَشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآهَ ﴾ المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتساع الكلام مثل قوله: ﴿ وَسَتَلِ ٱلتَرْيَدَ ﴾ [يوسف: ١٨]، أي: أهل القرية. ﴿ وَنَسَوْنَ ﴾: يجوز أن يكون بمعنى التركون ؛ ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم.

﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلُنَا إِلَى أَمْدِ مِن قَبْلِكَ فَأَخَذُنَّهُم إِلْبَأْسَاءَ وَالنَّمْزُاهِ لَمَلَهُمْ بَهَنَزُّعُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَدَ أَرْسَلُنَا إِلَى أَسَرِ مِن تَبْلِكَ﴾ في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالفوهم، فأخذناهم بالبأساء؛ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الزمانة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها الجوع، ذكره الزجاج. وفي الضرَّاء ثلاثة أقوال: أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: النقص في الأموال والأنفس، ذكره الزجاج. والثالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان،

قوله تعالى: ﴿ لَمَلَهُمْ بَضَرَّمُونَ﴾ أي: لكي يتضرعوا. والتضرع: التذلل والاستكانة، وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرعوا. .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَغَمَّرُهُوا وَلَكِن فَسَتَ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطِانُ مَا كَانُوا بِمُسَلُوكَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَلُولَا ﴾ معناه: ﴿ فهلًا ﴾. والبأس: العذاب. ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه على أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أُخِذُوا بالشدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالتهم فأصروا عليها.

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِرُواْ بِهِ. فَتَحّنا عَلِيَهِمْ آبُوبَ كُلِ شَيءٍ حَتَى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوا أَفَوَا أَفَوَا مَنْدَتَهُمْ بَنْنَهُ فَإِذَا هُم تُبْلِسُونَ ﴿ فَقَى قُولُمُ عَلَيْهِمْ آبُوبَ كُلِ شَيءٍ فَولا ابن عباس: تركوا ما وعظوا به. ﴿ فَتَحْنا عَلِيْهِمْ آبُوبَ كُلِ شَيءٍ في (الأعراف)، وفي (الأنبياء): يريد رخاء الدنيا وسرورها. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فتّحنا» بالتشديد هنا وفي (الأعراف)، وفي (الأنبياء): وفي (القمر): «فتّحنا»، وأليجمهور على تخفيفهن. قال الزجاج: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاماً، وما فُتح عليهم، فاستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله «كل شيء»: التأكيد، كقول القائل: أكلنا عند فلان كلَّ شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه، كقوله: ﴿ وَأُوبِيَتَ مِن كُلِ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٢]. وقال الحسن: من وُسّع عليه فلم ير أنه لم يُمكر به، فلا رأي له؛ ومن قُتَر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا (١).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ﴾ في المبلس خمسة أقوال: أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وقال في رواية أخرى: الآيس من كل خير. وقال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته، قلا يكون عنده جواب: قد أبلس. قال العجَّاج:

يا صَاحِ هَلُ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً قَالَ نَعَمْما أَعْرِفُ وَأَبْلَسَا(٢) الله يَعِرْ جواباً. وقيل: المكرس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبوَّلت، فيكرب بعضه بعضاً. والثاني: أنه

⁽١) في اتفسير المناره ٧/٤١٤: والآية تفيد أن البأساء والضراء وما يقابلهما من السراء والنعماء، مما يتربى ويتهذب به الموفقون من الناس، وإلا كانت النعم أشد وبالأ عليهم من النقم، وهذا ثابت بالاعتبار، فلا خلاف في أن الشدائد مصلحة للفساد، وأجدر الناس بالاستفادة من الحوادث المؤمن، كما ثبت في حديث صهيب مرفوعاً في وصحيح مسلم»: وعجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

⁽۲) مجاز القرآن، ۱۹۳/۱، ومعاني القرآن، للفراه: ۳۳۵، ودالطبري، ۳۱۳/۱۱، ودالكامل، ۳۳۵، وداللسان، ودالتاج،: بلس.

المفتضح. قال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة. والثالث: أنه المهلك، قاله السدي. والرابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة، وأنشد لرؤبة:

وحنصَرَتْ يبوم الخميس الأخماس وفي البوجوه صُفرةٌ وإبسلاس (١)

أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن. وقال الزجاج: هو الشديد الحسرة، الحزين، اليائس. وقال في موضع آخر: المبلس: الساكت المتحير.

﴿ فَنُعْلِعَ دَائِرُ ٱلْفَوْرِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَٱلْحَمْدُ يَدُو رَبِّ ٱلْمَنْكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَفُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْرِ اللَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قال ابن السائب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم. والمعنى: أنهم استؤصلوا. وقال أبو عبيدة: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم. قال ابن قتيبة: هو كما يقال: اجتُثَ أصلهم. قال المفسرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنهام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين.

﴿قُلْ أَرْمَيْتُدَ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَعَكُمْ وَأَبْصَدَرُكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَنَ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِدُ انظَرَ كَبَّكَ لَمَسْرِفُ الْاَيْنَتِ ثُكَّ لِمُمْ وَعَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَنَ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِدُ انظَرَ كَبَّكَ لَمَسْرِفُ الْاَيْنَتِ ثُكَّ لَهُمْ وَعَلَى الْاَيْنَتِ ثُكُمْ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِدُ انظَرَ كُبُّ لَكُمْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُعَمَّدُ وَأَنْصَدُونُهُ وَخَنَمُ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِدُ انظُرَ كُبُّ فَعَرْفُ اللَّهُ مُعْمَدُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَالِهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْمَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْمَكُمْ وَأَبْصَدَرُكُمْ ﴾ أي: أذهبها، ﴿وَخَمْمَ عَلَى قُلُوكِكُم ﴾ حتى لا تعرفون شيئاً ﴿قَنْ إِلَهُ عَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِمَا أَخذ الله منكم، قاله عَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِمُ وَاللّه أَذِه الله منكم، قاله الزجاج. وقال الفراء: إذا كنيت عن الأفاعيل، وإن كثرت، وحدَّت الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني. والثاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفراء. فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشتمل عليه، لأن من أُخذ سمعه وبصره وخُتم على قلبه لم يهتد. والثالث: أنها تعود على السمع، ويكون ما عُطف عليه داخلاً معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزجاج. والجمهور يقرؤون: ﴿مَنّ إِللّهُ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِهُ انظر ﴾ بكسر هاء قبه ، وروى المسيّين (٢) عن نافع: قبه انظر ٥؛ بالضم. قال أبو علي: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب ؛ ومن ضم، فعلى قول من قال: فخسفنا بهو وبدارهو الأرض، فحذف الواو.

قوله تعالى: ﴿اَنْظُرْ كَيْتَ نُمُرِّكُ الْآيَنتِ﴾ قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أُمور شتى، فيخوفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وبما صُنع بالأمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمَّ يَمَّدِثُونَ﴾، أي: يعرضون فلا يعتبرون.

﴿ فُلْ أَرَائِكُمْ إِنْ أَلْنَكُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَمْنَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ الطَّالِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلُ أَرَهُ إِنَّ أَلْنَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَشْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ قال الزجاج: البغتة: المفاجأة؛ والجهرة: أن يأتيهم وهم يرونه. ﴿هَلَ يُهْلُكُ إِلّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّلِيُوكَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

﴿ وَمَا زُبِيلُ ٱلشُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينٍ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفُ عَلَيْتِمْ وَلَا هُمْمَ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِتَابَعْتِنَا يَمَشُّهُمُ ٱلْعَدَابُ بِنَا كَاثُواْ يَشْمُنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثواب؛ ومنذرين بالعقاب، وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق، وعقاب من كذب في تمام الآية والتي بعدها. وقال ابن عباس: يفسقون: بمعنى يكفرون.

﴿ قُلُ لَا ٱلْوَلُ لَكُدْ عِندِى خَزَايِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعَلَمُ ٱلفَيْبَ وَلاَ أَقُلُ لَكُمْ إِنْ مَلَكُ إِنَّ أَنْبِحُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِنَّ قُلُ هَلَ يَسَتَوِى الأَعْمَىٰ وَٱلْعَبِدُ أَلَا تَنْفَكُرُونَ ﴾

⁽۱) دديوانه، ۲۷، و دمجاز القرآن، ۱۹۲۱، و داللسان، بلس، ورواية ديوانه، و عرفت يوم الخميس.

 ⁽٢) هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المدني، إمام جليل، عالم بالحديث، قيم قي قراءة نافع، ضابط لها، محقق، فقيه. انظر
 قطبقات القراء؟ ١٠٧٧/١.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لاَ آقُولُ لَكُمْ عِنِي خَرْآبِنُ آلَتِهِ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزاً فتستغني به، فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: وهذه الآية متصلة بقوله: ﴿ لَوْلا آلَوْلُ مَلْكِهُ مَاكُةٌ مِّن دَرْبِيّهُ ﴾، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه مَلكٌ، لأن المَلكَ يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر. وقرأ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة، والجحدري: ﴿ إني ملك ، بكسر اللام. وفي الأعمى والبصير قولان: أحدهما: أن الأعمى: الكافر، والبصير: المؤمن، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: الأعمى: الضال والبصير: المهتدي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد. وفي قوله تعالى: ﴿ أَنْلا تَنْفَكُرُونَ ﴾ قولان: إحداهما فيما بُين لكم من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق رسوله. والثاني: فيما ضُرب لكم من مثل الأعمى والبصير، وأنهما لا يستويان.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَعَافُونَ أَن يُمْشَرُوٓا إِلَى رَبِهِمْ لَبُسَ لَهُمْ مِن دُونِدٍ. وَكِ ۚ وَلَا شَفِيعٌ لَمُلَهُمْ بَنْتُونَ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿وَأَنذِر بِهِ ﴾ قال الزجاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مُنلِراً لجميع الخلق، لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر، لاعترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذَر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه، وإما كتابي، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبّاؤه، فأعلم ﷺ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع. وقال غيره: ليس لهم من دونه ولي، أي: ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع، لأن شفاعة الشافعين بأمره. وقال أبو سليمان إلدمشقي: هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَرُارِي إِللهُ مَلاَ النَّمُونُ لِمُؤْدِرُكُم بِهِ ﴾ [الانماء: ١٩].

﴿ وَلا تَظَرُو الَّذِينَ بَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَدَاؤَ وَالْمَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَةً مَا عَلَيْك مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءِ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْء فَتَظُرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّللِيمِنَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلا تَطُرُو الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم ﴾ روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: في، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال. قالت قريش لرسول الله على: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك. فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية (١٠). وقال خباب بن الأرث: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النبي على يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشراف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: النعم، فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً، فأتي بأديم ودواة، ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلا تَطُرُو الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَنَّ بَهْمَهُم بِهَضِ ﴾ فرمى بالصحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلّهُ عَلَيْكُم كُتُبُ رَبُّكُم عَلَى نَفْسِهِ الرّحَـمَةُ ﴾ فدنونا نه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته (٢٠). وقال ابن مسعود: مرّ الملأ من قريش على رسول الله على وعنده خبّاب، وصهيب، وبلال، وعمّار، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعاً لهم؟! فنزلت: ﴿وَلا تَظُرُو الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ (١٠). وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن نكون تبعاً لهم؟! فنزلت: ﴿ وَلا يَنْ عَبْ مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبدنا على ريدون، فنزلت هذه الآيات، فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى نظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته (٤٠). وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه نظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته (٤٠). وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه المؤلود المؤلود المؤلود المؤلود المؤلود المؤلود المؤلود المؤلود الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته (٤٠). وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه النظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته (٤٠).

 ⁽۱) رواه ابن ماجه ۱۳۸۳/۲، ومسلم بنحوه مختصراً ۱۸۷۸/۶، ورواه بنحوه الطبري ۲۱/۳۷۸، وأورده ابن كثير في اتفسيره، ۲/ ۱۳۵ بنحوه عن سعد،
 وقال: رواه الحاكم في امستدركه من طريق سفيان وقال: على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان في اصحيحه من طريق المقدام بن شريح به.

 ⁽۲) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ۱۱ ۳۷٦/۱۱ بمعناه، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (۲/ ۱۳۶) من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا حديث غريب، فإن
 الأية مكية، والأقرع بن حابس، وعبينة، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. ورواه ابن ماجه ۲/ ۱۳۸۳.

⁽٣) رواه أحمد في «المسند» رقم (٣٩٨٥) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ورواه الطبري ٢٧٤/١١، ٣٧٥.

⁽٤) رواه الطبري في اتفسيره؛ ٣١٩/١١، ٣٨٠ بأطول منه.

الآيات نزلت في الموالي، منهم بلال، وصهيب، وخبَّاب، وعمَّار، ومِهْجَعُ، وسلمان، وعاهر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة؛ وأن قوله: ﴿وَأَنذِرَ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُمَشَرُوا إِلَى رَبِهِ مِنْ ﴾ نزلت فيهم أيضاً. وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن ناساً من الأشراف قالوا للنبي ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك، فليصلوا خلفنا. فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله تعالى: ﴿يَنْعُونَ رَبُّهُر﴾ في هذا الدعاء خمسة أقوال: أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله ابن عمو، وابن عباس. وقال مجاهد: هي الصلوات الخمس؛ وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصبح والعصر. وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي؛ ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك. والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي، وعنه كالقول الأول. والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك. والرابع: أنه تعلم القرآن غدوة وعشية، قاله أبو جعفر. والمخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له، وعبادته، قاله الزجاج. وقرأ الجمهور: «بالغداة»؛ وقرأ ابن عامر هاهنا وفي (الكهف) أيضاً: «بالغُذرية» بضم الغين وإسكان الدال وبعدها واو. قال الفراء: والعرب لا تدخل الألف واللام على «الغدوة»، لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب؛ يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة. وقال أبو علي: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة، وتتعرف باللام؛ وأما غُدوة، فمعرفة. وقال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة وبُكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر. فإن قيل: دعاء القوم كان متصلاً بالليل والنهار، فلماذا خص الغداة والعشي؟ فالجواب: أنه نبه بالغداة على جميع النهار، وبالعشي على الليل، لأنه إذا كان عمل النهار خص الغداة والعشي؟ فالليل أصفى.

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُن َ رَجْهَمْ ﴾ قال الزجاج: أي يريدون الله، فيشهد الله لهم بصحة النيات، وأنهم مخلصون في ذلك. وأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن. والثاني: حساب الأرزاق.. والثالث: أنه بمعنى الكفاية؛ والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّلِلِينَ﴾ قال ابن الأنباري؛ عظم هذا الأمر على النبي ﷺ، وخُوِّف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء على الضعفاء.

﴿ رَكَ ذَكَ اللَّهُ مَنْهُم بِمَعْنِي لِتُعُولُوا أَمْتُؤُلَّهِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِئَّ أَلْيَسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَكَ لَا كَا بَهُ مَهُمُ بِهُونِ ﴾ المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً بعضهم ببعض. و «فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا؛ ﴿ لِتَعُولُوا ﴾، يعني الكبراء؛ ﴿ أَمَوُلا هَ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿ مَنَ اللهُ عَلَيْهِ هَ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة. قال ابن السائب: ابتلى الله الرؤساء بالموالى؛ فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله، أنف أن يسلم، ويقول: سبقنى هذا؟.

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَغَلَمَ بِالشَّكِينَ ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منَّ عليهم بالهداية. والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر. والاستفهام في «أليس»، معناه التقرير، أي: إنه كذلك.

﴿ وَإِذَا جَآةِ كَ ۚ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِنَائِدِنَا فَقُلْ سَلَمُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفَسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّمُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةِ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَصْلَحَ فَأَنْهُمْ غَفُورٌ رَّحِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُوْمِثُونَ بِتَايَتِنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية (١)، قاله أنس بن رجال أتوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية (١)، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في الذين نُهي عن طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: «الحمد لله الذي

⁽١) رواه الطبري في انفسيره ٢١١/ ٣٩٠، ٣٩١ من طريق مجمع بن صمعان قال: سمعت ماهان. وذكره السيوطي في اللدر المنثور؟ وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد، ومسدد، وابن المنلر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم. وماهان هو أبو سالم الكوفي الأغور، ثقة عابد، روى عن ابن عباس وأم سلمة، قتله الحجاج منة ثلاث وثمانين.

جعل في أمني من أمرني أن أبدأهم بالسلام، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء. والوابع: أن عمر بن الخطاب كان أشار على رسول الله على بتأخير الفقراء، استمالة للرؤساء إلى الإسلام. فلما نزلت: ﴿وَلا تَطَرُر الَّذِينَ يَتَعُونَ رَبَهُر﴾، جاء عمر يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أنها نزلت مبشّرة بإسلام عمر بن الخطاب؛ فلما جاء وأسلم، تلاها عليه رسول الله على حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأما قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِنَايَرْتِنَا﴾ فمعناه: يصدّقون بحججنا وبراهيننا.

قوله تعالى: ﴿ نَثُلُ سَكَمُ عَلَيْكُمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفاً لهم؛ وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أنه أمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى السلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات. وفي السوء قولان: أحدهما: أنه الشرك. والثاني: المعاصي. وقد ذكرنا في سورة (النساء) معنى «الجهالة». قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «إنه من عمل منكم سوءاً» «فإنه غفور» بكسر الألف فيهما. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الألف فيهما. وقرأ نافع: بنصب ألف «أنه» وكسر ألف «فإنه غفور». قال أبو علي؛ من كسر ألف «إنه» جعله تفسيراً للرحمة؛ ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه من عمل» جعل «أنّ» بدلاً من الرحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء، أضمر خبراً تقديره؛ فله: «أنّه عَفُورٌ رَحِيمٌ» والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَلَ لَهُ فَارَ جَهَنَدَ ﴾ [التربة: ٢٣]، معناه: فله أن له الله على وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرحمة، واستأنف ما يعد الفاء.

﴿ وَكَذَالِكَ نُفَصِّلُ الْآبِكَ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَاكِكَ نُفَيِّلُ ٱلْأَيْكِ﴾ أي: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل. قال ابن قتية؛ ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرقة شيئاً بعد شيء.

قوله تعالى: ﴿ وَلِتَسْتَبِنَ ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: "ولتستبين" بالناء، "سبيل" بالرفع. وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالناء أيضاً، إلا أنهما نصبا السبيل، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "وليستبين" بالياء، "سبيل" بالرفع. فمن قرأ "ولتستبين" بالياء أو الناء، فلأن السبيل تذكر وتؤنث على ما بينا في (آل عمران)، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وفي سبيلهم التي بُيّنت له، قولان: أحدهما: أنها طريقهم في الشرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عباس. والثاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إيثار مجالسته واتباعه، قاله أبو سليمان. فإن قيل: كيف انفردت لام "كي" في قوله: "ولتستبين" وسبيلها أن تكون شرطاً لفعل يتقدمها أو يأتي بعدها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين: أحدهما: أنها شرط لفعل مضمر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين. والثاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: نفصل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

﴿ فُلَ إِنِّ نَهِيتُ أَنْ أَعَبُدُ الَّذِيكَ تَنْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فُل لَا أَنِّجُ أَمْوَآهَ كُمْ فَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْمَنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِي نَهُمِتُ أَنَّ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَدَعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عَني الأصنام. وفي معنى الدعون قولان: أحدهما: تدعونهم الهة. والثاني: تعبدون؛ قاله ابن عباس. وأهواؤهم: دينهم. قال الزجاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البيّنة والبرهان، ومعنى «إِذَا عمنى الشرط؛ والمعنى: قد ضللت إن عبدتها، وقرأ طلحة، وابن أبي ليلى: «قد ضلِلت» بكسر اللام.

﴿ وَهُلَ إِنَى عَلَى بَهِنَتُو مِن زَّبِي وَكَذَّتُم بِودَ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْطُونَ بِمِدَّ إِنِ ٱلْحُكَمُ إِلَا بِقَوْ يَقُصُ ٱلْحَقَّ وَهُو خَبُرُ ٱلْفَصِلِينَ ﴿ وَ اللَّهُ عَلَى بَهِنَةٍ مِن زَّبِي ﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد اثننا بالعذاب الذي تَعِدُنا به، استهزاءً وقام النضر عند الكعبة وقال: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فاثننا بالعذاب؛

فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما البينة، فهي الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل. قال الزجاج: أنا على أمر بيّن، لا متبعّ لهوى.

قوله تعالى: ﴿وَكَنَّبُتُهُ بِهِمْ ﴾ في هاء الكناية، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الرب. والثاني: ترجع إلى البيان. والثالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاءً.

قوله تعالى: ﴿مَا عِندِكَ مَا تَتَتَمَّجُلُونَ بِهِ ۚ أَي: ما بيدي. وفي الذي استعجلوا به قولان: أحدهما: أنه العذاب؛ قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الآيات التي كانوا يقترحونها؛ ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْمُكُمُ إِلَّا يِنِّهِ فيه قولان: أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب. والثاني: أنه القضاء بإنزال العذاب على المخالف.

قوله تعالى: ﴿ يَتُمُّنُ ٱلْحَقِّ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع ﴿ يَتُمُّنُ ٱلْحَقِّ ﴾ بالصاد المشددة، من القصص؛ والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق. وقرأ أبو عمرو، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: "يقضي الحق، من القضاء؛ والمعنى: يقضى القضاء الحق.

﴿ فَلَ لَوْ أَنَّ عِندِى مَا نَسْتَمْمِلُونَ بِهِ. نَقُضِىَ ٱلأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُّ وَاللَّهُ أَعْـلُمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَ لَوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَمْطُونَ بِدِ. ﴾ أي: من العذاب ﴿ لَتُغِنَى ٱلأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ قَالَ ابن عباس: يقول: لم أمهلكم ساعة، ولأهلكتكم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْـلُمُ بِالظَّالِيبَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخَّر عقوبتهم. والثاني: أعلم بما يؤول إليه أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ فلذلك يؤخَّرهم.

﴿ ﴾ رَمِنْ مَنَائِحُ ٱلنَّبِ لَا يَمْلُمُهَا إِلَا هُوَّ رَيْمَاتُ مَا فِى ٱلْبَرِّ رَالْبَحْرُ رَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَـَةٍ إِلَّا يَمْلَمُهَا وَلَا حَبَّـَةٍ فِى خُلْلُنَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا بَابِسِ إِلَّا فِي كِشَوِ شِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَسَقُطُ مِن وَرَفَهَ إِلَّا يَسَلَمُهَا ﴾ قال الزّجاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط. فأما ظلمات الأرض، فالمراد بها بطن الأرض.

⁽۱) «المسند» ۷/۷، والبخاري: ۸/۲۱۹، «وصحيح ابن حبان» ۱/۲۹، ۷۰.

⁽٢) الطبري: ١٠/١١، ورواه أحمد في الصينة ٥/ ٢٤١ بلقظ: اأوتي نبيكم ﷺ مقاتيح كل شيء فير خمس ﴿إِنَّ أَلَهُ عِنْمُ عِلْمُ النَّاعَةِ وَتُوْتِلُ أَلْمَتَكَ وَرَوْتَلُكُ النَّاعَةِ وَتُوْتِلُكُ النَّاعَةِ وَتُوْتِلُكُ أَلَا اللّهِ عَلَى وَمِثَلًا وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

وفي الرطب واليابس، خمسة أقوال: أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية. والثاني: الرطب: ما يُنبِت، واليابس: ما لا يُنبِت. والثالث: الرطب: الرطب: الحي، واليابس: الميت. والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله. والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه واليابس. ويعلمه يابساً. وفي الكتاب المبين قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مقاتل. والثاني: أنه علم الله المتقنّ؛ ذكره الزجاج. فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري: أحدها: أنه أحصاها في كتاب لتقف الملائكة على نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب، أعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَنَوَنِّكُمْ بِالْنَالِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُد بِالنَّهَادِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُفْفَقَ آجَلُّ مُسَكِّنٌ ثُدَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَيِّكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّذِى يَتَوَنَّكُم بِالَّيْلِ ﴾ يريد به النوم، لأنه يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم، كما يقبض بالموت. وقال ابن عباس: يقبض أرواحكم في منامكم. وجرحتم: بمعنى كسبتم. ﴿ ثُمُّ يَبْمَنُكُم ﴾ أي: يوقظكم فيه، أي: في النهار. ﴿ لِيُقْضَى آجَلُ مُسَكِّم ﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم، فدل باليقظة بعد النوم على البعث بعد الموت.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِسَادِةٍ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاةَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ قَوْقَتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُقرِّمُلُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةَ﴾ الحفظة: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعلة. وفيما يحفظونه قولان: أحدهما: أعمال بني آدم؛ قاله ابن عباس. والثاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ وَوَقَاتُهُ رُسُلُنَا﴾ وقرأ حمزة: «توفاه رسلنا» وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ آيوسف: ٣٠]. وفي المراد بالرسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان مَلَك الموت، قاله ابن عباس. وقال النخعي: أعوانه يتوفّون النفوس، وهو يأخذها منهم. والثاني: أن المراد بالرسل مَلَك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الحفظة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمُمْ لَا يُنَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يضيِّعون. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿وَقَائَتُهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله: ﴿قُلْ يَنَوَفُكُمُ مَلَكُ الْسَوْتِ﴾؟ [السجدة: ١١] فعنه جوابان: أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرسل مَلَك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد. والثاني: أن أعوان مَلَك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكل إلى فعله. وقيل: تَوقي أعوان ملك الموت بالنزع، وتوفّي الله تعالى بأن يخلق الموت في الميت.

﴿ مُوْوَا إِلَى اللَّهِ مَوْلَنَهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْمُكُّمُ وَهُوَ أَشَرَعُ الْمُسِيدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّواً إِلَى اللهِ ﴾ يعني العباد. وفي متولي الردِّ قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتهم بالموت إلى الله تعالى، والثاني: أنه الله ﷺ، ردهم بالبعث في الآخرة. وفي معنى ردهم إلى الله تعالى، قولان: أحدهما: أنهم ردوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده، والثاني: أنهم ردوا إلى تدبيره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفرداً بتدبيرهم، فلما مكَّنهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفهم عنه بالموت، فصاروا مردودين إلى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْمُكُمُّ ﴾ يعنى القضاء. وبيان سرعة الحساب في (البقرة)(١١).

⁽١) يعني: تقدم بيان سرعة الحساب في سورة (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿أَوْلَتِكَ لَهُمْرَ نَصِيبٌ نِنَا كَسُبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ لَلْمِسَابِ ۞﴾.

﴿ فَلْ مَن يُنَجِيكُم مِن ظُلُمُتِ ٱلْذِ وَٱلْبَدْ ِ تَنْعُونَهُمْ تَضَرُّعًا وَخُلْيَةً لَمِنْ أَنِهَنَا مِنْ هَذِهِ. لَنَكُونَنَ مِنَ الشَّلِكِينَ ۞ قُلِ اللّهُ يُنَجِيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلُ مَن يُنَجِّيكُ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿ قُلُ مَن يُنَجِّيكُ ﴾ ﴿ قُلُ اللّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ ، مشدَّدَين. وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم. قال الزجاج: والمسدَّدة أجود للكثرة. وظلمات البر والبحر: شدائدها؛ والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل. قال الشاعر:

فِـدَى لِـبَـنِـي ذُهْـلِ بِـنِ شَـبْـبَـانَ نَـاقَـتِـي إِذَا كَـانَ يَــوْمـاً ذَا كَــواكِــب أَشــنَـعَــا(١) قوله تعالى: ﴿يَنَمُونَهُ تَضَرُّمًا﴾ أي: مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿ وَخُفْيَةٌ ﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: "وخِفية المحسر الخاء الكذلك في (الأعراف). وقرأ الباقون بضم المخاء، وهما لغتان. قال الفراء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة، خِفْوة، وخَفْوة. ومعنى الكلام، أنكم تدعونه في أنفسكم، كما تدعونه ظاهراً: ﴿ إَنْ أَهَرْتَنَا ﴾ كذلك قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «لئن أنجيتنا»، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «لئن أنجانا» بألف، لمكان الغيبة في قوله: «تدعونه». وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يُميلون الجيم.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ مَنزِهِ كَ يَعنِي: في أي شدة وقعتم، قلتم: ﴿ لَهِنَ أَغِيَّنَنَا مِنْ مَنذِهِ ﴾. قال ابن عباس: و «الشاكرون» هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دعُوًا الله مخلصين فأنجاهم. فأما «الكرب» فهو الغم الذي يأخذ بالنفس، ومنه اشتقت الكربة.

﴿ وَأَلَّ هُوَ ٱلْفَادِرُ مَلَىٰ أَن يَبْمَتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن فَحْتِ ٱرْبُهِلِكُمْ أَوْ يَشِيكُمْ شِيَعًا وَيُنْدِقَ بَسَضَكُم بَأْسَ بَعْضُ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيْنَتِ لَتَلَهُمْ يَفْقَهُوكَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَاوِدُ عَلَى أَن يَهْتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن نَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصب قوم لوط، وأصحاب الفيل. والذي من تحت أرجلهم: كما خُسف بقارون، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. وقال غيرهم: ومنه الطوفان، والريح، والصيحة، والرجفة. والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم. والذي من تحتهم: من سَفَلتهم، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أثمة السوء؛ والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلِسَكُمْ شِيَمًا﴾ قال ابن عباس: يَبُث فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فِرَقاً. قال ابن قتيبة: يلبسكم: من الالتباس عليهم (٢٠). والمعنى: ختى تكونوا شِيَعاً، أي: فرقاً مختلفين. ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب. وقال الزجاج: يلبسكم، أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال؛ لَبَسْت عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أبيّنه. ومعنى شيعاً: أي يجعلكم فرقاً، فإذا كتتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيُذِينَ بَهْمُكُمْ بَأَسَ بَعْفِيُّ ﴾ أي: يقتل بعضكم بيد بعض. وفيمن عُني بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها:

(٢) في فغريب القرآن : من الالتباس عليكم.

وأورد بعده لعمرو بن شأس بيتاً آخر هو:

بسنسي أسسد هسل تسعسلسمسون بسلاءنسا إذا كسان يسومساً ذا كسواكسب أشسنسعسا فالمصنف لفق البيت من البيتين، قال الأعلم: أراد: وقع يوم، أو حضر يوم، ونحو ذلك مما يقتصر فيه على الفاعل، وأراد بالبوم يوماً من أيام المحرب، وصفه بالشدة، فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب، ونسبه إلى الشهبة، إما لكثرة السلاح الصقيلة فيه، وإما لما ذكره من النجوم، وذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل، وكان مقاس نازلاً فيهم، وأصله من قريش من حائلة، وهم حي منهم.

أنها في المسلمين أهل الصلاة، هذا مذهب ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة. وقال أبيّ بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله على بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم (١١). والثاني: أن العذاب للمشركين، وياقي الآية للمسلمين، قاله الحسن. وقد روي عن النبي الله أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومعني واحدة، سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به مَن كان قبلكم، فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح بيضتكم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، فمنعنيها (١٢). والثالث: أنها تهدّد للمشركين، قاله ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

· ﴿ وَكَلَّنَّكَ بِهِـ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ فُل لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَرْمُكَ ﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن تصريف الآيات. والثالث: عن الغذاب.

قوله تعالى: ﴿ فَلَ لَسَتُ عُلِكُمْ مِرْكِلِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لست حفيظاً على أعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن. والثاني: لست حفيظاً عليكم، أخْذكم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله، قاله الزجاج.

فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان: أحدهما: أنه اقتضى الاقتصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أن معناه: لست حفيظاً عليكم، إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار؛ فعلى هذا هو محكم.

﴿ لِكُمْ بَنَر مُسْتَغَرُ وَسَوْفَ تَمْلُمُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْكُلِ نَبُرٍ مُسْتَقَرُ ﴾ أي: لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير. قال السدي: فاستقر نبأ القرآن بما كان يَعِدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنم.

﴿ وَإِنَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَمُوضُونَ فِي ءَايُكِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهُ وَإِنَّا يُسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ اللَّهِ عَكَى مَعَ ٱلْقَوْرِ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ اللَّهِ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهُ وَإِنَّا يُسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ اللَّهِ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهُ وَإِنَّا يُسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدُ بَعْدَ اللَّهِ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهُ وَإِنَّا يُسْتِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدُ بَعْدَ اللَّهِ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُوا فِي اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ الشَّيْطَانُ فَلَا نَقُودُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ الشَّيْطَانُ فَلَا لَقُودُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ الشَّيْطَانُ فَلَا لَقُودُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتُومُونَ فِي مَايَئِناً ﴾ فيمن أُريد بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون. والثاني: اليهود. والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن. وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿وَإِنَّا يُسِيِّنَكَ ﴾ وقرأ ابن عامر: هُيُسِّينَكَ »، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية. ومثل هذا: غَرَّمْتُهُ وأغرمتُه. وفي التنزيل: ﴿فَيَهِل النَّهِينَ أَنَهِلُهُم ﴾ [الطارق: ١٧]. والمعنى: إذا أنساك الشيطان، فقعدت معهم ناسياً نَهْيَنَا لك، فلا تقعد بعد الذكرى. والذكر والذكر واحد. قال ابن عباس: قم إذا ذكرته؛ والظالمون: المشركون.

(٢) • فصحيح مسلم؛ ٢٢١٦/٤ عن سعد بن أبي وقاص، و«المسند» ٥/ ٢٤٠، و«ابن ماجه» ١٣٠٣/٢ عن معاذ بن جبل را البوصيري في قزوالده: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

⁽۱) «المسنده م ۱۳٤/» ، ۱۳۵، و«الطبري، ۲۱/ ۲۲۱» وخرجه الهيشمي في همجمع الزوائده ۱۲٪ ثم قال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: ـ أي الهيشمي ـ: والظاهر أن من قوله: «فمضت اثنتان إلى آخره من قول رفيع: (يعني أبا العالية) فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة. وقال الحافظ في «الفتح» ۱۲۰/۸ وقد أعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية، فكأن حديثه انتهى عند قوله: «لا محالة» والماقي من كلام بعض الرواة، وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره، وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقبدة بزمان مخصوص، وهو وجود الصحابة، والقرون الفاضلة، وقد روى أحمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ أَنْ النَّهُ عَلَى الله المراد بتأويلها ما يعتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها.

﴿ وَمَا عَلَ ٱلَّذِينَ يَنْفُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَتَكِن وَكُونَ لَمَلَّهُمْ يَنْفُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَ ٱلَّذِيرَ كَيْنُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيِّ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن، وخاضوا فيه، فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننههم عن الخوض، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإنا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل، والأولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَ ٱلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: يتقون الخوض.

قوله تعالى: ﴿ مَن يُنَهِّيكُم ﴾ يعني: حساب الخائضين. وفي «حسابهم» قولان: أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم. والثاني: عقوبة خوضهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهَكِن وَكَنَ عَلَى اللَّهُ أَي: ولكن عليكم أن تذكروهم. وفيما تذكرونهم به، قولان: أحدهما: المواعظ. والثاني: قيامكم عنهم. قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرغبة في مجالستكم.

قوله تعالى: ﴿لَمُلَّهُمْ يَنَّفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الاستهزاء. والثاني: يتقون الوعيد.

فصل

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاقتصار على تذكيرهم، ثم نسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلِيْكُمْ فِي ٱلْكِئْبِ أَنْ إِنَا سَمِمْتُمْ ءَايَنتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا نَقْمُدُوا مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠]. والصحيح أنها محكمة، لأنها خبر، وإنما دلت على أن كل عبد يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

﴿ وَذَرِ اللَّذِيكِ الْخَصَدُواْ دِينَهُمْ لَهِ بَا وَلَهُوَا وَخَرَتْهُمُ ٱلْحَيَوْةُ الدُّنَيَّ وَذَكِيْرَ بِدِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْشُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَمَا مِن دُوبِ اللَّهِ وَلِيّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَقْدِلْ كُلُ عَدْلِ لَا يُؤخَذْ مِنهَا الْوَلَيْكَ الَّذِينَ ابْتِيلُوا بِمَا كَسَبُواْ لَهُدْ شَرَابٌ مِنْ خَبِيمِ وَعَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَاللَّهُ مَا لَكُنُونَ ﴾ كَانُوا يَكُذُرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَرَدِ اللَّذِي اللَّهِ مَا اللَّهِ وَلَهُمَّ لَهِ اللَّهُ وَلَهُمَّ اللَّهُ وَلَهُمَّ اللَّهُ وَلَهُمَّ اللَّهُ وَلَهُمَّ اللَّهُ اللَّهُ وَلَانَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّ

فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، قولان: أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد، كقوله: ﴿ زَنِ رَبَنَ خَلَقْتُ وَحِدُا ﴿ ﴾ [المدثر: ١١] فعلى هذا، هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَزَكِرَ بِهِ ﴾ أي: عظ بالقرآن. وفي قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ ﴾ قولان: أحدهما: لئلا تبسل نفس، كقوله: ﴿أَن تَشِلُوا ﴾ النساء: ١٧٦]. والثاني: ذكرهم إبسال المبسلين بجناياتهم لعلَّهم يخافون. وفي معنى البسل سبعة أقوال: أحدها: تُسْلَم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. وقال ابن قتيبة: تُسلَم إلى الهلكة. قال الشاعر:

وإسسالي بَسنسيّ بِسَغَيْسِ جُسَرُم بَسَعَسَوْنَسَاه ولا بِسَدَمٍ مُسَرَاقِ (١) أي؛ بغير جرم أجرمناه؛ والبَعْرُ: الجناية. وقال الزجاج: تُشْلَمُ بعملها غير قادرة على التخلص، والمستبسل:

⁽۱) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي كما قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» ١٩١٤/، وهو في فنوادر أبي زيد، ١٥١، وقمجاز القرآن، ١٩٤/، وفغريب القرآن، ١٥٥، و«الطبري» ١١/ ٤٤٥، و«القرطمي» ١٦/، وفشواهد الكشاف، ٢٠٠، و«اللسان، و«التاج، فبسل، وفهمو».

المستسلم الذي لا يعلم أنه يقدر على التخلص. والثاني: تُفضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: تُدفع، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: تُهلَكُ، روي عن ابن عباس أيضاً. والخامس: تُحبس وتُؤخذ، قاله قتادة، وابن زيد. والسادس: تُجزى، قاله ابن السائب، والكسائي. والسابع: تُرتهن، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: تُرتهن وتسلم؛ وأنشد:

هُ نَسَالِكَ لا أَرْجُ و حَسِياةً تَسُرُنِي ﴿ صَمِيْرَ اللَّيالِي مُبْسَلاً بِالجَرَائِرِ (١)

سمير الليالي: أبَدَ الليالي. فأما الولي: فهو الناصر الذي يمنعها من عذاب الله. والعدل: الفداء. قال ابن زيد: وإن تفتد كلَّ فداء لا يقبل منها. فأما الحميم، فهو الماء الحار. قال ابن قتيبة: ومنه سمي الحمّام.

﴿ وَلَمْ أَنَدْعُوا مِن دُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَمُنَا وَلَا يَصُمُّزُنَا وَلُوَدُّ عَلَىٓ أَعْقَابِنَا بَمْدَ إِذَ هَدَدُنَا اللَّهُ كَالَذِى اَسْتَهَوْقَهُ ٱلشَّيَطِينُ فِي ٱلأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥ أَصْحَبُ يَدْعُونَهُۥ إِلَى ٱلهُدَى انْتِنَأُ قُلْ إِكَ هُدَى اللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَئُّ وَأَثِرَنَا لِلسَّلِمَ لِرَبِ ٱلْمَنكِينَ ۞ وَأَنْ أَفِيمُوا ٱلفَتَكُوذَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِى إِلَيْهِ خُشْرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَندُعُوا مِن دُونِ اللهِ ﴾ أي: أنعبد ما لا يضرنا إِن لم نعبده، ولا ينفعنا إِن عبدناه، وهي الأصنام. ﴿ وَفَرُدُ عَلَى الْعَلَوْ اللهِ اللهِ الإسلام، فنكون ﴿ كَالْتِي السّنَهُوتَةُ الشّيَطِينُ ﴾ وقرأ حمزة: قاستهواه الشياطين، على قياس قراءته: ﴿ وَنَوَنتُهُ رُسُلُنَ ﴾. وفي معنى قاستهوائها » قولان: أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تُشبّه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوي به في الأرض، فتُضلّه. والثاني: زيّنت له هواه، قاله الزجاج. قال: و قديران المنسوب على الحال، أي؛ استهوته في حال حيرته. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: الله عوا سبيلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿ وَلَلْ أَندُعُوا مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَشُرُنُا وَثُرَدُ وَلَا اللهُ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضلّ، فحيرته الشياطين، وأصحابه على الطريق يدعونه: يا فلان هلم إلينا، فإنا على الطريق، فيأبى. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر يدعونه: يا فلان هلم إلينا، فإنى الإسلام فأبى. قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْمُكَنَّ ﴾ هذا رد على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجرً عن إجابته كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَمِّرُنَا لِلْسَلِمَ﴾ قال الزجاح: العرب تقول: أمرتك أن تفعل، وأمرتك لتفعل، وأمرتك بأن تفعل. فمن قال: «أن تفعل» فعلى حذف الباء؛ ومن قال: «أن تفعل» فعلى حذف الباء؛ ومن قال: «لذ قال: «أينًا أن تفعل» فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر. قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الْفَكَلُوّةَ ﴾ وجهان: أحدهما: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصلاة. والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّكَنَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونٌ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلمُلَكُ يَوْمَ يُنقَعُ فِي الصُّولِ عَلِيمُ ٱلغَيْبِ وَالشَّهَدَةُ وَهُوَ ٱلْفَصِيمُ ٱلفِّيدُ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّكَوَتِ وَالْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فيه أربعة أقوال: احدها: خلقهما للحق. والثاني: خلقهما حقاً. والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق. والرابع: خلقهما بالحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْمَ يَقُولُ كُن يَكُولُ كُن يَكُولُ ﴾ قال الزجاج: الأجود أن يكون منصوباً على معنى: واذكر يوم يقول كن فيكون، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فيكون، لأن بعده ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرِهِمُ ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا. وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل. والثاني: ما يكون في القيامة. والثالث: أنه الصور، وما ذكر من أمر الصور يدل عليه، قالهما الزجاج. قال: وخُصَّ ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء ليدل على سرعة أمر البعث.

⁽۱) البيت للشُّنْفرى، وهو شاهر جاهلي من صعاليك العرب وفتاكهم، وهو في «الطرائف» ٣٦، وقمجاز القرآن» ١٩٥/، وقالشعر والشعراء» ٢٦/١، ووالحماسة» بشرح الدريزي ٢٣/٣، وشرح «المفضليات» ١٩٥، و«العلبري» ٤٤٦/١، و«اللسان» وقالتاج»: بسل. وقوله: سمير الليالي، ويروى فسجيس الليالي، وهمني دميسلاً بالجرائر، أنه أسلم إلى عدوه بما جني عليهم.

قوله تعالى: ﴿ وَوَلَهُ الْمَقَى ﴾ أي: الصدق الكائن لا محالة ﴿ وَلَهُ اَلْمُالِثُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي الشُهورُ ﴾ وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «ننفخ» بنونين. ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَهٰذِ يَلَدَى ﴾ [الانتظار: ١٩]. وفي «الصور» قولان: أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه؛ روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله على عن الصور، فقال: «هو قرن ينفخ فيه» (١٠). وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق. وحكى ابن قتية: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْنَاهُم غَدَاةَ الجَمْعَيْن بِالضَّابِحَاتِ في غُبرِ النَّفْعَيْن نَظحاً شَدِيداً لا كَنَظج الصوريُونِ(٢)

وأنشد الفراء:

لَوْلَا ابنُ جَعْدَةً لَم يُفْتَحُ أُهُنْدُزُكُم وَلَا خُرَاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّوْرُ (٣)

وهذا اختيارُ الجمهور. والثاني: أن الصور جمع صورة؛ يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء؛ والمراد نفخ الأرواح في صُورِ الناس، قاله قتادة، وأبو عبيلة. وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مِجْلَز، وأبو المتوكل الله قال الشُورِ بفتح الواو. قال ثعلب: الأجود أن يكون الصور: القرن، لأنه قال الله قال الشَورِ فَسَبقَ مَن فِي الشَّرِوِ فَسَبقَ مَن فِي الشَّرِوِ فَاللهُ السَّمَوَتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾؛ ثم قال: ﴿ثُمَّ نُهُمَ فِيهِ أَمْرَى ﴾؛ ولو كان الصور، كان: ثم نُفخ فيها، أو فيهن؛ وهذا يدل على أنه واحد؛ وظاهر القرآن يشهد أنه يُنفخ في الصور مرتين. وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله على الصور مرتين. وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله على المعلمين الله المور قرن يُنفخ فيه ثلاث نفخة السام لرب العالمين الله عنه قال ابن عباس: وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى، يعني: نفخة الصعق.

قوله تعالى: ﴿عَكِلُمُ ٱلْمَنْيَبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه، ﴿وَٱلشَّهَدَةِ ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه. وقال الحسن: يعنى بذلك السر والعلانية.

﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُدُ لِأَبِيهِ مَازَرَ ٱنْتَخَيْدُ ٱصْنَامًا مَالِهَةٌ إِنِّ ٱرْدَكَ وَقَرَمَكَ فِي صَلَالِ شُبِينِ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَبِيدُ لِإِبِهِ ءَازَرَ﴾ في «آزر» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عباس^(ه)، والحسن، والسدي، وابن إسحاق. والثاني: أنه اسم صنم، فأما اسم أبي إبراهيم، فتارح، قاله مجاهد. فيكون

⁽۱) ﴿ المسند؛ ١٠/١٠، ١١، وفالترمذي؛ ٣٩٥/٣ وصححه، وأبو داود في فسننه؛ ٣٢٦/٤، ورواء الحاكم في فالمستدرك؛ ٢٩٥/٣، ٥٠٥ و ١٩٠٤، وم، ٥٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي.

 ⁽٢) الرجز في قفريب القرآن، ٢٦ بدون نسبة، والأول والثالث في «اللسان» (صور) والضابحات: الخيل الصاهلة.

⁽٣) البيت بدون نسبة في «معاني القرآن» للفراه ١/ ٢٤٠، و«المعرب» للجواليقي ٢٦٧، وابن جرير الطبري ٢٦/ ٤٦٣، و«نسب قريش» ٣٤٥، و«اللسان»: صور. وابن جعدة: هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المحزومي، وكان أبو جعدة بن هبيرة على خراسان ولاه علي بن أبي طالب رائم والقهندز، بضم القاف والهاء وسكون النون وضم الدال من لغة خراسان، يعنون بها الحصن أو القلمة. وقد استشهد الفراء وابن جرير بالبيت على أن العرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصور.

⁽٤) هو قطعة من حديث طويل ساقه بطوله الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٤٦/٢ من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني. قال الشيخ أحمد شاكر: هو حديث ظاهر النكارة، وإسماعيل بن رافع راويه قال فيه ابن معين: لي بشيء، وقال أبو حاتم: هو منكر الحديث، وقال ابن حبان في كتاب «المجروحين» ص٨٣ ـ ٨٤ (مخطوط مصور): كان رجلاً صالحاً إلا أنه يقلب الأخبار، حتى صار الغالب طلى حديث المناكير التي نيسق إلى القلب أنه كالمتعمد لها. قلت: وروى المخاري ٨٤ ٤٢٤، ومسلم ٤/ ٢٧٧ عن أبي هريرة على مرقوعاً قما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وقوله: «أبيت» قال الحافظ: معناه: امتنعت عن القول بتعيين ذلك، لأنه ليس عندي في ذلك توقيف. وقد رجح غير واحد من العلماء أنهما نفختان فقط.

⁽a) قال الشيخ أحمد شاكر: أما أن اسم والد إبراهيم «آزر» فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني. وأما التأويل والثلاعب بالألفاظ، فما هو إلا إنكار مقتع لمضمون الكلام ومعناه، وصواء أكان اسمه في قبول أهل النسب نقلاً عن الكتب السابقة «تارح» أو لم يكن، فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدق ما نص عليه القرآن، ويدلالة لفظ «لأبيه» على معناه الوضعي في اللغة، والقرآن هو المهيمن على ما قبله من كتب الأديان السابقة. ثم يقطع كل شك، ويذهب بكل تأويل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ٢٦/ ٢٧٦ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ويلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغيرة، فيقول له إبراهيم: ألم أثل لك: لا تمصني . . . إلى آخر الحديث». وليس بعد هذا النص مجال للتلاعب.

المعنى: أتتخذ آزر أصناماً؟ فكأنه جعل أصناماً بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار. والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبّ بعيب، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه المعوّج، كأنه عابه بريغه وتعويجه عن الحق، ذكره الفراء. والثاني: أنه المخطئ، فكأنه قال: يا مخطئ أتتخذ أصناماً؟ ذكره الزجاج. والوابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان. قال ابن الأنباري: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه. والجمهور على قراءة «آذر» بالنصب. وقرأ الحسن، ويعقوب بالرفع. قال الزجاج: من نصب، فموضع «آزر» خفضٌ بدلاً من أبيه؛ ومن رفع فعلى النداء.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَهِيمَ مَلْكُوتَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلمُوقِدِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرُهِيمَ ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَتِ وَالْمَلُوتِ بِمَالِلَةِ الْمُلْكِ، إِلا أن الملكوت أبلغ في اللغة، الأن الواو والتاء يزادان للمبالغة؛ ومثل الملكوت: الرغبوت والرهبوت. قال مجاهد: ملكوت السموت والأرض: آياتها؛ تفرجت له السموات السبع، حتى العرشُ، فنظر فيهن، وتفرجت له الأرضون السبع، فنظر فيهن، وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، وقال السدي: أقيم على صحرة، وفتحت له السموات والأرض، فنظر إلى ملك الله كلى، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السبع، حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلنُوقِدِينَ ﴾ هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السموات والأرض ليستدل به، وليكون من الموقنين. وفي ما يوقِن به ثلاث أقوال: أحدها: وخدانية الله وقدرته. والثاني: نبوته ورسالته. والثالث: ليكون موقناً بعلم كل شيء حساً، لا خبراً.

﴿ لَلْنَا جَنَّ عَلَيْهِ الَّهِلُّ زَمَّا كُوْكُمُّ قَالَ مَدَا رَبِّي ثَلْنَا أَلَلْ قَالَ لَا أَجِبُ الْأَفِيرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ ٱلبَّلُ ﴾ قال الزجاج: يقال: جن عليه الليل، وأجنه الليل: إذا أظلم، حتى يستر بظلمته؛ ويقال لكل ماستر: جنّ، وألجنّ، والاختيار أن يقال: جنّ عليه الليل وأجنه الليل.

الإشارة إلى بدء قصة إبراهيم الله

⁽١) في «اللسان» الحلفاء: ثبت أطرافه محددة، كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مغايض الماء والنزوز، الواحدة: حلفة، مثل قصبة وقصباء، وطرفة وطرفاء.

عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف في اختياره: بكسر الراء وفتح الهمزة في الكل، وروى العبسي كسرة الهمزة أيضاً، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو؛ وابن عامر، والكسائي: بقتح الراء والهمزة. فإن اتصل ذلك بمكني، نحو: رآك، ورآه، ورآها؛ فإن حمزة، والكسائي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضل، وأبان، والقزاز عن عبد الوارث، والكسائي عن أبي بكر: يكسرون الراء، ويميلون الهمزة. وفي الكوكب الذي رآه قولان: أحدهما: أنه الزهرة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المشتري، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَبّي ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هذا ربي، فعبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله: ﴿ لَهِن لَمْ يَهِدِن رَبّي ﴾ وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يشبت عنده دليل. وهذا القول لا يرتضى، والمتأهملون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال. فأما قوله: ﴿ وَاجْتُبنِي وَبَيْ أَن فَمْبُد آلاَمْتنام ﴾ يتهدِن رَبّي ﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقوله: ﴿ وَاجْتُبنِي وَبَيْ أَن فَمْبُد آلاَمْتنام ﴾ للإمام: ٢٥ ولانه قد آناه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟!. والثاني: أنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿ أَن شُرَكَآبِك ﴾، وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله: ﴿ رَبّن شُركَآبِك ﴾، وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله: ﴿ رَبّن مُن لَقُلُ مِنّاً ﴾ البترة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر ابن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنماً، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال هاهنا إلّه ندعوه، فيستجيب، فلكوره، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال الشاعر: أهذا ربي؟ فأضمرت ألف فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا. والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربي؟ فأضمرت ألف الاستفهاء مقال الشاعر:

كَـذَبَسُكَ عَـيْدُكَ أَمْ دَأَيْتَ بِـوَاسِـطٍ خَـلَسَ الطَّـلام مِـنَ الـرَّبَـابِ خَـيَـالَا(١)

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَٰذَا رَبِيّ ﴾ أنه إشارة إلى الصانع. وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر، لا نرى فيه إلا أثر مدبّر. و «أفل بمعنى: غاب؛ يقال: أفل النجم يأفُل ويأفِل أفولاً.

قوله تعالى: ﴿لَا أَجِبُ ٱلْاَفِلِينَ﴾ أي: حبَّ ربِّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبَّراً.

﴿ فَلَمَّا رَمَا ٱلْفَصَرَ بَانِفَا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا ٱللّٰلَ قَالَ لَهِن لَمْ يَهْدِفِى رَقِى لأَكُونَكَ مِنَ ٱلْفَرْمِ الطَّمَالِينَ ﴿ فَلَمَّا رَمَّا الشَّمْسَ بَانِطَةً قَالَ هَلِنَا رَبِّي هَلِذَا أَكْبُرُ فَلَمَا ٱلْلَتْ قَالَ بَنْقَوْمِ إِلَى بَرِئَ مُ مِنَا تُشْرِكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَمَّا الْفَكَرَ ﴾ قال ابن قتيبة: سمي القمر قمراً لبياضه؛ والأقمر: الأبيض؛ وليلة قمراء، أي: مضيئة. فأما البازغ، فهو الطالع. ومعنى ﴿ لَهُن تُم يَهُدِنِ ﴾: لئن لم يثبتني على الهدى. فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل. والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربي، قاله الأخفش. والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى. والرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التأنيث، وإنما يشبه لفظها لفظ المذكّر، فجاز تذكيرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

﴿ إِنِّ وَجَهَتُ وَجَهِىَ لِلَّذِى نَظَرَ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۚ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَحَاجَةُم فَوْمُثُم ۚ قَالَ ٱلْحُكَتَبُونِ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَائِنَ وَلَا أَنْكُ مَا ثُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَن يَشَاءُ رَبِّي شَيْئًا وَمِمَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَا ۖ أَفَلَا تَنَذَكُرُونَ ۞﴾

⁽۱) البيت للأخطل من قصيدة يهجو بها جريراً، وهو في «ديوانه» ٤١، وهمجاز القرآن» ٥٦/١، و«الكامل» ٦١١، و«الطبري» ١/ ٣٦١، و«النهاية»، و«اللسان» (كذب) وهنواهد المغني» ٥٠٠، و«الخزانة» ٢/ ٤١١، ٤/ ٤٥٣.

. قوله تعالى: ﴿إِنِّ وَجَهِّتُ وَجْهِيَ﴾ قال الزجاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين ﷺ. وباقي الآية قد تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَمَآئِمُو مُوَّمَّكُ وَلَمُوْ وَاللهُ ابن عباس: جادلوه في آلهثهم، وحَوَّفوه بها، فقال منكراً عليهم: ﴿آتُمَكَبُونِ ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿آتُمَكَبُونِ ﴾ و ﴿تَأْمُرُونِ ﴾ اللزمر: ١٩٤ بتشديد النون. وقرى نافع، وابن عامر بتخفيفها فحذفا النون الثانية لالتقاء النونين. ومعنى ﴿آتُمَكَبُونِ فِي اللّهِ ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَينٍ ﴾ أي: بين لي ما به اهتديت. وقرأ الكسائي: «هداني»، بإمالة الدال. والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدى يهدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَانُ مَا تُشْرِكُونَ بِمِيهُ أَي: لا أرهب آلهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيِّئًا ﴾ فله أخاف ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَا ۖ أَي: عَلِمه علماً تاماً.

﴿ وَكَيْتُ أَخَافُ مَا أَشَرَكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكُتُم وَإِنَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ. عَلَيْكُمْ سُلْطَانَأَ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَخَقُ بِالْأَمْنِّ إِن كُنُتُمْ تَفْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَدَ بَلْبِسُوّا إِيمَنتَهُم بِظُلْدٍ أَوْلَتِكَ لَكُمُ الْأَنْنُ وَهُم ثُهْتَدُونَ ۞﴾

﴿ وَيَلُكَ حُجَّتُنَا ۚ مَانَيْنَهُمُ ۚ إِرُهِيمَ عَلَى قَوْمِهُ نَرْفَعُ وَرَجَنتِ مِّن فَشَاهُ إِنَّ رَبُّكَ حَكِمُ عَلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿زَنَعُ دَرَجَنَتِ مَن نَشَآةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عمرو وابن عامر: «دَرَجَاتِ مَّن نَشَآءٌ، مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي: ﴿دَرَجَنَةٍ﴾، منوناً، وكذلك قرؤوا في (يوسف) ايوسف: ٧٦]. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أن الرفع بالعلم والفهم والمعرفة. والثاني: بالاصطفاء للرسالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمُ ﴾ قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما يؤول إليه أمر الكل.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَنَقَ وَيَمْ تُمُوبٌ كُلًا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبَلُ ۚ وَمِن ذُرِيَّتِيهِ. دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰدُونَ ۚ وَكَذَلِكَ خَيْرِى الْمُحْسِينَ ۞ وَزَكْرِيَّا وَيَحَيِّنَ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاشُ كُلُّ مِنَ الصَّنِلِمِينَ ۞ وَإِسْسَمِيلَ وَالْبَسَعَ وَيُولُسُ وَلُوطًا ۚ وَكُلُّ فَضَـالْنَا عَلَى الْمَعْلِينَ ۞ وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ وَذُرْيَّتِهِمْ وَإِخْرَبِهِمْ وَاجْنَبَيْتُمْ وَهَدَيْتَهُمْ لِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ ۞ ﴾

⁽١) ﴿ المسندُ ٥/٢٠٪، والبخاري، ١/ ٨١، ٨/ ٢٢١، وأمسلم بشرح النووي، ٢/ ١٤٢، ١٤٣، والترمذي، ٢/ ٣٣٪.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبَّنَا لَهُ إِسْحَنَى ﴾ ولداً لصلبه ﴿وَيَعَتُوبٌ ﴾ ولداً لإسحاق: ﴿كُلُّ ﴾ من هؤلاء المذكورين: ﴿هُدَيْتًا ﴾ أي: أرشدنا.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِيَتِهِ فِي هماء الكناية »، قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى نوح ؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، ومقاتل، وابن جرير الطبري. والثاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء. وقال الزجاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى، واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لوطاً، وليس من ذرية إبراهيم. وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لوطاً في المعاضدة والنصرة، ثم قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ بَهْرِى الشّعِينِينَ ﴾ من أبين دليل على أنه إبراهيم، لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم. فأما «يوسف» فهو اسم أعجمي، قال الفراء: «يوسف». بضم السين من غير همز، لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: «يوسف» بالهمز، وبعض العرب يقول: «يوسف» بكسر السين، وبعض بني عُقيل يقول: «يوسف» بفتح السين.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ غَرِى الْمُعْسِنِينَ ﴾ أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين. فأما عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطاً؛ فأسماء أعجمية، وجمهور القراء يقرؤون اليسع، بلام واحدة مخففاً، منهم ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي هاهنا وفي (ص): اللليسمة بلامين مع التشديد. قال الفراء؛ وهي أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من يني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على المفقيل، إذا كان في معنى فلان، ألفاً ولاماً، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصيح من الكلام. وأنشلني بعضهم:

وَجَدُنا الوَلِينِد بِنَ اليَوْيدِ مباركاً شَدِيْداً بِأَحْسَاءِ الدِيلافَةِ كاهِلُه(١)

فلما ذكر الوليد بالألف واللام، أتبعه يزيد بالألف واللام، وكلّ صواب. وقال مكي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: لَيْسَعُ، فأدخلوا عليه حرف التعريف، وباقي أسماء الأنبياء قد تقدم بيانها، والمراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَرِينْ ءَابَآبِهِمْ وَدُرِيَّتُهِمْ﴾ [من] هاهنا للتبعيض. قال الزجاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم. ﴿وَلَجُنَبِيَّمُ﴾ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه. فأما الصراط المستقيم، فهو التوحيد.

﴿ وَلِكَ هَدَى اللَّهِ بَهْدِى بِهِ. مَن بَشَلَهُ مِنْ عِبَادِمٍ وَلَوْ أَشْرِكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا بَسْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَاكَ هُدَى اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: ذلك دين الله الذي هم عليه: ﴿ يَهْدِى بِهِ. مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِمِ ﴾. ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا ﴾ يعنى الأنبياء المذكورين ﴿ لَحَبِطَ ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

﴿ أُولَتِكَ الَّذِينَ مَاتَيْتَهُمُ الْكِنْبَ وَالْمُكُرِّ وَالنَّبُوَّةُ فَإِن بَكُمْرَ بِهَا هَوُلآ فَقَدْ وَكُلَّنَا بِهَا فَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِحَسْدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ ٱلْكِنْدَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم. والحكمُ: الفقه، والعلم ﴿ فَإِن يَكُفُرْ بِهَا﴾ يعني بآياتنا. وفيمن أشير إليه بـ «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقادة. والثاني: أنهم قريش، قاله السدي. والثالث: أمة النبي ﷺ، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَكِّنَا بِهَا﴾ قال أبو عبيدة: فقد رزقناها قوماً. وقال الزجاج: وكلنا بالإيمان بها قوماً. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والسدي. والثاني: الأنبياء والصالحون، قاله الحسن. وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان. وهذا اختيار الزجاج، وابن جرير. والثالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء. والرابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

⁽١) البيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد يمدح فيها أبا العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. وهو في «معاني القرآن» للفراء ٢٥١/٣٤، و«المعني» ٥٠، و«تاريخ الخلفاء» للمسيوطي ٢٥٠. وقوله: «بأحناء الخلافة» قالأحناء جمع المحنو وهو الجهة والجانب، ويقال: أحناء الأسور لما تشابه منها وأشكل المخرج منه. والكاهل: اسم لما بين الكفين، ويعبر بشدة الكاهل عن القوة.

﴿ أُولَتِكَ الَّذِينَ مَدَى اللَّهُ فَهُمُ دَشِهُمُ الْمَسَدَّةُ ثُلُ لَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَلَيْدِينَ ۖ ۞

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ ٱلذِّينَ هَدَى ٱللَّهُ يعني النبيين المذكورين. وفي قوله تعالى: ﴿ فَهِهُ دَهُمُ ٱقْدَرَةٌ ﴾ قولان: أحدهما: بشرائعهم وبستنهم فاعمل، قاله ابن السائب. والثاني: اقتدِ بهم في صبرهم، قاله الزجاج. وكان ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، يثبتون الهاء من قوله: «اقتده» في الوصل ساكنة. وكان حمزة، وخلف، ويعقوب، والكسائي عن أبي بكر، واليزيدي في اختياره، يحدفون الهاء في الوصل. ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه.

قوله تعالى: ﴿ قُل لا آ التَّلَكُمُ عَلَيْهِ أَجَرًا ﴾ يعني على القرآن. والذكرى: العظة. والعالمون هاهنا: الجن والإنس.

﴿ وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ فَدَرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَوْلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِن شَمَّةً فَلْ مَنْ أَوْلَ الْلِكِتَبَ الَّذِى جَآءَ بِهِ. مُوسَىٰ فُولَا وَهُمُكَى لِلنَاسِ تَجْعَلُونَمُ وَكَا خَلْمَ مِنْ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهِ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْمَبُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا فَدُرُوا الله عَيْ فَتَرِو ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن مالك بن الصيف رأس اليهود، أتى رسول الله على ذات يوم، فقال له رسول الله على: ﴿ أَنشك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يبغض المحبر السمين؟ قال: ﴿ مَا أَنزل الله عَلَى بَشَر مِن فَقَر وَ فَالله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى السماء عَلَى الله عَلَى الصيف. والثاني: أن الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة: نزل الله من السماء كتاباً، فنزلت هذه الآية، اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: ﴿ نحم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فنزلت هذه الآية، ورواه الوالبي عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بالواح يحملها من عند الله، فائتنا بآية كمنا جاء موسى، فنزل: ﴿ يَسَمُلُك أَمْلُ الْكِنَبِ أَن ثُنَزِل عَلَيْه كَنَا الشَمَاء ﴾، إلى قوله: ﴿ عَلِيا ﴾ [النساء: ١٥٣-١٥٠]. كما جاء موسى، فنزل: ﴿ يَسَمُلُك أَمْلُ الْكِنَبِ أَن مُنْ الشَمَاء ﴾، إلى قوله: ﴿ عَلَيْهُ النساء ١٥٠] هذه الآية، قاله الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت والمحاس: أنها نزلت في فيحود والنصارى، آتاهم الله علما فلم يتفعوا به، قاله قتادة. والمخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿ مَا أَنزَلَ الله عَلَى بَشَر مِن مَن عن مجاهد (١٠). والسابع: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد (١٠). والسابع: أن أولها، إلى قوله: ﴿ مِن معنى ﴿ وَمَا مَدُولُ اللّه عَلَى الله أَنول الله على بشر من صُء، واله أبو عيدة، قاله أبو عيدة. والثاني: ما عرفوه حق معرفته، قاله أبو عيدة.

قوله تعالى: ﴿ تَهُمُ لُونَامُ وَكَالِيسَ ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس، لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطّعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاؤوا.

قُوله تعالى: ﴿ يُرْدُونَهَا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها» و «يخفون» بالياء فيهن. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي؛ بالتاء فيهن. فمن قرأ بالياء، فلأن القوم غُيّب، بدليل قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِيهِ ﴾. ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب؛ والمعنى: تبدون منها ما تحبون، وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ونحو ذلك مما كتموه.

قوله تعالى: ﴿وَعُلِمَتُكُم مَّا لَرَ تَمَلَّوْا أَنْدُ وَلَا ءَابَآ أَكُمُّ فِي المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد. فعلى الأول: عُلِّموا ما في التوراة؛ وعلى الثاني: عُلِّموا على لسان محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَنَبَ ﴾ وتقديره: فإن أجابُوك، وإلا فقل: الله أنزله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ﴾ تهديد. وخوضهم: باطلهم. وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَهَلَا كِتَنَّ أَنَرْلَنَهُ﴾ يعني القرآن. قال الزجاج والمبارك: الذي يأتي من قِبَله الخير الكثير. والمعنى: أنزلناه للبركة والإِنذار.

﴿وَهَاذَا كِتَنَّتُ أَنْزَلَنَهُ مُبَارَكُ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَنَيْدِ وَلِمُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلِمَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ بُؤْمِنُونَ بِقِدْ وَلَهُمْ عَلَىٰ صَلاَئِهُمْ بُعَانِطُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقُ اللَّذِي بَيْنَ يَدَيْدِ ﴾ من الكتب.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَائِرَ أَمُّ الْقُرَىٰ﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: ﴿ولينذرِ بالياء؛ فيكون الكتاب هو المنذر. وقرأ الباقون: بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ. فأما أم القرى، فهي مكة. قال الزجاج: والمعنى: لتنذر أهل أم القرى. وفي تسميتها بأم القرى أربعة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك، لأن الأرض دُحبت من تحتها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها أقدمُها، قاله ابن قتيبة. والثالث: لأنها قبلة جميع الناس، يؤمونها. والرابع: لأنها كانت أعظم القرى شأناً، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ حَوْلُما ﴾ قال ابن عباس : يريد الأرض كلها .

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِيرِّـ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثّاني: إلى النبي محمد ﷺ. والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به؛ ومن لنم يؤمن به، فليس إيمانه بالآخرة حقيقة، ولا يعتد به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمٌ بُحَافِظُونَ﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات.

﴿وَمَنْ أَظَلَمُ مِنَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِى إِلَى وَلَمْ بُوحَ إِلَيْهِ شَىٰ ۗ وَمَن قَالَ سَأُنُولُ مِثْلَ مَا أَوْلَ ٱللَّهُ وَلَوْ شَرَى إِذِ الظّلطِمُونَ فِى خَدَرَتِ ٱلْدُنِ وَٱلْمُلَتَهِكُمُّهُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْسُكُمُّ الْبُومَ ثَجْزُونَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَبْرَ ٱلْمُونَ وَكُنتُمْ عَنْ هَايَدِهِ. تَسَتَّكُمُرُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿مَاأَزِلُ مِثْلَ مَا أَزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول. قال ابن عباس: يعنون الشعر، وهم المستهزئون. وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح. قال الزجاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَـاَهُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى ٓ إِذِ الطَّالِمُونَ ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة، فأخرجهم الكفار

إسناده تالف هالك، كما مر غير مرة.

معهم إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلَّة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزل فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أَزَلَ اللهُ عَلَى بَشَوْرُ مِن شَوَّةُ ﴾ قاله أبو سليمان. والثالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدَّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله. قال الزجاج: وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو تراهم في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً. ويقال لكل من كان في شيء كبير: قد غمر فلاناً ذلك. قال ابن عباس: غمرات الموت: سكراته. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: سميت غمرات، لأن أهوالها يغمرن من يقعن به.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَالَتِكُةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالضرب، قاله ابن عباس. والثاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضحاك. والثالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفراء. وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفّاهم. والثاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في النار، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْسُكُمُ ۗ فيه إِضمار (يقولون) وفي معناه قولان: أحدهما: استسلموا لإِخراج أنفسكم. والثاني: أحرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

قوله تعالى: ﴿تُمَرِّرُكَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ قال أبو عبيدة: الهون: مضموم، وهو الهوان؛ وإذا فتحوا أوله، فهو الرَّفق. والدَّعة. قال الزجاج: والمعنى: تجزّون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد.

﴿وَلَنَدٌ حِنْتُمُونَا فَرَدَىٰ كَنَا خَلَقْتُكُمْ أَوَّلَ مَرَّوْ وَتَرَكُتُم مَّا خَوَّلْتَكُمْ وَرَاتَ ظَهُورِكُمُّ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شَعْمَاتَكُمُ الَّذِينَ زَعَسْتُمْ أَنَّتُمْ فِيكُمْ شُرَكُواْ لَقَد تَّفَظَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَ عَنِكُم مَّا كُشُمْ زَعْمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَدَّ حِتَّتُونًا فُرُونَى ﴾ سبب نزولها: أن النضر بن الحارث قال: سوف تشفع لي اللّات والحزى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. ومعنى فرادى: وُحداناً, وهذا إِخبار من الله تعالى بما يوبِّخ به المشركين يوم القيامة. قال أبو عبيدة: فرادى، أي: فرد فرد. وقال ابن قتيبة: فرادى: جمع فرد. وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال متقاربة المعنى: أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس. والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن. والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل. والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغيّ وشقيقه، قاله الزجاج. والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْتُكُمُّ أَزَلَ مَرَوَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد. والثاني: حفاةً عراةً غرلاً. والغرل: القلف. والثالث: أحياءً. و﴿خَرَلْتَكُمُّ﴾: بمعنى ملكناكم. ﴿وَرَلَةَ ظُهُورِكُمُّ ﴾ أي: في الدنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني، وبقي الندم على سوء الاختيار. وفي شفعائهم، قولان: أحدهما: أنها الأصنام. قال ابن عباس: شفعاؤكم، أي: آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و ﴿وَعَنَتُمُ أَنَهُمْ فِيكُمُ ﴾ أي: عندكم شركاء. وقال ابن قيبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء. والثاني: أنها الملائكة؛ كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَد تَقَطَّع بَيْنَكُم ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: بالرفع، وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف. قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطّع وصلكم، والنصب جائز، ومعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم. وقال ابن الأنباري: التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها. قال أبو علي: الذين رفعوه، جعلوه اسماً، فأسندوا الفعل الذي هو «تقطّع» إليه؛ والمعنى: لقد تقطع وصلكم، والذين نصبوا، أضمروا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل؛ فالتقدير: لقد تقطع وصلكم بينكم. وفي الذي كانوا يزعمون قولان: أحدهما: شفاعة آلهتهم، والثاني: عدم البعث والجزاء.

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَالنَّوَعَتْ يُمْنِجُ ٱلمُّنَّ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَمُمْنِجُ ٱلْمَيْتِ مِنَ ٱلمَيِّ مَا ٱلْمَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَإِلُّ ٱلْمَتِ وَالنَّوَتُ ﴾ في معنى الفلق قولان: أحلهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحب والنوى، رواه العوفى عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الفلق بمعنى الشق. ثم في معنى

الكلام قولان: أحدهما: أنه فلق الحبة عن السنبلة، والنواة عن النخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الشقان اللَّذان في الحب والنوى، قاله مجاهد، وأبو مالك. قال ابن السائب: الحب: ما لم يكن له نوى، كالبُرُّ والشعير؛ والنوى: مثل نوى المتمر.

قوله تعالى: ﴿ يُمْخِيمُ الْنَيْ مِنَ النَّبِيِّ وَمُخْرِجُ النَّبِيِّ مِنَ النَّبِيِّ فَ لَد سبق تفسيره في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ ثُوْنَكُونَ ﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

﴿ وَالِنُ ٱلْإِمْسَاحِ وَجَمَلَ ٱلْمِثَلَ مَاكُنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْمَزِيزِ الْمَلِيدِ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَالِنُ ٱلْإِصَاحِ ﴾ في معنى الفلق قولان قد سبقا. فأما الإصباح، فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح. وقال الزجاج: الإصباح والصبح واحد. وللمفسرين في الإصباح، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من الليل. والثالث: أنه نور النهار، قاله الضحاك. وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأبوب، والجحدري: «فالق الأصباح» بفتح الهمزة. قال أبو عبيد: ومعناه جمع صبح.

قوله تعالى: ﴿وجاعل الليل سكنا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿جاعل بألف. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وجعل بغير ألف. ﴿الليل الصباً. قال أبو علي: من قرأ: ﴿جاعل الحاجل ﴿ فالقَ وهم يراعون المشاكلة، ومن قرأ: ﴿جعل الخان فاعلاً هاهنا، بمعنى: ﴿فعل الدليل قوله: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَبَرُ مِحْسَبَانِ ﴾. فأما السكن، فهو ما سكنت إليه. والمعنى: أن الناس يسكنون فيه سكون راحة. وفي الحسبان قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور، قال ابن قتيبة: يقال: خذ من كل شيء بحسبانه، أي: بحسابه. وفي المراد بهذا الحساب، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يجريان إلى أجل جُعل لهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السدي. والثالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور والأعوام، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن معنى الحسبان؛ الضياء، قاله قتادة. قال الماوردي، كأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَرُرُسِلَ عَلَيْمَا حُسَبَانًا وَلِي المناء، وليس هذا من ذاك في شيء.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَسَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَبْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَنتِ الذِّرِ وَالْبَعْرُ مَدْ فَصَّلْنَا الْآيَنتِ لِقَرْدٍ بَسْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَمَلَ لَكُمُ ٱلنَّبُومَ﴾ جعل، بمعنى خلق. وإنما امتنَّ عليهم بالنجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها.

﴿ وَهُوَ الَّذِينَ النَّمَا كُمْ بِن نَفْسِ رَحِدَوْ فَمُسْتَنَّرُ وَمُسْتَوْءً فَدْ فَصَّلْنَا الْآيَنَتِ لِقَوْرٍ بَفْقَهُوك ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُو الّذِى الْنَاعُ مِن نَفْسِ وَحِدَو ﴾ يعني آدم ﴿ وَسُتَكُر ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، إلا رُويساً: بكسر القاف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فالمعنى: ففمنكم مستقر» ومن نصب، فالمعنى: ففلكم مستقر». فأما مستودع، فبالفتح لا غير. ومعناه على فتح القاف: فولكم مستودع، وعلى كسر القاف: فمنكم مستودع». وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال: أحلها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقتادة، والسدي، وابن زيد. والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جبير عن ابن عباس. القبر، قاله ابن مسعود. والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس. والساهس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر. والسابع: والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس. والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر. والسابع: المستقر في الدنيا، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو المستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد. والتاسع: المستقر في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو عكس الذي قبله، رويا عن الحسن. والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو المستودع الله تعالى، قاله ابن بحر، وهو المستودع الله تعالى، قاله مجاهد. والتاسع: المستقر في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو المستودع الله وله الأول.

﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَلَةِ مَلَهُ فَأَخْرَجُنَا بِهِ. نَبَاتَ كُلِّي فَقَّىوِ فَأَخْرَجُنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْدِجُ مِنْهُ حَبَّنَا ثُمَّزَا مِنَا النَّخْلِ مِن طَلِيهَا فِنْوَانُّ دَانِيَةٌ وَجَنَّنَتِ مِنْ أَعَنَفٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّيَانَ مُشْتَيِهَا وَغَيْرَ مُتَشَئِيةٍ انظُرُوا إِلَى نَسَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْمِؤُهُ إِذَ فِي ذَلِكُمْ لَآيَنَتُو لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﷺ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاةِ مَاتَهُ يعني المطر ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِدِ ﴾ أي: بالمطر. وفي قوله تعالى: ﴿ نَبَاتَ كُلِ شَيّو ﴾ قولان: أحدهما: نبات كل شيء من الثمار، لأن كل ما ينبت، فنباته بالماء. والثاني: رزق كل شيء وغذاؤه. وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ قولان: أحدهما: من الماء، أي: به. والثاني: من النبات. قال الزجاج: الخَضِر بمعنى الأخضر؛ يقال: اخضرً، فهو أخْضر، وخَضِر، مثل اعوَّر، فهو أغوّر، وعَور.

قوله تعالى: ﴿ نُخَرِجُ مِنْهُ ﴾ أي: من الخضر ﴿ حَبًّا مُّمَّاكِكِ السنبل والشعير. والمتراكب: الذي بعضه فوق مض.

قوله تعالى: ﴿وَيَمَنَ ٱلنَّمَٰلِ مِن طَلِيهَا فِتُوَانَّ دَايِنَةٌ﴾ وروى الخفّاف عن أبي عمرو: "قُنوان" بضم القاف؛ وروى هارون عنه بفتحها. قال الفراء: معناه: ومن النخل ما قنوانه دانية؛ وأهل الحجاز يقولون: "قِنوان" بكسر القاف؛ وقيس يضمونها؛ وضبة، وتميم يقولون: "قنيان". وأنشدني المفضّل عنهم:

فسأقَّسِتْ أعَسالِسيْسِهِ وآدَتْ أَصُسؤلُسِهِ وَمَالَ بِيقِنْسِانٍ مِن البُسْرِ أَحْمَرَا(١)

ويجتمعون جميعاً، فيقولون: «قِنو» و «قُنو» ولا يقولون: «قِني» ولا «قُني» وكلّب يقولون: «ومّال بِقِنيان». قال المصنف: والبيت لامرئ القيس؛ ورواه أبو سعيد السكري: «ومال بِقِنوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه أربع لبغات: قِنوان، وقُنوان، وقُنيان، وقُنيان؛ و «أثت»: كثرت؛ ومنه: شعر أثيت. و «آدت»: اشتدت. وقال ابن قتية: القنوان: عذوق النخل، واحدها: قنو، جمع على لفظ تثنية؛ ومثله: صِنو وصِنوان في التثنية، وصنوان في الجميع. وقال الزجاج: قِنوان: جمع قِنو، وإِذا ثنيته فهما قِنوان، بكسر النون. ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قنوان بعيدة» لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحيقة؛ قد كانت غير سحيقة، فاجتُزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة؛ كقوله تعالى: ﴿ سَرَبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ١٨]. وقال ابن عباس: القُنوان الدانية: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض.

قوله ثعالى: ﴿ وَجَنَّدِي مِنْ أَعْنَدِ ﴾ قال الزجاج: هو نسق على قوله: «خضراً» ﴿ وَالزَّيْثُونَ وَالرُّمَانَ ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزيتون والرمان؛ وقد روى أبو زيد عن المفضل: «وجناتٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهُا رَفَيْرَ مُتَكَنِيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشتبهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مشتبهاً ورقه، مختلفاً ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول. والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضاً، ومنه ما يخالف. قال الزجاج: وإنما قرن الزيتون بالرمان، لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره. قال الشاعر:

بُسورِكَ السميِّت السغَسريبُ كسما بسو رِكَ نَسضَعُ السرمَّانِ والسزَّيْتُسُونِ ومعناه: أن البركة في ورقه اشتمالُه على عوده كلَّه.

قوله تعالى: ﴿ اَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِيهِ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿ اَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِيهِ ، وَ وَ حَمَّوا مِن عَامِر، وعاصم: ﴿ اَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِيهِ وَ اللَّهِ عَمْرِهِ وَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَ اللَّهِ وَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَا اللَّهُ

⁽١) البيت لامرئ القيس، «ديوانه» ٦٧، و«اللسان»: قتا. من قصيلته المستجادة، وهو من أولها يصف ظعن الحي يشبهها بالنخل. وقوله: أثت أعاليه، أي: عظمت والنفت من ثقل حملها. وقوله: آدت، أي: تثنت ومالت.

ويلوغه. وأهل الحجاز) يقولون: يَنْعَ، بفتح الياء، وبعض أهل نجد يضمونها. قال ابن قتيبة: يقال: ينَعت الثمرة، وأينعت: إذا أدركت، وهو اليُنْع واليَنْع. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن محيصن: «ويُنعِه» بضم الياء. قال الزجاج: الينع: النُضج. قال الشاعر:

في قِسبَسابٍ حَسوْلَ دَسْسكَسرَة حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَسدْ يَسَعا(١)

وبيَّن الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمُ لَآيَدَتِ لِقَرَّمِ كِلِّمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يصدِّقون أن الذي أخرج ها النبات قادر على أن يحيي الموتى. وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد.

﴿وَجَمَلُوا يَوْ شُرُكَاءَ لَلِمَنَ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَدِي بِنَدْرِ عِلْمٌ سُبْحَتَنَهُ وَتَعَدَلَىٰ عَمَّا بَعِيفُونَ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿ رَجَعَلُوا لِيَو شُرِكَاءَ المِنَى جعلوا، بمعنى وصفوا. قال الزجاج: نصبُ «الجن» من وجهين: أحدهما: ان يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجعلوا لله الجنّ شركاء؛ ويكون الجن مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿ رَجَعَلُوا الْمَلَتِكَةُ الَّذِينَ مِنَدُ الرَّحْيَنِ إِنَدَاً ﴾ [الزخرف: ١٩]. والثاني: أن يكون الجن بدلاً من شركاء، ومفسراً للشركاء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجحدري: «شركاء الجنّ» برفع النون؛ وقرأ ابن أبي عبلة، ومعاذ القارئ: «الجنّ» بخفض النون. وفي معنى جعلهم الجن شركاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: ﴿ وَبَعَمُوا بَيْنَمُ وَبَيْنَ لَلْمَنَا لَمُنْ وَبَيْنَ لَلْمَنَا الزادةة قالوا: الله فهم النور والماء والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وفيهم نزلت هذه الآية. قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ رَخَلَقُهُم ﴾ في الكناية قولان: أحدها: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدّثاً؟ ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَحَرُواْ لَمُ بَيِنَ وَبَنَتَمِ ﴾ وقرأ نافع: «وخرقوا» بالتشديد، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادَّعوا الملائكة بناتِ الله، والنصارى المسيح، واليهود عزيراً. وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وحرّفوا» بحاء غير معجمة ويتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابن السميفع، والجحدري: «خارقوا» بألف وخاء معجمة. قال السدي: أما «البنون»، فقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله. وأما البنات فقول مشركي العرب: الملائكة بنات الله، قال الفراء؛ خرّقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى افتروا. وقال أبو عبيدة: خرقوا: جعلوا، قال الزجاج: ومعنى: «بغير علم»: أنهم لم يذكروه من علم، إنما ذكروه تكذّباً.

﴿ بَدِيعُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْشُ اَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدُّ وَلَدُ تَكُن لَهُ صَيْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ فَنَوْ وَهُوَ بِكُلِ ثَنَءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَالِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُّ لَآ ﴾ إِلَّهَ إِلَّا هُمَّوَ خَيلِقُ كُلِ ثَمَنٍ فَاعْبُدُونُ وَهُوَ عَلَى كُلِ ثَنَءٍ وَكِبِلّ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ قال الزجاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة؟! واحتج عليهم في نفي الولد بقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلُّ شَيَّرٌ ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له؟! فإذا نُسب إليه الولد، فقد جُعل له مثل.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَدُرُ وَهُوَ بُدْرِكُ ٱلأَبْصَدُرُ وَهُوَ النَّطِيفُ ٱلْخَيدُ ﴿ ﴾

⁽۱) والحيوان، ١٠/٤، و «الكامل، ٢٢٢١، و «مجاز القرآن» ٢٠٢١، و «الطبري» ١١/ ٥٨٠، و «خزانة الأدب» ٣/ ٢٧٩، و «اللسان» ينع. قال المبرد: قال أبو عبيدة: هذا الشعر مختلف فيه، فيعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. وفي «اللسان» قال ابن بري: هو للأحوص، أو يزيد بن معاوية، أو عبد الرحمن بن حسان، ونسبه صاحب «اللسان» في مادة: «دسكر» إلى الأخطل. والدسكرة: بناء كالقصر، كانت الأعاجم تتخذه للشرب والملاهى.

قوله تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَدُ ﴾ في الإدراك قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة. والثاني: بمعنى الرؤية. وفي «الأبصار» قولان: أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور. والثاني: أنها العقول، رواه عبد الرحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ. ففي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء. وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرؤية، لما صح عن رسول الله على من الرؤية (١)، وهذا مذهب أهل السُنَة والعلم والحديث. والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومقاتل. ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله: ﴿ وَبُوهُ فَيْ يَهُ نَافِرُهُ اللّهُ المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدُوكُ ٱلْأَبْمَكُرُ ﴾ فيه القولان. قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أنَّ خَلْقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه؛ فأعلم الله أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه؛ فكيف به ها اللطيف، فقال أبو سليمان الخطابي؛ هو البرّ بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الأعرابي؛ اللطيف: الذي يوصل إليك أربك في رِفق؛ ومنه قولهم: لطف الله بك؛ ويقال: هو الذي لطف عن أن يُدرك بالكيفية. وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده؛ والخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

﴿ مَا اَكُمْ مَسَالِهُ مِن زَيْكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِيَّهِ. وَمَنْ عَينَ فَكَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم مِمْفِيطِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَدْ جَاءَكُمُ بَصَآيُرُ مِن رَبِّكُمْ ﴾ البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِةِ ، ﴾ نفع ذلك ﴿ وَمَنْ عَيى ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله وَ الله عن عن خلقه. ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِمَفِيظِ ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

فصل

وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بآية السيف. وقال بعضهم؛ معناها: لست رقيباً عليكم، أحصي أعمالكم؛ فعلى هذا لا وجه للنسخ.

﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَبَنَ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنْبَيِّنَامُ لِنَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِفُ آلْآَيْتِ﴾ قال الأخفش: "وكذلك" معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: وَيِثْلُ ما بيَّنًا فيما تُلي عليك، نُبيِّنُ الآيات. قال ابن عباس: نصرِّف الآيات، أي: نبيِّنها في كل وجه، ندعوهم بها مرَّة، ونخوِّفهم بها أخرى. ﴿وَلِيقُولُوا﴾ يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن "دارست". قال ابن الأنباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنلزمهم الحجة، وليقولوا: دارست؛ وإنما صرّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها؛ فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أدّاهم إلى أن قالوا: دارست، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿وَالْنَالُولُولُوا لَا يَعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًا وحزناً. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يُهلك نفسه عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًا وحزناً. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يُهلك نفسه

⁽١) قال ابن كثير رحمه الله في التفسير؛ ٢/ ١٦١: تواترت الأخبار غن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، ويلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بعثه وكرمه.

بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست» بالألف وسكون السين وفتح التاء؛ ومعناها: ذاكرت أهل الكتاب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «درست» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب. قال المفسرون: معناها: تعلمت من جبر، ويسار. وسنبين هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يُمُلِّمُهُ بَشَنُّ ﴾ [النحل: ١٠٣] إن شاء الله. وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «درست» بفتح الراء والسين وسكون التاء من غير ألف. والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست. أي: قد مضت واتمحت. وجميع من ذكرنا فتح الدال في قراءته. وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرسَت» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر؛ ومعناها: قُرئت. وقرأ أبي بن كعب: «دُرسَت» بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء. قال الزجاج: وهي بمعنى: «دَرَسَتْ» أي: اتمحت؛ إلا أن المضمومة الراء أشد مبالغة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورِّق: «دُرُسَتْ» برفع الدال، وكسر الراء وتشديدها ساكنة المسين. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرِّف: «دَرَسَ» بفتح الراء والسين بلا برفع الدال، ودوى عصمة عن الأعمش: «دارس» بألف.

قوله تعالى: ﴿ وَلِنْهِ بَيْنَامُ ﴾ يعني: التصريف ﴿ لِتَوْرِ يَمْلُمُونَ ﴾ ما تبين لهم من الحق فيقبلوه.

﴿ الَّبِعْ مَا أُرْجِى إِلَيْكَ مِن زَيِّكَ ۚ لَا إِلَنَهَ إِلَّا هُوَّ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَمَالَئَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بَوْكِيلٍ ۞﴾

· قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلسُّثَرِكِينَ﴾ قال المفسرون: نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا آشَرَكُواً ﴾ فيه ثلاثة أقوال حكاها الزجاج: أحدها: لو شاء لجعلهم مؤمنين. والثاني: لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان. والثالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم. قال ابن عباس: وباقي الآية نسخ بآية السيف.

﴿ وَلا شَمْتُوا الَّذِينَ بَدَعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُتُوا اللَّهَ عَذَوًا مِنْدِ عِلْمِ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أَنَةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِيمٍ تَنْجِمُهُمْ وَلَا يَسَبُوا اللَّهِ عَدُوا مِنْدِ عِلْمِ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أَنَةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِيمٍ تَنْجِمُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِيمٍ تَنْجِمُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ عِنَا كَانُوا يَسْمَلُونَ ﴿ ﴾ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ مِنَا كَانُوا يَسْمَلُونَ ﴾ وقال الله عندوا الله عندو

قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدَعُونَ بِن دُونِ اللَّهِ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَسْبُدُن مِن دُونِ اللَّهِ حَسَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قالوا: لتنتهينًا يا محمد عن سب الهتنا وعيبها، أو لنهجونً إِلَهك اللي تعبده، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فناهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة. ومعنى الكفار، يعبدون، وهي الأصنام. ﴿فَيَسُبُّوا الله ﴾ أي: فيسبوا من أمركم بعيبها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يعرون أنه خالقهم، وإن أشركوا به(١).

ق**وله تعالى: ﴿**عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلِّمِ﴾، أي: ظلماً بالجهل. وقرأ يعقوب: ﴿عُدُوّاً›، بضم العين والدال وتشديد الواو. والعرب تقول في الظلم: عدا فلان عَدْواً وعُدُواً وعُدُواناً. وعدا، أي: ظلم.

قوله تعالى: ﴿ كُذَلِكَ زَنَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل عملهم من خير أو شر. قال المفسرون: وهذه الآية نسخت بتنبيه الخطاب في آية السيف.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَئِهِمْ لَهِنَ جَاءَتُهُمْ مَايَةٌ لِيُوْيِئُنَ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْيِرُكُمْ أَنْهَا إِنَّا جَآءَتُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَأَنْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَئِهِمْ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل في الشعراه: ١٤: ﴿ وَإِن ثَنَا لَهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّالَا الللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّال

⁽۱) ومن هذا القبيل ـ وهو ترك المصلحة لدره مفسدة أرجح منها ـ ما رواه الإمام أحمد ٤٨/١٠، ٤٩، والبخاري ٣٣٨/١٠، ومسلم ٩٢/١ عن عبد الله بن عموو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: (من الكبائر شتم الرجل والمديمه قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديم؟ قال: (نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمهة.

لكي يؤمنوا؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فائتنا بمثل هذه الآيات حتى نصدِّقك: فقال: «أي شيء تعبون؟» قالوا: أن تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: «فإن فعلت تصدقوني؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين. فقام رسول الله على يدعو، فجاءه جبريل فقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسِل آية فلم يصدَّق بها، إلا أنزلتُ العذاب، وإن شئت تركتُهم حتى يتوب تائبهم، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿يَهَهُونَهُ ، هذا قول محمد بن كعب فقال رسول الله على هذا قول محمد بن كعب القرظي (۱). وقد ذكرنا معنى ﴿جَهَدَ أَيْمَنِيمُ في (المائدة)؛ وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: ﴿لَنُ الْمُرْضِ يُلُبُوعُ ﴾ الإسراء: ١٩٠.

قوله تعالى: ﴿ وَالّ إِنَّمَا الْكَرِيْتُ عِندَ اللّهِ ﴾ أي: هو القادر على الإِتبان بها دوني ودون أحد من خلقه, ﴿ وَمَا يُشْمِرُكُمْ اللّهَ على النّهَ أَي: يدريكم أنها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الألف، فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: ﴿ وَسَعركم اللّه المستناف والإخبار عن حالهم. وقال المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون ﴿ إِنها مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم. وقال أبو على: التقدير: وما يُشعرُكم إِيمانهم؟ فحذف المفعولُ. والمعنى: لوجاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا، فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنّها الله وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنّها الله على الله على الله عنها أن تكون كقول: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنّها إِذَا جَاءَتُ لَا يُؤمِنُونَ ولو قال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنّها الموضع الله على الله عذراً لهم. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وجمزة، والكسائي: ﴿ أَنها ، بفتح الألف ؛ فعلى هذا، المخاطب بقوله: ﴿ وَمَا يُشْمِرُكُمْ واحفص عن عاصم، وجمزة، والكسائي: ﴿ أَنها ، بفتح الألف ؛ فعلى هذا، المخاطب بقوله: ﴿ وَمَا يُشْمِرُكُمْ أَنّها إِذَا جاءت لا يؤمنون. والعرب تجعل ﴿ أَن المعنى العله الإذا جاءت لا يؤمنون. والعرب تجعل ﴿ أَن المعنى العله الله السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي: لعلك. قال عدى بن زيد:

أَعَاذِلُ مِا يُسَدِّرِيْكِ أَنَّ مَسِيَّتِي ﴿ إِلَى سَاعَةٍ فِي اليَوْمِ أَر فِي ضُحَى غَدِ (٢)

أي: لعل منيتي. وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، وسيبويه، والفراء في توجيه هذه القراءة، والثاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون (لا) صلة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنْكَ أَلَا تَسَبُدُ إِذَ أَمَّنُكُ وَالاعراف: ٢١] وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنْكَ أَلَا تَسَبُدُ إِذَ أَمَّنُكُ وَالاعراف: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَحَكَرُمُ عَلَى تَرْكِيَةٍ أَهْلَكُنُهَا أَنَهُمْ لا يَرْجِعُوك ﴿ إلانبياء: ١٥٥] ذكره الفراء ورده الزجاج واختار الأول. والأكثرون على قراءة: «يؤمنون» بالياء؛ منهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم؛ وقرأ ابن عامر، وحمزة: بالتاء، على الخطاب للمشركين. قال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأن الذين أقسموا غُيّبٌ، ومن قرأ بالياء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب.

﴿ وَنَقَلِتُ أَيْدَتُهُمْ وَأَنْصَدَهُمْ كُمَا لَرْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۚ أَوْلَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَنِهِمْ بَعْمَهُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَقَلِبُ آفِكُتُهُمْ وَأَبْعَدُوهُمْ التقليب: تحويل الشيء عن وجهه، وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحُلْنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا؛ فالمعنى: لو ردوا لحُلْنا بينهم وبين الهدى كما حُلْنا بينهم وبين الهدى كما حُلْنا بينهم وبين الهدى المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ونقلّب أفئلة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل. والوابع: أن ذلك التقليب

⁽١) ﴿ الطبري؛ ٣٨/١٢، وقال ابن كثير بعد أن أورده؛ وهذا مرسل، وله شواهد من وجوه أخر.

⁽٢) . فجمهرة أشعار العرب؛ ١٧٩، وفالشعر والشعراء؛ ١٧٨/٨، وفاللسانة: أنن، وغيرها، من قصيدة له حكيمة.

في النار عقوبة لهم، ذكره الماوردي. وفي هاء «به أربعة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن النبي ﷺ. والمثالث: عما ظهر من الآيات. والرابع: عن التقليب. وفي المراد بـ «أول مرة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرة الأولى: دار الدنيا. والثاني: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت. والطغيان والعمه مذكوران في سورة (البقرة).

﴿ وَلَوْ أَنْنَا زُلْنَا ۚ إِلَيْهِمُ السَلَمِكَةُ وَكُلْمَهُمُ الْمُزَقَ وَحَشَرًا طَتَيْمَ كُلَّ فَنَ و ثُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءُ اللّهُ وَلَكِنَ الْحَفَرُهُمْ بَجْمِلُونَ ۚ ۚ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنَوْ أَنْنَا رَبَّانًا إِلْيَهُمُ الْلَهُ كَنَهُ مَنِ اللهِ عَض موانا حتى نسألَهم: أحق ما تقول، أم باطل؟ أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو اثتنا بالله والملائكة قبيلاً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صلح عن ابن عباس. ومعنى الآية: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوا، وكلمهم الموتى، فشهدوا لك بالنبوة ﴿ وَحَمْرَنا ﴾ أي: جمعنا ﴿ عَلَيْمَ كُلُّ مَيْو ﴾ في الدنيا ﴿ بُبُلُا لِيُومُونُوا إِلَّا أَن يَشَاءُ اللهُ ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنوا أنهم متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا لم يؤمنوا. فأما قوله: فقياً أبن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابن قتيبة: معناها: معاينة. وقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابن قتيبة: معناها: معاينة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: فقيلاً بضم القاف والباء. وفي معناها، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الصَّنْف؛ فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً، قاله مجاهد، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً، إلا أنه: الكفيل؛ فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فكفَلَ بصحة ما تقول، اختاره الفراء، وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، فكان لا يؤمنوا بالكفالة التي هي وله أولى. فالحواب: أنه لو كَفَلَت الأشياء المحشورة، فنظق ما لم ينطق، كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى وقول، أولى. فالحواب: أنه لو كَفَلَت الأشياء المحشورة، فنظق ما لم ينطق، كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه أبو زيد. قال أبو زيد: يقال: لقيت فلاناً قِبَلاً وقَبلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبيلاً وقبلة، وكله واحد، وهو للمواجهة. قال أبو علي: فالمعنى في القرآن ـ على ما قاله أبو زيد وإن اختلفت الألفاط.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ أَسَحَّمُكُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى. والثاني: أنهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا.

﴿وَكَذَالِكَ جَمَلْتَا لِكُلِّ نَبِيَ عَدُوًا شَيَطِينَ آلإِنِس وَالْبِيِّ يُوجِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ ذُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوزًا وَلَوْ شَآةَ رَبُكَ مَا فَمَلُوثُّ فَدَرْهُمْ وَمَا يَغْتُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنْكِ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوّا ﴾ أي: وكما جعلنا لك ولأمنك شياطين الإنس والجن أعداء، كذلك جعلنا لمن تقدَّمك من الأنبياء وأممهم؛ والمعنى: كم ابتليناك بالأعداء، ابتلينا مَنْ قبلك، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى. قال الزجاج: «وعدوا: في معنى أعداء، و «شياطين الإنس والجن»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسّر له؛ ويجوز أن يكون: «عدواً منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لأممهم، وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مردة الإنس والجن، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أن شياطين الإنس: الذين مع الإنس، وشياطين الجن: الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أن شياطين الإنس والجن: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ يُوحِى ﴾ أصل الوحي: الإعلام والدلالة يستر وإخفاء. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأمر. والثاني: يوسوس. والثالث: يشير. وأما ﴿ رُبِّحُرُكَ ٱلْقَوْلِ ﴾، فهو ما زُيِّن منه، وحُسِّن، وموّه، وأصل الزخرف: الذهب. قال أبو عبيدة: كل شيء حسَّنته وزيَّنته وهو باظل، فهو زخرف. وقال الزجاج: «الزخرف» في اللغة: الزينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزيِّن لبعض الأعمال القبيحة؛ و «غروراً» منصوب على المصدر؛ وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إيحاء الزخرف من القول: معنى الغرور، فكأنه قال: يَغرون غُروراً. وقال

ابن عباس: ﴿ رُحُرُنَ ٱلْقَرْلِ عُرُورًا ﴾: الأماني بالباطل. قال مقاتل: وَكُلَ إِبليسُ بالإِنس شياطينَ يُضِلونَهم، فإذا التقى شيطان الإِنس بشيطان الجن، قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضللُ أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض. وقال غيره: إن المؤمن إذا أعيى شيطانه، ذهب إلى متمرد من الإِنس، وهو شيطان الإِنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإِنس شياطين. وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإِنس أشد عليَّ من شيطان الجن، لأني إذا تعوَّذت من ذاك ذهب عني، وهذا يَجُرُني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآةَ رَبُّكَ مَا فَمَلُوّمٌ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة. والثاني: ترجع إلى الكفر. والثالث:إلى الغرور، وأذى النبيين.

قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ قال مقاتل: يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب. وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أوليائهم، وما يختلقون من كذب، وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السيف. ﴿ وَلِنَصْمَعْنَ إِلَيْهِ أَنْفِكُمُ أُولِيَنَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إِلْآفِرَوْ وَلِيُرَمِّوُهُ وَلِيُقَرِّفُواْ مَا هُم ثُفَيْرُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِلْصَفَىٰ إِلَيْهِ أَي: ولتيل؛ والهاء: كناية عن الزخرف والغرور. والأفئدة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة. قال ابن الأنباري: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة، و(وليرضوا) الباطل، ﴿ وَلِيَقْرِقُوا ﴾ أي: ليكتسبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

﴿ اَلْمَنْ يَرُ اللَّهِ اَبْتَغِنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِيّ أَنَلَ إِلَيْكُمُ الْكِنَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِنَابَ يَمْلُمُونَ أَنَدُ مُلَزَّلٌ مِن رَّبِكَ بِالْمُؤَثِّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْتَمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْمَنْرُ اللّهِ اَبْتَغِي حَكَمًا سبب نزولها: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكماً، إن شئت من أحبار البهود، وإن شئت من أحبار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماوردي. فأما الحَكمُ، فهو بمعنى الحاكم؛ والمعنى: أفغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم؟! و «الكتاب»: القرآن، و «المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام. ﴿ وَاللّٰهِينَ مَاتَيْنَهُمُ الْكِتَبُ وَ الكتاب؛ فيهم قولان: أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور. والثاني: رؤساء أصحاب النبي محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وأشباههم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿ يَمْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزِّلُ﴾ قرأ ابن عمر، وحفص عن عاصم: «منزّل» بالتشديد؛ وخففها الباقون. ﴿ وَتَمَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَرِّلَ لِكَلِمُنتِئْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتُ كِلَّتُ رَلِّكَ وَرَا ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: الكلمات على الجمع؛ وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب: الكلمة على التوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قُس في كلمته، أي: في خطبته، وزهير في كلمته، أي: في قصيدته. وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة. والثاني: أقضيتُه وعداته: والثالث: وعده ووعيده، وثوابه وعقابه. وفي قوله: ﴿ مِدَّا وَعَدَلاً وَعَدَه وَعَيده عَدَلاً فَيما أَمْر وَنهي وَلان: أحدهما: صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما أمر ونهي. وفي قوله: ﴿ لا مُمْرَدِلُ لِكُلِمَتِيَّه ولان: أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والنقصان منها. والثاني: لا خُلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.

﴿ وَإِن تُطِعْ أَحَثَرُ مَن فِ الْأَرْضِ يُصِدُلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَشِّمُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِذْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعِّ أَكُثِرٌ مَن فِ ٱلْأَرْضِ﴾ سُبب نزولها: أن الكفار قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفراء. والمراد بـ ﴿ أَكُثْرٌ مَن فِ ٱلأَرْضِ ﴾: الكفار. وفي ماذا يطيعهم؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أكل الميتة. والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام. والثالث: في عبادة الأوثان. والرابع: في اتباع ملل الآباء؛ و ﴿ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: دينه. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿ يَخْرُسُونَ ﴾: يحدسون ويوقعون؛ ومنه قيل

للحازر: خارص. فإن قبل: كيف يجوز تعذيب من هِو على ظنَّ من شِرْكِه، وليس على يقينٍ من كفره؟! فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا ِعلى الظن والجهل، عُذَّبوا، ذكره الزجاج.

﴿ إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِيدٌ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلدُّهُ تَدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَمَّلُمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِيِّ ﴾ قال الزجاج: موضع «مَنْ» رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يَضل عن سبيله. وقرأ الحسن: «من يُضِل» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح. قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

﴿ لَمُكُمُّواْ مِمَّا ذَكِرَ ٱنْمُ ٱللَّهِ مَلَيْهِ إِن كُنتُم بِتَايَتِيهِ. مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنَا ذُكِرَ اللهُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما حرم الميئة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميئة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُولُوا مِنَا ذَكِرَ انسُرُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَعَهُلَ لَكُمْ مَا حَرَمٌ عَلَيَكُمْ إِلَّا مَا اَضْطُرِونُتُمْ إِلَيْهُ وَإِنَّ كِيبَا لَيُخِلُونَ بِالْمُوآبِهِمِ إِنَّا رَبُّكَ مُوَ أَغْلُمُ بِاللَّمْدَنِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا؟ وموضع «أن» نصب، لأن «في» سقطت، فوصل المعنى إلى «أن» فنصبها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَمَالُ لَكُمُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: الْفُصِّل لكم ما حُرَّم عليكم المواعدان وقرأ حمزة الفع، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والقراز عن عبد الوارث: فقصًل الفتح الفاء، هما حَرَّم المفتح العاء، وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ففصًل الفتح الفاء، هما حُرِّم المحاء. قال الزجاج: أي: فُصُّل لكم الحلال من الحرام، وأحل لكم في الاضطرار ما حُرِّم. وقال سعيد بن جبير: فُصُّل لكم ما حُرِّم عليكم، يعني: ما بُبِّن في (المائدة) من المبيتة، واللم، إلى آخر الآية. ﴿وَإِلَّ كَثِيرَ لِيُعِلَّنُ إِلَّهُوْآلِهِم ﴾ يعني: مشركي العرب يَضلون في أمر اللبائح وغيره. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: الميضلون ، وفي [يونس: ١٨٨]: قرَبَّنَا لِيَضِلُوا وفي [إبراهيم: ٣٠]: وأنداداً لِيَضِلُوا وفي المعيد بن جبيل الله بِغَيْرِ عِلْم وفي [الزمر: ١٨]: فأنداداً لِيَضِلُ المفتح الياء في هذه المواضع الستة ؛ وضمهن عاصم، وحمزة، والكسائي. وقرأ نافع، وابن عامر: الْيَضلون بأهوائهم ، وفي في هذه المواضع الستة ؛ وضمهن عاصم، وحمزة، والكسائي. وقرأ نافع، وابن عامر: الْيَضلون بأهوائهم ، وفي (يونس): النَيْضِلُوا المفتح ؛ وضمهن عاصم، وحمزة، والكسائي . وقرأ نافع ، وابن عامر: النَيضلون بأهوائهم ، وفي أصلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضلال، الأن كل مُضِلً ضَالً ؟ وليس كل ضَالٌ مُضِلاً .

﴿ وَذَرُوا خَلَيْهِمَ ٱلْإِنْمِ وَبَالِمِنَهُۥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِنَّمُ سَيُبْتَرَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقَتَمِنُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَرُوا طَلهِرَ ٱلْإِثْدِ وَبَاطِنَهُ ﴿ فِي الْإِثْم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ فعلى هذا، في ظاهره وباطنه قولان: أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسرار، قاله الضحاك، والمسدي. قال الضحاك: وكانوا يرون الاستسرار بالزنا حلالاً. والثاني: أن ظاهره نكاح المحرمات، كالأمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزنا، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أنه عام في كل إثم. والمعنى: ذروا المعاصي، سرَّها وعلانيتها؛ وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزجاح. وقال ابن الأنباري: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته. والثالث: أن الإثم: المعصية (٢٠)، إلا أن المراد به هاهنا أمر خاص. قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم؛ إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزنا.

⁽١) أي: نافع، وابن عامر المتقدم ذكرهما.

⁽٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ١٨٢، ومسلم في «صحيحه» ٤/ ١٩٨٠ عن النواس بن سمعان الأنصاري، قال: سألت رسول 雄 國 عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطّلع عليه الناس».

﴿ وَلَا تَأْكُوا مِنَا لَرَ يَذَكُو اسْدُ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّامُ لِمِسْقُ وَإِنَّ الشّيَظِينَ لَيُوْءُنَ إِنَّ أَنْكَابِهِمْ لِلْكُمْ مَلْمُوهُمْ لِلْكُمْ مَلْمُوكُنُ فَ عَلِهِ عَلَيْهِ سبب نزولها: مجادلة المشركين للمؤمنين في قولهم: أتأكلون مما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله! على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنّا لَحُرَ اللّهُ عَلَيْهِ الانعام: ١١٨ هذا قول ابن عباس. وقال عكرمة: كتبت فارس إلى قريش: إن محمداً وأصحابه لا يأكلون ما ذبحه الله، ويأكلون ما ذبحوا لانفسهم؛ فكتب المشركون إلى أصحاب النبي على بذلك، فوقع في أنفس ناسٍ من المسلمين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية. وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه المبتة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المبتة والمنخنقة، إلى قوله: ﴿ وَمَا زُبِحَ عَلَ ٱلنَّهُ مِن المائدة: ١٢ روي عن ابن عباس. والثالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء. والرابع: أنه عام فيما لم يسمَّ الله عند ذبحه؛ وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

فصل

فإن تعمَّد ترك التسمية، فهل يباح؟ فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسياً أبيحت. وقال الشافعي: لا يحرم في الحالين جميعاً. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التسمية عمداً يمنع الإباحة، فقد نُسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله: ﴿وَكَلْمَامُ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَبَ حِلَّ لَكُرُ﴾ [المائدة: ٥] وعلى قول الشافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمُ لَيْسَقُّ ﴾ يعني: وإنَّ أكلَ ما لم يُذكر عليه اسم الله لفسق، أي: خروج عن الحق والدين. وفي المراد بالشياطين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم شياطين الجن، روي عن ابن عباس. والثاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة؛ فعلى الأول: وحيهم الوسوسة، وعلى الثاني: وحيهم الرسالة. والمرادب «أوليائهم» الكفار الذين جادلوا رسول الله على أمن أكل الميتة. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش، والثاني: اليهود؛ ﴿ وَلِنَ أَمْلُ المُيتَ ﴿ إِلَّكُمْ لَمُتَرِكُونَ ﴾

﴿ أَرْ مَن كَانَ مَيْسًا فَأَخْبَيْنَهُ وَجَمَلْنَا لَمُ ثُورًا يَمْشِى بِهِ فِ النَّاسِ كَمَن مَثَلُمُ فِي الظُّلُسَاتِ لَيْسَ بِخَارِج يَنْبُأْ كَذَلِك زُيِّنَ الكَنفِينَ مَا كَانُوا يَمْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَلْنَهُ اختفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله على بفرث، وحمزة لم يؤمن بَعْدُ، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى ما جاء به اسقه عقولنا، وسبَّ آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم التعبدون الحجارة من دون الله القوس، فقال له: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: في عمر بن الخطاب، وأبي جهل، قاله زيد بن أسلم، والضحاك. والرابع: في النبي على وأبي جهل، قاله مقاتل. المخامس: أنها عامة في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين. وفي قوله: ﴿كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ولان: أحدهما: كان ضالاً فهديناه، قاله مجاهد. والثاني: كان جاهلاً، فعلمناه، قاله الماوردي. وقرأ نافع: "ميتاً بالتشديد، قال أبو عبيدة: الميتة، مخففة: من ميتة، والمعنى واحد. وفي "النور، ثلاثة أقوال: أخدها: أنه الهدى، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، قاله الحسن، والثالث: العلم، وفي قوله: ﴿يَشِي بِو، فِي الناس، فيصير كالماشي، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ كُنَن مَّنَالُهُ ﴾ المثل: صلة؛ والمعنى: كمن هو في الظلمات : وقيل: المعنى: كمن لو شُبّه بشيء، كان شبيهُ مَنْ في الظلمات. وقيل: المراد بالظلمات هاهنا: الكفر.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَالِكَ زَيِّكَ ﴾ أي: كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلص منها، ﴿ وَكَذَالِكَ زَيِّكَ الْكَنْفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والمعاصى. ﴿ وَكُذَاكِ جَمَلُنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَنِر مُعْرِيبِهَا لِيسْكُرُوا فِيهِمَّا وَمَا يَسْكُرُونَ إِلَّا بِأَنشُيهِمْ وَمَا يَشْمُهُنَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَكَنَاكُ جَمَلُنَا فِي كُلِّ وَيُبَيَّهُ أَي: وكما زَينا للكَافرين عمَّلهم، فَكُذَلَك جعَّلنا في كل قرية أكابر مجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فُسَّاق مكة أكابرها، فكذلك جعلنا فُسَّاق كل قرية أكابرها. وإنما جعل الأكابر فُسَّاق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة. وقال ابن قتيبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر؛ و «أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء.

قوله تعالى: ﴿ لِيَمْكُنُواْ فِيهِمَا ﴾ قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف. قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب. قال مجاهد: أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة، ليصرفوا الناس عن الإِيمان بمحمد ﷺ، يقولون للناس: هذا شاعر، وكاهن.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْشِيمَ ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحيق.

﴿ وَلِذَا جَآءَتُهُمْ مَايَةً فَالْوَا لَن نُؤْمِنَ حَتَى نُؤْقَى مِشْلَ مَا أُوقَ رُسُلُ اللهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَكُم سَيُصِيبُ الَّذِينَ آجْـرَمُوا صَغَازُ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابُ شَدِيدًا بِمَا كَانُوا يَسْكُرُهِنَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمْ مَايَةٌ ﴾ سبب نزولها: أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كَفَرَسَيْ رِهَان، قالوا: منّا نبيٌ يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نَتَبِعُه أو أن يأتينَا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم. وقال أبو سليمان: تعود على المحادلين في تحريم الميتة. قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدخان. قال ابن عباس في قوله: ﴿ مِشْلَ مَا أُولَى المُحادلين في تحريم إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمداً صادق. قال الضحاك: سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحى.

قوله تعالى: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿ رِسَالَتَكُم ﴾ بنصب الناء على التوحيد ؛ والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنتُ أولى بها منك، لأني أكبرُ منك سناً ، وأكثرُ منك مالاً ، فنزل قوله تعالى: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ رِسَالاَتِهِ » . وقال أهل المعاني : الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم ، لأن الطعن كان يتوجه عليهم ، فيقال : إنما كانوا رؤساء فاتبعوا ، فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب، دون أبي جهل ، والوليد، وأكابر مكة .

قوله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَبُوا صَفَارُ ﴾ قال أبو عبيدة ؛ الصَّغَار: أشد الذل. وقال الزجاج ؛ المعنى هم، وإن كانوا أكابر في الدنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله . وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار . وقال الفراء: معناه: صغار من عند الله ، فحذفت «مِنْ». وقال أبو رَوْق: صغار في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة .

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحْ صَنْدَوُ الْإِسْلَائِرْ وَمَن يُرِدِّ أَنْ يُضِلَهُ يَجْمَلُ مَكَدَوُ صَنَبِقًا حَرَبُمًا كَأَنَمَا يَضَعَتُ فِي السَّمَلَةُ عَجَمَلُ مَكَدَوُ صَنَبِقًا حَرَبُمَا كَأَنَمَا يَضَعَتُ فِي السَّمَلَةُ عَصَلُ اللَّهِ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَكُم قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ، وأبي جهل.

قوله تعالى: ﴿ يَشَحَ صَدَرَهُ قال ابن الأعرابي: الشرح: الفتح. قال ابن قتيبة: ومنه يقال: شرحتُ لك الأمر، وشرحتُ اللحم: إذا فتحته. وقال: ابن عباس: فيشرحُ صدره أي: يوسعْ قلبه للتوحيد والإيمان. وقد روى ابن مسعود أن النبي على قرأ: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيمُ يَشَرَحُ صَدَرَهُ لِإِسْلَنَرِكُ ، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: فنور يقدفه الله في القلب، فينفتح القلب . قالوا: فهل لذلك من أمارة؟ قال: فنعم . قيل: وما هي قال: فالإنابة إلى دار الخود، والاستعداد للموت قبل نزوله (١٠).

الطبري، ۱۰۱، ۱۰۱، ۱۰۱ من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وأورده ابن كثير ۲/ ۱۷٤، بعد أن ذكره من طريق مرسل عن أبي جعفر الهاشمي، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً. وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على الحديث في اتفسير الطبري، ۱۰۲،۹۹،۱۰۲.

قوله تعالى: ﴿ ضَيَهًا ﴾ قرأ الأكثرون بالتشديد. وقرأ ابن كثير: "ضَيْقاً »، وفي [الفرقاد: ١٣]: "مَكَانَاً ضَيْقاً » بتسكين الياء خفيفة. قال أبو على: الضَّيِّق، والضَّيْق: مثل الميّت، والميْت.

قوله تعالى: ﴿ مَرَبًا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ مَرَبًا ﴾ بفتح الراء. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء. قال الفراء: وهما لغتان. وكذلك قال يونس بن حبيب النحوي: هما لغتان، إلا أن الفتح أكثر على ألسنة العرب من الكسر، ومجراهما مجرى الدَّنَفِ والدَّنِفِ. وقال الزجاج: الحرج في اللغة: أضيق الضيق.

قوله تعالى: ﴿كأنما يصاعد﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَشَحَدُ ﴾ بتشديد الصاد ولعدها ألف. وقرأ ابن كثير: "يَضَعَد العين وفتح الصاد من غير ألف. وقرأ أبو بكر عن عاصم: "يضاعد ابتشديد الصاد وبعدها ألف. وقرأ أبن كثير: "يضغد بتخفيف الصاد والعين من غير ألف والصاد ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وطلحة: "تضعد ابتضاعه من غير ألف، وقرأ أبي بن كعب: "يتصاعد ابلف وتاء. قال الزجاج: قوله: ﴿كَأَنَّا يَمَّكُدُ فِي السَّمَاء واليسقد الله: "يتصاعد الله والمعنى: كأنه كُلف أن يَضعَد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السماء نُبُواً عن الإسلام والحكمة. وقال الفواء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السماء، وليس يقدر على ذلك. وقال أبو علي: "يَصَعَد و قياً شيء من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصَعَدني شيء كما تصعدتني خطبة النكاح، أي: ما شق علي شيء مشقتها.

قوله تعالى: ﴿كَثَلِكَ ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك، ﴿يَجَمَّكُ أَلَثُ ٱلرَّجْسَ ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. يعني: أن الله يسلِّطه عليهم. والثاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: أنه العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزجاج. وهذه الآية تقطع كلام القدريَّة، إذ قد صرحت بأن الهداية والإضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

﴿وَهَٰذَا مِيزَكُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَذَكَّرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَلَا صِرَالُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود. والثاني: التوحيد، قاله ابن عباس. والثالث: ما هو عليه من الدِّين، قاله عطاء. ومعنى استقامته: أنه يؤدِّي بسالكه إلى الفوز. قال مكي بن أبي طالب: و «مستقيماً»: نصب على الحال من «صراط»، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيماً، ولم يؤت بها لتفرق بين حالتين، إذ لا يتغير صراط الله عن الاستقامة أبداً، وليست هذه الحال كالحال من قولك: «هذا زيد راكباً»، لأن زيداً قد يخلو من الركوب.

﴿ لَمُمْ ذَارُ ٱلسَّلَدِ عِندَ رَبِّحٌ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دَارُ السَّلَامِ ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن السلام هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها دار السلامة التي لا تنقطع، قاله الزجاج. والثالث: أن تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿ المَّنْكُومُ الله سَلَامُ السلامِ الله سَلَمُ الله الله الله عَلَيْكُم ﴾ [الرعد: ٢٦] وبعد استقرارهم: ﴿ وَاللّلَيْكَةُ يَدَّخُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ ﴿ سَلَمُ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد: ٢٠] وعند لقاء الله ﴿ سَلَمٌ فَوَلا مِن رَبِّ رَجِيرٍ ﴾ ، آيس: ٢٥] وقوله: ﴿ يَعِمْ الله عنده، ﴿ وَلَهُ رَالِهُ مَن الله عنده، ﴿ وَلَهُ وَلِيُهُم ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿ وَلُو وَلِيُهُم ﴾ أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم ﴿ وَمَا كَانُوا يَسْمَلُونَ ﴾ من الطاعات.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَبِيمَا يَمَعَشَرَ الْجِينَ قَدِ السَّكُكُرَّتُدُ مِنَ ٱلْإِنِينَّ وَقَالَ أَوْلِيَآوُهُمْ مِنَ ٱلْإِنِينَ رَبَّنَا اَسَتَنْتَعَ بَعَضُمَا بِبَعْضِ وَبَلَفْنَا أَلَمِنَا الَّذِينَ أَبَلَتَ لَنَّا قَالَ النَّارُ مُفَوْدِكُمْ خَلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَنَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبِّكَ حَكِيدُ عَلِيثُ ۖ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَرَوْمَ غَشُرُهُمْ جَيمًا ﴾ يعني الجن والإنس. وقرأ حفص عن عاصم: «يشحرهم» بالياء. قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حرَّمه الله من الميتة.

قوله تعالى: ﴿وَبَائِنَا ۚ أَلِنَا ٱلَّذِى أَنَّكَ أَنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسدي. والثاني: الحشر، كره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ النَّارُ مَثَوَنكُمْ ﴾ قال الزجاج: المثوى: المقام؛ و ﴿ خَلِيرِينَ ﴾ منصوب على الحال. المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿ خَلِيرِينَ فِيهَا ﴾ مذ يبعثون ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدتهم في محاسبتهم. ويجوز أن تكون ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ﴾ أن يزيدهم من العذاب. وقال بعضهم: إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب؛ وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحة في (هود) إن شاء الله.

﴿ وَكَذَلِكَ نُولِلَ بَعْضَ الظَّلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ ثُولِ بَمْضَ الظَّلِينَ بَمْمَا﴾ في معناه أربعة أقوال: أحدها: نجعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة. والثاني: نُتبعُ بعضهم بعضاً في النار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة، والثالث: نسلَّط بعضهم على بعض، قاله ابن زيد. والرابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من المعاصي ..

﴿ يَمَعْضَرَ لَلِمِنْ وَٱلْإِنِسِ ٱلْدَ يَأْتِكُمْ رُسُلُّ يَنَكُمْ يَقَصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُدِوُونَكُرْ لِقَاةَ يَوْيِكُمْ هَلَأً قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٓ ٱللَّهِينَ وَعَمَنْهُمُ لَلْمِيْزُهُ الدُّنِيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٓ ٱلشِّهِمْ ٱلْهُمُرَ كَانُواْ كَابِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَنَمَشُرُ الْمِنْ رَالْإِنِسِ أَلَدْ يَأْتِكُمْ ﴾ قرأ الحسن، وقتادة: قتأتكم، بالتاء، ﴿ رُسُلٌ مِنكُمْ ﴾. واختلقوا في الرسالة إلى الجن على أربعة أقوال: أحدها: أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسل الجن، هم الذين سمعوا القرآن، فولّوا إلى قومهم منظرين، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيبلغون الجن ما سمعوا. والثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك، ومقاتل، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام. والرابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج. قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿ آلَوْ يَأْتِكُمُ رُسُلٌ يَنكُمُ ﴾ آلرحمن: ٢٢]، وإنما هو خارج من الملح تكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿ يَمْنَ مُ يَشْمًا اللَّوْلُو وَالْتَرَبّاتُ ﴿ وَالَولِ ويشربون، قاله الضحاك. والثاني: أن يعاروا من النار ويصيروا تواباً، رواه سفيان عن ليث.

قوله تعالى: ﴿ يَفُشُونَ عَلَيْكُمْ مَاكِنِي ﴾ أي: يقرؤون عليكم كتبي. ﴿ وَيُسْلِدُونَكُمْ ﴾ أي: يخوّفونكم بيوم القيامة. وفي

قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٓ أَنفُسِنَاۗ﴾ قولان: أحدهما: أقررنا على أنفسنا بإنذار الرسل لنا. والثاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرسل إِياهم. ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُّنَيَّا ﴾ أي: بزينتها، وإمهالهم فيها. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىۤ أَنفُسِمَ ﴾ أي: أقروا أنهم كانوا في الدنيا كافرين. وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر.

﴿ وَلَاكَ أَن لَمْ يَكُن زَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرِّيٰ يُظْلِمِ وَأَمْلُهَا غَنِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَ أَن لَمْ يَكُن رَبُّكَ مُهِ اللَّهِ كَالْتُرَىٰ بِطُلْمِ ﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل، وأمر عذاب من كذب، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلككم حتى يبعث إليهم رسولاً. قال ابن عباس: ﴿ بظلم ا أي: بشرك ﴿ وَأَهْلُهَا غَنِلُونَ ﴾ لم يأتهم رسول.

﴿ وَلِكُ لِ وَرَجَاتُ مِنَّا عَكِالُوا وَمَا رَبُّكَ بِعَنِيلِ عَنَّا يَسْتَلُونَ ﴿ وَلِكُ لِمَا مُنا يَسْتُلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِكْلِ دَرَجَتُ بِمَنَا عَكِمُوا ﴾ أي: لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشراً. وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَهْمَلُونَ﴾ قرأ الجمهور بالياء؛ وقرأ ابن عامر بالناء على الخطاب.

﴿ وَرَبُكَ الْذِينُ ذُو الرَّغْـمَةُ إِن يَشَكُأُ بُلْهِبْكُمْ وَيَسْتَظِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَكَأَهُ كُنّآ أَنشَأَكُمْ مِن ذُرِيجَةِ فَوْمٍ مَا حَدِيثَ ﴿ إِنَّ مَا نُوْمَكُونَكَ لَآئِتُ وَمَا أَنشُد بِمُعْجِزِنَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلنَيْ ﴾ يريد: الغني عن خلقه ﴿ذُو ٱلرَّحْسَةِ ﴾ قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته. وقال غيره: بالكل. ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين. ﴿إِن يَشَأَ يُدْمِنَهُ ﴾ بالهلاك؛ وقيل: هذا الوعيد لأهل مكة؛ ﴿رَبَسَتُظِفُ مِنْ بَشْدِكُم مَّا يَشَآهُ كُمَّ ٱلشَّاكُم ﴾ أي: ابتداكم ﴿وَن دُرِّكِةِ فَوْمٍ الحَمْرِينَ ﴾ يعني: آباءهم الماضين، ﴿إِنَ مَا نُوكَدُّنِ ﴾ به من مجيء الساعة والحشر ﴿لَآتِ وَمَا آنتُد بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بفائتين. قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني،

﴿ وَأَلْ يَكَوْرِ آَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمُ إِنِّ عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَتِبَهُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُغْلِحُ الظَّللِمُونَ ﴿ وَمَا أَبُو بَكُرُ عَنْ عَاصِم: "مكاناتكم" على الجمع. قال ابن قتيبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة. وقال الزجاج: اعملوا على تمكنكم. قال: ويجوز أن يكون

المعنى: أعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ عَامِلٌ ﴾ أي عامل ما أمرني به ربي ﴿فَسَوْكَ تَمْلَمُوكَ مَن تَكُونُ لَمْ عَنِبَهُ ٱلذَّارِ ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «تكون» بالناء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالباء. وكذلك خلافهم في [القصص: ١٧١]، ووجه التأنيث، اللفظ، ووجه التذكير، أنه ليس بتأنيث حقيقي. وعاقبة الدار: الجنة. والظالمون هاهنا: المشركون. فإن قبل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز. فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد؛ فكأنه قال: أقيموا على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزجاج.

فضل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أن المراد بها التهديد؛ فعلى هذا هي محكمة. والثاني: أن المراد بها ترك القتال؛ فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَجَمَلُواْ يَبْهِ مِنَا ذَرَا مِنَ ٱلْحَدَدِثِ وَٱلْأَمْدَيْرِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَمَانَا يَبُّهِ بِرَغْمِيهِمْ وَهَلَاا لِشُرَكَآبِكَا فَمَا كَانَ لِشُكَآبِهِمْ فَكَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ يَبُو فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآبِهِمْ سَانَهَ مَا يَعْكُمُونَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَراً ﴾ قال ابن قتيبة: ذراً، بمعنى خلق. ﴿مِنَ ٱلْحَرَثِ ﴾ وهو الزرع. ﴿وَالْأَشْكِرِ ﴾: الإبل والبقر والغنم، وكانوا إذا زرعوا، خطوا خطاً، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما

جعلوه أنه، فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة؛ وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعادوه إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً ألله؛ فإذا وللات إنائها ميناً أكلوه، وإذا وللات أنعام آلهتهم ميناً عظموه فلم يأكلوه. وقال الزجاج: معنى الآية: وجعلوا شه مما ذراً من الحرث والأنعام نصيباً، جعلوا لشركائهم نصيباً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَشَالُواْ هَكُذَا يَدُو بِرَعَمِهِم وَهَكَذَا لِللهُ كَالَيْكَا ﴾، فدل بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشركاء؛ وكانوا إذا زكا ما ألله، ولم يزكُ ما لشركائهم، ردوا الزاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غني؛ وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزكُ ما ألله، أقروه على ما به. قال المفسرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا ألله إلى الضيفان والمساكين. فمعنى قوله: ﴿فَكَلَا يَعِبُلُ إِلَى اللّهِ أَي : إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب آلهتهم في الزرع إلى النفقة على خُدًامها. فأما نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضاً. والثاني: أنهم كانوا للنفقة على خُدًامها. فأما نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضاً. والثاني: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثان. فأما قوله: "بزعمهم، فقرأ الجمهور: بفتح الزاي؛ وقرأ الكسائي، أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان. فأما قوله: "بزعمهم، فقرأ الجمهور: بفتح الزاي؛ وقرأ الكسائي، والمُتك، والفُتك، والفُتْك؛ والزَّعم، والرَّعم، والزَّعم، والرَّعم، والرَ

﴿وَكَذَلِكَ زَفَّكَ لِكَيْدِ مِنَ ٱلْمُشْرِئِينَ قَشَلَ أَوْلَدِهِمْ شُرَّكَآوُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلِيسُواْ مَلَيَهِمْ وِينَهُمُّ وَلَوْ شَكَآءَ اللّهُ مَا مُعَكُومٌ فَدَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿لِيُرِّدُوهُمْ ﴾ أي: ليهلكوهم. وفي هذه اللام قولان: أحدهما: أنها لام «كي». والثاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [القصص: ٨] أي: آل أمرهم إلى الردى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَـلَهِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمُّ﴾ أي: ليخلطوا. قال ابن عباس: ليُدخلوا عليهم الشك في دينهم؛ وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشياطين.

قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَثَنَّرُونَ ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك؛

فقال: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي؛ يكذبون؛ وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم. وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿ وَقَالُوا هَٰذِيهِ أَنْسُكُمْ وَحَرْثُ حِجْرٌ لَا يَظْمُمُهُمَا إِلَّا مَن نَشَاتُهُ بِرَقِيهِمْ وَأَنْسُكُمْ خُرِّمَتَ ظُهُورُهَا وَأَنْسُكُمُ لَا يَذَكُرُنَ اَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ٱلْهَرَاتُهُ عَلِيْهُ سَبَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ بَغْتُرُونَ ﴿ ﴾ عَلَيْهَا ٱلْهِرَاتُهُ عَلِيْهُ سَبَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ بَغْتُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَنَوْمِهُ أَهَنَدُ وَكَرْتُ عِجْرٌ ﴾ الحرث: الزرع، والحجر: الحرام؛ والمعنى: أنهم حرَّموا أنعاماً وحرثاً جعلوه لأصنامهم. قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام: حجر، لأنه حُجر على الناس أن يصيبوه، وقرأ الحسن، وقتادة: ﴿ حُجْر، بضم الحاء. قال الفراء: يقال: حِجْر، وحُجْر، بكسر الحاء وضمها؛ وهي في قراءة ابن مسعود: «حرج»، مثل: «جذب» و «جبذ». وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان: أحدهما: أنها البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. والثاني: أنها الذبائح التي للأوثان؛ وقد سبق ذكرهما.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا مَن نَشَاءَ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد. وفيمن أطلقوا له تناولها قولان: أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قالها بن السائب. والثاني: عكسه، قاله ابن زيد. قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان. وفي قوله: ﴿وَأَشَادُمُ حُرِّمَتُ عُلْهُورُهَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحام، قاله أبن عباس. والثاني: البحيرة، كانوا لا يحجُّون عليها، قاله أبو واثل. والثالث: البحيرة، والسائبة، والحام، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْكُمُ لَا يَذَكُرُونَ آسَمَ اللّهِ عَلَيْهَا﴾ هي قربان آلهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة. وقال أبو واثل: هي التي كانوا لا يحجُّون عليها؛ وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عُلْهُورُهَا﴾، فعلى قوله؛ الصفتان لموصوف واحد. وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء؛ لا إن ركبوا، ولا إن حملوا، ولا إن حلوا، ولا إن تُتِجوا. وفي قوله: ﴿أَفَرَآهُ عَلَى اللّهُ قولان: أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا يقولون: هو حرَّم ذلك.

﴿ وَقَالُوا مَّا فِي بُمُلُونِ هَمَاذِهِ ٱلْأَنْدَدِ عَالِمِكَةً لِلْكُورِنَا وَعُمَارَمُ عَلَىٓ أَزْوَجِنَا ۚ وَإِن يَكُن مَيْسَةَ فَهُمْ فِيدِ شُرَكَآةً سَيَجْزِيهِمْ وَصَعَهُمُ إِنَّهُ حَكِيمُ عَلِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِ بُمُلُونِ هَكَذِهِ ٱلْأَمْكِ ﴾ يعني بالأنعام: المحرمات عندهم، من البحيرة، والسائبة، والوصيلة. وللمفسرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللبن، قاله ابن عباس، وقتادة، والثاني: الأجنَّة، قاله مجاهد. والثالث: الولد واللبن، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿ عَالِمَكُ اللَّهُ كُونا ﴾ قرأ الجمهور: «خالصة» على لفظ التأنيث. وفيها أربعة أوجه: أحدها: أنه إنما أنت، لأن الأنعام مؤنثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفراء. والثاني: أن معنى «ما» التأنيث، لأنها في معنى الجماعة؛ فكانه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزجاج. والثالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علامة» و «نسّابة». والمرابع: أنه أجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التأنيث عن الأسماء المذكّرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباري. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خالص» بالرفع، من غير هاء. قال الفراء: وإنما ذكّر لتذكير «ما». وقرأ ابن عباس، وأبو رذين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصه» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكّر، قال الزجاج: والمعنى: ما خلص حياً. وقرأ قتادة: «خالصة» بالنصب. فأما الذكور، فهم الرجال، والأزواج: النساء.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُن مَّيْمَةٌ﴾ قرأ الأكثرون: «يكن» بالباء، «ميتة» بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ «ما». المعنى وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة. وقرأ ابن كثير: «يكن» بالياء، «ميتةٌ» بالرفع. وافقه ابن عامر في رفع الميتة؛ غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتةٌ بالنصب. والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.

قوله تعالى: ﴿فَهُدْ فِيهِ شُرَكَاأً﴾ يعني الرجال والنساء. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمُّ﴾ قال الزجاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب.

﴿ فَدْ حَبِرَ الَّذِينَ قَـنَكُوا أَوْلِكَدُمْمَ سَلَهُمَّا بِغَيْرِ عِلْمِ وَحَرَّمُواْ مَا رَذَقَهُمُ اللّهُ افْعِرَاةً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَكُواْ وَمَا كَالُوا مُهْتَذِبَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَدْ حَبِرَ اللّذِينَ قَـنَكُواْ أَوْلَدَهُمْ ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: "قتّلوا التشديد. قال ابن عباس: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياءً في الجاهلية من العرب. وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة، ويغذو كلبه. وقال الزجاج: وقوله: "سفهاً المنصوب على معنى اللام، تقديره: للسفه؛ تقول: فعلت ذلك حذر الشر. وقرأ ابن السميفع، والجحدري، ومعاذ القارئ: "سفهاء الموفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمد وبالنصب والهمز.

قوله تعالى: ﴿ بِنَثِرِ عِلَرٍ ﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرَّموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

﴿ لَهُ وَهُوَ الَّذِى آلْشَا جَنَّتِ مَعَرُونَتُتِ وَغَيْرَ مَثَرُونَتُتِ وَالنَّخْلَ وَالنَّخْلَ وَالزَّبْقُ الْحَكُلُمُ وَالزَّبْوَكَ وَالزُّمَّاكَ مُتَشَكِبًا وَغَيْرَ مُتَكَذِيبًا وَغَيْرَ مُتَكُوبًا وَغَيْرً مُتَكُوبًا وَغَيْرً مَثْكُوبًا وَغَيْرً مُتَكَذِيبًا وَغَيْرً مَثْكُوبًا الْمُعْرِفِينَ ﴾ مُتَشَكِبًا وَغَيْرً مُتَكُوبًا وَلَا تُشْرِفُونًا إِنَّكُهُ لَا يُحِبُّ النُسْرِفِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى آلْتُمَا جَنَّتُو مَتَّمُوشَتُ وَغَيْرُ مَثَرُوشَتِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر ما يعرَّش، كالكرم، والقرع، والبطيخ؛ وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنخل، والزرع، وسائر الأشجار. والثاني: أن المعروشات: ما أنبته الناس؛ وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الشمار، رويا عن ابن عباس. والثالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عرش، ومنه ما لم يعرش، قاله الضحاك. والرابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عُرَّش عبها، وغير المعروشات: سائر الشجر التي لا تُعرَّش، قاله أبو عبيدة. والأكُلُ: الشمر. ﴿ وَالزَّيْوَرِي وَالْرَاكَ مُتَسَكِها ﴾، قد مبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ حَكُانًا مِن ثَمَرِوه إِذَا آثْمَرَ ﴾ هذا أمر إباحة؛ وقيل: إنما قدَّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زوعهم من تحريم بعضها.

قوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا حَقُّهُ يَوْمَ حَمَسَادِيُّهُ قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم وقرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي: بكسرها، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء. وفي المراد بهذا الحق قولان: أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاووس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقتادة في آخرين؛ فعلى هذا، الآية محكمة، والثاني: أنه حق غير الزكاةُ فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد. وهل نُسخ ذلك، أم لا؟ إِن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة؛ وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقى الحكم. فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد؛ وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذَّكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإِيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما المزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج؛ إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخَّر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحقّ لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه؛ إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في البد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى. وفي قوله: ﴿وَلَا تُشْرِئُوآا﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يُجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُتُرِيُّوْأً إِنْكُمُ لَا يُحِبُّ النُسْرِفِينَ﴾. والثاني: أن الإِسراف: منع الصدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أنه

الإِنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزهري. والرابع: أنه إِشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية العوفي، وابن السائب. والمخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد. والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

﴿ وَيُرَ الْأَنكُو حَمُولَةً وَكُرْشًا حَكُوا مِمّا رَزَقكُمُ اللهُ وَلا تَنْبِعُوا خُعُونِ الشّيطانِ إِنّهُ لكُمْ عَدُو بُهِنَ ﴿ فَمَنيَهَ أَنوَى ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيُرِ الْأَنْكُو حَمُولَةً وَفَرَشًا ﴾ هذا نسق على ما قبله؛ والمعنى: أنشأ جنّاتٍ، وأنشأ حملة وفرشاً. وفي ذلك خمسة أقوال: أحدها: أن الحمولة: ما حل من الإبل، والفرش: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: أن الحمولة: ما انتفعت بظهورها، والفرش: الراعبة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن الحمولة: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحمَل عليه. والفرش: الغنم: رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: الحمولة: من الإبل، والفرش: من الغنم، قاله الضحاك. والمخامس: الحمولة: الإبل والبقر. والفرش: الغنم، قاله الضحاك. والمتوكل، والجوزاء: «حُمولة» بضم الحاء.

قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا تحرِّموا ما حرمتم مما جرى ذكره: ﴿وَلَا تَتَمُّوا خُطُونَتِ الشّيَكَانِيُّ﴾ أي: طرقه. قال: وقوله: ﴿فَمَنْنِيَةَ أَرْفَيْجٌ بدل من قوله: ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشَا ﴾. والـزوج، فـي اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر. قال المصنف؛ وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزوج: ما كان معه آخر من جنسه، فحيثلٍ يقال لكل واحد منهما: زوج.

﴿ يَنَ المَثَنَانِ الْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ الْنَيْنِ وَمِنَ اللَّهَ مَا اللَّهَ الْأَنْفَيْنِ أَمَّا الشَّمَنَاتُ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأَنْفَيْنِ أَمَّا الشَّمَنَاتُ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأَنْفَيْنِ أَمْ كُنْدُ مَكُونِ مِعِلْمٍ إِن الْمُنْفَيْنِ أَمَّ كَنْدُ مَكِنَ الْمُؤْمِنِ وَمِنَ الْمُؤَمِّ اللَّهُ مَنْ أَلْلُكُونَ عَلَى اللَّهِ حَكْذًا لِيُعْمِلُ النَّاسَ مِعَيْمِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ كُنْدُ اللَّهُ مِهْدُأً فَكُنْ أَظْلُمُ مِنْنِ اَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ حَكْذِا لِيُعْمِلُ النَّاسَ مِعَيْمِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ اللَّهُ اللَّهُ مِهْدُالًا فَكُنْ أَظْلُمُ مِنْنِ الْفَرَى عَلَى اللَّهِ حَكْذِا لِيُعْمِلُ النَّاسَ مِعَيْمِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ اللَّهُ اللَّهُ مِهُ اللَّهُ مِهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ أَظْلُمُ مِنْنِ الْفَرْمُ مِنْ أَنْفُونُ مَا اللَّهُ مِنْ أَنْفُونُ مِنْ أَمْلًا لَهُ مُنْ أَظْلُمُ مِنْنَ اللَّهُ مِنْ أَنْفُونُ مِنْ أَنْفُونُ مَنْ أَطْلُمُ مِنْنَ أَنْفُونُ مِنْ أَنْفُونُ مُنْ أَمْلُولُونُ مِنْ أَنْفُونُ مِنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنَالِقُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مِنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْفُونُ مُلُولُونُ مُنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْفُونُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْ أَنْفُونُ مُنْفُونُ مُنُولُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُنْفُونُ مُ

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْهَكُأُنِ النَّيْنِ ﴾ الضأن: ذوات الصوف من الغنم، والمعز: ذوات الشعر منها. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «المعنر؛ بفتح العين. وقرأ نافع، وحمزة، وعاصم، والكسائي: بتسكين العين. والمراد بالأنثيين الذكر والأنثي. ﴿ قُلُ مَّاللَّكُنْنِ ﴾ من الضأن والمعز حرم الله عليكم ﴿ إِلَ الْأَنْيَيْنِ ﴾ منها؟. المعنى: فإن كان ما حرم عليكم الذكرين، فكل الذكور حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فيكون كل جنين حراماً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ألَّحِقَكم التحريم من جهة الذكرين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كل أنثى؛ وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كل أنثى؛ وإن قالوا: من جهة الأنثيين، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذكر والأنثى. وقال ابن جرير الطبري: إن قالوا: حَرَّم الذكرين، أوجبوا تحريم كل ذكر من الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره، وإن قالوا: ما الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره، وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإنائها. قال المفسرون: فاحتج الله تعالى عليهم بهذه المتمتمات عليه أرحام الأنثين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإنائها. قال المفسرون: فاحتج الله تعالى عليهم بهذه المتمال في قوله: ﴿ مَاللَكُنَيْنِ كُنُ الْمُنْتَيْنِ ﴾ إبطال لما حرَّموه من البحيرة، والسائية، والوصيلة، والحام. وفي قوله: ﴿ مَاللَكُ مَلِيْ المُنْتَدِينَ عَلَيْهِ الْمُنْكِ عَالِمَةً والحام. وفي قوله: ﴿ مَاللَكُ مَلِيْ المُنْتَدِينَ اللَّهُ مَا اللَّهُ الْمُنْكِ عَالِمَةً والحام. وفي قوله: ﴿ مَاللَكُ مَا اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْكِ عَالِمَةً والحام. وفي المُنْ النَّهُ عَلَيْهِ الْمُنْ النَّمُ الْمُنْكَ عَلَيْهِ الْمُنْفِي وَلِمُ الْمُنْ الْمُنْ وَلَيْهِ الْمُنْكِ عَالِمَةً المَنْمَ النَّهُ والْحَامُ الْمُنْكِ عَالِمَةً والْحَامُ الْمُنْكِ عَالِمَةً والْحَامُ والْحَامُ اللَّهُ الْمُنْكِ عَالِمَةً الْحَامُ اللَّهُ الْمُنْكِ عَالِمَةً والْحَامُ والْحَامُ والْحَامُ والْحَامُ الْحَامُ الْحَامُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿نَيْتُونِ بِمِلْمِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فسروا ما حرمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب. ﴿أَمْ كُنُمُ شُهُدَاتَهُ أَي: هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟ قوله تعالى: ﴿فَمَنَ أَظُلَرُ مِنَنِ ٱنْتَرَىٰ عَلَ ٱللَّهِ كَذِبًا لِيُعْيِـلُ ٱلنَّاسَ بِفَيْرِ عِلْمِ ۖ قال ابن عباس: يريد عمرو بن لحي، ومن جاء بعده. والظالمون هاهنا: المشركون.

﴿ فَلَ لَا أَجِدُ فِى مَا أُومِى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَ طَاعِمِ يَطْعَمُهُۥ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْـنَةً أَوْ دَمَا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِمِ فَإِنَّـهُ رِجْسُ أَوْ خِسْقًا أُمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِذْ فَمَنِ اخْطُلَرَ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ نَجِيعٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلُ لا آَجِدُ فِي مَا أُوحِى إِلَى عُرَمًا عَنَ طَاعِمِ يَطْمَهُ وَ نَبههم بهذا على أن التحريم والتحليل، إنما يثبت بالوجي، وقال طاووس، ومجاهد: معنى الآية: لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا. والمراد بالطاعم: الأكل. ﴿ إِلآ أَن يَكُونَ مَيْسَتَةٌ ﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة. قرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿ إِلآ أَن يَكُونَ ﴾ بالياء، هميتة الممنى؛ إلا أن تقع ميتة ، أو تحدث ميتة بالياء، هميتة المسفوح على معنى؛ إلا أن تقع ميتة ، أو تحدث ميتة بالياء، هميتة المسفوح: المصبوب. وكانوا إِذ ذَكُوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم. والرجس: اسم لما يُقتلَر، وللعذاب. ﴿ أَوْ نِسْقًا ﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقاً. ﴿ أُهِلَ لِنَيْرِ اللّهِ بِدِ ﴾ أي: رُفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، فسمي ما ذُكر عليه غير اسم الله فسقاً و والفسق: الخروج من الدين.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ. والثاني: أنها جاء جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان المجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم. والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذُكر فيها. والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخنقة والموقوذة، وفي السُنَّةِ من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير(۱). وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

﴿وَعَلَ الَّذِينَ حَمَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُلُمْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَدِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُعُومَهُمَا ۚ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُلُهُورُهُمَا ۚ أَوِ الْحَوَابَ الْوَ مَا اَخْتَلَطَ بِمَظْدٍ ذَلِكَ جَرَيْنَهُد بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَائِقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُلْتُرْ ﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: ﴿ ظُلْوْ ، بسكون الفاء ؛ وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة. وفي ذي الظفر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنعام، والإوّزُ ، والبط، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: الإبل فقط، قاله ابن زيد. والثالث: كل ذي حافر من الدواب، ومخلب من الطير، قاله ابن قتيبة. قال: وسمي الحافر ظفراً على الإستعارة ؛ والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة ؛ وأنشدوا:

سَامْتَ عُهَا أَوْ سَوْتَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكِ أَظَلَافُه لِم تُسَقَّق (٢)

أراد قدميه؛ وإنما الأظلاف للشاء والبقر. قال ابن الأنباري: الظفر هاهنا، يجري مجرى الظفر للإنسان. وفيه ثلاث لغات. أعلاهن: ظُفُر؛ ويقال: ظُفْر، وأظفور. وقال الشاعر:

سأمنعها ـ البيت ـ وهذه من أقبح الاستعارات، وإنما يريد بقوله: أظلافه لم تشقق: أنه منتعل مترفه، فلم تشقق قدماه.

⁽١) روى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: هحرم رسول الله 養 كعوم الحمر الأهلية، وزاد أحمد: وولحم كل ذي ناب من السباع، وقد صح النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية من حديث البراء بن عازب، وابن عمر، وأبي هريرة، وزاهر الأسلمي، وابن أبي أرفى. وروى الجماعة إلا البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: «نهى رسول 故 衛 عن كل ذي تاب من السباع وكل في مخلب من الطير، وروى مسلم في مصحيحه ١٥٣٤/٣ عن أبي هريرة عن النبي 登 قال: «كل ذي ناب من السباع حرام».

⁽۲) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٦٦، و «الصناعتين» ٢٠٠١، و«الموازنة» ٤٤، و«الأمالي» ٢٠٠/٢. وفي «السمط» ٢٤٦: البيت لعقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي، وكان النعمان بن المنظر استعمل الفلاق بن عمرو الرياحي على هجائن من يلي أرضه من العرب، وكانت لعقفان هذا هجائن، فأخفاها، فطلبها الفلاق، فعمد عقفان بإبله حتى أتى النعمان، فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً. فقال قصيدة منها: سراه عسدا منها:
سراه عسلسيسكسم شسؤمسها وهسجسائسها

فىلىم يُبشق مىنىه ذا جىنياح وذا ظُلفُس

ألسم تسر أنَّ السمسوتَ أَذْرَكُ مَسنُ مَسضَسى وقال الآخر:

فأصبحتُ ما يَخْشَوْنَ نابي ولا ظُفْري

لقد كنتُ ذا نبائبٍ وظُفْرٍ على العِدَى وقال الآخر:

وبين أخرى تليها قِيْدُ أَظْفُور(١)

ما بين لُقمته الأولى إذا انحدَرَث

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما حرّم من ذلك شحوم الثروب خاصة، قاله قتادة. والثاني: شحوم الثروب والكلى، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جريج. وفي قوله: ﴿إِلّا مَا حَمَلَتُ ظُهُورُهُمَا ثَلاثة أقوال: أحدها: أنه ما علق بالظهر من الشحوم، قاله ابن عباس. والثاني: الألية، قاله أبو صالح، والسدي. والثالث: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة. فأما الحوايا، فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة: هي المباعر، وقال ابن زيد: هي بنات اللبن، وهي المرابض التي تكون فيها الأمعاء. وقال الفراء: الحوايا: هي المباعر، وبنات اللبن. وقال الأصععي: هي بنات اللبن، واحدها: حاوياء، وحاوية، وحَويّة. قال الشاعر:

الجاحِظُ العَيْنِ العَظيمَ الحاوية (٢)

أَقُـــــُـــــُـــهـــم ولا أرى مُـــعــــاويــــه وقال الآخر:

فحيحُ الأفاعي أو تقيقُ العقارُب(٣)

كسأنَّ نعقسين السحّبِّ فسي حساويسائسه

وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوّى من البطن، أي: ما استدار منها. وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوّى من الأمعاء، أي: استدار، وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوّى من البطن، فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى: المرابض، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اَخْتَلَطَ مِنْطَرِّ ﴾ فيه تولان: أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنهما على عظم، قاله السدي. والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس، والعينيي، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج. واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التحريم. فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح؛ والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه نسق على ما حرِّم، لا على الاستثناء؛ فالمعنى: حرَّمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرم، قاله الزجاح. فأما «أو» المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله: ﴿عَانِهُ الله وَالله والله وَالله وَالله

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَرَبَتُهُم ﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيهم. وفي بغيهم قولان: أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الربا. والثاني: أنه تحريم ما أحل لهم.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُمْ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِينِك

قوله تعالى: ﴿ إِن كَذَّكِكَ ﴾ قال ابن عباس: لما قال رسول الله ﷺ للمشركين: «هذا ما أُوحي إِلي أنّه محرَّم على المسلمين وعلى اليهود»، قالوا: فإنك لم تصب، فنزلت هذه الآية. وفي المكذبين قولان: أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود، قاله مجاهد. والمراد بذكر الرحمة الواسعة، أنه لا يعجل بالعقوبة. والبأس: العذاب. وفي المراد بالمجرمين قولان: أحدهما: المشركون. والثاني: المكذبون.

مسا بسيسن لسقممستسهسا الأولسي إذا ازدردت) البيت في اللسانة: حوي، منسوب لعلي ﷺ.

 ⁽١) البيت غير منسوب في «اللسان» و «أساس البلاغة»: ظفر، وروايته فيهما:

وبسين أخسرى تسلسيسهسا قسيسس أظسفسود

٣) قائله جرير، وهو في اديوانه؛ ٨٣، و المعجم مقاييس اللغة؛ ٢/ ١١٢، واللسانة: حوى.

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوَ شَآءَ اللّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلَا مَرْمَنَا مِن ثَيْرً كَذَاكِ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۚ فَلَ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَنْبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنشُرْ إِلّا تَخْرُصُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشَرُواْ ﴾ أي: إذا لزمتهم الحجة، وتيقّنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرِّمه الله ﴿ لَوْ شَآءَ اللهُ مَا أَشَرَكُنَا ﴾، فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه؛ وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيكم إنهم ضالُون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم، لأنهم تعلَّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر؛ ومشيئة الله تعمُّ جميع الكائنات، وأمره لا يعمّ مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلَّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله تعالى: ﴿كَذَبَ الَذِينَ مِن تَبْلِهِمُ قَالَ ابن عباس. أي: قالوا لرسلهم مثلما قال هؤلاء لك، ﴿حَتَىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرَّمتم ﴿إِن تَنْبِعُونَ إِلَّا اللَّهُ فِي تحريم ما حرَّمتم ﴿إِن تَنْبِعُونَ إِلَّا اللَّهَينِ } و النه بمعنى دما، و دتخرصون، تكذبون.

﴿ قُلْ مَلِنَّهِ الْحُبَّةُ ٱلْبَلِينَةُ مَلَوْ شَآةً لَهُدَىكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلِيمَ الْمُنْهَةُ ٱلْبَلِنَةُ ﴾ قال الزجاج: حجَّته البالغة: تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة. قال السدي: ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ آَجَوَيٰنَ ﴾ يوم أخذ الميثاق.

﴿ قُلْ هَلُمُ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ بَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَنَذَاْ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُدُّ وَلَا تَشْبِعَ أَهْوَاتُهُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَابَدُنِنَا وَالَّذِينَ لَا بُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَمُعْم مِرْتِهِمْ يَسْدِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَن هَامُ شُهُدَاءَكُمُ ﴾ قال الزجاج: زعم سيبويه أن «هلم» هاء ضمت إليها «لُمّ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة؛ فأكثر اللغات أن يقال: «هلمّ»؛ للواحد والإثنين والجماعة؛ بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يثنّي ويجمع ويؤنّث، فيقول للذكر: «هلمً»، وللمرأة: «هلمّ»، وللإثنين: «هلمًا»، وللثنتين: «هلمًا»، وللجماعة: «هلمُوا»، وللنسوة «هلمُمن». وقال ابن قتيبة: «هلم»، بمعنى: «تعال» وأهل الحجاز لا يثنّونها ولا يجمعونها. وأهل نجد يجعلونها من «هَلَمُمنّ»، فيثنّون ويجمعون ويؤنّون؛ وتوصل باللام، فيقال: «هلم لك»، «وهلم لكما». قال: وقال الخليل: أصلها «للهمّ» وزيدت الهاء في أولها. وخالفه الفراء، فقال: أصلها «هله ضمّ إليها «أمّ»؛ والرفعة التي في اللام من همزة «أمّ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها؛ وكذلك «اللهم» يرى أصلها: «يا الله أمّنا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركت الهمزة، وقال ابن الأنباري: معنى «هلم»: أقبل؛ وأصله: «أمّ يا رجل»، أي: «اقصده، فضموا «هل» إلى «أم» وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أم» عن التصرف، وحوّلوا ضمة همزة «أم» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فاتصلت وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أم» عن التصرف، وحوّلوا ضمة همزة «أم» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فاتصلت الميم باللام. وإذا قال الرجل للرجل: «هلم»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: «لا أهلُم» و «لا أهلُم». قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرّم هذا الحرث مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرّم هذا الحرث والأنعام، ﴿ وَإِنْ شَهدُولُ إِنْ الله حرّم هذا الحرث والأنعام، ﴿ وَإِنْ شَهدُولُ أَنْ الله حرّمه ﴿ وَلَلَا مَمَهُمُ الله عَلَ الله عَلَه والله عَلَه والله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَه الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَ الله عَلَه والله عَلَ الله عَلَه والله عَلَ الله والله عَلَ الله والله عَلَ الله والله و

 هُ قُلْ تَسَالُوَا أَنْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ تُشَرِّكُوا هِو. تَسَيَّعٌ وَإِلْوَلِينَ إِحْسَنَا وَلا تَقْنُلُوا أَوْلَدَكُمْ مِنْ إِمْلَتُ وَلا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَا بِالْحَقِّ وَلِائَةً وَلا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَا بِالْحَقِّ وَلِائَةً وَلا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَا بِالْحَقِّ وَلِائِكُمْ وَمَا بَعْلَى إِلَى اللَّهُ مِنْ وَمَا بَعْلَى إِلَى اللَّهُ إِلَى اللَّهُ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولِقُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَى اللللْمُ اللَّهُ الْمُعْلَقُلْمُ اللَّهُ الْمُعْلَقُلْمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الللْمُعُلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الللْمُعْلِم

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَكَالَوَا أَتَلُ مَا حَرَّمُ رَبُّكُمْ عَيَتَكُمْ أَلَا تُشَرِّفُوا فِيهِ شَيَعًا ﴾ (ما) بمعنى «الذي، وفي «لا» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: ﴿ أَلَا تَسْبَدُ ﴾ [الأعراف: ١٢]. والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي نافية: فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون قوله: ﴿ أَلا تُشْرِكُوا على المعنى؛ فتقديره: أتل عليكم أن لا تشركوا، أي: أتل تحريم الشرك. والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿ وَبَالْوَالِمَيْنِ إِحساناً، ذكرهما الزجاج. والثالث: أن الكلام تمّ عند قوله: ﴿ حَرَّمَ رَبُكُمُ أَنفُسَكُمُ ﴾ المالاة: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَدُلُوا أَرْلَنَدَكُم﴾ يريد دفن البنات أحياءً. ﴿مِنْ إِمْلَقِ﴾ أي: من خوف فقر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشَرَبُوا الْفَوَحِثَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ فِي خَمَسة أقوال: أحدها: أن الفواحش: الزنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن الاستسرار به، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرمات، وما بطن: الزنا، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا، قاله الضحاك. والرابع: أنه عام في القواحش. وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سيرها، قاله قتادة. والمخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع، وفي تفسير قوله: ﴿وَدَرُوا لَهُ عَلَيْهِ مَا اللّهِ عَلَيْهِ مَا اللّهِ عَلَيْهِ وَالنّس التي حرم الله: نفس مسلم أو معاهد. والمراد بالحق: إذن الشرع.

﴿ وَلَا نَقَرَبُوا مَالَ الْيَنِيدِ إِلَا بِالَتِي مِنَ آعَسَنُ حَتَّى يَبُكُمْ أَشَدُمُّ وَأَوْلُوا الْكَبْلَ وَالْبِيزَانَ بِالْفِسْطِ لَا لَكُوْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهُمْ وَإِنَّا لَكُنْهُ مِنْ لَكُنْهُ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَمَسْنَكُمْ بِدِ. لَتَلَكُمُ نَذَكُرُونَ ﴿ ﴾ فَلْنُدُ مَا تَعْدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْرَبُوا مَالَ الْيَبِيرِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْذَرُّ ﴾ إنما خص مال البتيم، لأن الطمع فيه، لقلَّة مراعيه وضعف مالكه، أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِٱلِّي هِيَ أَمْسَنَّ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب. والرابع: أنه حفظه عليه، وتثميره له، قاله الزجاج، قال: و «حتى» محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده، فادفعوه إليه. فأما الأشُدُّ، فهو استحكام قوة الشباب والسنِّ. قال ابن قتيبة: ومعنى الآية؛ حتى يتناهى في النبات إلى حدُّ الرجال. يقال: بلغ أشده: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان. وقال أبو عبيدة: الأشُّدُّ لا واحد له منه؛ فإن أكرهوا على ذلك، قالوا: شَدًّ، بمنزلة: ضَبٍّ؛ والجمع: أَضُبُّ. قال ابن الأنباري: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشُدِّ: شُدٌّ، بضم الشين. وقال بعض البصريين: واحد الأشُّد: شِدَّةً، كقولهم: نِعمة، وأنْهُم. وقال بعض أهل اللغة: الأشُدُّ: اسم لا واحد له. وللمفسرين في الأشُد ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، روي عن عائشة ﷺ. والرابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة. والسادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري. والسابع: ثلاثون سنة، قاله السدي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ النساء: ٦ فكأنه يشير إلى النسخ. والثامن: بلوغ الحُلُم، قاله زيد بن أسلم، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس، وهو الصحيح. ولا أظن بالذين حكينًا عنهم الأقوال التي قبله فسَّروا الآية بما ذُكر عنهم، وإنما أظن أن الذين جمعوا التفاسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدُّهُۥ﴾ [يوسف: ٢٢، والقمس: ١٤] إلى هذا المكان؛ وذلك نهاية الأشُدُّ، وهذا ابتداء تمامه؛ وليس هذا مثل ذاك. قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حُذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشده؛ فإذا بلغ أشدّه، فآنستم منه رشداً، فادفعوا إليه ماله. قال المصنف: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح؛ وإنما استفيد إيناس الرشد والإسلام من آية أخرى؛ وإنما أطلق في هذه الآية ما قُيِّد في غيرها، فحُمل المطلق على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْنُوا آلْكَيْلَ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه. و ﴿آلْمِيزَاكَ﴾ أي: وَزْنَ الميزان. والقسط: العدل. ﴿لَا تُكَلِّفُ نَنْسًا إِلَّا وُسْمَهَا ﴾ أي: ما يسعها، ولا تضيق عنه. قال القاضي أبو يعلى: لما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما التحديد بأقل القليل كُلْفنا الاجتهاد في التحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلتُدُ فَاعْدِلُوا﴾ أي: إذا تكلمتم أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة. وعَهْد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره، ﴿وَالِكُمْ

وَمَّنَكُمْ بِدِ لَتَلَكُّو تَذَكَّرُونَ أَي: لتذكروه وتأخذوا به. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ تَذَكَّرُونَ الانعام: ١٥٣] و ﴿ يَذَكُرُ الْإِنكَنُ الرِيم: ١٧] و ﴿ أَن يُذَكِّرُ اللهِ العام: ٢٦]، و ﴿ لِيَذَكُّرُهُ اللهِ اللهُ اللهُ

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسَتَقِيمًا فَأَشِعُوهُ وَلَا تَنْهِمُوا السُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّنكُم بِهِ لَعَلَّحُمْ تَنَفُونَ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسَتَقِيمًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: «وأنَّ بفتح الألف مع تشديد النون. قال الفراء: إن شئت جعلت «أنَّ مفتوحة بوقوع «اتل» عليها؛ وإن شئت جعلتها خفضاً، على معنى: ذلكم وصاكم به، ويأن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضاً، إلا أنه خفف النون، فجعلها مخففة من الثقيلة؛ وحكم إعرابها حكم تلك. وقرأ حمزة، والكسائي: بتشديد النون مع كسر الألف. قال الفراء: وكسر الألف على الاستئناف. وفي الصراط قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإسلام. وقد بينا إعراب قوله: «مستقيماً» أيضاً. فأما «السُّبُل»، فقال ابن عباس: هي الضلالات(١٠). وقال مجاهد: البدع والشبهات. وقال مقاتل: أراد ما حرَّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِيّ ﴾ أي: فتضلكم عند ينه.

﴿ ثُكُّ َ اَتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَبَ تَمَامًا عَلَ النَّانِ َ أَحْسَنَ وَتَقْصِيلًا لِكُلِ شَيْءِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَمَّلَمُم بِلِنَّامِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهِ عَلَى مَعْنَى التلاوة؛ فالمعنى اتل ما حرم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مَاتَنَا مُوسَى ٱلْكِنَبَ ﴾ قال الزجاج: «ثم» هاهنا للعطف على معنى التلاوة؛ فالمعنى اتل ما حرم ربكم، ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى. وقال ابن الأنباري: الذي بعد «ثم» مقدَّم على الذي قبلها في النية؛ والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ تَمَامًا عَلَى اللَّهِ عَلَى الْكِتَابِ تَمَامًا ، أي: في دفعة واحدة ، لم نفرِّق إنزاله كما فُرِّق إنزال القرآن ، غير متصلة بما بعدها ؛ والتقدير : آتينا موسى الكتاب تمامًا ، أي: في دفعة واحدة ، لم نفرِّق إنزاله كما فُرِّق إنزال القرآن ، ذكره أبو سليمان الدمشقي . وفي المشار إليه بقوله : ﴿ أحسن البعدة أقوال : أحدها : أنه الله عَلَى أحسان الله تعلى إلى موسى ؛ وعلى قولان : أحدهما : تمامًا على إحسان الله تعالى إلى موسى ؛ وعلى هذين القولين ، يكون ﴿ اللَّهِ عَلَى إحسان اللهُ النَّانِي : أنه إبراهيم الخليل عَلَيهِ ؛ فالمعنى : تمامًا للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله ، وكانت نُبُوّة موسى نعمة على إبراهيم ، لأنه من ولده ، ذكره الماوردي . والقول الثالث : أنه كل محسن من الأنبياء ، وغيرهم . وقال مجاهد : تمامًا على المحسنين ، أي : تامًا لكل محسن . وعلى هذا القول ، يكون «الذي ، بمعنى لام الجر ؛ ومن هذا قول العرب : أتم عليه ، وأتم له . قال الراعي :

رعستسه أشهراً وخسلا عسلسيسا(٢)

أي: لها. قال ابن قتيبة: ومثل هذا أن تقول: أوصي بمالي للذي غزا وحج؛ تريد: للغازين والحاجِّين. والقول الرابع: أنه موسى. ثم في معنى: «أحسن، قولان: أحدهما: أحْسَنَ في الدنيا بطاعة الله الله الحسن،

⁽١) روى الإمام أحمد في «المسندة ٤/١٨٣، ١٨٣» والحاكم في «المستدرك» ١/٣٧ عن النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنَبَي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أبها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم». وخرجه ابن كثير في «التفسير»، ثم قال: إسناد، حسن صحيح. وقوله: «تعوجوا» قال القاري في «شرح المشكاة»: بتشديد الجيم من الاعوجاج، كذا في نسخة السيد وغيره، وفي نسخة؛ بتشديد الوار على حذف إحدى التاءين، وهو تأكيد لما قبله، أي: لا تعبلوا إلى الأطراف. قلت: ووقع في «المسندة: «ولا تضرجوا» وهو تحريف.

 ⁽٢) تمامه: فطار النّي فيها واستغارا. وهو في «أدب الكاتب» لأبن قتيبة: ٤٠١ من أبيات يصف بها ناقة ذات سمن. قال الجواليقي: رعته، أي: رعت هذه الناقة هذا النبات أشهراً، وتخلت به، لم يرعه غيرها. وطار الني، أي: ارتفع الشحم، واستغار، أي: هبط فيها ودخل.

وقتادة: تماماً لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا. وقال الربيع: هو إحسان موسى بطاعته. وقال ابن جرير: تماماً لنعمنا عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا. والثاني: أُحْسَنَ من العلم وكُتُبِ اللهِ القديمةِ؛ وكأنه زيد على ما أحسنه من التوراة؛ ويكون «الذي» بمعنى: «ما». وقرأ من التوراة؛ ويكون «الذي» بمعنى: «ما». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يعمر: «على الذي أحسنُ»، بالرفع. قال الزجاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء. وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكل، وأبو العالية: «على الذين أُحْسِنَ» برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون؛ وهي تحتمل الإحسان، وتحتمل العلم.

قوله تعالى: ﴿ رَنَقْضِيلًا لِكُلِّلِ شَيْءِ ﴾ أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

﴿ وَعَلَا كِنَبُ أَرْلَنَهُ مُبَارَكُ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَمَلَّكُمُ زُحْمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهَلَذَا كِنَبُ أَنْزَلَنَهُ مُبَارَكُ ﴾ يعني القرآن، ﴿ فَأَتَّبِهُ وَاتَّتُواَ ﴾ أن تخالفوه ﴿ لَتَلَكُمُ أَرْحَمُونَ ﴾. قال الزجاج: لتكونوا راجين للرحمة.

﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزِلَ ٱلْكِنَابُ عَلَ مَلَامِنَتَيْنِ مِن تَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَيْهِم لَنَنفِلينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تَتُولُوا﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذّبوا أنبياءهم؛ فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكنّا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الفراء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا. وذكر الزجاج عن البصريين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا؛ ولا يجيزون إضمار «لا». فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكة؛ والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى، وكنا غافلين عما فيهما. و «دراستهم»: قراءتهم الكتب. قال الكسائي: ﴿وَإِن كُنّا عَن دِرَاسَتِهِم لَنَوْلِينَ ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلُغَيّنا، فأنزل الله كتابا فبلغتهم لتنقطع حجتهم.

﴿ أَرْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَرِلَ عَلَيْنَا الكِنَابُ لَكُنَّا آهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَغْلَمُ مِثَنَ كُذَّبَ يِكَابُتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْرِى الَّذِينَ يَشْدِفُونَ عَنْ مَايَنِنَا شُوّة الْمَذَابِ بِمَا كَانُواْ بَشْدِفُونَ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَكُنّا آهْدَىٰ يَنْهُمُ ۚ قال الزجاج: إِنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مُدِلون بالأذهان والأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون لا يكتبون. ﴿ فَنَدّ جَآءَكُم بَيّنَهُ ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشبهات. قال ابن عباس: ﴿ فَنَدّ جَآءَكُم بَيّنَهُ ﴾ أي: حجة، وهو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والرحمة، والنعمة. ﴿ فَمَنْ أَظُلُهُ ﴾ أي: أكفر ﴿ مِثَن كَذَّبُ بِتَايِّتِ اللهِ ﴾ يعني محمداً والقرآن. ﴿ وَصَدَنَ عَنْهُ ﴾: أعرض فلم يؤمن بها. وسوء العذاب: قبيحه.

﴿ مَلْ يَنْظُرُونَ إِلَا أَن تَأْتِيكُمُ الْمَلَتَهِكَةُ أَوْ يَأْنِيَ رَبُكَ أَوْ يَأْنِكَ بَشْنُ مَايَتِ رَبِكَ يَوْمَ يَأْنِي بَشْنُ مَايَتِ رَبِكَ يَوْمَ يَأْنِي بَشْنُ مَايَتِ رَبِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِينَتُهَا لَرَ تَكُنْ مَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِينَنِهَا خَيْمَا فَيُ لِنَظِيرًا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَلَ يَظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَتَئِكَةُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تأتيهم» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يأتيهم» بالياء. وهذا الإِتيان لقبض أرواحهم. وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده.

قوله تعالى: ﴿أَرْ يَأْنَى رَبُكَ﴾ قال الحسن: أو يأتي أَمْرُ ربك(١٠). وقال الزجاج: أو يأتي إِهلاكه وانتقامه، إِمّا بعذاب عاجل، أو بالقيامة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأَلِكَ بَنْشُ مَايَكِ رَبِّكُ﴾ وروى عبد الوارث إلا القزاز: بتسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون.

⁽١) خرج ابن الجوزي هنا على مذهب السلف في هذا النقل.

وفي هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي يُشُرُ^(۱)، وبه قال ابن مسعود. وفي رواية زرارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي على أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمن من عليها، قذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً^(۱). وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي أنه قال: "لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، طبع على كل قلب بما فيه، [و] كفي الناس العمل، "ا. والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربها، والدابة، وفتح مناجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدابة، وذابة يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة؛ والأول أصح. والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح؛ وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. وقال الضحاك: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع أيمانه، قبل منه غربها، أن الملحدة والمنجمين، إيمانه، قبل منه غربها، أن الملحدة والمنجمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ يَهَا يَنَ كُلُمُعَنِهُ الْبَلْتِهُ الْبَلْتِهُ الْبَلْتِهُ الْبُلْتِهُ الْبُعْتِهُ الْبُهْتِهُ الْبُعْتِهُ الله إبراهيم: ﴿فَأْتِ يَهَا يَنَ كُلُمُعَنِهُ اللَّه المِنْ المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأَتْ يَهَا يَنَ الْمُعْتِهُ اللَّه الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله قال الله المناب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَاتُونُ المنابِ اللَّهُ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ المنابِ المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ الله المنابِ المنا

فصل

وفي قوله: ﴿فَلِ اتَنظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به التهديد، فهو محكم. والثاني: أنه أمر بالكف عن القتال، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ مَزَّقُوا وِيَهُمْ وَكَانُوا شِيْمًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي مَنْيَرُ إِنِّمَا آمَرُهُمْ إِلَى اللِّهِ ثُمَّ يُنْتِئُهُم يَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِيتُمْ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فرّقوا مشددة، وقرأ حمزة ، والكسائي: ﴿فارقوا ﴾ بألف. وكذلك قرؤوا في الروم: ٢٦١؛ فمن قرأ ؛ ﴿فرّقوا ﴾ أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ : ﴿فارقوا ﴾ أراد: باينوا. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة ، قاله أبو هريرة . والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة ، والسدي. والثالث: اليهود ، قاله مجاهد. والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن. فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه ديناً ، وعلى ما قبله ، دينهم: الذي أمرهم الله به. والشّيع: الفرق والأحزاب. قال الزجاج: ومعنى ﴿شيّعتُ ، في اللغة: اتبعت . والعرب تقول: شاعكم السلام ، وأشاعكم ، أي: تبعكم . قال الشاعر:

ألا يسا نَسخُسلَة مِسنْ ذَاتِ عِسرْقِ بَسرُوْدِ السِظِسلُ شَساعَسكُسم السَّلَامُ(٤)

وتقول: أتيتك غداً، أو شِيعة، أي: أو اليوم الذي يتبعه. فمعنى الشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين. وفي قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٌ﴾ قولان: أحدهما: لست من قتالهم في شيء؛ ثم نسخ بآية السيف، وهذا مذهب السدي. والثاني: لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك بُرءَاء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

⁽١) • المسند، ٣ / ٣١، و (الطبري، ٢٤٧/١٢، و (الترمذي، ٢٣٣/). وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

⁽٢) . المستدة رقم (٧١٦١)، و البخاري، ٨٣٣/، و أمبيلم، ١٩٤/، و أبو داود، ١٩٣٤، و ابن ماجه، ٢٣٩٢/ وخرجه السيوطي في الله المنتور، ٣٧٥ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وعبد الرزاق، والنسائي، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والطبراني، وابن أر عدى.

 ⁽٦) • المسندة ٣/١٣٣، و الطبري، ٢/ ٣٥٣، وخرجه الهيثمي دني مجمع الزوائد، ٥/ ٣٥٠ وقال: ورجال أحمد ثقات. وقال ابن كثير بعد أن ذكر. ٢/
 ١٩٥ : هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يخرجه أحد من الكتب السنة.

⁽٤) البيت غير منسوب في (أساس البلاغة)، و(اللسان): شيع.

﴿ مَن جَاةَ بِالْمُسَنَةِ فَلَمُ عَشَرُ أَمْنَالِهَا ۚ وَمَن جَاةً بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَن جَادَ بِالْمَسَنَةِ فَلَمُ عَشَرُ أَتَنَالِهَا ﴾ وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «عَشْرٌ» بالتنوين، «أمثالها» بالرفع. قال ابن عباس: يريد: من عَمِلَها، كتبت له عشر حسنات. ﴿ وَمَن جَاءً بِالسَّبَةِ فَلا يُحْرَى إِلاَ ﴾ جزاء ﴿ مِثْلَهَا ﴾ وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. و السيئة؛ الشرك، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي، والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة. روى مسلم في "صحيحه» من حديث أبي ذر عن النبي على قال: «يقول الله على: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فبجزاء سيئة مثلها أو أغفره. فإن قبل: إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد، فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟ فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السيئة. وقد أشرنا إلى هذا في (المائدة) عند قوله: ﴿ فَكَ النّها قَتَل عند المؤنث؟ واللهاء إنما تسقط في عدد المؤنث؟ فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنّث؛ وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنّث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

﴿ قُلُ إِنَّنِي مَكَنِي رَبِّهِ إِنَّ سِرَولِ مُسْتَقِيدِ دِينًا فِيمَا يَلَةَ إِبْرُهِمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّنِي هَدَنِي رَبِّ إِنَى صِرَطِ شُسَيَتِيرِ ﴾ قال الزجاج: أي: دلَّني على الدين الذي هو دين الحق. ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿ وَيَنَا فِينَا﴾ ونافع، وأبو عمرو: قيِّماً » مفتوحة القاف، مشددة الياء. والقيم: المستقيم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ قِيَماً » بكسر القاف وتخفيف الياء. قال الزجاج: وهو مصدر، كالصَّغَر والكِبر. وقال مكي: من خففه بناء على ﴿ فِعَل ﴾ وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: ﴿ قِوَماً كما قالوا: عِوض، وحِوَل، ولكنه شذ عن القياس. قال الزجاج: ونصب قوله: ﴿ وَينَا قِيماً ﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دل على عرفني ديناً ؛ ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿ إِن مِرَا شُسْتَقِيمٍ ﴾ ، فالمعنى: هداني صراطاً مستقيماً ديناً قيماً. و ديناً ، منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني مال حيفيَّة.

﴿ قُلْ إِذْ صَلَانِ وَيُشْكِي وَتَمَاكِ مِنْ وَيَ الْمَلْدِينَ ۞ لَا شَهِيكَ لَمْ وَيَذَلِكَ أَيْرَتُ وَأَنَا أَوْلُ الشيلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ إِنَّ صَلَاقِ ﴾ يريد: الصلاة المشروعة. والنسك: جمع نسيكة. وفي النسك هاهنا أدبعة أقوال: أحدها: أنها الذبائح؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: الدين، قاله الحسن. والثالث: العبادة. قال الزجاج: النسك كلُّ ما تُقرَّب به إلى الله على الإ أن الغالب عليه أمر الذبح. والرابع: أنه الدين، والحج، والذبائح، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَكِيّاكَى وَمُمّانِى﴾ الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي». وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»، ثم المفسرين في معناه قولان: أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله. والثاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه. ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا أَوْلُ السَّيْدِينَ ﴾ قال الحسن، وقتادة: أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿ فَلْ آغَيْرُ اللَّهِ أَنِيْ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّي فَمَنْ وَلَا تَكْمِيبُ كُلُّ نَشِينَ إِلَّا عَلَيْماً وَلَا لِيُرُ وَازِرَةٌ وِزَرَ أَخْرَىنًا ثُمُّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِيْكُمُو فَبُنَيْنِكُكُمْ وَلَا يَكُمُمُ مُنْاتِبُونَكُمُ وَلَا يَكُمُمُ وَلَا يَكُونُ عَلَيْهُ وَلَا يَكُمُ مُنْ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تُولِيْنُونَ الْحَالِمُ وَلَا يَكُمُ مُرْجِعِتُكُو فَيُنْتِفِكُمُ وَلِلَّا عَلَيْهَا وَلَوْلُونُ وَلِي اللَّهِ وَلَا يَكُونُونُ فِي اللَّهُ وَلَا يَكُونُونُ فَي اللَّهُ وَلَا يَكُونُونُ فَي اللَّهِ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا تَكُونُونُ فَي اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ لَلَّهُ وَلَا لَكُنَّا فِي إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا لَمُ فَيْهِ وَلَا تَكُونُونُ فَي اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا تَنْهُونُ فَي إِلَيْنِ فَيْعُولُونُ فَي اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ وَلِينًا لِمُؤْلِمُ وَلِينَا لِمُؤْلِمُونَ فَي اللَّهُ وَلِينَا لِمُونُ فَي اللَّهُ وَلِينَا لِمُؤْلِمُونَ فَي اللَّهُ وَلِينَا لِمُؤْلِمُونَ فَي اللَّهُ وَلِينَا لِمُؤْلِمُونَ فَي اللَّهُ وَلِمُ لِلللَّهُ وَلِمُ لِلللَّهُ وَلَمُ لِللَّهِ فَلَهُ وَلِمُ لِلللَّهُ وَلِمُ لِللللَّهُ وَلَا يُعْلِمُونَ فَيْلِمُونَ فَلِكُونُ فَيْ

قوله تعالى: ﴿قُلَ آغَيْرَ اللَّهِ آئِنِي رَبُّا﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكُفلاءُ بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُ نَنْسِ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يُؤخذُ سواها بعملها. وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها. ﴿وَلَا نَزِرُ وَإِزَهُ ۚ وَلَا أَخْرَى ۖ قال الزجاج: لا تؤخذ نفس آئمة بإثم أُخرى. والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره. قال أبو سليمان: ولما ادَّعت كل فرقة من اليهود والنصارى أو المشركين أنهم أولى بالله من

غيرهم، عرفهم أنه الحاكم بينهم بقوله: ﴿فَيُنَيِّئَكُمْ بِمَا كُشُرٌ فِيهِ تَخْنَلِقُونَ﴾ ونظيره ﴿إِنَ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْفِيَكُمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

﴿ وَهُوَ الَّذِى جَمَلَكُمْ خَلَتِهَ ۖ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَتَهَكُمُ فَرَقَ بَنْضِ دَرَجَنتِ لِيَسَلُوكُمْ فِي مَا مَاتَنكُو ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَنَفُورٌ فِيمُ ﴿ ﴾

قُوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَتِهَ الْأَرْضِ﴾ قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة. قال الشماخ: تُصيبُهُمُ وتُدخُطئنني المَسنايا وأخْلَد فُ فَسِي رُبُسوعِ عَسنُ رُبوعِ (١)

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنّهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس. والثاني: أن بعضهم يخلف بعضاً؛ قاله ابن قتيبة. والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج.

قُوله تعالى: ﴿ وَرَنَهَ بَمْضَكُمْ فَوْقَ بَمْضِ دَرَجَدَتِ﴾ أي: في الرزق، والعلم، والشرف، والقوة، وغير ذلك ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ آلِيقَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سماه سريعاً، لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريبٌ. والثاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.

سـورة الأعـراف فصل في نزولها

روى العوفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عباس، أن سورة الأعراف) من المكي، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. وروي عن ابن عباس، وقتادة أنها مكية، إلا خمس آيات؛ أولها قوله تعالى: ﴿وَسْتَأَلُهُمْ عَنِ ٱلْقَرْبِيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ لَنَهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّنَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣ ـ ١٧٣] فإنهن مدنيات.

بنسيد أنفر النكن التيسير

﴿الَّمْضَ ١

﴿ كِنْتُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مَلَا يَكُن فِي صَدْدِلَةَ حَرَجٌ يَنْهُ الْمُنظِرَ بِهِ. وَذِكْرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿كِسَّا أَذِلَ إِلَيْكَ﴾ قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء. ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتَح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «اب ت ث ث ثمانية وعشرون حرفاً ؛ فالمعنى: حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يرتفع الكتاب بإضمار: هذا الكتاب. وفي الحرج قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. والثاني: أنه الضيق، قاله الحسن، والزجاج. وفي هاء همنه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب؛ فعلى هذا، في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يضيقنَّ صدرك بالإبلاغ، ولا تخافنَّ، قاله الزجاج. والثاني: لا تشكن أنه من عند الله. والقول الثاني: أنها ترجع إلى مضمر، وقد دل عليه الإنذار، وهو التكذيب، ذكره ابن الأنباري. قال الفراء: فمعنى الآية: لا يضيقنَّ صدرك أن كذبوك. قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿لِثُنٰذِرَ هِو مُوسَع ونع ونصب و خفض؛ فأما النصب؛ فعلى قوله: أنزل إليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، أي: ولتذكّر به ذكرى، لأن موضع رفع ونصب و خفض؛ فأما النصب؛ فعلى أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين، فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى التذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين، فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى التذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين. فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى التذكير، وهو في موضع خفض.

﴿ النَّهِ مُوا مَا أَنْزِلَ إِلَيْتُمْ مِن زَنِكُرُ وَلَا تَنْهِمُوا مِن دُونِهِ ۚ أَوْلِيَّاتُمْ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۗ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّيْمُوا مَا أُنِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِكُو﴾ إِن قيل: كيف خاطبه بالإِفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: «اتبعوا»؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن الخظاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى. والثاني: أن الخطاب الأول خاص له؛ والثاني محمول على الإِنذار، والإِنذار في طريق القول، فكأنه قال: لتقول لهم منذراً: ﴿أَنِّهُوا مَا أُنِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُو﴾، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: أن الخطاب الثاني للمشركين، ذكره جماعة من

المفسرين؛ قال: والذي أنزل إليهم القرآن. وقال الزجاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النبي ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله تعالى: فوماً مَانكُمُ الرَّمُولُ فَحُدُّوهُ وَمَا مَهَدُمُ عَنَهُ فَآنَهُواً ﴾ [الحشر: ٧]. فولا تنبّوا بن دُونِهِ أَذِلِنَهُ اي: لا تتولوا مَنْ عدل عن دين الحق؛ وكلُّ من ارتضى مذهباً فهو ولي أهل المذهب. وقوله تعالى: فَلَيلاً مَا تَذَكُرونَ مشددة ما: زائدة مؤكِّدة؛ والمعنى: قليلاً تتذكرون. قوا أبن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تذكّرون» مشددة النال والكاف. وقرا حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تذكّرون» خفيفة الذال مشددة الكاف. قال أبو علي: من قرأ «تذكرون» بالتشديد، أراد «تتذكرون» فأدغم التاء في المذال، وإدغامها فيها حسن، لأن التاء مهموسة، والذال مجهورة؛ والمجهور أزيد صوتاً من المهموس وأقوى؛ فإدغام الأنقص في الأزيد حسن. وأما حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هؤلاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة. وقرأ ابن عامر: «يتذكرون» بياء وتاء، على الخطاب للنبي ﷺ؛ والمعنى قليلاً ما يتذكر هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

﴿ وَكُمْ يَن فَرْيَةِ أَمْلَكُنَّهَا فَجَآءَهَا بَأْتُنَا بَيْتًا أَوْ هُمْ فَٱلِمُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكُمْ مِن فَرْيَةِ أَهْلَكُنَهَا ﴾ «كم» تدل على الكثرة، و «رب»: موضوعة للقلة. قال الزجاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلاً عليه.

وتوله تعالى: ﴿فَبَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ محمول على لفظ القرية؛ والمعنى: فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له؛ إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون. قال ابن قتية: بأسنا: عذابنا. وبياتاً: ليلاً. وقائلون: من القائلة نصف النهار. فإن قيل: إنما أتاها البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدَّم الهلاك؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت؛ وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معاً، قاله الفراء. والثاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان يأسنا قد جاءها، فأضمر الكون، كما أضمر في قوله: ﴿وَاتَبَعُوا مَا تَنْلُوا النَّيْكِلِينُ ﴾ [البقرة: ١٠٧]، أي: إن يكن سرق. والثالث: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً، أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنْ مُتَوفِيكَ وَدَافِيكَ وَنَافِيكَ وَدَافِيكَ وَدَافِيكُ وَدَافِيكُ وَافِيكَ وَدَافِيكُ وَدَافِيكَ وَدَافِيكَ وَدَافِيكُ وَدَافِيكُ وَيَافِيكُ وَدَافِيكَ وَدَافِيكُ وَدَافِيكُ وَيَافِيكُ وَدَافِيكُ وَدَافِيك

قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ فَآيِلُوكَ﴾ قال الفراء: فيه واو مضمرة؛ والمعنى: فجاءها بأسنا بياتاً، أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقاً على نست^(۱).

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَنَهُمْ إِذْ جَآءَتُمُم بَأْشُنَا إِلَّا أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّتَا طَلِيبِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَنَا كَانَ دَعْوَتُهُدُ﴾ قال اللغويون: العدوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى: ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم. قال ابن الأنباري: وللدعوى في الكلام موضعان: أحدهما: الإدعاء. والثاني: القول والدعاء. قال الشاعر:

قوله تعالى: ﴿ فَلَلْسَكُنَّ اَلَذِكَ أُرْسِلَ إِلْتَهِمَ ﴾ يعني: الأمم يُسألون: هل بلَّغكم الرُّسُلُ، وماذا أجبتم؟ ويسأل الرسل: هل بَلَّغتم، وماذا أُجبتم؟. ﴿ فَلْنَقْصَنَّ عَلَيْهِم ﴾ أي: فلنُخبرنَّهم بما عملوا بعلم منا ﴿ وَمَا كُنَّا غَآبِيبَ ﴾ عن الرسل والأمم. وقال ابن عباس: يوضع الكتاب، فيتكلم بما كانوا يعملون.

﴿ وَالْوَرْنُ بَوَمَهِٰذِ الْمَثَّ فَمَنَ ثَلَكَ مَوَزِيتُهُم فَأُولَتهِكَ هُمُ الْمُقْلِمُونَ ۞ وَمَنْ خَنَّتُ مَوَزِيثُهُمْ فَأُولَتِكَ الَّذِينَ خَسِرُوّا اَنفُسُهُم بِمَا كَاثُواْ بِعَانِتِنَا يَظْلِمُونَ ۞ ﴾

 ⁽١) وتمام كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٧٢: ولو قبل لكان جائزاً، كما تقول في الكلام: أنيتني والياً، أو وأنا معزول، وإن قلت: أو أنا معزول، فأنت مضمر للواو.

 ⁽۲) البيت لكثير عزة، فديوانه ٢/ ٢٤٥٧، وفالطبري، ٢٠٤/١٢، وفنهاية الأرب، ٢/ ١٢٥، وفاللسانة: مذل. ومذلت رجله مذلاً بفتح وسكون، ومذت: خدرت، وكانوا يزعمون أن المره إذا خدرت رجله، ثم دعا باسم من أحب، زال خدرها.

قوله تعالى: ﴿وَالْوَرْنُ يَوْمَهِذِ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: العدل. وإنما قال: "موازينه" لأن "من" في معنى جميع، يدل عليه قوله: ﴿فَالْوَلَهُ كَا مُعْنَى جَمِيع، يدل عليه قوله: ﴿فَالْوَلَهُ كَا مُعْنَى ﴿يَظْلِمُونَ ﴾ قولان: أحدهما: يجحدون. والثاني: يكفرون. قال الفراء: والمراد بموازينه: ووزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدن: حذاء دارك. قال الشاعر:

عندي لكل مُخَاصِمٍ ميسزانُه (١)

قَــدْ كــنـتُ قَــبُــلَ لــقــائــكــم ذا مِــرّةِ يعنى: مثل كلامه ولفظه.

فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به. وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟ فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي على أنه قال: ﴿إِنْ اللَّهِ ﷺ يُستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الناس يوم القيامة، فينشر عليه تسمة وتسمين سِجلًا، كُل سِجِلُ مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب؛ فيقول: بلى، إِن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلم عليك اليوم، فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إِله إِلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجِلاّت في كفة، والبطاقة في كفة؛ قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة أخرجه أحمد في (مسنده)، والترمذي (٢٠). وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب، فلا يزن جناح بعوضة ""، فعلى هذا يوزن الإنسان. قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكِفّتان. فأما المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأما الكافر، فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه(1). وقال الحسن: للميزان لسان وكفتان. وجاء في الحديث: أن داود ﷺ سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه إياه؛ فقال: يا إلهي، من يقدر أن يملأ كفتيه حسنات؟ فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة. وقال حليفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة، فيقول له ربه: زن بينهم، ورُدٌّ من بعضهم على بعض؛ فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة. فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فرد على سيئات الظالم، فيرجع وعليه مثل الجبال. فإن قيل: أليس الله يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟ فالجواب أن فيه خمسة حكم: إحداها: امتحان الخلق بالإِيمان بذلك فِي الدنيا. والثانية: إِظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى. والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر. والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن لله عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه.

﴿وَلَقَدْ مَكْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَمَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَمَايِشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مُكَّنَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكنَّاكم إِياها. والثاني: سهَّلنا عليكم التصرف فيها. وفي المعايش قولان: أحدهما: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب. والثاني: ما تتوصَّلون به إلى المعايش، من زراعة، وعمل، وكسب. وأكثر القراء على ترك الهمز في «معايش» وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة. قال

⁽١) في اللسانه: والميزان: المقدار، أنشد ثعلب: قـد كـنـت.....

 ⁽۲) «المسند» ۱۹۷/۱۱، و «سنن الترمذي» ۳۲۷/۳، وابن ماجه ۱٤٣٧/۱، والحاكم في «المستدرك» ۱/۹۲۵. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
 وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

اذكره ابن كثير في التفسير؟ ١٠٧/٣ من طريق أين أبي حاتم عن أبي هريرة بلفظ: اليؤتي بالرجل الأكول الشروب المظيم فيوزن بحبة فلا يزنها، وروى البخاري ١٠٤٧/٨ و أمسلم؛ ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة عليه عن رسول الله عليه قال: الله ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن هند الله جناح بموضة، وقال: «اقرؤوا: ﴿قَلَا نُتِبُمُ لَمْ أَنِّمَ ٱلنِّيْدَةِ رُفّا﴾ [الكهف: ١٠٥].

 ⁽٤) ذكره السيوطي في االدر المنثور؛ بأطول مما هنا، ونسبه إلى البيهقي في اشعب الإيمان».

الزجاج: وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة، نحو صحيفة وصحائف؛ فصحيفة من الصحف؛ والياء زائدة، فأما معايش، فمن العيش؛ فالياء أصلية.

قُوله تعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشَكُّرُونَ﴾ أي: شكركم قليل. وقال ابن عباس: يريد أنكم غير شاكرين. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقَنَكُمْ ثُمَّ مَوَّرَتَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَتَهِكَةِ أَسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُّوَا إِلَّا إِلِيسَ لَرْ بَكُن مِّنَ ٱلسَّجِدِينَ ﴿ وَلَقَدْ

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ خَلَقَدُ حُمُ مُ مُورَدُكُمُ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ولقد خلقناكم في ظهر آدم، ثم صورناكم في الأرحام، رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس، والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال، وصورناكم في أرحام النساء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم» في ظهره، قاله يعني ذريته من بعده، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم» في ظهره، قاله مجاهد. والخامس: «خلقناكم» نطفاً في أصلاب الرجال، وتراثب النساء، «ثم صورناكم» عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب. والسادس: «خلقناكم» في بطون أمهاتكم، «ثم صورناكم» فيما بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر. والسابع: «خلقناكم»، يعني آدم خلقناه من تراب، «ثم صورناكم»، أي: صورناه، قاله الزجاج، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه؛ فمن قال: عني بقوله: «خلقناكم» آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم؛ ومن قال: صورنا ذريته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهيئة الذر. والثامن: «ولقد خلقناكم» يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد». وفي «ثم» المذكورة مرتين الأرواح، «ثم صورناكم» يعني الأواه، قاله الأخفش. والثاني: أنها للترتيب، قاله الزجاج.

﴿قَالَ مَا مَنْمَكَ أَلَّا نَسْجُدُ إِذْ أَمْرَتُكُ قَالَ أَنَا خَيْرٌ بَيْنُهُ خَلْقَنَنِي بِن نَادٍ وَخَلَقْتَهُ بِن طِينِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ مَا مَنْكُ أَلّا شَبُّكُ ﴿ مَا استفهام، ومعناها الإنكار. قال الكسائي: ﴿ لا الله هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟. وقال الزجاج: موضع ﴿ ما الله وفع و المعنى: أي شيء منعك من السجود؟ و ﴿ لا الزجاج و ومثله: ﴿ لِنَكّر الله والمعنى: طرحُها لإباء في ومثله: ﴿ لِنَكّر الله والمعنى: طرحُها لإباء في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد ﴿ لا الله لا يسجد. ومثله: ﴿ أَنَّهَا إِنَا جَآتَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الانعام: ١٠٩] على الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد ﴿ لا الله لا يومشله: ﴿ وَحَكَنُم عَلَى قَرَيَةٍ المَكّمَةُ اللهُمُ لا يَرْجعُونَ ﴾ [الانيام: ١٠٩] على قراءة من فتح ﴿ أَنها القول القول القول المنام: ١٠٩] على اللانياء: ١٩٥]. وقال القول القول، والتأويل: من قال اللانياء: ١٩٥]. وقال القول الفول، والتأويل: من قال الله لا تسجد؛ فأحل المنع محل القول، ودخلت بعده ﴿ أن الميل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه. وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السجود، فأحوجك أن لا تسجد؟. قال الزجاج: وسؤال الله تعالى لإبليس ﴿ قَالَ مَا مَنكَكُ وَبِيخ له، وليُظهر أنه معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لا نوله: ﴿ أَنَا خَرِ مُنهُ إِنما هو جواب، أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السجود فضلي عليه. ومثله تولك للرجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح؛ وإنما الجواب: كنت صالحاً، فيجيب بما يُحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص، وخفي عليه فضل الطين على النار؛ وفضله من وجوه: أحدها: أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطين الهدوء والرزانة. والثاني: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب الإعدام والإهلاك. والثالث: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفريقها.

﴿ قَالَ فَاهْمِظْ مِنْهَا نَمُا بَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَأَخْرُجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِرِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَامَهِ عَلَى إِنَّهُ فِي هَاءَ الْكِنَايَةُ قُولَانَ: أَحَدُهُمَ: أَنَهَا تَرْجِعَ إِلَى السماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن. والثاني: إلى الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِهَا ﴾ إِن قيل: فهل لأحد أن يتكبر في غيرها؟ فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر في غيرها. وأما الصاغر، فهو الذليل. والصغار: الذل. قال الزجاج: استكبر إبليس بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك.

﴿ قَالَ أَنظِرُونَ إِلَى بَوْرِ يُبْمَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْفِ ﴾ أي أمهلني وأخرني ﴿ إِنَ يَوْرِ يُبْمَثُونَ ﴾ ، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم. وقد بين مدة إمهاله في (الحجر) بقوله: ﴿ إِنَ بَوْرِ الْمَعْوُرِ ﴿ إِنَ اللَّهَ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّالَّا اللّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

﴿ قَالَ نَبِمَا أَغْرَيْتَنِي لَأَقْدُنَّ لَمُمْ سِرَطُكَ ٱلسُّتَقِيمَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فِيَا اَغْرَيْتِي ﴾ في معنى هذا الإغواء قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإضلال، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه بمعنى الإهلاك، ومنه قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّا﴾ [مربم: ١٥]، أي: هلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى فبما قولان: أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي. والثاني: أنها بمعنى الجزاء، أي فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني ﴿ لأَشْدُنَّ لَمُ مِرَطَكَ ٱلنُسْتَقِيم ﴾. قال الفراء، والزجاج: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظهر والبطن. وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه طريق مكة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبير؛ كأن المراد صدَّهم عن الحج. والثاني: أنه الإسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفية، ومقاتل. والثالث: أنه الحق، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَاَيْنَتُهُمْ مِّنَا بَيْنِ أَيْدِينِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْسَكِيمْ وَعَن شَمَالِهِيمٌّ وَلَا غِيدٌ أَكْتَرَهُمْ شَكِرِينَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجُدُ أَكْثَرَهُمْ شَكِرِينَ﴾ فيه قولان: أحلهما: موخّدين، قاله ابن عباس. والثاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل. فإن قيل: من أين علم إبليس ذلك؟ فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة (النساء).

﴿قَالَ الخَرْجُ مِنْهَا مَلْدُومًا مَلْتُحُورًا لِمُنَنَ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَنْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجَمِينَ ۞ ۚ فَقَتَادَمُ اَسْكُنْ أَنَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ مِشْتُنَا وَلَا تَقْرَهَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَنَكُونَا مِنَ الظَّلِينِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ آخُرُةَ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ وقرأ الأعمش: «مذوماً» بضم الذال من غير همز. قال الفراء: الذَّأَمُ: الذَّم؛ يقال: ذَأَمْتُ الرجلَ، أذَأَمُه ذَأُماً؛ وذممَتُه، أذُمُّه ذَماً؛ وذِمْتُه، أذيمُه ذَيْماً؛ ويقال: رجل مذووم، ومذموم، ومَذيم، بمعنى. قال حسان بن ثابت:

في مَسقسام وكُسلُهم مَسذؤوم (١)

وأقسامسوا حستسى أسيسروا جسميسعسا

⁽١) •سيرة ابن هشام؛ ٢/ ١٥٠، وفيها: •حتى أبيحوا... وكلهم مذموم؛ والبيت من قصيدة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد.

قال ابن قتيبة: المذؤوم: المذموم بأبلغ الذم. والمدحور: المقصى المبعد. وقال الزجاج: معنى المذؤوم كمعنى المذموم، والمدحور: المبعد من رحمة الله. واللام من ولأملأن، لام القسم؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قبل له: من تبعك، أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. فلام ولأملأن هي لام القسم، ولام ولَمن تبعك، توطئة لها. فأما قوله: ومنهم، فقال ابن الأنباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم، لأنه حين قال: ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَكُمُ مُ مُورِقَكُمُ الاعراف: ١١] كان مخاطباً لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَكُمُ مُنَ الموضع توقع لَبُساً؛ والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. ومن قال: ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَكُمُ مُنَ خَطاب لاَدم، قال: ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَكُمُ الوالد من مَرَوَتَكُم مُن ذكرهم؛ والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللبس. قال الشاعر:

ولكن خيراً من كُلَيبٍ مُجاشِعُ

أرى النخطفى بَدَّ الفرزدقُ شِعْرَهُ

أراد: أرى ابن الخطفي، فاكتفى بالخطفي من ابنه.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلِأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من الشياطين.

﴿ وَسُوَسَ لَمُنَا ٱلشَّيَكِانُ لِيُتَهِىٰ لَمُنَا مَا وُدِىٰ عَنْهُمَا مِن سَوْءَتِهِمَا وَقَالَ مَا تَهَكُمًا رَبُّكُمًا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْمُتَلِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَسْوَسَ لَمُنَا ٱلنَّيْعَانُ﴾ قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصوت. قال ابن فارس: الوسواس: صوت الحلي، ومنه وسواس الشيطان. و «لهما» بمعنى «إليهما»، ﴿إِيُّبِيَ لَمُنَا﴾ أي: ليظهر لهما ﴿مَا رُبِيَ عَنْهُمَا﴾ أي: ستر. وقيل: إن لام «ليبدي» لام العاقبة؛ وذلك أن عاقبة الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، ولم تكن الوسوسة لظهورها.

قُولُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَن يَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ قال الأخفش، والزجاج: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونا ملكين. وقال ابن الأنباري: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكتفى بـ قأن من قلا فأسقطها. فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفاً إلى أن يكون ملكاً، وقد شاهد الملائكة ساجدة له بعنه جوابان: أحدهما: أنه عرف قربهم من الله، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة: ﴿أَوْ لَكُوا لِينَ لَكُولِينَ ﴾ لا تموتان أبداً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: قأن تكونا ملكين المكسر اللام، وهي قراءة الزهري.

قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمُهُمَا ﴾ قال الزجاج: حلف لهما، فدلًاهما في المعصية بأن غرَّهما. قال ابن عباس: غرّهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً.

قوله تعالى: ﴿ لَمْنَا الشَّجْرَةَ ﴾ أي: فلما ذاقا ثمر الشجرة. قال الزجاج: وهذا يدل على أنهما إنما ذاقاها ذواقاً، ولم يبالغا في الأكل. والسوأة كناية عن الفرج، لا أصل له في تسميته. ومعنى: ﴿ وَمُلِنَا﴾ أخذا في الفعل؛ والأكثر: طفيق يَطْفِقُ؛ وقد رويت: طفق يَطْفِقُ، بكسر الفاء، ومعنى: ﴿ يَقْصِفَانِ ﴾ يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قبل للذي يرقع النعل: خصاف. وفي الآية دليل على أن إظهار السوأة قبيح من لدن آدم؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿ إِنْبُينَ لَمُنَا مَا وَرُونَ عَنْهُما بادرا يستتران لقبح التكشف. وقيل: إنما سميت السوأة سوأة الأن كشفها يسوء صاحبها. قال وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما. وقرأ الحسن: «سوأتهما» على التوحيد؛ وكذلك قرأ: فيخصّفان» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان: أحدهما: ورق التين، قاله الصاد. وقرأ الزهري: بضم الياء وفتح النخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان: أحدهما: ورق التين، قاله

ابن عباس. والثاني: ورق الموز، ذكره المفسرون. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قَالَ فِيَهَا تَحْيَوْنَ﴾ يعني الأرض. واختلف القراء في تاء التخرجون ا؛ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بضم الناء وفتح الراء، هاهنا؛ وفي الروم: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزعرف: ١١]. وفي الجاثية: ﴿لَا يُغْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجائية: ٥٠]. وقي الجاثية: ﴿لَا يُغْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجائية: ٢٥]. وقرأهن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء. وفتح ابن عامر التاء في (الأعراف) فقط. فأما التي في (الروم): ﴿إِنَّا أَشَدُ غَنْجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وفي ﴿سَأَلَ سَائِلُ﴾: ﴿قَمْ يَعْرَجُونَ﴾ [الممارج: ٣٤] فمفتوحتان من غير خلاف.

﴿ يَنَبَىٰ مَادَمَ مَدَ أَرْلَنَا عَلِيَكُر لِيَاسًا يُؤَرِي سَوْءَتِكُمْ وَرِيثًا ۚ وَلِيَاسُ ٱللَّقَوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ مَايَنتِ ٱللَّهِ لَمَلَّهُمْ بَلَّاكُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَبَيَ مَادَمَ قَدَ أَرْلَا عَلَيْكُر لِاسَا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، من علينا باللباس. وفي معنى ﴿أَرْلَا عَلَيْكُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: خلقناكم. والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه والثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباساً. وأكثر القراء قرؤوا: وريشاً، وقرأ ابن عباس، والحسن، وزر بن حبيش، وقتادة، والمفضل، وأبان عن عاصم: ﴿ورياشاً» بالف. قال الفراء: يجوز أن تكون الريش كما قالوا: لِبْس، ولباس، قال الشاء:

فلما كَشَفْنَ اللَّبْس عنه مَسَحْنَهُ بِأَطْراف طَفْل زانَ غَيْلاً مُوَشِّما (١٠)

قال ابن عباس، ومجاهد: «الرياش»: المال؛ وقال عطاء: المال والنعيم. وقال ابن زيد: الريش: الجَمال؛ وقال معبد الجهني: الريش: الرزق؛ وقال ابن قتيبة: الريش والرياش: ما ظهر من اللباس. وقال الزجاج: الريش: اللباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريَّش فلان، أي: صار له ما يعيش به. أنشد سيبويه:

ريسانسي مسنسكسم وهسواي مَسعُسكُسمُ وإِن كَسانَستُ زيسارتُسكسم لِسسامسًا(٢٠)

وصلى قول الأكثرين: الريش والرياش بمعنى. قال قطرب: الريش والرياش واحد. وقال سفيان الثوري: الريش: المال، والرياش: الثياب.

قوله تعالى: ﴿وَلِاسُ النَّوْكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: قولباسُ التقوى، بالرفع. وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب اللباس. قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش؛ ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتداً، ويجوز أن يكون مرفوعاً بإضمار: هو؛ المعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين. وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال: أحدها:أنه السمت الحسن، قاله عثمان بن عفان؛ ورواه الليّال بن عمرو عن ابن عباس. والثاني: العمل الصالح، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسدي؛ فعلى هذا، سمي لباس التقوى، لأنه يقي العذاب. والرابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزبير. والخامس: الحياء، قاله معبد الجهني، وابن الأنباري. والسادس: ستر العورة للصلاة، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المن يتقلى به الحر والبرد، قاله ابن بحر. والعاشر: أن المعنى: ما يَلْبسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا، رواه عثمان بن وعليه.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: ولباس التقوى خير من الثياب، لأن الفاجر، وإن كان حسن الثوب، فهو بادي العورة: و «ذلك» زائدة. قال الشاعر في هذا المعنى:

⁽۱) البيت لمحميد بن ثور الهلالي، فديوانه، ١٤، وقمعاني القرآن؛ للفراء: ١/ ٣٧٥، و الطبري، ٣٦٤/١٢، و المخصص، ٢٥/٤، و فاللمان، فلبس، وقطفل، الطفل: البنان الناعم، أراد: مسحنه بأطراف بنان طفل. والغيل: الساعد الريان الممتلئ. والموشم: عليه الوشم، والوشم: زينة الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام، ولعن فاعلها.

⁽Y) البيت لجرير، «ديوانه» ٥٠٦ يمدح هشام بن عبد الملك، وأنشده سيبويه ٢/ ٤٥ ونسبه للراعي. واللمام: الشيء اليسير، وهو أيضاً: الزيادة في النوم، وأصله من ألم بالمنزل: إذا نزل به ثم رحل.

إنِّي كَانِّي أَرَى مَسنُ لَا حَسِاءً لَسه وَلَا أَمَانَسةً وَسُطَ السَّفَوْم عُسريسانسا

قال ابن الأنباري: ويقال: لباس التقوى، هو اللباس الأول، وإِنما أعاده لِما أخبر عنه بأنه خير من التعرِّي، إِذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعرِّي في الطواف.

قوله تعالى: ﴿ فَالِكَ مِنْ ءَايَنتِ اللَّهِ ﴾ قال مقاتل: يعني: الثيابُ والمالُ من آيات الله وصنعه، لكي يذّكروا، فيعتبروا في صنعه،

﴿ وَيَنِينَ ءَادَمَ لَا يَفْيِنَكُمُ الشَّيْطِينُ كُمَّا أَخْرَجَ أَبَرَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتِهِمَأَ إِنَّهُ بَرَسَكُمْ هُوَ وَفَهِيلُمُ مِنَ الْجَنَّةِ بَنِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتِهِمَأَ إِنَّهُ بَرَسَكُمْ هُوَ وَفَهِيلُمُ مِنْ حَمْدُونَ ﴾ حَدْثُ لَا يَرْتَهُمُ إِنَّا جَمَلُنَا الشَّيَطِينَ أَوْلِلَةً لِلَّذِينَ لَا يُحْمُنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَنَنِى اَدُمُ لَا يَفَيْنَقَكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراةً ؛ والمعنى: لا يخدعنكم ولا يُضلنّكم بغروره، فيزيِّن لكم كشف عوراتِكم، كما أخرج أبويكم من الجنة بغروره، وأضيف الإخراج ونزع اللباس إليه، لأنه السبب. وفي الباسهما الربعة أقوال: أحدها: أنه النور، رواه أبو صالح عن ابن عباس إوقد ذكرناه عن ابن منبه. والثاني: أنه كان كالظُفُر ؛ فلما أكلا، لم يبق عليهما منه إلا الظُفر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن زيد. والثالث: أنه التقوى، قاله مجاهد. والرابع: أنه كان من ثياب الجنة، ذكره القاضى أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْمَ يَهِمَأَ ﴾ أي: ليري كل واحد منهما سوأة صاحبه. ﴿ إِنَّهُ يَرَكُمُ هُو رَقِيلُهُ ﴾ قال مجاهد: قبيله: الجن والشياطين. قال ابن عباس: جعلهم الله يَجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَمَلُنَا ٱلشَّيَطِينَ ٱوْلِيَآةَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال الزجاج: سلَّطناهم عليهم، يزدون في غيّهم. وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

﴿ وَإِذَا نَعَـٰتُواْ نَدِحْتُهُ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرًنَا بِهَا قُلْ إِنَ آللَّهُ لا يَأْمُرُ وَاللَّهُ مُسَلُّوا فَنَحِثُنَّا أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ۖ ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَعَلَمُ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَمَدُواْ نَحِشَةٌ﴾ فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي. والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المشركون؛ والفاحشة: الشرك، قاله الحسن، وعطاء. قال الزجاج: فأعلمهم عزّ وجل أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميّز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهى ما عظم قبحه؟!.

﴿ فَلَ أَمَّ رَبِّ بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا رُجُومَكُمْ عِندَ كُلِّ سَتَجِدِ وَأَدْعُوهُ مُخْلِعِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَمُودُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَرَأْفِهُوا رُجُوهُكُمُ عِندَ كُلُ مَسْجِدِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد، فصلُّوا فيه، ولا يقولنَّ أحدكم: أصلي في مسجدي، قاله ابن عباس، والضحاك، واختاره ابن قتية. والثاني: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد. والثالث: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون غيره، قاله الربيع بن أنس. والرابع: اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿ وَادَعُوهُ ولان: أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء. وفي قوله: ﴿ كُمَّا بَدُأَكُمْ شَوُدُونَ ﴾ ثلاثة قولان: أحدهما: مُفردين له العبادة. والثاني: موحدين غير مشركين. وفي قوله: ﴿ كُمَّا بَدَأَكُمْ شَوُدُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء. والثاني: كما خُلقتم بقدرته، كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿ فِيهَا غَيْونَ وَفِيهَا لَعُونَ وَفِيهَا تَعُونَ وَفِيهَا الكلام متصل بقوله: ﴿ فِيهَا عُيّونَ وَفِيهَا تَعُونَ وَفِيهَا الكلام متصل بقوله: ﴿ فَيهَا عُيّونَ وَفِيهَا تَعُونَ وَفِيهَا وَالله عنه على بن أبي الله عنه علي بن أبي عباس، وبه العرفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿ فِيهَا غَيْونَ وَفِيهَا تَعُونَ وَفِيهَا الله عنه عنه ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿ فَيهَا عَيْونَ وَفِيهَا الله عنه الله عنه وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿ فَيهَا عَيْونَ وَلِيهُا الله عنه الله عنه الله وبه قال المناورة والمؤلفة الله عنه المؤلفة وبه قال العلية وبه قال المناورة وبه قال المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة وبه المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة وبه المؤلفة وبه المؤلفة وبه المؤلفة المؤلفة وبه المؤلفة المؤل

﴿ وَإِيقًا هَدَىٰ 'وَوَيِقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلطَّيَلِكَةُ إِنَّهُمُ ٱلْقَيْطِينَ أَوْلِيَآةً مِن دُبِنِ ٱللّهِ وَيُحْسَبُوك أَنَهُم مُهْتَدُوك ﴿ وَ وَقُلَ اللّهِ عَلَيْهُ مُولِيقًا ﴾ و (فريقًا عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عنه الله الله عنه الله الله عنه الله

قوله تعالى: ﴿ حَنَّ عَلَيْهُمُ ٱلطَّنَاكَلَةُ ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السابقة.

﴿ ﴿ يَنَبَىٰ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّي مَسْجِدٍ وَكُنُوا وَاشْرَبُوا وَلا نُسْرِفِوا ۚ إِنَّهُ لا يُحِبُّ ٱلمُسْرِفِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَهَنِّى مَادَمَ خُدُوا زِينَكُمُ ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تعلِّق على فرجها سيوراً، وتقول:

البوم يَبْدُو بَعْضُهُ أَو كُلُّهُ ﴿ وَمَا بَسِدا مِنْهُ فَسِلا أَحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية (١) قاله ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلقيهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية. وقال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحمس، قريشٌ وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس، فإن لم يجد من يُعيره من الحمس، ألتى ثيابه وطاف عرياناً، فإن طاف في ثياب نفسه، جعلها حراماً عليه إذا قضى الطواف، فلذلك جاءت هذه الآية. وفي هذه الزينة قولان: أحدهما: أنها الثياب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطواف، قاله ابن عباس، والحسن في جماعة. والثاني: أنه ورد في ستر العورة في الطوري، والثاني: أنه الرباح، والثاني: المشط، قاله أبو رزين.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حَجِّهم دَسَماً، ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً، تعظيماً لحجهم، فنزل قوله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾. وفي قوله: ﴿ وَلا تُشْرِفُوا ﴾ وابعة أقوال: أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم، قاله ابن عباس. والثاني: لا تأكلوا حراماً، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد. والثالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل. والرابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزجاج، وأقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَافْرَاوُا وَلا يَشْرُوا الله والحمية رأس اللواء، وعودوا كل بدن ما اعتاده (٢٠). فقال النصراني: ما ترك قال؛ وما هي؟ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاده (٢٠). فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً. قال المصنف: هكذا نقلتُ هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يشت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب».

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّذِي الْمَيْدِي وَالطَّيِبَتِ مِنَ الرِّذَقِ قُلْ مِنَ اللَّذِينَ مَامَنُوا فِي الْحَيَوَةِ الدُّنيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيمَدُةِ كَذَلِكَ نَعْضِلُ الْآيِنَتِ لِقَوْمِ يَمْلُمُونَ ﴿ ﴾ نَعْضِلُ الْآيِنَتِ لِقَوْمِ يَمْلُمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين عيَّروا المسلمين، إذ

 ⁽۱) مسلم في السحيده ٢٣٢٠/٤ من طريق غندر عن شعبة، و(الطبري، ١٢/ ٣٩٠. ورواه التحاكم في (المستدرك) ٢٢٠/٤٣ من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة، ولكن قال: نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله﴾. ثم قال الجاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

⁽٢) ذكره الحافظ السخاري في «المقاصد الحسنة» وقال: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره. نعم عند ابن أبي الدنيا في الصمت من جهة وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وللخلال من حديث عائشة: «الأزم دواء، والمعنة داه، وهودوا بلناً ما اعتاده. وأورد الغزالي في «الإحيام» من المرفوع: «البطنة أصل اللهاه، والحمية أصل اللهاه، وهودوا كل بدن بما اعتاده. وقال مخرجه؛ «لم أجد له أصلا».

لبسوا الثياب في الطواف، وأكلوا الطيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يُحرَّمون أشياء أحلَّها الله، من الزروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراة، قاله طاووس، وعطاء. وفي زينة الله قولان: أحدهما: أنها ستر العورة؛ فالمعنى: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟. والثاني: أنها زينة اللباس. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها الحلال، والثاني: المستلذ، ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البحائر، والسوائب، والوصائل، والحوامي التي حرَّموها، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه السَّمْن، والألبان، واللحم، وكانوا حرَّموه في الإحرام، قاله ابن زيد. والثالث: الحرث، والأنام، والأبان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مِنَ لِلَّذِينَ اَمْتُوا فِي الْحَيَوةِ الدُّيَا عَالِمَهُ ﴾ قال ابن الأنباري: «خالصة» نَصبٌ على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يُلبس سقوطُها. قال الشاعر:

. تَعَفُولُ الْمُنْتِي لَمَّا دَأَثْنِيَ شَاحِباً تستسابُسعُ أحداثٍ تسخرزُفنَ إخروتي

كَأَنَّكَ يَحْمَيْكَ الطُّعَامَ طبيبُ فَشِيبُ فَشِيبُ

أراد: فقلت لها: الذي أكسبني ما ترين، تنابعُ أحداث، فحذف لانكشاف المعنى. قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم. وقرأ نافع: «خالصة» بالرفع. قال الزجاج: ورفعُها على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب: والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا، خالصة يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ كُنَاكِ نُنُصِّلُ ٱلْأَيْتِ ﴾ أي: هكذا نبيِّنها.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّ ٱلْفَرَامِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِنْمَ وَالْبَغْىَ بِنَثِيرِ الْمَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَز بُنْزِلْ بِدِ. سُلْطَكَ وَأَن تَشُولُوا عَلَ اللَّهِ مَا لَا تَشْلَتُونَ ۞﴾

. ... نَـشَـرَبُ الإِقْـمَ بِـالــصُّـواعِ جِـهَـاداً وَنَـري الـمُـثَـكَ بِـيـنـنـا مُـسْتَعَـاداً (١)

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإِثم: الخمر، في كلام العرب. وأنشدنا رجل آخر:

شَـرِبْـتُ الإِثْــمَ حـــَّــى ظَـــلُّ عَــقُــلِــي كَــذَاكَ الإِثْــمُ تَــذُهَــبُ بـــالـــهُـــقُـــولِ قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفاً أيضاً في شهر من يحتج بشعره، وما رأيت أحداً من أصحاب الغريب أدخل

البيت غير منسوب في اللسانة: أثم، والتاجة: متك. والمتك: (الأرجة.

الإِثم في أسماء الخمر، ولا سمَّتها العرب بذلك في جاهلية ولا إِسلام. فإن قيل: إِن الخمر تدخل تحت الإِثم، فصواب، لا لأنه اسم لها. فإن قيل: كيف فصل الإِثم عن الفواحش، وفي كل الفراشح إِثم؟ فالجواب: أن كل فاحشة إثم، وليس كل إِثم فاحشة، فكان الإِثم كل فعل مذموم؛ والفاحشة: العظيمة. فأما البغي، فقال الفراء: هو الاستطالة على الناس.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُتَرِكُوا ﴾ قال الزجاج: موضع (أن) نصب؛ فالمعنى: حرَّم الفواحش، وحرَّم الشرك. والسلطان: الحجة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَ اللَّهِ مَا لَا نَمْلَمُونَ ﴾ عام في تحريم القول في الدِّين من غير يقين.

﴿ وَلِكُنِّ أَمْتِهِ لَبُلُّ فَإِذَا بَنَهُ لَبُلُهُمْ لَا يَسْتَأْفِرُونَ سَاعَةً وَلَا بَسْتَقِيمُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أَنْتُو آَبُلُ ﴾ سبب نزولها: أنهم سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت، قاله مقاتل. وفي الأجل قولان: أحدهما: أنه أجل العذاب. والثاني: أجل الحياة. قال الزجاج: الأجل: الوقت المؤقت. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَبَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ المعنى: ولا أقل من ساعة. وإنما ذكر الساعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

﴿ يَبَنِى مَادَمَ إِنَا يَأْتِينَكُمْ رُسُلُ يَنكُمْ يَفَشُونَ عَلَيْكُمْ ءَبُنِي فَمَنِ اتَّفَى وَأَصْلَحَ فَلا خَرَفُ عَلَيْمِمْ وَلا هُمْم جَرَوُنَ ﴿ وَالَذِبِ كَذَبُوا عِلَمَ اللَّهِ عَنَى الْفَاتِ اللَّهِ عَنَى الْفَلَدُ مِنْ الْفَلَدُ مِنْ الْفَلَدُ مِنْ الْفَلَدُ مِنْ الْفَلَدُ مِنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ كَذَبُ بِتَايَنَيْهِ أَوْلَتُهِكَ يَنالَمُمُ مَن اللَّهُ عَنَى اللّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَ

قوله تعالى: ﴿يَبَيّ ءَادَمُ إِنَّا يَأْيَنَكُمْ رُسُلٌ يِنكُمْ ﴾ قال الزجاج: أضمر: ﴿فأطيعوهم ، وقد سبق معنى ﴿إِما ا في سورة للبقرة: ٢٨١٤ والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَنَائُمُ مَعِيبُهُم يِنَ ٱلْكِنَتِ ﴾ ففي معناه سبعة أقوال: أحدها: ما قُدر لهم من خير وشر، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيُجزّون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ما كُتِبَ عليهم من الضلالة والهدى، قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير: من السعادة والشقاوة. والرابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الربيع، والقرظي، وابن زيد. والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي. والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلّها: أنه من افترى على الله كذباً، اسودً وجهه، قاله مقاتل. والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: ﴿قَانَذُوكُمْ مَا لَكُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّه اللّه عليه الله كلّها. والثالث: القرآن. والرابع: كتُبُ الله كلّها، والثالث: القرآن. والرابع: كتاب أعمالهم. والخامس: القضاء.

قُوله تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاتَتُهُمْ رُسُكَا ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان مَلَكِ الموت، قاله النخعي. والثاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة. وفي قوله: فيتوفّرنهم، ثلاثة أقوال: أحدها: يتوفّرنهم بالموت، قاله الأكثرون. والثالث: يتوفّرنهم بالحشر إلى الناريوم القيامة، قاله الحسن. والثالث: يتوفّرنهم عذاباً، كما تقول: قتلت فلاناً بالعذاب، وإن لم يمت، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا كُتُتُمْ تَدَّعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿ يَن دُونِ اللّهِ ﴾، وهذا سؤال تبكيت وتقريع. قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النار. قال الزجاج: ومعنى ﴿ مَا لُوا عَنّا ﴾: بطلوا وذهبوا، فيعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

﴿قَالَ ادْعُلُواۚ فِى أَسُو قَدْ خَلَتَ مِن قَبْلِكُم مِنَ الْجِنِّ وَالْهِنِي فِي النَّارِ كُلْمَا دَخَلَتْ أَثَةٌ لَمَنَتَ أَخَلَهَا حَتَىٰ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَيِهَا قالت أَخَرَنهُمْ لِأُولَدَهُمْ رَبَّنَا مَتُولَامُ أَضَالُونَا فَعَاتِهِمْ مَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قال لِكُلِّ ضِعْفُ وَلَكِن لَا لَمَلَمُونَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ اَدْعُلُوا ﴾ إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة، لأن الله تعالى لا يكلّم الكفار يوم القيامة. قال ابن قتيبة: و " في بمعنى: "مع". وفي قوله: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ قولان: أحدهما: مضت إلى العذاب. والثاني: مضت في الزمان، يعنى كفار الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿كُلّمَا دَخَلَتُ أَمَنَتُ أَخَلَهُ ﴾ وهذه أُخُوّةُ الدّين والملّة، لا أُخُوّةُ النسب. قال ابن عباس: يلعنون من كان قبلهم. قال مقاتل: كلما دخل أهل ملّة، لنوا أهل ملّتهم، فيلعن اليهودُ اليهودُ، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم ألقيتمونا هذا الملقى حين أطعناكم. وقال الزجاج: إنما تلاعنوا، لأن بعضهم ضل باتباع بعض.

قُوله تعالى: ﴿حَنَّىٰ إِذَا اَذَارَكُوا﴾ قال ابن قتيبة: أي: تداركوا، فأدغمت الناء في الدال، وأدخلت الألف ليَسْلَم السكون لِما بعدها، يريد: تتابعوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَتَ أَخْرَنَهُمْ لِأُولَنَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: آخر أُمَّة لأول أمَّة، قاله ابن عباس. والثاني: آخر أهل الزمان لأوّليهم الذين شرعوا له ذلك الدِّين، قاله السدي. والثالث: آخرهم دخولاً إلى النار، وهم الأتباع، لأوَّلهم دخولاً. وهم القادة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ مَنَوُلَامٍ أَصَالُونا ﴾ قال ابن عباس: شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إِلَهاً.

قوله تعالى: ﴿ فَعَاتِهِمْ عَذَابًا ضِمْفًا ﴾ قال الزجاج: أي: عذاباً مضاعفاً.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِكُلِّ ضِمْتُ ﴾ أي: عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون. قرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: ﴿ يعلمون ، بالياء. قال الزجاج: والمعنى: لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقون: ﴿ تعلمون ، بالياء ، وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك. وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿ لِكُلِّ ضِمْتُ ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتباع . قوله: ﴿ فَنَا كَانَ لَكُمْ عَيْنَا مِن فَصَلِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله بابن عباس. والثاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

﴿ وَالنَّهُ أُولَنَهُمْ لِأَخْرَنَهُمْ فَمَا كَاتَ لَكُمْ مَلَيْنَا مِن فَضْلِ فَلُوقُواْ الْفَدَابَ بِمَا كُنُتُمْ تَكْمِبُونَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مِنَا كُنتُمْ تَكْمِبُونَ ﴾ قال مقاتل: من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِيكَ كَذَّبُوا بِنَائِينَا وَاسْتَكَفَرُوا عَنَهَ لَا لَمُنَتَّعُ لَكُمْ أَبُونِهُ النَّمَآةِ وَلا يَدْعُلُونَ ٱلْجَنَّةُ حَقَّ يَلِجَ ٱلْجَنَّلُ فِي سَدِ الْجِيَالَّ وَكَانَاكَ مَنْ الْمُدِينِ فَيَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنِّيْكَ كُنَّمُ الْبَالِيَا﴾ أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوّة الأنبياء، وتكبّروا عن الإيمان بها ﴿لا نُفتَحُ الله الله وَهُوَ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: قُفتَحَ ابلياء مضمومة خفيفة. الثانية. وقرأ أبو عمرو: قلا نُفتح ابلياء مضمومة خفيفة. وقرأ البزيدي عن اختياره: قلا نُفتح ابناء مفتوحة ﴿أَيْنَ السّيَلَ الله الله وقرأ البياء، فكأنه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحسن: بياء مفتوحة مع نصب الأبواب، كأنه يشير إلى الله وقل. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسدي في آخرين، والأحاديث تشهد به (۱). والثاني: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والمثاني: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والمنافي: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه علماء ابن عباس. والرابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل. وفي السماء قولان: أحدهما: أنها السماء المعروفة، وهو المشهور. والثاني: أن المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها، لأن الجنة في السماء ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ مَنَّ يَلِجَ لَلْمَكُلُ فِي سَرِّ لَلْهَكُلُ فِي الجمل: هو الحيوان المعروف. فإن قال قاتل: كيف خص الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصّل المقصود؟

⁽١) انظر فمسند أحمده ٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٩٢٥، ٢٩٦، وفقسير الطبري، ٢١٤/٤٤، وقابن كثير، ٢١٣/٢.

والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يغني عنك فتيلاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأناً عند العرب من سائر الدواب، فإنهم يقدِّمونه في القوَّة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجَّبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿ أَلَلا يَظُرُونَ إِلَى آلِإِلِ صَيّتَ خُلِقَتُ ﴾ [الناشية: ١٧]، فأثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباري. قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: وحتى يلج الجُمَّلُ، المعنى الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القلْشُ (١) الغليظ. قال المصنف: وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم. قال: وروى مجاهد عن ابن عباس: احتى يلج الجُمْلُ، بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها. قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: «حتى يلج الجُمْل، بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة. قال ابن الأنباري: فالجُمَل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة. قال ابن الأنباري: فالجُمَل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى وظُلم، وكذلك من قرأ: «الجُمْل» يسوغ له أن يقول: الجُمْل، بمعنى الجُمَل، كما يقال: الجُمْل، جمع جُمُلة، مثل أسرة، وبُشر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الجبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال، ودوى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ: «الجُمل» بضم الجيم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ أبو المحوزاء: «الجُمل» بضم الجيم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ أبو المحوزاء: «الجُمل» بفتح الجيم، وبسكون الميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ أبو المحوزاء، «الجُمل» بضم الجيم، وبسكون الميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحاك، والجحدري. وقرأ

قوله تعالى: ﴿فِي سَرِّ لِلْبِيَافِي السم في اللغة: النَّقب. وفيها ثلاث لغات: فتح السين، وبها قرأ الأكثرون، وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف، وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعي عن نافع. قال ابن القاسم: والخِياط: المِخْيَط، بمنزلة اللحاف والملحف، والقِرام والمقرم. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: فني سم المِخْيَطِ، وقال الزجاج: الخِياط: الإبرة، وسَمَّها: ثَقبها، والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً. قال ابن قتيبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، وبيض القار.

قوله تعالى: ﴿ رَكَٰذَ اللَّهُ بَعْزِى ٱلْمُعْرِمِينَ ﴾ أي: مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة.

﴿ لَهُمْ مِن جَمَّنَمْ مِمَادٌ وَمِن فَرْقِهِدْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْرِى الظَّلِلِمِينَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِيلُوا المَمَلِلِحَدِي لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا أُوْلَكِيكَ أَصْمَكُ الْمُنَاتِّةِ هُمْ فِنهَا خَلِدُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ مِن جَهَمْ مِهَادٌ ﴾ المهاد: الفراش، وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال: أحدها: اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد. والثاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدخان، قاله عكرمة. والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج. قال ابن عباس؛ والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلِ تَجْرِى مِن تَحْيِمُ ٱلْأَتَهَدُّ وَقَالُوا ٱلحُسَّدُ يَّوِ ٱلَّذِى مَدَننَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِبَهْدِى اَلَوْلَا أَنْ هَدَننَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَيِّ وَنُودُوا أَن يَلْكُمُ ٱلْمِنْتُهُ أُورِثْنُتُوهَا بِمَا كُشُتُهُ شَمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنَ غِلِّ﴾ فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أهل بدر. روى الحسن عن علي شائه أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنَ غِلِّ﴾. وروى عمرو بن الشريد عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنَ غِلْ﴾. والثاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا. روى كثير النَّوَاء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في علي، وأبي بكر، وعمر. قلت لأبي جعفر: فأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل عليَّ يسخُن يده ويكمَّد بها خاصرة

⁽١) القلس، بفتح القاف وسكون اللام: حبل غليظ من حبال السفن.

أبي بكر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أنهم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح. والرابع: أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها. روى أبو سعيد الخدري عن النبي الله أنه قال: فيخلُصُ المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هلبوا وتُقوا، أذن لهم في دخول الجنة. قوالذي نفسي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في المجنة منه بمنزله كان في المدنياة أن أبوا وتُقوا، أذن لهم أول ما يدخل أهلُ الجنة الجنة، تعرض لهم عينان، فيشربون من المجند من العينين، فيُذهب الله ما في قلوبهم من غلَّ وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتُشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم. فأما النزع، فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر. وقال ابن قيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: ﴿لَنَدْ مَاتَتْ رُسُلُ رَبّا بِالمَنِّ عِدًا قول أهل إلجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً. ﴿وَنُودُوّا أَن يَلكُمُ لَلَمْتَهُ ﴾ قال الزجاج: إنما قال فتلكم الأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم التي وُعدتم بها. وجائز أن يكرُن هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر فأورتُتُموها غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي فأورتمُوها مدغمة، وكذلك قرؤوا في [الزعرف: ٢٧]. قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن الناء والثاء مهموستان متقاربتان. وفي معنى فأورتتموها أربعة أقوال: أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله على قال: هما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فإنه يبرث الكافر منزله من الجنة "أن فذلك قوله: ﴿أُونِتُنتُوهَا بِمَا كُنتُمُ الْكَانِي وقال بعضهم: لما سمى الكفار أمواتاً بقوله: ﴿أَنوَتُ غَيْرُ أَعَيَاتُهِ للنحل: ١٢]. وسمى المؤمنين أحياة بقوله: فاتنذر من كان حياً "آتِن: ١٠) أورث الأحياء الموتى. والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جُعلت جزاء بقوله: ولنائي: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جُعلت جزاء الموتى. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام لأعمالهم، وثواباً عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقى. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام العمالهم، وثواباً عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقى. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام

⁽۱) والبخاري، ٥٠/٥، و ٢٠/١ ٣٤٦ دبشرح الفتح، والطبري، ٣٨/١٤: قال الحافظ ٣٤٦/١١: قوله: قوللي نفس محمد بيلمه هذا ظاهره أنه مرفوع كله، وكذا في سائر الروايات، إلاقي رواية عفان عند الطبري، قال: فإنه جعل هذا من كلام قتادة، فقال بعد قوله: في دخول الجنة، قال: وقال قتادة: قوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى...، إلخ. وفي رواية شعيب بن إسحاق بعد قوله: في دخول المجنة، قال: فوالذي نفسي بيده.. إلخ. فأبهم القاتل، فعلى رواية عفان يكون هو قتادة، وعلى رواية غيره يكون هو النبي على وزاد محمد بن المتهال عند الإسماعيلي: قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من جمعتهم، وهكذا عند عبد الوهاب وروح. وفي رواية بشر بن خالد وعفان جميعاً عند الطبري قال: وقال بعضهم... فذكره، وكذا في رواية شعيب بن إسحاق، ويونس بن محمد، والقاتل: وقال بعضهم... هو قتادة، ولم أقف على تسمية القاتل.

⁽٢) «الطبري» ٢/١٨ من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة فله مرفوعاً بلفظ: هما متكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في الناد، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿ أَنْكُتِكَ هُمُ الْوَرْفُنَ ﴿ ﴾. وكذلك أورد، ابن كثير ٢٣٩/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد في «المسند» بنحوه، وذكره الهيشمي في همجمع الزوائد، ٢٩٩/١ وذكر زواية أخرى له، ثم قال: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.

 ⁽٣) كذا الأصل التنذر؛ بالناء، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وأما قراءة حفص، فبالياء الينذر؛.

الدرجات بالأعمال. فلما كان يفسُّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثاً. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

﴿ وَنَادَىٰ أَصَلُ الْمُنْذَةِ أَصْلَ النَّارِ أَنْ فَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبًّا حَقًّا فَهَل وَجَدتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۚ قَالُواْ نَمَدُّ فَاذَنَ مُؤذِنًّا بَيْنَهُمْ أَن لَمْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّلِلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ كَفِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلَ وَجَدَثُمُ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعيير. ﴿قَالُواْ نَسَرُّ﴾. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكسائي يكسرها. قال الأخفش; هما لغتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُا بَيَّتُهُمْ ﴾ أي: نادى منادٍ: ﴿ لَ لَّنتُهُ اللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قنبل ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿ أَن لَّمَنَّهُ اللَّهِ﴾ خفيفة النون ساكنة. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى: ﴿أَنَّهُ بِالتشديد، ﴿لعنةَ اللهُ بالنصب، قَـالَ الأخـفـش: و «أَنْ» فـي قـولـه: ﴿ أَن يَلَكُمُ لَلْمَنَّذُهُ [الأعـراف: ٤٣] وقـولـه: ﴿ أَن لَمُنتُ لِلْم [يونس: ١٠]، و: ﴿ أَنْ فَدُّ رَجَدُنَّا ﴾ ، هي ﴿ أَنَّ الثقيلة خففت. قال الشاعر:

انْ هَالِكٌ كل من يَحْفَى ويَنْتَعِلُ (١)

فى فِشْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِشْدِ قَد عَلِمُوا وأنشد أيضاً:

عَـلَى سَاءَ صَـاحِـبَه حَـرِيْـصُ

أكساشِ رُهُ وَأَعْلَمَ مَانْ كِلَانَا ومعناه: أنه كلانا؛ وتكون «أن قد وجدنا» في معنى: أي. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أذن المؤذن أن لعنة الله على الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله، وهو الإِسلام. ﴿وَبَيَّنُونَهَا عِوْجًا﴾ مفسَّر في [آل عمرانَ: ٩٩]. ﴿وَهُمْ بِأَلْآخِرَةِ﴾ أي: وهم بِكُوْن الآخرة كافرون.

﴿وَبَيْنَهُمْنَا جِبَاتٌ وَعَلَى ٱلأَغْرَافِ رِبَالٌ يَسْهِوْنَ كُلًّا مِسِيمَكُمُّ وَنَادَوْا أَصْلَبَ ٱلجُنَّةِ أَن سَلَمُ عَلَيَكُمْ لَدَ يَنْشُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَشُرِبَ بَيَّتُهُم بِسُورٍ لَّهُ بَائِئُ﴾ [الحديد: ١٣]، فسمى هذا السور بالأعراف لارتفاعه. قال ابن عباس: الإعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار، له عرف كعرف الديك. وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يعني: على ذِراها، خِلقتها كخِلقة عرف الديك. قال اللغويون: الأعراف عند العرب: كل ما ارتفع من الأرض وعلا؛ يقال لكل عالي: عُرف، وجمعه: أعراف. قال الشاعر:

كالعَـلُـم الـمُـوفـي عـلى الأغـرافيه (٣)

كال كسناذ لسحمه نسياف وقال الآخر:

وقال الآخر: وَدِثْـــت بِـــنَــاءَ آبَــاءِ كِــرَام عَـلَـوْا بِـالــمَـجُـدِ أَعْـرَافَ الــبِـنَـاءِ وفي اأصحاب الأعراف؛ قولان: أحدهما: أُنهم من بني آدم، قاله الجمهور. وزعم مقاتل أنهم من أمة محمد ﷺ خاصة. وفي أعمالهم تسعة أقوال: أحدها: أنهم قوم قُتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله، وهذا مروي عن النبي ﷺ (٤). والثاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم

إِنَّسَا كَسَلَلِسِكَ مَسَا نُسِحُسَفَسَى ونَسَسُسَعِسِلُ اَ ر. إنَّها تَسِرَيْسنسا حُسفَساةً لا فِسعَسالَ لُسنَسا أَذْ لَيْس يَسْدُفُعُ عَسَنْ ذِي السحيْسَلَةِ السِحِيْسَلُ في فتية كسيوف السهبة قد مسلموا

البيت غير منسوب في فسيبويه ١/ ١٤٤٠، و «الإنصاف» لابن الأنباري: ٨٩، ١٨٣، وفأمالي ابن الشجري، ١٨٨/١. وقوله: أكاشره: أضاحكه. البيت غير منسوب قي همجاز القرآن، ٢١٥/١، و«الطبري» ٢١٠/٥٠، وهغريب القرآن، ١٦٨، و«اللسان»: نوف. والكناز: المجتمع اللحم القوية،

والنياف: الطويل، والعلم: الجبل. «الطبري» ٤٥٨/١٣، وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني وهو ضعيف، وأورده ابن كثير في «التقسير» ٢١٦/٢ عن سعيد بن منصور، ثم قال: ورواه ابن مردویه، وابن جریر، وابن أبی حاتم من طرق عن أبی معشر به.

قائله الأعشى، وهو في «ديوانه» ٥٩، وسيبويه ٢/ ٢٨٣، ٤٤٠. ٤٨٥ ـ ٢/ ١٢٣/، و«الطبري» ٢/ ٤٤٤، و«أمالي الشجري» ٢/ ٢، و«الإنصاف» ٨٩، والخزانة) ٣/ ٥٤٧ ـ ٢/ ٣٥٦. وهذا البيت أنشَدَه هكذا سبيويه، وتبعه النحاة، وهو ملفق من بيتين، يقول الأعشى في قصيدته:

وسيئاتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، والشعبي، وقتادة. والثالث: أنهم أولاد الزنا، رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، ومجاهد؛ فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة. والخامس: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم. والسادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدّلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى. والسابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباري. والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المنجوفي في تفسيره. والتاسع: أنهم قوم عملوا لله، لكنّهم راؤوا في عملهم، ذكره بعض العلماء. والقول الثاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعتُرض عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث. وقيل: معنى قوله: ﴿وَعَلَ ٱلأَغْرَانِ رِبَالًا أي: على معرفة أهل الجنة من أهل النار، ذكره الزجاج، وابن الأنباري. وفيه بُعد وخلاف للمفسرين.

قوله تعالى: ﴿ يَمْ يُونَ كُلًا بِسِبَعُمُ أَي: يعرف أصحابُ الأعراف أهل الجنة وأهل النار. وسيما أهل الجنة: بياض الوجوه، وسيما أهل النار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسيما: العلامة. وإنما عرفوا الناس، لأنهم على مكان عال يشرفون فيه على أهل النجنة والنار. ﴿ وَنَادَوَا ﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿ أَسَبَ لَلْتُوَ أَن سَلَمُ عَلَيْكُمُ ﴾. وفي قوله: ﴿ لَمْ يَسْتُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها، قاله الجمهور. والثاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يُلهَب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، هذا قول السدي.

﴿ ﴿ وَإِذَا مُرْمِنَتُ أَبْصَنُوكُمْ لِلْقَاتَهُ أَصْنَبِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْمَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مُرِلَتُ أَمَدُكُمْ ﴾ يعني أصحاب الأعراف. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة. وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النار، أي: حيالهم.

﴿ وَادَنَ أَصَكُ ٱلأَغْرَافِ رِبَالًا بَعْرِفُونَهُم بِسِيمَعُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَ عَنكُمْ جَنْفَكُو وَمَا كُنتُمْ مَسْتَكَنْرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنَامَنَ أَصَّنُ ٱلْأَقْرَافِ مِبَالًا بَيْمِ فُهُمُ مِسِينَهُم ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أُمية بن خلف، يا أُبيّ بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد. ﴿ وَمَا كُنتُم تَسْتَكُونُكُ أَي: تتعظمون عن الإيمان.

﴿ الْمَتُولَامْ الَّذِينَ ٱلْمَسْمَتُمُدُ لَا بَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةُ ٱدْعُلُوا الْمِئَةَ لَا حَوْفُ عَلَيْكُو وَلَا أَشَدُ تَحَرَّؤُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَمْتُؤُلاءَ الّذِينَ آنسَتُم لا يَنالَهُمُ اللهُ يَرَحْمَقُ فيه قولان: أحلهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله لأهل النار: ﴿ أَمْوَلُاهُ يعني أهل الأعراف هنالك، أَشَّمَتُم لا يَنالُهُمُ اللهُ يَرَحْمَقُ آدَّعُوا أَلَمَنَة واه وهب بن منبه عن ابن عباس. قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطلع عليهم ربهم فقال لهم: «ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم (١٠). والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزؤون بهم، كسلمان، وصهيب، وخبَّاب، فينادون الكفار: ﴿ أَمْتُولُكُو النِّينَ أَنسَتُمْ وَانتم في الدنيا ﴿ لا يَنَالُهُمُ اللهُ يَرَحْمَقُ ﴾ قاله ابن السائب. فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿ يَحْمَقُ ﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. وقد ذكر المفسرون في قوله: ﴿ أَنَّعُوا أَلَمَنَهُ وَللا المناف: أن يكون خطاباً من الله لأهل الجنة. والثالث: أن يكون خطاباً من الله لأهل الجنة. والثالث: أن يكون خطاباً من الله لأهل الجنة، والثالث: أن يكون خطاباً من الله لأهل الجنة، والما الأعراف لأهل الجنة، ذكرهما الزجاج. فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة، واحذه وارتفعوا إلى المناذل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنة. وروى مجاهد عن عبدالله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهريقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكلًلة معدالله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهريقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكلًلة

⁽۱) «الطبري» ۱۲/۲۵۲.

باللؤلؤ، فيُغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمنُّوا ما شئتم، ولكم صبعون ضِعفاً، فهم مساكين أهل الجنة.

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَبُ النّارِ أَمْحَبُ الْجُنّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْلَهِ أَوْ مِنّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُوا إِن البنة، طمع أهل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ آصَحَبُ النّارِ أَمْحَبُ الْجُنّةِ ﴾ قال ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج بعد البأس، فقالوا: يا رب، إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحابُ النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم، فينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقتُ فأغثني ؛ فيقول: ﴿ إِنَ اللّهَ حَرَّمُهُمَا عَلَى الْكَثِيمِ فِي الطعام والشراب، وإن كان معذّباً .

﴿ اَلَّذِيكَ اتَّخَدُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَلَيْبًا وَغَرَّتُهُمُ ٱلْحَكَيْرَةُ ٱلدُّنِيَّ فَالْبَرْمَ نَسَهُمْرَ كَمَا لَسُوا لِعَنَّة بَرْمِهِمْ هَنذَا وَمَا كَانُوا عِنْهُمْ الْحَكَيْرَةُ الدُّنِيَّ فَالْبَرْمَ نَسَهُمْرَ كَمَا لِعَنَّة بَرْمِهِمْ هَنذَا وَمَا كَانُوا عِنْهُمْ الْحَكَيْرَةُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿اَلَّذِيكَ اَتَّخَذُواْ دِينَهُمُ لَهُوَا وَلَيْسَا﴾ قال ابن عباس: هم المستهزئون. والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم. وقال أبو رَوَّق: دينهم: عيدهم. وقال قتادة: ﴿لَهُوَا وَلَوْسَبًا﴾ أي: أكلاً وشرباً. وقال غيره: هو ما زيَّنه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَرْمَ نَسَنَهُمْ ﴾ قال الزجاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا. و «ما» نسق على «كما» في موضع جر. والمعنى: وكجحدهم. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: فاليوم نتركهم في النار على علم منا ترك ناسٍ غافلٍ كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغَفَل.

﴿ وَلَقَدْ جِنْنَكُم بِكِنَبِ فَصَّلْنَهُ عَلَىٰ عِلْمِ هُدًى وَرَخَــَةٌ لِنَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدَّ حِنْنَهُم بِكِنْبِ﴾ يعني القرآن. ﴿ فَشَلْنُهُ أي: بينًاه بإيضاح الحق من الباطل. وقيل: فصَّلناه فصولاً مرة بتعريف الحلال، ومرة بتعريف الحرام، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، ومرة بحديث الأمم. وفي قوله: ﴿ عَلَ عِلْمِ اللهِ عَلَى عَلَم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه. وقرأ ابن السميفع، وابن محيصن، وعاصم، والجحدري، ومعاذ القارئ: ﴿ فَشَّلناه ، بضاد معجمة.

﴿ مَلْ يَظُرُونَ إِلَّا تَأْمِيلُمْ يَوْمَ يَأْقِ تَأْمِيلُمْ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ فَذَ جَآةَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَمَآة فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَدْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ فَدْ خَيرُوّا النّشَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَلْ يَظُرُونَ إِلَّا تَأْدِيلَمُ ﴾ قال ابن عباس: تصديق ما وُعدوا في القرآن. ﴿ يَوْمَ يَأْقِ تَأْدِيلُمُ ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ ﴾ أي: تركوه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا: ﴿ فَلْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿ أَزَ نُرَدُ ﴾ قال الزجاج: المعنى: أو هل نُردُّ. وقوله: ﴿ فَنَعْمَلَ ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضَ فِي سِئِّةِ أَيَامٍ ثُمَّ اَسْتَوَىٰ عَلَ ٱلْمَرْثِي يُمْثِنِي ٱلنَّهِ رَ يَظْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْفَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخِّرَتٍ بِأَثَرِثِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَثْمُ ثَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ آلْمَلْكِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَ رَبَّكُمُ اللهُ اللهِ اللهِ عَلَقَ السَّنَوْتِ وَالْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامِ الختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم السبت. روى مسلم في "صحيحه" من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله على بيدي، فقال: «خلق الله الله الله السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر [من] يوم الجمعة [في] آخر المخلق، في آخر ساحة من ساحات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"(١)، وهذا اختيار محمد بن إسحاق. قال

⁽١) والمسند، ٨٣٢٣، وامسلم، ٢١٤٩/٤. قال الحافظ ابن كثير في « التفسير، ٦٩١ بعد أن أورده: وهذا الحديث من غرائب اصحبح مسلم، وقد تكلم =

ابن الأنباري: وهذا إجماع أهل العلم. والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة. والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل. ومعنى قوله: ﴿ فِي سِتَةِ أَيَارٍ ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حينئل. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافاً في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيداً من وجهين: أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿ إِنَّمَا آنَرُوهُ إِنَّا آزَادَ شَيًّا أَن يَقُولَ لَهُ كُن لَمُ كُن أَن التبكون في المناهد، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن التثبت في تمهيد ما خُلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة. والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ . والرابع: أنه علم عباده التثبت، فإذا تثبت من لا يزل، كان ذو الزَّلل أولى بالتثبت، والمخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اَسْتَوَىٰ عَلَ ٱلْمَرْضِ﴾ قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير؛ وكل سرير لملك يسمى عرشاً؛ وقلما يُجمع العرش إلا في اضطرار؛ واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

ميجُدوا الله فَهُ ولِلْمَدِي المِنا بالبناء الأعلى الذي سبق النا شرجَعًا لا يَنَالُهُ نَاظِرُ العَدِي

ربىنيا فى السَّمَاءِ أَمْسَى كَيِيْرا س وسوَّى فوق السَّماءِ سَريسرًا بن تَسرَى دُوْنَه السمَسلائِسكَ صُسؤرًا

وقال كعب: إن السموات في العرش كالقنديل معلَّق بين السماء والأرض. وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء. وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية. وقد شذَّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر؛ ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُمُ عَلَى الْلَهِ ﴾ [مرد: ٧] أتراه كان المُلك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:

حتى استوى بشرٌ عَسلَى السعِراقِ ويقول الشاعر أيضاً:

أحمتنا اشقويا بفضلهما جبيعا

مِسنْ غَسِسرِ مَسِيْسَفِ وَدَم مُسهُسرَاقِ

عَسلسى عَسرُش السمُسلسوكِ بسغَسيْس ذُوْدِ

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله على لم يزل مستولياً على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لمّا بيئنًا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

قوله تعالى: ﴿يُغْشِى الْيَلَ النَّهَارَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ايُغْشي، ساكنة الغين خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: اليُغَشِّي، مفتوحة الغين مشددة؛ وكذلك قرؤوا في [الرمد: ٣]. قال الزجاج: المعنى: أن الليل يأتي على النهار فيغطّيه؛ وإنما لم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَيِّرُ النَّهَارُ وَيُكَيِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارِ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارِ عَلَى النَّهَارِ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارِ وَيُكَيِّرُ النَّهَارِ وَيُنْكَيِّرُ النَّهَارِ وَيُنْكَيِّرُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرِهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرِهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُعْتَلِهُ النَّهُمُ النَّهُارِ وَيُنْكِيرُهُ النَّهَارِ وَيُعْتَلِهُ وَالْمُعَالَ عَلَى النَّهُ النَّهُ النَّهَا وَلَوْمَا لَهُ وَالْهُ وَالْمُعَلَى النَّهُ وَيُعْتَلِهُ وَلِيْعُ النَّهُ النَّهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَلِيْعُ وَالْمُعَالِ عَلَى النَّهُ وَلِيْعَالِهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلِيهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَالْمُوالِقُولُ وَلِيهُ وَل

عليه علي بن المديني، والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحيار، وإنما اشتبه على
 بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي.

يقل: يغشي النهار الليل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿مَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النعل: ٨١]، وانتصب الليل والنهار، لأن كل واحد منهما مفعول به. فأما الحثيث، فهو السريع.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّمْسَ وَالنَّمَرَ وَالنَّبُومَ مُسَخَّرَتِ﴾ قرأ الأكثرون: بالنصب فيهنَّ، وهو على معنى: خلق السموات والشمس. وقرأ ابن عامر: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ بالرفع فيهن هاهنا وفي [النحل: ١٦]، تابعه حفص في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجُومُ مُسَخِّرَتُ ﴾ في [النحل: ١٦] فحسب. والرفع على الاستثناف. والمسخرات: المذلَّلات لما يراد منهنَّ من طلوع وأفول وسير على حسب إرادة المدبّر لهنَّ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَانُّ ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَالْأَنُّ ﴾ فله أن يأمر بما يشاء. وقيل: الأمر: القضاء.

قوله تعالى: ﴿ بَارَكَ الله فيه أربعة أقوال: أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وكذلك قال القتيبي، والزجاج. وقال أبو مالك: افتعل من البركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله. وقال الفراء: تبارك: من البركة؛ وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا. والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع؛ والمتبارك: المرتفع. والثالث: أن المعنى: باسمه يُتبرَّك في كل شيء، قاله ابن الأنباري، والرابع: أن معنى «تبارك» تقدس، أي: تطهر، ذكره ابن الأنباري أيضاً.

﴿ أَدْعُوا رَبُّكُمْ تَعَنُّرُعَا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُتَدِينَ ١

قوله تعالى: ﴿ أَدَّعُوا رَبَّكُمْ شَنْرُعًا ﴾ التضرع: التذلّل والخضوع. والخُفية: خلاف العلانية. قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا تسمع إلا همساً. ومن هذا حديث أبي موسى: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً (۱). وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب. والثاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الناحاء.

﴿ وَلَا نُنْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَشَدَ إِصْلَنجِهَا وَآدْعُوهُ خَوْنًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَخَمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُعْسِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ نُنْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَسْدَ إِصْلَاحِها فِيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان. والثاني: لا تفسدوها بالطلم بعد إصلاحها بالطاعة. بالإيمان. والثاني: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة. والرابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب. والمخامس: لا تفسدرها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي، وفي تفسدرها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي، وفي قوله: ﴿وَالدَّهُ وَلَانَ المحدها: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الردِّ، وطمعاً في الإجابة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الشَّهُ عِينِينَ ﴾ قال الفراء: رأيت العرب تؤنِّث القريبة في النسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منا قريب، من القرب والبعد، ذكروا وأنَّنوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خَلَفاً من المكان، كقوله: ﴿وَمَا مِنَ الظَّيلِينَ بِيَيدٍ ﴾ [عود: ١٨٦، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الاحزاب: ١٦٣]، ولو أثَّت ذلك لكان صواباً. قال عروة:

فَخَذُنُو وَلَا عَنفُرَاهُ مِنْكَ بِعِيدُ(٢)

(١) ﴿ البخاري، ٩٤/٦، و(مسلم، ٢٠٧٦/٤. وقوله: «اربعوا على أنفسكم»: قال النووي: أي: اوفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه ﴿ وأتم تعدون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة.

عسشىية لا عسفسراءُ مستسكَ بسعسيسلةً وإنسي لستسخسشسانسي لسذكسراكِ فستسرة

عَـشِبيَّـةً لَا عَـفُـرَاءُ مِـنْـكَ قـريـبِـةً

قىتىسىلىدو ولا عسقىدرا قىسىنىڭ قىدرىسىپ لىھىدا بىيىن جىلىدي والسعىظىدام دېئىسىپ

⁽٢) - همعاني القرآن؛ للفراء ١/ ٣٨١، والطبري؛ ٤٠٨/١٢، وهو في «ديوان عروة بن حزام»، وفي «تزيين الأسواق؛ ٨٤/١، وفسمط اللآلي؛ ٤٠١ من شعر له، صواب إنشاده على الباء:

وقال الزجاج: إنما قيل: "قريب" لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جائز أن تكون الرحمة هاهنا في معنى المطر.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِيَاحَ بُشَرًا بَبْتَ يَدَى رَحْتِيةٍ حَتَّى إِذَا ٱللَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفَنَهُ لِبَلَدِ تَبِيْنٍ فَٱنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَانَهُ فَأَخْرَجُنَا بِهِ. مِن كُلِّ النَّمَرَنُ كَذَلِكَ نُحْرُجُ ٱلْمَرْقَ لَقَلَكُمْ نَدْخُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَحَ﴾ قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الرياح» على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «الريح» على التوحيد. وقد يأتي لفظ التوحيد، ويراد به الكثرة، كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، ومثله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَنِي خُسَرٍ ۞﴾ [المصر: ٢].

قوله تعالى: ﴿نَثَرُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع: «نُشراً» بضم النون والشين؛ أرادوا جمع نشور؛ وهي الربح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب. قال أبو عبيدة: النُشُر: المتفرقة من كل جانب. وقال أبو علي: يحتمل أن تكون النشور بمعنى المنتشر، وبمعنى الناشر؛ يقال: أنشر الله الربح، مثل أحياها، فتشرت، أي: حبيت. والدليل على أن إنشار الربح إحياؤها قولُ الفقعسى:

وهبَّتْ لُه رِيْحُ الْجَنُوبِ وَأَحْسِيَتْ لَه رَيْدَةٌ يُحيي الْمِيَّاةَ نَسِيْمُهَا(١)

إِنَّسِي لَأَرْجُسِو أَنْ تَسَمُسُوْتَ السِرِيْسِحُ فَالْسَخَسِدُ السِيَسِوْمَ وَأَسْتَسِرِيْسِحُ والرَّيدة والريدانة: الريح. وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: فَنُشُراً بالنون مضمومة وسكون الشين، وهي في معنى فنُشُراً . يقال: كُتُب وكُتُب، ورُسُل ورُسُل . وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والمفضل عن عاصم: فنَشُراً بفتح النون وسكون الشين. قال الفراء: النَّشْر: الريح الطيبة اللَّيْنة التي تنشئ السحاب. وقال ابن الأنباري: النَّشْر: المنتشرة الواسعة الهبوب. وقال أبو علي: يحتمل النَّشْر أن يكون خلاف الطيِّ، كأنها كانت بانقطاعها كالمطويَّة. ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النشر: أنها المتفرقة في الوجوه؛ ويحتمل أن يكون

معناها: النشر الذي هو الحياة، كقول الشاعر: [حـــتّــــى يــقـــولَ الـــنّــاسُ مــمّــا رَأْوًا] يـــا عَـــجَــبــاً لِــلْــمـيّــتِ الــنّــاشِـــرِ(٢٠

قال: وهذا هو الوجه. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النخعي، ومسروق، ومورِّق العجلي: «نَشَراً» بفتح النون والشين. قال ابن القاسم: وفي النَّشَر وجهان: أحدهما: أن يكون جمعاً للنشور، كما قالوا: عَموه وعَمَه، وإهاب وأَهَب. والثاني: أن يكون جمعاً، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غائب وغَيَبٌ، وحافد وحَفَدٌ؛ وكل القرَّاء نوَّن الكلمة. وكذلك اختلافهم في [النونان: ٤٨] و [النمل: ٢٣]. هذه قراءات من قرأ بالنون. وقد قرأ آخرون بالباء؛ فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرى» بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فُعلى. قال ابن الأنباري: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشّر بالمطر. والأصل ضم الشين، إلا أنهم استثقلوا الضمتين. وقرأ ابن خثيم، وابن جذلم مثله، إلا أنهما نوَّنا الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بضم الباء والشين، وهذا على أنها جمع بشيرة. والرحمة هاهنا: المطر؛ سماه رحمة لأنه كان بالرحمة. و «أقلّت» بمعنى حملت. قال الزجاج: السحاب: جمع سحابة. قال ابن فارس: سمى السحاب لانسحابه في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ يُقَالَا ﴾ أي: بالماء. وقوله تعالى: ﴿ سُقَنَهُ ﴾ ردَّ الكناية إلى لفظ السحاب، ولفظه لفظُ واحدٍ. وفي قوله: ﴿ لِبَلَدِ ﴾ قولان: أحدهما: إلى بلد. والثاني: لإحياء بلد. والميتُ: الذي لا يُنْبَتُ فيه، فهو محتاج إلى المطر. وفي قوله: ﴿ قَارَلُنَا لَهِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الكناية ترجع إلى السحاب. والثاني: إلى المطر، ذكرهما الزجاج. والثالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباري. فأما هاء ﴿ قَالَمُزْجَنَا بِهِ ﴾ فتحتمل الأقوال الثلاثة.

 ⁽١) البيت غير منسوب في «اللسان»: ريد، والريدة: الربح اللينة.

 ⁽٢) البيت لأعشى قيس، (ديوانه) ١٨ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علائة، ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما.

قوله تعالى: ﴿كَثَالِكَ غُرِّجُ ٱلْمَوْقَ﴾ أي: كما أحيينا هذا البلد. وقال مجاهد: نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به. قال ابن عباس: يرسل الله تعالى بين النفختين مطراً كمني الرجال، فينبت الناس به في قبورهم كما نبتوا في بطون أمهاتهم.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكُمُ تَدَّكُرُكِ﴾ قال الزجاج: لعل ترج. وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض؛ والمعنى: لعلكم بما بينًاه لكم تستدلون على توحيد الله، وأنه يبعث الموتى.

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيْبُ يَعْرُمُ بَانُهُ بِإِذِنِ رَبِّهِ ۚ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَعْنُجُ إِلَّا نَكِدُأً كَذَكِ نُصَرِّفُ ٱلْأَبَنَتِ لِغَوْرِ يَشْكُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني الأرضَ الطيبةَ التربة، ﴿يَخْرُجُ بَاتُهُ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿يُخرِجُ بضم الياء وكسر الراء، ﴿نباتَهُ بنصب التاء، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثُ لَا يَخَرُجُ ﴾ كذلك أيضاً. وقد روى أبان عن عاصم: ﴿لا يُخرِجُ بضم الياء وكسر الراء، والمراد بالذي خبث: الأرض السبخة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَكِدُاً ﴾ قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف. وقرأ أبو جعفر: «نَكَداً» بفتح الكاف. وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: «نَكْداً» بإسكان الكاف. قال أبو عبيدة: قليلاً عسيراً في شدة، وأنشد:

لا تُسنُّحِسرُ السوَعُسدَ إِنْ وَعَسدْتَ وإِنْ أَعْظَيْتَ أَعْظِيْتَ أَعْظِيْتَ تَسافِها لَكِسداً(١)

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر؛ فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقَله انتفع به وبان أثره عليه، فشُبّه بالبلد الطيب الذي يُمرع ويُخصب ويحسن أثر المطر عليه؛ وعكسه الكافر.

﴿ لَقَدْ أَرْسَكَنَا نُوسًا إِلَىٰ قَوْمِهِ. فَقَالَ يَغَوْمِ أَعْبُدُوا اللّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَّهِ غَيْرُهُۥ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ قَالَ الْسَكَا مِن قَوْمِهِۥ إِنَّا لَنَرْمَكَ فِي صَلَالٍ ثُمِينٍ ۞ قَالَ يَنقُومِ لَيْسَ فِي صَلَالَةٌ وَلَكِنِي رَسُولٌ مِن زَبِّ الْسَلَمِينَ ۞ أَبَلِقَتْكُمْ رِسَلَنتِ رَبِّ وَأَنْصَحُ لَكُو وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لَا نَمْلُمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ قال مقاتل: وحَّدوه؛ وكذلك في سائر القصص بعدها.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَامٍ غَيْرِهِ ﴾ قرأ الكسائي: «غيرِه» بالخفض. قال أبو علي: جعل غيراً صفة لـ «إِلّه» على اللفظ.

قوله تعالى: ﴿أَبَلِفَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿أَبْلِغكم﴾ ساكنة الباء خفيفة اللام. وقرأ الباقون: ﴿أَبَلَغكم، مفتوحة الباء مشددة اللام.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُرُ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له.

قوله تعالى: ﴿وَأَغَلُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَمْكُونَ﴾ أي: من مغفرته لمن تاب، وعقوبته لمن أصرً. وقال مقاتل: أعلمُ من نزول العذاب ما لا تعلمونه؛ وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عُذَّبوا قبلهم.

﴿ وَاللَّهِ عَبِشَدْ أَن جَاءَكُمْ ذِكُرٌ مِن تَرِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِنَنَفُواْ وَلَمَلَكُمْ أَرْحَمُونَ ۞ فَكَذَبُوهُ فَالْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَمُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَفْنَا الَّذِينَ كَنْبُواْ بِنَائِدِينَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمًا عَبِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَ عَبِنَدُ ﴾ قال الزجاج: هذه واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة. وفي الذّكر قولان: أحدهما: الموعظة. والثاني: البيان. وفي قوله: ﴿عَلَى نَجُلٍ مِنكُرَ ﴾ قولان: أحدهما: أن «على» بمعنى: «مم»، قاله الفراء. والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَوَّمَّا عَبِينَ﴾ قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه.

﴿ إِنَّ مَادٍ لَمَاهُمْ هُوذًا قَالَ يَنَقِّرِ اَعَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ تِنْ إِلَىهِ غَبَرُمُّ أَفَلَا نَنْفُونَ ۞ قَالَ اَلْمَلَأَ اللَّذِيكَ كَفَرُوا مِن قَوْمِدِهِ إِنَّا لَمُؤْمِدُ أَوْلَ لَكُونِ مِنْ اللَّهُ مَا لَكُمْ تِنْ إِلَىهِ غَبَرُمُ اللَّهُ مَا لَكُونِهِكَ ۞ أَلِمُنْكُمْ لَمُولِ لِيَسَ مِن سَفَاهَةً وَلَكِكِنَ رَسُولٌ مِن زَبِّ الْمَنْكِينَ ۞ أَلِمُنْكُمْ لِيَسْتُكُمْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْمُ عَلَيْهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ عَلَيْمُ عَلَى اللَّهُ اللَّ

⁽١) دمجاز القرآن، ١/٢١٧، والطبري، ١٢/٥٩، واللسان،: تفه.

مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوجٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوٓا ءَالَآءَ اللَّهِ لَتَلَكُمُ لَثْلِحُونَ ۞ قَالُوٓا أَجِعْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَـدَمُ وَنَدَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ مَانَآؤُنَّا فَأَنِنَا بِمَا شَيدُنَّا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِيْنِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكَ عَادِ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿لَنَاهُمْ هُودًا﴾. قال الزجاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم. ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم. وقال أبو سليمان المدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح؛ وإنما سماه أخاهم، لأنه كان نسيباً لهم، وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةِ﴾ قال ابن قتيبة: السفاهة: الجهل. وقال الزجاج: السفاهة: خِفَّة الحُلم والرأي؛ يقال: ثوب سفيه، إذا كان خفيفاً. ﴿وَلِنَّا لَتُطْنُكَ مِنَ ٱلكَذِيبَ﴾ فكفروا به، ظائين، لا مستيقنين. ﴿قَالَ يَكَوْيِ لَيْسَ بِي سَفَاهَــَةً﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبوه به من السفاهة بنفيه فقط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَكُرُ نَاسِحُ أَمِينًا ﴾ قال الضحاك: أمين على الرسالة. وقال ابن السائب: كنت فيكم أميناً قبل

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَمَلَكُمْ خُلَفَاتَهُ ذَكَّرهم النعمة حيث أهلك مَن كان قبلهم، وأسكنهم مساكنهم. ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلِّقِ بَعَبُّطَةً ﴾ أي: طولاً وقوَّة. وقال ابن عباس: كان أطولُهم مائة ذراع، وأقصرُهم ستينَ ذراعاً. قال الزجاج: وآلاء الله: نعمه؛ واحدها: إلى. قال الشاعر:

أيَسفُ طَلعُ رِحْمَاً وَلَا يَسخُونُ إِلى (١)

أبْسيَسِضُ لا يَسرُهَبُ السهُسزَالَ وَلَا ويجوز أن يكون واحدها ﴿إِنْياً ﴾، ﴿وَأَلَى ٩.

قوله تعالى: ﴿ فَأَلِنَا بِمَا شِّدُنّا ﴾ أي: من نزول العذاب ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلاِقِينَ﴾ في أن العذاب نازل بنا. وقال عطاء: في نبوَّتك وإرسالك إلينا.

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِن زَيِّكُمْ رِجْسٌ وَعَضَبُ أَتُجَلِلُونِي فِت أَسْمَآءِ سَمَّيْنُتُوهَا أَشْر وَالْبَاقُوكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن شُلَطَنُو فَانْظِرُوا إِنِّ مَعَكُم مِنَ ٱلسُّنَظِينَ ۞ مَأْخِيْنَهُ وَالَّذِينَ مَمَمُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَقَلَمْنَا دَارِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَدُينَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْشُ رَغَضَبُّ ﴾ قال ابن عباس: عذاب وسخط. وقال أبو عمرو بن العلاء: الرجز؛ بالزاي، والرجس؛ بالسين: بمعنى واحد، قلبت السين زاياً.

قوله تعالى: ﴿ أَتُجَالِلُونَنِي فِت أَسْمَآهِ سَنَّبْنُومًا أَنتُد وَهَابَا أَنُّهُ عِنى: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان: أحدهما: أنهم ستَّوها آلهة. والثاني: أنهم سمُّوها بأسماء مختلفة. والسلطان: الحجة. ﴿ فَٱنْظِرُتَا﴾ نزول العذاب ﴿ إِنَّ سَمَكُم مِّنَ ٱلْمُسْتَظِينَ﴾ الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إياي.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُوهَ أَخَاهُمْ مَدْلِمَا فَالَ يَنْقُورِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَىٰهِ غَنْرُةٌ فَذ جَآةَنْكُم بَـيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمٌّ هَدْدِهِ. فَاقَـهُ ٱللَّهِ لَحُمُمْ ءَاتِئَةً هَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي آرْضِ ٱللَّهِ وَلَا نَمَسُّوهَا بِسُوَّوِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيثُمْ ﴿ وَٱذْكُرُواْ إِذْ جَمَلَكُمْ خُلَفَآةً مِنْ بَعْدِ عَنادِ وَيَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَنْفِدُوكَ مِن شُهُولِهِمَا تُصُولًا وَنَنْجِئُونَ ٱلْجِبَالَ بِيُوَتًا فَأَذْكُرُواْ مَالَاءَ اللَّهَ اللَّهِ وَلَا نَمْتُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكَ تُشُودَ﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلَّة مائها. قال ابن فارس: الثَّمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

قوله تعالى: ﴿ هَلَاهِ مَا لَمَّهُ أَلَّهِ ﴾ في إضافتها إليه قولان: أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله. والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال: «لكم» لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم. وفي وجه كونها آية قولان: أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخَّضت بها تمخُّضَ الحامل،

⁽١) البيت لأعشى قيس (ديوانه) ٢٣٥، و(مجاز القرآن) ٢١٨/١، و(اللسان) ألا.

ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه.

قوله تعالى: ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي آرْضِ اللَّهِ ﴾ قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها. و «تأكل» مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوِّو﴾، أي: لا تصيبوها بعقر.

قوله تعالى: ﴿وَبَوَأَكُمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم؛ يقال: تبوأ فلان منزلاً: إِذَا نزله. وبوَّأَتُهُ: أنزلته. قال الشاعر: وبُــوُّنــتُ فـــي صَــمــيـــمِ مَــغــشَــرِهَــا فَـــتَـــمَّ فـــي قَـــوْمِـــهـــا مُــبَـــوَّووهَـــا(١)

أي: أنزلت من الكريم في صميم النسب؛ قاله الزجاج.

قوله ثعالى: ﴿ تَأَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا تَصُولَ ﴾ السهل: ضد الحزن، والقصر: ما شُيد وعلا من المنازل. قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء. قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبني البنيان، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب ثم يجدده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب؛ فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَخَبِّرُهُا مِن قَرْمِهِ. لِلَّذِينَ ٱسْتُغْمِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ٱلْعَلَمُونَ آكَ مَسَلِمًا ثُمُّ سَلُّ مِن رَبِّهِ. قَالُوا إِنَّا إِلَا مِنَا أَرْسِلَ بِهِ. كَفِرُونَ ﴿ ﴾ مِنَا الَّذِينَ اسْتَخَبَرُنا إِنَّا إِلَّا مِالَانِ مَاسَتُم بِهِ. كَفِرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَلَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ اسْتَكَبَّرُهُا مِن قَرْمِهِ؞﴾ وقرأ ابن عامر ﴿وَاَلَ ٱلْلَأَ﴾ بزيادة واو؛ وكذلك هي في مصاحفهم. ومعنى الآية: تكبَّروا عن عبادة الله. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُغْمِقُوا﴾ يريد: المساكين. ﴿لِمَنْ مَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُغْمِقُوا﴾ لأنهم المؤمنون. ﴿أَنْشَلُونَ أَكَ مَبَلِمًا مُرْسَلُ﴾ هذا استفهام إنكار.

﴿فَمَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَكَوْا عَنْ أَشِ رَبِّهِـ دَقَالُوا يَنصَنابِحُ افْنِنَا بِمَا شَدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَنْهُمُ الرَّجْفَكُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِثِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَهَ قُرُوا الدَّاقَةَ ﴾ أي: قتلوها. قال ابن قتيبة: والعقر يكون بمعنى القتل، ومنه قوله عند ذكر الشهداء: «من عقر جواده (٢٠ وقال ابن إسحاق: كَمَن لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عَضَلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكسر عُرقوبها، ثم نحرها. قال الأزهري: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحراً، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره.

قوله تعالى: ﴿وَعَمَيَّوا﴾ قال الزجاج: جاوزوا المقدار في الكفر. قال أبو سليمان: عتوا عن اتَّباع أمر ربهم. قوله تعالى: ﴿ يِمَا رَبِّدُنَّا ﴾ أي: من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتُهُ مُ ٱلرَّجْفَكَةُ ﴾ قال الزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِم ﴾ أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وحّد الدار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: ﴿ فِي دِيَرِهِم ﴾ المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بالدار؛ المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل. والثاني: أنه أراد بالدار: المديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كُسلُوا في يُسطُف بِ ظُهِ نِسكُم تَسعِب شُسوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ يَنْفِينَ ﴾ قال الفراء: أصبحوا رماداً جائماً. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جُثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا

 ⁽۱) البيت لإبراهيم بن هُرْمة في المجاز القرآن، ١/ ٢١٨، واللسان، بوأ، واشواهد المغني، ٢٨٠.

 ⁽۲) رواه ابن ماجه ۲/ ۹۳۶ عن عمرو بن عبسة قال: أثبت النبي على فقلت: يا رسول الله أي الجهاد أنضل؟ قال: قمن أهريق دمه وعقر جواده ذقال في الزوائدة: إمناده ضعف لضعف محمد بن ذكوان.

موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى الاجاثم على بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

﴿ فَتُولَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنَقَوْمِ لَقَدْ أَلِنَنْنُكُمُ مِسَالَةَ رَبِّى وَغَمَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَا شَجْبُونَ النّصِحِينَ ۞ وَلُومًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ. أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَءً بِن دُوبِ النِّسَاتُمْ بَهَا مِنْ أَشَدُ قَوْمٌ مُسْدِلُونَ ۞ إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَءً بِن دُوبِ النِسَاتُمْ بَلَ أَشَدُ قَوْمٌ مُسْدِلُونَ ۞ وَمَا كَانَ مُنْ يَطَهُمُونَ ۞ كَانَ مُنْ يَطَهُمُونَ ۞ وَمَا كَانَ أَنْهُمُ أَنْهُمْ أَنَانٌ لَيْعَالُمُ أَنْهُ يَنْفَهُمُونَ ۞ وَمَا الْعَلَيْمُ وَمُنْ مِنْ فَرَيْتِكُمْ بِنَ فَرَيْتِكُمْ إِنْهُمْ أَنَانٌ يُنْفَهَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَتُوَلَّى عَنْهُمُ ﴾ يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أنِ اخرُجُ من بين أظهرهم، فإني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومَه كما أسمع نبيكم قومَه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿أَنَأَتُونَ ٱلْفَحِشَةَ﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَلِهُ قَالَ عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ هذا استفهام إِنكار. والمسرف: المجاوز ما أُمر به. وقوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوهُم يِّن فَرَّيَكُمُ ۚ يعني لِوطاً وأتباعه المؤمنين ﴿ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنَطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: يتنزَّهون عن أدبار الرجال وأدبار النساء.

﴿ فَأَنْجَنَنُهُ وَأَهَلَهُۥ إِلَّا اَمْرَأَتُكُم كَانَتْ مِنَ الْفَكِيمِينَ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرُأ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ الْمُجْمِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ ﴾ في أهله قولان: أحدهما: ابنتاه. والثاني: المؤمنون به. ﴿ إِلَّا اَمْرَأَتُكُم كَانَتْ مِنَ الْفَابِرِينَ ﴾ أي: الباقين في عذاب الله تعالى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: "من الغابرين" لأن صفة النساء مع صفة الرجال تُذكّر إذا أُشْرِك بينهما.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مُطَرِّآ﴾ قال ابن عباس: يعني: الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، ورفعها، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أُتبعوا بالحجارة.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَتِ أَخَاهُمْ شُعَيْمُنَا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم يَنْ إِلَاهِ غَيْرُمٌ قَدْ جَآةَكُم بَكِيْنَةٌ يَن رَبِّكُمْ فَالْوَاوَ السَّاسَ أَشْبَآءَهُمْ وَلَا نُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَىٰجِهَا ۚ وَلِا كُمْمُ إِن كُنتُد مُنْكُد فَاللّهِ فَاللّهُ فَا اللّهُ فَاللّهُ فَاللّ وقالِمُ الللللللّهُ للللللللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَالل

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْبَكِ﴾ قال قتادة: مدين: ماء كان عليه قوم شعيب، وكذلك قال الزجاج، وقال: لا ينصرف، لأنه اسم البقعة. وقال مقاتل: مدين: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه. وقال أبو سليمان الدمشقي: مدين: هو ابن مديان بن إبراهيم، والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة. فالمعنى: وإلى أهل مدين. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين اسم أعجمي، فإن كان عربياً، فالياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بُنَخَسُواْ اَلْنَاسَ أَشْيَآءُهُمُ﴾ قال الزجاج: البَحْسُ: النقص والقلَّة؛ يقال: بَخَسْتُ أَبْخُسُ؛ بالسين، وبخصت عينه، بالصاد لا غير. ﴿وَلَا نُنْشِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

قوله تعالى: ﴿ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدِّقين بما أخبرتكم عن الله.

﴿ وَلَا نَفَ مُدُوا بِكُلِ صِرَالِ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ. وَتَنْفُونَهَا عِوَجَاً وَآذَكُووَا إِذَ كُنتُدُ
تَلِيلًا نَكَنَّرُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِبَةُ ٱلتُمْسِدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَشَعُدُواْ بِكُلِ صِرَطِ﴾ أي: بكل طريق ﴿ تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيب بالشر، وتخوّفونهم بالعذاب والقتل. فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول؛ فهلًا قال: توعِدون بكذا؟ فالجواب: أن العرب إذا أخلَتُ هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر؛ يقولون: أوعدت فلاناً. وكذلك إذا أفردوا وعدت من مفعول، لم يدل

إلا على الخير. قال الفراء: يقولون: وعدته خيراً، وأوعدته شراً؛ فإذا أسقطوا الخير والشر، قالوا: وعدته: في الخير، وأوعدته: في الشر؛ فإذا جاؤوا بالباء، قالوا: وعدته بالشر. وقال الراجز:

أَوْعَ لَنِ مِن وَالْأَدَاهِ مِن وَالْأَدَاهِ مِن وَالْأَدَاهِ مِن وَالْأَدَاهِ مِن وَالْأَدَاهِ مِن

قال المصنف: وقرَأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إِذَا أَرادُوا أَنْ يَذْكُرُوا مَا تَهَدُّدُوا به مع أوعدت، جاؤوا بالباء، فقالوا: أوعدته بالضرب، ولا يقولون: أوعدته الضرب. قال السدي: كانوا عشّارين. وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطريق.

قوله تعالى: ﴿وَتَصَٰدُّوكَ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون عن دين الله من آمن به. ﴿وَتَنَبَّنُونَهَا عِوَجُمَأَ﴾ مفسر في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْكُرُواْ إِذَ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُنَّرَكُمْ ۚ قَالَ الزجاج: جائز أَنْ يكونَ المعنى: جعلكم أغنياء بعد أَنْ كنتم فقراء؛ وجائز أَنْ يكون: كثّر عددَكم بعد أَنْ كنتم قليلاً، وجائز أَنْ يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فكثّرهم.

﴿وَانِ كَانَ طَالَهِکُةً مِنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِى أَرْسِلْتُ بِهِ. وَطَالَهِکَةً لَرْ بُؤَمُوا فَاسْبِرُوا حَقَّ يَعْكُمُ اللّهُ بَيْدَنَأَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِمِينَ ۞ ﴿ قَالَ الْمَكُا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَكَ يَشْتَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَمَكَ مِن فَرَيْنِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مِلْتِينَا قَالَ اوَلَوْ كُنَا كُوهِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَايَبِكُ ۚ يِنكُمُ مَامَنُواْ بِالَّذِى أَرْسِلْتُ بِهِ. وَطَالِهَا ۗ لَرْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي؛ إن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فريقين، مصدِّقين ومكذِّبين ﴿ وَالْمَا خَنَى يَعْكُمُ اللهُ بَيْنَنَا ﴾ بتعذيب المكذَّبين، وإنجاء المصدِّقين ﴿ وَهُوَ خَيْرُ اللهُ العدل الذي لا يجور.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَتُمُودُنَّ فِي مِلْتِنَا ﴾ يعنون ديننا، وهو الشرك. قال الفراء: جعل في قوله: «لتعودن» لاماً كجواب اليمين، وهو في معنى شرط؛ ومثله في الكلام: والله لأضربنَّك أو تُقِرّ لي، فيكون معناه معنى: ﴿ إلا »، أو معنى: ﴿ حتى ». ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّ كَيْهِينَ ﴾ أي: أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها؟! والألف للاستفهام. فإن قبل: كيف قالوا: «لتعودن»، وشعيب لم يكن في كفر قط، فيعود إليه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافراً، ثم آمن، خاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه، وغلَّبوا لفظهم على لفظه، لكثرتهم، وانفراده. والثاني: أن المعنى: لتصيرُنَ إلى ملتنا؛ فوقع العَود على معنى الابتداء، كما يقال: قد عاد عليَّ من فلان مكروه، أي: قد لحقني منه ذلك؛ وإن لم يكن سبق منه مكروه. قال الشاعر:

فَ إِنْ تَ كَ إِنْ الْأَيْسَامُ أَحَسَسِنَّ مَسِرةً إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَإِلَى اللّهِ رُبَّعُمُ الْأُمُورُ﴾ في سورة [البقرة: ٢١٠]، وقد ذكر معنى الجوابين الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿قَدِ الْغَرَيْنَا عَلَ اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّيكُم﴾ وذلك أن القوم كانوا يدّعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سمَّوه مِلَّةً. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: في الملة، ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ أي: إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها، ﴿وَسِعَ رَبُنًا كُلَّ فَقَ عِطْمًا ﴾ قال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون.

قوله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تُوكَّنَا ﴾ أي: فيما توعدتمونا به، وفي حراستنا عن الضلال. ﴿رَبَّنَا اَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ قال أبو عبيدة: احكم بيننا، وأنشد: أَلَا أَبْسِلِ غُنْ فُنَسَاحَ شِكُمْ غَنِي اللَّهِ عَنْ فُنَسَاحَ شِكُمْ غَنِي (''

قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القَاضي: الفاتح والفتّاح. قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: أُظهِر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف؛ فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.

قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَمْ يَنْنَوْا فِيهَا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كأن لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عباس، والأخفش. قال حاتم طيء:

غَنِيْنَا زَمَاناً بالتَّصَعْلُكِ وَالغِنَى

ر. فَسما زَادَنَا بَسْخُسِاً عَسَلَى ذِي قُسرَابَةٍ

فَكُلاً سَفَانَاه بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهُرُ (٢) فِي الْمُعُرُ (٣) فِينَانَا، ولا أَذْرَى بِأَحْسَابِنَا الفَقْرُ (٣)

قال الزجاج: معنى غنينا: عشنا. والتصعلك: الفقر، والعرب تقول للفقير: الصعلوك. والثاني: كأن لم يتنعّموا فيها، قاله قتادة. والثالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل. والرابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزجاج، قال الأصمعي: المغاني: المنازل؛ يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به. وقال ابن قتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا. قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿ اللّذِينَ كَذَبُّوا شُعَيّبًا ﴾ للمبالغة في ذمهم؛ كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراضنا.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَبُّمُ فِيه قولان: أحدهما: أعرض. والثاني: انصرف. ﴿وَقَالَ يَكَوْرِ لَقَدَّ أَبَلَنَكُمُ رِسَلَتِ لَكِهِ قَال قتادة: أسمع شعيب قومَه، وأسمع صالح قومَه؛ كما أسمع نبيكم قومَه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. ﴿فَكَيْكَ مَاكُ ﴾ أي: أحزن. وقال ابن إسحاق: أصاب شعيباً على قومه حزنٌ شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: كيف آسى على قوم كافرين.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي فَرْسَةِ بِن لَهِنِ إِلَّا أَخَذَنَّا أَهْلَهَا وَالْهَاسَتُو وَالطَّنَّالِ لَسَلُهُمْ يَخْرَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي فَرْسَوْ فِي قال الزجاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها. وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذبوه. ﴿إِلاَ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَلَةِ وَالضَّرَاء ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضراء في [الانعام: ١٤٢، وتفسير التضرع في هذه السورة [الأعراف: ٥٥]. ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسنَّةِ الله في المكذَّبين، وتهديد قريش.

وَّمُّ بَدُكَا مُكَانَ السَّيِئَةِ لَلْمُسَنَةُ حَقَّ عَمَوا وَقَالُوا فَدْ مَشَى ءَابَلَةَنَا الفَرَّائِهُ وَالسَّرَائِهُ فَأَخَذَتَهُم بَنْنَهُ وَهُمْ لَا يَشْمُونَ ﴿ وَلَوْ أَنَّ الْمُسَرَّقِ وَلَا أَنْ السَّكَمَةِ وَالأَرْضِ وَلَذِينَ كَذَبُوا فَأَخَذَتَهُم بِمَا كَانُوا يَكْمِبُونَ ﴿ الْمَأْمِنَ الْمُلُونَ اللَّهُ الْمُؤْقِ أَنْ اللَّهُ وَلَا أَنْ وَلَذِينَ كَذَبُوا فَأَخَذَتَهُم بِمَا كَانُوا يَكْمِبُونَ ﴿ النَّاكُمَةِ وَالأَرْضِ وَلَذِينَ كَذَبُوا فَأَخَذَتَهُم بِمَا كَانُوا يَكْمِبُونَ ﴾ المُلْمَانَ اللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا لَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدُّكَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السيئة: الشدة؛ والحسنة: الرخاء، قاله ابن عباس. والثانى: السيئة: الشر؛ والحسنة: الخير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ حَتَىٰ عَفَواْ﴾ قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم. ﴿ وَقَالُواْ قَدْ مَسَى ءَابَاتَنَا ٱلفَرَّآةُ وَالسَّرَآةِ﴾ فنحن مثلهم، يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا دأب الدهر، وليس بعقوبة. ﴿ فَأَخَذْتُهُم بَفْنَةً ﴾ أي: فجأة بنزول العذاب ﴿ وَهُمْ لَا يَشْمُهُ فَ بِنزوله، حتى أهلكهم الله.

قوله تعالى: ﴿ لَفَنَحْنَا عَلَيْهِ بَرَكْتُتِ يَنَ ٱلسَّمَاآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال الزجاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

﴿ أَنَ أَمْلُ ٱلْقُرَىٰۚ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا شُحَى وَهُمْ يَلْمَبُونَ ۞ أَنَـأَينُوا مَكِرَ ٱللَّهُ فَلَا يَأْتَنُ مَكُرَ اللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ النَّائِمُ الْخَرُونَ ۞ ﴾ الْخَنِيمُونَ ۞ ﴾

⁽۱) قسجاز القرآن؛ ٢٢٠/١، و قاصلاح المنطق؛ ١١٢، وقالطبري، ٢٤/١٣، وقالسمط؛ ٩٢٧، وقالقرطبي، ٩٤/١٣، وقاللسان، وقالتاج،: فتح. وينو عصم: رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي. والبيت مختلف في غزوه، انظر تعليق الراجكوتي في قسمط اللآلي، ٩٢٧.

 ⁽٢) البيتان في دديوان حاتم؛ ١١٩، و«الأغاني؛ ٢٩٦/١٧، و«خزانة الأدب؛ للبغدادي ٢/٦٣/.

 ⁽٣) في الديوان، والخزانة: (فما زادنا بأواً) والبأو: الكبر والفخر.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ أَيْنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهُلُ ﴾ بإسكان الواو. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿ أَوَ أَمِنَ ﴾ بتحريك الواو. وروى ورش عن نافع: ﴿ أَوَ أَمِنَ ﴾ يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن.

﴿ أَوَلَدُ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِفُوكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَمَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَمَنِتَهُم بِذُوْبِهِمْ وَتَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا بَسْمَعُوكَ ۚ فِي اللَّهِ عَلَى الْكُوبِهِمْ فَهُمْ لَا بَسْمَعُوكَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَالْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلَاكُمُ عَلِيهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلِيكُ

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ ﴾ وقرأ يعقوب؛ «نَهدِ ، بالنون، وكذلك في [طه: ١٢٨]، و [السجدة: ٢٦]. قال الزجاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أولم يبيِّن الله لهم، و من قرأ بالنون، فالمعنى: أولم نبيِّن، وقوله تعالى: ﴿وَنَطَّبَعُ ﴾ ليس بمحمول على «أصبناهم» لكان: ولطبعنا، وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم، ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: ﴿أَن لَوْ نَشَاهُ ﴾، والمعنى: لو شئنا، وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفاً على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصيب: فوُضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: ﴿ بَن نَاكَ ﴾ [النرقان: ١٠]، أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿ وَيَجْمَلُ لَكَ خَبُرًا مِن نَاكِ ﴾ [النرقان: ١٠]، أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿ وَيَجْمَلُ لَكَ نُصُولُونُ ، قال الشاعر:

مِنْي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَئُوا(١)

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً أَى يَسْمَعُوا .

قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَا يُسْمُنُونَ ﴾ أي: لا يقبلون، ومنه "سمع الله لمن حمده، قال الشاعر:

دَعَسوْتُ الله حسنًسي خِسفُستُ أَنْ لَا يَسكُسوْنَ الله يُسسَمَعُ مَسا أَخُسوْل (٢)

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُوْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن فَبَلُ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذَّبون به يوم أقروا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أبَيِّ بن كعب. والثاني: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذَّبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرها حيث أقروا بالألسن، وأضمروا التكذيب، قاله ابن عباس، والسدي. والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد، والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبو به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركوهم في التكذيب، قاله يمان بن رباب. والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذَّبوا قبل رؤيتها.

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنًا أَكْثَمُمُ لَنُسِيْدِينَ ﴿ وَا

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدُنَا لِأَكْنَهِمِ﴾ قال مجاهد: يعني؛ القرون الماضية. ﴿قِنَّ عَهَدِّ﴾ قال أبو عبيدة: أي: وفاء. قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم. وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن وَجَدْنَا ﴾ قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين.

﴿ثُمُّ بَمَثْنَا مِنْ بَشْدِهِم ثُمْوَىٰ بِتَايَنِتَنَا ۚ إِنَ أَرْعَوْنَ وَمَكِهُهِۥ فَظَلَمُوا ۚ بِبَّا ۚ فَأَنْظِرَ كَيْفَ ۖ كَاتَ عَفِيَةُ الْمُنْسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَوِي يَنفِرْعَوْدُ إِنِّى رَسُولٌ مِن ذَّبِّ الْمَنْلِمِينَ ۞ حَقِيقً عَلَىٰ أَن لَآ أَنُولَ عَلَى اللّهِ إِلَا الحَقَّ ۚ فَذَ جِشْنُكُم بِبَيْتِنْوَ مِن تَبِكُمْ فَأَرْسِلَ مَيْنَ بَيْنَ إسْرَةِ بِلَ ۞ فَالَ إِن كُنْتَ جِثْتَ بِنَايَمْ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّدِوْيَنَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِنَ ثُمْبَانٌ ثُمِينٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ ثُمُّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْلِهِم ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

البيث لقعنب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، من شعراء العصر الأموي. وهو في اللحماسة، ١٢/٤،
 واشاهد المعني، للسيوطي ٣٣٦.

⁽٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: صمع.

قوله تعالى: ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ قال ابن عباس: فكذَّبوا بها. وقال غيره: فجحدوا بها.

قوله تعالى: ﴿ كَقِبِنُ عَلَى آنَ لا آقُولَ عَلَى آللَهِ إِلا ٱلْحَقَّ ﴾ (على) بمعنى الباء. قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع (على)؛ تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجثت بحال حسنة، وعلى حال حسنة. وقال أبو عبيدة: «حقيق بمعنى؛ حريص. وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: ﴿ حَقِيقٌ عَليَّ ﴾ بتشديد الباء وفتحها، على الإضافة. والمعنى: واجب على .

قوله تعالى: ﴿ فَلَدَ حِنْكُمُ مِيْتِنَةِ ﴾ قال ابن عباس: يعني: العصا. ﴿ فَأَرْسِلُ مَيى بَقَ إِسْرَةِيلَ ﴾ أي: أطلق عنهم؛ وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة. ﴿ فَإِذَا هِى ثُعْبَانٌ مُّيِنٌ ﴾ قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة. قال الفزاء: الثعبان: أعظم الحيات، وهو الذكر. وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثعبان: الحية الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَزَرَعُ يَدَوُ ﴾ قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخرُّوا على وجوههم؛ ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت. قال مجاهد: بيضاء من غير برص.

قوله تعالى: ﴿مُنَاذَا تَأْشُرُونَ ﴾ قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليَّ؟ وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملأ انقطع عند قوله: ﴿مِنَّ آرَشِكُمْ ﴾. قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول الملأ، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟

قوله تعالى: ﴿ أَرْجِهُ قَرأُ ابن كثير «أرجهق» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ. وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو؛ وكانا يهمزان: ﴿ مرجؤن﴾ [الربة: ١٠٦] و ﴿ ترجئ﴾ [الاحزاب: ١٥]. وقرأ قالون والمسيّبي عن نافع «أرجو» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الياء، ولا يهمز، وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهمز بين الجيم والهاء. وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع؛ وهي قراءة الكسائي. وقرأ حمزة: «أرجه ساكنة الهاء غير مهموز، وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل، وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر، وكذلك اختلافهم في سورة [الشعراء: ٣٦]. قال ابن قتيبة أرَّجُهُ: أخّره؛ وقد يهمز، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته. ومنه قوله: ﴿ وَبِي مَن نَشَاهُ مِنْهُنَ ﴾ [الاحزاب: ١٥]. قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس؛ وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولَعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلَ فِي ٱلْمَدَآيِنِ ﴾ يعني مدائن مصر، ﴿ كَشِينَ ﴾ أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم، وقال ابن عباس: هم الشرط.

قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَنِدٍ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿ سَخِرٍ ﴾، وفي [برنس: ٧٩]: ﴿ بِكُلِّ سَنِدٍ ﴾؛ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ سَخَادٍ ﴾ في الموضعين؛ ولا خلاف في [الشعراء: ٣٧] أنها: ﴿ سَخَادٍ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا لِأَجَّرًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّ لَنَا لِأَجْرًا ﴾ مكسورة الألف على المخبر، وفي [الشعراء: ٤١] ﴿أَيْنَ ﴾ المخبر، وفي [الشعراء: ٤١] ﴿أَيْنَ ﴾ بهمزتين. وقرأ أبو عمرو: ﴿آيِن لنا ﴾ ممدودة في السورتين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبر بكر عن

عاصم: بهمزتين في الموضعين. قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَينَ ٱلْمُقَرِّينَ﴾ أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله تعالى: ﴿ سَحَرُوا أَعَيْتُ النَّاسِ ﴾ قال أبو عبيدة: عَشَّوْا أعين الناس وأخذوها. ﴿ وَاسْتَرْهُمُوهُمُ أي: خوَّفوهم. وقال الزجاج: استَدَعُوا رهبتهم حتى رهبهم الناس.

قوله تعالى: (فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ) وقرأ عاصم: ﴿ تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام، خفيفة القاف هاهنا وفي آطه: ٦٩]، و [الشعراء: ٥٥]. وروى البرِّيّ، وابن فُلَيح عن ابن كثير: ﴿ تَلْقَفُ﴾ بتشديد التاء. قال الفراء: يقال: لقفْتُ الشيء، فأنا ألقَفُه لَقْفاً ولَقَفاناً ؛ والمعنى: تبتلع. قوله تعالى: ﴿مَا يَأْيِكُونَ أَي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيّات.

قوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾ قال ابن عباس: استبان. ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَمْمُلُونَ ﴾ من السحر.

(الإشارة إلى قصتهم)

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولاً: أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اثنان وسبعون ألفاً، رُوي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: صبعون، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: اثنا عشر ألفاً، قاله كعب. والمخامس: سبعون ألفاً، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف. والسادس: سبعمائة. وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفاً متخيَّرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين الألف سبعمائة. والسابع: خمسة وعشرون ألفاً، قاله الحسن. والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة. والتاسع: ثمانون ألفاً، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: بضعة وثلاثون ألفاً، قاله السدي: والحادي عشر: خمسة عشر ألفاً، قاله ابن إسحاق. والثاني عشر: تسعة عشر ألفاً، رواه أبو سليمان الدمشقي. والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي. فأما أسماء رؤسائهم، فقال ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحُطحُط، ومُصَفَّى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا. ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورا، وعازورا. وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون. قال ابن عباس: ألقوا حبالاً غلاظاً، وخشباً طُوالاً، فكانت ميلاً في ميل، فألقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من حبالهم وعصيهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيِّهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة، والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلداً، فأقبلت الحيَّة نحو فرعون، فصاح: يا موسى، يا موسى، فأخذها موسى، وعرفت السجرة أن هذا من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سُجِّداً، وقالوا: آمنا برب العالمين، فقال فرعون: إِياي تعنون؟ فقالوا: ربُّ موسى وهارون، فأصبجوا سحرة، وأمسوا شهداء. وقال وهب بن منبه: لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها، فقتل بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً. وقال السدي: لقي موسى أمير السحرة، فقال: أرأيت إن غلبتك غداً، أتؤمن بي؟ فقال الساحر: لآتين غداً بسحر لا يغلبه السحر، فولله لئن غلبتني لأومِننَّ بك. فإن قيل: كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإِلقاء، وفعل السحر كفر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فألقوا. والثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل، ذكرهما الماوردي. والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقى عصاه فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَٱلْفِي ٱلسَّحَرُةُ سَهِدِينَ ﴿ فَإِنَّمَا سَجَدُوا بِاخْتِيارِهُم؟ فالجَوَابِ أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره، اضطرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحاً وتعظيماً لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن الأنباري. قال ابن عباس: لما آمنت السحرة، اتَّبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَامَنتُم بِهِ. قَبْلَ أَنْ مَاذَنَ لَكُرُّ إِذَ هَذَا لَيَكُرُّ مُكَرِّتُمُوهُ فِي السّدِينَةِ الِنَخْرِجُوا بِنَهَا آهَلَهَا ۚ فَسَوْفَ تَمْلَمُونَ ۖ ۖ لَأَفَلِمَنَّ لَيْدِيكُمُّ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿ مَا مَنتُم بِدِ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: "مآمنتم به الهمزة ومدة على الاستفهام. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آآمنتم به افاستفهام بهمزتين، الثانية ممدودة. وقرأ حفص عن عاصم: «آمنتم به على الخبر. وروى ابن الإخريط (۱): عن ابن كثير: «قال فرعون وامنتم به افقلب همزة الاستفهام واواً، وجعل الثانية مليَّنة بين بين. وروى قبل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط، غير أنه كان يهمز بعد الواو. وقال أبو علي: همز بعد الواو، وقال أبو علي: همز بعد الواو، فقلة عن همزة الاستفهام همزة «أفَعَلْتُم» فحققها ولم يخففها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَتَكُرُ مُكَرِّتُوهُ ﴾ قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذ الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿فَسَوْنَ تَمْلَمُونَ عَاقبة ما صنعتم، ﴿لَأَقَلِمَنَ لَيْبِكُمْ وَرَبِكُمْ مِنْ خِلَفِ ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب، فوعونُ.

﴿ وَمَا لَنَهِمُ مِنَاۚ إِلَآ أَنْ مَامَنَا بِنَابَتِ رَبِّنَا لَنَا جَاءَتُنَاۚ رَبِّنَا آمْرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَنَا مُسْلِمِينَ ۖ وَقَالَ الْلَكُمُّ مِن فَوْرِ فِرْعَوْنَ أَنَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُغْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَمُذَرُكَ وَمَالِهَنَكُ قَالَ سَنُقَيْلُ أَبْنَاتُهُمْ وَلَسَتَغِيد بِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ تَنهِرُونَ ۖ ۖ ۖ قَالَ مُوسَىٰ لِغُوْمِهِ السّقِينُوا بِاللّهِ وَاسْمِرُنَا إِنَّ الأَرْضِ لِلّهِ يُمِرِثُهَا مَن يَشَائُهُ مِنْ عِبَادِيدٌ فَالْمَنْفِيةُ

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنِهِمُ مِنْآ﴾ أي: وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا إلا لأنا آمنا. ﴿رَبِّنَكَ ٱلْمَيْغُ عَلَيْمَا صَبْرًا﴾ قال مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَدَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

قوله تعالى: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون. وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان: أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نسائهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل. والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله تعالى: ﴿ رَبَدُرُكَ ﴾ جمهور القراء على نصب الراء؛ وقرأ الحسن برفعها. قال الزجاج: من نصب اويذرك وضعه على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه جعله مستأنفاً، فيكون المعنى: أتذر موسى وقومه، وهو يذرك وآلهتك؟ والأجود أن يكون معطوفاً على اأتذر فيكون المعنى: أتذر موسى، وأيذرك موسى؟ أي: أتطلق له هذا؟.

قوله تمالى: ﴿وَمَالِهُ مَاكُ وَلَهُ عَالَ ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَمَّا رَبُكُمُ الْأَمْنَ ﴾ [النازمات: ٢٤]. وقال غيره: كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقرباً إليه. وقال الحسن: كان يعبد تيساً في السر. وقيل: كان يعبد البقر سراً. وقيل: كان يجعل في عنقه شيئاً يعبده، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: قوإلاهتك بكسر الهمزة وقصرها وفتح الملام وبألف بعدها. قال الزجاج: المعنى: ويذرك وربوبيتك، وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإلاهة: العبادة؛ فالمعنى: ويذرك وعبادة الناس إياك. قال ابن قتيبة: من قرأ أن وإلاهتك أراد: ويذرك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلّهةً. قال الأعشى:

فَـمَـا أَذْكُـرُ الـرَّهْـبَ حـتَّـى انْـقَـلَـبْـتُ تُعنى اللهِلهَـةِ مِـنْـهَـا قَـرِيْـبا يعنى الشمس. والرهب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله تعالى: ﴿سَنُقَيْلُ آبُنَاءَمٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: اسنقتّل، و ﴿يُقَيِّلُونَ آبْنَاءَكُمُ ﴾ الاعراف: ١٤١] بالتشديد، وخففهما نافع. وقرأ ابن كثير: اسْنَقْتُلُ، خفيفة، و القتّلون، مشددة. وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه. ﴿وَإِنّا فَوْقَهُمْ تَنهُرُونِ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان. فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: ﴿أَسْتَعِينُوا مِاللَّهِ وَأَسْبُرُدَا ﴾ على ما يُفعل بكم ﴿ إِنَ ٱلأَرْضَ يلَّهِ بُورِثُهُمَا مَن

⁽١) في نسخة: أبو الأخريط.

يَشَكَآهُ مِنْ عِبَكَادِمِيُّهُ. وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يورِّثها» بالتشديد. فأطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَنْقِبَةُ لِلمُتَقِينَ﴾ فيها قولان: أحدهما: الجنة. والثاني: النصر والظفر.

﴿قَالُواْ أُونِينَا مِن قَبَٰلِ أَن تَـاٰتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِثْنَنَا قَالَ عَـَىٰ رَبُكُمْ أَن يُمْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَشْتَغْلِنَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَمْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَنَا مَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ ٱلثَّمَرَتِ لَمَلَّهُمْ بَذَكَّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ أُونِينَا مِن قَبُلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَمّدِ مَا حِتَّنَاً ﴾ في هذا الأذى ستة أقوال: أحدها: أن الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن. والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي. والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسخّرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسّلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم والثالث: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللّبِن، وكانوا يعطونهم النبن الذي يخلطونه في الطين؛ والثاني أنهم كلّفوا ضرب اللّبِن وجعل النبن عليهم، قاله ابن السائب. والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إياهم ما لا يطيقونه، قاله مقاتل. والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب. وفي قوله: ﴿ فِن قَبُلِ أَن تَأْتِينَا ﴾ والناني: تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس. والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلّصنا، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس. والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلّصنا، ومن

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمُ أَن يُهْلِكَ عَدُرَّكُمْ ﴾ قال الزجاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطبِع اللّهُ فيه فهو واجب،

قوله تعالى: ﴿وَيَنْتَغُلِنَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الاستخلاف قولان: أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه. وفي الأرض قولان: أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس. والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ فَيَنظُرُ كَيْفَ تَمْمَلُونَ ﴾ قال الزجاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ أَخُذُنّا عَالَ وَعَوْنَ بِالسِّينَ ﴾ قال أبو عبيدة: مجازهُ: ابتليناهم بالجدوب. وآل فرعون: أهل دينه وقومه، وقال مقاتل: هم أهل مصر، قال الفراء: «بالسنين» أي: بالقحط والجدوب عاماً بعد عام، وقال الزجاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، ومعناه: جدب السّنة، وشدة السّنة. وإنما أخدهم بالضراء، لأن أحوال الشدة، تُرقَّ القلوب، وتُرغب فيما عند الله وفي الرجوع إليه، قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت رباً كما تزعم، فاملاً لنا نيل مصر، فقال: غُذوة يصبّحكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أيَّ شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح، فيكذّبوني؟! فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثمّ لبس مِدرعة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى مصر غدوة أصبح، فيكذّبوني؟! فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثمّ لبس مِدرعة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بغرير الماء ليما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت إلّهاً. ولو بخرير الماء ليما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت إلّهاً. ولو صح، كان إقراره بذلك كإقرار إبليش، وتبقى مخالفته عناداً.

﴿ فَإِذَا جَاءَتُهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَنِوْدٍ. وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِّمَةٌ يُطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّمَةُ. أَلَا إِنْمَا طَيْرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَذِينَ أَخَفَرُهُمْ لَا يَسْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتُهُمُ ٱلْمُسَنَّةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة ﴿قَالُوا لَنَا هَنَوْرُ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكُروا عليه. ﴿وَإِن تُصِبّهُمُ سَيِّقَةٌ﴾ وهي القحط والجدب والبلاء ﴿يَطْيُرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مُّمَدُّهِ﴾ أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ قال أبو عبيدة: «ألا» تنبيه وتوكيد ومجاز. «طائرهم» حظهم ونصيبهم. وقال ابن عباس ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: إن الذي أصابهم من الله. وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا.

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْفِنَا بِهِ؞ مِنْ ءَايَةِ لِتَسْعَرَنَا بِهَا فَمَا غَنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱللَّوفَانَ وَٱلْجُرَادَ وَٱلْقُمَلَ وَٱلضَّفَاعِ وَالدُّمَ ءَايْتِ مُنْصَلَّتِ فَاسْتَكَمْرُواْ زَكَانُواْ فَوْمَا تُجْرِمِينَ ۞﴾

· قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا﴾ قال الزجاج: زعم النحويون أن أصل "مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ، فـ •ما؛ الأولى هي •ما؛ الجزاء، و •ما؛ الثانية هي التي تزاد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و قماء تزاد فيه، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا لَتُنْفَنَّهُمْ ۗ الانفال: ٥٧] كقولك: إن تثقفنهم، وقال: ﴿وَإِنَّا نُمْرَضَنَّ عَنْهُمُ﴾ [الإسراء: ٢٨]، وتكون [ما) الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس. قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى (مه) الكف، يحسن الوقف على (مه)، والاختيار أن لا يوقف عليها دون [ما] لأنها في المصحف حرف واحد. وفي الطوفان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الماء. قال ابن عباس: أرسل عليهم مطر دائم الليلَ والنهارَ ثمانية أيام، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك، ومقاتل، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه الموت، روته عائشة ﷺ عن النبي ﷺ (۱)، وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير. والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد، ووهب أيضاً. وفي القمَّل سبعة أقوال: أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال به. والثاني: أنه الدَّبي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء. وقال قتادة: القمَّل: أولاد الجراد. وقال ابن فارس: الدَّبي: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته. والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقيل: هذه الدواب هي السوس. والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت. والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم. والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد. والسابع: أنه الحَمنان، واحدتها: حَمنانة، وهي ضرب من القِردان، قاله أبو عبيدة. وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القُمْل» برفع القاف وسكون الميم. وفي الدم قولان: أحدهما: أن ماءهم صار دماً، قاله الجمهور. والثاني: أنه رعاف أصابهم، قاله زيد بن أسلم.

(الإشارة إلى شرح القصة)

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأنبت لهم شيئاً لم ينبته قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبتت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحرزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القُمّل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برية، فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُبهم دماً، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافي عذب لا يقدر

⁽۱) قالطبري، ١٩/٥١ وفي سنده المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف، والحجاج بن أرطأة صدوق كثير الخطأ والتدليس. وخرجه ابن كثير ٢٤٠/٢ من رواية ابن مردويه عن يحيى بن يمان به وقال: وهو حديث غريب.

عليه، فقال فرعون: أقسم بإلهي يا موسى لئن كشفتَ عنا الرجز لنؤمثنَّ لك، ولنرسلن معك بني إِسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم وَعَذُبُ ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إِسرائيل.

قوله تعالى: ﴿ يَانَتِ مُنْفَدَّلَتِ ﴾ قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل. قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. قال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوماً. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمّل والضفادع والدم. وفي قوله: ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ وَاللَّهُ وَلانَ : أحدهما: عن الإيمان. والثاني: عن الانزجار.

﴿ وَلَنَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَسُوسَى ادَّعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَّ لَهِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُوْمِنَى لَكَ وَلَأَرْسِلَنَّ مَعَلَكَ بَيْنَ إِسْرَتِهِيلَ ﴿ فَلَمَّا كَشَمُنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَهَلٍ هُم بَلِيقُوهُ إِذَا هُمْ يَسَكُنُونَ ﴿ قَانَفَتْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَفَتَهُمْ فِي الْبَيْرِ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا يَعْلَئِنِنَا وَكَانُوا عَنْهَا عَنْهِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجَرُ ﴾ أي: نزل بهم العذاب. وفي هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفاً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه العذاب الذي سلَّطه الله عليهم من الجراد والقُمَّل وغير ذلك، قاله ابن زيد. قال الزجاح: «الرجز»: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها. ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والأنتقالُ من بيت إلى بيت، سريع، نحو قوله:

يَا لَــنِــتَــنِــي فِــنِــهُــا جَـــذَعْ أَخُـــب فـــــهـــا وَأَضَـــعْ وزعم الخليل أن الرَّجز ليس بشعر؛ وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث.

قوله تعالى: ﴿ مِمَا عَهِدَ عِندَكُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به. والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك. والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن. والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَكِلِ هُم بَلِغُوهُ﴾ أي: إلى وقت غرقهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنكُنُونَ﴾ أي: ينقضون العهد.

قوله تعالى: ﴿ لَا نَتُهُم ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وتلك النقمة تغريقنا إياهم في اليم. قال ابن قتية: اليم: البحر بالسريانية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَنِيابِي﴾ فيه قولان: أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها. والثاني: عن النقمة.

﴿ وَأَوْرَفْنَا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَغْمَمُونَ مَشَّكِونَ ٱلأَرْضِ وَمَكَوِبَهُمَا ٱلَّى بَكَرُكُنَا فِيهَا وَتَمَنَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَقِ إِسْرَة بِلَ بِمَا صَبَرُواً وَدَمَّرُنَا مَا كَانَ يَسْنَعُ وَرْعَوْتُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَمْوِشُونَ ﴿ وَجَوَزُنَا بِبَقِ إِسْرَهِ بِلَ ٱلْبَعْرَ مَالُوا عَلَى قَوْمِ يَتَكُنُونَ عَلَى أَصْنَامِ لَهُمَّ قَالُوا بَسُوسَى ٱجْعَل لَنَا إِلَيْهَا كَمَا لَمَتُمْ وَالِيَهُ قَالَ إِنْكُمْ فَوَّ مَجْهَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا اَلْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿اَلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَشَمَّتُونَ﴾ أي: يُستَذَلون بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال. ﴿مَشَكِرِتَى اَلْأَرْضِ وَمَعَكِرِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن. والثاني: مشارق أرض الشام ومصر. والثالث: أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

قوله تعالى: ﴿ أَلِّي بَدَرَّكُنَا نِيما ﴾ قال ابن عباس: بالماء والشجر.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتَ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْمُتَنَىٰ﴾ وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَرُبِيدُ أَن نَمَنَّ عَلَى ٱلَّذِيرَ ٱسْتُضِّعِنُواْ فِ ٱلْآرَضِ﴾ القصص: ١٥، وقد بَيَّنا علة تسمية ذلك كلَّه في [آل عمران: ١٤٦].

قوله تعالى: ﴿ مِنَا صَبَرُوا ﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعة الله تعالى. والثاني: على أذى فرعون.

قوله تعالى: ﴿وَرَمَّرَنَا﴾ أي: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَهُ فِرْعَوْثُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات والمزارع. والدمار: الهلاك.

﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُوكَ ﴾ أي: يبنون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: فيعرِشون، بكسر الراء هاهنا وفي [النحل: ٢٦]. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما. وقرأ ابن أبي عبلة: فيُعرَّشون، بالتشديد. قال الزجاج: يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ: إِذَا بني.

قوله تعالى: ﴿يَعْكُنُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عُمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب: ﴿يَعْكُفُونُ بضم الكاف. قال الكاف. وقرأ ابن أبي عبلة: بضم الياء وتشديد الكاف. قال الزجاج: ومعنى ﴿يَعَكُنُونَ عَلَى اَصْنَارِ لَهُمَّ ﴾: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكُفُ. قال قتادة؛ كان أولئك القوم نزولاً بالرقة، وكانوا من لخم. وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر، وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات.

﴿ وَإِذْ مَتُوالَةً مُتَابُّ مَا مُمْ يِهِ وَيَعْلِلُ مَا كَانُوا بَسْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَكُؤُكُمْ مُتَذِّرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ قال ابن قتيبة: مُهلَك. والتبار: الهلاك.

﴿ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهُ ا﴾ أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: العالمون هاهنا: عالموا زمانهم.

﴿ إِذْ أَنْجَيْنَكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْتَ يَسُومُونَكُمْ شُوَّهَ الْعَذَالِ يُقَلِلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحَبُّونَ لِسَاءَكُمُ وَفِ ذَالِكُم كَلَمَ فِن وَيَحْمُمُ عَظِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنِيَّنَكُمُ ﴾ قرأ ابن عامر: ﴿ وإِذْ أَنجاكم * على لفظ الغائب المفرد.

﴿ وَوَعَدَنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَبُلَةً وَأَنْسَنَهَا بِمَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيُلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰدُونَ ٱخْلَنْنِي فِ فَرَىٰى وَأَشْلِحْ وَلَا تَنَبِّعْ سَكِيلَ ٱلمُنْسِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَنَا مُومَىٰ كَانِيْكَ لِيَلاً ﴾ المعنى: وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة. قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشراً، فكانت فتنتهم في ذلك العشر. فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وربح فمه ربح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إليَّ من ربح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يُحدث حتى هبط منه. فإن قيل: ما معنى: ﴿فَتَمَّ مِيتَنتُ رَبِّيهِ أَتَبِيبِكَ لِتَلَهُ ﴾ وقد عُلم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟. فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليالي، لا ساعات. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر. وقد بينا في سورة [البترة: ١٥] لماذا كان هذا الوعد.

- قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلِحْ ﴾ قال ابن عباس: مُرهُم بالإصلاح. وقال مقاتل: ارفق.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيغَلِينَا وَكُلَمَمُ رَبُّمُ قَالَ رَبِّ أَرِنِهِ أَنْظُرْ إِلَيْكُ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَئِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ أَلَنَ مَكَانَمُ مَكَانَمُ مَكَانَمُ مَكُمَّ مُكَانَمُ مَنَى صَمِعًا فَلَنّا أَفَاقَ قَالَ مُبْحَدَنَكُ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ فَا لَا مُنْكِرِينَ ثَلْكُمْ وَمُنَى صَمِعًا فَلَنّا أَفَاقَ قَالَ مُبْحَدَنَكُ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ فَا لَا لَا مُنْفَاقِعُ وَمُكَلِّمِي نَخُذُ مَا ءَانَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّيْكِرِينَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُومَىٰ لِيهَلَئِنَا﴾ قال الزجاج، أي: للوقت الذي وقَّتنا له. ﴿وَكَلَّمَمُ رَبُّمُ﴾ أسمعه كلامه، ولم يكن فيما بينه وبين الله ﷺ فيما سمع أحد. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِفِ أَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أي: أرني نفسك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنَ تَرَنِيٰ﴾ تعلق بهذا نُفاة الرؤية وقالوا: ﴿لنَ لَنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿وَلَنَ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا فَدَّمَتَ أَيْدِيهِمُ ﴾ اللبقرة: ١٩٥ ثم أخبر عنهم بتمنِّيه في النار بقوله: ﴿وَيَمَالِكُ لِيَقْنِى مَلَيْنَا رَيُّكُ ﴾ [الزخرف: ١٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: ﴿أرني ﴾ ولم يُرد ؛ أرني في الآخرة ، وإنما أراد في الدنيا ، فأجيب عما سأل . وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك . وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية ، لأن موسى مع علمه بالله تعالى ، سألها ، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها ، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك ، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص ، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية ، ولو استحالت عليه لقال : ﴿ الله أرى ، ألا ترى أن نوحاً لما قال : ﴿ إِنَّه آلِنَى مِنْ آهَلِ ﴾ [مود: ٤١] . ومما يدل على جواز الرؤية أنه علَّقها باستقرار من الجبل ، وذلك جائز غير مستحيل ، فدل على أنها جائزة ، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علَّقه بمستحيل نقال : ﴿ عَمْ مَلِي سَرِّ لَيْهَا فِي الْمَارِ الْإمران ؛ ٤١] .

قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ﴾ أي ثبت ولم يتضعضع.

قوله تعالى: ﴿ فَلْكًا بَمُنَّ رَبُّمُ ﴾ قال الزجاج: ظهر، وبان. ﴿ جَمَلَمُ دَكّا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ وَمَكَا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ وَمَكَا ﴾ هاهنا منوّنة مقصورة، وفي الكهف: ١٩٨]. وقرأ عاصم: قدكاً هاهنا منوّنة في الموضعين، قال الكهف: ١٩٨]: قدكاء ممدودة غير منونة في الموضعين، قال أبو عبيدة: قبعله دكاً أي: مندكاً ، والدَّك: المستوي؛ والمعنى: مستوياً مع وجه الأض، يقال: ناقة دكّاء، أي: ذاهبة السنام مستوطهرها. قال ابن قتيبة: كأن سنامها دُكّ ، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككتُ: دققتُ، فأبدلت القاف كافاً لتقارب المخرجين. وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿ جَمَلَمُ دَكّا ﴾: ساخ الجبل. قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلّى لها، وتواضع زبير فتجلى له.

قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَمِقاً﴾ فيه قولان: أحدهما: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: ميتاً، قاله قتادة، ومقاتل، والأول أصح، لقوله: ﴿فَلَمَاۤ أَفَاتَ﴾ وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقى في غشيته يوماً وليلة.

قوله تعالى: ﴿شَبْحَنَكَ بُتُتُ إِلَيْكَ ﴾ فيما تاب منه ثلاثة أقوال: أحدها: سؤاله الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد. والشاني: من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ النَّهُ مِينِكَ ﴾ قولان: أحدهما: أنك لن تُرى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ اَصْلَنَتْنُكَ ﴾ فتح ياء ﴿إِني ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ ابن كثير، ونافع: ﴿برسالتي ۗ. قال الزجاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿ بِرِسَلَتِي وَبِكَلْنِي ﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

﴿وَكَتَبَنَا لَمْ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِ ثَنْءُ مَّوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِ ثَنْءٍ فَخُذَمًا بِمُوَّةٍ وَأَمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُو دَارَ الْفَسِفِينَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَنَبْنَا لَمُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِ شَيْءٍ﴾ في ماهية الألواح سبعة أقوال: أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس. والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير. والثالث: زمرُد أخضر، قاله مجاهد. والرابع: بَرَد، قاله أبو العالية. والمخامس: خشب، قاله الحسن. والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه. والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لوحان، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحاً، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنّا لِلْكُومِمُ شَهِدِكِ﴾ [الانبياء: ٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله: ﴿وَنَدُ صَنَتُ قُلُوبُكُما ﴾ [التحريم: ١٤]. والثاني: عشرة، قاله وهب. والرابع: تسعة، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَنِ كُلِّ ثَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: من كل شيء يُحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره. والثاني: من الحِكم والعِبَر.

قوله تعالى: ﴿مُوْعِظَةٌ ﴾ أي: نهياً عن الجهل. ﴿وَتَغْصِيلًا ﴾ أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام. قوله تعالى: ﴿ نَخُذُما بِهُوَ تِهِ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بجدٍّ وحزم، قاله ابن عباس. والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: بشكر، قاله جويبر.

أي: عزيزة طويلة. وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى: يأخذوا بها. والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال: أحدها: أنهم أمروا فيها بالخير ونُهوا عن الشر، فَفِعْلُ الخير هو الأحسن. والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأيروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الرجاج. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالقبح وهو المعصية. والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح. والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق. والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله تعالى: ﴿ سَأَوْرِكُو دَارَ اَلْفَنْسِقِينَ ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأريكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

﴿ سَامُسُوفُ عَنْ ءَائِنِيَ الَّذِينَ بَتَكَبَّرُوكَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوَّا كُلَّ ءَائِةٍ لَا يُؤْمِـنُوا بِهَا وَإِن بَرَوَا سَيِيلَ النَّشِيدِ لَا يَتَخْفُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَكَنَوْ سَبِيلَ اللّهِنِ يَتَخِفُّوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنْهُمْ كُذَبُوا بِعَائِشِكَ وَكَاثُوا عَنْهَا غَنْفِينَ ۖ ۞ وَالَّذِينَ كُذُبُوا بِعَائِشِكَ وَلِقَكَآءِ الْآخِخَرَةِ خَبِطَتْ أَعْمَدُلُهُمْ هُلَ يُجْرَوْنَ إِلّا مَا كَانُوا بَعْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَأَسْرِفُ عَنْ ءَايَتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات. والثاني: أنها عامة، وهو أصح. وفي الآيات قون: أحدهما: أنها آيات الكتب المتلوَّة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أمنعُهم فهمها. والثاني: أمنعهم من الإيمان بها. والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال. والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكر والاعتبار بما خلقتُ. وفي معنى يتكبَّرون قولان: أحدهما: يتكبَّرون عن الإيمان واتباع الرسول. والثاني: يحقِّرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوا سَيِيلَ ٱلرُّشُدِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرشد» بضم الراء خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائى: «سبيل الرَّشَد» بفتح الراء والشين مثقلة.

قوله تعالى: ﴿ ذَاكِ بِأَنَّهُمْ ﴾ قال الزجاج: فعل الله بهم ذلك بأنهم ﴿ كَذَبُوا بِتَابَـٰنَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَنْفِابِكَ ﴾ ، أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين. ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَهْدِهِ مِنْ كُلِتِهِـدْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُواَزُّ الَّذَ يَرَوَا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَكِيلًا أَغَىٰذُوهُ وَكَانُواْ طَلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَهْدِدِ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات. ﴿مِنْ مُلِيِّهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «من حُليَّهم» بضم الحاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «حِليَّهم» بكسر الحاء. وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. والحُليِّ: جمع حَلْي، مثل ثَدْي وثُدِيِّ، وهو اسم لما يُتحسَّن به من

الذهب والفضة. قال الزجاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام. والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط. قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس. فأما الخُوار، فهو صوت البقرة، يقال: خَارَتْ البقرة تَخُورُ، وَجَأَرَتْ تَجْأَرُ؟ وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَغَا البعير وجَرْجَرَ وهَدَرَ وقَبْقَب، وصَهَل الفرس وحَمْحَم، وشَهَقَ الحمار ونَهَقَ، وشَحَجَ البغل، وتُغَتْ الشاة ويَعَرَتْ، وثَأَجَت النَّعْجَة، وبَغَمَ (() الظبي ونَزَب (۲)، وزَأَرَ الأسدُ ونَهتَ ونَأَتَ، ووَعْرَعَ الذئب، ونَهم الفِيلُ، وزَقح (() القردُ، وَضبَحَ النَّعْلَبُ، وَعَوى الكَلْبُ وَنَبَحَ، ومَاءتِ السُّنور، وصَأَت الفارة، ونَغَق الغُرابُ معجمة الغين، وزقا الدِّيك وسَقَعَ، وصَفَرَ النسرُ، وَهَدَرَ الحمام وَهَدَل، ونَهَ رواية الشَّفَادِع ونقَت، وعَزَفَتِ الجِنُّ. قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يُتبعها مثلها، وبهذا قال وهب، ومقاتل. وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الربح فيه؛ وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوار» بجيم مرفوعة. الربح فيه؛ وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوار» بجيم مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿أَلَدْ يَرَوْا أَنَهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ أَي: لا يستطيع كلامهم. ﴿وَلَا يَهْدِيمُ سَكِيدًا ﴾ أي: لا يبيِّن لهم طريقاً إلى حجة. ﴿التَّكُوهُ ﴾ يعني اتخذوه إِلَهاً. ﴿وَكَانُوا طَلْمِينِ﴾ قال ابن عباس: مشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا شُفِطَ فِتَ آيدِيهِمْ﴾ أي: ندموا، قال الزجاج: يقال للرجل النادم على ما فعل، المتحسر على ما فرط: قد سُقط في يده، وأسقط في يده، وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَا بفتح السين، قال الزجاج: والمعنى: ولما سَقَط الندمُ في أيديهم، يشبّه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين، قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعدرجوع موسى.

قوله تعالى: ﴿لَهِنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: (يرحمْنا ربُنا) (ويغفرُ لنا) بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائى: (ترحمنا) (وتغفر لنا) بالناء، (ربنا) بالنصب.

قوله تعالى: ﴿غَفَيْبَنَ آمِفًا﴾ في الأمِيفِ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي، والثاني: الجزع، قاله مجاهد. والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وقال أبو الدرداء: الأسَف: منزلة وراء الغضب أشد منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿ بِسَمَا خَلَتْتُونِ مِنْ بَعْدِئَ ﴾ فتح ياء "بعديّ أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بئس ما عملتم بعد فراقي من عبادة العجل. ﴿أَعَمِلْتُمْ أَثَرُ رَبِّكُمْ ﴾ قال الفراء: يقال: عَجِلْتُ الأمر والشيء: سبقتُه، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثثته، قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له؟! قال الحسن: يعنى وَغَدَ الأربعين ليلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحُ﴾ التي فيها التوراة. وفي سبب إلقائه إياها قولان: أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فألقاها، قاله قتادة، وفيه بُعد. قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفع منها ستة أسباع، وبقي سُبع.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَدَ بِرَأْسِ آخِيهِ﴾ في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال: أحدها: لحيته وذؤابته. والثاني: شعر رأسه. والثالث: أذنه. وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمُقامه بينهم وتركِ اللحوق به، وتعريفهِ ما أحدثوا بعده

ليرجع إليهم فيتلافاهم ويردهم إلى الحق، وذلك قوله: ﴿ قَالَ يَهَنُّونُ مَا مَنَمَكَ إِذْ نَلِّينَهُمْ ضَلُونًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكُ اللَّهِ اللَّهُ اللّلْلُهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّالَّةُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿ إِنَّنَ أُمَّ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿ قَالَ الْبِن أُمَّ ﴾ نصباً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤]. قال الزجاج: من فتح الميم، فلكثرة استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً ، ومن العرب من يقول: ﴿ يَا ابن أَمِ ﴾ بإثبات الياء. قال الشاعر:

يَا ابْنَ أُمِّي وِيَا شُعَّيِّقَ نَفْسِي أَنتَ خَلَّفْتَنِي لِنه مِيلِ شَدِيلٍ (١)

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: (يا ابن أم) أمًّا، ويحذف الألف، ومن كسر: (ابن أمي) فيحذف الياء. فإن قيل: لم قال: (يا ابن أمًّا ولم يقل: (يا ابن أب)؟ فالجواب أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له ذلك ليرفّقه عليه. قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد. وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاه الثعلمي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل ﴿أَسْتَعْمَعُونِ﴾ أي: استذلوني. ﴿فَلَا شُنْمِتَ بِي اَلْأَعْدَاءَ﴾ قرأ عبد الله بن عباس، ومالك بن دينار، وابن عاصم: ﴿فلا تَشْمَتُ، بتاء مفتوحة مع فتح الميم، ﴿الأعداءُ بالرفع، وقرأ أبو الجوزاء، وابن وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: ﴿فلا تَشْمِتُ بفتح التاء وكسر الميم، ﴿الأعداء النصب، وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبلة مثل ذلك، إلا أنهما رفعا ﴿الأعداء ويعني بالأعداء: عبدة العجل. ﴿وَلا جُمَّمَانِي ﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مَعَ التَوْمِ النَّلِينِ ﴾ وهم عبدة العجل. فلما تبين له عُذْرٌ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ اعْفِرْ لِي ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذِلَةٌ فِي الْمَيْوَةِ الدُّنِيَأَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: ما أمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزجاج. فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك تُتلوا ولم يؤدُّوا جزية. قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتولِّيهم متخذي العجل ورضاهم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَالِكَ بَمْنِى الْمُغْتَرِينَ﴾ قال ابن عباس: كذلك أُعاقب من اتخذ إِلَها دوني. وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلَّة، وقرأ هذه الآية. وقال سفيان بن عيبنة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى. قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله: ﴿إِنَّ النِّينَ الْمُخْذُوا الْمِبْلَ مَيَالُمُمْ عَصَبُ يِن رَبِّهِمْ وَذِلَةٌ فِي المُيْوَةِ الدُّيْلُ ﴾ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها. ﴿وَكَذَالِكَ بَمْنِي المُمُنْتِينَ ﴾ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة.

﴿ وَالَّذِينَ عَبِلُوا ۚ السَّيِّئَاتِ ثُكَّ تَابُوا مِنْ بَسْدِهَا وَمُامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَسْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِبتُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَبِلُوا السَّيِّعَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشرك. والثاني: الشرك وغيره من الذنوب. ﴿ثُمَّةُ عَلَىهُ اللهُ عَنِي السيئات. وفي قوله: ﴿وَمَامَثُوّا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله، وهو يُخرَّج على قول من قال: هي الشرك. والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يعني السيئات.

﴿ وَلَنَّا سَكَتَ عَن تُمومَى الْمَعْسَبُ آخَذَ الْأَلْوَاحُّ وَفِ نُسْخَتِهَا هُدَى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْعَبُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَّا سَكَتَ عَن مُّومَى ٱلْغَضَبُ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران ﴿سَكَّتُ بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضبُ» بالنصب. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري ﴿سُكُتُ» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرها. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة ﴿سَكَنَ» بنون. قال الزجاج: ﴿سكت بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكْتاً: إذا سكن، وسكت يسكت سكّتاً وسكوتاً: إذا قطع الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن

يــــا ابــــن خـــنـــــــــاء شِــــقَ نـــفــــــــــيَ يــــا ورواية المصنف، هي رواية النحاة جميعاً في كتبهم في ^وباب النداء». وقوله: «شقيق» تصغير شقيق، وهو الأخ.

⁽١) البيت في «الطبري» ١٢٩/١٣، و «أمالي اليزيدي» ٩، وهجمهرة أشعار العرب» ٢٦٢، و«اللسان»: شقق، وهو لأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي من قصيدة يرثي ابن أخته اللجلاج، ويقال: يرثي أخاه اللجلاج، ويروي البيت: بسا اسن خسنسساء شبق نسفسسة يسا

الغضب، على القلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي. والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول هو قول أهل العربية.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلُواَحِ ﴾ يعني التي كان ألقاها. وفي قوله: ﴿وَفِي نُتَخَتِهَا﴾ قولان: أحدهما: وفيما بقي منها؛ قاله ابن عباس. والثاني: وفيما نُسخ فيها؛ قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّمُ يَرَمُبُونَ ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

﴿وَاغْنَارَ مُوسَىٰ فَوْمَمُ سَبْعِينَ رَجُلا لِلِيعَنِينَاۚ فَلَنَآ أَخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِ لَوْ شِنْتَ أَهْلَكُنَهُد مِن قَبَلُ وَإِنِّنَّ أَنْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشَّفَهَاكُ بِنَّاۤ إِنْ هِيَ إِلَّا يِفْنَنَكُ ثَضِلُ بِهَا مَن تَشَاهُ وَتَهْدِف مَن ثَنَاتُهُ أَنتَ وَلِثَا قَاغِيرٍ لَا وَارْتَمَنَّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَنوِينَ ﴿ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَمُ المعنى: احتار من قومه، فحُذْف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم، وأنشدوا:

مِنَّا الذي اختِيرَ السرِّجَالَ سَمَاحةً وجُروداً إذا هببَّ السرِّياحُ السزَّعازعُ(١)

هذا قول ابن قتيبة، والفراء، والزجاج. وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها: أنه الميقات الذي وَقّتُهُ الله لموسى ليأخذ التوراة، أمر أن يأتي معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البكاليُّ. والثاني: أنه ميقات وَقّتُهُ الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعو ربهم، فدعوًا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ميقات وَقّتُهُ الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبغين، ثم ارتقِ بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك؛ قاله وهب بن منبه. والرابع: أنه ميقات وَقّتُهُ الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فِعْل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربه إلا بإذن منه. فأما الرجفة فهي الحركة الشديدة. وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون؛ قاله لم ين أبي طالب. والثاني: اعتداؤهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنهم لم ين المنكر، ولم يزايلوهم. والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿ فَن نُؤُن لَكَ حَقّ مَن كُ عَل المنكر، ولم يزايلوهم. والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿ فَن نُؤَن لَكَ حَقّ مَن كُ

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِنْتَ أَهْلَكُنْهُم مِن قَبَلُ وَإِنِّنَ ﴾ قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم ﴿لَوْ شِنْتَ أَهْلَكُنْهُم مِن قَبَلُ وَإِنِّنَ ﴾ قال الزجاج: لو شئت أمتَهم قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة. وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

قوله تعالى: ﴿أَتَهِلَكُمَّا عِمَا فَمَلَ ٱلسُّفَهَاهُ مِنَا ۗ﴾ قال المبرّد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تُهلكُنا. وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد؛ لست تفعلُ ذلك. و السفهاء هاهنا: عبدة العجل. وقال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل. وإنما أهلكوا بقولهم: ﴿أَوْنَا اللهَ جَهْرَةُ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا يِنْنَنُكُ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله تعالى: ﴿ أَنَّ وَلِئًّا ﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

⁽۱) البيت للفرزدق، ديوانه؛ ٥١٦، و «النقائض؛ ٦٩٦، و«سيبويه» ١٨/١، و«الكامل؛ ٣٢/١، و«أمالي ابن الشجري؛ ١٨٦/١، و«الخزانة؛ ٣/٦٦٩، و«اللسان»: خير. وعنى بهذا البيت أباه غالباً، وهو أحد أجواد بني تعيم.

قوله تعالى: ﴿وَاكْتُهُ لَنا﴾ أي: حقق لنا وأوجب ﴿فِ هَنَذِهِ اللَّهَا حَسَنَةٌ ﴾ وهي الأعمال الصالحة ﴿وَفِى اَلْآخِرَةِ ﴾ المغفرة والجنة ﴿إِنَّا هُدَنا إِلْيَكُ ﴾ أي: تبنا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي. وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿الَّذِينَ هَادُوا ﴾ [البقرة: ٢٦] كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء. وقرأ أبو وجزة السعدي: ﴿إِنا هِدنا بكسر الهاء. قال ابن الأنباري: المعنى: لا نتغيّر؛ يقال: هاد يهود ويهيد.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ. مَنْ أَشَكَأَهُۗ﴾. وقرأ الحسن البصري، والأعمش، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب.

قُولُه تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتَ كُلَّ شَيَّوُ﴾ في هذا الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ فَسَأَكُنُّهُمْ لِلَّذِينَ يَنْتُونَ ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة؛ وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرُّ والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿ وَأَحْيِن كَمَّا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَّكَ ﴾ [القصص: ٧٧]. والشالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد. والرابع: أن الرحمة تَسَع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدُّر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري: قال الزجاح: وسعت كل شيء في الدنيا(١) ﴿ نَسَأَكُتُهُمَّا لِلَّذِينَ يَنَّقُونَ﴾ في الآخرة. قال المفسرون: معنى ففسأكتبها»: فسأوجبها. وفي الذين يتقون قولان: أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس. والثاني: للمعاصى، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوْةَ ﴾ قولان: أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور. والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، ذهبا إلى أنها العمل بما يزكّى النفس ويطهِّرها. وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت ﴿وَرَحْـمَتِي وَسِيعَتَ كُلُّ شَيَّءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكُنُّهُمَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُوكَ ٱلزَّكَوْةَ وَٱلَّذِينَ هُمْ يِئَايَئِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقالت اليهود: نحن نتَّقى، ونؤتى الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ النِّيَّ ٱلأُرْتِيَ﴾. وقال نَوفٌ: قال لله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم، والمرأة، والحر، والعبد، والصغير، والكبير. فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصليَ إلا في الكنائس والبِيَع، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرًا، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَحُنُّهُمْ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ إلى قوله: «المفلحون». وفي هؤلاء المذكورين في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوْةَ ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُغْلِحُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ، وتبعه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه لا يكتب. والثاني: لأنه من

قوله تعالى: ﴿ الَّذِى يَجِدُونَكُم مَكَّنُواًا عِندَهُمْ ﴾ أي: يجدون نعته ونبوَّته.

قوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَدُرُونِ ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون ايجدونه مكتوباً عندهما

⁽١) روى مسلم في (صحيحه؛ ٢١٠٨/٤ عن أبي هريرة ﷺ تال: ﴿إِنَّ لللهُ مَائَةَ رحمة، أنزل مِنْها رحمةَ واحلةَ بينَ الجِن والإنس، والبهائم والهوامُ، فبها يتماطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحشُ على وَلَفِها، وأخْرَ اللهُ تِسماً وتسعين رحمة، يرحم بها عباد، يوم القيامة».

أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام. وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك. وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته. وفي الطيبات أربعة أقوال: أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يُحل لهم الحلال. والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه. والثالث: أنها الشُّحوم المحرَّمة على بني إسرائيل. والرابع: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي الخبائث ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرام، والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات. والثالث: ما كانوا يستحرُّونه من الميتة، والدم، ولحم الخزير.

قوله تعالى: ﴿وَيَعَنَعُ عَنْهُم ۚ إِمَرَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي "إصرهم». وقرأ ابن عامر «آصارهم» ممدودة الألف على الجمع. وفي هذا الإصر قولان: أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، وأكل الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفارته أن تنزع عينيك، فنيْزعُهما.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتَ عَلَيْهِدُّ﴾ قال الزجاح: ذِكر الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأغلال: أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يُقْرِضُوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِيكَ مَامَثُوا بِهِ ﴾ يعني بمحمد ﷺ ﴿ وَعَزَرُوهُ ﴾ وروى أبان "وعَزَروه ، بتخفيف الزاي. وفي المعنى قولان: أحدهما: نصروه وأعانوه، قاله مقاتل. والثاني: عظَّموه، قاله ابن قتيبة. والنور الذي أنزل معه: القرآن سماه نوراً ، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون. وفي قوله «معه» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «عليه». والثاني: بمعنى أنزل في زمانه. قال قتادة: أما نصره، فقد سُبقتم إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْمِثُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ﴾ في الكلمات قولان: أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كلماته: آياته. والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

﴿ وَمِن قَوْدِ مُوسَىٰ أَمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِيِّ وَبِهِ. يَعْدِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْرِ مُوسَىٰ أَمُدُّ يَهَدُونَ لِلَّهِ فَي قولان: أحدهما: يدعون إلى الحق. والثاني: يعملون به.

قوله تعالى: ﴿وَبِهِ، يَدْلُونَ﴾ قال الزجاج: وبالحق يحكمون. وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم مَن آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَتَطَّمَنَهُمُ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرَّقناهم: ﴿أَتُنَقَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر ولداً، فولد كل واحد منهم سبطاً. قال الفراء: وإنما قال «اثنتي عشرة» والسبط ذكّر، لأن بعده «أُمماً» فذهب بالتأنيث إلى الأمم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزاً. وقال الزجاج: المعنى: وقطّعناهم اثنتي عشرة فرقة، «أسباطاً» نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرَّقناهم أسباطاً، فيكون «أسباطاً» بدلاً من «اثنتي عشرة»

و «أمماً» من نعت أسباط. والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليُفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق. وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، واحدهم: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟

قوله تعالى: ﴿ فَالْبَحَسَتُ مِنْهُ ﴾ قال ابن قتيبة: انفجرت؛ يقال: تبجَّس الماء، كما يقال: تفجَّر؛ والقصة مذكورة في سورة [البقرة: ٥٨ ـ ١٦].

قوله تعالى: ﴿ لَمُنِزُ لَكُمْ خَلَيْتَكُمْ ۗ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: انغفر لكم خطيئاتكم، بالتاء مهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمرو ﴿ لَمُنِزَ لَكُمْ خَلَيْتَكُمْ ﴾ مثل: قضاياكم، ولا تاء فيها. وقرأ نافع اتُغفَر، بالتاء مضمومة اخطيئاتُكم، بالهمز وضم التاء، على الجمع، وافقه ابن عامر في اتُغفَر، بالتاء المضمومة، لكنه قرأ الخطيئتُكم، على التوحيد.

﴿ وَسْتَلَهُمْ مَنِ ٱلْفَرْكِةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلبَحْرِ إِذْ يَمْدُونَ فِي ٱلسَّبَتِ إِذْ يَـأَنِيهِـدْ حِيتَانُهُمْ بَوْمَ سَكَنِيهِمْ شُـزَعًــاً وَيَوْمَ لَا يَسْهِتُونَ لَا تَأْنِيهِـدُّ كَذَلِكَ نَبُلُوهُم بِمَا كَافُوا بَنْسُتُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَيَلُهُم ﴾ يعني أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرِّرهم على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يُعلم إلا بوحي، وفي القرية خمسة أقوال: أحدها: أنها أيلة، رواه مُرة عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها مَدْيَن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة. والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري. والمخامس: أنها قرية يقال لها: مقنا، بين مدين وعينونا، قال له ابن زيد. ومعنى: ﴿عَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه. ﴿إِذْ يَمْدُونَ ﴾ قال الزجاج: أي: يَظلمون، يقال: عدا فلان يعدو عُدُواناً وعَداءً وعَدُواً وعُدُواً: إِذا ظلم، وموضع أَإِذَ يَشَدُونَ ﴾ والمعنى: سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتيان. ﴿شُرَعًا ﴾ أي: ظاهرة. ﴿كَذَلِكَ بَنُوهُم ﴾ نصب أيضاً بـ فيعدُونَ والمعنى: سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتيان. ﴿شُرَعًا ﴾ أي: ظاهرة. ﴿كَذَلِكَ بَنُوهُم ﴾ أي: لا تأتيهم شُرَّعاً ويكون: ﴿بَلُوهُم ﴾ مستأنفاً. وقرأ الحسن، والأعمش، وأبان، والمفضل عن كذلك، أي: لا تأتيهم الياء.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أَمَّةً يَنْهُمْ لِمَ يَعِظُونَ نَوْتًا اللهُ مُمْلِكُهُمْ أَوْ مُمَلِّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَالْوَا مَمْلِرَةً إِلَى رَبِّحُو وَلَسْلَهُمْ يَنْغُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتُ أَنَّةً يِنَهُمُ ﴾ قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق؛ فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الناهية: ﴿ لِمَ تَمِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهَلِكُهُمُ ﴾ لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: ﴿ مَعْلِرَةً إِلَى رَبِّكُو ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «معذرة» رفعاً، أي: موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله. وقرأ حفص عن عاصم: «معذرة» نصباً، وذلك على معنى نعتذر معذرة. ﴿ وَلَمَلَهُمْ يَنَفُونَ ﴾ أي: وجائز أن يتغموا بالموعظة فيتركوا المعصية.

﴿ وَلَمَنَا نَسُوا مَا ذُكِئِرُوا بِهِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهُوْنَ عَنِ الشَّوْةِ وَأَخَذَنَا الَّذِينَ طَلَمُوا بِمَدَابٍ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ مَلَا عَنَوا عَنَ الْمُؤَا مَنَهُ مُنَا اللَّهِ مَن اللَّهُ عَنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّا الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّه

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِـ﴾ يعني: تركوا ما وُعظوا به ﴿أَنَمَيْنَا ٱلَّذِينَ يَتَهَوَنَ عَنِ ٱلشُّوَيَ﴾ وهم الناهون عن المنكر. والذين ظلموا هم المعتدون في السبت.

قوله تعالى: ﴿ بِمَدَابٍ يَكِيبِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي؛ "بئيس، على وزن فعيل، فالهمزة بين الباء والياء. وقرأ نافع: "بيس، بكسر الباء من غير همز. وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز. وروى خارجة عن نافع: "بيّس، بفتح الباء من غير همز، على وزن "فَعْلِ». وروى أبو بكر عن عاصم: "بَيّاس، على وزن "فَيْعَلِ». وقرأ

ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيْآسِ» على وزن «فَيْعالِ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومعاذ القارئ: «بَيْسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «نَوسٍ». وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيْسٍ» بتشديد الباء مثل «قيّم». وقرأ أبو العالمية، وأبو مجلز: «بَيْسَ» بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعِلَ». وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائسٍ» بألف ومَدّة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فاعِلٍ». قال أبو عبيدة: البئيس: الشديد، وأنشد:

حَــنَــقــاً عَــلــيَّ ومــا تَــرَى لــي فِــيــهــمُ أثــراً بَــثــيــسَــا(١)

وقال الزجاج: يقال: بَئس يبأس بأساً. والعاتي: الشديد الدخوّل في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة. وقال ابن جرير: «فلما عتوا» أي: تمردوا فيما نُهوا عنه؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ٢٥] قصة مسخهم. وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله تمن دماء قوم مسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّكَ رَبُّكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها:أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة، وقال: هو من آذنتك بالأمر. وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى آذن؛ كما يقال: تعلَّمْ أن فلاناً قائم، أي: اعلم. وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل. والثاني: حتم، قاله عطاء. والثالث: وعد، قاله قطرب. والرابع: تألّى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ لِبُهُنَنَ عَلَيْهِم ﴾ أي: على اليهود، وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم، ﴿ مَن يَسُومُهُم الله على اليهود والنصارى بمعاصيهم، ﴿ مَن يَسُومُهُم الله على الله على المبعوث عليهم قولان: أحدهما: أنه محمد على وأمته، قاله ابن عباس، والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: ولم يجب الخراج نبي قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك إلى النبي على وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم، وفي سوء العذاب أربعة أقوال: أحدها: أخذ الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والمرابع: أنه القتال حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية.

﴿ وَقَطَّمْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَسَمُا مِنْهُمُ الصَّلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكُ وَبَلَوْنَهُم بِالْمُسَنَتِ وَالسَّيَعَاتِ لَمَلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ ﴾ قَدالُهُ وَالرَّامِ عَلِيهُمْ وَأَنْ فَالْ إِن عِلْمِ وَ اللهُ وَ اللهِ وَ اللهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ و

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّفَنَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ أَسَمًا ﴾ قال أبو عبيدة: فرَّقناهم فِرقاً. قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل، وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم، ﴿ مِنْهُمُ الصَّلِحُونَ ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ. ﴿ وَينْهُمْ دُونَ ذَلِكُ ﴾ وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يُبعث عيسى، وقبل اوتدادهم.

قوله تعالى: ﴿وَبَكَوْنَهُم﴾ أي: اختبرناهم ﴿ بِلَمْسَنَتِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية، ﴿ وَالسَّيِتَاتِ﴾ وهي الجدب، والشر، والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحث على الطاعة، أما النعم فلطلب الازدياد منها، وخوف زوالها، والنقمُ فلكشفها، والسلامة منها، ﴿وَلَمَلَهُمْ يَرْجِعُونَ أي: لكي يتوبوا.

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَقَدِهِمَ خَلَفُّ وَرِثُوا ٱلكِتَبَ يَأْخُدُونَ عَرَضَ هَذَا ٱلأَدَّنَ وَيَقُولُونَ سَيُغَفُرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمَ عَرَضٌ يَثْلُمُ يَأْخُدُوهُ أَلَّا يُؤْخَذُ عَلَيْهِم مِيثَنَى ٱلكِتَنِ أَنَ لَا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيدً وَالذَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلّذِينَ يَنْقُونُّ أَفَلَا تَمْقِلُونَ ۖ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَنَلَفَ مِنْ بَدَهِمْ ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم. ﴿ خَلَفٌ ﴾ وقرأ الجوني، والجحدري: ﴿ خَلَفٌ ا بفتح اللام. قال أبو عبيدة: الخَلْفُ والخَلْفُ واحد؛ وقوم يجعلون المحرَّك اللام، للصالح، والمسكَّن، لغير الصالح. وقال ابن قتيبة: الخَلْفُ: الرديء من الناس ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول. وقال ابن الأنباري: أكثر ما تستعمل العرب الخَلْف، بإسكان اللام، في الرديء المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح. وقد يوقع الخَلْفُ على

⁽١) البيت لذي الأصبع العَدْواني، وهو في «الأغاني» ٣/ ١٠٢، ٣٠٣، وهمجاز القرآن؛ لأبي عبيدة ١/ ٢٣١، و«الطبري، ٢٠١/١٣.

الممدوح، والخلّف على المذموم؛ غير أن المختار ما ذكرناه. وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الهمدود، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: النصارى. والثالث: أن الخَلْف من أُمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد. فإن قيل: المخَلْف واحد، فكيف قال: «يأخذون» وكذلك قال في [مريم: ٥٥] «أضاعوا»؟ فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين: أحدهما: أن الخَلْف: جمع خالف، كما أن المركب: جمع راكب، والشَّرْب: جمع شارب. والثاني: أن الخَلْف مصدر يكون للاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿وَرِنُّوا الْكِنْبَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة، والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.

قوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُونَ عَهَ مَا الْأَذَنَ ﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها. وقيل: سماه عرضاً، لقلة بقائه. قال ابن عباس: يأخُذُون ما أحبوا من حلال أو حرام. وقيل: هو الرَّشوة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان: أحدهما: أنه من الدنوِّ. والثاني: أنه من الدناءة.

قوله تعالى: ﴿ سَيُغَفِّرُ لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إِنَا لا نؤاخَذ، تمنّياً على الله الباطلَ. والثاني: أنه ذُنْب يغفره الله لنا، تأميلاً لرحمة الله تعالى. وفي قوله: ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَشٌ يَغْلُمُ يَأْخُلُوهُ ۖ قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن. والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَلَدُ يُوْعَذُ عَلَيْهِم يِّيثَنُّ الْكِتَنْبِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: وكّد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار.

قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيدِّ﴾ معطوف على «ورثوا». ومعنى «درسوا ما فيه»: قرؤوه، فكأنه قال: خالفوا على علم. ﴿وَاَلدَّادُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي: ما فيها من الشواب ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونُ أَفَلَا تَمْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ إبن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون: بالياء.

﴿وَالَّذِينَ يُمْتِيكُونَ وَالْكِنَبِ وَأَمَّامُوا الصَّلَوْءَ إِنَّا لَا نُضِيعُ لَبَرُ الْمُسْلِمِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكُونَ إِلْكِنْكِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي وحفص عن عاصم ويمسّكون مشددة، وقرؤوا ﴿ وَلا تُشِكُوا بِمِسَمِ الْكَافِر ﴾ مخففة المستخة: ١٠] وقرأهما أبو عمرو بالتشديد. وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما. ويقال: مسّكتُ بالشيء، وتمسكت به، واستمسكت به، وامتسكت به. وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يُحرِّفوه، منهم [عبدالله] بن سلام وأصحابه. قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: ﴿ إِنا وما بعده، وله ضمير مقدر بعد المصلحين تأويله: والذين يمسّكون الكتاب إنّا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وعَدَهُم حفظ الأجر بشرط، إذ كان منهم من لم يصلح. قال: وقلا بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسّكون بالكتاب، وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايتهم بالمصلحين، كما يقال: عليّ لقيتُ الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراد: لقيتُهُ ورويتُ عنه. قال الشاعر:

وأنْتَ اللَّذِي في رَحْمِةِ اللهُ أَظْمَعُ (١)

فيا رَبُّ لَيلى أنْتَ في كُلِّ مُوطِنٍ

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

﴿ وَإِذْ نَنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ طُلَّةٌ وَطُنُّوا أَنَّهُ وَلِقَمُّ بِهِمْ خُدُوا مَا ءَاتَيْنَكُمْ بِثُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَمَلَكُمْ لِنَقُونَ ﴿ وَلَهُ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّلْمُ اللَّاللَّا اللَّلْمُ الللَّهُ الللَّاللَّ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا ال

الأرض، ورفع فوقهم كالظُلَّة، فقيل لهم: لتؤمنُنَّ أو ليقعنُّ عليكم. وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرُفع فوقهم، فقال: لتأخُذُنَّ أمري، أو لأرمينكم به.

⁽١) البيت غير منسوب في المغني اللبيب، ٢١٠.

قوله تعالى: ﴿ وَطَنْتُوا أَنْهُ وَاقِعُ بِهِمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الظن المعروف. والثاني: أنه بمعنى اليقين. وباقي الآية مفسر في سورة اللقرة: ١٣].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى ٱلشِّيمِ ٱلسَّتُ مِرْتِكُمٌ قَالُوا بَنْيَ شَهِدْنَا ۚ أَكَ تَعُولُوا فِيمَ ٱلْقِينَدَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَنِيلِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان» ـ ونعمان قريب من عرفة ـ ذكره ابن قتيبة (فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كاللّه، ثم كلمهم قبلاً، وقال: ﴿ أَلَسَتُ بِرَيِكُمُ قَالُوا بَلُنُ شَهِدَنَا أَن تَتُولُوا فِيمَ الْقِينَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَذَا غَنْفِينَ ﴾ (١) ومعنى الآية: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم. فقوله: «من ظهورهم» بدل من «بني آدم». وقيل: إنما قال: «من ظهورهم» ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهره وقوله تعالى: ﴿ وَدُرْرَتُهُم ﴾ على التوحيد. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر وذُرِّيَّاتِهِم ﴾ على الجمع. قال أبو علي: اللرِّية تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله: ﴿ وَالشّهَدُمُ عَلَ النّهِم والناله: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَيْكُمْ ﴾ والمعنى: وقال لهم: ألست بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. قال السدي: قوله: «شهدنا» خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. ويحسن الوقف على قوله: «بلى» لأن كلام الذرية قد انقطع. وزعم الكلبي أن الذرية لما قالت «بلى» قال الله للملائكة: «اشهدوا» فقالوا: «شهدنا». وروى أبو العالية عن أبَيِّ بن كعب قال: جمعهم جميعاً، فجعلهم أزواجاً، ثم صوَّرهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿ أَلسَتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَنُ شَهِدَنا ﴾ أنك إلَهنا. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم ﴿ أَن تَقُولُوا بَيْمَ الْقِيْمَةِ إِنَّا كُنَا عَنْ هَذَا غَنْفِابِنَ ﴾ لم نعلم بهذا. وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيةً.

قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا ﴾ قرأ أبو عمرو «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما . قال أبو على: حجة أبي عمرو قوله: «وإذ أخذ ربك» وقوله؛ «قالوا بلى»، وحجة من قرأ بالتاء أنه قد جرى في الكلام خطاب «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا». ومعنى قوله: «يقولوا»: لئلا يقولوا، ومثله: ﴿أَن تَبِيدَ يِكُمُ ﴾ القمان: ١٠١٠ وفي قوله: ﴿إِنّا كُنّا ﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار. والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: هذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلّفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يُسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لمسان النبي ﷺ الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذّكر، فالاحتجاج به قائم.

﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّا آفَرُكَ مَا مَا أَوْنَا مِن قَبْلُ رَكَمًّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِيثُمْ أَنْتُلِيكُما بِمَا فَعَلَ ٱلْمُتَظِلُونَ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْ نَقُولُواْ إِنَمَا آمَرُكَ ءَابَآقُنَا مِن قَبْلُ وَكُنّا دُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ فَاتَّبعنا منهاجهم على جهلٍ منّا بالهيتك ﴿أَنْتَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ اللّهُ اللّهِ عنه عقولاً وأفهاماً عرفوا بها ما عرض واحد منهم. وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، وركّب فيهم عقولاً وأفهاماً عرفوا بها ما عرض

⁽۱) «المسندة ١٥١/٤» وهو في المجمع الزوائدة ٧/ ٢٥ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. ونقله ابن كثير في «التفسير» عن أحمد وقال: وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من اسنته عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به، ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم جمله موقوفاً. وأخرجه الحاكم في المستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم من كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية، ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه الموفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت.

عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفاً، ومعنى إشهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَهدِينَ عَلَى أَنفُسِهم بِاللَّمُونِ إلى التوبد: هم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولو: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ اللَّ عران: ١٩] أي: بيّن وأعلم. وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار(١٠).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنَصِّلُ الْآيَنَ وَلَمَّلُهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَالِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَنَتِ﴾ أي: وكما بينًا في أخذَ الميثاق الآيات، ليتدبَّرها العباد فيعملوا بموجبها. ﴿وَلَمَلَهُمْ يَرْجِعُوك﴾ أي: ولكي يرجعوا عمَّا هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

﴿ وَآتُلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي مَاتَيْنَهُ مَانِيْنِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتِّبَكُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمَاوِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَلُ عَلَيْهِم﴾ قال المزجاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إِذْ أَخذ ربك، ﴿وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيَّ ءَاتَيْنَهُ ءَايَنِنَا﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه رجل من بني إِسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: بلعم بن باعوراء. وروي عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي. وروى العولمي عن ابن عباس أن بلعماً من أهل اليمن. وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبَّارين. والثاني: أنه أميَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم، وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسِل رسولاً، ورجا أن يكون هو، فلما بُعث النبي ﷺ حسده وكفر. والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشِعبي عن ابن عباس قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشِّقاق، وروي عن ابن المسيب نحوه. والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبة نَبَّاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمُّنا كلبةَ نبَّاحةً يعيِّرنا الناس بها، فادع الله أن يردُّها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس، والذي روي لنا في هذا الحديث (وكانت سَمِجة) بكسر الميم، وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سمَّج: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِج؛ بكسرها. والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن. والسادس: أنه يجل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصاري والحنفاء، قاله عكرمة. وفي الآيات حمسة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: أنها كتاب من كتب الله 幾. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتى كتاباً فانسلخ منه. والثالث: أنه أوتي النَّبُوَّة، فَرَشاهُ قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه المجال. والرابع: أنها جُرجج التوحيد، وفهم أدلَّته. والخامس: أنها العلم بكتب الله على. والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى ﷺ غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفاراً، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من-أهل ديني، ولا ينبغي لي أن أدعوَ عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعو على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقفت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقَّد قد منعتني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدهوَ عليهم، وإما أن أصَلبك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة،

⁽١) انظر اتفسير ابن كثير؛ ٢/ ٢٦٤ في تفسير هذه الآية.

فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه يدعائه، فقال موسى: يا ربّ، بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم. فقال: يا رب، فكما سمعت دعاءه عليّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا اللّه أن ينزع منه الاسم الأعظم، فتُزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزيّنوا النساء ويرسلوهنّ في العسكر ليّفشو الزنا فيهم، فيُنصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرّعاً، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوتُ عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا. وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع، لاموسى.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: ﴿ فَأَتَبَعَهُ الشّيْطَانُ ﴾ قال ابن قثيبة: أدركه. يقال: اتَّبعتُ القوم: إِذَا لحقتَهم، وتبعتُهم: سرتُ في أثرهم، وقرأ طلحة بن مصرِّف: ﴿ فَاتَبعه ﴾ بالتشديد. وقال اليزيدي: أتْبعه واتَّبعه: لغتان. وكأن ﴿ أَتْبعه وَ خفيفة بمعنى: قفاه، و ﴿ اتَّبعه عشدة: حَذَا حَذُوه، ولا يجوز أن تقول: أثبعناك، وأنت تريد: اتَّبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك. وقال الزجاج: يقال: تبع الرجل الشيء واتَّبعه بمعنى واحد. قال الله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاى ﴾ [البقرة: ٢٨] وقال: ﴿ فَأَلْبَعَهُمْ فِرَعَونُ ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْنَادِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل. والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

﴿ وَلَوْ شِلْتَنَا لَوْمَنَتُهُ بِهَا وَلَكِكَنَهُۥ أَخَلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَفَّهُ فَكَلُمُ كَنَالِ الْكَلْبِ إِن غَصْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَنْمُكُهُ يَلْهَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِتَايَئِنَا فَافْشُصِ الْفَصَصَ لَمَلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَوَهَنَهُ بِهَا﴾ في هاء الكناية في «رفعناه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور: فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه. والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. وقال الزجاج: لو شئنا لحُننا بينه وبين المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَكِنَّهُ أَخْلَد إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن. قال الزجاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة. والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها، وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه ركن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك، لأنها حملته عليه. وقيل: أرضى بني عمّه وقومَه، والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا؛ وقد بُيِّن ذلك بقوله: ﴿وَأَنَّعَ هُونَهُ ﴾ والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه، وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُلُمُ كَمَثُلِ ٱلْكَلِّ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتَرُّحُهُ يَلَهَنْ﴾ معناه: أن هذا الكافر، إِن زجرته لم ينزجر، وإِن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فإنه إِن طُرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهناً، وإِن تُرك وربض كان أيضاً لاهناً، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهناً؛ وإِنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إِنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً لمن كذّب بآياته، فقال: إِن وعظته فهو ضال، وإِن المفسرون: زُجِرَ في لم تعظه فهو ضال، كالكلب إِن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضاً لهث. قال المفسرون: زُجِرَ في منامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم ينزجر، وخاطبته أتانه فلم ينته، فضُرب له هذا المثل ولسائر الكفار؛ فذلك مواهد: ﴿فَوْالِكَ مَثُلُ ٱلْقَوْمِ اللَّذِينَ كُذَهُمُ عِنَاكِنَا ﴾ لأن الكافر إِن وعظته فهو ضال، وإِن تركته فهو ضال؛ وهو مع إرسال اليه كمن لم يأته رسول ولا بينة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَقْمُصِ ٱلْقَمَعَ ﴾ قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذَّبوا أنبياءهم.

﴿ سَاتَهَ مَثَلًا ٱلْغَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِنَايَدِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظَلِمُونَ ۞ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِينٌ وَمَن يُصْلِلْ فَأُولَتِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَلَةَ مَثَلًا ﴾ يقال: ساء الشيء يسوء: إذا قَبُح، والمعنى: ساء مثلاً مثل القوم، فحُذِف المضاف، فنُصب «مثلاً» على التمييز.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضُرُّون بالمعصية.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَانًا لِجَهَنَّدَ كَنْ مِنَ الْجِنِ وَالْإِنسِ لَمُمْ قُلُوبٌ لَا يَنْقَهُونَ بِهَا وَلَمَمْ أَعَيْنٌ لَا يُشِيرُونَ بِهَا وَلَمُمْ ءَانَانٌ لَا يَسْتَمُونَ بِهَأَ أُولَتِهِكَ كَالْأَنْشِو بَلَ هُمْ أَسَلُّ أُولَتِهِكَ هُمُ النَّفِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ ذَرَاناً﴾ أي: خلقنا. قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب.

قوله تعالى: ﴿ لِجَهَنَّدَ ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَيًّا ﴾ [التصص: ١٨] ومثله قول الشاعر:

أَمْ والُّنَا لِلَّذِي السِينُ رَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِخَرَابِ السَّلَّمْسِ نَبْ نِبْهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزِّيه بموت ابنه، فقال:

ت عــزً أمِــيْــرَ الــمــؤمــنــيــنَ فـــإنَّــه لــمـا قَـدْ تَــرَى يُـغْـذَى الــصَّـخِيْـرُ ويُـوْلَـدُ وقد أخبر الله الله في هذه الآية بنفاذ عِلمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم.

قوله تعالى: ﴿ فَمُ قُلُرُتُ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ لمّا أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يُبصر ولم يسمع. وقال محمد بن القاسم النحوي: أراد بهذا كله أمر الآخرة، فإنهم يعقلون أمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ أُولَتِكَ كَالْأَمْدِ ﴾ شبَّههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر، ثم قال: ﴿ بَلَ هُمْ أَسَلُّ ﴾ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها، فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند، فيُقدِم على النار، ﴿ أُولَتِهِكَ هُمُ ٱلنَّفِلُونَ ﴾ عن أمر الآخرة.

﴿ وَلِمَّوِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْمُسْتَىٰ مَادَعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ لِمُنْصِدُونَ فِي ٱلسَّمَنَهِمُ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْآةُ لَلْسُنَى ﴾ سبب نزولها أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمنَ، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل. فأما الحسنى، فهي تأنيث الأحسن. ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة. وقوله: ﴿ فَآدَعُوهُ يَهَا ﴾ أي: نادوه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا اللَّيْنَ يُلْعِدُونَ فِي آسَنَتَهِنَّ وَرا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: اليُلجدُون بضم الياء، وكذلك في النحل: ١٠٣] والسجدة وافسلت: ٤٠]. وقرأ حمزة: اليَلحدون بفتح الحاء والياء فيهن. ووافقه الكسائي، وخلف في النحل: ١٠٣]. قال الأخفش: ألْحَدُ ولَحَدَ: لغتان؛ فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكأن الإلحاد: العدول عن الاستقامة. وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون؛ [فيقولون: اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك] ومنه لَحدُ القبر، لأنه في جانب. قال الزجاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسمّ به نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي؛ ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جله، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك. قال أبو سليمان الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاد، ومما يُسمع على ألسنة العامة قولهم: يا سبحانُ، يا برهانُ، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس. وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن. وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سمّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزّى من العزيز، ومناة من المنّان.

فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: ﴿ زَنُو رَمَنْ خَلَقْتُ وَجِـدًا ﴿ ﴾ [المدثر: ١١]، وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأن قوله: ﴿ رَذَارُوا اَلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَنْهِمْ ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد.

﴿ وَمِنْنَ خَلَقْنَا أَمَنَّهُ يَهْدُونَ إِلْحَقِّ وَبِدٍ. بَعْدِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِيتَنَ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهَدُونَ بِالْحَقّ أَي يعملون به، ﴿وَبِهِ يَعَدِلُونَ ﴾ أي: وبالعمل به يعدلون. وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس. وكان ابن جريج يقول: ذُكر لنا أن النبي على قال: (هذه أمتي، بالحق يأخذون ويعطون ويقضون) (١٠). وقال قتادة: بلغنا أن النبي على كان إذا تلا هذه الآية قال: (هذه لكم وقد أعطي القومُ مثلها) (٢) ثم يقرأ: ﴿وَرِين قَوْرِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ لِبَالِي وَالنالَث: أنهم الأنبياء. والمااء، ذكر القولين الماوردي.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنِنَا سَلَمْنَدَرِجُهُم مِّنْ حَبَّثُ لَا يَمْلَمُونَ ۞ وَأَمْلِ لَهُمُّ إِنَّ كَيْدِى مَنِينً ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِتَايَتِنَا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة. وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش.

قوله تعالى: ﴿ سَنَتَنْرِجُهُم ﴾ قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم. وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خُفية قليلاً قليلاً ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مُرقاة مرقاة؛ ومنه: ذَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئاً بعد شيء؛ ودرج القوم: إذا ماتوا بعضهم في إثر بعض. وقال اليزيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم. وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يجاهرهم، وقال الأزهري: سنأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله يعلم من النعم ما يغتبطهم به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرَّتهم أغفل ما يكونون. قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة. وفي قوله: ﴿ يُمِّنُ حَيْثُ لَا يَمْلَنُونَ ﴾ قولان: أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج. والثاني: بالهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْهِلَ لَهُمُّ ﴾ الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَيْنِنُ ﴾ قال ابن عباس: إِن مَكري شديد. وقال ابن فارس: الكيد: المكر؛ فكل شيء عالجته فأنت تكيدُه. قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة [البقرة: ١٥] و إلّا عمران: ٤٥] من ذِكر الاستهزاء والخداع والمكر.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنَفَكُّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِن جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشاً فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فحذاً فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فحذاً من وقتادة. ومعنى الآية: أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جِنة، أي: جنون، فحثهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون. ﴿إِنَّ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلّا

⁽١) ﴿ الطبري، ٢٨٦/١٣، وابن كثير: ٢٦٩/٢، وخرجه السيوطي في ﴿الدر المنثور، ٣/١٤٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ.

٢) أورده السيوطي في (الدر) ٣/ ١٤٩ ونسبه لابن جرير، وابن المتذَّر، وعبد بن حميد.

⁽٣) ﴿ الطبري﴾ ١٣/ ٢٨٩، وابن كثير ٢/ ٢٧٠. وأورده السيوطي في ﴿ اللهِ وزاد نسبته لابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

لَذِيْرٌ ﴾ أي: مخوّف ﴿ شُبِينٌ ﴾ يبيّن طريق الهدى. ثم حثهم على النظر المؤدّي إلى العلم فقال: ﴿ أَوَلَدَ يَنظُرُوا فِي مَلكُوتِ السَّمَونِ وَ الأنماء: ٧٥]. السَّمَونِ وَ الأنماء: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيّهِ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ أَنْذَبَ أَبِلُهُمْ قَرأ ابن مسعود، وأين ، والمحدري: «آجالهم». ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق الله من الأشياء كلّها، وفي أنْ عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار ﴿ فَإِنّ حَدِيثٍ مَدّدُو يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني القرآن وما فيه من البيان. ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: ﴿ مَن يُعْلِلِ اللّهُ فَكَلَا هَادِى لَهُ وَيُلْوَمُم ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «ونذرهم» بالنون والرفع. وقرأ أبو عمرو: بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ويلذرهم بالياء مع الجزم خفيفة. فمن قرأ بالرفع، استأنف، ومن جزم «ويذرهم» عطف على موضع الفاء. قال سيبويه: وموضعها جزم ؛ فالمعنى: من يضلل الله يَذَرُه؛ وقد سبق في سورة [البقرة: ١٥] معنى الطغيان والعَمّه.

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّلَوَةِ أَبَانَ مُرْسَلَهُمْ قُلْ إِنَّنَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّنَ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقِهَمْ إِلَّا هُثُو تَقُلُتْ فِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُو إِلّا بَشَنَةُ يَسْتَلُونَكَ كَانَكَ حَفِئً عَنْبًا قُلْ إِنَّنَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَتِكِنَّ أَكْفَرَ النَّاسِ لَا يَشَلُئُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَتَتَلَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد، بيننا وبينك قرابة؛ فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (١٠). وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة. والمراد بالساعة هاهنا التي يموت فيها الخلق.

قوله تعالى: ﴿ أَيَّانَ مُرْسَكِماً ﴾ قال أبو عبيدة: أي: متى مُرساها؟ أي: منتهاها. ومرسا السفينة: حيث تنتهي. وقال ابن قتيبة: ﴿أَيَّانَ بمعنى: متى؛ و «متى» بمعنى: أيّ حين، ونرى أن أصلها: أيّ أوانٍ؛ فحذفت الهمزة [والواو]، وجعل الحرفان واحداً، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي، قال الزجاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟

قوله تعالى: ﴿ قُلَّ إِنَّمَا عِنْدَ رَبِّيُّ ﴾ أي: قد استأثر بعلمها ﴿ لَا يُجَلِّمُ ﴾ أي: لا يظهرها في وقتها ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نُتُلَتَ فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِيَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: نَقُل وقوعها على أهل السموات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكلَّ يخافونها، محسنهم ومسيئهم. والثاني: عظم شأنها في السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: خفي أمرها، فلم يُعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السموات والأرض، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَنَّنَّةً ﴾ أي. فجأة (٢).

قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّكَ حَنِيٌّ عَنَباً ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه من المقدَّم والمؤخَّر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفي، أي: بَرِّ بهم، كقوله: ﴿ إِنَّمُ كَانَ بِي حَنِيّا ﴾ [مربم: ٤٧]. قال العوفي عن ابن عباس، وأسباط عن السدي: كأنك صديق لهم. والثاني: كأنك حفي بسؤالهم، مجيب لهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم. وقال الزجاج: كأنك فَرح بسؤالهم. يعجبك سؤالهم. وقال الزجاج: كأنك فَرح بسؤالهم. والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاك عن ابن عباس، وهو قول ابن زيد، والفراء. والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد. وقال عكرمة: كأنك سؤول عنها. وقال ابن قتية: كأنك معنيًّ بطلب

⁽١) قال أبو جعفر الطبري ٢٩٣/١٣: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ قانزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكون كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوّز قطع القول على أيّ ذلك كان.

⁽٢) روى البخاري ٢٠/ ٧٧ عن أبي هريرة في أن رسول الله الله قال: التقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتيايمانه ولا يطوياته، ولتقومن الساعة وقد رقع أكلته إلى فيه فلا يطعمها، الساعة وقد رقع أكلته إلى فيه فلا يطعمها، والمتعلقة وهد جزء من حديث طويل، يدل على أن الساعة تأتي بنتة. وقوله: البلط حوضه بفتح أوله من الثلاثي، ويضمه من الرباعي، والمعنى: يصلحه بالطين والمدر، فيسد شقوقه، ليملأه ويسقي منه دوابه.

علمها. وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌ بها، والحفيُّ في كلام العرب: المعنيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَلَ إِنَّمَا عِلَمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي: لا يعلمها إلا هو ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَمَلُمُنَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس هاهنا أهل مكة. وفي قوله: ﴿لَا يَمْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل. والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سلميان الدمشقي.

﴿ قُلُ لَا ۚ أَسْلِكُ لِنَفْسِى نَفْمًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَكَةَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْفَيْبَ لَاسْتَكَانَتُ مِنَ الْفَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ النَّوَةُ إِنْ أَنَا إِلَّا فَلِيرٌ وَمَا مَسَّنِيَ النَّوَةُ إِنْ أَنَا إِلَّا فَلِيرٌ لِقَوْرِ وَهُومُونَ ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ النَّوَةُ إِنْ أَنَا إِلَّا فَلِيرٌ لِقَوْرٍ وَهُومُونَ ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ النَّوَةُ إِنْ أَنَا إِلَّا فَلَيْرٌ لِقَوْرٍ وَهُومُونَ ﴿ وَمُوسُونَ اللَّهِ فَلِهُ مَا اللَّهُ أَلَا اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ قُل لا آمَلِكُ لِنَفْيى نَفْمًا وَلا مَرَّا ﴾ سبب نزلوها أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تُجدب، فترتحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. وفي المراد بالنفع والضر قولان: أحدهما: أنه عام في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور. والثاني: أن النفع: الهدى، والضّر: الضلالة، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآهُ اللَّهُ ﴾ أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي؛ ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَغْلُمُ ٱلْنَيْبَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لو كنت أعلم بجدب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيًّات لسنة الجدب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله مجاهد. والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه. ﴿وَمَا سَنِّيَ ٱلنُّونِ ﴾ أي: لم يلحقني تكذيب، قاله الزجاج. فأما الغيب، فهو كل ما غاب عنك. ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العمل الصالح. والثاني: المال. والثالث: الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُسَّنِى السُّومُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كل ما يسوم، قاله ابن زيد. والثالث: الجنون، قاله الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقى الأقوال يكون متعلقاً بما قبله.

﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا وَوَجَهَا لِيَسْكُنُ إِنَيْهَا فَلَمَّا تَنَشَّنهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيلًا فَمَرَّتْ بِيَّهُ فَلَمَّا اللهُ عَنَا عَنَا عَنَا عَنَا عَاللهُ عَنَا اللهُ عَنَا اللهُ عَنَا اللهُ عَنَا اللهُ عَنَا الل

قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ ﴾ يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء. ومعنى ﴿ لِلسَّكُنَ إِلَيْهَا ﴾ إِنَّهَا ﴾ الله عن الجماع. وهذا أحسن كناية عن الجماع. والحمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجتْه شجرة. والحمل، بكسر الحاء: ما يُحمل. والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله تعالى: ﴿ فَكَرَّتُ بِهِ اللهِ أَي: استمرَّت به، قعدت وقامت ولم يُثقلها. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: ﴿ فاستمرت به الله وقرأ أبَيُّ بن كعب، والجوني: "استمارَّت به ابزيادة ألف. وقرأ عبد الله بن عمرو، والجحدري: ﴿ فَمَارَّت به الله وتشديد الراء. وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: ﴿ فَمَرَتُ به الخفيفة الراء، أي: شكّت وتمارت أحملت، أم لا؟ ﴿ فَلَمَّا أَتْلَت ﴾، أي: صار حملها ثقيلاً. وقال الأخفش: صارت ذا ثقل. يقال: أثمرنا، أي: صرنا ذري ثمر.

قوله تعالى: ﴿ دَعُوا اللهَ رَبُّهُما ﴾ يعني آدم وحواء ﴿ لَهِنْ ءَاتَيْتَنَا صَلِحًا ﴾ وفي المراد بالصالح قولان: أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخافا أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقتادة.

شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء، فقال: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؛ وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك، أم يخرج من فيك، أو منخريك؟ فأحزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس فقال: كيف تجدينك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوتُ الله، فجعله إنساناً مثلك ومثل آدم، أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم. فلما ولدته سوياً، جاءها إبليس فقال: لم لا تُسمّينه بي كما وعدتني؟ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلْنَا ءَاتَنُهُمَا مَنْهِمًا لَهُمُ الشَيْر والمد، جمع شريك. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: فشركاء بضم الشين والمد، جمع شريك. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: فشركاً مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع. قال أبو علي: من قرأ فشركاً عذف المضاف، كأنه أراد: جعلا له ذا شِرك، وذوي شريك؛ فيكون المعنى: جعلا لغيره شِركاً، لأنه إذا كان التقدير: جعلا له ذوي شِرك، فالمعنى: جعلا لغيره شِركاً؛ وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ فشركاء وقال غيره: معنى فشركاء : شريكاً، فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: ﴿ أَلَيْنَ قَالَ في المعنى كقراءة من قرأ فشركاء . وقال غيره: معنى فشركاء : شريكاً، فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: ﴿ أَلَيْنَ قَالَ في المعنى كقراءة ولم يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يُطلَق العبد على من في الطاعة، لا في العبادة؛ ولم يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يُطلَق العبد على من ليس بمملوك. قال الشاعر:

وإنى لَعبدُ الضَّيف ما ذَامَ ثَاوياً وما في إلا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ العَبْدِ(٢)

وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلد لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿ جَمَلا للهُ شُرَكاء فِيما عن الاسم، فذلك قوله: ﴿ جَمَلا للهُ شُرَكاء فِيما عن الرحس، فذلك قوله: ﴿ جَمَلا للهُ شُرَكاء فِيما الله و الجمهور، وفيه قول ثانٍ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لَشكر، وآخرها مَثَل ضربه الله لمن يعبده في قوله: ﴿ جَمَلا للهُ شُركاء وروي عن الحسن، وقادة عن الحسن، قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهودوهم ونصّوهم ونصّوهم عن الحسن، وقتادة قالا: الضمير في قوله: ﴿ جَمَلا للهُ شُركاء عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء. وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلق، فالمعنى: جعل له ذلك الولد شركاء. وإنما قيل: ﴿ جعلا الله الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء. فتأويل الآية: فلما آتاهما صالحاً، جعل أولادُهُما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿ وَسُتَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٢٨]. وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿ فَمَكَ لَل اللهُ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء.

﴿ أَيْشَرِكُونَ مَا لَا يَعْلَقُ شَيْعًا رَحْمُ يُخْلَقُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْشَرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيَّا﴾ قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا

⁽١) «الطبري» ٣٠٧/١٣ ـ ٣٠٨. ثم قال الطبري عقبه: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء صالحاً، ليكونان لله من الشاكرين، والصلاح قد يشمل معاني كثيرة، منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير، وإذ كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول بوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يعم كما عمه الله فيقال: إنهما قالا: لئن آتيتنا صالحاً بجميع معاني الصلاح.

⁽٢) البيت للمفنع الكندي وهو في الحماصة؛ ٣/ ١١٨٠، و(الأمالي؛ ١/ ٢٧٧، ورواية الشطر الثاني فيهما: (وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا).

⁽٣) «الطبري» ٣١٢/١٣، وابن كثير: ٢/ ٢٧٥ من طريق ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب.

والطبري، ٢١٥/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢ وقال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن الله أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله لله لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منه، وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاه الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.

تخلق شيئاً. وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الأصنام، وهي لا تخلق شيئاً. وقوله: ﴿وَمُمْ يُخْلُقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «ما» ثم قال: «وهم يُخلَقون» لأن «ما» تقع على الواحد والاثنين والجميع؛ وإنما قال: (وهم) وهو يعني الأصنام، ون عابديها ادَّعُوا أنها تعقل وتميِّز، فأجريت مجرى الناس، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَنجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ انسَّمْلُ اسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقوله: ﴿وَيُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ ﴾ [بس: ٤٠]، قال الشاعر:

إِذَا مَسا بَسنُسو نَسعُسشٍ دنَسوْا فستسسوَّابُسوا

تسرز ذُتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ وأنشد ثعلب لعبدة بن الطبيب:

إِذْ أَشْرَفَ اللَّذِيْكُ يَدْعُو بَعْضَ أَسْرَتِهِ لَلْهَا مِعلهم مَعَازِيل، وهم الذين لا سلاح معهم، وجعلهم أسرة؛ وأسرة لمّا جعله يدعو، جعل الدِّيكة قوماً، وجعلهم معازيل، وهم الذين لا سلاح معهم، وجعلهم أسرة؛ وأسرة الرجل: رهطه وقومه.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُوهَ لَمُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْشَتُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيمُونَ لَمُمْ نَصْرًا﴾ يقول: إن الأصنام لا تستطيع نصر مَنْ عبدها، ولا تمنع مِن نفسها.

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْمُدَىٰ لَا يَتَبِعُوكُمْ سَوَّاهُ عَلَيْكُرُ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُد مَنْمِتُوك ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأصنام، فالمعنى: وإن دعوتم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم، لأنهم لا يعقلون. والثاني: أنها ترجع إلى الكفار، فالمعنى: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يتَّبعوكم، فدعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سواء، لأنهم لا ينقادون إلى الحق. وقرأ نافع «لا يَتْبعوكم» بسكون التاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُوكَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادً أَشَالُكُمُّ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِيقِينَ ﴿ ٱللَّهُمْ أَلَتُهُمُّ يَمَشُونَ يَهَا ۖ أَرْ لَمُتُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَأَ أَرْ لَهُدْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَأَ أَمْ لَهُدْ مَاذَاتٌ بَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ آدْعُوا شُرَاكَاتَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا نُظِرُونِ ﴿ إِنَّ وَلَيْنَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِنَابُّ وَهُوَ يَتُولِّي الْشَالِدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَكُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ يعنى الأصنام: ﴿عِبَادُ أَنْنَالُكُمُّ ﴾ في أنهم مسخَّرون مذلَّلون لأمر الله. وإنما قال (عباد) وقال: ﴿فَأَدْعُومُمْ﴾، وإن كانت الأصنام جماداً، لما بيَّنا عند قوله: ﴿وَمُمْ يُخْلَقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَابَسْتَجِبُواْ لَكُمْ ﴾ أي: فليجيبوكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنَّ لكم عندهم نفعاً وثواباً. ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلُّ يُمْشُونَ بِهَآ﴾ في المصالح ﴿أَمْ لَمُمْ أَيْدٍ بَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ في دفع ما يؤذي. وقرأ أبو جعفر «يبطشون» بضم الطاء هاهنا وفي [القصص: ١٩] و [الدخان: ١٦]. ﴿ أَمْرُ لَهُمْ أَعَيُنَّ يَبْعِيرُونَ بِهَا ﴾ المنافع من المضار ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَاذَاتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا مَنْ هم أفضل منه. ﴿قُلِ أَدْعُوأ شُرَكَاءَكُمُ ﴾ قال الحسن: كانو يخوّفونه بآلهتهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلُ ٱدْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا لُنظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخّروا ذلك. وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرؤون: ﴿ثُم كيدونُ بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل. وروى ورش، وقالون، والمسيِّبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف. فأما «تنظرون» فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف. ﴿إِنَّ وَلِيْمَ اللَّهُ ﴾ أي: ناصري ﴿ أَلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِنَابُّ﴾ وهو القرآن، أي: كما أيَّدني بإنزال الكتاب ينصرني.

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ. لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدَّعُونَ مِن دُونِينَ ﴾ يعنى الأصنام ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصَّرَكُمْ ﴾ أي: لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

⁽١) البيت في «المفضليات» ١٤٣ من قصيدة قالها بعد وقعة القادسية حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة ١٣، فهزموهم وتتبعوهم إلى المدائن. والمعازيل: العزل من السلاح.

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلْكُ لَا يَسْمَعُوا ۗ وَتَرَدَهُمْ يَظُرُونَ إِلَكَ وَهُمْ لَا يُتِهِرُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدَّعُوهُمْ إِلَى اَلْمُنَىٰ لَا يَسَعُوْأَ﴾ في المراد بهؤلاء قولان: أحدهما: أنهم الأصنام. ثم في قوله: ﴿وَتَرَنهُمْ يَظُرُونَ إِلِيْكَ﴾ قولان: أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، ﴿وَهُمْ لَا يُجِمُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعيناً مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله: ﴿وَيْرَى النّاسَ سُكَنَرَىٰ﴾ [العج: ٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمْ لَا يُتُمِرُونَ ﴾ في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

﴿خُنِهِ ٱلْمَنْوَ وَأَثْرُ بِٱلْمُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ غُلِه آلَهُ آلَهُ آلَهُ العَفُو: الميسور، وقد سبق شرحه في سورة [البقرة: ٢١٩]. وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال: أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد (١١ فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء. والثاني: أنه المال، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية الضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخت بالزكاة، وري عن ابن عباس (٢٦). والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد (٣٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَمْ بِالْمُرْبِ﴾ أي: بالمعروف. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ﴾ قولان: احدهما أنهم المشركون، أمر بالإعراض عنه، ثم نُسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلتم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم. وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم، وطرفيها منسوخان على ما بيّنا.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَكَ مِنَ الشَّيَطَانِ نَـرْغٌ فَآسَـتَمِدْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَبِيعٌ عَلِيدٌ ۞ إِنَ اللَّينِ اتَّقَوّا إِذَا مَشَهُمْ طَلَيْتُ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكِّرُواْ فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يُنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيَكَانِ نَنْغُ﴾ قال ابن زيد؛ لما نزلت ﴿خُذِ ٱلْمَثَوَ﴾ قال النبي ﷺ: "يا رب كيف بالغضب،؟ فنزلت هذه الآية (أ) . فأما قوله: ﴿وإِما، فقد سبق بيانه في سورة (البقرة) في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِبَلَّكُم مِنِي هُدَى﴾ والمعتمدة (البقرة عبيدة وعلى السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس. قال الزجاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته. وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله تعالى: ﴿إذا مسهم طيف﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: قطيف، بغير ألف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: قطائف، بألف ممدوداً مهموزاً. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: قطيّفٌ، بتشديد الياء من غير ألف. وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يلم بك، حكي عن الفراء. وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، قال الشاعر:

⁽۱) «الطبري، ٢٢٠/١٣ ـ ٣٢٧، وابن كثير: ٢٧/٧، وروى البخاري في «صحيحه، ٢٢٩/٨ عن عبد الله بن الزبير: ﴿ غُو اَلَمْنُو أَشُرُ بِالْمُسْكِ قال: ما أُنزل الله [أي هذه الآية] إلا في أخلاق الناس. وروى البخاري أيضاً ٢٢٩/٨ أن ابن عباس قال: قدم عيبتة بن حصن بن حذيقة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيبتة لابن أخيه: يا ابن أخيى، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لمبينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: في يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالمدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ غُلُو الله مَن المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ غُلُو الله وكان وقافاً عند كتاب الله .

⁽۲) والطبري، ۱۳ / ۳۲۸.

⁾ وقال الطبري، ٣٢٩/١٣: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم، وقال: أمر بذلك النبي 難 في المشركين.

⁽٤) • الطبري؛ ٣٣٣/١٣، وابن كثير: ٢٧٨/٢، وأورده السيوطي في «الله» ٣/١٥٤ عن ابن جريو الطبري. وابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

ألا يسا لَسقَسوْم لِسطَسيْفِ السخَسسال الرَّقَ مِسسسنْ نَسسانِح ذي دَلَالِ (١٠)

والثاني: أن الطَّائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللَّمة والوسوسة والخَطْرة، حكي عن أَبي عمرو. وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللَّمة من الشيطان، والطيف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف؛ والطيف عند أهل اللغة: اللَّمم من الشيطان؛ وزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله تعالى: ﴿ تَدَكَّرُوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تذكّروا الله إذا همُّوا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد. والثاني: تفكّروا فضب الله؛ والمعنى: إذا جرّاهم الشبان على ما لا يحل، تذكّروا غضب الله، فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكر.

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُذُونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَيْمَ ۗ فِي هذه الهاء والميم قولان: أحدهما: أنها عائدة على المشركين؛ فتكون هذه الآية مقدّمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين ﴿ يَمُدُونَهُمْ فِي الْفَيْ وَا نَافع: "يمدونهم، بضم الياء وكسر الميم. والباقون: بفتح الياء وضم الميم. قال أبو على: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحمّد ويُستّحب: أمددت، على أفعلت، كقوله: ﴿ أَيْدُرُن بِيَالِ ﴾ [النمل: ٢٦] ﴿ أَنَا نُبِنُهُم بِهِ مِن مَالِ ﴾ [المومنون: ٥٥] وأندن نَهُم وَلَاكُهُم فِي مُعْتَبِهِ ﴾ [المور: ٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مددت؛ كقوله: ﴿ وَيَمْدُمُم فِي مُعْتَبِهِ ﴾ [البنو: ٢٤]، قال ﴿ وَالميم وَلَيْهُمُ فِي مُعْتَبِهُ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَلَا عَلَى اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ و

قوله تعالى: ﴿ ثُمَدٌ لَا يُغْمِرُونَ ﴾ وقرأ الزهري، وابن أبي عبلة: «لا يقصّرون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: أقصر يُقْصِر، وقصّر يقصّر يقصّر قال ابن عباس: لا الإنس يقصّرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تُقصِر عنهم؛ فعلى هذا يكون قوله: «يقصرون» من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور؛ ويخرّج على القول الثاني أن يكون هذا وصفاً للإخوان فقط.

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِكَايَةِ قَالُواْ لَوْلَا اجْمَنَيْمَتُهَا أَثُلُ إِنَّمَا آتَيْمُ مَا يُوحَنَ إِلَّ بِن زَيِّ هَنذا بَعَمَ آيَّرُ مِن زَيْحُمُ وَهُدَى وَرَحَمُ لَلْ لِقَوْرِ يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم كِالَةِ ﴾ يعني به المشركين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتاً. قاله ابن السائب. والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَلَوْلَا الْمَبْتَيْمَةُ ﴾ قولان: أحدهما: هلًا افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين، وحكي عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك. والثاني: هلًا طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَّ مِن زَيِّ ﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَا إِنْ مِن زَّيِكُمُ ﴾ يعني القرآن. قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، واحدتها: بصيرة. وقال الزجاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه.

⁽١) البيت لأمية بن عائذ في شرح اأشعار الهذليين؛ ٢/ ٤٩٤، قال السكري: الطيف: ما جاء في المنام، يقول: هذا الخيال جاء من امرأة نازحة ذات دلال، والدلال: الشكل والهيئة الحسنة، والنازح: البعيد، والأرق: أن يغمض عينه مرة ويفتحها أخرى، ويروى: "يؤرق، أي: يسهر غيره.

﴿ وَإِذَا قُرِى ۚ ٱلْفُدْرَانُ فَأَسْتَنِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَمُلَكُّمُ ثُرِّمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِى َهُ اَلْكُرَهَانُ فَاسْتَعِعُوا لَمُ ﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها: أن رسول الله على أمر في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية (١٠)، قاله ابن عباس. والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي على شيئًا، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري، والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فُرضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد، وعموو بن دينار في آخرين (٢٠).

﴿ وَأَذْكُر زَّبُكَ فِي نَفْسِكَ تَفَرُّعَا رَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهِّرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِالْفُدُةِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْفَنْيَايِنَ ﴿ ﴾ :

قوله تعالى: ﴿وَأَذَكُر رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ في هذا الذكر أربعة أقوال: أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار. والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سراً في نفسه، قاله قتادة. والثالث: أنه ذِكرُ الله باللسان. والرابع: أنه ذِكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان: أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد. والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين.

قوله تعالى: ﴿ تَمَرُّكُ اللَّهُ النَّصْرِعُ: الخشوع في تواضع؛ والخيفة: الحذر من عقابه.

قوله تعالى: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ الجهر: الإعلان بالشيء؛ ورجل جهير الصوت: إذا كان صوته عالياً. وفي هذا نص على أنه الذّكر باللسان؛ ويحتمل وجهين: أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء، وكلاهما مندوب إلى إخفائه (٢٠)، إلا أن صلاة الجهر قد بُيِّن أدبها في قوله: ﴿وَلاَ جَهْرٌ مِسَلَائِكَ وَلاَ شُؤَيْتُ يَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. فأما الغذو فهو جمع غُدوة؛ والآصال جمع أصل، والأصل جمع أصيل؛ فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشيات. وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب؛ وأنشد:

لَـعَـمْري لَأَنْتَ البِيتُ أُخْرِمُ أَهـلَـه وأَقْـعُـدُ في أفـيـائـه بـالأصَـائِيلَ^(١)

وروي عن ابن عباس أنه قال؛ يعني بالغدرّ: صلاةَ الفخر؛ والآصال: صلاة العصر.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكُمُّرُونَ عَنْ عِبَادَيْهِ. وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۗ ۞﴾
قوله ثعالى: ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني الملائكة. ﴿ لَا يَسْتَكْبُرُونَ ﴾ أي: لا يتكبَّرون ويتعظّمون ﴿ عَنْ عِبَادَيْهِ. ﴾ في هذه العبادة قولان: أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها. وفي قوله: ﴿ وَمُسْبَحُونَهُ ﴾ قولان: أحدهما:

وفي هذه العبادة قولان: أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها. وفي قوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ قولان: أحدهما: يتزَّهونه عن السوء. والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْبُكُونَ﴾ أي: يصلّون. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمُرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأناً منكم، لا يتكبّرون عن عبادة الله. وقد روى أبو هريرة عن النبي على أنه قال: •إذا قرأ ابن آدم السجود فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله، أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرتُ بالسجود فعصيت فلي النارا (٥٠).

* * *

⁽١) ذكره السيوطي في اللدة ٣/ ١٥٥ عن ابن مردويه من رواية ابن عباس.

٢) قال «الطبري» ٣٥٢/١٣؛ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه معن يأتم به
يسمعه، وفى الخطبة.

⁽٣) روى البخاري ٦/ ٩٤، و مسلم، ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري الله قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: وأبها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا فائياً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم، واللفظ لمسلم.

⁽٤) ` البيت لأبي ذؤيب الهذلي في دديوان الهذليين، ١٤١/، ومجاز القرآن، ٢٣٩/، والأغاني، ٧٧/،، والخزانة، ٢/٧٩، ٤٧٩.

٥) رواه مسلم ١/٨٧، وابن ماجه ١/ ٣٣٤ عن أبي هريرة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٨/٣ وزاد نسبته للبيهقي.

سورة الأنفال

وهمي مدنية بإجماعهم. وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات، أولها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ لِكَ الَّذِينَ كَثَرُوا﴾ [الانفال: ٣٠].

ينسدانه الأثن النجسة

﴿ يَسَكُونَكَ عَنِ آلاَنَنالِ عُلِ آلاَنَالُ مِتِهِ وَالرَسُولِ فَاتَقُوا الله وَالمَالِمُوا دَاتَ بَيْكُمْ وَأَلِيمُوا الله عَلَى المُنْعَالِ عَنِ آلاَنَالُ مِن المُنْعَالِ عَلَى سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله على قال يوم بدر: قمن قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا، فأما المشيخة، فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإنا كنا لكم ردءاً؛ فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله على منورة (الأنفال)، رواه عكرمة عن ابن عباس (۱). والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفاً يوم بدر، فقال: يا رسول الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه (۱). وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله، فقال: ﴿اذهب فاطرحه في القَبَض، فرجعت، وبي ما لا يعلمه إلا الله؛ فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة (الأنفال)، فقال: ﴿اذهب فخذ سيفك، (۱). وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي في فأخذه النبي في منهم، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله في المراد بالأنفال ستة أقوال: أحدها: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال المحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتية في آخرين. وواحد الأنفال: نَفَل، قال لبيد: ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتية في آخرين. وواحد الأنفال: نَفَل، قال لبيد:

إِنَّ تسقوىٰ رَبِّسنا خسيسرُ نَسفَلْ وباذنِ السِّلَدِ ويُسعُسي وعَسجَالْ (١٤)

⁽۱) • (الطبري، ٣٦٨/١٣، ورواه أبو داود في (سنه، ٣/ ١٠٢ وقم (٧٧٣٧) مع اختلاف يسير، وكذلك البيهقي ٢٩١/٦ ـ ٢٩٢، والحاكم ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢٠ وقال: صحيح، وأقره الذهبي. وخرَّجه ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٨٤ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن حبان، وابن مردويه. وذكره السيوطي في «اللد» ٣/ ١٥٩ وزاد، نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

⁽٢) - :الطبري، ٣٧٦/١٣، ورواه مسلم ٣/١٣ هـ ٥٤ بأطول منه، وخرجه ابن كثير في انفسيره، ٢٨٣/٢، ورواه البيهقي في السنن، الكبرى، ٦/ ٢٩١.

ا «المسند» ٣/ ٧٨ و والطبري» ٣/ ٣٧٣ و والأموال» لأبي عبيد (٣٠٣) وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون لم يدرك سعداً، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في خلال الخبر: قتلت سعيد بن العاص، وقال غيره: العاص بن سعيد. قال أبو عبيد: هذا عندنا هو المحفوظ. وفي «الإصابة» ٣/ ٣٦: وأخرجه البغوي من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعيد قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت أنا سعيد بن العاص، قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه، والصواب: العاص بن سعيد بن العاص، فإنه قتل يوم بدر كافراً، أما سعيد بن العاص بن أمية، فإنه مات قبل بدر مشدكاً.

 ⁽٤) ديوانه ١٧٤، ودمجاز القرآن، ٢/ ٢٤٠)، ودجمهرة الأشعار، ٧، و«الطبري» ٣٦٦/١٣، ودغريب القرآن، ١٧٧، و«اللسان»: نفل. وقوله: خير نفل،
 هذه رواية الأصمعي، وروى أبو عبيدة: خير النفل، قال أبو الحسن: النفل: الفضل والعطية. والريث: مصدر رثت أريث: إذا أبطأت.

والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين. وذُكر أنهم إنما سألوا عن حكمها لأنها كانت حراماً على الأمم قبلهم.

فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حراماً في شرائع الأنبياء المتقلمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول على ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّا غَنِتْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَ لِلهِ حُسُكُم ﴾ [الانفال: ٤١]. وقال آخرون: المراد بالانفال شيئان: أحلهما: ما يجعله الرسول على الطائفة من شجعان العسكر ومتقلميه، يستخرج به نصحهم، ويحرِّضهم على القتال. والثاني: ما يفضُل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله على في سريَّة، فغنمنا إبلاً، فأصاب كلَّ واحد منا اثنا عشر بعيراً، ونقلنا بعيراً بعيراً بعيراً؛ فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقي إلى وقتنا هذا.

فصل

ويجوز النَّفَل قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فهو له، وبه قال الجمهور. فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان. وهل يستحق القاتل سَلَبَ المقتول إذا لم يشرطه له الإمام؟ فيه قولان: أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي. والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك؛ وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ يَدِ وَالرَّسُولِ ﴾ يحكمان فيها ما أرادا، ﴿ فَاتَنْوَا الله ﴾ بترك مخالفته ﴿ وَأَسْلِحُوا ذَاتَ يَنْكُمُ ﴾ والانعام: ١٤]. ثم في قال الزجاج: معنى فذات بينكم ﴾ حقيقة وصلكم. والبين: الوصل؛ كقوله: ﴿ لَقَد نَّفَطُعَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الانعام: ١٤]. ثم في المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن يَرُدَّ القويُّ على الضعيف، قاله عطاء. والثاني: ترك المنازعة تسليماً لله ورسوله. قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيمُوا اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي: اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلْتُ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَنتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ۗ قال الزجاج: إِذَا ذُكرتُ عظمتُه وقدرتُه وما خوَّف به من عصاه، فزعت قلوبهم، قال الشاعر:

لَسِعَسَمُ سُرُكَ مِسَا أَدْرِي وإنسِي لأوَجَسِلُ عسلى أيُّسَنا تَسعُدو السمسَيَّةُ أوَّلُ (١)

يقال: وجِل يَوْجَل وياجَل ويَيْجَل ويِيجَل، هذه أربع لغات حكاها سيوبيه. وأجودها: يَوْجَلُ. وقال السدي: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله فينزع عنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهُمْ ءَايَنَكُمُ﴾ أي: آيات القرآن. وفي قوله: ﴿وَادَتُهُمْ إِيمَانَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تصديقاً، قاله ابن عباس. والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به فيزدادوا إيماناً بزيادة الآيات. والثاني: يقيناً، قاله الضحاك. والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس. وقد ذكرنا معنى التوكل في الله عمران: ١٢٢].

﴿الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيمَّا رَزَفْتَهُمْ يُنفِقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُكِيمُونَ الصَّلَوَةَ﴾ قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ بُفِقُوكَ﴾ يعني الزكاة. ﴿أَوْلَكِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًا ۚ لَمُمْ دَرَجَنتُ عِندَ رَبِهِمْ وَمَغْنِدَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُوْمِثُونَ حَقَّاً ﴾ قال الزجاج: ﴿ حَقّاً ﴾ منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة ﴿ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، فالمعنى: أَحَقَّ ذلك حقاً. قال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شك في إيمانهم كشك المنافقين. قوله تعالى: ﴿ لَمُنْهِ دَرَجِكُ عِندَ رَقِهِمْ ﴾ قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم، والرزق الكريم: ما أعدَّ لهم فيها.

 ⁽۱) البيت لمعن بن أوس في «مجاز القرآن؛ ١/٢٤٠) و «الاقتضاب» ٤٦٣، و «شرح حماسة أبي تمام، للمرزوقي ٣/١١٢٦، و «الحماسة البصرية» ١٤١، و «الخزانة» ٣/٥٠٥.

﴿كُمَّا أَخْرَجَكَ رَبُكَ مِنْ يَتِيكَ بِالْمَقِ وَإِنَّ فَرِبِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُوهُونَ ۞ يُجَدِلُونَكَ فِي الْمَقِي بَمْدَمَا نَبَيْنَ كَأَنَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ لَكُوهُونَ ۞ يُجَدِلُونَكَ فِي الْمَقِي بَمْدَمَا نَبَيْنَ كَأَنْمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِ وَهُمْ يَظُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿كُمّا أَخْرَبُكُ رُبُكُ﴾ في متعلَّق هذه الكاف خمسة أقوال: أحدها: أنها متعلقة بالأنفال. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن تأويله: امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بينك وهم كارهون، قاله الفراء. والثاني: أن الأنفال لله والرسول على بالحق الواجب، كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك، قاله الزجاج. والثالث: أن المعنى: يسألوك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك في خروجك، حكاه جماعة من المفسرين. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَاتَقُوا أَلَهُ وَأَسْلِمُوا﴾، والمعنى؛ إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمداً خيراً لكم وإن كرهه بعضكم، هذا قول عكرمة. والثالث: أنها متعلقة بقوله: ﴿يُكِيلُونَكُ﴾، فالمعنى: مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون، قاله الكسائي. والرابع: أنها متعلقة بقوله: ﴿يُكِيلُونَكُ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بينك بالحق، ذكره بعض ناقلي بقوله: ﴿وَيَلِيكُ هُمُ ٱلنَّوْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك من بينك، قاله أبو عبيدة، واحتج بأن اما الموضع «الذي ومنه قوله: ﴿وَنَا عَلَى الْخَروج قولان: أحلهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، ليست من حروف الإقسام. وفي هذا الخروج قولان: أحلهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، ليست من حروف الإقسام. وفي هذا الخروج قولان: أحلهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيغًا مِن المُغين لَكُوهُونَ ولان: أحلهما: كارهون خروجك. والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيغًا مِن الْحُنْ الله الفنيمة المفيمة المفيمة المفيمة المفيمة المنهة السفر والقتال، وليست كراهة الحروبك. والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهة لأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ يُكِدِلُونَكَ فِي النّحَقِ ﴾ يعني في القتال يوم بدر، لأنهم خرجوا بغير عُدَّة، فقالوا: هلَّا أخبرتنا بالقتال لناخذ العُدَّة، فجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال. وفي قوله: ﴿ يَنْدِ مَا بَنَيْنَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تبيَّن لهم فرضه. والثاني: تبيَّن لهم وابه. والثالث: تبيَّن لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرت به. وفي «المجادلين» قولان: أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿ كَأَنَا يُسَافُنَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾ أي: في لقاء العدو ﴿ وَهُمْ يَظُرُونَ ﴾ ، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظراً إليه، وعالماً به. وعلى قول ابن زيد: كأنما يساقون إلى الموت حين يُدَعَوْن إلى الإسلام لكراهتهم إياه.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الظَاهِفَاتِينِ أَنْهَا لَكُمْ وَقَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُو وَيُرِيدُ اللَّهَ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَنتِهِ. وَيَقْطَعَ دَاهِرَ ٱلْكَفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَبْهِلَ ٱلْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُعْرِبُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّآبِفَيْنِ﴾ قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي على بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش للمنع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَمِدُكُمُ اللهُ ﴾، والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين، والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لتُحرِزوا ركائبكم، فقد أحرزتُها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله على يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَوَوَدُوكَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ السلاح؛ بالتشديد، وشائك في السلاح؛ بالتشديد، وشائك. قال أبو عبيدة: ومجاز الشوكة الحد؛ يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حَدَّهم. وقال الأخفش: إنما أنّث فذات الشوكة» لأنه يعنى الطائفة.

قوله تعالى: ﴿ رَبُرِيدُ اللهُ أَن يُحِنَّ الْحَقَّ ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُجِق ما أنزل إليك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَنِيرِ ﴾ أي: بعِداتِه التي سبقت من إعزاز الدين، كقوله: ﴿ لِيُغْلِهِرَهُ عَلَى اَلدِينِ كَيْ قوله تعالى: ﴿ رَبْقَلَمَ دَابِرَ ٱلكَيْرِينَ ﴾ أي: يجتث أصلهم؛ وقد بَيَّنًا ذلك في [الانعام: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لِيُعِنَّ اَلْمَتَى المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق. وفي هذا الحق القولان المتقدمان. فأما الباطل، فهو الشرك؛ والمجرمون هاهنا: المشركون.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمُ مَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُبِدُّكُمْ بِأَلْنِ مِنَ الْمَلَتِبِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَمَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بَشْرَىٰ وَلِتَطْمَهِنَّ بِدِهِ مُؤْدِكُمُ مُ وَمَا النَّمْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيدُ حَكِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَيَنِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ سبب نزولها ما روى عمر بن الخطاب ﴿ قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم أنجز ما وحدتني، اللهم أنجز ما وحدتني، اللهم إنك إِن تُهلِكُ هذه العصابة لا تُعبَدُ في الأرض أبداً» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كذاك (١) مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك؛ وأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ قال ابن جرير: هي من صلة اليبطل، وفي قوله: ﴿ تَسْتَفِيثُونَ ﴾ قولان: أحدهما: تستنصرون. والثاني: تستجيرون. والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص. وفي المستغيثين قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ والمسلمون، قاله الزهري. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله السدي. فأما الإمداد فقد سبق في اآل ممران: ١٧٤]. وقوله: ﴿ إِلَٰتِ ﴾ قرأ الضحاك، وأبو رجاء: ﴿بَالَاف، بهمزة ممدودة وبألف على الجمع. وقرأ أبو العالية. وأبو المتوكل: "بالوف" برفع الهمزة واللام وبواو بعدها على الجمع. وقرأ ابن حَلْلُم(")، والجحدري: ﴿بِأَلْفِ} بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف، وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿بِيَلْفِ} بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف. فأما قوله: ﴿مُرْدِينِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مردِفين» بكسر الدال. قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء: هم المتتابعون. وقال أبو على: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيداً دابتى؛ فيكون المفعول الثانى محذوفاً في الآية. والثاني: أن يكونوا جاؤوا بعدهم؛ تقول العرب: بنو فلان مردوفونا، أي: هم يجيئون بعدنا. قال أبو عبيدة: مردِفين جاؤوا بعدُ. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مردّفين» بفتح الدال. قال الفراء: أراد: فُعِلَ ذلك بهم، أي: إن الله أردف المسلمين بهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: "مُرَدُّفين" بفتح الراء والدال مع التشديد. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مُرُدِفين» برفع الراء وكسر الدال. وقال الزجاج: يقال: ردفت الرجلّ: إذا ركبتُ خلفه، وأردفتُه: إذا أركبتُه خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرادِف، ولا يقال: لا تُردِف. ويقال: ردفتُ الرجلَ: إذا جئتَ بعده. فمعنى امردفين؛ يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرَدِّفين ومُرُدِّفين ومُردِّفين، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر. قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُودِّفين لأنك طرحت حركة الناء على الراء؛ وإن شئت لم تطرح حركة الناء، وسكرت الراء لالتقاء الساكنين. والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضمة الميم. وقد سبق في (آل عمران) تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلُهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشَرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وكان مجاهد يقول: ما أمد الله النبي ﷺ بأكثر من هذه الألف التي ذُكرت في [الاننال: ١٠]، وما ذَكَر الثلاثة والخمسة إلا بشرى، ولم يُمَدُّوا بها؛ والجمهور على خلافه، وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في آل عمران: ١٢٦.

⁽١) هكذا وقع لجماهير رواة مسلم (كذاك؛، ولبعضهم: «كفاك؛ وكل بمعنى. وفي الطبري، و«مسند أحمد،، و«تفسير ابن كثير؛: كفاك.

⁽٢) • الطبري، ١٣/ ٤٠٩، ورواه مسلم ٣/ ١٣٨٤ مطولاً، وأحمد في «المسند» رقم ٢٠٨ و ٢٢١.

⁽٣) هو تميم بن حذلم الضبي أبو سلمة الكوفي.

﴿إِذْ يُنَشِيكُمُ النُّمَاسَ أَسَنَةً مِنْنَهُ وَيُمَرِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَلَةِ مَانَهُ لِيُطُهِّرَكُم بِدِ. وَيُذْهِبَ عَنكُر رِيْزَ الشَّيَطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُغَيِّتَ بِهِ الْأَقْدَامُ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَ يُعُشِّيكُمُ النَّمَاسَ أَتَنَهُ مِنْهُ﴾ قال الزجاج: ﴿إِذَ وضعها نصب على معنى: وما جعله الله إلا بشرى، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إِذ يغشاكم النعاس. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿إِذ يغشاكم بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف ﴿النعاسُ بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُغَشِّيكم بضم الياء وجزم الغين وكسر بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، ﴿النعاسُ بالنصب. وقرأ نافع: ﴿يُغْشِيكم بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين، ﴿النعاسُ بالنصب. وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَيَطَمْنِنَ بِهِ قُلُوبُكُمُ ﴾ إِذ يغشاكم النعاس. قال الزجاج: و ﴿أمنةُ منصوب تمعفول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ آمنُ أمناً وأماناً وأمناً . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالمية، وابن يغمر، وابن محيصن: ﴿أمْنَةُ منه المحون المهم.

قوله تعالى: ﴿ وَيُرْزِلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَكَاءِ مَا ابن عباس: نزل النبي على يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المسركون على الماء، فأصاب المسلمين الظمأ، وجعلوا يصلّون محدِثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون محدِثين، فأنزل الله عليهم مطراً، فشربوا وتطهَّروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء، وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيده، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة. وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذاب الله وغضبه، إذ الرجز: العذاب.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيرَبِطُ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ الربط: الشد. و «على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم. وفي الذي ربط به قلوبهم وقوَّاها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل. والثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبَّت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَيُثِيَّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ في هاء "به» قلان: أحدهما: أنها ترجع إلى الماء؛ فإن الأرض كانت رَمِلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى؛ ويثبت بالربط الأقدام، ذكره الزجاج.

﴿إِذْ يُومِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَتَهِكُمُو أَنِي مَمَكُمْ مَنْيَتُوا الَّذِينَ مَامَثُواْ سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَاضْرِيُوا فَوْقَ الْأَغْسَاقِ وَاخْرِيُوا مِنْهُمْ كُلُّ بَنَانٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ شَاقُواْ اللّهَ وَرَسُولَةُ وَمَن يُشَانِقِ اللّهَ وَرَسُولَةُ فَمَاكَ اللّهَ شَدِيدُ الْمِقَابِ ۞ ذَلِكُمْ فَذُونُوهُ رَأَكَ لِلْكَفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَيِّكَةِ أَنِّ مَعَكُمْ ﴾ قال الزجاج: "إِذ" في موضع نصب، والمعنى: وليربط إِذ يوحي. ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إِذ يوحي. قال ابن عباس: وهذا الوحي إِلهام.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَلَتِكَةِ ﴾ وهم الذين أمد بهم المسلمين. ﴿أَنِي مَعَكُم ﴾ بالعون والنصرة. ﴿فَيَتُوا الَّذِي ءَامَوُا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن. والثاني: بشروهم بالنصر؛ فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل. والثالث: ثبترهم بأشياء تُلقُونها في قلوبهم تقوى بها، ذكره الزجاج. والرابع: صححوا عزائمهم ونياتِهم على الجهاد، ذكره الثعلبي. فأما الرعب، فهو الخوف. قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السُّوائي عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطسّت فيطِنُ، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَضْرِهُا فَوَقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلَّمهم الله تعالى ذلك. والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من

المفسرين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فاضربوا الأعناق، و «فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس. والثاني: اضربوا الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكومة. وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الفراء: علَّمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: البنان: أطراف الأصابع. قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرَّجل. والثاني: أنه كل ما يكون للإقامة نوع، هذا قول الزجاج. قال واشتقاق البنان من قولهم: أبنَّ بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يُعتمَل كل ما يكون للإقامة والحياة.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَهُمْ شَآقُوا آلَتَهُ قَدَلُكُ إِشَارَة إِلَى الضرب، و «شاقوا» بمعنى: جانبوا، فصاروا في شِقٌ غيرِ شِقٌ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ وَالِحَمُّمُ فَذُوتُوهُ ﴾ خطاب للمشركين؛ والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا. وفي فتح الله قولان: أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين. والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار. فإذا ألقيت الباء، نصبت. وإن شئت، جعلت النه في موضع رفع؛ يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوٓا إِذَا لَيَسِنُدُ الَّذِينَ كَنَرُوا رَحْفَا فَلَا تُولُّوهُمُ الأَذَبَارَ ۞ رَمَن بُولِهِمْ يَوْمَهِ وَبُرُوهُ إِلَّا مُتَحَرِّهَا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا اللَّهِ اللَّهِ مُنَاوِّنَهُ جَهَدًا لَمُ وَلِشَرَى اللَّهِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لِتَيْسُتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا﴾ الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم؛ قاله الليث. والتزاحف: التداني والتقارب، قال الأعشى:

لِسمَّنِ السطَّسعَسائِسنُ سَينْسرُهُسنَّ تَسزَحُسف

قال الزجاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتموهم للقتال فلا تُدبروا ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ يوم حربهم ﴿دُبُرُهُۥ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة؛ فـ امتحرَّفاً و امتحيَّزاً ، منصوبان على الحال. ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء؛ فيكون المعنى: إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً. وأصل متحيز؛ مُتْحَيُّوزِ؛ فأدغمت الياء في الواو.

قوله تعالى: ﴿ وَمَأْرَنُهُ جَهَيَّمُ ﴾ أي: مرجعه إليها؛ ولا يدل ذلك على التخليد.

فصل

﴿ لِلَّهُ تَفْتُلُومُمْ وَلَكِنَ اللَّهَ فَلَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ رَمَنْ وَلِيثَ اللَّهُويِينَ مِنْهُ بَلْآءَ حَسَنَا إِنَ اللَّهَ مَا يَشَعُ عَلِيمٌ ﴿ وَمَا رَمَيْتُ إِنَّ اللَّهُ مُومِنُ كَيْدِ الْكَيْفِرِينَ ﴿ ﴾

 ⁽۱) رواه أبو داود رقم (۲۹۱۱) عن ابن عباس بلفظ: فلن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلقه وقال: والصحيح أنه مرسل، ورواه النرمذي وقال: حسن غريب،
 ولم يصححه، لأنه يروى مسنداً ومرسلاً ومعضلاً. قال ابن القطان: لكن هذا ليس بعلة فالأقرب صحته.

قوله تعالى: ﴿ نَامَ مَتَنَّكُومُمْ وَلَكِنَ اللهُ قَلَهُمْ وَلَكِنَ اللهُ قَلَهُمْ وَلَكِنِ اللّهُ قَلْمَا وسبب نزوله هذا الكلام أن أصحاب رسول الله على المناوله عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنا وقَتَلْنا، هذا معنى قول مجاهد. فأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فَنِي سبب نزوله للائة أقوال: أحدها: أن النبي على قال لعلى: الناولني كفاً من حصباء، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي مشرك إلا أحد إلا وقعت في عينه حصاة (١٠). وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»؛ فما بقي مشرك إلا شخل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللّهُ رَمَيْ وَلَكِنَ اللّهُ وَقَلْكُ يوم بدر؛ وهذا قول الأكثرين. وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت؛ يقال: شاه وجهه يشوه شوهاً وشُوها، ويقال: رجل أشوه، والمرأة شوهاء؛ إذا كانا قبيحين. والثاني: أن أبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي على يريده، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله في فخلوا سبيله، وطعنه النبي على بحربته، فسقط أبيٌ عن فرسه، ولم يخرح من طعنته دم، فأتاه أصحابه وهو يخور خُوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل المجاز ما مناتوا أجمعون، فمات قبل أن يُقدَم مكة؛ فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه. والثالث: أن رسول الله المحاذ من عيوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحُقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقى في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ اللّهَ قَنْلَهُمْ ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم. والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولَّى نصرهم. والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم. والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم. وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْكَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة. والثاني: وما بلغ رميُك كفاً من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك؛ قاله الزجاج. والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَإِيْدَيِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَكَةَ حَسَنَا ﴾ أي: ليُنعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والأجر. ﴿إنَّ اللَّهُ سَمِيعُ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَالكُم ﴾ قال الزجاج: موضعه رفع: والمعنى: الأمر ذلكم. وقال غيره: «ذلكم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن. ﴿ وَأَنَّ اللَّهُ ﴾ أي: واعلموا أن الله. والذي ذكرناه في فتح الن الله قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهُ إِن الْكَيْرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ هو مذكور في فتح الن الله هذه.

قوله ثمالى: ﴿مُرِهِنُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر «مُوَهِّنٌ» بفتح الواو وتشديد الهاء منونة "كيدَ» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «موهنٌ» ساكنة الواو، «كيدَ» بالنصب. وروى حفص عن عاصم موهنُ كيدٍ» مضاف. والموهن: المضعِف، والكيد: المكر.

﴿ إِن تَسْتَغْيِحُوا نَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَسَنَّحُ وَإِن تَنَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمُّ وَإِن تَمُودُوا نَفَدُّ وَلَن تُنْفِى عَنكُر فِنَتَكُمْ شَيْنَا وَلَوْ كَثُمُّتُ وَأَنَّهُ وَلَا تَوَلُوا عَنْهُ وَالنَّمْ تَسْمَعُونَ ۞﴾ اللهَ مَعَ النُّهْوِينِينَ ۞ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا نَوَلُوا عَنْهُ وَأَشَدٌ تَسْمَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَقَلِحُوا ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أصحاب رسول الله على استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية؛ وهذا المعنى مروي عن أُبيِّ بن كعب، وعطاء الخراساني. والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، فقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله السدي. والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه

⁽١) • الطبري، ١٣/ ٤٤٥ من رواية السدي، وابن كثير ٢/ ٢٩٥.

بالحق؛ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿اللَّهُمّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقّ بِنَ عِنوكَ فَأَمْطِين عَيْدًا حِجَارَةً مِنَ السّكَمَةِ الآية الانتال: ٢٧]، فعذ بوا يع بدر، قاله ابن زيد. فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله: ﴿إِن تستفتحوا ولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: المشركون؛ وهو الأشهر. وفي الاستفتاح قولان: أحدهما: أنه الاستفصار؛ قاله ابن عباس، والزجاج في آخرين. فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إن تستنصروا فقد جاء تستنصروا فقد جاء النصر عليكم. والثاني: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاء النصر لأحب الفريقين. والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم؛ وإلى هذا المعنى الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم؛ وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة، ومجاهد، وقتادة. فأما قوله: ﴿ وَإِن تَنتَهُوا فَهُو عَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة. وفي معناه قولان: أحلهما: إن تنتهوا عن قتال محمد عنه والكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن تنتهوا عن استفتاحكم، فهو خير لكم، لأنه كان عليهم، لا لهم، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿ وَإِن تَعُولُ اللّه قولان: أحدهما: إلى القتال، نَعُذُ إلى هزيمتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإن تعودوا إلى القتال، نَعُذُ إلى هزيمتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإن تعودوا إلى الاستفتاح، نَعُذُ إلى الفتح لمحمد على، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَن تُنَيِّ عَنكُمْ يَنَكُمُ شَيْئَ ﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت، ﴿ وَأَنَّ اللهُ مَعَ ٱلنُوْمِينَ ﴾ بالعون والنصر. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله بكسر الألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وأنه بفتح الألف. فمن قرأ بكسر «أن» استأنف. قال الفراء: وهو أحب إليَّ من فتحها. ومن فتحها، عاصم: «وأنه بفتح الألف. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَوَلَوْا عَنْ رُسُولُ اللهُ عَلَيْ اللهُ وَالنّانِي: لا تولّوا عن رسول الله عَلَيْ ﴿ وَالنّانِي: لا تولّوا عن أمر رسول الله على المؤمنين. قوله تعالى: ﴿ وَلَا مَنْ القرآن، روي القولان عن أبن عباس.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِيكَ قَالُواْ سَكِمْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآتِ عِندَ اللّهِ اللّهُمُ الْذِيكَ لَا يَعْتِلُونَ ۞

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِيكَ قَالُوا سَكِمْنَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصيّ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: في المنافقين، قاله أبن إسحاق، والواقدي، ومقاتل. وفي معنى الكلام قولان: أحدها: أنهم قالوا: سمعنا، وليسوا ولم يتفكّرُوا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزجاج. والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكى عن مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَ اللَّهِ المُّمُّ الْبُكُمُ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصيّ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي. والدواب: اسم كل حيوان يَدِبُّ؛ وقد بينًا في سورة [البقرة: ١٨] معنى الصم والبكم، ولم سمًاهم بذلك.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَبَّرًا لَأَسْمَعُهُمَّ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوْلُواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيمَ خَبْرًا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ولو علم فيهم صدقاً وإسلاماً. والثاني: لو علم فيهم صدقاً وإسلاماً. والثانث: لو علم فيهم خيراً في سابق القضاء. والثالث: لو علم أنهم يَصْلُحون. والرابع: لو علم أنهم يَصْغُونَ. وفي قوله: ﴿ لَأَنْتَمَهُمُ اللهُ أَوْوَال : أحدها: لأسمعهم جواب كلِّ ما يسألون عنه، قاله الزجاج. والثاني: لزرقهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يَشهدون بنبوَّتك، حكاه الماوردي. وفي قوله: ﴿ وَهُمُ مُتُوشُونَ ﴾ قولان: أحدهما: مكذّبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وهم معرضون عما أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزجاج.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَوُا اسْتَجِيمُوا يَدِّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُمْتِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَكَ اللَّهَ يَحُولُ بَيْرَكَ الْمَرْءِ وَقَلِمِهِ. وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ شُمْرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَسْتَجِيبُوا ﴾ أي: أجيبوا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ يعني الرسول ﴿لِمَا يُعِيكُمْ ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أن الذي يحييكم: كل ما يدعو الرسولُ إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس. وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلّى قال: كنتُ أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله على أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا بِللّهِ وَالرّسُولِ إِذَا دَعَاكُمٌ لِمَا عُيِيكُمْ فلت: بلى، ولا أعود إن شاء الله الله: أو الثاني: أنه الحق، رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، والمثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال السدي. والمرابع: أنه اتباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد. والمخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق. وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويعليهم. والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء. فيخرَّج في إحيائهم خمسة أقوال: أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة. والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياة الأبد في الآخرة، والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة، والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميَّت. والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداء أحياء، ولأن الجهاد يُعرَّهم بعد ذُلَّهم، فكأنَّهم صاروا به أحياء.

قوله تعالى: ﴿ وَاَعْلُمُوا أَكَ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْمِهِ وَفِيه عشرة أقوال: أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك والفراء. والثالث: يحول المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك والفراء. والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: المعنى: يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصُّلون على ما قدمتم، والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سرّه، كقوله: ﴿ وَمَنْ أَوْبُ إِلَيْهِ مِنْ حَلِ الْوَبِيلِ ﴾ [ق: ١٦] وهذا معنى قول قتادة. والمخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً إلا بإذنه، قاله السدي. والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة. والسابع: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فالدوا الأعمال قبل وقوعه. والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضمر العبد شيئاً في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تغيبه عنه. والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري. وحكى الزجاج أنهم لما فكروا في كثرة عدوهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوفِ الأمن، ويبدل عدوّه بالقرّة الضعف؛ وقد أعلمت هذه ألله تعالى هو المقلّب للقلوب، المتصرّف فيها(٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ غُنَّرُونَ ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

﴿ وَائْتُوا نِشَنَةً لَا شَمِيبَةً الَّذِينَ طَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَكَةً وَاعْلَمُوا أَنَ اللَّهَ شَكِيدُ الْمِقَابِ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُواْ فِتْنَهُ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زماناً، وما نُرى أنّا مِن أهلها، فإذا نحن المعنيون بها. والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ولم يسمّهما. والثالث: أنها عامة، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يُقِروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب. وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضاً. والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن. وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل. وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال: أحدها: القتال.

بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: انعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاه). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

⁽١) ﴿ البخاريِ ٩/ ١١٩ / ٢٣١ دون قوله ﴿ قلت: بلى ولا أعود إن شاء الله ﴾ وهذه الزيادة إنما وردت عند أحمد في ﴿ المسند ﴾ ١٨ / ٦٥ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٢/ ١١١ من حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب ﷺ.

⁽٢) روى مسلم في «صحيحه؛ ٢٠٤٥/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوينا على طاعتك». وروى الترمذي ٣٦/٢ عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا نبي الله آمنا

والثاني: الضلالة. والثالث: السكوت عن إنكار المنكر. والرابع: الاختبار. والمخامس: الفتنة بالأموال والأولاد. والسادس: البلاء. والسابع: ظهور البدع. فأما قوله: ﴿ لا تَصِيبَنَ النِّينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ مَا مَكَمُ مُ الْمَاعِنَ الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء. وإن كان نهياً، كقوله: ﴿ يَكَاتُكُ النَّلُ انْعُلُواْ مَنكِنَكُمُ لاَ يَعْلِمَنكُمُ سُلَمَنكُ النمل: ١٨ أمرهم، ثم نهاهم؛ وفيه تأويل الجزاء. وقال الأخفش: «لا تصيبن» ليس بجواب، وإنما هو نهي بعد نهي؛ ولو كان جواباً ما دخلت النون. وذكر ابن الأنباري فيها قولين: أحلهما: أن الكلام تأويله تأويل الخبر، إذ كان المعنى: إن لا يتقوها، تُصِبُ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والطالحين؛ فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول؛ لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جواباً للأمر، أو كالجواب له، فأكد له شبه النهي، فلخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه. والثاني: أنها نهي محض، معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا؛ فلخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله: «لا يحطمنكم». وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تصيبن الفتنة ألذين ظلموا. والثاني: لا يصيبن عقاب الفتنة. فإن فما ذنب من لم يظلم؟ فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة". وقد قرأ علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب: قلتصيبن اللذين ظلموا، بغير ألف.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُدْ قَلِيلٌ تُسْتَضَعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُوكَ أَن بَنَخَطَفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَنَاوَىكُمْ وَأَبَّدَكُم بِتَصْرِهِ. وَوَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ﴾ لَمُلَّكُمُ تَشْكُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُدْ قَلِلٌ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون. وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدراً، والمسلمون قليلون يومثذٍ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَاكَاكِكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: فآواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثرون. والثاني: جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَلَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ قولان: أحدها: قوَّاكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور. والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَلَدَفَكُمْ مِنَ الطّيبَكِ ﴾ قولان: أحدهما: أنها الغنائم التي أحلَّها لهم، قاله السدي. والثاني: أنها الخيرات التي مكَّنهم منها، ذكره الماوردي.

﴿يَاأَيُّنَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَا غَمُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَغَمُونُوا أَمَنَانِيكُمْ وَأَنتُمْ تَصْلَعُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿لا غُوْلُوا الله وَالراسِ الله النبي الله النبي الناس الله النبي النبي

⁽١) روى البخاري ٥٤/٥ ـ ٢١٦ عن النعمان بن بشير رهم عن النبي على قال: قمثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان اللين في أسفلها إذا استقوا من الماه مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤد من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيديهم تجوا ونجوا جميعاً».

رسول الله على: «يجزئك الثلث» (١٠). والثاني: أن جبريل أتى رسول الله على فقال: إِن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي على لأصحابه: «اخرجوا إليه واكتمواه، فكتب إليه رجل من المنافقين: إِن محمداً يريدكم، فخذوا حذركم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله (١٠). والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبة. والرابع: أن قوماً كانوا يسمعون الحديث من رسول الله على، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي (١٠). وفي خيانة الله المدي الله الله وفي خيانة الرسول الله تولان: أحدهما: ترك فرائضه. والثاني: معصية رسوله. وفي خيانة الرسول قولان: أحدهما: مخالفته في السرِّ بعد طاعته في الظاهر. والثاني: ترك سنّته، وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال: أحدهما: أنها الفرائض، قاله ابن عباس. وفي خيانتها قولان: أحدهما: تنقيصها. والثاني: تركها، والثاني: أنها الذرائها في ما جرى لأبي لبابة.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَمَا أَمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتَمَدُ وَأَنَ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرُ عَظِيدٌ ۞ يَكَأَيُّمَا الَّذِيبَ مَامُنُوا إِن تَنَقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ وَاعْلَمُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَعْلَمُواْ أَنَمَا آمُوَلُكُمُ وَلَوْلَدُكُمُ فِيتَرَدُّ﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة. فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتَّباع الهوى أو تجنبِه ﴿وَأَكَ اللّهَ عِندَهُۥ أَجِّرُ عَظِيدٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿ إِن تَنْقُواْ اللَّهَ ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿ يَمْمَلُ لَكُمْ فُرْقَانَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وابن قتيبة، والمعنى: يجعل لكم مخرجاً في الدِّين من الضلال. والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي. والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء. والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

﴿ وَإِذْ يَسْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَنَرُوا لِيُشْتِمُوكَ أَوْ يَشْتُلُوكَ أَوْ يُخْدِجُولُ وَيَسْكُرُونَ وَيَسْكُرُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلسَّكِرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَنَرُوا﴾ هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿ وَاَذْكُرُوا إِذْ أَنتُدٌ قَلِيلٌ ﴾ فالمعنى: أَذْكِر المؤمنين ما مَنَّ الله به عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لما بويع رسول الله على ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكأنكم به قد كرَّ عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وَثاق، وتربَّصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال من أيديكم. فقال أب يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربوه به ضربة رجل واحد، فيفرَّق دمه في القبائل، فما أظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العَقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. فتفرَّقوا

⁽١) خبر أبي لباية أخرجه الواحدي في •أسباب النزول» ١٣٤، وأخرج بعضه الطبري ١٣/ ٤٨١، وابن هشام ٢٣٦/٢.

 ⁽٢) قال ابن كثير في التفسيرة بعد أن أورده عن ابن جرير: هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

⁽٣) قال أبو جعفر الطبري ٢٣/ ٤٨٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانه أمانته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. وقال ابن كثير ٢/ ٢٠١١: والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

عن ذلك. وأتى جبريل رسول الله على فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله على، أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لمّا أصبحوا، فرأوا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره حتى بلغوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت^(۱). فأما قوله: ﴿ لِنُتِبُوكُ فقال ابن قتيبة: معناه: ليحبسوك. يقال: فلان مثبت وجعاً: إذا لم يقدر على الحركة. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين. وكان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيت ويشدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب، وقد صبق بيان المكر في الاصمران: ١٤٤].

﴿ وَإِذَا نُشَلَى عَلَيْهِمْ مَا يَكُنَا قَالُوا مَدْ سَكِمْنَا لَوَ نَشَآهُ لَثُلْنَا مِثْلَ هَندًا ۚ إِنْ هَندًا إِلَّا أَسَطِيرُ الْأَوْلِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ مَاكِنُنا﴾ ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وأنه لما سمع رسول الله على يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا. وفي قوله: ﴿وَلَا سَيَعْنَا﴾ قولان: أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك. والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله، وكان النضر يختلف إلى فارس تاجراً، فيسمع العبَّاد يقرؤون الإنجيل. وقد بين التحدِّي كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَاهُ لَتُلْنَا مِثْلَ هَندُاً﴾. وقد سبق معنى الأساطير في [الأنمام: ٢٥].

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَ إِن كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ النَّسَاءِ أَوِ اقْيْنَا بِمَدَابِ أَلِيدٍ ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَ إِن كَانَ هُوَ ٱلْحَقِّ مِنْ عِندِكَ المحتلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أتوال: أحدها: أنها نزلت في النضر أيضاً، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي. والثاني: أنها نزلت أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا؛ قاله أنس بن مالك، وهو مخرج في «الصحيحين» (٢٠ والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا، ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ مُمُذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْيُرُونَ ﴾، رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. وفي المشار إليه بقوله: ﴿ إِن كَانَ هَنَا لَهُ اللّهُ النبوة من بين القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله على من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد على بالنبوة من بين

﴿ وَمَا كَاتَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَتَ نِيهِمْ وَمَا كَاتَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُمَرِّبُهُمْ وَأَنتَ نِبِمْ ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أهل مكة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. قال ابن عباس: لم تُعذَّب قرية حتى يخرج نبيَّها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان الله ليعذبهم وأنت حي؛ قاله أبو سليمان. والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به مَن قبلهم وأنت حي؛ ذكره أبو سليمان الدمشقي.

فصل

قَالَ الحسن، وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْرَ أَلَا يُعُذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الانفال: ٣٤]، وفيه بُعد، لأن النسخ لا يدخل على الأخبار. وقال ابن أبزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُمَدِّبُهُمْ وَأَتَ فِيهِمْ﴾ فخرج

(۲) والبخاري، ۸/ ۲۳۲، و مسلم، ٤/ ٢١٥٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٠ وزاد نسبته لاين أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في
 (۱لدلائل، عن أنس بن مالك.

⁽۱) هسيرة ابن هشام ۱ / ۲۸۰ ـ ۲۸۳ قال فيه ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس. ورواه أحمد في «مسنده» رقم (٣٢٥١) مختصراً، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/٧٧ مختصراً أيضاً وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، ويقه رجاله رجال الصحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ١/ ١٧٩ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدر» ١/ ٢٤٥ و ٤٩٤ مختصراً.

إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَاكَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَقْفِرُونَ ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَللّهُ ﴾ (). وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله: ﴿ وَمَا كَاكَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، كلام مبتدأ من إخبار الله رضي قد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إذ الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فرَّد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ وَهَا لَهُمْ أَلَا يُمُذِّبُهُمْ اللّهُ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغَفِرُونَ ﴾ وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال: أحدها: وما كان الله معلنب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزجاج. والثاني: وما كان الله معلنبهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبّون ويقولون: غفرانك؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول. والثالث: وما كان الله معلنبهم، يعني المشركين، وهم يعني المؤمنين النبن بينهم ويستغفرون؛ روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك، وأبو مالك. قال ابن الأنباري: وُصفوا المومنة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلاً، وأخذ أهل البصرة فلاناً، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد. والرابع: وما كان الله معلنبهم وفي أصلابهم من يستغفر الله، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم؛ فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه؛ فوصفهم بصفة ذراريهم، وغُلبوا عليهم كما غُلب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله. والخامس: أن المعنى: لو استغفروا لما علنهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقُّوا العذاب؛ وهذا الجواب الذي قبله. والخامس: أن المعنى: لو استغفروا لما علنهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقُّوا العذاب؛ وهذا الحرب: ما كنت لأهينك لو أكرمتني؛ فأما إذ لست تكرمني، فإنك مستحق لإهانتي، وإلى هذا القول ذهب قتادة والسدي. قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين. وذكر المفسرون في مستحق لإهانتي، وإلى هذا القول ذهب قتادة والستغفار المعروف؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى الإسلام، معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الاستغفار المعروف؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى الإسلام، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه بمعنى الإسلام،

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُمُذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَآهُمُ إِنَّ أَوْلِيَآوُمُ إِلَّا الْمُنْقُونَ وَلَاكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلّا يُمُذِّبُهُمُ أَللّهُ﴾ هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأولى نفت ذلك. وهل المراد بهذا: العذابُ الأولُ، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين: أحدهما: كون النبي على فيهم، والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم؛ فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة. والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن العذاب الثاني قَتْلُ بعضِهم يوم بدر، والأول استئصال الكُلّ؛ فلم يقع الأول لِما قد عُلم من إيمان بعضهم، وإسلام بعضِ ذراريهم، ووقع الثاني. والثاني: أن العذاب الأول عذاب الآخرة؛ قاله ابن عباس. فيكون المعنى: وما كان الله معذّب المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: وهم يصدون ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ اَلْمَرَارِ ﴾ أولياءَه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِياءَهُ وَلانَ: أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد»، وهو قول الجمهور. قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بهذا. والثاني: أنها تعود إلى الله عَلَى ، ذكره أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآوُهُۥ﴾ أي: ما أولياؤه ﴿إِلَّا ٱلْمُنْقُونَ﴾ للشرك والمعاصي، ولكنَّ أكثر أهل مكة لا يعلمون منَ . الأولى ببيت الله .

⁽١) ﴿ الطبري؛ ١٩/ ٥٠٩، ٥١٠، وأورده السيوطي في ﴿ اللهِ ٣ / ١٨١ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَائَهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَانَّهُ وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُواْ الْفَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُّرُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَا أَهُمْ عِندَ الْبَيْتِ ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفّقون ويَضفِرُون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر. فأما المكاء، ففيه قولان: أحدهما: أنه الصّفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة. قال ابن فارس: يقال: مكا الطائر [يمكو] مُكاءً: إذا صَفَر، ويقال: مَكِيتُ يده [تَمكى] مَكى، مقصور، أي: غلظت وخشُنت، ويقال: تمكّى: إذا توضأ. وأنشدوا:

[إِنَّكَ والبَحَوْدَ على سبيل] كالمُتَمَكِّي بدم القتيلِ(١)

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفيَّه، وجعل يَضفِر فيهما. والثاني: أنه إدخال أصابعهم في أنواههم يخلطون به، وبالتصدية على محمد على صلاته، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء إدخال الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير. وفي التصدية قولان: أحدهما: أنها التَّصفيق، قاله [ابن] عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: صدَّى: إذا صفَّق بيديه. قال الراج::

الغرو: العجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب. والثاني: أن التصدية: صدُّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير. وقال ابن زيد: هو صدُّهم عن سبيل الله ودينه. وزعم مقاتل أن النبي الله كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفِران، ورجلان عن يساره فيصفِّقان، فتختلط على النبي شخ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر، فذلك قوله: ﴿وَذُونُوا الله المَانَ بِمَا كُنتُم تَكَفُرُونَ ﴾ يتوحيد الله. فإن قيل: كيف سمى المكاة والتصدية صلاةً؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صِلَتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلة، قال الشاع.:

قُـلْتُ له اظعِمنِي عَمِينُمُ تَـمُوا فَـكَانَ بَسِمُويُ كَسَهُ وَذَابُوا

أي: أقام الصياح عليَّ مقام التمر. والثاني: أن من كان المكاءُ والتصديةُ صلاتَه، فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: مَنِ السخاء عيبه، فلا عيب له، قال الشاعر:

﴿إِنَّ الَّذِيكَ كَفَرُواْ يُنفِعُونَ أَتُولَهُدُ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَسَيُونَهُا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِدْ حَسْرَةً ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّدَ بُخْشَرُونَ ﴾ إلى جَهَنَّدَ بُخْشَرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِئُونَ أَتَوَلَهُمُ لِيَسُلُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المطعمين ببدر، وكانوا اثني عشر رجلاً يطعمون الناس الطعام، كل رجل يطعم يوماً، وهم: عتبة، وشيبة، ومُنبّه ونُبّيه ابنا الحجاج، وأبو البَخْتري (٤٠)، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأخوه الحارث، وحكيم بن حزام، وأُبَيُّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله على سوى من استجاش من

⁽۱) البيت في اللسان، مكا، ونسبه إلى عنترة الطائي، وعنترة هذا: هو عنترة بن عُكبرة الطائي، وعكبرة أم أمه، وبها يعرف، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة بن صبيح بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود، شاعر محسن وفارس. «المؤتلف والمختلف، ٢٢٥.

⁽٢) وغريب القرآن؛ لابن قتيبة ١٧٩. وانظر ديوان بشار، ٢٢٢/٢ ـ ٢٢٣.

 ⁽٣) البيت للنابغة الجعدي، دريوانه؛ ١٧٣ طبع المكتب الإسلامي، و«الحماسة» ٢/ ٩٦٩، و«الخزانة» ٢/ ٢٢؛ و«شرح شواهد المغني، ٢٠٩٠.

⁽٤) هو سعيد بن فيروز الطائي.

العرب، قاله سعيد بن جبير (١). وقال مجاهد: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحُد. والثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك. فأما سبيل الله، فهو دين الله.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسَرَا ﴾ أي: تكون عاقبة نفقتهم ندامة، لأنهم لم يظفروا.

﴿ لِيَهِزَ اللهُ الْخَبِينَ مِنَ الطَّتِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضِ فَيَرْكُمُهُ جَيِمًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمُ أُولَتَهِكَ هُمُ الْخَبِرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لِيَمِيرُ اللهُ ٱلْخَيِبَ مِنَ ٱلطَّيِبِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر اليميز، خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي اليميز، بالتشديد وهما لغتان: مِزْتُه وميَّرْتُه. وفي لام اليميز، قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: السينفيقونها، قاله ابن الأنباري. والثاني: أنها متلعقة بقوله: الله جهنم يحشرون، قاله ابن جرير الطبري. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: ليميِّز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال السدي، ومقاتل: يميز المؤمن من الكافر. والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ النَّجِيثُ بَعْمَدُمُ عَلَى بَعْضِ ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿ فَيَرْكُمُمُ ﴾ . قال الزجاج: الركم؛ أن يُجْعَل بعضُ الشيء على بعض، يقال: ركمت الشيء أركُمه ركماً؛ والركام؛ الاسم؛ فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض؛ ومن قال: أموالهم، فله في ذلك قولان: أحدهما: أنها ألقيت في النار ليعذَّب بها أربُابها، كما قال تعالى: ﴿ فَتُكُونَ يِهَا حِبَاهُهُمْ ﴾ [النوبة: ٢٥]. والثاني: أنهم لمًّا عظموها في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار، ليرى من عبدهما ذُلّهما.

﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُمْغَر لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَمُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَتُ الْأَوْلِينَ ٥٠٠

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لِلَّذِيكَ كَنَرُهُ ﴾ نزلت في أبي سفيان وأصحابه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة، يُغْفَرُ لهم ما قد سلف من حربهم، فلا يُؤاخَذون به؛ وإن يعودوا إلى المحاربة، فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أولياءه؛ وقيل: في قتل من قُتِل يوم بدر وأُسر. والثاني: إن ينتهوا عن الكفر، يُغْفَر لهم ما قد سلف من الإثم؛ وإن يعودوا إليه، فقد مضت سُنَّةُ الأولين من الأمم السالفة حين أخذوا بالعذاب المستأصِل. قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إنَّ توحيداً لم يعجِزُ عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجِزُ عن هدم ما بعده من ذنب (٢٠).

﴿ وَقَدْنِلُوهُمْ ۚ حَتَّىٰ لَا تَكُونُ يَقَنَةً وَيَكُونَ ٱلذِينُ كُلُّهُ لِنَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَ ٱللَّهِ بِمَا يَمْمَلُونَ بَعِيدِرٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَنَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ ﴾ أي: شرك. وقال الزجاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر؛ ويدل عليه قوله: ﴿ وَيَكُونَ اللِّينُ كُلُّمُ لِلَّوْ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ النَّهَوَا﴾ أي: عن الكفر والقتال، ﴿ فَإِنَ اللَّهَ بِمَا يَمْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً: «بما تعملون» بالتاء.

﴿ وَإِن نُولُوا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَنكُمُّ نِتْمَ الْمَوْلُ وَيَعْمَ النَّصِيرُ ﴿

قولَه تعالى: ﴿ زَان فَاقَا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال ﴿ فَاعَلَمُوا أَنَّ اللَهُ مُوْلَنكُمُ ﴾ أي: وليكم وناصركم. قال ابن قتية: ﴿ نِمْمَ الْمَوْلَ ﴾ أي: نعمَ الولي ﴿ وَيَعْمَ النَّهِيرُ ﴾ أي: الناصر، مثل قدير وقادر، وسميع وسامع.

﴿ ﴾ وَاعْلَمُواْ اَنْمَا غَنِمْتُم مِن مَنْهُو فَأَنَّ بِلَهِ خُمْسَكُمْ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقَدْنَى وَالْمِسْكِينِ وَابْرَبِ السَّكِيلِ إِن كُشَّمْ ءَامَنشُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْوْمَانِ يَوْمَ الْلَغَى الْجَمْعَانُ وَاللَّهُ عَلَ كُلِ شَيْءٍ فَلِيتُ ﴿ ﴾

⁽١) قالطبري، ١٣٠/ ٥٣٠.

 ⁽٢) روى مسلم في «صحيحه» ١١١/١ عن عبد الله بن مسعود في قال: قلنا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: •من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية؟ ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».
 وروى مسلم أيضاً في «صحيحه» ١١٢/١ من جديث عموو بن العاص في أن رسول الله قي قال: •أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله».

قوله تعالى: ﴿وَاَعَلَنُوا أَنَّمَا عَنِيْتُم تِن شَيْءٍ﴾ اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما يختلفان. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن الغنيمة: ما ظُهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظُهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب. والثاني: أن الغنيمة: ما أخذ عنوة، والفيء: ما أخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري. وقيل: بل الفيء: ما لم يوجَف عليه بخيل ولا ركاب، كالعشور، والجزية، وأموال المهادنة، والصلح، وما هربوا عنه. والثاني: أنهما واحد، وهما: كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف؛ فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سماه الله تعالى: أنفالاً وغنائم؛ وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يأخذ في الحرب، فقد سماه: فيئاً؛ وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة. وأما قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء. قال مجاهد: المِخْيَط من الشيء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَ لِلَهِ خُسَمُ ﴾ وروى عبد الوارث: ﴿ خُسْمُ ﴾ بسكون الميم. وفي المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن نصيب لله مستَحق يُصرف إلى بيته. قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس، ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة ؛ وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال. والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين: أحدهما: لأنه المتحكم فيه، والمالك له، والمعنى: فأن للرسول خمسه ولذي القربى، كقوله: ﴿ يَمْ تَلُونُكُ عَنِ آلْأَنفَالُ فِنَ الْأَنفَالُ لِنَهِ وَالرَّمُولِ ﴾ [الانفال: ١٥]. والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القُرَب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور. فعلى هذا، تكون الواو زائدة، كقوله: ﴿ وَلَلنَا آسَلَنَا وَتَلَمُ لِلْجَهِينِ ﴾ ورحوه القُرَب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور. فعلى هذا، تكون الواو زائدة، كقوله: ﴿ وَلَنُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ اللَّهُ وَلِلْهُ اللَّهُ وَلَالُولُولُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلَلْهُ اللَّهُ وَلَالُولُولُ وَلَوْلُولُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِللَّهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلَالِمُ وَلَمْ وَلَهُ وَلِلْهُ وَلَاللَّهُ وَلَيْ وَلَالًا وَلَالِهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلِلْهُ وَلَاللَّهُ وَلِلْهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَالًا وَلَالُولُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ لَالْهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَّهُ لِلللَّهُ وَلَاللَّالَالُولُولُ وَلَاللَّالُولُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَّهُ لِللللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَلَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا لَلْهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلّهُ وَلَاللّهُ وَلَا لَلْهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَلْهُ وَلّهُ وَلَا لَلْهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَا لَلْهُ لَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ لَلْهُ لَلّهُ لِللللّهُ وَلّهُ وَلِلللّهُ وَلِلْ

فصل

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة؛ فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية. وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم. والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربي، وسهم لليتامي، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور. والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم. فسهم الله على دوي القربي، لأن رسول الله على يأخذ منه شيئاً، وهذا المعنى رواه ابن فسهم الله عن ابن عباس.

فصل

فأما سهم الرسول على فإنه كان يصنع فيه ما بيناً. وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين. وفيما يُصنَع به قولان: أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفي، فيرجع إلى جملة الله يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفي، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة. وأما ذوو القربي، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع قريش. قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم؛ فأبي علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربي. والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي. والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة. وبماذا يستحقون؟ فيه قولان: أحدهما: بالقرابة، وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: بالفقر، لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة. وقد سبق في [البقران الاسبل. وينبغي أن تُعتبر في اليتيم أربعة أوصاف: موت الأب، وإن كانت الأم باقية. والصّغَر، التامي والمساكين وابن السبيل. وينبغي أن تُعتبر في اليتيم أربعة أوصاف: موت الأب، وإن كانت الأم باقية. والصّغَر، لقوله عَلَيْه: «لا يُمْتَم بعد حُلُم» (١٠).

⁽۱) رواه أبو داود ۱۰۲/۲۳ من حديث علي بن أبي طالب بلفظ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل؟ قال المنذري: في إسناده يحيى بن محمد المدني الجاري، قال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن حبان: يجب التنكب عما انفرد به من الروايات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آَنَاٰنَا عَلَى عَبَدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَــَانِ﴾ هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين. والذي أنزل عليه يومثذٍ قوله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِ ﴾ [الانفال: ١] نزلت حين اختلفوا فيها، فالمعنى: إِن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول في هذا أيضاً.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْمُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْمُدُّوَّةِ الْفُصَّوَىٰ وَالرَّحْبُ أَسْفَلَ مِنكُمُّ وَلَوْ تَوَامَكُذُّتُمْ لَاخْتَلَفْتُدْ فِي الْمِيعَالِّ وَلَايَلِنَ لِيَقْضِى اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْوُلًا لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةِ وَيَخْبَى مَنْ حَنَ عَنْ بَيِّنَةً وَإِنَ اللهَ لَسَكِيعٌ عَلِيمً ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَ أَنُّم بِالْمُدَوَةِ الدُّنِيَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "بالعِدوة" و "العِدوة" العين فيهما مكسورة. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بضم العين فيهما. قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر. وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين. قال ابن السُّكيت: عُدوة الوادي وعِدوته: جانبه؛ والجمع: عُدى وعِدى. والدنيا: تأنيث الأدنى؛ وضدها؛ القصوى، وهي تأنيث الأقصى؛ وما كان من النعوت على "فُعلى" من ذوات الواو، فإن العرب تحوِّلُه إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت: والعليا، من: علوت؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول، وليس في هذا اختلاف، إلا أن أهل الحجاز قالوا: القُصوى، فأظهروا الواو، وهو نادر؛ وغيرهم يقول: القصيا. قال المفسرون: إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة، وعدوكم بشفيره الأقصى من مكة، وكان الجمعان قد نزلا وادي بدر على هذه الصفة، والركب: أبو سفيان وأصحابه. قال الزجاج: من نصب "أسفل" أراد: والركب مكاناً أسفل منكم، ويجوز الرفع على معنى: والركب أشد تسفَّلاً منكم. قال قتادة: وكان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله. وفي قوله: ﴿وَلَوَ على معنى: والركب أشد تسفَّلاً منكم. قال قتادة: وكان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله. وفي قوله: ﴿وَلَوَ والثاني نواساني نواعدتم على الاجتماع في المكان الذي اجتمعتم فيه من عِدوتي وادي بدر لاختلفتم في الميعاد، قاله أبو سليمان. وقال الماوردي: كانت تقع الزيادة والنقصان، أو التقدم والتأخر من غير قصد لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِكِن لِيَتَّفِنَى اللَّهُ أَمْرًا كَاتَ مَفْعُولًا﴾ وهو إعزاز الإسلام، وإذلال الشوك.

قوله تعالى: ﴿لِيَمْ لِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ وروى خلف عن يحيى: اليُّهلَك؛ بضم الياء وفتح اللام.

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْنِى مَنْ حَرَى عَنْ بَيِنَةً ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: امن حيّ بياء واحدة مشدد، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير، وروى شِبْلٌ عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، احيى بياءين، الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع. فمن قرأ بياءين، بيَّن ولم يُدغم. ومن أدغم ياء احيى فلاجتماع حرفين من جنس واحد. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ليُقتَل من قُتل من المشركين عن حُجة، ويبقى من بقي منهم عن حُجة. والثاني: ليكفر من كفر بعد حُجة، ويؤمن من آمن عن حُجة.

﴿ وَلَا يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيكٌ ۚ وَلَوْ أَرَىكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَنَـٰتَزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَنَكِنَ اللَّهَ سَلَمُ إِنَّامُ عَلِيمًا بِذَاتِ الشُّدُورِ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيكُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل قبل لقائهم في قلّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلاً، كان ذلك تثبيتاً لهم. قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ حدثتهم بما رأيت في منامك. والثاني: إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن (١٠). قال الزجاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي: بعينك؛ ثم حذف الموضع، وأقام المنام مقامه.

وقد حسنه النووي في «الأذكار» و«الرياض». وثال المناوي: وفي رواية للبزار «بعد حلم» كما هي رواية المصنف هنا. وفي «المقاصد الحسنة»
 للسخاوي: رواه أبو داود عن علي في حديث، وقد أعله غير واحد، وحسنه النووي متمسكاً بسكوت أبي داود عليه، لا سيما وهو عند الطبراني في
 «الصغير» من وجه آخر عن علي، بل له شواهد عن جابر، وأنس وغيرهما.

⁽١) قال ابن كثير: ٢/٣١٥: وهذا القول غريب.

قوله تعالى: ﴿لَنَشِلْتُمُ ﴾ أي: لجبنتم وتأخّرتم عن حربهم. وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولرأوا ذلك في وجهك.

قوله تعالى: ﴿وَلَلْنَتُوَعَٰتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمُ﴾ من المخالفة والفشل.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِي أَعَيُدِكُمْ تَلِيكُ رَبُّهَالِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِتَقْفِى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَمْمُولًا وَإِلَى اللَّهِ زُمْجَعُ ٱلأَمُورُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُوهُم إِذِ الْتَقَيّمُ فِي أَعَيُنِكُم قَلِيلاً ﴾ قال مقاتل: صدّق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة عدوهم قبل لقائهم، بأن قلّلهم وقت اللقاء في أعينهم. وقال ابن مسعود: لقد قلّوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جانبي: أثراهم ضبعين؟ قال: أراهم مائة؛ حتى أخذنا رجلاً منهم، فسألناه، فقال: كنّا ألفاً. قال أبو صالح عن ابن عباس: استقلَّ المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض. فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية هاهنا، وقد ذكرت في قوله: ﴿إِذَ يُرِيكُمُ الله الله وَالثانية في المنام، والثانية في المنام، والثانية أن الأولى كانت في المنام، والثانية له ولأصحابه. فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم، فعنه ثلاثة أجوبة: أحلها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال؛ والقتال سبب النصر، فقلّهم لئلاك، والثاني: أنه قلّهم لئلا يتأهّب المشركون كل التأهّب؛ فإذا تحقق القتال، وجدهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم، والثالث: أنه قلّهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية مستعدين، فظفروا بهم، والثالث:

﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ اَمَنُوا إِذَا لَيَسِنُدُ فِئَ أَنْتُهُوا وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَيْبِكَ لَمَلَكُمْ ثَلْلِحُونَ ﴿ وَالْمِينُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَزَعُوا لَلَّهُ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَزَعُوا وَنَذَمَّتُ وَعَلَّمْ وَاصْدِينَ اللَّهُ مِنَ الضَّدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسِنُدُ نِكَةً نَاتَبُنُوا﴾ الفئة: الجماعة. ﴿وَانْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الدعاء والنصر. والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قُوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَذَعُواْ فَنَفْشَلُوا ﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفاً.

قوله تعالى: ﴿رَنَّذْهَبَ رِعِكُمْ ﴾ وروى أبان: «ريذهبْ بالياء والجزم. وفيه أربعة أقوال: أحدها: تذهب شدَّتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال السدي: حدَّتكم وجدُّكم. وقال الزجاج: صولتكم وقوتكم. والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: تتقطَّع دولتكم، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال هبَّت له ريح النصر: إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم، أي: الدولة. والرابع: أنها ريح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو؛ ومنه قوله على: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأهلكتْ عادْ بالدّبوره (١٠)، وهذا قول ابن زيد، ومقاتل.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِينرِهِم بَطَرًا وَرِئَآة النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَذِينَ خَرَجُوا بِن دِيكِهِم بَطَرًا﴾ قال المفسرون: هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن عيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمور. فلما وأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نفعل حتى نَرِدَ بدراً فنقيم ثلاثاً، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى المحمور، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا. فساروا إلى بدر، فكانت الوقعة؛ فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. فأما البطر؛ فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها. والرياء: العمل من أجل رؤية الناس. وسبيل الله هاهنا: دينه.

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطُنُ أَعْسَلَهُمْ وَقَالَ لَا عَالِبَ لَكُمُ الْيُوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِلَى جَارٌ لَكُمُّ فَلَمَا تَرَاءَتِ الْفِتَنَانِ نَكُصَ عَلَى عَيْمَةٍ وَقَالَ إِنِّ الْمِثَنَانِ نَكُصَ عَلَى عَيْمَةً وَقَالَ إِنِّ بَرِيَّ " مُنافَلُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْمِقَابِ ۞﴾

⁽١) . أحمد في «المسند» رقم (٢٩٨٤)، و«البخاري» ٢/ ٤٣٢، و«مسلم» ٢/ ٦١٧، كلهم من رواية عبد الله بن عباس 🐞.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَ رَبِنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعَمَالَهُمَ ﴾ قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجيّ، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْبَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّ جَارٌ لَكُمُ مِن أَن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. وفي المراد بأعمالهم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شركهم. والثاني: مسيرهم إلى بدر. والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَا تَرَآءَتِ الْفِتَتَانِ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى. وفي المراد بالفنتين قولان: أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور. والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ نَكُصَ عَلَى عَتِمَيْهِ ﴾ قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء. وقال ابن قتيبة: رجع القهقرى. قال ابن السائب: كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة، آخذاً بيد الحارث بن هشام؛ فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿ إِنَّ أَرَىٰ مَا لاَ تَرَرَنَ ﴾؛ فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ الناسَ سراقة، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. قال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿ إِنَّ آرَىٰ مَا لاَ تَرَرَنَ ﴾، ذُكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿ إِنَّ آخَاتُ اللّهَ ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قرّة له بهم. وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني. وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة، فيكون انتهاء إنظاره، فيقع به العذاب. ومعنى «نكص» رجع هارباً بخزي وذلّ. واختلفوا في قوله: ﴿ وَالنّهُ شَذِيدُ ٱلْمِقَابِ ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

﴿إِذْ يَكُولُ ٱلنَّنَيْقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي تَلُوبِهِم مَرَضُّ عَرَّ هَوُلَا وَيَنْهُمُّ وَمَن يَتُوكَلَ عَلَى اللهِ فَإِنَ اللهُ عَنِيرُ مَكِيمٌ ﴿ اللهِ تعلى: ﴿إِذْ يَكُولُ ٱلنَّنَيْقُونَ اللهِ المشركون معهم يوم المورى، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلَّموا بالإسلام بمكة، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كُرها؛ فلما رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين، ارتابوا ونافقوا، وقالوا: ﴿عَرَّ مَوُلَا يَبِهُمُ اللهِ أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين. وعدهم مقاتل، فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن عبه بن ربيعة. والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿عَرَ مَوُلَا يَوْمُهُ وواهُ الماوردي. والمرض هاهنا: الشك، والإشارة بقوله: «هؤلاء» إلى المسلمين؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلّة المسلمين؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلّة المسلمين؛ فلم يشكّوا في أن قريشاً تغلبهم.

﴿ رَاتُو تَدَىٰ إِذْ بَـنَوَفَى الَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَتَهِكَةُ يَشْرِيُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُكَوْهُمْ وَدُوثُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى الْهُ يَتُوَفّى النِّينَ كَمَرُواْ الْمَلَتَهِكَةُ ﴾ قرأ الجمهور اليتوفى المياء وقرأ ابن عامر التوفى ابتاءين قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿عَرْ هَرُلَا فِيهُمُ ﴾ وفي المراد، بالملائكة ثلاثة أقوال: أحلها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل والثاني: ملائكة الغذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿يَشَرِيُوكَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴾ أربعة أقوال: أحلها: يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا والثاني: أنهم جاؤوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم إلى النار والذين وراءهم ضربوا أدبارهم. والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذ ساقوهم إلى النار والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسياط من نار. وهل المراد نفس الوجوه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَزُدُونُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ولان: أحدهما: أنه في الدنيا؛ وفيه إضمار الميقولون، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْهُمُ إِبْرَهِمُ الْفَوَاعِدُ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَعِيلُ رَبّنا ﴾ [البقرة: ١٢٧] أي ويقولون، قال النابغة:

كأنك مِن جِمالِ بني أُقَيش يُقَعْقَعُ خَلْقَ رجلَيهِ بِشَنِّ ('')

والمعنى: كأنك جمل من جمال لبني أقيش، هذا قول الفراء وأبي عبيدة. والثاني: أن الضرب لُهم في الدنيا، فإذا وردوا يوم القيامة إلى النار، قال خزنتها: ذوقوا عذاب الحريق، هذا قول مقاتل.

﴿ وَالِكَ بِمَا فَذَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَكَ اللَّهَ لَيْسَ بِظُلَّمِ لِلْتَهِيدِ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ بِمَا فَدَمَتَ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي: بما كسبتم من قبائح أعمالكم: ﴿ وَاَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامِ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢) لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر، وإن كان كفرهم بقضائه، لأنه مالك، فله التصرف في ملكه كما يشاء، فيستحيل نسبة الظلم إليه.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْتُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفُرُها بِعَايْتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمَّ إِنَّ اللَّهَ قَرِيٌّ شَدِيدُ الْمِقَابِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادتهم. والمعنى: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك. قال ابن عباس: أيقن آل فرعون أن موسى نبيُّ الله فكذَّبوه، فكذلك هؤلاء في حق محمد ﷺ.

﴿ وَاكَ إِنَّكَ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّزًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمِ حَنَّى يُنْتِرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيتٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ ذَاكِ بِأَنَّ اللهَ ﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿ لَمْ يَكُ مُنَيِّرًا يَسْمَةً أَنْمَهَا عَلَى قَرْمٍ حَنَّ يُنْيُرُوا ﴾ بالكفران وترك الشكر. قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة، أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمداً على فقد قلم يعرفوا المنعم عليهم، فغيَّر الله ما بهم. وقال السدي: كذَّبوا بمحمد، فنقله الله إلى الأنصار. قال أبو سليمان الخطابي: والقوي يكون بمعنى القادر، فمن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التّام القُوَّة الذي لا يستولي عليه العجز في حال، والمخلوق، وإن وُصف بالقُوَّة، فقوَّته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة.

﴿ كَدَأْبٍ ،َالِ فِرْعَوْتُ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِنَايَتُ رَبِّهِمْ فَاهْلَكُنَّهُم ۚ بِدُنُوبِهِمْ وَاغْرَفْنَا عَالَ فِرْعَوْتُ وَكُلُّ كَانُواْ طَلِيمِتُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَاب اللهِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن مَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذَّب أَهلَ مكة بمحمد والقرآن، كم كذَب آل فرعون بموسى والتوراة، وكذَّب مَنْ قبلهم بأنبيائهم. قال مكي بن أبي طالب: الكاف من «كدأب» في موضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيَّرنا بهم لما غيروا تغييراً مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأول للعادة في العذاب؛ تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلاً مثل عادتنا في آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿ نَاْمَلَكُنَاهُم﴾ يعني الأمم المتقدمة، بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالربح، فكذلك أهلكنا كفار مكة ببدر. وقال بعضهم: يعني بقوله: (فأهلكناهم، الذين أهلكوا ببدر.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ نَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآتِ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفُرُوا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿ الَّذِينَ عَهَدَتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُمُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَهَدَتَ مِنْهُمْ ﴾ في «مِنْ» أربعة أقوال: أحدها: أنها صلة؛ والمعنى: الذين عاهدتهم. والثاني: أنها للبعيض؛ فالمعنى: إن شر الدواب الكفار. وشرهم الذين عاهدت ونقضوا. والثالث: أنها بمعنى «مع»؛ والمعنى: عاهدت معهم. والرابع: أنها دخلت، لأن العهد أخذ منهم.

قوله تعالى: ﴿ ثُمُّ بَنْفُنُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ رَزَّهُ أي: كلما عاهدتهم نقضوا. وفي قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ ﴾

⁽۱) قمجاز القرآن، ۷۷/۱، و قالكتاب، ۷۲۷/۱، وقالكامل، ۳۳۹، وقمختار الشعر الجاهلي، ۲۰۰۱، وقاللسان، وقالتاج، قعقع،، وقالخزانة، ۲/ ۲۰۰، وقاللسان، وور مثل يضرب لمن يروعه ما لا حقيقة له، وبنو أقيش: فخذ من أشجع، ويقال: هم من عكل، وإبلهم غير عتاق، يضرب بنفارها المثل، فجعل هيينة بن حصن المهجو كالجمل النافر لجبته وخفته عند الفزع، والشن: الجلد البالي.

⁽۲) روی مسلم فی «صحیحه، ۱۹۹۶/۶ عن أبی ذر الغفاری ﷺ عن النبی ﷺ فیما یروی عن ربه تُبارك وتعالی أنه قال: •یا هبادی إنی حرمت الظلم علی نفسی وجعلته بینكم محرماً فلا تظالموا. . ؛ الحدیث.

قولان: أحدهما: لا يتَّقون نقض العهد. والثاني: لا يتَّقون الله في نقض العهد. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا؛ ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق، وكتب كِعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

﴿ فَإِمَّا نَفَقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّد بِهِم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَلَّهُمْ يَذَّكُّرُونَ ١٠٠٠

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُتَفَنَّهُمُّ ۚ قَالَ أَبُو عَبِيدَةً: مَجَازَهُ: فإن تَتْقَفْتُهُمْ. فعلى قوله، تكون «ما» زائدة. وقد سبق بيان «فأما» في [البقرة: ٣٨]. قال ابن قتيبة: فمعنى التثقفنهم» تظفر بهم. ﴿فَثَرِدٌ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل يتفرَّق به مَن وراءهم من أعدائك. قال: ويقال: شرِّد بهم، أي: سمِّع بهم، بلغة قريش. قال

أُطوِّف في الأباطع كُلَّ يوم مَخَافَة أن يُسْرِّد بي حَكِيمُ (١) وقال ابن عباس: نَكُل بهم تنكيلاً يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلهم يذكرون النكال فلا ينقضون العهد.

﴿ وَإِمَّا نَخَافَكَ مِن قَوْرٍ خِيَانَةً فَائْلِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآيًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمَآيِدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نَخَافَكَ مِن قَوْمِ خِيَانَةً﴾ قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة، وهي نقض عهد. وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة. وفي قوله: ﴿فَٱلِّذِذَ إِلَيْهِمُ عَلَى سَوّآيًا﴾ أربعة أقوال: أحدها: فألق إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواءً، هذا قول الأكثرين، واختاره الفراء، وابن قتيبة، وأبو عبيدة. والثاني: فانبذ إليهم جهراً غير سرٍّ، ذكره الفراء أيضاً في آخرين. والثالث: فانبذ إليهم على مهل، قاله الوليد بن مُسلم. والرابع: فانبذ إليهم على عدل من غير حيف، وأنشدوا:

ف اضرب و جُوه العُدُدِ الأعداء حتَّى يُسجيبُ وك إلى السَّواء (٢) ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿ وَلَا يَعْسَبَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْسَبُنَّ الَّذِينَ كَنُرُوا سَبَقُوٓاً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «ولا تحسِبن» بالناء وكسر السين؛ إلا أن عاصماً فتح السين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين. وفي الكافرين هاهنا قولان: أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النجوي وغيره. و «سبقوا» بمعنى فاتوا. قال ابن الأنباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات؛ فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبنَّ أنهم فاتوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُسْجِزُونَكُ قُرأُ الجمهور بكسر الألف. وقرأ ابن عامر: بفتحها؛ وعلى قراءته اعتراض. لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ (يحسبن" بالياء، وقرأ (أنهم» بالفتح، فقد أقرَّهم على أنهم لا يُعجزون؛ ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى: ﴿لا يحسبن الَّذَين كَفُرُوا سَبَقُوا ۗ لا يُحسِّبُنُّ أنهم يعجزون؛ و ﴿لاَ ﴾ زائدة مؤكدة. وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبنَّ الذين كفروا أنفسَهم سبقوا وآباءَهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يُجزَون على كفرهم.

﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِن ثُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ثُرِّهِبُونَ بِدٍ. عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُّ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمُّ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَوْءِ فِ سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُدُ لَا نُظْلَمُونَ ۖ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا أَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ في المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: أنها الرمي، رواه عقبة بن

 ⁽١) البيت غير منسوب في «اللسان»: شرد. وأطوّف: أطوف، وحكيم: رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.
 (٢) البيت في «الطبري» غير منسوب ٢٧/١٤، والغذر بضمتين، جمع غدور، مثل صبور، وهو القادر المستمرئ للغدر.

عامر عن رسول الله ﷺ^(۱). وقال الحكم بن أبان: هي النبل. والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة. والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة. والرابع: أنه كل ما يُتقوَّى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّن رِّبَاطِ ٱلْغَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو؛ وهو عام في الذكور والإِناث في قول الجمهور. وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿ رَبِن رِّبَاطِ ٱلْغَيْلِ﴾ إِنائها.

قوله تعالى: ﴿ ثُرِهِبُوكَ بِهِ ﴾ روى رويس، وعبد الوارث «تُرَهِّبُونَ الفتح الراء وتشديد الهاء، أي؛ تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

قوله تعالى: ﴿ وَمَاخَرِينَ مِن دُونِهِمَ ﴾ أي: من دون كفار العرب. واختلفوا فيهم على خمسة أقوال: أحدها: أنهم الجن. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم الجن، وإن الشيطان لا يخبِّل أحداً في داره فرس عتيق، (٢). والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد. والثالث: أهل فارس، قاله السدي. والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد. والخامس: اليهود، قاله مقاتل.

﴿ ﴿ وَإِن جَنَامُوا لِلسَّلِّمِ فَأَجْنَحُ لَمَا رَتَوْكُلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَمُو ٱلسَّبِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَمُ السَّلَمِ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم وللسَّلم ، بكسر السين. قال الزجاج: السَّلم: الصلح والمسالمة. يقال: سَلْم وسِلْم وسَلَم في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فمِل إليه. قال الفراء: إن شئت جعلت ولها كناية عن السَّلم لأنها تؤنث، وإن شئت جعلتها للفَعلَة ، كقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْرِهَا لَمَنْوُرٌ رَحِيدٌ ﴾ [الاعراف: ١٥٦]. فإن قبل لم قال ولها ولم يقل: وإليها ؟ فالجواب: أن واللام و وإلى النوب كل واحدة منهما عن الأخرى، وفيمن أريد بهذه الآية قولان: أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف. والثاني: أهل الكتاب، فإن قبل: إنها نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجّه في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة. وإن قبل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجّه النسخ لها بآية الجزية.

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَمْدَعُوكَ فَإِنَ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِينَ أَيْلَكَ بِنَصْرِهِ. وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَفَ بَيْنَ تُلُومِهِمْ لَوَ أَنفَقَتَ مَا فِي الأَرْضِ جَبِمًا ثَمَّ أَلَفْتَ بَيْنَ تُلُوبِهِمْ وَلَنكِنَ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِلَهُمْ عَزِرُ حَكِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَإِن يُرِيدُوٓ ﴾ قال مقاتل: يعني يهود قريظة: ﴿ أَن يَمَنَكُوكَ ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانوهم عليك ﴿ فَإِنَ حَسْبَكَ اللّهُ ﴾. قال الزجاج: فإن الذي يتولّى كفايتك الله ﴿ هُوَ الَّذِي أَندَكُ أي: قوَّاك. وقال مقاتل؛ قوَّاك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿ رَأَلَتُ بَبُكَ تُلُوبِهِمُ ۖ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألّف الله بينهم بالإسلام. وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة؛ فلو أن رجلاً لطم رجلاً. لقتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثاره، فآل بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّيْنُ حَسُبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَكَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ

قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللهُ رَمَنِ اَتَبَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: حسبُك الله، وحسبُ من اتَبَعَكَ، هذا قول أبي صالح عن أبن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل، والأكثرون. والثاني: حسبُك الله ومتَّبِمُوكَ، قاله مجاهد. وعن الشعبي كالقولين. وأجاز الفراء والزجاج الوجهين. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع، والقول الأول أصح.

⁽۱) روى مسلم في «صحيحه» ٦٤/١٣ عن عقبة بن عامر على قال: سمعت وسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿ زَاجِدُوا لَهُم تَا اَسْتَمَلْتُمُد بَن فُوْقَ ۗ أَلا إِن القوة الرمي، الا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، الا إن القوة الرمي، والعاكم ٣٢٨/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه البخاري، ووافقه الذهبي.

⁽٢) ذكره ابن كثير في "تفسيره" ٢٠ ٣٢٣ من رواية ابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تمالى: ﴿وَرَاحُرِينَ بِن دُونِهِ لَهُ لَمُسُونَهُم ﴾ قال: «هم الجن» ثم قال: ورواه الطبراني عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد: قال رسول الله ﷺ: ولا يخبل بيت فيه صيق من الخبل، وقال: وهذا الحديث منكر لا يصبح إسناده ولا منته.

﴿ يَتَأَيُّنَا النَّيِّ حَمَيْضِ المُثْوِيدِينَ عَلَى الْقِتَالُ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ مَسْيُرُونَ يَثْلِبُواْ مِائْتَيْنَ وَإِن يَكُن مِنكُمْ مِأْتُهُ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَكَ فِيكُمْ مَمْفَاً فَإِن يَكُن مِنكُمْ مِأْتُهُ مَارِرَةٌ يَعْلِبُوا مِن اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَكَ فِيكُمْ مَمْفَا فَإِن يَكُن مِنكُمْ مِأْتُهُ مَا اللَّهُ عَنكُمْ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَكَ فِيكُمْ مَمْفَا فَإِن يَكُن مِنكُمْ مِأْتُهُ مَا اللَّهُ مَعَ العَندِينِ ﴿ وَاللَّهُ مَعَ العَندِينِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ العَندِينِ ﴿ وَاللَّهُ مَعَ العَندِينِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ العَندِينِ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ العَندِينِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعْ المُناسِينِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْمُولِلَّا اللَّهُ اللللْمُولِيَّا اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللِمُولِيَّا الللْمُولِي الللْمُولِيَا اللللْمُولِللْمُولِلْمُ اللَّهُ اللللْمُولِلْمُ الللللْمُ اللللْمُولِلِي اللللْمُولِيَّا ا

قوله تعالى: ﴿ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَ اَلْقِتَالِ﴾ قال الزجاج: تأويله: حُثَّهم. وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه. والحارض: الذي قد قارب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُنُ مِنكُمْ عِشْرُونَ مَكِرُونَ يَلِبُوا مِانتَيْنَ ﴾ لفظ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضاً في أول الأمر، ثم نسخ بقوله: ﴿ آلَانَ خَنْفَ اللهُ عَنكُمْ ﴾ فقُرض على الرجل أن يثب لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار. قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر. واتفق القراء على قوله: ﴿ وَإِن يَكُنُ مِنكُمْ مِنْاتَةٌ يَعْلِيرًا أَلْتُ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَإِن يَكُنُ مِنكُمْ مِنْاتَةٌ يَعْلِيرًا أَلْتُ ﴾ ، وفي قوله: ﴿ وَإِن يَكُنُ مِنكُمْ مِائة صابرة ﴾ فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: بالتاء فيهما. وقرأهما عاصم، وحمزة، والكسائي: بالياء. وقرأ أبو عمرو «يكن منكم مائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله: "يغلبوا » ذكّر، فلأن المائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله: "يغلبوا وكذلك المائة الصابرة هم رجال، فقرؤوها بالياء، لموضع التذكير. فأما أبو عمرو، فإنه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله: «صابرة» أنث الفعل، ولما رأى "يغلبوا مذكراً، ذكّر. ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند صابرة مائين المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صدَقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا؛ وذلك معنى قوله: ﴿ لاَ يَشْقَهُونَ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ﴾ وروى المفضل «وعُلم» بضم العين «أن فيكم ضُعفاً» بضم الضاد. وقرأ عاصم، وحمزة: بفتح الضاد. وكذلك خلافهم في [الروم: ٥٥]، قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال الزجاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعف والضَّعف، والمَكث والمُكث، والفَقر والفُقر، وفي اللغة كثير من باب فَعْل وفُعْل، والمعنى واحد. وقرأ أبو جعفر «وعلم أن فيكم ضُعَفَاءً» على فُعَلاً. فأما قوله: ﴿ بِإِذْنِ اَشَى ﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

﴾ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَنَّ يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنِيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةُ وَاللّهُ عَزِيدُ

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَكُونَ لَهُ وَتَرَى حَقَى يُنْخِنَ فِي الْأَرْضِ وَوَى مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخلنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله: قما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، تمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء عناديدهم وأثمتهم وقادتهم. فَهِويَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت. فقال النبي ﷺ: قأبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء. لقد عُرض عليً عذابكم أدني من هذه الشجرة قريبة، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنِيَ أَن يَكُونَ لَهُ أَمْ عَلَهُ إلى قوله ﴿عَظِمٌ ﴾ (١). وروي عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى أشرى ﴾ إلى قوله ﴿عَظِمٌ ﴾ أن وروي عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى

⁽۱) ﴿الطبري؛ ٢٣/١٤ ورواه أحمد في االمسندة رقم ٢٠٨ و ٢٢١ مطولاً، ورواه مسلم في اصحيحه؛ ٣/١٣٨٣ _ ١٣٨٥ كذلك مطولاً، وقد رواه المؤلف من رواية مسلم مختصراً بمعناه، وروى بعضه أبو داود في استنه، رقم ٢٦٩٠، ورواه الترمذي ٢/٤٢٤ مختصراً، والواحدي في «أسباب النزولة =

﴿ كَانَ لِنِينَ إِلَى قوله ﴿ مَلَكُلُ مَلِبَا ﴾ ، فلقي النبي على عمر ، فقال: (كاد يصيبنا في خلافك بلاء) (() . فأما الأسرى ، فهو جمع أسير ، وقد ذكرناه في البقرة: ١٨٥ . والجمهور قرؤوا «أن يكون» بالياء ، لأن الأسراء مذكّرون . وقرأ أبو عمرو «أن تكون» ، قال أبو علي: أنّتَ على لفظ الأسرى ، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنّت اللفظ . والأكثرون قرؤوا «أسرى» وكذلك ﴿ لِنَن فِي الْمَيكُمُ يَن الْأَسْرَى ﴾ . وقرأ أبو جعفر ، والمفضل «أسارى» في الموضعين ، ووافقهما أبو عمرو ، وأبان في الثاني . قال الزجاج : والإثخان في كل شيء : قُوَّة الشيء وشِدَّته . يقال : قد أثخنه المرض : إذا اشتدت قُوَّته عليه . والمعنى : حتى يبالغ في قتل أعدائه . ويجوز أن يكون المعنى : حتى يتمكن في الأرض . قال المفسرون : معنى الآية : ما كان لنبي أن أن يحبس كافراً قدر عليه للفداء أو المن قبل الإنخان في الأرض . وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله على ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد . ﴿ رُبِدُونَ عَرَضَ الدُّنِيَ وهو المال . وكان أصحاب النبي على قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف . وفي قوله : ﴿ وَاللّهُ بُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ وهو المال . وكان أصحاب النبي على قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف . وفي قوله : ﴿ وَاللّهُ بُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ قولان : أحدهما : يريد لكم الجنة ، قاله ابن عباس . والثاني : يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة ، ذكره الماوردي .

فصل

وقد روي عن ابن عباس، ومجاهد في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ فَإِنَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاتَهُ [محمد: ٤]، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ؛ فلما كثروا واشتدَّ سلطانُهم، نزلت الآية الأخرى، ويبيَّن هذا قولهُ: ﴿ حَقَى يُنْخِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

﴿ لَوْلَا كِنَتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمُسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِنَبُ مِنَ الْهَ سَبَنَ ﴾ في معناه خمسة أقوال: أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيُجلُ لكم الغنائم لمسَّكم فيما تعجَّلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذابٌ عظيم، روى هذ المعنى على بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجَّل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية. والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنَّه لا يعذَّب من أتى ذنباً على جهالةٍ لعوقبتم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن إسحاق: سبق أن لا أعذَّب إلا بعدَ النهي، ولم يكن نهاهم. والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذَّبهم، لمُذَبّهم، لمُذَبّهم، لمُناهم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، فذكره الزجاج. والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعُذَبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان: أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى القضاء.

﴿ تُكُلُوا مِنَا غَنِمْتُمْ حَلَكُ لَمِنِهَا وَآنَقُوا اللَّهُ إِنَ اللَّهَ عَفُورٌ رَّعِيدٌ ۞ يَنَأَيْهَا النِّيَّ قُل لِّمِن فِى أَيدِيكُم مِنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ عَفُورٌ رَّعِيدٌ ۞﴾ فِ قُلُوبِكُمْ خَيْرًا بُؤْنِيكُمْ خَيْرًا مِنتَا أَخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمُّ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّعِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَنْكُواْ مِنَا غَنِمْتُمْ ﴾ قال الزجاج: الفاء للجزاء، والمعنى: قد أحللت لكم الفداء فكلوا، والحلال منصوب على الحال، قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حِلّها، رحيم بكم إذْ أحَلّها لكم، فجعل رسول الله صلى الشبي المحلف وخبًاب بنَ الأرتّ يوم بدر على القَبَض (٢)، وقسمها النبي على بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوقل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مع العباس يومنذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فدائه، وكلّف أن يفدي ابني أخيه، فأدّى عنها ثمانين أوقية من ذهب. وقال النبي على: وأضعفوا

[·] مطولاً ١٣٧ ـ ١٣٨، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢٨٩/٧ من رواية أحمد بطوله وقال في آخره: ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به.

أورده السيوطي في «الدر» ٢٠٢/ ٢٠٠ عن أبي نعيم في «الحلية» من طريق مجاهد عن ابن عمر ﷺ.
 ١٧٠ المدرس العالم الله عن المراجعة عن أبي نعيم في «الحلية» من طريق مجاهد عن ابن عمر ﷺ.

 ⁽٢) القبض بفتح القاف والباء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: القيض: الذي تجمع عنده الغنائم، وقال غيره: بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم.

على العباس الفداء، فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية. فقال العباس لرسول الله على الركتني ما حييت أسأل قريشاً بكفّي . فقال له: وأين اللهب الذي تركته عند أم الفضل؟ فقال: أي الذهب؟ فقال: وإنك قلت لها: إني لا أدري ما يصبيني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهو لك ولولدك، فقال: ابن أخي، مَن أخبرك؟ فقال: وأله أخبرني، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم؛ وأمر ابني أخيه فأسلما. وفيهم نزلت: ﴿قُلُ لِنَن يَهُ أَهِيكُمْ مِن كَالْمَسْرَى ﴾ الأية. وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أسر يوم بدر، وقال ابن زيد: لما بُعِث رسول الله يَجه أتاه رجالٌ، فقالوا: لولا أنّا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكنّا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فلما كان يوم بدر، قال المشركين: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحللنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة. فأما الذين تُتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿آلَيْنَ تَوَنَّهُمُ ٱلنَّلَيّكُمُ طَالِينَ أَنْفُيهُمُ ٱلنَّيّكِمُ النائقيكُمُ والنائلي أَنْفُريكُمْ مَنْ إلى الله والله أن يتملم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم. فذلك قوله: ﴿قُلْ لِنَن يَا أَيْدِيكُمْ مَنِ إلى قوله: ﴿قَلْ لِنَن يَا أَيْدِيكُمْ مَن المناء. وأن يَسْلَمُ الله يَق الله الله وأنك على أن أن المنائل وصدقاً ﴿يُؤتِكُمْ مَنْ إلى أَنْ تَنا الله الله والله أبي عبلة: هما أخذ منكم، بفتح الخاء؛ يشيرون إلى الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَيَشِرْ لَكُونُ قولان: أحدهما: يغفر لم كفركم وقتالكم رسول الله، قاله الزجاج. والثاني: يغفر لكم خروجم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه كفركم وقتالكم رسول الله، قاله الزجاج. والثاني: يغفر لكم خروجم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَنَكَ فَقَدْ خَانُوا آللَهُ مِن قَبْلُ فَأَمْكُنَ مِنْهُمُّ وَاللَّهُ عَلِيدُ حَكِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَنَكَ﴾ يعني: إِن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام ﴿فَقَدَّ خَانُوا اللّه مِن قَبْلُ﴾ إِذ كفروا به قبل أسرهم. وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين؛ وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلّموا بالإسلام. وقال مقاتل: المعنى: إِن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتك ببدر. قال الزجاج: ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخيانة إِن خانوها، ﴿حَكِيدُ ﴾ في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ،َامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُيسِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوَا أُولَتِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاتُهُ بَعْنِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَكُمْ يُعَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِن نَدَىءَ حَقَّى بُهَاجِرُوا وَإِن اسْتَصَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَمَانِيتُكُمُ النّصَرُ إِلّا عَلَى قَوْيم بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيفَنَقُّ وَاللّهُ بِمَا مَتَمَالُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنهَدُوا بِأَنوَلِهِم وَالْقُيمِم فِي سَجِيلِ اللهِ هيجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين. ﴿وَالَذِينَ ءَاوَوا وَلَمَرُوا ﴾ يعني: الأنصار، آووا رسول الله، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم. ﴿أُولَتِكَ بَسَمُهُم آولِيَا يُسَوِّم فِيه قولان: أحدهما: في النصرة. والثاني: في الميراث. قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله: ﴿مَا لَكُم يَن وَلَيْتِهم مِن مَقَيه قرأ ابن كشير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: ﴿وَلايتهم عِنه وَلَيْتِهم مِن مَقْه ﴾ قرأ ابن كشير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: ﴿وَلايتهم عِنهِ اللهواو. وقرأ حمزة: بكسر الواو. قال الزجاج: المعنى: ليس بينكم ويينهم ميراث حتى يهاجروا. ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإِمارة؛ وإذا فتحت، فهي من النصرة. وقال يونس النحوي: الوَلاية، بالفتح، للخالق؛ والوِلاية، بالفتح، للخالق؛ والوِلاية، والولاية؛ مصدر الوالي، يقال: وليّ بيّن الوَلاية، ووالا بيّن الولاية؛ فهذا هو الاختيار؛ ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا. وقال ابن فارس: الوَلاية، بالفتح: النصرة، وقد تكسر. والولاية، بالكسر: السلطان.

فصل

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية موالاة النصر والمودّة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله: ﴿ رَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَسُونُ ﴾ [التوبة: ١٧]. فأما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله: ﴿ وَأُولُواْ اَلَازَعَارِ بَسَنُهُمْ أَوْلَى بِسُعْمُ أَوْلَى إِلاَيْقَالِ اللّهَ اللّهِ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ اَسْتَصَرُوكُمُ فِي الدِّينِ﴾ أي: إِن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد. وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصر مَن لم يهاجر إلا أن يستنصره.

﴿وَالَذِينَ كَفَرُوا بَمْشُهُمْ أَوْلِيَاتُهُ بَعْضُ إِلَا تَفْعَلُوهُ تَكُن يَتَّنَةً فِ الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَارُوا وَنَصَرُوا أُوْلَتِهِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقَاً لَمْم مَنْفِرَةٌ وَرِذْقٌ كَرِيمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَسَعُهُمْ أَوْلِيَاتُهُ بَسَوْنُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس. والثاني: في النصرة، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿إِلَا تَغَمَّرُهُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الميراث، فالمعنى: إلا تتعاونوا وتتناصروا في الدين، قاله الميراث بما أمرتكم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يرجع إلى التناصر. فالمعنى: إلا تتعاونوا وتتناصروا في الدين، قاله ابن جريج. وبيانه أنه إذا لم يتولَّ المؤمنُ المؤمنُ تولِّياً حقاً، ويتبرأ من الكافر جداً، أدَّى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين. فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى الأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَنَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ أبو هريرة، وابن سيرين، وابن السميفع: (كثير) بالناء. قدله تعالى: ﴿أَلْكُكُ هُمُ الْمُتَّاثُونَ كُلُّاكُ أَي: هـ الذين حقّد المانهـ بما يقتضه من المحدة والنصرة، يخلاف م

قوله تعالى: ﴿أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِثُونَ حَنَّا﴾ أي: هم الذين حقَّقوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك. والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَاسَوُا مِنْ بَعَدُ وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَتِكَ مِنكُوْ وَأُولُوا الْأَرْحَارِ بَعْشُهُمْ أَوْلَى بِبَمْضِ فِي كِنَبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّي عَنْءَ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ مَاسَتُوا مِنْ بَعَدُ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين. قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْلُواْ الْأَرْعَارِ بَعْنُهُمْ أَوْلَى بِبَعْنِ﴾ أي: في المواريث بالهجرة. قال ابن عباس: آخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإِخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب.

قوله تعالى: ﴿ فِي كِنْبِ اللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن ـ وقد بَيْن لهم قسمة الميراث في سورة [النساء: ١١، ١٢]. والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزجاج.

* * *

سورة التوبة

﴿ بَرَآءَ ۗ يَنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَنهَدَتُمْ يَنَ الْمُشْرِكِينَ ۞﴾

فصل في نزولها

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدْ مَآءَكُمْ رَسُوكُ مِنْ أَنْشِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] فإنها نزلت بمكة. روى البخاري في الصحيحه من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة)(١). وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهوداً تُنبَذُ، ووصايا تُنقَد.

فصل

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَتَدُ نَسَرَكُمُ اللّهُ فِي مَرَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ [التربة: ٢١]، قاله أبو الضحى، وأبو مالك. والثالث:: ﴿إِلّا نَصُـرُوهُ ﴾ [التربة: ٢١]، قاله مجاهد. والثاني: ﴿ وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فإنهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة.

فصل

ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التربة. والثاني: براءة؛ وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المُقَشِّقِة، قاله ابن عمر. والمخامس: سورة البَحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسابع: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعيرة، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد، وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة، والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج.

فصل

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال: أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ فقال: كان رسول الله الله إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب، فيقول: "ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت (الأنفال) من أوائل ما نزل بالمدينة، و (براءة) من أخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ وقبض رسول الله على، ولم يُبيِّن لنا أنها منها، فظننا أنها منها؛ فمن ثمَّ قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما: "بسم الله الرحمن الرحيم" (و وكر نحو هذا المعنى عن أبيّ بن كعب. قال الزجاج: والشبه الذي بينهما ، أن في (الأنفال) ذكر العهود، وفي (براءة) نقضها. وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة. والثاني: رواه

⁽۱) «البخاري» ۸/۲۲۷

٢) • المسند، ٢٩٩/١، وأبو داود ٢٩٠/١، والترمذي ٢/ ١٣٤ وحسنه، وابن أبي داود في «المصاحف» ٣١، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٥٨، والحاكم ٢/ ٣٣٠ وصححه، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٠٧ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخياقي في «الدلائل»، وقد ضعف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه بأنه لا أصل له في تعليقه على «المسند»، فانظره.

محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: لم لم تكتبوا في (براءة) "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ فقال: يا بنيّ، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمانٌ. وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين. والثالث: أن رسول الله عليه، لما كتب في صلح الحديبية "بسم الله الرحمن الرحيم"، لم يقبلوها وردُّوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكى.

فصل

فأما سبب نزولها، فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهوداً بَنتُها مع رسول الله على فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل (براءة) في سنة تسع، فبعث رسول الله أبا بكر أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدراً من (براءة) ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار، دعا رسولُ الله على علياً، فقال: «اخرج بهذه القصة من صدر (براءة) وأذن في الناس بذلك» فخرج على على ناقة رسول الله على العضباء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أنزِل في شأني شيء؟ قال: ولا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض»؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر أميراً على الحج، وسار علي ليؤذن بـ (براءة).

فصل

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله على من أول (براءة) خمسة أقوال: أحدها: أربعون آية، قاله علي على الله والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة. والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء. والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل.

فصل

فإن توهّم مُتَوهّمٌ أن في أخذ (براءة) من أبي بكر، وتسليمها إلى عليّ، تفضيلاً لعليّ على أبي بكر، فقد جهل الأن النبي على أجرى العرب في ذلك على عادتهم. قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن يتولّى ذلك على القبيلة رجل منها؛ وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من ليس من رهط النبي على خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي على العلّة بما فعل. وقال عمرو بن بحر: ليس هذا بتفضيل لعليّ على أبي بكر، وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حعل العقد، وكان لا يتولّى ذلك إلا السّيّدُ منهم، أو رجل من رهطه دَينيّاً، كأخ، أو عم؛ وقد كان أبو بكر في تلك الحجة الإمام، وعليّ يأتم به، وأبو بكر الخطيب، وعليّ يسمع. وقال أبو هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذنين الذين بعثهم يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ فأذن معنا علي بـ (براءة) وبذلك الكلام. وقال الشعبي: بعث رسولُ الله علياً يؤذن بأربع كلمات: قالا لا يحج بعد العام مشرك، ألا ولا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ألا ومن كانت بينه وبين محمد مدّة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله».

فصل

فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿بَرَآءَ ﴾ قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثلهُ: ﴿سُرِرَةُ أَرَلْهَا ﴾ [النود: ١٢. وقال الزجاج: يقال: بَرِنْتُ من الرجل والدَّيْن براءةً، ويرثتُ من المرض؛ وبرأتُ أيضاً أبراً بُرءاً، وقد رووا: برأتُ أبرُواً. بروءاً. ولم نجد في ما لامه همز: فَعَلْتُ أفعل، إلا هذا الحرف. ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحته: أبريه بَرْياً، غير مهموز. وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءة النصب. قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان. والخطاب في قوله: ﴿إِلَى النِّينَ عَنهَدَهُ ﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمرادُ رسولُ الله ﷺ، الأنه هو الذي كان يتولّى المعاهدة، وأصحابُه راضون؛ فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضاً؛ وهذا عام في كل من عاهد رسولَ الله ﷺ. وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جَذيمة.

﴿ نَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ ٱرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا ٱلْكُرْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَفِرِينَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَسِيحُواْ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم مِنَّا مكروه. إِن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب، فعنه جوابان: أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب. قال عنترة:

شَطُّتْ مَزَادُ العاشِقِينَ فأصبَحتُ عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنية مَخرَم(١)

هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: فقل لهم: سيحوا في الأرض، أي: اذهبواً فيها، وأقبلوا، وأدبروا، وهذا قول الزجاج. واختلفوا فيمن جُعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرَّم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها للمشركين كافّة، مَنْ له عهد، ومَنْ ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي. والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله على قد آمنه أقل من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود؛ فأما مَن لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد؛ فأما أرباب المهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مُددهم، قاله ابن السائب. ويؤكده ما روي أن علياً نادي يومثذ: ومَن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهده إلى مدَّنه. وفي بعض الألفاظ: فأجله أربعة أشهر. واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس. والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله الزهري، قال أبو سليمان الدمشقي؛ وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي الحجة، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام. والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي العاشر من ذي العاشر من ديء وفيها حج رسول الله على وقال: فإن الزمان قد استداره (٢٠)، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَذَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ ﴾ أي: وإن أَجُلتُمْ هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ نُحْزِى اَلْكَفِرِينَ﴾ قال الزجاج: الأجود فتح «أن» على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرها على الاستثناف. وهذا ضمان من الله نصرة المؤمنين على الكافرين.

﴿ وَأَذَنَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَتِمِ الْأَحْتَبِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيَّةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينّ وَرَسُولُلُمْ فَإِن تُبْشُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْمٌ وَإِن وَلَيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَيَشِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمِذَابِ أَلِيهِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذَنٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِيهِ أَي: إعلام؛ ومنه أذان الصلاة. وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعكرمة، والمجدري، وابن يعمر: ﴿وَإِذْنُ اللَّهِ اللَّهِ مَرْ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ الذَّالُ مَن غير ألف.

⁽١) البيت في اشرح القصائد السبع الطوال، ٢٩٩، وامجاز القرآن، ٢٣/١، وامختار الشعر الجاهلي، ٣٧٠ من معلقته المشهورة، وقوله: شطت مزار العاشقين، يعني: شطت عبلة مزار العاشقين، أي: بعدت من مزارهم. وفي اشرح المعلقات، حلت بأرض الزائرين، والزائرون: الأعداء، جعلهم يزارون زئير الأسد، شبه وعيدهم بالزئير، يقول: نزلت الحبية بلاد أعدائي، فعسر على طلابها.

⁽Y) الحديث في «المسند» ٥/٣٧، والبخاري ٣/ ٤٥٩ و ٨/ ٤٧٤ و ٢/٠، ومسلم وقم ١٣٧٥، وأبو داود وقم ١٩٤٧. ولفظه في البخاري ٢/٠٠ عن أبي بكرة عن النبي على قال: «إن الزمان قد استدار كهيتته يوم خلق الله السموات والأرض، الستة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو العجمة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، أي شهر هله؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست البلدة؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست البلدة؟» قلنا: وأم بلك، قال: «قان يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «قان دماءكم وأموالكم ـ قال محمد (ابن سيرين): وأحسبه قال: وأمراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هلا، في بلدكم هذا، في شهركم هلا، وستلقون ربكم فيسألكم من أعمالكم، ألا فلا ترجموا بعدي كفاراً يضوب بعضكم وقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد متكم القاتب، فلمل بعض من يبلغه أن يكون أومى له من بعض من من على المنه، فكان محمد (ابن سيرين) إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت.

قوله تعالى: ﴿إِلَى النّاسِ﴾ أي: للناس. يقال: هذا إعلام لك، وإليك. والناس هاهنا عام في المؤمنين والمشركين. وفي يوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب، وابن الزبير، وأبو جحيفة، وطاووس، وعطاء. والثاني: يومُ النحر، قاله أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، والشعبي، والنخعي، والزهري، وابن زيد، والسدي في أخرين. وعن علي، وابن عباس، كالقولين. والثالث: أنه أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله سفيان الثوري. قال سفيان: كما يقال: يوم بعاث، ويوم الجمل، ويوم صفين يراد به: أيام ذلك، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً. وعن مجاهد، كالأقوال الثلاثة. وفي تسميته بيوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سمّاء بذلك لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عبد اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر: هو الممرة، قاله عطاء، والشعبي. والثالث: أن الحج الأكبر: القران، والأصغر: الإفراد، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللهُ بَرِيَاءٌ ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن يعمر: ﴿إِنَّ اللهُ بكسر الهمزة. ﴿ يَنَ الْمُشْكِينَ ﴾ أي: من عهد المشركين، فحذف المضاف ﴿ ﴿وَرَسُولُهُ ﴾ رفعٌ على الابتداء، وخبره مضمر على معنى: ورسولُه أيضاً بريء. وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر، وزيد عن يعقوب: ﴿ورسولَه ﴾ بالنصب. ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله: ﴿ وَإِن تَبَرُهُ ﴾ أي: رجعتم عن الشرك، ﴿ وَإِن تَوَلَّتُمْ ﴾ عن الإيمان.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَنهَدَتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمَ يَنقُصُوكُمْ شَبَّتَا وَلَمْ يُطْنِهِرُوا عَلَيَكُمْ آحَدًا فَآيِنُوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَمُ إِلَى مُذَيِّعِمُ إِنَّ اللَّهُ يُؤْ اللَّهِ النَّذِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَهَدتُم يّنَ النُّشَرِكِينَ ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: فلما قرأ علي (براءة)، قالت بنو ضمرة: ونحن مثلهم أيضاً؟ قال: لا، لأن الله تعالى قد استثناكم؛ ثم قرأ هذه الآية. وقال مجاهد: هم قوم كان بينهم وبين رسول الله على عهد ومدة، فأمر أن يفي لهم. قال الزجاج: معنى الكلام: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم، فليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد. قال القاضي أبو يعلى: وفصل الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بين رسول الله وبين جميع المشركين عهد عامًّ، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخافَ أحد في الشهر الحرام، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر؛ وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسمَّاة، فأمر بالوفاء لهم، وإتمام مدتهم إذا لم يُخش غدرهم.

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَنْهُرُ الْمُرُمُ قَاقَنُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ رَجَدُتُمُوهُمُ وَخُدُوهُمُ وَاعْمُرُوهُمُ وَاقْمَدُوا لَهُمْ كُلِّ مَرْصَدُ فِإِن قَابُوا وَأَقَامُوا السَّلِيَةِ النَّالَةِ عَامُوا سَيِيلَهُمُ إِنَّ اللَّهَ عَقُورٌ رَبِيعٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا آنسَلَتَ اَلاَنْتُهُرُ اللَّهُمُرُ اللُّهُمُ فيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جُعلت لهم فيها السياحة، قاله الحسن في آخرين، فعلى هذا، سميت حُرُماً لأن دماء المشركين حرَّمت فيها.

قوله تعالى: ﴿ فَأَقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: من لم يكن له عهد ﴿ حَيَّتُ وَجَدَنُّتُوهُم ۖ قال ابن عباس: في الحلّ والحرم والأشهر الحرم .

قوله تعالى: ﴿وَنَمُذُوهُمُ أَي: السروهم؛ والأخيذ: الأسير. ﴿وَأَحْسُرُوهُمُ ۖ أَي: احبسوهم؛ والحصر: الحبس، قال ابن عياس: إن تحصّنوا فاحصروهم.

قوله تعالى: ﴿ وَأَتَمْدُوا لَهُمْ كُلَ مَرْصَدَيْ ﴾ قال الأخفش: أي: على كل مرصد؛ فألقى اعلى وأعمل الفعل، قال الشاعر:

نُغالي اللحمَ للأضيافِ نيسًا

⁽١) البيت غير منسوب في اللسانة و اأساس البلاغة، مادة غلى. قال أبو مالك: نغالي اللحم: نشتريه غاليًا، ثم نبلله ونطعمه إذا نضج في قدورنا.

المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على». وقال الزجاج: «كل مرصد» ظرف، كقولك: ذهبت مذهباً، فلستَ تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقُدّام.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا ﴾ أي: من شركهم. وفي قوله: ﴿ وَأَقَامُواْ اَلْفَبَالُوَةٌ وَءَاتُواْ اَلزَّكَوْةَ ﴾ قولان: أحدهما: اعترفوا بذلك. والثاني: فعلوه.

فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿ وَإِنَّا مِنّا بِهَدُ وَإِنّا بَنَا بِهَدُ وَإِنّا بَنَا بِهَدُ وَإِنّا بَنَا بَهُ لَمِ السحكم وأنه كان الحكم في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبراً، وإنما يجوز المن أو الفداء بقوله: ﴿ فَإِنّا مَنّا بَسَدُ وَإِنّا بِنَدَهُ ثُم نُسخ بقوله: ﴿ فَاتَنْدُوا الله الله الله الله الله الله وقتادة. والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخيَّر، إن شاء مَنَّ عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبراً، أيَّ ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعلَ، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

﴿ وَإِنْ أَحَدُّ مِنَ ٱلْمُنْدَكِينِ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَانَمَ اللَّهِ ثُمَّ ٱللَّيْفَةُ مَاْمَنَةُ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ فَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ قال المفسرون: وإِن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونُهي عنه، فأجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه، وفي قوله: ﴿ وَلِكَ يَالَمُهُمُ قَرُمٌ لَا يَمْلَمُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرَّفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم، والثاني: ذلك الذي أمرناك به من ردِّه إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بخطاب الله.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدُ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَهَدَتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَارِ فَمَا اسْنَقَنْمُوا لَكُمْ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُ الْمُثَقِينَ ﴾ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَهَدَتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَارِ فَمَا اسْنَقَنْمُوا لَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُ النُمُقِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَنْفُ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدُ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَهَدَتُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ اَلْحَرَارِ ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضاً. وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبيُّ الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين. وا**لثالث**: أنهم خزاعة، قاله مجاهد. وذكر أهل العلم بالسُّيَر أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبةً مكفوفةً، وأنَّه مَنْ أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنَّه مَنْ أتى محمداً منهم بغير إذن وليه ردَّه إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنًا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا في قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح، إلا سلاح المسافر، السيوفَ في القُربِ» فوثبتْ خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إِن قريشاً أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيَّتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم إِن قريشاً ندمت على ما صَنَعَتْ، وعلموا أنَّ هِذَا نقضٌ للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم وكانت غزاة الفتح. قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة. قال ابن الأعرابي: وقوله: ﴿وأن بيننا عيبة مكفوفةٌ مَثَل، أراد: أنَّ صُلْحَنَا مُحْكُم مُسْتَوْثَقُ منه، كأنه عيبة مشرجة. وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَهَدَتُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحُرَارِ ﴾ نُسخ بقوله: ﴿فَٱقْنَلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَنْتُوهُمْ ﴾.

﴿ كَنْ فَانِ بَطْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْتُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً بُرْضُونَكُم إِلْفَرِهِهِمْ وَتَأْنِي قُلُوبُهُمْ وَأَخْذُهُمْ فَسِتُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يُظْهُرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ قال الزجاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق، قال الشاعر:

فكيف وهذي هضبة وقليب (١)

وخَبُّرُتماني أنَّما الموتُ بالقُرى

أي: فكيف مات وليس بقرية؟ ومثله قول الحطيئة:

على مُعظّم ولا أديم كُمم قَدُوا(٢) فكيف ولم أعلمهم خذلوكم

أي: فكيف تلومونني على مدح قوم؟ واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضمر. وقوله: ﴿ يُظْهَرُوا ﴾ يعنى: يقدروا ويظفروا. وفي قوله: ﴿لَا يَرْتُبُوا ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يحفظوا. والثاني: لا يخافوا، قاله السدي. والثالث: لا يراعوا، قاله قطرب. وفي الإِلَّ خمسة أقوال: أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل، والفراء، وأنشدوا:

إِنَّ السوشساة كسشيرٌ إِن أطعتهمُ لا يرقبون بسنا إِلَّا ولا ذِمَهما وقال الآخر:

لعَنْ السَّفْ مِنْ أَلِ النَّعامِ (٣)

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن. والثالث: أنه الله تعالى، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة. والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه الحِلْف، قاله قتادة. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرّف: ﴿إِيلاً بِياء بعد الهَمزة. وقرأ ابن السميفع، والجحدري: ﴿أَلَّا بَفْتِحِ الهِمْزَةُ وتشديد اللام. وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك في آخرين. والثاني: التذمم ممن لا عهد له، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

لَا يَسَرُقُ بُسِوْنَ بِسَنَسًا إِلَّا وَلَا ذِمَسَمَ

والثالث: الأمان، قاله اليزيدي، واستشهد بقوله: «ريسعي بذمتهم أدناهم»(٤).

قوله تعالى: ﴿ يُرْشُونَكُم بِأَنْزِهِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم بأفواههم في العِدَة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك. والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكرهنَّ الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَأَكُثُرُهُمْ فَسِتُوكِ ﴾ قال ابن عباس: خارجون عن الصَّدْق، ناكثون للعهد.

﴿اشْتَرَوْا بِنَايَتِ اللَّهِ ثَمَنُنَا قَلِيـلَا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦۚ إِنَّهُمْ سَآةً مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْتُبُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً رَأَوْلَتَهِكَ هُمُ المُمْتَدُونَ ۞ فَإِن تَنابُوا رَأَتَنَامُوا الفَتَنَاوَةَ رَمَاقُوا الزَّكَوْةَ فَإِخْوَنْكُمْ فِي الدِّينِّ وَفَفَضِلُ الْآبَنَتِ لِقَوْمِر يَعْلَمُونَ ١٩٠٠

قوله تعالى: ﴿ أَشَرَّوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد. والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح. فعلى الأول، آيات الله: حججه. وعلى الثاني: هي آيات التوراة. والثمن القليل: ما حصلوه بدلاً من الآيات. وفي وصفه بالقليل وجهان: أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل. والثاني: لأنه من عَرَض الدنيا الذي بقاؤه قليل. وفي قوله: ﴿فَمَكُنَّا عَن سَبِيلِيِّهُ ثلاثة

البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة النبيلة في «الأصمعيات» ٩٩، واطبقات فحول الشعراء، ١٧٦، ووأمالي القالي، ٢/ ١٥١، و«جمهرة ' أشعار العرب؛ ١٣٥، وقمعاني القرآن؛ للفراء ١/٤٢٤.

⁽٢) ﴿ وَيُوانَهُ ١٤٠ وَفِيهُ: عَلَى مُوطَنَ وَلا أَدْيِمُكُم فَدُّوا. وقوله: خذلوكم على معظم، قال أبو عمرو: أي: لم يخذلوكم في أمر حدث. وقوله: ولا أديمكم قدوا، أي: لم يقعوا في حسبكم.

⁽٣) قائله حسان بن ثابت الأنصاري، «ديوانه؛ ٤٠٧، و«اللسان»: «ألل» وهو من أبيات هجا بها أبا سفيان قبل إسلامه. والسقب: هو ولد الناقة ساعة يولد، والرأل: ولد النعام، يقول: ما قرابتك في قريش إلا كقرابة الفصيل من ولد النعام، أي: لست منهم في نسب.

[﴿]العسند﴾ رقم ٩٥٩، وأبو داود رقم ٤٥٣٠، والنسائي ٨٠/٢، كلهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، وهو جزء من حديث طويل، وسنده صحيح.

أقوال: أحدها: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة. والثاني: عن دينه بمنع الناس منه. والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

﴿ وَإِن لَكُنُوا أَيْمَنَهُم مِن مَهُ عَهْدِهِم وَطَمَنُوا فِي دِينِكُمْ فَتَنِلُوا أَيْمَة الْكُفْرِ إِنَّهُم لَا أَيْمَن لَهُمْ لَمَلَهُم يَنتَهُوك ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَكُنُوا أَيْمَنَهُم ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ. فأما النكث، رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ. فأما النكث، فمعناه: النقض، والأيمان هاهنا: العهود، والطعن في الدِّين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذميّ إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

قوله تعالى: ﴿ فَقَنِلُوا آلِمِنَهُ ٱلْكُفْرِ ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أئمة» بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. والمراد بأثمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم، ﴿ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَنَ لَهُمْ ﴾ أي لا تهرود لهم صادقة؛ هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون. وقرأ ابن عامر «لا إيمان لهم» بالكسر (١٠)؛ وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان، والثاني: لا أمان لهم، تقول: ﴿ لَمُلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ قولان: أحدهما: عن تقول: والثاني: عن نقض العهود. وفي العلى قولان: أحدهما: أنها بمعنى الترجّي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء. قاله الزجاج. والثاني: أنها بمعنى: "كي»، قاله أبو سليمان الدمشقى.

﴿ أَلَا لَتَنبِلُونَ قَوْمًا لَكَفُرًا أَيْمَنَهُمْدُ وَهَمَـثُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَهُوكُمْ أَذَكَ مَرَّوَ أَغَنَفُونَهُمْ فَاللَهُ آخَقُ أَن تَغَسَّوَهُ إِن كُشُرُ مُؤْمِنِينَ ۞ تَنتِلُوهُمْ يُمَلِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَشْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۞ وَيُدْهِبْ غَيْظُ مُلُوبِهِمُّ وَيَتُوبُ اللَهُ عَلَى مَن يَنَاةُ وَاللَهُ عَلِيمُ عَكِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَلاَ نُتَنِيْلُوكَ فَرَاكُ قَال الزجاج: هذ على وجه التوبيخ، ومعناه الحضّ على قتالهم. قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله على الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة، وفي قوله: ﴿وَهَكُنُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ في قولان: أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن همّ بإخراج النبي على من مكة. والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله على ونقضوا عهده وهمّوا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَكَ مَرَّةً﴾ فيه قولان: أحدهما: بدؤوكم بإعانتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس. والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ أَغَنْتُونَهُمُ ۚ قَالَ الرَّجَاجِ: أَتَخَشُونَ أَنْ يَنَالَكُم مِنْ قَتَالَهُمْ مَكُرُوهُ؟! فَمكرُوهُ عَذَابِ اللهُ أَحَقَ أَنْ يُخْشَى إِنْ كُنتُم مصدِّقين بعذابه وثوابه.

قُوله تعالى: ﴿ وَيَشَّفِ صُدُودَ قَوْرٍ مُؤْمِنِينٌ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني خزاعة.

قوله تعالى: ﴿ رَيُـٰذَهِبٌ غَبَّظَ فُلُوبِهِمُّ ﴾ أي: كُربها ورَجْدها بمعونة قريشٍ بني بكر عليها.

قوله تعالى: ﴿ وَبَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاهُ ﴾ قال الزجاج: هو مستأنف، وليس بجواب «قاتِلوهم». وفيمن عُنِي به قولان: أحدهما: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة. والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل. ﴿ وَاللّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنيًّات المؤمنين، ﴿ مَكِيمُ ﴾ فيما قضى.

⁽١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف، دون كسرها، لإجماع الحجة من القراءة على القراءة به، ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله: لا عهد لهم، والأيمان التي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف، لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين.

﴿أَرْ حَسِبْتُدْ أَن تُتَرَكُوا وَلَمَا يَعْلَمُ اللَّذِينَ جَهَدُوا مِنكُمُّ وَلَرْ يَشَغِدُوا مِن دُونِ اللّهِ وَلَا رَسُولِهِ. وَلَا ٱلْتَوْمِدِينَ وَلِيجَةٌ وَاللّهُ خَيِرٌ بِمَا تَصْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْ حَسِبَثُمْ أَن تُتُرَكُوا ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله على الخورج معه إلى الجهاد تعذيراً، قاله ابن عباس. وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ. قال الفراء: ولو أُريد به الابتداء، لكان إما بالألف، أو بـ «هل»، ومعنى الكلام: أن تُتركوا بغير امتحان يَبين به الصادق من الكاذب. ﴿وَلَا يَشَدِ اللّه أَي ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم؛ وقد كان يعلم ذلك غيباً، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل. فأما الوليجة، فقال ابن قتيبة: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً وواداً؛ وأصله من الولوج. قال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَشْمُرُوا مَسَنجِدَ اللَّهِ شَنهِ لِينَ عَلَى آننُسِهِم وَالْكُفْرِ أُولَتِكَ حَبِكَتْ أَعْمَلُهُمْرُ وَفِي النَّادِ هُمْ خَلِدُوكَ ۖ ﴿ إِنَّمَا يَسَمُرُ مَسَجِدَ اللَّهِ مَنْ مَامَكَ وَالْيَوْمِ الْآخِمِ وَآقَامَ الصَّلَوْءَ وَمَانَ الزَّكُوةُ وَلَرْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ فَسَسَى أُولَتِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ السَّمْتَدِينَ ﴾ المُهْتَدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَمْمُرُوا مَسَنجِدَ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: •مسجد الله؛ على التوحيد، ﴿إِنَّمَا يَشَكُرُ مَسَنجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع. وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي على الجمع فيهما. وسبب نزولها أن جماعة من وؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فعيَّروهم بالشُّرك، وجعل على بن أبي طالب يوبُّنُح العباس بقتال رسول الله عَلِيُّ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لنَحن أفضل منكم أجراً؛ إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية (١)، قاله مقاتل في جماعة. وفي المراد بالعِمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني: البناء له وإصلاحه؛ فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: يجب على المسلمين منعُهم من ذلك. قال الزجاج: وقوله: ﴿مُنهِدِينَ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر، ﴿أَوْلَيْهَكَ حَيِطَتْ أَعْنَلُهُمْرَ ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها. فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي. والثاني: أنهم ثبُّتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على مميِّز، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه. والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرَّضوا على اتُّباعه، فلما آمنوا بهم وكذَّبوه، دلوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبيين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَشَمُّرُ مَسَنجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْدِ ٱلْآخِـرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإِيمانُ لا يتم إِلا به؟ فالجواب: أن فيه دليلاً على الرسول، لقوله: ﴿وَأَمَّامَ الصَّلَوْءَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله. فإن قيل: ﴿فَعَسَى ﴾ ترج، وفاعل هذه الخصال مهتدٍ بلا شك. فالجواب: أن «عسى، من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد ألله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها؛ وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

﴿ ﴿ أَجَمَلُتُمْ سِقَايَةً لَلْآجَ وَعِمَارَةً الْمَسْجِدِ لَلْزَارِ كُمُّنَ مَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَا يَسْتَوْنَنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَسْتَوْنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عَندَهُ الْمَارِينَ ۚ لَهُ لَا اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَاهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّهِ

قوله تعالى: ﴿ أَجَمَانُمُ سِفَايَةً لَكُمَّ إِنَّ سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: رواه مسلم في اصحيحه من حديث

 ⁽۱) «أسباب النزول» للواحدي ۱۳۹.

النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله على الله الله الله عنه أبالى أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أسقى الحاجَّ، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أعْمُرَ المسجدَ الحرامَ، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا توفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية (١). والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نَعمُر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العاني(٢٠)، فنزلت هذه الآية (٢)، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس. والرابع: أن علياً والعباس وطلحة .. يعني سادن الكعبة ـ افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ فني المسجد. وقال على: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحبُ الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي. والخامس: أنهم لما أمرا بالهجرة قال العباس: أنا أسقى الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد. هكذا ذكر مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة، لأن طلحة هذا لم يسلم. والسادس: أن علياً قال للعباس: ألا تلحق بالنبي ر الله عليه السن على الفضل من الهجرة، الست أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مُرَّة الهَمْداني، وابن سيرين، قال الزجاج: ومعنى الآية: أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قال الحسن: كان يُنبذ زبيبٌ، فيسقُون الحاج في الموسم. وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه، فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

قوله تعالى: ﴿أَعْظُمُ دَرَبَهُ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. والمعنى: أعظم من غيرهم درجة. والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير. فأما النعيم، فهو لين العيش، والمقيم: الدائم.

قوله تعالى: ﴿لا تَنْفِذُواْ ءَابَاءَكُمْ وَلِخُودَكُمْ أَوْلِياءَ ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنه لما أمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يعلق به عياله وزوجته فيقولون: نَنْشُدك الله أن تَدَعَنا إلى غير شيء، فيرق قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد. والرابع: أن نفراً ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل. والخامس: أن النبي على لما أمر الناس بالجهاز لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاونهم عى قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقى.

﴿ فَلْ إِن كَانَ ءَابَالَوْتُمْ وَاَبْنَاوُكُمْ وَافْوَدُكُمْ وَالْوَجُمْرُ وَعَشِيرُكُو وَالْمَوْلُ الْفَنْوَنُمُوهَا رَجَعَرُهُ فَخَشَرُنَ كَسَادَهَا وَسَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا آحَبَ إِلَيْكُمْ مِن اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ. فَذَرْبَصُوا حَتَّى يَأْتِي اللَّهُ بِأَشْرِهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الْفَسِقِينَ ﴿ ﴾

⁽۱) ﴿ الطبري؛ ١٤/ ١٦٩، ومسلم ٢٦/١٣، وأورده السيوطي في ﴿المُدَّ، ٢١٨/٣ وزاد نستبه لأبي داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

⁽٢) العاني: الأسير.

٣) ﴿ وَالطَّبْرِي ٤ ١/ ١٧٠ وَعَلَى بَنْ أَبِّي طَلَّحَةً لَمْ يَدُوكُ ابْنَ عِبَاسَ.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ مَا الكُوْمُ الآية، في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين تخلّفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن على بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين. والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناه عن ابن عباس. فأما العشيرة، فهم الأقارب الأدنون. وروى أبو بكر عن عاصم فوعشيراتُكم، على الجمع. قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمعت قلت: عشيراتكم؛ وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعها. وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر. والاقتراف بمعنى الاكتساب. والتربص: الانتظار. وفي قوله: ﴿ حَتَّى يَأْنَ اللهُ بِأَمْرِينَ هُ قولان: أحلهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والأكثرون، ومعنى الآية: إن كان المُقام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿ وَيَكنَرُهُ فَتَح مكة، فتسقط فرض الهجرة، فأقيموا غير مثابين حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة، والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

﴿ لَقَدْ نَمَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَيْرِمَوْ وَيَوْمَ حُنَدَيْنِ إِذَ أَعْجَبَنْكُمْ كَازَنُكُمْ فَلَمْ تُنْنِ عَنَكُمْ شَيْعًا وَمَنَافَتْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ فِي مَنَافَتْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ وَمُنَافَتْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ وَمُنَافَتْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَمُنَافِقُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَمُنَافِقُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَمُنَافِقُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَمُنَافِقًا وَمُنَافِقًا وَمُنَافِقًا وَمُنَافِقً

قوله تعالى: ﴿ لَتَدّ نَسَرَكُمُ اللهُ إِن مُولِطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ أي: في أماكن. قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعده حرفان لم يُجْرَ^(۱)، مثل، صوامع، ومساجد. وجُريَ دحنين الأنه اسم لمذكّر، وهو واد بين مكة والطائف، وإذا سمّيت ماء أو واديا أو جبلاً باسم مذكّر لا علّة فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وجراء، وثَبِير، ودابِق (۱). ومعنى الآية: أن الله على أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم. وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفاً، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: كانوا اثني عشر ألفاً، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي. والوابع: أحد عشر ألفاً وخمسمائة، قاله مقاتل. قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغلَب اليوم من قِلّة، فساء رسولَ الله على كلامُه، ووُكلِوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿ إِذْ أَعْبَنَتُ مُ كُنُوكُمُ مُلَمُ تُنْن منسلامة بن وحكى ابن جرير أن القائل لذلك عنصر رسول الله على وقبل: بل العباس. وقيل: رجل من بني بكر.

قوله تعالى: ﴿ وَضَافَتَ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتُ ﴾ أي: برحبها. قل الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: ضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها.

الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله على مكة، تآمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس (٢٠٠)، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله على النائم، فأقبلوا أعجبتهم كثرتُهم فهُزموا، وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبينا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فانكشف المسلمون عن رسول الله على (١٠٠ وبعضهم يقول: ثبت مع رسول الله يعلى ومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث. وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان، فجعل النبي يقول للعباس: «ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب سورة البقرة فنادى، وكان صيّتاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت إلى أولادها، يقولون: يا

⁽١) إجراء الاسم عند الكوفيين صرفه وتنوينه، وعدم إجرائه: منع صرفه. (٢) دابق: قرية من قرى حلب.

⁽٣) أوطاس: وأد في ديار هوازن. ﴿ ٤) البخاري ٢٤/٨، ومسلم ١٢١/١٢.

لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ثم قال للعباس: «ناولني حَصَيات» فناوله، فقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها، وقال: «انهزموا وربِّ الكعبة»، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا (١). وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب، فرماهم به فانهزموا. وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلات عيناه بالتراب (٢).

﴿ثُمُّ أَنَلَ اللهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ. وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُوُدًا لَّرْ تَرَوْهَا وَعَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَفِرِينَ ۖ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَسِّدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَكَأُهُ وَاللهُ عَنْمُورٌ رَّحِيمٌ ۖ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ أَنِّلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ ۚ أَي: بعد الهزيمة. قال أبو عبيدة: هي فَعِيلةٌ من السكون، وأنشد:

لقد أَجَانً سكينةً وَوَقارا(٣)

لِسلَّمِهِ قَسَبْسِرٌ غَسالَسها مساذا يُسجِسن وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْزَلَ جُنُودًا لَرَ تَرَوْهَا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة. وفي عددهم يومثذ ثلاثة أقوال: أحدها: ستة عشر ألفاً، قاله الحسن. والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف. وهل قاتلت الملائكة يومثذ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَعَذَبُ الَّذِيرَ كَثَرُواً﴾ أربعة أقوال: أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبزى، ومقاتل. والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي. والرابع: بالقتل، والأسر، وسبي الأولاد، وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَمَّدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَكَأَهُ ﴾ أي: يوفِّقه للتوبة من الشرك.

﴿ يَتَأَيُّهُمَا الَّذِينَ ، امْنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَمْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِنْشُدْ عَبْـلَةُ فَسَوْقَ يُشْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ، إِن شَكَأَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ حَكِيمٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الشَيْرِيُّونَ نَجَسُ قال أبو عبيدة: معناه: فذر. قال الزجاج: يقال لكل شيء مستقدر: نجس. وقال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نِجْسٌ، إلا وقبلها رِجْسٌ، فإذا أفردوها قالوا: نَجَس. وفي المراد بكونهم نجساً ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز. وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ. والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة. والثالث: أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاس، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَشَرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامُ قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم. ﴿ بَمَدَ عَامِهِمَ هَكَذَا ﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر وقرئت (براءة). وقد أخذ أحمد ﷺ بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي. واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد، فروي عنه المنع أيضاً إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك. وروي عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، وسائر المساجد.

قوله تعالى: ﴿ رَإِنَ خِفْتُمْ عَبِدَلَةٌ ﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميفع: «عايلة». قال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَا النُتْرِكُونَ نَجَسُّ ذَلَا يَقَرَبُوا الْسَسْجِدَ الْحَكَرَامَ بَمَدَ عَامِهِمَ هَكَذَا ﴾ شقَّ على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَقْدَمون عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿ وَإِنْ خِنْتُمْ عَبَلَهُ ﴾ الآية. قال

⁽۱) قمسند أحمد؛ رقم ۱۷۷۵ بنحوه، ورواه مسلم ۱۱۰/۱۲ ـ ۱۱۷ بنحوه أيضاً. وذكره الطبري ۱۲/۱۸ ـ ۱۸۳، ورواه الحاكم في المستدرك؛ ٣/ ٢٨٧ والمستدرك؛ ٣/ ٢٣٧ وأورده السيوطي في اللدر؛ ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٤، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن سعد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

 ⁽۲) المسند أحمده ٢٨٦/٥ عن أبي عبد الرحمن الفهري، والطيري في التفسير ١٤٥/١٤، وخرجه الهيثمي في المجمع الزوائد ١٨١/١٨١ ـ ١٨١ وقال:
 رواه البزار، والطبراني، ورجاله ثقات.

⁽٣) البيت لأبي عريف الكايبي في المجاز القرآن؛ ١/ ٢٥٥، و(اللسان): سكن.

الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعيل عَيْلة: إِذَا افتقر. وأعال إِعالة فهو يُعيل: إِذَا صار صاحب عيال. وقال أبو عبيدة: العَيْلة هاهنا مصدر عالَ فلانٌ: إِذَا افتقر، وأنشد:

وما يُدري المفقير متى غِناه وماي دري الغنيُّ متى يُعبل(١)

وللمفسرين في قوله: قوإنّ قولان: أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر. والثاني: أنها بمعنى قوإذًا، قاله عمرو بن فايد. قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره. وفي قوله: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضَالِهِ إِن شَكّ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة. والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك. والثالث: أن أهل نجد، وجُرَش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظَّهْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ قال ابن عباس؛ عليم بما يصلحكم، ﴿حَكِيدٌ ﴾ فيما حكم في المشركين.

﴿ فَنَيْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وُلَا بِالْيَوْمِ الْآيَخِ وَلَا يُمُرِّمُونَ مَا حَكَمْ اللّهُ وَرَسُولُمُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَبَ حَقَّ بُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَنِو وَهُمْ صَنِغُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنَيْلُوا اللَّذِي لَا يُؤْمِنُونَ إِللَّهِ ﴾ قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى. قال الزجاج: ومعناها لا يؤمنون بالله إيمان الموحّدين، لأنهم لا يقرون بأنَّ الهل لا يؤمنون بالله ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأنَّ أهل المجنة يأكلون ويشربون. وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرون بها، فكانوا كمن لا يُقر به.

قوله تعالى: ﴿ وَكَا يُمُرِّمُونَ مَا حَدَّمُ اللَّهُ وَرَسُولُمُ ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني الخمر والخنزير.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ بَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِ ﴾ في الحق قولان: أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة. والثاني: أنه صفة للدين، والمعنى: ويدينون الدِّينَ الحقِّنَ، فأضاف الاسم إلى الصفة. وفي معنى "يدينون قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، والمعنى: لا يطبعون الله طاعة حقّ، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه. ثم في جملة الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ، لأنه ناسخ لما قبله. والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد .

قوله تعالى: ﴿ مَنَى يُعْطُوا الْجِرْيَةَ ﴾ قال ابن الأنباري: الجزية: الخراج المجعول عليهم؛ سميت جزية، لأنها قضاء لما عليهم؛ أخذ من قولهم: جُزى يَجْزي: إذا قضى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ لا يُجِرِّى نَفْسُ عَن نَفْسِ شَيْكا ﴾ البغوة: ١٤٨، وقوله: ﴿ وَمَن يَدِ ﴾ ستة أقوال: أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي. وقال الزجاج: عن قهر وذُلُ. والثانى: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم. والثالث: أنه إعطاء المبتدئ

⁽١) البيت الأحيحة بن الجلاح في «مجاز القرآن» الأبي عبيدة ٢٥٥/١، وهماني القرآن» للفراء ٢٥٥، و«جمهرة أشعار العرب» ٢٠٥، و«اللسان» و«التاج» عيل، وهو من قصيدته التي قالها في حرب بينه وبين قومه من الأوس وبني النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فحذرت قومها مجيء أحيحة وقومه من الأوس، فضربها حتى كسر يدها وطلقها، وبعد هذا البيت قرين له:
ومسا تسدري إذا أجسم مسمول أمساراً

والمستري و المستري و المستري و الأمر لما كفروا بمحمد الله له الله إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد الله، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل، علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا يشعهم إيمانهم بيئية الأنبياء وتدكفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم.

٢) هو قطعة من حديث طويل، فقد روى البخاري ١٥/٠، ومسلم ١٥٥٣/٣ واللفظ له عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: وإن أول ما نبدأ به في يومنا هذا (يعني يوم عيد الأضحى) نصلي، ثم ترجع فنتحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب ستتنا، ومن ذبح، (بعني قبل صلاة العيد) فإنما هو لحم قدمه لأهله، لبس من النسك في شيء، وكان أبو بردة بن نيار (خال البراء بن عازب) قد ذبح (بعني قبل الصلاة) فقال: عندي جذعة خير من سنة فقال: اذبحها ولن تجزئ عن أحد بعدك.

بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم. والخامس: عن إنعام عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاهما الزجاج. والسادس: يؤدونَها بأيديهم، ولا ينفذونها مع رسلهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمُمْ صَنْفِرُوكِ﴾ الصاغر: الذليل الحقير. وفيما يكلَّفونه من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال: أحدها: أن يمشوا بها مُلَبِّين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن لا يُحمدوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي. والثالث: أن يكونوا قياماً والآخذ جالساً، قاله عكرمة. والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار. والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

فصل

واختُلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من المكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمحوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من شبي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا الجزية؛ فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

فصل

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، فهم أهل القتال. فأما الزَّمِنُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

فصل

فأما مقدارها، فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوّرق أربعون درهماً، وسواء في ذلك الغني والفقير. وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار. وهل تجوز الزيادة والتقصان مما يؤخذ منهم؟ نقل الأثرم عن أحمد: أنها تزاد وتنقص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه، ونقل يعقوب بن بختان (۱): أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

فصل

ووقت وجوب الجزية: آخر الحول، ويه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول. فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟ عندنا لا تسقط. وقال أبو حنيفة: تسقط. فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام. فأما إن مات؛ فكان ابن حامد يقول: لا تسقط. وقال القاضي أبو يعلى: يَحتمل أن تسقط.

﴿ رَقَالَتِ الْيَهُودُ عُنَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّمَدَى الْمَسِيخُ ابْتُ اللَّهِ ذَلِكَ فَوَلْهُمْ بِالْوَهِهِمَّ يُشَهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن فَبَلُ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَلَى يُؤْفَكُونَ ۞ الْخَيَادُةُمْ الْجَبَارَهُمْ وَوْفَيَئَهُمْ أَرْبِكَابًا بِنَ دُوبِ اللَّهِ وَالْمَسِيخَ ابْتُ مَرْبُكُمْ وَمَا أَيْسِرُوا إِلَّا لِيَنْشِدُوا إِلَيْهُا وَحِدُا ۚ لَا إِلَنْهَ إِلَّا هُوْ شُبْحَكَنَهُ عَمَا يُشْرِكُونَ

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُرَيْرً آبَنُ اللّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: "عزيرُ ابن الله ابن الله بغير تنوين. وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوّناً. قال مكي بن أبي طالب: من نوّن عزيراً رفعه على الابتداء، و «ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين. ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين. ومن لم ينون «عزيراً» جعله أيضاً مبتدأ،

 ⁽١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان أحد تلامذة الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الحنابلة» ١٤٥/١.

و ﴿ ابن ﴾ صفة له ؛ فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافاً لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمر تقديره: عزير بن الله نبيُّنا وصاحبنا. وسبب نزولها أن سلَام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نتَّبعُكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فنزلت هذه الآية^(١)، قاله ابن عباس. وقال ابن عمر، وابن جريج: إن القائل لذلك فنحاص. فأما العزير، فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي معرب، وإِن وافق لفظ العربية، فهو عِبراني؛ كذا قرأته عليه. وقال مكي بن أبي طالب: العزير عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزُّروه. وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزير اللَّهَ تعالى؛ فعاد إليه الذي نُسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذَّن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة؛ فقالوا: ما أوتيها إلا لأنه ابن الله. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزير غلاماً، فتركه. فلما توفي عزير ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزير؛ فكذَّبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أن عزيراً مات ببابل، فإن كنتَ عزيراً فأملل علينا التوراة؛ فكتبها لهم؛ فقالوا: هذا ابن الله. وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس. والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي. والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج. والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس. فإن قيل: إن كان قولَ بعضهم، فلِمَ أضيف إلى جميعهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جئت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلاً واحداً. والثاني: أن من لم يقل، لم ينكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّمَدَرَى ٱلْمَسِيحُ أَبِّ ٱللَّهِ ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: لكونه ولد من غير ذكر. والثاني: لأنه أحيى الموتى، وأبرأ الكُمْهُ والبُرص؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [المائدة: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ قَرْلُهُ مِ بِأَنْهِ مِنْ ﴾ إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟ فالجواب: أن المعنى: إنه قول بالهم، لا بيانَ فيه، ولا برهانَ، ولا تحته معنى صحيح، قاله الزجاج.

قوله تعالى: فيضاهون، قرأ الجمهور: من غير همز. وقرأ عاصم: ﴿ يُشَهِرُ كَ قَال ثعلب: لم يتابع عاصماً أحد على الهمز. قال الفراء: وهي لغة. قال الزجاج: فيضاهون، يشابهون قول مَن تقدَّمَهم من كَفَرتِهم، فإنما قالوه اتباعاً لمتقدِّميهم. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة؛ والأكثر ترك الهمز؛ واشتاقه من قولهم: امرأة ضهياء، وهي التي لا ينبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال. قال ابن الأنباري: يقال: ضاهيت، وضاهات: إذا شبّهت. وفي ﴿ الّذِيكَ كَنَرُوا ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسبح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزير ابن الله، قاله قتادة، والسدي. والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليداً، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وفي قوله: ﴿ وَنَنْلَهُمُ اللّهُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس. والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة. والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنِّ يُؤْنَكُونَ ﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿ اَتَّمَٰكُواْ أَخَبَارُهُمْ ﴾ قد سبق في [المائدة: ٤٤] معنى الأحبار والرهبان. وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُوا لهم شيئاً استحلُوه، وإذا حرما عليهم شيئاً حرّموه (٢٠). فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالأرباب وإن لم يقولوا: إنهم أرباب.

⁽١) ﴿ الطبري؛ ٢٠٢/١٤، وأورده السيوطي في ﴿ الدر؛ ٢٣٩/، وزاد نسبته لابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

 ⁽٢) رواه الترمذي ١٣٦/٢، وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَسِيحَ أَبِّكَ مَرْكِمَ ﴾ قال ابن عباس: اتخذوه ربًّا.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطَيِنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنْزَهِهِمْ وَيَأْفَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوَ كُوهَ الْكَنْفِرُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُرَكَ أَن يُطْنِئُوا ثُورَ اللهِ قال ابن عباس: يخمدوا دين الله بتكذيبهم، يعني؛ أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك. وقال الحسن وقتادة: نور الله: القرآن والإسلام. فأما تخصيص ذلك بالأفواه، فلِما ذكرنا في الآية قبلها. وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَكَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَرُ نُورَمُ﴾ قال الفراء: إنما دخلت «إِلاَّ هاهنا، لأن في الإِباء طرفاً من الجحد، ألا ترى أن «أبيت» كقولك: «لم أفعل»، و «لا أفعل»، فكأنه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر:

فَهَسلُ لِيَ أُمٌّ غيرُها إِن تسركتُها أبى اللّه إلا أن أكُونَ لَها ابنما(١)

وقال الزجاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إِتمام نوره. قال مقاتل: "يتم نوره" أي: يظهر دينه. ﴿ هُوَ الَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولُهُ وَالْهُــَدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهٍ. وَلَوْ كَرَهُ الْمُشْرِكُونَ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى آرَسَلَ رَسُولَمُ عني محمداً ﷺ ﴿ يَالَهُدَىٰ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: تبيان الفرائض. فأما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله: ﴿ لِيُظْهِرَمُ ﴾ قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلّمه شرائع الدِّين كلَّها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدِّين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدِّين على سائر الملل (٢٠). ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى ﷺ، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير المللُ واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدَّوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي. والقول الثاني: أن إظهار الدِّين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

﴿ ﴾ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَاسَنُوًا إِنَّ كَيْمِيكُا مِنِ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمَوْلَ النَّاسِ بِالْبَنطِلِ وَيَمُسُدُونَ عَن سَجِيلِ اللَّهِ وَالْمُثْبَا فِي سَجِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُم بِمَذَابٍ الْبِحِي ﴾ وَالْذِينَ اللَّهَ مَا يُعْفُرُهُمَا فِي سَجِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُم بِمَذَابٍ الْبِحِي ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَيْرًا يَرَ الْأَجْبَارِ ﴾ الأُحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وفي الباطل أربعة أقوال: أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس. والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن. والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان. والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى. والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل، لأنه معظم المقصود من المال. وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان: أحدهما: الإيمان برسول الله على والسدى. والثانى: أنه الحق والحكم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكُنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت عامّة

ورواه «الطبري» ١٤٠/١٤ من طرق عن عدي بن حاتم، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣٠، وزاد نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر،
 وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه».

⁽٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢١٥ /٤ عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِن الله وَرى (جمع) في الأرض، فرأيت مشارتها ومغاربها، وإن أمني سيبلغ ملكها ما زوي في منها، وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٣/٤، عن تعيم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا اللين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز به الإسلام، وذلاً يدل به الكفر»، وكان تعيم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزية، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية. وروى أحمد في «المسند» ٢/٤، عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله ﷺ في فيجعلهم من أهلها، أو يللهم فيدينون لها». وروى مسلم ٤/٢٣٠، عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿مُو الْذِي عَلَيْهِ وَلِي المَّوْ وَبِينِ المَّوْ وَبِينِ المَّوْ وَبِينِ المَّوْ وَبِينِ المَّوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَّوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِينِ المَوْ وَبِي المَوْ وَبِينِ المَوْلِ وَلَهُمْ مَنْ المِينَ عَلَيْ مَنْ في قلبه مثال عبد عرف أن إيمان، فيقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم؟.

في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك. والثاني: أنها خاصَّة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي. وفي الكنز المستحقّ عليه هذا الوعيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما لم تؤدُّ زكاته. قال ابن عمر: كل مال أُدِّيتْ زكاتُه وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدَّى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض(١)، وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة. **والثاني**: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن على بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز. والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نُسخ. فإن قيل: كيف قال: اينفقونها، وقد ذكر شيئين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز والأموال. والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحُذف الذهب، لأنه داخل في الفضة، قال الشاعر:

عسنسلك راض والسرأي مسخستسلسف (٢) نسحسن بسمسا عسنسدنسا وأنست بسمسا

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، ذكر القولين الزجاج. وقال الفراء: إن شئت اكتفيت بأحد الىمدْكورين، كقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبُ خَطِيتَةً أَوْ إِنَّا ثُمَّ يَرْرٍ بِدِ. بَرِيَّكَ﴾ النساه: ١١٦، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوَا يَجَنَرَةً أَوْ لَمَوْا انفَشْوَا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وأنشد:

إنسى ضمنت لمن أتبانس ما جَنَى وأبسى وكبان وكبنت غيير غَدور (٣)

ولم يقل: غدورين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى. قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبَّروا عن أحدهما استغناءً بذلك، وتحقيقاً؛ لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر،

فسمن يسك أمسسى بالسديسة دخلة فإنى وقيارٌ بها لغريب(١) والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع. وقال حسان بن ثابت:

ردَ مسا لسم يُسعساصَ كسان جُسنُسونسا^(ه) إِنَّ شرخَ السسباب والسَّعَرَ الأسب

ولم يقل: يعاصيا.

﴿ يُوْمَ يُحْمَىٰ عَلِيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّدَ فَتُكُونَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمٌّ هَدَا مَا كَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ لَذُونُواْ مَا كُنْتُمْ تكنزون 🕽 🕈

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ بُحْمَٰنَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّدَ﴾ أي: على الأموال. قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضعُ دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسَّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته^(١). وقال ابن عباس: هي حيَّة تنطوي على جنبيه وجبهته، تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا كَنْزُتُمْ ﴾ فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ﴿ فَذُوثُواْ مَا كُنُّتُم تَكَيْرُونَ ﴾ أي: عذاب ذلك. فإن قبل: لم خصَّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟ فالجواب: أن هذه المواضع مجوَّفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل. وكان أبو ذرٌّ يقول: بشر الكنَّازين بكيّ في الجباه وكيّ في الجنوب

آثر ابن عمر رواه الطبري ٢١٨/١٤، وإسناده صحيح. ورواه بمعناه مالك في «الموطأ، ٢٥٦/١. قائله عمرو بن امرئ القيس من بني الحارث بن الخزرج، جاهلي قديم، وهو جد عبد الله بن رواحة، والبيت في اجمهرة أشعار العرب، ٢٣٧، وسيبويه ٧/ ٣٧ (منسوباً لقيس بن الخطيم) وهو خطأ، و«معاني القرآن» ١/ ٤٣٤، و«مجاز القرآن» ٢٠٨/١، و«الخزانة، ٢/ ١٩٠.

البيت غير منسوب في امعاني القرآن؛ ١/ ٤٣٤، ونسبه سيبويه في االكتاب؛ ١/ ٣٨ للفرزدق. (٣)

قائله ضابئ بن الحارث البرجمي وهو في ﭬالأصمعيات، ١٦، وفسيبويه، ٣٨/١، وقالقرطبي، ٢٤٦/١، وقشواهد المغني، ٢٩٣، وقالخزانة، ٤٢٣/٢، وداللسان، ودالتاج، قَيْر.

⁽٥) ﴿ وَهُ عِدْ الْمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه اللَّهُ ال بذلك أقصى قوته ونضارته وعنفوانه.

[«]الطبري» ١٤/٣٣٢، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٢٩ ـ ٣٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأورده ابن كثير ٢/ ٣٥٢ من طريق ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: ولا يصح رفعه والله أعلم. وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٣٣/، وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وكيِّ في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم(١). وجواب آخر: وهو أن الغنيَّ إِذا رأى الفقير، انقبض؛ وإِذا ضمه وإِياه مجلس، ازورّ عنه ووّلاه ظهره، قاله أبو بكر الوراق.

﴿ إِنَّ عِـذَةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَبِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّكَنَوَتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَكَةُ حُرُمُّ ذَلِكَ الدِّينُ الْفَتِيمُ فَلَا تَطْلِمُوا فِيهِنَ النَّسَكُمُ وَفَكِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَـٰهُ كَا يُعْيِلُونَكُمْ كَافَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ النُنْقِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك؛ وكانوا يستحلون المحرَّم عاماً، ويحرَّمون مكانه صفر، وتارة يحرمون المحرَّم ويستحلون صفر. قال الزجاج: أعلم الله على أن عدد شهور المسلمين التي تُعبُّدوا بأن يجعلوه لسنتهم؛ اثنا عشر شهراً على منازل القمر؛ فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتمده أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعض يوم. وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر». وقرأ أبو جعفر: «اثنا غشر»، و«أحد غشر»، بسكون العين فيهن.

قوله تعالى: ﴿ فِي كِنَنِ اللَّهِ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا آرْبَعَتُ مُرْمً ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة،. والمحرم، قاله الأكثرون. وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرُماً لمعنيين: أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضاً. والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشدً من تعظيمه في غيرها، وكذلك تعظيم الطاعات فيها. والثاني: أنها الأشهر التي أجّل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهِ الدِّينُ ٱلْفَيْمَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس. والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَطْلِبُوا فِينَ النّسَكُمُ ﴾ اختلفوا في كناية "فيهنّ على قولين: أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهراً، قاله ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، كفعل أهل النسيء. والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء؛ واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: لللاث ليال حَلُونَ، وأيام خلون؛ فإذا جُزتَ العشرة قالوا: خلتُ ومضتُ؛ ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة؛ أمنً، وهؤلاء؛ فإذا جزتَ العشرة، قالوا: هي، وهذه؛ إرادة أن تُعرف سمة القليل من الكثير. وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه؛ والقلّة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة، يقولون: وجهتُ إليك أكبُشاً فاذبحهنٌ، وكباشاً فاذبحها؛ فلهذا قال: ﴿ مِنهَا الله تُعنى بقوله: "فيهنه الاثني عشر، فإنه تظلِمُوا فِيهِنَ لانه يعنى بقوله: "فيهنه الأربعة. ومن قال من المفسرين: إنه يعنى بقوله: "فيهنه الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل. وعلى قول من قال: ترجع "فيهنه إلى الأربعة؛ يُخرَّج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال: أحدها: أنه المعاصي؛ فتكون فائلة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله: ﴿ وَيَهِمَهُ وَيَغِلُ وَرَبَانٌ ﴾ [البقرة: ١٩] وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿ وَيَهُمُ وَيَغِلُ وَرَبَانٌ ﴾ [البقرة: ١٩] وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿ وَيَهُمُ الله العالمة على ما سواها، كقوله: في غير الحج، في جملة الفاكهة، وقوله: ﴿ وَيَهُمُ الله على ما عنه في غير الحج،

⁽۱) • الطبري، ۲۲۰/۱۱ وفي قصحيح مسلم، ۲/ ۱۹۰، عن الأحنف بن قيس قال: كنت في نفر من قريش، فعر أبو در وهو يقول: فبشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكي من قبل أقفاتهم يخرج من جباههم، قال: ثم تنخى فقعد، قال: قلت: من هيدا؟ قالوا: أبو در، قال: فقمت إليه، فقلت: ما شيء مسمعتك تقول قبيل، قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ دروى مسلم أيضاً ۲/ ۲۸۲ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليه في نار جهتم فيجمل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى صبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...».

وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأموراً بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرَّم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق. والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تُبدَرُوا بالقتال، قاله مقاتل. والرابع: أنه ترك القتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوِّكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل. والسرُّ في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكفُّ عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجاً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً.

﴿ إِنَّمَا اللَّيْنَ ۗ زِبَادَةً فِي الْصِحُفَرِ بَعْسَلُ بِهِ الَّذِينَ كَنَوُا بَيْلُونَهُ عَامًا وَبُحَرَمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِفُوا عِنْهَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَبُعِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُعَرِينَ اللَّهُ وَيُعَلِّينَ اللَّهُ اللَّلَّا اللللَّهُ اللَّهُ اللّلَّا اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ال

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اللَّيِّيُّ ذِيكَادَةٌ فِي الْكُفِّكُ الجمهور على همز النسيء ومَدِّه وكسر سينه. وروى شبل عن ابن كثير: «النِّسُءُ على وزن النِّسْع. وفي رواية أخرى عن شبل: «النَّسِيُّ مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر؛ والمراد بالكلمة التأخير. قال اللغويون: النسيء: تأخير الشيء. وكانت العرب تحرُّم الأشهر الأربعة، وكان هذا مما تمسَّكت به من ملة إبراهيم؛ فربما احتاجوا إلى تحليل المحرَّم للحرب تكون بينهم، فيؤخِّرون تحريم المحرَّم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضاً إلى الشهر الذي بعده؛ ثم تتدافع الشهور شهراً بعد شهر حتى يستدير التحريم على السُّنة كلِّها، فكأنهم يستنسئون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله ﷺ أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلوا الحرام، وحرَّموا الحلال: ﴿ لِيُوَاطِئُوا ﴾ أي: ليوافقوا ﴿ عِذَهَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام، وتحريم الحلال. وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصَّدَر عن مِني، قام رجل من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعابُ ولا أجابُ ولا يُرَدُّ لي قضاء؛ فيقولون: أنسئنا شهراً؛ يريدون: أخِّر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرُم لا يُغِيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما بيُّنًا. وقيل: ْإنما كانوا يستحلون المحرَّم عاماً، فإذا كان من قابل ردُّوه إلى تحريمه. قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليَّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة. وقال مجاهد: كان أولَ من أظهر النسىء جنادةُ بن عوف الكناني، فوافقت حَجةُ أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي على في العام القابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرضِّ (١١). وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نُعيم بن ثعلبة.

قوله تعالى: ﴿ يُسَلُ مِهِ اللَّيْنَ كَثَرُكُ ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ يَضِلُ بِفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿ يُضِلُ بَضم الياء وفتح الضاد، على ما لم يُسم فاعله. وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: ﴿ يُضِل بَضم الياء وكسر الضاد؛ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: يُضِلُ الله به. والثاني: يُضِلّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم. والثالث: يُضِلّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنوه لهم. قال أبو علي: التقدير: يُضل به الذين كفروا تابعيهم، وقال ابن القاسم: الهاء في قبه واجعة إلى النسيء، وأصل النسيء: المنسوء، أي: المؤخّر، فينصرف عن قمفعول إلى قفعيل كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومقدور وقدير، قال: وقيل: الهاء واجعة إلى الظلم، لأن النسيء كَشَفَ تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهّر؛ والأول اختيارنا.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا مَا لَكُرُ إِذَا فِيلَ لَكُرُ آنِفُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثْنَاتُكُمْ إِلَى ٱلأَرْضُ أَرْضِيتُم بِالْحَكَوْةِ الدُّنيَا مِنَ ٱلْآخِرَةُ نَمَا مَنَامُ ٱلْحَكِوْةِ الدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيدًا ﴿ ﴾

⁽۱) رواه أحمد في االمسند؛ ٣٧/٥، والبخاري ٦/١٠، ومسلم رقم ١٩٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧ عن أبي بكرة ﷺ، وقد أوردنا الحديث بطوله صفحة (٧٥٧).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُرُ إِذَا قِيلَ لَكُرُ اَنَفِرُوا﴾ قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجدب وحرِّ شديد، وقد طابت الثمار، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبوا المُقام، فنزلت هذه الآية (۱). وقوله: ﴿مَا لَكُمُ السّفهام معناه التوبيخ. وقوله: ﴿اَنْفِرُوا﴾ معناه: اخرجوا. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك. وقوله: ﴿اَنَّاتَلْتُمُ قَالُ ابن قتيبة: أراد: تثاقلتم، فأدغم التاء في الثاء، وأحدثت الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم. وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تثاقلتم». وفي عنى: ﴿إِلَى ٱلأَرْضِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد. والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا، قاله الضحاك. والثالث: تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرْضِيتُم بِالْحَيَزةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتمتَّع به في الدنيا قليل بالإِضافة إلى ما يَتمتَّع به الأولياء في الجنة (٢٠).

﴿إِلَّا نَنفِرُوا بُمُذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْولَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا نَشُرُوهُ شَبْنًا وَاللهُ عَلَى حَلْي شَيْرِ قَالِيهِ فَوْلِهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَزو الروم تناقلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قوم: هذه خاصة فيمن استنفره رسول الله على غزو الروم تناقلوا، فنزلت هذه رسول الله على عباس عباس المعلى عنهم المعلى فكان عذابهم (الله على عوله: ﴿ وَيَسْتَبُولُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ عَلَى وسول الله على عنهم المعلى عنهم المعلى فكان عذابهم الله على المعلى أنهم إن تركوا نصره لم وعيد شديد في النخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوماً غير متناقلين. ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضرُره ذلك إذ كان بمكة. وفي هاء النصروء، قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى؛ لا تضروه بترك نصره، قاله تشروا الله بترك النفير، قاله الحسن. والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله على فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزجاج.

فصل

﴿ إِلَّا نَشُسُرُهُ نَفَدَ نَصَكَرُهُ اللَّهُ إِذَ الْخَرَجُهُ الَّذِينَ كَنَكُوا ثَالِيكَ اثْنَيْنِ إِذَ هُمَا فِي الْفَادِ إِذَ يَكُولُ لِمُسَاجِهِ، لَا عَسْرَهُ اللَّهُ مَنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَكَالُوا اللَّهُ عَلِيدًا وَاللَّهُ عَلِيدًا وَاللَّهُ عَلِيدًا وَاللَّهُ عَلِيدًا وَاللَّهُ عَلِيدًا وَاللَّهُ عَلِيدً

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَشُسُرُهُ﴾ أي؛ بالنفير معه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إِعانةً على أعدائه، ﴿إِذْ أَخْرَبُهُ ٱلَّذِينَ كَنْرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَنَرُوا﴾ [الانفال: ٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم.

قوله تعالى: ﴿ ثَانِكَ آتُنَيْنِ﴾ العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الآئنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة، قال الزجاج: وقوله: ﴿ ثَانِكَ ٱتَنَيِّنِ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفرداً إلا من

⁽١) ﴿ وَالطَّبْرِي ٤ ٢٥٣/١٤ ، عن مجاهد، وذكره السيوطي في ﴿ الدرُّ ٣ ٢٣٧ ، وزاد نسبته لسنيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

⁽٢) روى مسلم في «صحيحه رقم (٢٨٥٨) عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هله - وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة - في اليم، فلينظر بم ترجع»، ورواه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٤، والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر.

 ⁽واه بنحوه أبو داود في «سننه رقم (٢٥٠٦) وفي سنده نجدة بن نفيع وهو مجهول. وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣٩، وزاد نسبته لابن المنذر،
 وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهتي في «سننه».

أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر، وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله رضي وأبو بكر. فأما الغار، فهو ثَقب في الجبل، وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيِّب الرِّيح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غاريَّه. قال الشاعر:

أَلَسَمْ تسر أَنَّ السَدَّهْسِرَ يَسِوْمٌ وَلَسِيْسَلَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى يَسْعَى لِخَارَيْهِ وَاقِبَا(١)

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور. قال مجاهد: مكثا فيه ثلاثاً. وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب الحدائق، قال أنس بن مالك: أمر الله في شجرة فنبتت في وجه رسول الله في نسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عَجِل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد (١٠). وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام. وصاحبه في هذه الآية أبو بكر، وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي في: المقام. والثالث: السكون وفي السكينة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول على بن والطمأنينة، قاله ابن قتية، وهو أصح. وفي هاء العليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عباس، والثاني: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عباس، والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى ترجع إلى النبي في قاله مقاتل، والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى بإعادة الذّكر على أحدها من إعادته عليهما، كقوله: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَنَتُ فَن يُرْشُونُ التوبية عليهما، ذكوله: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَن يُرْشُونُ اللّه الذيل الله سكينته عليهما، فاكتفى

قوله تعالى: ﴿ رَأَيْكَدُرُ ﴾ أي: قوّاه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف. ﴿ بِجُنُورِ لَمْ تَرَوْكَ ﴾ وهم الملائكة. ومتى كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس. والثاني: لما كان في الغار، صرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزجاج. فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه» وهما متفقتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يُردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يَحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجاً. فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ وفظير هذا قوله: ﴿ يُتَرْبِهُ وَيُسَرِّمُونُ ﴾ يعني الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَكُ كَلِكَ ٱلَّذِينَ كَنَكُرُا الشَّفُلُ ﴾ فيها قولان: أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدَّروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصره، رواه عطاء عن ابن عباس. وقوأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ويعقوب: ﴿وكلمةَ اللهُ بالنصب.

> قوله تعالى: ﴿وَلَاللّٰهُ عَزِيدُ﴾ أي: في انتقامه من الكافرين: ﴿حَكِيدُُ﴾ في تدبيره. دو و الراس مارير براير من الراير والرائز على التواريد المؤرِّس المؤرِّس المؤرِّس المؤرِّس المؤرِّس المؤرِّس ال

﴿انفِرُوا حِفَافًا وَيْقَالًا رَجَهِدُوا بِأَنْوَالِكُمْ وَانْشِيكُمْ فِي سَهِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم تَعَلَّمُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿انفِـرُوا خِفَانًا رَبُقـالًا﴾ سبب نزولها أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيماً سميناً، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي^(٤). وفي معنى «خفافاً وثقالاً» أحد عشر قولاً: أحدها: شيوخاً

⁽١) البيت في اللسان، غور غير منسوب.

 ⁽٢) ابن سعد في الطبقات، ٢٢٩/١، عن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار: أمر الله شجرة.. الحديث. وفي سنده ضعيف ومجهول. وفي «مسئد أحمد» ٥٨٧/٥، من حديث ابن عباس: ٥٠٠٠ فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، وفي سنده عثمان الجزري لم يوثقه غير ابن حبان.

⁽٣) - «البخاري»: ٧/ ١٠، وامسلم»: ٤/ ١٨٥٤، دون قوله: وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار. وأورده السيوطي في االدر، وزاد نسبته لابن سعد، وابن أبي شبية، وأحمد، والترمذي، وأبي عوانة، وابن حبان، وابن المنذر، وابن فردويه.

⁽٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٤١، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٤٦، ونسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وشباباً، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشَمْرُ بن عطية، وابن زيد في آخرين. والثاني: رجّالةً وركباناً، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي. والثالث: نشاطاً وغير نشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل. والرابع: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس، ثم في معنى هذا الوجه قولان: أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلَّة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء. والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكي عن الزجاج. والمخامس: ذوي عيال، وغير عيال. قاله زيد بن أسلم. والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم. والثامن: أصحَّاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجويبر. والتاسع: عزَّاباً ومتأهِّلين، قاله يمان بن رياب. والعاشر: خفافاً إلى الطاعة، وثقالاً عن المخالفة، ذكره الماوردي. والحادي عشر: خفافاً من السلاح، وثقالاً بالاستكثار منه، ذكره المعادي.

فصل

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَاكَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَـنفِرُواْ كَٱلْمَا ۗ [التوبة: ١٢١]. وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿ لِنَسَ عَلَى الضُّمَفَكَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ (٢) [التوبة: ١٩].

قوله تعالى: ﴿وَجَنِهِدُوا بِأَمْوَلِكُمْ وَأَنْشِكُمْ ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعاً، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه غيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قوياً. وإن كان له مال وقوَّة، فعليه الجهاد بالنفس والمال. ومن كان معدِماً عاجزاً، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَى النَّيِنِ لَا يَجِدُرِنَ مَا يُنْفُونَ حَرَّجُ إِذَا نَصَحُواْ يَقِ وَرَسُولِيَّهُ التوبة: ١٩١.

قوله تعالى: ﴿ زَلِكُمْ عَبْرٌ لَكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والتئاقل عنه. والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم ﴿ إِن كُنتُدْ تَمَلَّمُونَ ﴾ ما لكم من الثواب.

﴿ لَوْ كَانَ عَهَمُنَا قَرِبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَانَّبَتُوكَ وَلَكِئَ بَعُدَتْ عَلِيْهِمُ الشُّقَةُ وَسَيَحْلِلُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَلَمْنَا لَحَرَّخَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ اَلْهُسَهُمْ وَاقَلَهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ ﴾

قُوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَهُمَنَا قَرِبَا ﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك. ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضاً قريباً. والعَرَض: كلُّ ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفراً قاصداً، أي: سهلاً قريباً، لا تَبعوك طمعاً في المال ﴿ وَلَكِئَ بَهُدَتَ عَلَيْهُمُ الشَّقَةُ ﴾ قال ابن قتيبة: الشقة: السفر؛ وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقة شاقة.

قوله تعالى: ﴿ وَسَيَمُلِنُونَ بِاللَّهِ عِني المنافقين إِذَا رجعتم إليهم ﴿ لَوِ السَّطَفْنَا ﴾ وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: ﴿ لَوُ استطعنا ، يضم الواو ، وكذا أين وقع ، مثل : ﴿ لَوُ اطَّلَعْتَ عَلَيْهم الالكيف: ١٨] ، كأنه لما احتيج إلى حركة الواو ، حركت بالضم لأنها أخت الواو ، والمعنى : لو قدرنا وكان لنا سَعَةٌ في المال . ﴿ يُهُلِكُونَ أَنْسُهُم الكذب والنفاق ﴿ وَاللَّهُ يُعَلُّمُ إِنَّهُمْ لَكَذِيرُنَ ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا .

﴿ عَمَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِن َ لَهُمْ حَتَّى يَبَّدِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَمْكَرُ ٱلكَّندِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ عَنَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ آذِنتَ لَهُمْ ﴾ كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلُّف لمَّا خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومثذِ يعرَف المنافقين. قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى؛ فعاتبه الله كما تسمعون. قال مورِّق: عاتبه ربَّه بهذا. وقال سفيان بن عيينة: انظر

 ⁽١) وقد ذهب إلى إحكام الآية ومنع النسخ جماعة، منهم ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي، وحكى الفاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا:
 وليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو، فقرض على الناس النفير إليهم، ومتى استغنوا عن إعانة من وراءهم عذر القاعدون عنهم.

 ⁽٢) أخرجه السيوطي في «الدره ٣/٢٤٦» من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن السدي.

إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيِّره بالذَّنْب. وقال ابن الأنباري: لم يخاطّب بهذا لجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي إلله عنك، هلَّا زرتني.

قوله تعالى: ﴿ حَقَّ يَنَبَّنَ لَكَ ۗ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلُّف ممن لا عذر له. والثاني: لو لم تأذن لهم، لقعدوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم. قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقول: ﴿ فَأَذَنَ لِمَنَ شِئْكَ مِنْهُمْ ﴾ [النور: ١٢].

﴿ بَسَنَفِدُلُكَ الَّذِينَ يُوْمِنُوكَ بِاللَّهِ وَالْبَوْرِ الْآخِدِ أَن يُجَنِهِدُوا بِأَنْوَلِهِدْ وَٱنفُدِمِمُ وَاللَّهُ عَلِيدٌ بِالثَّنْقِينَ ﴿ إِنَّمَا بَسَنَفِنُكَ اللَّذِينَ لاَ بُوْمُورُكَ فِي اللَّهِ وَالْبَوْرِ وَازْمَانِتَ قُلُوبُهُمْ فَهُمْرٌ فِي رَبِيهِمْ بَرْدَدُوكِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا بَسَنَفَذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود. قال الزجاج: أعلم الله ﷺ نُبيَّه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان.

فصل

وروي عن ابن عباس أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَرَ يَدْمَبُواْ حَتَى يَسْتَذِيْوُهُۗ إِلَى آخر الآية آالنور: ٢٦]. قال أبو سليمان الدمشقي: وليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

﴿ ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُـدُونَ لَأَمَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَوْ اللّهُ الْبِمَانَهُمْ وَنَبَطَهُمْ وَقِيلَ الْفَـدُوا مَعَ الْفَسَدِينَ ۞ لَوْ خَـرَجُوا مِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلّا خَبَالاً وَلاَوْمَنْعُوا خِلَنَاكُمْ يَبَنُونَكُمُ الْفِنْنَةَ وَفِيكُو سَتَنْعُونَ لَمَثَمْ وَاللّهُ عَلِيثٌ بِالظّليدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَلَوْ أَرَادُوا النَّسُرُوعَ ﴾ يعني المستأذنين له في القعود. وفي المراد بالعُدَّة قولان: أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: السلاح، والمركوب، وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والانبعاث: الانطلاق، والتبُّط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ اَقْدُدُوا ﴾ في القائل لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ألهموا ذلك خذلاناً لهم، قاله مقاتل. والثاني: أن النبي على قاله غضباً عليهم. والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكرهما الماوردي. وفي المراد بالقاعدين قولان: أحدها: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره قولان: أحدها: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى. قال الزجاج: ثم أعلم الله على لم كره خروجهم، فقال: ﴿ لَوْ خَرَبُوا فِيكُم مَا زَادُوكُمُ إِلّا خَالاً ﴾ والخبال: الفساد وذهاب الشيء. وقال ابن قتية: الخبال: الشر. فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿ وَاللّه خَالاً ﴾ والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن النبي على لما خرج، ضرب عسكره على ثنيَّة الوداع، وخرج عبد الله بن أبيّ، فضرب عسكره على أسفل من ذلك؛ فلما سار رسول الله على أسفل من ذلك؛ فلما سار رسول الله على تنقَّل ابن أبيّ فيمن تخلَّف من المنافقين، فنزلت هذه الآية (١)

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَاكُمُهُۥ قال الفراء: الإِيضاع: السير بين القوم. وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل. قال الزجاج: يقال: أوضعت في السير: أسرعت.

قوله تعالى: ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِئْنَةَ ﴾ قال الفراء: يبغونها لكم. وفي الفتنة قولان: أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل، وابن قتية. والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة. قال الحسن: لأضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

 ⁽١) قال السيوطي في «الدر» ٣/٤٤٤: وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، عن الحسن البصري قال: كان عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن نبتل، ودفاعة بن زيد بن تابوت من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدِ إِنْهَوْمًا الْوَسَــَةَ مِن فَبـــلُ وَكَــَلُوا لَكَ الأَمُورَ ﴾ إلى آخر الآية، وهي الآية التي بعد هذه.

قوله تعالى: ﴿وَفِيكُرُ سَمَنَعُونَ لَمُهُم﴾ فيه قولان: أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: مَن يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة، وابن إسحاق.

﴿ ﴿لَمَنَهِ النَّمَوْ الْفِتْمَةُ مِن تَبْسُلُ وَتُسَكِّمُوا لَكَ الأَثُورَ حَتَّى جَمَاةَ الْمَثَّى وَظَهَرَ أَشُ اللَّهِ وَهُمْ كَرْمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَنَّهُ إِنْ الْفِتْمَةُ ﴾ في الفتنة قولان: أحدهما: الشر، قاله ابن عباس. والثاني: الشرك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ مِن مَبُلُ ﴾ أي: من قبل غزوة تبوك. وفي قوله: ﴿ وَقَلَلْكُ الْأَمُورَ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: بَغَوْا لك الغوائل، قاله ابن عباس. وقبل: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على طريقه ليلاً ليفتكوا به، فسلَّمه الله منهم. والثاني: احتالوا في تشتَّت أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أبيّ يوم أحد بأصحابه. والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم. والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالأة المشركين في الباطن. والمخامس: أنه حلفهم بالله ﴿ لَو السَّتَمَلَمْنَا لَمُرَجَّنَا مَكُمُ مَهُ ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ حَنَّى جَآهُ الْحَقُّ ﴾ يعني النصر ﴿ وَظَهَـرَ أَنُّ اللَّهِ ﴾ يعني الإسلام. ﴿ وَمِنْهُم مَن بَكُولُ اشْذَن لِي وَلَا نَفْتِينَّ أَلَا فِي الْفِشْـنَةِ سَتَعْلُواً وَإِنَ جَهَنْدَ لَمُحِيطَةً إِلَّاكَنْدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُ م مَن يَكُنُولُ اَتَذَن لِي ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال للجَدِّ بن قيس: (يا جَدُّ، هل لك في جِلاد بني الأصفر، لعلك أن تغنم بعض بنات الأصفر، فقال: يا رسول الله، انذن لي فأقيم، ولا تفتني ببنات الأصفر. فأعرض عنه، وقال: اقد أذنت لك،، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس (١). وهذه الآية وما بعدها إلى

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَتُ﴾ في المنافقين.

قوله تعالى: ﴿ رَمِنْهُمْ ﴾ يعني المنافقين ﴿ مَن يَكُولُ أَنَذَن لِي ﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس. وفي قوله: ﴿ وَلاَ لَنْتِنَى ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تفتني بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: لا تُكسبني الإِثم بأمرك إِيَّايَ بالخروج وهو غير متيسِّر لي، فآثم بالمخالفة، قاله الحسن، وقتادة، والزجاج. والثالث: لا تكفِّرني بالزامك إِيَّايَ الخروج، قاله الضحاك. والرابع: لا تصوفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا فِي النِّسَنَةِ سَتَطُواً ﴾ في هذه الفتنة أربعة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الإِثم، قاله قتادة، والزجاج. والرابع:

العذاب في جهنم، ذكره الماوردي.

﴿إِن نُصِبُكَ حَسَنَةً تَسُوْهُمُمُ وَإِن نُصِبُكَ مُصِيبَةٌ يَـعُولُوا فَدْ أَخَذْنَا أَسْرَنَا مِن قَسَلُ وَيَسَتَوَلُوا وَهُمْ فَرِحُوك ۞ قُل لَن يُصِيبَـنَا إِلَّا مَا كَنَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَنَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْفُؤْمِنُون ۞﴾

قُوله تعالى: ﴿إِن تُصِبُكَ حَسَنَةٌ ﴾ أي: نصر وغنيمة. والمصيبة: القتل والهزيمة. ﴿يَــُــُولُواْ قَـدُ أَخَذُنَا أَشَرُنَا﴾ أي: عَمِلنا بالحزم فلم نخرج. ﴿وَيَسَــُولُواْ وَمُمْ فَرِحُوبَ﴾ بمصابك وسلامتهم.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا كَنَبُ اللَّهُ لَنَا﴾ فيه ثَلاثة أقوال: أحدها: ما قضَى علينا، قاله ابن عباس. والثاني: ما بيَّن لنا في كتابه من أنَّا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا، أو نقتل فتكون الشهادةُ حسنى لنا أيضاً، قاله الزجاج. والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وُعدنا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ هُو مَوْلَئناً ﴾ أي: ناصرنا.

﴿ فَلَ هَلْ نَرْبَصُونَ بِنَاۚ إِلَّا إِخْدَى الْحُسْنَيْنَةِ وَنَحَنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُو اللّهُ بِعَذَابٍ مِنَ عِندوه أَوْ يَأْتِدِينَا ۚ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فُلْ هَلْ نَرْتُسُوكَ بِنَآ﴾ أي: تنتظرون. والحسنيان: النصر والشهادة. ﴿وَتَحَنُّ نَتَرَبَّسُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُرُ اللّهُ بِمَذَابٍ مِّتْ عِسْدِيهِ﴾ في هذا العذاب قولان: أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس. والثاني: الموت، قاله ابن جُريج.

١) أورده السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٤٨، من رواية محمد بن إسحاق، وابن المنذر، والبيهةي في «الدلائل» من طريقه عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ بِأَلِدِينَا ۚ ﴾ يعني: القتل.

﴿ فُلُلُ ٱلْفِئُواْ طُوْعًا أَوْ كُرْهَا لَن يُنَفِّبَلَ مِنكُمَّ ۚ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا نَسِقِينَ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿أَنفِقُوا طَوَّعًا أَوَ كَرَّهًا﴾ سبب نزولها أن الجد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتتنت. ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (۱). قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يُتقبَّل منكم. ومثله في الشعر قول كثيّر:

أسيمني بنا أو أحسني لا ملومة للهنا ولا مَقْلِيَّةً إِن تَقَلَّتِ (٢)

لم يأمرها بالإِساءة، ولكن أعلَمها أنها إِن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها. قال الفراء: ومثله ﴿آسَتَغْبِرْ لَمُمّ لَا تَسْتَغْفِرْ لَمُمَّ﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿ وَمَا مَنْعَهُمْ أَن ثَقْبَلَ مِنْهُمْ نَنَقَنَتُهُمْ إِلَا أَنَهُمْ كَنُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. وَلَا بَأَثُونَ الصَّكَلَوْةَ إِلَا وَهُمْ كُسَالَ وَلَا يُمُنِفُونَ إِلَّا وَهُمْ كَنْوِهُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنْمَهُمْ أَن تُعْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ وَأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: اتقبل اللتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: "يقبل اللياء. قال أبو علي: من أنَّت، فلأن الفعل مسند إلى مؤنَّث في اللفظ؛ ومن قرأ اللياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكيره؛ كقوله: ﴿ فَمَن جَلَّةُ مُ مَرْعِظَةٌ مِن رَبِّيهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقرأ الجحدري: «أن يَقبل بياء مفتوحة، انفقاتهم بكسر التاء. وقرأ الأعمش: انفقتهم بغير ألف، مرفوعة التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يقبل بالياء (انفقهم بنصب التاء على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كُنُواً بِاللَّهِ قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ «منعهم»، والتقدير: وما منعهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَكَ ﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمَّ كَنْرِهُونَ﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرماً.

﴿ وَهَلَا تُشْجِبُكَ أَمُونَكُهُمْ وَلِا أَوْلَنَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِمُذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَكِيزةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْشُهُمْ وَهُمْ كَلِيْرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلا تُعْبِكُ أَثَرُلُهُمْ ﴾ أي: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتية. فعلى هذا، في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى؛ ليُعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر، قاله ابن زيد. والثالث: أن المعنى: ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في صبيل الله، قاله الحسن. فعلى هذا، ترجع الكناية إلى الأموال وحدها. والرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أمرالهم، ذكره الماوردي. فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَنَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السهم: إذا جاوز الهدف.

﴿ وَتِمْلِنُونَ ۚ مِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَينَكُمْ وَمَا هُم يَنكُو وَلَكِكُمْهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۚ ۞ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَنَّا أَوْ مَنكَرَتِ أَوْ مُدَخَلًا لَوَلُوا اللَّهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞﴾ إليه وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿رَمِّلِانُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَينكُمْ﴾ أي: مؤمنون، و ﴿يَشَرَنُونَ﴾ بمعنى يخافون. فأما الملجأ، فقال الزجاج: الملجأ واللَّجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتحصن فيه. والمغارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه. وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبلة: «أو مُغارات، بضم الميم؛ لأنه يقال: أغرت

⁽١) - «الطبري»: ١٤/ ٢٩٤، وفي سنده انقطاع.

 ⁽۲) البيت لكثير عزة: (ديوانه ١/٣٥، من تصيدته المشهورة، و(الطبري) ٢/ ٢٩٤، و ٢٩٣/١٤، و ١٩٤١، القرآن) للفراء ١/٢٤١، يقال: قلاه يقليه قلى،
 فهر مقلي: كرهه وأبغضه، وتقلى: تبغض، أي: استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه.

وغُرت: إذا دخلتَ الغور. وأصل مدَّخَل: مدتخل، ولكن التاء تبدل بعد الدال دالاً، لأن التاء مهموسة، والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخفّ. وقرأ أبيِّ، وأبو الممتوكل، وأبو الجوزاء: «أو مُتَدَخَّلاً» برفع الميم، ويتاء ودال مفتوحتين، مشددة الخاء. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «مُنْدَخَلاً» بنون بعد الميم المضمومة. قرى الحسن، وابن يعمر، ويعقوب: «مدخلاً» بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها. قال الزجاج: من قال: «مُذْخلاً» فهو من أدخلته مُدخلاً، قال الشاعر:

الحمد لله مُمْسَانا ومُصْبَحَنَا بالحير صبَّحنا رَبِّي ومسَّانَا (١)

ومعنى مُدَّخل ومُدْخل: أنهم لو وجدوا قوماً يدخلون في جملتهم ﴿أَوَّلَوْاۚ إِلَيه، أَي: إِلَى أَحد هذه الأشياء ﴿وَهُمْ يَجْسَحُونَ﴾ أي: يسرعون إِسراعاً لا يرد فيه وجوهَهم شيء. يقال: جمح وطمح: إِذا أسرع ولم يردَّ وجهه شيء؛ ومنه قيل: فرس جموح للذي إِذا حمل لم يرده اللجام.

﴿ وَمِنْهُم مَّن كَبْدِرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ قَإِنْ أَعْظُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُشْطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ بَسْخَطُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُهُم مَن يَلِيزُكَ فِي الشَّدَتَتِ ﴾ فيمن نزلت فيه قولان: أحدهما: أنه ذو الخويصرة التميمي، قال للنبي على يعماً: أعدل يا رسول الله، فنزلت هذه الآية (). ويقال: أبو الخواصر. ويقال: ابن ذي الخويصرة. والثاني: أنه ثعلبة بن حاطب، كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء، فنزلت هذه الآية. قال ابن قتيبة: «يلمزك» يعيبك ويطعن عليك. يقال: همزت فلاناً ولمزته: إذا اغتبته وعبته؛ والأكثرون على كسر ميم «يلمزك». وقرأ يعقوب، ونظيف عن قنبل، وأبان عن عاصم، والقزاز عن عبد الوارث: ﴿يَلْوِرُك ﴾ و ﴿يَلْورُك ﴾ و ﴿وَلاَ نَلْورُك ﴾ و ﴿وَلاَ نَلْورُك ﴾ و ﴿وَلاَ نَلْورُك مِن الميم فيهنَّ، وقرأ ابن السميفع: «يلامزك» مثل: يفاعلك. وقد رواها حماد بن سلمة عن ابن كثير. قال أبو علي الفارسي: وينبغي أن تكون فاعلت في هذا من واحد، نحو: طارقت النعل، وعافاه الله، لأن هذ لا يكون من النبي على وقرأ الأعمش: «يلمّزك» بتشديد الميم من غير ألف، مثل؛ يفعلك. قال الزجاج: يقال: لمزت الرجل ألوزه وألمُزه، بكسر الميم وضمها: إذا عبته، وكذلك: همزته أهمزه، قال الشاعر:

إذا لسفيد قُسك تُسبدي لسي مسكسا شسرة وإن تَعَيَّبُ قُسكَ كَسَتَ السهامِ وَ السَّمَ وَالْ اللهُ مَعْ وَالْ اللهُ اللهُ وَعَلَمُ اللهُ وَعَالُواْ حَسَمُكَا اللهُ سَيُوْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ وَيَعْوَكَ هُوَ إِنَّا اللهُ مَا اللهُ اللهِ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ عَلِيمُ مَكِيمُ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلِيمُ وَاللهُ عَلِيمُ وَاللهُ عَلِيمُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ وَال

قوله تعالى: ﴿ وَلُوْ أَنْهُمْ رَضُواْ مَا مَاتَنَهُمُ اللهُ وَيَسُولُمُ ﴾ أي: قنعوا بما أعطوا. ﴿ إِنَّا إِلَى اللهِ رَغِبُوكِ في الزيادة، أي: لكان خيراً لهم. وهذا جواب الوه، وهو محذوف في اللفظ. ثم بيَّن المستحق للصدقات بقوله: ﴿ إِنَّمَا السَّلَكُتُ لِللَّهُ عَرَاهُ وَلَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللهُ وبه رَمِّن، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، والزهري، والحكم، وابن زيد، والمالكن ومقاتل. والثاني: أن الفقير: المحتاج الذي له زمانة، والمسكين: المحتاج الذي لا زمانة به، قاله قتادة. والثالث: الفقير: المهاجر، والمسكين: الذي لم يهاجر، قاله الضحاك بن مزاحم، والنخعي. والرابع: الفقير: فقبر المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة. والخامس: أن الفقير: من له البُلْغَة من الشيء، والمسكين: الذي ليس له شيء، قاله أبو حنيفة، ويونس بن حبيب، ويعقوب بن السكيت، وابن قتية. واحتجوا بقول الراعي:

⁽١) البيت لأمية بن أبي الصلت في الأغاني؛ ١٢٩/٤، واللسان، مسا. .

⁽٢) والطبريه: ٣٠٣/١٤ وإسناده صحيح، وقصة ذو الخويصرة معراة عن سبب النزول رواها البخاري في اصحيحه ٦/ ٤٥٥، ومسلم ١٦٥/٧ من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري.

 ⁽٣) البيت لزياد الأعجم في «الطبري» ٢٠١/١٤، و«مجاز القرآن» ٢٦٣/١، و«شواهد الكشاف» ١٥٢، و«إصلاح المنطق» ٤٧٥، و«الجمهرة» لابن دريد
 ٣/٨، و«المقايس» ٢٦/٦، و«اللسان»: همز.

أمًّا الفقيرُ الذي كانتُ حَلُوبَتُه وفقَ العيال فلم يُشرَكُ له سَبَدُ(١)

فسماه فقيراً، وله حَلوبة تكفيه وعياله. وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين؛ يريد: أنا أسوأ حالاً من الفقير. والسادس: أن الفقير أمس حاجةً من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من النكسار الفقار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ. قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالاً من الفقير، لأن الفقير أصله في قال: المسكين أحسن حالاً من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة؛ المفقور الذي نزعت فقرة من فقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبيخ، قال الشاعر:

لَـمّا دأى لُـبَـدَ السنسُورِ تَـطَايَـرَتْ وَفَعَ الـقَـوادِمَ كالـفـقـيـرِ الأغـزَلِ(٢)

قال: ومن الحجة لهذا القول قوله: ﴿أَمَّنَا السَّغِينَةُ قَكَانَتْ لِمَسَنِكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدَتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَلَآءَمُم مَّلِكُ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً؛ قال: وهو الصحيح عندنا.

قوله تعالى: ﴿وَاَلْمَنِمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منها بقدر أُجُور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بزكاة.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُولَفِدُ فُلُوبُهُمْ ﴾ وهم قوم كان رسول الله على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذري شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون. فأما المسلمون، فصنفان؛ صنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن ليبياتهم، كعُييننة بن حصن، والأقرع؛ وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، مثل عامر بن الطفيل؛ حاتم، وأما المشركون، فصنفان؛ صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألفهم دفعاً لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل؛ وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أمية. وقد ذكرت عدد المؤلفة في كتاب والتلقيح، وحكمهم باقي عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ. قال الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ قد ذكرناه في سورة [البقرة: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَكْرِمِينَ﴾ وهم الذين لزمهم الدَّين ولا يجدون القضاء. قال قتادة: هم ناس عليهم دَيْنٌ من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير، وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمَن في حق المفسد إذا قُضِيَ دَيْنُه أن يعود إلى الاستدانة لذلك؛ ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله تعالى: ﴿وَفِ سَهِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الغزاة والمرابطين. ويجوز عندنا^{٣)} أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم. وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَإَبْنَ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المنقطع به، وإِن كان له مال في بلده؛ قاله مجاهد، وقتادة، وأبو حنيفة، وأحمد. فأما إِذا أراد أن ينشئ سفراً، فهل يجوز أن يعطى؟ قال الشافعي: يجوز، وعن أحمد مثله؛ وقد ذكرنا في سورة اللغرة: ١٧٧] فيه أقوالاً عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ وَيِنِكُ مِنْ اللَّهِ ﴾ يعنى أن الله افترض هذا.

⁽۱) • ديوانه ٥٥، و•إصلاح المنطق؟ ٣٣٦، و•الاقتضاب؛ ١١٤، والحلوبة: الناقة التي تحلب، وقوله: وفق العيال، أي: لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. وقيل: قدر ما يقوتهم، وكل شيء طابق شيئاً فهو وفق له. والسبد: الشعر. وقيل: الوبر. فإذا قيل: ماله سبد ولا لبد، فمعناه: ماله ذو وير ولا صوف متلبد، يكتى بهما عن الإبل والغنم.

 ⁽٢) البيت للبيد، «ديوانه» ٢٧٤، و«اللسان»: نقر، وهمعجم البلدان» ٢٧٨/، و«معجم مقاييس اللغة» ٤٠٠٤، و«الحيوان» ٢٦٦/، وقوله: كالفقير،
 ويروى: كالمقير، ويروى: كالكسير. والأعزل: المائل الذنب توصف به الخيل. والقوادم: أربع ريشات في مقدم الجناح، الواحدة: قادمة، والفقير:
 المكسور الفقار، وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

٣) أي: عند الحنابلة.

فصيل

وحدُّ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين: أن يكون مالكاً لخمسين درهماً، أو عدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته، أو لا يقوم. والثاني: أن يكون له كفاية، إما من صناعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربها بكفايته. وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكاً لنصاب تجب عليه فيه الزكاة. فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة، فهم بنو هاشم، وبنو المطلب. وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب. ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبني المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافاً لأبي حنيفة. فأما موالي بني هاشم وبني المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافاً لمالك. ولا يجوز أن يعملي صدقته من تلزمه نفقته؛ وبه قال مالك، والثوري. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يعطي والذا وإن علا، ولا ولذا وإن سفل، ولا زوجه، ويعطي مَنْ عَداهم. فأما الذمي؛ فالأكثرون على أنه لا يجوز إعطاؤه، وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد روجه، ويعطي مَنْ عَداهم. ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف؛ وهو قول أبي حنيفة، ومالك؛ وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة. فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تقصر فيه الصلاة، فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يُجزئه؛ وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة؛ يكره نقلها، وتجزئه، وقال أحمد: ولا يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي الما أحمد: ولا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً. وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزأك. فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجة من غير حدّ. فإن أعطى من يظنه فقيراً، فبان أنه غي، فهل يجزئ؟ فيه عن أحمد روايتان.

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النِّينَ وَيَعُولُونَ هُوَ أَنْذُ قُلْ أَنْنُ خَنْبِرِ لَكُمْ بُؤْدِنُ بِاللّهِ وَيُؤْدِنُ لِلْمُؤْمِدِينَ وَرَحَمَّةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُو وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَمْتُمْ عَذَابُ لَايِمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِيكَ يُؤَذُّونَ ٱلنَّيَّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن خِذام بن خالد، والجُلاس بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجلاس: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أذنَّ سامعة، ثم نأتيه فيصدِّقنا؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من المنافقين يقال له: نَبْتَل بن الحارث، كان ينم حديث رسول الله عليه إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل؛ فقال: إنما محمد أذن، مَنْ حدَّته شيئاً، صدقه؛ نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية؛ قاله محمد بن إسحاق(١). والثالث: أن ناساً من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقووه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقاً، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن ما يقوله محمد حق، وإنكم لشرٌ من الحمير؛ ثم أتى النبيُّ ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامراً كاذب، وحلف عامر أنهم كذُّبُوا، وقال: اللهم لا تفرُّق بيننا حتى تبيِّنَ صدق الصادق، وكذب الكاذب؛ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿ يَمْلِنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْشُرِكُمْ﴾، قاله السدي(٢). فأما الأذي فهو عيبه ونقل حديثه. ومعنى ﴿أَذُنُّ ﴾ يقبل كل ما قيل له. قال ابن قتيبة: الأصل في هذا أن الأُذُنَ هي السامعة، فقيل لكل من صدَّق بكل خبر يسمعه: أُذُنَّ. وجمهور القراء يقرؤون ﴿هُوَ أَذُنَّ قُلُ أَذُنُ﴾ بالتثقيل. وقرأ نافع همو أَذْنٌ قل أَذْنُ خيرٍ، بإسكان الذال فيهما. ومعنى اأذُنُ خيرِ لكم، أي: أذن خير، لا أَذُنُ شرّ؛ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي عبلة ﴿أَذُنَّ بالتنوين ﴿خيرٌ اللَّونع. والمعنى: إن كان كما قلتم، يسمع منكم ويصدُّقكم، خيرٌ لكم من أن يكذُّبكم. قال أبو على: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة، كما قال الخليل: إنما سميت النابُ من

⁽١) ﴿ وَالطَّبْرِي ﴾ ٢٤/ ٣٢٥، و ﴿أُسبابِ النزول؛ للواحدي ١٤٣، وأورده السيوطي في ﴿النَّدِ، وزاد نسبته لابن المتذر، وابن أبي حاتم.

⁽٢) ﴿ أَسِبَابِ النزول﴾ للواحدي ١٤٣ عن السدي، ووأرده ﴿الطبري﴾ ٣٣٩/١٤، ٣٣٠ عن قتادة سبياً لنزول الآية التي بعدها ﴿ يَظِفُوكَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْشُوكُ﴾، وأورده السيوطي كذلك في ﴿الدرَّ ٣/ ٢٥٣ عن قتادة من طريق ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعن السدي من طريق ابن أبي حاتم.

الإبل، لمكان الناب البازل، فسميت الجملة كلُّها به، فأجرَوا على الجملة اسم الجارحة لإِرادتهم كثرة استعماله لها في الإصخاء بها، ثم بيَّن ممن يَقبل، فقال: ﴿ يُوّمِنُ إِللَّهِ وَيُوّمِنُ إِللَّهُ وَيُوّمِنُ إِللَّهُ وَيَرْمِنُ لِلْمُوّمِينَ ﴾ قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان؛ والمعنى: يصدِّق الله ويصدِّق المومنين فيما والمعنى: يصدِّق الله ويصدِّق المومنين فيما يخبرونه به، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. وقرأ حمزة «ورحمةٍ بالخفض. قال أبو على: المعنى: أَذْنُ خير ورجمةٍ. والمعنى: مستمع خير ورحمةٍ.

﴿ يَعْلِنُونَ إِلَّهَ لَكُمْ لِيُرْشُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَخَلُ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يَلِنُوكَ إِلَّهَ لَكُمُ لِيُرْشُوكُمْ ﴾ قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي على أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلون. وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أبيّ، حلف لا يتخلّف عن رسول الله على وليكونَنَّ معه على عدوه. وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالعيب، وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في فليرضوكم، بمعنى القسم، والمعنى؛ يحلفون بالله لكم لنرضينكم. قال: وهذا خطأً، لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليُرضُوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يُرضُون في المستقبل. قلت: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج، وقد مال إليه الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُو اَحَقُ أَن يُرَضُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالتوبة والإِنابة. والثاني: بترك الطعن والعيب. فإن قيل؛ لم قال: ﴿يُرضُوهِۥ ولم يقل: يرضوهما؟ فقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَلَا يُنفِئُونَهَا فِي سَكِيلِ اللَّهِ﴾ [التربة: ٣٤].

﴿ اللَّمْ يَمْ لَمُونَا أَنَّهُ مَن يُحَمَادِدِ اللَّهَ وَوَسُولُمُ فَأَنَّ لَمُ نَارَ جَهَنَّدَ خَلِدًا فِيهَأْ ذَلِكَ الْخِيرَى ٱلْعَظِيمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَمْلَمُوا ﴾ روى أبو زيد عن المفضل «ألم تعلموا» بالتاء.: ﴿أَلَمُ مَن يُحَادِدِ اللهُ ورسولَه، قولان: أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس. والثاني: من يعادي الله، كقولكم: من يُجانِبِ الله ورسولَه، أي: يكون في حدًّ، والله ورسولُه في حدًّ.

قوله تعالى: ﴿ فَأَكَ لَمُ نَارَ جَهَنَدَ ﴾ قرأ الجمهور: ﴿ فَأَنَ اللهِ اللهِ مَدَّةُ . وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عبلة : بكسرها . فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم . ودخلت ﴿ إِنَّ مؤكدة . ومن قال: ﴿ فَأَنَّ الْمُولَى تُوكِيداً ؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أوكد .

﴿ يَمْ ذَرُ ٱلمُنْتَفِقُونَ أَن ثُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً لَيُتِثْهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمُّ قُلِ ٱسْتَهْزِئُورًا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْدُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَعْدَرُ الْمُنْفِقُونَ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المنافقين كانوا يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرّنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني جُلدت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي (١١). والثالث: أن جماعة من المناقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل ﷺ ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان. وفي قوله: ﴿ يَحْدُرُ الْمُنْفِقُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله ﷺ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم. والثاني: أنه أمر من الله ﷺ لهم بالحذر، فتقديره: ليحذر المنافقون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ النخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن، ويعنب الكافر؛ يريدون: ليرحم وليعنب، فيسقطون اللام، ويُجُرُونَه مجرى الخبر في الرفع، وهم لا ينوون إلا الدعاء؛ والدعاء مضارع للأمر.

قوله ثمالى: ﴿ لِ ٱسْتَهْزِيْرًا﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديداً. وفي قوله: ﴿ إِنَ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا غَذَرُونَ﴾ وجهان: أحدهما: مظهر ما تُسِرّون. والثاني: ناصر مَنْ تخللون، ذكرهما الماوردي.

﴿ وَلَهِن سَاَلَتَهُمْ لَيَتُولُ ۚ إِنَّمَا كُنَّا غَوْشُ وَلَفَبُ قُلُ ٱلْإِلَّهِ وَهَايَنِهِ. وَرَشُولِهِ. كَثُمُّتُمْ نَسْتَهَ إِنُونَ ۞ لَا تَعْمَاذِرُواْ فَدَ كَلَوْتُمْ مَعْدَ إِيسَنِكُمْ ۚ إِن ظَفُ عَن طَالَهِمَةِ مِنكُمْ نُمُدَانِتِ طَآلِهَمَ ۚ إِلَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِين ۞﴾

⁽١) ﴿ أسبابِ النزول؛ للواحدي ١٤٣. :

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِن سَأَلْتُهُمْ ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: أن جَدَّ مِنَّ قيس، ووديعة بن خذام، والجُهَير بن خُمَير، كانوا يسيرون بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، فجعل رجلان منهم يستهزآن برسول الله ﷺ، والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء، فنزل جبريل فأخبره بما يستهزؤون، به ويضحكون؛ فقال لعمار بن ياسر: والذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم: أحرقكم الله، فلما سألهم، وقال: أحرقكم الله؛ علموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، وقال الجُهيَر: والله ما تكلمت بشيء، وإنما ضحكت تعجباً من قولهم؛ فنزل قوله: ﴿لَا نَمْـٰلَذِبُوآ ﴾ يعني جَدَّ بن قيس، ووديعة ﴿إِن نَّنْتُ عَن طَـآهِمَةٍ مِّنكُمْ﴾ يعني الجهير ﴿نُسَـٰذِبْ طَآهِمَاۗ﴾ يعني الجَدُّ ووديعة، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من المنافقين قال: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، ولا أرغبَ بطوناً، ولا أكذبَ، ولا أجبنَ عند اللقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فقال له عوف بن مالك: كذبت، لكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ؛ فذهب ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه؛ فجاء ذلك الرجل، فقال: يا رسول الله، إنا كتا نخوض ونلعب، هذا قول ابن عمر، وزيد بن أسلم، والقرظي. والثالث: أن قوماً من المنافقين كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ، فقالوا: إن كان ما يقول هذا حقاً، لنحن شرٌّ من الحمير؛ فأعلم الله نبيه ما قالوا، ونزلت: ﴿وَلَهِن سَــَأَلْتَهُمَّ﴾، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أن رجلاً من المنافقين قال: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، وما يُدريه ما الغيب؟ فنزلت هذه الآية؛ قاله مجاهد. الخامس: أن ناساً من المنافقين قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات؛ فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبى الله على: (احبسوا على الرّكب، فأتاهم، فقال: «قلتم كذا وكذا»، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب؛ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (١). والسادس: أن عبد الله بن أبيّ، ورهطاً معه، كانوا يقولون في رسول الله وأصحابه ما لا ينبغي، فإذا بلغ رسولَ الله ﷺ قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال الله تعالى: ﴿فُلْ﴾ لهم ﴿أَيَالَهِ وَءَايَنْهِ. وَرَسُولِهِ. كَنْتُمْرَ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، قاله الضحاك. فقوله: ﴿وَلَهِن سَأَلْنَهُمْۥ﴾ أي: عما كانوا فيه من الاستهزاء: ﴿ لَيَتُولُ ﴾ إِنَّمَا كُنَّا خُوشُ وَنَلْمَثُ ﴾ أي: نلهو بالحديث. وقوله: ﴿ فَدَّ كَنَرْتُمُ ﴾ أي: قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإِيمان؛ وهذا يدل على أن الجِدُّ واللعب في إِظهار كلمة الكفر سواء.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُم مِنْ بَسْضِ﴾ قال ابن عباس: بعضهم على دين بعض. وقال مقاتل: بعضهم

⁽١) قالطبري، ٢٥٤/١٤، و فأسباب النزول، للواحدي ١٤٣ ـ ١٤٤، وذكره السيوطي في قالدر، ٣/٢٥٤ من رواية ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

أولياء بعض، ﴿ يَأْشُرُونَ ۚ بِالْمُنْكَرِ﴾ وهو الكفر، ﴿ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان. وفي قوله: ﴿ وَيَقْبِضُونَ آيَدِيَهُمُّ أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإِنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمُ قَالَ الزَجَاجِ: تَركُوا أَمْرُه، فَتَركَهُم مَنْ رَحَمَتُهُ وَتُوفِيقَه. قال: وقوله: ﴿فِيَ حَسَّبُهُمُ ۚ أَي: هِي كَفَايَة ذَنُوبِهُم، كَمَا تَقُول: عَذَّبَتُك حَسَبَ فِعلك، وحسبُ فلان مَا نزل به، أي: ذلك على قدر فعله. وموضع الكاف في قوله: ﴿ كَالَّذِيكَ مِن تَبِّلِكُمْ ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم. وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبَّههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا بِمُلَقِهِمٌ ﴾ قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا. وقال الزجاج: بحظهم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَخُمْنُمُ ۚ أَي: في الطعن على الدِّين وتكذيب نبيكم كما خاضوا. ﴿أُوْلَتَهِكَ حَبِطَتَ أَعْنَلُهُمْ فِي الدُّنِيَ﴾ لأنها لم نُقبل منهم، وفي الآخرة، لأنهم لا يثابون عليها، ﴿وَأُوْلَتِكَ هُمُ ٱلْخَدِيرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْرِ إِبْرَهِمَ ﴾ قال ابن عباس: يريد نمرود بن كنعان ﴿ وَأَسْحَنَّ مَذَيَّ ﴾ يعني قوم شعيب. ﴿ وَالْمُؤْتِكَنِّ ﴾ قرى لوط. قال الزجاج: وهم جمع مؤتفكة، اثتفكت بهم الأرض، أي: انقلبت. قال: ويقال: إنَّهم جميع من أهلك، [كما] يقال للهالك: انقلبت عليه الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ أَنَهُمْ بِعني هـذه الأمم ﴿ رُسُلُهُم إِلْيَتِنَتِ ﴾ فكذَّبوا بـهـا، ﴿ فَنَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلِمَهُمْ ﴾ قـال ابن عباس: ليُهلكهم حتى يبعث فيهم نبياً ينذرهم، والمعنى أنهم أُهلكوا باستحقاقهم.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَسَمُعُمْ آوْلِيَآ أَهُ بَعْضُ بَالْمُرُونَ بِالْمَشْرُونِ وَيَنْهُونَ عَنِ السُّكَرِ وَيُعِيشُونَ السَّلُوةَ وَيُؤْثُونَ الزَّكُوةَ وَيُطِيمُونَ اللّهَ وَرَسُولُهُۥ أَوْلَتِهِكَ سَيَرَحُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيدً حَكِيدٌ ۞ وَعَدَ اللهُ النَّوْمِين فِيهَا وَمَسْلِكِنَ مَلْيِسَةً فِي جَنَّتِ عَدَّوْ وَيِضْوَنَّ يَنِ اللّهِ أَكَثِرُ وَلِكَ هُوَ الْفَرْدُ السَلِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ سَمُّمُ ۚ أَوْلِيَاهُ مَعْنِ ۗ أَي: بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، ينهون عن الكفر.

قوله تعالى: ﴿ فِ جَنْتِ مَثْنُ ﴾ قال أبو عبيدة: في جنات خُلْد، يقال: عَدَنْ فلانْ بأرض كذا، أي: أقام؛ ومنه: المعْدِنُ، وهو في مَعْدِنْ صدق، أي: في أصل ثابت، قال الأعشى:

وإن تُست ضيف وا إلى حِلْمه في تُصاف وا إلى واجع قد عَدَنْ (١)

أي: رزين لا يُستخف. قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطنان الجنة، ويُطنانها: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷺ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها.

قوله تعالى: ﴿ وَمِثْوَنُ مِنَ اللّهِ أَكَبُرُ ﴾ قال ابن عباس: أكبر مما يوصف. وقال الزجاج: أكبر مما هم فيه من النعيم. فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب. وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: فيقول الله ﷺ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أمطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً (٢٠٠٠). والثاني: أن الموجِب للنعيم الرضوان، والموجَب ثمرة الموجِب، فهو الأصل.

﴿ يَا أَيُّمَا النِّينُ جَهِدِ الْكُنَّارَ وَالْمُتَنفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْمَ أَوْمَالُونَهُمْ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ الْسَمِيرُ ﴿

⁽١) • ديوانه ١٧، وممجاز القرآن، ١/ ٢٦٤، و•الطبري، ١٤/ ٣٥٠، و•اللـــان، وزن. واستضاف إليه: لجأ إليه عند الحاجة.

⁽٢) رواه البخاري في (صحيحه) ٢١/٦٦٣ ـ ٣٦٤، و(مسلم) ٢١٧٦.

قوله تعالى: ﴿ يَهُو الْكُنَّارِ وَالْمُتَافِقِينَ ﴾ أما جهاد الكفار، فبالسيف. وفي جهاد المنافقين قولان: أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس. والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، وقتادة. فإن قيل: إذا كان رسول الله على قد أمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم؟ فالجواب: أنه إنما أمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذه بظاهر أمره، ولا يبحث عن سِرٌه.

قوله تعالى: ﴿وَاَغُلُظُ عَلَيْهِمُ ﴾ قال ابن عباس: يريد شدة الانتهار لهم، والنظر بالبغضة والمقت. وفي الهاء والميم من «عليهم» قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس. والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل.

﴿ يَعْلِمُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كِلَمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَسَدَ إِسْلَدِهِرْ وَهَمْوا بِمَا لَدَ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنَ أَغَنَـنَهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن نَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا بَكُ خَيْرًا لَمُثَرِّ وَإِن يَتَوَلُوا يُسُذِنِهُمُ اللَّهُ عَدَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَمَا لَمُثْمُ فِي الأَرْضِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيرِ ﴾ نَصِيرِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَمْلِنُوكَ إِلَهُ مَا عَالُوا ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم؟ فقال المجلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقاً، لنحن شرَّ من الحمير. فقال عامر بن قيس: والله إنه لصق، ولأنتم شرَّ من الحمير؟ وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاسُ فقال: ما قلت شيئاً، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين. والثاني: أن عبد الله بن أبي قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليُخرجن الأعزَّ منها الأذل، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والثالث: أن المنافقين كانوا إذا شيئاً، فنزلت هذه الآية، قاله تتادة. والثالث: أن المنافقين كانوا إذا شيئاً، فنزلت هذه الآية، وطعئهم في الدين. وفي سبب خلواً، سبّوا رسول الله ﷺ، وطعئهم في الدين. وفي سبب قوله: ﴿ وَمَكُوا بِمَا لَز يَنَالُوا ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ابن أبيّ حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت فيهم حين همّوا بقتل رسول الله، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت فيهم حين همّوا بقتل رسول الله، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال له: الأسود. وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلاً، همّوا بقتله ليلة العقبة. والثالث: أنه لما قال بعض المنافق بقتله؛ فللك قوله: ﴿ وَمَمُوا بِمَا نَبْ مَا أَنْ مَنالُوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أبيّ تاجاً نباهي به رسول الله ﷺ؛ فلم ينالوا ما همّا به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَنَهُمُ اللَّهُ قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون من الله إلا الصنم، ومثله قول الشاعر:

مَا نَـقَـمَ الـنَّـاسُ مِـنْ أُمَـيَّـة إِلَّا النَّـاسُ مِـنْ أُمَـيَّـة إِلَّا النَّـمَ يَـحُـل مُـونَ إِنْ غَـضِبُ والان والنَّـمَ العَـرَبُ والنَّـم مَـادَةُ الـمُـلُـوْكِ وَلَا عَـلَـنِ هِـمُ العَـرَبُ

وهذا ليس مما يُنقم، وإنما أراد، أن الناس لا ينقمون علهيم شيئًا، وكقول النابغة:

ولا عَيْبَ فِيْ هِم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم ﴿ يَهِ مِنْ فَلُولٌ مِنْ قِرَاعِ السَّكَتَ الْسِبِ (٢) ﴿ وَالْ عَلَيْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ مِنْ اللَّمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّمِنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّل

أي: ليس فيهم عيب. قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضَنَّك من معاشهم، فلما قدم عليهم، غنموا، وصارت لهم الأموال. فعلى هذا، يكون الكلام عامّاً. وقال قتادة: هذا في عبد الله بن أبيّ. وقال عروة: هو

⁽۱) البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات دديوانه؛ ٤، و «الكامل؛ ٦٤٨، و«طبقات قحول الشعراء؛ ٥٣٣، و«مجاز القرآن» ١/١٧٠، و«الأغاني؛ ٤/١٦٠، ودغريب القرآن، ١٩٠، و«السمط؛ ٢٩٥، و«شواهد المغنى» ٢١١، و«المخزانة» ٢/ ٢٦٨.

 ⁽۲) ديوانه، ۱۱، و امختار الشعر الجاهلي، ۱٦١، و «العمدة» ٢/٥٤، و(الصناعتين، ٢٠٨.

الجلاس بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى؛ فلما نزلت ﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكَ خَيْرًا لَمُدَّ﴾ قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله .

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَــَـرَّلُواْ﴾ أي: يعرضوا عن الإِيمان. قال ابن عباس: كما تولَّى عبد الله بن أُبيّ، ﴿يُمَّذِبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

﴿ ﴿ وَمِنْهُم مَنْ عَلَمَدَ اللَّهَ لَـ إِنْ مَاتَلِنَا مِن فَضَّالِهِ. لَنَصَّذَقَنَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّلِيعِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنَّ عَنْهَدَ اللَّهُ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: ﴿ويحك مِا تُعلية، قليلٌ تؤدي شكرَهُ، خير من كثير لا تطبقه، قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده، لو شئتُ أن تسير معي المجبال ذهباً وفضة، لسارت، فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوتَ الله أن يرزقني مالاً، لأوتينَّ كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: ﴿اللُّهُمُ ارزَقُ تُعلُّبُهُ مَالاً ۚ فَاتَّخَذَ غَنْماً ، فَنَمْت ، فَضَاقَت عليه المدينة ، فتنجّى عنها ، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نَمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة. فسأل عنه رسول الله عليه، فأخبر خبره، فقال: (يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!) وأنزل الله تعالى: ﴿ نُذَ يِنَ أَمْوَلِمْ صَدَفَةً ﴾ [التوبة: ٩]، وأنزل فرائض الصدقة؛ فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، وكتب لهما كتاباً يأخذان الصدقة، وقال: فمُوا بثعلبة، وبفلان، رجل من بني سُليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ؛ فقال: ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى. فانطلقا؛ فأخبر السُّلَميّ، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك؛ فقال: خذاه، فإن نفسى بذلك طيبة؛ فأخذا منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرا بثعلبة فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيى، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول إلله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج إلى ثعلبة، فأخبره؛ فأتى رسولَ الله، وسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك؟؛ فجعل يحثو التراب على رأسه. فقال: •هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعنيه. فرجع إلى منزله. وقُبض رسول الله، ولم يقبل منه شيئًا، فلما ولى أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبي. فلما ولى عثمان، سأله أن يقبلها؛ فقال: لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها؛ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ﷺ. روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي(١٠). قال ابن عباس: مرّ ثعلبة على مجلس، فأشهدهم على نفسه: اثن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا. فآتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد؛ فقص الله علينا شأنه. والثاني: أن رجلاً من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجُهد له جُهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصَّدُّقن منه، ولأصِلَّنَّ، فأتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس. قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة. والثالث: أن ثعلبة، ومُعتّب بن قُشير، خرجا على ملأ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصَّدِّقنَّ. فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجَدّ بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتُّب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن. فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما التفسير، فقوله: ﴿وَمِثْهُمْ ﴾ يعني المنافقين ﴿ تُنْ عَنْهَدَ اللَّهُ أي: قال: عليَّ عهدُ الله ﴿ لَنَصَّدُفَّنَّ ﴾ الأصل: لنتصدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها. ﴿ وَلَنَكُونَنَّ بِنَ الصَّلِحِينَ ﴾ أي: لنعملنَّ ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير. وقد روى كَهْمَس عن مَعبد بن ثابت أنه قال: إنما هو شيء نوَّوه في أنفسهم ولم يتكلموا به؛ الم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَّرُ يَمْلُكُواْ أَكَ ٱللَّهَ يَصْلُمُ سِرَّهُمْر وَنَجَوْنَهُمْ﴾؟

⁽١) «الطبري» ١٤/ ٣٧١ - ٣٧٢ وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣١ - ٣٧ وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهلني وهو متروك. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: رواه الطبراني، والبيهتي في «الدلائل» و«الشعب» وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مرهوبه، كلهم من طريق على بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وقال: وهذا إسناد ضعيف جداً.

﴿ فَلَمَّا ۚ ءَائِنَهُم مِّن فَضَّلِهِ. يَخِلُوا بِدِ. وَتَوَلُّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا عَاتَنَهُم مِن فَشَالِهِ ٤ أي: مَا طلبوا من المال: ﴿ يَظُولًا بِدِ ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا ﴿ وَتَوَلُّواْ وَهُم مُعْرِضُونَ ﴾ عن عهدهم.

﴿ وَأَعْتَبُهُمْ فِنَانًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُمْ بِمَا أَغَلَنُوا اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ أَثَرَ يَسْلُوا أَنَكَ اللّهَ يَسْلُمُ وَمِنَا كَانُوا اللّهَ عَلَيْهُمُ وَأَنَا اللّهُ عَلَيْهُ الْمُنْهُوبِ ۞﴾ وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا اللّهَ عَلَيْهُمُ وَأَنَا اللّهُ عَلَيْهُ الْمُنْهُوبِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْتَبُهُ ﴾ أي: صيَّر عاقبة أمرهم النفاق. وفي الضمير في «أعقبهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلُهم بما نذروا نفاقاً، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَمْلُمُوا﴾ يعني المنافقين: ﴿أَنَ اللَّهَ يَمْلُمُ سِرَّهُمْهُ وهو ما في نفوسهم ﴿وَنَجُونُهُمْ حديثهم

بينهم. ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِعِينَ مِنَ الْمُقْرِينِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُرْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَمْمٌ عَلَاكُ الِيمُ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿الّذِيكَ يُلّبِرُوكَ الْمُكّارِّعِينَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَغَنيُ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية (١)، قاله أبو مسعود (٢). والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام؛ فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً، وإنْ كان الله ورسوله لَغنين عن هذا الصاع، قاله ابن عباس (٣). وفي هذا الأنصاري قولان: أحدها: أنه أبو خيشة، قاله كعب بن مالك. والثاني: أنه أبو عقيل. وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال: أحدها: عبد الرحمن بن بِيْجَان، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ ويقال: ابن بِيْحان؛ ويقال: سِيْحان أن وقال مقاتل: هو أبو عقيل بنُ قيس. والثاني: أن اسمه الحَبْحَاب، قاله قتادة. والثالث: الحُبَاب. قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة أبو عقيل بنُ قيس. والثاني: أن اسمه الحَبْحَاب، قاله قتادة. والثالث: الحُبَاب. قال الفراء: أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاءً مشددة. والجُهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجَهد. قال أبو عبيدة: الجهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم، وقال ابن قتيبة: الجهد، الطاقة؛ والجهد: قال المفسرون: عُني بالمطوّعين عبدُ الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل، وقوله: ﴿ وَلَهُ مَا اللهُ عَنْ عَلَهُ مَا اللهُ عَنْ عَلَهُ مَا المعنى.

﴿اسْتَغْفِيرَ لَمُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَمُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَمُمْ سَبْعِينَ مَرَّهُ فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَمُمَّ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ كَانُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِينَ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿ أَسْتَغْفِرُ لَمُمْ أَوْ لَا نَسْتَغْفِرُ لَمُمْ ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم اله فنزل قوله: ﴿ سَوَا عَلَيْهِ مَ أَسْتَغْفَرُتَ لَهُمْ أَمْ لَمُ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وظاهر قوله: «استغفر لهم الأمر، وليس كذلك؛ إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يُغفّر لهم، فهو كقوله: ﴿ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهَا ﴾ [النوية: ٥]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين، وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على

⁽١) • الطبري، ٣٨٨/١٤، والبخاري، ٣/ ٢٢٤، و ٨/ ٢٤٩، وهمسلم، ٧/ ١٠٥، وفأسباب النزول، للواحدي ١٤٦، وأورده السيوطي في اللدر، ٣/ ٢٦٢ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نميم في «المعرفة».

٢) في الأصل: ابن مسعود، وكذا جاء في «الدرا وهو خطأ، والتصويب من المراجع التي ذكرت في التعليق السابق، وأبو مسعود: هو أبو مسعود الأنصاري البدري، واسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة، صاحب رسول الله تلفظ شهد العقبة.

 ⁽٣) •الطبري، ١٤٤/ ٣٨٢ ، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

انظر (فتح الباري) ٨ (٢٤٩/، فقد استونى الحافظ ابن حجر الكلام على أبي عقيل هذا.

السبعين، رجي لهم الغفران. ثم نسخت بقوله: ﴿ سَوَاءً عَلَيْهِمْ أَسَنَعْفَرْتُ لَهُمْ أَمْ لَمُ شَتَغْفِرْ لَمُمْ ﴾. فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أخبر بأنهم كفروا؟ فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر. فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟ فالجواب: أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

﴿ نَرِعَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَغَمَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَوِهُوٓا أَن يُجَهِدُواْ بِأَمْوَلِهِ وَأَنْشِيمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَبَهُرُوا فِي الْحَرَّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمُ اشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَرَحَ الْمُخُلُونَ بِمَتَعَدِهِم ﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله على في غزوة تبوك. والمخلّف: المتروك خلف من مضى. فيمقعدهم أي: بقعودهم. وفي قوله: ﴿ عَنِلَانَ رَسُولِ اللهِ عَنَى قولان: أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله على قاله أبو عبيدة. والثاني: أن معناه: مخالفة رسول الله على وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله على قاله الزجاج. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة: فخلف رسول الله ، ومعناها: أنهم تأخّروا عن الجهاد. وفي قوله: ﴿لا تَنِهُوا فِي المُرِّ عَولان: أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي. وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَمُ أَشَدُ حَرًا ﴾ لمن خالف أمر الله. وقوله: ﴿يَنْفَهُونَ ﴾ معناه: يعلمون. قال الزمان كان حينئذ شديد الحر. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَمُ الشَدُ حَرًا ﴾ لمن خالف أمر الله. وقوله: ﴿يَنْفَهُونَ ﴾ معناه: يعلمون. قال الزمان كان حينئذ شديد الحيم، الشيء. تقول: فَقِهْتُ الحديث أَفقَهُهُ وكل علم بشيء: فقه. ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلّفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفِقْه: فَهُمُ الشيء. وبعضهم يختار أن يقال: الفِقْه: فَهُمُ الشيء.

﴿ لَلْمُعْتَكُوا مَّلِلًا وَلِبَتِكُوا كَلِيرًا جَزَّاتًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَآيَضَكُوا فَيْلا ﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه التهديد. وفي قلَّة ضحكهم وجهان: أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لِما يتوجه إليهم من الوعيد. والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، ويقاؤها قليل. ﴿ وَلَيْبَكُوا كَيْبِرًا ﴾ في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليُبكى.

قوله تعالى: ﴿جَزَّاءٌ بِمَا كَانُواْ بَكْسِبُونَ ﴾ أي: من النفاق والمعاصى.

﴿ فَإِن زَجَمَكَ اللَّهُ إِنَ طَآلِمَةِ مِنْهُمْ فَاسْتَنْدُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَن غَرْجُوا مَعِى أَبْدَا وَلَن نُقَتِيلُوا مَعِى عَدُوّاً إِنَّكُو رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَلَ مَرَّةِ فَاقْعُدُوا مَعَ الْحَيَلِينِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَجَمَكَ اللّهُ ﴾ أي: ردك من غزوة تبوك إلى المدينة ﴿ إِلَى طَآبِمَةِ ﴾ من المنافقين الذين تخلّفوا بغير عنر. وإنما قال: ﴿ إِلَى طَآبِمَةِ ﴾ لأنه ليس كل من تخلّف عن تبوك كان منافقاً. ﴿ فَاسْتَكَذُوكَ لِلنّحُرُوجِ ﴾ معك إلى الغزو، ﴿ فَقُلُ لُن تَخْرَجُوا مِينَ أَبْدًا إِلَى غَزاة، ﴿ إِلَّكُرُ رَضِيشُم إِلْقُعُودِ ﴾ عني ﴿ أَوْلَ مَرَّةٍ ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك. وذكر الماوردي في قوله: ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ قولين: أحدهما: أول مرة دُعيتم. والمثاني: قبل استئذانكم. فأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذين خلف بعد شاخص، فقعد في رحله، وهو الذي يتخلّف عن القوم. وفي المراد بالخالفين قولان: أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلّفوا لأعذار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن، وقادة.

﴿ وَلاَ نُصَلِّ عَكَ أَحَدِ يَنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَثُمُّ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَنْرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِيهِ وَمَانُوا وَهُمْ فَنسِتُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُصُلِّ عَلَىٓ أَحَدِ مِنْهُم﴾ سبب نزولها: أنه لما توفي عبد الله بن أبيّ، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه؛ فقال: آذِنِّي أصلي عليه، فآذنه؛ فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر بن الخطاب، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين: ﴿ اَسْتَغَفِرٌ لَمُمُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

﴿ وَلَا تُشْجِئُكُ أَتُولَكُمْ وَآوَلِكُمُمُمُ إِنَّنَا يُمِيدُ اللَّهُ أَن يُمُلِبَهُم بِهَا فِي اللَّبْنَا وَنَزَهَنَ أَنفُسُهُمْ وَكُمْ كَيْوُونَ ﴿ وَإِنَّا أَنزِكَ سُورَةً أَنَّ عَالِمُ اللَّهُ أَن يُمُلِّمُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ وَعَالُوا ذَرَنَا نَكُنْ ثَعَ الْفَعِينِينَ ﴿ رَسُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَشُلِيعَ عَلَى اللَّهُ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَعَالُوا ذَرَنَا نَكُنْ ثَعَ الْفَعِينِينَ ﴿ رَسُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَشُلِيعَ عَلَيْهِ وَاللَّهِ لَكُنْ عَلَى الْفَوْلُولُ وَاللَّهِ عَلَى الرَّسُولُ وَالَذِينَ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ وَلا تُعْجِبُكَ أَمُّوا لُمُهُ ﴿ سَبِّقَ تَفْسِيرِهِ [التوبة: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْزِلَتَ سُورَةً ﴾ هذا عامّ في كل سورة. وقال مقاتل: المراد بها سورة (براءة).

قوله تعالى: ﴿أَنَّ مَامِنُوا﴾ أي: بأن آمنوا. وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: استديموا الإِيمان. والثاني: افعلوا فعل من آمن. والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم، فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين.

قوله تعالى: ﴿ اَسْتَثَدَّنَكَ ﴾ أي: في التخلف ﴿ أُولُوا الطّول ﴾ يعني الغنى، وهم الذين لا عذر لهم في التخلف، وفي «الخوالف قولان: أحدهما: أنهم النساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وشمر بن عطية، وابن زيد، والفراء، وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك [في قوم] هوالك. قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل؛ فيقولون: ضاربة، وضوارب، وشاتمة، وشواتم؛ ولا يجمعون فاعلاً: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك؛ فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل. ويجوز أن يكون: مع المخالفات العاصيات. ويجوز أن يكون: مع المخالفات العاصيات. ويجوز أن يكون: مع المخالفات وأدنياؤهم؛ يقال: فلان خالفة أهله: إذا كان دونهم، ذكره ابن قتيبة؛ فأما «طَبّع»، فقال أبو عبيدة: معناه: ختم. و «الخيرات» جمع خَيْرة. وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء، قاله أبو عبيدة. والثاني: الجواري الفاضلات، قاله المبرّد. والثالث: غنائم الذيا ومنافع الجهاد، ذكره الماوردي.

﴿ وَتَبَهُ ٱلْمُمَذِّدُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤَذَنَ لَمُمْ وَفَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَغَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ ٱلْبِعُرُ ۖ ۖ

قوله تعالى: ﴿وَيَآةَ ٱلْمُذِرُونَ﴾ وقرأ ابن مسعود: «المعتذرون». وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب «المُغْذِرون» بسكون العين وتخفيف الذال. وقرأ ابن السميفع «المعاذرون» بألف. قال أبو عبيدة: المعذّرون من يعدّر وليس بجادة، وإنما يعرّض بما لا يفعله، أو يُظهر غير ما في نفسه. وقال ابن قتيبة: يقال؛ عذّرتُ في الأمر: إذا قصّرت، وأعذرتُ: جَدَدْت. وقال الزجاج: من قرأ «المعذّرون» بتشديد الذال، فتأويله: المعتذرون الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وأنشدوا:

⁽۱) • الطبري، ٤٠٦/١٤، والبخاري، ٣/ ١١٠، و ٨/ ٢٥١، و «مسلم» ١٢١/١٧، وأورده السيوطي في الدر، ٣/ ٢٦٦، وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

 ⁽۲) «الطبري» ۱۱۰/۱٤، والسيوطي في «الدر« ۲/۲۱۲.

٢) عن عثمان بن عفان الله قال: كان النبي الله إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استففروا الأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل، رواه أبر داود رقم (٣٢٢١) وهو حديث صحيح، وفيه دلالة على مشروعية الاستففار للميت عند الفراغ من دفنه، وسؤال التثبيت له، أي: أن يثبته الله في الحبواب، وفيه دلالة على سؤال القبر، وقد ورد في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة.

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُما . ومن يَبُكِ حوْلاً كاملاً فَمَدِ اعْتَذَرْ (١)

أي: فقد جاء بعذر. ويجوز أن يكون «المعذّرون» الذين يعذّرون، يوهمون أن لهم عذراً، ولا عذر لهم. ويجوز في النحو: المعذّرون؛ بكسر العين، والمُعُذّرون؛ بضم العين، غير أنه لم يُقرأ بهما، لأن اللفظ بهما يثقل. ومن قرأ «المعذّرون» بتسكين العين، فتأويله: الذين أعذروا وجاؤوا بعذر. وقال ابن الأنباري: المعذّرون هاهنا: المعتذرون بالعذر الصحيح. وأصل الكلمة عند أهل النحو: المعتذرون، فحوّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الذال من التاء، وأدغمت في الذال التي بعدها، فصارتا ذالاً مشددة. ويقال في كلام العرب: اعتذر: إذا جاء بعذر صحيح، وإذا لم يأت بعذر. قال الله تعالى: ﴿ ثُلُ لا تَسْتَذِرُونا﴾ فدل على فساد العذر، وقال لبيد:

وَمَسنُ يَسبُسكِ حَسوُلاً كَسامِسلاً فَسفَد اعْستَسذَر

أي: فقد جاء بعذر صحيح. وكان ابن عباس يقرأ «المعذّرون» ويقول: لعن الله المعذّرين. يريد: لعن الله المقصّرين من المنافقين وغيرهم. والمعنّدون: الذين يأتون بالعذر الصحيح؛ فبان من هذا الكلام أن لهم عذراً على قراءة من خفف. وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد؟ فيه قولان. قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذن لهم في التخلف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ لَيْنَ عَلَى الشَّعَكَيَّ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر، قاله قتادة. والثاني: في ابن [أمّ] مكتوم، قاله الضحاك. وفي المراد بالضعفاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الزمنى والمشايخ الكبار، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم الصغار. والثالث: المجانين؛ سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي. والصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانة، أو عَمَى، أو سِنَّ، أو ضَعف في الجسم. والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال، و ﴿ الدِّينِ لَا يَجِدُرن ﴾ هم المُقِلُون، والحرج: الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله، وفيه وجهان: أحدهما: أن المعنى: إذا برثوا من النفاق. والثاني: إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل، فإن قيل بالوجه الأول، فهو يعم جميع المذكورين. وإن قيل بالثاني، فهو يخص المقلّين، وإنما شُرط النصح، لأن من تخلف بقصد السعي بالفساد، فهو مذموم؛ ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلنُّحْسِنِينَ مِن سَكِيدِكِ أي: من طريق بالعقوبة، لأن المحسن قد سد بإحسانه باب العقاب.

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ عَلَى اللَّذِي إِذَا مَا آَتَوَكَ لِتَحْمِلُهُمْ ﴾ نزلت في البكّائين، واختُلف في عددهم وأسمائهم؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: من ستة: عبد الله بن مغفّل، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُليّة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عُمير، وتعلية بن عنمة (٢)، أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه فانصرفوا باكين (٢). وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان: سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن عنمة: عمرو بن عنمة. قال: وقيل منهم معقل بن يسار. وروى أبو إسحاق عن أشياخ له أن البكّائين سبعة من الأنصار: سالم بن عُمير، وعُليّة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحُمام بن الجموح، وعبد الله بن

⁽۱) البيت للبيد: «ديوانه» ۲۱٤، و«مجاز القرآن» ۱٦/١، و«الطبري» ۱۱۹/۱، و«الأغاني» ۹۸/۱۶، وهمشكل القرآن» ۱۹۸، وهرسالة الغفران» ۴۲۹، و «الغذر الله دين المدر. و «العقد الفريد» (۱۹۸، وهالخزانه ۲۷۷، و «اللمان» عذر. وقوله اعتلر هنا، بمعنى أعذر أي: بلغ أقصى الغاية في العذر.

 ⁽٢) ضبطه الحافظ في «الإصابة» بالعين المهملة، كما في الأصل، وفي «الطبري» بالغين المعجمة.

⁽٣) ﴿سيرة ابن هشام، ١٨/٢، بنحوه، والسيوطي في «الدر، ٢٦٧/٢.

مغفّل. وبعض الناس يقول: بل، عبد الله بن عمرو المزني، وعِرباض بن سارية، وهرميّ بن عبد الله أخو بني واقف. وقال مجاهد: نزلت في بني مقرّن، وهم سبعة؛ وقد ذكرهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن. وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرن، وسويد بن مقرن، ومعقل بن مقرّن، وسنان بن مقرّن، وعقيل بن مقرّن، وعبد الرحمن بن مقرن، وعيل بن مقرن. وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه. وفي الذي طلبوا من رسول الله على أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس. والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك. والثالث: النعال، قاله الحسن.

﴿ يَمْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْمِمْ قُلُ لَا تَعْتَذِرُوا لَن قُوْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَنَانَا اللهُ مِن أَخْبَالِكُمْ وَمَنْكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمُّ وَمَا كُنْدُ تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْنَذِرُونَ إِلَيْكُمُ عَالَ ابن عباس: نزلت في المنافقين، يعتذرون إِليكم إِذَا رجعتم من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما وجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُلُ لَا تَمْنَذِرُوا ﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿وَسَيْرَى اللهُ عَمَلَكُمُ وَرَسُولُم ﴾ إِن عملتم خيراً وتبتم من تخلُفكم ﴿ثُمُ ثُرُدُونَ ﴾ بعد الموت ﴿إِلَى عَدَيْدِ الفَدْنِيةِ وَالشَّهَدَةِ ﴾ فيخبركم بما كنتم تعملون في السر والعلانية.

﴿مَيَعَلِمُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْتَلَتَتُدُ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ دِجُسُّ وَمَأْوَنِهُمْ جَهَنَّهُ جَوَانًا بِمَا كَاثُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ دِجُسُّ وَمَأْوَنِهُمْ جَهَنَّهُ جَوَانًا بِمَا كَاثُوا يَكْسِبُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَحُلِنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْمٌ﴾ قال مقاتل: حلف منهم بضعة وثمانون رجلاً، منهم جَدّ بن قيس، ومُعتّب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿ لِتُمْرِضُوا عَنْهُم ﴾ فيه قولان: أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم. والثاني: لأجل إعراضكم. وقد شرحنا في [العائد: ٩٠] معنى الرجس.

﴿ يَمْلِنُونَ لَكُمْ لِنَرْضَوَا عَنْهُمُّ فَهَانَ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَـرْضَىٰ عَنِ ٱلْفَوْرِ ٱلْفَسِوِينَ ﴿ ﴾

﴿الْأَمْرَابُ أَشَدُّ كُنْرًا وَيَسَامًا وَأَجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِيُّد وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿ الْأَمْرَاتُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِيُّد وَاللَّهُ عَلِيمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِيمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرَادُ مَا اللَّهُ عَلَى مُعْرِيمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرَادُ مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرَدُ مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرَادُونُ اللَّهُ عَلَى مُعْرَمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرَادُ عَلَى مُعْرِمٌ الللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمُ عَلَيْكُمُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمٌ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعْرِمُ مُعْرِمُ عَلَى مُعْمِعُ عَلَيْمُ عَلَى مُعْرِمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ عَلَمُ عَلَيْكُومُ عَلَيْمُ عَلَيْكُمُ عَلَى مُعْمِعُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ

قوله تعالى: ﴿اَلاَّعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر.

قوله تعالى: ﴿ وَأَجْدَدُ أَلَّا يَعْلَمُوا ﴾ قال الزجاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم، تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليق بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسر فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بد «أن»، وإن أتيت بالباء، صلح بد «أن» وغيرها، فتقول: أنت جدير بأن تقوم، وجدير بالقيام، فإذا قلت: أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف. فأما قوله: ﴿ حُدُودَ مَا أَذِلَ اللَّهُ ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض. وقيل: المراد بالآية أن الأعم في العرب هذا.

﴿ وَبِنَ ٱلْأَخْرَابِ مَن بَشِّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَثَرَبُصُ بِكُو ٱلدَّوَايَرُ عَلَيْهِ مَ دَايِرَةُ ٱلسَّوَةُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيتُ ﴿ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبَنَ ٱلْأَمْرَابِ مَن يَشَّخِذُ مَا يُنِقُ﴾ إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة ﴿ مَغْرَمًا ﴾ لأنه لا يرجو له ثواباً. قال ابن قتيبة: المغرم: هو الغُرم والخُسر. وقال ابن فارس: الغُرم: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللازم، وسمي الغزيم لإلحاحه. وقال غيزه: الغرم: التزام ما لا يلزم.

⁽١) خرجه السيوطي في االدر؟ ٣/ ٢٦٨، من طريق ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن السدي بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَبَكَرَيْصُ﴾ أي: وينتظر ﴿يَكُرُ ٱلدَّنَايِّرُ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة. وقيل: ينتظر موت الرسول ﷺ، وظهور المشركين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآهِرَةُ السَّوْقِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: «السَّو» بفتح السين؛ وكذلك قرؤوا في سورة [الفتح: ٢]، والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء. قال الفراء: وفتح السين من السَّوء هو وجه الكلام. فمن فتح، أراد المصدر من: سُؤتُه سَوْءاً ومَساءةً. ومن رفع السين، جعله اسماً، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب. ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ آمَراً سَوْهِ المنتح: ١٦] لأنه ضدًّ لقولك: رجُلُ صِدْق. وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيضم.

﴿وَيَرِكَ الْأَغْسَرَابِ مَن يُؤْمِثُ بِاللَّهِ وَالْبَوْرِ الْآخِــرِ وَيَـتَّـخِذُ مَا يُسْنِقُ قُرُبَنتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَتِ الرَّسُولِ الآ إِنَّا قُرَاةٌ لَهُدُّ سَيُدَخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَيْغِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَيِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِثُ بِاللّهِ ﴾ قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغفار. وفي قوله: ﴿وَيَسْخَذُ مَا يُنفِقُ ﴾ قولان: أحدهما: في الجهاد. والثاني: في الصدقة. فأما القربات، فجمع قُربة، وهي: ما يقرّب العبد من رضى الله ومحبته. قال الزجاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها. وفي المراد بصلوات الرسول قولان: أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس. والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة، والزجاج، وأنشد الزجاج:

عليكِ مثلُ الذي صَلِّيتِ فاغْتَمِضِي نَوْماً، فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مضطَجَعا(١)

قال: إن شئتَ قلتَ: مثلَ الذي، ومثلُ الذي؛ فالأول أَمْرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوتِ. والثاني: بمعنى: عليكِ مثلُ هذا الدعاء.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهَا ثَرُبَةً لَهُمَّ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قربةً لهم» خفيفة. وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرُبةٌ لهم» بضم الراء. وفي المشار إليها وجهان: أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم. والثاني: إلى صلوات الرسول.

قوله تعالى: ﴿ سُبُدُ يَلْهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهُ ۗ قال ابن عباس: في جنته.

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّيِفُونَ ٱلْأَرْلُونَ ﴾ فيهم ستة أقوال: أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقتادة. والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ببعة الرضوان، وهي الحديبية، قاله الشعبي. والثالث: أنهم أهل بلر، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم السبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسينهم ومسيئهم في قوله: ﴿ وَالسَّيهُ وَنُ الْأَرْلُونَ ﴾. والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي. والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْمُهَجِرِينَ وَٱلْأَصَارِ ﴾ قرأ يعقوب: ﴿ وَالْأَنْصَارُ ﴾ برفع الراء.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ اتَّبَهُوهُم بِإِحْسَنِ ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله على . وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبعوهم بإحسان إلى أن تقوم الساعة.

⁽١) البيت لأعشى قيس من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي، «ديوانه» ١٠١ و«اللسان»: صلى.

ومن قال هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدَوْا بهم في في أفعالهم، ففضًّل أولئك بالسبق، وإن كانت الصحبة حاصلة للكل. وقال عطاء: اتباعهم إياهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحَّمون عليهم.

قوله تعالى: ﴿ تَجَسِرِي غَنَّهَمَا ٱلْأَنَّهَانُرُ﴾ قرأ ابن كثير: "من تحتها" فزاد "من" وكسر الناء الثانية.

قوله تعالى: ﴿ رَضَّىٰ اللَّهُ عَنْهُم ﴾ يعم الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

﴿ وَمِمَنَ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةُ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمُّ خَنُ نَعْلَمُهُمُّ سَنُعَذِيهُم مَّرَّنَيْنِ ثُمَّ بُرَدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ بُرَدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبِّمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ قال ابن عباس: مزّينة، وُجهَينة، وأسلَم، وغِفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون. قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِينَةُ مَرَدُوا عَلَى ٱلْنِفَاقِي قال ابن عباس: مرنوا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أُبَيّ، وجَدّ بن قيس، والجلاس، ومعتب، ووَحْوَح، وأبو عامر الراهب. وقال أبو عبيدة: عَتَوْا ومَرَنُوا عليه، وهو من قولهم: تمرَّد فلان، ومنه: شيطان مريد. فإن قيل: كيف قال: ﴿ وَمِنْ آهْلِ ٱلْكِينَةُ مَرَدُولُ ، وليس يجوز في الكلام: مِن القوم قعدوا؟ فعنه ثلاثة أجرية: أحدهن: أن تكون قمن الثانية مردودة على الأولى؛ والتقدير: وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون، ثم استأنف قمردوا». والثاني: أن يكون في الكلام قمن مضمر، تقديره: ومن أهل المدينة مَنْ مردوا؛ فأضمرت قمنْ ، لدلالة قمن عليها، كقوله: ﴿ وَمَا يَنَا إِلّا لَهُ مَنَامٌ مَنْوُمٌ ﴿ الله المنافقين، تقديره: ومِنْ أهل المدينة منافقون مَردُوا ، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري .

قوله تعالى: ﴿لَا نَمْلَكُمْنَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتى نُعْلِمَكَ بهم. والثاني: لا تعلم عواقبهم.

قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِبُهُم مَّرَيَّنِ ﴾ فيه عشرة أقوال: أحدها: أن العذب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قاله ابن عباس. قال: وقام رسول الله على يوم جمعة خطيباً، فقال: إيا فلان اخرج فإنك منافق، ويا فلان اخرج والثاني: عذاب القبر؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منه، والآخر: الجهاد الذي يُؤمّرون به، قاله الحسن. والرابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال أبو مالك. والمخامس: المحرع والقتل، رواه سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسادس: القتل والسبي، رواه معمر عن ابن أبي نجيح عن الجوع والقتل، رواه شفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسادس: القتل والسبي، رواه معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثامن: أن الأول: عند مجاهد. والثاني: في الأخرة بالنار، قاله ابن زيد. والتاسع: أن الأول: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثاني؛ في القبر بمنكر ونكير، قاله مقاتل بن سليمان. والعاشر: أن الأول بالسيف، والثاني عند الموت؛ قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ ثُمُّ بُرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني عذاب جهنم.

﴿ وَمَاخَرُونَ أَعْتَرُفُواْ بِذُنُومِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَلِيعًا وَمَاخَرَ سَيِّنًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمُ ﴿ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَاخُرُنَ آغَرَّوُا بِذُنْرِجِمْ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنهم عشرة رهط تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فلما دنا رجوع رسول الله ﷺ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد. فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «مَن هؤلاءً؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلَّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى تطلقهم أنت وتعذرهم، فقال: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا

⁽١) ﴿ الطبريَ ٤٤١/١٤ ـ ٤٤٢، وخرجه الهيشمي في «المجمع» ٧/٣٣٪ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

عني وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين، فنزلت هذه الآية (۱)، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عن ابن عباس أن الذين تخلفوا كانوا ستة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسول الله وعنرهم (۱۲). وروى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن خِذام الأنصاري. وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال تعادة: ذُكر لنا أنهم كانوا سبعة. والثاني: أنها نزلت في أبي لبابة وحده. واختلفوا في ذنبه على قولين: أحدهما: أنه خان الله ورسوله بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النزول على حكم سعد أنه الذبح، وهذا قول مجاهد (۱)، وقد شرحناه في [الانتال: ۲۷]. والثاني: أنه تخلفه عن تبوك (۱۶)، قاله الزهري. فأما الاعتراف، فهو الإقرار بالشيء عن معرفة. والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التوبة والقبول.

قوله تعالى: ﴿ غَلَطُوا عَدَلا صَالِمًا وَمَاخَرَ سَيِتًا ﴾ قال ابن جرير: وضع الواو مكان الباء، والمعنى: بآخر سيء، كما تقول: خلطت الماء واللبن. وفي ذلك العمل قولان: أحدهما: أن العمل الصالح: ما سبق من جهادهم، والسيء: التأخر عن الجهاد، قاله السدي. والثاني: أن العمل الصالح: توبتهم، والسيء: تخلُفهم، ذكره الفراء، وفي قوله: وعسى، قولان: أحدهما: أنه واجب من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق، وذلك يصد عن اللهو والإهمال.

﴿ غَذْ مِنْ أَمْوَلِهُمْ صَدَقَةَ ثُلُهُوْرُهُمْ وَثُرُكُهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَوْتَكَ سَكُنٌّ لَمُثَّمْ وَاللَّهُ سَدِيعٌ عَلِيتُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ عُنْ أَمْوَلِمْ مَكَنَّهُ ۚ قال المفسرون: لما تاب الله الله على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق به عنا، فقال: «ما أُمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا فنزلت هذه الآية (٥٠). وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها تطوعًا، قاله ابن زيد، والجمهور. والثاني: الزكاة، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿ تُلَهِّرُهُمْ ﴾ وقرأ الحسن «تطهرهم بها» بجزم الراء. قال الزجاج: يصلح أن يكون قوله: «تطهرهم» نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهّرة. والأجود أن يكون للنبي ﷺ المعنى: فإنك تطهرهم بها في «تطهرهم» بالجزم، على جواب الأمر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم، تطهرهم. ولا يجوز في «تُزكِّيهم» إلا إثبات الياء، اتباعاً للمصحف. قال ابن عباس: «تطهرهم» من الذنوب، «وتزكيهم»: تصحلهم، وفي قوله: ﴿ وَسَلِّ عَلَيْهِمٌ ﴾ قولان: أحدهما: استغفر لهم، قاله ابن عباس. والثاني: ادع لهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِن صلواتك﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم ﴿إِن صلواتك على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿إِن صلاتك على التوحيد. وفي قوله: ﴿سَكَنٌ لَمُهُم خمسة أقوال: أحدها: طمأنينة لهم أن الله قد قَيِلَ منهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: تثبيت وسكون. والثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: وقارٌ لهم، قاله قتادة. والخامس: تزكية لهم، حكاه الثعلبي. قال الحسن، وقتادة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خُلُفها.

⁽١) قالطبري، ١٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨، و قاسباب النزول، للواحدي ١٤٨، وأورده السيوطي في قالدر، ٣/ ٢٧٢، وزاد نسبته لابن المنار، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في قالدلائل.

 ⁽۲) «الطبري» ١٤٨/١٤ ـ ٩٤٤، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٣، وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

⁽٣) «الطبري، ١٤/ ٤٥١)، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٢، ونسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد مختصراً. وعن سعيد بن المسيب مطولاً ونسبه لليهقي.

⁽٤) • الطبري، ٢٥٢/ ٤٥٤، وقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك، وأن اللذين نزل ذلك فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة. وقال ابن كثير ٢/ ٣٨٥: وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين.

⁽a) «الطبرى» ٤/١٤ ما ٤٥٥.

﴿ الَّذِيَّمَ لَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقَبَلُ التَّوْبَةُ عَنْ عِبَادِهِ. وَيَأْخُذُ الصَّهَ قَنْتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ۞ وَقُلِ اغْمَلُوا مَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُرُ وَيَشُولُهُ وَالْمُوْمِنُونَ ۚ وَسَمُرَدُّونَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ نَيْلَتِئْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَشْمَلُونَ ۞﴾

ق**وله تعالى**: ﴿اَلَمْ يَمَـٰلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ اَلتَّوَيَّةَ﴾ قرأ الجمهور (يعلموا) بالياء. وروى عبد الوارث (تعلموا) بالناء. وقوله: ﴿يَقْبَلُ التَّوَيَّةُ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: من عَبيده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَتَتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي يقبلها. ومثله ﴿خُنِزِ ٱلْمَثْوَ﴾ [الاعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

قوله نعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ قال ابن زيد: هذا خطاب للذين تابوا.

﴿ وَمَاخَرُونَ مُوجَوْنَ لِأَمْنِ اللَّهِ إِنَّا يُمَذِّئُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ رَاللَّهُ عَلِيدً عَكِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿وآخرون مُرْجَوُونَ﴾ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي "مرجَوْن" بغير همز. والآية نزلت في كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر، ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري؛ فوقف رسول الله على أمرهم، ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: ﴿وَمَلَ النَّلَيْكَةِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْكَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّهِ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ على قوله: ﴿وَمَنَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ وَمَنَ اللهُ عَلَى اللهُ وَلَهُ اللهُ عَلَى اللهُ والله أمرهم، لكنه خاطب العباد بما يعلمون، فالمعنى: ليكن أمرهم عندكم على الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيدٌ عَكِيدٌ ﴾ أي: عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم بما يفعله بهم.

﴿وَالَّذِيكَ اَتَّحَكُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفُو وَتَقْرِبِهَا ۚ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْمَكَادًا لِمَنْ خَارَبُ اللَّهُ وَرَسُولُمُ مِن فَبَالُ وَلَيَمْلِمُنَّ إِنْ أَرَّدُنَا إِلَّا الْمُصْنَيِّ وَاللَّهُ يَشْبَهُ إِنَّهُمْ لَكَالِيْبُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَدُوا مُسَجِدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائى: ﴿والذينِ بواو، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ نافع، وابن عامر: «الذين» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. قال أبو علي: من قرأ بالواو، فهو معطوف على ما قبله، نحو قوله: ﴿وَمَنْهُم تَنْ عَلَهَدَ ٱللَّهُ﴾ [النوبة: ٧٥]، ﴿وَمَنْهُم تَن يَلِيرُكِ﴾ [النوبة: ٥٨]، ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْدُونَ ٱلنِّينَ ﴾ [النوبة: ٦١]، والمعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً. ومن حذف الواو، فعلى وجهين: أحدهما: أن يضمر - ومنهم الذين اتخذوا - كقوله: أكفرتم، المعنى: فيقال لهم: أكفرتم. والشاني: أن يضمر الخبر بعدُ، كما أضمر في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ وَالسَّبِدِ الْحَكَامِ ﴾ [الحج: ٢٥]، المعنى: يُنتقم منهم ويعذَّبون. قال أهل التفسير: لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قُباء، ويعثوا إلى رسول الله ﷺ، فأتاهم فصلى فيه؛ حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عَوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مسجداً، ونرسل إلى رسول الله فيصلى فيه، ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ وكان أبو عامر قد ترهّب في الجاهلية وتنصَّر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدُّوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً، فإنى ذاهب إلى قيصر فآتى بجند الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء؛ وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد ومِن داره أخرج المسجد، ونُبتّل بن الحارث، ويجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومُعتِّب بن قُشير، وعبَّاد بن حُنيف، ووديعة بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وابناه يزيد^(١) ومُجمِّع؛ وكان مُجمِّع إمامهم فيه، ثم صلحت حاله، وبحزج جد عبد الله بن حنيف، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: (ما أردتَ بما أرى؟) فقال: والله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب. وقال مقاتل: الذي حلف مُجمَّع. وقيل: كانوا سبعة عشر؛ فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد ابتنينا مسجداً لذي العلَّة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلىَ فيه؛ فدعا بقميصه ليلبسه، فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبرهم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن الدُّخشُم في آخرين، وقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه

 ⁽١) كلا الأصل يزيد، والذي في «الطبري» واسيرة ابن هشام»، و«ابن كثير»، و«الدر»: «زيد».

وأحرِقوه، وأمر به رسول الله على أن يُتخذ كُناسة تُلقى فيها الجيف (١٠). ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً. فأما التفسير، فقال الزجاج: «الذين» في موضع رفع، المعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. و «ضراراً» انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حذفت اللام، أفضى الفعل فنصب. قال المفسرون: والضرار بمعنى المُضارة لمسجد قباء، ﴿وَكُفْرَاكُ بالله ورسوله ﴿ رَفَرْيِقاً بَرِّكَ المُؤْيِنِكِ ﴾ لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم، والإرصاد: الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار. ﴿ وَيُمْتِلِنُنُ إِنْ أَرْدَناً ﴾ أي: ما أردنا ﴿ إِلّا المُسْنَى ﴾ أي: ما أردنا بابتنائه إلا الحسنى؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: طاعة الله. والثاني: الجنة. والثالث: فعل التي هي أحسن من إقامة الدين والاجتماع للصلاة. وقد ذكرنا اسم الحالف.

﴿ لَا نَقُدُ فِيهِ أَبَدُأً لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُ أَن تَنْفَعَ فِيبَةٍ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَنْطَهُ رُواً وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُثَلَّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ الْمُثَلِّةِ مِنْ اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ رُواً وَاللّهُ يُحِبُ

قوله تعالى: ﴿لاَ نَقُدَ نِبِهِ أَي: لا تصلُّ فيه أبداً. ﴿لَنَسَبِدُ أُسِّسَ هَلَ التَّقَوَىٰ ﴾ أي: بني على الطاعة، وبناه المتقون ﴿مِنْ أَزَّهِ يَوْمِ ﴾ أي: منذ ومذ، وهو الأكثر في المتقون ﴿مِنْ أَزَّهِ يَوْمٍ ﴾ أي: منذ ومذ، وهو الأكثر في الاستعمال. وجائز دخول (من الأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض، ومثله قول زهير:

لِسَسِنِ السديسادُ بِسَصُنَّةِ السجِسِجِسِ أَفْسَوَيْسَنَ مِسنُ جِسجِ وَمِسنُ شَسِهُسِ (٢)

وقيل: معناه: مِن مُرَّ حِجج ومِن مَرَّ شهر. وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسجد رسول الله على بالمدينة الذي فيه منبره وقبره. روى سهل بن سعد أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله على المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد الرسول، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فذُكر ذلك للنبي على فقال: «هو مسجدي هذا» (وبه قال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنه مسجد قباء، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك، ومقاتل. والثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة، قاله محمد بن كعب.

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُجِبُّورَ كَنَ يَنَظَهُ رُأَ﴾ سبب نزولها أن رجالاً من أهل قباء كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية، أتاهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي أثنى الله به عليكم، فقالوا: إنا نستنجي بالماء (٥٠). فعلى هذا، المراد به الطهارة بالماء. وقال أبو العالية: أن يتطهروا من الذنوب.

﴿ أَنْكُنُ أَشَدَى ٱلْمُنْكُمُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضُونِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَشَكَسَ ٱلْمُكِنَامُ عَلَى شَفَا جُرُي هَادٍ فَٱلْهَارَ بِهِ. فِ نَادٍ جَهَنَّمُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْكُنَّ أَشَسَى بُنْكِنَمُ وَرَأُ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: وأسس بفتح الألف في الحرفين جميعاً وفتح النون فيهما. وقرأ نافع، وابن عامر وأسس بضم الألف وبنيائه برفع النون. والبنيان مصدر يراد به المبني. والتأسيس: إحكام أس البناء، وهو أصله، والمعنى: المؤسّس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو رضوانه خير، أم المؤسس بنيانه غير متق؟. قال الزجاج: وشفا الشيء: حرفُه وحدُّه. والشفا مقصور، يكتب بالألف، ويثنى شفوان.

⁽١) قالطبري، ٢٧٧/١٤، وأورده السيوطي بنحوه في قالدر، ٣/ ٢٧٧.

 ⁽۲) • ديوانه، ۸۲، و «مختار الشعر الجاهلي، ۲۶۳. وروى الأصمعي: ومن دهر. قوله: من شهر، أراد: من شهور. وأقوين: خلون. والقنة: أعلى
 الجبل، أو هي الجبل الذي ليس بمنتشر.

 ⁽٣) «الطبري» ١٤/٩/١٤، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٣١، و«مسلم» ٢/ ١٠١٥ بنحوه، وخرجه الهيشمي في «المجمع» ٣٤/٧ وقال: رواه كله أحمد،
والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح.

⁽٤) قالطبري، ٤٨٧/١٤، وأورده السيوطي في قالدر، ٣/ ٢٧٨.

⁽٥) السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٨ بنحوه، ونسبه للطبراني، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿جُرُنِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي الجُرُف، مثقًلاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: ﴿جُرُف، مثقًلاً وقرأ ابن عامر، والشغل والشُغل عامر، والإسكان تخفيف، ومثله: الشُغل والشُغل قال ابن قتيبة: المعنى: على حرف جرف هائر. والجرف: ما يتجرف بالسيول من الأودية. والهائر: الساقط. ومنه: تهوَّر البناء وانهار: إذا سقط. وقرأ ابن كثير، وحمزة اهار، بفتح الهاء. وأمال الهاء نافع، وأبو عمرو. وعن عاصم كالقراءتين.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْهَارَ بِهِ ﴾ أي: بالباني ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾. قال الزجاج: وهذا مثل، والمعنى: أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهوَّر بأهله فيها. وقال قتادة: ذُكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة، فرؤي فيها الدخان. قال جابر: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان.

﴿ يَزَالُ بُنْيَنَهُمُ الَّذِى بَنَوَا رِيبَةَ فِي قُلُوبِهِدَ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ مُلُوبُهُمُّ وَاللَّهُ عَلِيمُ حَكِيمُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ يَكِنَكُ بُنِكَنَهُمُ ﴾ يعني: مسجد الضرار ﴿الَّذِى بَنَوْا رِبَهُ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: شكّاً ونفاقاً، لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بنائه، قاله ابن السائب ومقاتل. والثالث: أن المعنى: لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظاً في قلوبهم، قاله السدي، والمبرّد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَطَّعَ تُلُوبُهُمُ ۚ قَرَا الأكثرون: ﴿إِلاّ وهو حرف استثناء. وقرأ يعقوب ﴿إِلَى أَنْ فجعله حرف جر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تُقطَّعُ بِضِم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «تَقطَّعُ بفتح التاء. ثم في المعنى قولان: أحدهما: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: إلا أن يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم، ذكره الزجاج.

﴿ إِذَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرَبُ النَّوْمِينِينَ اَنفُسَهُمْ وَأَمْوَاكُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ بُعَنِلُونَ فِي سَكِيلِ اللَّهِ فَيَقْلُلُونَ وَيُقْلُلُونَ وَمُقَالُونَ وَمُعَلِيقًا فَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُمُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ إِلَيْهِمِ لَلْمُ لَقُلُونَ لَوْلًا لِمُنْ إِلَيْكُونَ لَنْ فَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَلَالًا لَمُعْلِمُ لَلْمُ لِللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَلَا لَهُ مُنْ اللَّهُ وَلَالِكُ مُونَالِكُ مُونَالِقُونَ وَمُعَلِّلُونَ وَلِمُنْ اللَّهُ وَلَا لَعُلُولُونَ وَمُعَلِّلُونَ وَلَالِكُ مُونَالِقًا لِمُعْلِمُ لِللَّهُ ولِنَا لِمُعْلِمُونَا لِمُعْلِمُ لِلللَّهُ وَلَالِكُ لِللَّهُ لِلَّالِمُ لِللَّهُ لِلْمُ لِلْمُؤْلِقُونَ لَلْمُعِلِمُ لِللَّهُ لِلَّاللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَ لِلللَّهُ لِلْمُنْ لِلْمُؤْلِقُونَ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقِلُونَ لِلْمُؤْلِقِ لِلْمُؤْلِقِلِمُ لِلْمُ لِلْمُؤْلِقُونَا لِللَّهُ لِلْمُ لِلْمُؤْلِقُونَ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَ لَلْمُونَ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَ لَلَّهُ لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَا لِللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَا لِلللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَا لِللللَّهُ لِلْمُؤْلِقُونَا لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّالِمُ لِللللَّالِمُ لِلللللَّالِمُ لِللللللَّالِمُ لِلللللْمُ لِللللللّه

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهُ أَشَدُنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشُسُهُم مبب نزولها أن الأنصار لما بايعت رسول الله على الله المعقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إِنَّ الله الشَّرَى الآية، قاله محمد بن كعب القرظي (۱۰). فأما اشتراء النفس، فبالجهاد. وفي اشتراء الأموال وجهان: أحدهما: بالإنفاق في الجهاد. والثاني: بالصدقات. وذِكْرُ الشراء هاهنا مجاز، لأن المشتري حقيقة هو الذي لا يملك المشترى، فهو كقوله: ﴿مَن ذَا الّذِي يُقْرِضُ الله ﴾ [الغرة: ١٤٥]. والمراد من الكلام أن الله أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم عن ذلك بالجنة، فعبَّر عنه بالشراء لما تضمن من عوض ومعوض. وكان الحسن يقول: لا والله، إِنْ في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت بيعته. وقال قتادة: ثامَنَهم والله فأغلى لهم.

قوله تعالى: ﴿ نَيْقَنُانُونَ وَيُقَنَّلُونَ ۗ وَيُقَنَّلُونَ ۗ قَرا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «فيَقتُلون ويُقتَلون» فاعل ومفعول. وقرأ حمزة، والكسائي: «فيُقتلون ويَقتُلون» مفعول وفاعل. قال أبو علي: القراءة الأولى بمعنى أنهم يقتُلون أولاً ويُقتلون، والأخرى يجوز أن تراد به التقديم؛ فإن يقتُلون أولاً ويُقتلون، والأخرى يجوز أن تراد به التقديم؛ فإن لم يقدَّر فيه التقديم، فالمعنى: يقتُل من بقي منهم بعد قتل من قُتل، كما أن قوله: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا آَمَا بَهُمَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن من بقي بقَتْل من قُتل. ومعنى الكلام: إن الجنة عوض عن جهادهم، قَتَلوا أو قُتلوا. ﴿ وَمَقَلُا عَلَيْدِ ﴾ قال

 ⁽۱) «الطبري» ۱۶/۹۹، والسيوطى في «الدر» ۳/ ۲۸۰.

الزجاج: نصب فوعداً» بالمعنى، لأن معنى قوله: ﴿ إِلَّكَ لَهُمُ ٱلْكَنَّةَ ﴾: ﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقَّا ﴾، قال: وقوله: ﴿ فِي ٱلتَّوْرَكَةِ وَالْإِخِسِالِ ﴾ يدل على أن أهل كل ملة أُمروا بالقتال ووُعدوا عليه الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَيَنَ أَوْلَكُ﴾ أي: لا أحد أوفى بما وعد ﴿قِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ أي: فافرحوا بهذا البيع.

﴿النَّكِيثِنَ الْكَيثِرَنَ الْمُكِدُّرِنَ النَّنَيْحُونَ الرَّكِحُونَ النَّكِيدُونَ الْآيرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَالْمُكَامُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَالْمُكَامُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَالْمُكَامِورَ اللَّهِ وَالنَّامُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَالْمُكَامِورَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالِي اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ الللَّا

قوله تعالى: ﴿النَّكِبُونَ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزلت التي قبلها، قال رجل: يا رسول الله، وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال الزجاج: يصلح الرفع هاهنا على وجوه: أحدها: المدح، كأنه قال: هؤلاء التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل، والمعنى: يقاتل التائبون؛ فهذا مذهب أهل اللغة، والذي عندي أنه رفع بالابتداء، وخبره مضمر، المعنى: التائبون ومن ذُكر معهم لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد ولا العناد، لأن بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد. وللمفسرين في قوله: «التائبون، قولان: أحدهما: الراجعون عن الشرك والنفاق والمعاصي. والثاني: الراجعون إلى الله في فعل ما أمر واجتناب ما حظر. وفي قوله: ﴿الْكَبُرُنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: المطيعون لله بالعبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: المقيمون الصلاة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني:

قوله تعالى: ﴿لَكِيدُونَ﴾ قال قتادة: يحمدون الله على كل حال. وفي السائحين أربعة أقوال: أحدها: الصائمون، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة في آخرين. قال الفراء: ويرى أهل النظر أن الصائم إنما سمي سائحاً تشبيهاً بالسائح، لأن السائح لا زاد معه؛ والعرب تقول للفرس إذا كان قائماً لا علف بين يديه: صائم، وذلك أن له قُوتين، غدوة وعشية، فشبه به صيام الآدمي لتسحُّره وإفطاره. والثاني: أنهم الغزاة، قاله عطاء. والثالث: طلاب العلم، قاله عكرمة. والرابع: المهاجرون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ارَّكِمُونَ الْتَكَمِدُونَ﴾ يعني في الصلاة. ﴿الْآيرُونَ بِالْمَدْرُونِ﴾ وهو طاعة الله. ﴿وَالْتَاهُونَ عَنِ الْمَدَّوَ وَهِ وَالنَّاهُونَ عَنِ وَهِ معصية الله. فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَالنَاهُونَ ؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الواو إنما دخلت هاهنا لأنها الصفة الثامنة، والعرب تعطف بالواو على السبعة، كقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَانَبُمُ ﴾ [الكهن: ٢٦] وقوله في صفة الجنة: ﴿وَقُرِيحَتُ أَبُوبُهَا﴾ [الزمر: ٣٧]، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أن الواو إنما دخلت على على الناهين لأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره، فكان دخول الواو دلالة على أن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر كما ينفرد الحامدون بالحمد دون السائحين، والسائحون بالسياحة دون الحامدين في بعض الأحوال والأوقات.

قوله تعالى: ﴿وَالْحَنْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن: القائمون بأمر الله.

﴿مَا كَاكَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ مَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّفْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِى قُرُبَكَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَرَّىٰ لَمُمْ أَنْهُمْ أَسْهُمْ أَنْهُمْ أَسْهُمْ لَكِنَ لَهُو أَنْهُمْ عَدُوُّ لِنَهِ مَبْرًا مِنْهُ إِنَّ إِنْهِيمَ لَاَوْهُ خَلِيدٌ ﴾ وَمَا كَاكَ آسْنِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن تَوْعِمَةٍ وَعَدَمَا إِيَّاهُ فَلَنَا بَنَيْنَ لَهُو أَنْهُمْ عَدُوُّ لِنَهِ نَبْرًا مِنْهُ إِنَّ إِنْهِيمَ لَاَوْهُ خَلِيدٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَاكَ لِلنِّي وَالْذِي مَامَوًا أَن يَسْتَنْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله على وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: ﴿أي عم، قل معي: لا إله إلا الله ، أحاجُ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلّمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملّة عبد المطلب. فقال النبي على الله والمؤلف المؤلف المؤلف

⁽۱) - والطبري؛ ١٤/٥١٠، وأحمد في المسند؛ ٥٣٣/٥، والبخاري؛ ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧، و ٢٥٨/٨ و ٣٨٩/٨، وامسلم؛ ٢١٣/ ـ ٢١٣، وأورده السيوطي في والدر؛ ٣/ ٢٨٧ وزاد نسبته لابن أبي شبية، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في االدلائل.

النبي على يستغفر له، فقال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين، فنزلت هذه الآية. قال أبو الحسين بن المنادي(۱): هذا لا يصح، إنما قال النبي العمه: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» قبل أن يموت، وهو في السياق، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت، فلا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه. والثاني: أن النبي في مرَّ بقبر أمه آمنة، فتوضأ وصلى ركعتين، ثم بكى، فبكى الناس لبكائه، ثم انصرف إلهيم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ فقال: «مررت بقبر أمي فصليت ركعتين، ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها، فزُجرت زجراً، فأبكاني»، ثم دعا براحلته فركبها؛ فما سار إلا هُنيَاة، حتى قامت الناقة لثقل الوحي؛ فنزلت هي كان المستغفر لها، فزُجرت زجراً، فأبكاني، ثم عدها، رواه بريدة عن رسول الله في أن أب والثالث: أن رجلاً استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أنستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي في، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليل عن علي في العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى، والله المستغفرن لأبي كما استغفر المجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى، والله المستغفرن لأبي كما استغفر المجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر المجوار، ويمن الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، قاله قتادة أن. ومعنى قوله: ﴿ مِن بَعَدِ ما بان أنهم ما تواكفاراً.

قوله تعالى: ﴿إِلّا عَن تَرْعِدُو وَعَدَهَا إِيّاهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار، وذلك قوله: ﴿سَأَسْتَنْفِرُ لِلَى رَوْمُ الله بذلك. والثاني: قوله: ﴿سَأَسْتَنْفِرُ لِلَى رَوْمُ الله بذلك. والثاني: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن؛ فلما تبيّن لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر، ترك الدعاء له. فعلى الأول، تكون هاء الكناية في ﴿إِيَّاهُ عائدة على آزر، وعلى الثاني، تعود على إبراهيم. وقرأ ابن السميفع، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك: ﴿وعدها أباه بالباء. وفي الأوّاه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الخاشع الدَّعًاء المتضرع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ. والثاني: أنه الدَّعًاء، رواه زِرٌ عن عبد الله، وبه قال عبيد بن عمير. والثالث: أبو ظبيان عن ابن العامري عن ابن مسعود، وبه قال الحسن، وقتادة، وأبو ميسرة. والوابع: أنه الموقن، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. والمخامس: أنه المؤمن، رواه العوفي، ومجاهد، وابن أبي طلحة عن ابن عباس. والسادس: أنه المسبِّح، رواه أبو إسحاق عن أبي ميسرة، وبه قال سعيد بن المسيب، وابن جبير، والسابع: أنه المتأوّه لذِكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوّاه مجاز فَعَال من النسيب، وابن جبير، والسابع: أنه المتأوّه لذِكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوّاه مجاز فَعَال من النسيب، وابن جبير، والسابع: أنه المتأوّه لذِكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوّاه مجاز فَعَال من

إذا ما قسمتُ أَرْحَسُلُسها بسلسيل تسأوّهُ آهسةَ السرجسل السحسزيسنِ (٥) والثامن: أنه الفقيه، رواه ابن جريج عن مجاهد. فأما الحليم، فهو الصفوح عن الذنوب.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِيلُ فَوَنَا بَمْدَ إِذْ هَدَائِهُمْ عَنَّى بُيَتِنَ لَهُمْ مَّا يَنْفُونَ إِذَ اللّهَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَمُ مُلْكُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ بُتْمِ. وَيُعِيثُ وَمَا لَكُمْ مِن دُوبِ اللَّهِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ ﴾

⁽۱) - هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين بن المنادي (٢٥٦ ـ ٣٣٦ هـ) عالم بالتفسير والحديث من أهل بغداد. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه، ووقف على فوائد لا توجد في فير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه، آخر من روى عنه محمد بن قارس اللغوي، من كتبه «اختلاف العدد» و«دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الأفات والعاهات».

⁽٧) ﴿ الطَّبْرِيُّ ١٤/ ١٤ مختصراً، وأحمد في ﴿مسندُه ٥/ ٣٥٩، و﴿مسلم ۗ ٢/ ١٧٦، بمعناه، وأورده السيوطي في ﴿الدرِّ ٣/ ٢٨٤ عن ابن مردويه.

٣٠ والطبري ١٤/١٤، ٥١٥، وأحمد في والمسند، وقم ٧٧١، وأورده السيوطي في والدوه ٢/ ٣٨٢ وزاد نسبته للطيالسي، وابن أبي شيبة، والترمذي،
والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء في
والمختارة».

⁽٤) قالطبري، ١٤/ ١٣.٥.

زه) البيت في «الطبري» ١٤/ ٥٣٤، و «المفضليات» ٢٩١، وهمجاز القرآن» ٢/ ٢٧٠، واطبقات فحول الشعراء» ٢٣١، و«السمط» ٥٦، و«القرطبي» ٨/ ٢٧٦، و«اللسان»: أوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِمُضِلَ قَوْمًا﴾ الآية، سبب نزولها: أنه لما نزلت آية الفرائض، وجاء النسخ، وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل أمر القبلة والخمر، ومات أقوام على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قوم: المعنى أنه بيَّن أنه لم يكن ليأخذهم بالاستغفار للمشركين قبل تحريمه، فإذا حرَّمه ولم يمتنعوا عنه، فقد ضلوا. وقال ابن الأنباري: في الآية حذف واختصار، والتأويل: حتى يتبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه، فعند ذلك يستحقون الضلال؛ فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال؛ يريدون: فتجرت فكسبت.

﴿ لَقَد تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَمَجِينَ وَالْأَصَارِ الَّذِينَ النَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَسْدِ مَا كَادَ بَرِيعُ فُلُوبُ هَرِيقِ يُشْهُدُ ثُدَّ تَابَ عَلَيْهِدُ إِنَّهُ بِهِدْ رَدُوتُ رَبِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَد تَابَ اللهُ عَلَ النَّيِّ ﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلُّف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذُكر معهم، كقوله: ﴿ فَأَنَّ يِلَّهِ خُسُكُم وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الانفال: ٤١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ النَّبَوُهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾ قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرَّ شديدٌ، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعتقبون عليه، وكانوا في فقر، فربما اقتسم التمرة اثنان، وربما مص التمرة الجماعة ليشربوا عليها المماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر. وقيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: (تحب ذلك؟) قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء(١)، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر(٢).

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَسَدِ مَا صَكَادَ يَنِيعُ مُلُوبُ فَرِيقِ مِنْهُمْ ﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم اكاد يزيغ بالياء. وقرأ المباقون بالتاء، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين همُّوا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم تَزِغ عن الإيمان، قاله الزجاج. والثالث: أن القلوب كادت تزيغ تلفاً بالجهد والشدة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّةَ تَاكِ عَلَيْهِم ۚ كرر ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذِكر ذنبهم، فقدم ذِكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذِكر التوبة.

﴿ وَمَلَ النَّلَنَةِ الَّذِيكَ خُلِنُواْ حَقَّ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَجُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ ٱلنَّشُهُمْ وَطَلَنُواْ أَن لَا مَلْجَاً مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَّهِ عَلَيْهِمُ النَّرَابُ الرَّحِيمُ ﴿ ﴾ إِلَّهِ فَدُ تَابَ عَلَيْهِمْ إِبْنُولُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّزَابُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَ النَّلَنَةِ الَّذِيكَ خُلِنُوا﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، والشعبي، وأبن يعمر: "خالفوا» بألف، وقرأ معاذ القارئ، وعكرمة، وحميد: ﴿خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المخففة. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو العالية: "خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المخاء واللام مع تشديدها. وهؤلاء هم المرادون بقوله: ﴿ وَمَاخُرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾ وقد تقدَّمت أسماؤهم [التربة: ١٠٦]. وفي معنى "خُلَفُوا» قولان: أحدهما: خُلِفُوا عن التوبة، قاله ابن عباس، ومجاهد. فيكون المعنى: خُلِفُوا عن توبة الله على

⁽١) قالت السماء: أي، أقبلت بالسحاب.

 ⁽٢) *الطبري، ١٤٤/ ٥٤١ - ٥٤٢، وخرجه الهيشمي في «المجمع، ٦/ ١٩٤ - ١٩٥ وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار ثقات. وذكره
 السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٨٦ وزاد نسبته لابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في
 «المختارة».

أبي لبابة وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك. والثاني: خُلُفوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة. وحديثهم مندرج في توبة كعب بن مالك(١١)، وقد رويتها في كتاب «الحدائق».

قوله تعالى: ﴿ حَنَّ إِذَا صَاقَتَ عَلَيْمُ ٱلْأَرْشُ بِمَا رَجُبَتُ ﴾ أي: ضاقت مع سَعَتها، وذلك أن المسلمين مُنعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي على مُعرضاً عنهم. ﴿ وَصَافَتَ عَلَيْهِمْ أَنْسُهُمْ ﴾ بالهم والغم والغم. ﴿ وَطَنُوا ﴾ أي: أي متحصم من الله ومن عذابه إلا هو. ﴿ ثُمُّةَ تَابَ عَلَيْهِمُ أَعاد التوبة تأكيداً، ﴿ وَطُنُوا ﴾ قال ابن عباس: ليستقيموا. وقال غيره: وقَقهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يبطلها. وسئل بعضهم عن التوبة النصوح، فقال: أن تضيق على التائب الأرض، وتضيق عليه نفسه، كتوبة كعب وصاحبيه.

﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّدوِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يَكَايُّهُا الَّذِينَ عَامَوُا اتَقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الْمَنكِيةِينَ ﴿ فِي سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في قصة الثلاثة المتخلّفين. والثاني: أنها في أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد على وكونوا مع الصادقين. وفي المراد بالصادقين خمسة أقوال: أحدها: أنه النبي على وأصحابه، قاله ابن عمر. والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. وقد قرأ ابن السميفع، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «مع الصَّادِتَيْنِ» بفتح القاف وكسر النون على التثنية. والثالث: أنهم الثلاثة الذين خُلفوا، صدقوا النبي على عن تأخُرهم، قاله السدي. والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلّفوا عن رسول الله على في الجهاد، قاله ابن جريج. قال أبو سليمان الدمشقي: وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: ﴿ إِللْهُ مَلَ الْهُ اللهُ وَلُونُوا مَعَ الصَّدِيدُونَ اللهُ عَلَى قوله: ﴿ أَلْتَهُ لِلْهُ فَا مُركم أَن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون ابن مسعود: «وكونوا من الصادقين».

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَمْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَمُر مِّنَ ٱلْأَمْرَابِ﴾ قال ابن عباس: يعني: مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، ﴿أَن يَتَخَلَّنُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ في غزوة غزاها، ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنْسِمْ عَن نَفْسِيمْ. لا يرضُوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة. يقال: رغبت بنفسى عن الشيء: إذا ترفَّعت عنه.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ ﴾ أي: ذلك النهي عن التخلُّف ﴿ إِلَنَهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَّا ﴾ وهو العطش ﴿ وَلَا نَصَبُ ﴾ وهو التعب ﴿ وَلَا عَنْمَكُ ۚ ﴾ وهي المجاعة ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَتُو ّ نَيْلًا ﴾ أسراً أو قتلاً أو هزيمة، فأعلمهم الله أنه يجازيهم على جميع ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَنَقَةً صَفِيرَةً﴾ قال ابن عباس: تمرة فما فوقها. ﴿وَلَا يَقَطُمُونَ وَادِيًّا﴾ مقبلين أو مدبرين ﴿إِلَّا كُلِبَ لَهُمـُ﴾ أي: أثبت لهم أجر ذلك. ﴿ لِيَجْرِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن ﴿مَا كَانُوا يَعْمُلُونَ﴾.

فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اختلف المفسرون في هذه الآية، فقالت طائفة: كان في أول الأمر لا يجوز التخلُّف عن رسول الله ﷺ حين كان الجهاد يلزم الكل؛ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اَلْمُؤْمِنُونَ لِيَـنفِرُوا كَافَةً﴾ [التوبة: ١٢٢]؛

⁽١) حديث كعب بن مالك رواه الْبخاري ٨٦/٨، ومسلم ٤/٢١٢٠.

وقالت طائفة: فرض الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النبي على عند له الخروج معه لشيئين: أحدهما: أنه من الواجب عليهم أن يَقُوه بأنفسهم. والثاني: أنه إذا خرج الرسول فقد خرج الدِّين كلَّه، فأمروا بالتظاهر لئلا يقلَّ العدد، وهذا الحكم باقِ إلى وقتنا؛ فلو خرج أمير المؤمنين إلى الجهاد، وجب على عامة المسلمين متابعته لما ذكرنا. فعلى هذا، الآية محكمة. قال أبو سليمان: لكل آية وجهها، وليس للنسخ على إحدى الآيتين طريق.

﴿ فَ وَمَا كَاتَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَمْنِهُوا كَافَةً فَلَوْلَا فَقَرَ مِن كُلِّ فِرْفَقِ مِنْهُمْ طَآبِفَةً لِيَنَفَقَهُوا فِي الدِّبِنِ وَلِيُمْدُونَا فَوْمَهُمْ إِذَا رَجَمُوا إِلَيْهِمْ لَمَلَهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَاكَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَانَّةً﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنه لما أنزل الله للله عيوب المنافقين في غزوة تبوك، قال المؤمنون: والله لا تتخلُّف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سريَّة أبداً. فلما أرسل السرايا بعد تبوك، نفر المسلمون جميعاً، وتركوا رسول الله وحده، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما دعا على مضر، أجدبت بلادهم؛ فكانت القبيلة منهم تُقْبِلُ بأسرها إلى المدينة من الجهد، ويظهرون الإسلام وهم كاذبون؛ فضيَّقوا على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن ناساً أسلموا، وخرجوا إلى البوادي يعلِّمون قومهم، فنزلت: ﴿إِلَّا نَنفِـرُوا يُمُؤْبَكُمْ ﴾ [النوبة: ٣٩]، فقال ناس من المنافقين: هلك من لم ينفر من أهل البوادي، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والرابع: أن ناساً خرجوا إلى البوادي يعلِّمون الناس ويَهدونهم، ويصيبون من الحطب ما ينتفعون به، فقال لهم الناس: ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا؛ فأقبلوا من البادية كلهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. قال الزجاج: ولفظ الآية لفظ الخبر، ومعناها الأمر، كقوله: ﴿مَا كَاكَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِيكَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغَفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤١٣]، والمعنى: ينبغي أن ينفر بعضهم، ويبقى البعض، قال الفراء: ينفِر وينفُر، بكسر الفء وضمها، لغتان. واختلف المفسرون في المراد بهذ النفير على قولين: أحدهما: أنه النفير إلى العدو، فالمعنى: ما كان لهم أن ينفروا بأجمعهم، بل تنفر طائفة، وتبقى مع النبي ﷺ طائفة ﴿ لِيَــنَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني الفرقة القاعدين. فإذا رجعت السرايا، وقد نزل بعدهم قرآن أو تجدَّد أمر، أعلموهم به وأنذروهم به إذا رجعوا إليهم، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنه النفير إلى رسول الله ﷺ، بل تنفر منهم طائفة ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون، ولينذروا قومهم المتخلُّفين، هذا قول الحسن، وهو أشبه بظاهر الآية. فعلى القول الأول، يكون نفير هذه الطائفة مع رسول الله ﷺ إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه. وعلى القول الثاني، يكون نفير الطائفة إلى رسول الله لاقتباس العلم.

﴿ وَيَائِمُ الَّذِينَ مَاسَوُا فَالِلُوا الَّذِينَ بَلُونَكُم مِنَ اللَّهُ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ طِلْمَاةً وَاَعْلَمُوا اَنَّ اللَّهَ مَعَ النَّمُونِينَ ﴿ وَإِنَا مَا أَزِكَ مُورِهِ اِينَا مَالَدِينَ مَاسَوُا فَرَادَهُمْ إِينَا وَهُرْ يَسْتَقِيدُونَ ﴿ وَأَنَا اللَّذِينَ وَمُ يَسْتَقِيدُونَ ﴿ وَأَنَا اللَّذِينَ فِي مُلُومِهِ مَا مَنُولُ اللَّهِ مَنْ يَشْتَهُ وَمَا إِنَّ اللَّذِينَ فِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا يَعْدُونَ ﴿ وَمَا أَوَا وَمُمْ صَافُوا وَمُمْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ مَا مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ مُنْ مُؤْمِنِ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللّ

قوله تعالى: ﴿ نَبِلُوا اللَّذِي كُلُونَكُم مِن الْكُفَارِ ﴾ قد أمر بقتال الكفار على العموم، وإنما يُبتدا بالأقرب فالأقرب، وفي المراد بمن يليهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الروم، قاله ابن عمر. والثاني: قريظة، والنضير، وخيبر، وفعك، قاله ابن زيد. والمخامس: أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب، قاله ابن زيد. والمخامس: أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب، قاله قتادة. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أنه ينبغي أن يقاتِل أهل كل ثغر الذين يلونهم. قال: وقيل: كان النبي على ربما تخطّى في حربه الذين يلونهم الأعداء ليكون ذلك أهيب له، فأمر بقتال من يليه ليُستن بذلك. وفي الغلظة ثلاث لغات: غلظة، بكسر الغين؛ وبها قرأ الأكثرون. وغَلظة، بفتح الغين، رواها جبلة عن عاصم. وغُلظة، بضم الغين، رواها المفضل عن عاصم. ومثلها: چذوة وجُذوة، ووِجنة ووَجنة ووُجنة، ورغوة ورَغوة ورُغوة، وربوة وربوة وربوة وربوة وقسوة وقسوة وقسوة، وإلوة وألوة وألوة: في اليمين، وشاة لِحْبة ولَحْبة ولُجبة: قد ولى لبنها. قال ابن عباس في قوله (غلظة): شجاعة. وقال مجاهد: شدة.

قوله تعالى: ﴿ فَيَنَهُم مَّن يَكُولُ أَيُّكُمْ زَادَتُهُ هَذِوء إِيمَنَاً ﴾ هذا قول المنافقين بعضهم لبعض استهزاءً بقول الله تعالى. ﴿ وَلَمْ يَسْتَبْشُرُونَ ﴾ أي: يفرحون بنزولها. ﴿ وَأَنَّا ٱلَّذِينَ فِي أَنْ اللَّهِ مِهِ إِذَا صدَّقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إِيماناً. ﴿ وَهُرْ يَسْتَبْشُرُونَ ﴾ أي: يفرحون بنزولها. ﴿ وَأَنَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَشُ ﴾ أي: شك ونفاق. وفي المراد بالرجس ثلاثة أقوال: أحدها: الشك، قاله ابن عباس, والثاني: الإثم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَنَلَا يُرَوْنَ ﴾ يعني المنافقين. وقرأ حمزة: «أو لا ترون» بالتاء على الخطاب للمؤمنين. وفي معنى: ﴿بُنْتَنُوكَ ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: يكذبون كذبة أو كذبتين يُضِلّون بها، قاله حذيفة بن اليمان. والثاني: ينافقون ثم ينافقون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: يُبْتَلَوْنَ بالغزو في سبيل الله، قاله الحسن، وقتادة. والرابع: يُفْتَنون بالسَّنة والجوع، قاله مجاهد. والخامس: بالأوجاع والأمراض، قاله عطية. والسادس: يَنقضُون عهدهم مرة أو مرتين، قاله يمان. والسابع: يكفرون، وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي على المنامان فيقول: إنما بلغه هذا عنكم، فيشركون، قاله مقاتل بن سليمان. والثامن: يُفضَحون بإظهار نفاقهم، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ لَا يَنُونُونَ﴾ أي: من نفاقهم. ﴿وَلَا مُمَّم يَذَكَّرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتَّعظون.

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَسَشَهُمْ إِلَى بَسَنِينَ هَـلَ يَرَىٰكُمْ يَرَتْ أَحَدِ ثُـمَّ انصَكَرُفُوأَ صَرَفَكَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَرْمٌ لَا هَهُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزِكَ سُورَةً نَظَرَ بَعْشَهُمْ إِلَا بَعْنِ ﴾ قال ابن عباس: كانت إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخطبهم رسول الله على وعرَّض بهم في خطبته، شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، يقولون: ﴿ مَلَ بَرَنْكُم مِن المؤمنين إِن قمتم؟ فإن لم يرهم أحد، خرجوا من المسجد. قال الزجاج: كأنهم يقولون ذلك إيماء لئلا يعلم بهم أحد، ﴿ مُثَمَّ اَنْسَرَوُوا ﴾ عن المكان، وجائز عن العمل بما يسمعون. وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم التكذيب بمحمد على وبما جاء به.

قوله تعالى: ﴿ مَرَفَ اللَّهُ مُلُوبُهُم ﴾ قال ابن عباس: عن الإيمان. وقال الزجاج: أضَلُّهم مجازاة على فعلهم. ﴿ لَقَدْ جَاهَكُمْ رَسُولُكُ يَنَ أَنْسِكُمْ عَزِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِشُدْ حَرِيعُ فَ عَلَيْكُمْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَدُوكُ تَجِيعٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدُ جَآءَكُمْ رَسُوكُ مِنْ أَنْشِكُمْ وَرَا الجمهور بضم الفاء. وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب عن أبي عمرو: بفتحها. وفي المضمومة أربعة أقوال: أحدها: من جميع العرب، قاله ابن عباس؛ وقال: ليس في العرب قبيلة إلا وقد وَلدت رسولَ الله على والثاني: ممن تعرفون، قاله قتادة. والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قاله جعفر الصادق. والرابع: بشر مثلكم، فهو آكد للحجة، لأنكم تفقهون عمن هو مثلكم، قاله الزجاج. وفي المفتوحة ثلاثة أقوال: أحدها: أفضلكم خُلُقاً. والثاني: أشرفكم نسباً. والثالث: أكثركم طاعة لله على المفتوحة على المفتوعة على المفتوعة على المفتوعة على المفتوعة على المفتوعة على المفتوعة المفتوعة على المفت

قوله تعالى: ﴿عَزِيرُ مُلَتَهِ مَا عَنِـنَّهُ ﴿ فَيه قُولانَ: أَحَدُهُمَا: شَدَيدَ عَلَيهُ مَا شُتَّ عَلَيكُم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. والثاني: شديد عليه ما آثُمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ حَرِيمُ عَلَيْكُم ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُونُ لَكِيدٌ ﴾ قال ابن عباس: سماه باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: "رؤوف، فعول، من الرأفة، وهي أرق من الرحمة؛ ويقال: "رؤف،، وأنشد:

تسرى لسلمم ومشيسن عسليسك حسقساً كسفعسل السوالسد السرووف السرحسيسم(١)

⁽١) البيت لجرير: «ديوانه؛ ٥٠٨، و«مجاز القرآن؛ ١/١٧١، و«اللسان»، و«التاج»: رأف، و«المخزانة، ٢/٨٢٠.

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين.

﴿ فَإِن تُوَلَّوْا فَقُدُلَ حَسْمِى اللَّهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا هُوًّ عَلَيْمِ وَكَذَّتْ تَا وَكُو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَلِيمِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَوْا ﴾ أي: أعرضوا عن الإِيمان ﴿ فَتُلَ حَسِّو ﴾ الله أي: يكفيني ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْمَطْيمِ ﴾ وقرأ ابن بن ابن محيصن: «العظيمُ ؛ برفع الميم. وإنما خص العرش بالذّكر، لأنه الأعظم، فيدخل فيها الأصغر. قال أبني بن كعب: آخر آية أُنزلت ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُ ﴾ إلى آخر السُّورة (١٠).

帝 帝 帝

⁽۱) «الطبري» ٨٨/١٤ - ٨٨٩، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٣٨، و«المسند» ١١٧/٥ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان. قال الهيثمي في «المجمع» ٢/٣٦: وهو ثقة سيئ الحفظ وبقية رجاله ثقات، ورواه أحمد في «المسند» ١٣٤/٥ بأطول منه عن عمر بن شقيق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أبى العالية عن أبي بن كعب، ورجاله ثقات خلا عمر بن شقيق فإنه مجهول.

سورة يونس

فصل في نزولها

ينسيدالقو ألتنف النجسية

﴿الَّهُ عِلْكَ مَايَتُ الْكِسَبِ الْمُكِيدِ ١

فأما قوله: ﴿الرَّ ﴾ قرأ ابن كثير: «آلر» بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: « آلر» على الهجاء مكسورة. وقد ذكرنا في أول سورة (البقرة) ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خُصَّت هذه الكلمة بستة أقوال: أخدها: أن معناها: أنا الله أرى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنا الله الرحمن، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه بعض اسم من أسماء الله. روى عكرمة عن ابن عباس قال: «آلر» و «حَم» و «نَ محروف الرحمن. والرابع: أنه فَسَمٌ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والمخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه اسم للسورة، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿وَلَكَ ﴾ قولان: أحدها: أن بمعنى «هذه»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة. والثاني: أنه على أصله. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، قاله مجاهد، وقتادة؛ فيكون المعنى: هذه الأقاصيص التي تسمعونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل، والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن، قاله الزجاج. والثالث: أن «تلك» إشارة إلى «آلر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتتحة بها الشور هي ﴿وَايَثُ ٱلرَّاتِ لان الكتاب بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع، ذكره ابن الأنباري. قال أبو عبيدة: ﴿المُكِيرِ ﴾ بمعنى المحكم المبيَّن الموضَّح؛ والعرب قد تضع فيلاً في معنى مُفْعَل؛ قال الله تعالى: ﴿مَا لَذَى مَيْدُ ﴾ اق: ٣٢: ﴿ا أَيُ بَعْدَ.

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَرْحَيْنَا إِلَى رَجُلِ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ ٱلنَّاسَ وَيَثِيرِ ٱلَّذِينَ مَاسَوُا أَنَّ لَهُدْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِيمُ قَالَ ٱلكَفِرُونَ إِلَّ مَنكَ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَبَارِ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَ ٱلْمَدَرِّيْ بُدَيِّرُ ٱلأَمَرُ مَا مِن شَفِيعِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذَا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذَا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ أَلْمَالُونَ مَن مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ أَلْمُونَ وَلَا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ أَلْمُونَ وَلَا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ أَلْمُونَ مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفُولُونَ وَلَا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفُولِهِ مِنْ مِنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِيعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِيعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مِنْ مَنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفِعِ إِلَا مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مَا مُنْفِعِ إِلَّا مِنْ مَنْفَعَ مِنْ مَنْفَعِلَى مَا مَنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مِنْمُ مِنْ مِنْ مَنْعِلَامِ مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مَنْفِيقٍ مِنْ مِنْ مِنْفِيقٍ مِنْفِيقًا إِلَى مُنْفِيقًا مِنْ مَا مِنْ مَنْفِيقًا لِمِنْ مِنْ مِنْفِيقًا إِلَى مُنْفَاقِهِ مِنْفِيقٍ مِنْ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِكُونَ مِنْ مِنْفُولِهِ مِنْ مِنْفُولِهِ مُنْفِقِهِ إِلَيْفِي مِنْ مِنْفُولِهِ مِنْ مِنْفُولِهِ مُنْفِقِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مُنْفِقِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفَالِمِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفِقِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفِقِيقًا مِنْفُولِهِ مِنْفُلِهِ مِنْفُولِهِ مُنْفُولِهِ مُنْفِقِهِ مِنْفُولِهِ

قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية (١١). والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة، والمراد بالرجُل: محمد ﷺ. ومعنى ﴿مِنْهُم ﴾: يعرفون نسبه، قاله ابن عباس، فأما الألِف فهي للتوبيخ والإنكار. قال ابن الأنباري: والاحتجاج عليهم في كونهم عجبوا من إرسال محمد، محذوف هاهنا، وهو مبين في قوله: ﴿غَنُ هَمَنَا النابوة؛ والزخرف: ٢٦]، أي: فكما وضح لكم هذا التفاضل بالمشاهدة، فلا تنكروا تفضيل الله مَنْ شاء بالنبوة؛ وإنما حذفه هاهنا اعتماداً على ما بينه في موضع آخر. قال: وقيل: إنما عجبوا من ذكر البعث والنشور، لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما، فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك، مثل قوله: ﴿وَهُو َ أَهُونَ عَلَيْهُ وَالرِم؛ ٢٧]،

^{﴿ ﴿} الطَّبْرِي ﴾ ١٣/١٥، وأخرجه السيوطي في ﴿ اللهِ ﴾ ٢٩٩ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

وقوله: ﴿ عُيِيمًا الَّذِى آ اَشَاهًا آوَلَ مَرَّةً ﴾ ليس: ٧٩]. وفي المراد بقوله: ﴿ وَلَمَ صِدْقٍ ﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه الثواب الحسن بما قدَّموا من أعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه أبو صالح قال: عمل صالح يَقْدمون عليه. والثاني: أنه ما سبق لهم من السعادة في الذَّكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: سابقة صدق. والثالث: شفيع صدق، وهو محمد على يشفع لهم يوم القيامة، قاله الحسن. والرابع: سَلَفُ صدق تقدّموهم بالإيمان، قاله مجاهد، وقتادة. والخامس: مقام صدق لا زوال عنه، قاله عطاء. والسادس: أن قدم الصّدق: المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والسابع: أن القدم هاهنا: مصيبة المسلمين بنبيهم على المحقهم من ثواب الله عند أسفهم على الرفيعة، قاله المشاهدته، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: لِمَ آثر القَدَم هاهنا على اليد، والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان؟. فالجواب: أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقدَّم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يُتقدَّم فيه ولا يقع فيه تأخّر، قال ذو الرمة:

لكم قَسدَمٌ لا يُسنُكِرُ السَّاسُ أنَّها مع الحسنب العادِيّ طَمَّتْ على البحر(١)

فإن قيل: ما وجه إضافة القدم إلى الصدق؟ فالجواب: أن ذلك مدح للقدم، وكل شيء أضفته إلى الصدق، فقد مدحته؛ ومثله: ﴿أَيْفِنِي مُدْفِلَ صِدْقِ كُلُوجِي عُنْرَجَ صِدْقِ﴾ الإسراء: ١٨٠، وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ القسر: ١٥٥، وفي الكلام محذوف، تقديره: أوحينا إلى رجل منهم، فلما أتاهم الوحي ﴿قَالَ الْكَثِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَيَعُ ثُمِينُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «لساحر» بالف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لسحر» بغير ألف. قال أبو علي: قد تقدم قوله: ﴿أَنَ أَرْجَبُنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمُ ﴾ فمن قال: ساحر، أراد الرجل؛ ومن قال: سحر، أراد الذي أوحي سحر، أي الذي تقولون أنتم فيه: إنه وحي، سحر. قال الزجاج: لما أنذرهم بالبعث والنشور، فقالوا: هذا سحر، أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله: ﴿إِنَ رَبُكُمُ اللّهُ ﴾ وقد مبق تفسيره في [الأعراف: ١٥٥].

قوله تعالى: ﴿بُدَيِّرُ ٱلأَمْرُ ﴾ قال مجاهد: يقضيه. وقال غيره: يأمر به ويمضيه.

قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعِ إِلَّا مِنْ بَمَدِ إِذَقِيهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس. قال الزجاج: لم يَجْرِ للشفيع ذِكر قبل هذا، ولكنَّ الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا. والثاني:أن المعنى: لا ثانيَ معه، مأخوذ من الشَّفْع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء. فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَمَّدِ إِذَنِيْرِ ﴾ أي: من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ فَاعَبُدُوهُ ﴾ قال مقاتل: وحُدوه. وقال الزجاج: المعنى: فاعبدوه وحده. وقوله: ﴿ نَذَكَّرُونَ ﴾ معناه: تتَّعظون.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِمُكُمْ جَبِيمًا ۚ وَعَدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْمُلْقَ ثُدَّ بُعِيدُهُ لِبَخِرِى الَّذِينَ ءَاسَنُوا وَعَيْلُوا الصَّلِحَتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَمُرُوا لَهُمْرً شَرَابٌ مِنْ جَيبِهِ وَعَذَابُ أَلِيدًا بِمَا كَانُوا بِكُمُنُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِثُكُمْ جَبِيمًا ﴾ أي: مصيركم يوم القيامة ﴿وَقَدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ قال الزجاج: ﴿وَعْدَ اللهِ منصوب على معنى: وعدكم الله وعدًا، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِثُكُمْ ﴾ معناه: الوعد بالرجوع، و «حقًا، منصوب على: أحق ذلك حقًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بَبَدُؤَا الْمَانَقَ﴾ قرأه الأكثرون بكسر الألف. وقرأت عائشة، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو العالية، والأعمش: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فعلى الاستثناف، ومن فتح، فالمعنى: إليه مرجعكم، لأنه يبدأ الخلق. قال مقاتل: يبدأ الخلق فهو العدل. فإن قيل: كيف خصّ جزاء قال مقاتل: يبدأ الخلق ولم يكن شيئاً، ثم يعيده بعد الموت. وأما القسط، فهو العدل. فإن قيل: كيف خصّ جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً؟ فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبيَّن في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبيَّن ما يجزيهم به مما هو

⁽۱) • ديوانه، ٣٦١ طبع المكتب الإسلامي، والبيت من قصيدة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، يقول بعده: خسلال السنسيسي السمسمسط فسسى عسنسد ريسه وعسنسمسان والسفساروق بسعسد أبسي بسكسر ورواية البيت في الديوان: قطمت على الفخو». والعادي القديم، وطمت: علت.

عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحارُّ. وقال أبو عبيدة: كل حارّ فهو حميم.

﴿ هُوَ الَّذِى جَمَلَ الشَّمْسَ ضِيئَةَ وَالْقَمَرَ ثُوْلَ وَقَدَّرَهُ مَنَاذِلَ لِيَمْلَمُواْ عَدَدَ الْسَيْدِينَ وَالْحِسَابُ مَا خَلَقَ اللهُ وَالنَّهَارِ وَمَا حَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ لَاَيْتِ لِفَوْرِ بَشَّتُوكَ لَلَّ اللَّهِ وَالنَّهَارِ وَمَا حَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوْتِ وَالأَرْضِ لَاَيْتِ لِفَوْرِ بَشَّتُوكَ ۚ لَهُ اللَّهِ لَا اللَّهِ لَكُونَ لَكُونَ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهَارُ عَمْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّه

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ قرأ الأكثرون: ﴿ضياءً بهمزة واحدة. وقرأ ابن كثير: ﴿فَضَاءً بهمزتين في كل القرآن، أي: ذات ضياء. ﴿وَلَلْتَمَرُ ثُولِكُ أي: ذات نور. ﴿وَتَدَرُهُ مَنَالِلُهُ أي: قدّر له، فحذف الجار، والمعنى: هيَّا ويسَّر له منازل. قال الزجاج: الهاء ترجع إلى «القمر» لأنه المقدّر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً. وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأن به تُعلَم الشهور. وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكتفي بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَسُولُهُ أَكُنُ لُن يُرْسُونُ اللهُ وَالتَوية: ٢٦]. قال ابن قتيبة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر إلى ثماني وعشرين ليلة، ثم يستسرُّ. وهذه المنازل، هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسماؤها عندهم الشَّرطَان، والبُّطَيْن، والثَّريَّا، والنَّبرَان، والهَنْعة، والنَّراع، والنَّرْق، والطَّرْف، والطَّرْف، والطَّرْف، والطَّرْف، والطَّرْن، والعَفْر، والزُّباني، والمُؤلِّا، والعَفْر، والزَّباني، والمُؤلِّا، والمقدّ، والعَدْر، والطَّرْف، والمؤلِّة، والمؤلِّة، والمؤلِّة، والمؤلِّا، والعَدْر، والمُؤلِّة، والمؤلِّة، والمؤلِّة، والمؤلِّم، وفرغ الدلو المؤلِّد، والرَّشاء وهو الحوت.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَنَ اللّهُ ذَلِكَ إِلّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي للحق، من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته. ﴿يُنَشِّلُ ٱلْآيَنتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿يفصِّل ۖ بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نفصّل الآيات» بالنون، والمعنى: نُبَيِّنُها ﴿ لِنَوْمِرِ يَمْلَنُونَ﴾ يستدلُّون بالأمارات على قدرته.

ق**وله تعالى: ﴿** لَأَيْكَتِ لِلْقَوْمِ يَسَّتُمُوكَ﴾ فيه قولان: **احدهما**: يتقون الشرك. **والثاني**: عقوبةً الله. فيكون المعنى: إن الآيات لمن لم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُوكَ لِقَآمَا﴾ قال ابن عباس: لا يخافون البعث. ﴿ وَرَضُواْ بِالْمَيْوَةِ ٱلدُّنِكِ اختاروا ما فيها على الآخرة. ﴿ وَاَلْمَاأَلُوا يَهَا﴾ آثروها. وقال غيره: ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. ﴿ وَاَلَذِيكَ هُمْ عَنْ مَايَئِنَا غَنْفِلُونَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها آيات القرآن ومحمد، قاله ابن عباس. والثاني: ما ذكره في أول السورة من صنعه، قاله مقاتل. فأما قوله: ﴿ طَوْلُونَكِ فَقَالِ ابن عباس: مكذّبون. وقال غيره: مُعْرِضون. قال ابن زيد: وهؤلاء هم الكفار.

قوله تعالَى: ﴿ يِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ قال مقابل: من الكفر والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيكَنِيمَّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. والثاني: يجعل لهم نوراً يمشون به بإيمانهم. والثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. والرابع: يثيبهم بإيمانهم. فأما الهداية، فقد سبقت لهم. قوله تعالى: ﴿تَجْرِك بِن تَمْنِيمُ الْأَنْهَدُرُ﴾ أي: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو.

قوله تعالى: ﴿ وَعُونَهُمْ فِيهُ أَي: دعاؤهم. وقد شرحنا ذلك في أول [الاعراف: ٥]. وفي المراد بهذا الدعاء قولان: أحدهما: أنه استدعاؤهم ما يشتهون. قال ابن عباس: كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً، قالوا: ﴿ سُبَحَنَكَ أَللَّهُمُ فَيْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا يشتهون؛ فإذا طعموا، قالوا: ﴿ الْمُحَدُّدُ يَّهِ رَبِّ الْمُنكِينِ ﴾ فذلك آخر دعواهم. وقال ابن جريج: إذا مرّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: ﴿ سُبُحَنَكَ اللَّهُمُ فَيْ اللَّهُمُ فَيْ اللَّهُمُ فَيْ اللَّهُمُ فَيْ اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ الللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَّنُهُمْ فِيهَا سَلَتُمُّ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض، وتحيَّة الملائكة لهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى يُحَيِّيهم بالسلام. والثالث: أن التحية: المُلْك، فالمعنى: مُلكهم فيها سالم، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهَالِمُو مُعَوَّنِهُمْهُ أَي: دعاؤهم وقولهم: ﴿ أَنِ لَلْمَمُدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَكَلِمِينَ ﴾. قرأ أبو مجلز، وعكرمة، ومجاهد، وابن يعمر، وقتادة، ويعقوب: أأنَّ الحمدُ لله بتشديد النون ونصب الدال. قال الزجاج: أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه. وقال ابن كيسان: يفتتحون كلامهم بالتوحيد، ويختمونه بالتوحيد.

﴿ وَلَوْ يُمَحِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ السِّيمْ بَالْخَيْرِ لَتُغِنَى إِلَيْهِمْ أَجَالُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاتَا فِي كُلفَيْنِهِمْ بَمَكُونَ ﴾ بَمَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَيِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَ ﴾ ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَاتَ هَنَا هُو الْحَقِّ مِنْ عِندِكَ ﴾ [الانفال: ٨]. والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته. وفي المراد بالآية قولان: أحدهما: ولو يعجّل الله للنَّاسِ الشرَّ إِذَا دَعَوًا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم، واستعجلوا به كما يعجّل لهم الخير، لهلكوا، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجّل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعُجّل لهم قضاء آجالهم ليتعجّلوا عذاب الآخرة، حكاه الماوردي. ويقوِّي هذا تمامُ الآية وسببُ نزولها. وقد قرأ الجمهور: ﴿ لَتُعْنَى إلَيْهِمٌ ﴾ بضم القاف ﴿ أَجَلُهُمُ ﴾ بضم اللام. وقرأ ابن عامر: «لقَضَى» بفتح القاف ﴿ أَجَلُهُمُ ﴾ بضم اللام. وقد قرأ ابن عامر: «لقَضَى» بفتح القاف ﴿ أَجَلُهُمُ ﴾ بضم اللام. وقد قرأ ابن عامر: «لقَضَى» المناه والوله.

﴿ وَلِنَا مَسَ ٱلْإِنسَانَ اللَّمَٰذُ دَعَانَا لِجَنْبِهِء أَوْ فَاعِدًا أَوْ فَآمِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ مُثَرَّمُ مَرَّ حَجَانَ لَيْ يَدَعُنَا إِلَى مُنْمِ مَشَلَّمُ كَذَلِكَ زُتِينَ الِمُشْرِفِينَ مَا كَانُواْ بَعْمَلُوك ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَنَ آلِانَدَنَ الفُّرُ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أبي حذيفة، واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، قاله عطاء. و «الضرة: الجهد والشّدة. واللام في قوله: ﴿ لِجَنَّبِهِ * بمعنى عملى * . وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إذا مسّه الضر دعا على جنبه، أو دعا قاعداً، أو دعا قائماً، قاله ابن عباس. والثاني: إذا مسه الضر في هذه الأحوال، دعا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَا كَشَنْنَا عَنْهُ مُرَّهُ مَرَّ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبتلى، ولم يتَّعظ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مَرَّ طاغياً على ترك الشكر.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّرْ يَدْعُنآ﴾ قال الزجاج: «كأن» هذه مخففة من الثقيلة، المعنى: كأنه لم يدعنا، قالت الخنساء:

كَــأَنْ لِــم يــكــونــوا حِــمـــى يُستَّــقَــى إذ السنَّــاسُ إذ ذَاكَ مَـــنْ عَـــزَّ بَـــزَا(١)

قوله تعالى: ﴿كَانَاكُ زُيِّنَ لِلْمُشَرِفِينَ﴾ المعنى: كما زُيِّن لهذا الكافر الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرَّخاء، كذلك زُيِّن للمسرفين، وهم المجاوزون الحدَّ في الكفر والمعصية، عملُهم.

﴿ وَلَقَدْ أَمْلَكُنَا الْشُرُونَ مِن تَبْلِكُمْ لَنَا طَلَمُوا وَجَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ وَمَا كَاؤًا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ جَمْزِى الْغَزْمَ الشَّجْرِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَا الْشُرُونَ مِن قَبْلِكُمُ ﴾ قال مقاتل: هذا تخويف لكفار مكة. والظلم هاهنا بمعنى الشرك. وفي قوله: ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ قولان: أحدهما: أنه عائد على أهل مكة، قاله مقاتل. والثاني: على القرون المتقدمة، قاله أبو سليمان. قال أبن الأنباري: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق وإيثارهم الباطل. وقال الزجاج: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم.

قوله تعالى: ﴿كَذَالِكَ جُنْزِي﴾ أيّ: نعاقب ونهلك ﴿ٱلْقُوَّمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني المشركين من قومك.

﴿ مُمَا نَكُمُمْ خَلَتِهِ فِي ٱلأَرْضِ مِنْ بَقَدِهِمْ لِنَظْرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ جَمَلَنَكُمُّمُ خَلَتَهِفَ﴾ قال ابن عباس: جعلناكم يا أمة محمد خلائف، أي: استخلفناكم في الأرض. وقال قتادة: ما جَعَلَنا اللهُ خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار.

﴿ وَإِذَا تُتَلَ عَلَيْهِمْ مَايَاتُنَا بَيِّنَتِ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِتَكَاةَنَا آنْتِ بِشُرْمَانٍ غَيْرِ مَنْذَا أَوْ بَيْرَأَهُ ثُلَ مَا بَكُونُ لِنَ أَنْ أَبَذِلَهُ مِن تِلْقَاتِي نَفْسِقٌ إِنْ أَنْشِعُ إِلَا مَا يُوحَى إِلَيْ إِنْ أَنْنَاقُ إِنْ عَصَيْتُ رَقِ عَذَابَ بَوْمِ عَظِيمٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتَلَى عَلَيْهِم الله المستهزئين بالقرآن على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة، قاله مجاهد، وقتادة. والمراد بالآيات: القرآن. و «يرجون» بمعنى: يخافون. وفي علَّة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان: أحدهما: أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة، وآية الرحمة بالعذاب، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور، لأنهم لا يؤمنون به، وكرهوا عيب آلهتهم، فطلبوا ما يخلو من ذلك، قاله الزجاج. والفرق بين تبديله والإتيان بغيره، أن تبديله لا يجوز أن يكون معه.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيّ﴾ حرَّك هذه الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. ﴿مِن شِلْقَآيِى نَفْيِيَّ﴾ حرَّكها نافع، وأبو عمرو؛ أن الذي أتيتُ به من عند الله، لا من عندي فأبدِّله. ﴿إِنِّ أَخَاتُ﴾ فتح هذه الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو. ﴿إِنْ عَمَيْتُ رَقِّ﴾ أي: في تبديله أو تغييره ﴿عَذَابُ بَرْمِ عَظِيرِ﴾ يعنى في القيامة.

فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بيَّنًا في نظيرتها في [الانعام: ١٥]. ومقصود الآيتين تهديد المخالفين؛ وأُضِيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

﴿ فَلَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُكُمْ عَلِيْكُمْ وَلَا آذَرَىكُمْ بِيدْ نَقَدُ لَبِفْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِن تَبَلِيْهِ أَنَلَا تَعْقِلُونَ ۞ فَمَنْ أَلَمَكُمْ عِنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْ

قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَدْرَدُكُم بِيِّهُ ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: ﴿ وَلَا دُرَاكم الله التوكيد من غير ألف بعدها عليكم. ﴿ وَلَا أَدْرَدُكُم بِيِّهُ ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: ﴿ وَلَأَدْرَاكم الله التوكيد من غير ألف بعدها بجعلها لاماً دخلت على «أدراكم». وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أدركم بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وشيبة بن نصاح: «ولا أدرأتُكم ابناء بين الألف والكاف. ﴿ فَقَكَدُ لَيِنْتُ فِيصُمُ عُمُرًا ﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «عُمْراً بسكون الميم. قال أبو عبيدة: وفي العمر ثلاث لغات: عمر، وعُمُر، وعَمْر، قال ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدِّثكم بشيء من القرآن ﴿ أَنَلَا تَمْقِلُونَ ﴾ أنه ليس من قِبَلي، ﴿ فَمَنْ أَظَلَدُ مِمْن والمجرمون ها هنا: المشركون.

﴿ وَمَسْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَمُهُمْ وَيَعُولُونَ هَتُؤُلاَّهِ شُفَعَتُونَا عِندَ اللَّهِ قُل ٱتُنبَيُّونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَسْلَمُ فِى ٱلسَّمَوَتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ شُبْحَننَهُ وَمَمَكَلَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَشَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم ﴾ أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ﴿وَلَا يَنفَمُهُم ﴾ إن عبدوه، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَرَعُولُونَ﴾ يعني المشركين. ﴿ هَتُؤُلَاهَ ﴾ يعنون الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كنايتها على لفظ كناية الآدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في [الأعراف: [١٩١] عند قوله: ﴿رَهُمْ يُخَلَقُونَ﴾. وفي قوله: ﴿ شُفَكَتُونًا عِندَ اللَّهِ ﴾ قولان: أحدهما: شفعاؤنا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: شفعاؤنا في إصلاح معايشنا في الدنيا، لأنم لا يُقِرُّون بالبعث، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلَ أَتُنَيِّتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَمَـّلُمُ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله أنَّ له شريكاً، ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.

﴿ وَمَا كَانَ النَّكَاسُ إِلَّا أَتَكَ وَحِدَةً مَآخَتَكَلُواً وَلَوْلَا كَلِكَةٌ سَبَقَتْ مِن زَيِّكَ لَلْغِى بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ بَغْتَكِلُوك ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّكَاسُ إِلَّا أَتَكَ وَحِدَةً مَآخَتَكَلُواً ﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البنرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موتحدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتَ مِن زَيِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين مِن قبلهم، لقُضي بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدِّين. والثاني: أن الكلمة: أن لكل أمة أجلاً، وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته. والثالث: أن الكلمة: أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه. وفي قوله: ﴿التَّهُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ قولان: أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة. والثاني: بنزول العذاب على المكذبين.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوَلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَاكِنَّ مِن زَيْدٍ فَقُلْ إِنَّا ٱلْمَنْيَثِ لِلَّهِ قَانْتَظِيْزَا إِنِّ مَمَكُمْ مِنَ ٱلنَّنظِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَمُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿لَوَلاَ ﴾ أي: هلّا ﴿أَنْزِلَ عَلَيْدِ مَالِكُ مِّن زَبِّدٍ ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء . ﴿فَتُلُ إِنَّنَا ٱلْنَيْبُ لِلَّو ﴾ فيه قولان: أحدهما:أن سؤالكم: لِمَ لم تنزل الآية؟ غيب، ولا يعلم علَّة امتناعها إلا الله . والثاني: أن نزول الآية متى يكون؟ غيب، ولا يعلمه إلا الله .

قوله تعالى: ﴿ نَانتَظِرُوٓ إَ﴾ فيه قولان: أحدهما: انتظروا نزول الآية. والثاني: قضاء الله بيننا بإظهار المحقّ على المبطل.

﴿ وَإِذَا أَذَنَا النّاسَ رَحْمَةً بِنَا بَعْدِ مَرَّاةً مَسَتَهُمْ إِذَا لَهُم مَكُرُّ فِي مَاكِاناً فَلِ الله أَسَرُعُ مَكُرًّ إِنْ رُسُكَا بَكُبُونَ مَا تَمْكُون ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَنَا النّاسِ مَعْهُ لَهُ سبب نزولها أن النبي على لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين، أتاه أبو سفيان، فقال: ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدَّقناك، فدعا لهم، فسقوا ولم يؤمنوا، ذكره الماوردي. قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا: الكفار. وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرحمة: العافية والسرور، والضراء: الفقر والبلاء، قاله ابن عباس. والثاني: الرحمة: الإسلام، والضراء: الكفر، وهذا في حق المنافقين، قاله الحسن. والثالث: الرحمة: الخصب، والضراء: الجدب، قاله الضحاك. وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الجحود والرد، قاله أبو عبيدة. والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله، فيقولون: سُقينا بنوء كذا، قاله مقاتل بن حيان. والرابع: أن المكر: النفاق، والثالث وإطهار الإيمان وإبطان الكفر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَشْرَعُ مَكُراً ﴾ أي: جزاءً على المكر. ﴿ إِنَّ رُسُلَنا ﴾ يعني الحفظة ﴿ يَكُنْبُونَ مَا تَمْكُرُون ﴾ أي: يحفظون ذلك لمجازاتكم عليه. وقرأ يعقوب إلا رويساً وأبا حاتم، وأبان عن عاصم: «يمكرون» بالياء.

﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُو فِ النَّزِ وَالْبَحْرِ حَتَى إِذَا كُشُرُ فِ الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِيم بِرِيج طَيِّبَةِ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتُهَا رِبِجُ عَاصِفٌ وَبَآءَهُمُ السَّوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنَهُمْ أُجِيطَ بِهِمْ دَعُواْ اللهَ تَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَهِنَ أَجَيْهَنَا مِنْ هَنذِيهِ لَنَكُوْنَكِ مِنَ الشَّكِمِينَ شَا أَنْجَهُمُ أَنْتُهُمُ أَنْجَالًا مِنْ هَنذِيهِ لَنَكُونَكُمْ مَنْتَ الْحَبَامُ إِنَّا هُمُ يَبْعُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِمَدِّرِ الْحَقِّ بِالنَّمِ إِلَىنَ إِنْهَا لِمُشْكُمْ مَلَى الْشَيْحُمْ مَلَى الْحَبَيْوةِ الدُّيْلُ

قوله تعالى: ﴿هُوَ الذِّى يُسَرِّرُكُ أَي: الله الذي هو أسرع مكراً، هو الذي يسيِّركم ﴿فِي الْبَرِ ﴾ على الدواب، وفي البحر على السفن، فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر، وهو في المعنى مثل قوله: ﴿وَبَتَّ مِنْهُمَا بِيَالًا كَتِيرًا ﴾ النساء: ١٦. والفلك: السفن. قال الفراء: الفلك تذكّر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعاً، قال تعالى هاهنا: ﴿جَمَّتُمَا ﴾ فأنَّتُ، وقال في ايس: ٤١] ﴿فِي ٱلْفَالِي ٱلْمَشْمُونِ ﴾ فذكّر.

قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم. قال الزجاج: كل من أقام الغائب مقام مَن يخاطبه جاز أن يردُّه إلى الغائب، قال الشاعر:

شَطَّتْ مَزادُ العاشقين فأصبحتْ عَسِراً علي طلابُكِ ابنةً مَخْرَم(١)

قوله تعالى: ﴿ رِبِج طَيِّبَةِ ﴾ أي: ليُّنةٍ. ﴿ وَقَرِحُوا بِهَا ﴾ للينها. ﴿ جَآةَتُهَا ﴾ يعني الفلك. قال الفراء: وإن شئتَ جعلتها للريح، كأنك قلت: جاءت الريخ الطيبة ريحٌ عاصف، والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد عصفت الريح وأعصفت، والألف لغة لبني أسد. قال ابن عباس: الريح العاصف: الشديدة. قال الزجاج: يقال: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، وأعصفت، فهي معصف ومعصفة. ﴿ وَبَهَآهَمُ ٱلسَّرَةُ مِن كُلِّ مَكَانِ ﴾ أي: من كل أمكنة الموج.

قوله تعالى: ﴿وَرَنَائُوا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه التوهم، وفي قوله: ﴿أُجِطَ بِهِمْ ﴾ قولان: أحدهما: دنوا من الهلكة. قال ابن قتية: وأصل هذا أن العدوَّ إذا أحاط ببلد، فقد دنا أهله من الهلكة. وقال الزجاج: يقال لكل من وقع في بلاء: قد أحيط بفلان، أي: أحاط به البلاء. والثاني: أحاطت بهم الملائكة، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَمَوُا اللَّهَ عُلِمِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ دون أوثانهم. قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا: ﴿ لَهِ أَبْنُ أَنْبُونِ ﴾ أي: الموخّدين.

قوله تعالى: ﴿ يَبَعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ البغي: الترامي في الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى فساد. قال ابن عباس: يبغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد. ﴿ يُكَأَيُّا النَّاسُ ﴾ يعني أهل مكة. ﴿ إِنَّمَا بَدُيكُمْ عَلَى النَّسِكُمْ ﴾ أي؛ جناية مظالمكم بينكم على أنفسكم. وقال الزجاج: عملكم بالظلم عليكم يرجع.

قوله تعالى: ﴿ تَنَاعُ الْحَبَوْدُ الدُّنَيَّ ﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وحفص، وأبان عن عاصم: ﴿ تَنَاعُ الْحَبَوْدُ الدُّنَيَّ ﴾ بنصب المتاع. قال الزجاح: مَن رفع المتاع، فالمعنى أن ما تنالونه بهذا البغي إنما تتنفعون به في الدنيا، ومن نصب المتاع، فعلى المصدر. فالمعنى: تمتَّعون متاع الحياة الدنيا، وقرأ أبو المتوكل، واليزيدي في اختياره، وهارون العتكي عن عاصم: «متاع الحياة» بكسر العين. قال ابن عباس: «متاع الحياة الدنيا»، أي: منفعة في الدنيا.

﴿إِنَّا مَثَلُ الْحَبَزَةِ الدُّبَا كُنَّهِ أَنزَلْنَهُ مِنَ السَّنَاءِ فَأَخْلَطُ بِدِ بَاكُ الأَرْضِ مِنَا بَأَكُلُ النَّاسُ وَالإَنْمَثُمْ حَقَّ إِنَّا لَئَذَتِ الأَرْضُ يُخْرَبُنَا وَازْيَنَتَ وَطَنَ الْمُهُمَّ أَنْهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنْهَا أَمُهُا لَيْلًا أَوْ تَهَاوَا فَجَعَلْنَهَا حَصِيبًا كَأَنْ لِمَ تَنْفَى بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نَسَيْلُ الْاَبْنِي لِقُورِ يُنْفَكُرُهُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثُلُ الْحَيْلُةِ الدُّيَّا كُنَّامٍ أَنْزَلْتُهُ مِنَ السَّمَامِ﴾ هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبهها بمطر نزل من السماء ﴿وَالْخَلْكُ بِهِ. نَبَاتُ الْأَرْضُ يَعْنِي التف النبات بالمطر، وكثر ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَالْأَنْكُ مِن المرعى. ﴿مَنَّ إِنَّا أَنْكُرُ النَّرُ النَّمَ النَّمِ النَّوْدِ المُعْرَفُ النَّمَ النَّمِ النَّوْدُ وَكُلُ شَيْءً وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَكُلُ شَيَّءً زُيِّنُ : زَخْرَفُ. وقال الزجاج: الزخرف: كمال حسن الشيء.

قوله تعالى: ﴿وَازَّيَدَتَ﴾ قرأه الجمهور (وازينت) بالتشديد. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن يعمر: بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي، على وزن: وَأَفْعَلَتْ. قال الزجاج: من قرأ (وازَّيَّنَتُ بالتشديد، فالمعنى: وتزينت، فأدغمت التاء في الزاي، وأسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل؛ ومن قرأ (وأزَّينت، بالتخفيف على أفعلت، فالمعنى: جاءت بالزينة. وقرأ أُبَيِّ، وابن مسعود: (وتزيَّنَتْ).

قوله تعالى: ﴿وَطَلَى أَمْلُهُمْ آَيَ اَيْقَنَ أَهْلُ الأَرْضَ ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على ما أنبتنه، فأخبر عن الأرض، والمواد النبات، لأن المعنى مفهوم. ﴿أَتَنَهُا أَرُّنَا﴾ أي: قضاؤنا بإهلاكها ﴿نَجَمَلَنَهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل. ﴿كَانَ لَمْ تَشْنَ بِٱلأَنْسِى ﴾ قال الزجاج: لم تعمر. والمغاني: المنازل التي

⁽١) - تقدم البيت ٦٧ م.

يعمُرها الناس بالنزول فيها. يقال: غَنينا بالمكان: إِذا نزلوا به. وقرأ الحسن: «كأن لم يَغْنَ؛ بالياء، يعني الحصيد. قال بعض المفسرين: تأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب، حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه، وظن أنه ممتَّع بذلك، سلب عنه بموته، أو بحادثة تهلكه، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته، فإذا تزيَّنت به الأرض، وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك، أهلكه الله، فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَكِ وَيَهْدِى مَن يَشَكَهُ إِلَى مِرَطِ مُشْتَتِيمٍ ۞ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا المُسْتَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرَعَقُ وُجُومَهُمْ فَكُرٌ وَلَا ذِلَّةُ أُولَتِهِكَ أَصْمَتُ لَلْمُنَدِّ مُمْ نِيهَا خَلِدُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَدِ﴾ يعني الجنة. وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله: ﴿لَمُمْ دَارُ السَّلَدِ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [الانعام: ١٢٧]. واعلم أن الله عمَّ بالدعوة، وخصَّ بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه. وفي المراد بالصراط المستقيم أربعة أقوال: أحدها: كتاب الله، رواه عليٌّ عن النبي ﷺ (١). والثاني: الإسلام، رواه النَّوَّاس بن سمعان عن النبي ﷺ (٢). والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: المُخرِج من الضلالات والشُّبَه، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَعْسَنُوا ﴾ قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسني: كلمة مستغني عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخَلَّة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرَّف من جهتها، يدل على هذا قول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هَصَرْتُ بغصنٍ ذي شماريخَ مَيَّالِ^(٦) فَلمَا تنازعنا الحديث وأرقً كَلامُنَا ورُضْتُ فلأمُنَا ورُضْتُ فلأمُنَا ورُضْتُ فلأمُنَا

أي: إلى الأمر المحبوب. وهصرتُ بمعنى مددت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة للكلام، كما تقول العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده. والشماريخ كناية عن الذوائب. ورضت، معناه: أذللت. ومن. أجل هذا قال: أي إذلال، ولم يقل: أي رياضة. وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال: أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ (٤٤)، وبه قال الأكثرون. والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصرة، قاله عبد الرحمن بن سابط. والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. الخامس: الأمنية، ذكره ابن الأنباري. وفي الزيادة ستة أقوال: أحدها: أنها النظر إلى الله ﷺ. روى مسلم في «صحيحه» من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله حرِّ جلَّه (٥٠). وبهذا القول قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى

⁽١) ﴿ قَالَطْبَرِي﴾ ١/ ١٧١ ـ ١٧٢ هن علي مرفوهاً، وإسناده ضعيف جداً. وقد خرجه ابن كثير في (تفسيره) ٢٧/١ من رواية ابن أبي حاتم هن علي مرفوهاً، بسند ضعيف أيضاً، وخرجه السيوطي في اللده ١٥/١ عن علي مرفوعاً، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، والترمذي وضعفه، وابن الأنباري في والمصاحف، وابن مردويه، والبيهقي في االشعب، ومداره على الحارث الأعور، قال الحافظ ابن كثير في االفضائل؛ ٥: وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ظيء، وقد

⁽٢) قالطبري، ١٧٦/١، وخرجه أحمد في المسنده ٤/١٨٣ ـ ١٨٣، ونقله ابن كثير ٢/٢٧ من رواية المسند،، وقال: وهكذا رواه ابن أبي حائم، وابن جرير، من حديث الليث بن سعد به، ورواه الترمذي، والنسائي جميعاً عن علي بن حجر، عن بقية، عن بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان به، وهو إسناد حسن صحيح. وذكره السيوطي في «الند» ١/ ١٥، وزاد نسبته لابن الممنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن النواس مرفوهاً، ونص الحديث: «ضربِ الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يدعو بقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا. وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإتك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محاوم الله، وذلك الدامي على رأس الصراط: كتاب الله، والداحي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلمه.

دبوانه: ٣٢. وقوله: تنازعنا الحديث، أي: حدثتني وحدثتها، وأصله من النزوع بالدلو، وهو جذبها, ومعنى أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعوبتها

[﴿]الطبري، ١٥/١٥ بسند ضعيف جداً، وذكره ابن كثير ٢/٤١٤ من رواية ابن أبي حاتم بسنده، وخرجه السيوطي في الدر، ٣٠٥/٥ وزاد نسبته للدارقطني في الرؤية، وابن مردويه.

الحديث في دمسلم، ١٦٣/١ ولفظه: عن صهيب عن النبي ﷺ قال: ﴿إِذَا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شبئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شبئاً أحب إليهم من النظر إلى وبهم كلكية. ورواه أحمد 🕳

الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، رواه الحكم عن عليّ، ولا يصح (١٠). والثالث: أن الزيادة: مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس، والحسن. والرابع: أن الزيادة: مغفرة ورضوان، قاله مجاهد. المخامس: أن الزيادة: أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة، قاله ابن زيد. والسادس: أن الزيادة: ما يشتهونه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَلا يَرْمَقُ ﴾ أي: لا يغشى ﴿ وُجُومَهُمْ قَدَ ﴾ وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش: قَتْر ، بإسكان التاء، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس: سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج: القتر: الغبرة التي معها سواد. والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء. والثالث: الخزي، قاله مجاهد. والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة، وفي الذلة قولان: أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس. والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان.

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاهُ سَيِّئَتِمْ بِيقِلِهَا وَرَّمَعُتُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَكُم قِنَ اللَّهِ مِنْ عَامِيتُمِ كَأَنْمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ الَّذِلِ مُظلِمًا أَوْلَتِيكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ ﴾ أَوْلَتِيكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيْءَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا الشرك. ﴿جُزَّاهُ سَيِّنَتُمْ بِينْلِهَا﴾ في الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أن فيها إضمار «لهم»، المعنى: لهم جزاءُ سيئة بمثلها، وأنشد ثعلب:

فإنْ سَأَلَ الوَاشُونَ عَنْه فَقُلْ لَهُم وَذَاكَ عَطَاءٌ لِللوشَاةِ جَزِيْلُ مُلِمَّ بِلَنْ سَأَلَ الوَاشُونَ عَنْه فَقُلْ لَهُم مُلِمَّ بِلَنْ سَأَلَ الوَاء.

والثاني: أن فيها إضمار «منهم»، المعنى: جزاء سيئة منهم بمثلها، تقول العرب: رأيت القوم صائم وقائم، أي منهم صائم وقائم، أنشد الفراء:

حتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْعُ في غَلَسِ وغُودِ البَهْ مُلُويٌ وَمَحْصُودُ

أي: منه ملوي، وهذا قول ابن الأنباري. وقال بعضهم: الباء زائدة هاهنا، و «من» في قوله: ﴿ مِنْ عَاصِرُ ﴾ صلة، والعاصم: الممانع. ﴿ كَأَنْنَا أَغْشِيَتَ وُجُوهُهُمْ ﴾ أي: ألبست: ﴿ وَطَعَا ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة: «قِطَعاً» مفتوحة الطاء، وهي جمع قطعة. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: «قِطُعاً» بتسكين الطاء. قال ابن قتيبة: وهو اسم ما قُطع. قال ابن جرير: وإنما قال: «مُظلماً» ولم يقل: «مُظلمة» لأن المعنى: قطعاً من الليل المظلم، ثم حذفت الألف واللام من «المظلم»، فلما صار نكرة، وهو من نعت الليل، نُصب على القَطْع؛ وقوم يسمُّون ما كان كذلك حالاً، وقوم قطعاً.

﴿ وَيَوْمَ غَشُـ رُهُمْ جَيِيْمًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَذِينَ أَشْرَكُواْ مَنَاتَكُمْ أَنتُد وَشُرَكَا وَكُو فَرَيْكَا بَيْنَهُمُ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنُمُ إِيَّانَا نَشَبُدُونَ ۞ فَكَفَنَ وَلَوْ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَيَكُمْ لَنَسْفِيلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ غَشُرُهُمْ جَيِعًا﴾ قال ابن عباس: يُجمع الكفار وآلهتهم. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشَرَّوُا مَكَانَكُمْ أَشُدُ وَيُثْرَكَّا أَوْرُكُمُ أَي: آلهتكم. قال الزجاج: «مكانكم» منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعَّد فتقول: مكانك، أي: انتظر مكانك، فهي كلمة جرَت على الوعيد.

قوله تعالى: ﴿ فَرَيُّكَ بَيْنَهُمْ ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «فزايلنا» بألف، قال ابن عباس: فرَّقنا بينهم وبين آلهتهم. وقال

٢٣٣٧ و ١٦/٦، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٠٥٧ وزاد نسبته للطيالسي، وهناد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خريمة، وابن جرير، وابن المنذر،
 وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والدارقطني في الرؤية، وابن مردويه، والسيهتي في «الأسماء والصفات». واللفظ الذي ساقه المؤلف «الزيادة: النظر إلى
 وجه الله على ذكره السيوطي من رواية الدارقطني، وابن مردويه عن صهيب.

⁽۱) - «الطبري» ٦٩/١٥ عن الحكم بن عتبية، عن علي، وهو ضعيف لإرساله، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٦/٣ من طريق الحكم بن عتببة عن علمي، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في الرؤية.

ابن قتيبة: هو من زال يزول وأزلته. وقال ابن جرير: فإنما قال: ففزيلنا، ولم يقل: ففزلنا، لإرادة تكرير الفعل وتكثيره. فإن قتيبة: هو من زال يزول وأزلته. وقال ابن جرير: فإنها قال: فإن قبل: كيف تقع الفرقة بينهم وهم معهم في النار، لقوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُوبِ الله حَسَبُ جَهَنَّمُ الله الإنبياء: ١٩٩٩ فالجواب: أن الفرقة وقعت بتبرّي كل معبود ممن عبده، وهو قوله: ﴿ وَقَالَ شُرَكَآ وَهُم، قال ابن عباس: المهتم، يُنْطِق الله الأوثان، فتقول: ﴿ مَا كُنْمُ إِيَّا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: لا نعلم بعبادتكم لنا، لأنه ما كان فينا روح، فيقول العابدون: بلى قد عبدناكم، فتقول الآلهة: ﴿ فَكَنَن إِنلَهِ شَهِينًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَنَنْفِلِينَ ﴾ لا نعلم بها. قال الزجاج: ﴿ إِن كُنّا مَن عِبَادَتِكُمْ لَنَنْفِلِينَ ﴾ فعنه قال الزجاج: ﴿ إِن كُنّا مِن المهلِينَ في المدح كما قالوا: أَظْرِف بعبد الله، وأنبل بعبد الرحمن، وناهيك بأخينا، وحسبك بصديقنا، هذا قول الفراء وأصحابه. والثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام، إذ سقوطها ممكن، كما يقال: خذ وحسبك بصديقنا، هذا قول الفراء وأصحابه. والثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام، إذ سقوطها ممكن، كما يقال: خذ بالخطام، وخذ الخطام، قاله ابن الأنباري.

﴿ هُمَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسِ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَنَهُمُ ٱلْمَقِيِّ وَمَثَلَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هُنَاكِ تَبَكُوا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «تبلو» بالباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وزيد عن يعقوب: «تتلو» بالتاء. قال الزجاج: «هنالك» ظرف، والمعنى: في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو، إلا أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل: هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة. و «تبلو» تختبر، أي: تعلم، ومن قرأ «تتلو» بتاءين، فقد فسرها الأخفش وغيره: تتلو من التلاوة، أي: تقرأ، وفسروه أيضاً: تتبع كل نفس ما أسلفت. ومثله قول الشاعر:

[ولا أريسدُ تَسبَسعَ السفريْسنِ](١)

قىد جىعىلىڭ دلسوي تَسْسَتَ شَلِينىي أي: تستتبعني، أي: من ثقلها تستدعي اتباعي إياها.

قوله تعالى: ﴿ وَرُدُّواً ﴾ أي: في الآخرَة ﴿ إِلَّ اللَّهِ مَوْلَمُهُمُ الْحَقِّ الذي يملك أمرهم حقاً، لا مَن جعلوا معه من الشركاء. ﴿ وَصَلَّ عَنْهُم ﴾ أي: زال وبطل ﴿ مَا كَانُوا يَنْتَرُوك ﴾ من الآلهة.

﴿ قُلْ مَن يَوْدُمُكُمْ مِنَ السَّنَاةِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْعَنَرَ وَمَن يُجْرُجُ الْمَنَّ مِنَ الْمَبْتِ وَمُثْنِجُ الْمَبْتِ وَيُغْرِجُ الْمَبْتِ وَمُثْنِجُ الْمَبْتِ وَمُثْنِجُ الْمَبْتِ وَمُثَانِكُ مِنَ الْمَبْتِ وَمُثَانِكُ اللّهِ وَمُنْ يُمَاثِرُ اللّهُ مُثَلًا الْمَلَا لَنَظُونَ ﴿ ﴾ النّبَقِي النّبِي الْمَبْتُونُ اللّهُ مُثَلًا الْمَلَا لَنَظُونَ اللّهُ مُثَلًا الْمَلَا لَنَظُونَ اللّهُ مُثَلًا الْمَلَا لَنَظُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْدُقُكُمُ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ المطر، ومن الأرض النبات، ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ ﴾ أي: خَلْق السمع والأبصار. وقد مبق معنى إخراج الحي من الميت، والميت من الحي [آل عبران: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلأَمْنَ ﴾ أي: أمر الدنيا والآخرة ﴿ فَسَيَثُولُونَ اللَّهُ ﴾ لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله، فكان ذلك دليل توحيده. وفي قوله: ﴿ أَنَالَا نَتُتُونَ ﴾ قولان: أحدهما: أفلا تتَّعظون، قاله ابن عباس. والثاني: تتقون الشرك، قاله مقاتل.

﴿ مَنْدَاكِمُ اللَّهُ رَبُّكُو لَلْقُ فَمَاذَا بَعَدَ الْعَقِ إِلَّا الضَّلَالُّ فَأَنَّ تُشْرَقُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَالْاِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ وجوده يوكونه، ولا الخطابي: الحق هو المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده يوكونه، بوحق.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَ ثُمْرَاؤُكَ ﴾ قال ابن عباس: كيف تيصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيي ولا يميت؟ ﴿ كَنَاكَ حَقَّتَ كَلِمَتُ رَلِكَ عَلَ الَّذِيكَ نَسَقُواْ أَنَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَابِكُمْ مَن يَبَدَوُّا الْفَاقَ ثُمَّ يُمِيدُوُ قُلِ اللّهُ يَهَدِي الْعَقِّ أَنَى مَنْ يَبَدِى إِلَى الْفَقِ أَنَى اللّهُ يَهِدِي الْعَقِّ أَنَى الْعَقِ أَنَى الْعَقِ أَخَلُ أَنَ يُنْتَعَ أَنَى لاً يَقِيمُ أَنَى لا يَؤْمِنُونَ ۞﴾ يَهِنَى إِلاّ أَن يُهْدَى فَا لَكُو كَيْفَ عَمْدُوكِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كَنَالِكَ حَقَّتَ كَلِيتُ كَلِكَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كلمةُ ربك»،

⁽١) الرجز في اللسانه: تلاء غير منسوب.

وفي آخر السورة كذلك. وقرأ نافع، وابن عامر الحرفين «كلمات» على الجمع، قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، أي: مِثْل أفعالهم جازاهم ربك، والمعنى: حق عليهم أنهم لا يؤمنون. وقوله: ﴿أَثُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من ﴿ كُلتُ رَيِكَ﴾ وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة ما وُعدوا به من العقاب. وذكر ابن الأنباري في ﴿ كَذَلِكَ وَلين: أحدهما: أنها إشارة إلى مصدر «تُصرفون»، والمعنى: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك. والثاني: أنه بمعنى هكذا. وفي معنى «حقت» قولان: أحدهما: وجبت. والثاني: سبقت. وفي كلمته قولان: أحدهما: أنها بمعنى وعده. والثاني: بمعنى قضائه، ومن قرأ «كلماتُ» جعل كل واحدة من الكلم التي توعّدوا بها كلمة. وقد شرحنا معنى الكلمة في الاعراف: ١٣٧ و ١٩٧٥.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ أي: إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿أَنْ لا يَهِذِي ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع قيهَدّي، بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: الأصل يهتدي، فأدغمت التاء في الدال، فطرحت فتحتها على الهاء. وقرأ نافع إلا ورشاً، وأبو عمرو: فيهدّي، بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يُشِم الهاء شيئاً من الفتح. وقرأ حمزة، والكسائي: «يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال. قال أبو على: والمعنى: لا يهدي غيره إلا أن يُهدّى هو، ولو هُدي الشّم لم يهتد، ولكن لما جعلوها كمن يعقل، أجريت مجراه. وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم: «يهدّي» بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك روى أبان وجبلة عن المفضل وعبد الوارث، قال الزجاج: أتبعوا الكسرة الكسرة، وهي رديثة لثقل الكسرة في الياء. وروى حفص عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر عنه: فيهدّي، بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء، إلا أن الهاء عنه: فيهدّي، بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء، إلا أن الهاء كُسرت لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن السميفع: «يهتدي» بزيادة تاء. والمراد بقوله: ﴿أَنَنُ لا يَهتدي، إلا أنهم لما اتخذوها وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت، وليست كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي، إلا أنهم لما اتخذوها صفتها: ﴿أَنَهُ لانهم جعلوها كمن يعقل، ووصفت صفة مَن يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ ولهذا المعنى قال في صفتها: ﴿أَنَهُ لا نهم جعلوها كمن يعقل، ولما أعطاها حقها في أصل وضعها، قال: ﴿يَآبُتُ لِمُ تَشُدُ مَا لا يَسْتُلُ من مكانه إلا أن يحوّل؟ وقد صوف بعضهم الكلام إلى الورساء والمضلّين، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُرُ ﴾ قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أيُّ شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿ كَيْكَ غَتْكُوكَ ﴾ أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجَوْر؟.

﴿ وَمَا يَنْبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا طَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُمْنِي مِنَ ٱلْمَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَمْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنَيُمُ أَكْثَرُمُونِهِ أَي: كلهم ﴿ إِلَّا ظُنّاً ﴾ أي: ما يستيقنون أنها آلهة، بل يظنون شيئاً فيتَّبعونه. ﴿ إِنَّ الظّنَّ لَا يَثْنِي مِنَ الْمَقِيّ شَيّئاً ﴾ أي: ليس هو كاليقين، ولا يقوم مقام الحق. وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظِنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْمَانُ أَنَّ يُفْتَرَىٰ مِن دُوبِ آلَتَهِ وَلَكِينَ تَشَّدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ بَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَبِ لَا رَبِّ فِيهِ مِن رَبِّ ٱلْمُنكِينَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا النَّرَانُ أَن يُعْتَرَىٰ مِن دُينِ اللَّيَ قال الزجاج: هذا جواب قولهم: ﴿ أَنْتِ بِشُرَانٍ غَيْرِ هَلْذَا أَوْ بَيْلَانً ﴾ [يونس: ١٥] وجواب قولهم: ﴿ أَنْتَكُ ﴾ [الفرنان: ٤]. قال الفراء: ومعنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، فجاءت ﴿أنّ على معنى ينبغي. وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون ﴿أنّ مع ﴿ يفترى مصدراً ، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً. ويجوز أن تكون ﴿كانُ تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتُنْصَب ﴿أنّ بفقد الخافض في قول الفراء، وتخفض بإضمار الخافض في قول الكسائي، وقال ابن قتية: معنى ﴿أَن يُغْرَفَهُ أَي: يضاف إلى غير الله، أو يُختَلق.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن تَمَّدِينَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة، قاله ابن عباس. فعلى هذا، إنما قال: ﴿الَّذِى﴾ لأنه يريد الوحي. والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور، ذكره الزجاج. والثالث: تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن، لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل سماعهم القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَتَقْصِيلَ ٱلْكِتَابِ﴾ أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ والفرائض التي فرضها عليهم.

﴿ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ انْغَرَيْثُهُ ثُلُ مَنَاقُوا بِسُورَةِ يَنْلِهِ. وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَلْشُد مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ سَكِيقِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَتُولُونَ أَنْتَرَكُمْ في «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى بل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأَثُواْ بِسُورَةِ يَشْلِيهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فأتوا بسورة مثل سورة منه، فذكر المِثْلَ لأنه إنما التمس شبه الجنس، ﴿وَادَّعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمُ﴾ ممن هو في التكذيب مثلكم ﴿إِن كُنْمُ صَلِيقِنَ﴾ أنه اختلقه.

﴿ بَلَ كَذَبُوا بِمَا لَرَ بُحِيطُوا بِمِلْيِهِ. وَلَمَا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُمْ كَذَلِكَ كَذَبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُن كَيْفَ كَانَ عَنِبَهُ الظَّالِمِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ بَلْ كُنْبُواْ بِمَا لَمْ يُحِطُواْ بِمِلْمِهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذِكْر الجنة والنار والبعث والجزاء. والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به، لأنهم شاكون فيه. وفي قوله: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُمْ ﴾ قولان: أحدهما: تصديق ما وُعدوا به من الوعيد. والتأويل: ما يؤول إليه الأمر. والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله، قاله الزجاج. قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدوُّ ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل: أين؟ فقال: ﴿ بَلْ كُنْبُواْ يِمَا لَرْ يُحِيطُواْ يِمِلْيِهِ مِ وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين: قوله: ﴿ وَقُولُه: هُولَا لَهُ يَهُمُولُونَ هَذَا لَا فَعُلْهُ لِيلِيهِ ﴾ وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: ١٤٥٠.

﴿ مَهُ ثُمُ مَن يُؤْمِنُ بِهِ مَهُمْ مَّن لَا يُؤْمِثُ بِهِ وَرَبُكَ أَعْلَمُ بِالْمُسْدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتُهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ في المشار إليم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: قريش، قاله مقاتل بن سليمان. وفي هاء «به قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم مَنْ سيؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدًق به ويعاند فيظهر الكفر. ﴿وَيَنْهُم مَن لا يُؤْمِنُ بِبِّرَ اللهُ أي: يشكُ ولا يصدّق.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُنْسِلِينَ ﴾ قال عطاء: يريد المكذبين، وهذا تهديد لهم.

﴿ رَانِ كَذَّبُوكَ نَقُل لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمٌّ أَنتُد بَرِيَّتُونَ مِنَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيَّ * يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ نَقُل لِّي عَمَلِ﴾... الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح، لأنه لا تنافى بين الآيتين.

﴿ رَبَّتُهُم مَّن يَسْتَمِمُونَ إِلَيْكُ أَنَّاتَ نُسْمِعُ الضُّمَّ زَلَوْ كَانُوا لَا يَمْقِلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْهُم مَن يَسْتَعِمُونَ إِلَيْكُ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في يهود المدينة، كانوا يأتون رسول الله ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشقاء، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في المستهزئين، كانوا يستمعون إلى النبي على المستهزئين، فلم ينتفعوا، فنزلت فيهم هذه الآية، والقولان مرويًان عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في مشركي قريش، قاله مقاتل. قال الزجاج: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم. ﴿ وَلَوْ كَانُوا لا يَمْقِلُونَ ﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جهالاً. وقال ابن عباس: يريد أنهم شرّ من الصم، لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم.

﴿ وَيَنْهُم مَّن يَظُرُ إِلِنَكَ أَفَأَتَ تَهْدِع الْمُنْنَى وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْعِيرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مِّن يَظُرُ إِلِنْكُ ﴾ قال ابن عباس؛ يريد متعجبين منك. ﴿ أَفَأَتَ تَهْدِعَ ٱلْمُتَى ﴾ يريد أن الله

أعمى قلوبهم فلا يبصرون. وقال الزجاج: ومنهم من يُقبل عليك بالنظر، وهو من بغضه لك وكراهته لما يرى من آياتك كالأعمى. وقال ابن جرير: ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نُبُوَّتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق. وقال مقاتل: و «لو» في الآيتين بمعنى «إذا».

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْتًا وَلَكِكَنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك، لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَكِنَ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿ولكنِ النَّاسُ ؛ بتخفيف النون وكسرها، ورفع الاسم بدها.

﴿ وَيَوْمَ يَعَشُرُهُمْ كَأَن لَرَ يَبْتَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَكَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَيرَ الَّذِينَ كَلَبُوا بِلِقَلَمِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَذِينَ ﴿ وَلَوْهُ مَهْتَذِينَ ﴿ وَلَوْهُ مُعْتَذِينَ اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَّا لَكُوا مُعَمِّلُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلْمُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى ال

قوله تعالى: ﴿ كَانَ لَرُ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النّهَارِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: كأن لم يلبثوا في قبورهم، قاله ابن عباس. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. قال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَارَثُونَ بَيْتَهُمُّ ﴾ قال ابن عباس: إذا بُعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاح: وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعلِم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخُ لهم، وإثباتُ الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبَّخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسَّبتني دخول النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَيِرَ ٱلَّذِينَ كَلَّبُوا﴾ هو من قول الله تعالى، لا مِن قولهم، والمعنى: خسروا ثواب الجنة إذْ كذَّبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهَنِّدِينَ﴾ من الضلالة.

﴿ وَإِنَّا نُرِيَّكَ بَعَضَ الَّذِى نَمِكُمُ أَوْ نَنَوَيَّنَكَ وَإِنِّنَا مَهِمُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ۞ وَلِحُلْ أَتَةِ رَّسُولُ ۚ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَنِنَى بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَثَمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا ثُرِيَنَكَ بَعْضَ الَّذِى نَيدُتُمْ ﴾ قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم. ﴿أَوْ نَتُوتَيَّكَ﴾ قبل أن نريَك ﴿وَإِلَيْنَا مُهجِمُهُمْ ﴾ بعد الموث، والمعنى: إن لم ننتقم منهم عاجلاً، انتقمنا آجلاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ اللَّهُ شَهِيدُ عَلَى مَا يَتَمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب. قال الفراء: (ثم) هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: (ثم) هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبلة: (ثَمَّ الله شهيد) بفتح الثاء، يراد به: هنالك الله شهيد.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا حَكَاةً رَسُولُهُمْ تُخِينَ بَيْنَهُم ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم، قضي بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن. وقال غيره: إذا جاءهم في الدنيا، حُكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية. والثاني: إذا جاء يوم القيامة، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا جاء شاهداً عليهم. والثالث: إذا جاء في القيامة وقد كذَّبوه في الدنيا، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَغِنَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بين الأمَّة، فأثيب المحسن وعوقب المسيء. والثاني: بينهم وبين نبيهم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا ٱلْوَقَدُ إِن كُنتُمْ صَلِيدِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَنَى هَذَا الْوَمْدُ﴾ في القائلين هذا قولان: أحدهما: الأمم المتقدمة، أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا ﷺ، قاله أبو سليمان. وفي المراد بالوعد قولان: أحدهما: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: قيام الساعة. ﴿إِن كُنُمُ صَلِيقِنَ﴾ أنت وأتباعك.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ أَنْ اللَّهِ لِنَقْسِي مَنَّرًا ﴾ . . . الآية ، قد ذكرت تفسيرها في آيتين من [الاعراف: ٣٤ و ١٨٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكُمْ عَذَابُهُ بِيَنّا ﴾ قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليل. وقوله: ﴿مَاذَا ﴾ في موضع رفع من جهتين: إحداهما: أن يكون افذا بمعنى الذي، المعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون ؟ ويجوز أن يكون اماذا اسماً واحداً، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون ؟ والهاء في المنه تعود على العذاب. وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى ؟ وعودها على العذاب أجود، لقوله: ﴿أَنْهُ إِذَا مَا وَتَعَ مَاسَنُم بِيِّة ﴾. وذكر بعض المفسرين أن المراد بالمجرمين: المشركون، وكانوا يقولون: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا وقع العذاب آمنا به؛ فقال الله تعالى موبِّخاً لهم: ﴿أَنْهُ إِذَا مَا وَتَعَ مَاسَهُم بِيِّه ﴾ أي: هنالك تؤمنون فلا يُقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون؟ فأضمر: تؤمنون به مع ﴿مَآلَيْنَ وَقَدْ كُنُم بِي نَسْتَمْ لِوَنَ ﴾ مستهزئين، وهو قوله: ﴿ثُمَّ قِبَلَ لِلَذِينَ طَلَمُوا ﴾ أي: كفروا، عند نزول العذاب ﴿ رُولُوا عَذَابَ الْمُثَلِّ ﴾، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفضوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم.

﴿ وَيَسْتَلَبُونَكَ أَحَقُّ مُثَّرَّ مُثَلَ إِن وَرَقِ إِنَّامُ لَحَقٌّ وَمَا أَشُد بِمُعْجِزِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْمُونَكَ ﴾ أي: ويستخبرونك ﴿ أَنَتُ هُرٌّ ﴾ يعنون البعث والعذاب. ﴿ وَأَلَ إِن ﴾ المعنى: نعم ﴿ وَرَدِت ﴾ ، وفتح هذه الياء نافع، وأبو عمرو. وإنما أقسم مع إخباره تأكيداً. وقال ابن قتيبة: (إي، بمعنى (بل، ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ قال ابن عباس: بسابقين. وقال الزجاح: لستم ممن يُعجز أن يجازى على كفره.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِ نَفْسِ طَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَآفَتَدَتْ بِيْدٍ. وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَنَّا رَأَوُا الْفَذَابِّ وَقُنِي ﴾ بَيْنَهُم بِالْفِسْطِ وَهُمْ لَا بُطْلَمُونَ ﴾ آلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوْنِ وَالْأَرْضُ الاّ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَتَّى وَلَكِنَ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلَمُونَ ۞ هُو يُجْيٍ. وَيُشِيتُ وَإِلَتِهِ تُرْحَمُوك ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَنْسِ ظَلَمَتُ ﴾ قال ابن عباس: أشركَتْ. ﴿ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَآتَنَدَتْ بِدِّ ﴾ عند نزول العذاب. ﴿ وَأَشِيلُ النَّدَامَةَ ﴾ يعني: الرؤساء أخفوها من الأتباع. ﴿ وَشُنِي بَيْنَهُ ﴿ أَي: بين الفريقين. وقال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل: السرّوا الندامة بمعنى أظهروا، لأنه ليس بيوم تَصَنَّع ولا تصبُّر، والإسرار من الأضداد؛ يقال: أسررت الشيء، بمعنى: أخفيته. وأسررته: أظهرته، قال الفرزدق:

ولما رأى الحجَّاجَ جررَّد سيفَّه أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا(١)

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم، لأن النار ألهتهم عن التصنع والكتمان. وعلي الأول: كتموها قبل إحراق النار إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ رَغَدَ اللَّهِ حَقِّ﴾ قال ابن عباس: ما وعد أولياءه من الثواب، وأعداءه من العقاب. ﴿وَلَنِكِنَ ٱكْثَرَهُمُ ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَسْلَوُنَ﴾

﴿يَتَأَبُّهُا النَّاسُ فَدْ جَآهَنَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَّوِّكُمْ وَشِفَاهٌ لِمَا فِي الصُّدُودِ وَهُدُى وَرَحْمَةٌ لِلتَمْزْمِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَثَانُهُ ۖ قَالَ ابن عباس: يعني قريشاً. ﴿ وَلَا جَاءَتَكُم مَوْعِظَةٌ ﴾ يعني القرآن. ﴿ وَشِفَآهُ لِمَا فِي الشَّدُورِ ﴾ أي: دواء لداء الجهل. ﴿ رَمُدُى ﴾ أي: بيان من الضلالة.

⁽١) البيت في أضداد الأصمعي، ٢١، وأضداد السجستاني، ١٥١، وأضداد ابن السكيت، ١٧٦، وفأضداد ابن الأنباري، ١٤٦، وفأضداد أبي الطيب، ٣٥٣، و اللسان، وفالتاج، سرر، منسوباً فيها جميعاً إلى الفرزدق، وليس في قديوانه،

﴿ فَلَ بِفَشْلِ اللَّهِ وَرِرْحَمْدِهِ فَبِلَالِكَ فَلَيْفَرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَ يِفَسِلِ اللهِ وَرِحَتَيرِ ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن لبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وهلال بن يساف. وروي عن الحسن، ومجاهد في بعض الرواية عنهما، وبه اختيار ابن قتيبة. والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري، والحسن في رواية. والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد على رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر. والخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك، وزيد بن أسلم، وابنه، ومقاتل. والسادس: أن فضل الله ورحمته: القرآن، ورحمته: الشبّة، ورحمته: الشبّة، في القرآن، ورحمته: الترفيق، ورحمته: المصمة، قاله ابن عيبنة.

قوله تعالى: ﴿ فَيَدَالِكَ مَلَيْدَرُحُوا ﴾ وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو مجلز، وقتادة، وأبو العالية، ورويس عن يعقوب: «فلتفرحوا» بالتاء. وقرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل مثل ذلك، إلا أنهم كسروا اللام، وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «فبذلك فافرحوا». قال ابن عباس: بذلك الفضل والرحمة. ﴿ هُوَ خَيْرٌ بِتَا يَجْمَونَ ﴾ أي: مما يجمع الكفار من الأموال. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس: «تجمعون» بالتاء. وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله: ﴿ بِلَمَتْ لِللَّهِ عَبْر لاسم مضمر، تأويله: هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته، فبذلك التطوّل من الله فلفرحوا.

﴿ قُلُ أَرَةً بِتُنْدُ مَّا أَنــَزَلَ اللَّهُ لَكُمْ يَمِن رِزْقِ فَجَمَلَتُم يِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلُا قُلْ ءَاللَّهُ أَذِبَ لَكُمُّ أَدْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿ وَ اللَّهُ لَكُمْ مِن رِزْقِ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار قريش، كانوا يحرَّمون ما شاؤوا، ويُحلُّون ما شاؤوا. و ﴿ أَنــَزَلَ ﴾ بمعنى خلق. وقد شرحنا بعض مذاهبهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة والسائبة

قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِكَ لَكُمْ ﴾ أي: في هذا التحليل والتحريم.

وغير ذلك في [المائدة: ١٠٣] و [الأنمام: ١٣٩].

﴿ وَمَا ظَنَّ الَّذِيرَ ۚ يَمْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَـٰذِبَ بَيْمَ الْقِينَمَةُ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَفْسِلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۖ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُ الَّذِينَ يَنْتُرُنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، ﴿ إِنَ اللَّهَ لَذُو نَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ حين لم يعجِّل عليهم بالعقوبة ﴿ وَلَئِكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ تأخير العذاب عنهم.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنِ وَمَا نَنْلُواْ مِنْهُ مِن ثُرَمَانٍ وَلَا مَتْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُو شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيدُ وَمَا يَمْرُبُ عَن زَلِكَ مِن مِنْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِنْبِ شَبِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَكُونُ فِي شَأْنِ ﴾ أي: في عمل من الأعمال، وجمعه: شؤون. ﴿وَمَا نَتَوُا مِنَهُ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الشأن. قال الزجاج: معنى الآية: أي وقت تكون في شأن من عبادة الله، وما تلوت من الشأن من قرآن. والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى: وما تلوت مِنَ الله، أي: من نازل منه من قرآن، ذكره جماعة من العلماء. والخطاب للنبي ﷺ، وأمته داخلون فيه، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَمْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ قال ابن الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُوْيِمُونَ نِيدٍ ﴾ الهاء عائدة على العمل. قال ابن قتيبة: تفيضون بمعنى تأخذون فيه. وقال الزجاج: تنتشرون فيه، يقال: أفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه وخاضوا. ﴿وَمَا يَمْرُبُ ﴾ معناه: وما يبعد. وقال ابن قتيبة: ما يبعد ولا يغيب. وقرأ الكسائي «يعزِب» بكسر الزاي هاهنا وفي [سا: ١٣]. وقد بينا «مثقال ذرة» في سورة [الساه: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا آَشَفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما. وقرأ حمزة، وخلف، ويعقوب، برفع

الراء فيهما. قال الزجاج: مَنْ قرأ بالفتح، فالمعنى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرَّةٍ، ولا مثقالَ أصغرَ من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فُتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿إِلَّا فِي كِننَي تُبِينِ ﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ.

﴿ أَلَا إِنَ أَوْلِنَاتَهُ اللَّهِ لَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلبُمْرَىٰ فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنِنَا وَفِ ٱلْآخِرَةُ لَا بَدِيلَ لِكِلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْمُتَرَىٰ فِي ٱلْمَيَوْةِ ٱلدُّيِّا﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرى له، رواه عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة عن النبي ﷺ والثاني: أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت، قاله الضحاك، وقتادة، والزهري. والثالث: أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه، كقوله: ﴿وَيَثِيرُ اللَّهِ عَامَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْهَنَّةِ ﴾ [نصلت: ٣٠]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾ [التربة: ٢١]، وهذا قول الحسن، واختاره الفراء، والزجاج، واستدلا بقوله: ﴿لاَ بَيْرِيلَ لِكَلْمَتُ اللَّهُ ﴾. قال ابن عباس: لا تُحلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدّل الكلمات، لم تبدّل المواعيد. فأما بشراهم في الآخرة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنه عند خروج الروح تبشّر برضوان الله، قاله ابن عباس. والثالث: أنها عند الخروج من قبورهم، قاله مقاتل (٥).

﴿ وَلَا يَصْزُنكَ فَوْلَهُمْ إِنَّ ٱلْمِدَّةَ لِلَّهِ جَمِيمًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيدُ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصْرُنكَ فَرَلْهُدَ﴾ قال ابن عباس: تكذيبهم. وقال غيره: تظاهرهم عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم. وتم الكلام هاهنا. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ الْوَسِزَةَ لِنَّهِ جَيِيمًا ﴾ أي: الغلبة له، فهو ناصوك وناصر دينك، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم: ﴿الْمَلِيمُ﴾ لقولهم: ﴿الْمَلِيمُ﴾ بإضمارهم، فيجازيهم على ذلك.

﴿ أَلَا إِنَ لِيَّهِ مَن فِي السَّمَنوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشَيعُ الَّذِينَ يَـلَـعُونَ مِن دُوْبِ اللَّهِ شُرُكَآءً إِن يَـلَّيمُونَ إِلَّا اللَّمَةِ وَإِن هُمُ إِلَّا يَخْرُمُونَ ﴾ الظَّـنَ وَإِن هُمُم إِلَّا يَخْرُمُونَ ﴾

 ⁽١) • الطبري، ١٢٠/١٥ مرسلاً، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٤٢٢ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وخرجه السيوطي في
 • اللد، ٣ / ٢٠٩ وزاد نسبته إلى المبارك، والحكيم الترمذي في «توادر الأصول»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مروديه عن
 ابن عباس.

 ⁽٣) انظر رواية الحديث عن هؤلاء الصحابة في الطبري، ١٥/ ١٢٥_ ١٤٠ والدر، ١٢١٣_ ٣١١.

⁽٤) •الطبري، ١٥/ ١٣١، والسيوطي في «الدر، ٣/ ٣١١ وزاد نسبته لأبي الشيخ، وابن مردويه.

قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله _ تمالى ذكره _ أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا، المناب المرافقة إلى المناب المرافقة الله المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسول الله علي من الثواب الجزيل، وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى ولن مناب المناب من الله عنه من المرافقة المناب المناب المرافقة المناب المرافقة المناب وأما في الأخرة فالجنة.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ قال الزجاج: «ألا» افتتاح كلام وتنبيه، أي: فالذي هم له، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَمِعُ الَّذِينَ يَدَعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآءً﴾ أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة، لأنهم يعدُّونها شركاء لله شفعاء لهم، وليست على ما يظنون. ﴿إِن يَنَّيْمُونَ إِلَّا اَلظَنَّ﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ هُمَّ إِلَّا يَتُوْمُمُونَ﴾ قال ابن عباس: يكذبون. وقال ابن قتية: يجدسون ويحزرون.

﴿ مُوَ الَّذِى جَمَلَ لَكُمُ الَّبَلَ لِشَكْنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُتِمِدًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنتِ لِقَوْرِ بَسْمَعُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْيَتَلَ لِلسَّكُنُوا فِيهِ ﴾ المعنى: إن ربكم الذي يجب أن تعتقدوا ربوبيته، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، فيزول تعب النهار وكلاله بالسكون في الليل، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً تبصرون فيه. وإنما أضاف الإبصار إليه، لأنه قد فهم السامع المقصود، إذ النهار لا يبصر، وإنما هو ظرف يفعل فيه غيره، كقوله: ﴿ عِيثَةِ زَائِيتَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١]، إنما هي مرضية، وهذا كما يقال: ليل نائم، قال جرير:

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيلانَ في السُّرى ونمتِ وما ليلُ المطيُّ بنائم (١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَتِ لِتُورِ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع اعتبار، فيعلمون أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر.

﴿ ثَالُوا اتَّخَكَذَ اللّهُ وَلَكُمّا سُبْحَنَكُم هُوَ النَّذِينَ لَهُ مَا فِ السَّمَكَوْتِ وَمَا فِي الأَرْضُ إِنْ عِندَكُم مِن شُلطَنَنِ بَهَنَا الْتَقُولُونِ عَلَى اللّهِ مَا لَا تَمْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّ الّذِينَ بَعْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ لَا بَعْلِمُونَ ۞ مَتَعٌ فِي الدُّنْيَ ثُمَّ إِلَيْنَا مَهْجِمُهُمْ ثُمَّ لُدِيقُهُمُ الْمَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا بِكُفُرُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ اتَّخَكَ اللَّهُ وَلَكُا ﴾ قال ابن عباس: يعني أهل مكة، جعلوا الملائكة بنات الله.

قوله تمالى: ﴿ سُبْحَنِيمُ ﴾ تنزيه له عما قالوا. ﴿ هُوَ ٱلنَّنِيُّ ﴾ عن الزوجة والولد. ﴿ إِنَّ عِندَكُمُ ﴾ أي: ما عندكم ﴿ مِن سُلطَنِي ﴾ أي: حجة بما تقولون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُمُلِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يبقون في الدنيا. والثاني: لا يسعدون في العاقبة. والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف التمام، وقوله: ﴿مَنَتُم فِي الدُّنِيَا﴾ مرفوع على معنى: ذلك متاع في الدنيا.

﴿ ﴾ وَاثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُرِجٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ. يَنَقُورِ إِنْ كَانَ كَبُرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِى وَتَذَكِيرِى بِعَابَتِ اللّهِ فَمَــَلَ اللّهِ قَوَحَـَـَكُمْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرُكَآءَكُمْ ثُمْرَ لَا يَكُنْ أَثْرَكُمْ عَلَيْكُرْ خُمُنَةً ثُمْرً الْفَضُواْ إِلَّى وَلَا نُظِرُونِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَاتُلُ عَلَيْمٌ نَبَأَ نُرِجٍ ﴾ فيه دليل على نوبته، حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب، وتحريضٌ على الصبر، وموعظة لِقومه بذكر قوم نوح وما حلَّ بهم من العقوبة بالتكذيب.

قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرُ ﴾ أي: عَظُم وشَقَ ﴿عَلَيْكُم مَّقَابِي ﴾ أي: طول مكثي. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «مُقامية برفع الميم. ﴿وَتَلْكِيرِي ﴾ وعظي. ﴿فَعَلَى اللّهِ تَوَكُلْتُ ﴾ في نصرتي ودفع شركم عني. ﴿فَأَجْهُوا الْبِهِ وَرَا الجمعوا اللّهِ وَوَى الأصمعي عن نافع ؛ الفاجمعوا المنح أَنْرَكُم ﴾ قرأ الجمعت عن نافع ؛ الفاجمعوا الميم، مِن «أجمعت». وروى الأصمعي عن نافع ؛ الفاجمعوا الميم، مِن «أجمعت». ومعنى «أجمعوا أمركم»: أحكِموا أمركم واعزموا عليه. قال المؤرِّج: «أجمعت الأمر» أفصح من «أجمعت عليه»، وأنشد:

يا ليتَ شِعرِي والمنى لا تنفَعُ هل أَغْدُونْ يوماً وأمري مُجْمَعُ (٢)

فأما رواية الأصمعي، فقال أبو علي: يجوز أن يكون معناها: اجمعوا ذوي الأمر منكم، أي: رؤساءكم. ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم الذي يكيدون به، فيكون كقوله: ﴿ فَأَجِّعُوا كَبَّدُكُمْ ثُمَّ آتَتُوا صَفّاً ﴾ [طه: ٦٤].

⁽١) ﴿ وَوَالْهَا ٤٥٤ مِنْ قَصِيدَةَ لَهُ طُويلَةَ أَجَابِ بِهَا الفَرَزَدَقّ، وَالطَّبْرِيَّ ١/ ١٤٤، وأمجاز القرآلَّ ١/٢٧٦، واسيبويه ١/ ٨٠، والخزانة ١/ ٢٢٣.

⁽٢) الرجز غير منسوب في النوادر أبي زيد، ٢٧٦، والمعاني القرآن، للفراء ١٤٨/١، والطبري، ١٤٨/١٥، والأضداد، لابن الأنباري ٤١، واأمالي المرتضى، ١٩٥١، والصحاح، واللسان، جمع.

قوله تعالى: ﴿ رَشُرُكَاءَكُمُ ﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المعنى: وادعوا شركاءكم. وقال الزجاح: الواو هاهنا بمعنى «مع»، فالمعنى: مع شركائكم. تقول: لو تُركت الناقة وفصيلها لرضعها، أي: مع فصيلها. وقرأ يعقوب: «وشركاؤكم» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّرَ لَا يَكُنُ أَتُرُكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُم عَلَيْكُم الله ابن عباس. والثاني: غما عليكم، كما تقول: ﴿ ثُمَّ أَنْضُوا إِلَيْ ما في أَنفسكم، قاله مجاهد. والثاني: افعلوا ما تريدون، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: معناه: اقضوا إليَّ بمكروهكم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون: مات ومضى.

﴿ فَإِن قَوْلَتُمْتُمْ مُنَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَ اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الشّنيلِينَ ۞ مَكَذَبُوهُ مَنجَنَتُهُ وَمَن مَعَمُ فِى الْفُلُكِ وَجَمَلْنَهُمْ خَلَتُهِمْ وَأَغْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَايَدِينَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْبَهُ الْلُنَذِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَرَلَّتُمُ أَي: أعرضتم عن الإِيمان. ﴿ فَمَا سَأَلَنكُم فِن أَجْرٌ ﴾ أي: لم يكن دعائي إياكم طمعاً في أموالكم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ حرَّك هذه الياء ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَهُمْ خَلَتَهِنَـ﴾ أي: جعلنا الذين نَجَوْا مع نوح خَلَفاً ممن هلك.

﴿ ثُمَّ بَمَثْنَا مِنْ بَمْدِهِ. رُسُلًا إِلَى قَرْمِهِمْ فَمَاءُومُم بِالْمَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا مِيا كَذَبُوا بِدِ. مِن فَبَلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُمْتَدِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَهَنَا مِنْ بَعْدِهِ أَي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ فَرْبِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً. ﴿ فَا أَنُوهُمُ إِلْبَيْنَتِ ﴾ أي: بان لهم أنهم رسل الله. ﴿ فَا كَانُوا ﴾ أي: أولئك الأقوام ﴿ لِيُؤْمِنُوا مِن كَنَّرُا ﴾ يعني الذين قبلهم. والمراد: أن المتأخرين مَضَوًا على سَنَن المتقدِّمين في التكذيب. وقال مقاتل: فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبوا به من العذاب من قبل نزوله.

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ ﴾ أي: كما طبعنا على قلوب أولئك، ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَنَ قُلُوبِ ٱلْمُمْتَذِينَ ﴾ يعني المتجاوزين ما أمروا به.

﴿ ثُمَّ بَمَثْنَا مِنْ بَمْدِهِم مُّومَن وَهَنُرُونَ ۚ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَانِذِهِ يَعَائِنِنَا فَاسْتَكْتَبُواْ وَكَافُواْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَمَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ﴾ يعنى الرسل الذين أرسلوا بعد نوح.

﴿ وَلَمُنَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِخَرُّ شَمِينٌ ۞ قَالَ مُوسَىٰ آنَتُولُونَ لِلَحَقِ لَنَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ وَلَا يُغْلِحُ السَّجُرُونَ ۞ قَالُواْ أَجِثْتَنَا لِنَلْفِنَنَا عَنَا وَبَهُونَ قَلَيْهِ مَائِمَانَا وَتَكُونَ لَكُمَّا الْكِثْرِيَاهُ فِي الْأَرْضِ وَمَا غَنْ لَكُمَّا بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْثُ الْتُمُونِ بِكُلِّ سَيْحِي عليه ﴿ ۞ مَلْنَا جَنَةُ السَّحَرُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ الْقُوا مَا أَشُهُ مُلْفُونَ ۞ فَلَمَّا الْقَوَا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِمَنْتُد بِهِ السِّحَرُّ إِنَّ اللهُ سَيُبْطِلُهُمْ إِنَّ الله لا يُشلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۞ رَجُقُ اللهُ الْحَقَّ بِكُلِمَنْدِهِ. وَلَوْ كَوْ الشَّحْرِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ نَلَنَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو ما جاء به موسى من الآيات.

قوله تعالى: ﴿ أَسِحُرُ هَنَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ، وهو قولهم: ﴿ إِنَّ هَلَنَا لَسِحُرُ شُبِنُ ﴾. ثم قررهم فقال: ﴿ أَسِحُرُ هَلَا ﴾؟ قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة تفظيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزةٌ، فيقول: أحقُّ ما أرى؟ معظماً لما ورد عليه. وقال غيره: تقدير الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم: هو سحر؟ أسحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿ إِذَا جَاءَ وَعَدُ ٱلْآخِرَةَ لِيسَمِّقُوا وَبُومَكُمْ الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِئَنَا﴾ قال ابن قتيبة؛ لتصرفنا. قال: لفتُ فلاناً عن كذا: إذا صرفته. ومنه الالتفات، وهو الانصراف عما كنت مقبلاً عليه. قوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَةَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وروى أبان، وزيد عن يعقوب: ﴿ويكون لكما﴾ بالياء. وفي المراد بالكبرياء ثلاثة أقوال: أحدها: الملك والشرف، قاله ابن عباس. والثاني: الطاعة، قاله الضحاك. والثالث: العلق، قاله ابن زيد. قال ابن عباس: والأرض هاهنا: أرض مصر.

قوله تعالى: ﴿ يُكُلِّ سُنِيرٍ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ابكل سحَّار؛ بتشديد الحاء وتأخير الألف.

قوله تعالى: ﴿ المحترَّ بِهِ السِّحرُ ﴾ قرأ الأكثرون «السحرُ» بغير مدّ، على لفظ الخبر، والمعنى: الذي جئتم به من الحبال والعصيّ، هو السحر، وهذا ردٌ لقولهم للحق: هذا سحر، فتقديره: الذي جئتم به السحر، فدخلت الألف واللام، لأن النكرة إذا عادت، عادت معرفة، كما تقول: رأيت رجلاً، فقال ليّ الرجل. وقرأ مجاهد، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وأبان عن عاصم، وأبو حاتم عن يعقوب: «السحر» بمدّ الألف، استفهاماً. قال الزجاح: والمعنى: أي شيء جئتم به؟ أسحر هو؟ على جهة التوبيخ لهم. وقال ابن الأنباري: هذا الاستفهام معناه التعظيم للسحر، لا على سبيل الاستفهام عن الشيء الذي يُجهل، وذلك مثل قول الإنسان في الخطأ الذي يستعظمه من إنسان: أخَطَأُ هذا؟ أي: هو عظيم الشأن في الخطأ. والعرب تستفهم عما هو معلوم عندها، قال امرؤ القيس:

وأنَّكِ مهما تأمري القلبَ يَفْعَلِ(١)

أغررُكِ منتَّى أنَّ حُربَّكِ قساتسلسي وقال قيس بن ذريح:

بذي الطّلح أم لا ما لَهُنَّ رجوعُ(٢)

"أراجعةً يا لُبِنَ أيامنا الألى

فاستفهم وهو يعلم أنهن لا يرجعن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ سَيُبَطِلُهُمُ ﴾ أي: يهلكه، ويُظهر فضيحتكم، ﴿إِنَّ اللَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُنْسِدِينَ ﴾ لا يجعل عملهم نافعاً لهم. ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾ أي: يظهره ويمكّنه، ﴿بِكَلِمَنهِم ﴾ بما سبق من وعده بذلك.

﴿ وَمَا اللّهُ اللهُ وَكُنّا رَبّنا لا جَمْلنا فِتْنَهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ الله الذين المواد بالذية هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالذية: القليل، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، مات آباؤهم لطول الزمان، وآمنوا هم، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: هم الذين نشؤوا مع موسى حين كف فرعون عن ذبح المغلمان. قال ابن الأنباري: وإنما قيل لهؤلاء: «ذرية الأنهم أولاد الذين بُعث إليهم موسى، وإن كانوا بالغين. والثالث: أنهم قوم، أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، قاله مقاتل، واختاره الفراء. قال: وإنما سُمُّوا ذريةً كما قيل لأولاد فارس: الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. وفي هاء «قومه قولان: أحدهما: أنها تعود إلى موسى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فعلى القول الأول يكون قوله: ﴿ عَلَى خَرِّنِ يَن فِرْعَوْنَ وَمَلِانِهِمَ وَاللهُ اللهِ عَن اللهُ وَمِوْنَ وَاحْد، لأن الملك إذا ذُكر ذهب الوهم إليه أي: وملأ فرعون. قال الفراء: وإنما قال: ﴿ وَمَلِانِهِمَ ﴾ بالجمع، وفرعون واحد، لأن الملك إذا ذُكر ذهب الوهم إليه وإلى من معه، تقول: قدم الخليفة فكثر الناس، تريد: بمن معه، وقد يجوز أن يريد بفرعون: آل فرعون، كقوله: ﴿ وَسَكِل

ٱلْقَرْيَكَ﴾ [برسف: ٨٦]. وعلى القول الثاني يرجع ذِكر الملأ إلى الذرية. قال ابن جرير: وهذا أصح، لأنه كان في الذرّيةَ من أبوه قبطي وأمُّه إسرائيلية، فهو مع فرعون على موسى.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْنِنَهُرُ ﴾ يعني فرعون، ولم يقل: يفتنوهم، لأن قومه كانوا على مَن كان عليه. وفي هذه الفتنة قولان: أحدهما: أنها القتل، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا فِرْعَوْكَ لَمَالِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: متطاول في أرض مصر ﴿ وَإِنَّهُ لَينَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ حين كان عبداً فادّعى الربوبيَّة.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنُمُ ءَامَنَمُ بِاللّهِ فَكَتِهِ تُوكُلُوا ﴾ لما شكا بنو إسرائيل إلى موسى ما يهلدُهم به فرعون من ذبح أولادهم، واستحياء نسائهم، قال لهم هذا. وفي قوله: ﴿لاَ جَعَلْنَا يَشَنَهُ ثلاثة أقوال: أحدها: لا تهلكنا بعذاب على أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من قِبَلك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عُذّبوا ولا سُلَّطْنا عليهم. والثاني: لا تسلَّطهم علينا فيفتنونا، والقولان مرويان عن مجاهد. والثالث: لا تسلَّطهم علينا فيفتنون بنا، لظنهم أنهم على حق، قالو أبو الضحى، وأبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿أَن تَبَوَّا لِتَوْيكُنَا بِيمْرَ بُبُونًا ﴾ قال المفسرون: لما أرسل موسى، أمر فرعونُ بمساجد بني إسرائيل فُخرِّبت كلَّها، ومُنعوا من الصلاة، وكانوا لا يصلَّون إلا في الكنائس؛ فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلُّون فيها خوفاً من فرعون. و «تبوَّا معناه: اتخذا، وقد شرحناه في اللامراف؛ ١٧٤. وفي المراد بمصر قولان: أحدهما: أنه البلد المعروف بمصر، قاله الفسحاك. والثاني: أنه الإسكندرية، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَلَبْمَكُوا بِيُرْدَكُمُ فِيسَلُهُ أَربعة أقوال: أحدها: انها المساجد، والشافي: القصور، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَلَبْمَكُوا بِيرْدَكُمُ فِيسَلُهُ أَربعة أقوال: أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهد، وعكرمة، والفحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي، وابن زيد. وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقيل لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة بدلاً من المساجد. والثاني: اجعلوها فيبل القبلة، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قبل مكة. وقال مجاهد: أمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة، وبه قال معيد بن ابن عباس. وروى الفحاك عن ابن عباس، قال: قبل معنها بعضاً، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سعيد بن مقال، وقتادة، والفراء. والثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضاً، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قاله ابن بحر. فإن جبير. والرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر. فإن قبل: البيوت جمع، فكيف قال: «قبلة» على التوحيد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: من قال: المراد بالقبلة الكعبة، قال: ويجوز أن يكون أراد: اجعلوا بيوتكم قبلاً، فاكتفى بالواحد عن الجمع، كما قال العباس بن مرداس:

فــقــلــنــا أشــلِــمُــوا إِنّـا أخــوكــم فــقــد بـرئــت مــن الإحــن الــــــدورُ

يريد: إنا إخوتكم. ويجوز أن يكون وحّد «قبلة» لأنه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله، وقصداً لما كنتم تستعملونه في المساجد. ويجوز أن يكون وحّدها، والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئاً قبلة، ومكاناً قبلة، ومحلة قبلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوَةُ﴾ قال ابن عباس: أتموا الصلاة ﴿وَيَشِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنت يا محمد. قال سعيد بن جبير: بشَّرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَّا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْرَكَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَلًا﴾ قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت.

قوله تعالى: ﴿لِيَضِلُوا عَن سَبِيلِكَ، وفي لام ﴿ليَضِلُوا، أربعة أقوال: أحدها: أنها لام ﴿كَي، والمعنى: آتيتهم ذلك كي يضلوا، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها لام العاقبة، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال، ومثله قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُرٌ عَدُونًا ﴾ [التصص: ١٦]ي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً، لا أنهم قصدوا ذلك، وهذا كما تقول للذي كسب مالاً فأدًاه إلى الهلاك: إنما كسب فلان لحتف، وهو لم يكسب المال طلباً للحتف، وأنشدوا:

ولسخراب يُسجِد السناسُ عسمرانا

ولسلسمسنسايسا تُسربِّسي كسلُّ مُسرُّضِعَةٍ وقال آخر:

كما لخراب الذُّور تُبنى المسَاكِنُ

وللموتِ تنغفُو الوالداتُ سِخالَها

فإن يكسن السموتُ أفسناهم فللسموت ما تَعلِدُ الوالده

أراد: عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك، هذا قول الزجاج. والثالث: أنها لام الدعاء، والمعنى: ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنها لام أجل، فالمعنى: آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم، ومثله قوله: ﴿سَيَعْلِئُونَ بِاللّهِ لَكُمُ إِذَا انْقَلَبَتُدَ إِلَيْهِمَ لِتُعْرِضُواْ عَبْهُم التوبة: ٩٥] أي: لأجل إعراضكم، حكاه بعض المفسرين. وقوأ أهل الكوفة إلا المفضل، وزيد، وأبو حاتم عن يعقوب: ﴿ليُضِلُوا» بضم الياء، أي: ليُضلُوا غيرهم.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا أَطْسَ ﴾ روى الحلبي عن عبد الوارث: «اطمُس» بضم الميم ﴿عَلَىٰ آهُولِهِم ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنها جُعلت حجارة، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والفراء. وقال القرظي: جُعِل سُكِّرُهم حجارة. وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة. وقال مجاهد: مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات النسع. وقال الزجاج: تطميس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها. والثاني: أنها هلكت، فالمعنى أهلك أموالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، ومنه يقال: طُمست عينه، أي: ذهبت، وطُمس الطريق: إذا عفا ودرس. وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مُلُوبِهِم ﴾ أربعة أقوال: أحدها: اطبع عليها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أهلكهم كفاراً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: المدد عليها بالضلالة، قاله مجاهد. والرابع: أن معناه: قس قلوبهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ فيه قولان: أحدهما:أنه دُعَاء عليهم أيضاً، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، قاله الفراء، وأبو عبيدة، والزجاح. وقال ابن الأنباري: معناه: فلا آمنوا، قال الأعشى:

فلا ينْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوى ولا تَسلُسَة ني إِلَّا وأنسفُكَ راغِسمُ(١)

معناه لا انبسط، ولا لُقيتني. والثاني: أنه عطف على قوله: ﴿لِيَضِلُوا عَن سَبِيلِكَ»، فالمعنى: أنك آتيتهم ليَضلُّوا فلا يؤمنوا، حكاه الزجاج عن المَيرِّد(٢).

قوله تعالى: ﴿ حَتَىٰ بَرُوا الْمَدَابَ الْأَلِمَ ﴾ قال ابن عباس: هو الغرق، وكان موسى يدعو، وهارون يؤمِّن، فقال الله تعالى: ﴿ مَنْ كُمُا الله على الله على على على على على على على على على يعول كما بينًا في الاعراف: ١٥٨] وهما معنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دَعَواتٍ وكلامٍ يطول كما بينًا في الاعراف: ١٥٨] أن الكلمة تقع على كلمات، قال الشاعر:

وكسان دعسا دعسوة قسوم سه هلم إلى أمسركسم قسد صسرم (٣)

فأوقع «دعوة» على ألفاظ بيَّنها آخر بيته. والثاني: أن يكون المعنى: قد أُجيبت دعواتكما، فاكتفى بالواحد من ذِكر الجميع، ذكر الجوابين ابن الأنباري. وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ «دَعَواتُكما» بالألف وفتح العين. والثالث: أن موسى هو الذي دعا، فالدعوة له، غير أنه لما أمَّن هارون، أشرك بينهما في الدعوة، لأن التأمين على الدعوة منها. وفي قوله: ﴿ فَآسَتَيْسَا﴾ أربعة أقوال: أحدها: فاستقيما على الرسالة وما أمرتكما به، قاله أبو صالح عن

⁽١) "ديوانه؛ ٥٨ من قصيدته في هجاء يزيد بن مسهر الشيباني، و(الطبري) ١٨٣/١٥.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري ١٥/ ١٨٥: والصواب من القول في ذلك، أنه في موضع جزم على الدعاء، بمعنى (فلا آمنوا)، وإنما اخترت ذلك، لأن ما قبله دعاء وذلك قوله: ﴿رَبُّنَا الْمِيسَ عَلَىٰ آمَرُلِهِمَر وَاشْدُدَ عَلَى تُتْرِيهِمَ ﴾ فإلحاق قوله: ﴿وَقَلَ يُؤْيِمُوا﴾ إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى.

⁽٣) البيت لأعشى قيس، (ديوانه: ٤٣، و(مجاز القرآن) ١/٨٠٪، و(الطبري، ٨/٧٧، و(الفرطبي؛ ٧/٨٥٨، و(اللسان) و(التاج): ربع.

ابن عباس. والثاني: فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعة الله، قاله ابن جرير. والثالث: فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه. والرابع: فاستقيما على ديني، ذكرهما أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ نَيْمَانِكِ قُواْ الأكثرون بتشديد تاء فتتّبعانً ». وقرأ ابن عامر بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون فتتّبعان » إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكّدة ، وكُسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها ، واختير لها الكسر لانها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين. قال أبو علي: ومن خفض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة ، فإن شئت كان على لفظ الخبر ، والمعنى الأمر ، كقوله : ﴿ يَرَبِّهُ وَمِن خَفْض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة ، فإن شئت كان على لفظ الخبر ، والمعنى الأمر ، كقوله : ﴿ يَرَبُّهُ وَالبِّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّه

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْهَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُو ﴾ قال أبو عبيدة. أتبعهم وتبعهم سواء. وقال ابن قتيبة: أتبعهم: لحقهم. ﴿ بَنْكَا وَعَدْواً ﴾ أي: ظلماً. وقرأ الحسن (فاتبعهم) بالتشديد، وكذلك شددوا (عُدُوّاً) مع ضم العين.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا آذرَكَهُ ٱلْنَرَى قَالَهُ مَاسَتُ أَنَّهُ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر وأنه بفتح الألف، والمعنى: آمنت بأنه. فلما حُذف حرف الجر، وصل الفعل إلى وَأَنَّ فَنُصب. وقرأ حمزة والكسائي وإنه بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، كأنه قال: آمنت، فقلت: إنه. قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب. قال ابن الأنباري: جنح فرعون إلى التوبة حين أُغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملائكة، فقيل له: ﴿مَآلَتَنَهُ أَي الأن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عَلَي والمخاطِب له بهذا أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عَلَي والمخاطِب له بهذا كنان جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون خشية أن يُغفر له (١٠). قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرَّخاء يذكر عم في الشدة، إن يونس عَنِي كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع بطن الحوت سأل الله، فقال الله: ﴿مَالَنَ اللهُ عَل اللهُ عَل الما الله عَل الله الله عَل الله الله عَل الما الله الله عَل الله عَل الله عَل الله عَلَي الله عَلَا الله عَلَي الله عَلَى الما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَالَن وَلَا عَلَه عَلَيْه الله عَلَى الله عَله الما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَالَن وَلَا عَله عَله عَل الله عَل الله عَله الله عَل الله عَله الله عَلَا الله عَل الله عَلَا الله عَلَا الله عَل الله عَلى الله علله الله عَلَا الله عَلَا الله الله الله الله المن المور عن كان عبداً طاغياً ناسياً الذي الله عالم الدرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَالَن وَلَا عَلَا الله عَل الله الله الله المؤل الله الله المؤل الله الله عَل عنه المؤل الله عَل المؤل الله عَل الله عنه المؤل الله عنه المؤل المؤل الله عنه المؤل الله عنه المؤل المؤلك المؤل المؤل المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤل المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك المؤلك ا

قوله تعالى: ﴿ اللّٰهِ عَلَيْ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

⁽۱) • المسنده ۱٦/٤، ونقله ابن كثير في التفسير ٢ / ٣٠ من الطيالسي، وقال: وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضاً، وابن جرير أيضاً من غير وجه عن شعبة، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. ورواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٤٠ وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي.

مثلها. فأما وجهه فقد غيره سُخُطُ الله تعالى. والثالث: أنه كان يدَّعي أنه ربِّ، وكان يعبده قوم، فبين الله تعالى أمره، فأخرقه وأصحابه، ثم أخرجه من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿ بِلَدَنِكَ البعة أقوال: أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح. والثاني: بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرِف بدرعه. والثالث: نلقيك عرباناً، قاله الزجاج. والرابع: ننجيك وحدك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: ﴿ لِنَكُوكَ لِمَن خَلْفَ مُ لَذَلُهُ ثَلَالُهُ أَقُوال: أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقالتك، فإنك لو كنت إلها ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: اخلفك، بمعنى بعدك، والآية: العلامة. والثاني: لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي. والثالث: لمن تخلف من قومه، الأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان: أحدهما: عبرة للناس. والثاني: علامة تدل على غرقه، وقال الزجاح: الآية أنه كان يدَّعي أنه ربَّ، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ بن السميفع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لمن خلقك﴾ بالقاف.

﴿ وَلَقَدْ بَوْأَنَا بَنِى إِسْرَى بَلَ مُنَوَّا صِدْقِ وَرَزَفْنَهُم مِنَ الطَّيِبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَنَّى بَآهَهُمُ الْفِلَأَ إِنَّ رَبِّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ فِيمَا كَافُوا فِيهِ يَخْنَلِفُونَ ۞ فَإِن كُنتَ فِي شَكِّ مِثَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَئْلِ اللّذِينَ يَقْرَمُونَ الْكِتَبَ مِنَ الْمُمْتَوِنَ ۞ وَلَا تَكُونَنَ مِنَ الّذِينَ كَذَبُوا بِنَايَتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَسِرِينَ ۞ إِنَّ اللّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِيتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتُهُمْ كُلُ ءَايَهِ حَتَى يَرُوا الْمَدَابَ الْأَلِيمَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَدُ بَوْأَنَا بَنِى إِسْرَابِكَ﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق، أي منزلاً كريماً. وفي المراد ببني إسرائيل قولان: أحدهما: أصحاب موسى. والثاني: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال: أحدها: أنه الأردن، وفلسطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الشام، وبيت المقدس، قاله الضحاك وقتادة. والثالث: مصر، روي عن الضحاك أيضاً. والرابع: بيت المقدس، قاله مقاتل. والخامس: ما بين المدينة والشام من أرض يشرب، ذكره علي بن أحمد النسابوري. والمراد بالطيبات: ما أحل لهم من الخيرات الطيبة. ﴿ فَنَا آخَتَلَوُا ﴾ يعني بني إسرائيل. قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدّقين، ﴿ حَتَى جَاءهم ألعلم، وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلى العلم، يعني محمداً. فعلى هذا يكون العلم هاهنا: عبارة عن المعلوم. وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلفوا في تصديقه، وكفر به أكثرهم بغياً وحسداً بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهوره.

قوله تعالى: ﴿ نَسْنَلِ ٱلَّذِينَ يَتْرَوُنَ ٱلْكِتَبُ مِن قَبَلِكُ ﴾ وهم اليهود والنصارى. وفي الذين أمر بسؤالهم منهم قولان: أحدهما: من آمن، كعبد الله بن سلام، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أهل الصدق منهم، قاله الضحاك، وهو يرجع إلى الأول، لأنه لا يَصْدق إلا من آمن.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآدَكَ ٱلْحَقُّ مِن زَّبِكَ﴾ هذا كلام مستأنف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلَّذِينَ حَقَّتُ﴾ أي؛ وجبت ﴿عَلَيْمٍ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي؛ قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال: أحدها: باللعنة. والثاني: بنزول العذاب. والثالث: بالسَّخط. والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتُهُمْ كُلُ ءَايَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أنَّث فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة. ﴿فَلَوَلَا كَانَتْ فَرَيَةً ءَامَنَتْ فَنَغَمَهَا ۚ إِيمَنْهُمْ ۚ إِلَّا فَوَمَ يُولُسُ لَـقًا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْغِزْيِ فِي ٱلْحَيْوَةِ ٱلدُّنِا وَمُثَعَنَّكُمْ إِلَى حِينِ ﴿ ۖ ﴾

قُولُه تعالى: ﴿ فَاتُولَا كَانَتْ قَرْيَةً مَامَنَتُ ﴾ أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لم تكن قرية آمنت عند نزول ﴿ فَنَعَهَا إِينَهُا ﴾ أي: قُبِلَ منها ﴿ إِلّا قَرْمَ يُولُسُ ﴾ قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس. والشاني: أنها بمعنى: فهلا ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلا كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و ﴿ إِلا * هاهنا استثناء ليس من الأول ، كانه قال: لكن قوم يونس. قال الفراء: نُصب القوم على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أن ﴿ ما * بعد ﴿ إِلا * في الجحد يتبع ما قبلها ؟ تقول ، ما قام أحد إلا أخوك ، فإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً ، نصبت ، لانقطاعهم من الجنس ، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء ، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً . وذكر ابن الأنباري في قوله: ﴿ إِلا * قولين آخرين: أحدهما: أنها بمعنى الواو ، والمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا ابن الأنبار إلا قوم يونس لما قديره: حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع .

قوله تعالى: ﴿ كَثَمْنَا عَنَهُمْ ﴾ أي: صرفنا عنهم ﴿عَذَابَ ٱلْمِزْيِ ﴾ أي: عذاب الهوان والذل ﴿ وَمَتَّنَكُمُ إِلَى حِينِ ﴾ أي: إلى حين آجالهم.

الإشارة إلى شرح قصتهم

ذكر أهل العلم بالسُّير والتفسير أن قوم يونس كانوا بـ (نينوى) من أرض الموصل، فأرسل الله على إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام، فأبوا، فأخبرهم أن العذاب مصبِّحهم بعد ثلاث، فلما تغشَّاهم العذاب، قال ابن عباس، وأنس: لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل، وقال مقاتل: قدر ميل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حرُّ العذاب على أكتافهم، وقال سعيد بن جبير: غشيهم العذاب كما يغشي الثوبُ القبرُ، وقال بعضهم: غامت السماء غيماً أسود يُظهر دخاناً شديداً، فغشي مدينتهم، واسودَّت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح، وحَثَوْا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام، وعجُوا إلى الله بالتوبة الصادقة، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادُّوا المظالم بينهم، حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه، فيرده. وقال أبو الجلَّد^(١): لما غشيهم العذاب، مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حيُّ حين لا حيَّ، يا حيُّ مُحيي الموتى، يا حيُّ لا إِله إِلا أنت، فقالوها، فكُشف العذاب عنهم. قال مقاتل: عجّوا إلى الله أربعين ليلة، فكُشف العذاب عنهم. وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة. قال: وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم، فقيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذباً؟ وكان مَن يكذب بينهم ولا بيُّنة له يُقتَل، فانصرف مغاضباً، فالتقمه الحوت. وقال أبو صالح عن ابن عباس: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: شُعيا، فقيل له: اثت فلاناً الملِك، فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبياً قوياً أميناً، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال الملك ليونس: اذهب إليهم، فقال: ابعث غيري، فعزم عليه أن يذهب، فأتى بحر الروم، فركب سفينة، فالتقمه الحوت، فلما خرج من بطنها أمر أن ينطلق إلى قومه، فانطلق نذيراً لهم، فأبَوًا عليه، فوعدهم بالعذاب، وخرج، فلما تابوا رُفع عنهم. والقول الأول أثبت عند العلماء، وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم. وسيأتي شرح قصته في التقام الحوت إياه في

أبو الجلد، بفتح الجيم، وسكون اللام، هو جِيلان بن أبي فروة الأسدي.

مكانه إن شاء الله تعالى [الصانات: ١٤٢]. فإن قيل: كيف كُشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَف عن فرعون حين آمن؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية. والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له، ذكره الزجاج. والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف مَن تقدَّمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

﴿ وَلَوْ شَاتَهُ رَبُّكَ لَامَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَبِيمًا ۚ أَفَانَتَ تُكُومُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُكَ لَاَمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة. قال الأخفش: جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» تأكيداً كقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهَ لَا نَتَخِذُوا إِلَهَ بَنَ النَّهِ ﴾ [النحل: ١٥].

قوله تعالى: ﴿ أَفَانَتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ﴾ قال المفسرون، منهم مقاتل: هذا منسوخ بآية السيف، والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ، لأن الإكراه على الإيمان لا يصح، لأنه عمل القلب.

﴿ وَمَا كَاتَ لِنَفْسِ أَن ثُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْمَلُ الرِّيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَمْفِلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَاكَ لِنَفْيِنَ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: بقضاء الله وقدره. والثاني: بأمر الله، رُويا عن ابن عباس. والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء. والرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل. والخامس: بعلم الله، والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَيَجْمَلُ الرِّمْتَ ﴾ أي: ويجعل الله الرجس. وروى أبو بكر عن عاصم: «ونجعل الرجس» بالنون. وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه السخط، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الإثم والعدوان، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: العذاب، قاله الحسن، وأبو عبيدة، والزجاج. المخامس: العذاب والغضب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿ عَلَى اَلَذِيكَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه. وقيل: لا يعقلون حججه ودلائل وحيده.

﴿ وَلَمْ الْظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُنْنِي الْآيَكَ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَى انظُرُوا مَاذَا فِي السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكلُّ هذا يقتضي خالقاً مدبِّراً. ﴿ وَمَا تُنْتِي آلْآيَتُ وَالنَّذُرُ عَن قَوْمِ لَا يَقْتَضِي خالقاً مدبِّراً. ﴿ وَمَا تُنْتِي آلْآيَتُ وَالنَّذُرُ عَن قَوْمِ لَا يَقْتَضِي خالقاً مدبِّراً. ﴿ وَمَا تُنْتِي آلْآيَتُ وَالنَّذُرُ عَن قَوْمِ لَا الله على علم الله .

﴿ فَهَلَ يَنظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّادِ الَّذِينَ خَلَوَا مِن قَبِلِهِمْ قُلْ فَانَظِرُوا إِنِّ مَمَكُمْ قِرَ ٱلْمُنْتَظِينَ ۞ ثُمَّ نُتَجِى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ، مَمُواً كَذَلِكَ حَفًا حَلَيْنَا نُدِجِ الْمُؤْمِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظِرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني كفار قريش. ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوًا مِن قَبْلِهِمُ ۗ قال ابن الأنباري: أي: مثل وقائع الله بمن سلف قبلهم، والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب، وقد تقصد بها أيامَ السرور والأفراح إذا قام دليل بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلَ فَانْظِرُوٓا﴾ هلاكي ﴿إِنِّ مَعَكُمْ مِّرَى ٱلْمُنْظِرِينَ﴾ لنزول العذاب بكم. ﴿ثُكَرَ نُنَيِّى رُسُلُنَا وَالَّذِينَ ،َامْتُوا﴾ من العذاب إذا نزل، فلم يَهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَمَّا عَلَيْمَا نُنِج ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقرأ يعقوب، وحفص، والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر: النج المؤمنين، بالتخفيف. ثم في هذا الإنجاء قولان: أحدهما: ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذّبين، قاله الربيع بن أنس. والثاني: ننجيهم في الآخرة من النار، قاله مقاتل.

﴿ فَلْ يَائِمُهُا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَاكِ مِن رِبِي فَلَا آعَبُدُ الَّذِينَ تَشَبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَئِكِنَ آعَبُدُ اللّهِ الّذِينَ بَنَوَفَلَكُمْ وَلُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُتَّمِينِينَ ۞ وَأَنْ أَقِدَ وَجْهَكَ الِلّذِينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّمْرِكِينَ ۞ وَلَا تَنتُعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُكُ فَإِن فَعَلْتَ وَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الطّالِدِينَ ۞﴾

قُولُه تعالَى: ﴿ فَكُلَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ قال ابن عباس: يعني أهل مكة ﴿ إِن كُنُمُ نِي شَكِ مِن دِينِ ﴾ الإسلام ﴿ فَلَآ أَعَبُدُ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ الهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلهِ

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ آفِرٌ رَجْهَكَ ﴾ المعنى: وأمرت أن أقم وجهك، وفيه قولان: أحدهما: أخلص عملك. والثاني: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك. وفي المراد بالحنيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المتَّبع، قاله مجاهد. والثاني: المُخلِص، قاله عطاء. والثالث: المستقيم، قاله القرظي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إِن دعوته ﴿ وَلَا يَشُرُكُ ۖ ﴾ إِن تركتَ عبادته. و «الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.

﴿ وَإِن بَنْسَسْكَ اللَّهُ بِشُرِ فَلَا حَكَاشِفَ لَهُۥ إِلَا هُوَّ وَإِن بُوْلَ بِمَنْهِ فَلَا زَاذَ الْنَشْلِدُ، يُصِيبُ بِهِ. مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهُۥ وَهُو الْفَقُورُ الرَّحِيثُ ۞ فَلْ يَتَأَيِّهَا النَّاسُ فَدْ جَآءَكُمُ الْمَقُّ مِن زَتِكُمْ فَنَنِ الْمُنَدَىٰ فَإِنَّمَا يَبْتَكُم لِنَسْدِهُ، وَمَن صَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَّا عَلَيْكُمْ بِرَحِيلِ ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْدِ حَقَى يَعَكُمُ اللَّهُ وَهُو خَيْرُ الْمَكِمِينَ ۞﴾

قُولُهُ تَعَالَى ۚ ﴿ وَإِن يَمْسَسُكَ اللّٰهُ بِشُرِّ ﴾ أَي: بشدة وبلاءٍ ﴿ وَلَا حَاشِكَ ﴾ لَذَلك ﴿ إِلَا هُرٍّ ﴾ دون ما يعبده المشركون من الأصنام, وإن يصبك بخير، أي: برخاء ونعمة وعافية، فلا يقدر أحد أن يمنعك إياه. ﴿ يُصِيبُ بِدِ ﴾ أي: يكل واحد من الضُّر والخير.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن مَنَلَ هَانِمَا مَن مَنِكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن مَنَلَ هَائِمًا ﴾ أي: فإنما يكون وبال ضلاله على نفسه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا آنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلِ ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك. قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضاً، وهي قوله: ﴿ وَالصِّيرُ عَتَى بَعَكُمُ اللهُ ﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب. والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ. أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في [الإنمام: ١٠٧]. وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في صورة [البنم: ١٠٩]. وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة [البنم: ١٠٩] قوله: ﴿ وَمَا عَنْ مَا عَنْ اللهُ إِنْ اللهُ إِنْ اللهُ الله



٠. .

سورة هود [عليه السلام]

فصل في نزولها

فأما ﴿ الرّبّ فقد ذكرنا تفسيرها في سورة (يونس). قال الفراء: و ﴿ كِنْتُ ﴾ مرفوع بالهجاء الذي قبله، كأنك قلت: حروف الهجاء هذا القرآن، وإن شئت رفعته بإضمار همذا كتاب، والكتاب: القرآن. وفي قوله: ﴿ أَتَحِكُ مَا النّبُهُ وَلِعَة أقوال: أحدها: أحكمت فما تُنسخُ بكتاب كما نُسخت الكتب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قتادة، والثاني: أحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قتادة، ومقاتل. والموابع: أحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد. فإن قيل: كيف عم الآيات هاهنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله: ﴿ يُنكُنُ كُن لَكُ الله عمران: ١٨] فعنه جوابان: أحدهما: أن الإحكام الذي عم به هاهنا غير الذي خص به هناك. وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال، قد أسلفنا منها أربعة في قوله: ﴿ أُحَكِنَ مَا يَنْهُ ﴾. الخامس: أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمين الوحكام العام عمنى الإحكام الخاص: زوال اللّبس، واستواء السامعين في معرفة معنى الآية. والعجواب الثاني: أن الإحكام في الموضعين بمعنى واحد. والمراد بقوله: ﴿ أُحَكِنَ مَا يَنْهُ ﴾: أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم علي معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلتُ طعام زيد، يعنون: بعض الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم علي معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلتُ طعام زيد، يعنون: بعض أقوال: أحدها: فصلت بالحلال والحرام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فصلت بالثواب والعقاب، رواه أبو بكر الهذلي عن الحسن أيضاً. والماني: فصلت بمعنى فسرت، قاله مجاهد. المخامس: أنزلت شيئاً بعد شيء، ولم تنزل جملة، ذكره ابن قتيبة. والسادس: فصلت بحميع ما يُحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وتثبيت نبوة الأنبياء، وإقامة الشرائع، قاله الزجاج.

أَوله تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَلَنَّ حَكِيرٍ ﴾ أي: من عنده.

﴿ أَلَا تَشَهُمُواْ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنِّنِى لَكُمْ مِنْتُهُ نَذِيرٌ وَيَشِيرٌ ۞ وَأَنِ اسْتَغَيْرُواْ رَبَكُرْ ثُمَّ ثُونُواْ إِلَيْهِ بُسَيِّفَكُمْ مَنْنَهَا حَسَنًا إِلَٰنَ أَحَلِ مُسَنَّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَشْلِ فَشْلَةٌ وَإِن نَوْلُواْ فَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ كَبِيرٍ ۞ إِلَ اللَّهِ مُرْجِمْكُو وَهُوْ عَلَى كُلِ شَيْءٍ وَبَيْرٌ ۞﴾

⁽١) «جامع الترمذي» ٢٦٢/١ ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شببتني هود، والواقعة، والمرسلات، وهم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ٨٧: وأطال الدارقطني في ذكر علله، واختلاف طرقه في أوائل كتاب «العلل». وانظر إلكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ٢٥٥ / ٢٥٦ للحافظ السخاري.

قوله تعالى: ﴿أَلَا شَبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ ۚ قال الفراء. المعنى: فصَّلت آياته بأن لا تعبدوا إِلا الله ﴿وَأَنِ اَسْتَغْفِرُوا﴾. و ﴿أَنَّهُ في موضع النصب بإلقائك الخافض. وقال الزجاج: المعنى: آمركم أن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ وأن استغفروا. قال مقاتل: والمراد بهذه العبادة: الترحيد. والخطاب لكفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اَسْتَغَفِّرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوْرًا إِلَيْهِ فَيه قولان: أحدهما: أن الاستغفار والتوبة هاهنا من الشرك، قاله مقاتل. والثاني: استغفروه من الذنوب السالفة، ثم توبوا إليه من المستأنفة متى وقعت. وذُكر عن الفراء أنه قال: ﴿ثم هاهنا بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿ يُمَزِّمَكُمْ مَنَكًا حَسَنًا﴾ قال ابن عباس: يتفضل عليكم بالرزق والسَّعَة. وقال ابن قتيبة: يُعمَّرُكم. وأصل الإمتاع: الإطالة، يقال: أمتع الله بك، ومتَّع الله بك، إمتاعاً ومتاعاً، والشيء الطويل: ماتع، يقال: جبل ماتع، وقد متع النهاد: إذا تطاول. وفي المبراد بالأجل المسمى قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿ رَبُوْنِ كُلَّ ذِى فَشَلِ فَشَلَمْ فَضَلَمْ فَي هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنة وخير فضله، وهو الجنة. والثاني: يؤتيه فضله من الهداية إلى العمل الصالح. والثاني: أنها ترجع إلى العبد، فيكون المعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعاته ثواب ذلك الفضل الذي زاده، فيفضّله في الدنيا بالمنزلة الرفيعة، وفي الآخرة بالثواب الجزيل.

ق**وله تعالى: ﴿**وَإِن تَوَلَّوَا﴾ أي: تُعرضوا عما أمرتم به، وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وإِن تُوَلُّوا» بضم التاء. ﴿وَإِنِّ أَخَكَ عَلَيْكُرُ﴾ فيه إِضمار «فقل». واليوم الكبير: يوم القيامة.

﴿ الْآ إِبَيْمُ بَنُونَ مُدُورَهُمُ لِيَسْتَخْفُوا مِنْةُ أَلَا حِينَ يَسْتَغَشُونَ فِيَابَهُمْ يَمَلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُمُلِيوُنَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الشُّنُودِ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلاَ إِنَهُمْ يَتُونَ مُدُورَهُ فِي مبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله على ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يُظهر له، فنزلت فيه هذه الآية (١١)، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه محمد بن عباد عن ابن عباس (٢٠). والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله على عمدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله، قاله عبد الله بن شداد. والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد على يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كتموا، ذكره الزجاج. والمحامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله على إذا سمعوا منه القرآن حنوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليعد عنهم صوت رسول الله على ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ يَثَرُنَ صُدُرَدُمُ ﴾ يقال: ثنيت الشيء: إذا عطفته وطويته. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: يكتون ما فيها من العداوة لمحمد على اله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يثنون صدورهم على الكفر، قاله مجاهد. والثالث: يحنونها لئلا يسمعوا كتاب الله، قاله قتادة. والرابع: يثنونها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله على، قاله ابن زيد. المخامس: يثنونها حياء من الله تعالى، وهو يخرَّج على ما حكينا عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: وكان ابن عباس يقرؤها: وألا إنهم تثنوني صدورُهم، وفسرها أن ناساً كانوا يستحيون أن يُفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. فَتَتَنوْني: تَفْعَوْعِلُ، وهو فعل للصدور، معناه: المبالغة في تثني الصدور، كما تقول العرب: احلولى الشيء، يحلولي: إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة، قال عنترة:

⁽١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٣، عن الكلبي.

⁽٢) والبخاري، ٨/ ٢٦٤، والطبري، ٢٣٦/١٥ وخرجه السيوطي في اللد، ٣/ ٣٢٠ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ السنينَ النَّوَالِثِالْ!) إذا ما هُوَ الحَلَوْلِي أَلا لَيْتَ ذَا لِيا

· ألا فَساتَسلَ السِّلَسهُ السُّلُسُولَ السَبَوَالِسَسَا وقَسؤلَسكَ لِسلسَّسِيْءِ الَّسذِي لَا تَسنَسالُسهُ

فعلى هذا القول؛ هو في حق المؤمنين، وعلى بقية الأقوال، هو في حق المنافقين. وقد خُرِّج من هذه الأقوال في معنى ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُرَ﴾ قولان: أحدهما: أنه حقيقة في الصدور. والثاني: أنه كتمان ما فيها.

قوله تعالى: ﴿ لِيسَتَخْفُواْ مِنْدُ ﴾ في هاء (منه) قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى رسوله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسَتَقْشُونَ شِكَابَهُمْ ﴾ قال أبو عبيدة: العرب تدخل الله توكيداً وإيجاباً وتنبيهاً. قال ابن قتيبة: فيستغشون ثَيَابهم، أي؛ يتغشَّونها ويستترون بها. قال قتادة: أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى ظهره، واستغشى ثيابه، وأضمر همَّه في نفسه. قال ابن الأنباري: أعلم الله أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّامُ عَلِيدٌ بِدَّاتِ ٱلشُّدُورِ ﴾ وقد شرحناه في [آل عمران: ١١٩].

﴿ فَهُ وَمَا مِن دَابَقِ فِي الأَدْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْفُهَا رَيْسَائُرُ مُسْنَقَزُهَا رَشُنَوْدَعَهَا كُلَّ فِي كِتَبِ شَهِينِ ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكُوتِ وَالأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَبْتَامِ وَكَانَ عَرْشُهُم عَلَى الْمَآهِ لِبَنْلُوكُمْ أَبْتُكُمْ أَمْسَنُ عَمَلًا وَلَهِن ثُلْتَ إِلَّكُمْ تَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِبَعُولَنَ الذِينَ كَفَارًا إِنْ هَذَا إِلَّا سِعْرٌ ثَبِينٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن ذَاتَكَةِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو عبيدة: "مِنْ» من حروف الزوائد، والمعنى: وما دابة، والدابة: اسم لكل حيوان يدب. وقوله: ﴿إِلَّا عَلَ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ قال العلماء: فضلاً منه، لا وجوباً عليه. و (على» هاهنا بمعنى "مِنْ». وقد ذكرنا المستقر والمستودع في سورة [الانعام: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ فِي كِتَبِ ﴾ أي: ذلك عند الله في اللوح المحفوظ، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في عِلم الله في .

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُم عَلَى ٱلْمَآهِ ﴾ قال ابن عباس: عرشه: سريره، وكان الماء إذْ كان العرش عليه على الربح. قال قتادة: ذلك قبل أن يخلق السمواتِ والأرض.

قوله تعالى: ﴿ لِبَالُوكُمُ ﴾ أي: ليختبركم الاختبار الذي يجازي عليه، فيثيب المعتبر بما يرى من آيات السموات والأرض، ويعاقب أهل العناد.

قوله تعالى: ﴿أَيْكُمُ أَخَسَنُ عَمَكُۗ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله ﷺ، وأسرع في طاعة الله، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ^(۲). والثاني: أيكم أعمل بطاعة الله، قاله ابن عباس. والثالث: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة. والرابع: أيكم أزهد في الدنيا، قاله الحسن وسفيان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَنِذَآ إِلَّا سِحْرٌ شِينٌ ﴾ قال الزجاج: السحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إِن هذا إِلا باطل بيّن، فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتى.

﴿ وَلَيْنَ أَخَرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِنَّ أَمَّةِ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُكَ مَا يَعْبِسُهُۥ أَلَا يَوْمَ يَأْنِيهِ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَافَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِدِـ بَسْتَهْزُونِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِنَ أَخَرًنَا عَنْهُمُ الْمَذَابَ ﴾ قال المفسرون: هؤلاء كفار مكة، والمراد بالأمَّة المعدودة: الأجل المعلوم، والمعنى: إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها. ﴿ لَيُقُولُكَ مَا يَعْسُدُهُ ﴾ وإنما قالوا ذلك تكذيباً واستهزاء.

⁽۱) • ديوانه، ۱۹۲، ودمختار الشعر الجاهلي، ١/ ٣٨٠. وقوله: قاتل الله، تعجب، وذكراك: تذكرك. يقول: قاتل الله الطلول ما أجلبها للأحزان، وأبعثها للتشوق. واحلولي: حلي في هينك وسررت به. يقول: وقاتل قولك للشيء تحبه ولا تناله: ليت هذا الشيء لي.

٢) «الطبري» ١٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥٠)، وهو حديث ضعيف بمرة، في سنده داود بن المحبر الطائي الثقفي صاحب كتاب «المقل»، وهو صاحب مناكير، وفيه أيضاً عبد الواحد بن زيد، منكر الحديث، ضعيف بمرة. وذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٢ من رواية داود بن المحبر في كتاب «العقل»، وزاد نسبته لابن أبي حاتم، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَرَمَ يَأْلِيهِمْ ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ مَمْرُونًا عَنْهُمْ ﴾. وقال بعضهم: لا يُصرف عنهم العذاب إذا أتاهم. وقال آخرون: إذا أخذتهم سيوف رسول الله ﷺ لم تُغمد عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلوَ كلمة الإخلاص.

قوله تعالى: ﴿وَمَاكَ بِهِم﴾ قال أبو عبيدة: نزل بهم وأصابهم. وفي قوله: ﴿قَا كَانُواْ بِدِ يَنتَهْزِنُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الرسول والكتاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس، فيكون المعنى: حاق بهم جزاء استهزائهم. والثاني: أنه العذاب، كانوا يستهزئون بقولهم: ﴿مَا يَمْيِسُهُ ﴾، وهذا قول مقاتل.

﴿ وَلَهِنَ أَذَقَنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعَنكُمَا مِنْـهُ إِنَّـٰهُ لِنَكُونٌ كَغُورٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْنَ أَذَقَنَا ٱلْإِنسَكَنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس. والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي. والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج. والمراد بالرحمة: النعمة، من العافية، والمال، والولد. واليؤوس: القنوط، قال أبو عبيدة: هو فعول من يئستُ. قال مقاتل: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفور الله في نعمه في الرخاء.

﴿ وَلَـٰهِنَ أَذَفَنَهُ نَمْمَاتُهُ بَشَـٰذَ مَسَرَّلَهُ مَسَّمَةُ لَيَعُولَنَ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِي إِلَهُ لَفَحْ فَخُورُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِ ثَانَتُكُ نَمْكَآهَ ﴾ قال ابن عباس: صحة وسَعة في الرزق. ﴿ بَسَدَ صَرَّاهَ ﴾ بعد مرض وفقر. ﴿ يَتُولُنَ ذَهَبَ النَّيَاتُ عَنِّ ﴾ يريد الضر والفقر. ﴿ إِنَّهُ لَنَحْ ﴾ أي: بَطِرٌ ﴿ فَتُورُ ﴾ قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه. فإن قبل: ما وجه عيب الإنسان في قوله: ﴿ ذَهَبَ السَّيِّنَاتُ عَنِّ ﴾، وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال: (فرحين)؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: إنما عابه بقوله: ﴿ ذَهَبَ السَّيِّنَاتُ عَنِّ ﴾ لأنه لم يعترف بنعمة الله، ولم يحمده على ما صُرف عنه. وإنما ذمه بهذا الفرح، لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبُّر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا يُسنِّب مسينِّي السَّحَسَدَثَسَانُ عِسرُضِسِي ولا أُلسِقِسِي مسن السَّفَسرَحِ الإِزارا^(١) يعني من المرح. وفرحُ الشهداءِ فرحٌ لا كِبْر فيه ولا خُيلاء، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن.

. ﴿إِلَّا الَّذِينَ مَنْزُمُا وَعَيلُوا العَنلِكَتِ أُولَتِكَ لَهُم تَنْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قال الفراء: هذا الاستثناء من الإنسان، لأنه في معنى الناس، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَئِي شُسْرِ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ،َاسَتُوا﴾ العصر: ٢، ٣]. وقال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكنِ الذين صبروا. قال ابن عباس: الوصف الأول للكفار، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ.

﴿ لَلَمَلُكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَآبِنَّ بِدِ. مَدَرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوَلَآ أَنزِلَ عَلَيْدِ كَذَرُ أَوْ جَآة مَعَمُ مَلَكُ ۚ إِنْمَا أَنتَ نَذِيرُۗ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ نَسْءٍ وَكِيلُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْمَلْكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴿ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ﴿ أَتَتِ بِشُرَانٍ غَيْرِ هَذَا أَرْ بَيْلَةً ﴾ [يونس: ١٥]، فهم النبي ﷺ أن لا يُسمعهم عيب آلهتهم رجاء أن يتبعوه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة، وضائق بما كُلفته من ذلك صدرُك، خشية أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز. والثاني: فلعلك لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك. فأما الضائق، فهو بمعنى الضيَّق. قال الزجاج: ومعنى ﴿ أَن يُقولوا . وإنما عليك أن تنذرهم بما يُوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم باقتراحهم من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحافظ. والثاني: الشهيد، وقد ذكرناه في [آل عبران: ١٧٣].

⁽١) البيت لابن أحمر في همجاز القرآن؛ ٢/ ١١١، وغير، منسوب في «الكامل؛ ٤٠، ٦٧٣ وفيه: ولا أرخي من العرح الإزارا.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ اَنْفَرَنَّهُ قُلْ فَاتْمُوا مِتَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ. مُنْفَرَيْتِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُد مِن دُونِ اللّهِ إِن كَنْتُدْ مَدَدِيْنَ ۞ فَإِلَمْ بَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنْمَا أَذْرِلَ بِعِلْنِهِ اللّهِ وَأَنْ لَا إِلّهَ إِلّا هُوَّ فَهَلْ أَنتُد تُسْلِئُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ آفَرَيَهُ ﴾ وأما بمعنى (بل)، و (افتراه اتى به من قبل نفسه. ﴿قُلْ مَأْتُوا ﴾ انتم في معارضتي ﴿يَسْتُر سُورٍ يَقْلِي ﴾ في البلاغة ﴿مُنْتَرَبُ ﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وَادْعُواْ مَن اَسْتَطَعْتُم مِن دُونِ الله ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنْتُر مَكِوْفِينَ ﴾ في قولكم: (افتراه ». ﴿ وَإِلَمْ يَسْتَجِيمُواْ لَكُم ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة ، فقد قامت الحجة عليهم لكم . فإن قيل: كيف وحد القول في قوله: ﴿قُل فأتوا » ثم جمع في قوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم ؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الخطاب للنبي على وحده في الموضعين ، فيكون الخطاب له بقوله: «لكم» تعظيماً ، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم ، هذا قول المفسرين . والثاني: أنه وحّد في الأول لخطاب النبي على . وجمع في الثاني المخاطبة النبي على وأصحابه ، قاله ابن الأنباري .

. قوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزِلَ بِمِلْمِ اللَّهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما:أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده. والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلَّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَا إِلَا هُرُ ﴾ أي: وإعلموا ذلك. ﴿فَهَلَ أَنتُم تُسْلِسُ﴾ استفهام بمعنى الأمر، وفيمن خوطب به قولان: أحدهما: أهل مكة، ومعنى إسلامهم: إخلاصهم لله العبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيْوَةَ الدُّنِيَا وَزِيلَتُهَا ثُوَقِ إِلَتِهِمَ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَلَمْزَ فِيهَا لَا يَبْخَدُونَ ۞ أُولَتِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَمُثَمْ فِي الْآخِوَةِ إِلَّا النَّتَادُّ وَتَحْمِطُ مَا صَنْعُوا فِيهَا وَيَطِلُّ مَا كَانُوا بَسْتَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوَةُ الدُّيْا وَزِيلَهُما﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها في اليهود والنصارى، قاله أنس. والرابع: أنها في أهل الرياء، قاله مجاهد. وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنها هي في الكافر، لأن المؤمن يريد الدنيا والأخرة.

قوله تعالى: ﴿ رُونِ إِلَيْمَ أَعَمَلَهُمْ ﴾ أي: أجور أعمالهم ﴿ فِهَا ﴾. قال سعيد بن جبير: أعطوا ثواب ما عملوا من خير في الدنيا، في الدنيا، وقال مجاهد: مَنْ عمل عملاً من صِلة، أو صدقة، لا يريد به وجه الله، أعطاه الله ثواب ذلك في الدنيا، ويدرأ به عنه في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وَمُثرَ فِيَهَا ﴾ قال ابن عباس: أي في الدنيا. ﴿ لَا يُبْخَبُونَ ﴾ أي: لا يُنقصون من أعمالهم في الدنيا شيئاً. ﴿ أَوْلَتِكَ اللَّذِينَ ﴾ عملوا لغير الله ﴿ لَيْسَ لَمُمْ فِي الْآتِكَ أَلَى اللَّهُ وَكَيْطَ مَا صَنعُوا ﴾ أي: ما عملوا في الدنيا من حسنة ﴿ وَبَعَلُونَ ﴾ أي لغير الله ﴿ يَمَمَلُونَ ﴾ ﴿ وَبَعَلُونَ ﴾

فصل

وذكر قوم من المفسرين، منهم مقاتل، أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله، أعطي فيها ثواب عمله من الرزق والخير، ثم نُسخ ذلك بقوله: ﴿عَبَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءً لِمَن نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨٨، وهذا لا يصح، لأنه لا يوفي إلا لمن يريد.

﴿ أَمْنَنَ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةِ مِن زَيِهِ. وَيَسْلُوهُ شَاهِدُّ مِنْهُ وَمِن فَبَلِهِ. كِنْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَتِهِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَن بَكُفُرُ بِهِ. مِنَ ٱلأَخْرَابِ قَالنَّارُ مَوْعِدُةً فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةِ مِنْهُ إِنَّهُ ٱلْمَقَّ مِن زَيِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَمَنْ أَظْلُمُ مِنْنِ أَفْتَكُ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُولَتِهِكَ يُمْرَشُونَ عَلَى رَبِهِمْ رَبَقُولُ ٱلأَشْهَادُ هَتُؤُلِآهِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِهِمْ أَلَا لَمَنَهُ اللّهِ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿أَفَهُن كَانَ عَلَى بَيْنَةِ مِن رَبِّهِ ﴾ في المراد بالبينة أربعة أقوال: أُحِدها: أنها الدين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثالث: القرآن، قاله أبن زيد. والرابع: البيان، قاله مقاتل.

وفي المشار إليه بـ (مَنْ) قولان: أحدهما: أنه رسول الله هي الله الله الله المسلمون، والشاني: أنهم المسلمون، وهو يخرَّج على قول الضحاك. وفي قوله: ﴿ وَيَتَلُوهُ وَلان: أحدهما: يتبعه. والثاني: يقرؤه. وفي هاء فيتلوه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي هي والثاني: إلى القرآن، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿ وَنَأُوا بِمَثرِ سُورِ مِثَلِه مُفَرَّرَتِ ﴾ [هود: ١٣]. وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه لسان رسول الله الله الذي كان يتلو القرآن، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة في آخرين. والثالث: أنه علي بن أبي طالب. والتلوه بمعنى يتبعه، رواه جماعة عن علي بن أبي طالب، وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي والرابع: أنه رسول الله هي هو شاهد من الله تعالى، قاله الحسين بن علي هي الخامس: أنه ملك يحفظه ويسده، قاله مجاهد. والسابع: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق، وإن كان قد أنزل قبله، لأن النبي الله بشرت به التوراة، قاله الفراء. والسابع: أنه القرآن ونظمه وإعجازه، قاله الحسين بن الفضل، والثامن: أنه صورة رسول الله هي ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله هي. والمائن: إلى النبي هي والثالث: إلى البيّة.

قوله تعالى: ﴿وَيِن مَبَالِهِ ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: إلى القرآن، قاله ابن زيد. والثالث: إلى الإنجيل، أي: ومن قبل الإنجيل ﴿ كِنْتُ مُوسَى ﴾ يتبع محمداً بالتصديق له، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: والمعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلاً على أمر النبي ﷺ، فيكون ﴿ كِنْتُ مُوسَى ﴾ عطفاً على قوله: ﴿ وَيَتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْدُ ﴾ أي: ويتلوه كتاب موسى، لأن موسى وعيسى بشّرا بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل. ونصب إماماً على الحال. فإن قبل: كيف تتلوه التوراة ، وهي قبله؟ قبل: لما بشّرت به، كانت كانها تالية له، لأنها تبعته بالتصديق له. وقال ابن الأنباري: ﴿ كِنْتُ مُوسَى ﴾ مفعول في المعنى، لأن جبريل تلاه على موسى، فارتفع الكتاب، وهو مفعول بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذاك، أي: تلاه جبريل أيضاً، كما تقول العرب: أكرمت أخاك وأبوك، فيرفعون الأب، وهو مكرّم على الاستثناف، بمعنى: وأبوك مكرّم أيضاً. قال: وذهب قوم إلى أن ﴿ كِنَتُ مُوسَى فالله الإستثناف، بمعنى: وأبوك مكرّم أيضاً. قال: وذهب

فصل

فتلخيص الآية: أفمن كان على بينة من ربه كمن لم يكن؟ قال الزجاج: ترك المضادَّله، لأن في ما بعده دليلاً عليه، وهو قوله: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْنَ وَٱلْأَمْنِ ﴾ [مرد: ٢٤]. وقال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوماً ركنوا إلى الدنيا، جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتفى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه. وقال ابن الأنباري: إنما حُذف لانكشاف المعنى، والمحذوف المقدَّر كثير في القرآن والشعر، قال الشاع:

فِأْقْسِمُ لَوْ شَيِّ أَسَانًا رَسُولُه صَواكِ، وَلَكِن لَم نَجِدُ لَكِ مَذْفعا(١)

فإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه، رسول الله هي فمعنى الآية: ويتبع هذا النبيّ شاهد، وهو جبريل على المنه أي: من الله. وقيل: الشاهد، هو على بن أبي طالب، امنه أي: من النبي هي. وقيل: ايتلوه يعني القرآن، يتلوه جبريل، وهو شاهد لمحمد هي أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى. وقيل: ويتلو رسول الله هي القرآن وهو شاهد من الله. وقيل: ويتبع محمداً شاهد له بالتصديق، وهو الإنجيل من الله تعالى. وقيل: ويتبع هذا النبي شاهد من نفسه، وهو سَمْتُه وهديه الدال على صدقه.

⁽١) البيت لامرئ القيس: فديوانه: ٢٤٢، وفالطبري، ١٧٧/١٥، وفمشكل القرآن، ١٦٦، وفالخزانة، ٢٢٧/٤. قوله: لو شيء، يريد: لو أحد، وليس لـ فلو، هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مُرْمَانًا سُرِّرَتُ هِدِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣] فنقول: لو أحد أنانا رسوله لما أجبناه، ولكنا لم ندفعك عن ذلك.

وإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيِّنة من ربه المسلمون، فالمعنى: أنهم يتبعون رسول الله ﷺ وهو البيِّنة، ويتبع هذا النبي شاهد له بصدقه.

قوله تعالى: ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ إنما سماه إماماً، لأنه كان يهتدى به، الورجمة اي: وذا رحمة، وأراد بذلك التوراة، لأنها كانت إماماً وسبباً لرحمة من أمن به.

قوله تعالى: ﴿أُولَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى أصحاب موسى. والثاني: إلى أصحاب محمد ﷺ. والثالث: إلى أهل الحق من أمة موسى وعيسى ومحمد. وفي هاء قبه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى التوراة. والثاني: إلى القرآن. والثالث: إلى محمد ﷺ. وفي المراد بالأحزاب هاهنا أربعة أقوال: أحدها: جميع الملل، قاله سعيد بن جبير. والثاني: اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثالث: قريش، قاله السدي. والرابع: بنو أُمية، وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي، وآل أبي طلحة بن عبد المُرتى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَأَلْنَارُ مُوْعِدُهُ ﴾ أي: إليها مصيره، قال حسان بن ثابت:

أَوْرَدْتُسُوها حِيَاضَ السَوْتِ ضَاحِيَةً فالنَّار مَوْعِدُها والسَوت لآقِيهَا(١)

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةِ مِنْهُ قرأ الحسن، وقتادة: «مُرية» بضم الميم أين وقع. وفي المكني عنه قولان: أحدهما: أنه الإخبار بمصير الكافر به، فالمعنى: فلا تك في شك أن موعد المكذّب به النار، وهذا قول ابن عباس. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: فلا تك في شك من أن القرآن من الله تعالى، قاله مقاتل. قال ابن عباس: والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَيْكَ يُرْمُونَ عَلَى رَبِهِمَ ﴾ قال الزجاج: ذكر عرضهم توكيداً لحالهم في الانتقام منهم، وإن كان غيرهم يعرض أيضاً. فأما «الأشهاد» ففيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الرسل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: المعلائكة، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: الخلائق، روي عن قتادة أيضاً. وقال مقاتل: «الأشهاد» الناس، كما يقال: على رؤوس الأشهاد، أي: على رؤوس الناس، والرابع: المعلائكة والنبيون وأمة محمد على يشهدون على الناس، والرابع: المعالدة والنبيون وأمة محمد الله يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد. المخامس: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج، قال ابن الأنباري: وفائدة إنجار الأشهاد بما يعلمه الله: تعظيم بالأمر المشهود عليه، ودفع المجاحدة فيه.

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوْبًا وَهُمْ إِلَّاخِيرَةَ مُمْ كَفِرُونَ ﴿ ﴾

. قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَهِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قد تقدم تفسيرها في [الأعراف: 10].

قوله تعالى: ﴿ وَمُم إِلَّاكِرُونَ ثُمَّ كَفِرُونَ ﴾ قال الزجاج: ذُكرت «هم» ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر.

﴿ أُولَتِهِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَمُكَدِّ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآةً يُشَنَعَفُ لَمُثُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ بَشِيرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يُضَعَفُ لَمُمُ ٱلْمَذَابُ﴾ يعني الرؤساء الصادِّين عن سبيل الله، وذلك لإِضلالهم أتباعهم واقتداء غيرهم بهم. وقال الزجاج: ﴿لَمْ يَكُونُواْ مُسْجِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في دار الدنيا، ولا لهم ولي يمنع من انتقام الله، ثم استأنف ﴿يُضَاعَفُ لَمُمُ ٱلْمَدَابُ﴾ لعظم كفرهم بنبيه وبالبعث والنشور.

⁽١) • ديوانه؛ ٤٢٤. والضاحية: من الإبل والغنم: التي تشرب ضحى، وهي هنا على المثل، وحياض الموت ترشيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمَعَ﴾ فيمن عَنِيَ بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكفار. ثم في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم لم يقدروا على استماع الخير، وإبصار الحق، وفعل الطاعة، لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك، هذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل، والثاني: أن المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه، وبما كانوا يبصرون حُجج الله ولا يعتبرون بها، فحذف الباء، كما تقول العرب: لأجزينك ما عملت، وبما عملت، ذكره الفراء، وأنشد ابن الأنباري في إلاحتجاج له:

نُخالي الناحم للأضياف نبيشاً ونسبلُك إذا نسضِهِ السَّعُدورُ(١)

أراد؛ تغالي باللحم. والثالث: أنهم من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي هم كانوا يستطيعون أن يتفهموا ما يقول، قاله الزجاج. والقول الثاني: أنهم الأصنام، فالمعنى: ما كان للآلهة سمع ولا بصر، فلم تستطع لذلك السمع، ولم تكن تبصر. فعلى هذا، يرجع قوله: ﴿مَا كَاثُوا ﴾ إلى أوليائهم، وهي الأصنام، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس أيضاً.

﴿لَا جَرَمَ أَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ مَامَنُولُ وَعِمْلُوا الصَّالِحَتِ وَأَخْبَـنُوآ إِلَى رَبِّهِمْ أُولَتِكَ أَصَحَتُ الْجَمَـنَةُ هُمْ بِهَا خَالِدُونَ ۞ ۞ مَثَلُ الْغَهِفَيْنِ كَالْأَصَرِ وَالْشَهِيرِ وَالسَّهِيمُّ هَلَ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لا جَرَمُ﴾ قال ابن عباس: يريد: حقاً إنهم الأخسرون. وقال الفراء: «لاجرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا معالة، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتيننك، لا جرم لقد أحسنت، وأصلها من جرمتُ، أي: كسبت الذنب. قال الزجاج: ومعنى «لاجرم»: «لا» نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: كسب لهم ذلك الفعلُ الفعلُ الخسران. وذكر ابن الأنباري أن «لا» رد على أهل الكفر فيما قدَّروه من اندفاع الشر عنهم في الآخرة، والمعنى: لا يندفع عنهم عذابي، ولا يجدون ولياً يصرف عنهم نقمتي، ثم ابتدأ مستأنفاً «جرم»، قال: وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعتى: كسبب كفرهم وما قدَّروا من الباطل وقوع العذاب بهم، في «جرم» فعل ماض، معناه: كسب، وفاعله مُضمر فيه من ذكر الكفر وتقرير الباطل. والثاني: أن معنى جرم: أحقَّ وصحَّحَ، وهو فعل ماض، وفاعله مضمر فيه، والمعنى: أحقَّ كفرُهم وقرعَ العذاب والخسران بهم، قال الشاعر(٢٠):

ولقد طَعَنْتُ أبا مُسَيِّنَةً طعنة جرمت فزارة بعدها أن يَغْضَبُوا(٢٠)

أراد: حقت الطعنةُ فزارة بالغضب. ومن العرب من يغيّرُ لفظ اجرم، مع الا، خاصة، فيقول بعضهم: الا مجرم،، ويقول آخرم، ويقول آخرم، ويقول آخرم، ويقال: الاذا جرم، والاذا جرم، بغير ميم، والا إن ذا جرم، والا عن ذا جرم، ومعنى اللغات كلها: حقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْبُوا إِلَى رَبِهِم ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: خافرا ربهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنابوا إلى ربهم، قاله قتادة. والرابع: اطمأنوا، قاله مجاهد. والخامس: أخلصوا، قاله مقاتل. وإلسادس: تخشّعوا لربهم، قاله الفراء. والسابع: تواضعوا لربهم، قاله الفراء. والسابع: تواضعوا لربهم، قاله ابن قتيبة. فإن قيل: لِم أوثرت وإلى على اللام في قوله: ﴿وَلَغْبُوا إِلَى رَبُهم والعادة جارية بأن يقال أخبتوا لربهم؟ فالمجواب: أن المعنى: وَجَهوا خوفَهم وخشوعهم وإخلاصهم إلى ربهم، واطمأنوا إلى ربهم. قال الفراء: وربما جعلت العرب وإلى في موضع اللام، كقوله: ﴿إِنَّ رَبِّكَ أَرْتَى لَهَا ﴿ الله الله على المفسرين: هذه الآية نازلة في وقد يجوز في العربية: فلان يخبت إلى الله، يريد يفعل ذلك موجهة إلى الله. قال بعض المفسرين: هذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله على وما قبلها نازل في المشركين. ثم ضرب للفريقين مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ الفَرِهتِين كَالْأَمْنَ وَالْأَمْنَ وَالْمُسَرِّينَ

⁽۱) - تقدم البيت ۱۸،۸ ه.

 ⁽٢) نسبه البطليوسي في «الاقتضاب» لأبي أسماء بن الضربية، وقبل: بل هو لعطية بن عفيف.

 ⁽٣) المجاز القرآن، ١٤٧/١، والاقتضاب، ٣١٣، واسيبويه، ١٩٨١، والمعاني القرآن، ٨٠، والقرطبي، ٢٥٤، واللسان، والتاج، جرم، والخزانة، ١٤٧/٤، واشراهد الكشاف، ٣٢.

قال مجاهد: الفريقان: المؤمن والكافر. فأما الأعمى والأصم فهو الكافر، وأما البصير والسميع فهو المؤمن. قال قتادة: الكافر عَمِيَ عن الحق وصُمَّ عنه، والمؤمن أبصرَ الحق وسمعَه ثم انتفع به، وقال أبو عبيدة: في الكلام ضمير، تقديره: مثل الفريقين كمثل الأعمى، وقال الزجاح: مثل الفريقين المسلمين كالبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنهم في عداوتهم وتركهم للفهم بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر.

قوله تعالى: ﴿ هَلَ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ أي: هل يستويان في المشابهة؟ والمعنى: كما لا يستويان عندكم، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر عند الله. وقال أبو عبيدة: «هل» هاهنا بمعنى الإيجاب، لا بمعنى الاستفهام، والمعنى: لا يستويان. قال الفراء: وإنما لم يقل: «يستوون» لأن الأعمى والأصم من صفة واحد، والسميع والبصير من صفة واحد، كقول القائل: مررت بالعاقل واللبيب، وهو يعنى واحداً، قال الشاعر:

وما أَدْرِي إِذَا يسمُّ مُن أَرضاً أَرضاً أَريدُ الخيرَ أيَّهما يليني (١)

فقال: أيّهما. وإنما ذكر الخير وحده، لأن المعنى يُعرف، إذ المبتغي للخير متّني للشر. وقال ابن الأنباري: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والسميع والبصير صفتان لمؤمن، فرّدٌ الفعل إلى الموصوفين بالأوصافه الأربعة، كما تقول: العاقل والعالم، والظالم والجاهل، حضوا مجلسي، فتثنّي الخبر بعد ذكرك أربعة، لأن الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعقل، وكذلك المنعوت بالجهل هو المنعوت بالظلم، فلما كان المنعوتان اثنين، رجع الخبر إليهما، ولم يُلتفت إلى تفريق الأوصاف، ألا ترى أنه يسوغ أن تقول: الأديب واللبيب والكريم والجميل قصدئي، فتوخّد الفعل بعد أوصاف لعلة أن الموصوف بهن واحد، ولا يمتنع عطف النعوت على النعوت بحروف العطف، والموصوف واحد، فقد قال تعالى: ﴿ النّبِينُ النّبِينُ النّبِينُ النّبِينَ النّبِينَ النّبِينَ النّبِينَ وقد قيل: الآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره، وكان دخول الواو دلالة على الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر، كما ينفرد الحامدون بالحمد دون على السائحون بالسياحة دون الحامدين، ويدل أيضاً على أن العرب تنسق النعت على النعت والمنعوت واحد، السائحين، والسائحون بالسياحة دون الحامدين، ويدل أيضاً على أن العرب تنسق النعت على النعت والمنعوت واحد، كقول الشاعر يخاطب سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان:

إذا سامَني ذلاً أكرنُ به أرْضَى

يَسْظُن أسعب ل وابن عسرو بالسني

﴿ فَتُسَقُّ ابْنُ عَمْرُوا عَلَىٰ سَغَيْدُ } وَهُو سَعَيْدُ ،

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَكَا نُوسًا إِنَ قَوْمِهِ إِنَّ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي «أني» بفتح الألف، والتقدير: أرسلناه بأني، وكأن الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الإخبار عن الغائب إلى خطاب نوح قومه. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة (إني» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، والتقدير: فقال لهم: إني لكم نذير.

قوله تعالى: ﴿مَا نَرَىكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ أي: إنساناً مثلنا، لا فضل لك علينا. فأما الأراذل، فقال ابن عباس: هم السَّفَلة. وقال ابن قتيبة: هم جمع «أرذل»، يقال: رجل رَذْل، وقد رَذُل رذالة ورُذُولة. ومعنى الأراذل: الشرار.

قوله تعالى: ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ قرأ الأكثرون (بادِيَ) بغير همز. وقرأ أبو عمرو بالهمز بعد الدال. وكلهم همز «الرأي»

غير أبي عمرو. وللعلماء في معنى «بادي» إذا لم يُهمز ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأرذالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أن المعنى أن هؤلاء القوم اتَّبعوك في ظاهر ما يُرى منهم، وطويَّتُهم على خلافك. والثالث: أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلت، ولو رجعوا إلى التفكر لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهمز، لأنه مِن بدا، يبدو؛ إذا ظهر. فأما من همز «بادئ» فمعناه: ابتداء الرأي، أي اتَّبعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَيَىٰ لَكُمُّ مَلَيْنَا مِن فَشَلِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من فضل في الخلق، قاله ابن عباس. والثاني: في الملك والمال ونحو ذلك، قاله مقاتل. والثالث: ما فُضَّلتم باتباعكم نوحاً، ومخالفتكم لنا بفضيلة نتبعكم طلباً لها، ذكره أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿بُلُ نَطُكُمُمْ كَاذِبِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: نتيقنكم، قاله الكلبي. والثاني: نحسبكم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَرْمَيْتُمُ إِنْ كُنتُ مَلَنَ بِيَنَوْ مِن رَبِّ ﴾ أي: على يقين وبصيرة. قال ابن الأنباري: وقوله: اإن كنت، شرط لا يوجب شكاً يلحقه، لكن الشك يلحق المخاطبين من أهل الزيغ، فتقديره: إن كنتُ على بينة من ربي عندكم. ﴿وَيَالَنِنِي رَحْمَةُ مِنْ عِيدِهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها النبوَّة، قاله ابن عباس. والثاني: الهداية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَمُنِينَ عَلِيَكُو﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَعَمِيتُ» بتخفيف الميم وفتح العين. قال ابن قتيبة: والمعنى: عميتم عنها، يقال: عمي عليً هذا الأمر: إذا لم أفهمه، وعميت عنه بمعنى. قال الفراء: وهذا مما حوَّلت العرب الفعل إليه، وهو في الأصل لغيره، كقولهم: دخل الخاتم في يدي، والمخف في رجلي، وإنما الإصبع تدخل في الخاتم، والرجل في الخف، واستجازوا ذلك إذ كان المعنى معروفاً. وقرأ حنزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَعُمِّيتُ» بضم العين وتشديد الميم. قال ابن الأنباري: ومعنى ذلك: فعمّاها الله عليكم إذ كنتم ممن حُكم عليه بالشقاء. وكذلك قرأ أبني بن كعب، والأعمش: ﴿فعمّاها عليكم》. وفي المشار إليها قولان: أحدهما: البيّنة. والثانى: الرحمة.

قوله تعالى: ﴿أَنْزُوْكُمُومًا﴾ أي: أنَّازمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لا نقدر أن نُلزمكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله على الأزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك. وقبل: كان مواد نوح على وقلهم: ﴿وَمَا زَكِنَ لَكُمُ عَلَيْنَا مِن فَضْلِ﴾ فبين فضله وفضل مَن آمن به بأنه على بيّنة من ربه، وقد آتاه رحمةً من عنده، وسلب المكذّبون ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَآ أَشَالُكُمُ عَلَيْهِ﴾ أي: على نصحي ودعائي إياكم ﴿مَالَاَّ﴾ فنتهموني. وقال ابن الأنباري: لما كانت الرحمة بمعنى الهدى والإيمان، جاز تذكيرها.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا آَنَا بِطَارِدِ اللَّذِينَ ءَامَنُوَأَ ﴾ قال إبن جريج: سألوه طردهم أنفة منهم، فقال: لا يجوز لي طردهم، إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم. وفي قوله: ﴿ وَلَكِخِقَ اَرَنَكُمْ قَوَا عَبَهَالُوكَ ﴾ قولان: أحدهما: تجهلون أن هذا الأمر من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: تجهلون لأمركم إباي بطرد المؤمنين، قاله أبو سليمان.

﴿ وَيَنَقَرِ مَن يَنْصُرُنِ مِنَ اللّهِ إِن مَلَوَّتُمُّ أَفَلَ لَذَكَرُونَ ۞ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَانِ اللّهِ وَلاَ أَفَلُ الْفَيْتِ وَلاَ أَقُولُ إِلَى مَلَكُ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَرِتَ أَعْمُنُكُمْ لَن يُوْتِمُمُ اللّهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُرِهِمْ إِنِ إِنَا لَيْنَ الظّلِيدِينَ ۞ قَالُوا يَنْفِحُ مَذَ جَمَدُلْتَنَا مَلْحَثَرَتَ جِدَلْنَا فَالْنِنَا بِمَا تَهِدُنَا إِن حُسُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِدِ اللّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْدُ بِمُعْجِرِنَ ۞ وَلا يَنْفَكُمُ نُصْبِى إِنْ أَرْدُتُ أَنِ أَنْسَتَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَنْ يُمْوِيكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِنْهِ تُرْجَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَيَكْتَوْرِ مَن يَنصُرُنِ ﴾ أي: من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خُزَاتِنُ اللَّهِ ﴾ قال ابن الأنباري: أراد بالخزائن: علم الغيب المطوي عن الخلق،

لأنهم قالوا له: إِنما اتَّبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك، فقال لهم: ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر. وإِنما قيل للغيوب: خزائن، لغموضها عن الناس واستتارها عنهم. قال سفيان بن عيينة: إِنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلتَ خزانةً فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْنَيْبَ﴾ قيل: إنما قال لهم هذا، لأن أرضهم أجدبت، فسألوه: متى يجيء المطر؟ وقيل: بل سألوه: متى يجيء العذاب؟ فقال: ولا أعلم العيب. وقوله: ﴿وَلاَ أَتُولُ إِنَّ مَلَتُ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَا نَرْسُكَ إِلَّا بَشَرًا مِنْلَنَا﴾ [مود: ٢٧]. ﴿وَلاَ أَتُولُ لِلَّذِينَ تَرْدَيَ أَعَيْنُكُمْ ﴾ أي: تحتقر وتستصغر المؤمنين. قال الزجاج: فتزدري، تستقل وتستخس، يقال: زريت على الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأزريت به: إذا قصرت به. وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً، لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، فالناء بعد الزاي الدال لجهرها.

قوله تعالى: ﴿ لَن يُؤِيِّبُهُمُ اللّهُ خَيْلًا ﴾ قال ابن عباس: إيماناً. ومعنى الكلام: ليس لي أن أطّلِع على ما في نفوسهم فأقطع عليهم بشيء، وليس لاحتقاركم إياهم يبطل أجرهم. ﴿ إِنَّ إِذَا لَينَ الظّليلِينَ ﴾ إِن قلت هذا الذي تقدم ذكره، وقيل: إِن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَندَلَتَنَا﴾ قال الزجاج: الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة، وهو مأخوذ من الجَدْل، وهو شدة الفتل، ويقال للصقر: أجدل، لأنه من أشد الطير. ويُقرأ فجَدْلُنَا.

قوله تعالى: ﴿فَأَلِنَا بِمَا تَمِدُنّا ﴾ قال ابن عباس: يعنون العذاب. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلسَّدِوَبِينَ﴾ أنه يأتينا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْدَتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾ أي أنصحكم. وفي هذه الآية شرطان، فجواب الأول النصح، وجواب الثاني النفع.

قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُنْوِيَكُمُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يُضلكم، قاله ابن عباس. والثاني: يُهلككم، حكاه ابن الأنباري. وقال: هو قول مرغوب عنه. والثالث: يضلكم ويهلككم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: هو أولى بكم، يتصرف في ملكه كما يشاء ﴿وَلِلَّذِهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱلْغَرَلَةُ أَنَّ إِنِ ٱلْغَرَيْتُهُ لَعَلَى إِجْرَامِهِ وَأَنَا بَرِيَّ * يَمَّا جُحْدِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُوكَ﴾ قال الزجاح: المعنى: أيقولون: (افتراه)؟ قال ابن قتيبة: الافتراء: الاختلاق. ﴿فَعَلَ إِجْرَائِ﴾ أي: جرم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت. ﴿وَأَنَا بَرِئَهُ مِنَا يُخْتِرِمُونَ﴾ في التكذيب. وقرأ أبو المتوكل، وابن السميفع: «فعليَّ أجرامي» بفتح الهمزة.

﴿ وَأُرْجِكَ إِلَىٰ نُوجِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ فِن قَرْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَهِسْ بِمَا كَانُواْ يَقْمَلُونَ ۖ ﴾

قوله ثمالى: ﴿وَأُرِيحَ إِنَ ثَرِجَ أَنَّمُ لَن يُؤْمِحَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَاسَنَ﴾ قال المفسرون: لما أوحي إليه هذا، استجاز الدعاء عليهم، فقال: ﴿لَا نَذَرْ عَلَ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ دَيَالًا﴾ [نوح: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا نَبْتَهِسُ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: لا تحزن. وقال الفراء، والزجاج: لا تستكن ولا تحزن. قال أبو صالح عن ابن عباس: فلا تحزن إِذا نزل بهم الغرق ﴿يِمَا كَانُواْ يَنْمَلُونَ﴾

﴿وَاصْنَعَ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَخِينَا وَلا غَنَطِبْنِي فِي الَّذِينَ طَلَمُواً إِنَّهُم مُّغَرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ اَلْفُلَكَ وَكُلْمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلاَّ بِن فَوْمِهِ. سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَا فَإِنَّا نَسْخُرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَع الْفُلْكَ﴾ أي: واعمل السفينة. وفي قوله: ﴿ بِأَعَيْنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بمرأى منا، قاله ابن عباس. والثاني: بحفظنا، قاله الربيع. والثالث: بعلمنا، قاله مقاتل. قال ابن الأنباري: إنما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، تقول: خرجنا إلى البصرة في السفن، وإنما جمع، لأن من عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا. وفي قوله: ﴿ وَوَحْبِنا ﴾ قولان: أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها. والثاني: وبتعليمنا إياك كيف تصنعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَطِّبُنِى فِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓأَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تسألني الصفح عنهم. والثاني: لا تخاطبني في إمهالهم. وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه.

الإشارة إلى كيفية عمل السفينة

روى الضحاك عن ابن عباس قال: كان نوح يُضرب ثم يُلفُّ في لِبْدٍ فيُلقى في بيته، يُرَوْن أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم. حتى إذا يئس من إيمان قومه، جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصاً، فقال: يا بني، انظر هذا الشيخ لا يغررك؛ قال: يا أبت أمكني من العصا، فأخذها فضربه ضربةً شجه مُوْضِحَةً^(١)، وسالت الدماء على وجهه، فقال: رب قِد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدهم، وإلا فِصبِّرني إلى أن تحكم، فأوحى الله إليه ﴿ أَنَّهُ لَن يُؤْمِرَكَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَصَّنَعِ ٱلْفُلَّكَ ﴾، قال يا رب، وما الفلك؟ قال: بيت من خشب پجري على وجه الماء أنجّي فيه أهل طاعتي، وأغْرِق أهل معصيتي، قال: يا رب، وأين الماء؟ قال: إني على ما أشاء قدير، قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: اغرس الشجر، فغرس الساج^(٢) عشرين سنة ، وكفّ عن دعائهم، وكفُّوا عنه، إلا أنهم يستهزئون به، فلما أدرك الشجر، أمره ربه، فقطعه وجفَّفَه ولئَّقَه، فقال: يا رب، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاث صور، رأسه كرأس الطاووس، وجؤجؤه كجؤجؤ الطائر، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة، وبعث الله إليه جبريل يعلمه، وأوحى الله إليه أن عجِّل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على مَنْ عصاني، فاستأجر نجارين يعملون معه، وسام، وحِام، ويافث، معه ينحتون السفينة، فجعل طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمانة وثلاثين ذراعًا، وعلوها ثلاثاً وثلاثين، وفجَّرَ الله له عين القار تغلي غلياناً حتى طلاها. وعن ابن عباس قال: جعل لها ثلاث بطون، فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام، وفي الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى. وروي مِن الحسن أنه قال: كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع، وماتنا ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وقال قتادة: كانت فيما ذُكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال ابن جريج: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ومائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس، وفي أسفلها السباع. وزعم مقاتل أنه عمل السفينة في أربعمائة سنة.

قوله تعالى: ﴿وَيَحِكُلُنا مَرَّ عَلَيْهِ مَلاً مِن قَرِّمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ فيه قولان: أحدهما: أنهم رأوه يبني السفينة وما رأوا سفينة قط، فكانوا يسخرون ويقولون: صرت بعد النبوَّة نجاراً؟ وهذا قول ابن إسحاق! والثاني: أنهم قالوا له: ما تصنع؟ فقال: أبني بيتاً يمشي على الماء، فسخروا من قوله، وهذا قول مقاتل. وفي قوله: ﴿إِن تَسْخَرُا مِنا فَإِنَا نَسْخَر مِن غَفْلتكم. والثاني: إِن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فإنا نسخر منكم عند الغرق، ذكره المفسرون. والثالث: إِن تسخروا منا في الدنيا، فإنا نسخر منكم في الآخرة، قاله ابن جرير. والرابع: إِن تستجهلونا، فإنا نستجهلكم، قاله الزجاج. والخامس: إِن تسخروا منا، فإن نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية، ليتفق اللفظان فكما بينا في قوله: ﴿أَلَهُ يُسَمِّرُنَا بِرَمُ البَارِهِ: ١٥]، هذا قول ابن الأنباري. قال ابن عباس: لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان.

﴿ فَسَوْفَ مَمْ لَمُونَ مَن بَأْلِيهِ عَذَاتُ يُمْزِيهِ وَيَجِلُ عَلَتِهِ عَذَاتُ مُّقِيمٌ ﴿ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نَمُلَمُوكَ﴾ هذا وعيد، ومعناه: فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية، ومن هو أحمد عاقبة. ** قوله تعالى: ﴿مَن يَأْنِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُذلُّه، وهو الغرق. ﴿وَيَجِلُ عَلَبُهِ﴾ أي: ويجب عليه ﴿عَلَابٌ مُولِيمُ﴾ في الآخرة.

⁽١) الموضحة: الشجة التي بلغت العظم، فأوضحت عنه. ولا قصاص في شيء من الشجاج إلا في الموضحة، وفي غيرها الدية.

 ⁽٢) الساّح: شخر يعظم جداً، ويلنّف طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الديلمية، يتغطى الرّخِل بورةة منه، فتكنه من المطر، وله رائحة طيبة تشابه رائحة ورق الجوز مع رقة وتعمة.

﴿حَقَّةَ إِذَا جَلَةَ أَتُرُنَا وَفَارَ النَّتُورُ قُلْنَا آخِلَ فِيهَا مِن كُلِ زَقِيَةِينِ آثَنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْفَوْلُ وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعْدُم إِلَّا فَيِلُّ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ حَنَّ إِذَا كُمَّ أَثْرُنَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء أمرنا بعذابهم وإهلاكهم. والثاني: جاء عذابنا وهو المماء، ابتدأ بجنبات الأرض فدار حولها كالإكليل، وجعل المطر ينزل من السماء كأفواه القرب، فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هرباً من الماء حتى اجتمعن عند السفينة، فحيننذ حمل فيها من كل زوجين اثنين.

قوله تعالى: ﴿ وَفَارَ ٱلنَّنُورُ ﴾ الفور: الغليان؛ والفوَّارة: ما يفور من القِنْر، قاله ابن فارس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: التنور: اسم فارسَى معرَّب لا تعرف له العرب اسماً غير هذا، فلذلك جاء في التنزيل، لأنهم خوطبوا بما عرفوا. وروي عن ابن عباس أنه قال: التنور، بكل لسان عربي وعجمي. وفي المراد بهذا التنور ستة أقوال: أحدها: أنه اسم لوجه الأرض، رواه عكرمة عن على عليه الله. وروى الضحاك عن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، قال: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة، والزهري. والثاني: أنه تنوير الصبح، رواه أبو جحيفة عن على ﷺ. وقال ابن قتيبة: التنوير عند الصلاة. والثالث: أنه طلوع الفجر، روي عن على أيضاً، قال: «وفار التنور»: طلع الفجر. والرابع: أنه طلوع الشمس، وهو منقول عَن على أيضاً. والخامس: أنه تنور أهله، روى العوفي عن ابن عباس قال: إذا رأيت تنُّور أهلك يخرج منه الماء، فإنه هلاك قومك. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أنه تنور آدم ﷺ، وهبه الله لنوح، وقيل له: إذا فار الماء منه، فاحمل ما أمرت به. وقال الحسن: كان تنوراً من حجارة، وهذا قول مجاهد، والفراء، ومقاتل. والسادس: أنه أعلى الأرض وأشرفها (١٠). قال ابن الأنباري: شُبهت أعالى الأرض وأماكنها المرتفعة لعلوها، بالتئانير. واختلفوا في المكان الذي فار منه التنور على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبَّة العرني عن على ﷺ. وقال زِرُّ بن حُبَيشٌ: فار التنور من زاوية مسجد الكوفة اليمني. وقال مجاهد: نبع الماء من التنور، فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف بالله ما كان التنور إلا بناحية الكوفة. **والثاني**: أنه فار بالهند، رواه عكرمة عن ابن عباس: والثالث: أنه كان في أقصى دار نوح، وكانت بالشام في مكان يقال له: عين وردة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا اَثْمِلَ فِهَا﴾ أي: في السفينة ﴿ مِن كُلِّ نَدُجَيْنِ اَتُنْيَنِ ﴾. وروى حفص عن عاصم: «من كُلًا بالتنوين. قال أبو على: والمعنى: من كل شيء، ومن كل زوج زوجين، فحذف المضاف. وانتصاب «اثنين» على أنهما صفة لزوجين، وقد علم أن الزوجين اثنان، ولكنه توكيد. قال مجاهد: من كل صنف، ذكراً وأنثى. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً، ويكون اثنين، وهو هاهنا واحد، ومعنى الآية: احمل من كل ذكر وأنثى اثنين. وقال الزجاج: المعنى: احمل زوجين اثنين من كل شيء، والزوج في كلام العرب يجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما: زوجان، يقال: عندي زوجان من الطير، إنما يريد ذكراً وأنثى فقط. وقال ابن الأنباري: إنما قال «اثنين» فثنى الزوج، لأنه قصد قصد الذكر والأثنى من الحيوان، وتقديره: من كل ذكر وأثنى.

قوله تعالى: ﴿وَأَهَلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك. قال المفسرون: أراد بأهله: عياله وولده. ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْلَوْلُ﴾ ` أي: سبق عليه القول من الله بالإِهلاك. قال الضحاك: وهم امرأته وابنه كنعان.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَ ءَامَنَ ﴾ معناه: واحمل من آمن. ﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ وفي عددهم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثمانين رجلاً معهم أهلوهم، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن نوحاً حمل معه ثمانين إنساناً، وبنيه الثلاثة، وثلاث نسوة لبنيه، وامرأة نوح، رواه يوسف بن مهران عن أبن عباس. والثالث: كانوا ثمانين إنساناً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. والرابع: كانوا أربعين، ذكره ابن جريج عن

⁽١) قال ابن كثير ٢/ ٤٤٥ بعد أن ساق أكثر هذه الأقوال: وهذه أقوال غرية.

ابن عباس. والخامس: كانوا ثلاثين رجلاً، رواه أبو نهيك عن ابن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، قال الحكم بن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، قال الحكم بن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، وثلاثة بنين له، وساؤهم، فجماعتهم ثمانية، وهذا قول القرظي، وابن جريج. والسابع: كانوا سبعة، نوح، و ثلاث كنائن له وثلاثة بنين، قاله الأعمش. والثامن: كانوا عشرة سوى نسائهم، قاله ابن إسحاق. وروي عنه أنه قال: الذين نَجَوا مع نوح بنوه الثلاثة، ونساؤهم ثلاث، وستة ممن آمن به (۱).

﴿ وَقَالَ الْحَبُوا فِيهَا يِسْمِ اللَّهِ مَعْرِيهَا وَمُرْسَهَا إِذَا رَبِّي لَنَفُورٌ رَعِيمٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحاً للذين أمر بحملهم ﴿ ارْحَكُوا ﴾ السفينة. قال ابن عباس: ركبوا فيها لعشر مضين من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء. وقال ابن جريج: رفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضين من رجب، فأتت موضع البيت فطافت به أسبوعاً، وكان البيت قد رُفع في ذلك الوقت، ورست بباقردى (٢٠ على الجودي يوم عاشوراء. قال ابن عباس: قرض الفأر حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سنوران، وكان في السفينة عَلِرة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج حنزيران فأكلا ذلك (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ يِسْمِ اللَّهِ بَعْرِهَا وَمُرْسَهَأً ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُجراها» بضم الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مُجراها» بفتح الميم، وكسر الراء. وكلهم قرؤوا بضم الميم من «مرساها»، إلا أن ابن كثير، وأبا عمرو، وابن عامر، وحفصاً عن عاصم، كانوا يفتحون السين. ونافع، وأبو بكر عن عاصم، كانا يقرآنها بين الكسر والتفخيم. وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلونها. وليس في هؤلاء أحد جعلها نعتاً له، وإنما جعل الوصفين نعتاً لله تعالى، الحسن، وقتادة، وحُميد الأعرج، وإسماعيل بن مجالد عن عاصم، فقرؤوا (مُجريها ومُرسِيها) بضم الميم، وبياءين صحيحتين، مثل مبديها ومنشيها. وقرأ ابن مسعود: «مُجراها» بفتح الميم، وإمالة الراء بعدها ألف، «ومُرساها» برفع الميم، وإمالة السين بعدها ألف. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «مَجرَاها» بفتح الميم والراء، وبألف بعدها، و«مُرسَاها»، برفع الميم وفتح السين، وبألف بعدها. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «مَجراها ومَرساها» بفتح الميم فيهما جميعاً، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الميمين، إلا أنه أمال الراء والسين فيهما. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن جبير، برفع الميم فيهما، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما جميعاً. فمن قرأ بضم الميمين، جعله من أجرى وأرسى. ومن فتحهما، جعله مصدراً من جرى الشيء يجري مَجرى، ورسى يرسي مَرسى. قال الزجاج: قوله: ﴿ يِسْمِ اللَّهِ ﴾ أي: بالله، والمعنى: أنه أمرهم أن يسمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها. ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجراؤها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، ويالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في امُجراها، أراد: أجراها الله مُجريّ، ومن فتحها، أراد: جرت مُجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسى، قال: بسم الله، فرست.

﴿ وَهِنَ تَبْرِيَ بِهِنْمِ فِى مَنْجَ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوخُ اَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلِ بَنْبُنَى الرّكَب مُمَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الكَفِينَ ﴿ قَالَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ مَن زَحِمٌ وَمَالَ بَيْنَهُمَا اللّهُ مُ فَكَانَ مِنَ اللّهُ وَقِي ﴾ تَنَافِئ اللّهُ مَن يَحِمُ وَمَالَ بَيْنَهُمَا اللّهُ مُ فَكَانَ مِنَ اللّهُ وَقِي اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللل

⁽١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَرَآ ءَائِنَ مَعُهُۥ إِلَّا فَيَلُ ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.
رسول الله ﷺ.

 ⁽٢) ضبطه ياقوت بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة بالقرب من جبل المجودي.

 ⁽٣) الخبر ذكره الطبري ٣٤٢/١٥ عن ابن عباس وفيه علي بن زيد بن جدهان وهو ضعيف، وأورده ابن كثير عن ابن جرير واستغربه، وليس يشك عاقل أن
 هذا الخبر من بقية أخبار بني إسرائيل، ولا يبلغ أن يكون شيئاً.

أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً، ويروى خمس عشرة ذراعاً. وذكر بعض المفسرين أنه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخاً من الأرض.

قوله تمالى: ﴿وَنَادَىٰ ثُوحُ آتِنَاتُمُ﴾ لا يختلفون أنه كان كافراً. وفي اسمه قولان: أحدهما: كنعان، وهو قول الأكثرين. والثاني: اسمه يام، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَكَاكَ فِي مَعْزِلِ﴾ المعزل: المكان المنقطع. ومعنى العزل: التنحية. وفي معنى الكلام وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: في معزل من السفينة. والثاني: في معزل من دين أبيه.

قوله تعالى: ﴿يَبُنَى آرَكِ مَمَنا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي
إلى بني اركب مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم إلى بني مفتوحة الياء هاهنا، وباقي القرآن مكسورة.
وروى حفص عنه بالفتح في كل القرآن إلى بني إذا كان واحداً. قال النحويون: الأصل في ابني ثلاث ياءات، ياء التصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ إلى بني أراد: يا بنيي، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدل عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة، استثقالاً لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا.

قوله تعالى: ﴿سَكَادِئَ﴾ أي: سأصير وأرجع ﴿إِلَىٰ جَمَلِ يَشْمِسُنِى﴾ أي يمنعني ﴿يِرَبُ ٱلْمَآءُ﴾ أي: من تغريق الماء. ﴿قَالَ لَا عَامِمَ ٱلْهُوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا مانع اليوم من أمر الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا معصوم، ومثله: ماء دافق، أي: مدفوق، وسرَّ كاتم، وليلٌ نائم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَجِمُّ ﴾ قال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم. قال مقاتل: إلا من رحم فركب السفينة.

قوله تُعالى: ﴿وَكَالُ بَيْنَهُمُا ٱلْمَوْمُ ﴾ في المكني عنهما قولان: أحدهما: أنهما ابن نوح والجبل الذي زعم أنه يعصمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: نوح وابنه، قاله مقاتل.

﴿ وَبَهِ لَ يَتَأْرَشُ اللَّهِى مَآءَكِ وَيَنَسَمَاهُ آفِلِي وَغِيضَ المَآهُ وَقَعِنَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتَ عَلَ لَلْمُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْرِ الظَّلِلِينَ ﴿ وَانَاهَ وَقَعِنَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتَ عَلَ لَلْمُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْفَوْرِ الظَّلِلِينَ ﴿ وَانَاهُ فَلَا كَا يَكُونُ إِنَّهُ لَيَكُ مِنَا أَعْلَمُ الْمُكِينَ ﴿ وَالْمَالُونَ مِنَ أَهْلِكُ إِنَّهُ عَمَلُ غَبُرُ مَلِيحٌ فَلا تَشَوَلُونَ مِنَ الْمَنْفِلِينَ ﴿ وَالْمَالُونَ مِنَ الْمَنْفِلِينَ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ الْمُنْفِلِينَ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ الْمُنْفِلِينَ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ مِنْ الْمُنْفِلِينَ ﴾ وَمَدْكَ الْمَنْفِلِينَ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ الْمُنْفِلِينَ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْلُ مَا لَمُنْ عَلَلْ عَلَيْكُ إِلَى اللَّهُ عَلَا لَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَالَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَالَ عَلَيْكَ عَلَا لَكُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّالِيلُكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَالَالِيلُولِيلُكُ اللَّهُ عَلَالًا عَلَالَالِيلِيلِيلَالِيلُولِيلِيلَالِيلُولِيلِكُ اللَّهُ عَلَيْلُكُ عَلَا لَهُ عَلَيْلُكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَا لَهُ عَلَالَ عَلَالَالِكُولُولِ اللَّهُ عَلَيْلُكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَالِكُ عَلَالَالِلَّالِلَهُ عَلَالَاللَّهُ عَلَيْلُولُولُولُولِ اللَّهُ عَلَى اللّ واللَّهُ عَلَيْلُهُ عَلَيْلِنَالِمُ اللَّهُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلِيلُولِللَّهُ عَلَيْلِكُمْ اللَّهُ عَل

قوله تعالى: ﴿وَيَدَلَ يَتَأْرَضُ آبَلَي مُآءَكِ﴾ وقف قوم على ظاهر الآية، وقالوا: إِنما ابتلعت ما نبع منها، ولم تبتلع ماء السماء، فصار ذلك بحاراً وأنهاراً، وهو معنى قول ابن عباس. وذهب آخرون إلى أن المراد: ابلعي ماءك الذي عليك، وهو ما نبع من الأرض ونزل من السماء، وذلك بعد أن غرق ما على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَيَكْسَمَهُ أَتْلِي﴾ أي: أمسكي عن إنزال الماء. قال ابن الأنباري: لما تقدم ذكر الماء، عُلم أن المعنى: أقلعي عن إنزال الماء.

قوله تعالى: ﴿وَغِينَ ٱلْمَآهُ﴾ أي: نقص. قال الزجاج: يقال: غاض الماء يغيض: إذا غاب في الأرض. ويجوز إشمام الضم في الغين.

قوله تعالى: ﴿رَقَٰنِىَ ٱلأَمْرُ﴾ قال ابن عباس: غرق مَنْ غرق، ونجا مَنْ نجا. وقال مجاهد: قضي الأمر: هلاك قوم نوح. وقال ابن قتيبة: ﴿وقضي الأمر﴾ أي: فرغ منه. قال ابن الأنباري: والمعنى: أحكمتُ هلكة قوم نوح، فلما دلت القصة على ما يبيَّن هلكتُهم، أغنى عن نعت الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَاَسْتَرَتْ﴾ يعني السفينة ﴿عَلَ لَلْبُودِيِّ﴾ وهو أسم جبل، وقرأ الأعمش، وابن أبي عبلة: «على الجودي» بسكون الياء. قال ابن الأنباري: وتشديد الياء في «الجودي» بشكون الياء، قال ابن الأنباري: وتشديد الياء في «الجودي» بسكون الياء، قال ابن الأنباري:

وهاشمي. وقد خففها بعض القراء. ومن العرب من يخفف ياء النسبة، فيسكنها في الرفع، والخفض، ويفتحها في النصب، فيقول: قام زيد العلوي، ورأيت زيداً العلوي. قال ابن عباس: دارت السفينة بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه. واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بالموصل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: بالجزيرة، قاله مجاهد، وقتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل. والثالث: أنه بناحية آمِد، قاله الزجاج. وفي علة استوائها عليه قولان: أحدهما: أنه لم يغرق، لأن الجبال تشامخت يومئذ وتطاولت، وتواضع هو فلم يغرق، فأرست عليه، قاله مجاهد. والثاني: أنه لما قلَّ الماء أرسَتُ عليه، فكان استواؤها عليه دلالة على قلة الماء.

قوله تعالى: ﴿ وَمِيلَ بُقَدًا لِلْقَوْرِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ قال ابن عباس: بُعداً من رحمة الله للقوم الكافرين. فإن قبل: ما ذنب من أُغرق من البهائم والأطفال؟ فالجواب: أن آجالهم حضرت، فأميتوا بالغرق، قاله الضحاك، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّ آتِنِ مِنَ آهِلِ ﴾ إِنَّما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿ وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُ وَأَنتَ أَمَّكُم لَكَكِينَ ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق. واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين: أحدهما: أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والجمهور، والثاني: أنه ولد على فراشه لغير رشدة (۱) ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري بإسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته، وعن مجاهد نحو ذلك (۱). أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته، وعن مجاهد نحو ذلك (۱). وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلد على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿ إِنَّمُ لِنَنْ مَنْ اللَّهُ فَولان: أحدهما: ليس من أهل دينك، والثاني: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط(۱)، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولاجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنَلُ عَبُرُ مَالِمٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: ﴿إنه عمل ونع منون وفيرُ صالح وفيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: ﴿ورب إِن ابني مِن أهلي ، فرجعت الكناية إليه والثاني: أنه يرجع إلى المسؤول فيه. وفي هذا المعنى قولان: أحدهما: أنه لغير رشدة، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إن أصل المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عمل غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف المضاف، وأقام العمل ابنك الذي تظن أنه ابنك عمل غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: «عَمِلَ وكسر الميم وفتح اللام ﴿فيرَ صالح وقتح الراء وشير إلى أنه مشرك.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسَالُونَ مَا لِيَسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «فلا تسألنٌ بفتح اللام، وتشديد النون، غير أن نافعاً، وابن عامر، كسرا النون، وفتحها ابن كثير، وحذفوا الياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، بسكون اللام وتخفيف النون، غير أن أبا عمرو، وأبا جعفر، أثبتا الياء في الوصل، وحذفاها في الوقف، ووقف عليها يعقوب بالياء، والباتون يحذفونها في الحالين. قال أبو علي: من كسر النون، فقد عدًى السوال إلى مفعولين، أحدهما: اسم المتكلم، والآخر: الاسم الموصول، وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم

⁽١) يقال: وله لغير رشدة، أي: لغير نكاح صحيح.

 ⁽۲) قال ابن كثير (منده) في تعلق طبعيع.
 (۲) قال ابن كثير (٤٤٨/ : وقد نص غير واحد من الأثمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية، ويحكى القول بأنه

ليس باينه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد، والحسن، وهييد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج. (٣) قال ابن كثير ٤٤٨/٢ : وكذا روي عن مجاهد أيضاً، وعكرمة، والفنحاك، وميمون بن مهران، وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر ابن جرير الطبري، وهو الصواب الذي لا شك قيه.

لاجتماع النونات. وأما إِثبات الياء في الوصل فهو الأصل، وحذفها أخف، والكسرة تدل عليها، وتُعلِمُ أن المفعول مراد في المعنى. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نسبته إليه، وليس منه. والثاني: في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم. والثالث: سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَمِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَن ليس مِنْ حزبك. والثاني: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس مِنْ حزبك. والثاني: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلك.

﴿ فِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطَ بِسَلَوِ مِنَا وَبُرَكَتِ عَلَىٰكَ وَعَلَىٰ أَسُو يَمَّن مَّمَكَ وَأُمَّهُ سَنُسَتُهُمُ ثُمَّ يَسَسُهُم يَنَا عَذَابُ أَلِيتُ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَنُومُ مَا اللهِ عَالَى: ﴿ يَنُومُ مَا اللهِ عَالَى الْأَرْضِ ﴿ يَسَلَوِ يَنَا ﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَتُ عَلَكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أباً للبشر جميعاً، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَمَلَى أُمْدِ بِنَّن مَّمَكَ عَلَى قال ابن عباس: يريد؛ من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك، والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأَمَرُ اللهُ أَي: من الذرية أيضاً، والمعنى: وفيمن نَصِفُ لك أُمم، وفيمن نقص عليك أمره أُمم. ﴿سَمُنْمَتُهُمُ أَي: في الدنيا ﴿مُمَّ يَسَتُهُم يَنَا عَذَابً البِيهُ في الآخرة. قال محمد بن كعب المقرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومثذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك المتاع والعذاب.

﴿ يَلْكَ مِنْ أَنْهُمْ الْمَيْتِ فُرْجِهَا إِلَيْكُ مَا كُنتَ تَمَلَكُهُا أَنتَ وَلا فَوْمُكَ مِن قَبلِ هَذَا فَاصِرِ أَنَ الْمَعْبَدُ إِلَى الْمَعْبَدُوا اللهِ عَبْرُمَةً إِنْ أَنشُدُ إِلّا مُفَتَّرُونَ فَي يَتَقُورِ لاَ أَشَكُرُ عَلَهِ أَجْرَكُ إِنْ أَنشُدُ إِلّا مَفَتَرُونَ فَي يَتَقُورِ لاَ أَشَكُرُ عَلِهِ أَجْرًا إِنَهُ مَ لَكُ مُعَلِقُورِ الْمَعْبَدُوا اللهِ عَبْرُمَةً إِنْ أَنشُد إِلَا مَفْرَدُونَ فَي يَعْوِرُهُ اللهُ عَنْدُولُوا وَيَبَوْمُ أَنْ اللهُ عَبْرُولُوا وَيَبَوْمُ مُؤَةً إِلَى اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْدُولُوا وَيَبِوْمُ مُؤَةً إِلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ

القدوم، وإذا أنْث، ذهب إلى القَدْمَة. قوله تعالى: ﴿مِن مَثْلِ هَنَدَّا﴾ يعني القرآن. ﴿مَاشَيْرٌ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه: ﴿إِنَّ ٱلْمَنْقِبَةَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿ اِلثَمَّقِينِ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُرْ إِلَّا مُنْتَرُونَ﴾ أي: ما أنتم إِلا كاذبون في إِشراككم مع الله الأوثان. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [بونس: ٧٦] إلى قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَآةَ عَلَيْكُمْ يَدْرَارًا﴾ وهذا أيضاً قد سبق تفسيره في سورة [الأنعام: ٦١]. والسبب في قوله لهم ذلك، أن الله تعالى حبس المطر عنهم ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فوعدهم إحياء بلادهم وبسط الرزق لهم إن آمنوا.

قوله تعالى: ﴿رَيَزِدَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُرِّيكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الولد وولد الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزدكم شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: خِصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَنُوْلُوا بُحْرِمِينِ ﴾ قال مقاتل: لا تُعرضوا عن التوحيد مشركين.

قوله تعالى: ﴿مَا حِتْنَنَا بِبَيْنَةِ﴾ أي: بحجة واضحة. ﴿وَمَا غَنُ بِتَارِكِ ءَالِهَلِنَا﴾ يعنون الأصنام. ﴿عَن قَوْلِك﴾ أي: بقولك، و «الباء» و «عن» يتعاقبان.

﴿إِن نَفُولُ إِلَا اَعَنَرَنِكَ بَعْضُ مَالِهَتِهَا بِسُوَوُّ قَالَ إِنِّ أَشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوٓا أَنِي بَرِيَةٌ يَمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِيَّ. فَكِيدُونِ جَبِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۞ إِنِّ قَوْكُمَاتُ عَلَ اللّهِ رَقِ وَرَبِيْكُمْ مَا مِن دَاتَتِهَ إِلّا هُوَ مَاخِذًا بِنَامِمَيْنَأً إِنَّ رَقِ عَلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿إِن نَتُولُ﴾ أي: ما نقول في سبب مخالفتك إِيانا إِلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لسبُّك إِياها، فالذي تُظهر من عيبها لِما لحق عقلك من التغيير. قال ابن قتيبة: يقال: عراني كذا، واعتراني: إِذا ألمَّ بي. ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائلك: عارٍ، ومنه قول النابغة:

أَتَـنِـتُـكَ عَـادِيَـا كَـلِقاً ثـيـابـي عـلى خَـوْنِ تُـظَـنُ بِيَ الـظُّـنُـونُ ١١٠

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْهِدُ اللّهَدَ . . ﴾ إلى آخر الآية . حرك ياء ﴿إِنيَ * نافع . ومعنى الآية : إِن كنتم تقولون : إِن الآلهة عاقبتني لطعني عليها ، فإني على يقين من عيبها والبراءة منها ، وها أنا ذا أزيد في الطعن عليها ، ﴿لَكِدُونِهِ جَيِمًا﴾ أي احتالوا أنتم وأوثانكم في ضرِّي، ثم لا تمهلون . قال الزجاج : وهذا من أعظم آيات الرسل، أن يكون الرسول وحده وأمتُه متعاونة عليه ، فيقول لهم : كيدوني ، فلا يستطيع أحد منهم ضرَّه ، وكذلك قال نوح لقومه : ﴿ فَأَجْمِمُوا أَنْهُمُ وَشَرُكُا مَنُهُ ﴾ [المرسلات : ٢٩] .

قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذًا بِنَاصِيَنِهَاۚ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: أنها في قبضته ومِلكه وسلطانه. فإن قيل: لم خص الناصية؟ فالجواب: أن الناصية هي شعر مقدَّم الرأس، فإذا أخذت بها من شخص، فقد ملكت سائر بدنه، وذلَّ لك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّ عَلَى صِرَول تُسْتَقِيم ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إضمار، تقديره: إن ربي يدل على صراط مستقيم؟ يدل على صراط مستقيم؟ يدل على صراط مستقيم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لما أخبر أنه آخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفى عليه مستتر. والثاني: أن المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم، فهو لا يظلمهم، ولا يريد إلا العدل (٢٠)، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿ إِن تَوَلُّوا فَقَدْ أَبْلَفَكُمْ مَا أَرْسِلْتُ بِهِ ۚ إِلْكُرُ ۚ وَيَسْتَخَلِكُ رَقِ فَوْمًا غَيْرَكُو وَلا تَشْرُقُهُمْ شَنِينًا إِنَّ رَقٍ عَلَى كُلِّي مَني مِ حَلِيظًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَرَلَّوا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه فعل ماض، معناه: فإن أعرضوا. فعلى هذا، في الآية إضمار، تلخيصه: فإن أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أنه خطاب للحاضرين، وتقديره: فإن تتولَّوا، فاستقلوا الجمع بين تاءين متحركيتن، فاقتُصر على إحداهما، وأسقطت الأخرى، كما قال النابغة:

السمسرءُ يَسهُ وى أَنْ يَسعي شَلَ وَطُلولُ عَيْدِ شِ قَدَ يَسفُرُهُ (٣) تَسفُدَ عَيْد شِ قَدَ يَسفُرُهُ وَالْ تَسفُدُ مُدرُّهُ وَيَسبُ مُدرِّهُ وَيَسبُ مُدرُّهُ وَيَسبُ مُدرُّهُ وَيَسْبُ مُدرُّهُ وَيَسْبُ وَيَسْبُرُهُ وَيَسْبُرُهُ وَيَسْبُ مُدرُّهُ وَيَسْبُ وَيَسْبُ وَيَسْبُ وَيَسْبُرُهُ وَيَسْبُونُ وَيَسْبُرُهُ وَيَسْبُونُ وَيَسْبُونُ وَيَسْبُرُهُ وَيَسْبُونُ وَيُسْبُونُ وَيَسْبُونُ وَيْسُونُ وَيَسْبُونُ وَيْسُونُ وَيَسْبُونُ وَيَسْبُونُ وَيَعْلِمُ وَيَعْلِمُ وَيْسُونُ وَيَعْلِمُ وَيْعِلِمُ وَيَعْلِمُ وَيَعْلِمُ وَيَعْلِمُ والْمُوالِقُلُولُ وَالْمُوالِقُلُولُ وَالْمُوالِقُلُولُ وَالْمُوالِقُلُولُ وَالْمُوالِقُلُولُ وَالْمُولِقُلُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولِقُلُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُلِمُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولِقُلُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُلُولُ وَلِمُ وَالْمُولُلُولُ وَالْمُولُ وَلِي مُعْلِمُ والْمُولُ وَالْمُولُلُولُ وَالْمُولُ و

أراد؛ وتتصرف الأيام، فأسقط إحدى التاءين، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْنَظِكُ رَبِّى قَرَمًا غَيْرَكُ ﴾ فيه وعيد لهم بالهلاك. ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيهم بها. والثاني: أن «على» بمعنى اللام، فالمعنى: لكل شيء حافظ، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

﴿ وَلَنَا جَنَّهُ أَمْرُنَا خَيْسَنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْـمَةِ يَنَا وَتَجَيَّتُهُم بَنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا جَآهَ أَنُّهُا﴾ فيه قولان: أحدهما:جاء عذابنا، قاله ابن عباس. والثاني: جاء أمرنا بهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿غَيْشَنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَمُ بِرَحْـمَةِ مِنَا﴾ فيه قولان: أحدهما:نجيناهم من العذاب بنعمتنا. والثاني: نجيناهم بأن هديناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر، روي القولان عن ابن عباس.

⁽١) وديوانه؛ ٩٤ بشرح ابن السكيت، ووغريب القرآن، ٢٠٥، وواللسانه: عري.

⁽٢) قال ابن كثير ٢/ ٤٥٠: وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، ويطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تمادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك والتصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

⁽٣) الأبيات في «أمالي القالي» ٩/٢، و«الوحشيات» ١٥٥، و«أمالي المرتضى» ٢٦٦/١، و«حماسة البحتري» ١٣٦، و«الخزانة» ١/٤٥.

قوله تعالى: ﴿وَثَغَيْمَنَكُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِظِ﴾ أي: شديد، وهو ما استحقه قوم هود من عذاب الدنيا والآخرة. ﴿رَبَاكَ عَادُ جَمَدُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوًا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَشَ كُلِّ جَبَّادٍ عَنِيدٍ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَاكَ عَادُّ﴾ يعني القبيلة. ﴿وَعَصَوَا رُسُلَهُ ﴾ لقائل أن يقول: إنما أرسل إليهم هود وحده، فكيف ذُكر بلفظ الجمع ويراد به الواحد، كقوله: ﴿أَمْ يَحَسُدُونَ النَّاسَ ﴾ النساء: ٤٥] والمراد به النبي ﷺ وحده. والثاني: أن من كذَّب رسولاً واحداً فقد كذَّب الكلَّ. والثالث: أن كل مرة يندرهم فيها هي رسالة مجدَّدة وهو بها رسول.

قوله تعالى: ﴿ رَأَنَبُكُوا ﴾ أي: واتبع الأتباع أمر الرؤساء. والجبار: الذي طال وفات اليد. وللعلماء في الجبار أربعة أتوال: أحدها: أنه الذي يقتل على الغضب ويعاقب على الغضب، قاله الكلبي. والثاني: أنه الذي يجبر الناس على ما يريد، قاله الزجاج. والثالث: أنه المسلَّط. والرابع: أنه العظيم في نفسه، المتكبِّر على العباد، ذكرهما ابن الأنباري. والذي ذكرناه يجمع هذه الأقوال، وقد زدنا هذا شرحاً في [المالاة: ٢٢]. وأما العنيد: فهو الذي لا يقبل الحق. قال ابن قتية: المنود، والعنيد، والعاند: المعارض لك بالخلاف عليك.

قوله تعالى: ﴿وَأَثْتِمُوا فِي هَذِهِ الدُّنَا لَمَنَةً﴾ أي: ألحقوا لعنة تنصرف معهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةُ﴾ أي: وفي يوم القيامة لُعنوا أيضاً. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَنَنُرُوا رَبَّهُمُ ﴾ أي: بربهم، فحذف الباء، وأنشدوا:

أَمْرِتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ [فقد تَركُتُكَ ذَا مَالِ وَذَا نَشَبٍ](''

قال الزجاج: قوله: «ألا» ابتداء وتنبيه، و «بُعداً» منصوب على معنى: أبعدهم الله فبعدوا بعداً، والمعنى: أبعدهم من رحمته.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنْنَاكُمُ مِنَ ٱلأَرْضِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقكم من آدم، وآدم خُلق من الأرض. والثاني: أنشأكم في الأرض. وفي قوله: ﴿ رَأَسَتَعْمَرُكُو فِيهَا ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أعمركم فيها، أي: جعلكم ساكنيها مدة أعماركم، ومنه العمرى (٢)، وهذا قول مجاهد. والثاني: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة، قاله الضحاك. والثالث: جعلكم عُمَّارها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿ فَدَ كُنْتَ فِينَا مَرْجُرًا نَبَلَ هَدَأً ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم، لأنه كان ذا حسب وثروة، قاله كعب. والثاني: أنه كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما أظهر إنذارهم، انقطع رجاؤهم منه، وإلى نحو هذا ذهب مقاتل. والثالث: أنهم كانوا يرجون خيره، فلما أنذرهم، زعموا أن رجاءهم لخيره قد انقطع، ذكره المارودي.

 ⁽١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي في «الكتاب» ١٧/١.

٢) وعمرى، بضم فسكون، مصدر مثل الرجعي، وأعمره الدار: جعله يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلى صاحبها، وكان ذلك من فعل الجاهلية، فأبطله الله بالإسلام، فقال رسول الله على الله وأيما رجل أُحْمِرُ عُمرى له ولعقبه، فإنها للذي أعطيها، لا ترجع إلى الذي أعطاها، لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المعاريث، رواه مسلم في وصحيحه ١٢٤٥/٨.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكِهُ إِن قال قائل: لم قال هاهنا: قوإننا وقال في ﴿إِنَهِيمَ ﴾: قوإنا ؟ فالجواب: أنهما لغتان من لغات قريش السبع التي نزل القرآن عليها. قال الفراء: من قال: قإننا الخرج الحرف على أصله، لأن كناية المتكلمين قنا الخاجمع نائلات نونات، نونا قإن النائلة والنون المضمومة إلى الألف ومن قال: قإنا استثقل الجمع بين ثلاث نونان، وأسقط الثالثة، وأبقى الأولتين وكذلك يقال: إني وإنني، ولعلني ولعلني، وليتي وليتني، قال الله في اللغة الأخرى:

أريسنسي جسواداً مسات هَسؤلاً لسعسلَسنسي أرى مسا تَسرَيْسنَ أو بسخسيسلاً مسخسلَسدا(١) وقال الله تعالى: ﴿ يَكَلِيَتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ [انساء: ٣٣]، وقال الشاعر:

كَ مُسَنِيةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيِيتِي أَصَادَفُ وَأَسَلَتُ بِعَضَ مَالِي (٢) فأما المريب، فهو الموقع للربية والتهمة. والرحمة يراد بها هاهنا: النبوَّة.

قوله تعالى: ﴿ فَا تَرِيدُونِي غَيْرَ غَنِيدِ ﴾ التخسير: النقصان. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما تزيدونني غير بَصَارَةٍ في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدونني غير تخسير لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعلر فهو يزيدكم تخسيراً. وقال ابن الأعرابي: غير تخسير لكم، لا لي. وقال بعضهم: المعنى: فما تزيدونني بما قلتم إلا نسبتي لكم إلى الخسارة. والقول الثاني: فما تزيدونني غير الخسران إن رجعتُ إلى دينكم، وهذا معنى قول مقاتل. فإن قبل: فظاهر هذا أنه كان خاسراً، فزادوه خساراً، فقد أسلفنا الجواب في قوله: ﴿ لَوَ خَرَجُوا فِيكُم مَا زَادُوكُمُ إِلّا فَيَاكُ النوبَة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿ مَنْذِهِ. نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمُّ مَايَةً ﴾ قد شرحناها في سورة [الأعراف: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿تَمَتَّمُواْ فِي دَارِكُمْ ﴾ أي: استمتعوا بحياتكم، وعبَّر عن الحياة بالتمتع، لأن الحيّ يكون متمتّعاً بالحواسّ.

قوله تعالى: ﴿ ثَلْتَنَةُ أَيَارٍ ﴾ قال المفسرون: لمَّا عُقرت الناقة صَعِدَ فصيلُها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهُكم مُضْفَرَةً، واليوم الثاني مُحْمَرَةً، واليوم الثالث مُسْرَدَةً؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، ويتكوّا، وعَرَّفوا أنَّه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طلبت اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، ويكوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طلبت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفّنوا وألقرًا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلّ صاعقة، فتقطّعت قلوبُهم في صدورهم. وقال مقاتل: حفروا لأنفسهم قبوراً، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع، ولم يأتهم العذاب، ظنوا أن الله قد رحمهم، فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسد ضوء الشمس، فلما عاينوه، دخلوا فحرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسد ضوء الشمس، فلما عاينوه، دخلوا قبورهم، فصاح بهم صيحة: موتوا، عليكم لعنة الله، فخرجت أرواحهم، وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ رَعْدُ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ أي: غير كذب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ضِرِّي يَوْمِدُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر اليومِئِذِ، بكسر الميم. وقرأ الكسائي بفتحها مع الإضافة. قال مكي: من كسر الميم، أعرب وخفض، لإضافة الخزي إلى اليوم، ولم يَبْنِه؛ ومن فتح، بنى اليوم على الفتح، لإضافته إلى غير متمكّن، وهو اإذه. وقرأ ابن مسعود اومن خزي، بالتنوين، اليومَثذِ، بفتح الميم. قال ابن الأنباري: هذه الواو في قوله: (ومن خزي، معطوفة على محذوف، تقديره: نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذٍ.

 ⁽۱) البيت لحطائط بن يعفر، أخي الأسود بن يعفر، وهما أخوان من بني نهشل بن دارم، جاهليان، ويروى لحاتم الطائي، ولمعن بن أوس، وهو في
 «الشعر والشعراء» ٢٠٢، وهمجاز القرآن» ٥٥، و«الحماسة» ٢٧٤٤، وهميون الأخبار» ١٨١/، و«أمالي القالي» ٢/ ٢٧، و«القرطبي» ٢/ ٢٧١، و«اللسان»، والخزانة» ١٩٥١.

٢) البيت لزيد الخيل، وهو في «الكتاب؛ ٣٨٦٦/١ و«اللسان»: ليت، و«الخزانة» ٢/٤٤٦.

قال: ويجوز أن تكون دخلت لفعل مضمر، تأويله: نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم من خِزي يومئذ. قال: وإنما قال: (وأخذًا لأن الصيحة محمولة على الصياح.

قوله تعالى: ﴿ الله بَهُذَا لِنَسُودَ ﴾ وفي النوان: ٢٨] ﴿ وَعَادًا وَتُمُودًا وَاسْكِ إِدِرائِه في خمسة مواضع: في [هرد] ﴿ الاّ تَشُودُ الله عَمْرُا رَبَّمُ الله بَهُذَا لِشَوْدَ ﴾ وفي النوان: ٢٨] ﴿ وَعَادًا وَتَمُودًا وَالْمَ الله بَعْدُ الله بَهُ الله الله الله الله وفي النجم] ﴿ وَقَنُودًا فَا أَبْنَى ﴾ قل عمرو، ونافع، وابن عامر بالتنوين في أربعة مواضع منها، وتركوا ﴿ الله بَهُلَ لِنَسُودَ ﴾ فلم يصرفوه. وقرأ حمزة بترك صرف هذه الخمسة الأحرف، وصرفهن الكسائي. واختُلف عن عاصم، فروى حسين الجعفي عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعة الأحرف مثل أبي عمرو؛ وروى يحيى بن آم أنه أجرى ثلاثة، في [هرد: ٢٨] ﴿ الله تَشْورُهُ ﴾ وفي [الفرقان: ٢٨] و [المنكبوت: ٢٨]. وروى حفص عنه أنه لم يجر شيئاً منها مثل حمزة. واعلم أن ثموداً براد به القبيلة تارة، ويراد به الحي تارة. فإذا أريد به القبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به العبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به العبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به العبيلة، لم يصرف، والرسل هاهنا: الملائكة. وفي عددهم ستة أقوال: أحلها: أنهم كانوا ثلاثة، جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقال مقاتل: جبريل، وميكائيل، وملك الموت. والثاني: أنهم كانوا اثني عشر، روي عن السن عباس أيضاً. والثالث: ثمانية، قاله محمد بن كعب. والرابع: تسعة، قاله الضحاك. والمخامس: أحد عشر، قاله السدي. والسادس: أربعة، حكاه الماوردي. وفي هذه البشرى أربعة أقوال: أحدها: أنها البشرى بالولد، قاله الحسن، ومقاتل. والثاني: بهلاك قوم لوط، قاله قتادة. والثالث: بنبوّته، قاله عكرمة. والرابع: بأن محمداً يخرج من الحسن، ومقاتل. والثاني: بهلاك قوم لوط، قاله قتادة. والثالث: بنبوّته، قاله عكرمة. والرابع: بأن محمداً يخرج من

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَنَما ﴾ قال ابن الأنباري: انتصب بالقول، لأنه حرف مقول، والسلام الثاني مرفوع بإضمار «عليكم». وقال الفراء: فيه وجهان: أحدهما: أنه أضمر «عليكم» كما قال الشاعر:

فَـ هُـلُـنَا السَّلَامُ فَاتَّـقَتْ مِنْ أَمِسِرِهَا فَعَمَا كَانَ إِلَّا وَسُوْهَا بِالْتَحُـواجِبِ'(١٠٠

والعرب تقول: التقينا فقلنا: سلام سلام. والثاني: أن القوم سلَّموا، فقال حين أنكرهم هو: سلام، فمن أنتم؟ لإنكاره إياهم. وقرأ حمزة، والكسائي: قال سِلْم، وهو بمعنى سلام، كما قالوا: حِلَّ وحلال، وحِرم وحرام؛ فعلى هذا، يكون معنى فسِلم»: سلام عليكم. قال أبو علي: فيكون معنى القراءتين واحداً وإن اخلتف اللفظان. وقال الزجاج من قرأ: ﴿ سِلْم، فَالمَعنى: أَمْرُنَا سِلْم، أي: لا بأس علينا.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لِبَتُ﴾ أي: ما أقام حتى جاء بعجل حنيذ، لأنه ظنهم أضيافاً، وكانت الملائكة قد جاءته في صورة الغلمان الوضاء. وفي الحنيذ ستة أقوال: أحدها: أنه النضيج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وتتادة. والثاني: أنه الذي يَقْطُر ماؤه وَدَسهُه وقد شوي، قاله شمر بن عطية. والثالث: أنه ما حفرتَ الأرضُ ثم غممته، وهو من فعل أهل البادية، معروف، وأصله: محنوذ، فقيل: حنيذ، كما قيل: طبيخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول. هذا قول الفراء. والرابع: أنه المشوي، قاله أبو عبيدة. والسادس: السميط، ذكره الزجاج، وقال: يقال: إنه المشوي فقط، ويقال: المشوي الذي يقطر، ويقال: المشوي بالحجارة.

﴿ لَلْمَا رَمَّا أَيْدِيْهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ مَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخْفَ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا رَمَّا آَيْدِيَهُم ﴾ يعني الملائكة ﴿لا تَعِنُ إِلَيْهِ يعني العجل ﴿ نَكِرَهُمُ ﴾ أي: أنكرهم، قال أبو عَبيدة: نُكِرهم وأنكرهم واستنكرهم، سواء، قال الأعشى:

مِنَ الحَوَادِثِ إِلَّا السَّيْبَ وَالصَّلَعَا(٢)

1 105 (1)

فَالْكَرَثْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتُ

 ⁽۲) قائله الأعشى الكبير ميمون بن تيس من قصيدة يمدح بها هودة بن علي الحنفي: «ديوانه» ١٠١، و«الطبري» ١٥٨/ ٣٨٨، و«مجاز القرآن» ٢٩٣١، و«الضحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: نكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةٌ﴾ أي: أضمر في نفسه خوفاً. قال الفراء: وكانت سُنَّة في زمانهم إذا ورد عليهم القوم فأتوهم بالطعام فلم يمسُّوه، ظنوا أنهم عدوًّ أو لُصُوصٌ، فهنالك أوجس في نفسه خيفة، فرأوا ذلك في وجهه، فقالوا: ﴿لاَ تَعَنْفُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى قَرِّمِ لُوطِ﴾ قال الزجاج: أي: أرسلنا بالعذاب إليهم. قال ابن الأنباري: وإنما أضمر ذلك هاهنا، لِقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى.

﴿ وَأَمْ أَلَهُمْ قَالَهِمُ أَلَهُمُةً فَضَحِكَتُ فَشَحِكَتُ فَشَرَنَهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَلَاهِ إِسْحَقَ يَعَقُوبَ ۞ قَالَتْ يَكُونِلَتَىۤ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَالَهُ مُؤْلًا وَمُعَدًا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَا مُعْدَلًا لَهُنْ مُ عَجِبٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَلْهِمَةً﴾ واسمها سارة. واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال: أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب. والثاني: كانت قائمة تخلمهم، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: كانت قائمة تصلي، قاله محمد بن إسحاق. وفي قوله: ﴿ فَشَوِكَتُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الضحك هاهنا بمعنى التعجب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن معنى فضحكت ا: حاضت، قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتية: وهذا من قولهم: ضحكت الأرنب؛ إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد، لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى فضحكت الحاضت. قال ابن الأنباري: أنكر الفراء، وأبو عبيدة، وأبو عبيد، أن يكون فضحكت وعوفه غيرهم. قال الشاعر:

تَضْحُكُ الضَّبْعُ لَقَتْلَى هُ ذَيْسِل وَتَسرَى اللَّهُ لَبُ لَهَا يَسْتَهِلُّ (١)

قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض. والثالث: أنه الضحك المعروف، وهو قول الأكثرين. وفي سبب ضحكها ستة أقوال: أحدها: أنها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه، وقالت: من ماذا يخاف إبراهيم، وإنما هم ثلاثة، وهو في أهله وغلمانه؟! رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: أنها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، ووهب بن منبه؛ فعلى هذا، إنما ضحكت سروراً بالبشارة، ويكون في الآية تقديم وتأخير، المعنى: وامرأته قائمة فبشرناها فضحكت، وهو اختيار ابن قتيبة. والثالث: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، قله قتادة. والرابع: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجباً لأضيافنا، نخدمهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السدي. والخامس: ضحكت سروراً بالأمن، لأنها خافت كخوف إبراهيم، قاله الفراء. والسادس: أنها كانت قالت لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإنه سينزل العذاب بقومه، فلما جاءت الملائكة بعذابهم، ضحكت سروراً بموافقتها للصواب، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أَبْشِري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد. وفي معنى الوراء قولان: أحدهما: أنه بمعنى ابعدًا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واحتاره مقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أن الوراء: ولد الولد، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الشعبي، واختاره أبو عبيدة. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء إسحاق وهو ولده لصلبه، وإنما الوراء: ولد الولد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: المعنى: ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الوراء يعقوب، لم يُعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق، أم إلى إسماعيل؟ فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس. قال: ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على جهة المجاز، فكان تأويل الآية: من الوراء المنسوب إلى سارة، وإلى إبراهيم من جهة إسحاق، يعقوب. ومن حمل الوراء على «بعد» لزم ظاهر العربية. واختلف القراء في اليعقوب، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عصام: اليعقوبُ، بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: (يعقوبَ) بالنصب. قال الزجاج: وفي رفع (يعقوب)

⁽١) واللسانة: ضحك.

وجهان: أحدهما: على الابتداء المؤخَّر، معناه التقديم؛ والمعنى ويعقوبُ يَحْدُثُ لها من وراء إسحاق. والثاني: وثبت لها من وراء إِسحاق يعقوبُ. ومن نصبه، حمله على المعنى، والمعنى: وهبنا لها إِسحاقَ، ووهبنا لها يعقوبَ.

قوله تعالى: ﴿يَنُونَاتَيْ مَأْلِدٌ وَأَنَّا عَجُورٌ﴾ هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم. ولم تُرِد بها الدعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفُّ على ألسنة النساء عند الأمر العجيب. وقولها: ﴿ وَالَّهُ ﴾ استفهام تعجب. قال الزجاج: و ﴿شَيْخًا ﴾ منصوب على الحال. قال ابن الأنباري: إنما أشارت بقولها هذا لتنبُّه على شيخوخيَّته. واختلفوا في سن إبراهيم وسارة يومِثنٍّ على أربعة أقوال: أحدها: أنه كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عبايس. والثاني: أنه كان إبراهيم ابن مائة سنة، وسارة بنت تسع وتسعين، قاله مجاهد. والثالث: كان إبراهيم ابن تسعين، وسارة مثله، قاله قتادة. والرابع: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين، قاله عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

﴿ قَالُوٓا أَشَنَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَّكُنكُمْ عَلَيْكُو أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيدٌ تَجِيدٌ شَهِكَ

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا أَتَمْجَهِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي: من قضائه وقدرته، وهو إيجاد ولد من بين كبيرين. قال السدي: قالت سارة لجبرئيل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزَّ أخضر، فقالت: هو إذن لله ذبيحٌ.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبُرِّكُنُهُمْ عَلَيْكُو أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه من دعاء الملائكة لهم. والثاني: أنه إخبار عن ثبوت ذلك لهم. ومن تلك البركات وجود أكثر الأنبياء والأسباط من إبراهيم وسارة. والحميد بمعنى المحمود. فأما المجيد، فقال ابن قتية: بمعنى الماجد، وهو الشريف. وقال أبو سليمان الخطابي: هو الواسع الكرم. وأصل المجد في كلامهم: السُّعَة، يقال: رجل ماجد: إذا كان سخياً واسع العطاء. وفي بعض الأمثال: في كل شجر نار، واستمجدَ المرُّخُ والعَفَارُ(١)، أي: استكثرا منها(٢).

﴿ فَلْمَا دَهَبَ عَنْ إِرْبِهِمَ الرَّبَعُ رَبَّآءَتُهُ البُّشْرَىٰ بَجُندِكَا فِي فَوْرِ لُولِمْ ۞ إِنَّ إِرْبِهِمَ لَسَلِيمُ أَنَّهُ ثُنِيثٌ ۞ يَابِزَهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَّا إِنَّهُ قَدْ جَلَّةً أَمُّنُ رَئِكٌ وَإِنَّهُمْ ءَانِيهُمْ عَدَابٌ غَيْرُ مَنْدُورِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَنَّا ذَهَبَ عَنْ إِزَهِيمَ ٱلرَّهُمُ﴾ يعني الفَرَّع الذي أصابه حين امتنعوا من الأكل. ﴿يُجَايِكُا﴾ فيه إضمار أخذ وأقبل يجادلنا، والمراد: يجادل رسلنا. قال المفسرون: لما قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُونَا أَمْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت: ٣١]، قال: أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذٍ: ﴿إِكَ فِيهِكَا لُوطَأُ قَالُوا نَحْثُ أَعْلَمُ بِيَن فِيَهَّا﴾ [العنكبوت: ٣١]، هذا قول ابن إسحاق. وقال غيرة: قيل له: إن كان فيهم خمسة لم نعذَّبُهم، فما كان فيهم سوى لوط وابنتيه. وقال سعيد بن جبير: قال لهم: أتهلكون قرية قيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا؛ وكان إبراهيم يُعُدُّهم أربعة عشر مع امرأة لوط، فسكتَ واطمأنَّتْ نفسه؛ وإنما كانوا ثلاثة عشر فأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِرَهِيمَ لَسَلِيمُ أَنَهُ ﴾ قد فسرناه في [براءة: ١١٤]. فعند ذلك قالت الرسل لإبراهيم: ﴿ يَمَا بَرَهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هُذَاً﴾ يعنون الجدال. ﴿ إِنَّمْ قَدْ جَاءَ أَتَنُ رَبِّكًۚ﴾ بعذابهم. وقيل: قد جاء عذاب ربك، فليس بمرود، لأن الله قد قضى به.

﴿ وَلَمَنَا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوكُنا مِينَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرَّعًا وَقَالَ هَذَا بَرُمُ عَصِيبٌ ۞ وَجَآءُمُ قَوْمُمُمْ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن فَبَتُلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّخَاتِ قَالَ يَغَوْمِ هَتَوْلَاءً بَنَانِي هُنَ ٱلْمَهُرُ لَكُمٌّ مَاتَقُوا اللَّهَ وَلا تُخْرُونِ في صَنَّيْغِيٌّ ٱلبَّسَ مِنكُرَ رَجُلٌّ رَشِيلٌ 🕲 قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا نِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ نَسْتَكُمُ مَا زُيْدُ ۞ مَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ مَاوِنَ إِلَى زُكُنِي شَدِيدٍ ۞ مَالُوا يَنْلُولُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَعِيلُوا إِلَيْكُ مَاتَدٍ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ النَّلِ وَلَا يَلْنَيْتَ مِنكُمْ أَحَدُّ إِلَّا اَتْرَائَكُ ۚ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَسَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلْيَسَ الصُّبْحُ بقريب 🚳 🕏

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوكًا﴾ قال المفسرون: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتؤهَا

 ⁽۱) المرخ والعفار: شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسوى من أغصانها الزناد فيقتلح بها.
 (۲) أي: من النار، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما، قشبها بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد.

عشاء. وقال السدي عن أشياخه: أتَّوْهَا نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم، لقوا بنت لوط تستقي الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فَرَقاً عليهم من قومها؛ فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه، أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم؛ وقد كان قومه نَهَوْهُ أن يضيف رجلاً؛ فجاء بهم، ولم يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط؛ فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاؤوا يُهْرَعُونَ إليه.

قوله تعالى: ﴿ يَنَ يَهِمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ساء ظنه بقومه، قاله ابن عباس. والثاني: ساءه مجيء الرسل، لأنه لم يعرفهم، وأشفق عليهم من قومه، قاله ابن جرير. قال الزجاج: وأصل اسيء بهم سُوئ بهم، من السوء، إلا أن الواو أسكنت ونقلت كسرتها إلى السين.

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَانَ بِهِمْ ذَرَعا ﴾ قال ابن عباس: ضاق ذرعاً بأضيافه. قال الفراء: الأصل فيه: وضاق ذرعه بهم، فنُقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط، ونُصبُ الذرع بتحول الفعل عنه، كما قال: ﴿ وَاَشْتَعَلَ الرَّأْسُ مَكَيْبًا ﴾ [مربم: ٤] ومعناه: اشتعل شيب الرأس. قال الزجاج: يقال: ضاق فلان بأمره ذرعاً: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً. وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه؛ فالذرع كناية عن هذا المعنى، والثاني: أن معناه: ضاق صبره وعظم المنكروه عليه؛ وأصله من ذرع فلاناً القيء: إذا غلبه وسبقه. والثالث: أن المعنى ضاق بهم وُسْعُه، فناب الذرع والذراع عن الوسع، لأن الذراع من اليد، والعرب تقول: ليس هذا في يعنون: ليس هذا في ومؤمع الذرع، فيقولونه: ضقت بهذا الأمر ذراعاً، قال الشاعر:

إلَّ فَ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

فأما العصيب، فقال أبو عبيدة: العصيب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر، وأنشد:

يَسوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالَا عَصْبَ القويُّ السَّلَمَ الطَّوالا(١)

وقال أبو عبيد: يقال: يوم عصيب، ويوم عصبصب: إذا كان شديداً.

قوله تعالى: ﴿ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ قال ابن عباس، ومجاهد: فيهرعون عسرعون. وقال الفراء، والكسائي: لا يكون الإهراع إلا إسراعاً مع رعدة. قال ابن قتيبة: الإهراع شبيه بالرعدة، يقال: أهرع الرجل: إذا أسرع، على لفظ ما لم يسم فاعله، كما يقال: أرعد. قال ابن الأنباري؛ الإهراع فعل واقع بالقوم وهو لَهم في المعنى، كما قالت العرب: قد أولع الرجل بالأمر، فجعلوه مفعولاً، وهو صاحب الفعل، ومثله: أرعد زيد، وسُهي عمرو من السهو، كل واحد من المنا الأفاعيل خرج الاسم معه مقدراً تقدير المفعول، وهو صاحب الفعل لا يُعرف له فاعل غيره. قال: وقال يعض النحويين: لا يجوز للفعل أن يُجعل فاعله مفعولاً، وهذه الأفعال المذكورة فاعلوها محذوفون، وتأويل فأولع النحويين: لا يجوز للفعل أن يُجعل فاعله مفعولاً، وهذه الأفعال المذكورة فاعلوها محذوفون، وتأويل فأولع معناه: أهرعه طبعه وجبلته، وقارعد الرجل»: أرعده غضبه، و قسهي عمرو، جعله ساهياً مأله أو جهله، و فأهرى، معناه: أهرعه خوفه ورعبه؛ فلهذه العلة خرج هؤلاء الأسماء مخرج المفعول به. قال: وقال بعض اللغويين: لا يكون الإهراع إلا إسراع المذعور الخائف؛ لا يقال لكل مسرع: مهرع، حتى ينضم إلى إسراعه جزع وذعر. قال المفسرون: سبب إهراعهم، أن امرأة لوط أخبرتهم بالأضياف. ﴿ وَهِن فَيْلُ أَي اعن بناته لصلبه، قاله ابن عباس. المفسرون: سبب إهراعهم، أن امرأة لوط أخبرتهم بالأضياف. ﴿ وَهِن فَيْلُ أَي اعن بناته لصلبه، قاله ابن عباس. فإن قبل: كيف جمع، وقد كن اثنتين؟ فالجواب: أنه قد يقع الجمع على اثنين، كقوله: ﴿ وَكُنُ اللّهِ عَلَى نساء أمته، لأن كل نبي أبو أمته، والمعنى: أنه عرض عليهم التزويج، أو أمرهم أن يكتفوا بنسائهم، وهذا مذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج. فإن قبل: كيف عرض تزويج المؤمنات يكتفوا بنسائهم، وهذا مذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج. فإن قبل: كيف عرض تزويج المؤمنات

⁽١) البيت غير منسوب في قمجاز القرآن، ٢٩٤/١، وقالطبري، ١٥/١٥.

على الكافرين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ، قاله الحسن، والمثاني: أنه عرض ذلك عليهم موقوف على علم النكاح، ويؤكده أن عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

قوله تعالى: ﴿ هُنَّ أَطْهُرُ لَكُمٌّ ﴾ قل مقاتل: هن أحل من إتيان الرجال.

قوله تعالى: ﴿فَاتَتُوا اللَّهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: اتقوا عقوبته. وَالثَّاني: اتقوا معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرُونِ فِي مَنْيَفِيّ ﴿ حرك ياء (ضيفي ابو عمرو، ونافع. وفي معنى هذا الخزي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الفضيحة، قاله ابن عباس. والثاني: الاستحياء، والمعنى: لا تفعلوا بأضيافي فعلاً يلزمني الاستحياء منه، لأن المضيف يلزمه الاستحياء من كل فعل يصل إلى ضيفه. والعرب تقول: قد خزي الرجل يخزى خزاية: إذا استحيى، قال الشاعر:

مِنَ البِيْضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيْحُ ٱلْصَفَتْ بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَايَلَ الحَلَيُ جِيْدَهَا

والثالث: أنه بمعنى الهلاك، لأن المعرة التي تقع بالمضيف في هذه الحال تُلزمه هلكة، ذكرهما ابن الأنباري. قال ابن قتيبة: : والضيف هاهنا: بمعنى الأضياف، والواحد يدل على الجميع، كما تقول: هؤلاء رسولي ووكيلي.

قوله تعالى: ﴿ أَلْيَسَ مِنكُرُ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ في المراد بالرشيد قولان: أحدهما: المؤمن. والثاني: الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، رويا عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم مرشِد يعظكم ويعرّفكم قبيح ما تأتون؟ فيكون الرشيد من صفة الفاعل، كالعليم، والشهيد. ويجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشاد يصرفكم عن إتيان هذه المعرّة؟ فيجري رشيد مجرى مفعول، كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ﴾ فيه قولان: أحدهما: مالنا فيهن حاجة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، قاله ابن إسحاق، وابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَنَاكُ مَا زُيدُ ﴾ قال عطاء: وإنك لتعلم أنا نريد الرجال، لا النساء.

قوله تعالى: ﴿ لَا أَنَّ لِي بِكُمْ فُوْدٌ ﴾ أي: جماعة أقوى بهم عليكم. وقيل: أراد بالقوة البطش. ﴿ أَقَ الْمِكَ إِلَى نَكُو سُلِيدٍ ﴾ أي؛ أنضم إلى عشيرة وشيعة تمنعني، وجواب «لو» محذوف على تقدير: لُحلْتُ بينكم وبين المعصية، قال أبو عبيدة؛ قوله: «آوي» من قولهم: أويت إليك، فأنا آوي أُويّاً، والمعنى: صرت إليك وانضممت، ومجاز الركن هاهنا: العشيرة العزيزة الكثيرة المنيعة، وأنشد:

يسأوي إلسى رُخسن مِسنَ الأرْكسانِ في عدد طينس ومسجد بسانسي (١)

والطّيْس: الكثير، يقال: أتانا لبن طيس، وشراب طيس، أي: كثير. واختلفوا أي وقت قال هذا لوط؛ فروي عن ابن عباس أن لوطاً كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم وراء الباب، وهم يعالجون الباب ويرومون تسوّر الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب، قالوا: يا لوط إنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم؛ ففتح الباب، فدخلوا، واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم، فانصرفوا يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض؛ وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى تصبح، يوعدونه؛ فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، قال: لو أهلكتموهم الآن، فقالوا: أليس الصبح بقريب؟ وقال أبو صالح عن ابن عباس: إنهم لما تواعدوه، قال في نفسه: ينطلق هؤلاء القوم غذاً من عندي، وأبقى مع هؤلاء فيهلكوني، فقال: لو أن لي بكم قوة. قلت: وإنما يتوجه هذا إذا قلنا إنه كان قبل علمه أنهم ملائكة. وقال قوم: إنه إنما قال هذا لما كسروا بابه وهجموا عليه. وقال آخرون: لما نهاهم عن أضيافه فأبورا قال

⁽١) البيت غير منسوب في الطبري، ١٥/ ٤٢٢، وفي المجاز القرآن، ٢٩٤/١.

هذا. وفي الجملة، ما أراد بالركن نصر الله وعونه، لأنه لم يخل من ذلك، وإنما ذهب إلى العشيرة والأسرة. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه (۱۰).

قوله تعالى: ﴿لَن يَمِيلُوٓا ۚ إِلَيْكَ﴾ قال مقاتل: فيه إِضمار، تقديره: لن يصلوا إِليك بسوء، وذلك أنهم قالوا للوط: إِنا نرى معك رجالاً سحروا أبصارنا، فستعلم غداً ما تَلْقى أنت وأهلُك؛ فقال له جبريل: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَمِيلُوٓا ۚ إِلَيْكَ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَسَرِ بِأَمْلِكَ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «فأسر» بإثبات الهمز في اللفظ من أسريت. وقرأ ابن كثير، ونافع: «فاسر بأهلك» بغير همز من سريت، وهما لغتان. قال الزجاج: يقال: سريت، وأسريت: إذا سرت ليلاً، قال الشاعر:

وحستى السجيسادُ ما يُعقَدْنُ بارسان

سريت بهم حتى تكلَّ مَطيُّهم وقال النابغة:

أَسْرَتْ عَلَيْءِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةً تُوجِي الشَّمَالُ عَلَيْءِ جَامِدَ الْبَرَدِ(١)

وقد رووه: سرت. فأما أهله، فقال مقاتل: هم امرأته وابنتاه، واسم ابنتيه: رُبْنا وزُعَرِثا، وقال السدي: اسم الكبرى: ريَّة، واسم الصغرى: عووبة، والمراد بأهله: ابنتاه. فأما القِطْع، فهو بمعنى القطعة؛ يقال: مضى قِطْع من الكبرى: قطعة. قال ابن عباس: يريد به: آخر الليل. وقال ابن قتيبة: "بقِطْع» أي: ببقية تبقى من آخره. وقال ابن الأنباري: ذكر القِطْع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال: عندي قِطْع من الثوب، بمعنى: عندي قطعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بَنْنَيْتَ مِنكُمْ أَمَدُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لا يتخلَّف منكم أحد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: أنه الالتفات المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِلّا أَنْمَانَكُ ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بنصب التاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن جناز عن أبي جعفر برفع التاء. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فالمعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك. ومن قرأ بالنصب، فالمعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك، ومن قرأ بالرفع، حمله على قولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، وإنما أمروا بترك الالتفات لئلا يَرَوا عظيم ما ينزل بهم من العذاب. قال ابن الأنباري: وعلى قراءة الرفع، يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن امرأتك، فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم؛ فإذا كان استثناء منقطعاً، كان التفاتها معصية لربها، لأنه ندب إلى ترك الالتفات. قال قتادة: ذُكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هَدّة العذاب، التفتت فقالت: واقوماه، فأصابها حجر فأهلكها، وهو قوله: ﴿إِنّهُ مُوسِينُهُا مِنَا أَسَابُهُمْ إِنْ مَوْعِدَهُمُ ﴾ للعذاب ﴿الشُبْحُ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلْيَسَ الشُّبُحُ بِعَرِيبِ ﴾ قال المفسرون: قالت الملائكة: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، فقالوا له: ﴿ أَلْيَسَ الصُّبْحُ بِعَرِيبٍ ﴾ ؟

﴿ فَلَمَّا جَآةً أَثْرُنَا جَمَلُنَا عَلِيْهَا صَائِلُهَا وَأَمْلَتُنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً بِن سِجِيلِ تَنضُورِ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ وَبَكَ وَمَا هِنَ مِنَ الشَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَتُرُنَّا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمرُ الله الملائكة بعذابهم. والثاني: أن الأمر بمعنى العذاب. والثالث: أنه بمعنى القضاء بعذابهم.

قوله تعالى: ﴿جَمَلْنَا عَلِيْهَا سَائِلَهَا﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات، وهي قرى قوم لوط، وقد ذكرناها في

⁽۱) قالطبري، ٤١٩/١٥ م. ٤٢٠، ورواه الترمذي ١٣٩/٧ وقال: حديث حسن، والحاكم ٥٦١/٢ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري ٢٩٧/٦ دون قوله: قوما بعث الله نبياً بعده إلا في ثورة من قومه.

⁽٢) • هيوانه؛ ٤ بشرح ابن السكيت، وامجاز القرآن؛ ١/ ٢٩٥، وامختار الشعر الجاهلي؛ ١/ ١٥٠، والقرطبي؛ ٧٩/٩، وااللسان، والتاج؛: سرت. وأسرت: إذا أمطرت ليلاً، وقوله: •من الجوزاء سارية، كقولك: سقينا بنوء كذا، أي: أصابه المطر ليلاً، وتزجي: تسوق وتدفع على الثور جامد البرد.

[براءة: ٧٠]، ونحن نشير إلى قصة هلاكهم هاهنا. قال ابن عباس: أمر جبريل لوطاً بالخروج، وقال: اخرج وأخرج غنمك وبقرك، فقال: كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة؟ فبسط جناحه، فحمله وبنتيه ومالهم من شيء، فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربّه، فقال: يا رب ولّني هلاك هؤلاء القوم، فأوحى الله إليه أن تولّ هلاكهم؛ فلما أن بدا الصبح، غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه، ثم صَعِدَ بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب، ثم كفّأها عليهم، وسمعوا وَجْبَةً (١) شديدة، فالتفتت امرأة لوط، فرماها جبريل بحجر فقتلها، ثم صَعِدَ حتى أشرف على الأرض، فجعل يُتْبِعُهمْ مُسافِرَهم وَرُعَاتهم ومَنْ تحوّل عن القرية، فرماهم بالحجارة حتى ثم صَعِدَ حتى الشدي: اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها. وقال غيره: كانت خمس قرى، أعظمها سَدوم، وكان القوم أربعة آلاف ألف. وقبل؛ كان في كل قرية مائة ألف مقاتل، فلما رفعها إلى السماء، لم ينكسر لهم إناة ولم يسقط حتى قلبها عليهم. وقبل؛ نجا من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم. وانفرد سعيد بن جبير، فقال؛ إن جبريل وميكائيل توليًا قلبها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَرُنَا عَلَيْهَا﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرى. والثاني: إلى الأمة. وفي السّجّيل سبعة أقوال: أحدها: أنها بالفارسية سننك وكِلْ، السنك: الحجر، والكل: الطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وقال مجاهد: أولها حجر، وآخرها طين. وقال الضحاك: يعني الآجر. قال ابن قتيبة: من ذهب إلى هذا القول، اعتبره بقوله: ﴿حِبّانَ مِن طِينِ ﴾ [الذاريات: ٣٣] يعني الآجر. وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء. والثاني: أنه بحر معلّق في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة، قاله عكرمة. والثالث: أن السجيل: اسم السماء الذنيا، فالمعنى: حجارة من السماء الدنيا، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الشديد من الحجارة الصلب، قاله أبو عبيدة، وأنشد لابن مقبل:

[وَرَجُلَةً يَنْ شُرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُضٍ] ضرباً تواصَتْ به الأبطالُ سِجُينَا (٢)

ورد هذا القول ابن قتيبة، فقال: هذا بالنون، وذاك باللام، وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجنت، أي: حبست، كأنه يثبت صاحبه. الخامس: أن قوله: «من سجيل» كقولك: من سِجلّ، أي: مما كُتب لهم أن يعلَّبوا به، وهذا اختيار الزجاج. والسادس: أنه من أسجلته، أي: أرسلته، فكأنها مرسلة عليهم. والسابع: أنه من أسجلت: إذا أعطيت، حكى القولين الزجاج. وفي قوله: ﴿مَنشورِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتبع بعضه بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: مصفوف، قاله عكرمة، وقتادة. والثالث: نضد بعضه على بعض، لأنه طين جُمع فجُعل حجارة، قاله الربيع بن أنس.

قوله تعالى: ﴿ شُرَرَمَةٌ ﴾ قال الزجاح: أي معلَّمة، أُخذ من السُّومة، وهي العلامة. وفي علامتها ستة أقوال: أحدها: بياض في حمرة، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أنها كانت مختومة، فالحجر أبيض وفيه نقطة سوداء، أو أسود وفيه نقطة بيضاء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها المخططة بالسواد والحمرة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: عليها نضح من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجِزع، قاله عكرمة، وقتادة. والخامس: أنها كانت معلَّمة بعلامة يُعرف بها أنها ليست من ججارة الدنيا، قاله ابن جريج. والمسادس: أنه كان على كل حجر منها اسم صاحبه، قاله الربيع. وحكي عن بعض من رأى تلك الحجارة أنه قال: كانت مثل رأس الإِبل، ومثل مبارك الإِبل، ومثل قبضة الرجل. وفي قوله: ﴿ عِندَ رَبِكَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن المعنى: جاءت من عند ربك، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: عند ربك معدَّة، قاله أبو بكر الهذلي. والثالث: أن

 ⁽١) الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهَدَّة.

 ⁽۲) (ديوانه ٣٣٣، وامجاز القرآن؛ ٢٩٦، والطبري؛ ١٥/ ٤٣٤، واجمهرة أشعار العرب، ١٦٢، وامنتهى الطلب؛ ٤٤، والمعاني الكبير؛ ٩٩١، وواللسان؛ سجن.

المعنى: هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيذاناً بنفاذ قدرته وشدة عذابه، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى قوله: وعند ربك،: في خزائنه التي لا يُتصرَّف في شيء منها إلا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِنَ مِنَ الطَّلِمِينَ بِبَعِيدِ ﴾ في المراد بالظالمين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالظالمين هاهنا كفار قريش، خوَّفهم الله بها، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عام في كل ظالم؛ قال قتادة: والله ما أجار الله منها ظالماً بعد قوم لوط، فالمعنى: وما هي من الظالمين، أي: من قوم لوط، فالمعنى: وما هي من الظالمين، أي: من قوم لوط ببعيد، والمعنى: لم تكن لتُخطئهم، قاله الفراء.

﴿ فِي وَإِنْ مَنْذِنَ أَغَاهُمْ شُمَيْنَاً قَالَ يَنَقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم قِنْ إِلَهِ غَنَرُةٌ وَلَا نَنْفُصُوا البِكْبَالَ وَالْمِيزَانَّ إِنَّ أَرَىكُمْ عِنْدِ وَإِنْ أَغَاثُ عَلَيْتِكُمْ عَذَابَ يَوْمِ ثُمِيطٍ ﴿ وَيَقَوْمِ أَوْقُوا الْبِكْبَالُ وَالْمِيزَاتَ بِالْفِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَصْبَاتَهُمْ وَلَا تَشْفُوا النَّاسَ أَصْبَاتَهُمْ وَلَا تَشْفُوا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنْ مُنْمِدِينَ ﴾ اللَّذِينِ مُنْمِدِينَ ﴾ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا يَسْفُوا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ مُنْمِدِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مُدِّينَ ﴾ قد ذكرناه في [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْقُصُواْ الْبِكَيَالُ وَالْبِيزَانَّ ﴾ أي: لا تطفُّفوا؛ وكانوا يطفُّفون مع كفرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرَنِكُمْ عِنْبُرِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رُخْص الأسعار، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: سَعَةُ المال، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة، وابن زيد. وقال الفراء: أموالكم كثيرة، وأسعاركم رخيصة، فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟!

قوله تعالى: ﴿وَإِنِيَّ أَنَانُ عَلِيَكُمْ مَذَابَ يَوْمِ عُجِيطٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غلاء السعر، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: القحط والجدب والغلاء. والثاني: العذاب في الدنيا، وهو الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: عذاب النار في الآخرة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ أَرْبُواْ الْبِكِيَالُ وَالْبِيزَاکَ بِالْفِسَوِّ ﴾ أي: أتمُّوا ذلك بالعدل. والإيفاء: الإتمام. ﴿ وَلَا تَـعُنَوْا فِـ الأَرْضِ مُنْسِدِينَ ﴾ بنقص المكيال والميزان.

قوله تعالى: ﴿ يَقِيَتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، خير من البخس، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الله خير لكم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سفيان. والثالث: طاعة الله خير لكم، قاله مجاهد، والزجاج. والوابع: حظُّكم من الله خير لكم، قاله قتادة. والخامس: رحمة الله خير لكم، قاله الربيع. والسابع: ثواب الله في الآخرة خير لكم، قاله مقاتل. والثامن: مراقبة الله خير لكم، ذكره الفراء. وقرأ الحسن البصري: «تقية الله خير لكم» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُر مُوْمِنِينَ ﴾ شرطَ الإِيمان في كونه خيراً لهم، لأنهم إِن كانوا مؤمنين بالله ﷺ، عرفوا صحة ما يقول. وفي قوله: ﴿ وَمَا آنَا عَلَيْكُم بِمَنِيظٍ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أمرتُ بقتالكم وإكراهكم على الإِيمان. والثاني: ما أُمرتُ بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا. والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إِن نالكم. قوله تعالى: ﴿أَمَالَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: "أصلاتك، على التوحيد. وفي المواد بصلواته ثلاثة أقوال: أحدها: دينه، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش. والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثيرَ الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن نَفَعَلُ فِي آمَوَلِنَا مَا نَشَاء؟ وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالنا ما نشاء؟ وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف، قاله ابن عباس؛ فالمعنى: قد تراضينا فيما بيننا بذلك. والثاني: أنهم كانوا يقطعون المعراهم والمدنانير، فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد. وقال القرظي: عُذِّبوا في قطعهم المدراهم. قال ابن الأنباري: وقرأ الضحاك بن قيس الفهري «ما تشاء» بالتاء، ونسق «أن تفعل» على «أن تترك»، واستغنى عن الإضمار، قال سفيان الثوري: في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن أبي عبلة: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري. وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأْتَ ٱلْكِلِيمُ الْبِيمِينَ فَي أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري. وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأْتَ ٱلْكِلِيمُ الْبِيمِينَ أَنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الجاهل، فكنى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سبّوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله في عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان بعلي الحسن المصيصي. والرابع: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فَلِمَ المانا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ مَلَنَ بِيَنتَوْ مِن رَبِيَّ﴾ قد تقدم تفسيره [مود: ٢٨ و ٦٣] وفي قوله: ﴿وَرَرَقَنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنَاً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحلال؛ قال أبن عباس: وكان شعيب كثيرَ المال. والثاني: النبوَّة. والثالث: العلم والمعرفة. قال الزجاح: وجواب الشرط هاهنا متروك، والمعنى: إن كنت على بينة من ربي، أتبع الضلال؟ فترك الجواب، لعلم المخاطبين بالمعنى، وقد مرَّ مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُغَالِقَكُمْ إِنَ مَا أَنْهَلُكُمْ عَنَهُ﴾ قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه. وقال الزجاح: ماأقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا اَسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد بما آمركم به إلا إِصلاح أموركم بقدر طاقتي. وقدر طاقتي: إبلاغكم لا إجباركم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَوْفِيقِ إِلَّا إِلَيْكُ فَتَحَ تَاءَ (تُوفِيقِي) أَهُلُ المدينة، وابن عامر. ومعنى الكلام: ما إصابتي الحق في محاولة صلاحكم إلا بالله. ﴿ وَمَلِيَّهِ نَوَكُلُتُ ﴾ أي: فوضت أمري، وذلك أنهم تواعدوه بقولهم: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُمِّينُهُ لَا عَالِمُ اللهُ عَلَيْهِ أَيْهِ ﴾ أي: أرجع.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمُنَّكُمْ شِتَانِ ﴾ حرك هذه الياء ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. قال الزجاح: لا تكسبنَّكم عداوتكم إيايَ أن تعذَّبوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمُ لُولِ يَنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا قريباً من مساكنهم. والثاني: أنهم كانوا حديثي عهد بعذاب قوم لوط. قال الزجاج: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها. قال ابن الأنباري: إنما وحّد بعيداً، لأنه أزاله عن صفة القوم، وجعله نعتاً مكان محذوف، تقديره: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيدٌ وَدُودٌ ﴾ قد سبق معنى الرحيم. فأما الودود: فقال ابن الأنباري: معناه: المحب لعباده، من قولهم: ودِدت الرجل أودَّه وُدًا وودًا وودًا وودًا وودًا ودِدًا ودِدت الرجل وِداداً ووَدادة وودادة. وقال الخطابي: هو اسم مأخوذ من الوُدُ؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون فعولاً في محل مفعول، كما قيل: رجل هيوب، بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه مودود في قلوب أوليائه لما يتعرَّفونه من إحسانه إليهم. والوجه الآخر: أن

يكون بمعنى الوادّ، أي: أنه يودّ عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم بِتَقَبُّلِ أعمالهم؛ ويكون معناه: أن يودُّدهم إلى خلقه، كقوله: ﴿ سَيَجْعَلُ لَمُنُمُ ٱلرَّحْنَنُ وُيًّا ﴾ [مريم: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَتِيرًا يَمَّا تَقُولُ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: ما نفقه صحة كثير مما تقول، لأنهم كانوا يتديَّنون بغيره، ويجوز أن يكونوا لاستثقالهم ذلك كأنهم لا يفقهونه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىكَ فِينَا ضَهِيفًا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريراً؛ قال ابن عباس، وابن جبير، وقتادة: كان أحمى. قال الزجاح: ويقال: إن حمير تسمى المكفوف: ضعيفاً. والثاني: ذليلاً، قاله الحسن، وأبو روق، ومقاتل. وزعم أبو رَوْق أن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولا نبياً به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزاً عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهُطُكَ لَرَجَنَّكُ ﴾ قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملَّتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم هاهنا بمعنى الشتم

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلِيْنَا بِعَزِيزِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: بكريم. والثاني: بممتنع أن نقتلك.

قوله تعالى: ﴿ أَرَهُطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِنَ اللهِ وأسكن ياء ﴿ رهطي الْعَلَى الْكُوفَة ، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي فيّ، ولا تراعون الله فيَّ؟

قوله تعالى: ﴿وَائَغَنْدُمُوهُ وَرَاءَكُمُ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفواء: المعنى: رميتم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر:

بظَهْرِ فلا يَعْيَا عليَّ جَوَابُها(١)

تميم بن قيس لا تكونَنَّ حَاجَتى والثاني: أنها كناية عما جاء به شعيب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ إِنَ كِنَ يِمَا نَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿مَرِّقَ تُمُلِّمُونَ﴾ [الانعام: ١٣٥]. فإن قال قائل: كيف قال هاهنا اسوف وفي سورة أخرى افسوف؟ [الأنمام: ١٣٥] فالجواب: أن كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء، دلُّوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها، بَنَوْا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تَذْبَحُوا بَقَرَّةً قَالُوا ٱلتَّغْلِدُنَا هُرُوًّا﴾ [البترة: ٦٧]، والمعنى: فقالوا: أتتخذنا، بالفاء، فحذفت الفاء لتمام ما قبلها. قال امرؤ القيس:

فقالتْ يَسمينَ اللّهِ مالَكَ حِيلةً وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَاية تَنْجلي(٢) خَرَجْتُ بِها أَمْشي تَجُرَّ وَرَاءَنا عَلَى إِسْرِنَا أَذْيَالَ مِسرِطْ مُسرِحُسلِ

قال ابن الأنباري: أراد: فخرجتُ، فأسقط الفاء لتمام ما قبلها. ويروى: فقمت بها أمشي.

قوله تعالى: ﴿وَارْنَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب.

قوله تعالى: ﴿وَإَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْمَةُ ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عُذُّب أهل مدين بثلاثة أصناف من العِذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم، حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حرٌّ شديد، فبعث الله الظُّلَّة، فتنادَوا: هلم إلى الظل؛ فدخلوا جميعاً في الظُّلَّة، فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذُّب أمتان قط بعذاب واحد، إلا قوم شعيب وصالح، فأما قوم صالح، فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب، فأخذتهم من فوقهم، نشأت لهم سحابة كهيئة الظُلَّة فيها ريح بعد أن امتنعت الريح عنهم، فَأَتَوْها يستظلُّون تحتها فأحرقتهم.

⁽١) البيت تقدم ٢٤٧، وهو أيضاً في «الكامل» ٤٣٠، ودذيل الأمالي» ٧٨، ودأضداد ابن الأنباري، ٢٥٦. (٢) دديوانه، ١٤، والمرط: إزار خز له علم، وإنما تجر مرطها ليخفى أثره وأثرها فلا يستدل عليهما، والمرحل: الموشى، وهو ضرب من البرود.

قوله تعالى: ﴿ كُمَّا بَوِدَتْ تَكُودُ ﴾ أي: كما هلكت ثمود. قال ابن قتيبة: يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ: إِذا كان بُعْده هلكة؟ وبَعُدَ يبعُد: إِذا نأى.

﴿ وَلَقَدَّ أَرْسَلْنَا مُومَىٰ بِعَايَفِتِنَا وَمُلْطَنَوْ مُّيِينٍ ﴿ إِلَى فِرْعَوْتَ وَمَلَإِنِهِ فَاتَبَعُوّا أَمَرُ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْتَ بِمِشِيدٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَفِتِنَا ﴾ قال الزجاح: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته. ﴿ وَسُلْطَنَنِ شُبِينٍ ﴾ أي: حجة بينة.

قوله تعالى: ﴿فَالَبُمُوا أَمْرَ فِرْعَوَنَهُ وهو ما أمرهم به من عبادته واتخاذه إِلَهاً. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْك بِرَشِيدٍ ﴾ أي: مرشد إلى خير.

﴿ يَقَدُمُ مَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيكَ مَهِ مَا أَوْرَدَهُمُ النَّارُّ وَيِشَى ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ١٠٠

قوله تعالى: ﴿ يَغْدُمُ قَوْمَمُ يَوْمَ الْقِيَكَمَةِ ﴾ قال الزجاح: يقال: قَلَمْت القوم أقدُمهم، قَدْماً وقُدوماً: إذا تقدمتهم؟ والمعنى: يقدمهم إلى النار؛ ويدل عليه قوله: ﴿ فَآزَرَدَكُمُ النَّارِ ﴾ قال ابن عباس: أوردهم بمعنى أدخلهم. وقال قتادة: يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار.

قوله تعالى: ﴿وَيِئْسَ الْوِرْدُ ٱلْمَوْرُدُهُ﴾ قال المفسرون: الوِرد: الموضع الذي ترده. وقال ابن الأنباري: الوِرْد: مصدر معناه: الورود، تجعله العرب بمعنى الموضع المورود؛ فتلخيص الحرف: ويئس المدخل المدخول النار.

﴿ وَأَنْسِمُوا فِي هَمَاذِهِ لَمَنَةً وَيَوْمَ ٱلْتِبَدَةُ بِئْسَ ٱلرِّقَدُ ٱلْمَرْمُودُ ١٠٠

قوله تعالى: ﴿وَأَنْسِمُواْ فِ هَكَذِهِ لَمُنَةً وَيُوْمُ ٱلْتِنَكَةُ﴾. في هذه اللعنة قولان: أحدهما: أنها في الدنيا الغرق، وفي الآخرة من الملائكة، الآخرة عذاب النار، هذا قول الكلبي، ومقاتل. والثاني: أنها اللعنة في الدنيا من المؤمنين، وفي الآخرة من الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ يِثْنَ ٱلرِّفَدُ ٱلْمَرْفُرُدُ﴾ قال ابن قتيبة: الرفد: العطية؛ يقول: اللعنة بئس العطية؛ يقال: رفدته أرفِده: إِذا أعطيته وأعنته. والمرفود: المعطى.

﴿ وَالِكَ مِنْ أَنْبُنَّهِ ٱلْفُرَىٰ نَقْصُمُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَنَامِدٌ وَحَسِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ مِنْ أَنْبُآءَ ٱلْقُرَىٰ كَ يعني ما تقدم من الخبر عن القرى المهلكة. ﴿ نَقُشُمُ عَلَيْكَ ﴾ أي: نخبرك به. ﴿ مِنْهَا قَالِمِدٌ وَعَصِيدٌ ﴾ قال ابن قتيبة: القائم: الظاهر ﴿ مِنْهَا قَالِمِدٌ وَعَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلْهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُوالِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُل

﴿ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنْسُهُمُ فَمَا أَغَنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَنْهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن تَيْءٍ لَّنَا جَآةَ أَنُّرُ رَبِّكٌ وَمَا زَادُوهُمْ فَيَ تَنْهِبٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَتَنَهُمْ ﴾ أي: بالعذاب والإهلاك. ﴿ وَلَكِن ظَلَتُواْ أَنْسُهُمْ ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿ فَمَا أَغْنَتُ عَهُمْ عَالِهَ تُهُمْ عَالِهَ تُهُمْ عَالِهَ اللهُ ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ يعني الآلهة ﴿ غَيْرَ تَنْبِسِ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخسير، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الشر، قاله ابن زيد. والثالث: التدمير والإهلاك، قاله أبو عبيدة. فإن قيل: الآلهة جماد، فكيف قال: «زادوهم»؟ فعنه جوابان: أحدهما: وما زادتهم عبادتها. والثاني: أنها في القيامة تكون عوناً عليهم فتزيدهم شرًا.

﴿ وَكَذَالِكَ أَنْذُ رَبِّكَ إِذَا أَنْذَ الْثُرَىٰ وَمِي طَلِيَّةً إِنَّ أَنْذَهُم أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰوَلِكَ أَخَذُ رَبِكَ﴾ أي: وكما ذُكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أَخْذُ ربك ﴿ إِذَا أَخَذَ الْشَرَىٰ وَهِىَ ظَلِيْـتُهُ وصف القرى بالظلم، والمراد أهلها. وقال ابن عباس: الظلم هاهنا: بمَعنى الكفر.

﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآبَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةُ ذَلِكَ يَوَمٌ جَمْدُعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوَمٌ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآبَةً﴾ يعني ما ذُكر من عذاب الأمم وأخْذِهم. والآية: العبرة والعظة. ﴿ ذَلِكَ يَوَمٌ جَمْدُعٌ لَهُ النَّاشُ﴾ لأن الخلق يُحشرون فيه، ويَشهده البَرُّ والفاجر، وأهل السماء والأرض.. ﴿وَمَا نُؤَيِّرُهُۥ﴾ وروى زيد عن يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «وما يؤخره بالياء» والمعنى: وما نؤخر ذلك اليوم إلا لوقت معلوم لا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي: قيوم يأتي، بياء في الوصل، وحذفوها في الوقف؛ غير أن ابن كثير كان يقف بالياء، ويصل بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة بغير ياء في الوصل والوقف، قال الزجاج: الذي يختاره النحويون قيوم يأتي، بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء، وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً. وقد حكى الخليل، وسيبويه، أن العرب تقول: لا أدرٍ، فتحذف الياء، وتجتزئ بالكسرة، ويزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. وقال الفراء: كل ياء ساكنة وما قبلها مكسورة، أو واو ساكنة وما قبلها مضموم، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالكسرة من الياء، وبالضمة من الواو، وأنشدني بعضهم:

كفَّاك كُنفٌ مَا تبلِيْتُ ورْهَمَا جُودًا وأُخْرى تُعْطِ بالسَّيفِ الدِّما

قال المفسرون: وقوله: ﴿يَرْمَ يَأْتِي﴾ يعني: يأتي ذلك اليوم، لا تَكلُّم نفس إِلا بإذن الله، فكل الخلائق ساكتون، إلا مَن أذن الله له في الكلام. وقيل: المراد بهذا الكلام الشفاعة.

قوله تعالى: ﴿ فَيَنْهُمْ شَيْقٌ ﴾ قال ابن عباس: منهم من كتبت عليه الشقاوة، ومنهم ن كُتبت له السعادة.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ فِهَا رَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الزفير كزفير الحمار في الصدر، وهو أول ما ينهق، والشهيق كشهيق الحمار في الحلق، وهو آخر ما يفرغ من نهيقه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل، والفراء. وقال الزجاج: الزفير: شديد الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وهما من أصوات المكروبين. وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق. والثاني: أن الزفير في الحلق، والشهيق في الصدور، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والربيع بن أنس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: النفس: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: النفس، والزفير إخراج النفس. وقال غيره: الزفير: الشديد، مأخوذ من الزَفْر، وهو الحمل على الظهر لشدته؛ والشهيق: النَّفَس الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شاهق، أي: طويل. والثالث: أن الزفير زفير الحمار، والشهيق شهيق البغال، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلتَّبَوَتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ المعروف فيه قولان: أحدهما: أنها السموات المعروفة عندنا، والأرض المعروفة؛ قال ابن قتيبة، وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ؛ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السموات والأرض، وما اختلفت الجِرَّة والبِرَّة (١١)، وما أطّت الإبل (٢)، في أشباه لهذا كثيرة، ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم. والثاني: أنها سموات الجنة والنار وأرضهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآةَ رَبُّكُ ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال: أحدها: أن الاستثناء في حق المموحدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: وإلا ما شاء ربك، قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها، قال الزجاح: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا

الجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبتلعه، والدرة: كثرة اللبن وسيلانه، واختلافهما: أن الدرة تسفل إلى الرجلين، والجرة: تعلو إلى
الرأس.

 ⁽٢) يقال: أظت الإبل تتط أطيطاً: أنّت تعباً وحنيناً، أو رزمة. وفي المثل: (لا أفعل ذلك ما أطت الإبل.».

أنهم خالدون أبداً. والثالث: أن المعنى: خالدين فيها أبداً، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود. والمرابع: أن «إلا» بمعنى «سوى»، تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن تقول: لأَسْكَنَنَّك في هذه الدار حولاً إلا ما شئتَ؛ تريد: سوى ما شئتَ أن أزيدك. الخامس: أنهم إذا حُشروا ويُثعوا، فهم في شروط القيامة؛ فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيَّران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة و النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار. والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذُكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضاً. والسابع: أن ﴿إِلاَّ بمعنى «كما»، ومنه قوله: ﴿وَلَا لَنَكِحُوا مَا نَكُحَ وَابَأَوْكُم مِنَ ٱللِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ مَعَلَفٌ﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي. فأما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه استثناء لا يفعله. والثاني: أن «إِلا» بمعنى «سوى». والثالث: أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبثهم في القبور. والرابع: أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدَهم من النعيم الذي لم يُذكر. والخامس: أن الإلا، ك هماه، وهذه الأقوال قد سبق شرحها. والسادس: أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموجَّدين، ثم أدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة؛ فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إِدخال المذنبين النارَ مدَّةً. واختلف القراء في «سعِدوا» فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم؛ «سَعِدواً بفتح السين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها، وهما لغتان.

قوله تعالى: ﴿ عَلَا مُنْرَ بَمَنُونِ ﴾ نُصب عطاء بما دل عليه الكلام، كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاءً. والمجذوذ: المقطوع؛ قال ابن قتية: يقال: جذذت، وجددت، وجذفت، وجدفت: إذا قطعت.

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةِ يَمَّا يَعْبُدُ مَكُولاً مَا يَسْبُدُونَ إِلَّا كُمَا يَسْبُدُ ءَابَاؤَهُم مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَبَرُ مَنْوسِ ﴿ فَلَا تَكُ بِن مِرْيَةِ ﴾ أي مِرْيَةِ ﴾ أي فريق الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلّدون آباءهم، ﴿ وَإِنّا لَمُوفُّهُمْ نَصِيبَهُم ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قدَّر لهم من خير وشر، قاله ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية. والثالث: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد. وقال بعضهم: لا ينقصهم من عذاب آبائهم.

﴿ وَلَقَدٌ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبُ فَاخْتُلِكَ فِيدُ وَلَوْلَا كُلِمَةً سَبَقَتْ مِن رَّبِكَ لَقَضِى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَغِى شَلِّكِ مِنْهُ مُرِسٍ ﴿ وَلَقَالَا مُوسَى الْحَيْنَابُ ﴾ يعني التوراة ﴿ فَاخْتُلِكَ فِيدًى فَمَن مَصَدِّق به ومكذّب كما فعل قومك بالقرآن. قال المفسرون: وهذه تعزية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كُلِمَةً سَبُنَتَ مِن رَبِّكَ ﴾ قال ابن عباس: يريد؛ إني أخَّرت أمتك إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لعجَّلت عقاب من كذبك. وقال ابن قتيبة: لولا نَظِرةٌ لهم إلى يوم الدين لقُضي بينهم في الدنيا. وقال ابن جرير: سبقت من ربك أنه لا يعجِّل على خلقه بالعذاب، لقضي بين المصدّق منهم والمكذّب بإهلاك المكذب وإنجاء المصدق (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنِي شَكِّنِ مِنْتُهُ أَي: من القرآن ﴿ مُرِبِ ﴾ أي: موقع للريب.

⁽١) نص ابن جرير في التفسير؟: ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب؛ ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿ لَتُغِنَى بَيْنَهُمْ عَلَى عَلَمُ اللهِ عَلَى عَلَمُ اللهِ عَلَى اللهُ المحدق به .

﴿ وَإِنَّ كُلَّا لَكُوْ لِيَكُمْ مَنُّكَ أَعْسَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَسْتَلُونَ خَبِيدٌ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلُّكُ يشير إِلى جميع من قصَّ قصته في هذه السورة. وقال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة. وقيل: المعنى: وإن كلَّ لخلق أو بشر ﴿ لِيُوَيِّنَهُم ﴾. قرأ أبو عمرو، والكسائي "وإنَّ مشددة النون، "لما خفيفة. واللام في "ليوفينهم" اللام التي يُتلقَّى بها القسم، والتقدير: والله ليوفينهم، ودخلت على «ما الفصل بين اللامين. قال مكي بن أبي طالب: وقيل: إن «ما الذات الكن دخلت لتفصل بين اللامين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين عند اللامين المتعلم وقيل اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين اللهمين المتعلم وقيل المنطلق، وقيل المنطلق، فيخففون "إنَّ وكذلك الماء. قال سيبويه: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: إنْ عَمْراً لمنطلق، فيخففون "إنَّ ويُعملونها، وأنشد:

وَرَجْهِ وَ سَنِ النَّاحِدِ لِ كَانْ ثَدَيْدَ اللَّهِ وَ النَّالَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللهِ اللَّ

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ وإن عَنْ عَنْ مَا مشدة ، والمعنى : وما كُلا إلا ؛ وهذا كما تقول : سألتك لمّا فعلت ، وإلّا فعلت ، ومثله قوله : ﴿ وَلَ كُلُ تَنْ لَا عَبْهَا كَانِظٌ ﴿ وَالطارق : ٤٤ . وقرأ حمزة ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : ﴿ وإنّ التشديد ، ولمّا » بالتشديد أيضاً . قال أبو علي : هذه قراءة مشكلة ، لأنه كما لا يحسن : إنّ زيداً إلا منطلق ، كذلك لا يحسن تثقيل وإنّ وتثقيل ولمّا » . وحكي عن الكسائي أنه قال : لا أعرف وجه التثقيل في ولمّا » ولم منطلق ، كذلك لا يحسن تثقيل وإنّ وتثقيل ولمّا » . وحكي عن الكسائي أنه قال : لا أعرف وجه التثقيل في ولمّا » ولم يُبعد فيما قال . وقال مكي بن أبي طالب : الأصل فيها ولَمِن ما » ثم أدغمت النون في الميم ، فاجتمعت ثلاث ميمات في اللفظ ، فحذفت الميم المكسورة ؛ والتقدير : وإنّ كُلاً لَمِن خَلْقٍ ليوفينَهم . قال : وقيل : التقدير : لخَلقٌ ليوفينَهم ، ومعنى الكلام : ليوفينَهم جزاء أعمالهم .

﴿ فَاسْتَقِيمَ كُمَّا أَمِرْتَ وَمَن تَابَ مَمَكَ وَلاَ تَطْفَزُا إِنَّهُ بِمَا تَشْمَلُونَ بَعِيدٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كُنَآ أُمِرْتَ﴾ قال ابن عيينة: استقم على القرآن. وقال ابن قتيبة: امضِ على ما أمرت به. قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَمَكَ﴾ قال ابن عباس: من تاب معك من الشرك.

قوله تعالى: ﴿ وَكَا تُطْنَزُا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تطغوا في القرآن، فتحلّوا وتحرّموا ما لم آمركم به، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعصوا ربكم ولا تخالفوه، قاله ابن زيد. والثالث: لا تخلطوا التوحيد بشك، قاله مقاتل.

﴿ وَلا مُزَكِّنُوا إِلَى الَّذِينَ طَلَمُوا مُتَسَكِّمُ النَّادُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيكَة ثُمَّ لا نُصَرُوك ﴿ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيكَة ثُمَّ لا نُصَرُوك ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ روى عبد الوارث عن أبي عمرو: «تَركُنوا» بفتح التاء وضم الكاف، وهي قراءة قتادة. وروى هارون عن أبي عمرو «تَركِنوا» بفتح التاء وكسر الكاف. وروى محبوب عن أبي عمرو: «تِركَنوا» بكسر التاء وفتح الكاف على ما لم يُسم فاعله. وفي المراد بهذا الركون أربعة أقوال: أحدها: لا تميلوا إلى المشركين، قاله ابن عباس. والثاني: لا تَرضوا أعمالهم، قاله أبو العالية. والثالث: لا تلحقوا بالمشركين، قاله قتادة. والرابع: لا تُداهنوا الظلمة، قاله السدي، وابن زيد. وفي قوله: ﴿فَتَنَسَكُمُ وَجِهان: أحدهما: فتصيبكم النار، قاله ابن عباس. والثاني: فيتعدّى إليكم ظلمهم كما تتعدّى النار إلى إحراق ما جاورها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاتَ﴾ أي: ليس لكم أعوان يمنعونكم من العذاب. ﴿وَأَقِدِ الصَّلَوْءَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلُفًا مِنَ ٱلْتِيلُ إِنَّ ٱلْمُسَتَنَتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّنَاتُ ذَلِكَ يَرُكُ لِللَّذِكِينَ ۗ

قُولُهُ تُعالَى: ﴿وَزَاقِمِ ٱلْقَدَّلُوةَ ۚ كَلَوْقِ ٱلنَّهَارِ﴾ أما سببُ نزولها، فروى علقمة والأسود عن ابن مسعود أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أخذت امرأة في البستان فقبَّلتها، وضممتُها إليَّ، وباشرتُها، وفعلتُ بها كل شيء، غير أني لم أجامعها؛

 ⁽۱) البيت غير منسوب في «سيبويه» ١/ ٢٨١، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٣٧، و«الخزانة» ٤/ ٣٥٨.

فسكت النبي على ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقِرِ الْمَسَلَوْةُ طَرَقُ النّهار ... ﴾ الآية، فدعا الرجل فقرأها عليه، فقال عمر: أهي له خاصة، أم للناس كافّة؟ قال: ﴿ لا بل للناس كافّة؟ أ. وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ، فذكر ذلك له ، فنزلت هذه الآية ، فقال الرجل: أليّ هذه الآية؟ فقال: ﴿ لمن عمل بها من أمتي (٢٠٠) . وقال معاذ بن جبل: كنت قاعداً عند رسول الله على ، فجاء رجل ، فقال: يا رسول الله ، ما تقول في رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له ، فلم يدّع فصلًا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال معاذ: أهي له خاصة ، أم للمسلمين النبي على : ﴿ وقوضاً وضوءاً حسناً ، ثم قم فصلًا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال معاذ: أهي له خاصة ، أم للمسلمين عامة؟ فقال: ﴿ والله عن ابن عباس: هو عمرو بن عامة ؟ فقال: وله هي للمسلمين عامة؟ * أن واختلفوا في اسم هذا الرجل ، فقال أبو صالح عن ابن عباس: هو عمرو بن غزية الانصاري، وفيه نزلت هذه الآية ، كان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمراً ، فأعجبته ، فقال: إن في البيت تمراً أجود من هذا ، فانطلقي معي حتى أعطيك منه ؛ فذكر نحو حديث معاذ (٤٠) . وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامر بن قيس أجود من هذا ، فانطلقي معي حتى أعطيك منه ؛ فذكر نحو حديث معاذ (١٤) . وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامر بن قيس قال للنبي في الله خاصة ؟ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو اليسر صاحب القصة . والثاني: معاذ بن جبل . والثالث: قال للنبي في الطرف الثاني الخطاب . فأما التفسير، فقوله: ﴿ وَأَلِتِر الشَكَلُونَ ﴾ أي: أنه ركوعها وسجودها . فأما طرفا النهار، ففي الطرف الثاني الخوال: أحدهما: أنه صلاة المغرب، قاله ابن عباس، وابن زيد . والثاني: العصر، قاله قتادة . وعن الحسن كالقولين . والثالث الغلاث . الظهر، والعصر، قاله مجاهد، والقرظي . وعن الضحاك كالأقوال الثلاثة .

قوله تعالى: ﴿وَزُلُكُا مِّنَ ٱلۡيَٰٓلِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: ﴿وزُلُفاً ۚ بضم اللام. قال أبو عبيدة: الزُلَف: الساعات، واحدها: زُلْفَة، أي: ساعة ومنزلة وقربة، ومنه سميت المزدلفة، قال العجّاج:

ناجٍ طواه الأينُ محا أوجفا ظيَّ اللَّيَالي زُلَفاً فرُلَفا فرُلَفا سَاحِ طواه الأينُ محاوّةً السهِلَال حَدَّى احْدَةً وْقَدَهُا (١)

قال ابن قتيبة: ومنه يقال أزلفني كذا عندك، أي: أدناني؛ والمزالف: المنازل والدَّرَج، وكذلك الزُّلف. وفيها للمفسرين قولان: أحدهما: أنها صلاة العتمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعوف عن الحسن، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال ابن زيد. والثاني: أنها صلاة المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس أيضاً، ورواه يونس عن الحسن، ومنصور عن مجاهد، وبه قال قتادة، ومقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذُهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ في المراد بالحسنات قولان: أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، ومجاهد، والقرظي، والضحاك، والمقاتلان: ابن سليمان،

١) •الطبري، ٥١٦/١٥ عن علقمة والأسود عن ابن مسعود، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٤٢٥٠) و (٤٢٩٠)، ومسلم في «صحيحه، ٢١١٦/٤،
 وأبو داود في «سننه» رقم (٤٤٦٨)، والترمذي ٢٩٩/٢.

 ⁽۲) • الطبرية ١٩/١٥، وامسند أحمدة رقم (٣٦٥٣) و (٣٦٥٣)، ورواه البخاري ٢٦٨/٨ ـ ٢٦٩، ومسلم ٤/٢١١٥، والترمذي ١٣٩/٢ وقال: حديث حسن صحيح.

۲) «الطبري» ۲۰/۱۰ ـ ۲۲۰، ورواه الترمذي ۱۳۹/۲ من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى الم يسمع من معاذ بن جبل، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست، وقد روى عن عمر ورآه، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي هم مرسلاً، والحديث بمعنى الذي قبله.

 ⁽٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨-٢٦٩٪ وأما قصة ابن غزية، فأخرجها ابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله
تعالى: ﴿وَأَتِيرِ الشَّلَوٰءُ كَارُكِ النَّهَارِ ﴾ قال: نزلت في عمرو بن غزية وكان يبيع التمر، فأنته امرأة تبتاع تمرأ فأعجبته. . . . الحديث ا هـ . والكلبي
وأبو صالح: ضعيفان.

 ⁽٥) لقد فصل الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٢٦٨، ٣٦٩ القول في اسم هذ الرجل، فارجع إليه إن شئت.

٢) • ديوانه ١/ ٨٤، و (الطبري ٢٧/٧٢، و (اللسان): حقف، و (الكامل للمبرد ١٢٩/١، ٣/ ٨٣٤. وسماوة الهلال: أعلاه. واحقوقف: يريد: اعوج، وإنما هو افعوعل، من الحقف، والحقف: النقا من الرمل يعوج ويدق، يريد: طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال.

وابن حيان. والثاني: أنها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، رواه منصور عن مجاهد. والأول أصح، لأن الجمهور عليه، وفيه حديث مسند عن رسول الله هي الله والله الله الله الله المعلم وقال: «من توضأ وضوئي هذا، ثم صلى الظهر، غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ومن صلى العصر، غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، غفر له ما بينها وبين صلاة المعرب، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرّغ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح، غفر له ما بينه وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات المذكورة هاهنا، فقال المفسرون: هي الصغائر من الذنوب. وقد روى معاذ بن جبل، قال: قلت: زدني؛ قال: «أبع السيئة الحسنة تمحها»، قال: قلت: زدني؛ قال: «أبع السيئة الحسنة تمحها»، قلت: زدني؛ قال: «أبع السيئة

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَكُونَ لِللَّهُ كِينَ ﴾ في المشار إليه بـ «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: إقام الصلاة. والثالث: جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة، والنهي عن الطغيان، وترك الميل إلى الظالمين، والقيام بالصلاة. وفي المراد بالذكرى قولان: أحدهما: أنه بمعنى التوبة. والثاني: بمعنى العِظة.

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُعْيِمِهُ أَجَرُ الْمُعْيِنِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَآسَيرُ ﴾ فيما أمر بالصبر عليه قولان: أحدهما: لما يلقاه من أذى قومه. والثاني: الصلاة، وفي المراد بالمحسنين ثلاثة أقوال: أحدهما: المصلُّون، قاله ابن عباس. والثاني: المخلصون، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المحسنون في أعمالهم، قاله أبو سليمان.

﴿ لَا يَكِ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبَلِكُمْ أَوْلُوا مِنْتِتُونَ مَنِ النّسَادِ فِي الأَرْضِ إِلّا مَلِيلًا يَنْتُنَ أَنْبَهَا يَنْهُمُ وَانَّبَعَ الَّذِينَ طَلَمُوا مِنْ الْفَرَدِينَ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُلّمُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّ

قوله تعالى: ﴿ لَا لَا كُنُ مِنَ الشُرُونِ ﴾ قال ابن عباس، والفراء: المعنى: فلم يكن. وقال ابن قتيبة: المعنى: فهلًا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية. وروى ابن جماز عن أبي جعفر «أولوا بِقْيَةٍ» بكسر الباء وسكون القاف وتخفيف الياء. وفي معنى «أولوا بقيّة» ثلاثة أقوال: أحدها: أولوا دين، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: يقال: قوم لهم بقية، وفيهم بقية ، وقال: إذا كانت بهم مُسكة وفيهم خير. والثاني: أولوا تمييز. والثالث: أولوا طاعة، ذكرهما الزجاج، وقال: إذا قلت: فلان فيه بقية، فمعناه: فيه فضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع، أي: لكنّ قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد. قال مقاتل: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشّرك إلا قليلاً ممن أنجينا من العذاب مع الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَرَاتَبُعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَا أَدْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا مع ظلمهم ما أترفوا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم. قال الفراء: آثروا اللذات على أمر الآخرة. قال: ويقال: اتبعوا ذنوبهم السيئة إلى النار.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُمْلِكَ ٱلْفُرَىٰ بِطُلْمٍ وَأَمْلُهَا مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِلْهَالِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ فيه قولان: أحدهما: بغير جرم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: بشرك، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان. وفي قوله: ﴿ وَأَمْلُهَا مُسْلِمُوكَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها:

⁽١) • الطبري، ١٥/٢/١٥، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٥١٣) وفي آخره زيادة، «قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٢٩٧/١ بنحو حديث أحمد، وهو حديث صحيح.

⁽٢) هذا الحديث خرجه أحمد في «المستندة ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل، وخرجه أيضاً ٥/ ١٥٣ عن أبي ذر الففاري، وخرجه الترمذي ٢٠ عن أبي ذر، ومعاذ، ولفظه عند الترمذي: «التي لله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي بعض النسخ: حسن. ورواه الحاكم في «المستدرك ١/٤٥ عن أبي ذر بلفظ الترمذي، ورواه عن معاذ بلفظ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، قال: يا وسول الله زدني، قال: إذا أسأت فأحسن، قال: يا رسول الله زدني، قال: استقم، ولتحسن خلقك، وقال: صحيح الإسناد من رواية البصريين، ولم يخرجاه، وواققه الذهبي. وقد روي عن النبي ﷺ أنه أوصى بهذه الوصية معاذاً وأبا فر من وجوه أخر.

ينتصف بعضهم من بعض، رواه قيس بن أبي حارُم عن جرير. قال أبو جعفر الطبري: فيكون المعنى: لا يهلكهم إِذا تناصفوا وإِن كانوا مشركين، وإِنما يهلكهم إِذا تظالموا. والثاني: مصلحون لأعمالهم، متمسكون بالطاعة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مؤمنون، قاله مقاتل.

﴿ وَلَوْ شَلَةً رَبُّكَ لِمَنَلَ النَّاسَ أَنَةً وَحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُعْنَلِفِينَ ۖ ﴿ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَتَّتُ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَيِنَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآةَ رَبُّكَ لَمُمَلَ النَّاسَ أَمَّةً وَحِدَةً ﴾ قال ابن عباس: لو شاء أن يجعلهم كلُّهم مسلمين لفعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُتَنِلِنِينَ ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الحق وأهل الباطل، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ فيكون المعنى: إن هؤلاء يخالفون هؤلاء. والثاني: أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكُ ﴾ قال ابن عباس: هم أهل الحق. وقال الحسن: أهل رحمة الله لا يختلفون.

قوله تعالى: ﴿وَلِذَالِكَ خُلْقَهُمُ فِي المشار إِليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه يرجع إلى ما هم عليه. قال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقاً يُرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرحم يختلف. والثاني: أنه يرجع إلى الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس أيضاً، واختاره الزجاج، قال: لأن اختلافهم مؤدّيهم إلى سعادة وشقاوة. قال ابن جرير: واللام في قوله: ﴿ولذلك بمعنى ﴿على ، والثالث: أنه يرجع إلى الاختلاف، رواه مبارك عن الحسن. والرابع: أنه يرجع إلى الرحمة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة؛ فعلى هذا يكون المعنى: ولرحمته خلق الذين لا يختلفون في دينهم.

قوله تعالى: ﴿رَنَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: وجب قول ربك: ﴿لَاتَلَأَنَّ جَهَنَمَ﴾ من كفار الجنَّة، وكفار الناس. ﴿رُكُلًا نَقْشُ عَلَيْكَ مِنْ أَلَيْآءٍ الرُّسُلِ مَا نُتَيِّتُ بِهِ. فُؤَادَكُ وَجَآءَكَ فِي هَانِهِ ٱلْحَقُّ رَمَرْعِظَةٌ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّا نَتُشُ ﴾ قال الزجاج: «كلاً» منصوب بـ «نقصّ»، المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصّ عليك. و «ما» منصوبة بدلاً من كل، المعنى: نقص عليك ما نثبت به فؤداك؛ ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت.

قوله تعالى: ﴿ وَبِاللّٰهُ فَي هَذِهِ الْمَثُّ ﴾ في المشار إليه به «هذه اربعة أقوال: أحدها: أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالمية، ورواه شبيان عن قتادة. والثاني: أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الأقاصيص المذكورة. والرابع: أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري. وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البيان. والثاني: صدق القصص والأنباء. والثالث: النبوة، فإن قيل: أليس قد جاءه الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟ فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة به «هذه إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا؛ إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد، بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبيين إهلاك الأمم، وشرح ماكهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين. والثاني: أن بعض الحق أوكد من ماكهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين. وهذا مذهب الزجاج. والثالث: أنه باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكأن الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج. والثالث: أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضاً، فهو كقوله: ﴿ وَالصَكَذَةِ اَلْوَسُمُنَكُ البقرة ، هما السورة الحق عنها، وهذا مذهب ابن الأنباري. والرابع: أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم. ﴿وَقُل لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ آمَـمُلُوا عَلَى مُكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿ وَانْظِرُواْ إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَانْظِرُواَ﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ما يعِدنا ربنا.

فصل

قال المفسرون: وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم، والاقتناع بإنذارهم، وهي منسوخة بآية السيف. واعلم أنه إذا قلنا: إن المراد بالآية التهديد، لم يتوجه نسخ.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجُعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُمْ فَاعْبُدُهُ وَقَوَكَ لَم عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَنْفِلِ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ اَلسَّمَوْتِ وَالْأَرْفِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما. ﴿وَلِلَّتِهِ يُرْجَعُ الْأَشُرُ كُلَّامُ﴾ قرأ نافع، وحفص عن عاصم ﴿يُرجَعُ الْأَشُرُ كُلُّمُ﴾ بضم الياء. وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم ﴿يَرجع بفتح الياء، والمعنى: إن كل الأمور ترجع إليه في المعاد. ﴿فَأَعْبُدُ ﴾ أي: وحُده. ﴿وَقَوَكُلْ عَلَيْهُ أي: ثِقْ به. ﴿وَمَا رَبُّكَ يِفْنِهِا عَمّا يَسْمَلُونَ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «تعملون» بالتاء. وقرأ الباقون بالياء. قال أبو على: فمن قرأ بالياء، فالمعنى: قل لهم: وما ربك بغافل عما يعملون. ومن قرأ بالتاء، فالخطاب للنبي ﷺ ولجميع الخلق مؤمنهم وكافِرهم، فهو أعم من الياء، وهذا وعيد، والمعنى: إنه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. قال كعب: خاتمة المود».

* * *

سورة يوسف [علبه السلام]

ينسب أنفر النكني النجين

﴿الَّرْ يَلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِتَابِ ٱلنَّهِينِ ۞﴾

فصل في نزولها

هي مكية بالإجماع. وفي سبب نزلوها قولان: أما القول الأول، فروى عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّ يَلُكَ مَايَتُ ٱلْكِنَابِ ٱلْتَهِينِ ﴿ ﴾ إلى قوله: ﴿ غَنُنُ نَقُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾، فتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلِّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنَبًا مُّتَشَيْهًا مَّتَانِيَ﴾(١) [الزمر: ٢٣] كل ذلك يؤمرون بالقرآن. وقال عون بن عبدالله: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلَّة، فقالوا: يا رسول الله حدَّثنا، فأنزل الله هَلْنَ: ﴿ اللَّهُ وَأَلَهُ وَأَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنَابًا مُّتَّمَّيِهَا مُّتَّانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم إنهم ملّوا مَلَّة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله ﴿غَنُ نَفُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْفَهَمِي﴾، فأراد الحديث، دلُّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص(٢). والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عَلَى: ﴿ الرَّ يَلَكَ مَايَتُ ٱلْكِنَبِ ٱلنَّهِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْتَهُ تُوْءَنَا عَرَبِيًّا ﴾ وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإِنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه. وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول (يونس)، إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ مللٌ وسآمة، فقالوا له؛ حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل، فقال: "تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل، هي آيات الكتاب المبين، وفي معنى «المبين» خمسة أقوال: أحدها: البيِّن حلاله وحرامه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: المبيّن للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم، رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. والثالث: البيِّن هداه ورشده، قاله قتادة. والرابع: المبيِّن للحق من الباطل. الخامس: البيِّن إعجازه فلا يعارض، ذكرهما الماوردي.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَهُ ثُرَّهُ مَّا عَرَبِيًّا لَّمَلَّكُمْ تَعْفِلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَرُورَا عَرَبِيّا ﴾ قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة [النساء: ٨٦]. وقد اختلف الناس، هل في القرآن شيء بغير العربية. وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن شيء بغير العربية، وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿ إِنَّا جَمَلَتُهُ وُرَّهَ مَا عَرَبِيّا ﴾ [الزعرف: ١٣] وروي عن ابن القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿ إِنَّا جَمَلَتُهُ وَرَّهَ مَا وَ «اليم» و «الطور» و «أباريق» عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب، مثل «سجيل» و «المشكاة» و «اليم» و «الطور» و «أباريق» و فير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال أبو عبيد (٣): وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة،

^{) «}الطبري» ٣٥/ ٥٥٣/ والحاكم في «المستدرك» ٢٤٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه، والبزار، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

⁽٢) ﴿ الطبري، ١٥/ ٥٥٧، وخرجه السيوطي في ﴿ الدر؛ ٣/٤ من طريق عون بن عبد الله عن أبن مسعود، فهو مرسل. وذكره الواحدي في ﴿أسباب النزول، ١٥٥.

⁾ في الأصل: أبو عبيدة، وهو خطأ، لأن الكلام الآتي كلام أبي عبيد القاسم بن سلام يرد به على شيخه أبي عبيدة، وانظر (المعرب: ٥ للجواليقي.

ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هو إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربياً بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحالة، أعجمية الأصل، فهذا القول يصدِّق الفريقين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَّكُمْ تَمْقِلُونَ ۞﴾ قال ابن عباس: لكي تفهموا.

﴿ غَنُ نَقُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَي بِمَا أَوْحَيْنَا إِلْتِكَ هَنَذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن تَبْلِهِ. لَمِنَ ٱلْغَيْلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿غَنُ نَتُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَينِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها في أول الكلام. وقد خُصت بسبب آخر، فروي عن سعيد بن جبير قال: اجتمع أصحاب محمد ﷺ إلى سلمان، فقالوا: حدِّننا عن النوراة فإنها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿غَنُ نَتُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَسَمِ ﴾ يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة. قال الزجاج: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان، والقاصُ: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها. قال وقوله: ﴿مِمَّا أَرْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسرّ، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم؛ والعزّ، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُ ﴾ في ﴿ إِن ا قولان.

أحدهما: ﴿قِن قَبْـلِهِ.﴾ قال ابن عباس: من قبل نزول القرآن. ﴿لَينَ ٱلْغَيْلِينَ﴾ عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته.

﴿إِذَ قَالَ يُومُتُ لِأَبِدِ يَتَأْبَتِ إِنِّ رَأَيْتُ أَمَدَ مَشَرَ كَوْبَكِا وَالنَّمْسَ وَالْفَسَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَيْدِينَ ۞ قَالَ يَنْبُنَى لَا نَفْسُمْسُ رُهْبَاكَ عَلَّ إِخْوَيْكَ فَيْكِيدُوا لَكَ كَبْنًا ۚ إِنَّ الشَّيْطِينَ لِلاِسْمَانِ مَدُوَّ شُبِبُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُكُ لِأَبِيهِ ۚ فِي ﴿إِذَ ۗ قُولَانَ.

أحدهما: أنها صلة للفعل المتقدّم، والمعنى: نحن نقص عليك إذا قال يوسف. والثاني: أنها صلة لفعل مضمر، تقديره؛ اذكر إذ قال يوسف، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَكَابُتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء، ووقفا بالهاء، وافقهما ابن كثير في الوقف بالهاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. فمن فتح التاء، أراد: يا أبتا، فحذف الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة دالة على الألف، كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء. ومن وقف على الهاء، فلأن تاء التأنيث تبدل منها الهاء في الوقف. وقرأ أبو جعفر احد غشر، وتسعة غشر، بسكون العين فيهما. وفي ما رآه يوسف قولان: أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين. قال الفراء: وإنما قال: ﴿رأيتهم على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، كقوله: ﴿يَتَابُّهُمُ الشَّمُلُ اتَّمُلُوا مَسْكِنكُم النفل الفراء: وإنما قال: ﴿رأيتهم على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، والقمر أباه، فلما قصّها على يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السدي: الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت. والثاني: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنى عن ذكرهم، وهذا مروي عن ابن عباس، وقتادة. فأما تكرار قوله: ﴿رَأَيُنُهُم فقال الزجاح: إنما كرره لمّا طال الكلام توكيداً. وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة تولك : احدها: سبع سنين. والثاني: اثنتا عشرة سنة. والثالث: سبع عشرة سنة. قال المفسرون: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه، فقال: ﴿لاَ نَقَمُ شُرَّة الله عَلَى العَدول المين: الظاهر العداوة. وقال ابن قتيبة: يحتالوا لك حيلة ويغتالوك. وقال غيره: اللام صلة، والمعنى: فيكيدوك. والعدو المبين: الظاهر العداوة.

﴿ وَكُذَٰلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُزِدُّ نِمْمَتَهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَقَ ءَالِ يَمْقُوبَ كُمَّا أَنْسَهَا عَلَىٰ أَبَوْيَكِ مِن فَبَلُ إِبَرَاهِمَ

وَإِنْسَقُ إِنَّ رَبُّكَ عَلِيدٌ عَكِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنَالِكَ يَعْنَبِكَ رَبُّكِ﴾ قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيتم من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك. وقد شرحنا في [الأنعام: ٨٥] معنى الاجتباء. وقال ابن عباس: يصطفيك بالنبوة.

قوله تعالى: ﴿ رَبُّمَلِمُكَ مِن تَأْرِيلِ ٱلْأُحَادِيثِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه. والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، ذكره الزجاج. قال مقاتل: و قمن هاهنا صلة.

قوله تعالى: ﴿وَيُشِدُ نِمُمَتَهُم عَلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس. والثاني: بإعلاء الكلمة. والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي. وفي ﴿ عَالِ يَمْقُربَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ولده، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل.

والثالث: أهله، قاله أبو عبيدة، واحتج بأنك إذا صغَّرت الآل، قلت: أُهيل.

قوله تعالى: ﴿ كُمَا أَنْهُمَا عَلَىٰ أَبُولَكِ مِن مَبْلُ إِبْرَاهِمَ وَإِسْمَنَى ﴾ قال عكرمة: فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار، ونعمته على إسحاق أن نجاه من الذبح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ عَلِيدٌ ﴾ أي: عليم حيث يضع النبوة ﴿ مَكِيدٌ ﴾ في تدبير خلقه.

﴿ ﴿ لَٰذَ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ. ءَايَنَتُ لِلسَّآبِلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَذَ كَانَ فِي يُوسُكَ وَإِخْرَبِيهِ أَي: في خير يوسف وقصة إخوته (آيات) أي: عِبَر لمنم سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية. وقرأ ابن كثير (آية). قال المفسرون: وكان اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فعجبوا من ذلك. وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال.

أحدها: الدلالة على صدق محمد ﷺ حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدهم، ولا نظر في الكتب. والثاني: ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه. والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله. والرابع: ضبط نفس وقهو شهوته حتى قام بحق الأمانة. والخامس: حدوث السرور بعد اليأس.

فإن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضاً؟ فعنه جوايان.

أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتفى بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البود في قوله: ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ١٨].

والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضاً؛ وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر.

﴿إِذْ قَالُوا لِنُوسُكُ وَأَخُوهُ أَمَتُ إِلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحَنُ عُصْبَةً إِنَّ أَبَّنَا لَنِي صَلَالِ شَبِينِ ﴿

قُولُه تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ﴾ يعني إِخوَّة يوسف. ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يعنونُ ابن يامين. وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نفساء. ويامين بمعنى الوجع، وكان أخاه لأمه وأبيه. والباقون إِخوته لأبيه دون أمه.

فأما العصبة، فقال الزجاج: هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضاً في الفعل، ويتعصب بعضهم لبعض.

وللمفسرين في العصبة ستة أقوال.

أحدها: أنها ما كان أكثر من عشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها ما بين العشرة إلى الأربعين، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قادة. والثالث: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير والرابع: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد. والخامس: الجماعة، قاله ابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والسادس: عشرة، قاله مقاتل. وقال الفراء: العصبة عشرة فما زاد..

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَيْنَ صَلَالِ ثُمِينٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: لفي خَطَإْ من رأيه، قاله ابن زيد. والثاني: في شَقَاءٍ، قاله مقاتل؛ والمراد به عناء الدنيا. والثالث: لفي ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا، لأن نفعنا له أعمى. قال الزجاج: ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفاراً، إنما أرادوا: إنه قدَّم ابنين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعنا أكثر.

﴿ آفْنُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱلْمَرْحُوهُ أَرْضَا يَعْلُ لَكُمْ وَبَهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنْ بَشْدِهِ. فَوْمَا صَليمينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَفْنُلُواْ يُوسُفَ ﴾ قال أبو على: قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي: «مبينٌ اقتلوا » بضم التنوين، لأن تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، فحركوه بالضم ليُتبعوا الضمة الضمة، كما قالوا: «مدَّ» و اظُلُمات ». وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، بكسر التنوين، فلم يتبعوا الضمة كما قالوا: «مدَّ» «ظُلُمات ». قال المفسرون: وهذا قولهم بينهم: ﴿ أَو اَطْرَحُوهُ أَرْضَا ﴾ قال الزجاح: نصب «أرضاً » على إسقاط «في»، وأفضى الفعل إليها ؛ والمعنى: أو اطرحوه أرضاً يبعد بها عن أبيه. وقال غيره: أرضاً تأكله فيها السباع.

قوله تعالى: ﴿ يَمُنْلُ لَكُمُّ وَجُهُ أَبِيكُمُ ﴾ أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف. ﴿ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعَدِيهِ ﴾ أي: من بعد يوسف. ﴿ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعَدِيهِ ﴾ أي: من بعد يوسف. ﴿ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعَدِهِ عَلَى اللهِ مَا تَلُ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ مَا اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَآبِلٌ مِنْهُم﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثالث: روبيل، قاله قتادة، وابن إسحاق. فأما غيابة الحب، فقال أبو عبيدة: كل شيء غيّب عنك شيئاً فهو غيابة، والجب: الرَّكية التي لم تطو. وقال الزجاج: الغيابة: كل ما غاب عنك، أو غيّب شيئاً عنك، قال المنخّل:

فإنْ أنا يَوْماً غيَّبَتْني غَيَابَتي فيابَتي في العشيرة والأهْل

والجب: البئر التي لم تطو؛ سميت جباً من أجل أنها قُطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه. وقال ابن عباس: ﴿ فِي غَيْسَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ أي: في ظلماته. وقال الحسن: في قعره. وقرأ نافع: ﴿ غيابات الجب فجعل كل منه غيابة. وروى خارجة عن نافع: ﴿ غيَّابات ابتشديد الياء. وقرأ الحسن، وقتادة، ومجاهد: ﴿ غيبة الجب المغير ألف مع إسكان الياء. وأين كان هذا الجب، فيه قولان: أحدهما: بأرض الأردن، قاله وهب. وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: ببيت المقدس، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ يَلْنَفِظُهُ بَعْشُ السَّيَّارَةِ ﴾ قال ابن عباس: يَأخذه بعض من يسير. ﴿ إِن كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴾ أي: إِن أضمرتم له ما تريدون. وأكثر القراء قرؤوا «يلتقطه» بالياء. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن أبي عبلة بالتاء. قال الزجاج: وجميع النحويين يجيزون ذلك، لأن بعض السيارة سيارة، وقال ابن الأنباري: من قرأ بالتاء، فقد أنّت فعل بعض، وبعض مذكر، وإنما فعل ذلك حملاً على المعنى، إذ التأويل: تلتقطه السيارة، قال الشاعر:

كسمُسا أَخَسَدُ السِّسرادُ مِسنَ السِيلَالِ (١)

رأت مَــرَّ الـــــِّــنِــنَ أَخَـــذُنَ مــنــي أَراد: رأت السنين، وقال الآخر:

طَـوَيْـنَ طُـوِلـي وَطَـوَيْـن عَـرْضِـي (٢)

طُولُ الـليـالـي أَسْرَعـتْ فـي نَـقْـضـي

⁽١) البيت لجرير، اديوانه؛ ٤٢٦، وامجاز القرآن؛ ٩٨/١، والطبري؛ ٥٦٧/١٥، والكامل؛ للمبرد ٤٨٦، والسرار: آخر ليلة من الشهر يستسر فيها الهلال، أي: يختفي.

⁽٢) البيت للعجاج في ملحق ديوانه ٨١، و«الكتاب» ١٩٦١، وهمجاز القرآن» ١٩٩١، و«الطبري» ٧/٨، و«البيان والتبيين» ٢٠/٤، وهشواهد المغني، ٢٧٧، و«العين» ٣/ ٣٥، و«الخزانة» ٢/٨٨.

أراد: الليالي أسرعت، وقال جرير:

لَــمَّــا أَتَــى خَــبَــرُ السَّرُبَـيْــرِ تَــوَاضَــعَــتُ أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وتنشرَقُ بالنَّقَوْلِ الَّذِي قد أَذَعْتُهُ

أراد: كما شرقت القناة.

سُورُ المَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الخُشَعُ(١)

كما شرقت صَدْرُ القعنَاةِ مِنَ الدَّمِ (١)

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قال: لأبيه: (مالك لا تأمنًا قرأ الجماعة «تأمنا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم؛ قال مكي: لأن الأصل «تأمننا» ثم أدغمت النون اوولى، وبقي الإشمام يدل على ضمه النون الأولى. والإشمام: هو ضم شفتيك من غير صوت يُسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الرَّوم إشماماً؛ والرَّرْم: صوت ضعيف يُسمع خفياً. وقرأ أبو جعفر «تأمنا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمنا» بنونين على الأصل، والمعنى: مالك لا تأمنا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبر ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش ﴿ وَإِنّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴾ فيما أشرنا به عليك؛ ﴿ أَرْسِلُهُ مَمَنَا عَدُا ﴾ إلى الصحراء. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال: إني لَيُحُرُّتُني أن تذهبوا به، فقالوا: مالك لا تأمنا.

قوله تعالى: ﴿يَرَتَعَ وَيَلْمَبُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنة؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.

وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال.

أحدها: نَلْهُ، قاله الضحاك. والثاني: نَشْعَ، قاله قتادة. والثالث: نأكل؛ يقال: رتعت الإِبل: إِذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:

وَحْدِيد بِ لِي إِذَا لَاقَدِيْتُ مُ وَإِذَا يَحْدُلُو لَهُ لَحْدِي رَتَّعْ (٣)

أي: أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي: "يرتع ويلعب" بالياء فيهما وجزم العين والباء، يعنون "يوسف". وقرأ نافع: "نرتع" بكسر العين من "نرتع" من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضاً، أي يحفظ؛ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. وقد رويت عن ابن كثير أيضاً "نرتعي" بإثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء "تُرتِعْ" بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، و«نلعبّ» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إبلنا.

فأما قوله: ﴿وَنَلْمَتُ ﴾ فقال ابن عباس: نلهو.

فإن قيل: كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذِكر اللعب؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يكونوا حينئذٍ أنبياء، قاله أبو عِمرو بن العلاء. والثاني: أنهم عَنُوا مباح اللعب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ لِيَخْرُنُنِيَ أَن تَذَهَبُوا بِهِ ﴾ آي: يحزنني ذهابكم به، لأنه يفارقني فلا أراه. ﴿وَإَخَاتُ أَن يَأْكُلُهُ الدِّنْبُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «الذئب» بالهمز في الثلاثة المواضع. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، وشيبة بغير همز. قال أبو علي: «الذئب» مهموز في الأصل. يقال؛ تذاءَبَتِ الريح: إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذئب. وفي علة تخصيص الذئب بالذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى في منامه أن الذئب شد

⁽۱) قديوانه، ٣٤٥، وقمجاز القرآن، ١٩٧/، وقالنقائض، ٩٦٩، وقالكتاب، ١٩/١، ٢٥، والكامل، للمبرد ٤٨٦، وقالطبري، ١٧/٢، وقالأضداد، ٢٩٦ لابن الأنباري، وقاللسان، وقالتاج، سورة: وقالخزانة، ١٦٦/٢.

⁽۲) البيت للأعشى الكبير ميمون بن تيس، ديوانه: ۱۲۳، و «اللسان» شرق، ومعنى تشرق: تغص، وصدر القناة: أعلاها.

٢) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠ ـ ٢٠٢، تعد ممن أغلى الشعر وأنفسه، وقد فضلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال. وهو أيضاً في «الشعر والشعراء» ٣٨٤، و«الخزانة» ٢/٧٤، ورواية الشطر الأول فيها: «ويحيّني إذا لاقيّة».

على يوسف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن أرضهم كانت كثيرة الذئاب، قاله مقاتل. والثالث: أنه خافهم عليه فكنى بذكر الذئب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُدَ عَنْهُ عَنفِلُوكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: غافلون في اللعب. والثاني: مشتغلون برعيتكم.

قوله تعالى: ﴿لَهِنَ أَكُلَهُ ٱلذِّبْهِ وَيَنعُنُ عُصْبَةً﴾ أي: جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه ﴿ إِنّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ أي: عاجزون. قال ابن الأنباري: ومن قرأ «عصبةً» بالنصب، فتقديره: ونحن نجتمع عصبة.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِدِ. وَأَجَمُوا أَن يَجْمَلُوهُ فِي غَنِبَتِ الجُلُّ وَأَوْجَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْتِنَكُم بِالْرِهِمْ هَدَدًا وَهُمْ لَا يَنْشُهُمْ ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَمَبُوا بِهِ ، في الكلام اختصار وإضمار، تقديره: فأرسله معهم فلما ذهبوا. ﴿ وَأَجَمُّوا ﴾ أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب.

الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون: قالوا ليوسف: أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد؟ قال: بلي، قالوا: فسل أباك أن يرسلك معنا، قال: أفعل، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بني؟ قال: نعم يا أبت، قد أرى من إخوتي اللين واللطف، فأنا أحب أن تأذن لي، فأرسله معهم، فلما أصحروا، أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعل يلجأ إلى هذا، فيضربه، وإلى هذا، فيؤذيه، فلما فطن لما قد عزموا عليه، جعل ينادي: يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لَأَحْزَنكَ ذلك وأبكاك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيَّعوا وصيَّتك، وجعل يبكي بكاءٌ شديداً. قال الضحاك عن ابن عباس: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، ثم جثم على صدرهِ وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي لا تقتلني، قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكسرها، فنادى يوسف: يا يهوذا اتق الله فيّ، وخل بيني وبين مَنْ يريد قتلي، فأدركته له رحمة، فقال يهوذا: يا إخوتاه، ألا أدلكم على أمر هو خير لكم وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة، قالوا: نفعل؛ فانطلقوا به إلى الجب، فخلعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، لِمَ نزعتم قميصي؟ ردوه عليُّ أستر به عورتي ويكون كفناً لي في مماتي؛ فأخرج الله له حجراً في البئر مرتفعاً من الماء، فاستقرت عليه قدماه. وقال السدي: علوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردوا عليَّ قميصي أتوارى به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا، فدلُّوه في البثر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماءٌ فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها؛ فلما أُلقَّوْهُ في الجب جعل يبكى، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه، فبعث الله إليه مَلَكاً، فحلَّ عنه وأخرج له حجراً من الماء، فقعد عليه؛ وكان يعقوب قد أدرج فميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم أُلْقي في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه الملك حينئذ، وأضاء له الجب. وقال الحسن: ألقى في الجب، فَعَذُبَ ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب؛ ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى، نهض جبريل ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرِّج كرب المكرويين، قد ترى مكاني وتعلم حالى ولا يخفي عليك شيء من أمري. فلما قالها حفته الملائكة، فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يرعون حول الجب. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما ألقي يوسف في الجُبِّ، قال: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لي فرجاً مِما أنا فيه؛ قال: فما بات فيه.

وفي مقدار سنَّه حين أُلقي في الجب أربعة أقوال.

أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله الحسن. والثاني: ست سنين، قاله الضحاك. والثالث: سبع عشرة، قاله ابن السائب، وروي عن الحسن أيضاً. والرابع: ثمان عشرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْضَنَّآ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان.

أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه وحي حقيقة.

قال المفسرون: أوحي إليه لتخبرنّ إخوتك بأمرهم، أي: بما صَنعوا بك وأنت عالٍ عليهم.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُكُ﴾ قولان.

أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأولى يكون الكلام من صلة التنبثنهم،؛ وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه». قال حميد: قلت للحسن: أيحسد المؤمنُ المؤمنَ؟ قال: لا أبالك، مانسّاك بني يعقوب؟ .

﴿ رَبَّا اُنَّ أَبَاهُمْ عِشَانَهُ يَنكُونَ ۞ قَالُوا يَتَأَلِّهَا ۚ إِنَّا ذَهَبْنَا تَسْتَهِقُ وَتَركنا يُوسُفَ عِندَ مَتَنعِنا فَأَكَلَهُ الدِّفْتُ وَمَا أَتَ بِمُؤْمِنِ لَنَا وَلَوْ كُنَّا مَدِيْنِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ رَجَّاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَاءٌ يَبْكُونَ ۞ ﴾ وقرأ أبو هريرة، والحسن، وابن السميفع، والأعمش: ﴿عُشَاءً عِضم

قال المفسرون: جاۋوا وقت العتمة ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: ما لكم يا بَنِيَّ، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا بَتَأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْـنَا نَسْتَبِئُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: ننتضل، قاله ابن عباس، وابن تتيبة، قال: والمعنى، يسابق بعضنا بعضاً في الرمي. والثاني: نشتد، قاله السدي. والثالث: نتصيد، قاله مقاتل. فيكون المعنى على الأول: نستبق في الرمي لننظر أينا أسبق سهماً؛ وعلى الثاني؛ نستبق على الأقدام؛ وعلى الثالث: للصيد.

قوله تعالى: ﴿ وَزَرَكَ نَا يُوسُكَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ أي: ثيابنا. ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنِ لَنَّا﴾ أي: بمصدِّق. وفي قوله: ﴿ وَلَوْ كُنَّا مُدَيِّقِينَ﴾ قولان: أحدهما:أن المعنى: وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبناك، قاله الزجاج.

﴿وَجَاكُو عَلَى قَبِيمِهِ. بِدَرِ كَذِبٍّ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُشَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِغُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَآاَءُو عَلَىٰ قَبِيمِيهِ. بِدَمِرِ كَذِبِّ﴾ قال اللغويون: معناه: بدم مكذوب فيه، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب مكذوب، وللعقل معقول، وللجلد مجلود، قال الشاعر:

لَـحْـماً وَلَا لِـفُـوَادِهِ مَـعْفُـولَا(١) حنَّى إذا لَـمْ يَسْرُكُوا لِـعِهُامِهِ أراد؛ عقلاً. وقال الآخر:

قد والذي سمك السماء بقُدْرة

بُسلَسِع السَعَسزَاءُ وأَوْلِكَ السمَسِجُسلُسوْدُ يريد: أدرك الجلد. ويقولون: ليس لفلان عقد رأي، ولا معقود رأي، ويقولون: هذا ماء سكب، يريدون: مسكوباً، وهذا شراب صب، يريدون: مصبوباً، وماء غور، يعنون: غائراً، ورجل صوم، يريدون: صائماً، وامرأة نَوْح، يريدون: نائحة؛ وهذا الكلام مجموع قول الفراء، والأخفش، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. قال ابن عباسُ: أخذوا جدياً فذبحوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتم، لو كان أكله الذئب لخرّق القميص. وقال قتادة: كان دم ظبية. وقرأ ابن أبي عبلة: ابدم كذباً؛ بالنصب. وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية: "بدم كدب؛ بالدال غير معجة، أي: بدم طريّ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتَ﴾ أي: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمَرُّكُ غير ما تصفون ﴿فَصَبَّرٌ جَيداً ﴾ قال الخليل: المعنى: فشأني

⁽۱) البيت للراعي النميري من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة، «ديوانه» ١٣٧، و «أساس البلاغة، عقل.

صبر جَميل، والذي أعنقده صبر جميل. وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزّى نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصباً. وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ، وأبو المتوكل: «فصبراً جميلاً» بالنصب. قال الزجاج: والصبر الجميل، لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ٱلْسُنَكَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: على ما تصفون من الكذب. والثاني: على احتمال ما تصفون.

﴿وَجَآءَتْ سَبَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلُومُ قَالَ يَكْبَشّْرَىٰ هَلَنَا غُلَمْ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِهَنَعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَسْعَلُونَ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَارَهُ ﴾ أي: قوم يسيرون ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُم ﴾ قال الأخفش: أنّث السيارة وذكّر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال. وقال الزجاج: الوارد: الذي يَرِدُ الماء ليستقي للقوم. وفي اسم هذا الوارد قولان: أحدهما: مالك بن ذُعْر بن يؤيب بن عيفا بن مين بن إبراهيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مجلث بن رعويل، قاله وهب بن منه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَذَكُ دَلُورُ ﴾ أي: أرسلها. قال الزجاح: يقال: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها: إذا أخرجتها. ﴿ قال يا بشراي ﴾ قرأه ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر: ﴿ يا بشراي ﴾ بفتح الياء وإثبات الألف. ودوى ورش عن نافع ﴿ بشراي ﴾ و همحياي ﴾ [الانعام: ٢١٦] و «مثواي ﴾ إبوسف: ٢٢] بسكون الياء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي هيا بشرى ﴾ بألف بغيرياء. وعاصم بفتح الراء، وحمزة، والكسائي يميلانها. قال الزجاج: من قرأ «يا والكسائي فهذا النداء تنبيه للمخاطبين، لأن البشرى لا تجيب ولا تعقل ؛ فالمعنى: أبشروا، ويا أيها البشرى هذا من أوانك، وكذلك إذا قلت: اعجبوا، ويا أيها العجب هذا من حينك ؛ وقد شرحنا هذا المعنى أوانك، وكذلك إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيها العجب هذا من حضر، هذه بشرى. ويجوز أن يكون المعنى: يا بشرى هذا أوانك، على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين. وذكر السدي أنه نادى بذاك أحدهم وكان اسمه بشرى. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبلة: «يا بشرى. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبلة: «يا بشرى. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبلة: «يا أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشرى، فقالوا: ما وراءك؟ قال: هذا غلام في البثر، فأقبلوا يسألونه أحسن ما يكون من الغلمان، فقال الماء لنبيعه لهم بمصر؛ فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البثر، فنظروا، قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أبق منا، فقال مالك بن ذعر: فأنا أشتريه منكم، فباعوه بعشرين فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف، فقالوا لهم: هذا غلام أبق منا، فقال الماء لنبيعه لهم بمصر.

قوله تعالى: ﴿وَأَشَرُوهُ بِضَعَةٌ﴾ قال الزجاج: قبضاعةً منصوب على الحال، كأنه قال: وأسرّوه جاعليه بضاعة. وقال ابن قتيبة: أسرّوا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة. وفي الفاعلين لذاك قولان: أحدهما: أنهم واردو الجب، أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصّوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنهم إخوته، أسرّوا أمره، وباعوه، وقالوا: هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً (۱).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْمَلُونَ﴾ يعم الباعة والمشترين.

﴿ وَشَرَوْهُ مِنْمَنِ بَغْسِ دَرَهِمَ مَعْدُودَةِ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّهِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته: وشريت، بمعنى

⁽١) قال ابن جرير الطبري ١٦٩/١٢، طبع البابي الحلبي: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: وأسرّ وارد القوم المدلي دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه خيفه منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء، وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبراً عنه، أشبه من أن يكون خبراً عمن هو بالخبر عنه غير متصل.

اشتريته. فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان: أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن، وقتادة. وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة،

قوله تعالى: ﴿ بِنَكُنِ بَعْسِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي. قال ابن قتيبة البخس: الخسيس الذي بُخس به البائع. والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَرَهِمَ مَمَدُودَ فِى هَالُ القراء: إِنما قيل: قمعدودة السُتدَل بها على القلّة. وقال ابن قتية: أي: يسيرة سهل عددها لقلّتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُون أقل من أربعين درهما، وقيل: إِنما لم يَزِنُوها لزهدهم فيه. وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال: أحدها: عشرون درهما، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، ووهب بن منبّه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: عشرون درهما وحملة وخلة، ونوف الشامي، ووهب بن منبّه، والشعبي، وعطية، والسدي، درهما، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أربعون درهما، قاله عكرمة في رواية، وابن إسحاق، المخامس: ثلاثون درهما، ونعلان، وحُلّة، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إِما أن تُقرّ لنا بالعبودية، وإما أن نأخذك منهم فنقتلك، قال: بل أقرّ لكم بالعبودية، ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه. قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشتروا به نعالاً وخفافاً. وكان بعض الصالحين يقول: والله ما يوسف وإن باعه أعداؤه ـ بأعجبَ منك في بيعك نفسكَ بشهوة من معاصيك.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الرَّهِدِينَ ﴾ الزهد: قلَّة الرغبة في الشيء. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنهم إخوته، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، في هاء افيه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. وفي علَّة زهدهم قولان: أحدهما: رداءته. والثاني: أنهم قصدوا بُعد يوسف، لا الثمن. والثاني: أنهم السيارة الذين اشترَوه. وفي علَّة زهدهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الريابة والإباق. والثالث: لأنهم علموا أنه حر.

وَ يَنْ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ مِن يَمْسَرُ لِالْمَرْأَيِهِ، آخْرِي مَنْوَنَهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَنْفِذَهُ وَلَدَأْ وَكَذَالِكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُتَلِمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَىٰ آمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَحْشَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَمْلَمُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللّٰذِى الشَّمَنَةُ مِن مِسْمَ ﴾ قال وهب: لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً، ووزنه ورِقاً، ووزنه حريراً، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين ديناراً، وزوجَيْ نعل، وثويَيْن أبيضين، فلما رجع إلى منزله قال لامرأته: أكرمي مثواه. وقال قوم: اسمه أطفير. وفي اسم المرأة قولان: أحدهما: راعيل بنت رعاييل، قاله ابن إسحاق. والثاني: أزليخا بنت تمليخا، قاله مقاتل. قال ابن قتيبة: ﴿أَكْرِي مُثَوِّنهُ عِني أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان: إذا أقمت به. وقال الزجاج: أحسني إليه في طول مُقامه عندنا. قال ابن مسعود؛ أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿يَكَابُتِ اَسْتَغِرُهُ القمص: ٢٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر. وفي قوله: ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنا ﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿يَكَابُتِ اَسْتَغِرُهُ اللّٰني: بالربح وأبو بكر حين استخلف عمر. وفي قوله: ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنا ﴾ قولان: أحدهما: يكفينا إذا بلغ أمورنا. والثاني: بالربح في ثمنه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَخِذَمُ وَلَدَأَ﴾ قال ابن عباس: نتبنًاه. وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: وكما أنجيناه من إِخْوته وأخرجناه من ظلمة الجُبّ، مكنًا له في الأرض، أي: ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزائنها. ﴿وَلِنُكِنَمُ اللهِ قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في الأرض، واختصصناه بذلك لكي نعلّمه من تأويل ولنعلّمه» لفعل مضمر هو المجتلب للام، والمعنى: مكنًا ليوسف في الأرض، واختصصناه بذلك لكي نعلّمه من تأويل

الأحاديث. وقد سبق تفسير "تأويل الأحاديث" [يوسف: 1]. ﴿ وَاللّهُ عَلَيْ أَمْرِهِ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: أنه غالب على ما أراد من قضائه، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: غالب على أمر يوسف حتى يبلّغه ما أراده له، وهذا معنى قول مقاتل. وقال بعضهم: والله غالب على أمره حيث أمر يعقوبُ يوسفَ أن لا يقصَّ رؤياه على إخوته، فعلموا بها، ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوه، فكادوه، ثم أراد إخوة يوسف قتله، فلم يقدّر لهم، ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة فيندرس أمره، فعلا أمره، ثم باعوه ليكون مملوكاً، فغلب أمره حتى ملك، وأرادوا أن يعطفوا أباهم، فأباهم، ثم أرادوا أن يغرّوا يعقوب بالبكاء والدم الذي القوّه على القميص، فلم يَخفَ عليه، ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقرّوا به بعد سنين على القميص، فلم يَخفَ عليه، ثم أرادوا أن يموا محبّته من قلب أبيه، فازدادت، ثم أرادت أزليخا أن تلقي عليه التهمة بقولها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنَ أَرَادُ بِأَهْلِكَ سُومًا ﴾ [يوسف: ٢٥]، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها، وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي، فنسي الساقي حتى لبث في السجن بضع سنين.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُذُهُۥ مَاتَبِنَهُ حُكُمًا وَعِلْمًا وَكِنَاكِ خَرْيِ ٱلْمُصْيِنِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا بَلَغَ أَشَدُهُ وَلَا دَكُرنا معنى الأشد في الانعام: ١٥٢]، واختلف العلماء في المراد به هاهنا على ثانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. والثاني: ثماني عشرة سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أربعون سنة، قاله الحسن. والرابع: بلوغ الحلم، قاله الشعبي، وربيعة، وزيد بن أسلم، وابنه. المخامس: عشرون سنة، قاله الضحاك. والسادس: أنه من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، قاله الزجاج. والسابع: أنه بلوغ ثمان وثلاثين سنة، حكاه ابن قتيبة. والثامن: ثلاثون سنة، ذكره بعض المقسرين (١).

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّالْتُ كُمُّكُا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقه والعقل، قاله مجاهد. والثاني: النبوّة، قاله ابن السائب. والثالث: أنه بُعل حكيماً، قاله الزجاج، قال: وليس كل عالم حكيماً، إنما الحكيم: العالم المستعمل علمه، الممتنع به من استعمال ما يجهّل فيه. والرابع: أنه الإصابة في القول، ذكره الثعلبي. قال اللغويون: الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ، ويمنع منهما، ويردُّ النفس عما يشينها ويعدو عليها بالضرر، ومنه: حَكمة الدابة. وأصل أحكمت في اللغة: منعت، وسمي الحاكم حاكماً، لأنه يمنع من الظلم والزيغ. وفي المراد بالعلم هاهنا قولان: أحدهما: الفقه. والثاني: علم الرؤيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَدَلِكَ غَرِى ٱلْمُحْمِينِنَ﴾ أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته، نثيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجّيه من الهلكة، ونستنقذه من الضلالة فتُجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف. وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال: أحلها: الصابرون على النوائب. والثاني: المهتدون، رويا عن ابن عباس. والثالث: المؤمنون. قال محمد بن جرير: هذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فالمراد به محمد على والمعنى: كما فعلتُ بيوسف بعد ما لقي من البلاء فمكّته في الأرض وآتيته العلم، كذلك أفعل بك وأنجيك من مشركي قومك.

﴿وَرُودَوَدُهُ ٱلَّذِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَن نَشْمِهِ. وَغَلْقَتِ ٱلأَبْوَبُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَمَاذَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُ رَبِّ ٱخْسَنَ مَثْوَاتَى إِنَّامُ لَا يُمْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَزُّودَنَّهُ أَلِّي هُو فِي يَنْتِهَا مَن نَّسِمِه ﴾ أي: طلبت منه المواقعة، وقد سبق اسمها. قال

⁽١) قال ابن جرير الطبري ١٧/ ١٧٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتي يوسف ـ لما بلغ أشده ـ حكماً وعلماً. والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولا أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر عن رسول الله قية، ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال في حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حيتلاً.

الزجاج: المعنى: راودته عما أرادته مما يريد النساء من الرجال. ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ قرأ ابن كثير: « هَيْتُ لك ، بفتح الهاء وتسكين الياء وضم الناء. وقرأ نافع، وابن عامر: «هِيتَ لك ، بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وهي مروية عن علي بن أبي طالب. وروى الحُلواني عن هشام عن ابن عامر مثله، إلا أنه همزه. قال أبو علي الفارسي: هو خطأ. وروي عن ابن عامر: «هِنْتُ لك ، بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة. قال الزجاج: هو من الهيئة، كأنها قالت: تهيأت لك . وعن ابن محيصن، وطلحة بن مصرف مثل قراءة ابن عباس؛ إلا أنها بغير همز، وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء، وهي قراءة أبي رزين، وحميد. وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء بغير همز، وهي قراءة أبي العالية. وقرأ ابن خثيم مثلة، إلا أنه لم يهمز، والجحدري: هُمُّيِّتُ لك ، برفع الهاء والتاء وبياء مشددة التاء مع الهمز، وقرأ ابن مسعود، وابن السميفع، وابن يعمر، والجحدري: هُمُّيِّتُ لك ، برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة. وقرأ أبَيُّ بن كعب: «ها أنا لك ، وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء بغير همز، قال الزجاج: وهو أجود اللغات، وأكثرها في كلام العرب، ومعناها: هلم لك ، أي: أقبل على ما أدعوك إليه، وقال الشاعر:

أَشِلِعُ أَمِيْدَ السَّهُ وَمِنْدِينَ أَخَسَا السَّعِدَاقِ إِذَا أَسَيْدَا^(۱) أَنَّ السِّرَاقَ وَأَهْدَلَهُ عُنْدَقَ إِلَيْكَ فَسَهَبِّتَ هَنِيْتَسَا

أي: فأقبل وتعال. وقال ابن قتيبة؛ يقال: هيَّت فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به، قال الشاعر:

قد رابني أنَّ الحَرِيُّ أَسْكَتَا لُوكانَ مَعْنِيًّا بِهَا لَهَيَّتَا (٢)

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله: «هيت لك» بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: أنها عربية، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخراً، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرُّف، ولا تثنية، ولا جمع، ولا تأنيث، يقال لاثنين: هيت لكما، وللجميع؛ هيت لكم، وللنسوة: هيت لكنّ. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن. والثالث: بالحورانية، قاله عكرمة، والكساني. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنَاذَ النَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعود بالله أن أفعل هذا، يقال: عذت عياذاً ومعاذاً ومعاذة. ﴿إِنَّهُ رَبِّهِ﴾ أي: إن العزيز صاحبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَائِّ﴾، قال: وينجوز أن يكون ﴿إِنَّهُ رَبِّهُ يعني الله ﷺ ﴿أَحْسَنَ مَثْوَائِیِّ﴾ أي: توّلاني في طول مُقامي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُمْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ أي: إن فعلت هذا فخنته في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم. وقيل: الظالمون هاهنا: الزناة.

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلا أَن رَّمَا بُرْهَانَ رَبِهِ حَكَذَلِكَ لِتَعْرِفَ عَنْهُ النُّوَةَ وَالْفَحْشَاةً إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ فَهُ اللهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع. فأما هم أذليخا، فقال المفسرون: دعته إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همّه بها على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان من جنس همّها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهمّ بي، وأنت تريد: اختلاف الهمّين. واحتج مَنْ نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه. قالوا: ورجوعه عما همّ به من ذلك خوفاً من الله تعالى يمحو عنه سبئ الهمّ، ويوجب له علوً المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: أن

⁽١) البيتان في امحاز القرآن، ١/٣٠٥، والطبري، ١٧٩/١٢، و«القرطمي» ٩/١٦٤، و«الصحاح»، واللسان»، والتاج»: هيت. وقوله: عنق، أي: ماثلون إليك ومنتظروك.

⁽٢) البيت غير منسوب في (غريب القرآن؛ ٢١٥، و(اللسان؛ هيت، و(القرطبي؛ ٩/ ١٦٥، والشطر الثاني في (الصحاح؛ هيت. والكريّ: المستأجر.

ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل علمه. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار، فلما أتيتها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أرعدتْ وقالت: إن هذا لعملٌ ما عملته قطُّ، فقمت عنها وأعطيتها المائة الدينار، فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرِج عنا، فزال ثلث الحجر. والحديث معروف (١)، وقد ذكرته في «الحداثق»، فعلى هذا نقول: إِنما همت، فترقَّت همَّتها إِلَى العزيمة، فصارت مصرَّة على الزني. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خَطَرَاتِ القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهمُّ ذنباً، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه، وقد قال ﷺ: اعفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل، (٢) وقال ﷺ: اهلك المصرّون، وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرَّق بين حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزماً. ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إذا همّ عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها عليه سيئة، (). واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: ﴿قَالَ مَمَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَقِّيَّ﴾ وقولهِ: ﴿كَنَالِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوَّءَ وَالْفَحْشَاةَ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية. فإن قيل: فقد سوّى القرآن بين الهمتين، فلم فرقتم؟ فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم ترقت همتها إلى العزيمة، بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه، ولم تتعد همته مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها، بدليل هربه منها، ويقولهِ: •معاذ الله؛، وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم. ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزني. والقول الثاني: أنها همت به أن يفترشها، وهمّ بها، أي: تمنَّاها أن تكون له زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والقول الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقُدِّم جواب الولا، عليها، كما يقال: قد كنتَ من الهالكين، لولا أن فلاناً خلَّصك، لكنت من الهالكين، ومنه قول الشاعر:

فَلا يَدْغُني قَوْمِي صَرِيْحاً لِحُرَّةِ لِيْن كُنْتُ مَفْتُولاً وَتَسْلَمَ عَامِرُ

أراد: لثن كنت مقتولاً وتسلم عامر، فلا يدعني قومي، فقدم الجواب. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب الولا؛ عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، فأما البيت المستشهد به فمن اضطرار الشعراء، لأن الشاعر يضيق الكلام به عند اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره، فيضع الكلمة في غير موضعها، ويقدِّم ما حكمه التأخير، ويؤخِّر ما حكمه التقديم، ويعدل عن الاختيار إلى المستقبح للضرورة، قال

ُ جَـــزَى رَبُّــه عَــنْــي عَـــدِيَّ بـــنَ حَـــاتِــم تقديره؛ جزى عني عديً بن حاتم ربُّه، فاضطَّر إلى تقديم الرب. وقال الآخر:

لَدَّهَا جَرَى عَنِي عَدِي بِن عَامَم رَبِهَ فَاصْطُور بِنَى لَلْهَيْم الرّبِ، وَوَقَ الْهُ الْجَلَّالِ الْمَ اللَّهُ الْجَلَّالُ الْجَلَّالِ الْمُواءِ: أراد: لما جفا مصعباً إخوانه، وأنشد الفراء:

طَلَباً لعُرْفِكَ بِا ابْنَ يحيى بَعْدَمًا تَتَقَطَّعَت بِي دُونَكَ الأَسْبَابُ

فزاد تاء على (تقطعت) لا أصل لها ليصلح وزن شعره، وأنشد ثعلب:

⁽١) هو في اصحيح البخاري، ٣٤٠/٤ و ٣٦٩ و ١٢/٥ و ٢/٣٦٧، ومسلم ٢٠٩٩/٤، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب را

⁽٢) رواه البخاري ١١٦/٥ و ١٢/٨٤ ولفظه: اإن الله تجاوز لأمتي هما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم، ورواه مسلم ١١٧/١ ولفظه: اإن الله تجاوز لأمتي هما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به. ورواه أيضاً أصحاب السنن الأربعة، كلهم عن أبي هريرة ﷺ.

۳) رواه مسلم ۱۱۷/۱.

فَالْزَمِي الخَفْضَ وانعمي تَبْيَضُضي(١)

إِنَّ شَـــُكُــلِـــي وَإِنَّ شَـــُكُـــلَــك شَـــتَّــى فزاد ضاداً لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت، وقال الفرزدق:

هُمَا تَفَلا في فِيَّ مِن فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِح العَاوِي أَسْدُ لِجَامِيا

فزاد واواً بعد الميم ليصلح شعره. ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة، لأنها من ضرورات الشعراء. والقول الرابع: أنه همّ أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضربني، ذكره ابن الأنباري. والقول المخامس: أنه همّ بالفرار منها، حكاه الثعلبي، وهو قول مرذول، أفتراه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها؟! قال بعض العلماء: كان همّ يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء، وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا على خوف منه، وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم، وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييراً لهم، ولكن لئلا تقنطوا من رحمته. يعني الحسن: أن الحجة للأنبياء الزم، فإذا قبل التوبة منهم، كان إلى قبولها منكم أسرع. وروي عن رسول الله على أنه قال: اما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد همّ بخطيئة أو عملها، إلا يحيى بن ذكريا، فإنه لم يهم ولم يعملها، "".

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّمَا بُرْهَكَنَ رَبِّهُۦ﴾ جواب الولا؛ محذوف. قال الزجاج: المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما همّ به. قال ابن الأنباري: لزنا، فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنى عنه. وفي البرهان ستة أقوال: أحدها: أنه مُثّل له يعقوب. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: نُودي: يا يوسف، أتزني فتكون مثل الطائر الذي نُتف ريشه فذهب يطير فلم يستطع؟ فلم يعط على النداء شيئاً، فنودي الثانية، فلم يعط على النداء شيئاً، فتمثل له يعقوب فضرب صدره، فقام، فخرجت شهوته من أنامله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاضًا على أنامله، فأدبر هارباً، وقال: وحقِّك يا أبت لا أعود أبداً. وقال أبو صالح عن ابن عباس: رأى مثال يعقوب في الحائط عاضًاً على شفتيه. وقال الحسن: مثّل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاضًا على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولداً، إِلَّا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً، فنُقص بتلك الشهوة ولداً. والثاني: أنه جبريل ﷺ. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: مثَّل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر نتف ريشه؟! فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب. والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السوأة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك. والرابع: أن الله بعث إليه ملكاً، فكتب في وجه المرأة بالدم: ﴿وَلَا نَقْرَبُواْ الزِّنَّ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَنِحِشَةً وَسَآةً سَبِيلًا ﴿ كَانَ الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد بن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿وَلَا نَقْرَبُواْ الزِّقُّ إِنَّامُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَلَةَ سَبِيلًا ۞﴾ [الإسراء: ٣٦] فقام هارباً، وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد إذا بكفِّ قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب ﴿وَإَتَّقُواْ يَوْمًا رُبَّجِعُوكَ فِيدِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقام هارباً، فلما عاد، قال الله تعالى لجبريل: أدركْ غبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاضًاً على كفه أو أصبعه

⁽١) البيت في دمشكل القرآن، ٢٣٥، و«الطبري، ٢١٤/١، ودأمالي ابن الشجري، ١٩٧/١، و«اللسان»: بيض، خفض.

الحديث في «الطبري» ٣٧٧/، ٣٧٨ موقوفاً ومرفوعاً بالفاظ مختلفة، وأورده ابن كثير ٣٦١/١ من رواية ابن أبي حاتم مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص، وموقوفاً، ووصف المرفوع بأنه غريب جداً، وقال بعد أن ذكر الموقوف: فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع. وذكره السيوطي في «المدر» ٢٢ مرفوعاً وموقوفاً أيضاً، وقال: وهو أقوى إسناداً من العرفوع.

وهو يقول: يا يوسف، أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟!. وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿ أَنْتَنَ هُو فَآيِدُ عَلَى كُلِ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتُ ﴾ [الرعد: ٣٣] فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب: ﴿ وَلَا عَلَيْكُ الزّيَةِ ﴾ الانتظار: ١٠، ١١]، فانصرفا، فلما عادا عادت وعليها مكتوب: ﴿ وَلَا نَفَرُوا الزّيَةِ ﴾ الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب: ﴿ وَاتَقُوا يَوْمًا تُرْبَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ﴾، فولَى يوسف هارباً. والمخامس: أنه سيّدُه العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيّده، رآه عند الباب فهرب. والسادس: أن البرهان أنه علِم ما أحل الله مما حرّم الله، فرأى تحريم الزنى، روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدَّمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى قسادها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى قسادها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف فلن بنبيً لله كريم أنه يخوّف ويرعّب ويُضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصرّ؟! هذا غاية القبح (١٠).

قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَي: كذلك أريناه البرهان ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوَّ ﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿ وَٱلْفَحْثَآيَ ﴾ ركوبَ الفاحشة. ﴿ إِنَّمُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُنْفَى ﴿ وَأَلْفَحْثَآءَ ﴾ وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصها وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَتْ قَيْمِسَهُمْ مِن دُبُرِ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابُ قَالَتْ مَا جَزَاهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَمًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ اَلِيدٌ ۞ قَالَ هِمَ رَوَدَثْنِي مَن لَنْسِيْ وَشَهِهَ شَاهِدٌ مِينَ أَهْلِهِمَا إِن كَانَ فَسِيسُمُ ثُذَ مِن ثُبُلٍ فَسَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَالِمِينَ ۞ كَانَ قَيْبِصُمُ قُذَ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ السَّنِدِينِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي إن سبقت إمساك الباب لئلا يخرج، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلف، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال من خلف، فجذبته إليها، فقدت قميصه من دبر، أي: قطعته من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا، ألفيا سيدها، أي: صادفا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقة بالقول مبرئة لنفسها من الأمر: ﴿مَا جَزَآهُ مَنْ أَزَدَ بِأَهْلِكَ شُومًا وَالله ابن عباس: تريد الزني ﴿ إِلّا آن يُسْبَحَنَ ﴾ أي: ما جزاؤه إلا السجن ﴿أَوْ عَلَابُ أَلِيهُ تعني الضرب بالسياط، فغضب يوسف حينئذ وقال: ﴿ هِمَ نَوْدَتْنِي بما كنت أرى من وغررتني بما كنت أرى من صلاحك؟ فقال حيثذ: فقال حيثذ: ﴿ مَن نَوْدَنْنِ عَن نَشْمٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يُعلَم به قول الصادق. وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صبياً في المهد، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين. والثاني: أنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراه الباب، فإن كان شقَّ القميص من قدَّامه فأنتِ صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة. وقال بعضهم: كان ابن خالة المرأة. والثالث: أنه شقَّ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: قمن أهلها الهن قيل: كيف وقعت شهادة الشاهد هاهنا معلَّقة بشرط، والشارط غير عالم بما يشرطه ؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه، فكأنه سمع بعض كلام

⁽١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٩٦/ ١٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحب، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أيّ، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عنا ذلك إلى عالمه.

يوصف وأزليخا، فعلم، غير أنه أوقع في شهادته شرطاً ليكزم المخاطبين قبولُ شهادته من جهة العقل والتمييز، فكأنه قال: هو الصادق عندي، فإن تدبرتم ما أشترطه لكم، عقلتم قولي. ومثل هذا قول الحكماء: إن كان القدر حقاً، فالحرص باطل، وإن كان الموت يقيناً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق. والجواب الثاني: أن الشاهد لم يقطع بالقول، ولم يعلم حقيقة ما جرى، وإنما قال ما قال على جهة إظهار ما يسنح له من الرأي، فكن معنى قوله: «وشهد شاهده: أعلم وبين، فقال: الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليوقف على الخائن. فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي في المهد، كان دخول الشرط مصحّحاً لبراءة يوسف، لأن كلام مثله أعجوبة ومعجزة لا يبقى معها شك.

﴿ فَلَمَّا رَمَّا فَمِيمَمُمْ فَدَّ مِن دُبُرٍ فَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۚ إِنَّ كَيْلَكُنَّ عَظِيمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَا رَمَا فَيُعِمَهُ ﴾ في هذا الرائي والقائل: ﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ قولان: أحدهما: أنه الزوج. والثاني: الشاهد. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى تمزيق القميص، قاله مقاتل. والثاني: إلى قولها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَزَادَ بِأَهْلِكُ سُوّا ﴾، فالمعنى: قولكِ هذا من كيدكن، قاله الزجاج. والثالث: إلى السوء الذي دعته إليه، ذكره الماوردي. قال ابن عباس: ﴿إِن كيدكن الله علكن العظيم المناسلة على السوء والسقيم .

﴿يُوسُفُ أَعْرِضَ عَنْ مَدَأً وَاسْتَغْفِرِى لِدَنْبِكِ ۚ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْفَاطِعِينَ ۞ ۞ وَقَالَ يَسْوَةٌ فِي الْفَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْمَزِيزِ ثُرَّاوِدُ فَنَهَا عَن نَفْسِدِّهُ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۚ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي صَلَالِ ثُبِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يُوسُكُ أَعْرِضْ عَنْ هَنذاً﴾ المعنى: يا يوسف أعرض. وفي القائل له هذا قولان: أحدهما: أنه ابن عمها وهو الشاهد، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزوج، ذكره جماعة من المفسرين. قال ابن عباس: أعرضْ عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد، واكتمه عليها. وروى الحلبي عن عبد الوارث: «يوسف أعرَضَ عن هذا» بفتح الراء على الخبر.

قوله تعالى: ﴿وَاَسْتَغْفِرِى لِذَئِكِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: استعفي زوجك لئلا يعاقبَكِ، قاله ابن عباس. والثاني: توبي من ذنبكِ فإنكِ قد أثمتِ. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِيبَ ﴾ يعني: من المذنبين. قال المفسرون: ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدَّث بذلك النساء، وهو قوله: ﴿وَقَالَ نِسَوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾، وفي عددهن قولان: أحدهما: أنهن كن أربعاً: امرأة ساقي الملك، وامرأة صاحب دواته، وامرأة خبَّازه، وامرأة صاحب سجنه، قاله ابن عباس. والثاني: أنهن خمس: امرأة الخبَّاز، وامرأة الساقي، وامرأة السجَّان، وامرأة صاحب الدواة، وامرأة الآذن، قاله مقاتل. فأما العزيز، فهو بلغتهم الملك، والفتى بمعنى العبد. قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى. وإنما تكلم النسوة في حقها، طعناً فيها، وتحقيقاً لبراءة يوسف.

قوله تعالى: ﴿ فَدُ شَفَنَهَا حُبُّا ﴾ أي: بلغ حبُّه شَغاف قلبها. وفي الشَّغاف أربعة أقوال: أحدها: أنه جلدةً بين السقلب والفؤاد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والشاني: أنه غلاف القلب، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: ولم يُرِد الغلاف، إنما أراد القلب، يقال: شغفت فلاناً: إذ أصبت شغافه، كما يقال: كبدته: إذا أصبت كبده، وبطنته: إذا أصبت بطنه. والثالث: أنه حَبَّة القلب وسويداؤه. والرابع: أنه داءٌ يكون في الجوف في الشراسيف، وأنشدوا:

وَقَدْ حَالَ هَا مُعْمَ دُوْنَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولَ الشَّغافِ تَبْتَغِيْهِ الْأَصَابِعُ(١)

ذكر القولين الزجاج. وقال الأصمعي: الشَّغاف عند العرب: داءٌ يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشَّراسيف: مقاطّ رؤوس الأضلاع، واحدها: شُرسوف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعلي بن الحسين، والحسن

⁽۱) البيت للنابغة اللبياني، فديوانه؛ ٧٩، وقمجاز القرآن؛ ٣٠٨/١، وقالطبري؛ ١٢/ ١١٠، وقالأمالي؛ للقالي ١/ ٢٠٥، وقالسمط؛ ٤٨٩، وقالصحاح، وقاللسان، وقالتاج؛ شغف، وقالقرطبي؛ ١٧٦/٩، وقالخزانة؛ ٤٢٩/١.

البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبلة: «قد شعفها» بالعين. قال الفراء: كأنه ذهب بها كل مذهب، والشَّعَف: رؤوس الجبال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَنَهَا فِي مَنَائِلِ شِّينِ﴾ أي: عن طريق الرشد، لحبها إياه. والمبين الظاهر.

﴿ فَلْمَا سَمِمَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَمَنَ مُثَكُنا وَالَتْ كُلُّ وَجِدَةٍ مِنَهُنَّ سِكِينًا وَقَالَتِ آخُرُجُ عَلَيْهِنِّ فَلْمَا رَأَيْنَهُۥ وَقَطَّمَنَ أَيْهِمُ وَقَلَّمَنَ مِنْكُ اللَّهِ مَلَكُ كُرِيدٌ ﴿ وَاللَّهُ كَرِيدٌ ﴾ قَالَتْ فَنَالِكُنَّ ٱلَّذِى لُنتُتُنِّى فِيثْدٍ وَلَقَدْ زَوَدَلَّهُمْ عَن تَفْسِهِ. فَأَسْتَمْمَمُّ وَلَهِن لَمْ يَقُولُ مِنْ الشَّيْفِينَ ﴾ يَفَعَلُ مَا مَامُرُهُ لِبُسْجَنَنَ وَلِيكُولُا بَنَ الصَّيْفِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سِمَتَ ﴾ يعني : امراة العزيز، ﴿ بِمَكْرِهِنَ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهن وعيبهن لها، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكراً، لأنها كانت أطلعتهن على أمرها، واستكتمتهن، فمكرن وأفشين سرها. والثاني: أنه مكر حقيقة، وإنما قلن ذلك مكراً بها لتريّهن يوسف، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿رَأَعَنَدَى ﴿ قَالَ الزجاح: أفعلت من العتاد، وكل ما اتخذته عُدَّة لشيء فهو عناد، والعناد: الشيء الثابت اللازم. وقال الهن قتيبة: أعتدت بمعنى أعدَّت. فأما المتكأ، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المجلس؛ فالمعنى: هيأت لهن مجلساً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه الوسائد اللائي يتكئن عليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الزجاج: المتكأ: ما يُتَّكا عليه لطعام أو شراب أو حديث. والثالث: أنه الطعام، قاله الحسن، ومجاهد، وقادة. قال ابن قتية: يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، قال جميل بن معمر:

فَظَلِلْنَا فِي نَعْمِةٍ وَاتَّكأنا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهُ (١)

والأصل في هذا أن من دَعَوْتَه ليطعم، أعددت له التُّكأة للمقام والطمأنينة، فسمي الطعام متَّكاً على الاستعارة. قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ، لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، ونُهيت هذه الأمة عن ذلك(٢). وقرأ مجاهد المُتْكاً، بإسكان التاء خفيفة، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الأُثرُجّ، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحيى بن يعمر في آخرين، ومنه قول الشاعر:

[نَسْسَرَبُ الإِنْسَمَ بِالسَصَّواعِ جِهَاداً] وترى المُثْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَادًا(٣)

يريد: الأثرُج. والثاني: أنه الطعام أيضاً، قاله عكرمة. والثالث: أنه كل شيء يُحَرُّ بالسكاكين، قاله الضحاك. والرابع: أنه الرُّماورد⁽²⁾، روي عن الضحاك أيضاً. وقد روي عن جماعة أنهم فسروا المتَّكاً بما فسروا به المُتك، فروي عن ابن جريج أنه قال: المتَّكاً: الأترج، وكل ما يُحَرُّ بالسكاكين. وعن الضحاك قال: المتَّكاً: كل ما يُحَرُّ بالسكاكين. وفرق آخرون بين القراءتين، فقال مجاهد: من قرأ المتَّكاً بالتثقيل، فهو الطعام، ومن قرأ بالتخفيف، فهو الأثرُجُ، قال ابن قتيبة: من قرأ المتُكاً فإنه يريد الأترج، ويقال: الزُّماورد. وأياً ما كان، فإني لا أحسبه سمي مُثكاً إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البَتْك، فأبدلت الميم منه باءً، كما يقال: سَمَد رأسه وسَبَده: إذا استأصله، وشر لازم، ولازب، والميم تبدل من الباء كثيراً، لقرب مخرجيهما.

قوله تعالى: ﴿وَاَاتَتْ كُلَّ وَمِدَةٍ مِنْهُنَّ مِكِينًا﴾ إِنما فعلت ذلك، لأن الطعام الذي قدمتْ لهن يحتاج إلى السكاكين. وقيل: كان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها. قال وهب بن منبه: ناولت كل واحدة منهن أُثرُجَّة وسكيناً، وقالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت ليوسف: ﴿ اَخْرُجُ عَلَيْنَ ﴾. قال الزجاج: إن شئت ضممت التاء من قوله: (وقالت)، وإن شئت كسرت، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء، فلثقل

⁽١) - ديوانه؛ ١٨٨، ودمشكل القرآن؛ ١٣٨، ودأساس البلاغة»: قلل، ودالأغاني؛ ٧/٧، ودالقرطبي؛ ١٧٨/، واشرح شواهد المغني؛ ١٢٦.

⁽٢) روى البخاري في (صحيحه؛ عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله قال: قال رسُول الله ﷺ: ﴿لاَ أَكُلُ وَأَنَا متكئَّهُ.

٣) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٧٨/١٢، و«اللسان»: أثم، و«التاج»: متك.

⁽٤) الزماورد: الرقاق المُلفوف باللُّحم، وغيره، أو هو شيء يشبه الأترج. وفي «الطبري»: البزماورد، بدل: الزماورد.

الضمة بعد الكسرة. ولم يمكنه أن لا يخرج، لأنه بمنزلة العبد لها. وذكر بعض أهل العلم أنها إنما قالت: «اخرج» وأضمرت في نفسها «عليهن»، فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان قد نطق به، ومثله ﴿إِنَّا نُطْمِنُكُ لِرَبِهِ اللّهِ...﴾ الآية الإنسان: ١٩، لم يقولوا ذلك، إنما أضمروه، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: اخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل. وفي قوله: ﴿أَكْبَرْتُهُ قُولان: أحدهما: أَعْظَمْتُهُ، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حِضْنَ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عباس عن أبيه قال: حضن من الفرّح، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نَـأتـي الننساء له في أطهارِهِـنَّ ولا ناتي الننساء إذا أكبرن إكبارا(١)

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، وردّه بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حِضن»، ولكن عسى أن يكنّ من شدة ما أعظمنه حضن، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّمَنَ أَنِدِيَهُنَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حَزَزْنَ أيديَهن، وكن يحسبن أنهن يقطّعن طعاماً، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قطّعن أيدَيهن حتى ألقينها، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: كلّمن الأكُفّ وأبنّ الأنامل، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿وَتُلْنَ خَنَ سِّهِ﴾ قرأ أبو عمرو «حاشا» بألف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين: أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:

بأيُّ السحَسَا أَمْنسَى السحَالِينَ السمُسبَايِنُ

أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشاً من أن يكون بشراً، لفرط جماله. وقيل: صار في حشاً مما قرفته به امرأة العزيز. و قال ابن عباس، ومجاهد: «حاش شه، بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و «بشراً» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ﴿قَا هُنَ أُمُنْ يُومِّ ﴾ المحادلة: ١٦، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشراً» منصوب، لأنه خبر هما»، و هما بمنزلة «ليس». قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا بشر» بالرفع، وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاء، وأبو السَّوَّار: «ما هذا بِشِريّ» بكسر الباء والشين مقصوراً منوّنا. قال الفراء: أي: ما هذا بمشترى، وقرأ أبن مسعود: «بشراء» بالمد والهمز مخفوضاً منوّناً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكُ ﴾ قرأ أُبَيٌّ، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو حيوة، والجحدري: •ملِك، بكسر اللام.

قوله تعالى: ﴿ فَذَالِكُنَّ اللَّذِى لُتُتُنِّى فِيلِهُ قال المفسرون: لما ذهلت عقولهن فقطَّعن أيديهن، قالت لهن ذلك. فإن قيل: كيف أشارت إليه وهو حاضر بقولها: «فذلكن»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أشارت به ذلكن» إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس. والثاني: أن في الكلام إضمار «هذا» تقديره: فهذا ذلكن. ومعنى «لمتنّي فيه» أي: في حبه. ثم أقرت عندهن، فقالت: ﴿ رَلَقَدْ زَوَدَتُهُ عَن نَشْدِهِ فَلْسَتَمْمَمُ أَي: امتنع.

قوله تعالى: ﴿ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاخِرِينَ ﴾ قال الزجاج: القراءة الجيدة تخفيف «وليكوننْ» والوقف عليها بالألف، لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربنْ زيداً، وإذا وقفت قلت: اضربا. وقد قرئت «وليكوننَّ» بتشديد

⁽١) البيت غير منسوب في الطبري، ٢٠٥/١٢، والقرطبي، ١٨٠/١٢، واللسان،: كبر.

النون، وأكرهُها، لخلاف المصحف، لأن الشديدة لا يبدل منها شيء والصاغرون: المذَّلُون.

﴿ قَالَ رَبِ ٱلسِّجْنُ أَحَبُ إِلَى مِمَّا يَدَعُونَوْ إِلَيْدُ وَإِلَّا تَصَرِفْ عَنِى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَآئَنُ يَنَ لَلْمُتِهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنُّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ٱلْعَلِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ الرَّبِّ الرَّبِ المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، والسجن، فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، المعنى: أن أسجن أحب إلي . ﴿ وَإِلّا تَمْرِفَ عَنِي كَيْدُفُنَ ﴾ أي: إلّا تعصمني ﴿ أَسُبُ إلْبَنِي ﴾ أي: أمِل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صَبُوا وصُبُوا وصباء: إذا مال. وقال ابن الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهم اصرف عني كيدهن، ولذلك قال: ﴿ فَاسَتَجَابَ لَمُ رَبُّهُ ﴾ . قال: فإن قيل: إنما كادته امرأة العزيز وحدها، فكيف قال: «كيدهن» وغدم إلا أجوبة: أحدها: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة في السفن، وهو لم يخرج إلا في سفينة واحدة. والثاني: أن المكنيّ عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها. والثالث: أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها.

﴿ثُمَّ بَدَا لَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا زَأَوُا ٱلْآيَاتِ لَيَسْجُجُنَّـ لَمُ حَتَّى حِينِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بِدَا لَمُم يّنَ بَعْدِ مَا رَأَنُ الْإَيْدَ ﴾ في المراد بالآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: جَمَاله وعِقتُه، ذكره الماوردي. قال وهب بن منه: فأشار النسوة عليها بسجنه رجاء أن يستهوينه حين يخلو لهن في السجن، وقلن: متى سجنته قطع ذلك عنك قالة الناس التي قد شاعت، ورأوا أنك تبغضينه، ويذله السجن لك، فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزدد إلا بُعداً عنها، فلما ينست، قالت لسيدها: إن هذا العبد قد فضحني، وقد أبغضتُ رؤيته، فائذن لي في سجنه، فأذن لها، فسجنته وأضرَّتُ به. وقال السدي: قالت: إما أن تأذن لي فأخرج وأعتلر بعذري، وإما أن تحبسه كما حبستني، فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف. قال الزجاج: كان العزيز أمر بالإعراض فقط، ثم تغيَّر رأيه عن ذلك. قال ابن الأنباري: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وثم بدا لهم، أي: ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه. والثاني: ثم بدا لهم في يوسف بداء، فقالوا: والله لنسجننه، فاللام جواب يمين مضمرة. فأما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أورال: أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: سبع منين، قاله عكرمة. والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء. الخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَكَانِّ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّ أَرَىٰيَ أَعْصِرُ خَمْرٌ وَقَالَ ٱلْآخُرُ إِنَّ أَرْنِيَ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّايْرُ يَنْهُ نَيْقَنَا يَتَأْوِيلِةٍ، إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَعَلَ مَمَهُ السِّبِينَ فَتَكِيْنِ ﴾ قال الزجاج: فيه دليل على أنه حُبس، وإن لم يُذكر ذلك. و افتيان اجائز أن يكونا حَدَثين أو شيخين، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: افتيان الأنهما كانا مملوكين، والعرب تسمى المملوك فتى، شاباً كان أو شيخاً. قال المفسرون: عُمِّر ملك مصر فملُّوه، فدسُّوا إلى خبَّازه وصاحب شرابه أن يسمَّاه، فبلغه ذلك فحبسهما، فكان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبِّر الأحلام، فقال أحد الفتيين: هلم فلنجرب هذا العبد العبراني. واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت كذباً، وإنما سألاه تجريباً، قاله ابن مسعود، والسدي. والثاني: أنها كانت صدقاً، قاله مجاهد، وابن إسحاق. والثالث: أن الذي صُلب منهما كان كاذباً، وكان الآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمْ كَا ﴾ يعني الساقي ﴿ إِنَّ آرَيْنِ ﴾ أي: في النوم ﴿ أَعْمِرُ حَدَرٌ ﴾ أي: عنباً. وفي تسمية العنب خمراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه، لأن المعنى لا يلتبس، كما يقال: فلان يطبخ الآجُرَّ ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللبن ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري: وإنما كان كذلك، لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل، كقولهم: فلان يطبخ آجُرًا. والثاني: أن الخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب، قاله الفسحاك، والزجاج. قال ابن القاسم: وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. والثالث: أن المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله: ﴿ وَشَلِ ٱلذَّرْيَةُ ﴾ [يوسف: ٢٨]. قال أبو صالح عن ابن عباس: رأى يوسف ذات يوم الخباز والساقي مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ قالا: رأينا رؤيا، قال: قُصّاها عليًّ، قال الساقي: إني رأيت كأني دخلت كرماً فجنيت ثلاثة عناقيد عنب، فعصرتهن في الكأس، ثم أتبت به الملك فشربه، وقال الخباز: رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها، ﴿ يُونِي أَيلِي الله على أحدون المرضى ويداويهم ويعزّي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: إنا نراك محسنا أقوال: أحدها: أنه كان يعود المرضى ويداويهم ويعزّي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: إنا نراك محسنا أبن الأنباري: فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفًا، كما حُذف في قوله: ﴿ وَفِيهِ يَصِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤] يعني العنب والسمسم، وإنما علموا أنه عالم، لنشره العلم بينهم، والرابع: إنا نراك ممن يحسن التأويل، ذكره الزجاج. والمخامس: إنا نراك محسناً إلى نفسك بلزومك طاعة الله، ذكره ابن الأنباري.

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَمَامٌ ثُرْزَقَانِهِ ۚ إِلَا نَبَأْتُكُمَا يِتَأْوِيلِهِ. فَبَلَ أَن يَأْتِيكُمَاْ ذَلِكُمَا مِنَا عَلَمَنِي رَبَّ ۚ إِلَى تَزَكْتُ مِلَةَ فَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنفِرُونَ ۚ ﴿ وَالنَّبَتُ مِلْةً مَابَاءِى إِبْرَبِيهِ وَإِسْحَنَى وَيَمَقُوبُ مَا كَانَ لَنَّ أَنْ لُشْرِكِ بِاللَّهِ مِن فَمَا لِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَنْ فَعْلِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِكُمّا طَمَامٌ ثُرُزَقَانِهِ ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يأتيكما طعام تُرزقانه في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما، لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى ﷺ، وهو قول الحسن. والثاني: لا يأتيكما طعام تُرزقانه في المنام إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة، هذا قول السدي. قال ابن عباس: فقالا له: وكيف تعلم ذلك، ولست بساحر، ولا عرّاف، ولا صاحب نجوم؛ فقال: ﴿ وَلِكُمّا مِمّا عَلَيْنِ رَبٍّ ﴾. فإن قيل: هذا كله ليس بجواب سؤالهما، فأين جواب سؤالهما؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة، قاله قتادة. والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما، قاله ابن جريج. والثالث: أنه ابتدأ بدعائهما إلى الإيمان قبل جواب السؤال، قاله الزجاج. والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليُعرضا عن مطالبته بالجواب، فلما ألحّا أجابهما، ذكره ابن الأنباري. فأما الملّة فهي الدين. وتكرير قوله: ﴿ هُمُ ﴾ للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿مَا كَاتَ لَنَّ أَن نُشَرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيَّوْ﴾ قال ابن عباس: يريد: أن الله عصمنا من الشرك. ﴿ ذَلِكَ مِن نَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: اتباعنا الإيمان بتوفيق الله. ﴿ وَهَلَ النَّاسِ ﴾ يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: «ذلك من فضل الله علينا» أن جعلنا أنبياء ﴿ وَهَلَ النَّاسِ ﴾ أن بعثنا إليهم، ﴿ وَلَنَكِنَ آَكُمُ النَّاسِ ﴾ من أهل مصر ﴿ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ نعم الله فيوخدونه.

قوله تعالى: ﴿ اَرْبَابُ ثُنَاتُونِ ﴾ يعني: الأصنام من صغير وكبير ﴿ نَيْرٌ ﴾ أي: أعظم صفة في المدح ﴿ أَيِر اللهُ الوَحِدُ، اللهُ الوَحِدُ، فقال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلّقة، فإن كل شيء سواه يُدعى واحداً من جهة، غير واحد من جهات، والواحد لا يثنّى من لفظه، لا يقال: واحدان. والقهّار: الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالمعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره: القهّار: الذي قهر كل شيء فذلّله، فاستسلم وذلّ له.

﴿ مَا تَمْبُدُونَ مِن دُونِهِ ۚ إِلَّا أَسْمَاتُهُ سَنَبْتُمُومَا أَنتُدْ وَهَابَاؤُكُمْ مَّا أَنزَلَ اللَهُ بِهَا مِن سُلطَنَ ۚ إِنِ المُمْكُمُ إِلَّا يَقِهُ أَمَرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا مَعْبُدُونَ مِن يَعْبُدُونَ مِن يَعْبُدُونَ مِن يَعْبُدُ مَنْهُمُ اللَّهِ مُنْ وَلَكِنَ أَكْبُرُ مِن وَلِكِنَ أَكْبُرُ مَنْ وَلِكِنَ أَكْبُرُ مِن وَلِيكِنَ أَكْبُرُ مِن وَلْمِيكُ مُنْفِتِهِ ﴿ وَمَا اللَّهُ مُنْ فَعَيْلُ مُنْفِقِهِ إِلَّا مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْفِقِتِهِ ﴾ فَتَأْكُونُ اللَّهُ مِن وَلْمِيدُ مُنْفِقِتِهُ اللَّهُ مُنْفِقِتِهُ اللَّهُ مُنْفِقِتِهُ مِن وَلَمْ اللَّهُ مُنْفِقِتُهُ مِنْ اللَّهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفِقِتُهُ اللَّهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونِهُ وَمُنْفِقِتُهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفِقِتُهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفِقَالِمُ اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُن وَلِيكُونَ أَنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللّهُ مُنْ إِنْفُونُ مِن وَلِيكُونَ أَنْمُ اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفِقِيلًا مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُلُونَا اللَّهُ مُنْفِقِيلًا لَعْلَالِهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونِا اللَّهُ مُنْفُونِا لِللَّهُ مُنْفُلِكُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنَالِمُ اللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْ أَنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا الللَّهُ مُنْفُونَا اللَّهُ مُنْفُونَا اللّهُ اللّهُ مُنْفُونَا اللّهُ مُنْ

قوله تعالى: ﴿مَا تَمَبُدُونَ مِن دُونِهِ ﴾ إنما جمع في الخطاب لهما، لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما. وقوله: «من دونه» أي: من دون الله ﴿إِلاّ أَسْمَلَهُ ﴾ يعني: الأرباب والآلهة، ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام، فكأنها أسماء فارغة، فكأنهم يعبدون الأسماء لأنها لا تصح معانيها. ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ يَهَا مِن سُلطَنَوْ ﴾ أي: من حجة بعبادتها. ﴿إِن ٱلشَّكُمُ إِلّا بِشَهُ أَي: ما القضاء والأمر والنهي إلا له. ﴿وَالِكَ الدِّينُ ٱلْقِيمُ ﴾ أي: المستقيم، يشير إلى التوحيد. ﴿وَلَلِكِنَ ٱلنِّينَ ٱلنَّيْمُ ﴾ أي: لا يعلمون ما للتوحيد. ﴿وَلَلِكِنَ آكُثُرَ ٱلنّانِي: لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَمَدُكُما نَيْسَتِي رَبَّمُ خَمْرًا ﴾ الرب هاهنا: السيد. قال ابن السائب: لما قص الساقي رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما رأيت! أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضائها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخبّاز: بنس ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة أيام، ثم يبعث إليك الملك عند انقضائهن، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك، فقالا: ما رأينا شيئًا، فقال: ﴿قُمْنِي ٱلأَثْرُ ٱلَذِي فِيهِ تَسْتَقْتِبَانِ ﴾ أي في فيه وسيقع بكما، صدقتما أو كذبتما. فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فعنه جوابان: أحلهما: أنه حتم ذلك لوحي أتاه من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: فقضي الأمر، دل على أنه بوحي. والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلّذِي ظَنَّ أَنَهُ نَاجٍ يَنْهُمُا﴾، قال أصحاب هذا الجواب: معنى فقضي الأمر»: قُطع الجواب الذي التمستماه من جهتي، ولم يعنِ أن الأمر واقع بكما. وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ يَنْهُمَا أَذْكُرْنِ عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنْهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ. فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِنِينَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ يَنْهُمَا ﴾ يعني الساقي. وفي هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الظن الذي يخالف اليقين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ أَذْكُرُنِ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: عند صاحبك، وهو الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً حُبس ظلماً. واسم الملك: الوليد بن الريّان.

قوله تعالى: ﴿ نَا أَسَدُهُ ٱلشَّبُطُنَنُ فِصِحْرَ رَبِهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف لربه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق. والثاني: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده، قال مجاهد، ومقاتل، والزجاج، وهذا نسيان عمد، لا نسيان سهو، وعكسه القول الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿ نَلَيْتُ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ أي: غير ما كان قد لبث قبل ذلك، عقوبة له على تعلّقه بمخلوق. وفي البضع تسعة أقوال: أحدها: ما بين السبع والتسع، روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب (۱) قريشاً عند نزول: ﴿ لَمَ شَلِي عُلِي عُلِي عُلِي الروم: ١، ٢]، قال له رسول الله على: «ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع إلى التسع (۱). والثاني: اثنتا عشرة سنة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: أنه ما بين الثلاث بين الخمس إلى السبع، قاله الحسن. والمخامس: أنه ما بين الأربع إلى التسع، قاله مجاهد. والسادس: ما بين الثلاث إلى التسع، قاله الأصمعي، والزجاج. والسابع: أن البضع يكون بين الثلاث والتسع والعشر، قاله قتادة. والثامن: أنه ما دون العشرة، قاله الفراء، وقال الأخفش: البضع: من واحد إلى عشرة. والتاسع: أنه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يعني ما بين الواحد إلى الأربعة. وروى الأثرم عن أبي عبيدة: البضع: ما بين ثلاث

 ⁽١) ناحب: راهن، والمناحبة: المراهنة. قال الجمعي: وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك (أي: الرهان).

 ⁽۲) «المسند» ۱٦٨/٤ وإسناده صحيح، و«الطبري» ۱۷/۲۱، والترمذي ۲/ ۱۵۰، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وخمس. وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال: أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربع عشرة، قاله الضحاك. والثالث: سبع سنين، قاله قتادة. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي: ﴿أَذَكُرُنِ عِنكَ رَبِّك﴾، قيل له: يا يوسف، أتخذت من دوني وكيلاً؟ لأطيلنَّ حبسك، فبكى، وقال: يا رب، أنسى قلبي كثرةُ اللهوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّ أَرَىٰ صَبْعَ بَقَرَتِ سِمَانِ يَأْكُلُهُنَّ صَبْعٌ عِجَاتٌ وَصَبْعَ سُئْبُكتِ خُفْرٍ وَأُخَرَ يَابِسُتِّ يَتَأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ ٱفْتُونِي فِى رُمْيَنَ إِن كُنْتُد لِلرَّهَا تَعْبُرُكَتَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡكِلُّهُ يعني ملك مصر الأكبر ﴿إِنَّ أَدَّكُ ﴾ يعني في المنام، ولم يقل: رأيت، وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل: أرى، بمعنى رأيت. قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حسه، دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشّره بالخروج وملكِ مصر ولقاءِ أبيه، فلما أمسى الملك من ليلتنله، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذنابهن فأكلنهن إلى القرنين، ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن ولم يزدد في اليابسات شيء، فدعا أشراف قومه فقصها عليهم، فقالوا: ﴿أَشْفَنْتُ أَمْلَيْكِ ﴾. قال الزجاج: والعجاف: التي قد بلغت في الهزال الغاية. والملأ: الذين يُرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم، واللام في قوله: ﴿الرُّويّا﴾ دخلت على المفعول للتبيين، المعنى: إن كنتم تعبرون. ثم بين باللام فقال. «للرؤيا». ومعنى عبرتُ الرؤيا وعبَّرتها: أخبرت بأخر ما يؤول إليه أمرها، واشتقاقه من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل عبرت النهر: بلغت إلى عبره، أي: إلى شطه، وهو آخر عرضه. وذكر ابن الأنباري في اللام قولين: أحدهما: أنها للتوكيد. والثاني: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى: إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا.

﴿ قَالُوٓا أَضْفَنَتُ آخَلَيْرٌ وَمَا غَنْ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَمْلَيْمِ بِعَلِيينَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَضْنَتُ أَحُلَيْكُ قَال أبو عبيدة: واحدها ضِغث، مكسورة، وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات، تُجمع من الرؤيا كما يُجمع الحشيش، فيقال: ضغث، أي: مل كف منه. وقال الكسائي: الأضغاث: الرؤيا المختلطة. وقال ابن قتيبة: وأضغاث أحلام، أي: أخلاط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل، فيكون فيها ضروب مختلفة. وقال الزجاج: الضغث في اللغة: الحزمة والباقة من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أخلاط أضغاث، أي: حزم أخلاط، ليست برؤيا بينة، ﴿وَمَا غَنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَكْتِم بِمِلِينَ ﴾ أي: ليس للرؤيا المختلة عندنا تأويل. وقال غيره: وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بعالمين. والأحلام جمع حُلُم، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح ومما يبطل.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَبَا مِنْهُمَا وَاذَكَرَ بَعْدَ أَمَّةِ أَنَا أَنْيَنُكُمْ بِتَأْمِيلِهِ. فَأَرْمِلُونِ ۞ بُوشُفُ أَيُّهَا ٱلصِّذِيقُ أَفْصِنَا فِي سَبْعِ بَقَدَتِ سِمَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِبَاتُ وَسَبْعِ شُلُبُكَتِ خُضْرِ وَلُغَرَ يَابِسَتِ لَمَلِّ آرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَمَلَهُمْ بَمَلَمُونَ ۞ قَالَ تَرْيَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَا حَصَدَتُمْ فَدَرُوهُ فِي سُلْبُكِهِ. إِلَا قَلِيلَا يِمَّا تَأْكُونَ ۞ ثُمَّ يَأْنِي مِنْ بَنْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِيدًا ثُمَّ يَأْنِي مِنْ تَشِعْ شِيدَنَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللّذِى غَمّا مِنهُمّا ﴾ يعني الذي تخلص من القتل من الفتيين، وهو الساقي، ﴿ وَاذّكرَ ﴾ أي: تذكر شأن يوسف وما وصّاه به. قال الزجاج: وأصل اذّكر: اذتكر، ولكن التاء أبدلت منها الدال، وأدغمت الذال في الدال. وقرأ الحسن: واذّكر، بالذال المشددة. وقوله: ﴿ بَهَدَ أُمَةٍ ﴾ أي بعد حين، وهو الزمان الذي لبثه يوسف بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابن عباس، والحسن "بعد أمَةٍ » أراد: بعد نسيان. فإن قيل: هذا يدل على أن الناسي في قوله: ﴿ وَاللّذِي لَهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اله

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبِنُكُ مِتَأْوِبِلِهِ ﴾ أي: من جهة يوسف ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴾ أثبت الياء فيها وفي ﴿وَلَا نَشَرَبُونِ ﴾ [يوسف: ٢٠] ﴿أَن تُقَيِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤] يعقوب في الحالين، فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطب أتباعه. وفي الكلام اختصار، المعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصدّيق. والصدّيق: الكثير الصدق، كما يقال فسّيق، وسكّير، وقد سبق بيانه [الساء ٦٩].

قوله تعالى: ﴿لَمَلِّ أَرْجِمُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه. وفي قوله: ﴿لَمَلْهُمْر يَمْلُنُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون تأويل رؤيا الملك. والثاني: يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك. وذكر ابن الأنباري في تكرير العلُّ؛ قولين: أحدهما: أن العلُّ الأولى متعلقة بالإنتاء، والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاهما بمعنى اكيَّا. والثاني: أن الأولى بمعنى اعسى، والثانية بمعنى اكى، فأعيدت لاختلاف المعنيين، وهذا هو الجواب عن قوله: ﴿لَمَلَّهُمْ يَمْرِهُونَهَا إِذَا اُنتَكَبُّواْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [بوسف ٦٣]. قال المفسرون: كان سيِّده العزيز قد مات، واشتغلت عنه امرأته. وقال بعضهم: لم يكن العزيز قد مات، فقال يوسف للساقي: قل للملك: هذه سبع سنين مُخصِبات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يُحتال لهن، فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يُصنع؟ فقال: ﴿ زَّرْيَكُونَ سَبَّعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ‹دأباً؛ ساكنة الهمزة، إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهمزها. وروى حفص عن عاصم (دأباً) بفتح الهمزة. قال أبو على الأكثر في (دأب؛ الإسكان، ولعل الفتح لغة، ومعنى (دأباً، أي: زراعة متوالية على عادتكم، والمعنى: تزرعون دائبين. فناب •دأب، عن •دائبين،. وقال الزجاج: المعنى: تدأبون دأباً، ودل على تدأبون ابتزرعون؛ والدأب: الملازمة للشيء والعادة. فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: اتزرعون؛ ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كان بوحي من الله ﷺ. والثاني: أنه بنى على علم ما علَّمه الله من التأويل الحق، فلم يشك. والثالث: أنه أضمر (إن شاء الله) كما أضمر إخوته في قولهم: ﴿وَنَبِيرُ أَهَلُنَا وَغُفَظُ أَغَانَا﴾ [برسف ٦٥]، فأضمروا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنه كالأمر لهم، فكأنه قال: ازرعوا.

قوله تعالى: ﴿ فَذَرُوهُ فِي سُلُبُهِ مِهِ فَإِنه أَبقى له، وأبعد من الفساد. والشَّداد: المجدبات التي تشتد على الناس. ﴿ يَأْكُنَّ ﴾ أي: يُذهبن ما قدمتم لهن في السنين المخصبات، فوصف السنين بالأكل، وإنما يؤكل فيها، كما يقال: ليل نائم.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا يَلِيلًا يِّمَّا غُمْسِئُونَ ﴾ أي: تحرزون وتدَّخرون.

﴿ثُمَّ بَأْنِي مِنْ بَسْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيدٍ يُقَاتُ النَّاسُ وَفِيدٍ يَسْمِيرُونَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْقِ مِنْ بَسْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ إِن قيل: لِمَ أَشَار إِلَى السنين وهي مؤنثة بـ «ذلك»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم: أحدهما: أن السبع مؤنثة، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكّر، كقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِيِّهُ الساماء علم التأنيث، قال الشاعر:

فسلا مُسزنسةٌ وَدَقَسْتُ وَذْقَسِها وَلَا أَرْضُ أَبْسَقَسَلَ إِبْسَقَالَهَا(١)

فذكّر «أبقل» لِما وصفنا. والثاني: أن «ذلك» إِشارة إلى الجدب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه.

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ بُغَاثُ آلنَاسُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يصيبهم الغيث، قاله ابن عباس. والثاني: يغاثون بالخصب. ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَيْهِ يَسْمِرُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: العصرون، بالياء. وقرأ

⁽۱) البيت من شعر عامر بن جوين الطائي في «سيبويه» ٢٤٠/١، و«معاني القرآن» ٢٧٧/١، و«الكامل» ٢٦٠/١، و«شرح شواهد المغني» ٢٦٩، و«الخزانة» ٢١/١، ٢٢.

حمزة، والكسائي بالتاء، فوجُّها الخطاب إلى المستفتين. وفي قوله: «يعصرون؛ خمسة أقوال: أحدها: يعصرون العنب والزيت والثمرات، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والجمهور. والثاني: ﴿يعصرون﴾ بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: تفسير (يعصرون) يحتلبون الألبان لِسَعَةِ خيرهم واتِّساع خصبهم، واحتج بقول الشاعر:

طَـعَـامٌ وَلَا دَرٌّ مِـنَ الـمَـالِ يُسعُـصَـرُ فما عِصْمةُ الأغرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُم

أي: يُحلب, والثالث: ينجون، وهو من العَصَر، والعَصَر: النجاء، والعُصْرة: المنجاة، ويقال: فلان في عُصْرة: إذا كان في حصن لا يُقدّر عليه، قال الشاعر:

صَادِياً يَسْتغيث غَيِيْرَ مُغَاثِ أى: غياثاً للمغلوب المقهور، وقال عدي:

وَلَسَقَدُ كسان عُسضرةَ السَمَسنُسجُسودِ (١)

كُنْتُ كالغصَّانِ بالماءِ اغْتِصَارِي(٢)

كبؤ بسغنيسر السنساء خسكيقيي شسرق هذا قول أبي عبيدة. والرابع: يصيبون ما يحبون، روي عن أبي عبيدة أيضاً أنه قال: المعتصر: الذي يصيب الشيء ويأخذه، ومنه هذه الآية. ومنه قول ابن أحمر:

وأنستَ من أفسنَسانِسه مُسعُستَسمَسر ف إنَّ ما العَيْثُ بريَّانِه

والخامس: يعطون ويفضِلون لِسَعّةِ عيشهم، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة. وقرأ سعيد بن جبير: ﴿يُعصَرونَا بضم الياء وفتح الصاد. وقال الزجاج: أراد: يُمطرون من قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلمُمْمِرَتِ مَآهُ ثَمَّابًا ۞﴾ [النبا: ١٤].

﴿وَقَالَ لَلْكِكُ انْثُونِ بِيدٌ فَلَنَا جَادَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَيْكَ فَسْتَلْهُ مَا جَالُ النِّسْوَةِ الَّذِي قَطَّعْنَ أَلَيْرَبَهُنَّ إِنَّ رَقِ بِكَذِهِنَّ عَلِيمٌ @ قَالَ مَا خَطْلِكُنَّ إِذْ زَوَدَئْنَ يُوسُفَ عَن نَفْسِيدٍ. قُلُرَ حَنشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلِنْهِ مِن شُوِّمٌ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْذَنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَّا رُوَدَتُهُمْ عَن مُنْسِيهِ. وَإِنَّكُمْ لَينَ ٱلمَنْدِقِينَ ۗ

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْلَلِكُ انْتُونِي بِهِيِّ﴾ قال المفسرون: لما رجع الساقي إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صحة ما قال، فقال: التوني بالذي عبّر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبي أن يخرج حتى تبين براءته مما قُرف به، فقال: ﴿ أَرْجِعُ إِلَىٰ رَيِّكَ ﴾ يعني الملك ﴿ نَسْتَلُهُ مَا جَالُ ٱلنِّسْوَةِ ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: (النُّسوة) بضم النون، والمعنى: فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وإنما أشفق أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره أو متّهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: ﴿إِنَّ رَبِّ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ أنه يعني الله تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم براءتي. وقد روي عن نبينا ﷺ أنه استحسن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْكُرِيمُ ابن الْكُرِيمُ [ابن الْكُرِيمُ] يُوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءئي الداعي لأجبت "" . وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال: أحدها: أنه خلطها بالنسوة، لحسن عِشرةٍ فيه وأدبٍ، قاله الزجاج. والثاني: لأنها زوجة ملك، فصانها. والثالث: لأن النسوة شاهدات عليها له. والرابع: لأن في ذكره لها نوع تهمة، ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي. قال المفسرون: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي: ما شَانكن وقصتكن ﴿إِذْ رَوَدُنَّنَّ بُوسُكَ﴾ . فإن قيل: إنما راودته واحدة، فلم جمعهن؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه جمعهن في السؤال ليُعلم عينُ المراوِدة. والثاني: أن أزليخا راودته على نفسه، وراوده باقي النسوة على القبول منها. والثالث: أنه

البيت لأبي زبيد الطائي من قصيدة يرثي بها اللجاج ابن أخته وكان من أحب الناس إليه، وهو في « الطبري؛ ٢٣٣/١٢، و«مجاز القرآن، ٣١٣/١، و(الاقتضاب؛ ٣٩٠، و(القرطبي؛ ٩/ ٢٠٥، و(اللسان؛: عصر.

البيت لعدي بن زيد، في الكتاب؛ ٢/٢٦٤، والمجاز القرآن؛ ٣١٤/١، واللجمهرة؛ ٢/١٥٤، واللسان، والتاج؛ عصر، والعيني؛ ٤/١٥٤، وفشواهد المغني، ٢٥٥، وقالخزانة؛ ٣/ ٩٤٪ و ٤/ ٤٦٠، ٥٢٤.

الترمذي، ٢/ ١٣٩ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن. ورواه البخاري ٨/ ٢٧٧، عن أبي هريرة بهذا الصدد بلفظ: فلو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداهي. ورواه مسلم ١٣٣/١ و ١٨٣٩/٤ بنحو حديث البخاري.

جمعهنَّ في الخطاب، والمعنى لواحدة منهن، لأنه قد يوقع على النوع وصف الجنس إذا أُمن من اللبس، يدل عليه قول النبي ﷺ للنساء: «إنكن أكثر أهل النار»(١)، فجمعهن في الخطاب والمعنى لبعضهن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ فَأْرَى كَنْسُ لِلّهِ ﴾ قال الزجاج: قرأ الحسن بتسكين الشين، ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز، لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز، ولا هو من كلام العرب. فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من السوء، فقالت امرأة العزيز: ﴿ آلَيْنَ حَمْحَسَ الْحَقِّ ﴾ أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من الحِصَّة، أي: بانت حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل. وقال ابن القاسم: «حصحص» بمعنى وضح وانكشف، تقول العرب: حصحص البعير في بروكه: إذا تمكن، وأثّر في الأرض، وفرَّق الحصى. وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان: أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برّأته، قالت: لم يبق إلا أن يُقبِلن عليّ بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء. والثاني: أنها أظهرت التوبة وحققت صدق يوسف، قاله الماوردي.

﴿ وَلِكَ لِيَعْلَمُ أَنِي لَمْ أَخْنَهُ بِالْفَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَبْدِى كَبْدَ الْفَآيِنِينَ

⁽۱) هذه قطعة من حديث طويل رواه البخاري ٣٤٥/١ من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: وإني أريتكن أكثر أهل النار، وقصلم، ٨٦/١ من حديث عبد الله بن عمر، ولفظ مسلم بتمامه: قيا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة (ذات عقل ورأي): وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: قتكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من تأقصات عقل ودين أغلب لذي لب متكن، قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: قأما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتقطر في رمضان، فهذا نقصان الدين».

الرجل للوزير: إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي. وإن قلنا: إنه كان غائباً، فلا وجه لدخول التاء، وكذلك إن قلنا: إنه عنى العزيز، والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئلي. والقول الثاني: أنه قول امرأة العزيز، فعلى هذا يتصل بما قبله، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه. والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته، حكى القولين الماوردي.

قوله تعالى: ﴿رَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَاهِنِينَ﴾ قال ابن عباس: لا يصوّب عمل الزناة، وقال غيره: لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبته.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرِيُ ﴾ في القائل لهذا ثلاثة أقوال، وهي التي تقدمت في الآية قبلها. فالذين قالوا: هو يوسف، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال: أحلها: أنه لما قال: ﴿لِيَعْلَمُ أَلِيَ أَمُنْهُ بِالنّبِ ﴾ غمزه جبريل، فقال: ﴿وَمَا أَبْرِئُ نَنْسِ ﴾، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن يوسف لما قال: «لم أخنه ذكر أنه قد هم بها فقال: ﴿وَمَا أَبْرِئُ نَنْسِ ﴾، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال ذلك، خاف أن يكون قد زكّى نفسه، فقال: ﴿وَمَا أَبْرِئُ نَنْسٍ ﴾، قاله الحسن. والمابع: أنه لما قاله، قال له الملك الذي معه: اذكر ما هممت به، فقال: ﴿وَمَا أَبْرِئُ نَنْسٍ ﴾، قاله لتادة. والمخامس: أنه لما قاله، قالت امرأة العزيز: ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال: ﴿وَمَا أَبْرِئُ نَنْسٍ ﴾، قاله السدي. والذين قالوا: هذا قول امرأة العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف، لأنه قد خطر لي.

قوله تعالى: ﴿لَأَمَّارَهُ ۚ إِلَيْتُوبِ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ويعقوب إلا رويساً: "بالسوء إلا" بتحقيق الهمزتين. وقرأ أبو عمرو، وابن شنبوذ عن قنبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى. وروى نظيف عن قنبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياء. وقرأ أبو جعفر، وورش، ورويس بتحقيق الأولى وتلبين الثانية بين بين، مثل: "السُّوء عِلَّا". وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى واواً، وأدغمها في الواو التي قبلها، فتصير واواً مكسورة مشددة قبل همزة "إلا".

قوله تعالى: ﴿إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّ ﴾ قال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد. قال أبو صالح عن ابن عباس: المعنى: إلا من عصم ربي. وقيل: قما ، بمعنى قمن . قال المماوردي: ومن قال: هو قول امرأة العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي في قهره لشهوته، أو في نزعها عنه. ومن قال: هو قول العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي بأن يكفيّه سوء الظن، أو يثبّه، فلا يعجل. قال ابن الأنباري: والقول بأن هذا قول يوسف، أصح، لوجهين: أحدهما: لأن العلماء عليه. والثاني: لأن المرأة كانت عابدة وثن، وما تضمنته الآية، أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله على وقال المفسرون: فلما تبين الملك عذر يوسف وعَلِم أمانته، قال: ﴿أَنْ أَلِي المُنْ إِنْ قَبل: فقد رويتم في بعض ما أمانته، قال: ﴿أَنْ أَلِي المُنْ إِنْ قَبل: فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك: وذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، فكيف قال الملك: واتتوني به وهو حاضر عنده إا فالجواب: أن أرباب هذا القول يقولون: أمر الملك بإحضاره ليقلده الأعمال في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل يوسف على الملك، وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانا، كان كلما كلمه بلسان، فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل يوسف على الملك، وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانا، كان كلما كلمه بلسان، في فيد للك اللسان، فعجب الملك، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فقال: إني أحب أن أسمع رؤياي منك الطعام، فيأتيك الناس فيمناورن، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال الطعام، فيأتيك الناس فيمناورن، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف في ونال الملك: الموجيه، والأمين: الوجيه، والأمين: الوجيه، والأمين: الحافظ.

قوله تعالى: ﴿ لَجْعَلَنِي عَلَى خُزَابِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خزائن أرضك. وفي المراد بالخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج. والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: وإنما سأل ذلك، لأن الأنبياء بُعثوا بالعدل، فعلم أنه لا أحد أقوَم بذلك منه. وفي قوله: ﴿ إِنِّ حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: حفيظ لِما وليُّتني ، عليم بالمجاعة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حفيظ لما استودعتني، عليم بهذه السنين، قاله الحسن. والثالث: حفيظ للحساب، عليم بالألسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا يَرِدُون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة. واختلفوا، هل ولَّاه الملك يومئذٍ، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحلها: أنه ولَّاه بعد سنة، روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخِّر ذلك سنةً. وذكر مقاتل أن النبي ﷺ قال: ﴿لُو أَن يُوسُفُ قال إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من وقته. قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. وقال أهل السُّيَر: أقام في بيت الملك سنة، فلما انصرمت، دعاه الملك، فتوَّجه، وردَّاه بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كِلَّةٌ^(١) من إستبرق، فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته، وفوَّض أمره إليه، وعزل قُطفِير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي، فزوَّج الملكُ يوسفَ بامرأة قطفير، فلما دخل عليها، قال: أليس هذا خيراً مما تريدين؟ فقالت: أيها الصَّدِّيق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء في مُلك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي؛ فلما بني بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنين، إفراييم، وبيشا، واستوسق له ملك مصر. والقول الثاني: أنه ملَّكه بعد سنة ونصف، حكاه مقاتل عن ابن عباس. والثالث: أنه سلَّم إليه الأمر من وقته، قاله وهب، وابن السائب. فإن قبل: كيف قال يوسف: ﴿ إِنِّ حَنِيظٌ عَلِيرٌ ﴾ ولم يقل؛ إن شاء الله؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخِّر تمليكُه، على ما ذكرنا عن النبي ﷺ. والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمروه في قولهم: ﴿ وَنَيِيرُ أَمَّلُنَا﴾. والثالث: أنه أراد أن حفظي وعِلمي يزيدان على حفظ غِيري وعِلمه، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول، ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟ فالجواب: أنه لما خلا مدحُّه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحييه وجور يبطله، كان ذلك جميلاً جائزاً، وقد قال نبينا ﷺ: اأنا أكرم ولد آدم على ربه (٢٠)، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار. وقال ابن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور في قوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۗ النجم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَكَاذَاكِ مَكَّنَا لِيُوسُكَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: اجعلني على خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فحذف ذلك، لأن قوله: ﴿وَكَاذَاكِ مَكَّنَا لِيُوسُكَ﴾ يدل عليه، والمعنى: ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في فعلت، فحد المكروه عنه، وتخليصه من السجن، وتقريبه من قلب الملك، أقدرناه على ما يريد في أرض مصر ﴿يَتَبَوّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاهُ﴾ قال ابن عباس: ينزل حيث أراد. وقرأ ابن كثير، والمفضل: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: ﴿ نُصِيبُ مِرَحْيَنا﴾ أي: نختصُّ بنعمتنا من النبوّة والنجاة ﴿ مَن نَشَآةٌ وَلاَ نُضِيعُ أَجَرَ النُحْسِنِينَ ﴾ يعني المؤمنين. يقال: إن يوسف بأع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحُلِيهم، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم برقابهم، ثم قال للملك؛ كيف ترى صُنع ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم. وكان يوسف لا يَشبع في تلك الأيام، ويقول: إني أخاف أن أنسى الجائع.

⁽١) الكِلَّة: ستر رقيق يخاط شبه البيت يتوقى فيه من البعوض.

 ⁽۲) رواه الترمذي في اجامعه ٢٠١/٢ عن أنس بن مالك ربي بلفظ: اأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا نمخر؟ وقال: هذا حديث حسن غريب، وهو جزء من حديث طويل. وفي سنده الحسين بن يزيد الكوفي. قال الحافظ ابن حجر في التقريب؟: لين الحديث.

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلْجَرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ المعنى: ما نُعطي يوسف في الآخرة، خير مما أعطيناه في الدنيا، وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر.

﴿ رَجَاةً إِخْرَةُ بُوسُكَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَمَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُ إِخَوهُ يُوسُكَ﴾ روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فوَّض الملك إلى يوسف أمر مصر، تلطّف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فآمنوا به وأحبّوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقرب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته، فقال يعقوب: يا بَني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، فقال: من أين أقبلتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالو: لا والله، ولكنًا من كنعان، أصابنا المجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخاً، وكنا اثني عشر فأكل أحدنا الذئب، قال: فمن يعلم صدقكم؟ اثتوني بأخيكم الذي من أبيكم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلّموه بالعبرائية، فأمر الترجمان فكلّمهم ليشبّه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكنا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: إن كنتم صادقين، فخلّفوا عندي بعضكم رهناً، وائتوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون. واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين: أحدهما: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما عرفهم حتى تعرّفوا إليه، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ قال مقاتل: لا يعرفونه. وفي علّة كونهم لم يعرفوه قولان: أحدهما: أنه جاؤوه مقدِّرين أنه ملك كافر، فلم يتأملوا منه ما يزول به عنهم الشك. والثاني: أنهم عاينوا من زِيّه وحليته ما كان سبباً لإنكارهم. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لابساً ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب. فإن قيل: كيف يخفى من قد أعطي نصف الحسن، وكيف يشتبه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقوه طفلاً ورأوه كبيراً، والأحوال تتغير، وما توهموا أنه ينال هذه المرتبة. وقال ابن قتيبة: معنى كونه أعطي نصف الحسن، أن الله جعل للحسن غاية وحداً، وجعله لمن شاء من خلقه، إما للملائكة، أو للحور، فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن، فكأنه كان حُسناً مقارباً لتلك الوجوه الحسن، وليس كما يزعم الناس من أنه أعطي هذا الحسن، وأعطى الناس كلَّهم نصف الحسن.

﴿ وَلَنَا جَمَّزَهُم جِمَهَا رِحِمْ قَالَ ٱتَّنُونِ بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا نَرَوْتَ أَنِّ أُرفِ ٱلْكِيْلُ وَأَنَا خَبُرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَز تَأْتُونِ بِهِ. فَلَا كَبُرُ عِنْدِى وَلَا نَشَرَبُونِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمُنَا جَهَّرَهُم بِمَهَازِهِم ﴾ يقال: جهَّزت القوم تجهيزاً: إذا هيات لهم ما يصلحهم، وجهاز البيت: مناعه. قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بعيراً، وقال: ﴿أَلَا تَرَوّنَ أَنِّ أُرفِي الْكَيْلَ ﴾ أي: أتمه ولا أبْخُسُه، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُتِلِينَ ﴾ يعني: المضيفين، وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: ﴿ وَإِن لَمْ اللَّهُ فِيهَ فَلَا لَكُمْ عِندِى ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يعني به؛ فيما بعد، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال، قاله وهب بن منبه.

﴿ فَالْوَا سَدُرُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَسِلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَنُرُودُ عَنَّهُ أَبَاهُ﴾ أي: نطلبه منه، والمراودة: الاجتهاد في الطلب. وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَعِلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وإنا لجاؤوك به، وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبي. والثاني: أنه توكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضمِنوه عائداً إلى المراودة، فيصح معنى التوكيد. والثالث: وإنا لمديمون المطالبة به لأبينا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المراودة، ذكره ابن الأنباري. فإن قبل: كيف جاز

ليوسف أنْ يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر عن الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر. والثاني: أنه طلبه لا ليحبسه، فلما عرفه قال: لا أفارقك يا يوسف، قال: لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر فظيع، قال: افعل ما بدا لك، قاله كعب. والثالث: أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف. والرابع: ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه. والمخامس: ليعجّل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته. وكل هذه الأجوبة مدخولة، إلا الأول، فإنه الصحيح. ويدل عليه ما روينا عن وهب بن منبه، قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إليّ تعرّفني؟! فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرّفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: ولا يعقوب: عفت عليه الذئب، ولم تُؤمنيً؟.

﴿ وَقَالَ لِفِنْهِ لِمِنْ مَنْهُمْ فِي رِحَالِمُمْ لَمُأْمُدُ بَسْرِقُونَهَا إِذَا اَنْعَلَبُوا إِلَّ أَمْلِهِمْ لَمَأْمُد بَرْجِعُوك ١٩٠٠ ﴿

قوله تعالى: ﴿وقال لفتيته ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: الفتيته، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿ لِفِيْنِيهِ ﴾. قال أبو علي: الفتية جمع فتى في العدد القليل، والفتيان في الكثير، والمعنى: قال لغلمانه: ﴿ اَبْمَلُوا بِمِنْمَهُم ﴾ وهي التي اشتروا بها الطعام ﴿ فِي رِيَالِم ﴾ ، والرحل: كل شيء يُعدُّ للرحيل، ﴿ لَمُلَهُم يَهِمُونَهَ أَي: ليعرفوها ﴿ إِنَّ اَمْلِهِم لَهُم لِيَالِم الله عَلَى يرجعوا، وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه تخوّف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلُّوا إمساكها حتى يردُّوها، قاله الضحاك. والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والله وإخوته مع حاجتهم إليه، فردَّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرماً وتفضلاً، ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان اللمشقي. والرابع: ليعلموا أن طلبه لعَوْدهم لم يكن طمعاً في أموالهم، ذكره الماوردي. والخامس: أنه أراهم كرمه ويرَّه ليكون أدعى إلى عَوْدهم.

﴿ فَلَمَّا رَجَمُوا إِلَّهَ أَبِيهِ مَ قَالُوا يَكَأَبَانَا مُنِعَ مِنَا ٱلكَيْتُلُ فَأَرْسِلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتُلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ۗ قَالَ هَلَ ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَبِيهِ مِن قَبْلُ فَاقَهُ خَيْرُ حَنِظاً وَهُوَ أَرْجَمُ الرَّجِينَ ۗ

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا رَجَمُوّا إِلَىٰ أَيِهِمَ ﴾ قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قَدِمنا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته. وفي قوله: ﴿ مُنعَ مِنَّا ٱلْكَبِّلُ ﴾ قولان قد تقدما في قوله: ﴿ فَلَا كُبّل لَكُمْ عِندِى ﴾ [يوسف: ٢١]. فإن قلنا: إنه لم يكل لهم، فلفظ «مُنع» بَيِّن. وإن قلنا: إنه خوّفهم منع الكيل، ففي المعنى قولان: أحدهما: حُكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت والله النار بما فعلت. والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «مُنع» عن هيمنع» كقوله: ﴿ يَحْسَبُ أَنَ مَالَهُ أَغْلَدُمُ ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِمِيسَى ﴾ [المائلة: ١١٦] مَا وَاذْ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

قُوله تعالى: ﴿ فَأَرْسِلَ مَمَنَا ٓ أَخَانَا نَكَتَلَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «نكتل، بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكتل، بالياء. والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنعنا الكيل.

قوله تعالى: ﴿ هَلَ مَامَكُمُ عَلَيْهِ أَي: لا آمنكم إِلا كأمني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إِذ خانوه. ﴿ فَالله خير حفظاً ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «حفظاً »، والمعنى: خير حفظاً من حفظكم. وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿ غَيْرً حَنِظاً ﴾ بألف. قال أبو علي: ونصبُه على التمييز دون الحال.

﴿ وَلَمَنَا فَتَحُوا مَتَنَمَهُمْ وَجَدُوا بِعَنَامَتُهُمْ رُدَّتَ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَانَا مَا نَبْغِيْ هَلَايِهِ بِعَهَ مَثَنَا رُدَّتَ إِلِيَّنَا وَلَيْمَ أَهَلَنَا وَقَعْلُطُ أَغَانَا وَعَلَمُ الْمَانَا وَلَيْمُ أَمْلَنَا وَلَيْمُ أَمْلَنَا وَلَيْمُ مَلَكُمْ خَقَ ثُوْلُونِ مَوْقِنَا مِنَ لَلَوْ لَنَالَئِنَ بِهِدِ إِلَّا أَن بُعِيْ أَهْلَا مِلَا أَنْ أَرْسِلُمُ مَمَكُمْ خَقَ ثُولُونِ مَوْقِنَا مِنَ لَلَوْ لَكُونُ وَكِلْ فَيْ وَلَا لَكُمْ أَرْسِلُمُ مَمَكُمْ خَقَ وَادْخُلُوا مِنْ أَوْلِمِ مُنْتَفَوْفَ وَمُ الْمُؤْمِ وَمَا أَنْفِي عَنكُمْ مِنَ اللّهِ مِن

مَنَيْ إِنِ الْمُنكُمُ إِلَّا يَلَةٍ عَلَيْهِ تَوَكَلْتُ وَمَلِيَهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُتَوَجِّلُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَبْثُ أَمَرُهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم قِنَ اللَّهِ مِن فَنَءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ فَضَلَهُا وَلِئَمُ لَذُو عِلْمٍ لِيّا عَلَمَتَنَهُ وَلَئكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْلَمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا فَتَحُوا مَتَعَهُدُ ﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وَجَدُواْ بِشَنْعَتُهُدٌ ﴾ التي حملوها ثمناً للطعام ﴿رُدَّتُ ﴾. قال الزجاج: الأصل ارُدِدَتْ، فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وبقيت الراء مضمومة. ومن قرأ بكسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فُعل ذلك في: قيل، وبيع، ليدل على أن أصل الدال الكسر.

قوله تعالى: ﴿مَا نَبَعَى ﴾ في "ما قولان: أحدهما: أنها استفهام، المعنى: أي شيء نبغي وقد رُدَّت بضاعتنا إلينا؟. والثاني: أنها نافية، المعنى: ما نبغي شيئاً، أي: لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه، بل تكفينا هذه في الرجوع إليه، وأرادوا بذلك تطييب قلبه ليأذن لهم بالعود. وقراً ابن مسعود، وابن يعمر، والجحدري، وأبو حيوة: «ما تبغي بالتاء، على الخطاب ليعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِيرُ أَهَلُنَا﴾ أي: نجلب لهم الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: مار أهله يميرهم مَيْراً، وهو ماثر الأهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده.

قوله تعالى: ﴿وَتَغَفُّطُ أَخَانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا، قاله الأكثرون. والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَتَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: وقُر بعير، يعنون بذلك نصيب أخيهم، لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من حِمل بعير.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ كَيْلِ كَيْدِيْكُ فِيهِ ثلاثة أقوال: أحدها: ذلك كبل سريع، لا حبس فيه، يعنون: إذا جاء معنا، عجّل الملك لنا الكيل، قاله مقاتل. والثاني: ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه، قاله الزجاج. والثالث: ذلك الذي جثناك به كيل يسير لا يُقنعُنا، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مَنَّ نُؤْتُونِ مَوْنِنَا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: تعطوني عهداً أثق به، والمعنى: حتى تحلفوا لي بالله ﴿لَتَأْنُنَى بِدِهِ﴾ أي: لتَرُدُّنَّه إلي. قال ابن الأنباري: وهذه اللام جواب لمضمَر، تلخيصه: وتقولوا: والله لتأثنّني به.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يُمَاطَ بِكُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد. والثاني: أن يُحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الإِتيان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَا ۚ مَانَوْهُ مُوْيِقَهُمْ ﴾ أي: أعطَوْه العهد، وفيه قولان: أحدهما: أنهم حلفوا له بحق محمد ﷺ ومنزلته من ربه، قاله الصدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُرُلُ وَكِلُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشهيد. والثاني: كفيل بالوفاء، رُويا عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لاَ نَدْخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَحِيرٍ ﴾ قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: «لا تدخلوا» يعني مصر «من باب واحد». وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولي جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه خاف أن يُغتالوا لِما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه أحب أن يلقّوا يوسف في خَلوة، قاله إبراهيم النخعي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُغْنِى عَنكُم مِّكَ اللَّهِ مِن شَيَّةٍ﴾ أي: لن أدفع عنكم شيئاً قضاه الله، فإنه إن شاء أهلككم متفرقين، ومصداقه في الآية التي بعدها ﴿مَا كَاكَ يُغْنِى عَنْهُـــ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَــٰهَأَ﴾ وهي إرادته أن

⁽١) وهو الذي عليه أكثر المقسرين.

يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم. قال الزجاج: ﴿إِلا حاجةُ استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن حاجةٌ في نفس يعقوب قضاها. قال ابن عباس: (قضاها) أي: أبداها وتكلم بها.

قوله تمالى: ﴿وَإِنْهُ لَذُو عِلْمِ لِمَا عَلَتَنَهُ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: إنه حافظ لما علَّمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإنه لذو علم أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: وإنه لعامل بما عُلم، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: سمي العمل علماً، لأن العلم أول أسباب العمل. والرابع: وإنه لمتيقن لوعدنا، قاله الضحاك. والخامس: وإنه لحافظ لوصيَّتنا، قاله ابن السائب. والسادس: وإنه لعالم بما علَّمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه الله، قاله مقاتل. والسابع: وإنه لذو علم لتعليمنا إياه، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَنّا دَخُوا عَنَى بُوسُنَكِ ﴾ يعني إخوته ﴿ اَوَكَ إِلَيْهِ آخَاهُ ﴾ يعني بنيامين، وكان أخاه لأبيه وأمه، قاله قتادة، وضمه إليه وأنزله معه. قال ابن قتيبة: يقال: آويتُ فلاناً إليَّ، بمد الألف: إذا ضممته إليك، وأويت إلى بني فلان، بقصر الألف: إذا لجأت إليهم. وفي قوله: ﴿قَالَ إِنّ أَنَا أَخُوكَ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالباب، وأدخل أخاه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: بنيامين، قال: فما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوي، فوثب إليه فاعتنقه، فقال: وإني أنا أخوك، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال ابن إسحاق: أخبره أنه يوسف. والثاني: أنه لم يعترف له بذلك، وإنما قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب بن منبه. وقيل: إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة، فيقي بنيامين وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حياً لأجلسني معه، فضمّة يوسف إليه، وقال: إني أرى هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته. فلما جاء الليل، نام كل اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسف: هذا ينام معي. فلما خلا به، قال: هل أخ من أمي فهلك، فقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال: أيها الملك، ومن يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكي يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: أيها الملك، ومن يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكي يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: (إنّ أَنُوكَ ويوسف، وقام إليه فاعتنقه، ابن الأنباري: «تبتس»: تفتعل، من البؤس، وهو الضُرُّ والشدة، أي: لا يلحقنَّك بؤس بالذي فعلوا.

قوله تعالى: ﴿ يَمَا كَانُوا يَهْمَلُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعيِّرون يوسف وأخاه بعبادة جدَّهما أبي أمهما للأصنام، فقال: لا تبتئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرِّقونك، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

لِمَنْ كَانَ بَعْدِي في القَصَائِد مَصْنَعًا

فَانْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعُ وقال آخر:

والْمَضَحْ جَمُوانِبَ قَمْدِهِ بِهِمَائِهَا فَمُالِكَ: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبينا

عنًا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق. ﴿ وَلَمْنَا جَهَزَهُم هِمَهَادِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِى رَسْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَنَ مُؤَذِّنُ أَيْتُهَا الْهِيرُ إِنَّكُمْ لَسَدِثُونَ ۞ قَالُوا وَأَنْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَنْقِدُونَ ۞ قَالُواْ فَنْقِدُ مُمَوَاعَ الْسَلِكِ وَلِمَن جَآةَ بِدِ. حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَّا بِدِ. زَعِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَكُنّا جَهَرَهُم بِيهِ الْهِمَ ﴾ قال المفسرون: أوفى لهم الكيل، وحمَّل لـ فبنيامين، بعيراً باسمه كما حمَّل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع، فهما اسمان واقعان على شيء واحد، كالبُرُّ والحنطة، والمائدة والحُوان. وقال بعضهم: الاسم الحقيقي: الصواع، والسقاية وصف، كما يقال: كوز، وإناء، فالاسم الخاص: الكوز. قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لئلا يُكال بغيره. وقيل: كال لإخوته بذلك، إكراماً لهم. قالوا: ولما ارتحل إخوة يوسف وأمعنوا، أرسل الطلب في أثرهم، فأدركوا وحبسوا، ﴿ ثُمَّ أَذَنَ مُؤَيِّنَ ﴾ قال الزجاج: أعلم مُعلم، يقال: آذنته بالشيء، فهو مؤذن به، أي: أعلمته، وآذنت: أكثرت الإعلام بالشيء، يعني: أنه إعلام بعد إعلام. ﴿ أَيْتَهُا

آلِيرُ﴾ يريد: أهل العير، فأنث لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتية: العير: القوم على الإبل. فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرِّق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الحجب، قاله الزجاج. والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير. والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف. والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿ وَتَى إِنَّكَ أَتَ الْمَزِيرُ ٱلْكَرِيمُ ۚ الله الذان؛ وليس به.

قوله تعالى: ﴿ تَالُوا ﴾ يعني: إِخوة يوسف ﴿ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم ﴾ فيه قولان: أحدهما: على المؤذن وأصحابه. والثاني: أقبل المنادي ومن معه على إِخوة يوسف بالدعوى. ﴿ مَّاذَا نَنْقِدُون ﴾ ما الذي ضلَّ عنكم؟ ﴿ وَاَلُوا نَنْقِدُ شُواع الْمَلِكِ ﴾ قال المنادي ومن معه على إِخوة يوسف بالدعوى. ﴿ مَّاذَا نَنْقِدُون ﴾ ما الذي ضلَّ عنكم؟ ﴿ وَالُوا نَنْقِدُ شُواع الْمَلِك ﴾ الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكّر ويؤنّث، وكذلك الصاع يذكّر ويؤنّث. وقد قرئ: "صبعا بياء، وقرئ: "صَوْع بعين غير معجمة مع فتح الصاد، وضمها، وقرأ أبو هريرة: "صاع الملك وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد، إلا أن الصوغ ، بالغين المعجمة، مصدر صغت، وصف الإناء به، لأنه كان مصوغاً من ذهب. واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان قدحاً من زبرجد. والثاني: أنه كان من مصوغاً من ذهب. واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان قدحاً من زبرجد. والرابع: كان كأساً من نحاس، رويا عن ابن عباس. والثالث: أنه كان من مِسِّ (٢)، حكاه الزجاج. وفي صفته قولان: أحدهما: أنه كان مستطيلاً يشبه المكوك. والثاني: أنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: ﴿وَلِهَن جَآءَ بِدِ ﴾ يعني الصواع ﴿حِمْلُ بَمِيرِ ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِدِه زَعِيدٌ ﴾ أي: كفيل لمن ردَّه بالوحل، يقوله المؤذِّن.

﴿ قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ عَلِشَتُد مَّا جِفْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَدِقِينَ ۞ قَالُوا فَمَا جَرَّؤُهُم إِن كُنْتُد كَذِينَ ۞ قَالُوا مَنَا جَرَوُهُم إِن كُنْتُد كَذِينَ ۞ قَالُوا مَن وُبِيدَ فِي رَجْلِيدِ فَهُو جَرَّؤُمُ كَذَلِكَ جَنْزِى الظّليلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تُاللَّهِ ﴾ قال الزجاج: «تالله بمعنى: والله ، إلا أن الناء لا يقسم بها إلا في الله ﷺ. ولا يجوز تالرحمن لأفعلن، ولا: تربي لأفعلن. والناء تُبدل من الواو، كما قالوا في وُراث: تراث، وقالوا: يتَّزن، وأصلهن وأصله: يوتزن، من الوزن. قل ابن الأنباري: أبدلت الناء من الواو، كما أبدلت في التخمة والتراث والتُجاه، وأصلهن من الوخمة والوراث والوجاه، لأنهن من الوخامة و الوراثة والوجه. ولا تقول العرب: تالرحمن، كما قوال: تالله، لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله، ولم يكن بالرحمن، فجاءت الناء بدلاً من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُد﴾ يعنون يوسف ﴿مَّا حِشْنَا لِنُقْسِدَ فِي ٱلأَرْضِ﴾ أي: لنظلم أحداً أو نسرق. فإن قيل: كيف حلفوا على علِم قوم لا يعرفونهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردّوا الدراهم ولم يستحلُوها، فالمعنى: لقد علمتم أنا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كعموا (٢٠) أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا جَرُونُهُ ﴾ المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إِن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق.

⁽١) انظر حديث الشفاعة الطويل، البخاري ٨/ ٣٠٠، ومسلم ١٨٤/. والكذبات الثلاث، قوله: ﴿ لَمُنَالَ إِنِّ سَيْمٍ ﴾ وقوله: ﴿ بَلَ فَعَـٰكُمُ حَدَيْهُ وَقُولُه: في سارة زوجته: «أختى».

⁽٢) في «اللسان»: المس: النحاس.

⁽٣) كعم البعير: شد فاه، وقيل: شد فاه في هياجه لئلا يعض أو يأكل، والكعام: ما كعمه به.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُدُ كَنْدِينَ﴾ أي: في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾. ﴿قَالُوٓا﴾ يعني: إِخوة يوسف ﴿جَرُوُّهُ مَن وُجِدَ فِي رَجْلِهِ. فَهُوَ جَزَّوُهُ﴾ أي: يُستعبَد بذلك. قال ابن عباس: وهذه كانت سُنَّة آل يعقوب.

﴿ فَهَدَاً ۚ بِأَوْعِيَتِهِمْ فَبَلَ وِعَلَو أَغِيهِ ثُمَّ اسْتَغْرَجُهَا مِن وِعَلَو أَخِيهُ كَذَالِكَ كِذَا لِيُوسُفَّ مَا كَانَ لِيَأْغُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَكَآءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَعَتِ مَن نَشَآةً وَفَوْقَ كُلِ ذِى عِلْمٍ عَلِيهٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِالْوَيْمِيْهِمْ ﴾ قال المفسرون: انصرف بهم المؤذن إلى يوسف، وقال: لا بد من تفتيش أمتعتكم، ﴿ فَبَدَأَ ﴾ يوسف ﴿ بِالْوَيْمِنِهِمْ قَبْلُ وِعَلَمَ أَخِيهِ لِإِذَالة التهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه، قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نبرح حتى تنظر في رحله، فهو أطيب لنفسك. فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع، فذلك قوله: ﴿ ثُمُ السَّخْرَجُهَا ﴾ وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء. والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج. والثالث: إلى الصواع على لغة من أنّه، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: فأقبلوا على بنيامين، وقالوا: أي الرجاج. وسعتا وأزريت بأبيك الصدِّيق، فقال: وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم، وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به.

قوله تعالى: ﴿ كَنَالِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَى ﴿ فَيه أُربعة أقوال: أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة. والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم. والرابع: دبَّرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه. قال ابن الأنباري: لما دبَّر الله ليوسف ما دبَّر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوتُه، شُبَّه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه.

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْكِلِكِ ﴾ في الرماد بالدين هاهنا قولان: أحدهما: أنه السلطان، فالمعنى: في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه القضاء، فالمعنى: في قضاء الملك، لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يُضرب ويُغرَّم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبيانه أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه، لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب، فأجرى الله على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفاً حتى أظفره بمراده بمشيئة الله، فذلك معنى قوله: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ الله ﴾. وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علَّة يستحق بها أخاه.

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَحَتُ مَّنَ أَشَاءً﴾ وقرأ يعقوب اليرفع درجاتِ من يشاء اللهاء فيهما. وقرأ أهل الكوفة الدرجات المنوي المنوي العطاء، وأنواع الكرامات، وأبواب العلوم، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى، كما رفعنا يوسف. ﴿وَفَقَ حَكُلِ ذِى عِلْمِ عَلِم لُه أَي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره. وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه. والثاني: أنه نبَّه على تعظيم العِلم، وبيَّن أنه أكثر من أن المعنى: يوسف أعلم للعالم التواضع لئلا يُعجب.

قوله تعالى: ﴿ فَالُوا ﴾ يعني: إِخوة يوسف: ﴿ إِن يَسْرِقُ ﴾ يعنون بنيامين ﴿ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَمُ مِن مَبَلُ ﴾ يعنون يوسف. قال المفسرون: عوقب يوسف ثلاث مرات، قال للساقي: ﴿ أَذْكُرْنِ عِندَ رَبِّكَ ﴾ فلبث في السجن بضع سنين، وقال للعزيز: ﴿ لِيَمْلَمَ أِنَ لَمَ أَخُنهُ إِلَيْتِ ﴾، فقال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿ وَمَا أَبُونُ تَفْيَ ﴾، وقال لإخوته: ﴿ إِنكم لسارقون ﴾، فقالوا: ﴿ إِن يُسَرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَمُ مِن قَبْلُ ﴾. وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة أقوال: أحدها: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة، فيطعمه للمساكين، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه سرق صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه والثاني: أنه سرق صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه

في الطريق، فعيَّره إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير، ووهب بن منبه، وقتادة. والرابع: أن عمة يوسف ـ وكانت أكبر ولد إسحاق ـ كانت تحضن يوسف تحبُّه حباً شديداً، فلما ترعرع، طلبه يعقوب، فقالت: ما أقدر أن يغيب عني، فقال: والله ما أنا بتاركه، فعمدت إلى منطقة إسحاق، فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها، فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب بذلك، وقالت: والله إنه أي أصنع فيه ما شئت، فقال: أنت وذاك، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذاك الذي عيَّره به إخوته، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والمخامس: أنه جاءه سائل يوماً، فسرق شيئاً، فأعطاه السائل، فعيَّروه بذلك. وفي ذلك الشيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان بيضة، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاة، قاله كعب. والثالث: دجاجة، قاله سفيان بن عيينة. والسادس: أن بني يعقوب كانوا على طعام، فنظر يوسف إلى عَرْق، فخبأه، فعيَّروه بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال يوسف إلى عَرْق، فخبأه، فعيَّره بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعيَّره إخوته بذلك عند الغضب. والسابع: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبلة: فقد سُرق، بضم السين وكسر الراء وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسَرَهَا يُوسُفُ فِى نَقْسِهِ ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذُكرت بعد هذا، وهي قوله: ﴿ أَنْشُرُ شَرِّ مُكَانًا ﴾، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿ فَقَدَ سَرَقَ أَتُم يُن قَبُلُ ﴾، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا يكون المعنى: أسرَّ جواب الكلمة فلم يجبهم عليها. والثالث: أنها ترجع إلى الحُجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ شَئِّرٌ مَّكَانَاً ﴾ فيه قولان: أحدهما: شرَّ صنيعاً من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم، قاله إبن عباسٍ. والثاني: شرَّ منزلة عند الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ أَعْلُمُ بِمَا تَصِدُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: تقولون، قاله مجاهد. والثاني: بما تكذبون، قاله قتادة. قال الزجاج: المعنى: والله أعلم أسرق أخ له، أم لا. وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج الصواع من رحل أخيه، نقر الصواع، ثم أدناه من أذنه، فقال: إنَّ صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فقال بنيامين: أيها الملك، سل صواعك عن أخي، أحيّ هو؟ فنقره، ثم قال: هو حي، وسوف تراه، فقال: سل صواعك، من جعله في رحلي؟ فنقر، وقال: إنَّ صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت؟ فغضب روبيل، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فإذا مسَّ أحدهم الآخر ذهب غضبه، فقال: والله أيها الملك لتتركنًا، أو لأصيحنَّ صيحةً لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقتُ ما في بطنها، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنب روبيل فامسسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فقال روبيل: ما هذا؟! إن في هذا البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومَن روبيل فامسسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فذاك توله: ﴿ يَكُنُمُ اللّٰ اللّٰهِ الله في هذا البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومَن أخيهم سبيلاً، سألوه أن يأخذ منهم بديلاً به، فذلك قوله: ﴿ يَكُنُمُ اللّٰ المَونِرُ إِنَّ لَدُو الله أَن المُذ بريناً بسقيم. وقيل: في صِنّه، وقيل: في قدره، ﴿ فَخُذَ أَحَدُنا مَكَانَهُ أَي الله مَكَاذَ اللَّهُ قد سبق تفسيره إبدلاً عنه ﴿ إِنّا فَرَنكَ مِنَ ٱلمُتَوسِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: فيما مضى. والثاني: إن فعلت. ﴿ وَالَ مَكَاذَ اللَّهُ فَد سبق تفسيره إبوسف: ١٦٤، والمعنى: أعوذ بالله أن ناخذ بريئاً بسقيم.

﴿ لَمُنَا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَمَامُهُوا نِمِيَّا قَالَ حَبِيمُهُمْ أَلَمْ تَمَلِمُواْ أَكَ أَبَاكُمْ فَدَ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْفِقًا مِنَ اللّهِ وَمِنْ فَبَلُ مَا فَرَطَتُمْ فِي يُوسُفَّ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَنَّى يَأْذَنَ لِهِ أَيْ أَوْ يَعْكُمُ اللّهُ لِنَّ وَهُوَ خَيْرُ الْمُتَكِمِينَ ۞ الْرَجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَانَا إِكَ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدَنَا إِلَا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَا لِلْفَتِبِ حَنِظِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ نَائَنَا اَسْتَنِسُوا مِنْهُ ﴾ أي: أيسوا. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: يئسوا من يوسف أن يخلّي سبيل أخيهم. والثاني: إلى أخيهم، فالمعنى: يئسوا من أخيهم.

قوله تعالى: ﴿ خَكَمُواْ غِيَا ﴾ أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم، يتناجَون ويتناظرون ويتشاورون، يقال: قوم نجي، والجمع أنجية، قال الشاعر: إنسي إذا ما العقومُ كانسوا أنْسجِيسة واضطربَتْ أَعْنَاقُهم كالأَرْشِينة (١)

وإنما وحَّد انجياً؛ لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. وقال الزجاج: انفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيُهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كبيرهم في العقل، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يهوذا، ولم يكن أكبرهم سناً، وإنما كان أكبرهم سناً روبيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثاني: أنه كبيرهم في السن وهو روبيل، قاله قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَمْلَنُواْ أَنَ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوَيْقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ في حفظ أخيكم ورده إليه ﴿وَمِن فَبَلُ مَا فَرَطَتُمْ فِي عَلَى اللَّهِ ﴾ في حفظ أخيكم ورده إليه ﴿وَمِن فَبَلُ مَا فَرَطَتُمْ فِي يُوسُكُ ﴾ قال الفراء: ﴿مَا عَلَى موضع رفع، كأنه قال: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف. وإن شئت جعلت ﴿ما صلة ، كأنه قال: ومن قبل فرَّطتم في يوسف. قال الزجاج: وهذا أجود الوجوه، أن تكون ﴿ما الغواً.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَ أَبُرَحَ ٱلأَرْضَى ﴾ أي: لن أخرج من أرض مصر، يقال: بَرِح الرجل بَراحاً: إِذَا تنحّى عن موضعه. ﴿ وَهُ يَخَكُمُ اللّهُ إِنّ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أو يحكم الله لي، فيردَّ أخي عليّ. والثالث: يقضي في أمري شيئاً، ﴿ وَهُو خَيْرُ أَخِي عليّ. والثالث: يقضي في أمري شيئاً، ﴿ وَهُو خَيْرُ اللّهِ عَلَيْ اللّهِ أَعَدَ اللهِ عَلَيْ اللّهِ اللهِ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي: «سُرَّق» بضم السين وتشديد الراء وكسرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَرِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا، لأنا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿وَمَا صَّنَا اللّهَبِيّ مَنْظِينَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعتى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً. والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقتادة، ومكحول. قال ابن قتية: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتينًك به أنه يسرق فيؤخذ. والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد. والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئاً، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد. والمخامس: أن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرَّقوه، قاله ابن إسحاق. والسامس: ما كنا لغيب ابنك حافظين، إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره، والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري، والثامن: لم نعلم أنك تُصَابُ به كما أصبت بيوسف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان.

﴿ وَسَعَلِ ٱلْقَرْبَةَ ٱلَّذِي كُنَّا نِهَا وَٱلْمِيرَ ٱلَّتِي أَفَلَنَا نِهَمَّ وَإِنَّا لَصَادِثُونَ ۞﴾

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّكَ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَدَرٌ جَبِيلً عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِبَنِي بِهِمْ جَبِعَنْ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ الْحَكِبَدُ ﴿ ﴾

 ⁽١) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في «اللسان»: نجا، وروايته فيه: «واضطرب القوم اضطراب الأرشيه»، وهو غير منسوب في «مشكل القرآن»
 ٢٢٠، و«القرطبي» ٩/ ٢٤١. قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره: أنه يصف قرماً أتعبهم السير والسفر، فرقدوا على ركابهم، واضطربوا عليها، وشد بعضهم على ناتته حذار سقوطه من عليها. وقيل: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر المهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتُ لَكُمُ أَنْشُكُمُ ۚ فِي الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إِلَى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لم هذا، وقد شرحناه في أول السورة [يوسف: ١٨]. واختلفوا لأي علَّة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظن أن الذي تخلَّف منهم، إِنما تخلَّف حيلة ومكراً ليصدِّقهم، قاله وهب بن منبه. والثاني: أن المعنى: سوَّلت لكم أنفسكم أنَّ خروجكم بأخيكم يجلب نفعاً، فجرَّ ضرِراً، قاله ابن الأنباري. والثالث: سوَّلت لكم أنه سرق، وما سرق.

تُوله تعالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَيِعَاً ﴾ يعني: يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر. وقال مقاتل: أقام بمصر يهوذا وشمعون، فأراد بقوله: ﴿أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ يعني: الأربعة.

> قوله تعالى: ﴿إِنَّامُ هُوَ ٱلْكَلِيمُ﴾ أي: بشدة حزني، وقيل: بمكانهم، ﴿ٱلْكَيْمُ﴾ فيما حكم عليّ. ﴿وَنَوَلُنْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَكَأْسَنَنَ عَلَنْ بُوسُفَ وَاتَيَغَتْ عَبْـنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَهُم ﴾ أي: أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب، وانفرد بحزنه، وهبّج عليه ذكر يوسف ﴿ وَقَالَ يَتَأَسَّنَ عَلَ يُوسُف ﴾ قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف. قال ابن قتيبة: الأسف: أسد الحسرة. قال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يُعْظَ الأنبياء قبلهم: ﴿ إِنّا لِلّهِ وَلِنّا إِلَيْهِ رَجِسُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول: ﴿ يَتَأَسَّنَ عَلَ يُوسُف ﴾. فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه شكا إلى الله تعالى، لا مِنهُ. والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفي على يوسف. وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنى به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت راء أسفي، وهذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمعنى سواه، كما قال: (يا حسرتنا» والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفوز النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثّم ولم يشكُ إلا إلى ربه، فلما كان قوله: (يا أسفي» شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. وقد روي عن الحسن أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعاً شديداً، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال: (يا أسفي على يوسف».

قوله تعالى: ﴿وَالْيَعْتَ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُرْنِ ۚ أَي: انقلبت إلى حال البياض. وهل ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه ذهب بصره، قاله مجاهد. والثاني: ضعف بصره لبياض تغشّاه من كثرة البكاء، ذكره العاوردي، وقال مقاتل: لم يُبصر بعينيه ست سنين. قال ابن عباس: وقوله: «من الحزن» أي: من البكاء، يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه، فلما كان الحزن سبباً للبكاء، سمي البكاء حزناً. وقال ثابت البناني: دخل جبريل على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: ما فعل، قال: ابيضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد. وقال الحسن البصري: ما فارق يعقوبَ الحزنُ ثمانين سنة، وما جفّت عينه، وما أحد يومئذِ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

قوله تعالى: ﴿ فَهُو كَلِيدٌ ﴾ الكظيم بمعنى الكاظم، وهو الممسك على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة. وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿ وَٱلْكُلِينَ ٱلْعَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿ قَالُواْ تَالِمَهِ تَفْتَوُا تَذْكُمُ بُوسُفَ عَنَّى تَكُونَ مَرْمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلِكِينَ ۞ قَالَ إِنْسَاَ أَشَكُوا بَنِي وَهُـزَنِ إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَنَبَقَ اذْهَبُواْ فَتَحْتَسُوا مِن بُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاتِنَسُوا مِن وَقِح اللّهِ إِنّهُ لَا يَاتِنَسُ مِن وَقِع اللّهِ إِلّا الْقَوْمُ الْكَفِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَالَّو نَفْتُواْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: والله، وجواب هذا القسم ﴿لا﴾ المضمرة التي تأويلها: تالله لا تفتأ، فلما كان موضعها معلوماً خفّف الكلام بسقوطها من ظاهره، كما تقول العرب: والله أقصدك أبداً، يعنون: لا أقصدك، قال امرؤ القيس:

فَــقُــلْـتُ يَسِمِسِنُ السَلِّـهِ أَبْسِرَحُ قَساعِسَدًا وَلَـوْ قطَّعُوا رَأْسِي لَسَدْبِكِ وَأَوْصَالِي (١)

⁽١) • ديوانه، ٣٣، وفالطبري، ٢٢/١٣، وفتأويل مشكل القرآن، ١٧٤، وفالصناعتين، ١٣٨، وفالقرطبي، ٢٤٩/٩، وفاللسان، يمن.

يريد: لا أبرح، وقالت الخنساء:

فَأَفْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكِ أرادت: لا آسي، وقال الآخر:

لَـمُ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِن الـ تَاللَّهِ أَنْسَى مُصِينُبِتِي أَبَداً

عُرْفِ وَلَا السَحَامِلُونَ مَسَا حَسَمُلُوا مَنَا أَسْمَعَتُنِي حَرِيبُنَهَا الإبلُ

أَوَ اشْالُ نَسائِسِ حَسةً مَسالَسهَا(١)

وقرأ أبو عمران، وابن محيصن، وأبو حيوة: «قالوا بالله» بالباء، وكذلك كل قَسَم في القرآن. وأما قوله: «تفتأ» فقال المفسرون وأهل اللغة: معنى اتفتًا، تزال، فمعنى الكلام: لاتزال تذكر يوسف، وأنشد أبو عبيدة:

ويَسلُّحَنُّ مسنها لَاحِتٌ وتسقطُّعُ (٢)

فَسَمَا فَسِنَتُ خَيْلٌ تَنفُوبُ وتدُّعى وأنشد ابن القاسم:

فَسَمًا فَسِسَتُ مُستُّنا دِعَالٌ كَنانَها وعَالُ الفَّطَا حَتَّى احْتَوَيْنَ بني صَحْرِ

قوله تعالى: ﴿حَنَّىٰ تَكُونَ حَرَسًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها:أنه الدَّنِف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: يقال: أحرضه الحزن، أي: أدنفه. قال أبو عبيلة: الحرض: الذي قد أذابه الحزن أو الحُب، وهي في موضع مُحْرَض. وأنشد:

إني امرؤ لجّ بي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتى بَلِيتُ وحَتَى شفّني السَّقَم (٣)

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفاً مريضاً. والثاني: أنه الذاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحاق: الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه. والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارض وحرض، فحارض يثنَّى ويُجمع ويُؤنث، وحرض لا يُجمع ولا يثنَّى، لأنه مصدر، قاله الفراء. والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن، وقتادة،

قوله تعالى: ﴿أَزْ تَكُوُّهَ مِنَ ٱلْهَلِكِينَ﴾ يعنون: الموتى. فإن قيل: كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير؟ فالجواب: أن في الكلام إضماراً، تقديره: إن هذا في تقديرنا وظننا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشَكُوا بَنِّي﴾ قال ابن قتيبة: البتُّ: أشد الحزن، سمي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ اللَّهِ﴾ المعنى: إني لا أشكو إليكم، وذلك لما عنَّفوه بما تقدم ذِكره. وروى الحاكم أبو عبد الله في الصحيحه؛ من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: اكان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوَّس ظهرك؟ قال: أمَّا الذي أذهب بصري، فالبكاءُ على يوسف، وأما الذي قوَّس ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب، أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبتَ بصري، وقوَّست ظهري، فاردد عليَّ ريحاني أشمه شمَّة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر، فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إِليّ المساكين، وتدري لم أذهبتُ بصرك، وقوّست ظهرك، وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد

البيت لأوس بن حجر التميمي: «ديوانه؛ ٥٨ وقد استشهد به أبو عبيدة في همجاز القرآن؛ ٣١٦/١، والطبري؛ ٣٩/١٣، واشواهد الكشاف؛ ١٦٨.

البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي في «مجاز القرآن» ١٧/٧١، و«الطبري» ١٣/٤٤، و«القرطبي» ٩/ ٢٥٠، و«الاشتقاق، ٤٨، و«السمط، ٤٢٢، و﴿الصحاحِ؛ و﴿اللَّمَانَّا: حرض.

ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا مَن أراد الغداء من المساكين فليتغدَّ مع يعقوب، وإذا كان صائماً، أمر منادياً فنادى: من كان صائماً فليُفطر مع يعقوب^(۱). وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك شويت عناقاً وقتَّرت على جارك وأكلت ولم تطعمه. وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديها، وهي تخور، فلم يرحمها. فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟ فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر. والثاني: لنلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم. والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرِّج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على اللاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سبه.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لَا تَمْلَمُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنّا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أعلم من سلامة يوسف ما لا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون، قاله عطاء. والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: ﴿أَذَهَبُوا فَتَحَسَّوا ﴾. وقال وهب بن منه: لما قال له ملك الموت: ما قبضت روح يوسف، تباشر عند ذلك، ثم أصبح، فقال لبنيه: ﴿أَذَهَبُوا فَتَحَسَّوا فِن يُوسُفَ وَأَخِيرِ ﴾. قال أبو عبيدة: "تحسسوا الي: تخبَّروا والتيسوا في المظانّ. فإن قيل: كيف قال: "من يوسف، والمغالب أن يقال: تحسست عن كذا ؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها "من" كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه. والغاني: أن "مِن" أوثرت للتبعيض، والمعنى: تحسَّسُوا خبراً من أخبار يوسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتَسُواْ مِن زَوْج اللهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: من فرج الله، قاله ابن زيد. والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم. قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتُسُ مِن زَوْج الله إِلَّا اللَّهُومُ اللَّهُ الله في الشدائد.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَا دَخُلُوا عَلِيهِ ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فخرجوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف، ف ﴿ فَالُوا يَكَأَيُّهُا ٱلْمَرْيِزُ ﴾ وكانوا يسمُّون ملكهم بذلك، ﴿ مَسَّنَا وَأَمَلَنَا الفَّرُ ﴾ يعنون الفقر والحاجة ﴿ وَحِشْنَا بِبِضَعَةِ مُنْحِكَةٍ ﴾ وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال: أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت متاعاً رثاً كالحبل والغرارة (٢)، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والثالث: كانت أقِطاً (٣) قاله الحسن. والرابع: كنت

⁽١) الحاكم في «المستدرك» ٢٨/١٣ وقال: هكذا في سماعي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهماً من الراوي، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح، وقد رواه إسحاق بن راهويه مرسلاً ١ هـ. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٢٨/٨٤ من رواية ابن أبي حاتم، وقال: وهذا حديث غريب فيه نكارة. وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٤٠، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٤/١٤، وزاد نسبته لابن أبي اللنيا في كتاب «الفرج بعد الشدة»، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهتي في «شعب الإيمان».

 ⁽٢) الغرارة، بكسر الغين: الجُوالق، واحدة الغرائر، وربما كان معرباً.
 (٣) الأقط؛ اللبن المجفف الذي لم يتزع زبده.

نعالاً وأدّماً، رواه جويبر عن الضحاك. والخامس: كانت سويق المقل(١)، روي عن الضحاك أيضاً. والسادس: حبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح. والسابع: كانت صوفاً وشيئاً من سمن، قاله عبد الله بن الحارث. وفي المزجاة خمسة أقوال: أحدها: أنها القليلة. روى العوفي عن ابن عباس قال: دراهم غير طائلة، وبه قال مجاهد، وابن إسحاق، وابن قتيبة. قال الزجاج: تأويله في اللغة أن التزجية: الشيء الذي يدافع به، يقال: فلان يزجي العيش، أي: يدفع بالقليل ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوَّت، وليست مما يُتَسع به، قال الشاع.:

الوَاهِبُ المائةَ الهِجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذاً ثُرَجُي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا (٢)

أي: تدفع أطفالها. والثاني: أنها الرديئة، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: إِنما قيل للرديئة: مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها، قال: وهي من الإِزجاء، والإِزجاء عند العرب: السَّوق والدفع، وأنشد: لِــيَـنِّـكِ عــلــى مِــلـحــانَ ضــيـفَّ مُــدقَّـع وَأَرْمَــلَـةٌ تُــزْجِــي مَــعَ الــلَّـيُــلِ أَرْمَــلَا^(٣)

أي: تسوقه. والثالث: الكاسدة، رواه الضحاك أيضاً عن ابن عباس. والرابع: الرثّة، وهي المتاع الخُلق، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والخامس: الناقصة، رواه أبو حصين عن عكرمة.

قوله تعالى: ﴿مَأْوَفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقُ عَلَيْنَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تصدَّق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدُّق، وليس به. والثاني: بردِّ أخينا، قاله ابن جريج، قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصَّدَقَةُ لا تحل للأنبياء. والثالث: وتصدَّقُ علينا بالزيادة على حقَّنا، قاله ابن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا على حكاه عنه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ يَجَرِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

قوله تعالى: ﴿ مَلَ عَلِيْتُم مَا مَنَاتُم بِيُوسُكَ وَأَخِيدِ ﴾ في سبب قوله لهم هذا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبوه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخر الكتاب: ﴿ وكتب يهوذا ولما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبد كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون المعقوبة، وأمر بهم ليُقتَلوا، فقالوا: إن كنت فاعلاً، فاذهب بأمتعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، وقال: قد كان أبونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أخبر بهلكنا أجمعين؟ فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره، وقال لهم هذا القول، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: ﴿ مَسَنَا وَأَفَلَنَا الشَّرُ ﴾ أدركته الرحمة، فقال لهم هذا، قاله ابن إسحاق. والثالث: أن يعقوب كتب إليه كتاباً: إن رددت ولدي، وإلا دعوتُ عليك دعوةً تدرك السابع من ولذك، فبكي، وقال لهم هذا. وفي «هل ولان: أحدهما: أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام. قال ابن الأنباري: والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمج ما آثرتم من قطيعة الرحم وتضييع الحق، وهذا مثل قول العربي: أتدري من عصيت؟ هل تعرف من عاديت؟ لا يريد بذلك الاستفهام، ولكن يريد تفظيع الأمر، قال الشاعر:

أتسرجسو بسنسو مسروان مسمسعسي وطساعسنسي

 ⁽١) السويق: طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو، ويقال لسويق المقل: الحتّي، ولسويق النبق: الفتّي، وقال أعرابي يصفه: هو عدة المسافر،
 وطعام العجلان، وبلغة العريض.

 ⁽٢) البيت للأعشى في «ديوانه؛ ٢٩ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب، والهجان: جمع هجين، وهو الأبيض الكريم، يقال: إبل هجان،
 والعوذ: الحديثات النتاج، وزجى الشيء: دفعه برفق، يقول: إن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها، تتبعها أطفالها تسعى خلفها.

⁽٣) البيت في اللسانة: رمل، أنشده ابن بري شاهداً على أن الأرملة: المرأة التي لا زوج لها.

لم يرد الاستفهام، إنّما أراد أن هذا غير مرجوً عندهم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله: ﴿ لَتُنْتِنَتُهُم يَأْتَرِهِم ﴾. والثاني: أن (هل) بمعنى وقد، ذكره بعض أهل التفسير. فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سعوا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنهم فرّقوا بينه وبين يوسف، فنقصوا عيشه بذلك. والثاني: أنّهم آذره بعد فُقدِ يوسف. والثالث: أنهم سبّوه لما قُذف بسرقة الصاع. وفي قوله: ﴿إِذْ أَنْتُم جَهِلُوك ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: مذنبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ إَنِكَ كُلُتَ يُوسُنُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصن: ﴿ إِنك على الخبر، وقرأه آخرون بهمزتين محققتين، وأدخل بعضهم بينها ألفاً (١٠). واختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شبّهوه ؟ على قولين: أحدهما: أنهم شبّهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية. والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق. وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تبسم، فشبّهوا ثناياه بثنايا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارة مثلها، فلما وضع الناج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾ قال ابن الأنباري: إنها أظهر الاسم، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم المستحلُّ منه، المراد قتلُه، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وَهَلَذُا لَيْنَ ﴾ وهم يعرفونه، وإنها قصد: وهذا المظلوم كظلمي.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَرَكَ اللَّهُ عَلَيْمَنَّا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بخير الدنيا والآخرة. والثاني: بالجمع بعد الفرقة. والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَنِّ وَيَصَيْرَ ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قنبل: «من يتقي ويصبر» بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام أربّعة أقوال: أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء. والثاثي: من يتق الزنى ويصبر على العزبة. والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس. والرابع: يتق معصية الله ويصبر على السجن، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُعْسِنُعُ أَجْرَ ٱلسُّحْسِنِينَ ﴾ أي: أجر من كان هذا حاله.

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: خطأ.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَاتَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ أي: اختارك وفضَّلك. وبماذا عنوا أنه فضَّله فيه؟ أربعة أقوال: أحدها: بالملك، قالة الضحاك عن ابن عباس. والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالحلِم والصقح عنا، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَطِينَ﴾ قال ابن عباس: لمذّنبين آنَمين في أمرك. قال ابن الأنبّاري: ولهذّا اختير «خاطئين» على «مخطئين»، وإِن كان «أخطأ» على ألسن الناس أكثر من «خطئ يخطأ» لأن معنى خطئ يخطأ، فهو خاطئ: آتم، ومعنى أخطأ يخطئ، فهو مخطئ: ترك الصواب ولم يأثم، قال الشاعر:

عِسَادُكَ يَسْخُسِطُ أُونَ وَأَنْسَتَ رَبُّ لِي مَا لَكُ تُسُومُ (٢)

أراد: يأثمون. قال ويجوز أن يكون آثر «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآيات، لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها. وذكر الفراء في معنى «إن» قولين: أحدهما: وقد كنا خاطئين. والثاني: وما كنا إلا خاطئين.

 ⁽١) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري ١٧/٥٥: والصواب من القواءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالاستفهام، لإجماع الحجة من القول. عليه. وقال ابن كثير ٢/٤٨٩: والقراءة المشهورة هي الأولى، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فلهذا قالوا على صبيل الاستفهام: ﴿ أَينَكَ لَانَتَ يُوسُكُ ﴾؟

قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْرِبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمُ عَالَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قال أبو عبيدة: يعود مبصراً. فإن قيل: من أين قطع على الغيب؟ فالجواب: أن ذلك كان بالوحي إليه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْوُلِ بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكلبي كان أهله نحواً من سبعين إنساناً.

﴿ وَلَنَّا فَصَلَتِ الْمِبُّ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ بُوسُتَ لَوْلَا أَن تُنَيِّدُنِ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَنَا فَسَلَتِ ٱلْمِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان. وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنتُه، وأنا الآن أحمل قميصك لأسرَّه، فحمله، قال ابن عباس: فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَبُومُمُ يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ بُوسُفَ ﴾. ومعنى أجد: أشم، قال الشاعر:

وَلَبْسَ صَوِيْرُ النَّعٰشِ مَا تَسْمَعُونَه وَلَيْسَ فَتِينُ الجِسْكِ مَا تبجِدُونَه

وَلَــجَـنَّـها أَصْـلَابُ قَــوْمٍ تَــقَـطُـفُ وَلَــجَنَّـه ذَاكَ السُّحُـلُـفُ

فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الجب وبعد خروجه منه، والمسافة هناك أقرب؟ فعنه جوابان: أحلهما: أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضّي البلاء ومجيء الفرج. والثاني: أن هذا القميص كان في قصبة من فضة معلّقاً في عنق يوسف على ما سبق بيانه، فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص. قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: ﴿إِنّ لِيحَ وَسِمُ لَهُمُ وَقِل: إِن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها، فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها رَوْحاً، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق، قال أبو صخر الهذلي:

إِذَا قُلْتُ هَلَا حِينَ أَسْلُو يَهِينجُني نَسِيْمُ الصَّبا مِنْ حَيْثُ يطَّلِعُ الفَّجُرُ (١)

قال ابن عباس: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخاً.

قوله تعالى: ﴿ لَوُلاَ أَن تُفَيِّدُونِ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تُجهّلونِ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: تسفّهونِ، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك. والثالث: تكذّبونِ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. والرابع: تهرّمونِ، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال ابن فارس: الفّنَد: إنكار العقل من هرم.

⁽١) البخاري ٤/ ٣١٠، ومسلم ٣/ ١٣٢٨ من حديث أبي هريرة ١٣٠٨.

⁽٢) قشرح أشعار الهذليين، ٩٥٧.

والخامس: تعجُّزونِ، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تسفُّهون وتعجُّزون وتلومون، وأنشد:

يَا صَاحِبَيٌّ دَعَا لَوْمِي وَتَفْنِيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرٍ بِمَرْدُودٍ (١)

قال ابن جرير: وأصل التفنيد: الإِنساد، وأقوال المفسرين تتقارب معانيها، وسمعت الشيخ أبا محمد بن الخشاب يقول: قوله: ﴿لَوَّلَا أَنْ نُفَيِّدُونِ﴾ فيه إِضمار، تقديره: لأخبرتكم أنه حي.

﴿ قَالُوا ثَالَةِ إِنَّكَ لَغِي مَنْكَلِكَ ٱلْقَصَدِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَالَهِ إِنَّكَ لَغِى صَكِيلِكَ ٱلْمَكِيرِ ﴿ قَالَ ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بنيه، لأن بنيه كانوا بمصر. وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل، يريد بذلك شقاء الدنيا.

﴿ وَلَمَنَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ اَلْقَدَاهُ عَلَىٰ رَجْهِهِ. فَارْتَدَّ بَسِيرًا قَالَ اَلَمْ أَثَلَ لَكُمْ إِنِّ أَغَلُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَمْلَمُونَ ۞ قَالُوا يَتَأَبَانَا اسْتَغْيِرْ لَنَا دُثُوبَنَا إِنَّا كُنَا خَطِيبِنَ ۞ قَالَ سَوْفَ اَسْتَغْيِرُ لَكُمْ رَبِّ ۚ إِنَّهُ هُوَ الغَنْوُرُ الرَّحِيثُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ويه قال وهب بن منه، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه شمعون، قاله الضحاك. فإن قبل: ما الفرق بين قوله هاهنا: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَهُم ﴾ [البقرة: ٢٨]؟ فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعاً، فدخول «أن لتوكيد مُضيّ الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ أَلْقَنَاهُ ﴾ يعني القميص ﴿ عَلَى وَجَهِدٍ ﴾ يعني يعقوب ﴿ فَأَرْتَذَ بَصِيراً ﴾ ، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها. قال ابن الأنباري: إنما قال: ارتد، ولم يقل: رُدَّ، لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين، كقولهم: طالت النخلة، والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها. قال الضحاك: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن. وروى يحيى بن يمان عن سفيان قال: لما جاء البشيرُ يعقوبَ، قال: على أيِّ دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿ أَلُمْ أَتُلُ لَكُمْ إِنَّ أَعَلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَمْلَمُونَ ﴾ فيه أقوال قد سبق ذكرها قبل هذا بقليل.

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَبُانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ سألوه أن يستغفر لهم ما أتوا، لأنه نبيّ مجاب الدعوة. ﴿ فَالَ سَوْكَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّ ﴾ في سبب تأخيره لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخّرهم لانتظار الوقت الذي هو مَظِنَّة الإجابة، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخّرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ (٢). قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيِّف وعشرين سنة. والثاني: إلى وقت السّخر من ليلة الجمعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراه. والثالث: إلى وقت السّخر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، والسدي، ومقاتل. قال الزجاج: إنما أراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء، لا أنه ضَنَّ عليهم بالاستغفار، وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء ﷺ. والقول الثاني: أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد. قال عطاء الخراساني: طلبُ الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿لاَ تَرْبِ عَلَيْكُمُ الْتُوبِ وَاللّٰي وَلَى يوسف، فإن عفا عنهم، استغفر لهم، قاله وإلى قول يوسف، فلم يُجب فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا ما صنعوا وأمن يوسف، فلم يُجب فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا ما صنعوا به، واعتقد مواثيقهم من بَعْدُ على النبوَّة. قال المفسرون: وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جَهازاً وماثتي

⁽١) البيت لهانئ بن شكيم العدوي في «مجاز القرآن» ٣١٨/١، و«الطبري» ٩٩/١٥، و«القرطبي» ٩/٢٦٠.

⁽٢) ﴿ ﴿ الطبري ﴾ ١٣ / ٦٥ عن ابن عباس قال: قال رسول 他 ﷺ؛ فقد قال أخي يعقوب: سوف أستففر لكم ربي، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة ». وسنده ضعيف، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٢ / ٤٩٠ وقال: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر، والله أعلم.

راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله وولده. فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر، استأذن يوسف الملِك الذي فوقه في تلقي يعقوب، فأذن له، وأمر الملأ من أصحابه بالركوب معه، فخرج في أربعة آلاف من الجند، وخرج معهم أهل مصر. وقيل: إن الملك خرج معهم أيضاً. فلما التقى يعقوب ويوسف، بكيا جميعاً، فقال يوسف: يا أبت بكيتَ عليَّ حتى ذهب بصرك، أما علمتَ أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني، خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع. وقيل: إن يعقوب ابتدأه بالسلام، فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان.

﴿ مُلَكًّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ أَدْخُلُواْ مِمْرَ إِن شَاءَ آللَهُ ءَايِنِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَلَكُمّا دَخُلُواْ عَلَى يُوسُفَ ﴾ يعني: يعقوب وولله. وفي هذا الدخول قولان: أحدهما: أنه دخول أرض مصر، ثم قال لهم: ﴿ أَدَخُلُواْ مِعْرَ ﴾ يعني البلد. والشاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿ أَدَخُلُواْ مِعْرَ ﴾ يعني البلد. والشاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿ أَدَخُلُواْ مِعْرَ ﴾ أي: استوطنوها. وفي قوله: ﴿ إِن شَآةَ اللهُ كَامِيْنَ ﴾ أربعة ابن عباس والجمهور. والثاني: أبوه وأمه، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي قوله: ﴿ إِن شَآةَ اللهُ كَامِيْنَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فالمعنى: سوف أستغفر لكم ربي إِن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، هذا قول ابن جريج. والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم. والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال لهم هذا حين تلقًاهم قبل دخولهم، على ما سبق بيانه. والرابع: أن ﴿إِن الله مسعود: دخلوا وهم عصر، وقت وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون من ذكر وأنشى. وقال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

﴿ وَيَغَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْمَرْضِ وَحَرُّوا لَمُ شَبَدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْدِيلُ رُهْيَى مِن قَبْلُ قَدْ جَمَلَهَا رَبِّ حَقًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذَ أَخْرَجَنِي وَمَا اللّهِ مُونِيَّ إِنَّ رَبِي لَلِيْتُ لِمَا يَشَاهُ إِنَّهُ هُوَ الْمَلِيمُ لَلْمُكِمُ ﴿ مِنْ اللّهِ مِن اللّهِ اللّهُ مُو الْمَلِيمُ لَلْمُكِمُ ﴿ مِنْ اللّهِ مِن اللّهُ اللّهُ مُو الْمُلْكِمُ مُنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللللّه

قوله تعالى: ﴿ وَرَبَعَ أَبَرَيْهِ عَلَى الْمَرْشِ ﴾ في «أبويه» قولان قد تقدما في الآية التي قبلها. والعرش هاهنا: سرير المملكة، أجلس أبويه عليه ﴿ وَخَرُوا لَمُ ﴾ يعني: أبويه وإخوته. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، قاله الجمهور. قال أبو صالح عن ابن عباس: كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم. وقال الحسن: أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا. قال ابن الأنباري: سجدوا له على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك المدهر يحيني بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء، فحظره رسول الله على أنس بن مالك قال: «قال رجل: يا رسول الله أحدنا يلقى صديقه، أينحني له؟ قال: لا الله الله أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: وخرُّوا لله سجَّداً، رواه عطاء، والضحاك عن ابن عباس، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكراً لله إذ جمع بينهم وبين يوسف.

قوله تعالى: ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُمْيِكِي ﴾ أي: تصديق ما رأيت، وكان قد رآهم في المنام يسجدون له، فأراه الله ذلك في المنظة. واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال: أحدها: أربعون سنة، قاله سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ومقاتل. والثاني: اثنتان وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ثمانون سنة، قاله الحسن، والفضيل بن عباض. والرابع: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي. والخامس: خمس وثلاثون سنة، قاله عبد الله بن شوذب. والسابع: ثماني عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ ﴾ أي: إِليّ. والبَدْوُ: البَسْطُ من الأرض. وقال ابن عباس: البدو: البادية، وكانوا أهل عمود وماشية.

⁽۱) روى الترمذي في «جامعه» ۹۷/۲؛ وابن ماجه في «سنته» ۲٪ ۱۲۲ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: «لا» قال: أفيلتزمه ويقبّله؟ قال: فلا» قال: فياخذه بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ بَعْدِ أَن شَرَعَ الشَّيطَانُ بَيْنِ وَيَبَى إِغْوَقِتُ ﴾ أي: أفسد بيننا. قال أبو عبيدة: يقال: نزغ بينهم يَنْزغ ، أي: أفسد وهيَّج ، وبعضهم يكسر زاي ينزغ . ﴿ إِنَّ رَقِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَأَهُ ﴾ أي: عالم بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في [الانعام: ١٠٠]. فإن قيل: قد توالت على يوسف نعم خمسة ، فما اقتصاره على ذكر السجن ، وهلا ذكر الحُبُّ ، وهو أصعب؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه ترك ذِكر الحُبُّ تكرماً ، لئلا يذكّر إخوته صنيعهم ، وقد قال: ﴿ لاَ تَغْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْبَرْمُ ﴾ . والثاني: أنه خوج من الجُبِّ إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فكانت هذه النعمة أوفى . والثالث: أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له ، بخلاف الجُبِّ ، فشكر الله على عفوه . قال العلماء بالسير: أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة . وقال بعضهم : سبع عشرة سنة في أهنأ عيش ، فلما حضرته الوفاة أوصى يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة . وقال بعضهم : سبع عشرة سنة في أهنأ عيش ، فلما حضرته الوفاة أوصى يوسف تاق إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق ، ففعل به ذلك ، وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة ، ثم إن يوسف تاق إلى الجنة ، وعلِم أن الدنيا لا تدوم فتمنَّى الموت ، قال ابن عباس ، وقتادة : ولم يتمنَّ الموت نبيّ قبله ، وسف تاق إلى الجنة ، وعلِم أن الدنيا لا تدوم فتمنَّى الموت ، قال ابن عباس ، وقتادة : ولم يتمنَّ الموت نبيّ قبله ، فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ مَا يَتَنَى مِن اللَّمُ عِلْ الملك ، ولا كلَّ تأويل فولان : أحدهما : أنها صلة ، قاله مقاتل . والثاني : أنها للتبعيض ، لأنه لم يؤت كلَّ الملك ، ولا كلَّ تأويل الأحاديث .

قوله تعالى: ﴿ فَاطِر السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ قد شرحناه في الانعام: ٦]. ﴿ أَنْتَ وَلِيْهِ أَي: الذي تلي أمري. ﴿ وَوَلَيْ مُسْلِمًا ﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه. وكان ابن عقيل يقول: لم يتمنَّ يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة، والمعنى: توفني إذا توفيتني مسلماً، قال الشيخ: وهذا الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحِقْنِي بِالْمَسْلِحِينَ﴾ والمعنى: ألحقني بدرجاتهم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة. والثاني: آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك، قالوا: فلما احتُضر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فتشاحُّ الناس في دفنه، كل يُحبُّ أن يُدفن في محلَّته رجاءَ البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع، فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان. قال الحسن: مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة. وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بسنتين.

﴿ وَالِكَ مِنْ أَلْبُلُوا ٱلمَنْبِ نُوجِيهِ إِلَيْكُ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَرَهُمْ وَمُمْ بَكُنُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآمِ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غاثبة عنك، فأنزله الله عليك دليلاً على نبوَّتك. ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: عند إخوة يوسف ﴿ إِذَ أَجْمَعُواْ أَنْرَهُ ﴾ أي: عزموا على إِلقائه في الجب ﴿ وَمُمْ يَكُرُونَ ﴾ بيوسف، وفي هذا احتجاج عى صحة نبوَّة نبينا ﷺ، لأنه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدلً على أنه أخبر بوحي.

﴿ وَمَا أَحْثُرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَّا تَسْتَلَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجَّرٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِحْرٌ لِلْعَلَمِنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكُنُ النّايِن وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِينَ ﴿ قَالَ ابنَ الأنبارِي: إِن قريشاً واليهود سألت رسول الله على عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحاً شافياً، وهو يؤمّل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا ظنه، فحزن رسول الله على فعزن رسول الله على فعزن رسول الله على فعزاه الله تعالى بهذه الآية. قال الزجاج: ومعناها: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم. ﴿ وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَيْدِهُ أَي: على القرآن وتلاوته وهدايتك إيّاهم ﴿ مِنْ أَجَرٍ إِنْ هُوَ ﴾ أي: ما هو إلا تذكرة لهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم.

﴿ وَكَأَيْنَ مِنْ ءَايَةِ فِي السَّمَنَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بَشُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيْنَ﴾ أي: وكم ﴿ينَ ءَايَةٍ﴾ أي: علامة ودلالة تدلهم على توحيد الله، من أمر السموات والأرض، ﴿يَشُرُونَ عَلَيْمًا﴾ أي: يتجاوزونها غير متفكوين ولا معتبرين.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَمُم تُنْمَرِكُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكَثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم تُشْرِكُونَ ﴿ فَيهِم ثِلاثَة أقوال: أحدها: أنهم المشركون، ثم في

معناها المتعلق بهم قولان: أحدهما: أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: لبيّك اللهم لبيّك، لبيّك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم النصارى، يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون به، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، يؤمنون في الظاهر رثاء الناس، وهم في الباطن كافرون، قاله الحسن. فإن قيل: كيف وصف المشرك بالإيمان؟ فالجواب: أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان، وإنما المعنى: أن أكثرهم، مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم، مشركون.

﴿ أَمْ أَيْنُواْ أَنْ تَأْتِيْهُمْ غَنْشِيَةٌ مِنْ عَدَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيهُمُ السَّاعَةُ بَشْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَايَنُواْ أَن تَأْيَهُمْ غَنْشِيَةٌ يَنْ عَدَابِ التَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: الغاشية: المجلَّلة تغشاهم. وقال الزجاج: المعنى: يأتيهم ما يغمرهم من العذاب. والبغتة: الفجأة من حيث لم تتوقع.

﴿ فُلُ هَاذِهِ. سَبِيلِ أَدْعُوٓا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَّا وَمَنِ أَتَبَعَنِّي وَشُبْخَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْ هَكَذِهِ سَبِيلِ ﴾ المعنى: قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي، أي: سُنَّتي ومنهاجي. والسبيل تذكَّر وتؤنَّث، وقد ذكرنا ذلك في آل معران: ١٩٥]. ﴿ أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَ بَعِيدِرَةٍ ﴾ أي: على يقين. قال ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من الدعاء إلى الله عَلَى لانه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿ إِلَى اللهِ ﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنِ آتَبَتَنِي ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ المعنى: وقل: سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبِلِكَ إِلَا رِجَالًا لَمُوحَ إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَّىٰ أَلَارٌ يَسِيرُوا ۚ لِ ٱلْأَرْضِ فَيَسْظُرُوا كَيْفَ كَاكَ عَنْقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن مَبْلِهِمَّهُ وَلِدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ٱنْفَوَا أَفَلَا تَمْقِلُونَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن فَبَلِكَ إِلَّا رِجَالَا﴾ هذا نزل من أجل قولهم: هلّا بعث الله ملكاً، فالمعنى: كيف تعجّبوا من إرسالنا إياك، وسائر الرسل كانوا على مثل حالك ﴿يوحى إليهم﴾؟ وقرأ حفص عن عاصم: «نوحي، بالنون، والمراد بالقرى: المدائن، وقال الحسن: لم يبعث الله نبيّاً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء، قال قتادة: لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل العَمود.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَرْ يَسِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المنكرين نبوَّتك ﴿يَسَظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكلَّبة فيعتبروا بذلك. ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوَا﴾ الشرك. قال الفراء: أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله: ﴿لَمُوَ حَقُّ الْيَتِينِ﴾ [الواقعة: ١٩٦] والحق: هو اليقين، وقولهم: أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: ﴿أَنَلَا يَشْقِلُونَ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وحفص، والمفضّل، ويعقوب: "تعقلون، بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يعقلون هذا فيؤمنوا.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا آسَنَيْسَ ٱلرُّسُلُ وَطَنُواْ أَنَهُمْ قَدْ صَلْدِبُواْ جَاءَهُمْ فَمْرُنَا فَنْجِي مَن فَشَاءٌ وَلا يُرُدُ بَأَسُنَا عَنِ ٱلْفَوْرِ ٱلْمُجْرِمِنَ ﴿ وَلَا الله عَلَى عَلَى الله الله وَ الله الله وَ الله الله وَ الله الله والله والله

والضحاك: «كَذَبوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضاً أنهم قد كَذَبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ كَانَهُمْ نَمَرُنا ﴾ يعني: الرسل «فننجي مَن نشاءً» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحموة، والكسائي: «فننجي» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، جميعاً عن عاصم، ويعقوب: «فَنُجّي» مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نَجَوا عند نزول العذاب.

﴿ لَقَدْ كَاتَ فِي فَصَصِهِمْ عِثْرَةً لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَابُ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَك وَلَنكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَكَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَيَحْمُدُ لِتَوْرِ بُوْمِئُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدُ كَاكَ فِي نَمَصِهِمْ ﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته. وروى عبد الوارث كسر القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء. ﴿عِبْرَةٌ ﴾ أي: عظة ﴿لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَبِ ﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين: أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإنَّ من فَعَلَ ذلك به، قادر على إعزاز محمد ﷺ وتعلية كلمته. والثاني: أن من تفكّر، علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمّياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة مِنْ قِبَل نفسه، فاستدل بذلك على صحة نبوّته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَرِيثًا يُفَتَرَكُ ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق. فعلى القول الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَيَكِن تَمْدِينَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْدِ﴾: ولكن كان تصديقاً لمما بين يديه من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ ثَيْرٍ مُؤْمِنُونَ ﴾ يُحتاج إليه من أمور الدين ﴿وَهُدَى﴾ بياناً ﴿وَرَخَمَةُ لِقَوْرٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدِّقون بما جاء به محمد ﷺ. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته (١).



⁽١) قال الحافظ ابن كثير في الفسيرة ٤٩٨/٢ : وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه، وغير ذلك من الامر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات، وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية، وعن الغيوب المجملة والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلهذا كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون، تهندي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ويوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

سورة الرعب

فصل في نزولها

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة. ورؤى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية، إلا آيتين منها، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ اللَّينَ كُنُرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَوُا قَارِعَةً﴾ إلى آخر الآية (الرحد: ٢٦)، وقوله: ﴿وَيَعُولُ اللَّينِ كُنُرُوا لَسْتَ مُرْسَكُا ﴾ (الرعد: ٤٤) والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد. وروي عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله: ﴿وَلَوَ أَنَ قُرُهَانَا سُرِّتَ بِدِ الجِبَالُ ﴾ إلى آخرها (الرعد: ٢١). وقال بعضهم: المدني منها قوله: ﴿هُو اللَّهِ عَلَهُ مُورَةً لَلْيَ اللَّهُ وَالرعد: ١٤).

بنسدالله الكنب النيسية

﴿الْمَرَّ يَلْكَ ءَايَتُ الْكِنَبُّ وَالَّذِى أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِّكَ الْحَقَّ وَلَيْكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوْتِ مِثَيْرِ عَمَدِ مَرَوْبَهُمُّ مُؤْمِّتُ مُلَا اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿ السَّرِجِ قَدْ دَكُرُنَا فِي سُورَةُ (البقرةُ) جَمَلُهُ مِنْ الكَارِمُ فِي مَعَانِي هَذَهُ الخَروف. وقد رَوِي طَنْ ابن طبقاني في تفسير هذه الكلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: أنا الله أعلم وأرى، رواه أبو الضحى عنه. والثاني: أنا الله أرى، رواه سعيد بن جبير عنه. والثالث: أنا الله الملِك الرحمن، رواه عطاء عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكَ ءَايَتُ ٱلْكِتَنبُ ﴾ في «تلك» قولان، وفي «الكتاب» قولان قد تقدمت في أول (يونس).

قوله تعالى: ﴿وَالَذِى آأَيْلُ إِلَىٰكُ مِن رَبِّكَ الْحَقّ عني: القرآن وغيره من الوحي ﴿وَلَذِكِنَّ آَكُنَّ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ عِنسِ: أهل مكة. قال الزجاج: لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرّف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال: ﴿اللهُ الذِي رَبِّعَ مَبِكِ قال الوجيع: لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرّف الدليل الذي يوجب التصديق بالخاسة، فقال: ﴿اللهُ الذِي رَبِع اللهُ اللهُ عَمِدِه وهو القياس، لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألِف أو ياء أو واو، فجميعه مضموم الحروف، نحو رسول، والجمع: رسل، وحمار، والجمع: حُمر، غير أنه قد جاءت أسامي استعملوا جميعها بالحركة والفتحة، نحو عمود، وأديم، وإهاب، قالوا: أَدَم، وأهّب. ومعنى اعمدٍه: سَوارٍ، ودعائم، وما يَعْمِد البناء، وقرأ أبو حيوة: المغنى عمد، وما يعمد اللهاء، وقرأ السموات، أبو حيوة: المغنى عمد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والجمهور، وقال الن الأنباري: «ترونها بغير عَمَد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والجمهور، وقال ابن الأنباري: «ترونها» خبر مستأنف، والمعنى: رفع السموات بلا دعامة تمسكها، ثم قال: «ترونها» أي: ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم، يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه. والثاني: أنها ترجع إلى العَمَد، فالمعنى: إنها بعمد لا ترونها، موالم حاله عن ابن عباس، وقال: لها عَمَد على قاف، ولكنكم لا ترون العَمَد، وإلى هذا القول ذهب مجاهد، وعكرمة، والأول أصح (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَسَخْرَ الشُّنْسَ وَالْفَدُّ ﴾ أي: ذلَّلهما لما يُراد منهما ﴿ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ تُسَكَّى ﴾ أي: إلى وقت معلوم،

⁽١) قال ابن جرير الطبري ٩٤/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمُ النَّيْوَتِ بِنَيْرِ عَلَو نَرْوَيْمَ ۖ فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب النسليم لها بقول سواه. وقال ابن كثير ١٩٩/٢ بعد أن ذكر قول إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد، وكذا روي عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿يَكْتُمِلُهُ النَّكَمَاةُ أَنْ تَعَالَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ أَنْ عَلَى مِنْ مِنْ عَلِيهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ال

وهو فناء الدنيا. ﴿يُكَبِّرُ الأَثْرُ ﴾ أي: يصرّفه بحكمته. ﴿يُنَصِّلُ الْآيَنتِ ﴾ أي: يبيّن الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك. وقرأ أبو رزين، وقتادة، والنخعي: «ندبّر الأمر نفصّل الآيات» بالنون فيهما.

﴿وَهُوَ الَّذِى مَذَ ٱلأَرْضَ وَجَمَلَ فِيهَا رَوَسِيَ وَأَنْهَزُرُّ وَيِن كُلِّ الشَّمَرُتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ النَّيْرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَنتِ لِقَوْمِ يَتَفَكُّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللَّذِي مَدَّ ٱلأَرْضَ ﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَ فِهَا رَوَسِى ﴾ قال الزجاج: أي جبالاً ثَوابِت، يقال: رسا الشيء يرسو رُسُواً، فهو راس: إذا ثبت، و ﴿جَعَلَ فِهَا زَوْجَيْنِ اتْنَيْنِ ﴾ أي: نوعين، والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود.

قوله تعالى: ﴿ يُثَيِّي الَّيْلَ النَّهَارُّ ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٥].

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ثُمَّتَهُ وَرَثَتُ وَجَنَّتُ مِنَ أَعْتَبِ وَزَرَعٌ وَغَنِيلٌ مِنْوَانٌ وَغَيْرُ مِنْوَانٍ يُسْلَىٰ بِمَآءٍ وَلِيدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلأُكُولُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيْنِ لِقَوْرٍ يَمْقِلُوك ﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي اَلاَرْضِ قِطَعٌ مُتَكِوِرَتُ﴾ فيها قولان: أحدهما:أنها الأرض السَّبِخَة، والأرض العذبة، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابن قتيبة، وهو يرجع إلى معنى الأول.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَعٌ وَنَفِيلٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿وَرَزَعٌ وَنَفِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ رفعاً في الكُلِّ. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وزرع ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ» خفضاً في الكُلِّ. قال أبو علي؛ من رفع، فالمعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وجُنَّاتٌ، وفي الأرض زرع، ومن خفض حمله على الأعناب، فالمعنى: جنَّاتٌ من أعناب، ومن زرع، ومن نخيل.

قوله تعالى: ﴿ مِنْوَانٌ وَغَيْرُ مِنْوَانِ ﴾ هذا من صفة النخيل. قال الزجاج: الصنوان: جمع صِنْو وصُنْو، ومعناه: أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأربع. وكذلك قال المفسرون: الصنوان: النخل المجتمع وأصله واحد، وغير صنوان: المتفرِّق. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، وابن جبير، وقتادة: «صُنوانٌ» بضم الصاد. قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صِنوانٍ» بكسر الصاد، وتميم وقيس يضمون الصاد.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَآءِ وَبِيلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تسقى» بالتاء، «ونفضًل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي «تسقى» بالتاء أيضاً، لكنهما أمالا القاف. وقرأ الحسن «ويفضًل» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عمر «يُسقى» بالياء، «ونفضًل» بالنون، وكلُهم كسر الضاد. وروى الحلبي عن عبد الوارث ضمَّ الياء من «يُفضَّل» وفتح الضاد، «بعضُها» برفع الضاد. وقال الفراء: من قرأ «تُسقى» بالتاء ذهب إلى تأنيث الزرع، والجنَّات، والنخيل، ومن كسر ذهب إلى النبت، وذلك كلُه يُسقى بماءٍ واحد، وأكُله مختلف حاوض وحُلو، ففي هذا آية. قال المفسرون: الماء الواحد: ماء المطر، والأكُل: الثمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك، وفي هذا دليل على بطلان قول الطبائعيين، لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دلَّ على مدبِّرٍ قادر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنَتِ لِقَوْمٍ يَمْ قِلُوكَ﴾ أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

﴿ وَإِن نَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ آءِذَا كُنَا تُرَبًّا أَهَا لَغِي خَلْقٍ جَدِيدٌ أُولَتِهِكَ ٱلْذِينَ كَنَسُرُوا مِرَبِيمٌ وَأُولَتِهِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَافِهِمْ وَأُولَتِهِكَ ٱلنَّاتِرِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَمْجَنّ ﴾ أي: من تكذيبهم وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قُدرة الله عز وجلّ في خلق الأشياء، فإنكارهم البعث موضعُ عجب. وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القِطّع المتجاورات وقدرة ربك في ذلك، فعجب جحدهم البعث، لأنه قد بان لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة.

قوله تعالى: ﴿ آَوِذَا كُنَّا تُرَبِّا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «آيذا كنا تراباً آينًا» جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو، يمدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدُّ. وقرأ نافع «آيذا» مثل أبي عمرو، واختُلف عنه في المَدُ، وقرأ "إنا لفي خلق مكسورة على الخبر. وقرأ عاصم، وحمزة «أإذا كُنَّا» «أإنا» بهمزتين فيهما. وقرأ ابن عامر «إذا كُنَّا تراباً» مكسورة الألِف من غير استفهام، «آإنا» يهمز ثم يَمُدُّ ثم يهمز على وزن: عاعِنًا. وروي عن ابن عامر أيضاً «أإذا» بهمزتين لا ألِف بينهما. والأغلال جمع غُلُّ، وفيها قولان: أحدهما: أنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج.

﴿ وَيَسْتَمْمِلُونَكَ بِالسَّيِنَةِ وَتَلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثْلَاثُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُو مَنْفِرَةِ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمُّ وَإِنَّ رَبَّكِ لَسَكِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ وَيَقُولُ ٱلَذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَاَ أَنْزِلَ عَلِيَهِ مَايَةٌ مِن رَبِّهِۥ إِنْمَا أَنْتَ مُنذِرُ وَلِكُلِ فَرْمٍ هَادٍ ۞ أَنْهُ يَمَامُ مَا تَحْمِلُ صَلَّلُ ٱلْغَلِى وَمَا تَقِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا نَزْدَادُ وَكُلُّ مُنْهِ، عِندَهُ بِمِقْدَادٍ ۞ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ ٱلْكَبِدُ ٱلْمُتَعَالِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَامَالُولُكُ بِالسَّبِنَةِ مَبَّلُ الْحَسَنَةِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله على أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس. والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة. والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك، قاله مقاتل. وفي السيئة والحسنة قولان: أحدهما: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بالشرّ قبل الخير، قاله قتادة. فأما: ﴿ المَثْلَثُ ﴾ فقرأ الجمهور بفتح الميم. وقرأ عثمان، وأبو رزين، وأبو مجلز، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، وابن أبي عبلة برفع الميم. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها العقوبات، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المعنى: قد تقدّم من العذاب ما هو مثله وما فيه نكال، لو أنهم اتعظوا. وقال ابن الأنباري: المُثْلَةُ: العقبة التي تُبقي في المعاقب شَيْنًا بتغيير بعض خَلْقِه، من قولهم: مثّل فلان بفلان، إذا شان خَلْقَه بقَطْع أنفه أو أُذُيه، أو سملٍ عينيه ونحو ذلك. والثاني: أن المثلاتِ: الأمثالُ التي ضربها الله شَكُلُ لهم، قاله مجاهد، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَنْفِرَةِ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمُ ﴾ قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإنه لشديد العقاب للمصرِّين على الشرك. وقال مقاتل: لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب، وإنه لشديد العقاب إذا عذَّب.

فصل

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَفِرُ أَن يُنْرَكَ بِهِـ ﴾ [النساء: ١٤٨، والمحققون على أنها محكمة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ لَرُكَ أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَايَةٌ مِن رَبِّهِ عَلَى: ﴿ لِمَا أَنتَ مُنْزِرٌ ﴾ أي: مخرِّفٌ عذاب الله، وليس لك من الآيات صالح. ولم يقنعوا (٢) بما رأوا، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنْزِرٌ ﴾ أي: مخرِّفٌ عذاب الله، وليس لك من الآيات شيء. وفي قوله: ﴿ وَلِكُلِّ فَرِ هَادٍ ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن المراد بالهادي: الله ظلى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، فيكون المعنى: إنما إليك الإنذار، والله الهادي. والثاني: أن الهادي: النبي على، قاله الحسن، واطاء، وقتادة، وابن زيد، فالمعنى: ولكل قوم نبي ينذرهم. والرابع: أن الهادي؛ رسولُ الله على أيضاً، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أن المهادي؛ رسولُ الله على أيضاً، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أنت منذرٌ، وأنت هادٍ. والخامس: أن الهادي: العملُ، قاله أبو العالية. والسادس: أن الهادي: القائدُ إلى الخير أو إلى الشر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت

⁽١) وهو الصحيح، فإنه وإن كان معنى «الظلم» كما يتبادر من سياق الآية هو الشرك، ولكن لا يترتب على هذا التفسير قبول دعوى النسخ، ذلك أن الله على وصف نفسه في الآية بأنه الشديد العقاب، كما وصف نفسه بأنه «ذو مغفرة» ومعنى هذا أنه إنما يغفر لمن رجع عن الشرك، وأناب إلى الله، أما المصرون على الكفر، فإنه شديد العقاب لهم على كفرهم.

⁽٢) في نسخة: (يقتنعوا).

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله على صدره، فقال: فأنا المنفرة، وأوماً بيده إلى منكب عليّ، فقال: فأنت الهادي يا عليّ بك يُهتدى من بعدي، أن قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة. ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته، رداً على منكري البعث، فقال: ﴿اللهُ يَمْلُمُ مَا غَيْلُ حَكُلُ أَنْفَى ﴾ أي: من علقة أو مُضغة، أو زائد أو ناقص، أو ذكر أو أنثى، أو واحد أو اثنين أو أكثر، ﴿وَمَا تَنِيْسُ ٱلأَنْكَامُ ﴾ أي: وما تنقص، ﴿وَمَا تَزِيدُهُ وَفِيه أربعة أقوال: أحدها: ما تغيض: بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، وابن قيبة، والزجاج. والثاني: وما تغيض: بالسِّقْطِ الناقص، وما تزداد: بالولد التامّ، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين. والثالث: وما تغيض: بإراقة الدم في الحَمُل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكَتِ الدمّ فيعظم الولد، قاله مجاهد. والرابع: ما تغيض الأرحام: مَنْ ولدته من قبل، وما تزداد: مَنْ تلده من بعد، روي عن قتادة، والسُدّي.

قوله تعالى: ﴿وَكُ ثُنَءَ عِندَمُ بِمِقْدَادٍ ﴾ أي: بقدر. قال أبو عبيدة: هو مِفعالٌ من القَدَرِ. قال ابن عباس: عَلِمَ كُلَّ شيء فقدَّره تقديراً.

قوله تعالى: ﴿عَلِمُ ٱلنَّبِ وَٱلشَّهَدَةِ﴾ قد شرحنا ذلك في [الأنمام: ٦]. و ﴿ٱلكَبِمُ بمعنى: العظيم. ومعناه: يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلوّ، فهو أكبر من كُلِّ كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته. ويقال: «الكبير» الذي كُبُر عن مشابهة المخلوقين. فأمّا ﴿ٱلنَّتَمَالِ﴾ فقرأ ابن كثير «المتعالي» بياء في الوصل والوقف، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو، وأثبتها في الوقف دون الوصل ابنُ شَنْبُوذَ عن قُنْبُل، والباقون بغير ياء في الحالين. والمتعالي هو المتنزّه عن صفات المخلوقين، قال الخطّابي: وقد يكون بمعنى العالي فوق خَلْقه. وروي عن الحسن أنه قال: المتعالي عمّا يقول المشركون.

﴿ سَوَاتٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبًا بِٱلنَّهَارِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَآةٌ مِنكُرُ﴾ قال ابن الأنباري: ناب ﴿سواءٌ عن مُستوٍ، والمعنى؛ مستوٍ منكم ﴿نَنْ أَسَرٌ ٱلْقُولَ﴾ أي: أخفاه وكتمه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِـ﴾ أعلنه وأظهره، والمعنى؛ أن السرَّ والجهر سواء عنده.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْبِ بِأَلِيْلِ وَسَارِبُ بِالنَّهَارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المستخفى: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرّف في حواثجه. يقال: سرَبتِ الإِبل تَسرِب: إذا مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدوا:

أدى كُللَّ قَدْمِ قَارَبُوا قَيْدَ فَحُلِهِم وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَه فَهُو سَارِبُ (٢)

أي؛ ذاهب. ومعنى الكلام؛ أن الظاهر والخفيَّ عنده سواء، هذا قول الأكثرين. وروى العوفي عن ابن عباس: «ومَنْ هو مستخف، قال: صاحب رِيبة بالليل، فإذا خرج بالنهار، أرى الناسَ أنه بريء من الإثم. والثاني: أن المستخفيَ بالليل؛ الظاهر، والساربَ بالنهار: المستتر، يقال؛ انسرب الوحش: إذا دخل في كِناسِه، وهذا قول الأخفش، وذكره قطرب أيضاً، واحتج لهُ ابن جرير بقولهم: خَفَيْتُ الشيء: إذا أظهرتَه، ومنه ﴿أَكَادُ أُخْفِياً﴾ [طه: ١٥] بفتح الألف، أي: أظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري؛ ساربٌ، لأنه صار في السرَب مستخفياً.

⁽۱) ابن جرير الطبري ۱۰۸/۱۳ وفي سنده الحسن بن الحسين العوفي الكوفي، قال أبو حاتم: لم يكن بصدوق عندهم، وقال ابن عدى: لا يشبه حديثه حديث الثقات، وقال ابن حبان: يأتي عن الأثبات بالملزقات، ويروي المقلوبات. وقد ساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته، وعده من منكراته، ثم قال: رواه ابن جرير في القصيره، عن أحمد بن يحيى عن الحسن عن معاذ، ومعاذ نكرة فلمل الأفة منه، وقال في ترجمة معاذ بن مسلم: مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل سقناه في الحسن بن الحسين. وذكره ابن كثير ۴/ ٥٠٢ من رواية ابن جرير وقال: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.

⁽٢) البيت من قصيدة في «المفضليات» ٩٠ "٢، و«منتهى الطلب» ٢٩٥، و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٧٢٨، و«اللسان»: سرب. للأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو قارس العصا، والعصا فرسه، وهو شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر. وقوله: فهو سارب، أي: توجه للمرعى، يريد أن الناس أقاموا في موضع لا يجترئون على النقلة إلى غيره، ونحن أعزاه نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعنا.

﴿لَمُ مُمَتَّئِتُ مِنَ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلَفِهِ يَمْفَظُونَمُ مِنْ أَمْرٍ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُفَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُفَيِّرُواْ مَا يَأْنَشِيمُ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ يِقَوْمٍ شَوَّا فَلَا مَرَدَّ لَمُ وَمَا لَهُد مِن دُونِهِ مِن وَالِي ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ مُعَيِّبَتُ ﴾ في هاء اله، أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: إلى الملِك من ملوك الدنيا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: إلى الإنسان، قاله الزجاج. والرابع: إلى الله تعالى، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقى. وفي المعقّبات قولان: أحدهما: أنها الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والحسن، وقتادة في آخرين. قال الزجاج: والمعنى: للإِنسان ملائكة يعتقبون، يأتي بعضهم بعَقِب بعض. وقال أكثر المفسرين: هم الحَفَظَة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر^(١). وقال قوم، منهم ابن زيد: هذه الآية خاصة في رسول الله ﷺ، عزم عامر بن الطُّفَيْل وأربد بن قيس على قتله، فمنعه الله منهما، وأنزل هذه الآية. والقول الثاني: أن المعقِّبات حُرَّاس المعلوك الذين يتعاقبون الحَرْس، وهذا مروي عن ابن عباس، وعكرمة. وقال الضحّاك: هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى. وفي قوله: ﴿يَمْنَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبعة أقوال: أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون، هذا على قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله. والثاني: أن المعنى: حِفْظُهم له من أمر الله، قاله ابن عباس، وابن جُبير، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به. والثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام (مِنْ)، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. والرابع: يحفظونه من الجن، قاله مجاهد، والنخعي. وقال كعب: لولا أن الله تعالى وكُل بكم ملائكة يَذُبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعَوْرَاتِكم، إِذَا لتخطُّفَتْكم الجن. وقال مجاهد: ما من عَبْدٍ إِلا ومَلَكٌ موكَّل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوامّ، فإذا أراده شيء، قال: وراءك وراءك، إلا شيء قد قضى له أن يصيبه. وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى على ﷺ، فقال: احترس، فإن ناساً من مُراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل مَلكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّة حصينة. والخامس: أن في الكلام تقديماً وتأخيرًا، والمعنى: له معقّبات من أمر الله يجفظونه، قاله أبو صالح، والفراء. والسادس: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يُسْلِموه إلى ما قدِّر له، ذكره أبو سليمان الدمشقى، واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يحفظونه من أمر الله، حتى إذا جاء القُدَر خلّوا عنه. وقال عكرمة: يحفظونه لأمر الله. والسابع: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جُربِج. قال الأخفش: وإنما أنَّث المعقِّبات لكثرة ذلك منها، نحو النسَّابة، والعلَّامة، ثم ذكَّر في قوله: اليحفظونه الأن المعنى مذكّر.

قوله تعالى: ﴿ إِنَ اللَّهَ لَا يُتَوِّرُ مَا يِقَوْمِ ﴾ أي: لا يسلبهم نِعَمَهُ ﴿ مَنَّ يُنَيِّرُواْ مَا بِأَنشُومٍ ۗ فيعملوا بمعاصيه. قال مقاتل: ويعنى بذلك كفار مكة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذًا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمِ سُوَّءًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: البلاء.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَمُ ﴾ أي: لا يردُّه شيء ولا تنفعه المعقّبات. ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِدِ ﴾ يعني: من دون الله ﴿ مِن وَالِهِ ﴾ أي: من وليّ يدفع عنهم العذاب والبلاء.

﴿ مُو الَّذِي بُرِيكُمُ ٱلْذَفَ خَوْمًا وَلَمْمَا وَيُشِيعُ السَّمَاكِ النِّفَالَ ﴿

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْفَ خَوْتُنَا وَطَمَكًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم،

⁽۱) روى البخاري ۲۸/۲ ومسلم ٤٣٩/١ عن أبي هريرة في أن وسول الله في قال: فيتماقبون قيكم، ملاكة بالليل وملاكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة القجر وصلاة المصر، ثم يعرج اللين باتوا فيكم فيسالهم وبهم وهو أعلم يهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، تما للمبدء ملائكة يصلون، قال ابن كثير ٢/٣/٥ أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب السيات، وملكان آخران يحفظانه يحرسانه، واحد من ورائه، وآخر من قدامه. فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقَّته والمقيم يرجو منفعته. والثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: خوفاً للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج. والرابع: خوفا من العقاب وطمعاً في الثواب، ذكره الماوردي. وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول: إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ السَّمَابُ النِّقَالَ ﴾ أي: ويخلق السحاب الثقال بالماء. قال الفراء: السحاب، وإن كان لفظه واحداً، فإنه جمع واحدته سحابة، جُعل نعته على الجمع، كما قال: ﴿ مُتَّكِكِينَ عَلَى رَفْرَهِ خُفْرِ وَعَبَقْرِيَ حِسَانِ ۞ ﴾ [الرحن: ٢٧] ولم يقل: أخضرً، ولا حسن.

﴿وَيُسَتِعُ ٱلرَّقَدُ بِحَمَّدِهِ. وَالْمَلَتِكَةُ بِنَ خِفَتِهِ. وَيُرْسِلُ ٱلفَّكَوْعِقَ فَيْصِيبُ بِهَا مَن يَشَآهُ وَهُمْ بُجُكِيلُوكَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَكِيدُ الْيَحَالِ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُسَيِّعُ ٱلرَّعَدُ عِحَدُوهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم الملَك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيح، قاله مقاتل. والثاني: أنه الصوت المسموع. وإنما تحص الرعد بالتسبيح، لأنه من أعظم الأصوات. قال ابن الأنباري: وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمَّني كلامك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَتِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله هن، وهو الأظهر، قال ابن عباس: يخافون الله، وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم مَنْ على يمينه ومَنْ على يساره، ولا يَشْغَله عن عبادة الله شيء. والثاني: أنها ترجع إلى الرعد، ذكره المارودي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ السَّوْعِقُ فَيُعِيثِ بِهِكَا مَن يَثَلَهُ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أربد بن قيس، وعامر بن الطفيل، أتيا إلى رسول الله على يريدان الفتك به، فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت»، فأما أربد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته، وأما عامر فأصابته غُدة فهلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا قول الأكثرين، منهم ابن جريج (۱۱)، وأربد هو أخو لبيد بن ربية لأمه. والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله على فقال: حدّثني يا محمد عن إلّهك، أياقوت هو؟ أذهب هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية، قاله علي على (۱۲). قال مجاهد: وكان يهودياً. وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله على إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى، فقال للرسول: وما الله، أمِن ذهب هو، أم مِن فضة، أم مِن نحاس؟ فرجع إلى النبي على فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع، فأعاد عليه الكلام، إلى أن رجع إليه ثالثة، فبينما هما يتراجعان الكلام، إذ بعث الله سحابة حيال رأسه، فرعدت ووقعت منها صاعقة فلهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية (۱۰). والثالث: أنها في رجل أنكر القرآن وكذّب رسول الله عليه فأرسل الله عليه بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية (۱۰). قاله قتادة (۱۰).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَدِرُونَ فِي اللهِ فَيه قولان: أحدهما: يكذُّبون بعظَمة الله، قاله ابن عباس. والثاني: يخاصِمون في الله، حيث قال قائلهم: أهو من ذهب، أم من فضة؟ على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: ﴿ وَهُو شَدِيدُ ٱلْمَالِ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: شديد الأخذ، قاله على عليه والثاني: شديد المكر،

⁽۱) • الطبري، ١٢٦/١٣ بنحوه، عن ابن جريج، والواحدي في «أسباب النزول» ١٥٧، ١٥٧ عن ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٤/٢/، وزاد نسبته لأبي الشيخ عن ابن جريج، وذكره ابن كثير ٢/٥٠١ من رواية الطبراني مطولاً بنحوه، وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك.

⁽۲) «الطبري» ۱۳/ ۲۵

إلطبري؟ ١٣٥/١٣، والواحدي في «أسباب النزول» ١٥٦، وفي سنده علي بن أبي سارة الشيبائي، قال أبو داود: تركوا حديثه، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: ضعيف، وذكره الهيشي في «المجمع» ١/ ٤٤، وقال: رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار رجال السراة وهو ضعيف.

⁽٤) ﴿ الطبري، ١٢٦/١٣، وأورده السيوطي في ﴿ الدر، ٤/ ٥٢ وزاد نسبته للخرائطي.

شديد العداوة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية عنه: شديد الانتقام. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والنكال، وأنشد للأعشى:

فَرْعُ نَبْعِ بِهِ تَرُّ فِي غُصُن المج له، غزيرُ النَّدى، شديدُ المِحال إِن يُسعاقِب يكُن غَراماً وإِن يُع لل عَلَي للهُ فَإِنَّهُ لا يُسبالي (١)

وقال ابن قتيبة: شديد المكر واليد، وأصل المحال: الحيلة. والرابع: شديد القوَّة، قاله مجاهد. قال الزجاج: يقال: ما حلتُه مِحالاً: إِذا قاويته حتى تبيَّن له أيكما الأشد، والمَحَل في اللغة: الشدة. والخامس: شديد الحقد، قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسنداً من طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري، والنقاش، ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول مُنكرٌ عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفةً من صفات الله ﷺ. والذي اختاره في هذا ما قاله عليّ ﷺ: شديد الأخذ، يعني: أنه إِذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته.

﴿لَمُ مَعْوَةُ لَلْمَيُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُر بِنَيْءٍ إِلَّا كَبْنَيطِ كَنَّتِهِ إِلَى الْلَمَاءِ لِبَتْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغِدٍ. وَمَا دُعَاهُ الْكَفِينَ إِلَّا فِي

قوله تعالى: ﴿ لَهُ رَعْرُهُ لَلَيُّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قاله علي، وابن عباس، والجمهور، فالمعنى: له من خَلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق، لاختلاف اللفظين. والثاني: أن الله ﷺ هو الحق، فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ يعني: الأصنام يدعونها آلهة. قال أبو عبيدة: المعنى: والذين يدعون غيره من دونه .

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَجِبُونَ لَهُم ﴾ أي: لا يجيبونهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبْسِيلِ كَلَّتِهِ إِلَى آلْمَايَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه العطشان يمدُّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه، قاله على ﷺ، وعطاء. والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كنَّيه في الماء وهو لا يرفعهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، قاله مجاهد. والخامس: أنه الباسط كفَّيه ليقبض على الماء حتى يؤدِّيه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء، وأنشدوا:

> وإنِّسي وإبَّساكــم وشَــوْقــاً إلــيــــكُـــمُ أي: لم تحمله، والوَسْق: الحِمْلُ، وقال آخر:

> فأصبحت مماكان بَيْنى وبَيْنَها

هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

كمقابضٍ ماءٍ لم تَسِفْهُ أنسامِكُهُ(٢)

مِنَ الوُدُّ مِثْلُ القَابِضِ الِماءَ بِالبَدِ^(٣)

قوله تعالى: ﴿ رَمَا دُمَّاهُ ٱلكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: وما دعاء الكافرين ربَّهم إلا في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنامُ إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

فسرع فسرع يسهستسز فسي غسمسن السمسجب وفسر ذلك معمر بن المثنى، وزعم أنه عنى به: العقوبة والمكر والنكال.

⁽١) • ديوانه؛ ٧، ٩، وهمجاز القرآن؛ ١/٣٢٥، والسمط؛ ٩٠٧، و«القرطبي؛ ٢٩٩/٩، واللسان؛ والتاج؛ محل. وقال ابن جرير بعد أن أورد البيت الأول: هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حُدثت عن على بن المغيرة عنه، وأما الرواة بعد فإنهم ينشدون:

⁽۲) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي، «الطبري» ۱۲۹/۱۳، و«مجاز القرآن» ۱۳۲۷، و«اللسان»: وسق، و الخزانة» ۱/۸۰.

 ⁽٣) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٢٩/١٣، و«مجاز القرآن» ١/٣٢٧، و«القرطبي» ٩/ ٣٠٠.

﴿ وَلِنَّهِ يَسْمُدُ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكُومًا وَظِلَائُهُمْ بِٱلْمُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۗ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَوْتِ﴾ أي: من الملائكة، ومَن في الأرض من المؤمنين ﴿طَوْعَا وَكَرْهَا﴾. وفي معنى سجود الساجدين كرهاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود مَنْ دخل في الإسلام بالسيف، قاله ابن زيد. والثاني: أنه سجود ظِلِّ الكافر، قاله مقاتل. والثالث: أن سجود الكاره تذلَّله وانقياده لما يريده الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر.

قوله تعالى: ﴿ وَظِلْلُهُم ﴾ أي: وتسجد ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً، وسجودُها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطُّول والقِصَر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الظُّل ما كان بالغُدّوات قبل انبساط الشمس، والفيءُ ما كان بعد انصراف الشمس، وإنما سُمِّي فيثاً، لأنه فاء، أي: رجع إلى الحال التي كان عليها قبل أن تنبسط الشمس، وما كان سوى ذلك فهو ظِلٌّ، نحو ظِلُّ الإِنسان، وظل الجدار، وظل الثوب، وظل الشجرة، قال حُمّيد بن

> فلا الظُّلُّ مِن بَرْد الضَّحي تَسْتَطِيعهُ وقال لبيد:

> بينما الظِّلُ ظَلِيلٌ مُونِتٌ وقال آخر:

ولا النفَىءُ من بَرْدِ النَّعَشِيُّ تَدُوقُ(١)

طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْه فاضْمَحَل (٢)

حَـنِـيْـنِـي إلـى أَظْـلالِـكُـنَّ طَـويـلُ(٣)

أيسا أثسكَاتِ السَقَاعِ مِسنَ بَسَطْسِ تُسوضِع وقيل: إِنْ الكافر يسجَّد لغير الله، وظلُّه يسجَّدُ لله. وقد شرحنا معنى الغُدُّقِ والأصال في [الأعراف: ٧].

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّنَكَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ ٱلْمَأْغَذَتُم تِن دُونِيهِ أَوْلِيَآهَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْشِيعْ نَنْمًا وَلَا صَرَّأْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَـٰل تَسْتَوِى الظُّلُمَتُ وَالثَّوْزُ أَمْ جَمَلُوا يَلَمِ شُرُكّاتًا خَلَقُوا كَغَلْقِدِ. نَشَكَبَهُ الْمَلَقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّي فَيْءو وَهُوَ ٱلْوَحِدُ ٱلْلَئِكُرُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ تُلِ اللَّهُ ﴾ إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحُجة بقوله: ﴿ قُلْ أَنْأَتُمُ نِن دُونِيهِ أُولِيّا ٓ ﴾ يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فكيف لغيرهم؟! ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلُ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ نَسْتَوِى ٱلظُّلُّمَٰتُ وَٱلنُّورَ ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تستوي» بالناء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "يستوي، بالياء. قال أبو على: التأنيث حسنٌ، لأنه فعلُ مؤنثٍ، والتذكير سائغ، لأنه تأنيث غير حقيقي. ويعني بالظلمات والنور: الشركَ والإِيمان. ﴿أَمْ جَمَلُوا بِنَّهِ شُرَّاتَهُ قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكُّروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئاً.

ق**وله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: قُل ذلك وبيِّنه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء، وقد ذكرنا في [يوسف: ٣٩] معنى الواحد القهّار.

﴿ لَذَلَ مِنَ ٱلسَّمَاةِ مَانَهُ مَسَالَتَ أَوْدِيَهُ ۚ بِقَدَرِهَا فَأَحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَيْدًا زَابِينًا وَمِمَّا يُويَدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْيَغَانَہ حِلْيَةٍ أَوْ مَنْيَعِ زَبَدٌ يَنْلُمُ كَذَلِك يَضْرِبُ اللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَطِلُّ فَآمًا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَكَّةً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَقَكُتُ فِي ٱلأَرْضُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ ٱلأَمْنَالَ 🕲 لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا

⁽١) قديوانه؛ ٤٠ وقاللسانه: فيأ.

اديوانه) ۱۸۱، وروايته نيه:

فسإذًا مُسا حُسفَسر السلِّسِلُ اصْسَمَسحَسلٌ طَسالَ قَسرْنُ السشَّسمُسس لَسمَّسا طَسلَسعَستُ

البيت لمجنون ليلي: «ديوانه؛ ٢٢١، وليعض الأعراب في «الزهرة» ٢٦٦، وليحيى بن أبي طالب في «الأمالي» ١٩٣/، وهمصارع العشاق، ١٩٤/، و﴿معجم البلدانِ؛ قرقري.

لِرَبِهِمُ الْمُسْنَةُ وَالَّذِينَ لَمُ بَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوَ أَنَّ لَهُمْ تَا فِي الْأَرْضِ جَبِيمًا وَيَثْلَمُ مَعَلُمُ لَاَفْتَدَوَا بِهِءَ أُولَتِكَ لَمُنْمُ سُوَّهُ الْحِسَابِ وَمَأْوَنَهُمْ جَمَامُ لَاَفْتَدَوَا بِهِءَ أُولَتِكَ لَمُنْمُ سُوَّهُ الْحِسَابِ وَمَأْوَنَهُمْ جَمَامُ وَيَشَلُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّنَآءِ مَاءَ﴾ يعني: المطر ﴿ نَسَالَتْ أَرْدِيَدُّ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرَج بين جبلبن يجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿ بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صَغُر الوادي، قلَّ الماء، وإن هو اتسع، كَثُر. وقرأ الحسن، وابن جبير، وأبو العالية، وأيوب، وابن يعمر، وأبو حاتم عن يعقوب: "بقَدْرِها» بإسكان الدال. وقوله: "فسالت أودية» توسُّع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحُذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدَرها» أي: بقدر مياهها. ﴿مَأَحْتَكُ السَّيْلُ زَيْدًا زَابِيّاً﴾ أي؛ عالياً فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله ﷺ. ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿وَهِمَا يُوقِدُونَ عَلَيْدِ فِي النَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «توقِدون عليه» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو على: من قرأ بالتاء، فَلِما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿أَفَاتَخَذَتُمُ ، ويجوز أَن يكون خطاباً عامّاً للكاقّة، ومن قرأ بالياء فلأنّ ذِكر الغَيبة قد تقدم في قوله: ﴿أم جعلوا لله شركاءٌ. ويعني بقوله: ﴿رَبَمَا يُوتِدُونَ عَلَيْهِ﴾ ما يدخل إلى النار فيُذاب من الجواهر ﴿آبَيْنَآ، حِلْيَةٍ﴾ يعنى: الذهب والفضة ﴿أَرُ مَتَىم﴾ يعنى: الحديد والصُّفْر والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُنتفع بها، ﴿زَبِّهٌ مِثَلِّمُ﴾ أي: له زَبَد إذا أذيب مثل زَبَد السَّيل، فهذا مثل آخر. وفيما ضُرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، شُبِّه نزوله من السماء بالماء، وشُبِّه قلوبُ العِباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكنّ فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شُكِّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبَد وكخبَث الحديد لا يُنتفع به. والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شُبِّه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبَّه بالزَّبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمَّحِق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيُّبطله. والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثَل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفّع به، ومثَل الكافر واعتقاده وعمله كالزبَد.

قوله تعالى: ﴿ كَثَالِكَ ﴾ أي: كما ذُكر هذا، يضرب الله مثل الحق والباطل، وقال أبو عبيدة: كذلك يمثّل الله الحق ويمثّل الباطل. فأما الجُفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال: أجفأتِ القِدرُ بزَبَدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجُفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجَفاء. وقال ابن الأنباري: ﴿ جُفاءٌ ﴾ أي: بالياً متفرقاً. قال ابن عباس: إذا مُسَّ الزَّبَد لم يكن شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا مَا يَنَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر التي زال زَبَدها ﴿ يَتَكُنُ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ فَيُنتفع به ﴿ كَثَالِكَ ﴾ يبقى الحق لأهله.

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ آستَبَابُوا لِرَبِيمُ عني: المؤمنين، ﴿ وَٱلْذِينَ لَمْ يَسْتَحِبُواْ لَهُ يعني: الكفار. قال أبو عبيدة: استجبت لك واستجبتك سواء، وهو بمعنى: أجبت. وفي الحُسنى ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَاَتْنَدُوْا يِهِ يُهُ أَي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء. والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يُتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

﴿ فَ أَشَنَ بَشَكُرُ أَنْكَا أُولِ إِلِنَكَ مِن زَيِّكَ ٱلْمُنَّ كُنَنْ هُوَ أَصَنَّ إِنَّا بَنَذَكُرُ أُولُوا الأَلْبَبِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَتَن بَسَدُ أَنْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِكَ ٱلْمَتَّ كَنَ هُو أَغَنَى ۚ قال ابن عباس: نزلت في حمزة، وأبي جهل. ﴿إِنَّا يَنَذَكُرُ ﴾ أي: إنما يتَّعظ ذوو العقول. و التذكُّر: الاتعاظ. ﴿ اَلَٰذِينَ يُونُونَ بِمَهْدِ اللّهِ وَلَا يَنْقُشُونَ الْمِينُقَ ۞ وَاللّذِينَ يَعِلُونَ مَا أَمْرَ اللّهُ بِدِهِ أَن يُوسَلَ وَيَغَشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَعَافُونَ سُوّةَ لَلْسَابِ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى هذا العهد قولان: أحدهما: أنه ما عاهدهم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم. وفي الذي أمر الله به، ﷺ أن يوصل، ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة [البقرة: ٢٧]، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفاً.

﴿ وَالَّذِينَ مَسَمُوا الْبِعَلَةَ وَبَهِ رَبِيمٍ وَأَفَامُوا العَبَلُوْةَ وَأَنفَقُوا مِنَا رَوْقَتَهُمْ مِنَا وَعَلَائِنَةً وَيَدَوَهُونَ بِالْمُسَنَةِ السَّيِّغَةَ أُولَئِهِكَ لَمُمْ عُفْقَى الدَّارِ ﴿ حَنْتُ عَنُونَ بَشَائُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَانَآبِيمْ وَأَنْوَجِهِمْ وَثُونِتَهِمْ وَالْسَلَتِكَةُ بَدَعْلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَمُ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرَتُمْ فَيْسَمُ عُفْقَى الدَّارِ الدَّارِ ۞﴾

قُوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ مَبَرُوا ﴾ أي: على ما أمروا به ﴿ آتِينَا ٓهُ رَبِّهِم ﴾ أي: طلباً لرضاه ﴿ وَأَنامُوا السَّمَلُوا ﴾ انمُوها ﴿وَأَنامُوا السَّمَانُوا السَّمَلُوا ﴾ انمُوها ﴿ وَأَنقُوا لِمَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُواللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿وَيَدَرُونَ ﴾ أي: يدفعون ﴿ إِلْمُسَنَةِ السَّبِّنَةَ ﴾. وفي المراد بهما خمسة أقوال: أحدها: يدفعون بالعمل الصالح الشرَّ من العمل، قاله ابن عباس. والثاني: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله سعيد بن جبير. والثالث: بالعفو الظلم، قاله جُوَيبر. والرابع: بالحلم السفة، كأنهم إذا سُفه عليهم حَلُموا، قاله ابن قتيبة. والمخامس: بالتوبة الذنب، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَكِكَ لَمُمْ عُفَّىَ الدَّارِ﴾ قال ابن عباس: يريد: عقباهم الجنة، أي: تصير الجنة آخر أمرهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَنَ سَلَحَ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿صَلَّحِ» بضم اللام. ومعنى «صلح»: آمن، وذلك أن الله تعالى ألحق بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقرَّ عينُه بهم. ﴿وَآلْمَلَتَهِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابِ﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحفة والهدايا.

قوله تعالى: ﴿ سَلَمُ عَلَكُمُ ﴾ قال الزجاج: أضمر القول هاهنا، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان: أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملك فيسلم وينصرف. قال ابن الأنباري: وفي قول المسلم: سلام عليكم، قولان: أحدهما: أن السلام: الله ﷺ، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم. والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة. والثاني: أن معناه: إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا، وفيما صبرا عليه خمسة أقوال: أحدها: أنه أمر الله، قاله سعيد بن جبير. والثاني: فضول الدنيا، قاله الحسن. والثالث: الدين. والرابع: الفقر، رويا عن أبي عمران الجَوني. والخامس: أنه فقد المحبوب، قاله ابن زيد.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنْفُشُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِينَقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا آمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَهُفَسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَتِكَ لَمُمُ ٱللَّفْذَةُ وَلَمُمْ شُوّهُ ٱلدَّادِ ﴿ وَاللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَل

قوله تعالى: ﴿ أُزَلَيِّكَ لَمُمُّ اللَّمْنَدُّ ﴾ أي: عليهم.

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن بَشَاتُهُ رَيْفُدِذُ وَفِرْحُوا بِٱلْمَيْوَةِ ٱلدُّنَّا وَمَا ٱلْمَيْنَةُ ٱلدُّنَّا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَشَعٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبُسُكُ ٱلزِّنْقَ لِمَن يَنَلَهُ﴾ أي: يوسِّع على من يشاء ﴿وَيَقَدِرُ﴾ أي: يضيِّق. ﴿وَوَرِحُواْ بِالْحَيْوَةِ ٱلدُّنِيَا﴾ قال ابن عباس: يريد مشركي مكة، فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغُوا وكذَّبوا الرسل.

قوله تعالى: ﴿رَمَا لَمُتِوَةُ الدُّنِيَا فِي اَلْآخِرَةِ﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إِلَّا مَتَنعُ﴾ أي: كالشيء الذي يُتمتع به، ثم يفني^(۱). ﴿رَبَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَاَ أَزِلَ عَلِيْهِ ءَايَةً مِّن رَبِّةً. قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُ مَن يَشَآةُ وَيَهْدِينَ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ مثل آيات الأنبياء. ﴿قُلُّ إِنَّ

⁽١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢٢٩/٤ عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع، وأشار إلى السبابة»، ورواء مسلم في «صحيحه» ٢١٩٣/٤.

اللهَ يُغِيْلُ مَن يَشَآهُ﴾ أي: يردُّه عن الهدى كما ردَّكم بعدما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء اللهُ رجوعه، فكأنه قال: ويهدي من يشاء.

﴿ الَّذِينَ ۚ مَامَوُا وَمَطْمَئِنُ مُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِنِكْرِ اللَّهِ تَطْمَعُنُ الْقُلُوبُ ۞ الَّذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِخَتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَنَابٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهُ عَلَى الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: في هذا الذُّكر قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِنِكِ مِ اللَّهِ ﴾ قال الزجاج: ﴿أَلا ﴾ حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: ﴿ وَحُسَّنُ مَنَابِ ﴾ المآب: المرجع والمنقلَب.

﴿ كَنَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أَمْتُو مَدْ خَلَتْ مِن قَلِهَمَا أُمَّمُّ لِتَمْلُؤاْ عَلَيْهِمُ الَذِى آوَجَيْنَاۤ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِالرَّحْنَيْ قُلْ هُوَ رَقِي لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ نَوَكُلْتُ وَإِلَيْهِ مَنَابٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كَنَاكِ أَرْسَلْنَكَ ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكُنُرُونَ بِالرَّمَنِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقبل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس (٣٠). والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب علي ﷺ: بسم الله الرحمن

١١ الطبري، ١٤٩/١٣، ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان من حديث دراج عن أبي الهيشم عن أبي سميد، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٩/٤ وزاذ نسبته لأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه».

٢) • الطبري، ١٤٧/١٣ من حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة. وذكره ابن كثير في «التفسير» ١٣/٢ه، وأورده السيوطي في «الدرة ٥٩/٤ وزاد نسبته
 لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن المتذر، وابن أبي حاتم.

⁽٣) ﴿أسباب النزول؛ للواحدي ١٥٧ بدون سند.

الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية (١)، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والثالث: أن رسول الله على كان يوماً في الحِجْر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولى مُذبراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إليهن! فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النسابوري.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّهِ مَنَابِ ﴾ قال أبو عبيدة: هو مصدر تُبت إليه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَ أُوَّ أَنَا سُيْرَتَ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: لو وسّعت لنا أودية مكة بالقرآن، وسيَّرت جبالها فاحترثناها، وأحييت من مات منا، فنزلت هذه الآية (٢)، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الزبير بن العوّام: قالت قريش لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسيِّر عنا هذه الجبال ويفجّر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلمهم، أو يصيّر هذه الصخرة ذهباً فتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآيَّرُنُ إلاسراء: ١٩٥]. ومعنى قوله: ﴿ وَمَا مَنْمَنَا أَن نُرْسِلُ إِلاَيْكِنَ إِلّا أَن صَلَفَى إِلاَيْرَنُ الإسراء: ١٩٥]. ومعنى قوله: ﴿ وَمَا مَنْمَنَا أَن نُرْسِلُ إِلاَيْرَبُ إِلاَ أَن صَلَفَى إِلاَيْنَ أَن أَن أَن أَرْسِلُ اللهواء اللهاء الله اللهواء اللهواء اللهاء اللهاء اللهاء اللهواء اللهاء اللهواء الل

قوله تعالى: ﴿ بَل بِلَهِ أَلاَثَرُ جَمِيدًا ﴾ أي: لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ، لم ينفع ما اقترحوا من الآيات. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ أَنْلَمْ يَأْيُسُ الَّذِيكَ ءَامَنُوا ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أفلم يتبيّن، رواه المَوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل. والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد. وقال ابن قيبة: ويقال: هي لغة للنَّخَع (٣) هيأس) بمعنى ليعلم، قال الشاعر:

وإنما وقع اليأس في مكان العِلم، لأن في علمك الشيء وتيقُّنك به يأسَك من غيره. والثالث: أن المعتى: قد يئس الذين آمنوا أن يَهدوا واحداً، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، قاله أبو العالية. والرابع: أفلم يبأس الذين آمنوا أن يُومن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي. وقال الزجاج: المعنى عندي: أفلم يبأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدَهما: أنهم جميع الكفار، قاله ابن السائب. والثاني: كفار مكة، قاله مقاتل. فأما القارعة، فقال الزجاج: هي في اللغة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها عذاب من السماء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: السرايا والطلائع التي كان يُنفِذها

⁽١) ﴿ أَسْبَابِ النَّرُولَ اللَّوَاحَدِي ١٥٧ بِدُونَ سَنَدَ. وَانْظُرُ ابْنُ كَثِيرٌ ٢/ ٥١٥.

⁽٢) والطبري؛ ١٥١/١٣ وسندًه ضعيف، وأوده ابن كثير ١٥/٥١٥ من زواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشر بن عمارة، وعطية العوفي، وهما ضعيفان.

 ⁽٣) قال الطبري ١٥٣/١٣: وذُكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحيّ من النخع يقال لهم: وَهْبيل.

⁽٤) البيت لسحيم بن وثيل أليربوعي في «الطبري» ١٥٣/١٣، و«مجاز القرآن» ١/٣٣٢، و«القرطبي» ٢٠٠٩، و«اللسان». و«التاج»: يئس، و«شواهد الكشاف» ٢٦٨، وانظر الاختلاف في عزو البيت في «اللسان»، و«التاج»: يئس. وزهدم: فرس لعوف جد سحيم.

رسول الله ﷺ، قاله عكرمة. وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا بِن دَاهِمْ ﴾ قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، فالمعنى: أو تَحُلُّ أنت يا محمد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها القارعة، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِي وَعَدُ اللَّهُ ﴾ قولان: أحدهما: فتح مكة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القيامة، قاله الحسن.

﴿ أَنْمَنْ هُوَ فَآيِدٌ عَلَى كُلِي نَفْسِ بِمَا كَسَبَتُ وَجَمَلُواْ يَقِو شُرُكَآة قُلْ سَتُوهُمُّ أَمْ تُتَتِعُونَهُ بِمَا لَا يَتَلَمُ فِى ٱلأَرْضِ أَم يِظَنهِمٍ مِنَ الفَوْلِ بَلْ زُيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمُ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَا لَهُ مِنْ هَاو

قوله تعالى: ﴿أَنْتَنَّ هُوَ فَآيِدُ عَلَى كُلِ نَسِّ بِمَا كَسَبَتُ عَنِي: نفسه عَلَى. ومعنى القيام هاهنا: التولِّي الأمور خلقه، والتدبير الأرزقهم وآجالهم، وإحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أفمن هو مجازي كلّ نفس بما كسبت، يثيبها إذا أحسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فتُرك جوابه، الأن المعنى معلوم، وقد بيّنه بعد هذا بقوله: ﴿وَبَعَمُوا بِنَو شُرُكامًا عُلَى كأنه قيل: كشركائهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمُّ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافةِ الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يُسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيني، والمميت، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكذبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنْبَعُونَهُمْ بِمَا لَا يَمْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمَّوهم بصفات الله، فقل لهم: أتنبئونه، أي: أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكاً، ولو كان لَعَلِمَه؟

قوله تعالى: ﴿أَمْ بِظَنَهِرٍ مِّنَ ٱلتَوَلِّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله تتادة. والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَنَرُوا مَكُومُمْ ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر.

قوله تعالى: ﴿ وَمُسُدُّوا عَنِ النَّبِيلِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "وَصَدُّوا" بفتح الصاد، ومثله في: "حم المؤمن" [غافر: ٢٧]. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "وصُدُّوا" بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صَدُّوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد صدهم الله عن سبيل الهدى.

﴿ لَمُنْمُ مَذَاتٌ فِي الْمُنِوْةِ الدُّنِّيِّ أَوْلَمَذَاتُ الْآخِرَةِ أَشَقٌّ وَمَا لَمُتم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاتِ ﴿ ٢٠٠٠

قوله تعالى: ﴿ لَمُمْ مَدَاثُ فِي لَلْمَزَةِ الدُّنِيَّا﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفَّارة، ﴿ وَلَمَدَاثُ الْآيِخِرَةِ أَسَقًىٰ ﴾ أي: أشد ﴿ وَمَا لَمْم مِنَ القَو مِن وَاتِ ﴾ أي: مانع يقيهم عذابه.

﴿ اللَّهُ مَنَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلِّنِي مُعِدَ ٱلْمُنَقُونَ تَبَرِى مِن قَعْهَا ٱلْأَنْبَرُّ أَكُلُهَا دَآبِدٌ وَطِلْهَأَ بِلَكَ عُقِيَ اللَّهِينَ ٱلْفَاتِينَ الْكَلِيهِينَ الْمُؤْمِنُ أَنْفُولُ وَعُفْقَى اللَّهِيمِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهَا عَلَيْهِ عَلَيْهَا أَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَالْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْه

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول الجمهور. وقال ثعلب: خبر المثّل مُضمّر قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مَثَل الجنة، وفيما نقصُّه عليكم خبر الجنة ﴿أَكُلُهَا دَآيِرٌ﴾ قال الحسن: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿رَيْلُهَا ﴾ لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس.

قوله تعالى: ﴿ يِلْكَ عُقْبَى الَّذِيكَ اتَّقَوَّا ﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها.

﴿ وَالَّذِينَ مَانَيْنَهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنِلَ إِلَيْكُ وَمِنَ ٱلْأَخْرَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَةً مُلْ إِنَمَا أُنِرَتُ أَنْ أَعْبَدُ ٱللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ عَلَى اللَّهُ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ عَلَى اللَّهُ وَلَا أَشْرِكَ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكُ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكُ اللَّهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَشْرِكُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا أَنْهُ إِلَيْكُ أَنْهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا أَنْهُ إِلَيْكُ أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ إِلَيْكُ أَنْهُ وَلَا أَنْهُ إِلَيْكُ أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَّا أُنْهِ إِلَّا أَنْهُ وَلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ وَلَا أَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا أَنْهُ وَاللَّهُ لِي إِلَّا أَنْهُ أَنْهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَيْهُ لِللَّهُ لَا أَنْهُ أَنْهُ إِلَّهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَيْهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَّهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَّهُ إِلَّا أُنْهُ إِلَّا أَلَّالِكُ أَلَّهُ إِلَّا أُلَّالِكُولِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ مَانَيْنَهُمُ الكِتَبَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها:أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله على. قاله قتادة. والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدَّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدَّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قِلَّة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذِكره في التوراة، فلما نزل ذِكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية. فأما

الأحزاب، فهم الكفار الذين تحرَّبوا على رسول الله على بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد. والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العرِّى، قاله مقاتل. والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي. وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذِكر الرحمن والبعث ومحمد على قاله مقاتل. والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوَّته. والثالث: أنهم عرفوا صِدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

﴿وَكَلَئِكَ أَنزَلَنَهُ حُكَّمًا عَرَبِيًّا وَلَهِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْمِلْدِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَافِ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَنَالِكَ أَنَرَانَهُ ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم، أنزلنا عليك القرآن ﴿حُكُمًا عَرَبِيّاً ﴾ قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض. وقال أبو عبيدة: ديناً عربيّاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَهِنِ انْبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ فيه قولان: أحدهما: في صلاتك إلى بيت المقدس: ﴿بَسْدِ مَا جَاءَكَ مِكَ الْمِلْمِ ﴾ أن قبلتك الكعبة، قاله ابن السائب. والثاني: في قبول ما دعوك إليه من مِلَّة آبائك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيِّ﴾ أي: ما لك من عذاب الله من قريب ينفعك ﴿وَلَا وَانِـ﴾ يقيك.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ وَبَحَمَلْنَا لَهُمُ أَزْوَجًا وَذُرْتِيَةً وَمَا كَانَ لِيَسُولِ أَن يَأْنِنَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّي أَجَلٍ كِنَابٌ ۖ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ أَرْسَلُنَا رُسُلًا مِن قَبِلِكَ . . ﴾ الآية، سبب نزولها أن اليهود عيَّروا رسول الله ﷺ بكثرة التزويج، وقالوا: لو كان نبياً كما يزعم، شغلته النبوَّة عن تزويج النساء، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: أن الرسل قبلك كانوا بشراً لهم أزواج، يعني النساء، وذريَّة، يعني: الأولاد. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِنَ بِنَايَةٍ إِلَّا إِذْنِ ٱللَّهِ أَي: بأمره، وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات.

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلِ كِنَابُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لكل أجل من آجال الحُلق كتاب عند الله، قاله الحسن. والثاني: أنه من المقدّم والمؤخّر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، قاله الضحاك والفراء. والثالث: لكل أجل قدّره الله عَلَى ولكل أمر قضاه، كتاب أثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَثَلَهُ وَيُثْمِثُّ وَعِندُهُۥ أَمُّ الْكِتَبِ ﴿

قوله تعالى: ﴿يَمُحُوا الله مَا يَشَاهُ وَرُمُيْتُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: اويثبت الماعنى: ويثبته، فاستغنى بتعدية وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: (ويثبته مشددة الباء مفتوحة الثاء. قال أبو على: المعنى: ويثبته، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني. واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال: أحدها: أنه عامّ، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي واثل، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتية: (يمحو الله ما يشاء) أي: ينسخ من القرآن ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في (صحيحه) من الموكّل: أذكر أم أنشى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، المموكّل: أذكر أم أنشى؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجئ أجله، فيثبت من لم يجئ أجله، ويثبت من لم يجئ أجله، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيّران، قاله مجاهد. والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجئ أجله، قاله الحسن. والسادس: ومحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا ينفرها، روي عن سعيد بن جبير.

⁽١) مسلم ٢٠٣٧/٤ ورواية المصف هنا بالمعنى.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة. والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كلَّه يُكتَب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويُثبت ما فيه الثواب والعقاب^(۱).

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ أُمُ ٱلْكِتَبِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث (). وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِن الله تعالى في ثلاث ساعات يبقّين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أمَّ الكتاب لا يغيَّر منه شيء.

﴿ وَإِن مَّا ۚ زُيۡنَكَ بَمْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقِّيَنَكَ فَإِنَّنَا عَلَيْكَ ۚ ٱلْبَلَنُعُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۖ ﴿ وَإِن مَّا أَرْبَانَكُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نُرِيَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَوْدُمُمُ أَي: من العذاب وأنت حيَّ ﴿أَوْ نَنُوْتَنَكَ﴾ قبل أن نريَك ذلك، فليس عليك إِلا أن تبلّغ، ﴿رَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قال مقاتل: يعني الجزاء. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وَإِنَّا عَلِيْكَ الْبَلُنُهُ﴾ نُسخ بآية السيف وفرض الجهاد، وبه قال قتادة.

﴿ أَوْلَمْ بَرُواْ أَنَا نَأْقِى ٱلْأَرْضَ نَنْفُهُم مِنْ ٱلْمَرَافِهَا وَاللَّهُ يَعْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِمُكْفِيدٍ. وَهُوَ سَكِيبُعُ الْحِسَابِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرُواْ أَنَا نَأَقِى اَلْأَرْضَ نَتُسُهَا مِنْ أَطْرَافِهاً ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. قال مقاتل: «أولم يروا» يعني: كفار مكة «أنا نأتي الأرض» يعني: أرض مكة «ننقصها من أطرافها» يعني: ما حولها. والثاني: أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أنه نقص أهلها وبركتها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال الشعبي: نقص الأنفس والشمرات. والرابع: أنه ذهاب فقهائها وخيار أهلها، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أنه موت أهلها، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة (١٤).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعَكُمُ لَا مُعَيِّبَ لِمُكْمِوْ ﴾ قال ابن قتيبة: لا يتعقَّبه أحد بتغيير ولا نقص. وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة [البقرة: ٢٠٠].

. ﴿وَقَدْ مَكُرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكُرُ جَمِيعًا ۚ يَعَلَمُ مَا تَكْمِيثُ كُلُّ نَشِقُ وَسَيَعَلَمُ الكَّكُثُرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَدْ مَكَرُ الَّذِينَ مِن نَبِلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم، كما مكرت قريش برسول الله ﷺ ليقتلوه. ﴿وَلِللَّهِ ٱلْمَكُرُ جَمِيمًا ﴾ يعين: أن مَكر الماكرين مخلوق له، ولا يضرُّ إلا بإرادته؛ وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتسكين له. ﴿وَسِيعلم الكافر﴾ من خير وشر، ولا يقع ضرر إلا بإذنه. ﴿وسيعلم الكافر﴾

⁽١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٧٠/١٣: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية، وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن، ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وتهددهم بها، وقال لهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولِ أَن يَأْتِكَ وَمَا يَكُن لِمَوْلِ أَن يَأْتِك وَكَا عَلَى اللهمان وَهِم أَجلاً مثبتاً في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو حان هلاك، أو اتضاعه من رفعة، أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بنى أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري ۱۷۱/۱۳: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره، أخبر أنه يمحو
 ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَيَعْدَدُهُ أُمُّ ٱلصَحَتَٰعِ﴾ فكان بيناً أن معناه: وعنده أصل المثبت منه والممحو، وجملته في كتاب لديه.

٣) «الطبري» ١٧٠/١٣ وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٦٥ وزاد نسبته لابن
 أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري ١٧٤/١٣: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿أَوْلَمْ بَرْوَا أَنَا نَاتِي ٱلْأَرْضَ يَنْشُهُم بِنَ أَلْمَزَوْبَهُا﴾ بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَا نُرِيَتُكَ بَشِمَ ٱلْذِي نَبِدُهُم أَرْ تَرْفَقْتُكَ فَإِنَّا مَلِيَكُ مَلْكَ اللهِ عَلَيْكَ اللهِ عَلَيْكَ اللهِ عَلَيْكَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ على اللهُ اللهِ على اللهِ اللهِ على اللهُ يصلون من قبل إللهُ عليها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وسيعلم الكافر». قال ابن عباس: يعني: أبا جهل. وقال الزجاج: الكافر هاهنا: اسم جنس. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي؛ «الكفار» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿ لِمَنْ عُقِّيَ ٱلدَّارِ﴾ أي: لمن الجنة آخر الأمر.

﴿ وَيَغُولُ ٱلَّذِيرَ كَفَرُوا لَسْتُ مُرْسَلًا قُلْ كَنَن بِاللَّهِ شَهِينًا بَيْنِ وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِنْبِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ رَبُوْلُ الَّذِينَ كَثَرُا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. والثاني: كفار قريش. ﴿ قُلَ كَنَى بِاللَّوِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً ﴿ بَيْنِ رَبِيَنَكُمُ بِمَا أَظْهِر مِن الآيات، وأبان من الدلالات على نبوّتي.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندُمُ عِنْمُ ٱلْكِتْبِ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومُقاتل. والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي ﴿ وتميم الداريّ، قاله قتادة. والوابع: أنه جبريل على قاله ابن الحنفية. والمخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية. والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر. والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجهد، واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ: ﴿ وَمِنْ عِندِه عُلِمَ الكتابُ ويه قراءة ابن السّميفع، وابن أبي عبلة، ومجاهد، وأبي حيوة. ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي: ﴿ ومِنْ الميم (عليه الميم (عنده الدال ﴿ عُلِمُ المعم وكسر اللام وفتح الميم (الكتابُ المناوفع، وقرأ الحسن ﴿ ومِنْ الميم (عنده الميم (عنده الدال ﴿ عِلْمُ المعين وضمُ الميم (الكتاب المضاف، كأنه الله أنزل مِن عِلم الله عَلَى المنه الله الله عَلْ المناو المنه المناو المناو المناو المنه الدال ﴿ عَلْمُ المنه المناو المناو المناو المناو المناو المناو المناو الدال ﴿ عَلْمُ المناو ا



سورة إبراهيم [عليه السلام]

وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم، إلا ما روي عن ابن عباس، وقتادة أنهما قالا: سوى آبتين منها، وهما^(١) قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اَلَذِينَ بَذَلُواْ نِشْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ والتي بعدها [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

بنسدالة الكني التصيد

﴿الَّهُ كِتَبُّ أَنْرَلْنَهُ إِلَيْكَ لِنُمْجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمُنتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَطِ ٱلْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللللللَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَدْ سَبِقَ بِيانَه آيُونَسَ: ١]. وقوله: ﴿ كِنَتُ ﴾ قال الزجاج: المعنى: هذا كتاب، والكتاب: القرآن. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: أن الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، رواه المعوفي عن ابن عباس. والثاني: أن الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أن الظلمات: الشكُ، والنور: اليقين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿ بِإِذِنِ رَبِّهِمَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمر ربهم، قاله مقاتل. والثاني: بتوفيق ربهم، قاله أبو سليمان. والثالث: أنه الإِذن نفسه، فالمعنى: بما أذِن لك من تعليمهم، قاله الزجاج، قال ثم بيَّن ما النُّور، فقال: ﴿ إِنَ صِرَطِ ٱلْمَرْبِرِ ٱلْمَبِيدِ ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا مِثْل قول العرب: جلست إلى العاقل الفاضل، وإنما تُعاد فإلى بمعنى التعظيم للأمر، قال الشاعر:

فَنَادَيْتُ لَبْنَى بِاسْمِهَا وَدَصَوْتُ(٢) لَالْفَيْتُها مِن حُبِّها وقضيتُ

إِذَا خَدِدَتُ رِجُدِي تَدَدَّكُوتُ مَدِنُ لَهَا وَالْ نَدُوتِي تُدِيعُنِي .

فأعاد الدعوت؛ لتفخيم الأمر.

قوله تعالى: ﴿اللَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنيَا﴾ أي: يؤثرونها ﴿عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذون ما تعجُّل لهم منها تهاؤنًا بأمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في دِينه، ﴿ رَبَّنُوبًا عِوبًا ﴾ قد شرحناه في الله عدان: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿ أُزَلَتِكَ فِي صَلَالِ ﴾ أي: في ذهاب عن الحق ﴿ بَمِيدٍ ﴾ من الصواب.

⁽١) في الأصل: وهي.

 ⁽٢) البيتان لقيس لبني: (ديوانه ٦٩) و(الأغاني) ١٩٣/٩، وتزيين (الأسواق ٨٨).

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِـلِسَانِ قَوْمِهِ.﴾ أي: بلُغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة عند العرب: الكلام المنطوق به، وهو مأخوذ من قولهم: لَغا الطائر يَلْغُو: إِذَا صَوَّت في الغَلَس. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجحدري: ﴿ إِلَّا بِلُسُنِ قومه﴾ برفع اللام والسين من غير ألف. وقرأ أبو الجزاء، وأبو عمران: ﴿ بِلِسْنِ قومه﴾ بكسر اللام وسكون السين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿ لِيُمَرِِّكَ لَمُمَّ ﴾ أي: الذي أُرسل به فيفهمونه عنه. وهذا نزل، لأن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلِّها أعجمية، وهذا عربي!.

قوله تعالى: ﴿أَنَ أَخْرِجٌ قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: ﴿أَنَ مَفَسِّر، والمعنى قلنا له: أخرج قومك. وقد سبق بيان الظلمات والنور [البقرة: ٢٥٧]. وفي قوله: ﴿ وَيَكِرِّهُم بِأَيَّتِم اللَّهِ ثَلاثة أقوال: أحدها: أنها نِعَمُ الله، رواه أُبيُّ بن كعب عن النبي ﷺ (١)، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن قتيبة. والثاني: أنها وقائع الله في الأمم قبلهم، قاله ابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها أيام نِعَم الله عليهم وأيام نِقَمِهِ ممن كَفر من قوم نوح وعاد وثمود، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ إِنَ فِي ذَلِكَ ﴾ يعني: التذكير: ﴿ لَآيَكِ لِكُلِّ صَبَّالِ ﴾ على طاعة الله وعن معصيته: ﴿ شَكُولِ ﴾ لأنعُمه. والصبَّار: الكثير الصَّكور: الكثير الشُّكو، وإِنما خص بالآيات، لانتفاعه بها. وما بعد هذا مشروح في سورة [البقرة: ٤٩].

قولُه تُعالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَٰكَ رَبُكُمْ ﴾ مُذَكُورٌ فَي آالاعراف: ١٦٧]. وَفَي قولُه: ﴿ وَإِن شَكَرْتُرُ لَأَزِيدُ لَكُمْ ۗ للاثة أقوال: أحدها: لئن شكرتم نِعَمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن. والثاني: لئن شركتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. والثالث: لئن وحَدتنموني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿ وَلَهِن كَنْ مُنْ عَالَهُ مَا لَانَعَا، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿ وَلَهِن كَنْ مُنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مِلَّا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللللّهُ مَا اللّهُ مَا أَلّهُ مَا أَلْمُلْعُلّمُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللللّهُ م

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَ اللَّهَ لَنَيْءٌ حَبِيدٌ﴾ أي: غني عن خَلْقه، محمود في أفعاله، لأنه إِمَّا متفضَّل بفعله، أو عادل.

قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَلَمُهُمْ إِلَا اللَّهُ ۚ قال ابن الأنباري: أي: لا يحصي عددهم إلا هو، على أن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفَت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله.

يعنى: أنهم يغيظون الحسود حتى يَمَضَّ على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

 ⁽۱) «الطبري» ۱۸۴/۱۳» و«المسند» (۱۲۱/» وذكره ابن كثير من رواية أحمد ۲/۳۲، ثم قال: ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان به، ورواه عبد الله ابنه أيضاً موقوفاً، وهو أشبه. وذكره السيوطي في «الدر» ٤/٧، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهن في «شعب الإيمان».

 ⁽۲) ذكره ابن قتية غير منسوب في «المعاني الكبير» ۸۳٤، و (غريب القرآن» ۲۳۰، وشرحه بقوله: ايعني أصابع يديه العشر يعضها غيظاً عليهم وحنقاً، وفي
 انفسير القرطبي، ۲۶۲/۹:

تسردون فسي فسيب غسش السحسسو دحستسي يسعسف عسلسيّ الأكسفسا

قَدَ أَفُدنَ عَلَيَّ الوَظِيمَا(١) قَدَ أَوْمُهُ فَأَوْمُهُ فَأَصْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيمَا(١)

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأضحى يعضُّ عليَّ وظيف الذراع. والثاني: أنهم كانوا إذا جاءهم الرسول فقال: إني رسول، قالوا له: اسكت، وأشاروا بأصابعهم إلى أفواه أنفسهم، رَدًّا عليه وتكذيباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم لما سمعوا كتاب الله، عجّوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل. ردًّا لقولهم، قاله الحسن. والمخامس: أنهم كلَّبوهم بأفواههم، وردُّوا عليهم قولهم، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه مَثَلٌ، ومعناه: أنهم كَفُّوا عما أمروا بقبوله من الحق، ولم يؤمنوا به. يقال: رَدُّ فلان يده إلى فمه، أي أمسك فلم يُجِب، قاله أبو عبيدة. والسابع: رَدُّوا ما لَوْ قبلوه لكان نِعَما وأيادي من الله (٢٠)، فتكون الأيدي بمعنى: الأيادي، و «في» بمعنى: الباء، والمعنى: رَدُّوا الأيادي بأفواههم، ذكره الفراء، وقال: قد وجدنا مِن العرب مَن يجعل «في» موضع الباء، فيقول: أدلك الله بالجنة، يريد: في الجنة، وأنشدني بعضهم: وأرغَبُ شي طي عن نَسَعَي طوره عِلم وهم عليه ولكنَّني عن سَنْبَسِ لَسْتُ أَرْغَبُ (٣)

فقال: أرغب فيها، يعنى: بنتاً له، يريد؛ أرغب بها، وسَنْبَسُ: قبيلة.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ ﴾ أي: على زعمكم أنكم أُرسلتم، لا أنهم أقرُّوا بإرسالهم. وباقي الآية قد سبق تفسيره [مود: ٢٦]. ﴿ فَالَتْ رُسُلُهُمْ أَنِي اللهِ شَكِّ ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيده ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ بالرسل والكتب ﴿ لِيَنْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ قال أبو عبيدة: «مِن» زائدة، كقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم يِّنَ لَمَدٍ عَنْهُ حَجِينَ ﴾ [الحانة: ٤٤]، قال أبو ذؤيب:

جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الحُبِّ لمَّا شَكُوتِهِ وما إِن جزاكِ الضَّعْفَ مِن أَحَدٍ قَبْلي(٤)

أي: أَحَدٌ. وقوله: ﴿ وَيُؤَخِرَكُمُ إِلَى أَجَلِ تُسَكِّئُ وهو الموت، والمعنى: لا يعاجلكم بالعذاب. ﴿ قَالُوٓا ﴾ للرسل: ﴿ إِنْ أَنْتُكُ ﴾ أي: ما أنتم ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِنْلُنَا ﴾ أي: ليس لكم علينا فضل، والسلطان: الحُجَّة. قالت الرسل: ﴿ إِن غَنْ إِلَّا بَشَرٌ مِنْلُكَ ﴾ أي: ليس ذلك، ﴿ وَلَلِكِنَ اللَّهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَنَآهُ ﴾ يعنون: بالنبوَّة والرسالة، ﴿ وَمَا كَاتَ لَنَ أَنْ نَأْتِيكُمُ
 يَشَلُكُنِ إِلَّا بِإِذِنِ اللَّهِ ﴾ أي: ليس ذلك من قِبَل أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدُ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: بيَّن لنا رشدنا. والثاني: عرَّفنا طريق التوكل. وإنما تُصُّ هذا وأمثالُه على نبينا ﷺ ليقتديَ بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم.

قوله تعالى: ﴿ لَتُبْلِكُنَّ الظَّلِمِينَ ﴾ يعني: الكافرين بالرسل. وقوله: ﴿ مِنْ بَمْدِهِم ﴾ أي: بعد هلاكهم. ﴿ ذَلِكَ ﴾ الإسكان ﴿ لِمَنْ خَافَ مُقَامِه إلى أنفسها، وللهُ عَالَى اللهُ عَالَى أنفسها، وإلى ما أُوقِعَتْ عليه، فتقول: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من ذاك، ومِثْله ﴿ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُم ﴾ [الواته: ٢٦] أي: رزقي إياكم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَانَ وَعِيدِ﴾ أثبت ياء (وعيدي) في الحالين يعقوب، وتابعه ورش في الوُصْل.

﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُ جَبَىٰ إِ عَنِيدٍ ۞ مِن وَرَآبِهِ. جَهَنَمُ وَيُسْفَىٰ مِن مَآءِ مَكِدِيدٍ ۞ يَنجَرَعُمُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُمُ وَيَأْتِيهِ الْمَنْوْتُ مِن كُلِ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيْتِزٌّ وَمِن وَزَآبِهِ. عَذَاتُ غَلِظٌّ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رُأَسْنَنْتُوا ﴾ يعني: استنصروا. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وحميد،

 ⁽١) البيت لصخر الغي، كما في الديوان الهذليين؛ ٢٣/٢، والمعاني الكبير، لابن قتيبة ٨٣٤، واغريب القرآن، ٢٣١. والأزم؛ العض الشديد،
والوظيف، الذراع. يقول: اقد أفني أصابعه فهو يعض على مفصل بين الساعد والكف،

⁽٢) قال أبو جعفر الطبري: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود ـ أي القول الأول ـ أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غيظاً على الرسل، كما وصف الله \$لئ به إخوانهم من المتافقين فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوَا عَشُواً عَلَيْكُمُ ٱلآنَابِلُ مِنَ الْنَيْظِ﴾، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من رد اليد إلى الفم.

⁽٣) «الطبري» ١٨٩/١٣، غير منسوب.

⁽٤) •مجاز القرآن، ١٩٤١، •ديوان الهذليين، ١/٣٥، و•شرح أشعار الهذليين، ١/٨٨.

وابن مُحَيصن: «واستفتِحوا» بكسر التاء على الأمر. وفي المشار إِلهيم قولان: أحدهما: أنهم الرسل، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهم الكفار، واستفتاحهم: سؤالهم العذاب، كقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِل لَّنَا فِطْنَا﴾ [سّ: ١٦] وقولهم: ﴿إِن كَاكَ هَذَا هُو اَبْنَ رَيْد.

قوله تعالى: ﴿وَغَابَ كُلُ جَبَــَادٍ عَنِــيدٍ﴾ قال ابن السائب: خسر عند الدعاء، وقال مقاتل: خسر عند نزول العذاب، وقال أبو سليمان الدمشقي: يئس من الإِجابة. وقد شرحنا معنى الجبَّار والعنيد في [مرد: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿ يَن رَرَابِهِ جَهَنَمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى القُدَّام، قال ابن عباس، يريد؛ أمامه جهنم. وقال أبو عبيدة: «من ورائه» أي: قُدّامة وأمامه، يقال: الموت من ورائك، وأنشد:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وَطَاعَتِي وَطَاعَتِي وَقَاوْمي تَعِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِسِيًا (١)

والثاني: أنها بمعنى: «بَعْد»، قال ابن الأنباري: «من ورائه» أي: من بعد يأسه، فدلَّ «خاب» على اليأس، فكنى عنه، وحملت «وراء» على معنى: «بَعْد» كما قال النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَشُرُكُ لِنَفسِكَ بِيبَةً وَلَيْسَ وَزَاءَ اللَّهِ للمسرءِ مَذْهَبُ(٢)

أراد: ليس بَعْد الله مَذهب. قال الزجاج: والوراء يكون بمعنى الخَلْف والقُدَّام، لأن ما بينَ يديك وما قُدَّامك إِذا توارى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر:

أُلَيْسَ وَزَائِي إِن تَسرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُوْرَهُ العَصَا تُحنَى عليها الأَصَابِع (٣)

قال: وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة. وسئل ثعلب: لم قيل: الوراء للأمام؟ فقال: الوراء: إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر، تقول: وراءك برد شديد. وبين يديك برد شديد. ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك: هو وراءك، ولا للرجل وراءك: هو بين يديك.

قوله تعالى: ﴿وَيُشْقَىٰ مِن مَّآءِ صَكِيدٍ﴾ قال عكرمة، ومجاهد، واللغويون: الصديد: القيح والدَّم، قاله قتادة، وهو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه. وقال القرظي: هو غُسالة أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة. وقال ابن قتيبة: المعنى: يُسقى الصديدَ مكانَ الماء، قال: ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: ما يُسقَى ماءٌ كأنه صديد⁽¹⁾.

قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ ﴾ والتجرع: تناول المشروب جُرعة جُرعة، لا في مرة واحدة، وذلك لشدة كراهته له، وإنما يُكره على شربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ قال الزجاج: لا يقدر على ابتلاعه، تقول؛ ساغ لي الشيء، وأسغته، وروى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُقرَّب إليه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمامة حتى يخرج من دبرهه(٥٠).

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: همُّ الموت وكربه وألمه ﴿مِن كُلِّ مَكَانِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كل شعرة في جسده، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال سفيان الثوري: من كل عِرْق. وقال ابن جريج: تتعلق نفسه عند

⁽۱) البيت من كلمة لسوار بن المضرَّب في «الكامل» ٤٤٥، وهو في «مجاز القرآن» ١/٣٣٧، و«الطبري» ١/١٦، و«الجمهرة» ١/٧٧١، و ٣/ ١٩٥، و«القرطبي» ١٥/١١»، و«اللسان»، و«التاج»: «ورى».

 ⁽٢) وديوانه، ١٢، وامختار الشعر الجاهلي، ١٧٥ من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه.

⁽٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري: «ديوانه» ١٧٠.

⁽٤) كذا الأصل، والذي في اغريب القرآن، لابن قتيبة ٢٣١: أي: يسقى ماءً كأنه صديد.

⁽ه) •الطبري، ١٩٦/١٣، و «المسند، ٢٦٥/٥، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢٦٢/١، من رواية أحمد في «المسند» وقال: وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث بقية بن الوليد عن صقر بن عمرو به. وذكره السيوطي في «الدر، ٤ ٢٧/٧ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، والطبراني، وأبي نعيم في «الحلية» وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البحث والنشور».

حنجرته، فلا تخرج من فيه فتموت، ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة. والثاني: من كل جهة، من فوقه وتحته، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقُدَّامه، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها البلايا التي تصيب الكفار في النار، سماها موتاً، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيْتِ ﴾ أي: موتاً تنقطع معه الحياة. ﴿وَين وَرَآبِهِ. ﴾ أي: من بعد هذا العذاب. قال ابن السائب: من بعد الصديد ﴿عَذَابِ عَلِيظِ ﴾. وقال إبراهيم التيمي: بعد الخلود في النار. والغليظ: الشديد.

﴿ تَنْلُ الَّذِيرَ كَنَدُوا بِرَيِهِمْ أَعْمَنْلُهُمْ كَرَمَادِ الشَّنَدُّتِ بِهِ الرَّبِحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى ثَنَءُ ذَاكِ هُوَ السَّكَالُ الْبَعِيدُ ﴿ كَا السَّكَالُ الْبَعِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ تَمْنُ النِّيرَ كُفَرُوا بِرَتِهِمْ أَعْنَاهُمْ كُرَادٍ ﴾ قال الفراء: أضاف المثل إليهم، وإنما المثل للأعمال، فالمعنى: مَثَل أعمال الذين كفروا. ومِثلُه: ﴿ وَيَوْمَ الْقِبَعَةِ تَرَى اللَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَةً ﴾ [الزمر: ١٠]، أي: ترى وجوههم. وجعل العُصُوف تابعاً لليوم في إعرابه، وإنما العُصُوف للريح، وذلك جائز على جهتين: إحداهما: أن العصوف، وإن كان للريح، فإن اليوم يوصف به، لأن الريح فيه تكون، فجاز أن تقول: يوم عاصف، كما تقول: يوم بارد، ويوم حار. والوجه الآخر: أن تريد: في يوم عاصفِ الريح، فتحذف الريح، لأنها قد ذُكرت في أول الكلام، كما قال الشاعر:

ويُنْ حِنْ عِرف ان الدُّرُوع جُلودَنا إذا كانَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّنْسِ كَاسِفُ

يريد: كاسف الشمس. وروي عن سيبويه أنه قال: في هذه الآية إضمار، والمعنى: وممّا نقصُّ عليك مَثَل الذين كفروا، ثم ابتدا فقال: فأعمالهم كرماده. وقرأ النخعي، وابن يعمر، والجُحدري: فني يوم عاصفِ، بغير تنوين اليوم. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن كل ما يتقرَّب به المشركون يَحْبَط لا ينتفعون به، كالرماد الذي سَفَتْه الريح فلا يُقدَر على شيء منه، فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه، ﴿ وَاللَّكَ هُو السَّلَلُ اللَّهِ مِن النجاة.

﴿ أَلَوْ تَرَ أَكَ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقَّ إِن يَشَأْ يُذْهِبُكُمُ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَمَرِيدِ ﴿ وَ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ يَمَرِيدِ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَم عَلَاه اللَّه عَلَم عَلَم عَلَاه اللَّه عَلَم عَلَى اللَّه عَلَم عَلَمُ عَلَم عَلَمُ عَلَم عَل عَلَم عَل عَلَم عَل

قوله تعالى: ﴿ غَلَوَ السَّمَنَوَتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ قال المفسرون: أي: لم يخلقهن عبثاً، وإنما خلقهن لأمر عظيم. ﴿ إِن يَشَأُ يُدْهِبْكُمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد: يميتكم يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع، وهذا خطاب الأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِمَزِيزِ ١٠٠ أي: بممتنع متعذَّر.

﴿ وَبَرَزُوا بِلَهِ جَبِمَا فَقَالَ الشُّمَعَتُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكَمَّرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَكًا فَهَلَ أَنتُد مُّغْنُونَ عَنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن فَيْءُ قَالُواْ لَوْ هَذَننا اللَّهُ لَمَدَيْنَكُمْ شَوَاةً عَلَيْسَنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَجِيعِين ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَرَرُهُوا بِلَهِ جَبِيمًا﴾ لفظه لفظ الماضي، ومعنّاه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع، ﴿نَنَالَ الشَّمَلَـُـوُا﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اَسْتَكَبَرُواۤ﴾ وهم المتبوعون: ﴿إِنّا كُنَّ الكُمْ بَكَا﴾ قال الزجاج: هو جمع تابع، يقال: تابع وتَبَع، مِثْل: غائب وغَيَب، والمعنى: تبعناكم فيما دعوتمونا إليه.

قوله تعالى: ﴿ فَهَلَ أَنتُه مُغْنُونَ عَنَا﴾ أي: دافغون عنا ﴿ مِن عَذَابِ اللّهِ مِن شَيَّوٍ ﴾. قال القادة: ﴿ لَوَ هَدَننَا اَللّهُ ﴾ أي: لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم، يريدون: أن الله أضلنًا فدَعوناكم إلى الضلال، ﴿ سَوَآهُ عَلَيْ نَا أَجَرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالَوْا نبكي ونضرع، فإنما أدرك أهلُ الجنة الجنة ببكائهم وتضرُعهم، فَبَكُوْا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: عالَوْا نصبر، فإنما أدرك أهلُ الجنة الجنة بالصبر، فصبروا صبراً لم يُرَ مثلُه قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندها قالوا: ﴿ سَوَآهُ عَلَيْ عَنَا أَمْ صَبَرَنَا مَا لَكَ مِن مَّحِيصٍ ﴾. وروى مالك بن أنس

عن زيد بن أسلم قال: جَزِعوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة. وقال مقاتل: جزعوا خمسمائة عام، وصبروا خمسمائة عام. وقد شرحنا معنى المحيص في سورة [الساء: ١٢١].

﴿ وَقَالَ الْفَتِطِنُ لَمَّا فَنِي آلاَمْرُ إِنَ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْمَتِي وَوَعَدَتُكُو فَأَفَلَنَكُمْ وَمَا كَانَ إِنّ الْفَالِمِينَ لَهُمْ فَا الْفَالِمِينَ لَهُمْ وَمَا أَشَدُ بِمُعْرِخِكُمْ وَمَا أَشَدُ بِمُعْرِخِكُمْ وَمَا أَشَدُ بِمُعْرِخِكُمْ وَمَا أَشَدُ بِمُعْرِخِكُمْ وَمَا أَلْمَا لَهُمْ فِي اللّهِ عَمَالًا المُعْلِمِينَ فَيْهَا الْأَنْهَا فِي اللّهِ عَلَى الْفَالِمِينَ فَيْهَا الْأَنْهُ فَي وَأَدْخِلَ اللّهِ عَنَهُ اللهُ المُعْمِونِ عَمْنِهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَمَا النّارِ اللّهِ مَصَدَّوتُكُم ﴿ وَرَعَدَلّكُمْ أَنه لا يكونَ ﴿ وَأَفَلَنْتُكُمْ اللهِ لَكُونَ وَ فَا الْمُعْرِقُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهِ يعْمِعُ اللّهُ المعلم عليه المعلم عليه المعلم عليه المعلم على الله المعلم الله المعلم على الله العلم المعلم على الله العلم المعلم على المعلم على الله المعلم على المعلم الله المعلم على المعلم المعلم على المعلم المع

قوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمر ربهم. وقوله: ﴿ تَمِّيُّهُمْ فِهَا سَلَتُهُ قَدْ ذَكَرْنَاه في [بونس: ١٥٠.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً مُلِتِبَةً كَشَجَرَةِ مُلْتِبَةِ أَصْلُهَا ثَابِتُ وَوَعُهَا فِي التَّكَنَاهِ ۞ ثُوْقِ أَكُلَهَا كُلّ حِينِ إِذْنِ رَئِيمًا وَيَعْمِرِبُ اللَّهُ ٱلْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ لَعَلَهُمْ بَنَذَكُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْكَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلَا ﴾ قال المفسرون: ألم تر بعين قلبك فتعلم بإعلامي إياك كيف ضرب الله مثلاً .. أي: بين شَبَها ، ﴿ كَلَمَ مُوَبِيَهُ ﴾ قال ابن عباس: هي شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿ كَشَجَرَوْ مُؤْبَبَهُ أي: طيبة الثمرة ، فترك ذكر الثمرة اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النخلة ، وهو في هالصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ (١) وقد رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود ، وأنس بن مالك، ومجاهد، وعكرمة ، والضحاك في آخرين. والثاني: أنها شجرة في الجنة ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: أنها المؤمن، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عملُه السماء. وقوله: ﴿ تُوْتِ أَكُلَهَا كُلُ

قوله تعالى: ﴿أَسُلُهَا تَابِتُ أَي: في الأرض، ﴿ وَرَعُهَه أعلاها عالِ ﴿ فِي السَمَاء ﴾ أي: نحو السماء، وأكُلُها: ثمرها. وفي الحين هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه ثمانية أشهر، قاله علي على الثاني: ستة أشهر، رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه بُكُرة وعشية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والرابع: أنه السنة، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والخامس: أنه شهران، قاله سعيد بن المسيب. والسادس: أنه غُدوة وعشية وكل ساعة، قاله ابن جرير. فمن قال: ثمانية أشهر، أشار إلى مُدّة حملها بلى حين صِرامها، ومن قال: بُكرة وعشية، أشار إلى الاجتناء منها، ومن قال: شهران، فهو مدة صلاحها. قال الاجتناء منها، ومن قال: شهران، فهو مدة صلاحها. قال

⁽۱) البخاري ۱۳۰/۱، ومسلم ۲۱۲۵/۱، ولفظه عندهما: عن عبد الله ين عمر بن الخطاب في قال: قال رسول الله مي ان مهر المنجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحبيت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: همي النخلة، قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطبب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصائها، فيستعمل جذوها وحطباً وعصياً ومخاصر وحصراً وحبالاً وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها، وينتفع به علفاً للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كلم، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاته.

ابن المسيب: لا يكون في النخلة أكُلُها إلا شهرين. ومن قال: كل ساعة، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً. قال قتادة: تؤكل ثمرتها في الشتاء والبسر والرطب والتمر في تؤكل ثمرتها في الشتاء من أكلها، والبلح والبسر والرطب والتمر في الصيف. فأما الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، فمن أوجه: أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبّه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها. والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشبّه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها. والثالث: أن ثمرتها تأتي في المؤمن بثباتها والثاني: أنها شديدة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إله إلا الله، صَعِدَتْ إلى السماء، ثم جاءه خيرها ومنفعتها. والرابع: أنها أشبه الشجر بالإنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها يبست، ولأنه لا تحمل حتى تلقّع، ولأنها فضلة تربة آدم على فيما يُروى(١٠).

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةِ خَبِيثَةِ كَشَجَرَةِ خَبِيثَةِ الْمُثَثِّنْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَادِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَ غَيِئَةِ ﴾ قال ابن عباس: هي الشّرك. وقوله: ﴿ كَثَجَرَة خَيِئَةٍ ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الحنظلة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ (٢)، وبه قال أنس، ومجاهد. والثاني: أنها الكافر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروى العوفي عنه أنه قال: الكافر لا يُقبل عمله، ولا يصعد إلى الله تعالى، فليس له أصل في الأرض ثابت، ولا فرع في السماء. والثالث: أنها الكَشُوثَى (٣) رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه مكل، وليست بشجرة مخلوقة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والخامس: أنها الثوم، روي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ اَجْتُثُتُ ﴾ قال ابن قتيبة: استُؤصلت وقُطعت. قال الزجاج: ومعنى اجتثثت الشيء في اللغة: أخذتُ جثته بكمالها. وفي قوله: ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَادٍ ﴾ قولان: أحدهما: ما لها من أصل، لم تَضرِب في الأرض عِرقاً. والثاني: ما لها من ثبات. ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت.

﴿ يُشَتِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الشَّابِ فِي الْمُبَرَّوْ اللَّهُ أَلَوْ الْآخِرَةُ وَيُضِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينُ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ اللَّهِ إِلَّا اللهُ .

قوله تعالى: ﴿فِي اَلْحَيْوَةِ اَلدُّيْنَا وَفِ الْآخِرَةِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الحياة الدنيا: زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرة: زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وفيه أحاديث تعضده (٤). والثاني: أن الحياة الدنيا: زمن السؤال في القبر، والآخرة: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس، وقتادة. قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتثبيته إياه على الحق. ﴿وَيُفِيلُ اللهُ الْقُلُولِينَ ﴾ يعني: المشركين، يضلهم عن هذه الكلمة، ﴿وَيَفْمَلُ اللهُ مَا يَسَالُهُ من هداية المؤمن وإضلال الكافر.

﴿ إِلَّهُ أَنْمَ تَرْ إِلَّى الَّذِينَ بَدَّلُوا يِسْمَتَ اللَّهِ كُثْرًا وَأَعَلُّوا تَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَادِ ۞ جَهَمَّ يَصْلَوْنَهَا وَيِلْسَ الصَّرَادُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ يِنْمَتَ اللهِ كُثْرُ﴾ في المشار إليهم سبعة أقوال: أحدها: أنهم الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، روي عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والثاني: أنهم منافقو قريش، رواه أبو الطُّفيل عن على. والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر، رواه أبو صالح

⁽١) هو حديث ضعيف ولفظه: «اكرموا همتكم النخلة، فإنها خلقت من قضلة طينة أبيكم آدم..» رواه أبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي حاتم، والعقيلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل»، وابن السني وأبو نعيم معاً في «الطب»، وابن مردويه من طريق مسرور بن سعيد التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي مرفوعاً. ومسرور بن سعيد التميمي خمزه ابن حبان، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال ابن عساكر: عروة لم يدرك علياً، والحديث غريب، والتميمي مجهول.

 ⁽۲) «الطبري» ۲۱۲/۱۳، من حديث حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

⁽٣) الكشوثى: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.

⁽٤) - انظر في «الطبري» ٢١٣/١٣ ــ ٢١٨، وابن كثير ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٨ الأحاديث الواردة في ذلك، عند تفسير هذه الأية.

عن ابن عباس. والرابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والمخامس: المشركون من أهل بدر، قاله مجاهد، وابن زيد. والساذس: أنهم الذين قُتلوا ببدر من كفار قريش، قاله سعيد بن جبير، وأبو مالك. والسابع: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن. قال المفسرون: وتبديلهم نعمة الله كفراً، أن الله أنعم عليهم برسوله، وأسكنهم حَرَمه، فكفروا بالله وبرسوله، ودعَوْا قومهم إلى الكفر به، فذلك قوله: ﴿وَإَكُولُوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبُولُو﴾ أي: الهلاك. ثم فسر الدار بقوله: ﴿جَهُمْمَ يَصْلَوْنَهَا فَي يقاسون حَرَّها: ﴿وَيَلْسَ الْمَدَّ هي.

﴿ وَجَعَلُوا يَقِهِ أَندَادًا لِيُضِلُوا عَن سَبِيلِةٍ. فَلْ تَمَتَّمُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّادِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قد بينًاه في سورة [البقرة: ٢٣]، واللام في اليَضِلُوا؛ لام العاقبة، وقد سبق شرحها [يونس: ٨٨]، ومن قرأ اليُضِلوا؛ بضم الياء، أراد: ليُضِلُّوا الناس عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ تَمَنَّعُوا ﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيد لهم. قال ابن عباس: لو كان الكافر مريضاً لا ينام، جائعاً لا يأكل ولا يشرب، لكان هذا نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من العذاب، ولو كان المؤمن في أنعم عيش، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة.

﴿ وَلَى لِمِبَادِى الَّذِينَ ءَاسَنُوا يُمِيسُوا السَّلَوَة وَيُمِنِقُوا بِمَنَا رَدَقَتَهُمْ سِرًا وَعَلَائِةً يَن قَبْلِ أَن يَأْنِي بَوْمٌ لَا بَيْمٌ فِيهِ وَلَا خِلَلُ ﴿ لَهُ اللّهِ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّ

قوله تعالى: ﴿ يُقِيبُوا السَّلَوَةَ ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: قلّ لعبادي: أقيموا الصلاة وأنفِقوا، يقيموا وينفقوا، فحُذف الأمران، وتُرك الجوابان، قال الشاعر:

فسايُّ امسريْ أنْستَ أيُّ امْسرِيْ والسِّالِ في السحريْ أنْست أيُّ امْسرِيْ

أراد: إذا قيل: من يُقدم تُقْدِمُ. ويجوز أن يكون المعنى: قل لعبادي أقيموا الصلاة، وأنفقوا، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر. ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم ليُقيموا الصلاة، وليُنفقوا، فحذف لام الأمر، لدلالة "قل" عليها. قال ابن قتية: والخِلال مصدر خالَلت فلانا خِلالاً ومُخالَّة، والاسم الخُلَّة، وهي الصداقة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَدَ ﴾ أي: ذلّها، تجري حيث تريدون، وتركبون فيها حيث تشاؤون. ﴿وَسَخَرَ لَكُمُ الشّمْسَ وَالْقَمْرَ ﴾ لتنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما. ﴿وَآبِيَبُنِ ﴾ في إصلاح ما يُصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران، ومعنى الدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه. ﴿وَسَخَرَ لَكُمُ البّلَ ﴾ لتسكنوا فيه، راحة لأبدانكم، ﴿وَالنّهَارِ ﴾ لتنتفعوا بمعاشكم، ﴿وَاتنكُم مِن حُلِ مَا سَأَلْتُوهُ ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتموه، قاله الفراء. والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَأُوتِينَ مِن حُلِ شَيء في زمانها شيئاً، قاله سألتموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَمَرْبِلُ تَقِيحُمُ ٱلْحَرَ ﴾ [النمل: ٢٢]أي، من كل شيء في زمانها شيئاً، قاله الأخفس. والرابع: من كل ما سألتموه وما لم تسألوه، لأنكم لم تسألوا شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من النّعم التي ابتذاكم بها، فاكتُفي بالأول من الثاني، كقوله: ﴿مَرَبِيلَ تَقِيحَكُمُ ٱلْحَرَ ﴾ [النمل: ١٨]، قاله ابن الأنباري. والمحاس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: من كل ما بالتنوين من غير إضافة، فالمعنى: آتاكم من كُلُّ ما لم تسألوه، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن نَشُدُّواْ نِمْسَتَ اللَّهِ﴾ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْشُوهَا ۚ﴾ لا تُطيقوا الإِتيان على جميعها بالعَدِّ لكثرتها . ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال الزجاج: الإِنسان اسم للجنس يُقصَد به الكافر خاصة.

قوله تعالى: ﴿لَظَـٰ ثُومٌ كَنَارٌ﴾ الظَّلوم هاهنا: الشاكرُ غيرَ من أنعم عليه، والكَفَّار: الجحود لنِعم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ أَجْمَلُ هَاذَا ٱلْبَالَدَ ءَامِنُنا﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ١٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَاَجْنُبْنِ وَبَنَ ﴾ أي: جنبني وإياهم، والمعنى: ثبتني على اجتناب عبادتها. ﴿وَبَ إِنَهُنَّ أَصْلَلْنَ كَيْبِاً مِنَ النَّاسِ ﴾ يعني: الأصنام، وهي لا توصَف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلّوا بسببها، كانت كأنها أضلَّهم. ﴿فَنَ يَعنِي ﴾ أي: على ديني المتوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِي ﴾ أي: فهو على مِلَّتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله أقوال: أحدها: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله مقاتل بن مقاتل بن حيان. والثالث: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم أن تتوب عليه فنهديه إلى التوحيد، قاله مقاتل بن مليمان. وقال ابن الأنباري: يحتمل أن يكون دعا بهذا قبل أن يُعلِمه الله تعالى أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبيه.

﴿ زَبَّنَاۚ إِنَّ أَسَكَتُ مِن ذُرْدَتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعِ عِندَ بَيْنِكَ ٱلْمُتَرَّمِ رَبَّنَا لِيُغِيمُوا ٱلصَّلَوَةَ فَآجَمَلَ ٱلْمُحَدَّةِ بِنَ النَّاسِ تَهْوِئَ إِلَيْهِمْ وَارْدُقْهُم بِنَ النَّمَرُتِ لَمَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَّا إِنِّ أَسَكَنتُ مِن ذُرِيِّي﴾ في امِنْ ، قولان: أحدهما: أنها للتبعيض، قاله الأخفش، والفراء. والثاني: أنها للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ بِرَادٍ غَبِرِ ذِى زَنِع ﴾ يعني: مكة، ولم يكن فيها حرث ولا ماة. عند ﴿ بَيْكَ ٱلْمُحَرَّم ﴾ إنما سمي محرَّماً، لأنه يحرم استحلال حرماته والاستخفاف بحقه. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿ عِندَ بَيْكِ ٱلْمُحَرَّم ﴾ ولم يكن هناك بيت حينتذ، إنما بناه إبراهيم بعد ذلك بمُدَّة ؟ فالجواب من ثلاثة وجوه: أحدها: أن الله تعالى حرَّم موضع البيت منذ خلق السموات والأرض، قاله ابن السائب. والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرفَع أيام الطوفان. والثالث: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرفَع أيام الطوفان. والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث هاهنا، ذكرهما ابن جرير. وكان أبو سليمان الدمشقي يقول: ظاهر الكلام يدل على أن هذا الدعاء إنما كان بعد أن بُني البيت وصارت مكة بلداً. والمفسرون على خلاف ما قال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أن إبراهيم خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمّه هاجر ومعه جبريل حتى قدم مكة وبها ناس يقال لهم: العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فقال إبراهيم لجبريل: أهاهنا أمرتُ أن أضعهما؟ قال; نعم؛ فأنزلهما في مكانٍ من الحجر، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿ رُبِّنَا إِنِ أَسَكُنُ مِن ذُرِيَّقِ ﴾ إلكية. وفتح أهل الحجاز، وأبو عمرو ياء فإني أسكنت ».

قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا لِيُقِيمُوا اَلصَّلَوَةَ﴾ في متعلَّق هذه اللام قولان: احدهما: أنها تتعلق بقوله: ﴿وَاَجْنُبْنِي وَبَيْنَ أَن نَسْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، فالمعنى: جنبهم الأصنام ليُقيموا الصلاة، هذا قول مقاتل. والثاني: أنها تتعلق بقوله: ﴿أَسْكَنتُ﴾، فالمعنى: أسكنتُهم عند ببتك ليُقيموا الصلاة، لأن البيت قِبلة الصلوات، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ نَاجْمَلَ آنَيْدَهُ مِنَ النَّاسِ ﴾ أي: قلوب جماعة من الناس. قال ابن الأنباري: وإنما عبَّر عن القلوب بالأفندة، لقرب القلب من الفؤاد ومجاورته، قال امرؤ القيس:

غَلَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتُصِر(١)

جَـنَـاحُ غُـرَابٍ رَامَ نَـهُ ضـاً إلـى وِكُـرِ

إِلَيْكِ عَلَى طُولِ الهَوى لَصَبُودُ

رَمَــــنــــي بـــــــهـــم أصَـــابَ الـــفُـــوَادَ وقال آخو:

كَانَّ فُــوْادِي كُــلَّــمــا مَــرَّ رَاكِــبُ وقال آخر:

وإِنَّ فُسِوَّاداً قَسادَنسي لِسَمَسبَسابَسةٍ يَعنون بالفواد: القلب.

قوله تعالى: ﴿ نَهْوِى إِلَيْهِم ﴾ قال ابن عباس؛ تَجِن إليهم. وقال قتادة: تنزع إليهم. وقال الفراء: تريدهم، كما تقول: رأيت فلاناً يَهوي نحوك، أي: يريدك. وقرأ بعضهم: "تهوّى إليهم، بمعنى: تهواهم، كقوله: ﴿ رُدِفَ لَكُم ﴾

 ⁽١) ديوانه ١٥٥. وقوله: رمتني بسهم، أي نظرت إليّ نظرة قلم أنتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاهنا: عيناها.

النسل: ٧٧]، أي: ردفكم. و "إلى" توكيد للكلام. وقال ابن الأنباري: "تَهوى إليهم": تنحط إليهم وتنحدر. وفي معنى هذا الميل قولان: أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون. والثاني: أنه حُبُّ سُكنى مكة، رواه عطية عن ابن عباس. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليه، لحجَّه اليهود والنصارى، ولكنه قال: من الناس.

﴿ رَبُّنَا ۚ إِنَّكَ تَمَلُّو مَا غُنْفِي وَمَا نُشْلِقُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَاۚ إِنَّكَ تَمَكُّرُ مَا غُنْفِى﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: ما نخفي من الوَجد بمفارقة إسماعيل، وما نعلن من الحُبُّ له. قال المفسرون: إنما قال هذا لمّا نزل إسماعيل الحرم، وأراد فراقه.

﴿ اَلْحَمْدُ لِيَهِ اَلَذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَّ إِنَّ رَبِّي لَسَيَيعُ الدُّعَاءَ ۞ رَبِّ اَجْعَلَنِي مُفِيمَ الصَّلَوةِ وَمِن ذُيِّيَتِيقً رَبِّنَا وَتَقَبَّلُ دُعَآءٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمَّدُ لِلَهِ اللَّهِى وَهَبَ لِى عَلَ الْكِكَرِ﴾ أي: بعد الكبر ﴿إِسْمَنِيلَ وَلِسْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: وُلد له إسماعيلُ وهو ابن تسع وتسعين، ووُلد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة.

قوله تعالى: ﴿ ربنا وتقبل دعائي ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «وتقبّل دعائي» بياء في الوصل، دعائي» بياء في الوصل، وقال قنبل عن ابن كثير: يُشِمُّ الياء في الوصل، ولا يشتها، ويقف عليها بالألف. الباقون: «دعاءِ» بغيرياء في الحالين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز، لدلالة الكسرة على الياء.

﴿رَبُّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَلِدَى وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْمِسَابُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اعْفِرْ لِي وَلِوَلِدَى ﴾ قال ابن الأنباري: استغفر لأبويه وهما حيّان، طمعاً في أن يُهذيا إلى الإسلام. وقيل: أراد بوالديه: آدم، وحواء. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ، والنخعي، والزهري: ﴿ ولولَديُّ عني: إسماعيل وإسحاق، يدل عليه ذِكرُهما بل ذلك. وقرأ مجاهد: ﴿ ولوالدِي على التوحيد. وقرأ عاصم الجُحدري: ﴿ ولولُدي النصاء المواو. وقرأ يحيى بن يعمر، والجوني: ﴿ ولولَدِي الله على التوحيد. ﴿ وَمَرْ النَّاسُ إِنَّ كَانَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ على الأعمال. وقيل: معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكتُني بذِكر الحساب من ذِكر الناس إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿ وَلَا تَحْسَبَكَ اللَّهَ غَنِفِلًا عَمَّا يَصْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا لِيُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمِ نَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۞ مُهْطِيبِكَ مُقْنِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَذُ إِنْهِمْ طَرْفُهُمْ ۚ وَأَنْفِكُنُّهُمْ هَوَاءٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَكَ اللّهَ غَنِلًا عَمَّا يَمْـمَلُ الظَّلِمُونَّ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُزَخِّرُهُمُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو رزين، وقتادة: ﴿نَوْخُرِهمِ ۖ بالنون، أي: يؤخر جزاءهم ﴿لِيَرْمِ تَنْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾ أي: تشخص أبصار الخلائق لظهور الأحوال فلا تغتمض.

قوله تعالى: ﴿مُهَلِينَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإِهطاع: النظر من غير أن يَظْرِف الناظر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، وأبو الضَّحى. والثاني: أنه الإِسراع، قاله الحسن، وسعيد بن جُبير، وقتادة، وأبو عبيدة. وقال ابن قتية: يقال: أهطع البعير في سيره، واستهطع: إذا أسرع. وفي ما أسرعوا إليه قولان: أحدهما: إلى النار، قاله مقاتل. والثالث: أن المُهطع: الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿مُنْتِي رُمُوسِمٍ ﴾ قولان: أحدهما: رافعي رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، وأنشد أبو عبيدة:

يد بن بيرة رسمه وبو يبده وسمبو يبده أنْ غَن نَحْ وِي رَأْسَهُ وَأَثْنَ مَا اللهِ عَالَمُ الْبِصَرَ شَيْعًا أَظْمَعًا (''

⁽۱) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٢٨/١٣، و«القرطبي» ٢٧٧/٩. وأنفض رأسه: حركه كالمتعب، وأقنعه: رفعه، يقول: هزَّ رأسه نحوي، ورفعه يتألني كما يتأمل شيئاً فيه مطمع له، وهو شاهد على أن الإقناع: هو الرفع.

وقال ابن قتيبة: المقتع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه. وقال الزجاج: رافعي رؤوسهم، ملتصقة بأعناقهم. و ﴿مُهْلِمِينَ مُقْنِي رُءُوسِمٍ ﴾ نصبٌ على الحال، المعنى: ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين. والثاني: ناكسى رؤوسِهم، حكاه الماوردي عن المؤرَّج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْبَدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة. قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد. وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِنَهُمْ هَوَآهٌ﴾ الأفئدة: مساكن القلوب. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال قتادة: خرجت من صدورهم فنَشِبَت في حلوقهم، فأفئدتهم هوّاءٌ ليس فيها شيء من الخير، فهي كالخِرْبة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: وأفئدتهم مُنخرِقة لا تعي شيئاً، قاله مُرَّة بن شراحيل. وقال الزجاج: متخرِّقة لا تعي شيئاً من الخوف. والرابع: وأفئدتهم جُوْف لا عقول لها، قاله أبو عبيدة، وأنشد لحسَّان:

أَلَا أَبْسِلْ غُ أَبُسَا سُلْمَ يَسَانَ عَسِنِي فَانْسَتَ مُسجَسِوَّتُ نَسِجِبٌ هَسوَاءُ(١)

فعلى هذا يكون المعنى: أن قلوبهم خلَّت عن العقول، لِمَا رأوا من الهول. والعرب تسمي كلُّ أجوَفَ خاوِ: هواءً. قال ابن قتية: ويقال: أفئدتهم منخوبة من الخوف والجُبْن.

﴿ وَأَنْدِرِ النَّاسَ بَوْمَ يَأْنِيمُ الْمَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ طَلَمُواْ رَيِّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَحَلِ فَرِبٍ غُيْبَ دَعْوَتَكَ وَنَشَجِعِ الرُّسُلُ أَوَلَمْ تَكُولُواْ أَفْتَمْ تُصُولُوا الْمُسَلِّمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿رَأَندِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي: خوّفهم ﴿رَوْمَ يَأْنِهِمُ ٱلْمَذَابُ﴾ يعني به: يوم القيامة؛ وإنما خصه بذِكر العذاب، وإن كان فيه ثواب، لأن الكلام خرج مخرج التهديد للمُصاة. قال ابن عباس: يريد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ رَبُّنَا آخِزْنَا إِلَىٰ أَجَـٰلِ فَرِيبٍ ﴾ أي: أمهلنا مُدَّة يسيرة. وقال مقاتل: سألوا الرجوع إلى الدنيا، لأن الخروج من الدنيا قريب. ﴿ غُبِّتِ دَعَرَتَكَ ﴾ يعني: التوحيد، فيقال لهم: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِن قَدْلُ ﴾ أي: حلفتم في الدنيا أنكم لا تُبعَثُون ولا تنتقلون من الدنيا إلى الآخرة.

﴿ وَسَكَسَتُمْ فِي سَنَكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْشُهُمْ وَيَرَبُّ لَكُمْ كَيْفَ فَمَانًا بِهِدْ وَمَنزَيْنًا لَكُمُ ٱلأَنْشَالُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَكُنتُمْ فِي مَسَكِنِ اللَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: نزلتم في أماكنهم وقُراهم، كالوجر ومدين، والقُرى التي عُلُب أهلها. ومعنى اظلموا أنفسهم أي: ضرُّوها بالكفر والمعصية. ﴿وَبَنَيْنَ لَكُمْ ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو المتوكل الناجي (وتُبُينُ بضم التاء. ﴿كَنَكَ نَكَنَا بِهِمْ ﴾ يعني: كيف عذَّبناهم، يقول: فكان ينبغي لكم أن تنزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكنهم بعدما علمتم فِعلنا بهم، ﴿وَضَرَيْنَا لَكُمُ ٱلْأَنْدَالَ ﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن.

﴿ وَقَدْ مَكْرُواْ مَحْرَمُمْ وَعِندُ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَاكَ مَحْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلِجْبَالُ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَ اللَّهَ تُخلِفَ وَعَدِهِ. رُسُلَةًۥ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنِنِقَادِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكُرُواْ مَعَالِ في المشار إلهيم أربعة أقوال: لا أنتهي حتى أنظر إلى السماء، فأمر بفرخي نسر فرُبِّيا حتى سمنا واستعلجا، ثم أمر بتابوت فنُحت، ثم جعل في وسطه خشبة، وجعل على رأس الخشبة لحماً شديد الحُمرة، ثم جوَّعهما وربط أرجلهما بأوتار إلى قوائم التابوت. ودخل هو وصاحب له في التابوت وأغلق بابه، ثم أرسلهما، فجعلا يريدان اللحم، فصّعِدا في السماء ما شاء الله، ثم قال له: أغلِق، ثم صَعِد ما شاء الله، قال له: أغلِق، ثم صَعِد ما شاء الله،

⁽۱) قديوانه ٧، وقمجاز القرآن؛ ١/٣٤٤، وقالطبري، ٢٤١/١٣، وقالقرطبي، ٩/٣٧٧، وقاللسان، وقالتاج؛ هوا، جوف. والمجوف: الخالي الجوف، يريد به الجبان، وكذلك النخب والهواء.

ثم قال: افتح فانظر، ففتح، فقال: ما أرى إلا السماء، وما نزداد منها إلا بُعداً، قال: فصوّب خشبتك، فصوّبها، فانقضّت النسور تريد اللحم، فسمعت الجبال هدّتها، فكادت تزول عن مراتبها. هذا قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عنه: كانت النسور أربعة. وروى الشدّي عن أشياخه: أنه ما زال يصعد إلى أن رأى الأرض يحيط بها بحر، فكأنها فلكة في ماء، ثم صَعِد حتى وقع في ظُلمة، فلم يرّ ما فوقه ولم يرّ ما تحته، ففزع، فصوب اللحم، فانقضّت النسور، فلما نزل أخذ في بناء الصرح. وروي عن ابن عباس أنه بنى الصرح، ثم صَعِد منه مع النسور، فلما لم يقدر على السماء، اتخذه حصناً، فأتى الله بنيانه من القواعد. وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والتشاّب، فرمى بسهم فعاد إليه ملطّخاً بالدم، فقال: كُفيتَ إله السماء، وذلك من دم سمكة في بحر معلّق في الهواء، فلما هاله الارتفاع، قال لصاحبه: صوّب الخشبة، فصوّبها، فانحطت النسور فظنت الجبال أنه أمرٌ نزل من السماء فزالت عن مواضعها. وقال غيره: لما رأت الجبال ذلك، ظنه أنه قيام الساعة، فكادت تزول، وإلى هذا المعنى ذهب معيد بن جبير، وأبو مالك. والقول الثاني: أنه بختنصر، وأن هذه القصة له جرت، وأن النسور لما ارتفعت تطلب اللحم إلى حيث شاء الله، نودي: يا أيها الطاغية، أين تريد؟ ففرق، ثم سمع الصوت فوقه، فنزل، فلما رأت الجبال اللحم إلى حيث شاء الله، نودي: يا أيها الطاغية، أين تريد؟ ففرق، ثم سمع الصوت فوقه، فنزل، فلما رأت الجبال ذلك، ظنت أنه قيام الساعة فكادت تزول، وهذا قول مجاهد. والثالث: أن المشار إليهم الأمم المتقدمة. قال الن عباس، وعكرمة: مكرهم: شركهم. والرابع: أنه محفوظ عنده حتى يجازيهم به، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: قوندا الله جزاء مكرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادَ مَكِوْمَ اللهِ وَلِمَ أَلُهِ اللهِ وَمِرا وَعِمر، وعلي، وابن مسعود، وأبيّ، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية: ﴿وإِن كاد مكرهم الله المال ﴿ لِتَرُولَ مِنْهُ الْمِبَالُ ﴾ . وقرأ الأكثرون ﴿لِتزولَ الحسر اللام الأولى من ﴿لتزول وقرأ الله النانية . أراد: وما كان مكرهم لتزول من الجبال، أي : هو أضعف وأوهن، كذلك فسرها الحسن البصري . وقرأ الكسائي ﴿لَتَزولُ اللهِ اللهِ الأولى وضم الثانية ، أراد: قد كادت الجبال تزول من مكرهم ، كذلك فسرها ابن الأنباري . وفي المراد بالجبال قولان: أحدهما: أنها الجبال المعروفة ، قاله الجمهور . والثاني : أنها ضُربت مثلاً لأمر النبي الله وثبوتُ دينه كثبوت الجبال الراسية ، والمعنى : لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال ، لَمَا زال أمر الإسلام ، قاله الزجاج . قال أبو علي ويدل على صحة هذا قولُه : ﴿فَلاَ تَعْسَرُنَّ اللهَ عُلِيْكُ أَيْ مَنْ مُؤْمُ أَيْ اللهُ عَرْبُو أَنْهُ عَرِيْكُ أي : منبع ﴿ذُو النِفَارِ الكافرين ، وهو أن ابن عباس : يريد بوعده : النصر والفتح وإظهار الدين . ﴿إِنَّ اللهَ عَرِيْكُ أي : منبع ﴿ذُو اَنِفَارِ المن من الكافرين ، وهو أن يجازيَهم بالعقوبة على كفرهم .

﴿ يَوْمَ ثُبَدُّلُ ٱلأَرْضُ عَبَرُ ٱلْأَرْضِ وَالسَّنَوَتُ وَيَرَزُوا لِقِو ٱلْوَحِدِ ٱلْفَهَّادِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ يَوْمُ تُدَلُّ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضُ وروى أبان "يوم نُبدّل" بالنون وكسر الدال "الأرض" بالنصب، "والسموات، بخفض التاء، ولا خلاف في نصب "غير". وفي معنى تبديل الأرض قولان: أحدهما: أنها تلك الأرض، وإنما يُزاد فيها ويُنقص منها، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتُمد مَدَّ الأديم، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: "يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: ببسطها ويمدها مَدَّ الأديم، "ان والثاني: أنها تبدَّل بغيرها بيضاء كالفضة لم يُعمل عليها خطيئة،

⁽۱) الطبري، (۲۰ / ۲۰۷، وفي سنده جهالة، وهو جزء من حديث الصور المشهور، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في اتفسيره، ۱٤٦/۲ من رواية أبي القاسم الطبراني، وقال في آخره: ثم ذكره بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة. وقد اختلف فيه، فمنم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأثمة، كأحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم، وعمرو بن أبي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك الحديث. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت (أي ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه فغريب جداً. ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، والله أعلم.

رواه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وعطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها تُبدَّل ناراً، قاله أبيّ بن كعب. والثالث: أنها تُبدَّل بأرض من فضة، قاله أنس بن مالك. والرابع: تُبدَّل بخبرة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه، قاله أبو هريرة، وسعيد بن جبير، والقرظي؛ وقال غيرهم: يأكل منها أهل الإسلام حتى يُفرغ من حسابهم. فأما تبديل السموت، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنها تُبعَل من ذهب، قاله علي على والثاني: أنها تصير جِناناً، قاله أبيّ بن كعب. والثالث: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، كعب. والثالث: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فمرة كالمُهل، ومَرَّة تكون كالدِّهان، قاله ابن الأنباري. والخامس: أن تبديلها أن تُطوى كَطَيُّ السَّجِلُ للكتاب. والسادس: أن تنسيلها أن تُطوى كَطَيُّ السَّجِلُ للكتاب.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّرَزُواْ يَدِ ٱلْوَبِهِدِ ٱلْفَهَّارِ ﴾ أي: خرجوا من القبور.

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ بَوْمَهِلْمِ مُقَرَّيِنَ فِي ٱلْاَصَْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُمْ مِن فَطِرَانِ وَتَفْتَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّـارُ ۞ لِيَجْزِى ٱللهُ كُلُّ نَفْسِ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَرَى اَلْمُجْرِمِنَ﴾ يعني: الكفار ﴿ مُتَوَبِينَ ﴾ يقال: قرنتُ الشيء إلى الشيء: إذا وصلته به. وفي معنى همترنين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يُقرَّنون مع الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أن أيديهم وأرجلهم قُرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد. والثالث: يُقرَّن بعضهم إلى بعض، قاله ابن قتيبة. وفي الأصفاد ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأغلال، قاله ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، وابن الأنباري. والثاني: القيود والأغلال، قاله قتادة. والثالث: القيود، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما السرابيل، فقال أبو عبيدة: هي القُمُص، واحدها سربال، وقال الزجاج: السربال: كل ما لُبس. وفي القطران ثلاث لغات: فتح القاف وكسر الطاء، وفتح القاف مع تسكين الطاء، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن الطاء، وكسر القاف مع تسكين الطاء. وفي معناه قولان: أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه قطران الإبل، قاله الحسن، وهو شيء يتَحلَّب من شجر تُهُنَا به الإبل (١٠). قال الزجاج: وإنما ولكنه حلَّرهم ما يعرفون حقيقته. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبلة، وأبو حاتم عن يعقوب: قين قِطْرٍه بكسر القاف وسكون الطاء والتنوين آآنٍه بقطع الهمزة وفتحها ومدها. وأبو حاتم عن يعقوب: قين قطره بكسر القاف وسكون الطاء والتنوين قانٍه بقطع الهمزة وفتحها ومدها. والقطر: النحاس، وآن: قد انتهى حَرَّه.

قوله تعالى: ﴿ وَتَغَنَّىٰ رُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تعلوها. واللام في ﴿ لِيَجْزِيَ﴾ متعلقة بقوله: ﴿ وَبَرَزُوا﴾ ﴿ هَذَا لِكُمْ لِلنَّاسِ وَلِمُسَادُوا بِهِ. وَلِيَمَلُمُوا أَنْهَا هُوَ إِلَّهُ وَبِهَدُّ وَلِيَذَكُرُ أُونُوا ٱلْأَلْبَبِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هَاذَا بِلَنَهُ لِلنَّاسِ ﴾ في المشار إليه قولان : أحدِهما: أنه القرآن. والثاني: الإنذار. والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيُندُوا بِهِ ،﴾ أي: أُنزِل ليُنلَروا به، وليعملوا بما فيه من الحُجج ﴿ أَنَنَا هُوَ إِلَهٌ وَعِدٌ وَلِيَذَكُّرُ ﴾ أي: وليتعظ ﴿ أَوْلُوا آلَا آيَا ﴾

帝 帝 帝

⁽١) يقال: هنا الإبل يهنؤها ويهنئها هنأ وهنِاءً: طلاها بالهناء، وهو القطران.

سبورة الحجبر

وهي مكية كلُّها من غير خلاف نعلمه.

ينسدانه الكنب التحسير

﴿ الَّرُّ يَلْكَ ءَائِنتُ ٱلْكِتَابِ وَقُرْءَانِ مُّبِينِ ﴾

قوله تعالمى: ﴿ الرَّ يَلْكَ مَايَنَتُ ٱلْكِتَابِ ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١].

قوله تعالى: ﴿ وَقُرُءَانِ شُرِينِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، مجمع له بين الاسمين. والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإِنجيل، والقرآن: كتابُنا. وقد ذكرنا في أول (يوسف) معنى المبين.

﴿ زُبَّمَا يَوَدُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَاثُوا مُسْلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (رُبَّما) مشددة. وقرأ نافع، وعاصم، وعبد الوارث (رُبَما) بالتخفيف. قال الفراء: أَسَد وتميم يقولون: (رُبَّما) بالتخفيف، وأهل الحجاز وكثير من قيس يقولون: (رُبَّما) بالتخفيف، وتيَّم الرّباب يقولون: (رُبَّما) بفتح الراء. وقيل: إنما قرئت بالتخفيف، لِما فيها من التضعيف، والحروف المضاعفة قد تحذف، نحو (إنّ و (لكنّ) فإنهم قد خفَّفوها. قال الزجاج: يقولون: رُبَّ رُجل جاءني، وأنشد:

أَزهـيــر إِن يَــشِــبِ الــقَــذاكُ فــإنــنــي رُبَ هَــيْـضَــلٍ مَـرْسِ لـفَـهْـت بِــهــيـضَــلِ هذا البيت الأبي كبير الهذلي (١)، وفي ديوانه:

رُبَ مَــــ خَـــل لــجـــب لــفَــفُــتُ بِــهَــ يُــفَــل

والهَيْضَل: جمع هَيْضلة، وهي الجماعة يُغزى بهم، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال. و اربَّ كلمة موضوعة للتقليل، كما أن الاكبر، وإنما زيدت الماه مع الربَّ ليليها الفعل، تقول: رُبَّ رجل جاءني، وربما جاءني زيد. وقال الأخفش: أدخل مع الربَّ ما، ليُتكلم بالفعل بعدها، وإن شئت جعلت الما بمنزلة الشيء، فكأنك قلت: رُبَّ حين شيء، أي: رُبَّ وَدِّ يَوَدُّه الذين كفروا. وقال أبو سليمان الدمشقي: «ما» هاهنا بمعنى الحين، فالمعنى: رُبَّ حين يَوَدُّون فيه. واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ (٢٠)، وذهب إليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشقّع حتى يقول: من كان من مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشقّع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، رواه مجاهد عن ابن عباس (٣). والثالث: أن

⁽١) إديوان الهذلين، ٨٩/٢

⁽٢) «الطبري» ٣/١٤ ، وفي سنده خالد بن نافع الأشعري، قال الذهبي في «الميزان»: ضعفه أبو زرعة والنسائي. وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وقال أبو داود: متروك الحديث. قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل، ومسدد، فلا يستحق الترك. والحديث ذكره ابن كثير ٢/ ٤٦ عن الطبراني من حديث خالد بن نافع الأشعري. وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٩٧، وزاد نسبته لابن أبي عاصم في «السنة»، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهتي في «البحث والنشور».

⁽٣) الطبري ١٤/٣.

الكفار إذا عاينوا القيامة، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالاً من أحوال القيامة يعذّب فيها الكافر ويَسلم من مكروهها المؤمن، وَدُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أنه في المنيا، إذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلموا مصيرهم، وَدُّوا ذلك، قاله الضحاك. فإن قيل: إذا قلتم: إن «رُبَّ للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيد تكثيرُ ما يُتواعد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدهن: أن قربما تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريَّان، والجَوْن على الأسود والأبيض. والثاني: أن أهوال القيامة وما يقع بهم من الأهوال تكثر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، وَدُّوا الأسود والأبيض. والثالث: أن هذا الذي خُوِّفوا به، لو كان مما يُودُّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف ذلك. والثالث: أن هذا الذي خُوِّفوا به، لو جاب عليه اجتنابه. فإن قيل: كيف جاء بعد قربما هستقبَل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟ فالجواب: أن ما وَعَد الله حَقَّ، فمستقبَل الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَلَوْ مَنْ عَلَهُ اللّه عَنْ الماضي، تقول: وَلَوْ مَنْ إِلَا الناء الماضي، قال الشاعر: على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبَّما تسجازَعُ السنفوس من الأمد و له فُسرجَة كَسحَالُ السعِسة الو وَرَعْمُ يَأْكُلُوا وَرَتَنَتَعُوا وَيُقِعِمُ الأَمَلُ فَسَوْقَ يَعْلَمُنَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿ وَيُلْهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أي: ويشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿ فَسَوْتَ يَمْلَنُونَ ﴾ إذا وردوا القيامة وبالَ ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد، وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

﴿ وَمَا أَمْلَكُنَا مِن فَرَيَةٍ إِلَّا وَلَمَا كِنَابٌ مَّعْلُومٌ ۞ مَا نَسْبِقُ مِنْ أَسَةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَنْجُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا آهْلَكُنَا مِن فَرْيَةِ ﴾ أي: ما عذَّبنا من أهل قرية ﴿ إِلَّا وَلَمَا كِنَابٌ مُعْلُومٌ ﴾ أي أجَل موقَّت لا يُتقدم ولا يُتأخر عنه. ولا يُتأخر عنه. ولا يُتأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: ﴿ أَنَا وَلَمُ اللَّهُ ا

﴿ وَقَالُواْ يَكَائِبًا الَّذِى نُزَلَ مَلَتِهِ الذِّكُرُ إِلَكَ لَمَجْنُونَ ۞ لَّوْ مَا تَأْتِينَا ۚ إِلَىٰلَتِهِكُمُوْ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّدِيْنِينَ ۞ مَا نُنَزِلُ الْمَلَتِهِكُهُ إِلَا بِالْحَتِيْ رَمَا كَاثُواْ إِنَا تُنظرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَتَأَيُّهُا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكُرُ عَال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة. قال ابن عباس: والذِّكر: القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاء، لو أيقنوا أنه نُزِّل عليه الذِّكْر، ما قالوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾. قال أبو علي الفارسي: وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله: ﴿مَّا أَتَ يَبْجُنُونُ ﴾ الغلم: ٢].

قوله تعالى: ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ قال الفراء: «لو ما» و «لو لا» لغتان معناهما: هلّاً، وكذلك قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، وأنشد لابن مُقبل:

لَوْ مَا الحَيَاءُ ولَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَدِي (١)

قال المفسرون: إنما سألوا الملائكة ليشهدوا له بصدقه، وأن الله أرسله، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا نُنَزِلُ الْمَلْتَهِكَةُ إِلّا بِأَلْمَقِى قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ما تَنزَلُ» بالتاء المفتوحة «الملائكة» بالرفع. وروى أبو بكر عن عاصم «ما تُنزَّل» بضم التاء على ما لم يُسم فاعله. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخَلَف «ما نُنزَّل» بالنون والزاي مشددة «الملائكة» نصباً. وفي المراد بالحق أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن. والثاني: الرسالة، قاله مجاهد. والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب. والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

⁽١) ديوانه، ٧٦، والطبري، ١٦/١٤، وهمجاز القرآن، ٣٤٦/١، والقرطبي، ٤/١٠، والبحر، لأبي حيان ٥/٤٤٢، واشواهد الكشاف، ١٢٦، واللسان، بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا ﴾ يعني: المشركين ﴿إِذَا مُّنظرِينَ ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

﴿إِنَّا نَعَنُ نَزَّكَ الذِّكْرَ رَإِنَّا لَهُ لَمُنظِّونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا غَنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ من عادة الملوك إذا فعلوا شيئًا، قال أحدهم: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملِك في خطابه، وإنِ انفرد بفعل الشيء، فخوطبت العرب بما تعقل من كلامها. والذُّكْر: القرآن، في قول جميع المفسرين. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الذُّكْر، قاله الأكثرون. قال قتادة: أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، فالمعنى: ﴿وَإِنَّا لَّهُ لَحَافِظُونَ﴾ من الشياطين والأعداء، لقولهم: ﴿إِنك لمجنونٌ، هذا قول ابن السائب، ومقاتل.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن مَبْلِكَ فِي شِيْعِ ٱلْأَوْلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مِن فَبَلِكَ﴾ يعني: رسلاً، فحُذف المفعولُ، لدلالة الإِرسال عليه. والشِّيع: الفِرَق، وحكى عن الفراء أنه قال: الشيعة: الأمَّة المتابعة بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿ وَمَا يَأْسُهِم مِّن رَّسُولِ إِلَّا كَانُواْ بِهِ. يَسَانَهِزُهُونَ ١٠٠٠ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْنِيهِم يِّن رَّسُولِهِ إِلَّا كَانُواْ بِهِ. يَسَنَهْزِيمُونَ ۞﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إِنَّ كل نبئي قبلك كان مبتلى بقومه كما ابتُليتَ.

﴿ كَذَلِكَ نَسَلُكُمُ فِي قُلُوبِ ٱلدُّجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِيْدٍ وَقَدْ خَلَتَ شُنَةُ ٱلْأَوْلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿كَنَالِكَ نَسَلُكُمُهُ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشَّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة. والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء. ومعنى الآية: كما سلكنا الكفر في قلوب شِيَع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيبَ فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿لا يُؤْيِنُونَ بِيِّهُ﴾. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرسول. والثاني: القرآن. والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مضت سُنَّة الله في إهلاك المكذَّبين. والثاني: مضت سُنَّتهم بتكذيب الأنبياء.

﴿وَلَوْ مَنَحْمَا مَلَتِهِم بَابًا بِّنَ السَّمَآءِ نَطَلُواْ بِيهِ يَتَمْرُجُونٌ ۞ لَقَالُواْ إِنَّمَا شَكِرَتُ أَبَصَنُونًا بَلْ غَنُ قَوْمٌ مُسْحُورُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا يِّنَ ٱلسَّمَاءِ﴾ يعنى: كفار مكة ﴿فَظَلَّراْ فِيهِ يَعْرُجُونٌ ﴾ أي يصعدون، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعله بالنهار. وفي المشار إليهم بهذا الصعود قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس، والضحاك، فالمعنى: لو كُشف عن أبصار هؤلاء فرأوا باباً مفتوحاً في السماء والملائكة تصعد فيه، لمَا آمنوا به. والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن، وقتادة، فيكون المعنى: لو وصَّلناهم إلى صعود السماء، لم يستشعروا إلا الكفر، لعنادهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا شُكِرَتْ أَبْصَدُونَا﴾ قرأ الأكثرون بتشديد الكاف. وقرأ ابن كثير، وعبد الوارث بتخفيفها. قال الفراء: معنى القراءتين متقارب، والمعنى: حُبِستْ، من قولهم: سَكَرَت الريح: إذا سكنت وركدت. وقال أبو عمرو بن العلاء: معنى ﴿سُكِرَتْ؛ بالتخفيف، مأخوذ من سُكْر الشراب، يعنى: أن الأبصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغيُّر العقل. قال ابن الأنباري: إذا كان هذا معنى التخفيف، فسُكُّرت، بالتشديد، يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة. وقال أبو عبيد: ﴿سُكِّرت؛ بالتشديد، من السُّكور التي تمنع الماءَ الجِرْيَة، فكأن هذه الأبصار مُنعت من النظر كما يمنع السُّكرُ الماءَ من الجري. وقال الزجاج: ﴿سُكُّرت؛ بالتشديد، فسروها: أغشيت، و اسُكِرَتْ، بالتخفيف: تحيَّرت وسكنت عن أن تنظر، والعرب تقول: سَكِرَتِ الريحُ تَسْكَرُ: إِذا سكنت. وروى العوفي عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا شُكْرَتُ أَبْصَارِنَا﴾ قال: أُخذنا بأبصارنا وشبِّه علينا، وإنما سُجِرْنا. وقال مجاهد: ﴿سُكِّرتُ﴾ سُدَّت بالسِّحر، فيتماثل الأبصارنا غيرُ ما ترى.

﴿ وَلَقَدْ جَمَلُنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوبَهَا وَزَيَّنَاهَا اِلنَّظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَهَا مِن كُلِّ شَيْطَنِنِ رَجِيدٍ ۞ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّنعَ فَأَنْبَكُمْ شِهَاتُ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجا﴾ في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، قاله ابن عباس، وأبو عبيدة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأسماؤها: الحَمَل، والنَّور، والجَوْزاء، والسَّرَطان، والأسد، والسُّنبلة، والمعزان، والعقرب، والقوس، والجَدْي، والدلو، والحوت. والثاني: أنها قصور، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال عطية: هي قصور في السماء فيها الحرس. وقال ابن قتيبة: أصل البروج: الحصون. والثالث: أنها الكواكب، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل، قال أبو صالح: هي النجوم العِظام. قال قتادة: سُميت بروجاً، لظهورها.

قوله تعالى: ﴿ مَنَيَّنَهَا ﴾ أي: حسَّناها بالكواكب. وفي المراد بالناظرين قولان: أحدهما: أنهم المبصرون. والثاني: المعتبِرون.

قوله تعالى: ﴿ رَحَفِظْنَهَا مِن كُلِ شَيْطُنِ رَجِيرٍ ﴿ إِي: حَفِظناها أَن يصل إِليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئاً إِلا استراقاً، ثم يتبعه الشهاب. والرجيم مشروح في الله صران: ٢٦]. واختلف العلماء: هل كانت الشياطين تُرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا ﷺ، أم لا؟ على قولين: أحلهما: أنها لم تُرْمَ حتى بُعث ﷺ، وهذا المعنى مذكور في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقد أخرج في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب (١٠) وظاهر هذا الحديث أنها لم تكن قبل ذلك. قال الزجاج: ويدل على أنها إنما كانت بعد مولد رسول الله ﷺ أن شعراء العرب الذين يمثّلون بالبرق والأشياء المسرعة، لم يوجد في أشعارها ذكر الكواكب المنقضّة، فلما حدثت بعد مولد نبينا ﷺ، استعملت الشعراء ذكرها، فقال ذو الزُمَّة:

كَ أَنَّهُ كُوكَ بُّ فِي إِنَّارٍ عِنْ فِي إِنَّا فِي مُنْ فَيْ سُوادِ اللَّيْلِ مُنْفَضِبُ (٢)

والثاني: أنه قد كان ذلك قبل نبينا هي، فروى مسلم في قصحيحه من حديث علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينا النبي على جالس في نفر من أصحابه، إذ رمي بنجم، فاستنار، فقال: قما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في المجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم، قال: قفإتها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربّنا إذا قضى أمراً، سبّع حملة العرش، ثم سبّع أهل السماء اللين يلونهم، حتى يبلغ التسبيع أهلَ هذه السماء، ثم يستخبر أهل كل سماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء أهلَ سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن ويُرمَون، فما جازوا به على وجهه فهو حتى، ولكنهم يقرِفون فيه ويزيدون ". وروي عن ابن عباس أن الشياطين كانت لا تُحجب عن السموات، فلما وُلد عيسى، مُنعتُ من ثلاث سموات، فلما وُلد رسول الله، ولكنها غُلُظت رسول الله، ولكنها غُلُظت حين بُعث هيء وهذا مذهب ابن قتية، قال: وعلى هذا وجدنا الشعر القديم، قال بشر بن أبي خازم، هو جاهلي:

⁽۱) البخاري ۲۰۰۱۲ و ۱۹۲۸، ومسلم ۲۳۱۱، ولقظه في البخاري بتمامه: «عن ابن عباس الله النبي الله قل طائفة من أصحابه عاملين البخاري بتمامه: عمل الله عاملين الله عاملين وين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت عليه الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومفاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، انصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجموا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً حجاً يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه الله وحق الله أوحي إليه قول اللجن، ورواه الترمدي ١٦٧/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأورده ابن كثير ٢/ ١٦٧ من رواية اليهقي في «دلائل النبوة».

٢) وديوانه ٣٦ طبع المكتب الإسلامي، وقمجاز القرآن، ٢٥/٩، ووالكامل للمبرد، ٨٣٣، ووالأمائي، للقالي ٢٠/٥، وواللسان، قضب، ووالقرطبي، ٢٥/١٣ وقوله: في إثر عفرية: أي: شيطان، وقوله: مسوم، أي: معلم، من السومة، وهي العلامة. ومعنى البيت: كأن الثور كوكب مسوم متقضب في إثر عفرية في سواد الليل.

 ⁽٦) مسلم ٤/ ١٧٥١ ـ ١٧٥١، وقد رواه المصنف بالمعتى، ورواه أحمد في «المسند» من حديث ابن حياس وقم (١٨٨٧، ١٨٨٣)، ولفظ المصنف قريب من لفظ أحمد.

يَنْقَضُّ خلفهما انقضاضَ الكوكبِ(١)

والعَيْدُ يَرْهَ قُها الغُبارُ وجَحْشُها وقال أوس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانسقسض كسالسلِّريء يستسبعه نسقسع يستسور تسخسالُـهُ طـنُــبـا(٢)

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ السَّرَقَ السَّمَ ﴾ أي: اختطف ما سمعه من كلام الملائكة. قال ابن فارس: استرق السّمع: إذا سمع مستخفياً. ﴿فَالْبَعَهُ ﴾ أي: لحقه ﴿شِهَا ﴾ ثبِينُ ﴾ قال ابن قتيبة: كوكب مضيء. وقيل: «مبين» بمعنى: ظاهر يراه أهل الأرض. وإنما يسترق الشيطان ما يكون من أخبار الأرض، فأما وحي الله على، فقد صانه عنهم. واختلفوا، هل يَقتل الشهاب، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه يُحرق ويخبّل ولا يقتُل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه يقتُل، قاله الحسن. فعلى هذا القول، هل يُقتَل الشيطان قبل أن يخبِر بما سمع، فيه قولان: أحدهما: أنه يُقتَل قبل ذلك، فعلى هذا، لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء. قال ابن عباس: ولذلك انقطعت الكِهانة. والثاني: أنه يُقتَل بعد إلقائه ما سمع إلى غيره من الجن، ولذلك يعودون إلى الاستراق، ولو لم يضِل، لقطعوا الاستراق.

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَٱلْتَصَنَا فِيهَا رَوَسِى وَٱلْبَنْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْء مَرْدُونِ ﴿ وَجَمَلْنَا لَكُو فِيهَا مَعَيِشَ وَمَن لِسَّمُ لَمُ بِرَوْفِن ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْضَ مَدَدُنَهَا ﴾ أي: بسطناها على وجه الماء ﴿ وَٱلْتَصَنَا فِيهَا رَفِّنِى ﴾ وهي الجبال الثوابت ﴿ وَٱلْبَنْنَا فِيهَا وَلانَ : أحدهما: أنها الأرض، قاله الأكثرون. والثاني: الجبال، قاله الفراء. وفي قوله: ﴿ مِن خَين مَنْ مَوْنُونِ ﴾ قولان: أحدهما: أن الموزون: المعلوم، رواه العَوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. وقال مجاهد، وعكرمة في آخرين: الموزون: المقدور. فعلى هذا يكون المعنى: معلوم القَدْر كانِه قد وَزْن، لأن أهل الدنيا لمَّا كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه، أخبر الله تعالى عن هذا أنه معلوم القَدْر عنده بأنه موزون. وقال الزجاج: المعنى: أنه جرى على وَزْنِ من قَدَر الله تعالى، لا يجاوز ما قدَّره الله تعالى عليه، ولا يستطيع خَلْق زيادة فيه ولا نُقصاناً. والثاني: أنه عني به الشيء الذي يُوزَن كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والخُحل، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروي عن الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، واختاره الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَرَجَعَلْنَا لَكُو فِهَا مَكَنِثَ ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الأرض. والثاني: أنها الأشياء التي أنبت. والمعايش جمع معيشة. والمعنى: جعلنا لكم فيها أرزاقاً تعيشون بها. وفي قوله: ﴿وَنَنَ لَسَتُمْ لَمُ بِرَنِفِنَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الدواب والأنعام، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الوحوش، رواه منصور عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: الوحش، والطير، والسباع، وأشباه ذلك مما لا يرزقه ابن آدم. والثالث: العبيد والإماء، قاله الفراء. والرابع: العبيد، والأنعام، والدواب، قاله الزجاج. قال الفراء: و «مَنْ» في موضع نصب، فالمعنى: جعلنا لكم فيها المعايش، والعبيد، والإماء. ويقال: إنها في موضع خفض، فالمعنى: جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين. وقال الزجاج: المعنى: جعلنا لكم الدواب، والعبيد، وكُفيتم مؤونة أرزاقها. فإن قيل: كيف قلتم: إن «مَن» هاهنا للوحوش والدواب، وإنما تكون لمن يعقل؟ فالجواب: أنه لما وُصفت الوحوش وغيرها بالمعاش الذي الغالب عليه أن يوصف به الناس، فيقال: للآدمي معاش، ولا يقال: للفرس معاش، جرت مجرى الناس، كما قال: ﴿يَأَيُّهَا النَّنَالُ مَسَكِنَكُمْ ﴾ [النمل: ١٨]، وقال: ﴿ وَالَّنَامُ لِ سَجِدِكَ ﴾ [بوسف: ٤]، وقال: ﴿ كُلُّ فِي فَلَكِ يَسَبَحُونَ ﴾ [النمل: ١٦]، وإن قلنا: أُريد به العبيد، والوحوش، فإنه إذا اجتمع الناس وغيرهم، غُلِّب الناس على غيرهم، لفضيلة العقل والتمييز.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خُزَانِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُۥ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞﴾

⁽۱) هيوانه ٣٧، و «تأويل مشكل القرآن؟ ٣٣٣، و«المعاني الكبير» ٧٣٩/١، و«الحيوان» ٢٧٩/١، شبه الحمار والمجحش بالكوكب المنقض في سرعته ويباضه، وقال الجاحظ في «الحيوان» ٢٧٩/٦: وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم من قوله: «والعير يرهقها...» البيت، فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب، وقالوا: في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره.

⁽٢) وديوانه ٣، و (المعاني الكبير، ٧٣٨/٢، و (غريب القرآن، ٣٣٤، و(الحيوان، ٦/ ٢٧٤، و(اللسان): درأ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِن شَيْءِ﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآبِنُهُ﴾ وهذا الكلام عام في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حُكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثرُ مطراً من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء.

﴿ وَأَرْسَلْنَا الْرَيْكَ لَوْقِعَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءَ مَلَّهُ فَلَمُقَيْنَكُمُوهُ وَمَا آلْشُمْ لَمُ يِخْدِرِنِينَ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ثَمِّي. وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَرِنُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الْرِبَحَ لَوْقِعَ﴾ وقرأ حمزة؛ وخلف: «الربح». وكان أبو عبيدة يذهب إلى أن «لواقح» بمعنى مَلاقح، فسقطت الميم منه، قال الشاعر:

لِيبُسِبُكَ يَسِزِيدُ بِسائِسٌ لِسفَسرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ مِمَّنُ طَوَّحِتُهُ الطَّوَائِحُ(١)

أراد؛ المَطاوح، فحذف الميم، فمعنى الآية عنده: وأرسلنا الرياح مُلقِحة، فيكون هاهنا فاعلٌ بمعنى مفْعِل، كما أتى فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿ وَلَوْ كَانِي ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق، و ﴿ مِيسَّةٍ كَانِيَ ﴾ [الحانة: ٢١ والغارعة: ٧] أي: مَرْضيَّة، وكقولهم: ليل نائم، أي: مَنُوم فيه، ويقولون: أبقل النبت، فهو باقل، أي: مُبقِل. قال ابن قتية: يريد أبو عبيدة أنها تُلقِح الشجر، وتُلْقحُ السحاب كأنها تُنتجه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمي الرياحَ لواقحَ، والريحَ لاقحاً، قال الطَّرِمَّاح، وذكر بُرْداً مَدَّه على أصحابه في الشمس يستظلُون به:

قَـــلِـــقُ لأفـــنـــان الـــريـــا ح لِــلَاقــحِ مــنــهــا وحــائــل(٢) فاللاقح: الجنوب، والحائل: الشمال، ويسمون الشمال أيضاً: عقيماً، والعقيم: التي لا تحمل، كما سمّوا الجنوب لاقحاً، قال كثّير:

ومررً برسف ساف الستراب معقب مها(٣)

يعني: الشمال. وإنما جعلوا الريح لاقحاً، أي: حاملاً، لأنها تحمل السحاب وتقلّبه وتصرّفه، ثم تحلّه فينزل، فهي على هذا حامل، ويدل على هذا قوله: ﴿حَقّ إِنّا آتَلَتْ سَكَابًا﴾ [الأعراف: ٢٥] أي: حملت. قال ابن الأنباري: شبّه ما تحمله الريح من الماء وغيره، بالولد الذي تشتمل عليه الناقة، وكذلك يقولون: حرب لاقح، لما تشتمل عليه من الشر، فعلى قول أبي عبيدة، يكون معنى «لواقح»: أنها مُلقحة لغيرها، وعلى قول ابن قتية: أنها لاقحة نفسها، وأكثر الأحاديث تدل على القول الأول (١٤). قال عبد الله بن مسعود: يبعث الله الرياح لتلقح السحاب، فتحمل الماء، فتمجّه ثم تمريه، فيدرُّ كما تدرُّ اللقحة. وقال الضحاك: يبعث الله الرياح على السحاب فتُلقِحه فيمتلئ ماءً. قال النخعي: تُلقِح السحاب ولا تُلقح السحاب حتى يُمطر والشجر، يعنون أنها تُلقح السحاب حتى يُمطر والشجر حتى يُثمر (٥٠).

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْلَنَا مِنَ السَّمَاءَ ﴾ يعين السحاب ﴿ مَاءَ ﴾ يعني المطر ﴿ فَأَتَقَيْنَكُمُو ﴾ أي: جعلناه سُقْيا لكم. قال الفراء: العرب مجتمعون على أن يقولوا: سقيت الرجل، فأنا أسقيه: إذا سقيته لِشَفَته، فإذا أجرَوا للرجل نهراً

⁽۱) البيت لنهشل بن حري على الأصح، شاعر مخضرم، وقد ينسب إلى غيره، وصوب البغدادي نسبته إلى نهشل. وهو في «الكتاب؛ ١/١٤٥، و«الطبري؛ ٢١/١٢، و«مجاز القرآن؛ ٣٤٩/١، و«الشنتمري، ٢٥/١، و«اللسان»، و«التاج»: طبح. و«العيني، ٤٤٣، و«شواهد الكشاف، ٦٥.

⁽۲) البيت للطرماح (غريب القرآن) ۲۳۱.

⁽٣) غريب القرآن؛ ٢٣٧، وواللسان؛ سفف.

٤) وقد روى ابن جرير الطبري ٢٢/١٤ حديثاً مرفوعاً من حديث عبيس بن ميمون عن أبي المهزَّم عن أبي هريرة رهي عن النبي عليه: «الربيع الجنوب من الجنوب الجنوب من الجنوب الجنوب الجنوب من الجنوب الجنو

 ⁽٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها وإن كانت قد تلقح السحاب
والأشجار، فهي لاقعة ملقعة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه.

[قالوا: أسقيته وسقيته، وكذلك السُّقيا من الغيث، قالوا فيها: سقيت وأسقيت](١). وقال أبو عبيدة: كل ما كان من السماء، ففيه لغتان: أسقاه الله، وسقاه الله، قال ليبد:

سَفَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْفَى فَي الْمُسْفَى اللَّهِ السَّفَالِ اللَّهِ اللهِ اللَّهِ اللهِ (٢)

فجاء باللغتين. وتقول: سقيت الرجل ماءً وشراباً من لبن وغيره، وليس فيه إِلا لغة واحدة بغير ألِف، إِذا كان في الشَّفة؛ وإِذا جعلت له شِرْباً، فهو: أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إِذا استسقيت له، كقول ذي الرمة:

بُّةَ نَاقَتِي فَما زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَه وَأَخَاطِبُهُ (***) مَّا أَبُثُهُ تُكَلِّمُنِي أَخْبَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وَقَــفْـتُ عَــلَــى رَسْــم لِــمَـيَّـةَ نَــاقَــتِــي وأُسْــقِــيــة خَــتَّــى كَــادَ مِــمَّــا أَبُــثُــهُ فإذا وهبت له إهاباً ليجعله سقاء، فقد أسقيته إياه.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَا أَنْتُمْ لَهُ﴾ يعني: الماء المُنزَل ﴿ بِعَنزِنِينَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بحافظين، أي: ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل. والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿ وَيُعَنُّ ٱلْوَرِثُونَ ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فناء الخلق.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلسَّنَقْلِينِهِ مِنكُمْ وَلَقَدْ مَلِمَنَا ٱلسَّنَقْدِينَ ۞ وَإِنَّ رَبُّكَ هُوَ يَمْشُرُكُمْ إِنَّهُ كَيْمُ عَلِيمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِنَا ٱلسُّتَقْدِينِ مِنكُمْ ﴾ يقال: استقدم الرجل، بمعنى: تقدم، واستأخر، بمعنى: تأخر. وفي سبب نزولها قولان: أجدهما: أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله هي فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول الصف لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في آخر صف، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (3). والثاني: أن النبي هي خض على الصف الأول، فازدحموا عليه، وقال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة: لنبيعن دُورنا، ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المتقدم، فنزلت هذه الآية؛ ومعناها: إنما تُجزون على النيات، فاطمأنوا وسكنوا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وللمفسرين في معنى المستقدمين والمستأخرين ثمانية أقوال: أحدها: لتقدم في الصف الأول، والتأخر عنه، وهذا على القولين المذكورين في سبب نزولها، فعلى الأول: هو التقدّم للتقوى، والتأخر للخيانة بالنظر، وعلى الثاني: هو التقدم لطلب الفضيلة، والتأخر للعذر. والثاني: أن المستقدمين: من مات، والمستأخرين: من هو حي لم يمت، رواه العَوفي عن ابن عباس، ولمضائحرين: الذين في أصلاب الرجال، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والرابع: أن المستقدمين: من فراحي من الخلق وكان. مضى من الأمم، والمستأخرين: أمة محمد في رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والمعادمين: أن المستقدمين: من فتل في الجهاد، والمستأخرين: من مفوف القتال، والمستأخرين عنها، قاله الضحاك. والسابع: أن المستقدمين: من فتل في الجهاد، والمستأخرين: أن المستقدمين: آن المستقدمين: من فتل في الجهاد، والمستأخرين: أن المستقدمين: من فتل في الجهاد، والمستأخرين: من

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَنَ مِن صَلْصَدُلِ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونِ ۞ وَلَلِكَانَ خَلَقَتُهُ مِن قَالٍ السَّمُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكُ لِلْمَالَئِمِكَةِ إِنِّي خَدِلِقًا بَشَكَرًا مِن صَلْصَدُلِ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونِ ۞ فَإِذَا سَوَّئِتُهُمْ وَنَقَتْتُ فِيهِ مِن زُّرِجِي فَقَعُواْ لَهُ سَحِدِينَ ۞﴾

⁽١) وفي هامش الأصل ما نصه: هذا سقط من الأصل، لأنه مكتوب بخط جديد، كان سقط منه ورقة، وألحقت، ولعله غلط فأسقط ما بين ولا؛ وإلى؛، وهو الذي وضعناه بين معقفين.

٧) ﴿ ديوانه ٩٣، وهمجاز القرآن؛ ١/ ٣٥٠، و﴿ نوادر أبي زيد، ٢١٣، و﴿ الشَّتَمْرِي، ٢/ ٣٣٥، و﴿ اللَّمَان

⁽٣) • ديوانه؛ طبع المكتب الإسلامي ٥٠، و(مجاز القرآن؛ ١/ ٣٥٠، وانوادر أبي زيد؛ ٢١٣، والطبري؛ ٢٢/١٤، والتاج؛ سقى.

 ^{(3) «}الطبري» ٢٦/١٤، وذكره ابن كثير من رواية ابن جرير الطبري ٢/٩٤٩، وقال: حديث غريب جداً، وفيه نكارة شديدة. وأورده السيوطي في «المدر» ٤/٩٦، وزاد نسبته للطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنبسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في استنه».

قوله تعالى: ﴿ رَاتَدَ مَاتَنَا الإِدَانَ ﴾ يعني آدم ﴿ مِن مَامَدِ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحلها: أنه الطين اليابس الذي لم تُصِبه نار، فإذا نقرته صَلَّ، فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابنائث: أنه طين تُخلط برمل، المنتن، قاله مجاهد، والكسائي، وأبو عبيد. ويقال: صَلَّ اللحمُ: إذا تغيرت رائحته. والثالث: أنه طين تُخلط برمل، فصار له صوت عند نقره، قاله الفراء. فأما الحماً، فقال أبو عبيدة: هو جمع حَماة، وهو الطين المتغير. وقال ابن الأنباري: لا خلاف أن الحماً: الطين الأسود المتغير الريح. وروى السدي عن أشياخه قال: بُلَّ الترابُ حتى صار طيناً، ثم تُرك حتى أنتن وتغيَّر. وفي المسنون أربعة أقوال: أحدها: المتن أيضاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: المسنون: المتغير الرائحة. والثاني: أنه الطين الرطب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه المصبوب، قاله أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد. والرابع: أنه المحكوك، ذكره ابن عباس، والثالث: أنه المصبوب، قال: هو من قولهم: قد تسنَّى الشيء: إذا أنن، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَمُ يَسَلَمُ البَونَ المعنون المصبوب. ومن قال: المصبوب، احتج بقول العرب: قد سنت عليً الماء: إذا يسمى مسنوناً، لأنه يسبل وينبسط، فيكون كالماء المسنون المصبوب. ومن قال: المصبوب، احتج بقول العرب: قد سنت عليً الماء: إذا يسبح ويجوز أن يكون المصبوب على صورة ومثال، من قوله: رأيت سُنَّة وجهه، أي: صورة وجهه، قال الشاعر: صببته. ويجوز أن يكون المصبوب على صورة ومثال، من قوله: رأيت سُنَّة وجهه، أي: صورة وجهه، قال الشاعر:

تُسرِيسكَ سُسنَّةَ وَجُدِهِ غَسِيْسَ مُسقَسِفَةٍ ﴿ ﴿ مَلْسَاءَ لَسِيْسَ بِنِهَا خَالٌ وَلَا نَسَدُ (١)

ومن قال: المحكوك، احتج بقول العرب: سننت الحجر على الحجر: إذا حككته عليه. وسمي المِسَنُّ مِسَنَّا، لأن الحديد يُحَكُّ عليه. قال: وإنما كُرِّرت «مِنْ» لأن الأولى متعلقة بـ «خلقنا»، والثانية متعلقة بالصلصال، تقديره: ولقد خلقنا الإنسان من الصلصال الذي هو من حماً مسنون.

قوله تعالى: ﴿ رَالْبَانَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس (٢)، رواه عكرمة عن ابن عباس، وروى عنه الضحاك أنه قال: الجائ أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه الضحاك أنه قال: الجائ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر. والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل. فإن قيل: أليس أبو الجن هو إبليس أبو الشياطين، جوابان: أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله. والثاني: أن الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فينهما إذاً فرق على ما ذكرنا عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جاناً، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿ مِن بَتُكُ يعني: قبل خَلْق آدم: ﴿ مِن نَارِ ٱلسَّمُورِ ﴾ (٣)، وقال ابن مسعود: من نار الريح الحارَّة، وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم (٤). والسَّموم في اللغة: الريح الحارَّة وفيها نار، قال ابن السائب: وهي نار لا دخان لها.

﴿ مُسَجَدُ الْمَلَتِكُةُ حَمُلُهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِلِيسَ أَنَّ أَن يَكُونَ مَعَ السَّنجِدِينَ ۞ قال يُتإلِيشُ مَا لَكَ أَلَّا نَكُونَ مَعَ السَّجِدِينَ ۞

⁽١) البيت لذي الرّمة، الديوانه؛ طبع المكتب الإسلامي ٨، والقرطبي؛ ٢٢/١٠. والسنّة: الصورة، والندب: الأثر من الجراح والقراح، وقوله: غير مقونة، أي: غير هجينة، عفيفة، كريمة. وخال: شامة.

⁽٢) روى أحمد في «المسند» وتم (٣٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود فله أن رسول الله يخ قال: فإن الله لم يمسخ شيئاً فيدع له نسلاً أو عاقبة، وقلا كانت القردة والخنازير قبل ذلك»، وهو حديث صحيح. وروى مسلم في «صحيح» ١٠٥٤ (٢٠٥١) عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل نقال: يا رسول الله القردة والخنازير، هي مما مسخ؟ نقال النبي على فإن الله فل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». وروى مسلم أيضاً ١٠٥٤ ، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله الله القردة - قال مسعر وأراه قال: والخنازير - من مسخ، نقال على أنها ليست من المسخ.
المسخ.
المسخ.

⁽٤) روى البخاري ٢٣٨/١، ومسلم ٢١٨٤/٤ عن أبي هريرة ، ولفظ البخاري: أن النبي ﷺ قال: فناركم جزء من سبمين جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فقضلت عليهن بتسعة وتسعين جزءاً كلهن مثل حرها».

قَالَ لَمْ أَكُنَ لِأَشْجُدَ لِبَشَرِ خَلْقَتُمُ مِن صَلْمَتَلِ مِنْ حَمَّا مَشْنُونِ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيتُ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّمَنَّذَ إِلَى بَوْرِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَالْظِرْقِ إِلَى بَوْرِ يُبْتَمُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الشُظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْرِ الْوَقْتِ الْسَقُورِ ۞ قَالَ رَبِّ عَا أَغَوْبَنَنِي لَأَيْتِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْرِيَنَهُمْ أَجْمُونِنَ ۞ إِلَّا عِبَادُكَ مِتْهُمُ الشُغْلَمِينَ ۞ قَالَ هَنذَا مِيزَلُمْ

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَيْتُكُمُ ﴾ أي: عدَّلتُ صورته، وأتممتُ خلقته ﴿ وَنَفَخْتُ نِيهِ مِن رُّرِمِ ﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا تُعْلَم ماهيَّتُها، وإنما أضافها إليه، تشريفاً لآدم، وهذه إضافة مِلْك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخاً، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الربح فيه.

قوله تعالى: ﴿نَتَمُوا﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُهُمْ أَمَمُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلُّهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلَّا» تدل لى اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالاً.

قوله تعالى: ﴿ رَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّمْنَةَ ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿ إِلَى يَرْمِ الدِّينِ ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك اللعنة أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﷺ يعني: المعلوم بموت الخلائق فيه، فأراد أن يذيقه ألم الموت قبل أن يذيقه العذاب الدائم في جهنم.

قوله تعالى: ﴿لأَنْيَنَنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مفعول التزيين محذوف، والمعنى: لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه. ﴿وَلَأُغْرِيَنَهُمْ﴾ أي: ولأضلنهم. والمخلصون: الذين أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص. وما أخللنا به من الكلمات هاهنا، فقد سبق تفسيرها في [الأمراف: ١٦] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَالً عَلَى مُسْتَنِسَدُ ﴿ ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاص، فالمعنى: إِن الإخلاص طريق إليَّ مستقيم، و (عليَّ بمعنى ﴿ إِلَيَّ ٤٠. والثاني: هذا طريق عليَّ جَوازه، لأني بالمرصاد، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للوجل تخاصمه: طريقك عليَّ، فهو كقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّكَ لِهَالِمُ رَمَادِ ﴿ إِنَّ رَبِّكَ لِهَالِمُ وَمَا لِللهُ وَالثالث: هذا صراط عليَّ استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان. وقرأ قتادة، ويعقوب: «هذا صراطً عَلِيَّ بكسر اللام ورفع الياء وتنوينها، أي: رفيع.

﴿إِنَّ عِبَادِى لِيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ شُلْطَكَنُّ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَإِنَّ جَهَنَمَ لَمُتَّعِيدُمُ أَبْمَعِينَ ۞ لَمَا سَبْعَةُ أَبُوكِ لِكُلِّ بَابِ مِنْهُمْ جُنِنُ مَقْسُومُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ فيهم أربعة أقوال(١): أحدها: أنهم المؤمنون. والثاني: المعصومون، رُوِيا عن قتادة. والثالث: المخلِصون، قاله مقاتل. والرابع: المطبعون، قاله ابن جرير. فعلى هذه الأقوال، تكون الآية من العام الذي أريد به الخاصُّ. وفي المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن جرير، فيكون المعنى: ليس لك حجة في إغوائهم. والثاني: أنه القهر والغلبة؛ إنما له أن يَغُرُّ ويزيِّن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية، فقال: ليس لك عليهم سلطان أن تلقيهم في ذَنْب يضيق عفوي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَنَوْعِدُهُمُ أَجْمِينَ ﴿ لَهِ عَنِي: الذين اتَّبعوه.

قوله تعالى: ﴿ لَمَا سَبَعَدُ أَبُوبِ ﴾ وهي دركاتها بعضها فوق بعض، قال علي ﷺ: أبواب جهنم ليست كأبوابكم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وهكذا بعضها فوق بعض، ووصف الراوي عنه بيده وفتح أصابعه. قال ابن جرير: لها سبعة أبواب، أولها جهنم، ثم لَظَى، ثم الجُطَمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقال الضحاك: هي سبعة

⁽١) وفي نسخة: فيه أربعة أقوال، ويكون الضمير عائداً على القول.

أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذَّبون على قدر ذنوبهم ثم يُخرَجون، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون. قال ابن الأنباري: لما اتصل العذاب بالباب، وكان الباب مِنْ سببه، سمي باسمه للمجاورة، كتسميتهم الحدث غائطاً.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابِ مِنْهُمْ ﴾ أي: من أتباع إِبليس ﴿جُنَّهُ مَنْسُورً ﴾ والجزء: بعض الشيء.

﴿إِنَّ ٱلْمُنْقِينَ فِي جَنْنُتُ وَغُيُونٍ ﴿ اَتَنْقُوهَا بِسَلَمٍ ءَامِنِينَ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي مُسْدُورِهِم مِّنَ غِلِّ إِخْوَنًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَنبِلِينَ ﴾ لَا يَسَشُهُمْ فِيهَا نَصَبُّ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُعْمَرِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّنِيْنِ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ﷺ قد شرحنا في سورة [البقرة: ٢ و ٢٥] معنى التقوى والجنات. فأما العيون، فهي عيون الماء، والخمر، والسلسبيل، والتسنيم، وغير ذلك مما ذُكر أنه من شراب الجنة.

قوله تعالى: ﴿أَنْظُومًا بِسَلَيْ ﴾ المعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بسلامة من النار. والثاني: بسلامة من كل آفة. والثالث: بتحية من الله. وفي قوله: ﴿كَامِنِينَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: آمنين من عذاب الله. والثاني: من الخروج. والثالث: من الموت. والرابع: من الخوف والمرض.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم بِّنَّ عِلَ﴾ قد ذكرتا تفسيرها في سورة [الأعراف: ٤٣] فإن المفسرين ذكروا ما هناك هاهنا من تفسير وسبب نزول.

قوله تعالى: ﴿إِخْرَنَا﴾ منصوب على الحال، والمعنى: أنهم متوادّون. فإن قيل: كيف نصب الإخواناً» على الحال، فأوجب ذلك أن التآخي وقع مع نزع الغِلِّ، وقد كان التآخي بينهم في الدنيا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري: فقال: ما مضى من التآخي قد كان تشويه ضغائن وشحناء، وهذا التآخي بينهم الموجودُ عند نزع الغِلِّ هو تآخي المصافاة والإخلاص، ويجوز أن ينتصب على المدح، المعنى: اذكر إِخواناً. فأما السرر فجمع سرير، قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكلَّلة بالزبرجد والذَّر والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة (١)، ﴿مُتَقَرَيلِنَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما النفت رأى وجهاً يحبه يقابله.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُّ ﴾ أي: لا يصيبهم في الجنة إعياءٌ وتعب.

﴿ لَهُ نَبِقَ عِبَادِى أَنِهَ أَنَا ٱلْمَفُورُ الرَّحِيــمُ ﴿ وَأَنَّ صَلَابِي هُوَ الْمَلَابُ ٱلأَلِيمُ ۞ وَنَيْتَهُمْ عَن مَنْفِ إِبْرَهِيمَ ۞ إِذْ مَنْلُوا عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَكًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ رَجِلُونَ ۞ قَالُواْ لَا نَوْيَلُ إِنَّا بُنْشِرُكَ مِثْلَابٍ عَلِيهِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿نَمِنَّ عِبَادِى آئِتَ أَنَا ٱلْنَفُورُ ٱلرَّحِبُ ﴾ سبب نزولها ما روى ابن المبارك بإسناد له عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: طلع علينا رسول الله من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، ونحن نضحك، فقال: ﴿الْا أَراكم تضحكون؟ ثم أدبر، حتى إذا كان عند الحِجر، رجع إلينا القهقرى، فقال: ﴿إني لمَّا خرجت، جاء جبريل ﷺ، فقال: يا محمد، يقول الله تعالى: لم تقنَّط عبادي؟ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (٢٠٠٠. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بتحريك ياء ﴿عبادي﴾ وياء ﴿إني أنا»، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿ رَنَيْتُهُمْ عَن مَنْيَفِ إِبْرَهِيمَ ﴿ ﴾ قد شرحنا القصة في [مود: ٦٩] وبيئنًا هنالك معنى الضيف والسبب في خوفه منهم، وذكرنا معنى الوّجَل في [الأنفال: ٢].

قوله تعالى: ﴿ يِنُكُم عَلِيمٍ ﴾ أي: إنه يبلغ ويعلم.

﴿ قَالَ أَبُشَّرْتُمُونِ عَلَىٰ أَن شَتَّنِي ٱلْكِبَرُ نَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۞ قَالُوا بَشَّرْنَكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْقَنْطِينَ ۞ قَالَ وَمَن يَفْنَطُ مِن

⁽١) أيلة: مدينة على شاطئ البحر بين الفسطاط ومكة تعد من بلاد الشام.

⁽٢) • الطبري • ٣٩/١٤ وسنده ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٧/ ٥٥٣ من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٠٠٤، وزاد نسبته لابن مردويه. وجاء في «صحيح مسلم» ٢١٠٩/٤ حديث بصدد هذه الآية دون سبب النزول، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من المقوية ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكفار ما عند الله من الرحمة ما قنط من جته أحد».

رَّحْمَةِ رَبِهِ. إِلَّا الشَّالُونَ ۞ فَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَنِّبَا الشُّرْسُلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى فَوْمِ نُجْرِيبِنَ ۞ إِلَّا مَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُسْتُلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى فَوْمِ نَجْرِيبِنَ ۞ قَالُوا بَلَّ أَهْمَوِينَ ﴾ إِلَّا امْرَأْنَكُمْ فَذَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الفَنبِونِ ۞ فَلْمَنا جَنَّهُ مَالَ الْمُؤْمِنُ ۞ قَالُوا بَلْ جِفْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَسْتَرُونَ ۞ وَقَفْيَنَا إِلَيْهِ وَلِنَا لَمَنْدِفُونَ ۞ فَأَسْرِ إِنْقِلِكَ يَفِظْعِ مِنَ الَّقِلِ وَاتَّبِعْ أَرْبَرُهُمْ وَلَا بَلَافِتْ مِنْكُو لَمُذُّ وَاتَعْمُوا خَيْثُ ثُوْمِرُونَ ۞ وَقَفْيَنَا إِلَيْهِ وَلِكَ الْأَمْرِ أَنْ َ وَإِنْ مُعْلِكُمْ مُقْطُعُ مُّ مُشْعِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبُشَرْتُمُونِ ﴾ أي: بالولد ﴿ مَنَ أَن مَسَنِي الْسَكِيرُ ﴾ أي: على حالة الكِبرَ والهرم ﴿ فَهَدَ تُبَشِّرُونَ ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تُبشِّرونَ» بفتح النون. وقرأ نافع بكسر النون، ووافقه ابن كثير في كسرها، لكنه شددها. وهذا استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كِبَرو. ﴿ قَالُوا بَشَرْنَكَ بِالْمَوْقِ ﴾ أي: بما قضى الله أنه كائن ﴿ فَلاَ تَكُنُ مِن القَنظِينَ ﴾ يعني: الآيسين. ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «ومن يقنَط » بفتح النون في جميع القرآن. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يقنِط» بكسر النون، وكلهم قرؤوا ﴿ مِن بَقَنَط ، وَهَن يقنَط ، والنون وكلهم قرؤوا ﴿ مِن يقنَط ، وقنَط يقنِط ، والقُدر ﴿ قَالَ فَمَا خَلَكُمُ ﴾ يقنَط ، وقنَط يقنِط، والقُنوط بمعنى اليأس، ولم يكن إبراهيم قانطاً ، ولكنه استبعد وجود الولد. ﴿ قَالَ فَمَا خَلْكُمُ ﴾ أي: بالعذاب. وقوله: ﴿ إِلّا ءَالَ لُوطٍ ﴾ استثناء ليس من الأول. فأما آل لوط، فهم أتباعه المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُنَجُوهُمُ قُوا ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «لمنجُّوهم» مشددة الجيم. وقرأ حمزة، السكائي «لمُنجوهم» خفيفة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَنَهُ﴾ المعنى: إنا لمنجوهم إلا امرأته ﴿فَذَرْنَآ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم «قَدَرْنا» بالتخفيف، والمعنى واحد، يقال: قدَّرت وقدَرْت، والمعنى: قضينا ﴿إِنَّهَا لَكِنَ ٱلْفَنْدِينَ﴾ يعني: الباقين في العذاب.

قــولــه تــعــالـــى: ﴿ إِنَّكُمْ قَرْمٌ تُنَكُّرُونَ ﴾ يــعـنـــي: لا أعــرفــكـــم، ﴿ قَالُواْ بَلَ جِثَنَكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ ۖ ﴾ يعنون: العذاب، كانوا يشكّون في نزوله. ﴿ وَأَنْيَنَكَ بِالْعَقِي ﴾ أي: بالأمر الذي لا شك فيه من عذاب قومك.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُ أَدَّنَزَهُمُ﴾ أي: سِرْ خلفهم ﴿وَالْمَشُواْ حَيْثُ نُؤْمَرُونَ﴾ أي: حيث يأمركم جبريل. وفي المكان الذي أمِروا بالمضي إليه قولان: أحدهما: أنه الشام، قاله ابن عباس. والثاني: قرية من قرى قوم لوط، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ وَمَضَيْنَا ۚ إِلَيْهِ ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: أوحينا إلي ذلك الأمر، أي: الأمر بهلاك قومه. قال الزجاج: فسَّر: ما الأمر بباقي الآية، والمعنى: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. فأما الدابر، فقد سبق تفسيره االانعام: ١٤٥، والمعنى: إن آخر من يبقى منكم يَهْلِك وقت الصبح.

﴿ وَبَهَآةَ أَهْـلُ ٱلْمَدِينَكَةِ يَسْتَشِيْرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ مَتَوُلَآءَ مَشْنِي فَلَا نَفْضَحُونِ ۞ وَانْقُوا اللّهَ وَلَا تُخْذُرُونِ ۞ قَالُوا أَوْلَتُم نَشْهَكَ عَنِ ٱلْمَلَكِينِ ﴾ ۞ قَالَ مَتَوُلَآء بَنَانِ إِن كُشْتُر نَكِيلِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآتَ أَشَلُ ٱلۡمَدِينَكَةِ﴾ وهم قوم لوط، واسمها سَدُوم، ﴿يَسۡتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط، طمعاً في ركوب الفاحشة، فقال لهم لوط: ﴿إِنَّ مَتَوْلَآ مَشِنِي فَلَا نَفْضَحُونِ﴾ أي: بقصدكم إِياهم بالسوء، يقال: فضَحَه يفضَحُه: إِذا أبان من أمره ما يلزمه به العار. وقد أثبت يعقوب ياء «تفضحون»، «ولا تُخزون» في الوصل والوقف.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَاكُ عَنِ ٱلْمَلْمِينَ ﴾ أي: عن ضيافة العالَمين.

قوله تعالى: ﴿ بَنَانِ ٓ إِن كُنتُرُ ﴾ حرك ياء (بناتي) نافع، وأبو جعفر.

﴿لَمَنْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكَرْنِهِمْ يَمْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَمَلْنَا عَلِيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَوْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِبِلٍ ۞ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَاَيْنَتِ لِلشُّوَشِينَ ۞ وَإِنَّهَا لِبَسَيِبِلِ مُقِيمٍهِ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَتُرُكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوال: أحدها: أن معناه: وحياتكُ يا محمد، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: لَعَيْشُك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الأخفش، وهو يرجع إلى معنى الأول. والثالث: أن معناه: وحقّك على أمتك، تقول العرب: لَعَمْرُ الله لا أقوم، يعنون: وحَق الله، ذكره ابن الأنباري. قال: وفي العَمْرِ

ثلاث لغات: عَمْرٌ وعُمْرٌ وعُمُرٌ، وهو عند العرب: البقاء. وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا: العَمْرُ والعُمْرُ في معنى واحد، فإذا استُعمل في القسّم، فُتح لا غير، وإنما آثروا الفتح في القسّم، لأن الفتح أخف عليهم، وهم يؤكدون القسّم به ولعَمرك، و العَمْرك، فلما كثر استعمالهم إياه، لزموا الأخف عليهم، قال: وقال النحويون: ارتفع ولعَمرُك بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لعَمْرك قَسمي، ولعَمْرك ما أقسِمُ به، وحُذف الخبر، لأن في الكلام دليلاً عليه. المعنى: أقسم ﴿ إِنَهُمْ لَيْ سَكَرَيْمٌ يَسْمَهُونَ ﴾. وفي المراد بهذه السكرة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الغفلة، قاله الأعمش، وقد شرحنا معنى المَمَه في سورة [البقرة: ١٥]. وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون، والثاني: قوم نبينا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تصالى: ﴿ مَا الْمَدَامَةُ مُ المَدَامَةُ يعني: صيحة العذاب وهي صيحة جبريل على الله مناوري المناور والمناب وهي صيحة جبريل الله المناب والمناب الزجاج: يقال: أضرقنا، فنحن مُشرقون: إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما يقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصبح، يقال: شَرَقت الشمس: إذا طلت، وأشرقت: إذا أضاءت وصَفَت، هذا أكثر اللغة. وقد قيل: شَرَقت وأشرقت في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَهَ ﴾ يعني: قرية قوم لوط ﴿ لِسَيبِلِ مُتِيرٍ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لَبِطريق واضح، رواه نهشل عن الضحاك عن ابن عباس، ويه قال قتادة، والزجاج. وقال ابن زيد: لبِطريق متبيَّن. والثاني: لبهلاك. رواه أبو رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس، والمعنى: إنها بحال هلاكها لم تُعْمَر حتى الآن، فالاعتبار بها ممكن، وهي على طريق قريش إذا سافروا إلى الشام.

﴿ رَإِن كَانَ أَصَعَتُ ٱلأَبْكَةِ لَطَلِيلِينَ ۞ فَالنَقَمْنَا يَنْهُمُ وَإِنْهُمُنَا لِبَإِمَارِ مُبِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَإِن كَانَ أَصَّنَتُ ٱلْأَبْكَةِ لَطَالِينَ ﴿ قَالَ الزجاج: معنى قَإِنْ واللام: التوكيدُ، والأيك: الشجر الملتف، فالفصل بين واحده وجمعه، الهاء. فالمعنى: أصحاب الشجرة. قال المفسرون: هم قوم شعيب، كان مكانُهم ذا شجر، فكذَّبوا شعيباً فأهلكوا بالحرِّ كما بيَّنا في سورة [هود: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ في المكنى عنهما قولان: أحدهما: أنهما الأيكة ومدينة قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: لوط وشعيب، ذكره ابن الأنباري. وفي قوله: ﴿ لِإِمَارِ مُبِينٍ ﴾ قولان: أحدهما: لبطريق ظاهر، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وقيل للطريق: إمام، لأن المسافر يأتمُّ به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده. والثاني: لفي كتاب مستبين، قاله السدي. قال ابن الأنباري: ﴿ وإنهما عني: لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به.

﴿ وَلَقَدْ كُذَبَ أَصْمَتُ ٱلْمِنْجِيرِ ٱلْمُرْسِلِينَ ۞ وَالْيَنَائُمُ مَايُنِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَأَفَذَ كَذَّبَ أَسْبُ لَلِيْجِرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ يعني بهم ثمود. قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحجر بين المدينة والشام. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه اسم الوادي الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج. والثاني: اسم

⁽١) «الطبري» ٢٠/١٤، ورواه الترمذي ٢/ ١٤٠ من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث غريب لا نمرفه إلا من هذا الوجه. وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٥، وابن جرير، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٣/٤ وزاد في نسبته للبخاري في «التاريخ»، وابن الستي وأبي نميم مما في الطب، وابن مردويه، والخطيب. وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ١٩، ووفيض القديرة ١٤٤/١.

مدينتهم، قاله الزهري، ومقاتل. قال المفسرون: والمراد بالمرسلين: صالح وحده، لأنه من كنَّب نبياً فقد كنَّب الكُلّ. والمراد بالآيات: الناقة، قال ابن عباس: كان فيها آيات: خروجها من الصخرة، ودنوّ نتاجها عند خروجها، وعِظُمُ خَلْقها فلم تشبهها ناقة، وكثرةُ لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً، ﴿ يَكَانُوا مَنْهَا مُرْمِنِينَ ﴾ لم يتفكروا فيها ولم يستدلُّوا بها.

﴿ وَكَانُوا بَنْجِنُونَ مِنَ لَلِمِبَالِ بُيُوتًا مَامِنِينَ ﴿ مَأْخَذَتُهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِعِينَ ﴿ فَأَ أَغَنَى عَتْهُم مَّا كَانُوا بَكْسِبُونَ ﴿ وَمَا خَلَقَنَا السَّعَنَوْتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَنَتَهُمَا ۚ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَالْتِيَةُ أَمْمِغَجِ الصَّفْحَ الْجَييلَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْمَالَقُ ٱلعَلِيمُ ﴿ وَمَا خَلَقَنَا السَّعَانَ وَالْعَرْضَ وَمَا بَنَتَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنِّ السَّاعَةَ لَائِينَةٌ أَمْمِغَجِ الصَّفْحَ الْجَييلَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُو ٱلْمُلْتُنَ الْعَلِيمُ ﴿ إِنَّ مَلِيمُ

قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْوِنُونَ مِنَ لَلِبَالِ بُونًا ﴾ قد شرحناه في الاعراف: ١٧٤. وفي قوله: ﴿ عَلِينِكِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: آمنين أن تقع عليهم. والثاني: آمنين من خرابها. والثالث: من عذاب الله فكل. وفي قوله: ﴿ تَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ قولان: أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال. والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْمَيِّ ﴾ أي: للحق ولإِظهار الحق، وهو ثواب المصدِّق وعقاب المكذِّب. ﴿ رَإِنَ السَّاعَةَ لَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الخالي من لاَيْكِيَّ ﴾ أي: وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿ أَلْسَنْحَ السَّنْحَ السَّنْحَ الْمَيْدَ ﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جزع وفُحش. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف. فأما: ﴿ اَلْمَاتُكُ ﴾ فهو خالق كل شيء. و ﴿ الْمَلِيمُ ﴾ قد سبق شرحه [البرة: ٢٩].

﴿ وَلَقَدْ مَالِبَنَكَ سَبْمًا مِنَ ٱلْمُنَانِ وَٱلْقُرْءَاتَ ٱلْمَطِيمَ ۞ لَا تَمُدُّنَ عَبْنَكَ إِلَى مَا مَتَعَنَا بِدِهِ ٱزْوَجَا مِنْهُمْ وَلَا تَحَرَّنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ الْمُوْمِنِينَ ۞ رَقُلْ إِنِي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلشِّيرِثُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَانِيّنَكُ سَبّمًا مِن النّيَانِ ﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأفرعات ليهود قريظة والنفير في يوم واحد، فيها أنواع من البّرِّ والطيب والجواهر، فقال: المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية، وقال: أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿ لا تُدُنَّ عَبْبَكَ . . ﴾ الآية، قاله المحسين بن الفضل (١٠ وفي المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال: أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، وعطاء، وقتادة في رواية الخرين. فعلى هذا، إنما سمّيت بالسبع، لأنها سبع آيات. وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال: أحدها: لأن الله استثناها لأمة محمد على فلم يعظها أمة قبلهم، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لأنها تُنتَّى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة، وإنما دخلت قبن الموكيد، كقوله: ﴿ وَلَمْ فِيهَا مِنْ الله تعلى الله تعلى الله تعلى الله تعلى الله تعلى على الله تعلى الله تعلى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر مملكته، ذكره الزجاج. والرابع: لأن فيها والثامس: لأنها مأشي به على الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة وقسمتُ الصلاة بيني وبين عبديه (السابع: لأنها مثناة، مثل: الرحمن المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير أنه عض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في

⁽١) الواحدي: ١٨٩.

⁽۲) وهو حديث قدسي رواه مسلم في اصحبحه ۲۹۲/۱ وهو بتمامه عن أبي هريرة الله قال: سمعت رسول الله يه يقول: وقال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولمبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ الْكَنْدُ لِلّهِ رَبِّ الْمَالَدِينَ ﴿ قَالَ الله تعالى: حبدني عبدي، وإذا قال: ﴿ مَالَكُنْ اللّهِ رَبِّ الْمَالَدِينَ ﴿ قَالَ الله تعالى: حبدني عبدي، وإذا قال: ﴿ مَالِكِ يَوْرِ الدِّيبِ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال: ﴿ مَالِكِ يَوْرِ الدِّيبِ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، ﴿ آهِدِنَا السِّرَطَ السَّتَيْدَ ﴿ صِرَطَ اللّهِ المُعَمَّ عَلَيْهِ مَ غَيْرِ الشَّعْرِينَ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، ﴿ آهَدِنَا السِّرَطَ السَّتَيِّدَ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل،

 ⁽٣) لعله اعتبر تفسير (ولا الضالين، بمعنى: وغير الضالين، فكلمة (غير، مكرر، بموجب ذلك.

حيِّز، والقرآن كله في حيِّز، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كله. والقول الثاني: أنها السبع الطُّوّل، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، والضحاك. فالسبع الطُّوَل هي: (البقرة)، و (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، و (الأنعام)، و (الأعراف)، وفي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها (يونس)، قاله سعيد بن جبير. والثاني: (براءة) قاله أبو مالك. والثالث: (الأنفال) و (براءة) جميعاً، رواه سفيان عن مسعر عن بعض أهل العلم. قال ابن قتيبة: وكانوا يرون (الأنفال) و (براءة) سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: هي الطُّوَل، ولا تَقُلها بالكسر، فعلى هذا، في تسميتها بالمثاني قولان: أحدهما: لأن الحدود والفرائض والأمثال ثنّيت فيها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها تجاوز المائة الأولى إلى الماثة الثانية، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أن السبع المثاني سبع معانٍ أنزلت في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النُّعَم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم. والقول الرابع: أن المثاني: القرآن كلُّه، قاله طاووس، والضحاك، وأبو مالك، فعلى هذا، في تسمية القرآن بالمثاني أربعة أقوال: أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً، فتثنَّى الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضيَ السورة، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه سمى بالمثاني لِما يتردَّدُ فيه من الثناء على الله على والثالث: لِما يتردَّدُ فيه من ذِكْر الجنة، والنار، والثواب، والعقاب. والرابع: لأن الأقاصيص، والأخبار، والمواعظ، والآداب، ثنَّيت فيه، ذكرهن ابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: قد يكون المثاني سور القرآن كلُّه، قصارها وطوالها، وإنما سمي مثاني، لأن الأنباء والقصص تثنّى فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم. فأما قوله: ﴿ يَنَ ٱلشَّانِ ﴾ ففي "مِن" قولان: أحدهما: أنها للتبعيض، فيكون المعنى: آتيناك سبعاً من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قول: ﴿فَأَجْتَكِنِبُواْ ٱلرِّيمْسُ مِنَ ٱلْأَوْنُدُينِ﴾ [العج: ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين المزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريباً من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وَالْفُرْوَاتُ الْفَلِيمَ ﴾ يعني: العظيم القدر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحيه. وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنه الفاتحة أيضاً، قاله أبو هريرة، وقد روينا فيه حديثاً في أول تفسير (الفاتحة). قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون قد نُست الكُلُّ على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبة بها ما يغاير الأول، فجوَّز ذلك عطفه عليه. وعلى القول الثاني، نُسِق الشيء على نفسه لمَّا زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا: روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب. يريدون بابن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزلة، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول؛ فعُطف عليه. ولما ذكر الله تعالى مِنَّته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى اللنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: ﴿ لَا تَمُنَّنَ عَيْبَهُ لَا نَا عَمْنَ عَيْبَمْ ﴾ قولان: أحدهما: لا تحزن عليهم إن المشركين، والمعنى: أنه نهاه عن الرغبة في الدنيا. وفي قوله: ﴿ وَلَا عَتَرَنَ عَلَيْمَ ﴾ قولان: أحدهما: لا تحزن عليهم إن المؤل. والمناه.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألِن جانبك لهم. وخفضُ الجناح: عبارةٌ عن السكون وترك التصعُّب والإباء. قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلُظ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلشِّيثُ ۞﴾ احرَّك ياء إِنيَ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

﴿ كُنّا أَنْزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِينَ ۞ اَلَّذِينَ جَمَانُوا الْقُرْدَانَ عِضِينَ ۞ فَرَرَلِكَ لَتَسْتَلَقُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمّا كَانُوا بَعْمَانُونَ ۞﴾ في هذه الكاف قولان: أحدهما:أنها متعلَّقة بقوله: ﴿ وَلَقَدْ مَالِئَنَكَ سَبّمًا قوله تعالى: ﴿ كُمّا أَنْزَلْنَا الكَتْبُ عَلَى الْمُثَانِي ﴾. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني، كما أنزلنا الكتب على

المقتسمين، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: ولقد شرَّفناك وكرَّمناك بالسبع المثاني، كما شرَّفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكافُ بمعنى (مِثْلِ»، و «ما» بمعنى «الذي»، ذكره ابن الأنباري. **والثاني**: أنها متعلقة بقوله: ﴿ إِزِّتَ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾، والمعنى: إني أنا النذير، أنذرتكم مثلَ الذي أنزل على المقتسمين من العذاب، وهذا معنى قول الفراء. فخرج في معنى «أنزلنا» قولان: أحدهما: أنزلنا الكتب، على قول مقاتل. والثاني: العذاب، على قول الفراء. وفي «المقتسمين» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العَوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنهم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي، استهزاة به، قاله عكرمة. والثالث: أنهم اقتسموا كتبهم، فآمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وآمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد. والثاني: أنهم مشركو قريش، قاله قتادة، وابن السائب. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين قولان: أحدهما: أن أقوالهم تقسَّمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، منهم الأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وعدي بن قيس السهمي، والعاص بن واثل، قاله قتادة. والثاني: أنهم اقتسموا على عِقابِ مكة، قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتسموا على عِقابِ مكة حين حضر الموسم، قال لهم الوليد بن المغيرة: انطلقوا فتفرِّقوا على عِقاب مكة حيث يمرُّ بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عنه، يعني: رسولَ الله ﷺ، فليقل بعضكم: كاهن، وبعضكم: ساحر، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاوٍ، فإذا انتهَوْا إِليَّ صدَّتتُكم، ومنهم حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أبي أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن صيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البُّختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج، وأمية بن خلف، وأوس بن المغيرة. والثالث: أنهم قوم صالح الذين تقاسموا بالله: ﴿ لَنُبُيِّمَنَّكُمْ وَأَهْلَمُكُ [النمل: ٤٩]، فكفاه الله شرهم، قاله عبد الرحمن بن زيد. فعلى هذا، هو من القَسَم، لا مِنَ القِسمة.

قوله تعالى: ﴿ اَلَّذِينَ جَمَـٰلُوا ٱلْقُرْمَانَ عِضِينَ ۞﴾ في المراد بالقرآن قولان: أحدهما: أنه كتابنا، وهو الأظهر، وعليه الجمهور. والثاني: أن المراد به: كتب المتقدمين قبلنا. وفي «عضين» قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الأعضاء. قال الكسائي، وأبو عبيدة: اقتسموا بالقرآن وجعلوه أعضاءً. ثم في ما فعلوا فيه قولان: أحدهما: أنهم عضَّوه أعضاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعضى: المفرِّق. والتعضية: تجزئة الذبيحة أعضاءً. قال علي ﷺ: لا تَعْضِيَةً في ميراث، أراد: تفريق ما يوجب تفريقه ضرراً على الورثة كالسيف ونحوه. وقال رؤبة:

ولسيدس دَيْدنُ السلّب بسالسمُ عَسفُسي (١)

وهذا المعنى في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنهم عضَّوْا القول فيه، أي: فرَّقوا، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا كهانة، وقالوا: أساطير الأولين، وهذا المعنى في رواية ابن جريج عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه مأخوذ من العَضَهِ. والعَضَهُ، بلسان قريش: السِّحر، ويقولون للساحرة: عاضهة. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لعن العاضهة والمستعضهة (٢)، فيكون المعنى جعلوه سِحراً، وهذا المعنى في رواية عكرمة عن ابن عباس، ويه قال عكرمة، والفراء.

قوله تعالى: ﴿ نَرَرَبِكَ لَنَتَنَلَنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ عَنَا كَانُواْ يَمْمَلُونَ ﴿ هَا سَوَالَ تُوبِيخ، يُسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإِيمان، فيقال لهم: لم عصيتم وتركتم الإِيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعذُّر الجواب. قال

⁽١) قديوانه؛ ٨١ من أرجوزة له يمدح بها تميماً وسعداً ونفسه، مطلعها:

وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٥، و«الطبري» ١٤/ ٦٥، و«اللسان»: عضا.

⁽٢) - قال الحافظ ابن حجر في تخريج ﴿الكشافُّ: رواه أبو يعلى، وابن عدي، من حديث ابن عباش، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان. وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. ١ هـ.

أبو العالية: يُسأَل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتين: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسَلين. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَزَمَهِ لِلَّا يُتَنَلُّ عَن نَنْبِهِ إِنِّ وَلَا جَانَ اللهِ الرحين: ٢٩]؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنهم يُسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يُسألون في بعضها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ نَا مَنَا مُؤْمَرُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فامض لما تؤمر، قاله ابن عباس. والثاني: أُظْهِر أمرك، رواه ليث عن مجاهد. قال ابن قتيبة: ﴿ فَآصَدَعُ بِمَا نُؤْمَرُ ﴾ أي: أُظْهِر ذلك. وأصله؛ الفَرْق والفتح، يريد؛ اصدع الباطلَ بحقك. وقال الزجاج: أظهَر بما تؤمر به، أخذ ذلك من الصديع، وهو الصبح، قال الشاعر:

كـــانً بــــاضَ خُــرًتِــه صَـــديـــع

وقال الفراء: إنما لم يقل: بما تؤمر به، لأنه أراد؛ فاصدع بالأمر. وذكر ابن الأنباري أن «به» مضمرة، كما تقول: مررت بالذي مررت. والثالث: أن المراد به: الجهر بالقرآن في الصلاة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال موسى بن عبيدة: ما زال رسول الله على مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ النُسْرِكِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اكفف عن حربهم. والثاني: لا تبالي بهم، ولا تلتف إلى لومهم على إظهار أمرك. والثالث: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم. وأكثر المفسرين على أن هذا القدر من الآية منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّا كَتَيْنَكَ ٱلْسُتَمْنِوِينَ ۞ ٱلَّذِيكَ يَجْمَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَّهَا مَاخَرُ مُسَوِّفَ يَمْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَمْلُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدُرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ مَسَيِّعْ بِحَمْلِهِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّيْحِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَقَّى يَأْلِيكَ ٱلْيِّقِيثُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَنْبَكَ ٱلسُّتَهْوِينَ ﴿ المعنى: فاصدع بأمري كما كفيتك المستهزئين، وهم قوم كانوا يستهزئون به وبالقرآن. وفي عددهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، قاله ابن عباس. واسم أبي زمعة: الأسود بن المطلب. وكذلك ذكرهم سعيد بن جبير، إلا أنه قال مكان الحارث بن قيس: الحارث بن غيطلة، قال الزهري: غيطلة أمه، وقيس أبوه، فهو واحد، وإنما ذكرتُ ذلك، لئلا يُظن أنه غيره. وقد ذكرتُ في كتاب (التلقيح، من يُنسَب إلى أمه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وسميت آباءهم ليُعرَفوا إلى أي الأبوين نُسبوا، وفي رواية عن ابن عباس مكان الحارث بن قيس: عدي بن قيس، والثاني: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي، وابن أبي بزة، وعدهم ابن أبي بَزَّة، فقال: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وأصرم وبعكك ابنا عبد الحارث بن السبّاق. وكذلك عدّهم مقاتل، إلا أن قال مكان الحارث بن عدي: الحارث بن قيس السهميّ، وقال: أصرم وبعكك ابنا الحجاج بن السبّاق.

ذِكر ما أهلكهم الله به وكفى رسولَه ﷺ أمرهم

قال المفسرون: أتى جبريلُ رسولَ الله على والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمر الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، قال: قد كفيت، وأوما إلى ساق الوليد، فمر الوليد برجُل يَريش نبلاً له، فتعلقت شظية من نبل بإزاره، فمنعه الكِبْرُ أن يطامن لينزعها، وجعلت تضرب ساقه، فمرض ومات. وقيل: تعلَّق سهم بثوبه فأصاب أكحله فقطعه، فمات. ومر العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «بئس عبد الله»، فأشار إلى أخمص رجله، وقال: قد كفيت، فدخلت شوكة في أخمصه، فانتفخت رجله ومات. ومر الأسود بن المطلب، فقال: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء»، فأشار بيده إلى عينيه، فعمي وهلك. وقيل: جعل ينطح برأسه الشجر ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال: لا أرى أحداً يصنع بك هذا غير نفسك، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمد. ومر الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، فقال: قد كفيت، وأشار إلى بطنه، فسَقى بطنه، فمات. وقيل: أصاب عينه شوك، فسالت حدقتاه. وقيل: خرج عن أهله فأصابه

. .

السَّموم، فاسودَّ حتى عاد حبشياً، فلما أتى أهله لم يعرفوه، فأغلقوا دونه الأبواب حتى مات. ومر به الحارث بن قيس، فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: «عبد سوء»، فأوماً إلى رأسه، وقال: قد كُفيت، فانتفخ رأسه فمات، وقيل: أصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انقدَّ بطنُه. وأما أصرم وبعكك، فقال مقاتل: أخذتُ أحدَهما الدُّبَيْلَةُ (۱) والآخرَ ذاتُ الحَجْنُب، فماتا جميعاً. قال عكرمة؛ هلك المستهزئونِ قبل بدر. وقال ابن السائب: أهلكوا جميعاً في يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿ رَلَقَدَ نَسَلُمُ أَنَكَ يَضِيقُ صَدَّرُكَ بِمَا يَتُولُونَ ﴿ فَهِ قولان: أحدهما: أنه التكذيب. والثاني: الاستهزاء. قوله تعالى: ﴿ مَنَيِّحَ بِحَدِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: قل: سبحان الله وبحمده، قاله الضحاك. والثاني: فصلً بأمر ربك، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿ وَكُن مِّنَ السَّنِجِدِينَ ﴾ قولان: أحدهما: من المصلِّين. والثاني: من المتواضعين، رويا عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْنِيَكَ ٱلْيَقِيثُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. وسمي يقيناً، لأنه موقّن به. وقال الزجاج: معنى الآية: اعبد ربك أبداً، ولو قيل: اعبد ربك، بغير توقيت، لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فلما قال: ﴿حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِيثُ﴾ أمر بالإقامة على العبادة ما دام حيًاً (٢). والثاني: أنه الحق الذي لا ريب فيه مِنْ نصرك على أعدائك، حكاه الماوردي.

* * *

⁽١) النَّبيلة: داء يجتمع في الجوف.

⁽٢) قال الحافظ ابن كثير في وتفسيره ٢/ ٥٠٥ عند تفسير هذه الآية: ويستدل بهذه الآية الكريمة، وهي قول: ﴿وَآعَبُدُ رَبُكَ حَتَى يَأْيِكَ الْبَيْبُ ﴿ عَلَى أَن العادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في قصحيح البخاري، عن عمران بن حصين أن أن المراد رسول الله ﷺ قال: قصل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن العراد باليقين المعرفة، فعتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ﷺ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه، ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم.

سورة النحل

فصل في نزولها

ينسدالقر الكنف التتسير

﴿ أَنَّ آخُرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْبِلُوهُ سُبْحَنِيمُ وَتَمَانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ ثَبَرِكُ ٱلْمَلَتِهِكَةَ بِالزُّرْجِ مِنْ أَمْرِهِ. عَلَى مَن بَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِلُوٓا أَشَّمُ لَا إِلَكَ إِلَّا أَنَا فَأَتَقُونِ ۞ خَلَقَ السَّمَنَوْتِ وَالأَرْضِ بِالْحَقِّ فَعَدَلَى عَمَّا بُشْرِكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنَّ أَمُّرُ اللّهِ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي بالإمالة. سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَيَتِ السّاعَةُ اللقر: ١١، فقال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أنَّ القيامة قد اقتربت، فأمْسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنَّه لا ينزل شيء؛ قالوا: ما نرى شيئاً! فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَرَبَ لِلنّاسِ حِسَابُهُمُ ﴾ [الأنبياء: ١١ فأشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلما امتلت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوّفنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَّ اللّهُ عَلَى فوثب رسول الله على ورفع الناسُ رؤوسهم، فنزل: ﴿ فَلَا تَسْتَعِيلُوهُ ﴾ فاطمأنوا، قاله ابن عباس (١١ وفي قوله: ﴿ أَنَّ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أتى بمعنى: يأتي، كما يقال: أتاك الخير فأبشر، أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة، وساهده: ﴿ وَيَادَى آمَنُكُ المُنتَيِّ الاسمان : ١٤٤ ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَكِيسِكَ ﴾ [المعاندة: ١٦١]ونحو ذلك. والشاني: أتى معنى: قُرُب، قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى. والثالث: أن «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو: الجدب الذي نزل بهم، والجوع. ﴿ فَلَا تَسْتَعِبُونُ ﴾ فينزل بكم مستقبلاً كما نزل ماضياً، قاله ابن الأنباري. وفي المراد بـ «أمر الله خمسة أقوال: أحدها: أنها الساعة، وقد يخرج على قول ابن عباس ماضياً، قاله البن قتيبة. والثاني: خروج رسول الله على وراه الضحاك عن ابن عباس، يعني: أن خروجه من أمارات الساعة. وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشراط الساعة، فلا تستعجلوا قيام الساعة. والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك (٢٠). والرابع: غذاب الله، ذكره ابن الأنباري. والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي.

⁽١) •أسباب النزول؛ للواحدي ١٥٩ بدون سند، ورواه بمعناه ابن جرير ١٤/٧٥ عن ابن جريج.

 ⁽۲) رد هذا القول ابن جرير في "تفسيره"، فقال: لا تعلم أحداً استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها، بخلاف العذاب، فإنهم استعجلوه قبل كونه،
 استبعاداً وتكذيباً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا شَنْتَمْجِلُوهُ﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه، ﴿سُبْحَكَنَهُ ﴾ أي: تنزيه له ويراءة من السوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: ﴿ يُرِّلُ الْمَلْيَكُهُ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "يُنْزِلُ " بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: ﴿ يُنْزِلُ * بالتشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: ﴿ تُنَزَلُ * بالتاء مضمومة، وفتح الزاي مشددة. «المَلَائِكَةُ وفع. قال ابن عباس: يريد بالملائكة جبريل على وحده. وفي المراد بالروح ستة أقوال: أحدها: الوحي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه النبوّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثانث: أنه النبوّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: تنزل الملائكة بأمره، رواه العوني عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كلّه روح. قال [الزجاج]: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس بالإرشاد. والرابع: أنه الرحمة. قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى والخامس: أن أرواح الخلق: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد. والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى والخامس، أن الروح، ﴿ وَنِّ أَمْرِيهُ ﴾ بمعنى: مع، فالتقدير: مع الروح، ﴿ وَنِّ أَمْرِيهُ أَي: بأمر، ﴿ عَلَى مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِوتُ ﴾ يعني: الأنبياء، ﴿ أَنْ أَنْدُوا ﴾ فال الكفر والمعاصي ﴿ أَنَّمُ لاَ إِلَهُ إِلاَ أَنَا ﴾ أي: مُروهم بتوحيدي، وقال غيره: أنذروا بأنه لا إله إلا أنا، أي: مروهم بالتوحيد مع تخويفهم إن لم يُتِرُّوا.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنْكُنَ مِن نُطْفَعَ فَإِذَا هُوَ خَصِيدٌ ثُمِّينٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ عَٰلَتَ ﴾ آلِإِسْكَنَ مِن نُطَفَةِ قال المفسرون: أخذ أبيُّ بن خلف عظماً رميماً، فجعل يفتُه ويقول: يا محمد كيف يبعث الله هذا بعدما رُمّ؟ فنزلت فيه هذه الآية (١٠). والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهر الخصومة. والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على إيجاده أولاً، يقدر على إعادته ثانياً؟! وفيه تنبيه على إنعام الله عليه حين نقله من حال ضعف النطفة إلى القوة التي أمكنه معها الخصام (٢٠).

﴿ وَالْأَنْمَدُ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالُ حِبِثَ ثَرِيمُونَ وَحِبنَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَكُمْ فِيهَا جَمَالُ حِبِثَ ثَرِيمُونَ وَحِبنَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَخْدِلُ أَنْفَالَكُمْ إِلَى بَلِنِهِ إِلَا بِشِقِ ٱلْأَنْفُينَ إِنَكَ رَبَّكُمْ لَرَهُوثُ تَجِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْمَادَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ ﴾ الأنعام: الإِبل، والبقر، والغنم.

قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ نِهِ اللَّهُ وَ قَوْلانَ: أحدهما: أنه ما استدفئ به من أوبارها تتخذ ثياباً. وأخبية، وغير ذلك. روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدفء: اللباس، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون. والثاني: أنه نسلها بروى عكرمة عن ابن عباس: ﴿ نِهْهَا دِفَّ ﴾ قال: الدفء: نسل كل دابة، وذكر ابن السائب قال: يقال: الدفء أولادها، ومن لا يحمل من الصغار، وحكى ابن فارس اللغويّ عن الأمويّ، قال الدفء عند العرب: نتاج الإبل وألبانها.

قوله تمالى: ﴿ وَمَنَافِعُ أَي: سوى الدفء من الجلود، والألبان، والنسل، والركوب، والعمل عليها، إلى غير ذلك، ﴿ وَيَنْهَا تَأْكُونَ ﴾ يعنى: من لحوم الأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ فِيهَا جَمَالُ﴾ أي: زينة، ﴿حِينَ تُرِيمُونَ﴾ أي: [حين] تردُّونها إلى مراحها، وهو المكان الذي تأوي إليه، فترجع عِظَامَ الضُّرُوعِ والأُسْنِمَة، فيقال: هذا مال فلان، ﴿وَحِينَ تَتَرَّحُونَ﴾: ترسلونها بالغداة إلى مراعبها. فإن قيل: لم قدَّم الرَّواح وهو مؤخِّر؟ فالمجواب: أنها في حال الرواح تكون أجمل؛ لأنها قد رعت، وامتلأت ضروعها، وامتدت أسنمتها.

⁽١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسير الآية: ٧٧ من صورة (يَس) عن مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة.

 ⁽۲) روى أحمد ٢١٠/٤ وابن ماجه رقم (٢٧٠٧) والحاكم عن بسر بن جحاش، قال: بصق رسول الله ﷺ في كفه، ثم قال: فيقول الله تعالى: ابن آدم!
 أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك فعدلتك مشيث بين برديك وللأرض منك وثيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: أنصدق، وأنى أوان الصدقة!».

قوله تعالى: ﴿ رَمَتُمِنُ أَنْتَالَكُمْ ﴾ الإِشارة بهذا إلى ما يطيق الحمل منها، والأثقال: جمع ثقل، وهو متاع المسافر. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَلَدٍ ﴾ قولان: أحدهما: أنه عام في كل بلد يقصِدُه المسافر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أن المراد به: مكة، قاله عكرمة، والأول أصح، والمعنى: أنها تحملكم إلى كل بلد لو تكلفتم أنتم بلوغه لم تبلغوه ﴿ إِلّا بِشِقِ آلاَنتُسِ ﴾. وفي معنى فشِق الأنفس قولان: أحدهما: أنه المشقة، قاله الأكثرون. قال ابن قتيبة: يقال: نحن بشِق من العيش، أي: بجهد؛ وفي حديث أم زرع: ﴿ وجلني في أهل خُتَيْمَةٍ بِشِقٌ ١٠٠ . والثاني: أن الشِّق: النَّصف، فكان الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَ رَبَّكُمْ لَرَءُونٌ رَّحِيدٌ ﴾ أي: حين مَنْ عليكم بالنعم التي فيها هذه المرافق.

﴿ وَلَلْمَيْلُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَعْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَلْمَيْلَ﴾ أي: وخلق الخيل ﴿وَالْمِنَالَ وَالْحَيِيرَ لِنَرْكَبُومًا وَزِينَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة.

فصل

ويجوز أكل لحم الخيل، وإنما لم يُذكر في الآية، لأنه ليس هو المقصود، وإنما معظم المقصود بها: الركوب والزينة، وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيقة، ومالك: لا تؤكل لحوم الخيل^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَقُ مَا لَا تَمْلَمُونَ﴾ ذكر قوم من المفسرين: أن المراد به عجائب المخلوقات في السموات والأرض التي لم يُطّلع عليها، مثل ما يروى: أن لله ملكاً من صفته كذا، وتحت العرش نهر من صفته كذا. وقال قوم: هو ما أعد الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار، وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس مَن كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبى: هذا الحرف من أسرار القرآن.

﴿ وَمَلَ اللَّهِ قَسْدُ السَّهِيلِ وَمِنْهَا حَمَامٍ وَلَوْ شَمَاءُ مَدَدُوكُمُ أَجْمَدِنَ ۞ هُوَ الّذِي أَدْزَلَ مِنَ السَّمَاءُ مَانَّ أَكُمْ مِنْهُ شَمَرُكُ وَمِنْهُ شَجَتُ فِيهِ لِشِيمُونَ ۞ يُلُهِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْعَ وَالزَّيْوُنَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَىٰبَ وَبِن كُلِّ النَّمَرُونُ إِنَّ فِي وَلِكَ لَابَعْهُ يَنْفَكُّرُونَ ۞ وَمَخْرَ لَكُمُ ٱلْبَلَ وَالنَّهَادَ وَالشَيْسُ وَالنَّهُمُ مُسْخَرَتُ بِأَشْرِهُ إِن فِي وَلِكَ لَآيَتُونِ بَعْقِلُونَ ۞ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمَلَ اللَّهِ قَصْدُ السَّكِيلِ﴾ القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا قصد بك ما تريد. قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبرهان.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهَا جَارِدٌ ﴾ قال أبو عبيدة: السبيل لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجميع، فكأنه قال: ومن السبل سبيل جائر. قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دلّ على السبل، فلذلك قال: ﴿ وَمِنْهَا جَارِدٌ ﴾ كما دل الحَدَثان على الحوادث في قول العبدي:

وَلَا يَسْبَقَنَى عَلَى السَحَدَثُسَانِ حَتَّى فَهَلْ يَسْبَقَى عليهِ فَ السَّلامُ

أراد: فهل يبقى على الحوادث، والسِّلام: الصخور، قال: ويجوز أن يكون إنما قال: ﴿وَيَنْهَا﴾، لأن السبيل تؤنث وتذكّر، فالمعنى: من السبيل جائړ. وقال ابن قتيبة: المعنى: ومن الطّرق جائر لا يهتدون فيه، والجائر: العادل عن القصد، قال ابن عباس: ومنها جائر الأهواء المختلفة. وقال ابن المبارك: الأهواء والبدع.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِينَ أَنزَلَ مِنَ السَّكَآءِ مَا آيُ ﴾ يعني: المطر ﴿ لَكُرُ بِنَهُ شَرَابٌ ﴾ وهو ما تشربونه، ﴿ وَمِنهُ شَحَرٌ ﴾ ذكر ابن الأنباري في معناه قولين: أحدهما: ومنه سقي شجر، وشرب شجر، فخلف المضاف إليه المضاف، كقوله: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي ثُلُوبِهِمُ ٱلْمِجْلُ ﴾ [البقرة: ٣٦]. والثاني: أن المعنى: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه شجر، ومن ناحيته شجر، فخذف الأول، وخلفه الثاني، قال زهير:

 ⁽١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيحه، ١٧٤/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٨٩٦/٤ عن عائشة على الموقولة: ابشق، قال أبو عبيد: هو بالفتح، والمحدِّثون يكسرونه، قال أبن أبي أويس وابن حبيب: يعني بشق: جبل لقلتهم وقلة غنمهم، وشق الجبل: ناحيته، وتفسير ابن قتية الذي نقله المصنف عنه، وجحه القاضي عياض واختاره غيره.

⁽٢) والأحاديث الصحيحة تدل على جواز أكل لحوم الخيل.

[لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ] أَنْوَيْنَ مِن حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ(١)

أي: من ممرّ حجج. قال ابن قتيبة: والمراد بهذه الشجر: المرعى. وقال الزجاج: كلُّ ما نبت على الأرض فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:

يَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِها اللَّحْمَ ضَرَدُ

يعني: أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض. و ﴿تُصِبُونَ﴾ بمعنى: تَرعَونَ، يقال: سامت الإِبل فهي سائمة: إذا رعت، وإنما أخذ ذلك من السُّومة، وهي: العلامة، وتأويلها: أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات.

قوله تعالى: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيَعَ ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: "ننبت النون. قال ابن عباس: يريد الحبوب، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجُومُ السَّخَرَةِ بِأَنْرِقِي ﴾ قال الأخفش: المعنى: وجعلُ النجوم مسخرات، فجاز إضمار فعل غير الأول، لأن هذا المضمر في المعنى مثل المُظهَر، وقد تفعل العرب أشدً من هذا، قال الراجز:

تَسَسَمَعُ في أجوافِهِنَّ صَرَدًا وفي اليَسَدُنِ جُسُساَةً وَبَسَدَا (٢)

المعتى: وترى في اليدين. والجُسأة: اليبس. والبَدَد: السَّعة. وقال غيره: قوله تعالى: ﴿ مُسَخَّرَتِ﴾ حال مؤكدة، لأن تسخيرها قد عرف بقوله تعالى: ﴿ وَسَخَرَ ﴾. وقرأ ابن عامر: والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ، رفعاً كله، وروى حفص عن عاصم: بالنصب، كالجمهور، إلّا قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجُومُ مُسْخَرَتُ ﴾ فإنه رفعها.

﴿ وَكُمَا ذَرَا ۚ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُعْلِفًا الْوَنَهُۥ إِنَ فِى ذَلِكَ لَآيَةُ لِقَوْمِ يَذَكَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُولُا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَغْرِمُوا مِنْهُ حِلْبَةُ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن نَصْلِهِ. وَلَمُلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ۞ وَالْقَرَفِ وَوَعِيَ أَنْ تَبِيدَ مِكُمْ وَآئِهُو وَشُبُلُا لَمُلَكُمْ تَبْتَدُونَ ۞ وَعَلَسَتُ

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَا لَكُمُم اَيَ: وَسخر ما ذرا لكم. وذرا بمعنى: خلق. و اسخر البحر، أي: ذلَّه للركوب والغوص فيه ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحُمُا طَرِيًا ﴾ يعني: اللَّه، واللؤلؤ، واللؤلؤ، واللؤلؤ، واللؤلؤ، واللؤلؤ، والمرجان، وفي هذا دلالة على أن حالفاً لو حلف: لا يلبس حُلّياً، فلبس لؤلؤاً، أنه يحنث، وقال أبو حنيفة: لا يعنث.

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكِ الْلَمُكِ عِنْ السفن. وفي معنى ﴿ مَوَلَخِرَ ﴾ قولان: أحدهما: جواري، قاله ابن عباس. قال اللغويون: يقال : مخرت السفينة مَخْراً ؛ إذا شقت الماء في جريانها. والثاني المواقر، يعني: المملوءة، قاله الحسن. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِتَ يَغُولُ مِن فَصْل الله . والثاني: بما تستخرجون من حليته، وتصيدون من حيتانه. قال ابن الأنباري: وفي دخول الواو في قوله تعالى: ﴿ وَلِتَ يَنُولُ مِن نَصْل الله الله عطوفة على لام محذوفة، تقديره: وترى الفلك مواخر فيه لتتغوا بذلك ولتبغوا. والثاني: أنها دخلت لفعل مضمر، تقديره: وفعل ذلك لكي تبتغوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَّ مِنَ ﴾ أي: نصب فيها جبالاً ثوابت ﴿أَن تَبِيدَ﴾ أي: لئلًا تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد مَيْداً: إِذا أُدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والمَيْل، يقال: فلان يميد في مشيته، أي: يتكفًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَنَا﴾ قال الزجاج: المعنى: وجعل فيها سُبُلاً، لأن معنى القى»: «جعل»، فأما السبل، فهي الطرق. ﴿وَلَمَلَكُمْ تَهْتَدُوكَ﴾ أي: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَنَكُ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَقُوالَ: أحدها: أَنها معالم الطرق بالنهار، ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليل، رواه

⁽۱) تقدم البيت ۲۰۲.

وفسي السيسديسن حسشسة وبسورا

العوفيّ عن ابن عباس. والثاني: أنها النجوم أيضاً، منها ما يكون علامة لا يُهتدى به، ومنها ما يُهتدى به، قاله مجاهد، وقتادة، والنخعي. والثالث: الجبال، قاله ابن السائب، ومقاتل. وفي المراد بالنجم أربعة أقوال: أحدها: أنه الثريّا، والفرقدان، وبنات نعش، والجدي، قاله السدي. والثاني: أنه الجَدْي، والفرقدان، قاله ابن السائب. والثالث: أنه الجدي وحده لأنه أثبتُ النجوم كلّها في مركزه، ذكره الماوردي. والرابع: أنه اسم جنس، والمراد جميع النجوم، قاله الزجاج. وقرأ الحسن، والضحاك، وأبو المتوكل، ويحيى بن وثاب: "وبالنّجم» بضم النون وإسكان الجيم، وقرأ الجحدري: "وبالنّجم» بضم النون وإسكان الجيم، وقرأ الجحدري: "وبالنّجم، بضم النون والجيم، وقرأ مجاهد: "وبالنجوم، بواوٍ على الجمع. وفي المراد بهذا الاهتداء ولان: أحدهما: الاهتداء إلى القبلة. والثاني: إلى الطريق في السفر.

﴿ أَنَمَن يَعْلُقُ كَمَن لَا يَغْلُقُ أَلَكَ تَذَكَّرُونَ ۚ ۞ وَإِن تَمُثُوا يَعْمَةَ اللّهِ لَا تُحْمُومَاً إِكَ اللّهَ لَذَفُورٌ رَّحِيدٌ ۞ وَاللّهُ يَمْلُهُ مَا يُشَرِّونَ وَمَا تُشْلِرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ يعني: الأوثان، وإنما عبّر عنها بـ «مَن»، لأنهم نحلوها العقل والتمييز، ﴿أَلَا لَمُنَاكُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ يَعْلَقُ ﴾ يعني: المشركين، يقول: ﴿ كَمَن لَا يَخْلُقُ ﴾ لذَكُرُنَ ﴿ اللهِ الفراء: وإنما جاز أن يقول: ﴿ كَمَن لَا يَخْلُقُ ﴾ لأنه ذُكر مع الخالق، كقوله: ﴿ وَفِيتُهُم مَن يَشْفِي عَلَى بَشْفِي عَلَى يَشْفِي عَلَى رِجَلَيْنِ ﴾ [النور: ٤٥]، والعرب تقول: اشتبه عليً الراكب وجملُه، فما أدري مَن ذا مِن ذا، لأنهم لما جمعوا بين الإنسان وغيره، صلحت «مَن» فيهما جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَمُذُوا نِمْمَةَ أَلَّهِ لَا تُتَمُومَا ﴾ قد فسرناه في [برامبم: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَ اللَّهَ لَنَفُرِّكِ أَي: لِما كان منكم من تقصيركم في شكر نِعَمه ﴿ تَجِيمٌ ﴾ بكم إذ لم يقطعها عنكم بتقصيركم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمْكُمُ مَا تُمِيزُوكَ وَمَا تُمْلِئُوكَ ۞﴾ روى عبد الوارث، إِلا القزاز اليسرون، و اليعلنون، بالياء. ﴿ وَالَّذِيكَ يَهْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُتُونَ شَبِّنَا وَهُمْ يُجْلَنُوكَ ۞ أَمْرَتُ غَيْرُ لَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُوكَ أَيَانَ يُبْعَنُونَ ۞﴾ قوله تعالى: اوالّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ! قرأ عاصم: يدعون، بالياء.

قوله تعالى: ﴿ أَمْرَتُ غَبِرُ أَشِيَاتُهِ يعني: الأصنام. قال الفراء: ومعنى الأموات هاهنا: أنها لا روح فيها. قال الأخفش: وقوله: ﴿ غَبُرُ أَشِياتُهُ تَوكيد.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا بَشَمُرُوكَ أَيَّانَ يُبَعَثُونَ ﴾ «أيَّانَه بمعنى: «متى». وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنها الأصنام، عبر عنها كما يُعبر عن الأدميين. قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فيترون من عبادتهم، ثم يُؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار. والثاني: أنهم الكفار، لا يعلمون متى بعثهم، قاله مقاتل.

﴿ إِلَّهُكُمْ لِللهُ وَيَدُّ فَالَٰذِي لَا يُوْمُؤُهَ بِالْآخِرَةِ فَلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم شَنكَهُرُهُ ۞ لا جَرَمَ أَكَ اللّهَ يَعْلَرُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا بَمْلِمُونَ إِنَّهُ لَا يُمِثُ السَّنكَمِينَ ۞ وَإِنَا فِيلَ لَمُم مَانَا أَنزَلَ رَبُكُمُ قَالُواْ أَسَطِيرُ الْأَزِينَ ۞ لِيَحْمِلُواْ أَوْوَارَهُمْ كَالِمِلَةُ بَيْمَ الْقِينَمَةُ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ بُمِيلُونَهُم بِعَبْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاةً مَا يَرْدُونَ ۞ قَدْ مَكْرَ الَّذِينَ مِن قَلْهِمْ فَأَفَ اللّهُ بَيْنَتَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرُ عَلَيْهُمُ السَّقَفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَذَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ ثُمَّةً بَرْمَ الْقِينَةِ يُغْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرْكَايْكَ الّذِينَ كَشَعُرُ تَشْتُقُونَ فِيهِمْ قَالَ الْذِينَ أَوْقُواْ الْمِنْدَ إِنَّ الْمُؤْنَ الْمِنْ وَالسُّوْءَ عَلَى الْكَيْدِينَ

قوله تعالى: ﴿ إِلَنْهُ كُرْ إِلَهُ وَعِدْ ﴿ إِلَّهُ رَافِهُ وَعِيرُ اللَّهُ وَعَرَّا اللَّهُ عَدا].

قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعث والجزاء ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ أي: جاحدة لا تعرف التوحيد ﴿ وَهُم مُسْتَكَبُرُونَ﴾ أي: ممتنعون من قبول الحق.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمُ قَدْ فَسَرَنَاهُ فِي [هود: ٢٢]، ومعنى الآية: أنَّه يجازيهم بسرَّهم وعَلَنهم، لأنه يعلمه والمستكبرون: المتكبرون عن التوحيد والإيمان. وقال مقاتل: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ حين بَعثوا في كل طريق مَنْ يصدُّ الناس عن رسول الله ﷺ، ﴿وَمَا يُمُلِنُونَ ﴾ حين أظهروا العداوة لرسول الله .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَمُهُ يعني: المستكبرين: ﴿مَّاذَا أَنْزَلَ رَيُّكُو على محمد ﷺ قال الزجاج: «ماذا» بمعنى «ما الذي». و ﴿ أَسَعِلَى الأولين، أي: الذي تذكرون الذي». و ﴿ أَسَعِلَى الأولين، أي: الذي تذكرون أنتم أنه منزَّل: أساطير الأولين، وقد شرحنا معنى الأساطير في [الانعام: ٢٥]. قال مقاتل: الذين بعثهم الوليد بن المغيرة في طرق مكة يصدُّون الناس عن الإيمان، ويقول بعضهم: إن محمداً ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، وقد شرحنا هذا المعنى في الدجر: ١٩٠ في ذكر المقتسمين.

قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ هذه لام العاقبة، وقد شرحناها في غير موضع، والأوزار: الآثام، وإنما قال: كاملة، لأنه لم يُكفَّرُ منها شيء بما يُصيبهم من نكبة، أو بليَّة، كما يُكفَّرُ عن المؤمن (١١)، ﴿ وَبِنَ أَرْزَارِ اللَّيْكِ يَنْهُمْ بِفَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: أنهم أضلُوهم بغير دليل، وإنما حملوا من أوزار الأتباع، لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة، وقد ذكر ابن الأنباري في «مِنْ وجهين: أحدهما: أنها للتبعيض، فهم يحملون ما شَرِكوهم فيه، فَأَمَّا مَا ركبه أولئك باختيارهم من غير تزيين هؤلاء، فلا يحملونه، فيصح معنى التبعيض. والثاني: أن «مِنْ مُؤكَّدة، والمعنى: وأوزار الذين يضلونهم. ﴿ أَلَا سَادَ مَا يَرْدُونَ ﴾ أي: بئس ما حملوا على ظهورهم.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِيكَ مِن تَبْلِهِمْ ﴾ قال المفسرون: يعني به النمرود بن كنعان، وذلك أنه بنى صرحاً طويلاً. واختلفوا في طوله، فقال ابن عباس: خمسة آلاف ذراع، وقال مقاتل: كان طوله فرسخين، قالوا: ورام أن يصعد إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. ومعنى «المكر» هاهنا: التدبير الفاسد. وفي الهاء والميم من «قبلهم» قولان: أحدهما: أنها للمقتسمين على عقاب مكة، قاله ابن السائب. والثاني: لكفار مكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَ اللهُ بُنِكنَهُ مِن الْقَوَاعِدِ ﴾ أي: من الأساس. قال المفسرون: أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخَرَّ عليهم الباقي، قال السدي: لما سقط الصرح، تَبلْبَلَتْ أَلْسُن الناس من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت البالم، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، وهذا قول مردود، لأن التَّبلُبلُ يُوجب الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى. فإن قيل: إذا كان الماكر واحداً، فكيف قال: «الذين» ولم يقل: «الذي»؟، فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كان الماكر ملكاً له أتباع، فأدخلوا معه في الوصف. والثاني: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة على البغال، وإنما خرج على بغل واحد. والثالث: أن «الذين» غير موقع على واحد معين، لكنه يراد به: قد مكر الجبارون الذين من قبلهم، فكان عاقبة مكرهم رجوع البلاء عليهم، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري. قال: وذكر بعض العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لينبه على أنهم كانوا تحته، إذ لو لم يقل ذلك، لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته، لأن العرب تقول: سقط علينا البيت، وخَرَّ علينا الحانوت، وتداعت علينا الدار، وليسوا تحت ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتِنَهُمُ ٱلْمَذَاكِ مِنْ حَبِثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من حيث ظنوا أنهم آمنون فيه. قال السدي: أخذوا من مأمنهم. وروى عطية عن ابن عباس قال: خَرَّ عليهم عذاب من السماء. وعامة المفسرين على ما حكيناه من أنه بنيان سقط. وقال ابن قتية: هذا مَثَل، والمعنى: أهلكهم الله، كما هلك من هُدِم مسكنه من أسفله، فخر عليه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيْنَةِ يُخْرِيهِمَ اَي: يُنلُّهِم بالعذاب. ﴿وَيَقُولُ آيَنَ شُرَكَآءِى ﴾ قرآ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، «شركائي الذين» بهمزة وفتح الياء، وقال البزِّيُّ عن ابن كثير: «شركاي» مثل: هداي، والمعنى: أين شركائي على زعمكم؟ هَلَّ دفعوا عنكم! ﴿الَّذِينَ كُمُتُمَ تُشُكُّوُكَ فِيهِمُ ﴾ آي: تخالفون المسلمين فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع: «تشاقُّونِ» بكسر النون، أراد: تشاقُّونني، فحذف النون الثانية، وأبقى الكسرة تدل عليها، والمعنى: كنتم تنازعونني فيهم، وتخالفون أمري لأجلهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِيكَ أُونُوا ٱلْمِلْرَ ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس. والثاني: الحفظة

⁽١) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي عن النبي ﷺ قال: فما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أنى ولا هم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه».

من الملائكة، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المؤمنون. فأمَّا «النِخزي» فقد شرحناه في مواضع (آل عمران: ١٩٢] و «السُّوءُ» هاهنا: العِذاب.

﴿ الَّذِينَ تَوَفَّنُهُمُ ٱلْتَلَتِكُةُ طَالِمِ ٱلْشَيهِمُ فَالْقُوا السَّلَةِ مَا كُنَّا صَحَنًّا فَصَمَلُ مِن شَوّعُ بَلَقَ إِذَ اللّهَ عَلِيثٌ بِمَا كُنتُمْ فَصَمَلُونَ ۞ فَادَخُلُوا أَبْوَبَ جَهَمْ خَلِينِكَ بِهِمْ فَلِهُمَن مَفْوَى الشَّكَيْمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَوْفَنُهُمُ ٱلْمَلَتِكَةُ ظَالِينَ أَنْشِيمٌ﴾ قال عكرمة: هؤلاء قوم كانوا بمكة أقرُّوا بالإِسلام ولم يُهاجروا، فأخرجهم المشركون كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. وقد شرحنا هذا في سورة النساء: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿ فَالْقُوا السَّلَمَ ﴾ قال ابن قتيبة: انقادوا واستسلموا، والسَّلَم: الاستسلام. قال المفسرون: وهذا عند المموث يتبرؤون من الشرك، وهو قولهم: ﴿ مَا كُنُّ أَنْهَمُ لُ مِن سُوَّجٌ ﴾ وهو الشرك، فترد عليهم الملائكة فتقول: «بلى». وقيل: هذا ردَّ خزنة جهنم عليهم ﴿ بَكَ إِنَّ اللهُ عَلِيمُ بِمَا كُنُثُر تَمْ مَلُونَ ﴾ من الشرك والتكذيب. ثم يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، وقد سبق تفسير ألفاظ الآية (النماء: ٤٧) و(العجر: ١٤٤).

وَهِلَ لِلَذِينَ اتَّفَوْا مَاذَا أَنزلَ رَبُكُمُ قَالُوا مَنْهِ لِلَذِينَ أَحْسَنُوا فِ هَدِهِ النَّبَا حَسَنُة وَلَدَارُ الْآخِرَة مَنْهُ وَلِيَمْ مَارُ الْمُتَّقِينَ
 مَثَتُ مَدُن يَدَّعُلُونَا جَرِى مِن فَمْنِ الْآنَهَدُّرُ لَكُمْ فِيهَا مَا يَشَاتُونَ كُنْدِينَ كَنْدُلُونَ مِنْهُ الْمُنْقِينَ
 مَثْولُونَ سَلَدُ مَنْهَكُمُ ادْعُلُوا الْلَمِنَةُ بِمَا كُمُنْدُ تَمْسُلُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَقِلَ لِلَّذِينَ اَتَّعَوّا مَاذَا أَنزُلَ رَبُّكُمْ ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أنّ مشركي قريش بعثوا ستة عشر رجلاً إلى عِقاب (١) مكة أيام الحج على طريق الناس، ففرَّقوهم على كل عَقَبَةٍ أربعة رجال، ليصدُّوا الناس عن رسول الله في وقالوا لهم: مَنْ أتاكم من الناس يسالُكم عن محمد فلْيقُلْ بعضُكم: شاعِرٌ، وبَعْضُكم: كاهِنٌ، وبَعْضُكم: مجنون، وألا ترَوْه ولا يراكم خَيْرٌ لكم، فإذا انتهوا إلينا، صدَّقناكم، فبلغ ذلك رسول الله في فعث إلى كل أربعة منهم أربعة من المسلمين، فيهم عبد الله بن مسعود، فأيرُوا أن يكلبوهم، فكان الناس إذا مرُّوا على المشركين، فقالوا ما قالوا، ردِّ عليهم المسلمون، وقالوا: كذبوا، بل يدعو إلى الحق، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿ لِلَّذِيكَ أَحْسَنُوا فِي مَلْيُوا اللّهِ عَنْ المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿ لِلّذِيكَ أَحْسَنُوا فِي مَلْيُوا اللّهُ عَنْ المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿ لِلّذِيكَ أَحْسَنُوا فَي مَلْيُوا اللّهُ عَنْ المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿ لِلّذِيكَ أَحْسَنُوا فَي مَلْيُوا اللّهِ عَلَى الْمَاسَدُونَ اللّهُ عَلَيْهُ عَنْ الْمِعْرُونَ اللّهُ عَلْمُ اللّه عَلْهُ عَنْ الْمُعْرِونَ اللّهُ عَنْ الْمُنْ اللّهُ عَلْ الْمُنْ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿ مَنَّتُ عَدَّنِ ﴾ قد شرحناه في [براءة: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ نَنَوَفَنَهُمُ ٱلْمَلَتَهَكُهُ ﴾ وقرأ حمزة (يتوفاهم) بياء مع الإمالة. وفي معنى (طَيِّبينَ) خمسة أقوال: أحدها: مؤمنين. والثاني: طيبةٌ وفاتُهم، سَهْلٌ خروجُ أرواحهم. والخامسة: طيبةٌ أنفسهم بالموت، ثقة بالثواب.

قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يعني الملائكة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾. وفي أي وقت يكون هذا [السلام]؟ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلّم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرظي: ويقول له: الله ﷺ يقرأ عليك

⁽١) العِقاب: جمع عَقَبَة، وهي طريق في الجبل وعر.

السلام، ويبشره بالجنة (١). والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة، يقولون: سلام عليكم.

قوله تعالى: ﴿ هُلَ يَظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْنِيَهُمُ ٱلْمَلَتِكَ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي «يأتيهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركين، وقد شرحناه في [البترة: ٢١٠] وآخر [الأنمام: ١٥٨]. وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِنَ أَثْرُ رَبِّكَ ﴾ قولان: أحدهما; أمر إلله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ كُتْنِكَ فَمَلَ الَّذِينَ مِن قَلِهِمُ ﴾ يريد: كفار الأمم الماضية، كنَّبوا كما كنَّب هؤلاء. ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ ﴾ بإهلاكهم ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَطْلِمُونَ ﴾ بالشرك، ﴿ فَأَمَا بَهُمُ سَيِّنَكُ مَا عَيلُوا ﴾ أي: جزاؤها، قال ابن عباس: جزاء ما عملوا من الشرك، ﴿ وَمَاكَ بِهِم ﴾ قد بيناه في الانعام: ١٠]، والمعنى: أحاط بهم ﴿ مَا كَانُوا بِهِد يَسْتَهْزِمُونَ ﴾ من العذاب،

﴿ وَقَالَ الَّذِيكَ أَشْرَكُوا لَوْ شَكَةَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِمِهِ مِن ثَنَّهِ غَنُّ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِن دُونِهِ مِن فَيَّهِ كَذَلِكَ نَعَلَ الَّذِيكَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلَ عَلَى الرُّسُلِ إِلَا الْبَلِنَةُ الشِّهِينُ ۞ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّلَ أَنْتَهِ رَسُولًا أَنِبِ اعْبَدُوا اللَّه وَاجْتَمْنِبُوا الطَّلْعُوتُ فَمِنْهُم مَّنَ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلِلَةُ فَمِيرُوكَ ۞ هُدَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُعِيلُ وَمَا لَهُم مِّن نَصِيرِيكَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّذِينَ أَنْرَكُواْ عَني: كفار مكة ﴿ لَوْ شَآة اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِمِه مِن ثَيَوِ لَه يعني: الأصنام، أي: لو شاء ما أشركنا ولا حرَّمنا من دونه من شيء من البّحِيرة، والسائبة، والوصيلة، والحَام، والحرث، وذلك أنه لما نزل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلاّ أَن يَشَآة اللّه الله الله الاستهزاء، لا على سبيل الاستقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا ويُردُهُ منّا، لم نأته.

﴿ وَالْسَكُوا بِاللّهِ حَمْدَ أَيْمَنِيهِمْ لاَ يَتَمَتُ اللهُ مَن يَمُوثُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَفًا وَلَكِنَ أَخَدَ النَاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿ لِبُنِينَ لَهُمُ اللّهِ عَلَيْهِ مَا اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مَا اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّسَمُوا بِاللَّهِ جُمَّدَ أَيْمَنِهِم ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين

⁽۱) رواه ابن جرير ۱۰۱/۱۶، وخرجه السيوطي في «الدر» ۱۱۷/۶ وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي القاسم بن منده في كتاب «الأحوال»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

دَين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلَّم به: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟! فأقسم بالله ﴿لَا يَتُنَكُ اللهُ مَن يَمُوثُ ﴾ مفسر في الموت؟! فأقسم بالله ﴿لَا يَتَكُ اللهُ مَن يَمُوثُ ﴾ مفسر في المائدة: ١٥]. وقوله: ﴿بَكَلُ ﴾ رَدِّ عليهم، قال الفراء: والمعنى: ﴿بَكَلُ ﴾ ليبعثنَّهم ﴿وَمُدًا عَلَيْهِ حَفَّا﴾

قوله تعالى: ﴿ لِبُرَيِنَ لَهُمُ الَّذِى يَغَيِّلُونَ فِيهِ قال الزجاج: يجوز أن يكون متعلقاً بالبعث، فيكون المعنى: بلى يَبعثهم فيبين لهم، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَثْنَا فِي كُلِ أَمْةٍ رَسُولًا ﴾ لَيُبَيِّنَ لهم. وللمفسرين في قوله: ﴿ لِيُمَيِّنَ لَهُمْ المُسْرِكُونَ، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمُ كَانُوا كَالِمِينَ ﴾ أي: فيما أقسموا عليه من نفي البعث. ثم أخبر بقدرته على البعث بقوله: ﴿إِنَّمَا وَوَلَهُ عَلَى البعث بقوله: ﴿إِنَّمَا لَوْتُ وَاللَّهُ أَنْ فَيَكُونُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة افيكونُ رفعاً، وكذلك في كل القرآن. وقرأ ابن عامر، والكسائي افيكونَ نصباً. قال مكي بن إبراهيم: من رفع، قطعه عمًّا قبله، والمعنى: فهو يكون، ومن نصب، عطفه على اليقول»، وهذا مثل قوله: ﴿وَإِذَا قَمَنَ آمَرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُم كُن فَيَكُونُ ﴾، وقد فسرناه في [البقرة: ١١٧]. فإن قبل: كيف سمي الشيء قبل وجوده شيئاً؟ فالجواب: أن الشيء وقع على المعلوم عند الله قبل الخلق، لأنه بمنزلة ما قد عُوينَ وشُوهِدَ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِن هَا حَكُوا فِي اللّهِ احتلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله على المالي، وعمار، وصهيب، وخبّاب بن الأرتّ، وعايش وجبر مَولَيان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يُعذبونهم، ليردُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند. والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله على قاله قتادة. ومعنى «هاجروا في الله»، أي: في طلب رضاه وثوابه ﴿مِنْ بَهْدِ مَا ظُلِدُول المسركون منهم، ﴿ لَنُبُوّتُنَهُم فِي الدُّنيَا حَسَنةً ﴾ وفيها خمسة أقوال: أحدها: لننزِلتهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقتادة، فيكون المعنى: لَنُنبَوِّتُهم داراً حسنة وبلدة حسنة. والثاني: لنرزقتهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدوِّ، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، والثالث: النصر على العدوِّ، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: ﴿ لَنُورَتُهُمْ فِي الدُّينَا حَسَنَةٌ ﴾ قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لنحينن إليهم في الدنيا، قال بعض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال النبوتهم، على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَجُرُ ٱلْآخِرَةِ ٱكْبُرُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الجنة، ﴿لَوْ كَانُواْ يَمْلُمُونَ﴾ يعني: أهل مكة. ونقل عن عمر بن الخطاب و أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية (١). ثم إن الله أثنى عليهم ومدحهم بالصبر فقال: ﴿ اَلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: على دينهم، لم يتركوه لِأذَى نالهم، وهم في ذلك واثقون بربهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن تَبْلِكَ إِلَا رِجَالًا نُوحِىَ إِلَتِهِمُّ مَسَنَكُوا أَهْلَ الذِّكِ إِن كَشُشَرُ لَا تَعْلَمُونُ ۞ بِالْبَيْنَتِ وَالزُبُرُّ وَأَنزَلْنَآ إِلِيكَ الذِّكْرَ لِثُنَيْنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن تَبَلِكَ إِلَّا رِجَالَا﴾ قال المفسرون: لما أنكر مشركو قريش نبوّة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكن رسوله بشراً، فهلًا بعث إلينا ملكاً! فنزلت هذه الآية، والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميّين، إلا أنهم يُوحَى إليهم. وقرأ حفص عن عاصم: فنوحِي بالنون وكسر الحاء. ﴿فَسَنَلْزَا﴾ يا معشر المشركين ﴿أَهَلَ الذِّكِ ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أهل التوراة، قاله

⁽۱) ابن جرير الطبري ١٠٧/١٤.

قوله تعالى: ﴿بِالْمِيَنَتِ وَالزُّبُرُ ﴾ في هذه «الباء» قولان: أحدهما: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً أرسلناهم بالبينات. والزُّبُر: الكتب. وقد شرحنا هذا في آل عمران: ١٨٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا ۚ إِلَيْكَ ٱلذِّكَرَ﴾ وهو القرآن بإجماع المفسرين ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِلَ إِلَيْهِم﴾ [فيه] من حلال وحرام، ووعُد ووعيد ﴿وَلَمَلَهُمُ يَنْكُرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿ أَنَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّنَاتِ أَن يَغْسِفَ اللَّهُ بِيمُ ٱلأَرْضَ أَوْ بَأْلِيَهُمُ ٱلْمَدَابُ مِنْ حَبْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْ بَأْخُدُمُمْ فِي تَعَلَّيْهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْ بَأْخُذُمْرَ عَلَى تَعَرُّفُو فَإِنَّ رَبِيكُمْ لَرُمُونُ رَجِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَائِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّنَاتِ﴾ قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكراً، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمَنوا العقوبة، وكان مجاهد يقول: عنى بهذا الكلام نمرود بن كنعان.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَتَلِّهِمْ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أنه جميع ما يتقلبَّون فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرْ يَأْخُذُمْ لَنَ غَنُونِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: على تنقُّص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة: التُّخُوف: التنقُّص، ومثله التخوُّن. يقال: تخوفته الدهور وتخونته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التخوُّف: التنقَّص، بلغة أزد شنوءة. ثم في هذا التنقَّص ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تنقَّصُ من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذُ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: تنقَّصُ أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج. والثاني: أنه التخوف نفسه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني: أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي التي تليها، فعلى هذا، خوَّفهم قبل هلاكهم، فلم يتوبوا، فاستحقوا العذاب. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّكُمْ لَرُونُ تَرْجِدُ ﴾ إذ لم يعجِّل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

﴿ أَوَلَدُ بَرُواْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللّهُ مِن ثَمْتُو بِمَغَبَّوُاْ ظِلَلُمْ عَنِ ٱلْبَصِينِ وَالشَّمَايَالِ سُجَّدًا بِلَهِ وَهُمْ دَخِرُونَ ۞ وَلِلَهِ بَسْجُدُ مَا فِي السَّمَـٰوَتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن دَاتَةِ وَالْمَلَتِهِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبُرُونَ ۞ يَمَافُونَ رَبُهُم مِن فَرْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَا ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَدُ يَرُوا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أولم يروا» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالتاء، واختلف عن عاصم.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ يِن ثَيَوٍ﴾ أراد من شيء له ظل، من جبل، أو شجر، أو جسم قائم ﴿يَنَفَيَّوُا﴾ قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتاء ﴿ظِلَلْلُمُ ﴾ وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يُراد به الكثرة، كقوله تعالى: ﴿لِلْسَّتُواُ عَنَى ظُهُرِيهِ ﴾ [الزعرف: ١٣]. قال ابن قتيبة: ومعنى يتفيًّا ظلاله: يدور ويرجع من جانب إلى جانب، والفيء: الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشيّ : فيءٌ، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق. قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل قُدَّامك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت للغروب كان على يسارك، وإنما وحّد اليمين، والمراد به: الجمع، إيجازاً في اللفظ كقوله

تعالى: ﴿وَيُولُونَ النُّبْرَ﴾ النمر: ٤٥]، ودلَّت (الشمائل؛ على أن المراد به الجميع، وقال الفراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشمائل، ولم يقل: الشمال، لأن كل ذلك جائز في اللغة، وأنشد:

قد عض أعناقَهُم جِلْدُ الجوامِيْسِ(١)

السوّادِدُونَ وتسيسم فسى ذَرّى سسبا

ولم يقل: جلود، ومثله:

ف إِنَّ زَمَ الْ كُم زَمَ نَ خَمِينَ صُ (٢) كُلُوا في نِيضُفِ بَيْطُنِكُم تَعِيْشُوا

وإنما جاز التوحيد، لأن أكثر الكلام يواجّه به الواحد. وقال غيره: اليمين راجعة إلى لفظٍ ما، وهو واحد، والشمائل راجعة إلى المعنى.

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ شُجَّدًا يِّتِهِ قَالَ ابن قتيبة: مستسلمة، منقادة، وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿ وَطِلْلُهُم بِٱلْنُدُرِّ وَٱلْآَسَالِ﴾ [الرمد: ١٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُرَ دَيْرُونَ﴾ قولان: أحدهما: والكفار صاغرون. والثاني: وهذه الأشياء داخرة مجبولة عى الطاعة. قال الأخفش: إنما ذكر مَن ليس من الإِنس، لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا الإِنس

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ يَسَجُدُ مَا فِي السَّمَوْتِ ﴾ الآية. الساجدون على ضربين: أحدهما: مَن يعقل، فسجوده عبادة. والثاني: مَن لا يعقل، فسجوده بيانُ أثر الصَّنعة فيه، والخَّضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:

بِ جَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ تَرَى الأَكْمَ فيه سُجَّداً لِلْحَوالِرِ (")

قال ابن قتيبة: حَجَّرَاتُهُ، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت. فأما الشمس والقمر والنجوم، فالحقها جماعة بمن يعقل، فقال أبو العالية: سجودها حقيقة، ما منها غارب إلَّا خَرًّ ساجداً بين يدي الله على، ثم لا ينصرف حتى يُؤذن له، ويشهد لقول أبي العالية، حديث أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: ﴿ يَا أَبِّا دُرا تَدْرِي أَيْنَ ذَهَبِتَ الشَّمْسِ ۗ ، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ﴿ فَإِنَّهَا تُلْهُبُ حَتَّى تُسْجِدُ بِينَ يُدِّي رَبُّهَا ﷺ، فتستأذن في الرجوع، قيؤذَن لها، فكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جِنْتِ، فترجع إلى مطلعها فللك مستقرها، ثم قرأ: ﴿وَالشَّسُّ تَحْرِي لِمُسْتُقَرِّ لَّهَا ﴾ [تس: ١٢٨]. أخرجه البخاري ومسلم(١). وأمّا النبات والشجر، فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء: أحدها: أن يكون سجوداً لا نعلمه، وهذا إذا قلنا: إن الله يُودِعه فهماً. والثاني: أنه تفيُّو ظلاله. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سُخُر له.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلْتِكُةُ ﴾ إنما أخرج الملائكة من الدواب، لخروجهم بالأجنحة عن صفة الدبيب. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكُمْرُونَ ۚ شَيْ عُلَوْنَ رَبُّهُم مِن فَرْقِهِمْ وَيُفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عامّ في جميع المذكورات، قالهَ أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿مِن فَوقِيمً قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحمدهما: أنه ثناءً على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عالياً رفيعاً عظيماً. والثاني: أنه حال؛ وتلخيصه: يخافون ربهم معظمِّين له عالِمين بعظيم سلطانه.

البيت في «الطبري» ١١٧/١٤، وهو في «معاني القرآن» للفراء ٣٠٨/١ لجرير من قصيدة في هجاً، تيم بن قيس، من بكر بن وائل، وهو في «ديوانه» ٣٢٥.

[·] تقدم المبيت ٤٠ وهو غير منسوب في «مييويه» ١٨٨/١، و«الخزانة»/٣٧٩، و«الطبري» ١/٣٦١.

قائله زيد الخيل، وهو في اتأويل مشكل القرآن، ٣٢٢، والكامل، ٥٥١، والمعاني الكبير، ٨٩٠، والضداد ابن الأنباري، ٢٩٥، واحماسة ابن الشجري؛ ١٩، وامجموعة المعاني؛ ١٩٢، والباء في قوله بجيش، متعلَّقة بيبت سالف هو:

أبدو مسكسنسف قد شددٌ عَسقَددَ الدوابِسرِ بسنسي عسامسر هسل تسعسرفسون إذا غسلا والبلتي، جمع أبلتي، ويلقاء: الفرس يرتفع تجميلها إلى الفخذين، والأكبم، جمع إكام، وإكام، واحده: أكمة، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، فغيرها أحرى أن يضل، يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

⁽٤) ٪ البخاري ٨/ ٤١٦، و مسلم ١٣٩/١٪

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَنْجِدُوا إِلَىٰهَيْنِ آتَنَيْنَ إِنْمَا هُوَ إِلَكُ وَنِيدٌ ۚ فَإِنَّنَى فَارْهَبُونِ ۞ وَلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَوْتِ وَٱلأَرْضِ وَلَهُ ٱللَّذِينُ وَاصِبًا أَفَنَكُرُ ﴾ اللَّهِ نَنْفُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللّهُ لَا لَنَّخِذُوا إِلَنَهَيْنِ آثَيْنَ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من المسلمين دعا اللّه في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: ذِكْر الإثنين توكيد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَعِدُّ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ في المراد بالدِّين أربعة أقوال: أحدها: أنه الإِخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبير. والثالث: شهادة أن لا إِلّه إِلّا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة. والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة. وفي معنى (واصباً) أربعة أقوال: أحدها: دائماً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والثوري، واللغويون. قال أبو الأسود الدؤلي:

لا أَبْتَخِي الحمد القَليل بَقَادُه بيوماً بِلَمَّ اللَّهُ لِ الْجَمَعَ وَاصِبَا(١)

قال ابن قتية: معنى الكلام: أنه ليس من أحد يُدَان له ويُطاع إِلّا انقطع ذلك عنه بزوالٍ أو هَلَكةٍ، غيرَ الله على افإن الطاعة تدوم له. والثاني: واجباً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خالصاً، قاله الربيع بن أنس. والرابع: وله الدين موصباً، أي: متعباً، لأن الحق ثقيل، وهو كما تقول العرب: همّ ناصب، أي: مُنْصِبٌ، قال النابغة:

كِلِينِي لِهَمَّ بِا أُمَيْمَةُ ناصِب وليل أقاسيه بطيء الكواكب (٢)

ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: له الدين، والطاعة، رضي العبد بما يُؤمّر به وسهل عليه، أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب: شدة التعب.

﴿ وَمَا بِكُمْ مِن يَمْمَةِ فَمِنَ ٱلْقُو ثُمَرَ إِذَا مَشَكُمُ ٱلفُئْرُ فَإِلَيْهِ تَبْخَرُونَ ۞ ثُمَرَ إِذَا كَشَفَ الفُئَرَ عَنكُمْ إِذَا مَشَكُمُ ٱلفُئْرُ فَإِلَيْهِ تَبْخَرُونَ ۞ ثُمَرَ إِذَا كَشَفَ الفُئَرَ عَنكُمْ إِذَا مَشِكُمُ الفُئْرُ فَإِلَيْهِ تَبْخَرُونَ ۞ ثُمَرَ إِذَا كَشَفَ الفُئِرَ عَنكُمْ إِذَا مَرْيَامِ مِنْ الْفُرْ

﴿ لِيَكُفُرُواْ بِمَا ءَالْيَنَاهُمُ فَتَنَعُوا فَسَوْفَ مَمْلَمُونَ ﴿ فَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَمَا يِكُمْ مِن يَشْمَلَى﴾ قال الزجاج: المعنى: ما حل بكم من نعمة، من صحة في جسم، أو سَعَةٍ في رزق، أو متاعٍ من مال وولد ﴿فَنَ اللَّهِ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿فَمَنَّ اللهُ بتشديد النون.

قوله تعالى: ﴿ ثُدَّ إِذَا مُسَّكُّمُ النُّمرُّ ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام، والأمراض، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿ فَإِلَيْهِ تَخَنُرُونَ ﴾ قال الزجاج: «تجأرون»: ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جأر يجأر جُؤاراً، والأصوات مبنية على «فُمَالٍ» و «فَعِيلٍ»، فأما «فُمَال» فنحو «العويل» و «الزَّير»، والفُمَال أكثر.

قوله تعالى: ﴿ إِذَا فَرِيثٌ مِّنكُم ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل النفاق. قال ابن السائب: يعني الكفار.

قوله تعالى: ﴿ لِيَكُفُرُواْ بِمَا ۚ مَالِنَهُمُونُ قَالَ الزجاجُ: المعنى: ليكفروا بِأَنَّا أنعمنا عليهم، فجعلوا نِعَمَنا سبباً إلى الكفر، وهو كقوله تعالى: ﴿ رَبِّنَا إِنَّكَ ءَانَيْتَ وَرَعَرْبَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيُسِلُواْ عَن سَبِيكِ ﴾ [يونس: ١٨٨، ويجوز أن يكون «ليكفروا»، أي: ليجحدوا نعمة الله في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ فَنَنَتُّمُوآً ﴾ تهدُّد، ﴿ فَسَوْفَ تَمْلَمُوبَ ﴾ عاقبة أمركم.

﴿ وَيَجْمَلُونَ لِمَا لَا يَمْلَمُونَ نَعِيبًا مِمَّا رَوْقَتَهُمُّ تَاهَّهِ لَشَّتَانَ عَمَّا كَشُمَّمُ أَمْلَهُمْ اللَّهُ وَيَجْمَلُونَ لِيَّهِ الْبَنَتِ سُبْحَنَكُمْ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿ وَإِنَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْنَ طَلَّ وَجَهُمُ مُسُونًا وَهُوَ كَلِيْمٌ ۞ يَنَوَرَىٰ مِنَ الْفَوْرِ مِن سُوِّهِ مَا بُئِيْرَ بِيَّةً أَيْسَكُمُ عَلَى هُوبِ أَدْ بَدُشُمُ فِي الذَّابُ أَلَا سَانَة مَا يَعْكُمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَيُجْمَلُونَ لِمَا لَا يَمْلَرُونَ ﴾ يعني: الأوثان. وفي الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم

⁽١) ﴿مَجَازُ القَرَآنَ؛ ١/ ٣٦١، و﴿الطَّبْرِيَّ ٤١/٨/١٤، و﴿القَرْطَبِيَّ ١١٤/١٠.

⁽٢) وديوانه؛ ٩، وقمختار الشعر الجاهلي؛ ١٥٩، وقمجاز القرآن؛ ٢/ ١٨٤، وقد فسر قوله: فناصب؛ أي: ذو نصب، وبمعنى: منصب.

الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضراً ولا نفعاً؛ فمفعول العلم محذوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقتادة. وإنما قال: يعلمون، لأنهم لمّا قول مجاهد، وقتادة. وإنما قال: يعلمون، لأنهم لمّا نحلوها الفهم، أجراها مجرى مَنْ يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني. قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم، كالبّحِيرة والسائية وغير ذلك مما شرحناه في [الانمام: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿ تَأْلَهِ لَتُشْنَانَ ﴾ رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْمَلُونَ لِلَّهِ الْبُنَتِ﴾ قال المفسرون: يُعني: خزاعة وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَةٌ﴾ أي: تنزه عما زعموا. ﴿وَلَهُم مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين. قال أبو سليمان: المعنى: ويتمنَّون لأنفسهم الذكور.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْفَ﴾ أي: أخبر بأنه قد وُلد له بنت ﴿ ظَلَّ رَجَّهُمُ مُسْوَدًا﴾ قال الزجاج: أي: متغيّراً تغيّر مغتمّ، يقال لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غَمّاً وحَزَناً.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ ﴾ أي: يكظم شدة وَجُدِهِ، فلا يظهره، وقد شرحناه في سورة [بوسف: ٨٤].

قوله تعالى: ﴿ يَتَوَرَىٰ مِنَ ٱلْفَرْرِ ﴾ قال المفسرون: وهذا صنيع مشركي العرب، كان أحدُهم إذا ضرب امرأته المخاص، توارى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكراً، سُرَّ به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياماً يُدَبِّر كيف يصنع في أمرها، وهو قوله: ﴿ يَا بُثِرَ بِدِيَّ ﴾، والهُون في كلام العرب: الهوان. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة، والجحدري: «على هوان»، والدس: إخفاء الشيء في الشيء، وكانوا يدفنون البنت وهي حية ﴿ أَلَا سَانَهُ مَا يَعَكُمُونَ ﴾ إذْ جعلوا لله البنات اللاتي محلَّهن منهم هذا، ونسبوه إلى الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْمُ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَمْلُ وَهُوَ ٱلْمَزِيزُ ٱلْمَكِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْمِ ﴾ أي: صفة السَّوْءِ من احتياجهم إلى الولد، وكراهتهم للإناث، خوف الفقر والعار. ﴿وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلْآخِلَ} أي: الصفة العليا من تنزهه وبراءته من الولد.

﴿ وَلَوْ بِكَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِطُلْدِهِ مَّا قَرَكَ عَلَيْهَا مِن ذَاتَهُوْ وَلَكِن بُوْخِرُهُمْ إِنَّ أَجَلٍ مُسَتَثَى فَإِذَا جَآةَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَعْجُرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بُوَائِنَدُ اللهُ النَّاسَ بِظْلَيهِ ﴾ أي: بشركهم ومعاصيهم، كلما وُجد شيء منهم أُوخذوا به ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الْأَرْض، وهذه كناية عن غير مذكور، غير أنه مفهوم، لأن الدوابّ إنما هي على الأرض، وفي قوله: ﴿ مِن كَابَتْ فِي ثَمِن كَابَتْ فِي ثَلَاثَة أَقُوال: أحدها: أنه عنى جميع ما يدبُّ على وجه الأرض، قاله ابن مسعود. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عَلَى السني: المعنى: لأقحط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج. والثالث: من الإنس والجن، قاله ابن السائب، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ رَلَكِنَ بُوَخِرُمُمْ إِلَىٰ أَجَلِ شُسَمَّتُ﴾ وهو منتهى آجالهم، وياقي الآية قد تقدم [الاعراف: ٣٤]. ﴿ رَعِمْدُلُوكَ يِلَوِ مَا بَكُرُهُونَ وَنَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبُ أَنَكُ لَهُمُرُ لَلْمُسْنَىٰ لَا جَكَرَمُ أَنَّ لَمُثُمُ النَّارُ وَأَنْهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَمِّمَنَا أَنِ عَلَى مَكْرَهُونَ ﴾ المعنى: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البنات، ﴿ رَتَمِتُ السِنَهُمُ النَّهُ أَلَيْنَهُمُ النَّهُ أَلِي العالية، والنخعي، وابن أبي عبلة: «الكُذُب، بضم الكاف والذال. ثم فسر ذلك الكذب بقوله: ﴿ أَنِ لَهُ لُلْسُنَ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله تعالى، قاله الزجاج. والثالث: [أنها] الجنة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة، قال المشركون: إن كان ما تقولونه حقاً، لندخلنُها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها فيما مضى [هود: ٢٧]. وقال الزجاج: ﴿لا الله والمعنى: ليس ذلك ما وصفوا ﴿جرم أنَّ لهم النار، المعنى: جرّم فعلهم، أي: كسب فعلهم هذا ﴿أَنَّ لَمُ النَّارَ وَأَنَهُم مُقَرَّطُونَ ﴾ وفيه أربعة أوجه، قرأ الأكثرون: ﴿مُفْرَطُونَ الله وتخفيف الراء وفتحها، وفي معناها قولان: أحدهما: مُعجَّلون، قاله ابن عباس. وقال الفراء: منسيُّون في النار. والثاني: مُعجَّلون، قاله ابن عباس أيضاً. وقال ابن قتيبة: مُعجَّلون إلى

النار. قال الزجاج: معنى «الفرط» في اللغة: المتقدم، فمعنى «مفرطون»: مقدَّمون إلى النار، ومَنْ فسرها «مُتْركون» فهو كذلك [أيضاً]، أي: قد جُعلوا مقدَّمين إلى العذاب أبداً، متروكين فيه. وقرأ نافع، ومحبوب عن أبي عمرو، وقتيبة (٢) عن الكسائي «مُفْرِطون» بسكون الفاء وكسر الراء وتخفيفها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم أفرطوا في معصية الله. وقرأ أبو جعفر وابن أبي عبلة «مُفَرِّطون» بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم فرَّطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتصديق هذه القراءة ﴿ بَحَسَّرَكُ كُلُ مَا فَرَّطْتُ فِي جَشِّبٍ اللهِ ﴾ [الزمر: ٢٥]. وروى الوليد بن مسلم عن ابن عامر «مُفَرَّطُون» بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج: وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالمفرَّط والمفرَط بمعنى واحد.

﴿ قَالَهِ لَقَدْ اَرْسَلَنَاۚ إِلَىٰ أَسَدِ مِن مَبْلِكَ فَرَبَّنَ لَمُمُ الشَّبْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَلُوْ وَلِيُّهُمُ البَّرْمَ وَلَمُن أَلِيْ هَا أَزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَنبَ-إِلَا لِشُبَيْنَ لَمَنُهُ الَّذِى اخْنَلَنُواْ فِيذٍ وَهُمْنَى وَرَحْمَةً لِتَوْرِ بِتُرْصَنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ تَالِّهَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُسَرِ مِن فَبَلِكَ ﴾ قال المفسرون: هذه تعزية للنبي ﷺ ﴿ فَرَيَّنَ هُمُ الشَّيْطُنُ أَصْلَهُمْ ﴾ الخبيثة حتى عصوا وكذَّبوا، ﴿ فَهُو وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن السائب، ومقاتل، كأنهما أرادا: فهو وليهم يوم تكون لهم النار. والثاني: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مواليهم في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ في الأخرة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِتُمَيِّنَ لَمُثَّرَى يعني: الكفار ﴿الَّذِي ٱخْنَلَقُواْ فِيهِ أَي: ما خالفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء، فالمعنى: أنزلناه بياناً لما وقع فيه الاختلاف.

﴿ وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ النَّمَاءُ مَاتُهُ مَاتُمُ مَا عَبُ إِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْمَا ۚ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَائِذَ لِنَوْمِ يَسْتَمُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُرُ فِى الْأَنْسَدِ لِمِبْرَأَ أَشْفِيكُمْ بَمَّا فِي بُعْلُويهِ. مِنْ بَيْنِ فَرْثِ وَدَمِ لَبُنَا خَالِمُهَا سَآيِمَا لِلشَّمْدِينِينَ ۞ وَمِن تَسَرَّتِ النَّيْجِلِ وَالْأَعْسَبُ نَشْفِدُونَ مِنْهُ سَحَكُمْ وَرِفْقًا حَسَنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآئِيةً لِفَقَرِ بَمْقِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَا آ ﴾ يعني: المطر ﴿ فَأَشِيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَمَّدَ مَوْيَهَا ﴾ أي: بعد يُبْسها ﴿ إِنَّ فِي نَلِكَ لَآيَةً لِتَوْمِ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: يعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُرُ فِي الْأَشْكِرِ لَهِ بَرُمُ لَّشَفِيكُ وَرَا أَبُو عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي: فنسقيكم بضم النون، ومثله في [المومنين: ٢١]. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نَسقيكم بفتح النون فيهما. وقرأ أبو جعفر: «تسقيكم بتاء مفتوحة، وكذلك في [المومنين: ٢١] وقد سبق بيان الأنعام. وذكرنا معنى «العبرة في العمران: ١٣]. فأما قوله: ﴿ يَمّا فِي بُطُونِ فِي فقال الفراء: النّعَم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى «النّعَم» إذ كان يؤدي عن الأنعام، أنشدني بعضهم:

وَطَابَ أَلْ بَانُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

فرجع إلى اللبن، لأن اللبن والألبان في معنى؛ قال: وقالَ الكسائي: أرادً: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِ فَ لَ الْسِفِ رَاخِ نُسِيدِ فَ بُ حَسوَاصِ لُسه (١)

وقال المبرّد: هذا فاشٍ في القرآن، كقوله للسّمس: ﴿ هَٰلَنَا رَبِّيۗ ﴿ وَالْنِعَامِ: ٧٨] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿ وَإِنِّ مُرْسِلَةً إِلَيْهِم بِهَدِيَتَوَى ثُم قال: ﴿ فَلَنّا جَآءَ سُلِّمَنَى ﴾ [النمل: ٣٥، ٣٦] ولم يقل: ﴿ جَاءَت ﴾ لأن المعنى: جاء الشيء الذي

 ⁽١) هو محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زينب، فيروز، أبو جعفر، أو أبو الحسن، لقبه محبوب، حدث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن سنان الفزاز،
 وأخرج له البخاري، وقال ابن معين: لا بأس به.

 ⁽٢) هو أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الأزاذاني (قرية من أصبهان) إمام مقرئ صالح ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، روي عنه أنه
 قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على الكسائي، وقرأ الكسائي القرآن من أوله إلى آخره عليًّ، وقال: صحبت الكسائي إحدى وخمسين سنة،
 وشاركته في عامة أصحابه.

⁽٣) الرجز غير منسوب في «الطبري» ١٣١/١٤، و«اللسان»: كند. ﴿ الله الطبري، ١٣٢/١٤، و«اللسان»: نعم.

ذكرنا، وقال أبو عبيدة: الهاء في قبطونه البعض، والمعنى: نُسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن، لأنه ليس لكل الأنعام لبن، وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: قمما في بطونه إلى النَّعم، والنَّمَ تذكَّر وتؤنَّث، والفَرْث: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاماً، فخلص من ذلك الطعام دم، ويقي منه فرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم ﴿لَنَا خَالِما سَأَبِنا لِلشَّربِينَ ﴾ أي: سهلاً في الشرب لا يشجى به شاربه، ولا يَغض. وقال بعضهم: سائغاً، أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرث ودم، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا استقر العلف في الكرش، طحنه، فصار أسفله فرثاً، وأعلاه دماً، وأوسطه لَبناً، والكبد مسلَّطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضّرع، ويقى الفرث في الكرش.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن نُمَرَتِ النَّمِلِ وَالْأَعْتَبِ ﴾ تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرا. والعرب تضمر قما الكقوله: ﴿ وَإِنَا رَأَتَ مَ ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: مَا ثُمَّ . والكناية في قمنه عائدة على قما المضمرة . وقال الأخفش: إنما لم يقل المنهم الله أضمر الشيء النه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكراً . وفي المراد بالسّكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وإبراهيم ابن أبي ليلى، والزجاج ، وابن قتيبة . وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال: السَّكرُ: ما حرِّم من ثمرتها، وقال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة ، ثم نسخ [ذلك] بقوله: ﴿ فَالْمِتَبُونُ ﴾ [المائدة: ٤٠] وممن ذكر أنها منسوخة ، سعيد بن جبير ، ومجاهد، والشعبي ، والناخي . والثاني: أن السَّكر: الخلّ ، بلغة الحبشة ، رواه العَوفي عن ابن عباس . قال الضحاك : هو الخل ، بلغة اليمن . والثالث : أن قالسَّك الشُّكم ، يقال: هذا له سَكر ، أي : طُغمٌ ، وأنشدوا :

جَعَدُ نُدتَ عَدِيْبَ الأَحْدرَهِ بِيُسِن سَدكَ را(١)

قاله أبو عبيدة. فعلى هذين القولين، الآية محكمة. فأما الرزق الحسن، فهو ما أُحِلَّ منهما، كالتمر والعنب، والزبيب، والخل، ونحو ذلك.

﴿وَأَوْمَن رَبُّكَ إِلَى الظَّلِ أَنِ اتَّخِيف مِنَ لَلِبَالِ بُبُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِثَا يَمْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِ مِن كُلِّ النَّمَزَتِ فَاشْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَمْرُجُ مِنْ بُعْلُونِهَا شَرَابٌ ثَخْنَلِكُ ٱلْوَنُهُو فِيهِ شِفَاتٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمِ يَنفَكَّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْضَى رَبُّكَ إِلَى الْفَالِ ﴾ في هذا الوحي قولان: أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها. والنحل: زنابير العسل، واحدتها نحلة. و «يَعرِشون» يجعلونه عريشاً. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يَعرُشُون» بضم الراء، وهما لغتان، يقال: «يعرِش» و «يعرُش» مثل «يعكِف» و «يعكُف». ثم فيه قولان: أحدهما: ما يعرشون من الكروم، قاله ابن زيد. والثاني: أنها سقوف البيوت، قاله الفراء. وقال ابن قتيبة: كل شيء عُرِش، من كرم، أو نبات، أو سقف، فهو عَرْش، ومعروش. وقيل: المراد بـ «مما يعرشون»: مما يبنون لهم من الأماكن التي تلقي فيها العسل، ولولا التسخير، ما كانت تأوي إليها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ النَّمَرُتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من الثمرات، و «كلُّ هاهنا ليست على العموم، ومثله قوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الاحقاف: ٢٥]. قال الزجاج: فهي تأكل الحامض، والمرَّ، وما لا يوصَف طعمه، فيُحيل الله عَلَى مِن ذلك عسلاً.

قوله تعالى: ﴿أَشْلُكِى شُبُلَ رَبِّكِ﴾ السُّبُل: الظُّرُق، وهي التي يطلب فيها الرعي. و اللَّأُلُ، جمع ذَلول. وفي الموصوف بها قولان: أحدهما: أنها السُّبُل، فالمعنى: اسلكي السُّبُل مُذَلَّلةٌ لكِ، فلا يتوغّر عليها مكان سلكته، وهذا قول مجاهد، واختيار الزجاج. والثاني: أنها النحل، فالمعنى: إنك مُذَلَّلةٌ بالتسخير لبني آدم، وهذا قول قتادة، واختيار ابن قتمة.

⁽١) - فمجاز القرآن؛ ٣٦٣/١، وفالطبري؛ ١٣٨/١٤، وفالقرطبي؛ ١٢٩/١٠، وفاللسان، وفالتاج؛: سكر. ،

قوله تعالى: ﴿ يَغُرُّ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابُ ﴾ يعني: العسل: ﴿ غُنْلِكُ أَلْوَنُهُ قَالَ ابن عباس: منه أحمر، وأبيض، وأصفر. قال الزجاج: [يخرج] من بطونها، إِلّا أنها تلقيه من أفواهها، وإنما قال: من بطونها، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إِلّا في البطن، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاةٌ لِلنَّاسِ ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى العسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود. واختلفوا، هل الشفاء الذي فيه يختص بمرض دون غيره، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه عام في كل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء. وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدواء. وقد روى أبو سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله على فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيتُه فلم يزده إلّا استطلاقاً، قال: «اسقه، عسلاً»، فذكر الحديث... إلى أن قال: فَشُفِي، إما في الثالثة، وإما في الرابعة، فقال رسول الله على: «صدق الله، وكذب بطن أخيك أخرجه البخاري، ومسلم (١٠). ويعني بقوله: «صدق الله: هذه الآية. والثاني: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي. والصحيح أن ذلك خرج مخرج الغالب. قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدواء، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق آحاد المرضى، فقد وافق الأكثرين، هذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب. والثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك. والثالث: أنها ترجع إلى الله ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُرَّ بَنُوفَلَكُمُّ وَمِنْكُمْ مَن بُرَّةً إِلَى أَدْوَلِ ٱلْمُشُولِكَ لَا يَمْلَرَ بَعْدَ عِلْمِ شَنِيثًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيثٌ قَدِيثٌ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَهُ خَلَقَكُو ﴾ أي: أوجدكم ولم تكونوا شيئاً ﴿أُوَّ يَنَوَفَكُمُ ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿وَيَنكُمْ مَن بُرُهُ إِلَّا أَوْلِ الْمُمْرِ ﴾ وهو أردؤه، وأَدْوَنُه، وهي حالة الهرم. وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال: أحدها: خمس وسبعون سنة، قاله علي ﷺ. والثاني: تسعون سنة، قاله قتادة. والثالث: ثمانون سنة، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لاَ يَمْلَرُ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئاً﴾ قال الفراء: لكي لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقال ابن قتيبة: أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى: أن منكم من يَكْبُرُ حتى يلهب عقله خَرَفاً، فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليريكم من قدرته، كما قَلِر على إماتته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلاً، ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يُرد إلى إرذل العمر.

﴿ وَاللَّهُ نَضَلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي نُضِلًا مِلَكِي رِنْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَنَهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاةً أَفَهِيمَةِ اللَّهِ يَعْمَدُونَ ﴾ يَجْمَدُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ فَشَلَ بَعْضَكُم عَلَ بَعْضِ فِي الرِّرْقِ ﴾ يعني: فضل السادة على المماليك ﴿فَمَا اللّهِ نَجْلُوا ﴾ يعني: السادة ﴿ رِرَّدِي رِنْفِهِ مَ عَلَى مَا مَلَكَ أَيْنَهُم ﴾ فعبرت قما عن قمن الأنه موضع إبهام، تقول: ما في الدار؟ فيقول المخاطب: رجلان أو ثلاثة، ومعنى الآية: أن المولى لا يردّ على ما ملكت يمينه من ماله حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء، وهو مَثَل ضربه الله تعالى للمشركين الذين جعلوا الأصنام شركاء له، والأصنام ملكاً له، يقول: إذا لم يكن عبيدكم معكم في المملك سواء، فكيف جعلون عبيدي معي سواء، وترضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه ؟! وروى المعوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ؟ وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في نصارى نجران حين قالوا: عسى ابن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَنْهِنِهُمُو اللَّهِ يَجْمُدُونَ﴾ قرأ أبو يكر عن عاصم: «تَجحدون» بالتاء. وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: حُجته وهدايته. والثاني: فضله ورزقه.

⁽۱) ﴿ ﴿ الْبِخَارِي ١٤/١١، ١٤٢، و﴿ مسلَّم ۗ ١٧٣٦/٤.

﴿ وَاللَّهُ حَمَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفَسِكُمْ أَنْوَجًا رَمَمَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَجِكُم بَيِنَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِبَنَتُ أَفَوَالَكِلِ يُؤْمِنُونَ وَيِنِمَتِ اللَّهِ مُمْ يَكُفُرُونَ ۚ وَيَعْبَدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ شَيْنًا وَلَا يَسْتَطِيمُونَ ۞ فَلَا تَضْرِيُوا بِلَّهِ الْأَنْشَالُ إِنَّ اللَّهُمُ وَنُوا مِنْ اللَّهُمُ وَنُوا مِنْ اللَّهُمُ وَيُوا لِللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ شَيْنًا وَلَا يَسْتَطِيمُونَ ۞ فَلَا تَضْرِيُوا بِلَّهِ الْأَنْشَالُ إِنَّ اللَّهُ مِنْ الطَّيْسَانُ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ أَنْفُرِكُمُ أَرْوَبُهُ عِنِي النساء. وفي معنى "من أنفسكم" قولان: أحدهما: أنه خلَق آدم، ثم خلَق زوجته منه، قاله ابن زيد. وفي الحَفَدَة خمسة أقوال: أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، ومجاهد في رواية، وسعيد بن جبير، والنخعى، وأنشدوا من ذلك:

ولو أنَّ نَفْسِي طاوعتني لَأَصْبَحَتْ ولسكنَّ إسيَّةً

لها حَفَدٌ مِسَّا يُعددُ كشيرُ عَيْدُ كشيرُ عَيْدُ وَالْمُ

والثاني: أنهم الخدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية الحسن، وطاووس وعكرمة في رواية الضحاك، وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يراد بالخدم: الأولاد، فيكون المعنى: أن الأولاد يُخدمون. قال ابن قتيبة: الحفدة: الخدم والأعوان، فالمعنى: هم بنون، وهم خدم. وأصل الحَفْد: مداركة الخطو والإسراع في المشي، وإنما يفعل الخدم هذا، فقيل لهم: حَفَدة. ومنه يقال في دعاء الوتر: قوإليك نسعى ونَحفِد». والثاني: أن يراد بالخدم: المماليك، فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والرابع: وانهم] ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس. والمخامس: أنهم: كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم. قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يُحتاج إليه بسرعة وطاعة.

قوله تعالى: ﴿وَوَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَتِ ﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان.

قوله تعالى: ﴿أَفَيَالْبَطِلِ يُؤْمِونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الشريك والصاحبة والولد، فالمعنى: يصدِّقون أن شه ذلك؟! قاله عطاء. والثالث: أنه الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، فصدَّقوا. وفي المراد بـ فنعمة الله، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، والرسول. والثالث: الحلال الذي أحلَّه الله لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنها الأصنام، قاله قتادة. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ يَنَ ٱلسَّمَوٰتِ ﴾ يعني: المطر، ﴿ وَ﴾ من ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ النبات، والثمر.

قوله تعالى: ﴿ شَيَّا﴾ قال الأخفش: جعل «شيئاً» بدلاً من الرزق، والمعنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي: لا يقدرون على شيء. قال الفراء: وإنما قال في أول الكلام: ايملك، وفي آخره: ايستطيعون، ولأن (ما) في مذهب: جمعٌ لآلهتهم، فوحّد ايملك، على لفظ (ما) وتوحيدها، وجمع في ايستطيعون، على المعنى، كقوله: ﴿ وَمَنْهُم ثَنَ يُسْتِكُونَ إِلَيْكُ ﴾ [بونس: ١٤].

قوله تعالى: ﴿فَلَا نَفْرِيُواْ بِيَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي: لا تشبّهوه بخُلْقه، لأنه لا يُشْبِه شيئاً، ولا يُشبهه شيء، فالمعنى: لا تجعلوا له شريكاً. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَمْلُونَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل. والثالث: يعلم حطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه. والرابع: يعلم ما كان

⁽١) ﴿ وَالْقُرْطِينِ ١٤٤/١٠ وَنَسْبِهُ لَجَمَيْلٍ.

ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركتم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

﴿ هَ مَرَبَ اللَّهُ مَشَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن زَزَقَنَـهُ مِنَا رِزَقًا حَسَنَا فَهُو يُنِفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلَ يَشْتُونَ لَنَا الْمَصْدُ لِلَّهِ بَلَ أَخْتُومُمْ لَا يَمْلَمُونَ ۞ وَمَهْرَبَ اللَّهُ مَثْلًا رَجُلَيْنِ أَخَدُهُمَا أَبْحَكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَوْءٍ وَهُو كَلُّ ظَلَ مَوْلَنَهُ أَيْنَمَا يُوجِهِهُ لَا يَأْتِ بِحَنْيِرٍ هَلَ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْهَدَلِ وَهُو عَلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَرَبَ اللهُ مَثَلٌ ﴾ أي: بيَّنَ شَبَهاً فيه بيان المقصود، وفيه قولان: أحدهما: أنه مَثَلٌ للمؤمن والكافر. فالذي ﴿لاّ يَقْدِرُ عَلَى نَتْمُو﴾ هو الكافر، لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق هو المؤمن، ابنِ لما عنده من الخير، هذا قول عباس، وقتادة. والثاني: أنه مَثَل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان، لأنه مالكُ كل شيء، وهي لا تملك شيئاً، هذا قول مجاهد، والسدي. وذُكر في التفسير أن هذا الممثل ضُرب بِقوم كانوا في زمن رسول الله ويهم قولان: أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار^(۱)، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام بن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحواجر. والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق في قاله ابن جريج. فأما قوله: ﴿هَلَ بَسْتَوُنَكُ ﴾ ولم يقل: يستويان، لأن المراد: الجنس. وقال ابن الأنباري: لفظ قمَنْ، لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المَثَل بعبد معيَّن، ومالك معين، لكن عُنِيَ بهما جماعة عبيد، وقومٌ مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك.

قوله تعالى: ﴿ لَلْمَنْدُ لِنَّهِ ﴾ أي: هو المستحق للحمد، لأنه المنعم، ولا نعمة للأصنام، ﴿ بَلُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الحمد لله. قال العلماء: وصف أكثرهم بذلك، والمراد: جميعهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهَرَبُ اللَّهُ مَنْكُ رَّجُهُ لَيْنِ أَحَدُهُمُمَا أَيْكُمُهُ قَدْ فَسَرْنَا ﴿الْبَكَمَ ۗ فَى [البقوة: ١٨]. ومعنى ﴿وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَيْءٍ ﴾ أي: من الكلام، لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهَم عنه. ﴿ وَهُوَ كُلُّ مَلَى مَوْلَنَهُ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ثِقل على وليَّه وقرابته. وفيمن أريد بهذا المَثَل أربعة أقوال: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالكافر هو الأبكم، والذي يأمر بالعدل [هو] المؤمن، رواه العوني عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن النَّفقة في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن مُنْيَة عن ابن عباس. والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبيُّ بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة. وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى المولاها قولان: أحدهما: أنه مولَّى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس. والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو ثِقل على وليِّه الذي يخدمه ويزيِّنه. ويخرج في معنى ﴿أينما تُوجُّه ، قولان. إن قلنا: إنه رجل، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق. وإن قلنا: إنه الصنم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أينما يدعوه، لا يجيبه، قاله مقاتل. والثاني: أينما توجُّه تأميله إيَّاه ورجاه له، لا يأتِه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم، كقوله: ﴿مَا وَعَدَتُنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على ألسنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما تُوَجِّهُهُ؛ بالتاء على الخطاب. فأما قوله: ﴿لَا يَأْتِ بِحَيْرِ﴾ فإن قلنا: هو رجل، فإنما كان كذلك، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يُفْهَمُ عنه، إما لكفره وجحوده، أو لِيَكُم به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جماداً. ﴿هَلَ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي: هذا الأبكم ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْمَدَّلِۗ﴾ أي: ومن هو قادر عَلَى التكلم، ناطق بالحق.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْثُ السَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا أَشُرُ السَّمَاعَةِ إِلَّا كَلَّتَجَ الْبَعَمَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِكَ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴿ اللَّهِ الْمَارِدِ عَلَيْ السَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قد ذكرناه في آخر [مود: ١٢٣] وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. وقال ابن السائب: المراد بالغيب هاهنا: قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَشُرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ يعني: القيامة: ﴿إِلَّا كُلَّتِج ٱلْبَعَبَرِ ﴾ واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة

⁽١) في «الدر المنثور؛ ٤/ ١٢٥: أبو الجوزاء.

في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: ﴿كُن فَيَكُونَكُ ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿أَوْ هُوَ أَفَرَبُكُ قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

﴿ وَاللَّهُ لَخْرَهَكُمْ مِنَ بُطُونِ أَتَهَانِكُمْ لَا تَمْلَمُونَ شَيْئًا وَجَمَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَائَرَ وَالْأَفْهِدَةٌ لَمَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَكُمُ مِّنُ بُطُونِ أُمَّهَا يَرُأُ حمزة المِمَّهاتِكم اللَّالف والميم ، وقرأ الكسائي بكسر الألف وفتح الميم ، وكذلك في [النور: ٦١] و [الزمر: ٦] و [النجم: ٣٦] ، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة .

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَ لَكُمُ السَّمَعَ ﴾ لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بيَّنًا علة ذلك في أول [البقرة: ٧]. ﴿وَالْأَنْفِدَةُ ﴾: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فئدان» مثل غُراب وغِربان، وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدَّم وتؤخّر، وأنشد:

ضَحْمٌ تُعَلَّقُ أَشْنَاقُ الدِّيَات بِـه إذا السِيؤُونَ أَمِرُّتْ فَـوْقَـهُ حَـمَـلا(١)

[الشَّنَق: ما بين الفريضتين]. والمِؤُون أعظم من الشَّنَق، فبدأ بالأقل قبل الأعظم. قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهّالاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْدِ مُسَخَّرُتِ فِي جَوِ السَّكَمَاءِ مَا يُشْكِمُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتُ لِيَوْرِ يُؤْمِنُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مُسَخِّرَتِ فِ جَوِّ السَّكَمَاءِ ﴾ قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض.

قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يمسكهنَّ عند قبض أجنحتهن وبسطِها أن يَقَعْنَ على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون. والثاني: ما يُمسكهنَّ أن يرسِلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فُعِلَ بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

﴿ وَاللّهُ جَمَّلُ لَكُمْ مِنْ بُنُوتِكُمْ سَكُنَا وَجَمَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ الْأَفْدَدِ بُنُوتَا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَمْدِكُمْ وَيَوْمَ إِمَامَتِكُمْ وَيَوْمَ إِمَامَتِكُمْ وَيَوْمَ الْمَامِنِكُمْ وَيَوْمَ إِمَامَتِكُمْ وَيَوْمَ إِمَامَتِكُمْ وَيَوْمَ إِمَامَتُكُمْ وَوَمَا إِلَا مَحْمَلُ لَكُمْ مِنْ الْمَجْدُلُونَ وَخَمَلُ لَكُمْ مِنْ الْمِجْدُلُونَ وَمَعَلَ لَكُمْ مُنْوِيلُونَ وَمَعَلَ لَكُمْ مُنْ الْمُعْرُونَ فَي مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ يِنْ يُؤْتِكُمْ سَكُنا﴾ أي: موضعاً تسكنون فيه، وهي المساكن المتّخذة من الحجر والممدر تستر العورات والحُرم (٢٠٠٠). وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والممدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، ﴿ وَجَمَلُ لَكُمْ يِن بُلُودِ الْأَنْمَا فِي القباب والخيم المتخذة من الأدم ﴿ تَسَخِفُونَهَا ﴾ أي: يخفُ عليكم حملها ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ قرأ ابين كثير، ونافع، وأبو عمرو فظَعَنِكُم ، بفتح العين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتسكين العين، وهما لغتان، كالشّغر والشّغر، والنّهر والنّهر والنّهر والمعنى: إذا سافرتم، ﴿ وَيَوْمَ إِفَانِكُمُ ﴾ أي: لا تثقل عليكم في الحالين. ﴿ وَيَنْ أَسْوَلِهَا ﴾ يعني: الضأن ﴿ وَأَوْبَارِهَا ﴾ يعني: الإبل ﴿ وَأَشْعَارِهَا ﴾ يعني: المعز ﴿ أَتُنَا ﴾ قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعة، ولو جمعت الفراء: الأثاث: المتاع، لا أعد أعدة وغُث لا غير. وقال ابن قتية: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثاثة. وقال الزجاج: يقال: قد أنّ يَأَنّ أَنّا: إذا صار ذا أثاث. وروي عن الخليل أنه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَعَر أثيث. فأما قوله: ﴿ وَمَتَمَا ﴾ فقيل: إنما جمع بينه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَعَر أثيث. فأما قوله: ﴿ وَمَتَمَا ﴾ فقيل: إنما جمع بينه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَعَر أثيث. فأما قوله: ﴿ وَمَتَمَا ﴾ فقيل: إنما جمع بينه

⁽۱) البيت للأخطل: «ديوانه» ١٤٣، وهمجاز القرآن» ٣٦٤/١، و«اللسان»: شنق، وفيه: وصفه بتحمل الديات وما دون الديات، فيؤديها ليصلح بين العشائر ويحقن الدماء. وانظر رد ابن قتية على تفسير أبي عبيدة للأشناق في «اللسان».

⁽٢) خُرَم الرُّجُل: عياله ونساؤه وما يحمي.

وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: ﴿إِلَى حِينِ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، والمعنى: ينتفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يَبلى ذلك الشيء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِنَا خُلَقَ ظِلَلا إِن ما يقيكم حر الشمس، وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ظلال الغمام، قاله ابن عباس. والثاني: ظلال البيوت، [قاله ابن السائب. والثالث: ظلال الشجر، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: ظلال الشجر والجبال](۱)، قاله ابن قتيبة. والخامس: أنه كل شيء له ظل من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَيَحَمَلُ لَكُرُ مِّنَ الْمِبَالِ أَكَنْنَا﴾ أي: ما يَكُنُّكم من الحرِّ والبرد، وهي الغيران والأسراب. وواحد الأكنان «كِنّ» وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو «كِنّ». ﴿وَجَمَلُ لَكُمْ سَرَبِيلَ﴾ وهي القُمُص ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرّ﴾ ولم يقل: البرد، لأن ما وقى من الحر، وقى من البرد، وأنشد:

وَمَا أَذْرِي إِذَا يسمُّ مُستُ أَرْضًا أَرِيْتُ الْخَيْسَ أَيْسُهُ الْمُسْتِ اللَّهِ مِا يَسْلِينُونِي (٢)

وقال الزُجَاجُ: إنما خص الحرَّ، لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناةً له من البرد، وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: ﴿ وَسَكُوبِلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ ﴾ يريد الدروع التي يتَّقون بها شدَّة الطعن والضرب في الحرب.

قوله تعالى: ﴿ كَثَالِكُ يُتِدُّ نِمْ مَتَكُمُ عَلَيْكُمُ ﴾ أي: مثلما أنعم الله عليكم بهذه الأشياء، يتم نعمته عليكم في الدنيا ﴿ لَمُلَكُمُ تُسُلِمُوك ﴾ والخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذِ كفاراً، ولو قيل: إنه خطاب للمسلمين، فالمعنى: لعلكم تدومون على الإسلام، وتقومون بحقه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو رجاء: العلكم تسلمون بفتح التاء واللام، على معنى: لعلكم إذا لبستم الدروع تسلمون من الجراح في الحرب.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوْلُؤا ﴾ أعرضوا عن الإِيمان ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْكُنَّعُ ٱلْمُدِينَ ﴾ وهذه عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿يَمْرِثُونَ نِمْسَ اللّهِ ثُمْ يُنْكُرُونَهَ﴾ وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: أنها [المساكن] نعم الله على عليهم في الدنيا. وفي إنكارها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يقولون: هذه ورثناها [عن آبائنا]. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: يعم الله: المساكن، والأنعام، وسرابيل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لا بائنا ورثناه عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان، لكان كذا، فهذا إنكارهم، قاله عون بن عبد الله. والثالث: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتية. والثاني: أن المراد بالنعمة هاهنا: محمد على يعرفون أنه نبي ثم يكذّبونه، وهذا مروي عن مجاهد، والسدي، والزجاج.

قُولُه تعالى: ﴿وَأَكُنُّومُ مُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ قال الحسن: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراديه الجميع.

﴿ وَيَوْمَ بَعَثُ مِنْ كُلِ أَمْنُو شَهِيدًا ثُمَّا لَا يُؤْنَثُ لِلَّذِينَ كَمُواْ وَلَا هُمُّ يُسْتَعْنَبُونَ ﴿ وَإِنَا رَمَا اللَّذِينَ طَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلَا يُحْفَّتُ عَلَمُوا الْعَيْقَ اللَّهِ مُنْكَانَا اللَّذِينَ كُنَا تَدْعُواْ مِن دُولِكُ فَالْفَوَا اللَّهِمُ اللَّهُونَ ﴿ يُخْفُونَ اللَّهِمُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

قوله تعالى: ﴿وَرَوْمَ نَبْعَتُ مِن كُلِّ أُمَّوَ شَهِيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، وشاهد كلِّ أُمَةِ نبيَّها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَتُ لِلَّذِينَ كَمَّرُواْ﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمَّ يُسْتَعْبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قُوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا رَمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿ الْمَتَابِ ﴾ يعني: النار ﴿ فَلَا يُحَنَّفُ عَبْهُم ﴾ العذاب ﴿ وَلَا ثُمَّ يُظَرُونَ ﴾ لا يؤخّرون، ولا يمهلون. ﴿ وَإِنَا رَمَا الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرْكَآءَهُم ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله في

⁽١) ما بين المعقفين، مقط من نسخة الرياط، واستدركناه من نسخة مكتبة راغب باشا باسطنبول.

 ⁽۲) البيت للمثنب العبدي، وقد تقدم ۱۰۵، ۲۱۸، وهو في «الطبري» ۱۹۷/۱۶، و«القرطبي» ۱۹۰/۱۰.

العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: ﴿رَبُّنَا كَتُولَاتُهِ شُرُكَاوُنَا الَّذِينَ كُنَّا مَتَعُولِ ايَ ايه لما دونك. فإن قبل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: «هؤلاء شركاؤناه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم لما كتموا الشرك في قولهم: والله ما كنا مشركين، عاقبهم الله تعالى بإصمات ألسنتهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿رَبَّنَا هَتُولَا مُرْكَاوُنا ﴾ أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدَّقنا بعد الكذب، التماساً للرحمة، وفراراً من الغضب، وكأنَّ هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم. والثاني: أنهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقدير أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذْ كانوا يدَّعون لها العقل والتمييز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم.

قوله تعالى: ﴿فَالْقَوْا إِلْيَهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي: أجابوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قال الفراء: ردت عليهم آلهتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: ﴿فَالْقُوا ﴾، أي: قالوا لهم. يقال: ألقيت إلى فلان كذا، أي: قلت له. قال العلماء: كذَّبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جماداً لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومثذ إذْ عبدوا مَن لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَّكُفُرُونَ بِبَادَتِيمٌ ﴾ [مربم: ٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَلْتُوا إِلَى اللّهِ يَوْمَهِذِ اَلسّارُ ﴾ المعنى: أنهم استسلموا له. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم قولان: أحدهما: أنهم استسلموا [له] بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه. والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلّهم. قال الكلبي(١): والمعنى: أنهم استلموا لله منقادين لحُكمه.

قوله تعالى: ﴿وَصَلَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَنْتَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بَطَل قولهم أنها تشفع لهم. والثاني: ذهب عنهم ما زيَّن لهم الشيطان أن لله شريكاً وولداً.

﴿ الَّذِيرَ كَفَرُواْ وَمَكَذُواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَهُمْ عَلَابًا فَوْقَ الْمَلَابِ بِمَا كَانُواْ بُنْسِدُونَ ﴿ وَيَوْمَ نَعْتُ فِى كُلِّي أَنْتُو شَهِيدًا عَلَيْهِد قِنْ أَنْفُسِيمٌّ وَجِشْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَتَوُكُمْ ۚ وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِنِيْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدُى وَرَحْمَةً وَبُثْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ اَلَّذِيكَ كَنْرُواْ وَمَكَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ قال ابن عباس: منعوا النَّاس من طاعة الله والإيمان بمحمد على .

قوله تعالى: ﴿ رَدُتُهُمْ عَلَا الْمَوْلَ الْمَدَابِ ﴾ إنما نكر العذاب [الأول]، لأنه نوع خاص لقوم بأعيانهم، وعرَّف العذاب الثاني، لأنه العذاب الذي يعذَّب به أكثر أهل النار، فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم، بصدِّهم عن سبيل الله. وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال: أحدها: أنها عقارب كأمثال النخل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثاني: أنها حيَّات كأمثال البغال، رواه زرَّ عن ابن مسعود. والثالث: أنها خمسة أنهار من صُفْر مُذَابِ تسيل من تحت العرش يعذَّبون بها، ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار، قاله ابن عباس. والرابع: أنه الزمهرير، فتبادرون من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَجِنْنَا بِكَ شَهِيدًا عَنَ مَتَوْلَاً ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قومه، قاله ابن عباس. والثاني: أُمَّته، قاله مقاتل. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِبَيْنَا﴾ قال الزجاج: التبيان: اسم في معنى البيان. فأما قوله تعالى: ﴿لَكُلُ مُتَهِ ﴾ فقال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين.

﴿ ﴿ إِنَّ اللَّهُ يَأْمُرُ وَالْمَدَلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِينَآيِ ذِى الْقُرْيَتِ وَيَنْفَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَاللَّهُ وَالْبَنِي يَبِظُكُمُ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَلَكُمْ وَلَا نَنْفُشُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ فَوْجِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُدُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمْلُمُ لَمُلَّالًا إِنَّ اللَّهَ يَمْلُمُ

⁽١) وفي نسخة: قاله الكلبي.

مَا تَشْمَلُوك ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَقِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ ثُوَّةٍ أَنكَنَا تَنْجِلُوك أَيْمَنكُو دَخَلًا بَيْنكُمْ أَن تَكُوك أَنَةً هِمَ أَرْقَ مِنْ أَمَّةً إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ هِذَ وَكِيْبَانَ لَكُرْ بَرَمَ الْتِيمَنةِ مَا كُفتُر فِيهِ فَخَلِفُونَ ۞ وَلَوْ شَآةَ اللهُ لَجَمَلَكُمْ أَمَّةُ وَحِدَةً وَلَاكِن يُغِيلُ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى مَن يَشَآهُ وَلَشَكُنُ مَمَّا كُفتْر تَسَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله إِلَمْ الله المعتال عن ابن عباس. والثالث: أنه استواء السريرة والعلانية في عن ابن عباس. والثاني: أنه الحق، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى، قاله سفيان بن عيينة. والرابع: أنه القضاء بالحق، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان: العدل في كلام العرب: الإنصاف، وأعظم الإنصاف: الاعتراف للمنعم بنعمته. وفي المراد بالإحسان خمسة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: العفو، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الإخلاص، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، رواه عطاء عن ابن عباس. والمخامس: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة. فأما قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآي ذِي ٱلْمُرْكَ ﴾ والمخامس: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة. فأما قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآي فِي ٱلمُنْكِرُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما لا يُعرف في شريعة ولا مقاتل. وفي ﴿الثُنْكِرُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما لا يُعرف في شريعة ولا سريرته، قاله سفيان بن عيينة. فأما: ﴿الْبُعْلُ فقال ابن عباس: هو الظلم، وقد سبق شرحه في مواضع [البقرة: ١٧٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٣، ويونس: ١٩٠٤.

قوله تعالى: ﴿يَوْلُكُمْ عَالَ ابن عباس: يؤدّبكم، وقد ذكرنا معنى الوعظ في [سورة النساء: ٥٨]. و ﴿ تَذَكَّرُفُ ﴾ بمعنى: تتَّعظون. قال ابن مسعود: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير أو لشر. وقال الحسن: والله بما ترك العدلُ والإحسانُ شيئاً من معصية الله إلّا جمعوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ مِمَهِدِ اللّهِ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله على قال المفسرون: العهد الذي يجب الوفاء به، هو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد العبد عليه، وجب الوفاء به، والوعد من العهد. ﴿وَلاَ نَنْتُضُوا ٱلْأَيْنَنَ بَمَدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين، بخلاف لغو اليمين، ووكدت الشيء توكيداً، لغة أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فيقولون: أكدته تأكيداً. وقال الزجاج: يقال: وكدت الأمر، وأكدت، لغتان جيدتان، والأصل الواو، والهمة قدل منها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَمَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمُ كَنِيلاً ﴾ أي: بالوفاء، وذلك أن من حلف بالله، فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه. وللمفسرين في معنى "كفيلاً" ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً، قاله سعيد بن جبير. والثاني: وكيلاً، قاله مجاهد. والثالث: حفيظاً مراعياً لعقدكم، قاله أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَتِي نَقَضَتْ غَرَلَهَا ﴾ قال مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفشه، ثم تخلطه بالصوف فتغزله. وقال مقاتل: هي امرأة من قريش تسمى «رَيْطة» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت، نقضته. وقال ابن السائب: اسمها «رَائطة» وقال ابن الأنباري: اسمها رَيطة» بنت عمرو المريّة، ولقبها الجعراء، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها يوصفها، ول يكن لها نظير في فعلها ذلك، كانت متناهية الحمق، تغزِلُ الغزل من القطن أو الصوف فتُحكِمُه، ثم تأمر جاريتها بتقطيعه. وقال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريها، ثم تأمر جاريتها بتقطيعه. و «نقضت»، بمعنى: تنقض، كقوله: ﴿ وَنَذَنَ أَصَنُ المَّا اللهُ اللهُ وقوله: ﴿ وَنَذَنَ اللهُ اللهُ وَلانَ المعروف، سواء كان من قطن أو صوف أو شعر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الحَبْل، قاله مجاهد. وقوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ فَوْمِه، قال النّ قتية: الأنكاث: ما نُقض من غَزَل الشّغر وغيره، قال قتادة: من بعد إبرام، وقوله: ﴿ أَنَكَنّا كُلُولَ اللهُ اللهُ واللهُ عَلِيه اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المَنْ اللهُ المُعَلِى اللهُ المُنْ اللهُ المُنْ اللهُ اللهُ

وواحثها: نِكْت. يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود، ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فيه، فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت، ثم نقضت ذلك النسج، فجعلته أنكاثاً.

قوله تعالى: ﴿نَتَخِذُونَ أَيْمَنَكُمُ دَخَلًا بَيْنَكُمُ ﴾ أي: دغلاً، ومكواً، وخديعة، وكل شيء دخله عيب، فهو مدخول، وفيه دَخَلًا.

قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أَنَةً﴾ قال ابن قتيبة: لأن تكون أمة، ﴿مِن أَرَفَ ﴾ أي: هي أغنى ﴿مِنْ أُتَهَ ﴾ وقال [الزجاج]: المعنى: بأن تكون أمة هي أكثر، يقال: ربا الشيء يربو: إذ كثر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: ﴿أَرِي * أَزْيَد عُدداً. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضون حِلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنُهوا عن ذلك. وقال الفواء: المعنى لا تغيروا بقوم لقلَّتهم وكثرتكم، أو قِلَّتكم وكثرتهم وقد غرَّرتموهم بالأيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا يَبُوكُمُ اللهُ بِدِهُ في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكثرة، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب، ومقاتل، فيكون المعنى: إنما يختبركم الله بالكثرة، فإذا كان بين قومين عهد، فكثر أحدهما، فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقلّ. فإن قيل: إذا كنى عن الكثرة، فهلّا قيل بها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، بأن الكثرة ليس تأنيثها حقيقياً، فحملت على معنى التذكير، كما حملت الصيحة على معنى الصياح. والثاني: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، المهد، فإنّه لدلالة الأيمان عليه، يجري مجرى المظهر، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجُمُلَكُمْ أُمَّةً وَيَجِدُهُ قَد فسرناه في آخر [مود: ١١٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَنَكِنَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ صريح في تكذيب القَدَرية، حيث أضاف الإضلال والهداية إليه، وعلَّقهما بمشيئته.

﴿ وَلَا نَتَخِذُنَا أَيْنَنَكُمْ مَمَلًا بَيْنَكُمْ مَمَلًا بَيْنَكُمْ مَنَا بَيْنَكُمْ مَنَا فَيُومُ مِنَا مُنَدَ ثُبُومَهَا وَتَدُومُواْ السُّوَ، بِمَا صَدَدَثُمْ عَن سَجِيلِ اللَّهِ وَلَكُرْ عَذَاتُ عَظِيمٌ ﴿ وَلَا يَشْعَرُوا مِنْهُ مِنَا عَنِدُكُمْ بَنَالُمُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقُ وَلَنَجْزِيَنَ اللَّهِ مُو حَبْرٌ لَكُرْ إِن كُنتُمْ شَلَمُون ﴾ اللَّذِينَ صَمْرُواً أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَاثُوا يَسْمَلُون ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَا لَنَّيَدُوا أَيْسَكُمُ مَنَلاً ﴾ هذا استثناف للنهي عن أيمان الخديعة . ﴿ فَأَنِلَ قَدُمُ بِعُد بُرْيَهَ ﴾ قال أبو عبيدة: هذا مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلّت به قدّمه. قال مقاتل: ناقض العهد يَزِلُ في دينه كما تَزِلُ قَدَم الرَّجُل بعد الاستقامة. قال المفسرون: وهذا نهي للذين بايعوا رسول الله على على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَبَنُوتُواْ السُّومَ ﴾ يعني: العقوبة ﴿ بِمَا صَدَدَتُمْ عَن سَكِيلِ اللهِ ﴾ يريد أنهم إذا نقضوا عهدهم مع رسول الله على صدوا الناس عن الإسلام، فاستحقّوا العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: في الآخرة. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَشْتُرُا بِمَهِ اللّهِ ثَمْنَا ظِيلاً ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رجُلين اختصما إلى رسول الله على أرض، يقال لأحدهما: فعيدان بن أسوع وهو صاحب الأرض، وللآخر: قامرة القيس، وهو المدعى عليه، فهم امرة القيس أن يحلف، فأخره رسول الله عنه فنزلت هذه الآية. وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض قربيعة بن عبدان، وقيل: قيدان، بفتح العين وياء معجمة باثنتين. ومعنى الآية: لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عَرَضاً يسيراً من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل. ﴿مَا عِندَكُمْ يَنَدُّ كَا عِندَ اللّهِ فَي الآخرة ﴿بَاقِي وقف بالمياء ابن كثير وواية عنه، ولا خلاف في حذفها في الوصل. ﴿وَلَنَجْزِينَ اللّهِ فَي الآخرة ﴿ وَلَنَجْزِينَ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: قولَيَجْزِينَ اللهِ على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن بالنون، ومعنى هذه الآية: وليَجْزِينَ الذين صبروا على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيئاتهم.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِكًا مِن ذَكِرٍ أَدَّ أَنْنَ وَهُو مُؤْمِنٌ فَلَتُحِينَتُهُ حَيْوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَاثُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِكًا مِن ذَكِرٍ أَدَّ أَنْنَ وَهُو مُؤْمِنٌ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأ القيس المعتقدِّم ذكره أقرَّ بالحق الذي كان هَمَّ أن يحلف عليه، فنزلت فيه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِكًا ﴾، وهو إقراره بالحق، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن ناساً من أهل التوراة، وأهل الإنجيل، وأهل الأوثان، جلسوا، فتفاضلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّمُ مِيَّوْهُ طَيِّبَةً ﴾ اختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس. ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال: أحدها: أنها القناعة، قاله علي هذه وابن عباس. وقال في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه. والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً. والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة. والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة. والسادس: أنها الرزق الطيِّب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد. والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق. والثامن: العافية والكفاية. والتاسع: الرضى بالقضاء، ذكرهما الماوردي. والثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة. والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَأَتُ النَّرُوانَ فَاسْتَوَدُ بِاللَّهِ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: فإذا أردت القراءة فاستعذ، ومثله ﴿ إِذَا فَمَنْكُم تَعَالَمُ مَنَكًا فَسَنَلُوهُنَ مَنَكًا فَسَنَلُوهُنَ مِن وَرَاْءِ حِالِ ﴾ [الاحزاب: ٥٥] وقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَ مَنَكًا فَسَنَلُوهُنَ مِن وَرَاْءِ حِالِ ﴾ [الاحزاب: ٥٥] وقوله: ﴿ إِذَا تَنْجَبُمُ الرَّسُولُ فَقَيْمُوا بَيْنَ يَدَى نَجَوْمَكُمُ ﴾ [السجادة: ٢١]. ومثله في الكلام: إذا أكلت، فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللفويين. والثاني: أنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة. روي عن أبي هريرة، وداود. والثالث: أنه من المقدَّم والمؤخّر، فالمعنى: فإذا استعذت بالله فاقرأ، قاله أبو حاتم السجستاني، والأول أصح.

فصل

والاستعادة عند القراءة سُنَّة في الصلاة وغيرها. وفي صفتها عن أحمد روايتان: إحدهما: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها أبو بكر المروزي. والثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها حنبل. وقد بيَّنًا معنى «أعوذ» في أول الكتاب [صَ: ٧]، وشرحنا اشتقاق الشيطان في الله من الرجيم في الله عمران: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لِيْسَ لَمُ سُلَقَنَ عَلَى اللَّذِي اَمَنُوا ﴾ في المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه التسلّط. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال، لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلطَنُ إِلّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَارِينَ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سلطان، لاستعاذتهم منه. والثالث: ليس له قُدْرة على أن يحملهم على ذَنْب لا يُغْفَر. والثاني: أنه الحُجَّة. فالمعنى: ليس له حُجَّة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، على أن يحملهم على ذَنْب لا يُغْفَر. والثاني: أنه الحُجَّة. فالمعنى: ليس له حُجَّة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد. فأما قوله: ﴿وَالْذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ تقله مجاهد، والضحاك. والثاني: أنها ترجع إلى الشيطان، فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، وهذا كما يقال: صار فلان بك عالماً، أي: من أجلك، هذا قول ابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: المعنى: والذين هم بإشراكهم إبليسَ في العبادة، مشركون بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَا بَدُلْنَا ءَائِدُ مُكَانَ ءَائِدُ مُكَانَ ءَائِدُ مُكانَ ءَائِدٌ سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزّل الآية، فيُعمَل بها مدة، ثم ينسخها، فقال كفار قريش: والله ما محمد إلّا يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمعنى: إذا نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرَّدُ مِن ناسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك ﴿قَالُوۤا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرِ ﴾ أي: كاذب: ﴿بَلْ آئِتَ مُفْتَرِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أن الله أنزله. والثاني: لا يعلمون فائدة النسخ.

قوله تعالى: ﴿فُلْ نَزَّلُهُ يعني: القرآن ﴿رُوحُ ٱلقُدُسِ﴾ يعني: جبريل. وقد شرحنا هذا الاسم في[البفرة: ١٨٧].

قوله تعالى: ﴿ مِن زَيِّكِ ﴾ أي: من كلامه ﴿ وَالْمَقِّ ﴾ أي: بالأمر الصحيح ﴿ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ مَا مَنْوَا ﴾ بما فيه من البينات فيزدادوا يقيناً.

﴿ وَلَقَدْ مَنْكُمُ أَنَهُمْ يَغُولُوكَ إِنَّنَا يُمُلِّلُهُ بَشَرُّ لِسَاتُ الَّذِى بُلْحِدُوكَ إِلَيْهِ أَعْجَدِينٌ وَهَنَذَا لِسَانُ حَكَوِثُ ثَبِيتُ ۞ إِنَّ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوكَ بِعَايَنِ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ الِيدُ ۞ إِنَّمَا يَثْنَرِى ٱلْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوكَ بِعَايَنِ اللَّهِ وَالْوَلَتَهِكَ هُمُ اللَّكِذِبَ اللَّهِ لَا يَهْرِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابُ الِيدُ ۞ إِنَّمَا يَثْنَرِى ٱلْكَذِبَ اللَّهِ لَا يَهْرِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابُ الِيدُ ۞ إِنَّمَا يَثْنَرِى ٱلْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوكَ بِعَايَنِ اللَّهِ وَلُولَتَهِكَ هُمُ اللَّهِ وَلَوْلَتُهِكَ هُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَمْلُمُ أَنَّهُمْ يَتُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿إِنَّمَا يُمَلِّمُهُ بَشَرُّ﴾ أي: آدمي، وما هو من عند الله. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال: أحدها: أنه كان لبني المغيرة غلام يقال له "يعيش" يقرأ التوراة، فقالوا: منه يتعلم محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة في رواية: كان هذا الغلام لبني عامر بن لؤي، وكان رومياً. والثاني: أنه فتي كان بمكة يسمى قبلعام؛ وكان نصرانياً أعجمياً، وكان رسول الله ﷺ يعلُّمه، فلما رأى المشركون دخوله إليه وخروجه، قالوا ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه نزلت في كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيملي عليه السميع عليم؛ فيكتب هو اعزيز حكيم؛ أو نحو هذا، فقال له رسول الله ﷺ: اأى ذلك كتبت فهو كذلك،، فافتتن، وقال: إن محمداً يَكِل ذلك إِليَّ فأكتب ما شئت، روي عن سعيد بن المسيب(١). والرابع: أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: ﴿جَابِرِ﴾، وكان جابِر يأتي رسول الله ﷺ فيتعلم منه، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد من هذا، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أنهم عَنوا سلمان الفارسي، قاله الضحاك؛ وفيه بُعْدٌ من جهة أن سلمان أسلم بالمدينة، وهذه [الآية] مكية. والسادس: أنهم عَنُوا به رجلاً حدّاداً كان يقال له «مُحنّس» (٢) النّصراني، قاله ابن زيد. والسابع: أنهم عَنُوا به غلاماً لعامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، واسمه (يسار)، ويكني (أبا فُكيهة)، قاله مقاتل. وقد روي عن سعيد بن جبير نحو هذا، إِلَّا أنه لم يقل: إنه كان يهودياً. والثامن: أنهم عَنُوا غلاماً أعجمياً اسمه «عايش»، وكان مملوكاً لحويطب، وكان قد أسلم، قاله الفراء، والزجاج. والتاسع: أنهما رجلان، قال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، يقال لأحدهما: ﴿يسار﴾ وللآخر ﴿جبرِ﴾ وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن الإِنجيل، فربما مرَّ بهما النبي ﷺ وهما يقرآن، فيقف يستمع، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. قال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، يكونُ البشر واقعاً على اثنين، والبشر من أسماء الأجناس، يعبّر عن اثنين، كما يعبر ﴿أحدٌ عن الاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿ لِسَاتُ الَّذِى يُلْمِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِی ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: (يُلجدون) بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: (يَلجدون) بفتح الياء والحاء. فأما القراءة الأولى، فقال ابن قتيبة: (يُلجدون) أي: يميلون إليه (٢)، ويزعمون أنه يعلّمه، وأصل الإِلحاد المَيْل، وقال

⁽١) قال ابن كثير ٧/ ٥٨٧: قال الزهري عن سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين، رجل كان يكتب الوحي لرسول الله 義 فارتد بعد ذلك عن الإسلام، وافترى هذه المقالة قبحه الله.

 ⁽٢) كذا في نسخة الرباط بإهمال الحرف الأول، وفي نسخة راغب باشا الاسطنبولية: يحسن، والذي في «البحر المبحط» ٥٣٦/٥: عنس .والله تعالى
 أعلم.

 ⁽٣) في الأصل: يؤمنون إليه، والتصحيح من فغريب القرآن، لابن قتيبة ٢٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانُ﴾ يعني: القرآن، ﴿عَـرَفِتُ﴾ قال الزجاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَالِمَتِ ٱللَّهِ ۚ أَي: الذين إِذَا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إِلَّا الله، كذَّبوا بها، ﴿وَأُولَتَهِكَ هُمُ ٱلْكَذِبُونَ ﴾ أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا ردِّ عليهم إِذ قالوا: ﴿إِنَّمَا آلْتَ مُفْتَرٍ ﴾ [النعل: ١٠١]. وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب، لأنه خُص به مَن لا يؤمن.

﴿ مَن كَنَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِمَنْدِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُكُمْ مُطْمَئِنَ ۚ بِالْإِيمَنِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالكَفْرِ مَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبُّ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيدٌ ﴿ وَأَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمَنْوِينَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيدٌ ﴿ وَالْكَانِكَ مِنْ اللَّهُمُ السّتَحَبُّوا الْمَنْوِيمَ وَلَوْلَتِهِكَ هُمُ الْفَنْطِلُونَ ﴿ لَا جَمَرَمَ النَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْفَنْطِلُونَ ﴿ لَا جَمَرَمَ النَّهُمْ فِى اللَّهِمَ وَالْقَمْرُومِ مَّ وَلَهُمْ وَلَهُمْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُمُ وَلَهُمْ وَلَهُمُ وَلَهُ مِنْ اللَّهُمُ وَلَا مُعْرَمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُمْ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ عَلَيْ وَمُوالِمُونَ وَاللَّهُمْ وَلَهُمْ لَا يُطْلَمُونَ وَاللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ مِنْ اللَّهُ وَلِهُ اللَّهُ وَلَهُ عَلَيْ وَاللَّهُمُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُمُ وَلَكُونَ وَاللَّهُمْ وَلَهُ مُلْولًا لَهُ عَلَيْهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَيْكُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَيْهُمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَالًا لَولَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَا لَهُ عَلَيْكُونَ وَاللَّهُ وَلَا عَلَا لَا لَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَا لَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَالًا لَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَالُولُ عَلَا لَمُولِ الللَّهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَالْعُلُولُ اللَّهُ وَلَا عَلَا لَا عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ وَاللَّهُ عَلَا لَهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَقَلْبُكُمُ مُطْمَيِنٌ ۚ بِالْإِيمَانِ ﴾ أي: ساكن إليه راض به. ﴿ وَلَذِكِن مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ قال قتادة: من أتاه بإيثار واختيار. وقال ابن قتيبة: من فتح له صدره بالقبول. وقال أبو عبيدة: المعنى: من تابعته نفسه، وانبسط إلى ذلك، يقال: ما ينشرح صدري بذلك، أي: ما يطيب. وجاء قوله: ﴿ فَعَلَيْهِمْ عَضَبُ ﴾ على معنى الجميع، لأن «مَنْ» تقع على الجميع.

فصل

الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحدهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية: أن التخويف لا يكون إكراهاً حتى يُنَال بعذاب. وإذ ثبت جواز «التَّقِيّة» فالأفضل ألَّا يفعل(١)، نص عليه أحمد، في أسير خُيِّر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إِن صبر على القتل فله الشرف، وإِن لم يصبر، فله الرخصة، فظاهر هذا، الجوازُ. وروى عنه الأثرم أنه سئل عن التَّقيَّة في شرب الخمر فقال: إِنما التقية في القول. فظاهر هذا أنه لايجوز له ذلك. فأما إِذا أكره على الزني، لم يجز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد، فإن أكره على الطلاق، لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ بِأَنَّهُمُ ٱلسَّتَحَبُّوا ٱلْمَيْزَةَ ٱلدُّنْيَا﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه الغضب والعذاب، قاله مقاتل. والثاني: أنه شرح الصدر للكفر. و «استحبُّوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الأخرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَكَ اللّهَ ﴾ أي: وبأن الله لا يريد هدايتهم. وما بعد هذا قد سبق شرحه [البقرة: ٧، والنساء: ١٥٥، والمائدة: ٢٧] إلى قوله: ﴿وَأُولَكِكَ هُمُ ٱلْنَدَيْلُونَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: الغافلون عما يراد بهم، قاله ابن عباس. والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل.

ي قوله تعالى: ﴿لَا جُرَّهُ﴾ قد شرحناها في [هود: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ ثُمْرً إِنَ كَبُكَ لِلَذِينَ هَاجَمُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُرْسَبُوا ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن كان يُفتن بمكة من أصحاب رسول الله على رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن قوماً من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعظوهم الفتنة، فنزل فيهم ﴿ وَبَنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ مَامَكًا بِاللّهِ فَإِذَا أُونِي فِي اللّهِ جَمَلُ فِيْنَةً النَّاسِ مَن مَلَا مِل المنكبوت: ١٠٥، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقُتِل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلًه حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله على أن يُقتَل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله على، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد، لأن المشار إليه وإن كان [قد] عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح. والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل. فأما قوله تعالى: ﴿ مِن بَمَدِ مَا فَنَ مُناوا المن عباس: فَتنوا الأكثرون: وقُتنوا بضم الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فتنوا بمعنى: عُلَّ بوا الناس عن دين الله، يشير بمعنى: عُلَّ بوا المنهم من المشركين. وقال أبو على: من بعد ما فتنهم بإظهار ما أظهروا للتقية، لأن الرخصة لم تكن نزلت بعدُ.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّرَ جَمَهَ كُواَ ﴾ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ ﴿ وَمَسَبَرُوٓا ﴾ على الدين والجهاد. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَسُلِهَا ﴾ في المكنيُّ عنها أربعة أقوال: أحدها: الفتنة، وهو مذهب مقاتل. والثاني: الفعلة التي فعلوها، قاله الزجاج. والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والحرابع: المهاجرة. ذكرهما واللَّذَين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْنِ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين، إما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: اذكر يوم تأتي. ومعنى ﴿ يُحَرِدُ عَن نَقْيهَ ﴾ أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل عن نفسه. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوّفنا، فقال: إن لجهنم زفرةً ما يبقى ملك مقرَّب ولا نبي مرسل إلّا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلة فيقول: فيا رب أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك إلّا نفسي، وإن تصديق ذلك في كتاب الله ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُ نَقْسِ يُحَدِدُ عَن نَقْسِهَا ﴾ (٢). وقد شرحنا معنى فالجدال، في المجدال، في المجدال،

⁽١) قال الحافظ بن كثير: والأولى والأنضل أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله.

 ⁽٢) ذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٤ ونسبه إلى ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وصد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن
 كعب الأحبار.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتُ مَامِنَةً مُطْمَيِنَةً يَأْتِيهَا رِذْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْمُو اللَّهِ فَأَذَفَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْنِ بِمَا كَانُوا بَصْمَنْتُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَرَبُ اللهُ مَلُا وَرَبَدُ كَانَتُ ءَامِنَهُ ﴾ في هذه القرية قولان: أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح. والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يأكلون ما يقعدون (١)، قاله الحسن. فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المعينة، فذلك على سبيل التمثيل، لا على وجه التضير، وبيانه: ما روى سليم بن عنز، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسألنهما عنه، فقالا: قُتِل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَرَبُ اللهُ مَالاً وَيَلَ كَانِتُ ءَامِنَةُ مُطْمَينَةٌ ﴾، تعني حفصة: أنها كانت عني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَرَبُ اللهُ مَالِنَةُ مَالِمَينَةٌ ﴾ أي: ذات أمْنٍ يأم النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر ﴿ وَمَر اللهُ عَلَيْكُ أَيْتُهُ اللهِ عند قتل عثمان على المناف الله عنها لخوف أو ضيق. وقد شرحنا معنى الرغد في [البزء: ٢٥، ٥٨]. وقوله: ﴿ مِن كُلُ مَكَانِ ﴾ أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم ﷺ، ﴿ وَسَكَمْرُتْ بِأَنَّهُ بِ بتكذيبهم رسول الله ﷺ. وفي واحد الأنعم قولان: أحدهما: أن واحدها وثمَّمٌ، قاله أبو عبيدة، وابن قتية. والثاني: ويؤمة قاله الزجاج. قال ابن قتية: ليس قول من قال: هو جمع «نعمة» بشيء، لأن ﴿ وَعَلَمَهُ على «أَنْعُمُ»، وإنما هو جمع «نعمة»، يقال: يوم نُعُمّ، ويوم من قال: هو جمع «نعمة» بشيء، لأن ﴿ وَعَلَمَة الله ابن قتية. وابن قتية. وإنما هو جمع «نعمة وأنْعُمّ» وأَنْعُمّ و وأَبُوْسَا».

قوله تعالى: ﴿ تَأَذَقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُرِعِ وَالْخَوْفِ ﴾ وروى عبيد بن عقيل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوف بنصب الفاء. وأصل الذَّوق إنما هو بالفم، وهذا استعارة منه، وقد شرحنا هذا المعنى في آل عمران: ١٠٦، ١٠٥]. وإنما ذكر اللباس هاهنا تجوُّزاً، لما يظهر عليهم من أثر الجوع والخوف، فهو كقوله: ﴿ وَلِبَاسُ النَّوْقَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك لما يظهر على المتنقي من أثر التقوى. قال المفسرون: علَّبهم الله بالجوع سبع سنين ختى أكلوا الجيف والعظام المحترقة. فأما الخوف فهو خوفهم من رسول الله على ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم. والكلام في هذه الآية خرج على القرية، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿ يُمَا كُونَ اللّهِ اللهِ عَني به: بتكذيبهم لرسول الله عَلَيْ وإخراجهم إياه وما همُّوا به من قتله.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ يَنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ طَلِيْوِنَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمُ ﴾ يعني أهل مكة ﴿رَسُولُ يَنْهُمُ ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿فَكَذَبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْمَذَابُ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: القتل ببدر، قاله مجاهد. قال ابن السائب: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي: كافرون.

﴿ فَكُفُوا مِمَّا رَزَفَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا لَمِيْتِهَا رَالشَّكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُدْ إِيَّاهُ تَعْمُدُونَ ﴿ إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةُ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهِلَ لِنَدْيرِ اللَّهِ بِهِ: فَمَنِ الضَّطَرَ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُونٌ رَّجِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رُزَقَكُمُ الله في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل مكة المشركون، لما اشتدت مجاعتهم، كلَّم رؤساؤُهم رسولَ الله ﷺ فقالوا: إن كنتَ عاديتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟! فأذِن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاه الثعلبي، وذكر نحوه الفراء، وهذه الآية والتي تليها مفسرتان في [القرة: ١٧٢، ١٧٣].

﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَكُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَلُّ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِنَفَتَرُوا عَلَى اللّهِ ٱلْكَذِبُ إِنَّ اللَّذِنَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُمْلِحُونَ ۞ مَنتُمْ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابُ اللِّمْ ۞﴾

⁽١) كذا الأصل: احتى كانوا يأكلون ما يقعدون، ولعله يقصد: ما يقعدون عليه، كالجلود، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلَسِنَهُ عُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ قال ابن الأنباري: اللام في الما بمعنى من أجل، وتلخيص الكلام: ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البّحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتخرُّص لما لا أصل له، فجرت اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ آلَيْرِ لَسَدِيدٌ ﴿ اللّهِ الماديات: ١٨ أي: وإنه من أجل حب الخير لبخيل، و الما بمعنى المصدر، والكذب منصوب به التصف، والتلخيص: لا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب. وقرأ ابن أبي عبلة: الكذب، قال ابن القاسم: هو نعت الألسنة، وهو جمع كذوب. قال المفسرون: والمعنى: أن تحليلكم وتحريمكم ليس له معنى إلا الكذب. والإشارة بقوله: ﴿ هَذَا كَانَا حَلَيْلُ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ إلى ما كانوا يُحلُّون ويحرِّمون، وقوله: ﴿ مَنَا عَلَى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا. وقوله: ﴿ مَنَا عَلَى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرِّمَنَا مَا فَصَمْمَنَا عَلَيْكَ مِن قَبَلٌ وَمَا ظَلَتَنَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسُهُمْ يَطْلِمُونَ ۞ ثُمَّ إِذَ رَبَكَ لِلَّذِينَ عَيلُواْ الشَّوّة بِجَهَلِمَةٍ ثُمَّ مَنافِوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ زّجِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَلَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّيْنَا مَا تَمَمَّنَا عَلَيْكَ مِن قَبَلَّ ﴾ يعني به ما ذكر في [الانعام: ١٢٦]وهو قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِيثَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفْرٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا ظَلْتَنَهُمْ ﴾ بتحريمنا ما حرَّمنا عليهم ﴿ وَلَذِينَ كَانُوا أَنْسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالبغي والمعاصي .

قوله تعالى: ﴿ثُدَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَبِثُوا ٱلشَّوَهَ بِجَهَلَاتِ﴾ قد شرحناه في سورة [النساه: ١٧]، وشرحنا في [البقرة: ١٦٠] التوبة والإصلاح، وذكرنا معنى قوله: ﴿ مِنْ بَدِهَا﴾ آنفاً.

﴿ إِنَّ إِرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَايِنَا يَقِهِ حَيِيفًا وَلَرَ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِأَنْفُيذٍ آجْنَبَنَهُ وَهَدَنُهُ إِلَى مِمَرَاطٍ مُسْتَغِيمٍ ۞ وَمَاتَيْنَتُهُ فِي الدُّنَيَا حَسَنَةٌ وَإِنْهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّلِحِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أَنَتُهُ قال ابن الأنباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة، وفلان علامة، ونسّابة، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهّمة على الجماعة، وعلى الواحد، كقوله: ﴿فَنَادَتُهُ الْلَكِيكَةُ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وإنما ناداه جبريل وحده. وللمفسرين في المراد بالأمّة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأمّة: الذي يعلّم الخير، قاله ابن مسعود، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه المواد المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه الإمام الذي يُقتدَى به، قاله قتادة، ومقاتل، وأبو عبيد، وهو في معنى القول الأول. فأما القانت فقال ابن مسعود: هو المطبع. وقد شرحنا «القنوت» في [البترة: ٢١٦، ٢١٨] وكذلك الحنيف [البترة: ٢١٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَ يَكُ ﴾ قال الزجاج: أصلها: لم يكن، وإنما حذفت النون عند سيبويه، لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلَّة من البصرين أنها إنما احتملت الحذف، لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غُنَّة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف.

قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِآنَمُولِهِ ﴾ انتصب بدلاً من قوله: ﴿ أَنَّهُ فَانِنَا ﴾ وقد ذكرنا واحد الأنعم آنفاً، وشرحنا معنى «الاجتباء» في [الانعام: ٨٧]. قال مقاتل: والمراد بالصراط المستقيم هاهنا: الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ وَمَاتَيْنَهُ فِي الدُّنَيَا حَسَنَةً ﴾ فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الذُّكُر الحسن، قاله ابن عباس. والثاني: النبوَّة، قاله الحسن. والثالث: لسان صدق، قاله مجاهد. والرابع: اجتماع المِلَل على ولايته، فكلهم يتولّونه ويرضَونه، قاله قتادة. والخامس: أنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد على قاله مقاتل بن حيان. والسادس: الأولاد الأبرار على الكِبَر، حكاه الثعلبي. وباقي الآية مفسر في البقرة: ١٣٠].

﴿ ثُمَّ أَوْمَيْنَا ۚ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعَ مِلَّةَ إِرْهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْكَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ آتَيِّعٌ مِلَّةَ إِرْهِيمَ﴾ ملَّتُه: دينُه. وفيما أمر باتباعه من ذلك قولان: أحدهما: أنه

أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. [والثاني: اتباعه في التبرُّؤ من الأوثان، والتدين بالإِسلام، قاله أبو جعفر الطبري]^(١). وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضلُ الرسل، وإِنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق.

﴿ إِنَّمَا جُمِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِيكَ الْمُتَلَفُوا فِيدٍّ وَإِنَّ رَبُّكَ لَيَحْكُمُ بَيِّنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَاعَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَغْلَلِفُونَ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُمِلَ السَّبْتُ﴾ أي: إنما فرض تعظيمه وتحريمه، وقرأ الحسن، وأبو حيوة: ﴿إِنما جَعَلِ بفتح الجيم والعين «السبتَ، بنصب التاء ﴿عَلَ ٱلَّذِينَ ٱغْتَلَقُواْ فِيرِّ﴾ والهاء ترجع إلى السبت. وفي معنى اختلافهم فيه

قولان: أحدهما: أن موسى قال لهم: تفرُّغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئاً من صنيعكم، فأبَوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبتغي إِلَّا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدُّد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم موسى بيوم الجمعة، قالوا: نتفرغ يوم السبت، فإن الله لم يخلق فيه شيئاً، فقال: إِنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انتهوا إلى أمر نبيُّكم، فأبَوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رأى موسى رجلاً يحمل قصباً يوم السبت، فضرب عنقه، وعكفت عليه الطير أربعين صباحاً. وذكر ابن قتيبة في «مختلف الحديث»: أن الله تعالى بعث موسى بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح. والثاني: أن بعضهم استحلُّه، وبعضهم حرَّمه، قاله قتادة.

﴿ آدَعُ إِنَّ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَرْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلِّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن مَسَلَ عَن سَبِيلِيًّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهُمَّدِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿أَدُّمُ إِنَّ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: نزلت مع الآية التي بعدها، وسنذكر هناك السبب. فأما السبيل، فقال مقاتل: هو دين الإسلام. وفي المراد ﴿ بِٱلۡـِكُمۡةِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: النبوَّة، ذكره الزجاج. وفي: ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ قولان: أحدهما: مواعظ القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ وَيَحْدِلْهُم ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح. والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿ يَالَتِي هِنَ آخَسَنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ ﴿لا آله إِلَّا اللهُ، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: جادلهم غير فظُّ ولا غليظ، وأَلِنْ لهم جانبك، قاله الزجاج. وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبُّكَ مُو أَغَارُ ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿ وَإِنْ عَافَبَشُرٌ فَعَافِئُواْ بِمِثْلِ مَا عُوفِهْ شُر بِهِ ۚ وَلَهِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّندِينِ ۞ وَاصْدِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَصْرَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا نَكُ فِي مَنْيِقِ مِنْمًا يَمْكُرُونَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱنَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُم تَحْسِنُونَ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاتَبْنُرْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوتِبْتُر بِيرٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ أشرف على حمزة، فرآه صريعاً، فلم يرَ شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: ﴿وَاللَّهُ لأَمْثَلُنَ بِسَبِعِينَ منهم، فنزل جبريل، والنبي ﷺ واقف، بقوله: ﴿ وَإِنَّ عَانَبَـنُمْ . . . ﴾ إلى آخرها، فصبر رسول الله وكفَّر عن يمينه، قاله أبو هريرة (٢٠). وقال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شُق بطنه، وجُدِعت أذناه، فقال: الولا أن تحزن النساء؛ أو تكون سنَّة بعدي لتركته حتَّى يبعثه الله من بطون السباع والطير، ولأقتلنَّ مكانه سبعين رجلاً منهم»، فنزل قوله: ﴿ آدُّعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ إلى

ما بين المعقفين مقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الاسطنبولية.

⁽٢) ذكره ابن كثير في اتفسيره ٢/ ٥٩٢ من طريق البزار، وقال: وهذا إسناد فيه ضعف، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر المديث.

قوله: ﴿وَمَا صَبُرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وروى الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يومثذٍ: «لَيْن ظفرتُ بقاتل حمزة الأمثلنَ به مثلة تتحدث بها العرب، وكانت هند وآخرون معها قد مثلوا به، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه أصب من الأنصار يوم أحدٍ أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، ومثّلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لَيْن أصبنا منهم يوماً من الدهر، لنزيدنَّ على عِدَّتهم مرتين، فنزلت هذه الآية، قاله أبيُّ بن كعب^(۱). وروى أبو صالح عن ابن عباس أن المسلمين قالوا: لَيْن أمكننا الله منهم، لنمثّلنَّ بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت هذه الآية. يقول: إن كنتم فاعلين، فمثّلوا بالأموات، كما مثّلوا بأمواتكم. قال ابن الأنباري: وإنما سمى فعل المشركين معاقبةً وهم ابتدؤوا بالمثلة، ليزدوج اللفظان، فيخف على اللسان، كقوله: ﴿ وَمَكَرُونُ مَبِّعَةُ مَبِّعَهُ مِنْهُ الشورى: ٤٤].

فصل

واختلف العلماء، هل هذه [الآية] منسوخة، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت قبل (براءة) فأمر رسول الله على أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نُسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وَلَهِن صَبِّمُ ﴾ عن القتال، ثم نسخ هذا بقوله: ﴿ الْمُثْنُوكِينَ حَيْثُ وَجَدَّتُوهُم ﴾ [التربة: ٥]. والثاني: أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظُلِم ظُلامة، فلا يحلُّ له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن سيرين، والثوري، وعلى هذا يكون المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، لا عن القتال.

قوله تعالى: ﴿وَامْبِرُ وَمَا صَبُرُكَ إِلَّا بِاللَّهُ﴾ أي: بتوفيقه ومعونته. وهذا أمر بالعزيمة. وفي قوله: ﴿وَلَا نَحْرَنُ عَلَيْمٍ﴾ قولان: أحدهما: على كفار مكة إن لم يُسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ولا تحزن على قتلى أحُد، أنهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُعَ الَّذِينَ اتَّقَوْلُ﴾ ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به، بالعون والنصر.

^{* * *}

⁽١) أورده السيوطي في «الدرد ٤/ ١٣٣ وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، وعبد الله في «زوائد المسند»، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهتي في «الدلائل».

سورة بني إسرائيل

فصل في نزولها

ينب الله الكنب التحبيد

﴿ مُشْخَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِمَنْدِهِ. لَنَلَا مِنَ الْسَنَجِدِ الْحَرَادِ إِلَى الْسَنَجِدِ الْأَقْسَا الَّذِي بَكَرَكَا حَوْلَمُ لِلْرَيْمُ مِنْ ءَايَنِنَأَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ شُبُحَنَ ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن تفسير: «سبحان الله»، فقال: «تنزيه لِلَّه عن كل سومٍ»، وقد ذكرنا هذا المعنى في [البقرة: ٣٢].

قال الذجاج: واأسرى": بمعنى: سيَّر عبده، يقال: أسريت وسريت: إذا سرت ليلاً. وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَالَيْلِ إِنَا يَسَرُ ﴿ وَالَيْلِ إِنَا يَسَرُ ﴿ وَاللّٰهِ عَلَى السبيح هاهنا قولان: أحدهما: أن العرب تسبّح عند الأمر المعجب، فكأن الله تعالى عجّب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة. والثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لأنه لما حلَّتهم بالإسراء، كذبوه، فيكون المعنى: تنزه الله أن يتخذ رسولاً كذاباً. ولا خلاف أن المراد بعبده هاهنا: متحمد وفي قوله: ﴿ وَمِنَ السّمِدِ الْحَكَرُمِ ﴾ قولان. أحدهما: أنه أسري به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقتادة، ويسنده حديث مالك بن صعصعة، وهو في «الصحيحين» (١) فبينا أنا في الحطيم» وربما قال بعض الرواة: في الحجر». والثاني: أنه أسري به من بيت أم هاني (١) ، وهو قول أكثر المفسرين، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كله مسجد، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره. فأما ﴿ السّمِدِ الْأَنْهَا ﴾ فهو بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بين المسجدين، ومعنى ﴿ يَرُكُنَا يَوْلُهُ ﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار، وأنبت القيار. وقيل: لانه مَقرُّ الأنبياء، ومَهينظ الملائكة. واحتلى المقدس، ومالى فيه بالأنبياء، ومَهينظ الملائكة. واحتلى السماء. وقال حُذيفة بن البحان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصلٌ فيه، ولا نزل عن البُراق حتى عُرج به. فإن السماء. وقال حُذيفة بن البحان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصلٌ فيه، ولا نزل عن البُراق حتى عُرج به. فإن المعراج كان من هنالك. وقيل: إن المحكمة في ذِكْر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بَدُهِ الحديث، لاشتد والمعراج كان من هنالك. وقيل: إن المحكمة في ذِكْر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بَدُهِ الحديث، لاشتد والمعراج، فلما أخبر ببيت المقلس، وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجه.

 ⁽١) البخاري ٧/ ١٥٤، ومسلم ١٥٠١، وخرجه السيوطي في «الدو» ١٤٠/٤ وزاد نسبته إلى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه.
 وقوله: «وربما قال بعض الرواة: في الحجرة قال الحافظ ابن حجر: هو شك من قتادة كما بيته أحمد عن عقان عن همام، ولفظه: «بينا أنا ثائم في الحطيم، وربما قاله قتادة: في الحجرة.

 ⁽۲) حديث أم هانئ، رواه محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح، والكلبي متروك بمرة ساقط، ورواه الطبراني في «الكبير»
 وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور. قال الهيشي في «المجمع» ٧٦/١؛ متروك كذاب.

٣) حديث أبي هريرة، رواه مسلم ١١٥٧، وفي (مسند أحمد)، ومسلم ١٤٥/، من حديث أنس بن مالك قال: (فركبته حتى أتيت بيت المقدس)
 قال: (فربطته بالحلقة التي يَربط به الأنبياء) قال: (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركمتين. ٥٠٠.)

قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَمُ مِنْ مَكِنِناً ﴾ يعني: ما رأى، أي: تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس. ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّبِيعُ ﴾ لمقالة قريش، ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى بالحدائق أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة هاهنا.

﴿ وَمَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَابَ وَجَمَلَتُهُ هُمُنَى لِبَيّ إِسْرَّهِ بِلَ أَلَا تَنْفِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۞ دُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلَنَا مَعَ ثُوجٌ إِنَّهُ كَانَ عَبْدَا شَكْرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئْبَ ﴾ لمّا ذكر في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ ذكر في هذه كرامة موسى. و﴿ ٱلْكِئْبُ ﴾: التوراة. ﴿ وَجَمَلْتُهُ هُدُى لِنِيَ إِسْرَءِيلَ ﴾ أي: دللناهم به على الهدى. ﴿ أَلّا تَنْفِذُونَ ﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لئلا يتخذوا. وقرأ الباقون بالتاء، قال أبو على: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغَيْبَة، مثل: ﴿ الْكَنْدُ لِلَّهِ ﴾ ثم [قال]: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُكُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكِيلَهُ قال مجاهد: شريكاً. وقال الزجاج: ربّاً. قال ابن الأنباري: وإنما قيل للربّ: وكيل، لكفايته وقيامه بشأن عباده، من أجل أن الوكيل عند الناس قد عُلم أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقُّد أمورهم، فكان الرب وكيلاً من هذه الجهة، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكّل وانحطاط أمر الوكيل.

قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَةَ مَنْ حَكَلَنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «ألا تتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمر حُذف اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله: ﴿ إِنَّمُ كَانَ عَبْدًا شَكُونًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كشكره. ومن قرأ: ﴿لا يتخذوا وكيلاً، ويجوز نصبها بالاتخاذ على أنها مفعول ثانٍ، تلخيص الكلام: أن لا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً. قال قتادة: الناس كلَّهم ذريَّة من أنجى الله في تلك السفينة.

قال العلماء: ووجه الإِنعام على الخُلْق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّامُ كَانَ عَبْدًا شَكُونَا ﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد الله» وإذا شرب قال: «الحمد الله» (١٠). وقال غيره: كان إذا لبس ثوباً قال: «الحمد الله» فسمًّاه الله عبداً شكوراً.

﴿ وَقَمَيْنَاۚ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَهِ مِلَ فِي ٱلْكِنْبِ لَنُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَزَّيَنِ وَلَعَلْنَ عُلُوَّا كَبِهِ ۚ فَإِذَا جَلَةَ وَعَدُ أُولِنَهُمَا بَسَنَا عَلَيْكُمْ مُ عِبَاكًا لَنَا ٱلْوَلِى ٱلْمِن شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَلَ الدِّيَارِ وَكَاکَ وَعْدَا مَغْمُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدَنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْمِ وَأَمْدَدَنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَذِيكَ وَجَمَلْنَكُمْ أَكُمْرَ نَفِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهَمَٰيُنَاۤ إِنَ بَنِ إِسْرَةِيلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أخبرناهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: قضينا عليهم، رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال قتادة، فعلى الأول: تكون (إلى) على أصلها، ويكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: تكون (إلى) بمعنى (على)، ويكون الكتاب: الذّكر الأول.

قوله تعالى: ﴿ لَٰنُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ومخالفة التوراة.

وفي مَنْ قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان. أحدهما: زكريا، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: شغيا، قاله ابن إسحاق. فأما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا. قال مقاتل: كان بين الفسادين مائتا سنة وعشر سنين. فأما السبب في قتلهم زكريا، فأنهم اتهموه بمريم، وقالوا: منه حملت، فهرب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردائه هدب، فجاءهم الشيطان فدلَّهم عليه، فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها. وأما السبب في قتلهم فدخل في الشجرة فدخل في الشجرة في قتلهم قدخل في الشجرة في الشجرة من منهم فدخل في الشجرة المعاصي. وقيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة

⁽۱) ابن جرير ۱۹/۱۵، وخرجه السيوطي في «الدر» ۱۹۲/۶ وزاد نسبته إلى الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي جاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وروى الإمام أحمد في «المسند» ۱۰۰/۳ ومسلم ۲۰۹۰/۶، والترمذي، والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله يججد إلى الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها».

حتى قطعوه بالمنشار، وأن زكريا مات حتف أنفه. وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا، قفيه قولان. أحدهما: أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحلُّ له، فنهاه عنها يحيى. ثم فيها أربعة أقوال. أحدها: أنها ابنة أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: ابنته، قاله عبد الله بن الزبير. والثالث: أنها امرأة أخيه، وكان ذلك لا يصلح عندهم، قاله الحسين بن علي على المنه. والرابع: ابنة امرأته، قاله السدي عن أشياخه، وذكر أن السبب في ذلك: أن ملك بني إسرائيل هوي بنت امرأته، فسأل يحيى عن نكاحها، فنهاه، فحنقت أمها عى يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزينتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه، وأمرتها أن تسقيك، وأن تعرض له، فإن أرادها على نفسها، أبت حتى يؤتى بوأس يحيى بن زكريا في طَسْت، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر، فأتي برأسه والرأس يتكلم ويقول: لا تحلُّ لك، لا تحلُّ لك. والقول الثاني: أن امرأة الملك رأت يحيى على وكان قد أطعي حسناً وجمالاً، فأرادته على نفسه، فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى، فأعطاها ما سألت، قاله الربيع بن أنس. قال العلماء بالسيّر: ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً، فسكن، وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله، فقال: أنا قتلته، فقيل، فسكن.

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَمَانَ عُلُوا كَبِيرًا ﴾ أي: لتَعظَّمُنَّ عن الطاعة ولتبغُنَّ.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَا جَاهَ وَعُدُ أُولَنَهُمَا ﴾ أي: عقوبة أُولى المرَّتين ﴿ بَعْثَنَا ﴾ أي: أرسلنا ﴿ مَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَآ ﴾ وفيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم جالوت وجنوده، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: البُخْتَنَصَّر الله عليه بن المسيب، واختاره الفراء، والزجاج. والثالث: العمالقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن. والرابع: سنحاريب (٢٠)، قاله سعيد بن جبير. والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: سلط [الله] عليهم سابور ذا الأكتاف (٣) من ملوك فارس.

قوله تعالى: ﴿أَوْلِى بَأْسِ شَدِيدِ ﴾ أي: ذوي عدد وقوة في القتال. وفي قوله: ﴿فَبَاسُواْ خِلَلَ الدِّيَارِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: مشوا بين منازلهم، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسّسون أخبارهم، ولم يكن قتال. وقال الزجاج: طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؟ و«الجوس»: طلب الشيء باستقصاء. والثاني: قتلوهم بين بيوتهم، قاله الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: عاثوا وأفسدوا، يقال: جاسوا وحاسوا، فهم يجوسون ويحوسون إذا فعلوا ذلك، قاله ابن قتية.

فأما الخلال: فهي جمع خَلَل، وهو الانفراج بين الشيئين. وقرأ أبو رزين، والحسن، وابن جبير، وأبو المتوكل: «خَلَل الديار، بفتح الخاء واللام من غير ألفٍ. ﴿وَكَاكَ رَعْدًا مَعْمُولًا ﴾ أي: لا بد من كونه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدُنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِ﴾ أي: أظفرناكم بهم. والكَرَّة، معناها: الرجعة والدُّولة، وذلك حين قتل داودُ جالوتَ وعاد ملكهم إليهم. وحكى الفراء أن رجلاً دعا على «بختنصر»؛ فقتله الله، وعاد ملكهم إليهم. وقيل: غزّوا ملك بابل فأخذوا ما كان في يده من المال والأسرى.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلْنَكُمُ أَكَّرُ تَفِيرًا﴾ أي: أكثر عدداً وأنصاراً منهم. قال ابن قتيبة: النَّفير والنافر واحد، كما يقال: قدير وقادر، وأصله: مَنْ يُنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته.

﴿إِنْ آَمَسَنَتُدَ آَحَسَنَتُد لِأَنشُيكُمْ ۚ وَإِنْ أَسَأَتُمْ فَلَهَاۚ فَإِنَا جَلَدَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَشتُوا وُجُوهِكُمْ وَلِيَدْخُدُوا السَّنجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَلَ مَرَّةِ وَلِيْسَتَهِرُواْ مَا عَلَوَا نَتْهِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْتَكُمُ ۚ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنًا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَفِينَ حَصِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْسَنَتُمْ﴾ أي: وقلنا لكم إن أحسنتم فأطعتُم الله ﴿أَمْسَنَتُمْ لِأَنْشِكُمْ ۗ أي: عاقبةُ الطاعة لكم ﴿وَإِنَّ أَسَأَتُمُ ﴾ بالفساد والمعاصي ﴿فَلَهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: فإليها. والثاني: فعليها. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعَدُ

⁽١) هو ملك الكلدانيين، أغار بحملاته على مصر وفتح القدس، وأحرقها وأجلى بني إسرائيل إلى بابل.

 ⁽٢) هو ملك آشور بن سنجور وخليفته، حمل على بلاد الكلدانيين واليهودية وأرمينية.

 ⁽٣) لقب بذلك، لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب، حارب العرب أحلاف الروم.

آلاً خِرَة ﴾ جواب: الفإذا عمد وقتلهم يحيى بن ذكريا، وقصدهم قتل العيسى، فرُفع، وسلَّط الله عليهم ملوك فارس والروم وهذا الفساد الثاني، هو قتلهم يحيى بن ذكريا، وقصدهم قتل العيسى، فرُفع، وسلَّط الله عليهم ملوك فارس والروم فقتلوهم وسَبَوْهم، فذلك قوله: ﴿لِسَّمُوا وَبُوهكُم ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿لِسَّمُوا ﴾. الله بالياء على الجمع والهمز بين الواوين، والإشارة إلى المبعوثين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: اليسوء بالياء على التوجيد؛ قال أبو على: فيه وجهان. أحدهما: ليسوء الله في المرة الثانية قولان: أحدهما: بختنصر، الكسائي: النسوء بالنون، وذلك راجع إلى الله تعالى. وفيمن بَعث عليهم في المرة الثانية قولان: أحدهما: بختنصر، قاله مجاهد، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول، ويقولون: كان بين تخريب المختنصر، بيت المقدس، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل. والثاني: أنطياخوس الرومي، قاله مقاتل. ومعنى ﴿لِسَمُوا وَبُومَكُم ﴾ أي: ليُدخِلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسَبْيِكم، وخصت المساءاة بالوجوه، والمراد: أصحاب الوجوه، لما يبدو عليها من الراحزن والكابة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَدَخُـالُوا السَّعِدَ﴾ يعني: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المرة الأولى ﴿وَلِيُــَيِّرُفُا﴾ أي: ليدمِّروا ويخرِّبوا. قال الزجاج: يقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب: تير. ومعنى ﴿مَا عَلَوا ﴾ أي: ليدمِّروا في حال علوهِم عليكم.

قولمه تسمالي: ﴿ عَنَو يَكُونُ أَن يَرَكُنُ إلى معميتنا ﴿ عَلَى معميتنا ﴿ عَلَى الله عليه على الله ع

قوله تعالى: ﴿وَمَمَنّا جَهُمْ لِلْكَفِرِنَ حَمِيلًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: سجناً، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة. وقال مجاهد: يحصرون فيها. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: محبساً، وقال الزجاج: «حصيراً»: حبساً، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته، فهو محصور، وهذا حصيره، أي: محبسه، والحصير: المنسوج، سمي حصيراً، لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، ويقال للجَنْب: حصير، لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض. وقال ابن الأنباري: حصيراً: بمعنى: حاصرة، فصرف من حاصرة إلى حصير، كما صرف «مؤلم» إلى أليم. والثاني: فراشاً ومهاداً، قاله الحسن، قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهاداً بمنزلة الحصير، والحصير: البساط الصغير.

﴿إِنَّ هَلِذَا الْقُرْمَانَ يَهْدِى لِلَّذِى هِے أَقَوْمُ وَيُبَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْمَلُونَ الصَّلِيحَتِ أَنَّ لَكُمْ أَجْرًا كَبِسِيرًا ۞ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْنَدُنَا لَمُمْ عَدَابًا أَلِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْثُرَّانَ يَهْدِى الِّتِي هِ َ ٱقَوْمُ ﴾ قال ابن الأنباري: "التي، وصف للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال. قال المفسرون: وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته، ﴿وَبُنِيْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ النَّذِينَ يَمْالُونَ الضَّلِحَتِ أَنَّ لَهُمْ ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجَرُّا ﴾ وهو الجنة، ﴿وَأَنَّ النِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ أي: ويبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين، فعجَّل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين.

﴿ يَنْهُ الْإِنْدُنُ بِالشَّرِ مُعَاَّمُ بِالْمَدِّرُ وَكَانَ ٱلْإِمْدَنُ عَجُولًا ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَنْعُ ٱلْهَنَدُ بِالنَّرِ ﴾ وذلك أن الإنسان يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير. ﴿وَكَانَ ٱلْهِنَتُ عَبُولًا ﴾ يعجّل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر عَجَلَته بالدعاء بالخير. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس يراد به الناس، قاله الزجاج وغيره. والثاني: آدم، فاكتفى بذكره من ذكر ولده، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأَمْ لِلرَّ عَلَيْنَا

حِجَــَارَهُ بِنَ ٱلشَــَـَآهِ﴾ [الانفال: ٢٣]، قاله مقاتل. وقال سلمان الفارسي: أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، قال: فبقيت رجلاه، فقال: يا رب عجّل، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِمْـَـَنُ عَبُولًا﴾(١).

﴿وَبَعَلَنَا الْيَلَ وَالنَّهَارَ ءَابُدَيِّنَ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الْيَلِ وَحَمَلْنَا ءَايَةَ النَّهَادِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَنُوا فَمْعَلَا مِن زَيْكُمْ وَلِتَصْلَمُوا عَكَدَهَ السِّينَ وَالْجِسَاتُ زَكْلَ هَيْءٍ فَضَلْتُهُ تَفْصِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعَلَنَا الْيَلَ وَالنَّهَارَ ءَايَكَيّنَ ﴾ أي: علامتين يدلان على قدرة خالقهما. ﴿فَمَحَوْنَا عَايَةَ الَّيلِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن آية الليل: القمر، ومحوها: ما في بعض القمر من الاسوداد. وإلى هذا المعنى ذهب على على الله عباس في آخرين. والثاني: آية الليل محيت بالظلمة التي جعلت ملازمة للّيل؛ فنسب المحو إلى الظلمة إذ كانت تمحو الأنوار وتبطلُها، ذكره ابن الأنباري. ويُروى أن الشمس والقمر كانا في النور والضوء سواء، فأرسل الله جبريل فأمرً جناحه على وجه القمر وطمس عنه الضوء.

قوله تعالى: ﴿ وَكَمَلْنَا عَالِمَ النَّهَارِ ﴾ يعني: الشمس ﴿ يُشِيرَةُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: منيرة، قاله قتادة. قال ابن الأنباري: وإنما صلح وصف الآية بالإبصار على جهة المجاز، كما يقال: لعب الدهر ببني فلان. والثاني: أن معنى «مبصرة» مُبَصِّرة» فجرى «مُفْعِل» مجرى «مُفَعِّل»، والمعنى: أنها تُبُصِّر الناس، أي: تُريهم الأشياء، قاله ابن الأنباري. ومعاني الأقوال تتقارب.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْنَتُوا نَصْلًا مِن زَبِكُرُ ﴾ أي: لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم بالنهار ﴿وَلِتَمَـلَمُواْ عَكَدَ السِّينِينَ وَلِلْهِمَابُ ﴾ بمحو آية الليل، ولولا ذلك، لم يعرف الليل من النهار، ولم يُتبين العدد. ﴿وَكُلُ شَيْءٍ ﴾ أي: ما يُحتاج إليه، ﴿فَمَالُنُهُ تَفْصِلًا ﴾ بينًا و تبيناً لا يلتبس معه بغيره.

﴿وَكُلَّ إِنَّكِ ٱلْزَمْنَةُ مُتَكِيرًا فِي عُنْفِيدً وَتُخْرَجُ لَهُ بَهُمَ ٱلْفِينَةِ كِنَبًا يَلْفَهُ مَنشُورًا ۞ اقرأ كِنتَكَ كَمْنَ بِنَفْسِكَ ٱلْبَوْمَ مَلْتِكَ حَسِبًا ۞ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْنِ ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة ووكلُّ برفع اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبيُّ، والحسن وألرَّمْنَهُ طيْرهُ بياء ساكنة من غير ألف. وفي الطائر أربعة أقوال. أحدها: شقاوته وسعادته، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: ما من مولود يولد إلَّا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي، أو سعيد. والثاني: عمله، قاله الفراء، وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنه ما يصيبه، قاله خصيف. وقال أبو عبيدة: حظه. قال ابن قتيبة: والمعنى فيما أرى - والله أعلم -: أن لكل امرئ حظاً من الخير والشر قد قضاه الله [عليه]، فهو لازم عنقه، والعرب تقول: لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك عليَّ وفي عنقي حتى أخرج منه، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: «طائر» لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق الفأل والطيّرة، فخاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر، هو الذي يُلزمه أعناقهم. وقال الأزهري: الأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم، علم المطيع من ذريته، والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من علمه عاصياً، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله: ﴿آزَمَنَهُ طَهُونُ فِي عَلْمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ الله عَلْمُ الذوم له، كلزوم القلادة العنق من بين ما عليه عناد أنه ما يُتطيَّر من مثله من شيء عمله، وذِكُر العنق عبارة عن اللزوم له، كلزوم القلادة العنق من بين ما الأعمال.

قوله تعالى: ﴿وَغُرِّمُ لَهُ ﴾ قرأ أبو جعفر: «ويُخْرَج» بياء مضمومة وفتح الراء. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: بالياء مفتوحة وضم الراء. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل: «ويُخرِج» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ أبو الجوزاء، والأعرج: «وتَخرُجُ» بتاء مفتوحة ورفع الراء، ﴿وَمَ الْقِيْمَةِ كِتَبَا ﴾ وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: «كتاب» بالرفع، ﴿يَلْقَاهُ وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «يُلقّاه» بضم الياء وتشديد القاف. وأمال حمزة والكسائي القاف. قال

⁽١) ابن جرير الطبري ٤٨/١٥، عن سلمان الفارسي، ورواه أيضاً عن ابن عباس.

المفسرون: هذا كتابه الذي فيه ما عمل. وكان أبو السّوّار العَدّوي إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتان وطيَّة، أمَّا ما حييتَ يا ابن آدم، فصحيفتُك منشورة، فأمُل فيها ما شئت، فإذا مُتّ، طُويت، ثم إذا بُعثت، نُشرت.

قوله تعالى: ﴿أَثْرَا كِنْبُكَ ﴾ وقرأ أبو جعفو: «اقرا» بتخفيف الهمزة، وفيه إضمار، تقديره، فيقال له: إقرأ كتابك. قال الحسن: يقرؤه أميًا كان أو غير أميً، ولقد عدل عيك من جعلك حسيب نفسك. وفي معنى ﴿حَييبًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: محاسِباً. والثاني: شاهداً. والثالث: كافياً، والمعنى: أن الإنسان يفوَّض إليه حسابه، ليعلم عدل الله بين العباد، ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ويعلم أنه إن دخل الجنة، فيفضل الله، لا بعمله، وإن دخل النار، فبذنبه. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿حَسِيبًا﴾، والنفس مؤثثة، لأنه يعني بالنفس: الشخص، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس، فشبهت بالسماء والأرض، قال تعالى: ﴿السَّمَاةُ مُنفَطِرٌ بِوَدِهُ [المزمل: ١٨]، قال الشاعر:

قوله تعالى: ﴿ وَلا نَزُرُ وَازِرَةً ﴾ أي: نفس وازرة ﴿ وِنْدَ أَخْرَفَكُ قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: اتّبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿ وَلا لَزِرُ وَازِرَةً وِلَا أَخْرَفَكُ ﴾، قال أبو عبيدة: والمعنى: ولا تَأْثُمُ آثمة إثم أخرى. قال الزجاج: يقال: وَزِر، يَزِرُ، فهو وازِر، وَزِراً، ووِزْراً، ووِزْراً، ووِزْراً، ومعناه: أثم إثماً. وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما: أن الآثم لا يؤخذ بذنب غيره. والثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالإثم، لأن غيره عَمِلَه، كما قال الكفار: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا عَلَىٰ أَشَاقِ ﴾ [الزعرف: ٢٢]. ومعنى ﴿ حَتَّىٰ بَسَكَ رَسُولًا ﴾ أي: حتى نُبيّنَ ما به نعذُب، وما من أجله للحال: ﴿

فصل

قال القاضي أبو يعلى: في هذا دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع، وهو بعثة الرسل، وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك، لم يقطع عليه بالنار. قال: وقيل معناه: أنه لا يعذّب في ما طريقه السمع إلا بقيام حجة السمع من جهة الرسول، ولهذا قالوا: لو أسلم بعض أهل الحرب في دار الحرب ولم يسمع بالصلاة والزكاة ونحوها، لم يلزمه قضاء شيء منها، لأنها لم تلزمه إلا بعد قيام حجة السمع، والأصل فيه قصة أهل تُباء حين استداروا إلى الكعبة ولم يستأنفوا، ولو أسلم في دار الإسلام ولم يعلم بفرض الصلاة، فالواجب عليه القضاء، لأنه قد رأى الناس يصدّون في المساجد بأذان وإقامة، وذلك دعاء إليها.

﴿ وَإِنَاۤ أَرَدْنَآ أَن نُهُلِكَ فَرَيَّةً أَمْرَنَا مُتَرَفِيهَا نَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوَلُ فَدَشَرَنَهَا نَدْمِيرًا ۞ وَكُمْ أَهْلَكُمْنَا مِنَ الْفُرُونِ مِلْ بَعْدِ نُوجٍ وَكُفَى مِرِكَ بِدُنُوبِ عِبَادِيدِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرْنَا ۚ أَن تُهَلِكَ فَرَيَّةٌ في سبب إرادته لذلك قولان: أحدهما: ما سبق لهم في قضائه من الشقاء. والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَمْرُنَا مُنْزَنِهَ﴾ قرأ الأكثرون: ﴿أَمَرْنَا﴾ مخففة، على وزن ﴿فَعَلْنا﴾، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب سعيد بن جبير. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أمرتك فعصيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر. والثاني: ﴿كثّرنا﴾ يقال: أمرت الشيء وآمرته، أي: كثّرته، ومنه قولهم: مُهرّةٌ مأمورةٌ، أي: كثيرة النّتاج، يقال: أمر بنو فلان يأمرون أمراً: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة، وابن

⁽۱) قائله عامر بن جوين؛ شاعر جاهلي، كان خليعاً فاتكاً، وشريفاً وفياً، والبيت في «الكتاب» ١/ ٢٠٥، وامجاز القرآن» ٢/ ٦٧، ووالطبري، ١٥٣/١٨ ووالخزانة» ١/ ٢٠. والشاهد فيه حذف التاء من «أبقلت» لأن الأرض بمعنى المكان، فكأنه قال: ولا مكان أبقل إيقالها، والمزنة: السحابة، والودق: المطر.

قيبة. والثالث: أن معن قامرنا؟: أمرنا؟ يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمّرته، والمعنى: سلّطنا مترفيها بالإمارة، ذكره ابن الأنباري. وروى خارجة عن نافع: قامرنا؟ ممدودة، مثل قامناً»، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وأبي رزين، والحسن، والضحاك، ويعقوب. قال ابن قتيبة: وهي اللغة العالية المشهورة، ومعناه: كثّرنا، أيضاً. وروى ابن مجاهد أن أبا عمرو قرأ: قامّرناً مشددة الميم، وهي رواية أبان عن عاصم، وهي قراءة أبي العالية، والنخعي، والمحدري. قال ابن قتيبة: المعنى: جعلناهم أمراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: قامِرناً بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة. فأما المترفون، فهم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسَعة العيش، والمفسرون يقولون: هم الجبّارون والمسلّطون والملوك، وإنما خص المترفين بالذكر، لأنهم الرؤساء، ومَن عداهم تبع لهم.

قوله تعالى: ﴿ فَنَسَكُّوا فِيهَا ﴾ أي: تمردوا في كفرهم، لأن الفسق في الكفر: الخروج إلى أفحشه. وقد شرحنا معنى

الفسق؛ في [البقرة: ٢٦، ١٩٧].

قوله تعالى: ﴿ نَحَقُّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ قال مقاتل: وجب عليها العذاب. وقد ذكرنا معنى (التدمير) في [الاعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَكُمْ أَهَلَكُنَا مِنَ ٱلْتُرُونِ﴾ وهو جمع قَرن. وقد ذكرنا اختلاف الناس فيه في [الانعام: ٦]، وشرحنا معنى «الخبير» و«البصير» في (القرة). قال مقاتل: وهذه الآية تخويف لأهل مكة.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْمَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَكُ لِنَن تُرِيدُ ثُدَّ جَمَلْنَا لَهُ جَهَنَّم يَصَلَنَهَا مَذْمُومًا مَنْحُولًا ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَنَ لَمَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُولًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاجِلَةَ ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، فعبَّر بالنعت عن الاسم، ﴿ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاهُ ﴾ من عَرَض الدنيا، وقيل: من البسط والتقتير، ﴿ لِمَن نُرِيدُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لمن نريد هَلَكته، قاله أبو إسحاق الفزاري. والثاني: لمن نريد أن نعجل له شيئاً، وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا، وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قُدَّرَ له، ثم يدخل النار في الآخرة. وقال ابن جرير: هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. وق ذكرنا معنى (جهنم في الله ومعنى: (عصلاها) في سورة (النساء: ١٥)، ومعنى (مذموماً مدحوراً) في (الأعراف: ١٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ يعني: الجنة ﴿وَسَعَن لَمَا سَعْيَهَا ﴾ أي: عمل لها العمل الذي يصلح لها، وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِثُ ﴾ لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال، ﴿قَأُولَتِكَ كَانَ سَعْيَهُم مَشْكُورًا ﴾ أي: مقبولاً. وشكر الله عزَّ وجل لهم: ثوابه إياهم، وثناؤه عليهم.

﴿ كُلَّا نُمِدُ هَتَوْلَاءً وَهَتَوُلاَءً مِنْ عَلَمْ رَبِّكُ وَمَا كَانَ عَطَاءً رَبِّكَ تَخْلُونًا ۞ انْظُرْ كَيْتَ فَشَّلْنَا بَتَعَنَّمُهُمْ عَلَى بَشْوِنُ وَلَلَاَخِرَةُ أَكْبُرُ دَرَحَدَتِ وَأَكْبَرُ نَقْضِيلًا ۞ لَا تَجْمَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهًا ءَاخَرَ فَنَقْلُدَ مَذْمُومًا تَغَذُولا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كُلا نُبِدُ هَتُؤُلَا ﴾ قال الزجاج: (كلاً) منصوب بالنبدُ، اهؤلاء الدل من (كل)، والمعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء ﴿ وَمَنْ عَكَلَ مُؤَلِكُ ﴾ قال المفسرون: كُلاً نعطي من الدنيا، البَرَّ والفاجر، والعطاء هاهنا: الرزق، والمحظور: الممنوع، والمعنى: أن الرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمتقين خاصة. ﴿ أَنُطْرَ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ نَشَيْتُمْ عَلَى بَشِنِ ﴾ وفيما فضّلوا فيه قولان: أحدهما: الرزق، منهم مقلَّ، ومنهم مُكثر. والثاني: الرزق والعمل، فمنهم موقّق لعمل صالح، ومنهم ممنوع من ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والمخذول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون. قال مقاتل: نزلت حين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه.

﴿۞ وَقَعَىٰ رَبُكَ أَلَا تَشَهُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَاءً إِمَّا يَبْلُفَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَمُمَّا أَنْ وَلا نَتُهُرَهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلا كَيْرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل زَبِ ارْخَمْهُمَا كَمَّ رَبَّانِ صَغِيرًا ۞ رَبُّكُو أَعْلَا بِمَا فِي فَنُوسِكُوْ إِن تَكُونُواْ صَلِيعِينَ مَإِنْهُ كَانَ لِلْأَتِيبِ عَقْولًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَنَّنَ رَبُّكَ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمّر ربك. ونقل عنه الضحاك أنه قال: إنما

هي «ووصى ربك» فالتصقت إحدى الواوين بـ«الصاد»(١٠)، وكذلك قرأ أبيُّ بن كعب، وأبو المتوكل، وسعيد بن جبير: «ووصى»، وهذا على خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه. وقرأ أبو عمران، وعاصم الجحدري، ومعاذ القارئ: «وقضاء ربك» بقاف وضاد بالمد والهمز والرفع وخفض اسم الرب. قال ابن الأنباري: هذا القضاء ليس من باب الأمر والفرض، وأصل القضاء في اللغة: قطع الشيء بإحكام وإتقاف قال الشاعر يرثى عمر:

بوائق في أكمامها لم تفتق (٢)

قسفسيت أحوزاً ثم ضادرت بعدها الراد: قطعتها محكماً لها.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِمَيْنِ إِمْسَانًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً، وهو البِرُّ والإِكرام، وقد ذكرنا هذا في البنرة: ١٨٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّا يَبْلُفَنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يبلغنَّ، على التوحيد، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿يبلغانَّ، على التثنية. قال الفراء: جعلت ﴿يبلغن فعلا لأحدهما وكرَّت عليهما أكلاهما». ومن قرأ ﴿يبلغانَّ، فإنه ثنَّى، لأن الوالدين قد ذُكرا قبل هذا، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: ﴿أَمَدُهُمَا أَوْ يُلاهُمَا﴾ على الاستئناف، كقوله: ﴿فَمَمُواْ وَمَسَوْلُ الدائدة: ٧١) ثم استأنف فقال: ﴿حَمِيْرٌ يَنْهُمْ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَا نَقُلُ لَمُكَا ٓ أُنِّ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ أَفَّ بالكسر من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، والمفضّل: ﴿أَنَّ بِالْفَتَحِ مِن غِيرِ تَنْوِين، وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: ﴿أَفُّ اللَّكُسِّرُ وَالنَّوْيِنِ. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: ﴿أَفُّ بالرفع والتنوين وتشديد الفاء. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم، الجَحْدُري، وحميد بن قيس: ﴿ وَأَفَّاهُ مثل ﴿ تَعَسَّاءُ . وقرأ أبو عمران الجوني، وأبو السماك العدوي: ﴿ أَفُّ بالرقع من غير تنوين مع تشديد الفاء، وهي رواية الأصمعي عن أبي عمرو. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبُّو الجوزاء: ﴿أَنُّ بِإِسْكَانَ الْفَاءُ وتَخْفَيْهُما ؛ قَالَ الْأَخْفُش: وهذا لأنَّ بعض العرب يقول: أف لك، على الحكاية، والرفعُ قبيح، لأنه لم يجئ بعده لام. وقرأ أبو العالية، وأبو حصين الأسدي: ﴿أَفِّي، بتشديد الفاء وبياء. وروى ابن الأنباري أن بعضهم قرأها: ﴿إفِۥ بكسر الهمزة(٣٠٪. وقال الزجاج: فيها سبع لغات، الكسر بلا تنوين، ويتنوين، والضم بلا تنوين، ويتنوين، والفتح بلا تنوين، ويتنوين، واللغة السابعة لا تجوز في القراءة: ﴿أَفَى ۚ بِاليَّاء، هكذا قال الزجاج. وقال ابن الأنباري: في فأنُّه عشرة أوجه. فأنَّه لك، بفتح الفاء، وفأنُّه بكسرها، وفأنُّه، وفأفَّه لك بالنصب والتنوين على مذهب الدعاء كما تقول: ﴿وَيْلاَّ﴾ للكافرين، و﴿أُفُّ ۖ لك، بالرفع والتنوين، وهو رفع باللام، كقوله تعالى: ﴿وَتُلُّ لِلْتُطَلِّفِينَ ۞﴾ [المطففون: ١]، واأفوه لك، بالخفض والتنوين، تشبيهاً بالأصوات، كقولك: •صوه واموه، وقافهاً؛ لك، على مذهب الدعاء أيضاً، وقاَّقيَّ لك، على الإضافة إلى النفس، وقأفُ لك، بسكون الفاء، تشبيهاً بالأدوات، مثل: (كمه و(هزل) وإبل)، وإنه لك، بكسر الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: وتقول: أأنِ، منه، وفأنَ،، وفأنُ،، وانِ،، وفأفًا،، وفانٌ،، وفانَّي، مضاف، وفافهاً،، وفافاً، بالألف، ولا تقل: ﴿ وَأَفِّي ۚ بِالْيَاءَ فَإِنَّهُ خَطًّا .

فَأَمَا مَعْنَى وَأَفَهُ فَقُيْهِ خَمَسَةَ أَقُوالَ: أَحُدُهَا: أَنْهُ وَسَخَ الظَّفْرِ، قاله الخِلْيل. والثاني: وسخ الأذن، قاله الأصمعي.

, h, '+ + + +

 ⁽١) الخبر رواه ابن جرير ١٩/١٥ عن الضحاك، وفي سنده أبو إسحاق الكوفي، وهو عبد الله بن ميسرة الحارثي، ضعفه ابن معين، وأحمد بن حنبل،
 والنسائي، والدارقطني، وقال ابن أبي حاتم: ليس بشيء، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بخبره، وهشيم الراوي عن أبي إسحاق هذا ـ وإن كان
 ثقة ـ موصوف بالتدليس وقد عنمن في هذا الخبر.

⁽٢) البيت من قصيدة تروى للشماخ كما في «حماسة أبي تمام» ١٠٩٠/ بشرح التبريزي، وفزهر الآداب، ٩٨٦، وتروى أيضاً لمزرد بن ضرار كما في «البيان والتبيين» ٣/ ٣٦٤، وتروى لجزه بن ضرار. قال التبريزي: وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرد أخيه، وفي «الأغاني» ٩/ ١٥٩: أن هذا الشعر للجن قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث، فكان ذلك نعباً له قبل أن يقتل. والبوائق: جمع بائقة وهي الداهية والبلية، وفي «الحماسة»: بوائج، وهي رواية «اللسان»: بوج. والبوائج: البوائق.

⁽٣) في القرطبي الدا/ ٢٤٣: واإن لك، بكسر الهمزة.

والثالث: قلامة الظفر، قاله ثملب. والرابع: أن «الأف» الاحتقار والاستصغار، من «الأفف» والأفف عند العرب: القِلَّة، ذكره ابن الأنباري. والمخامس: أن «الأف» الثني، والتضجر، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من اللغري. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: معنى «الأف»: النتن، والتضجر، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد، وللمكان تريد إماطة الأذى عنه، فقيلت لكل مستثقل. قال المصنف: وأما قولهم: فتف، فقد جعلها قوم بمعنى «أف»، فروي عن أبي جبيد أنه قال: أصل «الأف» و«الثق»: الوسخ على الأصابع إذا فتلته. وحكى ابن الأنباري فرقا، فقال: قال اللغويون: أصل «الأف» في اللغة: وسخ الأذن، و«الثق»: وسخ الأظفار، فاستعملتها العرب فيما يكره ويستقذرُ ويُضجر منه. وحكى الزجاج فرقاً آخر، فقال: قد قيل: إن «أف»: وسخ الأظفار، و«التف»: الشيء الحقير، نحو وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض، ومعنى «أف»: النّش، ومعنى الآية: لا تقل لهما كلاماً تتبرَّم فيه بهما إذا كبرًا وأسنًا، فينبغي أن تتولَّى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، ﴿وَلاَ نَهْرُهُ أَنْهُرُهُ نَهْراً، وانتهرتُه انتهاراً، فيمعنى واحد، وقال ابن فارس: نهرتُ الرجُل وانتهرتُه، مثل: زجرتُه. قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكِبر، وإن كان منهياً عنه على كلِّ حالة، لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يُضجِر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا فَرُلًا كَرِيمًا ﴾ أي: ليّناً لطيفاً أحسن ما تجد. وقال سعيد بن المسيّب: قولَ العبد المذنِب للسّيد الفظّ.

قوله تعالى: ﴿ رَائِفِفْ لَهُمَا جَاحَ الدُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أي: ألِنْ لهما جانبك متذللاً لهما من رحمتك إياهما. وخفضُ الحَبَاح قد شرحناه في الحجر: ٨٨]. قال عطاء: جناحك: يداك، فلا ترفعهما على والديك. والجمهور يضمون الذال من الذَّلَ ، وقرأ أبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبلة: بكسر الذال. قال الفراء: الذِّل: أن تتذلّل ولست بذليل في الخدمة، والذَّل والذَّلة: مصدر الذّليل، والذَّل، بالكسر: مصدر الذّلول، مثل الدابة والأرض. قال ابن الأنباري: من قرأ «الذّل»، بكسر الذال، جعله بمعنى الذّل، بضم الذال، والذي عليه كُبراء أهل اللغة أن الذّل من الرجل: الذليل، والذّل من الدابة: الذّلول.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ زَبِّ اَرْحَهُمُا كُمَّ رَبَيَانِي صَفِيرًا ﴾ أي: مثل رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني. وقد ذهب قوم إلى أن هذا الدعاء المطلق نُسخ منه الدعاء الأهل الشرك بقوله: ﴿مَا كَاكَ لِلنَّبِيِّ وَالْذِينَ مَاسُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النوية: ١١٣]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومقاتل. قال المصنف: ولا أرى هذا نسخاً عند الفقهاء، لأنه عام وخله التخصيص، وقد ذَكَرَ قريباً مما قلتُه ابن جرير.

﴿ وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّلُمُ وَالْمِسْكِينَ وَآيَنَ السَّبِيلِ وَلَا نُبُذِّرَ بَبْنِيرًا ۞ إِنَّ الْشَيْلِينَ كَانُوا إِخْوَنَ الشَّيَطِينِ بُكَانَ الشَّيْطُانُ لِرَبِّهِ. كَنُونَا ۞ وَلِمَا تُعْرِضَنَ عَنْهُمُ الْبِئَاةَ رَحْمَةِ مِن رَبِّكِ نَجُومًا نَقُل لَهُمْرِ فَوْلًا تَيْسُورًا ۞﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَاتِ ذَا ٱلْفُرِيَ حَقَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبَل أبيه وأمّه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن المراد به: بِرُّهم وصِلْتَهم. والثاني: النَّفقة الواجبة لهم وقت البحاجة. والثالث: الوصيَّة لهم عند الوفاة. والثاني: أنهم قرابة الرسول، قاله علي بن الحسين عَلَيْه، والسدي. فعلى هذا، يكون حقهم: إعطاؤهم من الخُمس، ويكون الخطاب للوُلاة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَآبَنَ ٱلسَّيِيلِ ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يكون المراد: الصدقات الواجبة، يعني: الزكاة، ويجوز أن يكون الحق الذي يكزمه إعطاؤه عند الضرورة إليه. وقيل: حق المسكين، من الصدقة، وابن السيل، من الضيافة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُبُرِّرُ ثَبَرْيِلُ﴾ في التبذير قولان: أحدهما: أنه إنفاق المال في غير حق، قاله ابن مسعود (١)، وابن عباس (٢). وقال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كلَّه في حتَّ، ما كان مبذِّراً، ولو أنفق مُدَّا في غير حق، كان مبذِّراً. قال الزجاج: التبذير: النفقة في غير طاعة الله، وكانت الجاهلية تنحر الإبل وتبذُّر الأموال تطلب بذلك الفخر والسَّمعة، فأمر الله على بالنفقة في وجهها فيما يقرَّب منه، والثاني: أنه الإسراف المتلِف للمال، ذكره الماوردي. وقال أبو عبيدة: المبذِّر: هو المُسرف المُنسد العائث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَيِّدِينَ كَانُواْ إِخْوَنَ ٱلشَّيَطِينِيُّ﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ، كُنُورًا﴾ أي: جاحداً لنِعَمه. وهذا يتضمن أن المسرف كفور للنّعم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا تُشْرِضَنَّ عَبُهُ ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين تقدَّم ذِكْرُهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قاله الأكثرون، فعلى هذا في علَّة هذا الإعراض قولان: أحدهما: الإعسار، قاله الجمهور، والثاني: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، قاله ابن زيد. وعلى هذا في الرحمة قولان. أحدهما: الرزق، قاله الأكثرون، والثاني: أنه الصلاح والتوبة، هذا على قول ابن زيد. والثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وإما تعرضَنَّ عنهم لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبير. فتحتمل إذا الرحمة وجهين: أحدهما: انتظار النصر عليهم، والثاني: الهداية لهم. والثالث: أنهم ناس من مُزينة جاؤوا يستحملون رسول الله على فقال: ﴿لا أجد ما أحملكم عليه ، فبكوا ، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء الخراساني. والرابع: أنها نزلت في خبّاب، وبلال، وعمّار، ومهجّع، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله على فلا يجد ما يعطيهم، فيُعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل. فعلى هذا القول والذي قبله تكون الرحمة بمعنى الرّزق.

قوله تعالى: ﴿ نَتُلُ لَهُمْ فَوَلا تَيْسُولُ قَالَ أَبُو عبيدة: ليّناً هيّناً، وهو من اليُسُر. وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العِدَة الحسنة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنه القول الجميل، مثل أن يقول: رزقنا الله وإياك، قاله ابن زيد؛ وهذا على ما تقدّم من قوله. والثالث: أنه المداراة لهم باللسان، على قولَ من قال: هم المشركون، قاله أبو سليمان الدمشقي؛ وعلى هذا القول، تحتمل الآية النسخ.

﴿ وَلِا جَمْعُلْ بَدَكَ مَثْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا بَسُطُهَ كُلُّ ٱلْبَسْطِ فَنَقْعُدَ مَلُومًا تَحَسُّرًا ۞ إِذَ رَبَكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن بَشَآءُ وَيَقْدِذُ إِنَّهُ كَانَ بِسِبَادِدِ. خَبِرًا بَجِبَا ۞ وَلَا نَقْنُلُوٓا أَوْنَدَكُمْ خَشَيَّةً إِنْلَقِ غَنْ نَزُنْهُمْ وَإِنَاكُوْ إِنَّ قَنْلَهُمْ كَانَ خِطْكَا كَبِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحَمَّلُ يَدَكَ مَنْلُولَةً إِنَى عُنُولَكَ ﴾ سبب نزولها: أن غلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إن أُمِّي تسألك كذا وكذا، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت حاسراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود (٢٠). وروى جابر بن عبد الله نحو هذا، فزاد فيه: فأذَّن بلال للصلاة،

 ⁽١) «الأدب المفردة للبخاري ١/ ٣٣٣، وابن جرير ٧٣/١٥، والحاكم: ٢/ ٣٦١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وخرجه السيوطي في «اللدة ٤/ ١٧٧ وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن متصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهةي في «شعب الإيمان».

⁽۲) «الأدب المفرد» ۱/۳۴۵، وابن جرير: ۷۳/۱۵.

⁽٣) نسبه السيوطي في «الدر» ١٧٨/٤ لابن جرير، ولم نقف عليه.

وانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم، فرأوه عُرياناً، فنزلت هذه الآية، والمعنى: لا تمسك يدك عن البذل كلَّ الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ﴿وَلَا نَبْسُطُهُ كُلُ الْبَسُو ﴾ في الإعطاء والنفقة ﴿فَنَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ويلومك الناس، ﴿فَحَسُولً ﴾ قال ابن قتيبة: تَحْسِرُكَ العطيةُ وتقطعك كما يَحْسِرُ السفر البعير فيبقى منقطعاً به. قال الزجّاج: المحسور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء، فالمعنى: فتقعد وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صِرتَ بمنزلة من قد حَسَر. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الخطاب أريد به غيرُ رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يدّخِرُ شيئاً لغد، وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه، وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون، فلم ينهم الله، لصحة يقينهم، وإنما نهى من خِيف عليه التحسُّر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله تعالى، فهو غير مراد بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن بَشَآهُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يوسّع على من يشاء ويضيِّق، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِسِهَادِهِ خَبِيرًا بَسِيرًا﴾ حيث أجرى أرزاقهم على ما علم نيه صلاحهم،

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَّفْنُالُوا أَوْلَدُكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقٍّ ﴾ قد فسرناه في [الأنمام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خِطْنَا كَبِرا ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: فخِطْءاً مكسورة الخاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة. وقرأ ابن كثير، وعطاء: ﴿خِطاءٌ مكسورة الخاء ممدودة مهموزة. وقرأ ابن عامر: ﴿خَطَأً الله بنصب الخاء والطاء وبالهمزة من غير مدّ. وقرأ أبو رزين كذلك، إلّا أنه مَدّ، وقرأ الحسن، وقتادة: ﴿خَطُءاً المفتح الخاء وسكون الطاء مهموز مقصور. وقرأ الزهري، وحميد بن قيس: ﴿خِطاءٌ الحضاء وتنوين الطاء من غير همز ولا مَدّ. قال الفراء: الخطء: الإثم، وقد يكون في معنى ﴿خَطَأُ كما قالوا: ﴿قِتُبٌ و ﴿قَتَبٌ و ﴿حِذَرٌ الخِطاء والخَطاء والخَطاء ممدود: لغات. وقال أبو عبيدة: خَطِئْتُ وأَخْطَأْتُ، لغتان. وقال أبو عبيدة: خَطِئْتُ ولكن قد جاء ما يدل عليه ، أبو عبيدة:

البخطة والخطء والخط

وقال الأخفش: خَطِئ يَخْطَأُ بمعنى وَأَذْنَبَ وليس بمعنى وَأَخطَأَ ، لأن وَأَخطأً ؛ فيما لم يصنعه عمداً ، تقول فيما أُتيتَه عمداً : وخَطِئتُ ، وفيما لم تتعمده: وأخطأتُ ، وقال ابن الأنباري: والخِطء ؛ الإِثم، يقال: قد خَطِئ يَخْطَأ : إذا أثم، وأَخْطَأ يُخْطِئ : إذا فارق الصواب. وقد شرحنا هذا في [بوسف: ٤١] عند قوله: ﴿وَإِن كُنَا لَخَلطِينَ﴾

﴿ وَلَا نَقَرَبُوا الزِّنَّةُ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاتَهُ سَبِيلًا ۞ وَلَا نَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن ثُنِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَمَلُنَا لِمُلِيْهِ. سُلْطَنَنَا فَلَا يُشْرِفِ فِي الفَتْلِ إِلَيْمُ كَانَ مَنْصُورًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْرُهُوا الرِّقَ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن: بالمد. قال أبو عيدة: وقد يمد «الزنا» في كلام أهل نجد، قال الفرزدق:

> أبسا حَساضِ مَسنُ يَسزُنِ يُسعُسرَفُ زِنساؤه. مقال الضأ:

> أحضبتَ فِعلَك للزِّنَاءِ ولم تَكُنْ وقال آخر:

[كانت فريضةً ما نقول] كُممًا

ومَنْ يَشْرَبِ الخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا(١)

يَسوْمَ السُلِّسَاءِ لسَّنْحُ ضِسبَ الأبْسطَ الالا٢٠

كسانَ السرِّنَساءُ فَسرِيْسضَةَ السرَّجْسمِ"

⁽١) قمجاز القرآن؛ ١/٣٧٧، وقالجمهرة؛ ٣/ ٢٢٥، وقاللسان، وقالتاج،: زني.

⁽٢) امجاز القرآن؛ ١/٣٧٧.

٣) - البيت للنابغة الجعدي: قديوانه؟ ٢٣٥ طبع المكتب الإسلامي، وقمجاز القرآن؛ ٢/٣٧٨، وقأمالي المرتضى؛ ٢/٢١٦، وقالإنصاف في مسائل الخلاف؛ ١٦٥، وقالسبط؛ ٢٦٨١، وقاللسان؛: زني. وقوله: قكان الزناء فريضة الرجم؟ مقلوب، والأصل: كان الرجم فريضة الزنا

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقَنْكُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ قد ذكرناه في [الانعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدَ جَمَلَنا﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الدال مع الجيم، والإظهار جيد بالغ، إلّا أنَّ الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان، والإدغام جائز، لأن حروف وسط اللسان تقرب من حروف طرف اللسان. ووليُّه: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له وليُّ، فالسُّلطان وليُّه. وللمفسرين في السُّلطان قولان: أحدهما: أنه الحُجَّة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الوالي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَمَلَنَا لِوَلِيِّهِ. سُلطَنَا﴾ ينصره ويُنْصِفه في خَقَّه، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِي الْفَتْلِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: قلا يسرف بالياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: بالتاء. وفي المسار إليه في الآية قولان: أحدهما: أنه ولي المقتول. وفي المراد بإسرافه خمسة أقوال: أحدها: أن يقتُل غير القاتل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أن يقتُل اثنين بواحد، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن يقتُل أشرف مِن الذي قتل، قاله ابن زيد. والرابع: أن يمثّل، قاله قتادة. والخامس: أن يتولى هو قتل القاتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجّاج. والثاني: أن الإِشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعدّياً وظلماً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُرِكَ﴾ أي: مُعاناً عليه. وفي هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصوراً بتمكينه من القرّد، قاله قتادة، والجنهور. والثاني: أنها ترجع إلى المقتول، فالمعنى: إنه كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد. والثالث: أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصوراً، أي: مطلوباً به، والمرابع: أنها ترجع إلى القتل، ذكر القولين الفراء.

﴿ ﴿ وَلَا تَقَرُواْ الزِّنِيُّ إِنَّهُ كَانَ فَدِحْمَةً وَسَانَهُ سَبِيلًا ۞ وَلَا نَقَتُلُوا النَّفْسُ الَّتِي حَمَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُيلَ مَظَلُومًا فَقَدْ جَمَلُنَا لِوَلِيْهِ: سُلْطُنَا فَلَا يُشْرِفُ فِي الفَقَلِّ إِلَّهُ كَانَ مَنْصُولًا ۞ وَلَا لَقَرُواْ مَانَ الْلِيْدِ إِلَّا بِالْنِي مِنَ أَحْمَنُ حَقَّى يَبْلُغُ أَشْذَةً وَآوَهُوا بِالْمَهَدِّ إِنَّ المَهْدَ كَانَ مَنْدُلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَفْرَبُوا مَالَ الْيَنِيدِ﴾ قد شرحناه في [الأنمام: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَزَاوَتُوا بِالْمَهَدِّ﴾ وهو عامّ فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس. قال الزجاج: كلُّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد.

قوله تعالى: ﴿ كَاكَ مَشْئُولًا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿ رَأَوْنُوا الْكِيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾ أي: أَيْشُوه ولا تَبْخَسوا منه.

قوله تعالى: ﴿وَرِنُواْ بِالْقِسَطَانِ﴾ فيه خمس لغات: أحدها: ﴿قُسطاسٌ، بضم القاف وسينين، وهذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم هاهنا وفي الشعراء: ١٨٦]. والثانية: كذلك، إلا أن القاف مكسووة، وهذه قراءة حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم. قال الفراء: هما لغتان. والثالثة: ﴿قصطاصٌ، بصادين، والرابعة: ﴿قصطاسٌ، بصاد قبل الطاء وسين بعدها، وهاتان مرويتان عن حمزة. والخامسة: ﴿قِسطانٌ، بالنون، قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: القسطاس؛ الميزان، روميٍّ معرَّب، ويقال: ﴿قُسطاس﴾ و﴿قِسطاس﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَبِّرٌ ﴾ أي: ذلك الوفاء خير عند الله وأقرب إليه، ﴿ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿ وَلا نَفْكُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلَمٌ ﴾ قال الفراء: أصل التقفائ من القيافة، وهي: تتَبُع الأثر، وفيه لغتان: قَفَا يَقْفُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها مِنْ القوتُ، فيحرك الفاء إلى الواو ويجزم القاف كما تقول: لا تَدُعُ. وقراً معاذ القارئ: الا تقف، مثل: تَقُل؛ والعرب تقول: قُفْتُ أَثَره، وقَفَوت، ومثله: عاث وعثا، وقاع الجمل الناقة، وقعاها: إذا ركبها. قال الزجاج: من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف مِنْ: قاف يقوف، فكأنه مقلوب مِنْ قفا يقفو، والمعنى واحد، تقول: قفوتُ الشيءَ أقفُوه قفواً: إذا تبعت أثره. وقال ابن قتيبة: (لا تقف،) أي: لا تُتْبِعه الظّنون والحَدْس، وهو من القفاء مأخوذ، كأنك تقفو الأمور، أي: تكون في أقفائها وأواخرها تتعقبها، والقائف: الذي

يعرف الآثار ويتبعها، فكأنه مقلوب عن القافي. وللمفسرين في المراد به أربعة أقوال: أحدها: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: لا تقل: رأيتُ، ولم تَرَ، ولا سمعتُ، ولم تَسمع. رواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: لا تُشرك بالله شيئاً، رواه عطاء أيضاً عن ابن عباس. والرابع: لا تشهد بالزور، قاله محمد بن الحنفية.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمَةِ وَالْمَسَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أَوْلَتِكَ فَالَ الزجاج: إنما قال: ﴿ كُانَ اللَّهُ عَالَ الْمَاكَ اللَّهُ عَلَا اللهِ مَن الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ: «أولئك» قال جرير:

ذُمَّ السَسَنَاذِلَ بَسَعَدَ مَسْنِ لَةِ السِّلُوي والسعَيْسِ مَسْعَدَ أُولَدِسكَ الأيَّسامِ (١)

قال المفسرون: الإِشارة إلى الجوارح المذكورة، يُسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زُجَر عن النظر إلى ما لا يَحِلُّ، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

﴿ وَلَا نَشِينَ فِي الْأَرْضِ مَرْمَا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَى تَبْلُغُ الْلِبَالَ طُولًا ۞ كُلُّ ذَالِكَ كَانَ سَيِتْتُمُ عِندَ رَبِّكَ مَّكُومًا ۞ ذَاكِ مِنَا أَرْحَنَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةُ وَلَا تَجْمَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا ءَاخَرَ فَثَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا شَدْحُونًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَبْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَماً ﴾ وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مَرِحاً » بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مَرِحاً » اسم الفاعل؛ قال الزجاج: وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد رَكْضاً، وجاء زيد راكِضاً، فوركضاً الوكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً، والمرح: الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقُبها. قال ابن عباس: لن تَخرق الأرضَ بِكِبْرِك، ولن تبلغ الجبال طولاً بعظَمتك. قال ابن قتيبة: والمعتى: لا ينبغي للعاجز أن يَبْلُخَ ويستكبر.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيَتُكُمُ قَرَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: قسَيْئَةً منوناً غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى المنهيّ عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة اوالكسائي: قسينيّهُ مضافاً مذكّراً، فتكون لفظة قكلّ يُشار بها إلى سائر ما تقدم ذِكْره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا غلط من أبي عمرو، لأن في هذه الأقاصيص سَيِّناً وحَسناً، وذلك أن فيها الأمر بِيرً الوالدين، وإيتاء ذي القربي، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة مَنْ نصب السَّينة، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت إلاّيات من قوله تعالى: ﴿ وَتَعَنَى رَبُّكَ . . . ﴾ فوجدت فيها أموراً حسنة. وقال أبو علي: من قرأ قسينيّة المراء أن الكلام انقطع عند قوله: ﴿ وَلَعَنَى رَبُّكَ . . . ﴾ فوجدت فيها أموراً حسنة . وقال أبو علي: من قرأ قرأ قرأك أن الكلام انقطع عند قوله: ﴿ وَلَعَنَى رَبُّكَ . . . ﴾ وأن قوله: ﴿ وَلَا نَقْفُ ﴾ لا حُسْنَ فيه (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَالِنَ مِنَا أَرْضَى إِلَيْكَ رَبُّكَ ﴾ يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، ﴿ مِنَ الْمِكَمَرُكِ ، أي: من الأموو المُحْكَمة والأدب الجامع لِكُل خير. وقد سبق معنى «المدحور» [الأعراف: ١٨].

﴿ أَنَا مُنْكُرُ رَيُّكُم بِالْهَيْنَ وَاغْنَدَ مِنَ الْمُلْتَيِكُةِ إِنَّا ۚ إِلَّكُو لَنَقُولُونَ فَوْلًا عَظِيمًا ﴿

قوله تعالى: ﴿ أَنَّا مُنَكُّرُ رَيُّكُمْ إِلَيْنِيَ ﴾ قال مقاتل: نزلت في مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الرحلن، وقال أبو عبيدة: ومعنى ﴿ أَنَّا مُنَكُرُ ﴾: اختصكم. وقال المفضل: أخلصكم. وقال الزجاج: اختار لكم صفوة الشيء. وهذا توبيخ للكفار، والمعنى: اختار لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاختصكم بالأعلى وجعل لنفسه الأدون؟!

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَا فِي هَذَا ٱلْفُرَانِ لِيَذَكُّرُوا وَمَا يَزِيدُكُمُ إِلَّا نَفُودًا ﴿ ﴾

⁽۱) ديوانه، ٥٥١، و النقائض، ٢٩٥١، والطبري، ٥٧/١٥، والقرطبي، ٢٦٠/١٠.

⁽٢) أي: ليمن معطوفاً على الحسن في قوله تعالى: ﴿ وَلَنْسَنُ تَأْوِيلَا﴾، بل مُّو نهي عن تتبع أثر ما لا تعلم، فيكون ابتداء كلام.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرِّفَا ﴾ معنى التصريف هاهنا: التبيين، وذلك أنه إنما يصرَّف القول ليبيَّن. وقال ابن قتيبة: «صرَّفنا» بمعنى: وجَّهنا، وهو من قولك: صرفت إليك كذا، أي: عدلت به إليك، وشُدِّدَ للتكثير، كما تقول: فَتَّحْتُ الأبواب.

قوله تعالى: ﴿ لِللَّذَّكُولَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿لِللَّذَّكُروا ﴾ مشدّد. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿لَيَذْكُرُوا ﴾ مخفف، وكذلك قرؤوا في [الفرقان: ٥٠]. والتذكّر: الاتعاظ والتدبر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُ ﴾ تصريفنا وتذكيرنا ﴿إِلَّا نَشُورًا ﴾ قال ابن عباس: ينفرون من الحق، ويتبعون الباطل.

﴿قُل لَوْ كَانَ مَعَهُم مَالِمَةٌ كُنَا يَمُولُونَ إِنَا لَابَتَعَوْا إِلَى ذِى الْمَدْيِ سَبِيلا ۞ سُبَختَمُ وَقَنَلَ عَنَا يَعُولُونَ عُلُوَا كِبِكَر ۞ نُسَيّحُ لَهُ السَّمَوْنُ السّبَحُ وَالْلَرْضُ وَمَن فِيهِذَّ وَإِنْ مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِجَدِيدِ وَلَكِن لَا لَفَقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ إِنّهُ كَانَ صَلِيمًا عَفُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فُلُ لَوْ كَانَ مَمَهُ مَالِمَةٌ كَمَا يَثُولُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تقولون» بالناء. وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَآبُنَعُوا إِلَىٰ ذِى الْمَرْبِ سَبِيلاً﴾ فيه قولان. أحدهما: لابتّغُوا سبيلاً إلى ممانعته وإزالة ملكه، قاله الحسن، وسعيد بن جبير. والثاني: لابتّغُوا سبيلاً إلى رضاه، لأنهم دونه، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُتُولُوكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ ثُمْيَحُ لَهُ النَّبَوْتُ التَبَعُ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: قتسبّح بالتاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: قيسبّح بالياء. قال الفراء: وإنما حَسُنَت قالياء هاهنا، لأنه عدد قليل، وإذا قلَّ العدد من المؤنَّث والمذكّر، كانت الياء فيه أحسن من التاء، قال عَلَيْ في المؤنث القليل: ﴿ وَقَالَ نِسْوَتُ الله على المؤنّد وقال في المذكّر: ﴿ وَقَالَ السَّلَحَ الْأَنْهُ اللهُ المُوسَانِ الله على العلماء: والمراد بهذا التسبيح: الدلالة على أنه الخالق القادر.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يِن شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّمُ عِبْدِهِ ﴾ وإن بمعنى دما كالله على إطلاقه، أم لا ؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على إطلاقه، فكلُّ شيء يسبِّحهُ حتى الثوب والطعام وصرير الباب، قاله إبراهيم النخعي. والثاني: أنه عامّ يراد به النخاص. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كل شيء فيه الروح، قاله الحسن، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه كُلُّ ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات؛ قال عكرمة: الشجرة تسبِّح، والأسطوانة لا تسبِّح. وجلس الحسن على طعام فقدًموا المخوان، فقيل له: أيسبِّح هذا الحُوان؟ فقال: قد كان يسبِّح مرة. والثالث: أنه كل شيء لم يغيَّر عن حاله، فإذا تنيَّر الشوان، فقيل له: أيسبِّح ما المحوان عن المقدام بن معدي كرب قال: إنَّ التراب ليسبِّح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الثوب ليسبِّح ما دامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبِّحُ ما دام جديداً، فإذا وسمِّح ترك التسبيح، فإن الثوب ليسبِّحُ ما دام جديداً، فإذا أن يكون بضوته، وجائز أن يكون بضوته، وجائز أن يكون بضوته، وجائز أن يكون بضوته، والثاني: أنه يكون بدلالته على صانعه. وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلَّا الله. والثاني: أنه خضوعه وخشوعه في والثالث: أنه دلالته على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مُبْصِره. فإن قلنا: إنه تسبيح حقيقة، كان قوله: ﴿ وَلِينَ لِلهُ لَلْهُ أَلُونُ لا لِنَقَهُ ونَ شَرِعنا معنى والحليم، ووالغفور، في البقرد، ولا يعتبرون. وقد شرحنا معنى والحليم، ووالغفور، في البقرد، على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يعتبرون. وقد شرحنا معنى والحليم، ووالغفور، في البقرد، ولا يعتبرون. وقد شرحنا معنى والحليم، ووالغفور، في البقرد، ١٠٤٠.

قوله تعالى: ﴿ عِبَابًا مَسْتُولًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحجاب: هو الأكنّة على قلوبهم، قاله قتادة. والثاني: أنه حجابٌ يستره فلا ترونه؛ وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله على إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل أمرأة أبي لهب، فحجب الله رسولَه عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرُّون به، ولا يرونه. والثالث: أنه مَنْعُ الله على إياهم عن أذاه، حكاه الزجاج. وفي معنى القرآن، فكانوا يأتونه ويمرُّون به، ولا يرونه والثالث: أنه مَنْعُ الله على الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مشؤوم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن، لأنه مِن «شَامَهُم» وهيمَنَهُم». والثاني: أن المعنى: حجاباً مستوراً عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون «مستوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلْنَا عَلَ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ قد شرحناه في [الانمام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلِذَا ذَكَرَتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْمَانِ وَمَدَمُ ﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿ وَلَوْا عَلَىٰ آدَائِرِهِ ﴾ قال أبو عبيدة: أي: على أعقابهم، ﴿ فَقُولًا ﴾ وهو: جمع نافر، بمنزلة قاعد وقُعود، وجالس وجُلوس. وقال الزجاج: تحتمل مذهبين: أحدهما: المصدر، فيكون المعنى: ولّوا نافرين نفوراً. والثاني: أن يكون انفوراً ، جمع نافر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون، وهذا مذهب ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فَكُنُ أَمَلَمُ بِمَا يَسْتَعِمُونَ بِهِ ﴾ قال المفسرون: أمر رسول الله على علياً هان يتخذ طعاماً ويدعو إليه المسراف قريش من المشركين، ففعل ذلك، ودخل عليهم رسول الله فله فقراً عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَتُنُ أَعَلَا بِهَا يَسْتَعِمُونَ بِهِ ﴾، أي: يستمعونه، والباء زائدة. ﴿ إِذَ يَسْتَعُونَ إِلَكَ وَإِذْ مُ تَجُرَى ﴾ قال أبو عبيدة: هي مصدر مِنْ "ناجَيْتُ» واسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذاب، وأنتم غَمَّ، فجاءت في موضع "متناجين". وقال الزجاج: والمعنى: وإذ هم ذوو نجوى، وكانوا يستمعون من رسول الله في ويقولون بينهم: هو ساحر، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ اَلظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِن تَنَّيِعُونَ﴾ أي: ما تَتَّبعون ﴿إِلَّا رَبُهُلا مَسْحُولًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي سُحر فذُهب بعقله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مخدوعاً مغروراً، قاله مجاهد. والثالث: له سَحْر، أي: رثة؛ وكلُّ دابَّة أو طائر أو بَشَر يأكل فهو: مسحور ومسحَّر، لأن له سَحْراً، قال لبيد:

عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المَسَحُر(١)

فَــاِنْ تَـــشـــَالِـــيــنـــا فِـــيـــمَ نَـــخـــنُ فـــاِتَــنـــا وقال امرؤ القيس:

أدانسا مُسرْصَدِيْسِ لأمْسرِ غَسِيْسٍ ونُسْحَدُ بِالطّعامِ وبِالشَّرَابِ(٢)

أي: نُغذَّى، لأن أهل السماء لا يأكلون، فأراد أن يكون مَلَكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إن تتبعون إلا رجلاً له سَحْر، خلقه الله كخلقكم، وليس بملّك، وهذا قول أبي عبيدة.

قال ابن قتيبة: والقول قول مجاهد، [أي: مخدوعاً]، لأن السُّحر حيلة وخديعة، ومعنى قول لبيد «المسحَّر»: المعلَّل، وقول امرئ القيس: «ونُسْحَر» أي: نُعلَّل، وكأنا نُخلَع، والناس يقولون: سحرتَني بكلامك، أي: خدعتَني، ويدل عليه قوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَيُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ، لم يكن في ذلك مَثَلً ضربوه، فلما أرادوا مخدوعاً ـ كأنه بالخديعة سُحر ـ كان مَثَلاً ضربوه، وكأنهم ذهبوا إلى أن قوما يعلمونه ويخدعونه.

⁽۱) قديوانه، ٥٦، وقم جاز القرآن، ١/ ٣٨١، وقالبيان والتبيين، ١/١٨٩، وقالحيوان، ٥/ ٢٢٩، وقالطبري، ٥٦/١٥، وقالقرطبي، ١٠/٣٧٣، وقاللسان»: صحر.

⁽٢) قديوانه، ٩٧، و مجاز القرآن، ١/ ٣٨٢، و البيان والتبيين، ١/ ١٨٩، و الحيوان، ٥٢٢٩، و الطبري، ٩٦/١٥، و أمالي المرتضى، ١/ ٥٧٧، و والطبري، ٩٦/١٥، و أمالي المرتضى، ١/ ٥٧٧، و واللهان، صحر، وفي الديوان، أرانا موضعين...، والإيضاع: ضرب من السير السريع.

قالِ المفسرون: ومعنى ﴿ مَرَوُلًا لَكَ الْأَمْنَالَ﴾ بيَّنوا لك الأشباه، حتى شبَّهوك بالساحر والشاعر والمجنون ﴿ نُفِيَّاوُا﴾ عن المحق، ﴿ فَلَا يَسْلِمُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

قوله تمالى: ﴿ أَوْذَا كُنَّا عِظْمَا﴾ قرأ ابن كثير: ﴿أَيْدًا ۗ بهمزة ثم يأتي بياء ساكنة من غير مَدّ، ﴿أَينًا ۗ مثله، وكذلك في كل القرآن، وكذلك روى قالون عن نافع، إلا أن نافعاً كان لا يستفهم في ﴿أَينًا ۗ ، كان يجعل الثاني خبراً في كل القرآن، وكذلك مذهب الكسائي، غير أنه يهمز الأولى همزتين. وقرأ عاصم، وحمزة بهمزتين في الحرفين جميعاً ، وقرأ ابن عامر: ﴿إذَا كُنّا ﴾ بغير استفهام بهمزة واحدة ﴿آثنا ﴾ بهمزتين يمد بينهما مدة.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّا فَهِ قُولانَ: أَحِدُهِما: أنه التراب، ولا واحد له، فهو بمنزلة الدُّقاق والحُطام، قاله الفراء، وهو مندهب مجاهد. والثاني: أنه العظام ما لم تتحطم، والرُّقات: الحُطام، قاله أبو عبيدة. وقال الزّجاج: الرُّقات: التراب، والرُّقات: كل شيء خُطِمَ وكُسِر، و﴿ خَلَقًا جَدِيدًا ﴾ في معنى مجدداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِنَا يَكُبُرُ فِ سُدُويِكُمْ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الموت، قاله ابن عمر، وابن عباس، والمحسن، والأكثرون. والثاني: أنه السماء والأرض والجبال، قاله مجاهد، والثالث: [أنه] ما يكبر في صدوركم، من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله قتادة. فإن قيل: كيف قيل لهم: ﴿ كُونُولْ حِبَارَةٌ أَوْ حَدِيدًا ﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فعنه جوابان: أحدهما: إن قدرتم على تغير حالاتكم، فكونوا حجارة أو أشد منها، فإنا نميتكم، ونفذ أحكامنا فيكم، ومثل هذا قولك للرجل: اصعد إلى السماء فإني لاحقك. والثاني: تصوروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها، فإنا سنيدكم، قال الأحوص:

إذا كُنْت عَزْمًا أَعن اللَّهْ و وَالصَّبي فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّحْرِ جَلْمَذَا(١)

معناه : فتصوَّر نفسك حَجَراً، وهؤلاء قوم اعتوفوا أن الله خالقهم، وجحدوا البعث، فأُعلموا أن الذي ابتدأ خلقهم هو الذي يحييهم.

قوله تعالى: ﴿ مَنَكُنْوَمُونَ إِلَيْكَ رُءُومَهُم ﴾ قال قتادة: يحرِّكونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنغض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى: يحرِّكونها، كما يحرِّك الآيس من الشيء والمسبتعدُ [له] رأسه، يقال: نَغَضَتْ مِنَّه: إذا تحركت.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّوْمُ مِدَّوْمُ مَنَ مُرَّهُ يعنون البعث ﴿ قُلْ عَسَىٰ آن يَكُونَ فَيها ﴾ أي: هو قريب. ثم بين متى يكون فقال: ﴿ يَوْمَ يَدَّعُوكُم ﴾ يعني: من القبور بالنداء الذي يُسمعكم، وهو النفخة الأخيرة ﴿ فَتَسَبِيبُونَ ﴾ أي: تجيبون. قال مقاتل: يقوم إسرافيل على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن، فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها العروق المتقطة، اخرجوا إلى فصل القضاء لتُجزّوا بأعمالكم، فيسمعون المعتون إليه. وفي معنى ﴿ يَحَمَّدُو عَهُ أربعة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، والثالث: أن معنى والثاني: يخرجون من القبور وهم يقولون: سبحانك وبحمدك، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن معنى ﴿ يَحَمِّدُونَ بحمد الله لا يُحَمِّدُ أَنْسَكُم، ذكره الماوردي.

قوله تَمالَى: ﴿ رَبُطْنُونَ إِن لَمِنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه على أصله. وأين يظنون أنهم لبثوا قليلاً؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بين النفختين، ومقداره أربعون سنة، ينقطع في ذلك

⁽۱) البيت في «الأغاني» ١٠٠/١٥، و«طبقات ابن سلام» ٥٣٩، و«الشعر والشعراء» ٥٠١، و«زهر الآداب» ٢٠٠/١، و«مصارع العشاق» ٢٦، ورجل هزهاة وعزهاء: رهو الذي لا يقرب إلنساء وينقبض عنهن ويعرض، من زهو أو كبر، أو أنقة من الضمف والاستكانة لحبهن أو سطوتهن على الرجال، وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.

العذاب عنهم، فيرون لبثهم في زمان الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في الدنيا، لعلمهم بطول اللبث في الآخرة، قاله الحسن. والثالث: في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظم عذاباً من عذاب القبور، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يجبون المنادي وهم يحمدون الله على إجسانه إليهم، ويستقلُون مدة اللبث في القبور، لأنهم كانوا غير معلَّبين.

﴿ وَلُو لِمِبَادِى يَفُولُوا الَّتِي هِنَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيطَانَ يَنَزُّغُ بَيْنَهُمَّ إِنَّ الشَّيطانَ كَاتَ لَلإنسَانِ عَدُلًا تُمِينَا ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمُّلُ لِمِبَادِى يَشُولُواْ الَّتَى مِنَ أَحَنَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله على بمكة، بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسو الله على فنزلت هذه الآية. قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب، فهم به عمر على، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل؛ والمعنى: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن. واختلفوا فيمن تقال له هذه الكلمة على قولين: أحدهما: أنهم المشركون، قال الحسن: تقول له: يَهديك الله، وما ذكرنا من سبب نزول هذه الآية يؤيد هذا القول، وذهب بعضهم إلى أنهم أمروا بهذه الآية بتحسين خطاب المشركين قبل الأمر بقتالهم، ثم نُسخت هذه الآية بآية السيف. والثاني: أنهم المسلمون، قاله ابن جرير، والمعنى: وقل لعبادي يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة. وقد روى مبارك عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له: يرحمك الله، ويغفر الله لك. قال الأخفش: وقوله: ﴿يُثِولُوا همثل قوله؛ ﴿يُثِيمُوا المَسْكَونَ هما الله المُن وقد شرحنا ذلك في سودة البرامية: البرامية: المارادة عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، وقد شرحنا ذلك في المورة البرامية: الهما الله الله المناه المؤل المؤلة الله الله المؤلة الله المؤلة الله المؤلة المؤلة المؤلة المؤلة المؤلة المؤلة الله الله المؤلة الله المؤلة المؤلة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَنَ يَنَزَغُ يَنْتَهُمُّ﴾ أي: يُفسد ما بينهم، والعدق المُبيِن: الظاهر العداوة. ﴿زَيُّكُمْ أَعْلَا بِكُرِّ إِن يَشَأْ يَرَحَمْنُكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُمَذِّبَكُمُّ وَمَا أَرْسَلَنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿

قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعَلَا بِكُرِّ ﴾ فيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ﴿ إِن يَشَأْ يُرَخَبُكُمْ ﴾ فيسلطهم عليكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، أو يعذبكم بالإقامة على الذنوب، قاله الحسن. والثاني: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: إن يشأ يرحمكم، فيهديكم للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم، فيميتكم على الكفر، قاله مقاتل. والثاني: أنه لما نزل القحط بالمشركين فقالوا: ﴿ رَبُّنَا أَكُونَتُ عَنَا أَلْمَذَاكِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ اللحان: ١٦] قال الله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَمْنُ اللّذِي يُومِن، ومن [الذي] لا يؤمن، ﴿ إِن يَشَأْ يُرَّمَثُكُمْ ﴾ فيكشف القحط عنكم ﴿ أَو إِن يَشَأْ يُعَدِّبُكُمْ ﴾ فيتركه عليكم، ذكرة أبو سليمان الدّمشقي. قال ابن الأنباري: وقاو، هاهنا دخلت لسّعة الأمرين عند الله تعالى، وأنه لا يردّ عنهما، فكانت ملحقة بدأو، المبيحة في قولهم: جالس الحسن، أو ابن سيرين، يعنون: قد وسّعنا لك الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كفيلاً تُؤخذ بهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حافظاً ورباً، قاله الفراء. والثالث: كفيلاً بهدايتهم وقادراً على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بآية السيف.

﴿ وَرَبُكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَوُتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَشَّلْنَا بَعْضَ التَّبِيِّينَ عَلَى بَشْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ رَبُورًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُكَ أَعَلَىٰ بِنَ فِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضُ ﴾ لأنه خالِقُهم، فهدى من شاء، وأضلَّ من شاء، وكذلك فضَّل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرِّية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان مُلكاً جسيماً، ورفع محمداً ﷺ فوق السماوات، وغفر له ما تقدم من ذُنْبه وما تأخر. ويجوز أن يكون المفضَّلون أصحابُ الكتب، لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿ وَمَانَيْنَا دَالُودَ زُبُورًا ﴾. وقد شرحنا معنى والزبور، في سورة [النساء: ١٦٣].

﴿ قُلِ ادْعُوا ۚ اَلَٰذِينَ رَعَمْتُتُم مِنْ دُونِيهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كُشَفَ الغُّرِ عَنكُمْ وَلَا تَقْرِيلًا ۞ أُولَتِهِكَ اللَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْبُمُ أَقْرُبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُمُ وَيَعَافُونَ عَذَابَةً إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ تَعَدُّونَا ۞

قوله تعالى: ﴿ قُلُ اَدْعُواْ اَلَذِينَ ذَعَتُهُ مِن دُونِهِ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود. والثاني: أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون؛ هي تشفع لنا عند الله، فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، قيل لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مقاتل، والمعنى: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة، ﴿ فَلَا يَتَلِكُونَ كُتُفَ الفُتْرِ عَنكُمْ وَلَا تَقْوِيلًا ﴾ له إلى غيركم.

قوله تعالى: ﴿ أُولَتِكَ ٱلَّذِينَ يَدَعُوكَ ﴾ في المشار إليهم به أولئك ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الجن الذين أسلموا (١٠) والثاني: الملائكة، وقد سبق بيان القولين. والثالث: أنهم المسيحُ، وعزيرٌ، والملائكة، والشمسُ، والقمرُ، قاله ابن عباس. وفي معنى ويدعون قولان: أحدهما: يعبدون، أي: يدعونهم آلهة، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أنه بمعنى يتضرعون إلى الله في طلب الوسيلة. وعلى هذا يكون قوله: ويدعون واجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: ويبتغون تماماً للكلام. وعلى القول الأول: يكون ويدعون واجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: ويبتغون وصفاً له أولئك مستأنفاً. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمٰن: وتدعون بالناء، قال ابن الأنباري: فعلى هذا، الفعلُ مردودٌ إلى قوله: ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كُشُفُ الفَّرِ عَنكُمْ ﴾. ومن قرأ ويدعون بالمياء، قال العرب: تنصرف من الخطاب إلى الغيبة إذا أمن قوله: ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كُشُفُ الفَّرِ عَنكُمْ ﴾. ومن قرأ ويدعون بالمياء، قال العرب: تنصرف من الخطاب إلى الغيبة إذا أمن وله: ﴿ فَلَا يَمْلُونَ الله يتوسَلُون إلى الله به. والثاني: أن يكون «أيهم أقرب» ويكون المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، ينظرون أيَّهم أقرب إليه فيتوسَّلون إلى الله به. والثاني: أن يكون وأيهم أقرب» بدلاً من الواو في ويبتغون ، فيكون المعنى: يتغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي: يتقرَّب إليه بالعمل الصالح.

﴿ وَلِن يِّن فَرْبَهِ إِلَّا خَنْ مُهْلِكُومًا فَبَلَ يَوْمِ ٱلْقِيكِمَةِ أَوْ مُمَذِيُّومًا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي ٱلكِتَنبِ تَسْطُولًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِن فَرَبَةِ إِلَّا خَنْ مُهْلِكُومًا ﴾ وإن بمعنى اما، والقرية الصالحة هلاكها بالموت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

﴿ وَمَا مَنْعَنَا أَن أُرْسِلَ إِلْآيَٰتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوْلُونَ وَيَالَيْنَا نَمُوهَ ٱلنَاقَةَ مُثِيرَةً فَظَلَمُواْ بِهَأَ وَمَا رُسِلَ إِلَّا يَكْنِب إِلَّا تَغْوِيفُنا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَمَنَا أَن نُرْسِلَ إِلَاّيَتِ ﴾ سبب نزولها فيه قولان: أحدهما: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا^(۱)، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من كان قبلهم، قال: ﴿لا، بل أستأني بهم»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (۱۱). والثاني: قد ذكرناه عن الزبير في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ فُرَهَانَا شُيِرَتَ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ [الرحد: ٢١]، ومعنى الآية: وما منعنا إرسالَ الآياتِ التي سألوها إلا تكذيبُ الأولين، يعني: أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولونَ العذابَ، فلم يرسلها لئلا يكِذّب بها هؤلاء، فيهلكوا (١٤) كما هلك أولئك، وسنّة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات ثم كذّبوا بها عذّبهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَالَيْنَا نَتُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بَيُّنَةً، يريد: مُبْصراً بها. قال ابن الأنباري: ويجوز أن

⁽١) روى البخاري ٣٠١/٨، ومسلم ٢٣٢١/٤ من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله: ﴿ أَتَلِتُكَ اللَّذِينَ يَتَمُوكَ يَبْتَمُوكَ إِلَّا رَبِهِمُ الْوَرْسِيلَةَ﴾ قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء يدينهم. قال الحافظ ابن حجر: أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يتنون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود، فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية. اه.

⁽٢) في الأصل: فيزرعون.

⁽٣) قسند أحمد؛ ٩٦/٤ وإسناده صحيح، وفيه: «وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا» بدل «فيزرعوا». وذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/٤، و«التاريخ» ٣/ ٢٥ وقال: وهكذا رواه النسائي عن جرير.

⁽٤) في الأصل: فيهلكون.

تكون مبصَّرة، ويصلح أن يكون المعنى: مُبِصر مشاهدوها، فنسب إليها فعل غيرها تجوُّزاً، كما يقال: لا أرينَّك هاهنا، فأدخل حرف النهي على غير المنهي عنه، إذ المعنى: لا تحضر هاهنا، حتى إذا جثتُ لم أركَ فيه. ومن قرأ: «مَبْضَرة» بفتح الميم والصاد، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتبيان، كقولهم: «الولد مَجْبَنَة» .

قوله تعالى: ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ قال ابن عباس: فجحدوا بها. وقال الأخفش: بها كان ظُلمهم.

قوله تعالى: ﴿وَهَا زُسِلُ بِالْآيَكَ إِلَّا عَنِيدًا﴾ أي: نخوف العباد ليتَعظوا. وللمفسرين في المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: أنها الموت الذّريع (٢)، قاله الحسن. والثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفاً للمكذبين. والثالث: آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي. والرابع: تقلُّب أحوال الإنسان من صِغَرِ إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلُّبِ أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي، ونسب القول الأخير منها إلى إمامنا أحمد ﷺ

﴿ وَإِذْ قُتُنَا لَكَ إِذَ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّائِنُ وَمَا جَمَلُنَا الزُّيَّا الَّتِيَ أَرْتِيْكَ إِلَّا يِشْنَةُ لِلنَّائِنِ وَالشَّبَرَةِ السَّفُولَةَ فِي الشَّرْمَانِ وَغُنْوِنْهُمْ فَمَا يَرِيكُمْمُ إِلَّا يُشْنِكُنَا كِيَبِلُ ﴾ ﴿ يَشِيكُمْمُ إِلَّا مُشْنِكًا كِيبِلُ هُمْ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِهُ قُلَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَمَاكَ بِالنَّاسِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أحاط علمه بالناس، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الربيع بن أنس. وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس، يعني: أهل مكة، أن يفتحها لرسوله على والثاني: أحاطت قدرته بالناس، فهم في قبضته، قاله مجاهد. والثالث: حال بينك وبين الناس أن يقتلوك، لتبلغ رسالته، قاله الحسن، وقادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَمَلُنَا الرَّبَيَا الَّيْءَ الرَّيْكَ إِلّا فِتَنَةَ الِتَابِين﴾ في هذه الرؤيا قولان: أحدهما: أنها رؤيا عين، وهي ما رأى ليلة أسري به من العجائب والآيات. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، وقتادة، وأبو مالك، وأبو صالح، وابن جريج، وابن زيد في آخرين. فعلى هذا يكون معنى الفتنة: الاختبار، فإن قوماً آمنوا بما قال، وقوماً كفروا. قال ابن الأنباري: المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيته رؤيا، إلا أن الرؤية يقلُّ استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. والثاني: أنها رؤيا منام (""). ثم فيها قولان: أحدهما: أن رسول الله عليه كان قد أُرِيَ أنه يدخل مكة، هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، وقع الم الأجل، فرده المشركون، فقال أناس: قد رُدَّ، وكان حدَّثنا أنه سيدخلها، فكان رجوعهم فتنتهم، رواه العوفي عن ابن عباس (""). وهذا لا ينافي حديث المعراج، لأن هذا كان بالمدينة، والمعراج كان بمكة. قال أبو سليمان عن ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتنوا برؤيا عينه، والمنافقين بالمدينة المتنوا برؤيا نومه. والثاني: أنه أري بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يُغطّونها، فَسُرِّي عنه (""). فالمنتذه المناذ البلاء، رواه على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة فالمناذ البلاء، رواه على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة فالفتنة هاهنا: البلاء، رواه على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة

قال ابن كثير ٣/ ٤٩: وهو غريب ضعيف.

 ⁽۱) وما روي من أنه ﷺ قال: اللولد ثمرة القلب، وإنه مجبئة مبخلة محزنة، فهو ضعيف، رواه أبو يعلى، والبزار، قال المناوي: قال الزين العراقي، وتبعه الهيثمي: ونيه عطية العرفي، وهو ضعيف...

٢) الموت الذريع: أي: السريع الفاشي، لا يكاد الناس يتدافنون.

روى البخاري ١٩٠٨ عن ابن عباس ﴿ ﴿ وَمَا جَمَلَا الرَّيَا الْمِي الْمِينَةُ إِنَّاسٍ ﴾ قال: هي رؤيا عين أربها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. قال الحافظ ابن حجر ١٩٠٨/٨ عن ابن عباس ﴿ وَمَا جَمَلَا الرَّيُّا الْمِي أَخِر الحديث: وليست رؤيا منام. وقال أبو جعفر بن جوير الطبري ١١٣/١٥: وأولى الخافظ ابن حجر ١٩٠٨/٨؛ عن من قال: عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما أرى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به. قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياء عنى الله إلى بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس، يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا لسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم، وكفراً إلى كفرهم.

⁽٤) والعوفي ضعيف.

المفسرين. وروى ابن الأنباري أن سعيد بن المسيّب قال: رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فشَقَّ ذلك عليه، وفيه نزل: ﴿وَالشَّجَرَةُ ٱلْمَلْمُونَةُ فِى ٱلْقُرْءَايُّهُ ، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا بِلَّهَ لِلنَّاسِ﴾: إلا بلاءً للناس. قال ابن الأنباري: فمن ذهب إلى أن الشجرة رجال رآهم النبي ﷺ في منامه يصعدون على المنابر، احتج بأن الشجرة يكنى بها عن المرأة لتأنيثها، وعن الجماعة لاجتماع أغصانها. قالوا: ووقعت اللعنة بهؤلاء الذين كني عنهم بالشجرة. قال المفسرون: وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا والشجرة إلا فتنة للناس. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شجرة الزُّقْوم، رواه عكرمة عن ابن عباس(١١)، ويه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، والجمهور. وقال مقاتل: لما ذكر الله تعالى شجرة الرُّقُوم، قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوِّفكم بشجرة الرُّقُوم، ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الزقوم؟ فقال عبد الله بن الزَّبْعْرَى: إن الزَّقْوم بلسان بَرْبَر: التمر والزُّبْد، فقال أبو جهل: يا جارية ابغينا تمراً وزُبداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تَزَقُّمُوا من هذا الذي يخوِّفكم به محمدٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَغُنِوَلُهُمْ فَمَا رَبِيدُهُمْ إِلَّا ظُفِّكَنَا كَيِّ مِلَهُ. قال ابن قتيبة: كانت فتنتهم بالرؤيا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة؟! وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة؟!. وللعلماء في معنى الملعونة؛ ثلاثة أقوال: أحدها: الميذمومة، قاله إبن هباس. والثاني: الملعون آكلها؛ ذِكره الزجاج وقال: إن لم يكن في القرآن لِعنها ففيه لعن آكلها؛ قال: والعرب تقولِ لكل طعام مكروهِ وضارٌّ: معلون؛ فأما قوله: ﴿ فِي ٱلتُّرُّ اللُّهُ فالمعنى: التي ذكرت في القرآن، وهي مذكورةٍ في قوله: ﴿ إِنَّ شَجَـرَتَ الرَّنُّورِ ۞ كُلْعَامُ ٱلأَبْيدِ ۞﴾ [الدخاب: ٤٣، ٤٤]. والثالث: أن معنى الملعونة: المُبعَدة عن منازل أهل الفضل، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أن الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر، يعني: الكَشُوثى^(٢)، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. و**الثالث:** أن الشجرة كناية عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَيُشِوَنْهُمْ ﴾ قال ابن الأنباري: مفعول انخوفهم محذوف، تقديره: ونخوفهم العذاب، ﴿ فَمَا يَرِيدُهُمْ ﴾ أي: فما يزيدهم التخويف ﴿إِلَّا خُشَيَنَا ﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطغيان في [البقرة: ١٥]، وذكرنا هناك تفسير قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْبَلَةِ كُنَّا مُنْكَبِكُوا إِلَّا إِلْلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَتِكَةِ الشَّجُكُواْ لِآدَمَ مَسَجَدُواْ إِلَّا إِلِيسَ قَالَ مَاسَجُدُ لِمَنْ خَلَقَتَ طِيئًا ﴿ وَالْ اَلَهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِم عِنْدِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَسِدُهُمُ الشَّيْطُانُ إِلّا عَلَيْهِ مُ اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَا عَلَيْهِ عَلَا عَلَيْهِ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَيْهِ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَيْهِ عَلَا عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَمْ عَلَاهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَالْمُ عَلَالْمُ عَلَالْمُ عَلَى اللّ

قوله تعالى: ﴿آسُجُدُ﴾ قرأه الكوفيون: بهمزتين، وقرأه الباقون: بهمزة مطوّلة؛ وهذا استفهام إنكار، يعني به: لم أكن الأفعل.

قوله تعالى: ﴿ لِمَنْ خَلَقَتُ طِيبَ ﴾ قال الزجاج: (طينا) منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز، المعنى: لمن خلقته من طين. والمثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين. ولفظ ﴿ قَالَ أَرَهُ يَنَكَ ﴾ جاء هاهنا بغير جرف عطف، لأن المعنى: قال آسجد لمن خلقت طيناً، وأرأيتك، وهي في معنى: أخبرني، والكاف ذُكرت في المخاطبة

⁽١) روى البخاري ٨/ ٣٠٣ عن ابن هباس: ﴿وَالنَّبِرَةُ إِللّمُونَةُ فِي الْمُرْمَانُ﴾ قال: شجرة الزقوم. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو العمجيح، وفكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: عنى بها شجر الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت (الشجرة الملعونة) عطفاً بها على الرقيا، فتأويل الكلام إذن: وما جعلتا الرقيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن، إلا فتنة للناس، فكانت فتتهم في الرقيا ما ذكرت من ارتداء من ارتداء وتمادي أهل الشرك في شركهم حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراء الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسري به، وكانت فتتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر، فكيف تنبت فيها؟!

توكيداً، والجواب محذوف، والمعنى: أُخبِرني عن هذا الذي كرَّمت عليَّ، لم كرَّمتَهُ عليَّ وقد خلقتَني من نار وخلقتَه من طين؟! فحذف هذا، لأن في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿ لَهِنَ أَخَرَتُنِ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر: «أخرتني» بياء في الوصل. ووقف ابن كثير بالياء. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي بغير ياء في وصل ولا في وقف (١٠).

قُوله تعالى: ﴿ لَأَحَنَٰذِكُنَّ ذُرِيَّتَهُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لَأَستولِيَنَّ عليهم، قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: لأَضِلَتُهم، قاله ابن زيد. والثالث: لَأَستأصلتُهم؛ يقال: احْتَنَكَ الجرادُ ما على الأرض: إذا أكله؛ واحْتَنَكَ فلانٌ ما عند فلان من العلم: إذا استقصاه، فالمعنى: لَأقودنَهم كيف شئتُ، هذا قول ابن قتيبة. فإن قيل: من أين عَلِمَ الغيب. فقد أجبنا عنه في سورة [الساء: ١٩١٩].

· قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَلِيلًا ﴾ قال ابن عباس: هم أولياء الله الذين عصمهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إَذَهَبُ ﴾ هذا اللفظ يتضمن إنظاره؛ ﴿فَمَن تَبِعَكَ ﴾ ، أي: تبع أمرك منهم، يعني: ذرية آدم. والموفور: الموفّر، قال ابن قتية: يقال: وقَرْتُ ماله عليه، ووَفَرْتُه، بالتخفيف والتشديد.

قوله تعالى: ﴿وَاَسْتَقَرْتُ مَنِ اَسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ قال ابن قتيبة: اسْتَخِفَّ، ومنه تقول: استَقَرَّني فلان. وفي المواد بصوته قولان: أحدهما: أنه كل داع دعا إلى معصية الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الغناء والمزامير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَبُلِبُ عَيْهِم﴾ أي: صِح قبخيلك ورَجْلِكَ، واحثُثهم عليهم بالإغراء؛ يقال: أجلبَ القوم وجلَّبوا: إذا صاحوا، وقال الزجاج: المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك؛ فعلى هذا تكون الباء زائدة. قال ابن قتيبة: والرَّجُلُ: الرَّجُلُة؛ يقال: رَاجِلٌ ورَجُل، مثل تاجر وتَجْر، وصاحِب وصَحْب، قال ابن عباس: كلَّ خيل تسير في معصية الله، وكلَّ رَجُل يسير في معصية الله(). وقال قتادة: إن له خيلاً ورَجُلاً من الجن والإنس، وروى حفص عن عاصم: ﴿ مِنْ اللهِ وَرَبِلِكَ ﴾ بكسر الجيم، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، وأبي عبد الرحمٰن السلّمي، قال أبو زيد: يقال: رَجُلٌ رَجِلٌ: للراجل، ويقال: جاءنا حافياً رجِلاً. وقرأ ابن السميفع، والجحدري: قبخيلك ورُجُالك، برفع الراء وتشديد البجيم مفتوحة وبألف بعدها. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: قورِجَالك، بكسر الراء وتخفيف الجيم مع ألف.

قوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُرٌ فِي الْأَمْوَلِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها ما كانوا يحرِّمونه من أنعامهم، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: الأموال التي أصيبت من حرام، قاله مجاهد. والثالث: التي أنفقوها في معاصي الله، قاله الحسن. والرابع: ما كانوا يذبحون لآلهتهم، قاله الضحاك. فأما مشاركته إياهم في الأولاد، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنهم أولاد الزنا، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. والثاني: الموؤودة من أولادهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم، كعبد شمس، وعبد العزى، وعبد مناف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: ما مَجَسُوا وهوَّدُوا ونصَّرُوا، وصبغُوا من أولادهم غير صبغة الإسلام، قاله الحسن، وقتادة.

⁽١) أي: بغير ياءٍ في الوصل والوقف.

 ⁽٢) في «الطبري» عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَبْلِينَ عَلَيْهِ مِنْلِكَ وَرَجِلِكِ﴾ قال: خيله: كلّ راكب في معصية الله؛ ورجله: كل راجل في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ مَلَّتِهِمْ شُلْطَكُنَّ ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُفُن مِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ قال الزجاج: كفي به وكيلا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس.

﴿ نَهُكُمُ اللَّهِى بُرْمِى لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ لِبَنْغُوا مِن فَصْلِيهُ إِنَّهُ كَاكَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ رَإِنَا مَسَكُمُ الفَّذُ فِي البَحْرِ صَلَّ مَن تَدَعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا يَبَنَكُوا اللَّهِ الْمَائِلُ كَثُورًا ۞ أَفَايِنتُهُ أَن يَغِيفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرَ أَوْ بُرْسِلَ عَلَيْكُمْ عَاصِبًا ثُدً لَا يَعْمَدُ إِلَى اللَّهِ أَفَرَعُنَمُ بَيْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَا لَكُورًا ۞ فَيْسِلَ عَلَيْكُمْ اللَّهِ مَالِمِينًا فَدَ لَكُونُ اللَّهُ مُن لَكُورًا هُولِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ مَا لِللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهِ مَن اللَّهِ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهِ مَن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُورُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَلَّالَهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَالِمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَالِكُونُ اللَّهُ مُن اللَّهُ مَالِكُمْ عَلَيْكُمْ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْلِقُولُولُ اللَّهُ مُنْ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ ا

قوله تعالى: ﴿ زَيُّكُمُ الَّذِى يُزْمِى لَكُمُ الْقُلْكَ ﴾ أي: يسيِّرها. قال الزجاج: يقال: زجيت الشيء، أي: قدمته (١٠). قوله تعالى: ﴿ لِتَبَنَّعُواْ مِن نَضَهِ لِوَةً ﴾ أي: في طلب التجارة. وفي «من» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة. والثاني:

أنها للتبعيض. والثالث: أن المفعول محذوف، والتقدير: لتبتغوا من فضله الرزق والخير، ذكرهنَّ ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ هذا الخطاب خاصّ للمؤمنين، ثم خاطب المشركين فقال: ﴿رَإِذَا مَسَكُمُ الفَّرُ فِي الْبَرِ﴾ يعني: خوف الغَرقِ ﴿مَسَلَ مَن تَدْعُونَ﴾ أي: يَضِلُّ من يدعون من الآلهة، إلا الله تعالى. ويقال: ضَلَّ المماء في اللَّبَن: إذا غاب، والمعنى: أنكم أخلصتم الدعاء [له]، ونسيتم الأنداد. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل: إضلَّ مَنْ يَدْعُونَ بالياء. ﴿فَلَمَا غَنْكُو إِلَى الْبَرِ أَعْرَفْتُ كُم عن الإيمان والإخلاص ﴿وَكَانَ الْهِمَانُ وَالْمِخْدِي عني الكافر ﴿كَفُورًا ﴾ بنعمة ربّه. ﴿أَنَالَينَدُ ﴾ إذا خرجتم من البحر ﴿أَن يَضِفَ بِكُم ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «نخسف بكم الو نرسل» «أن نعيدكم «فنرسل» (فنغرقكم» بالنون في الكل. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، بالياء في الكُلّ. ومعنى ﴿يَقْيفَ بِكُم بَالِنِ اللّهَ أَول : نغيبكم ونذهبكم في ناحية البر، والمعنى: إن حكمي نافذ في البر نفوذه في البحر، ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُم عَلِيبًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحاصب: حجارة من السماء، قاله أبو عبيدة، وأنشد للفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الريح تَضْرِبُهُم بِيحَاصِبِ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْفُودٍ (٢٠

وقال ابن قتيبة: الحاصب: الريح، سميت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحصباء، وهي الحصى الصغار. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الحاصب: الريح التي فيها الحصى. وإنما قال في الريح: «حاصباً» ولم يقل: «حاصبة لأنه وضف لزم الريح ولم يكن لها مَذَكَّر تنتقل إليه في حال، فكان بمنزلة قولهم: «حائض» للمرأة، حين لم يُقَلُ: رجل حائض. قال: وفيه جواب آخر، وهو أن نعت الريح عُري من علامة التأنيث، فأشبهت بذلك أسماء المذكّر، كما قالوا: السماء أمطر، والأرض أنبت. والثالث: أن الحاصب: التراب الذي فيه حصباء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُو وَكِيلًا ﴾ أي: مانعاً وناصراً.

قوله تعالى: ﴿أَرْ أَمِنتُمْ أَن يُمِيدُكُمْ فِيهِ أَي: في البحر ﴿نَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي: مَرَّة أخرى، والجمع: تارات. ﴿فَيْرَسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّيجِ ﴾ قال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء. قال ابن قتيبة: القاصف: [الريح التي] تقصف الشجر، أي: تكسره.

قوله تعالى: ﴿ نَيُغَرِقَكُم ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر، وشيبة، ورويس: افتغرقكم، بالتاء، وسكون الغين، وتخفيف الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأيوب: افيغرِّقكم، بالياء، وفتح الغين، وتشديدها (٢٠). وقرأ أبو رجاء مثله، إلا أنه بالتاء، ﴿ بِمَا كَفَرْتُم ﴾، أي: بكفركم حيث نجوتم في المرّة الأولى، ﴿ تُمِّمُ لَا يَجَدُواْ لَكُرُّ عَلَيْنَا بِدِ. بَيَعُا ﴾ قال ابن

⁽١) كذا الأصل، فقدمته والذي في كتب اللغة والتفسير «دفعته برفقه» وانظر ما ذكره المؤلف عند قوله تعالى: ﴿وَيَحْمَنَا بِيضَدَعَةِ مُرْيَحْنَةٍ﴾ ٧١٠.

٢١٢ ودالفه ٢٦٢، و مجاز القرآن ١ / ٣٨٥، و دالكامل ٢ ٢٧٧ و دالطبري ٥١/٤٢١، و دالقرطبي ١٩٢/١٠.

⁽٣) أي: تشديد الراء.

قتيبة: أي: من يتبع بدمائكم، أي: يطالبنا. قال عبد الله بن عمرو ﷺ: ريح العذاب أربع، اثنتان في البر، واثنتان في البحر، فاللَّتان في البّرُ: الصَّرْصَر، والمَقيم، واللَّتان في البحر: العاصف، والقاصف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ كُرِّمُنَا بَيْ مَاوَمٍ أَي: فَضَّلناهم. قال أبو عبيدة: و «كرَّمنا» أشد مبالغة من «أكرمنا». وللمفسرين فيما فُضَّلوا به أحد عشر قولاً: أحدها: أنهم فضَّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وأشباههم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضيلهم بالإيمان. والثاني: أن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال بعض المفسرين: المراد بهذا التفضيل: أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه، إذ الجن يقتاتون العظام والرَّوث. والثالث: فُضِّلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. والرابع: بالنطق والتمييز، قاله الضحاك. والخامس: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. والسادس: بأن جعل محمداً على منهم، قاله محمد بن كعب. والسابع: فضَّلوا بالمطاعم واللَّذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. والثامن: بحسن الصورة، قاله يمان. والتاسع: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير. والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي. والحادي عشر: بأن جعلت اللَّحى للرجال، والذوائب للنساء، ذكره الثعلبي. فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرّم بالنعم الوافرة. والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصّفة على جماعتهم، كقوله: ﴿ كُنُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَمْوِبَتُ النَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٠٠).

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلَنَامُ فِي ٱلْبَرِ ﴾ على أكباد رطبة، وهي: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، (و) في ﴿وَٱلْبَحْرِ ﴾ على أعواد يابسة، وهي: السفن، ﴿وَرَزَفْنَهُم بِنَ ٱللَّيْبَاتِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: الحلال. والثاني: المستطاب في الذوق.

قوله تعالى: ﴿ وَاَضَلَنَهُمْ مَلَ كَثِيرِ مِنَّ خَلَقْنَا تَنْضِيلاً ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على لفظه، وأنهم لم يفضَّلوا على سائر المخلوقات، وقد ذكرنا عن ابن عباس أنهم فضَّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة. وقال غيره: بل الملائكة أفضل. والثاني: أن معناه: وفضَّلناهم على جميع مَنْ خلقنا. والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، كقوله: ﴿ يُلْقُونَ السَّمَ وَأَكْثَرُهُمُ كَذِيرُك ﴿ الشعراء: ٢٢٣]. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله ﷺ من الملائكة الذين عنده (١٠).

﴿ يَوْمَ نَدُعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَدِيمٌ مَنَنْ أُونَ كِتَنْبُمُ بِيَدِيهِ تَأُولَتِهِكَ يَقْرَهُونَ كِتَبَهُمْ وَلَا يُطْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ وَمَن كَاكَ فِي فَلْيِهِ أَعْمَىٰ فَهُو فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ نَدْعُوا ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: اذكر ﴿ يَرْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَّاسٍ يَإِمَدِهِم ﴾ والمراد به: يوم القيامة. وقرأ الحسن البصري: «يوم يدعو» بالياء ﴿ كُلُّ بالنصب. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم يدعى» بياء مرفوعة، وفتح العين، وبعدها ألف، «كلُّ بالرفع، وفي المراد بإمامهم أربعة أقوال: أحدها: أنه رئيسهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه سعيد بن جبير أنه قال: إمام هدى، أو إمام ضلالة. والثاني: عملُهم، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو العالمية. والثالث: نبيّهم، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد في رواية. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه كتابهم الذي فيه أعمالهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثاني: كتابهم الذي أُنزل عليهم، قاله الضحاك، وابن زيد. فعلى القول الأول يقال: يا متّبعي موسى، يا متّبعي عبسى، يا متّبعي محمّد؛ ويقال: يا متّبعي رؤساء الضلالة. وعلى الثاني: يا من عمل كذا وكذا، وعلى الثالث: يا أمّة موسى، يا أمّة عبسى، يا أمّة محمد. وعلى الرابع: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن. أو يا صاحب الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا.

⁽١) عزاه الحافظ في التخريج أحاديث الكشاف؛ ١٠٠ للبيهتي في الشعب؛ من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً. وأبو المهزم بتشديد الزاي المكسورة التميمي البصري، اسمه يزيد، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان، قال الحافظ في التقريب؛ متروك، ورواه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١، من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: اللمؤمن أكرم على الله عنى من بعض ملائكته، وهو ضعف، لضعف أبي المهزم.

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَتُهِكَ يَقْرُهُونَ كِنَّبُهُمْ ﴾ معناه : يقرؤون حسناتِهم، لأنهم أخذوا كتبهم بمأيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقصون من ثوابهم بقدر الفتيل؛ وقد بيُّنَّاه في سورة [النساء: ١٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَاكَ فِي هَلَذِيهِ أَعْمَنُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَعْمَىٰ نَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ مفتوحتى الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميمين. وقرّاً أبو عمرو: ﴿فَي هَذَهُ أَعْمَى بُكسر الميم، الله في الآخرة أعمى، بفتحها. وفي المشار إليها بالهذاء، قولان: أحدهما: أنها الذِّنيا، قاله مجاهد. ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أخدها: من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله في خَلْق الأشياء، فهو عمّا وُصِف له في الآخرة أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا تُقبَل توبته، وفي الآخرة لا تُقبَل، قاله الحسن. والثالث: من عمى عن آيات الله في الدنيا، فهو عن الذي غيّب عنه من أمور الآخرة أشدّ عمىّ. والرابع: من عمى عن نِعُم الله التي بيَّنها في قوله: ﴿ زَّبُّكُمْ ۖ ٱلَّذِي لَكُمُ ٱللَّذِي لِ ٱلْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿ تَنْضِيلًا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه، ذكرهما ابن الآنباري. والخامس: من كان فيها أعمى عن الحُجَّة، فهو في الآخرة أعمى عن الجنة، قاله أبو بكر الورَّاق. والثاني: أنها النِّعم. ثم في الكلام قولان. أحدهما: من كان أعمى عن النِّعم التي تُرى وتُشاهَد، فهو في الآخرة التي لم تُر أعمى، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النُّعم المذكورة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كُرَّمُنَا بُنِيّ ءَادَمُ ۖ ولم يؤدِّ شكرها، فهر فيما بينه وبين الله مما يُتقرَّب به إليه أعمى ﴿وَأَشَكُلُّ سَيِيلًا﴾، قاله السدي. قال أبو على الفارسي: ومعنى قوله: ﴿فَهُرَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْدَى﴾ أي: أشدُّ عمىء لأنه كان في الدنيا يمكنه الخروج عن غَمَاهُ بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه. وقيل: معنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب، وهذا كلُّه من عمى القلب. فإن قيل: لم قال: ﴿ فَهُو فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ولم يقل: أشدُّ عمي، لأن العمى خِلْقة بمنزلة المجمرة، والتُزُّرقة، والعرب ثقول: ما أشدُّ سواد زيد، وما أثيَّنَ زرقة عمرو، وقلَّما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمراً؟ فالجواب: أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وذلك يتزايد ويحدث منه شيء بعد شيء، فيخاف الخِلَقَ اللَّازِمة التي لا تزيد، نحو عمى العين، والبياض، والحمرة، ذكره ابن الأنباري.

﴿ وَإِن كَادُواْ لِمُغْتِثُونَكَ مَنِ الَّذِينَ أَوْمَسِنَا إِلَيْكَ لِنَفْرَى عَلِيْنَا غَبَرُةٌ وَإِذَا لَأَغَذُوكَ عَلِيلًا ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّنَنَكَ لَقَدْ كِدَنَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَبْنًا قِلِيلًا ﴿ إِذَا لَاَذْفَنَكَ مِنْمَكَ الْمَبَوْقِ وَضِمْفَ الْلَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِيدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيبًا ﴿ وَإِن كَانُونَ إِلَّا لَيْلِيلًا ﴿ وَضِمْفَ الْلَمَاتِ ثُمَّ لَا يَبَيْنَ عَلِيلًا ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لِيَقِيْدُونَكَ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن وفد ثُقيف أقوا رسول الله على فقالوا: متّعنا باللات سنة، وحرِّمْ وادينا كما حرَّمْتَ مكة، فأبى ذلك، فأقبلوا يُكثرون مسألتهم، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العربّ فضلنا عليهم، فإن خشيتَ أن يقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؛ فأمسك رسول الله على [عنهم]، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا: أجلنا سنة، ثم نُسلم ونكسر أصنامنا، فهم أن يؤجّلهم، فنزلت هذه الآية (١٠٠ والثاني: أن المشركين قالوا للنبي على لا نكفتُ عنك إلا بأن ثُلِمَّ بالهتنا، ولو بأطراف أصابعك، فقال رسول الله على دما علي لو فعلت والله يعلم الي كادره؛ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، وهذا باطل لا يجوز أن يُظَنَّ برسول الله على، ولا ما ذكرنا عن عطية من أن يُنظِرهم سنة، وكل ذلك مُحال في حَقّه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوًا عنه. والثالث: أن قريشاً خَلُوا برسول الله للله إلى الصباح يكلمونه ويفخّمونه، ويقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله من ذلك، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة. والرابع: أنهم قالوا لرسول الله على المربول الله عن الموف، حتى نجالسك عنك منقاط الناس، ومواليهم، وهؤلاء الذين رائحتهم رائحة الضأن، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، حتى نجالسك

⁽١) ابن جرير الطبري ١٣٠/١٥ بسند ضعيف جداً.

وَتُسْمِعُ مَنْكَ، فَهُمَّ رَسُولَ الله ﷺ أن يفعل ما يُستدعي به إسلامهم، فنزلت هذه الآيات، حكاه الزجاج؛ قال: ومعنى المكلام: كادوا يفتنونك، ودخلت «إنَّ واللام للتركيد. قال المفسرون: وإنما قال: «لَيفتنونك»، لأن في إعطائهم ما سألوا مخالفةً لحكم القرآن.

قوله تعالى: ﴿ لِنَنْتَرِى ﴾ أي: لتختلقَ ﴿ عَلَيْ مَا عَبَرَةٌ ﴾ وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك، ﴿ وَإِذَا ﴾ لو فعلت ذلك ﴿ لِلَتَّضَّدُوكَ عَلِيهُ ﴾ أي: والوك وصافوك.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن نَبَنَنكَ ﴾ على المحق، لِعِصمتنا إياك ﴿لَقَدَ كِدنَ تَرَكَنُ إِلَيْهِمَ ﴾ أي: هممت وقاربت أن تَميل إلى مرادهم ﴿شَبَنَا فَلِيلاً ﴾ قال ابن عباس: وذلك حين سكت عن جوابهم، والله أعلم بنيَّته. وقال ابن الأنباري: الفعل في الظاهر للنبي ﷺ، وفي الباطن للمشركين، وتقديره: لقد كادوا يُركنونك إليهم، وينسبون إليك ما يشتهونه مما تكرهه، فنسب الفعل إلى غير فاعله عند أمن اللَّبْس، كما يقول الرجل للرجل: كدت تقتل نفسَك اليوم، يريد: كدت تفعل فعلاً يقتلك غيرُك من أجله؛ فهذا من المجاز والاتساع. وشبيه بهذا قولُه: ﴿فَلَا تَمُونُنَ إِلّا وَأَنتُم مُسْلِكُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقول القائل: لا أرينَكَ في هذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لِّأَذَقْنَكَ ﴾ المعنى: لو فعلت ذلك الشيء القليل ﴿ لِّأَذَقْنَكَ ضِعْفَ آلْكَيْوَةِ ﴾ أي: ضِعف عذاب الحياة ﴿ يَضِعَفُ عِذَابِ الْمَاعِرِ فَا الشّاعِرِ:

[نُسبِّسُتُ أَنَّ السَّارَ بَسَعْسَدَكَ أُوقِسَدَتْ] واسْتَبَّ بَعْدَكَ بِا كُلَيْبُ المَجْلِسُ^(۱)

أي: أهل المنجلس. وقال ابن عباس: ضِعْفَ عدّاب الدنيا والآخرة. وكان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكنه تخويف لأمَّته، لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لِيَسَيِّرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله على المدينة، وكرهوا قربه، فأتوه، فقالوا: يا محمد أنبي أنت؟ قال: انعم، قالوا: فوالله لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء، وأن أرض الأنبياء الشام، فإن كنت نبياً فائت الشام، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس (٢). وقال سعيد بن جُبير: هم رسول الله الله المنخص عن المدينة، فنزلت هذه الآية. وقال عبد الرحمٰن بن غَنْم: لمّا قالت له البهود هذا، صدَّق ما قالوا، وغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك، وزلت هذه الآية إخباراً عما همُّوا به، قاله المحسر ومجاهد. وقال قتادة: هم المأ مكة مأوا به كله على من مكة، فأمره الله بالخروج، وأنزل هذه الآية إخباراً عما همُّوا به، قاله الحسن، ومجاهد. وقال قتادة: هم المأ مكة بإخراجه من مكة، ولو فعلوا ذلك ما نُوظِروا، ولكنَّ الله كلهم عن إخراجه حتى أمره بالخروج. وقيل: ما لبثوا بعد ذلك حتى بعث الله عليهم القتل ببدر. فعلى القول الأول، المشار إليهم: اليهود، والأرض: المدينة. وعلى الثاني: هم المشركون، والأرض: مكة، وقد ذكرنا معنى «الاستفزاز» آنفاً [الإسراء: ٢٤]، وقيل: المراد به هاهنا: القتل، ليخرجوه من الأرض كلّها، روي عن ذكرنا معنى «الاستفزاز» آنفاً [الإسراء: ٢٤]، وقيل: المراد به هاهنا: القتل، ليخرجوه من الأرض كلّها، روي عن الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذاَ لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿خَلْفَكَ ، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿خلافِك ، قال الأخفش ﴿خلافك في معنى خلفك، والمعنى: لا يلبئون بعد خروجك ﴿إِلَّا قِلِيـ لَا ﴾ أي: لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بقليل، وقد جازاهم الله على ما همموا

⁽١) البيت لعدي بن ربيعة في «الأمالي» ١/ ٩٥، و«الحماسة» ٢/ ٩٢٩، ومعنى قوله: «نبئت أن النار بعدك أوقدت»: أنه كان لا توقد بحضرته نار، لعظم ناره وعمومه بطعامه، وقيل: إنه أراد نار الحرب التي كانت تاريت بينهم بقتل كليب فركدت أحقاباً.

 ⁽٢) قال الحافظ ابن كثير في التفسيرة ٣/٥٣: وهذا القول ضعيف، لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك.

ال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر خبر عبد الرحمٰن بن غَنَم عن البيهقي: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول البيهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَاتِكُ اللَّهِنَ مَاسَوًا اللَّهِنَ مَاسَوًا اللَّهِنَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِنَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِنَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَلَنْ اللَّهِنَ إِلَّهُ اللَّهُ وَلَنْ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَلَنْ اللَّهُ وَلَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُولِيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّه

به، فقتل صناديد المشركين ببدر، وقتل من اليهود بني قريظة، وأجلى النضير. وقال ابن الأنبادي: معنى الكلام: لا يُلْبَئُون على خِلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: ﴿خُلَّافُكَ ابضم الخاء، وتشديد اللام، ورفع الفاء.

قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفراء: نصب السُّنَّة على العذاب المُضْمِر، أي: يعذَّبوَن كسُنَّتنا فيمن أرسلْنا. وقال الأخفش: المعنى: سَنّها سُنَّةً. وقال الزجاج: انتصب بمعنى «لا يلبثون» وتأويله: إنّا سَنَنَّا هذه السُنَّة فيمن أرسَلْنا قبلك أنهم إذا أُخِرجوا نبيَّهم أو قتلوه، لم يلبث العذاب أن ينزل بهم.

﴿ أَفِرِ الشَّلَوْةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ النَّلِ وَقُرْمَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْمَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿ وَمِنَ الْبَلِ فَنَهَجَّدْ بِو، نَافِلَةُ لَكَ عَسَىٰ أَن يَبَعَنُكَ رَبُكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلِي مُدْخَلَ صِدْقِ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقِ وَأَجْعَل لِي مِن لَّذُنكَ سُلْطَكُنَا نَصِيرًا ﴾ وقُلْ جَلَة الْحَقُ وَزَعَقَ الْبَطِلُ إِنَّ الْبَطِلُ كَانَ زَهُوقًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَيْرِ الصَّلَوْةِ أَي: أَدُها ﴿ لِللَّهِ لِللَّهِ الشَّيْنِ ﴾ أي: عند دُلوكها، وذكر ابن الأنباري في «اللام» قولين: أحدهما: أنها بمعنى «في». والثاني: أنها مؤكّدة، كقوله: ﴿ رَونَ لَكُمُ ﴾ [النسل: ٢٧]. وقال أبو عبيدة: دُلوكها: من عند زوالها إلى أن تغيب. وقال الزجاج: مَيْلها وقت الظهيرة دُلوك، ومَيْلها للغروب دُلوك. وقال الأزهري: معنى «الدُّلوك» في كلام العرب: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وإذا أفلت: دالكة، لأنها في الحالين زائلة. وللمفسرين في المراد بالدُّلوك هاهنا قولان: أحدهما: أنه زوالها نصف النهار. روى جابر بن عبد الله قال: دعوت رسول الله الله ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج رسول الله الله وقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس» (١٠)؛ وهذا قول ابن عمر، وأبي برزة، وأبي هريرة، والحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، ومجاهد، وعطاء، وعبيد بن عمير، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، وهو اختيار والأزهري: لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، فيكون المعنى: أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان، ثم قال: ﴿ وَثُرَمَانَ الْفَجْرِ ﴾، فهذه الفراء: ورأيت العرب تذهب في الدُلوك إلى غيبوية الشمس، وهذا اختيار ابن قتيبة، قال: لأن العرب تقول: ذَلَكَ النجم: إذا غاب؛ قال ذو الرمة:

مَصَابِيْحُ لَيْسَتْ باللّواتي تَقُودُهَا نُسجُسومٌ وَلَا بِسالاَفسلاتِ السدَّوالِسكِ^(٣) وتقول في الشمس: دلكتْ بَرَاحِ^(٤)، يريدون: غربت، والناظر قد وضع كفَّه على حاجبه ينظر إليها، قال الشاعر: والسَّسَمُ سُن قَدْ كَادَتْ تَـكُونُ دَنَـفَا أَدْفَعَها بِالسرَّاحِ كَسِيْ تَـرَّحُلَفَا (٥) فشبهها بالمريض [في] الدَّنَف، لأنها قد همَّت بالغروب كما قارب الدَّنِف الموت، وإنما ينظر إليها من تحت

⁽١) رواه الطبري: ١٣٧/١٥، عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله، ورواه أيضاً عن تُبَيع العَنزي عن جابر بن عبد الله، ونبيع العزي: مجهول.

 ⁽۲) رواه ابن جرير ۱۳٤/۱۰ والحاكم ۲/۳۱۳، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره الهيشمي في «المجمع» ۱۹۰/۵ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٩٥/٤ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شبية، وابن المنذر، وابن مردويه، من طرق عن ابن مسعود.

 ⁽٣) فديوانه ٥١١ طبع المكتب الإسلامي، وقفريب القرآن، ٢٦٠، وتفسير القرطبي، ٣٠٣/١٠، وقالبحر المحيط، ٢٨/٦، وقاللسان، وقالتاج،: دلك.
 مصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها، والأفلات: الغائبات، يقال: أقل النجم: إذا غاب، والدوالك: يقال: دلكت الشمس: إذا غابت أو دنت للمغيب.

⁽٤) براح، بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء، فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

⁽٥) البيت للمجَّاج، «ديوانه» ٨٦، و«تهذيب الألفاظ» ٣٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٨٨/١، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«الطبري» ٢٦٠/١٥، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠. و«الجمهرة» ٢١٨/٢، وفي «اللسان»: زحلف. يقال للشمس إذا مالت للمغيب، وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد تزحلفت.

الكف ليعلم كم بقي لها إلى أن تغيب، ويتوقى الشعاع بكفِّه. فعلى هذا، المراد بهذه الصلاة: المغرب. فأما غسق الليل، فظلامُه. وفي المراد بالصلاة المتعلقة بغسق الليل ثلاثة أقوال: أحدها: العشاء، قاله ابن مسعود. والثاني: المغرب، قاله ابن عباس. قال القاضي أبو يعلى: فيحتمل أن يكون المراد بيان وقت المغرب، أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل. والثالث: المغرب والعشاء، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجِّرِّ ﴾ المعنى: وأقم قراءة الفجر. قال المفسرون: المراد به: صلاة الفجر. قال الزجاج: وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حين سمِّيت الصلاة قرآناً.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَاكَ مَشْهُودًا ﴾، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار»^(۱).

قوله تعالَى: ﴿ وَبِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ قال ابن عباس: فَصَلُّ بالقرآن. قال مجاهد، وعلقمة، والأسود: التهجُّد بعد النوم. قال ابن قتيبة: تهجَّدت: سَهِرت، وهَجَدت: نِمْت. وقال ابن الأنباري: النهجُّد هاهنا بمعنى: التيقُّظ والسُّهَر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد؛ يقال للنائم: هاجِد ومتهجِّد، وكذلك للساهر، قال النابغة:

عَــبَــد الإِلّــة صَــرُوْرَةٍ مُستَــة جُــدِ وَلَـخَـالَـهُ رَشـداً وَإِنْ لَـمْ يَـرْشُـدِ (٢)

وَلَـوَ انَّسها عَـرَضَتْ لِأَشْـمَـطَ دَاهِـبٍ لَرَنَا لِبَهْ جَهِهَا وَحُسُنِ حَدِيْشِهَا

يعني بالمتهجد: الساهر، وقال لبيد:

[وقَــدَرْنـا إن خَــنَـا الـدَّهْــرِ غَــفَــلُـا("")

قَالَ هَـجُـذَا فَـقد طَالَ السُّرَى أي: نَوَّمْنا. وقال الأزهري: المتهجِّد: القائم إلى الصلاة من النَّوم. وقيل له: متهجد، لإِلقائه الهُجُّود عن نفسه، كما يقال: تُحَرَّج وتأثُّم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّالِكُ أَكَّ ﴾ النافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصل. وفي معنى هذه الزيادة في حقه قولان: أحدهما: أنها زائدة فيما فُرِض عليه، فيكون المعنى: فريضة عليك، وكان قد فرض عليه قيام الليل، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنها زائدة على الفرض، وليست فرضاً؛ فالمعنى: تطوعاً وفضيلة. قال أبو أمامة، والحسن، ومجاهد: إنما النافلة للنبي ﷺ خاصة. قال مجاهد: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدُّم من ذَنْبه وما تأخُّر، فما زاد على فرضه فهو نافلة له وفضيلة، وهو لغيره كفارة (٤٠). وذكر بعض أهل العلم؛ أن صلاة الليل كانت فرضاً عليه في الابتداء، ثم رخُّص له في تركها، فصارت نافلة. وذكر ابن الأنباري في هذا قولين: أحدهما: يقارب ما قاله مجاهد، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا تنفَّل لا يقدر له أن يكون بذلك ماحياً للذنوب، لأنه قد غُفر له ما تقدم من ذَنْبه وما تأخُّر، وغيره إذا تنفُّل كان راجياً، ومقدّراً محو السيئات عنه بالتنفل، فالنافلة لرسول الله ﷺ زيادة على الحاجة، وهي لغيره

⁽١) المسندة ٢٣٨/١٣، وابن ماجه ٢٠٢١، والنسائي ١/ ٢٤١، والترمذي، ٢/ ١٤١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد في والمسند، ١٧٢/١٢، ووالبخاري، ٨/٣٠٢، وومسلم، ١/٤٥٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وتفضل صلاةً في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة؛ قال: (وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر؛ قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شتتم: ﴿وَفَرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۚ إِنَّ مُرَّانَ ٱلْفَجْرِ كَاكَ

⁽٢) البيتان في «ديوانه» ٣١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٨٦/، و«أضداد ابن الأنباري» ٥٢. والأشمط: الذي دب في رأسه الشيب، والصرورة: الذي لم يذنب مطلقاً، أو الذي لم يتزوج.

⁽٣) وديوانه ١٨٤، و الاقتضاب ١٨٤، و الخزانة ٢٨/٠، و أضداد ابن الأنباري، ٥١، و أضداد ابن السكّيت، ١٩٤، و أضداد الحلبي، ١٧٩، وااللسان؛ هجد، وسترى، وصلة البيت قبله:

عساط في السنَّس رُق صَسدْقِ السمُسبُستَ لَلْ ومسجدود مسن صببابسات السكسرى والمحود: الذي يجهد من النعاس وغيره، وقوله: عاطف النمرق؛ يريد عطف نمرقته وثناها فنام، وصدق المبتذل، أي: جلد.قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط. قال ابن السيد في شرح البيتين: وصف نفسه بالجلد في السفر، وكثرة السهر حتى يتأذى رفيقه بذلك، فيقول له: خلّنا ننام ونستريح... قد قدرنا على ما نريد، ووصلنا إلى ما نحب، إن غفل عنا المدعر ولم يفسد علينا أمرنا، فَلِمَ نجهد أنفسنا بطول السّرى، ونمنع أعيننا لذيذ الكرى؟ أ .

[«]المسند» ٣٩١/» والترمذي ٢/ ١٤٢ وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٥٨/٣، وأقر تصحيح الترمذي إياه، وصححه أيضاً الشيخ أحمدٍ شاكر. وفي سنده قابوس بن أبي ظُنْيان الجَنْبي، لينه الحافظ في «التقريب».

مفتقر إليها، ومأمول بها دفع المكروه. والثاني: أن النافلة للنبي ﷺ وأمته، والمعنى: ومن الليل فتهجدوا به نافلة لكم، فخوطب النبي ﷺ بخطاب أمته.

قوله تعالى: ﴿عَنَىٰ أَن يَبَعَنُكَ رَبُّكَ﴾ دعسى عن الله واجبة ، ومعنى اليبعثك القيمك ﴿مَقَامًا تَعْمُوكا ﴾ وهو الذي يحمّده لأجله جميع أهل الموقف. وفيه قولان: أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عمر ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ، والحسن ، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد (۱۱) . والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة . روى أبو واثل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية ، وقال: يُقعده على العرش ، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس ، وليث عن مجاهد .

قوله تعالى: ﴿وَرَا رَبِّ أَدْيَلِي مُدْخَلَ صِدْقِ﴾ وقرأ الحسن، وعكرمة، والضحاك، وحميد بن قبس، وقتادة، وابن أبي عبلة بفتح الميم في مدخل ومخرج وأل الزجاج: المدخل، بضم الميم: مصدر أدخلته مُدخلاً ومن قال: مَدخل صدق، فهو على أدخلته، فدخل مَدخل صدق، وكذلك شرح ومخرج مثله. وللمفسرين في المراد بها الممدخل والمخرج أحد عشر قولاً: أحدها: أدخلتي المدينة مدخل صدق، وأخرجني من مكة مخرج صدق. روى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله من بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية. وإلى هذا المعنى دهب الحسن في رواية سعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أدخلتي المرتبئ مكة، يعني: لفتحها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أدخلتي المدينة، وأخرجني إلى مكة، يعني: لفتحها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والمرتبئ مكة مدخل صدق، وأخرجني منها مخرج صدق، فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليها يوم الفتح، قاله الضحاك. والمخامس: أدخلتي مُدخل صدق، فخرج منها آمناً من المشركين، مكة إلى المدينة، رواه قتادة عن الحسن. والسادس: أدخلتي في النبوة والرسالة، وأخرجني منها مخرج صدق من معجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليً فيها. والسادس: أدخلتي في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح؛ يعني: من مجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليً فيها. والشابع: أدخلتي في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح؛ يعني: من أداهها، قاله عطاء. والتاسع: أدخلتي المأدن أو المحدد بن المنكدر. والعاشو: أدخلتي في اللين، وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج. والحادي هشر: أدخلتي مكة، وأخرجني إلى حُنين، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وأما إضافة الصدق إلى المُدخل والمخرج، فهو مدح لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سورة أبوسي: ٢٠.

قوله تعالى: ﴿وَآجْمَلُ لِي مِن لَدُكَ﴾ أي: من عندك ﴿سُلَطَدَناً﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التسلُّط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، قاله الحسن. والثاني: أنه الحُجة البيَّنة، قاله مجاهد. والثالث: المُلك العزيز الذي يُقهَر به العصاة، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: وقوله: ﴿نَسِيرًا﴾ يجوز أن يكون بمعنى مُنْصَراً، ويصلح أن يكون تأويله ناصراً.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ مَآةَ الْحَقُ رَزَهَنَ الْبَطِلُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: الإسلام، والباطل: الشرك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الحق: القرآن، والباطل: الشيطان، قاله قتادة. والثالث: أن الحق: الجهاد، والباطل: الشرك، قاله ابن جريج. والرابع: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام، قاله مقاتل. ومعنى فرقعت، بَطُل واضمحلٌ. وكلُّ شيء هلك وبَطَل فقد زَهق. وَزَهقت نفشه: تلفت. وروى ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ

⁽١) في الاستخطاري؛ عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون بميره القيامة جناً، كل أمة تتبع نبيّهاً، تقول يا قلان اشفع، حتى تتنهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يمثه الله المقام المحمود. قال الحافظ ابن حجر في التخريج أحاديث الكشاف،: وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن مسمود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطولاً، وعن كمب بن مالك عند الحاكم، وأصله عند مسلم، وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله عن الزهري عن علي بن الحسين، وعن أبي سعيد عند الترمذي وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مرديه.

دخل مكة وحول البيت ثلاثماثة وستون صنماً؛ فجعل يطعنها ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» (١٠). فإن قيل: كيف قلتم: إنّ (زهق) بمعنى بَطَل، والباطل موجود معمول عليه عند أهله؟ فالجواب: أن المراد من بطلانه وهلكته: وضوح عيبه، فيكون هالكاً عند المتدبّر الناظر.

﴿ وَنَكَزُّلُ مِنَ ٱلفُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحَمَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَكَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِئِلَةً ﴾ قبنُ هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء. وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: شفاء من البركة. والثالث: شفاء من السّقم، لما فيه من البركة. والثالث: شفاء من البيان للفرافض والأحكام. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: النعمة، والثاني: سبب الرحمة.

. ﴿ **قُولَةُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلطَّلِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ لِلَّا خَسَالًا ﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فيزيد فسرانهم ﴿ ﴿ وَمِنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ المشركين ﴿ لِلَّا خَسَالًا ﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فيزيد**

﴿ وَوَإِذَا ۚ اَنْصَنَا مَلَ ٱلْإِمْدَنِ أَعْهَلَ وَتَنَا يِجَانِيرِتُهُ وَإِنَا مَسَّهُ ٱلشَّرُ كَانَ يَتُوسًا ۞ قُلْ كَانَ مِسْلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ. فَرَبُّنُكُمْ أَعَلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَيِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا آنَكُنَا عَلَى آلِالْتَنِ ﴾ قال ابن عباس: الإنسان هاهنا: الكافر، والمراد به الوليد بن المغيرة. قال المفسرون: وبهذا الإنعام: سَعة الرزق، وكشف البلاء. ﴿ وَثَنَا بِمَائِيدٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «ونأي على وزن «نعى» بفتح النون والهمزة. وقرأ ابن عامر: «ناء» مثل «باع». وقرأ الكسائي، وخلف عن سليم عن حمزة: «وناء» بإمالة النون والهمزة، وروى خلّاد عن سليم: «نثي، بفتح النون، وكسر الهمزة؛ والمعنى: تباعد عن القيام بحقوق النّعم، وقيل: تعظم وتكبّر. ﴿ وَإِنَا سَنَهُ النّرُ ﴾ أي: نزل به البلاء والفقر ﴿ كَانَ يَتُوسًا ﴾. أي: قنوطاً شديد الباس، لا يرجو فضل الله.

قوله تعالى: ﴿ الشاكلة: الناحية، والجديلة، والطريقة، سمعت بعض العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جبير. قال الفراء: الشاكلة: الناحية، والجديلة، والطريقة، سمعت بعض العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عبيدة: على ناحيته وخليقته. وقال ابن قتيبة: على خليقته وطبيعته، وهو من الشكل. يقال: لستَ على شكلي، ولا شاكلتي. وقال الزجاج: على طريقته، وعلى مذهبه. والثاني: على يُبّته؛ قاله الحسن، ومعاوية بن قُرَّة. وقال الليث: الشاكلة من الأمور: ما وافق فاعله. والثالث: على دينه، قاله ابن زيد. وتحرير المعنى أن كل واحد يعمل على طريقته التي تشاكل أخلاقه، فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الناجء والصبر عند البلاء، والله يجازي الفريقين. وذكر أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَاتُنْلُوا النَّشْرِكِينَ حَيْثُ وَالله يَعْمُوهُ ﴾ النوية: قا، وليس بشيء.

﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّبِيِّ فَلِ ٱلرُّبِيُّ مِنْ أَسْدِ رَبِّي وَمَا أُوتِيشُم نِينَ ٱلْمِلْدِ إِلَّا تَلِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّحِ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ مَرَّ بناس من اليهود، فقالوا: سُلُوهُ عن الروح؟ فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود (٢٠). والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن

⁽۱) البخاري ٨/ ٣٠٣، ومسلم ٣/ ١٤٠٨، والترمذي ٢/ ١٤٢ من طرق عن سفيان بن عبينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعد

المسنده ١٩٥/٥، والبخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ٢١٥٢/٤، والترمذي ١٤٢/٥، وانظر ابن كثير ٣٠/٠ في الكلام على سبب نزول هذه الآية.
 وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن إلمنذر وابن حبان وصححه عن ابن عباس في قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿ وَيَعْتَلُونَكُ مَنَ الرَّبَةُ فَلِي الرَّبِيُّ فِي أَشْدٍ مَنِهُ وَمَا أَرْيَشْتُر بِنَ الْمِيدُ إِلَّا لَيْكُ فِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فِتيةٍ فُقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الرُّوح. فسألوه عنها، ففسَّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وفي المراد بالروح هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الروح الذي يحيا به البدن، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النَّفْس، أم هما شيئان فلا المعنى العوفي عن ابن عباس. وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النَّفْس، أم هما شيئان فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك وإنما هو شيءً أخذوه عن الطب والفلاسفة؟ فأما السلف، فإنهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿ فَلُو الرَّوِي عَن أَسْرِ رَبِّ ﴾، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يُجابوا، والوحي ينزل، والرسول حيّ، علموا أن السكوت عما لم يُحَظّ بحقيقة علِمه أولى. والثاني: أن المراد بهذا الروح: ملك من الملائكة على خُلقة هائلة، روي عن علي ﷺ، وابن عباس، ومقاتل. والثالث: أن الروح: خَلق من خلق الله الله صورهم على صُور بني آدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والرابع: أنه جبريل ﷺ، قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أنه القرآن، روي عن الحسن أيضاً. والسادس: أنه عيسى ابن مريم، حكاه الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن، فغالب ظني أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم. وقوله: ﴿ فِينَ أَسْرِ يَقِهُ أَي: من عِلمه الذي منع أن يعرفه أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُ مِنَ ٱلْمِلْرِ إِلَّا قَلِمَلَا﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم جميع الخلق، عِلمهم قليل بالإضافة إلى علم الله عز وجل، ذكره الماوردي. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْعِكُمَةُ فَقَدْ أُولَى خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فالجواب: أن ما أوتيه الناس من العلم، وإن كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى علِم الله قليل.

﴿ وَلَيْنِ شِئْنَا لَنَدْهَمَنَى بِاللَّذِي أَرْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ. عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَبِكَ ۚ إِنَّ نَعْمَلُمُ كَاكَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِن شِئْنَا لَنَدْهَبَنَ بِاللَّهِى آرَحَيْنَا إِلَّكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو شئنا لمحوناه من القلوب والكتب، حتى لا يوجد له أثر، ﴿ مُ مُ لا يَجِدُ لكَ بِهِ، عَبْنَا وَكِيلاً ﴾ أي: لا تجد من يتوكل [علينا] في رد شيء منه، ﴿ إِلَّا رَحْمَةُ مِن رَبِّكَ ﴾ هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. وقال ابن الأنباري: المعنى: لكن رحمة من ربك تمنع من أن تُسلّب القرآن، وكان المشركون قد خاطبوا نساءهم من المسلمين في الرجوع إلى دين آبائهم، فهدّدهم الله على بسلب النّعمة، فكان ظاهر الخطاب للرسول، ومعنى التهدّد للأمة. وقال أبو سليمان: «ثم لا تجد لك به أي: بما نفعله بك، من إذهاب ما عندك «وكيلاً» يدفعنا عما نريده بك. وروي [عن] عبد الله بن مسعود أنه قال: يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فيجيء جبريل من جوف الليل، فيذهب به من صدورهم ومن بيوتهم، فيصبحون لا يقرؤون آية، ولا يحسنونها (۱). ورد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه ومن بيوتهم، فيصبحون لا يقبض العلم انتزاها ه (۱)، وحديث ابن مسعود مروي من طُرُق حسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر (۱).

 ⁽١) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٣/١٣ من رواية الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: «ولينزعن القرآن من بين أظهركم، يسرى عليه ليلاً، فيذهب
من أجواف الرجال فلا يبتى في الأرض منه شيء، وقال الحافظ: وسنده صحيح، لكنه موقوف.

 ⁽٢) البخاري ١٧٤/١، ومسلم ٢٠٥٨/٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ولفظه في البخاري: اإن الله لا يقبض العلم انتزاهاً ينتزهه من العباد،
 ولكن يُقبض العلمُ بقبض العلماء، حتى إذا لم بيق طالم انتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فانتوا بغير علم فضلوا وأضلواه.

⁽٣) روى ابن ماجه رقم (٤٠٤٩) بسند توي عن حليفة على قال: قال رسول الله الله الله الله على يندس وشي الثوب حتى لا يندى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله على ليلة قلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والمجوز، يقولون: أدركنا آباهنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله فنحن نقولها»، نقال له صلة: ما تنني عنهم «لا إله إلا الله وهم لا يندون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً. قال في «الزوائدة: إسناده صحيح.

﴿ قُل لَمِن اَجْمَعَمَتِ ٱلْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرَّانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَ بَمْشُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ﴿ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُفسرون: هذا تكذيب للنَّضْر بن الحارث حين قال: «لو شئنا قلنا مثل هذا». والميثل الذي طُلِبَ منهم: كلام له نظم كنظم القرآن، في أعلى طبقات البلاغة. والظهير: المُعين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفَنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في هذه السورة [الإسراء: ٤١]، والمعنى: من كل مَثَل من الأمثال التي يكون بها الاعتبار ﴿فَأَلِنَ ٱكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿ إِلَّا كُنُورًا﴾ أي: جحوداً للحق وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُوْمِرَ لَكَ حَتَّى تَنْجُرُ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَلْبُومًا ۞ سبب نزول هذه الآية وما يتبعها، أن رؤساء قريش، كُعُتبة، وشيبة، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث في آخرين، اجتمعوا عند الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعلِّروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلُّموك، فجاءهم سريعاً، وكان حريصاً على رشدهم، فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نُعَلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفَّهت الأحلام، وفرَّقت الجماعة، فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا لتطلب مالاً، جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنتَ إنما تطلب الشرف فينا، سؤدناك علينا، وإن كان هذا الرَّبِيُّ الذي يأتيك قد غلب عليك، بذلنا أموالنا في طلب الطّب لك حتى نُبْرِئك منه، أو نُعْذَر فيك. فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِن تقبلوا مِنِّي [ما جنتكم به]، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه(١١) عليَّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكما. قالوا: يا محمد، فإن كنتَ غير قابل مِنَا ما عَرْضَنا، فقد علمتَ أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أشد عيشاً منا، سل لنا ربك يُسيّر لنا هذه الجبال التي ضيّقت علينا، ويُجري لنا أنهاراً، ويبعث من مضى من آبائنا، وليُكن فيمن يبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألَهم عما تقول: أحق هو؟ فإن فعلت صدَّقناك، فقال رسول الله ﷺ: (ما بهذا بُمثُ، وقد أبغلتكم ما أرسلتُ به)؛ قالوا: فَسَلْ ربَّك أن يبعث مَلَكاً يصدِّقك، وسله أن يجعل لك جِناناً، وكنوزاً، وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك؛ قال: (ما أنا بالذي يسأل ربه هذا)؛ قالوا: فأسقط(٢) السماء [علينا] كما زعمت بأن ربُّك إن شاء فعل؛ فقال: اذلك إلى الله على الله على الله عائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتيّ بالله والملائكة قبيلاً، وقال عبد الله بن أبي أمية: لا أؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سُلْماً، وترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفرُ من الملائكة يشهدون لك، فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً لِمَا رأى من مباعدتهم إياه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُزْمِرَ لَكَ . . .﴾ الآيات، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ عَنَى تَنْجُرُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "حتى تُفَجِّرًا بضم التاء، وفتح الفاء، وتشديد الجيم مع الكسرة. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "حتى تَفْجُرًا بفتح التاء، وتسكين الفاء، وضم الجيم مع التخفيف. فمن ثقّل، أراد كثرة الانفجار من الينبوع، ومن خفَّف، فلأن الينبوع واحد. فأما الينبوع: فهو عين ينبع الماء منها؛ قال أبو عبيدة: هو يقعول، من نبع الماء، أي: ظهر وفاز.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾ أي: بستان ﴿ فَنُفَجِّرَ ٱلأَنْهَارَ ﴾ أي: تفتحها وتجريها ﴿ خِلَالَهَا ﴾ أي: وسط تلك الجنة .

قوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطُ ٱلسَّمَاءَ ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وحميد، والجحدري: ﴿ أَو تَسقُط ﴾ بفتح
التاء، ورفع القاف (السماءُ بالرفع .

قوله تعالى: ﴿ كِسَنَّا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "كِسْفاً» بتسكين السين في جميع القرآن إلا

⁽١) في الأصل: تردوا.

في [الروم: 18] فإنهم حرَّكوا السين. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين، وفي باقي القرآن بالتسكين. وقرأ ابن عامر هاهنا بفتح السين، وفي باقي القرآن بتسكينها. قال الزجاج: من قرأ «كِسُفاً» بفتح السين، جعلها جمع كِسفة، وهي: القطعة، ومن قرأ «كِسُفاً» بتسكين السين، فكأنهم قالوا: أَسْقِطها طبقاً علينا؛ واشتقاقه من كسفتُ الشيء: إذا غطيته، يعنون: أسقطها عليها قطعة واحدة. وقال ابن الأنباري: من سكَّن قال: تأويله: ستراً وتغطية، من قولهم: قد انكسفت الشمس: إذا غطاها ما يحول بين الناظرين إليها وبين أنوارها.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلْتِهِكَةِ مَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: عيانًا، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن جريج، ومقاتل. وقال أبو عبيدة: معناه. مقابلة، أي: معاينة، وأنشد للأعشى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُؤُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَثْهَا قَبِيلُهَا(١)

أي: قابِلُتُها. ويروى: وجُهِتُها [يعني بدل: يسرتها]. والثاني: كفيلاً أنك رسول الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، قال: القبيل، والكفيل، والزعيم، سواء؛ تقول: قبلت، وكفلت وزعمت. والثالث: قبيلة قبيلة، كل قبيلة على حِدَتها، قاله الحسن، ومجاهد. فأما الزخرف، فالمراد به الذهب، وقد شرحنا أصل هذه الكلمة في [يونس: ٢٤]، وقرترقي، بمعنى قصعد، يقال: رُقِبتُ أرقَى رُقِيّاً.

قوله تعالى: ﴿ عَنَى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِنَبًا ﴾ قال ابن عباس: كتاباً من رب العالمين إلى فلان يصبح عند كل واحد منا قرؤه.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ سُبْمَانَ رَبِي ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ققله. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: قاله، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والشام، ﴿ مَلْ كُنتُ إِلّا بَثَرَ رَسُولًا ﴾ ، أي: أن هذه الأشياء ليست في قوى بشر. فإن قيل: لم اقتصر على حكاية قالوا همز غير إيضاح الرد؟ فالجواب: أنه لما خصهم بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَإِن الْمُتَمَّتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَلَا الْقَرَانِ ﴾ فلم يكن في وسعهم، عجّزهم، فكأنه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدل على نبوّتي، ومن ذلك التحدّي بمثل هذا القرآن، فأما عَنتُكم فليس في وسعي، ولأنهم الحوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أن يسأل ربه، فرد قولهم بكونه بشراً، فكفي ذلك في الردّ.

﴿ وَمَا مَنَعَ النَاسَ أَن يُؤْمِثُواْ إِذَ جَآءَمُ ٱلمُهَدَىٰ إِلَّا أَن مَالُوا أَبَعَتَ اللَّهُ بَذَكِل رَسُولًا ﴿ فَالَ أَن كَانَ فِي النَّرْفِ مِلْتَهِكُ أَيْمُ النَّامِ الْمَهُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِم فِينَ النَّبَعَاقِ مَلْكُ اللَّهُ وَلَا كَانَ يَعِيدُا لَيْنِي وَيَسْتَكُمُ إِنَّهُ كَانَ يَعِيدُا هِ ﴾ مُطْمَهِينَ النَّرْكَ عَلَيْهِم فِينَ النَّمَاقِ مَلْكُ أَيْهُ يَعِيدُا هِيهُ وَيَسْتُعُمُ إِنَّهُ كَانَ يَعِيدُا هِيهُ النَّاقُ عَلَيْهِم فِينَ النَّهُمُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُمُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُمُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُمُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُمُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُمُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُ عَلَيْهُم عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِم اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّ

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعُ النَّاسَ أَن يُؤْهِنُوا ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: وما منعهم من الإيمان ﴿ إِنَّ بَاتُمُ الْهُدَىٰ ﴾ وهو البيان والإرشاد في القرآن ﴿ إِنَّ أَن قَالُوا ﴾ [أي: إلا] قولهم في التعجب والإنكار: ﴿ أَبِّتَكَ اللَّهُ بَثَرٌ رَسُولُ ﴾ ؟ وفي الآية اختصار، تقديره: هلا بعث الله مَلَكا رسولاً، فأجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلْتُهِكَ أُ يَسُمُونَ مُمْلَمَ إِنِّنَ ﴾ أي: مستوطنين الأرض. ومعنى الطمأنينة: السكون؛ والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَعَنْ بِأُللِّهِ شَهِينًا﴾ قد فسرناه في [الرحد: ٤٣] ﴿إِلَّهُ كَانَ بِمِبَادِهِ، خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ قال مقاتل: حين المحمداً بالرسالة.

﴿ وَمَن يَهِدِ اللّهُ فَهُوَ ٱلْمُهُمَّدِ وَمَن يُصْلِلُ فَلَن تَجِدَ لَمُمْ أَوْلِيَآةً مِن دُونِدِ ۗ وَتَعَشُّرُهُمْ يَوْمَ ٱلْفِينَمَةِ عَلَى رُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَلَيْكُمَا وَمُسَتَّا مَاوَنَهُمْ جَهَنَمُ ۚ كُنَا خَنَتَ زِدْنَهُمْ سَمِيرًا ۞ ذَلِكَ جَزَاؤَهُم بِأَنْهُمْ كَفَرُوا بِكَائِلِنَا وَقَالُوۤا أَوْذَا كُمَّا عِظْنَمَا وَرُفَتَبًا لَوَا ٱلْمَبْمُونُونَ خَلْقًا جَدِيبًا ۞ ﴾ أوَلَمْ بَرَوْا أَنَّ اللّهَ ٱلذِّى خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ فَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْلُقُ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلَا لَا رَبِّ فِيهِ فَأَنَى ٱلظَّلِمُونَ إِلَّا كُثْورًا ۞ قُل لَوْ أَنْتُمْ نَمْلِكُونَ خَزَايِنَ رَحْمَةِ رَبِيّ إِنَّا لَأَمْسَكُمُ خَشْيَةً ٱلْإِنفَانِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ فَتُورًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ مَهُو اللَّهُ مَهُو اللَّهُ مَهُو اللَّهُ مَهُو اللَّهُ مَهُو الله عَد وأبو عمرو بالياء في الوصل، وَحَذَفَاها في الوقف. وأثبتها

⁽۱) • الطبري؛ ١٦٢/١٥. وهو في ملحق «ديوان الأعشى؛ ٢٥٦ برواية «شواهد الكشاف؛ ٢٤٧، و«اللسان»: قبل. وعجز البيت في «الإصلاح، ١٦٠٠ وافتح الباري، ٨٩٨/٨.

يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحالتين. «من يهد الله» قال ابن عباس: من يرد الله هداه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهُمَّدِ وَمَن يُضْلِلْ فَكَن تَجِدَ لَمُمْ آوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ﴾ يَهدونهم.

قوله تعالى: ﴿ وَتَعَثَّرُهُمْ يَوْمَ الْقِينَكَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يمشّيهم على وجوههم، وشاهده ما روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إِن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة (١١). والثاني: أن المعنى: ونحشرهم مسرعين على وجوههم، قاله ابن عباس. والثالث: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبّر بقوله: «على وجوههم» عن الإسراع، كما تقول العرب: قد مَرَّ القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عُمِّيًا وَبُكُمَا وَصُمَّا ﴾ فيه قولان: أحدهما: عمياً لا يرون شيئاً يَسرُّهم، وبكماً لا ينطقون بحجَّة، وصماً لا يسمعون شيئاً يسرُّهم، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً يسمعون شيئاً يسرُّهم، قاله ابن عباس. وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أولياءه، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن هذا الحشر في بعض أحوال القيامة بعد الحشر الأول. قال مقاتل: هذا يكون حين يقال لهم: ﴿أَنْسَنُواْ فِيها ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيصيرون عمياً بكماً صماً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿ كُنَّ فِينَ قَالَ ابن عباس: أي: سكنت. قال المفسرون: وذلك أنها تأكلهم، فإذا لم تُبق منهم شيئاً وصاروا فحماً ولم تجد شيئاً تأكله، سكنت، فيُعادُون خلقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابن قتيبة: يقال: خبت النار: إذا سكن لهبها. فاللهب يسكن، والجمر يعمل، فإن سكن اللهب، ولم يُطفاً الجمر، قيل: خَمَدت تَحْمُدُ خُمُوداً، فإن طُفت ولم يبق منها شيءٌ، قيل: هَمَدت تَهْمُد هُمُوداً. ومعنى ﴿ نِدْنَهُمْ سَعِيلُهُ: ناراً تتسعر، أي: تتلهّب. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الإسراء: 13] إلى قوله: ﴿ قَارِدُ عَنَ اللهُ يَعْلَدُ مُنْلَهُمْ اللهُ عِن نفس الشيء، يقال: مِثْلُك لا يفعل هذا، به من نفس الشيء، يقال: مِثْلُك لا يفعل هذا، أي: أنت، ومثله قوله: ﴿ قَانَ عَامَنُمُ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿ وَمُنْكَهُمُ ﴾، ثم قال: ﴿ وَبَعْكُمُ الله الله عنه الله عنه الله الأجل.

قوله تعالى: ﴿قُلُ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَاتِنَ رَحْمَةِ رَقِيَّ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو تملكون أنتم، قال المتلمّس:

وَلَوْ خيرُ أَخُوالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي نَصِبْتُ لهم فَوْقَ العرانينِ مِيسَما(٢)

المعنى: لو أراد غير أخوالي. وفي هذه الخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأرزاق. والثاني: خزائن النّعم، فيخرج في الرحمة قولان: أحدهما: الرّزق. والثاني: النّعمة. وتحرير الكلام: لو ملكتم ما يملكه الله هال المسكتم عن الإنفاق. خشية الفاقة. ﴿وَلَكُنّ الْإِسْنُ ﴾ يعني: الكافر ﴿ تَتُولًا ﴾ أي: بخيلاً مُمْسِكاً ؛ يقال: قَتَر يَقْتُرُ، وقتر يَقْتُرُ؛ إذا قصّر في الإنفاق. وقال الماوردي: لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى، لأمرين: أحدهما: أنه لا بد أن يُمسِك منه لنفقته ومنفعته. والثاني: أنه يخاف الفقر، والله تعالى منزَّه في جُوده عن الحالين. ثم إن الله تعالى ذكر إنكار فرعون آيات موسى، تشبيها بحال هؤلاء المشركين، فقال: ﴿ وَلَقَدٌ مَالِنًا مُوسَى يَسْعَ مَالِئيّهِ وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى المعجزات والدلالات، ثم اتفق جمهور المفسرين على سبع آيات منها، وهي: يده، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، واختفوا في الآيتين الآخرتين على ثمانية أقوال. أحدها: أنهما لسانه والبحر الذي فلق له، وواه العوفي عن ابن عباس؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عقدة فحلّها الله تعالى له. والثاني: البحر والجبل الذي نُتق فوقهم، وواه الضحاك عن ابن عباس، والثالث: السّنون ونقص الشمرات، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، وقتادة. وقال الحسن: السّنون ونقص الثمرات آية واحدة. والرابع: البحروالموت أرسل عليهم، قاله الحسن، ووهب. والخامس: الحَجَر والبحر، قاله سعيد بن جبير. والسادس: لسانه وإلقاء العصا مرتين عند فرعون، قاله الضحاك. والسابع: البحر والسّون، قاله محمد بن كعب أيضاً،

⁽۱) البخاري ۸/ ۳۷۸، ومسلم ۲۱۶۱۶.

فذكر السبع الآيات الأولى، إلا أنه جعل مكان يده البحر، وزاد الطمسة والحجر، يعني قوله: ﴿ أَطْيسَ عَلَىٓ أَتَوَلِهِمَ ﴾ [يونس: ٨٨]. والثاني: أنها آيات الكتاب، روى أبو داود السجستاني من حديث صفوان بن عسّال، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبيّ، فقال الآخر لا تقل: إنه نبيّ، فإنه لو سمع ذلك، صارت له أربعة أعين؛ فأتياه، فسألاه عن تسع آيات بيّنات، فقال: (لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الرّبا، ولا تمثروا من الرّحف، وعليكم خاصة بهود ألا تَعَدُوا في السبت، قال: فقبًلا يده، وقالا: نشهد أنك نبيّ (١).

﴿ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُوسَىٰ فِيشَعَ مَايَتِ مِيْنَتِّ فَسَنَلَ بَنِيَ إِسْرُهُ مِلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَمُ فِرْعَوْنُ إِنِّ لَأَظْنُكَ يَسُومَىٰ مَسْحُورًا ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلَمْ مَا أَوْلَ هَتُؤُلِدُمْ إِلَّا رَبُّ السَّمَتُونِ وَالْأَرْضِ بَصَايِّرَ وَإِنِّ لَأَظْنُكَ يَنِفِرَعُوثُ مَشْجُورًا ﴿ فَا أَوْلَ لَا مُؤْمِنَ فَإِنْ لَأَظُنُكُ يَنِفِرَعُوثُ مَشْجُورًا ﴿ فَا لَا يَسْتَفِرُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقَتُهُ وَمَن مَمْهُ جَبِمَا ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَمَدِهِ لِبَنِيْ إِسْرُهُ مِلَ اسْكُمُوا الْأَرْضَ فَإِنَا جَلَّةَ وَعَدْ الْآئِمِنَ فِيتَا مِكْرَ لَيْدِينَا ﴿ }

قوله تعالى: ﴿ فَسَنَلٌ بَنِ إِسَرَهُ بِلَ قَرَا الجمهور: ﴿ وَاسَالُ على معنى الأمر لرسول الله على وإنما أمر أن يسأل من امن منهم عما أخبر [به] عنهم، ليكون حُجَّة على من لم يؤمن منهم. وقرأ ابن عباس: ﴿ فَسَالُ بني إسرائيل ، [على معنى] الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائل. ﴿ فَقَالُ لَمُ فِرَعُونُ إِنِّ لَأَطُنُكُ أَي: لأحسبك ﴿ يَسُوكُ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: مخدوعاً، قاله ابن عباس. والثاني: مسحوراً قد سُحِرْت، قاله ابن السائب. والثالث: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، هذا مروي عن الفراء، وأبي عبيدة. فقال موسى: ﴿ لَمَنْ مَسْعُولُ وَلَي عبيدة وقراً علي عَلَي بضمها، وقال: والله ما عَلِم عدوً الله، ولكنَّ موسى هو الذي عَلِم، فبلغ من عباس، فاحتج بقوله تعالى: ﴿ وَيَعَدُواْ بِهَا وَالْمَنْهُمُ الله الله الله الله الله لما نَسَبَ موسى إلى أنه وقد رُويت عن ابن عباس، وأبي رزين، وسعيد بن جبير، وابن يعمر. واحتج من نصرها بأنه لما نَسَبَ موسى إلى أنه مسحور، أعلمه بصحة عقله بقوله: «لقد علمتُ»، والقراءة الأولى أصح، لاختيار الجمهور، ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يردّ عليه إلا بالتعلل والمدافعة، فكأنه قال: لقد علمتَ بالدليل والحجة ها أنزل هؤلاء يعني الآيات. وقد شرحنا معنى «البصائم» في الاعالى: ١٠٤٠.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّ لَأَطْنُكُ قَالَ أَكثر المفسرين: الظنّ هاهنا بمعنى العلِم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوّى بينهما بعضهم، فجعل الأول بمعنى العلِم أيضاً. وفي المثبور سنة أقوال: أحدها: أنه الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الناقص العقل، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. والرابع: المُهْلَك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: ثُبر الرجل، فهو مثبور: إذا أهلك. والخامس: الهالك، قاله مجاهد. والسادس: الممنوع من الخير؛ تقول العرب: ما ثبرك عن هذا، أي: ما منعك، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَلَاهَ أَن يَسْتَغِزَّهُم مِنَ الْأَرْضِ يعني: فرعون أراد أن يستفزَّ بني إسرائيل من أرض مصر. وفي معنى «يستفزَّهم» قولان: أحدهما: يستأصلهم، قاله ابن عباس. والثاني: يستخفّهم حتى يخرجوا، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: جائز أن يكون استفزازُهم إخراجَهم منها بالقتل أو بالتنحية. قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرة رسول الله على لأنه لما خرج موسى قطلبه فرعون، هلك فرعون وملك موسى، وكذلك أظهر الله نبيَّه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

⁽۱) كذا ذكر المولف الحديث من رواية أبي داود السجستاني عن صفوان بن عسال، ولم نره في "سنن أبي داوده عن صفوان، بل هو في "مسند أحمده ٢٣٩/٤ و سنن الترمذي ٢٨/٢، والمنسائي، وابن ماجه رقم (٥ ٣٧٠). ولفظه في الترمذي: فقبلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: فما منعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود المنافقة وما ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود. وقال الترمذي في آخره: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن كثير في "تفسيره" ٣/ ١٧: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة أحد الرواة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في الترواة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. اه. وأما الذي في "سنن أبي داوه فهو من حليث ابن عمر في تصد رقم (٣٢٤): فذنونا - يعني من النبي على نقبل نده، وجاه مختصراً برقم (٣٢٣٥)، وهو في "سنن أبي داوه أيضاً رقم (٥٢٢٥) من حديث زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتيادر من رواحلنا فنقبل يد النبي گروجله. . . الحديث.

قوله تعالى: ﴿ وَفُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد هلاك فرعون ﴿ لِيَقَ إِسْرَة بِلَ ٱسْكُنُوا ٱلْأَرْضَ ﴾، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: فلسطين والأردن، قاله ابن عباس. والثاني: أرضٌ وراء الصِّين، قاله مقاتل. والثالث: أرض مصر والشام.

قوله تعالى: ﴿ وَأَذَا جَأَهُ وَعَدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ يعني: القيامة ﴿ وَثَنَا بِكُمْ لَلْمِينًا ﴾ أي: جميعاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن

قتيبة. وقال الفراء: لفيفاً، أي: مِنْ هاهنا ومِن هاهنا. وقال الزجاج: اللفيف: الجماعات من قبائل شتى.

﴿ وَبِالْمَنِيّ اَنْزَلْتَهُ وَبِالْمَنِيّ نَزَلْ وَمَا ۚ أَوْسَلَنَكَ إِلَا مُنْفِيلَ ۞ وَقُرْبَانَا فَرَقْتُهُ لِنَقْرَارُو عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُوّ وَاَزْلَنَهُ لَنزِيلًا ۞ مَلْ مَايشُوا بِهِۦ أَوْ لَا تُوْمِدُواْ إِنَّ الْفِرَا الْمِلْمَ مِن قَبْلِهِۦ إِنَا يُسْلَى عَلَيْهِمْ يَجِزُونَ لِلْأَذَنَانِ سُجّلًا ۞ وَيَشْرِلُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَنْمُولًا ۞ وَيَجِرُئُونَ لِلْأَذَنَانِ يَبْتُكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعا ۖ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَبِالْمَنِيُ أَنْزَلْنَهُ ﴾ الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدِّين المستقيم، فهو حَقَّ، ونزوله حق، وما تضمنه حق. وقال أبو سليمان الدمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمُّانَا فَوَقَنَهُ ﴾ قرأ على ﷺ، وسعد بن أبي وقاص، وأبيّ بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس: وأبو رزين، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والأعرج، وأبو رجاء، وابن محيصن: «فرّقناه بالتشديد. وقرأ الجمهور بالتخفيف. فأما قراءة التخفيف، ففي معناها ثلاثة أقوال: أحدها: بيّنًا حلاله وحرامه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: فرقنا فيه بين الحق والباطل، [قاله الحسن]. والثالث: أحكمناه وفصّلناه، كقوله تعالى: ﴿ مُنْ يُلُمُنُ كُلُ مُنْ حَكِمٍ ﴾ [الدخان: ٤]، قاله الفراء. وأما المشددة، فمعناها: أنه أنزل متفرّقاً، ولم ينزل جملة واحدة. وقد بيّنًا في أول كتابنا هذا مقدار المدة التي نزل فيها.

قوله تعالى: ﴿لِلْقُرَّامُ كُلَّ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثِ﴾ قرأ أنس، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وأبان عن عاصم، وابن محيصن: بفتح الميم؛ والمعنى: على تُؤدة وترسُّل ليتدبَّروا معناه.

قوله تعالى: ﴿ يَكُنُكُ لِلْأَذَاكِ ﴾ اللام هاهنا بمعنى «على». قال ابن عباس: قوله «للأذقان» للوجوه، قال الزجاج: الذي يَخِرُ وهو قائم، إنما يَخِرُ لوجهه، والذَّقْن: مُجْتَمع اللَّحيَين، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يُخِرُّ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقن. وقال ابن الأنباري: أول ما يلقى الأرض من الذي يَخِرُّ قبل أن يصوّب جبهته ذقتُه، فلذلك قال: «للأذقان». ويجوز أن يكون المعنى: يَخِرُّون للوجوه، فاكتفى بالذقن من الوجه كما يُكتفى بالبعض من الكُلِّ، وبالنوع من الجنس.

قوله تعالى: ﴿ مَرْمُثُولُونَ سُبُحَنَّ مُوَنَّا ﴾ نزَّهوا الله تعالى عن تكذيب المكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿ ان كَانَ وَعَدُ مُونَا ﴾ بإنزال القرآن وبعث محمد الله المنفعُلا ﴾ واللام دخلت للتوكيد. وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعثُ نبيّاً من العرب، ومُنزِل عليه كتاباً، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد، ﴿ وَيَعْرُفُنَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ كرَّر القول ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿ وَيَعْرُفُونَ لِللَّهُ وَاللهُ مَن العم ما لا يُبكيه، لَخليق أن لا ﴿ وَكَانَ عبد الأعلى التيمي يقول: من أوتي من العم ما لا يُبكيه، لَخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: ﴿ إِن الذِين أوتوا العلم. . . ؟ إلى قوله: ﴿ يبكون ؟ .

﴿ وَهُلِّ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّمْنَةُ أَنَّا مَا مُدَّعُوا فَلَهُ ٱلاَسْمَاءُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ الْمُسْتَلَةُ اللَّهُ وَلِنَّ مِنَ الذُّلِّ وَكُونَهُ تَكُونَهُ وَلَا يَنْهُ لَهُ مَرِيكُ فِي الشَّلْكِ وَلَذَ يَكُنَ لَمُ وَلِنٌ مِنَ الذُّلِّ وَكُونَهُ تَكُونَهُ تَكُونَهُ لَكُونَهُ وَلَا يَنْهُ لَلَّهُ وَلِنَّ مِنَ الذُّلِّ وَكُونَهُ تَكُونَهُ لَكُونَهُ مَرِيكُ فِي الشَّلْكِ وَلَذَ يَكُنَ لَمُ وَلِنٌ مِنَ الذُّلِّ وَكُونَهُ وَكُونَهُ وَكُونَهُ وَلَا يَكُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَهُ مُنْ فَلَمُ مَرِيكُ فِي الشَّلْكِ وَلَذَ يَكُنَ لَمُ مُولِكُ مِنْ اللَّهُ اللَّالِي الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّه

قوله تعالى: ﴿ لَا اللَّهُ أَو الرُّعُوا الرُّعْنَ ١٠٠ ﴾ الآية. هذه الآية نزلت على سببين. نزل أولها إلى قوله: ﴿ المُّسْفَا ﴾

على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ تهجَّد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: ﴿يا رحمٰن، يا رحيم،، فقال المشركون: كان محمدٌ يدعو إلهاً واحداً، فهو الآن يدعو إِلَهين اثنين: الله، والرحمٰن، ما نعرف الرحمٰن إلا رحمٰن اليمامة، يعنون: مسيلمة، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن عباس(١). والثاني: أن رسول الله ﷺ كان يكتب في أول ما أوحى إليه: باسمك اللهم، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَّيَكَنَ وَإِنَّهُ مِسْدِ اللَّهِ ٱلرِّحْدَي الرِّحِيدِ ۞﴾ [النمل: ٣٠]، فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمٰن؟ فنزلت هذه الآية، قاله ميمون بن مهران. والثالث: أن أهل الكتاب قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لَتُقِلُّ ذِكْر الرحمٰن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاكِكَ﴾ فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقرآن بمكة، فيسُبُّ المشركون القرآن ومَنْ أتى به، فخفض رسول الله ﷺ صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تُمُهُر بِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ القرآن، ﴿ وَلَا شَائِتٌ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا يسمعون، قاله ابن عباس (٢). والثاني: أن الأعرابيّ كان يجهر في التشهُّد ويرفع صوته، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي بمكة عند الصفا، فجهر بالقرآن في صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لا تفتر على الله، فخفض النبي ﷺ صوته، فقال أبو جهل للمشركين: ألا ترون ما فعلت بابن أبي كبشة؟! رددته عن قراءته، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. فأما التفسير، فقوله: ﴿فُلِ ٱدْعُواْ اللَّهُ أَي ٱدَّعُواْ ٱلرَّمَّنَّىۗ ﴾ المعنى: إن شنتم فقولوا: يا الله، وإن شنتم فقولوا: يا رحمٰن، فإنهما يرجعان إِلى واحد، ﴿أَبُّا مَّا تَدُعُوا﴾ المعنى: أيَّ أسماء الله تدعواً؛ قال الفراء: وامَّا، قد تكون صلة كقوله: ﴿ مَمَّا فَلِيلٍ لِيُعْسِمُنَّ نَكِيبِنَ ﴾ [المومنون: ٤٠]، وتكون في معنى: (أيّ) معادة لمَّا اختلف لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ مُحَمَّرٌ مِسَلَاتِكَ فِيه قولان: أحدهما: أنها الصلاة الشرعية. ثم في المراد بالكلام ستة أقوال: أحدها: لا تجهر بقراءتك، ولا تخافت بها، فكأنه نهي عن شدة الجهر بالقراءة، وشدة المخافتة، قاله ابن عباس. فعلى هذا في تسمية القراءة بالصلاة قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن يكون المعنى: فلا تجهر بقراءة صلاتك. والثاني: أن القراءة بعض الصلاة، فنابت عنها، كما قيل لعيسى: كلمة الله، لأنه بالكلمة كان. والثاني: لا تصلّ مراءاة للناس، ولا تَدَعْها مخافة الناس، قاله ابن عباس أيضاً. والثائث: لا تجهر بالتشهد في صلاتك، روي عن عائشة في رواية، وبه قال ابن سيرين. والرابع: لا تجهر بفعل صلاتك ظاهراً، ولا تخافت بها شديد الاستتار، قاله عكرمة. والخامس: لا تُحبر بصلاتك كلّها، ولا تُخافت والخامس: لا تجهر بصلاتك كلّها، ولا تُخافت بجميعها، فاجهر في صلاة الليل، وخافِت في صلاة النهار، على ما أمرناك به، ذكره القاضي أبو يعلى. والقول الثاني: أن المراد بالصلاة: الدعاء، وهو قول عائشة، وأبي هريرة، ومجاهد.

توله تعالى: ﴿وَلَا غُنَافِتُ بِهَا﴾ المخافتة: الإِخفاء، يقال: صوت خفيت. ﴿وَاَبَشِغ بَيْنَ وَلِكَ سَهِيلاً﴾ أي: اسلك بين الجهر والمخافتة طريقاً. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نُسخت هذه الآية بقوله: ﴿وَاَذْكُر رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَعَبُّوا وَخِيفَةٌ وَدُونَ الْجَهّرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الاعراف: ٢٠٥]، وقال ابن السائب: نُسخت بقوله: ﴿فَأَصْدَعُ مِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ١٩٤]؛ وعلى التحقيق، وجود النسخ هاهنا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنُ لَمُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرّف: «في المِلك» بكسر الميم. ﴿وَلَدْ يَكُنُ لَمُ وَلِى مِنَ ٱللَّٰلِيُّ﴾ قال مجاهد: لم يحالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد؛ والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالاة أحد لِذُلَّ يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير. ﴿وَكَيْرُهُ لَكَمِيرًا﴾ أي: عظّمه تعظيماً تاماً.

⁽١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٥/ ١٨٣ عن مكحول أن النبي ﷺ كان يتهجد بمكة... إلخ، وهو مرسل.

⁽٢) • الطبري، ١٨٤/١٥، وأحمد في «المسند» ١/ ٢١٥، والبخاري ٨/٧٠٧، ومسلم.

سورة الكهف

فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أن سورة (الكهف) مكية، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وقتادة. وهذا إجماع المفسرين من غير خلاف نعلمه، إلا أنه قد روي عن ابن عباس، وقتادة أن منها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَاَسِيرٌ نَنْسَكَ ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال مقاتل: من أولها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُّا ﴾ [الكهف: ٨] مدني، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيْنَ اللَّهُ السَّلِحُتِ ﴾ [الكهف: ١٠٨] الآيتان. مدنية، وباقيها مكي. وروى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حفظ عشر آيات من أول (الكهف) كانت له نوراً يوم حفظ عشر آيات من أول (الكهف) كانت له نوراً يوم القيامة (١٠).

بنسدانه الكنب التحسير

﴿ لَلْمَنْدُ بِلَوَ الَّذِى اَنَزُلُ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتْبُ وَلَدَ يَجْعَلُ لَلَهُ عِنَمَا لِيَهُ عَنِمَا لِلْمُ عِنَمَا لِيَّانِهِ الْكَذِينَ اللَّهِ عَنَا إِنْكُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُولِي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْمُعَالِمُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾ قد شرحناه في أول «الفاتحة». والمراد بعبده هاهنا: محمد ، وبالكتاب: القرآن، تمدّّح بإنزاله، لأنه إنعام على الرسول خاصة، وعلى الناس عامّة. قال العلماء باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أنزل على عبده الكتاب ﴿فِيَمَا﴾ أي: مستقيماً عدلاً. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، والنخعي، والأعمش: «قِيماً» بكسر القاف، وفتح الياء، وقد فسرناه في [الانعام: ١٦١].

قوله تعالى: ﴿وَلَتَرْ يَجْعَلُ لَلَّهُ عِرَجًا ﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيان العِوَج في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ بَأَمَا شَدِيدًا ﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿ مِن لَدُهُ ﴾ أي: من عنده، ومن قِبَلِه، والمعنى: لينذر الكافرين ﴿ وَيُنْذِرُ بَالْمَا شَدِيداً أَنْ فَمْ ﴾ أي: بان لهم ﴿ أَجَرَ حَسَنَا ﴾ وهم المهود حين أي: مقيمين، وهو منصوب على الحال. ﴿ وَيُنذِرَ ﴾ بعذاب الله ﴿ النَّيْتُ قَالُوا النَّهُ وَلَلَا ﴾ وهم اليهود حين قالوا: عزيزٌ ابن الله، والنصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون حين قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿ مَا لَمُم بِهِ ﴾ أي: بذلك القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ ﴾ لانهم قالوا: افترَىٰ على الله، ﴿ وَلا لاّ المِيْهِ ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿ كَارُتُ ﴾ أي: عَظْمَتُ وابن محيصن، وابن أبي عبلة: «كلمةٌ » بالرفع. قال الفراء: من نصب، أضمر: كُبْرتُ تلك الكلمةُ كلمة، ومن رفع، لم يضمر شيئاً، كما تقول: عَظْم قولك. وقال الزجاج: من نصب، فالمعنى: كبرت مقالتهم: اتخذ الله ولداً كلمة، وهذا كلمة، منصوب على التمييز. ومن رفع، فالمعنى: عظمت كلمة هى قولهم: اتخذ الله ولداً .

⁽۱) ذكره بهذا اللفظ السيوطي في «الدر» ٤٩٠/ من رواية أبي عبيد، وابن مردويه، عن أبي الدرداء ﷺ. وروى أحمد في «المسند» ٤٤٩/٤، ومسلم في وصحيحه» ١/٥٥٥، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٣٣٤) عن أبي المدرداء أن النبي ﷺ قال: همن حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف) عصم من المدجال» ورواه أحمد ٤٤٦/٤ عن أبي المدرداء بلفظ: همن قرأ عشر آيات من آخر الكهف...» ورواه مسلم وأبو داود من حديث قتادة به، ورواه الترمذي ١١٢/٢ عن أبي المدرداء بلفظ: همن قرأ تلاث آيات من أول (الكهف) عصم من فتة المدجال» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قوله تعالى: ﴿ فَغَرُجُ مِنَ أَفَرَهِمٍ أَ ﴾ أي: إنها قول بالفم لا صحة لها، ولا دليل عليها، ﴿إِن يَعُولُونَ ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا ﴾. ثم عاتبه على حُزْنِهِ لفوت ما كان يرجو من إسلامهم، فقال: ﴿ فَلَمَلَّكَ بَنْ خِعٌ نَفْسَكَ ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وقتادة: «باخعُ نفسِك» بكسر السين، على الإضافة. قال المفسرون واللغويون: فلعلك مهلك نفسك، وقاتل نفسك، وأنشد أبو عبيدة لذي الرمَّة:

الا أيُّهَ ذَا السِاخِعُ الوجْد نَهْ سَهُ لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المِقَادِرُ^(۱)

أي: نحَّتْه. فإن قبل: كيف قال: ﴿فَلْمَلَّكَ﴾ والغالب عليها الشك، والله عالم بالأشياء قبل كونها؟ فالجواب: أنها ليست بشكّ، إنما هي مقدَّرة تقدير الاستفهام الذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتل نفسك؟! لا ينبغي أن يطول أساك على إعراضهم، فإن من حَكَمْنًا عليه بالشَّقْوَةِ لا تجدي عليه الحسرة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ ءَاتَرِهِم ﴾ أي: من بعد توليهم عنك ﴿ لَه يُؤْمِنُواْ بِهَذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: حَزَناً، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: جَزَعاً، قاله مجاهد. والثالث: غَضَباً، قاله قتادة. والرابع: نَدَماً، قاله السدي. وقال أبو عبيدة: نَدَماً وتَلهُ هَا وأسىّ. قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن، أو الغضب، يقال: قد أسف الرجل، فهو أسيف، قال الشاعر:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا يَضُمُّ إلى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا (٢)

وهذه الآية يشير بها إلى نهي رسول الله على عن كثرة الحرص على إيمان قومه لثلا يؤدّي ذلك إلى هلاك نفسه الأسف.

﴿ إِنَّا جَمَلْنَا مَا عَلَ ٱلأَرْضِ زِينَةً لَمَّا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَعِلُونَ مَا عَلَتِهَا صَعِيدًا جُرْلًا ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَمَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ نِينَةً لِمَّا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري. والثالث: أنَّه ما عليها من شيء، قاله مجاهد. والرابع: النبات والشجر، قاله مقاتل. وقول مجاهد أعمُّ، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك. فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سَمِجاً وليس بزينة. فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد [به] شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا بعضها على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص. وإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم. وإن قلنا: النبات والشجر، فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية. وإن قلنا: إنه عامّ في كل ما عليها، فلكونه دالاً على خالقه، فكانة، فكانة زينة الأرض من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُنَ ﴾ أي: لنختبر الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى، قال ابن الأنباري: من قال: إن هما على هما على الأرض، يعني به النبات، قال: اللهاء والميم ترجع إلى سكان الأرض المشاهدين للزينة، ومن قال: «ما على الأرض، الرجال، ردَّ الهاء والميم على «ما» لأنها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسن عملاً، هذا، أم هذا، قال الحسن: أيُّهم أزهد في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوال في سورة [مود: ٧]. ثم أعلم الخلق أنه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا ﴾ قال الزجاج: الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الصعيد: التراب، ووجه الأرض. فأما الجُرُز، فقال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أرض جُرُز، وجَرْز، وأسد تقول: جَرَز، وجَرْز، والمدغيف، وقال أبو عبيدة: الصعيد الجُرُز: الغليظ الذي لا يُنبِتُ شيئاً. ويقال للسَّنةِ المُجْدِبة: جُرُز، وسِنُون أجراز، لجدوبتها، وقلة مطرها، وأنشد:

⁽۱) ديوانه طبع المكتب الإسلامي صفحة (٣٣٨)، والطبري، ١٩٤/١٥، وامجاز القرآن، ٣٩٣/١، والقرطبي، ٣٤٨/١٠، والصحاح، والراغب، والراغب، ووالأساس، والتاسان، والتاسان، والتاسان، والتاسان، والتاسان، والسان، والتاسان، والتاسان،

⁽٢) قاتله الأعشى الكبير ميمون بن قيس: قديوانه، ١١٥، وقاللسانة: أسف. والأسيف: الحزين والغضبان ومن لا يكاد يسمن، لأن الحقد يأكله.

قَدْ جَرَفَتْ مُ نَّ السَّنُون الأَجْرَازُ (١)

وقال الزجاج: الجرز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبت أكلاً. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الجرز: [الأرض] التي لا يبقى بها نبات، تحرق كل نبات يكون بها. وقال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستويةً لا نبات فيها ولا ماء.

﴿ أَرْ حَسِبَتَ أَنَّ أَصَحَبَ ٱلْكَهْفِ وَالرَّفِيرِ كَانُواْ مِنْ ءَانِئِنَا عَجَبًا ۞ إِذَ أَرَى الْلِشْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَئِنَا عَالِنَا مِن لَدُلَكَ رَمَّةُ وَهَنِئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَكَا ۞ فَغَمَرْتِنَا عَلَىٰ ءَاذَائِهِمْ فِ الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا أَمَدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْ حَسِبْتُ أَنَّ أَصَحَبُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيرِ ﴾ نزلت على سبب قد ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحِبْلِ، وَاللهِ اللهِ وقال ابن قتيبة: ومعنى «أم حسبت»: أحسبت. فأما «الكهف» فقال المفسرون: هو المغارة في الجبل، فأما الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر، فهو غار. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الكهف بمنزلة الغار في الجبل. فأما الرقيم، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه لوح من رصاص كانت فيه أسماء الفتية مكتوبة ليعلم من اطلّع عليهم يوماً من الدهر ما قصتهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية. وقال السدي: الرقيم: صخرة كُتب فيها أسماء الفتية، وجُعلت في سُور المدينة. وقال مقاتل: الرقيم: كتاب كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فرَّ منه الفتية، كتبا أمر الفتية في لوح من رصاص، ثم جعلاه في تابوت من نحاس، ثم جعلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعل الله أن يُطلِعُ على هؤلاء الفتية أحداً، في تابوت من نحاس، ثم جعلاه في البناء الذي مَدُّوب في اللوح أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، وممن كانوا. قال أبو عبيدة، وابن قتية: الرقيم: الكتاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه: كتاب مرقوم، أي: مكتوب. والثاني: أنه اسم أبو عبيدة، وابن قتية: الرقيم: الكتاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه: كتاب مرقوم، أي: مكتوب. والثاني: أنه اسم القرية التي خرجوا منها، قاله كعب. والثالث: اسم الجبل، قاله سعيد بن جبير. والسادس: اسم الوادي الذي فيه الروم، قاله عكرمة ومجاهد في رواية. والخامس: اسم الكلب، قاله سعيد بن جبير. والسادس: اسم الوادي الذي فيه الكهف، قاله قادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿ كَانُواْ مِنْ مَايَنِنَا عَبُسُ﴾ قال المفسرون: معنى الكلام: أحسبتَ أنهم كانوا أعجبَ آياتنا؟! قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم، فإن خلق السلموات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم. وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنَّة والعلم، أفضل من شأنهم.

قوله تعالى: ﴿إِذَ أَوَى ٱلْنِشَيَةُ﴾ قال الزجاج: معنى: أَوَوْا إليه: صاروا إليه، وجعلوه مأواهم. والفتية: جمع فتى، مثل غُلام وغِلمة، وصبي وصبية. وه فِعلة عن أسماء الجمع، وليس ببناء يقاس عليه؛ لا يجوز غُراب وغربة، ولا غنيًّ وغِنية. وقال بعض المفسرين: الفتية: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القتيبي أن الفتى: بمعنى الكامل من الرجال، وبيئًاه في قوله تعالى: ﴿ فِينَ فَنَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الساء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبِّنَا ٓ ءَالِنَا مِن لَدَنكَ ﴾ أي: من عندك ﴿ رَحْمَهُ أي: رزقاً ﴿ وَهَيِّ آلَكِ اَي أَصلح لنا ﴿ مِنْ أَمْرِنا رَشَكُ ﴾ أي: أرشدنا إلى ما يقرِّبنا منك. والمعنى: هيِّئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد. والرَّشد والرَّشد، والرشاد: نقيض الضلال.

تلخيص قصة أصحاب الكهف

اختلف العلماء في بُدُوِّ أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براع له كلب، فتبعهم على دينهم، فأوَوا إلى الكهف يتعبَّدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكِروا، فبَكوا وتعَّوذوا بالله من الفتنة،

⁽۱) «الطبري» ۱۹۷/۱۵، و«مجاز القرآن» ۱/ ۳۹۶، و«اللسان» جرز.

فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسدُّ عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفَّى الله أرواحهم وفاة النَّوم، وكلبُهم قد غشيه ما غشيهم. ثم إن رجلين مؤمنَيْن يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالاً: لعل الله يُطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم، هذا قول ابن عباس. وقال عبيد بن عمير: فَقَدهم قومهم فطلبوهم، فعمَّى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فَقَدْنَاهم في شهر كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانه الملك، وقالوا: لَيَكُوننَّ لهذا شأن. والثاني: أن أحد الحواريِّين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حمَّاماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدَّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة، فدخل معها الحمَّام، فأنكر عليه الحواريُّ ذلك، فسبَّه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتُّيس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمى له الفتيةُ، فالتُّيسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فتَرَون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل [الكهف] أرعب، فقال قائل للملك: أليس قلتَ: إن قدرتُ عليهم قتلتُهم؟ قال: بلي، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل، هذا قول وهب بن منبُّه. والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشرافهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم، هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسى أن ربى ربُّ السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربُّنا ربُّ السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد. وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفرَّدوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم.

فصل

فأما سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم، فقال عكرمة: جاءت أمّةٌ مسلمةٌ، وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يُبعث الروح والجسد، وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فشق اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف. وقال وهب بن منبه: جاء راعٍ قد أدركه المطر إلى الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد. وقال ابن السائب: احتاج صاحب الأرض التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السدّ، فبنى به، فانفتح باب الكهف. وقال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فنزعاها، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحين، فسلَّم بعضهم على بعض لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنما هم على هيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم في طلبهم، فصلّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع، ما نُذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعت عن باب الكهف، فعجب، ثم مَرَّ مستخفياً متخوّفاً أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب، وخُيل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناملك ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلي نادم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلي نادم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران، وأخرج وَرقًا

فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، فَفَرق منهم، وظنُّهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدتَ كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك، فلم يدر ما يقول، فطرحوا كساءه في عنقه وهو يبكى ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيتُ، فأتُوا به إلى رجلين كانا يدبِّران أمر المدينة، فقالوا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدتُ كنزاً، ولكن هذه وَرِق آبائي، ونقش هذه المدينة وضوبها، ولكن والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم، قال مجاهد: وكان وَرِق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقالوا له أحدهما: أتظن أنك تسخر منًا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟! إني سآمر بك فتعذُّب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يمليخا: أنبثوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صَدَقتكم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض مَلِكاً يسمى دقيانوس، وإنما هذا ملك كان منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال: والله ما يصدِّقني أحد بما أقوله، لقد كُنّا فتيةً، وأكرهنا الملكُ على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجتُ أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلِقوا معى إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخوّفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رُسُل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، فسبق يمليخا إليهم وهو يبكى، فبكوا معه، وسألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقصّ عليهم النبأ كلُّه، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث؛ ونظر الناس في المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم، فجاء، واعتنق القومَ، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينا الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفَّى الله عزَّ وجلَّ أنفسهم، فأمر الملك أن يُجعل لكل واحد منه تابوت من ذهب، فلما أمْسَوا رآهم في المنام، فقالوا: إنا لم نُخلَق من ذهب وفضة، ولكن خُلقنا من تراب، فاتركنا كما كُنّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ﷺ منه، وحجبهم الله عز وجل حين خرجوا من عندهم بالرُّغب، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر المَلِك فَجُعِل على باب الكهف مسجدٌ يصلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتَى كلُّ سنة. وقيل: إنه لما جاء يمليخا ومعه الناس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإنهم إن رأوْكم معى أرعبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آيةً بعثها الله لكم.

قوله تعالى: ﴿فَضَرَيْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: أنمناهم ومنعناهم السمع، لأن النائم إذا سمع انتبه. و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على ضربين: أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعَدُّ عدداً. والثاني: أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: سنين ذات عدد، والفائدة في ذِكْر العدد في الشيء المعدود، توكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قَلَّ فُهِم مقداره، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعدَّ العدد الكثير. ﴿ثُمَّ بَمَنتَهُمْ من نومهم، يقال لكُلِّ مَنْ خرج من الموت إلى الحياة، أو من النوم إلى الانتباه: مبعوث، لأنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرِّف والانبعاث. وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنه لم يكن فيها شهور ولا أيام، إنما هي كاملة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لِنَمْلَةُ أَيُّ لَلِّزِيْنِ﴾ قال المفسرون: أي: لنرى. وقال بعضهم: المعنى: لتعلموا أنتم. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والنخعي: «ليُعلَم» بضم الياء، على ما لم يُسمَّ فاعله «أيُّ الحزبين»، ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف. ﴿أَصَى لِمَا لَمِثْنَا﴾ أي: لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، فكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر. قال قتادة: لم يكن للفريقين علِم بلبثهم، لا لمؤمنيهم، ولا لكافريهم. قال مقاتل: لما بُعثوا زال الشك وعُرفت حقيقة

اللبث. وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليظهر المعلوم في اختلاف الحزبين في مدة لبثهم، لما في ذلك من العبرة.

وَحَنُ نَفُشُ عَلِيْكَ نَبَأَهُم وَالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنِيَّةُ ءَامَنُوا بِرَتِهِمْ وَذِدْتَهُمْ هُدَى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى ثَلُوبِهِمْ إِذْ فَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَنَوْتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِن دُونِهِ إِلَهُمَّ لَقَدَ قُلْنَآ إِذَا شَطَطًا ۞ هَتَوُلاَمْ فَوْمُنَا الْخَدُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا بَأَثُونَ عَلَيْهِم بِشُلطَنِ بَيِنِّ فَمَن أَظْلَمُ مِثَنِ انْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَمَّنُ نَقُشُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴾ أي: خبر الفتية ﴿ وَالْعَقِّ ﴾ أي: بالصدق.

قوله تعالى: ﴿وَزِدْتَهُمْ هُدَى ﴾ أي: ثبتناهم على الإِيمان، ﴿وَرَبَطْنَا عَنَ تُلُوبِهِمْ ﴾ أي: ألهمناها الصبر ﴿إِذْ قَالُوا ﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، فعصم الله هؤلاء حتى عصوًا ملكهم. وقال الحسن: قاموا في قومهم فدعَوْهم إلى التوحيد. وقيل: هذا قولهم بينهم لما اجتمعوا خارج المدينة على ما ذكرنا في أول القصة. فأما الشطط، فهو الجَوْر. قال الزجاج: يقال: شَطَّ الرجل، وأَشَطَّ: إذا جار. ثم قال الفتية: ﴿فَكُولُا مِ قَوْمُنَا ﴾ يعنون الذين كانوا في زمن دقيانوس ﴿أَغَنَدُوا مِن دُونِمِهِ وَالْهَمُ ﴾ أي: عبدوا الأصنام ﴿وَلَلُهُ أَي: هِلَا وَلَهُمَا لَهُ عَلَى عبادة الأصنام ﴿وَلِلْمَانِ بَيِّنِ ﴾ أي: بِحُجَّةٍ. وإنما قال: (عليهم) والأصنام مؤنَّة، لأن الكفار نحلوها العقل والتمييز، فجرت مجرى المذكّرين من الناس.

قوله تعالى: ﴿ فَمَّنَّ أَظُلَرُ مِنِّنِ أَنْتَرَىٰ عَلَى أَلَهِ كَذِبًا ﴾ فزعم أن له شريكاً؟!

﴿ إِذِ اَمْثَرَانْتُوهُمْ وَمَا يَسْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأَوْا إِلَى اَلْكَهْتِ يَنشُرُ لَكُرُّ رَئِكُمْ مِن رَحْمَتِهِ. وَيُهَتِّيْ لَكُرْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقَنَا ۞ ۞ وَزَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تُزَوْرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اَلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَقْوِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَحَجُوقٍ يَنْهُ ذَاكَ مِنْ مَابِئَتِ اللَّهُ مَن يَهْدِ اللهُ مَهُو الْمُهْتَذِّ وَمَن يُعْدِلْوَ فَلَنْ عَجِدَ لَمُ وَلِيَّا مُرْشِدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذِ آءَنَرُأَتُوهُمْ ﴾ قال ابن عباس: هذا [قول] يمليخا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال لهم: وإذ اعتزلتموهم، أي: فأرقتموهم، يريد: عبدة الأصنام، ﴿مَا يَمْبُدُوكَ إِلَّا أَللَهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلا الله، فإن القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله، هذا قول عطاء الخراساني، والفراء. والثاني: وما يعبدون غير الله؛ قال قتادة: هي في مصحف عبد الله: ﴿وما يعبدون من دون الله، وهذا تفسيرها.

قوله تعالى: ﴿ أَنُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ أي: اجعلوه مأواكم، ﴿ يَشْرُ لَكُرُ رَبُّكُم مِن رَحْمَدِه ﴾ أي: يبسط عليكم من رزقه، ﴿ وَيُمْرِينَ لَكُر مِنْ أَمْرِكُم مِن أَمْرِكُم مِن أَمْرِكُم مِن أَمْرِكُم مِنْ أَمْرِكُم ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: همِوفقا، بكسر الميم، وفتح الميم الفاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «مَرفِقاً» بفتح الميم، وكسر الفاء، في كل مرفق ارتفعت به، ويكسرون مِرفق الإنسان، والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعاً. قال ابن الأنبادي: معنى الآية: ويهيَّع لكم بَدَلاً من أمركم الصَّعب مرفقاً، قال الشاعر:

فليت لننا من ماءِ زمزمَ شَربَةً مُبرَبةً مُبرَدةً باتت على ظهريانًا

معناه: فلَيت لنا بدلاً من ماء زمزم. قال ابن عباس: "ويهيِّئ لكم»: يسهِّلْ عليكم ما تخافون من الملِك وظلمه ويأتِكم باليُسر والرُّفق واللُّطف.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَى اَلشَمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ المعنى: لو رأيتَها لرأيتَ ما وصفنا. ﴿تَزَاورٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تَزَاورٌ خفيفة. وقرأ ابن عامر: «تَزْوَرُ والكسائي: «تَزَاورٌ خفيفة. وقرأ ابن عامر: «تَزْوَرُ مثل: «تَخْمَرُ». وقرأ أُبيّ بن كعب، وأبو مجلز، وأبو رجاء، والجحدري: «تَزْوارُ بإسكان الزاي، وبألف ممدودة بعد الواو من غير همزة، مشددة الراء. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل، وابن السميفع: «تَزْوَيْرُ بهمزة قبل الراء،

⁽١) البيت للأحول الكندي في االلسان، والتاج،: طهان والبحر، ١٠٧/٦، واروح المعاني، ٢٠٤/١٥.

مثل: «تَرْوَعِرُّ». وقرأ أبو الجوزاء، وأبو السماك: «تَزَوَّرُ» بفتح الناء والزاي وتشديد الواو المفتوحة خفيفة الراء، مثل: «تَكَوَّرُ»، أي: تميل وتعدل. قال الزجاج: أصل «تزاور»: تنزاور، فأدغمت الناء في الزاي، و﴿ تَقْرِضُهُمُ

إلى ظُنعُن يَفْرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْرِفِ شِيمِالاً وَعَنْ أَيْمِانِهِنَّ الفَوَارِسُ (١)

يقرضن: يتركن. وأصل القرض: القطع والتفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أقرِضني درهماً، أي: اقطع لي من مالك درهماً. قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرِّها وتغير ألوانهم. ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح، ونسيم الهواء، فقال: ﴿ وَهُمْ فِي فَجَوَةٍ مِنْنَهُ * قال أبو عبيدة: أي: [في] مُتَسَع، والجميع: فَجَوات، وفِجاء، بكسر الفاء. وقال الزجاج: إنما صَرْفُ الشمس عنهم آيةٌ من الآيات، ولم يرض قول من قال: كان كهفهم بإزاء بنات نعش.

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ ءَابَنتِ اللَّهُ يشير إلى ما صنعه بهم من اللطف في هدايتهم، وصرف أذى الشمس عنهم، والرعب الذي ألقى عليهم حتى لم يقدر الملك الظالم ولا غيره على أذاهم. «من آيات الله» أي: من دلائله على قدرته ولطفه. ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ مُهُو اللَّهُ عَلَى أنه هو الذي تولَّى هداية القوم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

﴿ وَقَصْبُهُمْ أَيْقَكَ ظُلَ وَهُمْ رُقُودٌ وَلَقَلِبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالَةُ وَكَلْبُهُم بَدِيظٌ ذِرَاعَيْهِ ۚ بِٱلْوَصِيدُ لَوِ ٱلْحَلَفَتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَازًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَسَهُمُ أَيْقَاظُ﴾ أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً. قال الزجاج: الأيقاظ: المنتبهون، واحدهم: يَقِظ، ويَقِظ، ويَقِظ، ويَقِظ، قال ابن الفراء: واحد الأيقاظ: يقُظ، ويَقِظ، قال ابن السائب: وإنما يُحسبون أيقاظاً، لأن أعينهم مفتَّحة وهم نيام. وقيل: لتقلُّبهم يميناً وشمالاً. وذكر بعض أهل العلم: أن وجه الحكمة في فتح أعينهم، أنه لو دام طَبْقها لذابت.

قوله تعالى: ﴿ وَتُقَلِّبُهُم ﴾ وقرأ أبو رجاء: ﴿ وتَقْلِبُهم ﴾ بتاء مفتوحة ، وسكون القاف ، وتخفيف اللام المكسورة . وقرأ أبو المجلورة ، وتخراء ، وعكرمة : ﴿ وَتَقْلِبُهُم ﴾ مثلها ، إلا أنه بالنون . ﴿ وَاتَ ٱلْمَينِ ﴾ أي : على أيْمانهم وعلى شمائلهم . قال ابن عباس : كانوا يُقلَّبون في كل عام مرتين ، ستة أشهر على هذا الجنب ، وستة أشهر على هذا الجنب ، لئلا تأكل الأرض لحومهم . وقال مجاهد : كانوا ثلاثمائة عام على شِقّ واحد ، ثم قُلِّبوا تسع سنين .

قوله تعالى: ﴿ وَكُلْبُهُم بَكِيطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ أخبر أن الكلب كان على مثل حالهم في النوم، وهو في رأي العين منتبه. وفي الوصيد أربعة أقوال: أحدها: أنه الفيناء فِناء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفراء. قال الفراء: يقال: الرَصِيد والأصِيد لغتان، مثل الإكفاف والوكاف. وأرَّخت الكتاب وورَّخت، ووكدت الأمر وأكَّدت؛ وأهل الحجاز يقولون: الوَصيد، وأهل نجد يقولون: الأصيد، وهو: الحظيرة والفِناء. والثاني: أنه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. وقال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلهم باسط ذراعيه بالباب، قال الشاعر:

بِأَرْضِ فَضَاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومَعْرُوفي بها غيرُ مُنْكَرِ (٢)

والثالث: أنه الصعيد، وهو التراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية عنهما. والرابع: أنه عتبة الباب، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إليَّ، لأنهم يقولون: أوصِد بابك، أي: أُغلِقه، ومنه قوله: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْصَدَةً ﴿ إَلَهُ اللهمزة: ١٨، أي: مُطْبَقة مُغْلَقة، وأصله أن تلصق الباب بالفتاء، كان خارجاً من الكهف، وإن جعلته بعتبة الباب،

⁽۱) ديوانه طبع المكتب الإسلامي ٤٠٣، وامجاز القرآن، ٣٩٦/١، والطبري، ٣١١/١٥. ومشرف والفوارس: موضعان بنجد كما في امعجم ما استعجم،

 ⁽۲) البيت لعبيد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥، و«البحر المحيط» ٣/٦، و«القرطبي» ١/١٥٠، ٣٧٣.

أمكن أن يكون داخل الكهف، والكهفُ وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستُعير.

قوله تعالى: ﴿ لَوَ اَطَلَقَتَ عَلَيْمِهُ [وقرأ الأعمش، وأبو حصين: «لوُ اطلعت» بضم الراو] ﴿ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ رهبة لهم ﴿ وَلَمُلِئْتَ ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «ولَمُلِئْتَ» خفيفة مهموزة، وقرأ ابن كثير، ونافع: «ولَمُلِئْتَ» مشددة مهموزة، ﴿ رُعْبُ ﴾ [أي]: فزعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يدخل إليهم أحد. وقيل: إنهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاه الزجاج.

﴿ وَكَذَلِكَ بَمَنْنَهُمْ لِنَسَآةَ لُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَابَلٌ يَنْهُمْ حَمْ لِمِثْثُرٌ قَالُواْ لِبَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْرٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَرُ بِمَا لَمِثْنُمُ مَا اللّهِ عَنْهُمْ أَعْلَمُ اللّهُ أَنْكُمْ أَعْلَمُ أَيْبًا أَذَكُ طَمَانًا فَلِمَانِكُمْ بِرِنْقِ مِنْتُهُ وَلِيُتَلَطَّفُ وَلَا يُشْهِرَنَ بِحَمُمُ أَمَدًا فَيَ اللّهُ عَلَيْهُمُ إِنَّا أَبَكُما اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ مَا آهَمُ أَوَا أَهَلَكُمُ قَالَ ابن الأنباري: إنما قال: «أحدَكم»، ولم يقل: واحدَكم، لثلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يُرد شريفهم.

قُوله تعالى: ﴿ يُورِقِكُمْ ﴾ ، قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : ﴿ بِوَرِقِكُم الراء مكسورة خفيفة . وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم ساكنة الراء . وعن أبي عمرو : ﴿ بورقكم ، مدغمة يُشِمُّها شيئاً من التثقيل ؛ قال الزجاج : تصير كافاً خالصة . قال الفراء : الوَرِق لغة أهل الحجاز ، وتميم يقولون : الوَرْق ، وبعض العرب يكسرون الواو ، فيقولون : الوِرْق . قال ابن قتيبة : الوَرِق : الفضة ، دراهم كانت أو غير دراهم ، يدلك على ذلك حديث عَرْفَجَة أنه اتخذ أنفاً من وَرق (١١) .

قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقسوس، ويقال: هي اليوم طرسوس.

قوله تعالى: ﴿ فَلْمَنْظُرُ أَيُّا ﴾ قال الزجاج: المعنى: أيُّ أهلها ﴿ أَزَّكَى طَمَامًا ﴾ وللمفسرين في معناه ستة أقوال: أحدها: أحلُّ ذبيحة، قاله ابن عباس، وعطاء، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قوم يُخفون إيمانهم. والثاني: أحَلُّ طعاماً، قاله سعيد بن جبير؛ قال الضحاك: وكانت أكثر أموالهم غصوباً. وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم: لا تبتع طعاماً فيه ظلم ولا غصب. والثالث: أكثر، قاله عكرمة. والرابع: خير، أي أجود، قاله قتادة. والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل، والسادس: أرخص، قاله يمان بن رياب. قال ابن قتية: وأصل الزكاء: النماء والزيادة.

قوله تعالى: ﴿ فَلْمَا أَوْتُكُم بِرِزْقِ مِنْــُهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿ وَلِمَـَالَطْفَ﴾ أي: ليدقِّق النظر فيه، وليحتلُ لئلا يُطَلَع عليه. ﴿ وَلَا يُشْمِرَنَّ بِكُمْ ﴾ أي: ولا يُخْبِرَنَّ أحداً بمكانكم. ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا﴾ أي: يطَّلعوا ويُشرفوا عليكم، ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾

⁽۱) رواه أبو داود في فسننه وقم (٤٢٣٢)، والنسائي ٨/١٦٣، والترمذي في فجامعه ٢٠٩/١ عن عرفجة بن سعد قال: أصيب أنفي يوم الكُلاب في الجاهلية، فاتخلت أنفأ من وَوِق، فأنتن عليّ، فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفأ من ذهب. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شدّوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم. اه.

وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقتلوكم، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: يقتلوكم بالرجم. والثاني: يرجموكم بأيديهم، استنكاراً لكم، قاله الحسن. والثالث: بألسنتهم شتماً لكم، قاله مجاهد، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ بُهِيدُوكُمْ فِي مِلْتِهِمْ ﴾ أي: يردُّوكم في دينهم، ﴿وَلَن تُغْلِمُوا إِذًا أَبَكَا ﴾ أي: إن رجعتم في دينهم، المتعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿ وَكَذَلِكَ أَعَنَمُنَا عَلَيْهِمْ لِيَعَلَمُوٓا أَنَ وَعَدَ الْقَوِ حَقَّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَبِّ فِيهَا إِذْ يَتَنَذَعُونَ بَيْنَهُمْ أَسَرُهُمُّ فَقَالُوا اَبْتُوا عَلَيْهِم بُنْهَنُا ۚ رَبُّهُمْ أَعَلَمُ بِهِنَّ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُواْ عَلَىٓ أَمْرِهِمْ انْتَغِذَتُ عَلَيْهِم مَسْجِلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَاكُ أَعَرُنَا كَلَيْمَ ﴾ أي: وكما أنمناهم وبعثناهم، أطلعنا وأظهرنا عليهم. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن من عَثَر بشيء وهو غافل، نظر إليه حتى يعرفه، فاستعير العِثار مكان التبيين والظهور، ومنه قول الناس: ما عثرت على فلان بسوء قط، أي: ما ظهرت على ذلك منه.

قوله تعالى: ﴿لِيَّعْلَمُوآ﴾ في المشار إليهم بهذا العلم قولان: أحدهما: أنهم أهل بلدهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنَ وَمَّدَ اَقَوِى البعث والجزاء ﴿مَقَّى ﴿ وَأَن القيامة لا شك فيها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنهم أهل الكهف، بعثناهم ليرَوْا بعد علمهم أن وعد الله حَق، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَرَعُونَ ﴾ يعني: أهل ذلك الزمان. قال ابن الأنباري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا. وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد. فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا؛ وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، لأنهم من أهل سُنتنا، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: تُبعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: تُبعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل. والرابع: أنهم تنازعوا في قدر مكثهم. والمخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما التعلمي.

قوله تعالى: ﴿ إَبْتُوا عَلَيْهِم بُنْيَكُنا ﴾ أي: استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان. وفي القائلين لَهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهف، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ عَلَبُواْ طَنَ آمْرِهِمْ﴾ قال ابن قتيبة: يعني المُطاعين والرؤساء، قال المفسرون، وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتخذوا عليهم مسجداً. قال سعيد بن جبير: بنى عليهم الملك بِيعة.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَائَةٌ زَامِهُمُو كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَسَةٌ سَادِمُهُمْ كَلْبُهُمْ رَمَّنَا بِالْفَيْتِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَنَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ وَمَّنَا بِالْفَيْتِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَنَامِنُهُمْ كَالْبُهُمْ وَمَّنَا بِالْفَيْتِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَنَامِئُهُمْ قُلْ يَعْدُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُمُ اللَّهُ وَلَا تَعْدُلُونَ لِمَنَاعُمُ فَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَلَا تَسْتَقُتِ فِيهِم مِنْهُمْ لَكَدُا شَيْدًا ﴿ وَلَا تَعْدُلُونَ لِمَنَاعُمُ اللَّهُ وَلَا مُعْدَلًا وَلَمْ وَلَا مُنْكُونُ مِنْ اللَّهُ وَلَا مُعْدَلًا وَلَمْكُونُ مِنْ وَلَا لَمُعْدُمُ وَلَوْلُونَ مُنْكُونُ وَلَا مُعْدَلًا وَلَهُ اللَّهُ وَلَا مُعْدَلًا مُعْدًا وَلَهُمُ وَاللَّهُ وَلَا مُعْدَلًا وَلَمْكُونُ مِنْ اللَّهُ وَلَا لَهُولُونَ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ وَلَوْلًا لِمُعْلِمُ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ وَلَا لَهُ لِللَّهُ وَلِمُ اللَّهُ وَلِمُ اللَّهُ وَلَا لَهُ لِللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِكُونُ وَلِمُونُونَ وَلِهُ وَلِمُهُمُ إِلَّا لَوْلُكُونُ مُنْ اللَّهُ مُلْلِكُمُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلِمُونُونَ وَلِكُونُ لِمُنْ اللَّهُمُ وَلَوْلُكُونُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِلْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَهُولُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَهُمُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَمُنْفِقُونُ لِلللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُونُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّ

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَثَقُهُ قال الزجاج: «ثلاثة» مرفوع بخبر الابتداء، المعنى: سيقول الذين تنازعوا في أمرهم: [هم] ثلاثة. وفي هؤلاء القائلين قولان: أحدهما: أنهم نصارى نجران، ناظروا رسول الله على في عِدَّة أهل الكهف، فقالت الملكيَّة: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: هم خمسة سادسهم كلبهم، وقالت النسطورية: هم سبعة وثامنهم، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿رَبِّمًا إِلَّانَيْتِ ﴾ أي: ظنّاً غير يقين، قال زهير:

وَمَـا السَحَـرْبُ إِلَّا مـا عــلـمْـتُــمْ وَذَقْـتُــمُ وَذَقْـتُــمُ وَمَا هُـوَ عَـنْـهَـا بـالـحَــدِيـثِ الــمُـرَجَّــمِ (١) فأما دخول الواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَابُهُمْ ﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أن دخولها

⁽۱) • ديوانه؛ ۱۸، و الطبري؛ ۲۲٦/۱۵، و القرطبي؛ ۲۸۳/۱۰، و اللسان؛: رجم.

وخروجها واحد، قاله الزجاج. والثاني: أن ظهور الواو في الجملة الثامنة (١) دلالة على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنها مرادة فيما قبل، وإنما حذفت تخفيفاً، ذكره أبو نصر في «شرح اللمع». والثالث: أن دخولها يدل على انقطاع القصة، وأن الكلام قد تمَّ، ذكره الزجاج أيضاً، وهو قول مقاتل بن سليمان، فإن الواو تدل على تمام الكلام قبلها، واستثناف ما بعدها؛ قال الثعلبي: فهذه واو الحكم والتحقيق، كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتم الكلام عند قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً﴾، ثم حكم أن ثامنهم كلبهم. وجاء في بعض التفسير أن المسلمين قالوا عند اختلاف النصارى: هم سبعة، فحقَّق الله قول المسلمين. والرابع: أن العرب تعطف بالواو على السبعة، فيقولون: ستة، سبعة، وثمانية، لأن العقد عندهم سبعة، كقوله: ﴿ الشَّهِيمُونَ الْعَكِيمُونَ . . .﴾ إلى أن قال في الصفة الثامنة: ﴿ وَالكَاهُونَ عَنِ الْشُكِيُّ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفة الجنة: ﴿ وَقُيْتَكُ ۖ أَبُوبُهُمْ ۖ وَفِي صفة النار: ﴿ فُيْتِكُ أَبْوَبُهُمُ ۗ [الزمر: ٧١-٣٣]، لأن أبواب النار سبعة، وأبواب الجنة ثمانية، ذكر هذا المعنى أبو إسحاق الثعلبي. وقد اختلف العلماء في عددهم على قولين: أحدهما: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانية، قاله ابن جريج، وابن إسحاق. وقال ابن الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿ وَتَاعِبُهُمْ كَالْبُهُمُ عَالَمُهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ على أي: السخاء سخاء حاتم، والشِّعر شِعر زهير. وأما أسماؤهم، فقال هُشَيْم: مكسلمينا، ويمليخا، وطّرينوس، وسَدينوس، وسَرينوس، ونَواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلاف في أسمائهم فلم أطل به. واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان لراع مَرّوا به فتبعهم الراعي والكلب، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أنهم مَرّوا بكلب فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟! لا تخشوا جانبي أنا أحِبُّ أحِبًّا الله، فناموا حتى أحرسكم، قاله كعب الأحبار. وفي اسم كلبهم أربعة أقوال: أحدها: قطمير، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اسمه الرقيم، وقد ذكرناه عن سعيد بن جبير. والثالث: قطمور، قاله عبد الله بن كثير. والرابع: حُمران، قاله شعيب الجبائي. وفي صفته ثلاثة أقوال: أحدها: أحمر، حكاه الثوري. والثاني: أصفر، حكاه ابن إسحاق. والثالث: أحمر الرأس، أسود الظهر، أبيض البطن، أبلق الذنب، ذكره ابن السائب.

قُولُه تَعَالَى: ﴿ رَّبِّيُّ أَمُّكُم بِمِدَّتِهِم ﴾ حرك الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس. قال عطاء: يعني بالقليل: أهل الكتاب. قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة، إن الله عدَّهم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَهِرِ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: لا تُمارِ أحداً، حسبك ما قصصتُ عليكَ من أمرهم. وقال ابن زيد: لا تُمارِ في عِدَّتهم إلا مراء ظاهراً أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون: وقيل: ﴿ إلا مراء ظاهراً ومِراء على الله الماوردي. والمراء في اللغة: الجدال؛ يقال: مارى يُماري مُماراة ومِراء، أي: جادل. قال ابن الأنباري: معنى الآية: لا تجادل إلا جدال متيقِّنِ عالِم بحقيقة الخبر، إذ الله تعالى ألقى إليك ما لا يشوبه باطل. وتفسير المراء في اللغة: استخراج غضب المجادل، من قولهم: مَرَيْتُ الشاة: إذا استخرجت لبنها.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمِ﴾ أي: في أصحاب الكهف، ﴿ يِّنَهُمَ ۖ قال ابن عباس: يعني: من أهل الكتاب. قال الفراء: أناه فريقان من النصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم، فنُهي عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقُولُنَّ لِشَائَةِ إِنِي فَاعِلُّ ذَلِكَ عَدًا ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَآءُ اللَّهُ صبب نزولها أن قريشاً سألوا النبي عَلَى عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الكلام: ولا تقولن لشيء: إنى فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القول.

⁽١) أي في قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَالْهِمْ ۗ

قوله تعالى: ﴿وَإَذْكُر رَّبُّكَ إِذَا نَسِيتٌ ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: واذكر ربَّكَ بعد تقضِّي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله _ إذا صلّى _ حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة. وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: إذا نسيتَ الاستثناء ثم ذكرتَ، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور. والثاني: أن معنى (إذا نسيتَ): إذا غضبتَ، قاله عكرمة، قال ابن الأنباري: وليس ببعيد، لأن الغضب يُنتج النسيان. والثالث: إذا نسيتَ الشيء فاذكر الله ليذكِّرك إياه، حكاه الماوردي.

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إن شَكَآةُ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسَلِم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه. ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنه إذا قال: أنتِ طالق إن شاء الله، وأنتَ حُرٌّ إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك؛ وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك. وأما اليمين بالله تعالى؛ فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفِّر، كالظهار، والنذر، لأن الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علَّق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإِيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان، لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلة. وقد اختُلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء. والثاني: أنه يصح ما دام في المجلس، قاله الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه. والثالث: أنه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه اللَّهُ في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فأما الكفَّارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه، ومن قال: له ثُنيًاه ولو بعد سنة، أراد سقوطَ الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفَّارة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَيْنَ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ قرأ نافتم، وأبو عمرو: ﴿يهديَنِي ربِّي﴾ بياء في الوصل [دون] الوقف. وقرأ ابن كثير بياء في الحالين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عسى أن يعطيني ربِّي من الآيات والدلالات على النبوَّة ما يكون أقرب في الرَّشد وأدلُّ من قصّة أصحاب الكهف، ففعل الله له ذلك، وآتاه من عِلْم غيوب المرسَلين ما هو أوضح في الحُجَّة وأقرب إلى الرّشد من خبر أصحاب الكهف، هذا قول الزجاج. والثاني: أن قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف، قال: «فدأ أخبركم، كما شرحنا في سبب نزول هذه الآية (١٠) ، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَنَ أَن يَهْدِيَنِ رَقِي ﴾ أي: عسى أن يعرِّفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حدَّدُته لكم، ويعجُّل لي من جهته الرشاد، هذا قول ابن الأنباري.

﴿ وَلِيثُواْ فِي كَهْنِهِمْ قَلَتَ مِانَغِ سِنِينَ وَأَذْدَادُواْ نِشْعًا ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيثُوَّأَ لَلُمْ غَيْبُ ٱلسَّمَعُونِ وَٱلْأَرْضِ ٱبْعِيرَ مِهِم وَأَسْمِعْ مَا لَهُم يِّن دُونِيهِ. مِن وَلِيِّ وَلَا يُشْرِكُ فِي خُكْمِهِ أَحَدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لِيَنْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَكَ مِأْتُمْ سِنِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: الثلاثمائة سنين؛ منوَّناً. وقرأ حمزة، والكسائي: الثلاثمائة سنين؛ مضافاً غير منوَّن. قال أبو علي: العدد المضاف إلى الآحاد قد جاء مضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَخَمْسِمِي مِنها قَسِيٌّ وزائف (٢) وَمَا زَوَّدُونِسِي غير سَخْتِ عِسمامةٍ

وفي هذا الكلام قولان: أحدهما: أنه حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، قاله ابن عباس، واستدل عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿ لَهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوآ ﴾، وكذلك قال قتادة، وهذا قول أهل الكتاب.

أورده ابن كثير في اتفسيره، ٢١/٣ من رواية محمد بن إسحاق مطولاً. البيت لمزرَّد كما في االصحاح، واالسان،: مأي، وامجمع البيان، ١٤٤/١٥.

والثاني: أنه مقدار ما لبثوا، قاله عبيد بن عمير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد؛ والمعنى: لبثوا هذا القدر من يوم دخلوه إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله تعالى: ﴿سِنِبِك﴾ قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي، والزجاج: التقدير: سنين ثلاثمائة. وقال ابن قتيبة: المعنى: أنها لم تكن شهوراً ولا أيّاماً، وإنما كانت سنين. وقال أبو على الفارسي: «سنين» بدل من قوله: «ثلاثمائة». قال الضحاك: نزلت: ﴿وَلِبَوُا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أياماً، أو شهوراً، أو سنين؟ فنزلت: «سنين» فلذلك قال: «سنين»، ولم يقل: سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَنَادُواْ يَتِمّا ﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى عن ذِكْر السنين بما تقدَّم من ذِكرها. ثم أعلمَ أنه أعلمُ بقدْر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِبَثْوَا ﴾ قال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمانة، فقد عرفناها، وأما التسع، فلا عِلْم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ وقبل: إن أهل الكتاب قالوا: إن للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثماثة وتسع سنين، فرد الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غيرُ الله. وقيل: إنما زاد التسع، لأنه تفاوت ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِهِ أَي: ليس لأهل السلوات والأرض من دون الله من ناصر، ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي شُكْمِهِ الْحَدُانِ يَحْكُم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷺ في حكمه. وقرأ ابن عامر: «ولا تُشرِكُ جزماً بالتاء، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان.

﴿ وَآثَلُ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِن حَيَابِ رَلِكُ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَنتِهِ. وَلَن تَجِمَدُ مِن دُونِهِ. مُلْتَمَنَا ۞ وَاَسْبِرْ نَسْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبِّهُم بِالْغَـدَوْةِ وَالْشِيْقِ يُرِيدُونَ وَجْهَةٌ وَلَا تَعَدُّ مَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوْةِ الدُّنِيَّ وَلَا نُسْلِغَ مَنْ أَغْفَلْنَا فَلْبَدُ عَن ذِكْرِياً وَالنَّبَعَ هَوَندُ وَكَاتَ آمُرُهُ هُوْكًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ مَا أُرْتِيَ إِلِيَكَ﴾ في هذه التلاوة قولان: أحدهما: أنها بمعنى القراءة. والثاني: بمعنى الاتّباع. فيكون المعنى على الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتّبِعْه واعمل به. وقد شرحنا في [الانعام: ١١٥] معنى ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكُلِمَاتِيْرِ﴾

ق**وله تعالى**: ﴿وَلَن يَجِدَ مِن دُونِيم مُلْتَكَلّا﴾ قال مجاهد، والفراء: مَلجَأً. وقال الزجاج: مَعْدِلاً عن أمره ونهيه. وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاء.

قوله تعالى: ﴿ وَاَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ سبب نزولها أن المؤلَّفة قلوبُهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله: لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنّا، _ يعنون سلمانَ وأبا ذَرُّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف _ جلسنا إليك، وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ إِنَّا آَعَتَدْنَا لِلظَّلِينِ نَارًا ﴾، فقام رسول الله ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله قال: «الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّني، معكم المحيا ومعكم الممات، هذا قول سلمان الفارسي (١٠). ومعنى قوله: ﴿ وَاصْبِرُ نَفْسَكَ مَعَ ٱللَّذِينَ يَدَّعُونَ رَبَّهُم ﴾ أي: احبسها معهم على أداء الصلوات ﴿ وَالْمَنْفِ وَالْمَنْفِ وَالْمَنْفِ وَالْمَنْفِ وَالْمَنْفِ وَلَهُ تَعَالَى عَنْمُ اللَّهِ فِي الانعام: ٢٥ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعَدُ عَيْنَاكُ عَنْهُم ﴾ أي: لا تصرف بصرك

⁽۱) • الطبري؛ ١٥/ ٢٣٦، وأسباب النزول؛ للواحدي ١٧١، و«القرطبي» ٣٩١/١٠، و«الدر» ٢١٩/٤، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٨١ من رواية الطبراني، وقد تقدم الحديث بنحوه ٤٤٠ فارجع إليه.

إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف؛ وكان على حريصاً على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريداً لزينة الدنيا قطً، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلا نُطِعْ مَنْ أَغَنَلْنَا قَلْبَمُ عَن ذِكِرَا﴾ سبب نزولها أن أمية بن خلف الجمحي، دعا رسول الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس^(۱). وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو عيينة وأشباهه. ومعنى: «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مجلز: «من أغفلنا» بفتح اللام، ورفع باء القلب. «عن ذِكُرنا»: عن التوحيد والقرآن والإسلام، ﴿وَاَنَّبَعَ هَرَنَّكُ فِي الشّرك. ﴿وَكَاكَ أَمْرُهُ مُرُكًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه أفرط في قوله، لأنه قال: إنّا رؤوس مضر، وإن نُسلِم يُسلم الناس بعدنا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضَياعاً، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: سَرَفاً وتضييعاً. والثالث: نَدَماً، حكاه ابن قتيبة عن أبي عبيدة. والرابع: كان أمره التفريط، والتفريط: تقديم العجز، قاله الزجاج.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقَّ مِن نَيَّكُمُّ فَمَن شَآةَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآةَ فَلْيَكُمُرُ ۚ إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلظَّلِلِينَ نَازًا أَحَالًا بِيمِ شَرَادِقُهَمَا ۚ وَلِن يَسْتَغِينُوا يُعَانُوا بِمَاوِ كَالْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوةً بِنْسَ الشَّرَابُ وَسَآةَتْ مُرْتَفَقًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْعَقُّ مِن رَّبِّكُمُّ ۗ قال الزجاج: وقل الذي أتيتكم به، الحقُّ من ربَّكم.

قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَاةَ قَلْبُوتِين وَمَن شَآةَ فَلْيَكُنُرُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابن عباس (٢). والثاني: أنه وعيد وإنذار، وليس بأمر، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرُّونه بكفركم، قاله الماوردي. وقال بعضهم: هذا إظهار للغنى، لا إطلاق في الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعَنَدْنَا﴾ أي: هيَّانا، وأعددنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَنَتْ لَمُنَّ مُثَكَّا﴾ [يوسف: ٣١]. فأما الظالمون، فقال المفسرون: هم الكافرون. وأما السُّرادِق، فقال الزجاج: السُّرادِق: كلُّ ما أحاط بشيء، نحو الشُّقَة في المِضْرَب، أو الحائط المشتمل على الشيء. وقال ابن قتيبة: السُّرادِق: الحُجرة التي تكون حول الفسطاط. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّرادق فارسي معرَّب، وأصله بالفارسية سَرَادَارْ، وهو الدَّهليز، قال الفرزدق:

تَمَنَّيْتَهُمْ حتى إذا ما لَقِيتَهم تَركتَ لهم قبلَ الضَّراب السُّرَادِقا(٢)

وفي المراد بهذا السُّرادق قولان: أحدهما: أنه سُرادق من نار، قاله ابن عباس. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: فلِسُرادِق النار أربعةُ جُدُرٍ كُنُفٌ، كلُّ جدار منها مسيرة أربعين سنة الله عن رواية أبي صالح عن ابن عباس، قال: السرادق: لسان من النار، يخرج من النار فيحيط بهم حتى يفرغ من حسابهم. والثاني: أنه دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظَّل ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في [المرسلات: ٣٠]، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا ﴾ أي: مما هم فيه من العذاب وشدة العطش ﴿يُعَاثُواْ بِمَآو كَالْمُهْلِ ﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنه ماءٌ غليظٌ كدُرْدِيُّ الزيت، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه كل شيء أذيب حتى انماع، قاله ابن مسعود. وقال أبو عبيدة، والزجَّاج: كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مُهل. والثالث: قبح ودم أسود كعكر الزيت، قاله مجاهد. والرابع: أنه الفضة والرصاص يذابان، روي عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنه الذي انتهى حَرُّه، قاله سعيد بن جبير. والسادس: [أنه] الصَّديد، ذكره ابن الأنباري. قال مُغيث بن سُمي: هذا الماء هو ما يسيل من عرق أهل الموقف في الآخرة ويكائهم، وما يجري منهم من دم وقبح، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فتطبخه جهنم، فيكون أول ما يُغاث به أهل النار. والسابع: أنه الرماد الذي يُنفض عن الخُبزة إذا خرجت من التَّثُور، حكاه ابن الأنباري.

 ⁽۱) «أسباب النزول» ۱۷۲، و«القرطبي» ۱/۳۹۲، و«الدر» ٤/٠٢٠.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: عن ابن عباس: فمن شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر.

⁽٣) ﴿ديوانه؛ ٢/ ٨٦٪، و﴿الْمعرُّبِ، ٢٠٠.

 ⁽٤) رواء أحمد في االمسند، ٣٩/٣ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيشم، ورواء المترمذي في «جامعه، ٢٩/٣، وابن جرير الطبري في «تفسيره، ١٥/ ٢٩٥ من حديث رشدين بن سعد عن دراج عن أبي الهيشم ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ يَشْوِي ٱلْوُجُوءُ ﴾ قال المفسرون: إذا قرَّبه إليه سقطت فروة وجهه فيه. ثم ذمَّه، فقال: ﴿ وَمُشَّى ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتُ ﴾ النار ﴿ مُرَّقَفَا ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: منزلاً، قاله ابن عباس. والثاني: مجتمعاً، قاله مجاهد. والثالث: متّكاً. قاله أبو عبيدة، وأنشد لأبي ذؤيب:

إني أرِفْت فبِتُّ اللَّيْسَلَ مُسْرُتَدِفِقاً كأنَّ حَيْدِيَ فِيها الصَّابُ مَذْبُوحٌ(١)

وذبحه: انفجاره؛ قال الزجاج: «مرتفقاً» منصوب على التمييز؛ ومعنى مرتفقاً: متَّكاً على الموفق. والرابع: ساءت مجلساً؛ قاله ابن قتيبة. والخامس: ساءت مطلباً للرفق، لأن من طلب رِفقاً من جهتها، عَدِمه، ذكره ابن الأنباري. ومعاني هذه الأقوال تتقارب. وأصل الموفق في اللغة: ما يُرتَفق به.

﴿إِنَّ الَّذِيرَ ۚ ءَاصَنُوا وَعَيِلُوا الصَّلِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَبَرُ ۚ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۞ أُولَتِكَ لَمُمْ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن تَحْيِمُ الْأَنْهَانُورُ وَيَعَا مِنْ أَمْنُورُ مِنْ أَسُورُونَ فِيهَا مِنْ الْأَرْآبِائِ فِيمَ الظَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞﴾ يُمَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِبَابًا خُمْرًا مِن سُنتُسِ وَإِسْتَبَرَقِ مُشْكِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرْآبِائِ فِيمَ الظَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّيْكِ ءَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصَّلِحَتِ ﴾ قال الزجاج: خبر ﴿إِنّ هاهنا على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون على إضمار: ﴿إِنّا لا نُسِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَلَا ﴾ منهم، ولم يحتج إلى ذكر: ﴿منهم ﴾ لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه محبط عمل غير المؤمنين. والثاني: أن يكون خبر ﴿إِنّ الله الله الله على معنى الكلام الأول ، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. والثالث: أن يكون الخبر: ﴿إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ ، بمعنى: إنّا لا نُضيع أجرهم. قال المفسرون: ومعنى ﴿إِنّا لا نُسِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ ، بمعنى: إنّا لا نُضيع أجرهم. قال المفسرون: ومعنى ﴿إِنّا لا نُسِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ ، بمعنى: إنّا لا نُضيع أجرهم. قال المفسرون: ومعنى ﴿إِنّا لا نُسِيعُ أَجْرَ مَنْ أَلَوا الله أَوْل وسُوار ، وسُوار ؛ فمن قال: إسوار ، جمعَه أساور ، ومن قال: سوار أو سُوار ، جمعه أسورة ، ومن قال: سوار أو سُوار ، جمعه سوّار ، جمعه أساور جمع أَسْورة ، وأَسْورة جمع سوّار ، عنها ثلاث لخات الملوك تلبّس في الدنيا الأساور في اليد أسوار اليد ، بالكسر ، وقد حكي : سُوار . قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبّس في الدنيا الأساور في اليد والتيجان على الرؤوس ، جعل الله ذلك لأهل الجنة . قال سعيد بن جبير: يُحلَّى كلُّ واحد منهم بثلاثة أَ من الأساور واحدٍ من ذهب ، وواحدٍ من لؤلؤ ويواقيت . فأما: «السَّنْدُسُ و «الاستبرق» ، فقال ابن واحدٍ من فضة ، وواحدٍ من ذهب ، وواحدٍ من لؤلؤ ويواقيت . فأما: «السَّنْدُسُ و «الاستبرق» ، فقال البن قيختلف أهل اللغة في أنه معرَّب ، قال الراجز :

وليهامة من الهامي الهي حسنها الهين الهام المتقدّة وقال الله ولد: المتدّة وقال من العجمة الم

والإستبرق: غليظ الديباج، فارسي معرَّب، وأصله إسْتفْرَهْ. وقال ابن دريد: إستَرْوَهْ، ونقل من العجمية إلى العربية، فلو حُقِّر «إستبرق»، أو كُسُر، لكان في التحقير «أَبيْرِق»، وفي التكسير «أبارق» بحذف السين، والتاء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ مُثَلِّكِينَ فِهَا ﴾ الاتّكاء: التحامل على الشّيء. قال أبو عبيدة: والأرائك: الفُرُش في الحِجَال، ولا تكون الأريكة إلا بحَجَلة وسرير. وقال ابن قتيبة: الأرائك: السُّرُر في الحِجال، واحدها: أريكة. وقال ثعلب: لا تكون الأريكة إلا سريراً في قُبَّة عليه شواره ومتاعه؛ قال ابن قتيبة: الشَّوار، مفتوح الشين، وهو متاع البيت. وقال الزجاج: الأرائك: الفُرُش في الحِجال. قال: وقيل: إنها الفُرُش، وقيل: الأسِرَّة، وهي على الحقيقة: الفُرُش كانت في حِجال لهم.

﴿ وَامْرِتِ اللّٰمُ مُنَكُلًا رَجُلَيْنِ جَسَلَنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَلَقَنَاكُمَا بِنَخْلِ وَجَمَلَنَا بِيَنْهَمَا زَرْعًا ۞ كِلْنَا الْجُنَيْنِ مَالَتُ أَكُلُهَا وَلَدُ تَظْلِم قِنْهُ شَيْئاً وَفَجَرْنَا خِللَهُمَا نَهُمًا ۞ وَكَاتَ لَمُ ثُمَرٌ فَقَالَ لِيَسْجِهِهِ وَهُوَ يُحَاوِئُهُ أَنَّا أَكْفَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَرُ نَفَـكَل ۞ وَمَـغَلَ جَنَّـنَامُ وَهُو ظَـالِمُ لِنَفْسِهِهِ قَالَ مَنَّا أَشْنُ أَنْ نَبِيدَ هَذِيهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَشْنُ السَّاعَةَ فَـاآمِمَةً وَلَهِن زُودِتُ إِلَى رَبِّ لَأَجِدَذَ خَيْرًا فِنْهَا مُنقَلَبًا ۞ ﴾

⁽۱) قديوان الهذليين؟ ١٠٤/١، وقشرح أشعار الهذليين؟ ١٠٢٠/١، وقمجاز القرآن؟ ١/ ٤٠٠)، وقالطبري، ٢٤١/١٥، وقالقرطبي، ١٠/ ٣٩٥، ووالكرطبي، ١٠/ ٣٩٥، ووالكرطاف، ٢٤١/١٥، وقالصحاح، وقاللمان، وقالتاج»: صوب، وقواهد المغني، ٧٢. والصاب: شجرة مُزَّة.

⁽٢) في الأصل: ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿ وَاَمْرِتِ لَمُم مُثَلًا رَبُهُمْ مِنَالًا رَبُهُمْ مُثَلًا رَبُهُمُ وَكان الآخر زاهداً في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدّمه لآخرته، حتى نَفِد ماله، فضربهما الله عنى مثل ذلك فقدّمه لآخرته النعمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المسلم لما احتاج، تعرَّض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثتَ عن أبيك؟ فقال: أنفقتُه في سبيل الله، فقال الكافر: لكني ابتَعت به جِناناً وغنماً، وبقراً، والله لا أعطيتك شيئاً أبداً حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلِم فأدخله جِنانه يطوف به فيها، ويرغّبه في دينه. وقال مقاتل: اسم المؤمن يمليخا، واسم الكافر قرطس، وقيل: هذا المَثَل [ضُرِب] لعيينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿ وَحَقَفَتُكُمُ بِنَمُوكِ الحَفّ: الإحاطة بالشيء، ومنه قوله: ﴿ حَاَفِينَ مِنْ حَوْلِ اَلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٢٥٠. والمعنى: جعلنا النخل مُطِيفاً بها. وقوله: ﴿ وَجَمَلنَا بَيْنَهُمْ أَرْبَكُ إعلام أن عمارتهما كاملة.

قوله تعالى: ﴿ كِنَا ٱلْمَنْتَيْنِ ءَانَتُ أَكُلُهَ ﴾ قال الفراء: آتنا، لأن «كلنا» ثننان لا تُفرد واحدتُهما، وأصله: «كُلُّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلُّ»، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمع، وجاز توحيده على مذهب «كُلِّ»، وتأنيثه جائز للتأنيث الذي ظهر في «كلنا»، وكذلك فافعل به كلا» و«كلنا» و«كُلِّ»، إذا أضفتَهُنَّ إلى مَعْرِفة وجاء الفعل بعدهن، فوحِّد واجمع، فمن التوحيد قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ مَاتِيهِ يَرْمَ ٱلْتِيكَمَةِ فَرْدًا ﴿ اللهُ عَلَيْهِ وَهُمُ اللهُ تَعْلَى: ﴿ وَكُلُّ أَنَوْهُ كَاخِينَ اللهُ تعالى: ﴿ وَكُلُّ أَنَوْهُ كَاخِينَ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ وَمُلُّ أَنَوْهُ كَاخِينَ اللهِ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ وَكُلُّ أَنَوْهُ تَخِينَ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ وَمُلُّ أَنَوْهُ تَخِينَ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْتُنَ بِأَيِّ آرْضِ تَمُونَ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْتُنَ بِأَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

باي بلاء أم بايَّة نعممة تقدَّم قبلي مسلمٌ والمهلَّب

قال ابن الأنباري: «كلتا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإن لفظه لفظ واحدة مؤنثة، فغلب اللفظ، ولم يستعمل المعنى ثقةً بمعرفة المخاطّب به؛ ومن العرب من يؤثر المعنى على اللفظ، فيقول: «كلتا الجنتين آتتا أُكُلَها»، ويقول آخرون: «كلتا الجنتين آتى أُكُلَه»، لأن «كلتا» تفيد معنى «كُلّ»، قال الشاعر:

وكلتاهما قد خطَّ لي في صَحيفتي فلا الموت أهواه ولا العيش أروح

يعني: وكلُّهما قد خط لَي، وقد قالت العرب: كلكم ذاهب، وكلكم ذاهبون. فوخَّدوا لِلَفظ «كُلّ» وجمعوا لتأويلها. وقال الزجاج: لم يقل «آتتا»، لأن لفظ «كلتا» لفظ واحدة، والمعنى: كل واحدة منهما آتت أكلها ﴿ وَلَمْ تَظْلِمُ أَي اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ يعني: للأَخ الكافر ﴿ ثَمْرٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «وكان له تُمر»، «وأحيط بثَمَر» بفتح التاء والميم فيهما. وقرأ به تُمر»، «وأحيط بثَمَر» بفتح التاء والميم فيهما. وقرأ بو عمرو: «تُمُر» وبيثُمُر» بضمة واحدة وسكون الميم. قال الفراء: الشَّمَر، بفتح الثاء والميم: المأكول، وبضمها: المال. وقال ابن الأنباري: الثَّمَر، بالفتح: الجمع الأول، والثُّمُر، بالضم: جمع الثَّمَر، يقال: تَمَر، وتُمُر، كما يقال: حمار وحُمُر، وكِتاب وكُتُب؛ فمن ضَمَّ، كما يقال: الثُّمُر أعم، لأنها تحتمل الثمار المأكولة، والأموال المجموعة. قال أبو علي الفارسي: وقراءة أبي عمرو: «تُمُر» يجوز أن تكون جمع ثمار، ككتاب، وكتُب، فتخفف، فيقال: كُتْب، ويجوز أن يكون «تُمُر» جمع مَرة، كبَدَنة وبُدُن، وخَشَبة، وخُشْب. ويجوز أن يكون «تُمُر» واحداً، كمُنْق، وطُنُب. وقد ذكر المفسرون في قراءة من ضم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذهب، والفضة، قاله مجاهد. والثالث:

أنه جمع ثمرة، قال الزجاج: يقال: ثَمَرة، وثِمار، وثمر. فإن قيل: ما الفائدة في ذِكْر النَّمر بعد ذِكْر الجنَّين، وقد عُلم أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لم يكن أصل الأرض ملكاً له، وإنما كانت له الثمار، قاله ابن عباس. والثاني: أن ذِكْر الثّمر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنّتين وغيرهما، ذكره ابن الأنباري. والثالث: إنا قد ذكرنا أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع، وذكرنا أنها الذهب، والفضّة، وذلك يخالف الثمر المأول؛ قال أبو على التفاؤل، لأن الثمر المأكول؛ قال أبو على القارسي: من قال: هو الذهب، والمؤرق، فإنما قيل لذلك: ثُمُر على التفاؤل، لأن الثمر نماء في ذي الثمر، وكونه هاهنا بالجنى أشبه من الذهب والفضة. ويقوي ذلك: ﴿وَلِمُعِلاً بِثَمْرِهِ فَآمَيّمَ بُعِلَمُ كُلِيَّهِ عَلَى مَا أَنفَى فِيها﴾، والإنفاق من الوّرة، لا من الشجر.

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ﴾ يعني الكافر ﴿ لِمَكْتِصِدِ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُو يُمَّاوِرُهُ ﴾ أي: يراجعه الكلام ويجاوبه. وفيما تحاورا فيه قولان: أحدهما: أنه الإيمان والكفر. والثاني: طلب الدنيا، وطلب الآخرة. فأما «النفر» فهم الجماعة، ومثلهم: القوم والرهط، [ولا واحد لهذه الألفاظ من لفظها. وقال ابن فارس اللغوي]: النفر: عدة رجال من ثلاثة إلى العشرة. وفيمن أراد بنفره ثلاثة أقوال: أحدها: عبيده، قاله ابن عباس. والثاني: ولده، قاله مقاتل. والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَخَلَ جَنَّتُهُ ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمُ لِنَقْسِمِه ﴾ بالكفر؛ وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه؛ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يَبِدَ هَذِيهِ أَبَدًا ﴾ أنكر ألكاعة قآبِمَه ﴾ وهذا شك [منه] في البعث، ثم قال: ﴿وَلَهِن رُودتُ إِن رَودتُ إِن رَق أَل رَبِي ﴾ أي: كما تزعمُ أنت. قال [ابن عباس]: يقول: إن كان البعث حقاً ﴿لَاَهِدَنَ خَيْر يَنْهَا ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿خيراً منها »، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿خيراً منهما » بزيادة ميم على التثنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام. قال أبو علي: الإفراد أولى، لأنه أقرب إلى الجَنَّة المفردة في قوله: ﴿وَمَخَلَ جَنَّتُهُ ﴾، والتثنية لا تقدم ذِكُر الجَنَّين.

قوله تعالى: ﴿مُنْقَلِكَا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيعطيني في الآخرة أفضل منه.

﴿ قَالَ لَمُ صَاحِبُمُ وَهُوَ كَمَاوِيُهُ أَكَذَرَتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن ثُطْفَةِ ثُمَّ سَوَىٰكَ رَجُلا ۞ لَنكِنَا هُوَ اللّهُ رَتِي وَلَا أَشْرِكَ بِرَتِيَ أَحَمَا ۞ وَلُؤَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنْنَكَ قُلْتَ مَا شَآهُ اللّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ إِن تَسَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَالَا وَوَلَدًا ۞ فَعَسَىٰ رَقِ أَن يُؤْتِينِ خَـنْكَ مِن جَنَّلِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنْ السَّمَاتِهِ فَصْمِحَ صَعِيدًا زَلْقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَؤْهَا غَوْلًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمُ طَلَبُكا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَمُ صَاحِبُهُ ﴾ يعني: المؤمن ﴿ وَهُو يُمَاوِيُّهُ أَكَفَرَتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابِ ﴾ يعني: خلق أباك آدم ﴿ يُمْوَ يُمَاوِيُّهُ أَكَفَرَتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابِ ﴾ يعني: خلق أباك آدم ﴿ يُمْ

قوله تعالى: ﴿ لَكِنّا هُوَ اللهُ رَقِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وقالون عن نافع: الكنّ هو الله ربّي، بإسقاط الألف في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ نافع في رواية المُسَيّبي بإثبات الألف وصلاً ووقفاً. وأثبت الألف ابن عامر في الحالين. وقرأ أبو رجاء: «لكنْ» بإسكان النون خفيفة من غير ألف في الحالين. وقرأ ابن يعمر: «لكنّ أنا هو اللّهُ ربّي» بإسكان نون «لكنْ» وإثبات يعمر: «لكنّ أنا هو اللّهُ ربّي» بإسكان نون «لكنْ» وإثبات «أنا». قال الفراء: فيها ثلاث لغات: لكنّا، ولكنّ، ولكنّه بالهاء، أنشدني أبو ثروان:

وترمينني بالطّرف أي أنت مذنب وتَـ قُلِينَنِي لكن إيّاكِ لَا أَقْلِي(١)

وقال أبو عبيدة: مجازه: لكن أنا هو الله ربي، ثم حُذفت الألف الأولى، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى فشدّدت. قال الزجاج: وهذه الألف تُحذف في الوصل، وتُثبت في الوقف، فأما من أثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف، فهو على لغة من يقول: أنا قمتُ، فأثبت الألف، قال الشاعر:

⁽١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٠/٥٠٠، و«البحر» ١٢٨/٦، و«روح المعاني» ١٥٥/١٥٥.

أنا سَيْفُ العَشِيرَة فاغرِفُوني [حُمَيداً قد تَلَزَيْتُ السَّناما](١) وهذه القراءة جيدة، لأن الهمزة قد حدفت من الناه، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّلُكَ﴾ أي: وهلا؛ ومعنى الكلام التوبيخ. قال الفراء: ﴿مَا شَكَةُ الله ﴾ في موضع رفع، إن شئت رفعته بإضمار هو، يريد: [هو] ما شاء الله؛ وإن شئت أضمرت فيه: ما شاء الله كان؛ وجاز طرح جواب المجزاء، كما جاز في قوله: ﴿وَإِنِ اسْتَكَلَّتَ أَنْ تَبْغَىٰ نَفْقًا فِي ٱلْأَرْضِ الانعام: ٢٥]، ليس له جواب، لأنه معروف. قال الزجاج: وقوله: ﴿لَا قُونَهُ إِلّا بِاللهِ الاختيار النصب بغير تنوين على النفي، كقوله: ﴿لَا رَبِّ فِيها﴾ [الكهف: ٢١]، ويجوز: «لا قوة إلا بالله على الرفع بالابتداء، والخبر «بالله»، المعنى: لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله.

قوله تعالى: ﴿إِن تَكَرَفِ﴾ قرأ ابن كثير: «إن ترني أنا» و ليؤتيني خيراً» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل ووقفاً. ﴿أَنَا أَقَلَ﴾ وقرأ ابن أبي عمرو بياء في الوصل ووقفاً. ﴿أَنَا أَقَلَ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقلُ» برفع اللام. قال الفراء: «أنا» هاهنا عماد إن نصبتَ «أقلُ»، واسم إذا رفعت «أقلُ» (٢)، والقراءة بهما جائز.

قوله تعالى: ﴿ فَسَى نَ رَقِ أَن يُؤَيِّنِ خَيْرًا مِن جَنَاكَ ﴾ أي: في الآخرة، ﴿ وَرُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانَا ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ناراً من السماء ""، والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابن زيد. والثالث: مرامي من السماء، واحدها: حسبانة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال النَّضْر بن شُمَيل: الحُسبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة تُنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابه، إما حجارة أو بَرَداً أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب. والرابع: أن الحسبان: الحساب، كقوله: ﴿ اَلشَمْتُ وَالْقَسُ مُ اللَّهَ مُنْ الرَّجاج. أن الرحلن: ٥٠ أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسل عليها عذاب حساب ما كسبت يداه، هذا قول الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَتُعْمِعَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿ إِنْ يُصِيحَ مَآوُهَا غَوْرًا ﴾ قال ابن قتية: الصعيد: الأملس المستوي، والزَّلَق: الذي تَزِلُ عنه الأقدام، والغَور: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماءٌ غَوْر، ومياه غَوْرٌ، ولا يثنَى، ولا يجمع، ولا يؤنَّث، كما يقال: رجلٌ نَوْمٌ، ورجلٌ صَوْمٌ، ورجلٌ فِطْر، ورجالٌ نَوْمٌ، [ونساءٌ نَوْمٌ]، ونساءٌ صَوْمٌ. ويقال للنساء إذا نُحْنَ: نَوْح، والمعنى: يذهب ماؤها غائراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمُ طَلَبُك فلا يبقى له أثر تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأرشية. وقال ابن الأنباري: ﴿ غُوراً ﴾ إذا غورا فسقط المضاف، وخلفه المضاف إليه، والمراد بالطلب هاهنا: الوصول، فقام الطلب مقامه لأنه سببه. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: ﴿ غُؤُوراً ﴾ برفع الغين والواو [الأولى] جميعاً، [وواو بعدها].

﴿ وَلَحِيطَ بِشَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَثَيِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِهَا وَهِىَ خَاوِيَّهُ عَلَى عُمُوشِهَا وَيَقُولُ يَلِيَّنِي لَرَ أَشَرِكَ بِرَقِيٓ أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُن لَلَمْ يَنتُهُ يَصُمُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مُنفِيرًا ۞ هُمَنالِكَ ٱلْوَلَيَةُ بِقِي الْحَقَيُّ هُوَ خَيِّرٌ قَابًا وَخَيْرُ عُقَبًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَرِيهِ أَي: أحاط اللَّهُ العذابَ بشمره، وقد سبق معنى الشمر. ﴿فَأَصَّبَعَ يُمُلِّبُ كَثَيْهِ ﴾ أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، ﴿عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جنته، و في هاهنا بمعنى اعلى الخوف قد تهدَّمت عَوَيَةُ ﴾ أي: خالية ساقطة ﴿عَلَىٰ عُهُوشِهَا﴾ والعُروش: السقوف؛ والمعنى: أن حيطانها قائمة والسقوف قد تهدَّمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنها على السقوف. ﴿وَيَقُولُ يَلَيْنَنِي لَرُ أُشَرِكِ مِرَقِ لَمَا ﴾ فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقق ما أنذره [به] أخوه في الدنيا، ندم على شركه حين لا تنفعة الندامة. وقيل: إنما يقول هذا في

⁽١) ﴿ الطبري؛ ١٥/ ٢٤٧، و﴿ القرطبي؛ ١٠/ ٤٠٥، و﴿ خزانة الأدب، ٢٩٠/٢.

⁽٢) وكذلك قال الطبري ٢٤٨/١٥.

⁽٣) في نسخة الرباط: نازل من السماء.

القيامة ﴿ وَلَمْ تَكُن لَمُ يِنَدُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «ولم تكن، بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولم يكن، بالياء. والفئة. الجماعة ﴿ يَصُرُونَهُ أَي: يمنعونه من علاب الله.

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلِيَةَ عَرَا ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الوَلاية» بفتح الواو، ورفع «الحقّ»، خفضاً. وقراً حمزة: «الوِلاية» بكسر الواو، ورشه الحق» بكسر القاف أيضاً. وقراً أبو عمرو بفتح الواو، ورفع «الحقّ»، ووافقه الكسائيُّ في رفع القاف، لكنه كسر «الوِلاية»، قال الزجاج: معنى الولاية في [مثل] تلك الحال: تبيين نصرة ولي الله. وقال غيره: هذا الكلام عائد إلى ما قبل قصة الرجلين. فأما من فتح واو «الوَلاية» فإنه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر، أراد السلطان والملك على ما شرحنا في آخر [الانفال: ٢٧]. فعلى قراءة الفتح، في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم يتولَّون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرَّؤون مما كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة. والثاني: هنالك التُلطان لله. قال يتولَّى الله أمر الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين. وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السُّلطان لله. قال أبو علي: من كسر قاف «الحقّ»، جعله من وصف الله على ومن رفعه جعله صفة للولاية. فإن قبل: لم نُعت الولاية وهي مؤنثة بالحقّ وهو مصدر؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحلهما: أن تأنيثها ليس حقيقياً، فحُملت على معنى النصر؛ والتقدير: هنالك النصر لله الحقّ، كما حُملت الصيحة على معنى الصياح في قوله: ﴿ وَأَمَاذَ ٱلدِّرِي كَالمُولِي وَلَمْ والمؤنث والاثنان والجمع، فيقال: قولك حق، المسَّد، وأقوالكم حق. ويجوز ارتفاع الحق على المدح للولاية، وعلى المدح لله تعالى بإضمار «هو».

قوله تعالى: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابُ أَي: هو أفضل ثواباً ممن يُرجى ثوابه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله تعالى: ﴿ وَخَيْرُ عُلُبُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: اعُقُباً عضمومة القاف. وقرأ عاصم، وحمزة: اعُقْباً ساكنة القاف. قال أبو علي: ما كان [على] النُعُل جاز تخفيفه، كالعُنْق، والطُّنُب. قال أبو عبيدة: العُقُب، والعُقْب، والعُقبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿ وَامْدِبْ لَمُم مَثَلَ الْمَيْوَةِ الدُّيْ كَمَآهِ أَنزَلَنَهُ مِنَ السَّمَآهِ فَاغْتَلَطَ بِهِ نَبَاثُ الأَرْضِ فَأَصْبَعَ هَشِيمًا نَذْدُهُ الرَّيْثُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ مُثْنَالًا ﴾ تُقْتِيدًا ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَاشْرِبُ لَمُ مَّنَلَ الْمَيْوَةِ الدَّيْكَ أَي: في سرعة نفادها وذهابها، وقيل: في تصرُّف أحوالها، إذ مع كلِّ فرحة تَرْحة، وهذا مفسر في سورة [بونس: ٢٤] إلى قوله: ﴿ فَأَصْبَعَ هَشِيمً ﴾. قال الفراء: الهشيم: كل شيء كان رطباً فيبس. وقال الزجاج: الهشيم: النبات الجاف. وقال ابن قتيبة: الهشيم من النبت: المتفتِّت، وأصله من هشمتُ الشيء: إذا كسرتَه، ومنه سمِّي الرجل هاشماً. و﴿ فَرَرُهُ الرِّبَ ﴾ تنسفه. وقرأ أبيّ، وابن عباس، وابن أبي عبلة: قتُذْرِيْهِ الشيء: إذا كسرتَه، ومنه سمِّي الرجل هاشماً. و﴿ فَرْرُهُ الرِّبَ ﴾ تنسفه. وقرأ أبيّ، وابن عباس، وابن أبي عبلة: قتُذْرِيْهِ الناء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة. وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء. والمقتدر: مُفتَعِل، من قدرتُ. قال المفسرون: ﴿ وَمَا الله عَنْ كُلُ تَيْعِ ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿ مُقَايَلُ ﴾

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْمَنَوْرِ الدُّنيَّ وَالْبَقِينَتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَغَيْرُ أَمَلًا ﴿

قوله تعالى: ﴿ اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْمَيَزْةِ اَلدُّنِيَ﴾ هذا ردُّ على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يُتزيَّن به في الدنيا، [لا] مما ينفع في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَقِيَتُ ٱلمَّلِكَتُ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبره؛ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إنْ عجزتم عن الليل أنْ تكابدوه، وعن العدو أنْ تجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فقولوها: فإنّهن الباقيات الصالحات (١)، وهذا قول

⁽١) أورده السيوطي في «اللره ٤/ ٢٢٥ من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة ،

ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. وسئل عثمان بن عفان رهي عن الباقيات الصالحات، فقال هذه الكلمات، وزاد فيها: «ولا حول ولا قوَّة إلا بالله (١٠). وقال سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي مثله سواء. والثاني: «أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوة إلا بالله»، رواه على بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ (٢) . والثالث: أنها الصلوات الخمس، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم. والرابع: الكلام الطيِّب، رواه العوفي عن ابن عباس. والخامس: هي جميع أعمال الحسنات، رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فَيْرُّ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ أي: أفضل جزاء ﴿ وَغَيْرُ أَمَّلًا ﴾ أي: خير مما تؤملون، لأن آمالكم كواذب، وهذا أمل لا يكذب.

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَيْرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةٌ وَحَشَرْتِهُمْ فَلَمْ نُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِشُوا عَلَن رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِنْشُمُونَا كَمَا خَلَقَنكُرُ أَوْلَ مَرَّةً بَلْ زَعْشُرْ أَلَن خَمْلَ لكُر مَزْعِدًا ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِنْتُ فَنَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْنِفِينَ مِنّا فِيهِ وَيَتُولُونَ بَوَيْلَنَنَا مَالِ هَذَا ٱلْكِنْتُ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةَ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنْهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَبِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِتُ رَبُّكَ أَحَدًا 🚳 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَتِكَةِ ٱسْمُدُوا لِآدَمَ مَسَجَدُوا إِلَّا إِلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِيِّنَ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّيهُ أَفَنْتَخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَكُهُ أَوْلِيكَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوًّا بِنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۞ ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنشُيهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَشْدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ لَلِهَهَالَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ويوم تُسَيِّرُ اللَّتَاء ﴿الجبالُ وفعاً. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «نُسَيِّرُ» بالنون «الجبالَ» نصباً. وقرأ ابن محيصن: «ويوم تَسِيْرُ» بفتح التاء وكسر السين وتسكين الياء «الجبالُ» بالرفع. قال الزجاج: «ويوم» منصوب على معنى: اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تُسِيرُ الجبال. قال ابن عباس: تُسيَّر الجبال عن وجه الأرض، كما يُسيَّر السحاب في الدنيا، ثم تكسّر فتكون في الأرض كما خرجت منها.

قوله تعالى: ﴿وَرَّكَ ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ وقرأ عمرو بن العاص، وابن السميفع، وأبو العالية: "وتُرى الأرضُ بارزةً، برفع التاء والضاد. وقرأ أبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه فتح ضاد «الأرضّ». وفي معنى «بارزة» قولان: أحدهما: [ظاهرة] فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناءٍ، قاله الأكثرون. والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْتُهُمْ ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُنَادِرْ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: فلم نُخَلُّف، يقال: غادرتُ كذا: إذا خلَّفته، ومنه سمى الغَدِير، لأنه ماءٌ تُخَلِّفُه السيول. وروى أبان: «فلم تغادر» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ إن قيل: هذا أمر مستقبل، فكيف عُبِّر [عنه] بالماضي؟ فالجواب: أن ما قد علم الله وقوعه، يجرى مجرى المعايّن، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وفي معنى قوله: ﴿صَنَّا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿مُّ ٱثْنُواْ صَفّاً ﴾ [طه: ٢٤]، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: وعُرضوا على ربُّك مصفوفين، هذا مذهب البُصريين. والثالث: أن المعنى: وعُرضوا على ربِّك صفوفاً، فناب الواحد عن الجميع، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِيمُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: ٥]. والرابع: أنه لم يَغبُ عن الله منهم أحد، فكانوا كالصف الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. وقد قيل: إن كُّل أمة وزمرة صفٌّ.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدُّ حِنَّتُمُونًا ﴾، فيه إضمار «فيقال لهم». وفي المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكُلّ. والثاني: الكُفار، فيكون اللفظ عامًّا، والمعنى خاصًّا. وقوله: ﴿كُمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مفسر في [الانعام: ٩٤]. وقوله: ﴿لَمْ زَعْشُرٌ ﴾ خطاب للكفار خاصة، والمعنى: زعمتم في الدنيا ﴿أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴾ للبعث، والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَرُضِعَ ٱلْكِنَّابُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكتاب الذي سُطِر فيه ما تعمل الخلائق قبل وجودهم،

أورده السيوطي في االمد؛ ٢٢٥/٤ من رواية أحمد، وابن جرير، وابن المنذر عن عثمان ﷺ. أورده السيوطي في «المد؛ ٢٢٥/٤ من رواية ابن مردويه عن علي ﷺ.

قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحساب، قاله ابن السائب. والثالث: كتاب الأعمال، قاله مقاتل. وقال ابن جرير: وُضع كتاب أعمال العباد في أيديهم، فعلى هذا، الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مجاهد: [هم] الكافرون. وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذُكر في القرآن. فالمراد به: الكافر.

قوله تعالى: ﴿مُشْنِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال السيئة ﴿وَيَقُولُونَ يَنَوَيَلَنَا﴾ هذا قول كل واقع في هَلَكة. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿ يُحَسَّرُنَا﴾ [الانعام: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لا يُمَّادِرُ صَفِيرَةٌ وَلا كَبِيرَةٌ إِلَّا أَحْصَنْهَا ﴾ هذا على ظاهره في صغير الأمور وكبيرها؛ وقد روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. وقد يُتوهّم أن المراد بذلك صغائر الذنوب وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضحك والتبسم، مجرَّدهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من صغار الأنعال، والضحك فعلى كبير، وقد روى الضحاك عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: القهقهة بذلك؛ فعلى هذا يكون ذنباً من الذنوب لمقصود فاعله، لا لنفسه. ومعنى فأحصاها»: عدَّها وأثبتها، والمعنى: وُجدتْ مُحصاةً. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَبِلُوا حَاضِراً. وقال أبو سليمان: الصحيح عند المحققين أن صغائر المؤمنين الذين وُعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنما يعفى عنها في الآخرة بعد أن يراها صاحبها.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَمَلَهُ قَالَ أَبُو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزاد في سبئات الكافر. وقيل: إن كان للكافر فِعل خير، كعتق رقبة، وصدقة، خفّف عنه به من عذابه، وإن ظِلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله. ثم إن الله تعالى أمر نبيه لله أن يذكّر هؤلاء المتكبّرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال: ﴿وَإِذْ مُلْنَا﴾ أي: اذكر ذلك. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِ﴾ قولان: أحدهما: أنه من الجن حقيقة، لهذا النص؛ واحتج قائلوا هذا بأن له ذرية _ وليس للملائكة ذرية _ وأنه كفر، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر. والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: "من الجن»، لأنه كان من قبيلٍ من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِيهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرُّطبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه، قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا. والثالث: ففسق عن ردِّ أمر ربَّه، حكاه الزجاج عن قطرب.

قوله تعالى: ﴿أَنْنَتَخِذُونَهُ وَذُرِيَّتُهُ أَوْلِيَا مَن دُونِ ﴾ [أي]: توالونهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسن، وقتادة: ذريته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. قال مجاهد: ذريته: الشياطين، ومن ذريته زَلنبُور صاحب راية إبليس بكل سوق، وثبر، وهو صاحب المصائب، والأعور صاحب الرياء، ومِسْوَط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس، فلا يوجد لها أصل، وداسم صاحب الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله، فهو يأكل معه إذا أكل، قال بعض أهل العلم: إذا كانت خطيئة الإنسان في كِبْر فلا تَرْجُه، وإن كانت في شهوة فارجه، فإن معصية آدم بالشهوة.

قوله تعالى: ﴿ يِنْنَى لِلظَّلِيمِينَ بَدَلَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بئس الاتخاذ للظالمين بدلاً. والثاني: بئس الشيطان. والثالث: بئس الشيطان والذرَّيَّة، ذكرهنَّ ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَّا أَشَهَدَتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: "ما أشهدناهم، بالنون والألف. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: إبليس وذريته. والثاني: الملائكة. والثالث: جميع الكفار. والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: إني لم أشاورهم في خلقهن؛ وفي هذا بيان للغناء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلُقَ أَنشُهِمْ﴾ أي: ما أشهدت بعضَهمْ خَلْقَ بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ اللَّهِ الْمِعْلِينَ﴾ [يعني: الشياطين] ﴿عَشُكًا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَضُد يستعمل كثيراً في معنى العون، لأنه قِوام [اليد]، قال الزجاج: والاعتضاد: التقوِّي وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلان، أي: استعنت به. وفي ما نفى اتخاذهم عضداً فيه قولان: أحدهما: أنه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلين، قاله مجاهد. والثاني: أنه خَلْق السموات والأرض، قاله مقاتل. وقرأ الحسن، والجحدري، وأبو جعفر: قوما كنتَ المنح التاء.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرِكَآءِى ٱلَّذِينَ زَعَمْتُدْ فَلَعَوْهُمْ فَلَدْ يَسْتَجِيبُوا لَمُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مُّوْبِقًا ۞ وَرَمَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَطَنُّواْ أَنَهُم مُوافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوْمَ يَعُولُ﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون، يعني: يوم القيامة ﴿نَادُوا شُرَكَاءَى﴾ أضاف الشركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿ الَّذِينَ نَعَشُمُ ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿ فَلَنَّوَهُمْ فَلَرْ يَسْتَجِبُوا لَمُمْ ﴾ أي: لم يجيبوهم، ﴿وَرَحَمْلُنَا بَيْهُم ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون والشركاء. والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة. وفي معنى (مَوْبقاً) ستة أقوال: أحدها: مَهْلِكاً، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال ابن قتيبة: مَهْلِكاً بينهم وبين آلهتهم في جهنم، ومنه يقال: أوبَقتْه ذنوبُه، [أي: أهلكتُه]. قال الزجاج: [المعنى]: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي: يهلكهم، فالمَوْبِن ('): المهلك، يقال: وَيِق، يَبْبَقُ، ويُبُوقاً، فهو وابق؛ وقال الفراء: جعلنا تواصُلهم في المنيا مَرْبِقاً، أي: مَهْلِكاً لهم في الآخرة، فالبَيْن، على هذا القول؛ بمعنى التواصل، كقوله تعالى: ﴿ لَقَد تَقَطَعَ بَيْنُكُمُ الانعام: ١٩٤ على قراءة من ضم النون. والثاني: أن المَوْبِق: وادٍ عميق يُفرَّق به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، قاله عبد الله بن عمرو. والثالث: أنه النون. والثاني : أن المَوْبِق: أن المولى، والسادس: أنه المَوْبِد، قاله أبو عبيدة. قال ابن الأنباري: إن قيل: لم قال: (مَوْبِقاً» ولم السادس: أنه المَوْبِد، قاله أبو عبيدة. قال ابن الأنباري: إن قيل: لم قال: (مَوْبِقاً» ولم يقل، (مَوْبِقاً» بضم الميم، إذ كان معناه عذاباً مُوبقاً؟ فالجواب: أنه اسم موضوع لمَحْسِ في النار، والأسماء لا تؤخذ بالقياس، فيُعلم أن «مَوْبِقاً»: مَفْعِل، من أوبقه الله: إذا أهلكه، فتنفتح الميم، كما تنفتح في «مَوْبِكه وهمَوْلِكه وهمَوْلِكه وهمَوْلِكه إذا المتبت الشخوص بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَمَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تتغيَّظ حنقاً عليهم. والمراد بالمجرمين: الكفار. ﴿فَظُنُّواَ﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَافِعُوهَا﴾ أي: داخلوها. ومعنى المواقعة: ملابسة الشيء بشدَّة ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنَهَا مُصَّرِفًا﴾ أي: مَعْدِلاً؟ والمَصْرف: الموضع الذي يُصْرَف إليه، وذلك أنها أحاطت بهم من كل جانب، فلم يقدروا على الهَرَب.

﴿ وَلَقَدْ مَمَّرَفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْشُرْوَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلًّ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكُثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۞ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُونَ إِذْ جَآمَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبِّهُمْ إِلَّا أَن تَأْفِيتُمْ شُنَةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْلِيبُهُمُ ٱلْهَذَابُ قُبُلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَنَذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قد فسرناه في [بني إسرائيل: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكُثَرَ شَوْمِ جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: أحدهما: أنه النَّضْر بن الحارث، وكان جِداله في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أبيّ بن خلف، وكان جِداله في البعث حين أتى بعظم قد رَمَّ، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟! قاله ابن السائب. قال الزجاج: كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنْعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ قال المفسرون: يعني: أهل مكة ﴿إِذْ جَآءَمُ الْهُدَىٰ ﴾ وهو: محمد ﷺ، والقرآن، والإسلام ﴿إِلَّا أَن تَأْيِبُمُ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ ﴾ وهو: أنهم إذا لم يؤمنوا عذَّبوا. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

⁽١) في الأصل: (فالموضع) بدلاً من كلمة (فالموبق)، ولعله سهو من الناسخ.

أحدها: ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سُنَّة الأولين، قاله الزجاج. والثاني: وما منع الشيطانُ الناسَ أن يؤمنوا إلا لأنَ تأتيهم سُنَّة الأولين، أي: منعهم رُشْدَهُم لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابن الأنباري. والثالث: ما منعهم إلا أنِّي قد قدَّرت عليهم العذاب. وهذه الآية فيمن قُتل ببدر وأُحُد من المشركين، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ أَرْ يَأْلِيَهُمُ الْمَذَابُ ۚ ذَكَرَ ابنَ الأنبارِي فِي ﴿ أَوِ ۗ [هاهنا] ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الواو. والثاني: أنها لوقوع أحد الشيئين، إذ لا فائدة في بيانه. والثالث: أنها دخلت للتبعيض، أي: أن بعضهم يقع به هذا، وهذه الأقوال الثلاثة قد أسلفنا بيانها في قوله ﷺ (كَمَيِّم ِ تِنَ السَّمَا ۗ (البقرة: ١٩].

قوله تعالى: ﴿ فَبُكُ فَرا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «قُبُلاً» بضم القاف والباء. وقد بيَّنا عِلَّة القراءتين في [الانعام: ١١١]. وقرأ أبيّ بن كعب، وابن مشعود: «قَبِيلاً» بوزن فَعِيل. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل «قَبَلاً» بفتح القاف من غير ياء، قال ابن قتية: أراد استثنافاً. فإن قيل: إذا كان المراد بسُنَّة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله: ﴿ أَوْ يَأْيِهُمُ الْمَذَابُ ﴾؟ فالجواب: أن سُنَّة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قُبلاً أفاد القتل يوم بدر. قال مقاتل: «سُنَّة الأولين»: عذاب الأمم السالفة؛ «أو يأتيهم العذاب قِبَلاً»، أي: عِياناً قتلاً بالسيف يوم بدر.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِدِينً وَمُبَدِلُ الَّذِينَ كَغَرُواْ بِالْبَطِلِ لِيُدْحِمثُواْ بِهِ الْمَقَّ وَالْخَنْدُواْ مَانِيقِ وَمَا أَنذِنُواْ مُمُوكاً ﴿ وَمِنْ أَظْلَدُ مِثَن ذُكِرَ بِتَابَتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَهَى مَا فَدُّمَتْ يَلَاثُمْ إِنَّا جَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِ ّ النَامِمْ وَفَرْأً وَإِن تَنْحُهُمْ إِلَى اللَهْدَىٰ فَلَن جَبَنَدُواْ إِذَا أَبَدًا ۞ وَرَبُّكَ الْفَنُورُ ذُو الرَّحْمَةُ لَوْ بُؤاخِلُهُم بِمَا حَسَبُواْ لَمَجَلَ هُمُّ الْعَدَابُ بَل لَهُم مَّوْعِدًا لَى يَجِدُواْ مِن دُونِهِهِ مَوْمِلًا ۞ وَيَلْكَ الشَّرَىٰ أَمْلَكُنَاهُمْ لَنَا طَامُواْ وَيَمَلَنَا لِبَعْلِكِهِم مِّوْعِدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَجُدِدُ اللَّهِ وَ حَمَرُوا بِالْبَعِلِي قَالَ ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين واتباعهم. وجدالُهم بالباطل: أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم ﴿ لِيُدْحِشُوا بِهِ لَلْمَنَّ ﴾ أي: ليُبْطِلوا ما جاء به محمد ﷺ. وقيل: جدالُهم: قولُهم: ﴿ لَهُوَا مَا يَعَلَىٰ اللَّهِ اللهَا الإسراء: ٤٤]، ﴿ أَوَنَا صَلْلَنَا فِي اللَّرْضِ ﴾ [السجدة: ١٥]، ونحو ذلك ليبطلوا به ما جاء في القرآن من ذِكْر البعث والجزاء. قال أبو عبيدة: ومعنى «ليُدْحِضُوا»: ليُزِيلوا ويذهبوا، يقال: مكان دَحْض، أي: مَزَلٌ لا يثبت فيه قدم ولا حافر.

قوله تعالى: ﴿ وَاَشَخُواْ ءَائِنِي ﴾ يعني القرآن ﴿ وَمَا أَنَذِرُوكِ أَي: خُوَّنوا به من النار والقيامة ﴿ هُزُولُ ﴾ أي: مهزوءاً به. قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلُمُ ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في [البقرة: ١١٤]. و﴿ وَرَبِ بمعنى: وُعِظ. وآياتُ ربّه: القرآن، وإعراضُه عنها: تهاونُه بها. ﴿ وَنَيْنَ مَا فَدَّمَتَ يَالَهُ ﴾ أي: ما سلف من ذنوبه؛ وقد شرحنا ما بعد هذا في [الانعام: ٢١] إلى قوله: ﴿ وَإِنْ مَنْ الْهُدَىٰ ﴾ وهو: الإيمان والقرآن ﴿ فَانَ بَهَتَدُوّا ﴾ هذا إخبار عن عِلْمه فيهم.

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ اَلْمَتُورُ ذُو الرَّحْمَقُ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة. ﴿ بَل لَهُم مَّوْعِلُكُ للبعث والجزاء ﴿ لَن يَجِدُواْ مِن دُونِيهِ مَوْمِلًا ﴾ قال الفراء: الموتل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجاً، والعرب تقول: إنه لَيُوائل إلى موضعه، أي: يذهب إلى موضعه، قال الشاعر:

للعامِرِيِّن، ولَهُ تُكلِّمِ"

لا وَاءَلَـــَتْ نَـــَهْـــُســـكَ خَـــلَّــــثِ هـــا يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وقَدْ يُحِاذِرُ مِنْتِي ثَمَّ مَايَشِلُ (٢)

وَقَدْ أَحِبَالِسُ رَبُّ الْبَيْسِيِّ غَنفُ لَسَّهُ ۗ

أي: ما ينجو. وقال ابن قتيبة: الموثل: الملجأ. يقال: وأل فلان إلى كذا: إذا لجأ. فإن قيل: ظاهر هذه الآية يقتضي أن تأخير العذاب عن الكفار برحمة الله، ومعلوم أنه لا نصيب لهم في رحمته. فعنه جوابان: أحدهما: [أن]

⁽١) البيت غير منسوب في الطبري، ٢٦٩/١٥، والقرطبي، ٨/١١، واللسان،: وأل.

⁽٢) ديوانه بشرح المذكتور محمد حسين ص٥٩، والطبريُّ ١٥/٢٦٩، وامجاز القرآن؛ ٨٨١١، والقرطبي؛ ٨/١١.

الرحمة هاهنا بمعنى النعمة، ونعمة الله لا يخلو منها مؤمن ولا كافر. فأما الرحمة التي هي الغفران والرضى، فليس للكافر فيها نصيب. والثاني: أن رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة، فأما في الدنيا، فإنهم ينالون منها العافية والرزق.

ق**وله تعالى: ﴿وَيَلْكَ ٱلْقُرَکَ﴾** يويد: التي قصصنا عليكَ ذِكْرها، والمراد: أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهَلَكُنَهُمْ﴾ والمراد: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب. قال الفراء: قوله: ﴿لَمَنَا ظَلَمُوا ﴾ معناه: بعدما ظَلَموا.

قوله تعالى: ﴿وَمَعَلَنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام؛ قال الزجاج: وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم. والثاني: أن يكون وقتاً، فالمعنى: لوقت هلاكهم. وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وهو مصدر مثل الهلاك. وقرأ حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، ومعناه: لوقت إهلاكهم.

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِمُتَسَلَمُ لَا آنِسَتُ حَقَّى آنِيكُمْ مَجْسَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ آمَضِىٰ حُقْبًا ﴿ فَلَمَنَا بَلَفَا جَمِّمَ بَيْنِهِمَا لَمِينَا عُولَهُمَا مَا لَمُنْ مَسْبَا ﴿ فَلَمْنَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّمُ اللّهُ عَلَى اللّه

قوله تعالى: ﴿ لَهِ أَنَّ مُوسَىٰ لِفَتَنَذَّهُ . . ﴾ ، الآية، سبب خروج موسى ﷺ في هذا السفر، ما روى ابن عباس عن أبتي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل عليه إذ لم يَرُدُّ العِلْم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك؛ قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكتل، فحيثما فقَدتَ الحوت فهو ثُمَّ. فانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً، وأمسك الله عن الحوت جِرْيَةَ الماء، فصار عليه مثل الطاق (١) . فلما استيقظ نسي صاحبُه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً، قال: ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال فتاه: ﴿أَنَّأَتُ إِذْ أَفَيْنًا إِلَى ٱلصَّخْرَةُ · · · ﴾ إلى قوله: ﴿عَجَبُ ا ﴾، قال: فكان للحوت سَرَباً، ولموسى ولفتاه عجباً، فقال موسى: ﴿فَالِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدًا عَلَىٰ ءَانَارِهِمَا قَصَحًا﴾ قال: رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا هو مسجَّى بثوب، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأتَّى بأرضك السلام ! مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلّمني مما علّمت رُشْداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على عِلْم مِنْ عِلْم الله لا تعلمُه علّمنيه، وأنت على عِلْم من عِلْم الله علَّمَكُهُ لا أعلمه؛ فقال موسى: ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً؛ فقال له الخضر: فإن اتَّبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِث لك منه ذِكْراً؛ فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرَّت سفينة فكلَّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نَوْلُ (٢٠)؛ فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقَدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نَوْل عمدتَ إلى سفينتهم ﴿ مُحَوِّقُهُمَا لِنُغْرِقُ أَهْلُهَا . . ، ﴾ إلى قوله: ﴿مُشْرٌّ ﴾؟! قال: وقال رسول الله ﷺ: «كانت الأُولَى من موسى نسياناً»، وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما عِلْمي وعِلْمك من عِلم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: ﴿ أَنْلُتُ نَفْسًا زُكِيَّةً ﴾ إلى قوله: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ فقال الخضر بيده [هكذا] ،

⁽١) الطاق: عقد البناء، وجمعه: طيقان، وأطواق وهو الأزج (بيت يبني طولاً، أو السقف) _ وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خالياً. (٢) أم من أو الله الامن من الأولاد المناه المناه المناه المناه المناه المناه المناه المناه والمناه والمناه والم

 ⁽٢) أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام. قال العلماء: «أنَّى» تأتي بمعنى: أين، ومتى، وحيث، وكيف.
 (٣) أي: بغير أجر، والنول والنوال: العطاء.

 ⁽٤) قوله: فقال الخضر بيده هكذا، أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير بالفعل عن القول، وهو شائع.

فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَنَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾! ﴿فَالَ هَلَا فِرَاقُ بَيْنِ وَمَسَلُم في "الصحيحين" () وقد ذكرنا إسناده في كتاب الحدائق، فآرنا الاختصار هاهنا. فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: واذكر ذلك. وفي موسى قولان: أحدهما: أنه موسى بن عمران، قاله الأكثرون. ويدل عليه ما روي في "الصحيحين" من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفا البِكاليّ يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله ()، أخبرني أبيّ بن كعب. . . فذكر الحديث الذي قدمناه آنفاً (). والثاني: أنه موسى بن ميشا، قاله ابن إسحاق، وليس بشيء، للحديث الصحيح الذي ذكرناه. فأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف. وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه. ومعنى ﴿لاّ أَبْرَحُ﴾: لا أزال. وليس المراد به: لا أزول، لأنه إذا لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشاعر:

إذا أنت له تبرخ تودِّي أمانَةً وتحملُ أخرى أفرحننك الودائع (١)

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضِر فيه، قال قتادة: بحر فارس، وبحر الروم، فبحر الروم نحو المغرب، ويحر فارس نحو المشرق. وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين قولان: أحدهما: إفريقية، قاله أبيّ بن كعب. والثاني: طنجة، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَمْضِى حُقُبًا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجحدري، وابن يعمر: فحُقْبًا بإسكان الكاف. قال ابن قتيبة: الحُقُب: الدَّهر، والجِقَب: السُنون، واحدتها حِقْبة، ويقال: حُقْبٌ وحُقُب، كما يقال: قُفْل وقُفُل، وهُزُوٌ وكُفُوْ وكُفُوْ وأكُل وأكُل وسُخت وسُحُت، ورُغب ورُعُب ونُكُر ونُكُر، وأَذْن وأَذُن وسُخت وسُحُت، ورُغب ورُعُب، ونُكُر وأَذْن وأَذُن وسُخت وسُحُت، ورُغب ورُعُب، ونُكُر وأَذْن وأَذن وأَن وأَسُخ وسُخت وسُحُت، ورُغب ورُعُب، ونُكُر وأَذن وأَذن وأَذن وسُحتى وسُحُت، وبُعْد وبُعُد، وشُغْل وشُغُل، وتُلْث وتُلُث، وعُذر وعُذر، ونذر ونُذر، وعُمْر وعُمُر وعُمُر. وللمفسرين في المراد بالحُقُب هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الدَّهر، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة. والثالث: سبعون ألف سنة، قاله مجاهد. والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان. والسابع: أنه سنة . كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا. والسابع: أنه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفراء. والثامن: الحُقُب عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة. ومعنى الكلام: لا أزال أسير، ولو احتجت أن أسير حُقبًا.

قوله تعالى: ﴿ فَكَلَمّا بِلَفُكا يعني: موسى وفتاه ﴿ بَعْمَع يَتَنِهِما ﴾ يعني: البحرين ﴿ فَيَيا حُوتَهُما ﴾ وكانا قد تزوّدا حوتاً مالحاً في زَبيل (٥) فكانا يصيبان منه عند الغداء والعشاء، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بللُ البحر، وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة فانتضخ على الحوت الماء، فعاش، فتحرك في المِكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزوّد حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرجل، وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي، وإنما قيل: «نسيا حوتهما» توسعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزوّداه، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنما نسيه أحدهم، قال الفراء: ومثله قوله: ﴿ يَمَنُّ اللَّوْلُو وَالْمَهَا لِنهما الله وسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فلذلك أضيف النسيان إليهما.

⁽۱) البخاري ١٥٣/١ و٣٠٨/٦ و٨/ ٣٠٠، ومسلم ١٨٤٧/٤، ورواه الترمذي ٢/١٤٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

⁽٢) قوله: كذب عدو الله، قال العلماه: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغة في إنكار قوله: لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحالَ الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.

⁽۳) البخاري ۸/ ۳۱۰، ومسلم ۱۸٤٧. (۱)

⁽٤) البيت لبيهس العذري في «اللسانة: فرح.

 ⁽٥) الزَّبيل: القُفّة، والجمع: زُبُل ومثله الزّيّيل، والزّنبيل، والجمع: زنابيل.

قوله تعالى: ﴿ فَأَغَفَذُ سَكِيلُمُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَاكُ أَي: مسلكاً ومذهباً. قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمسُّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة. وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً. وقد ذكرنا في حديث أبيّ بن كعب أن الماء صار مثل الطاق على الحوت.

قوله تعالى: ﴿ فَلْمَا جَافِلُهُ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوت، أصابهما ما يصيب المسافر من النَّصَب، فدعا موسى بالطعام، فقال: ﴿ وَلَنَّا خَدَاءَنَا ﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة. والنَّصَب: الإعياء. وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى. ﴿ قَالَ ﴾ يوشع لموسى: ﴿ أَنَّ يَتُ إِذْ أَوْيَنَا لَهُ السَّخْرَة ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿ فَإِنِي شِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: نسيتُ أن أخبرك خبر الحوت. والثاني: نسيت عمل الحوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسَلَيْهُ﴾ قرأ الكسائي: «أنسانيه» بإمالة السين [مع كسر الهاء]. وقرأ ابن كثير: «أنسانيهي» بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء. وروى حفص عن عاصم: «أنسانيه إلا» بضم الهاء [في الوصل].

قوله تعالى: ﴿وَالْخُنُدُ سَهِيلُمُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوت. وفي المُتَخِذ قولان. أحدهما: أنه الله ظان، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: فاتخذ سبيله في المحوت، ثم في المخبر عنه قولان: أحدهما: أنه الله ظان، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: فاتخذ سبيله في المبحر يُري عجباً، ويُحدث عجباً، والثاني: أنه الله تعالى: ﴿وَالْمُنْذَ سَهِيلُمُ فِي ٱلْمَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عجباً، وتنبَّهوا لهذه الآية. والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: «في البحر، فقال موسى: عجباً، لما شوهد من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والثاني: [أن] المُخبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت، والقول الثاني: أن المتخِذ موسى، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً، فدخل في المكان الذي مَرَّ فيه الحوت، فرأى المحضر. وروى عطية عن ابن عباس قال: رجع موسى إلى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿فَاكِ مَا كُنَّا نَبَغٌ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدَّالة على مطلوبنا، قرأ ابن كثير: «نبغي» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء في الحالين.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْتَدًا عَلَى اللَّهِ عَالَ الزجاج: أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصّان الأثر، والقصص: اتَّباع الأثر.

قوله تعالى: ﴿ وَوَبَهُذَا عَبُدُا مِنْ عِسَادِنّا ﴾ يعني: الخضر. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: اليسع، قاله وهب، ومقاتل. والثاني: الخَضِر بن عاميا. والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابن المنادي. والرابع: بليا بن ملكان، ذكره على بن أحمد النيسابوري. فأما تسميته بالخضر، ففيه قولان: أحدهما: أنه جلس في فروة بيضاء فاخضرَّت، رواه أبو هريرة عن رسول الله الله الله الله على المنابسة. والثاني: أنه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله، قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضرَّ ما حوله. وهل كان الخضر نبياً، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكر بن الأنباري، وقال: كثير من الناس يذهب إلى أنه كان نبياً (٢)، وبعضهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلف العلماء هل هو باقي إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا

⁽١) روى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة رقي عن النبي ﷺ في الخضر قال: «إنما سمي خضراً، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تعتد خضراء» وجاء في «صحيح البخاري» ٣٠٩/٦ عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». قال ابن كثير: والمراد بالفروة هاهنا: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات.

⁽٢) قال ابن كثير ٩٩/٣ عند قوله تعالى على لسان الخضر ﷺ ﴿ وَمَا لَمَلَتُهُ عَنْ أَرْعَهُ ﴾ : وما فعلته عن أمري، لكني أمرت به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ﷺ مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ فَرْيَكُمْ عَمْدًا يَنْ عِسَاءِنَا ۚ تَالْيَنَهُ رَحْمَــَةً يَنْ عِنْهَا وَعَلَمَـنَهُ مِن لَدُنَا عِلْما ﴾ . وقال الآلوسي في قررح المعاني، ٢٩٣/١٥؛ الجمهور على أنه نبي.

يقول، ويقبِّح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائه (۱). وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي 端: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد،؟ إ(۱٪).

قوله تعالى: ﴿مَالَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا ﴾ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النبوَّة، قاله مقاتل. والثاني: الرِّقة والحُنُوُّ على من يستحقه، ذكره ابن الأنباري. والثالث: النِّعمة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَهُ مِن لَّذَنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿عِلْمُنَّا ﴾ قال ابن عباس: أعطاه عِلْماً من عِلْم الغيب.

﴿ وَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلَ أَنَبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُمُلِينِ مِمَا عُلِسَتَ رُشَدًا ۞ قَالَ إِنَكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِى صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ نَصْدِرُ عَلَ مَا تَرَ يُحِطُ إِن مَنَاهَ اللّهُ صَالِرًا وَلَا أَعْمِى لَكَ أَمْرًا ۞ ﴾ يعد خُبُرًا ۞ قالَ سَتَعِدُنِ إِن شَآةَ اللّهُ صَالِرًا وَلَا أَعْمِى لَكَ أَمْرًا ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَ تُعَلِّمُنِ ﴾ قرأ ابن كثير: «تعلمني مما» بإثبات الياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم بحذف الياء في الحالين.

قوله تعالى: ﴿ وَمُنَّا عُلِنْتَ رُشْدًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «رُشداً» بضم الراء، [وَإسكان الشين] خفيفة. وقرأ أبو عمرو: «رَشَداً» بفتح الراء والشين. وعن ابن عامر بضمهما. والرُّشُد، والرَّشَد: لغتان، كالنُّخُل والنَّخُل، والعُجْم، والعُجْم، والعُرْب والعَرَب، والمعنى: أن تعلمني عِلْماً ذا رشد. وهذه القصة قد حرَّضت على الرحلة في طلب العلم، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل، وحثَّت على الأدب والتواضع للمصحوب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَيْنَ صَبْرًا﴾ قال ابن عباس: لن تصبر على صنعي، لأني علمت من غيب علم ربي. وفي هذا الصبر وجهان: أحدهما: على الإنكار. والثاني: عن السؤال.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ مَنَ مَا لَرَ يُحِطُ يهِ خُبُرًا ﴿ ﴾ الحُبْر: عِلْمك بالشيء؛ والمعنى: كيف تصبر على أمر ظاهره مُنْكر، وأنت لا تعلم باطنه؟!

قوله تعالى: ﴿ سَتَجِلُنِ آ إِن شَآءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْمِى لَكَ أَثَرُ ﴾ قال ابن الأنباري: نفي العصيان منسوق على الصبر (٢) . والمعنى: ستجدني صابراً ولا أعصي إن شاء الله .

وَقَالَ قَإِنِ النَّمْتَنِي فَلَا تَتَنَأَنِي مَن تَنْ وَ حَقَّ أُسُوتُ لَكَ مِنْهُ وَكُلُ ۞ فَاطَلَقَا حَقِّ إِذَا رَكِبًا فِي السَّفِيدَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرْتُهَا لِلْغُونَ اللّهَ الْقَدْ جِنْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۞ قَالَ اللّهَ اللّهَ أَنْلُ إِلَمْكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَيْنَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا لُوَاعِلُونِ بِمَا لَمِيتُ وَلَا تُرْفِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۞ قَالَ لَا لُوَاعِلُونِ بِمَا لَمِيتُ وَلَا تُرْفِقْنِي مِنْ أَمْرِي مُسْرًا ۞ قَالَ اللّهَ أَنْلُ اللّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مِ بَعْدَهَا فَلَا شُعْدِيقِي قَدْ بَلْقَتْ مِنْ لُدُنِي مُنْذَا ﴿ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْنَافِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «فلا تسالني» ساكنة اللام. وقرأ نافع: «فلا تسالني» مفتوحة اللام مشددة النون. وقرأ ابن عامر في رواية الداجوني: «فلا تسالني عن شيء» بتحريك اللام من غيرياء، والنون مكسورة. والمعنى: لا تسألني عن شيء مما أفعله ﴿ حَقَّ أَصْدِثَ اللَّهِ مِنْهُ ذَكَّلُ ﴾ أي: حتى أكون أنينة لك، لأن عِلْمه قد غاب عنك.

قوله تعالى: ﴿ مُرْفُهُا ۚ ﴾ أي: شقَّها. قال المفسرون: قلع منها لوحاً، وقيل: لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى

⁽۱) وممن جزم بأنه غير موجود الآن، البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي، وطائفة، وعمدتهم الحديث الآتي: ﴿لا يبقى على رأس مائة سنة. . . ٩ إلخ. والأخبار التي تدل على بقائه، ضعيفة.

 ⁽۲) البخاري ۱/۱۸۸، ومسلم ۱۹۲۰/۶، باختلاف يسير في ألفاظه.
 (۳) أي: معطوف على الصبر، والنحويون يسمون حروف العطف: حروف النسق.

بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿ أَخَرَقْهَا لِلْقَرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: التُغرِق، بالتاء «أهلَها» بالنصب. وقرأ حمزة، والكسائي: «لَيْغَرَق» بالياء «أهلُها» برفع اللام. ﴿ لَقَدْ حِتْتَ شَيْئًا إِمْرَا﴾، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منكراً، قاله مجاهد. وقال الزجاج: عظيماً من المنكر. والثاني: عجباً، قاله قتادة، وابن قتيبة. والثالث: داهية، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَا نُوَاعِنَٰنِ بِمَا نَسِيتُ فِي هذا النسيان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على حقيقته، وأنه نسي، روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أن الأولى كانت نسياناً من موسى (١٠). والثاني: أنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، قاله أبيّ بن كعب، وابن عباس. والثالث: أنه بمعنى التَّرك. فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتك عليه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُرْهِتَهِ ﴾ قال الفراء: لا تُعجلني. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: لا تُغْشِني. قال أبو زيد: يقال: أرهقتُه عسراً: إذا كلفتَه ذلك. قال الزجاج: والمعنى: عاملني باليُسْرِ، لا بالعُسْرِ.

قوله تعالى: ﴿ فَٱطَلَقَا﴾ يعني: موسى والخضر. قال الماوردي: يحتمل أن يوشع تأخر عنهما، لأن الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تَبُعٌ لموسى، فاقتصر على حكم المتبوع.

قوله تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا لَتِمَا ظُلْمَا﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن بالغاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، والأكثرون. والثاني: أنه كان شابّاً قد قبض على لحيته، حكاه الماوردي عن ابن عباس أيضاً، واحتج بأن غير البالغ لم يَجْرِ عليه قلم، فلم يستحق القتل. وقد يُسمَّى الرجلُ غلاماً، قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج:

[شَفَاهَا مِن الدَّاءِ العُضَالِ الذي بها] غُلامٌ إذا هِزِّ القناةَ سقاها(٢)

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اقتلع رأسه، وقد ذكرناه في حديث أُبَيٍّ. وا**لثاني:** كسر عنقه، قاله ابن عباس. وا**لثا**لث: أضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿ أَنْلُتَ نَفْسًا زُكِيَّةٌ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: "زكيَّة بنير ألف، والياء مشددة. وقرأ الباقون بالألف من غير تشديد. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسية. وللمفسرين فيها ستة أقوال: أحدها: أنها التائبة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزكية: التائبة، [وبه] قال الضحاك. والثاني: أنها الزكية النامية، قاله عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: القويمة في تركيبها. والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة. والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها، قاله الزجاج. وقد فَرَّق بعضهم بين الزاكية، والزكيّة، فروي عن أبي عبيدة أنه أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الزاكية: التي لم تذنب قطً، والزكية: التي أذنبت ثم تابت. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين.

قوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿ لَقَدْ حِثْنَ شَيْنًا نُكُرُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «نكُراً» خفيفة في كل القرآن، إلا قوله: ﴿ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ [النمر: ٦]، وخفف ابن كثير أيضاً: ﴿ إِلَى شَيء نُكُر » مثقل. والمخفف إنما هو من المثقل، كالعُنْق، والعُنْق، والنكر، والنكر، قال الزجاج: والمعنى: لقد أتيت شيئاً نكراً. ويجوز أن يكون معناه: جثت بشيء نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، و«نكراً» أقل منكراً من قوله: «إمراً» لأن تغريق مَنْ في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة.

إذا نسزل السحسجساج أرضاً مسريضة تستبيَّع أقسمسي دائسها فسشسفساها.

⁽١) هذه قُطعة من الحديث الطويل الذي تقدم سابقاً في ٨٥٩ ــ ٨٦٠.

⁽٢) الأغاني طبع الدار ٢٤٨/١١، والقرطبي، ٢١/١١، والبحر المحيط، ٦/١٥، وادوح المعاني، ١٥٠/٣١، وقبله:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلُ لَكَ ﴾. إن قيل: لم ذكر (لك) هاهنا، واختزله من الموضع الذي قبله؟ فالجواب: أن إثباته للتوكيد، واختزاله لوضوح المعنى، وكلاهما معروف عند الفصحاء. تقول العرب: قد قلت لك: اتق الله. وقد قلت لك: يا فلان اتق الله، وأنشد ثعلب.

وقبلتُ: يا هَذا أَطِعْنِي وَانْطَلِقْ قىد كىنىتُ حَدذَّرْتُىكَ آلَ الىمىضِ ظَالِىقْ

فقوله: يا هذا، توكيد لا يختل الكلام بسقوطه. وسمعت الشيخ أبا محمد الخشاب يقول: وقَّره في الأول، فلم يواجهه بكاف الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْنُكَ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصُيِّخِنِّي﴾ وقرأ كذلك معاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، والأعرج، إلا أنهم شدَّدوا النون. قال الزجاج: ومعناه: إن طلبتُ صحبتك فلا تُتَابِعني على ذلك. وقرأ أبئُ بن كعب، وابن أبي عبلة، ويعقوب: ﴿فلا تُصحبني بفتح التاء من غير ألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والأعمش كذلك، إلا أنهم شددوا النون. وقرأ أبو رجاء، وأبو عثمان النهدي، والنخعي، والجحدري: اتُصْحِبْني، بضم التاء، وكسر الحاء، وسكون الصاد والباء. قال الزجاج: فيهما وجهان: أحدهما: لا تتابعني في شيء ألتمسه منك. يقال: قد أصحب المهر: إذا انقاد. والثاني: لا تصحبني علماً من علمك. ﴿ فَلَّا بَلَنْتُ مِن لَّذِنِّ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «من لدنِّي، مثقل. وقرأ نافع: «من لدُني، بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر عن عاصم: «من لَدْني، بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: ﴿لَذْنَى ۚ بَضُمُ اللَّامُ وتُسكِّينَ الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون، لأن أصل الدن الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكِّن النون ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: من لدنِّي، كما تقول: عن زيد وعنِّي. فأما إسكان دال الَّذني، فإنهم أسكنوها، كما تقول في عضُد: عَضْد، فيحذفون الضم. قال ابن عباس: يريد: إنك قد أُعذرت فيما بيني وبينك، يعني: أنك قد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبراً.

قُوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلُفَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَخْلَ فَرَيَةِ ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أنطاكية، قاله ابن عباس. والثاني: الأَبْلَّة، قاله ابن سيرين. والثالث: باجروان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ اَسْتَطْعَمَا أَمْلَهَا ﴾ أي سألاهم الضيّانة ﴿ فَأَبُوا أَن يُشَيِّئُوهُمَا ﴾ روى المفضل عن عاصم: ﴿ يُضيفوهما ﴾ بضم الياء الأولى وكسر الضاد وتخفيف الياء الثانية. وقرأ أبو الجوزاء كذلك، إلا أنه فتح الياء [الأولى] وقرأ الباقون: ﴿يَضِيُّفُوهِما ﴾ بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية وكسرها. قال أبو عبيدة: ومعنى يضيُّفوهما: ينزلوهما منزل الأضياف، يقال: ضِفت أنا، وأضافني الذي يُنزلني. وقال الزجاج: يقال: ضِفتُ الرجل: إذا نزلتَ عليه، وأضفته: إذا أنزلته وَقَرَيْتُهُ. وقال ابن قتيبة: [يقال]: ضيفت الرجل: إذا أنزلتَه منزلة الأضياف، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضِفته: نزلت عليه. وروى أبيُّ بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً» (``.

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدًا فِيهَا حِدَائُكُ أي: حائطاً. قال ابن فارس: وجمعه جُدُر، والجَدْر: أصل الحائط. ومنه حديث الزبير: «ثم دع الماء يرجع إلى الجَدْر» "، والجيدر: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضُ﴾ وقرأ أبئُ بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بألف ممدودة، وضاد معجمة؛ وقرأ ابن مسعود، وأبر العالية، وأبو عثمان النهدي: (ينقاص) بألف ومدة وصاد غير معجمة، وكلُّه بلا تشديد. قال الزجاج: فمعنى: ينقضّ: يسقط بسرعة، وينقاص _ غير معجمة: ينشق طولاً، يقال: انقاصت سِنُّه: إذا انشقَّت. قال ابن مقسم: انقاصت سِنُّه، وانقاضت ـ بالصاد، والضاد ـ على معنى واحد. فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، ويريد: لأن هيئته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر

رواه مسلم ٤/ ١٨٥٢ بلفظ «حتى إذا أثيا أهل قرية لئاماً» وهو قطعة من حديث طويل. في البخاري ٥/٢٢٧: «اسق يا زبير ثم احبس حتى بيلغ الجدر» وهو في «النسائي» ٨/ ١٣٩، وهو جزء من حديث طويل.

من أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوُّزاً، قال الله عَلَىٰ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن تُوسَى ٱلْفَضَبُ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وقال: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَبْرُ ﴾ [محد: ٢١]، وأنشدوا من ذلك:

إنَّ دَهْ راً يَسلُن شَسَمْ لِي يِسجُ مُللِ وقال آخر:

يُسويسدُ السرَّمْسخُ صَسدْدَ أَبِسي بَسوَاءٍ . وقال آخر:

ضحكوا والدهر عنهم ساكت

يَـشْكُـو إلـيَّ جَـمَـلِـي طُـولَ الـسُّـرَى وهذا كثير في أشعارهم.

لَـزَمَـانٌ يَسهُـمُ بِالإِخـسان(١)

وَيَسرْغَبُ عَسنْ دِمَاءِ بَنِي عسقيسلِ(٢)

ثم أبكاهم دماً لَمَّا نَطَقْ .

[صَبْراً جَمِيلاً فَكِلانا مُبْتَلَى](")

قوله تعالى: ﴿فَأَقَــَامَكُمُ ﴾ أي: سوّاه، لأنه وجده ماثلاً. وفي كيفية ما فعل قولان: أحدهما: أنه دفعه بيده فقام. والثاني: هدمه ثم قعد يبنيه، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ لَوَ شِنْتَ لَنَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجُرا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَتَخِذْتَ ، بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدخم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «لا تَّخَذْتَ » وكلُّهم أدغ يا، إلا حفصاً عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تَخِذ يَتْخَذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هذا، لأنهم لم يضيَّفوهما.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿ هَذَا﴾ يعني: الإنكار عَلَيَّ ﴿ فِرَاقُ بَيْنِي وَيَنِكُ ﴾ أي: هو المفرِّق بيننا. قال الزجاج: المعنى: هذا فراقُ بيننا، أي: فراق اتصالنا، وكرر «بين» توكيداً، ومثله في الكلام: أخزى اللَّهُ الكاذب مني ومنك. وقرأ أبو رزين، وابن السميفع، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «هذا فِراقٌ» بالتنوين «بيني وبينك» بنصب النون. قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام، لربَّه، وكان قوله في الجدار، لنفسه، لطلب شيء من الدنيا

﴿ أَتَ السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِيَسْتَكِينَ بَعْمَلُونَ فِي الْبَحْمِ فَأَرَدُتُ أَنْ أَمِيبًا وَكَانَ وَرَآءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ صَنِينَةٍ عَصْبًا ﴿ وَأَمَّا الْفُلَامُ فَكَانَ أَبَوْهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْمِفَهُمَا طُفْيَنَا وَكُمْنَا ﴿ مَا أَرَدُنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَغُهُمَا خَبِكَ فِينَهُ وَكُوهُ وَأَمَّا الْفِلَامُ فَكَانَ لِفُلْكُمْيْنِ يَيْمِمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَاكَ تَعْمَهُ كَثَرُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَدِيحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَهُمَا وَيُسْتَخْرِهَا كَانَهُمَا رَحْمَةً مِن رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنَ أَمْرِهُ ذَلِكَ أَوْلِكُ مَا لَذَ تَسْلِم عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ ﴾

﴿ فَكَانَتْ لِسَكِكِينَ﴾ في المراد بمسكنتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا ضعفاءَ في أكسابهم. والثاني: في أبدانهم. وقال كعب: كانت لعشرة إخوة، خمسة زمْني، وخمسةٍ يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرَدَتُ أَنْ أَعِبَهَ أَي: أجعلها ذات عيب، يعني بخرقها، ﴿ وَكَانَ وَرَآءَمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقرأ أبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (وكان أمامهم مَلِك). والثاني: خلفهم؛ قال الزجاج: وهو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره، فأعلم الله تعالى الخضرَّ خَبَرَه.

⁽۱) البيت غير منسوب في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«الطيري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ٢١/١١، و«أمالي المرتضى» ٤/٥٥، و«الصناعتين» ٢١٤، و«اللسان» و«التاج»: دهر، وقد نسبه الألوسي في «ووح المعاني» ٦/١٦ إلى حسان بن ثابت ولم نجده في ديوانه.

 ⁽۲) البيت في التأريل مشكل القرآن، ١٠٠، والمجاز القرآن، ١٠٠١، ونسبه محققه للحارثي، والطبري، ١٨٩/١٥، والصناعتين، ٢١٢، واللهان، ١٢٥٠، والقرآن، ١٢٢٠، ونسبه الزمخشري في الكشاف، ٢٩٨٧ للراعي.

⁽٣) الرجز غير منسوب في أمجاز القرآن ٢/٣٠٣، وأتأويل مشكل القرآن ٧٩، والطبري ٢٨٩/١٥، والقرطبي ١٥٢/٩، واللسان واللسان واللسان.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة. وفي قراءة أُبيِّ [بن كعب]: «كلَّ سفينة صحيحة». قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلُها فانتفعوا بها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا النَّلَادُ ﴾ روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً». وروى أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً» ولو عاش لأرهق أبويه طفياناً وكفراً» (. قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمرُّ به أحدٌ إلا قتلَه أو غصبه، فيدعو ذلك عليه وعلى أبويه. وقال ابن السائب: كان الغلام لصّاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿ فَنَحْشِناً ﴾ في القائل لهذا قولان: أحدهما: الله عز وجل. ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان: أحدهما: أنها بمعنى: العلم. قال الفراء: معناه: فعلمنا. وقال ابن عقيل: المعنى: فعلنا فعل الخاشي. والثاني: الكراهة، قاله الأخفش، والزجاج. والثاني: أنه الخضر، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمر المتوهم، قاله ابن الأنباري. وقد استدل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله: ﴿ فَأَرَدْنا أَن يُبْدِلُهُمَا رَبُّهُمَا ﴾. قال الزجاج: المعنى: فأراد الله، لأن لفظ الخبر عن الله تعالى هكذا أكثر من أن يحصى. ومعنى ﴿ يُرفِقُهُما ﴾: يعشينهما. قال سعيد بن جبير: خشينا أن يحملهما حبيه على أن يدخلا في دينه. وقال الزجاج: فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ يقضاء الله (٢) ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره، خير له من قضائه فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْدَنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَجُهُمًا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ أَن يُبْدِلَهُما ۗ بالتخفيف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿ غَيْرًا مِنْهُ زَكَوْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ديناً، قاله ابن عباس. والثاني: عملاً، قاله مقاتل. والثالث: صلاحاً، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ رُمُكا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿رُحْماً ساكنة الحاء، وقرأ ابن عامر: ﴿رُحُماً مثقلة. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، وأبو رجاء: ﴿رَحِماً بفتح الراء، وكسر المحاء. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أوصل للرحم وأبَرّ للوالدين، قاله ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: أقرب عطفاً، وأمسّ بالقرابة. ومعنى الرُّحْم والرُّحُم في اللغة: العطف والرحمة، قال الشاعز:

وكيف بسظ السرَّ جساريسة ومنها السلِّينُ والسرُّحُسم"

والثاني: أقرب أن يُرحَما به، قاله الفراء. وفيما بُدُّلا به قولان: أحدهما: جارية، قاله الأكثرون. وروى عطاء عن ابن عباس، قال: أبدلهما به جارية ولدت سبعين نبيًّا. والثاني: غلام مسلم، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا لَلْمِدَادُ فَكَانَ لِنُلَمَيْنِ بَيْمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَنَيَّا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ ، قال مقاتل: واسمهما: أصرم، وصريم.

قوله تعالى: ﴿وَكَاكَ تَعْنَامُ كُنَّرٌ لَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ذهباً وفضة، رواه أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ وقال الحسن، وعكرمة، وقتادة: كان مالاً. والثاني: أنه كان لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يَنْصَب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يومن بالرق كيف يطمئن إليها،

⁽۱) رواه مسلم في قصحيحه، ٢٠٥٠/٤، وأبو داود ني قسننه، وقم(٤٧٠٥)، والترمذي في قجامعه، ١٤٤/٢، وأورده السيوطي في قالدر، ٢٣٧/٤ وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في فزوائد المسند،، وابن مردويه.

⁽٢) في «الطبري»، و«ابن كثير» عن قتادة: فليرض امرؤ بقضاء الله.

 ⁽٦) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ١٣/١١، و«القرطبي» ٢٧/١١، و«اللسان» و«التاج»: رحم.

⁽٤) رواه الترمذي: ٢/ ١٤٤ من حديث مكحول عن أم اللمرداء عن أبي اللمرداء، ورواه الحاكم أيضاً عن أبي الدرداء رهي.

أنا الله الذي لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي؛ وفي الشّق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقتُ الخير والشّر، فطوبى لمن خلقتُه للخير وأجريتُه على يديه، والويل لمن خلقتُه للشر وأجريتُه على يديه، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: فسُمِّي كنزاً من جهة النَّهب، وجعل اسمه هو المغلّب. والثالث: كنز علم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: صُحُف فيها عِلْم، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحته مثل الكنز، لأنه يُتعجَّل من نفعه أفضل مما يُنال من الأموال. قال الزجاج: والمعروف في اللغة: أن الكنز إذا أفرد، فمعناه: المال المدفون المدَّخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوب فيه علم، على ما روي، فهو مال وعِلْم عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا﴾ قال ابن عباس: حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً. وقال جعفر بن محمد ﷺ: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. وقال مقاتل: كان أبوهما ذا أمانة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادُ رَبُكِ ﴾ قال ابن الأنباري: لما كان قوله: «فأردثُ» «وأردنا» كل واحد منهما يصلح أن يكون خبراً عن الله ظلّى، وعن الخضر، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، ويزيلها عن غيره، ويكشف البُغية من اللفظتين الأولَيين. وإنما قال: «فأردتُ» «فأردنا» «فأراد ربُك»، لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتّفاقه مع تساوي المعاني، لأنه أحذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع، فيقول الرجل: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبَّرني بما نال. فأما «الأشُدُّ» فقد سبق ذكره في مواضع [الانعام: ١٥٢، ويومف: ٢٢، والإسراء: ٢٤] ولو أن الخضر لم يُقِم الحائط لنُقض وأُخِذ ذلك الكنز قبل بلوغهما.

قوله تعالى: ﴿رَمْمَةَ مِن رَّيِكُ ﴾ أي: رحمهما الله بذلك. ﴿رَمَا فَعَلْنُهُ عَنْ أَمْرِيٌّ ﴾ قال قتادة: كان عبداً مأموراً (١٠). فأما قوله: ﴿وَمَا فَعَلْنُهُ عَنْ أَمْرِيًّ ﴾

﴿ وَيَتَنَالُونَكَ عَن ذِى ٱلْفَرْدَىٰ ثِنَّ فُلْ سَائِلُوا عَلَيْتُكُم مِنْهُ ذِحْرًا ﴿ إِنَّا مَكَنَا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَانَيْتُهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿ فَالَّهِ مَنْهُ وَحَدًا ﴾ وَمَنْ فَلْكَ يَذَا ٱلْفَرْنِيْنِ إِنَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِنَّا أَن نَشَيْدَ فِيهِم حُسْنَا ﴿ قَالَ أَنّا مَن حَقْقٍ لَا اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مُسْلًا فَكُلُ ﴾ وفي عَلْمَ عَرْبُهُ مَلَا الْكُولُ ﴾ فَالَمُ اللّهُ مِنْهُ مِنْهُ وَمُعَلِّ مَنْهُ مَنْهُ مَنْهُ مَنْهُ اللّهُ وَمُلْ صَلّهُ اللّهُ مَنْهُ جَزَلَةً لَلْمُ مَنْهُ وَمَنْفُولُ لَمُ مِنْ أَمْرًا لِمُثَلًا فَكُولُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْهُ مِنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُولُ وَمُونُولُونُ وَمُؤْمِنُهُ وَمُونُولُونُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُمُ وَمُنْهُ وَمُؤْمُولُونُ وَمُؤْمِلُ وَمُؤْمُ وَمُونُ وَمُؤْمِنُهُ وَمُنْ وَمُؤْمِدُ وَمُنْهُ وَمُؤْمُونُهُ وَمُنْهُ وَمُؤْمُونُهُ وَمُنْهُ وَمُؤْمِنُهُ وَمُنْهُ وَمُونُهُ وَمُونُولُونُ وَمُؤْمِنُهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُولُونُ وَمُنْهُ وَمُنْهُونُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُونُهُ وَمُنْهُ واللّهُ وَمُنْهُ وَمُنْهُونُ وَمُؤْمِلُونُ وَمُؤْمِلُونُ وَمُؤْمِهُ وَمُؤْمِنُهُ وَمُنْ وَمُؤْمِنُونُ وَاللّهُ وَمُنْ مُنْهُمُ وَاللّهُ وَمُنْهُ وَاللّمُ وَالْمُونُونُ وَالْمُونُ وَاللّمُ وَالْمُونُ وَاللّهُ وَالْمُوالِقُونُ وَاللّمُ وَاللّمُ وَاللّمُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُونُ وَاللّمُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُ وَالْمُوالِولُونُ وَالْمُونُ وَالْمُونُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُونُ

قوله تعالى: ﴿وَيَتَاوَلُكُ مَن فِى الْقَرَدُيْنِ ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسَالُونَكُ مَن الشياراء هما، واختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله، قاله على بيه وروي عن ابن عباس أنه عبد الله بن الضحاك. والثاني: الإسكندر، قاله وهب. والثالث: عبَّاش، قاله محمد بن علي بن الحسين. والرابع: الصعب بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي علَّة تسميته بذي القرنين عشرة أقوال: أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فغبر زماناً، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فغبر زماناً، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، ألم الله فذائك قرناه، قاله على إلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه سمي بذي القرنين، لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثانم: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. والرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض وأخذ بقرني الشمس، فقص ذلك على قومه، فسمّي بذي القرنين. والمخامس: لأنه ملك الروم وفارس. والسادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين، رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب بن منبّه. والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن. قال ابن الأنباري: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومن قال: سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبين من الأرض يقال لهما: قرنان. والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بينت ذوي شرف. والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حيّ. والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو إسحاق الثعلبيّ. واختلفوا هل كان

ر) وهذا يدل على أنه كان نبياً، وأن ما صدر منه كان بوحي من الله ﷺ. قال الطبري: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته، عن رأيي ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به.

⁽٢) انظر القول الثاني في الصفحة (٨٢٩).

نبيًا، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه كان نبيًا، قاله عبد الله بن عمرو، والضحاك بن مزاحم. والثاني: أنه كان عبداً صالحاً ``، ولم يكن نبيًا، ولا مَلكاً، قاله علي ﷺ. وقال وهب: كان ملكاً، ولم يوح إليه. وفي زمان كونه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من القرون الأوّل من ولد يافث بن نوح، قاله علي ﷺ. والثاني: أنه كان بعد ثمود، قاله الحسن. ويقال: كان عمره ألفاً وستمائة سنة. والثالث: [أنه] كان في الفترة بين عيسى ومحمدﷺ، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿سَائَتُواْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكَرًا﴾ أي: خبراً يتضمن ذِكْره. ﴿إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سهَّلنا عليه السّير فيها. قال علي ﷺ: إنه أطاع الله، فسخّر له السحاب فحمله عليه، ومَدَّ له في الأسباب، وبسط له النُّور، فكان الليل والنهار عليه سواء. وقال مجاهد: مَلَكَ الأرضَ أربعةً: مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين؛ والكافران: النمرود، وبختنصر.

قوله تعالى: ﴿وَمَانَيْتُهُ مِن كُلِ شَوْهِ سَبَّا﴾ قال ابن عباس: عِلْماً يتسبب به إلى ما يريد. وقيل: هو العِلْم بالطُّرق والمسالك.

قوله تعالى: ﴿ الله على على الله الأنباري: من قرأ فائم على الله على الله الأثر، ومن قرأ: الفاتم، فمعناه: لحق؛ يقال: التّبعني فلان، أي تَبِعني، كما يقال: الدّعة على الله الله على الله

قوله تعالى: ﴿ وَبَهَدَهُ اللّهُ فِي عَبْنِ جَبَةٍ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: وحمئة، وهي قراءة ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: وحامية، وهي قراءة عمرو، وعلي، وابن مسعود، والزبير، ومعاوية، وأبي عبد الرحمٰن، والحسن، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، وأبي جعفر، وشيبة، وابن محيصن، والأعمش، كلّهم لم يهمز. قال الزجاج: فمن قرأ: وحمئة، أراد في عَيْنِ ذاتِ حَمْأةً. يقال: حَمَّاتُ البر: إذا أخرجتَ حَمْأتها؛ وأحْمَأتُها: إذا ألقيت فيها الحَمْأة. [وحمئت] فهي حمئة: إذا صارت فيها الحَمْأة. ومن قرأ: وحامية بغير همز، أراد: حارة. وقد تكون حارة ذات حمّاة. وروى قتادة عن الحسن، قال: وجدها تَمُرُب في ماء يغلي كغليان القدور ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَرْبُ ﴾ لباسهم جلود السّباع، وليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس من الدواب إذا غربت نحوها، وما لفظت العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشمس. وقال ابن السائب: وجد عندها قوماً مؤمنين وكافرين، يعني عند العين. وربما توهم متوهم أن هذه الشمس على عِظم قدّرها تغوص بذاتها في عين ماء، وليس كذلك. فإنها أكبر من الدنيا مرازاً، فكيف تَسَعُها عين [ماء؟! وقيل: إن الشمس بقدر الدنيا مائة وخمسين مَرَّة، وقيل: بقدر الدنيا مائة وعشرين مَرَّة، والقمر بقدر الدنيا ثمانين مرة]. وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى راكب البحر الذي لا يرى طَرَفه أن الشمس تغيب في الماء، وذلك لأنّ ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان فوجد عيناً حَمِثة ليس بعدها أحد.

قوله تعالى: ﴿ فَلْنَا يَنَذَا اَلْقَرْنَيْنِ ﴾ فمن قال: إنه نبيّ، قال: هذا القول وحي؛ ومن قال: ليس بنبي، قال: هذا إلهام. قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْ تُمُذِّبَ ﴾ قال المفسرون: إما أن تقتلَهم إن أبَوْا ما تدعوهم إليه، وإما أن تأسرهم، فَتُبَصَّرُهُمُ الرشد. ﴿ قَالَ أَنَّا مَن ظَلَرَ ﴾ أي: أشرك ﴿ فَسَوّفَ شُؤَبُهُ ﴾ بالقتل إذا لم يرجع عن الشرك. وقال الحسن: كان يطبخهم في القدور، ﴿ ثُمَّ يُرَدُ إِنَّ رَبِّهِ ﴾ بعد العذاب ﴿ فَيَعَذِبُهُ عَلَا الْكُرُ ﴾ بالنار.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمُ جَزَّةً لَلْمُنَيُّ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «جزاءُ الحسنى» برفع مضاف. قال الفراء: «الحسنى»: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، وهي الجزاء، كقوله: ﴿ وَإِنَّمُ لَحَقُ الْيَبِينِ ﴿ وَالْمَا

⁽١) ذكر ابن جرير الطبري عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً وسألوه عن ذي القرنين: أنبياً كان؟ قال: كان عبداً صالحاً.

[الحاقة: ٥١] و ﴿ وِينُ ٱلْقَيِّدَةِ ﴾ [البيئنة: ٥] ﴿ وَلَدَالُ ٱلْكَيْرَةِ ﴾ [النحل: ٣٠] قال أبو علي الفارسي: المعنى: فله جزاء الخلال الحسنى، لأن الإيمان والعمل الصالح خِلال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: ﴿ جزاءً النصب والتنوين؛ قال الزجاج: وهو مصدر منصوب على الحال، المعنى: فله الحسنى مَجْزِيّاً بها جزاءً. وقال ابن الأنباري: وقد يكون الجزاء غير الحسنى إذا تأوّل الجزاء بأنه الثواب؛ والحسنى: الحسنة المكتسبة في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدَّم من الحسنات.

قوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَمُ مِنْ أَمْرِنَا يُشْرًا﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمُّ أَنَتِهَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقَلَّتُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّرَ نَجْعَل لَهُم مِّن دُرْيَهَا سِتْرًا ۞ كَلَالِكَ وَفَدَ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبُرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ أَنَّهُ سَبُّنا ﴿ أَي: طريقاً آخر يوصله إلى المَشْرِق. قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوماً في أسراب عراةً، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معايشهم مما أحرقته الشمس. وبلغَنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنهم الزنج. قال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يتراعُون كما يتراعى الوحش. وقرأ الحسن، ومجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «مَطْلُع الشمس؛ بفتح اللام. قال ابن الأنباري: ولا خلاف بين أهل العربية في أن المَطْلِع، والمَطْلَع كلاهما يعنى بهما المكانُ الذي تطلع منه الشمس. ويقولون: ما كان على فَعَل يَفْعُل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْمَل، كقولهم: المَدْخَل، للدخول، والموضِع الذي يُدخَل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المَطْلِع، والمَسْكِن، والمَنْسِك، والمَشْرِق، والمَغْرِب، والمَشْجِد، والمَنْبِت، والمَجْزِر، والمَفْرِق، والمَشْقِط، والمَهْبِل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفاً سُمع فيهن الكسر والفتح: المَطْلِع، والمَطْلَع. والمَنْسِك، والمَنْسَك. والمَجْزِر، والمَجْزَر. والمَسْكِن، والمَسْكَن. والمَنْبِت، والمَنْبِت؛ فقرأ الحسن على الأصل من احتمال المَفْعل الوجهين الموصوفين [بفتح العين وكسرها]، وقراءة العامة على اختيار العرب وما كثر على ألسنتها، وخصت المَوْضِع بالكسر، وآثرت المصدر بالفتح. قال أبو عمرو: المطلِع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمطلّع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تتسع فتجعل الاسم نائباً عن المصدر، فيقرؤون: ﴿حتُّىٰ مَطْلِع الفَجْرِ﴾ [الندر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطُّلوع؛ ويقرأ من قرأ «مَطْلَعَ الشَّمْسِ» بالفتح على أنه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسم للموضع الذي يدخل منه.

قوله تعالى: ﴿كَذَاكِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كما بلغ مَغْرِب الشمس بلغ مطلعها. والثاني: أتبع سبباً كما أتبع سبباً. والثالث: كما وجد أولئك عند مغْرِب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم. والرابع: أن المعنى: كذلك أمْرُهم كما قصصنا عليك؛ ثم استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ أَي: بما عنده ومعه من الحُبْر والعدد. وحكى أبو سليمان الدمشقي: «بما لديه» أي: بما عند مطلع الشمس. وقد سبق معنى الخُبْر [الكهف: ٢٦].

﴿ أَنْتُهُ سَبَنَا ۞ حَقَّةَ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّلَيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا فَوْمَا لَا يَكَادُونَ يَنْتَهُونَ قَوْلَا ۞ قَالُواْ يَلِذَا الْفَرْيِيْنِ إِذَ يَأْجُوجَ وَيَأْجُوجَ مُشْهِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ جَمَلُ لَكَ خَرِيًّا عَلَىٰ أَن جَمَلَ بَيْنَا وَيُسْتَمُّ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَقٍ خَيْرٌ فَأَعِينُونِ بِقُوْزٍ أَجْمَلَ بَيْنَا وَيُسْتُمُّ رَدَمًا ۞ مَاثُولِ زُئِرَ لَلْمِيدِّ حَقَّى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّنَفِيْنِ قَالَ انفُخُواْ حَقَّى إِنَا جَمَلَمُ ذَكَا وَمَلَدُ الْوَقِ أَنْعِ عَلَيْهِ قِطْسَرًا ۞ فَمَا اسْطَلَّمُواْ أَنْ يَظْلِهُمُوهُ وَمَا اسْتَطَلَعُوا لَمُ ثَقِبًا ۞ قَالَ هَذَا رَحَمَّةً فِن زَيِّ إِذَا جَلَةً وَعَدُ رَقٍ جَمَلَمُ ذَكَاةً وَكَانَ وَعَدُ رَقٍ حَقًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ أَنَهُ سَبُنًا ﴿ ﴾ أي: طريقاً ثالثاً بين المَشْرِق والمَغْرِب ﴿ عَثَى إِنَا بَلَغَ بَيْنَ السَّلَيْنِ ﴾ قال وهب بن منبه: هما جبلان منبفان في السماء، من ورائهما البحر، ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض التُرك مما يلي بلاد أرمينية. وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان. واختلف القراء في «السدّين»

فقراً ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. وهل المعنى واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدها: أنه واحد. قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسدً ما وراءه، فهو سَدٌّ، وسُدٌّ، نحو: الضَّعف، والضَّعف، والفَقر والفُقر. قال الكسائي، وثعلب: السَّد والسُّد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: أنهما يختلفان. وفي الفرق بينهما قولان: أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضموم، وما هو من فعل الآدميين فهو مفتوح، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو عبيدة. قال الفراء: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين. والشاني: أن السَّد، بفتح السين: الحاجز بين الشيئين، والسُدُّ، بضمها: الغشاوة في العَيْن، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قوله تعالى: ﴿ وَبَدَ مِن مُونِهِ مَا ﴾ يعني: أمام السدين ﴿ وَوَمًا لَا يَكَادُونَ بَنْتَهُونَ فَرَلاً ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿ فَيْقَهُونَ قُولاً ﴾ بفتح الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: معناه أنهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١]. قال المفسرون: وإنما كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ يُفْقِهُونَ الله الماء، أراد: يُفْهِمُون غيرهم. وقيل: كَلَّمَ ذا القرنين عنهم مترجِمون ترجموا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْتُوعَ وَيَأْجُرِعَ﴾ هما: اسمان أعجميان، وقد همزهما عاصم. قال الليث: الهمز لغة رديئة. قال ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح ﷺ، فيأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلّهم جزء، وهم شِبْر وشِبْران وثلاثة أشبار. وقال علي ﷺ: منهم من طوله شِبْر، ومنهم من هو مُفْرِط في الطّول، ولهم من الشّعر ما يواريهم من الحرّ والبَرْد. وقال الضحاك: هم جيل من التُرك. وقال السدي: التّرك سريّة من يأجوج ومأجوج خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السّد، فبقيت خارجه. وروى شقيق عن حذيفة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجرج، فقال: «يأجوج أُمّة، ومأجوج أُمّة، كل أُمّة أربعمائة [ألف] أُمّة، لا يموت الرجُل منهم حتى ينظر إلى ألف ذَكَر بين يديه من صُلْبه كُلُ قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله، قال: هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرزه؛ قلت: يا رسول الله: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء؛ وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ها.

قوله تعالى: ﴿ مُنْيِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون فِعُل قوم لوط، قاله وهب بن منبه. والثالث: يُخرِجون إلى الأرض الذين وهب بن منبه. والثالث: يُخرِجون إلى الأرض الذين شَكَوًا منهم أيام الربيع، فلا يَدَعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم، قاله ابن السائب. والرابع: كانوا يقتلون الناس، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ نَهُمُلُ لِكَ خَرْمًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «خَرْجاً» بغير ألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة، والليث. والثاني: أن الخَرْجَ: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، قاله أبو عمرو بن العلاء. قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجُعل لك؟

قوله تعالى: ﴿مَا مَكُنِين﴾ وقرأ ابن كثير: «مكَّنني» بنونين، وكذلك هي في مصاحف مكة. قال الزجاج: من قرأ: «مكّنني» بالتشديد، أدغم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مكّنني» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين،

⁽١) أورده السيوطي في (الدر؛ ٤/ ٢٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة 🐞.

الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر. وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: أحدهما: أنه العِلْم بالله؛ وطلب ثوابه. والثاني: ما ملك من الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني الله خير مما تبذلون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَعِنُونِ هُِوَّرٍ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الرجال، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: الآلة، قاله ابن السائب. فأما الرَّدْم، فهو: الحاجز؛ قال الزجاج: والرَّدْم في اللغة أكبر من السدِّ، لأن الرَّدْم: ما جُعل بعضه على بعض، يقال: ثوب مُرَدَّم: إذا كان قد رقِّع رقعة فوق رقعة.

قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ نُبُرُ لَلْدِيدٌ ﴾ قرأ الجمهور: "ردماً آتوني، أي: أعطوني. وروى أبو بكر عن عاصم: "ردم ايتوني، بكسر التنوين، أي: جيثوني بها. قال ابن عباس: احملوها إليَّ. وقال مقاتل: أعطوني. وقال الفراء: المعنى: إيتوني بها، فلما ألقيت الياء زيدت ألف، فأما الزُّبُر، فهي: القِطَع، واحدتها: زُبْرَة؛ والمعنى: فأتَوَه بها فبناه، ﴿حَقَّ إِذَا سَاوَىٰ﴾ وروى أبان «إذا سوَّى» بتشديد الواو من غير ألف. قال الفراء: ساوى وسوَّى سواء. واختلف القُرَّاءُ في ﴿اَلْصَكَيْنِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «الصُّدُفَين» بضم الصاد والدال، وهي: لغة حِمْيَر. وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم: "الصُّدْفين" بضم الصاد وتسكين الدال. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائبي، وحفص عن عاصم، وخلف، بفتح الصاد والدال جميعاً، وهي لغة تميم، واختارها ثعلب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء؛ وابن يعمر: «الصَّدُفين؛ بفتح الصاد ورفع الدال. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والزهري، والجحدري برفع الصاد وفتح الدال. قال ابن الأنباري: ويقال: صُدُف، على مثال نُغَر، وكل هذه لغات في الكلمة. قال أبو عبيدة: الصَّدَفان: جَنْبا الجبل. قال الأزهري: يقال لجانبي الجبل: صَدَفان، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتلاقيهما. قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم، ووضع عليها المنافيخ، ثم ﴿فَالَ ٱنْفُخُوآ ﴾ فنفخوا ﴿حَقَّتْ إِنَا جَعَلَهُ﴾ يعنى: الحديد، وقيل: الهاء ترجع إلى ما بين الصدفين ﴿فَالَا﴾ أي: كالنار، لأن الحديد إذا أحمى بالفحم والمنافيخ صار كالنار، ﴿قَالَ ءَاتُّونِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «آتوني» ممدودة، والمعنى: أعطوني. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: (إيتوني) مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه. وفي القِطْر أربعة أقوال: أحدها: أنه النحاس، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه الحديد الذائب، قاله أبو عبيدة. والثالث: الصُّفْر المُذاب، قاله مقاتل. والرابع: الرصاص، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: أذاب القِطْر ثم صبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلاً صلداً من حديد وقِطْر. قال قتادة: فهو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء.

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَنَعُوا﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلما كانت التاء والطاء من مخرج واحد أحبُّوا التخفيف فحذفوا. قال ابن الأنباري: إنما تقول العرب: اسطاع، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فأسقطوا الفاء.

قوله تعالى: ﴿ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي: يعلوه؛ يقال: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وامِّلاسه ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُواْ لَمُ نَقَبًا ﴾ من أسفله، لشدته وصلابته. وروى أبو هريرة عن رسول الله على قال: اإن يأجوج ومأجوج ليَحفرون السدِّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله على أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غلاً إن شاء الله، ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين يركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، وذكر باقي الحديث (١٠)؛ وقد ذكرت هذا الحديث بطوله وأشباهه في كتاب «الحدائق» فكرهت التطويل هاهنا.

⁽١) رواه الإمام أحمد في قمسنده عن أبي هريرة رضي وتتمة الحديث: فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقرلون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً (دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيقتلهم بها، قال رسول الله على الله الله ي قصفهم، ورواه الترمذي في الماءه، وهائهم، ودهائهم، وهائهم، وهائه وضيفه على هائه وهائه وه

قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَنَا رَحْمَةٌ مِن رَبِّ ﴾ لمّا فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا. وفيما أشار إليه قولان: أحدهما: أنه الرَّدم، قاله مقاتل؛ قال: فالمعنى: هذا نِعْمة من ربِّي على المسلمين لثلا يخرجوا إليهم. والثاني: أنه التمكين الذي أدرك به عمل السد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَلَّهَ رَفِكُ رَبِّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: القيامة. والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُمُ دَكَاءٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكّاً» منوناً غير مهموز ولا ممدود. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «دكّاء» ممدودة مهموزة بلا تنوين. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ رَعْدُ رَبِّي حَنَّا ﴾ أي: بالثواب والعقاب.

وَقَرَّكُنَا بَعْمَهُمْ بَوْيَهِ نِيْهُ فِي بَعْقِ وَثَيْخَ فِي الشُّورِ فَتَعْنَهُمْ جَمّا ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَمَ بَوْيَهِ لِلْكَانِدِينَ عَرَضًا ﴿ الَّذِينَ كَانَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيمُونَ سَمّا ﴾

قوله تعالى: ﴿ رَزَّكُنَا بَسَطُهُمْ يَوْبَهِ نِ يَعُرُمُ فِي المشار إليهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج. ثم في المراد بهيومثلة قولان. أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السدّ، تُركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجبين من السدّ. والثاني: أنه يوم يخرجون من السدّ تُركوا يموج بعضهم في بعض. والثاني: أنهم الكفار. والثالث: أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَيُونَعُ فِي الشُّورِ﴾ هذه نفخة البعث. وقد شرحنا معنى «الصُّور؛ في [الانعام: ٧٣].

قُولُه تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

قوله تعالى: ﴿ اَلَٰذِينَ كَانَتَ أَمْنُهُمْ ﴾ يعني: أعين قلوبهم ﴿ فِي غِلَلَهِ ﴾ أي: في غفلة ﴿ عَن ذِكْرِى ﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي ويكتابي ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَقِيبُونَ مَهُمّا ﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراهتهم ما يُنْذُرون به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

﴿ أَمْ مَي بَ الَّذِينَ كُفُرُوا أَن يَدُّولُوا عِبَادِي مِن دُولِ أَوْلِيَّاءُ إِنَّا أَعْدَدًا جَهَنَّم لِلكَذِينَ أَزُّلُ ﴿

قوله تعالى؛ ﴿أَنَحَيبَ الَّذِينَ كَفَرُوّا﴾ أي: أَفَظَنَّ المشركون ﴿أَن يَنَّذِدُواْ عِبَادِى﴾ في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. وإلثاني: الأصنام، قاله مقاتل. والثالث: الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ مِن دُونِى ﴾ فتح هذه الياء نافع، وأبو عمرو. وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كلا بل هم أعداءً لهم يتبرؤون منهم. والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضبُ ولا أعاقبُهم. وروى أبان عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَفَحَسْبُ» بتسكين السين وضم الباء، وهي قراءة علي على الله وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن يعمر، وابن محيصن؛ ومعناها: أفيكفيهم أن يتخذوهم أولياء؟ فأما التُزُل فقيه قولان: أحدهما: أنه ما يُهيًّا للضيف والعسكر، قاله ابن قتية. والثاني: أنه المنزل، قاله الزجاج.

﴿قُلْ هَلْ نَبِئِكُمْ بِالْخَسَرِينَ أَمْنَلًا ۞ الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي النَّيْزَةِ الشَّيَا وَلُمْ يَحْسَبُونَ أَنْهُمْ يُحْسِبُونَ مُسْتَعًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَائِئِكِ رَقِهِمْ وَلِقَابِهِدِ خَبِطَتْ أَخْمَائُهُمْ هَلَا نَفِيمُ لَمْمْ يَرْمَ الْقِينَمَةِ وَلَنَا ۞ ذَلِكَ جَزَائِهُمْ جَهَنَمُ بِمَا كَفَرُواْ وَأَغَذُواْ ءَلِئِنِي وَرُسُلِي هُزُوا ۞﴾

و الزوائدة عنه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وروى البخاري ومسلم في الصحيحيهما، عن زينب بنت جحش 蒙 أن النبي 秦 دخل عليها فزعاً يقول: ولا إله إلا ألله، ويل للعرب من شر قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: النعم إذا كثر النخيث، وانظر الصحيح مسلم، ٢٧٥٤/٤ وما ذكر فيه من فتنة يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿أَعَلَاكُ منصوب على التمييز، لأنه لما قال: "بالأخسرين" كان ذلك مبهماً لا يدل على ما خسروه، فيّن ذلك في أي نوع وقع.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ مَنَلَ سَعَيْمُ ﴾ أي: بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم، فرؤساؤهم يعلمون الصحيح، ويؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلّدون بغير دليل. ﴿ أَنْلَتِكَ اللَّذِينَ كَفُوا بِتَلِيْتِ رَبِّهِم ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفرهم برسول الله ﷺ والقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿ فَهَمْتُ أَعْنَاهُم ﴾ أي: بطل اجتهادهم، لأنه خلا عن الإيمان ﴿ فَلَلا نُعِيمُ لَمُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ وَنَا ﴾ وقرأ ابن مسعود، والمجحدري: قفلا يُقيم بالياء. وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما يثقل الميزان بالطاعة، وإنما توزن الحسنات والمينات، والكافر لا طاعة له. والثاني: أن المعنى: لا نُقيم لهم قَدْراً. قال ابن الأعرابي في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزن، أي: قَدْر، لخسّته. فالمعنى: أنهم لا يُعتلُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ فَرْتَى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة، اقرؤوا إن شتتم: ﴿ فَلَا نُتِيمُ لَمْمُ مَنْ الْفِيدَةِ وَنَا ﴾ "أن والثالث: أنه قال: ﴿ فَلا نقيم لهم الأن الوزن عليهم لا لهم؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ جَزَآزُهُمُ ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرت من بطلان عملهم وخِسَّة قدرهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿ جَزَآؤُمُ جَهَنَّمُ ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التصغير لهم، وجزاؤهم جهنم، فأضمرت واو الحال.

> قوله تعالى: ﴿يِمَا كَفَرُوا﴾ أي: بكفرهم واتخاذهم ﴿ءَايَنِي﴾ التي أنزلتها ﴿وَرَبُـلِي مُزَوَّا﴾ أي: مهزوءاً به. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَيلُوا الصَّلِيحَتِ كَانَتْ لَمُمْ جَنَكُ الْفِرْيَوسِ نُزَّلًا ۞ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَّلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كَانَتُ لَمُ جَنَّتُ ٱلْفِرْدَوْنِ ﴾ قال ابن الأنباري: كانت لهم في علم الله قبل أن يُخلَقوا. وروى البخاري ومسلم في الصحيحين، من حديث أبي موسى عن النبي على أنه قال: ﴿ حِنانُ الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (*). وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله الله أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجّر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس (*). قال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة. قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية. وقال كعب، والضحاك: ﴿ جنات الأعناب. قال الكلبي، والفراء: الفردوس: البستان الذي فيه الكرم. وقال المبرد: الفردوس فيما مسمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب. وقال ثعلب: كل بستان يحوّط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة:

في جسنان السفردوس ليسس يسخاف و نخسروجاً عسنسها ولا تسحسويلا وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال الزجاج: الفردوس أصله رومي أعرب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير، وقد قبل: الفردوس تعرفه العرب، وتسمي المؤضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس

⁽١) ذكره المحافظ في «الفتح» ٨/ ٣٣٤ من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة فله بلفظ «الطويل العظيم الأكول الشروب». وأورده السيوطي في «اللده ٤/ ٢٥٤ من رواية ابن عدي، والبيهتي في قشعب الإيمان»، عن أبي هريرة فله قال: قال رسول الله على: «لليؤتينَّ يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن عند الله تبارك وتعالى جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَهَلَ يُتِمُ مُنْمَ بَرُمُ النِّينَةِ وَنَاكَ ». ورواه البخاري ٨/ ٣٤٢، ومسلم ٤/٢٤٧ عن أبي هريرة فله عن رسول الله علل قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَهَلَ نُتِمُ لَمُ مَنْ النِّينَةِ وَنَاكَ».

⁽٢) لفظه في البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ١٦٣/١ من حديث أبي موسى الأشعري في عن النبي قل قال: المجتنان من قضة، آنيتهما وما فيهما، وجتنان من ذهب، آنيتهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن؟. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي رواية الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني في أول هذا الحديث: «جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب...» إلخ.

⁽٣) أخرجه أحمد في «المسندة، والترمذي ٢/ ٧٦)، وأورده السيوطي في «المد» وزاد تسبته لابن أبي شببة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم، والبيهتي في «البعث»، وابن مردويه. ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: «إذا سألتم الله البحتة، فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى البحتة، وأوسط البحتة، ومنه تفجر أنهار البحثة.

مذكّر، وإنما أنث في قوله تعالى: ﴿ يُرِثُونَ ٱلْيَرْدَوْسَ هُمّ فِهَا خَلِدُونَ السومنون: ١١] لأنه عنى به الجنة. وقال الزجاج: وقيل: الفردوس: الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، وقيل: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال: والفردوس أيضاً بالسريانية كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، ويبت حسان:

فَانَ تَوابَ اللَّهِ كُلُّ مُوحِّد جِنَانٌ مِنْ الْفِرْدَوْسِ فيهَا يُخَلُّدِ (١)

وقال ابن الكلبي بإسناده: الفردوس: البستان بلغة الروم، وقال الفراء: وهو عربي أيضاً، والعرب تسمي البستان المذي فيه الكرم فردوساً. وقال المسدي: الفردوس أصله بالنبطية «فرداسًا». وقال عبد الله بن الحارث: الفردوس: الأعناب. وقد شرحنا معنى قوله: فنُولاً آنفاً (٢).

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلَا﴾ قال الزجاج: لا يريدون عنها تحوُّلاً، يقال: قد حال من مكانه حِوَلاً، كما قالوا في المصادر: صَفْر صِغَراً، وعَظُم عِظَماً، وعادَني حُبُّها عِوداً؛ قال: وقد قيل أيضاً: إن الحِول: الحِيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون مَنْزِلاً غيرها. فإن قيل: قد عُلم أن الجنة كثيرة الخبر، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حِوَلاً؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يملّ، والجنة على خلاف ذلك.

﴿ قُلُ لَّوْ كَانَ ٱلْبَكْرُ مِدَادًا لِكَلِمُنتِ رَبِّ لَنَيْدَ ٱلْبَكُّرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّ وَلَوْ حِنْنَا مِيشِّلِهِ. مَدَدًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُل لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ يَدَادًا لِكَلِنْتِ رَقِ ﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم ثِنَ ٱلْمِلْمِ إِلّا قَلِيهُ اللهِ وَهِ اللهِ اللهِ وَهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِلهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

قوله تعالى: ﴿ فَهُلُ أَن تُنَدُ كُلِنَتُ رَبِي ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «تنفد» بالتاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: فينفد» بالياء. قال أبو علي: التأنيث أحسن، لأن المُسنَد إليه الفعلُ مؤنث، والتذكير حسن، لأن التأنيث ليس بحقيقي، وإنما لم تنفد كلمات الله، لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق على صفاته النفاد، ﴿ وَلَا يَتْنَا بِينْلِهِ هِ أَي: بمثل البحر ﴿ مَدَنَا ﴾ أي: زيادة؛ والمدد: كل شيء زاد في شيء. فإن قبل: لم قال في أول الآية: «مداداً» وفي آخرها: «مدداً» وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: لما كان الثاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفُعُل، والفِعَل، كقوله: «نُزُلاً» «هُزُواً» «حِوَلاً» كان قوله: «مَدُداً» أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد، واتفاقُ المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتمام السجع والنثر، أخف على الألسن، وأحلى موقعاً في الأسماع، فاختلفت اللفظتان لهذه [العلة]. وقد قرأ ابن عباس، وسعيد بن ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، وابن محيصن: «ولو جثنا بمثله مداداً» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع. وقراءة الأولين أبين حُجَّة، وأوضح منهاجاً.

﴿ وَأَلْ إِنَّمَا آَنَا بَشَرٌ يَشْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَى أَنْمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَيَدُّ فَنَ كَانَ يَرُوا لِقَلَة رَبِهِ فَلَيْمَالَ عَبَلا صَلِمًا وَلا يُشْرِكِ بِمِبَادَةِ رَبِهِ أَمْدًا ﴿ وَمُ لِللَّهِ مَا لَهُ مُ عَلَى خلقه، فأمره قوله ثعالى: ﴿ وَمُلْ إِنْمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ قال ابن عباس: علّم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يُقِرَّ على نفسه بأنه آدمى كغيره، إلا أنه أكرم بالوحى.

قوله تعالى: ﴿فَنَ كَانَ يَرْمُوا لِقَلَةَ رَبِّهِ ﴾ سبب نزولها أن جندب بن زهير الغامدي(٢٠) قال لرسول الله ﷺ: إني أعمل

⁽١) • ديوانه؛ ١٥٠، و(البحر؛ ١٦٨/٦، و(روح المعاني؛ ٤٧/١٦، و(اللسان؛ و(التاج؛ فردس.

۲) قد مرتفسیره.

⁽٣) في الأصل و القرطبي : العامري، وما أثبتناه من الإصابة، و دأسباب النزول، للواحدي، وكتب التفسير.

العمل [ش تعالى] فإذا اطُّلع عليه سرَّني، فقال رسول الله ﷺ: فإن الله طيّب لا يقبل إلا الطيّب، ولا يقبل ما روثي فيه فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن عباس^(۱). وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب الجهاد [في سبيل الله] وأحب أن يُرى مكاني، فنزلت هذه الآية (۱). وقال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيُذكر ذلك مِنِّي وأحمَد عليه فيسرُّني ذلك وأعجَب به، فسكت رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية (۱). وفي قوله: ﴿فَنَ كَانَ يَحُوا ﴾ قولان: أحدهما: يخاف، قاله ابن قتيبة. والثاني: يأمل، وهو اختيار الزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربِّه. قال المفسرون: وذلك يوم البعث والجزاء. ﴿فَلَيْمُلُ عَبُلاً مَلِمًا ﴾ لا يرائي به ﴿وَلَا يُثَرِّهُ بِعِبَانَةِ رَبِّيهِ أَمَنا ﴾ قال سعيد بن جبير: لا يرائي، قال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن (۱).

帝 帝 帝

⁽١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس ١٧٢ بدون سند.

⁽٢) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٢ عن طاووس بدون سند. وقد ذكره الطبري في «تفسيره» ١٩٠/ ٤٠ من حديث معمر عن عبد للكريم المجزري عن طاووس مرسلاً، وذكره ابن كثير في «الفسير» ١٠٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن طاووس مرسلاً بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٥٥ كذلك عن طاووس مرسلاً، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن أبي المنيا في «الإنحلاص»، والطبراني، والحاكم. وقال السيوطي في آخره: وأخرجه الحاكم وصححه، والبيهتي، موصولاً عن طاووس عن ابن عباس.

⁽٣) الواحدي ۱۷۲ عن مجاهد بدون سند.

⁽٤) قال الحافظ ابن كثير في انفسيره! ٣/ ١١٠: وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية، آخر سورة (الكهف) و(الكهف) كلها مكبة، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.

سورة مريم

بنسواقه الكنب التجنية

﴿كَهِيمَصْ ۞ ذِكْرُ رَخْمَتِ رَبِكَ عَبْدَهُ زَكَرِنَا ۞ إِذْ نَادَف رَبَهُ نِدَاّةٌ خَفِيْتًا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْفَلْمُ مِنِي وَاشْتَعَلَ ٱلزَّامُن شَكِيْبُنَا وَلَمْ أَكُنُ بِهُ عَالِمِكَ رَبِّ شَقِيَّا ۞ رَإِنْ خِفْتُ ٱلْمَوَلِلَ مِن وَرَآهِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَنِي عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَذَنكَ وَلِيَّا ۞ يَرْتُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَمْقُوبُ ۖ وَاَجْمَكُهُ رَبِّ رَضِيًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿كَهِبَمَّنَ ۞﴾ قرأ ابن كثير: (كهيعص ذِكْر) بفتح الهاء والياء وتبيين الدال التي في هجاء (صاد). وقرأ أبوعمرو: •كهيعص، بكسر الهاء وفتح الياء ويدغم الدال في الذال، وكان نافع يلفظ بالهاء والياء بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال التي في هجاء قصاد، في الذال من قذِكُر، وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي، بكسر الهاء والياء، إلا أن الكسائي لا يبيِّن الدال، وعاصم يُبيِّنها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بفتح الهاء وكسر الياء ويدغمان. وقرأ أبيّ بن كعب: (كهيعص) برفع الهاء وفتح الياء. وقد ذكرنا في أول (البقرة) ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خصَّ المفسرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من أسماء الله تعالى، قاله الأكثرون. ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوال: أحدها: أنه من اسم الله الكبير. والثاني: من الكريم. والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: أنه من الملك، قاله محمد بن كعب. فأما الهاء، فكلُّهم قالوا: هي من اسمه الهادي إلا القرظي فإنه قال: من اسمه الله. وأما الياء، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من حكيم. والثاني: من رحيم. والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبير عن ابن عباس. فأما العين، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنها من عليم. والثاني: من عالم. والثالث: من عزيز، رواها أيضاً سعيد [بن جبير] عن ابن عباس. والرابع: أنها من عدل، قاله الضحاك. وأما الصاد، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من صادق. والثاني من صدوق، رواهما سعيد [بن جبير] أيضاً عن ابن عباس. والثالث: من الصمد، قاله محمد بن كعب. والقول الثاني: أن (كهيعص) قُسَم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروي عن على ﷺ أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى. وروي عنه أنه كان يقول: [يا] كهيعص اغفر لي. قال الزجاج: والقَسَم بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا علم أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهجُّ، النيَّة فيها الوقف. والثالث: أنه اسم للسورة، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المباني كما اتفقت العلل؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: حروف المعجم التسعة والعشرون تجري مجرى الرسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتفاق الألفاظ واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيّرون بعض الكلم ليختلف الوزن وتتغيّر المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن وأحلى في الأسماع.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الذِّكر مرفوع بالمُضمر، المعنى: هذا الذي نتلو عليك ذِكر رحمة ربِّك عبده. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير؛ المعنى: ذِكْر ربِّك عبده بالرحمة، والزكريا، في موضع نصب.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَكِ رَبُّهُ ﴾ النداء هاهنا بمعنى الدعاء. وفي علة إخفائه لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: ليبعد عن

الرياء، قاله ابن جريج. والثاني: لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكِبَر، قاله مقاتل. والثالث: لئلا يعاديه بنو عمه، ويظنوا أنه كره أن يلوا مكانه بعده، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وهذه القصة تدل على أن المستحب إسرار الدعاء، ومنه الحديث: (إنكم لا تدعون أصمًا)(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْمَثْلُمُ مِنِّ﴾ وقرأ معاذ القارئ، والضحاك: ﴿وَهُنِ بضم الهاء، أي: ضَعُف. قال الفراء وغيره: وَهَن العظم، ووَهِن، بفتح الهاء وكسرها؛ والمستقبل على الحالين كليهما: يَهِن. وأراد أن قوَّة عظامه قد ذهبت لِكبَره؛ وإنما خصّ العظم، لأنه الأصل في التركيب. وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه.

قوله تعالى: ﴿وَاَشْتَمَلَ اَلرَّأْسُ شَكِيْبُ﴾ يعني: انتشر الشيب فيه، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات. ﴿وَلَمْ أَكُنُ بِدُعَاتِهِ أَي: بدعائي إياكَ ﴿رَبِّ شَقِيًا﴾ أي: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أُخيَّب، لأنك قد عودتني الإجابة؛ يقال: شقي فلان بكذا: إذا تعب بسببه، ولم ينل مراده.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَ خِفْتُ ٱلْمَوَلِيَ﴾ يعني: الذين يلونه في النسب، وهم بنو العم والعَصبة ﴿بِن وَرَاّءِى﴾ أي: من بعد موتي، وفي ما خافهم عليه قولان: أحدهما: أنه خاف أن يَرِثوه، قاله ابن عباس. فإن اعترض عليه معترض، فقال: كيف يجوز لنبيّ أن يُنفَس على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟ فعنه جوابان. أحدهما: أنه لما كان نبيّاً، والنبيّ لا يورث، خاف أن يرِثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم. والثاني: أنه غلب عليه طبع النشر، فأحبّ أن يتولّى ماله ولده، ذكرهما ابن الأنباري. قلت: وبيان هذا أنه لا بد أن يتولّى ماله وإن لم يكن ميراثاً، فأحبّ أن يتولاه ولده. والقول الثاني: أنه خاف تضييعهم للدّين ونبذهم إيّاه، ذكره جماعة من المفسرين. وقرأ عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن جبير، ومجاهد، وابن أبي شريح عن الكسائي: "خَفَّت، بفتح الخاء وتشديد الفاء على معنى «قلّت؛ فعلى هذا يكون إنما خاف على عِلْمه ونبوّته ألّا يُورَثا فيموت العِلْم. وأسكن ابن شهاب الزهري ياء «الموالئ».

قوله تعالى: ﴿ مِن وَرَآهِ ى ﴾ أسكن الجمهور هذه الياء، وفتحها ابن كثير في رواية قنبل. وروى عنه شبل: «وراي،ًا مثل «عصاي،ًا».

قوله تعالى: ﴿ فَهَتْ لِى مِن لَّذُنكَ ﴾ أي: من عندك ﴿ وَلِيَّا ﴾ أي: ولداً صالحاً يتولَّاني.

قوله تعالى: ﴿ بَرِنِي وَرَبِ مِن اللهِ يَمْقُربُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: اليَرِثُني ويَرِثُ برفعهما. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: ﴿ لِيَرْنُني ويَرِثُ بالجزم فيهما. قال أبو عبيدة: من قرأ بالرفع، فهو على الصفة للوليّ ؛ فالمعنى: هب لي وليّاً وارثاً، ومن جزم، فعلى الشرط والجزاء، كقولك: إن وهبته لي ورثني. وفي المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يَرِثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال أبو صالح. والثاني: يَرِثني العِلْم، ويَرِث من آل يعقوب النبوّة، العالى إلى وراثة العِلْم دون المُلْك، وهذا مرويّ عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يَرِثني نبوّتي وعِلْمي، ويَرِث من آل يعقوب النبوّة أيضاً، قاله الحسن، والرابع: يَرِثني النبوّة، ويرث من آل يعقوب النبوّة أيضاً، قاله الحسن، والرابع: يَرِثني النبوّة ويرث من آل يعقوب، وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس بيعقوب أبي يوسف. وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان، وكان يعقوب هذا وعمران يعقوب ما تركناه صدقة أنه لم يُرِد ميرات المال لوجوه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» (٢٠). والثاني: [أنه] لا يجوز أن يتأسّف نبيّ الله على مصير ماله بعد موته إذا

(٢) رواه البخاري ٢/٤، ومسلم ٣/١٣٧٩ بلفظ: ولا نورث ما تركنا صدقة». ورواه الترمذي باللفظ الذي ذكره المؤلف: ونحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

⁽۱) هو جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري الله مرفوعاً، ولفظه في البخاري: «يا أيها الناس اربعوا على الفسكم، فإنكم لا تذهون أصم ولا غائباً، إنه ممكم، إنه سميع قريب، ومعنى «اربعوا على انفسكم»: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب.

وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً. والثالث: أنه لم يكن ذا مال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (أن زكريا كان نجاراًه'``.

قوله تعالى: ﴿وَلَجْعَكُلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قال اللغويون: أي: مرضيّاً، فصُرِف عن مفعول إلى فَعيل، كما قالوا: مقتول وقتيل.

﴿ يَنزَكَرِنَا ۚ إِنَّا نَبْقِرُكَ مِمُلَدِ ٱسْمُمُ يَغِينَ لَمْ جَمَعُل لَمُ مِن مَبَلُ سَمِينًا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَقِى عَالِمَ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَبْنَا ۞ قَالَ رَبِّ عَلِمَ مَقِنًا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَبْنَا ۞ قَالَ رَبِّ الْجَعَلُ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَبْنَا ۞ قَالَ رَبِّ الْجَعَلُ وَيَعْ مَا اللَّهُ مَا النَّاسَ ثَلَاثَ لَبَّ اللِّ سَوِيّنًا ۞ فَخَرَجُ عَلَى قَوْمِهِ. مِنَ ٱلْمِخْرَابِ فَأَوْجَى إِلْيَتِمْ أَن سَيْحُوا بَكُونً وَعَشِيمًا ۞﴾

ق**وله تعالى: ﴿يَنَكَ**رِنَاۚ إِنَّا نَبُشِرُكَ﴾ في الكلام إضمار، تقديره: فاستجاب الله له فقال: •يا زكريّا إنّا نبشّرك». وقرأ حمزة: •نَبشُرك» بالتخفيف. وقد شرحنا هذا في (آل صران: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿ لَمْ جَعَلَ لَهُ مِن فَبَلُ سَمِينًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لم يُسمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، وابن زيد، والأكثرون. فإن اعترض معترض، فقال: ما وجه المبدِّحة باسم لم يُسمَّ به أحد قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسبَق إليها؟ فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولَّى تسميته، ولم يَكِلْ ذلك إلى أبويه، فسماه باسم لم يُسبَق إليه. والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيراً. والثالث: لم نجعل له من قبل مِثلاً وشِبْهاً، قاله مجاهد. فعلى هذا يكون عدم الشَّبَه من حيث أنه لم يعص ولم يهم بمعصية. وما بعد هذا مفسر في الله عمران: ٢٩] إلى قوله: ﴿ وَكَانَتِ آمْرَاقِ عَاقِراً ﴾. وفي معنى «كانت، قولان: أحدهما: أنه توكيد للكلام، فالمعنى: وهي عاقر، كقوله: ﴿ كُنتُم خَيْر أَمْتِ ﴾ [الله عمران: ١١٠] أي: أنتم. والثاني: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدُث ذلك بها، ذكرهما ابن الأنباري، واختار الأول.

قوله تعالى: ﴿وَفَد بَلَقْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِنباً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عُتيًا و (بُكيًا الريم: ١٥) و(صُليًا الريم: ١٠) بضم أوائلها. وقرأ حمزة، والكسائي، بكسر أوائلها، وافقهما حفص عن عاصم، إلا في قوله: (بُكيًا فإنه ضم أوله. وقرأ ابن عباس، ومجاهد: (عُييًا بالسين. قال مجاهد: (عييًا هو قُحُول العظم. وقال ابن قتيبة: أي: يُبْساً ؛ يقال: عَنَا وعَسَا بمعنى واحد. قال الزجاج: كل شيء انتهى، فقد عَنَا يَعْتُو عِتيًا ، وعُسُوّاً ، وعُسُوّاً ، وعُسِيّاً .

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكِبَر ﴿قَالَ رَبُكَ هُو عَلَى ٓ هَيِّ ﴾ أي: خَلْقُ يحيى عليَّ سَهْل. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري: «هَيْن، بإسكان الياء. ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: أوجدتُك. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «تَحَلَقْتُكَ». وقرأ حمزة، والكسائيُ: «خَلَقْنَاكَ، بالنون والألف. ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْنَا﴾ المعنى: فخلْقُ الولد، كخلقك. وما بعد هذا مفسر في آل عمران؛ ٢٩]، إلى قوله: ﴿ ثَلَتَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال الزجاج: «سَويًا» المعنى: الحال، والمعنى: تُمْنَع عن الكلام وأنت سَوِيّ. قال ابن قتيبة: أي: سليماً غير أخرس.

قوله تعالى: ﴿ فَنَحَ عَلَى قَوْمِهِ ، ﴾ وهذا في صبيحة الليلة التي حملت فيها امرأته ﴿ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ أي: من مصلَّه، وقد ذكرناه في الله عمران: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿ نَأْوَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كتب إليهم في كتاب، قاله ابن عباس. والثاني: أوماً برأسه ويديه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَن سَيِّحُوا﴾ أي: صلُّوا ﴿بُكُرَةُ وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في آل عمران: ٢٩]، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومه فيأمرهم بالصلاة بُكُرة وعَشِيًّا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة.

⁽١) رواه أحمد في المسندة رقم (٧٩٣٤)، ومسلم ١٨٤٧/٤، وابن ماجه رقم (٢١٥٠).

﴿ يَنِيَغِنَ خُذِ ٱلْكِتَبَ بِفُوَّ وَمَاتَيَنَهُ ٱلْمُنْكُمَ صَبِينًا ۞ وَحَمَانًا مِن لَذَاً وَزَكَوَةً وَكَاتَ تَقِينًا ۞ وَبَنَّا بِوَلِدَبْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَارًا عَصِينًا ۞ وَسَلَمُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَنُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيَّا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَنِيَعَيٰ﴾ قال الزجاج: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: يا يحيى ﴿ غُذِ ٱلْكِتَبَ ﴾ يعني: التوراة، وكان مأموراً بالتمسك بها. وقال ابن الأنباري: المعنى: اقبل كُتُبَ الله كلَّها إيماناً بها واستعمالاً لأحكامها. وقد شرحنا في [البقر: ١٣] معنى قوله: ﴿ بِقُوَةٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَاتِيَنَدُ اللَّهُمَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفهم، قاله مجاهد. والثاني: اللَّب، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: العِلْم، قاله ابن السائب، والرابع: حفظ التوراة وعلمها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد زدنا هذا شرحاً في سورة [يوسف: ٢٣]. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن [من] قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحُكم صبيّاً. فأما قوله: ﴿ مَبِيّاً ﴾ ففي سنّه يوم أوتي الحُكم قولان: أحدهما: أنه سبع سنين، رواه ابن عباس عن رسول الله عليه الله الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله قادة، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانَا مِن لَدُنّا﴾ قال الزجاج: أي: وآتيناه حناناً. وقال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه. وفي الحنان ستة أقوال: أحدها: أنه الرحمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والفراء، وأبو عبيدة: وأنشد:

تَحَنَّنْ على هَدَاكُ الملِيك في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة:

أبا مُثْلَدٍ أَفْنَيَتَ فَاسْتَبِيِّ بَعضَنَا حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرُّ أَهُونُ مِنْ بَعْضٍ (""

قال ابن قتيبة: ومنه يقال: تحنَّن عليَّ، وأصله من حنين الناقة على ولدها. وقال ابن الأنباري: لم يختلف اللغويون أن الحنان: الرحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمة لأبويه، وتزكيةً له. والثاني: أنه التعطف من ربَّه عليه، قاله مجاهد. والثالث: أنه اللَّين، قاله سعيد بن جبير. والرابع: البَرَكة، وروي عن ابن جبير أيضاً. والمخامس: المَحبَّة، قاله عكرمة، وابن زيد. والسادس: التعظيم، قاله عطاء بن أبي رباح. وفي قوله: ﴿وَرَكُونَهُ البعة أقوال: أحدها: أنها العمل الصالح، قاله الضحاك، وقتادة. والثاني: أن معنى الزكاة: الصدقة، فالتقدير: إن الله تعالى جعله صدقة تصدّق بها على أبويه، قاله ابن السائب. والثالث: أن الزكاة: التطهير، قاله الزجاج. والرابع: أن الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وذُكِر، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَكَاكَ تَمِيَّا﴾ قال ابن عباس: جعلته يتَّقيني، ولا يعدل بي غيري.

قوله تعالى: ﴿ رَبَرُ إِنَالِدَيْهِ ﴾ أي: وجعلناه بَرّاً بوالديه، والبَرُّ بمعنى: البارّ؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسنا إليهما. والعَصِى بمعنى: العاصى. وقد شرحنا معنى الجبّار في [عود: ٥٩].

قُوله تعالى: ﴿وَسَلَمُ عَلِيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السلام المعروف من الله تعالى. قال عطاء: سلام عليه مِني في هذه الأيام؛ وهذا اختيار أبي سليمان. والثاني: أنه بمعنى: السلامة، قاله ابن السائب. فإن قيل: كيف خَصَّ التسليم عليه بالأيام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟ فالجواب: أن المراد باليوم الحِين والوقت، على ما بيّنا في قوله: ﴿ آلِيزُمُ أَكُمْلُتُ لَكُمْ وِينَكُم ﴾ [المائد: ١]. قال ابن عباس: وسلام عليه حين وُلد. وقال الحسن البصري: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنتَ خير مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خير مني، سلَّم الله عليك، وأنا سلَّمتُ على

⁽١) أورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٦٠ من رواية أبي نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ رَمَانَيْتُهُ لَلْفُكُمُ مَبِيَّكُ قال: أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

 ⁽۲) البيت للحطيئة، قديوانه ٢٢٢، وقالكامل، ٣٤٨، وقمجاز القرآن، ٣/٣، وقالقرطبي، ١١/ ٨٨، وقالطبري، ٣٨/١٦، وقالبحر المحيط، ٢/٧٧١، وقاللسان، وقاللس

⁽٣) ديوانه، ٢٠٨، وقمجاز القرآن، ٢/٣، وقالكتاب، ١٤٦، وقالكامل، ٣٤٨، وقالطبري، ٣٨/١٦، وقالجمهرة، ٣/٤٤٩، وقالشنتمري، ١٧٤/١، وقالضري، ١٧٤/١، وقالم طبح، ١٧٧/١، وقالبحر المحيط، ١٧٧/١، وقاللمان، وقالتاج، حنن.

نفسي. وقال سعيد بن جبير مثله، إلا أنه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثنيت على نفسي. وقال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخص الله تعالى يحيى فيها بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة.

﴿ وَاذَكُرْ فِي ٱلْكِنْبُ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانَا شَرِقِيًا ﴿ وَاَقَلَدَتْ مِن دُونِهِمْ جِمَابًا فَأَرْسَلْنَا ۚ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلُ لَهَا بَشَرُ سَوِيًا ﴾ قَالَتُ إِنَّ أَلُونُ لِيَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَكُمْ أَلُو بَيْكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ قال إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهْبَ لَكِ غُلَيْمًا رَكِيًا ﴾ قالتُ أَنَى يَكُونُ لِي غُلَيْمُ وَلَمْ أَلُو بَعِينًا ﴾ قال كَذَلِكِ قال رَبُّكِ هُو عَلَىٰ هَيْنًا وَاللَّهِ مَا يَدُ لِللَّهِ مُو عَلَىٰ هَيْنًا وَاللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهُ مِنْ عَلَىٰ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ عَلَىٰ مَا أَلُو اللَّهُ اللَّلْمُلِّلَا الللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿وَاَذَكُرْ فِي الْكِنْبِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ اَنتَبَدَتُ﴾ قال أبو عبيدة: تنجّت واعتزلت ﴿مَكَانَا شَرْفِيّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خير من الغربيّ.

قوله تعالى: ﴿ فَأَشَّذَتْ بِن دُونِهِم ﴾ يعني: أهلها ﴿ عِنها ﴾ أي: ستراً وحاجزاً وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ضربت ستراً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الشمس أظلَّنها، فلم يرها أحد منهم، وذلك مما سترها الله به، و[روي] هذا المعنى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها اتخذت حجاباً من الجدران، قاله السدي عن أشياخه. وفي سبب انفرادها عنهم قولان: أحدهما: [أنها] انفردت لتطهر من الحيض وتمتشط، قاله ابن عباس. والثاني: لتفلّي رأسها، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا ۚ إِلَيْهَا رُوحَنا﴾ وهو جبريل في قول الجمهور. وقال ابن الأنباري: صاحب روحنا، وهو جبريل وبريل والرَّوح بمعنى: الرَّوْح والفرح، ثم تضم الراء لتحقيق مذهب الاسم، وإبطال طريق المصدر، ويجوز أن يُراد بالرَّوح هاهنا: الوحي وجبريل صاحب الوحي. وفي وقت مجيئه إليها ثلاثة أقوال: أحدها: وهي تغتسل. والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب. والثالث: بعد دخولها بيتها. وقد قيل: المراد بالروح هاهنا: [الروح] الذي خُلق منه عيسى، فراغها، ولبسها الثياب. والثالث: بعد دخولها بيتها. وقد قيل: المراد بالروح هاهنا: [الروح] الذي خُلق منه عيسى، حكاه الزجاج، والماوردي، وهو مضمون كلام أبيّ بن كعب فيما سنذكره عند قوله: ﴿ فَتَمَلَّتُهُ ﴾. قال ابن حكاه الزجاج، والماوردي، وهو مضمون كلام أبيّ بن كعب فيما سنذكره عند قوله: ﴿ فَتَمَلَّلُ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا ﴾، والمعنى: تصوَّر لها في صورة البَشَر التام الخِلقة. وقال ابن عباس: جاءها في صورة شاب أبيض الوجه جعد قطط حين طرَّ شاربه. وقرأ أبو نهيك: قارسلنا إليها روحنا، بفتح الراء، من الرَّوْح.

قوله تعالى: ﴿قَالَتَ إِنَّ أَعُودُ بِٱلرَّمْنَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِتَيًا ۚ ﴿ المعنى: إن كنتَ تتَّقي الله، فستنتهي بتعوُّذي منك، هذا هو القول عند المحققين. وحكي عن ابن عباس أنه كان في زمانها رجل اسمه تقي، وكان فاجراً، فظنتُه إياه، ذكره ابن الإنباري، والماوردي. وفي قراءة على ﷺ، وابن مسعود، وأبى رجاء: وإلا أن تكون تقياً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي (لِيَهَبَ لَكِ، قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: الأهب لك، بغير همز. قال الزجاج: من قرأ اليهب لك، بغير همز. قال الزجاج: من قرأ اليهب، فالمعنى: أرسلتُ إليكِ لأهب لكِ، وقال ابن الأنباري: المعنى: أرسلتُ إليكِ لأهب لكِ، وقال ابن الأنباري: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلتُ رسولى إليك لأهب لكِ.

قوله تعالى: ﴿غُلْكًا زَكِيًا﴾ أي: طاهراً من الذنوب. والبغيّ: الفاجرة الزانية. قال ابن الأنباري: وإنما لم يقل: (بغيّة) لأنه وصف يغلب على النساء، فقلّما تقول العرب: رجل بغيّ، فيجري مجرى حائض، وعاقر. وقال غيره: إنما لم يقل: (بغيّة) لأنه مصروف عن وجهه، فهو (فعيل) بمعنى: (قاعل). ومعنى الآية: ليس لي زوج، ولستُ بزانية، وإنما يكون الولد من هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ قد شرحناه في قصة زكريا، والمعنى: أنه يسيرٌ عليّ أن أهب لكِ غلاماً من غير أب. ﴿وَلِنَجْمَلُهُ عَالَيْهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب. قال ربّك الأنباري: إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلِنَجْمَلُهُ ﴾ لأنها عاطفة لما بعدها على كلام مضمر محذوف، تقديره: قال ربّك خَلْقُه عليّ هيّن لننفعك به، ولنجعله عبرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةُ مِنَا ﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَاكَ أَمْرًا مَقْضِيًا ﴾ أي: وكان خَلْقُه أمراً محكوماً به، مفروغاً عنه، سابقاً في عِلْم الله تعالى كونه.

﴿ فَهَمَلَتُهُ فَانَذَنَ بِدِ مَكَانَا فَصِينًا ﴿ فَأَهَاهُمَا ٱلْمَخَاضُ إِنْ جِنْعِ ٱلنَّخَلَةِ قَالَتَ يَلْتَتِنَيْ مِثْ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ تَسَيَا مَنسِيًا ﴿ فَنَادَمُهَا مِن غَنْهِمْ ٱلَا خَزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ غَمْنَكِ سَرِيًا ۞ وَهُزِيَ إِلَيْكِ بِجِنْعِ ٱلنَّغْلَةِ شُنَقِظَ عَلَيْكِ رُطِنًا خِيْبًا ۞ فَكُلِى وَاشْرَى وَقَرِى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِن ٱلْبَشِرِ لَمَدًا فَقُولِ إِنِ نَذَرْتُ لِلزَّمْنِي صَوْمًا فَلَنْ أُكِيلِمُ ٱلْيَوْمُ إِنْسِينًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتُهُ عِني: عيسى. وفي كيفية حملها له قولان: أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فاستمرَّ بها حملها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قُدَّامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها. والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل مِنْ فيها، قاله أبيّ بن كعب. وفي مقدار حَمْلها سبعة أقوال. أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعته في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَحَمَلَتُهُ فَانَبَدَتْ بِمِ هِ ، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباذ به. والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن. والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبير. وابن السائب(۱). والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ورضعته في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان. والمخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ فَالنَّذَتَ بِهِ ﴾ يعني بالحَمْل ﴿ مَكَانًا تَصِيًّا ﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «قاصياً». قال ابن إسحاق: مشت ستة أميال. قال الفراء: القصيّ والقاصي بمعنى واحد. وقال غير الفراء: القصيّ والقاصي بمنزلة الشهيد والشاهد. وإنما بَعُدت، فراراً من قومها أن يعيّروها بولادتها من غير زوج.

قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَ مَا الْمَخَاشُ ﴾ وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي، وعاصم الجحدري: «الميخاض» بكسر الميم. قال الفراء: المعنى: فجاء بها المخاض، فلما ألقيت الباء، جُعلت في الفعل ألفاً، ومثله: ﴿ وَالنّا غَدَاءَ نَا﴾ [الكهف: ٢٦] أي: بزبر الحديد. قال أبو عبيدة: أفعلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها. وقال ابن قتيبة: المعنى: جاء بها، وألجأها، وهو من حيث يقال: جاءت بي الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاض: الحمل. وقال غيره: المخاض: وجع الولادة. ﴿ إِنَى بِنْ التَّاتَنَيْ وهو ساق النخلة، وكانت نخلة بالسحراء، ليس لها رأس ولا سعف. ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مُتُ قَبْلَ هَذَا ﴾ اليوم، أو هذا الأمر. وقرأ نافع، وحمزة ، والكسائي، وخلف، وحفض: «مِتُ ، بكسر الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالته حياءً من الناس. والكائن : لئلا يأثموا بقذفها.

قوله تعالى: ﴿ وَصَّانَ نَسْبًا مَنْسِبًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، بكسر النون، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «نَسياً» بفتح النون. قال الفراء: وأصحاب عبد الله يقرؤون: «نَسياً» بفتح النون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجسر والجسر، والرَّتر والوِتر، والفتح أحب إليَّ. قال أبو علي الفارسي: الكسر على اللغتين. وقال ابن الأنباري: من كسر النون قال: النسي: اسم لما يُسمى، بمنزلة البغض اسم لما يُبغض، والسِّب اسم لما يُسم. والنسي بفتح النون: اسم لما يُنسى أيضاً على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يقال: الرجل دَنِف، ودَنَف. فالمكسور: هو الوصف الصحيح، والمفتوح: مصدر سدَّ مسدَّ الوصف. ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنَّى، كما يقال: الرَّطل والرَّطل. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿ نَسْبًا مَنْسِبًا ﴾ خمسة أقوال: أحدها: يا ليتني لم أكن شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثاني: «وكنت نسباً منسباً» أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. قال الفراء: النسي: ما تلقيه المرأة من خرق نسباً منسباً» أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. قال الفراء: النسي: ما تلقيه المرأة من خرق

⁽١) قال ابن كثير في اتفسيره، ٣١٦/٣: المشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر.

اعتلالها. وقال ابن الأنباري: هي خرق الحيض تلقيها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها. والثالث: [أنه من] السقط، قاله أبو العالية، والربيع. والرابع: أن المعنى: يا ليتني لا يُدرى من أنا، قاله قتادة. والمخامس: أنه الشيء التافه يرتحل عنه القوم، فيهون عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابن السائب. وقال أبو عبيدة: النسي، والمنسي: ما ينسى من إداوة وعصا. يعني أنه ينسى في المنزل، فلا يرجع إليه لاحتقار صاحبه إياه. وقال الكسائي: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذُكر لم يُطلب.

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتُهَا مِن غَيْباً ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: "مَن تحتها الميم، والتاء. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "مِن تحتها الكسر الميم، والتاء. فمن قرأ بكسر الميم، ففيه وجهان: أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة. وقيل: كانت على نَشَز، فناداها الملك أسفل منها. والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها. قال ابن عباس: كلُّ ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكلُّ ما خفضت إليه طرفك، فهو تحتك. ومن قرأ بقتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران. وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا جَمَلَ رَبُّكِ تَعَنَكِ سَرِيًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابن جريج: هو الجدول بالسريانية. والثاني: أنه عيسى كان سرياً من الرجال، قاله الحسن، وعكرمة، [وابن زيد]. قال ابن الأنباري: وقد رجع الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سوياً من الغلمان، وقلما تقول العرب: رأيت عندك نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً. فإن قيل: كيف ناسب تسليتها أن قبل: لا تحزني. فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تتطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالح عن أبن عباس. والثاني: أنها حزنت لم اجرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج، فأجرى الله تعالى لها نهراً، فجاءها من الأردن وأخرج لها الرَّطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّى ٓ إِنَّكِ ﴾ الهزُّ: التحريك. والباء في قوله تعالى: ﴿ عِنْعِ ٱلنَّغْلَةِ ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿ وَمُزِّى مُدُدَّ مِسَبَ إِلَى ٱلسَّمَايَ ﴾ [العج: ١٥] قال الفراء: فليمدد سبباً. والعرب تقول: هزَّه، وهزَّ به، وخذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلَّق زيداً، وتعلَّق به. وقال أبو عبيدة: هي مؤكدة، كقول الشاعر:

نَسفْسرِبُ بسالسسيَّسفِ ونسرجسو بسّالسفسرَج(۱)

والثاني: أنها دخلت على الجذع لتلصقه بالهزِّ، فهي مفيدة للإلصاق، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ مُنْكَوِّكُ وَرا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: اتساقط، بالتاء مشددة السين. وقرأ حمزة، وعبد الوارث: (تَساقط، بالتاء مفتوحة مخففة السين. وقرأ حفوص عن عاصم: اتساقط، بضم التاء وكسر القاف مخففة السين. وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: (يَسَّاقَط، بالياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف. فهذه القراءات المشاهير. وقرأ أَبيُّ بن كعب، وأبو حيوة: (تَسْقُط، بفتح التاء وسكون السين ورفع القاف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: (يُساقط، بألف وتخفيف السين ورفع الياء وكسر القاف. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: (يُسْقِط، برفع الياء وكسر القاف مع سكون السين وعدم الألف. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن الجوني مثله، إلا أنه بالناء. وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة: (يَسْقُط، بالياء مفتوحة مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السماك العدوي، وابن حزام: (تتساقط، بناءين مفتوحين وبألف. وقال الزجاج: من قرأ (يسَّاقط، فالمعنى: يتساقط، فأدغمت التاء في السين. ومن قرأ «تساقط، التاء والتخفيف، فإنه حذف من «تتساقط» المخذلك أيضاً، وأنث لأن لفظ النخلة يؤنث. ومن قرأ «تساقط» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من «تتساقط» المخذا

⁽١) هذا الشطر من الرجز لراجز من بني جعدة، وهو في «الاقتضاب» ٤٥٨، وقشواهد المغني، ١١٤٠، وقالمخزانة، ١٥٩/٤.

التاءين. ومن قرأ "يُساقط" ذهب إلى معنى: يُساقط الجذع عليك. ومن قرأ "نُساقط" بالنون، فالمعنى: نحن نُساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون: إن "رطباً" منصوب على التمييز إذا قلت: يسَّاقط أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجذع رطباً. وإذا قلت: تسَّاقط بالتاء، فالمعنى: تتساقط النخلة رطباً.

قوله تعالى: ﴿ جَٰنِيَا﴾ قال الفراء: الجَنِيّ: المجتنى، وقال ابن الأنباري: هو الطريُّ، والأصل: مجنوٌّ، صُرف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قديد، وطبيخ. وقال غيره: هو الطريّ بغباره: ولم يكن لتلك النخلة رأس، فأنبته الله تعالى، فلما وضعت يدها عليها، سقط الرطب رَطْباً. وكان السلف يستحبُّون للنفساء الرطب من أجل مريم ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فَكُلِى ﴾ أي: من الرطب ﴿ وَأَشَرَى ﴾ من النهر ﴿ وَقَرِّى عَبْنَا ﴾ بولادة عيسى ﷺ. قال الزجاج: يقال: قررت به عيناً أقر، بفتح القاف في المستقبل، وقررت في المكان أقر، بكسر القاف، واعيناً »: منصوب على التمييز. وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: معنى «وقرِّي عيناً »، ولتبرد دمعتك، لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارَّة. واشتقاق «قرِّي» من القرور، وهو الماء البارد. وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قرِّي عيناً » بلغتِ غاية أملك حتى تقرَّ عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتج بقول عمرو بن كلثوم:

بيوم كريهة ضرباً وطعناً أقر به مواليك العيونا^(۱) أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهم، فقرَّت عينهم من تطلّع إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَوَنَّ ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميفع، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم المجحدري: «تربّنً» بهمزة مكسورة من غيرياء. أي: إن رأيتٍ من البشر أحداً فقولي؛ وفيه إضمار تقديره: فسألك عن أمر ولدك ﴿ فَقُولِتَ إِنّي نَذَرْتُ لِلرَّمْنِي صَوّمًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: صمتاً، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، والضحاك؛ وكذلك قرأ أبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وأبو رزين العقيلي: «صمتاً» مكان قوله: «صوماً». وقرأ ابن عباس: صياماً (المالة والثاني: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلا مِن ذِكْر الله على قال السدي: فأذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت. قال ابن مسعود: أمِرتْ بالصمت، لأنها لم تكن لها حُجَّة عند الناس، فأمرتْ بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام وللكلام ولدُها مما يُبرِّئ به ساحتها. وقيل: كانت تُكلِّم الملائكة ولا تكلِّم الإنس. قال ابن الأنباري: الصوم في لغة العرب على أربعة معانٍ، يقال: صوم لترك الطعام والشراب، وصوم للصمت، وصوم لضرب من الشجر، وصوم لذرق النعام. واختلف العلماء في مقدار سنَّ مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها وَلدت وهي بنت خمس عشرة النعام. واختلف العلماء في مقدار سنَّ مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها وَلدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهب بن منبه. والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيد بن أسلم. والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتا.

﴿ وَمَاتَتْ بِدِ. فَوْمَهَا تَحْمِلُمُ فَالُواْ يَمَرْيَدُ لَقَدْ جِنْتِ شَيْمًا فَرِيًّا ۞ يَتَأَخْتَ هَنُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ آمَرَأَ سَوْوِ وَمَا كَانَتْ أَمَّكِ بَنِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلِيَّةً قَالُواْ كَيْفَ ثُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّ عَبْدُ اللّهِ ءَاتَدْنِيَ الْكِنْبُ وَجَمَلَنِي فَبِيًّا ۞ وَجَمَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْمَنِي بِالصَّلَوْقِ وَالزَّكُوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ فَرَمَهَا تَصَمِلْهُ قَالَ ابن عباس في رواية أبي صالح: أتنهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسها. وقال في رواية الضحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلما رأتهم حملت عيسى فتلقّتهم به، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ مَوْمَهَا يَصَلَّهُ عَلَى الله عَلَى الله وَله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ عَنِي عَن (تحمله الله فلا فائدة للتكرير، فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهم السامع «فأتت به ان يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كنطقه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنه كسائر الأطفال، وهذا مِثْل قول العرب: نظرت إلى فلان بعيني، فنفوا بذلك نظر العطف؛ والرحمة، وأثبتوا [أنه] نظرُ عَيْنٍ، وقال ابن السائب: لما دخلت على قومها بَكوا، وكانوا قوماً صالحين؛ و﴿ قَالُوا يَنمَرْيَمُ لَقَدْ حِثْتِ شَيْحًا فَرِيَّا ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

⁽١) ﴿مختار الشعر الجاهلي، ٢/ ٣٦٢، ﴿اللَّسَانَّةُ: قَرْرٍ.

⁽٢) وفي النسخة الإستنبوليَّة: وقرأ ابن مسعود: ﴿وصياماً، والذي في اللبحر المحيط؛ و﴿روح المعانيُّ؛ وقرأ زيد بن علي ﴿صياماً،

أحدها: شيئاً عظيماً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الفراء: الفريُّ: العظيم، والعرب تقول: تركته يفري الفريُّ، إذا عمل فأجاد العمل فَفَضَلَ الناس، قيل هذا فيه، قال النبي ﷺ: فغما رأيت عبقرياً يفري فَرْيَ عمر، (۱). والثاني: عَجباً فائقاً، قاله أبو عبيدة. والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله اليزيدي.

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَخْتَ هَنُرُونَ ﴾ في المراد بهارون هذا خمسة أقوال: أحدها: أنه أخ لها من أمّها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: كان من أبيها وأمّها. والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي: كانت من بني هارون أخي موسى على فنسبت إليه، لأنها من ولده. والثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وتتادة، ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله الله المل أهل نجران، فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿ يَكَأَخْتُ هَنُونَ ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدرٍ ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله الله فأخبرتُه، فقال: ﴿ الا أخبرتَهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم (١٠). والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فساق وزُنَاة، فنسبوها إليهم، قاله سعيد بن جبير. والمخامس: أنه رجل من فُسًاق بني إسرائيل شبهوها به، قاله وهب بن منبه. فعلى هذا يخرج أيهم معنى والأخت، قولان: أحدهما: أنها الأخت حقيقة. والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِهِم فَيْ مَا يَهُم مَا يَهُم أَنْ مَا يَهُم مَا يَهُم أَنْ مَنْ أَخْتِه أَنْ الزعرف: ١٤٤].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُولِي﴾ يعنون: عمران ﴿آمَرَأَ سَوْمِ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أَمَّلِي﴾ حنة ﴿بَدِيّا﴾ أي: زانية، فمن أين لكِ هذا الولد؟!

قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتُ ﴾ ، أي: أومأت ﴿ إِلَيْ عِيسَى فتكلَّم. وقيل المعنى: أشارت إليه أنْ كلَّموه. وكان عيسى قد كلَّمها حين أتت قومها، وقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلَّموه، تعجَّبوا من ذلك، و ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكُلِّمُ مَن كَانَ ﴾ وفيها (٣) أربعة أقوال: أحدها: أنها زائدة، فالمعنى: كيف نكلِّم صبياً في المهد؟ اوالثاني: أنها في معنى: وقع، وحدث. والثالث: أنها في معنى الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد صبياً، فكيف نكلِّمه؟! حكاها الزجاج، واختار الأخير منها؛ قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: كيف أعظ من كان لا يقبل موطلتي؟! أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء. والرابع: أن «كان» بمعنى: صار، قاله قطرب. وفي المراد بالمهد قولان: أحدهما: حِجْرُها، قاله نوفٌ، وقتادة، والكلبي، والثاني: سرير الصبي المعروف، حكاه الكلبي أيضاً. قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرَّضاع، وأقبل عليهم بوجهه، فقال: إني عبد الله. قال المفسرون: إنما قدَّم ذِكر العبودية، ليُبطلَ قول من ادَّعى فيه الربوبية. وفي قوله: ﴿ اَتَذِي فقال: إني عبد الله. قال المفسرون: إنما قدَّم ذِكر العبودية، ليُبطلَ قول من ادَّعى فيه الربوبية. وفي قوله: ﴿ اَتَذِي المناس. وقيل: علم التوراة والإنجيل وهو في بطن أمه. والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمة. وفي المن عباس. وقيل: علم التوراة والإنجيل وهو في بطن أمه. والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمة. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه آلاه أبو صالح عن «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والأنها: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿ رَجَعَلَنِي نِيتًا﴾ هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إيَّاه مما سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبيّاً إذا بلغتُ؛ فحلَّ الماضي محلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَكِيسَى ﴾ [المائدة: ١١٦]. وفي وقت تكليمه لهم قولان: أحدهما: أنه كلَّمهم بعد أربعين يوماً. والثاني: في يومه. وهو مبنيَّ على ما ذكرنا من الزمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

⁽١) البخاري ٧/ ٣٦، ومسلم ٤/ ١٨٦٢، ومعناه: لم أر سيداً يعمل عمله ويَقطع قَطعه.

⁽٢) وعلى هامش نسخة الرباط: أخرجه مسلم في "صحيحه ومن طريقه البغوي في "شرح السنة» في كتاب الاستئذان في باب التسمية باسم النبي ﷺ اهـ. وهو في مسلم في كتاب الأداب، باب النهي عن التكني بأيي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (١٨٦٥) بمعناه، ورواه أحمد في "المسئلة ٤/ ٢٥٢، ولفظه قريب من رواية المصنف، ورواه الترمذي في "الفسير" (١٤٤٧)، وأورده السيوطي في الله المئورة وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنظر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهتي في "الدلائل".

⁽٣) أي: لفظة فكان».

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ روى أبو هريرة عن رسول الله على هذه الآية قال: «نفّاعاً حيثما توجهت»(۱). وقال مجاهد: معلّماً للخير. وفي المراد «بالزكاة» قولان: أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابن السائب. والثاني: الطهارة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّزًا بِوَلِيَكِ﴾ قال ابن عباس: لمَّا قال هذا، ولم يقل: "بوالديِّ، علموا أنه وُلد من غير بَشَر.

قوله تعالى. ﴿ وَاللّٰمَ يَجْمَآنِي جَبَّالًا﴾ أي: متعظّماً ﴿ مَنْقِبًا﴾ عاصياً لربه ﴿ وَالسَّلَمُ عَلَى بَرْمَ وُلِدتُ ﴾ قال المفسرون: السلامة عليًّ من الله يوم وُلدتُ حتى لم يضرّني شيطان. وقد سبق تفسير الآية آمريم: ١٥٠ فإن قيل: لم ذكر هاهنا «السلام» بألف ولام، وذكره في قصة يحيى بلا ألف ولام؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لمّا جرى ذِكر السلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام، كان الأحسن أن يَرِد ثانية بألف ولام، هذا قول الزجاج. وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف يجوز أن يعطف هذا وهو قول عيسى، على الأول وهو قول الله تظن؟! وقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: عيسى إنما يتعظم من ربّه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسه، ويجوز أن يكون الله تظن عرّف السلام الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصدٍ به إتباع اللفظ المحكيّ، لأن المتكلّم، له أن يغيّر بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبد الله: أنا رَجُل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رَجُل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رَجُل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رَجُل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمٌ قَوْلِكَ ٱلْحَقِ ٱلَذِى نِيدِ يَعَمَّوُنَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَنْجِذَ مِن وَلَدِّ سُبْحَنَهُۥ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنْسَا يَقُولُ لَلْمُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَلِذَ اللَّهَ رَبِي وَرَبُكُرُ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَكُ تُسْتَقِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ عِلِمَى أَبْنُ مُرَمِّمُ ﴾ قال الزجاج: أي، ذلك الذي قال: إني عبد الله، هو ابن مريم، لا ما تقول النصارى: أنه ابن الله، وأنه إلّه.

قوله تعالى: ﴿ قَرْكَ ٱلْحَقِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي: «قولُ الحق، برفع اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، ويعقوب: بنصب اللام. قال الزجاج: من رفع «قولُ الحق، فالمعنى: هو قولُ الحق، يعني هذا الكلام؛ ومن نصب، فالمعنى: أقول قول الحقّ. وذكر ابن الأنباري في الآية وجهين: أحدهما: أنه لما وُصف بالكلمة جاز أن يُنعت بالقول. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبأ عيسى، ذلك النبأ قول الحق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِى نِيهِ يَنْتَرُفُنَ﴾ أي: يشكُّون. قال قتادة: امترت اليهود فيه والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر، وزعم النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة. قرأ أبو مجلز، ومعاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو رجاء: «تمترون» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَنْجَذَ مِن وَلَلْكُ قال الزجاج: المعنى: أن يتخذ ولداً. و فمِن مؤكّدة تدل على نفي الواحد والجماعة، لأن للقائل أن يقول: ما اتخذت فرساً، يريد: اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذت فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً والجميع.

قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُكُم وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة: الفيكونَ، بالنصب، وقد ذكرنا وجهه في

قوله تعالى: ﴿وَلِنَّا لَلَهُ رَبِّ وَرَبُكُرُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "وأنّ الله" بنصب الألف. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "وإن الله" بكسر الألف. وهذا من قول عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قوله: ﴿وَأَوْصَنِي بِالسَّلَوْ وَالزَّكَوْقِ ﴾ ويأن الله رتبي؛ ومن كسر، ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿ إِنِّ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ والثاني: أن يكون مستأنفاً.

يَّنِي ﴿ فَأَخْلَفَ ۚ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِيْمْ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَادِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ أَسَّعْ بِيمْ وَآيَصِرْ يَوْم يَأْتُونَنَّا لَكِي الظَّلِلمُونَ الْيَوْمَ فِي صَلَّلِ مُبِينِ ۞ وَالْذِرْهُرْ يَوْمَ الْمُسَرَّةِ إِذْ فَغِنَى الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ وَهُمْ لَا يَوْمِئُونَ ۞ إِنَّا تَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞﴾

⁽١) في «الطبري» ودابن كثير» عن مجاهد: نفّاعاً. وقال السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٧٠: أخرج الإسماعيلي في «معجمه» وآبو نعيم في «الحلية» وابن لال في «مكارم الأخلاق»، وابن مردويه، وابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قول عيسى ﷺ: وجملني مباركاً أينما كنت، قال: جملني نفّاهاً للناس أين اتجهت».

قوله تعالى: ﴿ فَأَخْلَكُ ٱلْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِيمٌ ﴾ قال المفسرون: قمِنْ الله والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابن الأنباري: لما تمسَّك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب بين المؤمنين مقصوراً عليهم. وفي الأحزاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، فكانت اليهود تقول: إنه لغير رِشْدَةً (١)، والنصارى تدَّعي فيه ما لا يليق به. والثاني: أنهم فِرَق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿ فَوَيِّلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقولهم في المسيح ﴿ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاء.

قوله تعالى: ﴿أُمَّيِمْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر؛ فالمعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حين لم ينفعهم ذلك لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه إلى نظر وفكر فعكموا الهدى وأطاعوا، هذا قول الأكثرين. والثاني: أَسْمِع بحديثهم اليوم، وأبصِرْ كيف يُصنَع بهم ﴿بَرْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلظَّالِمُونَ﴾ يعني: المشركين والكفار ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي مَـٰكَلِ تُبِينِ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْدِرْهُ ﴾ أي: خوّف كفّار مكة ﴿ وَمَ ٱلْمَارَة ﴾ يعني: يوم القيامة يتحسَّر المسيء إذ لم يُحْسِن، والمقصِّر إذ لم يَزْدَدُ من الخير. وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة ، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قيل: يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيُجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : هذا الموت ، فيُلبَح ، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؟ ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَلْذِرُهُرُ الله عَلَيْ وَهُمْ لِا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) . قال المفسرون : فهذه هي الحسرة إذا ذُبِح الموت ، فلو مات أحد فرحاً مات أهل النار . ومن موجبات الحسرة ، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: فيوتى يوم القيامة بناس إلى الجنة ، حتى إذا ذَنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها ، نودوا: أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مَا رَجَعَ الأوّلُون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا لنووا: أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مَا رَجَعَ الأوّلُون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا الناس قبل النار قبل أن تُرِينا ما أريتنا كان أهون علينا ؛ قال: ذلك أردتُ بكم ، كنتم إذا خَلَوتُمُ بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس قبم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم توين ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال: يعني روي عن ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال: يعني أهلها .

قوله تعالى: ﴿إِذْ فُنِى آلْأَمْرِ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿قُضي ﴾ في اللغة بمعنى: أُتقن وأُحكم، وإنما سمَّي الحاكم قاضياً، لإتقانه وإحكامه ما ينفَّذ. وفي الآية اختصار، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم. وللمفسرين في الأمر قولان: أحدهما: أنه ذبح الموت، قاله ابن جريج، والسدي. والثاني: أن المعنى: قُضي العذاب لهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَمُمْ فِي غَنْلَةِ﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يُصنَع بهم ذلك اليوم ﴿وَمُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا غَنْ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: نُميت سكَّانها فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَّيْنَا يُرْجَعُونَهُ بعد الموت. فإن قيل: ما

 ⁽١) يقال: هذا ولد رشدة: إذا كان لنكاح صحيح، ويقال في ضده: ولد زئية.

 ⁽۲) يشرئبون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

 ⁽٣) رواه أحمد في «المسندة ٩/٣، والبخاري ٨/ ٣٢٥، ومسلم ٢١٨٨/٤، والترمذي ١٤٤/ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في
 «الدر، ٤/ ٢٧١ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه.

⁽٤) 🛚 ذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» باب الترهيب من الرياء من رواية الطبراني في «الكبير» والبيهقي، عن عدي بن حاتم ﷺ.

الفائدة في «نحن» وقد كفت عنها «إنّا»؟ فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظَّم: «إنّا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة. فإن قيل: فلم قال: «ومَنْ عليها» وهو يرث الآدميين وغيرهم؟! فالجواب: أن «مَنْ» تختص أهل التمييز، وغيرُ المميِّزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِبْرَهِمْ ﴾ أي: اذكر لقومك قصته. وقد سبق معنى الصَّدِّيق [ني النساء: ١٩].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُنْنِي عَنكَ شَيْنا ﴾ أي: لا يدفع عنكَ ضرّاً.

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْمِلْدِ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكُ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا نَتَبُدِ ٱلشَّيْطَانَ ﴾ أي: لا تُطعه فيما يأمر به من الكفر والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنفاً. و﴿عَصِبًا﴾ أي: عاصياً، فهو «فعيل» بمعنى «فاعل».

قوله تعالى: ﴿إِنِي أَخَافُ أَن يَمَسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّمَيْنِ قال مقاتل: في الآخرة؛ وقال غيره: في الدنيا، ﴿فَتَكُونَ الشّيَطَنِينَ وَلِيَا ﴾ أي: قريناً في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالاة. وقيل: إنما طمع إبراهيم في إيمان أبيه، لأنه حين خرج من النار قال له: نِعْمَ الإله إلهك يا إبراهيم، فحينتذ أقبل يعظه، فأجابه أبوه: ﴿أَرَاغِبُ أَنتَ عَنْ عَالِهَ يَ اللّهُ عَنْ عَلِيها وشتمها ﴿ لَأَرْجُمَنَّكُ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بالشتم والقول، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: بالحجارة حتى تتباعد عني، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمَجُرِّفِي مَلِيَّا﴾ نيه قولان: أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والفرَّاء، والأكثرون. قال ابن قتيبة: اهجرني حيناً طويلاً، ومنه يقال: تَمَلَّيت حبيبك. والثاني: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبَك عقوبتي، رواه العوني عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلان مليًّ بكذا وكذا: إذا كان مضطلعاً به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر، وأنت سليم من أذايَ، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَمُ عَلَيْكُ ﴾ أي: سَلمِتَ من أن أُصيبَك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمّر بقتاله على كفره، ﴿ وَلك أَنه لِم يؤمّر بقتاله على كفره، ﴿ سَأَسْتَغْيُرُ لَكَ رَبِّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته. والثاني: أنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حقّ المُصرّين على الكفر، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ أَنَهُم كَاكَ بِي حَفِيًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لطيفاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، والزجاج. والثاني: رحيماً، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: بارّاً عوّدني منه الإجابة إذا دعوتُه، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَرِلْكُمْ﴾ أي: وأتنجَّى عنكم، ﴿و﴾ أعتزل ﴿مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ يعني: الأصنام. وفي معنى «تَدْعُون» قولان: أحدهما: تَغَبُدون. والثاني: أن المعنى: وما تدعونه ربّاً، ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: وأعبُده ﴿عَسَى أَلاّ أَكُونَ مِنْ مَقِيتُهُ أَيْ أَيْ أَيْنَ مَعْنَى أَلاّ تَنْعَهُم ولا تُجيب دعاءُهم ﴿ فَلَمّا أَعْتَرَكُمْ ﴾ أي: أرجو أن لا أشقى بعبادته كما شَقِيتُم أنتم بعبادة الأصنام، لأنها لا تنفعهم ولا تُجيب دعاءُهم ﴿ فَلَمّا أَعْتَرَكُمْ ﴾ قال المفسرون: هاجر عنهم إلى أرض الشام، فوهب الله له إسحاق ويعقوب، فآنس الله وحشته عن فراق قومه بأولادٍ كرام. قال أبو سليمان: وإنما وهب له إسحاق ويعقوب بعد إسماعيل.

قوله تعالىّ: ﴿وَكُلَّا﴾ أي: وكلَّا من هذين. وقال مقاتل: ﴿وكلَّا يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَمَلْنَا نَبِيُّنا﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَمُمْ مِن تَرْمَنِنا﴾ قال المفسرون: المال والولد والعِلْم والعمل، ﴿وَجَمَلْنَا لَمُمْ لِسَانَ صِدْقِ عَلِيّـا﴾ قال ابن قتيبة: أي: ذِكْراً حَسَناً في النّاس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولُّون إبراهيم وذريَّته ويُثنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان^(۱).

﴿وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِتَابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَمُنا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًا ۞ وَتَدَيَّتُهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبَتُهُ غِيمًا ۞ وَوَهَيَنا لَمُ مِن رَّمْنِينَا أَنْناهُ هَنُرُونَ نِيَا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غُنَّكُا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: «مُخْلِصاً» بكسر اللام. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح اللام. قال الزجاج: المُخْلِص، بكسر اللام: الذي وحَّد الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دُنِسة، والمُخْلَص، بفتح اللام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدَّنَس.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا رَسُولًا ﴾ قال ابن الأنباري: إنما أعاد (كان؛ لتفخيم شأن النبيّ المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَانَيْنَهُ مِن جَانِي ٱلطُّورِ ﴾ أي: من ناحية الطُّور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زَبِير. قال ابن الأنباري: [إنما] خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القِبلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبِل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك أتُساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يَدَ لَهُ فيكون له يمين. وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلهذا قال: «الأيمنِ»، ولم يُرِد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿ وَقَرَّنَتُهُ غِيمًا ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: مناجياً، فعبَّر الفَعيل؛ عن المُفَاعِل؛ كما قالوا: فلان خليطي وعشيري: يعنون: مخالطي ومُعاشري. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: (وقرَّبناه) قال: حتى سمع صريف القلم حين كتب له في الألواح.

قوله تعالى: ﴿وَوَكَمْنَا لَهُ مِن رَّمْمَيْناً ﴾ أي: من نعمتنا عليه إذا أجبنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

﴿ وَالْكُرْ فِ ٱلْكِنَبِ إِمْكِيدًا ۚ إِنْهُ كَانَ سَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَمُولًا نَبِيًا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَمُ بِالصَّلَوْةِ وَالزَّكُوةِ وَكَانَ عِندَ رَقِدِ مَرْضَيًا ۞ وَوَنَدُ فِي الْكِنَبِ إِدْبِينَ ۚ إِنْهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًا ۞ وَوَفَتْنَهُ مَكَانًا عَيًّا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْرَغْدِ﴾ هذا عام فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس. وقال مجاهد: لم يَعِد ربَّه بوعدٍ قط إلا وفي له به. فإن قبل: كيف خُصَّ بصدق الوعد إسماعيل، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟ فالجواب: أن إسماعيل عانى [في الوفاء] بالوعد ما لم يعانه غيره من الأنبياء، فأثني عليه بذلك. وذكر المفسرون: أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة فيها لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أقام حَوْلاً، قاله ابن عباس. والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله الرقاشي. والثالث: ثلاث أيام، قاله مقاتل.

قوله تمالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهُم. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهَلَهُ﴾ قال مقاتل: يعني: قومه. وقال الزجاج: أهله: جميعُ أُمَّته. فأما الصلاة والزكاة، فهما العبادتان المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿ رَوَهَنَدُهُ مَكَانًا طِيًا ﴿ فَيه أَربِعة أقوال: أحدها: أنه في السماء الرابعة، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله على حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة (٢٠)، وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية. والثاني: أنه في السما السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك (٣). والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن

 ⁽١) في عبارة الأصل هنا تقديم وتأخير، وهذا نصها: [﴿وَجَمَلْنَا كُمْ لِسَانَ صِتْقِ﴾ أي: ذِكْراً حَسَناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولّون إبراهيم وذريته ويُتنون عليهم، قال ابن قتية: فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان. اها وابن قتية لم يقل سوى هذه العبارة: فأي: ذِكراً حسناً في الناس مرتفعاً». فقدًمنا جملة قال ابن قتية» على قوله، حتى تستقيم العبارة.

⁽۲) البخاري ۱۵۰/۱ رمسلم ۱/۱۵۰.

٣) وعلى هامش نسخة الرباط بخط مغربي: أخرج الحاكم في «المستدرك» _ وقال الذهبي: إسناده مظلم لا تقوم به حجة _، عن الحسن بن سمرة أنه
 قال: كان نبي الله إدريس أبيض طويلاً، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من =

الجنة في السماء الرابعة. والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاه أبو سليمان الدمشقي(١١). وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مِثْلُ ما يصعد لجميع بني آدم؛ فأحبَّه مَلَك الموت، فاستأذن اللَّهَ ني خُلَّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه، فلما عرفه، قال: إنِّي أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت، فلعلِّي أعلم ما شدَّته فأكون له أشدَّ استعداداً؛ فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ساعةً ثم أرْسِله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشدُّ مِمَّا بلغني عنه، وإني أُحب أن تريّني النار، قال: فحمله، فأراه إيّاها؛ قال: إني أُحِبُّ أن تريّني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يُخرجني؛ فبعث الله مَلكاً فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا مَلَك الموت؟ فقصَّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَآلِهَهُ ٱلْوَبُّ ۗ اللَّ عمران: ١٨٥]، وقد ذُقْتُه، وقال: ﴿وَإِن يَنكُرُ إِلَّا وَادِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]، وقد وردتُها، وقال لأهل الجنة، ﴿وَمَا لَهُم يُنْهَا بِمُخْرَمِينَ﴾ [العجر: ٤٨]، فو الله لا أخرج حتى يكون اللَّهُ يخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذنبي دخل، وبأمري فعل، فخلُّ سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٢). فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟! فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود؛ وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم. والثاني: أن مَلكاً من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملك الموت؟ قال: سأكلُّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحيّ، فركب إدريس، فصعِد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلِّمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجَله إلا نصف طرفة عين؟! فمات إدريس بين جناحي الملَك، رواه عكرمة عن ابن عباس^(٣). وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة. والثالث: أن إدريس مشى يوماً في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهمُّ خفُّف ثقلها عمَّن يحملها، يعني به الملك الموكَّل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرِّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷺ عن ذلك، فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أُخفِّف عنكَ حِملها وحرَّها، فأجبُتُه، فقال: يا رب اجمع بيني ويينه، واجعل بيننا خُلَّة، فأذِن له، [فأتاه]، فكان مما قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخِّرَ أَجَلي، فقال: إن الله لا يؤخِّر نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها، ولكن أكلَّمه فيك، فما كان مستطيعاً أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثم حمله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخِّر أجَلَه، قال: ليس ذاك إليَّ، ولكن إن أحببتَ أعلمتُه متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، فقال: إني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتاً، فو الله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرآه ميتاً. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وكعب في آخرين⁽¹⁾. فهذا القول والذي قبله يدَّلان على أنه ميت، والقول الأول يدل على أنه حيّ.

﴿ أُولَٰكِكَ الَّذِينَ آنَمَ اللَّهُ عَلَيْمِ مِنَ النَّبِيِّنَ مِن ذُرِيَّةِ ءَادَمَ وَمِثَنْ حَمَلْنَا مَعَ شُج وَمِن ذُرَيَّةِ إِبْرُهِمَ وَإِسْرَةِ بِلَ وَمِثَنْ هَدَيْنَا وَأَجْنَبَنَأَ إِنَّا نُنْلَى عَلَيْغِ ءَايَنتُ الرَّخَنِ خَ<u>رُّوا سُجَّك</u>ا وَبَكِي**اً ۞ ۞ ۞ غَلَ**فَ مِنْ بَعْدِمْ خَلْفُ أَضَاعُوا الصَّلَوَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوْتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّا ۞ إِلَّا مَن تَابَ

الأخرى، وكان في صدره نكتة بياض من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله، رفعه إلى السماء السادسة [فهو] حيث يقول: ﴿وَيَقَنَتُهُ مُكُنّا مَيّاً ۞﴾، فهذا يدل على فرض صحته أنه رفع حياً، والله أعلم أنّى ذلك كان. اهـ. والحديث في والمستدرك ٢/٩٥٩.

⁽١) والقول الأول هو الصحيح.

⁽٢) ﴿ ذَكُرُ السيوطي في ﴿اللَّهِ ﴾ ٢٧٤/ بهذا المعنى خبراً طويلاً، من رواية ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ، والله أعلم بصحته .

⁽٣) ذكره السيوطي في دالدر، ٢٧٤/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر نحوه: هذا من أخبار كعب من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وَمَامَنَ وَعِمَلَ صَلِيمًا فَأُولَتِكَ يَنْخُلُونَ لَلْبَنَةَ وَلَا يُطْلَمُونَ شَيْئًا ۞ جَنَّتِ عَدَنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّخَنُ عِبَائِمُ اِلْفَتِبُ إِنَّهُ كَانَ وَعَدُمُ مَأْنِيَا ۞ لِمَ يَسْتَمُونَ فِيهَا لَقُولُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَيْفَا ۞ وَمَا نَنْفَلُمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَاتُ اللَّهِ مُؤْدُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَيْفِئُ ۞ لَمْ اللَّهُ إِلَّا مِلْمَو رَبِيْكُ لَمُ مَا بَكِيْنَ أَلِدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنِ ذَلِكُ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيئًا ۞ زَبُّ السَّنَوْتِ وَالأَرْضِ وَمَا يَيْتُهُمَا فَاعْبُدُهُ وَلَمْعَلِمْ لِمِنْدَوْدُ مَلْ مَمَلُ لَمُ سَدِينًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰكِكَ الَّذِينَ أَنَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿مِين ذُرِيَّةِ ءَادَمُ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِثَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوجِ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعني إدريس ﴿وَمِثَنْ حَمَلْنَا مَع نُوجٍ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَالنَّهُ مِنْ لَا عَنِي: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله تعالى: ﴿ وَيَتَنْ مَدَّيْنَا ﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أرشَدْنا، ﴿ وَٱجْنَبَنَآ ﴾ أي: واصطفَيْنا.

قوله تعالى: ﴿ حَرُّوا سُجِدًا ﴾ قال الزجاج : «سُجَّداً عال مقدَّرة ، المعنى: خرَّوا مقدَّرين السجود ، لأن الإنسان في حال خروره لا يكون ساجداً ، فهسُجَّداً عنصوب على الحال ، وهو جمع ساجد ﴿ وَيُكِيَّا ﴾ معطوف عليه ، وهو : جمع باكٍ ، فقد بيَّن الله تعالى أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوًا من خشية الله .

قوله تعالى: ﴿ فَغَلَكَ مِنْ بَهَدِهِمْ خَلْفُ ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ١٦٩]. وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم من هذه الأُمَّة، يأتون عند ذهاب صالحي أمة محمد ﷺ يتبارَوْن بالزنا، ينزو بعضهم على بعض في الأزقّة زناة، قاله مجاهد، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿أَمَاعُواْ الصَّلَوَةَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، والحسن البصري: «الصلوات؛ على الجمع. وفي المراد بإضاعتهم إياها قولان: أحدهما: أنهم أخَّروها عن وقتها، قاله ابن مسعود، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم بن مخيمرة. والثاني: تركوها، قاله القرظي، واختاره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاَئْبَسُوا اَلنَّهَوَاتِ ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ نَسَوْكَ يَلْقَرَنَ غَيًّا ﴾ ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية. وفي المراد بهذا الغيّ ستة أقوال: أحدها: أنه واد في جهنم، رواه ابن عباس عن رسول الله الله الله الله عن ابن عباس. كعب. والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد. والخامس: أنه الشرُّ، قاله ابن زيد، وابن المسائب. والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿ يَلْقَ أَنَامًا ﴾ [النرقان: ٦٨] أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَمَامَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تاب من الشرك، وآمن بمحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: تاب من التقصير في الصلاة، وآمن من اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿ مَنْتِ عَنْنِهِ ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: «جناتُ، برفع التاء. وقرأ المحسن البصري، والشعبي، وابن السميفع: «جنةُ عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل الناجي: «جنةً عدن» على التوحيد مع نصب التاء. وقوله: ﴿ اللَّهِ وَعَدَ ٱلرَّحْنَنُ عِادَمُ مِالَمَتِكُ ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهى غائبة عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعَدُمُ مُأْتِيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: آتياً، قال ابن قتيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليل أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به. وقال الفراء: إنما لم يقل: آتياً، لأن كل ما أتاك، فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة؟ والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابن الأنباري. وقال ابن جريج: وعده هاهنا: موعوده، وهو الجنة، و«مأتياً»: يأتيه أولياؤه.

⁽١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٤ من رواية ابن مردويه من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي 選.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَنُوّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التخالف عند شرب الخمر، قاله مقاتل. والثاني: ما يلغى من الكلام ويؤثّم فيه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطَّرّح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَنَا ﴾ قال أبو عبيدة: السلام ليس من اللغو، والعرب تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه، وذلك أنها تضمر فيه، فالمعنى: إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك توكيد للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغوا البتّة، وكذلك قوله: ﴿ وَإَنَّهُم عَلَو لَهُ إِلَّا رَبَّ الْعَلَمِينَ ﴿ وَلَهُ عَلَى عَدو. وفي معنى هذا السلام قولان: أحدهما: أنه تسليم الملائكة عليهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسمعون إلا ما يسلمهم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَكُمْ رِزَقُهُمْ فِيهَا بُكُرَةً وَعَشِيًا ﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بُكُرة ولا عشيّة، ولكنّهم يُؤتّؤن برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون _ في الغداة والعشي. قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله لهم ذلك. وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثَمَّ ليل ولا نهار، وإنما هو ضوء ونُور. وروى الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿ بُكُرَةٌ وَعَشِيّا ﴾ فقال: ليس في الجنة ليل ولا نهار، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

قوله تعالى: ﴿ يَلْكَ لَلْمُنَدُّ ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿ قَأُولَتِهِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرُبِثُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي، والحسن، والشعبي، وقتادة، وابن أبي عبلة: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المفسرون: ومعنى «نورث»: نعطي المساكن التي كانت لأهل النار ـ لو آمنوا ـ للمؤمنين. ويجوز أن يكون معنى «نورث»: نعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنها تمليك مستأنف. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَنْفَلُ إِلَّا إِنْمِ رَبِّكُ ﴾ وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر: قرما يَتنزَّل، بياء مفتوحة. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله على قال: قيا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (۱). والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ثلث ثم أتاه، فقال: لعلّي أبطأتُ، قال: ققل فعلت، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوّكون، ولا تقصّون أظفاركم، ولا تُتقُون براجمكم، فنزلت الآية، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جُمعت، وتغمض إذا بُسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين واجبة. والثالث: أن جبريل احتبس عن النبي على حين سأله عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، فلم يدر ما يجبيهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه، فشق على رسول الله على مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: قابطأت عليَّ عتى ساء ظني، واشتقتُ إليك، عكرمة، وقتادة، والضحاك (۱). وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله قلا قولان: أحدهما: لامتناع أصحابه من عكرمة، وقتادة، والضحاك (۱). وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله قلا قولان: أحدهما: لامتناع أصحابه من كمال النظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهد. والثاني: لأنهم سألوه عن قصة أصحاب الكهف، فقال: هذا أخبركم، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورة [الكهف: ٤٢]. وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوال: أحدها: خمسة عشر يوماً؛ وقد ذكرناه في [الكهف] عن ابن عباس. والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: اثننا عشرة ليلة، يوماً؛ وقد ذكرناه في [الكهف] عن ابن عباس. والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: اثننا عشرة ليلة،

⁽۱) رواه أحمد في «المسند» رقم (٢٠٤٣)، والبخاري ٨/ ٣٣٦، والترمذي ٢/ ١٤٥، وذكره السيوطي في «اللد» ٢٧٧/٤ وزاد نسبته لمسلم، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس ، وعند أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم زيادة في آخر الحديث: «نكان ذلك الجواب لمحمد في والم نجد الحديث في «صحيح مسلم» كما قال السيوطي. (٢) * «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣، وذكره ابن كثير ٣/ ١٣٠ مختصراً من رواية أبن أبي حاتم عن عكرمة، وقال: هو غريب.

قاله مجاهد. والرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل. والمخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي. وقيل: إن سورة (الضحى) نزلت في هذا السبب. والمفسرون على أن قوله: ﴿وَمَا نَنَزَلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ قول جبريل. وحكى الماوردي: أنه قول أهل الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلا بأمر الله. وقيل: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله. وقيل: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله. وقوله: ﴿مَا بَكِنَ أَيْدِينا وَمَا خَلَفنا؛ وواه العوفي عن ابن وفي قوله: ﴿مَا بَكِنَ أَيْدِينا وَمَا خَلَفنا؛ الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدنيا، وما خلفنا: من الآخرة، فهو عكس الأول، قاله مجاهد. وقال الأخفش: ما بين أيدينا، قبل أن نُخلَق، وما خلفنا: بعد الفناء. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ كُلُونَ وَلِلله مجاهد، وقال الأخفش: ما بين الدنيا والآخرة، قاله صعيد بن جبير. والثاني: ما بين الدنيا والآخرة، قاله المعبد بن جبير. والثاني: ما بين الدنيا والإخرة، قاله المعبد، وعكرمة، وأبو العالية. والثاني: «ما خلفنا»، لأن العرب توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا﴾ النَّسِيُّ، بمعنى الناسي. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبطأ الوحي عنك، والثاني: أنه عالم بما كان ويكون، لا ينسى شيئاً، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاَعْبُدُهُ﴾ أي: وحّده، لأن عبادته بالشَّرك ليست عبادة، ﴿وَاَسْطَيْرَ لِيَنَدَبُهُ ۗ أي: اصبر على توحيده؛ وقيل: على أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿ مَلَ تَمَاثُرُ لَهُ سَبِيّا ﴾ روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يُدغم (هل تعلم)، ووجهه أن سيبويه يجيز إدغام اللام في التاء والثاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء، لأن آخر مخرج من اللام قريب من مخارجهن. قال أبو عبيدة: إذا كان بعد (هل) تاء، ففيه لغتان، بعضهم يُبين لام (هل)، وبعضهم يدغمها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: مِثْلاً وشبها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وتتادة. والثاني: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالق وقادر، إلا هو، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنكُنُ﴾ سبب نزولها أن أبيّ بن خلف أخذ عظماً بالياً، فجعل يفتّه بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس (۱۱). وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوْنَ أَغْرَجُ مَيًا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لستُ مبعوثاً بعد الموت. والثاني: أنه لمّا استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله على بقوله: ﴿أَوْلَا يَدَكُرُ ٱلإِنْكُ ﴾، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث. والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في إيس: ٧٨] عند قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلَا﴾، ولا يُنكر بُعد الجواب، لأن القرآن كلَّه بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكيّتان.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَا يَدْكُرُ ٱلإِنكُنُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «يَذْكُرُ» ساكنة الذال خفيفة. وقرأ أُبيّ بن كعب، وأبو المتوكل الناجي: «أوّلا يتذكّر الإِنسان» بياء وتاء. وقرأ أبن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، والحسن: «يذْكُر» بياء من غير تاء ساكنة

⁽١) ﴿ أَسِبَابِ النَّزُولِ } للواحدي ١٧٣ عن الكلمي.

الذال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: أولا يتذكّر هذا الجاحد أوَّل خلقه، فيستذل بالابتداء على الإعادة؟ ﴿ فَوَرَيّكَ لَنَحْمُرَهُمْ ﴾ يعني: المكذّبين بالبعث ﴿ وَالشّيَطِينَ ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحشَر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ يُمْ النّمُ عَرْلَةُ مُولَا جَهَمْ عَلَى المقاتل: أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها. فأما قوله: ﴿ عِينَا ﴾ فقال الزجاج: هو جمع جاث، مثل قاعد وقعود، وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرها إتباعاً لكسرة الناء. وللمفسرين في معناه خمسة أقوال: أحدها: قعوداً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة (١) وهي المجموع من التراب والحجارة. والثالث: جثياً على الرُّكب، قاله الحسن، ومجاهد، والزجاج. والرابع: قياماً، قاله أبو مالك. والخامس: قياماً على رُكبَهم، قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿ لَنَنزِعَكَ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ أي: لنأخذن من كل فِرقة وأُمَّة وأهل دين ﴿ أَيُّمُ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْنِي عِنياً ﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنه يُبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُرْماً، والرؤوس القادة في الشرِّ. قال الزجاج: وفي رفع «أيهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الاستئناف، ولم تعمل: «لننزعنَّ شيئاً، هذا قول يونس. والمثاني: أنه على معنى الذي يقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِياً؟ قاله الخليل، واختاره الزجاج، وقال: التأويل: لننزعنَ الذي من أجل عُتُوه يقال: أيُّ هؤلاء أشَدُّ عِتِياً؟ وأنشد:

وَلَـقَـذُ أَبِـيتُ عِـن الـفَـتَـاةِ بـمـنـزلِ فـأبـيـت لا حَسرِج ولا مــحـروم(٢)

المعنى: أبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حَرِج ولا محروم. والثالث: أن «أيُّهم» مبنية على الضم، لأنها خالفت أخواتها، فالمعنى: أيُّهم هو أفضل، وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول: اضرب أيُّهم أفضل، ولا يَحْسُن: اضرب مَنْ أَقْضل، حتى تقول: ما هو أطيب، ولأخذُ ما أفضل، حتى تقول: ما هو أطيب، ولأخذُ ما أفضل، حتى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت «ما» و«مَنْ» و«الذي» بُنيت على الضم، قاله سيبويه.

قوله تعالى: ﴿هُمُ أَنْكَ بِهَا مِيلِيًّا﴾ يعني: أن الأوَلْى بها صِلِيّاً الذين هم أشدُّ عِتِيّاً، فيُبْتَدَأُ بهم قبل أتباعهم. وقصِليّاً»: منصوب على التفسير، يقال: صَلى النار يصلاها: إذا دخها وقاسى حَرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَلِن يَنكُرُ إِلّا وَارِدُهَا ﴾ في الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها. وفيمن عُني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار. وأكثر الروايات عنه كالقول الأول. قال ابن الأنباري: ووجه هذا أنه لما قال: النخضِرَنَّهم، وقال: ﴿أَيُّمُ اللّه عَلَى الرَّمَانِ عِنِيّا ﴾ كان التقدير: وإن منهم، فأبدلت الكاف من الهاء، كما فعل في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرُ جَرَّانَهُ الله الله عنى: كان لهم، لأنه مردود على قوله: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُهُمْ ﴾ الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر:

شَطَّتْ مزادَ العاشقين فأصبحتْ عَسِراً عليّ طلابُكِ ابنةَ مَخُرَمْ (٣)

أراد: طلابها. وفي هذا الورود لحمسة أقوال: أحدها: أنه الدخول. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الورود: الدخول لا يبقى بَرّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ـ أو قال: لجهنم ـ ضجيجاً من بردهما(٤). وروي عن ابن عباس أنه سأله نافع بن الأزرق عن هذه الآية، فقال

⁽١) مثلثة الجيم.

⁽٣) البيت تقدم ٣٩٣.

اخرجه أحمد في «المسند» عن جابر رهي، قال الحافظ ابن كثير: غريب ولم يخرجوه، وذكر السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٨٠ وزاد نسبته لعبد بن حميد،
 والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهتي في «البعث».

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخيَّم(١)

أي: لما بلغن الماء قمن عليه. قلت: وقد أجاب بعضهم عن هذه الحجج، فقال: أما الآية الأولى، فإن موسى لما أقام حتى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبثه ومباشرته كأنه دخل؛ وأما الآية الأخرى: فإنها تضمنت الإخبار عن أهل الجنة حين كونهم فيها، وحينئذ لا يسمعون حسيسها. وقد روينا آنفاً عن خالد بن معدان أنهم يمرون بها، ولا يعلمون. والثاني: أن الورود: الممر عليها، قاله عبد الله بن مسعود، وقتادة. وقال ابن مسعود: يَرِد الناس النار، ثم يعدرون عنها بأعمالهم، فأولُهم كلمح البرق، ثم كالربح، ثم كحُضْر الفرس(٢) [ثم كالراكب في رحله]، ثم كشد الرحل، ثم كمشيه عن الحائمين: المرور على الرحل، ثم كمشيه ورود المسلمين: المرور على الحسر، وورود المشركين: دخولها. قاله ابن زيد. والخامس: أن ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحمّى في الدنيا، روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال: الحمّى حظّ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن يَنكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فعلى هذا من حمّ من المسلمين، فقد وردها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ يعني: الورود ﴿مَنَّمَا﴾ والحتم: إيجاب القضاء، والقطع بالأمر. والمقضيُّ: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق.

قوله تعالى: ﴿ مُنَّمَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنِ الْنَانِ اللَّيْنِ اللْنِيْنِ اللْنِيْنِ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلِى اللْمُنْ الْمُعْلِى اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْمُا الْمُل

﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِدْ ءَائِكُنَا بَيْنَتُو قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَقُ الفَرِيقَةِدِ خَيْرٌ مُقَامًا وَأَحْسَنُ غَيْنًا ۞ وَكُو الْمَلَكَا فَبَلَهُم مِن فَرَذٍ هُمْ اَحْسَنُ آتَنَا وَرِدْيًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿وَايَكِيّا ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ اللَّهِينَ كَفَرُها ﴾ يعني: مشركي قريش ﴿ لِللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: لفقراء المؤمنين ﴿ فَيُ الفَيْهِمَيْنِ خَيْرٌ مُقَامًا ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وحفص عن عاصم [مقاماً] بفتح الميم وقرأ ابن كثير بضم الميم. قال أبو علي الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّتْ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ والنديُّ والنادي: مجلس القوم ومجتمّعهم. وقال الفراء: النديُّ والنادي، لغتان.

⁽١) فشرح ديوان زهير، ١٣، والقرطبي، ١٣٧/١١، واللسان، والتاج،: ورق.

⁽٢) أي: كعدو الفرس. (٣) وقد روي مرفوعاً وموقوفاً.

ومعنى الكلام: أنحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَرَدَ أَهَلَكُمَا فَلَهُم وَلِه وَ وَلَا يَنْ فَرْفِ وَقد بِينا معنى القرن في [الانعام: ٢] وشرحنا الأثاث في [النحل: ١٨]. فأما قوله تعالى: ﴿وَرِيَا ﴾ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿ورئيا ﴾ بهمزة بين الراء والياء في وزن: ﴿رِعيا ﴾ قال الزجاج: ومعناها: منظراً من ﴿رأيت ﴾. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿رِيّا ۗ بياء مشددة من غير همز، قال الزجاج: لها تفسيران: أحدهما: أنها بمعنى الأولى. والثاني: أنها من الرِّيّ، فالمعنى: منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بَيِّنٌ فيهم، وقرأ ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي سريج عن الكسائي: ﴿زِيّا ۗ بالزاي المعجمة مع تشديد الياء من غير همز. قال الزجاج: ومعناها: حسن هيئتهم.

﴿ فَلَ مَن كَانَ فِي الطَّلَلَةِ فَلْيَنْدُدُ لَهُ الرَّمِّنُ مَنَّا حَقَّ إِذَا رَآوَا مَا يُوعَدُونَ إِنَّا المَلَابَ وَإِنَّا السَّاعَةَ مَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۞ وَيَزِيدُ اللّهِ ٱللّهِ اللّهِ المُسْلِحَتُ خَيْرٌ عِندَ رَئِكَ ثَوْاَ كَخَيْرٌ مُرَدًّا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْ مَن كَانَ فِي السَّلَالَةِ ﴾ أي: في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿ فَلَيْنَدُدُ لَهُ الرَّمَانُ ﴾ قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى: أن الله تعالى جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها. قال ابن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر، يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنُكُومُه، يقصد التوكيد، وينبّه على أني ألزم نفسي إكرامه؛ ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى: قل يا محمد: مَنْ كان في الضلالة فاللّهم مُدَّ له في النّعَم مَدَالًا والمفسرون: ومعنى مدَّ اللَّهِ تعالى له: إمهاله في الغَيِّ. ﴿ حَقَّ إِذَا رَاوَا ﴾ يعني الذين مَدَّهم في الضلالة. وإنما أخبر عن الجماعة، لأن لفظ «مَن» يصلح للجماعة. ثم ذكر ما يوعدون فقال: ﴿ إِنّا الْمَذَابَ ﴾ في يعني: القيامة وما وُعدوا فيها من الخلود في النار ﴿ مَن يَعَلَمُونَ مَنْ هُوَ تَرُّ مُكَانًا ﴾ في الأخرة، أهم، أم المؤمنون؟ لأن مكان هؤلاء الجنة، ومكان هؤلاء النار، ﴿ وَ هُ يعلمون بالنصر والقتل من «أَضْعَفُ المَدْمة مُنا وهذا ردَّ عليهم في قولهم: ﴿ أَنُ الْفَيَقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَآخَسَنُ نَيَّا ﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَقِينَتُ ٱلمَّالِحَنُّ﴾ قد ذكرناها في سورة [الكهف: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَغَيِّرٌ مُرَدًا﴾ المردُّ هاهنا مصدر مثل الردّ، والمعنى: وخيرٌ ردّاً للثواب على عامليها، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت.

﴿ أَفَرَمْيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِنَايَتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَكَ مَالَا وَوَلِنَّا ۞ الْمَلَمَ الْفَيْبَ آرِ الْخَذَ عِندَ الرَّحَنِنِ عَلَمَدًا ۞ كَاذً سَنَكُنُتُ مَا يَقُولُ وَنَمُذُ لَمُ مِنَ الْعَدَابِ مَذًا ۞ وَنَرِقُمُ مَا يَقُولُ وَيَأْلِينَا فَرَهُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُ الَّذِى كَفَرَ يِتَايَنِنَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن خَبَّاب [بن الأرتّ] قال: كنت رجلاً قَيْنَا [أي: حداداً] وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، فقال: [لا] والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد على حتى تموت، ثم تُبعث. قال: فإني إذا مِتُ ثم بُعثت جئتني ولي ثُمَّ مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله تعالى: ﴿فَرَرْدًا﴾ (٢٠). والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن. والمفسرون على الأول.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتَيَكَ مَالَا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو. وقال الفراء: وهما لغتان، كالعُدم، والعَدم، وليس يجمع، وقيس تجعل الوُلد جمعاً،

 ⁽١) في النسخة الاستنبولية · فاللهم مدَّ له في العمر مدّاً.

⁽٢) ﴿ وَالْبِخَارِيِّ ٨/٣٢٦، وقمسلم؛ ٢١٥٣/٤، ورواه أحمد في (المسند، ٥/ ١١٠، وقالترمذي، ٢/ ١٤٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والوَلد، بفتح الواو، واحداً. وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد في الجنة على زعمكم. والثاني: في الدنيا. قال ابن الأنباري: وتقدير الآية: أرأيته مصيباً؟!

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَمَ الْنَيَبَ﴾ قال ابن عباس في رواية: أَعَلِمَ ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو، أم لا؟! وقال في رواية أخرى: أَنْظَر في اللوح المحفوظ؟!

قوله تعالى: ﴿أَمِ اَتَّقَدَ عِندَ اَلرَّحْنِ عَهدَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟! قاله ابن عباس. والثاني: أم قدَّم عملاً صالحاً، فهو يرجوه؟! قاله قتادة. والثالث: أم عهد إليه أنه يدخله الجنة؟! قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿كُلَّ ﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتَى المال والولد. ويجوز أن يكون معنى اكلًا أي: إنه لم يطّلع الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً. ﴿سَنَكُتُ مُا يَقُولُ ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله عليه لنجازيّه به، ﴿وَيَنَدُ لَمُ مِنَ الْمَذَابِ مَذَا ﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعض. وقرأ أبو العالية الرياحي، وأبو رجاء العطاردي: اسيكتب، وورثه بياء مفتوحة.

قوله تعالى: ﴿وَنَرِيْتُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: أحدهما: نرثه ما يقول أنه له في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والثاني: نرث ما عنده من المال، والولد، بإهلاكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة. قال الزجاج: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره.

قوله تعالى: ﴿ وَيَأْنِينَا فَرْدَا﴾ أي: لا مال ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿وَاَلْهَذُواْ مِن دُوبِ اللَّهِ مَالِهَةَ لِيَكُونُواْ لَمُتُمْ مِزًا ۞ كَلَأْ سَيَكُفُرُونَ بِمِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا ۞ أَلَّهِ فَرَ أَنَّ أَنْكَ الشَّمَاطِينَ مَلَ الْكَذِينَ تَؤُدُّهُمْ أَزًا ۞ فَلَا تَمْجَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَمُدُ لَهُمْ عَذَا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَالِهَةَ ﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿ إِيَّكُونُوا لَمُمْ عِزَّا ﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّا إِنَّا يَتَبُدُرِكَ أَي: ليس الأمر كما قدَّروا، ﴿ سَيَكُفُرُونَ ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَانَا يَتَبُدُرِكَ ﴾ النصص: ١٦] لأنها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ يعني: الأصنام ﴿ عَلَيْهِم ﴾ يعني: المشركين ﴿ ضِدًا ﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يكذُّبونهم ويلعنونهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَرْ تَرَ أَنَّا أَرْسَكَ الشَّيَطِينَ﴾ قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان: أحدهما: خلَّينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القبول منهم. والثاني: وهو المختار: سَلَّطناهم عليهم، وقيَّضْناهم لهم بكفرهم. ﴿ تَوُرُهُمُ أَزَّهُ أَيَ ترَعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي. وقال الفرا: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها. قال ابن فارس: يقال: أزَّه على كذا: إذا أغراه به، وأزَّتْ القِدْر: غَلَتْ.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَلَ عَلَيْهِم ﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم. وزعم بعضهم أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح. ﴿ إِنَّمَا نَمُدُّ لَهُمْ عَذَا﴾ في هذا المعدود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنفاسهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال طاووس، ومقاتل. والثاني: الأيام، والليالي، والشهور، والسنون، والساعات، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها أعمالهم، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿ يَهُمَ مَنْتُرُ ٱلْتُتَقِينَ إِلَى ٱلرَّحَنِي وَقَدًا ۞ وَتَسُونُ ٱلْتُجْمِِينَ إِلَى جَهَمَّ وِرْدًا ۞ لَا يَمَلِكُونَ ٱلشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ ٱلْخَذَ عِنَدَ ٱلرِّحَنِي عَهَاءُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ غَنْدُرُ ٱلْمُتَّوِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلق بقوله: «ويكونون عليهم ضداً، يوم نحشر المتقين» وقال بعضهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتقين، وهم الذين اتَّقَوْا الله بطاعته واجتناب معصيته. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «يَوم يحشُر» بياء مفتوحة ورفع السين. وقرأ أبيُّ بن كعب، والحسن البصري، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي: «يوم يُحشَر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المتقون» رفعاً «ويُسَاق»

بألف وياء مرفوعة المجرمون بالواو على الرفع. والوفد: جمع وافد، مثل: ركّب، ورَاكِب، وصَحْب، وصاحِب. قال ابن عباس، وعكرمة، والفراء: الوفد: الركبان. قال ابن الأنباري: الركبان عند العرب: ركّاب الإبل. وفي زمان هذا الحشر قولان: أحدهما: أنه من قبورهم إلى الرحمٰن، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: أنه بعد الحساب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُونُ الْمُعْمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿ إِلَىٰ جَهَنَمْ وِرَبّا﴾ قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن: عِطّاشاً. قال أبو عبيدة: الورد: مصدر الورود. وقال ابن قتيبة: الورد: جماعة يَردون الماء، يعني: أنهم عطاش، لأنه لا يَرِد الماءَ إلا العطشان. وقال ابن الأنباري: معنى قوله: ﴿ وِرْداً»: واردين،

قُوله تعالى: ﴿ لَا يُمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشفَع لهم:

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ أَغَذَ عِندَ ٱلرَّمَّنِ عَهْدًا﴾ قال الزجاج: جائز أن يكون "مَن في موضع رفع على البدل من الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهداً؛ وجائز أن يكون في موضع نصب على استثناء ليس من الأول، فالمعنى: لا يملك الشفاعة المجرمون، ثم قال: "إلا على معنى "لكن أهرَن أَغَذَ عِندُ ٱلرَّمَن عَهْدًا في فإنه يملك الشفاعة. والعهد هاهنا: توحيد الله والإيمان به. وقال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: تقدمة أمر يُعْلَم ويُخْفَظ، من قولك: عهدت فلاناً في المكان، أي: عرفته، وشهدته.

﴿ وَمَالُوا الْخَذَ الرَّحْنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ حِفْتُمْ شَنِعًا إِنَا ۞ تَكَادُ السَّمَوَتُ يَنْفَطَّرَنَ مِنْهُ وَنَنْفَقُ اللَّرَضُ وَيَخِزُ لَلْمِبَالُ مَدًّا ۞ أَن دَمَوًا لِلرَّحْنِ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَانِ الرَّحْنِي عَبْدًا ۞ أَنَدَ أَحْسَمُهُمُ وَمَدًا ﴾ وَمَدَّهُمْ مَدًّا ۞ وَمَا يَلْبُهُمْ مَاتِيهِ بَرَمَ الْفِيكُمَةِ فَدْرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ أَغَمَدُ الرَّمْنُ وَلَدًا ۞ يعني: اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿ لَقَدَ جِنْتُمُ شَيْتًا إِذًا ۞ أي: شيئاً عظيماً من الكفر. قال أبو عبيدة: الإذّ، والنُكُر: الأمر المتناهي العِظَم.

قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّكَرُكُ بِنَنَظَرْنَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «تكاد» بالتاء. وقرأ نافع، والكسائي: «يكاد»، بالياء. وقرءا جميعاً: «يتفطرن» بالياء والتاء مشددة الطاء، وانقهما ابن كثير، وحفص عن عاصم في «يتفطرن»، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «ينفطرن» بالنون. وقرأ حمزة، وابن عامر في (مريم) مثل أبي عمرو، وفي [عسن: ٥] مثل ابن كثير. ومعنى: «يتفطّرن منه»: يقاربن الانشقاق من قولكم. قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ أي: سقوطاً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ دَعَوًا﴾ قال الفراء: من أن دعوا، ولِأن دعوا. وقال أبو عبيدة: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاء الصوت، وأنشد:

أَلا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وَإِن تَخِب تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِح الصَّدْدِ(١٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَيِى لِلرَّمْنِ أَن يَنَجِذَ وَلَنَا ﴿ إِنَّ الْمِلَا اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَمْصَنَامُ ﴾ أي: علم عددهم ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدَّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿ وَكُلُّهُمْ مَايِّهِ يَوْمَ ٱلْقِيْكَةِ فَرَدًا ﴿ ﴾ بلا مال، ولا نصير يمنعه. فإن قيل: لأيَّة علَّة وحَّد في اللرحمٰن ، واآتيه ، وجمع في العائد في

⁽١) ﴿ الطبري، ١٦/ ١٦١، وقمجاز القرآن، ٢/ ١٢، وقاللسان،: دعا.

«أحصاهم»، و«عدَّهم». فالجواب: أن لكل لفظ توحيد، وتأويل جمع، فالتوحيد محمول على اللفظ، والجمع مصروف إلى التأويل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ،َامَنُواْ وَعَمِلُوا العَمْدِيخَتِ سَيَجَعَلُ لَمُثُمُ الرَّحْمَنُ وَتَّا ۞ فَإِنَّمَا يَشَرَنَتُهُ بِلِسَاذِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُنَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ. قَرَمَا لَنَا ۞ وَكُمْ أَهَلَكُنَا فَبَلَهُم تِن فَرْزٍ هَلْ ثَحِشُ مِنْهُم ثِنَ أَمَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكُزًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَيَجْمَلُ لَمُ الرَّحْنَ وَدَا قِل ابن عباس: نزلت في على على الله الله عنه الله على الله المؤمنين. ومن هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله على قال: اإذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل، إني أحب فلاتاً فأحبُّوه، فينادي جبريل في السلوات: إن الله يحب فلاتاً فأحبّوه، فيلقى حبه على أهل الأرض فيُحَبُّه، وذكر في البغض مثل ذلك (١٠). وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله على أهل الأرض فيُحَبُّه، وذكر في البغض مثل ذلك (١٠). وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله على أقبل الله على برزقه مودَّتهم ورحمتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا يَسَرِّنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ يعني: القرآن. قال ابن قتيبة: أي، سهَّلناه، وأنزلناه بلغتك. واللُّذ، جمع أَلَدٌ، وهو الخَصِمُ الجَدِل.

قوله تعالى: ﴿ وَكُرُ أَمْلَكُنَا قِلَهُم ﴾ هذا تخويف لكفار مكة ﴿ هَلَ يُحِسُّ مِنْهُم مِنْ أَحَدٍ ﴾ قال الزجاج: أي: هل تري، يقال: هل أحسست صاحبَك، أي: هل رأيته؟ والرَّكز: الصوت الخفيُّ؛ وقال ابن قتيبة: الصوتُ الذي لا يُفْهَم، وقال أبو صالح: حركة، [والله تعالى أعلم].

* * *

⁽۱) • البخاري، ۲۲۰/۱ و ۳۸٦/۱۰ وليس فيه ذكر البغض مثل ذلك، ورواه «مسلم» ۲۰۳۰/۶، ولفظه صند، بتمامه: •إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريلَ فقال: إني أحب فلاناً، فأحبّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يجب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً، دعا جبريلَ، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

سورة طه

ينسد ألغ الكنف التحسير

وهي مكية كلُّها بإجماعهم. وفي سبب نزول (طه) ثلاثة أقوال. أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه،

يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله [على] ﷺ (١). والثاني: أن رسول الله ﷺ لمّا نزل عليه القرآن صلّى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك(٢). والثالث: أن أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدى، قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل^(٣). وفي اطه» قراءات. قرأ ابن كثير، وابن عامر: اطَّهَ» بفتح الطاء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء. وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب؛ كذلك قال خلف عن المسيِّي. وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء، وروى عنه عباس مثل حمزة. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن: (طَهُ) بفتح الطاء وسكون الهاء. وقرأ الضحاك، ومورِّق: ﴿طِهْ بكسر الطاء وسكون الهاء. واختلفوا في معناها على أربعة أقوال: أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوني عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة؛ واختلف هؤلاء بأيِّ لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: بالنبطيّة، زواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير في رواية، والضحاك. والثاني: بلسان عكّ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، وقتادة. والرابع: بالحبشية، قاله عكرمة في رواية. قال ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى. والثاني: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الطاء من اللطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية، والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طيِّب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطاء من طابة، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من مكة، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. والثالث: أن الطاء في حساب الجُمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكى القولين الثعلبي. والثالث: أنه قَسَم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد شرحنا معني كونه اسماً في فاتحة (مريم). وقال القرظي: أقسم الله بطُّوله وهدايته؛ وهذا القول قريب المعنى من الذي قبله. والرابع: أن معناه: طِأ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيان(٤). ومعنى قوله ﴿لِتَشْمَيُّ﴾: لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغتَ، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالغ، حتى إنه كان يراوح بين قدميه لطول القيام، فأمر بالتخفيف.

⁽١) ذكره السيوطي في «الدر؛ ٢٨٨/٤ من رواية البزار عن علي رهي.

 ⁽۲) •أسباب النزول؛ للواحدي ١٧٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك.

⁽٣) (أسباب النزول) للواحدي ١٧٤.

⁽٤) قال أبو جعفر بن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكُّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَنْكِرُهُ ﴾ قال الأخفش: هو بدل من قوله: «لتشقى»، ما أنزلناه إلا تذكرةً، أي: عظةً.

قوله تعالى: ﴿تَزِيلا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿الْفَلَ﴾ جمع العُلَيا، تقول: سماء عُلْيا، وسماوات عُلَى، مثل الكُبرى، والكُبَر. فأما «الثرى» فهو التراب النديّ، والمفسرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجَهَرَ بِالْتَوْلِ ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿ إِنَّهُ يَمْلَمُ الرِّرَ ﴾ والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السرّ. وفي المراد بالسَّرُ وأخفى، خمسة أقوال: أحدها: أن السرّ: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بَعْدُ وسيكون، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: أن السرّ: ما حدَّثتَ به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن السرّ: العمل الذي يُسِرُّه الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسةُ، قاله مجاهد. والرابع: أن معنى الكلام: يعلم إسرار عباده، وقد أخفى سرَّه عنهم فلا يُعْلَم، قاله زيد بن أسمر، وابته. والخامس: يعلم ما أسرَّه الإنسان إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، قاله الفراء.

﴿ يَمَلُ أَتَنَكَ حَدِيثُ مُومَىٰ ۞ إِذْ رَمَا نَارًا فَقَالَ الْإَهْلِهِ ٱمْكُثُواْ إِنِي مَاسَتُ نَارًا لَكُلُّ مِنْكِمْ يَنْهَا بِفَبَسِ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدَى ۞ مَنْكُ إِنَّهَ النَّارِ الْمُقَدِّسِ طُرَى ۞ وَأَنَا الْمَقَدُّفِ فَاسْتَنِعْ لِنَا بُرَجَى ۞ إِنِّنَ أَنَا الْمَقَدِّسِ طُرَى ۞ وَأَنَا الْمَقَدُّفِ وَاللَّهُ الْمُعَلِّقِ لَهُ إِنَّهُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلْكُونِ الْمُعَلِّقِ لِلْمُؤْمِنِ أَنَا مُنْفَعِلُ الْمُؤْمِنُ عِنَا اللّهُ لَآ إِلَيْكُ أَلَادُ أَخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْيِنِ بِمَا شَمْنَ ۞ فَلَا يَصُدُّلُكُ مَنْهُ وَمِنْ مُوسَدُ فَأَرْدُى ۞ إِنَّ السَاعَةَ مَالِيَةً أَكَادُ أَخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْيِنِ بِمَا شَمْنَ ۞ فَلَا يَصُدُلُكُ مَنْهُ لِللّهِ اللّهُ لِللّهُ اللّهُ إِلَى اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَهُلَ أَتَنَكَ حَنِيتُ مُوسَى ﴿ وَهُلَ استفهام تقرير، ومعناه: قد أتاك. قال ابن الأنباري: وهذا معروف عند اللغويين أن تأتي «هل» معبرة عن «قد»، فقد قال رسول الله الله وهو أفصح العرب: «اللهم هل بلغت الريد: قد بلّغت. قال وهب بن منبه: استأذن موسى شعيباً على في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله، فوُلد له في الطريق في ليلة شتية، فقدح فلم يُور الزّناد، فبينا هو في مزاولة ذلك، أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحداثة فكرهنا إطالة التفسير بالقصص، لأن غرضنا الاقتصار على التفسير ليسهل حفظه (٢٠). قال المفسرون: رأى نوراً، ولكن أخبر بما كان في ظن موسى. ﴿ فَقَالَ لِأَمْلِهِ ﴾ يعني: امرأته ﴿ أَنكُنُوا ﴾ وحفظه أي : أقيموا مكانكم، وقراً حمزة: ﴿ لَأَهْلِهُ المُكُوا ﴾ بضم الهاء هاهنا وفي [القصص: ٢٩]. ﴿ إِنِّ اَلسَّتُ أَحداً ، أي: وجدت؟ وقال ابن قتيبة: «آنستُ بمعنى أبصرتُ . فأما القبَس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة .

قوله تعالى: ﴿أَرْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدَى﴾ قال الفراء: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر. قال ابن الأنباري: يجوز أن تكون: ﴿على﴾ هاهنا بمعنى ﴿عند﴾، وبمعنى ﴿مع﴾، وبمعنى الباء. وذكر أهل التفسير أنه كان قد ضَلَّ الطريق، فعلم أن النار لا تخلو من مُوقِد. وحكى الزجاج: أنه ضل عن الماء، فرجا أن يجد من يهديه الطريق أو يدلّه على الماء.

⁽١) روى البخاري في «صحيحه» ١/ ٤٥٨ عن ابن هباس في أن رسول الشيخ خطب الناس يوم النحر نقال: فيا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فلأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فلأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فلإن دماءكم وأموالكم وأمراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: فللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، قال ابن عباس في: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، فللبيلغ الشاهد القائب لا ترجموا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، ورواه أحمد في المستده ومسلم بلفظ آخر.

 ⁽۲) ذكره بطوله السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٩٠ من رواية أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَخَلَمْ نَمَلَيْكُ ﴾ في سبب أمره بخلعهما قولان: أحدهما: أنهما كانا من جلد حمارٍ ميت، رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أو يهما كان من جلد بقرة وكيتُ، ولكنه أمر بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة، فتناله بركتها، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في المائدة: ٢١] عند قوله: ﴿الْأَرْضُ المُقَدِّسَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿اللهُ عَالَى وَقَرا عاصم، وابن عامر، قوله تعالى: ﴿طُوى وَأَنّا عَبِر مُجْراة (٢٠) وقرا عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: وطُوى ا مُجْراة (٢٠) وكلُّهم ضم الطاء وقرا الحسن، وأبو حيوة: (طِوى المجسر الطاء مع التنوين. وقرا عليّ بن نصر عن أبي عمرو: (طِوى الكسر الطاء من غير تنوين قال الزجاج: في (طُوى) أربعة أوجه: طُوى، بضم أوَّله من غير تنوين وبتنوين. فمن نوَّنه، فهو اسم للوادي. وهو مذكّر سمي بمذكّر على فُعَلِ نحو حُطّم وصُردٍ، ومن لم ينوِّنه ترك صرفه من جهتين: إحداهما: أن يكون معدولاً عن طاو، فيصير مثل (عُمَرًا المعدول عن عامر، فلا ينصرف كما لا ينصرف (عُمَرًا والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعة، كقوله: ﴿فِي ٱلْمُعَدِّ الْمُعَدُولُ وَإِنْ اللهُ وَالْمَعَلَا وَإِنْ الْمُعَدِّ وَإِنْ الْمُعَدُولُ وَإِنْ الْمُعَدُولُ وَإِنْ الْمُعَدِّ وَإِنْ الْمُعَدُولُ وَإِنْ اللهُ عَالَى وَإِنْ الْمُعَدِّ وَإِنْ الْمُعَدِّ الْمُعَدِّ وَإِنْ الْمُعَدِّ وَإِنْ الْمُعَدِّ الْمُعَدُّ وَالْمِنْ وَالْمُولُ وَالْمُعَدِّ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُولُ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَلِّ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُولُ وَالْمُعَالُ وَالْمُعَالِ وَالْمُولُ وَالْمُولُ وَالْمُهَا وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعِلَا لَا يَعْمَلُ وَالْمُولُ وَالْمُعَالِ الْمُعَالِ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُولُ وَالْمُعَلِي وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُولُ وَالْمُعَلِّ وَالْمُعَلِّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُولُ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلَّ وَلَا وَالْمُعِلَّ وَالْمُعَلِّ وَالْمُعَلِّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلِقُلُولُ وَلَيْمُولُ وَالْمُعِلِّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلِّ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلِي وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلَّ وَلَامُولُ وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلِقُ وَالْمُعِلِقُ وَالْمُعِلِقُلِي وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلَّ وَالْمُعِلَّ وَلِهُ وَلِمُعِلِقًا وَلِمُولُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِمُولُ وَلِمُعِلِقًا وَل

كُير ونؤن فهو مثل مِعيّ. والمعنى: المقدَّس مَرَّة بعد مَرَّة، كما قال عدي بن زيد: أُعــاذِلَ، إنَّ السَّــومَ فـــي غَــيْــرِ كُــنْــهِـــهِ عَـــلـــيَّ طـــوىّ مِــن غَــيِّــك الـــمُــتَــردُد^(١)

أي: اللوم المكرَّر عليَّ؛ ومن لم ينوِّن جعله اسماً للبقعة. [وللمفسرين في معنى «طوىّ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الوادي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، والثاني: أن معنى «طوى»: طأ الوادي، رواه عكرمة عن ابن عباس، وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنه قدِّس مرتين، قاله الحسن، وقتادة].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَنْمَرْنُكَ ﴾ أي: اصطفيتُك. وقرأ حمزة، والمفضل: ﴿ وَأَنَّا بِالنون المشددة ﴿ اخترناكَ بِالف. ﴿ وَأَسْتَمْ لِنَا بُرَى ﴾ أي: للذي يوحى. قال ابن الأنباري: الاستماع هاهنا محمول على الإنصات، المعنى: فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿ إِنَّيْ آنَا أَلَهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ آنَا فَاعْبُدُنِ ﴾ أي: وحُدني، ﴿ وَأَفِي السَّلَوٰةَ لِيحَرِي ﴾ فيه قولان: أحم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، سواء كنتَ في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين. وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: همن نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفار لها غير ذلك، وقرأ: ﴿ وَأَقِيمِ السَّلَوٰةَ لِيحَرِي ﴾ أن الكلام مردود على قوله: ﴿ وَآلَتُم المعنى: فاستمع والثاني: أتم الصلاة للذَّكُرني فيها، قاله مسعود: وأبيُّ بن كعب، وابن السميفع: ﴿ وَأَقم الصلاة للذَّكُرنُ و لامين وتشديد الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُغْنِياً﴾ أكثر القراء على ضم الألف. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، ومحمد بن عليّ: أكاد أخفيها من نفسي، قال الفراء: المعنى: فكيف أظهركم عليها؟ قال المبرّد: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمتّه حتى مِنْ نَفْسي، أي: لم أطلع عليه أحداً. والثاني: أن الكلام تم عند قوله: وأكاده، وبعده مضمر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها، قال ضابئ البرجمى:

هَــمَـنْتُ ولَــم أَفْعَـلْ وكِــدْتُ ولَـيْـتَـنِي تَـرَكْتُ على عُفْـمَانَ تَبْكِي حَـلَائِـلُهُ (٢) أراد: كدتُ أنعل. والثالث: أن معنى «أكاد»: أريد، قال الشاعر:

⁽١) أخرجه الترمذي ٢٠٦/١ وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الأعرج الكوفي، منكر الحديث، وذكره الطبري ١٤٤/١٦ وقال: في إسناده نظر يجب الثنبت فيه.

⁽٢) أي: غير مصروفة.

٤) قالطبري، ١٢٥/١٦، وقمجاز القرآن، ١٦/٢، وقاللسان، طوى، وقالتاج، ثنى.

^{›)} وواه البخاري في كتاب •مواقيت الصلاة؛، باب من نسي صلاة فليصل، وروا، مسلم ١/ ٤٧٧، وأبو داود رقم (٤٤٢). *) •الطبري، ١٦/ ١٥٢، و«القرطي، ١٨٣/١١، وفاليحر، ٦٣٣/١.

كادَتْ وكِدْتُ وَتِسلكَ خَدِيْدُ إِزَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهُ و الصَّبابَة مَا مَضَى (١)

. معناه: أرادت وأردتُ، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: فما فائدة هذا الإخفاء الشديد؟ فالجواب: أنه للتحذير والتخويف، ومن لم يعلم متى يهجم عليه عدوَّه كان أشد حذراً وقرأ سعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء العطاردي، وحميد بن قيس: ﴿ أَخفيها الْقيس: ﴿ العطاردي، وحميد بن قيس: ﴿ أَخفيها الْقيس: ﴿ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

ف إِنْ تَدِفِنُ وا الدَّاءَ لا نَدْ خُدِهِ وإِنْ تَبْعَثُ وا الدَرْبَ لا نَدْعُ لِد (٢)

أي: إن تدفنوا الداء لا نُظهره. قال: وهذه القراءة أَبْيَن في المعنى، لأن معنى: «أكاد أُظهرها»: قد أخفيتُها وكدت أُظهرها. ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَقْسِ بِمَا تَسْمَىٰ﴾ أي: بما تعمل. والتُجزى، متعلق بقوله: «إن الساعة آتية» لتجزي، ويجوز أن يكون على «أقم الصلاة لذكري» لتجزي.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدُنَكَ عَنَهَ ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ مَن لَا يُؤْدِنُ بِهَا ﴾ أي: من لا يُؤمِن بكونها؛ والخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع أُمَّته، ﴿ وَاَتْنَعَ هَوَهُ ﴾ أي: مُراده وخالف أمر الله ﷺ، ﴿ فَتَرَدَىٰ ﴾ أي: فته لك؛ قال الزجاج: يقال: رَدِي يَرْدَى: إذا هلك.

﴿ وَمَا يَلْكَ بِسَمِينِكَ يَنْمُوسَىٰ ۞ فَالَ فِي عَمَدَاى أَنَوَكَؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَنَادِبُ أَخْرَىٰ ۞ فَالَ أَلْهَا يَنْمُوسَىٰ ۞ فَالْمَنْمُ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّلْمُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِسَمِينِكَ ﴾ قال الزجاج: «تلك» اسم مبهم يجري مجرى «التي»، والمعنى: ما التي يمينك؟

قوله تعالى: ﴿ أَنْوَكُّواْ عَلَيْهَا ﴾ التوكُّو: التحامل على الشيء ﴿ وَأَمْشُ بِهَا ﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي: قال الزجاج: واشتقاقه من أنّي أُحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان. والمآرب: الحاجات، واحدها; مَأْرُبَة، ومَأْرَبَة. وروى قتيبة، وورش: «مآرب» بإمالة الهمزة. فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: «وما تلك بيمينك؛ وهو يعلم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجراه مجرى السؤال، ليجيب المخاطّب بالإقرار به، فتثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماءً، فتضع عليه شيئاً من الصبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء؟ فثبت عليه الحجة، هذا قول الزجاج. فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرَّر موسى أنها عصاً لمّا أراد أن يريّه من قدرته في انقلابها حيَّة، فوقع المُعْجِز بها بعد التثبت في أمرها. والثاني: أنه لما اطُّلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يؤانسه ويخفف عنه ثِقَل ما كان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: «هي عصاي»، فما الفائدة في قوله: «أتوكَّأُ عليها» إلى آخر الكلام، وإنما يُشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي»، فقيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثانٍ، قاله ابن عباس، ووهب. والثاني: أنه إنما أظهر فوائدها، وبيَّن حاجته إليها، خوفاً [من] أن يأمره بإلقائها كالنعلين، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنه بيَّن منافعها لئلا يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي. فإن قبل: فلم اقتصر على ذِكْر بعض منافعها ولم يُطِل الشرح؟ فعنه [ثلاثة] أجوبة: أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها. والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد. والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض. وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار^{٣)}. وفي جنسها

البيت غير منسوب في «الطبري» ١١/ ١٥١، و«القرطبي» ١١/ ١٨٤، و«اللسان» و«التاج»: كود.

 ⁽۲) البیت لامرئ القیس، دیوانه ۱۸٦، و «الطبری» ۱۱/ ۱۵۰، و همجاز القرآن، ۱۷/۲، و «القرطبی، ۱۱/ ۱۸۲، و «اللسان، و «التاج»: خفا. وقوله: لا نُخْفِه، بفتح النون: أي: لا نُظهره، وكذا قرئ قوله تعالى: ﴿أَكُو لَنْفِيهَا﴾ أي: أظهرها.

 ⁽٣) قال ابن كثير في وتفسيره، ٣/ ١٤٥: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل كانت تضيء بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، =

قولان: أحدهما: أنها كانت من آس الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: [أنها] كانت من عوسج. فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: «أُخرى» ولم يقل: «أُخرى» فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أُخرى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّفِهَا يَكُونَ ﴿ قَالَ المفسرون: القاها، ظنّاً منه أنه قد أُمر برفضها، فسمع حِسّاً فالتفتّ فإذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها. وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان: أحدهما: لئلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون. والثاني: ليريّه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذلّتُ لك الأعظم وهو الحية، أذلّلُ لك الأدنى. ثم إن الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حيَّة، فوضع يده عليها فعادت عصاً، فذلك قوله: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوْلَ ﴾ قال الفراء: طريقتها، يقول: تردُّها عصى كما كانت. قال الزجاج: واسيرتها ﴾ منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعل إليها، المعنى: سنُعيدها إلى سيرتها. فإن قيل: إنما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مَرَّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنه يقول في الاعراف: ١٠٧]: ﴿ قَإِذَا هِى ثُمُينٌ ﴾، وهاهنا: احية، وفي مكان آخر: ﴿ كَأَنّها جَانّ ﴾ النما: ٢٠]، والجانّ ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟ فالجواب: أن صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحيّة اسم يقع على الصغير والذكر والأنثى. وقال الزجاج: خَلْقُها خَلْق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخِفّتها كاهتزاز الجانٌ وخِفّته.

قوله تعالى: ﴿ وَأَضْمُمْ يَدُكَ إِنَى جَنَامِكَ ﴾ قال الفراء: الجناح من أسفل العَضُد إلى الإبط. وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجَنْب، وأنشد:

أَشْ مُ لَ السَّمَ الْمُ السَّمَ الْمُ السَّمَ الْمُ السَّمَ ا

قوله تعالى: ﴿ غَنْرِجٌ بَيْصَلَة مِنْ غَيْرِ سُوِّهِ أَي: من غير بَرَص ﴿ مَايَةٌ أُغْرَىٰ ﴾ أي: دلالة على صدقك سوى العصا. قال الزجاج: ونصب «آيةً» على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك [آية].

قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيْكَ مِنْ ءَلِئِتِنَا آلكُبْرَى ﴿ ﴾. إن قيل: لِمَ لم يقل: «الكُبَر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كقوله: ﴿ مَنَادِبُ أُخْرَىٰ ﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفراء. والثاني: أن فيه إضمار تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى. وقال أبو عبيدة: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا. والثالث: إنما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثعلبي.

﴿ اَذْهَبُ إِلَىٰ فِرْعَرَهُ إِنَّهُ طَهَىٰ ۞ قَالَ رَبِ اَشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ رَبَيْرْ لِنِ أَشْرِى ۞ وَاَحْلُلُ عُقْدَةً مِن لِسَانِى ۞ يَفْعَهُواْ فَوْلِي ۞ وَاَخْلُلُ عُقْدَةً مِن لِسَانِى ۞ يَفْعَهُواْ فَوْلِي ۞ وَاَخْلُلُ مِنْ أَمْلِي هِنْ أَمْلِي هُوْ اللّهُ عَلَيْهُ فِي اللّهِ ﴾ كُنتُ بِنَا بَصِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ طُنَىٰ﴾ أي: جاوز الحدُّ في العصيان.

قوله تعالى: ﴿أَشَحَ لِى صَدْرِى﴾ قال المفسرون: ضاق موسى صدراً بما كلّف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يُوسِّع قلبه للحق حتى لا يخاف فرعون وجنوده. ومعنى قوله: ﴿وَيَبَرّ لِيَ آمْرِى ﴿ ﴾: سهّل عليّ ما بعثتني له. ﴿وَاللّهُ عُنْدَةٌ مِن لِسَانِي ﴿ قَال المفسرون: كان فرعون قد وضع موسى في حِجره وهو صغير، فجرّ الحية فرعون بيده، فهمّ بقتله، فقالت له آسية: إنه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، فأخذ موسى جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة،

ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى على صيرورتها
 ثعباناً، فما كان يفرَّ منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، وكذلك قول بعضهم: إنها كانت لآدم على، وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة.

⁽١) الرَّجز غير منسوب في: «الطبري، ١٥٧/١٦، و«مجاز القرآن» ١٨/٢، و«القرطبي» ١٩١/١١.

 ⁽٢) الرُّنَّة، بالضم: عجلة في الكلام، وقِلَّة أناة، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

⁽٣) في الأصل: فمد، وستأتي بعد قليل دجر».

فسأل حَلَّها ليفهموا كلامه (۱). وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوِزَارة من الوِزْر وهو الحِمْلِ، كأن الوزير قد حمل عن السلطان الثُقُل. وقال الزجاج: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَر: الجبل الذي يُعتصم به ليُنجى من الهلكة، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه. ونصب «هارون» من جهتين: إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فينتصب «وزيراً» على أنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون همارون» بدلاً من قوله: ﴿وَزِيراً» على أنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون همارون» بدلاً من قوله: ﴿وَزِيراً» نيكون المعنى: اجعل لي وزيراً من أهلي، [ثم] أبدل هارون من وزير؛ والأول أجود. قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيراً، لأنه لم يُرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوّة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي».

قوله تمالى: ﴿أَشُدُدُ بِلِهِ أَنْرِى ﴿ قَالَ الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشدُد به يا ربِّ أزرى، وأشرِكه يا ربِّ في أمري. وقرأ ابن عامر: «أشده بالألف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يبتدئ بالألفين. قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قَبْله دعاء، ولأن الإشراك في النبوَّة لا يكون إلا من الله ﷺ. قال ابن قتيبة: والأزر: الظهر، يقال: آزرت فلاناً على الأمر، أي: قوَّيته عليه وكنت له فيه مُلْهراً.

قوله تعالى: ﴿وَلَشَرِكُهُ فِنَ أَمْرِى ﴿ ﴾ أي: في النبوَّة معي ﴿كَنْ شُبِّكَ﴾ أي: نصلِّي لكَ ﴿وَلَذَكُرُكَ﴾ بالسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نِعَمِكَ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَسِيرًا ﴿ ﴾ أي: عالِماً إذ خَصَصْتَنا بهذه النَّعم.

﴿ وَالَ قَدْ أُرْبِيتَ سُؤُلِكَ يَمُومَىٰ ۞ رَلَقَدْ مَنَنَا عَبَنَكَ مَرَّةً لَّمْزَىٰ ۞ إِذْ أَوَجَيْنَا إِلَى أَيْكَ مَا بُوجَىٰ ۞ إِذِ أَوَجَيْنَا إِلَى أَيْكَ مَا بُوجَىٰ ۞ إِذَ تَدْبِيهِ فِي النَّابُونِ فَٱقْلِيْهِ فِي النَّابُونِ فَالْفَيْدِ وَلَيْمَنِيْمَ مَلَى عَيْنِيْ وَلَيْمَنَعَ مَلَى عَيْنِيْ ۞ إِذْ نَسْبِينَ أَنْمَاكُ مَلَكُورُ مَلَكُورُ مَلَكُورُ مَلَكُونُ مَلَى مَذَكُورُ مَلَكُورُ مِنْ الْفَرِ وَلَسَّنَكَ فَنُونًا فَلَهِفَتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَلْمَنَى ثُمُّ مَنْ الْفَرِ وَلِشَنَعَ مَلَى مُؤَلِّ فَلَهِفَتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَلْمَنَ ثُمُّ مَلْمُ اللَّهُ مِنْ الْفَرِدِ بَنْدُونَى فَلَوْلُ مَلِكُورُ مِنْ الْفَرِدُ بِيَانِينَ فِي الْفَرِدُ وَلَوْلُكُ بِيَانِ فِي ذَكُونَ اللّهُ فَلَوْلًا فَلَهِفَتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَلْمَنَا ثُمُ

قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤُلِكَ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: طَلِبَتَكَ، وهو: ﴿ فُعْلِ مِن ﴿ سَأَلْت ﴾، أي: أُعطيتَ ما سألتَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليكَ ﴿مَرَّةُ أَخْرَى ﴾ قبل هذه المَرَّة. ثم بيَّن متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَنْكِينَا إِلَى أَيْكُ مَا يُوحِيهُ مَما كان سبباً لنجاتك، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿أِنَ ٱنْذِفِيهِ فِي التَّابُونِ ﴾ وقذف الشيء: الرمي به. فإن قبل: ما فائدة قوله: «ما يوحى» وقد علم ذلك؟ فقد ذكر عنه ابن الأنباري جوابين: أحدهما: أن المعنى: أوحينا إليها الشيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنها ليست بنبيّ، وذلك أنها ألهمت. والثاني: أن «ما يوحى» أفاد توكيداً، كقوله: ﴿فَنَشَنْهَا مَا غَتَن ۞ ﴾ [النجم: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿ فَلِكُنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَهِ اللهُ وَهِ اللهُ اللهُ وَهِ اللهُ وَهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

قوله تعالى: ﴿وَلِلْصَّنَّعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ وقرأ أبو جعفر: ﴿ولْتُصنعْ﴾ بسكون اللام والعين والإدغام. قال قتادة: لتُغذى على

 ⁽١) وقد استجاب الله له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلِكَ يَنُمُونَىٰ﴾.

محبتي وإرادتي. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحِبّ. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غُذي فلان على عيني، أي: على المَحَبَّة منِّي. وقال غيره: لتُرَبِّن وتغذى بمرأىٌ مني، يقال: صنع الرَّجل جاريته، إذا ربًّاها؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولِتُصْنَعَ على عيني، قدَّرنا مشى أختك وقولها: ﴿ مَلْ أَدْلُكُو عَلَى مَن يَكْفُلُمُ ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربيته على ما أراد الله على. فأما أُخِته، فقال مقاتل: اسمها مريم. قال الفراء: وإنما اقتصر على ذِكْر المشي، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلَّتهم على الظُّثر^(١)، لأن العرب تجتزئ بحلف كثير من الكلام، ويقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿ أَنَا أَنْيَتُكُم بِتَأْيِيلِهِ فَآرَبِيلُونِ ﴾ [يوسف: ١٥]، ولم يقل: فأرسل حتى دخل على يوسف. قال المفسرون: سبب مشى أُخته أن أُمَّه قالت لها: تُصِّيه، فاتَّبعت موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة، فقالت لهم أُخته: ﴿ هَلَ أَذُلُّكُو عَلَى مَن يَكَفُلُمُ ۚ أَي: يُرْضِعه ويضمه إليه، فقيل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله: ﴿ فَرَحَمَّنَكَ إِنَّةَ أَتِكَ﴾ أي: رددناك إليها ﴿ كُن نَفَّر عَيْنُهُ بك وبرؤيتك. ﴿ وَقَلْلَتَ نَفْسًا﴾ يعنى: القبطى الذي وكزه فقضى عليه، وسيأتى ذِكْره إن شاء الله تعالى ﴿ فَنَجَّنْكَ مِنَ ٱلْغَيْمِ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتَل به، فنجّاه الله بأن هرب إلى مَدْيَن، ﴿ وَقَنَّكَ فُنُوناً ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اختبرناك اختباراً، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: ابتليناك ابتلاءً، رواه العوني عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال الفراء: ابتليناكَ بغم القتيل ابتلاءً. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الفتون: وقوعُه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمُّه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرُّه لحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرَّة، ثم قتله القبطيّ، ثم خروجه إلى مَدْيَن خائفاً؛ وكان ابن عباس يقصُّ هذه القصص على سعيد بن جبير؛ ويقول له عند كل ثلاثة: وهذا من الفُتون يا ابن جبير؛ فعلى هذا يكون «فتنَّاكَ» خلَّصناكَ من تلك المجن كما يُفتّن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث. والفتون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمِثْتُ سِنِينَ ﴾ تقدير الكلام: فخرجتَ إلى أهل مدين. ومدين: بلد شعيب، وكان عى ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى، وقيل: مدين: اسم رجل، وقد سبق هذا [الأعراف: ٢٨٦]. وفي قدر لبثه هناك قولان: أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلد له، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرِ﴾ أي: جثتَ لميقاتِ قدَّرتُه لمجيئكَ قبل خَلْقِك، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يوحي فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين. وقال الفراء: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد الله به من تكليمه.

قوله تعالى: ﴿ رَاْسَطَنَمْتُكَ لِنَفْيِي ﴿ أَي: اصطفيتُك واختصصتك، والاصطناع: اتخاذ الصنيعة، وهو الخير تسديه إلى إنسان. وقال ابن عباس: اصطفيتك لرسالتي ووحيي ﴿ أَذْهَبُ أَنَ وَلَغُوكَ بِكَايَتِي ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العصا واليد. وقد يُذْكَر الاثنان بلفظ الجمع. والثاني: العصا واليد وحَلُّ العُقدة التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: الآيات التسع. والأول أصح.

ق**وله تعالى: ﴿**وَلَا لَيْيَا﴾ قال ابن قتيبة: لاَ تَضْعُفا ولا تُفْتُرا؛ يقالّ: وَنى يني في الأمر؛ وفيه لغة أخرى: وَنِيَ، يونى. وفي المراد بالذُّكْر هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون. و**الثاني**: أنه القيام بالفرائض والتسبيحُ والتهليل.

﴿ أَذَهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَنَ ۞ فَقُولَا لَهُ قَزُلاَ أَيْنَا لَمَلَمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَضَفَى ۞ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا فَفَافُ أَن يَطْغَىٰ ۞ قَالَ لَا تَخَافَاۚ إِنِّنِى مَمَّكُمَا أَسْمَعُ رَأَيْكِ ۞ فَأْنِياهُ فَقُولَاۤ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكِ فَأَرْسِلْ مَمَنَا بَنِيَ إِسْرَةِيلَ وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِفْنَكِ مِثَايَةٍ مِن وَبِيِّ وَالسَّلَهُ عَلَى مِن أَشَهُمُ الْمُنْتَعَ ۞ إِنَّا قَدْ أُرْجِى إِلِسَنَا أَنَّ الْمَلَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتُولَى ۞﴾

⁽١) الظنر: العاطفة على ولد غيرها المرضعةُ له في الناس وغيرهم للذَّكر والأنثى.

قوله تعالى: ﴿أَذْهُمَّا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذهاب، التوكيد. وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَين﴾ [طه: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ فَتُولا لَهُ وَلا لَيْ اللهِ وَوا أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: البنا، بإسكان الباء، أي: لطيفاً رفيقاً. وللمفسرين فيه خمسة أقوال: أحدها: قولا له: قل: الا إله إلا الله وحده لا شريك له، رواه خالد بن معدان عن معاذ، والمضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه قوله: ﴿ هَلَ لَكَ إِلَىٰ أَن تَرَكَّى ﴿ وَالْمَدِيكَ إِلَىٰ رَبِكَ فَنَخْتَىٰ ﴾ [النازعات]، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي. فأما اسمه، فقد ذكرناه في [البترة: 12]. وفي كنيته أربعة أقوال: أحدها: أبو مُرَّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أبو العباس. والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثعلبي. والقول الرابع: قولا له: إن لك رَبّا، وإن لك مَعَاداً، وإن بين يديك جَنّة وناراً، قاله الحسن. والخامس: أن القول اللين: أن موسى أتاه، فقال له: تؤمن بما جئتُ به وتعبد ربَّ العالمين، على أن لك شبابك فلا تهرم، وتكون مَلِكاً لا يُنزع منك حتى تموت، فإذا متَّ دخلتَ الجنة، فأعجبه ذلك؛ فلما جاء هامان، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنتُ أرى أن لك تموت، فإذا متَّ دخلتَ ان تكون مربوباً؟! فقلبه عن رأيه، قاله السدي. وحكي عن يحيى بن معاذ أنه قرأ هذه الآية، فقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف وفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف وفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنه أنه قرأ هذه الآية،

قوله تعالى: ﴿ لَمَنْكُم يَنْذُكُرُ أَوْ يَعَنَى ﴾ قال الزجاج: «لَعَلَ » في اللغة: ترج وطمع، تقول: لَعَلَي أصير إلى خير، فخاطب الله وهي العاد بما يعقلون. والمعنى عند سيبويه: اذهبا على رجائكما وطمعكما. والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد عَلِم أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحُجَّة إنما تجب عليه بالآية والبرهان، وإنما تُبعث الرسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيُقبل منها، أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يُقبل منهم، ومعنى «لعل متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحُجَّة. قال ابن الأنباري: ومذهب الفراء في هذا: كي يتذكر. وروى خالد بن معدان عن معاذ قال: والله ما كان فرعون ليخرج من الدنيا حتى يتذكّر أو يَخشى، لهذه الآية، وإنه تذكّر وخشي لمّا أدركه الغرق. وقال كعب: والذي يحلِفُ به كعب، إنه لمكتوب في التوراة: فقولا له قولاً ليّناً، وساقسي قلبه فلا يؤمن. قال المفسرون: كان هارون يومئذ غائباً بمصر، فأوحى الله تعالى إلى هارون أن يتلقى موسى، فتلقّاه على مرحلة، فقال له موسى: إن الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألتُه أن يجعلكَ معي؛ فعلى موسى، فتلقّاه على مرحلة، فقال له موسى: إن الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألتُه أن يجعلكَ معي؛ فعلى وحده؛ وأخبر الله عنه بالتثنية لمّا ضم إليه هارون، فإن العرب قد تُوقع التثنية على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، وحده؛ وأخبر الله عنه بالتثنية لمّا ضم إليه هارون، فإن العرب قد تُوقع التثنية على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، يا حرسميُّ إضربا عنقه.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَفُرُطُ عَلَيْنَا ﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميفع، وابن يعمر، وأبو العالية: «أن يُفُرِط» برفع المياء وكسر الراء. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن المياء وكسر الراء. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن محيصن: «أن يُفْرَط» برفع الياء وفتح الراء. قال الزجاج: المعنى، أن يبادر بعقوبتنا، يقال: قد فَرَط منه أمر، أي: قد بَدَر؛ وقد أفرط في الشيء: إذا اشتطّ فيه؛ وفرَّط في الشيء: إذا قصّر؛ ومعناه كله: التقدم في الشيء، لأن الفَرَط في اللغة: المتقدّم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا فَرَطُكم على الحوض»(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: يستعصي، قاله مقاتل. والثاني: يجاوز الحدَّ في الإساءة إلينا. قال ابن زيد: نخاف أن يعجِّل علينا قبل أن نبلُّغه كلامك وأمرك.

قوله تعالى: ﴿ إِنِّنِي مَكَدُماً ﴾ أي: بالنصرة والعون ﴿ أَسِّيمٌ ﴾ أقوالكم ﴿ وَأَرَكُ ﴾ أفعالكم. قال الكلبي: أسمعُ جوابَه لكما، وأرى ما يفعل بكما.

⁽١) رواه أحمد في «المسند» ٣١٣/٤، والبخاري ٤١٤/١، ومسلم ١٧٩٢/٤ من حديث جنلب بن عبد الله البجلي ﷺ، وله روايات أخرى بأطول منه في «الصحيحين» من حديث سهل، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، والفرط والفارط: هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض: سابقكم إليه كالمهيئ له.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسِلَ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَةِ بِلَ ﴾ أي: خلِّ عنهم ﴿ وَلَا تُعَذِّبُهُم ﴾ وكان يستعملهم في الأعمال الشاقّة، ﴿ فَلَا جُفْنَكَ بِتَايَةِ مِن رَبِّكُ ﴾ قال ابن عباس: هي العصا. قال مقاتل: أظهر اليد في مقام، والعصا في مقام.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ ٱلْمُدُكَة﴾ قال مقاتل: على مَنْ آمن بالله. قال الزجاج: وليس يعني به التحيَّة، وإنما معناه: أن مَن اتَّبع الهُدى، سَلِم من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام، أنه ليس بابتداء لقاءٍ وخطاب.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿قَالَ فَمَن رَثِكُمَا يَعُوسَىٰ ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِينَ أَعْلَىٰ كُلَّ فَيْءٍ خَلْقَتُمْ ثُمَّ هَدَىٰ ۞ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَقِّ فِي كِتنَّتٍ لَا يَغِسُلُ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۞ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُّ ٱلأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا شُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاةِ مَآهُ فَأَخْرَخَنَا بِهِ؞ أَنْوَلَهَا مِّن نَبَاحٍ شَقَىٰ ۞ كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَلَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيْمَتِ لِأَوْلِي ٱلنَّهَىٰ ۞ ۞ يِنْهَ خَلْقَنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَيَنْهَا نُضْرِيمُكُمْ قَارَةً أَخْرَىٰ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَلَ فَمَن رَبِّكُمَا﴾ في الكلام محذوف معناه معلوم، وتقديره: فأتياه فأدَّيا الرسالة. قال الزجاج: وإنما لم يقل: فأتّياه، لأن في الكلام دليلاً على ذلك، لأن قوله: «فمن ربُّكما» يدل على أنهما أتياه وقالا له.

قوله تعالى: ﴿أَعْلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْتَمُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى كُلَّ شيء صورته، فخلق كُلَّ جنس من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورة البهائم، وصورة البعير لا كصورة الفرس، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أعطى كل ذكر زوجّه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال السدي، فيكون المعنى: أعطى كُلَّ حيوان ما يشاكله. والثالث: أعطى كل شيء ما يُصْلِحه، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿ثُمُ هَدَىٰ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذَّكرُ الأنثى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السميفع، ونصير عن الكسائي: ﴿أعطى معيشته، قاله مجاهد. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السميفع، ونصير عن الكسائي: ﴿أعطى مُللّ شيء خَلَقَهُ المفتح اللام. فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنه قد ثبت وجود خَلْق وهداية، فلا بد من خالق وهادٍ.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَمَا بَالُ ٱلتُرُونِ ٱلأُرِكِ ﴿ فَ اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأله عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك عِلْم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِي ﴾ ، هذا مذهب مقاتل. وقال غيره: أراد: إنّي رسول، وأخبار الأمم عِلْم غيب، فلا علم لي بالنيب. والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عُبدت الأصنامُ، ولِم لم يُعبدِ اللّهُ إن كان الحقُّ ما وصفت؟! والثالث: أن مراده: ما لها لا تُبعث ولا تُحاسَب ولا تجازى؟! فقال: عِلْمها عند الله، أي: عِلْم أعمالها. وقيل: الهاء في الأمراد عن القيامة، لأنه سأله عن بعث الأمم، فأجابه بذلك. وقوله: ﴿ وَكِيْبُ ﴾ أراد: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضِلُ رَبِي وَلَا يَسَى﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو^(۱)، وعاصم الجحدري، وقتادة، وابن محيصن: "لا يُضِلُّ بضم الياء وكسر الضاد، أي: لا يضيِّعه. وقرأ أبو المتوكل، وابن السميفع: "لا يُضَلّ بضم الياء وفتح الضاد. وفي هذه الآية توكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿اللَّذِى جَمَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "مهاداً». وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "مهداً" بغير ألف. والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجُلكم في الأرض طُرُقاً تسلكونها، ﴿وَاَنْزَلَ مِنَ الشَمَاءِ مَانَهُ يعني: المطر. وهذا آخر الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿وَاَلْوَرْهَا مِنْ اللَّمَاء ﴿ أَزَوْبَهَا مِن نَبَاتٍ شَقَى ﴾ أي: أصنافاً مختلفة في الألوان والطُّعوم، كل صنف

⁽١) في النسخة الإستنبولية: عبد الله بن عمر.

منها زوج، والشتى لا واحد له من لفظه. ﴿ كُلُوا ﴾ أي: مما أخرجنا لكم من الشمار ﴿ وَاَرْعَوْا أَنْكَكُمْ ﴾ يقال: رعى الماشية، يرعاها: إذا سرَّحها في المرعى. ومعنى هذا الأمر: التذكير بالنَّعم، ﴿ إِنَّ فِى نَاكَ كَبَنْتِ ﴾ أي: لَعِبَراً في الحتلاف الألوان والطعوم ﴿ إِنَّ فِى النَّعَى ﴾ قال الفراء: لذوي العقول، يقال للرجل: إنه لذو نُهْيَةٍ: إذا كان ذا عقل. قال الزجاج: واحد النَّهى: نُهْيَة، يقال: فلان ذو نُهْيَة، أي: ذو عقل ينتهي به عن المقابح، ويدخل به في المحاسن؛ قال: وقال بعض أهل اللغة: ذو النَّهية: الذي يُتهي إلى رأيه وعقله، وهذا حسن أيضاً.

قولمه تبعالى: ﴿فِنْهَا خُلَقَنَكُمْ ﴾ يبعنني: الأرض السمذكورة فني قبوله: ﴿جَمَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْكَا﴾. والإنسارة بقوله: «خلقناكم» إلى آدم، والبشر كلُّهم منه. ﴿وَفِيهَا نُبِيدُكُمُ ﴾ بعد الموت ﴿وَيَنْهَا نُضْرِبُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مَرَّة ﴿أُخْرَكُ ﴾ بعد البعث، يعني كما أخرجناكم منها أولاً عند خلق آدم من الأرض.

قِوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْيَتُهُ ﴾ يعنى: فرعون ﴿ النِّينَا كُلُّهَا ﴾ يعنى: النسع الآيات، ولم يركل آية لله، لأنها لا تُحصى، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ أي: نسب الآيات إلى الكذب، وقال: هذا سِحْر ﴿ وَأَنِّكَ أَنْ يَوْمَن ﴿ قَالَ أَجِنْتُنَا لِتُخْرِحَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعنى: مصر ﴿بِسِرِكَ﴾ أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿فَلَنَأْيَنَكَ بِسِمْ يُثْلِهِ ﴾ أي: فلنقابلنَّ ما جئتَ به من السَّحر بمثله ﴿فَأَجْمَلْ بَيْنَنَا وَبَيْكَ مَرْعِدًا﴾ أي: اضرب بيننا وبينك أجَلاً وميقاتاً ﴿لَا نُحْلِفُكُمْ أي: لا نجاوزه ﴿غَنُّ وَلَا أَنَّكَ مَكَانًا﴾ وقبل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعداً مكاناً نتواعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقع مِنَّا خِلاف في حضوره. ﴿شُوِّى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي بكسر السين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف، ويعقوب: ﴿شُوىٌ بضمها. وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو المتوكل؛ وابن أبي عبلة: ﴿مَكَانَأ سُواءً؛ بالمد والهمز والنصب والتنوين وفتح السين. وقرأ ابن مسعود مثله، إلا أنه كسر السين. قال أبو عبيدة: هو اسم لِلمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر. ﴿قَالَ مُوْعِدُكُمٌ يَرُمُ الرِّيَّةِ﴾ قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسن، ومجاهد، [وقتادة]، وابن أبي عبلة، وهبيرة عن حفص بنصب الميم. وفي هذا اليوم أربعة أقوال: أحدها: يوم عيد لهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: يوم النيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: يوم سوق لهم، قاله سعيد بن جبير. وأما رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقتُ موعدكم يومُ الزينة، فناب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر. فأما نصبه، فقال الزجاج: المعنى: موعدُكم يقع يوم الزينة، ﴿وَأَن يْحَشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ موضع فأنا رفع، المعنى: موعدكم حشر الناس ﴿ضُحَّى﴾ أي: إذا رأيتم الناس قد حُشروا ضحى. ويجوز أن تكون (أن) في موضع خفض عطفاً على الزينة، المعنى: موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «وأن تُحشُر» بتاء مفتوحة ورفع الشين ونصب «الناسّ». وعن ابن مسعود، والنخعي: ﴿وَأَنْ يَحشُرِ ﴾ بالياء المفتوحة ورفع الشين ونصب ﴿الناسُ ﴾. قال المفسرون: أراد بالناس: أهلَ مصر، وبالضحى: ضحى اليوم، وإنما علَّقه بالضحى، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع الناس، فيكون أبلغَ في الحجة وأبعدَ من الربية. ﴿فَنَوَّكُ فِرْعَوْنُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: تولَّى عن الحق الذي أمِر به. والثاني: أنه انصرف إلى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى، ﴿ فَجَمَّعُ كَيْدُمُ ﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ ثُمُّ أَنَّهُ أي: حضر الموعد. ﴿ قَالَ لَهُم تُوسَىٰ ﴾ أي: للسحرة. وقد ذكرنا عددهم في [الأعراف: ١١٤].

قوله تعالى: ﴿ وَيُلَكُمُ ۚ قَالَ الزَجَاجِ: هو منصوب على «الزمكم الله ويلاً» ويجوز أن يكون على النداء، كقوله تعالى: ﴿ يَكُونُكُ مَنْ بَعْضَنَا مِنْ مَرَقَيْنَا ﴾ [يس: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿ لَا تَفَرَّفُوا عَلَى اللَّهِ كَلِّهِ ﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿ فَيُسْجِثَكُ وَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: "فيَسحتَكُم، بفتح الياء، من السحت، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "فيُسحتِكم، بضم الياء، من اأسحت، قال الفراء: ويُسحت أكثر، وهو الاستئصال، والعرب تقول: سحته الله، وأسحته، قال الفرزدق:

وَعَسَضٌ زَمَسَانٍ يَسَا ابْسَنَ مَسَرُوَانَ لَسَمْ يَسَدَعُ ﴿ مَسْ صَلَى السَّمَالِ إِلَّا مُسْتَحَسَّا أَوْ مُجَلَّفُ (١)

هكذا أنشد البيت الفراء، والزَّجاج. ورواه أبو عبيدة: ﴿إِلَّا مُسْحَتُّ أَو مُجلَّفُ؛ بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ فَنَسْرَعُوا أَمْرُهُم بَيْنَهُمْ ﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَكُ ﴾ الله أي: أَخْفُوا كلامهم من فرعون وقومه. وقيل: من موسى وهارون. وقيل: «أسرُوا» هاهنا بمعنى «أظهروا». وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: إن كان هذا ساحراً، فإنا سنغلبه، وإن يكن من السماء كما زعمتم، فله أمره، قاله قتادة. والثاني: أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحر، ولكن هذا كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحقّ، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانه، وإلى موسى وعصاه، فتُكسوا على رؤوسهم، وقالوا إن هذان الساحران، قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنهم ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَن لَسَحِينِهِ عَلَى إعمال الآنَّ وقال: إني لأستحيى من الله في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَذَن لَسَحِينُ فَقَرا أبو عمرو ابن العلاء: ﴿ إِنَّ هذين على إعمال *إنَّ وقال: إني لأستحيى من الله أن أقرا وإنْ هذان». وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ إنّ بالتشديد قهاذان الله ونون خفيفة. فأما قراءة هذان خفيفة أيضاً. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ إنّ بالتشديد قهاذان الكاتب على ما حكيناه في الله عمرو، فاحتجاجه في مخالفة المصحف بما روي عن عثمان وعائشة، أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في توله تعالى: ﴿ وَٱلْمِيْسِينَ الْفَلُولُونُ (٢) في سورة [النساء: ١٦٢]. وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمِيْسِينَ الْفَلْوَلَةُ النّامِاء: ١١٦] أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

ثكلتك أمُّك إن قتلتَ لَمُسْلِماً حَلَّتَ عليه عُقوبة المُتَّعمُّدِ

أي: ما قتلت إلا مسلماً. قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبيّ بن كعب أنه قرأ: أما هذان إلا ساحران، وري عنه: أإن هذان إلا ساحران، ورويت عن الخليل: أن هذان بالتخفيف، والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل. فأما قراءة الأكثرين بتشديد أن وإثبات الألف في قوله: أهاذان، فروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب، وافقتها لغة قريش. قال الزجاج: وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب، وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

⁽۱) اديوانه ٥٥١، والطبري، ١٧٨/١٦، وهمجاز القرآن» ٢١٢، وهشرح المفضليات» ٣٩٦، والجمهرة ٢٧/٢١، واللسان، والنتاج»: جلف، سحت، والقرطبي، ٢١٥/١١، والخزانة، ٢٧٤٧، ويروى وإلا مسخت أو مجلّف، كما في المجاز القرآن، لأبي عبيدة. ومن رواه كذلك، جعل معنى الم يدع، لم يتقارً، أو يقرَّ، أو يستقرَّ، ومن رواه الإ مسحتًا، جعل الم يدع، بمعنى: لم يترك، لم يتى، ورفع قوله: أو مجلّف، بإضمار، كأنه قال: أو هو مجلَّف. ومال مسحوت، ومسحت: مُذهَب به، مهلك. والمجلَّف: الذي بقيت منه بقية. يريد: لم يترك إلا شيئاً مستأصلاً هالكاً، أو شيئاً بقيت منه بقية.

⁽٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد زعم قرم أن قراءة من قرأ: ﴿إِنْ هَٰكَانِ لَسَوْمِكِ﴾ لحن، وأن عثمان ﷺ قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسينة، وهذا خبر باطل لا يصبح من وجوه. انظر الجزء (٢٠ ٢ ٣٠٠) من هذا التفسير، فإنك تجد في التعليق على هذا الخبر كلاماً طويلاً، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ السخاوي، والطبري، وغيرهم، في رد ما نُسب إلى عثمان ﷺ.

⁽٣) البيت للمتلمس، وهو في الطبري، ١٨٠/١٦، والقرطبي، ١/٧/١١، واللسان»: صمم، ومُعنى: أطرق: سكت فلم يتكلم وأرخى عينيه ينظر إلى =

ويقول هؤلاء: ضربته بين أذناه. وقال النحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى: إنه هذان لساحران. وقالوا أيضاً: إن معنى «إنَّ»: نعم «هذان لساحران»، وينشدون:

ويَسَقَّلُ نَ شَيْبٌ قَدِعَ لَا لَا وَقَد كَبِرتَ فَقَلَتُ إِنَّا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

قال الزجاج: والذي عندي، وكنتُ عرضتُه على عالمنا محمد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد، فقبلاه، وذكرا أنه أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إنَّ قد وقعت موقع «نعم»، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، ويلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة. وأستحسن هذه القراءة، لأنها مذهب أكثر القراء، وبها يُقرأ. وأستحسن قراءة عاصم، والخليل، لأنهما إمامان، ولأنهما وافقا أبيَّ بن كعب في المعنى. ولا أجيز قراءة أبي عمرو لخلاف المصحف. وحكى ابن الأنباري عن الفراء قال: «ألف» «هذان» هي ألف «هذا» والنون فرَّقتْ بين الواحد والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَا بِطْرِيقَتِكُمُ ﴾ وقرأ أبان عن عاصم: ﴿ويُدْهِا ﴾ بضم الياء وكسر الهاء. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وأبو رجاء العطاردي: ﴿ويذهبا بالطريقة بألف ولام، مع حذف الكاف والميم. وفي الطريقة قولان: أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: بسُّتِكم ويينكم وما أنتم عليه، يقال: فلان حسن الطريقة. والثاني: بأمثلكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: بأولي العقل، والأشراف، وقال الشعبي: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال الفراء: الطريقة: الرجال الأشراف، تقول العرب للقوم الأشراف: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم. فأما «المثلى» فقال أبو عبيدة: هي تأنيث الأمثل. تقول في الإناث: خذ المثلى منهما، وفي الذكور: خذ الأمثل. وقال الزجاج: ومعنى المثلى والأمثل: ذو الفضل الذي به يستحق أن يقال: هذا أمثل قومه؛ قال: والذي عندي أن في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهبا بأهل طريقة كم المثلى، وقول العرب: هذا طريقة قومه، أي: صاحب طريقتهم.

قوله تعالى: ﴿ اَ عَنْدَكُمُ ﴾ قرأ الأكثرون: «فأجبعوا» بقطع الألف من «أجمعت». والمعنى: ليكن عزمكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمرُكم. قال الفراء: والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت على الخروج، وأجمعت الخروج، وأجمعت الخروج، وأجمعت الخروج، وأجمعت الخروج، وأجمعت الخروج، تريد: أزمعت، قال الشاعر:

ياً لَيْتَ شِغْرِي وَالسَّنَى لا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَسَوْماً وأَمْرِي مُخْمَعً (٢)

يريد: قد أحكم وعُزم عليه. وقرأ أبو عمرو: «فاجمَعوا» بفتح الميم من «جمعت»، يريد: لا تَذَعوا من كيدكم شيئًا إلا جثتم به. فأما كيدهم، فالمراد به: سحرهم، ومكرهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ اَنْتُواْ صَفَاً﴾ أي: مُصْطَفِّين مجتمعين، ليكون أنظم لأموركم، وأشدَّ لهيبتكم. قال أبو عبيدة: «صفاً» أي: صفوفاً. وقال أبن قنيبة: «صفاً» بمعنى: جمعاً. قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفاً، كلُّ ألف ساحر صفٌ. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْلِوَمُ مَنِ ٱشْتَعْلَىٰ﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب.

قوله ثعالى: ﴿فَالُواْ يَنُومَنَ إِنَّا أَن تُلَقِى وَإِنَّا أَن نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلَقَىٰ ۞ فَالَ بَلَ أَلْفَأَ فَإِنَا حِبَالُكُمْ وَعِصِيْهُمْ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِن سِخْرِهُمْ أَنَهَ تَتَعَىٰ ۞ فَأَرْجَسَ فِي نَشِيهِ. خِينَةُ شُومَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَغَفَّ إِنَّكَ أَنتَ آلاَعْلَىٰ ۞ وَأَلِنِ مَا فِي يَبِينِكَ لَلْقَفْ مَا صَنَفُواْ إِنَّنَا صَنفُواْ كَيْدُ سَخِيِّ وَلَا يُعْلِحُ ٱلسَّاجِرُ خَيْثُ أَنَى ۞ فَالْقِي ٱلسَّحَوُهُ شَجِّنًا فَالْوَا مَامَنًا بِرَبِّ هَدُونَ وَمُوسَىٰ ۞ فَالَ مَاسَتُمْ لَمُ فَبَلَ أَنْ اللَّمْ إِنَّهُ لَكَجْبِكُمُ الَذِى عَلَمَكُمُ ٱلشِخْرُ فَلَاقَلِمَنَى آلِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلْفِ وَلَأَمْ لِلْهِ النَّذِي وَالْفَلِقُ وَلَانَا أَنْ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْعَلْمُ اللَّهُ اللَّ

الأرض، والشجاع: ضرب من الحيات. ومساغاً: اسم مكان، من ساغ يسوغ: إذا دخل ونفذ. وصمم: عض ونيب فلم يرسل ما عض. والبيت جارٍ
 على لغة بني الحارث بن كعب، ومن لك لفهم. والشاهد فيه أن قوله: (لناباه) منني مجرور اللام، وقد جاء بالألف.

⁽٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء ٤٧٣/١ غير منسوب، وهو في «الطبري» ١٨٣/١٦، و«القرطمي» ٢٢١/١١، و«اللسان»: جمع.

﴿بَلَ ٱلْقُوۡآ﴾ قال ابن الأنباري: دخلت "بل" لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تُؤمِّلتُ وُجِدتُ مشتملة على: إما أن تلقى، وإما أن لا تلقى.

قوله تعالى: ﴿وَعِسِيُّهُمْ﴾ قرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزءا: "وعُصيُّهم، برفع العين.

ثم قال: والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً _أصابه في بلنه _شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء. اهـ.

قال الإمام النووي في قشرح مسلم، ١٤/ ١٤٤: قال المازري رحمه الله: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات حقيقة السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يُتملَّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يُكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوج،، وهذا كله لا حميقة له، وهذا المحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال ـ ثم قال ـ: وقد أنكر بعض المجتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزهم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة، وهذا الذي ادعاء هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتملق بالنبلغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي ثم يبعث بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا

قال النووي: قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: قحتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن ويروى قيخيل إليه - أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء من الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله، ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة، والله أعلم. اه.

وقد نقل نحو كلام الإمام النووي الحافظ ابن حجر في اقتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٨٨/١٠ ثم قال عند قوله تعالى: ﴿ يُمَيِّلُ إِلَّهُ بِن سِخْرِهُمْ أَنَّمَا كَنَى ﴾ ١٠/ ١٩١: هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل، ولا حجة له بها، لأن هذه الآية وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك (أي تخييلاً) ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل. اهـ.

وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٣/١٠: ووقع في موسل عبد الرحمٰن بن كعب عند ابن سعد: فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيُخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله. قال الحافظ: فوقع الشق الأول كما في الحديث الصحيح، (وهو أنه أخبر)، قال: واستدل ابن القصار =

ولعن العاضهة (١)، وهي الساحرة.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ فِي نَقْمِهِ خِيفَةً تُوسَىٰ ﴿ ﴾ قال ابن قتيبة: أضمر في نفسه محوفاً. وقال الزجاج: أصلها «خِوفة» ولكن الواو قبلت ياءً لانكسار ما قبلها. وفي حوفه قولان: أحدهما: أنه حوف الطبع البشري. والثاني: أنه لما رأى سحرهم من جنس ما أراهم في العصا، خاف أن يلتبس على الناس أمره، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿لاَ تَخَفُ إِنَّكَ أَنتَ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالظَّفْر والغَلَبة، وهذا أصح من الأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَلِيّ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ يعني: العصا ﴿تَلْقَفُ ﴾ وقرأ ابن عامر: «تلقّفُ ما» برفع الفاء وتشديد القاف. وروى حفص عن عاصم: اتلقف، خفيفة. وكان ابن كثير يشدّه التاء من «تلقف» يريد: «تتلقف». وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء: «تلقم» بالميم. وقد شرحناها في الاعراف: (١١٧)، ﴿إِنَّا سَتُواْ كِدُ سَحِرٍ ﴾ وقرأ الباقون: «كيد ساحر» بألف، والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «كيد سحر». وقرأ الباقون: «كيد ساحر» بألف، والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، أي: عمل ساحر، وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «إنما صنعوا كيد» بنصب الدال. ﴿وَلَا يُنْلِحُ السَّاحِرُ عَنْ أَلَى اللهُ وروى جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِذَا أَخَلْتُم السَّاحِر فَاقتلوه، ثم قرأ ﴿وَلَا يُنْلِحُ السَّاحِرُ حَنْ أَنَى ﴾ قال: لا يأمن حيث وجده (٢٠).

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَامَنُمٌ لَكُم﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: «آمنتم له» على لفظ الخبر. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «آمنتم له» بهمزة ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أآمنتم له» بهمزتين الثانية ممدودة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكِيْرُكُمْ ﴾ قال ابن عباس: يويد معلَّمكم. قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلَّمه، قال: جثت من عند كبيري.

بأن الذي أصابه من السحر كان من جنس المرض بقوله 奏 في الحديث: «أما أنا فقد شفائي الله». وقال الحافظ: ولم ينقل عنه 奏 في حبر من
 الأحبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به. اهـ.

نقد تبين معاسبة من كلام العلماء أن السحر له حقيقة، وإلا لما أمر الله تعالى بالاستماذة منه في سورة (الفلق) بقوله: ﴿وَين شَكِّ النَّفَيْتُ فِي السُّوحِ فِي السواحِ اللاتي يسحرن ويغثن في العقد كما قال العفسرون، وأنه مرض تسلط على جسده كبقة الأمراض، وقد مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً حتى أغمي عليه، وكان يقول _ كما «الصحيحينة _ : ﴿إِني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، وقد ابتلي في قومه، وقاسى صنوفاً من الأذى. فإن احتج أحد على منع السحر بقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿وَاقَدُ يَسِينُكُ مِنَ النَّابِيّ ﴾ فنه جوابان كما قال المصنف ابن الجوزي رحمه الله أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَلَكَانُ الظَّيْشُونُ إِن تَبْعِيثُ كَ يَن النَّابِيّ ﴾ من أواحر ما نزل بالمدينة. وقد سحر وأوذي قبل نزول هذه الآية. وإن احتج آخر بقوله تعالى: ﴿وَلَكَانُ الظّيْشُونُ إِن تَبْعِهُ مُو الذي فسد عقله مَنْهُونًا ﴾ من أواحر ما نؤل بالمدينة. ومرادهم: من سُحر حتى جن وأصبح زائل المقل لا يعقل ما يقول، فإن المسحور الذي لا يتبع، هو الذي فسد عقله مَنْهُ لا يمنع ذلك من اتباعه، وقولهم: سحر الأنبياء يتنافى مع حماية الله لهم، مردود، فإنه سبحانه وتعالى كما يحميهم ويصونهم يتليهم بعيث لا يدري ما يقوله، في ديفة في درجاتهم، ونيل كرامتهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْلُمُ النَّائِمُ مَنْهُ أَنْكُمُ مَنَاهُ المناساء ونلك رامعةم، وقولهم: المسلمين، من ويضوم عماية المناسعة، ولم يوثره في عقله، وذلك لا يقدح في مقام النبوة والمساسلة، والمسالة، والمالة.

ومن الناس من يحاول أن يرد بعض النصوص الصحيحة _ لقصوو فهمه _ ظنّاً منه أنه بذلك لا ينع مجالاً للطمن في وسالة النبي 義 و الكن العلماء المحققين تلقّوا هذه النصوص بالقبول، ويتنوا وجه الحق فيها بعد علم ودراية، وتمحيص وتحقيق، فعلى المسلم أن يرجع في تفسير النصوص إلى أربابها، والمحققين من أصحابها، مخافة أن تزلّ به القدم، والله تمالى تكفل بحفظ شريعته، ورسالة نبيه، فقال في كتابه: ﴿ إِنّا مَنْنُ تَزْلَا اللّهُ لَا لَهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ وَقِيض لهذا الدين أناساً قال في حقهم وسول الله : المحمل هذا العلم من كل خلف مُدوله، ينفون عنه تحريف الغالبن، وانتحال المبطين، وتأويل الجاهلين، والله تعلى وهو الهادي إلى سواء السيل.

⁾ تقدم ٧٦٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَسَلُوا الشُرَّانَ عِنِينَ ﴿ إِنْ المصنف: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ العن العاضهة والمستفضهة، وهو حديث ضعيف. قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ٩٤: رواه أبو يعلى، وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إستاده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. اهد كلام ابن حجر، ومعنى العاضهة والمستغضهة: الساحرة والمستحسرة.

⁽٢) ذكره ابن كثير ٣/ ١٥٨ من رواية ابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله البجلي، وقال: وقد روى أصله الترمذي موقوفاً ومرفوعاً.

قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِنَكُمْ فِي مُنْكِعِ التَّقَلِ الذِي بمعنى اعلى ، ومثله: ﴿ أَمْ لَمُ سُكَرٌ بَسَيَعُونَ فِي ﴾ [الطور: ٢٨]. ﴿ وَلَتَعَلَّنُ ﴾ أَيُّهَا السحرة ﴿ لَيُّنَا أَشَدُ عَلَا ﴾ لكم ﴿ وَلَبَيْتُ ﴾ أي: أدوم، أنا على إيمانكم، أو ربُّ موسى على تركهم الإيمان به؟ ﴿ قَالُواْ لَن نُوْرُكُ ﴾ أي: لن نختارك ﴿ عَلَى مَا جَاءَنا وَ عِلَى الْبَيْنَ ﴾ يعنون اليد والعصا. فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: ﴿ جَاءَنا وَإِنما جَاءَت عامة لهم ولغيرهم. فالجواب: أنهم لما كانوا بأبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أبين وأرضح، وكانوا هم لمعرفته أخص. وفي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي فَطَرَا أَ ﴾ وجهان ذكرهما الفراء، والزجاج: أحدهما أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا. والثاني: أنه قسم، تقديره: وحقّ الذي فطرنا.

قوله تعالى: ﴿ فَأَفْضِ مَا أَتَ قَاضِ اللهِ أَي: فاصنع ما أنت صانع. وأصل القضاء: عمل بإحكام ﴿ إِنَّمَا نَفْضِ هَذِهِ ٱلْمَيْرَةَ اللَّهُ اللَّهُ قَالَ الفراء: ﴿ إِنْمَا هُ وَاحِد، فلهذا نصب: ﴿ الحياة الدنيا ، ولو قرأ قارئ برفع ﴿ الحياة الجاز ، على أن يجعل اما الله في مذهب ﴿ الذي » كقولك : إن الذي تقضي هذه الحياة الدنيا . وقرأ ابن أبي عبلة ، وأبو المتوكل : ﴿ إِنمَا تُقضى ﴾ بضم التاء على ما لم يُسمَّ فاعله ، ﴿ الحياةُ الرفع التاء . قال المفسرون : والمعنى : إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا ، لا في الآخرة .

قوله تعالى: ﴿ لِيَعْفِرُ لِنَا ﴾ يعنون الشرك ﴿ وَمَا أَكُرهْتَنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيًانا على السحر. فإن قيل: كيف قالوا: أكرهتنا، وقد قالوا: فأإن لنا لأجراً ، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السّحر، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراء على السحر، هو الإكراء على تعلمه في أول الأمر. والثاني: أن السحرة لما شاهدوا موسى بعد قولهم ﴿ أَيِنَّ لَنَا لَأَمْرًا ﴾ ورأوا ذكرَه اللَّه تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على ضعف صناعتهم، فنصد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراء على السحر. والثالث: أنهم خافوا أن يُغلَبوا في ذلك الجمع، فيقدح ذلك في صنعتهم عند الملوك والسُّوق (١٠)، وأكرههم فرعون على فعل السحر. والوابع: أن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السحر، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

ق**وله تعالى: ﴿**زَالَةُ خَيْرُ﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطبع ﴿وَآئِقَيَّ﴾ عقاباً إذا عُصي، وهذا جواب قوله: ﴿ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاً﴾ وَآبَقَيُّ﴾؛ وهذا آخر الإخبار عن السحرة.

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَقَهُ مُحْدِيدًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَمْنِينَ ۞ وَمَن يَأْتِهِ. مُؤْمِنَا قَدْ عَيِلَ الْصَلِيحَنتِ فَأُولَئِهِكَ لَمَتُمُ الدّرَكِخَتُ ٱلْمُلَى ۞ جَنَّتُ عَدْدٍ تَجْرِى مِن نَفِيْهِا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاتُهُ مَن تَزْكَى ۞﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبِّهُ مُجْرِمًا﴾ يعني: مشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُونُ فِيها﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَمَيَّى﴾ حياة تنفعه. [أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

أَلَا مَنْ لِنَفْسِ لَا تَمُوتُ فَيَنْقَضِي شَامَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمًا (٢)

قوله تعالى: ﴿ فَذَ عَيلَ الْفَيلِكَتِ ﴾ قال ابن عباس: قد أدَّى الفرائض، ﴿ فَأَنْ لِتَهَاكَ لَمُمُ الدَّرَكَتُ الْفُلَ ﴾ يعني: درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض. والعلى، جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «فأولئك»، لأن «مَن» تقع بلفظ التوحيد على تأويل الجمع. فإذا غلب لفظها، وُحِد الراجع إليها، وإذا بُيِّن تأويلها، جُمع المصروف إليها.

⁽١) السُّوَق: جمع موقة، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك، ومن لم يكن ذا سلطان.

 ⁽٢) ما بين المعقفين زيادة من النسخة الإستنبولية، والبيت في «القرطبي» ٢٢٧/١١. و«اللسان»: طعم.

قوله تعالى: ﴿وَذَالِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَّاهُ مَن نَزَّقَ﴾ أي: تطهَّر من الكفر والمعاصي.

﴿ وَلَقَدْ أَرْحَيْنَاۚ إِلَى مُومَىٰ أَنْ أَسَرٍ بِهِبَادِى فَأَصْرِبْ لَمُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ بَبَسَا لَا غَنْكُ دَرَّا وَلَا تَخْنَىٰ ۞ فَأَنْبَكُمْ وَمَا هَدَىٰ ۞ يَبَنِىۤ إِسْرَهِ لَلَ قَدْ أَلْجَنْكُمْ مِنْ مَدُوْكُو وَرَعْدَنْكُو بَلِبَ ٱللَّمْرِ ٱلْأَيْمَانَ وَنَزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَ وَالسَّلُونُ ۞ كُلُواْ مِن طَبِّيَنتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَلْمَنَواْ فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ فَامَنِيٌّ وَمَن يَقِلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۞ وَإِلَى لَشَئَادٌ لِيَن تَابَ وَمَامَنَ وَجِلَ صَلِيمًا ثُمَّ اَهْتَدَىٰ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي: سِوْ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَآضْرِتْ لَمُمْ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقاً ﴿فِي الْبَحْرِ بَسَا ﴾ قرأ أبو المتوكل، والحسن، والنخعي، «يَبْساً» بإسكان الباء. وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وابن السميفع: «يابساً» بألف. قال أبو عبيدة: اليبس، متحرك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاة يبس، أي: يابسة ليس لها لبن. وقال ابن قتية: يقال لليابس: يَبَس، ويَبْس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَنُّ وَأَ الأكثرون بألف. وقرأ أبان، وحمزة عن عاصم: ﴿لا تخفُ، قال الزجاج: من قرأ ﴿لا تخف على المعنى: لست تخاف، ومن قرأ ﴿لا تخف، فهو نهي عن الخوف. قال الفراء: قرأ حمزة: ﴿لا تخف، بالجزم، ورفع ﴿ولا تخش، على الاستثناف، كقوله تعالى: ﴿يُولُوكُمُ الأَذْبَارُ ثُمَّ لا يُعَمُّونَ ﴾ [آل عمران: ٢١١] استأنف بالمجزم، ولو نوى حمزة بقوله: ﴿ولا تخش، الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صواباً. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿وَرُكُا ﴾ لحاقاً. قال المفسرون: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركنا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا غَنَكُ دَرّاً ﴾ أي: من فرعون ﴿ولَا يَخْشَىٰ عُولًا غَنْكُ مُراً ﴾ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْبَكُمْ فِرْعُونُ ﴾ قال ابن قتيبة: لحقهم، وروى هارون عن أبي عمرو: «فاتبعهم» بالتشديد، وقال الزجاج: تبع الرجل الشيء، وأتبعه، بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد، ففيه دليل على أنه أتبعهم ومعه الجنود. ومن قرأ «فأتبعهم»، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائز أن لا يكون، إلا أنه قد كان معهم. ﴿ فَغَشِيّهُمْ مِن الْمُهُمُ اللهُ فَي مَا غَشِيهُم اللهُ اللهُ لم يغشهم كل مائه. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فغشًاهم من اليم ما غشًاهم» بألف فيهما مع تشديد الشين وحذف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَ فِرْعَرَنُ فَرَمَرُ ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴾ أي: [ما] أرشدهم حين أوردهم موارد الهلكة. وهذا تكذيب له في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُرُ إِلَّا سَيِلُ ٱلرَّشَادِ ﴾ إغاز: ٢٩].

قوله تعالَى: ﴿وَوَعَنْنَكُرُ جَانِبَ ٱللَّمُورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لأخذ التوراة. وقد ذكرنا في [مريم: ٥٢] معنى: «الأيمن»، وذكرنا في [البقرة: ٥٠] «المن والسلوى».

[قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا].

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَطْنَزا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تبطروا في نعمي [فتظلموا]. والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين. والثالث: لا تدَّخروا منه لأكثر من يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلُ عَنَكُرُ عَسَمِيٌّ أَي: فتجب لكم عقوبتي. والجمهور قرؤوا "فيحِل" بكسر الحاء ﴿وَمَن يَمُلِلّ بكسر اللام. وقرأ الكسائي: "فيحُل" بضم الحاء "ومن يَحْلُلْ" بضم اللام. قال الفراء: والكسر أحب إليَّ، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، و(يحل" بالكسر، يجب، وجاء التفسير بالوجوب، لا بالوقوع.

قوله تعالى: ﴿ فَتَدُّ هَوَىٰ ﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَنَفَارُ ﴾ الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أُخرى، فكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته، وأصل الغفر: الستار لذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفه.

قوله تعالى: ﴿ لِنَن تَابَ ﴾ قال ابن عباس: لمن تاب من الشرك ﴿ وَالنَّهُ أَي: وحَّد الله وصدَّقه، ﴿ وَعَيلَ صَليحًا ﴾

أدًى الفرائض. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اَهْتَكَنْ﴾ ثهانية أقوال: أحدها: علم أن لعمله هذا ثواباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لم يشكّك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله [له]، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لزم السنة والجماعة، قاله سعيد بن جبير. والمخامس: استقام، قاله الضحاك. والسادس: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة. والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم. والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النبي ﷺ، قاله ثابت البناني.

قوله تعالى: ﴿ فَ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَرْمِكَ يَسُوسَىٰ ﴿ قَالَ المفسرون: لما نجّى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله [إليه يَعِدُهُ] أنه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلّمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، فعَجِل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاقه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك، ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاهِ ﴾ أي: هؤلاء ﴿ قَالَ أَرِي وَالله وَ وَمَلُ الله وَ وَمَلُ الله وَ وَمَا الله وَ عَلَى العجلة عن قومك، ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاهِ ﴾ أي: هؤلاء ﴿ قَالَ الله وَ وَمَا المعتوى وعاصم المجحدري: ﴿ على إثري» بكسر الهمزة وسكون الثاء. وقرأ أبو رجاء، وأبو العالية: بفتح الهمزة وسكون الثاء. والمعنى: هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿ وَعَمِلتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْفَى ﴾ أي: لتزداد رضى، ﴿ قَالَ فَإِنّا فَدْ فَتَنّا قَوْمَكَ ﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ أي: من بعد انطلاقك من بينهم ﴿ وَأَشَلَهُمُ ۚ السَّامِرِيُّ ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «وأضلُّهم» برفع اللام. وقد شرحنا في [البقرة: ٤٥٦ سبب اتخاذ السامري العجل، وشرحنا في [الاعراف: ١٥٥] معنى قوله تعالى: ﴿ عَفْبُنُنَ أَسِفًا ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَبِذَكُمْ رَبُكُمْ رَقِدًا حَسَنَا﴾ أي: صدقاً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: إعطاء التوراة. والثاني: قوله: ﴿لَيِنْ أَتَمْتُمُ ٱلصَّكَاوَةَ﴾ إلى قوله: ﴿ لَأَكَفِرَنَّ عَنكُمْ سَيِّتَاتِكُمْ . . .﴾ الآية. [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِنِي لَنَفَادُ لِمَن تَابَ﴾ [مه: ١٨]. والثالث: النصر والظَّفَر.

قوله تعالى: ﴿أَنْطَالُ عَلَيْكُمُ ٱلْمَهْدُ﴾ أي: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرُدَتُمْ أَن يُحِلَّ عَضَبُّ مِن رَّيِكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فَأَخَلْتُمُ مَّرْعِيى﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنه إن فكهم الله من مَلَكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، ويقيموا الصلاة، وينصروا الله ورسله. ﴿قَالُواْ مَا أَخْلَفْنا مَرْعِدُكَ بِمَلْكِنا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بكسر الميم، وقرأ نافع، وعاصم: بفتح الميم، وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الميم، قال أبو علي: وهذه لغات. وقال الزجاج: المُلك، بالضم: السلطان والقدرة. والمِلْك، بالكسر: ما حوته اليد، والمَلْك، بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما كنا نملك الذي اتُخذ منه العجلُ، ولكنها كانت زينة آل فرعون، فقذفناها، قاله ابن عباس. والثاني: بطاقينا، قاله قتادة، والسدي. والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البليَّة، قاله ابن زيد. والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماوردي. فيخرَّج فيمن قال هذا لموسى قولان: أحدهما: أنهم الذين لم يعبُدوا العجل، والثاني: عابدوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِمُنَا حُيِلَنَا أَوْزَارًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: الحُمِّلُنا) بضم الحاء وتشديد الميم. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: الحملنا) خفيفة. والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حلي آل فرعون الذي كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر. فمن قرأ احُمِّلنا) بالتشديد،

فالمعنى: حَمَّلُنا[ها] موسى، أَمَرَنا باستعارتها من آل فرعون، ﴿فَقَلَـفَنَهَا﴾ أي: طرحناها في الحفيرة. وقد ذكرنا سبب قذفهم إياها في سورة البنرة: ٢٥٦.

قوله تعالى: ﴿ فَكَنَالِكَ أَلْقَى السَّامِيُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ألقى حلياً كما ألقَوًا. والثاني: ألقى ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل. وقد سبق شرح القصة في [البقرة: ٥٦]، وذكرنا في [الإعراف: ١٤٨] معنى قوله تعالى: ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوادُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا هَنَا إِلَهُ كُمْ هَذَا قُولُ السَّامِرِي وَمِنْ وَافْقَهُ مِنَ الَّذِينَ افْتُتِّنُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَدِى﴾ في المشار إليه بالنسيان قولان: أحدهما: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: فنسي موسى الطريق إلى ربه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: فنسي موسى إلهه عندكم، وخالفه في طريق آخر، قاله قتادة. والثاني: أنه السامري، والمعنى: فنسي السامري إيمائه وإسلامه، قاله ابن عباس. وقال مكحول: فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين. وقيل: فنسي أن العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَلَيْنَ﴾ من إخبار الله من السامري. وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان: أحدهما: أنه المسامري. والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يُرُونَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أفلا يرون أنه لا يرجع ﴿ إِلَيْهِمْ فَوْلاً﴾

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَمُتُمْ هَرُونُ مِن قَبْلُ يَكَوْرِ إِنْمَا فُيَنتُدَ بِيدٌ وَإِنَّ رَبُّكُمُ الرَّمَانُ فَالْمِيمُونِ وَلَيْلِيمُوّا أَشْرِي ۞ قَالُوا لَن نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِكِدِينَ حَقَّ يَرْجَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ بَهَدُونُ مَا مَنْعَكَ إِذْ وَلَيْهُمْ صَلُّواً ۞ اللّا تَشْيَمَرِ ۖ أَفْسَمَيْتَ أَشْرِي ۞ قَالَ يَبْنَدُقُمْ لَا تَأْخُذُ بِلِمِنْتِي وَلا بِرَاحِقُ إِنِ خَشِيثُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْسَرَى بِلَ وَلَيْنَ مِنْ فَرْفِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَمُمْ مَرُونُ مِن فَبُلُ ﴾ أي: من قبل أن ياتي موسى ﴿ يَقَوْمِ إِنَّا فُرِنَهُ إِنَّ ابتليتم ﴿ وَإِنَّ لَبَيْحُ الْبَعْبُ الْمَعْبُ الله العجل، ﴿ قَالُواْ لَن نَبْحَ عَلَيْهِ عَكِمِيْنِ ﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادة العجل ﴿ حَتَى يَبِيمَ إِلَيّا مُوسَى ﴾ فلما رجع موسى ﴿ قَالَ يَعْبُونُ مَا مَمَّكَ إِذْ نَلِيّهُمْ صَلُواً ﴿ فَلَى عَبِدَةِ العجل ﴿ أَلَّا تَبَعَنِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «ألا تتبعني بباء في الوصل ساكنة، ويقف ابن كثير بالياء، وأبو عمرو بغير ياء. وروى إسماعيل بن جعفر عن نافع: «ألا تتبعني أفعصيت ابياء منصوبة. وروى قالون عن نافع مثل أبي عمرو سواء. وقر أعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بغير ياء في الوصل، والوقف. والمعنى: ما منعك من اتباعي. و الا علمة زائدة. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقهم. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن تناجزهم القتال، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في الإنكار عليهم، قال مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنْمَسَيْتَ أَمْرِى﴾ وهو قوله في وصيته إياه: ﴿ آخَلْنَنِى فِى فَرْى وَأَسْلِحْ﴾ قال المفسرون: ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه. وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في [الأعراف: ١٥٠] فاكتُفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى «يا ابن أم، واختلاف القراء فيها.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا بِرَأْمِيٌّ ﴾ أي: بشعر رأسي. وهذا الغضب كان لله ﷺ، لا لنفسه، لأنه وقع في نفسه أن هارون عصى الله بترك اتّباع موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتُهم واتبعتك ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقَتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَه بِلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: باتباعي إياك ومن معي من المؤمنين. والثاني: بقتالي لبعضهم ببعض. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ مَرْفُ فَوْلِ﴾ قولان: أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿ اَتَمَالُتُنِي فِي فَرَى وَأَسْلِمْ ﴾. والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَمِرِئُ ۞ قَالَ بَمُنْرَثُ بِمَا لَمْ يَجْمُرُوا بِهِمْ فَقَبَضْتُ قَنْفَتُ فِنْ أَشُرِ ٱلرَّسُولِ فَسَبَدْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّكَ لِى نَفْسِى ۞ فَكَالَ فَاذْهَبَ فَإِكَ لَكَ فِى ٱلْخَيْوَةِ أَنْ تَقُولُ لَا مِسَاشُّ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا أَن غُلْفَتُمْ وَانظُرْ إِلَىّ إِلَيْهِكَ ٱلَّذِى ظَلْكَ عَلَيْهِ عَلِكُمَّا لَنُعْرِقِنَتُمْ ثُمَّ لَنَسِفَنَـمُ فِى ٱلْبَيْرِ نَسْفًا ۞ إِنْكَمَا إِلَيْهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلذِى لاَ إِلَهُ إِلَّا مُؤْ وَسِعَ كُلِّ فَنْءٍ عِلْنَا ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَسَمِرِئُ ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟! قال ابن الأنباري: وبعض اللغويين يقول: الخطب مشتق من الخطاب. المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟! واختلفوا في اسم السامري على قولين: أحدهما: موسى أيضاً، قاله وهب بن منيه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى (سامرة)، قاله قتادة. وفي بلده قولان: أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير، والثاني: باجرما، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿بَمُرْتُ بِمَا لَمْ يَبَمُرُوا بِدِبه وقرأ حمزة والكسائي: «تبصروا»، بالتاء. فعلى قراءة الجمهور أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءة خاطب الجميع. قال أبو عبيدة: علمت ما لم تعلموا. قال: وقوم يقولون: بصرت، وأبصرت سواء، بمنزلة أسرعت، وسَرُعت، وقال الزجاج: يقال: بصرُ الرجل يبصُر: إهذا صار عليماً بالشيء، وأبصر يبصر: إذا نظر. قال المفسرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس، فألقي في نفسي: أن اقبض من أثرها ﴿ فَنَضَتُ مُنَصَّتُهُ ، وقرأ أبئ بن كعب، والحسن، ومعاذ القارئ: «قبصة» بالصاد. وقال الفراء: والقبض بالكف كلّها، والقبصة ـ بالصاد ـ بأطراف الأصابع، قال ابن قتية: ومثل هذا: الخضم بالفم كله، والقضم بأطراف الأسنان، والنفخ أكثر من النضج، والرجز: العذاب، والرجس: النتن، والهلاس في البدن، والسلاس في العقل، والغلط في الكلام، والغلت في الحساب، والخصر: الذي يجد البرد، والخرص: الذي يجد البرد، والجوع، والنار الخامدة: التي قد سكن لَهبَها ولم يطفأ جمرها، والهامدة: التي طفئت فذهبت البَّة، والشُّكد: العطاء ابتداء، فإن كان جزاءً فهو شُكم، والمائح: الذي يدخل فيملاً الدلو، والماتح: الذي ينزعها.

قوله تعالى: ﴿ فَنَبَلْتُهَا ﴾ أي: فقذفتها في العجل. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: "فنبذتها الإدغام ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي: وكما حدثتك ﴿ سَوَّلَتَ لِى نَفْيِى ﴾ أي: زيَّنتْ لي ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ أَنْهَبُ ﴾ أي: من بيننا ﴿ فَإِنَ لَكَ الْمَوْرَ لَا يَسَالُ ﴾ أي: لا أمسُّ ولا أمسُّ، فصار السامريُّ يهيم في البريَّة مع الوحش والسباع، لا يمسَّ أحداً، ولا يَمَسُّه أحدً، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: "لا مساس، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التفسير، بأرض الشام يقولون ذلك، وحكى أنه إن مس واحدً من غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحمَّى في الحال.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَرْعِدًا ﴾ أي: لعذابك يوم القيامة ﴿ لَّن غُنَلَهُ أَي: لن يتأخر عنك. ومن كسر لام اتخلف ا أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَّ إِلَهِكَ عِنْي: العجل ﴿ الَّذِى ظَلْتَ كَا ابن عباس: معناه: أقمت عليه، وقال الفراء: معنى «ظلت»؛ فعلته نهاراً، وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «ظُلت» برفع الظاء، وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والأعمش، وابن أبي عبلة: ﴿ ظِلت بكسر الظاء، وقال الزجاج: «طُلت و وظلت بفتح الظاء، وكسرها، فمن فتح، فالأصل فيه: «ظللت» ولكن اللام حذفت لقل التضعيف والكسر، ويقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ: ﴿ ظِلت بالكسر، حوَّل كسرة اللام على الظاء، ومعنى ﴿ وَاكِنَا لَهُ مقيماً ، ﴿ لَتُحْرِقَنَهُ وَرَا الجمهور: «لنحرقته بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء، وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وابن يعمر: «لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء ورفع الراء مخففة. قال الزجاج: إذا شدد، فالمعنى: نحرقه مزة بعد مرة. وتأويل وانحرقته ؛ لنبردنه، يقال: حرقت أحرق وأخرِق: إذا بردت الشيء. والنسف: التقرية، وجاء في التفسير: أن مؤسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم، الأنه كان قد صار لحما ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿ إِلَكُمَا إِللهُكُمُ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ الَّذِي لَا لَهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى الله علمه كل شيء.

﴿ كَذَلِكَ نَفْشُ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَآهِ مَا قَدْ سَبَقُّ وَقَدْ مَالَيْنَكَ مِن لَدُنَّا ذِحْرًا ۞ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَتْمِلُ بَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وِنَظُ ۞ خَلِينَ

هِيِّ وَسَلَةَ لَمُمْ يَوْمَ الْفِينَمَةِ خِلَا ۞ يَوْمَ يُفَخُ فِي الشَّرِوْ وَخَشْرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْتَهِذِ ذُرَةً ۞ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لِمِنْتُمْ إِلَّا عَفْرَا ۞ فَحَنُ أَظَمُّ بِمَا يَغُولُونَ إِذْ يَغُولُ آمَنُلُهُمْ طَهِمَةً إِن لِمِثْتُمْ إِنْ لِمُثَمِّرُ إِلَّا يَوْمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَتْشُ عَلَيْكَ ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿ يِن أَنْبُهَ مَا قَدَ سَبَقُ ﴾ أي: من أخبار من مضى، والذَّكُر هاهنا: القرآن ﴿ تَنْ أَعْرَضَ عَنهُ ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿ إِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِينَدَةِ ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري: ﴿ يُحَمَّلُ بوفع الياء وفتح الحاء وتشديد الميم، ﴿ وَزَلَ ﴾ أي: إثما ﴿ خَيْلِينَ فِيدٌ ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿ وَسَاتَهُ لَمْ ﴾ قال الزجاج: المعنى: وساء الوزر لهم يوم القيامة ﴿ حَدْلًا ﴾، و(حملا) منصوب على التمييز.

قوله تعالى: ﴿ يَهُمَّ يُنفَخُ فِي الشُّورُ ﴾ قرأ أبو عمرو: «ننفخ» بالنون، وقرأ الباقون من السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لم يسم فاعله. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم ينفخ» بياء مفتوحة ورفع الفاء، وقد سبق بيانه. ﴿ وَيَغْنُرُ الْمُجْرِينَ ﴾ وقرأ أبيُ بن كعب، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرّف: «ويحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين. وقرأ ابن مسعود، والحسن، وأبو عمران: «ويحشر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المجرمون» بالواو. قال المفسرون: والمراد بالمجرمين: المشركون. ﴿ يَوْمَ لِمُ زُرَقًا ﴾ وفيه قولان: أحدهما: عُمياً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن قتيبة: بيض العيون من العمى، قد ذهب السواد، والناظر. والثاني: رُرق العيون من شدة العطش، قاله الزهري. والمراد: أنه يشوّه خَلْقَهم بسواد الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿ يَتَخَنفَتُونَ يَنْتُمُ ﴾ أي: يسار بعضهم بعضاً ﴿ إِنْ لِمَثْتُ ﴾ أي: ما لبثتم إلا عشر ليال. وهذا على طريق التقليل، لا على وجه التحديد. وفي مرادهم بمكان هذا اللبث قولان: أحدهما: القبور. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم عَنوا طول ما لبثوا فيها، روى أبو صالح عن ابن عباس: إن لبثتم بعد الموت إلا عشراً. والثاني: ما بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإنه يخفف عنهم العذاب حيئنذ، فيستقلُّون مدة لبثهم لهول ما يعاينون، حكاه على بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: أنهم عَنوا لبثهم في الدنيا، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَشَلُهُمْ طَرِيقَةٌ﴾ أي: أعقلهم، وأعدلهم قولاً ﴿إِن لِّبَتْتُدْ إِلَّا يَوْمَا﴾ فنسي القوم مقدار لبثهم لهول ما عاينوا.

﴿ وَاسْتَأْوَلَكُ مَن لِلْبَالِ فَقُلْ يَسِفُهَا رَقِى نَسْفًا ﴿ فَيَكَرُهُا قَامًا صَفْصَفُنا ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَيَهَا وَلَا أَيْتُنَا ﴿ يَوْمَهِلْ بَلْمُونَ لَلْمَاعِنَ لَا يَسْتُمُ لِلْا مَسْتُمُ لِلَا مَسْتُمُ لِللَّا فَيْ وَمَنْ الْفَيْوَاتُ وَلَا مُنْ الْمُلْعُلِمُ وَلَا يَعْمِلُونَ بِهِ عِلْمَا ﴿ وَمَنْ اللّهِ اللّهُ وَلَا لَمُنْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا مَضْمًا ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْ إِلْنَاكُومُ لِلْمَا مَنْ اللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَا لِللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ اللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ اللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ اللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ اللّهُ وَلَا مِنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا مِنْ اللّهُ وَلَا مُنْ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿رَبَسَنُونَكَ عَنِ لَلِمَبَالِ﴾ سبب نزولها أن رجالاً من ثقيف أتوا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا محمد! كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس(١٠).

قوله تعالى: ﴿فَقُلُ يَسِعُهَا رَقِى نَشْفًا﴾ قال المفسرون: النسف: التذرية. والمعنى: يصيِّرها رِمالاً تسيل سيلاً، ثم يصيِّرها كالصوف المنفوش، تطيِّرها الرياح فتستأصلها ﴿فَيَنَرُهَا﴾ أي: يدَع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال ابن قتية: القاع من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء، والصفصف: المستوي أيضاً، يريد: أنه لا نبت فيها.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِرَجًا وَلَا آمْتُنا ﴿ فِي ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالجوَج: الأودية، ويالأمْت: الرَّوابي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: العِوَج: الانخفاض، والأمْت، الارتفاع، وهذا مذهب الحسن. وقال ابن قتيبة: الأمْت: النَّبك. والثاني: أن العِوَج: المَيْل، والأمْت: الأَبْر مثل الشِّراك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن العِوَج: الصدع، والأمْت، الأكمة.

⁽١) ذكره السيوطي في «الدر، ٣٠٧/٤ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فترلت: ﴿وَهَمَـٰتُولُكُ مَن لِلْبَالِ ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَهِلِ يَلِّبِعُونَ ٱللَّامِیَ﴾ قال الفراء: أي: يتَّبعون صوت الداعي للحشر، لا عِوَج لهم عن دعائه: لا يقدرون أن لا يتَّبعوا.

قوله تعالى: ﴿وَخَشَمَتِ اَلْأَصَوَاتُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلاَ تَسْمُعُ إِلّا هَسَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وظء الأقدام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد في رواية، واختاره الفراء، والزجاج. والثاني: تحريك الشفاه بغير نطق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهد. وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي.

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَمَيْدِ لَا نَنَفُمُ الشَّفَعَةُ ﴾ يعني: لا تنفع أحداً ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحَنُ ﴾ أي: إلا شفاعة من أذِن له الرحمٰن، أي: أذِن أن يُشْفَع له، ﴿ وَرَضِى لَمُ قَوْلَا ﴾ أي: ورضي للمشفوع فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا من أهل: «لا إله إلا الله». ﴿ وَمَنْهُمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتَّبعون الداعي. وقد شرحنا هذه الآية في سورة [البقرة: ٢٥٥]. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ آيَدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوَبُحُوهُ﴾ قال الزجاج: ﴿عَنَتْ، في اللغة: خضعت، يقال: عنا يعنو: إذا خضع، ومنه قيل: أُخِدْتُ البلاد عَنْوَةً: إذا أُخذَتْ غَلَبة، وأُخذَتْ بخضوع من أهلها. والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة، إلا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفين والرُّكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود. وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿ ٱلْمَنَّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابن عباس: خَسَرِ من أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَمْمَلُ مِنَ الشَّلِخَنتِ وَهُوَ مُتْوِيثٌ﴾ «مِنْ» هاهنًا للجنس. وإنما شرط الإيمان، لأن غير المؤمن لا يُقبَل عملُه، ولا يكون صالحًا، ﴿فَلَا يَخَالُ﴾ أي: فهو لا يخاف. وقرأ ابن كثير: "فلا يَخَفْ، على النهي.

قوله تعالى: ﴿ عُلْمًا وَلا هَضَمًا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يخاف أن يُظلَم فيُزاد في سيِّناته، ولا أن يُهضم من حسناته، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا يخاف أن يُظلَم فيزاد من ذَنْب غيره، ولا أن يُهضم من حسناته، قاله قتادة. والثالث: أن لا يخاف أن يؤاخَذ بما لم يعمل، ولا يُنتقص من عمله الصالح، قاله الضحاك. والرابع: لا يخاف أن لا يُجزَى بعمله، ولا أن يُنقَص من حَقِّه، قاله ابن زيد. قال اللغويون: الهضم؛ النَّقْص، تقول العرب: هضمتُ لك من حَقِّي، أي: حَطَظتُ، ومنه: فلان هضيم الكَشْحَيْن، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيء يهضم الطعام، أي: ينقص ثِقْله، وفرق بعض المفسرين بين الظَّلم والهَضْم، فقال: الظَّلم: منع الحق كلَّه، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلْماً أيضاً.

قُوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَهُ﴾ أي: وكما بيّنًا في هذه السورة، أنزلناه، أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿فَرْيَانًا عَرَبِيّنًا وَصَرَّفْنَا فِيدِ مِنَ ٱلْوَجِيدِ﴾ أي: بيّنًا فيه ضروب الوعيد. قال قتادة: يعنى: وقائعه في الأمم المكذَّبة.

قوله تعالى: ﴿ لَمُلَهُمْ بَنَّقُونَ ﴾ أي: ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن قبلهم ﴿ أَوَ مُحْدِثُ لَمُمْ أَي: يجدد لهم القرآن، وقبل: الوعيد ﴿ وَحَكُرُ أَي: اعتباراً، فيذكّروا به عِقاب الأمم، فيعتبروا. وقرأ ابن مسعود، وعاصم المجحدري: ﴿ وَ نُحْدِثُ اللهُ بنون مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿ فَنَكُلَى اللَّهُ ﴾ أي: جَلَّ عن إلحادِ الملجِدين وقول المشركين في صفاته، ﴿ النَّكِكُ الذي بيده كل شيء، ﴿ الْخَنُّ ﴾ وقد ذكرناه في إيون: ٢٢١.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْجَلُ بِٱلْشُرَهَانِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن جبريل كان يأتي النبيّ ﷺ بالسورة والآي فيتلوها عليه، فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلَّم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(۱). والثاني: أن رجلاً لطم امرأته، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تطلب القصاص، فجعل

⁽١) قال السيوطي في «اللد» ٢٠٩/٤: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قوله: ﴿ وَلَا تَفَجَّلَ بِٱلْفُرْوَانِ مِن فَبَلِ أَن بُغْفَقَ إِلَيْكَ رَهُيُكُم ۖ يقول: لا تعجل حتى نينه لك.

رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فبوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿البِّبَالُ قَرَّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤]، قاله الحسن البصري(١٠).

قوله تعالى: ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحُيْمٌ ﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، ويعقوب: «تَقْضِيّ، بالنون وكسر الضاد وفتح الياء ﴿ وَحُيّه ، بنصب الياء. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه (٢٠) ، هذا على القول الأول. والثاني: لا تُقرئ أصحابك حتى نبيّن لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: زِدْنِي قرآناً (٣)، قاله مقاتل. والثاني: فهماً. والثالث: حفظاً، ذكرهما الثعلبي.

قُولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: مِنْ قبل هؤلاء الله الله الله الله على وقراء على وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿ لَمَلَّهُمْ يَتَقُونَ ﴾ والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عَهِدنا إليه ﴿ فَشَيّى ﴾ وفي هذا النسيان قولان: أحدهما: أنه التّرك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أُمِر به، والثاني: أنه من النسيان الذي يخالف الذّكر، حكاه الماوردي. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: قَنْسَيّ ، برفع النون وتشديد السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ غِيدُ لَمُ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة: توطينُ النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: لم نجد له حفظاً، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أبو به. والثاني: صبراً، قاله قتادة، ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عمّا نُهي عنه. والثالث: حزماً، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزماً في العَرْد إلى الذَّنْب، ذكره الماوردي، وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [البنز: ٢٤] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُمْرِعَنَّمُ مِنَ الْبَنَّةِ فَتَشْقَيَّهُ قال المفسرون: المراد به نَصَب الدُّنيا وتِبها من تكلُف الحرث والزرع والعجن والخَبْز وغير ذلك. قال سعيد بن جبير: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعتمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيًا؛ وإنما لم يقل: فتشقيا، لوجهين: أحلهها: أن ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيًا؛ وإنما لم يقل: فتشقيا، لوجهين: أحلهها: أن آدم هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: ﴿عَنَ ٱلْبَينِ رَعِنَ ٱلنِّالِ قِيدٌ ﴾ إن ١٦]، قاله الفراء. والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسب، كان التعب في حَقَّه أكثر، ذكره الماوردي.

⁽١) ﴿ الطبري؛ ٥٨/٥، وذكره السيوطي في ﴿ اللَّمَا ٤ ٣٠٩ ﴿ وَزَادَ نَسَبَتُهُ إِلَى الْفَرِيابِي، وَابْن المتلَّر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

⁾ قال أبن كثير ٢/ ١٦٧ : وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلَ بِالشَّرَانِ مِن قَبْلٍ أَن يُهُمَّنَ إِنَّكَ وَجَهُمُّ كقوله تعالى في سُورة: (لا أقسم بيوم القيامة): ﴿لاَ تُحْرَقُ بِهِ لِمَاتَكَ لِسَجَلَ بِعِن اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ كَان وثبت في الصحيح عن ابن عباس ﴿ أَن رسول الله ﷺ كان يعالج من الرحي شدة، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله تعالى هله الآية، يعني أنه عليه كان إذا جاء، جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه، فقال: ﴿لاَ تُمْرِيلُ لِيهِ لِمَانَكَ لِمَالِمُ لِيهِ مَا أَن نَبِعِمهُ في صدرك، ثم نقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً، ثم قال: وقال في هذه الأية : ﴿لاَ تَمْ مَالُ وَقَالُ فِي هَذَهُ اللّهُ عَلَيْ فَرَاللّهُ فَي اللّهُ عَلَيْ اللّهُ أَنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْقُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَ

⁽٣) قال ابن كثير ٣/ ١٦٧ : قال ابن عبينة رحمه الله: وليم يزل 義 في زيادة حتى توفاه الله 畿. وقال الألوسي في قروح المعاني؟: واستدل بالآية على فضل العلم حيث أبر 幾 بطلب زيادته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا بَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَشَرَىٰ ﴿ فَهَا أَبِيّ بِن كَعْبِ: ﴿لا تُجاعِ ولا تُعرى بالتاء المضمومة والألف. ﴿وَأَنْكَ لَا تَظْمَوُا ﴾ قرأ أبن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «وأنَّكَ مفتوحة الألف. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وإنَّكَ بكسر الألف. قال أبو علي: من فتح، حمله على أن لك أن لا تجوع، وأن لك أن لا تظمأ، ومن كسر، استأنف.

قوله تعالى: ﴿لَا تَطْمَوُا فِهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمئ الرجل ظَماً، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَقْمَىٰ﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك حَرُّها، لأنه ليس في الجنة شمس.

قوله تعالى: ﴿ هَلَ أَدُلُكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ أي: على شجرةٍ مَنْ أكل منها لم يَمُتْ ﴿ وَمُلْكِ لَا يَبَلَىٰ ﴾ جديده ولا يفنى. وما بعد هذا مفسر في [الأعراف: ٢٢]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَنَوَىٰ قولان: أحدهما: ضلَّ طريق الخلود حيث أراده من قِبَل المعصية. والثاني: فسد عليه عيشه، لأن معنى الغيّ: الفساد. قال ابن الأنباري: وقد غلط بعض المفسرين، فقال: معنى وغوى ا: أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبن أمّه فبشم فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا يقال من البشم: غَوَى يَغْوِي، وإنما يقال: غَوِي يَغْوَى، والثاني: أن قوله تعالى: ﴿ فَلْمَا لَهُ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللهُ عَلَىٰ ولا نقول: آدم عاص وغاو، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقول: هذا خياط، حتى يكون معاوداً لذلك الفعل، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آَبَنْكُ رَبُّمُ﴾ قد بيَّنَا الاجتباء في [الانعام: ٨٠] ﴿نَابَ عَلِيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه للتوبة. ﴿قَالَ آهْبِطَا﴾ في المشار إليهما قولان: أحدهما: آدم وإبليس، قاله مقاتل. والثاني: آدم وحواء، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله تعالى: ﴿بَهْمُكُرِّ لِيَعْنِ عُدُوَّ ﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته، والحية أيضاً (١٠)؛ وقد شرحنا هذا في [البقر: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ فَنَنِ اَتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ أي: رسولي وكتابي ﴿ فَلَا يَضِـلُ وَلَا يَشْمَى ﴾ قال ابن عباس: من قرأ القرآن واتَّبع ما فيه، هذاه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن اتَّبع القرآن أن لا يَضِلُّ في الدنيا ولا يشقى في الاخرة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَغْرَضَ مَن وَحَشَرِى ﴾ قال عطاء: عن موعظتي. وقال ابن السائب: عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتَّبعه. قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَمُ مُعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيَّقة، والضَّنك يوصَف به الأنثى والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيِّق، فهو ضَنك، وأنشد:

وَإِنْ نَسِرَلُ وَا بِسِفَ فَسِانُ سِزِلِ (٢)

وقال الزجاج: الضَّنْك أصله في اللغة: الضيق والشدَّة. وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال: أحدها: أنها عذاب القبر، روى أبو هريرة عن رسول الله على أنه قال: «أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلَّط عليه تسعة وتسعون تِنيناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلَّط عليه تسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي. والثاني: أنه ضغطة القبر حتى القيامة "". وممن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي. والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس، والثالث: شِدَّة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال

⁽١) إِ انظر التعليقِ الذي في الصفحة ٥٦.

 ⁽۲) هذا جزء من عجز بيت لمنترة بن عمرو بن شداد العبسي، وهو في «مجاز القرآن» ۲/ ۳۲، و«الطبري» ۲۱/ ۲۲۰، و«القرطبي» ۲۰۸/۱۱، والمختار الشعر الجاهلي» ۲۸۸/۱۱، والبيت بتمامه:

إِن يُسَلِّمَ قَسُوا أَكَرُرُ وَإِن يُسَشَّلُ مَن كُل شَيْءَ اللَّذِي وَالْأَنشِ فِيه سُواء، ومعيشة صَنْك: صَيِّقة، وفي التنزيل: ﴿ فَإِنَّ لَمُ مَعِيثَةُ صَنَكُ ﴾، وفي «اللسان» مادة «صنك»: الضَّنْكُ: الضيِّق من كل شيء، الذكر والأنثى فيه سُواء، ومعيشة صَنْك: صَيِّقة، وفي التنزيل: ﴿ فَإِنَّ لَمُ مَعِيثَةً صَنَكُ ﴾، أي خير حلال.

⁽٣) قائطبري، ٢٢٨/١٦، وقاسباب النزول؛ للواحدي ١٧٤، وأورده السيوطي في قائده ١٦١/٤، وهو حديث ضعيف، وذكره ابن كثير ١٦٩/٣ وقال: رفعه منكر جداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقُّوم. والرابع: أن المعيشة الضَّنك: كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضَّنك: أن تضيق عيه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها. قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة. والمخامس: أن المعيشة الضَّنك: المال الذي لا يتُقي اللَّه صاحبُه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس. فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال: أحدها: القبر. والثاني: المالي المنيات بهنم. وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَعْشُرُهُ يُوم الْقِيكَةَ أَعْمَى ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن المنيا. والثالث: جهنم. وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَعْشُرُهُ يُوم الْقِيكة أَعْمَى ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم المرهما. وقرأ نافع بين عاصم المسرما. وقرأ نافع بين الكسر والفتح. ثم في هذا العمى للمفسرين قولان: أحدهما: أعمى البصر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي. والثاني: أعمى عن الحُجَّة، قاله مجاهد، وأبو صالح. قال الزجاج: معناه: فلا حُجَّة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حُجَّة بعد الرسل.

قوله تعالى: ﴿ كَذَالِكَ ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿ أَنَتُكَ ءَايَثُنَا نَسِينًا ﴾ أي: فتركتَها ولم تؤمن بها؛ وكما تركتَها في الدنيا تُترَك اليوم في النار. ﴿ وَكَذَالِكَ ﴾ أي: وكما ذكرنا ﴿ بَنْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أي: أشرك ، ﴿ وَلَمَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُ ﴾ من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر ﴿ وَآلِيَنَ ﴾ لأنه يدوم.

﴿ أَفَلَمْ يَهِدِ لَمُمْ كُمُّ أَلِمُكُنَا فَبَلَهُم مِنَ الْقُرُونِ يَشُونَ فِي مَسَكِيمِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَئِتِ لِأَوْلِي النَّعَنِ ﴿ وَلَوَلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن زَيِّكَ لَكَانَ إِذَامًا وَأَجَلُ شُسَكَى ﴾ فَاصْدِر عَلَى مَا يَشُولُونَ وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَئِكَ فَبَلَ طُلُوعِ الشَّمْدِ وَقِبَلَ غُرُومِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ الَّذِلِ فَسَيِّحْ وَأَطْرَافَ النَّمْدِ لَكِنَا مُسَتَّعْ وَأَطْرَافَ النَّمْدِ لَكِنَا مُنْ عُرُومِها وَمِنْ عَلَى مَا يَشُولُونَ وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَئِكَ فَبَلَ طُلُوعِ الشَّمْدِ وَقِبَلَ غُرُومِها وَمِنْ ءَانَآيِ النَّذِ مَنْ وَلِي اللَّهُ مِنْ اللَّهِ فَالْمَالِقُونَ وَسَيَّعْ مِحْمَدِ رَئِيكَ فَبَلَ طُلُوعِ الشَّمْدِ وَقِبْلُ غُرُومِها وَمِنْ ءَانَاكِي النَّذِلُ فَلَا مُنْ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمِنْ عَلَى مَا يَشْوَلُونَ وَسَيِّعْ مِحْمَدِ رَئِيكَ فَبَلَ طُلُوعِ الشَّمْدِ وَقِبْلُ غُرُومِها وَمِنْ ءَانَاكِي النِّذِلِ فَسَتَعْ وَأَطْرَافَ

قوله تعالى: ﴿أَنَاتُمْ يَهْدِ لِمُنْهُ﴾ أي: أفلم يتبيَّن لكفار مكة إذا نظروا آثار مَنْ أهلكْنا مِنَ الأمم؛ وكانت قريش تتَّجر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَشُونَ فِي مَسَكِيمٍمُّ﴾. وروى زيد عن يعقوب: «أفلم نَهْدِ» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتَ مِن زَيِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى القضاء آجالهم ﴿لَكَانَ لِزَامَا﴾ أي: لكان العذاب لزاماً، أي: لازماً لهم. واللَّزام: مصدر وُصف به العذاب. قال الفراء وابن قتية: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ولولا كلمة وأجَل مسمّى لكان لزاماً.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْبِرَ عَلَى مَا يَتُولُونَ ﴾ أمر الله تعالى نبيَّه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: ﴿ وَسَيِّعْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: صلَّ له بالحمد له والثناء عليه ﴿ قَبَلَ مُلْلِع ٱلشَّيْنِ ﴾ : يريد الفجر ﴿ وَقَبَلَ عُرُوبِهَا ﴾ يعني: العصر ﴿ وَمِنْ ءَانَا مِي ٱلنَّاء: الساعات، وقد بيَّنَاها في آل عمران: ١١٣]، ﴿ فَسَيَتْم ﴾ أي: فصلٍ. وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال: أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد. والرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَأَطْرَانَ ٱلنَّهَارِ ﴾ المعنى: وسبِّح أطراف النهار. قال الفراء: إنما هما طَرَفان، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى: ﴿ إِن نَتُوبًا ۚ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ تُلُوبُكُما ﴾ [التحريم: ٤]. وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الظّهر، قاله قتادة؛ فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طَرَف النّصف الأول وطرف النّصف الثاني. والثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد؛ وهذا على أن الفجر في ابتداء الطّرف الأول، والمغرب في انتهاء الطّرف الثاني. والثالث: أنها الفجر والظهر والعصر؛ فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الثاني، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَمَلُكَ تَرْضَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم بضمها. فمن فتح، فالمعنى: لعلَّك ترضى ثواب الله الذي يُعطيك. ومَنْ ضمَّها، ففيه وجهان: أحدهما: لعلَّك ترضى بما تُعطى. والثاني: لعلَّ الله أن يرضاك. ﴿ وَلَا تَمُدَّذَ عَبَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِۦ أَزْوَجُا مِنْهُمْ زَهْرَةَ لَلْمَيْزَةِ ٱلدُّنْبَا لِنفَيْتُهُمْ فِيغٍ وَرِبْقُ رَبِّكِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَوْةِ وَاصْطَيْرِ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْعَلُكَ رِنْفَا ۚ غَنُ زَرُقُكُ وَٱلْعَنِيمَةُ لِلنَّقَوَىٰ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْبَكَ﴾ سبب نزولها، ما روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ، فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً، فقال: قل له: إن رسول الله ﷺ يقول: "بعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب، فأتيته فقلت له ذلك، فقال اليهودي: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: "والله لو باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه، فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا(١٠). قال أبيّ بن كعب: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه حسراتٍ على الدنيا. وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر [الحجر: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿ زَهْرَةَ لَلْمَيْوَةِ الدُّنِيَا﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، والزهري، ويعقوب: ﴿ زَهَرة الهاء. قال الزجاج: وهو منصوب بمعنى «متَّعنا»، لأن معنى «متَّعنا»: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة، ﴿ لِنَفْيَهُمْ نِيدُ ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم. وقال ابن قتبة: لنختبرهم. قال المفسرون: زهرة الدنيا: بهجتها وغضارتها وما يروق الناظر منها عند رؤيته، وهو من زهرة النبات وحسنه.

قوله تعالى: ﴿ وَرِنْكُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْغَى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ثوابه في الآخرة. والثاني: القناعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُ أَمْلُكَ بِٱلصَّلَوْمِ﴾ قال المفسرون: المراد بأهله: قومه ومن كان على دينه، ويدخل في هذا أهل بيته.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَيْرُ عَلَيْماً ﴾ أي: واصبر على الصلاة ﴿لَا نَتَنَكُ رِنَقاً ﴾. أي: لا نكلُفك رزقاً لنفسك ولا لِخَلقنا، إنما نأمرك بالعبادة ورزقُكَ علينا، ﴿وَالْمَنْقِبَةُ لِلنَّقَوَىٰ﴾ أي: وحُسن العاقبة لأهل التقوى. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهلَه خصاصةً قال: قوموا فصلُوا، ثم يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِنَايَةٍ مِن ۚ زَيِّهِۦ أَوْلَمَ تَأْجِم بَيِّنَهُ مَا فِي الشَّحُفِ الْأُولَى ۞ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكُنَهُم مِمَدَابِ مِن قَبْلِهِم لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّجَ ءَايَنِيكَ مِن قَبْلِ أَن نَذِلً وَخَذَرَك ۞ فُلْ كُلُّ مُّنَزَعِكُ فَتَرَعِكُ فَمَرَّعِكُمُ أَمْسَتَعَلَمُونَ مَنْ أَسْحَبُ العِبْرَطِ السِّوِيِّ وَمَنِ اهْتَلَكُ ۞﴾

تُولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿يَايَةِ مِّن رَّيِدٍ ۗ أي: كآيات الأنبياء، نحو الناقة والعصا، ﴿أَرَامُ تَأْتِهِم ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «تأتهم» بالتاء. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائى، وأبو بكر عن عاصم: ﴿يأتهم الله الله .

قوله تعالى: ﴿ يَبِنَهُ مَا فِي اَلشُحُفِ الْأُولَى ﴾ أي: أولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب من أخبار الأمم التي أهلكناها لمّا سألوا الآيات ثم كفروا بها، فما يؤمّنهم أن تكون حالُهم في سؤال الآيات كحال أولئك؟! ﴿ رَلَوْ أَنّا أَهْلَكُنَهُم ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ يعلَابِ مِن تَبْلِير ﴾ في الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله مقاتل. والثاني: إلى الرسول، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿ لَقَالُوا ﴾ يوم القيامة: ﴿ رَبَّنَا لَوْلا ﴾ أي: هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا ﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿ فَنَتَعَ عَايَئِك ﴾ أي: نعمل بمقتضاها ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَذِلَ ﴾ بالعذاب ﴿ وَغَفْرَى ﴾ في جهنم. وقرأ ابن عباس، وابن السميفع، وأبو حاتم عن يعقوب: «نُذُلُ » و أنخزى » برفع النون فيهما، وفتح الذال. ﴿ فُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ كُلُ ﴾ منا ومنكم ﴿ مُتَرَيِّسٌ ﴾ أي: نحن نتربص بكم العذاب في الدنيا، وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿ فَنَرَبَّسُوا ﴾ أي: فانتظروا ﴿ فَسَنَعْلَونَ ﴾ إذا جاء أمر الله ﴿ مَنْ أَمْ حَبُ القِمْ لِل السَّوِي ﴾ أي: الدّين المستقيم ﴿ وَمَنِ آهْتَكَن ﴾ من الضلالة، أنحن، أم أنتم؟ وقيل: هذه منسوخة بآية السيف، وليس بشيء.

* * *

⁽١) «الطبري» ١٦/ ٢٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٣١٢/٤ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبزار، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وأبي نعيم في «المعرفة» عن أبي رافع.

سورة الأنبياء

يسدالق الكلك التجديد

﴿ أَفَتَرَبُ لِلنَّاسِ حِسَائِهُمْ وَهُمْ فِي عَنْسَلَةِ تُمْرِشُونَ ۞ مَا يَأْنِيهِم مِن ذِخْدٍ مِن زَيِهِم تُحَدَّثِ إِلَّا اَسْتَمَوُهُ وَهُمْ يَلْمَبُونَ ۞ لَا يَأْنِيهِم مِن ذِخْدٍ مِن زَيْهِم تُحَدَّثِ إِلَّا اَسْتَمَوُهُ وَهُمْ يَلْمَبُونَ ﴾ لاهِمَةُ مُؤْدُمُهُمْ وَأَسَرُوا النَّجْوَى النَّذِينَ طَلَقُوا هَلَ مَنذَا إِلَّا بَشَكُمْ الْفَوْلُ السَّمَاةِ وَاللَّمْوَتِ وَهُو السَّمِيمُ الْعَلِيمُ ۞ بَلْ قَالُوا أَضَعَتُكُمُ الْمَلْكُ بَلْ فَالُوا أَضْعَتُكُمُ الْمَلْكُ وَمَا اللَّهُمُ بِنَ فَرَيْتُهُ الْفَلْمُ مِن فَرْيَةٍ أَفَلَكُمْ أَفَهُمْ يُومُونَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا فَلَكَ إِلَّا بِهَالًا نُوجِنَ إِلَيْهُمْ مِن فَرْيَةٍ أَفَلَمُ اللَّهُمُ مِن فَرْيَةٍ أَفْلَمُ مِن فَرِيةٍ اللَّهُمْ عَلَى اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ مِن فَرِيّةٍ أَفْلَمُ مِنْ اللَّهُمْ وَمَن اللَّهُمُ وَمِن اللَّهُمُ عَلَيْهُمْ مَسَدًا لَا يَأْحَلُونَ اللَّهُمُ مِن فَرَيْحُ أَفْلَا لَلْهُمْ وَمَا كَافُوا خَلِينَ ۞ ثُمَّ صَدَفَتَهُمُ الْوَعْدَ فَالْجَيْنَهُمْ وَمَن النَّامُ وَمَا كُولُونَ وَاللَّهُمْ فِي اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ مِن فَرَيْحُ إِلَّا فِي مُؤْدِلُ ۞ وَمَا كُولُونَ ۞ ثُمَّ صَدَفَتَهُمُ الْوَعْدَ فَالْجَيْنَهُمْ وَمَن النَّامُ وَلَا مُنْ اللَّهُمُ مِن فَرَيْحُ إِلَيْكُمْ أَفَلَاكُمُ وَلَا اللَّهُمُ عَلَى اللّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُمُ عَلَيْكُمْ وَمَن النَّامُ وَمَا كَافُولُ عَلَالِينَ ۞ ثُمَّ صَدَفَتُهُمُ الْوَعْدَ فَالْجَيْنَامُهُمْ وَمَن لَلْمَالًا عَلَيْكُمُ اللَّهُ مِن اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُمُ مِن اللَّهُمُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف نعلمه.

قوله ﷺ ﴿ أَنْزَبُ ﴾ افتعل، من القُرْب، يقال: قَرُبُ الشيء، واقترب. وهذه الآية نزلت في كفار مكة. وقال الزجاج: اقترب للناس وقت حسابهم، وقيل: اللام في قوله: ﴿ إِنَّابِ لَ بمعنى قَيْنِهِ. والمراد بالحساب: محاسبة الله لهم على أعمالهم، وفي معنى قُرْبِهِ قولان: أحدهما: أنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ. والثاني: الأن الزمان _ لِكثرة ما مضى وقِلَة ما بقي _ قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿ وَمُمْ فِي غَفَلَةِ ﴾ أي: عمَّا يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿ تُمْرِشُرِكِ ﴾ عن التأمَّب له. وقيل: «اقترب للناس» عامًّ، والمغفلة والإعراض خاص في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْنِيهِم مِّن ذِكْوِ مِن رَبِّهِم مُحْدَثٍ ﴾ إلى إنزاله له، لأنه أُنْزِل شيئاً بعد أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس: فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: «مُحْدَثٍ » إلى إنزاله له، لأنه أُنْزِل شيئاً بعد شيء. والثاني: أنه ذِكْر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وقال النقاش: هو ذِكْر من رسول الله، وليس بالقرآن، عبال قوله في سياق الآية: ﴿ مَلْ مَنذَاۤ إِلَّا بَشَرٌ مِنْ المُحْسَن بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱسْتَنْعُوهُ رَكُمْ يَلْمَبُونَ ﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةُ تُلُوبُهُمُ ۚ أَي: غافلةً عما يُراد بهم. قال الزجاج: المعنى: إلا استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبهم؛ ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: اللعبون، وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن أبي عبلة: الاهية، بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴾ أي: تناجَوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بيَّن مَنْ هُم فقال: ﴿ الَّذِي طَلَعُوا ﴾ أي: أَشْركوا بالله. والذين في موضع رفع على البدل من الضمير في الواسَرُّوا ». ثم بيَّن سِرَّهم الذي تناجَوا به فقال: ﴿ مَلْ مَنذَا إِلَّا بَشَرٌ مِنْلُكُمُ مَن الْصَوا » فقال: ﴿ مَلْ مَنذَا إِلَّا بَشَرٌ مِنْلُكُمُ مَن الأضداد.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَأْوُكَ السِّحْرَ﴾ أي: أفتقبلون السحر ﴿وَالتُمْ تَدَلَمُونَ﴾ أنه سِحْر؟! يعنون أن متابعة محمد على متابعة السَّحر. ﴿قُل رَبِّ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: قال ربي ، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: قال ربي ، وكذلك هي في مصاحب الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبي على أنه قال: يعلم القول، أي: لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض، فهو عالم بما أسررتم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال الفراء: رَدَّ بعبل على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأن معناه الإخبار عن الجاحدين، وأعلمَ أن المشركين كانوا قد تحيَّروا في أمر رسول الله على، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به سِحْر، وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في [يوسف: ١٤٤]، وبعضهم وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في [يوسف: ١٤٤]، وبعضهم

يقول: افتراه، أي: اختلقه، ويعضهم يقول: هو شاعر فليأتنا بآية كالناقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إمهال بعدها.

قوله تعالى: ﴿ مَا مَانَتُ قَلَهُم ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ يَن قَرْيَةِ ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أن الأمم التي أهلكت بتكذيب الآيات، لم يؤمنوا بالآيات لمَّا أتتهم، فكيف يؤمن هؤلاء؟! وهذه إشارة إلى أن الآية لا تكون سبباً للإيمان، إلا أن يشاء الله.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مَنَاكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿ هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌّ مِثْلُكُمٌّ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنُوحِي ۚ إِلَيْهِم ﴾ قوأ الأكثرون: «يوحَى» بالياء. وروى حفص عن عاصم: «نُوحي» بالنون. وقد شرحنا هذه الآية في [النمل: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَبَا جَمَلْتُهُم ﴾ يعني الرسل ﴿جَسَدًا ﴾ قال الفراء: لم يقل: أجساداً ، لأنه اسم الجنس، قال مجاهد: وما جعلناهم جسداً ليس فيهم روح . قال ابن قتبة: ما جعلنا الأنبياء قبله أجساداً لا تأكل الطعام ولا تموت فنجعله كذلك . قال المبرد وتعلب جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخباراً ، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جسداً ليأكلوا الطعام.

قوله تعالى: ﴿ مَ مَدَفَنَهُمُ الْوَعَدَ ﴾ يعني: الأنبياء انجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذّبيهم ﴿ وَاللَّهُ مَكَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمِن لَشَاهُ ﴾ وهم الذين صدَّقوهم ﴿ وَالْعَلَتُ النَّهُ مِنِينَ ﴾ يعني: أهل الشُّرك؛ وهذا تخويف لأهل مكة. ثم ذكر منه عليهم بالقرآن فقال: ﴿ لَقَدْ أَزَلْنَا ۚ إِلَيْكُمْ كَيَعَتُنَا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن أبن عباس. والثاني: فيه فينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لِما تلقونه من رَجعة أو عذاب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ أَنَّلَا تَمْقِلُونَ ﴾ ما فضَّلْتُكم به على غيركم.

﴿ وَكُمْ فَسَمْنَا مِن فَرْيَةِ كَانَتْ طَالِمَةً وَأَنشَأَنَا بَعْدَهَا فَوْمًا ۚ مَاخَرِينَ ۞ فَلَنَّآ أَحَشُواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم يَنْهَا يَرُكُشُونَ ۞ لَا تَرْكُشُواْ وَآرَجِعُوٓا إِلَىٰ مَا أَثْرِفُتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَمَلَكُمْ شُتَاتُونَ ۞ قَالُواْ يَنوَلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَلِيهِينَ ۞ فَمَا زَالَت قِلْكَ دَعْوَنِهُمْ حَتَى جَعَلْنَهُمْ حَمِيدًا خَدِيهِنَ ۞ ﴾

ثُمْ حَوَّفهم فقال: ﴿ وَكُمْ قَصَنْنَا ﴾ قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصم: الكسر، وقوله: ﴿ كَانَتْ طَالِمَةُ ﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها ﴿ فَلَنَّا أَحَسُوا بَأْسَنَا ﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسَّة البصر ﴿ إِذَا هُم يِّنَهَا
 رَكُضْتُ الفَرَس: إذا أَغْدَيته بتحريك رجليك فعدا.

قوله تعالى: ﴿ لَا رَكُفُنُوا ﴾ قَال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم؛ ﴿ وَارْجِعُوّا إِلَىٰ مَا أَتُونَمُ فِيهِ ﴾ ، أي: إلى نعمكم التي أترفتُكم، وهذا توبيخ لهم. وفي قوله: ﴿ مَنْكُونَ ﴾ قولان: أحدهما: تُسالون من دنياكم شيئاً ، استهزاءً بهم، قاله قتادة. والثاني: تُسالون عن قتل نبيّكم، قاله ابن السائب. فلما أيقنوا بالعذاب ﴿ قَالُوا يُنَهَلَنَا إِنَّا كُنَا طَلِيبِينَ ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبيّنا. ﴿ فَمَا زَالَت تُلْكَ دَعْونَهُمْ ﴾ ، أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي ﴿ قَالُوا يُنَهَلَنَا إِنَّا كُنَا طُلِيبِينَ ﴾ • قولهم يُردُدونها ﴿ مَنَا لَن مُتَالِهُ مُ حَمِيدًا ﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿ خَلِيدِينَ ﴾ ، أي: ميتين كخمود النار إذا طُلِقِتَ .

قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيُنهُمَا لَيْرِينَ ﴿ ﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيَّتِنا ليعتبر الناس بخَلْقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه، لنجازي أولياءنا، ونعذَّب أعداءنا.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدُنَا آنَ نَنَيْدَ لَمُرًا ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما قالوا: الملائكة بنات الله والألهة بناته، نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن نصارى نجران قالوا: إن عيسى ابن الله فنزلت هذه الآية. قاله مقاتل. وفي المراد باللهو ثلاثة أقوال: أحدها: الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي. قال الزجاج: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهوٍ نُلْهَى به. والثاني: المرأة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: اللعب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ لَا تَخْذَنَهُ مِن لَذُنّا ﴾ قال ابن جريج: لا تَخذنا نساءً أو ولداً من أهل السماء، لا من أهل الأرض. قال ابن قتيبة: وأصل اللهو: الجماع، فكُتِي عنه باللهو، كما كُتِي عنه بالسِّر، والمعنى: لو فعلنا ذلك لا تُخذناه من عندنا، لا تنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره. وفي قوله: ﴿ إِن كُنّا فَعِلِينَ ﴾ قولان: أحدهما: أن إن بمعنى قما ، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنها بمعنى الشرط. قال الزجاج: والمعنى: إن كنا نفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله؛ قال: والقول الأول قول المفسرين، والثاني قول النحويين، وهم يستجيدون القول الأول أيضاً، لأن قال عكون في موضع النفي، إلا أنَّ أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إن كنت لصالحاً، معناه: ما كنت إلَّا صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَل﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنه باطل ﴿ نَقْذِكُ بِلَنْيُ ﴾ أي: نسلّط الحق وهو القرآن ﴿ عَلَى ٱلْبَطِلِ ﴾ وهو كذبهم ﴿ فَيَدْمَنُهُ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب، وهو مقتل ﴿ فَإِنّا هُو زَاهِقُ ﴾ أي: زائل ذاهب. قال المفسرون: والمعنى: إنا نبطل كذبهم بما نبيّن من الحق حتى يضمحل ، ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِنّا نَسِمُونَ ﴾ أي ذائل ذاهب. قال المفسرون: والمعنى: إنا نبطل كذبهم بما نبيّن من الحق حتى يضمحل ، ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِنّا نَسِمُونَ ﴾ أي السَكورت وَالدُّرُونِ ﴾ يعني: هم عبيده ومُلْكه ﴿ وَمَنْ عِندُهُ ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿ وَلَا يَسْتَعْمِرُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا ينقطعون، قاله مجاهد. وقال ابن قتيبة: لا يعيون، والحَسِر: المنقطع الواقف إعياءً وكلالاً. والثالث: لا يملُون، قاله ابن زيد.

توله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ قال قتادة: لا يسأمَون. وسئل كعب: أما يَشْغَلُهم شأن؟ أما تَشْغَلُهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جُعل لهم التسبيح كما جُعل لكم النَّفَسُ، ألستَ تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تتنفس؟! فكذلك جُعل لهم التسبيح. ثم إن الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَمِ أَغَنَدُوا عَلِهَهُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأن أصناهم من الأرض هي، سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة ﴿هُمُ يعني: الآلهة ﴿يُشِرُونَ ﴾ أي: يُحيُون الموتى. وقرأ الحسن: فينشُرون البعاء وضم الشين. وهذا استفهام بمعنى الجحد، والمعنى: ما اتخذوا آلهة تَنشُر ميتاً. ﴿لَوْ كَانَ فِهِما ﴾ يعني: السماء والأرض ﴿عَالِهَ لَهُ يعني: معبودين ﴿إِلّا اللهُ قال الفراء: سوى الله. وقال الزجاج: غير الله.

قوله تعالى: ﴿ لَنَسَدَنّا ﴾ أي: لخربتا وبطلتا وهلك مَن فيهما، لوجود التمانع بين الآلهة، فلا يجري أمر العالَم على النظام، لأن كل أمر صدر عن اثنين فصاعداً لم يَسْلَم من الخلاف.

قوله تعالى: ﴿لاَ يُسْئُلُ عَنَا يَهْمُلُ ﴾ أي: عمًّا يَحْكُم في عباده من هدي وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنه المالك للخلق، والخلق يُسالَون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم. ولمًّا أبطل هُلُو أن يكون إلّه سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَهُ مَنَاكُمُ ﴾ أبطل ذلك من حيث الأمر فقال: ﴿أَيرِ آتَهُ نَدُوا مِن دُونِهِ عَلَى المنفهام إنكار وتوبيخ ﴿ فُلْ كَاتُوا بُهُ مَنَكُمٌ ﴾ على ما تقولون، ﴿ هُلْكَ يَكُرُ مَن مِن عني: القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ وَذِكْرُ مَن مَلِي ﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إلّه سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به. قال الزجاج: قيل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أخبر أمَّته بأن لهم إلهاً غير الله!.

قوله تعالى: ﴿بَلَ أَكْرُهُمُ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَمْلَمُونَ ٱلْحَقُّ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: التوحيد، قاله مقاتل ﴿فَهُم مُعْرِشُونَ ﴾ عن التفكُّر والتأمُّل وما يجب عليهم من الإيمان.

﴿ وَمَا آَرْسَلْمَنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ۚ إِلَّا نُوحِنَ إِلَيْهِ أَلَّمُ لَا إِلَهُ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۞ وَقَالُواْ اَتَّحْمَدُ اَلرَّمَانُ وَلَدَا أَسُبْحَنَمُ بَلَ عِبَادٌ ثَكُرُمُوكِ ۞ لَا يَسْمِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَمُم بِأَمْرِهِ. يَسْمَلُوك ۞ يَسْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَكُمْ وَلَا يَشْفَعُوكَ إِلَّا لِمِن آرْتَسَنَى وَمُم مِنْ خَشْيَتِهِ. مُشْفِقُونَ ۞ ۞ وَمَن بَقُلُ مِنْهُمْ إِنِّتِ إِلَّهُ مِن دُونِهِ. فَذَلِكَ جَزِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ جَزِي الظَّلِمِينَ ۞ ﴾

قوله تعالى: "مِن رَّسُولِ إلَّا يوحى، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "إلا نوحي، بالنون؛ والباقون بالياء.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اَتَّخَذَ الرَّحَنُ وَلِذَا ﴿ فَي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش، قاله ابن عباس. وقال ابن إسحاق: القائل لهذا النضر بن الحارث. والثاني: أنهم اليهود، قالوا: إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة، قاله قتادة. فعلى القولين، المراد بالولد: الملائكة، وكذلك المراد بقوله: ﴿ بَلْ عِبَادُ مُكْرُسُوك ﴾، والمعنى: بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَرِّلِيكِ ، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. وقال ابن قتية: لا يقولون حتى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿ يَشْلَمُ مَا بَيْنَ آيَدِيهِمَ ﴾ أي: ما قدَّموا من الأعمال ﴿ وَمَا خَلْنَهُمُ ۖ هَا هَم عاملون، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ يوم القيامة، وقيل: لا يستغفرون في الدنيا ﴿ إِلَّا لِينَ آرَتَهَىٰ ﴾ أي: لِمَن رضي عنه، ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَدِ ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون. وقال الحسن: يرتعدون. ﴿ وَمَن يَقُل مِنْهُم ﴾ أي: من الملائكة. قال الضحاك في آخرين: هذه خاصة لإبليس، لم يَدْعُ أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه؛ قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا قول من قال: إنه من الملائكة، فإن إبليس قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه إلى الأرض، ومن قال: إنه على وجه التهديد، وما قال أحد من الملائكة ذلك.

﴿ أَوَلَرْ بَرِ الَّذِينَ كَفَرُّوا أَنَّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَقَعَا فَفَنَقَنَهُمَّا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءَ كُلَّ شَيْءٍ حَيُّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِي الْمُؤْمِنَ أَنْ وَهُمْ عَنْ ءَالِيّهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَجَعَلْنَا السَّمَاةَ سَقْفًا تَحْفُوطُ أَ وَهُمْ عَنْ ءَالِيّهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَجَعَلْنَا السَّمَاةَ سَقْفًا تَحْفُوطُ أَ وَهُمْ عَنْ ءَالِيّهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَهُو اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالنّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالنّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿أَوَلَرُ بِرَ اللَّيْنَ كَثَرُوا﴾ أي: أولم يعلموا. وقرأ ابن كثير: «ألم ير الذين كفروا» بغير واو بين الألف واللام، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، ﴿أَنَّ السَّنَوْتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَقَعًا فَفَلَا أَبُو عبيدة: السلموات جمع، والأرض واحدة، فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد؛ والرّثق مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث سواء، ومعنى الرّثق: الذي ليس فيه ثقب. قال الزجاج: المعنى: كانتا ذواتي رَثق، فجعلهما ذوات فتى، وإنما لم يقل: "رَثقَيْنٍ» لأن الرَّق مصدر. وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال: أحدها: أن السلموات كانت رَثقاً لا تُمْطِر، وكانت الأرض رَثقاً لا تُنْبِت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد في رواية، والضحاك في آخرين. والثاني: أن السلموات ولأرض كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة. والثالث: أنَّه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعاً، ومن السماء ست سلموات فصارت سبعاً، رواه السدي عن أشياخه، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن أبي عبلة، وحميد بن قيس: (كلَّ شيء حيّاً) بالنصب. وفي هذا الماء قولان: أحدهما: أنه الماء المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل حيّ، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النَّطفة، قاله أبو العالية.

⁽۱) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلْتِكُودُ لِسَبَهُواْ لِآلَامَ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ وَقَالَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ مِنْ مَارِجُ مِنْ مَارِجُ مِنْ قَالِمُ وَحُلَقَ لَامِ مِما وصف لكم،، وقال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة مين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم ﷺ أصل البشر.

قوله تعالى: ﴿وَيَعَلَّنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ قد فسرناه في [النعل: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَمَلْنَا فِهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿فِهَابُا﴾، قال أبو عبيدة: هي المسالك. قال الزجاج: الفِجَاج جمع فَجّ، وهو كل منخرق بين جبلين، ومعنى ﴿شُبُلاً﴾ طرقا. قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طُرُقاً كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار. قال المفسرون: وقوله: ﴿سبلاً تفسير للفِجَاج، وبيان أن تلك الفِجَاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفَجّ غير نافذ. ﴿وَمَمَلُنَا السَّمَاةَ سَقَفًا﴾ أي: هي للأرض كالسقف. وفي معنى ﴿غَنُوطَا ﴾ قولان: أحدهما: بالنجوم من الشياطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: محفوظاً من الوقوع إلا بإذن الله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كِفار مِكة ﴿عَنْ ءَايْنِهَا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها، قال الفراء: وقرأ مجاهد: •عن آيتها، فوحَّده؛ فجعل السماء بما فيها آية؛ وكلُّ صوابٌ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِي فَلَكِ﴾ قال ابن قتيبة: الفَلَك: مدار النجوم الذي يضمُها، وسمًاه فَلَكاً، لاستدارته، ومنه قيل: فَلْكَة المِغْزَل، وقد فَلكَ ثَدْيُ المرأة، قال أبو سليمان: وقيل: إن الفَلك ـ كهيئة الساقية من ماء ـ مستديرة دون السماء وتحت الأرض، فالأرض وسطها، والشمس والقمروالمنجوم والليل والنهار يجرون في الفَلك، وليس الفَلك يُديرها. ومعنى فيَسْبَحون : يَجْرُون. قال الفراء: لمَّا كانت السَّباحة من أفعال الآدميين، ذُكِرَتْ بالنون، كقوله: ﴿زَائِنُهُمْ لِي سَجِينِكُ إِيسَانَة السَّباحة من أفعال الآدميين، فُكِرَتْ بالنون،

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَمَلُنَا لِيَشَرِ مِن قَبِكَ ٱلْخُلَةُ﴾ سبب نزولها أن ناساً قالوا: إن محمداً لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: ما خلَّدنا قبلكَ أحداً من بني آدم؛ والخُلْد: البقاء الدائم. ﴿أَمْإِينَ مِتَ فَهُمُ ٱلْمُنَالِدُونَ﴾ يعني: مشركي مكة، لانهم قالوا: ﴿نَمْرَتُمُنُ بِدِ رَبِّ ٱلنَّنُونِ﴾ [الملود: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَبَبُلُوكُم بِٱلثَرِّ وَٱلْمَدِّرِ ﴾ قال ابن زيد: نختبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم، ويما تكرهون لننظر كيف صبركم.

قوله تعالى: ﴿وَوَلِيُّنَا يُرْجَعُونَ﴾ [قرأ ابن عامر: «تَرجعون» بتاء مفتوحة. وروى ابن عباس عن أبي عمرو: «يُرجعون»] بياء مضمومة. وقرأ الباقون بتاء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَمَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين، وقال السدي: نزلت في أبي جهل، مَوَّ به رسول الله، فضحك وقال: هذا نَبِيُّ بني عبد مناف. واإن، يمعنى الما، ومعنى ﴿ مُرُواً ﴾ مهزوءاً به ﴿ أَهَاذَا ٱلَّذِي يَدْكُرُ مَالِهَ مَعْنَى أَمَا وَمِعْنَى ﴿ مُرُواً ﴾ مهزوءاً به ﴿ أَهَاذَا ٱلَّذِي يَدْكُرُ مَا الله عَنْ الرَّمَانِ هُمْ كَنْفِرُونَ ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن؛ فكفروا بالرحمٰن.

﴿ كُلِقَ ٱلْإِنْسُنُ مِنْ عَجَلِ سَأَوْرِيكُمْ مَايَتِي فَلَا مَنْتَقَبِلُونِ ۞ وَيَقُولُونَ مَنَى هَذَا ٱلْوَقَلُ إِن كُنتُمْ مَايَقِينَ ۞ لَوْ مَشْلُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُنُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّـارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِدَ وَلَا هُمْ يُصَرُّونَ يَسْتَطِيمُونَ رَدَّمَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِٱلَذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِدِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ غُلِنَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلِ ﴾ وقرأ أبو رزين العُقيلي، ومجاهد، والضحاك: ﴿ خَلَقَ الإنسانَ المفتح الخاء واللام ونصب النون. وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النضر بن الحارث، وهو الذي قال: ﴿ اللَّهَمَ إِن كَاتَ هَذَا هُو الْحَقَ مِنْ عِندِكَ . . ﴾ الآية الانفال: ٢٦]، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: آدم عليه، قاله سعيد بن جبير، والسدي في آخرين. والثالث: أنه اسم جنس، قاله علي بن أحمد النيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه. فأمّا من قال: أُريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه خُلِق عجولاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا

يقول: لما طُبع آدم على هذا المعنى، وُجد في أولاده، وأورثهم المَجَل. والثاني: خُلق بعَجَل، استَعجل بخُلقه قبل غروب الشمس من يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة، قاله مجاهد. فأما من قال: هو اسم جنس، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: خُلِق عَجُولاً؛ قال الزجاج: خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر منه اللعب: إنما خُلقتَ من لَعِب، يريدون المبالغة في وصفه بذلك. والثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، والمعنى: خُلقتِ العجلة في الإنسان، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ مَا أُوْرِيكُمْ مَا يَكِي ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدِّمة؛ والمعنى: إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين، قاله ابن السائب. والثاني: أنها القتل ببدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْتَعْبِأُونِ ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَنَ هَذَا الْوَعَدُ ﴾ يعنون: القيامة. ﴿لَوْ يَمْلُمُ اللَّيْنَ كَنْرُوا ﴾ جوابه محذوف، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّرِ ﴾ أي: لا يدفعون ﴿مَنَ وُجُوهِهُمُ النّارَ ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُعَرُونَ ﴾ أي: يُمنعون مما نزل بهم، ﴿بَلُ تَأْتِيهِم ﴾ يعني: الساعة ﴿بَغْتَ ﴾ فجأة ﴿مَنّبَهُمُمْ ﴾ تحيّرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَهُوتَ اللَّهِى كَفَرُ ﴾ [البترة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيمُونَ رَدَّهَا ﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يُمْهَلُون لتوبة أو معذرة. ثم عزى نبيّه، فقال: ﴿وَلَقَدِ السَّهْزِئَ مِرْسُلِ مِن فَيْلِكِ ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَلَا يَسْتَوْرُوا به. ﴿ فَلَا يَسْتَوْرُوا به.

ُ ﴿ وَنَهُ مَنَ يَكُانُوكُمْ بِالَّيْلِ وَالنَهَارِ مِنَ الرَّمْنِيُّ بَلَ مُمْ عَنَ ذِكْرٍ رَبِهِ مُعْرِشُونَ ﴿ أَدَ هُنَمُ عَالِمَةٌ مَنْعُمُم مِن دُونِتُا لَا يَسْطِيمُونَ نَصْدَ أَنْفُيهِمْ وَلَا هُم يَنَا يُصْحَبُونَ ﴿ بَلَ مَنْعَنَا هَتُؤُلَآهِ وَمَابَآءَهُمْ حَنَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْمُمُثُّ أَلَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْكِ الإَرْمَنَ نَفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَنْهُمُ الْعَلِيُونَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْفِرُونَ ﴾ وَلَا يَسْمَعُ الصَّفُ الصَّفَرُ الدَّعَاةَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ وَلَهِن مَنْحَةً يَنْ مَذَابِ رَبِّكَ لَيْفُولُنَ يَوْيَلِنَا إِنَّا كُنَا طَلِيدِينَ ﴾ مَثَانَ اللهِ يَنْ مَذَابِ رَبِكَ لَيْفُولُنَ يَوْيَلُنَا إِنَّا كُنَا طَلِيدِينَ ﴾ ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصَّفُرُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ فَلْ مَن يَكُلُوكُم ﴾ المعنى: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم من بأس الرحمن إن أراد إنزاله بكم؟ أ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك، ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْ مِن بَهِم أي: عن كلامه ومواعظِه ﴿ تُمْ مُن رُسُونَ ﴾ لا يتفكرُون ولا يعتبرون. ﴿ أَمْ لَمُمْ مَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِن دُونِنا ﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: أم لهم آلهة من دوئنا تمنعهم؟ وهاهنا تم الكلام، ثم وصف آلهتهم بالضعف، فقال: ﴿ لا يَسْتَطِيمُونَ نَصْرَ أَنفُسِهم ﴾ والمعنى: من لا يقدو على نصر نفسه عمّا يُراد به، فكيف ينصُر غيره؟!

قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمْ ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدها: أنهم الكفار، وهو قول ابن عباس، والثاني: أنهم الأصنام، قاله قتادة. وفي معنى ﴿ وَشَحَبُونَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يُجارُون، رواه العوفي عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا يجيرهم منّا أحدٌ، لأن المجير صاحب لجاره. والثاني: يُمنعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: يُنصرون، قاله مجاهد. والرابع: لا يُصخبونَ بخير، قاله قتادة. ثم بين اغترارهم بالإمهال، فقال: ﴿ لَن مُنْتَنَا مُتُوْلَةٍ وَهَ إِلَهُ مُمْ ﴾ يعني أهل مكة ﴿ عَنَى طَلَ عَلَيْهِمُ اللّمُمُ أَلْفَيْلُونَ ﴾ فاغتروا بذلك، ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَا نَا فَ فقال: ﴿ لَن مُنْتَا مُنْوَلِهُمْ أَلْوَلُهُمْ أَلْفَيْلُونَ ﴾ أي: مع هذه الحال، وهنو نقص الأوض، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنّهم المغلوبون. ﴿ قُلْ إِنّما أَيْرُتُ فَيلَغُمُ النّبُرُوكُم ﴾ أي: أخوفكم ﴿ وَالَوَقِيّ ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جنتُ به من تلقاء نفسي، إنما أَيْرتُ فيلّغتُ، ﴿ وَلا يُسْمَعُ ﴾ بضم الياء وفتح الميم «الصّمُ بضم المعمودة والصّمُ الفين المسمودة والصّمُ الذين لا يسمعون نداء مناديهم؛ ووجه التشبيه أن هؤلاء لم يتنفعوا بما سمعوا، كالصُمُ لا يفيدهم صوت الكفار بالصُم الذي مَن مَن المناديهم، ﴿ وَلَهُ فَل ابن عباس: طوف. وقال الزجاج: المراد أدنى شيء من المغاب، ﴿ وَلَيُولُكُ يَوَيُنَا ﴾ والويل ينادي به كلُ من وقع في هلكة.

﴿ وَنَفَهُمُ ٱلْمَوْنِينَ ٱلْفِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْفِيكُمَةِ فَلَا أَفْلَهُمْ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَان مِثْقَالَ حَبَىةٍ مِّنْ خَرَدُلٍ ٱلْفَبْنَا بِهَأَ وَكُفَى بِنَا حَسِيبِ ﴿ ۞ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَضَعُ ٱلْمَوْنِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسط، والقسط: العدل، وهو مصدر يوصف به، يقال: ميزان قسط، وميزانان قسط، وموازين قسط. قال الفراء: القسط من صفة الموازين وإن كان موجّداً، كما تقول: أنتم عدل، وأنتم رضى. وقوله: ﴿ لِيَوْرِ ٱلْقِيكَمَةِ ﴾ والني يوم القيامة اسواء. وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول [الأعراف: ٨]. فإن قيل: إذا كان الميزان واحداً، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سمّيت موازين.

. قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُظْلَمُ نَنَسُّ شَيْعًا ﴾ أي: لا يُتُقَص محسن من إحسانه، ولا يُزاد مسيء على إساءته ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَى إِلَهُ عَلَى معنى: وإن كان مِثْقَالَ حَبَى إِلَهُ عَلَى معنى: وإن كان الطَّلامة مثقال حبة، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُظْلَمُ نَفْسُ شَيْعًا ﴾ . العمل مثقال حبة، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُظْلَمُ نَفْسُ شَيْعًا ﴾ . قال: ومن رفع، أسند الفعل إلى المثقال، كما أسند في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ الثَّالَ مُنْ اللهِ عَلَى المُثَالُ، كما أسند في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ الْفَعِلُ إِلَى المثقال، كما أسند في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ الْفُعِلُ إِلَى المثقال، كما أسند في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ النَّالِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْنَا بِهَا﴾ أي: جتنا بها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد: «آتينا» ممدودة، أي: جازينا بها. قوله تعالى: ﴿ وَكُفِّنَ بِنَا حَسِبِينَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز. والثاني: الحال.

﴿ وَلَقَدْ ءَايَنَنَا مُوسَىٰ وَهَدَرُونَ اَلْفُرْقَانَ وَضِيئَاهُ وَذِكْرًا لِلْمُنْقِينَ ۞ اَلَذِينَ بَخْشَوْتَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ قِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۞ وَهَنَا ذِكْرٌ مُبَارَكُ اَزَلَتَهُ أَفَائَتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿ وَلَنَدُ مَانِيْنَا مُوسَىٰ وَهَدُونَ ٱلنُّرْقَانَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة التي فَرَّق بها بين الحلال والمحرام، قاله مجاهد، وقتادة، والشاني: البرهان الذي فرق به بين حق موسى وياطل فرعون، قاله ابن زيد. والثالث: النصر والنجاة لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ وَنِهِيَا أَهُ وَى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يرى الواو زائدة؛ قال الزجاج: وكذلك قال بعض النحويين أن المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أن الواو لا تُزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿ فِيْهَا هُدُى وَنُونِ المائنة: ٤٤٤. قال المفسرون: والمعنى هم استضاؤوا بالتوراة حتى اهتذوا بها في دينهم، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَزَكْرُ لِلنَّتِيبِ الله المهمور. والثاني: يخشون بما فيه. ﴿ النَّينَ يَخَشُونَ رَبَّهُم بِالْفَبْفِ فيه أربعة أَوِل المعنى قوله تعالى: ﴿ وَزَكْرُ لِلنَّتِيبِ الله المجمهور. والثاني: يخشون عذابه ولم يروه، قاله مقاتل. والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، قاله الزجاج. والوابع: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم إذا كانوا بين الناس، قاله أبو سليمان اللمشقى. ثم عاد إلى ذِكْر القرآن، فقال: ﴿ وَمَدَنَ الله عني القرآن ﴿ فِكُنُ المن تذكّر به، وعظة لمن اتعظ ﴿ الله الخير ﴿ المَانَعُ الله الخير ﴿ المَانَعُ الله الخير ﴿ المَانَعُ الله الخير ﴿ المَانَعُ الله الخير الله المنه الله الخير ﴿ المَانَعُ الله الخير المناه المنه المنه المناه المنه المنه عنه المنه وعظة لمن اتعظ ﴿ الله عنه الله الخير المنه المناه المنه الم

﴿ ﴿ وَلَقَدْ مَالَيْنَا ۚ إِنَّرِهِمَ رُشْدُهُ مِن قَبْلُ وَكُنَا بِهِ. عَلِمِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ. مَا هَذِهِ الشَّائِيلُ الَّتِي أَشُرُ لَمَا عَكِمُونَ ۞ قَالُواْ وَمَدْنَا عَالِمَانَا لَمَا عَبِينِ ۞ قَالُواْ وَمَدْنَا عَالَمَانَا لَمَا عَلِينِ ۞ قَالُواْ وَمَدْنَا عَالَمَانَا لَهُ عَلِينِ ۞ قَالُواْ وَمَدْنَا عَالَمَانُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِمِينَ ۞ قَالُواْ وَمَدْنَا عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِمِينَ ۞ وَاللَّهُ وَيَعْلَمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللِّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللْمُنْ الْمُنْمُولِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْع

قوله تعالى: ﴿ رَلَقَدُ مَاتَيْدَا ۚ إِزَرِهِمَ رُشُدَوُ ﴾ أي: هُداه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثالث: مِنْ قَبْل موسى وهارون، قاله الضحاك عن ابن عباس، والثالث: مِنْ قَبْل موسى وهارون، قاله الضحاك، وقد أشرنا إلى قصة إبراهيم في [الأنعام: ٧٥].

 قوله تعالى: ﴿ لَأَكِيدُنَ أَمَّنَدُكُ ﴾ الكيد: احتيال الكائد في ضرّ المكيد. والمفسرون يقولون: لأكيدنها بالكسر ﴿ بَدَدُ أَنُ وَ اللّهُ وَ اللّهِ وَلا يَخْلُفُون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك دِيننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، قاله: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سِرّاً منهم: ﴿ وَيَاللّهِ لَأَكِيدَنَ أَسَدُكُ ﴾ ، فسمعه رجل منهم، فأفشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام، وكانت فيما ذكره مقاتل بن سليمان _ اثنين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فكسرها، ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿ فَجَمَلَهُم ّ بُذَا الأكثرون: ﴿ جُذَاذاً ﴾ بضم الجيم، وقرأ أبو بكر الصدِّيق، وابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، والأعمش، والكسائي: ﴿ جِذَاذاً ﴾ بكسر الجيم. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وأيوب السختياني، وعاصم الجحدري: ﴿ جَذَاذاً ﴾ بفتح الجيم، وقرأ الضحاك، وابن يعمر: ﴿ جَذَذاً ﴾ بفتح الجيم من غير ألف. قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة، وابن وثبان وثباب ﴿ جُذذاً ﴾ بضم الجيم من غير ألف. قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، قال جوب:

بَنني السمه لَّب جَدَّ اللَّهُ دَابِرَهُم أَمْسَوْا رَمَّاداً فيلا أصلٌ ولا طَرفُ(١)

أي: لم يَبْقَ منهم شيء، ولفظ «جُذَاذ» يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكّر والمؤنّث. وقال ابن قتيبة: ﴿جُذَاذاً» أي: فَتاتاً، وكلُّ شيء كسرته فقد جَذَذْته، ومنه قيل للسَّويق: الجذيذ. وقرأ الكسائي: «جِذَاذاً» بكسر الجيم على أنه جمع جَذيذ، مثل تُقيل وثِقال، وخَفيف وخِفاف. والجذيذ بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور. ﴿إِلّا صَيِراً لمَّمْ ﴾ أي: كسر الأصنام إلا أكبرها. قال الزجاج: جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه، ﴿لَكُونُ اللّهِ يَبْحِسُونَ ﴾، في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الصنم، ثم فيه قولان. أحدهما: لعلهم يرجعون إليه بالتهمة، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم. والمعنى: لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحُجَّة عليهم، قاله الزجاج.

﴿ قَالُواْ مَن فَمَلَ مَدَا يِعَالِهَيْنَا إِنَّمُ لِينَ الظَّلِيدِينَ ﴿ قَالُواْ سَيِمْنَا فَتَى يَذَكُّرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥ إِبْرَهِيمُ ۞ قَالُواْ فَأَقُواْ بِهِ. عَلَىٰ آغَيُّنِ التَّالِينِ لَكَلَّهُمْ يَقَالُ لَهُۥ إِبْرَهِيمُ ۞ قَالُواْ مَأْتُواْ مِنْنَا فَتَعَلَّمُ مَا اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَيْهُ كَالُواْ مَأْتُوا مِنْ التَّعَلُّمُ مِنَا فَعَلَمُ كَانُواْ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُ مَنَا فَتَعَلَّمُ مِنَا فَعَلَمُ كَانُواْ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ الْمُنْ اللَّ

فلما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم ﴿فَالُواْ مَن فَمَلَ هَذَا بِتَالِهَتِنَّا إِنَّهُ لِينَ ٱلظَّلِيبَ ﴿ أَي: قد فعل ما لم يكن له فِعْلُه، فقال الذي سمع إبراهيم يقول: «لأكيدن أصنامكم»: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذَكُرُهُمْ ﴾ قال الفراء: أي: يَعيبهم؛ تقول للرجل: لئن ذكرتَني لتندمنَّ، تريد: بسوء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَتُواْ بِهِ عَلَى آغَيْنِ آلنَّاسِ ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأثُّوا به حَفْيةً. قال أبو عبيدة: تقول العرب إذا أظهر الأمر وشُهر: كان ذلك على أعين الناس.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: يشهدون أنه فعل ذلك، قاله السدي. والثالث: يشهدون عقابه وما يُصنَع به، قاله محمد بن إسحاق. قال المفسرون: فانطلقوا به إلى نمرود، فقال له: ﴿مَأَنَتُ فَمَلَتَ هَلَا يَعَلِمُنَا عِنَالِمُ مِنَا ﴾ غضب أن تُعبَد معه الصغار، فكسرها، ﴿فَتَنَوُهُمْ إِن كَانُوا يَبْطِئُونَ ﴾ من فعله بهم؟! وهذا إلزام للحُجَّة عليهم بأنهم جماد لا يقدرون على النَّطق. واختلف العلماء في وجه هذا القول من إبراهيم على قولين: أحدهما: أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له، لا يصلح أن يكون إلهاً، ومثله قول الملكين لداود: ﴿إِنَّ مَلْنَا أَنِي ﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَمْ يَسَمُّ وَسَعُونَ فَهَا لَهُ وَلَا يَعْمُونَ فَهَا لَهُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا وَلَا يَعْمُ وَلَهُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْلَا أَنْ وَلَا يَعْمُ وَلَا وَلَا يَعْمُ وَلَا وَلَا وَلَا يَعْمُ وَلَا لَهُ وَلَا لَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا لَا وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا عَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلِي وَلِعُمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلِهُ وَلِهُ وَلَا يُعْمُونَ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا عَلَا عَلَا وَلَا يَعْمُ وَلَا عَلَا يَعْمُ وَلَا عَلَا عَلَا عَلَا يَعْمُ وَلَا عَلَا عَلَا وَلَا يُعْمُونُ وَلِهُ عَلَا يَعْمُ وَلَا يُعْمُونَ وَلَا عَلَا عَلَا يُعْمُ وَلَا يَع

⁽١) قديوانه، ٣٩٠، وقمجاز القرآن، ٢/٠٠، وقالكامل، ٥١٠.

وَلِى نَجْمَةٌ ﴾ [من: ١٣]، ولم يكن له شيء، فجرى هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب؛ ومِثْل هذا لا تسمّيه العرب كذباً. والثاني: أنه من معاريض الكلام؛ فروي عن الكسائي أنه [كان] يقف عند قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَعَلَهُ ﴾ ويقول معناه: فعله مَنْ فعله، ثم يبتدئ ﴿ يَبُهُمُ هَذَا ﴾. قال الفراء: وقرأ بعضهم: «بل فعله بتشديد اللام، يويد: فلعلّه كبيرهم هذا. وقال ابن قتيبة: هذا من المعاريض، ومعناه: إن كانوا ينطقون، فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿ إِنّي سَقِمٌ ﴾ اللمانات: ١٨] أي: سأسقم، ومثله ﴿ إِنّكُ مَنَ المعاريض، وَيَعْلَهُ النوم: ١٠٠ أي: ستموت، وقوله: ﴿ لا تُوَاعِذُنِي بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿ إِذْ نَسَوَرُ المعاريب المعاريب عباس: لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، والمعنى: لا اتواعذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿ إِذْ نَسَوَرُ المعنى: لا اتواعذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿ إِذْ نَسَوُرُ المعنى: لا اتواعذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿ إِذْ نَسَوُرُ المعنى: لا اتواعذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ مَلَكُ هُلُكُ هُلُكُ ﴾ [سا: ١٤]، والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو الطف من الكشف وأحسن من التصويح. وروي أن قوماً من الأعراب خوجوا يمتارون، فلما صدوا، خالف رجل في بعض الليل إلى عكم صاحبه، فأخذ منه بُرّاً وجعله في عِكْمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان، رأى عِكْمه يشول، وعِكُم صاحبه يثقل، فأنشأ يقول:

عكم تنغشى بعض أحكام القوم لَنَمْ أَرْ عِنْكُما سَارِقناً قبل البيوم

فخون صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح. قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كلب إبراهيم ثلاث كلبات» (۱): قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب. قال المصنف: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعاريض، والمعاريض لا تُذم، خصوصا إذا احتيج إليها، روى عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب، (۱) وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما يسرني أنّ لي بما أعلم من معاريض القول مِثْل أهلي ومالي، وقال النخعي: لهم كلام يتكلّمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف، وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: «إن الجنّة لا تدخلها العجائزة (۱)، أراد قوله تعالى: ﴿إِنّا أَنْتَانَهُنَّ إِنْكَ ﴿ الواتعة: ١٥٥، وروي عنه ﷺ أنه كان يمازح بلالاً، فيقول: «ما أخت خالك منك»؟، وقال لامرأة: «مَنْ رُوجُك»؟ فسمّته له، فقال: «الذي

رواه البخاري ٢٧٧/٦، ومسلم ١٨٤٠/٤، ولفظه عند مسلم بتمامه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: فلم يكلب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث _ كلبات، ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنْ سَيْمٌ ﴾، وقوله: ﴿لَ نَكُمُ حَبُهُمُ مَذَكَ ﴾، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا البجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي فإنك أختي ينبغي لها أن تكون إلا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دعل أرضه رآما بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: لقد قدم أوضك أمرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها، فقام إبراهيم ﷺ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فلمنت ينه قبطة شيئة من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، قبطة شيئة من القبضة أشد من القبضيين الأوليين، فقال: ادهي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، فقعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أبيتي بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعظها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رآما إبراهيم ﷺ اتسرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: خيراً، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً، قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. قال الحافظ ابن حجر في فقال لها: مهيم؟ قالت: وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الطلك الظالم، وقبول هدلة المملك الطالم، وأبول هدلة المملك الشالح، وأبول هدلة الممالح. اه.

⁽۲) رواه البخاري في «الأدب المترد» ٢٣٤/٢ من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: صحبت عمران بن حصين إلى البصرة، قما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال إن في معاريض الكلام لمبتدوحة عن الكلب. قال الحافظ السخاري في «المقاصد الحسنة»: قال البيهقي: رواه دارد بن الزبرقان عن عمران بن حصين مرفوعاً، قال: والموقوف هو الصحيح، وكذا وهي المرفوع ابن عدي. قال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف ـ يعني جداً ـ مرفوعاً. ثم قال: وبالجملة فقد حسن العراقي هذا الحديث، ورد على الصغائي حكمه عليه بالوضع. اهد. والمعاريض: ما حادث عن الكذب، والمناوحة: السعة.

⁽٣) رواه عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ورواه الترمذي في «الشمائل» عن عبد بن حميد عن الحسن أيضاً، وذكره المسيوطي في «اللد» ٦/ الأوسط» عن الحسن، وزاد نسبته لابن المنذر، والبيهثي في «البعث»، وأورده أيضاً من رواية البيهتي في «الشعب»، والطبراني في «الأوسط» عن عائشة الله المعند ال

في عينيه بياض؟(١)؟، وقال لرجل: «إنا حاملوك على ولد ناقة،(٢)، وقال له العباس: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كل خير أرجوه من ربِّي، . وكان أبو بكر حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سأله أحد: مَنْ هذا بين يديك؟ يقول: هاد يهديني. وكانت امرأة ابن رواحة قد رأته مع جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟! فجحد، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال:

وفينا رَسُول الله يَعْلُو كتابَه إذا انشقَّ مشهورٌ مِنَ الصَّبْح طالِع

يَبِيتُ يُجَافِي جِنْبَهُ عِن فِراشِه إذا استَثقلتْ بالكافرين المَضاجعُ

فقالت: آمنتُ بالله، وكذبت بصري، فأتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع. وعرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلبٌ في أيِّ إناءٍ شئتَ، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها(٢)؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها، علِّق سوطكَ وسِرْ، قال: كيف قُوَّنها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت؛ [فاستصراها] فلم يَرَ شيئاً مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أرّ فيها شيئاً مما وصفتُها به، قال: ما كذبتك، قال: أَقِلْني، قال: نعم، وخرج شريح من عند زياد وهو مريض، فقيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركتُه يأمر وَينهي، فقيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النُّوح. وأخذ محمد بن يوسف حجراً المدري فقال: العن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً محمد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله. وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صوحان بلعن على، فقال: لعن اللَّهُ من لعن اللَّهُ ولعن عليٌّ،. ثم قال: إن [هذا] الأمير قد أبى إلا أن ألعن علياً، فالعنوه، لعنه الله. وامتحنت الخوارج رجلاً من الشيعة، فجعل يقول: أنا مِنْ عليّ ومِنْ عثمان بريء. وخطب رجل امرأةً وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوُّجك حتى تُطلِّق امرأتك، فقال: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فزوَّجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادَّعوا أنه قد طلَّق، فقال: أما تعلمون أنه كان تحتى فلانة فطلَّقتُها، ثم فلانة فطلَّقتُها، ثم فلانة فطَّلْقَتُها؟ قالوا: بلي، قال: فقد طلَّقتُ ثلاثاً. وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الله لا يُنزل الدهر قِدرُه وإن نزلت يسوماً فسسوف تعسود

ي تبرى البنياسُ أفواجياً إلى ضوو نياره فيمنيهم قيمام حولها وقبعود

فظنَّ الطائف أنه ابن بعض الأشراف بالبصرة، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلائي. ومثل هذا كثير.

﴿ فَرَجَعُوٓ إِلَىٰ أَنْسِيهِ مَ فَعَالُوٓ إِنَّكُمْ أَنْتُدُ ٱلظَّلِيمُونَ ۞ ثُمَّ فَكِسُوا عَلَى رُهُوسِهِ مَ لَقَدْ عَلِيْتَ مَا هَتُؤُلَّهِ بِمُطِفُونَ ۞ لَكَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَكُمْ شَيْنًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أَنِّ لَكُوْ وَلِمَا تَشْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَلَلًا تَسْقِلُونَ ۞ ﴿ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ مَرْبَعُمُّوا إِلَىٰ آننُسِهِم ﴾ فيه قولان: أجدهما: رجع بعضهم إلى بعض. والثاني: رجع كلَّ منهم إلى

قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُهُ الطَّالِمُونَ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: حين عبدتم من لا يتكلم، قاله ابن عباس. والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهب بن منبه، والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهب أيضاً. والرابع: لإبراهيم حين أتهمتموه والفاس في يد كبير الأصنام، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والمخامس: أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فاسألوها، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْكِمُوا عَلَنَ رُمُوسِهِمٌ ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة: «تُكِسوا» برفع النون وكسر الكاف مشددة. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: "نكسوا" بفتح النون والكاف مخفَّفة. قال أبو عبيدة: ﴿ تُكِسوا ﴾: قُلِبوا ، تقول: نكستُ فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته. ثم في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة

ذكره ملا على القاري في فشرح الشمائل؛ للترمذي من رواية ابن أبي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهري.

رواه النومذي في «الشمائل» عن أنس بن مالك 🐞 أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ، فقال: ﴿إِنِّي حَامَلُكُ عَلَى وَلَمُ النَّاقَةُ فَقَالَ: يَا رسول الله، مَا أصنع بولد الناقة؟ فقال: ﴿وهِل تلد الإبل إلا النوقُ؟؟.

⁽٣) النّجاء: السرعة في السير.

أقوال: أحدها: أدركتُهم حيرةٌ، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَكُولَآءِ يَنطِقُونَ﴾، قاله قتادة. والثاني: رجعوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق، قاله ابن قتية. والثالث: انقلبوا على إبراهيم يحتجُّون عليه بعد أن أقرُّوا له ولاموا أنفسهم في تهمته، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿لَنَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النَّطق، فحيننذ توجهت لإبراهيم الحُجَّة، فقال موبخاً لهم: ﴿أَنْتَمْبُدُنَ مِن دُوبِ اللَّهِ مَا لاَ يَنَعُكُمُ أَي: لا يزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَشُرُكُمُ ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حثَّ لهم على عبادة من يملك النفع والضَّر، ﴿أَنِّ لَكُرُ ﴾ قال الزجاج: معناه: النتن لكم؛ فلما ألزمهم الحجة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّفُوهُ ﴾. وذُكر في التفسير أن نمرود استشارهم، بأيً عذاب أعذّبه، فقال رجل: حرَّقوه، فضف إلله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

صَّلَابُ الْحَدَّبُ فَقِيْنُ وَجِنْ . حَرْمُوهُ فَحَسَّفُ الله به او رَضُ مُ فَهُو يَنْجَلَجُلُ فَيْهَا إِنَى يَوْمُ الْفَيَامُ. ﴿
وَالْمُواْ حَرَيْوُهُ وَانْصُرُواْ اللّهَ مَكُمُ إِن كُنْمُ نَعِلِينَ ۞ قُلْنا يَنَانُ كُونِ بَرْكَا وَسَلَمًا عَلَّ إِنَهِيدَ ۞ وَلَمَنْنَهُمُ
الْأَخْسَيِينَ ۞ وَيَغَيِّنَكُ هُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ الَّقِ بَكُمُنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَنَ وَيَعْفُوبَ نَافِلَةٌ وَكُلاَ جَمَّلْنَاهُمُ
الْأَخْسَيِينَ ۞ وَيَعَلَّنَهُمْ أَبِمَةً يَهْدُونَ إِلَيْ وَأَوْجَيْنَا إِلَيْهِمْ فِمْ لَ ٱلْخَيْرَاتِ وَلِقَامَ السَّلَوْقِ وَلِيْنَاةَ الزَّكُونَ وَكُلُواْ لَنَا عَدِينَ ۞﴾
وَيَعَلَّلُهُمْ أَبِمَةً يَهْدُونَ إِلَا الْإِنْ الْآتِيمْ فِمْ لَ ٱلْخَيْرَاتِ وَلِقَامَ السَّلَوْقِ وَلِيْنَاةَ الزَّكُونَ وَكَانُواْ لَنَا عَدِينَ ۞﴾
وَوَكُمْ تَعْلِينَ ﴾ وَلَا تَعْلَى: ﴿ وَانْضُرُواْ اللّهَ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم عليه في بيت ثم بتوا له حَيْراً طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل منيف، ونادي منادي الملك: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم، ولا يتخلفنُّ عن ذلك صغير ولا كبير، فمن تخلُّف ألقي في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرتُ بكذا لأحتطبنَّ لنار إبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الحَيْر وقذفوًا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمرُّ بها فيحترق من شدة حرُّها، ثم بنَوا بنياناً شامخاً، وبنَوا فوقه منجنيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الواحِد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربَّنا إبراهيمُ يُحرَّق فيكَ، فائذُن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلمُ به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: «حسبي الله ونعم الوكيل"(١٠). فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألكَ حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا، قال جبريل: فسل ربُّك، فقال: «حسبي من سؤالي عِلْمُه بحالي، (٢)، فقال الله عَلَى: ﴿ يَنَارُ كُونِ بَرْهَا وَسَلَنَّا عَلَىٓ إِبْرَهِيـرَ ﴾، فلم تبق نار على وجهه الأرض يومثنيه إلا طُّفئت وَطنَّتْ أنها عُنيت. وزعم السدى أن جبريل هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يُتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها. قال السدي: فأخذت الملائكة بضَبْعَي (٢) إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من مام عذب، وورد أحمر، ونرجس. قال كعب ووهب: فما أحرقت النار من إبراهيم إلا وَثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام، وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وإن آزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أُخرج عظام إبراهيم فأدفئها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فنُقب، فإذا إبراهيم في روضة تهتزُّ وثيابه تندى، وعليه القميص وتحته الطنفسة والملَك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إن إلْهك الذي بلغتْ قُدرته هذا لكبيرٌ، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي

 ⁽١) روى البخاري في اصحيحه عن حبد الله بن عباس في قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم على حين ألقي في النار، وقالها محمد على حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسُ مَذَ مَهُمُوا لَكُمْ مَا خَتُومُمْ فَإَنْ وَمُ اللَّهُ عَلَيْمٌ اللَّهُ وَيَتُمَ الْوَكِيلُ. وفي رواية للبخاري عن ابن عباس في قال: كان آخر قول إبراهيم على ألقي في النار: حسي الله ونعم الوكيل.

⁽٢) حديث: «حسيم من مؤالي علمه بحالي، وواه أبن جرير مختصراً، وفي سنده جهالة، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» من رواية البغوي عن كعب الأحبار، ورواه كثير من المفسرين عن أبيًّ بن كعب موقوفاً، ولعله من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقال ابن عراق في «ننزيه الشريعة» ١/ ٢٥٠: قال ابن تيمية: موضوع اهـ. وهذا الخبر لا يصح، لأنه يشير إلى توك الدعاء، مع أن الدعاء عبادة، وقد جاءت الآيات والأحاديث بالأمر به، والحض عليه.

⁽٣) الضَّبْع، بسكون الباء: العضد.

حتى خرج، فقال: مَن الذي رأيتُ معك؟ قال: ملك أرسله إليَّ ربِّي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقرِّب لإِلَهك قرباناً لما رأيتُ من قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منكَ ما كنتَ على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفَّ عن إبراهيم. قال المفسرون: ومعنى ﴿ كُونِ بَرْدَا﴾ أي: ذات برد ﴿ وَسَلَمًا ﴾ أي: سلامة. ﴿ وَأَرَادُوا بِدِ، كُندًا ﴾ وهو التحريق بالنار ﴿ فَجَمَلَنكُهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ وهو أن الله تعالى سلَّط البعوض عليهم حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدة في دماغ نمرود حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء، فانقلب السوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَغَيْنَكَ ﴾ أي: من نمرود وكيده ﴿ وَلُوطًا ﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هاران بن تارج، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرض العراق إلى الشام. وكانت سارة مع إبراهيم في قول وهب. وقال السدي: إنما هي ابنة ملك حرَّان، لقيها إبراهيم فتزوجها على أن لا يغيرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم. فأما قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ الَّتِي بَرَكُنَا فِيهَا قولان: أحدهما: أنها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين. وبَركتها: أن الله عزّ وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والشمار والأنهار. والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن عامس. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ ﴾ يعني: إبراهيم ﴿ إِسْحَنَى وَيُعَقُّوبُ نَافِلَةٌ ﴾، وفي معتى النافلة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحداً، فأعطي اثنين، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والفراء. والثاني: أن النافلة بمعنى العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّا جَمَلُنَا صَلِمِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال أبوَ عبيدة: ﴿كُلُّ يقع خبره على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد، ويقع خبره على لفظ الجميع، لأن معناه معنى الجميع.

﴿ وَلُومًا ءَانَيْنَهُ مُكُمًا وَعِلْمًا وَتَعَيِّنَكُ مِنَ الْقَرْبَيَةِ الَّتِي كَانَت تَعْمَلُ الْفَبَنَيِثُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمَ سَوْءِ فَنسِقِينَ ﴿ وَأَدْخَلْنَكُ فِي وَأَدْخَلْنَكُ فِي رَحْمِينَا ۚ إِنَّهُ مِنَ الصَّلِيعِينَ ﴿ وَهُمَ سَوْءٍ فَنسِقِينَ ﴿ وَأَدْخَلْنَكُ فِي الْفَكِيلِيعِينَ ﴿ وَهُمُ سَوْءٍ فَنسِقِينَ ﴾ وَأَدْخَلْنَكُ فِي الْفَكِيلِيعِينَ ﴿ وَالْعَلْمُ اللَّهُ مِنَ الْفَكِيلِيعِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَالِيَّنَاهُ حُكُما﴾ قال الزجاج: انتصب «لوط» بفعل مضمر، لأن قبله فعلاً، فالمعنى: وأوحينا اللهم وآتينا لوطاً. وذكر بعض النحويين: أنه منصوب على «واذكر لوطاً»، وهذا جائز، لأن ذِكْر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر. قال المفسرون: لمّا هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة أو نحو ذلك من إبراهيم، فبعثه الله نبيّاً. فأما «الحُكم» ففيه قولان: أحدهما: أنه النبوّة، قاله ابن عباس. والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل. وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورة [يرسف: ٢٢]. وأما «القرية» هاهنا، فهي سَدُوم، والمراد أهلها، والخبائث: أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷺ عنهم في مواضع [مود: ٨٧، والحجر: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿ رَأَدْخَلْنَكُ فِي رَحْمَنِنَا ﴾ أي: بانجائه من بينهم.

﴿ وَنُومًا إِذْ نَكَادَىٰ مِن فَكَبْلُ فَاسْتَجْبَنَا لَهُ فَنَجَيْتُكُهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْتُهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُولُ بِنَايَنِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمَ سَوْمِ مَأْغَرَفْنَهُمْ أَجْمَيينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَنُوكَ المعنى: واذكر نوحاً، وكذلك ما يأتيك من ذِكْر الأنبياء ﴿ إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: مِنْ قبل إبراهيم ولِوطٍ. فأما الكرب العظيم، فقال ابن عباس: هو الغرق وتكذيب قومه.

قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْتُهُ مِنَ ٱلْقَوْرِ ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوءٍ. وقيل: "من" بمعنى "على".

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي ٱلْحَرَثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِلْكَمِهِمْ شَهِدِينَ ﴿ فَفَهَمْنَهَا مُلَيْمَنُ وَكُلَّا مَكُمًا وَعِلْمَا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدُ ٱلْحِبَالَ يُسَيِّحْنَ وَٱلطَّيْرُ وَكُنَّا فَعِلِينَ ﴿ وَكُنَّا فَعِلِينَ ﴾ وَعَلَنْنَهُ صَنْعَةَ بَبُوسِ لَكُمْمُ مِنْ الْعَلَيْمُ مِنْ الْمَيْرِي اللَّهِ عَالِمِينَ ﴿ وَكُنَّا فَهُمْ اللَّهُمْ عَلَيْمِنَ اللَّهِ عَالِمِينَ ﴾ وَمَنَ عَلِمِينَ ﴿ وَكُنَّا فِيهَا وَكُنَّا فِيمَا وَكُنَّا فِيمَا وَكُنَّا فِيمَا وَمُنَا اللَّهُمْ مَعْفِلِينَ ﴾ وَمَنْ يَعْوَمُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكُ وَكُنَّا لَهُمْ مَعْفِلِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلِيَكُنَ إِذْ يَمْكُمُانِ فِي الْفَرَثِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه كان عنباً، قاله ابن مسعود، ومسروق، وشريح. والثاني: كان زرعاً، قاله قتادة. ﴿إِذْ نَنَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْرِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: رَعَتْ ليلاً، يقال: نَفَشَت الغنمُ بالليل، وهي إبل نَفَشٌ ونُفَاشٌ ونِفاشٌ، والواحد: نَافِشٌ، وَسَرَحَتْ وسَرَبَتْ بالنهار. قال قتادة: النَّفش بالليل، والهمَل بالنهار. وقال ابن السكيّت: النَّفَش: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع.

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن رجلين كانا على عهد داود على، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلّت الغنم فوقعت في الحرث فلم تُبن منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويُقبل أصحاب الغنّم على الكُرْم، حتى إذا كان كليلة نفشت فيه الغنّم، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء ألى هؤلاء ألى هؤلاء إلى هؤلاء ألى هؤلاء إلى هؤلاء ألى هؤلاء إلى هؤلاء المشار إليهم فقال داود: قد أصبت القضاء، ثم حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَرَكُنا لِلْكُمِيم شَهِدِين ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع، لأن الاثنين جمع، هذا قول الفراه. والثاني: أنهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلة: ﴿وكنا لِحُكمهما على التثنية. ومعنى «شاهدِين»: أنه لم يَغِب عنّا من أمرهم شيء. ﴿وَنَهَهَنّهَا سُلِيّنا هُكُنا ﴾ وقد سبق بيانه. قال الحسن: لولا هذه عنها، لأنه قد سبق ما يدل عليها من ذِكُر الحُكم، ﴿وَكُلًا ﴾ منهما ﴿النّينا حُكما ﴾ وقد سبق بيانه. قال الحسن: لولا هذه الأية لم أيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعَذَر داود باجتهاده.

فصل

قال أبو سليمان اللمشقي: كان قضاء داود وسليمان جميعاً من طريق الاجتهاد، ولم يكن نصاً، إذ لو كان نصاً ما اختلفا. قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفشت ليلاً في زرع رجل فأفسدته، فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان، وهو قول الشافعي، وقال أبو حثيفة وأصحابه: لا ضمان عليه ليلاً ونهاراً، إلا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا، لأن داود حكم بالضمان، وشرع مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لنا ما لم يَثْبُت نَسْخُه. فإن قيل: فقد ثبت نسخ هذا الحكم، لأن داود حكم بدفع الغنّم إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنه لا يجب على من نفشتْ غنمه في حرث رجل شيءٌ من ذلك؛ قيل: الآية تضمنت أحكاماً، منها وجوب الضمان وكيفيته، فالنسخ حصل على كيفيّته، ولم يحصل على أصله، فوجب التعلّق به، وقد روى حرام بن محيّصة عن أبيه: أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقضى رسول الله على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل(۱).

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَيِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسخَّرْنا الجبال يسبِّحن مع داود. قال أبو هريرة: كان إذا سبَّح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذَّكْر، وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبَّحت حتى يشتاق هو فيسبِّح. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَعِيْكِ﴾ أي: لذلك. قال الزجاج: المعنى: وكنّا نقدر على ما نريده.

 ⁽١) رواه أحمد في «المسندة ٤/ ٢٩٥، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٥٦٩ ـ ٣٥٧٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٣٣٢). قال ابن كثير: وقد علل هذا
 الحديث، قال: وقد بسطنا إلكلام عليه في كتاب «الأحكام»، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَنْنَهُ مَنْعَكَ لَبُوسِ لَّكُمْ ﴾ في المراد باللَّبوس قولان: أحدهما: الدُّروع، كانت قبل ذلك صفائح، وكان داود أول من صنع هذه الحلق وسرد، قاله قتادة. والثاني: أن اللبَّوس: السلاح كلَّه من درع إلى رمح، قاله أبو عبيدة، وقرأ أبو المتوكل، وابن السميقع: «لُبوس» بضم اللام.

قوله تعالى: ﴿ لِنُحْصِنَكُمْ وَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿لِيُحْصِنَكُمْ الله وقرا أبو الدراء، عامر، وحفص عن عاصم: ﴿لِتُحْصِنَكُمْ الله الله وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿لِتُحْصِنَكُمْ الله وقرا أبو الدراء، وأبو عمران الجوني، وأبو حيوة: ﴿لِتُحَصِّنَكُمْ الله منعود، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وأبو حيوة: ﴿لِتُحَصِّنَكُمْ الله منعودة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها. وقرأ أبو وزين العقيلي، وحميد بن قيس: ﴿لِتَحَصِّنَكُمْ ابناه مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها. وقرأ أبو وزين العقيلي، وأبو المتوكل، ومجاهد: ﴿لِنُحَصِّنَكُمْ ابنون مرفوعة ونتح الحاء وكسر الصاد مع تشديدها. وقرأ معاذ القارئ، وعكره، وابن السميقع: ﴿لِيُحْصِنَكُمْ ابناء مرفوعة وسكون الحاء وكسر الصاد مشددة النون. فمن قرأ بالياء، ففيه أربعة أوجه. قال أبو علي الفارسي: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدَّم معناه، ويجوز أن يكون اللباس، لأن اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داود، ويجوز أن يكون التعليم، وقد دل عليه ﴿ علمُناه الله على المعنى، لأنه الدرع. ومن قرأ بالنون، فلتقدَّم قوله: ﴿ وعلَمناه الله المعنى اللبون المعنى ال

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلِيْمَنَ الْرَبِحَ وَقَرَأُ أَبُو عَبِدَ الرحمن السلمي، وأبو عمران الجوني، وأبو حيوة الحضرمي: "الرِّياحُ" بألف مع رفع الحاء. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: بالألف ونصب الحاء، والمعنى: وسخَّرْنا لسليمان الربيح ﴿ عَاصِفَتُ أَي: شديدة الهبوب ﴿ تَجْرِي وَأَمْرِي ﴾ يعني: بأمر سليمان ﴿ إِلَى اَلْأَرْضِ الَّتِي بَكُرُكَا فِيهِ ﴿ وهي أرض الشام، وقد مَرَّ بيان بركتها في هذه السورة [الأنبياء: ٧٧]؛ والمعنى: أنها كانت تسير به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِينِ﴾ علمنا أن ما نُعطي سليمان يدعوه إلى الخضوع لربِّه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَ الشَّيَطِينِ مَن يَغُومُونَ لَهُ قَالَ أَبُو عَبِيدَة: «مَنْ» تقع على الواحد والاثنين والجمع مَن المذكّر والمونّث. قال المفسرون: كانوا يغوصون في البحر، فيستخرجون الجواهر، ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ وَالِكَ ﴾ قال المؤجّة: معناه: سوى ذلك، ﴿ وَكُنّا لَهُمْ كَيْظِينَ ﴾ أن يفسدوا ما عملوا. وقال غيره: أن يخرجوا عن أمره.

﴿ ﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَأَنِ مَسَّنِىَ الطُّبُّ وَأَنتَ أَرْحَكُمُ ٱلرَّبِيبِينَ ۞ فَاسْتَجَبَّنَا لَمُ فَكَفَفْنَا مَا بِهِ. مِن حُسُرِّ وَمَاتَئِنَنَهُ أَهْمَلُمُ وَمِثْلَهُم مَّمَهُمْ رَحَمَةً مِنْ عِندِنَا وَدِكْرَىٰ لِلْمَهِدِينَ ۞ وَإِسْسَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُنُّ مِنَ ٱلصَّدِيهِنَ ۞ وَأَدْعَلَنَهُمْ فِي رَحْمِينَا أَ إِنَّهُمْ قِيكَ الصَّلِيمِينَ ۞

قوله تعالى: ﴿ وَآثِوْبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ أي: دعا ربه ﴿ آنِ ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني: الني بكسر الهمزة، ﴿ مَسَّنِي العُبْرُ ﴾ وقرأ حمزة: «مَسَّنِي بتسكين الياء، أي: أصابني الجَهْد، ﴿ وَأَنَ أَرَّحَمُ ٱلرَّخِينَ ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تغريض منه بسؤال الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت.

الإشارة إلى قصته

ذكر أهل التفسير أن أيوب على كان أغنى أهل زمانه، وكان كثير الإحسان. فقال إبليس: يا رب سلطني على ماله وولده، ماله وولده ـ وكان له ثلاثة عشر ولداً ـ فإن فعلت رأيته كيف يُطيعني ويَعصيكَ، فقيل له: قد سلَّطْتُكَ على ماله وولده، فرجع إبليس فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابًه ورعاته، فاحتملوها حتى قذفوها في البحر، وجاء إبليس في صورة قيَّمه، فقال: يا أيوب ألا أراك تصلِّي وقد أقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابَّك ورعاتها حتى قذفَتُها في البحر؟ فلم يردَّ عليه شيئًا حتى فرغ من صلاته، ثم قال: الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مِنِّي، فانصرف خائباً، ثم أرسل بعض الشياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره، فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشياطين فزلزلوا

منازل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمد الله، وقال لإبليس وهو يظنه قيَّمه في ماله: لو كان فيكَ خير لقبضكَ معهم، فانصرف خائبًا، فقيل له: كيف رأيتَ عبدي أيوب؟ قال: يا ربِّ سلِّطني على جسده فسوف ترى، قيل له: قد سلَّطْتُكَ على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفاً من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبكِ مخافة الجزع، وبقى لسانُه للذِّكر، وقلبه للمعرفة والشُّكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثاَليل كأليات الغنم، ووقعت به حكَّة لا يملكها، فحكُّ بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمسوح، ثم بالحجارة، فأنتن جسمه وتقطُّع، وأخرجه أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمها رحمة بنت إفراييم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه'^(۱). وروى أبو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: كان ملك يظلم الناس، فكلَّمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركتَ كلامَه من أجل حيلك؟! لأطيلنَّ بلاءك(٢). واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ (٢)، والثاني: سبع سنين، قاله ابن عباس، وكعب، ويحيى بن أبي كثير. والثالث: سبع سنين وأشهر، قاله الحسن. والرابع: ثلاث سنين، قاله وهب، وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال: أحدها: [أنه] اشتهي إداماً، فلم تُصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها، فلما علم ذلك، قال: ﴿سَنَيْنَ ٱلنُّبُّ﴾، رواه الضحاك عن ابن عباس، والثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسّر له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن نفراً من بني إسرائيل مرُّوا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿مُسَّنِيَ ٱلشُّرُّ﴾، قاله نوف البكالي. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجدا ريحاً، فقالاً: لو كان الله علم منه خيرا ما بلغ به كلّ هذا، فما سمع شيئاً أشدَّ عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنِّي لم أبت ليلةً شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدّقني، فصُدّق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنتَ تعلم أنَّى لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عار فصدِّقني، فصُدِّق وهما يسمعان، فخرَّ ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله على ما به. والرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لى وقد بَرًا، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدنَّك مائة جلدة، أمَرْتِني أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فلهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خرَّ ساجداً وقال: ﴿سَنَّنِي النُّرُّ ﴾، قاله الحسن، والخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عنفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبُّ عليه من البلاء ما سمعتم، حتى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيكَ، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: ﴿مَسَّنِى ٱلمُّبِّرُ﴾، قاله إبراهيم بن شيبان القرميسي فيما حدِّثنا به عنه. والسادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هجران ربِّه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلفُّرُّ﴾، ذكره الماوردي، فإن قيل: أين الصبر، وهذا لفظ الشكوى؟ فالجواب: أن الشكوى إلى الله لا تنافى الصبر، وإنما المذموم الشكوى إلى الخلِّق(؟)، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشَكُواْ بَتِّي وَحُزْنِ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكا إلى الناس، وهو في شكواه راض بقضاء الله، لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ لجبريل في مرضه: ﴿ أَجِلنِّي مَغْمُوماً ﴾ و اأجدني مكروباً ، وقوله: (بل أنا وارأساه الله).

⁽١) روى هذا الخبر وهب بن منبه في قصة طويلة ساقها ابن جرير الطبري في التفسير، ١٧/ ٦٥. قال ابن كثير ١٨٨/٣: وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة.

 ⁽٢) ذكر نحو هذا الخبر السيوطي في اللدر» ٢٣٢٧/٤ من رواية ابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني، ولعله من الإسرائيليات.

 ⁽٣) ذكره أبن كثير ٣/١٨٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً.

 ⁽٤) من المتفق عليه أن أيوب عليه كان غاية في الصبر، ويه يضرب المثل في ذلك، وقد ابتلي في ماله وولده وجسده، فصبر والتجأ إلى الله تعالى، فذلك
 قول الله فيه: ﴿ وَأَيْوَى إِذْ نَادَىٰ رَبُّدُم أَلَ مَسْئِى َ الشُّرُ وَالَتَ أَرْحَمُ ٱلزَّحِيرَ>﴾ فكشف الله تعالى ما به.

⁽٥) رواه البخاري في اصحيحه؛ ١٠٥/١٠ من حديث عائشة رئيًّنا، وهو جزء من حديث طويل.

قوله تعالى: ﴿وَيَاتَيْنَكُ أَمْـلَمُ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمِثْلَهُم مَّمَهُمُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود والحسن، وقتادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيبُوا عنه ولدت له سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيبُوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن، والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الآخرة، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةُ مِّنَ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمةً مِنْ عندنا، ﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ أي: عظة ﴿ لِلْمُنِدِينَ ﴾ قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل؛ إنه قد أصاب من هو خيرٌ مني.

قوله تعالى: ﴿وَرَا الْكِفْلِ﴾ اختلفوا هل كان نبيّاً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن نبيّاً، ولكنه كان عبداً والحاء عاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد. ثم اختلف أرباب هذا القول في علّه تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلِّي كلَّ يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسمِّي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: أنه تكفل للنبيّ بقومه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسمِّي: ذا الكفل، قاله الأشعري. والثالث: أن ملكاً قتل في يوم ثلاثمائة نبيّ، وفرَّ منه مائة نبيّ، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمِّي: ذا الكفل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنه كان نبيّاً، قاله الحسن، وعطاء (١٠). قال عطاء: أوحى الله تعالى [إلى] نبيّ من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفّل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع مُلككَ إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفّل لك بهذا، فتكفّل به، فوفي، فشكر الله له ذلك، ونبّاه، وسمِّي: ذا الكفل. وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ين في الكفل: «أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلتُ هذا قطا، فقام ضاه نقام ضاه نقام صنه تأبي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في فعلتُ هذا قطا، فام ين واذا قلنا: إنه نبيّ، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاك.

قوله تعالى: ﴿ كُنُّ مِنَ السَّمِينَ ﴾ أي: على طاعة الله وترك معصيته، ﴿ وَأَدْخَلْنَهُمْ فِى رَحْمَتِنَا ۗ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: النبوّة، قاله مقاتل. والثالث: النّعمة والموالاة، حكاه أبو سليمان الدمشقى.

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذِ ذَهَبَ مُغَنضِبًا فَظَنَّ أَن لِّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَآ إِلَآ أَنَتَ سُبَحَنَكَ إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِدِينَ ۞ فَاسْتَجْدَنَا لَهُ وَجَنَّيْنَكُ مِنَ ٱلْفَيْرِ وَكَذَالِكَ نُصْحِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعنى: يونسُ بن متى. والنون: السمكة؛ أَضَيف إليها لابتلاعها إياه.

قوله تعالى: ﴿إِذ ذَهَبَ مُنَاضِبًا﴾ قال ابن قتيبة: المُغاضَبة: مُفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرة والمجاذلة والمخاصّمة، وربما تكون من واحد، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «مُغْضَباً» بإسكان الغين وفتح الضاد من غير ألف. واختلفوا في مغاضبته لمن كانت؟ على قولين: أحدهما: أنه غضب على قومه، قاله ابن عباس، والضحاك. وفي سبب غضبه عليهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن الله تعالى أوحى إلى نبى يقال له: شعيا: أن اثت فلاناً الملك، فقل له: يبعث نبياً أميناً إلى

 ⁽١) قال ابن كثير ٣/ ١٩٠: وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي.

 ⁽۲) رواه أحمد في «العسند» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب في. قال الحافظ ابن كثير ٣/ ١٩١: وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب
 الكتب السنة، وإسناده غريب.

بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبى منهم الكثير، فأراد النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك المملك ليكلّمه حتى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري من الأنبياء، فألحُّوا عليه، فخرج مغاضباً للنبيّ والملك ولقومه، هذا مروي عن ابن عباس؛ وقد زدناه شرحاً في (يونس: ٩٨). والثاني: أنه عاني من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجراً، وما ظنَّ أن هذا الفعل يوجب عليه ما جرى من العقوبة، ذكره ابن الأنباري، وقد روي عن وهب بن منبه، قال: لما حُملت عليه أثقال النبوَّة، ضاق بها ذراً ولم يصبر، فقلفها من يله وخرج هارباً(١٠). والثالث: أنه لمنا أوعدهم العذاب، فتابوا ورُفع عنهم، قبل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لوقمه، عاتباً على ربه، وقد ذكرنا هذا في إيونس: ٩٨]. والثاني: أنه خرج مغاضباً لربه، قاله الحسن، وسعيد بن لقومه، عاتباً على ربه، وعروة. وقال أبو بكر النقاش: المعنى: مغاضباً من أجل ربه، وإنما غضب لأجل تمرُّدهم وعصيانهم. وقال ابن قتيبة: كان مَفِيظاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتهياً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه.

قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَن نَتَدِر عَلَيْهِ ﴾ وقرأ يعقوب: ﴿ يُقَدَّر البضم الياء وتشديد الدال وفتحها. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وابن أبي ليلى: ﴿ يُقْدَر البناء مرفوعة مع سكون القاف وتخفيف الدال وفتحها. وقرأ أبو عمران الجوني: ﴿ يَقْدِن البناء مفتوحة وسكون القاف وكسر الدال خفيفة. وقرأ الزهري، وابن يعمر، وحميد بن قيس: ﴿ فَقُدَّر البناء موقوعة وفتح القاف وكسر الدال وتشديدها. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. قال الفراء: معنى الآية: فظن أن لن نقدر عليه ما قدرنا من المعقوبة، والعرب تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر:

ولا عَنَافَ مَا تَقْدِرْ يَكُنْ ولكَ الشُّكرُ(٢)

أراد: ما تقلّر، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: فظن أن لن نضيّق عليه، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: يقال: فلان مُقلَّر عليه، ومُقلَّر عليه، ومنة قوله تعالى: ﴿فَلَكُرُ عَلَيْهِ رَفَقَهُ النجر: ١٦] أي: ضَيَّق عليه فيه. قال النقاش: والمعنى: فظن أن الله قد وسّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤذن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوف عن الحسن. وقال ابن زيد، وسليمان التيمي: المعنى: أفظنَ أن لن تقير عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهاماً قد حُذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة، ولا يتصوّر إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظنّ عجزنا، فأين يهرب منا؟!

قوله تعالى: ﴿ فَنَكَادَىٰ فِي الظُّلُمُتِ ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والأكثرون. والثاني: أن حوتاً جاء فابتلع الحوت الذي هو في بطنه، فنادى في ظلمة حوت، ثم في ظلمة البحر، قاله سالم بن أبي الجعد. والثالث: أنها ظلمة الماء، وظلمة معى السمكة، وظلمة بطنها، قاله ابن السائب. وقد روى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله على أنه قال: ﴿ إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين (٢٠). قال الحسن: وهذا اعتراف [من] يونس بذنه وتوبة من خطيته.

العله من الإسرائيليات التي نقلها وهب بن منه، وقد تقدم أمثال ذلك.

⁽۲) فشرح أشعار الهذليين، ٢/ ٩٥٨، وقالقرطبي، ١١/ ٣٣٢.

 ⁽٣) رواه بهذا اللفظ ابن السني عن أبي يعلى، وفي سنده عمرو بن الحصين، وهو ضعيف جداً، ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه،
 بلفظ ددعوة ذي النون، إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت: ﴿لاّ إِلَنَهُ إِلاّ أَنتَ سُبُحَنَكَ إِنِّ كُنتُ بِنَ الطَّيٰلِينَ ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له، وهو حديث حسن.

قوله تعالى: ﴿ فَانْسَتَجَبُنَا لَهُ ﴾ أي: أجبناه ﴿ وَتَجَيَّنَكُ بِنَ ٱلْفَرَّ ﴾ أي: من الظلمات ﴿ وَكَذَلِكَ نُحِى ٱلْمُؤْمِينَ ﴾ إذا دعونا. وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: النجي المؤمنين ، بنون واحدة مشددة الجيم ؛ قال الزجاج : وهذا لَحْنُ لا وجه له، وقال أبو على الفارسي : غلط الزاوي عن عاصم ، ويدل على هذا إسكانه الياء من النّجي ، ونصب «المؤمنين» ، ولو كان على ما لم يُسم فاعله ما سكّن الياء ولرفع «المؤمنين» .

﴿ وَرَكَرِيّاً إِذْ نَادَكَ رَيَّهُ رَبِّ لَا تَذَوْنِ ثَكُرُهَا وَأَنتَ خَبُرُ الْوَرْمِينَ ﴿ فَالْسَنَجَمْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَخْفَ وَأَمْالَحْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَخْفَ وَأَمْالَحْنَا لَهُ وَوَهَبُ وَيَعْمُونَ وَيَدْعُونَا رَغِبًا وَرَهَبُ وَكَانُوا لَنَا خَسْمِينَ ۞ وَالَّتِي آخْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَغْفَا وَوَجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا بُكُومُونَ فِي الْحَثَيْرَةِ وَيَدْعُونَا رَغِبًا وَرَهَبُ وَكَانُوا لَنَا خَسْمِينَ ۞ وَالَّذِي الْمُعْمُونِ ۞ وَتَقَطَّمُوا فِي وَلَا مُؤْمِنَ فَلَا كُومُ وَلَنَا رَبُّكُمْ أَنْهُ وَحِدًا وَلَا مُؤْمِنَ وَلِمُ وَلَا عَلَيْهُمْ كَانُوا لِمُعْمِينَ ۞ وَمَدَا بِلا ولد ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْوَرْدِينِ ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميث. قوله تعالى: ﴿ وَلا تَذَرُّنِ فَكُونًا ﴾ أي: وحيداً بلا ولد ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَرْدِينِ ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميث.

قوله تعالى: ﴿ وَأَسْلَخَنَا لَمُ نَوْجَكُمُ ۚ فَهِ ثلاثة أقرال: أحدها: أُصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة. والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو: البذاء، فأُصلحت، قاله عطاء، وقال السدي: كانت سليطة فكف عنه لسانها. والثالث: أنه كان خُلُقها سيّناً، قاله محمد بن كعب(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَرِّعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ﴾ أي: يبادرون في طاعة الله. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: زكريا، وامرأته، ويجيى. والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة.

قوله تِعالَى: ﴿ وَيُدَّعُونَكَ ﴾ وقرأ ابن مسعودي وابن محيصن: ﴿ ويدعونا ۗ بنون واحدة ﴿

قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منا. وقرأ الأعمش: ﴿رُغْباً ورُمْباً» بضم الراءين وجزم الغين والهاء، وهما لغتان مثل النُّحُل، والنَّحَل، والسُّقْم، والسَّقَم، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَنشِيبِكِ﴾ أي: متواضعين

قوله تعالى: ﴿وَالَيْقِ آَمْمَكُنَ فَرَهُكَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مخرج الولد، والمعنى: منعته مما لا يحل. وإنما وُصِفَتْ بالعفاف لأنها تُلفت بالزنا. والثاني: أنه جيب درعها. ومعنى الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق، فهو يسمى فرجاً. وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿ نَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ أي: أمرنا جبريل، فنفخ في درعها، فأجرينا فيها رفح عيسى كما تجري الربح بالنفخ. وأضاف الروح إليه إضافة الملك، للتشريف والتخصيص ﴿ وَحَمَلُنَهَا وَالنَّهَا عَالِيهَ ﴾ قال الزجاج: لما كان شأنهما واحداً، كانت الآية فيهما آية واحدة، وهي ولادة من غير فحل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «آيتين» على التنبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَكِنِهِ أَتَتُكُمْ ﴾ قال ابن عباس: المراد بالأمَّة هاهنا: الدَّين. وفي المشار إليهم تولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، وهو معنى قول مقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء ﷺ، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم ذكر أهل الكتاب، فلمَّهم بالاختلاف، فقال تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمُ ۖ أَي: المختلفوا في الدِّين، ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِن السَّلِحَتِ ﴾ أي: المختلفوا في الدِّين، ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِن السَّلِحَتِ ﴾ أي: لا تجمع ما عمل، قاله ابن قتيبة، والمعنى: أنه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿ وَإِنَّا لَمُ صَّئِيبُونَ ﴾ ذلك، نأم الحفظة أن يكتبوه لنجازيه به.

﴿ وَحَكَرُمُ عَلَى فَرْيَةٍ أَمْلَكُنْهَا آنَهُمْ لَا يَرْجِمُونَ ۞ حَقَّى إِنَا فَيْحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِن كُلِ حَدَّتٍ يَسِلُونَ ۞ وَالْفَرَبُ ٱلْوَصْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِمَ شَنْجِصَةً أَيْصَدُرُ ٱلَّذِينَ كُفَكُوا يَنَهَلْنَا قَدْ كُنَّ فِي عَفْلَةٍ مِنْ هَمْنَا بَلَ كُنَّا طَلِيبِنَ ۞ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْمُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَسَبُ جَهَنَّمَ ٱلنَّمْ لَهَا وَرِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَمُولَاءً عَالِهَةً مَّا وَرَدُومَا وَكُلُّ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ رَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۞﴾

⁽١) قال ابن كثير: والأظهر من السياق الأولُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَنَمُ عَلَى تَرْكِيْهُ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿وحرام الف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وحِرْم الكسر المحاء من غير ألف، وهما لغتان. يقال: حِرْم وحرام. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: ﴿حَرْمٌ ابفتح المحاء وسكون الراء وسكون الراء من غير ألف والميم مرفوعة منونَّة. وقرأ سعيد بن جبير: ﴿وحَرْمٌ ابفتح المحاء وسكن الراء وفتح الميم من غير تنوين ولا ألف. وقرأ أبو المجوزاء، وعكرمة، والضحاك: ﴿وحَرْمٌ ابفتح المحاء والميم وكسر الراء من غير تنوين ولا ألف. وقرأ سعيد بن المسيب، وأبو مجلز، وأبو رجاء: ﴿وحَرُمٌ الفتح المحاء وضم الراء ونصب الميم من غير ألف. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَكَرُمُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى معنى قوله الماء ولان: أحدهما: وأجب، قاله ابن عباس، وأنشدوا في معناه:

فإنَّ حَرَاماً لا أَزَى السَّفْرَ بَساكِياً عَلَى شَجْوِه إِلاَّ بَكَيْتُ على عَمْرو(١١)

أي: واجب. والثاني: أنه بمعنى العزم، قاله سعيد بن جبير. وقال عطاء: حتم من الله. والمراد بالقرية: أهلها. ثم في معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: واجب على قرية أهلكناها أنهم لا يتوبون، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عباس نحوه. والثالث: أن (لا) زائدة؛ والمعنى: حرام على قرية مهلكة أنهم يرجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج، وابن قتيبة في آخرين. والرابع: أن الكلام متعلق بما قبله، لأنه لما قال: ﴿ وَلَا حَكُنُرانَ لِيَعْبِدِ ﴾ أعلمنا أنه قد حرَّم قبول أعمال الكفار؛ فمعنى الآية: وحرام على قرية أهلكناها أن يُتقبَّل منهم عمل، لأنهم لا يتوبون، هذا قول الزجاج. أفان قبل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟ فالجواب: أن المعنى: مُنعوا من ذلك، كما يُمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿ حَوْتُ إِذَا فَرْبِعَتَ يَأْجُوجُ وَمُأْجُوجُ ﴾ (٢) وقرأ ابن عامر: وفُتُحِت بالتشديد، والمعنى: فُتح الردم عنهم ﴿ وَهُمْ مِن كُلِ حَدُبِ قال ابن قتيبة: من كل نشز من الأرض وأكمة ﴿ يَسِلُون ﴾ من النسلان: وهو مقاربة الخطو مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر، والعَسَلان مثله. وقال الزجاج: الحَدَبُ: كل أكمة، وويَنْ لون الحدهما: أنه إشارة أبو رجاء العطاردي، وعاصم الجحدري: ويُنْسُلون عضم السين. وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ ﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهور، والثاني: إلى جميع الناس؛ فالمعنى: وهم يُحشّرون إلى الموقف، قاله مجاهد. والأول أصح، فإن قيل: أين جواب احتى ؟ ففيه قولان: أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿ وَاقْتَرَبُ الْوَعْدُ اللَّهُ وَلَوْ وَ فِي وَله تعالى: ﴿ وَاقْتَرِبُ وَاللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ عَلَى الناس؛ فالمعنى: وعالى: ﴿ وَاقْتَرِبُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلهُ اللَّهُ عَلَى الناس بعد قوله تعالى: ﴿ وَاقْتُرِبُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى الناس بعد الله بن مسعود: الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المُعْمَ، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً. والثاني: أنه قول محذوف في يأجوج ومأجوج، كالحامل المُعْمَ، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً. والثاني: أنه قول محذوف في ألموني: عنه الله الزجاج: هذا قول البصرين، فأما ﴿ آلْوَعْدُ ٱلْمَعْنُ ﴾ فهو القيامة.

⁽١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي الجاهلي، كما في «اللسان»: حرم، وهو في «غريب القرآن» ٢٨٨، ونسب للخنساء في «تفسير القرطبي» ٢١/ ٣٤٠، و«البحر المحيط» ٢٩/ ٣٣٩، و«روح المغاني» ٢١/ ٨٤، وفيها جميعاً: بكيت على صخر، ولا يوجد البيت في دسانياه.

⁽٢) تقدم الكلام على يأجوج ومأجوج في سورة (الكهف: ٩٤). قال ابن كثير: وهم من سلالة آدم ﷺ بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث، أي أبي الترك والترك والترك شرفعة منهم تُركوا من وراه السد الذي بناه قو القرنين، قال: وقد حكى النووي في فشرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، قعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواه، قال: وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم. وهم إذا خرجوا من السد يعيثون في الأرض فساداً، ويهلكون الحرث والنسل، وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، انظر فتفسير ابن كثيرة ٢/ ١٩٥ ـ ١٩٧.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ﴿ ﴾ في «هي» أربعة أقوال: أحشها: أن «هي» كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقول الشاعر:

لَعَمْرُوا إِيهِا لا تَقُولُ ظَعِينَتِي الْأَفَرُّ عَنَّي مَالِكُ بِن أَبِي كَعْبِ(')

فذكر الظعينة، وقد كنى عنها في العمرو أبيها». والثاني: أن «هي» [ضمير فصل، و](*) عمادٌ، ويصلح في موضعها «هو»، ومثله قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا نَعْمَى ٱلْأَيْصَارُ﴾ [العج: ٤٦]، وأنشدوا:

بعثوبٍ وَديسنسارٍ وشساةٍ ودرهسم فيهل هو مَرفوع بما هَا هُنا رأسُ (١٠٠٠)

ذكرهما الفراء. والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزة واقفة، يعني: من قربها، كأنها آتية حاضرة، ثم ابتدأ فقال: ﴿ شَخِصَةُ ﴾ ذكره الثعلبي. والرابع: أن همي» كناية عن القصة، والمعنى: القصة أن أبصارهم شاخصة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. قال المفسرون: تشخص أبصار والمعنى: القصة أن أبصارهم شاخصة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. قال المفسرون: تشخص أبصار كنا الكفار من هول يوم القيامة، ويقولون: ﴿ بَكَيْلَا لَدَّ كُنَا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ في غَفْلَةٍ يَنْ هَذَا ﴾ أي: عن هذا ﴿ بَلَ كُنَا ظَلِيبِكَ ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا. ثم خاطب أهل مكة فقال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعَبُدُونَ مِن دُوبِ السَّي عني: الأصنام ﴿ حَسَّبُ مَهَنَدُ وَقَرا علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعمر بن عبد العزيز: «حَطّب» بالطاء. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وابن السميفع: «حَضّب» بالضاد المعجمة المفتوحة. وقرأ عروة، ومعاذ القارئ: «حِضْب» بكسر المعجمة أبي عبلة: «حَصْب جهنم» بإسكان الضاد المعجمة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو حيوة، ومعاذ القارئ: «حِضْب» بكسر المحتمة قل النزجاج: من قرأ «حَصَب جهنم» فمعناه: كلُّ ما يرمى به فيها، ومن قرأ «حطب» فمعناه: ما تُوقد به، ومن قرأ بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النار وتُذْكى به. قال ابن قتية: الحصّب؛ ما ألقي فيها، وأصله من الحَصْب؛ ما ألقي فيها، وأصله من الحَصْباء، وهو: الحصى، يقال: حصبتُ فلاناً: إذا رميّة، حَصْباً، بَسْكين الصاد، وما رَمِيْت به فهو حَصّب، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنَدُ ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَرِدُونَ ﴾ أي: داخلون. ﴿لَوْ كَاتَ هَلُوْلَآ ﴾ يعني: الأصنام ﴿ اللهَ أَلَوْ اللهُ على الحقيقة ﴿ مَا وَرَدُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النار. والثاني: أنه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النار. والثالث: أنه إشارة إلى الآلهة وعابديها، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ فِيهَا خَلِدُكَ ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ لِيهَا زَفِيرٌ ﴾ قد شرحنا معنى الزفير في [مود: ١٠٦]. وفي علَّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نار، ثم يُقدَّفون في توابيت من نار مقفلة عليهم، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل. وقال ابن مسعود: إذا بقي في النار مَنْ يحلَّد فيها جُعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يسمعون شيئًا، ولا يرى أحدهم أن في النار أحداً يعذَّب غيرُه (1). والثاني: أن السماع أنسٌ، والله لا يحب أن يؤنسَهم، قاله عون بن عمارة. والثالث: إنما لم يسمعوا لشدة غليان جهنم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنْنَا ٱلْحُنْنَىٰ أَوْلَتِهِكَ عَنْهَا شَهْمَدُونَ ﴿ لَا يَسْتَعُونَ حَسِيسَهُمُ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيدُونَ ﴿ لَا يَسْتَعُونَ حَسِيسَهُمُ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيدُونَ ﴿ لَا يَعْرَبُهُمُ ٱلْفَرَى حَسُنَتُمْ مُوكُمُ اللَّذِي حَسُنَتُمْ مُوكُونَ ﴿ يَوْمَ نَظْرِي الشَكَآةُ كَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمُعَلَّا مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللللللّهُمُ اللّهُمُ اللللللّهُ الللللللللللّ

⁽١) البيت غير منسوّب في الطبري؛ ٩٢/١٧، والبحر، ٦/ ٣٤٠، والقرطبي؛ ١١/ ٣٤٢، واروح المعاني، ١٧/ ٨٥.

⁽٢) ما بين المعقفين، زيادة من «روح المعاني».

⁽٣) البيت غير منسوب ني فمعاني القرآن؛ للفراء ٢/٥١، وفالطبوي، ١٣/١٧، وفالبحر، ٢/٣٤٠، وفروح المعاني، ١٧/٥٨.

⁽٤) • الطبري؛ ١٧/ ٩٥، وذكره السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، والطبراني، والبيهقي في اللمبية عن عبد الله بن مسعود اللهبية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيْنَ سَبَقَتَ لَهُم مِنَّا الْحُسَّيَّ مَبِه ابْ لما نزلت ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا نَمْبُلُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَمَّتُ جَهَنَّم هُنَّ ذَلك على قريش، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابن الرّبعرى، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، فقال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله على قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عُبد من دون الله ابن الرّبعرى: خُصمت وربّ هذه البنية، الست تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيراً عبد صالح، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيراً، فضج أهل مكة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (١٠). وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَمْبُدُونَ الله النّبي سبقت لهم مِنّا الحسنى، وهي قراءة ابن مسعود، وقال: فرمَنْ، وقيل: فإنه ابن عباس وقبر، نهيك، فإنهما قرءا: وإلا الذين، وروي عن عليّ بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن (١٠). وفي المراد فبالحسنى، قولان: أحدهما: الجنة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ أُولَيْهِ كَنَهُ آي: عن جهنم، وقد تقدم ذكرها ﴿ شُعَدُونَ ﴾ والمبعد: طول المسافة، والحسيس: الصوت تسمعه من الشيء إذا مَرَّ قريباً منك. قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْرُنُهُمُ الْلَاكِمُ الْلَاكِمُ الْلَاكِمُ الْلَاكِمُ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن أبي عبلة، وابن محيصن، وأبو جعفر الشيزري عن الكسائي: ﴿لا يُحْرِنُهُم بضم الياء وكسر الزاي، وفي الفزع الأكبر أربعة أقوال: أحدها: أنه النفخة الأخرة، رواه العوفي عن ابن عباس؛ وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم، ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَنُلْقَنْهُمُ اللَّلَكِمُ اللَّلَيَكُهُ وَ وَالثَانِي: أنه إطباق النار على أهلها، رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه ذبح الموت بين الجنة والنار، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن جريج، والرابع: أنه الضحاك. والثان الناد، قاله الحسن البصري، وفي مكان تلقي الملائكة لهم قولان: أحدهما: إذا قاموا من قورهم، قاله مقاتل. والثاني: على أبواب الجنة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ مَنْنَا يَوْبُكُمْ ﴾ فيه إضمار: (يقولون) هذا يومِكِم ﴿ أَلَذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فيه الجنة.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى اَلتَكَآءَ ﴾ (*) وقرأ أبو العالية، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر: «تُطُوى» بتاء مضمومة «السماء» بالرفع؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿ كَلَيّ اَلْيَجِلّ اللَّكُتُبُ وَا الجمهور: «السّجِلّ» بكسر السين والجيم وتشديد اللام. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، ومحبوب عن أبي عمرو: «السّجُلِ» بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة. وقرأ أبو السماك كذلك، إلا أنه فتح الجيم.

قوله تمالى: «للكتاب» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «للكتاب», وقرأ حمزة، والكسائي وجفص عن عاصم: «للكتب» على الجمع. وفي السّجل أربعة أقوال: أجدها: أنه مَلك، قاله علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي. والشاني: أنه كاتب كان لرسول الله على وواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (٤٠). والثالث: أن السجل

⁽١) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٥، و«الطبري» ١٧/١٧» وذكره السيوطي في «الدر» ٣٣٨/٤، وزاد نسبته لأبي داود في «ناسخه» وابن المنلر، وابن مردويه، والطبراني من وجه آخر هن ابن هباس. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن الزبعرى خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَكَا نَصْبُكُنُ مِن بُوبِ اللهِ حَسَبُ حَمَّنَدٌ ﴾ فكيف يورد على هذا المسيح والعزير وتحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده؟! وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك، واعتبر هما كان يهاجي به المسلمين أولاً.

٢) ذكره السيوطي في «الدر» من زواية ابن أني حاتم، وابن عدي، وابن مردويه عن النعمان بن بشير.

⁽٣) روى البخاري في اصحيحه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهُ يَقْبَضَ يُومُ الْقَبَامَةُ الأَرْضِينَ، وتكون السموات بيمينه، ﴿

⁽٤) رواه الطبري ١/٠/١٠، ورواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما، قال ابن كثير ٣/ ٢٠٠ لا يصح، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان =

بمعنى: الرجل، روى أبو الجوزاء عن ابن عباس، قال: السجل، هو الرجل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: وقد قيل: «السجل» بلغة الحبشة: الرجل. والرابع: أنه الصحيفة. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والفراء، وابن قتية (١٠). وقرأت على شيخنا أبي منصور، قال: قال أبو بكر، يعني - ابن دريد -: السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألتفت إلى قولهم: إنه فارسي معرب، والمعنى: كما يُطوى السجل على ما فيه من كتاب. و«اللام» بمعنى «على». وقال بعض العلماء: المراد بالكتاب: المكتوب، فلما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة، جعل السجل كأنه يطوي الكتاب. ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿ كُما بَدَأَنا أَنَلَ خَلَقٍ نُمِيتُهُ الخلق هاهنا مصدر، وليس بمعنى المخلوق. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: كما بدأناهم في بطون أمَّهاتهم حفاة عُراةً غُرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة؛ روي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراةً خفاةً غرلاً كما خُلقوا، ثم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده (واه العوفي عن ابن عباس، والى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أن المعنى: إنا نُهلك كل شيء كما كان قبورهم، كما ينبتون في بطون أمَّهاتهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن المعنى: قُدرتنا على الإعادة قبورة على الإبداء، قاله الزجاح.

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَّا ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله تعالى: «نعيده بمعنى: وعدنا هذا وعداً، ﴿ إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ أي: قادرين على فعل ما نشاء. وقال غيره: إنا كنا فاعلين ما وَعَدْنا.

قوله تعالى: ﴿ رَلَتُكُ كَتَبُكَا فِي الزَّيْوِينُ بَمْدِ الدِّكِي فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الزَّبور جميع الكتب المنزلة من السماء، واللَّذُّور؛ أمُّ الكتاب الذي عند الله، قاله سعيد بن جبير في رواية، ومجاهد، وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبير، فإنه قال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، والذُّكر: الذي في السماء، والثاني: أن الزبور: القرآن، والذُّكر: التوراة الزبور: التوراة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الزبور: القرآن، والذُّكر: التوراة والإنجيل، قاله سعيد بن جبير في رواية. والرابع: أن الزبور: زبور داود، والذُّكر: ذِكْر موسى، قاله الشعبي، وفي الأرض المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون، والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب، وفي قوله تعالى: ﴿ رَبُهُا عِبَادِى الشَيْلِوُنَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمَّة محمد ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي رواية: ترث أمَّة محمد أرض الدنيا بالفتوح، والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابن السائب، والثالث: أنه عام في كل صالح، قاله بعض فقهاء المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِ هَلَاكُ يعني: القرآن ﴿ لَبُلَانَكُ اي: لكفاية؛ والمعنى: أن من اتبَّع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغه إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿ لِتَوْمِ عَكِيدِينَ ﴾ قال كعب: هم أُمة محمد ﷺ الذين يصلُّون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسُلُنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْمُنكِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الفاجر، فمن آمن به تمت

في فسنن أبي داوده، منهم شيخنا الحافظ المزي، قال: وقد تصدَّى ابن جرير للإنكار على هذا الحديث، ورده أنم ردَّ، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكتَّاب النبي ﷺ معروفون، وليس قيهم أحد اسمه السجل، قال: وصدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، قال: والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة.

⁽١) وهو الصواب، كما ذكر ابن كثير،

⁾ رواه البخاري ٢٧٥/٦، ومسلم ٢١٩٤/٤، ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن عباس في قال: قام فينا رسول الله في خطيباً بموعظة فقال: فيا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة حراة خرلاً فركنا بكأناً أنَّل تَحَلِق نُمِيدُم وَعَلَا عَلَيْناً إِنَّا كُنَا فَنبِيرٍ ﴾. وفي الصحيحين، من حديث عائشة في قالت: سمعت رسول الله في يقول: فيحشر الناس يوم القيامة حفاة حراة غرلاً قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال في: فيا هاتشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

⁽٣) روى مسلم في اصحيحه ٢٠٠٧/٤ عن أبي هريرة رضي قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: الني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة، 😑

له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة (١). وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة.

﴿ فَلْ إِنَّمَا يُوَىٰ إِلَى أَنَمَا إِلَهُ كُمْ إِلَهُ وَحِدُ فَهَلَ أَنتُهُ مُسَلِمُون ﴿ فَإِنْ فَقُلْ مَاذَنكُمْ عَلَى سَوَاتُو وَإِنْ أَدَرِي الْمَارُونِ وَمِنْ الْمَوْرِ وَيَسْلَمُ مَا نَكْتُمُونَ ﴿ وَإِنْ أَدَرِي لَعَلَمُ فِئْنَةٌ لَكُمْ وَمَنتُمُ إِلَى الْمَوْرِي وَيَسْلَمُ مَا نَكْتُمُونَ ﴿ وَمِنْ الْمَوْرِي اللَّهُ الْمُعْمَى الْمُعْمَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمُنتُم إِلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ فَهَلَ أَنتُم تُسْلِمُونَ ﴾ قال ابن عباس: فهل أنتم مخلِصون له العبادة؟ قال أهل المعاني: هذا استفهام بمعنى الأمر.

قول تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا ولسم يـؤمـنـوا ﴿ فَقُـلُ ءَانَنُكُمْ عَلَى سَوَلَةٍ ﴾ في مـعـنـى الـكــلام قولان: أحدهما: نابذتُكم وعاديتُكم وأعلمتُكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوينا في العلم بذلك، وهذا من الكلام المختصر، قاله ابن قتية. والثاني: أعلمتكم بالوحي إليَّ لتستووا في الإيمان به، قاله الزجاج.

َ . قُولُه تَعَالَى: ﴿وَلِنَّ أَدْرِيَ ﴾ أي: وما أدري ﴿ أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوْعَدُونَ ﴾ بـنـزول الـعـذاب بـكــم. ﴿ إِنَّهُ يَمْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ وهو ما يقولونه للنبي ﷺ: ﴿مَنَىٰ هَذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [بس: ٤٨]، و﴿مَا تَكْتُسُونَ﴾ إسرارهم أن العذاب لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَمَلُمُ فِتُنَةً لَكُرُ ﴾ في هاء ولَمَلُه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما آذنهم به، قاله الزجاج. والثاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعل تأخير العذاب عنكم فتنة، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. ومعنى الفتنة هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَنَتُم إِلَى حِينِ ﴾ أي: تستمتعون إلى انقضاء آجالكم. ﴿قَالَ رَبٍّ ﴾ وروى حفص عن عاصم: «قال رَبّ هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَنَتُم إِلَى عَينِ عِقوب: «ربّي، بفتح الياء وأحْكُم، بقطع الهمزة وفتح ﴿اَمْكُ وَرا أبو جعفر: وربّ احكم، بضم الباء. وروى زيد عن يعقوب: «ربّي، بفتح الياء وأحْكُم، بقطع الهمزة وفتح الكاف ورفع الميم. ومعنى ﴿أَمْكُم بِلَهُونِ ﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي نزوله حتى، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما بعده من الأيام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق. ومعنى ﴿كَلَ مَا نَصِفُونَ ﴾ أي: من كذبكم وباطلكم (٢٠). وقرأ ابن عامر، والمفضل عن عاصم: «يصفون» بالياء. فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق؟ فالجواب: أن المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنه استعجل النصر عليهم.

卷 卷

⁼ وروى الدارمي ٩/١ عن أبي صالح مرسلاً قال: كان النبي ﷺ يناديهم يقول: فيا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة، وقد وصله الحاكم ٣٥/١ عن أبي هريرة ﷺ وصححه، ووافقه الذهبي.

 ⁽١) ذكر ابن كثير ٣/ ٢٠٢ من رواية الطبراني عن ابن عباس ، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَكُنْكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْمَكَنِينَ ﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في اللنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري ١٠٩/١٧ . وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحَنُ النَّسَتَمَانُ عَنْ مَا خَيشُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستمينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله: ﴿ مَلْ اللَّهِ يَكُرُ مِنْالُكُمْ أَنْالُوكَ الْبَحْرَ وَأَشْرَ تَشْرُكُ ﴾ وفي كذبكم على الله جل ثناؤه، وقيلكم: ﴿ أَشَدُ الرَّحَنُ وَلَنَا﴾، فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

سورة الحج

بند الله الكني التجديد

﴿ يَمَايُنُهُمَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَازَلَةَ البَّتَاعَةِ شَيْءٌ عَظِيدٌ ۞ يَوْمَ تَـرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُنُلُ مُرْضِعَتُهُ عَمَّا أَرْضَعَتُ وَتَضَيَّعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَّلٍ خَلَهَا وَرَى النَّاسَ سُكَنَرِىٰ وَمَّا هُم بِسُكَنَرَىٰ وَلَئِكَنَّ عَلَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۞ وَيَنَ النَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرٍ عِلْمِ وَيَشَيْعُ كُلُ شَيْطِانِ مَرِيدٍ ۞ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنْهُ مِن ثَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِفَّةٌ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السِّعِيرِ ۞﴾

فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلّها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَبِنَ النّاسِ مَن بَعبُدُ اللّهَ عَلَى حَرْقِ ﴾، والتي تليها [المعج: ١٦، ١٣]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن فَبِّلِكَ مِن رَسُولِ... ﴾ إلى آخر الأربع [المعج: ٥٠-١٥]. وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿ هَذَانِ خَصَّانِ ﴾ واللتان بعدها [المعج: ٢٠- ٢٧]. وقال أبو سلميان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَبِيرٍ المُعْيِنِينَ ﴾ [المعج: ٨٠] وسائرها مكي، وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ لَلْمَيِيلِ ﴾ [المعج: ٢٠- ٢٥]. وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكياً، ومدنياً، وصفرياً، وسفرياً، وسوياً، وسلمياً، وليلياً، ونهارياً، وناسخاً، ومنسوخاً؛ فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين وأما الليليُّ، فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاريُّ، فمن رأس خمس [آيات] إلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إلى المدينة، لقرب مدَّته.

قوله تعالى: ﴿اللّهُ عَلَيْ رَبَّكُمُ أَي: احذروا عقابه ﴿إِنَ زَازَلَةَ السّاعَةِ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة، وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور. روى عمران بن حصين عن رسول الله على أنه قرأ: ﴿إِنَ زَازَلَةَ السّاعَةِ شَىءُ عَلِيمٌ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرّبُ عَن آدم على: ابعث بعثاً إلى النار، فذكر الحديث (١٠). وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله على: "يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم، فابعث بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعين إلى النار، فحيتئل يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها ، وقرأ الآية (٢٠). وقال ابن عباس: زَلْزَلَةُ الساعة: قِيَامُها، يعني أنها تُقارِب قيام الساعة، وتكون معها. وقال الحسن، والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة (٣٠). والغاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشراط الساعة، قاله علقمة، والشعبي، وابن جريج. وروى أبو العالية عن أُبيُّ بن كعب، قال: ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك

⁽١) رواه أحمد في «المسندة ٤٣٢/٤، والترمذي ١٤٦/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الطبري ١١١/١٧، وأورده السيوطي في «الدرة ٤/ ٢٣ واللمرة ٤٣ وواه الطبري ١١١/١٧، وأورده السيوطي في «الدرة ٤٣ و٣٤، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين الله عليه .

⁽٢) رواه أحمد في االمسند، والبخاري ٨/٣٣٥، ومسلم ٢٠١/١ وله بقية عندهما، ورواه الطبري ١١٢/١٧، وأورده السيوطي في اللد، ٣٤٤/٤ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في الأسماء والصفات، عن أبي سعيد الخدري ﴿

⁽٣) واختار ذلك ابن جرير الطبري وغيره، واحتجوا على ذلك بأحاديث، انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٥ عند تفسير هذه الآية، فقد ذكر الأحاديث التي تدل على أن الزلزلة تكون يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور.

إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطير، والوحش، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور، فإذا هي نار تَأجَّج، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض إلى الأرض النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا كذلك إذ جاءتهم الربح فماتوا (۱). وقال مقاتل: هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فزعاً شديداً فيشيب الصغير، وتضع الحوامل.

قوله تعالى: ﴿ شَنُّ عَظِيدٌ ﴾ أي: لا يوصف لعِظَمه.

قوله تعالى: ﴿ يَمُ تَرَوْنَهَا﴾ يعني الزلزلة ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَكَةٍ عُمَّاً أَرْضَعَتُ﴾ فيه قولان: أحدهما: تسلو عن ولدها، وتتركه، قاله ابن قتيبة. والثاني: تُشْغَل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحة:

ويسذهسل السخسلسيسل عسن خسلسيسلسه

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة: «تُذهِل» برفع التاء وكسر الهاء «كلَّ» بنصب اللام. قال الأخفش: وإنما قال: «مرضعة»، لأنه أراد _ والله أعلم _ الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: «مرضع». قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبلى.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، اوتُرى، بضم التاء ومعنى السكارى، من شدة النوف ﴿وَمّا هُم بِسُكَرَىٰ﴾ من الشراب، والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمرُّ بهم، يضطربون اضطراب السكران من الشراب. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: استُرى وما هم يستَكرى، وهي قراءة ابن مسعود. قال الفراء: وهو وجه جيد، لأنه بمنزلة الهَلْكى والجَرْحى. وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن السميفع: اسكارى وما هم بسكارى، بفتح السين والراء وإثبات الألف، ﴿وَلَلْكِنَ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فيه دليل على أن سكرهم من خوف علما به الله المنابه و

قوله تعالى: ﴿وَيَنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث^(٢). وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كلَّما نزل شيء من القوآن كنَّب به، قاله ابن عباس. والثاني: أنه زعم أن الملائكة بنات الله، قال: أحدها: أنه قال: لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ يُغَيِّرِ عِلْمِ ﴾ أي: إنما يقوله بإغواء الشيطان؛ لا بعلم ﴿ وَيَنَّيِّمُ ﴾ ما يسوَّل له ﴿ كُلَّ شَيْعَانِ مَّرِيدٍ ﴾ وقد ذكرنا معنى االمريدة في سورة [النساء: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّمُ مَن تَوَلَاهُ ﴾ (كُتب بمعنى: قُضي والهاء في (عليه) وفي (تولاه) كناية عن الشيطان. ومعنى الآية: قضي على الشيطان أنه يُضِلُّ مَن اتَّبعه. وقرأ أبو عمران الجوني: (كُتب بفتح الكاف (أنه) بفتح الهمزة [فإنه بكسر الهمزة]. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلى، والضحاك، وابن يعمر: (إنه) (فإنه بكسر الهمزة فيهما. وقد يُبَّا معنى (السعير) في سورة النساء: ١٥].

﴿ يَكَأَيْهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَبِ مِنَ الْبَمْثِ فَإِنَّا خَلَقَتَكُمْ مِن نُوابِ ثُمَّ مِن نُطْفَةِ مُمَّ مِن طَقَةِ ثُمَّ مِن مُشْفَةٍ مُخَلَقةِ وَغَيْرِ مُخْلَقة وَ لَهُ النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي الْمَرْمَالُ اللَّهُ مَن النَّكَامُ إِنَّ أَجَلِ مُسَمَّى ثُمَّ شُنْدِهُكُمْ طِفْلَا ثُمَّ لِتَبَلُغُوا الشَّكَ ثُمْ وَمِنكُمْ مَن يُتُوفَّى وَيَسِكُم مَن يُرَفِّى وَيَسِكُم مَن يُرَفِّى وَيَسِكُم مَن يُرَدُّ إِنَّ أَرْنَكِ الْمُمُولِ الحَيْلَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ هَيْنَا وَيَرَى الْأَرْمَى عَلِيدًا أَنْزَلُ الْمُمُولِ الحَيْلَةُ وَلَيْمُ مِنْ الْمَوْقَ وَلَنَّمُ عَلَى الْمُؤْولِ اللَّهُ مُولَ اللَّهُ مُولَ اللَّهُ وَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ الْمَوْقَ وَلَقَمْ عَلَى كُلِ مُنْهُ وَلِيدٌ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُولَ اللَّهُ وَلَيْمُ عَلَى كُلِ مُنْهُ وَلَامِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْ

⁽١) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٣٠ عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا ٱلنُّجُومُ النَّكْتَرَةُ ۚ ۞﴾، وفي سنده الحسين بن واقد. قال الحافظ في هالتقريب: ثقة له أوهام، وذكره ابن كثير ٤/٠٥٤ من رواية ابن جوير، وابن أبي حاتم.

 ⁽٢) فأسباب النزول؛ للسيوطي ١٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، وذالد؛ ٤٤٤٤.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَبُّهَا النَّاسُ ﴾ يعني: أهل مكة ﴿ إِن كُنتُمْ فِي رَبِّ مِنَ ٱلْبَصْرُ ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمُ مِن أَلْمَتْ ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿ فَإِنَّا خَلَقَنَكُمُ مِن نُطْفَتَ ﴾ يعني: خَلْقَ ولده ، والمعنى: إن شككتم في بعثكم فتدبَّروا أمر خلقكم وابتدائكم ، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين الابتداء والإعادة. فأما النطفة ، فهي المني . والعلقة : دم عبيط جامد . وقيل : صميت علقة لرطوبتها وتعلَّقها بما تمرُّ به ، فإذا جفَّت فليست علقةً . والمضغة : لحمة صغيرة . قال ابن قيبة : وسميت بذلك ، لأنها بقدر ما يُمضغ ، كما قيل : غرفة لقدر ما يُغرَف .

قوله تعالى: ﴿ نُحَلَقَةُ وَغَيْرِ مُحَلَقَةً ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن المخلَّقة: ما خُلق سويًا، وغير المخلَّقة: ما ألقته الأرحام من النطف، وهو دم قبل أن يكون خَلْقًا، قاله ابن مسعود. والثاني: أن المخلَّقة: ما أكمل خَلْقه بنفخ الروح فيه أدن وهو الذي يولد حيًا لتمام، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حيًّ لم يكمل خَلْقُه بنفخ الروح فيه، هذا معنى قول ابن عباس. والثالث: أن المخلَّقة: المصوَّرة، وغير المخلَّقة: غير مصورَّة، قاله الحسن. والرابع: أن المخلَّقة وغير المخلَّقة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صُوِّر بعضه، وتارة قد صُوِّر كلُّه، قاله السدي. والمخامس: أن المخلَّقة: التامة، وغير المخلَّقة: السقط، قاله الفراء، وابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ لِلْنَهُ بِنَكُمْ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقناكم لنبيّن لكم ما تأتون وما تذرون. والثاني: لنبيّن لكم في القرآن بُدُوَّ خَلْقِكم، وتنقُّلَ أحوالكم. والثالث: لنبيّن لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم. والرابع: لنبيّن لكم أن البعث حق. وقر أبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة: «ليبيّن لكم) بالياء.

قوله تعالى: ﴿ وَيُفِرُ فِي ٱلْأَرْمَارِ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: ﴿ ويُقَرُّ بباء مرفوعة وفتح القاف ورفع الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو إسحاق السَّبيعي: ﴿ ويُقِرَّ بياء مرفوعة وبكسر القاف ونصب الراء. والذي يُقَرُّ في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطاً، ﴿ إِلَىٰ أَجَلِ شُمَّى ﴾ وهو أجل الولادة ﴿ أَمْ غَنْرِهُكُمْ طِفَلا ﴾ قال أبو عبيدة: هو في موضع وأطفال ، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿ وَالْمَانِكَ مُ بَعَدَ ذَلِكَ ظَهِيرً ﴾ [التحريم: ١٤ أي: ظهراء، وأنشد:

فَــقُــلُـنــا أســلِــمــوا إنَّــا أخــوكــم فــد بَــرِئــتُ مــن الإِحَــنِ الــصـــدورُ (۲) وأنشد أيضاً:

ني خُلْق كم عنظم وقد شَجيدا(")

وقال غيره: إنما قال: "طفلاً" فوجَّد، لأن الميم في قوله تعالى: ﴿ غُنْرِمُكُمَّ ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّرَ لِتَبْلُغُوٓا ﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نعمُّركم لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى «الأشُد» [الأنعام: ١٥٣]، ﴿ وَيَنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْزَلِ ٱلْمُكُرِ ﴾ وقد شرحناه في [النحل: ٧٠] ثم إن الله تعالى دلَّهم على إحيائه المموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفئت فذهبت.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاتَ ﴾ يعنى: المطر ﴿ أَمْتَرَّتْ ﴾ أي: تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات

⁽١) عن عبد الله بن مسمود على قال: حدثنا رسول الله على وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك مقدة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشمقي أو سميد، قوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النجة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، منت عليه، الكتاب فيعمل بعمل أهل النار على ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، منت عليه، واللفظ لمسلم.

⁽٢) البيت للعباس بن مرداس، وهو في همجاز القرآن» ٧٩/١، و٧٤٪، و«الأغاني» ١٠١/٦، و«الإصابة» رقم (٤٥١١)، و«الاستيعاب» ٦/١٠١، و«الخزانة» ١٠١/٣، و«الشتمري» ١٠١/٨.

⁽٣) تقدم ٢٩٩، فانظره هناك.

إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَّتُ﴾ أي: ارتفعت وزادت. وقال المبرِّد: أراد: اهتزَّ نباتها وربا، فحذف المضاف. قال الفراء: وقرأ أبو جعفر المدني: «وربأت» بهمزة مفتوحة بعد الباء. فإن كان ذهب إلى الرَّبيئة الذي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَيْجٍ بَهِيجٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حَسَنٍ يبهج، أي: يسرُّ، وهو فعيل في معنى فاعل.

قوله تعالى: ﴿ وَلَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك كما وصف لكم. والأجود أن يكون موضع «ذلك» رفعاً، ويجوز أن يكون نصباً على معنى: فعل الله ذلك بأنه هو الحق.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ أي: ولتعلموا أن السَّاعة ﴿ مَاسَدٌّ ﴾

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَلَا مُمُدًى وَلَا كِنَابٍ ثَمِيرٍ ۞ ثَانِيَ عِطْفِهِ. لِيُضِلِّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُ فِي ٱلدُّنيَا خِزْيٌ ۖ وَتُلْمِيْهُمُ بَوْمَ ٱلْفِيكَمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا مَنْدَتُ بِدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّدِ لِلْعَبِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَيَنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ ﴾ قد سبق بيانه. وهذا مما نزل في النضر أيضاً. والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: ﴿ يَانِى عِطْفِهِ ﴾ العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباً عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي. قال الزجاج: «ثانيً منصوب على الحال، ومعناه: التنوين، معناه: ثانياً عِطفه. وجاء في التفسير: أن معناه: لاوياً عنقه، وهذا يوصف به المتكبِّر، والمعنى: ومن الناس من يجادل بغير علم متكبِّراً.

قوله تعالى: ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ أي: ليصير أمره إلى الضلال، فكأنَّه وإن لم يقدَّر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، ﴿ أَمُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى الصَّالِ اللهُ وَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن بَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْقٍ فَإِنْ أَصَابُهُ خَيْرُ الْمَانَانَ بِيَّهُ وَلَنْ أَصَابَتُهُ فِنْنَةُ انْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ. خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَحِيدُ ۞ يَدْعُواْ لَمَن صَرَّبُهُ أَفْرَبُ هُوَ الضَّلَالُ الْبَحِيدُ ۞ يَدْعُواْ لَمَن صَرَّبُهُ أَفْرَبُ مِن تَفْعِهُ فَاللَّهُ الْفَكِيلِخَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْيَمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْ

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفِ ﴾ قال مجاهد، وقتادة: «على شكّ»، قال أبو عبيدة: كل شاكٍ في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكّن منه، فشبّه به الشاكُ، لأنه قَلِقٌ في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: ﴿قَلَنَ أَسَابُهُ خَيْرٌ ﴾ أي: رخاءٌ وعافية ﴿الْمَأَنَّ بِيرٌ ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنَ أَسَابُهُ خَيْرٌ ﴾ أي: رخاءٌ وعافية ﴿الْمَأَنَّ بِيرٌ ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنَ أَسَابُهُ خَيْرٌ ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفر. والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر"، ﴿خَيْرَ الدُّنِا﴾ حيث لم يظفر بما أراد منها، ﴿وَ﴾ خسر ﴿الأَخِرَةَ ﴾ بارتداده عن الدين. وقرأ أبو رزين

⁽١) رواه البخاري ٨/ ٣٣٦، والطبري، ١٧/ ١٧٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٦/٤ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

⁽٢) • أسباب النزول؛ للواحدي ١٧٦ عن عطية عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «المدر؛ ٣٤٦/٤ عن ابن مردويه من طريق عطية عن أبي سعيد الخدري. ٣) قال ابن كثير ٢٠٩/٣: وقال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم: هو المنافق إن صلحت له دنياه، أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، _

العقيلي، وأبو مجلز، ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وابن أبي عبلة، وزيد عن يعقوب: «خاسِرَ الدنيا» بألف قبل السين، وبنصب الراء «والآخرةِ» بخفض التاء. ﴿يَدَعُوا ﴾ هذا المرتد، أي: يعبد ﴿مَا لَا يَضُرُّم ﴾ إن لم يعبده و﴿لَا يَنْمُكُم ﴾ إن أطاعه ﴿ذَلِك ﴾ الذي فعل ﴿هُو ٱلفَيلَالُ ٱلْبَحِيدُ ﴾ عن الحق ﴿يَدَعُواْ لَمَن ضَرُّم ﴾ قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو مَن ضره. وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو مَنْ لضره ﴿أَوْبُ مِن نَفْعِهُم أَن تكون أول الكلام، فقدّمت لتجعل في حقّها، قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه. فإن قبل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟ فالجواب: أنه لا نفع من قبله أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: ﴿ لِيَشَنَ ٱلْمَوْلِيَ وَلِيْلَسَ ٱلْمَشِيرُ ﴾ قال ابن قتيبة: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل.

﴿ مَن كَانَ يَعْلُنُ أَنَ لَنَ يَشُرُهُ اللّهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآيَخِرَةِ فَلْيَمْدُدُ مِبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيُفطَعُ فَلْيَنظُرُ هَلْ لِيُذْهِبَنَّ كَيْدُمُ مَا يَغِيظُ ﴿ وَكَنالِكَ أَنْزَلْتُهُ مَايَدِي مَنْ يُلِيدُ ۞ إِنَّ اللّذِينَ ءَامَنُواْ وَاللّذِينَ هَادُواْ وَالطّنبِذِينَ وَالنّصَرَىٰ وَالْمَنجُوسَ وَالَّذِينَ أَمْدُوا وَاللّذِينَ هَادُواْ وَالطّنبِذِينَ وَالنّصَرَىٰ وَالْمَنجُوسَ وَالّذِينَ أَمْدُوكُوا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِي شَيْءٍ شَهِيدُ ۞﴾ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِي شَيْءٍ شَهِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَطُنُّ أَن لَن يَعُمُو اللهُ فِ الدُّيْلَ وَالْآيَخِرَةِ ﴾ قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد، وغطفان، قالوا: إنا نخاف أن لا يُنْصَرَ محمدٌ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود (١٠) وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتسَّعت، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: ﴿ وَنِنَ النَّاسِ مَن يَعَبُدُ اللهَ عَلَى حَرَقِ ﴾. وفي هاء الينصره قولان: أحدهما: أنها ترجع على المن والنصر: بمعنى الرزق، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد. قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: مَنْ ينصرني نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الراعى:

[إذا أدبيس السشيهيس السحسرام فسودمسي يسلاد تسميسم] وانسمسوي أزفن مسامسو^(۲)

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله على عن المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، رواه التميمي عن ابن عباس (3) وبه قال عطاء، وقتادة. قال ابن قتية: وهذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتباعه، ويخشّؤن أن لا يتم أمره، فقال هذه الآية للفريقين. ثم في معنى [هذا] النصر قولان: أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقى.

انقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر اهـ. نعوذ بالله من ذلك.

 ⁽١) ذكره الطبري ١٢٨/١٧ بدون سند.
 (٢) همجاز القرآن، ٢٦/٦٤، و«الجمهرة» ٢٩/٢»، و«اللسان» و«التاج»: نصر.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري ١٢٨/١٧ : وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك، قول من قال: الهاء من ذِكْرِ نبيّ الله على ودينه، وذلك أن الله تعالى ذِكْرُه، ذكر قوماً يعبدونه على حرف، وأنهم يطمئنون باللين إن أصابوا خيراً في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدُون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها أتبعه إياها أتبعه إياها أتبعه إياها أتبعه إياها أتبعه إياها أتبعه إلىها أتبعه إلىها توبيخاً لهم على ارتدادهم عن اللين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامت، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمد بحبل إلى سماء فوقه، إما منقف بيت، أو غيره مما يملل به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهب كيده - اختناقه كذلك - ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه، أن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه. اهد.

قوله تعالى: ﴿ نَلْيَمَدُدُ بِسَبَ إِلَى السَّمَارَ فِي المراد بالسماء قولان: أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشدد حبلاً في سقف بيته، فليختنق به ﴿ ثُمَّ لِيُقَلِّمُ الحبل ليموت مختنقاً، هذا قول الأكثرين. ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسه لا أنه يفعله، لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم. والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قاله ابن زيد (١٠).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَيُقَلَعُ قَرَا أَبُو عمرو، وابن عامر: قَمْ لِيقَطَعُ قَمْ لِيقضُوا اللهِ: ٢٩ بكسر اللام. زاد ابن عامر قوليوفوا الله: ٢٩ قوليطوفوا الله الله الله الله أيضاً. وكسر ابن كثير لام قم ليقضوا فحسب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء [أو] ثم، قال الفراء: من سكن فقد خفف، وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم. قال أبو على: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد.

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يُدُّهِ بَنَّ كَيْدُهُ ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: هل تُذهبن حيلتُه غيظُه، والمعنى: ليجهد جهده.

قوله تعالى: ﴿ وَكَنَالِكَ ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن ﴿ أَنَانَاتُهُ يعني: القرآن. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَ ٱللَّهَ يَنْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يقضي ﴿ يَوْمَ ٱلْقِينَدَةِ ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والآخرين النار ﴿ إِنَّ اللَّهَ ظَلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أعمالهم ﴿ شَهِيدُ ﴾

﴿ أَلَمْ نَرَ أَنَ اللَّهَ يَسْجُدُ لَكُمْ مَن فِي السَّمَكَوْتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمَشُ وَالْقَسَرُ وَالنَّجُمُ وَالِلَّهَالُ وَالشَّجُرُ وَالدَّوَاتُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّائِينُ وَلَلْمَائِينُ وَالنَّجُمُ مَا لَكُمْ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن مُكُومٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَائِهُ ۖ ﴿ ﴾ النَّائِمُ اللَّهُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن مُكُومٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَائِهُ ۗ ﴿ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن مُكُومٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَائِهُ ۗ ﴿ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن مُكُومٍ إِنَّ اللَّهُ يَمْعُلُ مَا يَشَاتُهُ ۖ ﴿ اللَّهُ مِن اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَهُ إِنَّا اللَّهُ لَمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مَا لَمُ إِنْ اللَّهُ إِلَيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ أَلَرْ تَرَ أَتَ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُم مَن فِي السَّمَنَوْتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَالنَّبَسُ وَالنَّبُومُ وَالنَّجُومُ وَالنَّجُرُ وَالنَّجُرُ وَالنَّوَابُ ﴾ أي ألم تعلم. وقد بينًا في سورة [النحل: ٤٩] معنى السجود في حق من يعقل، ومن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنِيرٌ مِنَ النَّامِنُ عَنِي: الموحدين الذين يسجدون لله. وَفي قوله تعالى: ﴿ وَكَثِيرُ حَقَّ عَلَيْهِ الْمَدَابُ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلّهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أبى السجود، فحق عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُمِنِ اللَّهُ ﴾ أي: من يُشْقِه الله فما له من مُسْعِدٍ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَثَآمُ ﴾ في خلقه من الكرامة والإهانة (٢٠).

﴿ لَهُ هَٰذَانِ خَصْمَانِ آخَنَصَمُواْ فِي رَبِّمِ ۚ قَالَذِينَ كَنَرُواْ مُطِعَتْ لَمُمْ فِيابٌ مِن قَالِ بُصَبُ مِن فَوَقِ رُءُوسِهُمُ ٱلحَسِيمُ ۞ يُصْهَرُ هِو. مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجَاكُودُ ۞ وَلَمُ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلِمَا أَزَادُواْ أَن يَغْرِجُواْ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَلَابَ ٱلْحَرِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَذَانِ خَصْمَانِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنّي ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذر (٢٠). والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبيّنا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيّكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبيّنا، ثم كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (٤٠)، وقتادة. والثالث: أنها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب

⁽۱) «الطبري» ۱۲٦/۱۷، و«الدر» ٤/٣٤٧.

 ⁽٢) قال ابن كثير: أخرج ابن أبي حاتم عن علي في أنه قبل له: إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشيئة، فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء، أو إذا شاء، شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: بل إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: ويقد عبد الله عبد عبد الله عبد عبد الله عبد عبد الله السيف.

 ⁽٣) البخاري ٨/٣٣٧، والطبري، ١٧/ ١٣١، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٨/٤ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم،
 والترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

⁽٤) «الطبري» ١٧/ ١٣٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٨/٤ وزاد نسبته لابن مردويه.

الحسن، وعطاء، ومجاهد (١٠) والرابع: أنها نزلت في اختصام الجنة والنار، فقالت النار: خلقني الله لعقوبته، وقالت المجنة: خلقني الله لحمته، قاله عكرمة (١٠) . فأما قوله تعالى: ﴿ الْكَانِ ﴾ وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن كثير: «هاذان» بتشديد النون «خصمان»، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿ آخَنُهُ مَنُوا ﴾ ولم يقل: اختصما ؛ على أنه قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «اختصما». وفي خصومتهم ثلاثة أقوال: أحدها: في دين ربيهم، وهذا على القولين الأوليين، والثاني: في البعث، قاله مجاهد، والثالث: أنه خصام مفاخرة، على قول عكرمة.

﴿ لَهُ اللَّهُ يُدْخِلُ ٱلَّذِيكَ ءَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصَّلِحَتِ جَنَّتِ تَبْرِي مِن تَمْتِهَا ٱلْأَنْهَندُ ثِمُكَأَوْكَ فِيهِكَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلَوْلُواْ وَلِبَاسُهُمْ فِيهِا حَدِيرٌ ۞ وَهُدُوٓا إِلَى الطَّيْبِ مِنَ الْفَرّلِ وَهُدُوٓا إِلَى صِرَطِ لَفْتِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَٰوَٰٓائِنَاۗ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «ولؤلؤٍ» بالخفض. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «ولؤلؤاً» بالنصب. قال أبو علي: من خفض، فالمعنى: يحلُّون أساور من ذهب ومن لؤلؤٍ؛ ومن نصب قال: ويحلَّون لؤلؤاً" .

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا ﴾ أي: أُرْشدوا في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله، والحمد لله» قاله ابن عباس. وزاد ابن زيد: «والله أكبر». والثاني: القرآن، قاله السدي. والثالث: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، حكاه المارودي. فأما ﴿مِرَلِ لَلْمِيدِ ﴾ فقال ابن عباس هو طريق الإسلام:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كُفَرُا وَيَصُدُّونَ عَن سَجِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلسَّمِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلَنَهُ لِلنَّاسِ سَوَآة ٱلْعَنكِفُ فِيدِ وَٱلْبَاذِ وَمَن يُمرِدُ فِيدِ مِإِلْحَسَادِ بِظُلْمِ تُلَوْقَهُ مِنْ عَذَابِ ٱلِيدِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَيَسُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللهِ ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في الإسلام. قال الزجاج: ولفظ "يصدون" لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى «الذين كفروا»: الذين هم كافرون، فكأنه قال: إن الكافرين والصَّادِّين؛ فأما خبر «إنَّ افمحذوف، فيكون المعنى: إن الذين هذه صفتهم هلكوا. وفي «المسجد الحرام» قولان: أحدهما: جميع الحرم. روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنه قال: كانوا يرون الحرم كله مسجداً. والثانى: نفس المسجد، حكاة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى جَمَلْنَهُ لِلنَّكَاسِ ﴾ هذا وقف التمام. وفي معناه قولان: أحدهما: جعلناه للنَّاس كلّهم، لم نخصً به بعضهم دون بعض، هذا على أنه جميع الحرم. والثاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومنسكاً لحجّهم، وهذا على أنه نفس المسجد. وقرأ إبراهيم النخعي، وابن أبي عبلة، وحفص عن عاصم: «سواء» بالنصب، فيتوجه الوقف على «سواء»، وقد وقف بعض القراء كذلك. قال أبو علي الفارسي: أبدل العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي شواء، فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «البادي» بالياء، غير أن

⁽۱) والطبري، ۱۳۲/۱۷. والطبري، ۱۳۲/۱۷. والطبري، ۱۳۲/۱۷

⁽٣) روى مسلم في (صحبحه ١/ ٢١٩ عن أبي هريرة 繼 قال: سمعت خليلي 難 يقول: اتبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

ابن كثير وقف بياء، وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والمسيِّس عن نافع بغير ياء في الحالتين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن العاكف والبادي يستويان في سكنى مكة والنزول بها، فليس أحدهما أحقُّ بالمنزل من الآخر، غير أن لا يُخرَج أحدٌ من بيته، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد؛ ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها خرام، هذا على أن المستجد: الحرم كله. والثاني: أنهما يستويان في تفضيله وحرمته وإقامة المناسك به، هذا قول الحسن، ومجاهد. و[منهم] من أجاز بيع دور مكة، وإليه يذهب الشافعي، وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدّ فِيهِ بِإِلْكَادِ﴾ الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد، والباء زائدة، كقوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهِّنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا:

> بِسَوَادِ يَسَمَسَانِ يُسنُسِبَتُ السَّسَتُ صَسَدْرُهُ المعنى: وأسفله ينبت المرخ؛ وقال آخر:

هُـنَّ الـحـرائـر لاربَّاتُ أُخـمِروَ وقال آخر:

وأسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ والشَّبَهانِ(١)

سودُ المحاجرِ لا يَقْرأنَ بالسُودِ (٢)

نحن بَنو جَعُدة أربابُ الفَلَج نَضرِب بالسَّيف ونرجو بالفَرَج (٣)

هذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزاد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿أَثَرَأُ بِآشِهِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ﴿ وَهُمِزَى ۚ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مربم: ٢٤] ﴿ بِأَيتِكُمُ ٱلْمُفْتُونُ ﴾ [القلم: ٦] ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْمِ بِٱلْمَوْقَةِ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿ غَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزاد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِّزْقِ﴾ [الذاريات: ٧٥]، وتزاد «اللام» كقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّمَ يَرْهَبُونَ﴾ [الامراف: ١٥٤]، والكأف، كقوله تعالى: ﴿ لِيَسَ كَيشْلِهِ. شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وهمن، كقوله تعالى: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: ٦٣]، و ﴿إنَّه، كقوله تعالى: ﴿ فِإِنَّهُ مُلَقِيكُمٌ ﴾ [الجمعة: ١٨]، و﴿إنَّه الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿ فِيمَا إِن تُكَّنَّكُمْ فِيهِ ﴾ [الاحقاف: ٢٦]، واماً، كقوله تعالى: ﴿ عَمَّا قَلِل لَّهُمِيثُنَّ نَلِيبِنَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقالواو،، كقوله تعالى: ﴿وَنَلَّمُ لِلَّجَيِينِ ﴿ وَنَلَّيْنَكُ ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]. وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوني عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيثة؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم(٤). والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكيٌّ عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمُّداً، قاله ابن جريج. فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعله؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه إذا همَّ بذلك في الحرم خاصَّة، عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً همَّ بخطيئة، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همَّ بقتل مؤمن عند البيت، وهو بـ اعَدَنِ أُبيّن، أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم. وقال الضحاك: إن الرجل ليهمُّ بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة، كما تضاعف الحسنات. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة

⁽١) البيت للأحول اليشكري واسمه يعلى، وهو في «مجاز القرآن» ٢٨/١، والطبري، ٧٢/١٦ و١١٨ والجمهرة، ١٥٤١، ٣/٤١٤، واللسانة: شث، شبه، والاقتضاب، ص ٧٥٤، والقرطبي، ٣٦/١٧. والشث: ضرب من الشجر، والمرخ: شجر كثير إلوري سريعه، والشبهان: نبث يشبه الثمام، أو ضرب من العضاء، والشاهد في البيت زيادة الباء في كلمة •بالمرخ٠.

هُو في المجاز القرآن؛ ١/٤، والجمهرة: ٣/٤١٤، والصحاح، واللسانة، والتاجّ: سور، والقرطبي، ١٥٨/١، واشواهد المغني، ١١٦

البيت لراجز من بني جعدة، وهو في امجاز القرآن؛ ٥٦/٢، و«الاقتضاب؛ ص ٤٥٨، واشواهد المغني؛ ص ١١٤، والخزانة؛ ١٥٩/٤.

ذكره السيوطي في االدر؛ ٣٥١/٤ من رواية سعيد بن منصور، والبخاري في اتاريخه، وابن المنذر عن عمر ﷺ موقوفاً بلفظ: الحتكار الطعام بمكة إلحاد بظلمه .

أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها؛ وقد جاور جابر بن عبد الله، وكان ابن عمر يقيم بها، والثاني: أن معنى: قومن يرده: من يعمل. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَأَنَا لِإِبَرِهِيــرَ﴾ قال ابن عباس: جعلنا. وقال مقاتل: دللناه عليه. وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أنَّ «بوَّأَنَا» في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى ﴿وَدِنَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٧] أي: ردفكم. وقد شرحنا كيفية بناء البيت في [البقرة: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿أَنْ لاَ نُشْرِكَ فِي شَيْئًا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك (١٠ ﴿ وَطَهِّـرْ بَيْنِيَ ﴾ حرَّك هذه الياء، نافع وحفص عن عاصم. وقد شرحنا الآية في [البقرة: ١٢٥]. وفي المراد بـ «القائمين» قولان: أحدهما: القائمون في الصلاة، قاله عطاء، والجمهور. والثاني: المقيمون بمكة، حكى عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِن فِي النّاسِ بِالْمَيْجِ ﴾ قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن، وعليّ البلاغ، فعلا على جبل أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً، فحجُّوه، فأسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك^(٢). والأذان بمعنى النداء والإعلام، والمأمور بهذا الأذان، إبراهيم في قول الجمهور، إلا ما روي عن الحسن أنه قال: المأمور به محمد على والناس هاهنا: اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور، إلا ما روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: عنى بالناس أهل القبلة. واعلم أن من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنه قد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداءه. وواحد الرجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاةً. وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجًا ماشيين، وحج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً مرتين أو ثلاثاً ").

قوله تعالى: ﴿وَعَلَ صُمَارِ ﴾ أي: ركباناً على ضُمَّر من طول السفر. قال الفراء: و«يأتين» فعل للنوق. وقال الزجاج: «يأتين» على معنى الإبل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «يأتون» بالواو.

قوله تعالى: ﴿ مِن كُلِّ فَجَ عَمِيقِ ﴾ أي: طريق بعيد. وقد ذكرنا تفسير الفجّ عند قوله تعالى: ﴿ رَجَمَلُنَا فِهَا فِجَاجًا ﴾ [الأنياء: ١٦].

قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا ﴾ أي: ليحضروا ﴿ مَنْفِعَ لَهُمْ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: التجارة، قاله ابن عباس، والسدي، والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيد بن المسب، والزجاج في آخرين. والثالث: منافع الدارين جميعاً، قاله مجاهد. وهو أصح، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصدُ الحج، والتجارة تَبَع. وفي الأيام المعلومات ستة أقوال: أحدها: أنها أيام العشر (٤٠)، رواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال

⁽١) قال ابن كثير: هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وهبادته وحدُه لا شريك له.

 ⁽۲) قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف، والله أعلم، قال: وأوردها ابن جرير وابن أيه , حاتم مطولة. اهـ.

⁽٣) من المتفق عليه أن الحج جائز راكباً وماشياً، وقد اختلف في الأفضل منهما، فقال بعضهم: المشي أفضل، وقال جمهور الفقهاء: الركوب أفضل، اقتداء بالنبي ﷺ، ولأنه أعون على القيام بوظائف مناسك الحج، فمن هنا نعلم أن من حج بالطائرة مثلاً، ووجد الراحة، وقام بالمناسك كاملة، أفضل ممن ذهب إلى الحج ماشياً وحصلت له مشقة، فضجر، أو لم يستطع القيام بالمناسك على الوجه الكامل.

⁽٤) أي عشر ذي الحجة، وقد قال رسول الله ﷺ في فضلها: قما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام؛ (يعني عشر ذي الحجة) قالوا: =

الحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والشافعي. والثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري. والثالث: يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر، ومقسم عن ابن عباس. والرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء الخراساني، والنخعي، والضحاك. والخامس: أنها خمسة أيام، أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والسادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس. وقيل: إنما قال: «معلومات»، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. قال الزجاج: والذّير هاهنا يدل على التسمية على ما يُنحَر، لقوله تعالى: ﴿عَلَى مَا رَبَّهُم مِنْ بَهِ مِمَةٍ ٱلْأَنْكُرِ ﴾؛ قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن يكون الذّكر المذكور هاهنا: هو الذّكر على الهدايا الواجبة، كالدم الواجب لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذّكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التشريق، لأن الآية عامّة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ يعني: الأنعام التي تُنحر؛ وهذا أمر إباحة، وكان أهل الجاهلية لا يستحلُّون أكل فبحائهم، فأعلم الله ﷺ أن ذلك جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدي المتطوَّع به، فأما دم التمتع والقران، فعندنا (١) أنه يجوز أن يأكل منه، وقال الشافعي: لا يجوز (٢)، وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: من كل الهدي يؤكل، إلا ما فان من فداء أو جزاء أو نذر (٢). فأما «البائس» فهو ذو البؤس، وهو شدة الفقر،

قوله تعالى: ﴿ثُرَّ لِيُقْشُوا تَدَنَهُمْ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: حلق الرأس، وأخذ ألشارب، ونتف الإبط، وحلق المعانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء عن ابن عباس. والمثاني: مناسك الحج، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، والثالث: حلق الرأس، قاله مجاهد. والرابع: الشعر والظفر، قاله عكرمة. والقول الأول أصح، لأن التفث: الوسخ، والقذارة: من طول الشعر والأظفار والمسعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابه. والحاج مغبر شعث لم يدَّهن، ولم يستحدَّ، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالمخلق، والقلم، وقص الأظفار، ولبس الثياب، ونحو ذلك، فهذا قضاء تفته. قال الزجاج: وأهل اللغة لا يعرفون التفث إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله تعالى: ﴿وَلَـهُولُوا نُدُورَهُمْ ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿وليُوقُوا ﴾ بتسكين اللام وتشديد الفاء. قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البُدن. وقال غيره: ما نذروا من أعمال البرّ في أيام الحج، فإن الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة، فالأفضل أن يؤدّيها بمكة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْطُونُوا بِٱلْمِيْتِ ٱلْمَتِيقِ﴾ هذا هو الطواف الواجب، لأنه أمر به بعد الذبح، والذبح إنما يكون في يوم النحر، فدل على أنه الطواف المفروض. وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة، والجبابرة، وي عبد الله بن الزبير، عن رسول الله عليه قال: «إنما سمى الله البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبًار قطاناً) وهذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أن معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابن زيد،

[»] يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: (ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله قلم يرجع من ذلك بشيم، رواه البخاري في (صحيحه ٢/ ٣٨٢) وأبو داود رقم (٢٤٢٨) واللفظ له.

⁽١) أي: معاشر الحنابلة.

ا) وكذلك قال الإمام النووي في «الروضة» ٣/ ١٩١ طبع المكتب الإسلامي، لأنه دم واجب، ولكن الحتابلة _ كما ذكر المصنف _ أجازوا أن يأكل من هدي التمتع والقران، وهو قول الحنفية بناءً على أصلهم أن دم التمتع والقران، دم نسك، لا دم جبران. وقد صح أن أزواج النبي علم تمتمن معه في حجة الموداع، وأهخلت عائشة على المحمج على المحمة حين حاضت فصارت قارنة، ثم ذبح على عنهن البقر فأكلن من لحمها، وثبت أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فأكل على هو وعلي بن أبي طالب على من لحمها، وشريا من مرقها. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٩٢/٥: والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدي من غير فرق بين ما كان منه تطوعاً وما كان فرضاً، لعموم قوله تعالى: ﴿ تَسْتَقُلُوا بِنْهَا ﴾ ، ولم يفصل.

⁽٣) في البخاري تعليقاً عن ابن عمر رضي: لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر، ويؤكل مما سوى ذلك، قال الحافظ ابن حجر: ووصله ابن أبي شيبة

⁽٤) وواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ثم رواه من وجه آخر عن الزهري موسلاً. قال ابن كثير: وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاربي 💌

والثالث: لأنه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة. والرابع: لأنه أعتق من الغرق زمان الطوفان. قاله ابن السائب. وقد تكلَّمنا في هذه السورة في (ليقضوا» (وليوفوا» (وليطوفوا».

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَلِّمَ حُرُمَنَتِ اللّهِ فَهُوَ خَبَرٌ لَهُ عِندَ رَبِّيةٍ وَأُحِلَتْ لَكُمُ الْأَفْدَمُ لِلّا مَا يُسْلَى عَلِيْكُمْ فَاجْمَكِبُواْ الرِّيْقِ مِن يُشْرِلُهُ فِأَنَّهَا خَرَ مِن السَّمَلَةِ فَتَخْطَفُهُ الرِّيْمَ فِي اللّهَ وَالْحَدَى مِن السَّمَلِينَ بِهِ وَمِن يُشْرِلُهُ فِأَنَّهَا خَرَ مِن السّمَلَةِ فَتَخْطَفُهُ اللّهُ فَي مَكْنِ سَعِقِ ﴿ وَلَى وَمَن يُسْلِمُ شَعْتِهِ اللّهِ فَإِنّهَا مِن تَقْوَى اللّهُ فِي اللّهِ فِي مَكَانِ سَعِقِ ﴾ وَلَا وَمَن يُسَلِّمُ شَعْتِهِ اللّهِ فَإِنّهَا مِن تَقْوَى اللّهُ لِللّهِ اللّهُ فِي اللّهُ عَلَيْهُ إِلَى أَجَلِ اللّهُ مَن يُعْلِمُ اللّهُ مَا مَن يُعْلِمُ مُعْتَهِ اللّهُ عَلَيْهُ إِنْ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿ وَلَكَ ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿ وَمَن يُعَلِمْ حُرُمَتِ اللَّهِ ﴾ فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيماً لأمر الله. قال الليث: المحرمة: ما لا يحلُّ إنتهاكه. وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرم التفريط فيه.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التعظيم ﴿خَيِّرُ لَهُ عِنْ رَبِّوِيْ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَتْ لَكُمُ ٱلْأَشَامُ﴾ وقيد سبق بيانها [المائدة: ١] ﴿ وَلِلَّا مَا يُتَّلَىٰ عَلَيْكُمُ ۗ تُحريمه، يعني [يه]: ما ذكر في االمائدة: ٣] من المنخنقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرام.

قوله تعالى: ﴿ وَالْجَكِبُوا الرَّحِسُ الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في المائدة ١٠٥٠. وفي المراد بقول الزور أربعة المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في المائدة ١٠٥٠. وفي المراد بقول الزور أربعة أقوال: أحدها: شهادة الزور، قاله ابن مسعود. والثاني: الكذب، قاله مجاهد. والثالث: الشرك، قاله أبو مالك. والرابع: أنه قول المشركين في الانعام: هذا حلال، وهذا حرام، قاله الزجاج، قال: وقوله تعالى: ﴿ مُنْفَا يَدُ وَ مَنْ مُنْكِ المُسْرِكِ، فقال: ﴿ وَمَنْ يُتُرِكُ مُنْكِ المسلوب على الحال، وتأويله: مسلمين لا يُنسبون إلى دين غير الإسلام. ثم ضرب الله مثلاً للمشرك، فقال: ﴿ وَمَنْ يُتُرِكُ وَلَانَ وَلَهُ المِنْكِ اللهُ وَلَهُ المِنْكِ اللهُ وَلَهُ المُعْرِقُ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ المشرك اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَالله أَي الأمر ذلك الذي ذكرناه ﴿ وَمَن يُعَظِّم شَكَرَر الله ﴾ قد شرحنا معنى الشعائر في البتره: ١٥٨]. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها ﴿ لَكُرُ فِهَا مَنْفِعُ ﴾ قبل أن يُسمّيها صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها ﴿ إِلَى آجَلِ مُسمّى ﴾ وهو أن تُنحر. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهده مكة؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمّى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أبام الحج.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: فإنها ، يعني الفعلة ﴿ مِن تَقْرَف النَّالُوبِ ﴾ ، وإنها أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ﴿ فُدَّ عَلِلُهَا ﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿ إِلَى ٱلْبَيْتِ ﴾ يعنى: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأنا

⁼ عن عبد الله بن صالح به، وقال: إن كان صحيحاً. وذكره السيوطي في «المد» ٣٥٧/٤»، وزاد نسبته للبخاري في «تاريخه»، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن الزبير ﷺ.

نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم مَحِلّ الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

﴿وَلِكُلِ أَمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اُسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم قِنْ بَهِيمَةِ ٱلأَنْفَائِرُ فَإِلَهُكُرُ إِلَّهُ وَحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواً وَيَشِرِ ٱلْمُخْيِتِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ذَكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي ٱلشَّلَوْةِ وَمَا رَزَقَتَهُمْ بُنِيقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِ أُمَّةِ جَمَلْنَا مَسَكًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. فمن فتح أراد المصدر، من نَسَكَ يَنْسُكُ، ومن كسر أراد مكان النَّسْك كالمجلِس والمطلِع. ومعنى الآية: لكلَّ جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ﴿ لِيَنْكُونُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَنَقَهُم مِّنَ بَهِبِمَةِ آلاَنْفَدِ ﴾، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القُرَب. والمراد من الآية: أن الذبائخ ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَنْهُكُمُ إِلَٰهٌ وَحِدٌ ﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ أي: انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في [مود: ٢٣] وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

﴿ وَٱلْكُنْتُ جَمَلَنَهَا لَكُمْ مِن شَكَتْهِرِ اللَّهِ لَكُوْ فِهَا خَيْرٌ فَاذَكُرُوا السَّمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَاقَتْ فَإِذَا رَجَتَتْ جُنُونُهَا فَكُواْ مِنْهَا وَلَهُ مِنْهُمُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَذِينَ بَيَالُهُ النَّقَوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُو الْفَعَانِعُ وَاللَّهُ ثُنَّ كَذَلِكَ سَخَرْتُهَا لَكُرْ لَمَنْكُمُ تَشْكُرُونَ ۞ لَن يَنَالُ اللَّهَ لَمُؤْمُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَذِينَ يَنَالُهُ النَّقَوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُوْ لِنْكُمْ يُؤُلُّ اللَّهُ عَلَى مَا هَدَىٰكُو وَمِيْقِرِ السُّمْسِينِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدُتِ ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر برفع الدال. قال الفراء: يقال: بُدْن وبُدُن، والتخفيف أجود وأكثر، لأن كل جمع كان واحده على «نَعَلَة» ثم ضُمَّ أول جمعه، خُفُف، مثل أكْمَة وأَخُم، وأَجْم، وخَشَبة وخُشْب. وقال الزجاج: «البُدْنَ» منصوبة بفعل مُضمر يفسره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُدْنَ؛ وإن شئتَ رفعتها على الاستثناف، والنصب أحسن؛ ويقال: بُدْن وبُدُن وبَدَنة، مثل قولك: ثُمْر وثُمُر وثُمرة؛ وإنما سمِّت بَدَنَة، لأنها تَبْدُن، أي الإبل والبقر، قاله عطاء. والثاني: الإبل خاصة، حكاه الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقها الأمصار. قال القاضي أبو يعلى: البدئة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي ﷺ جعل البدئة عن سبعة والبقرة عن سبعة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ مَمَانَهُا لَكُر مِن شَمَتِهِ اللّهِ ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادة لله، من سَوْقها إلى البيت، وتقليدها، وإشعارها، ونحرها، والإطعام منها، ﴿ لَكُرُ فِهَا خَيْرٌ ﴾ وهو النفع في اللنيا والأجر في الآخرة، ﴿ فَاذَكُرُا السّمَ اللّهِ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نحرها، ﴿ صَوَافَتُ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة: ﴿ صَوافَتُ اللّه بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: ﴿ صَوافَي اللياء. قال الزجاج : ﴿ صَوافَ امنصوبة على الحال، ولكنها لا تنوّن لأنها لا تنصرف ؛ أي: قد صفّت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعير يُنحر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك. ومن قرأ: ﴿ صوافَن اللّه فالصافَن: التي تقوم على ثلاث، والبعير إذا أرادوا نحره، تُعقل إحدى يليه، فهو الصافن، والجميع: صوافن. هذا ومن قرأ: ﴿ صوافي وَ الله على ألله وبالقتح بغير تنوين، فتفسيره: خوالص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحداً. ﴿ فَإِذَا وَحِركُ من فزع. واعلم أن نحرها قياماً سُنَّة، والمراد بوقوعها على وجُبَة، إذا سقط. ووَجَب القلب وَجِيباً: إذا تحرك من فزع. واعلم أن نحرها قياماً سُنَّة، والمراد بوقوعها على جُوبها، والأمر بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿ وَأَلْمِمُوا اللَّهِ عَلَا لَمُعَرِّبُ وَقُرا الحسن: ﴿ وَالْمُعْتَرِ ۗ بَكُسُو الرَّاء خفيفة. وفيهما ستة أقوال: أحدها: أن القانع: الذي يَسأل، والمعترّ: الذي يتعرَّض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير،

⁽١) روى مسلم في «صحيحه ٩٥٥/٢ عن جابر فله قال: تحرنا مع رسول الله على عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وفي رواية لأحمد، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس في قال: كنا مع النبي على فحضر الأضحى، فذبحنا البقرة عن سبعة، والبعير عن عشرة. قال الشوكاني في انيل الأوطار، ١٨٥/٥٠: ويشهد له ما في «الصحيحين» من حديث رافع بن خديج أنه على قسم فعدل عشراً من الغنم ببعير.

واختاره الفراء. والثاني: أن القانع: المتعقف، والمعترّ: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي. وعن الخسن كالقولين. والثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعترّ: الذي يتعرَّض لك ويُلِمُّ بك ولا بسأل، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعترّ: الذي يتعرَّض ولا بسأل، وهذا مذهب القرظي. فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي. ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده. والرابع: القانع: أهل مكة، والمعترّ: الذي يعترُّ بهم من غير أهل مكة، والمعترّ: الذي يعترُّ بك، رواه ليث عن مجاهد. والسائس: القانع الجار وإن كان غنياً، والمعترّ: الذي يعترُّ بك، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: القانع: المسكين السائل، والمعترّ: الصَّديق الزائر، قاله زيد بن أسلم. قال ابن قتيبة: يقال: قَنَع يَقْنَع قُنُوعاً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعترَّني واعتراني وعَرَاني. وقال الزجاج: مذهب أهل اللغة أن القانع: السائل، يقال: قَنَع يَقْنَع أَنُوعاً: إذا سأل، فهو قانع، قال الشماخ:

لَـمَالُ الـمَـرُءِ يُـصْلِحُـهُ فَـيُـغَـنِي مَـفاقِـرَهُ أعَـفُ مِـنَ السَّفَـنُـوع (١٠٠٠)

أي: من السؤال؛ ويقال: قَتِع قَنَاعة: إذا رضي، فهو قَتِع، والمعترُّ والمعتري واحد.
 قوله تعالى: ﴿ كَنَالِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿ سَخَرْتُهَا لَكُرُ ﴾ نِعمة منّا عليكم لتتمكنُّوا من نحرها على

الوجه المسنون ﴿ لَمُلَكُمْ مَشَكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ وَلِهِ عَلَيْهِ مِنْ عَلَيْهِ عَلَمَ

قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللّهَ لَمُوكُما ﴾ وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، ويعقوب: «لن تنال الله لحومُها» بالتاء «وَلَكِن تَنَالُه التَّقْوَىٰ مِنكُم» بالتاء أيضاً. سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس (٢٠). قال المفسرون: ومعنى الآية: لن تُرفع إلى الله لحومُها ولا دماؤها، وإنما يُرفع إليه التقوى؛ وهو ما أُرِيدَ به وجهُه منكم. فمن قرأ «تناله التقوى» بالتاء، فإنه أنث للفظ التقوى. ومن قرأ: «يناله» بالياء، فلأن التقوى والتَّقى واحد. والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحوم والدِّماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يتقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عربت عن نيَّة صحيحة.

قوله تعالى: ﴿ كَنَاكِ سَخَرَهَ ﴾ قد سبق تفسيره اللعج: ٢٧]، ﴿ لِنُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَانَا. ﴿ وَكِثِّرِ الْمُعْسِنِينَ ﴾ قال ابن وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجّه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا. ﴿ وَكِثِّرِ الْمُعْسِنِينَ ﴾ قال ابن عبنى: الموجّدين.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهُ يُكُنِعُ عَنِ النَّيْنَ مَامَثُواً ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "يدفع" الولالا دفع الله بغير ألف، وهذا على مصدر «دَفَع». وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "إن الله يدافع" بألف "ولولا دفع" بغير ألف، وهذا على مصدر «دافع"، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم، قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حزبه، والدخوان» فعال من الخيانة، والمعنى: أنَّ مَنْ ذكر غير اسم الله، وتقرَّب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوَّان.

قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ لِلَّذِينَ لِتَلَوْنَ لِلَّذِينَ لِتَنْمَلُونَ بِأَنَّهُمْ طُلِمُهُ قَوا ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿أَذِنَ ۗ بفتح الألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: ﴿أَذِنَ ۗ بضمها.

⁽١) قمجاز القرآن، ٢/ ٥١، و«الطبري، ١٦٨/١٧، و«القرطبي؛ ٦٤/١٣، و«اللسان»: قنع.

 ⁽٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٦٣/٤ من رواية ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قد فسرناه في [البغرة: ٢٥١].

قوله تعالى: ﴿وَلَيْمَنُهُمْ اللَّهُ مَن يَنْصُرُونُ ۗ أَي: من ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال الوجاج: هذه صفة ناصِرِيه. قال المفسرون: التمكين في الأرض: نصرتهم على عدوهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشَّرك. قال الأكثرون: وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ. وقال القرظي: هم الولاة.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيَّهِ عَنِيَّةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: إليه مرجعها، لأن كلَّ مُلك يَبْطُل سوى مُلكه.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدَ كَنَّبَ قَبَّلَهُمْ فَنَ مُنْعَ وَعَادٌ وَقَمُوهُ ۞ وَقَوْمُ إِنَّوْمِمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَسْحَبُ مَنْفِئَ وَكُذِّبَ مُومَنَّ فَأَمْلَيْتُ الْكَنْدِينَ ثُدُّ أَغَذْتُهُمْ فَكَيْنَ كَانَ نَكِيرٍ ۞ فَكَأَنِن مِّن قَدْرِيَةٍ أَمْلَكُنْهَا وَهِي ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهِكَا وَبِثْرِ مُعَطَّلَةٍ وَقَدْرٍ مَشِيدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ثُرِّ أَخَدْتُهُمُ ﴾ أي: بالعذاب ﴿لَكَيْنَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أثبت الياء في انكير، يعقوب [في الحالَين]، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف [أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك؟ أ. والمعنى: إني] أنكرتُ عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير.

قوله تمالى: ﴿أَمْلَكُنَّهَا﴾ قرأ أبو:عمرو: ﴿أَهْلَكُتُهَا ؛ بَالنَّاء ، وَالْبَاقُونِ: ﴿أَهْلَكُنَاهَا ؛ بالنون.

قوله تعالى: ﴿ رَبِئْرِ مُّمَطَّلَةِ ﴾ قرأ ابن كثير، [وغاصم]، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: اوبئو، مهموز، وروى ورش عن نافع بغير همز، والمنهنى: وكم بثرٍ معطَّلة، أي: متروكة ﴿ وَقَبْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ فيه قولان: أحدهما: مجصَّص، قاله ابن عباس، وعكرمة، قال الزجاج: أصل الشِّيد: الجصُّ والنُّورة، وكل ما بني بهما

⁽١) • أسباب النزول؛ للواحدي صفحة ١٧٧ بدون سند، وذكره كثير من المفسرين هكذا بدون سند. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ٣/ ١٦٤ في بيعة العقبة الثانية من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.

أو بأحدهما فهو مَشِيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك، ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطّل أيضاً ليس فيه ساكن.

﴿ أَفَلَتُر يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَنَكُونَ لَمُتُمْ قُلُوبُ يَمْقِلُونَ بِهَا أَوْ مَافَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَإِنَّهَا لَا نَشَى ٱلأَبْصَدُرُ وَلَايَىنَ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وَالسَّمُورِ ﴾ وَلَنَ يَقِلُفَ اللّهُ وَعَدَمُّ وَإِنَ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَالّفِ سَنَةٍ مِمَّا نَعُدُونَ ۞ وَكَاتِن مِن قَرْيَةٍ آمَلَيْتُ لَمَا وَهِي طَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذُتُهَا وَإِنَّ ٱلْمَصِينُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَكُرُ يَسِيرُكُ أَكُ قَالَ المفسرون: أفلم يَسِر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فَتَكُونَ لَمُمْ قُلُوبٌ يَمْقِلُونَ بِهَا ﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ ءَانَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبار الأمم المكذّبة ﴿فَإِنّهَا لَا نَشَى ٱلْأَبْسَدُو ﴾ قال الفراء: الهاء في قوله: «فإنها» عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم. وأما قوله: ﴿أَلَيْ فِي الشُّدُونِ فَهُو تُوكِيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر. ومثله: ﴿وَلَكَ عَثَرَةٌ كَايِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الانعام: ١٦٨]، ﴿يَقُولُونَ إِلَا فَي الصدر. ومثله: ﴿وَلَكَ عَثَرَةٌ كَايِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الانعام: ١٦٨]، ﴿يَقُولُونَ

قوله تعالى: ﴿ وَرَسَّتُمْ اللَّهُ وَالْمَدُابِ ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي. وقال غيره: هو قولهم له: ﴿ مَنْ هَذَا اللَّوعُدُ ﴾ [الملك: ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿ وَلَن يُمُلِّكَ اللّهُ وَعَدَمُ ﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، ﴿ وَلَكَ يَوْلُ عِنْدُ وَلَكَ اللّهُ وَعَدَمُ ﴾ من أيام الدنيا. قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تَعُدُّون» بالتاء. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «يَمُدُّون» بالياء. فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذِكُر العذاب إلى قوله: ﴿ وإن يوماً عند ربّك ﴾؟ فعنه جوابان. أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سنتي الديناء فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء. والثاني: وإن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تفضَّل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج.

﴿ قُلْ يَكَانُهُا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُو نَذِيرٌ شُرِينٌ ۞ مَّالَذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الضَالِخَتِ لَمُم مَّنْفِرَةٌ وَرِنْكُ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوّا فِيَ مَايَنِنَا مُعَجِزِينَ أُولَتِهِكَ أَسْحَكُ ٱلْجَدِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبِنْتُ كُرِيدٌ ﴾ يعني به [الرزق] الحَسَن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالِّذِينَ سَعُواْ فِي ءَالِكِتَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعَجِزِينَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مُعجِزين» بغير ألف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مُعاجِزِين» بألف. قال الزجاج: «مُعاجِزِين» أي: ظائين أنهم يُعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يُبعثون وأنه لا جنة ولا نار. قال: وقيل في التفسير: مُعاجزين: معالِدِين، وليس هو بخارج عن القول الأول؛ و«معجزين» تأويلها: أنهم كانوا يعجِّزون من اتَّبع النبيَّ ﷺ ويثبِّطونهم عنه.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَا إِنَا تَمَنَّى الشَّيْطِلُنُ فِي أَمْنِيَتِهِ. فَيَسَخُ اللَّهُ مَا يُلِقِي الشَّيْطِلُنُ ثُمَّ اللَّهِ الشَّيْطِلُنُ فِي أَمْنِيَتِهِ. فَلَوْمِم مَرَسُّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ فَلُومُهُمُ وَلِكَ يَحْبُمُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهِ عَلَيْهُمُ وَلِكَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ مَا اللَّهِ عَلَيْهُمُ وَلِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ مَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلِيهُمْ عَلَيْهُمْ عَلِيْهُمْ عَلِيْهُمُولُولُومُ وَلِهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْ

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما نزلت على عليه سورة (النجم) قرأها حتى بلغ قوله: ﴿ أَنْ يَتُمُّ اللَّتَ وَالْمُزَّىٰ ﴿ وَمَنْوَةَ النَّالِيَةَ اللَّخْرَىٰ ﴿ فَالقَى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ فلما سمعت قريش بذلك فرحوا، فأتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، فنزلت هذه الآية تطييباً لقلبه، وإعلاماً له أن

الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا. قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح (١)، لأن رسول الله على معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله على: ﴿وَقَالَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

وآخره لاقى حسام السقادر (٣)

تَسمنَّى كستابَ السلَّهِ أوّل لسيلهِ وقال آخر:

تسمنت كستسابَ الله آخسرَ لسيسلسهِ تَسمنتي داودَ السربسورَ عسلس وسُسلِ (١)

والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله على تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومُه، فألقى الشيطان على لسانه لِما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي(٥).

قوله تعالى: ﴿ فَكَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ﴾ أي: يُبطله ويُذهبه ﴿ ثُمَّ بُحْكِمُ اللَّهُ مَالِسَوْدُ ﴾ الله عنال: يُحْكِمُها من الباطل.

قوله تعالى: ﴿ لِيَجْمَلَ ﴾ اللام متعلقة بقوله: «ألقى الشيطان» والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرضُ: الشك والنفاق. ﴿ وَالْقَاسِيَةِ تُلُوبُهُمُ ﴾ يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم، والشقاق: غاية العداوة.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيمْلُمُ ٱلَّذِي أُوتُوا ٱلْمِأْرَ ﴾ وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي: التصديق بنسخ الله.

فهذا هو المعنى المراد من الآية الكريمة، وليس فيها إلا أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي غلى للقرآن ما يفتئ به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أهداء الإسلام ما فتتوا دائماً يدمون في هذا الدين ما ليس منه، وما لم يقله رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، فيذكرون ما لا يليق بمنصب النبوة ومقام الرسالة، كما فعلوا في كثير من الآيات الواردة في غير نبينا محمد بي كيوسف، وأيوب، وداود، وسليمان عليه، فيذكرون في تفسيرها من الإسرائيليات التي لا يجوز نسبتها لأحاد الناس، فضلاً عن نبي مرصل، أو رسول مقدم، فليتنبه المسلمون لذلك، وليأخذوا التفسير من العلماء المحققين حتى لا يرموا الأنبياء والمرسلين فيما هم منه معصومون.

⁽۱) قال ابن كثير ۲۲۹/۳: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم، وسرد ابن كثير بعض الروايات في هذه القصة، ثم قال في آخرها: وكلها مرسلات، ومنقطعات والله أعلم. اهد. والحق أن روايات هذه القصة معلّة بالإرسال والضعف والجهالة، وليس فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج، بل فيها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذُكر في معظمها أن الشيطان تكلم على لسان رسول الله تله بما فيه مدح لأصنام المشركين بهذه الجملة الباطلة: «تلك الغرانية العلى وإن شفاعتهن لترتجى» وكيف يكون مثل ذلك مع المصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله على المداء على هذه القصة وبين المضمونة من الله تعالى لرسوله تأمي بكر ابن العربي، والقاضي عياض، والشوكاني، والألوسي، وغيرهم.

⁽٢) قال الإمام ابن القيم في اإغاثة اللهفان، ٩٣/١ في فصل الاستماذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن بعد أن عد وجوها ـ: ومنها أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى ألتى الشيطان في أمنيته، ثم قال: والسلف كلهم على أن الممنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، ثم قال: فإذا كان هذا نعله مع الرسل عليه، فكيف بغيرهم الولها يغلط القارئ هذا أو يشط عليه القراءة، ويشطشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة، لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور الاستماذة بالله تعالى منه. أه. وقال الإمام ابن جرير الطبري في التفسير، ١٩٠٧ بعد ما ذكر عن الضحاك أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَا السَّعادَة بالله تعالى منه. أه. أنكم الله الله على الله على الله على الأشيطان ثم على الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه الآيك أنتي أخبر الله جل ثناؤ، أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه، وقرأه، أو في حديثه الذي حديث وتكلم ﴿فَيْلَتُمُ اللهُ مَا يُلْقِي لَتَقُول تعالى: فيُذهبُ الله ما يلقي الشيطان من ويطله. نه ويطله. أنه وقرأه، أو في حديثه الذي حديث وتكلم ﴿فَيْلَتُمُ اللهُ مَا يُلْقِي لَتَقُول تعالى: فيُذهبُ الله ما يلقي الشيطان من ويطله. أنه لنه ويطله. أنه . وعطله. أنه . وعطله. اله.

⁽٣) قمجاز القرآن؛ ٢/٥٤، وقاللسان،، وقالتاج: مني. ﴿ ٤) قمجاز القرآن؛ ٢/٥٤، وقاللسان،، وقالتاج: مني.

⁽ه) هذه الرواية من جملة الروايات التي تكلم عليها العلماء المحققون، وبينوا بطلانها، وأنه لا يجوز نسبتها إلى آحاد الناس، فضلاً عن رسول الله ﷺ المعصوم. وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: تأملوا فتح الله أغلاق النظر عنكم إلى قول الرواة ـ الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام أكثر ممن صرح بعداوته ـ إن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الرحي، فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ آثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأنس وحشته، وغاية أمنيته، وكان رسول الله ﷺ المجادة الإعداء؟!.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ﴿فَيُوْمِنُوا ﴾ بالنسخ ﴿فَتُخِتَ لَمُ قُلُوبُهُم ﴾ أي: تخضع وتذل. ثم بيّن بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿ فِ مِرْيَةِ مِنْهُ ﴾ أي: في شك. وفي هاء «منه» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى قوله: تلك المغرانيق العلى (١). والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة (النجم). والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر الهتنا ثم رجع عن ذكرها؟! والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريح، والرابع: أنها ترجع إلى الدِّين، حكاه الثعلبي (٢).

قوله تعالى: ﴿ عَتَى تَأْلِيَكُمُ السَّلَعَةُ ﴾ وفيها قولان: أحدهما: القيامة تأتي مَنْ تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن. والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْنِيهُمْ عَلَابُ يَوْمِ عَقِيمٍ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا:

عُقِم النِّساءُ فِلا يَلِدْنَ شَبِيهِ إِن النِّساءَ بِمِفْلِهِ عُفْمٌ (٣)

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير. فعلى قول من قال: هو يوم بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك. والثاني: لأنهم لم يُنظّروا فيه إلى الليل، بل قُتلوا قبل المساء، قاله ابن جريج. والثالث: لأنه لا مثل له في عِظَم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام. وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة. والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَهِ لِي يَعْكُمُ يَيْنَهُمُ كَالَّذِيكَ مَامَنُواْ وَعَكِلُواْ الْعَكَلِحَٰتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَلَّمُواْ وَعَكِلُواْ الْعَكَلِحَٰتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿ وَالَّذِينَ كَانُواْ وَمَاكُواْ فِي سَكِيلِ اللّهِ ثُمَّةً فُتِسْلُواْ أَوْ سَاتُواْ اَبْتَرُافَاتُهُمُ اللّهُ رِزْفَا جَسَكُنَا وَإِنَّ اللّهَ لَعَلِيمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَإِنَّ اللّهُ وَيُؤْفَا اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَيُوْفَا اللّهُ وَإِنَّ اللّهُ لَعَلِيمٌ عَلِيمٌ اللّهُ وَيُواكِنُونُونُ أَنِّهُ لَهُ لَعَلَيْمُ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى: ﴿ آلُهُ الله يُوَهِ لِهُ أَي يوم القيامة ﴿ إِلَهَ ﴾ من غير منازع ولا مدَّع ﴿ عَلَى مُم بَيْنَهُم ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿ وَاللَّذِي المُحَدُوا فِي الرَق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الجنة، قاله السدي،

قوله تعالى: ﴿ يُمُرِّ فُيَدُلُوا أَوْ سَائُوا ﴾ وقرأ ابن عامر: ﴿ فُتُّلُوا ۗ بِالتشديد.

قوله تعالى: ﴿ لِلُهُ خِلَنَهُم مُّلَكَ لَا ﴾ [وقرأ نافع بفتح الميم] ﴿ يُرَمَنُونَكُم ﴾ يعني: الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: للُدخلنَّهم إدخالاً يُكرَمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. والمَدخلاً بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مدخلاً. ﴿ وَإِنَّ اللَّهُ لَمَكِيدُ ﴾ بنيّاتهم ﴿ عَلِيثُ ﴾ عنهم.

﴿ وَ وَمَنْ عَافَبَ بِمِثْلِ مَا عُرِيْبَ بِيهِ ثُمَّ بُعِي عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفْقُ غَفُورٌ ﴿ وَالِكَ بِأَنْ اللَّهُ

 ⁽١) مشى الكلام على قصة الغرانيق قبل قليل، وأنها باطلة.

قال ابن جرير الطبري ١٩٢/١٧: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته، وذلك أن ذلك من ذكر قوله: ﴿ يَلِينَ الشَّيْمَانَ ﴾ والمهاء من قوله: ﴿ الله عن من ذكر قوله: ﴿ يَلِينَ الشَّيْمَانَ ﴾ والمهاء من قوله: ﴿ الله عن الله عن الله عن الله عن الله عن الله عن قوله: ﴿ الله عن اله عن الله عن الله

⁽٣) ﴿ اللسان؛ و﴿ التَّاجِ ا: عقم.

يُولِجُ ٱلَّيْسَلُ فِ ٱلنَّهَكَادِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَكَادُ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ ذَلِكَ بِأَكَ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَقُ وَأَكَ مَا يَكْعُوكَ مِن مُونِدِه هُوَ ٱلْبَطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمر ما قصصنا عليكم ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِشْلِ مَا عُرقِبَ عِلَهِ ﴾ والعقوبة: الجزاء؛ والأول ليس بعقوبة، ولكنه سمي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كقوله: ﴿ وَمَنْ وَلَا سَيْتَةٌ مِنْكُمْ أَنَّ الشَوْرِي: ١٤٠ لما كانت المجازاة إساءة بالمفعول به سمّيت سيّّة، ومثله: ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئ بِوم ﴾ [البقرة: ١٥٥، قاله الحسن. ومعنى الآية: من قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ ثُمُّ بَعِي عَلِيهِ ﴾ أي: ظُلم بإخراجه عن منزله. وزعم مقاتل أن سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرَّم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال، فثبت المسلمون، ونصوهم الله على المشركين، ووقع في نفوس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية (١٠)، وقال: ﴿ إِسَى اللهُ كَانَ عَلَهُ ﴿ فَعَالِهُ هِي الحرام.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ ﴾ أي: ذلك النصر ﴿ إِنَّ الله ﴾ القادر على ما يشاء. فمن قُدرته أنه ﴿ يُولِجُ ٱلنَّفَ لِنِ النَهَ ﴾ النَهَ الله ومنين ﴿ يَهِبِهُ ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتقوى، ﴿ وَالِكَ ﴾ الذي فرَوُلِجُ ٱلنَّهَارُ فِي ٱلنَّهَارُ فِي ٱلنَّهَارُ فِي ٱلله كُنْ الله عمرو، وحمزة، فعل من نصر المؤمنين ﴿ إِنَّ اللهُ هُو ٱلمَنَى الله الحق ﴿ وَأَكَ مَا يَاعُوكُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: الدعون، بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالتاء، والمعنى: وأنَّ ما يعبدون ﴿ مِن دُونِهِ مُو آلِكَ اللهِ ﴾

﴿ اَلَّذَ تَكَ أَكَ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّكَلَةِ مَاءَ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ تُفْفَتَدَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيقُ خَبِيرٌ ۞ لَمُّ مَا فِي السَّكَنَوْتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَيْثُ ٱلْحَكِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَدُ تَكُ أَتِكَ اللّهَ أَنزُلَ مِنَ السَّكَآءِ مَلَهُ ﴾ يعني: المطر ﴿ فَتُصْبِعُ ٱلْأَرْشُ ثُفْضَرَةً ﴾ بالنبات. وحكى الزجاج عن الخليل أنه قال: معنى الكلام التنبيه، كأنه قال: أتسمع، أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا. وقال ثعلب: معنى الآية عند الفراء خبر، كأنه قال: اعلم أن الله ينزّل من السماء ماءً فتصبح، ولو كان استفهاماً والفاء شرطاً لنصبه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفُ﴾ أي: باستخراج النبات من الأرض رزقاً لعباده ﴿خَيِيرٌ ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر. وقد سبق معنى الغنى الحميد في [البقرة: ٢٦٧].

﴿ أَلَدْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَرَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلُكَ غَمْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَشْرِدِ وَيُمْسِكُ ٱلنَّكَلَةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى ٱلأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِيهِۥ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَهُولُّ نَرِيبِدُ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِت أَخَياكُمْ ثُمَّ يُسِيثُكُمْ ثُمَّةً يُجِسِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَعُورٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَدُ ثَرَ أَنَّ اللَّهُ سَخْرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ يريد البهائم التي تُركب ﴿ وَهُمُسِكُ التَّكَمَاةِ أَن تَفَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يَا الْرَضِ إِلَّا يَا الرَّجَاجِ: كراهة أَن تقع. وقال غيره: لئلا تقع ﴿ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرُونُكُ رَّضِيدٌ ﴾ فيما سخّر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم. ﴿ وَهُو الَذِي آخِياكُمُ ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ ثُمَّ يُسِيئُكُمُ ﴾ عند آجالكم ﴿ ثُمَّ يُسِيكُمُ ﴾ للبعث والحساب ﴿ إِنَّ الإندَنَ ﴾ يعنى: المشرك ﴿ لَكَ فُرَّ ﴾ لنعم الله إذ لم يوحّده.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَمَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُنَكَ فِي ٱلأَمْرُ وَاتَّعُ إِلَى زَبِكُ إِنَّكَ لَمَكَ هُدُى مُسْتَغِيمٍ ﴿ وَإِن جَمَلُوكَ فَتُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَسْمَلُونَ ﴾ الله يَعْكُمُ يَيْنَكُمْ يَيْنَكُمْ يَيْنَكُمْ يَيْنَكُمْ يَيْنَكُمْ يَيْنَكُمْ فِي الْإِنْسَانَةِ فِيمَا كُمُنْدً فِيهِ تَغْنَلِفُونَ ﴾ الشّكَلَةِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِنْمُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَمَلُنَا مَنسَكًا ﴾ قد سبق بيانه في هذه السورة [الحج: ٣٤] ﴿ فَلَا يُنْزِعُنَكَ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: في الذبائح (٢٠)، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا

⁽١) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٩/١٧: يقول تعالى ذِكره: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومتسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم، ولا
 تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فإنك أولى بالحق منهم، لأنك محق وهم مبطلون.

تأكلون ما قتله الله (٢٠١٠) يعنون: الميتة. فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: «فلا يُنَازِعُنَكَ في الأمر؟؟. فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعتهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمنًك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلنَّك فلان وأنت باثنين، فإذا قلت: لا يضربنَّك فلان وأنت تريد: لا تضربنَّه، [ولكن] لو قلت: لا يضاربنَّك فلان، لكان كقولك: لا تضاربنَّ، ويدل على هذا الجواب قوله: ﴿ وَإِن جَكَدُلُكَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإَدَّعُ إِلَىٰ رَبِّكُ ﴾ أي: إلى دينه والإيمان به (٢). و «جادلوك» بمعنى: خاصموك في أمر الذبائح، ﴿ فَقُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَمْمَلُونَ ﴾ من التكذيب، فهو يجازيكم به. ﴿ أَنَّهُ يَعْكُمُ بَيْنَكُمْ مَ يَوْمَ الْقِيْسَةِ ﴾ أي: يقضي بينكم ﴿ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَعْمَلُونَ ﴾ من الدِّين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون؛ وهذا أدب حسن علَّمه الله عباده ليردُّوا به مَن جادل على مبيل التعنَّت، ولا يجيبوه، ولا يناظروه.

فصل

قال أكثر المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف. وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتَات تدل على شركهم، ثم يجادِلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَمْلُمُ أَكَ اللّهَ يَمْلُمُ مَا فِي السَّمَآءِ وَٱلْأَرْضُ ﴾ هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت ذلك، ﴿ إِنّ ذَلِك ﴾ يعني: اللوح المحفوظ (٣٠)، ﴿ إِنّ ذَلِك ﴾ أي: عِلْم الله بجميع ذلك ﴿ عَلَى اللّهِ يَسِيرُ ﴾ سهل لا يتعنّر عليه العلم به.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُوبِ اللَّهِ مَا لَمْ بُنَزِلْ بِهِ سُلْطَنَنَا وَمَا لَيْسَ لَمُمْ بِهِ مِلْمُ وَمَا لِلظّالِمِينَ مِن نَصِيرٍ ۞ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَانِتُنَا بَيِّنَتُو مَمْرِفُ فِي وُجُومِ اللَّذِينَ كَفَرُواْ السُّنَكِّرُ لَكَادُونَ يَسْطُونَ بِاللَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَانِدَنَا أَقُلُ أَفَانُيثَكُمْ بِشَرِّ مِن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ اللَّذِينَ كَنْدُواْ مَرِقُسَ الْمَصِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبِّمَبُدُونَ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ مَا لَدُ يُبْرِّلُ بِدِ سُلطَنَا ﴾ أي: حُجة ﴿ وَمَا لَبْسَ لَمُم بِدِ عِلْمَ ﴾ أنه آله، ﴿ وَبَا لِلنَّالِينَ ﴾ يعني القرآن؛ والمنكر هاهنا للظّلِينَ ﴾ يعني: المشركين ﴿ مِن نَسِيرِ ﴾ أي: مانع من العذاب. ﴿ وَإِنَا نُتُلُ عَلَيْهِمْ مَايَلْنَا ﴾ يعني القرآن؛ والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبيسُ الوجوه، معروف عندهم. ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾ أي: يبطشون ويُوقِعون بمن يتلو عليهم القرآن من شِدَّة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. ﴿ وَلَنْ اللّهُ عَلَيْكُم مِن سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿ النّارُ ﴾ أي: بأشدَّ عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿ النّارُ ﴾ أي: هو النار.

﴿ يَتَأَنُّهَا النَّاسُ شُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَ الَّذِينَ تَنْقُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَغَلْقُواْ دُبُهَابًا وَلَو الْجَنَّمَعُوا لَمْ وَإِن يَسْلَبُهُمُ اللَّهُ مَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهِ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُمَا اَلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُّ ﴾ قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما

⁽١) رواه الطبري بنحوه ١٦/٨، ١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٣، في سورة [الأنعام: ١٢٢] عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْحَتُمُواْ مِنَا لَرَ بِلَكُمِ اَسَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلِلَّمُ الْمِشْقُ﴾ الآية. وقد تقدم نحو ذلك ٢٦٥.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٩/١٧: يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بألاً يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك، وبعد التصديق بما جنتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان، وتبرؤوا منها، إنك لعلى طريق مستقيم، غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربّك، وهم الضّلاً ل عن قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة.

⁽٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٤٤/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رأي قال: قال رسول الله ﷺ: الكتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ـ قال: ــ وهرشه على الماء».

المعنى: يا أيها الناس ضُرب لي مَثَل، أي: شبّت بي الأوثان ﴿ فَاسْتَيِمُوا ﴾ لهذا المثل. وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها؛ ثم بيّن ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي كَنَّعُونَ ﴾ أي: تعبدون ﴿ مِن دُونِ اللهِ عناس، وأبو رزين، وابن أبي عبلة: ﴿ يدعون الله المفتوحة. وقرأ ابن السميفع، وأبو رجاء وعاصم القيل الجحدري: ﴿ يُدْعُون عَضِم الياء وفتح العين، يعني: الأصنام، ﴿ لَن يَغَلِّمُوا أَدُبُاكُ ﴾ والذباب واحد، والجمع القليل: إذبة والكثير: الذّبان، مثل: غُراب وأغْرِبة وغِرْبان؛ وقيل: إنما خص الذّباب لمهانته واستقذاره وكثرته. ﴿ وَلُو اَجْتَمَعُوا ﴾ يعني: الأصنام ﴿ لَهُ ﴾ أي: لخلقِه، ﴿ وَلِن يَسْلَبُهُم ﴾ يعني: الأصنام؛ قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجفّ، فيأتي الذباب فيسلبها إياه، فلا تستطيع الآلهة ولا مَنْ عَبَدها أن يمنعه ذلك. وقال السدي: كانوا يجعلون ونحوه، فيقع عليها الذباب عليه فيأكل منه. قال ثعلب: وإنما قال: ﴿ لا يَسْتَنْقِدُوهُ مِنْمُ فَه فيعل أفعال الآلهة كأفعال الآدميين، إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتُخاطب، كقوله: ﴿ يَكَانُهُمَا الذَّعَلُولُ مَن كِنَتُمُ الله الله الله عظمون المعنى في [الاعراف: ١٩١] عند قوله تعالى: ﴿ وَمُعَلِمُ عَلَهُ اللهُ وَمُؤَلُونَهُ مَنْ عَبِدها كالمعنى في [الاعراف: ١٩١] عند قوله تعالى: ﴿ وَمُعَلَهُ مَا اللهُ وَمُؤَلِهُ مَن المعنى في [الاعراف: ١٩١] عند قوله تعالى: ﴿ وَمُعَلَهُ مَا اللهُ وَمُؤَلُهُ مَنْ المَعْنِينَ وَمِنْكُ وَمُؤَلِّهُ اللهُ وَمُؤْلُونَهُ وَمَا لَهُ وَمُؤْلُونُهُ وَمُؤْلُونَهُ وَمُؤْلُونَهُ وَمُؤْلُونَهُ وَالْعَالَ اللهُ وَاللهُ وَلَهُ وَالْعَالِينَا هُ وَالْعَلَهُ اللهُ وَالْعَلَهُ وَالْعُونَةُ وَلَهُ وَالْعَلَاقُ وَلَهُ وَالْعُولُ وَالْعُلُونَةُ وَلَا عَلَهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ وَلَهُ وَالُهُ وَلُهُ وَالْعُرَافِ وَاللهُ وَاللهُ وَالْعُلَولُهُ وَلَهُ وَعَلَهُ وَالْعُرَافُ وَالْعُنِهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَكُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلِيهُ وَلَهُ وَلَالُهُ وَلَهُ وَالْعُرَافُ وَاللّهُ وَلُولُهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَل

قوله تعالى: ﴿ مَهُ مُكَ الطَّالِبُ وَالطَّالُوبُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطالب: الصنم، والمطلوب الذباب، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: الطالب: الذباب يطلب ما يسلُبه من الطيِّب الذي على الصنم، والمطلوب: الصنم يطلب الذباب منه سَلْبٌ ما عليه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الطالب: عابد الصنم يطالب التقرُّب بعبادته، والمطلوب: الصنم، هذا معنى قول الضحاك، والسدي (١١).

قوله تعالى: ﴿مَا فَكَدُواْ اللَّهَ حَقَّ فَكَدْرِيَّهُ أي: ما عظمُّوه حق عظمته، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِئُهُ لا يقهر ﴿عَنِيزُهُ لا يرام.

﴿ اللَّهُ يَعْسَطَنِي مِنَ ٱلْمُلَتِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّامِنَ إِنَّ اللَّهَ سَحِيعٌ بَصِيرٌ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ ٱلدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمُّ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجُمُ ٱلْأُمُورُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ اللهُ يَصْطَفِى مِنِ ٱلْمَاتَةِكَةِ رُسُلاً ﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ﴿ وَيَنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الأنبياءَ المرسلين، ﴿ إِنَ اللهُ سَمِيعٌ ﴾ لمقالة العباد ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بمن يتخذه رسولاً. وزعم مقاتل أن هذه الآية نزلت حين قالوا: ﴿ أَمْنِلُ عَلَيْهِ الذِّكُرُ مِنْ بَيْنِناً ﴾ [من: ١٨].

قوله تعالى: ﴿يَمْأَدُ مَا بَيْكَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خُلْفَهُمْ ﴾ الإشارة إلى الذين اصطفاهم؛ وقد بيِّنًا معنى ذلك في آية الكرسي البنرة: ٢٥٥].

﴿ يَتَأَيْهُمَا الَّذِينَ مَامَنُواْ ارْكَعُواْ <u>وَاسْجُمُـدُواْ</u> وَاعْبُدُواْ رَيَّكُمْ وَافْسَلُواْ الْخَيْرَ لَمَلَّكُمُ مَّقْلِمُونِ ۗ ۗ ۞ وَجَهِدُواْ فِي اللّهِ حَقَّ جِهَمَادِهِ، هُوَ اَخْتَبْنَكُمْ وَمَا جَمَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٌ قِلَةَ أَبِيكُمْ إِرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ الْسُلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيكُونَ الرَّسُولُ شَهِبِدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شَهْدَاءً عَلَى النَّامِنُ فَأَفِيمُواْ السَّلُواْ وَمَاقُواْ الزَّكُواةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللّهِ هُوَ مَوْلِنَكُرُ فَيْعَمَ الْمَوْلِيَ وَيْعَمَ النَّصِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَرْكَعُواْ وَ<u>اسْجُدُوا</u>﴾ قال المفسرون: المراد صلُّوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿وَاعَبُدُواْ رَيَّكُمْ﴾ أي: وحُدوه ﴿ وَاَفْكُواْ ٱلْخَيْرَ ﴾ يريد: أبواب المعروف ﴿ لَعَلَّكُمْ تُتَلِحُونَ ﴾ أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري ٢٠٣/١٧: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما ذكرتُه عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب، وهو الألهة، أن تستنقذ
من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.

قال: وإنما قلت: هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبراً عما هو به متصل، أشبه من أن يكون خبراً عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريعاً منه بذلك عَبَدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يُجمل في مثل في العبادة، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه، لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض، ومالكٌ جميع ذلك، والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت!! إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من (الحج) واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وابن عمر، وعمّار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس، أنهم قالوا: في (الحج) سجدتان، وقالوا: فضّلت هذه السورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي في. وروي عن ابن عباس أنه قال: في (الحج) سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك؛ ويدل على الأول ما روى عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفي (الحج) سجدتان؟ قال: انعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما، (١).

فصل

واختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة. وبه قال الشافعي، والثانية: أنها خمس عشرة، فأخرج التي في آخر (الحج) وأبدل منها سجدة [صّ: ٢٤]. وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر (الحج) وأبدل منها سجدة [صّ: ٢٤].

فصل

وسجود التلاوة سُنَّة، وقال أبو حنيفة: واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام، خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزئ الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزئ. ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد ﷺ. وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافاً للشافعي.

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها على قولين: أحدهما: قوله: ﴿لَا يُكُلِّتُ اللَّهُ نَنْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. والثاني: قوله: ﴿فَالْقُواْ اللَّهَ مَا السَّطَعْتُمُ ﴾ [النغابن: ٢١]. وقال آخرون: بل هي مُحْكَمَةٌ، ويؤكده القولان الأولان في تفسير حق الجهاد، وهو الأصح، لأن الله تعالى لا يكلِّف نفساً إلا وسعها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ آجَنَبُنكُمْ ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه. والحرج: الضيّق، فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجاً بتوبة أو كفارة أو انتقالٍ إلى رخصة ونحو ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿قِلَةٌ أَبِيكُمْ ﴾ قال الفراء: المعنى: وسّع عليكم كملّة أبيكم، فإذا ألقيتَ الكاف نصبتَ، ويجوز النصب على معنى الأمر بها، لأن أول الكلام أمر وهو قوله: ﴿أَرْكَعُوا وَالسَّجُدُولَ ﴾ والزموا ملّة أبيكم. فإن قيل: هذا

⁽١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الله بن لهيمة به، وقال الترمذي: ليس بقوي. قال ابن كثير: وفي هذا نظر، فإن ابن لهيمة قد صرح فيه بالسماع، وأكثر ما نقموا عليه تدليسه، ثم قال ابن كثير: وقد رواه أبو داود في «المراسيل» عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله 難قال: ففضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين، ثم قال أبو داود: وقد أسند هذا، يمني من غير هذا الرجم، ولا يصحم قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثني ابن أبي داود، حدثنا يزيد بن عبد الله، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا حفص بن غياث، حدثني نافع، قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية، وقال: إن هذه فضلت بسجدتين، قال: وروى أبو داود، وابن ماجه، من حديث الحارث بن سعيد المُمتَّل وغي سورة الحج سجدتان، قال ابن كثير: فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً.

قوله تعالى: ﴿هُو سَمَّنَكُمُ ٱلْسُلِينِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله ظلى، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا في قوله: ﴿وَنِ قَلُ﴾ قولان: أحدهما: من قبل إنزال القرآن سمَّاكم بهذا في الكتب التي أنزلها. والثاني: •مِنْ قَبْلُ • أي: في أمّ الكتاب، وقوله: ﴿وَفِ هَنْا ﴾ أي: في القرآن. والثاني: أنه إبراهيم على حين قال: ﴿وَمِن دُرْيَنَيْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ فالمعنى: من قَبْل هذا الوقت، وذلك في زمان إبراهيم على وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَمِن دُرْيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسمَّاكم ليكون الرسول، يعني محمداً ﷺ ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمُ يوم القيامة أنه قد بلَّنكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [البغرة: ١٤٣] إلى قوله: ﴿ وَمَاتَزُا ٱلزَّكَوْرَةِ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: سَلُوه أن يَعْصِمكم من كل ما يُسخط ويُكْرَه. وقال الحسن: تمسَّكوا بدين الله(۱). وما بعد هذا مشروح في [الانفال: ٤٠].



 ⁽١) قال ابن كثير: ﴿ وَآعَتَمَكُوا بِاللّهِ أَي: اعتضدوا بالله، وتوكلوا عليه، وتأيّدوا به، ﴿ هُو مَوْلِكُرُ ﴾ أي: حافظكم، وناصوكم، ومظفوكم على أعدائكم، ﴿ وَيَعْمَ ٱلنّولِ وَيَعْمَ النّولِ وَيَعْمَ النّاصِو مِن الأعداء. وقال ابن جرير الطيري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَعْمَ ٱلنّولِ وَيَعْمَ ٱلنّولِ وَيَعْمَ النّاصِو مِن الأعداء واعتصم به، ونعم النصير، يقول: ونعم الناصو هو له على من بغاه بسوو.

سورة المؤمنون

بنسيد ألق الأنك النجسية

﴿ فَدَ أَنْكُمَ ٱلْمُؤْمِدُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي مَسَلَامِهُمْ عَشِيمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّذِو مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكُوزَ وَعَلَمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكُونِ فَعَلَوْنَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْوَرْدُونِ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى مَلَكُتَ أَيْتَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ۞ وَمَنِ ابْتَغَى وَرَآةَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ۞ اللَّذِيكَ يَرِثُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فِيمُاؤِنَ ۞ أَلَئِيكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ۞ اللَّذِيكَ يَرِثُونَ اللَّذِينَ مُنْ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فِيمُ لِيمُونَ ۞ وَاللَّذِينَ هُو عَلَى مَلَوْتِهِمْ فِيمُاؤِنَ ۞ اللَّذِيكَ يَرِثُونَ ﴾ اللَّذِينَ هُمْ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فِيمُ إِنْ اللَّهِ عَلَى مَلْوَتِهِمْ فَيْعِلُونَ ۞ اللَّذِيقُونَ ۞ اللَّذِيكَ يَرِثُونَ اللَّهِ اللَّذِيقُونَ أَنْ اللَّهُ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فَيْعَالِمُونَ ۞ اللَّذِيقُونَ ۞ اللَّذِيقُونَ أَنْ اللَّهُ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فَيَعْلُونَ ﴾ واللَّذِيقُونَ أَنْ اللَّهُ عَلَى مَلَوْتِهِمْ فَيَالِمُونَ ﴾ واللَّذِيقُونَ أَلَيْنِ مُنْ اللَّهُ عَلَى مُنْ اللَّهُ عَلَى مُنْ مَا عَلَيْمُ مَنْ عَلَيْ مُونَ أَنْ إِلَيْنَا مُونَا أَنْ أَنْفِيقُونَ أَنْ أَلَيْهِ لَكُونَ أَلَى اللَّهُ عَلَى مُنْ مُنْ إِلَيْكُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّذِينَ عُلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مُنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى مُنْ اللَّهُ عَلَيْنَ عُلِكُونَ أَنْ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَالِكُولُونَ اللّهُ

سورة المؤمنون مكية في قول الجميع.

روى عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفَلَكُمْ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞﴾ إلى عشر آيات»، رواه الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه" (١). وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله على أنه قال: ﴿إِن الله تعالى حاط حائط الجنة لَبِئَة من ذهب ولَبِئَة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلِّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبي لك منزل الملوك، (٢). قال الفراء: «قد» هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال، لأن ﴿قَدُۥ تقرُّبِ الماضي من الحال حتى تُلحقُه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها، فيكون معنى الآية: إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال. وقرأ أبيّ بن كعب، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرّف: «قد أُفْلِحُ» بضم الألف وكسر اللام وفتح الحاء، على ما لم يُسمَّ فاعله. قال الزجاج: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير. ومن قرأ: اقد أَقْلِحَۥ بضم الألف، كان معناه قد أصيروا إلى الفلاح. وأصل الخشوع في اللغة: الخضوع والتواضع. وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود. روى أبو هويرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهُمْ خَشِعُونَ ﴾ فنكس رأسه (٢٠). وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار، وقتادة، والثاني: أنه تركُ الالتفات في الصلاة، وأن تُلين كنفك للرجل المسلم، قاله عليّ بن أبي طالب ظلم. والثالث: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد، وإبراهيم، والزهري. والرابع: أنه الخوف، قاله الحسن. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الشِّرك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الباطل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: المعاصي، قاله الحسن. والرابع: الكذب، قاله السدي. والخامس: الشتم والأذى الذي كانوا يسمعونه من الكفار، قاله مقاتل. قال الزجاج: واللغو: كل لعب ولهو، وكل معصية فهي مطَّرَحة مُلغاة. فالمعنى: شغلهم الجدُّ فيما أمرهم الله به عن اللغو.

⁽۱) هو جزء من حديث طويل رواه الحاكم ٣٩٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي نقال: ستل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا وهو يونس بن سليم نقال: أظنه لا شيء، والحديث رواه أحمد في «المسند»، والترمذي في «التفسير» ١٤٦/٢ والنسائي، وهو ضعيف، لأن في سنده عندهم، يونس بن سليم، هو مجهول. وقد ذكر هذا الحديث السيوطي في «اللد» ٥/٢ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والعقيلي، والبيهقي في «الدلائل»، والفياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب الله.

 ⁽۲) ذكره ابن كثير ٣/ ٢٣٨ من رواية البزار عن أبي سعيد الخدري موقوعاً، قال ابن كثير: ثم قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وهو شيخ متقدِّم الموت.

٣) رواه الحاكم ٣٩٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح لولا خلاف فيه على محمد (يعني محمد بن سيرين) نقد قيل عنه مرسلاً، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي
 فقال: الصحيح أنه مرسل، ورواه ابن جرير الطبري ٢/١٨ عن محمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح مرسلاً.

قوله تعالى: ﴿ لِلزُّكُوٰةِ فَاعِلُونَ ﴾ أي: مؤدُّون، فعبَّر عن التأدية بالفعل، لأنه فعل.

ق**وله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ ٱزْوَلِجِهِمْ﴾** قال الفراء: «على» بمعنى «مِنْ». وقال الزجاج: المعنى: أنهم يُلامون في إطلاق ما حُظر عليهم وأمروا بحفظه، إلا على أزواجهم ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْنَائُهُمْ﴾ فإنهم لا يُلامون (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اَتَنَهَ ﴾ أي: طَلَب ﴿ وَرَاتُهُ ذَلِك ﴾ أي: سوى الأزواج والمملوكات ﴿ فَأَوْلَتِكَ هُمُ الْمَادُونَ ﴾ يعني الجائرين الظالمين، لأنهم قد تجاوزوا إلى ما لا يَحلُّ، ﴿ وَاللَّهِمْ هُمْ لِلْأَمَانَةِمِهُ قرأ ابن كثير: الأمانة هو اسم جنس، والمعنى: للأمانات التي انتُمنوا عليها، فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربّه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكُلِّ. وكذلك العهد. ومعنى ﴿ رَعُونَ ﴾: حافظون. قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولًاه الراعي من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَوْتِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «صلواتِهم» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي: «صلاتِهم» على التوحيد، وهو اسم جنس. والمحافظة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْوَرِثُونَ ۞﴾ ذكر السدي عن أشياخه أن الله تعالى يرفع للكفار الجنة، فينظرون إلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تقسم بين المؤمنين فيرِثونهم،فذلك قوله: ﴿ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْوَرِثُونَ ۞﴾. وقد شرحنا هذا في الامراف: ٤٣] عند قوله: ﴿ أُورِثُنُتُوهَا﴾، وشرحنا معنى الفردوس في [الكهف: ١٠٧].

﴿ رَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِسْكَنَ مِن شَلَالَةٍ مِن طِينِ ۞ ثُمَّ جَمَلَنَهُ ثَطْلَةً فِى فَرَدٍ شَكِينِ ۞ ثُرُ خَلَقَا الثَّلُفَةَ مَلَكَةً الْلَلَفَةُ مُعْمَّكِةً فَكَانُمُنَا الْمُشْمَكَةَ عِظْلَا فَكَسَّوْنَا الْعِطْلَمَ لَمُنَا ثُوَّ أَنشَأَنَهُ خَلْقًا مَاخَرُ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْفَلِفِينَ ۞ ثُمَّ إِلْكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتِنُونَ ۞ ثُرَّ إِلْكُرْ بَيْمَ الْفِينَمَةِ ثُمْنَدُونِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه آدم ﷺ. وإنما قيل: «مِنْ سُلالة؛ لأنه استُلَّ من كل الأرض، هذا مذهب سلمان الفارسي، وابن عباس في رواية، وقتادة. والثاني: أنه ابن آدم، والسُّلالة: النطفة استُلَّت من الطين، والطين: آدم ﷺ، قاله أبو صالح عن ابن عباس (٢٠). قال الزجاج: والسُّلالة: فُعالة، وهي القليل مما يُنْسَل، وكل مبنيِّ علَى «فُعالة» يراد به القليل، من ذلك: الفُضالة، والنُّخالة، والقُلامة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَمَلْنَكُ﴾ يعني: ابن آدم ﴿نُطُنَةً فِي قَارِ﴾ وهو الرَّحِم ﴿ تَكِينِ﴾ أي: حريز، قد هُنِّئَ لاستقراره فيه. وقد شرحنا في سورة [الحج: ٥] معنى النُّطفة والمُلقة والمُضغة.

قوله تعالى: ﴿ فَكَلَقْنُكَا ٱلْمُشْفَةَ عِظْنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿ عِظْنَمًا فَكَسُونًا ٱلْعِظْمُ على عاصم: ﴿ عِظْنَمًا فَكَسُونًا ٱلْعُظْمُ على الجمع. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ عَظْماً فَكَسُونَا الْعَظْمُ عَلَى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ ثُرُّ أَنشَأْتُهُ خَلْقًا ءَاخَرُ ﴾ وهذه الحالة السابعة. قال علي ﷺ: لا تكون موؤودة حتى تمرَّ على التارات السبع. وفي محل هذا الإنشاء قولان: أحدهما: أنه بطن الأم. ثم في صفة الإنشاء قولان: أحدهما: أنه نفخ الروح فيه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنه جعله ذكراً أو أنثى، قاله الحسن. والقول الثاني: أنه عد خروجه من بطن أمه. ثم في صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال: أحدها: أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استُهل، ثم دُلَّ على الثدي، وعُلِّم كيف يبسط رجليه إلى أن قعد، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشي، إلى أن قُطم، إلى أن بلغ الحُلُم، إلى أن تقلّب في البلاد، رواه العوفي عن ابن

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو بالمسالة أده

الطين، لأنه خُلق منه.

 ⁽١) قال ابن كثير ٣/ ٢٣٩: وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء بالبيد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلْنُرُومِهِمْ خَيْلُولُونِكُ إِنَّا مُلَكِّتُ أَيْنَتُهُمْ مَلِيَّهُمْ مَثِرٌ مَلُومِينَ قال: فهذا الصنيع خارج عن القسمين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اَتَنَى وَلَهُ وَلَكُ وَلَكُ وَلَكُ مَلِكُ مَنْ الْمُلْوِمِينَ أَنْ مَلَاكُونَ أَنْهُمْ أَلْمُدُونَ إِنَّهُمْ مَثْرُ مَلُومِينَ أَنْ وَلَهُ وَلَهُ مَلِيْ مَنْ اللهُ وَمِنْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَكُ مَلِكُ مَنْ اللهُ وَمِنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ مَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله

عباس. والثاني: أنه استواء الشباب، قاله ابن عمر، ومجاهد. والثالث: أنه خروج الأسنان والشَّعْر، قاله الضحاك، فقيل له: أليس يولّد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟ والرابع: أنه إعطاء العقل والفهم، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارُكُ اللّهُ ﴾ أي: استحق التعظيم والثناء. وقد شرحنا معنى «تبارك» في [الاعران: ١٥١، ﴿ أَحْسَنُ الْخَلِقِينَ ﴾ أي: المصوِّرين والمقدِّرين. والخَلْق في اللغة: التقدير. وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، إلى قوله تعالى: ﴿ خَلْقًا مَاخَرٌ ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «لقد مُحتمتُ بما تكلمتَ به يا ابن الخطاب (١٠). فإن قبل: كيف الجمع بين قوله: ﴿ أَشَّنُ الْتَلِقِينَ ﴾ وقوله: ﴿ هُلَّ مِنْ خَلِقٍ غَبُرُ اللّهِ ﴾ [ناطر: ٣]؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجِد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

[ولأنت تَفْرِي ما خَسَلَقْتَ] وبَعْد في في القوم يَخْلُقُ تُسم لا يَفْرِي(٢)

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصوّرون ويقدّرون ويصنعون الشيء، فألله خير المصوّرين والمقدّرين. وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُر بَعَدَ ذَلِكَ ﴾ أي: بعد ما ذُكر من تمام الخَلْق ﴿لَيَتُوْنَ ﴾ عند انقضاء آجالكم. وقرأ أبو رزين العقيلي، وعكرمة، وابن أبي عبلة: ﴿لمائتون الله. قال الفراء: والعرب تقول لمن لم يمت: إنك مائت عن قليل، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيّد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه يسودهم عن قليل، قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل؛ وهذا الباب كلّه في العربية على ما وصفتُ لك.

﴿ وَلَقَتَدُ خَلَقْنَا فَوَلَكُمْ سَنْعَ طَلَآلِينَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْمُلَّتِ غَفِيلِينَ ۞ وَأَنزَلْنَا مِنَ الشَّمَاءِ مِلَّا مِقَدَرٍ فَأَسْكُنَهُ فِي الْأَرْضِ وَلِنَا عَلَى ذَهَارٍ لِهِ مَنْدَوْنَ ۞ وَشَجَوَا خَنْجُ مِن طُورٍ سَيْنَاةَ تَنْبُثُ مِدِ فَدَيْرُهُ كَذِيرً ۚ وَمِنْهَا تَأْكُونَ ۞ وَشَجَوا خَنْجُ مِن طُورٍ سَيْنَاةَ تَنْبُثُ مِلْدُهُ وَمِنْهَا تَأْكُونَ ۞ وَشَجَوا خَنْجُ مِن طُورٍ سَيْنَاةَ تَنْبُثُ مِلْدُهُ وَمِنْهَا تَأْكُونَ ۞ وَشَجَوا خَنْجُ مِن طُورٍ سَيْنَاةَ تَنْبُثُ مِلْدُهُ وَمِنْهَا قَأْكُونَ ۞ وَشَجَوا خَلْقُ مِن طُورٍ سَيْنَاةً تَنْبُثُ مِلْهُ وَمِنْهَا قَالُونَ ۞ وَشَجَوا خَلْقُ مِن طُورٍ سَيْنَاةً تَنْبُثُ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَكَدُ خَلَقْنَا فَوَقَكُمُ سَبْعَ طَرَابِقَ﴾ يعني: السموات السبع، قال الزجاج: كل واحدة طريقة. وقال ابن قتية: إنما سميت اطرائق، بالتَّطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقتُ الشيء: إذا جعلتَ بعضه فوق بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْمَاتِي غَنِيلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب. والثاني: ما كنا تاركين لهم بغير رزق، فأنزلنا المطر. والثالث: لم نغفُل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءٌ بِقَدَرِ﴾ يعلمه الله، وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة (٣٠٠.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةُ﴾ هي معطوفة على قوله: ﴿جَنَّتِ﴾. وقرأ أبو مجلز، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي: ﴿وشجرةٌ بالرفع. والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون. فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكّرهم من نِعَمِه ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنهما كانا جُلَّ ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

وقال ابن جرير الطبري في تمام الآية: ﴿وَلَهَا هَلَ هَكُهِ بِمِ لَتَنَكِرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكنًاه في الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشًا وتخرب أرضوكم فلا تنبت زرعاً ولا غرساً، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جارياً.

 ⁽١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢/٥ من رواية ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ خَلْقَا الْإِلَاكُ مِن سُلِكُمْ مِن طِيْنِ ﴿ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَنشَأَتُهُ خَلْقًا مَا خُرْ ﴾ قال عمر: ﴿ فَتَبَالُكُ اللهُ أَمْسَتُ لَلْمُلِقِينَ ﴾ فقال: فوالذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمره.

 ⁽۲) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في فشرح ديوان زهير، ٩٤، وقمختار الشعر الجاهلي، ٢٦٥/١، وقالطبري، ١١/١٨، وقالقرطبي، ١١/١٢،
 وقاللمان، وقالتاج، خلق.

⁽٣) قال ابن كثير: يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعد ولا تحصى، في إنزاله القطر من السعاء بقدر، أي: بحسب الحاجة، لا كثير فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه والسقي والشرب والانتفاع به، حتى أن الأرض التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها، ولا تحتمل دمنتها إنزال العطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، ثم قال: فسبحان اللطيف الخبير الرحم الغفور.

والثاني: لأنهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقى، وهي تُخرج الثمرة التي يكون منها الدُّهن. والثالث: أنها تنبت بالماء الذي هو ضد النار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها. والرابع: لأن أول زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ طُورِ سَيْنَامُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طور سِيناه ، مكسورة السين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، مفتوحة السين، وكلُّهم مدُّها. قال الفراء: العرب تقول: سَيناء، بفتح السين في جميع اللغات، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون السين. قال أبو على: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنها جُعلت اسماً لبقعة أو أرض، وكذلك اسينين، ولو جُعلت اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكَّرة لصُرفت، لأنك كنت قد سمَّيت مذكَّراً بمذكَّر. والطُّور: الجبل. وفي معنى «سَيْناء» خمسة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الحسن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: «الطور»: الجبل بالسريانية، و«سَيْنَاء»: الحسن بالنبطية. وقال عطاء: يريد: الجبل الحسن. والثاني: أنه المبارك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. والرابع: أن طور سيناء: الجبل المشجّر، قاله ابن السائب. والخامس: أن سيناء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزجاج؛ قال الواحدي: وهو أصح الأقوال؛ قال ابن زيد: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة^(١).

قوله تعالى: ﴿ تُنْبُتُ بِاللَّهُمْنِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: التُّنبت، برفع الناء وكسر الباء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الباء. قال الفراء: وهما لغتان: نبتت، وأنبتت، وكذلك قال الزجاج: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد، قال زهير:

قَطِيناً لهم حتى إذا أَنْبَتَ البَهْلُ(٢) رأيتُ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيبُونِهم

قال: ومعنى اتَنْبُتُ بالدُّهْنِ: تنبت ومعها دهن، كما تقول: جاءني زيد بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف. وقال أبو عبيدة: معنى الآية: تنبت الدهنَ، والباء زائدة، كقوله: ﴿وَمَن بُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَكَادِ بِظُـامِرِ﴾ [العج: ٢٥] وقد بيُّنًا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَمِسْرَهُ وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي، والأعمش: (صِبْغاً) بالنصب. وقرأ ابن المسميفع: "وصِبَاغ" بألف مع الخفض. قال ابن قتيبة: الصُّبغ مِثْل الصِّباغ، كما يقال: دِبْغ ودِبَاغ، ولِبْس ولبَاس. قال المفسرون: والمرأد بالصُّبغ هاهنا: الزيت، لأنه يلوَّن الخبرَ إذا غُمس فيه، والمراد أنه إدام يُصبَغ به.

﴿ وَإِنَّ لَكُرْ فِي ٱلأَنْمَائِمِ لَهِبْرَةً أَشْفِيكُمْ مِنَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُرْ فِيهَا مَنْهُعُ كَثِيرَةٌ وَيَنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلُافِ تُحْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُرْ فِي ٱلْأَشَامِ لَيْبَرَّةً لُّسُقِيكُم﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿نَسْقِيكُم ا بفتح النون. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها. وقد شرحنا هذا في [النحل: ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُرُ فِيَا مَنْفِئُ كُثِيرَةً ﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَيَنَّهَا تَأْكُونَ﴾ من لحومها وأولادها والكسب عليها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعنى: الإبل خاصة ﴿وَعَلَ ٱلْفَلَكِ تَحْمَلُونَ﴾ فالإبل تحمل في البَرِّ، والسفن تحمل في البحر. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوسًا إِلَىٰ فَوْمِهِ. فَقَالَ يَفَوْرٍ اَجَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَبُرُهُ أَلَلًا نَلْتُونَ ۞ فَفَالَ الْسَلَوَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن فَرْمِهِ. مَا هَيْلَ إِلَّا بَشَرٌ مِنْلُكُو يُرِيدُ أَن يَنْفَضَلَ عَلِيكُمْ رَقَ شَامَة اللَّهُ لأَزَّلَ مَلَتِيكَةً مَّا سَيِمْنَا بِهَذَا فِي عَابَآيِنَا ٱلْأَرَّانِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُ بِدِ حِنَّةٌ فَكَرَنَّصُواْ بِدِ حَقَىٰ حِينِ ۞ قَالَ رَبِّ انصُرُق بِمَا كَلَّجُونِ ۞ فَأَوْجَيْنَا ۚ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنِعِ ٱلْفَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَجِيـنَا فَإِذَا جَمَاةَ أَمْرُنَا

البيت في فشرح ديوان زهير بن أبي سلمي، ١١١، ودمختار الشعر الجاهلي، ٢٣٩/١، وفالطبري، ١٤٤/٨، وفالقرطبي، ١١٦/١٢، وفاللسان، و(التاج): نبت.

قال ابن جرير الطبري ١٤/١٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور، يعرف به، كما قيل: جبلا طبئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه: حسن، لكان الطور منوناً، وكان قوله: •سيناء، من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجيل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَرْمِهِ،﴾ قال المفسرون: هذا تعزية لوسول الله ﷺ بذِكْر هذا الوسول الصابر ليتأسّى به في صبره، وليعلم أن الرسل قبله قد كُذَّبوا.

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنْفَشَلَ عَلَيْكُمُ ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعاً، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ ﴾ أن لا يُعبَد شيء سواه ﴿ لأَرْنَ مَلَيْكُة ﴾ تبلّغ عنه أمره، لم يرسل بشراً ﴿ مَّا سَيمَنا بَهَذا ﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿ فِي اَبَالَهَ الْأَوْلِينَ ﴾ . فأما الجِنَّة فمعناها: الجنون. وفي قوله: ﴿ حَتَىٰ جِينِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، فتقديره: انتظروا موته. والثاني: أنه وقت منكر.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرُهُ ﴾ وقرأ حكرمة، وابن محيصن: ﴿ قَالَ رَبُّ ابضم الباء، وفي القصة الأخرى [المؤمنون: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿ يَمْ اَكُبُونِ ﴾ وقرأ يعقوب: ﴿ كذَّبوني الياء، وفي القصة التي تليها أيضاً: ﴿ فاتقوني الدومود: ٢٥١ ﴿ أَن يَحْصُروني ﴾ الدومود: ٢٥١ ﴿ أُللومود وَ الدومود وَ الدومو

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِ أَزِلْنِى مُتَرَّلاً وَرا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: المُنْزَلاً، بفتح الميم: اسم لكل ما نزلت به، والمُنْزَلُ، بفتح الميم: اسم لكل ما نزلت به، والمُنْزَلُ، بضمها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول: أنزلتُه إنزالاً ومُنْزَلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان: أحدهما: عند نزوله في السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي: في قصة نوح وقومه ﴿ لَآبَتِ وَإِن كُنَّا ﴾ أي: وما كنا ﴿لَبُتَايِنَ ﴾ أي: لمختبرين إياهم بإرسال نوح إليهم. ﴿فُرُّ أَنتَأَنَا مِنْ بَمْدِهِ وَزَا عَاخَيِنَ ﴾ يعني عاداً ﴿ فَالْسَلَنَا فِيمٍ رَسُولًا يَنْهُم ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سلمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول صالح. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ أَيَيدُكُمُ أَلَكُو ﴾ قال الزجاج: موضع «أنَّكم» نصب على معنى: أَيَعِدُكُمْ [انَّكم] مخرجون إذا مِتَّم، فلما طال الكلام أعيد ذِكْر «أنَّ» كقوله: ﴿ أَلَمْ يَمْكُودِ اللهُ وَرَسُولُمُ قَالَ لَهُ فَالَ كَلُو مَا لَهُ اللهِ اللهِ اللهُ المَالِمُ أَعيد ذِكْر اللهُ وَرَسُولُمُ قَالَ لَهُ مَا لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَرَسُولُمُ قَالَ لَهُ مَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَسُولُمُ قَالَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَرَسُولُمُ قَالَ لَهُ مَا اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ هَبَهَاتَ هَبَهَاتَ ﴾ قرأ ابن كثير، وننافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «هيهات هيهات» بفتح التاء فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وهارون عن أبي عمرو: «هيهاتاً هيهاتاً» بالنصب والتنوين، وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وأبو حيوة

الحضرمي، وابن السميفع: "هيهات هيهات الله الله والتنوين. وقرأ أبو العالية، وقتادة: "هيهات هيهات بالخفض والتنوين. وقرأ أبو بهائه، وقرأ أبو المتوكل الناجي، والتنوين. وقرأ أبو جعفر: "هيهات هيهات الله المتوكل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة: "هيهات هيهات بالرفع من غير تنوين، وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو: "هيهات هيهات بإسكان التاء فيهما. وفي "هيهات عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء، والثامنة: "إيهات، والتاسعة: "إيهان بالنون، والعاشرة: "إيها» بغير نون، ذكرهن ابن القاسم؛ وأنشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن:

تىذكَّرُ أياماً مَضَيِّن من الصِّبا وهيهاتِ هيهاتاً إليك رجوعُها(١)

قال الزجاج: فأما الفتح، فالوقف فيه بالهاء، تقول: «هيهاه» إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على الناء كنت ممن ينوِّن في الوصل، أو كنت ممن لا ينوِّن، وتأويل «هيهات»: البُعد لما توعدون. وإذا قلت: «هيهات ما قلت»، فمعناه: البعد لما قلت. ويقال: «أيهات» في معنى «هيهات»، وأنشدوا:

وأيسهاتَ أيسَهاتَ السعسقِيتُ ومَنْ بدهِ وأيسهاتَ وصلٌ بالعقيقِ نُواصله (٢٠)

قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت على اهيهات، فقل: اهيهاه،. وقال الفراه: الكسائي يختار الوقف بالهاء، وأنا أختار التاء.

قوله تعالى: ﴿ لِمَا تُوَعَدُونَ ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «ما تُوعَدُون » بغير لام. قال المفسرون: استبعد القومُ بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكّر في بدوِّ أمرهم وقُدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً، ﴿ إِنَّ حِيَا أَنَا اللَّيْكَ يعنون: ما الحياة إلا ما نحن فيه، وليس بعد الموت حياة. فإن قبل: كيف قالوا: ﴿ نَتُوتُ وَغَيّا ﴾ وهم لا يقرُّون بالبعث؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج: أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنهم قالوا: يموت قوم ويحيا قوم. والثاني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع، لا للترتيب. والثالث: ابتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنون الرسول. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [مود: ٧، النحل: ٣٨] إلى قوله: ﴿قَالَ عُمَّا قَلِيلِ﴾ قال الزجاج: معنا : عن قليل، و(ما) زائدة بمعنى التوكيد.

قوله تعالى: ﴿ لَيُسْبِحُنّ لَابِينَ ﴾ أي: على كفرهم، ﴿ فَأَغَذَتُهُمُ الصّيْحَةُ بِالْحَقِ ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم. قال المفسرون: صاح بهم جبريل صيحة رجفت لها الأرض من تحتهم، فصاروا لشدّتها غُناءً. قال أبو عبيدة: الغُناء: ما أشبه الزّبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا يُنتَفع به في شيء. وقال ابن قتيبة: المعنى: فجعلناهم هَلْكَى كالغُناء، وهو ما علا السّيل من الزّبد والقَمش (٢٠)، لأنه يذهب ويتفرّق. وقال الزجاج: الغُناء: الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السّيل رأيته مخالطاً زَبده. وما بعد هذا قد سبق شرحه العجر: ٥] إلى قوله تعالى: ﴿ مُ أَرْسَلنَا وُسُلنَا وُسُلنَا وَحَمْرة، والوقف بالألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، تَثَرُّ ﴾ قرأ ابن كثير، وابو عمرو، وابو جعفر: «تترى كلّما» منونة والوقف بالألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: بلا تنوين، والوقف عند نافع وابن عامر بألف. وروى هبيرة، وحفص عن عاصم، أنه يقف بالياء؛ قال أبو علي: يعني بقوله: يقف بالياء، أي: بألِفٍ مُعالة. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم من نوّن. قال ابن قتية: والمعنى: نُتَابع بفترة بين كل رسولين، وهو من التّواتر، والأصل: وَتْرَى، فقُلت الواو تاءً كما قلبوها في التقوى والتخمة. وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى واتَرْتُ الخبر: أنبَعْتُ بعضه بعضاً، وبين الخبرين هُنيّة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترت كتُبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيته، وهو من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيته، وهو

⁽۱) •القرطبي، ۲۲/۲۲، و•اللسانة: هيه. ﴿ ﴿ ﴾ • القرطبي، ۲۲/۱۲، وفيه: . . . وأيهاتَ خِلِّ بالعقيق نواصله.

⁽٣) القَمش: الرديء من كل شيء، وما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء، ويقال لرُّذالة الناس: قماش.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْهَنَا بَعَنَهُم بَعْنَا﴾ أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثىر بعض ﴿ وَيَعَمَلْنَهُمْ أَحَادِيثُ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يُتمثَّل بهم في الشرِّ؛ ولا يقالو في الخير: جعلتُه حديثاً.

﴿ وَمُ ۚ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَلَٰخَاهُ ۚ هَذُونَ بِنَايَتِنَا وَسُلْطَنُو شِيئٍ ۞ إِلَّا فِرْعَوْتَ مَنَهَنِيهِ فَاسْتَكَبَرُواْ وَكَانُواْ فَوْمًا عَالِينَ ۞ فَعَالُواْ أَنْوَنُ لِيَمْرَيْنِ بِقَلِمَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِيهُونَ ۞ فَكَذَّهُومُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلِكِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَكُبُرُوا ﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿ وَكَانُوا فَوْمًا عَالِينَ ﴾ أي: قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم،

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَنْدُونَ ﴾ أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملِك فهو عابدٌ له.

﴿وَلَقَدْ مَاتِيَنَا مُوسَى الْكِنْبَ لَمَلْهُمْ يَجَنَدُونَ ۞ وَيَصَلْنَا أَنَ مَرْيَمَ وَأَنْتُهُ مَايَةُ وَمَاوَيْنَهُمَنَا إِلَى دَيْوَقِ ذَاتِ فَرَادٍ وَمَعِينٍ ۞ ﴿

قُولُه تعالَى: ﴿ وَلَقَدُ ءَائِنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ﴾ يَعني: التوراة، أعطيها جملة واحدة بعد غُرق فرعون ﴿ لَمَلَّهُمُ ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهندوا.

قُوله تعالى: ﴿وَيَعَلَنَا أَنَ مُرْيَمَ وَأَمَّهُ ءَايَةً﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «آيتين، على التثنية، وهذا كقوله: ﴿وَيَعَلَنَهُا وَأَبْنَهُمَا عَايَةً﴾ [الأنياء: ٩١](١). وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: ﴿ وَارَائِنَاهُما ﴾ أي: جعلناهما يأويان ﴿ إِلَى رَبَوَرُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «رُبوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في اللبقة: ١٢٦٥، ﴿ وَابَ عَلَو ﴾ وهو الماء أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج: أي: ذت مستقر ﴿ وَمَعِينِ ﴾ وهو الماء المجاري من العيون. وقال ابن قيبة: «ذات قرار» أي: يُستقرُّ بها للعمارة، «وَمعِينٍ » هو الماء الظاهر، ويقال: هو مَفْعُول من العين، كأنَّ أصله مَغْيُون، كما يقال: ثوب مَخِيط، وبُرُّ مَكِيل. واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة على أربعة أقوال: أحدها: أنها دمشق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنها ببت المقدس، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الرملة من أرض فلسطين، قاله أبو هريرة. والوابع: مصر، قاله وهب بن منبه، وابن زيد، وابن السائب(٢). فأما السبب الذي الأجله أويًا إلى الربوة، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فرَّت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد الثني عشرة سنة. قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى.

الله على الرَّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّبِيَنَتِ وَاعْمَلُواْ صَالِمُنَّا إِنِّ مِمَا تَشَكُرُنَ عَلِيمٌ ﴿ وَإِنَّ هَافِهِ الْتَتَكُرُ أَنَهُ وَجِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَالْقُولِوِ ۞ فَتَقَلَّمُواْ أَسَالُونَ عَلِيمٌ ﴿ وَإِنَّ هَالِهِ مَنْ الْفَرَارُ وَ عَنْمَ وَمِوْنَ ۞ فَذَرَهُمْ فِي عَنْمُ وَمِدُ مِنْ عَالَمُ وَمِيدٍ فَي عَنْمُ وَمِدُ مِنْ عَالَمُ وَمِيدٍ فَي عَنْمُ وَمِدُ مِنْ عَالَمُ وَمِدِينَ ۞ فَتَعَلَّمُواْ أَسَامُ مُولِكُمْ مِدِ مِن عَالَمُ وَمِيدٍ فَي عَنْمُ وَمِدُ مِنْ عَالَمُ وَمِدِينَ ۞ فَتَعَلَمُواْ أَسَامُ مُولِمُ وَمِنْ مَا لَهُ وَمِيدٍ فَي عَنْمُ وَمِدُ مِنْ عَلَى وَمِيدٍ فَي عَنْمُ وَمِنْ أَنْ مَا لَهُ مَا مِنْ مُؤْمِنُ أَلُوا مِنْ مَا لَهُ وَمِنْ أَنْ فَي مُعْرَفِهُ مِنْ مِنْ مُؤْمِدُ مِنْ عَلَى مُعَلِّمُ وَمِنْ مُؤْمِدُ مَنْ فَي مُعْمَلُوا مُعَلِّمُ وَمُؤْمِدُ مِنْ عَلَوْ مَنْ مِنْ مَا لَا مَنْهُمُ مِنْ مِنْ مَا لَا مَنْهُمُ وَمِنْ مُؤْمِدُ مِنْ مِنْ مُؤْمِدُ مِنْ مُؤْمِدُ مِنْ مَا لَمُ مُنْ مُؤْمِدُ مِنْ مَا لَمُ مُؤْمِدُ مِنْ مُؤْمِدُ مِنْ عَنْمُ وَمِنْ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مِنْ عَلَمُ مُنْ مُؤْمِدُ مُنْ مُنْ مُؤْمِدُ مِنْ مَا لَمُعُمْ وَمُنْ مُؤْمُ وَالْمَعُونُ اللَّهُ مُنْ مُؤْمِدُ مُودُونَ أَنْ مَنْهُمُ مُنْ مُؤْمِدُ مُنْ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ وَمُؤْمُ وَاللَّمُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمُ وَمُؤْمُونُ أَنْمُوا مُعَلِّمُ وَمُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمُ وَمُودُ مُنْ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمُ وَمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمُونُ وَمُؤْمِدُ مُؤْمِدُ وَمُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُومُ وَمُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُنْ وَالْمُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمُودُ مُنْ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِنَ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِدُ مُؤْمِنَ وَالْمُعُمُودُ مُومُ مُنْ مُؤْمِنِهُ مُؤْمُ وَمُؤْمِنُونُ مُؤْمِنُونَ وَالْمُوا مُنْ مُؤْمِنِهُ مُؤْمِنَا مُؤْمِنَا مُؤْمِنَا مُومُ مُومُ مُؤْمِنَا مُؤْمِعُودُ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُنْفُودُ مُومُ مُومُ مُومُ مُؤْمِنُونِ مُنْ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُومُ مُنْفُودُ مُنْفُودُ مُومُ مُنْفُودُ مُنْ مُومُ مُو

قوله تعالى: ﴿ يَكَانُّهُا ٱلرُّسُلُ﴾ قال ابن عباس؛ والحسن، ومجاهد، وقتادة في آخرين: يعني بالرسل هاهنا محمداً ﷺ

⁽۱) قال ابن كثير ٢٤٦/٣: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ أنه جعلهما آية للناس، أي: حجة قاطمة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر "بلا أثش، وخلق عيسى من أنشى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنشى. اهـ.

⁽٢) قال الطبري: وأولى الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وهاء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى يُخره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. وقال ابن كثير عن القول الرابع الذي قال وهب بن منه: وهو يعيد جداً. ثم قال: وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَالَتَهُمَّا إِنْ نَرْيَرَ فَاتِ قَرْلِ رَمَينِ﴾ قال: المعبين: الماء الحاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿فَدْ جَمَلُ رَبُّاتِ مَنْكِ مَنْ المَاهِ المعبد، فهذا - والله أعلم - هو الأظهر، لأنه المذكور في الآياد.

وحده، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتيبة، والزجاج (۱)، والمراد بالطّيبات: الحلال. قال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى ﷺ يأكل من غَزْل أُمّه (۲).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مَنَابِهِ أَنْتُكُرُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "وأنَّ بالفتح وتشديد النون. وافق ابنُ عامر في فتح الألف، لكنه سكَّن النون. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "وإنَّ بكسر الألف وتشديد النون. قال الفراء: من فتح، عطف على قوله: ﴿ إِنَّ بِمَا تَمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وبأنَّ هذه أُمَّتُكم، فموضعها خفض لأنها مردودة على «ما»؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: وأعلموا هذا؛ ومن كسر استأنف. قال أبو علي الفارسي: وأما ابن عامر، فإنه خفف النون المشدَّدة، وإذا خُفِّفت تعلَّق بها ما يتعلَّق بالمشدَّدة. وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في [الانبياء: ٢٦] إلى قوله: ﴿ رُبُراً ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني: "زُبُراً » برفع الزاي وفتح الباء، وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميفع: "رُبُراً » برفع الزاي وفتح الباء، علوا دينهم كُتُباً مختلفة، جمع زَبُور. ومن قرأ "رُبُراً» بضم الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كُتُباً مختلفة، جمع زَبُور. ومن قرأ "رُبُراً» بفتح الباء، أراد قِقَاعاً.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِ بِمَا لَدَيْمٍ مُرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم من الدَّين الذي ابتدعوه مُعْجَبون، يرون أنهم على الحقّ. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ فَذَرُمُرُ فِي ضَرَتِهِ ۗ وقرأ ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب: ﴿ في غمراتهم ۗ على الجمع. قال الزجاج: في عَمايتهم وحَيرتهم، ﴿ حَتَىٰ حِينِ ﴾ أي: إلى حين يأتيهم ما وُعدوا به من العذاب. قال مقاتل: يعني كفار مكة.

فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحلهما: أنها منسوخة بآية السيف. والثاني: أن معناها التهديد، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿ أَيُحَسَبُونَ أَنَا لَيُدَّمُ بِهِ ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء: ﴿ لَيُمِدُّهُ ، بالياء المرفوعة وكسر الميم. وقرأ أبو عمران الجوني: ﴿ نَمُدُّهُم ﴾ بنون مفتوحة ورفع الميم. قال الزجاج: المعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به ﴿ مِن تَالِ وَيَعَرَبُ ﴾ مجازاة لهم؟! إنما هو استدراج، ﴿ لَمُ إِنَّ مُلَّمُ فِي الْمُرْبُ ﴾ أي: نسارع لهم به في الخيرات. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وأيوب السختياني: ﴿ لِيسَارعُ ﴾ بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهما فتحا الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: ﴿ لِيسْرَعُ ﴾ بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿ بَنُ لَا يَشْمُرُنَّ ﴾ أي: لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم.

- (۱) ذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّ ٱرْسُلُ كُواْ بِنَ الطَّبِيْتِ وَاسْتُلُ عِينِهِ ابِن مريم ﷺ كما تقول في الكلام للرجل الواحد: كذّوا عنا أذاكم، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَالَ لَهُمُ النَّسُ ﴾ والمراد رجل واحد. وقال القرطبي: قال بعض العلماء: والغطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، وقال: قال الزجاج: هذه مخاطبة للنبي ﷺ ودل الجمع على أن الرسل كلّهم كذا أمروا، أي: كلوا من الحلال. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، قدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء ﷺ بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً، ودلالة ونصحاً، فجزاهم الله عن العباد عيراً، قال: وقال الحسن البصري في قوله: ﴿يَأَيْ إِنْ اللَّبِيْنِ ﴾ قال: أما والله ما أمركم بأصغركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.
- (٢) ولمي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة مرفوعاً: هذا بعث الله تبياً إلا وهي الفتم» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: فنعم، وأنا كنت أرحاها على قراريط لأهل مكة». وفي الصحيخ» أيضاً وأن داود ﷺ قال داود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فأيها الناس إن الله طب لا يقبل إلا طبياً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المؤسلين فقال: ﴿يَأَيُّ الرَّبُلُ كُلُوا مِن النَّيِئَاتِ وَاعْمُلُوا صَلِياً ﴾ وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المؤسلين فقال: ﴿يَأَيُّ الرَّبُلُ كُلُوا مِن المَيْئِنَاتُ وَان الله أمر المؤمنين بقال السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا وب، يا وب، ومطمعه حرام، وملبسه حرام، وطلي بالحرام، فأتى يستجاب لللك؟!».

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْمَةِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِثَايَتِ رَبِّهِمْ فَقِينُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُر بِرَبِهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَالَّذِينَ بُوْفُونَ مَا عَانَوا وَمُشُونِهُمْ وَجِلَةً أَنَهُمْ إِلَى رَبِهِمْ رَجِعُونَ ۞ اُولَتِهِكَ يُسْرِعُونَ فِي ٱلْفَيْرَتِ وَهُمْ لَمَا سَلِقُونَ ۞﴾

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم تُشْفِقُونَ ۞﴾ وقد شحرنا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَتْبَيِّدِ مُشْفِقُونَ﴾ (١٠ الانبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلذِينَ يُؤَوُنَ مَا ءَاتَوَ﴾ وقرأ عاصم الجحدري: ﴿ يأتون ما أتوا ﴾ بقصر همزة ﴿ أتوا ﴾ . وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يا رسول الله اهم الذين يُدنبون وهم مشفقون ؟ فقال: ﴿ لا ، بل هم الذين يصلُون وهم مشفقون ، ويصومون وهم مشفقون ، ويتصدّقون وهم مشفقون أن لا يُتقبّل منهم ﴾ (٢) . قال الزجاج : فمعنى ﴿ يُوتُونَ ﴾ أي يُعطون ما أعظوا وهم يخافون أن لا يُتقبّل منهم ، ﴿ أَنَهُمْ إِلَى رَبِّمَ رَحِمُونَ ﴾ أي : لأنهم يوقنون أنهم يرجعون . ومعنى ﴿ يُأتَونُ ﴾ يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع اجتهادهم مقصّرين ، ﴿ أَنْلَتِكَ يُسَرِّعُونَ فِي النّبَرَ الله على المرعت أبو المتوكل ، وابن السميفع : ﴿ يُسْرِعون ﴾ بوفع الياء وإسكان السين وكسر الراء من غير ألف . قال الزجاج : يقال : أسرعت وسارعت في معنى واحد ، إلا أن ﴿ سارعت أبلغ من ﴿ أسرعت » ﴿ وَهُمْ لَنَهُ أي : من أجلها ، وهذا كما تقول : أنا أكرم فلاناً لك ، أي : من أجله . وقال بعض أهل العلم : الوجل المذكور هاهنا واقع على مُضْمَر .

﴿ وَلَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَمَا وَلَدَبَنَا كِنَتُ بَعِلِقُ وَلَمْ لَا يُطْلَئُونَ ۞ بَلَ قُلُوبُهُمْ فِي غَشَرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَمُمُ أَعْمَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمُّ لَهُمْ اللَّهُمْ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَلَدَنَا كِنَابُ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿ يَهِلَيُّ بِالْمَنِ ﴾ قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطق بما يعملون ﴿ وَهُرُ لاَ يُظْلَرُن ﴾ أي: لا يُنقصون من ثواب أعمالهم. ثم عاد إلى الكفار، فقال: ﴿ بَلْ قُلُونُهُمْ فِي خَتَرَةِ مِنْ هَلاَ الله الكفار، فقال: ﴿ بَلْ قُلُونُهُمْ فِي خَتَرَةِ مِنْ هَلاَ الله الله الزجاج: يجوز أن يكون قال مقاتل: في غفلة عن الإيمان بالقرآن. وقال ابن جرير: في عمي عن هذا القرآن. قال الزجاج: يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البِرِّ في قوله: ﴿ أَوْلَيْتِكَ يُمُنونُنُ فِي الْفَيْرَتِ ﴾، فيكون المعنى: بل قلوب هؤلاء في عماية من هذا ويجوز أن يكون إشارة إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم مُحْصَاةً فيه. فخرج في المشار إليه بـ [هذا) ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن. والثاني: أعمال البِرِّ. والثالث: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿ وَهَمْ أَعَبُلُ مِن دُونِ دَلِكَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعمال سيّئة دون الشّرك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: خطايا من دون ذلك الحق، قاله مجاهد. وقال ابن جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية. والثالث: أعمال غير الأعمال التي ذُكِروا بها سيعملونها، قاله الزجاج. والرابع: أعمال - من قبل الحين الذي قدَّر الله تعالى أنه يعذَّبهم عند مجيئه - من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ مُمُ لَهَا عَدِلُونَ ﴾ إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كُتبت عليهم لا بدَّ لهم من عملها (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ مَثَنَ إِنَّا آلَذَنَا مُثَرِّفِهِم ﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش. وفي المراد فبالعذاب و قولان: أحدهما: ضرب السيوف يوم بدر، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: الجوع الذي عُذَبوا به سبع سنين، قاله ابن السائب. و ﴿ يَجْنُرُونَ ﴾ بمعنى: يصيحون. ﴿ لاَ جَنَرُوا الْبَرْمَ ﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿ إِنَّكُمْ مِنَا لا

⁽١) قال ابن كثير ٣٤٨/٣: أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خاتفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن المصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمثاً.

 ⁽۲) رواه أحمد في «المسند» والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وواققه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» / ۱ وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي الدنيا في «نمعب الإيمان» عن عائشة رضاً.
 (۳) قال ابن كثير: أي: قد كتبت عليهم الأعمال السيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحق عليهم كلمة العذاب. اهـ.

نُعُمُرُونَ﴾ أي: لا تسمنعون من عذابنا. ﴿ مَلَا كَانَتَ عَايَتِي لَتُنَ عَلَيْكُمْ ﴾ يسمني: القرآن ﴿ لَكُشُرُ عَلَىٓ أَعَلَيكُو لَنكِصُونَ﴾ أي: لا تسمنعون من البيعان بها، ﴿ مُسْتَكَبِرِنَ ﴾ منصوب على الحال. وقوله: ﴿ إِيهِ ﴾ الكناية عن البيت الحرام، وهي كناية عن غير مذكور؛ والمعنى: إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم، لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً، ونحن أهل بيت الله وَوُلاتُه، هذا مذهب ابن عباس وغيره. قال الزجاج: ويجوز أن تكون الهاء في «به للكتاب، فيكون المعنى: تُحدِث لكم تلاوتُه عليكم استكباراً.

قوله تعالى: ﴿ سُنِرًا ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: تَهْجُرون سُمَّاراً، والسامر بمعنى السُّمَّار، بمنزلة طفل في موضع أطفال، وهو من سَمَر الليل. وقال ابن قتية: ﴿ سامراً ﴾ أي: متحدِّثين ليلاً ، والسَّمَر: حديث الليل. وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو المعالية، وابن محيصن: ﴿ سُمَّراً ﴾ بضم السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: ﴿ سُمَّاراً ﴾ برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها.

قوله تعالى: ﴿ تَهُجُرُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ تَهُجُرون ابنت عباس. الناء وضم الجيم. وفي معناها أربعة أقوال: أحدها: تهجرون ذِكْرَ الله والحقّ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: تهجرون كتاب الله تعالى ونبيّه على ونبيّه على قاله الحسن. والثالث: تهجرون البيت، قاله أبو صالح. وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تَسْمُر حول البيت، وتفتخر به ولا تطوف به. والرابع: تقولون هُجْراً من القول، وهو اللغو والهلكيان، قاله ابن قتيبة. قال الفراء: يقال: قد هَجَرَ الرجل في منامه: إذا هذى، والمعنى: إنكم تقولون في رسول الله على ما ليس فيه وما لا يَضُرُّه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن محيصن، ونافع: ﴿ تُهُجِرُون ﴾ بشم الناء وكسر الجيم. قال ابن قتيبة: وهذا من الهُجْر، وهو السَّبُ والإفحاش من المنطق (١٠)، يريد سبَّهم للنبي على وهن البَّعه. وقرأ أبو العالية، وعكرمة، وعاصم المجحدري، وأبو نهيك: ﴿ تُهَجِّرُون ﴾ يتشديد المجيم ورفع التاء؛ قال ابن الأنباري: ومعناها معنى قراءة ابن عباس.

﴿ لَلَمْ يَدَّبَوُا الْفَوْلُ أَدْ جَآءَكُمْ مَا لَرْ بَأْتِ مَاجَآءَكُمُ الْأَوْلِينَ ۞ أَدْ لَدْ يَسْرِئُواْ رَسُولَكُمْ فَهُمْ لَمُ مُنكِكُرُونَ ۞ أَدْ بَقُولُونَ بِدِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَكُمُ بِالْمَقِّ وَلَنْصَغُرُمْ لِنَحَقِ كَلِيمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلْلَا يُذَبِّرُوا الْقَوْلَ ﴾ يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعِبَر على صدق رسولهم ﴿ أَرْ جَآمَمُ مَا لَا يَأْتِ عَالَمَاتُهُمُ ٱلْأَوْلِينَ ﴾ المعنى: أليس قد أرسل الانبياء إلى أممهم كما أرسل محمد ﷺ؟! ﴿ أَرْ يَرْفُوا رَسُولُمُ ﴾ هذا توبيخ لهم، لانهم عرفوا نسبه وصدقه وأمانته صغيراً وكبيراً ثم أعرضوا عنه. والجِنَّة: الجنون، ﴿ بَنَ جَآمَهُم بِالْمَقِّ ﴾ يعني القرآن.

﴿ وَلَوِ اتَّمَعُ ٱلْحَقُّ أَهْرَاءَهُمُ لَنَسَدَتِ السَّمَنَوْتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِي ۖ بَلَ ٱلْيَسْمُم بِذِكْرِهِم فَهُمْر عَن ذِكْرِهِم تُمْوَرُدِي ۖ أَهْ تَسْتَلُهُمْ خَمْمًا مَخَرَجُ رَبِّكَ خَبْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الزَّوْفِينَ ۞ وَلِئَكَ لَتَنْتُومُمْ إِلَى مِبرَطِ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْذِينَ لَا يَزْمِنُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ انْتَبَعَ الْعَقُ أَهْرَاتَهُمُ ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الله ﷺ، قاله مجاهد، وابن جريج، والسدي في آخرين. والثاني: أنه القرآن، ذكره الفراء، والزجاج. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو جعل الله لنفسه شريكاً كما يحبُّون. وعلى الثاني: لو نزَّل القرآن بما يحبُّون من جعل شريك لله ﴿ لَنَسَدَتِ السَّمَوَتُ وَالْأَرْشُ وَ اَن فِيهِ كُ بَلَ الْقِرَان بِهِ القرآن ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِشُوب ﴾ أي: بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِشُوب ﴾ أي: قد تولَّوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة. وقرأ بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: قبل أتيناهم بذكراهم فهم عن ذكراهم مُعْرِضون الله بالله في علما . ﴿ أَرْ تَتَنَلُهُم ﴾ عمّا جمثتهم به ﴿ خَرْجاً فَخْرَج ، بغير الف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: قخراجاً بالف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: قخراجاً بالف في الحرفين. ومعنى «خَرْجاً»: أجراً ومالاً، ﴿ فَخَرَاج كَاف في على أيعطيك

⁽١) في أغريب القرآنة: وهو السب والإفحاش في المنطق.

ربُّك من أجره وثوابه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّبِقِينَ﴾ أي: أفضل من أعطى؛ وهذا على سبيل التنبيه لهم أنه لم يسألهم أجراً، لا أنه قد سألهم. والناكب: العادل؛ يقال: نكّبَ عن الطريق، أي: عَدَلَ عنه.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ إِلْآخِرَةِ عَنِ ٱلسِّمَرَطِ لَنَكِكُونَ ۞ ۞ وَلَوْ رَمَنَهُمْ وَكَثَفْنَا مَا بِهِمْ تِن شُرِّ لَلَجُواْ فِي مُلْمَئِنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ وَلَقَدْ ٱخَذْتَهُم بِالْمَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَافُواْ لِرَبِّيمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۞ حَقَّ إِنَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا فَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِنَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَلُو رَمْنَكُمْ وَكَنَفَنَا مَا بِهِم مِن شُرِ﴾ قال ابن عباس: الضَّر هاهنا: الجوع الذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أعنَّي على قريش بسنين كَسِنِيٌ يوسف، (١)، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه الضَّرَّ، وأنهم قد أكلوا القِدَّ (١) والعظام، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، وهو العذاب المذكور في قوله: ﴿ وَلَقَدَ الْحَدُنَهُم بِالْمَدَابِ ﴾ أَخَدَتُهُم بِالْمَدَابِ ﴾

قوله تعالى: ﴿ حَنَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابِ شَدِيدِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم بدر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنَّهُ الجوع الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: بابٌ من عذاب جهنم في الآخرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: «مبلسون» بفتح اللام. وقد شرحنا معنى المُبلس في الانعام: ١٤٥٠.

﴿ وَهُوَ الَّذِينَ أَنْنَا لَكُرُ السَّمْعَ وَالْأَبْمَدَرُ وَالْأَفِيدَةُ فِيلِلا مَّا تَشَكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي ذَلَاَكُرُ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يُحْمِهِ، وَيُمِيتُ وَلَهُ الْخِيلَاثُ الَّذِلِ وَالنَّهَارُ اللَّهَ تَمْقِلُونَ ۞ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلُونَ ۞ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلُونَ ۞ قَالُوا أَوْنَا مِثْنَا وَكُنَّا أَوْلَا اللَّهُ وَمُؤْفِقَا ﴾ وَعَلَمْنَا وَكُنْ مِنْ فَهُمَا إِنْ هَلْنَا إِلَّا أَسَطِيرُ الْأَوْلِينَ ۞ قُل لِمِنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ وَمُنَا لَمُنْ وَهُ اللَّهُ مُؤْلُونَ فِيلًا قُلْ الْمُلاَ مَنْ مِنْ بَلُ إِنْ هَلْنَا إِلَّا أَسَطِيرُ الْأَوْلِينَ ۞ قُل لِمِنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ وَمُمُونَ ﴾ مَنْ فَيْمَا أَنْهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ فَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ قال المفسرون: يريد أنهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ ذَرَّا كُرْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خلقكم من الأرض.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ النِّلِكُ النِّلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: هو الذي جعلهما مختلفَين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿ أَنْلاَ تَمْقِلُونَ ﴾ ما ترون مِنْ صُنعه؟! وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ قُل لِنَي الْأَرْضُ ﴾ أي: قل لأهل مكة المكذّبين بالبعث: لِمَن الأرض ﴿ وَمَن فِيها ﴾ مِن الخُلْق ﴿ إن كُنتُم تَمّ مُثوب ﴾ بحالها، ﴿ سَيَقُولُونَ لِيَّه ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿ فله بغير الف هاهنا، وفي اللّذين بعدها بألف. وقرأ الباقون: ﴿ فله في المواضع الثلاثة. وقراءة أبي عمرو على القياس. قال الزجاج: ومن قرأ: ﴿ سيقولون الله فهو جواب السؤال، ومن قرأ ﴿ فله فجيّد أيضاً ، لأنك إذا قلت ؛ مَنْ صاحبُ هذه الدار؟ فقيل: لزيد، جاز، لأن معنى «مَن صاحب هذه الدار؟»: لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ ﴿ فله في الموضعين الآخرين ، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل ، وأبو الجوزاء: ﴿ سيقولون الله الله فيهن كلّهن . قال أبو علي الأهوازي: وهو في مصاحف أهل البصرة بألف فيهن .

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُالَ أَفَلَا تَذَكَّرُوكَ﴾ فتعلمون أن من قدر على خَلْق ذلك ابتداءاً، أقدر على إحياء الأموات؟! ﴿ قُلْ مَن زَبُّ السَّمَنَوْتِ السَّمْيِعِ وَرَبُّ الْسَرْشِ الْسَظِيمِ ۞ سَبَقُولُونَ بِيَّوِ قُلْ أَلَىٰ اَنْتُوْبَ ۞ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُونُ كُونَ كُلْ مَنْ وَهُوَ يُجُبُرُ وَلَا يُجِكُارُ عَلَيْهِ إِن كُشَرْ تَمَامُونَ ۞ سَبَقُولُونَ يَنَّوْ قُلْ فَأَنَى تُسْحَرُونَ ۞﴾

قوله تَعالى: ﴿أَنْلَا لَنَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تتقون عبادة غيره. والثاني: تخشّون عذابه. فأما الملكوت، فقد شرحناه في [الإنعام: ٧٥].

⁽١) رواه الواحدي في فأسباب النزول؛ ١٧٩، وذكره السيوطي في «الدر» ه/١٢، وأصله في «الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف».

 ⁽٢) قال في «اللسان»: البيدُ: السير الذي يُقدُّ من الجلد، وذكر كثير من المفسرين أنهم أكلوا العلهز، وهو الوير والدم.

قوله تعالى: ﴿وَهُو يُجِيرُ وَلَا يُجُكَادُ عَلَيْهِ ﴾ أي: يمنع [من] السوء من شاء، ولا يمنع منه من أراده بسوء، يقال: أَجَرْتُ فلاناً: أي: حميته، وأجرتُ عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ شُمَّرُكِ ﴾ قال ابن تتيبة: انَّى تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا؟!

﴿ بَلْ أَنْيَنَهُم مِالْحَقِّ وَانْتُهُمْ لَكَنذِبُونَ ۞ مَا أَغََـذَ اللَّهُ مِن وَلَو وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَا ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَامٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَلًا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِنْ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِغُونَ ۞ عَلِيمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُثْرِكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَنْيَنَهُم بِالْحَقِ ﴾ أي: بالتوحيد والقرآن ﴿ وَلِنَّهُ مُ لَكَذِبُنَ ﴾ فيما يُضِيفون إلى الله من الولد والشريك: ثم نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ إِنَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ ﴾ أي: لا نفرد بخَلْقِه ولم يرض أن يُضاف خَلْقُه وإنعامه إلى غيره، ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خَلَق ﴿ وَلَهَلا بَهَ شُهُمْ عَلَى بَسُولُ ﴾ أي: غلب بعضهم بعضاً،

قوله تعالى: ﴿عَلِمِ ٱلْمَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو [عمرو، وابن] عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عالمِ بالخفض. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿عالمُ بالرفع. قال الأخفش: الجرُّ أجود، ليكون الكلام من وجه واحد، والرفع، على أن يكون خبر ابتداء محذوف، ويقوِّيه أن الكلام الأول قد انقطع.

﴿ فُلُ رَبِّ إِمَّا ثُرِيَنِي مَا يُوَعَدُونَ ۞ رَبِّ وَنَكَا جَمْمَانِي فِ ٱلْقَوْرِ ٱلظَّلْلِيينَ ۞ وَإِنَّا عَلَىٓ أَن نُرِيكَ مَا نَمِدُهُمُم لَقَائِدِرُونَ ۞ آهْفَة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّنَةُ غَنْ أَغَلُمُ بِمَا يَصِفُونَ ۞ وَقُل رَّبِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَنِ ٱلشَّيَطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْمُرُونِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُرِيَيِّ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، والضحاك: «تُركَنِّي؛ بالهمز بين الراء والنون من غير ياء. والمعنى: إن أريتني ما يوعَدون من القتل والعذاب، فاجعلني خارجاً عنهم ولا تُهلكني بهلاكهم؛ فأراه الله تعالى ما وعدهم ببدر وغيرها، ونجّاه ومن معه.

قوله تعالى: ﴿آدَفَعْ بِاللِّي هِى أَحْسَنُ السَّيِّمَةُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ادفع إساءة المسيء بالصفح، قاله الحسن. والثاني: ادفع الشّرك بالتوحيد، قاله ابن السائب. والثاني: ادفع الشّرك بالتوحيد، قاله ابن السائب. والرابع: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه الماوردي. وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ غَنَنُ أَغْلُمُ مِمَا يَعِيفُونَ ﴾ أي: بما يقولون من الشَّرك والتكذيب؛ والمعنى: إنّا نجازيهم على ذلك. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُودُ ﴾ أي: ألجأ وأمتنع ﴿ بِكَ مِنْ مَمَرَّتِ ٱلشَّيَطِينِ ﴾ قال ابن قتيبة: هو نَخْسُها وطَعْنُها، ومنه قيل للعائب: هُمَرَةً، كأنه يطعن ويَنْخُس إذا عاب. وقال ابن فارس: الهَمْزُ كالعَضر، يقال: همزتُ الشيء في كفّي، ومنه الهَمْز في الكلام، لأنه كأنه يضغط الحرف، وقال غيره: الهَمْز في اللغة: الدَّفْع، وهَمَزات الشياطين: دَفْعُهم بالإغواء إلى المعاصى.

قوله تعالى: ﴿أَن يُعَشُرُونِ﴾ أي: أن يشهدون؛ والمعنى: أن يصيبوني بسوء، لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه، وقبل: هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم. فإن قبل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: «ارجعني»؟، فالجواب: أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن، وذلك أنه يخبر عن نفسه [فيه] بما تخبر به الجماعة، كقوله: ﴿إِنَّا غَنْ نُحِي، وَيُبِينُ ﴾ [ق: ١٤]، فجاء خطابه كإخباره عن نفسه، هذا قول الزجاج.

﴿حَقَّةَ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ النَّمَرُثُ قَالَ رَبِّ ارْجِمُونِ ۞ لَمَاتِ أَعْسَلُ صَلِيحًا فِيمَا تَرَكُثُ كَاذَّ إِنَّهَا كِلِمَةُ هُوَ فَآلِهُمَّا وَبِن وَرَابِهِم بَرَنَّ إِلَى يَنِهِ بَنِهُمْ المُعْلِمُونَ ۞ فِيمَا ثَوْنِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُغْلِمُونَ ۞ وَبَن مَثْلَتُ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُغْلِمُونَ ۞ وَمَن خَفْتُ مَوْزِينُهُ فَأُولَئِكَ اللَّهُونَ ۞ وَمَن مَعْنَاتُ وَمُعْمَهُمُ النَّالُ وَمُعْمَ فِهَا كَالِمُونَ ۞ وَمُنْ مَعْنَاتُ وَمُعْمَهُمُ النَّالُ وَمُعْمَهُمُ النَّالُ وَمُعْمَلُهُمْ النَّالُ وَمُعْمَلِهُمْ الْمُعْلِمُونَ ۞ وَمُنْ مَا اللَّهُ وَاللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ ال

قوله تعالى: ﴿لَمَاتِي أَعْمَلُ صَلِمًا فِيمَا نَرُكُتُ ﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عُمُري؛ وقال مقاتل: فيما تركت من العمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّا ﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا ﴾ يعنى: مسألته الرجعة ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ فَآلِهُما ﴾ أي: هو كلام لا

فائدة له فيه ﴿وَوِن وَرَآبِهِم﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم ﴿بَرَنَجُ﴾ قال ابن قتيبة: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين شيئين فهو برزخ. وقال الزجاج: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ثُوْحَ فِي الصُّورِ﴾ في هذه النفخة قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنها الثانية، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ فَلا آ أَسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ، إنما يُرقع التواصل والتفاخر بها. وفي قوله: ﴿ وَلَا يَسَاتَلُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يُرك بعضهم لبعض حَقَّه. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأعراف: ١٨] إلى قوله: ﴿ تَلْفَحُ وَبُهُمُهُمُ ٱلنَّادُ ﴾ قال الزجاج: تلفح وتنفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً، والكالح: الذي قد تشمَّرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى [من] (١) رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتَشمَّرت الشفاه. وقال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلَّصتَ شفاههم كالرأس المشيط بالنار. وروى أبو عبد الله الحاكم في اصحيحه من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله عليه أنه قال في هذه الآية: «تشويه النار فتقلَّص شفته العليا حتى تبلغ سُرَّته المناع وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سُرَّته (٢٠).

﴿ وَالَمْ تَكُنَّ مَائِنِي ثُنَانَ مَلِيَكُو تَكُمْتُم بِهَا فَكَذِبُونَ ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلِبَتْ عَلِيْنَا شِفَوْتُنَا وَكُنَّا وَكُنَّا مَالَاِنَ ﴾ وَهَا أَغْرِجُنَا عَلَيْنَ فَلَا مَنْفَا فَإِنَّا مَالِنَا الْفَيْرِ لَنَا وَالْرَحْمَا مِنْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَهُمْ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ عَلَيْهُ وَلَا مُنْفَا اللهُ مَنْ عَلَيْهُ وَلَا مُنْفَا اللهُ مَنْ اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنُّ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿مَايَنِى نُتُلُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُواْ رَبُّنَا عَلَبَتْ عَلَيْتُ وَأَ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «شِقوتُنا» بكسر الشين، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، المعاص، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والأعمش، وحمزة، والكسائي: «شَقَاوتُنا» بألف مع فتح الشّين والقاف؛ وعن الحسن، وقتادة كذلك، إلا أن الشين مكسورة. قال المفسرون: أقرَّ القوم بأنَّ ما كُتب عليهم من الشقاء منعهم الهدى.

قوله تعالى; ﴿رَبُّنَّ أَغْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار. قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدَّناً﴾ أي: إلى الكفر والمعاصى.

قوله تعالى: ﴿ أَخْسَرُ إِ ﴾ قال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خَسَأْتُ الكَلْبِ أَخْسَوْه: إذا زجرته ليتباعد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكُلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. قال عبد الله بن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكاً أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم تَنَكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ثم ينادون ربَّهم ﴿رَبَّنَا لَغْرِحْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم تَنَكُونُونَ ثم ينادون ربَّهم ﴿رَبَّنَا لَغْرِحْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يردُّ عليهم ﴿أَنْسَانُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما ينبس القومُ بعد ذلك بكلمة إن كان، إلا الزفير والشهيق. ثم بيَّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّمُ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني، وعاصم المحدري: قانَّه، بفتح الهمزة ﴿كَانَ فَرِينٌ مِنَادِي﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين.

⁽١) زيادة من اللسانة.

⁽٢) رواه الحاكم في «المستدرك ٢٩٥/ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من رواية أبي السمح دراج عن أبي الهيئم ص أبي سعيد الخدري ﴿ المستدا عن دراج أبي السمح: صدوق في حديثه، عن أبي الهيئم ضعيف. والحديث رواه أحمد في «المستدا» والترمذي وقال: حسن غريب. وذكره السيوطي في «الدر» (١٦/ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في اصفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

قوله تعالى: ﴿ فَأَغَذَتُنُومُ ﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد.

قوله تعالى: ﴿ سِخْرِيًا ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: ﴿ سُخْرِيّاً ﴾ بضم السين هاهنا وفي اص: ٢٦٠ تابعهم المفضل في [ص: ٢٦٠. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في الازخرف: ٢٦٠. واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنى؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر لُجِّيَّ ولِجِّيُّ، وكوكبٌ دُرِيُّ ودِرِّيُّ. والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السُّخرة والاستعباد، قاله أبو عبيدة، وحكاه الفراء، وهو مروي عن الحسن، وقتادة. قال أبو علي: قراءة من كسر أرجح من قراءة من ضمّ، لأنه من الهزء، والأكثر في الهزء كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة [والوليد] قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمًار وبلال وخبًاب وصهيب سِخْرِيّاً يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿ حَتَىٰ أَنسَوُكُمْ وَكُرِى ﴾ أي: أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذِكْري؛ فنبسب الفعل إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنهم كانوا السبب في وجوده، كقوله: ﴿ إِنَّهُنَّ أَسْلَلَنَ كَثِيرًا بِنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّ جَرَبْتُهُمُ ٱلْيَرْمَ بِمَا صَبُكُا﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم ﴿أَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أنَّهم» بكسرها. فمن فتح «أنَّهم» فالمعنى: «إنَّهم» بكسرها. فمن فتح «أنَّهم» فالمعنى: جزيتُهم بصبرهم الفوز، ومن كسر «إنهم»، استأنف.

﴿ فَكُلَ كُمْ لِيَفْتُدُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿ فَالَوْا لِنَنَا يَوْمَا أَرْ جَعَنَ بَرْهِ فَسَتَلِى الْمَآذِينَ ﴿ فَكُلِّ إِنَ لِللَّهُ أَلَوْ أَلِنَا لَا تُرْعَمُونَ ﴿ فَتَكَلَّى اللَّهُ الْمَالِكُ الْمَحَلُّ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْسَرَشِ كُشُدُ تَعْلَمُونَ ﴿ فَتَكَلَّى اللَّهُ الْمَالِكُ الْمَحَلُّ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْسَرَشِ السَّكُودِ ﴿ وَهَنَ يَتُمْ لِللَّهُ عِنْدَ مَلِيهُ إِلَيْهُ لَا يُصْلِمُ اللَّهِ إِلْمُهُا مَاخَرُ لَا بُرْهَنَ لَمُ بِهِ. فَإِنَّنَا حِسَائِمُ عِندَ رَقِيةً إِنَّـمُ لَا يُضْلِحُ الْكَنْدُونَ ﴾ وَقُل رَّتِ الْغِيرِ وَاللَّهُ عِندُ مَلِيهُ الرَّحِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَ كُمْ لِيَنْتُرُ ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قال كم لبثتم وهذا سؤال الله تعالى للكافرين، وفي وقته قولان: أحدهما: أنه يسألهم يوم البعث. والثاني: بعد حصولهم في النار، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: قل كم لبثتم وفيها قولان: أحدهما: أنه خطاب لكل واحد منهم، والمعنى: قل يا أيها الكافر، والثاني: أن المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمر للواحد، والمراد الجماعة، لأن المعنى مفهوم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي يدغمون ثاء قلبتم، والباقون لا يدغمونها؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرج الثاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين، وفي المراد بالأرض قولان. أحدهما: أنها القبور، والثاني: الدنيا. فاحتقر القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا: ﴿ لِنَنْ يَوْمِ ﴾ قال الفراء: والمعنى: لا ندري كم لبثنا. وفي المراد بالعادين قولان: أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد. والثاني: الحُسَّاب، قاله قتادة. وقرأ الحسن، والزهري، وأبو عمران الجوني، وابن يعمر: قالعادين، باتخفيف الدال.

قوله تعالى: ﴿فَكُلَ إِن لِيَشَدُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قال إن لبثتم،. وقرأ حمزة، والكسائي: ققل إن لبثتم، على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة قال، في الموضعين، فقرأهما حمزة، والكسائي على ما في مصاحفهم، أي: ما لبئتم في الأرض ﴿إِلّا قَلِيلًا ﴾ لأن مكثهم في الأرض وإن طال، فإنه مُتنَاو، ومكثهم في النار لا يتناهى. وفي قوله: ﴿لَّوَ أَنْكُمُ كُنتُدُ تَمَلّمُونَ ﴾ قولان: أحدهما: لو علمتم قلى الأرض، والثاني: لو علمتم أنكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَنَصَيْبَتُمْ ﴾ أي: أفظننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقَنَكُمُّ عَبَثُا ﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللغة: اللعب، وقيل: هو الفعل لا لغرض صحيح، ﴿وَأَنْكُمُ إِلَيْنَا لَا رُبِّعَنُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿لا تُرْجَعُونَ بضم التاء. وقرأ حمزة، والكسائي بفتحها. ﴿فَتَعَلَى اللَّهُ ﴾ عمَّا يَصِفُه به الجاهلون من الشَّرك والولد، ﴿اَلْكِلُكُ ﴾ قال الخطابي: هو التامّ

v , '

.a *

المُلك الجامع لأصناف المملوكات. وأما المالك: فهو الخالص المُلك. وقد ذكرنا معنى «الحق» في (يونس: ٣٢).

قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَرْشِ ٱلْكَوِيرِ ﴾ والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن. وقرأ ابن محيصن: «الكريم، برفع الميم، يعنى الله عَلَى.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَكَنَ لَمُ بِدِ،﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليل؛ وقال بعضهم: معناه: فلا برهان له به. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَائِمُ عِندَ رَبِّيْةً﴾ أي: جزاؤه عند ربَّه (١).

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري في تفسير تمام السورة: ﴿ إِلَّمُ لَا يُشْرِحُ ٱلْكَثِيرُينَ ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم،
 ﴿ وَقُل رَّتِهِ كَفِيرٌ وَالْرَحْرُ وَالْتَهِ مَا الْحَدِينَ ﴿ إِلَيْمُ لَا يُشْرِعُ لَا يَعْمِلُ عَنْهِ عَلَى النعيم، عقول عقاء وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجترمت، وأنت خير الواحمين، يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه. اهـ.

سورة النور

ينسد ألمّو النَّابِ الرَّجَدِيِّ

﴿ مُونَا أَتَوْلَهَا وَوَضَنَهَا وَأَرْكَا فِيهَا مَالِنَتِ بَيْنَتِ لَمُلَكُّرُ نَذَكُرُونَ ۞ الزَّانِيَةُ وَالْزَلِى فَاجْلِدُوا كُلُّ وَجِدٍ يَنْهُمُّا جِالَةٌ خَلَا وَالْتَاكُمُ وَلَكُمُّ مِنَائِهُمَّا طَلَهِمَّةٌ مِنَ النَّفُونِينَ ۞ الزَّانِ لَا يَنجُحُ إِلَّا وَانِهَةً أَوْ مُشْرِكَةُ وَالزَّانِيَّةُ لَا يَكِحُمُهُمُّ إِلَّا وَانِهَ وَالْفَائِمُ عَلَى الْبُوْمِينَ ۞﴾ يَكِحُمُهُمْ إِلَّا وَانِ أَوْ مُشْرِكُ وَمُمْرَمُ وَلِكَ عَلَى الْبُوْمِينَ ۞﴾

وهي مدنية كلُّها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في اصحيحه؛ من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: الا تُنْزِلُوهُنَّ الفُرَف ولا تُعُلِّمُوهُنَّ المُعَرِّلُ اللهُ اللهُورِ» (٢٠)، يعني: النساء.

قوله تعالى: ﴿ سُرَةً ﴾ قرأ الجمهور بالرفع. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة، ومحبوب عن أبي عمرو: «سورةً بالنصب. قال أبو عبيدة: من رفع، فعلى الابتداء. وقال الزجاج: هذا قبيع، لأنها نكرة، و﴿ أَرْنَتَهَا ﴾ صفة لها، وإنما الرفع على إضمار: هذه سُورةٌ، والنصب على وجهين، أحدهما على معنى: أنزلنا سورةً، وعلى معنى: أثلُ سُورةً.

قوله تعالى: ﴿ وَفَرَضْنَهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد. وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة بالتخفيف. قال الزجاج: من قرأ بالتشديد، فعلى وجهين: أحدهما: على معنى التكثير، أي: إننا فرضنا فيها فروضاً، والثاني: على معنى: بيّنًا وفصّلنا ما فيها من الحلال والحرام؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: ألزمناكم العمل بما فرض فيها. وقال غيره: مَنْ شدَّد، أراد: فصّلنا فرائضها، ومَنْ خفّف، فمعناه: فرضنا ما فيها.

قوله تعالى: ﴿ اَلزَانِيةُ وَالزَّانِهُ القراءة المشهورة بالرفع. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر: «الزانية» بالنصب. واختار الخليل وسيبويه الرفع اختيار الأكثرين. قال الزجاج: والرفع أقوى في العربية، لأن معناه: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، ويجوز النصب على معنى: اجلدوا الزانية. فأما الجَلْد، فهو ضرب الجِلْد؛ يقال: جَلَدَه، كما يقال: بَطنَه: إذا ضَرَب بَطْنه. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزانية والزاني إذا كانا حُرين بالغَين بِكْرَيْن، ﴿ فَآبَلِدُوا لَمُ لَا يَعِدِ يَنْهَا مِأْلَةً جَلَاتًا ﴾.

⁽١) في الأصل: وعلموهنَّ الغزل، والتصحيح من االمستدرك للحاكم الذي نقل عنه المؤلف.

رواه الحاكم في «المستدرك» ٢٩٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: بل موضوع، وآنته عبد الوهاب بن الضحاك، قال أبو حاتم: كذاب. وهذا الخبر رواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه»، وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي، وهو منكر الحديث ومن الوضاعين، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، وقال: لا يصح، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد ألف العلامة المحدث شمس الحق العظيم أبادي رسالة سماها «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان، طبعها المكتب الإسلامي، ذكر فيها مؤلفها أن القول المحقق جواز تعليم الكتابة للنسوان، وذكر أحاديث علم الجواز، منها حديث الحاكم، وابن حبان، اللّذين تقدم ذكرهما، وغيرهما، ونقل أقوال العلماء فيها، ثم قال: وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات، ولم يصحح العلماء واحديث امنها، ما عدا الحاكم ونقل العرال العلماء في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه، ثم أبا عبد الله، وتساهله في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه، ثما قال: وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالفات المشتقيات بواسطة النساء المالفات وغير المشتقيات في جواز تعليم الكتابة للنسوان، في ذلك، فليرجع إلى رسالة «عقوذ الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان، فا المؤلف وفي الموضوع حقه فيها.

فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْدِ على البِكْر والنَّبْب. وقد روي عن رسول الله ﷺ في حق البِكْر زيادة على الجلد بالرجم بالجحارة. فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البِكْر بالبِكْر بَلْدِكْر بالبِكْر بَلْدُ مائة وتغريب عام، والثَّيْب بالنَّيْب جلد مائة ورجم بالحجارة ((). وممن قال بوجوب النَّفي في حق البِكْر أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وممن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وممن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق الثَّيِّب عليُّ بن أبي طالب، والحسن البصري، والحسن بن صالح، وأحمد، وإسحاق. قال: وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بالجَلْد المذكور في هذه الآية: البِكْر، فأما الثَّيِّب، فلا يجب عليه الجَلْد، وإنما يجب الرجم، روي عن عمر، وبه قال النخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة، ومالك، وروي عن أحمد رواية مثل قول هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَأْفُذُكُمُ ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والضحاك، وابن يعمر، والأعمش: «يَأْخُذُكُمُ اللياء، ﴿ وَبِهَا رَأَفَةٌ ﴾ ورا نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «رَأَفَةٌ الماسكان الهمزة. وقرأ أبو المتوكل، ومجاهد، وأبو عمران الجوني، وابن كثير: بفتح الهمزة وقصرها على وزن رَعَفَة. وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو رجاء العطاردي: «رَآفَةٌ مثل سآمة وكآبة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تأخذكم بهما رأفة، فتخفّفوا الضرب، ولكن أوجعوهما، قاله سعيد بن المسيب، والحسن، والزهري، وقتادة. والثاني: لا تأخذكم بهما رأفة فتعظّلوا الحدود ولا تقيموها، قاله مجاهد، والشعبي، وابن زيد في آخرين.

فصل

واختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود، فقال الحسن البصري: ضرب الزنى أشد من القذف، والقذف أشد من الشَّرب، ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير، وعلى هذا مذهب أصحابنا. وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنى أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف. وقال مالك: الضرب في الحدود كلَّها سواءٌ غير مبرِّح.

⁽١) رواه أحمد في المسنده ١٩٥٥، ومسلم ١٩٦٦، وأبو داود رقم (٤٤١٥)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كلهم من حديث عبادة بن الصامت على المسامت على المسامة المسلمة المسلمة على المسامة المسلمة المسلمة

فصل

قاما ما يُضرَب من الأعضاء، فنقل الميموني عن أحمد في جَلْد الزاني، قال: يجرَّد، ويعطى كل عضو حقَّه، ولا يضرب وجهه ولا رأسه. ونقل يعقوب بن بختان (١٠): لا يُضرب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: لا يُضرب إلا في الظَّهر. وقال الشافعي: يُثَقى الفرج والوجه.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللهِ فيه قولان. أحدهما: في حُكمه، قاله ابن عباس. والثاني: في طاعة الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَلِشَهُ عَالَهُما طَآهِنَةٌ مِنَ الْمُؤْمِينَ ﴾ قال الزجاج: القراءة بإسكان اللام، ويجوز كسرها. والمراد بعذابهما ضربهما. وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الرجل فما فوقه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال النخمي: الواحد طائفة. والثاني: الاثنان فصاعداً، قاله سعيد بن جبير، وعطاء؛ وعن عكرمة كالقولين. قال الزجاج: والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة، لأن الطائفة في معنى جماعة، وأقل الجماعة اثنان. والثالث: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. والرابع: أربعة، قاله ابن زيد. والخامس: عشرة، قاله الحسن البصري.

قوله تعالى: ﴿ النَّانِ لَا يَنَكِمُ إِلَّا لَانِيَةَ ﴾ قال عبد الله بن عمرو: كانت امرأة تسافح، وتشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية (٢٠). وقال عكرمة: نزلت في بغايا، كُنَّ بمكة، ومنهن تسع صواحب رايات، وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية: المواخير، ولا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القيلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فنزلت هذه الآية (٣). قال المفسرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البغايا إلا زانية ﴿أَرْ سُنْرِكَةُ ﴾ لأنهن كذلك كن ﴿ وَالزَّانِيَةُ ﴾ منهن ﴿لاَ يَنَوجُهُمُ اللّهِ لَنُهُ وَمُذْهِبُ أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة، لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منهما (٥).

قوله تعالى: ﴿وَمُمْزَمُ ذَلِكَ﴾ وقر أُبِيّ بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: ﴿وحَرَّمَ اللهُ ذلكِ بزيادة اسم الله ظلَّ مع فتح حروف ﴿حَرَّمَ اللهِ عَلَى: ﴿وحَرُمَ ذلك عَلَى اللهِ عَلَى المُحَمِّدُ اللهِ عَلَى المُحَمِّدُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنَ بَرُسُونَ ٱلْمُعَمَّنَتِ ﴾ شرائط الإحصان في الزنى الموجب للرجم عندنا أربعة: البلوغ، والحريّة، والعقل، والوطء في نكاح صحيح. فأما الإسلام، فليس بشرط في الإحصان، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وأما شرائط إحصان القذف فأربع: الحرية، والإسلام، والعِفَّة، وأن يكون المقذوف ممن يجامع مثله. ومعنى الآية: يرمون المحصنات بالزنا، فاكتفى بذكره المتقدِّم عن إعادته. ﴿ثُمَّ لَرَّ يَأْتُوا ﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿ إِلَّ يَسَدُ عُمَلَةً ﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهنَّ يفعُلن ذلك ﴿ فَآلِيلُوهُ فِي يعنى القاذفين.

⁽١) هو يعقرب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سمع من الإمام أحمد، ترجمته في فطبقات الحنابلة، ١/ ٤١٥.

 ⁽۲) رواه أحمد في «المسند»، والتسائي، والطبري، والحاكم وصححه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦/٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في «سننه»، وأبي داود في «ناسخه».

⁽٣) ذكره بنحوه الطبري عن ابن عباس.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري ١/٥٥: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا الممشركات ذوات الرايات، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك، أنه لم يُعنَّ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحله. اهـ.

 ⁽٥) قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد بن حنيل رحمه الله إلى أنه لا يصع العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى
 تستتاب، فإن تابت، صع العقد عليها، وإلا فلا، وكذلك لا يصع تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله
 تعالى: ﴿ وَمُعْنِمٌ فِلْكَ عَلَى النَّوْنِينَ ﴾ . اهـ.

فصل

وقد أفادت هذه الآية أنَّ على القاذف إذا لم يُقم البيِّنة الحدَّ وردَّ الشهادة وثبوتَ الفِسْق. واختلفوا هل يُحكم بفسقه وردِّ شهادته بنفس القذف، أم بالحدَّ؟ فعلى قول أصحابنا: إنه يُحكم بفسقه وردِّ شهادته إذا لم يُقم البيِّنة، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا يُحكم بفسقه، وتقبل شهادته ما لم يُقم الحدُّ عليه.

فصل

والتعريض بالقذف _ كقوله لمن يخاصمه: ما أنت بزان، ولا أُمَّك زانية _ يوجب الحدَّ في المشهور من مذهبنا. وقال أبو حنيفة: لا يوجب الحدَّ. وحدُّ العبد في القذف نصف حدِّ الحُرِّ، وهو أربعون، قاله الجماعة، إلا الأوزاعي فإنه قال: ثمانون. فأما قاذف المجنون، فقال الجماعة: لا يُحَدُّ. وقال الليث: يُحَدُّ. فأما الصبيّ، فإن كان مثله يجامع أو كانت صبيّة مثلُها يجامع، فعلى القاذف الحدُّ. وقال مالك: يُحَدُّ قاذف الصبيّة التي يجامع مثلُها، ولا يُحَدُّ قاذف الصبيّة. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يُحَدُّ قاذفهما. فإن قلف رجلٌ جماعة بكلمة واحدة، فعلى حدِّ واحد، وإن أفرد كلَّ واحد بكلمة، فعليه لكل واحد حدّ، وهو قول الشعبي، وابن أبي ليلى؛ وقال أبو حنيفة وأصحابه: عليه حدّ واحد، سواء قذفهم بكلمة أو بكلمات.

فصل

وحدُّ القذف حتَّ لآدمي، يصح أن يبرئ منه، ويعفو عنه. وقال أبو حنيفة: هو حتّ لله. وعندنا [أنه] لا يستوفى إلا بمطالبة المقذوف، وهو قول الأكثرين. وقال ابن أبي ليلى: يحدُّه الإمام وإن لم يطالِب المقذوف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّذِينَ تَابُوا ﴾ أي: من القذف ﴿وَلَمُسَامُوا ﴾ قال ابن عباس: أظهروا التوبة؛ وقال غيره: لم يعودوا إلى قذف المُحْصَنات. وفي هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه نسخ حد القذف وإسقاط الشهادة معاً، وهذا قول عكرمة، والشعبي، وطاووس، ومجاهد، والقاسم بن محمد، والزهري، والشافعي، وأحمد. والثاني: أنه يعود إلى الفسق فقط، وأما الشهادة، فلا تُقبّل أبداً، قاله الحسن، وشريح، وإبراهيم، وقتادة. فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله: «أبداً»؛ وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام، وهذا أصح، لأن المتكلّم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راكبها، فإذا قبلت شهادة المقدوف بعد ثبوته، فالرامي أيسر جرماً، وليس القاذف بأشدً جرماً من الكافر، فإنه إذا أسلم قُبلت شهادتُه (١).

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُنَ أَرْدَجُمْ مَلَا يَكُنَ لَمُمْ مُهُمَّلَةً إِلَا لَعْشُمُ فَشَهَدَهُ أَسَوْمِ أَرْبَعُ شَهَدَتِ إِلَقَ إِنَّمُ لَيَنَ الصَّدِفِينَ ۞ وَلَلْنَيسَةُ أَنَّ لَمَنَتُ اللّهِ عَلَيْهِ إِلَى اللّهِ عَلَيْهِ إِلَى اللّهِ عَلَيْهِ إِلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ وَرَحْمُنُمُ وَأَنَّ اللّهُ تَوَلُّهُ حَكِيمٌ ۞ كَانَ مِنَ الصَّدِفِينَ ۞ وَلَوْلا نَصْلُ اللّهِ عَلَيْهُ وَرَحْمُنُمُ وَأَنَّ اللّهُ تَوَلُّ حَكِيمٌ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ يَرُمُونَ أَزَلَجَهُم ﴿ سبب نزولها أن هلال بن أُمية وجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينه وسمع بأذنه ، فلم يُهجه حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله: إنّي جنت أهلي ، فوجدت عندها رجلاً ، فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به ، واشتد عليه ، فقال سعد بن عبادة : الآن يَضْرِبُ رسولُ الله هلالاً ويُبطل شهادته ، فقال هلال : والله إنّي لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً ، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه [إذا نزل عليه الوحى ، فنزلت هذه الآية ، رواه عكرمة عن ابن عباس (٢٠) . وفي حديث آخر أن الرجل الذي قذفها به

¹⁾ قال ابن كير: واختلف العلماء في هذا الاستتناء، هل يمود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط، ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب، أو يمود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجلد فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصرًّ ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف. قال: فذهب الإمام أحمد، ومالك، والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً. وقال الإمام أبو حنيفة: إنما يموذ الاستئناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبدأ، قال: وممن ذهب إليه من السلف، القاضي شريح، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر. وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان، فحيتذ تقبل شهادته، والله أعلم. اه.

⁽٢) رواه أحمد في «المسندة، وهو في «الطبري» ٨٨/ ٨٨، ٨٣، و«أسباب النزول للواحدي» ١٨٠. قال ابن كثير: ورواه أبو داود عن الحسن بن علمي عن =

شريك بن سحماء، وأن رسول الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «اثتني بأربعة شهداء، وإلا فحدٌ في ظهرك، فنزلت هذه الآية (١)، فنُسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف.

فصل في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا، لزمه الحدُّ، وله التخلُّص منه بإقامة البيَّنة، أو باللَّعان، فإن أقام البيَّنة لزمها الحدّ، وإن لكلت وإن لاعنها، فقد حقَّق عليها الزنا، ولها التخلُّص منه باللّعان؛ فإن نكل الزوج عن اللعان، فعليه حدُّ القذف، وإن نكلت الزوجة، لم تحدّ، وحُبست حتى تُلاعِن أو تُقِرَّ بالزنا في إحدى الروايتين، وفي الأخرى: يُخلَّى سبيلُها. وقال أبو حنيفة: لا يُحَدُّ واحد منهما، ويُحبس حتى يُلاعِن. وقا مالك، والشافعي: يجب الحدُّ على الناكل منهما.

فصل

ولا تصح الملاعنة إلا بحضرة الحاكم. فإن كانت المرأة خَفرة، بعث الحاكم من يُلاعِن بينهما. وصفة اللعان أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتُها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا، ثم تقول: وغضب الله عليها إن كان من الصادقين. والسُّنة أن يتلاعنا قياماً، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله فإنها المُوجِبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب. فإن كان بينهما ولد، اقتصر نفيه عن الأب إلى ذِكْره في اللعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن [هذا] الولد ولده.

فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللَّذين يجري بينهما اللعان، فالمشهور عن أحمد كل زوج صح قذفه صح لعانه، فيدخل تحت هذا المسلمُ والكافر والحرَّ والعبد، وكذلك المرآة، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز اللعان بين الحرَّ والأمّة، ولا بين العبد والحرة، ولا بين الذميَّين، أو إذا كان أحدهما ذميّاً؛ ونقل حرب عن أحمد نحو هذا، والمذهب هو الأول. ولا تختلف الرواية عن أحمد أن قُرقة اللعان لا تقع بلعان الزوج وحده. واختلف هل تقع بلعانهما من غير فُرقة الحاكم على روايتين. وتحريم اللعان مؤبّد، فإن أكذب الملاعنُ نفسه لم تحلُّ له زوجته أيضاً، وبه قال عمر، وعلى، وابن مسعود؛ وعن أحمد روايتان، أصحهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قول أبي حنيفة.

قوله تعالى: ﴿وَلَرْ يَكُنْ لَمُمْ شُهَدًا ۚ إِلَّا ٱللَّهُمْ ﴾ وقرأ أبو المتوكل. وابن يعمر، والنخعي: «تكن» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ نَهَهَدَةُ آَحَيْمُ آئِيمُ ثَهَاكَاتِهُ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «أربعُ» بفتح العين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: برفع العين. قال الزجاج: من رفع «أربعُ»، فالمعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حَدَّ القذف أربعُ؛ ومن نصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْسَةُ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: ﴿ والخامسةَ ؛ نصباً ، حملاً على نصب ﴿ أَرْبِعَ شهاداتٍ .

قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَمْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافع، ويعقوب، والمفضل: «أَنْ لعنةُ الله؛ ودأَنْ غضبُ الله، بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع الهاء من العنةُ، والباء من اغضبُ، إلا أن نافعاً كسر الضاد من اغَضِبَ، وفتح الباء.

قوله تعالى: ﴿ رَبِيْرُأًا عَنَّهُ أَي: ويدفع عنها ﴿ آلْمَذَابَ ﴾ وفيه ثلاثة أقرال: أحدها: [أنه] الحَدُّ. والثاني: الحبس. ذكرهما ابن جرير. والثالث: العار.

يزيد بن هارون به مختصراً، ثم قال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة، وذكر منها الحديث الذي ذكره المصنف بعد
 هذا. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢١/٥ وزاد نسبته لعبد الرزاق، والطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

⁽١) البخاري ٨/ ٣٤١، والترمذي ٢٤٨/٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٢ وزاد نسبته لابن ماجه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَشِلُ اللّهِ مَلْيَكُرُ وَيَحْتَنُهُ﴾ أي: ستره ونعمته. قال الزجاج: وجواب الولا، هاهنا، متروك؛ والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيم. وقال غيره: لولا فضل الله لبيّن الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحدّ، ﴿وَإَنَّ اللّهُ تَوَابُ﴾ يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة ﴿ عَصِيمِ ﴾ فيما فرض من الحدود(١).

﴿إِنَّ اللَّذِي جَآءُ وَإِلَيْكِ عُسَبَةً نِنكُرُ لَا تَسْبُوهُ مَثَلَ لَكُمْ بِلَ هُو خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ آمَرِي يَنهُم مَّا ٱكْتَسَبُ مِن ٱلإِنْجُ وَاللَّهِ مُنْ النَّوْمِنُونَ وَالنَّوْمِنَاتُ بِالنَّهِمَ خَيْلَ وَقَالُواْ هَذَا إِللَّهُ مُبِينٌ ۞ لَوْلاَ جَآءُ وَعَلِيهِ مُنْ النَّوْمِنُونَ وَالنَّوْمِنَاتُ بِالنَّهِمَ خَيْلَ وَقَالُواْ هَذَا إِللَّهُ مُبُونً ۞ لَوْلا مَنْهُ مِنْ النَّهُ مَلِكُمْ فِي اللّٰهُ وَلَيْكُمْ وَاللّهُ مَنْكُوهُ وَلَوْلاَ اللَّهُ مَلْكُمْ وَلَا اللّٰهُ مَلْكُمْ اللّٰهِ مَلْكُمْ وَلِي اللّٰهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَمْكُو وَلَمْ اللّهُ وَلَمْكُونُ اللّهُ وَلَوْلَا اللّهُ مُلْكُمْ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَنْكُولُونَ اللّهُ وَلَوْلَا اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللّهُ مَلْكُمْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَلْكُمْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَلْكُمْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللللللّهُ اللللللللللللللللللللللل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيِنَ جَاءُو بِالْإِمْكِ أَجمع المفسرون؛ أن هذه الآية وما يتعلَّق بها بعدها نزلت في قصة عائشة. وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة. وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب «الحدائق» وفي كتاب «الحدائق» وفي كتاب «المعنيّ في التفسير» فلم نظل بذكره، لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليُحفَظُ (٢٠). فأما الإفك، فهو الكذب، والعُصبة: الجماعة. ومعنى قوله: ﴿يَنكُونُ ﴾ أي: من المؤمنين. وروى عروة عن عائشة أنها قالت: هم أربعة: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ [بن سلول]، ومشطح بن أثاثة، وحَمّنة بنت جَحْش، وكذلك عدَّهم مقاتل (٣).

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْسَبُوهُ ثَمَّا لَكُمُ ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المُعطِّل، وقيل: لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة؛ والمعنى: إنكم تؤجّرون فيه (٤)، ﴿لِكُلِّ اَمْرِي مِنْهُم ﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿ثَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْرِ ﴾ أي بكر وعائشة؛ والمعنى: إنكم تؤجّرون فيه (﴿ وَاللَّذِي مُؤلّلُون مُؤلّلُون مُؤلّلُون مُؤلّدٌ مِنْهُم ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، ومجاهد، وابن أبي عبلة، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو، ويعقوب: ﴿كُبْرَهُ عِنْمَ الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابن قيبة: كِبْرُ الشيء: مُغطّلُهُ (٥)، ومنه هذه الآية. قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

⁽١) قال ابن جرير الطبري ٨٦/١٨: يقول تعالى ذِكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه وطّوله، حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم، لما جلكم بالعقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم، وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمةً منه بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه، وانتهوا عن التقدُّم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المداد منه. اهـ.

⁽٣) حديث الإفك مشهور، رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما»، والترمذي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في «الشعب» عن عائشة ﷺ، وهو حديث طويل، وهذه الآيات المشر نزلت في شأن عائشة ﷺ حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله ﷺ لها ولنبيه ﷺ فأزل الله تمالى براءتها في القرآن صيانة لعرض الرسول ﷺ، وكان الذين جاؤوا بالإفك عصبة، يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم، هو الذي بدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله بن أبن بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ويليعه ويشيعه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، ويقي الأمر كذلك قريباً من شهر وعائشة ﷺ تقول: ﴿ فَمَبْرٌ حَمِيلٌ كَاللهُ المُسْتَكَانُ عَلَى مَا شَهُونَ ﴾ حتى نزل القرآن ببراءتها، فقال رسول الله ﷺ لمائشة: وأبشري فقد آنزل الله براءتك، وكانت السيدة عائشة الصديقة تقول: والله ما كنت أظن أن الله مُنزلُ في شأني وحياً يثلى، ولشاني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرتني الله بها». وقد روى قصة الإفك مطولة الحافظ ابن حجر في فقتح الباري، ٨/ ٣٤٢ ـ ٣٣٥، وابن كثير في «التفسير» ٣٨/٢٤ ، وغيرهما.

⁽٣) وفي اصحيح البخاري؛ ٣٤٣/٨ عن عروة عن عائشة ﷺ: ﴿وَالَّذِى تَوَلُّكَ كِبَرَمُ ﴾، قالت: عبد الله بن أبيّ بن سلول. اه. وهو الذي بدأ بالخوض فيه، وأذاعه وأشاعه، فله عذاب عظيم على ذلك.

⁽٤) قال ابن كثير: ﴿لَا تَشَبُوهُ مَرَّا لَكُمْ﴾، أي: يا آل أبي بكر، بل هو خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بمائشة أم المؤمنين ﷺ حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ﷺ، وكان يحبُّك ولم يتزوج بكراً غيرك، ونزلت براءتك من السماء. اهـ.

 ⁽٥) نقل في «اللسان» هذا القول عن ابن السكيت، وفي «غريب القرآن»: ﴿وَالَّذِي ثَرَكُ كِبْرُهُ أَي: عُظْمَهُ.

- تَسَنَسَامُ عَسَنَ كِسَبْسِرِ شَسَأْنِسَهِمَا فَسَاذًا ﴿ ﴿ فَالْمَسَدُّ رُوَيْسِداً تَسَكَّاد تَسَنَّخُسِوفُ ١١٠

وفي المتولِّي لذلك قولان: أحلهما: أنه عبد الله بن أبيّ، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وعروة عن عائشة، وبه قال مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال المفسرون: هو الذي أشاع الحديث، فله عذاب عظيم بالنار. وقال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك. والثاني: أنه حسَّان (٢٠)؛ روى الشعبي أن عائشة قالت: ما سمعتُ أحسن من شعر حسَّان، وما تمثلتُ به إلا رجوتُ له الجَنَّة؛ فقيل: يا أمَّ المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي وَيَّكَ كِبَرُهُ مِنْهُم يَهُم مَلَه عَظِيمٌ ﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره ؟ وروى عنها مسروق أنها قالت: وأيُّ عذابٍ أشد من العمى، ولعلَّ الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم، قد ذهب بصره، تعني: حسان بن ثابت. ثم إن الله عرَّ وجلَّ أنكر على الخائضين في الإفك بقوله: ﴿وَلَوْلَا إِنْ سَمِعْتُمُوهُ أَي هَا العُصبة الكاذبة، وهم حسّان ومِسْطح أي: هلا إذ سمعتم أيَّتُها العُصبة الكاذبة فَذف عائشة ﴿ وَلَى الْمُؤْتُونَ ﴾ من العُضبة الكاذبة، وهم حسّان ومِسْطح ﴿وَرَالَوُهُونَ وَهِ الله الله عَلَى المؤمنين كنفس واحدة، ﴿وَوَالُواْ هَذَا إِنْكَ يُوبُّ ﴾ أي: كذب بَيِّن، وجاء في التفسير أن والثالث: بأهل دينهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة، ﴿وَوَالُواْ هَذَا إِنْكَ يُوبُونُ ﴾ أي: كذب بَيِّن، وجاء في التفسير أن أبوب الأنصاري قالت له أُمُّه: ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة؟! فقال: هذا إفك مبين، أكنتِ يا أمّاه فالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منكِ؛ فنزلت هذه الآية (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا بَهَارُو ﴾ أي: هلّا جاءت المُصْبة الكاذبة على قذفهم [عائشة] ﴿ إِنْرَسَةٍ مُهَالَة ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: ﴿ المِربعةِ منونة؛ والمعنى: يشهدون بأنهم عاينوا ما رمَوْها به ﴿ اللهِ عَالَمُ اللهِ عَالَمُ اللهِ عَلَيْكُرُ وَرَمَّتُكُم ﴾ أي: لولا ما مَنَ [الله] اللهِ اللهِ عليكم، ﴿ لَسَتَكُرُ ﴾ أي: لولا ما مَنَ الله إلله عليكم، ﴿ لَسَتَكُرُ ﴾ أي: لأصابكم ﴿ في مَا أَنَفْتُهُ ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿ فيهِ عَليْكُم مِن الكذب والقذف ﴿ عَلَابُ عَظِيم ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ أَنَ تَلَقَرْتُه ﴾ وكان الرجل منهم في الدنيا والآخرة ﴿ أَنَ تَلَقُونَه ﴾ وكان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقاه بعضهم من بعض. وقرأ عمر بن الخطاب: ﴿ إِذْ تُلَقُّونَه ﴾ بتاء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة ؛ وقرأ معاوية، وابن السميفع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: ﴿ تَتَلَقُّونَهُ ﴾ بتاء واحدة خفيفة والقاف. وقرأ ابن مسعود: ﴿ تَتَلَقُّونَه ﴾ بتاء واحدة خفيفة والقاف. وقرأ ابن السميفع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: ﴿ تَتَلَقُّونَه ﴾ بتاء واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف. وقرأ أبيّ بن كعب، وعائشة ، وابو حيوة: ﴿ وَاللهُ وَللهُ وَلِهُ وَاللهُ وَاللهُ وَ

جاءت بسبهِ عَسنْسسٌ مسن السشمام تَسلِستُ^(ه) أي: تُشرِع. وقال ابن قتية: «تَلقُونَه» أي: تُشرِع. وقال ابن قتية: «تَلقُونَه» أي: تَقْبَلُونَه، ومن قرأ: «تَلِقُونه» أخذه من الوَلْق، وهو الكذب.

⁽١) ديوانه ١٧، وامختار الشعر الجاهلي؟ ٥٦٤/٢، والخريب القرآن؟ ٣٠١، واللسان؛ والتاج؛ كبر، قال يعقوب: معناه: تتنتَّى، وقيل: معناه: تنقصف من يقَّة خصرها.

⁽٢) قال ابن جويز الطبري ١٩٩/١٨. وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإقك، كان عبد الله بن أبيّ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسّير، أن الذي بدأ بذكر الإقك وكان يجمع أهله ويحدّثهم، عبدُ الله بن أبيّ بن سلول، وقعله ذلك على ما وصفت، كان توليه كير ذلك الأمر. اهـ. وقال ابن كثير ٣/ ٢٧٣: والأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبيّ بن سلول قبحه الله تمالى ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. اهـ.

⁽٤) قال ابن كثير: وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوية، كمسطح، وحسان، وحمنة بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبيّ بن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معيّن، يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوية أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه. اهم.

 ⁽٥) الرجز في (الطبري) ١٨/١٨، و(القرطبي) ٢٠٤/١٣، و(اللسان): ولق.

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْرَاهِكُمْ مَا لِيَسَ لَكُمْ هِدِ عِلْرٌ ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنه حق ﴿ وَتَعَبُونَهُ ﴾ يعني: ذلك القذف ﴿ هَيِّنا ﴾ أي: سهلاً لا إثم فيه ﴿ وَهُو عِندَ أَلَّهِ عَظِيمٌ ﴾ في الوِزْر ((). ثم زاد عليهم في الإنكار فقال: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ سَيَعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنا ﴾ أي: ما يَحِلُّ وما ينبغي لنا ﴿ أَن تَتَكُلَّم بِهِلَا سُبَحَنكَ ﴾ وهو يحتمل التنزيه والتعجب. وروت عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟! فقال: قما يكون لنا أن نتكلَّم بهذا... » الآية، فنزلت الآية المتقدِّمة. ورُوي عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لمّا سمع ذلك قال: سبحانك هذا بُهتانٌ عظيم، فقيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد؟!

قوله تعالى: ﴿يَيْطَكُمُ اللهُ ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَن تَعُودُوا لِيثَالِيهِ ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِن كُنُمُ مُؤْمِينَ ﴾ لأن مِنْ شرط الإيمان ترك قذف المحصنة. ﴿وَيُنِينَ أَللَهُ لَكُمُ آلْاَيْتَ ﴾ في الأمر والنَّهي. ثم هدد القاذفين بقوله: ﴿إِنَّ أَللَهُ لَكُمُ آلَاَيْتَ مُجِبُونَ أَن يَصُونُ اللهُ يَعْني: الجَلْد وَقِي النَّوْتَ أَلَى النَّيَا لَمُ اللهُ عنا المنبر، فذكر ذلك، وتلا ﴿وَالْآخِرَةِ ﴾ عذاب النار. وروت عَمْرة عن عائشة قالت: لمّا نزل عذري قام رسول الله على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمّر برجلين وامرأة، فضُربوا حدَّهم (''). وروى أبو صالح عن ابن عباس أن رسول الله على جلد عبد الله بن أبيّ، ومِسْطَح بن أثاثة، وحسّان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جَحْش ('')، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبد الله فمات منافقاً ؛ وبعض العلماء يُنكر صحة هذا، ويقول: لم يضرب أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شرَّ ما خُضتم فيه وما يتضمن من سخط الله ﴿وَالنَّمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك^(١)، ﴿وَلَوْلَا نَشْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشة. قال ابن عباس: يريد: مِسْطَحاً، وحسّان، وحَمْنَة.

﴿۞ يَكَأَيُّهُ الَّذِينَ ءَاسُولَ لَا تَنَبِعُوا خُعُلَوْتِ الشَّيْطَانِّ وَيَن يَيِّغ خُمُلُوْتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ بَأَشُ بِالفَحْشَآءِ وَالسُّنكُرُ وَلَوْلَا فَشْلُ اللّهِ عَلَيْكُرُ وَرَجَعْتُمُ مَا ذَكَ مِنكُمْ قِنْ أَحَدٍ أَلِدًا وَلَكِنَّ اللّهَ يُدْكِي مَن بَشَآةٌ وَاللّهُ سَبِيعٌ عَلِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَنْبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّبِطَانِ﴾ أي: تزيينه لكم قذف عائشة. وقد سبق شرح اخطوات الشيطان، وبيان الفحشاء والمنكر، [البترة: ١٦٨، ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَى مِنكُر﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة: ﴿ما زكّى ؛ بتشديد الكاف. وفيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنه عام في الخلق. والثاني: أنه خاصّ للمتكلمين في الإفك. ثم في معناه أربعة أقوال: أحدها: ما اهتدى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ما أسلم، قاله ابن زيد. والثالث: ما صلح، قاله مقاتل. والرابع: ما طهر، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِكَنَّ اللهَ يُنَكِّقِ مَن يَثَآءُ ﴾ أي: يطهّر من يشاء من الإثم بالتوبة والغفران؛ فالمعنى: وقد شئت أن أتوب علكيم، ﴿وَلَلَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُرَ وَالشُّعَةِ أَن يُؤثّواْ أُولِي القُرْيَقُ وَالْسَكِيكِينَ وَالنّهَجِدِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلِيَعْفُواْ وَلَيَسْفَخُواْ أَلَا يُجْبُونَ أَن يَنْفِرُ اللّهُ لَكُذُّ وَاللّهُ عَنُورٌ وَيَعِيمُ ﴾ اللّهُ لَكُذُّ وَاللّهُ عَنُورٌ وَيَعِيمُ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو جعفر، وابن أبي عبلة: "ولا يَتَأَلَّ، بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يَتَعَلَّ. قال المفسرون: سبب نزولها أن أبا بكر الصدِّيق كان ينفق على مِسْطح لقرابته وفقره، فلمّا خاض في أمر عائشة قال أبو بكر: والله لا أُنفِق عليه [شيئاً] أبداً، فنزلت هذه الآية (٥٠).

⁽١) وفي «الصحيحين»: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها بزلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب،

⁽۲) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة. (۳) رواه أبو داود في هسنته، وقم (٤٤٧٥).

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: يقرل تعالى ذِكره: والله يعلم كلب الذين جاؤوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب، يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلائل رسول الله ﷺ فتهلكوا. اهـ.

o) ووى البخاري ومسلم ني «صحيحيهما؛ عن عائشة ﷺ أنها قالت عندما نزلت الآيات العشر في براءتها: فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبقاً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا بَالْمُ أَلْلُواْ الْنَفْسُلِ سِكُرْ ﴿

فأما الفَضْل، فقال أبو عبيدة: هو التفضُّل، والسَّعة: الجِدَة. قال المفسرون: والمراد به: أبو بكر.

قوله تعالى: ﴿أَن بُؤْتُوا﴾ قال ابن قتيبة: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف الا». فأما قوله: ﴿أَوْلِى ٱلْقُرْيَ ﴾ فإنه يعني مِسْطحاً، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً. قال المفسرون: فلما سمع أبو بكر ﴿أَلَا يُحَبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُرُ ﴾ قال: بلى يا رب، وأهاد نفقته على مِسْطخ،

﴿إِنَّ الَّذِينَ بَرَمُونَ المُعْمَنَتِ الْمَنْفِلَتِ الْمُؤْمِنَتِ لَمِنُواْ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَمُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ بَرَمَ تَشْهَدُ عَلَيْمِ ٱلسِّنَتُهُمْ وَأَيْدِيمِمْ وَلَتَبْلُهُمْ بِنَا كَانُواْ يَسْمَلُونَ ۞ يَوْمَهِذِ بُوَفِيمُ اللهُ دِينَهُمُ الْعَقَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَقُ الْمُبِينُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ يُرَبُّونَ الشَّمَيَّتِ ﴾ يعني: العفائف ﴿النَّيْلَاتِ ﴾ عن الفواحش، ﴿لَمِثُوا فِي الدُّنِيَا أِي: عُذُبوا بِالجُلْد، وفي الآخرة بالنار. واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عائشة خاصة. قال خصيف: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية، فقلت: من قذف محصنة لعنه الله؟ قال: لا، إنما أنزلت هذه الآية في عائشة خاصة (۱). والثالث: أنها في المهاجرات. قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنما خرجت تفجر، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها عامّة في أزواج النبي وغيرهن، وبه قال قتادة، وابن زيد (۱). فإن قبل: لم اقتصر على ذِكْر المحصّنات دون الرجال؟ فالجواب: [أن] من رمى مؤمنة فلا بدَّ أن يرمي معها مؤمنًا، فاستُغني عن ذِكْر المؤمنين، ومثله: ﴿مَرَائِيلَ تَقِيتِكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ النحل: ۱۸] أراد: والبرد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَرُمَ تَشْهَدُ عَلَيْمَ ٱلسِّنَتُهُمَ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يشهد» بالياء؛ وهو إقرارها بما تكلَّموا به من الفِرْية. قال أبو سليمان الدمشقي: وهؤلاء غير الذين يُخْتَم على أفواههم. وقال ابن جرير: المعنى: أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض.

قوله تعالى: ﴿ يَوْيَهِ نُوفِيمُ اللّهُ وِينَهُمُ الْمَنَّ ﴾ أي: حسابهم العدل، وقيل: جزاءهم الواجب. وقرأ مجاهد، وأبو الجوزاء، وحميد بن قيس، والأعمش: «دينهم الحقُّ، برفع القاف ﴿ رَبَعْلُمُونَ أَنَّ اللّهُ هُوَ ٱلْمَثُّ اللّهِ اللّهُ عَالَ ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أُبيّ كان يشك في الدين، فإذا كانت القيامة عَلِم حيث لا ينفعه.

﴿ لَفَيْبِنَتُ لِنَجْبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّبِينَ لِلطَّيِبُونَ لِلطَّيِبَاتُ أُولَتَهِكَ مُبَرَّهُونَ مِثَا يَعُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرَفْقُ حَرَيْدً ﴿ لَا لَمْ عَنْفِرَةٌ وَرَفْقُ حَرَيْدً ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَنْبِينَتُ لِلْجَبِينِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الكلمات الخبيثات لا يتكلّم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء، والكلمات الطّيبات لا يتكلم. بها إلا الطّيبون من الرجال والنساء. والثاني: الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء، فأما الطيبات والطيبون، فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات. والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والموابئ والطيبات من النساء للخبيثين من الرجال. والرابع: الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، وكذلك الطّيبات. ﴿ أُولَئِكَ ﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿ مُرَفَّدُ كَانِهُ مَنْ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّه عنه المُولِة ﴿ لَهُم مَنْ الرّهِ لَه النوبهم ﴿ وَرَنْقُ كَرِيدٌ ﴾ في الجنة.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا مَثُوا لَا تَدْخُلُوا بَيُونًا غَيْرَ بَيُرُوكُمْ حَتَّى تَشْتَأْدِسُوا وَلُسَلِّمُوا عَلَىٓ أَهْلِهُمّا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَمَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۖ فَإِن

⁼ وَالتَّمَةِ أَنْ يُؤَيَّرًا أَوْلِى الشَّيْنَ﴾ إلى قول: ﴿ أَلَا شِبْرَةَ أَنْ يَشْفِرَ أَنَّهُ لَكُمُّ رَاقَةً غَفْرًا رَبِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.

⁽١) • الطبري، ١٠٣/١٨، وذكره السيوطي في اللد، ٥/ ٣٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني.

⁽٢) الطبري؛ ١٠٤/١٨، وذكره السيوطي ني «الدر» ٥/ ٣٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد.

⁽٣) قال أبن جرير الطبري: وأولى هذه الأتوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيهاء اهـ. وقال ابن كثير: وهو الصحيح، ويعضد العموم ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة الله أن رسول الله الله قلة قال: «المتبوا السبعر، وقتل النفس الذي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال البيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الذائلات المؤمنات».

لَّرْ تَجِـدُواْ فِيهَا آَحَكَا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَنَّى بُؤْذَكَ لَكُرُّ وَإِن قِيلَ لَكُمُّ الْنِعِمُواْ فَآرَجِمُواْ هُوَ أَزْقَى لَكُمُّ وَاللّهُ بِمَا تَسَمَلُونَ عَلِيدٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُرُّ جُنكُ أَن تَسْخُلُوا بُنُونًا غَيْر مَسْكُونَةِ فِيهَا مَنتَمَّ لَكُمُّ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا ثَبْدُوكَ وَمَا تَكْنُمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴿ ذَكَرَ أَهُلَ التَفْسِيرِ أَنْ سَبِب نزولها أَنْ امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله الي اكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية (١٠)؛ فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن، فنزل قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ سَتَكُونَةٍ . . . ﴾ الآية (٢). ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ سَتَكُونَةٍ . . . ﴾ الآية (٢). ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ سَتَكُونَةٍ . . . ﴾ الآية (١٤). ومعنى محسرها، وقد بيّنًا ذلك في البرة: ١٨٩].

قوله تعالى: ﴿ حَتَى تَسَكَّالِسُوا ﴾ قال الفراء ﴿ في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: حتى تسلَّموا وتستأنسوا. قال الزجاج: و"تستأنسوا » في اللغة ، بمعنى تستأذنوا ، وكذلك هو في التفسير ، والاستئذان: الاستعلام ، تقول: آذتُه بكذا ، أي: أعلمته ، وآنستُ مِنه كذا ، أي: علمتُ منه ، ومثله : ﴿ فَإِنْ اَلسَّمُ مِنْهُم نَشْكَ النساء: ٦] أي: علمتم . فمعنى الآية : حتى تستعلموا ، يريد أهلها أن تدخلوا ، أم لا ؟ قال المفسرون : وصفة الاستعلام أن تقول: السلام عليكم ، الدخلوا بغير إذن ﴿ لَمُلكُم الله وَلا يجوز أن تدخلوا بغير إذن ﴿ لَمُلكُم الله وَلا يجوز أن تدخلوا بغير إذن ﴿ لَمُلكُم الله الاستئذان خير فتأخذون به ، قال عطاء : قلت لابن عباس : أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرُّك أن ترى منهن عوزة ؟ قلت لا ، قال : فاستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟

قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَرْ تَجِدُواْ فِيهَاۤ أَحَدَا﴾ أي: إن وجدتموها خالية ﴿ فَلَا نَدْخُلُوهَا خَنَّ بُؤْذَكَ لَكُمُّ وَبِينَ فِيلَ لَكُمُّ أَرْجِعُواْ فَآرْجِعُواْ﴾ أي: إن ردُّوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموها، ﴿ هُوَ أَزْكَى لَكُمُّ بِعني: الرجوع خير لكم وأفضل ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَمَـّلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿ عَلِيمُ ﴾ ()

فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أن حكمها عامّ في جميع البيوت، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذّنون بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُسَاحٌ أَن تُدْعُلُوا بُولِيًا عَبْر مَسْكُونَةٍ ﴾، هذا مروي عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أن الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل، والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها، والإذن لا يتصور من غير آذن، فإذا بطل الاستئذان، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى، وهذا أصح.

قوله تعالى! ﴿أَن تَنْظُلُوا بُيُونًا عَيْرَ مَسْكُونَا عَيْرَ مَسْكُونَا عَيْرَ مَسْكُونَا عَيْرَ مَسْكُونَا ع إليها، ويُؤروا أمتعتهم، قاله قتادة. والثاني: أنها البيوت الخرية، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول، قاله عطاء. والثالث: أنها بيوت مكة، قاله محمد بن الحنفية. والوابع: حوانيت التجار التي بالأسواق، قاله ابن زيد. والخامس: أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستثلال إنما جعل لأجل الساكن، قاله ابن جريج. فيخرّج في معنى «المتاع» ثلاثة أقوال: أحدها: الأمتعة التي تباع وتشترى. والثاني: إلقاء الأذي من الغائط والبول. والثالث: الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد.

⁽١) ﴿ فَالْطَبْرِي ١٨/١٨ أَ، وَأَسْبَابِ النَّرُولَ لِلْوَاحِدِي ١٨٦، وَذَكُوهُ السَّيُّوطِي فَيْ ﴿اللَّمُ ٣٨/٥ وَزَادَ نَسْبَتُهُ لَلْفُرِيَابِي.

⁽۲) ذكره الوحدي في. (أسباب النزول) ١٦٨ بدون سند.

⁽٣) قال ابن كثير: هذه آداب شرعية أدب الله بها عبافه المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتد غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي نايستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، قال: وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له، وإلا انصرف، كما ثبت في الصحيح، أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لمنافضوف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ اتذنوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك قال: عاد أرجعك؟ قال: إني استأذت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله تشخيفول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف».

قوله تعالى: ﴿ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَتُشُوا مِنْ أَبْصَدِهِمْ ﴾ في «مِنْ» قولان: أحدهما: أنها صلة. والثاني: أنها أصل، لأنهم لم يؤمروا بالغض مطلقاً، وإنما أمروا بالغضّ عما لا يحلُّ. وفي قوله: ﴿ وَيَحْفَظُواْ مُرُّكِمَهُمُّ ۚ قولان: أحدهما: عما لا يحلُّ لهم، قاله الجمهور. والثاني: عن أن تُرى، فهو أمر لهم بالاستتار، قاله أبو العالية، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغضّ وحفظ الفُروج ﴿ أَزَكَى لَمَهُ ۚ أَي: خير وأفضل ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج (١٠). ثم أمر النساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِي نِبْنَهُنَّ ﴾ أي: لا يُظهِرْنَها لغير مَحْرَم. وَزِينتُهن على ضربين. خفيّة كالسّوارين والقُرطين والدُّملج والقلائد ونحو ذلك، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله: ﴿ إِلّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الثياب، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود؛ وفي لفظ آخر قال: هو الرداء. والثاني: أنها الكفّ والخاتم، والمعاسعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: القُلْبان، وهما السّواران والخاتم والكُحُل، والثالث: الكُحُل والخاتم، والخاتم، والخاتم، والخاتم، والخاتم والسّوار، قاله المِسْوَر بن مَحْرَمَة. والخامس: الكُحُل والخاتم والخضاب، قاله مجاهد. والسادس: الخاتم والسّوار، قاله الحسن. والسابع: الوجه والكفّان، قاله الضحاك. قال القاضي أبو يعلى: والقول الأول أشبه (٢٠)، وقد نص عليه أحمد، فقال: الزينة الظاهرة: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر (٢٠)، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبيات لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحائين إلى وجهها خاصة ؛ فأما النظر إليها لغير عذر، فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن. فإن قل، فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها؟! فالجواب: أن في تغطيته مشقّة، فعُفي عنه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْمَرِينَ يَخُمُرِهِنَ وَهُمُ وهي جمع خمار، وهو ما تغطّي به المرأة رأسها، والمعنى: ولُيُلْقِينَ مَقَانِعَهُنَّ ﴿ عَلَى جَمُوبِينَ لَلَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

(۲) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك _ إذا كان كذلك _: الكحل،
 والخاتم، والسوار، والخضاب.

⁽۱) قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضُّوا من أبصارهم عما حُرَّم عليهم، فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرَّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، كما روى مسلم في قصحيحه عن جرير بن عبد الله البحلي على قال: سألت النبي على عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري. وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله على المليّ: فيا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليس لك الآخرة، وفي الصحيح، عن أبي سعيد الخدري على قال: قال رسول الله على المارقت قالوا: وما حق والجلوس على الطرقات، قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا تتحدث فيها، فقال رسول الله على أون أبيتم فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: قال: «فض البصر، وكف الأتي، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المتكر».

⁽٣) وقال غيره من الاثمة: الوجه والكفان ليسا بعورة، فيجوز للمرأة أن تظهرهما، وهذا مقيّد بما إذا لم يكن على اللاجه والكفين شيء من الزينة، أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ على وجوههن وأكفّهن بقصد التجمّل، ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات، فلا شك في تحريمه عند جميع الاثمة. ثم الرجه والكفّان وإن لم يكونا عورة عند بقية الاثمة، فليس معنى ذلك أنه يجب كشفهما عندهم، أو أنه سنة وسترهما بدعة، بل معناه أنه يجوز كشفهما، وذلك إذا أمنت الفتنة. ثم إن سترهما مشروع وهو الأحسن والأكمل، وخاصة في مثل زماننا، فإننا لا نرى ذلك المجتمع المهنّب الذي يصغي لقوله تعالى: ﴿ قُل لِلنّفِيثِ يَشُعُوا مِنْ أَسْتَرُهُم مُتَعَنظُوا مُؤْمِثُه في والكثير من الناس لا يدرك معنى قوله عليه للجرير بن عبد الله البجلي عليه عندما سأله عن نظر الفجأة: «اصرف بصرك» وقوله لعلي عليه: «يا علي لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة والاحتياط في مثل هذا الأمر أفضل، صوناً للنساء، وحفظاً لعفافهن، وأن يستمفقن خير لهن.

قوله تعالى: ﴿أَرْ لِنَالِهِنَّ﴾ يعني: المُسْلمات. قال أحمد: لا يَجِلَّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل اللمة(١)، واليهوديةُ والنصرانية لا تقبّلان المسلمة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُ أَيْمَتُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإماء دون العبيد. وقال أحاب الشافعي: يدخل فيه العبيد، فيجوز للمرأة عندهم أن تُظهِر لمملوكها ما تُظهِر لمحارمها، لأن مذهب الشافعي أنه مَحْرَم لها، وعندنا أنه ليس بمحرم، ولا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته. قال بمحرم، ولا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته. قال القاضي أبو يعلى: وإنما ذكر الإماء في الآية، لأنه قد يظن الظانُّ أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماء، لأن الذين تقدَّم ذُكرهم أحرارٌ، فلما ذكر الإماء زال الإشكال.

قوله تعالى: ﴿أَوِ النَّبِعِبِ٤﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم، أو لأنهم نَشَؤُوا فيهم. وللمفسرين في هذا التَّابع ستة أقوال: أحدها: أنه الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل، قاله قتادة، وكذلك قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء. والثاني: أنه العنين، قاله عكرمة. والثالث: المحتَّث كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن (١٤)، قاله الحسن. والرابع: أنه الشيخ القاني. والخامس: أنه الخادم، قالهما أبن السائب. والسادس: أنه الذي لا يكترث بالنساء، إما لكِبَر أو لهرم أو لصغر، ذكره ابن المنادي من أصحابنا. قال الزجاج: ﴿غَيْرٍ عَلْهُ لِللَّهِ عَلَى أن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَّكُ أَيْمَنُهُنَّ ﴾ معناه: ﴿غَيْرٍ أولِي الرّبِهِ والمعنى: ولا يبدين زينتهن لمماليكهن، ولا لتَبَّاعهن، إلا أن يكونوا غير أولي الإربة، والإربة: الحاجة، ومعناه: غير ذوي الحاجات إلى النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ قال ابن قتية: يريد الأطفال، بدليل قوله: ﴿لَرْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَرَّاتِ اللِّسَآمِ ﴾ أي: لم يعرفوها (٣٠). قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِيْنَ بِأَرْشُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخاله: (٤٠).

⁽١) قال ابن كثير: يعني تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لتلا تصفيقٌ لرجالهنَّ، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل اللمة أشد، فإنهن لا يعنمهنَّ من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه، وقد قال رسول الله 憲: ولا تباشر المرأة المرأة تنعها لزوجها كأنه ينظر إليها، أخرجا، في والصحيحين، عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وفي الصحيح من حديث الزهري عن حائشة على أن مختاً كان يدخل على أهل رسول الله، وكانوا يعدُّونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي على وهو ينمت امرأة، يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت بثمان، فقال رسول الله على: «ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلل عليكم» فأخرجه، فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة ليستطعم. وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله على وعندها مخنث، وعندها عبد الله بن أبي أمية - يعني أخاها - والمخنث يقول: يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غناً، فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، قال: فسمعه رسول الله في فقال لأم سلمة: «لا يدخلن هذا عليك» وهو في «الصحيحين» من حديث هشام بن عروة، ورواه أحمد بنحوه عن حائشة في ان رسول الله في قال: «ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا، لا يدخلن عليكم هذا» فحجيره، ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أم سلمة في ال

٢) قال ابن كثير: يعني لصغرهم لا يفهمون أجوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله، فأما إذا كان مراهقاً أو قريباً منه يحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والفخول على النساء، قيل: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت».

⁽⁴⁾ قال ابن كثير: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك؛ وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت يحركة لتظهر ما هو بخفي، دخل في هذا النهي، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَشْهِينَ يَأْتُولُهِنَ ﴾ إلى آخره، ومن ذلك إنها تُنهى عن التمشّر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، قال: وقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: «كل هين زائية، والمرأة إذا استعطرت فعرت بالمجلس فهي كذا وكذاك يعني زائية، قال: وفي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: وكذا يمن ذلك أيضاً أنهن يُنهين عن الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح، وواه أبو داود، والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به.. وقال: ومن ذلك أيضاً أنهن يُنهين عن المشي في وسظ الطريق لما فيه من التبرج. اهد. وقال ابن كثير في تنمة الآية: وقوله: ﴿وَيُونُواۤ إِلَى اللّهِ جَيدًا أَيُّهُ ٱلنّؤيشُوك لَقَلُمُ تُقُلُوك﴾ أي: انعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، والركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهيا عنه، والله تمالى هو المستمان. اهد.

قوله تعالى: ﴿ وَآلِكِكُوا الْأَيْمَى ﴾ وهم الذين لا أنواخ لهم من الرجال والنساء، يقال: رجل أيم وامرأة أيم، ورجل أرمل وامرأة أرمل والمرأة أرمل والمرأة أرمل والمرأة أرمل والمرأة أرمل والمراد وقياد وعباد وعباد وعباد وعباد ألقارئ: المن عبيدكم، قال المفسرون: والمراد بالآية الندب (١٠)، ومعنى الصلاح هاهنا: الإيمان، والمراد بالعباد: المملوكون، فالمعنى: زوّجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم وولائدكم، ثم رجع إلى الأحرار فقال: ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن عبيدكم والمؤلِّد واللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَالْهُ وَاللَّهُ وَا

قوله تعالى: ﴿ رَالِسَتَنْفِ اللَّهِ بَا يَهِدُونَ فِكَامًا ﴾ أي: وليطلب العِفَّة عن الزنى والحرام مَن لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة. وقد روى ابن مسعود عن رسول الله عليه أنه قال: الها معشر الشباب عليكم بالباءة، فمن لم يجد فعليه بالصيام فإنه له وجاء (٢٠٠٠).

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ يَبْنَوُنَ آلْكِنْبَ ﴾ أي: يطلبون المكاتبة من العبيد والإماء على أنفسهم، ﴿ فَكَاتِدُهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مندوب إليه، قاله الجمهور. والثاني: أنه واجب، قاله عطاء، وعمرو بن دينار. وذكر المفسرون: أنها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزَّى يقال له: صبيح، سأل مولاه الكتابة فأبى عليه، فنزلت هذه إلآية، فكاتبه حريطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً (٤٠).

قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: إن علمتم لهم مالاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، والضحاك. والثاني: إن علمتم لهم حيلة، يعني؛ الكسب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: إن علمتم فيهم ديناً، قاله الحسن. والرابع: إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير، قاله سعيد بن جبير. والخامس: إن أقاموا الصلاة، قاله عبيدة السلماني. والسادس: إن علمتم لهم صدقاً ووفاءً، قاله إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَاثُومُم يِّن مَّالِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ المُلْمُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المُلهِ المُلهِ اللهِ ال

⁽١) قال ابن كثير: اشتملت هذه الآيات الكريمات العبينة، على جمل من الأحكام المحكمة، والأوامر المبرمة، فقوله تعالى: ﴿وَالْكِمُوا الْفَيْمَلُ اللّهَابُ الْمَا اللهِ اللهِ وقد ذهب ظائفة من العلماء إلى وجويه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: فيا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه المفحر وأحمن للقرح، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أخرجاه في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود. وقد جاء في «السنن» من فير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الولود، تناسلوا فإني مباو بكم الأمم يوم القيامة». اهـ.

⁽٢) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بسند حسن من حديث أبي هريرة ى قال: قال رسول ال 震: اللائة حق صلى الله عونهم: المكاتب اللي يزيد الأداء، والعاكم الذي يزيد المقائد، والمجاهد في سبيل الله.

وروى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود ﴿ قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فَدُرَاءَ بَشِيمُ اللَّهُ بِن فَسَابِهُ ﴾. وقال الطبري في تمام الآية: ﴿ وَأَقَدُ وَسِعُ مَسَالِمُ ﴾ يقول جل تتاؤه: والله واسع الفضل، جواه بمطاياه، فزوجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسّع عليهم من فضله إن كانوا فقراء، عليم، يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغني، لا يغفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم. أهـ.

⁽٣) متفق عليه من حديثٌ عبد الله بن مسعود ﷺ بلفظ: "بيا معشّر الشياب من استطاع منكم الباءة تليتزوج قإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع قعليه بالصوم فإنه له وجاءه.

 ⁽٤) الواحدي في (أسباب النزول) ١٨٦، وذكره السيوطي في (الدر) ٥/ ٥٤ من رواية ابن السكن في «معرفة الصحابة».

فقال: اذهب يا أبا أُمية فاستعن به في مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخَّرْتَه حتى يكون في آخر النجوم، فقال: يا أبا أُمية: إني أخاف أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَمَانُوهُم مِن مَالِ اللَّهِ ٱلَّذِيّ مَاتَـٰكُمُ ﴿(١)، قال عكرمة: وكان ذلك أول نجم أُدِّي في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تُكْرِهُوا تَشْكِنُكُمْ عَلَى الْبِذَلَ ﴾ روى مسلم في "صحيحه من حديث أبي سفيان عن جابر، قال: كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فنزلت هذه الآية (٢٠٠٠). قال المفسرون: وكان له جاريتان، مُعاذة ومُسيكة، فكان يكرههما على الزنا، وياخذ منهما الفهرية، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤاجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن نَدعه، فنزلت هذه الآية (٢٠٠). وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوارٍ كُنَّ لمبد الله بن أبيّ، مُعاذة، ومُسيكة، وأميمة، وقيلة، وعمرة، وأروى. فأما الفتيات، فهن الإماء. والبغاء: الزنا، والتحصن: التعفف. واختلفوا في معنى ﴿ إِنْ أَرْدَنُ عَشَاكُ على أربعة أقوال: أحدها: أن الكلام ورد على سبب، وهو الذي ذكرناه، فخرج النهي عن صفة السبب، وإن لم يكن شرطاً فيه. والثاني: إنه إنما شرط إرادة التحشّن، لأن الإكراه لا يُتصور إلا عند إرادة التحشّن، فأما إذا لم ترد المرأة التحسّن، فإنها بنغي بالطبع. والثالث: أن وإنَّ بمعنى إذه، ومثله: ﴿ وَنَرُوا مَا بَعِيَ مِنَ الزَبُوا إِن كُنتُم تُقْوَيْنَ ﴾ الماء عران الجوني، والماء في الكلام تقديماً وأخيراً، تقديره: ﴿ وَالْبَكُونُ إِن كُنتُم تُقْوِيْنَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالْبَهِ الله مِن عَلْونَ إِن كُنتُم تُقْوِيْنَ ﴾ ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿ يَنْتُوا عَرَنَ الْمُؤَوْ الله مَن الله وله عران الجوني، وبعف بن محمد: هن بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿ عَالِكُتِ شُبِيَنَتِ ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة غير أبي بكر، وأبان: «مبيّنات، بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة [النرد: ٤٦، ٤٦]، وآخر سورة [الطلاق: ٢١].

قوله تعالى: ﴿وَيَمْلَا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا﴾ أي: شبهاً من حالهم بحالكم أيها المكذِّبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق المكذِّبين قبلهم.

﴿ ﴿ اللَّهُ ثُولُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ ثُورِهِ كَيشَكُوهِ فِيهَا مِصْبَاحٌ اللِّصْبَاحُ فِي الْيَهَامَةُ النَّهَامَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَتُ دُرِيَّةٌ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةِ رَبَّوْنَةِ لَا شَرْفِيَةِ وَلَا غَرْبِيَةٍ بِكَادُ زُنِيُّهَا يُعِنِىءُ وَلَوْ لَمْ تَسْسَمُهُ نَاثًا ثُورً عَلَى فُورٍ بَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَأَةً وَيَضْرِبُ اللّهُ الْاَئْشَلُ لِلنَّاسِ وَاللّهُ بِكُلِ هَيْءِ عَلِيثُ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿اللهُ ثُورُ السَّكَوَتِ وَالْآرَضِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: هادي أهل السموات والأرض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أنس بن مالك، وبيان هذا أن النُّور في اللغة: الضياء، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مُبْصَراتها، فورد النُّور مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يَهْدي المؤمنين ويبيِّن لهم ما يهتدون به، والخلائق بنوره يهتدون في المناني: مدبِّر السموات والأرض، قاله مجاهد، والزجاج. وقر أبيّ بن كعب، وأبو المتوكل، وابن السميفع: «الله نوّ الله نوّ الله ونصب الراء «السموات» بالخفض «والأرض» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله على، قال ابن عباس: مَثَلُ هُدَاه في قلب المؤمن. والثاني: أنها ترجع إلى المؤمن، فتقديره: مَثَل نُور المؤمن، قاله أبيّ ابن كعب. وكان أبيّ وابن

⁽١) ذره السيوطي في اللدر؛ ٤٦/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

⁽٢) ذكره الواحدي في اأسباب النزول، ١٨٧، والسيوطي في اللدر، ٤٦/٥، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، والبزار، والدارقطني، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق أبي سفيان، عن جابر ﷺ.

 ⁽٣) هكذا ذكره الواحدي في فأسباب النزول؛ ١٨٧ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر، ٥/٤٤ ونسبه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد،
وابن جرير عن عكرمة.

⁽٤) وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رقي قال: كان رسول الله على إذا قام من الليل يقول: «اللهم لك المحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت تؤوم السموات والأرض ومن فيهن. . . المحدث.

مسعود يقرآن: •مثل نُور مَنْ آمن به ٤. والثالث: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، قاله كعب. والرابع: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان. فأما المشكاة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها في موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح: الضوء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها القنديل، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهد. والثالث: أنها الكوّة التي لا منفذ لها، والمصباح: السراج، قاله كعب، وكذلك قال الفراء: المشكاة: الكوّة التي ليست بنافذة. وقال ابن قتيبة: المشكاة: الكوّة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هي من كلام العرب(١١)، والمصباح: السراج. وإنما ذكر الزُّجاجة، لأن النُّور في الزُّجاج أشد ضوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن أبي عبلة: «في زَجاجة الزَّجاجة، بفتح الزاي فيهما. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: بكسر الزاي فيهما. قال بعض أهل المعانى: معنى الآية: كمَثَل مصباح في مشكاة، فهو من المقلوب. فأما التُّرِّيّ، فقرأ أبو عمرو، والكسائي، وأبان عن عاصم (دِرِّيءً بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً. قال ابن قتيبة: المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدَّراريء، وهي اللاتي يَدْرأن عليك، أي: يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ: إذا اندفع منقضًا فتضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان: إذا تدافعا. وروى المفضَّل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مدُّ، وهي قراءة عبد الله بن عمر، والزهري. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ذُرِّيٌّ» بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مدِّ ولا همز، وقرأ عثمان بن عفان، وابن عباس، وعاصم، الجحدري: ﴿دَرِيءٌ عِلْما للهال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً. وقرأ أبيّ ابن كعب، وسعيد بن المسيب، وقتادة: بفتح الدال وتشديد الراء والياء من غير مدٍّ ولا همز. وقرأ ابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً. قال الزجاج: الدُّرِّيّ: منسوب إلى أنه كالدُّرّ في صفائه وحسنه. وقال الكسائي: الدُّرِّيءُ: الذي يشبه الدُّرّ، والدُّرِّيءُ: جارٍ، والدَّرِّيءُ: يلتمع، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم، والوليد بن عتبة عن ابن عامر: بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمدِّ، قال الزجاج: فالنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا؛ وقال الفراء: ليس هذا بجائز في العربية، لأنه ليس في الكلام «نُعِّيل» إلا أعجمي، مثل مُرّيق، وما أشبهه. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: المُرّيق: العُصْفُر، أعجمي معرَّب، وليس في كلامهم اسم على زِنة فُعّيْل. قال أبو علي: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطّاب: كوكب دُرِّيء: من الصفات، ومن الأسماء: المُرِّيق: العُصْفر.

قوله تعالى: «تَوَقَّدُ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدَّال، يريدان المصباح، لأنه هو الذي يوقد. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يُوقَدُ بالياء مضمومة مع ضم الدال، يريدون المصباح أيضاً. وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تُوقَد» بضم التاء والدل، يريدون الزجاجة، قال الزجاج: والمقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

قوله تعالى: ﴿ مِن شَجَرَةِ ﴾ أي: من زيت شجرة، فحذف المضاف، يدلُك على ذلك قوله: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّهُ ﴾ ؛ والمراد بالشجرة هاهنا: شجرة الزيتون، وبَركتُها من وجوه، فإنها تجمع الأَدْم والدُّهن والوقود، فيوقد بحطب الزيتون، ويُغسَل برماده الإبريسم، ويُستخرج دُهنه أسهل استخراج، ويورِق غصنه من أوله إلى آخره, وإنما خُصَّت بالذُّكُر هاهنا دون غيرها، لأن دُهنها أصفى وأضوا.

قوله تعالى: ﴿ لَّا شُرْيَاتِ رَلَّا غُرِيَّةٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بين الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربة الله للترآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدّقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل مِشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكرّة التي في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة، لأنه غير نافذ، وهو أجيف مفتوح الأعلى، فهو كالكرة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: ﴿ يُهَا مِشْبَاتٌ ﴾ وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: ﴿ يُؤَمِّتُ مِن أن السراج الذي في المشكاة: في القتديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها، بالكوكب الدري، فقال ﴿ الزَّبَاحُةُ ﴾ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ﴿ كُمْ الْمُوحُكِبُ الدَّرِيّ . أهد.

الشمس، قاله أبيّ بن كعب، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنها في الصحراء لا يُظِلُها جبل ولا كهف، ولا يواريها شيء، فهو أجود لزيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والزجاج. والثالث: أنها من شجر الجنة، لا من شجر الدُنيا، قاله الحسن^(۱).

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيِّمُا يُضِيَّهُ أَي: يكاد من صفائه يُضيء قبل أن تصيبه النار بأن يوقد به. ﴿ وَأُرُ عَلَن وُرْ ﴾ قال مجاهد: النار على الزيت. وقال ابن السائب: المصباح نور، والزجاجة نور. وقال أبو سليمان الدمشقي: نور النار، ونور الزيت، ونور الزجاجة (٢٠)، ﴿ يَهْرِى اللّهُ لِنُورِهِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنور القرآن. والثاني: لنور الإيمان. والثالث: لنور محمد ﷺ. والرابع: لدينه الإسلام (٣٠).

فصل

فأما وجه هذا المَثل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شبّه نور محمد على بالمصباح النيّر؛ فالمشكاة جوف رسول الله على والمصباح النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه، فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم على سماه شجرة مباركة، لأن أكثر الأنبياء من صُلبه ﴿لاّ سَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيّةٍ ﴾ لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد على يتبيّن للناس أنه نبيّ ولو لم يتكلّم. وقال القرظي: المشكاة: إبراهيم، والزجاجة: إسماعيل، والمصباح: محمد، صلى الله عليه وعليهم وسلّم. وقال الضحاك: شبّه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزجاجة، ومحمداً على بالمصباح(1). والثاني: أنه شبّه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة: قلبه، والمصباح: نور الإيمان فيه وقيل: المشكاة: قلبه، والمصباح: نور الإيمان فيه. وقيل: المشكاة: صدره، والمصباح: القرآن والإيمان اللّذان في صدره، والزجاجة: قلبه، فكأنه مما فيه من القرآن والإيمان اللّذان في صدره، والزجاجة: قلبه، فكأنه مما فيه من القرآن هذا المؤمن قد احترس من أن تصيبه الفتن، فإن أعطي شكر، وإن ابتُلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، فقل المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيّه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى كما يكاد هذا الزيت يضيء فقل أن تمسّه النار، فإذا مسّته اشتد نُوره، فالمؤمن كلامه نُور، وعمله نُور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة. والشالث: أنه شبّه القرآن بالمصباح يُستضاء به ولا ينقص، والزجاجة: قلب المؤمن، وقيل: تكاد والمشكاة: لسانه وفعه، والشجرة المباركة: شجرة الوحي، تكاد حُجج الله تضيء لمن فكر فيها وتدبَّرها ولو لم ينزل القرآن، ﴿ وَرُدُ عَلَى ثُورُ ﴾ أي: القرآن نُور من الله لخلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن.

قوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ ٱلْأَشْكَاكُ أَي: ويبيِّن الله الأشباء للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك.

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غريبة، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غريبة، وإنما قلنا: ذلك أولى بمعنى الكلام، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقياً غربياً، كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضواً. اهد. وقال ابن كثير بعد أن سرد عدة أوال: وأولى هذه الأقوال أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح بادٍ ظاهر ضاح للشمس تقرعه من أول النهار إلى آخره، ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف، كما قال غير واحد، قال: ولهذا قال: ﴿يَكُا دُرْبُها يُومَهُ وَلَا لَمْ تَسَسَّهُ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لضوء إشراق الزيت. اهد.

 ⁽۲) قال ابن كثير: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. اه.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ يَهْدِى اللّهُ لِنُورِدِ مَن يَشَاأَهُ يقول تعالى ذِكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن من يشاء من عباده. اهـ. فعلى هذا الضمير يعود على القرآن، وهو الصواب.

⁽٤) هذا تأويل، وليس تفسيراً لظاهر الآيات. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ رَشِنْيِكُ أَنَّهُ الْأَمْنَالَ إِلنَّابِ يقول: ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وصائر ما في هذه الآية من الأمثال، ﴿ وَاللّهُ بِحَصُلُ شَمْهِ عَلِيمٌ ﴾ يقول: والله بضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَيَضَرِبُ أَللُهُ الْأَمْثَلُ إِلنّائِلُ وَاللّهُ بِكُلّ مَنْء عَلِيمٌ ﴾ الما وي علم على هذا مثلاً لنور هذاه في قلب المؤمن، ختم الآية بقوله: ﴿ وَمَشْرِبُ اللّهُ إِنْ كَلْلَ مَنْء عَلِيمٌ ﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الهماية ممن يستحق الاضلال. اهـ.

تُولَه تَعالَى: ﴿ إِن يُرُوتٍ ﴾ قال الزجاج: ﴿ في عن صلةٍ قوله: ﴿ كمشكاة ، فالمعنى: كمشكاة في بيوت ؛ ويجوز أن تكون متصلة بقوله: ﴿ يسبِّح له فيها فتكون فيها تكريراً على التوكيد ؛ والمعنى: يسبِّح لله رجال في بيوت ، فإن قيل: المشكاة إنما تكون في بيت واحد ، فكيف قال: ﴿ في بيوت ؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه من الخطاب المتلوّن الذي يُفتح بالتوحيد ويُختم بالجمع ، كقوله: ﴿ يَمَا أَبُم النَّيُ إِنَّا طَلَقْتُ النِّلَيَ الطلاق: ١١. والثاني: أنه راجع إلى كل واحد من البيوت ، فالمعنى: في كل بيت مشكاة . وللمفسرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد ، قاله ابن عباس ، والجمهور . والثاني: بيوت أزواج رسول الله عليه الله على المجاهد . والثالث: بيت المقدس ، قاله الحسن ، والضحاك . الحسن ، والضحاك . والثاني: يُتلى فيها كتابُه ، رواه أبن طلحة عن ابن عباس . والثاني: يُتلى فيها كتابُه ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

قوله تعالى: ﴿ يُسَيِّمُ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿ يُسَبِّحُ بكسر الباء الباء وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بفتحها. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة: ﴿ تُسَبِّحُ ابناء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء. وفي قوله: ﴿ يُسَيِّحُ لَمُ فِيهَ قولان: أحدهما: أنه الصلاة. ثم في صلاة النُدُو قولان: أحدهما: أنها صلاة الفجر، رواه ابن أبي مُلَيْكه عن ابن عباس قال: إن صلاة الفجر، رواه ابن أبي مُلَيْكه عن ابن عباس قال: إن صلاة الضحى الفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلا غوّاص، ثم قرأ ﴿ يُسَيِّحُ لَمُ فِهَا إِلَانُهُو وَلَا صلاة الأصال قولان: أحدهما: أنها صلاة الطهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. والثاني: صلاة العصر، قاله أبو سلميان الدهشقى. والقول الثاني: أنه التسبيح المعروف، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لا لله بِيمْ أي: لا تشغلهم ﴿ يَحْدَوْ وَلا بَيْمُ (٣) قال ابن السائب: التَّجَّار: الجلابون، والباعة: المقيمون. وقال الواقدي: التجارة هاهنا بمعنى الشراء. وفي المراد بِذكر الله ثلاثة أقوال: أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس، وعطاء. وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿ رِجَالٌ لا لا يُعْمِيمْ غِيرَةٌ وَلا بَيْحُ مَن ذِكْر اللهِ والثاني: عن القيام بحق الله، قاله قادة. والثالث: عن ذِكْر الله باللسان، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَإِقَارِ الشَّالَةِ ﴾ أي: أداؤها لوقتها وإتمامها. فإن قيل: إذا كان المراد بذِكْر الله الصلاة، فما معنى إعادتها؟ فالجواب: أنه بيَّن أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

قوله تعالى: ﴿ نَنْقَلُ فِيهِ ٱلْتُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والنشور، ازداد بصيرة برؤية ما وُعِد به؛ ومن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقِن معه بأمر القيامة، قاله الزجاج.

⁽١) وهذا أيضاً تأويل، فإن المقصود من البيوت هنا: المساجد.

⁽٢) والقول الأول هو الصواب. قال ابن كثير: لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقّد من زيت طيب، وذلك كالقنديل، مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوته التي يُعبد فيا ويُوحُد، فقال تعالى: ﴿ فِي بِيْنِ إِنَ اللهُ اللهُ كَانَ مُن مُن مُن اللهُ تعالى بتعاهدها وتطهيرها من اللنس واللغو والأقوال والأقعال التي لا تليق فيها. اه. وقد ورد في فضل بناء المساجد واحترامها وتوقيزها وتعليبها وتبخيرها أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن عثمان بن عفان على قال: سمعت رسول الله ﷺقول: (من بني مسجداً بيتغي به وجه الله بني الله له بيتاً في الجنة، وروى ابن ماجه في «سننه» بسند صحيح عن جابر على أن رسول الله ﷺقال: عن بني مسجداً لله كمقحص قطاة أو أصغر بني الله له بيتاً في الجنة، والأحاديث في ذلك كثيرة.

 ⁽٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باقي، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَا تُلْهِيمٌ غِيْرُهُ وَلَا بَيْعٌ مَن فَكِر اللَّو وَلَقَار السَّلَاق وَلِيَالًا لَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَالُهُ عَلَيْهِ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُولُولُولُولُولُهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْدُا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلْمُ عَلَمُ عَلَا عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَّا

والثاني: أن القلوب تتقلَّب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تتقلَّب، تنظر من أين يؤتون كتبهم، أون قبَل اليمين، أم مِنْ قِبَل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابن جرير. والثالث: تتقلَّب القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلَّب الأبصار إلى الزَّرَق بعد الكَحَل والعمى بَعْدَ النَّظر.

قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ﴾ المعنى: يسبّحون الله ليجزيهم ﴿ أَحْبَنَ مَا عَيِلُوا ﴾ أي: ليجزيهم بحسناتهم. فأما مساوئهم فلا يَجزيهم بها ﴿ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ ﴾ قد شرحناه في الله عمران: ٢٧].

﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُواْ أَعْمَلُهُمْ كَمْرَبِ بِيمَعَ يَمْسَبُهُ الظَّمْمَانُ مَاءً حَقَّ إِنَا بَحَآءُمُ لَرْ يَجِدْءُ شَيْنَا وَوَبَدَ اللّهَ عِندَمُ وَوَقَىلُهُ عِسَابُهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ أَرْ كَظُلُمَنتِ فِي بَحْرٍ لَيْتِي بَنْشَلُهُ مَنْجٌ مِن فَرْقِيدِ مَنْجٌ مِن فَرْقِيدِ مَعَابُّ ظُلْمُنتُ بَعْمُهُمَا فَرْقَ بَعْضِ إِنَّا أَخْرَجَ بِكُنْمُ لَرْ يَكُمْ بَرَيْهُ وَمِن لَرَّ يَجْعَلُ اللّهُ لَهُ فُولًا فَمَا لَهُ مِن فُرِدٍ ۞﴾

ثم ضرب الله مثلاً للكفار فقال: ﴿ وَلَلَّذِينَ كَمَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَكِم ﴾ قال ابن قتيبة: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخره، وهو يرفع كل شيء، والقيعة والقاع واحد. وقرأ أبي بن كعب، وعاصم المجحدري، وابن السميفع: فيقيعات ، وقال الزجاج: القيعة جمع قاع، مثل جارٍ وجيرة، والقيعة والقاع: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب، والآل مثل السراب، إلا أنه يرتفع وقت الضحى - كالماء - بين السماء والأرض يحسبه الظمآن - وهو الشديد العطش - ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضاً لا ماء فيها، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله - كظن الذي يظن السراب ماء - وعمله قد حبط.

قوله تعالى: ﴿وَرَجَدَ اللَّهُ عِندُو ﴾ أي: قدم على الله ﴿فَرَفَّنهُ حِسَابَةُ ﴾ أي: جازاه بعمله؛ وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن، والمراد به الخبر عن الكافر.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ ٱلْمِسَابِ ﴾ مفسَّر في [البنرة: ٢٠٢].

قوله تعالى: ﴿أَوْ كُلُلُمْتِ﴾ في هذا المَثَل قولان: أحدهما: أنه لعمل الكافر، قاله الجمهور، واختاره الزجاج. والثاني: أنه مَثَل لقلب الكافر في أنه لا يَعْقِل ولا يُبْصِر، قاله الفراء. فأما اللَّجِيّ، فهو العظيم اللَّجَة، وهو العميق ﴿يَنْ مَنْ فَوْ الْمَوْ مُوج، والمعنى: يتبع الموج موج، حتى كان بعضه فوق بعض، ﴿قِنْ فَوْقِهِ ﴾ أي؛ من فوق ذلك الموج ﴿مَاتُ ﴾. ثم ابتدأ فقال: ﴿طُلُمْتُ ﴾ يعني: ظلمة البحر، وظلمة الموج [الأول، وظلمة الموج] الذي فوق الموج، وظلمة السحاب. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: السحاب ظلماتِ مضافاً ﴿إِنَّا أَفَنَ يَكَدُ هُ يعني: إذا أخرجها مُخرَجٌ، ﴿لَا يَكَد يَنَها ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يرها، قاله الحسن، واختاره الزجاج. قال: لأن في دون هذه الظلمات لا يرى الكفّ؛ وكذلك قال ابن الأنباري: معناه: لم يرها البَّة، لأنه قد قام الدليل عند وصف تكانف الظلمات على أن الرؤية معدومة، فبان بهذا الكلام أن "يكده زائدة للتوكيد، بمنزلة قما في قوله: ﴿عَمَّا قَبِلِ لِنَّهَ الله إليك، وقد بلغتَ، قال الفراء: وهذا وجه العربية.

فصل

فأما وجه المَثَل، فقال المفسرون: لمّا ضَرب الله للمؤمن مَثَلاً بالنَّور، ضَرب (١٠ للكافر هذا المثل بالظلمات؛ والمعنى: أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد. وقيل: الظُّلمات: ظُلمة الشَّرك وظُلمة المعاصي. وقال بعضهم: ضربَ الظلمات مثلاً لعمله، والبحر اللَّجِيّ لقلبه، والموج لِما يغشى قلبه من الشَّرك والجهل والحيرة، والسحاب للرَّيْن والخَتْم على قلبه، فكلامه ظُلمة، ومحمله ظُلمة، ومدخله ظُلمة، ومخرجه ظُلمة، ومصيره إلى الظَّلمات يوم القيامة.

⁽١) في الأصل: وضرب.

﴿ اَلَةَ صَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَمُ مَن فِي السَّمَوَيْتِ وَالْفَارِّشِ وَالطَّلَيْرُ مَلَقَدَّتِ كُلُّ فَدْ عَلِمَ مَـلَائَمُ وَتَسْبِيحَمُّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِهَا يَفْعَلُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلُكُ السَّمَوَيْتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ السَّصِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَوْ نَدَ أَنَّ اللَّهَ يُسُبِّحُ لَمُ مَن فِي السَّيَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قد تقدم تفسيره [البترة: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ أي: وتسبح له الطير ﴿مَهَنَّتُو﴾ أي: باسطات أجنحتها في الهواء. وإنما خصّ الطير بالذُّكْر، لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة عن جملة مَنْ في السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ﴾ أي: من الجملة التي ذكرها ﴿ وَلَدْ عِلَمْ مَلَائِمُ وَتَدْيِعَمُ ﴾ قال المفسرون: الصلاة، لبني آدم، والتسبيح، لغيرهم من الخلق. وفي المشار إليه بقوله: «قد عَلِمَ» قولان. أحدهما: أنه الله تعالى، والمعنى: قد علم الله صلاة المصلّي وتسبيحه، قاله الزجاج. والثاني: أنه المصلّي والمسبِّح. ثم فيه قولان: أحدهما: قد علم المصلّي والمسبِّح صلاة نفسه وتسبيحه، أي: علم أن ذلك لله تعالى وحده. وقا قتادة، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «كُلُّ قد عُلِمَ» بوقع العين وكسر اللام "صلاته وتسبيحه، بالرفع فيهما.

﴿ أَلَّهُ مَنَ أَنَّ اللّهَ يُسْرِى مَصَابًا ثُمَّ يُؤلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْمَلُهُ رُكَامًا فَنَرَى ٱلْوَدْف يَخْرُجُ مِنْ خِلَلِهِ. وَلَيْزِلُ مِنَ ٱسْتَمَاءِ مِن جِمَالٍ فِهَا مِلْ بَرَهِ فَيْصِيبُ بِهِ. مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَآةٌ يَكَادُ سَنَا بَرَقِهِ. يَذْهَبُ بِٱلأَبْصَئرِ ۞ يُقلِبُ اللّهُ ٱلذِّلَ وَٱلنّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلأَبْصَدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَرْ نَرَ أَنَّ أَلَهُ يُعْرِي سَمَابًا﴾ أي: يسُوقه ﴿فُمَّ يُؤَلِّكُ بَيْنَمُ﴾ أي: يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القِطَع المتفرِّقة قطعة واحدة. والسحاب لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، فلهذا قال: ﴿يُؤَلِّكُ بَيْنَمُ ثُمَّ يَبْمَلُمُ رُكَامًا﴾ أي: يجعل بعض السحاب فوق بعض ﴿فَنَرَى ٱلْوَدْفَ﴾ وهو المطر. قال الليث: الوَدْقُ: المطر كُلُّه شديدُه وهينُه.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ خِلَامِهِ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك: «من خَلَلِه». والمخلال: جمع خَلَل، مثل: جبال وجبل. ﴿ وَهُرْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ مفعول الإنزال محذوف، تقديره: وينزَّل من السماء من جبال فيها من بَرَدِ بَرَداً، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. و قمِنْ الأولى، لابتداء الغاية، لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية: للتبعيض، لأن الذي ينزله الله بعض تلك الجبال، والثالثة، لتبيين الجنس، لأن جنس تلك [الجبال] جنس البَرَد؛ قال المفسرون: وهي جبال في السماء مخلوقة من بَرَد. وقال الزجاج: معنى الكلام: وينزُّل من السماء من جبال بَرَد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى: هذا خاتم حديد في يدي.

قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ ﴾ أي: بالبَرَد ﴿مَن يَثَآمُ ﴾ فيضرَّه في زرعه وثمره. والسنا: الضوء، ﴿يَذْهَبُ ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو جعفر؛ ﴿يُذْهِبُ بضم الياء وكسر الهاء. ﴿بُقَلِبُ اللهُ ٱللَّهَ ٱلْيَلَ وَالنَّهَارَّ ﴾ أي: يأتي بهذا، ويذهب بهذا ﴿إِنَّ فِ ذَلِكَ ﴾ التقلُّب ﴿لَمِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَنْسَيْرِ ﴾ أي: دلالة لأهل البصائر والعقول على وحدانية الله وقدرته.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلُّ دَآئِتُو مِن مَلْوٍ فَيَعْتُم مَّن يَشْفِى عَلَى بَطْنِيد وَمِنْهُم مَّن يَشْفِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَشْفِى مَلَى اللَّهُ مَا يَشَاأُهُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ مَنْ وَفَدِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ رَالَهُ خَنَنَ كُلُّ دَابَّةٍ ﴾ وقراً حمزة، والكسائي: ﴿ والله خالِقُ كُلِّ دابَّة من ماءٍ ﴾ وفي الماء قولان: أحدهما: أن الماء أصل كُلِّ دابَّة. والثاني: أنه النَّطفة، والمراد به: جميع الحيوان المشاهَد في الدنيا. وإنما قال: ﴿ فمنهم الخليبا لما يَعقل وإنما لم يذكُر الذي يمشي على أكثر من أربع ، لأنه في رأي العين كالذي يمشي على أربع ، وقيل: لأنه يعتمد في المشي على أربع . وإنما سمَّى السائر على بطنه ماشياً ، لأن كُلَّ سائر ومستمرً يقال له: ماش وإن لم يكن حيواناً ، حتى إنه يقال: قد مشى هذا الأمر ، هذا قول الزجاج . وقال أبو عبيدة: إنما هذا على سبيل التشبيه بالماشي ، لأن المشي لا يكون على البطن ، إنما يكون لمن له قوائم ، فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له ، جاز ذلك ، كما يقولون: أكلت خيزاً ولبناً ، ولا يقال: أكلت لبناً .

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِاللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في رجل من المنافقين يقال له: بشر كان بينه وبين يهوديّ حكومة، فدعا اليهوديُّ المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافق لليهودي: إن محمداً يَحِيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَرَ يَتُوَلَّى نَوِيْ مِنْهُم ﴾ يعني المنافقين ﴿ مِنْ بَدِ ذَلِكَ ﴾ أي: من بعد قولهم: آمَنًا ﴿ وَمَا أَوْلَتِكَ ﴾ يعني: المُغرِضين عن حُكم الله ورسوله ﴿ إِلَمُؤْمِنِينَ ﴿ وَلِنَا دُعُوّا إِلَى اللّهِ ﴾ أي: إلى كتابه ﴿ وَرَسُولِهِ لِيَعْكُم يَنَهُمُ ﴾ الرسول هوايًا فَرِينُ مِنْهُم تَمْوِسُونَ ﴾ ومعنى الكلام: أنهم كانوا يُعْرِضون عن حكم الرسول عليهم. لعِلمهم أنَّه يحكُم بالحق؛ وإن كان الحق لهم على غيرهم، أسرعوا إلى حكمه مذعنين، لثقتهم أنه يحكم بالحق. قال الزجاج: والإذعان في اللهة: الإسراع مع الطاعة، تقول: قد أذعن لي، أي: قد طاوعني لِما كنتُ التمسه منه.

قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ تُلُومِم مَّرَشُ ﴾ أي: كفر ﴿ أَرِ آرَابُوا ﴾ أي: شكُّوا في القرآن؟ وهذا استفهام ذمّ وتوبيخ، والمعنى: إنهم كذلك، وإنما ذكره بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمّهم، كما قال جرير في المدح:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الـمَطَايَسَا [وأندى الـعـالَـمِـيـنَ بُـطُـونَ راح٢٠]

أي: أنتم كذلك. فأما الحيف، فهو: الميل في الحكم؛ يقال: حاف في قضيّته، أي: جار، ﴿ إِنْ أَوْلَتِكَ هُمُ الطّلِمُونَ ﴾ أي: لا يَظْلِمُ الله ورسولُه أحداً، بل هم الظالمون لأنفسهم بالكفر، والإعراض عن حُكم الرسول. ثم نعت المؤمنين، فقال: ﴿ إِنّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الفراء: ليس هذا بخبر ماض، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: "إنما كان قولُ المؤمنين، بضم اللام، وقرأ أبو جعفر، وعاصم الجحدري، وابن أبي [ليلي]: «ليُحكم بينهم» برفع الياء وفتح الكاف. وقال المفسرون والمعنى: سمعنا قول رسول الله على وأطعنا أمره، وإن كان ذلك فيما يكرهونه.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَ اللّهَ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَقَدِ﴾ فيما بعد أن يعصيه. وقر ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن نافع: «ويتَقْهِ فأولئك، بكسر الهاء لا يبلغ بها اللهاء. وروى قالون عن نافع: «ويتَقْهِ فأولئك، بكسر الهاء لا يبلغ بها الماء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «ويتَّقِهُ» جزماً.

﴿ وَالْمَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيَكَنِيمْ لَهِنْ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرُجُنُّ قُلْ لَا نَقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهِ وَالْمَالِمُ اللَّهِ عَلَيْكُمُ مَا خُيلُتُمٌّ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْمَدُواْ وَمَا عَلَ ٱرْشُولِ إِلَّا ٱللَّكُ ٱلنَّمِيثُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْسَنُوا بِاللّهِ قَالَ المفسرون: لمّا نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكم الله، قالوا للنبي ﷺ: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمك؟! فنزلت هذه الآية (٢٠) وقد بيّنًا معنى ﴿جَهّدَ أَيْمَنِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٣]، ﴿ لَا ثَمَ اللّهُ اللّهُ عَنْ أَمُولِهُم وديارهم، وقيل: ليخرجن إلى الجهاد ﴿ لَل لَا يُسْرِدُونُ ﴾ من أمولهم وديارهم، وقيل: ليخرجن إلى الجهاد ﴿ لَل اللهُ يَشْرُونُ ﴾ قال الزبجاج: المعنى: أَمْثَل من قَسَمِكم الذي لا تصدُقون فيه طاعة معروفة، قال ابن قتيبة: وبعض النحويين يقول: الضمير فيها: لتكن منكم طاعة معروفة، أي: صحيحة لا نفاق فيها.

⁽١) ۚ ذكره الواحدي في أأسباب النزول، ١٨٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿ وَلِنَا مُثَوَّا إِلَى اللَّهِ وَيُسُولِهِ. ٠٠ ﴾ والتي بعدها بدون سند.

٢) قديوانه، ٩٨، وقمجاز القرآن، ٢/١١٨، وقالقرطبي، ٢٩٤/١٢.

⁽٣) ذكره بنحوه مختصراً السيوطي في «الدره ٥/ ٥٤ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس راه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوا ﴾ هذا خطاب لهم، والمعنى: فإن تتولَّوا، فحذف إحدى التاءين. ومعنى التولِّي: الإعراض عن طاعة الله ورسوله، ﴿ وَهَا يُمَا تُحِلَّمُ ۗ مَا مُخِلَّمُ ۗ مَا مُخِلَّمُ ۗ مَا مُخِلَّمُ ۗ مَا مُخِلَّمُ مَا المعاعة؛ وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُونُ﴾ يعني: رسول الله ﷺ ﴿تَهْـتَدُواً﴾، وكان بعض السلف يقول: من أمَّر السَّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة، لقوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْـنَدُواً﴾.

﴿ وَهَدَ اللَّهُ اللَّذِينَ مَامَثُوا مِنكُرٌ وَمَكِمُوا الصَّنِياحَتِ لِمُسْتَغْلِنَكُمْرٌ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيكِ بِن قَبْلِهِمْ وَلَيْسَكُونَ لَمُمْ وِيَهُمُ الْعَيْمُونَ فَي الْأَرْضِ كَمَا السَّنَاخُلُفَ اللَّهِ عَلَيْكُونَ هُمُ الْعَيْمُونَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُمُ الْعَيْمُونَ اللَّهُ وَلِيْكُ مُمُ الْعَيْمُونَ اللَّهِ وَيَعْمُمُ وَمُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَلَا اللَّهُولَ لَمُلْكُمْ تُرْجُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قوله تمالى: ﴿وَيَدَ اللهُ اللَّهِ عَامَنُوا مِنكُو وَى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبيّ بن كعب قال: لمّا قلِم دسولُ الله على وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمتهم، فقالوا: أترون أنّا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا لله هي؟! فنزلت هذه الآية (۱). قال أبو العالية: لمّا أظهر الله على رسوله على جزيرة العرب، وضعوا السلاح وأمنوا، ثم قبض الله نبيّه، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر، وعمر، وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة، فأدخل الله على عليهم الخوف، فغيروا، فغير الله تعالى ما بهم (۱). وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذا الوعد وعده الله أمّة محمد في التوراة والإنجيل. وزعم مقاتل أن كفار مكة لمّا صدّوا رسولَ الله على والمسلمين عن العُمرة عام الحديبية، قال المسلمون: لو أن الله تعالى فتح علينا مكة، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ لِسَتَظِفَهُم أَي: ليجعلنَّهم يخلُفون مَنْ قَبْلهم، والمعنى: ليورثنَّهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكَّانها. وعلى قول مقاتل: المراد بالأرض مكة.

قوله تعالى: ﴿ كَمَا اسْتَخْلُفَ الَّذِيكِ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: (كما استُخْلِف) بضم الناء وكسر اللام؛ يعني: بني إسرائيل، وذلك أنه لمّا هلكت الجبابرة بمصر، أورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْمَكُّنَ لَمُمْ يِيَهُمُ ﴾ وهو الإسلام، وتمكينه: إظهاره على كل دين، ﴿وَلِيَمَكُلْتُمُ ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو بكر، وأبان، ويعقوب: «ولَيُبُدِلنَّهم بسكون الباء وتخفيف الدال ﴿ تِرْ بَمْدِ خَوْفِهم أَمْنًا ﴾ لأنهم كانوا مظلومين مقهورين (٢٠)، ﴿ يَمْبُدُونِي ﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم، ﴿وَمَن كَفَرَ بَمْدَ ذَلِك ﴾ بهذه النَّعم، أي: من جحد حقّها، قال المفسرون: وأوّل من كفر بهذه النعم قَتَلَةُ عثمان.

 ⁽١) رواه الحاكم في «المستدرك» ١/ ٤٠١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٥/٥»، وزاد نسبته
 لابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن أبّي بن كعب ﷺ.

⁽٢) رواه الواحدي في فأسبَّاب النزول، ١٨٨، وذكره السيوطي في «الدُّر، ٥/ ٥٥ عن عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

⁽٣) قال ابن كثير: هلا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس، والولاة عليهم، ويهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه كله لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وغيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية، وهو المقوقس، وملوك عمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله كله واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصَّديّيّ، فلم شعث ما وهي بعد موته كله، وأخذ جزيرة العرب ومهدها، وبعث جيوش الإسلام إلى يلاد فارس صحبة خالد بن الوليد في فقتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً أخر صحبة أبي عبيدة في ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص في إلى بلاد مصر، فقتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من أراضي حوران وما والاها، وتوفاه اله في، واختار له ما عنده من الكرامة، ومَنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصَّديّين أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً، لم يَكُو الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهتر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وأنتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووحد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأؤكى صلاة. ثم لما كانت الدمالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، فقتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك والدولة المثمانية (دولة عثمان بن عقان بي المالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، فقتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك والدولة المثرب إلى الدولة المثرب إلى القصى ما هنالك والمثربة المثرب المالك المثرب المالك الإسلام بالله والمؤلى المؤلى المؤلى المنالك المثلك الأسلام بالمؤلى المثربة المنالك الإسلام بالمؤلى المثرب المالك الشعر المؤلى ا

﴿لاَ غَسَيَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُهُا مُعْجِنِينَ فِي ٱلأَرْضِ وَبَأْرِنَهُمُ ٱلنَّازُّ وَلَيْلُسَ ٱلْسَعِيدُ ﴿

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُنَّ الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ قرأ ابن عاشر، وجمزة عن عاصم: ﴿لَا يَنْحُسَبُنَّ بالياء وفتح السين، وقرأ الباقون: بالتاء وكسر السين.

﴿ يَتَائِهُمَا الَّذِبَ مَامُوا لِيسَتَعْوِنكُمُ اللَّيْنَ مَلَكُتَ الْبَنْتُكُو وَالَّذِينَ لَرَ يَبْلُنُوا الْمُلُمَّ مِنكُو ثَلْتُ مَنْدُو يَن قَبِلُ اللَّهُمِ مِنكُو ثَلِنَا الْمُلْمَ مِنكُو ثَلِنَا عَلَيْهُمْ مِنكُو اللَّهِمِ مَناعُ مَمَلُوهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مَلُوهُ وَلِمَ مَلْمُ مَنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مَلَا اللَّهُمُ مَلِيمُ مَكِمُ فَي وَلِهَ مَلْهُ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ مُن اللَّهُمُ اللَّالِمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ الللّهُمُ اللّهُو

قوله تعالى: ﴿ لِسَنَعْوِنكُمُ اللَّيْنَ مَلَكُتُ أَيْنَكُرُ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحلهما: أن رسول الله على وجّه غلاماً من الأنصار يقال له: مُذّلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالة كره عمرُ رؤيتُه عليها، فقال: يا رسول الله، وددتُ لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (۱) والثاني: أن أسماء بنت مرثد (۱) كان لها غلام، فدخل عليها في وقت كرهنه، فأتت رسول الله على، فقالت: إنَّ خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (۱). ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم؛ وفيهم قولان. أحدهما: أنه أراد الذكور دون الإناث، قاله ابن عمر. والثاني: الذكور والإناث، رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن (۱). ومعنى الكلام: ليستأذنكم مماليككم في الدخول عليكم، قال القاضي أبو يعلى: والأظهر أن يكون المراد: العبيد الصغار والإماء الصغار، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر المبالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصيان الذين هم غير مكلفين؟!

الأندلس وقبرص ويلاد القيروان ويلاد سبنة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشوق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وبلد ملكه بالكلية، وقتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخلّل الله ملكهم الأعظيم خاقان، وجُبي المخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان في، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في «الصحيح» أن رسول الله على قال أون الله زوى لي الأرض، قرأيت مشارقها ومغاربها، وسبيلغ ملك آمتي ما زوي لي منها، قال أبن كثير: فها نحن نتقلّب فيما وحدثا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وسيده على الوجه الذي يرضيه عنا، اهـ

 ⁽١) ذكره الواحدي في (أسباب النزول) ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند.

⁽٢) في األصل: أسماء بنت مرشد، وما أثبتناه من «الإصابة» ويعض كتب التفسير.

٣) وكذلك ذكره الواحدي في فأسباب النزول؛ ١٨٩ عن مقاتل بدون سند، وخرجه بنحوه السيوطي في فالدو؛ ٥/٥٥ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به الذكور والإناث، لأن الله عم يقوله: ﴿ اللَّيْنَ مَلَكُ لَبُنْكُمُ ﴾ جميع أملاك أيماننا، ولم يخصص منهم ذكراً ولا أنثى، فذلك على جميع من حمه ظاهر التنزيل. اهـ.

الأوقات في أن لا يستأذنوا، فرفع الحرج عن الفريقين، ﴿ مَلَوْلُونَ عَلَيْكُم ۚ أَي: هم طوافون عليكم ﴿ بَشُكُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ أي: يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الأحرار.

فصل

وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة، وممن روي عنه ذلك ابن عباس، والقاسم بن محمد، وجابر بن زيد، والشعبي. وحكي عن سعيد بن المسيب أنها منسوخة بقوله: ﴿وَإِنَا بَائِمُ ٱلْأُمْأَنَالُ مِنكُمُ ٱلْمُثَرُ فَلَيْسَتَنْدُوْلُ﴾ والأول أصح، لأن معنى هذه الآية: وإذا بلغ الأطفال منكم، أو من الأحرار الحلم، فليستأذنوا، أي: في جميع الأوقات في الدخول عليكم ﴿كُمَا اسْتَذَنَ اللَّهِنَ عَنَى مِن قَبِّلِهِمُ في الوجود، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال؛ فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث.

قوله تعالى: ﴿ وَالْقَوَعِدُ مِنَ اللِّسَكَامِ ﴾ قال ابن قتيبة: يعني: العُجْزَ، واحدها: قاعدٌ، ويقال: إنما قيل لها: قاعدٌ، لقعودها عن الحيض والولد، وقد تقعد عن الحيض والولد ومِثْلُها يرجو النكاح، ولا أراها سميتُ قاعداً إلا بالقُعود، لأنها إذا أسنَتْ عجزتْ عن التصرُّف وكثرة الحركة، وأطالت القعود، فقيل لها: «قاعد» بلا هاء، ليدلّ حذف الهاء على أنه قعود كِبَر، كما قالوا: «امرأةٌ جاملٌ»، ليدلُّوا بحذف الهاء على أنه حمل حَبَل، وقالوا في غير ذلك: قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَعَنَّمُ ثِيَابَهُ ثِيَ أَيَ مَن اللهِ أَي: عند الرجال؛ ويعني بالثياب: الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخِمار، هذا المراد بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿مَيْرَ مُتَنَبِّعَنَتٍ مِزِيْتَ فِي آي: من غير أَن يُرِدْنَ بوضع الجِلباب أَن الترى الخِمار، ولا يَضَعْنَ تلك الثياب ﴿عَيْرٌ لَهُ ثُنُ مَا ابن قتية: والعرب تقول: امرأة واضعٌ: إذا كِبِرتْ فوضعت الخِمار، ولا يكون هذا إلا في الهرِمة. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه يُباح [للعجوز] كشف وجهها ويديها بين يدي الرجال، وأما شعرها، فيحرم النظر إليه كشعر الشابَّة.

﴿ لَيْنَ عَلَى ٱلْأَصْنَ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَصْرَجَ جَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْمِينِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْمِينِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْمِينِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْمِينِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْمِينِ أَعْمَدِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَنْدِكُمْ أَوْ مَنْدِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَنْدِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَنْدِكُمْ أَوْ بَيْدِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَنْدِكُمْ أَوْ مَنْ مِنْدِ اللّهِ مُنْدَكُمْ مَلْمَ مَنْ مَنْدُكُمْ مَنْ أَنْهُمْ أَلَا مَنْدُكُمْ أَلَا مَنْدُكُمْ مُنْ أَنْ أَلَا مَنْ أَلْمُونِ مَنْدِكُمْ أَوْ بُنْهُمْ أَلْهُ مُنْدُكُمْ أَوْ مَنْ مِنْدُ مِنْ مِنْدُ اللّهِ مُنْدِكُمْ مَنْ مِنْهُمْ مُنْ مَنْهُمْ مَنْ مَنْهُمْ مَنْ مُنْهُمْ مُنْ مُنْهُمْ أَلَّالِكُمْ أَلَا مُنْدَكُمْ أَلَا مُنْ مُنْهُمْ أَلَا مُنْهُمُ أَلَّا مُؤْمِنُ مُنْ فَالْمُصَلِّمُ مُولِكُمْ أَلُولُونُ مَنْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْ مَنْهُمْ مُمْ مُمْ أَلَامُونُ مَنْ مَنْهُمْ مُنْ مُنْهُمْ مُنْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمُ أَلَامُ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمُ أَلَامُ مُنْهُمُ أَلِهُمْ مُنْهُمْ أَلِهُمْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمُ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمْ مُنْهُمْ أَلْمُ مُنْهُمْ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمُ مُنْهُمْ أَلْمُونُ مُنْهُمْ أَلِكُمْ مُنْهُمُ مُنْهُمُ أَلِكُمْ مُنْهُمُ مُنْ أَمْ أَلِكُمْ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْ مُنْهُمُ مُنْهُمْ أَمْ أَلْمُونُ مُنْ مُنْهُمْ مُنْهُمُ مُنْهُمْ أَلَامُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُلِكُمْ مُلْمُونُهُمْ أَلِمُ أَمْ مُنْهُمُ مُلْمُولُونُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ أَلِمُ مُنْهُمُ مُنْ مُنْهُمُ مُنْ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ مُنْ مُنْهُمُ مُلْمُولُولُومُ مُنْهُمُ مُنْمُولُومُ مُنْ مُنْمُولُومُ مُنْهُمُ مُنْمُولُومُ مُنْهُمُ مُنْهُو

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَصْنَى حَرَبُ فِي سَبِ نزولها خمسةً أقوال: أحدها: أنه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ لا تَأْكُلُوا أَمْسُونَ عَنَ اللّهُ المرضى والزَّمنى والعُمْي والعُرْج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يُبْصِر موضع الطعام الطيّب، والمريض لا أفضل الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (٢٠). والثاني: أن ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسول الله على وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا، فكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسُهُم بذلك طبّبة، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب (٢٠). والثالث: أن العُرجان والعُميان كانوا يمتعون عن مؤاكلة الأصحاء، لأن الناس يتقدّرونهم، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، والضحاك (٤). والرابع: أن قوماً من أصحاب رسول الله على كانوا إذا لم يكن عندهم ما يُطعمون المريض والزَّمِن، ذهبوا به إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سمّى الله على في هذه الآية، فكان أهل الزَّمانة

⁽١) في الأصل: أي.

 ⁽۲) «الطبري» ۱۲۸/۱۸ وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ۱۸۹ عن ابن عباس بدون سند. وخرجه السيوطي في «الدر» ۵/۵ من رواية ابن جرير،
 وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهتي عن ابن عباس.

⁽٣) ﴿ أَسِبَابِ النَّرُولِ﴾ للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي بنحوه في «اللمر» ٥٨/٥ من رواية عبد بن حميد.

⁽٤) ذكره بنحوه الطبري ١٦٨/١٨ عن الضحاك، وهو عند الواحدي في فأسباب النزول؛ ١٨٩ بدون سند.

يتحرَّجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد (۱۱). والخامس: أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزَّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسن، وابن زيد. فعلى القول الأول يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على بمعنى «في»، ذكره ابن جرير. وكذلك يخرَّج [معنى الآية] على كل قول بما يليق به. وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعده مستأنف لا تعلَّق له به، وهو يقوِّي قول الحسن، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَن تَأَكُّواْ مِنْ بَبُرِيَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت الأولاد. والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم، فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم لأنهم سكّانها. والثالث: أنها بيوتهم، والمراد أكلُهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأن بيت المرأة كبيت الرجل. وإنما أباح الأكل من بيوت القرابات المذكورين، لجريان العادة ببذل طعامهم لهم؛ فإن كان الطعام وراء حِرْزٍ، لم يجز هتك الحرز.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مُلَكَتُهُ مُنَكَاغِهُ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوكيل، لا بأس أن يأكل اليسير، وهو معنى قول ابن عباس. وقرأها سعيد بن جبير، وأبو العالية: «مُلِّكُتُمْ» بضم الميم وتشديد اللام مع كسرها على ما لم يسمَّ فاعله، وفسَّرها سعيد فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح. وقرأ أنس بن مالك، وقتادة، وابن يعمر: «مِفْتَاحَه» بكسر الميم على التوحيد، والثاني: بيت الإنسان الذي يملكه، وهو معنى قول قتادة. والثانث: بيوت العبيد، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمُ ۚ قَالَ ابن عباس: نزلت هذه في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً، وخلَّف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فقال: تحرَّجْتُ أن آكل من طعامك بغير إذنك، فنزلت هذه الآية (٢). وكان الحسن وقتادة يريان الأكل من طعام الصَّديق بغير استئذان جائزاً.

قوله تعالى: ﴿ يَشَرَى مَنَيَكُمُ جُنَاحُ أَن تَأْكُلُوا بَحِيمًا ﴾ في سبب نزول هذه [الآية] ثلاثة أقوال: أحدها: أن حيًا من بني كنانة يقال لهم: بنو ليث كانوا يتحرَّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده؛ فريما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرَّواح، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة والضحاك (٢٠٠). والثاني: أن قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخِّص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، قاله عكرمة (٤٠٠). والثالث: أن المسلمين كانوا يتحرَّجون من مؤاكلة أهل الضَّرِّ خوفاً من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الناس في مآكلهم وزيادة بعضهم على بعض؛ فوسِّع عليهم، وقيل: ﴿ يَشَرَ عَيَكُمُ جُنَاحُ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا ﴾ أي: مجتمعين ﴿ أَنْ أَشْتَانًا ﴾ أي: متفرِّقين، قاله ابن قيبة.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُد بُيُوناً ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت أنفسكم، فسلَّموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر بن عبد الله، وطاووس، وقتادة. والثاني: أنها المساجد، فسلَّموا على مَنْ فيها، قاله ابن عباس. والثالث: بيوت الغير؛ فالمعنى: إذ دخلتم بيوت غيركم فسلِّموا عليهم، قاله الحسن (٥٠).

⁽١) • الطبري، ١٦٩/١٨، وهو عند الواحدي في وأسباب النزول، بدون سند، وذكره السيوطي في «اللد، بنحوه ٥٥/٥٠.

⁽٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٥٥ من رواية الثعلبي عن ابن عباس ﷺ.

⁽٤) • الطبري، ١٨/ ١٧٢، وأسباب النزول؛ للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي في الدر، ٥٨/٥ وزاد نسبته لابن المنذر.

أ قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض، قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه قال: وإنما قلنا يخصص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: وتنسلم على بعض، أغركم أنه على بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها. هم.

قوله تعالى مَدَهُ فَيَنِيَهُ ﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على المصدر، لأن قوله: ﴿ فَسَلِمُوا ﴾ بمعنى: فحيُّوا وَلْيُحَيِّ (١) بعضكم بعضاً تحيَّة، ﴿ فِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ قال مقاتل: مباركة بالأجر، ﴿ لَمَنِينَهُ ﴾ أي: حسنة.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ بِاللَّهِ وَوَسُولِهِ وَلِهَا كَافُواْ مَعَمُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَذَ يَذْهَبُواْ حَنَى بَسْتَغَذِنُونُ إِنَّ الَّذِينَ بَسْتَغَذِنُونَكَ أُولَتِهِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا ٱسْتَغَذَفُكَ لِبَعْضِ مَثَافِهِمْ فَأَذَن لِمَن شِفْتَ مِنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَمَامُ ٱللَّهَ إِن اللَّهَ عَفُورٌ وَتَجِيدٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَاثُواْ مَمْمُ عِني: مع رسول الله ﴿ فَيْ آثَرٍ جَامِعٍ ﴾ أي: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو الجهاد والجمعة والعيد ونخو ذلك ﴿ أَرْ يَدْمَبُواْ مَنَى يَسْتَذِبُونَ ﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صَعِد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم يحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم، فالأمر إليه في ذلك. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده.

قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَمُهُ اللَّهُ ﴾ أيَّةً ﴾ أي: لخروجهم عن الجماعة إن رأيتَ لهم عذراً.

﴿ لَا جَعَلُوا دُعَكَةَ الرَّمُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْمَنَا قَدْ يَصْلَمُ اللهُ الَّذِينَ بَتَسَلَّمُنَ مِنكُمْ لِوَاذَا فَلْيَحْدَرِ الَّذِينَ بِخَالِمُونَ عَنْ أَسْرِهِ ۚ أَن تُصِيبُهُمْ فِشَنَةُ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابُ الْهِدُ ۞ الآ إِنَّ بِقِدِ مَا فِي السَّسَوَيْنِ وَٱلْأَرْضِ فَلَدْ يَعْلَمُ مَا أَنشُدْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَلِيَّنْهُمْ بِمَا عِلْوَا وَلَلهُ بِكُلِّ مَنْءُ عَلِيمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَا غَتَمَلُواْ دُعَكَةَ الرَّمُولِ يَتَنَكُمْ كَدُعَآهِ بَمْضَكُمْ بَمْضًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نهي عن التعرَّض الإسخاط رسول الله ﷺ، فإنه إذا دعا على شخص فدعوتُه موجبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أمروا أن يقولوا: يا محمد، قاله سعيد بن جبير، وعلقمة، والأسود، وعكرمة، ومجاهد. والثالث: أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخّرِ إذا دعاهِم، حكاه الماوردي, وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «دعاء الرسولِ نبيكم» بياء مشددة ونون قبل الباء.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ اللّهِ المَالِدُ السلل: الخروج في خفية. واللّواذ: أن يستتر بشيء مخافة من يراه. والمُراد بقوله ﴿ قد يَعْلَمُ اللّهُ اللّهِ المُحازاة. قال الفراء: كان المنافقون يشهدون الجمعة فيذكُرهم رسولُ الله على ويعيبهم بالآيات التي أُنزلت فيهم، فإن خفي لأحدهم القيام قام، فذلك قوله: ﴿ قَدْ يَسْلُمُ اللّهُ اللّهِ عَلَيْكُم اللّهُ اللّهِ عَلَيْكُم لَوَدُا اللّهِ اللّهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ فَلْبَحْدَرِ اللَّذِينَ يُخُالِفُونَ عَنْ أَسْرِوهِ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ظلى، قاله مجاهد. والثاني: إلى رسول الله ﷺ، قاله فتادة. وفي اعن قولان: أحدهما: [أنها] زائدة، قاله الأخفش. والثاني: أن معنى البخالفون الله يُعْرِضون عن أمره. وفي الفتنة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة، قاله ابن عباس. والثاني: بلاء في الدُّنيا، قاله مجاهد. والثالث: كفر، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَاكُ أَلِيدُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: القتل في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم في آخه: (")

⁽١) في الأصل: تحيُّوا ويحيِّي.

⁽Y) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه تستّراً وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله 霧، فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليتق من يفعل ذلك منكم ـ الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه ـ أن تعبيهم فتنة من الله، أو يصيبهم هذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير في قوله: ﴿فَلْيَحْدَرِ الَّذِينَ بَخَالِفُرُنَ عَنَّ أَسْرِتِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتهوزن الأقوال =

قوله تعالى: ﴿ وَمَدَ يَمَلُمُ مَا ٓ اَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: ما في أنفسكم، وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمان والنفاق؛ وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك!!).

The second secon

, 8

والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك أيل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله 書 أنه قال: «من عمل عملاً ليس هليه أمرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول 書 باطناً وظاهراً ﴿ن نُمِيبَهُمْ وَتَنَدُّ ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿زَ شُيبِبَهُمْ عَذَاتُ إلِيدُ ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. اهـ.
 وقد قال رسول الله 華 فيما رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٩٠عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادبُ والفراش يقمن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا أخذ بحجزكم عن النار وأتم تفينون من يدي».

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: ﴿ فَدَدَ يَعْلَمُ مَا أَشَدُ عَلِيْوَ﴾ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك. ثم قال ابن جرير في تتمة السورة: ﴿ وَيَرْرَ بُرِعَمُونَ إِلَيْهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ يَجَالِنُونَ عَنْ أَمِره ﴿ فَيَنْتُهُمُ ﴾ يقول: فيخبرهم حينل ﴿ مَا عَبُلُوا مُهُ في اللّهَ اللّه يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم ﴿ وَاللّهُ يَكُمُ لِي مُنْوَ عَلِيمٌ ﴾ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم، وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه. اهد.

سورة الفرقان

ينسب أقر ألكن التحسير

﴿ بَمَارَكَ الَّذِى نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْمَعْلَمِينَ نَذِيلًا ۞ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلَرْ بَنْجِذْ وَلَـكَا وَلَمْ يَكُن لَمُ شَرِيْكُ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلُ شَيْءٍ فَقَدْرَمُ نَقْدِيرًا ۞ وَاتَّخَـذُواْ مِن دُونِهِ ۚ مَالِهَةً لَا يَخْلُتُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا بَعْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًا وَلَا نَقْعًا وَلَا يَعْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَبَوْزً وَلا فَشُورًا ۞﴾

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة في آخرين: هي مكية. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا ثلاث آيات مها نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَنَهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَغَفُورًا رَّحِيًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

قوله تعالى: ﴿ ثِمَاكَ ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ١٥]. والفُرقان: القرآن، سمي فُرقاناً، لأنه فُرق به بين الحق والباطل. والمراد بعبده: محمد ﷺ، ﴿ لِيكُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كناية عن عبده، قاله الجمهور. والثاني: عن القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لِلْمَنْلَمِينَ﴾ يعني الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ [أي]: مخوَّفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ فَفَدَّرُمُ نَقَيْرً﴾ فيه ثلاث أقوال. أحدها: سوَّاه وهبَّاه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت. والثاني: قَلَّر له ما يُصلحه ويُقيمه. والثالث: قلَّر له تقديراً من الأجَل والرُّزق. ثم ذكر ما صنعه المشركون، فقال: ﴿ وَأَنْحَذُوا مِن دُونِهِ مَالِهَةً ﴾ يعني: الأصنام ﴿ لاَ يَعْلُنُونَ مَنْيًا وَهُمْ يُعْلَنُونَ ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُهِمْ مَثَلُ ﴾ أي: دفع ضر، ولاجر نفع، لأنها جماد لا قدرة لها، ﴿ وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا ﴾ أي: لا تملك أن تُميت أحداً، ولا أن تبعث أحداً من الأموات؛ والمعنى: كيف يعبُدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة مَن يقدر على ذلك كله؟!.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ حَدَٰنَا إِلَّا إِنْكُ الْفَرْيَةُ وَآعَاتُهُ عَلَيْهِ فَنْمُ مَاخَرُونَ أَفَقَدُ جَآءُو طُلْمَا وَثِوْدًا ﴿ وَقَالُوا أَسَطِيدُ الْأَوْدِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّمَانُونِ وَالْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهِ كَانَ عَفَوُلًا اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُلَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرَداً﴾ يعني: مشركي قريش؛ وقال مقاتل: هو قول النَّصْر بن الحارث من بني عبد الدار ﴿إِنْ هَدُآ﴾ أي: ما هذا، يعنون القرآن ﴿إِلاّ إِنْكُ﴾ أي: كذب ﴿الْفَرَيُّ ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَاتُهُ عَلَيْهِ فَوَمُّ عَلَيْهِ فَوَمُّ عَلَيْهِ فَوَمُّ عَلَيْهِ وَقَالَ مقاتل: أشاروا إلى عدّاس مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضاً، وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءُ طُلْمًا وَنُوكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: فقد جاؤوا بظلم وزور، فلما سقطت الباء، أفضى الفعل فنصب، والزُّور: الكذب. ﴿ وَقَالُوا أَسَطِيرُ ٱلْأَوْلِاتَ ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين؛ وقد بينًا ذلك في [الانمام: ٢٥]. قال المفسرون: والذي قال هذا هو النضر بن الحارث. ومعنى ﴿ أَحَنَتَبَهَا ﴾ أمر أن تُكتب له. وقرأ ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وطلحة بن مصرف: ﴿ اكْتُتِبَهَا ، برفع التاء الأولى وكسر الثانية، والابتداءُ على قواءتهم برفع الهمزة، ﴿ فَهِى ثَمْلُ عَلَيْهِ ﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿ بُكَنُونَ وَأَسِيلًا ﴾ أي: غُدوة وعشيًا. ﴿ فَلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ أَنْرَاهُ ﴾ يعني: القرآن ﴿ اللَّذِي يَمْلُمُ البّرَ ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء ﴿ فَاللَّهُ مِنْ وَالْأَرْضُ ﴾ .

﴿ وَالْمُواْ مَالِ حَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّمَارُ وَيَنْشِى فِ الْأَمْوَاقِ لَوْلاَ أَنِلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيَكُوْكَ مَعَمُ نَدِيرًا ۞ أَوْ يُلْفَنَ إِلَيْهِ كَذُّ أَوْ نَكُونُ لَمُ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَى لَ الطَّلِمُوكِ إِن نَتَيْمُوكِ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُولًا ۞ الطَّرْ كَيْفَ مَرَيُواْ لَكَ الْأَمْثَالُ مَعَمَلُواْ فَلَا يَسْتَطِيمُونَ سَبِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّمَارَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بَشَراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة؛ والمعنى: أنه ليس بملَك ولا ملِك، لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبذَّل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساوياً للبشر لا يتميَّز عليهم بشيء؛ وإنما جعله الله بشراً ليكون مجانساً للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملِكاً يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجبابرة، ولأنه أمر بدعائهم، فاحتاج أن يمشي بينهم.

قوله تعالى: ﴿ لَوَلاَ أَنِلَ إِلَيْهِ مَلَكُ ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدِّقك ويجعل لك جِناناً وقصوراً وكنوزاً، فذلك قوله: ﴿ أَوْ يُلْقِيَ إِلَيْهِ كَنزُ ﴾ أي: ينزل إليه كنز من السماء ﴿ أَوْ تَكُونُ لَمُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي: ينزل إليه كنز من السماء ﴿ أَوْ تَكُونُ لَمُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي: يعنون أي: بستان يأكل من ثماره. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يأكل منها» بالياء، يعنون النبيّ وقرأ حمزة، والكسائي: «نأكل» بالنون، قال أبو علي: المعنى: يكون له علينا مزيَّة في الفضل بأكلنا من جنه. وباقى الآية مفسَّر في [بني إسرائيل: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿ أَنْطُرَ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْنَ ضَرَيُوا لَكَ ٱلْأَمْنَانَ ﴾ حين مثَّلوك بالمسحور، وبالكاهن والمجنون والشاعر ﴿ نَضَلُوا ﴾ بهذا عن الهدى ﴿ فَكَ يَسْتَطِيعُونَ سَيِيلاً ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يستطيعون مَخرجاً من الأمثال التي ضربوها، قاله مجاهد، والمعنى أنهم كذَّبوا ولم يجدوا على قولهم حُجَّة وبرهاناً. وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة. والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السدي.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ مُسَاءً جَمَلَ لَكَ خَبْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّتِ خَبْرِي مِن غَنِهَا الْأَنْهَدُرُ وَيَجْمَل لَكَ فَهُمُورًا ۞ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّامَةُ وَأَعْتَذَنَا لِمَن حَذَّبَ بِالسَّامَةِ سَمِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُم مِن تَكَانِ بَعِيدِ سَمِعُوا لَمَا تَنَيْظًا وَزَفِيرًا ۞ وَإِذَا ٱلْقُواْ بِنَهَا مُكَانَا ضَيِّقًا مُقَـرَيْنِ دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لَا نَدْعُوا ٱلْهِنَ ثُبُولًا وَيَعْنَا وَآدَعُوا ثُبُورًا كَذِيرًا ۞﴾

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿ غَبُرًا تِن وَالِكَ ﴾ يعني: لو شئتُ لأعطيتُك في الدنيا خيراً مما قالوا، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. ﴿ وَيَجَمَلُ لَكَ تُصُولُ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: "ويجعلُ لكَ قصوراً ، برفع اللام. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "ويجعلُ لكَ قصوراً ، فمن قرأ بالجزم، كان المعنى: إن يشأ يجعلُ لك جنات ويجعلُ [لك] قصوراً. ومن رفع، فعلى الاستئناف [المعنى]: ويجعلُ لكَ قصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى ﴿ أَعَتَدْنَا ﴾ [الساء: ٢٧] ومعنى ﴿ السَّمِيكِ ﴾ [الساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِن تَكَانِ بَعِيدِ﴾ قال السدي عن أشياحه: من مسيرة مائة عام. فإن قيل: السعير مذكّر، فكيف قال: ﴿إِذَا رَأْتُهُم وَن تَكَانِ إِنه أَراد بالسعير النار.

قوله تعالى: ﴿مَهِمُواْ لِمَا تَنَيُّطُا﴾ فيه قولان: أحدهما: غَلَيان تَغَيُّظ، قاله الزجاج. قال المفسرون: والمعنى أنها تتغيَّظ عليهم، فيسمعون صوت تغيَّظها وزفيرها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ. والثاني: يسمعون فيها تغيُّظ المعلَّبين وزفيرهم، حكاه ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْتُواْ مِنْهَا مَكَانَا مَبِيِّقَا مُتَرَّبِينَ دَعَوًا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿ وَاللَّهُ قَالَ المفسرون: تضيِّق عليهم كما يضيِّق الزُّجُ (١) على الرُّمح، وهم قد قُرنوا مع الشياطين والثُّبور: الهَلَكة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن السميفع: «تَبوراً» بفتح الثاء.

⁽١) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

﴿ فُلْ أَوْلِكَ خَبْرُ أَرْ جَنَّهُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُهِدَ ٱلْمُنْقُونَ كَانَتْ لَمُمْ جَزَاتُهُ وَمَصِيرًا ۞ لَمُمْ فِيهَا مَا بَشَآهُونَ خَلِينُ كَانَ مَنْ رَبِّكَ وَعَدًا مَسْتُولًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿قُلُ آَدُلِكَ﴾ يعني: السعير ﴿خَبَرُ أَرْ جَنَّـةُ ٱلْخُـلَدِ﴾ وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين، لا على أن في السعير خيراً. وقال الزجاج: قد وقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان، فلذلك وقع التفضيل بينهما^(١). قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَمُنِّمْ جَرَاكُهُ أَي: ثوابا ﴿وَهَمِيرًا﴾ أي: مُرْجعاً.

قوله تعالى: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ المشار إليه، إما الدخول، وإما الخُلود ﴿ رَمَّنًا ﴾ وعدهم الله إياه على ألسنة الرسل، وفي معنى دمسؤولاً، قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، سألوا الله في الدنيا إنجاز ما وعدهم [به]. والثاني: أن الملائكة سألته ذلك لهم، وهو قوله: ﴿ رَبِّنَا وَأَدْخِلُهُمْ جَتَّتِ مَدْنِ اللِّي وَعَدَّهُمْ ﴾ [نجاز ما وعدهم [به]. والثاني: أن الملائكة سألته ذلك لهم، وهو قوله: ﴿ رَبِّنَا وَأَدْخِلُهُمْ جَتَّتِ مَدْنِ الْتِي وَعَدَّهُمْ ﴾ [خاز ما وعدهم [به].

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّمَ يَحْشُرُهُم ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: المحشرهم الميقول بالياء فيهما. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: المحشرهم بالنون افيقول بالياء. وقرأ ابن عامر: المحشرهم المنتقول بالتون فيهما جميعاً ؛ يعني: المشركين ﴿وَمَا يَسْبُدُون ﴾ قال مجاهد: يعني عيسى وعزيراً والملائكة، وقال عكرمة، والمضحاك: يعني الأصنام، فيأذن الله للاصنام في الكلام، ويخاطبها ﴿فَيَهُولُ وَالنَّهُ عِلَى النَّيْ اللَّمُ عَلَيْ اللَّمُ عَلَيْ اللَّمُ اللَّمِيلَ ﴾ أي: أخطأوا الطريق. ﴿قَالُول عِمني الأصنام: ﴿سُبِّحَنَك ﴾ نزَّهوا الله أي: أخطأوا الطريق. ﴿قَالُول يعني الأصنام: ﴿سُبِّحَنَك ﴾ نزَّهوا الله تعالى أن يُعْبَدَ غيره ﴿مَا كَانَ يَنْبغي لنا أن نَعبد نحن غيرك، فكيف ندعو إلى عبادته إلى عبادتهم ("". وقرأ أبو عبد المرحمن السلمي، غيرك، فكيف ندعو إلى عبادته؟ وأبو جعفر، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «أن نُتَخَذ الهم الزق ﴿حَقَى نَدُوا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله المناق وفتح الخاء. ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان، فقالوا: ﴿وَلَكِن مَتَعَتَهُم أَي الله العمر وأوسعت لهم الرزق ﴿حَقَى نَدُوا اللَّهِ اللهُ النَّون وفتح الخاء. ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان، فقالوا: ﴿وَلَكِن مَتَعَتَهُم أَي الله العمر وأوسعت لهم الرزق ﴿حَقَى نَدُولُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المهم العمر وأوسعت لهم الرزق ﴿حَقَى نَدُوا اللهُ الله

(٣) كما قال تعالى في حق عيسى ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَكِيبَى اَبَنَ مَرْيَمَ مَأْتَ قُلْتَ إِلنَّاسِ أَغِيدُونِ وَأَيْنَ إِلَهَتِنِ مِن دُرُنِ اللَّهِ قَالَ شَهْحَنَكَ مَا يَكُونُ إِنَّ أَنْ أَوْلًا مَا أَشِيعُ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَالْمُعِلَمِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَ

⁽١) رواه أحمد في «المسند»، و«الطبري» ١٨٨/١٨، وذكره السيوطي في «الدو» ٥/٦٤ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أنس ﷺ.

⁽٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظ وزفير، ويلقون في أماكنها الفيق مقرنين لا يستطيعون حراكاً ولا استنصاراً ولا فكاكاً مما هم فيه، أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجملها لهم جزاة ومصيراً على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مآلهم إليها ﴿فَمْ فِيهَا مَا يُشَادُونُ عُن الملاذ، من مآكل ومشارب ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، وهم في ذلك خالدون أبداً دائماً سرمداً بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء، ولا يبغون عنها حولاً، وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم، ولهذا قال: ﴿ كَانَ عُلْ رَبِّكَ وَعَلْ مَنْ الله تَشْرُكُ ﴾ أي: لا بد أن يقع وأن يكون. اهـ.

أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتّعاظ به ﴿وَكَاثُواْ فَوَمّا بُولِ﴾ قال ابن عباس: هَلْكى. قوال في روايه أخرى، البُور: [في] لغة أزد عُمان: الفاسد. قال ابن قتيبة: هو من بارَ يَبُور: إذا هلك ويطّل، يقال: بار الطعامُ: إذا كَسَد، وبارت الأيّمُ: إذا لم يُرغَبْ فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوَّذُ من بَوَار الأيّمِ، قال: وقال أبو عبيدة: يقال: رجل بُورٌ، وقوم بور، لا يُجمَع ولا يُثنَّى، واحتج بقول الشاعر:

يسا رَسُولَ السمَسلِيسِكِ إِنَّ لِسَسانِي وَاتِسَ مِسا فَسَتَسَفُتُ إِذْ أَنْسا بُسورُ(١)

وقد سمعنا بـ قرجل بائر، ورأيناهم ربما جمعوا قاعلاً» على قنعل، نحو عائذٍ وعُوذٍ، وشارِفٍ وشُرْفٍ. قال المفسرون: فيقال للكفار حينئذِ ﴿فَتَدْ حَكَنَّبُوكُم ﴾ أي: فقد كذَّبكم المعبودون في قولكم: إنهم آلهة. وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، ومعاذ القارئ، وابن شنبوذ عن قنبل: قبما يقولون، بالياء؛ والمعنى: كذَّبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبَى لَنَا . . . ﴾ الآية؛ هذا قول الأكثرين. وقال ابن زيد: الخطاب للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كذَّبكم المشركون بما تقولون: إن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَسْتطيعُون صَرْفًا وَلا نَصْراً قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وجهان: أحدهما: فما يستطيع المعبودون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً لانفسهم. وقرأ حفص عن عاصم: «تستطيعون» بالتاء؛ والخطاب للكفار. وحكى ابن قتيبة عن يونس البصري أنه قال: الصَّرْف: الحيلة من قولهم: إنه ليتصرَّف.

قول تعالى: ﴿وَبَن يَظْلِم مِنكُمْ ﴾ أي: بالشّرك ﴿ثَلِقَهُ فَي الآخرة. وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وأبو الجوزاء [وقتادة]: فيذقه بالياء ﴿عَذَاكَا كَبِيرًا ﴾ أي: شديداً. ﴿وَبَآ أَرْسَلْنَا فَبْلُكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قال الزجاج: في الآية محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك رُسلاً من المرسَلين، فحذفت قرسلاً الأن قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَكِينَ ﴾ يدلّ عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لِبَأَكُونَ الطَّمَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسُواقِ ﴾ أي: إنهم كانوا على مثل حالك، فكيف تكون بِدْعاً منهم؟! فإن قيل: لم تُسرت اإنَّهم هاهنا، وفتحت في قوله: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَنتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ ﴾ [براء: ٤٥] فقد بينا هناك عِلَّة فتح تلك؛ فأما كسر هذه، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين: أحدهما: أن تكون فيها واو حال مضمرة، فكسرت بعدها اإنَّ للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنَّهم ليأكلون الطعام، فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآبِلُونَ ﴾ [الاعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون. والثاني: أن تكون تُسرت لإضمار (مَنْ) قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلكَ مِنَ المرسلين إلا مَنْ إنهم ليأكلون، قال الشاعر:

فَظُ لُسُوا ومنه م دَمْعُه سَابِسَ له وَآخَرُ يَسْنِي دَمْعَة العَيْنِ بِالمَهُ لِ^(٢) * أراد: مَن دمعُه.

قوله تعالى: ﴿وَمَعَلَنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْنِى فِتْنَةُ ﴾ الفتنة: الابتلاء والاختبار. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه افتتان الفقير بالغنيّ، يقول: لو شاء لجعلني غنيّاً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح، قاله الحسن، والثاني: ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسْلِم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب. والثالث: أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا ورُذالتنا، قاله مقاتل. فعلى الأول: يكون الخطاب بقوله: ﴿أَنَسْبُونُكُ لاهل البلاء. وعلى الثالث: للفقراء؛

البيت لعبد الله بن الزَّيْمَرَى السَّهْمي قاله حين أسلم عند فتح مكة، وهو في «مجاز القرآن» ٢٣/١، و«غريب القرآن» ٣١١، و«الطبري» ٨١/١٨، وواللسان» و«اللسان» و«السان» و«اللسان» و«اللسان» و«اللسان» و«اللسان» و«اللسان» و«اللسان»

 ⁽٢) المَهل: التؤدة والسُّكية، والبيت لذي الرمة وهو في امعاني القرآن، ٣٨٤، وروايته في اديوانه، طبع المكتب الإسلامي ص ٧٠٠:
 فسظ أُسوا ومسنسه مَنْسَمُسه غسالسبٌ لسه

فالمعنى: أتصبرون على أذى الكفار واستهزائهم، والمعنى: قد علمتم ما وُعِد الصابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ بمن يصبر وبمن يجزع (١).

﴿ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَزِلَ عَلَيْمَا الْمُلْتَهِكُهُ أَوْ زَى رَبَّنَا لَقَدِ اَسْتَكَمْبُوا فِي اَنْشِيهِمْ وَعَنَوْ عُنُوا كَهِبِرَا ۖ فَهِمَا الْمُلْتَهِكُهُ أَوْ زَى رَبَّنَا لَقَدِ اَسْتَكَبْرُوا فِي اَنْشِيهِمْ وَعَنُوا ﴿ وَقَدِمَنَا إِلَىٰ مَا عَيْلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَمَلَتُكُ مَبْكَةُ مَنْشُولُ ﴾ المُخَذِي الْمُخْتِمِينَ وَيُقُولُونَ حِجْرًا مُحْجُورًا ﴿ وَقَدِمَنَا إِلَىٰ مَا عَيْلُوا مِنْ عَمَلِ فَجَمَلَتُكُ مَبْكُولُ ﴾ المُخذَة يُومَهِد خَيْرٌ مُسْتَقَدُلُ وَاحْمَدُنُ مَقِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِنَتَاتَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هلّا ﴿أَنِنَ مَلَيْمَا الْمَلْتَهِكُهُ﴾ فكانوا رُسلاً إلينا وأخبرونا بصدقك، ﴿أَوْ زَيْنَ رَبِّنَا﴾ فيخبرنا أنَّكَ رسوله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكَبَرُواْ فِنَ ٱنْشُيهِمْ﴾ أي: تكبَّروا حين سألوا هذه الآيات ﴿رَعَتُو عُتُولًا كَبِيرً﴾ قال الزجاج: العُتُوُّ في اللغة: مجاوزة القَدْرِ في الظَّلم.

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ يَرُونَ الْمَلَتَهِكَةَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. والثاني: يوم القيامة. قال الزجاج: وانتصب اليوم على معنى: لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة، و لايومَثِينَ ، مؤكّد لـ «يومَ يَرُونَ الملائكة»؛ والمعنى أنهم يُمنَعون البُشرى في ذلك اليوم؛ ويجوز أن يكون «يومَ» منصوباً على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: ﴿ البُشرى في ذلك اليوم؛ هاهنا: الكفار.

قوله تعالى: ﴿ وَيَشُولُونَ حِبْرًا تَحْبُورًا ﴾ وقرأ قتادة، والضحاك، ومعاذ القارئ: ﴿ حُبْراً بضم الحاء. قال الزجاج: وأصل الحبر في اللغة: ما حجرتَ عليه، أي: منعت من أن يُوصَل إليه، ومنه حَبْر القضاة على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة يقولون للكفار: جِبْراً محبوراً، أي: حراماً محرّماً. وفيما حرَّموه عليهم قولان: أحدهما: البُشرى، فالمعنى: حرام محرَّم أن تكون لكم البشرى، قاله الضحاك، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أن تدخلوا الجنة، قاله مجاهد. والثاني: أنه قول المشركين إذا عاينوا العذاب، ومعناه الاستعاذة من الملائكة، روي عن مجاهد أيضاً. وقال ابن فارس: كان الرَّجل إذا لقيّ مَن يخافه في الشهر الحرام، قال: حِبْراً، من الملائكة، روي عن مجاهد أيضاً. وقال الملائكة يوم القيامة، قالوا: جِبْراً محبوراً، يظنُون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَايِنَا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: قَصدْنا وعَمَدْنا، والأصل أنَّ من أراد القُدوم إلى موضع عَمَد له وقصده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا عَيلُواْ مِنْ عَمَلِ﴾ [أي] من أعمال الخير ﴿فَجَمَلَنَهُ هَبَكَةُ ﴾ لأن العمل لا يُتقبَّل مع الشَّوك^(٢). وفي الهباء خمسة أقوال: أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوَّة مثل الغبار، قاله علي على والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، واللغويون؛ والمعنى أنَّ الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء. والثاني: أنه الماء المُهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس. والرابع: أنه الشَّرر الذي يطير من النار إذا أضرمت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، رواه عطيَّة عن ابن عباس. والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدَّواب، قاله مقاتل. والمتثور: المتغرِّق.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَنْ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِ لِهُ أَي: يوم القيامة، ﴿غَيْرٌ مُّسْتَقَرَّا ﴾ أفضل منزلاً من المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾

⁽١) قال ابن كثير: يقول الله: لو شئت أن أجمل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأبتليكم بهم، وفي الصحيح مسلم، عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: ولو شئت لأجرى الله معمي جبال اللهب والفضة، وفي والصحيح، أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً. اهد.

⁽٢) قال ابن كثير: أخبر الله تعالى أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضيَّة فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حينيّة. اهـ.

قال الزجاج: المَقيل المُقام وقت القائلة، وهو النوم نصف النهار. وقال الأزهري: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرّ وإن لم يكن مع ذلك نوم. وقال ابن مسعود، وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يَقِيل أهل الجنة في الجنة وأهل إلنار في النار.

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ الشَّمَالُهُ بِالْفَكَمِ وَزُلِ الْمُلْتَهِكُةُ تَنزِيلًا ۞ الْمُلُكُ يَوْمَهِ إِ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَفِيرِينَ عَسِبُرًا ۞ وَيَوْمَ يَسَفُّ الظّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَعَوُلُ يَكَيْتَنِي الْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَوْبَلَنَ لَيْتَنِ لَرَ أَفَيْذُ فَالانًا عَلِيلًا ۞ أَفَدْ أَضَلَنِي عَنِ الدِّحْرِ بَعْدَ إِذْ جَمَانِيُّ وَكَانَ الشَّيْطَنُ الْإِنسَانِ فَذُولًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَنَقُّلُ النَّمَا يُهُ إِلْفَيْمِ وَرُنِّ الْمَلَتِكَةُ تَنِيلًا ﴿ وَهُ عَذَا معطوف على قوله: ﴿ وَوَمْ يَوَنَ الْمَلَتِكَةَ ﴾ ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر: "تشقق بالتشديد ، فأدغموا التاء في الشين ، لأن الأصل: تتشقق بقال الفواء: المعنى: تتشقق السماء عن الغمام ، وتنزل فيه الملائكة ، و«على و«عن و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحد ، لأن العرب تقول: رميت عن القوس ، وبالقوس ، وعلى القوس ؛ والمعنى واحد . وقال أبو علي الفارسي : المعنى: تتشقّن السماء وعليها غمام ، كما تقول: ركب الأمير بسلاحه ، وخرج بثيابه ، وإنما تتشقّق السماء لنزول الملائكة . قال ابن عباس: تتشقق السماء عن الغمام ، وهو الغيم الأبيض ، وتنزل الملائكة في الغمام . وقال مقاتل : المراد بالسماء : السموات ، تتشقق عن الغمام ، وهو غمام أبيض كهيئة الضّباب ، فتنزل الملائكة عند انشقاقها . وقرأ ابن كثير : «ونُنْزِلُ» بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية ساكنة ، واللام مضمومة ، و«الملائكة » نصباً . وقرأ عاصم المجعدري ، وأبو عمران الجوني : «ونَزَل الملائكة » بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكة» . وقرأ ابن يعمر : «ونَزَلَ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيف «الملائكة» بالرفع .

قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ بَرْمَهِ لِمَ ٱلْمَقُ لِلرَّمَنِيُ ﴾ قال الزجاج: المعنى: المُلْك الذي هو المُلْك حقاً للرحمن (١٠). فأما العسير، فهو الصعب الشديد يشتد على الكفار، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَمُنُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴿ فِي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أبيَّ بن خَلف كان يحضر [عند] رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عُقبة بن أبي مُعَيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس (۲). والثاني: أن عُقبة دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا، وأبي رسول الله ﷺ أن يأكل، وقال: ﴿لا آكل حتى تَشهد أن لا إله إلا الله وأتّي رسولُ الله ، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبيَّ بن خَلف، وكان خليلاً له، فقال: صبوت يا عقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبي أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد (۲). والثالث: أن عُقبة كان خليلاً لأميَّة بن خَلف، فأسلم عُقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتدً لرضي أُميَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي (٤). فأما الظالم [المذكور] هاهنا، فهو الكافر، وفيه قولان: أحدهما: أنه أبيُّ بن خَلف، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: عُقبة بن أبي مُعَيط، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. قال عطاء: يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين، ثم تنبتان، فلا يزال هكذا كلّما نبت يله أكلها ندامة على ما فعل.

قوله تعالى: ﴿يَكَنِّتَنِى أَغَنَّتُ الْأَكْثُرُونَ يَسكُّنُونَ "يَا لَيْتَنِيَّ، وأبو عمرو يحرِّكها؛ قال أبو علي: والأصل التحريك، لأنها بإزاء الكاف التي للخطاب، إلا أن حرف اللَّين تكره فيه الحركة، ولذلك أسكن من أسكن؛ والمعنى: ليننى اتَّبعتُه فاتَّخَذْتُ معه طريقاً إلى الهُدى.

⁽١) وفي «الصحيح»: «أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بينه الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا النيان، أين ملوك الأرض، أين البجارون، أين المتكبرون،

⁽٢) ﴿ وَالطَّبْرِي ﴾ ٨/١٩، و﴿أُسْبَابِ النَّزُولُ؛ للواحدي ١٩١، وذكره السيوطي في ﴿اللهِ﴾ ٥/٨٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

⁽٣) «الطبري، ٨/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٩/٥ وزاد نسبته للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محاهد.

 ⁽٤) «الطبري» ١٩/٨، و«أسباب النزول» للواحدي ١٩١.

قوله تعالى: ﴿لَتَنِي لَرَ أَغِّذَ فُكِنّا﴾ في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عنى أبيَّ بن خَلَف، قاله ابن عباس. والثاني: عقبة بن أبي مُعيط، قاله أبو مالك. والثالث: الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أميَّة بن خَلَف، قاله السدي. فإن قيل: إنما يكني من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المُداجاة، فما وجه الكناية؟ فالجواب: أنه أراد بالظالم: كلَّ ظالم، وأراد بفلان: كلَّ من أطبع في معصية الله وأرضي بسخط الله، وإن كانت الآية نزلت في شخص، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَصَلَنِي عَنِ ٱلدِّكَرِ﴾ أي: صرفني عن القرآن والإيمان به ﴿يَقَدُ إِذْ جَآدَنِيُّ﴾ مع الرسول، وهاهنا تم الكلام. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلقَيْطَانُ لِلإِنسَانِ﴾ يعني: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ يتبرأ [منه] في الآخرة.

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَكُرَبِ إِنَّ فَرَى اتَّخَذُواْ هَلَنَا الْفُتُرَانَ مَهْجُولًا ۞ وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينُّ وَكَفَنَ بِرَلِكَ هَادِيكا وَنَصِبَرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّمُولُ ﴾ يعني محمداً ﷺ، وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة؛ فالمعنى: ويقول الرسول يومئذ. وذهب آخرون، منهم مقاتل، إلى أن الرسول قال ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذَّبوه (١٠). وقرأ ابن كثير، ونافع، [وأبو عمرو]: ﴿إن قوميَ اتخذوا » بتحريك الياء؛ وأسكنها عاصم، وابن عامر، وحمزة ، والكسائي. وفي المراد بقوله: ﴿مَهْجُورًا ﴾ قولان: أحلهما: متروكاً لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به، وهذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: هَجَروا فيه، أي: جعلوه كالهذّيان، ومنه يقال: فلان يَهْجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: هَجَروا فيه، أي: جعلوه كالهذّيان، ومنه يقال: فلان يَهْجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: الهُجُر: عمّا لا يُنتفع به من القول. قال المفسرون: فعزّاه الله ﷺ، فقال: ﴿وَلَكَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى اللهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى مَلِكَ عَادِيكَ عَادَاً عَلَى عَلَى وَلَهُ عَالِكَ عَالَا الزجاج: والباء في قوله: ﴿ مِنْ اللهِ كَالُهُ عَلَيْكَ عَلَيكَ عَلَى اللهُ عَلَى وَلُهُ عَالِكَ عَادِيكَ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى قال الزجاج: والباء في قوله: ﴿ مِنْ اللهِ كَالُهُ عَلَى وَلَهُ عَالَى عَلَيْكَ عَلَى المُعْلَى: كَانُ عَلَى وَلُهُ هَا وَلَهُ عَالَهُ وَلَهُ عَلَيْكَ عَلَى المُعْلَى: كَانُ عَلَى وَلُهُ هَا وَلَهُ وَلَهُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى وَلُهُ هَالُهُ وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى وَلُهُ هَا فَعَلَى عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى وَلَهُ وَلَهُ عَلَى وَلَهُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى وَلَهُ وَلَهُ عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى الْعَلَاعُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَالِ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تَوْلَا تُزِلَ عَلِيهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَحِدَةً كَذَلِكَ لِلنَّذِّتِ بِهِ. فُؤَادَكُ وَوَقَلْتُهُ تَرْيَبُلَا ۞ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا حِنْنَكَ بِالْغَقِ وَلَا مُنْاتِكَ مِنْ اللَّهِ عَلَى مُؤْمِعِهِمْ إِلَى حَهَنَّمَ أُولَتُهِكَ مُسَرُّ مَكَانًا وَأَمْسَلُ سَبِيلًا ۞ ﴿ وَلَا يَأْوَلَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا عَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا نُزِلَ عَلَيْهِ اَلْفُرْ اَنُ جُمْلَةً رَبِيدَ ۚ ﴾ أي: كما أنزلت النوراةُ والإنجيل والزَّبور، فقال الله ﷺ: ﴿ كَاللَّهُ ﴾ أي: أنزلناه كذلك متفرِّقاً، لأن معنى ما قالوا: لِمَ نُزِل عليه متفرِّقاً؟ فقيل: إنما أنزلناه كذلك ﴿ لِنُكَبِّتَ بِدِه ثُوْاَدُكُ ﴾ أي: أنزلناه كذلك أن وحادثة، فكان أقوى لقلبه وأنور لبصيرته وأبعد لاستيحاشه، ﴿ وَرَبَّلْنَهُ زَبْيلاً ﴾ أي: أنزلناه على الترتيل، وهو التمكَّث الذي يُضادُّ العَجَلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْثُونَكَ﴾ يعني المشركين ﴿بِمَثَلِ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿إِلَّا حِنْنَكَ إِلْاَحِقَ﴾ أي: بالذي هو الحقّ لتَرُدَّ به كيدهم ﴿وَلَمَّسَنَ تَشْيِرًا﴾ من مثلَهم؛ والتفسير: البيان والكشف. قال مقاتل: ثم أخبر بمستقرَّهم في الآخرة، فقال: ﴿الَّذِنَ يُمُشَرُونَ عَلَنَ وُجُوهِهم ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمداً وأصحابه شرَّ خلق الله، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ أَوْلَتِهِكَ شَكُّرٌ مَّكَانًا ﴾ أي: منزلاً ومصيراً ﴿ وَأَسَلُ سَهِيلًا ﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَهَنَا مُوسَ الْحِتَابَ رَمَعَلَنَا مَمَهُ آخَاهُ هَدُونِ وَزِيرًا ۞ فَقُلْنَا اَذْهَبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَائِبَانَا هَدَّمُونِكُمْ مَرَّمِيكُمْ النَّاسِ مَانِهُ وَاعْتَدَنَا لِلظَّلِلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَعَادَا وَتَعُودُا وَأَصَّلَبَ الرَّبِينَ وَمُؤْوِنًا بَيْنَ وَلِكَ كَذِيرًا ۞ وَعَادًا وَتَعُودُا وَأَصَّلَتُهُمْ النِّسَ وَمُؤُونًا بَيْنَ وَلِكَ كَذِيرًا ۞ وَعَادًا وَتَعُونُا وَأَصَّلَتُهُمْ الرَّيْنَ وَصُحُلًا مَيْزًا لَنَّا اللَّهُ اللِلْمُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الْ

⁽١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَثَرَبُ إِنَّ قَنَى آَغَنَدُوا عَنَا ٱلدُّرُوانَ مَهَجُولَا ﴾ وفلك أن المشركين كانوا لا يُصغون لقرآن ولا يستمعونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّيْنَ لَمُنْوا لِمَنَا اللَّمْوَانِ وَالْفَقِيدِ .. ﴾ الآية [فصلت: ٢٦]، فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه، فهذا من هجوانه، وتركُ الإيمان به وترك تصديقه، من هجوانه، وتركُ الإيمان اله وامثال أوامره واجتناب زواجره، من هجرانه، والمدولُ عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناءٍ أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه، قال: فنسأل الله الكريم المنان، القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقضناه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبُّه ويرضاه إنه كريم وهاب. اهـ.

قوله تعالى: ﴿ أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا ﴾. إن قيل: إنما عاينوا الآيات بعد [وجود] الرسالة، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات؟ فالجواب: أنهم كانوا مكذّبين أنبياء الله وكُتُبَه المتقدِّمة، ومن كذّب نبياً فقد كذّب سائر الأنبياء، ولهذا قال: ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾، وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذُكر بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب، وإن لميركب إلا دابّة واحدة؛ وقد شرحنا هذا في [مود: ٥٩] عند قوله: ﴿ وَعَمَوا رُسُلُمُ ﴾ . وقد سبق معنى التدمير [الأعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿ وَأَمْصَلُ الرَّسِ فِي الرَّسُ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بئر كانت تسمى الرَّسَّ، قاله ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بئر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بئر دون اليمامة. وقال السدي: بئر بأنطاكية. والثاني: أن الرَّسَّ قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة. والثالث: أنها المَعْدِن، قاله أبو عبيدة، وابن قتية. وفي تسميتها بالرَّسُّ قولان: أحدهما: أنهم رَسُّوا نبيَّهم في البئر، قاله عكرمة. قال الزجاج: رَسُّوه، أي: دَسُّوه فيها. والثاني: أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رَسُّ، قاله ابن قتية. واختلفوا في أصحاب الرَّسُّ على خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كان أنهم تعالى إليهم نبيًا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئراً والقوه فيها، فهلكوا؛ قاله علي علي اللهم على اللهم نبيّ يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها، وكانت لهم مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شُعيباً، فتمادوا في طغياهم، فانهارت البئر، فخُسف بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم الذي قتلوا حبيباً النجار، قتلوه في بئر لهم، وهو الذي قال: ﴿ يَنقَرِهِ النّهِ عَلَى اللهُ ابن السائب (١٠)، قاله السدي. والخامس: أنهم قوم قتلوا نبيّهم وأكلوه، وأولُ من عمل السحر نساؤهم، قاله ابن السائب (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَقُرُونًا﴾ المعنى: وأهلكنا قروناً ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ كَتِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرَّسِّ. وقد سبق بيان القَرْنُ [الأنمام: ٦]. وفي هذه القصص تهديد لقريش.

قوله ثعالى: ﴿ وَكُلَّا مَنْرَتَا لَهُ ٱلْأَمْنَالَ ﴾ أي: أعذرنا إليه بالموعظة وإقامة الحُجَّة ﴿ وَكُلَّا تَبْرَا﴾ قال الزجاج: التَّبر، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج: التَّبر، وكذلك تِبر الذهب.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَقَالُهُ يَعني كفار مكة ﴿ عَلَ ٱلْقَرَامُ ٱلْقَيْمُ ٱلْقَيْمُ اللَّهِ أَمُطِرَ ٱلسَّوَيُ يعني قرية قوم لوط التي رُميتُ بالحجارة ﴿ أَكُمَمُ يَكُولُوا كِرَوْنَهَ ﴾ في أسفارهم فيعتبروا؟! ثم أخبر بالذي جرَّاهم على التكذيب، فقال: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نَتُولُ اللَّهِ أَن الرجاء ليس بمعنى لا يَرْجُونَ نُواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَنْخِذُونَكَ أَي: ما يتخذونك ﴿ إِلَّا هُـرُوكُ أَي: مهزوءاً به. ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء: ﴿ أَهَٰذَا اللّٰهِ بَسَكَ اللّٰهُ رَسُولًا ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلّنَا عَنْ عَالِهَتِنَ ﴾ أي: ليصرفنا عن عبادة آلهتنا ﴿ لَوَلاّ أَن مَهَٰذَكَ اللّٰهِ عَلَى عَلَيْ اللّٰهُ تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَمْلُونَ عِبِنَ يَرْقَ الْمَذَابَ فِي الآخرة ﴿ مَنْ أَضَلُ ﴾ أي: من أخطأ طريقاً عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. ثم عجّب نبيّه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿ أَرْبَيْتُ مَنِ النَّهُمُ هُونِكُ ﴾ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال ابن قتية: المعنى: يتّبع هواه ويدع الحقّ، فهو له كالإله.

⁽١) واختار ابن جرير الطبري أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ أَفَانَتَ تَكُونُ عَلَيْدِ رَكِيلًا﴾ أي: حفيظا يحفظه من اتّباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة يآية القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَعَسَبُ أَنَّ أَكَثَرُهُمْ يَسْمُونَ﴾ يعني أهل مكة؛ والمراد: يسمعون سماع طالب الإفهام ﴿أَوّ يَسْقِلُونَ﴾ ما يعاينون من الحُجج والأعلام ﴿إِنْ هُمْ إِلّا كَالْأَشْئِمِ ﴾ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها همّ إلا المأكل والمشرب.

قوله تعالى: ﴿بَلَ هُمَ أَضَلُ سَرِيلًا﴾ لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِكَ كَيْفَ مَذَ الظِلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَمُ سَاكِنَا ثُمَّرً جَمَلَنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿ ثُمَّ فَيَضْمَنَهُ إِلَيْنَا فَبْضَا يَسِبُرًا ﴿ وَهُوَ اللّذِي جَمَلَ النَّهُ وَيَعْمَلُ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿ وَهُوَ اللَّذِي أَرْسَلُ الرَّيْحَ بُشْرًا بَبْكَ يَدَى رَحْمَتِهُ. وَأَنزَلْنَا مِنَ الشَّمَا مَا مَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمًا لَلْفَاعِلَمُ مِنْ اللَّهُ الللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى فعل ربّك. وقال الزّجاج: معناه: ألم تعلم، فهو من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية العين؛ فالمعنى: ألم تر إلى الظّلِّ كيف مَدَّه ربَّك؟ والظّلُّ من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَمُ سَاكِكُ﴾ أي: ثابتاً دائماً لا يزول ﴿ثُمَّ جَمَلَنَا النَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلَا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عُرف أنه شيء، كما أنه لولا النَّور ما عُرفت الظَّلمة، فكل الأشياء تُعرف بأضدادها.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فَبَضَّنَهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظّل ﴿ فَبَصُا يَسِيرًا ﴾ وفيه قولان: أحدهما: سريعاً، قاله ابن عباس. والثاني: خفياً، قاله مجاهد. وفي وقت قبض الظل قولان: أحدهما: عند طلوع الشمس يُقبض الظّل وتُجمع أجزاؤه المنبسطة بتسليط الشمس تُقبض أجزاء الظّل بعد غروبها، ويخلّف كل جزء منه جزءاً من الظلام.

قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللَّهِى جَمَلَ لَكُمُ الْيَتَلَ لِالسَّا﴾ أي: ساتراً بظلمته، لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسه ﴿ وَالنَّرَمُ سُبَاتًا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة، ومنه يوم السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه في يوم السبت، فقل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمِّي يوم السبت؛ أي: يوم الراحة (١١)، وأصل السبت: الشَّمدُ، ومن تمدَّد استراح. وقال ابن الأنباري: أصل السبت: الشَّطع؛ فالمعنى: وجعلنا النوم قَطْعاً لأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَ النَّهَارَ تُشُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. والثاني: تُنشَر الرُّوح باليقظة كما تُنشَر بالبعث، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِينَ أَرْسَلَ الْزِيَحَ﴾ قد شرحناه في [الأعران: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ طَهُولاً﴾ يعني: المطر. قال الأزهري: الطَّهُور في اللغة: الطاهر المُطهِّر. والطَّهور ما يُتَطَهَّر به، كالوَضوء الذي يُتُوضًا به، والفَطُور الذي يُفْظر عليه.

قوله تعالى: ﴿ لِنُحْمِى بِهِ بَلْدَةُ مَّيْتًا ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو جعفر: "مَيِّتاً ؟ بالتشديد. قال الزجاج: لفظ البلدة مؤنث، وإنما قبل: "ميتاً ؟ لأن معنى البلدة والبلد سواء. وقال غيره: إنما قال: "ميتاً ؟ لأنه أراد بالبلدة المكان. وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت [الأعراف: ١٥]، ومعنى: ﴿ وَشَنْقِيَهُ ﴾ [العجر: ٢٤]. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبلة: "ونَسْقِيَهُ » بفتح النون. فأما الأناسيُّ، فقال الزجاج: هو جمع

 ⁽١) الذي في "صحيح مسلم" ٢١٤٩/٤: "خلق التربة يوم السبت. ." الحديث. وقال الحافظ المناوي في شرحه لهذا الحديث: وفيه ردُّ زعم اليهود أنه ابتدأ في خلق العالم يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، قالوا: ونحن نستريح كما استراح الرب، وهذا من غبارتهم وجهلهم، إذ التعب لا يتصور إلا على حادث، ﴿ إِنَّمَا تَوْلَكُ إِنْوَتَ هِ إِنَّا أَرْنَكُ أَنْ تُقُولُ لَهُ كُن فَيْكُونُ ﴿ إِنَّهَا مَن عَبارتهم وجهلهم، إذ

إنسيّ، مثل كرسيّ وكراسي؛ ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الباء بدلاً من النون، الأصل: أناسين مثل سرّاحين (١). وقرأ أبو مجلز، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: "وأناسيّ» بتخفيف الياء.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَفَتُكُ يعني المطر ﴿ يَبَهُمُ مَرة لهذه البلدة، ومرة لهذه ﴿ لِيَذَكُرُوا ﴾ أي: ليتفكروا في نعم الله عليه م فيحمدوه. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ لِيَذْكُروا ﴾ خفيفة الذال. قال أبو علي: يَذَّكُر في معنى يتذكَّر، ﴿ وَأَلِنَ آئِنَ آئِ

﴿ ﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَلَذَا عَلْبٌ فُرَاتٌ وَهَلَذَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَجَمَلَ يَنَهُمُنَا بَرْزَهُا وَجِجْرًا تَحْجُوزًا ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاتِهِ بَشَرًا فَجَمَلُهُ لَسَبًا وَمِيهَرُّ وَكَانَ رَبُكَ قَدِيرًا ۞ وَيَسْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَشْرُهُمُ ۚ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ. ظَهِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللّهِ مَرَجُ الْبَحْرَيْ ﴾ قال الزجاج: أي: خلّى بينهما ؛ تقول: مرجتُ الدابّة وأمرجتُها: إذا خلّيتها ترعى، ومنه الحديث: المرجّت عهودهم وأماناتهم (٢٠) أي: اختلطت. قال المفسرون: والمعنى أنه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان، ولا يختلط المَلِح بالعذب، ولا العذب بالمَلِح، وهو قوله: ﴿ هَوَرَا ﴾ يعني: أحد البحرين ﴿ عَدْبُ ﴾ أي: طيب ؛ يقال: عَذُبَ الماءُ يَعْذُبُ عُذُوبة ، فهو عَذْبٌ. قال الزجاج: والفُرات صفة للمَلْح، وهو أشد الماء عُذوبة، والأجاج صفة للملح، وهو: المُرُّ الشديد المرارة. وقال ابن قتيبة: هو أشد الماء ملوحة، وقيل: هو الذي يُخالطه مرارة ، ويقال: ماء مِلح، ولا يقال: مالح، والبرزخ: الحاجز. وفي هذا الحاجز قولان: أحدهما: أنه مانع من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون. قال الزجاج: فهما في مرأى العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر، يُرى ماء البحر إلى الخُضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحُمرة المنتقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد. والثاني: أن الحاجز: الأرض واليَبُس، وهو قول الحسن ؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ وَعِجْرًا تَعْجُرُاكُ قال الفراء: أي: حراماً محرَّماً أن يغلب أحدهما صاحبه.

⁽١) سَراحِين جمع سِرْحان، وهو الذئب.

 ⁽٢) روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال الأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل: «أتلدون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم،
 قال: «قال أصبح من هبادي مؤمن بمي وكافر، فأما من قال: مطرنا بقضل الله ورحمته، فذاك مؤمن بالله كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب».

⁽٣) هو جزء من حديث طويل، أخرجه أبو داود في «سنه» رقم (٣٤٤)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٥٧)، والحاكم في «مسندركه» ٤٣٥/٤ وصححه، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفي أن رسول الله في قال: «يوشك أن يأتي زمان يُغربل فيه الناس فربلة، ويبقى حثالة من الناس قد مَرجت مهودهم وأماناتهم (أي فسدت) واختلفوا فكاتوا هكذا» وشبك بين أصابعه _ قالوا: فكيف تأمرنا يا سول الله، قال: «تأخلون ما تعرفون، وتُذعون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتُذعون أمر عامتكم».

أصهاراً كلّهم. والصَّهْر: إذابة الشيء. وذكر الماوردي أن المناكع سمّيتْ صهِراً، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صُهر.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِيهِ ظَهِيرًا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مُعِيناً للشيطان على ربه، لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان. والشائف: مُعِيناً للمشركين على أن لا يوخدوا الله تعالى. والشائف: مُعِيناً على أولياء ربه، والرابع: وكان الكافر على ربه هيّناً ذليلاً، من قولك: ظَهَرتُ بفلان: إذا جعلتَه وراء ظهرك ولم تلتفت إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل.

﴿ وَمَا ۚ أَنْسَلَنَكَ إِلَّا مُبَيْرًا وَنَذِيرًا ۞ قُلْ مَا أَسْتَلُحُمْ مَلْتِهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَكَة أَن يَشَجِدَ إِلَى رَقِيهِ سَبِيلًا ۞ وَقَوَجَلَ مَلَ المَمِيّ اَلَذِى لَا يَمُونُ وَسَنِحْ بِمَسْدِيدٌ وَكَفَل بِدِ. إِنْهُوبِ عِبَادِهِ خَيِيرًا ۞ الَّذِى خَلَق السَّنَوَتِ وَالْاَرْضَ وَمَا يَنْتَهُمُنَا فِي سِنَّةِ أَبَارٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَ المَرْشِقُ الرَّحْمَانُ مَسْتَلْ بِدِ. خَيِمِ يُل ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لِسَجُنُواْ لِلرَّحْنَ قَالُواْ وَمَا الرَّحْنُ أَنْسَهُدُ لِنَا تَأْمُرُنَا وَلَاهُمْ لَهُورًا ۖ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْنَلُكُمْ مَلْيَدِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيد لصدقه، لأنه لو سألهم شيئاً من أموالهم لاتَّهموه، ﴿إِلَّا مَن شَآيَهُ معناه: لكن من شاء ﴿أَنْ يَتَلِيدُ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بإنفاق ماله في مرضاته، فَعَلَ ذلك، فكأنه قال: لا أسألكم لنفسي. وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه (آل عمران: ١٥٩، البترة: ٣٠، الأعراف: ١٥٤ إلى قوله: ﴿فَسَالُ بِمِ خَبِيرًا﴾، وابه بمعنى: وعنه قال [عَلْقُمة بن عَبَدة]:

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّساء فإنَّني بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ('' ﴿

وقي هاء قبه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله فلا . والثاني: إلى اسمه الرحمن، لأنهم قالوا: لا نعرف الرَّحمن. والثالث: إلى ما ذكر مِنْ خَلْق السموات والأرض وغير ذلك. وفي قالخبير، أربعة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الله فلا، والمعنى: سلني قأنا الخبير، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] القرآن، قاله شمر. والمرابع: مُسْلِمة أهل الكتاب، قاله أبو سليمان، وهذا يخرَّج على قولهم: لا نعرف الرَّحمن، فقيل: سَلُوا مُسْلِمة أهل الكتاب، فإن الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا، الخطابُ للنبي على والمراد سواه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعني كفار مكة ﴿ أَسَجُدُوا لِلرَّحْدَنِ قَالُوا وَمَّا ٱلرَّخْدَنُ ﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا: لا نعرف الرَّحمن إلا رحمن اليمامة، فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى، ﴿ أَنَتُبُدُ لِنَا تَأْمُرُنا ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿يأمُرُنا ﴾ بالياء، أي: لِمَا يأمرنا به محمد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: لا نسجد للرَّحمن الذي تأمرنا بالسجود له، ﴿وَلَادَهُمُ ﴾ فَرَد الرحمن ﴿ فَمُرَدُ ﴾ أي: تباعداً من الإيمان:

﴿ ثَارَكَ الَّذِى جَمَعَلَ فِي اَلسَّمَاتِهِ بُرُوبًا رَجَعَكُنَ فِيهَا مِرْبُهَا وَقَسَمُوا ثَمْنِيهِا ۞ وَهُو الَّذِى جَمَلَ الْبَالَ وَالنَّهَارَ عِلْفَةً لِمَنْ أَنَادَ أَنْ يَتَحَدَّرَ أَنْ آزَدَ شُكِرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ نَارَكَ اللَّهِ جَمَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُيِّا وَجَمَلَ فِيهَا سِرَجًا ﴾ قد شرحناه في الحجر: ١٦٦. والمراد بالسراج: الشمس. وقرأ حمزة، والكسائي: «سُرُجاً» بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال الزجاج: أراد: الشمس والكواكب العظام؛ ويجوز «سُرْجاً» بتسكين الراء، مثل رُسُل ورُسُل. قال الماوردي: لما اقترن بضوء الشمس وهج حرّها، جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولمّا عدم ذلك في القمر جعله نوراً.

⁽١) ديوانه؛ ١١، وامشكل القرآن؛ ٤٢٧، والقرطبي؛ ٦٣/١٣، والدب الكاتب؛ ٥٠٥. والأدراء: جمع داء.

بِهَا المعين والآزامُ يَهُ شِيدِن خِلْفَةً ... وأَطْلاؤُها يَنْهَ ضَن بِسُ كُلِّ مَجْشَم (١)

أي: إذا ذهبت طائفة جاءت طائفة (٢).

وقوله تعالى: ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يَدُّكُرُ ﴾ أي: يتعظ ويعتبر باختلافهما `` وقرأ حمزة: «يَذْكُرُ» خفيفة الذال مضمومة الكاف، وهي في معنى، يتذكِّر، ﴿ أَرُّ أَرَادَ ﴾ شُكُر الله تعالى فيهما.

﴿ وَبِهِ الْوَالِمَانِ الَّذِينَ يَشْرُنَ عَلَى الْأَرْتِي هَوْنَا وَلِهَا خَاطَبُهُمُ الْجَدِيلُونَ قَالُواْ سَلَمْنًا ﴿ وَالَّذِينَ بَيِيتُونَ كَالْجِيمَ شَجَّعًا وَقِينَمًا ۞ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آصْرِفْ عَنَا هَذَابَ جَهَنَّمُ إِنَى مَذَابَتِهَا كَانَ غَـرَامًا ۞ إِنَّهَا سُنَّةَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَلْفَقُواْ لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَقَثُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَيَهِكَادُ ٱلرَّمْنَنِ ٱلَّذِيرِكِ يَشُونَ﴾ وقرأ على، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن السميفع: ايُمَشُّون ابرفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. وقال ابن قتيبة: إنما نسبهم إليه لاصطفائه إياهم، كقوله: ﴿نَاقَتُهُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ومعنى فقُوناً»: مشياً رويداً("): ومنه يقال: أحْبِبُ حبيبك هَوْناً ما(ن). وقال مجاهد: يمشون بالوقار والسكينة. ﴿وَإِنَّا خَاطَبُهُمُ ٱلْجَدِهِلُونَ قَالُوا مَلَكُمًا ﴾ أي: متداداً. وقال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حَلُموا(٥٠). وقال مقاتل بن حيّان: قالوا سلامًا الي: قولاً يَسْلَمون فيه من الإثم. وهذه الآية محكمة عند الأكثرين. وزعم قوم أن المواد بها أنهم يقولون للكفار: ليس بيننا وبينكم غير السلام، ثم نُسخت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾ قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم؛ يقال: بات فلان قلقاً، إنما المبيت إدراك الليل.

قوله تعالى: ﴿ كُانَ غَرَامًا ﴾ قيه خمسة أقوال متقارب معانيها: أحدها: دائماً، رواه أبو سعيد الخدري عن رسُول الله على الله الله الله المنانى: موجعاً ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: مُلِحاً ، قاله ابن السائب؛ وقال ابن جريج: لا يفارق. والرابع: هلاكاً، قاله أبو عبيدة: والخامس: أن الغرام في اللغة: أشدُّ العداب، قال الشاعر:

رِكسانَسا عسذابساً وكسانَسا غَسرَامساً(٧)

وَيَسوْمَ السنِّسساد وَيَسوْمَ السجِسفُ

قوله تعالى: ﴿ سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا ﴾ أي: بئس موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيكَ إِنَّا أَنْفَقُوا لَمْ يُشْرِئُوا وَلَمْ يَشْتُرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: اليقْتِروا؛ مفتوحة الياء مكسورة

⁽١) • فسرح ديوان زهير، ٥، وفغريب القرآن، ٣١٤، وفمجاز القرآن، ٢/ ٨٠، وفالطبري، ٦٥/٣، وفالقرطبي، ٦٥/٣، وفمحتار الشعر الجاهلي، ١/ ٣٢٨، وفاللسانة وفالتاجة: خلف. والبين، جمع أعين وعيناه: يقر الوحش، سميت بذلك لسمة أعينها. والأرام: جمع رثم، وهو الظبي الخالص البياض. وخِلفة: يخلُّف بعضها بعضاً. والأطلاء: جمع الطلاء، وهو الولد من ذوات الظلف. والمجثم: المربض.

قال ابن كثير: أي: جعلهما يتعاقبان توقيتًا لعبادة عباده له ﷺ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل، وقد جاء في الحديث الصحيح: ﴿إِنَ اللَّهِ هُرُّ وجَلُّ يَسِطُ يَلُهُ بِاللَّهِلُ لِيُتُوبِ مَسيء النهار، ويبسط ينه بالنهار ليتوب مسيء الليلُّه. اهـ.

قال ابن كثير: وليس المراد أنهم يمشون كالمعرضي تصنُّعاً ورياءً، فقد كان صيد ولد آدم 難 إذا مشي كأنما ينحطُّ من صَبَب، وكأنما الأرض تطوي له. قال: وقد كره بعض السلف المشي بتضبُّف وتصنُّع، قال: وإنما الممراد بالهَّون هنا: السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ: فإذَّ أتيتم المصلاة فلا تأتوها وأنتم تسَعُون، والتوها وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم قاتموا؛ اهـ، والحديث متفق عليه.

هو من كلام علي بن أبي طالب 🐞 كما في «الأدب المفرد» للبخاري: «أحبب حبيبك هوتاً ما، عسى أن يكون بفيك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوتاً ما، حسى أن يكون حبيبك بوماً ما؛ ولم يثبت في المرفوع، وإضافة هما؛ إلى الهَون تفيد التقليل، والمعنى: أحب حبيبك حباً مقتصداً لا إفراط فيه، أي: لا تسرف في الحب والبغض، فعسى أن يصير الحبيب بفيضاً، والبغيض حبيباً، فلا تكن مسرفاً في الحب فتندم، ولا في البغض فتأسف.

روى الإمام أحمد في «المسند» ٤٤٥/٥ عن النعمان بن مقرن قال: قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلاً عند،، قال: فجعل الرجل العسبوب يقول: عليك السلام قال: قال رسول الله 選: «أما إن ملكاً بينكما يلتِ هنك، كلما شتمك هذا قال له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له: هليك السلام، قال: لا، بل لك، أنت أحق به، قال ابن كثير: وإسناده حسن.

ذكره السيوطي في االدر، ٧٧/٥ من رواية عبد بن حميد عن أبي سعيد الخدري رهي.

البيت ليشر بن أبي خازم كما في (مجاز القرآنه ٢/ ٨٠ ، و«الطيري»: ٦/ ٣٦ ، و«اليحر» ٦/ ٥١٣ ، و«روح المعاني» ٩ / ٤١ ، و «اللسان»، و التاج : غرم. ونسبه في االلسان، للطرماح.

التاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "يَقْتُروا" بفتح الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: "يُقْتِروا" بضم الياء وكسر التاء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن الإسراف: مجاوزة الحدِّ في النفقة، والإقتار: التقصير عمّا لا بُدُّ منه، ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب: كفي بالمرء سَرَفاً أن يأكل كلَّ ما اشتهى. والثاني: [أنَّ] الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قلَّ، والإقتار: منم حق الله تعالى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ﴾. يعني الإنفاق ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار ﴿ قَوَالَا ﴾ أي: عَذْلاً؛ قال ثعلب: القَوام، بفتح القاف: الاستقامة والعَدْل، ويكسرها: ما يدوم عليه الأمر ويستقرّ (١٠).

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَاخَرَ وَلَا يَقَتُلُونَ النَّفَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ وَلَا يَزَنُونَ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ بَلْقَ أَثَانَا ﴿ يُضَاعَفُ لَهُ ٱلْعَكَذَابُ بَرْمَ الْقِيْنَمَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَمَامَى وَعَيلَ عَكَمَلًا صَالِحًا فَأُولَتِهِكَ يَبْدِلُ اللّهُ سَيَّاتِهِمْ حَسَنَدَةً وَكَانَ اللّهُ عَنْوُلَ رَحِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَنْكَامَ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل: ﴿يُلَقَّ﴾ برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة. قال ابن عباس: يَلْقَ جزاءً. وقال مجاهد، وعكرمة: هو وادٍ في جهنم. وقال ابن قتيبة: يَلْقَ عقوبة، وأنشد:

[جَـزَى الله ابـنُ عُـرْوَةَ حـيْثُ أَمْسَى عُـهُ وقـاً] والسعُـهُـوق لَـهُ أثـام(١)

قال الزجاج: وقوله: ﴿ يَلْقَ أَثَامَا ﴾ جزماً على الجزاء. قال أبو عمرو الشيبياني: يقال: قد لقيَ أثام ذلك، أي: جزاء ذلك، وسيبويه: وإنما جزم ﴿ يُصَاعَفُ لَهُ الله عَناه: يلقى جزاء الأثام. قَال سيبويه: وإنما جزم ﴿ يُصَاعَفُ لَهُ الْمَكَابُ ﴾ لأن مضاعفة العذاب لُقِيُّ الآثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

⁽١) قال ابن جوير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصاً فيهما، ما كانا مذمومين، ولا كان البسرف ولا المقتر مذموماً، لأن ما أذن الله في قعله، فغير مستحق فاعله الذم. اهـ.

⁽۲) رواه البخاري ۸/ ۳۷۸، ومسلم ۱/ ۹۰.

⁽٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١١٣/١، ورواه البخاري ٨/٤٣٢ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿فُلْ يَعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ٱشَرَقُوا عَلَنَ ٱنْفُيهِمْ . . .﴾ [الزمر: ٥٣].

٤) هكذا ذكره الواحدي في فأسباب النزول، ١٩٣. (٥) انظر البخاري بشرح فالفتح؛ ٧/ ٢٨٤،

٢٠ البيت لبلعاء بن قيس الكناني، كما في «غريب القرآن» ٣١٥، و«مجاز القرآن» ٢/ ٨٨، و«الطبري» ١٩/ ٢٠، و«اللسان»: أثم، ونسبه إلى شافع الليثي.

مَنَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنا فِي دِيارِنا تَجِدُ خَطَباً جِزْلاً وناراً تاجَّجًا(١)

لأن الإتيان هو الإلمام، فجزم "تُلْمِمْ" لأنه بمعنى "تأتي. وقرأ الحسن: "يُضَعَّفْ"، وهو جيًّد بالغ؛ تقول: ضاعفتُ الشيءَ وضَعَفْتُه. وقرأ عاصم: "يُضَاعَفُ" بالرفع على تفسير "يَلْقَ أثاماً" كأنّ قائلاً قال: ما لُقيُّ الأثام؟ فقيل: يُضاعَف للآثم العذاب. وقرأ أبو المتوكل، وقتادة، وأبو حيوة: "يُضْعَفْ" برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف. وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمري عن أبي جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، و"العذابَ" بالنصب.

قوله تعالى: ﴿وَيَغَلُدُ﴾ وقرأ أبو حيوة، وقتادة، والأعمش: ﴿ويُخْلَدُ» برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شدَّدوا اللام.

فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة؛ وفي ناسخها ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلَ مُوَّمِنَكَ مُتَّمَيِّدًا فَبَحَزَاقُومُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣]، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في «النساء» منتنية. والثاني: أنها نسخت بقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَقْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ . . . ﴾ الآية النساء: ١٤]. والثالث: أن الأولى نُسخت بالثانية، وهي قوله: ﴿إِلّا مَن تَابَ ﴾. والقول الثاني: أنها محكمة؛ والخلود إنما كان لانضمام الشَّرك إلى القتل والزنا. وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليداً عند الأكثرين؛ وقد بيّاًه في سورة [النساء: ٣٣]، والشَّرك لا يُغفّر إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ﴾ قال ابن عباس: قرأنا على عهد رسول الله سنتين: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّهُمَّا ءَاللَّهُ عَمْ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَتِهِكَ يُبِيِّلُ اللهُ سَتِاتِهِم حَسَنَتُ اللهِ احتانوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبدّل الله شركهم إيماناً، وقتلهم إمساكاً، وزناهم إحصاناً؛ وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان على وسعيد بن المسيّب، وعليّ بن الحسين، وقال عمرو بن ميمون: يبدّل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنّى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وعن الحسن كالقولين. وروي عن الحسن أنه قال: وَدُّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذّنوب؛ فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَأُولَتِكَ يُبِدِّلُ اللهُ سَيِّعَاتِهِم حَسَنَتُ ﴾، ويؤكّد هذا القول حديث أبي ذرّ عن النبي على: (يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صِغار ذنوبه، فتُعْرَض عليه صِغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا، كذا وكذا، وهو مُشفِق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، أخرجه مسلم في المحديه (٢)

﴿ وَمَن تَابَ وَعَيِلَ صَلِيمًا فَإِنَّهُ بَنُوبُ إِلَى اللَّهِ مَنَابًا ۞ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَثْهِا بِالنَّفِو مَرَّاها ۞

⁽١) البيت غير منسوب في «القرطبي؛ ٧٧/١٣، و«مجمع البيان؛ ١٧٢/١٩، و«البحر؛ ٦/ ١٥٥، و«روخ المعاني؛ ١٩/ ٤٤.

⁽٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥ من رواية ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ، وقال الحافظ الهيشمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٤٤ أن ٨٤. رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، ويقية رجاله ثقات. وقد جاء في صحيح البخاري ٨/٤٤٨ أن رسول الله ﷺ قال عندما نزلت سورة (الفتح): «لقد أُنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿ إِنَّ فَتَمَا لَكُ فَتَا بُينًا ﴾، ورواه أحمد في «المسند»، والترمذي، والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله.

⁽٣) رواه مسلم في (صحيحه ٧/ ١٧٧ ولفظه بتمامه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنّي لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنويه ، وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنويه ، فيقال: عملت يوم كلا وكلا ، كلا كلا وحملت يوم كلا وكلا ، كلا كلا كلا كلا ، فيقول: نعم ، لا يستطيع أن يتكر وهو مشفق من كبار ذنويه أن تعرض عليه ، فيقال له: فإن لك مكان كل صيئة حسنة ، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا ، فلقد رأيت رسول اله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . ورواه الطبري ٤٧/١٩ ، وذكره السيوطي في «الأسماء والصفات» عن أبي ذر ﷺ .

وَالَّذِينَ إِنَّا ذُكِنُوا بِنَايَتِ رَبِّهِدْ لَرَ يَخِرُوا عَلَيْهَا شُمَّا وَعُمْيَانَا ۞ وَالَّذِينَ يَعُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْوَيْهِمَنَا وَذُرِيَّائِنِنَا شُكَّةً أَعَمُنِ وَلَجْعَلْنَا لِلْمُنْقِينَ إِمَانًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَن ثَانِكِ ﴾ ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة. وقال ابن عباس: يعني: ممن لم يَقْتُل ولم يزن، ﴿ وَعَمِلَ صَلِيكًا ﴾ فإنّي قد قدَّمتُهم وفضَّلتُهم على من قاتل نبتي واستحلَّ محارمي.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ يَنُونُ إِلَى اللّهِ مَتَابًا ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من أراد النوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يُريد الله بها ولا يخلط بها ما يُفسدها؛ وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنه يتجر في البزّ، ومن ناظر فإنه يناظر في النحو، أي: من أراد ذلك، فينبغي أن يقصد هذا الفن؛ قال: ويجوز أن يكون معنى [هذه] الآية: ومن تاب وعمل صالحاً، فإن ثوابه وجزاءه يعظمان له عند ربّه الذي أراد بتوبته، فلما كان قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ بَنُونُ إِلَى اللّهِ مَتَابًا ﴾ يؤدي عن هذا المعنى، كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرجل: إذا تكلّمتَ فاعلم أنك تكلّم الوزير، أي: تكلّم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُانَ كُبُرُ عَلَيْكُمْ مُقَالِي وَتَلْكِرِي بِكَابَتِ اللّهِ فَعَلَ اللّهِ فَرَسَطَلْتُ ﴾ [بونس: ١٧]، كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُانَ كُبُرُ عَلَيْكُمْ مُقَالِي وَتَلْكِرِي بِكَابَتِ اللّهِ فَعَلَ اللّهِ فَرَسَطَلْتُ ﴾ [بونس: ١٧]،

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الصّّنم؛ روى الضحاك عن ابن عباس أن الزُّور صنم كان للمشركين. والثاني: أنه القِّناء، قاله محمد بن الحنفية، ومُكحول؛ وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء. والثالث: الشّرك، قاله الضحاك، وأبو مالك. والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة. والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج، والسادس: شهادة الزور، قاله عليّ بن أبي طلحة. والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس. والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس (١٠). وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: المعاصي، قاله الحسن، والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد. والثالث: الباطل، قاله قتادة. والرابع: الشّرك، قاله الضحاك. والخامس: إذا والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد. وقال محمد بن علي: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها.

قوله تعالى: ﴿ مَرُّوا كِرَامُهُ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مَرُّوا حُلَماء، قاله ابن السائب. والثاني: مَرُّوا مُغرِضين عنه، قاله مقاتل. والثالث: أن المعنى: إذا مَرُّوا باللغو جاوزوه، قاله الفراء (٢).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي إِذَا ذُكِيَّرُوا﴾ أي: وُعِظُوا ﴿ بِنَايَنَتِ رَبِّهِمْ ﴾ وهي القرآن ﴿ لَرَ يَخِرُوا عَلَيْهَا سُمَّا وَعُمْبَانَا ﴾ قال ابن قتيبة: لم يتغافلوا عنها كأنهم صُمَّ لَم يسمعوها، عميَّ لم يرَوها. وقال غيره من أهل اللغة: لم يثبتوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوا ولم يرَوا، وإن لم يكونوا خَرُّوا حقيقة؛ تقول العرب: شتمت فلاناً فقام يبكي، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظلَّ يتحبَّر، وإن لم يكن قام ولا قعد.

قوله تعالى: ﴿ مَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَجِهَا وَدُرِيِّكُونَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ وَدُرِّيَّاتِنَا ﴾ على المجمع. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ وَدُرِّيَّتِنَا ۗ على التوحيد، ﴿ قُدُرَّةً أَعْبُرِ ﴾ وقرأ ابن

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأصل الزور: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيَّل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حتى وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع المصوت حتى يستحلي صامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل في معنى المزور. قال: فإذا كان ذلك كذلك، فأولى والكذب أيضاً قد يدخل في معنى المزور. قال: فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء، ولا غنو، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله علم في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل. اهد. وقد قال وصول الله على فيما رواه البخاري ومسلم في قصحيحيهما عن أبي يكرة على قال وصول الله على: «ألا أنبتكم بأكبر الكبائر» ثلاثاً، قلنا: بلى يا رصول الله قال: «الشرك بالله، وهقوق الوالدين» وكان متكناً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهاجة الزور» فما زال يكزرها حتى قلنا: ليته سكت.

⁽٢) قال ابن جوير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً و واللغو في كلام العرب هو كل كلام و فعل باطل؛ لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، فنسبّ الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له، من اللغو، وذكر النكاح بصريح اسمه منا يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المسركين الكهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه _ إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو _ أن يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. أهـ.

مسعود، وأبو حيوة: «قُرَّات أُغيُنِ» يعنون: من يعمل بطاعتك فتقرّ به أعيننا في الدنيا والآخرة. وسئل الحسن عن قوله: «قُرَّة أعين» في الدنيا، أم في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأيُّ شيء أقرَّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يُطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يُطاع الله فتَقَرّ أعينهم. قال الفراء: إنما قال: «قُرَّة» لأنها فعل، والفعل لا يكاد يُجمع، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَدْعُولُ ثُبُورًا صَحْبِرُا ﴾ [الفرتان: ١٤] فلم يجمعه؛ والقُرَّة مصدر، تقول: قَرَّت عينه قُرَّة، ولو قيل: قُرَّة عين أو قُرَّات أعين كان صواباً. وقال غيره: أصل القُرَّة من البَرْد، لأن العرب تتأذى بالحَرِّ، وتستروح إلى البَرْد.

قوله تعالى: ﴿ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَقِينَ إِمَامًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: اجعلنا أئمة يُقتدى بنا، قاله ابن عباس. وقال غيره: هذا من الواحد الذي يراد به الجمع، كقوله: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ اَلْمَلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقوله: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ اَلْمَلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٧]. والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمُتّقِين مقتدين بهم، قاله مجاهد؛ فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فيكون المعنى: واجعل المُتّقِين لنا إماماً (١٠).

﴿ أُولَتِهِكَ جُمَّزَوْتِ ٱلشَّرْكَةَ بِمَا صَبَمُواْ وَلِمَثَوْنَ فِيهَا غِيبَةً وَسَلَمًا ۞ خَلِينِ فِيهَا حَسُنَ شَنَفَرًا وَلُقَوْنَ فِيهَا غِيبًةً وَسَلَمًا ۞ خَلِينِ فِيهَا حَسُنَ شَنفَزًا وَلُقَامًا ۞ فَلَ مَا يَمْبُؤَا بِكُو رَنِ لَوْلَا ثُعَالَٰكُمْ فَقَدَ كَذَبْتُهُ فَسَوْنَ يَكُونُ لِزَانًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أُولَكُتِكَ يُجْدَوْنَكَ ٱلْمُرْكَةَ ﴾ قال ابن عباس: يعني الجنة. وقال غيره: الغرفة: كل بناء عالي مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من الزَّبَرجد والدُّرِّ والياقوت، ﴿ يِمَا مَكَبُولًا ﴾ على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّرُكَ فِيهِكَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «ويُلقَّوْنَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ويُلقَوْنَ» بفتح المياء وسكون اللام وتخفيف القاف، ﴿ وَيَلْقَوْنَ ﴾ فتل ابن عباس؛ يُحيِّي بعضهم بعضاً بالسلام، ويرسل إليهم الرَّبُ عَلَى بالسلام. وقال مقاتل: «تحيةً يعني السلام، ووسلاماً» أي: سلَّم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم (٢).

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ مَا يَسَبُوا يَكُرُ رَبِّ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما يصنع بكم! قاله ابن عباس. والثاني: أي وزن يكون لكم عنده؛ تقول: ما عبات بفلان، أي: ما كان له عندي وزن ولا قَدْر، قاله الزجاج. والثالث: ما يعبأ بعذابكم، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: ﴿ لَوَلا دُعَالَتُ مُعَالَّتُ مُا الله أَبِيهِ أَوْلا أَوْلا إِيمانكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، والثالث: لولا دعاؤه إيّاكم لتِعبدوه، قاله مجاهد؛ عباس، والثالث: لولا دعاؤه إيّاكم لتِعبدوه، قاله مجاهد؛ والمراد نفع الخُلق، لأن الله تعالى غير محتاج. والرابع: لولا توحيدكم، حكاة الزجاج. وعلى قول الأكثرين ليس في الأية إضمار؛ وقال ابن قتيبة: فيها إضمار تقديره؛ ما يعبأ بعذابكم لولا ما تَدْعونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك [قوله]: ﴿ مَنْ لَا يَعْ يَعَى: العذاب، ومثله قول الشاعر:

مَسَنُ شَسَاءَ دَلُّسِي السنُّسَفُسِينَ فَسِي هُسوَّةٍ ﴿ فَسَنْكِ وَلَكِسَنْ مَسَنْ لَسَهُ بِسَالِسَفِيسِينٌ (٢٣)

أي: بالخروج من المضيق. وهل هذا خطاب للمؤمنين، أو للكفار؟ فيه قولان. فأما قوله تعالى: ﴿ فَقَدُ كُذَّبَتْمَ ﴾ فهو خطاب لأهل مكة حين كذَّبوا رسول الله ﷺ، ﴿ فَسَرْفَ يَكُونُ ﴾ يعني: تكذيبكم ﴿ لِزَانًا ﴾ أي: عذاباً لازماً [لكم]؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتلهم يوم بدر فقُتلوا يومنذ، واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم، وهذا مذهب ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثالث: أن الدُّرام: القتال، قاله ابن زيد.

⁽١) قال ابن كثير: وقال غيرهم: اجعلنا هداة مهتدين دهاة إلى الخير، فأجبُّوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متمدياً إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً. اهـ. وقد ثبت في الصحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ. قال: قال رسول الله ﷺ: الإما مات ابن آدم اتقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يتتمع به، أو ولد صالح بدهو له،

 ⁽٢) قال ابن كثير: أولئك يُبتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل
 باب: ﴿ سَلَمُ عَلَيْكُ مِنا مَبْرَمُ فَنِهَم عُلْبَى اللَّارِهِ .

 ⁽٣) دمشكل القرآن ١٣٤٩: واللسان : دلا، وأيضا في اللسان والتاج : ضيق، ورواية الشطر الأول فيهما: مَنْ شَا يُدَلِّي النفسَ في مُوّة.

سورة الشعراء

وهي مكية كلُّها، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَالنُّعَرَّاهُ يَنْبِعُهُمُ ٱلْغَاوُنَ ۞﴾ الشعراه: ٢٢٤] إلى آخرها، قاله ابن عباس، وقتادة.

ينب والله التخني التحيية

﴿ لَمُسَدِّ ۚ فِنْكَ مَائِثُ الْكِنْبِ الْمُبِينِ ۞ ِلْمُلْكَ بَنْجُ فَنْسَكَ الَّا يَكُونُوا مُنْهِبِينَ ۞ إِن نَشَأَ نُنَزِلَ عَلَيْمِ مِنَ النَّمْلِي الْمُبِينِ ۞ الْمَلَّا عَنْهُ مُعْمِينِينَ ۞ فَقَدْ كَلَّبُوا فَسَيَأْتِيمِمْ أَلْبَتُوا مَا كَانُوا بِعِد يَسْتَهْزِمُونَ ۞ أَوْلَمَ بَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرْ أَلْبَنَا فِيهَا مِن كُلِّ يَيْجٍ كَبِيمٍ ۞ إِنَّ فِي وَقِكَ لَانْ أَكْنُومُمْ مُؤْمِينِينَ ۞ وَإِنَّ رَبِيْكُ الرَّبِمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ طُسَّمَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: اطسَّمٌ، بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء اسين؛ عند الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبان، والمفضل: اطِّلسَّم، واطِّسِّ، بإمالة الطاء فيهما. وأظهر النون من هجاء (سين) عند الميم حمزة هاهنا وفي (القصص). وفي معنى اطسَمَ، أربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: [ما] رواه عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: لما نزلت الطسّم، قال رسول الله ﷺ: ﴿الطَّاء: طور سيناء، والسين: الاسكندرية، والميم: مكة ﴿(١). والثاني: [أن] الطَّاء: طَلَيْتَة، وسين: بيت المقدس، وميم: مكة، [رواه الضحاك عن ابن عباس]. والثالث: الطاء: شجرة طوبي، والسين: سدرة المتنهي، والميم: محمد ﷺ، قاله جعفر الصادق. والثاني: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عِن ابن عباس. وقد بيُّنًا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم. وقال القرظي: أقسم الله بطُولِه وسَنائه ومُلكه. والثالث: أنه اسم للسُّورة قاله مجاهد. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وأبو روق^(۲). وما بعد هذا قد سبق تفسيره [المائدة: ١٥، الكهف: ٦] إلى قوله: ﴿ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ والمعنى: لعلَّك قاتل نفسك لتركهم الإيمان. ثم أخبر أنه لو أراد أن يُنزل عليهم ما يضطرهم إلى الإيمان لفعل، فقال: ﴿إِن نُّنَا نُنَزِّلْ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: ﴿إِن يَشَأْ يُنَزِّلُ ۚ بالياء فيهما، ﴿ مَلَيْهِم يِّنَ التُّمْلَةِ مَانَةً نَطَلُّتُ أَعَنَقُهُمْ لَمَا خَضِوبِينَ ﴾ جعل الفعل أولاً للاعناق، ثم جعل «خاضعين» للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وقيل: لمَّا وصف الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الآدميِّين كما بيَّنًا في قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْنُهُمْ لِي سَيجِيبَ﴾ [بوسف: ١٤، وهذا اختيار أبي عبيدة. وقال الزجاج: قوله: ﴿فَظَّلُّتِ﴾ معناه: فتَظُّلُّ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقولك: إن تأتني أكرمتُكَ، معناه: أكْرِمْكَ؛ وإنما قال: فخاضعِين، لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها، وذلك أن الخضوع لمَّا لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

داتْ مَسرَّ السِّنِيسَ أَخَدُنْ مِنِّي كَما أَخَدَ السِّرَارُ مِنَ البِهِ الإ^(٣)

⁽۱) لم يذكر المفسرون أن معنى هذه الحروف ورد في المرفوع، إلا ما ذكر الطبرسي من علماء الإمامية الشيعة في تفسيره ومجمع البيان، حيث قال: وروي عن ابن الحنفية عن علي على النبي عنه ... فذكره من غير سند، فلمل المصنف نقل هذا المعنى عنه أو معن نقل عنه. وقد نقل القرطبي هذا المعنى من كلام عبد الله بن محمد بن عقيل، ولم يذكره مرفوعاً، وذكر السيوطي في «اللده ٥/٢٨ عن محمد بن كعب القرظي في قوله تمالى: ﴿طَنتُولُ وَ قَالَ: الطّاء من ذي الطول، والسين من القدومن، والميم من الرحمن، وكذلك ذكر الألوسي في «تفسيره» ١٩/٢٥.

⁽٢) قال ابن كثير عن الحروف التي في أوائل السور: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذ مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين، قال: وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، قال: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج العزي وحكاه لي عن ابن تيمية. اهـ.

 ⁽٣) البيت لجرير، وديوانه، ٤٢٦، و «مجاز القرآن» ٨٣/٢ و «الطبري» ١٩/ ٢٦، و «اللسان»: خضع. والسّرار: اللبلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر.

فلما كانت السّنون لا تكون إلا بمَرِّ، أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور. قال: وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءَهم ورؤساءَهم. وجاء في اللغة أن أعناقِهم جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُنُق من الناس، أي: جماعة. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الانبياء: ٢] إلى قوله: ﴿ أَوْلَمْ يَرْوَا إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني المكذَّبين بالبعث ﴿ كَرْ أَلْبَنَنَا فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿ مِن كُلِّ رَبِّم كَهِم ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن. وقال الزجاج: الزوج: النوع، والكريم: المحمود.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بِي ذَلِكَ﴾ الإنبات ﴿ لَاَيَةٌ ﴾ تدل على وحدانية الله وقدرته ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما كان أكثرهم يؤمن في عِلْم الله، ﴿وَإِنَّ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ ﴾ بأوليائه.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اثْنِ الْقَنَعَ الظَّلِدِينَ ۞ قَرْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّ أَخَاتُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدَّرِي وَلا يَعَلَيْقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِنَ حَنُونَ ۞ وَلَمُمْ عَلَنَ ذَبُّ فَأَخَاقُ أَن يَقَشُلُونِ ۞ فَالَ كَلَّ فَاذْجَبَا جِنَائِنَدًّا إِنَّا مَعَكُم شُسْتَمِعُونَ ۞ فَأْتِنَا فِرْعَوْرَى فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَمَّنَا بَنِي إِسْرَائِلَ ۞ قَالَ أَلْرَ شُرَبِكَ فِينًا وَلِيدًا وَلَبِشْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِينَ ۞ وَقَعَلْتَ فَقَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَنْدِينَ ۞ قَالَ فَمَلْهُمَّا إِذَا وَأَنَا مِنَ الطَّبَالِينَ ۞ فَفَرْنُ مِنكُمْ لَنَا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّي خُكُمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ وَبِلْكَ يَضِمَةٌ نَمُنَّهَا عَلَقَ أَنْ عَبَّدَتَ بَنِي إِسْرُوبِلَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ ﴾ المعنى: واتل هذه القصة على قومك.

قوله تعالى: ﴿ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ياء اليُكذُّبونِ، محذوفة، ومثلها ﴿ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراه: ١٤] ﴿ يَهُنَ يجدينِ الشعراء: ٧٨] ﴿ يَسْتَفِينِ ﴾ [الشعراه: ٧٩] ﴿ فَهُو يَشْفِينِ ﴾ [الشعراه: ١٠٠] ﴿ ثُشَّر يُشِّينِ ﴾ [الشعراه: ١١٧ ﴿ كَتَّبُونِ ﴾ [الشعراه: ١١٧ ﴿ وَٱطْبِعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٠٨] فهذه ثمان آيات أثبتهن في الحالين يعقوب(١).

قوله تعالى: ﴿ وَهَنِينُ مَدِّرِي ﴾ أي بتكذيبهم إيّاي ﴿ وَلا يَطَلِقُ لِسَانِي ﴾ للعُقدة التي كانت بلسانه. وقرأ يعقوب: ﴿ويَضِينَ ٩ ولا يَنطلنَ ٩ بنصب القاف فيهما ، ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَّ خَرُونَ ﴾ المعنى: ليُعينني ، فحُذف ، لأن في الكلام دليلاً عليه. ﴿وَلِمُتُمْ عَلَىٰ ذَلُّ ﴾ وهو القتيل الذي وكزه فقضى عليه؛ والمعنى: ولهم عليَّ دعوى ذَنْب ﴿وَأَلَمَاكُ أَن يَقَشُلُونِ﴾ به. ﴿ قَالَ كُلُّا ﴾ وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن؛ والمعنى: لن يقتلوك لأنِّي لا اسلَّطهم عليك، ﴿ فَأَذْهَبَا ﴾ يعني: أنِتِ وأخوكِ ﴿ بِعَايَدَيَّنَّ ﴾ وهي: ما أعطاهما من المعجزة ﴿ إِنَّا﴾ يعني نفسه ﷺ ﴿مَمَّكُم ﴾ فأجراهما مجرى الجماعة ﴿ مُسْتَيْمُونَ ﴾ نسمع ما تقولان وما يجيبونكما به.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْمُلَدِينَ ﴾ قال ابن قتهبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: ﴿ مُتَوَّاتُمْ مَنْيِي ﴾ [العجر: ٦٨] وقوله: ﴿ثُمُّ غُنْرِيمُكُمْ طِفْلًا﴾ [العج: ٥]. وقال الزجاج: المعنى: إنّا رسالةُ ربِّ العالَمين، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين، قال الشاعر:

بِـــرُ وَلا أَدْسَـلْتُهُمْ بِرَسُـولِ(٢)

لَفَذُ كَذَبَ الوَاشُونَ مِا بُحْتُ عِنْدَهُم أي: برسالة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَرْسِلَ﴾ المعنى: بأن أرسل ﴿مَمَّا بَيِّ إِسْرَائِكَ﴾ أي: أَطْلِقُهم من الاستعباد، فأتياه فبلُّغاه الرسالة، ف ﴿ قَالَ أَلَرْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ أي: صبيّاً صغيراً ﴿ وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمُرَةِ سِنِينَ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربعون سنة، قاله ابن السائب. والثالث: ثلاثون سنة، قاله مقاتل، والمعنى: فجازيْتُنا على أن ربَّيناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منّا نفساً، وهو قوله: ﴿وَقَمَلْتَ فَعَلَتَكَ﴾ وهي قتل النفس. قال الفراء: وإنما نُصِبَت الفاء، لأنها مرة واحدة، ولو أريد بها مثل الجلسة والمِشية جاز كسرها. وفي قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَنْفِرِينَ﴾ قولان: أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، وابن زيد. والثاني: من الكافرين بإللهك، كنتَ معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسن، والسدي. فعلى الأول: وأنت من الكافرين الآن.

 ⁽١) عبارة ابن الجزري في كتاب «النشر في القراءات العشر» ٣٢٣/٢: «أثبت الياء في جميعها يعقوب في الحالين».
 (٢) البيت لكثير عزة، وهو في «مجاز القرآن» ٢٤/١، و«غريب القرآن» ٣١٦، و«الطبري» ٢١/٥٥، و«القرطبي» ٩٣/٣٨، و«اللسان» و«التاج»: رسل.

وعلى الثاني: وكنت. وفي قوله: ﴿ إِنَّا يِنَ الشَّالِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الجاهلين، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. وقال بعض المفسرين: المعنى: إني كنت جاهلاً لم يأتني من الله شيء. والثاني: من الخاطئين؛ والمعنى: إني قتلت النفس خطأً، قاله ابن زيد. والثالث: من الناسين؛ ومثله: ﴿ نَ تَضِلَ إِخْدَهُمَا ﴾ والمعنى: إني قتلت النفس خطأً، قاله ابن زيد. والثالث: من الناسين؛ ومثله: ﴿ نَ تَضِلَ إِخْدَهُمَا ﴾ والمعنى: إني قتلت النفس خطأً، قاله ابن زيد. والثالث: من الناسين؛ ومثله:

قوله تعالى: ﴿فَنَرَرْتُ مِنكُمْ ﴾ أي: ذهبت من بينكم ﴿لَنَا خِنْتُكُمْ ﴾ على نفسي إلى مَذْيَنِ، وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وابن يعمر: ﴿لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم، ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّ شَكْنًا ﴾ وفيه قولان: أحدهما: النبؤة، قاله ابن السائب. والثاني: العِلْم والفَهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَنِكَ شِنَهُ تَنَهُا عَلَى ﴾ يعني التربية ﴿ نَ عَبَدَتَ بَنِ إِسَرَة بِلَ ﴾ أي: اتخذتهم عبيداً ؛ يقال: عبّدتُ فلاناً وأعبدتُه واستعبدتُه: إذا اتخذته عبداً أ . وفي اأن وجهان: أحدهما: أن تكون في موضع رفع على البدل من الغمّة . والثاني: أن تكون في موضع نصب بنزع الخافض، تقديره: لأن عبّدت، أو لتعبيدك. واختلف العلماء في تفسير الآية، فقسرها قوم على الإنكار، وقوم على الإقرار. فمن فسرها على الإنكار قال معنى الكلام: أو تلك نعمة؟! على طريق الاستفهام، ومثله ﴿ نَذَا رَبّي ﴾ [الانمام: ٢١]، وقوله: ﴿ نَهُمُ الْفَنَادِدُنَ ﴾ [الانباء: ٢٤]، وأنشدوا:

[لم أنس يوم الرحيل وقفتَها وجفنها من دموعها شَرِقُ أنَّ وقولها والسركسابُ سَائسرة تسترك نا همكذا وثنطلق

وهذا قول جماعة منهم. ثم لهم في معنى الكلام ووجهه أربعة أقوال: أحدها: أن غرعون أخذ أموال بني إسرائيل واستعبدهم وأنفق على موسى منها، فأبطل موسى النعمة لأنها أموال بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنك لو كنت لا تقتُل أبناء بني إسرائيل لكفلني أهلي، وكانت أمّي تستغني عن قلفي في اليمّ، فكأنك تمنّ عليّ باحسانك إليّ بما كان بلاؤك سبباً له، وهذا قول المبرّد، والزبجاج، والأزهري. والثالث: أن المعنى: تمنّ عليّ باحسانك إليّ خاصة، وتنسى إساءتك بتعبيدك بني إسرائيل؟! قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: كيف تمنّ عليّ بالتربية وقد استعبدت قومي؟! ومن أهين قومُه فقد ذُلُ، فقد حَبِط إحسانك إليّ بتعبيدك قومي، حكاه الثعلبي. فأما من فسرها على الإقرار، فإنه قال: علّها موسى نعمة حيثُ ربّاه ولم يقتله ولا استعبده. فالمعنى: هي لعمري نعمة إذ ربّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل؛ ف وأنْ، تدل على المحذوف، ومثله في الكلام _ أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر، فيقول المتروك _: هذه نعمة عليّ أن ضربتَ فلاناً وتركتني، ثم تحذف قوتركتني، لأن المعنى معروف، هذا الفراء.

﴿ وَالَ فِرْعَوْدُ وَمَا رَبُّ الْعَلَمِينَ ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنَهُمَّا إِن كُنُمُ مُّوفِينَ ﴿ قَالَ لِمِنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْفِمُونَ ﴾ وَاللَّهُ وَرَبُّ مَا اللَّهُ وَمَا يَنَهُمَّا إِن كُنُمُ تَعْقِلُونَ ﴾ وَيُكُو لَلْمَثْرِقِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَمَا يَنَهُمُّا إِن كُنُمُ تَعْقِلُونَ ﴾ وَلَا يَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَ الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُوالِى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَمُ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَا عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَا اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَ عَلَيْمُو

⁽١) - قال ابن كثير في قوله: ﴿وَنِّكَ يَشَا تُنَبُّا فَلَ أَنْ مَبُّكَ بَقِ إِسْرَةِيلَ ۞﴾ أبي: وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخَدَماً تصرفهم في أعمالك ومشاقٌ رهيتك، ألْيَتِي إحسائك إلى رجَلَ واحد فَنَهم بما أسأت إلى مجموعهم؟! أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم. اهـ.

 ⁽٢) الشطر الأول من هذا البيت زيادة من النسخة الاستبولية، وأثبتنا البيت بثمامه من القرطبي.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتموَّده وطغيانه وجعوده في قوله: ﴿ آيَا رَبُّ اَلْنَكِينَ ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿ عَبْسَتُ لَحَثُم
وَنْ إِلَّكُ عَبْمِت ﴾ ﴿ الله عَلَى الله عن الله عن رب العالمين: ﴿ وَلَى رَبُّ الشَّيْنِ وَالْمَاتِيْنَ الله عَلَى الله عن الله عن رب العالمين: ﴿ وَلَى مَنْ الله عن الله عن رب العالمين: ﴿ وَلَى الله عَلَى الله عن الله عن رب العالمين الله عن رب العالمين الله عن الله عن الله عن الله عن رب العالمين الله عن الله

أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك (١٠) فأيقنوا أن (٢٠) ربَّ العالمين ربُّ السموات والأرض. ﴿وَالَ ﴾ يعني: فرعون ﴿لِمَنْ عَرَلَهُ وَلَهُ مَنْ السراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ معجباً لهم. فإن قيل: فأين جوابهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألا تستمعون قول موسى؟ فردَّ موسى، لأنه المراد بالجواب، ثم زاد في البيان بقوله: ﴿رَيُّكُو وَيَبُّ عَابَايِكُمُ ٱلأَوْلِينَ ﴾، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون، فلم يَحْفِل موسى بقول فرعون، واشتغل بتأكيد الحُجَّة، فـ ﴿وَالَ رَبُّ ٱلْسَثْرِقِ وَالْمَنْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمُّ إِنْ كَنْمُ تَقْلُونَ ﴿كَالَ رَبُ ٱلسَّمْرِقِ وَالْمَنْرِبِ وَمَا بَيْنُهُمُّ أَلِهُ لَانَالَ اللهُ اللهُ أَيْدَ إِلَى الجنون، فلم يَحْفَ عليكم ما أقول.

﴿ قَالَ لَيْنِ اَلْمَدُنَ إِلَهًا خَبْرِى الْخَمْلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۞ قَالَ أَرْلَة حِشْكَ بِنَيْءِ شِيبِنِ ۞ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن حَسُنَ مِنَ السَّدِينِينَ ۞ فَالَّذَ عَسَاهُ فَإِذَا مِن فَشَانُ ثُمِينٌ ۞ وَيَغَ يَدُمُ فَإِذَا مِن بَيْمَنَهُ لِللَّهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهُ مِنْ لَلْهُ عَسَاهُ فَإِذَا مِن اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَيْفُ لِللَّهِ عَلَيْهُ لِللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْلُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَالْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَالْمُعُوا عَلَي

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ جِنْنُكَ بِنَوْءِ شُهِينِ﴾ أي: بأمر ظاهر تعرف به صدقي أتسجنني؟! وما بعد هذا مفسر في الاعراف: ١٠٧ إلى قوله: ﴿فَهُمِيعَ السَّحَرُةُ لِيهَاتِ يَوْرِ مَّعَلُومِ ﴿ وَهُلِ النَّاسِ ﴾ يعني أهل مصر. وذهب ابن زيد إلى أن اجتماعهم كان بالاسكندرية.

قوله تعالى: ﴿ لَمُنَّا نَتَمِ السَّمَرَةِ ﴾ قال الأكثرون: أرادوا سَحَرة فرعون؛ فالمعنى: لعلَّنا نتَّبعهم على أمرهم. وقال: بعضهم: أرادوا موسى وهارون، وإنما قالوا ذلك استهزاءً. قال ابن جرير: والعل، هاهنا بمعنى الكي، وقوله (٣٠): ﴿ بِعِزْمَ نِرْعَرْنَ ﴾ أي: بعظمته (٤٠).

﴿قَالَ ءَامَنَتُدَ لَمُ قَبَلَ أَنْ ءَادَدَ لَكُمْمُ إِنَّهُ لَكِيكُمُ الَّذِى عَلَمَكُمُ اليِّخْرَ فَلَمَوْفَ تَعَلَمُنَّ لَأَقْطِعَنَ آبَيِكُمُ وَارْجُلَكُمْ يَنْ خِلَفٍ وَلَأَمَلِكُكُمْ اَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا لَا ضَبَرُّ لِلَّا إِلَىٰ بِهِنَا شَقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَظْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُنَا خَطَيْنَنَآ أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلْسَوْنَ نَعْدُنُ ﴾ قال الزجاج: اللام دخلت للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿لَا ضَبِرُ ﴾ أي: لا ضرر. قال ابن قتيبة: هو من ضَارَه يَضُوره ويَضِيره؛ بمعنى: ضَرَّه, والمعنى: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا، لأنّا نتقلب إلى ربّنا في الآخرة مؤمّلين غفرانه.

قوله تعالى: ﴿ أَن كُنَّا ﴾ أي: لأن كنا ﴿ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بآيات موسى في هذه الحال.

﴿ ﴿ لَا لَيْمَنِنَا ۚ إِلَىٰ مُومَىٰ أَنْ أَسْرِ سِبَادِىٰ إِلَّكُمْ شَتَبُمُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْهُ فِى الْمُنْآيِنِ خَيْسِينَ ۞ إِنَّ هَـُوَانَةٍ لَيْشَرُونَهُ ۚ فَيلَمُونَ ۞ وَلَتَّهُمْ وَلَا اللَّهُمُ مِنْ جَنْتِ وَتُمْيُونِ ۞ وَكُثُورُ وَمَقَامِ كَرِيمٍ ۞ كَنَالِكَ وَأَوَرَتْنَهَا بَقِ إِسْتَهِ بَلَ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ إِلَّكُمْ شُتَبُمُونَ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَاثِلَةٍ﴾ المعنى: وقال فرعون إن هؤلاء، يعني بني إسرائيل ﴿لَيَرْفِئَهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: طائفة. قال الزجاج: والشرذمة في كلام العرب: القليل. قال المفسرون: وكانوا ستمائة ألف، وإنما استقلَّهم بالإضافة إلى جنده، وكان جنده لا يُحصى.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَا لَنَابِهُ أَن لَنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله عنظهم كان لقتل

[·] وإلهه لا شريك له، هو الذي خلق الأشياء كلَّها، العالَم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيَّرات، والعالَم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ﴿إن كُثُمُ . مُونِينَ﴾ أي: إن كانت لكم فلوب موقنة، وأبصار نافذة. اهـ.

 ⁽١) في نسخة الرباط: (أن ما تعاينوه كما يعاينوه فكذلك) وفي النسخة الإستنبولية: (أن ما تعاينونه فكذلك) والتصحيح من (الطبري).

⁽٢) في الأصل: أنه.

 ⁽٣) في الأصل: كقوله.

⁽٤) أقسموا بعزَّة فرعون، وهي من أيمان الجاهلية.

الملائكة من قَتَلَتْ من أبكارهم. قال: ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُلِّيهم، ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كُره منهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لِمَتِيمٌ حَذِرُونَ ﴿ قُوا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿حَذِرون بغير ألف. وقرأ الباقون: ﴿حاذِرون المستعدُّ، والحذر: المتيقّظ. وجاء في الباقون: ﴿حاذِرون الله وهل بينهما فرق الله وهي السلاح، لأنها أداة الحرب. والثاني: أنهما لغتان معناهما واحد؛ قال أبو عبيدة: يقال: رجل حَذِرٌ وحَذُرٌ وحاذرٌ. والمَقام الكريم: المنزل الحسن. وفي قوله: ﴿كَرُالِكَ ﴾ قولان. أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابن السائب. والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَهُمَا بَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ ﴾ وذلك أن الله تعالى ردَّهم إلى مصر بعد غرق فرعون، وأعظاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال. وقال ابن جرير الطبري: إنما جعل ديار آل فرعون مُلْكاً لبني إسرائيل ولم يَرْدُدُهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام.

﴿ فَأَنْتُمُوهُم ثُمْرِيْدِى ۞ فَلَمَا نَزَمَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَسْحَنْتُ مُومَىٰ إِنَّا لَمُدْذَكُونَ ۞ فَالَ كَلَّآ إِنَّ مَيِى رَقِ سَبَهْدِينِ ۞ فَأَوْجَسَنَا إِلَىٰ مُومَىٰ أَنِ الْمَشْرِينِ أَنْ الْمَشْرِينِ ۞ وَأَوْلَنَنَا نَمَّ ٱلْآخَرِينَ ۞ وَأَوْلَنَنَا نَمَّ ٱلْآخَرِينَ ۞ وَأَوْلَنَنَا نَمَّ ٱلْآخَرِينَ ۞ وَأَوْلَنَا نَمَّ ٱلْآخِرِينَ ۞ وَأَوْلَنَا نَمَّ ٱلْآخِرِينَ ۞ وَأَوْلَنَا الْآخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَابَةً وَمَا كَانَ ٱكْتُرَكُمُ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنْ رَبِّكَ لَمُو لِلْمَالِمِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ اَلْنَهُومُهُ عَالَ ابن قتيبة: لَحقوهم ﴿ تُشْرِقِي ﴾ أي: حين شَرَقت الشمس، أي: طلعت، يقال: أَشْرَقْنا: دخلنا في الشَّروق، كما يقال: أمسينا وأصبحناً. وقرأ الحسن، وأيوب السَّخْتِياني: ﴿ فَاتَّبِعُوهُم ؟ بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا تَرْيَا الْجَنْعَانِ ﴾ وقرأ أبو رجاء، والنخعي، والأعمش: «تَرِاأَى» بكسر الراء وفتح الهمزة، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّا ﴾ أي: لن يدركونا ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَبَهْدِينِ ﴾ أي: سيدلُّني على طريق النجاة.

قوله تعالى: ﴿ فَانْفَلَقَ﴾ فيه إضمار افضرب فَانفلقَ، أي: انشَقَّ الماء اُثني عشر طريقاً ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقِ﴾ أي: كل جزءِ انفرق منه. وقر أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: "كُلُّ فِلْتِيّ باللام، ﴿ كَالطَّرْدِ﴾ وهو الجبل.

قوله تعالى: ﴿ وَأَزْلَفَنَا ثُمَّ آلْاَخْرِنَ ﴿ وَ أَنْكَفَرِنَ ﴿ وَاللَّهُ وَهِم أَصِحَابِ فَرَعُونَ. وقال أبو عبيدة: «أزلفنا» أي: جمعنا. قال الزجاج: وكلا القولين حسن، لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض، وأصل الزُّلفى في كلام العرب: القُرْبَى. وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وأبو رجاء، والضحاك، وابن يعمر: «أَزْلَقْنَا» بقاف، وكذلك قرأوا: «وأَزْلِقَتِ الجنَّةُ السُعراء: ١٠] بقاف [أيضاً].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ﴾ يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين، إنما آمنت آسية، وخربيل (١) مؤمن آل فرعون، وفئة الماشطة، ومريم ــ امرأة دلَّت موسى على عظام يوسف ـ، هذا قول مقاتل. وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى، فقد سبق بيانها، وكذلك ما يُفقد في مكان، فهو إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً، فتنبَّه لهذا.

﴿ وَلَقُلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَهِيمَ ۞ إِذَ قَالَ لِإِيهِ وَقَرْمِهِ مَا تَشَبُّدُونَ ۞ قَالُواْ نَسْبُدُ أَسْنَامًا مَنْظَلُ لَمَا عَكِيْبِنَ ۞ قَالَ مَلْ يَسْمَمُونَكُرْ إِذْ نَنْفُونَكُمْ أَرْ يَشْرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ وَيَمْنَا عَالِمَتَا كَتَلِكَ يَعْمَلُونَ ۞ قَالُ أَفَرَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَمْبُدُونَ ۞ أَشُدُ وَمَابَاؤُكُمُ الْاَ يَعْفُرُونَ ۞ قَالُوا بَلْ رَبَّ الْمَلَمِينَ ۞ اللَّذِي خَلْقَ بَهِينِ ۞ وَالَّذِي هُو يَلْمِيثُنِي وَيَسْتِينِ ۞ وَإِنَّا مَرْضَتُ فَهُو يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي أَلْمَتُمُ أَنْ يَغْفِرُ لِي خَلِيتَنِي وَرَدَ الذِينِ ۞ وَالَّذِي اللَّهِ مَا أَلَمْتُمُ أَنْ يَغْفِرُ لِي خَلِيتَنِي وَرَدَ الذِينِ ۞ وَاللَّذِي اللَّهِ عَلَيْتُونَ فَلَا اللَّهِ مَا أَنْ يَعْفِرُ إِلَى اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْتُونَ وَاللَّذِي اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْنَ إِلَى اللَّهِ عَلَيْنَا عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْقِي اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنُ عَلَيْنَا عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَاعِلُولُ عَلَيْنَ عَلَيْنَاعِينَا عَلَيْنَاعِينَا عَلَالَاعِلَى اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَاعِلُونَ اللَّهُ عَلَيْنَاعِلُولُ عَلَيْنَاعِلُولُونَا عَلَالَاعِلَاعِلَى اللَّ

قوله تعالى: ﴿ مَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ والمعنى: هل يَسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم

 ⁽١) قال الألوسي في قروح المعاني، ٢٤/٥٥: واسمه، قيل: شمعان، بشين معجمة، وقيل: خِربيل، بخاء معجمة مكسورة وراء مهملة ساكنة، وقيل: حزيل، بحاء مهملة وزاي معجمة، وقيل: حبيب.

الجحدري: «هل يُسْمِعونكم» بضم الياء وكسر الميم، ﴿إِذْ تَنْقُونَ﴾ قال الزجاج: إن شئت بيَّنت الذال، وإن شئت أدغمتها في التاء وهو أجود في العربية، لقرب الذال من التاء.

. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفُنُونَكُمْ إِي: إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَشُرُّونَ ﴾ إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم.

قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهُمْ عَدُوٌ لِيَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع؛ فالمعنى: فإنهم أعداءً لي. والثاني: فإن كلَّ معبود لكم عدوِّ لي. فإن قيل: ما وجه وصف الجماد بالعداوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فإنهم عدوِّ لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب؛ والمعنى: فإني عدوِّ لهم، لأن مَنْ عاديتَه عاداكَ، قاله ابن قتيبة (١). وفي قوله: ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْمَلْكِينَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه عَلِم أنهم كانوا يعبُدون الله مع آلهتهم، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من غير الجنس؛ والمعنى: لكن ربّ العالمين [ليس كذلك] (٢)، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى خَلَقَى فَهُو يَهُدِينِ ﴿ اللَّهِ الرّشد، لا ما تعبُدون، ﴿ وَالَّذِى هُو يُطْعِمُنِى وَمَسْتِينِ ﴾ أي: هو راقي الطعام والشراب (٢٠٠). فإن قيل: لم قال: ﴿ مرضتُ ، ولم يقل: ﴿ أمرضَنَى ﴾ فالجواب: أنه أراد الثناء على ربّه فاضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: ﴿ أمرضَني لعدّ قومُه ذلك عبباً ، فاستعمل حُسن الأدب؛ ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: ﴿ فَأَرْدَتُ ﴾ [الكهف: ٢٩] ، وفي الخير المحض: ﴿ فَأَرْدَ رَبُّكَ ﴾ [الكهف: ٢٦] . فإن قيل: فهذا يردُّه قوله: ﴿ وَالَّذِى يُبِيثُنِى ﴾ . فالجواب: أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله ظلى ، فأضافه إبراهيم إلى الله ظلى ، وقوله: ﴿ يُشِينِ ﴾ يعني للبعث، [وهو] (١٤ أمرٌ لا يُقرُّون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم؛ والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لِصِحَّة قولي فيما خالفتموني فيه،

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِى آطْمُعُ أَنْ يَنْفِرَ لِي خَلِيْتَقِى﴾ يعني: ما يجري على مِثْلِي من الزُّلل؛ والمفسرون يقولون: إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في الانبياه: ٣٦]، ﴿وَيَرَمُ الدِّبْبِ﴾ يعني: يوم الحشر والحساب؛ وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلعُ الإلهية إلا لِمَنْ فَعَلَ هذه الأفعال.

﴿ رَبِ هَبْ لِي حُصْمًا وَٱلْمِنْنِي بِالعَمَلِيدِينَ ۞ وَآجَمَل لِي لِسَانَ صِدْقِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۞ وَتَبْمَلْنِي مِن وَرَبَغِ جَنَّــٰوَ ٱلثَّبِيدِ ۞ وَأَغْفِرُ لِأَيِّنَّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الطَّمَالِينَ ۞ وَلَا نُخْزِلِ بَيْمَ يُبْمَنُونَ ۞ بَنَ لَا يَنفَعُ مَالً وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ لَكَ ٱللَّهَ بِفَلْمِ سَلِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَنْ لِي حُكَمَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: النبوَّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اللُّبُ (٥٠)، قاله عكرمة. والثالث: الفَهْم والعِلْم، قاله مقاتل. وقد بيَّنًا قوله: ﴿وَٱلْمِقْنِي بِالْمَسْلِمِينَ ﴾ في سورة [يوسف: ١٠١]، وبيَّنًا معنى ﴿لِمَانَ صِنْقِ ﴾ في [مربم: ٥٠] والمراد بالآخِرِين: الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَفِرْ لِأَيْنَ ﴾ قال الحسن: بلغني أن أمَّه كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكُرها. فإن قيل: فقد قال: ﴿أَغْفِرْ لِي وَلَائِكِكُ ﴾ [إبرامم: ٤١]. قيل أكثر الذَّكُر إنما جرى لأبيه، فيجوز أن يسأل الغفران لأمَّه وهي مؤمنة، فأما أبوه فلا شك في كفره. وقد بيَّنًا سبب استغفاره لأبيه في [براه: ١٩١]، وذكرنا معنى الخزي في آل عمران: ١٩٧].

قوله تعالى: ﴿ يَهُمْ يُبْمَثُونَ ﴾ يعني: الخلائق.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَنَى اللَّهَ بِقَلْمِ سَلِيمِ ﴿ إِلَّهِ مَنْ السَّرِكُ، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: سليم من الشَّك، قاله مجاهد. والثالث: سليم، أي: صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: أن السَّليم في اللغة: اللديغ، فالمعنى: كاللديغ من خوف الله تعالى، قاله

⁽١) قال ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً، ولها تأثير، فلتخلص إليَّ بالمساءة، فإني عدوٌّ لها لا أبالي بها ولا أفكّر فيها. اهـ.

⁽٢) زيادة من الروح المعاني.

⁽٣) قال ابن كثير: أي: هو خالقي ورازقي بعا سخّر ويسّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الشعرات رزقاً للعباد، وأنزل الماء عنهاً زلالاً يسقيه معا خلق أنعاماً وأناميًّ كثيراً. اهـ.

⁽٤) زيادة ليست في الأصل. (٥) أي: العقل.

الجنيد. والخامس: سليم من آفات المال والبنين، قاله الحسين بن الفضل. والسادس: سليم من البدعة، مُظمئن على السُّنَة، حكاه الثعلبي.

﴿ وَلْزَلْفَتِ لَلِمُنَةً لِلنَّقِينَ ۞ وَيُرَدَّتِ لَلْمَتِيمُ لِلْعَاهِنَ ۞ وَقِيلَ لَمُمْ أَيْنَ مَا كُشَّتَ تَمْبُكُونَ ۞ يَن دُونِ اللَّهِ مَلَ يَشُهُونَكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ ۞ مُكْبَكِينُوا فِيهَا هُمْ وَلْلَمَاؤُدُ ۞ وَيُحُونُهُ إِلِيسَ أَجْمَعُونُ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونُ ۞ تَالَّهُ إِن كُنَّا لَنِي صَلَالٍ ثُمِينٍ ۞ إِذْ لَمُسْتِيكُمُ بِرَبِ الْعَلَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَنَا إِلَّا المُجْرِمُونُ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَنِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ جَبِم ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَ كُونُ مَنَ النَّوْمِينَ ۞ إِنَّ فِي فَلِكَ الْآيَةُ وَمَا كَانَ أَنْكُومُمُ مُنْهِمِينَ ۞ وَإِذَ زَبِكَ لَمُوْ الْدَيْرِدُ الرَّحِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَزْلِفَ لِلنَّقِينَ ﴿ وَأَزْلِفَ لِلنَّقِينَ ﴿ أَي: قُرِّبَتْ إِلَيهِم حتى نظروا إليها، ﴿ وَرُزِنَتِ الْمَيْمُ ﴾ أي: أظهرتُ ﴿ إِنْهَا وَهِمَ الضَالُونَ، ﴿ وَرَقِيلَ لَمُمُ وَجَهِ التوبيخ ﴿ إِنْهَ مَا كُنتُ تَمْبُدُونَ ﴾ وهم الضالُون، ﴿ وَرَقِيلَ لَمُمُ على وجه التوبيخ ﴿ إِنْهَ مَا كُنتُ تَمْبُدُونَ ﴾ في دُونِ اللهِ عَلَ يَسُمُونَكُم ﴾ أي: يمنعونكم من العذاب، أو يمتنعون منه.

قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِوُ إِ﴾ قال السّدي: هم المشركين. قال ابن قتيبة: أَلْقُوا على رؤوسهم، وأصل الحرف «كُبْبوا» من قولك: كَبْبتُ الإناء، فأبدَلَ من الباء الوسطى كافاً، استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» من اللّكُمّة، والأصل: «كُمْمُوا». وقال الزجاج: معناه: طُرح بعضُهم على بعض؛ وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقي يَنْكَبُّ مَرَّة بعد مَرَّة حتى يَسْتَقِرَّ فيها. وفي الغاوين ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: الشياطين، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: الآلهة، قاله السدي. ﴿ وَيَحُنُونُ إِنْهِسَ ﴾ أتباعه من الجنّ والإنس. ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيا يَقْلَمُونُ ﴿ فَا الْفِراء: لقد كُنّا. وقال الزجاج: ما كُنّا إلا في ضلال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسُوِّكُم ﴾ أي: نَعْدِلُكم بالله في العبادة، ﴿وَمَا أَضَلْنَاۤ إِلَّا ٱلْمُعْرِيُّونَ ﴿ فيهم قولان: أحدهما: الشياطين. والثاني: أوَّلوهم الذين اقتدوا بهم، قال عكرمة: إبليسُ وابنُ آدم القاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَنَا لَنَا مِن شَنِمِينَ ﴿ هَذَا قولهم إذا شفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله على قال: ﴿ إِن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله على: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي [في النار]: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم؟ (١١). والحميم: القريب الذي تَوَدُّه ويَوَدُّكُ والمعنى: ما لنا من ذي قرابة يُهِمُه أمرنا، ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةٌ ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنكُونَ مِنَ النَّوْمِينِ ﴾ لتحلُّ لنا الشفاعة كما حَلَّت للموجِّدين.

﴿ كَنَّمَتْ فَوْمُ نُبِي الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَمُمْ أَخُومُرْ نُرَجُ أَلَا نَنْتُونَ ۚ إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ أَلِينٌ ۚ ﴿ مَا أَنْتُوا اللَّهِ وَالْمِيْدِينِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ كَنَّبَتْ فَوْمُ نُبِيجُ قَالَ الزجاج: القوم مذكّرون؛ والمعنى: كذَّبت جماعةُ قوم نوح.

... قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَمُمُّ أَخُوْرٌ ثُوحُ﴾ كانت الأُخوَّة من جهة النَّسَب بينهم، لا من جهة الدِّين، ﴿أَلَا نَتَقُونَ﴾ عذاب الله بتوحيده وطاعته، ﴿إِنَّ لَكُمْ رَسُولُ أَمِنَ ﴿ ﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم (٢٠). ﴿وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ أي: على الدعاء إلى التوحيد.

﴿ قَالُوَا النَّوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْدَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِنَا كَانُواْ بَيْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَائِبُمْ إِلَّا غَلَى رَبِيٍّ لَوْ تَشْعُرُونَ ۞ وَيَا أَنَا يَطَارِدِ الْمُتُومِينِ ۞ إِنْ أَنَا إِلَا نَذِيُّ شُبِينٌ ۞ قَالُوا لَهِن لَّرَ تَنتَهِ يَنتُنُحُ لَتَكُونَا مِنَ الْمَنْهُومِينَ ۞﴾

⁽١) فلما التحديث ذكره الطبرسي من الإمامية الشيعة في تفسير المجمع البيان، ولم يعزُّه الأحد، بل قال: وفي الخبر المأثور عن جابر قال: مسمعت رسول الله 数... فذكره، واستدركنا الزيادة التي بين القوسين منه، ولعل المصنف رحمه الله نقله عن الطبرسي أو ممن نقله عنه، وكذلك ذكره القرطبي في انفسيره، عن جابر ولم يعزُّه الأحد، ولم نره، والله أعلم.

⁽٢) قال ابن كُير: هذا إخبار من الله في عن عبده ورسوله نوح في وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحلراً من وبيل عقابه، فكنبه قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى، ونزل الله تعالى تكفيبهم له منزلة تكفيبهم جميع الرسل، فلهذا قال: ﴿كُنْبُ ثُمْ أَنُو اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَبِيهُ عَبْرَهُ اللهُ اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَبْرَا اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَبْرَا اللهُ وَلَى اللهُ وَلِي اللهُ وَلِهُ اللهُ عَلَى اللهُ به، أبلغكم رسالات وبي ولا أزيد فيها ولا أنتص منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقِهُمَكُ الْأَرْدُلُونَ﴾ وقرأ يعقوب يفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: «وأَتْبَاعُكَ الأرذلون، وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الحاكة، وواه الضحاك عن ابن عباس. والشائي: الحاكة والأساكفة؛ قاله عكرمة. والثالث: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عزّ، قاله عطاء. وهذا جهل منهم، لأن الصناعات لا تضرّ في باب الليانات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عِلِي بِمَا كَانُوا بَمْمَلُونَ﴾ أي: لم أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولما أكلَف ذلك، إنما كلَفتُ أن أدعوَهم، ﴿إِنْ حِسَائِبُمْ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَتْمُرُونَ﴾ بذلك ما عبتموهم في صنائعهم، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ النَّهْوِينَ ﴿﴾ أي: ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأرذلون. وفي قوله: ﴿لَكَوُنَ مِن المَشْرِمِينَ، قاله الضحاك. والثاني: من المضروبين بالحجارة، قاله قتادة. والثالث: من المقتولين بالرَّجم، قاله مقاتل.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَرْمِى كَلَّهُونِ ۞ فَأَفْتَعْ بَيْنِي وَيَتَنَهُمْ فَتُمَّا وَنَجْنِي وَمَن شَيِّى مِنَ الفُؤينِينَ ۞ فَأَجْنِنَهُ وَمَن شَمَرُ فِي الفُلْفِ الْسَشْمُونِ ۞ ثُمَّ أَخَرْقَنَا بَعْدُ الْبَافِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَائِبَةً وَمَا كَانَكُمْ أَنْوْمِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكِ لَهُوَ الْمَرِيُرُ الرَّحِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْتُمْ بَيْنِ وَيَسْهُمْ ﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاءً، يعني: بالعذاب ﴿ وَيَجْنِي وَبَن مَيْيَ مِن ذلك العذاب. والفُلك قد تقدم بيانه [البترة: ١٦٤]. والمشحون: المملوء، يقال: شحنتُ الإناء: إذا مَلأَتَه؛ وكانت سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كُلّه، ﴿ مُمَّ أَغْرَقَنَا هَدُ هُ بعد نجاة نوح ومن معه ﴿ ٱلْمَاتِينَ ﴾.

﴿ كَذَبَتْ عَادُ المُرْسَلِينَ ۚ إِذَ قَالَ لَمُمْ الْمُومُمْ هُمُوهُ الْا نَتَفُونَ ۞ إِنِ لَكُوْ رَسُولُ آمِينٌ ۞ قَائَفُوا الله وَأَطِيمُونِ ۞ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَ أَجْرِينَ إِلَا عَلَى رَبِّ إِلَيْكُونِ ۞ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِبِعِ عَامَةً تَعَشُّونَ ۞ وَمَتَظِيدُونَ مَمْسَائِعَ لَمَلَكُمْ عَنْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَكُمْ مُنْدُونَ ﴾ بَطَفْتُد جَارِينَ ۞ قَائَمُوا الله وَالتَّمُوا اللهِ مَا تَشَلُونَ ۞ أَمَدُ بِمَا تَسْلُمُونَ ۞ أَمَدُ بِمَا تَسْلُمُونَ ۞ أَمَدُ بِمَا تَسْلُمُونَ ۞ وَمَنْدِونَ ۞ إِنِّ أَمْلُونَ أَنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْدِي اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُونِ إِلَيْمُ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُونِ اللهُ وَمُنْ اللهُ وَمُؤْمِنُ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُؤْمُونُ اللّهُ وَمُنْ الللهُ وَاللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمُونُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

قوله تعالى: ﴿أَنَبُنُنَ بِكُلِّ رِبِعِ﴾ وقر عاصم الجحدري، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: ﴿بَكُلِّ رَبْعِ ابفتح الراء. قال الفراء: هما لغتان. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المكان المرتفع ؛ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: بكل شَرَف. قال الزجاج: هو في اللغة: الموضع المرتفع من الأرض. والثاني: أنه الطريق، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: الفجّ بين الجبلين، قاله مجاهد. والآية: العلامة. وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد: تبنون مالا تسكنون، رواه عطاء عن ابن عباس؛ والمعنى أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبد عبال والثاني: بروج الحمام، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة ليُشرفوا على المارّة فيسُخُروا منهم ويَعْبَرُوا بهم، وهو معنى قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّيِدُونَ مَصَائِعَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قصور مشيَّدة، قاله مجاهد. والثاني: مصانع الماء تحت الأرض، قاله قتادة. والشالث: بروج الحمام، قاله السدي (١١). وفي قوله: ﴿ لَمَلَكُمْ خَنْدُونَ ﴾ قولان: أحدهما: كأنكم تخلدون؛ قاله ابن عباس، وأبو مالك. والثاني: كَيْما تَخْلُدوا، قاله الفراء، وابن قتيبة، وقرأ عكرمة، والنخعي، وقتادة، وابن يعمر: ﴿ تُخُلُدونَ المِومِ التاء [وتسكين الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو حصين]: ﴿ تُتَخَلَدُونَ المَاءَ وتشديد اللام.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُر بَطَنْتُر جَالِينَ ﴿ فَهِ المعنى: إذَا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبَّارين، وإذَا عاقبتم قَتَلتم؛ وإنما أَنكر عليهم ذلك، لأنه صدر عن ظلم، إذ لو ضَربوا بالسيف أو بالسوط في حقَّ ما ليموا. وفي قوله: ﴿ مَذَابَ يَرْمِ عَظِيمٍ ﴾ قولان: أحدهما: ما عذّبوا به في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم.

⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مُضنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيّدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقلى، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله أنهم كانوا يتخذون مصانع. اهـ.

﴿ قَالُواْ سَوَاتُهُ عَلَيْنَا ٱرْعَطْتَ أَدْ لَدُ تَكُنْ مِنَ ٱلْوَعِظِيرَ ﴾ إِنْ حَنَا إِلَا خُلُقُ ٱلأَوْلِينَ ﴾ رَنَا نَمَنُ بِمُعَذَبِينَ ﴾ وَكَذَبُوهُ فَأَمَلَكُمُهُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ النَّرْسَيْنِ ﴾ إذ كَانَ ٱكْفُرُمُ نُوْمِينَ ﴾ وَلَا رَئِكَ لِمُنَى ٱلدَرِدُ الرَّبِيمُ ﴾ كَذَبَتْ نَسُودُ السُّرِسَيْنَ ﴾ إذ كال لَمُمْ أَسُومُمْ صَلِحُ أَلَا نَشُونُ ﴾ إِن لَكُمْ رَسُولُ أَمِينًا ﴾ فَاتَشُوا اللهَ وَالْمِيمُونِ ﴾ ومَا أَشْتُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْنِي إِلَّا عَلَى رَبِّ السَّلَمِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلّا خُلُقُ الْأَرْلِينَ ﴿ قُواْ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «خَلْق» بفتح الخاء وتسكين اللام؛ قال ابن قتيبة: أرادوا اختلاقهم وكذبهم، يقال: خَلَقتُ الحديثَ اختلقتُه، أي: افتعلته، قال الفراء: والعرب تقول للخُرافات: أحاديثُ الخَلْق. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، [وخلف، ونافع]: «خُلُق الأولين» بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري: «خُلْق» برفع الخاء وتسكين اللام؛ والمعنى: عادتهم وشأنهم. قال قتادة: قالوا [له]: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا غَنْ بِمُعَذِّبِينَ ﴿ أَي: على ما نفعله في الدنيا.

﴿ أَنْكُرُكُونَ فِى مَا هَنَهُنَا ۚ مَامِنِينَ ۞ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ وَيُنْفِعِ وَخَلِ طَلْمُهَا هَضِيتُ ۞ وَتَنْمِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُبُونًا فَرِهِينَ ۞ فَاتَقُوا اللّهَ وَلَلِيتُونِ ۞ وَلَا تُطِيمُوا أَمْرَ السَّرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِلُونَ فِي ٱلأَرْتِنِ وَلَا يُصْلِيحُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَتُتَرَّكُونَ فِي مَا هَنهُمَا ﴾ أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا ﴿ يَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب.

قوله تعالى: ﴿ طَلْمُهَا هَضِيتٌ ﴾ الطّلْع: الثمر. وفي الهضيم سبعة أقوال. أحدها: أنه الذي قد أينع وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه الذي يتهشَّم تهشُّماً، قاله مجاهد. والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن. والوابع: أنه المذنَّب من الرُّطب، قاله سعيد بن جبير. والمخامس: اللَّيِّن، قاله قتادة، والفراء. والسادس: أنه الحمل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً، قاله الضحاك. والسابع: أنه الطَّلْع قبل أن ينشقَّ عنه [القشر] وينفتح، يريد أنه منضمٌ مُكتَزِّ، ومنه قبل: رجل أهضَمُ الكَشْحَيْن، إذا كان مُنْضَمَّهما، قاله ابن قتية (۱).

قوله تعالى: ﴿ وَتَنْحِثُونَ مِنَ الْمِبَالِ بُيُونَا تَدِهِينَ ﴿ قَلَ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿ فَرِهِينَ ، وقرأ الباقون: ﴿ فَارِهِينَ ﴾ الله ابن قتيبة: ﴿ فَرِهِينَ ﴾ : أَشِرِين بَطِرِين، ويقال: الهاءُ فيه مبدّلةٌ من حاء، أي: فَرِحِين، والله و الله و الله عنه على الله و الله عنه و الله و الله عنه و الله و الله

قوله تعالى: ﴿ وَلا تُطِيمُوا أَتَى السُنونِينَ ﴿ قَالَ ابن عباس: يعني: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذي عقروا الناقة.

﴿ قَالُوا إِنَمَا أَنَ بِنَ الْمُسَمَّدِينَ ۞ مَا أَنَ إِلَا بَشَرٌ بِنِثْلُنَا نَأْتِ بِنَايَةٍ إِن كُمْتَ مِنَ الْسَدِيْنِ ۞ قَالَ هَـٰدِيدِ نَافَةٌ لَمَّا شِرْبُ وَلَكُمْ شِرْبُ بَرْمِ تَشْلُمِهِ ۞ وَلَا تَشْرُهَا بِشُوْمِ فَبَالْخُذَكُمْ مَذَابُ بَرْمٍ عَظِيمٍ ۞ تَمَقَرُهَا فَأَصْبَحُواْ نَدِيبِنَ ۞ تَأْمَدُ ثَوْلَ النَّرْمِينَ ۞ إِذَ قَالَ لَمُعْ الْعَلَامُ أَلَا لَنَقُونَ ۞ وَمَا كَانَ أَحْتُونُهُمْ تُوْفِينِنَ ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ لَهُو الْمَرْجِرُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَبَتْ فَقُمْ لُولًا النَّرَانِينَ ۞ إِذَ قَالَ لَمُ لَمُونَمُ لُولًا أَلَا نَشُونَ ۞ إِنِ النَّمْ رَسُولُ أَمِينً ۞ قَائَتُواْ اللّهَ وَلَلْمِشُودِ ۞ وَكَمَّا السَّتَلَكُمْ عَلِيهِ مِنْ لَمَرِّ إِنْ أَخْرِي إِلَّا عَلَى رَبِ الْمَسْلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْمَا أَنَتَ مِنَ ٱلْسُمَعِّرِينَ﴾ قال الزجاج: أي: ممن له سَحْر، والسَّحْر: الرِّئة، والمعنى: أنت شر مثلنا. وجائز أن يكون من المفعَّلين من السَّحر؛ والمعنى: ممن قد سُجر مَرَّة بعد مَرَّة (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ لَمَّا شِرْبٌ ﴾ أي: حظٌّ من الماء. قال ابن عباس: لها شِرب معروف لا تحضروه معها، ولكم شِرْب

 ⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسّر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضِم فلان حقه: إذا انتقصه وتحبَّفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقُّص منه، من رطوبته ولينه، إما بمسّ الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فعيل. اهـ.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعلَّلون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربّاً ولا
 ملكاً فنطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول، قال: والمسحَّر: المفعَّل من السحرة، وهو الذي له سحرة. اهـ.

لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقتسموه، وإذا كان يومها شَربتِ الماءَ كُلَّه. وقال قتادة: كانت إذا كان يوم شربها، شربت ماءهم أول النهار، وسقتهم اللبن آخر النهار. وقرأ أُبيُّ بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة: «لهَا شُرْبٌ» بضم الشين.

قوله تعالى: ﴿فَأَصِّبَحُوا نَكِيرِينَ﴾ قال ابن عباس: ندموا حين رأوا العذاب على عَقْرها، وعذابهم كان بالصَّبحة.

﴿ اَتَأْثُونَ الذَّكُونَ مِنَ الْمَلَكِينَ ﴾ وَتَذَكُونَ مَا خَلَقَ لَكُوْ رَيُكُمُّ مِنْ أَنْوَبِكُمُّ بَلَ أَنَمُ فَقُ عَادُونَ ﴾ قالوا لَهِن لَمْ تَنَدِ بَلُولُكُ اَنْتُكُونَنَ مِنَ الْمُنْخُونِينَ ﴾ قالوا لَهِن لَمْ تَنَدِ بَلُولُكُ التَّكُونَنَ ﴾ وَالْمَلُونَ ﴾ فَنَجَيْنَهُ وَأَعْلَمُهُ أَخْمِينَ ﴾ والله عَجُولُا فِي الْعَلِمِينَ ﴾ وأَمْلُونَ الْمَدُونَ ﴾ وأَمْلُونَ أَلْمُنْدُونَ ﴾ وأَمْلُونَ عَلِيم مُطُرُّ فَسَلَة مَطُرُ السُّنَدُونَ ﴾ وأَمْلُونَ اللهُ لَابَةُ وَيَا كَانَ أَكْثُرُمُ مُمُومِينَ ﴿ وَلِينَ وَلِيلُ لَابَةُ مِنَا اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكُوانَ ﴾ وهو جمع ذكر ﴿ مِنَ الْمَلْكِينَ ﴾ أي: من بني آدم، ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُرْ رَفِّكُم مِنْ أَنْفَكِكُمُ ۗ ﴾ [قال الزجاج: وقرأ ابن مسعود: «ما أصلح لكم ربُّكم من أزواجكم »] يعني به الفروج. وقال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال.

قوله تمالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَرَمُ عَادُونَ ﴾ أي: ظالمون معتدون. ﴿قَالُواْ لَهِن لَّرْ تَنْتَهِ يَنْلُوكُ ﴾ أي: لئن لم تسكت عن نهينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُغْرَجِينَ ﴾ من بلدنا. ﴿قَالَ إِنِّ لِمَمَلِكُم ﴾ يعني: إتيان الرجال ﴿مِنْ ٱلْقَالِينَ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من المُبْغِضِين، يقال: قَلْيْتُ الرجلَ: إذا أبغضته.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ نِجِنِي وَأَهْلِي مِثَا يَمْمَلُونَ ﴿ أَي: من عقوبة عملهم، ﴿فَنَجَيْنَكُ وَأَهْلَمُ ﴾ وقد ذكرناهم في [هود: ١٨]، ﴿إِلَّا عَجُولًا ﴾ يعني: امرأته ﴿فِي ٱلْغَيْمِينَ ﴾ أي: الباقين في العذاب. ﴿ثُمَّ دَثَرًا ٱلْآخَرِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ الْحَسْفُ وَالْحَصْب، وهو قوله: ﴿وَأَنْطَرُنَا عَلَيْمِ مَطَرًا ﴾ يعني الحجارة.

﴿كَذَبَ ٱضْعَنْ لَيْكُو ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذَ قَالَ لَمُمْ شُعَيْثُ ٱلَا نَتَنُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٌ ۞ فَآتَا أَسْتَلَكُمْ مَلَيْهِ مِنْ أَبْرِيَّ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا ظَنْ رَبِ الْعَلِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿كُذُبَ أَحْمَتُ لَيَكُوّ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «أصحابُ لَيْكَةً هاهنا، وفي [من: ١٦] بغير همز والتاء مفتوحة؛ وقرأ الباقون: «الأيْكَة بالهمز فيهما والألف. وقد سبق هذا الحرف [الحجر: ٧٨]. ﴿إِذْ قَالَ لَمُمْ شَعْبَهُ ﴾ إن قيل: لِمَ لم يقل: أخوهم، كما قال في [الاعراف: ٢٥٥] فالجواب: أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسِل إلى مَدْين، وهو من نسل مَدْين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان. وقد ذكرنا في سورة [هود: ١٤] عن محمد بن كعب القرظي، أن أهل مَدْين عَدِّبوا بعذاب الظُّلَّة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل، فقد تساووا في العذاب، وإن كان أصحاب مَدْين هم أصحاب الأيكة ألى حذف ذكر الأخ تخفيفاً، والله أعلم.

﴿ أَوْلُوا الكِيْلُ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ الْمُغْمِرِينَ ﴿ وَزِقُوا بِالْقِسْطَاسِ السَّنَقِيمِ ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ الْشَيَآءَمُرُ وَلَا نَسَنَواْ فِي الأَرْضِ مُمْمِدِينَ ﴾ مُمْمِدِينَ ﴾ وَالْتُعْرِا الذِي خَلَقَكُمْ وَالْبِيلَةُ الْأَزْلِينَ ﴾

قُوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكَيْل، يقال: أخسرتُ الكَيْل والوزن: إذا نقصته. وقد ذكرنا القسطاسَ في [بني إسرائيل: ٣٥].

هؤلاء، وأمر بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل على أنهم أمة واحدة. اهـ.

⁽١) قال ابن كثير: هؤلاء يعني أصحاب الأيكة مم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال: ﴿ كُنْبَ أَصَلُ لِتَكُمُ الْمُرْسِينَ ﴿ لَهُ لَم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، إنما قال: ﴿ كُنْبَ أَصَلُ لَتَكُم المُرْسِينَ ﴿ لَه يَعْلَى للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً. قال: ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعياً ﷺ بعثه الله إلى أشين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. اهد. فأهل مدين، وأصحاب الأيكة وقوم مدين أمثان بعث الله إليهما شعيباً، قال ابن كثير: هو غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ شعيباً، قال ابن كثير: هو غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ

قوله تعالى: ﴿ وَاَتَّفُواْ اللّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِيِلَةَ ﴾ أي: خلق الجِيلّة. وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجِيلّة ﴿ الْأَوْلِينَ ﴾ . وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: "والجُبلّة بوفع الجيم والباء جميعاً مشددة اللام. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وعاصم الجحدري: بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام. قال ابن قتية: الجبلّة: الخُلق، يقال: جُبل فلان على كذا، أي: خُلق، قال الشاعر:

والسموتُ أعسظهُ حسادتِ ممَّا يَسمُرُ على الجبلَّة (١)

﴿ وَالْمُوا إِنْمَا أَنَ مِنَ الْمُسَمَّدِينَ ﴿ وَمَا أَنَتَ إِلَا بَشَرٌ مِثْلُنَا مَلِن نَظْنُفَ لِمِنَ الْكَذِينِ ﴿ مَا أَسْتَعَلَى مَنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الْمَسْدِفِينَ ۞ فَالَ رَقِ أَعْلُمُ مِمَا مَسْمَلُونَ ۞ فَكَلَّمُوهُ فَأَخَدُهُمْ حَدَابُ يَوْمِ الظَّلَةُ إِنَّهُ كَانَ حَدَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّ فِي وَهِكَ لَاَيَّةً وَمَا كَانَ أَكْمُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ فَقُ الْمَرْبِرُ الرَّبِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْقِطُ مَلَيْنَا كِسَنَا﴾ (٢) قال ابن قتيبة: أي قطعةً ﴿ يَنَ ٱلنَّمَآ ﴾، واكِسَفُ، جمع اكِسْفَة، [كما] يقال: قِطَمٌ وقِطْمَة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من نقصان الكيل والميزان؛ والمعنى: إنه يُجازيكم إن شاء، وليس عذابكم بيدي، ﴿فَكَلَّبُوهُ فَأَخَذُهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ ٱلظَّلَةُ﴾ قال المفسرون: بعث الله عليه حرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البريَّة، فبعث الله عليهم سحابة أظلَّتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادى بعضهم بعضاً. حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم ناراً، فكان ذلك من أعظم العذاب. والظَّلَّة: السحابة التي أظلَّتهم.

﴿ وَلَيْمُ آتَانِيلُ رَبِّ الْمَالِمِينَ ۞ مَنَلَ بِهِ اللَّتِحُ اللَّحِينُ ۞ مَن قَلِكَ لِنكُرنَ مِنَ السُّذِينَ ۞ بِيسَانِ مَرِّوْ ثَبِينِ ۞ وَلِيَمُ لَهِى لَئُرِ الأَوْلِينَ ۞ أَمَارُ يَكُن لَمُ عَلِمُ لَن يَلَمُو مُلْسَتَوْا بَيْنَ إِسْرَتِيلَ ۞ وَلَوْ زَلِيْتُ عَنْ بَشِينَ الأَمْتِجِينَ ۞ فَتَرَارُ عَلَيْهِم مَّا كَافًا بِهِ مُمْيِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَنَانِيلُ رَبِّ الْمَالِينَ ﴿ الْأَيْنُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ وجفص عن عاصم: «نَزَّلَ به » خفيفاً «الرُّوحُ الأمينُ» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نَزَّلَ» مشددة الزاي «الرُّوحَ الأمينَ» بالنصب. والمراد بالرُّوح الأمين: جبريل، وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه، ﴿ مَنْ نَبْكَ ﴾ قال الزجاج: معناه: نزل عليك فوعاه قلبك، فبت، فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُنَ مِنَ ٱلنَّذِينَ ﴾ أي: ممن أنذر بآيات الله المكذَّبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَفِي تُبِينِ ﴿ قَال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنِى نَهُرِ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ وَقِرا الأعمش: ﴿ زُبْرِ ، بتسكين الباء. وفي هاء الكناية قولان: أحلهما: أنها ترجع إلى القرآن؛ والمعنى: وإنَّ ذِكْر القرآن وخبره، هذا قول الأكثرين (٢٠٠). والثاني: أنها تعود إلى رسول الله ﷺ، قاله مقاتل، والزُّبُر: الكُتُب.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَا يَكُن لَمُ مَايَةً أَن يَهْلَمُ عُلَكُوا بَن إِسْرَة بِلَ إِسْرَة بِلَ إِسْرَة بِلَ ابِن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَوْلَا يَكُن لَمُ ﴾ بالياء قايةً، بالنصب. وقرأ ابن عامر، وابن أبي عبلة: قتكن، بالمتاء قايةً، بالرفع، وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادة: قتكن، بالتاء قايةً، بالنصب قال الزجاج: إذا قلت: قيكن، بالياء، فالاختيار نصب قايةً ويكون قأن، اسم كان، ويكون قآية، خبر كان، المعنى: أو لَم يكن لهم عِلْم علماء بني إسرائيل أنَّ النبيَّ عَلَى حتَّ، وأن نبوَّته حتى! قال أي: علامة موضحة، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذِكْر النبي على مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ومن قرأ قأو لَم تكن، بالتاء قايةً، جعل قاية، هي الاسم، وقان يعلمه، خبر قتكن، ويجوز أيضاً قاق

⁽١) البيت غير منسوب في (غريب القرآن) ٣٢٠، و(مجمع البيان) ١٧٨/١٩، (القرطبي) ١٢٦/١٣ وفيه فنيما) بدل (مما).

⁽٣) وهو الصواب.

لم تكن بالتاء «آية» بالنصب، كقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَكُن نِتَنَائُهُ ﴾ [الأنمام: ٢٣] وقرأ الشعبي، والضحاك، وعاصم المجحدري: «أن تَعْلَمُهُ التاء. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد على فقالوا: إنّ هذا لزمانُه، وإنّا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صِدقه (١١).

قوله تعالى: ﴿ عَلَ بَعَضِ ٱلأَعْجَبِينَ ﴾ قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم: الذي لا يُفْصِح، وكذلك الأعجمي؛ فأما العجمي: فالذي من جنس العجم، أفصح أو لم يُفْصِح.

قوله تعالى: ﴿ مَّا كَائُوا بِدِ مُزْمِنِينَ ﴾ أي: لو قرأه عليهم أعجميّ لقالوا: لا نفقة هذا، فلم يؤمنوا.

﴿ كَثَوْكَ سَلَكُنَهُ فِي قُلُوبِ اللَّمْوِينِ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. حَقَّ بَرُواْ العَلَابُ الْأَلِيدَ ۞ فَتَأْتِيهُمْ بَفْتَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُهُونَ ۞ فَيَقَوْنَ إِن مُتَّعَنَّهُمْ سِينَ ۞ ثُرَّ جَآءَهُمْ مَّا كَاثُواْ بُوعَدُونَ ۞ مَّا أَفَنَ عَتَهُمْ عَلَى كَاثُواْ بُوعَدُونَ ۞ مَّا أَفَنَ عَتْهُمْ عَلَى كَاثُواْ بُوعَدُونَ ۞ وَكُونَ وَمَا كَانُوا بُمُتُمُونَ ۞ وَكُونَ وَمَا كَانُوا بُمُتُمُونَ ۞ وَمَا أَفَنَ عَلَيْمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿ كُنْزَاكَ سَلَكُنْكُ قَدْ شُرِحْنَاهُ فَي [العجر: ١٢]. والمجرمون هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُرْمِثُونَ بِدِ ﴾ قال الفراء: المعنى: كي لا يؤمنوا. فأما العذاب الأليم، فهوَ عند الموت. ﴿ يَتَرُبُكُ عند نزول العذاب ﴿ مَلْ غَنْ شُظَرُونَ أَي: مؤخرون لنؤمن ونصدُّق. قال مقاتل: فلما أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً به (٢)، فقال الله تعالى: ﴿ أَفِهَلَانِنَا يَسْتَمْجِلُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ أَنَّكُ إِنَّ مُّتَّمِّنَا لَهُمْ سِنِينَ ١٠٠ قَالَ عكرمة: عُمُّرَ الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَاءَمُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿ إِنَّ مِن العذاب. ﴿ وَمَا أَمْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ بالعذاب في الدنيا ﴿ إِلَّا مُنذِنُونَهُ يعني: رَسُلاً تنذرهم العذابَ. ﴿ وَكُرْقَهُ أَي: موعظة وتذكيراً.

﴿ وَمَا نَتَزَّتُ بِهِ ٱلشَّبَطِينُ ۞ وَمَا يَلْبَى لَمُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَمْزُولُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنَزَتُ بِهِ الشَّيَطِينُ ﴿ سَبِ نزولها أَن قريشاً قالت: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتُلقيه على [لسان] محمد، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِى لَمُنْهُ أَي: أَن يَنزِلُوا بِالقرآنَ ﴿ وَمَا يَسْتَظِيمُنَ ﴾ أَن يأتوا به من السماء، لأنهم قد حِيل بينهم وبين السَّمع بالمتلائكة والشُّهُب. ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي: عن الاستماع للوحي من السماء ﴿ لَمَنْزُلُونَ ﴾ فكيف ينزلون به؟! وقال عطاء: عن سماع القرآن لمحجوبون، لأنهم يُرْجَمون بالنجوم.

﴿ فَلَا نَتْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفْرِينَ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ نَقُلْ إِلَى بَرِيَّةٌ مِنَا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَرَكَّلُ عَلَى ٱلْمَرِيدِ الرّحِيـهِ ۞ الّذِى يَرَبِكَ حِبَنَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلَّبُكَ فِ السّنجِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السّيمُ الْمَلِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَا نَنْعُ مَعَ اللهِ إِنْهًا ءَاخَرَ ﴾ قال ابن عباس: يحذّر به غيره، يقول: أنت أكرمُ الخُلْق عليّ، ولو اتّخذت من دوني إلها لعلّبتُك.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْدِرَ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِحَ ﴿ وَلَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله الله ﴿ وَأَنْذِرَ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرِيحَ ﴿ فَالَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّ

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذِكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقال ابن كثير: أو ليس يكفيهم من الشاهد المعادق على ذلك، أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونهاء والمراد: العدول منهم اللذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي همن أدركه منهم ومن شاكلهم، قال الله تعالى: ﴿ الْذِينَ يَشِعُونَ الرَّسُولَ النَّيِّ الأَرْبَ اللهي يَهِدُونَكُمُ مَكُنُونًا عِندَهُمْ في النُّرَابُ ذَلًا يجبل ١٠٠٠ الآية [الأعراف: ١٥٧]. اهـ.

⁽٢) في «مجمع البيان» للطبرسي: «تكذيباً له» ولعل المصنف رحمه الله نقل قول قتادة هذا من الطبرسي، أو ممن نقل عنه الطبرسي.

⁽٣) وهو كذلك في المجمع البيان؛ للطبرسي.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبُكَ﴾ أي: ونرى تقلبُك ﴿فِي التَنجِدِينَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وتقلبُك في أصلاب الأنبياء حتى أخرَجك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: وتقلَّبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلَّين في الجماعة؛ والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة. والثالث: وتصرُّفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن (٥٠).

﴿ مَلْ أَتَبِثَكُمْ عَلَى مَن نَئِزُلُ الشَّيَطِينُ ﴿ نَئِلُ عَنْ كُلِّ أَنَّاكِ أَيْدٍ ﴿ يُلْقُرَنَ السَّنْعَ وَأَخْتَرُهُمْ كَدِيْرِك ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَلَ أُنْيَثُكُمُ عَلَىٰ مَن تَنَزُلُ الشَّيَطِينُ ﴿ ﴾ هذا ردٌّ عليهم حين قالوا: إنما يأتيه بالقرآن الشياطين. فأما الأفّاك فهو الكذّاب، والأثيم: الفاجر؛ قال قتادة: وهم الكهنة.

قوله تعالى: ﴿ يُلْقُرِنَ السَّنَعَ ﴾ أي: يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة. وفي قوله: ﴿ وَأَكُنُهُمْ كَلِيْرَك ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الشياطين. والثاني: الكهنة.

﴿وَالشُّمَوْلَةُ يَنَبِّعُهُمُ الْعَاثِرَةِ ۞ اَلَوْ تَرَ النَّهُمْ فِ كُلِّ وَاو بَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَنْمَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ مَامَثُوا وَعَمِلُوا الشَّلِاحَاتِ وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَتِيرًا وَانتَمَسُرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَيَسَيّعُكُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَقَ شُنْلَبِ يَنْقِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالشَّعَرَةُ يَنِّمُهُمُ الْنَاثِنَ ﴿ وَوَا نَافِع: ﴿ يَتْبِعهم اللَّهِ اللَّهُ الْنَاوُنَ ﴿ وَلَيْ مَا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ الللللَّ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ ا

 ⁽١) رواه البخاري ٣٨٦/٨، ومسلم ١/ ١٩٢، والطبري ١١٩/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٩٥ وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المغذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وفي «الدلائل».

⁽٢) رواه مسلم في اصحيحه بهذا اللفظ ١٩٢/١.

⁽٣) رواه مسلم أيضاً بهذا اللفظ ١٩٢/١، قال الإمام النووي في قشرح مسلم ٢٠ / ١٥٠: قبيلالها، ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء، وقال: قال القاضي عياض: رويناه بالكسر، قال: ورأيت للخطابي أنه بالفتح، وقال صاحب قالمطالع،: رويناه بكسر الباء وفتحها، من بلّه يُبلّه، والبلال الماء. ومعنى الحديث: سأصِلها، شبهت قطيمة الرحم بالحرارة، ووصلُها بإطفاء الحرارة ببرودة، قال: ومنه: بُلُوا أرحامكم، أي: صِلوها، هم.

⁽٤) زيادة من «القرطبي».

أ) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله، قول من قال: تأويله: ويرى نقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، ثم قال: فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين نقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس. ثم قال في تتمة الآية: وقوله: ﴿ إِنَّهُ هُو النَّبِحُ النَّبِحُ النَّبِحُ النَّبِعُ النَّبِعُ النَّبِعُ النَّبِعُ المَاكِم بن يتما بن يتما الله عن محمد وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلَّب فيها معك مؤتماً بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأى من ربك ومسمع. اه.

⁽٦) الطبري ١٢٧/١٩، وذكره السيوطي في اللد، ٩٩/٥ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

 ⁽٧) ذكر قول مقاتل هذا الطبرسي في المجمع البيان. وعبد الله بن الزبعرى أسلم بعد ذلك، وكذلك أبو سفيان.

قوله تعالى: ﴿أَلَرُ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ رَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ هَا مَثُلَ بَمَن يَهِيمَ فِي الْأُودِيّة؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فنّ من لغو وكذب وغير ذلك؛ فيمدحون بباطل ويذُمُّون بباطل، ويقولون: فعلنا، ولم يفعلوا(١١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا﴾ قال ابن عباس: لمّا نزل ذمَّ الشعراء، جاء كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، أنزل الله هذا وهو يعلم أنّا شعراء، فنزلت هذه الآية (٢٠. قال المفسرون: وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله في وذمّوا من هجاه (٢٠)، ﴿وَذَكُرُوا الله كَيْمِلُ ﴾ أي: لم يَشْعَلهم الشّعر عن ذِكْر الله ولم يجعلوا الشّعر همّهم. وقال ابن زيد: وذكروا الله في شِعرهم. وقيل: المراد بالذّكر: الشّعر في طاعة الله عَلى.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَصَرُوا ﴾ أي: من المشركين ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء. ثم أوعد شعراء المشركين، فقال: ﴿ وَسَيَعْلُرُ النِّينَ ظُلَوا ﴾ أي: أشركوا وهجوا رسول الله على والمؤمنين ﴿ أَنَّ مُنقلَبِ يَنقَبُونَ ﴾ أقال الزجاج: «أيَّ » منصوبة بقوله: «ينقلبون لا بقوله: «سيعلم»، لأن «أيّا» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها، ومعنى الكلام: إنهم يَنقلبون إلى نار يخلّدون فيها. وقرأ ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو رجاء: «أيَّ مُنقلب يَنقَلبُون» بتاءين مفتوحتين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان وتشديد اللام فيهما، وقرأ أبيُ بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أيَّ مُنقلَتٍ يَنقلِتُون» بالفاء فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين. وكان شريح يقول: سيعلم الظّالمون حظّ من نقصوا، إنّ الظّالم يَنتَظِر العِقاب، وإنّ المظلوم ينتظر النصر...



⁽١) قال ابن كثير: قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتيمة فلان، ومرة في مديحة فلان. قال: قال قتادة: الشاعر يمدح قوماً بباطل، ويذم قوماً بباطل. اهـ.

 ⁽٦) قال ابن كثير: هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار؟! وفي ذلك نظر، ولم يتقدم - أي في سبب النزول - إلا مرسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم. اهم.

 ⁽٣) قال ابن كثير: ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبّساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب
وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيّئ ـ فإن الحسنات يذهبن السيئات ـ وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة
ما كان يذمه، كما قال عبد الله بن الزيعرى حين أبـلم:

يسا رمسول السمليك إن لسساني والسفي المنطب إن لسساني واست مسا فست قستُ إذ أنسا بسور ور إن أجاري السشيطان في سنن الغيس ور ور ومسن مسال مسيمله محواً، فلما أسلم لم يكن أحد الله وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي الهوهو ابن عمه، وأكثرهم له هجواً، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله الله وكان يمدح رسول الله بله بعدما كان يهجوه، ويتولاه بعدما كان قد عاداه، ثم قال ابن كثير: ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهِيْ مَعْرَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الله الله الله عليه الله عليه الله كثيراً في كلامهم، وقيل: في شعرهم، قال: وكلاهما صحيح مكفّر لما سبق. اهـ.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَسَبَعَلُدُ اللَّذِي ظُلُكُوا ﴾ يقول تعالى ذِكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿ أَن مُنقلبُونَ ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معادي يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيرها، ولا يسكن لهبها. اهد. وقال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم. اهد. وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

سورة النّمل وهي مكية كلّها بإجماعهم

بنسيد أقر الزنكن التحسية

قوله تعالى: ﴿ لَمَ مَن الله عن أبي طلحة عن أبي طلحة عن أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن أبي طلحة عن أبي وفي رواية أخرى عنه، قال: هو اسم الله الأعظم. والثاني: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والثالث: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي (١).

قوله تعالى: ﴿وَكِتَابِ تُبِينٍ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: ﴿وكتابٌ مبينٌ المارفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿ رَبُّنْرَىٰ ﴾ أي: بشرى بما فيه من الثواب للمصدِّقين (٢٠).

قوله تعالى: ﴿زَنَّا لَمُمْ أَعْدَلَهُمْ﴾ أي: حبَّبنا إليهم قبيح فعلهم. وقد بيَّنًا حقيقة التزيين والعَمَه في [البقرة: ١٥، ٢١٢]. وسوء العذاب: شديده.

قوله تعالى: ﴿مُمُ ٱلأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿ وَلِنَّكَ لَلُغَى الْفُرْدَاتَ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُلْقَى عليك فتتتَلَقَّاه أنت، أي: تأخذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوبَىٰ ﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله تعالى: ﴿ يَشِهَا بِ فَبَسِ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب إلا زيداً؛ ابشهاب، بالتنوين. وقرأ الباقون على الإضافة غير منوَّن. قال الزجاج: من نوَّن الشهاب، جعل القبس من صفة الشهاب، وكل أبيض ذي نور، فهو شهاب. فأما من أضاف، فقال الفراء: هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله: ﴿ وَلَدَارُ ٱلْآَيْفِرَةِ ﴾ شهاب. فأما من أضاف، فقال الفراء: هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله: ﴿ وَلَدَارُ الْآَيْفِرَةِ ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال ابن قتيبة: الشَّهاب: النار، والقبَس: النار تُقْبَسَ، يقال: قَبَسْتُ النار قَبْساً، واسم ما قَبَستَ: قَبَسْ.

قوله تعالى: ﴿ تُمَمِّلُونَ ﴾ أي: تستدفئون، وكان الزمان شتاء.

قوله تعالى: ﴿ فَلْمَا جَآمَا ﴾ أي: جاء موسى النار، وإنما كان نوراً فاعتقده ناراً، ﴿ وَوَرِى أَنَّ بُولِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: قُدِّس مَنْ في النَّار، وهو الله عَنْ الله ابن عباس، والحسن؛ والمعنى: قُدِّس مَنْ ناداه مِنَ النّار، لا أنّ الله عَلَى يَحُلُّ في شيء. والثاني: أن «مَنْ والدة؛ والمعنى: بوركتِ النَّارُ، قاله مجاهد، والثالث: أن المعنى: بُورِك على من في النار، أو فيمن في النار؛ قال الفراء: والعرب تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه، بمعنى واحد، والتقدير: بُورِك من في طلب النار، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحيَّة من الله تعالى لموسى بالبركة، كما حيَّى إبراهيمَ بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿ وَيَحْتُ اللهِ وَرَكَنَاتُم عَلَيْكُو أَهَلَ الْبَيْتِ ﴾ [لمود: ٢٧]. فخرج في قوله: ﴿ وَرَكَانُهُ عَلَيْكُو أَهَلَ الْبَيْتِ ﴾

(١) انظر التعليق الذي في أول سورة (الشعراء) وما قاله العلماء عن الحروف التي في أوائل السور.

 ⁽٢) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْنَى الْمُدْيِينَ ﴿ ﴾: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدَّقه وحمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة والنار. اهـ.

أقوال: أحدها: الملائكة، قاله ابن عباس، والحسن، والثاني: موسى والملائكة، قاله محمد بن كعب، والثالث: موسى؛ فالمعنى: بُررك فيمن يطلبها وهو قريب منها.

﴿ يَنُونَ إِنَهُ أَنَا اللهُ العَرِينُ المَدَيمُ ۞ وَالِنِ عَمَالًا فَلَمَا رَمَاهَا خَبَرُ كَأَنَهَا جَأَنَّ وَلَى مُمْنِهِا وَلَرْ بُمُنِفِئْ يَمُوسُهُ لَا خَيْفَ إِنِي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْمَلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ فَوْ طَلَلَ حُسْنًا بَعْدَ شَوْو فَإِنَى فَقُولُ رَحِيمٌ ۞ وَأَدْخِلُ بَدَك فِي جَبْبِك خَيْجُ بَيْضَة مِن فَيْرِ سُورٌ فِي يَعْمِ أَنْهُمْ عَلَيْنَ مُنْجِرَةُ قَالُواْ هَذَا سِخَرٌ مُبِيثٌ ۞ وَيَحْمَدُواْ جِهَا وَاسْتَبْعَتْمَا أَنْفُسُهُمْ طَلْمَا وَهُولًا وَهُونَ وَقَوْمِوا اللّهُ كَالُوا فَوْمَا فَسِفِينَ ۞ فَلَمَا جَاءَتُهُمْ مَائِشًا مُنْهِرَةً قَالُواْ هَذَا سِخَرٌ مُبِيثٌ ۞ وَيَحْمَدُواْ جِهَا وَاسْتَبْعَتْهَا أَنْفُسُهُمْ طَلْمًا وَهُولًا فَانْظُمْ كَيْفَ كَانَ عَلِيمَةً ٱلْمُفْهِدِينَ ۞ فَلَنَا جَاءَتُهُمْ مَائِشًا مُنْهِرَةً قَالُواْ هَذَا اللّ

ي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لِلَا اللهُ ﴾ الهاء عماد في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السدي: هي كناية عن المينادي، لأن موسى قال: مَن هذا الذي يناديني؟ فقيل: ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللهِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَأَلَقِ عَسَالًا ﴾ في الآية محذوف، تقديره: فألقاها فصارت حيَّة، ﴿ فَلَنَّا نَهَاهَا تَهَرُّ كَأَنَّهَا جَآنٌ ﴾ قال الفراء: الحيَّة التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَرُ يُثِوِّبُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لم يلتفت، قاله قِتادة. والثاني: لم يرجع، قاله ابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة، والرجاج. قال النظر يرون أنه مأخوذ من المُقْبِ،

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لاَ يَمَانُ لَدَى النَّرْمَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يوحى إليهم فيه، فكأنه نبهه على أن من آمنه الله بالنبوّة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حيَّة. وفي قوله: ﴿إِلّا مَن ظَلَمُ عَلَهُ لللهُ أقوال: أحدها: أنه استثناء صحيح، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل؛ والمعنى: إلا من ظَلَمَ منهم فإنه يخاف. قال ابن قتية: علم الله تعالى أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفةً من ذَنْه في الرَّجل الذي وكرَّه، فقال: ﴿إِلّا من ظَلَمَ فَهُ عَلْهُ مُثَنَّ اللهُ أَي : توبة وندماً، فإنه يخاف، وإني غفور رحيم. والثاني: أنه استثناء منقطع؛ والمعنى: لكن من ظَلَم فإنه يخاف، قاله ابن السائب، والزجاج (١٠). وقال الفراء: «مَنْ مستثناة من الذين تُركوا في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لديّ المرسلون، وإنما الحوف على غيرهم، إلا من ظَلَمَ، فتكون «مَنْ» مستثناة، وقال ابن جرير: في الآية محذوف، تقديره: إلا من ظَلَم، فمن ظَلَمَ ثم بدًل حُسْناً. والثالث: أن ﴿إلّا» بمعنى الواو، فهو كقوله: ﴿إِنّلا يَكُنُ لِلنّاسِ عَلِكُمْ حُبّةُ إِلّا الّذِيث والمُمْ وَمَنْ عَلَمَ مُناسَعُ عَبْدُ اللهُ اللهُ وعاصم الجحلزي، وابن يعمر: «ألا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيف اللام. وللمفسرين في المراد بالظلم فاهنا قولان: أحدهما: المعاصي. والثاني: الشّرك. ومعنى «حُسْناً» نتوبة وندماً. وقرأ ابن مسعود، والضّحاك، وابن المعاصي. والثاني: الشّرك. ومعنى «حُسْناً» نقت اللهم، وللمفسرين في المراد بالظلم وأبو رجاء، والأعمش، وابن السميفع، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «حَسَناً» بفتح الحاء والسين. ﴿وَمَنْ الله يغفِر له، لأنه ندم على ذلك وتاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ النَّجَيْب حيث جِيبَ من القميص، أي: قُطِع. قال ابن جرير: إنَّما أُمر بإدخاله يده في جيبه، لأنه كان عليه حيننذِ مِدْرَعة من صوف ليس لها كُمّ. والسُّوء: البّرَص.

قوله تعالى: ﴿ فِي نِشِم مَانِينِ ﴾ (٢) قال الزجاج: (في ه مِنْ صلة قوله: ﴿ وَأَلْقِ عصاكِ ٩ وَأَدَّ عَلَى اللهِ ، فَالْتَأْوِيلُ أَظْهِرُ هَاتِينَ الاَيْتِينَ فِي تَسْعَ آيَات؛ تقول: خَذَ لَي عَشْراً مِنَ الإبل فيها فحلان، أي : منها قحلان، وقد شرحنا الاَيَات فَي آبِي إسرائيل: ١٠١].

⁽۱) قال ابن كثير: هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيء، ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تمالى: ﴿وَإِنْي لَفَنَدُّ لِنَن تَابَ رَبَامَنَ وَكِلَ سَكِمًا ثُمَّ آهَنَدَىٰ ۞﴾ [طه: ٢٨] وقال تمالى: ﴿وَمَن يَسَمُلُ سُوَّةًا أَوْ يَظْلِمُ فَفْسَمُ ﴾.. [النساء: ١١٠]، والآيات في هذا كثيرة جداً. اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير عن الآيات النسع: وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي: هي: يده، وعصاه، والسنين، ونقص الشمرات، والطوفان، والجراد، والقبّل، والضفادع، والدم، ثم قال: وهذا القول ظاهر، جلي حسن قوي. اه. وقد ذكر الله على هذه الآيات آيتين من تسع آيات، وهما العصا واليد، وبين الآيات الباقيات في سورة [الأعراف: ١٣٣] وفصّلها.

قوله تعالى: ﴿إِنَ فِرَمَرَنَ رَفَرْمِينَهُ أَي: مُرْسَلاً إلى فرعون وقَومِه، فحذف ذلك لأنه معروف. ﴿فَلَنَا جَآتُهُمْ كَايَنْنَا مُتِصِرَةُ﴾ أي: بيّنة واضحة، وهو كقوله: ﴿وَمَالَيْنَا تُمُودَ النَّاقَةَ مُتِمِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] وقد شرحناه.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَلَا﴾ أي: هذا الذي نراه عيانا ﴿سِعْرٌ مُّبِرِثٌ﴾. ﴿وَمَمَدُواْ بِهَا﴾ أي: أنكروها ﴿وَاسْتَقَنَتُهَا ٱلْفُسُهُمْ﴾ أنها من عند الله، ﴿ظُلْمًا﴾ أي: شركاً ﴿وَعُلَواً﴾ أي: تكبُّراً. قال الزجاج: المعنى: وجحدوا بها ظُلما وعُلُوّاً، أي: ترفَّعاً عن أن يؤمِنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ مَالِيَنَا مَالُودَ وَسُلِيَنَنَ عِلَمَا ﴾ قال المفسرون: عِلْماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال ﴿وَقَالا لَلْمَنْدُ لِلّهِ اللّهِي فَضَلَنا﴾ بالنبوَّة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَىٰ كَيْبِهِ مِنْ عِبَادِمِ الشَّهِينِ﴾ قال مقاتل: كان داود أشد تعبُّداً من سليمان، وكان سليمان أعظمَ مُلْكاً منه وأفطن.

قوله تعالى: ﴿ وَوَلِكَ سُلَيْكُنُ دَالُودَ ﴾ أي: ورث نبوّته وعِلْمه ومُلْكه، وكان لداود تسعة عشر ذكراً، فخصّ سليمان بذلك، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيها سواء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني سليمان لبني إسرائيل ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمَنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ قرأ أبيُّ بن كعب: ﴿عَلَمُنا ﴾ بفتح العين واللام. قال القراء: «مَنْطِقَ الطَّيرِ »: كلام الطَّير كالمنطق إذا فُهم، قال الشاعر:

عَجِبْتُ لها أنَّى يَكُونُ غِناوها فَمَا(١)

ومعنى الآية: فهمنا ما تقول الطَّير. قال قتادة: والنمل من الطَّير. ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيَّيْ ﴾ قال الزجاج: أي: من كل شيء يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس. وقال مقاتل: أُعطينا المُلك والنبوَّة والكتاب والرِّياح ومَنْطِق الطَّير، وسخِّرت لنا الحِنُّ والشياطين. وروى جعفر بن محمد عن أبيه، قال: أُعطي سليمان مُلْك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة صنة وستة أشهر، وملك أهل الدنيا كلَّهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع، وأُعطي عِلْم كل شيء ومنطق كل شيء، وفي زمانه صُنعت الصنائع المعجِّة، فذلك قوله: ﴿ عُلِنْنَا مَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ مُعَيِّهُ (٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَلاَ﴾ يعني: الذي أعطينا ﴿ لَمُو ٱلْفَشْلُ ٱلْكِينُ ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا. ﴿ وَحُثِرَ لِسُلِبَكَ مُوْوَمُهُم اللهِ وَمَا كَانَ فِي مسيرٍ له، ﴿ فَهُمْ بُوَتُمُونَ ﴾ قال مجاهد: يُحبّس أوَّلُهم على آخرهم. قال ابن قتيبة: وأصل الوَزْع: الكَفَّ والمنع. يقال: وزَعْتُ الرَّجل، أي كففته، ووازعُ الجيش: الذي يكفهم عن التفرَّق، ويردُّ مَنْ شَذَّ منهم.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَنْزَا﴾ أي: أشرفوا ﴿ مَلَ رَادٍ ٱلنَّـدَلِ ﴾ وفي موضعه قولان: أحدهما: أنه بالطَّائف، قاله كعب. والثاني: بالشَّام، قاله قتادة (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ فَالَتْ نَسْلَةٌ ﴾ وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: ﴿ نَمُلُةٌ، بضم الميم؛ أي: صاحت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبّر عنه بالقول؛ ولمّا نَطَقَ النَّمل كما ينطق بنو آدم، أُجري

⁽١) البيت لحميد بن ثور، وهو في «اللسان» و«التاج»: فغر؛ ويعني بالمنطق بكاءها.

⁽٢) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الواحدي، من طريق محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه، وذكره السيوطي أيضاً في «الدر» ١٠٣/٥ ونسبه للحاكم ثم قال: قال الذهبي: هذا باطل.

⁽٣) قال ابن كثير: ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كاللباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.

مجرى الآدميين، فقيل: ﴿ أَدَّ عُلُواً ﴾، وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان مُعْجِزاً له، وقد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنها تكسر كل حبَّة تدَّخرها قطعتين لئلا تَنْبُت، إلا الكُرْبرة فإنها تكسرها أربع قطع، لأنها تَنْبُت إذ كُسرت قطعتين، فسبحان من ألهمها هذا! وفي صفة تلك النملة قولان: أحدهما: أنها كانت كهيئة النعجة، قال نوف الشامي (۱): كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئاب. والثاني: كانت نملة صغيرة، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لا يَعْطِمُكُمْ الحَطْم الكَسْر. وقرأ أُبِي بن كعب، وأبو رجاء: "لَيَحْطِمَنَّكُمْ بنير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود: «لا يَحْطِمُكُمْ بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون. وقرأ عمرو بن العاص، وأبان: "يَحْطِمَنْكُمْ بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو مجلز: «لا يَحِطَّمَنَّكُمْ بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر، وعاصم المجحدري: «يُحْطِمَنَّكُمْ برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون. والحَطُمُ : الكَسْر، والحُطّام: ما تحطّم. قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وفي قوله: ﴿وَمُعْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قولان: أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا كلام النملة، قاله ابن عباس. والثاني: وأصحاب سليمان لا يَشْعُرون بمكانكم، لأنها علمتْ أنّه ملك لا بغي فيه، وأنهم لو علموا بالنمل ما توطّؤوهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَابَسَّمَ صَاحِكًا ﴾ قال الزجاج: «ضاحكاً» منصوب، حال مؤكّدة، لأن «تبسّم» بمعنى «ضحك». قال المفسرون: تبسم تعجُّباً ممًّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه. وقال بعض العلماء: هذه الآية من عجائب القرآن، لأنها بلفظة «يا» نادت «أيها» نبهت «النمل» عبَّنت «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نصَّت «لا يحطمنَّم» حدَّرت «سليمانُ» خصَّت «وجنوده» عمَّت «وهم لا يشعُرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْنِمْنِ ﴾ قال ابن قتيبة: ألهِمْني، أصل الإيزاع: الإغراءُ بالشيء، يقال: أوزَعْتُه بكذا، أي: أغريتُه به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ بكذا. وقال الزجاج. تأويله في اللغة: كُفَّني عن الأشياء إلا عن شُكر نِعمتك؛ والمعنى: كُفَّني عمًّا يُباعِد منك، ﴿وَلَنْ أَعْلَ﴾ أي: وألهِمْني أن أعمل ﴿مَسَلِحًا تَرْضَلُهُ ﴾ قال المفسرون: إنما شكر الله كان الربح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك.

﴿ وَتَغَفَّدَ اللَّيْرَ فَقَالَ مَالِى لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَتَآمِينَ ۞ لأُعَذِبَتُهُ عَذَابَا مَتَكِيبًا أَوْ لَأَافَهَنَاءُ أَوْ لَيَأْتِينَى فِي الْمُعْبَدُهُمْ مَنَابِ بَيْنِ ۞ إِنِّ وَيَدِثُ امْرَأَةُ تَسْلِحُهُمْ بِمُلْطَنَو شُهِينِ ۞ لَيَكُ فَيْرَ بَهِيدِ فَقَالَ أَنْعَلْتُ بِمَا لَمْ يُحِلًا بِدِ، وَحِقْتُكَ مِن سَيَمٍ بِنَلِم يَبْينِ ۞ إِنِي وَيَدِثُ آمْرَأَةُ تَسْلِحُهُمْ وَوَرَيْتُ لَمُ مُ اللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن مَنْ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّ

قوله تعالى: ﴿وَنَفَقُدُ الطَّيْرَ ﴾ التفقُد: طلب ما غاب عنك؛ والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير؛ والطيّر اسم جامع للجنس، وكانت الطّير تصحب سليمان في سفره تُظِلَّه بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَالِى كَا أَنَى الْهُدُهُدَ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي: ﴿مَالِى كَا أَنَى الْهُدُهُدَ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي: ﴿مَالِى كَا أَنَى الْهُدُهُدَ ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة بالسكون، والمعنى: ما للهدهد [لا أراه]؟! تقول العرب: ما لي أراك كثيباً، أي: مَا لَكَ؟ فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم. قال المفسرون: لمّا فَصَل سليمان عن وادي النمل، وقع في قفر من الأرض، فعطش الجيش فسألوه الماء، وكان الهدهد يدل الماء، فإذا قال له: هاهنا الماء، شقّقت الشياطين الصَّخر وفجّرت العيون قبل أن يضربوا أبنيتهم، وكان الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاجة، فطلبه يومئذٍ فلم يجده. وقال بعضهم: إنما طلبه لأن الطّير كانت تُظِلُهم من الشمس، فأخلً الهدهد بمكانه، فطلعت الشمس عليهم من الخلل.

⁽١) هو نوف بن فضالة الحميري البِكَالي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصحيحين»، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي سنة ٩٥ هـ.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ كَانَ ﴾ قال الزجاج: معناه: بل كان.

قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّنَا مُكَابًا شَكِيدًا ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: نتف ريشه، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: نتفه وتشميسه، قاله الضحاك. والرابع: أن يطلبك بالقطران ويشمّسه، قاله مقاتل بن حيان. والخامس: أن يودعه القفص. والسادس: أن يفرَّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَ فِي وَوَا ابن كثير: وَلَيَأْتِينَ عِبْ بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم. فأما السلطان، فهو المُحبَّة، وقيل: المُعْدر. وجاء في التفسر أن سليمان لما نزل في بعض مسيره، قال الهدهد: إنه قد اشتغل بالنزول فأرتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول اللنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخُضرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيّه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكها امرأة يقال لها: بلقيس، فهل أنت مُنطلق معي حتى ترى مُلكها؟ قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال: إن صاحبك يسرَّه أن تأتيّه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، فنظر إلى بليقيس وملكها، ﴿ فَدَكَ فَيْرَ بَعِيرِ ﴾ قرأ الجمهور بضم الكاف، وقرأ عاصم بفتحها، وقرأ ابن مسعود: وفتمكُ بزيادة تاء؛ والمعنى: لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿ فَقَالَ أَهُملُتُ بِنَا لَمْ يُطِي هِ أَي: علمت شيئاً من جميع جهاته مما لم تعلم [به] ﴿ وَيَعْتُكُ مِن سَيّا ﴾ قوأ ابن كثير، وأبو عمرو: وسَباً غير مصروف، وقرأ الباقون خفضاً منؤناً. وجاء في الحديث عن رسول الله قال سبأ ربل من العرب (۱۰) وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن رسول الله قال سبأ ربط من العرب (۱۰) وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن الأسماء حقها الصرف، وقوا الذين قالوا، هو اسم رجل، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة، أو اسم المرف، وقول الأسماء الصرف. وقول الذين قالوا، هو اسم رجل: غلط، لأن سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين ضعاء مسيرة ثلاثة أيام، فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة، ومن صرفه فلأنه اسم البلد، فيكون مذكّراً سمي ممذكّر.

قوله تعالى: ﴿ رَبُّو يَبِّنِ ﴾ أي: بخبر صادق، ﴿ إِنِّ وَجَدَتْ آمَرَاةً نَلِكُهُمْ يَعْنِي بُلقيس ﴿ وَأُرتِيَتَ مِن حَكُلِّ شَيْرَ ﴾ قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك. قال قتادة: كان عرشها من ذهب، قوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ، وكان أحد أبويها من الجنّ، وكان مؤخّر أحد قدميها مثل حافر الدابة. وقال مجاهد: كان قدماها كحافر الحمار. وقال ابن السائب: لم يكن بقدميها شيء، إنما وقع الجنّ فيها عند سليمان بهذا القول، فلمّا جعل لها الصرح بان له كذبُهم. قال مقاتل: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين، وكانت أمّها من الجنّ. قال ابن جرير: وإنما صار هذا الخبر عُذْراً للهدهد، لأن سليمان كان لا يرى لأحد في الأرض مملكة أمّها من الجنّ. قال يحبُّ الجهاد، فلمّا دلّه الهدهد على مملكة لنيره، وعلى قومٍ كَفَرة يجاهدهم، صار ذلك عُذْراً له.

قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسَجُدُوا ﴾ قرأ الأكثرون: «ألّا» بالتشديد. قال الزجاج : والمعنى: وزيَّن لهم الشيطان ألَّا يسجدوا، أي: قصدُّهم لئلًّا يسجُدوا. وقرأ ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والزهري، وقتادة، وأبو العالمية، وحميد الأعرج، والأعمش، وابن أبي عبلة، والكسائي: «ألا يسجُدوا» مخفَّقة، على معنى: ألا يا هولاء اسجدوا» قال أسجدوا، فيكون في الكلام إضمار «هؤلاء» ويُكتفى منها بد «يا»، ويكون الوقف «ألا يا» والابتداء «اسجدوا» قال الفراء: فعلى هذه القراءة هي سجدة، وعلى قراءة من شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سجدة. وقال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيُّها الناس اسجدوا. وقرأ ابن مسعود، وأبيُّ: «هلًا يسجدوا» بهاء.

⁽١) روى الترمذي في «سننه» ٢/١٥٤ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: فليس بلرض ولا شمراة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب. . . . الحديث. قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. ورواه الطيري ٢٢/٢٧. وقال المحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة فروة بن مسيك عن هذا الحديث: وأخرجه ابن سعد، وأبو داود، والترمذي، وابن المسكن مطوّلاً ومختصراً.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى يُحْرِجُ الْفَبْهَ فِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال ابن قتية: أي: المُسْتَير فيهما، وهو من خَبَأْتُ الشيءَ: إذا أخفيته، ويقال: حبّهُ السموات: المطر، وحبهُ الأرض: النبات. وقال الزجاج: كل ما خَبَأته فهو خَبْهُ، فالخَبْهُ: كُلُّ ما غاب؛ فالمعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض. وقال ابن جرير: (في) بمعنى أمِنْ ، فقديره: يُخرج الخَبْءَ من السموات.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَرُ مَا غُنْفُونَ وَمَا تَشْلِئُونَ﴾ قرأ حفص [عن] عاصم، والكسائي بالناء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابن زيد: من قوله: ﴿أَمُطُتُ﴾ إلى قوله: ﴿أَلْمَظِيرِ﴾ كلام الهدهد. وقرأ الضحاك، وابن محيصن: «العَظيمُ، برفع الميم.

﴿ فَالَ سَنَظُرُ أَسَدَفْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَنِيِينَ ۞ آذَمَب يَكِتَنِي مَسَدًا قَأَقِهُ إِنَّتِمَ ثُمَّ تَزَلَّ عَنَهُمْ قَانَظُر مَاذَا بَرَجُونَ ۞ قَالَتْ يَتَأَيُّهَا الْسَلُواْ إِنِّ أَلْقِيَ إِنَّ كِنَتُ كَيْمُ ۞ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْرِ اللّهِ الرَّحْسَنِ الرَّحِيدِ ۞ أَلَا تَعْلُواْ مَلَقَ وَأَتُونِ مُسْلِمِينَ ۞﴾

فلما فرغ الهدهد من كلامه ﴿قَالَ سَنَظُرُ ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَسَدَقَتَ ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنتَ بِنَ ٱلْكَلْبِينَ ﴾ وإنما شَكَ في خبره، لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان. ثم كتب كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد وقال: ﴿آذَهَب يَكِنَيٰ هَمَدًا فَآلِيَة إِلَيْهِ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي: ﴿فَأَلْقِهِ ﴾ موصولة بياء. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وحمزة: ﴿فَأَلْقِهُ بسكون الهاء، وروى قالون عن نافع كسر الهاء من غير إشباع؛ ويعني إلى أهل سبا، ﴿ثُمَّ عَنْهُم ﴾ فيه قولان: أحدهما: أغرض. والثاني: أنصرف، ﴿فَأَنظُر مَاذَا يَرَمُونَ ﴾ أي: ماذا يردون من الجواب. فإن قيل: إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: ثم تولَّ عنهم مستنراً من حيث لا يرونك، فانظر ماذا يردُون من الجواب، وهذا قول وهب بن منبه. والثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: فانظر ماذا يرجُعون ثم تولَّ عنهم، وهذا مذهب ابن زيد. قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة فألقي الكتاب على نحرها فقرأته وأخبرت قومها. وقال مقاتل: حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت رأسها فألقي الكتاب في حِجْرها، فلما رأت الخائم أرْعِدَتْ وخضعتْ وخضع مَنْ معها من الجنود. واختلفوا لأي عِلَّة كريماً على سبعة أقوال: أحدها: لأنه كان مخترماً، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لأنها ظنّته من والرابع: لكرم صاحبه، فإنه كان ملحاً، والمثاودي. والسابع: لأنها رأت في صدره ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والسابع: لأنها رأت في صدره ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والعلمي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلِتَكُنَ ﴾ أي: إن الكتاب من عنده ﴿وَلِنَّهُ ﴾ أي: وإنَّ المكتوب ﴿لِنَسِمِ الْمَ التَخْفِ التَحْسِيدِ ﴿ وَلَمْ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

﴿قَالَتْ بَتَأَيُّمَا الْمَلَوُّا أَنْدُونِ فِى أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَثَرُ حَقَّ تَشَهُدُونِ ۞ قَالُوَا خَنُ أُولُوا فَوَوْ وَأُولُوا بَأْسِ شَدِيدِ وَالْأَمُرُ لِيَلِكِ فَاطْرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ ٱلْتُلُوكَ إِنَا مَنْكُواْ فَرَٰكِةً أَنْسَلُّوهَا وَجَمَلُوا أَعِنَّةً أَمْلِهَا ۖ أَذِلَةً وَكَذَلِكَ بَفْعَلُونَ ۞ وَإِنِّ مُرْسِلَةً إِلَيْهِم بِهَدِيَّةِ فَنَاظِرَةً مِمْ بَرْجُعُ ٱلشَّرْسُلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَفْتُونِ فِي أَمْرِي﴾ أي: بيُّنوا لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ. قال الفراء: جعلت المشورة فُتْيا، وذلك جائز لسّعة اللغة.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَثِّرُ ﴾ أي: فاعلته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ أي: تَحْضُرون؛ والمعنى: إلا بحضوركم

⁽١) الغَيْل، بفتح فسكون: ملك من ملوك حِمْيَر دون الملك الأعظم، وجمعه أقوال، وأقْيال.

ومشورتكم. ﴿فَالْزَا غَنُ أُولُوا فُوَوَ﴾ فيه قولان: أحلهما: أنهم أرادوا القُوَّة في الأبدان. والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها. والثاني: تعريض منهم بالمقتال إن أمرتهم. ثم قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ الِبَاكِ﴾ أي: في القتال وتركه. ﴿قَالَتَ إِنَّ اَلْمُلُوكَ إِذَا دَحُكُوا فَرَكِةً ﴾ قال الزجاج: المعنى: إذا دخلوها عَنْوة عن قتال وغَلَبة.

قوله تعالى: ﴿أَنْسَدُوهَا﴾ أي: خرَّبوها ﴿وَجَمَالُواْ أَعِزَّهَ أَهْلِهَا ٓ أَذِلَةً ﴾ أي: أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر. ومعنى الكلام: أنها حذَّرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْمَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزجاج. والثاني: من تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةً إِلَيْهِم بِهَدِيَّتُم ﴾ قال ابن عباس: إنما أرسَلَت الهديَّة لتعلم أنه إن كان نبيّاً لم يُرِد الدُّنيا، وإن كان مَلِكاً فسيرضى بالحَمْل، وأنها بعثت ثلاث لَبنات مِنْ ذهب في كل لَبنة مائة رطل؛ وياقوتةً حمراء طولها شِبر مثقوبة، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، وألبستُهم لباساً واحداً حتى لا يُعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبتُ إليه: إنّي قد بعثتُ إليكَ بهديَّة فاقبلها، وبعثتُ إليكَ بياقوتة طولها شبر، فأدخل فيها خيطاً واختِم على طرفي الخيط بخاتَمك، وقد بعثت إليكَ ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فمّيز بين الجواري والغِلمان؛ فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثتْ إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لَبناً] من الذهب؛ فانطلق، فبعث الشياطين، فقطعوا اللَّبن من الجبال وطلُّوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلمّا جاء الرُّسُل، قال بعضهم لبعض: كيف تدخُلون على هذا الرجل بثلاث لَبنات، وعنده ما رأيتم؟! فقال رئيسهم: إنما نحن رُسُل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللَّبن بين يديه، فقال: اتُمِدُّونني بمال؟ ثم دعا ذَرَّهُ () فربط فيها خيطاً وأدخلها في تُقْب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر(٢٠)، ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم، ثم ميَّز بين الغِلمان والجواري، هذا كلُّه مرويّ عن ابن عباس (٣). وقال مجاهد: جعلت لباس الغِلمان للجواري ولباس الجواري للغلمان، فميَّزهم ولم يقبل هديَّتها، وفي عدد الوصائف والوُصفاء خمسة أقوال: أحدها: ثلاثون وصيفاً وثلاثون وصيفة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، قاله وهب. والثالث: مائنا غلام ومائنا جارية، قاله مجاهد، والرابع: عشرة غلمان وعشر جوار، قاله ابن السائب. والخامس: مانة وصيف ومائة وصيفة، قاله مقاتل. وفي ما ميَّزهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفِّه، وبدأت الجارية من كفِّها إلى مرفقها، فميَّزهم بذلك، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أن الغِلمان بدؤوا بغَسْل ظُهور السَّواعد قبل بُطونها، والجواري على عكس ذلك، قاله قتادة. والثالث: أن الغلام اغترف بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السدي. وجاء في التفسير أنها أمرت الجواري أن يكلُّمن سليمان بكلام الرجال، وأمرت الرجال أن يكلِّموه كلام النساء، وأرسلت قَدَحاً تسأله أن يملأها ماءً ليس من [ماء] السماء ولا من ماء الأرض، فأجرى الخيل وملأه من عرقها⁽¹⁾.

قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ بَرَجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: بقَبُول أم بِردّ. قال ابن جرير: وأصل "بِمَ»: بما، وإنما أسقطت الألف لأن العرب إذا كانت "ما» بمعنى «أيّ» ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفها، تفريقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله: ﴿مَمَّ يَشَلَةُلُونَ۞﴾؟ [النا: ١] و﴿قَالُواْ فِيمَ كُنُمُ ﴾؟ [النساء: ٤٩]، وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر:

⁽١) الذُّرُّ: صغار النمل، واحدته ذَرَّة

⁽٢) وفي بعض التفاسير: فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر.

 ⁽٣) قال ابن كثير: والله أعلم أكان ذلك، أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به،
 بل أعرض عنه.

⁽٤) قال الألوسي عن مثل هذه الأخبار: وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه، والله أعلم.

عَلَى مَا قَام يَسْتُمُنَا لَيْبِمُ ﴿ وَكَنِ نُسْرِي تَسْمَرِنَغُ فِسِي رَمْسَادِ؟(١)

﴿ فَلَمَا جَاءَ سُلِيَكُنَ فَالَ الْشِذُونَنِ بِمَالِ فَمَا مَانَنِيَ الْقَدُ خَيْرٌ مِنْا مَانَكُمْ بَلَ أَشُر بِبِيئِكُمْ فَلَوَيُمْ إِلَيْهِمْ فَلْنَالِيَنَهُمْ بِمُثُورٍ لَا فَهُ عَيْرُ مِنْا مَانَكُمْ بِاللَّهِ فَلَمْ بِبَا وَلَنَحْرِمَنَهُمْ مِنْهَا أَلِلُوا أَلِكُمْ بَالِينِ مِرْتِهَا قَبَلُ أَنْ يَأْثُونِ مُسْلِيبِكِ ﴿ فَالَ مِنْهِتُ مِنْ لَلْمُ لَلْكُوا أَلِكُمْ يَالِينِ مِرْتِهَا قَبَلُ أَنْ يَأْثُونِ مُسْلِيبِكِ هِي قَبَلُ أَنْ يَنْفِقُ أَلِينٌ ﴿ قَالَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى مَنْهُمْ عِنْهُ عِلْمٌ مِنْ الْكَوْا أَلَكُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالِمُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّ

قوله تعالى: ﴿ أَتُبِدُّونَنِ بِمَالِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿ أَتُمِدُّونَني ، بنونين وياء في الوصل. ودوى المسيَّبي عن نافع: ﴿ أَتُمِدُّوني ، بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ ، بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة: ﴿ أَتُمِدُّونِي ، بنون واحدة مشددة ووقف على الياء.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَالَيْنِهُ الله ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: قاما آتان الله بكسر النون من غيرياء. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم: قاتاني، بفتح الياء. وكلّهم فتحوا التاء غير الكسائي، فإنه أمالها من قاتاني الله، وأمال حمزة: قانا آتيك به أشم النون شيئاً من الكسر، والمعنى: فما آتاني الله، أي من النبوّة والملك ﴿ مَنَدُّ مِنَا مَالُ ﴿ فَلَ أَشَرُ بِهِدِيّتِكُو لَ فَرَحُن ﴾ يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح، فامّا أنا فلا، ثم قال للرسول: ﴿ أَنْتِعْ إِلَيْمَ هُلَتَأْيِنَهُم بِمُثُور لا فِيلَ ﴾ أي: لا طاقة ﴿ فَمَ يَا وَلَنُمْوَتُهُم بِنَا ﴾ يعني بلدتهم. فلما رجعت رسلها إليها بالخبر، قالت: قد علمتُ أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، فبعث إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكلت به حرساً يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم ألوف. وكان سليمان مَهيباً لا يُبتَدأ بشيء حتى يسأل عنه، فبطس يوماً على صرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، ف ﴿ قَالَ يَتَايُّ اللَّلُو الْكُمْ يَأْتِنِي بِعَرْبَهُ ﴾، وفي سبب طلبه له فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، و الثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صِدق نبوّته، لأنها خلقته في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقلَّمها، قاله وهب بن منه (٢٠). والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تُنْكِره، قاله سعيد بن جبير. والرابع: لأن صفته أعجبته، فخشي أن تُسْلِم فيحرم عليه مالها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادة. والخامس: ليريها قدرة الله تعالى وعِظم سلطانه، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِنْمِتٌ مِّنَ لَلِمِنَ ﴾ قال أبو عبيدة: العِفْريت من كل جِنّ أو إنس: الفائق المبالخ الرئيس. وقال ابن قتيبة: العِفْريت: الشديد الوثيق. وقال الزجاج: العفريت: النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع خُبث ودهاء. وقرأ أبيُّ بن كعب، والضحاك، وأبو العالية، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «قال عَفْرِيت» بفتح العين وكسر الراء. وروى ابن أبي شريح عن الكسائي: ﴿ عِفْرِيَةٌ ﴾ بفتح الياء وتخفيفها ؛ وروي عنه أيضاً تشديدها وتنوين الهاء على التأنيث، وقرأ ابن مسعود، وابن السميةم: ﴿ عِفْرَاةٌ ﴾ بكسر العين وفتح الراء وبألف من غَير ياء.

قوله تعالى: ﴿ فَبْلُ أَن تَقُومُ مِن مَّقَامِكَ ﴾ أي: من مجلسك؛ ومثله ﴿ في مَقَاير آمِينِ ﴿ الدخان: ٥١]. وكان سليمان يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: إلى نصف النهار. ﴿ وَلَيْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على حمله ﴿ لَقَوِيُّ ﴾. وفي قوله: ﴿ أَمِينٌ ﴾ قولان: أحدهما: أمين على ما فيه من الجوهر والدُّرِّ وغير ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: أمين لا آتيك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. ﴿ قَالَ اللَّهِ عِندُمُ عِلاَ مِن الْحِيدِ ﴾ وهل هو إنسي أم ملك؟ فيه قولان: أحدهما: إنسيّ، قاله ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح. ثم فيه أربعة أقوال: أحدها: أنّه رجل من بني إسرائيل، واسمه آصف بن برخيا، قاله مقاتل. قال ابن عباس: دعا آصف ـ وكان آصف يقوم

⁽١) البيت لحسان بن ثابت، ديوانه، ١٤٣، والطبري، ١٥٦/١٩، والقرطبي، ٢٠٠/١٣.

⁽٢) وهذا هو أولى الأقوال بالصواب كما قال ابن جرير الطبري.

على رأس سليمان بالسيف _ فبعث الله الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يَخُدُون الأرض خَداً، حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان. والثاني: أنه سليمان هيه وإنما قال له رجل: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، فقال: هات، قال: أنت النبيُّ ابن النبيُّ، فإن دعوت الله جاءكَ، قدعا الله فجاءه، قاله محمد بن المكندر. والثالث: أنَّه الخضر، قاله ابن لهيعة الله والرابع: أنه عابد خرج يوهيهُ من جزيزة في البحر فوجد سليمان فدعا فأتي بالعرش، قاله ابن زيد. والقول الثاني: أنه من الملائكة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل هي والثاني: مَلك من الملائكة أيَّد الله به سليمان، حكاهما الثعلبي. وفي العِلْم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. والثاني: أنه عِلْم كتاب سليمان إلى بلقيس. والثالث: أنه أقوال: أحدها: قبل أن يُرتَدُّ إليَّكَ طَرَفُكُ أربعة أقوال: أحدها: قبل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيد بن جبير. والثاني: قبل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى أوال: أحدها: قبل أن يأتيك أن موجاهد، دعا فقال: يا ذا المجلال والإكرام. وقال ابن السائب: إنما قال: يا حيُّ مقوم،

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا رَادُ ﴾ في الكلام محلوف، تقديره: فدعا الله [فأتي] به، فلمَّا رآه، يعني: سليمان ﴿ مُسْتَقِرًّا عِنهُ ﴾ أي: ثابتاً بين يديه ﴿ قَالَ هَذَا ﴾ يعني ؛ التمكُّن من حصول المراد.

قوله ثعالى: ﴿ مَا شَكُرُ أَمُ أَكُثُرُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أأشكر على السرير إذ أُتيتُ به، أم أكفر إذا رأيتُ من هو دوني في الدنيا أعلم مني، قاله ابن عباس. والثاني: أأشكر ذلك من فضل الله عليَّ، أم أكفر نعمته بترك الشُّكر له، قاله ابن جرير.

﴿ قَالَ نَكُرُواْ لَمَا عَرْفَتُهَا نَظُرُ أَنْهَذِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَبَنَدُونَ ۞ فَلَنَا جَآةَتْ فِلَ أَمْتَكُنَا عَرْشُكِ فَاكُ كَأَنَّهُ هُو ۚ وَلُونِنَا الْفِلْرَ مِن قَلِهَا وَكُنَّا شُدِينَ ۞ وَصَدَّمَا مَا كَانَت شَبُهُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّا كَانَ مِن قَرْمِ كَيْفِينَ ۞ فِيلَ لَمَّا النَّمُ النَّمْقُ ظَلَانَ كَنَا مُرَاتِهُ وَكُفَلَتُ عَن سَافَيْهَا ۚ قَالَ إِلَّهُ صَرَحٌ مُمْدَرُهُ مِن قَوْرِيدُ فَالَتْ رَبِّ إِنِي ظَلَشْتُ نَفْيِ وَأَسْلَشْتُ مَعَ صُلَبْتَدَنَ بَلِنِهِ رَبِّ الْمُنْكِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكُرُوا هَا عَرْبَهَا﴾ قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فيُفشي إليه أسرار المجن، لأن أمّها كانت جِنّية، فلا ينفكُون من تشخير سليمان وذريّته بعده، فأساؤوا الثناء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان [أن] يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء المسرح، قال ابن قتيبة: ومعنى «نكُروا»: غيروا، يقال: نكُرت الشيء فتنكر، أي: غيرين وللمفسرين في كيفية تغييره ستة أوال: أحدها: أنه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفي عن ابن عباس. والباقوت مكان الزَّرْجَد، واللهو مكان اللؤلؤ، عليه مكان صفائح الفهة، وصفائح الفهة مكان صفائح الذهب، والباقوت مكان الزَّرْجَد، واللهو مكان اللؤلؤ، وقائمتي اليوت، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره، وواعمين ابن عباس أيضاً. والرابع: أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهد. ووي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهد. والخامس: أنهم جعلوا أسفله أعلاه، ومُقدَّمه مُوخِّره، وزادوا فيه، ونقصوا منه، قاله قتادة. والسادس: أنهم جعلوا فيه تمائيل السَّمك، قاله أبو صالح. وفي قوله: ﴿كَانَمُ مُنْ قولان: أحدهما: أنها لممًا رأته جعلت تغرف وتُنكِر، ثم قالت من أين يَخلُص إلى ذلك وهو في سبعة أبيات والحرس حوله؟! ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قتادة: شبَّهتُ بعرشها. وقال السدي: وجدت فيه ما تعرفه فلم يُنكِر، ووجدت فيه ما تُنكِره فلم تُنْجِر، ووجدت فيه ما تُنكِره فلم تُنْجِر، ووجدت فيه ما تُنكِره فلم تُنهت عنه الله قالت: كأنه هو. والثاني: أنها عوفته، ولكنها شبَّهن عليهم كما شبَّهوا [عليها]، فلو أنهم قالوا: هذا عرشكِ، فلمائت عنه، قاله مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشكِ، فما أغنى عنكِ إغلاق الأبواب؟! وفي قوله: ﴿وَلُونَانَا عَرْبُونُهُ فِيهُ أَنْهُ عن أنه مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشكِ، فما أغنى عنكِ إغلاق الأبواب؟! وفي قوله: ﴿وَلُونَانَا لَهُ عنهم عنه أَنه من قاله مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشكِ، فما أغنى عنكِ إغلاق الأبواب؟! وفي قوله: ﴿وَلَوْكُولُهُ الله عنه ما تُنْهُ عنه منا أغنى عنكِ إغلاقه الأبواب؟! وفي قوله: ﴿وَلَوْكُولُولُهُ الله عنه الله السائق عنه المناسرة المناسرة المناسرة المناسرة المناسرة المناس

⁽١) قال ابن كثير عن هذا القول: وهو غريب جداً.

المِيْرَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول سليمان، قاله مجاهد. ثم في معناه قولان: أحدهما: وأُوتينا العِلْم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة. والثاني: أُوتينا العِلْم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكُنّا مُسْلِمِين لله. والقول الثاني: أنه من قول بلقيس، فإنها لمّا رأت عرشها، قالت: قد عرفتُ هذه الآية، وأُوتينا العِلْم بصِحَّة نبوَّة سليمان بالآيات المتقدِّمة، تعني أمر الهدهد والرُّسُلِ التي بُعثت من قبَل هذه الآية، وكُنّا مُسْلِمِين منقادِين لأمركَ قبل أن نجيء. والثالث: أنه من قول قوم سلِيمان، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَمَا مَا كَانَتَ شَبُدُ مِن دُونِ اللهِ ﴾ قال الفراء: معنى الكلام: هي عاقلة، إنّما صدَّها عن عبادة الله عبادتُها الشمس والقمر، وكان عادةً من دين آبائها؛ والمعنى: وصدَّها أن تعبُد الله ما كانت تعبد، قال: وقد قبل: صدَّها سليمانُ، أي: منعها ما كانت تعبد قال الزجاج: المعنى: صدَّها عن الإيمان العادةُ التي كانت عليها، لانها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، وبيَّن عبادتها بقوله: ﴿إِنَّا كَانَتُ مِن قَرْمٍ كَنِينٍ ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبلة: «أنَّها كانت و فقح الهمزة.

قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَمَ الْتَرْجُ ﴾ قال المفسرون: أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كهيئة السطح من زجاج، وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد أن يرّيها مُلكاً هو أعزُّ من مُلكها، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنه أراد أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها، لأنه قيل له: إن رجلها كحافر الحمار، فأمر أن يُهيًّا لها بيت من قوارير فوق الماء، ووُضع سرير سليمان في صدر البيت، هذا قول محمد بن كعب القرظي. والثالث: أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف، والوصفاء، ذكره ابن جرير. فأمّا الصَّرْح، فقال ابن قتيبة: هو القصر، وجمعه: صُروح، ومنه قول الهذلي:

[على طُسرُق كسندور السرّكا ب] تَحْسَبُ أَعِلامَهِ إِنَّ السُّووحا(١)

قال: ويقال: الصَّرِّحُ بِلاطٌ اتُّخِذ لها من قَوراير؛ وجُعل تحتها ماءٌ وسمك. قال مجاهد: كانت بِركةٍ من ماء ضرب عليها سليمان قوارير. وقال مقاتل: كان قصراً من قوارير بني على الماء وتحته السَّمك.

قوله تعالى: ﴿ عَبِبَتُهُ لَجَدَهُ وهي: معظم الماء ﴿ وَكَنَفَتْ عَن سَافِهَا ﴾ لدخول الماء، فناداها سليمان ﴿ إِنَّمُ سَرَجٌ مَرَجٌ ﴾ أي: مملَّسٌ ﴿ قَن أَي مَن زُجاج؛ فعلمتْ حينئذِ أن مُلك سليمان من الله تعالى، فـ ﴿ قَالَتُ رَبِ إِنّ فَلَكُ سَلَّيمُ أَي: بعبادة غيرك (٢). وقيل: ظنَّت في سليمان أنه يريد تغريقها في الماء، فلمَّا علمتْ أنه صَرْح ممرَّد قالت: ربَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نفسي بذلك الظُّنِّ، وأسلمتُ مع سليمان، ثم تزوجها سليمان. وقيل: إنه ردَّها إلى مملكتها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وأنها ولدت منه. وقيل: إنه زوَّجها ببعض الملوك ولم يتزوجها هو (٣).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَاۚ إِلَى تَشُودَ أَخَاهُمْ مَسَالِحًا أَنِ أَعْبُدُواْ اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَإِفَسَانِ يَغْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَنَفَرُهِ لِمَ سَنَفْجِلُونَ وَالسَّيِّعَةِ فَبْلَ ٱلمَسَنَةُ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَمَلَّكُمُ مُرْحَمُونَ ۞ قَالُواْ أَغَيَرْنَا بِكَ وَبِمَن مَسَكَ قَالَ طَتِهِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنْشُر فَقُ تُنْسَنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مُمْ فَيِفَكَانِ﴾ أي: مؤمن وكافر ﴿يَغْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَنَعُلُمُوكَ أَكَ صَلِلِمَا مُرْسَلُ مِن زَيِّهِ ﴿ . . ﴾ الآياتِ [الاعراف: ٧٥_١٥]. والثاني: أنه قول كل فريق منهم: الحقُّ معي.

قوله تعالى: ﴿لِمَ نَسْتَمْجِلُونَ بِٱلسَّيِّتَةِ ﴾ وذلك حين قالوا: إن كان ما أتيتنا به حقًّا فائتنا بالعذاب. وفي السيّئة

⁽١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في «ديوان الهذليين» ١٣٦/، و«غريب القرآن» ٣٢٥، و«اللسان» و«التاج»: صرح.

قال ابن كثير في «التفسير»: والغرض أن سليمان ﷺ اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليربكها عظمة سلطانه وتمكّته، فلما رأت ما آناه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصَّرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى، وهرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله ﷺ وقالت: ﴿وَنَبُ إِنّ طُلَنْتُ نَنْسُ إَنِ اللّهُ مَنْ أَنْتُكُنَ يَهُ وَبُو اللّهَ عَلَى مَنْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الله عَلَيْمَ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَم عَلَى الله عَلَيْمِ الله عَلَى اللهُ عَلَى ال

 ⁽٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٢ بعد أن ذكر القولين: والأول أشهر وأظهر. وقال الألوسي في فروح المعاني، ١٨٩/١٩: والمشهور أنه ﷺ تزوجها، وإليه ذهب جماعة من أهل الأخبار.

والحسنة قولان: أحدهما: أن السيّئة: العذابُ، والحسنة: الرحمة، قاله مجاهد. والثاني: [أن] السّيئة؛ البلاء، والحسنة: العافية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ لَوَلاَ ﴾ أي: هلَّا ﴿ مَسَّتَغَيْرُونَ اللهَ ﴾ من الشَّرك ﴿ لَمَلَكُمُ مُرَّحَوُك ﴾ فلا تعذَّبون. ﴿ فَالْوَا الْمَيْرَا ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: تَطيَّرنا وتشاءمننا ﴿ بِك ﴾ ، فأدغِمت التاء في الطاء، وأثبتت الألف، ليسلم السكونُ لِمَا بعدها. وقال الزجاج: الأصل: تطيَّرنا، فأدغمت التاء في الطاء، واجتُلبت الألف لسكون الطاء؛ فإذا ابتدأت قلت: اطيَّرنا، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألِف وصل، [وإنما] تطيَّروا به، لأنهم قحطوا وجاعوا، فـ ﴿ فَالَ ﴾ لهم ﴿ طَتَهِرُكُمْ عِندَ اللهِ ﴾ ، وقد شرحنا هذ المعنى في [الأعراف: ١٣١]. وفي قوله: ﴿ تُقْتَنُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تُختَبرون بالخير والشر، قاله ابن عباس. والثاني: تُصرفون عن دينكم، قاله الحسن. والثالث: تُبتَلؤن بالطاعة والمعصية، قاله قتادة.

﴿ وَكَاكَ فِى ٱلْمَدِينَةِ مِنْمَةُ رَمْطِ بُمْسِدُونَ فِى ٱلأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُواْ تَنَاسَمُواْ بِاللّهِ لَنُكِيْنَتَهُ وَاَلْمَلَمُ ثُدَّ لَنَوْلَنَّ لِوَلِيّهِ. مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِيهِ. وَلَا يَشْلُونَ ۞ وَمَكُولًا مَصْلًا وَمَكُونَا مَصْلًا وَهُمْ لَا بَنْمُدُونَ ۞ فَانْظُرْ كَبْفَ حَالَكَ عَنِفِبَهُ مَكْمِومِمْ أَنَّا دَمَّرَنَاهُمْ وَفَوْمَهُمْ أَجْمَيِنَ ۞ فَتِلْكَ بُتُونُهُمْ خَاوِجَةً بِمَا طَلَمُونًا إِك فِى ذَلِكَ لَابَهُ لِيَقْورِ بَصْلَمُونَ ۞ وَأَجَيْتُنَا الَّذِيرَكَ ءَامَنُوا وَكَافُواْ بَنَتُونِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَاكَ فِي الْلَذِينَةِ﴾ وهي الجبر التي نزلها صالح ﴿ نِمَهُ رَهْلِ يُلْدِدُوكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يريد: في أرض الجبر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدّماء ويَثبون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة. وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير، ﴿قَالُولُ ﴾ فيما بينهم وتقاسمُوا بِالله ﴿ نَلْبَيْنَنَهُ ﴾ أي: لنقتَّلنَّ صالحاً ﴿ وَأَهْلَهُ ﴾ ليلاً ﴿ ثُولُ لَقُولُنَ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «لتبيته وأهله ثم لَقَولُنَ » بالتاء فيهما. وقرأ مجاهد، وأبو رجاء، وحميد بن قيس: ولَيَبَيتُنَهُ بياء وتاء مرفوعتين قثم لَيَقُولُنَ » بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة ﴿ لِولِيَدِه ﴾ أي: لوليَّ دمه إنْ سألنا عنه ﴿ نَا سُهُذَا ﴾ أي: ما حضرنا ﴿ مَهْلِك أَمْلِوه ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام؛ والمَهْلِك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى أبو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، يريد الهلاك؛ يقال: هَلَكَ الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى أبو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، على معنى: ما شهدنا موضع الإمكهم؛ فهذا كان مكرهم، فجازاهم الله عليه فأهلكهم. وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمنهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم، [قاله ابن عباس. والثاني: رماهم الله بصخرة فقتلتهم، قاله ابن زيد. قتادة]. والمثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدَّت باب الغار، قاله ابن زيد. والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فبعثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل. *

قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرَنَهُمْ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَنَّا دَمَّرَنَاهِم ۗ بَفْتِحِ الْأَلْفِ. وقرأ الباقون بكسرها. فمن كسر استأنف، ومن فتح، فقال أبو علي: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من ﴿عَلِقِبَهُ مُكْرِهِم ﴾(١). والثاني: أن يكون محمولاً على مبتدإ مضمر، كأنه قال: هو أنَّا دمَّرناهم.

قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُبُوتُهُمْ خَالِكَ ﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على الحال؛ المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاويةً. ﴿ وَلُوطًا إِذْ فَكَالَ لِفَوْمِدِهِ أَمَا أَوْنِكَ الْفَنْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْمِيُونِكَ ۞ أَبِئَكُمْ لَنَاتُونَ الرِّبَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ اللِّسَاءِ بَلَ أَنْمُ قَرَّمُ جَهَلُونَ ۞ ۞ نَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ تَكَالُواْ أَخْرِبُواْ مَالَ لُولِ مِن قَرَيْزِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنَظَهَرُونَ ۞ فَأَخَيْنَكُهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا المَرْافَكُمُ فَذَرْنَهَا مِنَ الْفَنْدِينَ ۞ وَأَمَلَوْنَا عَلَيْهِم مَطَلَرٌ فَسَلَةً مَظَرُ الْمُنذِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنَا أَدُكَ ٱلْفَاحِشَةَ وَأَنتُم تُبْعِيرُك ﴾ فيه قولان: أحدهما: وأنتم تعلمون أنَّها فاحشة. والثاني: وبعضكم يُنْصِر بعضاً.

⁽١) في الأصل: عاقبة أمرهم.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قُرِّمٌ تَجْهَلُونِ ﴾ قال ابن عباس: تجهلون القيامة وعاقبة العِصيان.

قوله تعالى: ﴿ مَلَرَنَكُهَا مِنَ ٱلْمَدِينِ ﴾ أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقين في العذاب. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿ قَلَـرُنَاهَا ﴾ خفيفة، وهي في معنى المشدَّدة. وباقي القصة قد تقدم تفسيره [عرد: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ قُلِ لَلْمُنَدُ لِيَهِ ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أُمِرَ أَن يَحْمَد الله على هلاك الأمم الكافرة، وقيل: على جميع نِعَمه، ﴿ وَسَلَمُ عَلَى عِبَادِهِ اللَّهِ عَلَى السَّمَا عَنَ ابن عباس. جميع نِعَمه، ﴿ وَسَلَمُ عَلَى عِبَادِهِ اللَّهِ عَن ابن عباس. وروى عنه عكرمة، قال: اصطفى إبراهيم بالخُلّة، وموسى بالكلام، ومحمداً بالرؤية (١٠). والثاني: أنهم أصحاب محمد ﷺ رواه أبو مالك عن ابن عباس، وبه قال السدي. والثالث: أنهم الذين وحَدوه وآمنوا به، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: أنه محمد ﷺ، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ مَالِلَهُ خَيْرُ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ قال أبو عبيدة: مجازه: أو ما يشركون (٢)، وهذا خطاب للمشركين؛ والمعنى: آلله خير لمن عبده، أم الأصنام لعابديها؟! ومعنى الكلام: أنه لمَّا قصَّ عليهم قصص الأمم الخالية، أخبرهم أنّه نجَّى عابديه، ولم تُغْن الأصنام عنهم.

قوله تعالى: ﴿أَنَنَ عَلَى السَّكَوَتِ ﴾ تقديره: أمَّا يشركون خير، ﴿أَنَّنَ عَلَى السَّكَوَتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْلَ لَكُمْ مِنَ السَّكَاءِ مَاهُ فَأَنْبَقْنَا بِدِ، حَدَايِقَ ذَاكَ بَهْجَكَةِ﴾؟! فأمَّا الحدائق، فقال ابن قتيبة: هي البساتين، واحدها: حديقة، سميت بذلك لأنه يُحدَقُ عليها، أي: يُحْظَر، والِبهجة: الحُسن.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُو أَن تُلْمِثُواْ شَجَرَهَا ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك [لأنكم] لا تقدرون عليه. ثم قال مستفهما مُنْكِراً عليهم: ﴿أَوْلَهُ مِنَ اللّهِ ﴾ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿قَرْمٌ بِمَدْلُونَ ﴾ وقد شرحناه في فاتحة (الأنعام). ﴿أَشَ جَمَلَ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي: مُسْتَقَرّاً لا تبيد بأهلها ﴿وَجَمَلَ خِلَلَهَا ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَدُو وَجَمَلَ لَمَا فَي وَلَا عَلَمَ اللهُ وَاللّهُ وَلَا عَلّمُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَا عَلَالًا وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا عَلَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ أَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَا لَا الللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ ا

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْفِفُ ٱلسُّونَ وَيَجْمَلُكُمْ خُلْلَكَاتَهُ ٱلأَرْضِ أَوَكَ ثُمَّ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا لَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ

(٢) كذا الأصل، وفي المجاز القرآن؛ ٢/ ٩٥: ﴿مَالَقُهُ مَنْزُرُ أَنَا يُشْرِكُونَ﴾ مجازه: أم ما تشركون، أي: أم الذي تشركون به، فأدغمت الميم في العيم فتقُلت.

⁽۱) رواه ابن جرير ۲۸/۸۶ عن عكرمة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدره ۲/ ۲۳ وزاد نسبته للطبراني في «السنة» عن ابن عباس. وهذا رأي ابن عباس، وقد روى مسلم ۱۵/۸۱ عن ابن عباس قال: ﴿ كَا كُنَبُ الْفَوْدُ مَا رَكَعَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَالُهُ وَلَلَهُ وَلَهُ لَمُوْدُ عَلَى الله بن مسعود قال: ﴿ مَا كُنَبُ الْفَوْدُ مَا رَكَعَ ﴾ وَالله والمناه، وستشهد بهذه الآية، وتابعه أي عباس الله الله المستماة جناح، وروى مسلم ۱۸/۸۱ عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿ مَا كُنَبُ اللّهُ وَلَا ابن عباس في يشت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة في والتابعين وغيرهم، قال ابن كثير: وقد ووى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ وَاللهُ وَلَقَدُ وَاللهُ عَلَى الله الفرية، قال: ومنا محمداً في راحيد والله عن الله الفرية، قال: وكنت متكناً عبد عليه الله الفرية، قال: وكنت متكناً فجلست فقلت: يا أم المعومنين انظريني ولا تحجليني، الم يقل الله في: ﴿ وَلَقَدْ وَاللهُ وَلَقَدُ وَاللهُ وَلَقَدُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى الله الفرية، قال: وابما هو جريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، وأيته منهيطاً من السماء هاداً عِظُمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ لَا تُدْيَعُهُ اللّهُ مِنْ يَوْلُهُ وَلَوْ مَنْ يَنَالُهُ اللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ ال

فِ طَلْمُنَتِ الْذِ وَالْبَحْرِ وَمَن بُرْسِلُ الْوَيْتَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَوْ لَفَتْ مَعْ اللّهِ تَعَدَل اللّه صَمَّا يُمْرِكُونَ ﴿ اَمْن يَبْدُؤا المَلْانَ ثُرَّ لِمُعْدَمُ وَمَن بَرْفُكُمْ وَمَن السَّمَاةِ وَالْأَرَضِ أَوْلَهُ مَعْ اللّهِ قُل مَعَامُوا بُرْهَنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِيْنِ ۞ قُل لاَ يَسْلُمُ مَن السَّمَاقُونَ ۞ قُل اللّهِ مَن اللّهُ وَمَا يَسْلُمُ وَاللّهُ وَمَا يَسْلُمُ وَاللّهُ وَمَا يَشْلُمُ وَمَا يَسْلُمُ وَمَا اللّهِ مَنْ وَمَا اللّهِ مَنْ اللّهُ وَمَا يَسْلُمُ وَمَا اللّهُ وَمَا يَسْلُمُ وَمَا اللّهُ وَمُونَ هُو لَوَ مَنْ وَمَا اللّهُ وَمُونَ مَن اللّهُ وَمُونَ اللّهُ وَمُونَ مَن اللّهُ وَمُونَ مَن اللّهُ وَمُونَ اللّهُ وَمُونَ مُن اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُونَ مَن اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ مَا اللّهُ مُن اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَمُؤْنَ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُؤْنَ اللّهُ وَاللّهُ وَالللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَا

قوله تعالى: ﴿أَمَن يُمِيثُ ٱلْمُشْطَرُ ﴾ وهو: المكروب المجهود؛ ﴿وَيَكَنِنُ ٱلشَّرَ ﴾ يعني الضَّرُ (() ﴿وَيَجْمَلُكُمْ خُلْكَاءَ الْأَرْضِ ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين (()) و﴿ لَذَكَرُونَ ﴾ بمعنى تتعظون. وقرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء. ﴿أَمَن يَهْدِيكُمْ ﴾ أي: يُرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتم ﴿ فِي ظُلُنَتِ ٱلْبَرِ وَٱلْبَحْرِ ﴾ وقد بيناها في [الانعام: ١٦، ١٧] وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى [الأعراف: ٧٥ ويونس: ٤] إلى قوله: ﴿ وَمَا يَشْرُونَ ﴾ يعني مَنْ في السموات والأرض ﴿ إِنّانَ يُشْرُونَ ﴾ أي: منى يبعثون بعد موتهم ...

قوله تعالى: ﴿ إِلَ آذَرُكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: قبل أَذْرُكَ قال مجاهد: قبل بمعنى قأم والمعنى: لم يُدْرِكُ عِلْمُهم، وقال الفراء: المعنى: هل أدرك عِلْمُهم عِلْم الآخرة وعلى هذا يكون المعنى: إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العِلْمِ بالآخرة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: قبل ادّارك على معنى: بل تدارك، أي: تتابع وتلاحق، فأدغمت التاه في الدال. ثم في معناها قولان: أحدهما: بل تكامل عِلْمهم يوم القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزجاج. وقال ابن عباس: ما جهلوه في الدُّنيا، عَلِموه في الآخرة. والثاني: بل تدارك ظنهم وحَدْسهم في الحكم على الآخرة، فتارة يقولون: إنها كائنة، وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابن قتيبة. وروى أبو بكر عن عاصم: قبل اذّرك على وزن افتعل من أدركت.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكِي مِنْهَ أَ أَي: بل هم اليوم في شك من القيامة ﴿ بَلْ هُم مِنْهَا عَنُونَ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من عِلْمِها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النحل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٦] إلى قوله: ﴿ مَنَ هَلَا الْوَقَدُ ﴾ يعنون: العذاب الذي تَعدنا. ﴿ قُلْ عَنَى آنَ يَكُونَ رَونَ لَكُم ﴾ قال ابن عباس: قُرُب لكم. وقال ابن قتيبة: تَبِعَكم، واللام زائدة، كأنه قال: رَوفَكم. وفي ما تبعهم ممًّا استعجلوه قولان: أحدهما: يوم بدر. والثاني: عذاب القبر،

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبُّكَ لَدُو نَسْهِ عَلَ ٱلنَّاسِ ﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لِمَلْمُ مَا تُكِنُّ مُدُورُهُمْ ﴾ أي: ما تخفيه ﴿ وَمَا يُشْلِئُونَ ﴾ بالسنتهم من عداوتك وخلافك ؟ والمعنى أنه يجازيهم عليه، ﴿ وَمَا مِنْ غَلِبَةٍ ﴾ أي: وما من جملة غائبة ، ﴿ إِلَّا فِي كِنْبٍ ﴾ يعني اللوح المحفوظ ؟ والمعنى: إنَّ عِلْم ما يستعجلونه من العذاب بيَّنُ عند الله وإن غاب عن الخُلْق .

﴿ إِنَّ مَلْنَا ٱلْفُرَّمَانَ يَنْتُسُ عَلَىٰ بَنِيَّ إِسْرَةٍ بِلَ أَحْتَرَ الَّذِى مُمْ فِيهِ يَمْتَلِلُون ۖ ۞ وَإِنَّهُ لَمُذَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى

⁽۱) قال ابن كثير: ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَا سَكُمُ النَّبُرُ فِي البَسْ مَلَ مَن تَدَهُنَ إِلَّا إِيَّالُهُ وقال تعالى: ﴿ وَإِنَا سَكُمُ النَّبُرُ فِي البَسْ مَلَا مُن مَن هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين صواء؟.

⁽٢) قال ابن كثير: أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذريه بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحلاً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويلرأهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأمماً بعد أمم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البريَّة، كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدَّم عدّاً، ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله، ولهذا قال: ﴿أَنْ يُحِيثُ النَّشَطُ وَيَكُنِكُ النَّرَة وَيَجَعَلُكُمُ عُلْكَاء اللَّرَيْنُ أَدَكُ مُنْ اللَّهُ وَيَكُنِكُ النَّرَة وَيَجَعَلُكُمُ عُلْكَاء اللَّرَيْنُ أَدَكُ أَدُ وَ الله عله بعد هذا، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له 18 اهـ.

.

بَيْتُهُم مِمُكَبِيدٌ. وَهُمَوَ الْمَدِيدُ الْمَلِيدُ ۞ فَتَوَكَّلَ عَلَى الْفَةِ الْمُكَ عَلَى الْمَقِي الْمُعَةِ اللّهِ اللّهِ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللل

﴿إِنَّ مَذَا اَلْتُرْبَانَ بَعْشُ عَلَىٰ بَنِيَ إِسْرَةِيلَ﴾ وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لسلموا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَشْنِي بَيْنُهُم﴾ يعني بين بني إسرائيل ﴿يِمْكَمِيدٌ ﴾ وقوأ أبو المتوكل، وأبو عمرًان الجوني، وعاصم الجحلدي: البِحكَمِية بكسر الحاء وفتح الكاف.

قُوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا شُتِيعُ ٱلْمَرْنَ ﴾ قال المفسرُون: هذا مَثَلٌ ضربه الله للكفار فشبَّههم بالموتى.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمِّعُ الشُّمَّ الدُّعَامَ ﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿ ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الصُّمُّ ؛ بفضح ميم ﴿ الصُّمُّ الصُّمُّ الصُّمُّ السُّمَّ عَلَى السُّمَّ السُّمَّ عَلَى السُّمَّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمِّ عَلَى السَّمِّ عَلَى السَّمِّ عَلَى السَّمِّ عَلَى السَّمَّ عَلَى السَّمِّ عَلَى السَّمْ عَلَى السَّمْ عَلَى السَّمْعَ عَلَّمَ عَلَى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعِ عَلَى السَّمْعَ عَلَّى السَّمْعَ عَلَى السَّمْعِ عَلَّى الس

قوله تعالى: ﴿إِنَا رَبُّوا مُدْيِرِينَ﴾ أي: أن الصَّم إذا أدبروا عنك ثم ناديتهم لم يسمعوا، فكذلك الكافر. ﴿رَمَا أَنَّ يَهُدِى النَّسِي﴾ أي: [ما أنت] بمرشِد من أعماه الله عن الهدى، ﴿إِن تُشْمِعُ﴾ إسماع إفهام ﴿إِلَّا مَن يُزْمِنُ يِتَايَتِنَا﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِمْ أَخَرَجُنَا لَمُمَّ ذَابَّةُ مِنَ ٱلذَّرْضِ ﴾ (وقع، بمعنى (وجب، وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال: أحدها: العدَّاب، قُالُه ابن عباسَ. والثاني: الغَضِب، قاله تنادة. والثالث: الحُجَّة، قاله ابن قتيبة. ومتى ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: إذًا لم يأمروا بمعروف، ولم ينهَوا عن منكر، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري. والثاني: إذا لم يُرج صلاحُهم، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وهو معنى قول أبي العالية. والإشارة بقوله: ﴿عَلَيْهِم ﴾ إلى الكفار الذين تخرج الدابَّة عليهم. وللمفسرين في صفة الدابَّة أربعة أقوال: أحدها: أنها ذات وبر وريش، رواء حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ (١١). وقال ابن عباس: ذت زغب وريش لها أربع قوائم. والثاني: أن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيَّل(٢٠)، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرٌّ، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مَفصلين اثنا عشر ذراعاً، رواه ابن جريج عن أبي الزبير. والثالث: أن وجهها وجه رجل، وسائر خَلْقها كخَلْق الطيُّر، قاله وهب. والرابع: أن لها أربع قوائم وزغبًا وريشاً وجناحين، قاله مقاتل. وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أثوال: أحدها: من الصفا. روى خُذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ [أنه] قال: (بينما هيسي يطوف بالبيت ومعه المسلمون، تضطرب الأرض تحتهم، وينشقُ الصُّفا ممًّا يلي المسمى، وتخرج الدابَّة من الصَّفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملمَّعةٌ ذَاتُ وَبَر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، (٣). وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «طولها ستون ذراحاً» أ وكذلك قال ابن مسعود: تخرج من الصفا. وقال ابن عمر: تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابَّة فيَمَسُّ رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا. والثاني: أنها تخرج من شِعْبِ أجياد، روي عن النبي ﷺ (٥)، وعن ابن عمر مثله. والثالث: تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. والرابع: من بحر سَدوم، قاله وهب بن منبّه. والخامس: أنها تخرج بتهامة بين الصَّفا والمروة، حكاه الزجّاج. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: اتخرج الدابّة معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافراً (أ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تَسِم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَسِم الكافر

⁽۱) «الطبري» ۲۰/ ۱۰، قال ابن كثير: ورواه ابن جرير من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمن هيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت، ثم قال: وإستاده لا يصح.

⁽٢) بكسر الهمؤة وضمها: ذكر اأأوعال.

 ⁽٣) هو الحديث الذي تقدم من رواية ابن جرير الطبري الذي قال فيه ابن كثير: إسناده لا يصح.

 ⁽٤) ذكره الطبرسي في المجمع البيان؛ عن حذيفة مرفوعاً ولم يذكر من رواه، والله أعلم.

⁽٥) ذكره السيوطي في االدر؛ ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في البعث؛ عن أبي هريرة ﷺ.

٣) وواه الطبري: ٣٧/١٠ وفي سنده علني بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه الترمذي ٧/ ١٥٠ وحست، وذكره السيوطي في «الدره ١١٦/٥ وزاد تسبته لأحمد، وأبي داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في «البعث؛ عن أبي هريرة ﷺ.

بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر (١)، وتصرخ ثلاث صرخات يسمعُها مَنْ بين الخافِقين (٢)، وقال حُذيفة بن أسِيد: إن للدابة ثلاث خرجات، خرجة في بعض البوادي ثم تنكتم، وخرجة في بعض القرى ثم تنكتم، فبينما الناس عند أشرف المساجد _ يعني المسجد الحرام _ إذ ارتفعت الأرض، فانطلق الناس هِراباً، فلا يفوتونها، حتى إنَّها لتأتي الرجل وهو يصلِّي، فتقول: أتتعوَّذ بالصلاة، والله ما كنت مِنْ أهل الصَّلاة، فتَخْطِمُه، وتجلو وجه المؤمن (٢). وقال عبد الله بن عمرو: إنها تَنْكُتُ في وجه الكافر نُكْتَةً سوداء فتفشو في وجهه فيسودُ وجهُه، وتَنْكُتُ في وجه المؤمن نُكْتَةً بيضاء فتفشو في وجهه حتَّى يبيضً وجهه، فيعرف الناس المؤمن والكافر، ولَكَانِّي بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج (١٤).

قوله تعالى: ﴿ ثُكُلِمُهُمْ ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد اللام، فهو من الكلام. وفيما تكلِّمهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تقول لهم: إنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادة، والثاني: تكلِّمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، قاله السدي. والثالث: تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر، حكاه الماوردي. وقرأ ابن أبي عبلة، والجحدري: بتسكين الكاف وكسر اللام [وفتح التاء]، فهو [من] الكلِّم؛ قال ثعلب: والمعنى: تجرحهم. وسئل ابن عباس عن القراءتين، فقال: كل ذلك والله تفعله، تُكلِّم المؤمن، وتَكلِم الفاجر والكافر، أي: تجرحه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح الهمزة، وكسرها الباقون؛ فمن فتح أراد: تكلَّمهم بأن الناس، وهكذا قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «تكلَّمهم بأنَّ الناس» بزيادة باء مع فتح الهمزة؛ ومن كسر، فلأنَّ معنى «تكلَّمهم»: تقول لهم: إن الناس، والكلام قول.

﴿ فِي وَلِنَا وَفَعَ الْقَوْلُ عَلَيْمِ أَخْرَجُنَا لَمُمْ وَاتَهُ مِنَ الْأَرْضِ ثُكَلِمُهُمْ أَنَّ النَاسَ كَانُواْ بِنَايَتِنَا لَا يُوفِئُونَ ۞ وَيَوَمَ نَحْشُرُ مِن كُلِمُهُمْ أَنَّ النَاسُ كَانُواْ بِنَا يَلْنَا أَمَانَا كُمُثُمْ تَسْلُونَ ۞ وَيَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ وَلَذَ يُجِيطُواْ بِهَا عِلْنَا أَمَانَا كُمُثُمْ تَسْلُونَ ۞ وَيَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ مِنَا فَكُواْ فِيهِ وَالنّهَادَ شُمِيرًا إِنَّ فِيهُ وَيَعَلَى الْقَوْمِ بُوْمِئُونَ ۞ كَنْ الْعَلَامُ وَيَعْمَ الْقَوْمُ وَيُونُونَ ۞ كَانُتُهُمْ النّهُ النّهَادُ شُعِيرًا إِنِكُ فِي ذَلِكَ لَآبُنِهِ لِقَوْمِ بُؤْمِئُونَ ۞ كَانُوا لِمُنْ النّهُ مِنْ النّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ غَشُرُ مِن كُلِ أَمُّةٍ فَوَهَا﴾ الفوج: الجماعة من الناس كالزُّمرة، والمراد به: الرؤساء والمتبوعون في الكفر، حُشروا وأُقيمت الحجة عليهم. وقد سبق معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]. ﴿مَثَى إِنَا جَآءُو﴾ إلى موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿أَكَا بَهُمُ اللهُ تعالى لهم: ﴿أَكَا بَهُمُ اللهُ عَلَا استفهام إنكار عليهم ووعيد لهم، ﴿وَلَر يُحِيطُوا بِهَا عِلمًا﴾ فيه قولان. أحدهما: لم تعرفوها حقَّ معرفتها. والثاني: لم تُحيطوا عِلْماً ببطلانها. والمعنى: إنكم لم تتفكّروا في صحتها، ﴿أَنَاذَا كُنُمُ تَسَلُونَ﴾ في الدنيا فيما أمرتُكم به ونيهتُكم عنه؟!.

قوله تعالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ مَلَيْهِم ﴾ قد شرحناه آنفاً [النمل: ٤٨] ﴿ بِمَا طَلَمُوٓاً ﴾ أي: بما أشركوا ﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ بحجة عن أنفسهم. ثم احتج عليهم بالآية التي تلي هذه. ومعنى قوله: ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: يُبْصَر فيه لابتغاء الرُّزق.

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِ اَلْشُورِ فَفَخِعَ مَن فِي اَلْشَمَوْتِ وَمَن فِي اَلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَكَآءَ اَلَقَّهُ وَكُلُّ اَنَوَهُ دَخِرِنَ ۞ وَقَرَى الْجِبَالَ نَخْسَبُهَا جَايِدَةً وَهِى قَتُرُّ مَزَّ الشَمَابِ مُشْتَعَ اللّهِ اللّذِي آنْفَنَ كُلُّ مَنْءً إِلَّهُ خَيِرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۞ مَن جَآةَ بِالْحَسَنَةِ فَلَمُ خَيْرٌ بِمَنْ فَغَ بَوْمَهِ مِاسِنُونَ ۞ وَمَن جَآةً بِالسَّبِيَّةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِ النَّارِ حَلْ تُجْزَوْنِ إِلَّا مَا كُشُدُّ تَمْسَلُونَ

قوله تعالى: ﴿ وَيَهْمَ يُنْتُمُ إِنَّ الصُّورِ ﴾ قال ابن عباس: هذه النفخة الأولى.

⁽١) ذكره الطبرسي في المجمع البيانة من رواية حذيفة مرفوعاً بهذا اللفظ، ولم ينبسه لأحد، ورواه الطبري من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً بلفظ: تَسِم النامن: مؤمن، وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درّيًّ، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداه: كافر، وإسناده لا يصح، كما قال ابن كثير.

⁽٢) ذكره السيوطي في اللدر ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهتي في البعث؛ عن أبي هريرة مرفوعاً.

⁽٣) رواه الطبري ٢٠/٤/ من طريقين عن حليقة بن أسيد موقوفاً، ورواه أبو داود الطيالسي مرفوعاً من حديث حذيفة بن أسيد، وذكره السيوطي في اللدر ١١٦/٥ من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهةي في دالمحـــه. وابعه م. دالمحـــه.

⁽٤) رواه الطبري ٢٠/ ١٥ بمعناه عن عبد الله بن عمر موقوفاً وروى الفقرة الأخيرة منه، وهي قوله: «ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج، عن عبد الله بن عمرو، وذكره السيوطي في «الدر» بمعناه ٥/ ١١٥ من رواية عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو.

قوله تعالى: ﴿فَفَرْعَ مَن فِي ٱلسَّمَوْتِ وَبَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [قال المفسرون: المعنى: فيفزع مَن في السموات ومن في الأرض]، والمراد أنهم ماتوا، بلغ بهم الفزع إلى الموت. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن شَكَّاءَ ٱللَّهُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ثم إن الله تعالى يميتهم بعد ذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَن في النار، لأنهم خُلقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ ﴾ أي: من الأحياء الذِّين ماتوا ثم أُحيوا ﴿آتَوْهُ﴾ وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿أَتَوْهُ﴾ بفتح التاء مقصورة، أي: يأتون الله يوم القيامة ﴿دَخِرِينَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: صاغرين. قال أبو عبيدة: ﴿كُلُّ لفظه لفظ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآية في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿ وَرَزَى لَلِّهَالَ ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نُفخ في الصُّور، تُجمَع الجبالُ وتُسَيَّر، فهي لكثرتها تُحسب ﴿جَامِدَةٌ ﴾ أي: واقفة ﴿مَرْمَى نَشُّرُ ﴾ أي: تسير سير السحاب، وكذلك كلُّ جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفاً وهو يسير، لكثرته، قال الجَعْدِيّ يصف جيشاً:

وُقُوفٌ لِحَاجِ والرِّكابِ تُسَهَّسُلِجُ (٢) بِأَرْصَنَ مِفْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ

قوله تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله: ﴿ وَزَرَى اَلِّمِالَ نَحْسَبُهَا جَامِلَةً ﴾ دليل على الصنعة، فكأنه قال: صنع الله ذلك صنعاً، ويجوز الرفع على معنى: ذلك صُنْع الله. فأما الإتقان، فهو في اللغة: إحكام

قوله تعالى: ﴿إِنَّامُ خَبِيرٌ بِمَا نَفْعَلُوكَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (يفعلون) بالياء. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِٱلْمُسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحسنة والسيئة في آخر [الانعام: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمُ خَيِّرُ مِنْهَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: فله خير منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة. والثاني: فله أفضل منها، لأنه يأتي بحسنة فيُعطى عشر أمثالها، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ تِن فَزَع بَرْمَهِدٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مِنْ فَزَع يَوْمِثِذٍ» مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: "مِنْ فَزَع، بالتنوين "يومَثني، بفتح الميم. وقال الفراء: الإضافة أعجب إليَّ في العربية، لأنه فزع معلوم، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا يَحَزُّنُّهُمُ ٱلْفَنَّعُ ٱلْأَكْبُرُ ﴾ [الانبياء: ١٠٣] فصيَّره معرِفة، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحبُّ إليَّ. واختار أبو عبيدة قراءة التنوين وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم. قال أبو على الفارسي: إذا نوّن جاز أن يُعنى به فزعٌ واحدٌ، وجاز أن يُعنى به الكثرة، لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَنكُرُ ٱلْأَشُوٰتِ لَصُّوْتُ ٱلْخَيْدِ﴾ [لغمان: ١٩]، وكذلك إذا أضيف جاز أن يُعنى به فزع واحد، وجاز أن يعني به الكثرة؛ وعلى هذا القول، القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة، فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد، فهو المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَعَزُنُّهُمُ ٱلْفَنَعُ ٱلْأَكْبُرُ﴾ [الانبياء: ١٠٣]. وقال ابن السائب: إذا أطبقت النَّار على أهلها فَزِعوا فَزْعَةً لم يفزعوا مثلها، وأهل الجَنَّة آمنون من ذلك الفزع.

قوله تعالى: ﴿وَيَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ قال المفسرون: هي الشِّرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ يقال: كَبَبْتُ الرجل: إذا ألقيتَه لوجهه؛ وتقول لهم خَزَنة جهنم: ﴿ هَلْ تُجْزَقُكَ إِلَّا مَا كُنْتُرٌ تَمْمَلُونَ ﴾ أي: إلَّا جزاءَ ما كنتم تعملون في اللُّنيا من

﴿إِنَّمَا أَمِرْتُ أَنَّ أَعَبُدَ رَبِّ هَمَاذِهِ ٱلبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيَّةٍ وَأَمِرْتُ أَنْ آكُونَ مِنَ ٱلشَّلِيدِينَ ۞ وَأَنْ أَتَلُواْ ٱلْقُرْمَانَ فَهَنِ

هو أبو إسحاق إبراهيم من أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار الحنبلي المتوفى (٣٦٩ هـ) ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى ١٢٨/٢. البيت للنابغة الجمدي. وهو في «مشكل القرآن» ٥، و«الطبري» ٣٠/٢٠، وهمجمع البيان» ٢٠/٧٥، و«القرطبي» ٢١/٢٤، و«البحر» ١٠٠/٧

آهْ تَدَىٰ وَإِنَّمَا يَهْتَدِي اِنْفَسِيدٌ وَمَن صَلَّ فَقُلْ إِنْمَا أَنَا مِنَ ٱلسُّذِرِينَ ﴿ وَلُو لَلْمَكُ لِلَّهِ سَيُرِيكُو مَايَنِيدِ فَنَقَرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ مِنْفِلٍ عَمَّا تَعَمَّلُونَ ﴿ ﴾ قدله تعالى: ﴿ إِنَّهَ أَمْنُكُ الدِمِنِ: وَإِلْمُهُمْنِ كُنِنَ أَنَّهُ مِنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ

قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُكَ يِنَائِلٍ عَمَّا تَصَالُونَهُ (٤) وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (تعملون) بالتاء، على معنى: قل لهم. وقرأ الباقون بالياء، على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

* * *

The state of the s

⁽١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿ الَّذِي حَمْقِهَا ﴾ أي: الذي إنما صاربت حراماً شرعاً وقدراً بتحريمه لها، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم نتح مكة: إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينظّر صيده، ولا ينتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يُختلى خلاها...» الحديث بتمامه. اهد. وهو في «البخاري» ٤٢/٤، وهمسلم» ٩٨٦/٢. ومعنى «لا يعضد»: لا يقطع، وقوله: «ولا يختلى خلاها» الخلا: الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه.

⁽٢) أي: الآيات. (٣) زيادة من الطبري.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ مِنْفِلٍ مَمَّا مَتَمَلُونَ﴾: يقول تعالى ذكره: وما ربَّك يا محمد بغافل هما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوّه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، قال: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إباك، فوتي من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقنُ للقسك بالنصر، ولمدوّك بالذل والخزي. اهم.

7 4 2 6

/ **سورة القصص** المناسبة المناسبة

and the second of the second o

one was a second of the second of the second of the

to send the second of the second second second

وهي مكُيَّة كلُّها غير آية منها، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْمَاكِ﴾ [القصص: ٨٥] فإنها نزلت عليه وهو بالجُحْفَة في وقت خروجه للهجرة، هذا قول ابن عباس. وروي عن الحسن، وعطاء، وعكرمة: أنها مكيَّة كلُها، وزعم مقاتل أن فيها من المدنيّ ﴿النِّينَ مَانَيْتِهُمُ ٱلْكِنْبَ مِن مَبْلِهِ هُم مِدِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٢٥] إلى قوله: ﴿لَا نَبْنَنِي ٱلْجَهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَيَّكَ ٱلْمُرْمَاكِ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت بالجُحْفَة .

والمراجع والمراجع والمراجع والمتحالة الكيف التحيية والمراجع والمتحالة التحيية والمتحالة والمتحال

﴿ لَمُسَدُ ۞ نِلْكَ مَانِتُ الْكِنْبِ النَّهِينِ ۞ نَتْلُواْ مَنْتِكَ مِن نَبْاً مُومَن وَفِرْعَوْتَ بِالْحَقِ لِلْوَهِ مُؤْمِثُونَ ۞ وَأُمِيدُ فَرَعُونَ مَلَا لِى الْأَرْضِ رَبَّكُنَ الْفَلِهَا هِنِبَنَا بَسَنَمْمِثُ لَلْهَائَةُ مِنْهُمْ بُلَوْجُ أَنِكَ الْمُنَاتَّمِيْ الْلِيْنِ الشَّنْفِيقُوا هِي الْأَرْضِ وَجَسَلَمُهُمْ أَلِمِنَةً وَجَسَلَمُهُمُ الوَرِثِينَ ۞ وَمُكِنَّ لَمُمْ فِي الأَرْضِ وَنُوى فِرْعُونَ وَحَسَنَ وَمُمُولَهُمَا مِنْهُمْ ثَمَّا كُنُولُ الْمِنْدُنِ وَلِهُ مَنْ وَمُعْتَلَمُهُمْ أَلِمِنْ وَجُسَلَمُهُمُ الوَرِثِينَ ۞ وَمُكِنَّ لَمُمْ فِي الأَرْضِ وَنُوى فِرْعُونَ وَحَسَنَ وَمُمُولُهُمَا مِنْهُمُ ثَمَّا كُنُولُ الْمِنْدُونَ وَلَهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِ وَلَهُ الْمُؤْمِقِينَ فَالْمُؤْمِ الْوَرْضِ

مند * قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ مُلْسَدُّ ۞ ﴾ قلد سُبق تَفْسِيره [الْشَعَراء].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَرْتَ مَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغى وتجبَّر في أرض مَصَرُ ﴿وَجَمْلُ أَمْلُهَا شِيمًا﴾ أي: فِرَقاً وأصنافاً في خدمته ﴿يَسَتَضْفِكُ طَآيِفَةٌ مِنْتُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل، واستضعافه إيّاهم: استعبادُهم، ﴿إِنَّهُ كَاكَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي. ﴿يُدَبِّحُ أَنْنَاتَهُمُ ﴾ وقرأ أبو رزين، والزهري، وابن محيصن، وابن أبي عبلة: "يَذْبَحُ المفتح الياء وسكونُ الذال خفيفة.

قولة ثمالى: ﴿وَلِمِيدُ أَن نَكُنَّ﴾ أي: نُنغِم ﴿مَلَ اللَّذِينَ أَسْتُمُنِّمِنُوا﴾ وهم بنو إسرائيل، ﴿وَيَعَمَلَهُمْ أَيْمَةُ﴾ يقتدى بهم في الخير؛ وقال قنادة: ولاة وملوكاً ﴿وَيَعْمَلُهُمُ الْوَرِيْرِينَ﴾ لَمُلكُ فرعون بعد غَرَقه.

تُولَة تَمَالَى: ﴿ وَثَرُي فِعُنْنَ وَمُنْكَنَ تُمُثُوّهُمُما ﴾ وقرآ حمزة ، والكسائي، وخلف: اويرى، بياء مُفتُوخة وَإَمالَة أَلَالُفَ الْتِي بَعد الراء افرغُونُ وهامانُ وجنزدهُما وبالرفع. وُمُعنى الآية: أنهم أُخبِروا أَن هلاكهم على يُكُي رجل من بني إسرائيل، فكانُوا على وَجُل مُنهُم، فأراهُم الله مَا كَانُوا يُحَدِّرُونُ.

﴿ وَأَوْمَيْنَا ۚ إِنَّ أَدِ مُومَىٰ أَنْ أَرْضِيدٌ مِإِذَا خِنْتِ مَلَيْهِ لَكَالْتِيدِ فِ ٱلْبَدِّ وَلَا غَنَانِي ۚ إِنَّا وَمُعَالِمُوهُ مِنَ ٱلْمَرْسَلِينَ ۞ مَالْنَصْلَمُو مَالُ وَرْعَوْنَ لِيَسِكُونَ الْهُمْ مَدُواً وَمَزَانًا إِنَّ فِرْعَوْنِ وَفَض وَهُورِكِ قُرْنُ عَيْنِ لِي وَلِكُ لَا تَفْتَانُومُ عَنِي آنَ يَنْعَنَا أَوْ تُنْجِذَرُ وَلَهُ وَهُمْ لَا يَنْفُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْحَيْنَا ۚ إِلَىٰٓ أَيْرَ مُوسِى ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنَّه إلهام، قاله أبن عباس. والثاني: أنَّ جبريل أتاها بذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنَّه كان رؤياً منام، حكاه الماوردي. قال مقاتل: واسم أم موسى فيوخابذ.»

قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَرْضِعِيلُ ۚ قَالَ المفسرون: كَانْتَ آمَراةٌ مِن القَوَابِلُ مَصَافِيةَ لأَمْ مُوسَى، فلمَّا وضعتْه تولَّت أمرها ثم خُرَجْتُ فَرَآها بِغَقَنَ الْعِيَوْنُ فَجَاؤُوا لِيَدْخَلُوا عَلَى أَمْ مُوسَى، فقالت أَخْتَه: يَا أَمَّاهُ هَذَا الْحَرْسُ بِالبَّابِ، قَلْفُتْ مُوسَى في خُرَقةً ووضعته في التَّنُّورُ وهو مُشْجَرَء فلدخَلُوا ثَمْ خُرَجُوا، فقالت لأَخْتَه: أين الصبيُّ، قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التَّنُّورُ فاطَّلعت وقد جعل الله عليه النَّارَ بَرُداً وسلاماً (١)، فأرضعته بعد ولادتِه ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر، فلمَّا

⁽١) هذه القصة ذكرها بعض المفسرين مصدرة يكلمة (رويه، ولم يذكروا من خرِّجها ولا عين رويت عه، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم.

خافت عليه صنعت له التابوت (١). وفي قوله: ﴿ وَإِذَا خِنْتِ عَلَيْهِ ﴾ قولان: أحدهما: إذا خِفْتِ عليه القتل، قاله مقاتل. والثاني: إذا خِفْتِ [عليه] أن يصيح أو يبكي فيُسمع صوتُه، قاله: ابن السائب. وفي قوله: ﴿ وَلَا يَخَافِ ﴾ قولان: أحدهما: أن يغرق، قاله ابن السائب. والشاني: أن يضيع، قاله مقاتل (٢). وقال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحكِ! فقالت: أوبعد هذه الآية فصاحة وهي قوله: ﴿ وَأَوْصَنَا إِلَىٰ أَيْرِ مُوسَى آنَ أَرْضِيهُ فَإِذَا خِنْتِ عَلَيْهِ فَا أَيْدِهِ فِى أَلْمُرْكِينَ ﴾ جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين ويشار تين؟!

قوله تعالى: ﴿ وَالْنَقَطَـهُ مِنْ أَنْ فِرَعُونِ ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآل فرعون: الذين تولُّوا أخذ التابوت من البحر. وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: أحدها: جواري امرأة فرعون، قاله السدي. والثاني: ابنة فرعون، قاله محمد بن قيس. والثالث: أعوان فرعون، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُرُ عَدُوّا ﴾ أي: ليصير بهم الأمر إلى ذلك، لا أنهم أخذوه لهذا، وهذه اللام تسمى لام العاقبة، وقد شرحناها في إيونس: ١٨٨. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليكون لهم عَدُوّا في دينهم وحَوْنا لِما يَسْعه بهم، والثاني: عدوّاً لرجالهم وحَوْناً على نسائهم، فقتل الرجال بالغرق، واستعبد النساء. ﴿ وَقَالَتِ اَمْرَاتُ فِي الله الله الله المنافق واستعبد النساء. ﴿ وَقَالَتِ اَمْرَاتُ وَهِي آسية بنت مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوجها فرعون: ﴿ فَرْرَتُ عَيْنٍ ﴾ قال الزجاج: رفع اقراقُ عَيْنٍ على إضمار «هو». قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات، فقالت: ﴿ عَمَى آنَ يَنفَعَنا ﴾ فنصيب منه خيراً ﴿ أَن نَتَغِذَمُ وَلَنك ﴾ ﴿ وَمُمْ لَا بَنْمُرُوب ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يشعرون أنّه عدوًّ لهم، قاله مجاهد. والثاني: انَّ ملاكهم على يديه، قاله قتادة. والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أنّا التقطناه، قاله محمد بن قيس. والرابع: لا يشعرون أنّي أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمد ابن إسحاق (٣٠).

﴿ وَأَصْبَحَ فَوَادُ أَيْرِ مُوسَىٰ مَنْوِغًاۚ إِن كَادَتْ لَنْبُدِى بِدِ. لَوَلاَ أَن زَيْطَنَا عَلَى قَلْبِهَا لِنَكُوْبَ مِنَ اَلْمُؤْمِدِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأَنْقِيدِهِ. قُشِيبَةٍ فَبَشَرَتْ بِدِ عَن جُشُو وَمُمْ لَا يَشْمُرُونَ ۞ ۞ وَحَرَّبَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلَ أَذْكُرُ عَلَى آهَلِ بَيْتِ يَكُفْلُونَلُمْ لَكُمْ وَهُمْ لَكُ نَصِحُونَ ۞ فَرَدَدَتُهُ إِلَى أَنِيهِ. كَنْ فَقَرْ عَبِنْهُهَا وَلَا يَخْدَرَتَ وَلِتَصَلَمُ أَكَ وَعَدَ اللّهِ حَقَّى وَلَكِنَّ أَكْفَرَهُمْ لَا يَسْلَمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُوْادُ أَيْرِ مُوسَى فَرِقًا ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذِكْر موسى، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك. والثاني: أصبح فؤادها فَزِعاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهي قراءة أبي رزين، وأبي العالية، والضحاك، وقتادة، وعاصم الجحدري، فإنهم قرؤوا: فَفَزِعاً، بزاي معجمة. والثالث: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: فارغاً من الحزن، ليلمها أنّه لم يُقتَل، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿ لَوَلا آن رَبِّطْنَا عَلَى قَلْبِ الجازع المحزون؟!

قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَنُبُوعَ بِهِ ﴾ في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى موسى. ومتى أرادت هذا؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه حين فارقته؛ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس [أنه] قال: كادت تقول: يا بُنيًاه. قال قتادة: وذلك من شدة وجدها. والثاني: حين حُمِلَتْ لِرَضاعه ثم كادت تقول: هو ابني، قاله السدي. والثالث: أنّه لمّا كبر وسَمِعَت الناسَ يقولون: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنها ترجع إلى الوحي؛ والمعنى: إنْ كادت لتّبُدي بالوحى، حكاه ابن جرير.

⁽١) وألقته في اليم - أي البحر - وهو النيل. قال ابن جرير الطبري: وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده، أن تلقيه في اليم، وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه، وأيّ ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أيّ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه. قال: واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل. اهـ.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَلَا نَخَالِهِ رَلا تَخَرَقِ ﴾ يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

⁽٦) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه.

قوله تعالى: ﴿ لَوَلا أَن رَبِهَا عَلَى عَلَيْ عَلَيْهِ عَالَى الزجاج: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والرَّبُط: إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته.

قوله تعالى: ﴿ إِنكُونَ مِنَ ٱلْمُوْمِينَ ﴾ أي: من المُصَدِّقِين بوعد الله. ﴿ وَوَالَتَ لِأُخْتِهِ قُتِيدٍ كُتِيدٍ ﴾ قال ابن عباس: قصّي أثره واطلبُه هل تسمعين له فِكراً، [أي]: أحيٍّ هو، أو قد أكلته الدواب؟ ونسبت الذي وعدها الله فيه. وقال وهب: إنّما قالت لأخته: قصّيه، لأنّها سمعتُ أنّ فرعون قد أصاب صبيّاً في تابوت. قال مقاتل: واسم أخته: مريم، قال ابن قتيبة: ومعنى وقُصّيه : قُصِّي أَثَرَه واتبعيه ﴿ وَمُصُرَتَ بِدِ عَن جُنُ ﴾ أي: عن بُغدٍ منها عنه وإعراض، لئلاً يَفطنوا، والمجانبة مِن هذا، وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو مجلز: (عَنْ جَنَابٍ » بفتح الجيم والنون وبألف بعدهما، وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «عَنْ جَانِبٍ » بفتح الجيم وكسو النون وبينهما ألف. وقرأ قتادة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «عَنْ جَنْبٍ » بفتح الجيم وإسكان النون من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَنْمُرُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: وهم لا يشعُرون أنَّه عدرٌ لهم، قاله مجاهد. والثاني: لا يشعُرون أنَّها أختُه، قاله السدي،

قوله تعالى: ﴿ وَمَرَّنَدَا عَلَيْهِ الْدَرَاضِمَ ﴾ وهي جمع مُرْضِع ﴿ مِن فَبْلُ أَي: مِنْ قَبْلِ أَن نَرُدُه على أُمّه، وهذا تحريم منع، لا تحريم شرع. قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن، كلَّما أتي بمُرْضِع لم يَشْبل ثديها، فاهمَّهم ذلك واشتدَّ عليهم ﴿ فَقَالَتَ ﴾ لهم أخته: ﴿ هَلَ أَدْتُكُو مَن آهَلِ بَيْتِ يَكُنُلُونَمُ لَكُمْ فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أُمّي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلمَّا جاءت قبِل ثديها. وقبل: إنَّها لمَّا قالت: ﴿ وَمُمْ لَمُ نَصِحُونَ ﴾ قالوا: لعلَّك تعرفين أهله، قالت: لا، ولكني إنما قلت: وهم للملك ناصحون.

قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدُنَّهُ إِنَّ أَيْمِهِ قَدْ شُرَحْنَاهُ فِي [طه: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلِتَمْ لَمُ ۚ أَكَ وَعَدَ اللَّهِ ﴾ بردُّ ولدها ﴿ حَنِّ ﴾ وهذا عِلْم عيان ومشاهدة ﴿ وَلِنَكِنَ أَكَ نَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ الله وعدها أن يردُّه إليها .

﴿ وَلَنَّا لِلَغَ أَشُدُمُ وَاَسْتَوَى مَالِيَنَهُ مُكُمَا وَطِمَّا وَكَذَلِكَ نَجْرِي الْمُعْسِنِينَ ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةِ بِنَ أَهْلِهَا فَرَجَدَ فِيهَا وَجَلَقِ الْفَيْوِدِ فَلَكُونُ مَنْكُونُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهُ قَالَ هَلَا مِنْ عَمَلِ رَجُلَيْ يَقْتَلِلانِ هَلَا مِن عَدَوِهِ فَرَكُونُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهُ قَالَ هَلَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ عَدُودٍ فَرَكُونُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهُ قَالَ هَلَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ عَدُودٍ الْمَالِي وَمُنْ الْفَيْوِ الْفَيْرِ الْمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ مُولِينًا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ مِنْ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُولُولُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَالَالْمُ عَلَا الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُو

﴿ وَلِنَا بَلَغَ أَشَدَّهُ ۚ قَد فُسرنا هذه الآية في سورة [برسف: ٢٢]، وكلامُ المفسرين في لفظ الآيتين متقارب، إلا أنهم فرَّقوا بين بلوغ الأشُدِّ، فقد سلف بيانه [الانعام: ١٥٢]. وفي مدة الاستواء لهم قولان: أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: ستون سنة، ذكره ابن جرير. قال المفسرون: مكث عند أمَّه حتى فطمته، ثم ردَّته إليهم، فنشأ في حِجْر فرعون وامرأته واتخذاه ولداً.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَلَ اللّهِ اللّهِ عَده موسى، فلما جاء موسى ركب في إثره فأدركه المَقِيل في تلك المدينة. وقال السدي: ركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى ركب في إثره فأدركه المَقِيل في تلك المدينة. وقال غيره: لمّا توهّم فرعون في موسى أنه عدوه أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلا بعد أن كبر، فدخلها يوماً ﴿ عَلَن بِينِ عَنْلَةٍ بِنَ أَمْلِها ﴾ وفي ذلك الوقت أربعة أقوال: أحدها: أنّه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله علي في الله والثاني: أنه دخل نصف النهار، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثالث: بين المغرب والعشاء، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنّهم لمّا أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذِكُره، لأنه قد نُسى أمرُه، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ هَلَا مِن شِيمَنِهِ ﴾ أي: من أصحابه من بني إسرائيل ﴿ وَهَلَا مِنْ عَلَوْتِ ﴾ أي: من أعدائه من القِبط، والعددّ يُذْكُر للواحد وللجمع. قال الزجاج: وإنما قيل في الغائب: «هذا» و«هذا»، على جهة الحكاية للحضرة؛

والمعنى: أنه إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا مِنْ شِيعته، وهذا مِنْ عدوَّه. قال المفسرون: وإنَّ القِبطي كان قد سَخُر الإسرائيليَّ أن يحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿ أَلْسَتَنَتُ ﴾ أي: فاستنصره، ﴿ فَرَكُرْهُ وَالله الزجاج: المؤكّز: أن يضربه بجميع كفَّه (). وقال ابن قتيبة: ففوكزه أي: لَكَوْهُ، يقال: وكَوْنَهُ ولَكُوْتُهُ ولَكُوْتُهُ: إذا دَفَعْته، ﴿ فَقَعَيْ مَلِيهِ ﴾ أي: قتله؛ وكلَّ شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه. وللمفسرين فيما وكن به قولان: أحدهما: كفّه، قاله مجاهد. والثاني: عصله، قاله قتادة. فلمًا مات القبطي ندم موسى لأنه لم يُرد قتله، و﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَلِي النَّيْدَانِ ﴾ أي: هو الذي هيج فضبي حتى ضربتُ هذا، ﴿ إِنَّهُ مَدُوَ ﴾ لابن آدم ﴿ مُثَيِنً ﴾ له ﴿ يُبِنّ ﴾ عداوته. ثم استغفر فـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِ ظَلَتْتُ نَشِي ﴾ أي: بقتل هذا، ولا ينبغي لنبيّ أن يقتُل حتى يُؤمّر.، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْمَتَ عَلَى ﴾ بالمغفرة ﴿ فَانَ أَكُوكَ طَهِيرًا لِلْمَبْرِينِ ﴾ قال ابن عوناً للكافرين. وهذا يدلُ على أن الإسرائيليَّ الذي أعانه موسى كان كافراً .

﴿ فَأَشَيَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَالِهَا يَرْفَبُ فَإِنَا الَّذِى اسْتَنْصَرُمُ وَالْأَسِّنِ بَسْتَعْمَرُهُمُ فَالْ لَمُ مُوسَىٰ إِنْكُ لَمُوسَىٰ إِنْكُ الْمُوسِ فَاللَّا أَنْ الْأَرْضِ وَمَا فُرِيْدُ أَنْ يَبْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَمَا فُرِيْدُ أَنْ تَنْفَالِينَ كَمَا مَنْلَتَ فَقَنَا وَالْأَشِينَ إِنْ وَيُدِدُ إِلَا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا فُرِيْدُ أَنْ ثَكُونَ مِنَ الشَّمِينَ فَيَ الْمُنْفِقِينَ اللَّهِ اللَّهِ مِنْ الشَّمِينِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلِي اللَّهُ اللَّالِمُ اللْمُولِمُ اللَّ

قولة تعالى: ﴿ فَأَسَّمَ فِى الْنَدِيَةِ ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿ فَالْهَا ﴾ على نفسه ﴿ يَرْفَتُ ﴾ أي: ينتظر سوءاً يناله منهم ويخاف أن يُقتل به ﴿ فَإِنَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

قوله تعالى: ﴿ فَلْنَا أَنْ آلَادَ أَن يَبْطِئنَ إِلَاْنِى هُوَ عَلُوْ لَهُمَا﴾ أي: بالقبطي ﴿ قَالَ يَنُوبَنَ ﴾ هذا قول الإسرائيليّ من غير خلاف علمناه بين المفسرين؛ قالوا: لمّا رأى الإسرائيليُّ غضب موسى عليه حين قال [له]: ﴿ إِنَّكَ لَمْوِنَ ثُمِينًا ﴾ ورآه قد همّ أن يَبْطش بالفرعونيّ، ظنّ أنّه يريده فخاف على نفسه في ﴿ قَالَ يَنُوبَنَ آثِيدُ أَن تَمْتُلُي ﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا مَن قالِلُ القِبطي، إلّا أنّهم أثوا إلى فرعون فقالوا: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً مِنّا فخذ لنّا بحقنا، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأخذ لكم حقّكم، فينا هم يطوفون ولا يدرون مَنْ القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلمّا الإسرائيليُ لموسى: ﴿ أَثُرِيدُ أَن تَمْتُلُنِي كُما قَنْلُتُ نَفْسًا إِلْأَنْسِنُ ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن اليوم الثاني، فلمّا قال الإسرائيليُ لموسى: ﴿ أَثُرِيدُ أَنَ مَنْكُنُ نَفْسًا إِلاَنْسِنَ ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل، فأم بقتل موسى، فعلم بذلك رجل من شيعة موسى فأتاه فأخبره، فذلك قوله: ﴿ وَبَهَا تُربُلُ مَنْ أَنْسًا النّويَةِ يَسْعَى عُسرع، قال السدي: هو القتّال، وقد شرحناه في [مود: ١٩٥]، وأقصى المدينة: آخرها وأبعدها، ويسعى، بمعنى يُسرع، قال ابن عباس: وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلاف في اسمه في المدود: ﴿ إِنْتَرْبُونَ بِلَهُ ثَلَالُهُ اللّه الرجاد ، وفي قوله: ﴿ إِنْتَرْبُونَ بِلهَ في اسمه في المدود: ﴿ الشالُونَ عَلَه الرجاد ، قاله الزجاج . قاله الزجاج .

﴿ فَغَرَجٌ بِنَهُ خَالِهُ مَرْفَةٌ قَالَ رَبِ غِنِي مِنَ الْقَرِمِ الْطَالِمِينَ ﴿ وَلَمَا نَوْمَهُ يَلْقَاءً مَدَيْكِ قَالَ عَمَىٰ رَبِّ أَنْ بُهْدِينِي مَوْلَةُ السَكِيلِ ﴾ وَلَمَا وَرَدَ مَاةً مَدْيَكِ وَبَدُ عَلَيْهِ أَمْرُاكَةً مِنَ الْقَرِمِ الطّلِمِينَ ﴿ وَبَكَدَ مِن دُونِهِمُ اَمْرَاكَةَ مِنَ قَالَ مَا خَطْبُكُمّا فَالْتَا لَا تَسْفِي وَلِمَا وَرَدَ مَاةً مَدْيَكَ أَوْلَ إِلَى الطِّلِي فَقَالَ رَبِ إِنِي لِمَا أَرْلُتَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ ﴿ فَلَيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَلَكُ إِلَى الطِّلِمِ فَقَالًا مَنْ إِنْ لِمَا أَرْلُتُ إِلَى الطِّيلِ فَقَالًا مَنْ اللَّهُ وَلَكُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الللَّهُ مِنْ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَالِمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلْمُنْ اللَّهُ مُلْمُنْ اللَّهُ مُلْمُ الللَّهُ مُنْ الللَّهُ مُلْمُنْ اللَّهُ مُنْمُ اللَّهُ مُلْمُنْ الللَّهُ مُلْمُنْ اللَّهُ مُلْمُنُولُولُولُول

⁽١) كذا الأصل، والذي في «اللسان» عن الزجاج: الوكز: أن يضرب بجُمْع كنَّه، وهو كذلك في كتب اللغة.

إِحْدَى ٱبْنَتَى هَنتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُمُونِ ثَمَنِيَ حِجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْكُوا فَمِنْ عِندِكٌ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَ عَلَيْكُ سَنَجِدُنِ إِن شَكَآءَ اللّهُ مِنَ السَّكِلِحِينَ ۞ قَالَ قَلِكَ بَيْنِي وَيَيْنَكُ أَيِّمَا ٱلْأَجْمَلَيْنِ قَعَنيْتُ فَلَا عُدُوْكِ عَلَّ وَلَقَهُ عَلَى مَا فَقُرُلُ وَكِيلٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَنَرَ مِنْهَا ﴾ أي: من مصر ﴿ غَآبِنَا ﴾ وقد مضى تفسيره [النصص: ١٨].

قوله تعالى: ﴿ يَمْنِي مِنَ ٱلْغَرْمِ ٱلظَّلْلِمِينَ﴾ يعني المشركين أهل مصر. ﴿ وَلَمَّا نَرَّمَهُ يَلْمَاءَ مَذَيَكِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: تَجَاهُ مَذْيَن ونحرَها، وأصله: اللِّقاء، وزيدت فيه التاء، قال الشاعر:

[أمَّـلْتُ خَيهُ رَكَ هـل تـأتي مَـواعِـدُهُ] فاليومَ قَصَّرَ عن يَـلْقَائك الأمَـلُ(١)

أي: عن لقائك. قال المفسرون: خرج خائفاً بغير زاد ولا ظَهْر (٢)، وكان بين مصر ومَدْيَن مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له بالطريق عِلْم، فـ ﴿ قَالَ عَمَىٰ رَبِّ أَن يَهْدِينِي مَوْلَة السَّبِيلِ ﴾ أي: قَصْدَه. قال ابن عباس: لم يكن له عِلْم بالطريق إِلَّا حُسْن ظنَّه بربِّه. وقال السدى: بعث الله له مَلَكاً فدلُّه، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعام إلا ورق الشجر، فورد ماءً مَدْيَن وخُضرةُ البقل تتراءى في بطنه من الهُزَال؛ والأُمَّة: الجماعة، وهم الرعاة، ﴿ يَسْقُوبَ﴾ مواشيهم ﴿ وَيَجَكُّ مِن دُونِهِمُ اي: مِنْ سوى الأمَّة ﴿ اَمْرَأَتَيْنِ﴾ وهما ابنتا شعيب؛ قال مقاتل: واسم الكبرى: صبورا (٣) والصغرى: عبرا ﴿ تُذُودَاتِهِ قال ابن قتيبة: أي: تَكُمَّان غَنَمهما، فحذف الغنم اختصاراً. قال المفسرون: وإنما فَعَلَتا ذلك ليَفْرُغ الناس وتخلوَ لهما البئر، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُنَّا﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟! ﴿ قَالَنَا لَا نَسْقِي﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، وابن السميفع: ﴿لا نُسقى﴾ برفع النون ﴿مَثَنَ يُمُسْدِرَ ٱلزِّيَكَٱبُّ﴾ وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يَصْدُرُۥ بفتح الياء وضم الدال، أي: حتى يرجع الرُّعاء. وقرأ الباقون: ﴿يُصْدِرُۥ بضم الياء وكسر المدال، أرادوا: حتى يُزُدُّ الرِّعاء غنمهم عن الماء. والرِّعاء: جمع راع، كما يقال: 'صاحب وصِحاب. وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «الرُّعَاءُ» بضم الراءً، والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿ وَأَبُوكَا شَيْحٌ كَبِيرٌ ﴾ لا يَقْدِر أن يَسْقي ماشيته من الكِبَر؛ فلذلك احْتَجْنَا نحن إلى أن نسقي، وكان على تلك البشو صخرة عظيمة، فإذا فرغ الرُّعاء مِنْ سَقيهم أعادوا الصخرة، فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرَّعاء فتَسْقيان غنمهما. ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسى. وفي صفة ما صنع قولان: أحدهما: أنه ذهب إلى بثر أخرى عليها صخرة لا يقتلعها إلا جماعة من الناس، فاقتلعها وسقى لهما، قاله عمر بن الخطاب (٤)، وشُريح. والثاني: أنه زاحم القوم على الماء، وسقى لهماء قاله ابن إسحاق، والمعنى: سقى غنمهما لأجلهما. ﴿ثُمَّ تُولِّيُّ أَي: انصرف ﴿ إِلَى ٱلظِّلِّي﴾ وهو ظل شجرة ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ اللام بمعنى إلى، فتقديره: إنِّي إلى ما ﴿أَزَلْتَ إِلَّ مِنْ خَيْرِ فَقِيرٌ﴾ وأراد بالخير: الطعام(٥٠). وحكى ابن جزير أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضاً أن تُطْعِماه. ﴿ فَإَنَّهُ إِنَّدُنُّهُ المعنى: فلمَّا شربتْ غنَّمُهما رَجَعَتا إلى أبيهما فأخبرتاه خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى. وفيها قولان: أحدهما: الصغرى. والثاني: الكبرى. فجاءته ﴿ تُشْفِي عَلَ ٱشْيَعْيَكُوكُ قد سترت وجهها بِكُمِّ دِرْعها. وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشى مشي مَن لم يعتد الخروج والدخول. والثاني: لأنها دعته لتكافئه، وكان الأجمل عندها أن تدعوه من غير مكافأة. والثالث: لأنها رسول أبيها.

⁽١) البيت للراعي النميري، وهو في أغريب القرآن، ٣٣١، و«الصحاح» و«اللسان، و«التاج»: لقي.

 ⁽۲) الطَّهْر: الدابة التي يُركب ظهرها من جمل وتحوه.

 ⁽٦) في الألوسي: صفوراء، وقيل: صفورياً. وفي «الكشاف» اسم الكبرى: صفراء، واسم الصغرى: صفيراء، والله أعلم بذلك، ولا يتعلق بمعرفة اسميهما حكم شرعي.

⁽٤) قال السيوطي في «الدر» ه/ ١٢٤: أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب في قال: إن موسى على المر، ود ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقرن، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين، قال: ما خطبكما، فحدثناه، فأتى الصخرة فرفعها وحده، ثم استقى، فلم يستق إلا دلواً واحداً حتى رويت الغنم... الحديث بطوله، وقد ذكره ابن كثير في «تفسير» من رواية ابن أبي شبية مختصراً هكذا، وقال: إسناده صحيح.

 ⁽٥) قال ابن كثير: قال ابن عباس: صار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل
قدميه، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق تعرة.

قوله تعالى: ﴿لِبَجْرِئِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسرون: لمَّا سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بُدّاً للجَهْد الذي به من اتباعها، فتيعها، فكانت الربح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها، فناداها: يا أمّة الله، كوني خلفي ودُليني الطريق (١) ﴿فَلَمَا جَمَاءَهُ﴾ أي: جاء موسى شعيباً ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلقَصَصَ ﴾ أي: أخبره بأمره مِنْ حين وُلد والسبب الذي أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَتْ جَوَتَ مِنَ ٱلقَوْرِ ٱلظّلِلِينَ ﴾ أي: لا سُلطان لفرعون بأرضنا ولسنا في مملكته. ﴿قَالَتَ إِحْدَنُهُما ﴾ وهي الكبرى: ﴿يَتَأَبِّ ٱستَعْبِرَهُ ﴾ أي: أخراء أجيراً ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱستَغْبَرَتُ ٱلقَيِّ ٱلْأَمِينُ ﴾ أي: خير من استعملت على عملك مَنْ قَوِيَ على عملك وأدًى الأمانة؛ وإنَّما سمَّتْه قوياً، لوفعه الحجر عن رأس البئر، وقبل: لأنه استقى بدلو لا يُقِلُها إلا العدد الكثير من الرجال، وسمَّته أميناً، لأنه أمرها أن تمشيّ خلفه. وقال السدي: قال لها شعيب: قد رأيتِ قوَّته، فما يُدريكِ بأمانته؟ فحدَّثُه. قال المفسرون: فرغب فيه شعيب، فقال له: ﴿إِنّ أَنْكِمَكَ ﴾ أي: أزوِّجك ﴿إِحْدَى ٱبْنَيْ مَلَة أَن تَأْجَرُنِ ثَمَنِي حِجَيّ قال الفراء: تأجُرني وتأجِرني، بضم الجيم وكسرها، لغتان. قال الزجاج: والمعنى: تكون أجيراً لي ثماني سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْكُو فَمِنْ عِندِكُ ﴾ أي: فذلك، وليس بواجب عليك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكُ ﴾ أي: في العَشْر ﴿ سَنَبِدُنِ إِن شَاآة اللهُ مِن الفَكِيدِينَ ﴾ أي: في حُسْن الصَّحبة والوفاء بما قلت. ﴿ وَلَكَ لَهُ مُوسَى ﴿ وَلِكَ بَيْنِي وَيَشَكُ ﴾ أي: ذلك الذي وصفت وشرطت عليَّ فلك، وما شرطت لي مِنْ تزويج إحداهما فلي، فالأمر كذلك بيننا. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿ أَيَّمَا ٱلأَجَلَبْنِ ﴾ يعني: الثماني والعشر. قال أبو عبيدة: (ما) والدة.

قوله تعالى: ﴿ فَمَيْتُ ﴾ أي: أتممتُ (٢) ﴿ فَلَا عُدُوكَ عَلَ ﴾ أي: لا سبيل عَلَيّ ؛ والمعنى: لا تعتد عليّ بأن تُأنِ مني أكثر منه ﴿ وَاللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ قال الزجاج: أي: والله شاهِدُنا على ما عقد بعضنا على بعض. واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال: أحدها: أنه شُعيب نبيّ الله ﷺ وعلى هذا أكثر [أهل] (٢) التفسير، وفيه أثر عن النبي ﷺ يدل عليه (٤) ، وبه قال وهب، ومقاتل. والثاني: أنه صاحب مَذْيَن، واسمه يثرى، قاله ابن عباس. والثالث: رجل من قوم شعيب، قاله الحسن. والرابع: أنه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمر بن مرّة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وبه قال ابن السائب (٥). واختلفوا في التي تزوّجها موسى من الابنتين على قولين: أحدهما: الصغرى، روي عن ابن عباس. والثاني: الكبرى، قاله مقاتل. وفي اسم التي تزوجها ثلاثة أقوال: أحدهما: صفوريا، حكاه أبو عمران الجوني. والثاني: صفورة، قاله شعيب الجبائي. والثالث: صبورا، قاله مقاتل.

⁽٢) قال ابن كثير: هذا وقد دل الدليل على أن موضى على إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما، قال: وقال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ نقلت: لا أدري حتى أقدم على حَبْر العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس في نسألته، فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. اهـ.

 ⁽٣) زيادة ليست في الأصل.
 (٤) من رواية ابن أبي حاتم عن عتبة بن المنذر، وسنده ضعيف.

⁽٥) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال: أحدها: أنه شعيب النبي هذا اللي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. قال: وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، قال: وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى هذا بمدة طويلة، لأنه قال لقومه: ﴿رَبّا قَرْمُ لُولِ يَنصُمُ بِيكِيوِ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل هذا بنص القرآن، وقد عُلم أنه كان بين الخليل وموسى هذا من القريب القريب من الخليل المحليل المحليل المحليل المحليل المحليل المحليل المحليل المحليلة على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد، قال: وما قبل: إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقري لكونه ليس يشعيب أنه لو كان إياه الأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في تصة موسى، لم يصح إسناده، قال: ثم من الموجود في كتب بني إصرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون، والله أعلم. اهـ.

﴿ الله عَلَمَا فَعَنَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ مَانَسَ مِن جَانِ الطَّورِ كَالَّا قَالَ لِأَهْلِهِ الْمُكُوّلُ إِنِّ مَانَسَتُ نَالَ لَمَلِيَ مَانِيكُمْ مِنْهَا أَنْهَا وُوك مِن شَطِعِي الْوَادِ الْأَيْسَ فِي اللّهُمْةِ الْلَبُسْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن اللّهُمُونَةُ إِنِّ الْسَلَمِينَ ﴿ وَأَنْ الْقِي عَصَالَةٌ فَلْمَا رَمَاهَا تَهَازُ كَأَنّهَا جَأَزُ كَأَنّهَا جَأَنُّ وَلَى مُدْبِطُ وَلَمْ يُمُومِنَ أَقِبِلُ وَلَا يَعْمَلُونَ وَ وَأَنْ الْقِي عَصَالَةٌ فَلْمَا رَمَاهَا تَهَازُ كَأَنّهَا جَأَزُ كَأَنّهَا جَأَنُّ وَلَى مُدْبِطُ وَلَمْ يَمُومِنَ أَقِبِلُ وَلَا يَعْمَلُونَ إِنْ اللّهِ عَصَالَةً فَلَكَ مِنْ عَلَمْ سُومِ وَاضْمُمْ إِلِيكَ جَنَامِكِ مِنَ الرَّهْبِ فَلَا يَعْمِلُونَ مِن الرَّهِ إِنْ فَلْكُونِ فِي وَالْمَالِمُ اللّهُ مَنْ وَمُومِنَ أَنْهُمْ كَاللّهُ وَلَا فَنَهُمْ عَلَيْهِ فَى اللّهُ مَنْ مُنْ اللّهُ وَمُومِنَا وَمُعَلِمُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مُنْ مُنْ اللّهُ وَمُومَى وَمُهُومُ وَمُومِنَا وَمُعَلِمُ وَمُؤْمِنُ وَلَهُ وَمُنافِعُونِ فَي قَالَ مُنْ مُنْ مُنْهُمْ وَمُومِنَا وَمُعَلِمُ الْمَالَعُلُهُمْ وَمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنِ فَيْ وَاللّهُ مُنْ مُنْهُمْ وَمُومُ وَمُؤْمِنَا وَمُعَلِمُ اللّهُ اللّهُ مُنْهُمْ وَمُعَلِمُونِ فَي قَالَ سَلْمُنْ عَلَيْهُ وَمُؤْمِنَ إِلَيْكُمُ اللّهُ وَمُؤْمِنَ وَمُؤْمِنَا وَمُومُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَمُؤْمِ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَمُؤْمِنُ وَلَمْ مُنْافِعُونُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَلَا مُنْ مُنْهُمْ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَالْمُومُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُولُوا وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَلَمُومُونُ وَالْمُؤْمِنُولُومُ وَالْمُولِقُولُومُ وَالْمُؤْمُولُولُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُو

قوله تعالى: ﴿ فَلْنَا تَضَىٰ مُوسَى النَّبَلَ ﴾ روى ابن عباس على عن رسول الله على أنه سئل: أيّ الأجلين قضى موسى، قال: ﴿ أُوفاهما وأطيبهما ﴾ (١٠). قال مجاهد: مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشراً أُخَر (٢٠). وقال وهب بن منبه: أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته سنين (٣٠)، وقد سبق تفسير هذه الآية [طه: ١٥] إلى قوله: ﴿ أَوْ جَدُورَ ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿ حِذْورَ ﴾ بكسر الجيم. وقرأ عاصم بفتحها. وقرأ حمزة، وخلف، والوليد عن ابن عامر بضمها، وكلُّها لغات. قال ابن عباس: الجذوة: قطعة حطب فيها نار، وقال أبو عبيدة: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لَهب، وهي مثل الجِذْمَة من أصل الشجرة، قال ابن مقبل:

جَــزُلَ السِجِــذَا خـيـرَ خَــوًادٍ وَلا دَعِـرِ (١)

باتَّتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا والدُّور: الذي قد نَخِر، ومنه رجل داعر، أي: فاسد.

قوله تعالى: ﴿ نُودِى مِن شَيطِي الرَّادِ ﴾ وهو: جانبه ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿ فِي اللَّهُمَةِ ﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿ النَّبُرَكَةِ ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي: من ناحيتها، وفي تلك الشجرة قولان: أحدهما: [أنها] شجرة العنَّاب، قاله ابن عباس. والثاني: عوسجة، قاله قتادة، وابن السائب، ومقاتل. وما بعد هذا قد سبق بيانه النسل: ١٠] إلى قوله: ﴿ إِنَّكُ مِنَ الْتَمِينِ ﴾ أي: من أن ينالك مكروه.

قوله تعالى: ﴿ أَسُكُ يَدُكُ ﴾ أي: أَذْخِلها، ﴿ وَآشَتُمْ إِنَكَ جَامَك ﴾ قد فسرنا الجناح في [طه: ٢٧] إلا أن بعض المفسرين خالف بين تفسير اللفظين، فشرحناه، وقال ابن زيد: جناحه: الذّراع والعشُد والكفُ. وقال الزجاج: الجناح هاهنا: العضاد، ويقال للبد كلّها: جناح، وحكى ابن الأنباري عن الفراء أنه قال: الجناح هاهنا: العصا، قال ابن الأنباري: الجناح للإنسان مشبَّه بالجناح للطائر، ففي حال تُشبِّه العربُ رِجُلي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلان طائراً في جناحيه، يعنون ساعياً على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائر، كقوله: ﴿ وَالشَمْمُ بِلَكَ إِنَ جَنَاحِك ﴾، وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناح، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه، كقوله: ﴿ وَاشْمُمْ بِلَكَ إِنَ جَنَاحِك ﴾، وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناح، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه، كقوله: ﴿ وَاشْمُمْ إِلَك جَنَاحَك مِنَ الرَّمْتِ ﴾، وإنما يوقع الجناح على هذه الأشياء تشبيها واستعارة، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قُطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحة أبطلت تصرُّفه؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يدي ورجلي، أي أنت مَنْ به أُصِلُ إلى محابِّى، قال جرير:

سَاأَسْكُ رُ أَنْ رَدِدْتَ إلى يَرِيشي وَأَنْبَتَ الفَّوادمَ في جَناحي (٥)

 ⁽١) روى البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: قضى أكثرهما وأطبيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. وذكره السيوطي في «اللده ١٢٦/٥ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي شبية في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس ﷺ.
 قال ابن كثير: وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تبالى: ﴿ قَلْنَا قَمَنْ مُوسَى الْأَجْلَ ﴾ أي: الأكمل منهما، والله أعلم.

إلا) قال ابن كثير: وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم، وابن جرير، فالله أعلم. وذكره السيوطي في «الدر» (١٢٧/ ، وزاد نسبته لعبد بن
 حميد، وابن المنذر.

٢) في النسخة الإستنبولية: سنتين.

٤) البيت في امجاز القرآن؛ ١٠٣، والطبري: ٧٠/ ٧٠، وامجمع البيان؛ ٢/ ٢٨٤، والقرطبي؛ ١٣/ ٢٨١، واللسان؛ والتاج؛ دعر. والجذا جمع جذوة.

٥) ديوانه ٩٨.

وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الأغرّ:

يا عِمسمتي في النَّائبات ويا

لا صُنتُتُ وَجِهاً كنتُ صَالِبه

رُكْنني [الأغر] ويا يَدي السمنى أبداً ووجهك في الشرى يَبلكى

فأمًّا الرَّهُب، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: قينَ الرَّهُب، بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: قمن الرُّهْب، بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص [وأبان] عن عاصم: قمن الرَّهْب، بفتح الراء وسكون الهاء [وهي قراءة ابن مسعود، وابن السميفع]. وقرأ أبيّ بن كعب، والحسن، وقتادة: بضم الراء والهاء. قال الزجاج: الرُّهْب، والرَّهَب بمعنى واحد، مثل الرُّشْد، والرَّشَد. وقال أبو عبيدة: الرُّهْب والرَّهْبة بمعنى المخوف والفَرق. وقول الشَّعْل، والشَّعْل، والشَّعْل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّحُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّخُل، والبَّحُل، واللَّهُ المرب من الحيَّة أمره الله أن يَضُم إليه جناحه ليذهب عنه الفزع. قال ابن عباس: المعنى: اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك. وقال مجاهد: كلَّ مَنْ فَزع فضَمَّ جناحه إليه ذهب عنه الفَزَع. والثاني: أنَّه لمَّا هاله بياض يده وشعاعها، أمِر أن عليه عبده الموت إلى حالتها الأولى. والثالث: أن معنى الكلام: سَكِّن رَوْعَك، وثَبَّت جأشك. قال بو على: ليس يراد به الظَّمُ بين الشيئين، إنما أمِر بالعزم [على ما أبر به] والجدِّ فيه، ومثله: اشدد حيازيمك للموت.

قوله تعالى: ﴿ مُسَدِّقُينٌ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: ﴿ يُصَدِّقُني ؟ بضم القاف. وقرأ الباقون بسكون القاف. قال الزجاج: من جزم ﴿ يُصَدِّقْني ﴾ فعلى جواب المسألة: أَرْسِلْهُ يُصَدِّقْني ؛ ومن رفع، فالمعنى: رِدْءاً مُصَدِّقاً لي. وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله: ﴿ يُصَدِّقُني ﴾ إلى هارون ؛ وقال مقاتل بن سليمان: لكي يُصَدِّقني فرعون.

قوله تعالى: ﴿مَكَثُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: سنُعينك بأخيك، ولفظ الْعَصُد على جهة المثل، لأن البد قِوامُها عَضُدُها، وكل مُعين فهو عَضُد، ﴿وَتَجْعَلُ لَكُمَّا سُلْطَنَا ﴾ أي: حُجَّة بيئة. وقيل للزَّيت: السَّليط، لأنه يُستضاء به؛ والسَّلطان: أَبْيَن الحُجج.

قوله تعالى: ﴿لَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمُا ﴾ أي: بقتل ولا أذى. وفي قوله: ﴿مَالِنِوَا ﴾ ثلاثة أقوال: أحلها: أن المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحُججنا فلا يَصِلُون إليكما. والثاني: أنّه متعلِّق بما بعده، فالمعنى: بآياتنا أنتما ومَنْ اتّبعكما الغالبون، أي: تَقْلِبُون بآياتنا. والثالث: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ونجعل لكما سُلطاناً بآياتنا فلا يَصِلُون إليكما.

﴿ وَلَمْنَا جَاءَهُم مُّومَى بِعَابَدِننَا بَهِنَدَتِ قَالُواْ مَا هَدَذَا إِلَّا سِخْرٌ مُّفَقَرَى وَمَا سَيَمْنَا بِهِمَانَا فِي مَابِكَآبِنَا ٱلأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُومَىٰ رَقِيَّ أَعَلَمُ بِمَن جَمَاةَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِمِهِ وَبَن تَكُونُ لَمُ عَنِقِبَةُ ٱلذَّارِّ إِنَّهُ لَا يُمْلِحُ ٱلظَّلِلِمُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُنْقُكُ ﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا سِحْر افتريتَه مِنْ قِبَل نفسك ولم تُبعَث به

 ⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَلِلْمَاكِ ثِينَ اَيْهِكَ ﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دليلان كاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبؤة من جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِلَى فِرْمَوْنَ وَمَكْلِهُهِ ﴾ أي: وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع، ﴿ إِنَّهُ مَا كَذِينَ ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره وديت. اهـ.

﴿ وَمَا سَكِمْنَا بِهِكَالُهُ الذي تدعونا إليه ﴿ بِهَكَا فِي مَائِكَايِنَا ٱلْأَوْلِينَكُ ، ﴿ وَيَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعَلَمُ ۗ وقرأ ابن كثير: ﴿ قال موسى ۗ بلا واو، وكذلك هي في مصاحفهم ﴿ بِمَن جَكَةَ بِٱلْهُدَىٰ ۗ أَي: هو أعلم بالمُحِقِّ منَّا، ﴿ وَيَن تَكُونُ لَمُ عَلِقِبَةُ ٱلنَّارِ ۗ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، [والمفضل]: ﴿ يكون الباء، والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَوْقِدُ لِي يَنهَدَنُ عَلَى الطِّبِيَ قَالَ ابن قتيبة: المعنى: اصنع لي الآجُر ﴿ فَأَجْمَلُ لِي مَرْحَا اِي قَصِراً عالياً. وقال الزجاج: الصَّرْح: كلَّ بناء متسع مرتفع. وجاء في التفسير أنَّه لمَّا أمر هامان ـ وهو وزيره ـ ببناء الصَّرْح، جمع العمَّال والفَعَلة حتى اجتمع خمسون ألف بنَّاء سوى الأتباع، فرفعوه وشيَّدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد قطّ، فلمَّا تمَّ ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنُشَّابَةٍ فرمى بها نحو السماء، فرُدَّت وهي متلطِّخة بالدَّم، فقال: قد قتلتُ إله موسى (۱) في في في بيناحه (۳) فقطعه ثلاث قطع، فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلتُ ألف رجل، ووقعت قطعة أخرى في البحر، وأخرى في المغرب (۳).

قوله تعالى: ﴿ لَمَكِنَ أَطَّلِمُ إِلَٰتَ إِلَكِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعد إليه وأُشْرِفُ عليه ﴿ وَإِنِّ لَأَظُنُمُ يعني موسى ﴿ مِنَ ٱلْكَلِيبَيَّ﴾ في ادَّعائه إلها غيري. وقال ابن جرير: المعنى: أظنُّ موسى كاذباً في ادَّعائه أنَّ في السماء ربّاً أرسله. ﴿ وَلَشَكْكَبَرُ هُوَ وَمُشُودُهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرض مصر ﴿ مِنكَبِر ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالباطل والظَّلم ﴿ وَظَنَّوا أَنْهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبعث للجزاء. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: فيُرْجَعونَ برفع الياء؛ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿ وَمَعَلَنَهُمُ أَي: في الدنيا ﴿ أَيِنَهُ أَي: قَادَة في الكفر يَأْتُمُّ بهم العتاة ﴿ كِنْفُوكَ إِلَى ٱلنَّالِيُّ لأن من أطاعهم دخلها؛ والنُضرون؛ بمعنى: يُمُنَعون من العذاب. وما بعد هذا مفسر في [هرد: ٦٠، ١٩٩.

قوله تعالى: ﴿ يَنِ الْمَقْبُومِينَ أَي: من المُبعّدين الملعونين؛ قال أبو زيد: يقال: قَبَح الله فلاناً، أي: أبعده من كل خير. وقال ابن جريج: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى، ثم استقبل الكلام، فقال: هم من المقبوحين (٤).

﴿ وَلَقَدْ مَالِيْنَا مُومَى الْحَيْنَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكُنَا الْقُرُوكِ الْأُولَى بَسَكَايِرَ الِنَّايِن وَهُدُى وَرَحْمَةُ لَقَلَهُمْ بِتَذَكَّرُونَ ۞ وَتَا كُنتَ مِنَ النَّهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنْشَأَنَا مُسُونًا فَطَاوَلَ عَلَيْهُمُ الْسُمُورُ وَمَا كُنتَ مِنَ النَّهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنْشَأَنَا مُسُورًا فَطَاوَلَ عَلَيْهُمُ الْسُمُورُ وَمَا كُنتَ بَعَانِي الطَّورِ إِذْ فَادَيْنَا وَلَكِنَ رَحْمَةً مِن رَلِكَ لَلْهُمْ مِنْ لَذِيرِ مِن مَبْلِكَ لَمُلَهُمْ بَنَدَكُرُونَ ۞ وَلَوْلَا أَن شُهِيبَهُم شُهِيبَكُمْ بِمَا فَذَمْتُ آلِيهِمْ فَبَعُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَن شُهِيبَكُمْ مِن فَذَمْتُ آلِيهِمْ فَبَعُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَن شُهِيبَكُمْ مُسْمِيبَكُمْ بِمَا فَذَمْتُ آلِيهِمْ فَبَعُولُوا رَبَنَا لَوْلاَ أَن شُهِيبَكُمْ مُسْمِيبَكُمْ مِن فَذَمْتُ آلِيهِمْ فَبَعُولُوا رَبَنَا لَوْلاَ أَن شُهِيبَكُمْ مُسْمِيبَكُمْ مِن فَذَهُولُوا رَبَنَا لَوْلاَ أَن شُهِيبَكُمْ مُسْمِيبَكُمْ مِن فَذِيفِ وَلَكُونَ مِنَ الشَوْدِيدِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا آهُلَكُنَا الْقُرُونِ الْأُولَ عِنْ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ بَصَكَآبِرَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: ليبصروا به ويهتدوا.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِمَانِبِ ٱلْغَرْدِيَّ ۖ قَالَ الزِّجَاجِ: أي: وما كنت بجانب الجبل الغربيّ.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ فَضَيْنَا إِلَىٰ مُومَى ٱلْأَمْرُ﴾ أي: أحْكَمْنا الأمر معه بإرساله إلى فرعون وقومه ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّيهِدِينَهُ

⁽١) ذكر هذا الخبر بنحوه القرطبي في اتفسيره، ولم يعزه لأحد، وذكره الطبري مختصراً عن السدي، وكذلك السيوطي من رواية ابن أبي حاتم عن السدي.

⁽٢) أي: فضرب الصرح بجناحه.

⁽٣) قال القرطبي بعد أن ذكره: والله أعلم بصحة ذلك.

⁽٤) قال ابن كثير: أي: وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتَّبعين لرسله، كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم، كذلك ﴿ وَيَرْمَ الْقِبَدَةِ هُم يَنِك الْمَتَّبِعِيمِهِ.

لذلك الأمر؛ وفي هذا بيان لصحة نبَّوة نبيِّنا ﷺ، لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكتب، ولم يشاهِد ما جرى، فلولا أنَّه أوحي إليه ذلك، ما علم (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَكِكُنّا آلْنَانَا تُدُويًا﴾ أي: خَلَقْنا أُمماً من بعد موسى ﴿فَلَمَالُولَ عَلَيْمُ ٱلدُمُرُ ﴾ أي: طال إمهالُهم فنسوا عهد الله وتركوا أمره؛ وهذا يدلُّ على أنه قد عُهد إلى موسى وقومه عهود في أمر محمد ﷺ، وأمروا بالإيمان به، فلمَّا طال إمهالُهم، أعرضوا عن مراعاة العهود، ﴿وَمَا حَنْتَ تَاوِيًا﴾ أي: مقيماً ﴿إِنَ أَهْلِ مَدَيَكِ ﴾ فتعلم خبر موسى وشعيب وابنتيه فتتلو ذلك على أهل مكة (﴿وَلَكِنَا كُنَا مُرْسِلِيكِ ﴾ أرسلناك إلى أهل مكة وأخبرناك خبر المتقدمين، ولولا ذلك ما علمته. ﴿وَمَا كُنْتَ بِعَانِي الطُّورِ ﴾ أي: بناحية الجبل الذي كُلّم عليه موسى ﴿إِذْ نَادَيْنَا ﴾ موسى وكلّمناه، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو هريرة: كان هذا النداء: يا أمّة محمد، أعطيتُكم قبل أن تسألوني، وأستجيب لكم قبل أن تدعوني (٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ رَحْمَةً مِن رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لم تُشاهِد قصص الأنبياء، ولكنَّا أوحيناها إليك وقصصناها عليك، رحمة من ربِّك.

﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ ﴾ جواب الولا، محذوف، تقديره: لولا أنهم يحتجُّون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة. وقيل: لولا ذلك لم نَحْتَجُ إلى إرسال الرسل ومؤاثرة الاحتجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا جَآءَمُم ﴾ يعني أهل مكة ﴿ أَلْحَقُّ مِنْ عِندِناً ﴾ وهو محمد عليه والقرآن ﴿ فَالْوَا لَوْلاً ﴾ أي: هلاً ﴿ أُونِ مَرْمَى ﴾ والمفسرون: أمرت اليهود قريشاً أن تسأل محمداً مثل ما أُوتي موسى، فقال الله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَصَعُمُوا مِنا أَوْنِ مُومَى ﴾ أي: فقد كفروا بآيات موسى، و﴿ قَالُوا ﴾ في المشار اليهم قولان: أحدهما: اليهود. والثاني: قريش. ﴿ سِحَرَكِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «ساحران» ﴿ تَظُلُّهُ لَ ﴾ أي: تعاونا. وروى العباس الأنصاري عن أبي عمرو: «تَظَّاهَرا» بتشديد الظاء. وفيمن عَنَوا ثلاثة أقوال: أحدها: موسى ومحمد، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير؛ فعلى هذا هو من قول مشركي العرب.

⁽۱) قال ابن كثير: يقول تعالى منبها على برهان نبؤة محمد الله حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كان سامقه شاهد وراء لما تقدّم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك، كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها، قال تعالى: ﴿ وَلَمَ كُنتَ لَدَبُهِمْ أَيْهُمْ يَكُفُلُ مَرَمَمٌ وَمَا صَحْنت لَدَبُومْ إِذَ يَخْصِمُونَ ... ﴾ الآية، أي: وما كنت حاضراً لذلك، ولكن الله أوحاه إليك، وهكذا لمّا أخبره عن نوح وقومه وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَكَ مِنَ أَلْيَا النّبِ بُوجِياً إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَلَلُهُمْ النّبِ أَن مَلًا عَاسَيْ إِلَى اللّبِهِ اللّبِهِ بُوجِياً إِلَيْكَ مِن أَلْهَمُ النّبِية وقال الله وإغراق قومه، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَكَ مِن أَلْهُمْ النّبِهُ مُنْكِلًا يَعَد ذكر قصة يوسف: ﴿ وَلِمَكُ مِن أَلْهُمُ النّبِهُ وَلَمُلُكِ مَنْ مَنْكُ مِن أَلِهُمْ النّبِهِ وَلَيْكِ مَنْفُو مُنْكُ مِن أَلِهُمُ النّبِهُ وَلَمُهُمْ مَلِكُ مَنْ مَنْكُو مُنْ مَنْكُمْ مَنْمُ مَكُنُو مُنْ مَنْكُمْ مَنْ وَلَهُ إِلَى أَخْرها وكيف كان ابتاء إيحاء الله إليه وتكليمه له: ﴿ وَلَمَا كُنتُ بِشَائِمُ النّبُومُ لَلْهُ مُنْكُمُ مِنْكُ مَنْ مَنْكُمُ مَا لَهُ مُنْكُمُ مَنْمُ مَكُمُ لَكُمْ مُنْكُمْ وَلَمْ اللّبُ اللّبَهِ اللّبَومِ وَلَهُ اللّهُ مُنْهُ مَلِكُمُ لِللّهُ مُوالِقُولُ اللّه مُنْ عَلْمُ مَا طَعْ المُوالِي اللّه مُنْكُمُ لَلْكُ مُنْكُمُ مُنْكُمُ لَعُلُمُ مُنْكُمُ لَكُمُ مُنْكُمُ مَا اللّه مُنْ اللّهُ مُنْكُمُ لَكُمْ لَكُمْ لَكُمُ اللّهُ مُعْلَمُ اللّه مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْكُمُ وَلَوْلُ عَلْمُ عَلَى اللّهُ على اللّهُ على الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقلمين. اهد.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وما كنت مقيماً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيّها شعيب وما قال لقومه وما ردّوا عليه، ولكن نحن أوحينا إليك ذلك.

 ⁽٣) رواه الطبري والنسائي، وفي سنده حمزة الزيات، قال الحافظ ابن حجر عنه: صدوق زاهد ربما وهم، وذكره السيوطي في «الدر» وزاد نسبته للفريابي،
 وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي معا في «الدلائل».

والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهد؛ فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة. والثالث: محمد وعيسى (۱۰)، قاله قتادة؛ فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنيبًا. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: فيخرانه وفيه ثلاثة أقوال. أحدها: التوراة والفرقان، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة. والثالث: التوراة والإنجيل، قاله أبو مجلز، وإسماعيل ابن أبي خالد. ومعنى الكلام: كلُّ سِحْر منهما يقوِّي الآخر، فلسب التظاهر إلى السِحْرين توسَّماً في الكلام، ﴿وَقَالُواْ إِنَّا يُكُلُ كَيْوُونَ ﴾ يعنون ما تقدَّم ذِخُره على اختلاف الأقوال، فقال الله لنبيه ﴿وَنَلُ كَنَّ لَكَيْلُ مِنْهُمُ أَي يَعْلَى مِنْهُمُ أَي الله والقرآن، ﴿وَقَافَلُمْ أَنْمَا بَيْمُونَ مُؤَلِّهُ مَنْكُ مِنْهُمُ أَي الله الموراة والقرآن، ﴿وَقَافَلُمْ أَنْمَا بَيْمُونَ الْمَرْفَ الله والمنافقة في الكلام، وأونا أنه ما الموراة والقرآن، ﴿وَقَافَلُمْ أَنْمَا بَيْمُونَ الْمَرْفَى الله والله والله والمنافقة والمنافقة والله والله والله والمنافقة والمنافقة أنه الله المنافقة والمنافقة والمنافقة أنّا القرآن يتبع بعضه بعضاً، ويُخبِر عن الأمم الخالية كيف عُذّبوا يعمل، وبه قال مجاهد. والثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قَلِموا على رسول الله في فشهدوا معه أحُداً، فنزلت فيهم هذه الآية (۱). والثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن المنافقة الله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَا يُنْكَ عَلَيْمٍ ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُواْ ءَامَنَا بِهِ ﴾ ، ﴿إِنَّا كُنَا مِن قَلِهِ ﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿شَيلِينَ ﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿شَيلِينَ ﴾ أي: مُخْلِصين لله مصدِّقين بمحمد، وذلك لأن ذِكْره كان في كتبهم فآمنوا به ﴿أَوْلَيْكَ يُوْقِنَ أَجْرُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، وهذا قول الجمهور، وهو الظاهر (٢٠)، وفيما صبروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صبروا على الكتاب الأوَّل، وصبروا على اتباعهم محمداً، قاله قتادة، وابن زيد. والثاني أنهم صبروا على الإيمان بمحمد قبل أن يُبْعَث، ثم على اتباعه حين بُعث، قاله الضحاك. والقول الثاني: أنهم قوم من المشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فصبروا على الأذى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرُهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ فيه أقوال قد شرحناها في [الرعد: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَكِمُوا اللَّفَرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: الأذى والسَّب، قاله مجاهد. والثاني: الشرك، قاله الضحاك. والثالث: أنهم قوم من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّر اليهود من صفة رسول الله عَلَيْ فيكرهون ذلك ويُغرِضون عنه، قاله ابن زيد. وهل هذا منسوخ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعَمَلُنَا وَلَكُمْ أَعَمَلُكُرُ ﴾ قولان: أحدهما: لنا دِيننا ولكم دِينكم. والثاني: لنا حِلْمُنا ولكم سَفَهُكم. ﴿سَلَمُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال الزجاج: لم يريدوا التحيَّة، وإنَّما أرادوا: بيننا وبينكم المُتَارَكة، وهذا قبل أن يؤمّر المسلمون بالقتال. وذكر المفسرون أنَّ هذا منسوخ بآية السيف. وفي قوله: ﴿لاَ بَنْنِي الْجَهِلِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا نبتغي دِين الجاهلين. والثاني: لا نطلبُ مجاورتهم. والثالث: لا نريد أن نكون جُهًالاً.

⁽١) قال ابن كثير: وهذا فيه بُعد، لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا، والله أعلم. اهـ.

⁽٢) قال السيوطي في «أسباب النزول» ٢١٠: رواه الطبراني في «الأوسط» يسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس ﷺ.

⁾ عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به وأتبعه وصدّقه، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله تعالى وحق سيّده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغلاها فأحسن غذاءها، ثم أدّبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران، متفق عليه، واللفظ لمسلم. وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٥، وزاد نسبته لأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردوبه، والبيهتي.

﴿ إِلَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبَتَ وَلِكِنَّ اللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَأَةُ وَهُوَ أَقَلُم بِالنَّهُمَّتِينَ ۞ وَقَالُوا إِن نَفَيع المُدَىٰ مَعَكَ نُنْغَطَف مِنَ أَرْضِنَا أُولُمْ نُسَكِن لَهُمْ حَرِمًا مَاسِنَا يُجْبَقَ إِلَيْهِ نَصَرَتُ كُلِّ مَنْء وَيْفًا مِن لَذَنَا وَلَكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسَلَمُونَ ۞ وَكُمْ أَمْلَكُمَا مِن مَرْيَجَ بَطِرَتْ مَهِنْسَتُهَمَّا فَيْلُكَ مَسَكِمُتُهُمْ لَرَ لُمُتَكُن مِنْ بَنْهِمِ إِلَا قِيلَةٌ وَكُنَا غَنُ الزَرْبُينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنَ أَحْبَتَ ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّمِ وَالَذِينَ ءَامَنُوا أَن مَسَتَغْفِرُوا لِلشَّمْرِينَ ﴾ النوبة: ١١٦، وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمّه: •قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، فقال: لولا أن تُعيّرني نساء قريش، يقلن: إنَّما حمله على ذلك الجزع، لأقررتُ بها عينك، فأنزل الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَتِك ﴾ (١٠). قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وفي قوله: ﴿مَنْ أَحَبَتُك ﴾ قولان: أحدهما: من أحببت هدايته. والثاني: من أحببته لقرابته. ﴿وَلِكِنَّ اللّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ أي: يُرشِد لِلينه من يشاء ﴿وَهُو أَمَّامُ إِلنَّهُ تَدِينَ ﴾ أي: من قدّر له اللهدى.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن تَنْجِع المُلَكُ مَمَكَ ﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي. هم ناس من قريش قالوا ذلك (٢٠). وقال في رواية ابن أبي مُلَيْكة: إنَّ الحارث بن عامر بن نوفل قال ذلك (٢٠). وذكر مقاتل أن الحارث بن عامر قال لرسول الله ﷺ: إنَّا لَنعلم أنَّ الذي تقول حق، ولكن يمنعنا أن نتبع [الهُدى] معك مخافة أن تتخطّفنا العرب من أرضنا (١٤) بعنون مكة. ومعنى الآية: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخافتنا إياها. والتّخطّف: الانتزاع بسرعة فردً الله عليهم قولهم، فقال: ﴿ وَلَهُمْ مُكَمِن لَهُمْ حَرَمًا في: أو لم نسكنهم حَرَمًا ونجعله مكاناً لهم، ومعنى ﴿ مَامَناً ﴾: ذو أمن يأمن فيه الناس، وذلك أن العرب كان يُغير بعضُها على بعض، وأهلُ مكة آمنون في الحرم من القتل والسّبي والمغارة، أي: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن؟! ﴿ يُبَيّئ ﴾ [قرأ نافع: ﴿ تُتُجْبى الماء]، أي: تُجْمع إليه وتُحمل من [كل] النواحي الشمرات، ﴿ وَنَقَا بَن لَذَا كُنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبُدون غيري، فكيف وتُحفل من الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه. ومعنى الآية: إذا كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبُدون غيري، فكيف تخافون إذا عَبدتموتي وآمنتم بي؟! ثم خوَّفهم عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿ وَيُمْ أَمْلَكُ عَالِمُ الطور: الطّغيان في النّعمة، قال الزجاج: «معيشتها، والبطر: الطّغيان في النّعمة، قال الزجاج: «معيشتها» والبطر: الطّغيان في النّعمة، قال عطاه: عاشوا في البطر فأكلوا ورزق الله وعبدوا الأصنام.

قوله تعالى: ﴿ فَيُلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَرَ نُسَكَىٰ مِّنْ بَسْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال ابن عباس: لم يسكُنُها إلَّا المسافرون ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة، والمعنى: لم تُسْكَن من بعدهم إلا سُكُوناً قليلاً ﴿ وَكُنَّا غَنُ الْوَرِيْدِ ﴾ أي: لم يَخْلُفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيتْ خراباً غير مسكونة.

⁽۱) رواه مسلم في «صحيحه» ١/٥٥، ولفظه: «لولا أن تعيِّرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقروت بها عينك، وليس عند مسلم كلمة ونساء. وذكره السيوطي في «المدر» (١٣٢ وزاد نسبته لعبد بن حميد، والترمذي، وابن أبي حاتم، وان مردويه، والبيهقي في «المدلائل» وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً، ورواه البخاري في «صحيحه» ٢٩٩٨ ومسلم في «صحيحه» ١/٥٥ بأطول منه باختلاف يسير في روايتهما: عن سعيد بن المسيب عن أبيه: قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الش فل فرجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، نقال: «أي حم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله نقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله فلي يعرضها عليها ويُعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، قال: نقال رسول الله فلا: والله المنطقة في الله الله في أبي طالب نقال لرسول الله فلا: ﴿ الله الله عند المطلب وأبي أن يقرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله في أكل المنظرة وأبيك مَامَوًا أن يَسْتَقَرُوا الله في أبي طالب نقال لرسول الله فلا: ﴿ الله الله الله الله الله عند وأورده السيوطي في «المدر» ٢٨ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وأحمد، والمسائي، وابن جرير، وابن المنلر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، واليهتي في «الدلائل».

⁽٢) رواه الطبري ٢٠/ ٩٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ١٣٤، وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

 ⁽٣) رواه الطبري ٩٤/٢٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/١٣٤، وزاد نسبته للشمائي، وأبن المنذر. وذكر الحافظ ابن كثير هن رواية النسائي عن ابن أبي ملكة، قال: قال عمرو بن شعيب عن ابن هباس، ولم يسمعه منه.

⁽٤) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» ولم ينسبه لمقاتل ولا غيره، بل ذكره بلفظ «وقيل». وذكره القرطبي عن ابن عباس، ولم يذكر من رواه عنه، والله أعلم.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُكَ مُمْلِكَ الفُرَىٰ حَتَى يَعْتَ فِى أَيْمَا رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ مَالِيَتِنَّا فَمَا صُحَنًا مُهْلِكِي الْفُرَوِى إِلَّا وَأَمْلُهَا طَلِيْلُونَ ﴿ وَمَا أُرْقِشُد مِن فَيْهِ فَسَنَعُ الْمَبْوَةِ الدُّنِيَا وَرِينَتُهُمَّا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَآلِقَيْ اللّهَ تَعْلَىٰ فَهُوَ لَفِيهِ كُنْ مَنْقَبَلُهُ مَنْغَ الْحَيْوَةِ الدُّنِيَا مُو مِنَ الْفِيمَةِ مِنَ الْمُحْصَدِينَ ۞﴾

﴿ وَمَا كَانَ رَبُكَ مُهْلِكَ ٱلشَّرَكَا ﴾ يعني القرى الكافر أهلها ﴿ حَقَّ يَبَتَ فِي أَتِهَا ﴾ أي: في أعظمها ﴿ رَسُولًا ﴾ وإنها خصَّ الأعظم ببعثة الرسول، لأن الرسول إنَّما يُبعث إلى الأشراف، وأشراف القوم ملوكهم، وإنما يسكُنون المواضع التي هي أمُّ ما حولها. وقال قتادة: أم القرى: مكة، والرسول: مجمد.

قوله تعالى: ﴿ يَنْاتُوا مَلَيْهِمْ مَالِنَيْنَا ﴾ قال مقاتل: يخبرهم الرسول أنَّ العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا.

ين قوله تعالى: ﴿ أَنْنَ وَعَدْنَكُ وَعَدَّا حَسَنَا ﴾ اختُلف فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رسول الله على وأبي جهل (١٠) والثاني: في علي وجوزة على موابي جهل (١٠) والثولان موويان عن مجاهد والثالث: في المؤمن والكافر، قاله قتادة (١٠) والرابع: في عمّان والوليد بن المغيرة، قاله السدي (١٠) وفي الوهد الحسن قولان: أحدهما: الجنة، والثاني: النصورة المدالة عنداله من المغيرة، قاله السدي (١٠) وفي الوهد الحسن قولان:

قوله تعالى: ﴿ فَهُنَ لَنِينِهِ إِنَ مُصيبه ومُدْرِكه ﴿ كِنَ مَنْفَنَهُ مَنْعَ الْحَيْرَةِ اللَّيْهَ اَي: كمن هو ممتّج يشيء يفنى ويزول عن قريب ﴿ ثُمُ يُزُمُ اللَّهِ عَنَى اللَّهُ عَنَى اللَّهُ عَلَى اللهِ قَالَة قَادة. والثانى: من المُحْضَرِين في عذاب الله، قاله قتادة. والثانى: من المُحْضَرِين للجزاء، حكاه الماوردي.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَنُولُ أَبْنَ شُرُكَاءِى الَّذِينَ كُنتُرْ نَرْعُمُونَ ۞ قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْمُ الْفَلُ رَبَّنَا هَتُؤَلَّهُ الْذِينَ أَغُونَنَا أَغُونَنَا مُمَّ كَيَا عَوْنَا إِنَاكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَسْبُدُونَ ۞ وَقِلَ ادْعُوا شُرُكَاءَكُو فَدَعَوْهُمْ فَلَرْ يَسْتَحِينُوا لَمُمْ وَوَلَمُ الْفَدَابُ لَوْ أَنْهُمْ كَانُوا جَبْدُونَ ۞ وَقِلَ ادْعُوا شُرُكَاءَكُو فَدَعَوْهُمْ فَلَرْ يَسْتَحِينُوا لَمُمْ وَوَلَمُ الْفَرْمَانِينَ ۞ فَعَيَتْ عَلَيْهِمُ الأَلْبَاتُهُ يَوْمَبِدِ فَهُمْ لَا يَشَاءَلُونَ ۞ فَأَمَّا مَن تَابَ وَيَامَنَ وَعِلَ صَدامِا فَمَسَى أَنْ فَيَعْرِمُ الْفَرْمِيلِينَ ۞ فَعَيْمَ اللَّذِينَ أَنْ مُعْمَ لَا يَشَاءَلُونَ ۞ فَأَمَّا مَن تَابَ وَيَامَنَ وَعِلَ صَدامِا فَسَنَى أَنْ وَيَعْرَفُونَ أَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَمُؤْمِونَ أَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿ وَوَمْ يُنَادِيهِ مُ أَي: ينادى الله تعالى المشركين يوم القيامة ﴿ فَيَقُولُ أَنَ شُرُكَاءَ ﴾ هذا على حكاية قولهم؛ والمعنى: أين شركاني في قولكم؟! ﴿ فَالَ الَّذِنَ مَنَّ مَلَهُمُ الْفَوْلُ أَي: وجب عليهم العذاب، وهم رؤساء الفيلالة، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم رؤوس المشركين، والثاني: أنهم الشياطين ﴿ رَبّنَا هَمُولُهُ اللّذِنَ أَغَرْبَا ﴾ يعنون الأتباع ﴿ أَغَرْبَتُهُمْ كَمَا غَرَبًا ﴾ أي: أضللناهم كما صَللنا ﴿ فَرَأَنَا إليّك ﴾ أي: تبرّأنا منهم إليك والمعنى أنهم يتبرأ بعضهم من بعض ويصيرون أعداء. ﴿ وَقِلَ ﴾ لكُفّار بني آدم ﴿ أَدْعُوا شُرَكَةَ مُن العذاب المنتجينُوا مَلَهُ عَلَى الرّجَاجِ: جواب ولو ﴾ والمعنى: لو [أنهم أي أنهم أي أنهم يجيبوهم إلى نصرهم ﴿ وَلَوْا العذاب .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَاوِيهِمَ﴾ أي: ينادي الله الكفار ويسألهم ﴿ يَنَقُولُ مَاذَاۤ أَجَبُتُدُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿ فَعَيْسَ عَلَيْهُمُ ٱلْأَبْلَامُ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وقتادة، وأبو العالية، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري: الْفَعُمَّيَتْ، برفع العين وتشديد الميم.

⁽١) ﴿ وَالطَّبْرِيَّ ﴿ ١٧/٢ عَنْ مَجَاهَدَ، وَفِي سَنْدُهُ الْحَكُمُ بَنْ عَبْدَ اللَّهُ لَأَنْحِجَلِي، ثقة له أوهام، وأبانُ بن تغلب، ثقة تكلم فيه للتشيع.

 ⁽۲) والطبري، ۲۰/۲۰ عن مجاهد، والوادي في فأسباب النزول، ١٩٤، وفي سنده أبان بن تغلب.

 ⁽٣) ذكر ذلك البغري والخازن عن تنادة، ولم يتسباه إلى أحد. وذكر الحوة باطول عنه السيوطي إلى فالهراز ٩/٥/١٤ عن قنادة من رواية عبد بن حميد، وابن عد الميارية الموازية عبد الميارية الموازية عبد الميارية الموازية الميارية الميارية

⁽٤) من فكر مالواحدي في فأسباب النزول 145 من السدي، ولم يعزي لأحد. قال القرطبي: قال القشيري: والصحيح أنها نزلت في المعومن والكافر على المنسيم، وتقل عن الأعرة النار، وفي كل مؤمل صبر على بلاء النسبيم، وتقل على الأعرة النار، وفي كل مؤمل صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله، وله في الأعرة الجنة. وقال ابن كثير: والظاهر أنها عامة.

قال المفسرون: خفيت عليهم الحُجج، وسمِّيت أنباءً، لأنها أخبار يُخبَرَ بها. قال ابن قتيبة: والمعنى: عَمُوا عنها ـ من شدة الهول ـ فلم يُجيبوا، و«الأنباءُ» هاهنا: الحُجج.

قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَا يَشَكَآءُ لُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحُجَّة، قاله الضحاك. والثاني: أن المعنى: سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة، قاله الفراء. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه، حكاه الماوردي. ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من السَّرك ﴿ وَاامَنَ ﴾ أي: صدَّق بتوحيد الله ﴿ وَعَلَ صَلِحًا ﴾ أدَّى الفرائض ﴿ فَمَنَىٰ أَن يَكُونِ مِن اللهُ وعسى عن الله واجب.

﴿وَرَئُكَ يَمْلُقُ مَا يَشَكَآءُ وَيَغْتَكَأَدُ مَا كَاكَ لَمْمُ لَلْفِيرَةُ سُبْحَنَ اللّهِ وَتَعَكَلَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَرَأُنكَ بَعْلَمُ مَا ثُكِنًّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِلُونَ ۞ وَهُوَ اللّهُ لَآ إِلَكَ إِلَّا هُلَّ لَهُ الْحَنْدُ فِي الْأَوْلَ وَالْآخِرَةُ وَلَهُ الْحُكُمُ وَالِنِهِ ثُرْجَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَمُنُنُ مَا يَشَاءُ وَيَمَّنَكَأُ وَيَمُنَكَأُ وَيَمُنَكَأُ وَيَمُنَكَأُ وَيَمُنَكَأُ وَيَمُنَكُأُ وَي العوني عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَمْأَنُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَكَأُ وَالله بن المغيرة حين وَيَخْتَكَأُ وَالله عَلَى: ﴿ وَيَلُ عَبْلُوهُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الشَّرَبُيِّنَ عَظِيمٍ ﴾ (١) والله والمعنى أنَّه لا تُبْعَث الرسل باختيارهم. قال الله الرجاج: والوقف الجيِّد على قوله: ﴿ويختار وتكون ﴿ما عَنْها والمعنى: ليس لهم أن يختاروا على الله و ويجوز أن الرجاج: والوقف الجيِّد على قوله: ﴿ويختار الذي لهم فيه الخِيرة ممَّا يتعبَّدهم به ويدعوهم إليه (٢) وقال الله الله عنى والخيرة والخَيْرة والخَيْرة والخَيْرة والخَيْرة على الله عنى الله عنه الخيرة ممّا يتعبّدهم به ويدعوهم إليه (٢) والمواد والعرب تقول إمّا تختاره: أعطني الخيرة والخيرة والخيرة والخيرة والمواد والعرب تقول إمّا تختاره: أعطني الخيرة والخيرة والمواد والعرب تقول إمّا تختاره: أعطني الخيرة والخيرة والخيرة والخيرة على الله الله الله الله عنه الخيرة ممّا الله المات.

قوله تعالى: ﴿مَا تُكِنُّ مُدُورُهُمٌ ﴾ أي: ما تُخفي من الكفر والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِئُونَ ﴾ بالسنتهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمَنْدُ نِي ٱلْأُولَى وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [أي]: يَحْمَدُه أولياؤُه في الدنيا ويَحْمَدونه في الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْمُكُمُّ﴾ وهو الفصل بين الخلائق. والسَّرمد: الدائم.

﴿ فَلْ أَنْ يَنْتُمْ إِن جَمَلَ اللّهُ مَلِنَكُمُ الْبُلَ سَرْمَدًا إِلَى بَرْمِ الْفِينَةِ مَنْ إِلَكُ عَبَرُ اللّهِ بَأَنِيكُم بِضِيناً وَ أَلَلَا تَسْمَعُونَ ﴿ فَلَ أَنْهِ بَالْتِيكُمْ مِنْ إِلَكُ عَبْرُ اللّهِ بَأْنِيكُمْ مِبْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَلَلَا تَبْمِرُونَ ﴾ وَمَن يَخْمُونَ ﴿ وَلَهُ عَبْرُ اللّهِ يَأْنِيكُمْ مَنْ اللّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿أَنَكَ نَسْمَعُونَ ﴾ أي: سماع فَهُم وقَبول فتستدلُّوا بذلك على وحدانية الله تعالى؟! ومعنى ﴿تَسْكُنُونَ فِيدٍّ﴾: تستريحون من الحركة والنَّصَب ﴿أَنَلَا تَبْهُرُونَ ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة؟! ثم أخبر أن اللَّيل والنهار رحمة منه. وقوله: ﴿إِنَسْكُنُوا فِيهِ يعني في الليل ﴿وَلِتَبْنَثُوا مِن فَضَالِيهِ أي: لتلتمسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلِتَبْنَثُوا مِن فَضَالِيهِ أي: لتلتمسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلِتَبْنَثُوا مِن فَضَالِيهِ أي: لتلتمسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلِتَبْنَوُا مِن وَلَهُ مَا لَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلِيَّا عَلَيْهُ عَلَي

قوله تعالى: ﴿ وَرَزَعْنَا مِن كُلِ أَنَةِ شَهِيدًا ﴾ أي: أخرُجنا من كل أُمَّة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ﴿ فَقُلْنَا هَالَّهُ بُوْمَنَكُمْ ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني ﴿ فَمَكِنُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ أي: علموا أنه لا إله إلا هو ﴿ وَصَلَّ عَنْهُ ﴾ أي: بَطَل في الآخرة ﴿ مَّا كَافُوا يَنْهُ مُنْكَ ﴾ في اللنيا من الشركاء.

﴿ ۚ إِنَّا لَئَنَّ وَكُنْ كَانَ مِنْ فَوْرِهِ مُومَىٰ فَبَنَى عَلَيْهِمْ وَمَالَيْنَتُهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاعِتُمُ لَنَنْوَأُ وَالْمُصَبَحِةِ أَوْلِي الْفُوَّةِ إِذَ قَالَ لَهُ وَمُمُمُ لَا تَغْرَجُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَنِعَ فِيمَا ءَاتَنَاكَ اللَّهُ النَّارُ الْآخِيرَةُ وَلَا تَسَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَأُ وَأَصِّن كَنَا اَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُ وَلَا تَنْبِعُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُ الْفُسِيينَ ۞﴾

 ⁽١) ذكره السيوطي في اأسباب النزول؛ ١٩٣ من رواية ابن المنذر عن قتادة، والله أعلم.

⁽٢) قال ابن كثير: وقد اختار ابن جرير أن اماء هاهنا بمعنى الذي، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة، قال: وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراحاة الأصلح، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن حباس وغيره أيضاً، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالمخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال: ﴿مُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَسَلُ عَمّاً يُشْرِكُنَ ﴾ أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً. اهـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فَنُرُونَ كَاكَ مِن قَرِّمِ مُومَىٰ﴾ أي: من عشيرته؛ وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ابن عمه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن الحارث، وإبراهيم، وابن جريج. والثاني: ابن خالته، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كان عمَّ موسى، قاله ابن إسحاق^(۱). قال الزجاج: «قارون» اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان «فاعولاً» من العربية من «قرنتُ الشيء» لا نصرف.

قوله تعالى: ﴿ فَهُنَى عَلَيْهِم ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه جعل لِيَغِيّ جُعْلاً على أن تقذف موسى بنفسها، ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها، فكان هذا بغيه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه بغى بالكفر بالله تعالى، قاله الضحاك. والثالث: بالكبر، قاله قتادة. والرابع: أنه زاد في طول ثيابه شِبراً، قاله عطاء الخراساني، وشهر بن حوشب. والمخامس: أنه كان يخدم فرعون فتعدّى على بني إسرائيل وظلمهم، حكاه الماوردي. وفي المراد بمفاتحه قولان: أحدهما: أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب، قاله مجاهد، وقتادة. وروى الأعمش عن خيشمة قال: كانت مفاتيح قارون وِقر ستين بغلاً، وكانت من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع. والثاني: أنها خزائنه، قاله السدي، وأبو صالح، والضحاك. قال الزجاج: وهذا الأشبه أن تكون مفاتحه خزائن ماله؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن قتية. قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً.

قوله تعالى: ﴿ لَنَنُوا ۚ بِالْمُسْبَةِ ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العصبةَ، فلمَّا دخلت الباءُ في «العُصْبة» انفتحت التاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذْهِبُ الأبصارَ، وهذا اختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجَّاج في آخرين. وقال بعضهم: هذا من المقلوب، وتقديره: ما إن العصبة لَتَنُوء بمفاتحه، كما يقال: إنها لَتَنُوء بها عجيزتها، أي: هي تَنُوء بعجيزتها، وأنشدوا:

فَسَدَيْتُ بِسَنَفْ سِدِ نَسَفْسُسِي ومَسَالِسِي ومَسَا الْسِوكَ إِلَّا مَسَا أُطِسِيسَقُ (٢)

أي: فديتُ بنفسي وبمالي نفسه، وهذا اختيار أبي عبيدة، والأخفش. وقد بيّنًا معنى العُصْبة في سورة [بوسف: ١٨، و[في] المراد بها [هاهنا] ستة أقوال: أحدها: أربعون رجلاً، روا العرفي عن ابن عباس. والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهد. والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادة. والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالح. والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَرْمُهُ فِي القائل له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون من قومه، قاله السدي. والثاني: أنه قول موسى له، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا نَفْرَجُ ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: لا تأشُرُ، ولا تَبَطُرُ، قال الشاعر:

ولستُ بِمِفْراح إذا الدَّهرُ سَرَّني ولا جسازع من صَرْفه المُتَحَوِّل^(٣)

أي: لستُ بأشِرٍ، فأمَّا السرورُ، فليس بمكروه. ﴿إِنَّ أَلَقَهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبلة: «الفارِحِين» [بألف].

قوله تعالى: ﴿وَالِّنَةِ فِيمَا ءَاتَنْكَ أَلَهُ ﴾ أي: اطلب فيما أعطاكَ الله من الأموال. وقرأ أبو المتوكل، وابن السميفع: «واتَّبعْ» بتشديد التاء وكسر الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة ﴿النَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ وهي: الجنة؛ وذلك يكون بإنفاقه في رضى الله تعالى وشُكر المُنْعِم به ﴿وَلَا تَسَى نَصِيبَكَ مِن اللَّهَ أَلَانَهُ أَهُ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يعمل في الدنيا للآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أن يُقدِّم الفضل ويُمسك ما يُغنيه، قاله الحسن. والثالث: أن يستغني بالحلال عن الحرام، قاله قتادة. وفي معنى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ أَللهُ إِلِيَكَ ﴾ ثلاثة أقوال حكاها

⁽١) قال ابن كثير: قال ابن جزيج: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم.

⁽٢) البيت في امجاز القرآن؛ ٧٩/٧، والطبري؛ ٢٠٨/٢٠.

٣) البيت لهُذَبة بن خَشْرَم المُذْرِيّ، وهو في اغريب القرآن» ٣٣٥، والبحر المحيط» ١٣٢/٠، والقرطبي، ٣١٣/١٣، والكامل، ١٢٤٨/، واعيون الأخبار، ١٣٦/ و٨٦١، واحماسة البحتري، ١٢٠، واحماسة ابن الشجري، ١٣٧.

الماوردي: أحدها: أغطِ فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك. والثاني: أُحْسِن فيما افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك. والثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال!

"قوله تعالى: ﴿ وَلا تَشْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ۖ ٱلْأَرْضِ ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

﴿ قَالَ إِنْمَا ۚ أُرْتِيثُكُمْ عَلَىٰ عِلْدِ عِندِينَا ۚ أَوْلَمْ يَسْلَمْ أَكَ اللَّهَ يَدْ أَهْلَكُ مِن تَبْلِدٍ. مِنَ ٱلفُرُدُونَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ فَوَةً وَأَحْتُنَ جَمَّاً وَلاَ يُسْتَلُ عَن دُوْيِهِ مِنَ اللَّهُ مِنْهِنَ ﴿ ﴾ ﴿ وَمُنْ مُنْهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَأَنْ

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوبِيِّتُمُ بِعني المال ﴿ عَلَى مِلْهِ عِندِيٌّ فيه حمسة أقوال: أحدها: على عِلْم عندي بصنعة الدهب، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ قال الزجاج: وهذا لا أصل له، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له، والثاني: برضى الله عني، قاله ابن زيد (١٠), والثالث: على خير عَلِمَهُ الله عندي؛ قاله مقاتل. والرابع: إنها أعطيتُه لفضل علمي، قاله الفراء: قال الزجاج: ادّعى أنه أعطيُ الملل لعلمه بالتوراة. والخامس: على علم عندي بوجوه المكاسب؛ حكاه الماردي.

المقوله تعالى: ﴿ أَوْلَمُ يَمْلُمُ يَعِنِي قارون ﴿ أَكَ اللّهَ قَدْ أَمْلُكُ ﴾ بالعذاب ﴿ مِن قَلْدِ مِن الشُّونِ ﴾ في الدنيا حتى كذَّبوا رسلهم ﴿ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنهُ فُوهُ وَلَكَ مُمَا ﴾ للأموال. وفي قوله: ﴿ وَلَا يُشْلُونُ عَن دُنُوهِمُ المُعْرِمُونَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يُشألون ليُعْلَم ذلك مِنْ قِيلهم وإن سئلوا سؤال توبيخ، قاله الحسن، والثاني: أن الملائكة تعرفهم ببنيماهم فلا تسألهم عن فِنوبهم، قاله مجاهد. والثالث: يدخلون النار بغير حساب، قاله قتادة، وقال السيري: يعلَّيون ولا يُشألون عن فُنوبهم.

﴿ مَنْ مَنَ مَنِهِ فِي دِينَتِهِ قَالَ الَّذِي يُرِيدُونَ الْمَهُوٰةَ الدُّنَا يَنَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُونِي قَنْهُدُ إِنَّهُ لَدُو حَلَمٍ عَلِيهِ ﴿ وَكَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وقَسَالَ اللَّذِي أُونُوا الْمِلْمَ وَيْلَحِنُمُ قَوْلُ اللَّهِ عَبْرُ لِينَ عَامَنَ وَعَيلَ صَلِيحًا وَلَا يُلْقَدْنِهَا إِلَّا اللَّهَارُدِنَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَنَزَعُ مِنَ فَيَهِدِ فِي زِينَهِمِ ۗ قال الحسن: في ثيابٍ حسر وصفر؛ وقال عكرمة: في ثياب مُعَصْفَرة. وقال وهب بن منبًّه: خرج على بغلة شهباء عليها سرج أحمر من أرْجُوان، ومعه أربعة آلاف مقاتل، وثلاثمائة وصيفة عليهن الجلي والزينة على بغال بيض. قال الزجاج: الأرْجُوانِ في اللغة: صِنغ أحمر.

قوله تعالى: ﴿ لَذُو حَنْلِهِ آي: لَذُو نصيب وافر من الدنيا. [وقوله]: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْهِلْمَ ﴾ قال ابن عباس: يعني الأحبار من بني إسرائيل، وقال مقاتل: الذين أوتوا العلم بما وَعَدَ الله في الآخرة قالوا للذين تَمنّوا مَا أُوتِيَ [قارون]: ﴿ وَيُلَّكُمْ مُولَ اللَّهُ اللَّهِ فَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ا

والمرافق المرابي والمتاب المعجد والموار والمراجع المعجد المعارات

⁽١) , قال ابن جرير الطيري: وأجسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه إلله فمي وجوهه وسُبُله، كما أحسن الله إليك فوسّع عليك منه وبسط لك فيها. وقال ابن كثير: أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك.

ابن تجير: اي: احسن إلى خلقه هما احسن هو إليت،

(٢) قال ابن كثير: وقد أجاد في تنسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في تولد: ﴿ قَالَ إِنْمَا أَرْتَتُمُ عَلَ يَبْدِ عِنْمِينَ ﴾ قال: لولا رضى الله عني ومعرفته بقضلي، ما أعطاني هذا الممال، وقرأ ﴿ أَرْتُمْ يَسُمُ أَكَ اللهُ عَلَ أَمْلُكُ بِنَ كَلِيْدَ مِنَ اللّهُ عِنْ وَلَمْ مِنْهُ وَلَمْ مِنْهُ وَلَمْ عَلَمْ المال، وقرأ ﴿ أَرْتُمْ يَسُمُ أَكَ اللّهُ عَنْ اللّهِ عِنْ مَنْ عَلَ عليه إله وقرأ ﴿ أَرْتُمْ يَسُمُ أَكَ اللّهُ عَنْ اللّهِ عِنْهِ اللّهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْهُ اللّهُ عَنْ عَلَى اللهُ عِنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَى اللهُ عِنْهُ وَلَهُ عَنْهُ عَلَى اللهُ عِنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْ عَلَى عَلَى اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلْهُ عَلَى عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَمْ عَلَمُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلْهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلْهُ عَنْهُ عَلَى عَلْهُ عَنْ عَلْهُ عَنْهُ عَلْهُ عَنْهُ عَلْهُ عَنْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَنْهُ عَلَى عَلَى عَلْهُ عَلْهُ عَلْهُ عَلْهُ عَلَى عَلَى عَلْمُ عَلَالًا لِللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى عَلْمُ عَلَى عَلْهُ عَلَى اللّهُ عَلَاهُ عَلْهُ عَلَاهُ عَلَاهُ عَلْهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ عَلْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَاهُ عَلَاهُ اللّهُ عَلَا عَلْهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ اللّهُ عَلَا عَلْهُ عَلَا عَلَاهُ اللّهُ عَلَا عَلَاهُ عَلَا عَلْهُ عَلَا عَلَا عَلْهُ عَلَاهُ الللّهُ عَلَا عَلْهُ عَلَا عَل

⁽٣) قال ابن كثير: أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار إلآخرة خير مها ترون، قال: كما يجاء في الجديث الصحيح: القول إله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شنتم، ﴿ فَلَا تَمْلُمُ لِمَنْ اللَّهُ فَيْ أَمْ أَتَبُو بِمَا كُافُوا فِي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شنتم، ﴿ فَلَا تَمْلُمُ شَمَّ مَا أَنْفِى لَمُمْ مِن فَيْ أَنْ مَا كُافُوا فِي المُنْفِقِ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ مِن فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مِن فَيْ اللَّهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ مِن فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مِن فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَّا عَلَّا عَلَيْهُ عَلَّا عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَّهُ

⁽٤) - قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا يُلْتَئْهُمُمَّا إِلَّا الفَّكَيْرُونَ﴾ يقول: ولا يلقاهاي، أي:.ولا يوقَّق لقيل هذه الكلمة، وهي قوله:؛ ﴿خَيُّكُ لِمَنْ مَاهَتَكَ وَعَيلَ =

﴿ لَمُسَقَتِنَا بِهِمِ آوَلِيَاهِ الأَرْضَ لَمَا كَانَ لَهُ مِن فِشَوْ يَحْشُرُهُمْ مِن هُوهِ اللّهِ وَمَا كَاكَ مِنَ الْشَنْصِينَ ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِيكَ تَسَنَّقُ اللّهِ عَلَيْهِ وَلِمُؤْمِدُ لَوْلَا أَن ثَنَ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَبَهِ مِنْ أَنْ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسَلِّمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن ثَنَ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسَلِّمَ الْمُؤْمِنَ وَمُعْلِمُ لَا يُمْلِحُهُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسْتَمِهِ مِنْ وَيَعْلَمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسْتَمِهِ مِنْ وَيَعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يَعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَكُونُ لَلْهُ عَلَيْنَا لَمُعْلِمُونَ لَوْلِكُونَ وَيَكُلّمُ لَا يُعْلِمُونَا وَيَعْلِمُ لِمُنْ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسْتَقِعُونَا وَيَعْلَمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لِمُنْ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُسْتَمِعُونَا وَيَعْلَمُ لِمُعْلِمُ لِمُعْلِمُ لِمُنْ لَكُونُ أَنْ يَعْلِمُ لَمُعْلِمُ لَمُونُ اللّهُ عَلَيْنَا لَمُعْلِمُونَا وَيَعْلِمُونَا وَيَعْلَمُ لَا يَعْلَمُ لَمُونَا لَمُعْلِمُ لَلْ اللّهُ عَلَيْنَالِمُ لِمُ اللّهُ لَمُ لِمُنْ اللّهُ لَمُعْلِمُ لَكُلّمُ لَا يُعْلِمُ لَلْمُ لِمُنْ لَكُلّمُ لَلّهُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَا يُعْلِمُ لَمْ يَعْلِمُ لَلّهُ لَمُعْلِمُ لِلْمُؤْمِنَا لِمُعْلِمُ لِللْمُونُ لِللّهِ لَمُنْ لِمُنْ لِلللّهُ لَا يُعْلِمُ لِللْمُؤْمِنَا لَمُعْلِمُونَا لَمُعْلِمُ لِمُنْ لِمُنْ لِلْمُؤْمِنَا لَمُعْلِمُ لَا لَمُعْلِمُونَا لَمُعْلِمُ لِمُعْلِمُ لِمُنْ لَمُعْلِمُونَا لَمُعْلِمُ لِمُعْلِمُ لِمُعْلِمُ لِمُنْ لِمُنْ لَمِنْ لِمُنْ لَلْمُعْلِمُ لِمُوالِمُ لِمُنْ لِمُنْ لَلْكُمُ لِمُوالِمُ لِمُواللّهُ لِمُنْ لِمُنَالِمُ لِمُنْ لِمُنْ لِمُنْ لِمُنْ لِمُونِ لَمُونِ لَمُنْ لَ

قوله تعالى: ﴿ فَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ (١) لمَّا أمر قارونُ البَغِيَّ بقذف موسى على مَا سبق شرخه القيمس: ٢٦ غضب موسى فدعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنِّي قد أموت الأرض أن تُطيعَك فَمُرها؛ فقال موسى: يا أرض خُذيه، فأخذتُه حتى غيَّبتُ سريره، فلمَّا رأى ذلك ناشده بالرَّحم، فقال: خذيه، فأخذتُه حتى غيَّبتُ قدميه؛ فعا زال يقول: خُذيه، حتى غيَّبتُه، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ما أفظَك، وعِزَّتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته (١). قال إبن عباس: فخُسفت به الأرض السفلى. وقال سَمُرة بن جُنْدَب، إنَّه يُخسف به كلَّ يوم قامة، فِسْلغ به الأرض السفلى يوم القيامة (١). وقال مقاتل قلمًا علك قارون قال بنو إسرائيل؛ إنَّها أهلكه موسى ليأخذ ماله وداؤه، فخسف الله بعده بثلاثة أيام.

مَّ تَوْلِه تِعَالَى: ﴿ يَتَمُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ آي: يَمِنعُونه مِن اللهِ ﴿ وَمَا كَانَكَ مِنَ الشَّتَمِينَ ﴾ آي: من الممتنعين ممَّا نزل به . ثم أعلَمنا أن المتمنِّين مكانه ندموا على ذلك التمنِّي بالآية التي تلي هذه . وقوله : ﴿ لَخَسَلَ بِنَا ﴾ الأكثرون على ضمَ المخاء وكسر السين . وقرأ يعقوب ، والوليد عن ابن عامو ، وحفص ، وأبان عن عاصم : بفتح الخاء والسين . فأما قوله : ﴿ وَيُلْكُ اللهِ عَناه : ألم تر ، وكذلك قال أبو عبيدة » والكسائي . وقال الفراء : ﴿ وَيُلِكَ أَنْهُ اللهِ عَناه : المعرب تقويو ، كقول الرجل في أما ترى إلى صنع الله وإحسانه ، أنشدني بعضهم :

وَيْسِكَ أَنْ مَسِنْ يَسَكُسِنْ لَسَهُ نَسْسِبٌ يُسِخِس جَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يَرِسِسْ عَيْسَانَ ضُرَ

وقال ابن الأنباري: في قوله: «وَيْكَ أَنَّه؛ ثلاثة أوجه. إن شئت قلت: «وَيْكَ، حرف، وهَأَنَّه، حرف؛ والمعتى: ألم تر أنَّه، والدليل على هذا قول الشاعر:

مَسْالَتَسَانِّي السَّطُّلِاقِ أَنْ زَأَتَسانِي وَيُسكَ أَنْ مَسنْ يَسكُسنْ لَسهُ نَسَسْبٌ يُسحْس

قَدلُّ مالي قَدْ جِنْدُ مَالي بِنُكُرِ جَبْ ومَن يفْتَقِرْ يَحِسْ عَبْسٌ صُّرِّ⁽¹⁾

وَالنَّالِيُّ: أَنْ يَكُونَ وَوَيْكِ) حرفاً، ووانَّهُ حَوفاً، والمعنى: ويلك اعلم أنَّه، فحذفت اللام، كما قالوا: قم لا أباك، يريدون: لا أبالك، والشدوا:

أَلِى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

- ه مُ مَعَلِيكًا ﴾ قال والمالم والألف كناية عن الكلعة منوقال: ﴿إِلَّا الْعَكَبُكُونَ عِنْ يَدَلَكُ اللَّذِينَ صبورًا عن طلب زينة الحياة اللنباء وآلروا ما هند الله من من يجزيل بوانه غلى المنال المناه على المات الدنيا وشهواتها، فجلُّوا غي ظاهة بالله، ووفضوا المحياة الدنيا، اهمت من المناه على ا
- (١) وفي اصحيح البخاري؟ ١/ ١٨١/ عن عَمْر بل الخطاب في أن وسول الله على قال: إينتما ترجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به د فهو يتجلجل في رة بالأرض إلى يوم القيامة وفي الصحيح سلمه كالهذا عن أي عروة في أن وسول الله على قال: ابيتما رجل يشجر، يعشي في برديه قدا عجبته
- المسابقة الفسقة الله به الأرض بالمهو يتجلجل لمهمة إلى يوم القيامة. أدست كي ورسيا أسميد و المسابقة عبد الوزاق ولهن أبني جاتم عن عبد الله بن (٧) - رواه الطبري يتحوه ١٧/٢٠ وفي سنده رجل مجهول، وذكرتنحوه المسيوطي في الليوة مطولاً من رواية عبد الوزاق ولهن أبني جاتم عن عبد الله الله الله المسابقة عبد المسابقة
- (٣) ذكرواالسيلوطي في اللغاية ١٣٨/٥ من أوواية البن أبني حالتم من ظريق قتادة هن مسلمرة بين جنديد. قال المجافظ ابن ججر في الفقيع 1: ورواه الطبري في
- (٤) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، وهما في همجاز القرآنة ٢٠/٢/١، وهالطبري، ٢٠/ ١٢٠، وهالقرطبي، ٣١٨/١٣، وهسيبويه، ٧٠٠.٤٠. والبيت ند. الثاني في قمشكل المقرآن، ٤٠٤، وفي هالصحاح، واللسان، وهالتاج، ويا، ونسبته فيها لزيد بين جمرو، أو لمنبه بن الحجاج.

(٥) البيت لأبي حلية النَّميري، وهو غلي والمسحاح، واللسان، والتاج، أبي، غمر بدر الرباع من المام المام المام الم

المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان [طه: ٩٤]. وكان جماعة منهم يعقوب، يقفون على «وَيْكَ» في الحرفين، ويبتدؤون «أنّ» و«أنّه في الموضعين. وذكر الزجّاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كأنّ»، وذلك أنّ القوم تندّموا فقالوا: «وَيْ» متندّمين على ما سلف منهم، وكلُّ مَنْ نَلِم فأظهر ندامته قال: وَيْ. وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أنّه قال: معنى «ويكأنّ»: رحمةً لك، بلغة جِدْير (١).

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرحمة والمعافاة والإيمان ﴿ لَخَسَفَ بَنَّا ﴾ .

﴿ بِلَكَ الدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَمَلُهُمَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ مُلْزًا فِ ٱلأَرْضِ وَلَا فَسَاذًا وَالْمَنْفِيةُ لِلْمُنْفِينَ ۞ مَن جَآةً بِالْمُسَنَّقِ فَلَمُ خَيْرٌ مِنْمَا ۚ وَمَن جَمَآةً بِالسَّنِئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَبِلُواْ السَّيِّتَاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ بَعْمَانُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَلْكَ الدَّارُ ٱلْكَرْحَرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ جَمَّلُهُمَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلْزًا فِي الأَرْضِ ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: النَّه البَنْي، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشَّرَفُ والعِزّ، قاله الحسن. والثالث: الظَّلْم، قاله الضحاك. والرابع: الشَّرك، قاله يعيى بن سلام. والخامس: الاستكبار عن الإيمان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَلا فَسَادًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: العمل بالمعاصي، قاله عكرمة. والثاني: الدُّعاء إلى غير عبادة الله قاله ابن السائب(٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَالْمَنْقِبَةُ لِلْمُنْقِينَ ﴾ أي: العاقبة المحمودة لهم.

قوله تعالى: ﴿ مَن جَانَهُ بِأَلْمُسَنَقِهِ قد فسرناه في سورة [النمل: ٢٨٩.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا بُجْرَى الَّذِينَ عَبِلُوا السَّيِّعَاتِ﴾ يربد الذين أشركوا ﴿ إِلَّا مَا كَاثُوا بَمْمَاثُونَ ﴾ أي: إلَّا جزاء عملهم من الشَّرك، وجزاؤه النَّار.

﴿ إِنَّ اللَّهِى مَرَضَ عَلَيْكَ الفُرْمَاكَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادُ قُل رَقِ أَعْلَمُ مَن جَلَةً بِالْمُكْنَىٰ وَمَنْ هُمَّ فِي صَلَالٍ ثُمِينِ ﴿ وَمَا كُمْتَ تَرْجُوا أَنْ بَلُغَنَ إِلَيْكَ الْفَرْمَاكَ الْفَرْمَاكَ لَرَادُكُ إِلَى مَعَادُ فَلَ رَقِيكُ فَلَا تَكُونَنَ ظَهِبِرَا لِلْكَيْضِينَ ﴿ وَلَا يَصُدُّنَكَ مَنْ مَلِئِتِ اللّهِ يَهْدُ إِذْ أُنزِكَ إِلَيْكُ وَالِيَكِ إِلَى مَا اللّهُ وَاللّهِ اللّهُ مُو كُلُ مَنْ مِنَ الشَّيْرِكِينَ ﴿ وَلَا تَشْعُ مَعَ اللّهِ إِلَيْهًا مَاخَرُ لَا إِلَيْهِ إِلَّا هُو كُلُ مَنْ مِنَ الشَّيْرِكِينَ ﴾ وَلا تَشْعُ مَعَ اللّهِ إِلَيْهًا مَاخَرُ لاَ إِلَيْهِ إِلَّا هُو كُلُ مَنْ مِنَ الشَّيْرِكِينَ فِي وَلا تَشْعُ مَعَ اللّهِ إِلَيْهًا مَاخَرُ لاَ إِلَيْهِ إِلّهُ مُؤْكُمُ فَيْهِ مَا اللّهُ إِلَا وَمُعَمَّمُ لَهُ اللّهُ مُو وَاللّهِ وَمُعَلِّمُ لَهُ اللّهُ مُؤْكُونَ مِنَ الشَّيْرِكِينَ فِي وَلَا تَشْعُ مَعَ اللّهِ إِلَيْهًا مَاخَرُ لاَ إِلَيْهَ إِلَّا هُو كُلُ مَنْهُ مِنَا الشَّامِكِينَ اللّهُ وَمُعَلِمُ لَهُ اللّهُ مُؤْكُمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مُؤْكُمُ مُنَاكُمُ وَاللّهِ اللّهُ مُؤْكُمُ مُنَا اللّهُ مُؤْكُمُ مُنْ اللّهُ مُؤْكُمُ اللّهُ مُؤْكُمُ مُنَا أَنْ مُنْكُمُ اللّهُ اللّهُ مُنْ مُنَاهُ مُنْ مُنَاقًا لِمُؤْكِمُ اللّهُ مُؤْكُمُ مُنْ اللّهُ مُؤْكُمُ اللّهُ مُلْعُلِقُولُ اللّهُ مُؤْكُمُ وَاللّهُ مُؤْكُمُ اللّهُ اللّهُ وَلِيلًا مُؤْكُمُ وَاللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيْ فَرَسُ عَلَيْكَ الْفُرْءَاكَ﴾ قال مقاتل: خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً، فمضى من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطَّلب؛ فلمًا أمِن رجع إلى الطريق فنزل الجُحْفَة بين مكة والمدينة، فعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فأتاه جبريل فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم؛ قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهِ عَلَيْكَ الْفُرْءَاكَ لَأَذَكَ إِلَى مَعَالَحٍ﴾، فنزلت هذه الآية بالجُحْفة (٢٠٠٠). وفي معنى ﴿فَرَسُ عَلِيْكِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فرض عليك العمل بالقرآن، قاله عطاء بن أبي رباح، وابن قتيبة. والثاني: أعطاك القرآن، قاله

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، ثم قال: وإذَّ كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمنّوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأس، يقولون لمنا عاينوا ما أحل الله به من نقمته: ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسّع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه فورسَّخُونُكُ يقول: ويضيَّق على من يشاء من خلقه ذلك لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه ورسِّخُونُكُ يقول: ويضيَّق على من يشاء من خلقه ذلك ويقترِّ عليه لا لمهوانه ولا لسخْطِه عملَه. أهد. وقد ضعف ابن جرير قول من قال: معناه: «ويلك اعلم أن»، وقال ابن كثير: والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على نلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة «ويكأن» وقال: والكتابة أمر وضعي اصطلاخي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. أهد.

⁽٣) ذكر ذلك القرطبي في اتفسيره عن مقاتل أيضاً، وخرجه السيوطي في اللده ١٣٩/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك بنجوه. وقال ابن كثير بعد أن أورد رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً، والله أعلم. اهـ.

مجاهد. والثالث: أنزل عليك القرآن، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، وفي قوله: ﴿ وَرَادُكَ إِنَ مَعَادُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إلى مكة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية، والضحاك. قال ابن قتيبة: مَعَادُ الرَّجُل: بلدُه، لأنه يتصرَّف [في البلاد ويَضرِب في الأرض] (١) ثم يعود إلى بلده. والثاني: إلى معادك من الجنة، رواه عكرمة عن ابن عباس (٢)، وبه قال الحسن، والزهري. فإن اعترض على هذا فقيل: الرَّدُ يقتضي أنه قد كان فيما رُدَّ إليه ؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنَّه لمَّا كان أبوه آدم في الجنة ثم أُخرج، كان كأنَّ ولده أُخرج منها، فإذا دخلها فكأنه أعيد. والثالث: أن العرب تقول: رجع الأمر إلى كذا، وإن لم يكن له كَرُن فيه قط، وأنشدوا:

[وما المَرْءُ إِلَّا كالشُّهَابِ وضَوْئِهِ] يَدُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُو ساطِعُ(٣)

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ رَبَّعُ ٱلْأَمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]. والثالث: لَرَادُك إلى الموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري (٤٠). والرابع: لَرَادُك إلى القيامة بالبعث، قاله الحسن، والزهري، ومجاهد في رواية، والزجاج (٥٠). ثم ابتدأ كلاماً يَرُدُّ به على الكفار حين نسبوا النبي ﷺ إلى الضّلال، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلقَلَ عَلَى الضّلال مبين. ثم ذَكَرهُ يَعَمَه، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلقَلَ إِلَى الصّعنى: قد علم أنّي جئت بالهدى، وأنّكم في ضلال مبين. ثم ذَكّرهُ يَعَمَه، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلقَلَ إِلَيْكَ السّمِنَاء منقطع، إليّك القرآن ﴿إِلّا رَحْمَةً مِن رَبِّكُ ﴾ قال الفراء: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلّا أنّ ربّك رَحِمَكَ فانزله عليك ﴿ فَلَا تَكُونَنَ ظَهِيرًا لِلْكَيْفِرِينَ ﴾ أي: عَوْناً لهم على دينهم، وذلك أنّهم دَعُوه إلى دين آبائه فأمر بالاحتراز منهم؛ والخطاب بهذا وأمثاله له، والمراد أهل دينه لئلاً يُظاهِروا الكفّار ولا يوافقوهم.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجُهَمَّمُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا ما أُرِيدَ به وجهُه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الثوري. والثاني: إلَّا هو، قاله الضحاك، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ لَلْنُكُرُ ﴾ أي: الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وَلِلَّذِهِ تُرْحَمُونَ﴾ في الآخرة (٦٠).

* * *

⁽١) زيادة من المشكل القرآن.

⁽٢) رواه الطبري: ٢٠/ ١٢٤ وفي سنذه ضعف.

 ⁽٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في «ديوانه» ١٦٩، و«البحر» ٨/ ٤٤٤، و«اللسان» و«التاج»: حور.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث وُلدت. اهـ.

⁽ه) قال ابن كثير: وجه الجمع بين هذه الأقوال، أن ابن عباس قسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءُ هَمْـُو اللّهِ وَالْفَـتُ ۖ ۚ إِلَى آخر السورة: أنه أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ﷺ، ووافقه عمر على ذلك وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿أَزَاذُكُ إِلَى مَمَاوَ ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداه رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين: الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله، وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهد.

⁽٦) قال ابن جرير الطبري: وإليه تردُّون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنيكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم. اهـ.

سورة العنكبوت

and the first of the first of

فصل في نزولها روى العوفي عن ابن عباس أنّها مكية، وبه قال الحسن، وتتابة، وعطاء، وجابر بن زيد، ومقاتل. به به رواية عن ابن عباسِ أنها مِدنية. وقالِ هية الله [ابن سلامة] المفسِّر: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدّينة. وقال غيره عكس هذا: نزل العشر بالمدينة، وباقيها بمكة.

والمراب ونسيرا أقرالكن التقسيران والمارية

﴿الَّمَ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتَرَكُّواْ أَن يَقُولُوا ءَامَلُنَا وَهُمْ لَا يُنْصَنُّونَ ۞ وَلَقَدْ قَنْنَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مَلَيْمَلَمَنَّ اللَّهُ ٱلَّذِينَ مِسَدَقُوا وَلَيْمَلَكُنَّ ٱلْكُلَّدِينَ ۞ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلنَّيْنَاتِ أَن يَسْبِقُونًا سَآة بَمَا يَحْكُمُونِك ۞﴾

ي قوله تعالى: ﴿الَّذَ ۞ ﴿ إَمَسِكَ النَّاسُ أَن يُتَرَكُّوا ﴾ في سبب نزولها اثلاثة أقوال: أجدها: أنَّه لمَّا أمر بالهجرة، كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكة أنِّه لا يُعْبَل منكم إسلامكم حتى تُهاجِروا، فبغِرجوا نبحو المدينة فأدركهم المشركون فردُّوهِم، فأنزلِ الله ﷺ مِن أول هِذه السورة عشر آيات، فكتبول إليهم يخيرونهم بما نزل فيهم، فقالوا: نَجْرُج، فإن اتِّبَعَنَا أَحَدٌ قَاتَلْنَاهِ، فِيخْرجُوا فَاتَّبْعِهِم الْمُشْرِكُونَ فِقَاتِلُوهِم، فَمَنْهُ تُتِلَهِ وَمَنْهُم مَنْ نَجًا، فَانزل إلله ﷺ فِيهِم، ﴿ لُكَّرَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ مَاجِئُواْ مِنْ بَعْدِ مَا فُيْــنُواْ ﴾ [النحل: ١١٠]، هذا قول البحسين، والشعبي (١٠. والثاني: أنَّها نزلت في عمَّار بن ياسر إذ كان يعذُّب في الله ﷺ، قاله عبد الله بن عُبيد بن عُمير(٢). والثالث: أنَّها نزلت في مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب حين قُتل ببدر، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله تعالى في أبويه وامرأته هذه الآية (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبُ ٱلنَّاسُ ﴾ قال ابن عباس: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكة، كعيَّاش بن أبي ربيعة، وعمَّار بن ياسر، وسَلَمة بن هشام، وغيرهم. قال الزجاج: لفظ الآية استخبار، ومعناه معنى التقرير والتوبيخ؛ والمعنى: أخسِب النَّاس أن يُثْرَكوا بأن يقولوا: آمَنًا، ولِأنَ يقولوا: آمَنًا، أي: أَحَسِبوا أن يُقْنَع منهم بأن يقولوا: إنَّا مؤمنون، فقط، ولا يُمتَحنون بما يبيِّن حقيقة إيمانهم ﴿وَهُمْ لَا يُغْتَنُّونَ﴾ أي: لا يُختَبرون بما يُعلَم به صِدق إيمانهم من كذبه. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: لا يُفْتَنون في أنفسهم بالقتل والتعذيب، قاله مجاهد. والثاني: لا يُبْتَلَوْن بالأوامر والنواهي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن مَبْلِهِم ﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم، ﴿ فَلَيْعُلَنَّ اللَّه ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فلُيُرِينَّ اللَّهُ الذين صَدَقوا في إيمانهم عند البلاء إذا صبروا لقضائه، ولَيُريَنَّ الكاذبين في إيمانهم إذا شكُّوا عند البلاء، قاله مقاتل. والثاني: فلَيُمَيِّزَنَّ، لأنَّه [قد] عَلِم ذلك مِنْ قَبْل، قاله أبو عبيدة. والثالث: فلَيُظهرَنَّ ذلك حتى يوجد معلوماً، حكاه الثعلبي(٤). وقرأ عليّ بن أبي طالب، وجعفر بن محمد: ﴿فَلَيُعْلِمَنَّ اللهُ ﴿وَلَيُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا ولَيُعْلِمَنَّ المنافقين؛ [العنكبوت: ١١] بضم الياء وكسر اللام.

رواه ابن جرير الطبري ١٢٩/٢٠ عن الشعبي، وذكره السيوطي في «الدر» ١٤١/٥، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وإبن المبندر، وابن آبي حاتم عن

الشعبي. «الطبري» ١٢٩/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/٤١٪، وزاد نسيته لاين سعد، وإبن أبي حاتم، وإبن عساكر.

ذكره الواحدي في السباب النزوله ١٩٥ عن مقاتل، يدون سند. وقال الحافظ ابن ججر في الخريج الكشاف، ١٢٧: ذكره النعلبي عن مقاتل، مدريقال: وسنده إلى مقاتل في أول يحتليهم إسروه على المهارة بعاريه ﴿

^{(2).} قال ابن كثير: ومعناه: أن الله سبحانه وتِمالي لا يند أن بيتاي عبادو المؤمنين بحسيب ما هندهم بهن الإيمان بحما يجاء في الجديب الصحيح: وأشيد الناس ولاة الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان لمي دينه صلابة زيد له في البلاده قال: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا بَسْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَنهكُرُوا مِنكُمْ وَيَشَلَمُ الصَّابِينَ﴾ قال: ومثلها في سورة (بوامة). وقال في سورة (البقرة): ﴿ أَمْ صَينتُكُمْ أَنَّ تَمْ غُلُوا المَنِكَ ذَلِنَا يَالِيكُمْ مَثَلُ الْدِينَ غَلَوْ مِن قَبْلِكُمْ مُسْتَئِمُ اللَّيْلَةِ وَلَذِلُوا حَنَى بَشُولَ الرَّشُولُ وَالْدِينَ مَامْتُوا المَشْكِ وَلَوْلُوا حَنَى بَشُولَ الرَّشُولُ وَالْدِينَ مَامْتُوا المَشْكِ لَهُ لَذِي الْمُورِدُ وَيُعْلَى الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ وَاللَّهِ اللَّهِ مُعِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مُعِينًا لَهُ اللَّهِ مُعَلِّمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُعَلِّمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِيلَالِمُ اللَّهُ اللَّالِيلَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ الل

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ﴾ أي: أيَحْسَب ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّكَاتِ ﴾ يعني الشَّرك ﴿أَن يَسْمِثُوناً ﴾ أي: يفُوتونا ويُعْجِزونا ﴿مَا يَعْكُمُوكَ ﴾ أي: بشس ما حكموا الأنفسهم حين ظنُّوا ذلك. قال ابن عباس: عنى بهم الوليد بن المغيرة، وأبا جهل، والعاص بن هشام، وغيرهم.

﴿ وَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَلَة اللَّهِ فَإِنَّ أَجُلَ اللَّهِ لَاكْتِ وَهُوَ الشَّكِيعُ الْعَسِائِدُ ۞ وَمَن جَلَهَدَ فَإِنَّمَا يُجْلِهِدُ إِنَّ اللَّهَ لَغَنَّى عَنِ الْعَسَلِيمُ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَبِلُوا الصَّلِيحَتِ لَتُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَلَتَجْزِيَتُهُمْ أَخْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَسْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرَجُوا لِتَآءَ اللّهِ ﴾ قد شرحناه في آخر (الكهف) ﴿وَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتِ ﴾ يعني الأجل المضروب للبعث؛ والمعنى: فليعمل لذلك اليوم ﴿وَهُوَ التّكِيمُ ﴾ لما يقول ﴿الْمَلِيمُ ﴾ بما يعمل. ﴿وَبَن جَنهَدَ فَإِنَّمَا يُمَلِّهُ لِنَفْسِوْ ﴾ أمّلِيمُ بما يعمل. ﴿وَبَن جَنهَدَ فَإِنَّمَا يُمُلّهِ لُلْفُسِوْ ﴾ أمّا يأو والمعنى:

قوله تعالى: ﴿لَكُكِفِرَنَّ عَنْهُرْ سَيِّعَاتِهِمْ﴾ أي: لَنُبْطِلَنَّها حتى تصير بمنزلة ما لم يُعمل ﴿وَلَنَجْرِبَنَهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَسْتَلُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم، وهو الطاعة، ولا نجزيهم بمساوئ أعمالهم.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِسْنَ بِوَلِدَيْهِ حُسَنًا ۚ وَإِن جَنهَ دَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِنْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَى مَرْجِمُكُمْ فَٱلْبِيْثُكُم بِمَا كُشُمُّ فَصَمُلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَعَبِدُوا الصَّالِحَتِ لَنُدْخِلَتُهُمْ فِ الصَّالِحِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَوَعَيْنَا الْإِسْنَ وَلِيَتِهِ عُسَنًا ﴾ وقرا أبي بن كعب، وأبو مجلز: وعاصم الجحدري: ﴿ إحسانًا عالى وقرا أبن مسعود، وأبو رجاء: ﴿ حَسَنًا عَفْتِح الحاء والسين. رُوى أبو عثمان النَّهْدي عن سعد بن أبي وقّاص، قال: في أنزلت هذه الآية، كنت رجلاً براً بأمّي، فلمًا أسلمتُ قالت: يا سعدا ما هذا الدّين الذي قد أحدثت، لتَدَعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُميَّر بي فيقال: يا قاتلَ أُمّه، قلت: لا تفعلي يا أمّاه، إنّي لا أدّعُ ديني هذا لشيء، قال: فمكثتْ يوماً آخر وليلة لا تأكل، فلما رأيتُ ذلك قال: فمكثتْ يوماً آخر وليلة لا تأكل، فلما رأيتُ ذلك قلتُ: تعلمين والله يا أماه لو كانت لكِ مائة نَفْس فخرجتْ نَفْساً نَفْساً ما تركتُ ديني هذا لشيء، فكلي، وإن شئتِ لا تأكلي، فلمًا رأت ذلك أكلتُ، فأنزلت هذه الآية (١٠). وقيل: إنّها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، وقد جرى له مع أُمّه نحو هذا (٢٠). وذكر بعض المفسرين أنَّ هذه الآية، والتي في القمان: ١٥] وفي [الاحتان: ١٥] نزلت في قصة سعد (٣). قال الزجاج: مَن قرأ: ﴿ وَسَنا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُن، ومن قرأ: ﴿ إحساناً ومعناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُن، ومن قرأ: ﴿ إحساناً ومعناه: ووصينا الإنسان أن يُحْسِن إلى والديه، وكان ﴿ عُشناً اعمَّ في البِرِّ. ﴿ وَإِن جَهَدَاكَ ﴾ قال أبو عبيدة: مجاز هذا الكلام مجاز المختصر الذي فيه ضمير، والمعني: وقلنا له: وإن جاهداك.

قوله تعالى: ﴿لِنُشْرِكَ بِي﴾ معناه: لتشرك بي شريكاً لا تَعْلَمه لي وليس لأحد بذلك عِلْم، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَاً ﴾. قوله تعالى: ﴿لَنُدْعِلْنَهُمْ فِي الصَّلِحِينَ﴾ أي: في زُمرة الصَّالحين في الجنة. وقال مقاتل: (في) بمعنى (مع).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَتُ ا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِي فِي اللَّهِ جَمَلَ فِشْنَةَ ٱلنَّاسِ كَمَذَابِ اللَّهِ وَلَيْنِ جَآةَ مَصْرٌ مِن رَبِّكَ لَيْقُولُنَ إِنَّا حُنَا مَمَكُمُ أَلَ لَيْسَ اللَّهُ إِنْا مُنْفِقِينَ ﴿ ﴾ مَمَكُمُ أَلَ لَيْسَ اللَّهُ إِنْا مُنْفِقِينَ ﴿ ﴾

قال: ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدَ فَتَنَا اللَّذِينَ بِن فَبَايِعِمٌّ فَلَيْمَلَنَنَ اللّهُ اللَّذِيكَ صَدَقُوا وَلَيَمْلَنَنَ اللّهُ اللَّذِيكَ مَا كُون، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة. اهـ.

⁽۱) رواه بهذا السباق الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٥ من رواية أبي هشمان النَّهدي عن سعد بن أبي وقاص، وفي سنده ضعف، وذكره ابن كثير في سورة (لقمان) من رواية أبي القاسم الطبرائي، وفي سنده ضعف وانقطاع، وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٥/٥ في سورة (لقمان) وزاد نسبته لأبي يعلى، وابن مردويه، وابن عساكر. وقال الترمذي هند تفسير هذه الآية في سورة (العنكبوت) ٢/ ١٥٠ عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزلت في أربع آيات، فذكر قصته، وقالت أم سعد: اليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطمعنوها شجروا فاها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَهَيْنَا الْإِسْنَ مِيلَاتِهِ مُثَنَا وَلِن جَهَلَالَهُ لِثُنْرِكَ بِي. : . ﴾ الآية. ومعنى: شجروا فاها: فتحوه، وهذا الحديث قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه بنحوه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي،

⁽٢) قال المحافظ ابن حجر في الخريج الكشاف، ٤٧٪ ذكر القصة بطولها الثعلمي بدون سند، والواحدي عن ابن الكلبي، والطبري عن السدي.

 ⁽٣) قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف؛ ١٢٧: ذكره الواحدي، والثعلبي، والواقدي هكذا بغير سند، والقصة في الصحيح مسلم، من حديث صعد بن أبي وقاص بغير هذا السياق. اه. يعني به الحديث الذي تقدّم: أنزلت في أربع آيات...

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النّانِ مَن يَعُولُ اَنتُكَا إِللّهِ اختفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنّها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدّوا، رواه عكرمة عن ابن عباس(١٠). والثاني: نزلت يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاءٌ من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا، قاله مجاهد(٢٠). والثالث: نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا وأصابهم بلاءٌ من المشركين رجعوا إلى الشّرك، قاله الضحاك(٢٠). والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من الضحاك(٢٠). والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة، وذلك قبل قدوم رسول الله على إلى المدينة، فجزعت أمَّه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام ـ وهما أخواه لأمّه ـ: والله لا آوي بيتاً ولا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تأتباني به، فخرجا في طلبه فظفرا به، فلم يزالا به حتى تابعهما وجاءا به إليها، فقيَّدتُه، وقالت: والله لا أحلُك من وَثاقك حتى تكفُّر بمحمد، ثم أقبلت تَجُلِد بالشّياط وتعدّبه حتى كفر بمحمد على جَزَعاً من الضّرب، فنزلت [فيه] هذه الآية، ثم هاجر بَعدُ وحَسُنَ إسلامه، هذا قول ابن السائب، ومقاتل، وفي رواية عن مقاتل أنّهما جَلَداه في الطريق مائتي جلدة، فتبرًا من دين محمد، فنزلت هذه الآية (٤).

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُرْدِى فِى اللَّهِ ﴾ أي: ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه ﴿ بَمَلَ فِئْنَةَ النَّايِن ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدنيا ﴿ كَمْدَابِ اللَّهِ فِي الآخرة، وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لِمَا يرجو من ثوابه (٥ ﴿ وَلَهِن جَاءَ نَصَّرٌ مِن رَبِّك ﴾ يعني دولة للمؤمنين ﴿ لِتَقُولُنَ ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿ إِنَّا كُنّا مَعَكُم على دينكم، فكذَّبهم الله عَلَى وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّبِمُوا سَبِيكَ وَلَنَحْيِلَ خَطَائِكُمْ وَمَا لَمُم مِحْيِلِينَ مِنْ خَطَائِكُمُ مِن ثَقَرُ إِنَّهُمْ لَكَذِلِمُونَ ﴿ وَلِيَخِيلُنَ أَنْفَاكُمْ رَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ وَلَيْسْنَكُنَّ بَوْمَ الْقِيمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفَنُّرُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنَّهِ مُوا سَيِمانَا ﴾ يعنون: ديننا. قال مجاهد: هذا قول كفار قريش لمن آمن من أهل مكة، قالوا لهم: لا نُبعَث نحن ولا أنتم فاتَّبعونا، فإن كان عليكم شيء فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَحْيِلٌ خَطَائِكُمُمْ﴾ قال الزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، يعني: إن اتَّبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. وقال الأخفش: كأنَّهم أمروا أنفسهم بذلك. وقرأ الحسن: «ولِنَحْمل» بكسر اللام. قال ابن قتيبة: الواو زائدة، والمعنى: لنحمل خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَالِبُونَ﴾ أي: فيما ضمنوا من حمل خطاياهم.

⁽١) ذكره الواحدي بدون سند ١٩٦، وهو في «الطبري» بأطول منه ٢٠/ ١٣٣ عن عكرمة عن ابن عباس مسنداً، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» بنحو رواية الطبري ٢/ ٥٠/٥ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهةي في «سنته» عن ابن عباس.

روايه الطبري ٢٠٥/١، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في فسنته، عن ابن عباس. (٢) «الطبري، ٢٠/ ١٣٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/١٤٢، وزاد نسبته للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

⁽٣) (الطبري) ۲۰ / ١٣٢.

قال الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف؟ ٤٧: ذكر القصة بطولها الثعلبي بدون سند، والواحدي عن ابن الكلبي، ورواها العلبري من طريق أسباط
 عن السدي بتغيير يسير ولم يسم الحارث، فقال: ومعه رجل من يني عامر.

⁽٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذّبين الذّين يدَّعون الإيمان بالسنتهم ولم يثبت في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبِنَ النّابِ مَن يَقُولُ عَامَكًا إِلَّهَ فَإِذَا أُونِيَ فِي اللّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النّابِي كَذَلُكِ اللّهِ﴾ لأم قال: قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتدُّ عن دينه إذا أوذي في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف. اهم.

﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَيِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الظُّوفَاتُ وَهُمْ ظَلِيمُونَ ۞ فَأَجَيْنَتُهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَهُمَا ءَائِحَةً لِلْعَالِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا نُوْعًا إِلَىٰ قَرَّمِهِ ﴾ في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ حيث أُعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبلَه، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرّك، فإنهم وإن أُمهلوا، فقد أُمهل قوم نوح أكثر ثم أُخذوا.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمِن فِي قَوْمُ الْفَ سَنَةُ إِلّا خَسِينَ عَامًا ﴾ اختلفوا في عمر نوح على خمسة أقوال: أحدها: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد ذلك سبعين سنة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس (١٠). والثاني: أنّه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عُمُره ألف سنة وهر ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عون بن أبي شداد (٢٠). والرابع: أنّه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة [ردعاهم ثلاثمائة سنة] ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادة (١٠). وقال وهب بن منبه: بُعث لخمسين سنة. والمخامس: أنَّ هذه الآية بيَّنت مقدار عُمُره كلَّه، حكاه الماوردي (٥). فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿ إِلّا خَسِينَ كَامًا ﴾ فهلًا قال: تسعمائة وخمسين؟ فالجواب: أنَّ المراد به تكثير العدد، وذِكْر الألف أفخم في اللفظ، وأعظم للعدد. قال الزجاج: تأويل الاستثناء في كلام العرب: التوكيد، تقول: جاءني إخوتك إلا زيداً، فتوكّد النقط، وأعظم للعدد. قال الزجاج: تأويل الاستثناء في كلام العرب: التوكيد، تقول: جاءني إخوتك إلا زيداً، فتوكّد تتكلم بالنقصان، تقول: عندي نصف درهم، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قبل من كثير.

قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذُهُمُ الطُّواَكُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الموت، روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ فَأَخَذُهُمُ الطُّوفَانِ قال: ﴿ المُوت ﴾ . والثاني: المطر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة. قال ابن قتيبة: هو المطر الشديد. والثالث: الغرق، قاله الضحاك. قال الزجاج: الطُّوفان من كل شيء: ما كان كثيراً مطيفاً بالجماعة كلِّها، فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة: طوفان، وكذلك القتل الذريع، والموت الجارف: طوفان.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ طَالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَيَجَلَلُهُمَا ﴾ يعني السفينة، قال قتادة: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجُودِيّ. قال أبو سليمان الدمشقي: وجائز أن يكون أراد: الفعلة التي فعلها بهم من الغرق ﴿اَيَكُ ﴾، أي عِبرة ﴿الْتَكَيِّبُ ﴾ [بعدهم].

﴿ وَلِبَرْهِيمَ لِذَ قَالَ لِفَوْمِهِ آعَبُدُوا اللّهَ وَالْقُومُ ذَالِكُمْ خَبَرُ لَكُمْ إِن كُنتُ شَلَمُونَ ۞ إِنّمَا شَبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَوْنَنَا وَخَنْا اللّهِ الرَّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاضْكُرُوا لَكُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لَكُمْ رِزْقًا الْبَيْنُولِ إِلّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وَمَا عَلَ الرّسُولِ إِلّا اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿وَلِرَاهِيمَ﴾ قال الزَّجَاج: هو معطوف على نوح، والمعنى: أرسلنا إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿ فَالِكُمْ ﴾ يعني عبادة الله ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنتُد تَعْلَمُونَ ﴾ ما هو خير لكم

⁽١) قال السيوطي في الدر، ٥/١٤٣: أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس را الله عن الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

 ⁽۲) قال ابن كثير عن هذا القول: غريب رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

⁽٣) زيادة من اتفسير ابن كثيرا.

⁽٤) قال ابن كثير: وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

 ⁽٥) قال ابن كثير: وقول ابن عباس أقرب، والله أعلم اهـ. يريد به القول الأول هنا.

 ⁽٦) رواه الطبري: ١٩/ ٥١، وفي سنده المنهال بن خليفة العجلي، وهو ضعيف، وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، والحديث ذكره ابن كثير ٢/ ٢٤٠ من رواية ابن مردويه بتحوه، وقال عنه: حديث غريب. اهـ.

مما هو شر لكم؛ والمعنى: ولكنكم لا تعلمون. ﴿ إِنْمَا تَسَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلَئُنَّا ﴾ قال الفراء: ﴿إِنَّمَا ﴾ في هذا الموضع حرف واحد، وليست على معنى «الذي»، وقوله: ﴿ وَتَغَلَّتُونَ إِنَّكَا ﴾ مردود على ﴿إنما »، كقولك: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مقاتل: الأوثان: الأصنام. قال ابن قتية: واحدها وثن، وهو ما كان من حجارة أو جِصّ.

قوله تعالى: ﴿ وَغَنْلُثُوكَ إِنْكُما ﴾ وقرأ ابن السميفع، وأبو المتوكل: الوتختلقون ابزيادة تاء. ثم فيه قولان: احدهما: تختلقون كذباً في زعمكم أنها آلهة. والثاني: تصنعون الأصنام (١١)؛ والمعنى: تعبدون أصناماً أنتم تصنعونها. ثم بيَّن عجزهم بقوله: ﴿لاَ يَمْلِكُوكَ لَكُمْ رِزْقَ ﴾ أي: لا يقدرون على أن يرزقوكم ﴿ فَالْبَنُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقِ ﴾ أي: فاطلبوا من الله، فإنَّه القادر على ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُكَلِّمُكُ هَذَا تهديد لقريش ﴿ فَقَدَّ كَلَّبَ أُمُّدٌّ مِّن مَلِكُمْ ۗ والمعنى: فأهلكوا.

﴿ أَوْلَمْ بَرَوْا كَبْفَ بَبْدِئُ اللهُ الْخَلَقَ ثُمَّرَ بَيْبِهُ ۚ إِنَّ نَلِكَ عَلَى اللّهِ بَيْبَرُ ۞ ثُل سِبُمُا فِ الأَرْضِ فَالظَارُوا كَبْفَ بَنَا الْخَلَقُ ثُمَّرَ اللّهُ يُسِنُعُ اللّفَاةَ الْآخِرَةُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُسَلّبُ مَن يَشَاتُهُ وَيَقِمُ مَن بَشَاتُهُ وَإِلَيْهِ تُغْلَبُوك ۞ وَمَا أَشُد يُمْمْجِينَكَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي الشَّمَاتُ وَمَا لَكُمْ مِن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيْ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَالّذِيكَ كُفَرُوا بِعَابَنتِ اللّهِ وَلِفَآمِدِهِ أُولَتِهِكَ يَهُمُوا مِن رَحْمَنِي وَأُولَتِهِكَ لَمْمُ مَذَابُ أَلِيدٌ ۞﴾

﴿ أَوْلَمْ يَرُولُ﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر (يَرَوْا) بالياء وقرأ حمزة، والكسائي: بالتاء. [وعن عاصم كالقراءتين]. وعنى بالكلام كفار مكة ﴿ كَيْتَ يُبْدِئُ اللّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلُقهم ابتداء من تطفة، ثم من علقة، ثم من مُضغة إلى أن يتم الخلق ﴿ ثُمَّ يُبِيدُ ﴾ أي: ثم هو يُعيده في الآخرة عند البعث. وقال أبو عبيدة: مجازه: أو لم يَرُوا كيف استأنف الله الخلق الأوَّل ثم يعيده. وفيه لغنان: أبدأ وأعاد، وكان مُبدئاً ومُعيداً، وبدأ وعاد، وكان بادئاً وعاداً.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعنى الخُلْق الأول والخَلْق الثاني. ﴿

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِى آلْأَتَفِى﴾ أي: انظروا إلى المخلوقات التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غير الله، فإذا علموا أنه لا خالق لهم سواه، لزمتهم الحجة في الإعادة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اللّهُ يُعِينُ النَّشَأَةُ آلْكِفِرَةُ﴾ أي ثُم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى. وأكثر القراء قرؤوا: «النَّشْأة» بتسكين الشين وترك المد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «النَّشاة» بالمد.

قوله تعالى: ﴿يُمَالِّبُ مَن يَشَآهُ فيه قولان: أحدهما: أنَّه في الآخرة بعد إنشائهم. والمثاني: أنَّه في الدنياء ثم فيه خمسة أقوال حكاها الماوردي: أحدها: يعذَّب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة. والثاني: يعذَّب بسوء الخُلُق ويرحم بحُسْن الخُلُق. والثالث: يعذَّب بالانقطاع إلى الدُنيا، ويرحم بالإعراض عنها. والمخامس: يعذَّب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بحبً الناس له.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلْيَهِ ثُقَلَبُوكَ ﴾ أي: تُودُون. ﴿ وَمَا أَشُد بِمُعْجِرِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فيه قولان حكاهما الزجاج: أحدهما: وما أنتم بمعجزين في السماء. والثاني: وما أنتم بمعجزين في الحرم، ولا أهلُ السماء بمعجزين في السماء. والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا لو كنتم في السماء. وقال قطرب: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطاب لكفار مكة؛ والمعنى: لا تسبقون الله حتى يجزيكم بأعمالكم السبنة. ﴿ وَمَا لَحَمُ مِن الله . يَن دُون الله عن يَجزيكم بأعمالكم السبنة. ﴿ وَمَا لَحَمُ مِن الله .

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي كُفَرُواْ بِثَايَدَتِ اللَّهِ وَلِقَـ آبِدِيهِ أي: بالقرآن والبعث ﴿ أُولَتِكَ يَهِسُوا مِن رَّحَمَقِ ﴾ في الرحمة قولان: أحدهما: الجنة، قاله مقاتل. والثاني: العفو والمعفرة، قاله أبو سليمان. قال ابن جرير: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك قول من قال: معناه: وتصنعون كذباً.

﴿ وَاللَّهِ مِنَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا الثَّلُوهُ أَوْ حَرِقُوهُ فَأَضَنَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآئِكِتِ لِقَوْمِ بُوْمِسُونَ ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا الْفَذَائْرُ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلَئنَا مُؤَدَّةً بَيْنِكُمْ فِي الْحَبَوْقِ الدَّثِينَا ثُمَّ يَوْمَ الْفِينَمَةِ يَكُفُرُ بَعْشُكُم بِبَعْضِ وَيَلْمَنُ بَعْشُكُم بَعْشُا وَمَا لَكُمْ مِن اللَّهِ الْعَلَىٰ اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُولَا اللَّلْمُولُولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُولِلْمُ الللَّهُ ال

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ أي: حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِقُوهُ﴾ وذها بيان لسفه أحلامهم حين قابلوا احتجاجه عليهم بهذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَغِمَنْهُ اللَّهُ ﴾ المعنى: فحرَّقوه فأنجاه الله ﴿مِرَى النَّارِّ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ يشير إلى إنجائه إبراهيم.

﴿ فَامَنَ لَمُ لُولَا ۗ وَقَالَ إِنِ مُهَاجِرُ إِلَى رَبِيِّ إِنَّمُ هُوَ الْهَزِيرُ الْمَكِيدُ ۞ وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْمُونَ وَجَمَلُنَا فِي ذُرْيِّيهِ الشَّبُوَةَ وَالْكِنْبُ وَءَاتَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدِّيْنَ وَلِقَامُ فِي النَّيْخَرَةُ لِمِنَ الْفَيْلِجِينَ ۞ وَلُولُنَا إِذْ قَالَ لِفَوْمِهِ. إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ النَّيْجِنَةُ مَا سَتَقَطُّم بِهِكَا مِنْ أَخَدِ قِينَ الْمَنْكِينَ ۞ أَبِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الرَّبَالَ وَتَفَطَّمُونَ التَّكِيلُ وَيَأْتُونَ فِي تَنَادِيكُمُ الشَّكِرُ فَمَا كَاكَ مَنْهُونِ وَلَا لَمُوسِلُونَ أَلْفُولِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ كَانُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا لَكُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ الْمُؤْمِلُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللِّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُولُ اللللْهُ اللَّهُ اللْهُولُ اللْهُ اللْ

قوله تعالى: ﴿فَاَمَنَ لَمُ لُولُ ﴾ أي: صدَّق بإبراهيم ﴿وَقَالَ ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنِّ مُهَاجِرُ إِلَى رَبِّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى رضا ربِّي، والثاني: إلى حيث أمرني ربِّي، فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين. ﴿وَوَمَعْنَا لَهُ وَالْكُنَ ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَعْمُوبَ ﴾ من إسحاق ﴿وَجَمَلُنَا فِي ذُرِّيَتِهِ النَّبُوّةَ وَالْكِنَ ﴾ وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبيًا بعد إبراهيم إلَّا مِنْ صُلبه ﴿وَمَاتِينَهُ أَجَرُهُ فِي الدُّيْنَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الذَّكُر الحسن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني : الثناء الحسن والولد الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: العافية والعمل الحسن والثناء، فلستَ تَلقى أحداً من أهل العِلَل إلَّا يتولَّه، قاله قتادة، والرابع: أنه أربي مكانَه من الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَّمُ فِي الْآَخِرَةِ لَينَ الْقَالِمِينَ ﴾ قد سبق بيانه [البقرة: ١٣٠] قال ابن جرير: له هناك جزاء الصَّالحين غير منقوص من الآخرة بما أعطي في الدنيا من الأجر. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الاعراف: ١٨٠] إلى قوله: ﴿وَتَقَلَّمُونَ الشّبِيلَ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعترضُون مَنْ مَرَّ بهم لعملهم الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة، فيقطعون سبيل المسافر، قاله مقاتل. والثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُونَ فِي تَادِيكُمُ ٱلْمُتَكُرُ ﴾ قال ابن قتيبة: النادي: المجلس، والمُنْكَر يجمع الفواحش من القول والفعل. وللمفسرين في المراد بهذا المُنْكَر أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذلك المنكر، روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله الله الله عكرمة، والسدي: كانوا يَخْذِفون كلَّ

⁽١) رواه أحمد في المسندة ٦/ ٣٤١، والطبري، ٢٠/ ١٤٥، والترمذي ٢/ ١٥٠ وحسنه، وأورده السيوطي في اللدرة ٥/ ١٤٤، وزاد نسبته للفريابي، 🕳

مَنْ مَرَّ بهم. والثاني: لَفُّ القميص على اليد، وجرُّ الإزار، وحَلُّ الأزرار، والحذف والرمي بالبندق، ولعب الحمام، والصَّفير، في خصال أُخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس. والثالث: أنه الضَّراط، رواه عروة عن عائشة، وكذلك فسَّره القاسم بن محمد. والرابع: أنه إتيان الرجال في مجالسهم، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد (١٠). وهذه الآية [تدل] على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرَّب من الله ﷺ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزء واللعب (٢٠).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنصُرُفِ﴾ أي: بتصديق قولي في العذاب.

﴿ وَلَمَا جَآءَتْ رُسُلُنَا ۚ إِنَهِيمَ ۚ بِالْلِشْمَىٰ قَالْزًا إِنَّا مُهْلِكُواْ أَمْلِ هَذِهِ الْفَرْيَةُ إِنَّ أَهْلَهَ كَانُوا طَلِيبِكَ ﴿ قَالَ إِنَّ مُهْلِكُواْ أَمْلِ هَذِهِ الْفَرْيَةُ إِنَّ أَهْلَكُ كُواْ طَلِيبِكَ ﴿ وَلَمَا أَنَ جَمَاءَ رُسُلُنَا لُولِما سِتَ بِمِمْ لُولِما أَنْوَا خَنُ أَعْلَا بِنَ أَنْوَا مَنْ أَنْوَلِكُ عَلَى الْمَالِكُ إِلَّا الْمَرْأَنَكُ إِلَّا الْمَرْأَنِكُ كَانَا فِي اللّهُ وَلَمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللللللّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّا شُهْلِكُونَا أَمْلِ هَنذِهِ ٱلْفَرْيَاتِيُّ عَنُونَ قُرِيةَ لُوطً.

قوله تعالى: ﴿ نَنُكِيَكُمُ وَا نَافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿ لَنُنَجَّينَه و ﴿ إِنَّا مَنَجُوكَ بتشديد الحرفين، وخفّفهما حمزة، و الكسائي. وروى أبو بكر عن عاصم النُتُجّينَه مشددة، و ﴿ إِنَّا مُنْجُوكَ مخففة ساكنة النون. وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره [مود: ٧٧] إلى قوله: ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَمْلِ هَنذِهِ ٱلْقَرْبَكِةِ رِجْزًا ﴾ وهو الحصب والخسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَرَكُنَا مِنْهَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الفَغلة التي فعل بهم؛ فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمّة، قاله قتادة. والثاني: الماء الأسود على وجه الأرض، قاله مجاهد. والثالث: الخبر عما صُنع بهم. والثاني: أنها القرية؛ فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آثار منازلهم الخربة، قاله ابن عباس. والثاني: أن الآية في قريتهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقوفها أسفلها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن المعنى: تركناها آية، تقول: إن في السماء لآية، تريد أنها هي الآية، قاله الفراء.

﴿ وَلِكَ مَنْذِى أَغَامُمْ شُمْيِبًا فَقَالَ يَنَوْدِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا البَوْمُ الآخِرَ وَلَا تَشْفَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَتْهُمُ الرَّفِقَكُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِثِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَٱرْجُواْ ٱلْيُومَ ٱلْآخِرَ ﴾ قال المفسرون: اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿ وَعَكَادًا وَتَكُودًا وَقَد نَبَيْكَ لَكُمْ مِن مَّسَكِنِهِمْ وَزَقِكَ لَهُمُ الشَّيْطُينُ أَمْنَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّيِيلِ وَكَانُوا مُسْتَضِينَ ﴿ وَعَكَادًا وَتَكُونِكَ وَفِرْعَوْكَ وَهَمَنَ كَلْقَدْ جَآءَهُم مُّرِيَّكَ وَالْبَيْنَةِ فَاسْتَكَبُرُا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَهِيْكِكُ وَهَنْهُم مِّن أَسْتُكُمُ اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿وَعَكَادًا وَنَكُودًا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأهلكنا عاداً وثموداً، لأن قبل هذا ﴿فَأَخَذَتُهُمُ الرَّيْفَكُ

وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، وابن المنثر، والشاشي في «مسنده»، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مرديه، والبيهتي في «مسنده»، والطبراني، وابن عساكر، عن أم هانئ بنت أبي طالب رضياً. وفي «المسند» والترمذي فيخذفون»، بالخاء المعجمة، وكذلك هو في «الدر»، وفي الأصل فيحذفون» بالحاء المهملة، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، والخذف ـ بالخاء المعجمة ـ رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبًّابنيك وترمي بها، أو تتخذ مِخْذَفَة من خشب ثم ترمي بها المحصاة بين إيهامك والسبابة، وقد نهى رسول الله على عن الخذف ـ بالخاء المعجمة ـ وقال عنه: «إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدق، وإنه يقتأ العين ويكسر السنّ» متفت عليه.

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتحلفون في مجالسكم المارّة بكم، وتسخرون منهم، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ. اهـ. يريد به حديث أم هانئ.

⁽٢) في النسخة الإستنبولية: ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدَ تَبَيِّرَكَ لَكُمُ مِن شَكَخِنِهِمُ ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالجحاز اليمن آية في هلاكهم، ﴿وَكَانُواْ مُسَتَبِّمِرِينَ﴾ قال الفراء: أي: ذوي بصائر. وقال الزجاج: أنوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم. وقال غيره: كانوا عند أنفسهم مستبصرين، يظنون أنهم على حق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ سَهِمِينَ﴾ أي: ما كانوا يفوتون الله أن يفعل بهم ما يريد.

قوله تعالى: ﴿ فَكُلَّا أَخَذَنَا بِذَنْبِكِ أَيْ: عاقبتنا بتكذيبه ﴿ فَينْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْدِ حَاصِبًا ﴾ يعني قوم لوط ﴿ وَيَنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْدِ حَاصِبًا ﴾ يعني قوم لوط ﴿ وَيَنْهُم مَنْ أَغَرْفَنَا ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ وَيَنْهُم مَنْ أَغَرْفَنَا ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ وَيَنْهُم مَنْ أَغَرْفَنَا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُم ﴿ فَيعذَّبُهم على غير ذَنْب ﴿ وَلَكِن كَانُوۤ النَّسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ الْخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِمِكَآءَ كَمَشَلِ الْمَنكَبُونِ الْخَمَدَتَ بَيْثَا ۚ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَنُونِ ابَيْثُ الْمَنكَبُونِ الْوَ كَانُوا يَمْلَمُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَسَلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءً وَهُوَ الْمَنوِزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَبَلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّامِنَّ وَمَا يَمْهِلُهُمَا إِلَّا الْعَمَامِدَنَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِكَآءَ ﴾ يعني الأصنام يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها، فمثلهم في ضعف احتيالهم ﴿كَمَثَلِ الْمَنْكُبُونِ اتَّخَذَتْ بَيْنَا ۖ ﴾(١) قال ثعلب: والعنكبوت أنثى، وقد يذكّرها بعض العرب، قال الشاعر:

[على مَطَّالِهم منهم بُيوتً] كأنَّ العَنْكَبُوتَ هو ابْتَنَاها(٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْـلَمُ مَا يَدْعُونِكَ مِن دُونِدِهِ مِن مَنْـرُ﴾ أي: هو عالِم بما عبدوه من دونه، لا يخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم. ﴿وَيَلْكَ الْأَمْنَالُ﴾ يعني أمثال القرآن التي شبّه بها أحوال الكفار؛ وقيل: «تلك، بمعنى «هذه»، و﴿ أَلْمَـلِمُونَ﴾: الذين يعقلون عن الله ﷺ.

﴿ خَلَقَ اللَّهُ ٱلسَّمَنَوْتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآئِمَةً لِلشَّوْمِينَ ۞ ٱنْلُ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِنْبِ وَأَفِيهِ ٱلفَّسَالُوَةُ إِنَّ الضَّكَلُوْةَ تَنْعَىٰ عَرِ ٱلْفَحْشَاءَ وَٱلْمُنكُرُّ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَحْبَرُّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۞﴾

﴿ خَلَقَ اللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْمَقِيِّ ﴾ أي: للحق، ولإظهار الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلْمَكَاذَةَ تُنَكَّىٰ عَنِ الْفَحَشَاءِ وَالْمُنكِرِ ﴾ في المراد بالصلاة قولان: أحدهما: أنها الصلاة المعروفة، قاله الأكثرون. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: المَنْ لم تَنْهَهُ صلاتُه عن الفحشاء والمُنكر، لم يؤدد من الله إلا بعداً (٣٠). والثاني: أنّ المراد بالصلاة: القرآن، قاله ابن عمر؛ ويدل على هذا قوله: ﴿وَلاَ جُمَهُرُ لِمِهَا لَهُ الْإِسَاءَ: ١١٥]. وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق البقرة: ١٦٨، النحل: ١٠]. وفي معنى هذه الآية

⁽١) قال ابن كثير: هلا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما المخدوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقرتها وثانها، اه.

 ⁽٢) البيت غير منسوب في «مجمع البيان» ٢٠/٣٦٣، و«البحر المحيط» ٧/١٥٣، و«روح البيان» ٢٠/١٤٠، و«اللسان» و«التاج»: عنكب. قال في «التاج»: مطّال: جبل.

⁽٣) هذا الحديث رواء الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سُلّيم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وهو حديث ضعيف، من أجل ليث بن أبي سُلّيم، وقد أخرجه الطبري من رواية ابن عباس موقوقاً عليه، ومن رواية ابن مسعود موقوقاً عليه أيضاً، وهو الصواب. قال ابن كثير: والأصح في هذا كلّه الموقوقات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأعمش، وغيرهم. اه. فالحديث إذن ضعيف السند في المرفوع. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه: هذا الحديث ليس بثابت عن النبي كلله، كن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، ويكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بعداً، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه وإن كان فاسقاً اه. فكأنه يشير إلى تضعيف منته أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله كل لما إن ذلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال: فسيتهاه ما تقوله أو قال: فستمنعه صلاته رواه أحمد، والمزار، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح. يريد عليه الصلاة والسلام أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل، تنهى صاحبها عن الفحشاء، ولا تزيده بعداً، بل تزيده قرباً عنه.

للعلماء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسان إذا أدَّى الصلاة كما ينبغي وتدبَّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاء والمنكر، هذا مقتضاها وموجبها. والثاني: أنها تنهاه ما دام فيها. والثالث: أن المعنى: ينبغي أن تنهى الصلاةُ عن الفحشاء والمنكر.

قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكُرُ اللهِ أَكَبُرُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: وَلذِكْرُ اللهُ إِيَّاكُم أَكبُرُ من ذِكْركم إِيَّاه، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ (۱) وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثاني: وَلذِكْرُ اللهُ أَفضلُ من كل شيء سواه، وهذا مذهب أبي الدرداء، وسلمان، وقتادة. والثالث: وَلذِكْرُ الله في الصلاة أكبرُ ممّا نهاك عنه من الفحشاء والمُنكَر، قاله عبد الله بن عون. والرابع: وَلذِكْرُ الله العبدَ ـ ما كان في صلاته ـ أكبرُ من ذِكْر العبدِ لله، قاله ابن قتية.

﴿ ﴿ رَلَا جُمَٰدِلُوا أَمْلَ الْكِتَبِ إِلَّا بِالَّتِي مِنَ لَمْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ طَلَمُوا مِنْهُمْ رَقُولُوا مَامَنًا بِالَّذِينَ أَزِلَ إِلَيْنَا وَأُدَرِلَ إِلَيْكُمْ وَلِلَّهُمَا وَإِلَيْهُمُمْ وَمِدُّ رَغَنُ لَمُ مُسْلِمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحُدَدُوا أَمْلَ الْكِتَنِ إِلَّا بِالَّتِي مِنَ أَمْسَنُ ﴾ في التي هي أحسن ثلاثة أقوال: أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها الكفُّ عنهم إذا بذلوا الجزية، فإن أبُوّا قوتِلوا، قاله مجاهد. والثالث: أنها القرآن والدُّعاء إلى الله بالآيات والحُجح.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ يِنَهُمْ وَهُم الذين نصبوا الحرب وأَبَوْا أَن يؤدُّوا الجزية، فجادِلوا هؤلاء بالسيف حتى يُسْلِموا أو يُعطوا الجزية ﴿ وَقُولُوا ﴾ لِمَن أَدَى الجزية منهم إذا أخبركم بشيء ممَّا في كتبهم ﴿ مَامَنَا بِالْذِينَ أَنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَالْمَا الْكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله عَلَيْهُ: ﴿ لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ﴿ وَقُولُوا مَامَنًا بِالنِّنِ أَنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَالْمَالِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

فصل

واختُلف في نسخ هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نُسخت بقوله تعالى: ﴿قَائِلُواْ الَّذِيكَ لَا يُؤْمِنُوكَ بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَنْفِرُونَ﴾ [النوبة: ٢٩] قاله قتادة، والكلبي. والثاني: أنها ثابتة الحكم، وهو مذهب ابن زيد.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا ۚ إِلَيْكَ ٱلْكِنَابُ فَالَّذِينَ مَالْمَيْنَامُمُ الْكِنْابُ بُوْمُونَ بِدِهُ وَمِنْ مَتَوَّاتُهَ مَن يُؤْمِنُ بِدُ وَمَا يَجْمَدُ بِعَائِمَنَا إِلَّا الْكَالِمُونَ وَمَا كُنتَ تَنْالُوا مِن فَيْلِهِ. مِن كِنْسِ وَلَا تَخْشُلُمُ بِيَبِينِكُ إِنَّا لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ بَلْ مُن مَايَنَتُ بِيَسَنَتُ فِي مُسُدُودِ اللَّذِيكَ أُونُوا اللَّهِ مَن اللَّهُ وَمَا يَعْمَلُهُ بِيَدِينَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ الطّبيلُونَ ﴾ الطّبيلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ رُكَذَلِكَ ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم ﴿ أَزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلكِتُكَ يُؤْمَنُوكَ يِدِّ

⁽١) ذكره السيوطي في اللده ١٤٦/٥ من رواية ابن السني، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عمر الله مرفوعاً، والله أعلم. وذكر الطبري هذا المعنى في التنفسيره من قول ابن حباس. قال ابن كثير: وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، وروي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي الدرداه، وسلمان القارسي، وغيرهم، واختاره ابن جرير. اهـ.

⁽٢) رواه البخاري في الصحيحه ١٢٩/٨. قال ابن كثير: إذا أخيروا بما لا نعلم صدقه ولا كنبه، فها لا نقدم على تكذيبه، لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه، فلمله أن يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إبماناً مجملاً معلقاً على شرط، وهو أن يكون منزلاً، لا مبدّلاً ولا مؤوّلاً. وقال أيضاً: ثم ليُملّم أن أكثر ما يتحدّثون به غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل رتفير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً. أهد. وقال ابن كثير: قال البخاري عن ابن عباص: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله المنافقة أحدث تقرؤونه محضاً لم يُشب، وقد حثّتكم أن أهل الكتاب بدلوا وكثيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟! لا والله ما رأينا منهم وجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. وقال ابن كثير أيضاً: قال البخاري: وقال أبو البمان: أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدّث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق مؤلاء المحدّثين اللين يحدّثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكفب، قال ابن كثير: معناه: أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد، لانه يحدّث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة، ومكذوبة، لأنهم لم يكن في مناهم حفاظ متفون كهذه الأمة لا يعلمها إلا الله هن، ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كلً بحسبه، ولله الحمد والمنة. اهد.

يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَتُؤُلِآهِ﴾ يعني أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِدِّ﴾ وهم الذين أسلموا ﴿وَمَا يَجْعَكُ بِعَايَئتِنَا ۖ إِلَّا الظَّللِمُونَ﴾ قال قتادة: إنَّما يكون الجَحْد بعد المعرفة. قال مقاتل: وهم اليهود.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ نُتَلُواْ مِنْ قَلِهِ مِن كِنْكِ ﴾ قال أبو غبيدة : مجازه: ما كنت تقرأ قبله كتاباً، وهمن واثدة. فأما الهاء في قبّله، فهي عائدة إلى القرآن. والمعنى: ما كنتَ قارئاً قبل الوحي ولا كاتباً، وهكذا كانت صفته في التوراة والإنجيل أنّه أُمِّيٌ لا يقرأ ولا يكتب (١٠)، وهذا يدلّ على أن الذي جاء به من غند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هُرَ مَا لِنَتُ بِيَنَتُ ﴾ في المكني عنه قولان: أحدهما: أنه النبيُّ محمد ﷺ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: بل وجُدانُ أهل الكتاب في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أمنيٌّ، آيات بيّنات في صدورهم، وهذا سدّهب ابن عباس، والضحاك، وابن جريج، والثاني: أن المعنى: بل محمد ذو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا المبلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته، قالم قتادة، والثاني: أنه القرآن والذين أوتوا العلم: المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده. وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلّا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء، وهذا قول الحسن، وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس، والثاني: كفار اليهود، قاله مقاتل.

﴿ وَقَالُوا لَوَلاَ أُرِكَ مَلْتِهِ مَايَثُ مِن رَبِيدٍ مَٰلَ إِنْمَا الْآيَتُ عِندَ اللّهِ رَائِنَا أَنَا نَدِيدٌ شَبِثُ ۞ أَوَلَا بَكَنِهِمْ أَنَا أَرَانَا مَلَتِكَ الْحَيْدُ وَيَعْمَدُ أَنَّ أَرَانَا مَلَتِكَ الْحَيْدُ وَيَعْمَدُ مَنِيدًا أَيْدَا الْحَيْدُ وَيَعْمَدُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ مَا إِنْكَ اللّهُ مَا لِلّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ وَكُنْ وَاللّهُ وَكُنْ إِلَا لَهُ وَكُنْ إِلَا لَهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ فَلْ كَفَلَ بِاللَّهِ قَالَ المفسرونَ لَمَّا كَذَّبُوا بِالقرآنَ تُؤلَّتُ: ﴿ فَلَ كُفَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَيَتَعَكُمْ شَهِيدًا ﴾ يَشْهَد لي أنّي رسوله، ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادةُ الله له: إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه، ﴿ وَاللَّهِ كَ مَاسُواً لِللَّهِ عَالَ اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَلَى الله وقال مقاتل: بعبادة الشيطان.

⁽١) قال ابن كثير: ومن زعم من متأخري الفقهاء، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومَن تابعه أنه على كتب يوم الحديبية: اهذا ما قاضى هليه محمد بن هبد الله، فإنما حمله على ذلك رواية في اصحيح البخاري، فتم أخذ فكتب، وهذه محمولة على الرواية الأخرى: فثم أمر فكتب، ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال يقول الباجي، وتبرَّؤوا منه. ثمّ قال ابن كثير: وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت على حتى تعلَّم الكتابة، فضعيف لا أصل له. اهد.

٢) رواه الطبري ٢٧/١، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٢٨: رواه الطبري، وأبو داود في «المراسيل» من طريق يحيى بن جعدة. وقال ابن حجر في «القريب» عن جعدة: ثقة وقد أرسل عن ابن مسعود وتحوه. وذكر هذا النجر السيوطي في «القري ١٤٨/٥، وزاد نسبته للدارمي، وابن المنذره وابن أبي حاتم، عن يحيى بن جعدة الله وأورده المسيوطي في «الدر» أيضاً من رواية الإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه من طريق يحيى بن جعدة عن أبي هريرة الله يتحوه.

﴿ وَمَنْتَمْهِلُولَكَ بِالْمَدَابِ وَلَوْلَا أَجَلُّ مُسَنَّى لَجُنَاءُمُو الْمَذَابُ وَلِيَأْنِيَتُهُم بَفْتَةً وَهُمْ لَا يَشْمُهُنَ ۞ بَسْتَمْمِلُولَكَ بِالْمَدَابِ وَلِنَّ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ المُحْيِطَةُ اللَّهِ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَمْمَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَسَنَمْ بِلْنَدَابِ ﴾ قال مقاتل: نزلت في النَّصْر بن الحارث حين قال: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّكَيْ ﴾ السَّكَيْ النَّانال: ٢٦ (١).

وني [الأجل] المسمى أربعة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أجل الحياة إلى حين الموت، وأجل الموت إلى حين البعث، قاله قتادة. والثالث: مُدَّة أعمارهم، قاله الضحاك. والرابع: يوم بدر، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ رَلِيَأَنِيَنَهُ﴾ يعني العذاب. وقرأ معاذ القارئ، وأبو نهيك، وابن أبي عبلة: ﴿ وَلَتَأْتِيَنَّهُمُ بالناء ﴿ بَنْنَةُ وَهُمْ لَا بَشَمُرُكَ﴾ بإتيانه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّم لَنُحِيطُدُ إِلَّكَيْرِينَ ﴾ أي: جامعة لهم.

قوله تعالى: ﴿ رَبِثُولُ ذُرِثُوا ﴾ قرأ ابن كثير: بالنون. وقرأ نافع: بالياء. فمن قرأ بالياء، أراد الملك الموكّل بعذابهم؛ ومن قرأ بالنون، فلأنَّ ذلك لمَّا كان بأمر الله تعالى جاز أن يُنسَب إليه. ومعنى ﴿ مَا كُنُمُ تَمَـٰلُونَ ﴾ أي: جزاء ما عملتم من الكفر والتكذيب.

﴿ يَنِيَادِىَ الَّذِينَ مَاسُوًا إِنَّ أَرْضِ وَسِمَةً فَإِنِّى فَاعْبُدُونِ ۞ كُلُّ نَفْسِ ذَاهِمَةُ النَّوْقُ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْمَعُونَ ۞ وَالَّذِينَ مَاسُوَا وَعَبُوا الْعَلَيْنَ فَيْمَ الْمَرْ الْمَنْفِينَ فِيهَا فَيْمَ أَجْرُ الْمَنْفِينَ ۞ الَّذِينَ صَبُرُوا وَعَلَى رَبِّيمٌ بَنُوَكُلُونَ ۞ وَكَا إِنَّهُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞﴾ وَكَانِ مِّن ذَاتِمَ لَا عَمْدِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَنِبَادِى الَّذِينَ ءَامَنُوٓ إ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «يا عباديّ، بتحريك الياء. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بإسكانها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْض وَسِمَةٌ ﴾ وقرأ ابن عامر وحده: «أرضيّ» بفتح الياه. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب لمن آمن [مِنْ] أهل مكة، قيل لهم: «إن أرضي» يعني المدينة «واسعة»، فلا تجاوروا الظَّلَمة في أرض مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال مقاتل: نزلت في شُعفاء مُسْلِمي مكة، [أي]: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان، فأرض المدينة واسعة. والثاني: أن المعنى: إذا عُمل بالمعاصي في أرض فاخرجوا منها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عطاء. والثالث: إنَّ رزتي لكم واسع، قاله مطرف بن عبد الله.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّنَى فَأَعُدُونِ ﴾ أثبت فيها الياه يعقوب في الحالين، وحذفها الباقون. قال الزجّاج: أمرهم بالهجرة، من المرضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تنهيّاً لهم العبادة؛ ثم خوّفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة، فقال: ﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَابِقَةُ ٱلنَّوْتِ ﴾ المعنى: فلا تُقيموا في دار الشّرك خوفاً من الموت ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم، والأكثرون قرؤوا: فتُرْجَعونَ الله على الخطاب؛ وقرأ أبو بكر عن عاصم بالهاء.

قُوله تعالى: ﴿ لَنُبُوِّئَنَهُم﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ لَنُبُوِّئَنَّهُم الله ام]، أي: لَنُنْزِلَنَّهم. وقرأ حمزة، والكسائي، [وخلف]: ﴿ لَتُنْوِيَنَّهُم الثاء، [وهو] من: ثويتُ بالمكان: إذا أقمت به. قال الزجاج: [يقال]: ثوى الرجل: إذا أقام، وأثويتُه: إذا أنزلتُه منزلاً يُقيم نيه.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَنِ مِن دَابَتِهِ لَا عَبْلُ رِزْقَهَا﴾ قال ابن عباس: لمَّا أمرهم رسولُ الله ﷺ بالخروج إلى المدينة، قالوا: يا رسول الله، نخرُج إلى المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال؟! فمن يؤوينا ويطعمنا؟ فنزلت هذه الآية (٢٠). قال

الطبري ٩/ ٢٣٢ هن سعيد بن جبير، ومجاهد، وهطاه. وروى البخاري هن أنس قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمْ إِنْهُ كَانَ هُوَ النَّمَ بَنْ عَنِكَ فَأَسْلِمْ
 عَلْبَمًا حِجَانَ يَنَ النَّكَةِ أَوْ اقْتِنَا بِمَنَابٍ أَلِيرٍ فَنْزَلْت: ﴿وَمَا كَانَ أَنْهُ لِيَقُونَهُمْ رَاتَ غِيمٌ رَمّا كَانَ أَنْهُ مُنْفِئْهُمْ وَثُمْ يَسْتَغَيْرُهُ ﴿ ﴾.

 ⁽٢) ذكر ذلك بعض المفسرين بدون سند، والله أهلم. وقد ذكر المفسرون في سبب نزولها حديثاً ضعيفا عن ابن همر، وقد أورده السيوطي في «الدر»
 ٥٤٩/٥ قال: أخرج هبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن هساكر بسند ضعيف عن ابن همر في قال: خرجت مع »

ابن قتيبة: ومعنى الآية: كم مِنْ دابَّة لا ترفَعُ شيئاً لغدٍ، قال ابن عُيَيْنَةً: ليس شيءٌ يَخْبَأُ إلا الإنسانُ والفأرة والنملة. قال المفسرون: وقوله: ﴿ اللهُ بَرْزُقُهَا﴾ أي: حيثما توجهتْ ﴿ وَإِيَّاكُمُ ﴾ أي: ويرزُقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿ وَهُوَ السَّكِيعُ ﴾ لقولكم: لا نجد ما نُنْفِق بالمدينة ﴿ الْسَكِيمُ بِما في قلوبكم.

﴿ وَلَهِن سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَرَ الشَّمَسَ وَالْقَمَرَ لَيُقُولُنَّ اللهُّ فَأَنَّ بِكُولُنَ اللهُّ فَأَنَّ بِكُلُونَ ۞ اللهُ يَبْسُطُ الرَّوْقَ لِمِن بَشَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ. وَيَقْدِدُ لَهُ ۚ إِنَّ اللّهَ بِكُلِ مَنْءَ عَلِيهُ ۞ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مِّن زَّلَ مِنَ السَّمَلَةِ مَلَهُ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَقْدِ مَوْتِهَا لَيَتُولُنَّ اللهُ فُلِ الْحَمْدُ يَلُو بَلْ أَحْتُمُونُ لَا يَسْفِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِن سَأَلْتُهُم﴾ يعني كفار مكة، وكانوا يُقِرُّون بأنه الخالق والرَّازق؛ وإنَّما أمَره أن بقول: ﴿ اَلْحَمْدُ يَنَهُ ﴾ على إقرارهم، لأن ذلك يُلزمهم الحُجَّة فيوجِب عليهم التوحيد ﴿ بَلْ أَكْتَرُكُرُ لَا يَمْقِلُونَ ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق. والمراد بالأكثر: الجميع.

﴿ وَمَا حَدْهِ الْحَبَوْةُ الدُّنِيَّا ۚ إِلَّا لَهُوَّ وَلَمِبُّ وَإِنَّ الذَّارَ الْآخِرَةَ لَهِى الْحَبَوَانُ لَنَّ كَاثُوا يَسْلَمُونَ ۞ فَإِذَا رَكِجُوا فِي النُّلُكِ وَعَوْا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِينَ فَلَنَا نَجْمَعُهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكَفْرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيْنَمَنِّمُولُ فَمَسُونَ صَهُا

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ ٱلْمَيْوَةُ ٱلدُّنِيَّ إِلَّا لَهُوَّ وَلَمِثَّ﴾ والمعنى: وما الحياةُ في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل ﴿وَلِكَ الدَّارَ ٱلْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوانُ والعياة وَلِيكَ الدَّارَ ٱلْآخِرَةُ﴾ قال أبو عبيدة: اللام في اللَهِيَ (ائدة للتوكيد، والحيوان والحياة واحد؛ والمعنى: لهي دارُ الحياة التي لا موتّ فيها، ولا تنفيص يشوبها كما يشوب الحياةَ في الدُّنيا ﴿لَرُ كَانُوا مِنْ اللهُ عَلَيْ اللهُ وَلَا تَعْلَمُونَ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَا رَكِبُواْ فِي ٱلْنُاكِ ﴾ يعني المشركين ﴿ دَعُواْ اللّهَ كُلِصِينَ. لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي. أفردوه بالدُّعاء. قال مقاتل: والدّين بمعنى التوحيد؛ والمعنى أنهم لا يَدْعُون مَنْ يَدْعُونه شريكاً له ﴿فَلَنَا نَعَنهُمْ ﴾ أي: خلّصهم من أهوال البحر، وأفضوا ﴿إِلَى ٱلبَرّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ في البَرّ، وهذا إخبار عن عنادهم. ﴿ لِلكُفْرُوا بِنا آلْيَدَهُمْ ﴾ هذه لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد كقوله: ﴿ أَخْتَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [نصلت: ١٤]؛ والمعنى: ليَجْحَدوا نِعْمة الله في إنجائه إيّاهم ﴿ وَلِنتَمَلُواْ وَلِيتَمَلُواْ مَا يَعْمَدُوا اللّهُ على معنى الأمر؛ والمعنى: ليتمتعوا بباقي أعمارهم ﴿ فَتَرْقُ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم. وقرأ الباقون بكسر اللام في ﴿ لِيَتَمتَّعُوا ، فجعلوا اللاّمين بمعنى «كي»، فتقديره: لكي يكفُروا، ولكي يتمتّعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يُشْرِكون ليكفُروا ولِيتمتّعوا، أي: لا فائدة لهم في الإشراك إلّا الكفر والتمتّع بما يتمتّعون به في العاجلة من غير نصيب لهم في الآخرة.

﴿ أَرَاهُمْ بَرَوَا أَنَّا جَمَلُنَا حَكِمًا ءَلِمُنَا رَئِنَخَلَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُّ الْهَالْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَلِيْعَمَةِ اللّهِ يَكْفُرُونَ ۞ وَيَنَ أَطْلَمُ مِنْنِ الْفَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِ لَنَّا جَاءَهُۥ الْيَسَ فِي جَهَنَمَ مَنْوَى لِلْكَنْفِينَ ۞ وَاللّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِينَهُمْ شُبُلَنَا وَإِنَّ اللّهَ لَلْعَ الْمُحْسِنِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَلُمْ بَرُوٓا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنَّا جَمَلُنَا حَرُمًا ءَامِنَا﴾ يعني مكة؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [النمس: ٢٥١ ﴿وَيُنْخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُّ﴾ أي: أن العرب يَشبي بعضهم بعضاً وأهلُ مكة آمنون ﴿أَنْهَالَبَطِلِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: الشّرك، قاله قتادة. والثاني: الأصنام، قاله ابن السائب. والثالث: الشيطان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِثُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعاصم الجحدري: التُّؤمِنونَ وبنِعمة الله تكفُرونَ، بالتاء فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَمِنِمْمَةِ اللّهِ ﴾ يَعْنَي المحمدا والإسلام الله عليهم حين اطعمهم وآمنهم ﴿يَكُفُونَ ﴾ • ﴿وَمَن الْطَامُ مِثْنِ الْفَوَاحِش ﴿أَوْ كُذَّبَ بِالْعَقِ لَنَا جَاءَهُ ﴾ يعني محمداً والقرآن ﴿الْبَسَ فِي جَهَنَّمَ مَنُوى لِلْكَنْدِينَ ﴾ ا وهذا استفهام بمعنى التقرير ، كقول جرير :

السَّسُتُ خَيْدَ مَنْ رَكِبَ المَسْطَايِا [واندي السعالَ معنى التقرير ، في السمين المطون راح آا)

﴿ وَالَّذِينَ جَنهَدُوا فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿ لَنَهْدِينَهُمْ سُبُلَناً ﴾ أي: لَنُوفَّقنَهم لإصابة الطريق المستقيمة ؛ وقبل: لَنَزِيدنَهم هِدايَة ﴿ وَإِنَّ اللهُ لَمَعَ اللَّهُ مِينِينَ ﴾ بالنَّصرة والعون. قال ابن عباس: يريد بالمُحْسِنِين: الموحِّدين؛ وقال غيره: يُريد المجاهدين، وقال ابن المبارك: من اعتاصت عليه مسألة، فليسأل أهل الثَّغور عنها، لقوله: ﴿ لِلَهْدِيَنَهُمْ سُبُلناً ﴾ .

en de la composition En la composition de la

the second of the sequence of the second of

والراب والمرابي والمعالم والمراجع والمرابي والمستوي والمناس والمراجع والمراجع والمرابع والمرابع والمتعاطي

الرائية المسترية الم المسترية المسترية

e en la companya de la co

سورة الروم وهي مَكِّيَّة كُلُّها بإجماعهم

ينسبواللو النكني الزهنسة

﴿ الَّمَ ۞ غُلِمَتِ الزُّمُ ۞ فِنَ اذَنَ الأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَغْلِمُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينُ لِلَهِ الأَشْرُ مِن قَبَّلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَهِلَوْ يَفْسَرُ ٱللَّهُومِسُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَكُّهُ وَهُوَ الْعَكَوْرُ الرَّجِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ غُلِبَ الرُّهُ ﴾ ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الرُّوم، فبلغ ذلك رسول الله على وأصحابه، فشق ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأنَّ فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البعث ويعبُدون الأصنام، والرُّوم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله على إنكم أهل كتاب، ولنحن أُمَيُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الرُّوم، فإن قاتلتمونا لنظهر في عليكم، فنزلت هذه الآية، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: الله أنزل هذا، فقالوا لأبي بكر: نواهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط من ذلك ست، فوضعوا الرَّهان، وذلك قبل أن يُحرَّم الرَّهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هلا أفررتها كما أقرَّها الله؟ لو شاء أن يقول. سناً، لقال! فلمًا كانت سنة ست، لم تظهر الروم على فارس (١٠). وروى ابن عباس قال: لمّا نزلت؛ ﴿ الدّ ﴿ فَلَرس، فأخذوا الرهان، فلمًا كانت سنة سبع ظهرت الرَّومُ على فارس (١٠). وروى ابن عباس قال: لمّا نزلت؛ ﴿ الدّ ﴿ فَلَالَ اللهِ عَلَى ناحب (١٠) أبو بكر قريشاً، فقال له رسول الله على: «ألا احتطت، فإنَّ البِضْع ما بين السبع (١٠) والتسع، (١٠) وقل بعضهم أنهم ضربوا الأجَل خمس سنين (٥)، وقال بعضهم: ثلاث سنين، فقال رسول الله على: «ألله المي المشركين قولان: أحدهما: أبيُّ بن خلف، قاله قنادة. الوب بكر، وأخذ رهانهم (١٠). وفي الذي تولَّى وضع الرهان من المشركين قولان: أحدهما: أبيُ بن خلف، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ فِي آذَنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ وقرأ أبي بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميفع: ﴿ فِي أَداني الأرض بالف مفتوحة الدال؛ أي: أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس. قال ابن عباس: وهي طرف الشام، وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد. والثاني، أَذْرِعات وكُسْكَر (٧)، قاله عكرمة. والثالث: الأردنُ وفلسطين، قاله السدى.

⁽١) ذكره بنحوه الترمذي في التفسير ٢/ ١٥٠ عن نيار بن مُكرّم، والطبري ١٧/٢١ عن عكرمة، وذكره البغوي والخازن، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/ ١٥٠ وعزاه إلى الترمذي، وزاد نسبته للدارقطني في «الأفراد»، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والبيهةي في «شعب الإيمان» عن نيار بن مكرم الأسلمي.

⁽٢) المناحية: المخاطرة والمراهنة.

 ⁽٣) كذا الأصل: فإن البضع ما بين السبع والنسع، والذي في «الطبري»، و«الترمذي»: فإن البضع ما بين الثلاث إلى النسع».

⁽٤) ذكره بنحوه الطبري ١٧/٢١، والترمذي ٢/ ١٥٠، عن أبن عباس رائع وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث الزهري عن عبد الله بن عمرو من قوله، والله أعلم.

⁽٥) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢١. (٦) ذكره ينحوه الطبري ١٨/٢١.

 ⁽٧) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: كَشْكُرُ: معناه: عامل الزرع، وهي كورة واسعة تنسب إليها القراريج الكسكرية، لأنها تكثر بها جداً،
 وقال: قصيتها اليوم «واسط» القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصيتها قبل أن يمصِّر الحَجَّاج واسظاً. خسرو سابور. قال: وسميت كسكر
 بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس، وقال آخرون: معنى كسكر: بلد الشعير، بلغة أهل هراة.

قوله تعالى: ﴿وَيُمُ ﴾ يعني الروم ﴿ يُرَنُ بَعْدِ عَلَيْهِمْ ﴾ وقرأ أبو اللرداء، وأبو رجاء، وعكرمة، والأعمش: فَغَلْبهم ، بسكين اللام ؛ أي: من بعد غلبة فارس إيًّاهم. والغَلَب والغَلَب لغتان، ﴿ سَيَغَلِونَ ﴾ فارس ﴿ فِي بِضِع سِنِينَ ﴾ في البضع تسعة أقوال قد ذكرناها في آيوسف: ١٤] قال المفسرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق، ﴿ لِيهَ ٱلأَثْرُ مِن قَبْلُ وَبِئ بَعَدُ ﴾ أي: من قبل أن تُغلَب الروم ومِنْ بَعْد ما غَلبت والمعنى أن غَلَبة الغالب وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه ﴿ وَيَوْمَ بِلَهُ ﴾ يعني يوم غلبت الروم فارس ﴿ يَقْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ على فارس، وكان التقاء الفريقين في السنة السابعة من غَلَبة فارس إيًّاهم، فغلبتهم الرُّوم، وجاء جبريل يُخبر بنصر الروم على فارس، فوافق ذلك يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية.

﴿وَعَدَ اللَّهِ لَا يُحْلِفُ اللَّهُ وَعَدَمُ وَلَئِكِنَّ أَكُثَرَ النَّاسِ لَا يَمْلَمُونِكِ ۞ يَمْلَمُونَ ظَلهِرًا يَنَ الْمَيْزَةِ اللَّهَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُرْ غَلِمُونَ ۞ أَوَلَمْ يَنْفَكَرُوا فِيَ النَّسِيمُ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَيْنَهُمَا ۚ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلِ ثُسَتَى تَ وَإِنَّ كَيْدِكُو بِنَ النَّاسِ بِلِقَآيٍ رَبِيهِمْ لَكُلِيرُونَ ۞﴾

قُولُه تَمَالَى: ﴿ وَعَدَ اللَّهِ ﴾ أي: وعد الله ذلك وَعْداً ﴿ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ ﴾ أنَّ الرُّوم يَظهرون على فارس ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ اللَّهِ يَعْنِي كَفَار مَكَة ﴿ لَا يَسْلُونَ اللَّهِ لَا يُخْلِف وعده في ذلك. ثم وصف كفار مكة ، فقال: ﴿ يَمْلَمُونَ اللَّهِ لَا يُسْلُونَ اللَّهِ لَا يُسْلُونَ اللَّهِ لَا يَنْ اللَّهُ لَا يُسْلُونَ اللَّهِ لَا يَسْلُمُونَ اللَّهُ اللَّهُ وَعَدُمُ وَلَا المُحسن: يعلمون اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى عَلَمُ اللَّهُ عَلَى عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَّا عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَّا عَ

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُرْ عَنِدْلُنَ﴾ لأنهم لا يؤمنون بها. قال الزجاج: وذِكْرهم ثانية يجري مجرى التوكيد، كما تقول: زيد هو عالم، وهو أوكد من قولك: زيد عالم.

قوله تعالى: ﴿أَرَاتُمْ بِنَذَكُرُوا فِي آنَفُسِمُ ﴾ قال الزجاج: معناه: أو لم يتفكروا فيعلموا، فحذف افيعلموا الأن في الكلام دليلاً [عليه]. ومعنى ﴿إِلَّا بِالْمَقِّ ﴾: إلَّا للحق، أي: لإقامة الحق ﴿وَأَجَلِ مُسَتَّى ﴾ وهو وقت الجزاء ﴿وَإِنَّ كَثِيلًا مِنْ النّاسِ بِلِفَآيِ رَبِّهِم لَكَفِرُونَ ﴾ المعنى: لكافرون بلقاء ربُهم، فقدِّمت الباء، لأنها متلصلة به «كافرون»؛ وما اتصل بخبر وإنَّه جاز أن يقدَّم قبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين، لا يجوز أن تقول: إن زيداً كافر لَبالله، لأن اللام حَقُها أن تدخل على الابتداء أو الخبر، أو بين الابتداء والخبر، لأنها تؤكّد الجملة. وقال مقاتل في قوله: ﴿وَأَجَلِ مُسَتَّى كَ للسموات والأرض أَجَل ينتهيان إليه، وهو يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيلًا يَنَ النّاسِ عِنهِ عني كفار مكة ﴿ بِلِفَآيَ رَبِهِم ﴾ أي: البعث ﴿ لَكَفِرُونَ ﴾

﴿ أَوْلَةُ بِيبُولُ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُولُ كَيْتَ كَانَ عَنِيَةُ الَّذِينَ مِن فَبْلِهِمْ كَانًا أَشَدً مِنهُمْ فُؤَةً وَأَنَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُومَا أَحَمَّ مِنَا عَمْرُومَا وَعَمَرُومَا أَحَمَّ مِنَا عَمْرُومَا وَعَمَرُومَا أَخْدَمُ مِنْ مُنْفَعُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَنقِبَةَ الَّذِينَ أَسَتُوا الشُوَاقَ أَن حَمْدُونَ أَنْفُسُهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ لُعُهُ يَبَدُولُ النُعْلَقُ ثُمَّ يَكِيدُونُ ۚ إِلَيْهِ تُرْمَعُونَ ۞ لَلْهِ يَبْدَوُلُ النُعْلَقُ ثُمَّ يَكِيدُونُ ۚ إِلَيْهِ تُرْمَعُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْلَرُ يَبِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أو لَمْ يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله تعالى: ﴿ وَآثَارُوا الْأَرْضَ ﴾ أي: قلبوها للزراعة، ومنه قيل للبقرة: مثيرة. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو حيوة: قوآثُرُوا الأرض ابمد الهمزة وفتح الناء مرفوعة الراء، ﴿ وَعَمَرُوهَا آَحَةً مَرُوهَا عَمَارُهُا أَي: اكثر من عِمارة أهل مكة، لطول أعمار أولئك وشدة قوّتهم ﴿ وَيَآتَنَمُ أَرُهُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ ﴾ أي: بالدَّلالات ﴿ فَمَا كَانَ اللهُ لِيظَلِمُهُم ﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنْسُهُم يَظلِمُونَ ﴾ بالكفر والتكذيب ودلَّ هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا. ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ ثُمَرٌ كَانَ عَنقِبَةً النِّينَ أَسْتُوا اللَّوَاتِ ﴾ يعني الخلَّة السيئة ؛ وفيها قولان: أحدهما: أنه العذاب، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَنْ كَنَّمُوا﴾ قال الفراء: معناه: لأن كنَّبوا فلمَّا أُلقيت اللامُ كان نصباً. وقال الزجاج: لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم. وقيل: السُّوأى مصدر بمنزلة الإساءة؛ فالمعنى: ثم كان التكذيب آخر أمرهم، أي: ماتوا على

ذلك، كأنَّ الله تعالى جازاهم على إِساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عقوبةً لهم. وقال مكي بن أبي طالب النحوي: «عاقبةً» اسم كان، و«السُّوأى» خبرها، و«أن كذَّبوا» مفعول من أجله؛ ويجوز أن يكون «السُّوأى» مفعولة بـ «أساؤوا»، و«أن كذَّبوا» خبر كان؛ ومن نصب «عاقبةً» جعلها خبر «كان»، و«السُّوأى» اسمها، ويجوز أن يكون «أن كذَّبوا» اسمها، وقرأ الأعمش: «أساؤوا السُّوءُ» برفع «السُّوءُ».

قوله تعالى: ﴿اللهُ يَبَدُوُا الْخَاقَ ثُمُّ يُمِيدُو﴾ أي: يخلُقهم أوّلاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياءً كما كانوا، ﴿ثُمُ إِلَيْهِ تُوَكِّمُونَ ﴾ وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تُرْجَعون» بالناء؛ فعلى هذا يكون الكلام عائداً من الخبر إلى الخطاب. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: بالياء، لأن المتقدم ذِكْره غَيبة، والمراد بذِكر الرجوع: الجزاءُ على الأعمال، والخَلْق بمعنى المخلوقين، وإنما قال: «يُعِيده» على لفظ الخَلْق.

﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةُ بَبْلِسُ الْمُخْرِمُونَ ۞ وَلَمْ بَكُنْ لَهُمْ مِن شُرَكَآبِهِمْ شُفَعَتُوْاْ وَكَافُوا بِشُرَكَآبِهِمْ كَافُوا وَكَافُوا وَكُونَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَالْمُونَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَالْمُونَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَالْمُوالِقُونَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَالْمُوالِقُونَا وَلَالْمُوالِقُونَا وَلَالَالْمُولُولَالِكُونِ وَلَالِمُولِلْمُونَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَوْنَا وَلَالِهُمُ ل

قوله تعالى: ﴿ يُبْلِنُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ قد شرحنا الإبلاس في [الانعام: ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنُ لَهُمْ مِن شُرُكَآيِهِمْ﴾ أي: [من] أوثانهم التي عبدوها ﴿شُغَمَتُوَّا﴾ في القيامة ﴿وَكَانُوا يِثُرَّكَآيِهِمْ كَنْدِينَ﴾ يتبرَّوون منها وتتبرأ منهم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَهِذِ يَنْفَرَقُوكِ﴾ وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة، وقوم إلى النار.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَكَةِ﴾ الرَّوضة: المكان المخضرُّ من الأرض؛ وإنَّما خصَّ الروضة، لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب؛ قال أبو عبيدة: ليس شيءٌ عند العرب أحسنَ من الرياض المُعْشِبة ولا أطيبَ ريحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحَرْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ مَا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحَرْنِ مُعْشِبَةً وَلا بِأَخْسَنَ مِنْهَا إذ دُنا الأَصْحلُ () يَوْماً بِأَطْبَبَ مِنْهَا إذ دُنا الأَصْحلُ ()

قال المفسرون: والمراد بالروضة: رياض الجنة. وفي معنى "يُحْبَرون" أربعة أقوال: أحدها: يُكْرَمون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: يَنْعَمون، قاله مجاهد، وقتادة. قال الزجاج: والحُبْرَة في اللغة: كل نَغْمَة حَسَنة. والثالث: يفرحون، قاله السدي. وقال ابن قتيبة: "يُحْبَرون": يُسرَّون، والحَبْرة: السَّرود. والرابع: أن الحَبْر: السَّماع في الجنة، فإذا أخذ أهل الجنة في السماع، لم تبق شجرة إلَّا ورَّدت، قاله يحيى بن أبي كثير، وسئل يحيى بن معاذ: أيّ الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس، في مقاصير قُدس، بألحان تحميد، في رياض تمجيد في مَقَدِ صِدِّقٍ عِندَ مَلِيكِ مُقْدَدِ شَدِيدً مَلِيكِ مُقْدَدِ شَكَدِ عَدَد مَلِيكِ مُقْدَدِ شَهُ القمر: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَتُهِكَ فِي الْمَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: هم حاضرون العذاب أبداً لا يخفُّف عنهم.

﴿ نَسُبُحُنَ اللَّهِ حِبنَ تُنسُونَ وَحِبنَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي الشَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُحْبُحُ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيْتَ مِنَ ٱلْمَيّ وَيُحْبِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَلِكَ نَحْرَجُونَ ۞﴾

ثم ذكر ما تُذرَك به الجنة ويُتباعَد به من النار فقال: ﴿فَسُبَحَنَ اللّهِ حِينَ نُسُوكِ﴾ قال المفسرون: المعنى: فصلُّوا لله حين تُمسون، أي: حين تدخَلون في الصباح، و﴿تَظْهِرُونَ﴾ تدخُلون في الطهيرة، وهي وقت الزَّوال، ﴿وَمَشِيَّا﴾ أي: وسبِّحوه عشيًا. وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس، فقوله: ﴿حِينَ تُسُوكِ﴾ يعني به صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تُطْهِرُونَ﴾ يعني به صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تُطْهِرُونَ﴾ الطُّهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يَحْمَده أهل السموات وأهل الأرض ويصلُّون له.

⁽١) البيتان لأعشى قيس، ديوانه، ٥٧، والمجاز القرآن، ٢/ ١٢٠، والطبري، ٢١/٢١.

قوله تعالى: ﴿ يُمْرِجُ ٱلْمَنَّ مِنَ ٱلْمَيْتِ ﴾ فيه أقوال قد ذكرناها في الله صران: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَيُمْنِي ٱلْأَرْضُ بَهَدَ مَوْيَهَا ﴾ أي: يجعلها مُنْبِتة بعد أن كانت لا تُنْبِت، وتلك حياتها ﴿وَكَذَلِكَ نَخْرَجُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: التُخْرَجون بضم التاء، وفتحها حمزة والكسائي؛ والمراد: تخرجون يوم القيامة من الأرض، أي: كما أحيا الأرض بالنبات يُحِييكم بالبعث.

﴿ وَمِنْ مَايَنَهِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ إِنَّا أَشُر بَشَرُّ مَنْشِرُونَ ﴿ وَمِنْ مَايَنِهِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَلْفَيكُمْ أَزَوَبَا لِتَسَكُّواً وَاللَّهِ وَمَن مَايَنِهِهِ خَلْقُ السَّمَوْتِ وَالْخَيْلُفُ أَلْمِينَا فِي وَلِكَ لَآيَتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿ وَمِن مَايِنْهِهِ خَلْقُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَالْحَيْلَافُ أَلْمِينَا وَلَلْهَا وَاللَّهَا وَاللَّهَا وَاللَّهَ وَاللَّهُ مِن فَضَلِهِ إِنَّ فِي وَلِكَ لَايَتِهِ فَلَا وَمُعْمَعًا وَيُوَلِّقُ مِنَ السَّمَا وَيُوَلِّقُ مِن السَّمَا وَيُوَلِّقُ مِنَ السَّمَا وَيُوَلِّقُ مِن السَّمَا وَيُولِلُونَ مِن السَّمَا وَيُولِلُونَ مِن السَّمَا وَيُولِلُونُ مِن السَّمَا وَيُولِلُونُ مِن السَّمَا وَيُولِلُونُ مِن السَّمَا وَيُولِلُونَ مِن السَّمَا وَيُولِلُونَ مِن السَّمَا وَيُولِلُونَ مِنْ اللَّهُ وَمُولَ مِنْ اللَّوْضِ إِنَّا أَنْتُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَمُولَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَي اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَهُو الْمُؤْمِلُ مَن اللَّهُ اللَّهُ فِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُ وَهُو اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُو اللَّهُ وَهُ وَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿ أَنْ خَلَقَكُم مِن ثُرَابٍ ﴾ يعني آدم، لأنه أصل البشر ﴿ ثُدَّ إِذَا ٓ أَشُرُ بَشَرٌ ﴾ من لحم ودم، يعني ذريته ﴿ نَنْتِيرُونِ ﴾ أي: تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمُ أَزْوَبَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حوًّاء من ضِلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آدميَّات مثلكم، ولم يجعلهنَّ من غير جنسكم، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿ لِلْتَنْكُنُولُ ۚ إِلَيْهَا﴾ أي: لتأووا إلى الأزواج ﴿ وَيَعْمَلُ بَيْنَكُمُ مَّرَدَّةٌ وَرَحْمَدُۗ ﴾ وذلك أن الزوجين يتوادًان ويتراحمان من غير رَحِم بينهما ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعه ﴿ لَآيَنَتِ لِنَوْمِ يَنَفَكُرُونَ﴾ في قدرة الله وعظتمه.

قوله ثمالى: ﴿وَاَخْتِلْنُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَأَلْوَيْكُو ۗ لأنَّ الخلق بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: المراد باختلاف الألسنة: اختلاف النَّمَات والأصوت، حتى إنه لا يشتبه صوت أخوين من أب وأم، والمراد باختلاف الألوان: اختلاف الصُّور، فلا تشتبه صورتان مع التشاكل ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيْتِ لِلْمَلِمِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، [والكسائي]، وأبو بكر عن عاصم: (للعالمِين) بخصر اللام.

قوله تعالى: ﴿ رَبِنْ ءَايَنِيهِ مَنَامُكُمْ بِأَلِيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: نومكم. قال أبو عبيدة. المنام من مصادر النَّوم، بمنزلة قام يقوم قِياماً ومَقاماً، وقال يقول مَقالاً. قال المفسرون: وتقدير الآية: منامكم بالليل ﴿ وَآتِينَا أَوْكُمْ مِن فَصْلِيهُ ﴾ وهو طلب الرزق بالنهار ﴿ إِنَ فِي ذَلِكُ لَآيَتُ مِن يَسْمَعُونَ ﴾ سماع اعتبار [وتذكُر] وتدبُّر. ﴿ وَمِنْ ءَايَئِهِ مُرِيكُمُ ٱلبَّرَقَ ﴾ قال المغويون: إنَّما حذف (أنْ لدلالة الكلام عليه، وأنشدوا:

أموتُ وأخرى أبتغي العيش أكدحُ(١)

وما السَّدَّهُ أَلا تَسَارَتُسَانَ فَسَتَسَارَةً ومعناه: فتارة أموثُ فيها]، وقال طرفة:

[وأن أشهد اللَّذَّاتِ هل أنتَ مُخلِدي آ٢٦

ألا أيُّسهَــذَا الـزَّاجِـرِي أَحْـنصُـرَ الـوَغَـى

أراد: أن أحضر. وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البّرْق في سورة [الرعد: ١٢].

⁽۱) البيت لتميم بن مقبل، وقد سبق تخريجه ۲۸۸، وهو أيضا في «الطبري» ۲۱/۳۳، و«البحر» ۱۲۷/۷، و«روح المعاني» ۲۹/۲۱، و«اللسان» و«التاج»: كدح.

⁽٢) البيت لطرفة بن عبد البكري من معلقته، وهو في الطبري، ٣٣/٢١، واروح المعاني، ٢١/٢١، والمغتار الشعر الجاهلي، ١٣١٧٪.

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ السَّمَاةُ وَالأَرْضُ ﴾ أي: تدوما قائمتين ﴿ بِأَنْرِبِي ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعُوه ﴾ وهي نفخة إسرافيل الأخيرة في الصَّور بأمر الله ﷺ ﴿ مِنَ ٱلأَرْضُ ﴾ أي: من قبوركم ﴿ إِذَا أَشُرُ عَرَّبُونَ ﴾ منها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [البقرة: ١١٦، المنكبوت: ١٩] إلى قوله: ﴿ رَهُو أَهْوَنُ عَلَيْه ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن الإعادة أهون عليه من البداية، وكُلُّ هِيِّنٌ عليه، قاله مجاهد، وأبو العالية. والثاني: أن «أهون» بمعنى «هيِّن»، فالمعنى: وهو هيِّن عليه، وقد يوضع «أفعل»، ومثله قولهم في الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير، قال الفرزدق:

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَسَى لَسَا بَسَيْتاً دعالِهُ مُ أَعَزُ وأَطْوَلُ (١) وقال معن بن أوس المزني:

لَـعَــمُـــرُكَ مَــا أَدْرِيَ وإنَّـــي لَأَوَجُـــلُ أي: وإنِّي لَوَجِل، وقال غيره:

أصبحتُ أمنحُك الصُّدودَ وإنَّني قسماً إلـ وأنشدوا أيضاً:

قسماً إليك مع الصُّدود لأَمَيْلُ (٣)

عسلسى أيُّسنسا تَسغُسدُو السمَسنِسيَّسةُ أَوَّلُ (٢)

تَسمَسنَّسى رِجسالُ أَنْ أمسوتَ وإِنْ أمُستْ فَي اللَّهُ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بِأُوحَدِ (١)

أي: بواحد، هذا قول أبي عبيدة، وهو مروي عن الحسن، وقتادة. و [قد] قرأ أبيُّ بن كعب، وأبو عمران المجوني، وجعفر بن محمد: وهو هَيِّن عليه، والثالث: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب يكون عندهم المجوني، وجعفر من الابتداء في تقديرهم وحُكمهم، فمن قَدَر على الإنشاء كان البعثُ أهرَن عليه، هذا اختيار الفراء، والمبرد، والزجاج، وهو قول مقاتل. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في «عليه» عائدة إلى الله تعالى. والرابع: أن الهاء تعود على المخلوق، لأنه خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة، ويوم القيامة يقول له كن فيكون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو اختيار قطرب.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُثَلُ ٱلْأَكْلُ الْأَكْلُ قَال المفسرون: أي: له الصَّفة العُليا ﴿ فِي ٱلشَّنَوْتِ وَٱلْآرَضِ ﴾ وهي أنَّه لا إله غيره. قوله تعالى: ﴿ صَرَبَ لَكُم مَشَلا ﴾ سبب نزولها أن أهل الجاهلية كانوا يلبُّون فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، فنؤلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل (٥٠). ومعنى الآية: بيَّن لكم أيها المشركون شَبَها، وذلك الشّبه ﴿ مِنْ أَنْشُكُم ﴾ ثم بيَّنه فقال: ﴿ صَرَبَ لَكُم مَشَلا مِنْ أَنفُيكُم هَلَ لَكُم مِن مَا مَلَكَتْ أَبَننكُم ﴾ أي: من عبيدكم ﴿ مِنْ أَنفُيكُم أَيْ أَنفُيكُم أَيْ الله والأهل والأهل والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم ﴿ فَأَنتُم فِي أَنفُيكُم أَنفُيكُم أَنفُيكُم أَنفُيكُم أَي : كما تخافون أمثالكم من الأحرار، وأقرباءكم كالآباء والأبناء ؟ قال ابن عباس: تخافونهم أن يَرثوكم كما يَرث بعضكم بعضاً ؟ وقال غيره: تخافونهم أن يَرثوكم كما يَرث بعضكم بعضاً ؟ وقال غيره: تخافونهم أن يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار؟! فإذا لم في التصرّف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار؟! فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عَدَلتم بي من خَلْقي مَنْ هو مملوك لي؟! ﴿ كَنَالِكُ أَي: كما بيَّنًا هذا المَثل ﴿ فُقَيْلُ فَوْمَ أَنْ ذَلك لا نفسكم، فلم عَدَلتم بي من خَلْقي مَنْ هو مملوك لي؟! ﴿ كَذَلْكُ أَي كما بيَّنًا هذا المَثَل ﴿ فُقَيْلُ

⁽۱) ديوانه، ٧١٤، وقمجاز القرآن، ٢/ ١٢١ وقالطبري، ٣٧/٢١ وقالكامل، ٦٩٧.

 ⁽٢) البيت في «الطبري» ٢٧/٢١، و«الحماسة البصرية» ١٤٢، و«الكامل» ١٩٦، و«لباب الآداب» ٢٩٩. قال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على
 «لباب الآداب»: و«تغدوه بالغين المعجمة في الروايات كلّها، وحكى التبريزي أن في رواية: «تعدو» بالعين المهملة. اهـ.

⁽٣) البيت للأحوص، وهو في «مجاز القرآن» ٢١/١٢، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«الخزانة» ٢٤٨/١، و«الكتاب» ١٩٠/، و«السمط» ٢٥٨. وكان الشطر الثاني من البيت في الأصل: «قسم إليك مع الصدود لأميل». قال الشنتمري في «الكتاب» في تعليقه على البيت: الشاهد فيه نصب قوله: «قسماً» ونصبه على المصدر المؤكد لما قبله من الكلام الدال على القسم، لأنه لما قال: «إني لأمنحك الصدود، وإني إليك لأميل» علم أنه محقق مقسم، فقال: «قسماً» مؤكداً لذلك. هـ.

⁽٤) البيت في فمجاز القرآن، ١٦/٢، وفالطبري، ٣٧/٢١، وفالقرطبي، ١١/١٤، وفالتاج،: وحد.

⁽٥) ذكره ابن كثير من رواية أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس ﷺ، وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في اللدر) ٥/ ١٥٥ وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

ٱلْأَيْنَ لِقَوْمِ يَمْقِلُونَ﴾ عن الله. ثم بيَّن أنَّهم إنَّما اتَّبعوا الهوى في إشراكهم، فقال: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا بإضلال الله إيَّاهم ﴿ وَمَا لَمُمْ مِن بالله ﴿ أَهْرَآءَ هُم بِغَيْرِ عِلَيٍّ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَ اللَّهُ ﴾ وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا بإضلال الله إيَّاهم ﴿ وَمَا لَمُمْ مِن نَّهِ رِينَ ﴾ أي: مانعين من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ فَأَوْمْ وَبِهَاكَ ﴾ قال مقاتل: أخلص دينك الإسلام ﴿ لِلدِّينِ ﴾ أي: للتوحيد. وقال أبو سليمان الممشقي: استقم بدينك نحو الجهة التي وجَّهك الله إليها. وقال غيره: سدَّد عملك. والوجه: ما يُتَوجَّه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجَّه إليه لتسديده وإقامته.

قوله تعالى: ﴿ عَنِيناً ﴾ قال الزجاج: الحنيف: الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع عنه، كالحَنف في الرَّجل، وهو ميلها إلى خارجها خِلْقة، لا يقدر الأحنف أن يردَّ حَنَفه. وقوله: ﴿ فِطْرَتَ النَّهِ منصوب، بمعنى: اتَّبع فطرة الله، لأن معنى وفاقم وجهك، : اتَّبع الدِّين القيِّم، واتَّبع فطرة الله، أي: دين الله. والفطرة: الخِلْقة التي خَلْق الله عليها البشر. وكذلك قوله فَهِ الدِّين القيِّم، والقيرة الله على الفطرة الإيمان بالله. وقال مجاهد في قوله: ﴿ فِطْرَتَ النِّسِر وَكَذَلُك قوله فَهُ الْمِلْم، وكذلك قوله فَهُ الله النَّهُ وَالله الزجاج أصح، وإليه ذهب ابن قتيبة، التي أَلِي فَطُر النَّاسَ عَلَيْهُ قال: الإسلام، وكذلك قال قتادة. والذي أشار إليه الزجاج أصح، وإليه ذهب ابن قتيبة، فقال: فرقُ ما بيننا وبين أهل القَدَر في هذا الحديث، أن الفطرة عندهم: الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرار بالله والمعرفة واجداً أحداً إلا وهو مُقِرّ بأنَّ له صانعاً ومدبِّراً وإن عبد شيئاً دونه وسمًاه بغير اسمه؛ فمعنى الحديث: إن كل مولود في واجداً أحداً إلا وهو مُقِرّ بأنَّ له صانعاً ومدبَّراً وإن عبد شيئاً دونه وسمًاه بغير اسمه؛ فمعنى الحديث: إن كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الإقرار الأول، وهو الفطرة، ثم يهود اليهودُ أبناءهم، أي: يعلمونهم ذلك، وليس الإقرار الأول مما يقع به حُكم ولا ثواب؛ وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على أن اليهوديُ إذا مات له ولد صغير ورثه، وكذلك النصراني المسلم الكافر، ولا الكافر، المسلم، ثم أجمعوا على أن اليهوديُ إذا مات له ولد صغير ورثه، وكذلك النصراني مولود يولد على الفطرة أي: على تلك البداية التي أقرُوا له فيها بالوحدانية حين أخذهم مِن صُلْب آدم، فمنهم من جحد دلك بعد إقراره (٢٠). ومثل هذا الحديث حديث عياض بن حمار عن النبي على قال: قال الله قبا المحديث حديث عياض بن حمار عن النبي المنافرة الله قبا المحديث على عاض بن خطد خلاي عبادي

⁽۱) رواه البخاري في «صحيحه ۱۹۷/۳ عن أبي هريرة على ، ولفظه بتمامه: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهؤدانه، أو ينصرانه، أو يمجئانه، كمثل المهيمة ثنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يُعرب ضه لسانه، فأبوانه يهودانه، أو يَعجُسانه وعزاه لأبي يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «السنن» عن الأسود بن سريع، ورواه البخاري ٣/ ١٧٦، ومسلم ٢٠٤٧، عن أبي هررة في بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على القطرة...» الحديث، ولفظه في «مسلم» بتمامه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة...» الحديث، ولفظه في «مسلم» بتمامه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبوه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنتَج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تُحسُّون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: واقرووا إن شنتم: ﴿ فِيْطَرْتَ اللَّهِ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللهُ مَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ مَا يُعلَيْ اللّهُ اللّهُ مَا اللهُ اللهُ عَا اللّهُ عَلَمُ اللّهُ مرورة في اللّه عريرة في الله عالم وإن مردويه عن أبي هريرة في ... ﴾ الآية. وأورده السيوطي في «اللر» بهذا اللفظ ٥/ ١٥٥، وزاد نسبته، لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة فيه.

 ⁽٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/١٩٧ : وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، ثم قال : وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة : الإسلام، قال : في الفراد بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللهِ اللهِ بِالفطرة : الإسلام، قال : ﴿ فِطْرَتَ اللهِ اللهِ بَالْهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ الله بِاللهِ بِاللهِ بَعِد المِرد في تحر حديث الباب : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فِطْرَتَ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ بِعَلَى اللهِ بِاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ المُحد اللهُ المُحد : من مات أبواه =

حنفاء)(١)، وذلك أنه لم يدعُهم يوم الميثاق إلَّا إلى حرف واحد، فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿لَا بَدِيلَ لِغَلِقِ اَللَّهِ﴾ لفظه لفظ النفي، ومعناه النهي؛ والتقدير: لا تبدُّلوا خَلْق الله. وفيه قولان: أحدهما: أنه خِصاء البهائم، قاله عمر بن الخطاب ﷺ. والثاني: دين الله، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والنخعي في آخرين. وعن ابن عباس وعكرمة كالقولين.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ ٱلْيَرِثُ ٱلْمَيِّدُ ﴾ يعني التوحيد المستقيم ﴿ وَلَكِكَنَّ ٱكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لا يَمْلُونِ ﴾ توحيد الله .

قوله تعالى: ﴿مُنِيدِينَ إِلَيهِ﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل معه فيها الأُمَّة. ومعنى «منيبين»: راجعين إليه في كل أمر، فلا يخرجون عن شيء من أمره. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [البقرة: ٣، الانعام: ١٥٩] إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ اَلنَّاسَ شُرُّ دَعَوَّا رَبَّمُ مُنِيدِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَالَهُم مِنْهُ وَيَدَّ مَنْهُم وَنِه قولان: أحدهما: أنه القحط، والرحمة: المطر. والثاني: أنه البلاء، والرحمة: العافية، ﴿إِذَا فَرِينٌ مُنْهُم﴾ وهم المشركون. والمعنى: إن الكل يلتجئون إليه في شدائدهم، ولا يلتفت المشركون حينئذٍ إلى أوثانهم.

قوله تعالى: ﴿ لِيَكَفُثُوا بِمَا ءَائِيَنَهُمُ ﴾ قد شرحناه في آخر [العنكبوت: ٦٧]، وقوله: ﴿ فَتَمَنَّعُوا ﴾ خطاب لهم بعد الإخبار عنهم. قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَرَلْنَا عَلَيْهِمَ ﴾ أي: على هؤلاء المشركين ﴿ شُلْطَنَا ﴾ أي: حُجَّه وكتاباً من السماء ﴿ فَهُو يَتَكُلُمُ بِمَا كَانُواْ بِدِ يُمْرِكُونَ ﴾ أي: يأمرهم بالشّرك؟! وهذا استفهام إنكار، معناه: ليس الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقَتَ النَّاسَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿رَحْمَةٌ﴾ وهي المطر. والسيِّنة: الجوع والقحط. وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيِّنة: المصيبة. قال المفسرون: وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شُكر فيه، والقنوط: اليأس من فضل الله، وهو خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو عند الشدة؛ وقد شرحناه في ابني إسرائيل: ٢٦ إلى قوله: ﴿وَالِكَ﴾ يعني إعطاء الحق ﴿خَيْرُ﴾ أي: أفضل من الإمساك ﴿ لِلَّالِيكَ يُرِيدُونَ وَهُمْ اللهِ اللهِ ،

﴿وَمَا ۚ ءَانَيْتُم مِن رِّبًا لِيَرْبُواْ فِن أَمُولِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَانَبْتُد مِن ذَكَوْمَ ثُرِيدُونِڪ وَجَمَّهُ اللّهِ فَأُولَئِهِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۖ اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّذَ رَزَقَكُمْ ثُمَّذَ بُصِيتُكُمْ ثُمَّذَ يُحْيِبِكُمْ هَـٰ لَ مِن شُرَّالَإِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِن شَيْءً سُبْحَسْنَهُ وَتَعَمَلُ عَنَا يُشْرِكُونَ ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَائِشُهُ مِن رِّبًا﴾ في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أن الرَّبا هاهنا: أن يُهدي الرجل للرجل الشيء يقصِد أن يُثيبه عليه أكثر من ذلك، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطاووس، [والضحاك]، وقتادة، والقرظي. قال الضحاك: فهذا ليس فيه أجر ولا وزر. وقال قتادة: ذلك الذي لا يَقبله الله ولا يَجزي به، وليس فيه وِزْر. والثاني: أنه الرِّبا المحرَّم، قاله الحسن البصري. والثالث: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنيًا، لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. والرابع: أنه الرجل يُعطي من يخدمه لأجل خدمته، لا لأجل الله تعالى، قاله الشعبي.

قُوله تعالى: ﴿ وَمَا مَا لَيْنَتُم مِن رِّبًا لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَلِ ٱلنَّاسِ ﴾ وقرأ نافع، ويعقوب: ["لَتَرْبؤ] بالتاء وسكون الواو، أي: [في] اجتلاب أموال الناس، واجتذابها ﴿ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي: لا يزكو ولا يضاعف، لأنكم قصدتم زيادة

وهما كافران حكم بإسلامه، واستدل بحديث الباب، فدلً على أنه فسر الفطرة بالإسلام، قال: وحكى محمد بن نصر أن آخر قولي أحمد، أن المراد بالفطرة: الإسلام، ثم قال: وقال ابن القيم: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث، أن القدرية كان يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، فعاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك، لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية، لأن قوله: فقأبوا، يهودانه. . . ، ؟ إلغ، محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». اهد.

⁽١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه ٢١٩٧/٤ عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمتني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً، حلال (أي: قال الله: كل مال . . . إلخ) وإني خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنهم أنتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتُهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجَمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب (المراد بهم: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل) ، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك . . . الحديث.

العِوَض، ولم تقصدوا القُربة. ﴿ وَمَا مَالَيْتُر مِن ذَكَوْرَ ﴾ أي: ما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة، إنما تريدون بها ما عند الله، ﴿ مَا أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُشْوِمُونَ ﴾ قال ابن قتيبة: الذين يجدون التضعيف والزيادة. وقال الزجاج: أي: ذوو الأضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل مُقْوِ، أي: صاحب قُوَّة، ومُوسِر: صاحب يسار.

﴿ طَهَرَ الْفَسَادُ فِ الْبَرِ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَبْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَبِلُوا لَعَلَّهُمْ بَرْجِعُونَ ۞ قُلْ سِبُمُا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَفِبَهُ الَّذِينَ مِن فَبْلُ كَانَ أَكْتَرُهُم مُشْرِكِينَ ۞ فَأَفِرْ وَجْهَكَ لِلنِّينِ الْفَيْسِدِ مِن فَبْلِ أَن يَأْتِى يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَمُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَهِذِ يَصَدَعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: نقصان البَركة، قاله ابن عباس. والثاني: ارتكاب المعاصي، قاله أبو العالية. والثالث: الشّرك، قاله قتادة، والسدي. والرابع: قحط المطر، قاله عطية. فأما البّرّ؛ فقال ابن عباس: البَرِّ: البرِّيَّة التي ليس عندها نهر. وفي البحر قولان: أحدهما: أنه ما كان من المدائن والقرى على شطّ نهر، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: لا أقول: بحرُكم هذا، ولكن كل قرية عامرة. وقال قتادة: المراد بالبرّ: أهل البوادي، وبالبحر: أهل القرى. وقال الزجاج: المراد بالبحر: مدن البحر التي على الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر. والثاني: أن البحر: الماء المعروف. قال مجاهد: ظهور الفساد في البر: قتل ابن آدم أخاه، وفي البحر: مَلِك جائر يأخذ كل سفينة غصباً (١٠). وقيل لعطية: أيّ فساد في البحر؟ فقال: إذا قلَّ المطر قلَّ الغوص.

قوله تعالى: ﴿ مِمَا كَسَبَتْ أَيْنِي النَّاسِ ﴾ أي: بما عملوا من المعاصي ﴿ لِيُزِيقَهُم ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وابن محيصن، وروح [عن يعقوب]، وقنبل عن ابن كثير: ﴿لِنُذِيقَهِم اللَّذِي وَبَهَنَ ٱلَّذِي عَبِلُوا ﴾ أي: جزاء بعض أعمالهم ؛ فالقحط جزاء ، ونقصان البركة جزاء ، ووقوع المعصية منهم جزاء معجّل لمعاصيهم أيضاً .

قوله تعالى: ﴿لَمَالَهُمْ يَجِمُونَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين أذيقوا الجزاء، ثم في معنى رجوعهم قولان. أحدهما: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم. والثاني: أنهم الذين يأتون بعدهم؛ فالمعنى: لعلَّه يرجع مَنْ بعدَهُم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِبُواْ بِي ٱلأَرْضِ﴾ أي: سافِرُوا ﴿قَانَظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: الذين كانوا قبلكم؛ والمعنى: انظروا إلى مساكنهم وآثارهم ﴿كَانَ أَحْتَرُهُر مُشْرِكِنَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشِركهم (٢٠. ﴿فَآفِهُ وَجْهَكَ لِللِّينِ﴾ أي: أقم قصدك لاتّباع الدّين ﴿ ٱلْقَيْرُ﴾ وهو الإسلام المستقيم ﴿مِن قَبْلٍ أَن يَأْتِي يَرْمٌ لاَ مَرَدٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني [يوم] القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم، لأن الله تعالى قد قضى كونه ﴿يَوْمَهِذِ يَصَّدَعُونَ﴾ أي: يتفرقون إلى المجنة والنار.

﴿ مَن كَفَرَ فَمَلَيْهِ كُفْرُةً وَمَنْ عَمِلَ صَلِيحًا فَلِأَنفُرِيمٌ بَدْهَدُونَ ۞ لَبِجَزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعِيلُواْ الصَّلِحَتِ مِن مَعْلِيدٌ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَفِينَ ۞﴾

وَمَن كَنَرَ فَلَيْتِهِ كُنْرُهُ أَي: جزاء كفره ﴿وَيَنْ عَلَ صَلِحًا فِلأَنْسِيمُ يَسْهَدُونَ اَي: يُوطَئُون. وقال مجاهد: يسؤون المضاجع في القبور، قال أبو عبيدة: «مَنْ يقع على الواحد والْأَنْين والجمع من المذكّر والمؤنّث، ومجازها هاهنا مجاز الجميع، وايْمَهَد بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد.

﴿ وَمِنْ ءَايْنِيمِهِ أَن بُرْسِلَ الرَّيَاحَ مُبَشِّرَتِ وَلِيُدِيقَكُمْ مِن زَحْمَيَهِ؞ وَلِتَجْرِى الْفُلُكُ بِأَشْرِهِ. وَلِتَبْنَفُواْ مِن فَشْلِهِ. وَلَمَلَكُمْ نَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ لِمَالَةُومُومُ بِالْمَيْنَتِ فَانْفَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ لَجَرَمُواْ وَكَابَ حَقًّا حَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۞﴾

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذِكْره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبرَّ عند العرب: الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذن: إذ كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من برَّ وبحر بما كسبت أيدي الناس، أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما. اهم.:

 ⁽٢) قال ابن جزير الطبري: يقول تعلى ذِكْره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين
 كفروا بالله بن قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم؟!
 كان أكثرهم مشركين، يقول: فعلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَنِيهِ أَن يُسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَيِّرَتِ﴾ تبشّر بالمطر ﴿وَلِيُدِيثَكُمْ مِن زَحْيَدِ،﴾ وهو الغيث والخصب ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلُكُ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿ بِأَمْرِيَّ ﴾ ﴿ وَلِتَبْنَعُولُ﴾ بالتجارة في البحر ﴿ مِّن فَشْلِيمٌ ﴾ وهو الرزق؛ وكلُّ هذا بالرياح.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهُمْ بِالْمِنِنَتِ ﴾ أي: بالدلالات على صِدقهم ﴿ فَٱنْتَمَّنَا مِنَ الَّذِينَ أَجَرُمُوٓ ۗ أي: عذَّبْنا الذين كذَّبوهم ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً هو أوجبه على نفسه ﴿ نَصْرُ ٱلنَّوْمِنِينَ ﴾ إنجاؤهم مع الرُّسل من عذاب المكذِّبين.

﴿ اللهُ الذِى يُرْسِلُ الزِيْمَ مَنْدِرُ سَمَا بَا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءُ كَيْفَ يَشَاهُ وَيَجْعَلُمُ كِسَفَا فَرَى الْوَدَى يَغْدُجُ مِنْ خِلِيدٍ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ. مَن يَشَآهُ وَيَجْعَلُمُ كِسَفَا فَرَى الْوَدَى يَغْدُجُ مِنْ خِلِيدٍ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ. مَن يَشَآهُ مِن عِلِوهِ إِنَا هُرْ بَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَلِن كَانُوا مِن قَبِلِ أَن يُرَّلُ عَلَيْهِم مِن قَبْلِهِ. لَسْبِيهِ فَا فَرْقُ مُن مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلَ ٱلرِيكِحَ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والنخعي، وطلحة بن مصرّف، والأعمش: اليُرْسِلُ الرّبح، بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿ فَلْيُكِرُ سَمَالِكُ أَي: تُزعجه ﴿ نَبَسُطُكُمُ الله ﴿ فِي السَّمَاءُ كَنْفَ يَشَآءُ ﴾ إن شاء بسطه مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر ﴿ وَيَجْعَلُمُ كِسَفَا﴾ أي: قطعاً متفرِّقة. والأكثرون فتحوا سين "كِسَفاً؟؛ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن عامر،' وأبو جعفر، وابن أبي عبلة: بتسكينها؛ قال أبو على: يمكن أن يكون مثل سِدْرَة وسِدَر، فيكون معنى الڤراءتين واحداً ﴿ فَتَرَى الْوَدْقُ يَغْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية: (مِن خَلَلِه؛) وقد شرحناه في [النور: ٤٣] ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ﴾ أي: بالوَدْق؛ ومعنى ﴿ بَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون بالمطر، ﴿ وَإِن كَاثُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزُّلُ عَلَيْهِم ﴾ المطر ﴿ يَن تَبْلِيهِ ﴾ وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال: أحدها: أنه للتأكيد، كقوله: ﴿ نَسَجَدَ ٱلْمَلَتِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمُونَ ۗ ۖ المُ [العجر: ٢٠]، قاله الأخفش في آخرين. والثاني: أن «قَبْلِ» الأولى للتنزيل، والثانية للمطر، قاله قطرب. قال ابن الأنباري: والمعنى: مِنْ قَبْل نزول المطر، مِنْ قَبْل المطر، وهذا مثلما يقول القائل: آتيك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمئن في مجلسك، فلا تُنكّر الإعادة، لاختلاف الشيئين. والثالث: أن الهاء في قوله: «مِنْ قبله» ترجع إلى الهُدى وإن لم يتقدُّم له ذِكْر، فيكون المعنى: كانوا يقنطون من قبل نزول المطر، من قبل الهُدى، فلمَّا جاء الهُدى والإسلام زال القُنوط، ذكره ابن الأنباري عن أبي عُمر الدُّوري وأبي جعفر بن قادم. والمبلسون: الآيسون. وقد سبق الكلام في هذا [الأنعام: ٤٤]. ﴿ فَٱنْظُرْ لِكُ مَاشِرٍ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ إِلَى أَثَرُهُ. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿إِلَى آثارٍ على الجمع. والمراد بالرحمة هاهنا: المطر، وأثرها: النبت؛ والمعنى: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ﴿ كَيْفَ يُحِي ٱلْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلها تُنبت بعد أن لم يكن فيها نبت. وقرأ عثمان بن عفان، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني، وسليمان التيمي. اكيف تُحْيي، بناء مرفوعة مكسورة الياء ﴿الأرضُ الفِتْحِ الضَّادِ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِ ۚ أَرْسَلْنَا بِيَ ﴾ [أي: ريحاً] باردة مُضِرَّة، والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريدَ بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ بقول عند هبوب الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١) ﴿ فَرَاَّتُهُ مُصْفَرًا ﴾ يعني

⁽۱) قال الإمام النووي في «الأذكار»: وروى الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» بإسناده عن ابن عباس في قال: ما هبت الربح إلا جثا النبي بلله على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة» ولا تجعلها عذاباً» اللهم اجعلها رياحاً» ولا تجعلها ويحاً...». وقال الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي في كتابه «الفترحات الربانية على الأذكار النواوية» في هذا الحديث: قال الحافظ: (أي ابن حجر) بعد تخريجه: هذا حديث حسن. أخرجه البيهقي في «المعرفة»، قال: وشيخ الشافعي ما عرفته، وكنت أظنه ابن يحيى، لكن لم يذكروه في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موثق، قال الحافظ: لابن عباس حديث آخر، ثم أخرج من طريق الطبراني في كتاب «الدعاء» أيضاً عن ابن عباس قال: كان رسول الله الله المربح، وخير ما تُوسل به، وأعوذ بك حركبتيه وقال: «اللهم اجعلها... إلغ، فذكر الحديث مئله إلى قوله: «ويحاً» وزاد: «اللهم إتي أسألك من خير هذه الربح، وخير ما تُوسل به، وأعوذ بك ح

النبت، والهاء عائدة إلى الأثر. قال الزجاج؛ المعنى: فرأووا النبت قد اصفر وجف ﴿ لَظَلُوا مِن بَعْدِهِ. يَكُفُرُونَ﴾ ومعناه: لَيَظُلُنّ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء، فهم يستبشرون بالغبث، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجف النبت. وقال غيره: المراد برحمة الله: المطر. و ظلُوا بمعنى صاروا «من بعده أي: من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النّعمة. وما بعد هذا مفسَّر في سورة [النمل: ١٨، ١٨] إلى قوله: ﴿ اللهُ الّذِي خَلَقَكُم مِن ضَعْفٍ وقد ذكرنا الكلام فيه في [الانفال: ٢٦]، قال المفسرون: المعنى: خلقكم من ماء ذي ضَعف، وهو المنتي ﴿ فُرَّ جَعَلَ مِن بَعْد قوَّة الشباب ضعف الكِبَر، وشيبةً، ﴿ يَفْتُنُ مَا يَشَاءً ﴾ أي: من ضعف وقرّة وشباب وشيبة ﴿ وَهُو المناعِ بَاللهِ عَلَى ما يشاء. ﴿ وَيَوْمَ التَاعَدُ ﴾ قال الزجاج: الساعة في القيامة، فلذلك لم تُعرف أيّ ساعة هي.

قوله تعالى: ﴿ يُفْسِمُ ۗ ٱلْمُجَرِّمُونَ ﴾ أي: يَحْلِف المشركون ﴿ مَا لَيشُوا ﴾ في القبور ﴿ غَيْرَ سَاعَةً كَاثُوا يُؤَكَّكُونَ ﴾ قال ابن قتية: يقال: أَفِكَ الرجلُ: إذا عُلِل به عن الصَّدق، فالمعنى أنهم قد كذَّبوا في هذا الوقت كما كذَّبوا في الدنيا. وقال غيره: أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين، فحلفوا على شيء يَبين للمؤمنين كذبُهم فيه، ويستدلُّون على كذبهم في الدنيا. ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿ وَقَالَ اللَّهِينَ أُرتُوا اللَّهِ مَنْ الْهَالِمَ وَالْهِيمَ قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، والثانى: المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿لَنَدُ لِمَثْتُرُ فِي كِنَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْمَثِيَّ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: وقال اللهن أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين. والثاني: أنه على نظمه. ثم في معناه قولان: أحدهما: لقد لَبِثتم في عِلْم الله، قاله الفراء. والثاني لقد لَبِثتم في خَبَر الكتاب، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ نَهَكُذَا يَرَمُ الْبَمْنِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تُنْكِرُونه ﴿ وَلِلْكِنَّكُمُ كُنتُمْ لَا تَمْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿ فَيُوْمَهِذِ لَا يَنفَعُ اللَّهِ عَالَمُونَ مَمْذِرَتُهُمَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ لا تَنْفَعُ اللَّاء، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي. بالياء، لأن التأنيث غير حقيقي. قال ابن عباس: لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا غذر ولا توبة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَغَمَّبُونَ ﴾ أي: لا يُطلب منهم العتبى والرجوعُ في الآخرة.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَيْنَا لِلنَّامِنِ فِي ۚ هَٰذَا ٱلْقُرْمَانِ مِن كُلِي مَثَلُ وَلَهِن جِنْمَتُهُم بِنَايَـــوْ لَيَّعُونَنَ ٱلَّذِينَ كَنْوَكَ إِنَّ مُبْطِلُونَ ۞ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَنْ ثُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِئُونَ ۖ ۞ ۚ فَاصْدِرْ إِنَّ وَعَدَ ٱللّهِ حَثَّىٰ وَلَا يَسْتَخِفَنَكَ ٱلّذِينَ لَا يُوقِئُونَ ۞ ۗ

قوله تعالى: ﴿ وَلَهِن حِشْتَهُم بِنَايَةِ ﴾ أي: كعصا موسى ويده ﴿ لَيَتُولَنَ اللَّذِينَ كَفُرُوا إِنْ أَشُرُ ﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿ إِلَّا بُبَطِلُونَ ﴾ أي: أصحاب أباطيل، وهذا بيان لعنادهم. ﴿ كَنَالِكَ ﴾ أي: كما جَلبع على قلوبهم حتى لا يصدّقون الآيات ﴿ يَطْبُحُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبٍ اللَّذِينَ لَا يَمْلَمُونَ ﴾ توحيد الله؛ فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد، الطُّبْع على قلوبهم.

وَّوِلهُ تَعَالَى: ﴿فَاشْدِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوِّك ﴿حَوُّتُ﴾. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنُكُ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً وزيداً: فيَسْتَخِفَّنْكَ، بسكون النون. قال الزجاج: لا يَستفزَّنَك عن دِينك ﴿اَلَذِينَ لَا يُوقِئُونَ﴾ أي: هم ضُلال شاكُونَ. وقال غيره: لا يُوقِنون بالبعث والجزاء(١٠). وزعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة.

帝 帝 帝

من شرها وما تُرسل به، قال الحافظ: أخرجه مسدد في قمسنده الكبيرة، وفي سنده جبر بن عبد الله، وهو ضعيف، وجده عبيد الله - بالتصغير - ابن
 المباس، وفي نسخة من قالمسنده: حسين بن قيس أبو علي المرجي، وهو ضعيف أيضاً، وقد اعتضد بالمتابعة. اهـ. والحديث في قمسند الشافعية
 (٧٤) وفيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الذي يروي عن العلاء بن راشد، متهم.

⁽١) قال ابن كثير: ﴿ فَأَسْيَرٌ إِنَّ رَقِدُ اللَّهِ حَقَّى ۗ أَي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَا يَسْتَغِفْنُكَ اللَّهِينَ لَا يُعِقُونَ ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يُثِّبع، بل الحق كله منحصر فيه. اه.

سورة لقمان

وهي مكية في قول الأكثرين. وروي عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين منها نَزَلنا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْمَا فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدُ ﴾ والتي بعدها [لقمان: ٢٧، ٢٨]؛ وروي عن الحسن أنه قال: إلّا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿النِّينَ يُقِبُّونَ السَّلَاةِ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ ﴾ [لقمان: ١٤]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان(١٠).

بسبد ألقر التغني التعتبية

قوله تعالى: ﴿ مُدُى وَرَجْمَة ﴾ وقرأ حمزة وحده: «ورحمة الرفع. قال الزجاج: القراءة بالنصب على الحال؛ والمعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة؛ ويجوز الرفع على إضمار «هو هدى ورحمة وعلى معنى: «تلك هدى ورحمة الآين مَن يَشْتَى لَهَو معنى: «تلك هدى ورحمة وقد سبق تفسير مفتتح هذه السورة [البقرة: ١-٥] إلى قوله: ﴿ وَهَنُ النّاسِ مَن يَشْتَى لَهَو الْحَيْشِ وَقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية (١٠). وقال مجاهد: نزلت في شراء القِيّان والمغنّيات (١٠). وقال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النّضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجراً إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم فيحدّث بها قريشاً ويقول لهم: إنَّ محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدّثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية (١٠). وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال: أحدها: [أنه] الغناء. كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يُردِّدها ثلاث مرات (٥)؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، مرات (١٠)؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: اللهو: الطبل (١٠). والثاني: أنه ما ألهي عن الله، قاله الحسن، وعنه مثل القول الأول. والثالث: أنه الشّرك، قاله الضحاك. والرابع: الباطل، قاله عطاء (١٠). وفي معنى فيشتري، قولان: أحدهما: يشتري بماله؛ وحديث النضر قاله الله حالك. والم العالم؛ وحديث النضر قاله الله ولان المناء والماه؛ وحديث النضر قاله المناء والمناء والماه؛ وحديث النضر قاله عاله وحديث النضر قاله عاله؛ وحديث النضر قاله عاله وحديث النفر

⁽١) من المعلوم أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء، كما في قصحيح البخاري، وغيره، والزكاة فرضت بالمدينة، فلعل القائل بذلك يريد أن إيجابهما معاً تحقق بالمدينة، أو أنها فرضت ليلة الإسراء ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة، إلا الصبح، فكان ذلك تمام فرضيتها.

تحقق بالمدينة، أو أنها قُرضت ليلة الإسراء ركمتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة، إلا الصبح، فكان ذلك تمام فرضيتها. (٢) - «الطبري» ٢١/٣١ من رواية العوني عن ابن عباس بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٩٥١، وزاد نسبته للفريابي، وابن مردويه عن ابن عباس.

٣) ﴿ الطبري؛ ٢١/٢١ عن مجاهد بمعناه، وذكره السيوطي في ﴿ اللهِ ٥ / ١٦٠ ، وزاد نسبته لأدم، والبيهقي في ﴿ سنته عن مجاهد.

 ⁽٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٩٧ عن الكلي ومقاتل بدون سند.

⁽٥) «الطبري، ٢١/٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٥ مختصراً، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، والحاكم وصححه، واليهفي في دشعب الإيمان، عن ابن مسعود ﷺ.

٦) ﴿ الطبري؛ ٢١/٢١ عن مجاهد.

⁽٧) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه، أو رسولُه، لأن الله تعالى عمَّ بقوله: (لهو الحديث) ولم يخصص بعضاً دون بعض، فذلك على جمومه، حتى يأتيَ ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك. اهـ.

يعضده. والثاني: يختار ويستحبّ، قاله قتادة، ومطر^(۱). وإنما قيل لهذه الأشياء: لهو الحديث، لأنها تُلهي عن ذِكْر الله.

قوله تعالى: (لِيَضِلَّ) المعنى: ليصير أمره إلى الضلال. وقد بيَّنًا هذا الحرف في [الحج: ٩]. وقرأ أبو رزين، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وأبو جعفر: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، والمعنى: لِيُضِلَّ غيره، وإذا أضَلَّ غيره فقد ضلً هو أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَخِذُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: "ويَتَّخِذُها ابوفع المنال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب الذال. قال أبو علي: من نصب عطف على الميُضِل الويتَخذ ومن رفع عطفه على «من يشتري» (ويتخذ». وفي المشار إليه بقوله: ﴿وَيَتَخِذُهَا﴾ قولان: أحدهما: أنها الآيات. والثاني: السبيل. وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدّمت [الإسراء: ٢٦، الأنعام: ٢٥، البقرة: ٢٥، الرمد: ٢٠ النعراء: ٧١، النعراء: ٧١، النهم والعقل، قاله الأكثرون. والثاني: النبوّة. وقد اختُلف في نبوّته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي. هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف، وإلا أن هذا ممّا تفرّد به عكرمة؛ والقول الأول أصح ٢٠٠. وفي صناعته ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان خيّاطاً، قاله صعيد بن المسيب. والثاني: راعياً، قاله ابن زيد. والثالث: نجاراً، قاله خالد الربعي. فأما صفته، فقال ابن عباس: كان عباً معد بن المسيب. وقال معاهد: كان غليظ الشفتين عباس: كان قامياً على بني إسرائيل.

قُوله تعالى: ﴿ إِنَّ اَشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ المعنى: وقلنا له: أن اشكر لله [على] ما أعطاك من الحكمة ﴿ وَمَن بَنْكُرْ فَإِنَّمَا يَنْكُرُ لِنَفْسِيدٌ ﴾ أي: إنما يفعل لنفسه ﴿ وَمَن كَنْرَ ﴾ النِّعمة، فإن الله لغنيٌّ عن عِبادة خَلْقه.

قُوله تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ ﴾ قال مقاتل: أنزلتُ في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا ذلك في

قوله تعالى: ﴿مُلَتَّهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَى وَهُنِ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: ﴿وَهَناَ على وَهَنِ، بفتح الهاء فيهما. قال الزجاج: أي: ضَعْفاً على ضَعْف. والمعنى: لزمها بحَمْلها إيَّاه أن تَضْعُف مَرَّةً بعد مَرَّة. وموضع «أن» نصب بـ ﴿وصَّيْنا»؛ المعنى: ووصَّينا الإنسان أنَ أشكُر لي ولوالدَيْك، أي: وصَّيناه بشُكُرنا وشُكر والدَيه.

قوله تعالى: ﴿وَنِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ أي: فِطامُه يقع في انقضاء عامين، وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عمران، والأعمش: (وَفَصَالُه، بفتح الفاء. وقرأ أُبيُّ بن كعب، والحسن، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرّف، وعاصم

 ⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيه، قال: فإن قال قائل: وكيف يشتري لهو الحديث؟ قبل: يشتري لهو الحديث؟ قبل: يشتري لهو الحديث؟ أو ذا لهو الحديث، فيكون مشترياً لهو الحديث. اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان، هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني (يمني أنه لم يكن نبياً) ثم ذكر بعض الأثار، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مسه الرق، فقال: وكونه عبداً قد مسه الرق ينافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها، قال: ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، قال: وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه، قال: فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، عن عكرمة إن صح المنذ إليه، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم. ثم قال ابن كثير: والذي وراه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَكَذَ اللهِ اللهِ على المناحة على أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً، ولم يكون نبياً، ولم يوح إليه. اهم، فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً .

الجحدري، وقتادة؛ (وفَصْلُه) بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف. والمراد: التنبيه على مشقّة الوالدة بالرَّضاع بعد الحمل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَهَدَاكَ﴾ قد فسرنا ذلك في سورة [العنكبوت: ٨] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي اَلدُّنَهَا مَعْرُوفَا ۖ قال الزجاج: أي: مُصَاحَباً معروفاً، تقول صاحبه مُصَاحَباً ومُصَاحَبةً؛ والمعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿ وَاتَنَيْعُ سَبِلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكُ أَي: مَنْ رَجَع إليَّ؛ وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطّب بها. وفي المراد بمَنْ أناب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصِّدِّيق، قيل لسعد: اتَّع سبيله في الإيمان، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (۱). وقال ابن إسحاق: أسلم على يدّي أبي بكر [الصَّدِيق]: عثمانُ بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب. والثالث: من سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي (۱). ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: ﴿يَبُنَى ﴾. وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخبرين عن وصيَّة لقمان أنَّ هذا ممَّا أوصى به لقمانُ ابنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا إِن تُكُ مِثْقَالَ حَبَّةِ﴾ وقرأ نافع وحده: «مِثقالُ حَبَّة» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: أرأيت لو كانت حبَّة في قعر البحر أكان الله يعلَمُها؟ فأجابه بهذه الآية، قاله السدي. والثاني: أنه قال: يا أبت إن عملتُ الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلَمُها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل. قال الزجاج: من قرأ برفع المثقال مع تأنيث «تَكُ» فلأنَّ «مثقال حبَّة من خردك» راجع إلى معنى: خودلة، فهي بمنزلة: إن تَكُ حبَّةٌ من خردك؛ ومن قرأ: «مثقالَ حبَّة» فعلى معنى: إن التي سألتني عنها إن تَكُ مثقالَ حبَّة، وعلى معنى: إنَّ فَعْلَة الإنسان وإن صَغُرت يأت بها الله. وقد بيَنًا معنى ﴿ مِثْقَالَ حَبَّدَةٍ مِنْ خَرْدَكِ ﴾ في [الانباه: ١٤٧].

قوله تعالى: ﴿ فَتَكُن فِي مَسَخَرَتُهُ قال قتادة: في جبل. وقال السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السموات ولا في الأرض "". وفي قوله: ﴿ يَأْتِ بِمَا اللّهَ أَهُ لَلاثة أقوال: أحدها: يعلّمها الله، قاله أبو مالك. والثاني: يُظهرها، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها. ﴿ إِنَّ اللّهَ لَطِيفُ قال الزجاج: لطيف باستخراجها ﴿ فَي بُرُكُ بمكانها. وهذا مَثَل لأعمال العباد. والمراد أنَّ الله تعالى يأثي بأعمالهم يوم القيامة، مَنْ يعمل مثقال ذَرَّة ضراً يره، ومن يعمل مثقال ذَرَّة شراً يره.

قوله تمالى: ﴿ وَأُصْدِرُ عَلَىٰ مَا أَصَابَكُ ﴾ أي: في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنْكَر من الأذى. وياقي الآية مقسر في [آل مىران: ١٨٦].

﴿ وَلا تُسَمِّرْ خَذَكَ النَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَالِ فَخُورٍ ۞ وَاَفْعِيدْ فِي مَشْبِكَ وَاَغْضُفْ مِن صَوْقِكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَالِ فَخُورٍ ۞ وَاَفْعِيدُ فِي مَشْبِكَ وَاَغْضُفْ مِن صَوْقِكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْنَالِ فَخُورٍ ۞ وَاَفْعِيدُ فِي مَشْبِكَ وَاغْضُفْ مِن صَوْقِكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ كُلُّ مُخْنَالِ فَخُورٍ ۞ وَافْعِيدُ فِي مَشْبِكَ وَاغْضُفْ مِن صَوْقِكَ ۚ إِنَّ اللَّهُ لَا يَعْبُ كُلُ عَنْهَالِ فَخُورٍ ۞ وَافْعِيدُ فِي مَشْبِكَ وَاغْضُفْ مِن صَوْقِكَ اللَّهُ لَا يَعْبُ كُلُ مُخْنَالِ وَلَا تُسْتِيدُ إِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُ كُلُ عُنَالِ وَاللَّهُ لَا يَعْبُ كُلُ مُعْنَالِ وَاللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ مَنْ عَلَيْ وَاللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ مَنْ مِنْ عَلَا لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ اللَّهُ لَا يَعْلَى اللَّهُ مِنْ مَلْ اللَّهِ لَا يُعْرِي لَا يُعْرِضُونَ لِنَا لَهُ اللَّهُ لَا يَعْبُونُ مِنْ مُنْ عَلَالًا فَنَوْلُ وَاللَّهُ لَا يَعْشِيدُ فَالْعُلُمُ مِنْ مُنِيلًا لَهُ لَا يَعْلَى اللَّهُ لَا يَعْمُونُ مُنْ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا يَعْمُ لِللَّهُ مُنْ مِنْ مُنْ عَلَالًا وَاللَّهُ لَا اللَّهُ لَا يَعْمُونُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهِ مِنْ عَلَيْ إِلَّا لَمُعْلِمُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِي اللَّهِ لَلْ لَلْمُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لَا لِللللّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لَلْمُ لَا لَا لَعْلَالِ فَاللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلْمُ لِلللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهِ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللَّهُ لِللللَّهُ لِلللللَّهُ لِلللللَّهُ لِلللللْفِلْ لِللللللَّهُ لِلللللَّهُ لِللللللَّهُ لِللللللَّهُ لِلللللّهُ لِللللللَّهُ لِللللللْمُ لِللللللَّهُ لِللللللللْمُ لِلللللللْمِلْ لِللللللْمُ لِللللللَّهُ لِللللللّهُ لِلللللّهُ لِلللللللّهُ لِلللللْمِلْلِيلْلِلْمُ لِلللّهُ لِللللللللللّهُ لِللللللّهُ ل

قوله تعالى: ﴿ وَلَا شُعِرْ مَذَكَ لِلنَّانِ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «تُصَعِّر» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ نافع، [وأبو عمرو]، وحمزة، والكسائي: بألف من غير تشديد. قال الفراء: هما لغتان، ومعناهما: الإعراض من الكِبْر. وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو رجاء، وابن السميفع، وعاصم الجحدري: «ولا تُصْعِر» بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف. وقال الزجاج: معناه: لا تُعْرِض عن الناس تكبُّراً؛ يقال: أصاب البعير صَعَرُ: إذا أصابه داءً يَلُوي منه عُنُقه. وقال ابن عباس: هو الذي إذا سُلَم عليه لوى عُنُقه كالمستكبر، وقال

⁽١) ذكره الواحدي في فأسباب التزول، ١٨٩.

على الورسي في الله المعانيء؛ والظاهر هو العموم. وقال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَالَّتِيْمُ سَيِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَنَّهُ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿ فَتَكُن في صَخْرَةٍ ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع، قال: وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمبنهال بن عمرو، وغيرهم، وهذا _ والله أعلم _ أن المراد أن هذه المحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله ميبديها ويظهرها بلطيف علمه. اه.

أبو العالية: ليكن الغنيُّ والفقير عندك في العِلْم سواءً. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَة (١)، فيراه فيُعرض عنه. وباقي الآية بعضه مفسر في [بني إسرائيل: ٣٧] وبعضه في سورة [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَإَنْسِدْ فِي مُشْبِكَ﴾ أي: ليكن مشيُّك قصداً، لا تخيُّلاً ولا إسراعاً. قال عطاء: امش بالوقار والسَّكينة.

قوله تعالى: ﴿ وَاَغَشُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ أي: انقص منه. قال الزجاج: ومنه قولهم: غضضتُ بصري، وفلان يغصُّ من فلان، أي: يقصر به. ﴿ إِنَّ أَنكَرُ ٱلْأَصْوَتِ ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وابن أبي عبلة: «أنَّ أنكر الأصوات» بفتح الهمزة. ومعنى الذكر»: أقبح؛ تقول: أتانا فلان بوجه منكر، أي: قبيح. وقال المبرِّد: تأويله: أن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر، وقال ابن قتية: عَرَّفه قُبْحَ رَفْعِ الأصوات في المخاطبة والمُلاحاة () بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية. قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً، ما جعله الله للحمير، وقال سفيان الشوري: صياح كل شيء تسبيح لله قُلْ، إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة. فإن قبل: كيف قال: «لَصُوتُ» ولم يقل: «لأصواتُ الحمير»؟ فالجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

﴿ اَلَمْ نَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَوَتِ وَمَا فِى اللَّرْضِ وَأَسْبَغَ عَلِيْكُمْ يَمَمُمُ طَيْهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي اللّهِ بِنَيْرِ عِلْمِ وَلَا هُدُى وَلَا كِنَكِ مُّنِيرٍ ۞ وَلِنَا قِيلَ لَمُمُ اتَّبِمُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُوا بَلْ نَشِعُ مَا وَجَدْنَا عَلِيْهِ ءَابَآءَنَأَ أَوَلُو ڪَانَ الشَّيطَانُ يَنْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْسَبَغَ عَلِيَكُمْ ﴾ أي: أوسع وأكمل ﴿ فِسَدُ ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿ نِعَمَهُ ، أرادوا جميع ما أنعم به. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ نِعْمَةٌ على التوحيد. قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيده. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله على قللت: يا رسول الله المناهمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: ﴿ أمّا ما ظهر: فالإسلام، وما سؤى الله مِنْ خَلْقِك، وما أفضل عليك من الرّزق. وأمّا ما بطن: فستر مساوئ عملك، ولم يفضحك (" وقال الضحاك: الباطنة: المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَنُ يَنْعُومُمْ ﴾ هو متروك الجواب، تقديره: أفتتَّبعونه؟

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَحَهَهُ إِلَى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اَسْتَسْكَ بِالْمُرْوَةِ الْوَثَنَّ وَإِلَى اللّهِ عَقِبَةُ ٱلْأَمُودِ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْا مَرْجِمُهُمْ فَنَائِبُهُمْ مِنَا عَبِلُواْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِنَاتِ الشَّدُودِ ﴿ نَيْمَهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظِ ﴿ وَلَيْ سَالْتَهُم مَنْ خَلُوهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللللّهُ عَلَى الللللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَ

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسَلِمْ وَجْهَاهُ وَ وَوَا أَبُو عَبِد الرحمن السلِمي، وأبو العالية، وقتادة: قومن يُسَلِّم، بفتح السين وتشديد اللام. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَن كَثَرُ وَلاَ يَكُرُنكَ كُثُورُ ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه تسلية عن المُحزن، وذلك لا ينافي الأمر بالقتال. وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع [مود: ١٨، المنبكوت: ٢١، البقرة: ٢٦٧] إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنْمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقَلَدُ ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله على المُوسول الله على المُوسِد الله على في المُوسَل الله على المُوسول المُوسول الله المُوسول الله على المُوسول المُوسول

⁽١) قال في اتاج العروس؟: الحِنة الحِنة بالكسر لغة في الإحنة، وقد أنكرها الأصمعي والفراء وابن الفرّج، وفي الصحاح؛: ولا تقل: حِنّة، قال الزييدي: قلت: والحق أنها لغة قليلة. اهـ. والإحنة: الحقد.

⁽٢) المُلاحاة: المخاصمة والمنازعة.

ذكره السيوطي في «المدر» ١٦٧/٥ من رواية البيهتي في اشعب الإيمان» عن عطاء عن ابن عباس بمعناء، ومن رواية ابن مردويه، والبيهقي، والديلمي، وابن النجار عن ابن عباس، والله أعلم. وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس من قوله، أنه قرأها ﴿وَأَسَمَ عَلَيْكُمْ مِنْكُمْ ظُهِرَةُ وَيَطِنَهُ ﴾ وفسّرها بالإسلام، وذكر البغوي والمخازن نحو هذا المعنى موقوفاً على ابن عباس. وقال الألوسي في الروح المعاني، بعد أن ذكر هذين الحديثين مرفوعين: فإن صح ما ذكر، غير جازم بهما، والله أعلم.

نقالوا: الستَ تتلو فيما جاءك أنّا قد أوتينا التوراة فيها تبيانُ كل شيء؟ فقال: "إنّها في علم الله قليل"، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٠). والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنّما هو كلام [يوشك أنا] يَنْفَد وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (٢٠). ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلاماً، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مِداداً _ وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله _ لتكسّرت الأقلام ونفيت البحور، ولم تنفّد كلمات الله _ لتكسّرت الأقلام ونفيت البحور، وحمزة، والكسائي: "والبَحْرُ" بالرفع، ونصبه أبو عمرو. وقال الزجاج: من قرأ: "والبَحْرَ" بالنصب، فهو عطف على هما"؛ المعنى: والو أن ما في الأرض، ولو أن البحر؛ والرفع حسن على معنى: والبحرُ هذه حاله. قال البزيدي: ومعنى "همنية: ولم يَنيد فيه؛ يقال: مُدَّ قِدْرَكَ، أي: زِدْ في مائها، وكذلك قال ابن قتيبة: «يَمُدُّه» من المِداد، لا من الإمداد، يقال: مَدَدْتُ دواتي بالمِداد، وأمددتُه بالمال والرجال.

﴿مَا حَلْفَكُمْ وَلا بَمَثْكُمْ إِلّا كَنْشِ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِعٌ بَصِيرٌ ۞ أَلَّمَ نَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارِ وَيَولِجُ ٱلنَّهَارِ وَيَعْلَمُ اللَّهَ عَرْبَ اللَّهَ هُوَ ٱلنَّفُ وَأَنَّ اللَّهُ عَرْبَ اللَّهُ عَرْبُ اللَّهُ عَلَيْنِكُ عَرْبُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَاللَهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ مَا خَلْقُكُمُ وَلا بَمَثُكُمُ إِلّا كَنْسِ وَجِدَةً ﴾ سبب نزولها أن أبيَّ بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ: إنَّ الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقة، مضغة، عظاماً، لحماً، ثم تزعم أنَّا نُبْعَث خُلْقا جديدا جميعاً في ساعة واحدة؟! فنزلت هذه الآية (٤٠) ومعناها: ما خَلْقُكم أيُّها الناس جميعا في القُدرة إلا كخلُق نفس واحدة، ولا بَعْثُكم جميعاً في القُدرة إلا كبعث نفس واحدة، قاله مقاتل. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (آل عمران: ٢٧، الرمد: ٢، الحج: ٢٦] إلى قوله: ﴿ أَلَّهُ نَرُ أَنَّ ٱلْفُلُكَ تَجْرِى فِي ٱلبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ قال ابن عباس: من نِعَمه جريان الفُلُك ﴿ لِمُرِيّكُم مِنْ مَا اللهُ اللهُ عَالِمُ اللهُ عَلَى اللهُ عَالِمُ وَابتغاء الرزق ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنِتِ لِكُلِّ صَبَّارِ ﴾ قال مقاتل: أي: لكل صبور على أمر الله ﴿ شَكُورٍ ﴾ في نعمه.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَا غَشِبَهُم﴾ يعني الكفار؛ وقال بعضهم: هو عامّ في الكفار والمسلمين ﴿مَرَّجٌ كَالظُّلَلِ﴾ قال ابن قتية: وهي جمع ظُلَّة، يراد أنَّ بعضه فَوق بعض، فله سوادٌ من كثرته.

⁽۱) قالطبري، ۲۱/۸۱ وفي سنده رجل مجهول، وذكره ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن محمد ابن أبي محمد، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقمحمد ابن أبي محمده شيخ لعبد الرزاق، مجهول، كما قال الحافظ ابن حجر في «التتريب». قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، لا مكية، والمشهور أنها مكية، والله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٥/٦٧/، وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

 ⁽٢) والطبري، ٢١/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ه/١٦٨ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي نصر
 السجزي في «الإبانة» عن قتادة.

⁽٤) قال الألوسي في «روح المعاني» ١١/٢١؛ وعن مقاتل أن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقة، مضغة، لحماً، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟! فنزلت، قال: وذكر النقاش أنها نزلت في أبيّ بن خلف، وأبي الأسود، ونبيه ومنبه ابني الحجاج، وذكر في سبب نزولها فيهم نحو ما ذكر، ثم قال الألوسي: وعلى كون سبب النزول ذلك قيل: المعنى أنه تعالى سميع بقولهم ذلك، بصير بما يضمرونه، وهو كما ترى. اهـ. وذكر مثل هذا القول الطبرمي في «مجمع البيان» عن مقاتل، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّا اللّهَ غُلِصِينَ لَدُ الدِّينَ ﴾ وقد سبق شرح هذا [يرنس: ٢٧]؛ والمعنى أنهم لا يذكُرون أصنامهم في شدائدهم إنما يذكُرون الله وحده. وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لمّا هرب يوم الفتح من رسول الله على ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أُخلِصوا، فإن الهتكم لا تُغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلّا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه، لَنن لم ينجني في البحر إلّا الإخلاص ما ينجيني في البرّ غيرُه، ارجعوا بنا، فرجّع فأسلم (١١).

قوله تعالى: ﴿فَيَنَهُم مُقَنَصِدٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أجدها: مؤمن، قاله الحسن. والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وجده القادر على إنجائه وإن كان مُضْيِراً للشَّرك. والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل. فأما «الخَتَّار» فقال الحسن: هو الخدَّار. قال ابن قتية: الخَتُرُ: أقبِج الغَدْر وأشدُه.

﴿ يَكَابُّنُ النَّاسُ اَتَقُوا رَبَّكُمْ وَلَخْمُواْ بَوْمَا لَا يَجْرِف وَالِدُّ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودُ لَمُو جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَبْئًا إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقَّ فَلَا تَغْرَيْكُمُ النَّبَاءُ وَيَعْرَبُكُمُ اللّهَ عَلَى اللّهُ عَل

قوله تعالى: ﴿ يَكَانُهُمُ النَّاسُ النَّمُوا رَبَّكُمْ ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار مكة. وقوله: ﴿ لَا يَمْزِف وَالِدُ عَن وَلِدِه ﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه. قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار. وقد شرحنا هذا في البقرة: ١٤٨. قال الزجاج: وقوله: ﴿ هُو جَاءِت في المصاحف بغيرياء، والأصل «جازي» بضمة وتنوين. وذكر سيبويه والخليل أن الإختيار في الوقف هو (جازي» بغيرياء، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليُعلموا أن هذه الياء تسقُط في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار اتباع المصحف.

قوله تعالى: ﴿إِنَ وَعَدَ اللّهِ حَقَى اللّهِ حَقَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّه والتزوَّد للآخرة ﴿وَلَا يَثُونَكُمُ الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا﴾ بزينتها عن الإسلام والتزوَّد للآخرة ﴿وَلَا يَثُونَكُمُ بِاللّهِ ﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿الفَرُورُ ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يَخُرَّ. قال الزجاج: «الغرور» على وزن الفَعول، وقعول من أسماء المبالغة، يقال: فلان أكُول: إذا كان كثير الأكل، وضروب: إذا كان كير الضَّرْب، فقيل للشيطان: غَرور، لأنه يَغُرُّ كثيراً. وقال ابن قتيبة: الغَرور بفتح الغين: الشيطان، وبضمها: الباطل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل البادية جاء إلى النبي على فقال: إنَّ امرأتي حُبْلى، فأخبِرني ماذا تَلِد؟ وبلدنا مُجْدِب، فأخبِرني متى يَنزل الغيث؟ وقد علمت متى وُلدتُ، فأخبرني متى أموتُ، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد (٢٠). ومعنى الآية: ﴿إِن الله عَلَى العَنه عِلْم الساعة متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك ويُنزِلُ الغَيْثَ وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿ويُنَزِّلُ بالتشديد، فلا يعلم أحد متى يَنزل الغيث، أليلاً أم نهاراً ﴿وَيَسَرُّمُ مَا فِي الْمَرْعَارِ فَي اللهُ عَلَى المُعْدِي نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدًا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدَا ﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدَا ﴾ أخيراً أم أنشى، أبيض أم أسود ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَسَكِيبُ عَدَا ﴾ أخيراً أم أنشى، وقرأ ابن مسعود، وأبيُ بن كعب، وابن أبي عبلة: ﴿ وَالَّا اللهُ عَلْمَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلْمَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلْمَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في االإصابة، في ترجمة عكرمة: وقد أخرج قصة مجيئه موصولة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: فذكرها . اه.

 ⁽۲) الطبري، ۲۱/۲۱، وأورده السيوطي في اللد، ۱۶۹/۰، وزاد نسبته للفريابي، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وذكره الواحدي في اأسباب النزول، ۱۹۹
 دبلون سند، وكذلك البغوي في الضير، وغيره.

مكسورة. والمعنى: ليس أحد يعلم [أين] مضجعه من الأرض حتى يموت، أفي برِّ أو بحر أو سهل أو جبل. وقال أبو عبيدة: [يقال]: بأيِّ أرض كنت، وبأية أرض كنت، لغتان. قال الفراء: من قال: بأيِّ أرض، اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يُظهر في «أيِّ» تأنيثاً آخر. قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمها مَلَك مقرَّب ولا نبيُّ [مرسَل] مصطفى. قال الزجاج: فمن ادَّعى أنه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن لأنه خالفه (۱).

命 帝 帝

⁼ أَنْهَ عِندَمُ عِلمُ النَّاعَةِ وَمُعْزِثُ النِّبْدَ وَيَسَدُ مَا فِي الْأَرْعَارُ وَمَا مَذَى تَنْسُ مَاذَا نَعَصِبُ عَنَا ۚ وَمَا عَدِى تَنْسُ بِأَنِي آئِينِ مَنْوَدُ إِذَّ أَنَّهَ عَبِدُ مَجِدً ۖ ۗ ◘ ◄ اللَّهُ عَلَيْهُ عَبِدُ مَعَادًا وَمِن اللَّهُ عَلَيْهُ عَبِدُ مُعَالِدًا عَدِي تَنْسُ عَاذَا نَعْصِيبُ عَنَا ۚ وَمِن تَشْشُ بِأَنِي آئِينِ مَنْوَدُ إِنَّ أَنْهَ عَبِدُ مُ عَبِدُ ۖ ◘ ◄ اللَّهُ عَلَيْهُ عَبِدُ مُعَالِدُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَبِدُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَبِدُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَبِدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْ

⁽۱) قال الألوسي في تتمة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ مبالغ في العلم، فلا يعزب عن علمه سبحانه شيء من الأشياء، ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها، قال: فالجمع بين الوصفين للإشارة إلى التسوية بين علم الظاهر والباطن عنده ∰ن. اهـ.

سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية بإجماعهم

وقال الكلبي: فيها من المدنيّ ثلاث آيات، أولها قوله: ﴿أَنْمَن كَانَ مُؤْمِنًا...﴾ [السجد: ١٨] وقال مقاتل: فيها آية مدنيّة، وهي قوله: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ الآية [السجد: ٢٦]. وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيّات، أولها ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ [السجد: ٢٦].

يسبداقه الزيخي الغضية

﴿الَّمَدُ ۚ ۚ تَنَوْلُ الْكِتَٰبِ لَا رَبَّ فِيهِ مِن زَبِّ الْمَكَلِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ اَفَتَرَفَّهُ بَلَ هُوَ الْحَقُّ مِن زَبِّكِ اِلشَّنَوْرَ وَالْمَرْضَ مِّن نَذْيِرٍ مِن قَبْلِكَ لَمَلَّهُمْ يَهْنَدُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَنَوْتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِئَةِ أَبْنَارٍ ثُرُّ السَّنَوَىٰ عَلَى الْمَرْشِّ مَا لَكُم مِن دُونِهِ. مِن وَلِمْ وَلَا شَنِيعً اللّهِ تَنَذَّكُرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ تَنِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَبَ فِيهِ قال مقاتل: المعنى: لا شكَّ فيه أنَّه تنزيل ﴿ مِن رَبِّ ٱلْمَكَيِينَ ﴾. ﴿ أَمْ يَقُولُوكَ ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿ آفَتَرَيْقُ ﴾ محمد من تِلقاء نَفْسه، ﴿ بَلْ هُو ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ لِتُنذِر فَوْمًا مَّا أَتَنَهُم مِّن لَيْدِ مِن قَبْل محمد على العرب الذين أدركوا رسول الله ﷺ لم يأتهم نذير من قَبْل محمد على وما بعده قد سبق تفسيره الاعراف: ٤٥٤ إلى قوله: ﴿ مَا لَكُمْ مِن دُونِهِ مِن وَلِيّ المَعْلِ الكفار؛ يقول: ليس لكم من دون عذابه من وليّ ، أي: قريب يمنعُكم فيُردُّ عذابه عنكم ﴿ وَلَا مَنْهُ عِلْمَ هُو اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الل

﴿ يُنَيِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلتَّمَاءَ إِلَى ٱلأَرْضِ ثُمَّ يُعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُۥ ٱلْفَ سَنَةِ يِّمَّا تَمُدُّونَ ۞ وَلِكَ عَلِيمُ ٱلْفَيْبِ وَالشَّهَنَدَةِ ٱلْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ الَّذِينَ أَحْسَنَ كُلُّ مَنْءٍ خَلَقَامُّ وَيَداً خَلَقَ ٱلإِسْكِنِ مِن طِينِ ۞ ثُرَّ جَعَلَ نَسْلَمُ مِن مُلَلَةٍ مِن مُلَاةٍ مِن مُلَو مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَيلهُ وَنَفَعَ بِسِهِ مِن ثُرُوجِيدٍ وَيَحْمَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالْأَبْصَدَرَ وَالْأَثِيدَةَ فَيلِلا مَّا تَشَكُّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يُمْرِرُ ٱلأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزّله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ ثُرُ يَسَرُجُ ﴾ الملك ﴿ إلَيْهِ فِي يَوْمِ ﴾ من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي. والثاني: يدبّر أمر الدنيا مدة أيّام الدنيا، فينزّل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ﴿ ثُرُ يَسَرُجُ البّيهِ ﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكم الحكّام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿ فِي يَوْمِ كُن مِقْدَارُهُ ٱلفَ سَنَةِ ﴾ وذلك في [يوم] القيامة، لأنَّ كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة أخرى، ثم سنة. وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله السدي. والثاني: القضاء، قاله مقاتل. والثالث: أمر الدنيا. والعرجُ بمعنى يصعَد. قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ في السُّلَم أعرُج، وعَرِج (٢ الرجُل يعرَج: إذا والثالث: أمر الدنيا. وأبعرجُ بمعنى يصعَد. قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ في السُّلم أعرُج، وعَرِج (١ الرجل يعرَج: إذا والمتوكل، وأبو الجوزاء: «يَعْرِجُ بياء مفتوحة وكسر الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: "ثم تَعْرُجُ المنتوحة ورفع الراء.

 ⁽١) روى البخاري في اصحيحه، في كتاب الجمعة عن أبي هريرة في قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الَّمْ لَى تَنهِلُـ﴾ السجدة، و﴿ هَلَ أَنْ
 عَلَ الإنكِنِـ﴾، ورواه مسلم أيضاً.

⁽٢) قال في «المصباح»: عَرِج في مشيه عَرَجاً من باب تعب: إذا كان من عِلَّة لازمة، فهو أعرج، والأنثى عرجاء، فإن كان من عِلَّة غير لازمة، بل من شيء أصابه حتى غمز في مشيه، قبل: عَرَجَ يَعُرُج، من باب قتل، فهو عارج.

قوله تعالى: ﴿اللَّذِى آَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَتُهُ ﴿ فَيه خمسة أقوال: أحدها: جعله حَسَناً. والثاني: أحكم كل شيء، رويا عن ابن عباس، وبالأول قال قتادة، وبالثاني: قال مجاهد. والثالث: أحسنه، لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يُحْسِن كذا: إذا عَلِمه، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: أن المعنى: ألهم خَلْقه كلَّ ما يحتاجون إليه، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم، قاله الفراء. والخامس: أحسن إلى كل شيء خَلْقه، حكاه الماوردي. وفي قوله: "خَلْقه» قراءتان: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: "خَلْقه» ساكنة اللام. وقرأ الباقون بتحريك اللام. وقال الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون المعنى: أحسن خَلْقَ كلِّ شيء خَلَقه. وقال أبو عبيدة: المعنى: أحسن خَلْق كلِّ شيء، والعرب تفعل مثل هذا، يقدِّمون ويؤخِّرون.

قوله تعالى: ﴿وَيَهَا خَلَقَ ٱلْإِنسَانِ ﴾ يعني آدم، ﴿ثُرُّ جَمَلَ نَسَلَهُ ﴾ أي: ذرِّيته وولده؛ وقد سبق شرح الآية [المومنون: ١٢]. ثم ماد إلى المومنون: ١٢]. ثم عاد إلى ذريته نقال: ﴿وَحَمَلَ لَكُمُ السَّمْةَ وَالْإَسَادَ ﴾ أي: بعد كونكم نُطَفاً.

﴿ وَقَالُواْ أَوْنَا صَٰلَامَا فِي ٱلْأَرْضِ لَوْنَا لَهِي خَلْقِ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاآءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ۞ ۞ قُلْ بَنْوَفْنَكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَذِى أَرُكُلَ بِكُمِّ ثُمَّةً إِلَيْ رَبِّيكُمْ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِثُونَ فَاكِسُواْ رُنُّوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَاۤ أَبْصَرْنَا وَسَيْعَنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُونِنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني منكري البعث ﴿ أَوذَا صَلْلَنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وقرأ عليّ بن أبي طالب، وعليّ بن الحسين، وجعفر بن محمد، وأبو رجاء، وأبو مجلز، وحميد، وطلحة: ﴿ صَلِلْنَا» بضاد معجمة مفتوحة وكسر اللام الأولى. قال الفراء: ضَلَلْنَا وَضِلْلْنَا لغتان، والمعنى: إذا صارت عظامنا ولحومنا تراباً كالأرض؛ تقول: ضَلَّ الماء في اللَّبن، وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: ﴿ صُلَلْنَا ﴾ [بضم] الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرها. وقرأ الحسن، وقتادة، ومعاذ القارئ: ﴿ صَلَلْنَا ﴾ بصاد غير معجمة مفتوحة، وذكر لها الزجاج معنيين: أحدهما: أنْنَنَا وتَغَيَّرْنا وتغيَّرَت صُورُنا؛ يقال: صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ: إذا أنن وتغيَّر. والثاني: صِرْنَا من جنس الصَّلَة، وهي الأرض اليابسة.

قوله تعالى: ﴿ إَنَّا لَنِي خَلْقِ جَدِيدٍ ﴾ ؟! هذا استفهام إنكار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِى وُكِلَ بِكُمْ ﴾ أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُدَّ إِلَى رَبِكُمْ تُرْحَعُونَ ﴾ يوم الجزاء. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِثُونَ نَاكِمُواْ رُدُوسِمْ ﴾ أي: مطأطئوها حياء وندماً، ﴿رَبَّنا ﴾ فيه إضمار القولون ربَّنا ﴾ ﴿أَضَرْنَا وَسَيِمْنَا ﴾ أي: عَلِمْنا صِحَّة ما كنَّا به مكذَّبين ﴿فَارْتِهِنَا ﴾ إلى الدنيا ؛ وجواب الو » متروك ، تقديره : لو رأيت حالهم لرأيت ما يُعتبر به ، ولشاهدت العَجَب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِكُنْ حَقَّ ٱلْفَرْلُ مِنِي﴾ أي: وجب وسبق؛ والقول هو قوله لْإِبليس ﴿لَأَتَلَأَنَّ جَهَنَّمَ ينكَ وَمَـنَن تَبِمَكَ مِنْهُمْ أَجْمَينَ ۞﴾ [ص: ١٨٥].

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّدَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من كفار الفريقين. ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِلَمَاءَ بَوْمِكُمْ هَذَآ﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة: فذوقوا العذاب. وقال غيره: إذا اصطرخوا فيها قيل لهم: ذُوقوا بما نَسِيتُم، أي: بما تركتم العمل للقاء يومكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُّ ﴾ أي: تركناكم من الرَّحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَالِمَتِنَا اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرُواْ بِهَا﴾ أي: وُعِظوا بها ﴿خَ<u>رُواْ شُجَدًا</u>﴾ أي: سقطوا على وجوههم ساجدين. وقيل: المعنى: إنَّما يؤمِن بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكُروا بها بالأذان والإقامة خَرُّوا سُجَّداً.

قوله تعالى: ﴿ نَتَجَانَى جُنُوبُهُم ﴾ اختلفوا قيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال: أحَدها: أنها نزلت في المتهجُّدين بالليل؛ روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ في قوله: التجاني جنوبهم، قال: «قيام العبد من الليل»(١١). وفي لفظ آخر أنه قال لمعاذ: «إن شئتَ أنبأتُك بأبواب الخير،، قال: قلت: أجَلْ يا رسول الله، قال: «الصُّوم جُنَّة، والصدقة تكفُّر الخطيئة، وقيام الرَّجل في جوف الليل يبتغي وجه الله، ثم قرأ: ﴿نَتَجَافَ جُمُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾(٢). وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة، وابن زيد أنها في قيام الليل. وقد روى العوفي عن بن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذِّكْر الله، كلُّما استيقظوا ذَّكُروا الله، إمَّا في الصلاة، وإمَّا في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكُرون الله ﷺ. والثاني: أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلُّون ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء [كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلُّوها، قاله ابن عباس. والرابع: أنها صلاة العشاء] والصبح في جماعة، قاله أبو الدرداء، والضحاك. ومعنى اتتَجافيه: ترتفع. والمُضَاجِع جمع مُضْجَع، وهو الموضع الذي يُضْطَجَع عليه. ﴿ يَنْعُونَ رَبُّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في رحمته [وثوابه] ﴿ وَمِمَّا رَزَفْنَهُمْ بُنِيْتُونَ ﴾ في الواجب والتطوُّع. ﴿ فَلَا تَمْلُمُ نَنْشُ ثَنَا أُخْنِىَ لَمُمُ ﴾ وأسكن ياء وأخْفِي، حمزة، ويعقوب. قال الزجاج: في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها: الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به، فجعل لفظ ما يُجازَى به وأخفي لهم، قإذا فتحتّ ياء وأخْفِيّ، فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكنتُها، فالمعنى: ما أَخْفِي أنا لهم، إخبار عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسن البصري: أخفى لهم، بالخُفْية خُفْية، وبالعلانية علانية. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله ﷺ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أَذَنْ سمعت ولا خَطَر على قلب بشر، الرؤوا إن شتهم: ﴿ فَلَا نَعْلَمُ نَفَشُ ثَنَّ أُخْفِي لَمُهُ ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿ يَن ثُرُمَ أَغَيْرٍ ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحين السلمي، والشعبي، وقتادة: «من قُرَّاتِ أُعيُنِ [بالف] على الجمع.

⁽۱) رواه أحمد في اللمسندة ٥/ ٢٣٢ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل على منده ضعف. قال الحافظ ابن رجب الحبلي: ورواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسلة يقيناً. وكذلك رواه العلمي ١٠٣/٢١ به، وأورده السيوطي في الملد، ١٠٥/٥ وزادسيته لابن مردويه عن معاذ على. وقال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ١٣١: رواه أحمد، وابن أبي شبية، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: الوصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرا ﴿ نَسَمَانَ حُدُوبُهُمْ مَن السَمَاحِ، اهد. يريد به الرواية التي بعد هذه، وأبر وائل لم يشت سماعه من معاذ.

⁽٢) هو جزء من حديث طويل، رواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ٢/١٣٤ من حديث حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتبة، عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ولها، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في الجامع العلوم والحكمة: وميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ. والحديث رواه الطبري ١٠٢/٢١ مختصراً كما ساقه المؤلف عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ، ورواه مطولاً بنحو رواية الحاكم أحمد في اللمسنده ١٠٢/١٥ والترمذي في الجامعه ١٠٢/١٥ وابن ماجه في استنه وقم (٢٩٧٣) من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل حله، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث هو الحديث التاسع والمشرون من والأرمين النووية وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث في كتابه وجامع العلوم والحكمة: وفيما قاله الترمذي رحمه الله نظر من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسنّ، والثاني: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ، خرجه الإمام أحمد مختصراً ويريد به الحديث الذي قبل هذا من قال: قال اللارقطني: وهو أشبه بالصواب، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت أي الحافظ ابن رجب الحنبلي من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت أي الحافظ ابن رجب الحنبلي : رواية شهر عن معاذ مرسلة يقبناً، وشهر مختلف في توشعه من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت من عيد الرحمن بن غنم عن معاذ، وخرجه الإمام أحمد أبيضاً من رواية عوه بن البرال بن عروة، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، قال: وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة، والحديث شراهد، والبيهتي في وشغب الإيمانه عن معاذ بن جبل كله . اهد وليمض فقرات الحديث شراهد، والله أعلم.

⁽٣) رواه البخاري في قصحيحه ٨/٣٩٦، ومسلم في قصحيحه ٤/٢١٧٤، ورواه الترمذي ١٥١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠١/٥٠، وذكره السيوطي في «اللر» ٥/٢٠٠ وزاد نسبته، لابن أبي شيبة، وأحمد وهناد كلاهما في «الترهد»، وابن المندر، وابن أمي مريرة هيء.

﴿ اَنْنَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كُمَنَ كَانَ فَاسِقَا لَا بَسْتَوْنَ ۞ أَنَّا اَلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعِلْوَا السَّلِيحْتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَاأُوىٰ ثُرُلًا بِمَا كَانُواْ بَسْمَلُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَاأُونَهُمُ النَّالُّ كُلُمَا آلَادُواْ أَن يَعْمُهُواْ مِنْهَا أَيْمِدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُونُواْ عَلَابَ النَّادِ الَّذِي كُشُر بِهِ. تُكَلِّفُونَ ۞ وَلَنْذِيفَتَهُمْ مِنَى الْمَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْمَذَابِ الْأَكْبَرِ لَلْلَهُمْ بَرْجِعُونِ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِثَن ذُكِرَ يَابَئِتِ رَبِّهِ. ثُو اَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُعْرِمِينَ مُنْفِعُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْكُن كَانَ مُزْمِنًا كُمَن كَانَ فَاسِتَأَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط قال لعليّ بن أبي طالب: أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملاً للكتبية منك، فقال له عليّ : اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية (١)، فعنى بالمؤمن عليّاً، وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، ويه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك.

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوُنَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون (٢٠)؛ ويجوز أن يكون لاثنين، لأن معنى الاثنين جماعة؛ وقد شهد الله بهذا الكلام لعلمي على بالإيمان وأنَّه في الجنَّة، لقوله: ﴿ أَنَّا اَلَّذِنَ مَامَنُواْ وَعَيلُواْ الْمَلْكِتَ اللّهَ الْمَاوَىٰ ﴾ على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ وَرَا الحسن، والنخعي، والأعمش، وابن أبي عبلة: ونُزلاً بتسكين الزاي. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الحج: ٢٢] إلى قوله: ﴿ وَلَنْدِيقَنَهُم مِنَ الْمَدَّابِ الْأَدَّنَ ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسود، وبه قال قتادة، والسدي. والثاني: سنون أخذوا بها، روه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي. وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين. والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبيُّ بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وأبو العالمية، والحسن، وقتادة، والضحاك. والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والخامس: عذاب القبر، قاله البراء. والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد (٢).

قوله تعالى: ﴿ وُونَ ٱلْمَدَابِ آلْأَكْبَرِ ﴾ أي: قَبْل العذاب الأكبر؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود، والثاني: أنه القتل ببدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ لَلَمَّهُمْ يَرْجِمُوكَ ﴾ قال أبو العالية: لعلهم يتوبون. وقال ابن مسعود: لعلَّ مَنْ بقي منهم يتوب. وقال مقاتل: لكي يرجِعوا عن الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَّ أَظْلُمُ ﴾ قد فسرناه في [الكيف: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنَفَقِمُونَ﴾ قال زيد بن رفيع (٤٠ : هم أصحاب القَدَر. وقال مقاتل: هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكةُ وجوههم وأدبارهم، وعجَّل أرواحهم إلى النار.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَبْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَقِ مِن لِقَاأِيدٍ وَجَعَلَنَكُ هُدُى لِنِيَّ إِسْرَةِ بِلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَلِمَةُ يَهْدُوكَ بِأَسْرِنَا كَالُوا مِنْهُمْ أَلِمَةُ يَهْدُوكَ بِأَسْرِنَا صَبُرُواً وَكَانُوا مِنْهِ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ رَبِّكَ هُو يَنْصِلُ بَيْنَهُمْ بَوْمَ الْفِينَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْلِمُونَ ۞ أَوَلَمْ بَهْدِ لَمُمْ كُمْ لَكُمْ عَلَمْ اللَّهِ مُنْهُ مَا يُعْلِمُونَ أَوْلَانُهُ بَهْدِ لَمُمْ كُمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ فَي اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ ال

⁽۱) ذكره الواحدي في السباب النزول، ٢٠٠ عن ابن عباس ، وفي سنده ضعف. وقال السيوطي في السباب النزول، ١٧٤ وأخرج ابن عدي، والخطيب في التفسير، ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة. وذكره النفسير، ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة. وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار، وزاد نسبته لابن إسحاق. قال الحافظ ابن حجر في التخييج الكشاف، ١٣١ بعد أن خرجه من رواية ابن مردويه والواحدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ.

⁽٢) وكذلك قال أكثر المفسرين.

⁽٣) قال ابن جرير الطيري ١١٠/٢١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكلّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يليقهموه دون الهذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد علّبهم بكل ذلك في الدنيا، بالقتل، والجوع، والشدائد، والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَانْتُلِيقَتُمْ رَبِكَ الْمَدَٰلِ الْأَذَٰنُ دُنُ الْمَدَٰلِ الْأَثْرَ ﴾ قال ابن عني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحُلُّ بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتربوا إليه. اهـ.

 ⁽٤) كذا الأصل، والذي في «الطبري»، والبحر»: (يزيد بن رُفَيع».

آهَلَكَنَا مِن قَبِلِهِم مِّنَ ٱلثَّـُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِيهِمُّ إِذَ فِي ذَلِكَ لَآيَدَتُّ أَلَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوَا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلْجُمُونِ فَنُخْرِجُ هِدِ زَرْعًا تأكُلُ مِنْهُ ٱلْفَلَهُمُّ وَالْفُسُهُمُّ أَلْلَا يُبْجِمُونَ ۞ وَيَعْرُلُونَ مَنَىٰ هَنَا ٱلْفَتْحُ إِن كُفُرُوا إِيمَنَهُمْ وَلَا هُرْ يُظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَانْظِر إِنْهُم مُنْسَظِرُونَ ۞﴾ ٱلفَتْجَ لَا يَنفَعُ ٱلَذِينَ كَفُرُوا إِيمَنْهُمْ وَلَا هُرْ يُظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَانْظِر إِنْهُم مُنْسَظِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ مَالِينَا مُوسَى الْكِتَبَ ﴾ يعني التوراة ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِ مَن قِي العالِية فيه أربعة أقوال: أحدها: فلا تكون في مرية من لقاء موسى ربَّه، رواه ابن عباس عن رسول الله عليه اللهائي: من لقاء موسى لبلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب. والثالث: فلا تكن في شكّ من لقاء الأذى كما لقي موسى، قاله الحسن. والرابع: لا تكن في مرية من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول، قاله السدى. قال الزجاج: وقد قبل: فلا تكن في شكّ من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به، وتنبيه على الأخذ بمثل هذا الفعل. وفي قوله: ﴿ وَيَحَمَلْنَا مِنهُم ﴾ أي: من قوله: ﴿ وَيَحَمَلْنَا مِنهُم ﴾ أي: من إسرائيل ﴿ أَبِمَتَه هُلَى ﴾ قولان: أحدهما: الكتاب، قاله الحسن. والثاني: موسى، قاله قتادة. ﴿ وَيَحَمَلْنَا مِنهُم ﴾ أي: من كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ لَمَّا صبروا ﴾ بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ لِمَا كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ لَمَّا صبروا ﴾ بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ لِمَا عَلَى اللام خفيفة. وقرأ ابن مسعود: ﴿ بما عمان اللام ؛ والمراد: صبرهم] على دينهم وأذى عدوهم ﴿ وَكَانُوا وفي هذا تنبه لقريش أنكم إن أطعتم جعلتُ منكم أنهة.

⁽١) رواه الطبري ١١٢/٢١ مطولاً من حديث سعيد بن أبي عروية عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً، وذكره ابن كثير في التفسير؟ ٣٩/٦٦ من رواية الطبراني به مرفوعاً، وأورده السيوطي في «الدر؟ ١٧٩/٥ وزاد نسبته للضياء في «المختارة» عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم؟ يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿ للله بَرَا اللّه عَلَى اللّه الله الله التوبة قبل فتح مكة وبعده، ذلك معناه قوله: ﴿ لَمْ يَعَلَى مَذَا الْمَنْ اللّه عَلَى اللّه الله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على كثير من المشركين بعد فتح مكة، وتفعهم بالإيمان به ويرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه. قال: وقوله: ﴿ الله عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الل

⁽٣) ذكره ابن هشام ٢٠٧/٢ عن ابن إسحاق بدون سند، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٧/٤ من رواية الطبراني بنحوه.

بابَه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن^{ي(۱)}. قال الزجاج: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً، فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمانُ عنهم عذابَ الله. وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بيَّنًا وجهه لأنه قد قيل. وقد خرج بما ذكرناه في الفتح قولان: **أحدهما:** أنه الحُكم والقضاء، وهو الذي نختاره. **والثاني:** فتح البلد.

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَٱنْفِلِرَ ﴾ أي: انتظر عذابهم ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ بك حوادث الدهر (٢). قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

* * *

⁽۱) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ ۱۴۰۸/۳ بلفظ: "من دخل دار أبي سفيان قهو وآمن، ومن ألقى السلاح قهو آمن، ومن ألحلق بابه فهو آمن، وأخرجه ابن هشام في السيرة؛ عن ابن إسحاق معضلاً، ولكن وصله ابن جرير الطبري، ورواه أبو داود عن ابن إسحاق باسناد آخر له عن ابن عباس، وفي سنده رجل مجهول، وله عن أبي داود إسناد ثالث ورجاله ثقات، لكن لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

⁽٢) قال ابن كثير: ﴿ لَأَعْرِضْ عَنْهُمْ تُسْتَظِرُونَ ﴿ إِنَّهُمْ شُتَظِرُونَ ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين، ويلغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. وقوله: ﴿ إِنَّهُم شُتَظِرُونَ ﴾ أي: أنت منتظر وهم منتظرون، ويتربَّصون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبوك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرك وتأييدك، وسيجدون غِبٌ ما ينتظرون قبك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. اهـ.

سورة الأحزاب

وهى مدنيّة بإجماعهم

بنب الله الكن التجديد

﴿ يَتَأَبُّمَا النَّبَى اَتَّقِ اللَّهَ وَلَا نُطِعِ الْكَفِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّكَ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَالنَّبِعُ مَا بُوحَنَ إِلَيْكَ مِن زَبِكُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَشْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَوَرَكُلُ عَلَ اللَّهُ وَكِيلًا ۞ مَّا جَمَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِيدُ وَمَا جَمَلَ أَزَوْجَكُمُ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِيدُ وَمَا جَمَلَ أَزَوْجَكُمُ اللَّهِ وَكِيلًا ۞ اللّهِ وَكِيلًا ۞ مَا جَمَلَ الرّوَجَكُمُ وَلُكُمْ بِأَوْجِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُو يَهْدِى السَّكِيلَ ۞ ﴾ اللّهُ مِن مُنْهُنَ أَنْهُمْ يَلُولُ مَهْدِى السَّكِيلَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّمُ النَّيْمُ اتَّنِي اللَّهُ ﴾ سبب نزولها أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قَدِموا على رسول الله ﷺ في الموادعة التي كانت بينهم، فنزلوا على عبد الله بن أبيّ، ومعتّب بن قُشَير، والجَدُّ بن قيس؛ فتكلُّموا فيما بينهم، وأتوا رسول الله ﷺ فدعَوه إلى أمرهم وعرضوا عليه أشياء كرهها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: سألوا رسول الله ﷺ أن يرفُض ذِكْر اللات والعُزَّى ويقولَ: إنَّ لها شفاعة، فكره ذلك، ونزلت [هذه] الآية(١). وقال ابن جرير: ﴿ وَلا تُلِع الْكَنْدِينَ ﴾ الذين يقولون: اطرد عنَّا أتباعك من ضعفاء المسلمين، ﴿ وَٱلْسُنَونِينُّ ﴾ فلا تقبل منهم رأياً. فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى، وهو سيَّد المتَّقين؟! فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه. والثاني: الإكثار مما هو فيه. والثالث: أنه خطاب ووجِهَ به، والمراد أمُّتُه. قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمنافقين: عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطُعمة بن أُبيُّرق. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ٨١] إلى قوله: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَكُلِ مِّن قَلْبَيْتِ فِي جَوْفِي ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المنافقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان، قلب معنا، وقلبٌ مع أصحابه، فأكذبهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (٢٠). والثاني: أنها نزلت في جميل بن مَعْمَر الفهري ـ كذا نسبه جماعة من المفسرين. وقال الفراء: جميل بن أسد، ويكنى: أبا مَعْمر. وقال مقاتل: أبو مَعْمَر بن أنس الفهري ـ وكان لبيباً حافظاً لِمَا سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه، وكان يقول: إن لي قلبين أعقِل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلمًّا كان يوم بدر وهُزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقًّاه أبو سفيان وهو معلِّق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: ما حالُ الناس؟ فقال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرتُ إِلَّا أَنهما في رجليّ، فعرفوا [يومثذِ] أنه لو كان له قلبان لَمَا نسى نعله في يده^(٣)؛ وهذا قول جماعة من المفسرين. وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بلغنا أن ذلك في زيد بن حارثة ضُرب له مثل يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابنك (٤). قال الأخفش: (مِنْ) زائدة في قوله: (مِنْ قلبين). قال الزجاج: أكذبَ الله رضي هذا الرجل الذي قال: لي

⁽١) رواه الواحدي في فأسباب النزول، ٢٠١ بغير صند، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف، ١٣٢: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

٢) •الطبرية ١١٨/٢١، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال الحافظ أبن حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. ورواه الترمذي في «جامعه» ١٥١/٢ وقال: حديث حسن، وفي سنده أيضاً قابوس بن أبي ظبيان، ورواه الحاكم في «المستفرك» ٢/٥١٥، وصححه، ولكن قال الذهبي في تعقّبه عليه: قلت: قابوس ضعيف. وأورد الحديث السيوطي في «اللر» ه/ ١٨٠، وزاد نسبته الأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس على.

٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره الطبري ١١٨/٢١، مختصراً عن ابن عباس أنها نزلت في رجل من قريش يسمى من
 كفيه: ذا القلبين، وذكر عن مجاهد أن رجلاً من بني فهر قال: إن في قلبي جوفين.. الغ، وذكره السيوطي في قالدر، ١٨٠/٥، من رواية ابن أبي حاتم
 مختصراً عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمع يقال له: جميل بن معمر.

⁽٤) ذكره الطبري ٢١/ ٢١٥، عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري. وأورده السيوطي في اللوه ١٨١/٥ من 🕳

قلبان، ثم قرر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم ممّا لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَمَلَ أَزَوَجَكُمُ الَّتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُونَ مِنْهُونَ وَعَيرهم ممّا لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَمَلَ أَزْمِكُمُ النِّي تَطَاهِرُونَ أَمّاً، وكانت الجاهلية تُطلّق بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنتِ علي كَظَهر أُمّي، وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَمَلَ أَرْمِياَءَكُمُ أَنْاَءَكُمُ أَنِياءَكُمُ إِنَاهُم لا حقيقة تحته ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقِيقة له المستقيم ﴿ وَلَكُم مَنْ لا حقيقة تحته ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَى الْعَلَيْهِ أَيْ يَعْهُم اللّه عَلَيْهِ وَلَا الله الله الله الله الله وفكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَا جَمَلَ أَزْمِكُمُ النّي تُظاهِرُونَ منهنّ مِنْ لا حقيقة لنسب مَنْ لا حقيقة لنسب مُعلله المستقيم (١٠). وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَا جَمَلَ أَزْمَهُمُ النّي تُظاهِرون منهنّ مِنْهُ وَلَكُم معصية، وفيه كفّارة، وأزواجُكم لكم جلال؛ وسنشرح هذا في سورة (المجادلة) إن شاء الله و ونكم الله عنها منولت الله عليه وتبنّاه قبل الوحي، فقما تروَّج رسولُ الله عليه والناس عنها، فنزلت هذه الآية وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية رسولُ الله عليه الناس عنها، فنزلت هذه الآية إلى الله الله الله وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية الله المنافقون: تزوَّج محمدٌ امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية (١٠).

﴿ اَدَعُوهُمْ لِأَبَالِهِمْ هُوَ أَقَسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَمْ تَعَلَمُوٓا مَابَاءَهُمْ فَإِفْرَنُكُمْ فِي الذِينِ وَمَوْلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْتِكُمْ جُنَاحٌ بِيمَا اللَّهُ عَنُولَا رَحِمًا ﴿ اللَّهُ عَنُولَا رَحِمًا ﴾ اللَّهُ عَنُولًا رَحِمًا ﴾ اللَّهُ عَنُولًا وَحِمَا اللَّهُ عَنُولًا وَحِمَا اللَّهُ عَنُولًا وَحِمَا اللَّهُ عَنُولًا وَحَمَامِ اللَّهُ عَنُولًا اللَّهُ عَنُولًا وَحَمَامُ اللَّهُ عَنُولًا اللَّهُ عَنُولًا وَمَامِلًا إِنَّ أَوْلِيا إِلَى اللَّهُ عَنُولًا إِلَى اللَّهُ عَنْهُمُ أَوْلًا اللَّهُ عَنْهُمُ وَكَانَ اللّهُ عِنْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا اللّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنُولًا اللّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنُولًا اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ أَلَولُوا اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ عَنْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ آدَعُوهُمْ لِآبَآبِهِمْ ﴾ قال ابن عمر: ما كنَّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت ﴿ آدَعُوهُمْ لِآبَابِهِمْ ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَقْسَلُ ﴾ أي: أعدل، ﴿ وَان لَمْ سَلَمُوا مَالَاتَهُمْ ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم ﴿ وَإِخْوَلَكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانكم، فليقل أحدُكم: يا أخي، ﴿ وَمَوَلِيكُمُ أَ قَال الزجاج: أي: بنو عمَّكم. ويجوز أن يكون المواليكم، أولياءَكم في الدّين. ﴿ وَلَيْسَ عَيْسَكُمْ جُنَا مُ فِيماً أَخْطَأْتُم بِدِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما أخطأتم به قبل النّهي، قاله مجاهد: والثاني: في دعائكم من تَدْعونه إلى غير أبيه وأنتم ترونه كذلك، قاله قتادة. والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت. فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿ وَلَذِينَ مَا تَمَمَّدَتُ قُلُولُكُمْ ﴾ أي: بعد النّهي، وعلى الثاني والثالث: ما تعمَّدتُ فَلُولُكُمْ ﴾ أي: بعد النّهي، وعلى الثاني والثالث: ما تعمَّدتُ في دعاء الرجل إلى غير أبيه.

رواية عبد الرزاق، وابن جرير الطبري عن الزهري، وكذا قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: إنها نزلت في زيد بن حارثة على قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال: لرجل في جوفه قلبان يعقب بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف وصول الله في إذلك، وأن يكون تكذيباً لمن سمى القرشيّ الذي ذكر أنه سُمّي ذا القلبين من كنّ من الله عن خلقه من الرجال أن يكونو أبتلك الصفة. اهد.

⁽۱) قال ابن كثير في هذه الآيات: ﴿ يَمَكُلُ اللهُ لِيَهُلُ مِن تَلَبَيْتِ فِي جَوْنِهُ ... ﴾ إلى آخره: يقول تمالى موطئاً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حبيناً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمّي أماً له، كذلك لا يصير اللحي ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له، فقال: ﴿ قَا جَمَلُ اللهُ لِيهُلِ مِن فَلَبَرِي بِ جَوْفِهُ وَمَا جَمَلُ الرَّبِحَكُمُ النِّي كَلْتَهُمُ لَهُ اللهُ اللهِ قَالَ: ﴿ قَالُهُ عَمْلُ اللهُ لِيهُلُ مِن اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ اللهُ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيْكُمُ وَلِكُمْ وَلَكُمُ اللهُ وَعَالَمُ اللّهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ اللهُ وَعَالَمُ اللّهُ وَعَالَمُ اللّهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ عَلَي اللهُ الله

⁽٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ١٨١، من رواية الفريابي، وابن أبي شببة، زابن المنذر، عن مجاهد الله المجاهد الله المنازول» ١٠٠١ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ١٨١، من رواية الفريابي، وابن أبي شببة، زابن المنذر، عن

 ⁽٣) رواه البخاري في المحمدة ١٨١/٥، ومسلم في ١٨٨٤/٤ وأخرجه المترمذي، والنسائي، من طرق، ورواه الواحدي في اأسباب المنزول ٢٠١٠ وأورده السيوطي في «الدرة ١٨١/٥ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنظر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قوله تعالى: ﴿النِّيُّ أَوْلَى بِالْمُوْمِينَ مِنْ أَنْسُمِمٌ ﴾ أي: أحقُّ، فله أن يحكُم فيهم بما يشاء، قال ابن عباس: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتُهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعتُه أولى من طاعة أنفسهم؛ وهذا صحيح، فإن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم (١١).

قوله تعالى: ﴿ وَاَزَيْبُهُ أَتُهَا اللهُ أَي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ووجوب إجلالهن وتعظيمهن ولا تجري عليه المحلم الأمهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتِهن ولوَرْنَ المسلمين، ولجازت المخلوة بهن (٢٠٠ وقد روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت: يا أمّاه، فقالت: لستُ لكِ بأم الله أنه أنه أم رجالكم (٢٠٠ فبان بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريمُ نكاحهن فقط. وقال مجاهد: ﴿ وَازْرَبُهُ اللهُ اللهُ وهو أب لهم. وما بعد هذا مفسر في آخر (الأنفال) إلى قوله تعالى: ﴿ مِنَ اللهُ وَمِنَ اللهُ وَلَهُ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ عِني نسخ الميراث بالهجرة ورده إلى ذوي الأرحام ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مَسْلُورًا ﴾ أي: مكترباً.

﴿وَلِذَ أَخَذْنَا مِنَ النِّبَتِنَ مِشَنَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوجِ وَإِبَرُهِمَ وَمُومَىٰ وَمِيسَى اَبْنِ مَرْيَمُ وَأَخَذَنَا مِنْهُم يَبِثَقًا غَلِيظَا ۞ لِيَسْتَلَ الصّندِفِينَ عَن صِدْفِهِمْ وَأَعَدَ لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا الْبِينَا ۞ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِسْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُرْ إِذْ جَاءَتُكُمْ جُنُوثٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيمًا وَجُنُونًا لَمْ تَرْقِعَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَمْمَلُونَ بَصِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكر إذا أخذنا ﴿مِنَ النَّبِيْنَ مِثْنَقَهُمْ﴾ أي: عهدهم؛ وفيه قولان: أحدهما: أخذُ ميثاق النبيِّن: أن يصدّق بعضّهم بعضاً، قاله قتادة. والثاني: أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، ويصدِّق بعضهم بعضاً، وأن ينصحوا لقومهم، قاله مقاتل. وهذا الميثاق أُخِذ منهم حين أُخرجوا من ظهر آدم كالذَّرِّ. قال أبيُّ بن كعب: لمَّا أُخذ ميثاق الخَلْق خصَّ النبيين بميثاق آخر (٥). فإن قيل: لِمَ خصَّ الأنبياء الخمسة بالذَّكر دون غيرهم من الأنبياء؟ فالجواب: أنه نبَّه بذلك على فضلهم، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع؛ وقدَّم نبيًنا ﷺ بياناً لفضله عليهم.

⁽۱) قال ابن كثير: قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم كان مقدًّماً على اختيارهم لأنفسهم، كسما قبال بنع تعدّر قبل وقبل المسترح على المسترح المسترك المسترح المسترك الم

⁽٢) قال أبن كثير: ﴿ وَأَنْفَيْهُ أَنْهُ الْمَهُ أَيَ فِي الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمى بعض العلماء بناتهن: أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشاقعي ﴿ فِي المختصر، وهو من باب إطلاق العبارة، لا إثبات الحكم، ثم قال: وهل يقال لمعاوية وأمثاله: خال المؤمنين، فيه قولان للعلماء ﴿ ونص الشاقعي ﴿ على أنه لا يقال ذلك، قال: وهل يقال لمنات فيه خل النساء في جمع المذكر السالم تغليباً؟ فيه قولان، صح عن عائشة ﴿ أنها قالت: لا يقال ذلك، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشاقعي ﴿ .. اه.

 ⁽٣) أورده السيوطي في «الدر» ٥/ ١٨٢ بنحوه من رواية ابن سعد، وابن المنذر، والبيهةي في «سننه» عن عائشة رئياً.

⁽٤) قال ابن كثير: أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، قال: وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجريَّ يرث الأنصاريَّ دون قراباته وذوي رحمه للأخوَّة التي آخى بينهما رسول 由 海، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف. اهـ.

⁽٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة (وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق. اهـ.

قال فتادة: كان نبيننا أولَ النبينين في الخَلْق (۱). وقوله: ﴿ يَهِنَاقًا غَلِظًا ﴾ أي: شديداً على الوفاء بما حُمَّلوا. وذكر المفسرون أن ذلك العهد الشديد: اليمينُ بالله ﷺ . ﴿ لِيَسْتَلَ الصَّدِيقِينَ ﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين، وهم الأنبياء ﴿ عَن صِدَقِهِم _ تبكيت مكذَّبيهم. وهاهنا تم الكلام. ثم أخبر بعد ذلك عمَّا أعدَّ للكافرين بالرسل.

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَذَكُرُوا نِسْمَةَ اللَّهِ عَلَيَكُرْ إِذْ جَآءَتُكُمْ جُنُرِدٌ ﴾ وهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ أيام المخندق.

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالسّيرة أن رسول الله على النفير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم إلى مكة فأبّوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عنده فأتوا غطفان وسُليم، ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريشٌ ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سُليم به قمرٌ الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مُرَّة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب؛ فلمًا بلغ رسول الله على خروجُهم من مكة، أخبر الناسَ خبرهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسولُ الله الله إلى سفح «سلّع»(۱)، وجعل سَلْعاً خلف ظهره؛ ودس أبو سفيان بن حرب حُييً ابن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله واصحابُه بضع عشرة ليلة حتى خلص إليهم الخوف، وعُظُم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشة وقتال، وحُصِر رسول الله الله واصحابُه بضع عشرة ليلة حتى خلص إليهم الكرّب، وكان نُعيم بن مسعود الأسجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخذًل بينهم، فاستوحش كل منهم من صاحبه، واعتلّت قريظة بالسبت فقالوا: لا نقاتِل فيه، وهبّت ليلة السبت ربح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدار مُقام، لقد هلك الخُفُ والحافر، وأجدب الجَناب (۱)، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من الربح ما ترن مو الله الله على أرتجلوا فإني مرتجل؛ فأصبحت العساكر قد أقشعت كألها(ع). قال مجاهد: والربح التي أرسلت عليهم هي ترون، فارتجلوا فإني مرتجل؛ فأصبحت العساكرة قد أقشعت كألها(ع). قال مجاهد: والربح التي أرسلت عليهم هي الصّبا(ث)، حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. والجنود: الملائكة، ولم تقاتل يومئيلًا في قتال.

ق**وله تعالى**: ﴿ لَمْ نَرَوْهَاۗ﴾ وقرأ النخعي، والجحدري، والجوني، وابن السميفع: «لم يَرَوْهَا» بالياء ﴿ وَكَانَ اللَّهُ يِمَا تَمَمَّلُونَ بَصِيرًا﴾ وقرأ أبو عمرو: [«يعملون»] بالياء.

⁽١) هذا الكلام ذكره بعضهم عن قتادة موقوفاً عليه، ورواه ابن جرير الطبري ٢١/١٥،١١ من طريق سعيد بن بشير الأزدي عن قتادة مرسلاً قال: ذُكِر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: فكنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وسعيد بن بشير الأزدي، ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في اللتقريب، والحديث ذكره ابن كثير ٢/٤٤، من رواية ابن أبي حاتم من حديث بشير بن سعيد قال: حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: فكنت أول النبيين في ألخلق وآخرهم في البعث، فبدئ بي قبلهم، ثم قال ابن كثير: وسعيد بن بشير فيه ضعف، قال: ورواه سعيد بن أبي عروية عن قتادة مرسلاً، وهو الأشبه، قال: ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث وكنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، رواه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن أبي حاتم في «تفسير» وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعاً. اهد. وسعيد بن بشير ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر، وللحديث رواية اخرى من حديث ميسرة الفجر بلفظ: فكنت نبياً وآم بين الروح والجسده وهو صحيح الإسناد، أخرجه أحمد، والبخاري في قتاريخه وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم وصححه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولكن ليس معناه كما يتوهم بعض الناس أن نبينا محمداً ﷺ كان موجوداً بذاته قبل آدم، وأن ذاته وصححه، والترمذي وقال: جليث غيرا بذلك فإنما يعتمد على أحاديث غير صحيحة في هذا الموضوع.

⁽٢) قال في «معجم البلدان»: سَلْعٌ: جبل بسوق المدينة.

٢) - قال في «الصحاح»: الجَنَاب، بالفتح: الفناء، وما قَرُبَ من مَحَلَّه القوم، والجمع أُجْزِيَّة.

⁽٤) أقشَعَ القومُ وتَقشُّعوا وانقشَعوا: ذهبُوا وافترقوا.

عن ابن عباس 歲 أن رسول الله 養 قال: (مُعِيرْتُ بالعبا وأهلكتْ هاد باللهور) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم. والصبا: الربح تهب من مطلع الشمس، والدبور: الربح تهب من جهة المغرب، تقابل الصبا.

⁽٦) انظر تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٧٠، واسيرة ابن هشام، ٢/ ٢١٤ والبداية والنهاية، لابن كثير ٤/ ٩٢.

﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِن فَوَيَكُمْ وَيِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَدُرُ وَبَلَغَتِ ٱلْفُلُوبُ الْحَسَاجِرَ وَتَطْلُؤُنَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ٱبْتَلِيَ الْمُعْمِثُونَ وَأَلْدِينَ إِنَّ جَاءُوكُمْ مِنْ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُتُهُ إِلَّا غُرُودًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَرَقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ أَيُّ: مِن فوق الوادي ومن أسفله ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْمَدُ ﴾ أي: مالت وعَدَلت، فلم تنظُر إلى شيء إلَّا إلى عدوِّها مُقْبِلاً من كل جانب ﴿وَيَلَفَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنكَاجِرَ ﴾ وهي جمع حَنجَرة. والحَنْجَرة: جوف الحُلْقُوم. قال قتادة: شَخَصتْ عن مكانها، فلولا أنَّه ضاق الحُلقوم عنها أن تخرُج لخرجتْ. وقال غيره: المعنى أنهم جَبُنوا وَجزع أكثرهم؛ وسبيل الجبان إذا اشتدَّ خوفُه أن تنتفخ رثته فيرتفع حينئذِ القلب إلى الحَنْجَرة، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس والفراء. وذهب ابن قيبة إلى أن المعنى: كادت القلوبُ تبلُغ الحُلوق من الخوف وقال ابن الأنباري: (كاد» لا يُضْمَر ولا يُعْرفُ معناه إذا لم يُتَطَق به.

قوله تعالى: ﴿ وَنَطْنُونَ بِاللّهِ اَلْظُنُونَا﴾ قال الحسن: اختلفت ظنونهم، فظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصّلون، وظن المؤمنون أنه يُنْصَر. قرأ ابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: «الظُّنونا» و«الرَّسولا» [الاحزاب: ٢٦] و«السَّبيلا» [الاحزاب: ٢٧] بألف إذا وقفوا عليهن، وبطرحها في الوصل. وقال هبيرة عن حفص عن عاصم: وصل أو وقف بألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالألف فيهن وصلاً ووقفاً. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بغير ألف في وصل ولا وقف. قال الزجاج: والذي عليه حُدَّاق النحويين والمتَّبعون السُّنَّة من قُرَّائهم أن يقرؤوا: «الظُّنونا» ويقفون على الألف ولا يَصِلون؛ وإنما فعلوا ذلك، لأن أواخر الآيات عندهم فواصل يُعبّون في آخرها الألف في الوقف.

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ﴾ أي: عند ذلك ﴿ اَبُتُلِى ٱلْمُتُونَٰنِكِ﴾ أي: اختُبروا بالقتال والحصر لينبيَّن المُخلِص من المنافق ﴿ وَرُلْزِلْهَا﴾ أي: أُزعجوا وحُرَّكوا بالخوف، فلم يوجَدوا إلا صابرين. وقال الفراء: حُرِّكوا إلى الفتنة تحريكاً، فعُصموا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُرُلُ ٱلْمُنْكِفُونَ وَٱلْذِينَ فِى قُلُوهِم مَّرَثُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشَّرك، قاله الحسن. والثاني: النفاق، قاله قتادة، ﴿ مَّا رَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُم إِلَّا عُرُدا﴾ قال المفسرون: قالوا يومئله: إن محمداً يَجِدنا أن نفتَح مدائن كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله! هذا والله الغُرور. وزعم ابن السائب أن قائل هذا معتب بن قُشير.

﴿ وَإِذْ قَالَتَ مَلَاهِمَةٌ يَنْهُمْ بَتَأَهْلَ يَثِرَبَ لَا مُقَامَ لَكُورُ فَآرَجِمُواْ وَيَسْتَغَذِنُ ضَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيّ بَعُولُونَ إِنَّ بَيُوتُنَا عَوْنَةٌ وَمَا هِى بِمَوْزَةٌ إِنَّ يُولِينَ إِلَّا مِينَا أَلَّهُ مِن يَلِيدُونَ إِلَّا مِينَا أَلَهُ مِن يَلِيدُونَ إِلَّا مِينَا أَلَهُ مِن الْفَارِمَ الْمَارِمَا ثُمَّ شَهِلُوا الْفِسْنَةَ لَاَنْوَهَا وَمَا تَلْبَشُواْ بِهَا ۖ إِلَّا يَسِبُرُا ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهَ لَكُو مُنْفَوْنَ إِلَّا فَلِيلًا لَذِي اللهِ مِنْ اللهِ مَنْ أَلَا مُنْفَوْنَ إِلَّا فَلِيلًا فَلَامِي مَنْ اللهِ إِنْ أَلَادَ بِكُمْ شُومًا أَوْ أَلَادَ بِكُرْ رَحْمَةً وَلَا يَهِدُونَ لَمُمْ مِن دُوبِ اللّهِ وَلِنَا وَلاَ نَصِيرًا ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتَ ظَآهِمُ ۚ يَعْنِي مَن المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان: أحدهما: عبد الله بن أبيّ وأصحابه، قاله السدي. والثاني: ينو سالم من المنافقين، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ يُتَأَمِّلَ يَزِّبَ ﴾ قال أبو عبيدة: يَثْرِب: اسم أرض، ومدينةُ النبيِّ ﷺ في ناحية منها(١).

قوله تعالى: «لَا مَقَامَ لَكُمْ» وقرأ حفص عن عاصم: «لا مُقَامَ» بضم المهم. قال الزجاج: من ضمَّ المهم، فالمعنى: لا إقامة لكم؛ ومن فتحها، فالمعنى: لا مكان لكم تُقيمون فيه. وهؤلاء كانوا يثبُّطون المؤمنين عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فَآرَجِمُوا ﴾ أي: إلى المدينة، وذلك أن رسول الله خرج بالمسلمين حتى عسكروا بـ «سُلْعٍ»، وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكم هاهنا مُقام، لكثرة العدو، وهذا قول الجمهور، وحكى

⁽١) قال ياقوت الحموي في المعجم البلدانة: يثرب: قال أبو القاسم الزجاجي: مدينة رسول ا 金 : 養 وقال: وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي 藥. وقال ابن كثير في التفسيرة في قوله تمالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتَ كَالَهَدُّ يُشْمُ يَكَأَمُلُ بَيْرِبُ فِي للمدينة، كما جاء في الصحيح، وأريت دار هجرتكم، أرض بين حرثين، فلهب وَقلي (وهمي واعتقادي) أنها هجوء فإذا هي يثرب وفي لفظ اللمدينة، ثم قال: قأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء ﴿ وَلَا تَعَالَى: قال: قال رسول الله ﷺ: ومن سمى المعدية يثرب فليستفقر الله تعالى، إنما هي طابة، إنما هي طابة، تفرد به الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم، قال: ويقال: إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من المعاليق يقال له: يثرب. اهـ.

الماوردي قولَين [آخرَين]: أحدهما: لا مُقام لكم على دين محمد فارجِعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن. والثاني: لا مُقام لكم على القتال، فارجعوا إلى طلبَ الأمان، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿ رَيَسْتَتَذِنُ شَرِينٌ مِنْهُمُ النِّيَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقال السدي: إنما استأذنه رجلان من بني حارثة. والثاني: بنو حارثة، وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بِيُونَنَا عَرْرَةٌ﴾ قال ابن قتية: أي: خاليةٌ، فقد أمْكَن من أراد دخولَها، وأصل العَوْرة: ما ذهب عنه السّتر والحِفظ، فكأنَّ الرجال سِترٌ وحفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أغورت البيوتُ، تقول العرب: أغورَ منزلي: إذا ذهب سِتْرُه، أو سقط جداره، وأغورَ الفارسُ: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن، يقول الله: ﴿وَمَا هِيَ سِتَوْرَةٌ ﴾ لأنَّ الله يحفظها، ولكن يريدون الفرار. وقال الحسن، ومجاهد: قالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السُّرَّاق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا ممَّا يلي العدرّ، ولا نأمنَ على أهلنا، فكذَّبهم الله وأعلمَ أنَّ قصدهم الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتَ عَلَيْمٍ مِنْ أَمْلَامِهَا﴾ يعني المدينة؛ والأقطار: النواحي والجوانب، واحدها: قُطْر، ﴿ثُمَّ سُيِلُوا ﴾ الْفِتْنَةَ ﴾ وقرأ عليّ بن أبي طالب عَلَيْه، والضحاك، والزهري، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿ثم سُيِلُوا ﴾ برفع السين وكسر الياء من غير همز. وقرأ أبيُّ بن كعب، ومجاهد، وأبو الجوزاء: ﴿ثم سُولُوا ﴾ برفع السين ومدّ الواو بهمزة مكسورة بعدها. وقرأ الحسن، وأبو الأشهب: ﴿ثم سُولُوا ﴾ برفع السين وسكون الواو من غير مدّ ولا همز. وقرأ الأعمش، وعاصم الجحدري: ﴿ثم سِيْلُوا ﴾ بكسر السين ساكنهة الياء من غير همز ولا واو. ومعنى: ﴿سُئُلُوا الفتنة ﴾ الله الفتنة ؛ الشّرك ، ﴿ ثَانَوْهَا ﴾ آقرا ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿لَاتَوْها ﴾ بالقصر، أي: لقصدوها ، ولفعلوها. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة ، والكسائي: ﴿لاَتَوْها ﴾ بالمد، أي: لأعطوها. قال ابن عباس في معنى الأية: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمروهم بالشّرك لأشركوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبُثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما احتَبَسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، قاله قتادة. والثاني: وما تلَّبثوا بالمدينة بعد الإجابة إلَّا يسيراً حتى يعذَّبوا، قاله السدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيباً، وهو أن الفتنة هاهنا: الحرب، والمعنى: ولو دُخلت المدينةُ على أهلها من أقطارها، ثم سُئل هؤلاء المنافقون الحرب لأتوها مبادِرين، وما تلبثوا ـ يعني الجيوش الداخلة عليهم بها ـ إلَّا قليلاً حتى يُخرجوهم منها؛ وإنَّما منعهم من القتال معك ما قد تداخلهم من الشكِّ في دينك (١٠)؛ قال: وهذا المعنى حَفِظتُه من كتاب الواقدي (٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ كَانُواْ عَنهَدُواْ اللّهَ مِن تَبَلُ﴾ في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر، فلمّا علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا: لئن شهدنا قتالاً لنُقاتِلَنّ، قاله قتادة. والثاني: أنهم أهل العقبة، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله على طاعة الله ونُصرة رسوله، قاله مقاتل. والثالث: أنه لمّا نزل بالمسلمين يوم أحد ما نزل، عاهد الله معتب بن قُشير وثعلبة بن حاطب: لا نولّي دُبُراً قطّ، فلمّا كان يوم الأحزاب نافقا، قاله الواقدي، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وهو أليقَ ممّا قبله. وإذا كان الكلام في حق المنافقين، فكيف يُطلّق القول على أهل العَقبة كلّهم!

⁽۱) روى ابن جرير الطبري عن قتادة أن الفتنة: الشرك، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن الفتنة: الشرك، وكذلك قال البغوي والخازن، وقال ابن كثير: الفتنة: هي الدخول في الكفر. وقال الشركاني في دفتح القدير، الفتة هنا: إما القتال في العصبية كما قال الضحاك، أو الشرك بالله والرجعة إلى الكفر الذي يبطنونه ويظهرون خلافه كما قاله الحسن. وقال الألوسي في دوح المعاني،: الفتنة: أي القتال كما قال الفحاك، ثم قال: كأنه شبه الفتت المطلوب اتباههم فيها بأمر نفيس يطلب منهم يذله، وتزّل إطاعتهم واتباههم بمنزلة بذل ما سئلوه وإعطائه، ثم قال: والمراد: أنهم لو سألهم غيرك الفتال وهم في أشد حال وأعظم بلبال، لأسرهوا جداً، فضلاً عن التعلل باختلال بيوتهم مع سلامتها كما فعلوا الآن، قال: والحاصل أن طلبهم الإذن في الرجوع، ليس لاختلال بيوتهم، بل لفاقهم وكراهتهم نصرتك. اه.

 ⁽٢) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي، من أقدم المؤرّخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ
 الحديث، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: متروك مع سَمة علمه. له تصانيف كثيرة، منها «تفسير القرآن».

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْتُولًا ﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة. ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم، فقال: ﴿ وَلَ لَن يَنفَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُد مِن الْمَوْتِ أَو الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُسْتَوْنَ ﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿ إِلّا فَلِيلا ﴾ وهو باقي آجالكم. ثم أخبر أن ما قدَّره عليهم لا يُدفَع، بقوله: ﴿ مَن ذَا الّذِي يَقْسِمُكُم مِن اللّهِ ﴾ أي: يجيركم ويمنعكم منه ﴿ إِنْ أَزَلَهُ بِكُمْ سُومًا ﴾ وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء ﴿ أَنَ أَزَلَهُ بِكُمْ رَحَمَّهُ ﴾ وهي النصر والعافية والسلامة ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَمُمْ مِن دُوبِ اللّهِ وَيهم .

﴿ فَدَ بَمَكُ اللّهُ الْمُتَوَقِّنَ مِنكُّ وَالْقَالِمِينَ بِخَوْنِهِمْ مَلُمُ إِلِنَا ۚ وَلَا بَأَنُونَ الْبَاسَ إِلَا فَيلًا ﴿ اللّهِ اللهِ اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿ وَدَ يَمَلُرُ اللّهُ النّهُ النّهُونِينَ يَكُو في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله عليه الأحزاب، فوجد أخاه لأمّه وأبيه وعنده شواء ونبيد، فقال له: أنت هاهنا ورسولُ الله بين الرّماح والسيوف؟ افقال: هلّم إليّ، لقد أحيط بك وبصاحبك؛ والذي يُحْلَفُ به لا يستقبلها محمد أبداً، فقال له: كذبت، والذي يُحْلَف به، أما والله لأخبِرَنَّ رسولَ الله عليه الآبية إلى توله: ﴿ يَسِيرًا ﴾، هذا قول ابن زيد (١٠). والثاني: أن عبد الله بن أبيّ ومُعتب بن قُشير والمنافقين الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرُج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن التونا بالمدينة فإنًا نتظركم _ يثبّطونهم عن القتال _ وكانوا لا يأتون العسكر إلّا أن لا يجدوا بُدّاً، فيأتون العسكر ليرى الناسُ وجوههم، فإذا غُفل عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب (٢٠). والمعوّق: المثبط؛ تقول: عاقني فلان، واعتاقني، وعوّقني: إذا منعك عن الوجه الذي تريده. وكان المنافقون يعوّقون عن رسول الله عنها وهاره (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ وَالْقَالِينَ لِإِخْرَتِهِمْ مَلُمُ إِلِنَانًا ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد. والثاني: أنهم اليهود دعَوًا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المنافقون دعَوًا المسلمين إليهم عن رسول الله عليهم حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلِا يَأْتُونَ آلِبَأْسَ﴾ أي: لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قِلِيلًا﴾ للرِّياء والسُّمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك [القليل]^(٤) لله لكان كثيراً.

قوله تعالى: ﴿ أَشِخَةً عَلَيْكُمُ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً (٥٠)، بخلاء عليكم. وللمفسرين فيما شحُّوا به أربعة أقوال: أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد. والثاني: بالنفقة في سبيل

⁽١) ذكره الطبري ٢١/١٣٩، عن ابن زيد، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/١٨٨، من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

⁽٢) ذكره الألوسي في النسيره، مختصراً عن ابن السائب بدون سند.

 ⁽٣) قال الشوكاني في قنتح القدير؟: قال الواحدي: قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار إلنبي 義. اه. يقال: أنصار، ونضار،
 كما في قاللسانه.

⁽٤) زيادة من اتفسير البغوي،

الله. والثالث: بالغنيمة، رويا عن قتادة. وقال الزجاج: بالظَّفر والغنيمة. والرابع: بالقتال معكم، حكاه المارودي(١). ثم أخبر عن جُبنهم فقال: ﴿ وَإِنَا مَا لَهُ الْوَقِ ﴾ أي: إذا حضر القتال ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعَينُهُمْ كَالَدِي يُعْنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوت، وهو الذي دنا موته وغشيته أسبابُه، فإنه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يَظرِف، فكذلك هؤلاء، لأنهم يخافون القتل. ﴿ وَإِن نَهَبَ لَلْوَقُ سَلَقُوكُم عَالَمُ الفراء: آذَوْكم بالكلام في الأمن ﴿ إِلَيْنَةُ حِدَاذٍ ﴾ سليطة ذَرِبة (١)، والعرب تقول: صَلقوكم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ وهذا قول الفراء. وقد قرأ بالصاد أبئ بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة في آخرين. وقال الفراء. وقد قرأ بالصاد أبئ بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة في آخرين. وقال الزجاج: معنى «سلقوكم»: خاطبوكم أشدَّ مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مِسْلاق: إذا كان بليغاً في خطبته السنتهم فيكم، يقولون: أعظونا فلستم أحقَّ بها منًا؛ فأمّا عند البأس، فأجبن قوم وأخذله للحق، وأمّا عند الغنيمة، فأشخُ قوم. وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن يُنفقوه في سبيل الله قاشع قوم. وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن يُنفقوه في سبيل الله تعالى. والثالث: على رسول الله على رسول الله عنه المناس، والله المناس، والثاني: على رسول الله على رسول الله عليه مناس الله المناس، والثالث: على رسول الله على رسول الله أمنه المناس، والمناس، والثالث على رسول الله عليه والمناس، والثالث على رسول الله المناس، والمناس، والثالث على رسول الله المناس الله المناس، والمناس، والمنا

قوله تعالى: ﴿ أُولَيِّكَ لَرَ بُوِّسُوا﴾ أي: هُمْ وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤونين، لنفاقهم ﴿ فَأَحْبَطُ اللهُ أَمَّنَاهُم ﴾ قال مقاتل: أبطّل جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ الإحباط ﴿ عَلَى اللهِ يَبِيلُ ﴾. ثم أخبر عنهم بما يدل على جُبنهم، فقال: ﴿ يَسَّرُنُ الْغَوْلِ الْمَ يَدَعَبُوا ﴾ أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجُبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، ﴿ وَلِن يَأْتِ اللّمَوْلُ ﴾ [أي]: يرجعوا إليهم كرّة ثانية للقتال ﴿ يَوَدُوا لَو انَّهُم بالبُعد منكم يسألون عن أي يتمنّوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم، ﴿ يَسْتُلُوكَ عَنْ أَنْبَالِكُم اللهِ أي: ودُوا لو أنّهم بالبُعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، فَرَقا وجُبنا وقيل: بل يَسألون شماتة بالمسلمين وفرحاً بنكباتهم ﴿ وَلَوْ صَائُوا فِيكُم اي: لو كانوا يشهدون القتال معكم ﴿ قَا فَنَلُوا إِلاَ قَلِكُ فَيه قولان: أحدهما: إلا رمياً بالحجارة، قاله ابن السائب. والثاني: إلا رياء من غير احتساب، قاله مقاتل. ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله: ﴿ لَقَدَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أَسْرَةً حَسَنَةً ﴾ أي: قُدوة صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديت به في الصبر [معه] كما صبر يوم أُحد حتى كُيرت رَباعِيّتُه وشُجَّ جبينه وقُتِل عمّه، وآساكم مع ذلك بنفسه. وقرأ عاصم: فأسوة بفسم الألف؛ والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان. قال الفراء: أهل المحجاز وأسد يقولون: ﴿ إسوة عاصم: فأسوة والمعنى أن الأسوة برسول الله إنما كانت لِمَن كان يرجو الله [واليوم الآخو]؛ وفيه قولان: المَده عن الثواب والنعيم، قاله ابن عباس. والثاني: يخشى الله ويخشى البعث، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُرُ اللهَ كَثِيرًا﴾ أي: ذِكْراً كثيراً، لأن ذاكر الله متَّبِع لأوامره، بخلاف الغافل عنه (٢٠). ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: ﴿وَلَمَا رَمَا الْمُؤْمِثُونَ ٱلْأَخْرَابَ قَالُواْ هَذَا مَا وَعَدَا اللهُ وَسُولُمُهُ وَفَي ذلك الوعد قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿أَمْ حَبِبْتُمْ أَن تَدْعُلُواْ ٱلْجَكَةَ وَلَمّا يَأْتِكُم مَّنْلُ اللّذِينَ خَلُواْ مِن قَبِلكُمْ . . . ﴾ الآية، [البقرة: ٢١٤] فلمًا عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعَدَنا الله ورسولُه، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين. والثاني: أن رسول الله على وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحِيرة، ذكره الماوردي وغيره.

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصص وصفهم من معاني
الشح بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة، والخير، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين. اهـ.
 (٢) أي: فاحشة. وذَرَب اللسان: حدَّت.

⁽٣) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالناسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابعته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ﷺ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، قال: ولهذا قال تعالى لللين تقلّقوا وتضجّروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لَمُنذَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أَسْرَةٌ حَسَنَةٌ ﴾، أي: هلا اقتديتم به وتأسيّتم بشمائله ﷺ! ولهذا قال تعالى: ﴿ لِنَن كَانَ يَصُلُ اللهُ كَلُيمٌ اللهُ كَلُهُ . اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ ۗ يعني ما رأوه ﴿إِلَّا إِيمَانَا﴾ بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

﴿ مِنَ ٱلنُوْمِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَهَدُوا اللّهَ مَلَيْتُهُ مِّن قَمَىٰ خَبَمُ وَمِنْهُم مِّن يَنظِرُّ وَمَا بَكُوَّا بَيْلَا ۞ لِيَجْزِى اللهُ السَّندِفِينَ بِصِدْفِهِمْ وَيُمْوَدُ اللّهُ اللّهَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهُ كَانَ عَثُولًا نَجِيمًا ۞ وَرَدَ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِفَيْظِهِمْ لَدَ يَنالُوا خَبْلُ وَكَفَى اللّهُ الْمَوْمِينَ ٱلْفِتَالُ وَكَاكَ اللهُ قَوْمِيًا عَرْمِزًا ۞ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظُنهُرُوهُم يَنْ آهَلِ ٱلْكِتَنبِ مِن صَيَاصِهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا الْمُعْبَ وَلِيكُمْ وَرِيكُوهُمْ وَأَنوَلُمُ وَأَرْضًا لَمْ تَطَنُوهُما وَكَاكَ اللّهُ عَلَى حَثْلِ مَنْ وَقِيكًا ۞

قوله تعالى: ﴿ إِن اَلْمُونِينَ رِبَالٌ صَدَقُواْ مَا عَهَدُوا اللّهَ عَلَيْ وَ احتلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر، قاله أنس بن مالك. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: غاب عبني أنس بن النفر عن قتال بدر، فلما قيم قال: غِبْتُ عن أوَّل قتال قاتله رسول الله على المشركين، لنن أشهدني الله على المشركين، الله ما أصنع (۱) فلما كن يوم أُخر انكشف الناسُ (۱) فقال: اللهم إني أبراً إليك ممًّا جاء به هؤلاء، يعني المسلمين وأعتلر إليك ممًّا جاء به هؤلاء، يعني المشركين، وأعتلر إليك ممًّا صنع هؤلاء، يعني المسلمين المسلمين المن اللهم إني أبراً إليك ممًّا جاء به هؤلاء، يعني المسلمين المن المن اللهم إني أبراً إليك ممًّا جاء به هؤلاء، يعني المشركين، بيده إني لأجد ربح الجنة دون أُخر، واهاً لربح الجنة (١٤). قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع؛ قال انس: فوجدناه بين القتلى به يضع وثمانون جراحة، من ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورَمْيّة بسهم، قد مثلوا به؛ قال: فما عرفناه حتى عرفته أخبُه بِبنانه؛ (٥) قال أنس: فكنًا نقول: أنزلت هذه الآية ﴿ يَنَ النّرُونِينَ يِبَالُ سَنَعُوا مَا عَهَدُوا اللّهَ عَلَيْ هُ عَنْ مَنْ فَنَى عَنْ النّرُونِينَ رِبَالٌ سَنْ مَلْوالًا عَهمُوا اللّه عَلَيْ الله عنه الوالله: أنهم عاهدوا أن المن جرير: ومعنى الآية: وقوا لله بما علموه عليه وفي ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنهم عاهدوا أن لا يفروا إذا لاقوا، فصَدقوا، والوابع: أنهم عاهدوا على البأساء والضرًاء وحين البأس.

قوله تعالى: ﴿ فَيَنْهُم مَن قَضَىٰ غَبُمُ وَمِنْهُم مَن يَنْظِرُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فمنهم من مات، ومنهم من ينتظر الموت، قاله ابن عباس. والثانى: فمنهم من قضى عهده قُتل أو عاش. ومنهم من ينتظر أن يقضيك بقتال أو صدق لقاءٍ،

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتع» ٧/ ٢٧٤: ومراده أن يبالغ في القتال ولو زهقت روحه، قال: وقال أنس في رواية ثابت: وخشي أن يقول غيرها، أي غير هذه الكلمة، وذلك على سبيل الأدب منه، والخوف، لئلا يمرض له عارض فلا يفي بما يقول، فيصير كمن وهد فأخلف، أهد. ولفظ مسلم «أيّراني أها أصنع»، قال الإمام النزوي في «شرح مسلم» ويكون «ما أصنع» بدلاً من الضمير في «يراني» أي: لَيْرى الله ما أصنع.

 ⁽٢) في البخاري ٢٦/٦ (وانكشف المسلمون) رفيه: ٧/ ٢٧٤ (فهزم الناس).

 ⁽٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح، ١٨/٦: قال الزين ابن المنير: من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس بن النضر في حق المسلمين: أعتدر إليك، وفي
 حق المشركين: أبرأ إليك، فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميماً مع تغايرهما في المعنى.

 ⁽٤) واهاً لريح البجنة، قال الإمام النووي: (واهاً) كلمة تحتن وتلهُّف. اهـ.

⁽٥) قال الجافظ ابن حجر: في رواية ثابت، فقالت عمتي الربيع بنت النضر أخته: فما عرفت أخي إلا ببنائه، قال: زاد النسائي من هذا الوجه: وكان حسن البنان، قال: والبنان: الأصبع، وقيل: طرف الأصبع. اهـ.

⁽٦) البخاري ١٦٢/٦، ومسلم ١٥١٢/٣، ورواه البخاري في «المغازي» ٧٧٤/٧، ولم يذكر سبب النزول، ورواه أيضاً في «الغسير» ٣٩٨/٨ مقتصراً على مبب النزول، ورواه الترمذي ١٥١/٢، وقال: جلًا حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً أحمد في «المسند»، وابن جرير في «الغسير» ١٤٧/٢١ وذكره السيوطي في «اللهر» ٥٠٤/١، وزاد نسبته لابن سعد، والنسائي، والبغوي في «معجمه»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحليقه، والبيغي في «الدلائل».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٧/٦: وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد: جواز بقل النفس في الجهاد، وفضل الوفاء بالمهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها، وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء إلى التهلكة، قال: وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر، وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورَّع وقوة اليقين. اه.

 ⁽٧) أورده السيوطي في «الدر» ١٩١/٥ من رواية أبي الشيخ، وابن صاكر عن علي ١٩٤٥ علم. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٩١/٥»: ثبت عن عائشة عن الماحة دخل على النبي على النبي على النبي عن عائشة عن الماحة من قضى تحيه»، وقال: أخرجه ابن ماجه، والحاكم، اهم. ورواه الطبري بنحوه ١٤٧/٢١.

قاله مجاهد والثالث فمنهم من قضى نَذُره الذي كان نذر، قاله أبو عبيدة. فيكون النَّجْب على القول الأول: الأجَل؛ وعلى الثاني: المهد؛ وعلى الثالث: البَّذُر، وقال ابن قتية القضى نحبه أي: قُتل، وأصل النَّحْب؛ النَّذُر، كأن قوماً نذروا إلى أنهم إن القُوا المعدوّ قاتلوا حتى يُقتَلوا أو يَقتع الله عليهم، فقُتلوا، فقيل: فلان قضى نَحْبه، أي: قُتل، فاستعبر النَّحْب مكان الأجَل، لأن الأجَل وقع بالنَّحْب، وكان النَّحْبُ سبباً له، ومنه قيل للعطيَّة: «مَنَّه، لأن من أعطى فقد من قال ابن عباس: ممن قضى نَحْبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النَّصْر وأصحابه، وقال ابن إسحاق: ﴿ فَيَنْهُم مَن فَهَنَى فَتَهُم مِن استُشهد يوم بدر وأُحُدٍ، ﴿ وَمَهُم مِن يَتَنِيلُون ما وعد الله من نصره، أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿ وَمَا بِكُلُون كُون النَّعْر والمعهد يوم بدر وأُحُدٍ، ﴿ وَمَهُم مِن يَتَنِيلُون كُما عَيْر المنافقون.

قوله تعالى: ﴿لِبَخِرِى اللهُ السَّندِقِينَ بِصِدْقِهِم ﴾ وهم المؤمنون الذين صدقوا فيما عاهدوا [الله] عليه ﴿وَيُسَدِّبُ الْمَتَّفِقِيمَ ﴾ بنقض العهد ﴿إِن شَكَهُ وهو أَن يَجْيتُهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمُ ﴾ في الدنيا، فيخرجَهم من النفاق إلى الإيمان، فيغفر لهم، ﴿وَرَدُ اللهُ اللَّيْنَ كَنَوْا ﴾ يعني الأحواب، صدَّهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين ﴿ينَيْظِهم ﴾ أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً ، أين لهم إرادوا ﴿وَرَ يَنَالُوا مَيْراً ﴾ أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً ، فخوطبوا على استعمالهم ﴿وَكَنَى اللهُ اللهُ وَلَيْنَ اللهُ اللهُ على الله على الله والله الله على الله على الله والله الله على المشركين يلاً المشركين يلاً واحدة.

وهذه الإشارة إلى قصتهم

^{(1) ·} اللي في إلحرب القرآنية: وكالفاقوم اللذواعة، ويما أربعه وإلا بيضاً الله الإيساء أبو الدرار على بعد بعد المدالية المدالية

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكُفَى اللهُ النَّهُ النَّرْوِينَ الْقِتَالُ ﴾ أي: لم يجتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفي الله وحله، ونصر عبده، وأعز جنده، قال: ولهذا كان رسول الله على يقول: ولا إله إلا الله وحده، صدق وهده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده أخرجاه من حديث أبي هريرة على، قال: وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن أبي أوفى على الله الدول الله على الأحزاب نقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع العساب، أهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». قال ابن كثير: وفي قوله على: ﴿ وَكُفَّى اللّهُ النّهُونِينَ لَمُ يَتُمَا النّهَانَ اللّهُ بِينَ قَرِينَ قَرِينَ، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال ابن كثير في تتمة الآية: قوله تالين عليه وصدق وعده، ونصر رسوله الآية: قوله تعالى: ﴿ وَكُلِّي اللهُ اللّه الله واهله، وصدق وعده، ونصر رسوله وعبه، فله الحمد والمنة، اهـ.

⁽٤) " رواه البنخاري لهي اصحيحه ١٣٩٢/٣، ومتسلم ١٣٩١/١ من حديث عبد الله بن عضر في ولفظ مسلم تنادى فيشا وسول الله على يؤم النصرف الأحزاب: قان الا يصلين أحد الطهر إلا نبي بني هريطة من الحديث. ١٠٠٠ الحديث.

⁽٥). اللَّذِي فَيْ (مُستَدِّأَتَحَمُدُه ؛ وهَالطَهُويَ ۚ فَي وَهُشَيرَة ابْنَ مُشَامًا ۚ أَنْ رَسُولَ اللَّهُ ﴿ خَاصَرُهُمْ خَدَسًا وَصَدْرِينَ لِيلَّةُ ﴿ ` ^ ~

 ⁽٢) ذكر هذا الخبر بتحوه الطبري في «التفسيرة» وابن هشام في «السيرة» ٢/ ٣٣٠، ٣٣٧، وابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣٠٠ من رواية الزهري مرسلاً». وانظر
 ١٠- ١٠ «اليباية اوللهاية» لابن كثير ٤/ ١٨٠٠ . فا درسه باله نها در به بها به دري بالهار دريه به دري بها به روي.

هكذا ذكر محمد بن سعد (۱). وحكى غيره: أنهم نزلوا أوَّلاً على حكم سعد بن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف، فَرَجُوا أن تأخذه فيهم هوادة، فحكم فيهم أن يُقتل كلُّ مَنْ جَرَت عليه المَواسي (۲)، وتُسبي النساء والذراري، وتُقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: ولقد حكمتَ بحُكم الله من فوق سبعة أرقعة (۲)؛ وانصرف رسول الله ﷺ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة، وحُفر لهم أُخدود في السوق، وجلس رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، وأخرجوا إليه فضُربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السجمائة.

قوله تعالى: ﴿ مِن صَيَاصِهِم ﴾ قال ابن عباس وقتادة: من حصونهم؛ قال ابن قتيبة: وأصل الصَّياصي: قرون البقر، لأنها تمتنع بها، وتدفع عن أنفسها؛ فقيل للحصون: الصياصي، لأنها تَمنع، وقال الزجاج: كل قرن صيصية، وصيصية الديك: شوكة يتحصن بها.

قوله تعالى: ﴿ وَقَذَكَ فِى تُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ أي: ألقى فيها الخوف ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُوكِ ﴾ وهم المُقاتِلة ﴿ وَقَاسِرُوكِ ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبلة: ﴿ وَتَأْسُرُونَ ؛ بوفع السين ﴿ فَرِيقًا ﴾ وهم النساء والنَّراري، ﴿ وَأَوْلِكُمُ مَّ أَرْسُهُمْ وَبِيكرَهُمْ ﴾ يعني عقارهم ونخيلهم ومنازلهم ﴿ وَأَمُوكُمُ مُ من الذهب والفضة والحُلِيّ والعبيد والإماء ﴿ وَأَرْسُا أَمْ تَعَلَّوها ﴾ أي: لم تطؤوها بأقدامكم بَعْدُ، وهي مما سنفتحها عليكم ؛ وفيها أربعة أقوال: أحلها: أنها فارس والروم، قاله الحسن، والثاني: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عكرمة. والثالث: مكة، قاله قتادة. والرابع: خيبر، قاله ابن زيد، وابن السائب، وابن إسحاق، ومقاتل (ق).

﴿ يَتَأَيُّمُ ٱلنَّهُ ثُل لِأَرْدَبِكَ إِن كُنتُنَ تُرِدْكَ الْحَيْوَةُ الدُّيْمَا وَرِيئتَهَا فَنَعَالَيْكِ أَيَّوْتَكُنَّ وَأَسُرِيْكُنَّ سَرَاعًا جَيلًا ﴿ وَلِن كُنتُنَ تُرِدْكَ الْمَعْيَتِ مِنكُنَّ أَجَّا عَظِيمًا ﴿ يَنِينَا ٓهُ ٱلنِّيقِ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِثَتُم مُّيَتِيْقِ مُعَنفَقَ لَهَا اللّهَ وَرَهُولِهِ وَيَعْلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿ وَمَن بَغْنَتُ مِنكُنَّ يَقِي وَرَسُولِهِ وَيَعْمَلُ مَسْلِما أَوْقِهَا أَجْرَهَا مَرْيَقِي وَالْمَعْيَتِ مِنكُنَّ لِللّهِ وَيَسْوَلِهُ وَيَعْلَى اللّهِ اللّهِ وَيَعْلَى اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيُعْلِمُونَا اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلِمُ اللّهُ وَيْلُمُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيْقِيْكُ أَنْ وَالْمُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَيُعْلِقُونُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَاللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ الللللللللّهُ اللّهُ الللللللللللّهُ اللللللللللللّهُ اللللللللللللّهُ الللللللّ

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّا النَّيُ قُل لِأَزْنَبِكَ...﴾ الآية، ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة النفقة، وآذينه بغَيْرة بعضهن على بعض، فآلى رسولُ الله ﷺ مِنْهُنَّ شهراً (٥)، وصَعِد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية، وكُنَّ أزواجُه يومئذِ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسَؤدة، وأم سَلَمة، وصَفِيَّة الخيبريَّة، وميمونة الهلالية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهنّ، فبدأ بعائشة، فاختارت الله ورسوله، ثم قالت: يا رسول الله لا تُخبر أزواجك أنِّي اخترتك؛ فقال: ﴿إن الله بعثني مُبلُغاً ولم يعشي متعنّتا وقد ذكرت حديث التخبير في كتاب (الحدائق، وفي (المغني، بطوله (٢٠). وفي ما خبرهن فيه قولان:

⁽١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منبع الزهري، صاحب طبقات الصحابة المشهورة بـ اطبقات ابن سعد، مؤرخ ثقة، صدوق فاضل، من حفاظ الحديث، (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ).

 ⁽٢) قال في «اللسان» مادة موس: من جرت عليه المواسي، أي: مَنْ نبتت عانته، لأن المواسي إنما تجري على من أنبت، أراد: من بَلغ الحُلُم من الكُفّار.

 ⁽٣) أخرجه ابن إسحاق، وعنه ابن هشام ٢/ ٢٤٠ عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلاً، لكن أخرجه الشيخان في قصحيحيهما، عن أبي سعيد الخدري دون قوله: قمن فوق سبعة أرقعة، والأرقعة: السموات، الواحدة: رقيم، فجاء به على لفظ التفكير، كأنه ذهب به إلى السقف.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكره أخير أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله 義 أرض بني قريظة، وديارهم وأموالهم، وأرضاً لم يطؤوها يومثني، ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان وطؤوه يومثني، ثم وطِؤوا ذلك بعدُ وأورثهموه الله، وذلك كلُّه داخل في قوله: ﴿ وَلَوْتَكَا لَمْ تَكُمُكُما ﴾ لأنه تعالى ذِكره لم يخهِمص من ذلك بعضاً دون بعض. اهـ.

⁽٥) قال في اللسان «ألا»: آلى من نسائه شهراً، أي: حلف لا يدخُل عليهن، وإنما عَداه بـ امِن، حملاً على المعنى، وهو الامتناع من الدخول، وهو يتعدّى بـ امِنْه.

⁽٦) روى مسلم في اصحيحه، ١١٠٤/٢ عن جابر بن عبد 🖒 🐞 قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله 鄕، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد =

قوله تعالى: ﴿مَن بَأْتِ مِنكُنَّ مِنْحِثَةِ مُّنَيِّنَـةِ﴾ أي: بمعصية ظاهرة. قال ابن عباس: يعني النشوز وسوءَ الخُلُق ﴿يُضَنَعَ لَهَا ٱلْمَذَابُ صِمْفَكِيْ﴾ أي: يُجعل عذاب جُرمها في الآخرة كعذاب جُرمَين، كما أنها تُؤتى أجرَها على الطاعة مرتين. وإنما ضوعف عِقابُهنّ، لأنهنَّ يشاهِدن من الزّواجر الرَّادعة ما لا يُشاهِد غيرُهن، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب، ولأن في معصيتهنَّ أذى لوسول الله ﷺ؛ وجُرم من آذى رسولَ الله ﷺ أكبرُ من جُرم غيره.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِمِ ﴾ أي: وكان عذابُها على الله هيّناً. ﴿ وَمَن يَقْنَتُ ﴾ أي: تُطع، و﴿ وَإَعْتَدْنَا ﴾ قد سبق بيانه النساء؛ ٢٧]، والرَّزق الكريم: الحسّن، وهو الجنة. ثُمَّ أظهر فضيلتهنَّ على النساء بقوله: ﴿ لَسَّتُنَّ حَصَاعَهِ مِنَ النِسَاءِ بَاللّهِ اللّهِ عَلَى النساء بقوله: ﴿ لَسَّتُنَّ حَصَاعَهِ عَلَى النساء الماللّةُ والموقِّتُ والواحد والجماعة. قال ابن عباس: يريد: ليس قدرُكُنَّ عندي مثل قَدْر غيركنَّ من النساء الصالحات، أنْتُنَّ أكرمُ عليَّ، وثوابُكُنَّ أعظم ﴿ إِن اَتَقَيْثُنُ ﴾ ، فشرط عليهن التقوى بياناً أن فضِيلتهنَّ إنَّما تكون بالتقوى، لا بنفس اتصالهنَّ برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَخْفَدُنَ بِالْفَرْكِ ﴾ أي: لا تلِنَّ بالكلام ﴿ فَيَطْمَعُ الَّذِى فِي قَلْدٍ. مَرَضٌ ﴾ أي: فُجور؛ والمعنى: لا تَقُلْنَ قُولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتكن له؛ والمرأة مندوية إذا خاطبت الأجانب إلى الغِلظة في المقالة، لأن ذلك أبعد من الطمع في الرِّبة. ﴿ وَوَقُلْنَ فَوَلا مَعْرُونَا ﴾ أي: صحيحاً عفيفاً لا يُطبع فاجر آلاً. ﴿ وَوَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَ ﴾ قرأ نافع، وعاصم إلا أبان، وهبيرة، والوليد بن مسلم عن ابن عامر: ﴿ وقَرْنَ بفتح القاف؛ وقرأ الباقون بكسرها. قال الفراء: من قرأ بالفتح، فهو من فَرَرْتُ فِي المكان، فخففت، كما قال: ﴿ ظَلْتَ عَلَيْهِ عَرَكُنا ﴾ [طه: ٤٩]، ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَ فِي منزله يَقِرُ وُقُوراً. ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَ فِي منزله يَقِرُ وُقُوراً. ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَ فِي منزله يَقِرُ وُقُوراً. ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَ في منزله يَقِرُ وُقُوراً. ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَ في منزله يَقِرُ وُقُوراً. ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة مثله، إلا أنهما كسرا الراء الأولى. قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر والنورة والسكون في بُيوتهنَّ وأن لا يَخْرُجْنَ (٢).

⁽١) - قال ابن كثير: ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. اهـ.

٧) - قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَتَرْنَ نِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي: الْزَمْنَ بُيوتكنَّ فلا تَخْرُجْنَ لغير حاجة، قال: ومن الحواثج الشرعية الصلاةُ في المسجد بشرطه =

الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٤

قوله تعالى: ﴿وَلا نَبَعْتِ﴾ قال أبو عبيدة: التبرُّج: أن يُبُرِن مجاسنهن. وقال الزجاج: التبرُّج: إظهار الزَّينة وما يُستدعى به شهوة الرجل. وفي ﴿ الْجَهْلِيَةِ الْمُولِيَّةِ الْمُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ الْمُولِيَّةِ الْمُولِيَّةِ الْمُولِيَّةِ الْمُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيَّةِ اللَّهُولِيِّةِ اللَّهُ وَمَعْدَ عِنْهُ اللَّهُ اللللِّهُ اللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُدْهِبَ عَنصُمُ ٱلرَّحْسُ وفيه للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: الشرك، قاله الحسن. والثاني: الإثم، قاله السدي. والثالث: الشيطان، قاله ابن زيد. والرابع: الشك. والخامس: المعاصي، حكاهما الماوردي. قال الزجاج: الرّجس: كل مستقلَر من مأكول أو عمل أو فاحشة. ونصب ﴿أَمْلَ ٱلبّيّبِ على وجهين: أحدهما: على معنى: أعني أهلَ البيت، والثاني: على النداء، فالمعنى: يا أهل البيت. وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم نساء رسول الله ﷺ، لأنهن في بيته، رواه سعيد بن جبير عن أبن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل: ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبعده متعلق بأزواج رسول الله ﷺ. وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنّث بالنون، فكيف قبل: «عنكم» ويطهركم»؟ فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهنّ، فغلّب المذكّر. والثاني: أنه خاصٌ في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري. وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك. والثالث: أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه (٣)، قاله الضحاك. وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال جميعاً، لقوله: عنكم، بالميم، ولو كانت للنساء، لم يجز إلّا (عنكنّ، ﴿ويُطهركنّ).

كما قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخْرُجْنَ تَفِلات، (تاركات للطيّب والأدهان) وفي رواية: ﴿وبيوتهنّ خيو لهنّ الح. ومن المحوائج الشرعة: الخروج للحج والعمرة، وزيارة الوالدين، وعيادة المرضى، وغير ذلك.

⁽١) رواه الطبري ٤/٢٤ من عكرمة من ابن عباس، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٩/٨ من رواية ابن أبي حاتم رقال: إسناده قوي. وأووده السيوطي في «اللبر» ٥٠/١٩ من (١٩٠٥ وزاد نسبته لابن المنذر» والحاكم، وابن مردويه، والبيهتي في «شبب الإيمان». والمراد نسبته لابن المنذر» والحاكم، وابن مردويه، والبيهتي في «شبب الإيمان».

⁽٢) قال أبن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يترج عن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام. فإن قال قاتل: أو في الإسلام جاهلية حتى يقال: عنى بقوله (الجاهلية الأولى) التي قبل الإسلام؟ اقبل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية، ثم قال: وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وتوح، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الأخرة ما بين عيسى ومحمد، قال: وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله، إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى. اهد.

قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرُكُ نَطْهِ بِرَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الشَّرك، قاله مجاهد. والثاني: من السُّوء، قاله قتادة. والثالث: من الإثم، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْكُرْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه تذكير لهنَّ بالنَّعَم. والثاني: أنه أمرٌ لهنَّ بحفظ ذلك. فمعنى الواذكُرْنَ»: واحفَظْن ﴿مَا يُتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ مَايَنتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن. وفي الحكمة قولان: أحدهما: أنها السُّنَّة، قاله قتادة. والثاني: الأمر والنهي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَاكَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لطف بكُنَّ إذْ جعلكُنَّ في البيوت التي تُتْلَى فيها آياتُه ﴿ خَبِيرًا ﴾ بكُنَّ إذ اختاركُنَّ لرسوله.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْفَتِنِينَ وَالْفَتِينِينَ وَالْفَلِينَالِينَ وَالْفَلِينَ لِللْفُلِينَ لِلْمُعِلِينَ وَالْفَلِينَ فَيْرِينَ وَالْفَلِينَالِينَالِمِينَ وَالْفَلِينَالِينَالِينَالِينَ وَالْفَلِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَ وَالْمُنْفِيلِينَالِينَ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السُّيلِينَ وَالسُّلِينَ ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله على قُلْنَ: ما له ليس يُذْكُر إلاَّ المؤمنون، ولا تُذْكَر المؤمنات بشيء؟! فنزلت هذه الآية (() ونزل قوله: ﴿لاَ أَيْسِعُ عَمَلَ عَنبِلِ مِنكُم الله أَمَّ سَلَمَة قالت: يا رسول الله يُذْكُر الرجال ولا نُذْكَرا فنزلت هذه الآية (ا) ، ونزل قوله: ﴿لاَ أَيْسِعُ عَمَلَ عَنبِلِ مِنكُم الله عمران: ١٥٥]، قاله مجاهد (الله على وأمِّي ما بالُ الرجال يُذْكُرون، ولا تُذْكَر النساء؟! فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة (أ) . وذكر مقاتل بن سليمان أن أمَّ سَلَمة وأمَّ عُمَارة قالتا ذلك ، فنزلت [هذه] الآية في قولهما . والرابع: أن الله تعالى لمَّا ذكر أزواج رسوله دخل النساء المُسْلمات عليهنَّ فقُلْنَ: ذُكِر تُنَّ ولم نُذْكُر ، ولو كان فينا خير ذُكِرنا ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة (٥) . والمخامس: أن أسماء بنت عُمَيس لما رجعت من الحبشة دِخلت على نساء رسول الله على خيبة وخسار ، قال: قوم ذاك؟ قالت: لأنهنَّ لا يُذْكُرن بخير كما رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار ، قال: قوم ذاك؟ قالت: لأنهنَّ لا يُذْكُر نَ بخير كما يرسف الله الآية ، ذكره مقاتل بن حيًان (١) . وقد سبق تفسير ألفاظ الآية في مواضع [البقرة: ٥٤ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ١٠٥ . ١٩٠ ، ١٢٩ . ١٩٠ . ١٩٠ . ١٩٠ . ١٩٠ . ١٩٠ . ١٩٠ . ١٠ اله مران: ١٧ ، وسف الله والمراب المراب المراب المراب المراب المراب المراب المراب المراب المراب الله المراب المراب

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَمَثُمُ الْجَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْسِ اللّهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ صَلَ صَلَلًا ثَبِينًا ﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلّذِي اللّهَ عَلَيْهِ وَأَنْصَمْتَ عَلَيْسِهِ أَسْبِكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَقِنَ اللّهَ وَتُحْفِى فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَتَحْشَى النّاسَ وَاللّهُ المُومِنِينَ خَرَجٌ فِي أَنْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَخَشَى النّاسَ وَاللّهُ اللّهُ وَمَلًا وَمُعْلًا وَمُوا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُوا وَاللّهُ وَمُعْلِكُ وَمُعْلًا وَمُعْلِقًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَمُعْلِقًا وَمُعْلِقًا وَمُعْلِقًا وَمُلًا وَمُعْلِيا وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُعْلِكُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُعْلِقِيلًا وَمُعْلِقًا وَمُعْلًا وَمُعْلًا وَاللّهُ وَالَعُلُمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْلًا واللّهُ وَاللّهُ وَالل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلاَ مُؤْمِنَةِ...﴾ الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فقالت: لا أرضاه، ولستُ بِنَاكِحَتِه، فقال رسول الله ﷺ: فبلى فانكحيه، فإنّى قد رضيتُه لك، فأبت، فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مرويّ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة،

۱) وواه الطبري ۱۰/۲۲ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. وذكره السيوطي في «الدر» (۲۰۰/ وزاد نسبته للطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس 🐞.

٢) رواه الطبري ٢٠/٢١، ورواه أحمد في «المسند» عن أم سلمة، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٠٠ وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني عن أم سلمة رهيا.

⁽٣) رواه الطبري ١٤٥/٤، والحاكم ٢/ ٣٠٠ وصححه، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٢/٢ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني.

⁽٤) ذكره السيوطي في اللده ٥-٢٠٠ من رواية الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، والطبراني، وابن مردويه عن أم عمارة الأنصارية رضي المسارية المسارية

 ⁽٥) «الطبري، ۲۲/۲۱، وذكره السيوطي في «الدر» من رواية ابن سعد عن قتادة.

⁽٦) ذكره الواحدي في اأسباب النزول؛ ٢٠٤ بدون سند.

والجمهور (١٠). وذكر بعض المفسرين أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلمًا نزلت الآيةُ رضيا وسلَّما (٢٠). قال مقاتل: والمراد بالمؤمن: عبد الله بن جحش، والمؤمنة: زينب بنت جحش. والثاني: أنها نزلت في أُمَّ كُلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط، وكانت أوَّل امرأة هاجرت، فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ، فقال: ققد قَبلْتُكِ، وزوَّجها زيدَ بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالا: إنَّما أردنا رسولَ الله، فزوَّجها عبدَه؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد (٣٠). والأول عند المفسرين أصح.

قوله تعالى: ﴿إِنَا قَسَى اللهُ رَبَّولُهُمُ آمَرُ﴾ أي: حَكما بذلك «أن تَكُونَ» وقرأ أهل الكوفة: «أن يكون» بالياء ﴿ لَمُهُمُ لَلْهِكَمْ وَهُمَا أَبُو مجلز، وأبو رجاء: «الخِيْرَةُ» بإسكان الياء؛ فجمع في الكناية في قوله: «لهم»، لأن المراد جميع المؤمنين والمؤمنات، والخِيرَة: الاختيار، فأعلم الله على أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله. فلمًا زوَّجها رسولُ الله على إيداً مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله على أتى منزل زيد فنظر إليها وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، فوقعت في قلبه، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، وفطن زيد، فقال: يا رسول الله اثذن لي في طلاقها أنا. وقال بعضهم: أتى رسولُ الله على منزل زيد، فراى زينب، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، فسمعت ذلك زينب، فلمًا جاء زيد ذكرت له ذلك، فعلم أنها قد وقعت في نفسه، فأتاه فقال: يا رسول الله اثذن لي في طلاقها (٥٠). وقال ابن زيد: جاء رسولُ الله على المب زيد ـ وعلى الباب سِتْر من شعر ـ فرفعت الربح السِّر، فرأى زينب، فلمًا وقعت في قلبه كرهت رسولُ الله على المب نا رسول الله أريد فراقها، فقال له: «اتق الله» (١). وقال مقاتل: لمًا فطن زيد لتسبيح رسول الله على قال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كِبْراً، فهي تَعظم على وتوذيني بلسانها، فقال له النبي الله الله الله الله الله الله المب على المبال الله الذن الما الله المب على المبال الله المبال الله المبال الم المبال الله المبال الله المبال الله المبال الله المبال الله المبال المبال الله المبال الله المبال الله المبال الله المبال المبال المبال المبال المبال المبال المبال الله المبال المبال

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِّى اللهُ أَي: في أمرها فلا تطلّقها ﴿ وَتُغْنِى فِي نَفْسِكَ ﴾ أي: تُسِرُّ وتُضْمِر في قلبك ﴿ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي: مُظْهِره؛ وفيه أربعة أقوال: أحدها: حُبّها، قاله ابن عباس. والثاني: عهد عهده الله إليه أنَّ زينب ستكون له زوجة، فلمًا أتى زيد يشكوها، قال له: وأمْسِك عليك زوجك واتق الله، وأخفى في نفسه ما الله مبديه، قاله على بن الحسين (^). والثالث: إيثاره لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلّقها زيد تزوجتُها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ وَتَغَثَّى اَلنَّاسَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوَّج محمد امرأة ابنه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها.

⁽١) رواه الطبري ٢٢/ ١١ من رواية العوفي عن ابن عباس، وابن لهيعة عن ابن أبي صمرة عن حكرمة عن ابن عباس، ورواه عن مجاهد وقتادة، وذكره السيوطي في «اللد» عن ابن عباس، ومجاهد، وتنادة.

 ⁽۲) ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند.

⁽٣) ' رواه الطبري ٢٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٠١ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف؛ ١٣٤: رواه التعلمي بهذا بغير سند.

⁽٤) قال الحافظ ابن حجر في تتخريج الكشاف: ذكره الثعلبي بدون سند. اهـ. وكذلك ذكر مثل هذا المعنى الخازن والبغوي وغيرهما بدون سند.

 ⁽٥) وهذا أيضاً من المرسلات والمنقطعات التي ليس لها سند صحيح، وقد أورد مثلها السيوطي في «الدر» من طريق عبد بن حميد، وابن المنذر، عن
 عكرمة، ومن طريق ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبًان.

٦) رواه الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.

 ⁽٧) ذكره بنحوه الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف؛ عن الثعلبي بدون سند.

⁽A) رواه الطبري ۱۳/۲۷ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً. من طريق السدي، قال المحافظ ابن حجر عنه في «الفتح»: وهو أرضح سباقاً وأصح إسناداً إليه. اهد. وقال الآلوسي في «تفسيره» عن هذا المعنى: وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين، كالزهري، وبكر بن العلاء، والقشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم. اهد. وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر قبل قليل، وهو قوله: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي رفيه هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته. اهد.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَلُهُ ﴾ أي: أولى أن تخشى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لمَّا كان لخشيته بالخُلْق نوع تعلُّق، قيل له: الله أحقُّ أن تخشى منهم. قالت عائشة: ما بزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشدّ عليه من هذه الآية، ولو كتم شيئًا من الوحى لكتمها(١٠).

فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله من حُبِّها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك شائعاً في التفسير(٢). قالوا: وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين: أحدهما: أنه أُخبر بأنها ستكون زوجة له، فقال لزيد: «أمسك عليك زوجك، فكتم ما أخبره الله به من أمرها حياءً من زيد أن يقول له: إنَّ زوجتَك ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن عليّ بن الحسين، وقد نصره الثعلبي، والواحدي. والثاني: أنه لمَّا رأى اتصال الخصومة بين زيد وزينب، ظن أنهما لا يتفقان وأله سيفارقها، وأضمر أنه إن طلِّقها تزوَّجتُها صِلةً لرحمها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه حين قال لزيد: «أمسك عليك زوجك»، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء كما قيل له في قصة رجل أراد قتله: هلّا أومأتَ إلينا بقِتله؟ فقال: ﴿ما ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين الله ، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلى رحمة الله عليه .

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَضَىٰ زَيَّدُ يَتُهَا وَطُلَا ﴾ قال الزجاج: الوَطَر: كل حاجة لك فيها هِمَّة، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وَطَره، وقال غيره: قضاء الوَطَر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارة عن الطلاق، لأن الرجل إنما يطلِّق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. والمعنى: لمَّا قضى زيد حاجته من نكاحها ﴿زَيَّحْنَكُهَا﴾، وإنما ذكر

بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. اهـ. بريد بذلك أمثال فنوقعت في قلبه، وفسبحان مقلب القلوب،

⁽١) 🤇 رواه الطبري بهذا اللفظ: ٢٢/١٣ من قول الحسن، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم ﴿أَيْقَلِيْ في نَفْصِكُ مَا اللَّهُ مُثْدِيدِ رَغَتْنَى اَلنَّانَ رَاقَةً لَّحَقُّ أَن تَخَشَلَةً ﴾ ورواه الـترمذي: ٢/ ١٥٣ بنحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطيٰ في «المدر» ٧٠٠/، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن عائشة. وروى مسلم في ﴿صحيحه ١٦٠/١ عن عائشة رلله قالت: ولو كان محمدﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَنُولُ بِلَّذِي أَنْتُمْ اللَّهُ طَنِّهِ وَأَنْصَمْتُ عَلْسِهِ

أَسْيَكَ مَلَيْكَ زَلْمَكَ وَأَنَّيْ أَفَةَ رُتُخْلِي فِي نَفْسِكَ مَا أَفَهُ مُبْدِيهِ وَغَضْى النَّاسَ وَاقَهُ أَحَقُّ أَن غَنْشَةً ﴾ الهـ. (٧) قال الحافظ أبن كثير في تفسير هذه الآية ﴿وَثَغْيلِ فِي نَفْسِكَ مَا أَنَّهُ جُدِيهِ وَتَخْتَى النَّاسَ وَأَنَّهُ أَخَنُّ أَن تَخَشَّلُهُ ﴾: ذكر ابن أبي حاتم والطبري هاهنا آثاراً عن

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ٨/ ٤٠٣ بعدما ذكر أن الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه، وليس فيهما ما تقدم من أنها وقعت في قلبه، وغير ذلك، قال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول اه 🐉، وكان رسول اله ﷺ أواد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول اله ﷺ، فزوجها إياه، ثم أعلم الله 錦 نبيه ﷺ بعدُ أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله 纖 أن يمسك زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنَّى زبداً. ثم قال ابن حجر: ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، قال: والذي أوردته هو المعتمد، ثم قال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي 纖 هو إخبار الله إياه أنها ستصير زرجته، قال: والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل المجاهلية عليه من أحكام التبنّي بأمرٍ لا أبلغَ في الإبطال منه، وهو نزوّج امرأة الذي يُدعى ابناً، قال: ووقوع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم، قال: وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم. وقال الألوسي في اتفسيره:: وللقُصّاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، ثم قال: وفي «شرح المواقف»: أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله. اهـ. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): وروى أحمد، ومسلم، والنسائي، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الل 藝 لزيد: «اذكرها عليَّ، قال: فانطلقت، فقلت: يا زينب أبشري أرسل رسول الله 藝 يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة ـ حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول اله ﷺ ختى دخل عليها بغير إذن. قال ابن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، قال: وفيه أيضاً اختيار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء، أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله كلل يسر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى. اهـ.

رواه أبو داود في هستنه رقم (۲۲۸۳) و(۶۳۵۹) من حديث أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط بن نصر، قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد. . . فذكره، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٨/٤ من رواية البيهقي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه، ورواه النسائي في «المحاربة».

قضاء الوَطّر هاهنا ليُبيّن أن امرأة المتبنَّى تَجِلُّ وإن وطنها، وهو قوله: ﴿ لِكُمْ لَا يَكُونَ عَلَ ٱلْمُؤمِينَ حَيَّ فِي أَزَيْج أَدْعِياً لِهِمْ إِنَا عَمْنَوْا مِنْهُونَ وَكُولُ ﴾ والمعنى: زوجُناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنَّيّه لكيلا يُظَنَّ أن امرأة المتبنَّى لا يحلُّ نكاحها. وروى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال: لمَّا انقضت عِدَّة زينب قال رسول الله على لزيد: فافهب فأذكُرها علَي ، قال زيد: فانطلقتُ، فلمَّا رأيتُها عَظُمَتْ في صدري حتى ما أستطيع أن أنظرُ إليها، لأن رسول الله على ذكرها، فوليَّتُها ظهري، ونكَصْتُ على عَقِبي، وقلتُ: يا زينب، أرسلني رسولُ الله على يذكُركِ، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوّامر ربِّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله على فدخل عليها بغير إذن (١٠). وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله على أجيز له التزويج بغير مَهْر ليَخلُص قَصْد زوجاته لله دون العِوض، وليخفّف عنه، وأجيز له التزويج بغير وليَّ، لأنه مقطوع بكفاءته، وكذلك هو مستغني في نكاحه عن الشهود. وكانت زينب تفاخر نساء النبي على وتول: زوّجكنَّ أهلوكنَّ، وزوّجني الله على النبي على في وتقول: زوّجكنَّ أهلوكنَّ، وزوّجني الله على الله على الله عنه وتقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وزوّجكنَّ أهلوكنَّ، وزوّجني الله على الله عنه وستغني في نكاحه عن الشهود. وكانت زينب تفاخر نساء النبي على وتقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول: وتوقول وتوقول

﴿ ثَمَّا كَانَ عَلَى النِّيِ مِنْ حَرِج مِيمًا فَرَضَ اللَّهُ لَمُّ سُنَةَ اللَّهِ فِ الذِينَ خَلَوْ مِن فَبَلْ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَدَلَا مَقْدُولًا ﴿ اللَّهِ كَا يَكُونُ اللَّهِ وَخَالَدَ اللهِ وَخَالَمُ مَنَ اللهِ عَمْدُونَ أَمْدُ وَلَا كُمْ وَلَاكِنَ رَّمُولَ اللّهِ وَخَالَمَ اللّهِ وَخَالَمُ وَكَانَ اللّهِ وَخَالَمُ وَكَانَ اللّهِ عَرْضَا اللّهِ وَخَالَمُ وَكَانَ اللّهِ عَلَيْهُ ﴾ النّبَيْتُ وَكَانَ اللّهُ بِكُلُ مَنَى عِلِيمًا ﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ظَلَ ٱلنِّي مِنْ حَرَجٍ فِيمًا فَرَضَ ٱللَّهُ لَلَّهِ قال قتادة: فيما أَحَلَّ الله له من النساء.

قوله تعالى: ﴿ سُنَةَ اللهِ ﴾ هَي منصوبة على المصدر، لأن معنى الما كان على النبيِّ مِنْ حَرَجٍ »: سنَّ الله سُنَّة واسعة لا حَرَج فيها. والله ين خَلَوا: هم النبيُّون؛ فالمعنى: أن سُنَّة الله في النَّوسعة على محمد فيما فرض له، كسنته في الأنبياء الماضين. قال ابن السائب: هكذا سُنَّة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرَيَّة (٣)، ﴿ وَكَانَ أَشُرُ اللهِ قَدَرًا مَّقَدُولًا ﴾ أي: قضاء مقضياً. وقال ابن قتيبة: ﴿ سُنَّةَ اللهِ وَيَعْشُونَهُ وَلا يَخْشُونُ أَمَدُ النَّاسِ وقولهم فيما أجل الإنبياء بقوله: ﴿ اللَّذِينَ يَالِينَ اللهِ وَيَعْشُونَهُ وَلا يَخْشُونَ أَمَدًا الناس وقولهم فيما أجل لهم. وباقي الآية قد تقدم بيانه [الساء: ٦]:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَدَّدُ آبَا أَحَدِ مِن رِجَالِكُمْ ﴾ قال المفسرون: لمَّا تزوَّج رسولُ الله ﷺ زينب، قال الناس: إن محملاً قد تزوَّج امرأة ابنه، فنزلت هذه الآية (٤٠)، والمعنى: ليس بأب لزيد فتَحْرُم عليه زوجته ﴿وَلَكِينَ رَسُولَ اللهِ ﴾ قال

⁽۱) رواه مسلم في اصحيحه ١٠٤٨/٢، ورواه أحمد في المسنده، والنسائي في السنده، وأورده السيوطي في اللدر، ٥/ ٢٠١ وزاد نسبته لابن سعد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن أنس بن مالك رابيد.

 ⁽۲) رواه البخاري رحمه اله ۲٤٨/١٣ عن أنس بن مالك ﷺ قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. وذكره السيوطي في اللده ٢٠١/٥ وزاد نسبته الأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مرديه، والبيهتي في استنه عن أنس ﷺ.

⁽٣) كذا الأصل، والذي في المجمع البيانة للطبرسي، والخازن عكس ما هاهنا: وكان لسليمان ثلاثمائة امرأة، وسبعمائة سرية. قال الحافظ ابن حجر في اللغتجة ٢/ ٣٣١: وقد حكى وهب بن منه في «المبتدأ» أنه كان لسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة مهيرة، وسبعمائة سرية، قال: ونحوه سما أخرج ألحاكم في «المستدرك» من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال: بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة صويحة، وسبعمائة سرية. اهـ.

والذي في المسحيح البخاري، ٢٠ ٣٠ تي كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي هريرة في عن النبي الله قال سليمان بن هاود: لأطوقن الليلة على مبين امرأة تاوساً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحيه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحلاً ساقطاً أحد شقيه، فقال النبي في: فلو قالها لجاهدوا في سبيل الله، وفي بعض روايات البخاري تسمين، ورجحها البخاري على سبعين، قال الحافظ ابن حجر: وعند مسلم سبعين. وأخرج الإسماعيلي والنسائي عن أبي الزناد، قال: مائة امرأة، ورواه أحمد وأبو عوائة من طريق هشام عن ابن سبرين فقال: مائة امرأة، قال: ومن طريق جعفر بن ربيعة عن الأعرج: مائة امرأة أو تسع وتسعون على الشك. قال الحافظ ابن حجر: فمحصل الروايات ستون، وسبعون، ومائة، والجمع بينهما أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن صراري، أو بالعكس، وأما السبعون، فللمبالغة، وأما المسعون والمائة، فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قال: تسعون ألفي الكسر، ومن قال: مائة، جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر، قال: وأما قول بعض الشراح: ليس في ذكر القليل نفي الكثير، وهو من مفهوم العدد، وليس بحجة عند الجمهور، فليس بكاف في هذا المقام، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين، والله أعلم. اهـ.

⁽٤) رواه الترمذي ١٥٢/٢ عن عائشة ﷺ ..

الزجاج: من نصبه، فالمعنى: ولكن كان رسول الله، وكان خاتَمَ النبيِّين؛ ومن رفعه، فالمعنى: ولكن هو رسولُ الله؛ ومن قرأ: «خاتِمَ» بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيِّين؛ ومن فتحها، فالمعنى: آخِر النبيِّين. قال ابن عباس: يريد: لو لم أختِم به النبيِّين، لَجَعلتُ له ولداً يكون بعده نبياً (١).

(۱) قال ابن كبر: وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُ مُسَدُّ أَلَا لَكُو بَن رَجَالِكُمْ فَهِى أَن يقال بعد هذا: زيدُ ابن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبنّاه، فإنه للله لم يعمل له ولد ذَكر حتى بلغ الحلم، فإنه لله ولد له: القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة في المات المعارة وولد له إلى إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً، وكان له لله من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وقاطمة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فمات في حياته لله لله لله الله الم المستبت به لله، ثم ماتت بعده لستة أشهر، قال: وقوله تعالى: ﴿ وَلَذِن رَسُول اللهِ وَلَكُن رَسُول اللهِ وَلَكُن رَسُول اللهِ وَلَكُن رَسُول اللهِ وَلَا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كان رسول الله الله قال: ويذلك وردت الأحلاث المتواترة عن رسول الله الله من حديث جماعة من الصحابة في اهـ. وذكر ابن كثير كثيراً من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به الله منها ما أخرجه البخاري في اصحيحه ٤٠/٨٠٤، ومسلم في المصحيحه ٤/١٧٩١، عن أبي هريرة في أن رسول الله الله قال: فإن المأتياء من قبلي، كمثل رسل بني بيناً فاحسته وأجمله، إلا موضع لَيتة من زاوية، في العنائم، وجملت لناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبغا؟ قال: فإن المنظم المؤلم ومنها ما رواه مسلم في المحمد عن المحمد عن أبي هريرة في قال رسول الله الله قال كانة، وختم مي النبون، ومنها ما رواه البخاري في المحمد الله عن المحمد في قال العالم الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم محمد، وأنا ألحد، وأنا الماتب الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم محمد، وأنا ألحد، وأنا الماتب الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم محمد، وأنا الماتب الذي بس بعده أحده واللفظ لمسلم محمد، وأنا الماتب الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم محمد، وأنا الماتب الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم عده أحدى واللفظ لمسلم عده المحمد في الماتب الذي المحمد في المنائب المحمد في الكثيرة اللفائم الناس على قديم، وأنا الماتب الذي ليس بعده أحده واللفظ لمسلم عده المحدد في المنائب ال

قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحيف له، قال: وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في الشّنة المتواترة عنه أبه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادَّحى هذا المقام بعده، فهو كذَّاب، أفّاك، دجَّال، ضالً، ضللً، ولو تخرق وشعبذ وأتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الأباب، كنا أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاصدة والأقوال الباردة ما علم كلُّ ذي للبارب كنا أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاصدة والأقوال الباردة ما علم كلُّ ذي للبي يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا إلكذابين يخلق الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون معرف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو ليما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ هُلُ أَلْتُوكُمُ عَلَى مَن تَنَلُ الشّيكُوكُ الله تَن عَن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو ليما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ هُلُ أَلْتُهُ عَلَى مَن تَنَلُ الشّيكُوكُ الله في المقامة والمدن به وينهون عنه، مع ما يؤيدن به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات. هـ.

هذا وقد ظهر في هذا القرن (القرن الثالث عشر الهجري) دجال في «قاديان» إحدى بلاد باكستان يدَّعي النبوة، يسمى: ميرزا غلام أحمد (١٣٥٣ ـ ١٣٣٦ هـ وأتباعه يسمون أنفسهم «الأحمدية» نسبة إلى دجال قاديان، وهم المعروفون عندنا بالقاديانيين، وهم يعتبرون ميرزا غلام أحمد القادياني إمام هذا الزمان، والمسيح الموهود، ويدُّعون أن النبوة لا تنقطع، وأن إمامهم من جملة الأنبياء، ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَيَاتَدُ اَنْبَيُّوكُۥ بَانُه طابعهم، وليس آخرهم، وأن كل نبي يظهر بعده ﷺ تكون نبرته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه، مخالفين بذلك تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين والفقهاء والمحدثين وجمهور المسلمين من السلف والخلف، ويستشهدون يقول مسيحهم المزعوم في كتاب فملفوظات أحمدية، صفحة (٣٩٠): أن المتراد به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ ويقول مسيحهم بناءً على ذلك مدعياً الرسالة في كتابه "التبليغ» صفحة (٣٠ ـ ٣٠)؛ "أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبي للذين يقبلونني ويذكرون الموت أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون٬ والحق أنه رسول من قبل دولة الانكليز، يدل على ذلك قوله في كتابه «ضرورة الإمام؛ صفحة (٣٨) في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَمِلْمُوا أَلَّهُ لْأَطِيخُوا النُّرِيُّةُ وَلَيْهِ اللَّهِ وَمُعَلِّي اللَّمر جسمانياً الملك (ملك بريطانيا) وروحانياً إمام الزمان (يعني نفسه) وإن الشخص الجسماني الذي لا يخالفنا في مقاصدنا، ويمكننا أن تحصل لنا منه الفائدة الدينية فهو يكون منا، ولذلك فنصيحتي لجماعتي هي أن يعدُّوا ملك الانكليز من أولياء أمرهم ويطيعوهم بصدق القلب، لأن هؤلاء لا يحرجوننا في مقاصدنا الدينية. اهـ. ويقول منير الحصني من أتباعه في دمشق في شرح كلامه هذا في كتابه االجماعة الأحمدية والانكليز؛ صفحة (١٨): ومن هذا الكلام الواضح يفهم كل قارئ أن المسيح الموعود ﷺ (يريد دجال قاديان) بين حكماً من أحكام القرآن المجيد، وهو إطاعة غير المسلمين إذا منحوا الحرية الدينية سواء أكانوا انكليزاً أم غير انكليز، وبما أن الانكليز كانوا في وقته 🕮 هم الحاكمين، كانوا لا يتحرضون للدين، لذلك قال بوجوب طاعتهم. ويقول المسيح الكذاب سيناً نعمة الانكليز عليه وعلى أتباعه في كتابه امركات الخلافة صفحة (٦٥): فإن إحسان المحكومة الانكليزية إلينا هو كبير ونحن نعيش براحة واطمئنان كبيرين، وتتم مقاصدنا، إن أعظم مقصد لنا هو إشاعة الدين (هين دجال قاديان) ولأجل تتميم هذا المقصد نجد كل حرية، ويمكننا التبليغ في كل ركن من المملكة (الانكليزية) حيث نشاء، وإذا ذهبنا للتبليغ في الممالك الأخرى، فهناك أيضاً تساعدنا الحكومة البريطانية. اه كلام هذا الدجال، وهو واحد من الذين ظهروا، وسيظهر أمثاله، وذلك مصداق قول نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في (صحيحه ٤/ ٣٢٤٠ عن أبي هريرة عن النبي 獺 قال: ﴿لا تقوم الساعة حتى يبعثَ دُجَّالون كُذَّابُون، قريبٌ من ثلاثين، كلُّم يزهم أنه رسول الله. ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَثُوا انْكُرُوا اللَّهَ ذِكُلَ كَثِيرًا ۞ وَسَيِّعُوهُ بَكُوْهُ وَأَصِيلًا ۞ هُوَ الَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمُلَتَهِكُتُمُ لِيُخْرِيَكُمْ مِنَ الظُّلُمُنَتِ إِلَى النَّوْدِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ نَجِيتُهُمْ بَيْنَ بَلْقَوْتَهُ سَلَمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَمُنْمَ أَجْرًا كَرِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ اَذَكُرُوا اللّهَ ذِكْرُ كَبِيرًا ﴾ قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبداً. وقال ابن السائب: يقال: ﴿ فِكُراً كثيراً ﴾ بالصلوات الخمس. وقال مقاتل بن حيّان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال: وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ يقول ربُّكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿وَسَيْحُوهُ بَكُونَ وَأَصِيلًا ﴿ قَالَ أَبُو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل. وللمفسرين في هذا التسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بُكُرة: صلاةُ الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية، وقتادة. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قاله ابن السائب. والثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَلِّى عَلَيْكُمُ وَمَلْتَهِكُنُهُ في صلاة الله علينا خمسة أقوال: أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن. والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية. والرابع: كرامته، قاله سفيان. والمخامس: بَرَكَتُه، قاله أبو عبيدة. وفي صلاة الملائكة قولان: أحدهما: أنها دعاؤهم، قاله أبو العالية. والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل. وفي الظُّلُمات والنُّور هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضَّلالة والهدى، قاله ابن زيد. والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل. والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ يَبَنَّهُمْ ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين. فأما الهاء في قوله: ﴿ يَلْقَوْنَهُ ففيها قولان: أحدها: أن معناه: تحيّتُهم من الله يوم يَلْقُونه سلام. وروى المعيب عن النبي على الله يسلم على أهل المجنة، والثاني: تحيّتُهم من الملائكة يوم يَلْقُون الله: سلامٌ، قاله مقاتل. وقال أبو حمزة الثّمالي: تسلّم عليهم الملائكة يوم القيامة، وتبشّرهم حين يخرجون من قبورهم. والثالث: تحيّتُهم بينهم يوم يلقون ربّهم: سلام، وهو أن يُحيّي بعضُهم بعضاً بالسلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن الهاء ترجع إلى ملك الموت، وقد سبق ذِكْره في ذِكْر الملائكة. قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له: ربّك يقرئك السلام (٢٠). وقال البراء بن عازب: في قوله: ﴿ غَيتَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْبُهُ قال: ملك الموت، ليس مؤمن

⁽۱) رواه البخاري معلقاً ۱۷/۱٪ ، قال: وقال أبو هريرة عن النبي عَيْد: فقال الله تمالى: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفناه ، ورواه أحمد في فالمسنده عن أبي هريرة عن أبي هريرة عن أبي هريرة الله والمسنده عن أبي المرداء الله وصححه ، ووافقه الذهبي ، والأحاديث في فضل الذّكر كثيرة ، منها ما رواه الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم بسند صحيح عن أبي المدراء في قال: قال رسول الله عنه: فالأ ألبتكم بخير أهمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق اللهب والوّرق، وخير لكم من أن تلقزا علوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أهناقكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: فإكر الله . ومنها ما رواه مسلم في اصحيحه عن أبي هريرة في قال: قال رسول الله عن السبق المغرّدون قالوا: بلى يا رسول الله قي قال: فلكا ومنها ما رواه مسلم في اصحيحه عن أبي هريرة في قال: قال رسول الله عن السبق المغرّدون قالوا: وما المغرّدون يا رسول الله قي قال: فلكاكرون الله كثيراً والملاكرات . ومنها ما رواه البخاري ومسلم في اصحيحيهما عن أبي هريرة في عن رسول الله قي قال: فلك يلكر وبه والله يلكر وبه مثل الحي والميت . وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فاخبرني بشيء أنشبت به ، قال: فلا يقال المناز وصححه ، ووافقه المنهي. وعن أبي هريرة في عن رسول الله قيقال: هن قعد مقعلة لم يلكر الله تمالي فيه ، كانت عليه من الله تمالي يرة ، ومن المنطجع مضطجماً لا يذكر الله تمالي فيه ، كانت عليه من الله تمالي يقرة ، ومن أصعيح . والأحاد والأحاد والأحاد وي الحن المناز في الحث على ذكر الله تمالي فيه ، كانت عليه من الله تمالي كاب الأذكار اللهما النووي رحمه الله ، وقد صنف العلماء في الأذكار وسماء به الكلم الطيب وطبعه المكتب الإسلامي طباعة جيئة محققة ، ليكون في متناول أيدي الناس - وخاصة الشباب منهم - وليجدوا بذلك عونا لهم على ذكر الله قلا.

⁽٢) ذكره السيوطي في االدرا ٥/ ٢٠٦ من رواية المروزي في (الجنائز) وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

يقبض روحه إلا سلَّم عليه (١٠). فأما الأجر الكريم، فهو الحسن في الجنة (٢).

﴿ يَكَأَبُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا آرَسَلْنَكَ شَلْهِمُا وَمُبَشِّرًا وَنَـٰذِيرًا ۞ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ. وَسِرَابُنَا ثُمْنِيرًا ۞ وَيَشِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا نُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَالشَّنْفِينَ وَدَعْ أَذَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِأَللّهِ وَكِيلًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُ النَّيُّ إِنَّا أَرْسَلَتَكَ شَنهِ دَا﴾ أي: على أُمَّتُك بالبلاغ ﴿ وَبُبَيْرًا ﴾ بالجنة لمن صدَّقك ﴿ وَنَدِيرًا ﴾ أي: بأمره، لا ﴿ وَنَدِيرًا ﴾ أي: بأمره، لا أنك فعلته من تلقاء نفسك ﴿ وَسِرَاجًا مُثِيرًا ﴾ أي: أنت لِمَن اتَّبعك «سراجاً»، أي: كالسَّراج المضيء في الظلمة يُهتدى به.

قوله تعالى: ﴿وَيَشِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَمُمْ مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلَا كَبِيرًا ۞﴾ وهو الجنة. قال جابر بن عبد الله: لمَّا أُنزل قوله: ﴿إِنَّا فَتَخَا لَكَ فَتَهَا شُهِينَا ۞...﴾ الآيات [الفتح] قال الصحابة: هنيثاً لك يا رسول الله، فما لَنا؟ فنزلت هذه الآية (٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعِ ٱلْكَنْدِينَ ﴾ قد سبق في أول السورة.

· قوله تعالى: ﴿وَرَدَعْ أَذَنَهُمْ ﴾ قال العلماء: معناه: لا تجازهم عليه ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَ اللَّهِ ﴾ في كفاية شرَّهم (٥٠)؛ وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿ وَيَايُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَثُوٓا إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّرَ طَلَقَتْمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَسْوُهُ کَ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِنَّوْ تَعَلَّوْمَهُمُّ فَمَيَّمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَسْوُهُ کَ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِنَّوْ تَعَلَّوْمَهُمُّ فَمَيَّمُوهُنَّ مَرَكَا جَمِيلًا ﴾ ومَنْ عَنْهُ وَمُنْ مَرَكُنا جَمِيلًا ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُدُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ () قال الزجاج: معنى (نَكَحْتُم، تزوَّجتم. ومعنى (تَمَسُّوهُنَّ، تَقْربوهن. وقرأ حمزة، والكسائى: (تُتَمَاشُوهُنَّ، بألف.

ا) ذكره السيوطي في «اللد» ٥/٢٠٦ من رواية ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير،
 وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن البراء بن عازب رقيه.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ يَجْيَتُهُمْ يَرْمَ بَلَقْرَهُمْ سَلَمْ ﴾ الظاهر أن المراد ـ والله أهلم ـ تحيثهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه: سلام، أي: يسلم عليهم، كما قال ﷺ : ﴿ الله عَن رَبُّ رَبِّي رَبِّي رَبِّي رَبِّي رَبِّي رَبِّي رَبِّي إِنَّ ﴾ قال: وقوله تعالى: ﴿ أَعَدْ لَمُمْ أَجْرًا كُرِيمًا ﴾ يعني الجنة وما فيه من المأكل والمشاوب والملابس والمساكن والمناقر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

⁽٣) روى أحمد في «المسند» والبخاري في «صحيح» عن عطاه بن يسار في، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله في في الثوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف بعض صفته في القرآن: ﴿ كَاتَابًا النِّي إِنّا أَرْسَلْنَكَ شَهْدًا وَلَمُؤْمِرًا ﴿ وَهُورِاً للأُميّن، أَنَا الله عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخًاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفو، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوياً غلفاً.

أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت ﴿ لِنَشِينَ اللهُ مَا تَشَدَّمُ مِن دَلِكَ وَمَا تَلَمْ ﴾ قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل: ﴿ لِيُشِينَ وَالنَّهِينَ وَالنَّهِينَ جَنْنِي . . . ﴾ الآية، وأنزل في سورة (الأحزاب): ﴿ وَيُشِي النَّهُينِينَ بِأَنْ لَمُنْ مِنْ أَنْ اللهُ مِنْ مَنْ اللهُ فَضَلًا كَبُرًا ﴿ ﴾ .

قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَتَوَلَّى عَلَ اللَّهِ ﴾ يقول: وفرَّض إلى الله أمورك، وثق به، فإنه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه، ﴿وَكَانَتُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ ﴾ يقول: وحسبك بالله قيّماً بأمورك، وحافظاً لك وكالتاً. اهـ.

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها إطلاق النكاح على المقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح، هل هو حقيقة في المقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في المقد والوطء بعده، إلا في هذه الأكام، هل هو حقيقة في المقد وحده، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ نَكَتَّتُمُ اللَّهُونَتُ بِثَرَّ طَلَّتَتُمُونَ بِن فَيْلٍ أَن تَسَّوْهِ ﴾ وفيها دلالة لإباحة طلاق المرآة قبل اللخول بها، وقوله تعالى: ﴿النَّوْمَتُ إللهُ العالمِ، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق. وقد استدل ابن عباس في وصعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلي بن الحسين زين العابلين، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَكْتُمُ النَّوْمَتُ بُثَرٌ طَلَّتُمُونُ ﴾ فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف وحمهم الله تعالى، قال: وذهب مالك وأبو حنيفة وحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فعندهما متى تزوجها طلقت منه، واختلفا فيما إذا قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فقال مالك لا تعلل حتى يعين المرأة، وقال أبو حنيفة وحمه الله: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه. قال: قاما الجمهور، فاحتجوا على عدم والو الطلاق بهذه الآية، قال: وقد ولد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ولا طلاق لابن آمه عنم يم والمسور بن مخرمة ﷺ عن رسول الشك أنه قبل النكاح، اه.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَ مِنْ عِذَةٍ تَمَنَّدُونَهَا ﴾ أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عِدَّدًا (١٠) وعندنا(٢٠) أن الخلوة توجب المِدَّة وتقرَّر الصَّداق، خلافاً للشافعي.

قوله تعالى: ﴿فَيَتِّعُوهُنَۗ﴾ المراد به من لم يُسمَّ لها مهراً، لقوله في [البترة: ٢٣٦]: ﴿أَنْ تَقْرِشُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وقد بيَّنًا المتعة هنالك، وكان سعيد بن المسيّب وقتادة يقولان: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَيْصَّتُ مَا فَرَضَّتُمُ ﴾ [البترة: ٢٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَرَجُوهُنَّ سَرَامًا جَيلًا﴾ أي: من غير إضرار. وقال قتادة: هو طلاقها طاهراً من غير جماع. وقال القاضي أبو يعلى: الأظهر أن هذا التسريح ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وجِباله.

فصل

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجتُ فلانة فهي طالق، ثم تزوجها؛ فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن حباس، وعائشة، والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بَعد النكاح. وقال سماك بن الفضل: النّكاح عُقدة، والطلاق يَحُلُها، فكيف يحلُّ عقدة لم تُعقد؟! فجُعل بهذه الكلمة قاضياً على «صنعاء». وقال أبو حنيفة: ينعقد الطلاق، فإذا وُجد النكاح وقع. وقال مالك: ينعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينها، ولا ينعقد في عمومهن. فأما إذا قال: إن ملكتُ فلاناً فهوا حُرًا، فقيه عن أحمد روايتان.

﴿ يَكَأَيُّهُمَا النِّيُ إِنَّا أَخْلَفَا لَكَ أَزْوَجَكَ الَّتِيَ ءَاتَيْتَ أَجُورُهُ وَمَا مَلَكَتْ بَبِيئُكَ مِنَّا أَفَاتَ اللهُ مَلِيْكَ وَيَنَاتِ عَبَنِكَ مَنَكَ وَاثَانِ عَلَى وَمَنَتْ اللهُ مَلِيكَ وَاثَانِ حَنَيْكَ النِّي مَاجَرَنَ مَمَكَ وَاثَانًا مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِي إِنْ أَزَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنَكِمُهَا خَالِصَّهُ لَكَ مِن دُونِ اللهُ وَمِنِينُ فَدْ عَلِيْكَ مَنَ مَلَكَ مَن المُؤْمِنِينُ فَدْ عَلِيْكَ مَن مَنْكُمُ وَمِن اللَّهُ عَلَيْكُ مَن اللهُ عَنْولا اللهُ عَنْولا اللهُ عَلَيْكُ مَن اللهُ عَنْولا اللهُ عَلَيْكُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُ وَلَا أَنْ اللهُ عَلَيْكُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَولا اللهُ عَلَيْكُمْ وَكُونِ اللهُ عَلَيْكُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلِلْ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلِيهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلَوْلَهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلَوْلَهُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ وَلَوْلَهُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ عَلَيْكُ وَلَوْلِيكُمْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ وَلِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخَلِنَا لَكَ أَزْوَجَكَ ﴾ ذكر الله تعال أنواع الأنكحة التي أحلَّها له، فقال: ﴿أَزُوجَكَ الَّتِي ءَالِيَتَ عَالَيْتَ عَالَكُ وَمَا مَلْكُتْ يَبِينُكَ ﴾ يعني الجواري ﴿مِثَا أَفَاةَ اللهُ عَلَيْكَ ﴾ يعني الجواري ﴿مِثَا أَفَاةَ اللهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: مهورهُنَّ، وهُنَّ اللَّواتي تزوَّجْتَهُنَّ بصداق ﴿وَمَا مَلْكَتْ يَبِينُكَ ﴾ يعني الجواري ﴿مِثَا أَفَاةَ اللهُ عَلَيْكَ ﴾ يعني نساء قريش ﴿وَرَبَاتِ عَالِكَ وَبَنَاتِ عَلَيْكَ ﴾ يعني نساء بني زُهْرة (٢) ﴿ اللَّتِي هَاجَرْنَ مَمَكَ ﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يعلى: و[ظاهر] هذا يدلُّ على أن من لم تهاجر معه من النساء لم يَحِلَّ له نكاحها. وقالت أُمَّ هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتلرتُ إليه بعلر، ثم أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَجَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ الَّذِي هَاجَرْنَ مَمْكَ ﴾ ، قالت: فلم أكن لأحِلَّ له، لأنِّي لم أهاجِر معه، كنتُ من الطَّلَقاءُ (١٤)؛ وهذا يدلُّ مِنْ مذهبها أنَّ تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر مَنْ لم تُهاجِر. وذكر

⁽١) قال ابن كثير: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها، فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً. اهـ.

⁽۲) أي: معاشر الحتابلة. (٣) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَيَنَاتِ مَيْكَ وَبَنَاتِ حَنَّتِكَ وَبَنَاتِ خَلِكَ وَيَنَاتِ خَلِئَيْكَ . . ﴾ الآية: هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا

يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى ـ فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة ـ وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا شنيع فظيع . اهـ.

⁽٤) رواه ابن جرير الطبري: ٢٠/٢٧ من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي السدي وأبو صالح ضعيفان. ورواه الترمذي في اجامعه ٢٠/١ . 107 به وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، ورواه الحاكم في اللمستدرك ٢٠/٢٤ به، وصححه، ووافقه الذهبي، والحديث أخرجه الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف، ١٣٥ وقال: رواه الترمذي، والحاكم، وابن أبي شيبة، وإسحاق، والطبري، والطبراني، وابن أبي حاتم، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانئ، وأورده السيوطي في اللدي ٢٠٨/٥، وزاد نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي. قال ابن كثير: وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ بنحوه.

بعض المفسرين: أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ، ولم يذكر ناسخة، وحكى الماوردي في ذلك قولين: أحدهما: أن الهجرة شرط في إحلال النساء له على الإطلاق، والثاني، أنه شرط في إحلال قراباته المذكورات في الآية وين الأجبيات في المدكورات في الآية

نَ قُولِه قَعَالَى: ﴿ وَمَنْ عَلِمْنَا عَالَهُمُ وَاللَّهُمَ اللَّهُ وَلَيْهُ أَي: على المؤمنين غيرك ﴿ فِي آزُوكِهِم اللَّهُ وفيه قولان: أحدهما: أن لا يتزوج الرجل المرأة إلا بوليّ وشاهدَين وصّدَاق، قاله قتابة.

من قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنْهُمْ أَي : وما أبحنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الخرافر من غير عدد مجمود (ع).

من دون المؤمنين؛ ﴿ لِكِيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ عذا فيه تقديم؛ المعنى: أحللنا لك أزواجك؛ إلى قوله: «خالصةً لك من دون المؤمنين؛ «لكيلا يكون عليك حرج».

قوله تعالى: ﴿ وَتُوى مَن نَكَامُ مِنْهُنَ ﴾ قرأ أبن كثير، وأبل عمرو، وابن عامر، وأبل بكر عن عاصم، «تُوجِئ» مهموزاً ؟ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بغير همز. وسبب نزولها أنه لمّا نزلت آية التخيير المتقلّمة، أَشْفَقْنَ أَن يُطَلَّقْنَ، فَقُلْنَ: يَا نِبِيَّ اللهُ، اجعِل لنا من مالك ونفسك ما شبت، ودَعْنًا على حالنا، فنزلت هذه الآية، قاله

(۱) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ خَالِسَكُ لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِينِ ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل، لم تحل له حتى يعطيها شيئًا، وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما، أي أنها إذا فرضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها، كما حكم به رسول الله فل في تزويج بنت واشتى لما فرضت، فحكم لها رسول الله فل بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها، قال: والموت والدخول سواء في تقرير المهر، وثبرت مهر المثل في المفوضة لغير النبي في فأما هو عليه الصلاة والسلام، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها، لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود، كما في قصة زيب بنت جحش في ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿ عَالِمَكَ لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِينُ ﴾ يقول: ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر، إلا للنبي في اهر.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قال الجافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٤٠٤: وإسناده حسن، والمراد: أنه لم يدخل بواجهة ممن وهبت نفسها له، وإن كان مباحاً له، لأنه راجع إلى إرادته، لقوله تمالى: ﴿إِنْ أَرَادُ النَّيْعُ أَنْ يَسَنَكُمُهُا﴾.

(٤) قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَتَدْ كِينْتُكَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي ٱلْوَكِيهِمْ وَبَا مَلَكَبْ أَيْنَتُهُمْ قَالَ أَبِي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن جرير في من قوله: ﴿ قَلْ عَلَيْتُكَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَجِهِمْ ﴾ أي: من حصوهم في أربع نسوة جرائر وما شاؤوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمة، وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئاً مَه ﴿ لِكِيكَةَ يَكُونَ عَيْلَكَ خَيْجٌ وَكَاكَ اللّهُ هَمْوُلَ وَجِسَاكُ اهـ.

أبو رزين (١٠). وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: تطلّق من تشاء من نسائك، وتُمْسِك من تشاء من نسائك، قاله ابن عباس. والثاني: تترُك نكاح من تشاء، وتَنْكِح من نساء أُمّتك من تشاء، قاله الحسن. والثالث: تَعْزِل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق، وتأتي من تشاء فلا تَعْزِلها. قاله مجاهد. والرابع: تَقْبَل من تشاء من المؤمنات اللواتي يَهْبُنَ أنفُسَهُنَّ، وتترُك من تشاء، قاله الشعبي، وعكرمة. وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله على مصاحبة نسائه كيف شاء من غير إيجاب القِسْمة عليه والتسوية بينهنّ، غير أنه كان يسوِّي بينهن (١٠). وقال الزُّهري: ما عَلِمْنا رسولَ الله على أرجأ منهن أحداً، ولقد آواهن كلَّهنَّ حتى مات. وقال أبو رزين: آوى عائشة، وأم سلمة، وحفصة، وزين، وكان قسمُه من نَفْسه وماله فيهنَّ سواءً. وأرجأ سَوْدة، وجُوَيرية، وصفيَّة، وأمَّ حبيبة، وميمونة، وكان يَقْسِم لهنَّ ما شاء. وكان أراد فراقهنَّ فقُلن: اقسم لنا ما شئت، ودَعْنا على حالنا. وقال قوم: إنَّما أرجأ سَودة وحدها لأنها وهبت يومها لعائشة، فتوفي وهو يَقْسِم لشمان.

قوله تعالى: ﴿ وَتُغْوِنَهُ أَي: تضم، ﴿ وَمَنِ آبْنَنَيْتَ مِمَنْ عَرَاْتَ ﴾ أي: إذا أردت أن تُؤوي إليكَ امرأة ممن عزلت من القسمة ﴿ فَلَا جُنَحَ عَلَيْكُ ﴾ أي: لا مَيْلَ عليك بلؤم ولا عَتْب ﴿ فَالِكَ أَذَنَ أَن تَفَرَّ أَعْبُنُهُنَ ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيَّرناك في صُحبتهن أقرب إلى رضاهن. والمعنى: إنهن إذا عَلِمن أنَّ هذا أمر من الله، كان أطيبَ لأنفُسهنَّ. وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: ﴿ فَان تُقِرَّ الشم التاء وكسر القاف ﴿ اعيننَهُنَ النون. ﴿ وَرَقِنَانِ لَي مِنَا مَا الله الله الله عضهنَ ﴿ وَالله عَلَى الله الله الله عضهنَ ﴿ الله عَلَى الله عَلَى الله الله عليه على المها عليك .

قوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُ لَكَ النِّمَا أَهُ كُلُهُم قرأ: ﴿ لا يَحِلُ الله الله على عمرو، فإنه قرأ بالتاء والتأنيث ليس بحقيقي، إنما هو تأنيث الجمع، فالقراءتان حسنتان. وفي قوله: ﴿ مِنْ بَعَدُ ثَلاثَة أقوال: أحدها: من بعد نسائك اللواتي خيرتَهُنَّ فاخترن الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين، وهُنَّ السَّع، فصار [مقصوراً] عليهنّ ممنوعاً من غيرهن. وذكر أهل العِلْم أن طلاقه لحفصة وعَزْمه على طلاق سَوْدة كان قبل التخيير (٥٠). والثاني: من بعد الذي أحلَلْنا لك، فكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على المذكور في قوله: ﴿ إِنَّا آلَمُلْنَا لَكَ أَزْوَجُكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَالِمَكَ النساء غير المُسْلِمات كاليهوديّات والنصرانيّات والمشركات، وتَجلُ لك المسلمات، قاله مجاهد.

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ١٣٥: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين، قال: وهذا مرسل. اهـ. وذكره الواحدي في السباب النزول، ٢٠٥ بدون سند وقال: وقال قوم... إلخ.

⁽٧) قال ابن كثير: ولهذا ذهب طائفة من العلماء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ واحتجوا بهذه الآية الكريمة، قال: وقال البخاري عن معاذ عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿ رُبِّى مَن نَنَكُ يَتُهُنَ وَتُنوِي إِلِّكَ مَن نَكَةٌ وَمَن البخاري عن معاذ عن عائشة ﷺ أن رسول الله أن أوثر عليك أحداً. النفيت يمثّن عُرَات فكر عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم، وحليثها الأول _ يعني: أرى ربك يسارع في هواك _ يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، قال: ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن، إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم، قال: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير: أي: إذا علمن أن الله قد وضع هنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا إن تقسم لهن اختياراً منك، لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمئتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن، وإنصافك لهن، وعدلك فيهن. اه.

⁽٤) قال ابن كثير: أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه. اهـ. وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي بسند جيد عن عائشة 劇 أن النبي 雞كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: قائلهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمتي فيما تملك ولا أملك. هذا بالنسبة له 縣، وقد قال رصول اله 雞بالنسبة لغيره فيما رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة 鄉 عن النبي 鄉 قال: وإذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاه يوم القيامة وثيقة ساقطه.

 ⁽٥) قال ابن كثير؛ فأما قضية سودة، ففي فالصحيح؛ عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها: وهي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَاةُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ لِمُمَا مُنْ اللَّهِ عَلَيْهِا لَا مُعَلِمًا مُلْمَا مُلَمَّا مُلْمَا مُلْمَا مُلْمَا مُلَمَّا مُلْمَا مُلْمُ مُلِمَا مُلْمُ مُلِمَا مُلْمُ مُلْمَا مُلْمُ اللَّمِ مُلْمَا مُلْمُعِلًا مُلْمَا مُسْلِمًا مُلْمُ اللَّمِيْمِ اللَّمِيْمِ اللَّمْ مُلْمَا مُلْمُلُمَا مُلْمُلُمِ اللَّمِيْمِ اللَّمْ مُلْمُلْمُ لَمُلْمَا مُلْمَا مُلْمَا مُلْمُلُمْ لَمُلْمُلُمُ لَمْ مُلْمِلُمُ لَمُلْمُ لَمُلْمُلُمْ لَمُلْمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمُلِمِ لَمُلْمِلُمُ لِمُلْمُلِمِ لَمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلْمُ لِلْمُلْمُلُمِ لَعْلِمُ مُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلْمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلْمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمِلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلِمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلِمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُلُمُ لِمُلْمُ

قوله تعالى: ﴿وَلَا آنَ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تطلِّق زوجاتك وتستبدل بهنَّ سِواهنَّ^(۱)، قاله الضحاك. والثالث: أن تُعطيَ الرجل زوجتك وتأخذ زوجته، وهذه كانت عادة للجاهلية، قاله أبو هريرة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتَ يَسِنُكُ ﴾ يعني الإماء. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال! أحدها: إلا أن تَملك بالسبي، فيَحِلُ لك وطؤها وإن كانت من غير الصِّنف الذي أحلَلتُه لك؛ وإلى هذا أوما أبيُّ بن كعب في آخرين. والثاني: إلَّا أن تصيب يهودية أو نصرانية فتطأها بملك اليمين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إلَّا أن تبدَّل أَمَتَكَ بأَمَة غيرك، قاله ابن زيد. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذه الأقوال جائزة، إلَّا أنَّا لا نعلم أن رسول الله على نكح يهودية ولا نصرانية بترويج ولا ملك يمين، ولقد سبى ريحانة القرظية فلم يَدْنُ منها حتى أسلمت.

فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَمَلَلْنَا لَكَ الْوَبَكَ ﴾، وهذا مروي عن عليً، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك. وقالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُجِلَّ له النساء(٢)، قال أبو سليمان الدمشقي: يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات. والقول الثاني: أنها محكمة؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أن الله تعالى أثاب نساءه حين اخترنه بأن قصره عليهن، فلم يُجِلَّ له غيرهن، ولم ينسخ هذا، قاله الحسن، وابن سيرين، وأبو أمامة بن سهل، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث (٣). والثاني: أن المراد بالنساء هاهنا: الكافرات، ولم يَجُز له أن يتزوَّج كافرة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وجابر بن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّا اَلَّذِيكَ ءَامَثُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ. . . ﴾ الآية (٤). في سبب نزولها ستة أقوال: القول الأول: أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا تزوَّج زينب بنت جحش دعا القوم،

(٤) قال⊦بن كثير: هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قُول عمر بن الخطاب ﷺ كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عنه أنه قال: وافقتُ ربي ﷺ في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخلت من مقام إيراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالْخِنْوَا بِن تَقَايِهِ إِيهِمِدَ مُصَلٍّ ﴾ وقلت: يا رسول الله إن نساط يدخل عليهن البرُّ والفاجر، فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي ﷺ لمَّا تمالأن عليه في الغيرة: ﴿مَنَىٰ رَبُّهُ إِن طُلْكُمْ أَنْ بِيُولِللهِ أَنْوَبًا خَبِّكًا مِنْكُمُ فَوْلت كذلك. قال: وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر، وهي قضية رابعة. اهـ.

⁽١) قال ابن كثير: فنها، عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه. اهـ.

⁽٢) رواه أحمد في (المسند) والترمذي في (جامعه) والنسائي في (سنته) عن عائشة ﴿ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

قال ابن كثير: ذكر غير واحد من العلماء، كابن عباس، ومجاهد، والفيحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي 囊، ورض عنهن على حسن صنيعهن في اختياره بأ له ورسوله والدار الآخرة لمنًا خيَّرهن رسول الله 囊 كما تقدم في الآية، فلما اخترن رسول الله 囊، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرَّم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن، إلا الإماء والسراري، فلا حرج عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك وتسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع عنه بعد ذلك تزوج، والسراري، فلا حرج عليه فيهن، وذكر ابن كثير بعض الأملة على ذلك، ثم قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ تَرْسَى مَن تَنْكَمْ يَتُهُنَ ... ﴾ الآية، قال: فجملت لتكون المينة لرسول الله ﷺ عليهن، وذكر ابن كثير بعض الأملة على ذلك، ثم قال: وذلك قوله تعالى: وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿ لا يَجُلُ الله الله الله على التلاق أنها أعلم. قال: وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿ لا يَجُلُ الله الله على أقوال السلف في ذلك، ثم قال: واختار ابن والعمات والمخال والمخالات، والواهبة، وما صوى ذلك من أصناف النساء، فلا يحل لك. وذكر بعض أقوال السلف في ذلك، ثم قال: واختار ابن جرير وحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء المواتي في عصمته وكن تسماً، قال: وهذا الذي قاله جيد، ولعله مراد كثير من خكينا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم روي عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم. اهد.

فَطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثُون، فأخذ كأنَّه يتهيَّأ للقيام، فلم يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام وقام مِنَّ القوم مَنْ قام، وقعد ثلاثة، فجاء رسول الله في فدخل فإذا القوم جلوس، فرجع، وإنَّهم قاموا فانطلقوا، وجئتُ فأخبرت النبيُّ في أنَّهم قلد الطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبتُ أدخلُ فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى هذه الآية (١٠ والثاني: أنَّ ناساً من المؤمنين كانوا يتحبَّون طعام النبي في فيدخُلون عليه قبل الطعام إلى أن يُدرِك (٢٠)، ثم يأكلون ولا يخرُجون، فكان رسول الله في يتأذَّى بهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (١٠). والثالث: أن عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البَرُّ والقاجر، فلو أمرتَهُنَّ أن يَحْتَجِيْنَ، فنزلت آية الحجاب، أخرجه البخاري من حديث أنس، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر، كلاهما عن عمر (١٠). والوابع: أنَّ عُمر أمر نساء رسول الله في بالحجاب، فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ ا فنزلت الآية، قاله ابن مسعود (١٠). والمخامس: أن رسول الله في المحاب، والمحاب، فقالت عمر كان يقول لرسول الله في الحجاب، رواه عكرمة عن عائشة (١٠). والسادس: أنَّ رسول الله في كان يطعم معه بعض على أن ينزل الحجاب ـ فنزل الحجاب، وانه مجاهد (١٠). والسادس: أنَّ رسول الله في كان يطعم معه بعض أن ينزل الحجاب ـ فنزل الحجاب، وإنه عكرمة عن عائشة (١٠). والسادس: أنَّ رسول الله في كان يطعم معه بعض أن ينزل الحجاب ـ فنزل الحجاب، وإنه مكرمة عن عائشة (١٠). والسادس: أنَّ رسول الله في كان يطعم معه بعض أن عنزل الحجاب عنه يكره المنهم يدُ عائشة، وكانت معهم، فكره النبيُ في ذلك، فنزلت آية الحجاب، قاله مجاهد (١٠).

قوله تعالى: ﴿ إِلاَ أَبِ يُؤْذَكَ لَكُمْ إِلَى طُمَارِ ﴾ أي: أن تُذَعُوا إليه ﴿ غَيْرَ نَظِرِينَ ﴾ أي: منتظرين ﴿ إِنَنَهُ ﴾. قال الزجاج: موضع «أنّه نصب؛ والمعنى: إلا بأن يؤذَنَ لكم، أو لِأَنْ يؤذَنَ، واغيرَه منصوبة على الحال؛ والمعنى: إلا أن يؤذَن لكم غَيرَ مِنظِرِينَ. والإَنَّاءُ: نُضجه ويلوغه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنتَشِرُوا ﴾ أي: فاخرجُوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَغْسِبُنَ لِحَدِيثُ المعنى: ولا تدَّعَلُوا مستأنِسين، أي: طَالبي الأنس لحديث، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل فيتحدَّثون طويلاً، وكان ذلك يؤذيه، ويستحيي أن يقول لهم: قوموا، فعلمهم الله الآدب، فللك قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَ مَتَّكُا ﴾ أي: شيئاً يُستمتع فذلك قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَ مَتَّكُا ﴾ أي: شيئاً يُستمتع به ويُنتفع به من آلة المنزل ﴿ مَسْتُلُوهُنَ مِن وَرَاء حجاب أطهرُ ﴿ أَي: سؤالكم إِيَّاهُنَّ المتاعَ من وراء حجاب أطهرُ ﴿ لِلْلُوكِمُ وَتُكُوبِهِنَ ﴾ من الرّبية.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ أَي: ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء. قال أبو عبيدة: وتكان عن حروف المزوائد، والمعنى: ما لكم أن تُؤذوا رسول الله ﴿ وَلَا أَن تَنكِكُمُ أَنْ أَبُوَكُمُ مِنْ بَعْلِيهِ أَبُدّاً ﴾.

(٢) أي: إلى أن ينضج الطعام. (٣) ذكره البنوي في اتفعيره عن ابن عباس بدون سند.

⁽۱) البخاري ۴،۲۰۸، ۴۰۷، ومسلم ۲/۱۰۵۰، ورواه ابن جرير الطبري بنحوه ۳۷/۲۲، وأورده السيوطي في االدو. ۱۲۱۳، وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في استنه من طرق عن أنس ﷺ.

رواه الطبري /٢٧ عن طريق عروة عن عائشة، قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب، كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها، قرآما عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فنخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض خاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله اليه، ثم رفع عنه وإنه البرق في يده ما وضعه، فقال: فإتدق اكن أن تخرجن لحاجتكن، وقال لبن كثير: هذا لفظ البخاري. اهد. وقال ابن كثير أيف كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في أيضاً: فقوله تعالى: ﴿لا نَدَّلُوا يُؤْوَنَ النِّيِّ خطر على المؤمنين أن يدخلوا منازل وسول الله في بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجملية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بللك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة، قال: ولهذا قال وسول الله في الياكم واللخول على النساء ... الحديث، قال: ثم استثنى من ذلك فقال تعالى : ﴿إِلا لَمْ يُوْزَتَ لَكُمْ إِلَّ طَبِي عَمْ نَظِيفٌ إِنَاكُمُ قال: قال مجاهد وفتادة واللخول على النساء ... الحديث، قال: ثم استثنى من ذلك فقال تعالى : ﴿إِلا المؤرِّ عَلى الله والله على المؤرِّ عنه والله عنه تعربم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيفرة. اهـ: وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيفرة. اهـ:

 ⁽٧) رواه الطبري ٣٩/٢٢ عن مجاهد مرسالاً . قال الحافظ ابن خجر في انتخريج الكشاف. ١٣٦٪ رواه ابن أبي شببة والطبري من طريق مجاهد مرسلاً .

روى عطاء عن ابن عباس، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله على قال: لو توفّي رسولُ الله على تزوَّجتُ عائشة، فأنول الله ما أنول (١). وزعم مقاتل أن ذلك الرجل طلحة بن عليد الله (١٤). ومد مدن به

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ ﴾ يعني نكاح أزواج رسول الله ﷺ ﴿ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ اي: ذَبْباً عظيم العقوبة (٣٠). ﴿ إِن تُبَدُوا شَبْقًا أَوْ ثُغَنُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۞ لَا جُنَاحَ عَلَيْنَ فِي مَانَآيِهِنَّ وَلَا أَنْسَابِهِنَّ وَلَا إَخْوَيْهِنَّ وَلَا أَنْهُ إِخْوَتِهِنَّ وَلَا أَيْنَاهِ أَنْ فَعَنْوهُ مَا مُلَكَتْ أَيْمَنَهُمُ ثُلُ وَلَقِينَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ ال

قوله تعالى: ﴿إِن قُدُوا شَيِّنَا أَرْ تُحْقُوهُ قَيلَ: إنها نزلت فيما أبداه القائل: لئن مات رسول الله لأتزوجن عائشة. قوله تعالى: ﴿لَا جُنّاعَ عَلَيْنَ فِي عَائِمَيْنَ فِ عَائِمَيْنَ مِن وَراء حجاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَا جُنّاعَ عَلَيْنَ فِي مَائِمَيْنَ مِن وَراء حجاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَا جُنّاعَ عَلَيْنَ فِي مَائَمِينَ الله وَالْأَبْناء وَالْأَبْناء أي أَن يَرَوْهُنَّ ولا يحتجبن عنهم، إلى قوله: ﴿وَلَا نِسَامِيهِنَ قَال ابن عباس: يعني نساء المؤمنين، لأن نساء اليهود والتصارى يَصِفْنَ لازواجهن نساء رسول الله ﷺ إن رأيتهن (١٠). فإن قيل: ما بال العم والحال لم يُذكرا؟ فعنه جوابان: أحدهما: لأن المرأة تَجلُ لأبنائهما، فكره أن تضع حمارها عند عمّها وخالها، لأنهما ينعنائها لأبنائهما، هذا قول الشعبي وعكرمة، والثاني: لأنهما يجريان مجرى الوالدين فلم يُذكرا، قاله الزنجاج. فأما قوله: ﴿وَلَا مَا مُعْمَى الْمَامِيْ فَي الْمَامِيْ وَالْمُانِي: أنه عامّ في المسيب. والثاني: أنه عامّ في مُعْمَى المِياد، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: أنه عامّ في مُعْمَى المناع في المناع في الله المناع في المناع في المناع في الله المناع في المناع في المناع في الله المناع في الله عليه المناع في الله عنه اله المناع في الله المناع في المن

قوله تعالى: ﴿ وَآتَفِينَ اللّهُ أَيْ: أَنْ يَرَاكَنَّ غَيْرِ هُولاهِ ﴿ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ مَنَّى وَشَهِيلًا﴾ أي: لم يَعْبُ عنه شيء. ﴿ إِنَّ اللّهَ وَمَلَتِكَنَّمُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَكَأَيُّمُا الَّذِينَ عَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ اللّهُ وَيَسُلِمُ لَمَنْهُمُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَوْكَ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَوْكَ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا مُعَلِي عَلَيْهُ عَلَيْكُوا مِنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُوا مُعَلِّعُهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا م

العبيد والإماء. قال ابن زيْدٌ: كُنَّ أزواج رسول الله ﷺ لا يحتجِبْن من المماليك. وقد سبق بيان هذا في سورة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَبَلَتِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيُّ ۚ في صلاة الله وصلاة الملائكة أقوال قد تقدَّمت في هذه المسورة الأخواب: ٢٤٢.

ي قوله تعالى: ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ۚ قَالَ كَعْبِ بن عُجْرة: قلنا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟

⁽اُ) ذكره السيوطي في الدره ١١٤/٥ من طريق ابن مردويه عن ابن عياس. قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ١٣٧: وروى ابن أبي جاتم، وابن مردويه من طريق داود عن عكرمة عن ابن عياس في هذه الآية قال: نزلت في رجل همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ. . الحديث، قال السيوطي في علام ١٤٤٤ عنال سفيان: ذكروا أنها عائشة ﷺ علم.

⁽٢) أخرج أبن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن أبي جون، عن أبي بكر بن جزم في هذه الآية قال: نزلت في طلحة قال: إذا توفي رسول الله تقروجت عائشة، والواقدي متروك مع سعة عليه كما قال الجافظ ابن حجر في التقريب.

⁽٣) قال ابن كثير: ولهذا أجمع العليماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله على من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم، قال: واختلقوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته، هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين، مأخلهما هل دخلت هذه في عموم قوليه: ﴿ يَنْ بَسَمْوِهِ ﴾ أم لا؟ قال: فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فما نعلم في حِلّها لغيره والحالة هذه نزاعاً، والله أعلم، اهم، وروى ابن جرير في النفسية ٢١/٢٤ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن النبي على مات وقد ملك قبلة بنت الأشعث، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك، فشق على أبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، إنها ليست من نسائه، إنها لم يخبّرها رسول الله على يعجبها، وقد يرّاها منه بالردة التي أوتذت مع قومها، فاطمأن أبو بكن وسكن، اهم.

 ⁽٥) ذكره من المفسرين الطبرسي من الإمامية الشيعة في «مجمع البيان» بقوله: لها نزليت آية الحجابية... والخ، بدول سند، وقال الألوسي في «روح المعاني»: روي أنه لما نزلت آية الحجاب،.. الخ، هكذا بصيفة التجريض» وإلله أعلم عن مديد المعانية المعانية المعانية التجريض» وإلله أعلم عن مديد المعانية الذي في الصفحة (٩٩٥).
 (٦) انظر التعلق الذي في الصفحة (٩٩٥).

فقال: قولوا: «اللهم صلَّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت عل [آل](١) إبراهيم، إنَّك حميد مجيد، وبارك(٢) على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على [آل](١) إبراهيم، إنك حميد مجيد، أخرجه البخاري ومسلم(٣). ومعنى قوله «قد علمنا التسليم عليك»: ما يقال في التشهد: «السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته». وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: سلَّموا لِمَا يأمركم به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يُؤَدُّرِكَ اللّهَ وَرَسُولَمُ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في الذين طعنوا على رسول الله على حين اتخذ صفيَّة بنت حُييّ، قاله ابن عباس⁽³⁾. والثاني: نزلت في المصوِّرين، قاله عكرمة^(ه). والثالث: في المشركين واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد وكذَّبوا رسوله وشجُّوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا: مجنون شاعر ساحر كذَّاب^(۱). ومعنى أذى الله: وصفه بما هو منزَّه عنه، وعصيانُه (۱)؛ ولعنُهم في الدنيا: بالقتل والجلاء، وفي الآخرة: بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَالِّذِينَ يُؤَدُّونِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَانِ ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عمر بن الخطاب رأى جارية متبرِّجة فضربها وكفَّ ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو، فخرجوا إليه فآذُوه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس (^^). والثاني: أنها نزلت في الزُّناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها؛ وإنما كانوا يؤذون الإماء، غير أنه لم تكن الأمّة تُعرَف مِن الحرة، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله على فنزلت هذه الآية، قاله السدي (١٩). والثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطّل بالإفك، قاله الضحاك (١٠٠). والرابع: أن ناساً من المنافقين آذوا عليّ بن أبي طالب، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (١٠٠). قال المفسرون: ومعنى الآية: يرمونهم بما ليس فيهم.

١) ما بين المعقفين زيادة من «البخاري» و«مسلم» من حديث كعب بن عجرة.

٢) في حديث كعب بن عجرة في البخاري ومسلم: «اللهم بارك».

⁽٣) البخاري ٨/ ٤١ وسلم ١/ ٣٥٠، ولهذا الحديث صبغ أخرى بألفاظ مختلفة تراجع في محلها من كتب الحديث، انظر وفتح الباري، ١٣٨/١١ -١٤٧. قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية و في المراكبة أشر و التين كاينًا النبي كاينًا حياده الله ابن كثير: والمقصود من هذه الآية و في المراكبة المعتبر عليه المسلم عليه المبلد الأعلى بأنه يتني عليه عند الملاككة المعتبرين، وأن الملاككة تصلي عليه، قال: ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. اه. وقال ابن كثير أيضاً: ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله في إلى التشهد الأخير، فإن تركه لم تصمع صلاته، ثم قال: وقد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جعاعة من الصحابة، عنهم: ابن مسعود، وأبو مسعود البدري، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي، وأبو جعفر الباتر، ومقاتل بن جيان، قال: وإليه ذهب الشافعي، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، قال: وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاء عنه أبو زرعة الدسلي، وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المؤاز المالكي رحمهم الله، ثم قال: ولقول بوجويه ظواهر الحديث واله أعلم، قال: ومما يؤيد ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنساني، وابن خزيمة وابن حبان في قصحيحيهما» عن فضالة بن عبيد على الدي في المدي والله أهم دعاه في والتاء عليه، ثم ليمل عبما شاءه. اه.

٤) رواه الطبري: ٣٢/ ٤٥ من راية عطية العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر»: ٥/ ٣٢٠، وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن ابن عباس را

 ⁽٥) ذكره البغوي عن عكرمة بدون سند، وقال ابن كثير: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ بَوْدُوكَ أَلَةَ وَرَسُّولُمُ ۚ نَوْلت في المصورين. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: اللين يؤذون الله ورسوله هم أضحاب التصاوير.

 ⁽٦) ذكر هذا المعنى البغري والحازن عن ابن عباس بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٣٢٠ من رواية ابن الممتذر عن ابن جربج قال: آذوا الله فيما يدعون معه، وآذوا رسول الله قالوا: إنه ساحر مجنون. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاء بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله. اهـ.
 أطاعه فقد أطاع الله. اهـ.

⁽٧) ومن إيناه الله تعالى، ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة صلى قال: قال رسول الله 海؛ فيقول أله 海؛ يؤنيني ابن لَام، يسب اللهر وأنا اللهر أقلُب ليله ونهاره، ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة النهر فعل بنا كذا وكذا، فيسندون أفعال الله تعالى إلى النهر ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله على .

 ⁽A) ذكره الواحدي في أأسباب النزول؛ ٢٠٧، ٢٠٨ عن عطاء عن ابن عباس بدون سند.

 ⁽٩) الواحدي في (أسباب النزول، ٢٠٨٠ عن الضحاك والسندي والكلبي بدون سند.

⁽١٠) ذكره السيوطي في اللد، ٥/ ٢٢٠ من رواية ابن جرير عن بن عباس قال: أنزلت في عبد الله بن أبيّ وناس معه قذفوا حائشة ﷺ.

⁽١١) الواحدي في فأسباب النزول؛ ٢٠٨ عن مقاتل بدون سند، وكذلك البغوي.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّمُ النِّيُّ اللَّهِ لَا لَأَوْيَاكَ . . . ﴾ الآية، سبب نزولها أن الفُسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حُرَّة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أَمَة، فآذُوها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي(١٠).

قوله تعالى: ﴿ يُدْنِكَ عَلَيْهِنَ مِن جَلَيْدِهِنَّ ﴾ (٢) قال ابن قتيبة: يَلْبَسْنَ الأرْدية. وقال غيره: يغطّين رؤوسهنّ ووجوههن ليُعلَم أنهنَّ حراثو ﴿ ذَلِكَ أَدْفَتَهُ أَي: أحرى وأقرب ﴿ أَن يُتَمَوْنَهُ أَنهنَّ حراثو ﴿ فَلَا يُؤَذِّنُكُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَهِن لَرّ يَكِ الْمُنْكِفِقُونَ ﴾ أي: عن نفاقهم ﴿ وَاللَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضُ ﴾ أي: فجور، وهم الزناة ﴿ وَالنّرِجُونَ فِي الْمُدِينَةِ ﴾ الكذب والباطل، يقولون: أتاكم العدق، وقتلت سراياكم وهُزمت ﴿ النّرِينَكَ بِهِمْ ﴾ أي: لنُسلُطنُك عليهم بأن نأمرك بقتالهم. ينال المفسرون: وقد أُغري بهم، فقيل له: ﴿ جَهِدِ اللَّهَ عُلَالُ وَالنّهِ اللّهِ الله المفسرون: وقد أُغري بهم، فقيل له: ﴿ جَهِدِ اللَّهُ عُلَالًا وَالنّهِ اللّهِ الله الله المفسرون: وقد أُغري بهم، فقيل له: ﴿ جَهِدِ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ الله الله على المدينة والله على المدينة الله على المدينة الله وأينك منصوب على الحال؛ أي: لا يجاورونك إلّا وهم ملعونون ﴿ أَيْنَكُ أَيْنُوا ﴾ أي: سنَّ في أَجِدوا وأُدركوا ﴿ أُخِذُوا وَقُتِلُوا فَقُتِلُوا فَقُعِل بهم هذا.

﴿ يَسْتُكُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ أَلَّهُ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَ الْكَفِرِينَ وَأَعَدَّ لَمُتُمْ سَمِيرًا ۞ خَلِينَ فِهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيَّا وَلَا نَسِيرًا ۞ يَوْمَ ثُمْلَكُ وُجُوجُهُمْ فِ النَّارِ يَقُولُونَ يَكَيْنَنَا أَلْمَمْنَا اللَّهَ وَالْمُمْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا رَبِّنَا إِنَّا أَلْمَمْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَآنَنَا فَاضَلُونَا السَّبِيلَا ۞ رَبَّنَا ءَائِيمْ ضِمَعْنِي مِک الْمَنْانِ وَالْمَنْهُمْ لَسَنَا كَبِيرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَاتِيكِ قال عروة: الذي سأله عنها عُتبة بن ربيعة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ أي: أيّ شيء يُعْلِمك أمر الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنت لا تعرف ذلك؛ ثم قال: ﴿ لَمَلَ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾. فإن قيل: هلا قال: قريبة؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أراد الظَّرف، ولو أراد صفة الساعة بعينها، لقال: قريبة، هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن المعنى راجع إلى البعث، أو إلى مجيء الساعة. والثالث: أن تأنيث الساعة غير حقيقي، ذكرهما الزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيان ألفاظه [البقرة: ١٥٩، النساء: ١٠، الإسرام: ١٩٠]. فأما قولة: ﴿ وَأَلَمْنَا الرَّبُولَا ﴾ فقال الزجاج: الاختيار الوقف بألف، لأن أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الأبيات، وإنما خوطبوا بما يعقلونه من الكلام المؤلّف ليدلّ بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تمّ ؛ وقد أشرنا إلى هذا في قوله: ﴿ اللهُ اللهُ واللهُ عنه اللهُ اللهُ هنا في قوله: ﴿ اللهُ اللهُ عنه اللهُ عنه المؤلّف ليدلّ بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تمّ ؛ وقد

قوله تعالى: ﴿ أَطَّعْنَا سَادَتَنَا كُلُّرَآءَنا﴾ أي: أشرافنا وعظماءنا. قال مقاتل: هم المُطْعِمون في غزوة بدر. وكلُّهم قرأوا: «سادتنا» على الجمع مع كسر التاء، ووافقه المفضَّل، ويعقوب، إلا أبا حاتم ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّيِلاُ﴾ أي: عن سبيل الهدى، ﴿ رَبَّنَا عَاتِمٌ ﴾ يعنون السادة ﴿ ضِعْفَيِّنَ ﴾ أي: ضعفي عذابنا، ﴿ وَالْفَتْمُ لَمُنَا كَبِيرًا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (كثيراً) بالثاء. وقرأ عاصم، وابن عامر: (كبيراً) بالباء، وقال أبو على: الكثرة أشبه بالمِرار المتكررة من الكِبَر.

⁽١) ذكره السيوطي في االدر، ٥/ ٢٢٢ من رواية ابن أبي حاتم عن السدي. وذكره الواحدي في اأسباب النزول، ٢٠٨ عن السدي بدون سند.

⁽Y) قال ابن كثير: يقول تعللى آمراً وسوله ﷺ، أن يأمر النساء المؤمنات ـ خاصة أزواجه ويناته لشرفهن ـ بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزنّ عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، قال: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم المنخمي، وعطاء الخراساني، وغير واحد، وهو بمنزلة الإزار اليوم، وقال: قال العجوهري: الجلباب: الملحفة.

 ⁽٣) هو جزء من حديث طويل رواه الطبري ١١/١١، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، عن ابن عباس، وفي سنده الحسين بن عمرو العنقزي، وهو

﴿يَتَأَبُّهُا الَّذِينَ ءَامَثُوا لَا تَكُوثُوا كَالَّذِينَ ءَادَوَا مُوسَىٰ فَبَرَّاتُهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهُمَا ۞ يَكَأَبُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَقُمُوا اللَّهَ وَوَلُوا فَوْلَا سَدِيدًا ۞ يُشلِح لَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَيَسُولُهُ فَقَدْ فَاذَ فَوَزًا عَظِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لاَ تَكُونُوا كَالَيْنَ ءَاذَوا مُومَى ﴾ أي: لا تؤذوا محمداً كما آذى بنو إسرائيل موسى فينزل بكم ما نزل بهم . وفي ما آذوا به موسى أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: هو آذر، فذهب يوماً يغتسل، ووضع ثوبه على حجر، ففرَّ الحجر بثوبه ، فخرج في طلبه، فرأوه فقالوا: والله ما به من بأس والحديث مشهور في الصحاح كلّها من حديث أبي هويرة عن رسول الله عليه وقد ذكرتُه بإسناده في «المعني» والمعدائق (اك. قال ابن قتية: والآذر؛ عظيم الحجصيتين والثاني: أن موسى صَعِد الحبل ومهم معارون، قمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت تتلته ، فآذوه بذلك، فأمر الله تعالى المهلائكة فحملته حتى مرّت به على بني إسرائيل، وتكلّمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات، فبرّاه الله وبرّاً موسى من علي علي المالية في المالية وبرّاً موسى من خلك، قاله على ملا من بني إسرائيل فعصمها الله وبرّاً موسى من خلك، قاله علي المالية المالية المالية (على من بني إسرائيل فعصمها الله وبرّاً موسى من خلك، قاله أبو العالية (على العالية) . والرابع: أنهم رمّوه بالمسّعة والجنون، حكاه الماوردي.

َ ﴿ قُولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ خِنْدُ أَلَّهِ وَمِيهَا ﴾ قال ابن عباس: كان بعقد الله حَظِيًّا لا يَسْأَلُه شيئًا إلَّا أعطاء ﴿ وقد بيِّنًا معنى الوجيه في الله فِعانُونَ وَالباء؛ وَكَسَرُ اللهُ مَ الوجيه في الله فِعانُونَ وَالباء؛ وَكَسَرُ اللهُ مَ اللهِ مَ اللهِ عَنْهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ اللهُ عَاللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَلَاهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَلَاهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَلَاهُ عَنْهُ عَلَاهُ عَنْهُ عَلَاللَّهُ عَلَاهُ عَنْهُ عَلَاللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ عَلْمُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَمُولُوا مَوْلًا سَدِينًا ﴾ فيه أوبعة أقوال: أخلها: صواباً، قاله ابن عباس، والثاني: صادقاً، قاله المحسن: والثالث: عدلاً، قاله السدي. والرابغ: قصداً، قاله ابن تثنية. ثم في المراد بهذا القول ثلاثة أقوال المحسن: والثالث: أنه ولا إله إلا الله، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه العدل في جميع الأقوال والأعمال، قاله قتادة، والثالث: في شأن زينب وزيد، ولا تنسبوا رسول الله على الم يصلُح، قاله مقاتل بن حيّان.

قوله تعالى: ﴿ مُسَلِمٌ لَكُمْ أَعَمَالَكُ ﴾ فيه قولان. أحدهما: يتقبُّل حسناتكم، قاله ابن عباس. والثاني: يزكّي أعمالكم، قاله مقاتل. *

قوله تعالى: ﴿ نَقَدُ فَازَ مَرْنَا عَلِيسًا﴾ أي بشمال التغير وظفر به. ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى النَّمُولِ اللَّهُ عَلَى النَّمُولِ اللَّهُ عَلَى النَّمُولِ اللَّهُ عَلَى النَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى النَّهُ عَلَى النَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

(٢) • الطبرية ٧٧/ ٥٩، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨ ١٤١؛ وروى أحمد بن منيع في «مسند» والطبري، وابن أبي حاتم، بإسناد قوي عن علي في «الدر» ٥/ ٢٢٣ وزاد نسبته لابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن علي في... قال ابن كثير: وجائز أن يكون ملا هو المراد، فلا تول أولى من قول الله في، قال ابن كثير: قلت: يحتمل أن يكون الكرا ماداً، وأن يكون ممه غيره والله أعلم. أهد وقال الحافظ أبن حجر: وما في «الصحيح» أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم غيره غير مرة. أهد.

(٣) في الأصل: بغيَّه وفي اللسان، والتاج، مادة ابغله، ولا يقال للمرأة: بغيَّة. نسب مدين المراب المراب

(٤) وواه السيوطي في اللهج ١٣٦/٥ من رواية ابن أبن شبية في المصنف، وابن المنفره وابن أبي حاتم، والحاكم يصححه، وابن مردويه عن ابن
 عباس في مطولاً والقصة تقلفت بتحوها في الصفحة (١٩٧٣) . عد المداود عن المداود المداود

⁽۱) روى البخاري في «صحيحه ٢٩٢/٦ عن أبي هريرة فله قال: قال رسول الله على الله على المناوي في «صحيحه ٢٩٢/١ عن أبي هريرة فله قال الستر هذا التستر الله التستر الله عن هيب بخلده أما برص، وإما أبرة، وإما آلة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، منه فأذله من بني إسرائيل فقال: ما يستر هذا التستر الله أن هيب بخلده، أما برص، وإما أبرة، وإما آلة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يون، فأخذ موسى عصاة، وطلب الحجر، فخلا يون، فأخذ منه يقولون، وقام حجر الحلب الحجر، فجعل يقول، وقام حجر المخلوب على ملامن بني إسرائيل قرأوه هرياتاً أحسن ما خلق الله، وإبرأه مما يقولون، وقام حجر المخلوب فإلى المراب المنافق المنافق المنافق الله والمنافق على المنافق الله المنافق على المنافق الله المنافق الله المنافق الله المنافق على المنافق المن

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأُمَّانَةَ ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدَّتها أثابها، وإن ضيَّعَتُها عذَّبها، فكرهتْ ذلك؛ وعرضها على آدم فقَبلها بما فيها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(١١)؛ وكذلك قال سعيد بن جبير: عُرضت الأمانة على آدم فقيل له: تأخذها بما فيها، إن أطعتَ غفرتُ لك، وإن عصيتَ عذَّبتُك، فقال: قَبلتُ، فما كان إلَّا كما بين صلاة العصر إلى أن غَرَبت الشمس حتى أصاب الذُّنْب (٢). وممن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنها الأمانة التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليها. روى السدي عن أشياحه أن آدم لمَّا أراد الحج قال للسماء: احفظى ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض، فأبت، وقال للجبال، فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وتجيء وتجد أهلك كما يسرُّك، فلما انطلق آدم قتل قابيلُ هابيلَ، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷺ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلُهَا ٱلإنسَانَ ﴾ وهو ابن آدم، فما قام بها(٣). وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن آدم لمّا حضرته الوفاة قال: يا ربّ، من أستخلف من بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكلُّ أباها غير ولده. وللمفسرين في المراد بعَرْض الأمانة على السموات والأرض قولان: أحدهما: أن الله تعالى ركَّب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهنَّ حطابه، وأنطقهنَّ بالجواب حين عرضها عليهنَّ، ولم يُرد بقوله: ﴿أَبَيْنَ﴾ المخالَفَة، ولكنْ أَبَيْنَ للخَشية والمخافة، لأن العَرْض كان تخييراً لا إلزاماً، والشفقن، بمعنى خِفْنَ منها أن لا يؤدّينَها فيلحقهنَّ العقاب، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالآية: إنَّا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن، وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال: أحدها: آدم في قول الجمهور، والثاني: قابيل في قول السدي. والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن. والرابع: ُجميع الناس، قاله تعلب. . . .

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كُانَ ظَلُومًا جَهُولَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ظَلوماً لنفسه، غِرَّا بأمر ربَّه، قاله ابن عباس، والضحاك. والمثاني: ظَلوماً لنفسه، جَهولاً بعاقبة أمره، قاله مجاهد. والثالث: ظَلوماً بمعصية ربّه، جَهولاً بعقاب الأمانة، قاله ابن السائب. وذكر الزجاج في الآية وجهاً يخالف أكثر الأقوال، وذكر أنه موافق للتفسير فقال: إن الله تعالى ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السموات والأرض فقالنا: ﴿أَنْيَا طَآمِينَ ﴾ [نصلت: ١١]، وأعلَمنا أن من الحجارة ما يَهبِط من خَشية الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة يسجُدون لله، فعرَّفنا الله تعالى أنَّ السموات والأرض لم تحتمل الأمانة، لأنها أدّتها، وأداؤها: طاعة الله وترك معصيته، وكلَّ من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كلَّ من أثم فقد احتمل الإثمان، وكذلك قال الحسن: ﴿وَمَلَهَا أَلْإِنسَانِ ﴾ أي: الكافر والمنافق حَمَلاها، أي: خانا ولم يُطيعا؛ فأمّا من أطاع، فلا يقال؛ كان ظلوماً جهولاً،

قسولمه تسعسالسى: ﴿ لِيُعَلِّبَ اللهُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْرِكِينَ وَالْمُنْرِكِينِ وَيَثُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنْوَقِينِ وَالْمُنْرِكِينَ وَالْمُنْرِكِينِ وَالْمُنْرِكِينَ وَالْمُنْرِكِينَ وَالْمُنْرِقِينَ وَالْمُنْرِقِينَ وَالْمُنْوَقِينَ وَالْمُنْوَقِينَ وَشِوكُ المشركُ فيعلنهم الله، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يعود عليهم بالرحمة والمغفرة إن وقع منهم تقصير في الطاعات (٥٠).

* * *

⁽١) - الطبرية ٢٢/ ٥٤، وذكره السيوطي في الدرة ٥/ ٢٢٤، وزاد نسبته لابن المنظر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب الأضفادة عن ابن عباس را

 ⁽۲) • الطبري، ۲۲/ ۵۶ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «المدر» (۲۲۵» وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد» والحاكم وصححه، عن ابن عباس .

⁽٣) روى هذا الخبر مطولاً الطبري ٢٢/ ٥٦، ٥٧ من رواية السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي 選.

⁽٤) `قال الألوسي عن قول الزجاج هذا: ولا يخفى بُعْلُه، ولم نرُ في المأثور ما يؤيده. اهـ.

⁽ه) قال الألوسي في تتمة الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكًا رَجِيتًا﴾ أي: مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم فرطاتهم، وأثابهم بالفرز العظيم على طاعاتهم، نسأل الله تعالى أن يترب علينا ويغفر لنا ويثيبنا بالفوز العظيم، إنه ـ جل جلاله وعمَّ نواله ـ غفور رحيم. اهـ.

سورة سبأ

وهي مكِّيَّة بإجماعهم

وقال الضحاك، وابن السائب، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَبَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْمِـلَّمَ﴾ [سا: ٦].

ينسدانم الكنن التتسيد

قوله تعالى: ﴿ اَلْحَنْدُ يِنَهِ اللَّذِى لَمُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً. ﴿ وَلَهُ الْمَنْدُ فِي الْآخِرَةُ ﴾ يَحَمَدُه اولياؤه إذا دخلوا الجنَّة، فيقولون: ﴿ الْحَتْدُ يَتِهِ اللَّذِى صَدَقَنَا وَعَدَرُ ﴾ الزمر: ١٤٤ ﴿ الْحَتْدُ يَقِو اللَّذِى الْآخِرَةُ ﴾ الإمران: ١٤٤ ﴿ الْحَتْدُ يَقِ اللَّذِى الْعَرْدُ ﴾ من بذر أو مطر أو كنز أو غير ذلك ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من وزع ونبات وغير ذلك ﴿ وَمَا يَنزُلُ مِن السَّمَاءِ ﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿ وَمَا يَشرُجُ فِيهَا ﴾ من ملك أو عمل أو دُعامٍ. ﴿ وَمَا اللَّهِ مِن كُلُولُ ﴾ يعني مُنكِري البعث ﴿ لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ ﴾ أي: لا نُبْعَثُ ').

قوله تعالى: ﴿عَلِيهِ الْفَيْبُ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «عالِم الغيب» بكسر الميم؛ وقرأ نافع، وابن عامر: برفعها. وقرأ حمزة، والكسائي: «علّام الغيب» بالكسر ولام قبل الألف. قال أبو علي: من كسر، فعلى معنى: الحمدُ لله عالم الغيب؛ ومن رفع، جاز أن يكون «عَالِمُ الغيب» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو عالِمُ الغيب، ويجوز أن يكون ابتداءً، خبره ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْدُ ﴾؛ و«علّام» أبلغ من «عالم». وقرأ الكسائي وحده: «لا يَعْزُبُ» بكر الزاي؛ هما لغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَكُر مِن ذَلِكَ﴾ وقرأ ابن السميفع، والنخعي، والأعمش: ﴿ولا أصغرَ مِنْ ذلك ولا أكبرَ ﴾ بالنصب فيهما.

قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِكَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قال الزجاج: المعنى: بلى وربّي لتأتينّكم المُجازاة، وقال ابن جرير: المعنى: أثبتَ مثقال الذِرّة وأصغر منه في كتاب مبين، ليَجْزِيَ الذين آمنوا، وليُريَ الذين أوتوا العلم.

قوله تعالى: ﴿ يَن رَبِّهِ إِنْ السِّهُ قُواْ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ويعقوب، [والمفضل]: "مِنْ رِجْزِ السِّم، وفعاً؛

⁽١) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في النيا والأخرة، لأنه المنعم المتفضّل على أهل النيا والأخرة، المالك لجميع ذلك، والحاكم في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمُو اَللّٰه لا إِللّٰه إِلا هُو لَهُ الْحَدَّدُ فِي الْأَوْلُ وَالْآخِرُةُ وَلَهُ الْحَدَّمُ وَالْتِهِ رُعَمُونَ ﴿﴾ ولهذا قال تعالى على المتعرف على علمنا: ﴿المَّتَدُ فِي اللَّهُ عَلَى المَّتَرَبُ وَمَا فِي النَّرَوْنِ وَمَا فِي النَّرَوْنِ وَمَا فِي النَّرَوْنِ وَمَا فِي الْمَرْضِ ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ المَّرِقُ اللَّهُ فَي النَّرَوْنُ وَاللَّهُ اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى طول المدى، قال: وقوله: ﴿وَهُو لَلْكِيمُ ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدّره ﴿اللهُ الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء. اهد.

والباقون بالخفض فيهما (١٠). وفي ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْمِـلَّمَ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، رواه أو صالح عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ اَلَّذِى أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكِ ﴾ يعني القرآن ﴿ مُو ٱلْحَقَّ ﴾ قال الفراء: «هو» عماد، فلذلك انتصب الحقّ. وما أخللنا به فقد سبق في مواضع [الحج: ٥١، ٥٠، البقرة: ١٣٠، ٢٢٧].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ هَلَ نَدُلُكُمْ عَلَى رَجُلِ يُنَتِثَكُمْ إِنَا مُزَقَتُمْ كُلَّ مُمَزَّقِ إِنَّكُمْ لِنِي خَلْقِ جَسَدِيدٍ ۞ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ يِهِ. جِنَّةُ ابِي اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْفَدَابِ وَالشَّلَالِ ٱلْبَهِيدِ ۞ أَفَلَتْ بَرَقَا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَبْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِن السَّمَاءَ وَالأَرْضُ إِنْ فَيْ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِن السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُبْدِسٍ ۞﴾ غَنْسِفُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْ مُشْقِطً عَلَيْهِمْ كِمَنَا مِن السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُبْدِسٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كُفُرُوا ﴾ وهم مُنْكِرو البعث، قال بعضهم لبعض: ﴿ هَلَ نَدُلُكُو عَلَى رَبُلِ يُنَيْكُمُ ﴾ أي: يقول لكم: إنّكم ﴿ إِذَا مُرِقَتُمُ كُلَّ مُمَرَّقِ ﴾ أي: فُرِّقتم كل تفريق؛ والممزَّق هاهنا مصدر بمعنى التمزيق ﴿ إِنّكُمْ لَنِي خَلْقِ جَدِيدٍ ﴾ أي: يجدُّد خَلْقكم للبعث. ثم أجاب بعضُهم فقالوا: ﴿ أَنْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا ﴾ حين زعم أنّا نُبعث؟! وألف فأفترى الف استفهام، وهو استفهام تعجب وإنكار، ﴿ أَمْ بِهِ حِنَدُ ﴾ أي: جنون؟! فردَّ الله عليهم فقال: ﴿ إِلَهُ أي: ليس الأمر كما تقولون من الافتراء والجنون، بل ﴿ اللّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّذِينَ وَهُم اللّذِين يجحدون البعث ﴿ فَي الْمَدْلِ اللّه عُثوا في الآخرة ﴿ وَاللّه اللّه عَلَى مَن الحق في الدنيا (٢٠). ثم وعظهم فقال: ﴿ أَلْلَا يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِن الحق في الدنيا (٢٠). ثم وعظهم فقال: ﴿ أَلْلَا يَرُوا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِن السماء والأرض قُدّامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله؛ فالمعنى أنهم أين كانوا فأرضي وسمائي محيطة بهم؛ وأنا القادر عليهم، إن شئتُ خسفتُ بهم الأرض، وإن شئتُ أسقطتُ عليهم والخسف بهم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِك ﴾ أي: فيما يَرَون من السماء والأرض ﴿ لَاَيَهُ عَلَى قدرة الله تعالى على بعثهم والخسف بهم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِك ﴾ أي: راجع إلى طاعة الله، متأمًل لِمّا يرى.

﴿ ﴾ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا ۚ دَاوُدَ مِنَا فَضَلَّا يَنجِبَالُ أَوِّنِ مَعَلَمُ وَالطَّايِّرِ وَأَلَنَا لَهُ الخَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلُ سَيْخَنتِ وَقَدِّر فِي التَّمَرُّو وَاعْمَلُوا صَلِيحًا ۚ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَانِيّا دَاوُدَ مِنّا فَشَلّا ﴾ وهو النّبوّة والزّبور وتسخير الجبال والطير، إلى غير ذلك ممّا أنعم الله به عليه (٣) ﴿ يَحِبُالُ أَرِّقِ مَمْمُ ﴾ وروى الحلبي عن عبد الوارث: ﴿أَوْبِي ﴾ بضم الهمزة وتخفيف الواو. قال الزجاج: المعنى: وقلنا: يا جبال أوّبي معه، أي: رجّعي معه. والمعنى: سبّحي معه ورجّعي التسبيح. ومن قرأ: ﴿أَوْبِي ﴾ معناه: عودي في التسبيح معه كلما عاد. وقال ابن قتية: ﴿أَوِّبِي ۗ أي: سبّحي، وأصل التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله، وينزل ليلاً، فكأنه أراد: ادأبي النهار [كلّه] بالتسبيح إلى الليل.

قوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرُ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: "والطَّيْرُ الرفع، فأما قراءة النصب، فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: "ولقد آتينا داود مِنًا فضلاً "والطَّيْرَ الي: وسخَّرنا له الطَّيْرُ. قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصبا على النداء، كأنه قال: دعَوْنا الجبال والطيرَ ، فالطير معطوف على موضع الجبال، وكل منادى عند البصريين فهو في موضع نصب؛ قال: وأما الرفع، فمن جهتين، إحداهما: أن يكون نسقاً على ما في "أوّبي"، فالمعنى: يا جبال رجِّعى التسبيح معه أنتِ والطير؛ والثائية (أن): على النداء، المعنى: يا جبال ويا أيّها

 ⁽١) أي هنا وفي سورة [الجاثية: ١١]، قال في الإتحاف فضلاء البشر» ٢١٩: واختلف في امن رجز أليم، هنا و(الجاثية)، فابن كثير، وحفص،
 ويعقوب: برفع العيم فيهما نعناً لـ «عذاب»، وافقهم ابن محيصن، والباقون: بخفضه فيهما نعناً لـ «رجزٍ» وهو العذاب السيع. اهـ.

 ⁽٢) قال ابن كثير: ليس الأمر كما زعموا، ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البارُّ الراشد الذَّي جاء بالحق، وهم الكذّبة الجهلة الأغبياء ﴿ فِي النَّذَابِ ﴾ أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى ﴿ وَالشَّلَالِ ٱلْمِينِ ﴾ من الحق في الدنيا. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والمجنود ذوي المدد والمدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت المعظيم الذي كان إذا سبح به تسبّح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، قال: وفي «الصحيح» أن رسول الله على سمع صوت أبي موسى الأشعري في يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال هي «فقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داوده. اهـ

⁽٤) في الأصل: والثاني.

الطير أوِّبي [معه]. قال ابن عباس: كانت الطير تسبِّح معه إذا سبَّح، وكان إذا قرأ لم تبق دابَّة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه. وقال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سبِّحي، وللطير أجيبي، ثم يَأخذ هو في تلاوة الزَّبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناسُ منظراً أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئاً أطيبَ منه.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه ليُّناً. قال قتادة: سخَّر الله له الحديد بغير نار، فكان يسوِّيه بيده، لا يُدخله النار، ولا يضربه بحديدة، وكان أول من صنع الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح.

قوله تعالى: ﴿أَنِ آعَلَ الزجاج: معناه: وقلنا له: اعْمَل، ويكون في معنى «لأن يعمل» ﴿ سَنِغَنَى اين وَ دُوعاً سابغات، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف. قال المفسرون: كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجين يعمل به ما يشاء، فيعمل الدَّرع في بعض يوم فيبيعه بمال كثير، فيأكل ويتصدق. والسابغات: الدروع الكوامل التي تغظي لابسها حتى تَفْضُل عنه فيجرها على الأرض. ﴿ وَقَيْرٌ فِي ٱلمَّرْفُ أَي: اجعله على قدر الحاجة. قال ابن قتيبة: السَّرُدُ: النَّسْج، ومنه يقال لصانع الدُّروع: سَرًادٌ وزَرّادٌ، تبدل من السَّنِن الزاي، كما يقال: سرًاط (١١) وزرّاط. وقال الزجاج: السَّرُدُ في اللغة: تَقْدِمةُ الشيء إلى الشيء تأتي به متَّسقا بعضُه في إثر بعض متنابعاً. ومنه قولهم: سَرَدَ فلان الحديث. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عدَّل المسمار في الحَلْقة ولا تصغَّره فيقلق، ولا تُعظّمه فتنفصم الحَلْقة، قاله مجاهد. والثاني: لا تجعل حِلقه واسعة فلا تَتي صاحبها، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْمَلُواْ صَلِيمًا ﴾ خطاب لداود وآله.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُكِنَنَ الرِّيحَ﴾ (٢) قرأ الأكثرون بنصب الرِّيح على معنى: وسخَّرنا لسليمان الرَّيحَ. وروى أبو بكر، والمفضل عن عاصم: ﴿الرَّيْحُ، وفعاً، أي: له تسخيرُ الربح. وقرأ أبو جعفر: ﴿الرِّياحِ، على المجمع. ﴿غُدُوُهَا شَهْرُ ﴾ قال قتادة: تغدو مسيرةً شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين. قال الحسن: لمَّا شَغَلت نبيَّ الله سليمانَ الخيلُ عن الصلاة فعقرها (٣)، أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الربح، فكان يغدو من دمشق فيقيل باضطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابُل، وبينهما مسيرة شهر للمسرع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَمُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ قال الزجاج: القِطْر: النَّجاس، وهو الصَّفْر، أُذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب. قال المفسرون: أجرى الله لسليمان عين الصَّفْر حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما ألين لداود الحديدُ بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أُعطي سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ المعنى: وسخَّرنا له من الجن ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدُيِّهِ بِإِذْنِ رَبِيِّهُ أي: بأمره؛ سخَّرهم الله له، وأمرهم بطاعته؛ والكلام يدلُّ على أنَ منهم من لم يسخَّر له ﴿وَمَن يَزِغُ مِنْهُمٌ ﴾ أي: يَعْدِل ﴿عَنْ آمْرِيَا﴾ له بطاعة

⁽١) في الأصل: صراط، وما أثبتناه من «فريب القرآن» ٣٥٤، و«البحر» ٧/ ٢٥٥، و«اللسان»: زرط.

 ⁽۲) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما أنهم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الضلاة والسلام من تسخير الربح له تحمل بساطه، غذوها شهر ورواحها شهر. اهـ.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري في سورة [ص: ٢٣] عند توله تعالى: ﴿ فَكَلِنَ سَسًا بِالشّوقِ وَالْأَعْتَاقِ﴾: واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بمضهم: معنى ذلك: أنه عقرها وضرب أعناقها، وقال آخرون: جعل يمسح أعراقها وعراقيها بيده حبّاً لها، ونقل ذلك عن ابن عباس، ثم قال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه يتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ (يريد سليمان ﷺ لم. يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أن اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها، اهم. وسيأتي ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى من سورة (ص).

سليمان ﴿ أَرُقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّمِرِ ﴾ و وهل هذا في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الآخرة، قاله الضحاك. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. وقيل: إنه كان مع سليمان مَلك بيده سوط من نار، فمن زاغ من الجن ضربه الملك بذلك السوط. ﴿ يَمْمَلُونَ لَمُ مَا يَشَكُهُ مِن عَمْرِبَ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله مجاهد، وابن قتيبة. والثاني: القصور، قاله عطية. والثالث: المساجد والقصور، قاله قتادة. وأما التماثيل، فهي الصُّور؛ قال الحسن: ولم تكن يومئذٍ محرَّمة (١)؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كانت كالطَّواويس والعِثْبان والنسور على كرسية ودرجات سريره لكي يَهابَها من أراد الدُّنُو منه، قاله الضجائد. والثاني: أنها كانت صُورً النبيِّين والملائكة لكي يراهم الناس مصوَّرين، فيعبُدوا مثل عبادتهم ويتشبَّهوا بهم، قاله ابن السائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: أحدهما: من النُّحام، والثَّبَه (٢)، قاله تتادة.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَانِ كَالْمِوَابِ ﴾ الجِفَان: جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة؛ والجَوابي؛ جمع جابِيَة، وهي الحوض الكبير يُجبَى فيه الماء، أي: يُجمع. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «كالجَوَابي» بياء، إلا أن ابن كثير يثبت الياء في الوصل والوقف، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف. قال الزجاج: وأكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلّا أن الكسرة تنوب عنها. قال المفسرون: كانوا يصنعون [له] القِصَاع كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورِ رَّاسِيَكَ ﴾ أي: ثوابت؛ يقال: رسا يرسو: إذا ثبت. وفي علَّة ثبوتها في مكانها قولان: أحدهما: أن أثافيها منها (٢٠)، قاله ابن عباس. والثاني: أنها لا تُنزل لِعِظَمها، قاله ابن قتيبة. قال المفسرون: وكانت القُدور كالجبال لا تحرَّك من أماكنها، يأكل من القِدْر ألف رجل.

قوله تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكُورًا ﴾ المعنى: وقلنا: اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَالمّا فَمَيّنا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ يعني على سليمان، قال المفسرون: كانت الإنس تقول: إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد، فوقف سليمان في محرابه يصلّي متوكّناً على عصاه، فمات، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشّاقة ولا تعلم بموته حتى أكلتِ الأرضُ (٥) عصا سليمان، فخرَّ فعلموا بموته، وعَلِم الإنسُ أن الجن لا تعلم الغيب (٦). وقيل: إن سليمان سأل الله تعالى أن يعمّي على الجن موته، فأخفاه الله عنهم حولاً. وفي سبب سؤاله قولان: أحدهما: لأن الجن كانوا يقولون للإنس: إنّنا تعلّم الغيب، فأراد تكذيبهم. والثاني: لأنه كان قد بقي من عِمارة بيت المقلس بقيّة، فأما ﴿ وَآلِيَةُ ٱلأَرْضِ ﴾ فهي: الأرضَة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم المجحدي: قدابّة الأرض، بفتح الراء. المِنسأة: العصا. قال الزجاج: وإنما سمّيت مِنسأة، لأنه يُنسَأ بها، أي: يُطْرَدُ

(٢) الشُّبّةُ والشُّبّةُ: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفرُ بنمي به، لأنه إذا فعل بد ذلك أشبه الذهب يلونه.

(٣) الأثافي: الحجارة التي تُنصب وتُجعل القِدْرُ عليها.

(٥) الأرّضُ: جمع أرضة، وهي دوييةٌ تأكل الخشب.

⁽١) قال الآلوسي: وإنما هي في شرعنا حرام، ولا فرق عندنا بين أن تكون الصورة ذات ظلٌّ، وأن لا تكون كذلك. اهـ.

٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ أَمَـٰ اللّهُ مُكُراً ﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصّكم بها عن سائر خلقه، مع الشكر له على سائر نعمه التي عمّكم بها مع سائر خلقه. اهد. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله في شكر، وأفضل الشكر الحمد. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب المقرظي قال: الشكر: تقوى الله تعالى والعمل الصالح، قال ابن كثير؛ وهذا يقال لمن هو متابس بالفعل، قال: وقد كان آل داود ﷺ كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً.

⁾ قال ابن كثير: يذكر الله تعالى كيثية موت سليمان ﷺ، وكيف عمّى الله موته على النجان المستَّمرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكتاً على عصاه ـ وهي ينسأنه كما قال ابن عباس ﷺ، ومجاهد، والحصن، وقتادة، وغير واحد ـ مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض وعُلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبيَّنت المجن والإنس أيضاً أن المجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك. اهـ.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ أي: سقط ﴿ تَيَنَّتِ الْجِنَّ ﴾ أي: ظهرت، وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿ مَا لَبِثُوا فِي الْفَكَابِ النَّهِينِ ﴾ أي: ما عملوا مسخّرين وهو ميت وهم يظنُّونه حيّاً. وقيل: تبيَّنت الجن، أي: عَلِمت، لأنَّها كانت تَتَوَهَّم باستراقها السمع أنها تعلم الغيب، فعلمت حينئذٍ خطأها في ظنّها، وروى رويس عن يعقوب: «تُبُيّنَتْ» برفع التاء والباء وكسر الياء.

قوله تعالى: ﴿ لَمَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَيْهِمْ ءَايَةً ﴾ (١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «في مَسَاكِنِهم». وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مَسْكَنِهم» بفتح الكاف من غير ألف. وقرأ الكسائي، وخلف: «مَسْكِنِهم» بكسر الكاف، وهي لغة. قال المفسرون: المراد بسباً هاهنا: القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يَعْرُب بن قحطان؛ وقد ذكرنا في سورة [انسل: ٢٢] المخلاف في هذا، وأن قوماً يقولون: هو اسم بلد، وليس باسم رجل (١). وذكر الزجاج في هذا المكان أنَّ مَنْ قرأ: ﴿لِسَباً » بالفتح وترك الصَّرْف، جعله اسماً للقبيلة، ومن صرف وكسر ونوَّن، جعله اسماً للحيِّ واسماً لرجل؛ وكلَّ جائزٌ حسن. و﴿ عَالَةٌ ﴾ رفع على نوعين: أحدهما: أنه بدل من «آية»، والثاني: على إضمار، كأنَّه لمَّا قبل: قبل: الآية جَتَّان.

الإشارة إلى قصتهم

ذكر العلماء بالتفسير والسّير أن بلقيس لمّا ملكت [قومَها] جعل قومُها يقتلون على ماء واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يُطيعونها، فتركت مُلكها وانطلقت إلى قصرها فنزلته، فلمّا كثر الشّر بينهم وندموا، أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى مُلكها، فأبت: فقالوا: لَتَرجِعِنّ أو لَنَقْتُلنَّكِ، فقالت: إنكم لا تُطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: فإنّا نُطيعك، مُلكها، فأبت إلى واديهم وكانوا إذا مُطِروا أتاه السّيل من مسيرة أيّام وأمرت به، فسُدٌ ما بين الجبلين بمُسنّاة (٢٦)، وحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنتْ من دونه بِركة وجعلت فيها اثني عشر مَخرجاً على عِدّة أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسويّة، إلى أن كان من شأنها مع سليمان ما سبق ذِكره النمل: ٢٩- ٤٤١، وبقُوا بعدها على حالهم. وقيل: إنما بنوّا ذلك البنيان لِئلًا يغشى السيلُ أموالهم فيُهلكها، فكانوا يفتحون من أبواب السّدُ ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنّتان عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضُهم، وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لتمرُّ بين الجنّين والمِعرفة ولا يرغوث، ويمرُ الغريب ببلدتهم وفي ثيابه شيئاً منه، ولم يكن [يُرى] في بلدهم حيّة ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا يرغوث، ويمرُ الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القَمْل، فيموت القمل لطيب هوائها. وقيل لهم: ﴿ كُلُوا مِن رَوْق رَيْكُمْ وَاشَكُرُوا لَمْ بَدَةٌ طَيَبَهُ ﴾ أي: هذه بلدة طيّبة، أو القَمْل طب هوائها. وقيل لهم: ﴿ كُلُوا مِن رَوْق رَيْكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةٌ طَيّبَهُ ﴾ أي: هذه بلدة طيّبة، أو

⁽١) قال ابن كثير: كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر.

٢) روى الترمذي في «سننه» ٢/١٥٤ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل يا رسول الله، وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة» ولكنه رجل ولد عشرة من العرب...» الحديث، ورواه أحمد والطبري وهو حديث حسن، وقد سبق تحريجه صفحة (١٠٤٤). وأورده السيوطي في «الله» / ٢٣١ وزاد نسبته لعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، والمحاكم وصححه، وابن مردويه.

 ⁽٣) قال في «المصباح» مادة «سنن»: المُسنّاة: حائط يُبنى في وجه الماء، ويسمى السّد.

بلدتكم بلدة طيبة، ولم تكن سيخة (١) ولا فيها ما يؤذي ﴿ وَرَبّ عَنُورٌ ﴾ أي: والله ربّ غفور، وكانت ثلاثة عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيّاً، فكذّبوا الرّسل، ولم يُقِرُّوا بيعم الله، فللك قوله: ﴿ فَأَكْرَشُوا ﴾ أي: عن الحقّ، وكذّبوا انبياءهم (٢) ﴿ فَأَرْسَلُنَا عَلَيْمٍ سَيْلَ ٱلْمَرْمِ ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن العرم: الشديد، رواه عليّ بن أبي طالب عن ابن عباس، وقال ابن الأعرابي: العرم: السيّل الذي لا يُطاق. والثاني: [أنه] اسم الوادي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، ومقاتل: والثالث: أنه المُسنّاة، قاله مجاهد، وأبو ميسرة، والفراء، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: العَرِم: جمع عَرِمَة، وهي: السّكر والمُسنّاة. والرابع: أن العَرِم: الجُرَدُ الذي نقب عليهم السّكر، حكاه الزجاج. وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان: أحدهما: أن الله تعالى بَعَثُ على سِكْرهم دابّة من الأرض فنقبت فيه نقباً، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال قتادة والضحاك في آخرين: بعث الله عليهم جُرَداً يسمّى الخُلْد والخُلد: الفأر الأعمى - فنقبه من أسفله، فأغرق الله [به] جنّاتهم، وخرّب به أرضهم. والثاني: أنه أرسل عليهم ماء أحمر، أرسله في السدّ فنسفه وهدمه وحفر الوادي، ولم يكن الماء أحمر من السد، وإنما كان سيلاً أرسل عليهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وَيَدَّلَنُهُم بِمَنْتَهُم ﴾ يعني اللَّتين تُطعمان الفواكه. ﴿ جَنَّيَّنِ ذَوَاتُنَ أُكُلِ اللهِ الن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ أَكُلِ اللتنوين، وقرأ أبو عمرو: ﴿ أَكُلِ اللهِ اللهِ الكاف ابن كثير ونافع، وثقّلها الباقون. أمَّا الأُكُل، فهو الثمر، وفي المراد بالخَمْط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا، أُكُلُه: ثمره؛ ويسمَّى ثمر الأراك: البَرِير، والثاني: أنه كل شجرة ذات شوك، قاله أبو عبيدة، والثالث: أنه كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، قاله المبرَّد والزجّاج، فعلى هذا القول، الخَمْط: اسم للمأكول، فيتحسنُ على هذا قراءة من نوَّن الأكُل؛ وعلى ما قبله، هو اسم شجرة، والأكُل ثمرها، فيحسن قراءة من أضاف. فأمَّا الأثل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطَّرْفاء (٣)، قاله ابن عباس، والثاني: أنه السَّمُ (٤)، حكاه ابن جرير، والثالث: أنه شجر يشبه الطَّرْفاء إلَّا أنَّه أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيلِ﴾ فيه تقديم، وتقديره: وشيء قليل من سِدْر، وهو شجر النّبق^(٥). والمعنى أنه كان الخَمْط والأثْل في جَسَّيهم أكثر من السَّدْر. قال قتادة: بينا شجرُهم من خير الشجر، إذ صيَّره الله من شرَّ الشجر^(٦).

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ جَرَبْتُكُم ﴾ أي: ذلك التبديل جزيناهم ﴿ بِمَا كَثَرُوا ۗ وَهَلْ جُرِي ٓ إِلَّا ٱلْكُثُور ﴾. فإن قبل: قد يجازى المؤمن والكافر، فما معنى هذا التخصيص؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المؤمن يُجزى ولا يُجازى، فيقال في أفصح اللغة: جزى الله المؤمن، ولا يقال: جازاه، لأن «جازاه» بمعنى كافأه، فالكافر يُجازى بسيِّيتِه مثلها، مكافأة له، والمؤمن يُزاد في الثواب ويُتفضَّل عليه، هذا قول الفراء. والثاني: أن الكافر ليست له حسنة تكفِّر ذنوبه، فهو يُجازى

⁽١) أرض سبخة: أي: ملحة.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَشُوا﴾ أي: عن توحيد الله وهبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَمِثْنَكَ مِن سَيَمٍ فِبْلِ فِينِ ۞ إِنْ وَبَعْتُ آمْرَأَةُ مَنْلِكُمْمُ وَأُرْفِتَ مِن كُلِ مَنْ وَلَمْ عَظِيدٌ ۞ وَبَعْنَكُمْ مَسْلَعُمْمُ عَنِ النّبِيلِ فَقَمْ لا يَهَمْدُنُ أَمْرَاتُهُ هَا مُسْلَعُمْمُ عَنْ النّبِيلِ فَقَمْ لا يَقْبَلُون ۞ . اهـ.

 ⁽٣) قال في «القاموس» الطرفاء: شجر، وهي أربعة أصناف، منها الأثل الراحدة طرفاءة وطّرفة، وقال في «الصحاح»: قال سيبويه: الطرفاء واحد وجميع. قال في «اللسان»: قال أبو حنيفة (يعني الدِّينَوري): الطرفاء: من العضاء، وهُدْبُه مثل هدب الأثل، وليس له خشب، وإنما يخرج عِصِيّاً سمحةً في السياء، وقد تتحمّض بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره.

⁽٤) قال في المصباح: السُّمُر، وزان رَجُل وسَبُع: شجر الطلح، وهو نوع من العِضاء، الواحدة سَمُوة، ويها سُمِّيَ.

ه) قال في «المصباح»: وإذا أطلق الشدر في الفسل، فالمراد: الورق المطحون، والسدر نوعان: أحدهما ينبت في الأرياف فينتفع بورقه في الغسل،
 وشمرته طبية، والآخر ينبت في البر ولا يتقع بورقه في الفسل، وشمرته عَفِصَة، قال: وقد تقدم في حرف الزاي أن الزُّعرور شمرة تنبت في البرِّ، وهي
 بهذه الصفة، فيجوز أن يكون هو النَّبق البرِّي. اهـ.

 ⁽٦) قال ابن كثير: وَقُولُه: ﴿ وَتُولُونُ مِن سِدْرٍ كَلِيلٍ ﴾ قال: لما كان أجود هذه الأشجار المبدل هو السدر، قال: ﴿ وَيَكَن مِن سِدْرٍ كَلِيلٍ ﴾ فهذا الذي صار أمر تَبْنك الجتين إليه بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسية، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدّلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

بجميع الذُّنوب، والمؤمن قد أحبطت حسناتُه سيِّئاته، هذا قول الزجاج. وقال طاووس: الكافر يُجازى ولا يُغفر له، والمؤمن لا يُناقَش الحسابُ(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَعَلْنَا بَيْنُهُمْ ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَلٍ ﴾ ؛ والمعنى: كان من قَصَصهم أنّا جَعَلْنا بينهم ﴿ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَرَكَيْنَا فِيهَا وَلَهُ عَلَى الشّام ؛ وقد سبق بيان معنى البُرّكة فيها الانبياه: ١٧]، هذا قول الجمهور بوحكى ابن السائب أن الله تعالى لمّا أهلك جنّتيهم قالوا للرسل: قد عرفنا نعمة الله علينا، فلمن ردَّ إلينا ما كنَّا عليه لنَعْبُدَنَّه عبادة شديدة، فردَّ عليهم النّعمة، وجعل لهم قُرى ظاهرة، فعادوا إلى الفساد وقالوا: باعد بين أسفارنا، فَمُرَّقُوا.

قوله تعالى: ﴿فَرُى ظُهِرَةَ﴾ أي: متواصلة ينظر بعضها إلى بعض ﴿وَقَلَّرَنَا فِيهَا ٱلسَّيْرِ ۖ فيه قولان. أحدهما: أنهم كانوا يَغدون فيَقِيلون في قرية، ويَرُوحون فيبيتون في قرية، قاله المحسن، وقتادة. والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿ سِبُرُا فِيهَا ﴾ والمعنى: وقلنا لهم: سيروا فيها ﴿ لِيَالِى وَأَيَّامًا ﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿ عَامِنِينَ ﴾ من مخاوف السفر من جوع أو عطش أو سَبُع أو تعب. وكانوا يسيرون أربعة أشهر في أمان، فبَطِروا النّعمة وملّوها كما ملّ بنو إسرائيل الممنّ والسّلوى ﴿ فَقَالُوا رَبِّنَا بَعِدٌ بَيْنَ أَسْفَارِيا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ بَعّدٌ ﴾ بتشليد المعين وكسرها. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة: ﴿ اباعِدٌ ﴾ بألف وكسر المبين. وعن ابن عباس كالقراءتين. قال ابن عباس: إنهم قالوا: لو كانت جنّاتنا أبعد ممنًا هي، كان أُجْدَرُ أن يُستهى جَنَاها. قال أبو سليمان الدمشقي: لمّا ذكّرتُهم الرُّسلُ نِعَم الله، أنكروا أن يكون ما هم فيه بعمة، وسألوا الله أن يُباعِد بين أسفارهم. وقرأ يعقوب: [﴿ رَبُنا ﴾ برفع الباء] ﴿ اباعَدُ ﴾ بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزله الله الله الله على مو وقرأ عليّ بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن [السلمي]، وأبو رجاء، وابن السميفع، وابن أبي عبلة: ﴿ بَعُدَ ﴾ برفع العين وتخفيفها وفتح المال من غير ألف، على طريقة الشّكاية إلى الله الله الله . وقرأ عاصم المجحدي، وأبو عمران الجوني: ﴿ بُوعِدَ الماء وبواو ساكة مع كسر العين.

قوله تعالى: ﴿وَطَلَنَوُا أَنْفُسُمْمٌ ﴾ نيه قولان: أحدهما: بالكفر وتكذيب الرُّسل. والثاني: بقولهم: «بَعَّذُ بين أسفارنا». ﴿فَجَمَلْنَهُمْ أَحَادِينَ ﴾ أي: فرَقْناهم في كل وجه من البلاد كلَّ التفريق، لأنَّ الله لمَّا غرَّق مكانهم وأذهب جنَّيْهم تبدّدوا في البلاد، فصارت العرب تتمثل في الفُرقة بسبأ (٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي: فيما فُيل بهم ﴿ لَآيَنتِ ﴾ أي: لَعِبراً ﴿ لِكُلِّ صَبَادٍ ﴾ عن معاصى الله ﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمه (١٤)

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْمٌ إِنْكِسُ طُنَدُمُ ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصِدْقه في ظنّه أنَّه ظنّ بهم أنَّهم يتَّبعونه إذ أغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ﴿ وَلَأُضِلَنَهُمْ وَلَأُشِيَّتُهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩] بالظنّ ، لا بالعِلْم، فمن قرأ : «صَدِّق» بتشديد الدال، فالمعنى: حقَّق ما ظنَّه فيهم بما فعل بهم؛ ومن قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صَدَق عليهم في ظنَّه بهم (٥٠). وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل سبأ. والثاني: سائر المطيعين لإبليس.

 ⁽١) قال السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٣٣: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن طاوس ﴿وَيَعَلْ بُحْرِيجَ إِلَّا ٱلْكَثْيرَ﴾ قال: هو الكافر لا يغفر له.

⁽۲) قال ابن كثير: يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغيطة والعيش الهنيء الرفيد والبلاد الرُّحيَّة، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماة وثمراً، ويقيل في قرية ويبت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم. اهـ.

 ⁽٦) قال ابن كثير: أي: جعلناهم حديثاً للناس، وسمراً يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم وفرَّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهني،
 تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا، قال: ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ، وتفرُّقوا شذر مدر. اهـ.

⁽٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَ يَ يَٰلِكَ لَآيَكِ لِكُمْ صَنَيَادٍ شَكُورٍ ﴾ أي: إن في هذا الذي حلّ بهؤلاء من النقمة والعلاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوية على ما ارتكبوه من الكفر والآثام، لعبرة ودلالة لكل عبد صبّار على المصائب، شكور على النعم. اه. وروى مسلم في قصحيحه، ٤/ ٢٢٩٥ عن صهيب ظيف قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خير، وليس ذلك لأحدِ إلا للمؤمن، إن أصابته سراة شكر فكان خيراً له،

⁽٥) قال ابن كثير: لما ذكر الله تعالى قصة صبأ وما كان من أمرهم في اتَّباعهم المهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتَّبع إبليس والمهوى وخالف =

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ما كان تسليطنا إيّاه إلَّا لِنَعْلَم المؤمنين من الشاكين. وقرأ الزهري: «إلّا لِلْعُلَمَ» بياه مُتوفِقة على ما لم يُسمَّ فاعله، وقرأ ابن يعمر: ﴿لَيُعْلَمُهُ بِفَتَحِ اليّاء. وفي المراد بعِلْمه هاهنا ثلاثة أقوال قد شرحناها في أول (العتكبوت). ﴿وَرَبُّكَ عَلَ كُلِ مَنْ إِلَى الشَّكِ والإيمان ﴿ مَفِيطًا ﴾، وقال ابن قتية: والحفيظ بمعنى المُخافظ: قال المُتقابي: وهو فَعِيل بمعنى فاعل، كالقدير، والعليم، فهو يحفظ السموات والأرض بما فيها لمتبقى مدَّة بقائها، ويحفظ المُتقابك، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويعلم نيَّاتهم، ويحفظ أولياه، عن مواقعة الذَّنوب، ويحرسُهم من مكايد الشيطان.

﴿ ﴿ وَلَى انْهُواْ الَّذِينَ وَمُونِ اللَّهِ لَا يَسْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٌ ﴿ السَّنَكَوْتِ وَلَا بِى ٱلأَرْضِ وَمَا لَمُمْ فِيهِمَا مِن شِرْلِجِ وَمَا لَمُ مِنْهُمْ مِنْ طَهِيرِ ۞ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَنَمَةُ عِندُهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَلْمُ حَقَّ إِنَا فَزْعَ عَن تَتُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ الْحَقَّ وَمُو الْعَلِنُ الْكِيرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلِ آدْعُوا الَّذِيكَ زَعَتُمُ ﴾ المعنى: قل للكفار: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهةٌ ليُنْجِموا عليكم بيغمة، أو يكشفوا عنكم بليَّة. ثم أخبر عنه فقال: ﴿ لَا يَتْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَنَوْتِ وَلَا فِي ٱلأَرْضِ﴾ أي: من خير وشرّ ونفع وضُرّ ﴿وَمَا لَمُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكِيمِ﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما، ﴿وَمَا لَهُ ﴾ أي: وما لله ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الآلهة ﴿ يَن ظَهِيرِ ﴾ أي من مُعين على شيء. ﴿ وَلَا نَنَعُ ٱلشَّفَامَةُ عِندُهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِكَ لَلْمَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عَامِر: ﴿ أَذِنَّ لَهُ اللَّهِ عَالَ أَبُو عَمَرُو، وحَمَرَة، والكسائي، وخلف: ﴿ أَذِنَّ لَهُ الرَّفِ الألف. وعن عاصم كالْقراءتين. أي: لا تنفع شفاعة مَلَك ولا نبي حتى يُؤذَن له في الشفاعة (١١)، وقيل: حتى يؤذن له فيمن يشفع. وفي هذا ردّ عليهم حين قالوًا: إن هذه الألُّهة تَشفع لنا. ﴿حُقَّتِ إِنَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِتر﴾ قرأ الأكثرون: ﴿فُزِّعَ﴾ بَضم اللهَاء وكسر الزَّاي. قال ابن قتيبة: خُفُّف عنها الفَزَع. وقال الزجاج: معناه: كُشِف الفَّزَع عن قُلوبهم. وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وَأَبَانَ ۚ ﴿ فَزَّعَ ﴾ بفتح القاء والزاي، والفعل لله ﷺ. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن يعمر: ﴿ فوغ الراء غير معجمة، وبالغين معجمة، وهو بمعنَّى الأول، لأنها فرغت من الفزع. وقال غيره: بل فرغت من الشك والشُّرك. وفي المشار إلَيهُمْ قَوْلَانَ: ٱحَدَهُمَا: أَنْهُمُ الْمَلَاثُكَةُ. وقَدَ دَلَّ الكَلامُ عَلَى أَنْهُمْ يَفْزَعُونَ لأمر يُطُوا عَلِيهِمْ مِنْ أَمْرِ اللهُ، ولم يذكره في آلاًيةً، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله. وفي سبب فَرَّعهم قولان: أحدهما: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تَعَالَىٰ. رُوَّى عَبْدُ الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِذَا تَكُلُّم اللهُ بِالوسِي سمع أَهلُ السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم، فيقولون: يا تجبريل: ماذا قال ربُّك؟ قال: فيقول: الحق، فينادون: الحقّ الحقّ الحقّ أنه قال: المائة ﷺ أنه قال: الأ قضى الله عزَّ وجل الأمرَ في السماء ضَربت الملائكةُ بأجنحتها خُضْعَاناً لقوله^(٣)، كأنه سلسلة على صفوان⁽¹⁾، فإذا فزَّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم، قالوا: للذي قال الحقُّ (٥) ﴿ وَهُو الْمَكِنُ الْكِيرُ ﴾ (١). والثاني: أنهم يفزعون من قيام

الرشاد والهدى، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّلَى كَلَيْمَ إِلَيْسُ طَنَّمُ﴾ قال: قال ابن عباس ﴿ وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إيليس حين امتنع من السجود
 لام علميه الصلاة والسلام، ثم قال: ﴿ أَنْ يَلْكُ مُلَا الَّذِي حَكِّرَتُ فَلَ لَهِنَ لَمُنْ فَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ

⁽١) قال ابن كثير: ثبت في «الصحيحين» من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكبر شقيع عند الله تعالى - أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال: فالسجد لله تعالى فيدعني ما شاه الله أن يدّعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد ارفع راسك، وقل تُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفّع ...» الحديث بتمامه.

 ⁽٢) رواه أبو داود في أسننه، رقم (٤٧٣٨)، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٣٦، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المتقد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، والبيهني عن عبد الله بن مسعود رفيه.

⁽٣) أي: تواضعاً وتخاشعاً وانقياداً لحكمه.

⁽٦) رواه البخاري في اصحيحه ٤١٤/٨ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه عنه أيضاً أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

الساعة. وفي السبب الذي ظنّوه بدنو الساعة ففزعوا، قولان: أحدهما: أنه لمّا كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ثم بعث الله محمداً، أنزَل الله جبريل بالوحي، فلمّا نزل ظنّت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفَزَع ويُخبرهم أنه الموحي، قاله تتادة، ومقاتل، وابن السائب. وقيل: لمّا علموا بالإيحاء إلى محمد على فزعوا، لِعِلمهم أنَّ ظُهوره من أشراط الساعة. والثاني: أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى أهل الأرض ويكتبون أعمالهم إذا أرسلهم الله تعالى فانحدروا، يُسمّع لهم صوتٌ شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فيخوون سُجَداً، ويُضعَقون حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة، وهذا كلّما مرّوا عليهم، رواه الضحاك عن ابن مسعود. والقول ويُضعَقون حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة، وهذا كلّما قولان: أحدهما: أن المعنى: حتى إذا كُشف الفزع عن قلوب المشركين عند الموت ـ إقامةً للحجة عليهم ـ قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربّكم في الدنيا؟ قالوا: الحقّ، فأقرُوا حين لم ينفعهم الإقرار، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: حتى إذا كُشف الفِطاء عن قلوبهم يوم القيامة، قيل لهم: ماذا قال ربّكم؟ قاله مجاهد.

﴿ فَلْ مَنْ يَزُفُكُمْ مِنَى ۚ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ فَي اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِبَاكُمْ لَمَكُن هُدًى أَوْ فِي صَلَالِ ثَمِينٍ ﴿ فُل لَا مُسْتَلُونَ عَمَّا الْمَعْرَبُ وَالْأَرْضُ فَي اللَّهِ عَمَّا الْمَعْرَبُ وَهُو الْفَضَّاحُ الْمَلِيمُ ﴿ فُلْ أَرُونِ اللَّهِ الْمَعْمَدُ الْمَعْرَبُ وَهُو الْفَضَّاحُ الْمَلِيمُ ﴾ بهد شَرَكَا أَمْ بَلْ هُو اللهُ الْمَدِيمُ الْمَحْكِيمُ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلُ لَا تُشْتَالُونَ عَمَّا لَجْرَمَنَا﴾ أي: لا تؤاخذون به ﴿وَلَا تُشْتَلُ عَمَّا تَمْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب؛ والمعنى إظهار التبرِّي منهم^(٣). وهذه الآية عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.

قُوله تعالى: ﴿ وَأَنْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُنَا﴾ يعني عند البعث في الآخرة ﴿ ثُمَّرَ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي ﴿ إِلَمَوْ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُوَ ٱلْفَضَاحُ﴾ القاضي ﴿ ٱلْمَلِيدُ﴾ بما يقضي ﴿ ثُلْ﴾ للكفار ﴿ أَرُونِي ٱلَّذِينَ ٱلْحَقْتُم بِدِ. شُرَكَآةً ﴾ أي: أعلِموني من أيّ

 ⁽۱) وقد اختار ابن جرير الطبري القول الأول، وهو أن الضمير عائد إلى الملائكة، وهم المشار إليهم، وقال ابن كثير: وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه،
 لصحة الأحاديث فيه والأثار. اهـ.

 ⁽۲) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِنَاكُمْ لَكُنْ هُلِكُنْ أَلَّا فِي صَلَالِ تُبِينٍ ﴾ هذا من باب اللغة والنشر، أي: واحد من الغبيقين مبطل، والأخر محقّ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن هلى الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن كثير: أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذَّبتم فنحن برآه منكم وأنتم برآه منا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذْبُولُ نَتُل لِي عَمَل وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَشُد بَرِيْقُ مَيْناً أَمْمَلُو وَأَنا مَعَلَى اللهِ اللهِ عَمَل وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَشُد بَرِيْقُ مَيْناً أَمْمَلُونَ إِنْ عَلَى إِلَى عَمْل وَلَكُمْ عَمْلُكُمْ أَشُد بَرِيْقُ مَنْكُ وَأَنْ مَنْكُون فِي عَلْم وَلَوْمُ عَمْلُكُمْ أَشْد بَرِيْقُ مِنْاً أَمْمَلُون أَنَا فَه عَلَى وَلَا مُنْ عَمْلُون اللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ وَلَا مُنْكُم وَلَا مُعْلَى وَلَا لَهُ عَلَى اللهِ وَاللهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمٌ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمٌ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمٌ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمٌ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِي وَاللّهُ وَلِي وَلّمُ وَاللّهُ وَلَائمُ وَاللّهُ وَاللّهُولُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمُ وَلَائمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَائمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِلْمُ وَاللّهُ وَال

وَجِه المحقتموهم وهم لا يخلُقون ولا يرزُقون؛ ﴿كُلَّا﴾ ردع وتنبيه؛ والمعنى: ارتدِعوا عن هذا القول، وتنبَّهوا عن ضلالتكم، فليس الأمر على ما أنتم عليه(١).

﴿ وَمَا ۚ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَلَكِينَ أَكْبَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَنَى هَلَمَا الْوَعْدُ إِن كُنتُر مَكِدِقِينَ ۞ قُل لَكُم يَبِعَادُ يَرْمِ لَا نَسْتَغِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلَنَكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: عامَّة لجميع الخلائق. وفي الكلام تقديم، تقديره: وما أرسلناك إلَّا للناس كافَّة. وقيل: معنى «كافة للناس»: تكفَّهم عمًّا هُم عليه من الكفر، والهاء فيه للمبالغة (٢٠. ﴿وَرَبُّهُولُونَ مَنَى اللّاسِ كَافَة الناس؛ تكفُّهم عمًّا هُم عليه من الكفر، والهاء فيه للمبالغة (٢٠. ﴿وَرَبُّهُولُونَ مَنَا الْوَعْدُ وَقُلُ لَكُمْ مِبْعَادُ الْوَعْدُ وَفِيهِ قَوْلان: أحدهما: أنه يوم الموت عند النَّزَع والسّياق، قاله الشحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّيْنَ كَفُرُا﴾ يعني مشركي مكّة ﴿لَن نُوْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلا بِاللَّهِم، ثَم أخبر عن حالهم ولانجيل، وذلك أن مؤمني أهل الكتاب قالوا: إنّ صفة محمد في كتابنا، فكفر أهلُ مكّة بكتابهم، ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَيّ إِذِ الطَّلِمُونَ﴾ يعني مشركي مكة ﴿مُوثُونُونَ عِندَ رَبِّمَ ﴾ في الآخرة ﴿يَرْعُ بُعْشُهُمْ إِلَى بَعْنِ اللَّهُولَ ﴾ أي: يَرُدُّ بعضهم على بعض في الجدال واللَّوم، ﴿يَقُولُ اللَّذِينَ اسْتُفْعِقُوا ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا ﴾ وهم الأشراف والقادة: ﴿لَوْلاَ أَنْهُ لَكُنا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدّقين بتوحيد الله؛ والمعنى: أنتم منعتمونا عن الإيمان؛ فأجابهم الممتبوعون فقالوا: ﴿أَنْنُ صَدَدَنَكُمْ عَنِ الْمُعْلَى الله والله الله والنها والله المول؟ ﴿بَلَ كُنتُم تُجْرِمِينَ ﴾ المتبوعون فقالوا: ﴿أَنْنُ صَدَدَنَكُمْ عَنِ الْمُعْلَى الله والنهار. قال الفراء: وهذا ممّا تتوسع فيه العرب الأثباع فقالوا: ﴿ فَلَ مَكُمُ النِّهِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: بل مكرُكم بنا في الليل والنهار. قال الفراء: وهذا ممّا تتوسع فيه العرب الوضوح معناه، كما يقولون: ليله قائم، ونهاره صائم، فتضيف الفعل إلى غير الآدميين، والمعنى لهم. وقال الوضوح معناه، كما يقولون: ليله قائم، ونهاره صائم، فتضيف الفعل إلى غير الآدميين، والمعنى لهم. وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿ فَي فَرَيْكِ اللَّهِ الْمُورَانِ الله المُورَاء الله المُورَاء الله المُوراء المُوراء الله المُوراء الله المُوراء أَمْ وَلَاكُ الله الله المُوراء الله المُوراء الله المُوراء المهنى المهم. وقال المؤسوم معناه، كما يقولون: ليلة قائم، ونهاره صائم، فتضيف الفعل إلى غير الآدميين، والمعنى لهم. وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿ فَي فَرَيْكِ اللّهِ الْمُؤْمِدُ الله المُوراء الله المُوراء المُوراء المُوراء المُؤراء المُوراء المُؤراء الله المؤراء المُؤراء المُوراء المُؤراء المُؤراء المُؤراء المُؤراء المؤراء المؤرا

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ويَمْتِ وَما لَيْلُ المَطِيِّ بِنائِم (٣)

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «بل مَكَرَ» بفتح الكاف والراء «الليلُ والنهارُ» برُفعهما. وقرأ ابن يعمر: «بل مَكْرٌ» بإسكان الكاف ورفع الراء وتنوينها «الليلَ والنهارَ» بنصبهما.

 ⁽١) قالوابن كثير في تتمة الآية: ﴿ إِنَّ هُوَ اللَّهُ ﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له، ﴿ النَّرَيْزُ لَلْمَكِيمُ ﴾ أي: ذو العزَّة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقراله وشرعه وقدره، ثبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً، والله أعلم. اهـ.

⁾ وهو تأريل بعيد، وإن كان أصلها من الكفّ بمعنى المنع، والمراد هنا أن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلائق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ فَلَ يَكَائِهَا النّاسُ إِنِي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكَ الْمَنَ وَقُوله: ﴿ فَلَكَ اللّهِ عَنْ الْمَنْ فَلَ عَبْدِهِ لِيكُونَ لِلْعَلْوَدِي غَيْرًا ﴿ فَلَ المِحْامِ وَمِسلم في كَائِهُمَا النّاسُ عالى اللهِ ﴿ اللهِ اللهِ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ واللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

⁽٣) ﴿ ديوانه ؟ ٥٥٤، وقمجاز القرآن؛ ١/ ٢٧٩، وفالطبري، ٢٢/ ٩٨، وقمجمع البيان؛ ٢٢/ ٢٠.

قوله تعالى: ﴿ وَقَ تَأْمُونَنَا أَنْ لَكُفُرَ مَالِلَهِ وَذَلَكَ أَنهِم كَانُوا يَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ دِيننا حَقَ وَمَحَمَدَ كَذَّابِ مَ ﴿ وَأَشَرُوا اللَّهُ مَا مَا مِن اللَّهُ عَلَى اللّ

قوله تعالى: ﴿وَيَحَمَّلُنَا ٱلأَغْلَىٰلُ فِيَ آَعَنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواً﴾ إذا دخلوا جهنم غُلّت أيديهم إلى أعناقهم، وقالت لهم خَزَنة جهنم: هل تُجزَون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا. قال أبو عبيدة: مجاز «هل» هاهنا مجاز الإيجاب، وليس باستفهام؛ والمعنى: ما تُجزَون إلا ما كنتم تعملون.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي فَرْيَةِ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُمْرَفُهُمَا إِلَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كَيْرُونَ ۞ وَقَالُواْ خَنُ أَكْثُرُ أَمْوَلًا وَأَلِنَكَا وَمَا خَنُ بِمُعَلَّيِنَ ۞ فَمْ إِنْ وَيَ يَبْسُلُ الزِزْقَ لِمِن يَشَلُهُ وَيَقْدِرُ وَلَئِكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَمْلَشُونَ ۞ وَمَا أَشُولُكُو وَلَا أَوْلِنَكُمْ بِالْقِي ثَقْرَيْكُو جِندَا زُلْفَقَ إِلَا مَنْ مَامَن وَعَيدَ مَنْ اللَّهُ وَيَقِدِرُ وَلِئِكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَمْلُمُونَ ۞ وَلَلْيَنَ بَسَمَّوْنَ فِي عَلَيْنِنَا مُعْجَزِينَ أَوْلَئِهَكَ فِي الْمَذَابِ مُحْمَرُونَ وَعَيدَلَ مَنْ مُؤْمِقًا فِي مَلِينَا مُعْجَزِينَ أَوْلَئِهِكَ فِي الْمَذَابِ مُحْمَرُونَ ۞ وَلَلْيَنَ بَسَمَّوْنَ فِي عَلَيْنِنَا مُعْجَزِينَ أَوْلَئِهَكَ فِي الْمَذَابِ مُحْمَرُونَ وَهِ قُلْ إِنَّ وَمِن مُنْهِ وَمُو مُحْمَرُ مُؤْمِ وَمُو مُحْمَرُ الزَوْقِيكَ ۞ وَهُمْ أَعْنِينَا مُعْجَرُونَ وَلِكُونَ اللّهِ عَلَى مُعْجَرُونَ أَلْمَالِكُونَ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ مُعْجَرُونَ وَلَا مُعْرَفِقِكُونَ وَاللّهُ مَنْ مُؤْمِقُونَ أَنْ مُنْفَاقِهُ وَمُومُ مُونَ مُنْفِيلًا مُؤْمُونَ عَلَيْكُولُونَ مُنْ مُعْمَلُونَ أَلْمُونَ مُنْفُونَ فَي وَلَوْلِكُونَ عَلَيْكُولُ اللّهُ وَمُونَ مُعْلِمُ مُؤْمُ وَمُونَ مُعْلِمُ مُونَ مُعْلِمُ مُؤْمُ وَمُونَ وَالْمُونِ فَي مُونَوْقِهُ وَلَيْكُونَ عَلَيْكُونُ اللّهِ مُلْ مُعْلِمُونَ أَنْ مُؤْمُونَا أَوْلِكُونُ وَلِكُونَ اللّهُ مُعْتَوْمُ أَنْ مُعْتَوْفَعُ وَمُونَ مُعْلِمُ مُونَ مُعْلِمُ مُونَ مُعْلِمُ مُونَا وَمُوالِمُونَ اللّهُ مُعْتَوْمًا فَالْمُونَ وَلَا مُعْرَفُونَا فَا وَعْمَالِهُ الْمُعْتُونُ فَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُعْمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَالْمُوالِمُونَ الْمُعْلِمُونَا الْمُؤْمِنَا فَالْمُؤْمِنَا فَالْمُ أَنْ مُنْفَونُونَ الْمُؤْمِنَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَمُونَالِكُونُ وَالْمُونَا وَمُونَا وَمُونَا وَالْمُونُونَ الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمُونَا الْمُؤْمُونَا الْمُؤْمُونَا الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمُونَا الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمُونُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِ

قوله تعالى: ﴿ وَوَالُوا غَنُ أَكُنَ أَتُولَا وَأَوَلَدَا ﴾ (**). في المشار إليهم. قولان: أحدهما: أنهم المُتْرَفون من كل أمّة. والثاني: مشركو مكة، فظنوا من جهلهم أن الله خولهم المال والولد لكرامتهم عليه، فقالوا: ﴿ وَمَا غَنُ بِمُعَلِّينَ ﴾ لأن الله أحسن إلينا بما أعطانا فلا يعذّبنا، فأخبر أنه ﴿ يَبَسُلُ الرِزْقَ لِمَن يَشَكُ وَيَقْدِرُ ﴾؛ والمعنى أنَّ بَسُطَ الرُّزق وتضبيقه ابتلاءٌ وامتحان، لا أنَّ البَسْطَ يدلُّ على رضى الله، ولا التضييق يدل على سخطه ﴿ وَلَذِكِنَّ أَلَيْنَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ فالله ذلك. ثم صرح بهذا المعنى بقوله: ﴿ وَمَا أَتُولُكُم وَلاَ أَوْلَدُكُم اللّهِ عَنْ اللّه وَالله المواه والأولاد جميعاً، لأن الإموال جمع والأولاد جمع وأن شئت وجَهت «التي» إلى الأموال، واكتفيت بها من ذِكُو الأولاد؛ وأنشد لمرّار الأسدى:

مستندك داض والسرَّأيُ مُسخَسَدِك داض

. نَبِحُنُ بِسَا عِينُدَنِيا وَأَنْتَ بِسَا

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَلَا يُنِقُونَهَا فِي سَيِيلِ اللّهِ﴾ البيرية: ٢١١ وقال الزجاج: المعنى: وما أموالكم بالتي تقرّبكم، ولا أولادكم بالذين يقرّبونكم، فحُذف الجنصاراً. وقرأ أبيُّ بن كعب، والحسن، وأبو الجوزاء: «باللاتي تقرّبكم». قال الإخفش: وقرُلُفي، هاهنا اسم مصدر، كأنه قال: تقرّبكم عندنا ازْدِلافاً (٤). وقال ابن قتيهة فرُلُفي، أي نُوني ومَنْزَلَةً عِندِنا (٩).

⁽۱) قال ابن كثير: يقول تعالى مستلياً لنيه على وآمراً له بالتأسّل بمن قبله من الرسل ومخبره بأنه ما بعث نيباً في قرية إلا كلّبة مترفوها واتبعه ضعفاؤهم المحتا قال ابن كثير: يقول تعالى مستلياً لنيه على التركيرة المحتال المحتا

 ⁽γ) قال ابن كثير; انتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم، وأعتنائه بهم، وأنه بها كاندليمظيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الأخرة، وهيهات لهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ تَبَارِكُ وَ يَعْلَى الله عَلَيْهِ عَلَيْ لَهُ لَقُونُ فَى لَا يَعْمَلِنَ ﴿ وَقَالَ تَبَارِكُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالَ تَبَارِكُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالَ تَبَارِكُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالَ تَبَارِكُ وَ قَالَ عَلَيْ وَيَقِينَ إِلَيْ عَلَيْ وَلَيْنَ أَمْنُونَ ﴿ وَقَالَ عَلَيْهِ عَلَيْ لَلْكُونُ وَقَالَى الله وَقَالَ عَلَيْ وَتَعَلَى وَوَقَالَ الله وَقَالَ عَلَيْ وَمَنْ كَلُونُ وَقَالَ عَلَيْكُ وَمَنْ كَلُونُ وَمَ نَقْتُ وَجِينَا إِلَيْ اللّهِ وَقَالَ عَلَيْكُ وَمِنْ الله عَلَيْ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُ وَمِنْ الله عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُ وَلَمْ اللّهُ وَقَالَ عَلَيْكُ وَلَمْ عَلَيْكُ وَلَيْكُونَ وَلَمْ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَقَالَ عَلَيْكُونَ وَلِيْنَا عَلَيْكُ وَلَا عَلَيْكُونُ وَلَمْ وَلَهُ وَلِيلِهُ وَلِلللهُ وَلَيْكُونَ وَلِيلُونُ وَلِيلِهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَيْكُونَ وَلِيلُونُ وَلَا عَلَيْكُونَ وَلِيلُونَ وَلِيلَا عَلَيْكُونَ وَلِيلُونَ لِي وَلِيلَا عَلَيْكُونَ وَلِيلُونَ لِي وَلِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِيلُونَ لِلللهُ وَلَا عَلَيْكُونَ وَلِيلُونَ لِللْكُونُ وَلِيلُونَ لِلْكُونُ وَلِيلُونَ لِللْكُونُ وَلِيلُونَ لِلللهُ وَلِيلُونَ لِللْكُونُ وَلِيلُونَ لِلللهُ وَلِلْكُونُ وَلِيلُونَ لِلْكُونُ وَلِيلًا لِلللهُ وَلِلْلُونُ لَاللّهُ وَلِلْكُونُ وَلِلْكُونُ وَلِلْكُونُ وَلِلْكُونُ وَلِلْكُونُ وَلِيلُونَ لِلْكُونُ وَلِيلُونَ وَلِلْلُونُ وَلِيلُونَ وَلِلْلُونُ وَلِلْلِكُونُ وَلِيلًا عَلَيْكُونَ وَلِيلُونَ وَلَكُونُ ولِيلُونَ وَلِلْكُونُ وَلِيلُونَ وَلِلْكُونُ وَلِيلُونُ وَلِيلُونَ وَلِلْلُونُ وَلِلْلِلْكُونُ وَلِلْلُونُ وَلِلْلُونُ وَلِلْلِلْلُونُ وَلِلْلِلْلِلْلِلْلِلْكُونُ وَلِلْلِلْلُونُ وَلِلْلِلْكُونُ وَلِيلُونُ وَلِلْلُونُ وَلِلْلُونُ وَلِلْلُونُونُ وَلِلْلِلْكُو

⁽٣) منبق تخريج البيت ٥٨٠، وهو أيضاً في الطبري، ١٢٪ ٢١٪ عـ والقوطبي، ١٣٧٪.

 ⁽٤) من الأصل: إذلافاً، وما أثبتناه من االصحاحة واللسان، واللتاجة : زلف.

⁽a) روى مسلم في اصحيحه ١٩٨٧/٤ عن أبي هريرة الله أن رسول لله يقط قال: اإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأموالكم، ولكن ينظر إلى عليه الموبكم وأموالكم،

قوله تعالى: ﴿إِلّا مَنْ ءَامَنَ﴾ قال الزجاج: المعنى: ما تقرّبُ الأموالُ إلّا من آمن وعمل بها في طاعة الله، ﴿فَأُولَتَكِنَ لَمُمْ جَرَّاتُ الفِيّعِفِ الذي قد أعلمتُكم مقداره، وقال ابن قتية: لم يُرِدْ فيما يَرى أهلُ النظر ـ والله أعلم ـ أنهم يُجازون بواحدٍ مثله، ولا اثنين، ولكنه أراد جزاء التضعيف، وهو مِثْل يُضَمُّ إلى مِثْلِ ما بَلَغ، وكأنَّ الضَّعفُ الزيادة، فالمعنى: لهم جزاءُ الزيادة. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل، ورويس، وزيد عن يعقوب: "لهم جزاءً بالنصب والتنوين وكسر التنوين وصلاً، "الضَّعفُ» بالرفع. وقرأ أبو الجوزاء، وقتادة، وأبو عمران الجوني: "لهم جزاءً» بالرفع والتنوين، "الضَّعفُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَمُمْ فِي ٱلْمُرْتِئِ ﴾ يعني [في] غُرَف الجنة، وهي البيوت فوق الأبنية. وقرأ حمزة: في الغُرفة على التوحيد؛ أراد اسم الجنس، وقرأ الحسن، وأبو المتوكل: في الغُرفات ابضم الغين وسكون الراء مع الألف، وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: بضم الغين وفتح الراء مع الألف ﴿ وَمِنُونَ ﴾ من الموت والغير. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره الحجن ١٥، الرمد: ٢٦] إلى قوله: ﴿ وَمَا آَنَفَتُمُ مِن مَهُو مَهُو يُخُلِفُ أَي: يأتي ببدله، يقال: أخلف الله له وعليه: إذا أبل ما ذهب عنه. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما أنفقتم من غير إسراف ولا تقتير فهو يُخلِفُه، قاله سعيد بن جبير. والثاني: ما أنفقتم في طاعته، فهو يخلفه في الآخرة بالأجر، قاله السدي. والثالث: ما أنفقتم في الخير والبِرِّ فهو يُخلِفه، إمّا أن يعجَّله في الدنيا، أو يتَّخرَه لكم في الآخرة، قاله ابن السائب. والرابع: أن الإنسان قد يُنفق ماله في الخير ولا يرى له خَلفاً أبداً؛ وإنما معنى الآية: ما كان من خَلف فهو منه، ذكره الثعليي (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ لمَّا دار على الألسن أن السلطان يرزُق الجند، وفلان يرزق عياله، أي: يعطيهم، أخبر أنه خير المُعْطِين.

﴿ وَيَوْمَ بَعَشُرُهُمْ جَيِمَا ثُمَّ يَقُولُ اِلْمَكَتِكَةِ أَمَنُوْلَتَهِ إِنَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿ قَالُواْ سُبْحَنَكَ أَتَ وَالِمُنَا مِن دُونِهِمْ بَلُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْحَالِمَ النَّارِ الْقِي كُشُر بِهَ النَّجِنُ مَنْ وَلَقُولُ اللَّبِينَ ظَلَمُوا دُوفُواْ عَذَابَ النَّارِ اللَّهِي كُشُر بِهَ النَّجِنُ مُنْ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلُّ مُرِيدُ أَن يَشُلُكُمْ عَنَا كَانَ يَعْبُدُ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ مَا لِللَّهُ عَلَيْهُمْ وَقَالُواْ مَا هَذَا إِلَّا إِذَكُ مُمْنَكُمْ فَيَا كُنْ يَعْبُدُ مَنَا كَانَ يَعْبُدُ مَنَا كَانُ مِنْ مُنْفَوْمُ وَقَالُواْ مَا هَذَا إِلَّا مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ كُنُوا مِنْ اللَّهِ مِنْ كُنُوا مِنْ اللَّهِ مِنْ كُنُوا لِللَّهِ مِنْ كُنُوا لِللَّهُ عَلَيْهُمْ وَمَا بَلْمُوا مِمْشَارَ مَا مَالِيَاتُهُمْ فَكَيْلًا وَسُؤَلًا فَاكُواْ مَا مَنْذَا اللَّهُ مِنْ كُنُوا مِنْ اللَّهِ مِنْ كُنُوا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ كُنُوا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ كُنُوا مِنْهُمْ وَمَا بَلْمُوا مِمُشَارَ مَا مَالْمَالُوا مُنْفِقً وَكُلُوا مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنَالِقًا اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ مُؤْلِمُ مُنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّا مُنْتُولًا مُنْفِيلًا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿وَبَوْمَ يَمَثُرُكُمْ جَيِكُ يعني المشركين؛ وقال مقاتل: يعني الملائكة ومن عَبدها ﴿مُ يَّتُولُ المَلَيَكَةِ أَهَوُلَا اللهُ تَعَالُوا يَسْبُدُونَ ﴾ (٢) وهذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين؛ فنزَّهت الملائكة ربَّها عن الشَّرك فـ ﴿قَالُوا سُبْهَنكَكَ أَي: تنزيها لك مما أضافوه إليك، من الشركاء ﴿أَتَتَ وَلِيُنَا مِن دُونِهِمُ اَي: نحن نتبراً إليك منهم، ما تولَّيناهم ولا اتّخذناهم عابدين، ولسنا نريد وليّا غيرك ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ اَي يُطيعون الشياطين في عبادتهم إيَّانا ﴿أَتَكَنَّهُم اَي : يُطيعون الشياطين في عبادتهم إيَّانا ﴿أَتَكَنَّهُم اِي الشياطين ﴿مُؤْمِنُهُ أَي: مصدِّقون لهم فيما يُخبرونهم من الكذب أن الملائكة بناتُ الله، فيقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَلى اللهُ عَبدوا غير اللهُ ﴿ وَلُوا عَلَالَ اللهُ الله

⁽١) قال ابن كثير: ﴿ وَمَا آَنَقَتُم تِن نَهُو لَهُو كُيْلِكُم ۗ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الأخزة بالجزاء والثواب. اهد. وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة الله أن رسول الله على: قال: قال الم المناق البخاري ومسلم أيضاً في «صحيحيهما» عن أبي هريرة الله قال وسول الله على الما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أحط منفقاً خلقاً، ويقول الآخر: اللهم أحظ ممسكاً ثلقاً». وروى أبو يعلى، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسناد حسن، عن أبي هريرة اللهم أعظ من في العرش إللالاً».

⁽٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يقرّع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿ أَمْرُ إِلَّمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ أي: أنتم أمرتم مؤلاء بعبادتكم، كما قال تعالى في سورة (الفرقان): ﴿ تَأْتُمُ النَّمْ يَعَانِى مُؤَلِّدٌ أَلَّ مُشَرِّرًا السَّبِيلَ ﴾ وكما يقول لعبسي عليه الصلاة والسلام: ﴿ تَأْتَ لِلنَّاسِ الْمَالَوْنِ وَأَيْمَ إِلَيْهَا إِلَى اللهِ وَتَقَلَّسَتُ أَنْ السَّبِيلَ ﴾ وكما يقول لعبسي عليه الصلاة والسلام: ﴿ تَأْتَ لِلنَّاسِ الْمَالَوْنِ وَأَيْمَ إِلَيْهِمْ وَمَا لِللهِ وَتَقَلَّمُ عَلَيْكُ وَتَعَلَّمُ اللهِ وَتَقلَسَتُ أَنْ يَكُونَ معك إله. اهم،

هذه، وتفسيرها ظاهر (١٠). ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيّنة، ولم يكذّبوا محمداً عن يقين، ولم يأتهم قبله كتاب ولا نبيّ يخبرهم بفساد أمره، فقال: ﴿وَمَا مَالِنَسَهُم مِّن كُتُبِ يَدْرُسُونَها ﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبيّاً قبل محمد؛ وهذا محمول على الذين أنذرهم نبيّنا [محمد] على وقد كان إسماعيل نذيراً للعرب. ثم أخبر عن عاقبة المكذّبين قبلهم مخوّفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهم ﴾ يعني الأمم الكافرة، ﴿وَمَا بَلَنُوا مِمْتَارَ مَا أَخِبر عن عاقبة المكذّبين قبلهم مخوّفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهم ﴾ يعني الأمم الكافرة، ﴿وَمَا بَلَنُوا مِمْتَارَ مَا أَخِبر عن عاقبة المكذّبين قبلهم من القوّة والمال وطول العمر، قاله الجمهور. والثاني: ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا هؤلاء من الحُجَّة والبرهان. والثالث: ما بلغ الذين من قبلهم محمار شكر ما أعطيناهم، حكاهما الماوردي. والمِعشار: العُشر. والنَّكير: اسم بمعنى الإنكار. قال الزجاج: والمعنى: فكيف كان نكيري؛ وإنما حُذفت الياء، لأنَّه آخر آية.

﴿ ﴿ فَلَ إِنَّمَا اَعِظُكُم بِوَحِدَةً أَن تَقُومُواْ بِنَهِ مَثْنَى وَفَرَدَىٰ ثُمَّرَ ثَنْفَكُرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِن حِنَةً إِنْ هُوَ اِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ بَدَىْ عَدَابِ شَدِيدِ ۞ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنَ أَجْرِ مَهُوَ لَكُمُّ إِنَ أَجْرِى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ قُلْ إِنَّ بَلْنَيْ عَلَمُ اللَّهُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهِدٌ ۞ قُلْ إِن مَلْكُ قَإِنَّا أَضِلُ عَلَى نَفْسِقٌ وَإِنِ الْمَنْدَيْثُ هِمَا يُبْدِئُ النَّاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۞ قُلْ إِن ضَلَكُ قَإِنَا آضِلُ عَلَى نَفْسِقٌ وَإِنِ الْمَنْدَيْثُ هَبِمَا يُوحِى إِلَى رَفِّتَ إِلَىٰ مَلِكُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُوا الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَا عَلَا

قوله تعالى: ﴿ قُلُ إِنَّمَا آَعِنُكُمُ ﴾ آي: آمُرُكم وأوصيكم ﴿ بِرَحِدَةٍ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الا إله إلا الله ، رواه ليث عن مجاهد. والثالث: أنها قوله: ﴿ أَن تَقُومُواْ بِلَمِ مَنْنَى وَلَمُرَدَى ﴾ قاله قتادة. والمعنى: أن التي أَعِفُكم بها، قبامُكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام (٢٠). والمراد بقوله: «مثنى أي: يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ والمراد بـ «فُرادى»: أن يتفكّر الرجل وحده، ويُعنى الكلام: لِيتفكر الإنسانُ منكم وحده، ولْيُخلُ بغيره، ولْيُناظِر، ولْيَسْتَشِر، فَيسْتَدِلُ بالمصنوعات على صانعها، ويُصدِّق الرسول على اتباعه، ولْيَقُل الرجلُ لصاحبه: هَلُمَّ فَلْنَتُصادق هل رأينا بهذا الرجل جِنَّة قَطَ، أو جرَّبُنا عليه كَذِباً وَتُع وتم الكلام عند قوله: ﴿ لُكُمَ يَنَ نَدَى مَلْ اللهِ عَلَهُ الرسول ليس بمجنون، ﴿ إِنَّ هُو لِلّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ في الآخرة (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلَتُكُمُ مِّنَ أَجْرِ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ فَهُوَ لَكُمُّ ﴾. والمعنى: ما أسألكم شيئاً؛ ومثله قول القائل: ما لي في هذا فقد وهبتُه لك، يريد: ليس لي فيه شيء (٤).

قوله تعالى: ﴿ فَلْ إِنَّ رَبِي يَقْذِنُ بِٱلْحَيِّ ﴾ أي: يُلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿ عَلَمُ ٱلنَّبُوبِ ﴾ وقرأ أبو رجاء: ﴿ عَلَّامٌ بنصب المميم. ﴿ فَلْ جَآةَ ٱلْمَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

 ⁽١) وهي قوله تعالى: ﴿ رَانِنَا أَتَانَ عَلَيْمِ مَانِكَا يَتَنَتِ مَالُواْ مَا هَذَا إِلَا رَبُلُ يُرِيدُ أَن يَشْلَكُمْ عَمَّا كَانَ يَسِّدُ مَابَاؤُتُمْ رَبَّالُواْ مَا هَذَا إِلَا رَبُلُ يُرِيدُ أَن يَشْلُكُمْ عَمَّا كَانَ يَسِّدُ مَابَأَؤُمْ رَبَّالُواْ مَا هَذَا إِلَّا يَقْلُقُ مَقَالُ اللَّذِينَ كَفَرُها لِلْحَقِ لَنَا
 حَمَّاءُهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِنَّكُ مُنْفِعُ يَتِنْتُ عَالُواْ مَا هَذَا إِلَّا رَبُلُ يُرِيدُ أَن يَشْلُكُمْ عَمَّا كَانَ يَسِّدُ مَابَاؤُمُ رَبَّالُواْ مَا هَذَا إِلَّا إِنَّكُ مُنْفِعُ لِلْعَقِيمَ لَنَا عَلَيْهِ مَا لَمَا لَمُعَلِّمُ عَلَيْهِ مَا لَمُنْفَعُ مَا اللَّهِ عَلَيْهُ مَنْ مُنْفَعُ وَقَالُ اللَّهِينَ كَفَرُها لِلْعَقِيمَ لَنَا عَلَيْكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا لَا يَعْلَى عَلَيْهِمْ وَلَوْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا يَشْلُكُمْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَالًا اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا لَا لِمُعْلِمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ لَكُمْ لَكُولُوا مِنَا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ وَلَا لِلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُونَا عَلَيْهُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُولُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُوا لِلْعَلَقِيلُوا عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُولُولُولُ عَلَيْكُولُوا عَلَيْكُ عَلَيْكُولُولُولُولُولُ عَلَيْكُولُولُ عَلَيْكُولُولُ عَلَيْكُولُولُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُولُولُ عَلَيْكُولُولُولُكُمُ اللَّهُمُولُولُ عَلَا عَ

 ⁽٢) قال ابن كثير: يقول الله تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْظُكُمُ مِرْحِـدَةٌ ﴾ أي: إنما أمركم بواحدة، وهي ﴿إِنَّمَا أَعْظُكُمُ مِرْحِـدَةٌ ﴾ أي: تقوموا قياماً خالصاً لله تلاق من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً.

 ⁽٣) روى البخاري في «صحيحه ٨/ ٤١٥ عن ابن عباس في قال: صَعِد النبي في الصفا ذات يوم فقال: فيا صباحاه فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟
 قال: فأرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبّحكم أو يمسّيكم أما كنتم تصدقوني؟؟ قالوا: بلى، قال: ففإني تذير لكم بين يدي عداب شديده فقال أبو لهب: تبالله الهذا جمعتا، فأنزل الله: ﴿ رَبَّتُ بَكا أَنِى لَهُمَ ﴾.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكنيك الرادين عليك ما أتبتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعل على إنذاريكم عذاب الله وتعويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به، قال: وإنما معنى الكلام: قل لهم: إنى لم أسألكم على ذلك جُعلاً فشهوني وتظنوا أنى إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم. اهد.

⁽٥) قال ابن كثير: وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاهنا: إبليس، أي: إنه لا يُخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك، قال: وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد هاهنا، والله أعلم. اهـ.

من عنده كلاماً فيُجاب، ولا يرُدُّ ما جاء من الحق بحُجَّة. والثالث: أنه الباطل الذي يُضادُّ الحق؛ فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحقِّ، فلم تَبْقَ منه بقيَّة يُقبِل بها أو يُدبر أو يُبدئ أو يعيد، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَ إِن ضَلَلَتُ لَإِنَمَآ أَضِلُ عَلَى نَفْيىٓ﴾ أي: إثم ضلالتي على نفسي، وذلك أنَّ كُفَّار مكَّة زعموا أنه قد ضَلَّ حين ترك دين آبائه ﴿وَإِنِ آهَنَدَيْتُ شِمَا يُرِيعَ إِلَىّ رَبِّتَ﴾ من الحكمة والبيان.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذَ فَرِعُواْ فَلَا فَرَكَ وَلَمِنْدُوا مِن مَكَانِ قَرِبٍ ۞ وَقَالُواْ ءَامَنَا بِدِ. وَأَنَّى لَمُمُ النَّنَاوُشُ مِن مَكَانِ بَعِيدِ ۞ وَقَدْ كَمَا بِدِ. وَأَنَّى لَمُمُ النَّنَاوُشُ مِن مَكَانِ بَعِيدِ ۞ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْبَاعِهِم مِن قَبَلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي عَنْدِ مُنْ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذَ فَرَعُوا﴾ في زمان هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه حين البعث من القبور، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عند ظهور العذاب في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يُخسف به بالبيداء، يبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقُوا(۱۱)، وهذا حديث مشروح في التفسير، وأن هذا الجيش يؤمُّ البيت الحرام لتخريبه، فيُخسف بهم(۲). وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هذه الآية فيمن قُتل يوم بدر من المشركين.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا فَرْتَ ﴾ المعنى: فلا فَوْت لهم، أي: لا يُمكنهم أن يفوتونا ﴿ وَأَغِذُواْ مِن مَكَانٍ وَبِي ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من مكانهم بوم بدر، قاله زيد بن أسلم. والثاني: من تحت أقدامهم بالخسف، قاله مقاتل. والثالث: من القبور، قاله ابن قتية. وأين كانوا، فهُم من الله قريب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: حين عاينوا العذاب ﴿مَامَنَا بِهِرِ﴾. في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الله الله على الله على

قوله تعالى: ﴿وَإَنَّنَ لَمُهُمُ ٱلنَّنَاوُشُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «التَّنَاوُشُ» غير مهموز. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالهمز. قال الفراء: من همز جعله من «نأشتُ»، ومن لم يهمز، جعله من «نُشتُ»، وهما متقاربان؛ والمعنى: تناولتُ الشيء، بمنزلة: ذِمْتُ الشيءَ وذَامْتُه: إذا عِبْتَه؛ وقد تناوش

⁽۱) قالطبري؛ ۲۲/۲۲۳.

⁽٧) ذكر الطبري عند تفسير هذه الآية ١٩٠/١٢ حديثاً طويلاً عجيباً لا يصح، عن الجيش الذي يخسف به، ونصه بتمامه: حدثنا عصام بن روّاد بن المجرح، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثني منصور بن المعتمر، عن ربعيّ بن حراش، قال: سمعت حليفة بن اليمان يقول: قال رسول الله يهيء وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق، والمغرب، قال: فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السفيائي من الوادي اليابس في فؤره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض فبابل، في المدينة الملعونة، والبقعة الخيئة، فيتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويَتَقُرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائه كبش من بني العباس، ثم ينحدون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجود متوجهين إلى الشّام، فتخرج راية من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفتين فيقتلونهم لا يُفلت منهم مخبر، ويستنقلون ما في أيديهم من السّي والغنائم، ويخلّي جيشه التالي بالمدينة فيتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون مترجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأيدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة (سباً): ﴿وَلِنَّ رَبِيًا فَلاَ فَرَي الله بعث الله جبريل فيقول: يا إلا رجلان، أحدهما بشير، والآخر تذير، وهما من جهيئة، فلذلك جاء القول: فوعند جهيئة الخبر اليقين، اهد. قال ابن كثير عند تفسير هذه موضوعاً بالكلية (يريد هذا الحديث)، قال: ثم لم ينبه على ذلك، هذا أمر عجيب غريب منه. اهد. ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية: حدثنا محمد بن موضوعاً بالكلية (يريد هذا الحديث)، قال: ثم لم ينبه على ذلك، هذا أمر عجيب غريب منه. اهد. ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية: حدثنا محمد بن خلف المسقلاني، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة عن النبي يهيء، عن خلوه قصة؟ فن خبره؟ قال: لا، قلتُ: فما قمتاه، نقرؤه وتسمعه، قلت قصة ذكرها في الفتن، قال: لا، قلتُ ته فما داره في الناء خاصة، فقلت عليه؛ هال: لا، قلتُ: هم أموا فحدُثوا بهما معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت وكنه علياً علياً على أن الطبري نفسه يراه غرياً.

وقد روى البخاري في أصحيحه، ٤/ ٢٨٤ حديث الجيش الذي يفزو الكعبة أيخسف به: عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: فيغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا بيداء من الأرض (مكان معروف بين مكة والمدينة) يخسف بأولهم وآخرهم، آالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: فيخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نياتهم، ولكن لا علاقة لهذا الحديث بتفسير هذه الآية، ولذلك قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفزع): يوم القبامة، وهو الطامة العظمى. اهـ.

القومُ في القتال: إذا تناول بعضُهم بعضاً بالرَّماح، ولم يتدانَوا كُلَّ التداني، وقد يجوز همز «التَّنَاوْش، وهي من «نَشْتُ» لانضمام الواو، مثل قوله: ﴿وَلَا الرُّشُلُ أَيِّنَتَ ﴿ المرسلات: ١١]. وقال الزجّاج: من همز «التَّنَاوْش» فلأنّ واو التَّنَاوُش مضمومة، وكُلُّ واو مضمومة ضمَّتُها لازمة، إن شئتَ أبدلت منها همزة، وإن شئتَ لم تبدل، نحو: أدور (١١). وقال ابن قتيبة: معنى الآية: وأنَّى لهم التَّنَاوُشُ لِمَا أرادوا بلوغَه وإدراك ما طلبوا من التَّوية ﴿وَن تَمَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ وهو الموضع الذي تُقبّل فيه التوبة. وكذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت؟!

قوله تعالى: ﴿وَفَدْ كَفَرُا بِدِ ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال قد تقدّمت في قوله: ﴿ اَمَنَا بِهِ ﴾ [سبا: ٢٥]. ومعنى ﴿ مِن نَبَلُ ﴾ أي: في الدنيا من قبل معاينة أهوال الآخرة ﴿ وَيَقْذِنُونَ بِالْفَيْبِ ﴾ أي: يَرْمُون بالظّنُ ﴿ مِن مَكَانٍ بَعِيدِ ﴾ وهو بعدهم عن العلم بما يقولون. وفي المراد بمقالتهم هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يظُنُّون أنهم يُردُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه قولهم في الدنيا: لا بعث لنا ولا جنة ولا نار، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه قولهم عن رسول الله ﷺ: هو ساحر، هو كاهن، هو شاعر، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَحِلَ بِنَتُهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مُنع هؤلاء الكفار مما يشتهون، وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه الرجوع إلى الدنيا، قاله ابن عباس. والثاني: الأهل والمال والولد، قاله مجاهد. والثالث: الإيمان، قاله الحسن. والرابع: طاعة الله، قاله قتادة. والخامس: التوبة (٢)، قاله السدي. والسادس: حيل بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسف بهم، قاله مقاتل (٣).

قوله تعالى: ﴿كَمَا فُولَ﴾ وُقرأ ابن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وأبو عمران: اكما فَعَل، بفتح الفاء والعين ﴿ إِأَسْبَاعِهِم مِن الْحَفَار من مِن قَبْلُ ﴾ قال الزجاج: أي: بمن كان مذهبه مذهبهم (٤٠). قال المفسرون: والمعنى: كما فُعل بنُظرائهم من الكفار من قبل هؤلاء، فإنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون. وقال الضحاك: هم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِ ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿ مُربِي ﴾ أي: مُوقِع لِلرِّية والتُّهمة (٥٠).

* * *

⁽١) قال في «الصحاح» مادة «دور»: الدار مؤنَّة، وأدنى العدد: أَذَوُّر، فالهمزة فيه مُبْدَلة من واو مضمومة، ولك أن لا تهمز.

⁽٢) قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير وحمه الله، قال: وقال مجاهد: ﴿وَرَبِلَ بَيْتُمُ وَبَنَ مَا يَشَبُونَ﴾ من هذه المدنيا من مال وزهرة وأهل، قال: ودوي نحوه عن ابن عمر، وابن عبام، والربيع بن أنس ﴿ وَالله عِلْمَا الله عَلَى وَجِماعَة، ثم قال: والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في اللغيا وبين ما طلبوه في الأخرة فمنعوا منه. اهـ.

⁽٣) هذا التأويل متعلق بِما ذكر في حديث الجيش الذي ينخسف به عند قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰۚ إِذْ فَرَعُواْ فَلَا فَرَكَ ﴾ وقد علمت أنه لا يصح.

⁽٤) قال ابن كثير: أي: كما جرى للأمم الماضية المكثبة بالوسل لمَّا جاءهم بأس الله تمثُّوا أن لو آمنوا قلم يقبل منهم. اهـ.

⁽٥) قال ابن كثير: أي: كانوا في الدنيا في شك وربية، فلهذا لم يُتقبَّل منهم الإيمان عند معاينة العذاب، وقال: قال قتادة: إياكم والشك والربية، فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه. اهـ.

سورة فاطر

وتسمى سُورة الملائكة، وهي مُكِّيَّة بإجماعهم

ينسدالغ الكن التتسير

﴿ لَلْمَنْدُ يَقِو فَاطِرِ ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلْتَهِكَةِ رُيُنُلًا أُولِيَ أَجْنِمَو مَنْنَى وَثُلَنَكَ وَيُهَنَّعَ يَزِيدُ فِى ٱلْمَلْقِي مَا يَشَاأُمُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّي شَمْو فَيَرِّرُ ۞ مَا يَمْنَجَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن تَرْحَمُو فَلَا مُشْمِكَ لَهُمَا يُسْمِكُ فَلَا مُرْتِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِيدٌ وَهُوَ ٱلْمَزِيْرُ لَلْمَكِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ لَلْمَنْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالِقُهما مبتدئاً على غير مِثال. قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم أعرابيّان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي: ابتدأتُها (١).

قوله تعالى: ﴿ بَاعِلِ ٱلْمَلَتِكَةِ ﴾ وروى الحلبي والقرَّاز عن عبد الوارث: ﴿ جَاعِلٌ ، بالرفع والتنوين الملائكة ، بالنصب ﴿ رُسُلا ﴾ يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور ﴿ أَنِ أَجْمَةٍ ﴾ أي: أصحاب أجنحة ﴿ مَنْنَى وَثُلَثَ وَرُبَعُ ﴾ فبعضُهم له جناحان، وبعضُهم [له] ثلاثة، وبعضهم له أربعة، و﴿ رَبِيدُ فِي الْمَاتِينَ مَا يَشَاءُ وَهُ الله الله الله الله عن ابن عباس. والثاني: يَزيد في الأجنحة ما يشاء، رواه عبّاد بن منصور عن المحسن، وبه قال مقاتل (٢). والثالث: أنه الخلق الحسن، رواه عوف عن الحسن. والوابع: أنه حُسن الصوت، قاله الزهري، وابن جريج، والخامس: المَلاحة في العينين، قاله تنادة.

قوله تعالى: ﴿مَا يَهْنَجُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةِ﴾ أي: من خير ورزق. وقيل: أراد بها المطر ﴿فَلَا مُسْيِكَ لَهَمَّا﴾ وقرأ أبيُ بن كعب، وابن أبي عبلة: ﴿فَلا مُمْسِكَ لهه. وفي الآية تنبيه على أنه لا إله إلا هو، إذ لا يستطيع أحدٌ إمساك ما فَتَحَ وفَتْح ما أمسك(٣).

﴿ يَائِبُنَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِمْتَ اللَّهِ مَلِيَكُمْ مَلْ مِنْ خَلِقِ مَبْرُ اللَّهِ يَرَزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوْ فَأَلَّ ثُوْكُمُ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا يَلُوَيُكُمْ الْمَيْوَةُ الدُّنْكُمُ الْمَيْوَةُ الدُّنْكُمُ اللَّهُورُ فَي يَأَيُّمُ النَّاسُ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ مَقْ فَلَا تَنُونُكُمُ الْمَيْوَةُ الدُّنْكُمُ اللَّهِ مُونَّ اللَّهُورُ فَي يَفُولُوا مِنْ السَّمِيرِ فَي اللَّهِ اللَّهُ مَدُولًا إِلَى اللَّهِ يَرْبُعُ لِيكُونُوا مِنْ أَصْلَبِ السَّمِيرِ فَي اللَّهِ كَالُونُ اللَّهُ مَا مَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا مَنْهُمُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ مَنْهُمُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا مَذَابُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ يَكُانُهُا النَّاسُ اذَكُرُوا نِمْتَ اللّهِ عَلَيْكُمُ قال المفسرون: الخطاب لأهل مكة، دواذكروا بمعنى داحفظوا » ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحَرَم ومنع الغارات عنهم. ﴿ هَلْ مِنْ خَلِيْ غَيْرُ اللّهِ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: (غيرِ الله ا بخفض الراء؛ قال أبو على: جعلاه صفة على اللفظ، وذلك حَسنٌ لإنباع الجرّ. وهذا استفهام تقرير وتوبيخ؛ والمعنى: لا خالق سواه ﴿ يَرُزُفُكُمْ مِنَ السَّمَاةِ ﴾ المعلم ﴿ وَ هُ مِن ﴿ الْأَرْضِ ﴾ النبات. وما بعد هذا قد سبق بيانه (الانعام: ٩٥، آل عمران: ١٨٤، البقرة: ٢١٠، لقمان: ٣٦] إلى قوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَنَ لَكُمْ عَلَوْ ﴾ أي: إنه يريد هلاككم ﴿ فَاتَخِذُوهُ عَدُوا ﴾ أي: انزِلوه من أنفسكم منزلة الأعداء، وتجنّبوا طاعته ﴿ إِنَّا يَنْعُوا حَرَيْهُ ﴾ أي: شيعته إلى الكفر ﴿ لِكُونُوا مِنْ أَصَبَ السِّيرِ ﴾ .

﴿ أَنْسَنَ زُيْنَ لَمُ سُوَّةً عَمِلِهِ. فَرَاهُ حَسَنَا ۚ فَإِنَ اللَّهَ يُضِلُّ مِن يَشَالُهُ وَيَهْدِى مَن يَشَأَةٌ فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْمٍ حَسَرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَسْنَعُونَ ۞ وَاللَّهُ الَّذِينَ أَرْسُلُ الرِيْحَ فَتُنِيرُ سَحَابًا فَسُقْتَهُ إِلَى بَلَدِ مَتِتٍ فَأَحْيَنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ ٱلشَّمُورُ ۞﴾

 ⁽١) قال ابن كثير: وقال ابن عباس ألى أيضاً: ﴿ وَاللَّهِ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: بديع السموات والأرض، قال: وقال الضحاك: كل شيء في القوآن ﴿ وَاللَّهِ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهر خالق السموات والأرض. اهـ.

⁽٢) وفي اصحيح مسلمًا عن عبد الله بن مسعود رضي قال: ﴿ لَمُنْ يَرَّ يَائِنِ رَبِّهِ ٱلكَّبْرَىٰ ۞﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمالة جناح.

⁽٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانم لِما أعطى ولا معطي لِما منع.

قوله تعالى: ﴿أَنْنَ زُيِنَ لَمُ سُوّهُ عَمَلِيهِ﴾ (١) اختلفوا فمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، قاله ابن عباس. والثاني: في أصحاب الأهواء والميلل التي خالفت الهُدى، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة (٢). فإن قيل: أين جواب «أفَمَنْ زُيِّن له»؟ فالجواب من وجهين ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن الجواب محذوف؛ والمعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سُوء عمله كمن هذاه الله؟! ويدُلُّ على هذا قوله: ﴿ وَالنَّانِي: أن المعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسُك عليهم حسرات؟! ويدلُّ على هذا قوله: ﴿ وَلَمُ نَلْهُ مُ مَنْ يَتَامُ وَهُ ابن عباس: لا تغتم ولا تُهلِكُ نَفْسَكَ حَسْرة على تركهم الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ فَتُنِيرُ سَمَابَا﴾ أي: تُزعجه من مكانه؛ وقال أبو عبيدة: تجمعُه وتجيء به، و«سُقْناه» بمعنى «نسوقه»؛ والعرب قد تضع «فَعَلْنَا» في موضع «نَفْعَلُ»، وأنشدوا:

مِنِّي ومَا سَمعوا مِنْ صَالِحِ دَفَنُوا(٢)

إن يَــشــمَــعُــوا رِيـبَـةً طماروا بــهــا فَــرَحــاً المعنى: يَطيروا ويدَفِنوا.

قوله تعالى: ﴿ كَنَالِكَ ٱلنَّشُورُ ﴾ وهو الحياة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: كما أحيا الله الأرض بعد موتها يُحيي الموتى يوم البعث. روى أبو رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله: كيف يُحيي الله الموتى؟ وما آيةُ ذلك في خُلْقه؟ فقال: قطل مررتَ بوادي أهلك مَحْلاً، ثم مررتَ به يهتزُ خَضِراً؟ قلت: نعم، قال: «فكذلك يُحيي الله الموتى، وتلك آيتُه في خُلْقهه (٤). والثاني: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، كذلك يُحيي الله الموتى بالماء، قال ابن مسعود: يرسِلُ الله تعالى ماءً من تحت العرش كمنِيِّ الرجال، قال: فتنبت لُحْمانهم وجُسْمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ هذه الآية. وقد ذكرنا في الاعراف: ٥٧] نحو هذا الشرح.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَةَ مَلِقَو ٱلْعِزَةُ جَيِماً إِلَيْهِ يَصْمَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِبُ وَالْمَمَلُ ٱلصَّدَلِحُ يَرْفَعُكُمْ وَٱلَٰذِينَ يَسْكُونَ ٱلسَّيِّنَاتِ لَمَنْمُ مَذَابُّ شَدِيدٌ وَمَكُمُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُودُ ۞﴾

قُولُه تعالَى: ﴿ مَن كَانَ بُرِيدُ الْمِزَةَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كان يريد العزَّة بعبادة الأوثان ﴿ فَيَلَمِ اَلْمِزَّةُ جَيماً ﴾ ، قاله مجاهد. والثاني: من كان يريد العزَّة فليتعزَّز بطاعة الله، قاله قتادة. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ وَبُكُم يقول كُل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عِزَّ الدَّارَيْن فليُطِع العزيز، والثالث: من كان يريد عِلْم العزَّة لِمن هي، فإنها لله جميعاً ، قاله الفراء (٦).

قوله تعالى: ﴿ إِلَّهِ يَصْعَدُ ٱلْكُلِرُ ٱللَّيْبُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والنخعي، والجحدري،

(٣) مبن تخريج البيت ٥٠٩، وهو أيضاً في ‹مجاز القرآن، ٢/ ١٥٢، و«اللسان، و«التاج»: أذن.

(٥) ذكره الطبرسي في المجمع البيان؛ بدون سند.

 ⁽١) قال السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٤٥/: أخرج ابن جرير من طريق جويبر عن الضحاك فله قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَنَن أَيُّ لَمُ سُوّهُ عَلِيهِ. فَرَبَهُ حَسَناً﴾ حيث قال النبي بهذا «اللهم أعزّ دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل ابن هشام، فهدى الله عمر كه، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.
 وقال في قأسباب النزول، ١٨٥: أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية... فذكره بنحوه.

 ⁽٢) قال السيوطي في «المدر» ٥/ ٢٤٥؛ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي قلابة أنه سئل عن هذه الآية ﴿ أَنَن زُنِنَ لَمُ سُوَهُ عَلِيهِ. وَرَاهُ حَسَناً﴾: أهم عمّالنا هؤلاء المدين يصنعون؟ قال: ليس هم، إنَّ هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه، إن أتى الزنى فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل اليهود والنصارى والمجوس. . . إلخ.

⁽٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» ١١/٤ من حديث حماد بن سلمة قال: أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين العقيلي. قال ابن كثير: ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به، ثم قال: ورواه أحمد أيضاً بسند آخر قال: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبأ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رزين العقيلي . . . فذكره بنحوه. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٤٥ وزاد نسبته للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، واليهقي في «الأسماه والصفات» عن أبي رزين العقيلي ﷺ.

 ⁽٦) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولئ الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزّة فبالله فليتعزّز، فلله العزة جميعاً دون كلّ ما دونه من
 الآلهة والأوثان. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْهِزَّةُ مَلِيدٌ الْهِزَةُ جَيْماً﴾ أي: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً. اهد.

والشيزري عن الكسائي: "يُضْعَدُ الكلامُ الطَّيِّبُ" وهو توحيده وذِخُره (١) ﴿ وَالْمَمُلُ اَلْصَابِحُ بَرَقَهُمُ الكالِم المالية في المديني: الكَلِم الطَّيِّب: لا إله إلا الله، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم (٢). وفي هاء الكناية في قوله: "يرفعه، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكَلِم الطَّيِّب؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكَلِم الطَّيِّب، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. وكان الحسن يقول: يُعْرَض القولُ على الفعل، فإن وافق القولَ الفعلُ قُبِل، وإن خالف رُدَّ. والثاني: أنها ترجع إلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح، يرفعه الكَلِم الطَّيِّب، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشهر بن حوشب. فإذا قلنا: إن الكَلِم الطَّيِّب هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول أنه لا يُقْبَلُ عملٌ صالح إلا من مُوحِّد. والثالث: أنها ترجع إلى الله ﷺ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله إليه، أي: يَقْبَلُه، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال أبو عبيدة: يمكرون: بمعنى: يكتسِبون ويجترِحون. ثم في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، قاله أبو العالمية. والثاني: أنهم أصحاب الرّياء، قاله مجاهد، وشهر بن حوشب. والثالث: أنهم الذين يعملون السَّيِّئات، قاله قتادة، وابن السائب. والرابع: أنهم قائلو الشّرك، قاله مقاتل (٣٠). وفي معنى ﴿يَهُورُ﴾ قولان: أحدهما: يَبْطُلُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: يَفْسُدُ، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ رَاتُكُ خَلَفَكُم مِن تُرَابِ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُطُفَةِ ﴾ يني نسله ﴿ ثُدَّ جَعَلَكُم ۚ أَزْفِيكُ ﴾ أي: أصنافاً، ذكوراً وإناثاً؛ قال قتادة: زوَّج بعضهم ببعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعُمِّرُ مِن مُّمَرِ اللهِ أَي ما يطول عمر أحد ﴿ وَلَا يُنْقَشُ ﴾ وقرأ الحسن، ويعقوب: ﴿ يَنْقُصُ ا بفتح الله وضم القاف ﴿ مِن عُمُرِي ﴾ في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها كناية عن آخر، فالمعنى: ولا يُنقَص من عمر آخر؛ وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في آخرين (٤٠). قال الفراء: وإنما كنى عنه كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا يُنقَصُ من عمر مُعَمَّر، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ والمعنى: ونصف آخر. والثاني: أنها ترجع إلى المُعَمَّر المذكور؛ فالمعنى: ما يذهب من عمر هذا المُعَمَّر يوم أو ليلة إلا وذلك مكتوب؛ قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا وكذا سنة، ثم يُكتب أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة، إلى أن ينقطع عُمُره؛ وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة

⁽١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَسْعَدُ لَلْكِيْرُ اللَّبِيُّـ عَنِي الذِّكرِ والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف.

 ⁽٢) الذي في «الطبري»: عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قوله: ﴿ إِلَّهِ يَسْمَدُ ٱلكَّيْرُ ٱلكَّيْرُ ٱلكَّيْرُ ٱلكَّيْرُ ٱلكَّمِدُ اللَّهَ ومن ذكر الله والم يؤد فرائضه، ردَّ كلامه والعمل الصالح: أداء فرائضه، ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، ردَّ كلامه على عمله فكان أولى به. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَسَكُرُونَ النَّيَّاتِ عَالَ مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراؤون بأعمالهم، يعني يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بغضاء إلى الله ظن ، يراؤون بأعمالهم ﴿ وَلا يَذْكُرُونَ لَلهُ إِلاَّ قَيْلَا »، قال: وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَتُمْ مَكَاتُ شُويدٌ وَيَكُمُ لُوتَهِكَ هُو بَيْنَ اللهِ عَلَى عَلَى صفحات وجهه وفلتات بَبُونُ ﴾ أي: يفسد ويبطل ويظهر زيقهم عن قريب لأولي البصائر والنهى، فإنه ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسرً أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسرً أحد سريرة إلا كساء الله تعالى رداءها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال: فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبيّ، أما المؤمنون المتغرّسون، فلا يروج ذلك عليهم، بل ينكشف لهم عن قريب، قال: وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. اه.

⁽٤) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال عنه ابن كثير: وهو كما قال.

وأبو مالك في آخرين(١). فأما الكتاب، فهو اللوح المحفوظ. وفي قوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَبِيرُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى كتابة الإجال. والثاني: إلى زيادة العُمُر ونقصانه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾ يعني العذب والمِلْح؛ وهذه الآية وما بعدها قد سبق بيانه [النرقان: ٥٣، النحل: ١٤، آل صران: ٢٧، الرعد: ٢] إلى قوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال ابن عباس: هو القِشْر الذي يكون على ظهر النَّواة.

قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَتُوا دُعَآءُكُو﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَقِ سَمِعُوا﴾ بأن يخلق الله لهم أسماعاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُوْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ يَكُفُرُونَ بِشِرْكِكُمُ ۖ أي: يتبرؤون من عبادتكم ﴿وَلَا يُنَيِّنُكُ ﴾ يا محمد ﴿مِثْلُ خَبِيرِ ﴾ أي: عالِم بالأشياء، يعني نفسه ﷺ؛ والمعنى أنه لا أَخْبَرَ منه عز جل بعا أخبر أنّه سيكون.

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ أَنتُهُ اللّهُ عَلَهُ إِلَى اللّهِ ﴾ أي: المحتاجون إليه ﴿ وَاللّهُ هُوَ الْفَيْهُ عن عبادتكم ﴿ الْحَيدُ ﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم (٢٠). وما بعد هذا قد تقدم بيانه البراهيم: ١٩، الانعام: ٢١٤ إلى قوله: ﴿ وَإِن يَتُمُ مُثَقَلَةٌ ﴾ أي: نَفْس مُثَقَلة بالذُّنوب ﴿ إِنَ حَيْهَ ﴾ الذي حملتُ من الخطايا ﴿ لاَ يُعْمَلُ مِنَهُ ثَنَيٌ ۗ وَلَوْ كَانَ ﴾ الذي تدعوه ﴿ وَا تُرْبَيُ ﴾ فا قرابة (٢٠) ﴿ إِنّهَا لَيْنِ يَغَوْرَ كَنَ مُ بِالْفَيْرِ ﴾ أي: يخشونه ولم يَرَوه ا والمعنى: إنما تنفع بإندارك أهل الخشية، فكأنك تُندرهم دون غيرهم لمكان اختصاصهم بالانتفاع، ﴿ وَهَن تَرَبَّهُ أَي : تطهّر من الشّرك والفواحش، وفعلَ الخير ﴿ وَإِنّهُ النّهِ الْمَعْمِ لَا الْمَعْمِ لَا الْمَعْمِ اللّهُ اللّهُ وَالْمُ اللّهُ وَمَا يَسْتَوى الْأَعْمَى وَالْمَعْمِ لَا الْمَعْمِ لا اللّهُ عنه ولان: أحدهما: ظِلُّ اللّيل وسَمُوم النهار، قاله عطاء، والثاني: الظّلُ : الجَنّة، والحَرُور: النّار، قاله مجاهد. قال الفراء: الحَرُور بمنزلة السَّمُوم، وهي الرِّياح الحارَّة، والحَرُور تكون بالنّهار وبالليل، والسّمُوم لا تكون إلا بالنّهار، وقال أبو عبيدة: الحَرُور تكون بالنّهار مع الشمس، وكان رؤية يقول: الحَرور باللّيل، والسّمُوم بالنّهار.

قوله تعالى: ﴿ رَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَمْيَا آهُ وَلَا ٱلاَتُوَنَ ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أن الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار. والثاني: أن الأحياء: العقلاء، والأموات: الجُهّال. وفي ولا المذكورة في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكّدة. والثاني: أنها نافية لاستواء أحد المذكورين مع الآخر. قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للمؤمن والكافر، يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن (٢٠٠٠). ﴿ إِنَّ اللّهَ يُسْبِعُ مَن يَشَاهُ ﴾ أي: يُفهم من يريد

⁽١) قال ابن كثير: وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، قال: سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رفي قال: سمعت رسول الله في يقول: قمن سَرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصِل رحمه، قال ابن كثير: وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من جديث يونس بن يزيد الأيلي به. اهـ.

⁽٣) وفلك لـقـوله تـمـالـى: ﴿ يَكَانُهُا النَّاشُ الْقُوْا رَبُّكُمْ رَاحْقَوَا بَيْنَا لَا يَبْرِي وَاللَّهُ مَن وَلَيْدِهِ فَكَ مَوْدُو هُوَ جَازٍ مَن وَلِيدِهِ شَيْئًا إِيكَ وَمَدَ اللَّهِ حَقَّ فَلَا تَشَرُّفُهُمُ ٱلْحَيْزُةُ اللَّهُ مِن لَيْدِهِ فَي وَلِيدٍ فَي وَمِيدٍ مِنْ اللَّهِ مِن لَيْدِهِ فَي وَشِيدٍ وَلِيدٍ فَي وَسَدِيدٍ وَيَدِهِ فَي وَاللَّهِ مَن لِيْدِهِ فَي وَسَدِيدٍ وَيَدِهِ فَي وَاللَّهِ مَن لِيدٍ فِي وَاللَّهِ مِنْ لَيْدِهِ فَي وَسَدِيدٍ وَيَدِهِ فَي وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِن لَيْدِهِ فَي وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ لَيْدِهِ فَي وَاللَّهُ مِنْ لَيْدِهِ فَي وَاللَّهِ مِنْ وَلِيدٍ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ وَاللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْعِيْدُ وَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لِمُؤْمِدُ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَالْ

⁽ع) قال ابن كثير: هذا مَثَل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿ أَزُ مَن كَانَ مَبْكَا فَأَخْيَنَكُ وَجَمَلْنَا لَمُ لُورًا يَمْشِيقُ =

إِفْهَامُهُ ﴿وَمَا آَتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي ٱلْتُبُورِ﴾ (١) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والجحدري: فبِمُسْمِعِ مَنْ؛ على الإضافة؛ يعني الكفار، شبههم بالموتى، ﴿إِنْ أَتَ إِلَّا لَئِيرٌ ۞﴾ قال بعض المفسرين: نُسخ معناها بآية السيف (٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيِّ ﴾ أي: ما من أُمَّة إلا قد جاءها رسول^(٣). وما بعد هذا قد سبق بيانه الل عمران: ١٨٤، العج: ٤٤] إلى قوله: ﴿فَكِيْفَ كَاكَ نَكِيرٍ﴾ ^(٤) أثبت فيها الياء في الحالين يعقوب، وافقه في الوصل ورش.

﴿ اَلَدْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَانَهُ مَاأَخَرَهُمَا بِدِ نَمَرَتِ ثَمَّنَافِناً الْوَائمُ وَمِنَ الْجِبَالِ جُلَدًا بِيضٌ وَحُمَثُرٌ تُخْتَكِفُ الْوَنَهُمَ وَغَرَبِيبُ شُودٌ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَاتِ وَالْأَنْمَارِ مُخْتَكِفُ الْوَنْهُمُ كَذَلِكُ ۚ إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلْمَتُولُ اللّهِ عَنْهِرُ عَمُورُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدًا بِيشٌ ﴾ أي: ومِمًا خَلَقْنا من الجبال جُدَدً. قال ابن قتيبة: الجُدَدُ: الخُطوط والطَّراتِق تكون في الجبال، فبعضُها بيض، وبعضُها حُمر، وبعضُها غرابيبُ سودٌ، والغرابيب جمع غربيب، وهو الشديد السواد، يقال: أسودُ غِرْبِيبٌ، وتمام الكلام عند قوله: ﴿كَذَلكُ، يقول: من الجبال مختلِفٌ ٱلوانه (٥) ﴿ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَاللَّوَآتِ وَاللَّمَاتِ مُعْتَلِفٌ ٱلوانه (عَلَيْكُ ﴾ أي: كاختلاف الثمرات. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وسودٌ غرابيب، لأنه يقال: أسودٌ غِرْبيبٌ، وقلما يقال: غربيب أسود. وقال الزجاج: المعنى: ومن الجبال غرابيبُ سود، وهي ذوات الصخر الأسود. وقال ابن دريد: الغِرْبيب: الأسود، أحسِبُ أن اشتقاقه من الغُراب. وللمفسرين في المراد بالغرابيب ثلاثة أقوال: أحدها: الطرائق السُّود، قاله ابن عباس. والثاني: الأودية السود، قاله قتادة. والثالث: الجبال السود، قاله السدي. ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّا يَعْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادٍ ٱلْمُلَكِّأُ ﴾ يعني العلماء بالله عزَّ وجل. قال ابن عباس: يريد: إنَّما يخافني مِنْ خَلْقي مَن عَلِم جبروتي وعِرَّتي وسلطاني (١٠). وقال مجاهد والشعبي: العالِم من خاف الله. وقال الربع بن أنس: من لم يَخْش الله فليس بعالم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِنْبَ اللَّهِ وَأَمَامُوا الصَّلُوةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَنَقْنَهُمْ مِرًّا وَعَلَانِهَ ۚ بَرْجُونَ فِحَدَّوَ لَن تَتَجُّورَ ۗ ۗ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِن فَضَّلِهِ، إِنَّهُ غَنُورٌ شَكُورٌ ۞ وَالَّذِينَ أَرْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِنْبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِيَا بَهِنَ يَدَيُهُ إِنَّ اللَّهَ بِمِبَادِهِ لَغِيرٌ بَمِيرٌ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُوكَ كِنْكَ اللَّهِ ﴾ يعني قُرَّاء القرآن، فاثنى عليهم بقراءة القرآن؛ وكان مطرّف يقول: هذه آية القُرَّاء. وفي قوله: ﴿يَتْلُوكَ ﴾ قولان: أحدهما: يقرؤون. والثاني: يتبّعون. قال أبو عبيدة: ﴿وَأَقَامُوا السَّلَوَةُ ﴾ بمعنى ويُقيمون، وهو إدامتها لمواقبتها وحدودها.

(١) قال ابن جوير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ اللهُ يُسْبِعُ مَن يَشَاتُهُ وَمَا أَنْتَ بِسُنِيعٍ مَن فِي ٱلْتَبُورِ﴾ يقول تعالى ذِكره: كما لا يقدر أن يَسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من إحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه. اهـ.

يد. في النّاس كنّن مُنَاثِم في الظُّلُنتِ لَيْسَ يَخَامِج يُنتِنَامُ وقال في : ﴿ مَنْلُ النّهِ يَتَبُ كَالْعَن وَالْاَسِةِ وَالْسَيْرِ وَالْسَيمِ مَلَ يَسَتَوَعُون مَنْلُهُ؟ فالمؤمن بصير سميع في نور، يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقرَّ به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيَّه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضيّ به ذلك إلى الحرور والسَّموم والحميم وظل من يحموم لا باردٍ ولا كريم. اهـ.

⁽٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنَّ أَنَ إِلَا نَذِيرٌ ﴿ ﴾ يقول تعالى ذِكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يُرْسِلُك ربك إليهم لا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفُك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، قاما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جثتهم به، فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن كثير: أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النفر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿ إِنْمَا أَتَ سُؤَدَّ وَلِكُلِي فَتِيهِ هَاللّهُ عَلَيْهِ السَّلَمَةُ وَيَنْهُم مَّنَ هَدَى اللّهُ وَيَنْهُم مِّنَ حَلَقٌ عَيْدِهِ الضَّلَلَةُ . . . ﴾
 الآية، قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: ﴿فَكَيْكَ كَاكَ نَكِيرِ﴾: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم، وحلول عقوبتي بهم.

 ⁽٥) في (غريب القرآن): ألوانها.

٦) قال ابن كثير: أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم المرصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسن، كلما كان المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر. اهـ.

قسولسه تسعسالسى: ﴿ يَرْجُونَ عِجَنَرُهُ ﴾ قسال السفسراء: هسذا جسواب قسولسه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾ . قسال المفسرون: والمعنى: يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تَهْلِك ولن تَكْسُد. ﴿ لِيُوفِيّهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ أي: جزاء أعمالهم ﴿ وَيَزِيدَهُمْ مِن فَضَيابِهُ ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم تر عين ولم تسمع أذن. فأما الشّكور، فقال الخطابي: هو الذي يشكُر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النّعمة، ويرضى باليسير من الشّكر؛ ومعنى الشّكر المضاف إليه: الرّضى بيسير الطّاعة من العبد، والقبول له، وإعظام الثواب عليه؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشّكور ترغيب الخلّق في الطاعة قلّت أو كَثُرت، لئلاً يَسْتَقِلُوا القليل من العمل، ولا يتركوا اليسير منه.

﴿ ثُمُّ أَوَيْنَا ٱلْكِنَابَ ٱلَذِينَ ٱصْطَفَيْمَنَا مِنْ عِبَادِنَا ۚ فَيِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُم صَابِئًا ۚ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذِنِ ٱللَّهِ ذَالِكَ هُوَ ٱلْفَصْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿ جَنَّنَتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلْوَلُولًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَمْ الرَيْنَا الْكِنْبَ ﴾ في ﴿ أَرَفْنا الكتابَ. ﴿ الَّذِينَ اَصَطَفْتَا ﴾ وفيهم قولان: احدهما: انهم أمَّة محمد كله والمعنى: انزلنا الكتب المتقدّمة، ثُمَّ أُورَفْنا الكتاب. ﴿ اللَّذِينَ اصَطْفُوا أَنَة ولان: احدهما: انهم المسر، والمعنى، والمراد قاله ابن عباس. والثاني: انهم الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن. وفي الكتاب قولان: احدهما: أنه اسم جنس، والمراد به الكتب التي أنزلها الله وللله وهذا يخرَّج على القولين. فإن قلنا: الذين اصطفُوا أمَّة محمد عليه كلَّ كتاب أنزله. وقال ابن جرير الطبري: ومعنى ذلك: أورثهم الإيمان بالكتب كلها وجميع الله أورث أمَّة محمد القول بأن الله تعالى قال في الآية الكتب تأمر باتباع القرآن وهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها؛ واستدل على صحة هذا القول بأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه: ﴿ وَاللَّذِينَ أَنْ وَيَنَا الْكِنْبُ هُو الْكَتَّبِ هُو الْكَتَّبِ هُو الْكَتَّبِ هُو الْكَتَّبِ هُو الْكَتَّبِ هُو الْمَعْنَى: أُورِثُنا كلَّ كتاب أنزل على نبيّ ذلك النبيّ وأتباعهم غير الشاني: أن المراد بالكتاب القرآن ال وفي معنى (أورثنا كلّ كتاب أنزل على نبيّ ذلك النبيّ وأتباعه، والقول الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن الله تأخرنا، ومنه الميراث، لأنه تأخر عن الميت؛ فالمعنى: أخّرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناه هذه الأمّة، والثاني: أخّرنا، ومنه أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿ نَيْنَهُ مُ ظَالِرٌ لِنَفْسِمِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه صاحب الصغائر؛ روى عمر بن الخطاب عن رسول الله على أنه قال: (سابقًا سابق، ومقتصدُنا ناج، وظالمُنا مغفورٌ له (٢٠٠٠). وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله على في هذه الآية، قال: (حكلهم في الجنة) والثاني: أنه الذي مات على كبيرة ولم يَتُب منها، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه الكافر، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقد رواه ابن عمر مرفوعاً إلى النبي على المنافق فعلى هذا يكون الاصطفاء لجملة من أُنزل عليه الكتاب، كما قال: ﴿ رَائِمُ لَذِكُرٌ لِكَ وَلِقَولِكُ ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: لَشَرف لكم، وكم من مُكرَم لم يقبل الكرامة! والرابع: أنه المنافق، حكى عن الحسن (٥٠). وقد روي عن الحسن أنه قال: الظالم: الذي ترجع

⁽١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ مُمَّ أَرْزَعُ الْكِنْبَ اللَّهِينَ السَّلَقَيْنَا مِنْ صِكِونًا ﴾ يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدّق لما بين يديه من الكتب، اللين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة. اه.

⁽٢) قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ١٣٩ : رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عمن سمع عمر، فذكره موقوفاً. وذكره السيوطي في اللدة من رواية سعيد بن منصور، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهةي في اللبعث، عن عمر بن الخطاب في المرفوع.

⁽٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عليه عنه بلفظ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة، قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لم يسم، ثم قال: ومعنى قوله: «بمنزلة واحدة» أي: في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة. اهـ. والحديث قد رواه ابن جرير الطبري بنحو حديث أحمد، وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً. ورواه بنحوه الترمذي وقال: هذا حديث غريب حسن، وقد أورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٥١ عن أبي سعيد الخدري عليه، وزاد نسبته للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.

 ⁽٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٥٢ من رواية ابن مردويه عن عمر مرفوعاً، والله أعلم.

⁽٥) قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله 瀬 من طرق يشد بعضها بعضاً. اهـ. يريد بذلك أمثال حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

سيِّئاته على حسناته، والمقتصد: الذي قد استوت حسناته وسيِّئاته، والسّابق: من رَجَحت حسناتُه. وروي عن عثمان بن عفان أنه تلا هذه الآية، فقال: سابقُنا أهل جهادنا، ومقتصِدنا أهل حَضَرنا، وظالمُنا أهل بدونا^(۱).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَانِقُ ﴾ وقرأ أبو المتوكل، والجحدري، وابن السميفع: «سَبَّاقٌ» مثل: فَعَّال ﴿ إِلْخَيْرَتِ ﴾ أي: بالأعمال الصالحة إلى الجنة، أو إلى الرَّحمة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي: بإرادته وأمره ﴿ وَاللَّكَ هُو الْفَضَلُ الْكَيْبِرُ ﴾ يعني إيراثهم الكتاب (٢٠). ثم أخبر بثوابهم، فجمعهم في دخول الجنة فقال: ﴿ جَنَّتُ عَذْنِ يَدَّغُلُونَا ﴾ (٣) قرأ أبو عمرو وحده: «يُذْخُلُونَها» بضم الياء؛ وفتحها الباقون، وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ وَلُولُولُولُ ﴾ بالنصب، وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان يهمز الواو الثانية ولا يهمز الأولى؛ وفي رواية أخرى أنه كان يهمز الأولى ولا يهمز الثانية. والآية مفسرة في سورة [الحج: ٢٢]. قال كعب: تحاكت مناكبُهم وربَّ الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

﴿ وَقَالُوا لَلْمُمْدُ لِلّهِ الذِى أَذْهَبَ عَنَا الْمُزَنَّ إِنَ رَبَّنَا لَنَفُورُ شَكُورُ ﴿ الَّذِى أَلَمَنَا مَالَ مَالَهُ مِن مَنْطِدٍ لَا بَسَتُنَا فِهَا نَصَبُّ وَلَا يَمْنَى عَلَيْهِمْ فَبَعُونُوا وَلَا يُحْنَفُ عَنْهُم مِنْ عَدَامِهَا كَذَلِكَ جَرِى كُلَّ كَثُولِ لَهُمْ نَارُ جَهَنَدَ لَا يُفْضَى طَيْهِمْ فَبَعُونُوا وَلَا يُحْنَفُ عَنْهُم مِنْ عَدَامِهَا كَذَلِكَ جَرِى كُلَّ كَثُولِ لَهُمْ اللَّهِ مَعْنَى مَلِيمًا غَيْرَ الَّذِى كُنُ اللَّهِى كُنُ اللَّهِى عَنْهُمْ أَوْلَا نُمْ عَلِيمٌ مِنَا بَنْدَكُمْ مَا بَنْدَكُمْ فِيهِ مَن عَذَكُر وَهَا كُمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَاقُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَامُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى مُعَلِّمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَمَاكُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَيْكُومُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُومُ عَلَيْكُومُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُولُولُكُمُ عَلَيْكُولُولُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُولُولُكُمْ عَلَيْكُولُولُكُمْ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمْ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُولُكُمُ عَلَيْكُول

ثم أخبر عمًّا يقولون عند دخولها، وهو قوله: ﴿ أَلْمَمْدُ لِلّهِ ٱلّذِي َ أَذْهَبَ عَنَّا الْمُزَنِّ والحُزْن واحد، كالبَخُل والبُخُل. وفي المراد بهذا الحزن خمسة أقوال: أحلها: أنه الحزن لطول المقام في المحشر. روى أبو الدرداء عن رسول الله على أنه قال: ﴿ أمّّا السابق، فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصِد، فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظّالم لنفسه، فإنه حزين في ذلك المقام، فهو الحزن والغم، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَلْمَدُ لِلّهِ اللّهِ عَلَا لَلْمُزَنِّ ﴾ (أ) للفسم، فإنه حزين في ذلك المقام، فهو الحزن والغم، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَلْمَدُ لِلّهِ اللّهِ عَلَا المُؤَنِّ ﴾ (ولا يصح]، وبه قال شمر بن عطية (٥٠). وفي لفظ عن شمر أنه قال: الحزن: هَمُّ الحُبز في الدنيا. شمر أنه قال: الحزن: هَمُّ الحُبز في الدنيا. والثالث: أنه حزن النار، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (٧٠). والرابع: حزنهم في الدنيا على ذُنوب سلفت منهم، رواه عكرمة عن ابن عباس (٨٠). والخامس: حزن الموت، قاله عطية (٩٠). والآية عامَّة في هذه الأقوال وغيرها (١٠)، ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يشبهه، وإنما حزنوا على ذُنوبهم وما يوجبه الخوف.

⁽١) ذكره السيوطي في الدر، ٣٥٢/٥ من رواية سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ابن مردويه، عن عثمان بن عفان رفي المنفرة موقوفاً .

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ نَالِكَ هُو الْفَشْلُ الْكَيْرُ ﴾ يقول تعالى ذكره: سُبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصِّراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه. اهـ.

٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفّين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة، مأواهم جنات عدن، أي: جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله في ﴿ يُمُ لَوْنَ فِيهَا مِنْ ذَهَبِ وَلُؤَلُوا ﴾ كما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة في عن رسول الله في أنه قال: فتيلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ﴿ وَلِنَا شَهُمْ فِيهَا حَرِيرُ ﴾ ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا، فأباحه الله تعالى لهم في الأخرة، وثبت في «الصحيح» أن رسول الله في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وقال: فهي لهم في المدنيا ولكم في الآخرة، اهر.

٤) رواه أحمد في المسند، وذكره السيوطي في الدر، ٥/ ٢٥١، وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،
 والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي الدرداء .

⁽٥) لم نر الحزن بمعنى الجوع عن أبي الدرداء مرفوعاً ولا موقوفاً عليه، وإنما ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٣/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن شمر بن عطية من قوله.

⁽٦) ذكره الطبري ٢٢/ ١٣٨.

٧) ﴿ الطبري، ٢٢/ ١٣٨، وذكره السيوطي في ﴿ الدر، ٥/ ٢٥٣، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه عن ابن عباس 🐞.

⁽٩) (الطبري) ۲۲/ ۱۳۸.

⁽١٠) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكره أخبر عن هؤلاء القرم الذين أكرمهم بما أكرمهم به، أنهم قالوا =

قوله تعالى: ﴿الَّذِى لَــُلَّنا﴾ أي: أنزلنا ﴿ مَارَ ٱلْمُقَامَةِ ﴾ قال الفراء: المُقامة هي الإِقامة، والمَقامة: المجلس، بالفتح لا غير، قال الشاعر:

يَسؤمَسانِ يَسؤمُ مَسقَسامَساتِ وأنسدِيَسةٍ وَيَسؤمُ سَيْسٍ إلى الأغسدَاءِ تسأويسبِ(١)

قوله تعالى: ﴿ بَنِ ضَرِّهِ ﴾ قال الزجاج: أي: يتفضَّله، لا بأعمالنا . والنَّصَبُّ: التَّعَب. واللُّغوب: الإِعياء من التَّعب. ومعنى النُّوب؛ : شيء يُلْفِب؛ أي: لا نتكلّف شيئاً نُعَنّى منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُتُعَنَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُونُوا﴾ أي: لا يهلكون فيستريحوا ممًّا هُمْ فيه (٢)، ومثله: ﴿فَرَكَزُمُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيَّهِۗ﴾ [التصمر: ٥١].

قوله تعالى: ﴿ كَنَالِكَ بَحْرِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ وقرأ أبو عمرو: ﴿ يُجزى ۚ بالياء ﴿ كُلُّ ، برفع اللام. وقرأ الباقون: ﴿ نَجزي ﴾ بالنونَ (كُلُّ ؛ بنصب اللام،

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِسْطَرِهُنَ فِهَا﴾ وهو افتعال من الصَّراخ: والمعنى: يستغيثون، فيقولون: ﴿رَبَّنَا آَفْرِجْنَا نَسْمَلَ مَهُلِمُا﴾ أي: نوحِّلك ونُطيعك ﴿عَبْرَ ٱلْذِي كُنَا نَسْمَلُ من الشَّرك والمعاصي؛ فوبَّخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوْلَرَ نُمُرِكُمُ﴾ قال أبو عبيدة: معناه التقرير، وليس باستفهام؛ والمعنى: أو لم نعمِّركم عُمُراً يتذكَّر فيه من تَذَكَّر؟! وفي مقدار هذا التعمير أربعة أقوال: أحدها: أنه سبعون سنة، قال ابن عمر: هذه الآية تعيير لأبناء السبعين. والثاني: أربعون سنة. والمثالث: ستون سنة، رواهما مجاهد عن ابن عباس (٣)، وبالأول منهما قال الحسن، وابن السائب. والمانيع: ثماني عشرة سنة، قاله عطاء، ووهب بن منبه، وأبو العالية، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَاءَكُمُ النَّذِيرِ ﴿ فَهَ أُربِعَهُ أَقُوالَ: أَحَدُهَا: أَنَهُ الشَّيْبِ، قالهُ ابن عمر، وعكرمة، وسفيان بن عينة؛ والمعنى: أَوَ لَمْ نعمَّرْكم حتى شِبتم؟!. والثاني: النبيّ ﷺ، قاله قتادة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل (٤٠). والثالث: موت الأهل والأقارب. والرابع: الحمّى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَدُوثُوا﴾ يعني: العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِينِ مِن شَيدِ﴾ أي: من مانع يَمنع عنهم. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [المائدة: ٧] إلى قوله: ﴿خَلَتُهِنَ فِي ٱلْأَرْشِ ﴾ وهي الأُمَّة التي خَلَفَتْ مَنْ قَبْلها ورأت فيمن تقدَّمها ما ينبغي أن تَعتبر به ﴿فَنَ كُنْرُ نَمُلْيُو كُنْرُ أَنْ لَكُنْرُ كُنْرُ فَلَا لَهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ

حين دخلوا الجنة: ﴿ لَلَمْدُ يَقِهِ اللَّذِي َ أَنْفَبَ عَنَا لَلْزَنْ﴾ قال: وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والمجزع من الحزن، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدو، على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عمّوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدُهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن. اهـ.

 ⁽١) البيت لسلامة بن جندل كما في «مجاز القرآن» ٢/ ١٠، و«الطبري» ٢٢/ ١٤، و«اللسان» و«التاج»: أوب.

 ⁽۲) قال ابن كثير: لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداه، شرع في بيان مآل الأشقياه فقال: ﴿وَالْمَيْنَ كَدْرُوا لَهُمْ كَارُ جَمَيْنَهُ لَا بَشْنَ عَتَبِهِمْ فَيَسُونُوا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَعْنِى مَيْنَ فِيهَ وَلا بَعْنِى عَلَيْهِمْ فَيْمُورُا للهِ عِنْ قال : وثبت في هصحيح مسلم، أن رسول الله على قال: هأما أهل النار اللين هم أهلها فلا يعون فيها ولا يحيون وقال فلا: ﴿وَلَوَ عَلَيْهُ فَيْ رَبِّتُهُ عَلَى إِنَّهُ قَلَ إِنَّكُمْ تَرْكُونَ ﴿ فَهُم فِي حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لا يُشْتَى مَتَيْهِمْ فِيمُولُوا وَلا يُحْتَى مَتَهُمْ وَمَنْ فِيهُ مَنْ مَنْ يَهِمْ فَيْمُولُوا وَلا يَعْنَى مَتَهُمْ وَمْ عَلَيْهَا ﴾ كما قال فلا: ﴿إِنَّ اللهُمْنِينَ فِي عَلَيْهِ جَمْتُمْ خَلُونُ وَلَا يَعْنَى مَتَهُمْ وَمْ فِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَمُعْ وَمُنْ فِي عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَعَلَيْهُ ﴾ كما قال فلا فلا يعون موتهم واحدة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لاَ يُشْتُونُ عَلَيْهُ مَنْهُ وَمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَمُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَا عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَمْ عَلَيْهُ وَمُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَهُ عَلَيْهُ وَمُعْ مَنْ فَيْعِي عَلَيْهُ وَمِلُهُ وَلَوْلِكُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلِي عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ وَلَوْلَكُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ مَلِهُ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَالُهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَى عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَا عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَى عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونَاكُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُولُكُ عَلَي

 ⁽٣) روى البخاري في اصحيحه عن أبي هريرة في قال: اأهذر الله في إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة، ورواه أحمد وغيره، ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة. وقد ثبت في الصحيح، أن رسول الله في عاش ثلاثاً وستيز سنة.

 ⁽٤) وروى الطبري قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَكَمَا يَكُمُ التَّذِيرِ ﴾ قال: النظير: النبي. وقرأ: ﴿ هَلَا نَبِرُ بِنَ النَّذِرِ الأَلْقِ ﴿ ﴾ قال ابن كثير: وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال: احتج عليهم بالعمر والرسل، قال: وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا بَسُكِهُ لَلْقَ مِنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُونُ هَا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلِيمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلِيمٌ عَلِيهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِلَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُ عَلَيْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُونُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ عَلَّا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُونُ عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّم

 ⁽٥) قال ابن كثير في تتمة الآية: ﴿وَلاَ بَرِيدُ ٱلْكَثِينَ كُنْزُهُمْ عِندَ رَجِمْ إِلّا مَتَنَا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين. إهـ.

﴿ قُلْ أَرَمَيْثُمْ شُرَكَا مَكُمُ الَّذِينَ مَنْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْاَرْضِ أَدْ لَمَثَمْ شِرِّكُ فِي السَّمَوْتِ أَدْ ءَلَتِنَهُمْ كِنَا؛ فَهُمْ عَلَى بَيْنَةً بَلْ إِن يَقِدُ الظَّلِلِمُونَ بَعْشُهُم بَعْضًا إِلَا غُرُودًا ۞ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُسْبِكُ السَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولًا وَلَهِن زَالْنَا إِنْ أَسْسَكُهُمَا مِنْ مَدِيْدٍ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا عَفُورًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَيْتُمُ شُرُكَا يَكُمُ المعنى: أَخبِروني عن اللّين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعمكم، بأي شيء أوجبتم لهم الشركة في العبادة ؟! أبشيء خلقوه من الأرض، أم شاركوا خالق السموات في خَلْقها ؟! ثم عاد إلى الكفار فقال: ﴿أَرْ مَاتَيْتُهُمْ كِنَبُكُ يأموهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّتَهُ ﴾؟! قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم: اعلى بينة على التوحيد. وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ابينات جمعاً. والمراد: البيان بأن مع الله شريكاً (١) ﴿بَلْ إِن يَبِدُ الظَّلِلُونَ ﴾ يعني المشركين يَعِدُ ﴿بَشَهُمُ مَتَمَا ﴾ أنَّ الأصنام تشفع لهم، وأنّه لا حساب عليهم ولا عقاب. وقال مقاتل: ما يَعِدُ الشبطانُ الكفَّار من شفاعة الآلهة إلَّا باطلاً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ يُسِكُ السَّنَوْتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولاً ﴾ أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والوقوع. قال الفراء: ﴿وَلَهِن بمعنى قولو »، وقال الزجاج: لمَّا قالت الفراء: ﴿وَلَهِن بمعنى قولو »، وقال الزجاج: لمَّا قالت النصارى: المسيح ابن الله ، وقالت اليهود: عزير ابن الله ، كادت السموات يتفطّرن والجبال أن تَزُول والأرضُ أن تنشقَّ، فأمسكها الله ظَن وَإِنَّما وحَد قالارض مع جمع قالسموات »، لأن الأرض تدل على الأرضين. ﴿وَلَهِن نَالنا ﴾ تحتمل وجهين: أحدهما: زوالهما يوم القيامة. والثاني: أن يقال تقديراً: وإن لم تزولا، وهذا مكان يَدُلُ على القدرة ، غير أنه ذكر الجلم فيه ، لأنه لمَّا أمسكهما عند قولهم: ﴿ أَشَنَدُ الرَّمَانُ وَلَاكُ (مرم: ۱۸۵) ، حَلُم فلم يُعجِّل لهم العقوبة (٢٠).

﴿ وَأَفْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ لَيَشَهِمْ لَهِتَ جَامَعُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ آهَدَىٰ مِنْ إِخْدَى الْأُمَيَّمُ فَلَنَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا شُمُورًا ۞ اسْيَخْبَازَا فِي الْأَرْضِ وَمَكُمْ السَّيْمُ وَلَا يَمِينُ الْمُكُو السَّيْقُ إِلَّا بِأَهْلِيدٍ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُلَّتَ الْأَوْلِينَّ فَلَن غَيِدَ لِسُثَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۞﴾

⁽۱) أي: الإتيان ببينة تدل بأن مع الله شريكاً، قال الآلوسي: وهو ضرب من التهكُّم. قال ابن جرير الطبري: ﴿أَرَ مَاتَيْتُهُمْ كِنَبًا نَهُمْ عَلَ يَبْنَتِ مِتَهُۗ﴾؟! يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام ﴿فَهُمْ عَلَ بِيَنتُ مِتَهُ﴾ الهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي؟! وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَرْ مَاتَيْتُهُمْ كِنَبًا نَهُمْ عَلَ بِيَتْتِ مِتَهُۗ﴾؟! أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟! ليس الأمر كذلك ﴿بَلّ إِن يَيدُ ٱلظَّلِيمُونَ بَسَشُهُم بَسَنًا إِلّا عُرُيدًا أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواهم وأرماهم وأمانيهم التي تمثّوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور. اهـ. وقال الآلوسي: والمعنى أن عبادة هؤلاء إما بالمقل، ولا عقل يحكم بصحة عبادة من لا يخلق جزءاً ما من الأرض دلالة شرك في السماء، وإما بالنقل، ولم نؤت المشركين كتاباً فيه الأمر بعبادة هؤلاء. كهـ.

 ⁽۲) قال ابن كثير: ثم أخبر تمالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهُ يُسْبِكُ السَّمَاتُ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ أَنْ تُؤْمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِينَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمُونَ وَاللَّمُ وَاللَّمِينَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَامِ وَاللَّمِنَ وَالْمُنْ وَاللَّمِنَ وَالْمُعْلِيْقِونَ وَاللَّمِنِ وَاللَّمِنِ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَاللَّمِنَ وَالْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْ وَالْمُعِلِّيْنِ وَالْمُنْفِقُونَ وَاللَّمِنِيْنَا وَالِمُنْفِقِ وَالْمُنْفِقُونَ وَاللَّمِيْنِ وَاللَّمِنِيْنِ وَالْمُنْمِقُونَ

 ⁽٣) قال ابن كثير: ﴿ اَسْيَكْبَارًا فِي ٱلرَّضِ ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله ﴿ وَيَكُرُ ٱلنَّيْمِ ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله ﴿ وَلا يَجِينُ النَّكُرُ النَّيْمُ النَّيْمُ النَّيْمُ النَّهِمَ اللهِ ﴿ وَلا يَجِينُ اللهِ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهُ إِلَيْمَ إِلَيْهُ إِلَيْ اللهِ اللهِ مَا اللهُ إِلَيْمَ اللهُ اللهِ مَا اللهُ اللهِ مَا اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

فتابع حمزة الغالط، فقرأ في الإدراج بترك الحركة (١). وللمفسرين في المراد بـ «مكر السَّيّى» قولان: أحدهما: أنه الشِّرك (٢). قال ابن عباس: عاقبة الشُّرك لا تَحُلُّ إلا بمن أشرك. والثاني: أنه المَكْر برسول الله ﷺ، حكاه الماوردي (٣).

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَظُرُونِ ﴾ أي: ينتظِرون ﴿ إِلَّا سُنَتَ ٱلْأَوْلِينَ ﴾ أي: إلَّا أن يَنْزِل العذاب بهم كما نَزَل بالأمم المحدُّبة قبلهم. ﴿ فَلَن يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ عَوْلِلاً ﴾ أي: لا يَقْدِر أحدٌ أن يحوّل العذاب عنهم إلى غيرهم.

﴿ أَوَلَرُ بَسِيمُوا ۚ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيَهُ الَّذِينَ مِن فَيْلِهِمْ وَكَافُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَاكَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْمِ فِي السَّمَكُوْتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَاكَ عَلِيمًا فَدِيرًا ۞ وَلَوْ بُكِاخِدُ اللّهُ ٱلنّاسَ بِمَا حَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَكُهُ وَلَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَكُهُ وَلَكَ مِنْ فَيْكِرُهُمْ فَلِكَ اللّهَ كَانَ بِمِبَادِهِ بَمِيدًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُوَاخِذُ اللّهُ ٱلنّاسَ بِمَا كَنَسَبُوا﴾ هذا عامٌّ، وبعضهم يقول: أراد بالناس المشركين. والمعنى: لو واخذهم بأفعالهم لعجَّل لهم العقوبة^(٤). وقد شرحنا هذه الآية في [النحل: ٦١]. وما أخللنا به فقد سبق بيانه [يوسف: ١٠٩، الروم: ٩، الأعراف: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَ اللَّهُ كَانَ بِمِسَادِهِ، بَمِيرًا ﴾ قال ابن جرير: بصيراً بمن يستحقُّ العُقوبة ومن يستوجب الكوامة (٥٠).

* * *

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة ما عليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض، وغير جائز في القرآن أن يُقرَأ بكل ما جاز في
 العربية، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأثمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم. اهـ.

⁽٢) ذكره الطبري عن قتادة.

٣) قال الألوسي: هو الخداع الذي يرومونه برسول الله ﷺ والكيد له.

⁽٤) قال ابن كثير: ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذٍ، ويوفى كل عامل بعمله، فيجازي بالثراب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية. اهـ.

⁽٥) ونص كلام ابن جرير بتمامه: وقوله: ﴿ فَإِذَا حَمَاءَ أَلَمُهُمْ قَارَكَ أَلَهُ كَانَ بِعِبَارِ ﴾ يقول تعالى ذِكره: فإذا جاء أجل عقابهم، فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشركاً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم. اهد.

سورة يس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إنها مكِّيَّة إلَّا آية منها، وهي قوله: ﴿وَإِذَا فِيلَ لَمُنْمُ أَنْفِتُواْ مِثَا رَذَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [يس: ١٥]. والثاني: أنها مدنية، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

ينب دالقو الكنب التجديد

﴿بِسَ ۞ وَالفُرْمَانِ الْمُحَيِدِ ۞ إِنَكَ لَيِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى مِدَعِلِ مُسْتَقِيدٍ ۞ تَدِيلَ الْمَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ اِلنَّنَذِدَ قَوْمًا مَا أَنْذِدَ مَاهَا قُهُمْ مَهُمْ عَنِيْلُونَ ۞﴾

وفي قوله: ﴿يَسَ ۞﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن معناها: يا إنسان، بالحبشية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل. والثاني: أنها قَسَم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: يا محمد، قاله ابن الحنفية، والضحاك. والرابع: أن معناها: يا رجُل، قاله الحسن. والمخامس: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة (۱). وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: ﴿يَسَنِ الله تِع الياء وكسر النون. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، ابن أبي عبلة: بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حصين الأسدي: يكسر الياء وإظهار النون. قال الزجاج: والذي عند أهل العربية أن هذا بمنزلة افتتاح السُّور، وبعض العرب يقول: ﴿يُسْنَ والقرآن الله النون، وهذا جائز في العربية لوجهين: أحدهما: أن ﴿يسَ السورة، فكأنه قال: اثّلُ يسّ، وهو على وزن هابيل النون، وهذا جائز في العربية لوجهين: أحدهما: أن ﴿يسَ المسورة، فكأنه قال: اثّلُ يسّ، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف. والثاني: أنه فتح لالتقاء الساكنين، والتسكين أجود، لأنه حرف هجاء.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْمَانِ ٱلْمَكِيدِ ﴾ هذا قَسَم، وقد سبق معنى «الحكيم» [البنرة: ٢٣]، قال الزجّاج: وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ خبر «إنَّ»، ويكون قوله: ﴿عَلَى سِرَطِ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾؛ وأحسنُ ما جاء في العربية أن يكون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ خبر «إنَّ»، ويكون قوله: ﴿عَلَى صِراطٍ» مُسْتَقِيدٍ ﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ الذين أُرسلوا على طريقة مستقيمة.

قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْمَرْبِزِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "تنزيلُ ، برفع اللام. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: "تنزيلَ ، بنصب اللام. وعن عاصم كالقراءتين. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فعلى المصدر، على معنى: نزّل الله ذلك تنزيلً ، ومن قرأ بالرفع، فعلى معنى: الذي أنزلَ إليكَ تنزيلُ العزيز. وقال الفراء: من نصب، أراد إنّك لَمِنَ المُرْسَلِينَ تنزيلاً حَقّاً مُنزَلاً، ويكون الرفع على الاستئناف، كقوله: ذلك تنزيل العزيز. وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو رزين، وأبو العالمية، والحسن، والجحدري: "تنزيلِ ، بكسر اللام. وقال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه، الرحيم بخُلْقه.

ُ**تُوله تعالى:** ﴿ لِلْمُنذِرَ فَوْمَا ثَمَا أَنْذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها نفي، وهو قول قتادة والزجاج في الأكثرين. والثاني: أنها بمعنى «كما»، قاله مقاتل. وقيل: هي بمعنى «الذي».

قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ غَلِمُلُونَ ﴾ أي: عن حُجج التوحيد وأدلة البعث.

⁽١) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل سورة (البقرة)، وسورة (طه) وانظر التعليق الذي في أول سورة (العنكبوت). وكلمة (يس) هنا من الحروف المقطعة أمثال (طه) وغيرها، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسير كلمة (طه) بعدما ذكر في معناها عدة أقوال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الاقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، وتأويل الكلام: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل. اهد. وكلمة (يس) هنا معناها قريب من (طه) كأنه قال: يا رجل والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين بوحي الله في إلى عباده، يريد به محمداً كلي.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْفَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ نَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا جَمَلُنَا فِي أَعْتَقِهِمْ أَغَلَلًا فَهِى إِلَى ٱلأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ ۞ وَجَمَلُنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِبِهِمْ سَــُنَّا وَمِنْ خَلِفِهِمْر سَدًّا فَأَغَشَيْتُهُمْ فَهُمْ لَا يُبْعِيرُونَ ۞ وَسَوَّاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَرْ لَنَر تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ ٱلَّبِيِّعَ ٱلذِّكْرَ وَخَيْنَ ٱلزَّحْنَ بِٱلْفَيْبِ ۚ فَيُشْرَهُ بِمَغْفِرَوَ وَأَجْرِ كَرِيمٍ ۞ إِنَّا نَحَنُ نُعْيِ ٱلْمَوْقَكَ وَنَكْتُتُ مَا قَنْعُوا وَٱلنَّرَهُمْ وَكُلّ شَيْءِ أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَارِ شَبِينِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱللَّوَلُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: وجب العذاب. والثاني: سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ عَلَنَ أَكْثَرِمُ ﴾ يعني أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم ﴿ نَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لِمَا سبق من القَدَر بذلك. ﴿ إِنَّا جَمَلُنَا فِي أَعَنِّتِهِمْ أَغَلَاكُ﴾ فيه ثلاثة أقوالًا: أحدها: أنها مَثَلٌ، وليس هناك غُلُّ حقيقة، قاله أكثر المحقِّقين، ثم لهم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مَثَل لمنعهم عن كل خير، قاله قتادة. والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله، بموانع كالأغلال، قاله الفراء، وابن قتيبة.. والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها موانع حسَّيَّة مَنَعَتْ كما يَمنع الغُلُّ؛ قال مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهل لئن رأى النبئ ﷺ يصلَّى لَيَدْمَغَنَّهُ، فجاءه وهو يصلِّي، فرفع حجراً فَيَسِسَتْ يدُه والتصق الحجر بيده، فرجَع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلمًّا دنا من رسول الله ﷺ طَمَسَ الله على بصره فلم يره، فرجَع إلى أصحابه فلم يُبْصِرهم حتى نادَوْه، فنزل في أبي جهل: ﴿إِنَّا جَمَلُنَا لِى أَغْنَاتِهِمْ أَغْلَلًا. . ﴾ الآية، ونزل في الآخر: ﴿وَيَمَلَنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهُمْ سَكَلُهُ^(١). والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلَّا أنَّه وَصُفٌّ لِمَا سَيُنْزِلُه الله تعالى بهم في النار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَهِنَ إِلَى ٱلأَنْقَانِ﴾ قال الفراء: «فهيُّ كناية عن الأيمان، ولم تُذْكَر، لأن الغُلُّ لا يكون إلَّا في اليمين والعنق جامعاً لهما، فاكتُفيَ بذكر أحدهما عن صاحبه. وقال الزجّاج: «هي، كناية عن الأيدي، ولم يذكرهما إيجازاً، لأن الغُلُّ يتضمن اليد والعنق، وأنشد:

ومسا أدري إذا يَسمَّ مُستُ أرضاً أُريدُ الخَيْسِ اللَّهُ مِا يَلِينِينَ '' وإنما قال: أيُّهما، لأنه قد علم أن الخير والشرَّ معرَّضان للإنسان. قال الفراء: والدَّقْن: أسفل اللَّحْيَيْن، والمُقْمَعُ: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. قال أبو عبيدة: كُلُّ رافع رأسه فهو مُقَامِح وقَامِح، والجمع: قِماح، فإن فُعل ذَلك بإنسان فهو مُقْمَح، ومنه هذه الآية. وقال ابن قتيبة: يقال: بُعيرٌ قامِحٌ، وإبِلٌ قِماحٌ: ۚ إذا رَوِيَتُ من الماء فقَمَحَتْ، قال الشاعر _ وذكر سفينة _:

ونسحدنُ عسلسي جَسوانِسبها قُسعُسودٌ نَـغُـضُ الـطَّـرُف كـالإبـل النقِـمَـاح (٣)

وقال الأزهري: المُراد أنَّ أيديهم لمّا غُلَّت عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلالُ أذقانَهم ورؤوسَهم، فهم مُرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إيَّاها.

قوله تغالى: ﴿وَيَمَلَّنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكًّا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بفتح السين، والباقون: بضمها، وقد تكلَّمنا على الفَرْق [بينهما] في [الكهف: ٩٤]. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج عن الكفر. والثاني: حجبناهم عن أذى رسول الله ﷺ بالظُّلمة لمَّا قصدوه بالأذى.

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٥، ١٤٠ : رواه ابن إسحاق في «السيرة» في كلام طويل، قال: ورواه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق ابن إسحاق: حدثني محمد بن محمد بن سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس، أن أبا جهل قال: "إني أعاهد الله لأجلسنّ غداً لمحمد بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه. . ؟ فلكر تحوه إلى قوله: «قد يبست بداه على حجره حتى قذف الحجر بين يديه». وقد ذكر سبب النزول هذا مختصراً الطبري عن عكرمة قال: قال أبو جهل لئن رأيت محملةً الأفعلنَّ والأفعلنَّ، فأنزلت: ﴿إِنَّا بَمُنْكَ ۚ إِلَى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُشِرُرُنَ﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره. اهـ. وأصله في «البخاري» ٨/ ٥٥٧ في سورة (اقرأ) عند قوله تعالى: ﴿ثُمُّ لَي لَرُ بَنِّهِ تُشَمَّعُ إِلَيْدِيمُ ۞ يَنْبِهَ كَلِيمَةٍ ﷺ خَالِدَةٍ ۞ عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: النن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنُّ على عنقه، فبلغ النبي 攤 فقال: ﴿لَوْ فَعَلَّهُ لَأَخَلَتُهُ الْمُلائكَةُهُ، وسيأتي ذلك في محله من سورة (اقرأ) إن شاء الله تعالى.

تقدم البيت ١٠٥ وتخريجه ٢١٨، وهو أيضاً في «معاني القرآن» ٢٣١، ودمشكل القرآن» ١٧٦، و«الطبري» ٢٢/ ١٥١.

⁽٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٥٥، «وغريب القرآن» ٣٣٣، و«القرطبي» ١٥/٨، و«البحر المحيط؛ ٧/٣٤، و«ووح المعاني، ٢٢/ ١٩٧، و(الصحاح؛ و(اللسان، و(التاج): قمع.

قوله تعالى: ﴿ وَالْحَسْنَ، وقنَادَة، ويحيى بن يعمر: «فأعشيناهم» بعين غير معجمة. ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم وسعيد بن جبير، والحسن، وقنادة، ويحيى بن يعمر: «فأعشيناهم» بعين غير معجمة. ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم لإضلاله إيًّاهم بالآية التي بعد هذه. ثم أخبر عمَّن ينفعُه الإنذارُ بقوله: ﴿إِنَّا نُنُوكُ أَي: إنَّما يَنفع إنذارُك ﴿مِن النَّبَ الْإَسْلَالُه إِنَّا لَنُوكُ وهو القرآن، فعمل به ﴿وَحَشَى الرَّحَنَ بِالْفَيْبُ وقد شرحناه في الانبياء: ٤٤)، والأجر الكريم: الحسن، وهو الجند. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْي النَوْكَ للبعث ﴿وَيَحَمُّتُ مَا قَدَّوُكُ من خير وشرَّ في دنياهم. وقرأ النخعي، والجحدري: «ويكُتّبُ» بياء مرفوعة وفتح التاء «وآثارُهم» برفع الراء. وفي آثارهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خُطاهم بأرجُلهم، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال أبو سعيد الخدري: شَكَتْ بنو سَلِمَة إلى رسول الله على بُعُد منازلهم من المسجد، فأنول الله تعالى: ﴿وَيَكُنّبُ مَا قَلَمُوا وَالنَرُهُمُ هُ، فقال النبي على: ﴿عليكم منازلُكم، فإنّما تُحَتّبُ آثارُكم (١٠)، وقال قتادة وعمر بن عبد العزيز: لو كان الله مُغْفِلاً شيئاً، لأغفل ما تعفّي الرّياحُ من أثر قدَم ابن آدم. والثاني: أنها الخُطا إلى الجمعة، قاله أنس بن مالك (٢٠). والثالث: ما أثروا من سُنَّة نصنة أو سيَّنة يُعْمَل بها بعدهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جير، واختاره الفراء، وابن قتية، والزجاج (٢٠).

قوله تعالى: ﴿رَكُلُّ مَيْءٍ﴾ وقرأ ابن السميفع، وابن أبي عبلة: «وكُلُّ» برفع اللام، أي: مِنَ الأعمال ﴿أَحْصَيْنَكُ﴾ أي: حَفِظُناه ﴿نِيَ إِمَارِ مُبِينِ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَاضِرِتْ لَمُنَمَ مَثَلًا أَخْمَتُ الْقَرَيْدُ إِذْ جَاءَهَمَا الشُرْسَلُونَ ۞ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ انْتَيْنِ فَكَذَبُوهُمَا فَمَزَنَا بِشَالِونِ فَصَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ تُرْسَلُونَ ۞ قالُوا مَنَا أَشَدُ إِلَّا بَشَرِّ يِنْفُتُكَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن فَنْهِ إِنْ أَشَدُ إِلَّا تَكْفِيفُنَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا بِمَلَمُ اللَّهُ لِللَّرْسِلُونَ ۞ وَمَا عَلَيْنَا إِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّذِلِي الللْمُولِقُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُولَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْ

قوله تعالى: ﴿وَإَشْرِبُ لَمُهُ مَثَلًا﴾ المعنى: صف الأهل مكة مثلاً؛ أي: شِبْهاً. وقال الزجاج: المعنى: مثلًا لهم مثلاً ﴿أَصْكَبُ الْفَرَيَةِ ﴾ وهو بدل من مَثَل، كأنه قال: اذكُرْ لهم أصحابَ القرية. وقال عكرمة، وقتادة: هذه القرية هي أنطاكية (٤). ﴿إِذْ أَرْسَلُنَا إِلْبَيْمُ أَتْبَيْنِ ﴾ وفي اسميهما ثلاثة أقوال: أحدها: صادق وصدوق، قاله ابن عباس، وكعب. والثانى: يوحنا وبولس، قاله وهب بن منه، والثالث: تومان وبولس، قاله مقاتل.

⁽۱) رواه الترمذي ۱۵۵/ وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه الطبري ۱۵۴/ ۱۵۶، والحاكم ۲۸/۲ وصححه ووافقه اللهبي، ورواه الواحدي في وأسباب النزول، ۲۰۹، وأورده السيوطي في والدر، ٥/ ٢٦٠، ورّاد نسبته لعبد الرزاق، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيه في فأسباب النزول، ۲۰۹، وأورده السيوطي في والدر، ٥/ ٢٦٠، ورّاد نسبته لعبد الرزاق، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حميد المنافئة من أبي صعيد الخدري على قال ابن كثير: وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكمالها مكية، فأله أعلم. اهد، والحديث رواه مسلم في وصحيحه ۱/ ٤٦٦ دول سبب النزول من حديث جابر بن عبد الله على قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سَلِمة أن يستقلوا قرب المسجد، قالوا: نعم با رسول الله قد أردنا ذلك، وتعلى المنافز على سَلْمة دياركم تكتبُ آثاركم، دياركم تكتبُ آثاركم،

⁽٢) قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٦٠: أخرج ابن أبي حاتم عن أنس في قوله: ﴿وَرَكَتُكُم مَا فَدَكُوا رَبَاتَدُوهُم ۗ قال: هذا في الخطو يوم الجمعة. اهد. وروى الترمذي في «جامعه» عن أوس بن أوس الثقفي في قال: قال رسول الله بخل عن قشل يوم الجمعة وافتسل ويحُر وابتكر، ومثى ولم يركب، ودنا من الامام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة يخطوها عمل سنة، أجر صيامها وقيامها» وقال: حديث حسن. ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما» وهو حديث صحيح.

⁽٣) روى مسلم في الصحيحه ٢/ ٥٠٥ عن جرير بن عبد الله البجلي ﴿ قال: قال رسول الله ﴿ : المن سَلَ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سينة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وروى مسلم في اصحيحه ٣/ ١٢٥٥ عن أبي هريرة ﴿ أن رسول الله ﴿ قال: ﴿إِنَا مَاتَ الإِنْسَانَ انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو لهه.

⁽٤) قال ابن كثير: ذكر أبو سعيد الخدري ﷺ وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، قال: ذكروه عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَانَيْنَا شُوّى ٱلْحَوَتَبَ مِنْ بَسَدِ مَا أَهْلَكُنَا ٱلْشُويَتِ ٱلْأُولَٰ ﴾ قال: فعلى هذا يعمل هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلن ذلك غير واحد من السلف، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروقة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في العلة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَمَزَنّا﴾ ترأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم:
قفعَزّزْنا» بتشديد الزاي، قال ابن قتيبة: المعنى: قوّيْنَا وشدَّدْنَا، يقال: تعزّز لحمُ النّاقة: إذا صَلُب. وقرأ أبو بكر،
والمفضَّل عن عاصم: ﴿فَعَزَزْنا» خفيفة، قال أبو علي: أراد: فغَلَبْنا. قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من
الحواريّين، وهو وصيَّ عيسى ﷺ. قال وهب: وأوحى الله إلى شمعون يُخبره خبر الاثنين ويأمره بنُصرتهما، فانطلق
يؤمُّهما. وذكرَ الفراءُ أن هذا الثالث كان قد أُرسل قبلَهما؛ قال: ونراه في التنزيل كأنه بعدهما، وإنما المعنى: فعزَّزنا
بالثالث الذي قبلهما، والمفسرون على أنه إنما أُرسل لنُصرتهما، ثُمَّ إنَّ الثالث إنما يكون بعد ثانٍ، فأمًا إذا سبق الاثنين
فهو أوَّل؛ وإنِّي لأتعجب من قول الفراء. واختلف المفسِّرون فيمن أرسلَ هؤلاء الرُّسل على قولين: أحدهما: أن الله
تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن، وهو مرويّ عن ابن عباس، وكعب، ووهب. والثاني: أن عيسى أرسلهم، وجاز أن
يُضاف ذلك إلى الله تعالى لأنهم رسل رسوله، قاله قتادة، وابن جريج (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَبَهَاءَ مِنْ أَنْسَا ٱلْمَدِينَةِ رَبُّلُ يَسْمَىٰ﴾ واسمه حبيب النجار، وكان مجذوماً، وكان قد آمن بالرُسل لمّا وردوا القرية، وكان منزلُه عند أقصى باب من أبواب القرية، فلمّا بلغه أنَّ قومه قد كذَّبوا الرُسل وهمُّوا بقتلهم، جاء يسعى، فقال ما قصّه الله علينا إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهَتَدُونَ﴾ يعني الرُّسل، فأخذوه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تَتَّبعهم؟ فقال : ﴿وَمَا لِيَ أَسكن هذه الباء حمزة، وخلف، ويعقوب ﴿لاّ آعَيْدُ الّذِي فَطَرَفِ﴾ أي: وأيُّ شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ تُرْحَثُونَ﴾ عند البعث، فيَجزِيكم بكُفركم؟! فإن قبل: لِمَ أضاف الفِطرةَ إلى نفسه والبعث إليهم وهو يعلم أنَّ الله قد فظرهم جميعاً كما يَبعثهم جميعاً؟ فالجواب: أن إيجاد الله تعالى نِعمه يوجب الشّكر، والبعث في النَّامر، والبعث في النَّامر، وعيدٌ يوجب الرَّجر، فكانت إضافة النَّعمة إلى نفسه أظهرَ في الشَّكر، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ في الزَّجر. ثم أنكر عبادة الأصنام بقوله: ﴿مَأَيُولُهُ مِن دُونِهِ عَالِهَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا نَتُنِ عَنِي شَغَنَعَتُهُمَ﴾ يعني أنه لا شفاعة لهم فتُغْني، ﴿وَلَا يُنقِدُونِ﴾ أثبت هاهنا الياء في الحالين يعقوب، وورش، والمعنى: لا يخلِّصوني من ذلك المكروه. ﴿إِنَّ إِنَّا﴾ فتح هذه الياء نافع، وأبو عمرو.

قوله تعالى: ﴿إِزِّتَ ءَامَنتُ بِرَتِكُمْ ﴾ فتح هذه الياء أهل الحجاز وأبو عمرو. وفيمن خاطبهم بإيمانه قولان: أحدهما: أنه خاطب قومه بذلك، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه خاطب الرُّسل. ومعنى ﴿فَاَسْتَعُونِ ﴾: اشهَدوا لي بذلك، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: المعنى: فاسمَعوا مِنِّي. وأثبت ياء ففاسمَعوني وفي الحالين يعقوب. قال ابن مسعود: لمَّا

 ⁽١) قال ابن كثر: ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷺ، لا من جهة المسيح ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِذَ أَرْبَكَنَا إِلَيْمُ ٱلنَّبِنِ فَكَنْلِمُهُمَا نَمْزَنَا بِاللهِ قَلْمَ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ا

خاطب قومه بذلك، وطئوه بأرجُلهم. وقال السدي: رمَوْه بالحجارة، وهو يقول: اللُّهم الهُدِ قَومي.

قوله تعالى: ﴿ فِيلَ ٱدْخُلِ لَلْمُنَدُّ ۚ لَمَّا قتلوه فلقي الله، قيل له: ﴿ ادْخُلِ الجَنَّةِ ﴾، فلمَّا دخلها ﴿ قَالَ يَكَلِّتَ فَوْمِي يَمْلَمُونُ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي﴾، وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها مع «غَفَر» في موضع مصدر؛ والمعنى: بخُفران الله لي. والثاني: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: ليتهم يَعلمون بالذي غَفَرَ لي [به] ربِّي فيؤمنون، فنصحهم حيًّا وميتًا. فلمًّا قتلوه عجَّل الله لهم العذاب، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَنزَانَا عَلَىٰ قَوْمِهِ،﴾ يعني قوم حبيب ﴿مِنْ بَشْدِمِ﴾ أي: من بعد قتله ﴿مِن جُندِ قِنَ ٱلسَّمَآةِ﴾ يعني الملائكة، أي: لم ينتصر منهم بجُند من السَّماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلهم على الأمم إذا أهلكناهم. وقيل: المعنى: ما بعثْنا إليهم بعده نبيًّا، ولا أنزلنا عليهم رسالة. ﴿إِن كَانَتَ إِلَّا صَيَّحَةً وَعِدَةً﴾ قال المفسِّرون: أخذ جبريل ﷺ بِعِضَادَتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم ميِّتون لا يُسْمَع لهم حِسٌّ، كالنَّار إذا طُلفتت، وهو قوله: ﴿فَإِذَا هُمُ خَلِيدُونَ﴾ أي: ساكنون كهيئة الرَّماد الخامد (١).

﴿ يَحَسَرُةً عَلَى الْمِسَادُ مَا يَأْتِيهِم مِن تَسُولِ إِلَّا كَانُواْ بِدِ. يَسْتَهَزِيُونَ ۞ أَلَدُ بَرَوْا كَمْ أَهْلَكُنَا فَبَلَهُم مِنَ ٱلْفُرُونِ أَنَهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَبِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ وَمَالِيَةٌ لَمُمُ ٱلأَرْضُ ٱلْبَيْنَةُ أَحْبَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَيِنْهُ يَأْكُنُونَ ۞ وَحَمَلْنَا فِيهَا جَنَّاتِ مِن نَجْيب لِ وَأَعْنَبُو وَهَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْمُنْبُونِ ۞ لِيَأْكُنُوا مِن نَسَرِهِ. وَمَا عَبِلَتْهُ ٱلَّذِيهِمْ ٱللَّذَ يَشْكُرُونَ ۞ سُبْحَنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلأَزْوَجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِثَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ يَنْحَشَّرَةً عَلَى ٱلْهِبَاذِ ﴾ قال الفراء: المعنى: يا لها حَسْرَة على العباد. وقال الزجاج: الحَسْرَةُ أن يَرْكَبّ الإنسان من شِدَّة النَّدم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبُه حَسِيراً. وفي المتحسُّر على العباد قولان: أحدهما: أنهم يتحسَّرون على أنفسهم، قاله مجاهد والزجاج: استهزاؤهم بالرُّسل كان حسرةً عليهم في الآخرة. وقال أبو العالية: لمَّا عاينُوا العذاب، قالوا: يا حسرتنا على المرسلين، كيف لنا بهمُ الآن حتى نؤمِن. والثاني: أنه تحسُّر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرُّسل، قاله الضحاك. ثم خوَّف كُفَّارَ مكَّة فقال: ﴿أَلَتُر بَرَوْا ﴾ أي: ألم يَعْلَموا ﴿ كُرْ أَهْلَكُنَا فَبَلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ فيعتبروا ويخافوا أن نعجِّل لهم الهلاك كما عجِّل لمن أهلك قبلهم ولم يرجعوا إلى الدنيا؟! قال الفراء: وألِف ﴿أَنْهُمْ﴾ مفتوحة، لأن المعنى: ألم يَرُوا أنَّهم إليهم لا يرجِعون وقد كسرها الحسن، كأنه لم يُوقِع الرؤية على «كم»، فلم يوقعها على «أنَّ»، وإن استأنفتَها كسرتَها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ لَمَا﴾ وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿لَمَّا ، بالتشديد، ﴿جَيِيُّم لَدَيْنَا مُحْمَرُونَ﴾ أي: إن الأمم يُحضَرون يوم القيامة، فيجازَون بأعمالهم(٢). قال الزجاج: من قرأ اللَّمَا، بالتخفيف، فـ (ما) زائدة مؤكِّدة، والمعنى: وإنْ كُلِّ لَجميعٌ، ومعناه: وما كُلِّ إلَّا جميع لدينا مُحضَرون. ومن قرأ ﴿لَمَّا ۗ بالتشديد، فهو بمعنى ﴿إلَّا ۗ تقول: «سألتُكَ لَمَّا فَعلتَ» واإلَّا فعلتَ». ﴿ وَهَ اللَّهُ مُلَّامُ ٱلأَرْضُ ٱلْمَيَّتَةُ ﴾ وقرأ نافع: «المَيْتَةُ » بالتشديد، وهو الأصل، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز؛ و«آيةٌ» مرفوعة بالابتداء، وخبرها «لهم»، ويجوز أن يكون خبرها «الأرضُ الميتةُ»؛ والمعنى؛ وعلامةٌ تدلُّهم على التوحيد وأنَّ الله يَبْعَثُ الموتى أحياءً: الأرضُ الميتةُ.

قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ يعنى ما يُقتات من الحبوب.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمَلُنَا فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ يعنى في الأرض.

قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُانُا مِن شَرِمِيهُ يعني النخيل، وهو في اللفظ مذكَّر. ﴿ وَمَا عَبِلَتُهُ ٱلَّذِيهِ ﴿ قَمَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عَمِلَتْهُ، بهاءٍ. وقرأ حمزة، والكساثي، وأبو بكر عن عاصم: «عَمِلَتْ، بغير هاءٍ. والهاء مُثْبَتة في مصاحف مكة والمدينة والشام والبصرة، ومحذوفة من مصاحف أهل الكوفة. قال الزجاج: موضع «ما» خفض؛ والمعنى: ليأكُلوا من ثمره وممًّا عملَتْه أيديهم؛ ويجوز أن يكون «ما» نفياً؛ المعنى: ولم تعمله

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ فَإِنَّا ثُمُّ خَكِيدُونَ ﴾: فإذا هم هالكون.

 ⁽۲) قال ابن كثير: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلّها خيرها وشرها، قال:
 ومعنى هذا كقوله جل وعلا: ﴿ وَإِنَّ كُلَّدُ لَنَّا لِبُرْئِينَتُهُمْ وَيُّكَ أَعْمَالُهُمْ ۗ . اهم.

أيديهم، وهذا على قراءة من أثبت الهاء، فإذا حُذفت الهاء، فالاختيار أن تكون الما في موضع خفض، وتكون بمعنى اللذي، فيخسُن حذف الهاء؛ وكذلك ذكر المفسِّرون القولين، فمن قال بالأول، قال: ليأكُلوا ممَّا عملتُ أيديهم، وهو الغُروس والحُروث التي تعبوا فيها، ومن قال بالثاني، قال: ليأكُلوا ما ليس من صُنعهم، ولكنه مِنْ فِعل الحق وَاللهُ ﴿أَفَلَا لِمُعْرُونَ ﴾ الله تعالى فيوخدوه؟! ثم نزَّه نفسه بقوله: ﴿مُبَّحَنُ اللَّهُ عَلَقَ الْأَنْوَاجَ كُلَهَا ﴾ يعني الأجناس كلَّها ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْآرَيْنُ ﴾ من الفواكه والحبوب وغير ذلك ﴿وَمِنَّ أَنفُسِهِم ﴾ وهم الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمَّلُمُونَ ﴾ من دوابً البَرِّ والبحروغير ذلك مَّا مَا للهُ عَلَى عَلْمه .

﴿ وَمَايَدُ ۚ لَهُمُ اَلَيْلُ مَنْكُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ جَنوى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَمَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْمَهِرِ الْمَلِيدِ ۞ وَالشَّمْسُ بَلْبَنِي لَمَاۤ أَن تُدُوكَ الْفَتَرُ وَلاَ الْبَالُ سَابِقُ النَّهَارُ وَكُلُّ فِي فَلكِ مِسْتِحُونَ ﴾ يَسْبَحُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَايَدُ لَهُمُ البَّلُ شَلَحُ مِنْهُ البَّهَارَ ﴾ أي: وعلامة لهم تدل على توحيدنا وقدرتنا الليل نسلخ منه النهار؛ قال الفراء: نرمي بالنهار عنه، وهمنه بمعنى «عنه». وقال أبو عبيدة: تُخْرِجُ منه النهار ونميزه منه فتجيء الظّلمة، قال الماوردي: وذلك أنّ النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم. وقوله: ﴿ فَإِذَا هُمْ مُقْلِمُونَ ﴾ أي: وآيةً لهم الشمس ﴿ مَتَرِى لِمُسْتَقَرِّ لَهَا ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: إلى موضع قرارها ؛ وي الظّلام. ﴿ وَالشّمْشُ ﴾ أي: وآيةً لهم الشمس ﴿ مَتَرِى لِمُسْتَقَرِّ لَهَا ﴾ وفيه أربعة أقوال: احدها: إلى موضع قرارها ؛ روى أبو ذر قال: سألتُ رسول الله يَتِهُ عن قوله: (لِمُسْتَقَرِّ لها) قال: (مُسْتَقَرَّها مَعْرِبُها لا تجاوزُه ولا تقصر عنه، قاله مسجُد بين يَدَى وبنها، فنستأذِنُ في الظُّلُوع، فيؤذنُ لها، (). والثاني: أنّ مُسْتَقَرَّها مَعْرِبُها لا تجاوزُه ولا تقصر عنه، قاله مجاهد. والثالث: لوقت واحدٍ لا تعدُوه، قاله قتادة. وقال مقاتل: لوقت لها إلى يوم القيامة. والرابع: تسير في منازلها مجاهد. والثالث: وقال ابن قتية: إلى مُسْتَقَرَّ لها، وألى السائب. وقال ابن قتية: إلى مُسْتَقَرِّ لها، والمعنى أنها تجرى أبداً، لا تثبت في مكان وعكرمة، وعليّ بن الحسين، والشيزري (١) عن الكسائي: ﴿ لا مُسْتَقَرَّ لها، والمعنى أنها تجري أبداً، لا تثبت في مكان وعكرمة، وعليّ بن الحسين، والشيزري (١) عن الكسائي: ﴿ لا مُسْتَقَرَّ لها، والمعنى أنها تجري أبداً، لا تثبت في مكان واحد.

⁽١) رواه البخاري في فصحيحه ٢/ ٢١٤ و١٦/ ٢٥٠، و٣٥٠ ومسلم ١٣٩/١، والترمذي ٢/ ١٥٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «المدر» ٥/٣٦٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات؛ عن أبي فر ﷺ. قال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: المستقر لها؛ قولان: أحلهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفها، والقول الثاني: أن المراد بمستقرها، هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوّر وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. وقال الامام النووي في فشرح مسلمه ٢/ ١٩٥ : وأما قوله ﷺ في الحديث الآخر في الشمس: «مستقرها تحت العرش فتخرُّ ساجدة»: فهذا مما اختلف المفسرون فيه، فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي: وعلى هذا القول، إذا غريت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها، وقال قتادة ومقاتل: معناه: تجري إلى وقت لها وأجل لا تتعداه، قال الواحدي: وعلى هذا مستقرها انتهاه سيرها هند انقضاه الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهيّ إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها، واختار ابن قتيبة هذا القول، والله أعلم. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العوش: أنها تستقر تحته استقراراً لا نحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى: أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في صيرها. قلت (أي الحافظ ابن حجر): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار السير الدائم المعبّر عنه بالجري، والله أعلم. قال الامام النووي في فشرح مسلمه: وأما سجود الشمس، فهو بتمييز وإهراك بخلق الله تعالى فيها، وقال الحافظ ابن حجر في اللفتح»: قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها، وهو صحيح ممكن، وتأوُّله قوم على ما هي عليه من التسخير اللائم، قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال، فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين. وقال ابن حجر: قال ابن بطال: استثنان الشمس معناه أن يخلق فيها حياة يوجِد القول عندها، لأن الله قادر على إحياء الجماد والموات، قال: وقال غيره: يحتمل أن يكون الاستثلان أسند إليها مجازاً، والمراد من هو موكل بها من

⁽٢) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي، قال ابن الجزري في «طبقات القراء»: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، وله عنه انفرادات.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذُكِر من أمر الليل والنهار والشمس ﴿نَقَدِيرُ ٱلْمَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿ الْمَلِيـرِ﴾ بما يقدُّر.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «والقَمَرُ ، بالرفع، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «والغَمَرَ » بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالنصب. فالمعنى: وقدَّرْنا القمر قدَّرناه منازل، ومن قرأ بالرفع، فالمعنى: وآية لهم القمرُ قدَّرْناه، ويجوز أن يكون على الابتداء، و«قدَّرْناه الخبر(). قال المفسُّرون: ومنازلُ القمر ثمانيةٌ وعشرون منزِلاً ينزِلها من أوَّل الشَّهر إلى آخره، وقد سمَّيناها في سورة آيونس: ٥]، فإذا صار إلى آخر منازله، دَقَّ فعاد كالعُرجون، وهو عود العِذْق الذي تركته الشماريخ()، فإذا جفَّ وقَدُم يُشبه الهلال. قال ابن قتيبة: و«القديم» هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْلٌ، شُبَّه القمرُ آخِرَ ليلةٍ يطلُع به. قال الزجاج: وتقدير «عُرجون»: فُعلون، من الانعراج. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، وعاصم الجحدري، وابن السمينع: «كالعِرْجُون» بكسر العين.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ بِلَنِي لَمْا أَن تُدُرِكُ الْنَمَرُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدهما بين يَدَي الآخر، فلا يشتركان في المنازل، قاله ابن عباس. والثاني: لا يُشيِه ضوءُ أحدهما ضوءَ الآخر، قاله مجاهد. والثالث: لا يجتمع ضوءُ أحدهما مع الآخر، فإذا جاء سُلطان أحدهما ذهب سُلطان الآخر، قاله قتادة؛ فيكون وجه الحكمة في ذلك أنه لو اتصل الضوء، لم يُعرف الليل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا اَلْيَلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وعاصم الجحدري: "سابِقٌ، بالتنوين "النَّهارَ» بالنصب، وفيه قولان: أحدهما: لا يَتقدَّم الليلُ قبل استكمال النهار. والثاني: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهارٍ فاصل بينهما. وباقي الآية مفسَّر في سورة [الانياء: ٣٣].

﴿ وَمَايَةً لَمَّتُمْ أَنَا حَمَلَنَا ذُيْزِنَتُهُمْ فِى اَلْفُلُكِ الْمَشْخُونِ ۞ وَنَلَقْنَا لَهُم مِن يَشْلِدِ مَا بَرْكِبُونَ ۞ وَلِن نَشَأ نُشْرِقَهُمْ فَلا صَرِيخَ لَمُمْ وَلَا هُمْ يُمَقَدُونَ ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَنتَمَا إِلَى حِبنِ ۞ وَإِنَا قِبلَ لَمَمُ انْقُواْ مَا بَيْنَ اَلْدِيكُمْ وَمَا خُلْفَكُو لَعَلَكُو لَوَّكُونَ ۞ وَمَا تَأْتِيمٍ مِنْ ءَابَخِ مِنْ مَالِتِ رَبِّهِمْ إِلَا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَايَةٌ لَمُمْ أَنَا حَلْنَا ذُرِيَّتُهُمْ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: ﴿فُرِيَّاتِهِمْ على الجمع ؛ وقرأ الباقون من السبعة : ﴿فُرِيَّتُهُمْ على التوحيد. قال المفسِّرون : أراد : في سفينة نوح ، فنسب الذَّرِيَّة إلى المخاطبين ، لأنهم من جنسهم ، كأنه قال : ذُرِيَّة الناس . وقال الفراء : أي : ذُرِيَّة مَنْ هو منهم ، فجعلها ذُرِيَّة لهم ، وقد سبقتهم . وقال غيره : هو حَمْلُ الأنبياء في أصلاب الآباء حين رَكِبوا السفينة ، ومنه قول العباس :

بَسلْ نُسطُ فَةٌ تَسرُكُبُ السَّفِيسِنَ وقَد أَلْدِيمَ نَسْسِراً وأَهْلَهُ السِّغَسِرَقُ (٣)

قال المفضّل بن سلمة: اللَّرِيَّة: النَّسُل، لأنهم مَنْ ذرأهم الله منهم، واللَّرِّيَّة أيضاً: الآباء، لأن اللَّرَّ وقع منهم، واللَّرِيَّة أيضاً: الآباء، لأن اللَّرَّ وقع منهم، فهو من الأضداد، ومنه هذه الآية، وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿ وُرِيَّةً بِسَنْهَا مِنْ بَشِوْتُ ﴾ [آل عمران: ٣٤]؛ والمشحون: المملوء.

قوله تعالى: ﴿وَنَاتَقَنَا لَمُم مِن مِّنْالِمِهِ فيه قولان: أحدهما: مِثْل سفينة نوح، وهي السُّفُن، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس، ويه قال الضحاك، وأبو مالك، وأبو صالح، والمراد بهذا ذِكْر مِنَّته بأن خَلَق الخشب الذي تُعمَل منه السُّفُن. والثاني: أنها الإبل، خَلَقها لهم للرُّكوب في البَرِّ مثل السُّفُن المركوبة في البحر، رواه العوفي عن ابن عباس، ويه قال مجاهد، وعكرمة، وعن الحسن وقتادة كالقولين (٤).

⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

⁽٢) الشماريخ: الشعب التي على العلق، واحدها يُسمراخ وشُمروخ، وكلي غصن له شعب فهي شماريخ، والشمراخ: الذي عليه بسر وأصله في العذق.

⁽٣) البيت للعباس بن عبد المطلب على عم النبي على في شعر يمدح به رسول الله على وهو في «اللسان» واالتاج»: تسر. قال ابن الأثير: يريد (أي بالنسر) الصنم الذي كان يعبده قوم نوح، على نبيناً وعليه الصلاة والسلام.

 ⁽³⁾ قال ابن جرير الطبري: وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عنى بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿ وَإِن ثِنَا نَشْرِفَهُمْ فَلَا صَرِيعٌ فَيْحٍ على أن ذلك كناك أن الغرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البرِّ. اهـ. وقال ابن كثير: ويقوِّي هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا: ﴿ إِنَا لَنَا اللَّهُ مَنْتُكُمُ فِي لَلْجَلَّهَا لَكُمْ تَشْرُكُونُ وَلَيْجًا أَذُهُ وَيَهِمُ اللَّهُ مَنْكُمُ وَلَا لَعِلَى الْجَلَقِيلُ لَكُمْ تَنْكُونُ وَلَيْجًا أَذَهُ وَيَهِمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَلَيْجًا أَذَهُ وَيَهِمُ اللَّهِ وَلَهُ جَلَا لَكُمْ تَشْرُكُونُ وَلَيْجًا أَذُهُ وَيُهِمُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلًا اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلَيْجًا أَذُهُ وَيُهِمُ اللَّهِ وَلَهُ جَلَا اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلَيْجًا أَنْهُ وَيَهِمُ اللَّهُ وَلَيْحُ اللَّهُ وَلَمْ عَلَيْكُونُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَلَهُ عَلَيْكُونُ وَلَيْحَالِمُ اللَّهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِنَا اللَّهُ وَلَا عَلَيْكُونُ وَلِهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِمُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلًا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلًا عَلَيْكُونُ وَلِمُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلًا عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِهُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ وَلِمْ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِلْلُهُ عَلَيْكُونُ وَلِلْ إِلَّالِي لَا عَلَيْكُونُ وَلِلْكُونُ وَلِكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِي اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلًا لِيلًا عَلَيْكُونُ وَلِيلًا لِيلًا لِهُ عَلَيْكُونُ وَلِيلُهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِلْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَاللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلْكُونُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْلُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَاللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ إِلَّا عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْلُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْلُولُونُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُولُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَّا اللّهُ عَلْمُ عَلَّا الللّهُ عَلْل

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيمَ لَمُمَّ﴾ أي: لا مُغيثَ ولا مُجِير ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: ينجون من الغرق، يقال: أنقَذه واستنقَذه: إذا خلَّصه من المكروه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ المعنى: إلا أن نرحمهم ونمتِّعهم إلى آجالهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِبِلَ أَمْمُ ﴾ يعني الكُفَّار ﴿اتَقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُو ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: «ما بين أيديكم»! ما مضى من الذُّنوب، قاله مجاهد. والثاني: [«ما بين أيديكم»] أن ما تقدّم من عذاب الله للأُمم، «وما خلفكم» من أمر الساعة، قاله قتادة. والثالث: «ما بين أيديكم» من الدنيا، «وما خَلْفكم» من عذاب الآخرة. قاله سفيان. والرابع: «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة، «وما خَلْفكم» من أمر الدنيا فلا تفتروا بها، قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَمَلَكُم نُرْحُونَ ﴾ أي: لتكونوا على رجاء الرحمة من الله. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: إذا قبل لهم هذا، أعرضوا ؛ ويدُلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ أي: من دلالة تدل على صدق الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِبَلَ لَمُمْ أَنْتِقُوا ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في اليهود، قاله الحسن. والثاني: في الزنادقة، قاله قتادة. والثالث: في مشركي قريش، قاله مقاتل؛ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين النصيب الذي زعمتم أنه لله من الحرث والأنعام، فقالوا: ﴿أَنْلُومُ مَن لَوْ يَشَاهُ أَللّهُ أَلْمَعُهُ ﴾. وقال ابن السائب: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين، قال: اذهب إلى ربّك فهو أولى بك مني، ويقول: قد منعه الله، أطعمه أنا؟! (٢) ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نُطْهِمهم؛ وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً، ليبلو الغنيّ بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة، والمؤمن لا يعترض على المشيئة، وإنما يوافق الأمر. وقيل: إنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء. وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلّا فِي صَلَللِ مَنْ عَولان: أحدهما: أنه من قول الكفار للمؤمنين، يعنون: إنكم في خطأ من اتباع محمد. والثاني: أنه من قول الله للكفار لما ردُّوه من جواب المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَنَىٰ هَذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ يعنون القيامة؛ والمعنى: متى إنجاز هذا الوعد ﴿إِن كُنتُمْ مَئدِقِنَ ﴾؟ يعنون محملاً وأصحابه. ﴿مَا يَنظُرُونَ ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلّا صَيْحَةُ وَحِي النفخة الأولى. و﴿يَغِيمُونَ ﴾ بمنى يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَخَصِّمُونَ » بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وروي عن أبي عمرو اختلاس حركة الخاء. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: «يَخِصِّمُونَ » بفتح الياء وكسر الخاء. وعن عاصم كسر الياء والخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء وتشديد الصاد. وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي: يَخْصِمُ بعضهم بعضاً. وقرأ أُبيُّ بن كعب: «يختصمون» بزيادة تاء؛ والمعنى أن الساعة تأتيهم أغفلَ ما كانوا عنها وهم متشاغلون في متصورًاتهم وبيعهم وشرائهم، ﴿وَلَلَ يَسْتَوْلِيمُونَ تَوْسِيَةَ ﴾ قال مقاتل: أعجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلاَ إِلَٰ أَمْلِهِمْ يَرْحِمُونَ ﴾ أي: لا يعودون من الأسواق إلى منازلهم؛ فهذا وصف ما يَلْقُون في النفخة الأولى. ثم ذكر ما يَلْقُون في النفخة الثانية

⁽١) زيادة ليست في الأصل

⁽٢) ذكر هذا المعنى الخازن في «تفسيره»، ولم ينسبه لابن السائب ولا غيره، بل قال: قيل: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين... إلخ، والله أعلم. قال الألوسي: وظاهر ما تقدم يقتضي أنها نزلت في كفار مكة، أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله تعالى، وهو عام في الإطعام وغيره، فأجابوا بنفي الإطعام الذي لم يزالوا يفتخرون به، دلالة على نفي غيره بالطريق الأولى. اهـ.

فقال: ﴿وَلَيْخَ فِي ٱلصَّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ عِني القبور؛ ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَسِلُونَ ﴾ أي: يخرجون بسرعة (١)، وقد شرحنا هذا المعنى في سورة [الانبياء: ٩٦]. ﴿قَالُواْ يَوْيَلْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مِّرَقِينًا ﴾ (٢) وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، والضحاك، وعاصم المجحدري: "مِن بعُثِنا "بكسر الميم والثاء وسكون العين. قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين. قال أبي بن كعب: ينامون نومة قبل البعث، فإذا بمعثوا قالوا هذا.

قوله تعالى: ﴿ هَنَا مَا وَعَدَ الرَّهَنَ ﴾ في قائلي هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى. قال قتادة: أول الآية للكافرين، وآخرها للمؤمنين. والثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله اللحسن. والثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أننا نبعث ونجازى، قاله ابن زيد (٢٠). قال الزجاج: "من مرقدنا» هو وقف التمام، ويجوز أن يكون «هذا» من نبعت «مرقدنا» على معنى: مَنْ بعثنا مِنْ مرقدنا هذا الذي كنّا راقدين فيه؟ ويكون في قوله: "ما وعد الرَّحمنُ الحد إضمارين، إما «هذا»، وإما «حق»، فيكون المعنى: حقِّ ما وَعد الرَّحمنُ (٤). ثم ذكر النفخة الثانية، فقال: ﴿إِن كَانَتُ إِلّا مَيْحَةٌ وَحِدَةٌ ﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى توله: ﴿إِنَّ أَسْحَنَبُ المِنْيَةُ الْكِوْمُ ﴾ يعني في الآخرة ﴿إِن شُئلُ قوراً ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «في شُعُلُ بإسكان الغين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «في شُعُلُ بضم الشين والغين. وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وأبوب السختياني: «في شُعُلُ بفتح الشين والغين. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والمجحدري: «في شُعُلُ بفتح الشين وسكون الغين ومون الغين أوبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والمجحدري: «في شُعُلُ بفتح الشين وسكون الغين وبه قال سعيد بن المسيّب، وقتادة، والضحاك. والثاني: ضرب والمقيق عن ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيّب، وقتادة، والضحاك. والثاني: ضرب الأوتار، رواه عكرمة عن ابن عباس (٢٠)؛ وعن عكرمة كالقولين، ولا يثبت هذا القول. والثالث: النعمة، قاله مجاهد. وقال الحسن: شغلهم: نعيمهم عمَّا فيه أهل النار من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ فَكِكِهُونَ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وقتادة، وأبو الجوزاء، والنخعي، وأبو جعفر: «فَكِهُون». وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن بينهما فرقاً. فأما «فاكهون» ففيه أربعة

⁽١) روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ها بين النفخين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أَبَيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أبيتُ، في إلا يبلى، إلا عظماً واحداً أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: (وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو حُجّب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة، متنق عليه، واللفظ لمسلم، وممنى قول أبي هريرة: (أبيتُ»؛ امتحت عن الجواب لأني لا أدري ما هو الصواب. وهمجب الذنب؛ هو العظم الذي في أسفل الصلب، وهو رأس المُصمص، ويقال له: (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الأدمي، وهو الذي يقى من الإنسان ليعاد تركيب الخلق عليه.

 ⁽٢) قال ابن كثير: يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذَّبوا به في محشرهم ﴿ فَالْوا يُنَوَلَنَا مَنْ يَشَنَا مِن
 مُرْقِينًا ﴾؟ قال: وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. اهـ.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قِيلهم: ﴿مَنَا بَمَتَنَا مِن مُرَقِينًا مَنَاكُ وَلِيل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهّالاً، ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك. اهد. قال ابن كثير: وهذا أصح، وذلك كقوله تبارك وتعالي في (المصافات): ﴿وَقَالُوا بَيْنَاكُ هَنَا إِنْهِ النِّينِ ﴿ هَ مَنَا يَتُم النَّسَلِ اللَّهِ كُثُمُ مِن لَكُ مُنْهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّلْحُلْحُلُولُولُولُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللَّالَ اللَّل

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وفي قوله: (هذا» وجهان، أحدهما: أن تكون إشارة إلى (ما» ويكون ذلك كلاماً مبتدءاً بمد تناهي الخبر الأول بقوله: ﴿ فَنَ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهُ

 ⁽٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين، أو بضم الشين وسكون الغين، بأي ذلك قرأه القارئ فهو مصيب، لأن
 ذلك هو القراءة المعروفة في قرًاء الأمصار مع تقارب معنييهما، قال: وأما قراءته بفتح الشين والغين، فغير جائزة عندي، لإجماع الحجة من القرًاء على خلافها. اهـ.

⁽١) قال ابن كثير: وقال ابن عباس على في رواية عنه: ﴿ فِي شُفُلِ ذَكِكُونَ ﴾ أي: بسماع الأوتار، قال: وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار. اهد. والاقتضاض والاقتضاض بمعنى واحد.

أقوال: أحدها: فَرِحون، قاله ابن عباس. والثاني: مُعْجَبُون، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل. والرابع: ذوو فاكهة، كما يقال: فلانٌ لابِنِ تامِر، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما ففَكِهون، ففيه قولان: أحدهما: أن الفَكِه: الذي يتفكّه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلاتاً لفَكِه بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكاهَة، قاله أبو عبيدة. والثاني: فَكِهين بمعنى فَرِحين، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فاكِهين وفكِهين بمعنى واحد، كما يقال: حافِرٌ وحَفِرٌ، قاله الفراء. وقال الزجاج: فاكِهون وفكِهون بمعنى فَرحين. وقال أبو زيد: الفَكِه: الطيّب النَّفْس الضَّحوك، يقال: رجل فاكِه وفكِه (١٠).

قوله تعالى: ﴿مُمْ وَالْفَاجُمُرُ ﴾ يعني حلائلهم ﴿ فِي ظِلَالِ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: • في ظُلَلٍ ﴾ قال الفراء: الظّلال جمع ظِلّ ، والظَّلَل جمع ظِلّ ، والظَّلَل جمع ظُلّة أيضاً ، كما يقال: خُلّة وخُلَل ؛ فإذا كثرت فهي الرخلال والحِلال والقِلال. قال مقاتل: والظّلال: أكنان القصور. قال أبو عبيدة: والمعنى أنهم لا يَضْحَوْنَ. فأما الأرائك، فقد بيناً ها في سورة (الكهف: ٣١).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَّا يَكَعُونَ﴾ قال ابن قتيبة: ما يَتَمَنُّونَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرِ ما ادَّعى، أي: ما تَمَنَّى، والعرب تقول: ادَّع ما شئت، أي: تَمَن ما شئت. وقال الزجاج: هو مأخوذ من الدُّعاء؛ والمعنى: كلَّ ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. وقوله: ﴿سَلَمٌ ﴾ بدل من قماء؛ المعنى: لهم ما يتمنَّون سلام، أي: هذا مُنى أهل الجنة أن يُسلِّم الله عليهم (٢). و﴿قَوَلا ﴾ منصوب على معنى: سلام يقوله الله قولاً. قال أبو عبيدة: قسلامٌ وفع على قلهم ؛ فالمعنى: لهم عليهم فاكهة ولهم فيها سلام. وقال الفراء: معنى الكلام: لهم ما يدَّعون مسلَّم خالص، ونصب القول، كأنكَ قلت: قاله قولاً، وإن شئت جعلته نصباً من قوله: ولهم ما يدَّعون قولاً، كقولكَ: عِدَةً من الله. وقرأ ابن مسعود، وأبيُّ بن كعب، والجحدري: قسلاماً قولاً بنصبهما جميعاً.

﴿ وَامْتَنُوا الْنِيْمَ آئِبًا الْمُجْرِمُونَ ۞ ۞ اَلَرَ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَنَتِينَ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانِّ إِنَّهُ لَكُو عَدُّقٌ شُبِينٌ ۞ وَأَنِ اَعْبُدُونِ عَدَا مِنَوْلُ مُسْتَفِيدٌ ۞ وَلَقَدْ أَمْنَلَ مِنكُرْ جِبِلًا كَثِيرًا ۚ آلَامَ تَكُونُوا تَمْقِلُونَ ۞ مَدْدِهِ جَهَتُمُ الَّنِي كُشُرُ وُعَدُونَ ۞ اَصْلَوْهَا الْنِيْمَ بِمَا كُشُدُ تَكُمُّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالْمَتْنُوا الْيُرْمَ اللّٰهِ اللّٰمُجِرُدُنَ ﴿ قَالَ ابن قتيبة: أي: انقطِعوا عن المؤمنين وتميَّزوا منهم، يقال: برن الشيء من الشيء: إذا عزلته عنه، فانماز وامتاز، وميَّزتُه فتميَّز. قال المفسرون: إذا اختلط الإنس والجن في الآخرة، قيل: ﴿ وَلَنْتَنُوا الْيُومُ اللّٰهِ اللّٰمُحِرُدُنِ ﴾، فيقال للمجرمين: ﴿ اللّٰهِ اللّٰمُ اللّٰهُ اللّٰمُحِرُدُنَ ﴾ أي: ألم آمركم، أو أوصِكم؟ قوتعبُدوا، بمعنى تطيعوا، والشيطان هو إبليس، زيَّن لهم الشَّرك فأطاعوه، ﴿ إِنَّمُ لَكُرْ عَدُونُ مَبُرِنَ ﴾ ظاهر العداوة، أخرج أبويكم من الجنة. ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ﴿ وَأَنُا عِبُولُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ بعني التوحيد. ﴿ وَلَقَدْ أَسَلَ مِيرَا مُسَلِقً مُسْتَقِيمٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿ جُبُلاً ﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: ﴿ وَبُلاً مِرَا اللهم وقرأ على بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، والأعمش: ﴿ جُبُلاً ﴾ بضم الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميفع: ﴿ جِبْلا ﴾ بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمران الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو العالية: المجيم وابن المتوكل، ومعنى الكام، وقرأ أبو عمران الجوني، وعمرو بن دينار: ﴿ جَبَلاً ومكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو العالية: وابن عمران الجوني، وعمرو بن دينار: ﴿ جَبَلاً ومكسر الجيم وفتح الباء وبألف. ومعنى الكلمة كيف تصرّفت في هذه اللغات: الخَلْق والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضل منكم والجيم مفتوحة الباء وبألف. ومعنى الكلمة كيف تصرّفت في هذه اللغات: الخَلْق والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلًا منكم والجيم مفتوحة الباء وبألف. ومعنى الكلمة كيف تصرّفت في هذه اللغات: الخَلْق والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلًا منكم

⁽١) قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف ﴿ نَكِهُونَهُ لأن ذلك هو القراءة المعروفة. اهـ.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون ﴿ سَلَنْمُ عَبِهِ خبراً لقوله: ﴿ وَلَمُ مَا يَدَّعُونَ ﴾ خبراً لقوله: ﴿ وَلَمُ مَا يَدَّعُونَ ﴾ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم. اهـ.

خَلْقاً كثيراً ﴿آفَلَتُم تَكُونُوا تَمْقِلُونَ﴾؟؛ فالمعنى: قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك؟! وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر: "أفلم يكونوا يعقلون، بالياء فيهما، فإذا أُذْنُوا إلى جهنم قيل لهم: ﴿مَنوْمِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُرٌ تُومَدُونَ ۞﴾ بها في الدنيا ﴿آشَلَوْمَا﴾ أي: قاسُوا حَرَّها.

﴿ الْغِرْمَ غَفِيْدُ عَلَىٰ اَفْرُهِهِمْ رَئُكُلِمُنَا اَبْدِيمْ وَتَغَهَدُ اَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ رَلَوْ نَشَاءُ لطَمَسْنَا عَلَىٰ اَعْشِيمْ عَاسْنَبَغُوا الْمِسْرَطَ فَالْفُو يُعْمِدُونَ ۞ رَمَن لُمَدِرُهُ لَنَكِسْهُ الْمُسْرَطَ فَالَّنَ الْمُعْرِدِينَ ۞ وَمَن لُمَدِرُهُ لَنَكِسْهُ وَلَا يَعْمِدُونَ ۞ وَمَن لُمَدِرُهُ لَنَكِسْهُ وَلَا يَعْمِدُونَ ۞ وَمَن لُمَدِرُهُ لَنَكِسْهُ وَلَا يَعْمِدُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَسَنا عَلَىٰ أَعْيُمِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولو نشاء لأذهبنا أعينهم حتى لا يبدو لها شقّ ولا جَفْن. والمطموس: الذي لا يكون بين جفنيه شقّ، ﴿ قَاسْتَبَقُوا الهِسَرَطَ ﴾ أي: فتبادروا إلى الطريق ﴿ قَالَدَ عُبْرُون ﴾ [أي]: فكيف يُبْصِرون وقد أعمينا أعينهم؟! وقرأ أبو بكر الصّدين، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء: «فاستَبِقوا» بكسر الباء «فأنّى تُبْصِرون» بالتاء. وهذا تهديد لأهل مكة، وهو قول الأكثرين. والثاني: ولو نشاء لأضللناهم وأعميناهم عن الهدى، فأنّى يُبْصِرون الحقّ؟! رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ولو نشاء لفقانا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيّهم وحوّلنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا رشدهم، فأنّى يُبصِرونَ ولم أفعل ذلك بهم؟! روي عن جماعة منهم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَسَكَةُ لَتَسَخْنَاهُم ۚ عَلَىٰ مَكَاتِهِم ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: "على مكاناتهم"؛ وقد سبق بيان هذا [البقرة: ١٥]، وفي المراد بقوله: "لمَسَخْناهم" أربعة أقوال: أحدها: لأهلكناهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لجعلناهم حجارة، قاله أبو صالح، ومقاتل. والرابع: لجعلناهم قردة وخنازير لا أرواح فيها، قاله ابن السائب. وفي قوله: ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِينًا وَلا يَرْجِعُونِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فما استطاعوا أن يتقدّموا ولا أن يتأخّروا، قاله قتادة. والثاني: فما استطاعوا مُضِينًا عن العذاب، ولا رجوعاً إلى الخِلقة الأولى بعد المسخ، قاله الضحاك. والثالث: مُضِينًا من الدنيا ولا رجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ وَبَن نُمَيِّرُهُ نُتَكِّسُهُ فِي النَّانِيَ ﴾ قرأ حمزة: «نُنَكِّسُه» مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية؟ والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد (۱)؛ وعن عاصم كالقراءتين. ومعنى الكلام: من نُطِلُ عمره ننكُس خَلْقَه، فنجعل مكان القرَّة الضَّعِف، وبدل الشباب الهرم، فنردُّه إلى أرذل العمر. ﴿ أَلِلَا يَعْقِلُونَ ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «أفلا تعقلون» بالناء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعقلون أنَّ مَنْ فعل هذا قادر على البعث؟!

﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبَغِي لَهُۥ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ رَقْرَانٌ ثُبِينٌ ۞ لِيُمنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَ الْفَرْلُ عَلَى الْكَفِرِينَ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ الشِّعْرِ ﴾ قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا: إنَّ هذا القرآن شِعْر وإن محمداً شاعر،

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن التي عليها عامة قرّاء الكوفيين أعجب إليّ، لأن التنكيس من الله في الخلق إتما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فذلك تأييد للتشديد. اهـ.

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَمْنَكُ ٱلشِّمْرَ وَمَا يَلْبَغِى لَائِهِ أَي: ما يتسهَّل له ذلك. قال المفسرون: ما كان يَتَزن له بيتُ شِعر، حتى إنه روى عنه ﷺ أنه تمثَّل يوماً فقال:

(كَفَفَى بِالإِسلام والسَّشَيْبِ لِلْمَوْءِ نساهِياً)

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر:

كَفِّي السُّدِّيبُ والإسلامُ لِللَّمَ رُءِ نَاهِياً (١)

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، لم يقل كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: الا يَضُرُّكَ بأيّهما بدأتَ، فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشَّعر⁽¹⁾. وتمثَّل يوماً، فقال:

الويَساتِسيكَ مَسنُ لسم تُسزَوُدهُ بسالاً خسبَسادِا(٥)

فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إنَّي لستُ بشاعر، ولا ينبغي لمي»(١). وإنما مُنِعَ من قول الشُّعر،

(۱) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وهو في «ديوانه» ١٦، و«مجمع البيان» ٣٧/٣٧، و«البحر المحيط» ٧/ ٣٤٥، و«القرطبي» ١٥٠/٥٥، و«اللسان»: نهى، وهو بتمامه:

مُستَسيْسرة وَهُعُ إِن تَسجَسهُسرَت غَساديا كَفَي الشَّيْبُ والإسلامُ لسلمرهِ نساهِياً

- (٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن البصري قال: إن رسول اله ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت «كفي بالإسلام والشبب للمرء ناهياً» قال أبو بكر ﴿ عَلَى: يا رسول الله «كفي الشيب والإسلام للمرء ناهياً» قال أبو بكر أو عمر ﴿ تَهُا المُهدُ أنك رسول الله ، يقول تعالى: ﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ ٱلنَّفِرَ وَمَا يَلْبَيْنِ لَكُنْ ﴾ . اهد. وهذا الحديث مرصل، وفي صنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. والحديث ذكره السيوطي في «المدر» (٢٦٨/ من رواية ابن أبي حاتم، وزاد نسبته لابن صعد، والمرزباني في «معجم الشعراء» عن الحسن ﴿ مرصلاً أن النبي 政 كان يتمثل بهذا البيت.
- (٣) البيت لعباس بن مرداس، وهو في البحر المحيطة ٧/ ٣٤٥، والقرطبي، ١٥/ ٥٦، واروح المماني، ٢٣/ ٤٥، واللسان، والتاجي: نهب، وصوابه موزوناً:

أتَّ جُمَّلُ نَسَهُ بِسِي ونَسَهُ بَ السميميد ديسيدن عُسيَ يُسَادَ عَ والأقسرَع؟

- (٤) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية البيهقي في «الدلائل»، وأورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٦٨ من رواية ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد رهية أن النبي على قال للعباس بن مرداس: «أرأيت قولك»: «أصبح نهبي ونهب المعبيد بين الأقرع وعيينة». . . إلخ، وفيه انقطاع، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ويقال له: عبد الله بن ذكوان المدني، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب».
- (٥) البيت لطرفة بن العبد البكري، وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ١/٣٢٣، و«مجمع البيان» ٢٣/٥٤، و«البحر المحيط» ٧/٥٤، و«القرطبي» ١٥/

سَنُّ بَيْدِي لَسِكَ الأيسامُ مسا كُنْتَ جساهِسلا ويساتسيسك بسالاخسيسار مسن لسم تُسزَوَّه

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث هثيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة ، قالت: كان رسول الله 義 إذا استراب الخبر تمثّل فيه بيت طرفة وريأتيك بالأخبار من لم تزوّد»، وذكره السيوطي في فالدر» ٢٦٨/٨ من رواية ابن أبي شية عن عائشة ، بنا اللفظ. قال ابن كثير: وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها، قال: ورواه الترمذي والنسائي أيضاً من حديث المقدام بن شريح بن هانغ عن أبيه عن عائشة ، كذلك، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهد والحديث رواه الطبري في «التفسير» ٢٧/٢٦» من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قبل لعائشة في العائشة في الله يعمل المنافقة في العائشة والده وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي وذكره السيوطي في «الدر» ٢٦٨/٢ بهذا اللفظ عن عائشة وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأورده أيضاً من رواية ابن أبي شببة عن عبد الله بن عباس في قال: كان رسول الله في يتمثل من الأشعار ويأتيك بالأخبار من لم تزوده. اهد. قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أنه كله تمثّل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة في، ولكن تبماً لقول أصحابه في، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون:

لثلا تدخُل الشُّبهة على قوم فيما أتى به من القرآن فيقولون: قوي على ذلك بما في طَبْعه من الفطنة للشُّعر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ إلا موعظة ﴿وَقُرْمَانٌ شِّبِينٌ﴾ فيه الفرائض والسُّنن [والأحكام].

قوله تعالى: ﴿ لِلنَّذِرَ ﴾ قرأ ابن كثيرً، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿ لِلنَّذِرَ ﴾ بالباء، يعنون القرآن. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿ لِتُنْذِرَ ﴾ بالتاء، يعنون النبيَّ ﷺ أي: لِتُنْذِرَ يا محمَّدُ بما في القرآن. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن السميفع: ﴿ لِلنُّذَرَ ﴾ بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيَّا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: حِيّ القلب حيّ البصر، قاله قتادة. والثاني: من كان عاقلاً، قاله الضحاك. قال الزجاج: من كان يَعْقِل ما يخاطّب به، فإن الكافر كالميت في ترك النذير. والثالث: مهتدياً، قاله السدي وقال مقاتل: من كان مهتدياً في عِلْم الله. والرابع: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبق في قوله: ﴿ إِنَّمَا نُنُذِرُ ٱلَّذِينَ يَخَشَوْرَ كَ رَبُّهُم ﴾ [فاطر: ١٥]، ويجوز أن يريد: إنما يَنفع إنذارُك من كان مؤمناً في علم الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَقِقَ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ معناه: يجب. وفي المراد بالقول قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: المُحَجّة.

﴿ أَوَلَتُر بَرُوَا أَنَا خَلَقَنَا لَهُم مِنَا عَمِلَتُ أَنِينَا أَفَعَنَا مَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَلَتَهَا لَمُمْ فَيِنَهَا رَؤُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَتَنَعُعُ وَمَشَارِبُّ أَفَلَا يَشَكُرُونَ ۞ وَاتَخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ ءَالِهَةَ لَمَلَهُمْ يُنصَرُّونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَكُمْ لَمُمْ جُندُ تُحْمَدُونَ ۞ فَلَا يَعْزُيلُكَ قَوْلُهُدُ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ۖ وَمَا يُمْلِئُونَ ۞﴾

ثم ذكرهم قدرته فقال: ﴿أَوَلَتُر يَرُوا أَنَا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَا عُمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَكُما ﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون المعنى: ممّا عَمِلْناه بقوّتنا وقدرتنا، وفي اليد القُدرةُ والقُوَّةُ على العمل، فتُستعارُ اليدُ فتُوضعَ موضعها، هذا مَجازٌ للعرب يحتملُه هذا الحرف، والله أعلم بما أراد. وقال غيره: ذِكْر الأيدي هاهنا يدلُّ على انفراده بما خَلَق، والمعنى: لم يشاركنا أحد في إنشائنا ؛ والواحدُ مِنّا إذا قال: عملتُ هذا بيدي، دلَّ ذلك على انفراده بعمله. وقال أبو سليمان الدمشقي: معنى الآية: ممّا أوجدْناه بقدُرتنا وقوَّتنا ؛ وهذا إجماعٌ أنه لم يُرد هاهنا إلا ما ذكرْنا.

قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَهَا مُلِكُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ضابطون، قاله قتادة، ومقاتل. قال الزجاج: ومثله في شّعر:

أصب حستُ لا أحسم لُ السبّ لاح ولا أمسل كُ رأسَ السبعيرِ إنْ نَسِفَسرا(١٠) أي: لا أضبط رأس البعير. والثاني: قادرون عليها بالتسخير لهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ وَذَلَلْنَهَا لَمُمْ ﴾ أي: سخَّرْناها، فهي ذليلة لهم ﴿ وَمَنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ قال ابن قتيبة: الرَّكُوب: ما يَرْكبون، والحَلوب: ما يَحْلُبُون. قال الفراء: ولو قبرأ قارئّ: ﴿ فمنها رُكُوبُهم »، كان وجهاً، كما تقول: منها أكلهم وشُربهم ورُكوبهم. وقد قرأ بضم الراء الحسن، وأبو العالية، والأعمش، وابن يعمر في آخرين. وقرأ أبيُّ بن كعب، وعائشة: «رُكُوبَتُهم» بفتح الراء والباء وزيادة تاء مرفوعة. قال المفسرون: يركبون من الأنعام الإبل، ويأكلون الغنم، ﴿ وَلَمُمْ فِيهَا

لكن قالوا: هذا وقع اتفاقاً من غير قصدٍ لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه، قال: وكذلك ما ثبت في االصحيحين؛ عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أصبعه، فقال ﷺ:

⁽١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، وهو في «البحر المحيط» ٧/٣٤٧، وفروح المعاني، ٢٧/٢٣.

مَنْفِعُ مِن الأصواف والأوبار والأشعار والنَّسْل ﴿ وَمَشَارِبُ ﴾ [من] ألبانها، ﴿ أَلْلَا يَشَكُرُونَ ﴾ ربَّ هذه النَّعم فيوجُدونه؟! ثم ذكر جهلهم فقال: ﴿ وَاَتَّحَدُواْ مِن دُونِ اللهِ قَلَهُمْ يُنَعَرُونَ ﴾ أي: لتمنعهم من عذاب الله؛ ثم أخبر أن ذلك لا يكون بقوله: ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرَعُمُ ﴾ أي: لا تقدر الأصنام على منعهم من أمْرِ أراده الله بهم ﴿ وَهُم ﴾ يعني الكفار ﴿ لَمُم اللهُ يعني الأصنام ﴿ جُندٌ تُحْمَرُونَ ﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: جند في الدنيا محضرون في النار، قاله الحسن. والثاني: مُحضرونَ عند الحساب، قاله مجاهد. والثالث: المشركون جُندٌ للأصنام، يَغضبون لها في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شرّاً، قاله قتادة (١٠). وقال مقاتل: الكفار يَغضبون للآلهة ويَحْضُرونها في الدنيا، وقال الزجاج: هم للأصنام ينتصرون، وهي لا تستطيع نصرهم، والرابع: هم جُندٌ مُحْضَرون عند الأصنام يعبدونها، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَمَزُنكَ قَوْلُهُمُ ﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك ﴿ إِنَّا نَمْلُمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ في ضمائرهم من تكذيبك ﴿ وَمَا يُمَلِئُونَ ﴾ بالسنتهم من ذلك؛ والمعنى: إنا نُثيبك ونجازيهم.

﴿ أَوَلَدُ بَرَ الْإِسْكُنُ أَنَا خَلَقْتُكُ مِن لُمُلْفَةِ فَإِذَا لَهُوَ خَمِسِيرٌ ثُبِينٌ ﴿ وَمَنَرَبُ لَنَا مَثَلًا وَنِينَ خَلْفَلُمْ وَاللَّهُمْ وَهِى رَمِيدٌ ﴿ وَمُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيتُ ﴿ اللَّهِ مَثَلُ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاكَا فَإِنَّا أَشُو يَنْهُ وَمِيدٌ ﴿ اللَّهِ مَنَا اللَّهُ مِنْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَمُو بَكُلِ خَلْقٍ عَلِيتُ ﴿ اللَّهُ مِنْهُ وَمُو اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَرْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَا خَلَقْنَهُ مِن نُطْفَقِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والتي بعدها على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، أخذ عَظْماً من البطحاء فقة بيده، ثم قال لرصول الله ﷺ: أيْحْيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال: انعم، يُميتُكَ الله ثُمَّ يُحْييكَ ثُمَّ يُدخلكَ نار جهشم، فنزلت هذه الآيات، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (٢٠). والثالث: عباس (٢٠). والثالث: أنه عبد الله بن أبيّ بن سلول، جرى له نحو هذه القصة، رواه العوفي عن ابن عباس (٢٠). والثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصة جرت له، رواه الضحاك عن ابن عباس (١٠). والرابع: أنه أميَّةُ بن خَلف، قاله الحسن (١٠). والخامس: أنه أبيُّ بن خَلف الجُمَحي (٢٠)، وهذه القصة جرت له، قاله مجاهد، وقتادة، والجمهور، وعليه المفسرون. ومعنى الكلام: التعجُّب مِنْ جهل هذا المخاصِم في إنكاره البعث؛ والمعنى: ألا يَعلم أنه مخلوق فيتفكر في بدء خلقه فيترك خصومته؟! وقيل: هذا تنبيه له على نعمة الله عليه حيث أنشأه من نطفة فصار مجادلاً. ﴿ وَمَثَرَبُ لَنَا في إنكار العث بالعَظْم البالي حين فته بيده، وتعجُّب ممن يقول: إن الله يُحْييه ﴿ وَيَنِي خَلْقَنا له، نَسِي خَلْقنا له،

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وهذا الذي قاله فتادة أولى عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تتبرًا منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً جيئة إلى الدين البصري، وهذا القول حديد عنه يغفيون لهم ويقاتلون دونهم، وقال ابن كثير: وهكذا قال الحسن البصري، وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. اهـ.

⁽٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٠/٣٣ من رواية سعيد بن جبير مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواه الحاكم عن ابن عباس ورواه السيوطي في «الدر» (٢٦٩/٥ وزاد نسبته لابن المنفر، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البحث»، والشياء في «المختارة» عن عبد الله بن عباس ،

 ⁽٣) رواه الطبري ٣١/٢٣ من رواية عطية العوني عن ابن عباس، قال ابن كثير: وهذا منكر، لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبيّ بن سلول إنما كان بالمدينة.

 ⁽٤) ذكره السيوطي في اللده ٥/ ٢٧٠ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس. والله أعلم.

وهكذا ذكره الشوكاني في افتح القديرة عن الحسن ولم يسنده الأحد.

⁽¹⁾ رواه الطبري: ٣٠/٢٣ عن مجاهد وقتادة؛ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٩ من طريق حصين عن أبي مالك، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤٠ ورواه البيهقي في «الشعب» من طريق حصين عن أبي مالك. وأورده السيوطي في «اللو» ٢٦٩/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصوره وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن أبي مالك، ومن رواية عبد بن حميد، وابن جير، وابن المنذر، وابن المنذر عن تتادة، ومن رواية ابن أبي حاتم عن السدي، ومن رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبيّ بن خلف، أو العاص بن واثل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، الهد.

帝 帝 帝

⁽١) قال ابن كثير: يقول تعالى منبهاً على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والنوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وففار، وما بين ذلك، ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿لَكُنُونُ اللّهُ السّمَدَوْتِ وَالأَرْضِ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللهُ الله الله الله المحريمة، كقوله إلى: ﴿أَرْلَتُم بِرَا أَنَّ اللهُ اللّهِ اللهُ الل

٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ مَشْبَكُنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُونُ كُلِّي شَرْةٍ وَالِنَّهِ تُرْتَعُونَ ﴿ أَي اللَّهِ وَتَعْدَلُونَ اللَّهِ عَلَى السَّمُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى عَلَى اللَّهِ عَلْمَ عَلَى اللَّهِ عَلَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى الل اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَ

سورة الصافات

وهي مكِّيَّة كُلُّها بإجماعهم

بنسيد ألمَّو النَّهِّبِ النَّجَيدِ

﴿ وَالْمَنْفَدِدِ صَفًا ۞ قَالَتِهِرَتِ نَعْرًا ۞ فَالشِّلِنَتِ ذِكْرًا ۞ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَجِدٌ ۞ زَبُّ السّتكونِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ السّنديقِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالمَنَقَتِ مَنًا ﴿ ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. قال ابن عباس: هم الملائكة صُفوفٌ في السماء، لا يَغْرِفُ مَلَكُ منهم مَنْ إلى جانبه، لم يَلْتَفِتُ منذ خَلَقه الله ﷺ. وقيل: هي الملائكة تصُفُّ أجنحتها في الهواء واقفة إلى أن يأمرها الله ﷺ بما يشاء. والثاني: أنها الطّير، كقوله: ﴿ وَالطّيرُ مَنَقَتَ ﴾ [النور: ١١]، حكاه الثعلبي. وفي الزاجرات قولان: أحدهما: أنها الملائكة التي تزجُر السَّحاب، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها زواجر القرآن وكلُّ ما ينهى ويزجُر عن القبيح، قاله قتادة (١٠). وفي التّاليات ذِكْراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى، قاله ابن مسعود، [والحسن]، والجمهور. والثاني: أنهم الرسل، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: ما يُتلى في القرآن من أخبار الأمم، قاله قتادة. وهذا قَسَمٌ بهذه الأشياء، وجوابه: ﴿ إِنَّ إِللهَكُرُ لَتِيدٌ ﴿) (١٠). وقيل: معناه: وربٌ هذه الأشياء إنه واحد.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلْسَنَارِقِ﴾ قال السدي: المَشارق ثلاثمائة وستون مَشْرِقاً، والمغارب مِثْلُها، على عدد أيام السَّنة. فإن قيل: لِمَ ترك ذِكْر المَغارب؟ فالجواب: أن المشارق تَدُلُّ على المَغارب، لأن الشُّروق قَبْل الغُروب.

﴿ إِنَّا زَنَنَا النَّمَآةِ الدُّنَا بِنِيَةِ الكَوْكِ ۞ وَحِنْظًا بِن كُلِ شَيْطُنِ عَادِدٍ ۞ لَا يَشَعُمُونَ إِلَى الْتَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقَذَفُونَ مِن كُلِ جَانِبٍ ۞ مُحُونًا وَلَمْتُم مَذَاتُ وَاسِبُ ۞ إِلَّا مَنْ خَلِفَ لَلْتُلْفَةَ وَانْتِعَلَم شِهَاتُ ثَاقِبٌ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّنَا النَّمَاءَ الدُّنِا ﴾ يعني التي تلي الأرض، وهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿إِنِنَةِ الكَوْكِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي: «بزينةِ الكواكب» مضافاً، أي: بحُسنها وضوئهاً. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «بزينةٍ منوّنةً وخفض «الكواكب» [وجعل «الكواكب»] بدلاً من الزينة لأنها هي، كما تقول: مردتُ بأبي عبد الله زيدٍ؛ [فالمعنى: إنّا زيّنًا السماء الدُّنيا بالكواكب. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «بزينةٍ» بالتنوين وينصب «الكواكب»]؛ والمعنى: زيّنًا السماء الدُّنيا بأن زيّنًا الكواكب فيها حين القيناها في منازلها وجعلناها ذات نور. قال الزجاج: ويجوز أن يكون «الكواكب» في النَّصْب بدلاً من قوله: «بزينة» لأن قوله: «بزينة» في موضع نصب. وقرأ أبيُّ بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو حصين الأسدي في آخرين: «بزينةٍ» بالتنوين «الكواكب» برفع الباء؛ قال الزجاج: والمعنى: إنّا زيّنًا السَّماء الدُّنيا بأن زيّنتُها الكواكبُ وبأن زيّنتِ الكواكب. ﴿وَمِقَنَا﴾ أي: وحَفِظْناها حفْظاً. الزجاج: والمعنى: إنّا زيّنًا السَّماء الدُّنيا بأن زيّنتُها الكواكبُ وبأن زيّنتِ الكواكب. ﴿وَمِقَنَا﴾ أي: وحَفِظْناها حفْظاً.

⁽١) قال ابن جريز الطبري: والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا، ما قال مجاهد ومن قال: هم الملائكة، لأن الله تعالى ذِكْره ابتدأ القَسَم بنوعٍ من الملائكة، وهم الصاقُون بإجماعٍ من أهل التأويل، فلأن يكون الذين بعده قَسَماً بسائر أصنافهم أشبه. اهـ.

قوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ﴾ قال الفراء: ﴿لا هاهنا كقوله: ﴿ كَثَرُكَ سَلَكُنَهُ فِي قُلُوبِ النَّمْوِيدِ ﴾ لا يُنْفَلِتْ. وقال غيره: الشعراء: ٢٠٠ ، ٢٠١؛ ويصلح في ﴿لا على هذا المعنى الجزم، فإن العرب تقول: ربطتُ الفرس لا يَنْفَلِتْ. وقال غيره: لكي لا يَسَّمَّعُوا إلى المالِ الأعلى، وهم الملاثكة الذين في السماء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ وَاللهِ اللّهِ اللّهُ وَلَي التّهُ اللّهُ اللّهُ لأن العرب تقول: سمعتُ فلاناً، وسمعتُ من فلان، وإلى فلان. ﴿ وَيُقْتَلُونَ مِن كُلِّ جَانِي ﴾ بالشّهُب ﴿ وَتُحَوِلُ فَال قتادة: أي: قلفاً بالشّهُب. وقال ابن قتبة: أي: طرداً، يقال: دَحَرْتُه دَحْراً ودُحُوراً، أي: دَفعتُه. وقرأ عليّ بن أبي طالب، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمن، والضحاك، وأبوب السختياني، وابن أبي عبلة: ﴿ وَحُوراً » بفتح المدال. وفي ﴿الواصب قولان: أحدهما: أنه الدائم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: [أنه] في الدنيا، فهم قاله أبو صالح، والسدي. وفي زمان هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه في الآخرة، والثاني: [أنه] في الدنيا، فهم قاله أبو صالح، والسدي. وفي زمان هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه في الآخرة، والثاني: [أنه] في الدنيا، فهم يُخْرَجون بالشّهُب ويُخبَلُون إلى النّفخة الأولى في الصّور.

قوله تعالى: ﴿إِلّا مَنْ خَلِفَ الْمَلْفَةَ﴾ قرأ ابن السميفع: "خَطَّفَ" بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها. وقرأ أبو رجاء، والجحدري: بكسر الخاء والطاء جميعاً والتخفيف. قال الزجاج: خَطَفَ وخَطِفَ، بفتح الطاء وكسرها، يقال: خَطَفْتُ أَخْطِفُ، وخَطِفْتُ اخْطَفْ: إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز "إلاّ مَنْ خطَّف بفتح الخاء وتشديد الطاء، ويجوز «يخطَفّ» بكسر الخاء وفتح الطاء؛ والمعنى: اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وسقطت الألف لحركة الخاء؛ فمن فتح الخاء، ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في "اختطف»، ومن كسر الخاء، فلسكونها وشكون الطاء. فأما من روى الخاء، ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في "اختطف»، ومن كسر الخاء، فلسكونها وشكون الطاء كسرة الخاء. قال المفسرون: والمعنى: إلا مَن اختطف الكلمة من كلام الملائكة مُسارَقَةً ﴿ فَالْبَتَمُ ﴾ أي: لَجِقَةُ ﴿ يُشَابُ ثَافِتُ ﴾ قال ابن المفسرون: والمعنى: إلا مَن اختطف الكلمة من كلام الملائكة مُسارَقَةً ﴿ فَالْبَتَمُ ﴾ أي: لَجِقَةُ ﴿ يُشَابُ ثَافِتُ ﴾ قال ابن قتية: أي كوكبٌ مُضيءٌ، يقال: أَقْقِبُ نارَك، أي: أَضِقُها، والثَّقُوب: ما تُذْكَى به النَّارُ.

﴿ فَاسْتَغْنِيمَ أَمُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقَنَا ۚ إِنَا خَلَقَتَهُم مِن طِينِ لَانِي ۞ بَلَ عَجِنت وَيَسْخُرُونَ ۞ وَإِنَا أَرُولُما لَا يَلَكُونَ ۞ وَإِنَّا لَكُونَ ۞ وَإِنَّا لَكُونَ ۞ فَلَ مَمْ وَأَنْتُمْ وَلَمُ اللّهُ يَسْتَخُرُونَ ۞ وَعَلَمْ اللّهِ اللّهُ يَعْمَ وَلَمُعْمُ وَلَا إِلَى مَنذَا إِلّا مِنخَرُ فَي وَاللّهُ يَمْقِلُونَ ۞ وَقَالُوا يَمْقِلُنَا كُمَا يَوْعُ اللّهِ إِنَّ مَنا يَوْعُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْدُمُ وَلَا كُولُمُ وَلَا اللّهُ عَلَمُوا وَاللّهُ عَلَمُوا اللّهِ عَلَى مَرْطِ الْمَدِيمِ ۞ وَقَلُومٌ إِنّهُم مَنْدُولُونَ ۞ مَا لَكُو لَا تَأْمَرُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنسَلِمُونَ ۞ مَا لَكُولُونَ ۞ مَا لَكُولُونَ ۞ مَا لَكُولُونَ ۞ مَا لَكُولُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ مَنسَلُونَ أَلْهُ مَنسَلُونَ أَلَهُ مَا مُعْدُمُ مِن اللّهُ مَا لَمُؤْمِلُونَ أَلْهُ مِنْ مُولُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنسَلِمُونَ أَلْهُ مُنْ اللّهُ مُنسَلِمُونَ أَلَى مَا لَكُولُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنسَلِمُونَ أَلَا مُنْ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنسَلِمُ مَن اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْنِهِم ﴾ أي: فَسَلْهُمْ سؤالَ تقرير ﴿ أَمْ أَشَدُ خَلَقًا ﴾ أي: أحْكَمُ صَنْعة ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: أمْ مَنْ عَدَدْنا خَلْقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض، قاله ابن جرير. والثاني: أمْ مَنْ خَلَقْنا قبلهم من الأمم السالفة، والمعنى: إنهم ليسوا بأقوى من أولئك وقد أهلكناهم بالتكذيب، فما الذي يؤمِّن هؤلاء؟! ثم ذكر خَلْق الناس فقال: ﴿ إِنَا خَلَقْتَهُم مِن لِينٍ لَانِي ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أي: لاصق لازم، والباء تُبدَلُ من الميم لقُربٍ مَحْرَجَيْهما. قال ابن عباس: هو الطّين الحُرُّ الجيِّد اللَّرْقُ. وقال غيره: هو الطّين الذي يَنشَف عنه الماء وتبقى رطوبتُه في باطنه فيلْصَق باليد كالشمع. وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلْقهم وخَلْق مَن قَبْلَهم؛ فمن قدر على إهلاك الضَّعفاء.

قوله تعالى: ﴿ بَلَ عَجِبْتَ ﴾ قبل عمناه: تركُ الكلام الأول والأخذُ في الكلام الآخَر، كأنه قال: دع يا محمد ما مضى. وفي "عَجِبْتَ» قراءتان: قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قبل عَجِبْتَ» بفتح التاء. وقرأ عليّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي؛ وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي في آخرين: قبل عَجِبْتُ» بضم التاء، [واختارها الفراء]. فمن فتح، أواد: بل عَجِبْتُ يا محمد، ﴿ وَيَسْخُرُونَ ﴾ هم. قال ابن السائب: أنتَ تَعْجَبُ منهم، وهم يَسْخُرون منك. وفي ما عجبَ منه قولان: أحدهما: من الكفار إذ لم يؤمنوا بالقرآن. والثاني: إذ كفروا بالبعث. ومن ضَمَّ، أواد

الإخبار عن الله على أنه عَجِب، قال الفراء: وهي قراءة على، وعبد الله، وابن عباس، وهي أحبُّ إليّ؛ وقد أنكر هذه القراءة قوم، منهم شريح القاضي، فإنه قال: إن الله لا يَعْجَب، إنما يَعْجَب مَنْ لا يَعْلَم. قال الزجاج: وإنكار هذه القراءة غلط، لأن المَجَبَ من الله خلاف العَجَب من الأدميين، وهذا كقوله: ﴿وَرَمْكُو الله النال: ٢٠] وقوله: ﴿مَوْزَ الله وَالنابِه: ٧٩]، وأصل العَجَب في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما يُنْكِرُه ويقل مِثْلُه، قال: قد عَجِبتُ من كذا، وكذلك إذا فَعَلَ الأدميون ما يُنْكِره الله عَلى المعنى: جازيتُهم على عجبهم من الحق، فستى المجزاء على الشيء باسم الشيء الذي له الجزاء، فستى فعله عَجَبا المعنى: جازيتُهم على عجبهم من الحق، فستى المجزاء على الشيء باسم الشيء الذي له الجزاء، فستى فعله عَجَبا وليس بعَجَب في الحقيقة، لأن المتعجّب يدهش ويحيّر، والله عز وجَلَّ قد جَلَّ عن ذلك؛ وكذلك سُمِّي تعظيم الثواب عَجباً، لأنه إنما يُتعجّب من الشيء إذا كان في النهاية، والعرب تسمي الفعل باسم الفعل إذا داناه من بعض وجوهه وإن كان مخالفاً له في أكثر معانيه، قال عديّ:

ثُمَّ أَصْحَوْا لَعِبَ السَّفُورِ بِهِمْ [وكَذَاكَ السَّفُورُ يُسودِي بِالسِّرِجِالِ](١)

فجعل إهلاك الدهر وإفساده لَعِباً، وقال ابن جرير: من ضم الناء، فالمعنى: بل عَظُم عندي وكَبُر اتِّخاذُهم لي شريكاً وتكذيبُهم تنزيلي. وقال غيره: إضافة المَجَب إلى الله على ضربين: أحدهما: بمعنى الإنكار والذمِّ، كهذه الآية، والثاني: بمعنى الاستحسان والإخبار عن تمام الرضى، كقوله ﷺ: «عَجِبَ ربُّكَ مِنْ شابِّ ليست له صَبوةً»(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَا ذَكِرُهَا لَا يَكُرُونَ ﴾ أي: إذا وُعِظوا بالقرآن لا يَذْكُرون ولا يَتَعظون. وقرأ سعيد بن جبير، والمضحاك، وأبو المعتوكل، وعاصم المجحدري، وأبو عمران: وذُكِروا، بتخفيف الكاف. ﴿ وَإِنَا نَوْا عَلِيّهُ قال ابن عباس: يعني انشاق القمر ﴿ يَتَمَنّوُونَ ﴾ قال أبو عبيدة: يَسْتَشْخِرونَ ويَسْخُرونَ سواء. قال ابن قتية: يقال: سَخِرَ واسْتَسْخُر، كما يقال: قَرُّ واسْتَقَرَّ، وعَجِبَ واسْتَفْجَبَ، ويجوز أن يكون: يسألون غيرَهم من المشركين أن يَسْخُروا من رسول الله (٣٠)، كما يقال: اسْتَفْتَبْتُه، أي: سألتُه المُتْبَى، واسْتَوْعَبْتُه، أي: سألتُه المُعْبَى، واسْتُوعَبْتُه، أي: سألتُه المُعْبَى، واسْتَوْعَبْتُه، أي: سألتُه المُعْبَى، واسْتُوعَبْتُه، أي: الله على حرف العطف، كقوله: ﴿ أَنَ أَمْنُ اللّهُ يَكَمُ اللاعراف: ١٩٤]. وقرأ نافع، وابن عامر: وأو أبونا الأولونة، بسكون الواو هاهنا وفي اللوائدة: ١٤٤. ﴿ أَنْ أَنْهَمُ كَاللهُ وهي نفخة البعث، وسُمِّينُ زجرةً، لأن عامودها وليَّهُ وَيُونَا مُ يَنْوُنُ اللهُ عَلَى الله ولي المُونِ ويُعْمَلُ فيه بين المُحْبِن والمُسْجَعِ، ويقول الله عَلَى يومني للملائكة: ﴿ أَنْشَهُمُ أَي النَّمُ اللهُ إِنْ عَلَى المُحْبِن والمُسْبَعِ، ويقول الله عَلَى يومني للملائكة: ﴿ أَمْشُرُهُ أَي الْجَمَعُوا ﴿ اللّهِا عَلَى المُحْبِ والمُعْبَى ومنو المُسْبَعِ، ويقول الله عَلَى يومني للملائكة: ﴿ أَمْشُرُهُ أَي الْمُعْبَى المُحْبِ والمُسْبَعِ، ويقول الله عَلَى يومني للملائكة: ﴿ أَمْشُرُهُ أَي الْعَمْ والمَعْمَ والله الرّبا، وصاحب المُعر، وابن عباس، والنعمان بن بشير، ومجاهد في آخرين. وروي عن عمر قال: يُحْشَر صاحبُ الحُمر، والثاني عصاحبُ الخمر، والثاني: أن عصاحب الخمر مع صاحب الحُمر، والثاني: أنْ

البيت لعديٌّ بن زيد العِبَاديّ، وهو في «الأغاني» طبعة الدار ٢/ ١٣٥.

⁽٣) روى أحمد في «المسند» ١٥١/٤ من حديث أبن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر هي قال: قال رسول الله على: «إن الله هي ليمجب من الشاب لهسته» قال المحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: ولتمّام في «فواتده» والقضاعي في «مسنده» من حديث ابن لهيمة: حدثنا أبو عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «إن الله ليمجب من الشاب الذي ليست له صبوة» قال: وكذا هو عند أحمد وأبي يعلى، وسنده حسن، قال: وضعفه شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) في فتاويه لأجل ابن لهيمة. اهم والحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر (أي الجهني) قال: قال الهيشمي: وإسناده حسن، وضعفه ابن حجر في «فتاويه» لضعف ابن لهيمة. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَإِنَا رَأَيًا تَهُمُ يَكَتَـرُونَ ﴾ يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ودَلالة على نبرَّة نبيَّه محمد ﷺ يستسخرون،
 يقول: يسخرون ويستهزئون. اهـ.

أزواجَهم، المشركاتُ، قاله الحسن. والثالث: أشياعهم، قاله قتادة. والرابع: قُرَّنَاؤهم من الشَّياطين الذين أضلُّوهم، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَيَا كَانُوا يَشِبُنُنُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: الأصنام، قاله عكرمة، وقتادة. والثاني: إبليس وحده، قاله مقاتل. والثالث: الشياطين، ذكره المارودي وغيره.

[قوله تعالى: ﴿ نَاهَدُومُمْ إِلَى مِرَاطِ الْمَعِيمِ ﴾ أي: دُلُّوهم على طريقها؛ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزجاج: يقال: هَدَيْتُ الرَّجُل: إذا دَلَلْتُه، وهَدَيْتُ العروس كالهدية، قلتَ: أهديتُها]. أهديتُها].

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوكُمْ ﴾ أي: احبسوهم ﴿إِنَّم مَسَّمُولُنَ﴾ وقرأ ابن السميفع: ﴿انَّهُم ّ بفتح الهمزة. قال المفسرون: لمَّا سيقوا إلى النار حُبِسوا عند الصراط، لأن السؤال هناك. وفي هذا السؤال ستة أقوال: أحلها: أنهم سئلوا عن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا. والثاني: عن ﴿لا إله إلا الله ، رويا جميماً عن ابن عباس. والثالث: عن خطاياهم، قاله الضحاك والوابع: سَأَلُهُمْ حَزَنَةُ جهنم: ﴿ اللّهِ يَالِيرُ ﴾ الله الله ، ما ونحو هذا ، قاله مقاتل. والمخامس: أنهم يسألون عمّا كانوا يعبدون ، ذكره ابن جرير. والسادس: أن سؤالهم قوله: ﴿مَا لَكُرُ لا نَناصَرُينَ ﴿ الله عَلَى المناسون المفسّرون : المعنى: ما لكم لا ينصُر بعضُكم بعضاً كما كنتم في الدنيا؟! وهذا جواب أبي جهل حين قال يوم بدر ؛ ﴿مَنْ جَيِمُ مُنْكِرُ ﴾ النمر: ١٤٤ والمعنى أنهم متقادون لا حيلة لهم.

﴿ وَالْمَانَ بَسَمُهُمْ عَلَى بَسَنِ يَسَلَقَالُونَ ۞ قَالُوا إِلَكُمْ كُمُّمْ تَأْثُونَا عَنِ النِّمِينِ ۞ قَالُوا بَل لَرْ تَكُونُوا مُؤْمِينِ ۞ وَمَا كَانَ لَا عَلَيْكُمْ فِن الْمَسَلِيْ بَل كُنُمْ قَوْمًا طَلِيقِ فِي الْعَمَانِ صَلَّى عَلَيْهُ وَهِ عَلَيْمَ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَهِ الْعَمَانِ مُشْقَرُكُنَ ۞ الْمَعْوِينِ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فِيلَ لَكُمْ لَا إِلَّهَ إِلَا اللّهُ يَسْتَكُمُونَ ۞ وَيَقُلُونَ أَيَّا لَالْهِمِينَ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا الْعَمَانِ الْأَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْرُونَ إِلَا مَا كُنُمْ مَسْسُونَ ۞ إِلَا عَبَادَ اللّهِ اللّهُ الْعَمَانِينَ ۞ إِلَا مِنَادَ اللّهِ اللّهُ مِنْ مَا كُنُمُ مَنْ عَلَيْهُ الْعَمَانِ الْعَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْرُونَ إِلّا مَا كُنُمْ مَسْسُونَ ۞ بِلَكُ مَلْوَا الْعَمَانِ الْعَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْرُونَ إِلَا مَا كُنُمْ مَسْسُونَ ۞ بِلَكُ مَلْمَ اللّهُ اللّهُ مِيرُنُ اللّهُ عَلَيْهِ وَمَا لَمُنْ اللّهُ عَلَيْهِ مَنْ فِي عَلَيْهِ وَمَا عَلَيْهُ مَنْ مَا عَلَيْهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَمُعَلِيمُ اللّهُ عَلَيْهُ مَنْ مَا عَنْهُ مُنْفِيلًا فَيْ وَمِنْ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَى مُورِدُ مُنْفَالِيهِ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَنْ مَنْ اللّهُ عَلَى مُنْ مَنْ عَلَيْهُ مَا عَنْهُ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ اللّهُ عَلَى مُؤْمِلًا وَلَامُ الْعَلَى عَلَيْهُ مَا عَلَى مُؤْمِلُونَ اللّهُ عَلَى مُؤْمِلًا لَا مُعَلِيمُ وَاللّهُ عَلَيْهُ مِنْ مُؤْمِلًا مُعْمَامِونَ الْعَلَيْلُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَى مُؤْمِلُونَ اللّهُ عَلَيْلُونَ عَلَيْلُولُ عَلَيْلُولُونَ اللّهُ عَلَيْلُ اللّهُ عَلَيْلُولُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَالُهُ عَلَيْلُولُ مُعْلِمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْلُولُونَ عَلَيْلُولُ عَلَيْلُولُ عَلَيْلُولُ مُعَلِيلًا عُلِيلًا عُلَالِمُ عَلَى اللّهُ عَلَيْلُولُ مُعَلِيلًا عُلِيلًا عُلَيْلًا عَلَيْلُولُونَ مُنْ اللّهُ عَلَيْلُولُونَ مُنْ اللّهُ عَل اللّهُ عَلَيْلُولُ مُعْلِمُ اللّهُ عَلَيْلُولُولُولُولُولُولُولُ مِنْ اللّهُ عَلَيْلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

قوله تعالى: ﴿ وَأَفْرَلَ بَشُمُ عَنَ بَنِي ﴾ فيهم قولان: أحدهما: الإنس على الشياطين. والثاني: الأتباع على الرؤساء ﴿ يَلَمَ النّبِ وَلَوْم ، فيقول الأتباع للرؤساء ؛ [لِمَ] غررتمونا؟ ويقول الرؤساء : لِمَ قَبِلُتُمْ مِنّا؟ فللك قوله: ﴿ وَأَلَوْا ﴾ يعني الأتباع للمتبوعين ﴿ إِنّكُمْ كُنُمْ تَأْوُنَا عَنِ الْبَينِ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: كنتم تَقْهُروننا بقُدرتكم علينا، لأنّكم كنتم أعزَّ مِنّا، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من قِبَل الدِّين فتُضِلُونا عنه، قاله المضحاك. وقال الزجاج: تأتوننا من قِبَل الدِّين فتخدعونا بأقوى الأسباب. والثالث: كنتم تُوثِقُون ما كنتم تقولون بأيمانكم، فتأتوننا من قِبَل الدِّين فتخدعونا بأقوى الأسباب. والثالث: كنتم تُوثِقُون لهم: ﴿ بَلَ لَرْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لم تكونوا على حَق فنُصِلكم عنه، إنما الكفر من قِبَلكم. ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلِيكُم مِن قُوّة نَقْهَرُكم بها ونُكُرِهُكم على مُتابعتنا، وعلى والثاني: الحُجّة. فيكون المعنى على الأول: وما كان لنا عليكم من قُوّة نَقْهَرُكم بها ونُكُرِهُكم على مُتابعتنا، وعلى الثاني: المُنْتِ المُناتِ المُنْ الله عنى ما دعَوْناكم إليه كما أتت الرُّسل.

قوله تعالى: ﴿ فَحَنَّ عَلَيْنَا قُولُ رَبِناً ﴾ أي: فوجبت علينا كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿ لاَنَلاَنَ جَهَنَمُ ﴾ الاعران: ١١ ﴿ إِنَّا لَهُونَ ﴾ العذاب جميعاً نحن وأنتم، ﴿ فَأَغَرَتَكُمُ ﴾ أي، أَصْلَلْناكم عن الهُدى بدعائكم إلى ما نحن عليه، وهو قوله: ﴿ إِنَّا عَلَيْنَ ﴾. ثم أخبر عن الأتباع والمتبوعين يقوله: ﴿ وَالَهُمُ يَوْمَهُ فِي الْمَلَابِ مُشْتَكُونُ ﴾ والمجرمون هاهنا: المشركون، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ في اللَّنيا ﴿ إِذَا قِيلَ لَمُمُ لاَ إِلَهُ إِلاَ اللَّهُ ﴾ أي: قولوا هذه الكلمة ﴿ يَسَتَكُمُونَ ﴾ أي: يَتَعَظّمُون عن قولها، ﴿ وَيَعُولُونَ أَينًا لللَّهُمَ كَانُوا ﴾ في اللَّنيا ﴿ إِنَا قِيلَ لَمُمْ لاَ إِلَهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ وهو التوحيد والقرآن، ﴿ وَصَلَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فردًا الله عليهم فقال: ﴿ بَلَ ﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوا، بل ﴿ بَنَهُ إِلَى قوله: ﴿ إِلّا عِبَادَ اللهِ النُمُورِينِ بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ إِلّا عِبَادَ اللهُ المُسْرَكِين بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ إِلّا عِبَادَ اللهُ المُسْرَكِين بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ إِلّا عِبَادَ اللهُ المُسْرَكِين بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ إِلّا عِبَادَ الْمُعْرَفِينَ عَلَى المُعْرَفِينَ المُوحُدِين. قال أبو عبيدة: والعرب تقول: إنَّكم لَذاهبون إلّا زيلاً. وفي ما استثناهم منه قولان: أحدهما: من

الجزاء على الأعمال، فالمعنى: إنّا لا نؤاخذهم بسوء أعمالهم، بل نَغْفِرُ لهم، قاله ابن زيد. والثاني: من دون العذاب؛ فالمعنى: فإنهم لا يذوقون العذاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ أُولِيَكَ لَمُ مَنَوْمٌ ﴿ وَقُ مَعَلُومٌ ﴾ فيه قولان: أحلهما: أنه الجنة، قاله قتادة. والثاني: أنه الرِّزق في الجنة، قاله السدي. فعلى هذا، في معنى «معلوم» قولان: أحلهما: أنه بمقدار الغَداة والعَشِيّ، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم حين يشتهونه يُؤتون به، قاله مقاتل. ثم بيَّن الرِّزق فقال: ﴿ فَرَكَهُ ﴾ [وهي جمع فاكهة] وهي الثِّمار كلَّها، رَطْبها ويابسها ﴿ وَهُم مُكْرَمُونَ ﴾ بما أعطاهم الله. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الحجر: ١٤] إلى قوله: ﴿ يُطَانُ عَلَيْمٍ بِكَأْسِ مِن مَن مَعْنِي ﴾ قال الضحاك: كلَّ كأس ذُكِرتُ في القرآن، فإنما عُنيَ بها الخمر، [قال أبو عبيدة: الكأس: الإِناء بما فيه، والمَعِين: الماءُ الطَّاهر الجاري. قال الزجاج: الكأس: الإِناء الذي فيه الخمر]، ويقع الكأسُ على كل إناءٍ مع شوابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس. والمَعين: الخمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العُيون.

قوله تعالى: ﴿يَهَالَهُ قال الحسن: خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللَّبن. قال أبو سليمان الدمشقي: ويدل على أنه أراد بالكأس الخمر، أنه قال: (بيضاءً، فأنَّث، ولو أراد الإناء على انفراده، أو الإناء والخمر، لقال: أبيض. وقال ابن جرير: إنما أراد بقوله: (بيضاءً الكأس، ولتأنيث الكأس أنّت البيضاء.

قوله تعالى: ﴿ لَذَ إِنَّ قَالَ ابن قتيبة: أي: لذيذة، يقال: شراب لِذَاذ: إذَا كان طيبًا. وقال الزجاج: أي: ذات للم ولا مؤلَّ فيه سبعة أقوال: أحلها: ليس فيها صُداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ليس فيها وجع بطن، [رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد]. والثالث: ليس فيها صُداع رأس، قاله قتادة. والرابع: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبير. والخامس: لا تَغتال عقولهم، قاله السدي. وقال الزجاج: لا تَغتال عقولهم فتذهب بها ولا يُصيبهم منها وجع. والسادس: ليس فيها إثم، حكاه ابن جرير. والسابع: ليس فيها شيء من هذه الآفات، لأن كُلَّ مَنْ ناله شيء من هذه الآفات، قبل: قد غالتُه غُول، فالصواب أن يكون نفي المؤل عنها يَعُمُّ جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا لَمُمْ عَنَهَا يُنزَفُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بكسر الزاي هاهنا وفي [الوانمة: ١٩]. وفتح عاصم الزاي هاهنا، وكسرها في [الوانمة: ١٩]. وقرأ ابن كثر، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الزّاي في السُّورتين. قال الفراء: فمن فتح، فالمعنى: لا تذهبُ عقولهم بشُربها. يقال للسكران: نُزيف ومَنزوف؛ [ومن](٢) كسر، ففيه وجهان: أخلهما: لا يُنْفِدون شرابهم، أي: هو دائم أبداً. والثاني: لا يَشْكُرون، قال الشاعر:

لَعَمْري لَئِنْ أَنْرَفْتُمُ أَو صَحَوْتُمُ لَا يَعِنْ النَّدامَى كُنْسَم آلَ أَبْجَرَا(")

قوله تعالى: ﴿وَعِندُمُ تَكِيرَتُ الطَّرْفِ﴾ فيه قولان: أحلهما: أنهنَّ النِّساءُ قد قصرن طَرْفهنَّ على أزواجهنَّ فلا يُنْظُرْنَ إلى غيرهم. وأصل القَصْر: الحبس، قال ابن زيد: إنَّ المرأة منهنَّ لَتقولُ لزوجها: وعِزَّةِ ربِّي ما أرى في الجنَّة شيئاً أحسنَ منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجكَ وجعلكَ زوجي. والثاني: أنهنَّ قد قَصَرن طَرْف الأزواج عن غيرهنَّ، لكمال حُسنهنّ، صمعتُه من الشيخ أبي محمد ابن الخشّاب النحوي. وفي العِين ثلاثة أقوال: أحدها: حِسانُ المُيون، قاله مجاهد. والثاني: عِظام الأعيُن، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كِبار العُيون حِسانُها، وواحدتُهنَّ عَيْناء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ كَأَنْهُنَّ بَيْشٌ مَكُنُونٌ ﴿ إِلَى المراد بالبَيْضِ هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من

⁽١) قال ابن كثير: وقوله على: ﴿ لَأَوْ لِلسَّرِينَ ﴾ أي: طعمها طيّب كلونها، قال: وطيب الطعم دليل على طيب الربح، بخلاف خمر الننيا في جميع ذلك. اه.

⁽٢) زيادة ليست في الأصل.

⁽٣) البيت للأثيرد الرباحي من بني مِحْجل، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٩، و«الطبري» ٢٣/ ٥٥، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: نزف.

أهل اللغة: والعرب تُشَبَّه المرأة الحسناء في بياضها وحُسْن لونها بِبَيْضَة النَّعامة، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مُشَرَّبَةً صُفْرَةً. والثالث: أنه البَيْض حين يُقْشَر قبل أن تَمَسَّه الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير^(۱). فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صَدَفِه، وعلى الثاني: هو مكنون بريش النَّعام، وعلى الثالث: هو مكنون بقشره.

﴿ فَأَفَيْلُ بَعْمُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَايِلٌ يَنْهُمْ إِنِى كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ بَعُولُ أَوْلَكَ لِينَ النُمْمَيْقِينَ ۞ لَوَا مِنْنَا رَكُنَا تُرْابًا وَعَظَلْنَا أَوْنَا لَمَنْ يَنْهُمُ مَا أَشُدُ مُظْلِمُنَ ۞ قَالُمُلَعَ فَرَاهُ فِي سَوْلَةِ الْجَحِيدِ ۞ قَالَ ثَالَقُو إِن كِدِتَ لَتُوْدِنِ ۞ وَلُولًا يِسْمَةُ رَبِّ لَكُنُتُ مِنَ الْمُخْمَرِينَ ۞ أَمَا غَنُ بِمَيْتِينَ ۞ إِلَّا مَوْلَئَنَا الأُولَىٰ وَمَا خَنُ بِمُعَذَّبِنَ ۞ إِنَّ هَوَلِكَ لِيقْلِ هَذَا فَلَيْمُمَلِ الْمَعِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَفَلَ بَعْهُمُ عَلَى بَعْضِ ﴾ يعني أهل الجنة ﴿ يَسَانَهُونَ ﴾ عن أحوال كانت في الدنيا (٢٠). ﴿ قَالَ فَآبِلٌ مِنْهُمْ إِلَى كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ فَ الله السّلامِ الله السّاحب في الدنيا. والثاني: أنه الشريك، رويا عن ابن عباس. والثالث: أنه الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أنه الأخ؛ قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة [الكهف: ٢٦] في قوله: ﴿ وَانْهُرِ لَهُ مَنْكُ رَبُهُولُ أَيْنَكَ لِينَ النُمَيلِيّينَ ﴾ والمعنى: كان لي صاحب أو أخ يُنْكِر البعث، ﴿ يَمُولُ أَيْنَكَ لِينَ النُمَيلِيّينَ ﴾ قال الزجاج: هي مخففة الصاد، من صدَّق يصدِّق فهو مصدِّق، ولا يجوز هاهنا تشديد الصاد. قال المفسرون: والمعنى: أينك لِمَن المُصدِّقِين المعنى عن حمزة: «المُصدِّقِين» بتشديد الصاد.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَنِينُونَ ﴾ أي: مَجْزِيُّون بأعمالنا؛ يقال: دِنْتُهُ بما صنع، أي: جازيته. فأحبَّ المؤمِنُ أن يَرى قرينَه الكافر، فقال لأهل الجنَّة: ﴿ مَلْ أَنتُم تُطَّلِمُونَ ﴾ أي: هل تحبُّون الاطّلاع إلى النَّار لِتَعْلَمُوا أين منزلتُكم من منزلة أهلها؟ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مُظْلِمُونَ » باسكان الطاء وتخفيفها «فأُطْلِعَ » أهلها؟ وقرأ ابن مسعود: اطّلع ثم التفت بهمزة مرفوعة وسكون الطاء. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبلة: «مُطْلِعونِ » بكسر النون. قال ابن مسعود: اطّلع ثم التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجم القوم تغلي ؛ قال ابن عباس: وذلك أن في الجنة كُوى ينظُر منها أهلُها إلى النار.

قوله تعالى: ﴿ زَرَاهُ ﴾ يعني قرينه الكافر ﴿ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيرِ ﴾ أي: في وسَطها. وقيل: إنما سمي الوسَط سَواءً، لاستواء المسافة منه إلى الجوانب. قال خُليد العَصْري: والله لولا أنَّ الله عرَّفه إيَّاه، ما عرفه، لقد تغيَّر حِبْرُه وسِبْرُه (٣٠٠). فعند ذلك ﴿ قَالَ نَاشَهِ إِن كِدتَ لَتُرْدِينِ. ﴿ قَالَ المفسرون: معناه: والله ما كِذْتَ إلّا تُهْلِكني؛ يقال: أرديتُ فلاناً، أي: أهلكُته. ﴿ وَلَوْلَا يَوْمَهُ رَبّى ﴾ أي: إنعامه عليَّ بالإسلام ﴿ لَكُنْتُ مِنَ ٱللهُ عَمَرِينَ ﴾ معك في النّار.

قوله تعالى: ﴿أَنَا غَنُ بِمَيْتِينَ ﴿ فَهُ فَيه ثلاثة أقوال: أحلها: أَنه إذا ذُبِح الْمُوتُ^(٤)، قال أهل الجنة: ﴿أَنَا غَنُ بِمَيْتِينَ ﴾ إِلّا مَوْنَتَنَا ٱلأُولَى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وَمّا غَنُ بِمُعَدِّينَ﴾؟ فيقال لهم: لا؛ فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَنَا لَمْتَى ٱلْفَرْلُ ٱلْعَظِيمُ ﴾، فيقول الله تعالى: ﴿لِينْلِ هَنَا ظَيْمَتُلِ ٱلْعَمِلُونَ ﴾، قاله ابن السائب. وقيل: يقول ذلك للملائكة.

١) قال ابن جرتير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبَّهَهُنّ في بياضهنّ وأنهن لم يمسَّهنَّ قبل أزواجهنَّ إنس ولا جانّ ببياض النيف الذي هو داخل القشر، وذلك هو المكنون، فأما القشرة العليا، فإن النيف الذي هو داخل القشر، وذلك هو المكنون، فأما القشرة العليا، فإن الطائر يمسَّها، والأيدي تباشرها، والعشّ يلقاها، والعرب تقول لكل مصون: مكنون، ما كان ذلك الشيء، لؤلؤاً كان، أو بيضاً، أو متاحاً. اهـ.

 ⁽۲) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون منها،
 وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على الشُرُر والخدمُ بين أيديهم يُسْمَون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

⁽٣) قال في «اللسان»: أي: لونه وهيئته.

روى البخاري في «صحيحه» ٨-٣٢٥، ومسلم في «صحيحه» ٢١٨٨/٤ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَجَاءُ بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرتيون (أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي) وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمّر به فَيْلُبَع، قال: ثم يقال: نعم هذا الموت، قال: فيؤمّر به فَيْلُبَع، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالْنِرَهُرُ مِنْ الْمُنْسُلُ وَمُ فِي غَنْلُو وَمُ لَا يُؤْمُونَ ﴿ وَالْمَارِ بِهِ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الله

والثاني: أنه قول المؤمن الأصحابه، فقالوا له: إنك الا تموت، فقال: ﴿إِنَّ هَاذَا لَمُنَ ٱلْفَرْزُ ٱلْفَلِمُ﴾، قاله مقاتل. وقال أبو سليمان اللمشقي: إنما خاطب المؤمنُ أهلَ الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النَّعيم، الا على طريق االاستفهام، الأنه قد عَلِمَ أنَّهم ليسوا بميَّين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً. والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان يُنكِره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿لِينُلِ مَناَ﴾ يعني النعيم الذي ذَكره في قوله: ﴿أَوْلَتَهَكَ لَمُمْ رِزَقٌ مَنْلُومٌ ﴾ [الصافات: ٤١] ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْمَهِلُونَ ﴾، وهذا ترغيب في طلب ثواب الله الله الله علامه المُهالم بطاعته (١٠).

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَهُ الرَّقُومِ ۞ إِنَّا جَمَلَتَهَا مِنْتَةً لِقَلْدِلِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةً تَخْرُجُ فِ أَصْلِ الْمَتَحِيدِ ۞ طَلْمُهَا كَافَمُ رُمُوسُ الشَّيطِينِ ۞ فَإِنَّهُم لَاكِلُونَ مِنْهَ مَنَاقِونَ مِنْهَ الْبُطُونَ ۞ ثُمِّ إِنَّ لَهُمْ عَلَىٰهَ الشَوّا مِنْ خَيْدٍ ۞ ثُمِّ إِنَّ مَرْحِمَهُمْ لَإِلَى الْمُتَحِيمِ ۞ إِنَّهُمُ الْفَوَا عَامَةَ مُرْ صَنَالِينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰ عَالِيمٍ مِبْرَعُونَ ۞ رَلِقَدْ خَلَ قَبْلُهُمْ أَكْثُرُ الْأَوْلِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُسْذِينَ ۞ قانظر حَتَيْفَ كَانَ عَلَيْبَهُ النَّسَدِينَ ۞ إِلَّا مِبَادَ اللّهِ النَّخْلَسِينَ ۞﴾

﴿ أَنَّلِكَ خَيْرٌ ﴾ يشير إلى ما وصف لأهل الجنة ﴿ نُزُلِا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: رزقاً، ومنه: إقامةُ الأنزال، وأنزال المجتود: أرزاقُها. وقال الزجاج: التُّزل هاهنا: الرَّيْع (٢٠ والفضل، يقال: هذا طعام له نُزُل ونُزُل، بتسكين الزاي وضمها؛ والمعنى: أذلك خير في باب الأنزال التي تُتقوَّت ويمكن معها الإقامة، أم نُزُل أهل النار؟! وهو قوله: ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ﴾؟ (٣٠). واختلف العلماء هل هذه الشجرة في الدنيا، أم لا؟ فقال قطرب: هي شجرة مُرَّة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: الزَّقُوم: ثمرة شجرة كريهة الطّعم. وقيل: إنها لا تُعرف في شجر الدنيا، وإنما هي في المنار، يُكرَه أهلُ النار على تناولها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَمَلَتُهَا فِتَنَةً لِلتَّلْلِينَ ﴿ يعني للكافرين. وفي المراد بالفتنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لمّا ذكر أنها في النار، افتُنوا وكلَّبوا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (١٠). وقال السدي: فتنة لأبي جهل وأصحابه. والثاني: أن الفتنة بمعنى العذاب، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن الفتنة بمعنى الاختبار، اختبروا بها فكلَّبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَغُرُّمُ فِى آَسْلِ لَلْتَحِيرِ ﴾ أي: في قَعْرِ النّار، قال الحسن: أَصْلُها في قَعْر النّار، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها. ﴿ طَلَمْهَا ﴾ أي: ثمرها، وسُمِّي طَلْماً، لطلوعه ﴿ كَأَنَّمُ رُمُوسُ الشَّيَطِينِ ﴾. فإن قيل: كيف شبَّهها بشيء لم يُشاهَد؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قد استقرَّ في النفوس قُبح الشياطين _ وإن لم تُشاهَد _ فجاز تشبيهها بما قد عُلِمَ قُبحه،
قال امرؤ القيس:

أَيَه غُدُ لُئِي والمَشْرَفِي مُنْسَاجِعِي ومَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنَيْساب أَخْرَالُ (٥)

قال الزجاج: هو لم ير النُول ولا أنيابها، ولكن التمثيل بما يُستقبَح أبلغ في باب المذكّر أن يُمثّل بالشياطين، وفي باب المونّث أن يشبّه بالنُول. والثاني: أن بين مكة واليمن شجر يسمى: رؤوس الشياطين، فشبّهها بها، قاله ابن السائب. والثالث: أنه أراد بالشياطين: حيّات لها رؤوس ولها أعراف، فشبّه طلعها برؤوس الحيّات، ذكره

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لِينَلِ كَذَا مُلْمَتِلِ ٱلْمَيْلِرُنَ ﴿ لَهُ عَلَى يَقُولُ تعالَى وَكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

 ⁽٢) قال في «اللسان»: الرّبع: النماء والزيادة.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم،
 خير، أر ما أعددت لأهل النّار من الزَّفوم؟!

⁽٤) روى ابن جرير الطبري عن قتادة قال: لمّا ذكر شجرة الزُّقُوم افنتن المُقَلَمة فقالوا: ينبُّنكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر؟! فأنزل الله ما تسمعون أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم غُلِيَتْ بالنار ومنها خلقت. وأورده السيوطي في «الدر» (۲۷۷/ه، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قنادة.

⁽٥) ﴿ وَوَالْسَانِ عَالَمُ الْجَاهُلِي ٤ / ٣٩، وقمجمع البيان ٢٣ / ٢٢، وقروح العماني؟ ٢٣ / ٨٧، وقاللسان: غول.

الزجاج. قال الفراء: والعرب تسمَّي بعض الحيَّات شيطاناً، وهو حيَّة ذو عُرْف قبيحُ الوجه.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لِآكِلُونَ يَنْهَا ﴾ أي: من ثمرها ﴿ فَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ وذلك أنهم يُكُرَهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (١٠). ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَيًا مِنْ جَيمِ ﴿ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لَخلطاً من الماء الحارِّ يشربونه عليها. قال أبو عبيدة: تقول العرب: كلُّ شيء خَلَطْتَه بغيره فهو مشوب. قال المفسرون: إذا أكلوا الزَّقُوم ثم شربوا عليه الحميم، شاب الحميم الزَّقُوم في بطونهم فصار شَوْباً له. ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِمَهُمْ ﴾ أي: بعد أكل الزَّقُوم وشُرب الحميم ﴿ لَهِلَ لَلْمَحِيمِ ﴾ وذلك أن الحميم خارج من الجحيم، فهُم يوردونه كما تورد الإبلُ الماء، ثم يُردُّونَ إلى الجحيم؛ ويدُلُ على هذا قولُه: ﴿ يَلُونُونَ بَيْنَا وَبَيْنَ جَبِيرٍ مَانٍ ﴾ [الرحن: ٤٤]. و﴿ أَلْفَرَا ﴾ بمعنى وَجَدوا. و﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ مشروح في [عود: ٢٨]، والمعنى أنهم يتّعِمون آباءهم في سرعة (١٠) ﴿ وَلَقَدْ صَلَ قَبْلَهُم ﴾ أي: قَبْلَ هؤلاء المشركين ﴿ أَكُثُرُ الْأَوْلِينَ ﴾ من الأمم المخالية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ اَلْمُغَلِّصِينَ ۞﴾ يعني الموحَّدين، فإنهم نجوا من العذاب. قال ابن جرير: وإنما حَسُن الاستثناء، لأن المعنى: فانْظُر كيف أهلكنا المُنْذَرين إلّا عباد الله .

﴿ وَلَقَدْ نَادَنَنَا نُوحٌ مَلَيْهُمَ الْمُجِبُونَ ۞ وَتَغَيِّنَاهُ وَأَمْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْمَظِيمِ ۞ وَبَمَلَنَا ذُرِيَّتُهُ هُرُ الْبَافِينَ ۞ وَزَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِينَ ۞ سَلَتُمْ عَلَى نُوجٍ فِي الْمَنْدِينَ ۞ إِنَّا كَتَلِكَ نَمْزِي الْمُعْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْلَهْوِينِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَفْنَا الْآخَرِينَ ۞﴾

﴿ وَلَقَدْ نَادَنْنَا نُوحٌ ﴾ أي: دعانا. وفي دعائه قولان: أحلهما: أنه دعا مستنصِراً على قومه. والثاني: أن (٢) ينجيه من الغرق ﴿ فَلَيْمُم اَلْمُجِبُونَ ﴾ نحن؛ والمعنى: إنّا أنجيناه وأهلكنا قومه. وفي ﴿ الْكَرْبِ الْمَطِيرِ ﴾ قولان: أحلهما: [أنه] الغرق. والثاني: أذى قومه. ﴿ وَجَمَلْنَا ذُرِيّتَهُ مُرُ الْبَاقِينَ ﴿ ﴾ [وذلك] أن نسل [أهل] السفينة انقرضوا غير نسل ولده، فالناس كلُّهم من ولد نوح (١٤) ﴿ وَرَقِكَا عَتِهِ ﴾ أي: تركنا عليه ذِكْراً جميلاً ﴿ فِي الْاَخِينَ ﴾ وهم الذين جاؤوا بعده إلى يوم القيامة. قال الزجاج: وذلك الدُّحُر الجميل قولُه: ﴿ سَلَا كَنَالِكَ بَحْرِي النَّعْصِئِينَ ﴿ وَهُمْ اللَّهُ عَلَى عَلِهُ إلى يوم القيامة. ﴿ إِنَا كَنَالِكَ بَحْرِي النَّعْصِئِينَ ﴿ وَاللهِ عَلَى اللهُ بإحسانه الثَّنَاءَ الحَسَنَ في العالَمين.

﴿ قَالَ بِنَ مِن شِيعَنِهِ، لَإِنَهِيرَ ۞ إِذْ جَاءً رَبَهُ مِتِلَمِ سَلِيمٍ ۞ إِذْ مَالَ لِأَيِهِ وَقَرْمِهِ، مَاذَا تَشَهُدُونَ ۞ أَلِنَكُا مَالِهَةً دُونَ اللّهَ أَيْهِ وَلَيْهِمِ مَاذَا تَشْهُدُونَ ۞ قَالَ إِنِي سَتِيمٌ ۞ فَنَوْلُوا عَنْهُ مُمْنِهِنَ ۞ قَاعَ إِلّا مَالِهَنِهِمْ فَقَالَ أَنِي سَتِيمٌ ۞ فَالَوَ عَلَيْهُمْ مَرَا إِلْتِينِ ۞ فَالْهَ خَلَتُكُونَ ۞ قَالَ أَتَشَهُدُونَ ۞ قَالَ أَتَشْهُدُونَ ۞ قَالَ أَتَشْهُدُونَ ۞ وَقَالَ إِنِي مَنْهُ عَلَيْمَ مَرًا إِلْتِينِ ۞ وَأَلَا عَلَيْهُ مِنْهُ اللّهُ عَلَيْهُ ﴾ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ ﴾ فَاللّهُ عَلَيْهُ أَلْمُولًا بِهِ. كَيْنَا لِحَمْلُونَ ۞ وَقَالَ إِنْ وَإِلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَلْهُ وَلَا إِنْ وَإِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَلْهُ اللّهُ عَلَيْهُ أَلْهُ وَلَا إِنْ وَاللّهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَلُولًا إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَلَاهُ أَلْهُ اللّهُ عَلَيْهُ أَلَاهُ أَلَاهُ أَلَاهُ أَلُولُوا بِهِ. كَيْنَا لَحَمْلُونَ ۞ وَقَالَ إِنْ وَاللّهِ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ أَلْهُ اللّهُ عَلَيْهُ أَلْ وَلَا إِلَيْهُ عَلَيْهُ أَلَاهُ أَلُولُوا بَهِ عَلَيْهُ مِنْ الشّلِينَ ۞ وَقَالَ إِنْ وَاللّهِ إِلَيْهِ مَلْهُ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلّهُ إِلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهُ مُلْعُلُولُ إِلّهُ إِلَا إِلَيْهُ عَلَيْهُ مِنْ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَى إِلَيْهِ عَلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلْمُ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلّهُ إِلْمُ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَا إِلْهُ إِلَا إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلَا إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلْمُ إِلَيْهُ أَلْهُ إِلَاللّهُ إِلَا إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهُ إِلْهُ إِلَا إِلْهُ إِلَهُ إِلَيْهُ إِلَا إِلِهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِل

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَ مِن شِيمَائِهِ لَا إِرَهِيمَ ﴾ أي: مِنْ أهل دِينه ومِلَّته. والهاء في اشِيعته، عائدة على نوح في قول الأكثرين؛ وقال ابن السائب: تعود إلى محمد ﷺ، واختاره الفراء (٥٠). فإن قيل: كيف يكون من شيعته، وهو قبله؟

 ⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ اَإِنَّهُمْ لَاَكِنُونَ مِنْهَا لَلْكِلُونَ مِنْهَا ٱلْبُلُونَ فِيهَا وَلا أَقْبِعِ مَن منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والربع والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها، ما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كُمْ طَعَامُ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۞ لَا يُسْيِنُ رُلا يُنْنِي مِن عُرِعٍ ۞ ﴾. اهـ.

 ⁽٢). قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ ٱلنَّوَا عَامَاءَهُمْ صَالَّةِينَ ﴿ ﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا
 آباءهم ضلالاً عن قصد السبيل، غير مالكين محجَّة الحق ﴿ فَهُمْ عَلَى مَالَيْرِهِ مِحْ رَبُونَ ﴿ مَنْ مَالِكِينَ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى ال اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

⁽٣) في الأصل: «أنه».

⁽٥) قال ابن جرير الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿ وَمَايَةٌ لَمُّمُ أَنَا حَلْنَا ذُرِيَتُهُمْ ﴾ بنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم وقد سيقتهم. إهـ. «وقال الألوسي: ﴿ وَإِنَ مِن يُسْتِفِهِ ﴾ إي: ممن شابع نوحاً وتابعه في أصول =

فالجواب: أنه مِثل قوله: ﴿مَلْنَا ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ [يس: ٤١]، فجعلها ذُرِّيَّتُهم وقد سبقَتْهم، وقد شرحنا هذا فيما مضى [يس: ٤١]. قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءَ رَيَّهُ ﴾ أي: صدَّق الله وآمَنَ به ﴿ بِقَلْ سَلِيرٍ ﴾ من الشَّرك وكلَّ دَنَس، وفيه أقوال ذكرناها في [الشعراء: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿مَاذَا نَبْدُونَهُ؟ هذا استفهام توبيخ، كأنه ويَّخهم على عبادة غير الله. ﴿أَيْنَكُاهُ؟! أي: أَتَأْبُكُونَ إِفْكاً وَتعبُدُونَ الله عَبِدَدُم غيره؟! كأنه قال: فما ظنُّكم أن يصنع وتعبُدون آلهة سوى الله؟! ﴿فَنَا ظَنْكُم أَن يَصنع الله عَبِدُون آلهة سوى الله؟! ﴿فَنَا ظَنْكُم أَن يَصنع الله وَنَظَرَ نَظْرَةُ فِي النَّجُومِ فِيه قولان: أحدهما: [أنه] نظر في عِلم النجوم، وكان القومُ يتعاطون عِلم النَّجوم، فعاملهم من حيث هم، وأراهم أنِّي أعلمُ من ذلك تعلَمونَ، لئلا يُنْكِروا عليه ذلك. قال ابن المسيّب: رأى نجماً طالعاً، فقال: إنِّي مريض غداً. والثاني: أنه نظر إلى النجوم، لا في عِلْمها. فإن قيل: فما كان مقصوده؟ فالجواب: أنه كان لهم عيد، فأراد التخلُّف عنهم لِيكِيدَ أصنامَهم، فاعْتَلَّ بهذا القول.

[تَسَمَنَّى حُسَيْنٌ أَن يَسُودَ جِلَاعَه] فأضحى خُسَيْنٌ قد أذَلُ وأَقْهَ رَا(١٤)

الدين ﴿ لَإِرَهِيرَ ﴾ وإن اختلفت قروع شريعتَيهما، أو ممن شايعه في التصلُّب في دين الله تعالى ومصابرة المكذّبين، قال: ونقل هذا عن ابن عباس.
 قال: وذهب الفراء إلى أن ضمير «شيعته لنبينا محمد ﷺ، قال: والظاهر ما أشرنا إليه، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، قال: وقلَّما يقال للمتقدّم: هو شيعة للمتأخر». اهـ.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولهذا تركهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. اهـ. وقال الألوسي: ﴿ وَإِنْعُ عَلَيْمٍ مُرَمًا بِالْيَهِينِ ﴾، أي: باليد اليمنى كما روي عن ابن عباس، قال: وتقييد الضرب باليمين، للدلالة على شدته وقوته، لأن اليمين أقوى الجارحين وأشدهما في الغالب، قال: وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب
 والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء.

⁽٤) البيتُ للمُخَبِّل السَّفدي كما في الطّبري؛ ٧٤/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: قهر، جذع، وروي: قد أُذِلُّ وأقْهِرًا، مبنياً للمجهول.

أي: صار إلى القَهْر. وأمّا كَسْرُ الرَّاي مع تخفيف الفاء، فهو من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَع يُشرع، ولم يَعْرفه الكسائي ولا الفراء، وعَرَفه غيرهما. قال المفسِّرون: بلغهم ما صنع إبراهيم، فأسرعوا، فلمَّا انتَّهُوا إليه، قال لهم محتجاً عليهم: ﴿ أَنَفُهُ وَا نَتْحِتُونَ ﴾ بأيديكم ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُرُ وَمَا تَعْمَلُونَ ۞ ٢٠٤ ، قال ابن جرير: في اما ا وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خَلَقَكم [وعَمَلَكم. والثاني: أن تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: والله خَلَقَكم] وخَلَقَ الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام(١١)؛ وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة [أه]. فلمّا لَزَمَتُهم الحُجَّة ﴿ قَالُواْ اَبُوا لَمُ بُنِيَنا﴾ وقد شرحنا قصته في سورة [الانبيا: ٥٢ ـ ٧٤]، وبيّنًا معني الجحيم في [البفرة: ١١٩]، والكَيْدُ الذي أرادوا به: إحراقُه. ومعنى قوله: ﴿ فَمَا لَنَهُمُ ٱلْأَسْفَايِنَ﴾ أن إبراهيم علاهم بالحُجَّة حيث سلَّمه الله من كيدهم وحلُّ الهلاكُ بهم(٢٠). ﴿ وَقَالَ ﴾ يعني إبراهيم ﴿ إِنِّ ذَاهِبُ إِلَى رَبِّ ﴾ في هذا النَّهاب قولان: أحدهما: أنه ذاهب حقيقة، وفي وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حين أراد هِجرة قومه؛ فالمعنى: إنِّي ذاهب إلى حيث أمرني ربِّي ﷺ ﴿ سَبَهْدِينِ ﴾ إلى حيث أمرني، وهو الشام، قاله الأكثرون. والثاني: حين أُلقى في النّار، قاله سليمان بن صُرَد؛ فعلى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهب إلى الله بالموت، سيّهدين إلى الجَنَّة. والثاني: [ذاهب] إلى ما قضى [به] ربي، سيَهدين إلى الخلاص من النّار. والقول الثاني: إنّي ذاهب إلى ربّي بقلبي وعملي ونيَّتي، قاله قتادة (٢٠٠). فلما قَدِم الأرض المقدَّسة، سأل ربَّه الولدَ فقال: ﴿ رَبِّ مَبْ لِي مِنَ السَّلِيمِينَ ۞ أي: ولداً صالحاً من الصّالِحِينِ، فاجتزأ بما ذكر عمّا ترك، ومثله: ﴿وَكَاثُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّهِدِينَ﴾ [بوسف: ٢٠]، فاستجاب له، وهو قوله: ﴿فَبَشَّرْنَهُ بِمُلَدٍ كَلِيمٍ ۞﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه إسحاق. والثاني: أنه إسماعيل. قال الزجاج. هذه البِشارة تَدُلُّ على أنه مبشّر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السنّ ويوصّف بالجلم.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَا بَلَغَ مَمَهُ السَّمْىَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالسعي هاهنا: العمل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المعني، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: بلغ أن يُنْصَرَفَ معه ويُعِينَه. قال ابن السائب: كان ابن ثلاث عشرة سنة. والثالث: أن المراد بالسعي: العبادة، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا، يكون قد بلغ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّ أَرَىٰ فِي اَلْمَنَارِ أَنِ اَذَهَاكَ ﴾ أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام، وإنما المعنى أنه أُمِرَ في المنام بذبحه، ويدُل عليه قوله: ﴿أَفْعَلُ مَا تُوْمَرُ ﴾. وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم يَرَ إراقة الدَّم. قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حَقَّ، إذا رأوا شيئاً، فعلوه. وذكر السدي عن أشياخه أنه لمّا بشر جبريلُ سارة بالولد، قال إبراهيم: هو إذا لله ذبيح، فلمّا فَرَغ من بينان البيت، أتي في المنام، فقيل له: أوف بنَذُرك (٤٠). واختلفوا في النَّبيح على قولين: أحلهما: [أنه] إسحاق، قاله عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبّه، [ومسروق]، وعبيد بن عُمير، والقاسم ابن أبي بَرَّة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير. وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام. وقيل: طويت له

⁽١) قال ابن كثير: والأول أظهر، لِما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد» عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربعي بن حِراش عن حذيفة ﷺ مرفوعاً قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته اهـ.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: يقول الله: ﴿فَجَمَلْنَهُمُ ﴾ أي: فجعلنا قوم إبراهيم ﴿الْأَسْفَايِينَ ﴾ يعني الأذلين حجة، وغلّبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقلناه مما أرادوا به من الكيد. اهـ.

٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَقَالَ إِنْ نَاهِبُ إِنْ نَاهُ أَيْ : إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم فمعتزلهم لمبادة الله. اهـ.

ذكر ذلك البغوي في اتفسيره بدون سند والله أعلم.

۱۱۹۲ الصافات: ۱۰۲ ـ ۱۱۳

الأرضُ حتى حمله إلى المَنْحَر بمِنى في ساعة, والثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن المبصري، وسعيد بن المسيّب، والشعبي، ومجاهد، ويوسف بن مهران، وأبو صالح، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن سابط(١٠). واختلفت الرواية عن ابن عباس، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه معلماء ووجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبير كالقولين. وعن سعيد بن جبير، وعكرمة، والزهري، وتنادة، والسدي روايتان. وكذلك عن أحمد ﷺ روايتان، ولكلٌ قومٍ حُجَّة ليس هذا موضعها، وأصحابنا ينصرون القول الأول(١٠).

الإشارة إلى قصة الذَّبْح

ذكر أهل العِلْم بالسَّير والتفسير أن إبراهيم لمَّا أراد ذبح ولده، قال له: انطلق فتُقرَّب قرباناً إلى الله فَقَلَّ، فأخذ سِكِيناً وحَبْلاً، ثم انطلق، حتى إذا ذهبا بين الجبال، قال له الغلام: يا أبتِ أين قُربانُك؟ قال: يا بُني إني رأيتُ في المنام أني أنبحُك، فقال له: اشدُدُ رِباطي حتى لا أضطرب، واتحُفُف عني ثبابك حتى لا ينتضح عليك من دمي فتراه أُمِّي فتحزن، وأشرع مَرَّ السَّكين على حَلْقي ليكون أهون للموت عليَّ، فإذا أتيتَ أُمِّي فاقرأ عليها السلام منِّي؛ فأقبل عليه إبراهيم يقبِّله ويبكي ويقول: يغم العونُ أنت يا بُنيَّ على أمر الله فَلَق، ثم [إنه] أمرَّ السَّكِين على حَلْقة فلم يَحْكِ شيئا^(٣). وقال مجاهد: لهنا أمرَّها على حَلْقه انقلبتْ، فقال: القلبتْ، قال: اطّعَنْ بها طَعْناً. وقال السدي: ضرب الله على حَلْقهِ صفيحة من نُحاس؛ وهذا لا يُحتِاج إليه، بل منمُها بالقُدرة أبلَغ. قالوا: فلمّا طَعْن بها، نَبَتْ، وعَلِم الله منهما الصَّدق في التسليم، فنودي: يا إبراهيمُ قد صَدَّفْتَ الرُّويا، هذا فداءُ ابنك؛ فنظر إبراهيم، فإذا جبريل معه كبش أملح.

قوله تعالى: ﴿ نَانَظُرُ مَاذَا تَرَكِئَ ﴾ لَمْ يَقُل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله ﷺ، ولكن أراد أن يَنْظُر ما عنده من الرَّأي. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ماذا تُرِي، بضم الناء وكسر الراء؛ وفيها قولان: أحدهما: ماذا تُريني من صبرك أو جَزَعك، قاله الفراء. والثاني: ماذا تُبين، قاله الزجاج: وقال غيره: ماذا تُشير.

قوله تعالى: ﴿انْعَلْ مَا نُوْمِرُ ﴾ قال ابن عباس: افْعَلْ ما أُوحي إليك من ذبحي ﴿سَتَجِدُفِ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ المَنْدِمِينَ﴾ على البلاء.

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في انقريب التهذيب، عبد الرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح. اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير: قال الله تمالى: ﴿ فَبْكُرْتُهُ بِنُكُتِهِ عَلِيهٍ ﴿ وَهِلَا الغلام هو إسماعيل ﴿ فَهُ فَلِ الله وَلِهُ المسلمين وأهل الكتاب، قال: بل في نص كتابهم أن إسماعيل ﴿ وُلِد ولإبراهيم ﴿ فَلِد وسيده، وفي نسخة أخرى: وبِكُرّه قال: وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن ينبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى: وبِكُرّه قال: فأقحموا علمه المسلام تسم وتسمون سنة، قال: وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن اين يقبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى: وبِكُرّه قال: فأقحموا هماهنا كلباً وبهتاناً إسحاق، قال: ولا يجوز هذا، لأنه مخالف لنص كتابهم، قال: وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم فزادوا ذلك، وحرِّقوا فوحيدك بمعنى فالذي ليس عندك غيره، عوان أسماعيل كان دُوب به وبالله إلى مكة ، وهو تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: وحيدك إلا لمن ليس له غيره، قال: وأيضاً فإن أول ولده له معزّة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بفبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار، قال: وفيه أنها أن وفيه أنها في كتاب ولا سُنّة، وما أظرُّ ذلك تُلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسلّما من غير حجة، قال: وهذا كتاب الله أيضاً. ثم قال: وليس ذلك في كتاب ولا سُنّة، وما أظرُّ ذلك تُلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسلّما من غير حجة، قال: وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه أسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه النبيح، تم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَكْرَتُهُ إِيسَكَنَ دَهِن مِنكَ إِيسَاكَ وهذا ولا يسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون له ولد وعب السماء فيه؟! قال: فيمتع أن يكون بالموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه؟! قال: فيمتع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، قال: فتعين أن يكون هو المحد. أهما من أحدن الاستدلال وأصحه وأينه، ولله الحمد. أهما

وقد قال الحافظ ابن قيم الجوزية في «الهدي النبوي»: إسماعيل هو اللبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق، فمردود بأكثر من عشرين وجهاً، ونقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع أنه باطل: في كتابهم، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بِكْرَه، وفي لقط: «وحيده وقد حرَّفوا ذلك في التوراة التي بأيديهم. اهـ.

 ⁽٣) ذكر نحو هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ فَلَكُ آَسَلَهُ أَي: استسلمًا لأمر الله في فأطاعا ورضيا، وقر علي، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والأعمش، وابن أبي عبلة: ﴿ فلمّا سَلّما بتشليد اللام من غير همز قبل السين؛ والمعنى: سَلّما لأمر الله في. وفي جواب قوله: ﴿ فلمّا أَسلَمَا ولان: أحدهما: أن جوابه: ﴿ وناديناه ، والواو زائدة، قاله الفراء. والثاني: أن الجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلمّا فعل ذلك، سَعِدٌ وأُجْزِلَ ثوابُه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَثَلَمُ لِلْجَبِينِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: صَرَعه على جبينه فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجبهة بينهما، وهي ما أصاب الأرض في السجود، والناس لا يكادون يفرِّقون بين الجبين والجبهة، فالجهبة مسجد الرجل الذي يصيبه نَدَبُ السُّجود، والجبينان يكتنفانها، من كل جانب جبين.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّدَيْنَهُ ﴾ قال المفسرون: نودي من الجبل: ﴿ أَن يَتَإِرْهِهُ ﴾ قَدْ صَدَّفْتَ الزُّفِيا ﴾ وفيه قولان: أحدهما: قد عَمِلْتَ ما أَمَرْتُ، وذلك أنه قصد الذّبح بما أمكنه، وطاوعه الابن بالتمكين مع النّبح، إلّا أن إلله على صرف ذلك كما شاء، فصار كأنه قد ذَبّح وإن لم يتحقّق النّبح، والثاني: أنه رأى في المنام معالجة الذّبح، ولم ير إراقة النّم، فلمّا فَعَلَ في اليقظة ما رأى في المنام، قيل له: ﴿قد صدّقْتَ الرّوْيا ﴾. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، والمجددي: ﴿قد صَدّقْتَ الرّوْيا ﴾ بتخفيف الدال، وهاهنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنّاكِ ﴾ أي: كما ذَكُرْنا من العفو من ذبح ولده ﴿ مَرِّى النّعَويٰ الله عَلَى العقلِم، قاله ابن زيد، وابن قتيبة. فعلى الأول، يكون قوله هذا إلسّائب، ومقاتل. والثاني: الاختبار العظيم، قاله ابن زيد، وابن قتيبة. فعلى الأول، يكون قوله هذا إلى العفو عن الذّبح. وعلى الثاني، يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده.

قوله تعالى: ﴿ وَلَدَبَتَهُ ﴾ يعني: الذَّبيح ﴿ بِذِيّ ﴾ وهو بكسر الذال: اسم ما ذُبِحَ، وبفتح الذال: مصدر ذَبَحْتُ، قَاله ابن قتية. ومعنى الآية: خلّصناه من الدَّبح بأن جعلنا الدُّبح فداء له. وفي هذا الدِّبح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كبشأ أورن قد رعى في ألجنة قبل ذلك أربعين عاماً، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقال في رواية سعيد بن جبير: هو الكبش الذي قرَّبه ابنُ آدم فتُقبِّل منه، كان في الجنة حتى فُدي به. والثاني: أن إبراهيم فدى ابنه بكبشين أبيضين أعينين أترنين، رواه أبو الطفيل عن ابن عباس (٢٠). والثالث: [أنه] ما فُدي إلّا بتيس من الأروى (٢٠)، أهبط عليه من تُبير، قاله الحسن (١٠). وفي معنى ﴿ مَظِيرٍ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنه كان قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: لأنه دُبَح على دِين إبراهيم وسُنّته، قاله الحسن. والثالث: لأنه مُتَقبِّلٌ، قاله مجاهد. وقال أبو سليمان الدمشقي: لمّا قرَّبه ابنُ آدم، رُفِع حيّاً، فرعى في الجنة، ثم جُعل فداء الدَّبيح، فقبِل مرتين. والرابعُ: لأنه عظيم الشخص والبَرّكة، ذكره الماؤدي.

قوله تعالى: ﴿ رَزُّكُنَا عَتِيهِ قد فسرناه في هذه السورة [المانات: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿ وَيَنْزَنِّكُ بِإِسْحَقَ ﴾ من قال: إن إسحاق الذَّبيحُ، قال: بُشِّر إبراهيم بنبوَّة إسحاق، وأثيب إسحاق بصبره

⁽۱) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَذَلِكُ مَجْرَى النَّحْدِينَ ﴿ ﴾ أي: مكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتُولُ مَن يَتُولُ مَن يَتُولًا عَلَى اللّهِ فَهُو حَسَيْهُ ۚ إِنَّ اللّهَ بَنِهُ أَتُرِدً فَدَ جَمَلَ اللّهُ لِكُلِ مَنْهُ وَقَدْلُ ﴾ قال: وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلاقاً لطائفة من المعتزلة، قال: والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فيح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، قال: وإنما كان المقصود من شرعه أولاً، إثابة المخلل على الصبر على ذبح ولده وهزمه على ذلك، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَنْكَ اللّهُ اللّهِ اللهِ عَلَى اللّهُ عَلَى وَلَا ﴿ إِنَّ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى وَلَوْ ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بليح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى، منقاداً قال تعالى: ﴿ وَإِنْهِيمَرَ الْمُؤْكِنَ مِنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَالَى: ﴿ وَإِنْهُيمَرَ الْمُؤْكِنَ اللّهُ عَالَى اللّهُ عَالَى اللّهُ عَالَى اللّهِ عَالَى اللّهُ عَالَمُ اللّهُ عَالَى اللّهُ عَالَهُ عَالَمُ اللّهُ عَالَى اللّهُ عَالَا اللّهُ عَالَى اللّهُ اللّهُ عَلَا عَالَ عَالَى اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَالَمُ عَالَا اللّهُ عَالَا اللّهُ عَالَمُ اللّهُ عَالَمُ اللّهُ عَالَمُ عَلَا عَالَمُ عَالَمُ ع

⁽٢) الذي في االطبري، واابن كثير، من رواية أبي الطفيل عن علي ﷺ قال: كبش أبيض أقرن أعين.

⁽Y) الأروى: الوعول:

 ⁽³⁾ قال ابن كثير في التاريخ، بعد أن ذكر تحواً من هذا: ثم غالب ما هاهنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر
العظيم والاختبار الباهر، وأنه فدي بلبح عظيم، قال: وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً. أهـ: وقال في التعشير»: والصحيح الذي عليه الأكلون أنه
يقدى بكبش. أهـ. واثيره: جبل بمكة.

النبوَّة، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة، وبه قال قتادة، والسدي^(۱). ومن قال: النَّبيح إسماعيل، قال: بشَّر الله إبراهيم بولد يكون نبيًا بعد هذه القصة، جزاءً لطاعته وصبره، وهذا قول سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿ وَيَرَكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَّ ﴾ يعني بكثرةُ ذرَّيَتهما، وهم الأسباط كلَّهم ﴿ وَمِن دُرِيَّتِهِمَا نُحْسِنُ ﴾ أي: مطيع لله ﴿ وَظَالِمٌ ﴾ وهو العاصي له. وقيل: المُحْسِنُ: المؤمِن، والظالم: الكافر.

﴿ وَلَقَدْ مَنَكَا عَلَى مُومَىٰ وَمَكُونَ ﴿ وَقَيْنَتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْحَرْبِ الْمَطِيمِ ﴿ وَلَقَدْ مَنَكَا عَلَى مُومَىٰ وَمَكُونَ ﴾ وَقَيْنَتُهُمَا وَوَرَهُمَا مِنَ الْحَرْبِ الْمَطِيمِ ﴿ وَلَقَامُهُمَا الْمَالِمِينَ ﴾ وَمَدْنَاهُمَ الْمَالِمِينَ ﴾ وَوَرَّدُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴾ سَلْتُمْ عَلَى مُوسَى وَمَدُونَ ﴾ إنا كَذَلِكَ عَلَيْهِمَا فِي الْمُحْرِينِ ﴾ إن كذلك بَخُون الْمُحْرِينِ ﴾ إن المُعْرِينَ ﴾ إن المُعْرِينِ أَلْمُحْرِينَ ﴾ وَاللَّهُ الْمُؤْمِدِينَ ﴾ وَلَذَلُونَ الْمُرْسِلِينَ ﴾ إن المُعْرِينَ ﴾ وَلَذَلُونَ اللهُ وَمِينَ اللهُ عَلَيْ إِلَى اللهُ عَلَيْ إِلَى اللهُ عَلَى إِلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ اللهُ عَلَيْكُونَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ مَنَنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَمَسُرِينَ ﴿ إِلَىٰ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ أحدهما: استعباد فرعون وبلاؤه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: الغرق، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَنَشَرْنَهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: [أنه] يرجع إلى موسى وهارون وقومهما. والثاني: [أنه] يرجع إلى موسى وهارون وقومهما. والثاني: [أنه] يرجع إليهما فقط، فجُمعا، لأن العرب تذهب بالرئيس إلى الجمع، لجنوده وأتباعه، ذكرهما ابن جرير. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الانبياء: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ إِلَيَاسَ لَيِنَ ٱلمُرْسِلِينَ ﴿ فَيه قولان: أحدهما: أنه نبيٌ من أنبياء بني إسرائيل، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إدريس، قاله ابن مسعود، وقتادة، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: قوإن إدريس، مكان «إلياس».

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِتَرْمِعِهُ أَلَا نَنْتُونَ ﴿ أَي اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الله الله على الرّب، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الضحاك: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف، فبينا هو جالس، إذ مَرّ أعرابيّ قد ضَلّت ناقتُه وهو يقول: من وجد ناقة أنا بعلُها؟ فتبعه الصّبيان يصيحون به: يا زوج النّاقة، يا زوج النّاقة، فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، ما عنيتَ ببعلها؟ قال: أنا ربّها، فقال ابن عباس: صدق الله ﴿آلَدُعُونَ بَعَلَى ﴿ ربّاً. وقال قتادة: هذه لغة يمانية. والثاني: أنه اسم صنم كان لهم، قاله الضحاك، وابن زيد. وحكى ابن جرير أنه به سُمّيت فيعلبكَ، والثالث: أنها امرأة كانوا يعبدونها، حكاه محمد بن إسحاق (٢).

قوله تعالى: ﴿اللهَ رَبُّكُونُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «الله ربُّكم» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «الله» بالنصب.

. • قوله تعالى: ﴿ نَكَذَّبُولُ فَإِنَّهُمْ لَمُعْضَرُونٌ ﴿ إِلَّا مِادَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّذِينَ لَم يكذَّبُوه، فإنهم لا يُخضَرون النَّار.

⁽۱) قال ابن كثير في «التاريخ»: وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، قال: وإنما أخذوه ـ والله أعلم ـ من كعب الأحبار أو صحف أهل الكتاب، قال: وليس في ذلك حديث صحيح عن الممصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، قال: ولا يُفهم هذا القرآنُ، بل المفهوم، بل المنطوق، بل النص عند التأمُّل على أنه إسماعيل، قال: وما أحسن ما استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله تعالى: ﴿ فَيَشْرَبُكُ إِيْسَكُنَ كِينَ مِنْ لَهُ إِيْسَكُنَ يَعْفُرَكُ قال: فكيف البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟! هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة، والله أعلم.

⁽۲) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَينَ المُرْسَلِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: لمرسل من المرسلين ﴿إِذَ قَالَ لِيَوْمِهِۥ أَلاَ نَتَفُونَ ﴿إِنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾؟ يقول حين قال لقومه من بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربّاً غير الله وإلهاً سواه ﴿ وَتَذَكُونِكَ أَمْسَنَ الْمُعَلِقِينَ﴾؟! يقول: وتذعون عبادة أحسن من قبل له خالق؟! ثم قال ابن جرير: وللبعل في كلام العرب أرجه، يقولون لرب الشيء: هو بَعْله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربّها، ويقولون لزوج العرأة: بعلها، ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستفنياً بعاء السماء ولم يكن سقياً: بعل. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿ أَنْدَوْنَ لَمُنْ اللّهِ عَلَيْ اللّهُ رَبِّكُمُ الزّلُينِ ﴾؟! أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالتفسير والسِّير أنه لمّا كَثُرت الأحداث بعد قبض حزقيل النبي على وعُبِدت الأوثانُ، بَعَثَ الله تعالى إليهم إلياس. قال ابن إسحاق: وهو إلياس بن تشبي بن فتحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، فجعل يدعوهم فلا يسمعون منه، فدعا عليهم بحبس المطر، فجُهدوا جَهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً منهم على نفسه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد مَلكَتُم جَهْداً، ومَلكَت البهائمُ والشجر بخطاياكم، فاخرُجوا بأصنامهم وادْعُوها، فإن استجابت لكم، فالأمر كما تقولون، وإن لم تفعل، عَلِمتم أنكم على باطل فنزَعْتُم عنه، ودعوتُ الله ففرَّج عنكم، فقالوا: أنصفت، فخرجوا بأصنامهم وأوثانهم، فدعوا فلم يُستجب لهم، فعرفوا ضلالهم، فقالوا: ادْعُ الله لنا، فدعا لهم، فأرسل المطر وعاشت بلادهم، فلم يُنزعوا عمّا كانوا عليه، فدعا إلياس ربَّه أن يَقْبِضه إليه ويُريحَه منهم، فقيل له: اخْرُج يومَ كذا إلى مكان كذا، فما جاءك من شيء فاركبْه ولا تَهَبُهُ، فخرج، فأقبل فَرَسٌ من نار، فوثب عليه، فانطلق به، وكساه الله الريش وألسه النور وقطع عنه لذَّة المَطّعم والمَشْرَب، فطار في الملائكة، فكان إنسيّاً مَلكيّاً، أرضيّاً سماويّاً ().

قوله تعالى: ﴿ سَلَمُ عَلَى إِلَى السِينَ ﴿ قَلَ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿ إلياسينَ موصولة مكسورة الألف ساكنة اللام، فجعلوها كلمة واحدة؛ وقرأ الحسن مثلهم، إلّا أنه فتح الهمزة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعبد الوارث، ويعقوب إلّا زيداً: ﴿إِلْ ياسينَ مقطوعة، فجعلوها كلمتين. وفي قراءة الوصل قولان: أحدهما: أنه جَمْعُ لهذا النبيّ وأُمّته المؤمنين به، وكذلك يُجمع ما يُنْسَب إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المهالبة، تريد: بني المهلّب، والمسامعة، تريد: بني مسمع. والثاني: أنه اسم النبيّ وحده، وهو اسمٌ عبرانيّ، والعجمي من الأسماء قد يُفْمَل به هكذا، [كما] تقول: ميكال وميكائيل، ذكر القولين الفراء والزجاج. فأمّا قراءة من قرأ: ﴿إِلْ ياسينَ مفصولة، ففيها قولان: أحدهما: أنهم آل هذا النبي المذكور، وهو يدخل فيهم، كقوله على اللهم صَلُ على آل أبي أوفى (٢٠٠٠) فهو داخل فيهم، لأنه هو المراد بالدعاء. والثاني: أنهم آل محمد على الله بن مسعود يقرأ:

⁽١) ذكر نحو هذا المعنى مطولاً الطبري في (تفسيره من رواية ابن إسحاق عن وهب بن منبه وغيره، وذكر نحوه ابن كثير في (التفسير) و«التاريخ» وقال في التفسير»: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته. وقال في (التاريخ»: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات إلتي لا تصدَّق ولا تكذَّب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم. اهـ.

رواه البخاري في «صحيحه» ٢٨٦/٣، باب صلاة الإمام ودعانه لصاحب الصدقة، وهو في «البخاري» أيضاً ١١/ ١٤٥ باب هل يصلّى على غير النبي في ورواه مسلم ٢/ ٧٥٧ ولفظه بتمامه عن عمرو بن مرّة عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي في إذا أثاء قوم بصدقتهم قال: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢/ ٢٨٦: قوله هعلى آل أبي أوفى» يريد أبا أوفى نفسه، لأن الآل يطلق على ذات الشيء، كقوله في في قصة أبي موسى (الأشعري): «لقد أوني مزماراً من مزامير آل داود» قال: واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد هو وابنه عبد الله بمعة الرضوان تحت الشجرة، وعُمّر عبد الله إلى أن كان آخر من مات من الصحابة بالكوفة، وذلك سنة سبع وشائين. قال ابن حجر: واستدل به (أي الحديث) على جواز الصلاة على غير الأنبياء، قال: وكرهه مالك والجمهور، قال: قال ابن التين: وهذا الحديث يمكّر عليه، قال: وقد قال جماعة من العلماء؛ يندعو آخذ الصلاة المدقة للمتصدّق بهذا الدعاء، لهذا الحديث، قال: وأجاب الخطابي عنه قديماً بأن أصل الصلاة: الدعاء، إلا أنه يختلف بحسب المدعوّ له، فصلاة النبي في على أمته: دعاء لهم بالمغفرة، وصلاة أمته عليه: دعاء له بزيادة القربي ولذلك كان لا يليق بغيره. انتهى. قال: واستدل به على استحباب دعاء آخذ الزكاة لمعطيها، قال: وأوجبه بعض أهل الظاهر، وحكاه الحناطي وجهاً لبعض الثافعية، وتُعقب بأنه لو كان واجباً لعلمه النبي في السعاة، ولأن سائر ما ياخذه الامام من الكفارات والديون وغيرهما لا يجب عليه فيها الدعاء، فكذلك الزكاة، قال: وأما الآية (يريد قوله تعالى: ﴿ فَذَ يَنُ السعاة، ولأن سائر ما يأخذه الامام من الكفارات والديون وغيرهما لا يجب عليه فيها الدعاء، فكذلك الزكاة، قال: وأما الآية (يريد قوله تعالى: ﴿ فَذَ يَنَ

هذا وقد اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً، نقال الامام النووي في «شرح مسلم» ٧/ ١٨٥: قال أصحابنا: لا يصلَّى على غير الانبياء إلا تبعاً، لأن الصلاة في لسان السلف مخصوصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، قال: واختلف أصحابنا في النهي عن ذلك هل هو نهي تنزيه، أم محرّم، أو مجرد أدب؟ على ثلاثة أوجه، الأصح الأشهر أنه مكروه، قال: واتفقوا على أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم في ذلك، فيقال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذرّيّته وأتباعه لأن السلف لم يمنعوا منه، وقد أمرنا به في التشهد وغيره. اهـ.

وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤٦/١، في حكم الصلاة على الأنبياء من المؤمنين: اختلف فيه، فقيل: لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصَّة، وحكي عن مالك، قال: وقالت طاففة: لا تجوز مطلقاً استقلالاً، وتجوز تبعاً فيما ورد فيه النص أن المحق به، لقوله تعالى: ﴿ يَمَعَلُوا وَصَامَ الرَّبُولِ بِيَنَكُمُ كُدُّهَا بَسِيكُمُ مِنْشَأَ ﴾ قال: ولأنه لما علَّمهم السلام قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ولما علَّمهم الصلاة قصر ذلك عليه وعلى أهل بيته. قال: وهذا القول اختاره القرطبي في «المفهم» وأبو المعالي من الحنابلة، قال: وقالت طائفة: تجوز تبعاً مطلقاً، ولا تجوز استقلالاً، قال: وهذا قول =

«سلامٌ على آذراسِينَ» وقد بيَّنَا مذهبه في أن إلياس هو إدريس. فإن قيل: كيف قال: «إدراسين» وإنما الواحد إدريس، والمجموع إدريسيِّ، لا إدراسِّ ولا إدراسيِّ؟ فالجواب: أنه يجوز أن يكون لغة، كإبراهيم وإبراهام، ومثله:

" قَدْنِيَ مِنْ نَسُسِ الدُّبَدِينَ فَدِي (١٠

وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو نهيك: اسلام على ياسين؛ بحذف الهمزة واللام(**).

﴿وَإِنَّ لُولًا لِمِنَ المُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَنَتُهُ وَأَهَلَهُۥ أَجْمَعِينٌ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى الْفَنهِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّزَا الْآخَرِينَ ۞ وَلِئَكُو لَنَتُرُونَ عَلَيْهِم تُصْهِجِينٌ ۞ وَبَالَيْلُ آفَلَا تَشْقِلُونَ ۞﴾

قُوله تعالى: ﴿إِذَ بَنِيْنَهُ﴾ [إذَ هماهنا لا يتعلق بما قبله، لأنه لم يُرْسَل إذ نُجِّيَ، ولكنه يتعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد إذ نَجِيناه (٢٠٠ . وقد تقدم تفسير ما بعد هذا الشمراه: ١٧١] إلى قوله : ﴿ وَلِلَّكُو لَنَكُونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينٌ ﴿ هَا خطاب لاهل مَكَة ، كَانُوا إذا ذهبوا إلى الشام وجاؤوا، مَرُّوا على قرى قوم لوط صباحاً ومساءً، ﴿ أَلَا تَقْيَلُونَ ﴾ فتعتبرون؟ ا

﴿ وَإِنَّا يُولُنَ لِينَ الشُّرْمَايِنَ ۞ إِذَ أَبَنَ إِلَى الفَلْهِ الْمُشْمُونِ ۞ مَسَاعَمَ فَكَانَ بِنَ الشُنْمَونِ ۞ وَالْمَسَنَّمُ اللَّهُ الْمُؤْنَ ۞ هُ فَسَلَمْتُهُ وَاللَّمَانَ وَهُوَ سَفِيدٌ ۞ وَالْبَسَنَا عَلِمِ شَجَرَةً بَن مُعْلِمِنٍ ۞ وَأَرْسَلَتُهُ إِنَّ بِالذَهِ آلْبِ أَزْ بَرِيدُونَ ۞ فَاسَنُوا مُسَعَّنَهُمْ إِلَّ حِينٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَ أَبَنَ﴾(٤) قال المبرّد: تأويل ﴿أَبَنَ»: تباعد؛ وقال أبو عبيدة: فَزِعُ؛ وقال الزجّاج: هرب؛ وقال بعض أهل المعاني: خرج ولم يُؤذَن له، فكان بذلك كالهارب من مولاه. قال الزجاج: والفُلك: السفينة، والمشحون: المملوء، وساهم بمعنى [قارع]، ﴿ينَ الْمُنْحَذِينَ﴾ أي: المغلوبين؛ قال ابن قتيبة: يقال: أَدْحَضَ الله حجتَهُ، فَدَحَضَتْ، أَي: أَزَالُها [فزالت]، وأصل الدَّحْض: الزُّلُق.

الإشارة إلى قصته

قد شرحنا بعض قصته في آخر (يونس) وفي [الانبياء: ١٦] على قدر ما تحتمله الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتممه الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتممه يقال عبد الله بن مسعود: لمّا وعد يونسُ قومَه بالعذاب بعد ثلاث، جَأروا إلى الله على واستغفروا، فكف عنهم العذاب، فانطلق مغاضباً حتى انتهى إلى قوم في سفينة، فعرفوه فحملوه، فلمّا رُكِبّ السفينة وقّفَت، فقال: ما لسفينتكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكنّي أدري، فيها عبد آبق من ربّه، وإنها والله لا تسير حتى تُلقُوه، فقالوا: أمّا أنت يا نبيّ الله فوالله لا تُلْقِيك، قال: فاقترعوا، فمن قرع فَلْيَقع، فاقترعوا، فقرع يونس، فأبكوا أن يُمكّنوه من الوقوع، فعادوا إلى

ابي حنيفة وجماعة، قال: وقالت طائفة: تكره استقلالاً لا تبعاً، قال: وهي رواية عن أحمد، قال: وقال النووي: هو خلاف الأولى، قال: وقالت طائفة: تجوز مطلقاً، قال: وهو مقتضى صنيع البخاري، فإنه صدّر بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَلَى طَبَّيّمٌ ﴾، ثم علَّق الحديث الدال على الجواز مطلقاً، وصبَّه بالحديث الدَّال على الجواز تبعاً، ثم قال الحافظ ابن حجر: وقال ابن القيم: المختار أن يصلَّى على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ والدوزت على سبيل الإجمال، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، ولا سبعا إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، كما يغمله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرط في بعض الأحابين من غير أن يتخذ شعاراً، لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير مَن أمر النبيُ ﷺ فول ذلك لهم وهم من إذى زكاته إلا نادراً. اهـ.

⁽١) الرجز لحميد الأرقط كما في «الممحاح» و«اللسان»: قدد، و«القرطبي» ١١٨/١٥.

⁽٢) قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه ﴿ لَكُمْ عُلَى إِلَّا يَابِينَ ﴾ بكسر ألفها، على مثال الإداسين الأن الله تعالى ذِكره إنما أخبر عن كل مرضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة، بأن عليه سلاماً، لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إلياس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك، ثم قال: فإن ظن ظان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتجاج من احتجاج عن الياسين هو إلياس غين عن الزيادة فيه. اهـ.

⁽٦) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط ﷺ أنه بعثه إلى قومه فكنّبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أملكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة متنتة قبيحة المنظر والطعم والربح، وجعلها بسبيل مقيم يمرُّ بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلْكُو لَنَكُرُنَ مَتَيْهِم مُشْمِدِينٌ ﴿ وَلِلْكُو لَنَكُرُنَ مَتَيْهِم مُشْمِدِينٌ ﴿ وَلِللَّهُ لَلَهُ مَنْ اللهُ عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟!

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم إذ أبق إلى الفلك المشحون. اه.

القُرعة حتى قرع يونس ثلاث مرات. وقال طاووس: إن صاحب السفينة هو الذي قال: إنَّما يمنعُها أن تسير أنَّ فيكم رجلاً مشؤوماً، فاقترعوا لنُلقيَ أحدنا، فاقترعوا، فقرع يونس ثلاث مرات. قال المفسرون: وكُّل الله به حوتاً، فلمّا ألقى نفسه في الماء التقمه، وأمر أن لا يضُرَّه ولا يَكُلِمَه، وسارت السفينة حينئذٍ. ومعنى التقمه: ابتلعه. ﴿وَفُو مُلِيمٌ﴾ قال ابن قتية: أي: مُنْذِبٌ، يقال: ألامَ الرجلُ: إذا أتى ذَنْباً يُلامُ عليه، قال الشاعر:

[تَسعُسدُ مَسعَسافِراً لا عُسفُرَ فسيسها] ومَسنُ يَسخُسذُلُ أَحَساهُ فَسقَسدُ أَلاَمَسا(۱)

قوله تعالى: ﴿ فَانَوْلاَ أَنَّمُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَيِّحِينُ ﴿ فَيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنَ الْمُصَلِّينِ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: من العابدين، قاله مجاهد، ووهب بن منبه. والثالث: قول ﴿ لاّ إِلَهَ إِلاّ أَنَّ سُبْحَنَكَ إِنِي كُنُتُ مِنَ الطَّيلِينَ ﴾ [الانبياء: ٨٧]، قاله الحسن. وروى عمران القطّان عن الحسن قال: والله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ فعلى هذا القول، يكون تسبيحُه في بطن الحوت. وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا منا تقلّم له قبل التقام الحوت إيّاه من التسبيح، ﴿ لَلِبَتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْتَدُنُ فَى قَلْ قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرّخاء، فنجّاه الله تعالى بذلك (٢٠). وفي قلّر مكثه في بطن الحوت خمسة أقوال: أحدها: أربعون يوماً، قاله أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي. والثاني: سبعة أيام، قاله سعيد بن جبير، وعطاء. والثالث: ثلاثة أيام، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: عشرون يوماً، قاله الضحاك. والخامس: بعض يوم، التقمه شحّى، ونبذه قبل غروب الشمس، قاله الشعبي (٣).

قوله تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَهُ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: الْقَيْنَاه ﴿ بِٱلْمَرْآيَ ﴾ وهي الأرضُ التي لا يُتُوارَى فيها بشجر ولا غيره، وكأنَّه مِنْ عَرِيَ الشَّيءُ.

قوله تعالى: ﴿وَمُورَ مَقِيدٌ﴾ أي: مريض؛ قال ابن مسعود: كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش. وقال سعيد بن جبير: أوحى الله تعالى إلى الحوت أن ألقِه في البَرّ، فألقاه لا شَعْر عليه ولا جِلْد ولا ظُفر.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَعْطِينِ ﴿ قَالَ ابن عباس: هو القرع، وقد قال أميَّة بن أبي الصلت قبل الإسلام: فَاأَنْبَتَ يَنْفُطِينَا عَلَيْهِ بِرَحْمَةً فِي اللهِ عَلَيْهِ بِرَحْمَةً فِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِيَّا اللهُ ا

قال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق وإنما تمتدُّ على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطين، واشتقاقه من: قَطنَ بالمكان: إذا أقام، فهذا الشجر ورقه كلَّه على وجه الأرض، فلذلك قبل له: يقطين. قال ابن مسعود: كان يستظلُّ بها ويصيب منها فيست فبكى عليها، فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرة أن يبست، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تُهلكهم؟! قال يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط: قيَّض [الله] له أروية من الوحش تروح على مُكرة وعشيًا فيشرب من لبنها حتى نبت لحمه. فإن قبل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها؟ فالجواب: أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا، وجلده قد ذاب، فأدنى شيء يَمرُّ به يؤذيه، وفي ورق اليقطين خاصِيَّة، وهو أنه إذا تُرك على شيء، لم يَقربه ذباب، فأنبته الله ليغطية ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذية (٥٠).

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَائِنَهُ إِنَ مِأْنَةِ أَلْفٍ ﴾ اختلفوا، هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إيّاه، أم بعد ذلك؟ على قولين: أحدهما: أنها كانت بعد نبذ الحوت إيّاه، على ما ذكرنا في [يرنس: ٩٨]، وهو مروي عن ابن عباس. والثاني:

 ⁽١) البيت أم همير بن سلمى الحنفي، وهو في أغريب القرآن، ٤٢٢، والصحاح، واللسان، والتاج، أوم.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: ﴿ لِنَزَلَآ أَنَّامُ يعني يونس ﴿ كَانَهُ من المصلين لله قبل البلاء الذي ابتَّلَي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿ لَيْتَ نَ بَنَائِرَة إِنَّ بِرِّه يُبْتَثُنَ ﴿ إِنَّ يَقُول: لَبَتِي في بطنه إلى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوساً، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، غذكره الله في حال البلاء فأنقذه ونجًاه. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير، بعد أن ذكر هذه الأقوال: والله أعلم بمقدار ذلك. اهـ.

⁽٤) البيت في الطبري، ٢٣/ ٢٠٣، والمجمع البيان، ٢٣/ ٨٤، والبحر المحيط، ٧/ ٣٧٥.

⁽٥) قال ابن كثير: وذكر بعضهم في القرع فوائد: منها سرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوحًا بلبه وقشره أيضًا، قال: وقد ثبت أن رسول الله 蔡كان يحب اللُّبّاء ويتجه من حواشي الصفحة. اهـ.

أنها كانت قبل التقام الحوت له، وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصح. والمعنى: وكنًا أرسلناه إلى مائة ألف، فلمّا خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسِل إليهم (). وفي قوله: ﴿أَنَّ ثَلاثة أَقُوال: أَحدها: أنها بمعنى قبل قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: أنها بمعنى الواو، قاله ابن قتيبة. وقد قرأ أبيّ بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «ويزيدون» من غير ألف. والثالث: أنها على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون. وفي زيادتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا مائة ألف يزيدون عشرين ألفاً، رواه أبيّ بن كعب عن رسول الله على ألهم كانوا مائة ألف ويضعة وثلاثين ألفاً، رويا عن ابن عباس. والرابع: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيد بن جبير، وبوف.

قوله تعالى: ﴿ فَنَاسُوا ﴾ في وقت إيمانهم قولان: أحدهما: عند معاينة العذاب. والثاني: حين أرسل إليهم يونس ﴿ فَتَتَّفَنَّهُمْ إِنَّ حِينٍ ﴾ إلى منتهى آجالهم.

﴿ فَاسْتَغْنِهِمْ أَلْرَقِكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُوکِ ۞ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَتِهِكَةَ إِنَكَا وَلَمُمْ شَهِدُوک ۞ أَلَا إِنَّهُم بَنْ إِنْكِيمْ لِتَقُولُوکُ ۞ وَلَدَ اللّهُ وَإِنِّهُمْ لَكُذِبُونَ ۞ أَسْطَغَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَسِينَ ۞ مَا لَكُرْ كَبْتَ خَلَتُونَ ۞ اللّهُ لَذَكُونَ ۞ اللّهُ لَذَكُونَ ۞ أَمْ لَكُونُ أَنَّهُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُولُولُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿ فَاسْنَفْنِهِمْ﴾ أي: سل أهل مكة سؤال توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله. ﴿ وَهُمْ شَهِدُونَ ﴾ أي: حاضرون. ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِنْكِهِمْ ﴾ أي: كذبهم ﴿ لِتُؤلُونَ ۖ وَلَدَ اللَّهُ ﴾ حين زعموا أن الملائكة بناته.

قوله تعالى: ﴿أَصَّطَنَى الْنَاتِ﴾ قال الفراء: هذا استفهام فيه توبيخ لهم، وقد تُطرح ألف الاستفهام من التوبيخ، ومثله: ﴿أَذَهَبَمُ لَيَبَكِرُ ﴾ الاحتان: ٢٠)، واأَذُهبتم يُستفهم بها ولا يُستفهم، ومعناهما واحد. وقرأ أبو هريرة، وابن المسيّب، والزهري، وابن جماز عن نافع، وأبو جعفر، وشيبة: «وإنهم لكاذبون اصطفى» بالوصل غير مهموز ولا ممدود؛ قال أبو على: وهو على [وجه] الخبر، كأنه قال: اصطفى البناتِ على البنين كما يقولون، كقوله: ﴿ذُقُ إِنَّكَ مَمدود؛ قال أَلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُرْ كُنْتَ غَكُونَ ﴿ فَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ ٱلْمُخَلَمِينَ ۞﴾ يعني الموحّدين. وفيما استُثنوا منه قولان: أحدهما: أنهم استُثنوا من حضور النار، قاله مقاتل. والثاني: ممّا يصف أولئك، وهو معنى قول ابن السائب.

⁽١) قال ابن كثير: قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً، أمر بالقوَّد إليهم بعد خروجه من الحوت فصدَّقوه كلُّهم. اهـ.

 ⁽۲) رواه ابن جرير الطبري ۱۰٤/۲۳، والترمذي ۲/۱۰۵ وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في «الله» (۲۱۹/۵، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي
 حاتم، وابن مردويه عن أبيّ بن كعب ...

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذُكر فيها الاحضار في هذه
السورة إنما عُني به الاحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع. اهـ.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْكُرُ ﴾ يعني المشركين ﴿ وَمَا تَنْبُدُنَ ﴾ من دون الله، ﴿ مَا أَشَرٌ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما تعبُدونَ ﴿ بِفَنَتِينَ ﴾ أي: بمُضِلِّين أحداً، ﴿ إِلَا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْمَنِيعِ ﴿ ﴾ أي: مَنْ سبق له في عِلْم الله أنه يدخل النار.

ثم أخبر عن الملائكة بقوله: ﴿ وَمَا يِنَا ﴾ والمعنى: ما مِنَا مَلَك ﴿ إِلَّا لَهُ مَنَامٌ مَّنَامٌ ﴾ أي: مكان في السموات مخصوص يعبُد الله فيه، ﴿ وَإِنَّا لَنَنُ السَّاقُونَ ﴿ إِنَّا كَانَ قَالَ الله الله الله عَلَى السَّامَ عَصُوفَ إِلَا الله الله الله الله الله على الأرض (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ لَلْسَبِّحُونَ ﴿ فَيه قولان: أحدهما: المُصَلُّون. والثاني: المنزِّهون لله عَلَّى عن السُّوء. وكان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه وقال: يا أيها الناس استوُوا، فإنما يريد الله بكم هَدْي الملائكة، وإنّا لَنَحْنُ الصَافُون، وإنّا لَنَحْنُ المُسبَّحون. ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين، فقال: ﴿ وَإِن كَانُوا لِيَتُولُونَ ﴾ المالائكة، وإنّا لَنَحْنُ الصّافُون، وإنّا لَنَحْنُ المُسبَّحون. ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين، فقال: ﴿ وَإِن كَانُوا لِيَوْلُونَ ﴾ الله وقد كان كفار قريش يقولون قبل بعثة النبي عَلَيْد: ﴿ وَلَوْ أَنَّ عِندَا وَلَى الْعَبادة لله ﴿ وَلَنَهُ النَّالُولِينَ وهم اليهود والنصارى، ﴿ لَكُنَا عِبَادَ اللّهِ الْمُعْلَسِينَ ﴿ الْعَلَمُ الْعَالِينَ الله العبادة لله على الله والله الله والله الله والله المسركين بنصرهم. والكلمة قوله: ﴿ حَمَنَكَ اللّهُ لَأَغْلِبَكَ أَنَا وَرُسُلِيّ الله والله الله والله المؤمنين ﴿ لَمُن النَّلُونَ ﴾ المنافرين ﴿ الله والله والله

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسِرُونَ ﴾ أي؛ انْظُر إليهم إذا نزل العذاب. قال مقاتل بن سليمان: هو العذاب ببدر؛ وقيل: أَبْصِر حالَهم بقلبك ﴿ مَسُونَ يُمِيرُونَ ﴾ وا أنكروا، وكانوا يستعجلون بالعذاب تكذيباً به، فقيل: ﴿ أَيْمَدَانِنَا يَسَعَبُونَ ﴿ الْكَافِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى العذاب. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والمجحدري، وابن يعمر: قفإذا نُزُل ، برفع النون وكسر الزاي وتشديدها ﴿ يِسَاكَيْمٍ ﴾ أي: بفِنائهم وناحيتهم. والسّاحة: فِناء الدّار. قال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعَقْوة من القوم، فيقولون: نزل بك العذاب وبساحتك. قال الزجاج: فكان عذاب هؤلاء الفتل ﴿ مَنَاتَهُ سَبَاحُ النّدَرِينَ ﴾ أي: بنس صباحُ الذين أنذروا العذاب (٢٠). ثم كرَّر ما تقدم توكيداً لوعده بالعذاب، فقال: ﴿ رَبَوَلَ عَنَهُمْ . . . ﴾ الآيتيتن. ثم نرَّه نفسهُ عن قولهم بقوله: ﴿ مُبْحَنُ رَبِكَ لَرَبُ الْمِنْوَةِ قال مقاتل: يعني عِزَّةً مَنْ يتعزَّز من ملوك الدنيا .

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِنُونَ﴾ أي: من اتَّخاذ النساء والأولاد. ﴿وَسَانَمُ عَلَ ٱلمُرْسَلِينَ ﴿ فَهُ وجهان: أحدهما: تسليمُه عليهم إكراماً لهم. والثاني: إخباره بسلامتهم. ﴿ وَلَلْمَنْدُ يَتَو رَبِّ ٱلْعَلَيدِ ﴾ على هلاك المُشْرِكِينَ ونُصرة الأنباء والمرسَلين (٣٠).

⁽١) روى مسلم في (صحيحه؛ ١/ ٣٧١ عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فلضّلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملاتكة، وجعلت لنا الأرض كأبها مسجداً، وجعلتْ تُربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء».

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿نَنَةَ سَرَاحُ الْكَدَيِرَا﴾ أي: فيشس ما يصبحون، أي: بئس الصباح صباحهم، قال: ولهذا ثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك 繼 قال: صبّع رسول الله 繼 خيير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورآوا الجيش رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي 憲:
 ﴿الله أكبر خربت خيير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين》. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: ﴿ وَلَلْمَنْدُ يَتِهَ رَبِّ آلْمَلْقِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: والحمد لله ربِّ الثقلين الجن والإنس خالصاً دون ما سواه، ألن كل نعمة لعباده،
 فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في يَعْمه هناهم، بل كلُّها من يُبله ومن عنده.

سورة ص

ويقال لها: سورة داود، وهي مكِّيَّة [كُلُّها] بإجماعهم

بنسب أقر الكنب التتبية

وَمَ وَالْمُرْمَانِ فِي اللَّمْرِ فِي اللَّهِيْ كَثَرُها فِي عِزْقَ وَشِقَاقِ فَي كُرُ الْمَلْكَا فِي مَالِهُ بِهِ، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة وابن عباس. والثاني: أنه بمعنى: صَدَقَ محمد، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: صَدَقَ الله، قاله الضحاك. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: معناه: صادق فيما وَعَد. وقال الزجاج: معناه: الصادقُ الله تعالى. والرابع: أنه اسم من روي عن ابن عباس أنه قال: معناه: صادق فيما وَعَد. وقال الزجاج: معناه: الصادقُ الله تعالى. والرابع: أنه اسم حَيَّة رأسها تحت العرش وذَنَبُها تحت الأرض الشّفلي، أسماء القرآن، أقسم الله به، قاله قتادة. والخامس: أنه اسم حَيَّة رأسها تحت العرش وذَنَبُها تحت الأرض الشّفلي، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: أظنه عن عكرمة. والسادس: أنه بمعنى: حادِثِ القرآن، أي: انظر فيه، قاله الحسن، وهذا على قراءة من كسروا، منهم ابن عباس، [والحسن]، وابن أبي عبلة. قال ابن جرير: فيكون المعنى: صاد الحسر، وهذا على قراءة من فتح، وهي قراءة أبي رتجاء، صحد قلوبَ الخُلق واستمالها حتى آمنوا به وأحبُّوه، حكاه الثعلبي(٣)، وهذا على قراءة من فتح، وهي قراءة أبي رتجاء، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة (صاده بتسكين الدال، الأنها من حروف وأبي الجوزاء، وحميد، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة (صاده) بتسكين الدال، الأنها من حروف وأبي الجوزاء، وحميد، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة (صاده) بتسكين الدال، الأنها من حروف النه على وقد قُرئتُ بالفتح وبالكسر؛ فمن فتحها، فعلى ضربين: أحدهما: الالتقاء الساكنين أيضاً. والثاني: على معنى: أثلُ وصاده، ويكون [صاد] السما للسورة الا ينصرف؛ ومن كسر، فعلى ضربين: أحدهما: الالتقاء الساكنين أيضاً. والثاني:

قوله تعالى: ﴿ إِي اللِّكُرِ ﴾ في المراد بالذُّكُر ثلاثة أقوال: آحدها: أنه الشَّرَف، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والشاتي: البيان، قاله قتادة. والثالث: التذكير، قاله الضحاك (٥٠). فإن قيل: أين جواب القسّم بقوله: ﴿ مّنَ

⁽۱) روله أحمد، والترمذي ٢٠٥/٢ عن ابن عباس في، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في فمستدركه ٢٢/٢ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الطبري ٢٢٥/٢٣، والواحدي: ٢٠٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٩٥، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس في.

⁽٢) في الأصل: صاد بعلمك القرآن، ولعله سهو من الناسخ، وقد كتب على الصواب بعد قليل، وما أثبتناه من الطبري، وكتب التفسير وااللسان،: صدي.

 ⁽٣) تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور في التعليق الذي في أول سورة (العنكبوت) وغيرها بما أغنى عن إعادته هاهنا، وقد تكلم المصنف على أول سورة (البقرة).

 ⁽٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قرّاء الأمصار مستفيضة فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات، قيُعرَّرَنَ إعراب الأسماء والأدوات والأصوات، فيُسلَكُ بهنَّ مسالكهنَّ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بيانها فيما مضى. اهـ.

⁽ه) رجح الطبري القول الثالث، وهو أنه يسمنى التذكير، قال: لأن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿ إِنَّ الْأَبِيَّ كَثَرُوا فِي عِزْزَ وَيُشْتَاقِ ۞﴾ فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذِكراً لعباده ذَكِّرهم به، وأن الكفَّار من الإيمان به في عرَّة وشقاق. اهـ. وقال ابن كثير: إن في هذا المقرآن لذكرى لمن يتذكَّر وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم يتنفع به الكافرون، لأنهم ﴿ فِي عِزْزٍ ﴾ أي: استكبار عنه وحميَّة ﴿ وَيُقَاقِ ﴾ أي: ومخالفة له ومعاندة ومفارقة. اهـ.

وَلَمْرَانِ نِى الذِّكِي ﴾ قعنه خمسة أجوبة: أحدها: أن قصّ جواب لقيله: قوالقرآن في قرص في معناها ، كقولك: وَجَبَ والله ، نَزَلَ والله ، خَلْ والله ، قاله الفواء ، وثعلب ، والثاني: أن جواب قصّ قوله: ﴿ وَلَا أَمْلَكَا مِن مَلِهِم مِن مَنِكُ ، ومعناه : لَكُمْ ، فلما طال الكلام ، حُلفت اللام ، ومثله : ﴿ وَالتَّمْيِن وَصُنها ﴿ فَ وَلَا أَفْلَت ﴾ الشمس: ١ و١٩ ، فإن المعنى : لقد أَفْلَت ، غير أنه لما اعترض بينهما كلام ، تبعه قوله : قد أَفْلَت ، حكاه الفواء ، وثعلب أيضاً . والثالث : أنه قوله : ﴿ إِنَّ نَلِكَ لَمَنُ عَنَامُم الله النَّارِ ﴾ [من : ١٤] ، قاله كُلُّ إِلَا كَذَب الرُّسُلَ ﴾ [من : ١٤] ، حكاه الأخفش . والرابع : أنه قوله : ﴿ إِنَ نَلِكَ لَمَنُ عَنَامُم الله والنَّارِ ﴾ [من : ١٤] ، قاله الكسائي ، وقال الفواء : لا نجده مستقيماً في العربية ، لِتأخّره جداً عن قوله : قوالقرآن . والخامس : أن جوابه محلوف ، تقديره : والقرآن ذي الذَّكُو ما الأمرُ كما يقول الكُفّار ، ويدل على هذا المحلوف قوله : ﴿ إِنَ النِّينَ كَثَرُوا فِي عِنْمَ وَشِعًا وَ معمود بن أبي عمود : قبي غِرَّة بغين معجمة وراء غير العاص ، وأبو رذين ، وابن يعمر ، وعاصم الجحدري ، ومحبوب عن أبي عمود : قني غِرَّة) بغين معجمة وراء غير معجمة . والشّقاق : الخلاف والعداوة لرسول الله عن وقد سبق بيان الكلمتين مشروحاً [البقر: ١٢٥ ، ١٢٠] . ثم خوَّفهم بقوله : ﴿ كُو اللّذَاء ، والثاني : الاستغاثة . الخالية ﴿ قَادَوْكُ عند وقوع الهلاك بهم . وفي هذا النداء قولان : أمدهما : أنه الذُعاء ، والثاني : الاستغاثة .

قوله تعالى: ﴿ وَلَانَ حِينَ مَنَاسِ ﴾ وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «ولات حينًا بفتح التاء ورفع النون. قال ابن عباس: ليس حين يروه فرار. وقال عطاء: في لغة أهل اليمن «لات، بمعنى «ليس»، وقال وهب بن منبه: هي بالسريانية، وقال الفراء: «لات، بمعنى «ليس»، والمعنى: ليس بحينٍ فوار. ومن القرّاء من يَخْفضُ «لات، والوجه النّصب، لأنها في معنى «ليس»، أنشدني المفضّل:

تَسَذَكُس حُبُّ لَيْسَلِّي لاتَ حِيسَا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينَا(٢)

قال ابن الأنباري: كان الفراء والكسائي والخليل وسيبويه والأخفش وأبو عبيدة يذهبون إلى أن التاء في قوله: «ولات» منقطعة من «حين»، قال: وقال أبو عبيدة: الوقف عندي على هذا الحرف «ولا»، والابتداء «تحين» لثلاث حُجج: إحداهن: أن تفسير ابن عباس يشهد لها، لأنه قال: ليس حين يَرَوْه فِرَار؛ فقد عُلِم أنّ «ليس» هي أخت «لا» وفي معناه. والحجة الثانية: أنّا لا نَجِدُ في شيء من كلام العرب «ولات»، إنما المعروفة «لا». والحجة الثالثة: أن هذه التاء، إنما وجدناها تلحق مع «حين» ومع «إلآن» ومع الـ «أوان»، فيقولون: كان هذا تحين كان ذلك، وكذلك: «تأوان»، ويقال: اذهب تَلأنٌ، ومنه قول أبي وجزة السعدي:

العَساطِ فُونَ تُحِبِ نَ مَا مِنْ عَساطِ فِي ﴿ وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمٍ (٣)

وذكر ابن قتيبة عن ابن الأعرابي أن معنى هذا البيت: «العاطفونة» بالهاء، ثم ثبتدئ: «حينَ ما مِنْ عاطِفٍ»؛ قال ابن الأنباري: وهذا فلط، لأن الهاء إنما تُقتَحَمْ على النَّون في مواضع القَطْع والسُّكون، فأمّا مع الاتصال، فإنه غير موجود. وقال علي بن أحمد النيسابوري: النحويُّون يقولون في قوله: «ولات»: هي «لا» زيدت فيها التاء، كما قالوا: ثمَّ وثُمَّتْ، ورُبَّ ورُبَّتْ، وأصلها هاءٌ وُصِلَتْ بـ «لا»، فقالوا: «لاه»، فلمّا وَصَلُوها، جعلوها تاءً؛ والوقف عليها بالتاء عند الزجاج، وأبي علي، وعند الكسائي بالهاء، وعند أبي عبيد الوقف على «لاه". فأما المَناص، فهو الفرار. قال الفراء: النَّوْص في كلام العرب؛ التأخر؛ والبَوْصُ: التقدَّم، قال المرق القيش: عنه

 ⁽١) وهو الذي رجحه الطبري في اتفسيرها.

 ⁽٢) البيت في «الطبري» ٢٣/ ٢٢٪، و«مجمع البيان» ٢٣/ ٩٥، و«القرطبي» ١٤٧/١٥.

⁽⁾ البيت في المشكل القرآن، ٤٠٤، والطبري، ١٢٣/٢٣، واللمان، والتاج»: حين.

⁽٤) قال ابن كثير: وهذه الكلمة، وهي «لات» هي «لا» التي للنفي زيدت معها التاء كما تزاد في «ثم» فيقولون: «ثمت» و«رب» فيقولون: «ربّت» ـ وهي مفصولة (يعني كلمة «لا»)، والوقف عليها، قال: ومنهم من حكى عن المصحف الامام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بـ «حين» «ولا تحين مناص» قال: والمشهور الأول، قال: ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس الحين حين مناص. اهـ.

أمِن ذِحْدِ سَلْمَى إِذْ نَاتُكَ تَنُوصُ ﴿ وَتَهُدُومُ اللَّهِ الْحَظْوَةَ وَتَهُوصُ (١)

وقال أبو عبيدة: المَنَاصُ، مصدر نَاصَ يَنُوصُ، وهو المنجى والْفوز.

﴿ وَغِيْرًا أَن جَآءَمُ شُنِدٌ يَهُمْ وَقَالَ الْكَفِرُونَ هَذَا سَجِرٌ كَذَابُ ۞ آَمِنَلَ الْآلِمَةَ إِلَهَا وَجِدًا إِنَّ هَذَا لَئَنَهُ عَبَابٌ ۞ وَالطَانَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمَانَ اللّهُ اللّهُ وَالْمَانَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَالّ

قوله تعالى: ﴿ وَعَجْرًا ﴾ يعني الكفار ﴿ أَن جَاءَمُ شُذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ يعني رسولاً من أنفسهم يُنْذِرُهم النّارَ. ﴿ أَجَلُ الآلِمَةَ إِلَهَا وَلِهُم لَمّا اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسولُ الله عقال: ﴿ وَاتَّعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وهي ﴿ لا إله إلا الله ، فقاموا يقولون: ﴿ أَجْعَلَ الآلهة الله واحداً »، ونزلت هذه الآية فيهم (١٠) . ﴿ إِنَّ هَنَا ﴾ [الذي] يقول محمد من أن الآلهة إله واحد ﴿ لَنَيْءُ عُبَابٌ ﴾ أي: لأمرٌ عَجَبٌ ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وابن السميفع: ﴿ عُجّابٌ ، بتشديد الجيم . قال اللغويون: العُجَاب والعُجّاب والعجيب بمعنى واحد ، كما تقول: كَبِيرٌ وكُبَارٌ وكُبًارٌ ، وكُريمٌ وكُرامٌ وكُرّامٌ ، وطّويلٌ وطُوالٌ وطُوّالٌ ؛ وأنشد الفراء:

جاؤوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ العَجَبُ أُزَيْرِقِ العينيينِ ظُوَّالِ اللَّنَابُ^(٣)

قال قتادة: عجب المشركون أن دُعي الله وَحْدُه، وقالوا: أَيَسْمَعُ لِحاجاتنا جميعاً إلهٌ واحد؟!

قوله تعالى: ﴿وَالْعَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: لمّا اجتمع أشراف قريش عند أبي طالب وشَكُوا إليه رسولَ الله ﷺ على ما سبق بيانه، نفروا من قول: ﴿لا إِله إِلا اللهِ، وخرجوا من عند أبي طالب، فذلك قوله: ﴿ وَإَنْكَانَ ٱللَّأُ يُنْهُمْ ﴾. والانطلاق: النُّمَابُ بسهولة، ومنه طَلاَقَةُ الوَّجْه. والملأ: أشراف قريش. فخرجوا يقول بعضهم لبعض: ﴿أَنشُوا﴾. و﴿ أَنَّ﴾ بمعنى أيَّ؛ فالمعنى: أي: امْشُوا. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: انْطَلِقوا بأن امْشُوا، أي: انْطَلَقوا بهذا القول. وقال بعضهم: المعنى: انْطَلَقوا يقولون: امْشُوا إلى أبى طالب فاشْكُوا إليه ابنَ أخيه، ﴿وَٱسْبُكُا عَكَ عَالِهَتِكُرُّ ﴾ أي: اثبتُوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَلَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لَتَتَى ۗ يُكُولُ﴾ أي: لأمرُّ يُوادُ بِنَا. ﴿مَا سَمِمَّنَا يَهَلَا﴾ الذي جاء به محمدٌ من التوحيد ﴿فِي ٱلْمِلْةِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: النصرانية، روّاه ابن أبي طلحة عن أبن عباس، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، ويه قال محمد بن كعب القرظي، ومقاتل. والثاني: أنها مِلَّة قريش، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثالث: اليهودية والنصرانية، قاله الفراء، والزجاج؛ والمعنى أن اليهود أشركت بعُزَير، والنصارى قالت: ثالث ثلاثة، فلهذا أَنْكَرَتِ التوحيدَ. ﴿إِنَّ مَنَا﴾ الذي جاء به محمدٌ ﷺ ﴿إِلَّا أَخِلَنُّ﴾ أي: كذب. ﴿أَمْزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يعنون الڤرآن. «عليه» يعنون رسول الله ﷺ، ﴿ينَ أَبُونَا ﴾ أي: كيف خُصَّ بهذا دونَنَا وليس بأعلانا نَسَباً ولا أعظمنَا شَرَفاً؟! قال الله تعالى: ﴿بَلْ مُمْ فِي شَكِّ نِن ذِكْرِيٌّ﴾ أي: من القرآن؛ والمعنى أنهم ليسوا على يقين ممَّا يقولون، إنما هم شاكُّون ﴿ بَل لَمَّا﴾ قال مقاتل: «لمَّا» بمعنى «لم» كقوله: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى تُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقال غيره: هذا تهديد لهم؛ والمعنى أنه لو نزل بهم العذاب، علموا أن ما قاله محمدٌ حتٌّ. وأثبت ياء ﴿عَلَابٍ﴾ في الحالين يعقوب. قال الزجاج: ولما ذلَّ قولُهم: ﴿أَمْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ على حسدهم له، أعلم الله على أن المُلك والرَّسالة إليه، فقال: ﴿أَمْرَ عِندُهُرْ خَزَايَنُ رَهُمَةِ رَلِكَ﴾؟! قال المفسرون: ومعنى الآية: أبأيديهم مفاتيحُ النُّبوَّة فيضعونها حيث

⁽١) ديوانه ١٧٧، ودغريب القرآن، ٣٧٦، ودالطبري، ٢٣٠/١٣، ودمختار الشعر الجاهلي، ١٢٧/١، ودالصحاح، وداللشان، ودالتاج،: بوص.

 ⁽۲) تقدم تخريج الحديث في أول السورة حيث ذكر المصنف هناك سبب نزول هذه الآيات من أول السورة إلى هنا، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ۱۶۱ : وروى الترمذي والنسائي والبن عبان وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم، من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رقم قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبي ﷺ. . . الحديث.

⁽٣) البيت في «مجمع البيان» ٩٤/٢٣.

شاؤوا؟! والمعنى: ليست بأيديهم، ولا مُلْكُ السموات والأرض لهم، فإن ادّعَوْا شيئاً من ذلك ﴿ فَلَيْرَنَّهُوا فِي الأَسْبَكِ﴾ قال سعيد بن جبير: أي: في أبواب السماء. وقال الزجاج: فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُندُ أَي: هُمْ جُنْدٌ. والجُند: الأتباع؛ فكأنه قال: هُمْ أَتباعٌ مَقلُدُونَ لِيسَ فيهم عالِمٌ راشد. وَهِمَا ﴾ زائدة، و﴿هُنَالِكَ ﴾ إشارة إلى بدر. والأحزاب: جميع مَنْ تقلَّمهم من الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء. قال قتادة: أخبر الله نبيَّة وهو بمكة أنه سَيَهْزِمُ جُند المشركين، فجاء تأويلُها يؤمّ بدر.

﴿ كُذَبَتْ تَبْلَهُمْ فَيْمُ لُوجَ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۞ وَتَسُودُ وَقَيْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَتَيْكُمَّ أَوْلَتِكَ الْأَصْرَابُ ۞ إِن كُلُّ إِلَّا كَانَّ الْكَانِ الْمُسَلِّلُ فَحَقًّ عِقَابٍ ۞ وَمَا يَظُلُرُ هَلَوُٰلِكَمْ إِلَّا صَيْحَةً رَجِدَةً مَّا لَهَا مِن فَرَاقٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كُذَبُّ فَلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ ﴾ (١) قال أبو عبيدة: قَوْمٌ من العرب يؤنُّنون القوم،، وقوم يذكّرون، فإن احتُجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وقع المعنى على العشيرة، واحتَجُّوا بقوله: ﴿ كُلّاَ إِنَّا نَدْكِرَا ۗ ۞ ﴿ [صب: ١١]، قالوا: والمُضْمَر مذكّر.

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُر اَلْأَوْلَاكِ فِيه ستة أقوال: أحدها: أنه كان يعذّب الناس بأربعة أوتاد يَشُدّهم فيها، ثُمَّ يرفع صخرة فتُلقى على الإنسان فتَشْدَخُه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وكذلك قال الحسن، ومجاهد: كان يعذّب الناس بأوتاد يُوتِدُها في أيديهم وأرجُلهم، والثاني: أنه ذو البِناء المُحْكَم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك، والقرظي، واختاره ابن قتيبة، قال: والعرب تقول: هُمْ في عِزّ ثابتِ الأوتاد، ومُلكِ ثابتِ الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا، أن البيت [من بيوتهم] يثبتُ بأوتاد، قال الأسود بن يَعفُرُ:

[ولقد خَنُوا فيها بِأَنْعَمِ عِيشَةِ] في ظِل مُلْكِ ثَابِتِ الأوْتادِ")

والثالث: أن المراد بالأوتاد: الجنودُ، رواه عطبة عن ابن عباس، وذلك أنهم كانوا يَشُدُّون مُلكه ويُقَوُّون أمره كما يقرِّي الْوَتَدُ الشيءَ. والرابع: أنه كان يبني مَناراً يذبح عليها الناس. والخامس: أنه كان له أربع أسطوانات، فيأخذ الرَّجُلِّ فِيمُذُّ كلَّ قائمة إلى أُسْطوانة فيعذَّبه، روي القولان عن سعيد بن جبير. والسادس: أنه كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يُلعَب له عليها، قاله عطاء، وقتادة ((). ولمّا ذكر المكذّبين، قال: ﴿ أُولَتِكَ اللَّمْزَابُ ﴾ فاعلَمنا أن مشركي قريش من هؤلاء، وقد عذّبوا وأهلكوا، ﴿ فَحَقَّ عِقَابٍ ﴾ (نَا مُنابِ الياء في الحالين يعقوب. ﴿ وَمَا يَظُرُ ﴾ أي: وما ينتظر ﴿ مُثُولِكَهَ ﴾ يعني كفار مكة ﴿ إِلّا مَنْبَحَةً رَحِيدًا وَ فيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله مقاتل. والثاني: النفخة الأخيرة، قاله ابن السائب (٥). وفي الفَواق قراءتان: قرأ حمزة، وخلف، والكسائي: بضم الفاء. وقرأ الباقون:

⁽¹⁾ قلل ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حلَّ بهم من العذاب والتَّكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . . . عليهم العنلاء والسلام، قال: وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة. اه.

⁽٢) البيت في اغريب القرآنُ ١٣٧٧، والبحر المحيط؛ ٧/ ٣٨٦، والقرطبي؛ ٥١/ ١١٥، والمفضليات؛ ٢١٧. ومعنى اغتُراه: أقاموا، يقال: غَنينا بمكان

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما لِلُمَب كان يُلْمَبُ له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد (وثمود وقوم لوط) قود ذكرنا أخبار كلَّ هؤلاء فيما مضى قبلُ من كتابنا هذا، قال: ﴿وَأَصَمَٰ لَنَبْكُذُ ﴾ يعني: وأصحاب الغيضة. اهـ.

⁽٤) في الأصل: فكيف كان عقاب، ولعل المصنف رحمه الله اشتبهت عليه هذه الآية بآية سورة [الرعد: ٣٧]. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ أَنْلَتِكَ اللَّهُ مَالِي يَكِرُهُ عَلَاهُ الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحرَّبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلولة بهم سبيلهم ﴿ إِن كُلُ إِلَّا حَكَلَبَ الرُّسُلُ ﴾ يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ﴿ فَحَنَّ عِنَابٍ ﴾ يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم. اهد. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ أَنْلِتُكَ الْخَمْلُ ﴾ أي: كانوا أكثر منكم، وأشد قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دنع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لمّا جاء أمر ربك، قال: ولهذا قال ﴿ قَلَ: ﴿ إِن كُلُ إِلاَ حَكَلَبَ الرُّسُلَ فَحَقَ عِقَابٍ ۞ فجعل علّة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر: اهد.

⁽٥) قال ابن كثير: وهذه الصبحة، هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطوّلها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استنى الله تلق. اهـ.

بفتحها. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه تولان: أحلهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو معنى قول الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: والمعنى: ما لها من راحة ولا إفاقة، وأصله من الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهيمة أمّها ثم تركثها حتى تنزل شيئاً من اللّبن، فتلك الإفاقة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العِيادةُ قَدْرُ فُواقَ ناقة (الله ومن يفتح الفاء، فهي لغة جيدة عالمية. وقال ابن قتيبة: الفُواق والقواق واحد، وهو أن تُحْلَبَ النّاقة وتُترك ساعة حتى تُنزل شيئاً من اللّبن، ثم تُحْلَب، فما بين الحَلْبتين فواق، فاستعير الفواق في موضع المكث والانتظار. وقال الزجاج: الفُواق: ما بين حلبتي النّاقة، وهو مشتق من الرُّجوع، لأنه يَعُودُ اللّبن إلى الضّرع بين الحَلْبتين، يقال: أفاق من مرضه، أي: رَجَع إلى الصَّحَة. والثاني: أن من فتحها، أراد: ما لَها من رجعة، ومن ضمّها، أراد: فُواق الناقة، قاله أبو عبيدة، وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحلها: ما لها من رجع، ثم فيه قولان: أحدهما: مالها من ترداد، قاله ابن عباس، والمعنى أن تلك الصيحة لا تُكرَّرُ. والثاني: ما لها من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدها إلى الدنيا. والثاني: ما لها من وتادة، والمعنى أنهم منها من أوقة، بل تُهْلِكهم، قاله ابن زيد. والثالث: مالها من فُتور ولا انقطاع، قاله ابن جرير. والرابع: ما لها من راحة، حكاه جماعة من المفسرين.

﴿ وَقَالُواْ رَبُّنَا عَجِلَ لَنَ فِطْنَا فَبَلَ يَوْرِ الْحِسَابِ ۞ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذَكُرْ عَبْدَنَا كَاوُدَدَ ذَا الْأَبَيْرِ إِنَّهُۥ أَوَّابُ ۞ إِنَّا سَخَرَنَا الْجِبَالَ مَتُمُ يُسَيِّمْنَ وَالْمَيْنِي وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالظَيْرَ عَشُورَةً كُلُّ لَنُهِ أَوَاتُ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكُمُ وَالَيْسَكُ ٱلْحِكْمَةَ وَتَصْلَ الْجِلَابِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَثَالُواْ رَبُّا عَبُل لَنَا قِطْنَا﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنه لمّا ذُكِر لهم ما في الجنة، قالوا هذا، قاله سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أنه لمّا نزل قوله: ﴿فَأَمّا مَنْ أُرْفَى كِنَبُرُ سِينِهِ...﴾ الآيات [الحاقد: ١٩ - ١٧]، قالت قريش: زحمت يا محمد أنّا نُوتى كتبنا بشمائلنا؟! فعجُل لنا قِطّنا، يقولون ذلك تكذيباً له، قاله أبو العالمية، ومقاتل وفي المراد بالقِطّ أربعة أقوال: أحدها: أنه الصحيفة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: القِطّ في كلام العرب: الصّك، وقال أبو عبيدة: القِطّ: الكتاب، والقُطُوط: الكتب بالجوآبز، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أن القِطّ: الحساب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه القضاء، قاله عطاء الخراساني، والمعنى أنهم لمّا وُعِدوا بالقضاء بينهم، سألوا ذلك. والرابع: أنه النصيب، قاله القضاء، قاله الزجاج: القِطّ: النصيب، وأصله: الصحيفة يُكْتَب للإنسان (٤) فيها شيء يَعِيل إليه، واشتقاقه من قطّظتُ، أي: قطّغتُ، فالنّصيب: هو القطعة من الشيء. ثم في هذا القول للمفسرين قولان: أحلهما: أنهم من الجنة، قاله سعيد بن جبيرا. والثاني: سألوه نصيبهم من العذاب، قاله قتادة. وعلى جميع من عن الجنة، قاله سعيد بن جبيرا. والثاني: سألوه نصيبهم من العذاب، قاله قادة. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاء، لتكذيبهم بالقيامة. ﴿أَسْبِرْ عَلَى مَا يَتُولُونَ ﴾ أي: من تكذيبهم وأذاهم؛ وفي هذا ولان: أحدهما: أنه أمِر بالصبر، سلوكاً لطريق أولي العزم، وهذا مُحُكم. والثاني: أنه منسوخ بآية السيف فيما زعم الكلي.

 ⁽١) هذا الحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية البيهتي في «شعب الإيمان» من أنس بن مالك رهي بلفظ: «العيادة فُزاق ناقة» ولم
 يتكلم عليه الحافظ المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» بشيء» بل قال: ورواه عنه الديلمي بلا صند. اهـ.

⁽٢) ذكر هذين القولين الطبرسي في امجمع البيان، كما هما هنا بدون سند، وكذلك ذكر هذا المعنى البغوي والخازن بدون سند.

⁾ قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بعظوظهم من النغير أو الشر الذي وحد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاة بوعيد الله، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن القط هو ما وصفتُ من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿أَمَو فَي مَا يُعُولُنَهُ فَكان معلوماً بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم، لم يكن باللذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء وكان فيه لأسول الله ﷺ أذى، أمرة الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، وقما لم يكن في قوله: ﴿غَيْل أَلْ يَطْنَا﴾ بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنيّ به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، قلذلك قلنا: إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر. اهد.

⁽٤) في الأصل: الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وَالْذَكُرُ عَبُنَا كَاوُدَى في وجه المناسبة بين قوله: "اصبر" وبين قوله: "واذْكُرْ عَبْدَنا داوْدَ على العبادة والطاعة. والثاني: أن المعنى: عرّفهم أن الأبياء المعلما: أمع طاعتهم ـ كانوا خاتفين مني، هذا داوُد مع قوّته على العبادة، لم يزل باكياً مستغفراً، فكيف حالهم مع أفعالهم؟! فأمّا قوله: ﴿فَا اللَّيْدِ فَقَال ابن عباس: هي القُوّة في العبادة. وفي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله على: "أحبُ الصّيام إلى الله صيامُ داوُد، كان يصومُ يوماً ويُفْطِر يوماً، وأحبُ الصّلاة إلى الله صلاةُ داوُد، كان ينام نِصْفَ الليل ويقومُ ثُلثه وينامَ سُدسه (١٠). وفي الأوّاب أقوال قد ذكرناها في ابني إسرائيل: ٢٥]. ﴿إِنَّا سَخَرَنَا لَهُبَالَ عَمْ يُسَمِّنَ لَهُبَالَ وَيَقُومُ ثُلته وينامَ سُدسه (١٠)، وفي الأوّاب أقوال قد ذكرناها في ابني إسرائيل: ٢٥]. ﴿إنَّا سَخَرَنَا لَهُبَالَ مَعْنَى المُشْرِقِينَ في مواضع مما تقدم (آل عمران: ٢١) الانعام: ٢٥]، وذكرنا معنى العَشِيّ في مواضع مما تقدم (آل عمران: ٢١) الانعام: [وإضاءتُها]. وروي عن ابن عباس أنه قال: طَلَبْتُ صلاةً الضّحى، فلم أُجِنْها إلّا في هذا الآية. وقد ذكرنا عنه أن صلاة الشّحى مذكورة في النور: ٢٦] في قوله: ﴿ إِلْلَامُكُولُ وَالْآصَالِ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةً﴾ وقراً عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبلة: ﴿والطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تسبِّح الله معه ﴿كُلُّ لَهُۥ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى داوُد، أي: كُلُّ لداود ﴿أَوَائِبُ﴾ أي: رَجّاعٌ إلى طاعته وأمْره، والمعنى: كُلُّ له مُطِيع بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور. والثاني: [أنها] ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كُلُّ مسبِّحٌ لله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُمُ ﴾ أي: قوَّيناه. وفي ما شُدَّ به مُلْكُه قولان: أحدهما: أنه الحَرَسُ والجنود؛ قال ابن عباس: كان يحرُسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه مَيْبَةٌ أُلْقِيَتْ له في قلوب الناس؛ وهذا المعنى مرويًّ عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ رَمَاتِنْكُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفَهْم، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: الصَّواب، قاله مجاهد. والثالث: السُّنَة، قاله قتادة. والرابع؛ النُّبُوَّة، قاله السدي. وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: عِلْمُ القضاء والعدل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: بيان الكلام، روي عن ابن عباس أيضاً. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود. والثالث: قوله قاما بعده، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري، والشعبي. والرابع: تكليف المدعي البيَّنة، والمدَّعَى عليه اليمين، قاله شريح، وقتادة؛ وهو قولً حسنٌ، لأن الخصومة إنما تُفْصَل بهذا،

قوله تعالى: ﴿وَهَلَ أَتَنكَ نَبُوا الْحَمْمِ ﴾ قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاكَ فاسْتَمِعْ له نَقْصُصْ عليكَ. واختلف العلماء في السبب الذي امتُجن لأجُله داوُد ﷺ بما امتُحن به على خمسة أقوال: أحدها: أنه قال: يا ربِّ قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذَّكْر ما لو ودِدْتُ أنَّك أعطيتني مِثْلَه، فقال الله تعالى: إنِّي ابتليتُهم بما لم أبْتَلِكَ به، فإن شئتَ ابتليتُكَ بمِثْلِ ما ابتليتُهم به وأعطيتُك كما أعطيتُهم؟ قال: نعم، فبينما هو في محرابه إذ وقعتُ عليه حمامة، فأراد أن يأخذها فطارت، فذهب ليأخذها، فرأى امرأة تغتسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال السدي(٢٠). والثاني: أنه ما

⁽١) رواه البخاري في «صحيحه ٢٤/٣، ومسلم ٨٦٦/٢ باختلاف يسير في ألفاظه، والحديث رواه أيضِاً أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم.

⁽٢) رواه الطبري من رواية العوني عن ابن عباس ١٤٦/٢٣ والعوني ضعيف، ورواه عن السدي بتحوه ٢٣/١٤٧.

زال يجتهد في العبادة حتى بَرز له قرناؤه من الملائكة وكانوا يصلُّون معه ويُسْعِدونه بالبُكاء، فلمّا استأنس بهم، قال: أخْبِروني بأيِّ شيء أنتم موكَّلون؟ قالوا: مَا نَكْتُب عليكَ ذَنْباً، بل نكتب صالح عملك ونثبتُك ونوقُقُك ونَصْرِف عنك السُّوء، فقال في نفسه: ليت شِعري، كيف أكون لو خلّوني ونفسي؛ وتمنَّى أن يُخلى بينه وبين نفسه ليَعْلَم كيف يكون، فأمر الله تعالى قُرنَاءه أن يعتزلوه ليَعْلَم أنه لا غَنَاء به عن الله [رهن فلم فقدهم، جَدَّ واجتهد ضِعْف عبادته إلى أن ظَنَّ أنه قد غَلَب نَفْسه، فأراد الله تعالى آن يُعرَّفَه ضَعْفه، فأرسل إليه طائراً من طيور الجنة، فسقط في محرابه، فقطع صلاته ومَدَّ يده إليه، فتنحى عن مكانه، فأتبعه بصَره، فإذا امرأة أوريا، هذا قول وهب بن منبه (۱۰). والثالث: أنه تذاكر هو وبنو إسرائيل، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذَنْباً؟ فأضمر داودُ في نفسه أنه سيُطيق ذلك، فلمّا كان يوم عبادته، أغلق أبوابه وأمَر أن لا يدخُل عليه أحد وأكبَّ على قراءة الزَّبور، فإذا حمامة من ذهب، فأهوى إليها فطارت، عبادته، أغلق أبوابه وأمَر أن لا يدخُل عليه أحد وأكبَّ على قراءة الزَّبور، فإذا حمامة من ذهب، فأهوى إليها فطارت، فتبِعها فرأى المرأة، رواه مطر عن الحسن "أنه أعجبه كثرة عمله، فابتُليّ، قاله أبو بكر الورّاق (۱۳).

الإشارة إلى قصة ابتلائه

قد ذكونا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي: تصوّر له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لمّا تبع الحمامة، رأى امرأة في بستان على شطّ بِرْكة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها، فعجب من حسنها، فحانت منها الثفاتة فرأت ظِلَّه، فنقضت شعرها، فغظى بدنها، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها، فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة، فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدّمه قبل التابوت، وكان مَنْ قُدِّم على التابوت لا يَجِلُّ له أن يرجع حتى يُقْتَح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففُتِح عليه، فكتب إلى داود يخبره، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوٍ كذا وكذا، فقُتل في المرّة الله الله العدق الله الله المرّة تزوّجها داوُد، فهي أمَّ سليمان، فلمّا دخل بهاء لنه أنا يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله كلك الكنين في صورة إنسيّين، وقيل: لم يأته المَلكان حتى جاء منها سليمان وشَبَّ، ثم أتياه فوجداه في محراب عبادته، ملكين في صورة إنسيّين، وقيل: لم يأته المَلكان حتى جاء منها سليمان وشَبَّ، ثم أتياه فوجداه في محراب عبادته، فمنعهما الحرس من الدُّخول إليه، فتسوروا المحراب عليه؛ وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين أن وقد ورى عن ابن عباس، وروي عن الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل في آخرين. وذكر جماعة من المفسرين أن داوُد لمّا نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى النزاة مَرَّة بعد مَرَّة إلى أن قتل، فتزوّجها؛ وروي عيث المعنى، لأن الأنبياء منزّهون عنه. وقد اختلف المحقّقون في ذَنْه الذي عُوتب عليه على أربعة أقوال: أحلها: أنه لمّا مَويَها، قال لزوجها: تحوّل لي عنها، فعُوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد داوُد على أن قال لصاحب المرأة: أكفيأنينها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود أن. وقد حكى أبو سليمان على أن قال لصاحب المرأة: أكفيأنيها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود أن. وقد حكى أبو سليمان عنه أن قال لصاحب المرأة: أكفيأنيها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود أن. وقد حكى أبو سليمان

⁽١) ذكر الطبري ٢٣/١٤٩ بسند فيه جهالة من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منيه، والله أعلم.

⁽٢) - رواه الطبري ١٤٨/٣٣ من رواية مطر عن الحسن، ومطر هو ابن طهمان الورَّاق، أبو رجاء، قال الحافظ ابن حجر في التقريب»: صدوق كثير الخطأ.

٢) قال ابن كثير عن تفسير هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاهتا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم جديث يجب أتباعه، قال: ولكن روى ابن أبي حاتم هنا جديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس فيه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأقمة، قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُردِّ علمها إلى الله في، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً. اهد. وخبر يزيد الرقاشي، ذكره بطوله الطبري في "تفسيره" من رواية ابن لهيمة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك فيه، وهو خبر لا يصح سنده كما قال الحافظ ابن كثير.

⁽٤) في الأصل: فلم.

⁽٥) وقد رأيت قول ابن كثير قبل قليل: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه.

⁽٦) - «الطبري» ١٤٤/٢٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن رواية ابن جرير عن ابن مسعود.

الدمشقي أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غَزاته، فأدناه وأكرمه جدّاً، إلى أن قال له يوماً: انْزِلُ لي عن امرأتك؛ وانظر أيً امرأة شئتَ في بني إسرائيل أزوِّجكها، أو أيَّ أمّةٍ شئتَ أبتاعُها لكَ، فقال: لا أريد بامرأتي يديلاً؛ فلمّا لم يُجِبه إلى ما الل، أمّرَه أن يُرْجِع إلى غَزاته. والثاني: أنه تمنّى تلك المرأة حلالاً، وحدَّث نفسه بذلك، فاتفق غزوُ أوريا وهلاكه من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلمّا بلغه قتلُه، لم يَجْزُعْ عليه كما جَزع على غيره مِنْ جُنْده، ثُمَّ تزوَّج امرأته، فعُوتب على ذلك. وذُنوبُ الأنبياء في وإن صَغُرَث، فهي عظيمة عند الله قتل. والثالث: أنه لمّا وقع بصره عليها، أشبع النَّظر إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه (۱). والوابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داودُ مع عِلْمه بأن أوريا قد خطبها الأوَّل؛ واختار القاضي أبو يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله: ﴿وَمَرَّنِ فِي لَلْيَطْكِ﴾، قال: فدلً هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخِظبة، يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله: ﴿وَمَرَّنِ فِي لَلْيَطْكِ﴾، قال: فدلً هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخِظبة، والله يكن قد تقلَّم تزوُّج الآخر، فعُوتب داوُدُ في لَلْيَطْكِ، والم يكن قد تقلَّم تزوُّج الآخر، فعُوتب داوُدُ في للشيئين ينبغي للأنبياء النَّنَزُه عنهما، أحدهما: خِطبته على خِطبته على خِطبته على خِطبته غيره، وأن المعاصي مع والثاني: إظهار إلى المرأة فهَريَها وقدَّم زَوْجَها للقتل، فإنه وجة لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم المناء الذي والجماعة والذكر والأنثى، تقول: هنسَرُو الميخراب، بلفظ الجماعة، لأن قولك: خصم، يَصْلُح للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى، تقول: هنسَور با هاهنا كالغُرفة، قال الشاعر:

رَبَّةُ مِحْرابِ إِذَا جِنْتُ مِهَا لَوْ أَرْتَقَى سُلِّماً (٣)

و «تسوّروا» يدل على علوّ. قال المفسرون: كانا مَلَكين، وقيل: هما جبريل وميكائيل على أتياه لينبّهاه على التوبة. وإنما قال: «تسوَّروا» وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضمُّ شيء إلى شيء، والاثنان فما فوقهما جماعة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَالُودَ﴾ قال الفراء: يجوز أن يكون معنى «تسوَّرُوا»: دَخَلوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أن تكون (إذ» بمعنى «لمّا»، فيكون المعنى: إذ تسوَّروا المحراب لمّا دَخَلوا، ولمّا تسوَّروا إذ دخلوا.

قوله تعالى: ﴿ فَلَنْزِعَ مِنْهُمْ ﴾ وذلك أنهما أتيا على غير صفة مجيء الخُصوم، وفي غير وقت الحُكومة، ودخلا تَسَوُّراً من غير إذن (٤). وقال أبو الأحوص: دَخلا عليه وكُلُّ واحد منهما آخذٌ برأس صاحبه. و﴿ حَسَانٍ ﴾ مرفوع بإضمار ﴿ مَحْنُ ﴾، قال ابن الأنباري: [المعنى]: نحن كخصمين، ومِثْلُ خصمين، فسقطت الكاف، وقام الخصمان مقامهما، كما تقول العرب: عبد الله القمرُ حُسْناً، وهم يريدون: مِثْل القمر، قالت هند بنت عتبة ترثى أباها وعمَّها:

⁽١) وكذلك ينزه عن مثل هذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال المصنف قبل قليل.

⁽٢) قال القاضي عياض في «الشفا»: وأما تصة داود على فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطّره الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا، ونقله بعض المفسرين، قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، قال: والذي نص الله عليه قوله: ﴿ وَلَقَّ كَانُدُ أَنَّا فَنَتُهُ مَا المفسرين، قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، قال توالدة: مطيع، قال: وهذا التفسير أولى، قال: قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلتها، فعاتبه الله على ذلك ونبّهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، ثم قال: وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر، وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال: قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. اهد. وقال الخازن في «تفسيره»: اعلم أن من خصه الله بنبوّته، وأكرمه برسالته، وشرّنه على كثير من خلقه، واثمته على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدّث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأهناء ذلك. اهد. قال الخازن: وقال الامام فخر الدين الرازي: حاصل القصة يرجع إلى أمرين؛ إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حتى، وإلى الطمع في زوجته، قال: وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بماقل أن يظن بداود على هذا. اهد. وقال القاضي البيضاوي: وما قبل: أنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها (يمني امرأته)، هراء وأنتاه. اهد.

⁽٣) البيت لوضاح اليمن: وهو في إمجاز القرآن؛ ٢/ ١٤٤، و«الأغاني» ٦/ ٢٣٧، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: حرب. وقد سبق البيت صفحة ١٩١.

^(؛) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَنَزِيمَ يُنْهُمُ ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين، قد تسوَّرا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. اهـ.

مُسنُ حَسسٌ لِسي الأَخَسوَيْسِ كسالس أَسَسَيْسِ فَسي عِسِسلٍ يَسجِسِدُ السَّ صَسفُسرَيْسِنِ لا يَستَسفَلُسلا رُمْسحَسْسِنِ خَسطُ يَسْسِن فسي

خُسط نَبِ نِ أَوْ مَن رَاهُ مِنَا قُسؤُمُ قَسنَ عُسرُواهُ فِي الْمُسما نِ وَلا يُسباحُ جَسماهُ مِناهُ مِنا كَبِيدِ السَّماءِ تَسراهُ مِناهُ

أرادت: مِثْل أسدين، ومثل صقرين، فأسقطت مِثْلاً وأقامت الذي بعده مقامه، ثم صرف الله عَلَى النون والألف في فبَعْضُنا» إلى فنحن المضمر، كما تقول العرب: نحن قوم شَرُف أبونا، ونحن قوم شَرُف أبوهم، والمعنى واحد. والحق هاهنا: العدل. ﴿وَلا تُشْطِلُ ﴾ أي: لا تَجُرْ، يقال: شَطَّ وأَشَطَّ: إذا جار. وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿ولا تَشْطُلُ بفتح التاء وضم الطاء. قال الفراء: وبعض العرب يقول: شَطَطّتَ عليَّ في السَّوْم، وأكثر الكلام فأشططتَ الألف، وشَطّت اللّهُ تباعدت.

قوله تعالى: ﴿ وَآمَدِنَا إِلَى سَرَةِ الْمِرَوْكِ أَي: إلى قَصْد الطَّريق (٢٠)؛ والمعنى: اَحْمِلْنا على الحق، فقال داوُد:
تَكُلَّما، فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَٰذَاۤ أَخِي ﴾ قال ابن الأنباري: المعنى: قال أحد الخصمين اللَّذين شُبّه المَلَكان بهما: إِنَّ هذا
أخي، فأضمر القول لوضوح معناه ﴿ لَمُ يَتَمُّ رَبَّتُونَ نَبْمَةً ﴾ قال الزجاج: كُني عن المرأة بالنَّعْجة. وقال غيره: العرب تشبّه
النَّساء بالنعاج، وتورِّي عنها بالشاء والبقر. قال ابن قتية: ورَّى عن ذِكر النساء بذِكر النعاج، كما قال عنترة:

يا شاةً مَا قَنْصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ﴿ حَرُمَتْ عَلَيَّ وِلَّذِنَّهَا لَمْ تَحْرُمٍ (٣)

يعرِّض بجارية، يقولَ: أيّ صيد أنتِ لِمَنْ حَلَّ له أن يَصيدَكِ! فأمّا أنا، فإنَّ حُرْمَةَ الجوار قد حرَّمتُكِ عَلَيَّ. وإنما ذَكر المَلَكُ هذا العدد لأنه عدد نساء داوُد.

قوله تعالى: ﴿ وَلِى نَجُمَّةٌ وَجَدَةٌ ﴾ فتح الياء حفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. ﴿ فَقَالَ أَكَنْلِيبَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: ضُمَّها إليّ واجعلْني كافِلَها. وقال الزجاج: انْزِلْ أنتَ عنها واجعلْني أنا أكْفُلُها.

قوله تعالى: ﴿وَمَزَّفِ فِي أَلْنِطَابٍ ﴾ أي: غَلبني في القول. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين [العقبلي]، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: ﴿وعَازَّنِي بِالْف، أي: غَالَبَني. قال ابن مسعود، وابن عباس في قوله ﴿وَمَزَّفِ فِي الْفِعَالِ ﴾: ما زاد على أن قال: انْزِلْ لي عنها. وروى العوفي عن ابن عباس قال: إن دعوتُ ودعا كان أكثر، وإن بَطَشْتُ وبَطَشَ كان أشدَّ مني. فإن قبل: كيف قال المُلكان هذا، وليس شيء منه موجوداً عندهما؟ فالجواب: أن العلماء قالوا: إنما هذا على سبيل المَثَل والتشبيه بقصة داوُد، وتقدير كلامهما: ما تقولُ إن جاءك خصمان فقالا كذا وكذا؟ وكان داوُد لا يرى أن عليه تَبِعَةً فيما فَعَل، فنبَّهه الله بالمَلكين، وقال ابن قتيبة: هذا مَثَل ضربه الله [له] ونبهه على خطيته. وقد ذكرنا آنفا أن المعنى: نحنُ كَخَصْمَين.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ﴾ يعني داود ﴿ لَقَدْ طَلَنَكَ بِسُوَّالِ نَجَيْكَ إِلَى نِنَامِيِّهُ ﴾ قال الفراء: أي: بسؤاله نعجتك، فإذا ألقيت الهاء من السؤال، أضفت الفعل إلى النَّعجة، ومِثْلُه: ﴿ لَا يَسْتُمُ الْإِنسَانُ مِن دُكَاءَ ٱلْغَيْرِ ﴾ [نصلت: ٤٩]، أي: من دعائه بالخير، فلمّا ألقى الهاء، أضاف الفعل إلى الخير، وألقى من الخير الباء، وأنشدوا:

فَلَسْتُ مُسْلُماً ما دُمْتُ حَيّاً على زَيْدٍ بسَسليمِ الأميرِ (1) أي: بسليم على الأمير.

⁽١) الأبيات في اشاهرات العرب في الجاهلية والإسلام، ١٣٠، والأغاني، اثقافة، ٢١٢/٤. حَشّ، من باب نصر، كأحَسّ، وأصل اراهما،: رآهما، وفخفت فيه الهمزة.

⁽٢) أي: بحيث لا تميل عن الحق أصلاً.

 ⁽٣) البيت من معلقته، وهو في فديوانه، ١٥٢، وقامشكل القرآن، ٢٠٦، وقالعملة، ٢٨١/١، وقامختار الشعر الجاهلي، ٢٧٨/١، وقشرح شواهد المغني، ٢٥٢.

⁽٤) البيت غير منسوب في فمعاني القرآن؛ ١٠٠، وانظر خبر الأعرابي قائل البيت لمعن بن زائدة في فهجر الأداب، ٣٩٣/٣٠.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يِتَامِدِ أَي: لِيَضُمَّها إلى يعاجه، قال ابن قتيبة: المعنى: بسؤال نعجتك مضمومة إلى نعاجه، فاختُصر. قال: ويقال اإلى بمعنى المعنى الأخر اعترف، فحكم عليه باعترافه، وحذف ذكر الاعتراف اكتفاء بفهم السامع، والعرب تقول: أمرتُك بالتجارة فكسبت الأموال، أي: فاتَّجرت فكسبت، ويدُلُّ عليه قولُ السدي: إن داوُد قال للخصم الآخر: ما تقول؟ قال: نعم، أريد أن آخذها منه فأكمل بها نعاجي وهو كاره، قال: إذا لا ندعُك، وإن رُمْتَ هذا ضربنا منكَ هذا ـ ويشير إلى أنفه وجبهته ـ فقال: أنت يا داوُدُ أحَتُّ أن يُضرب هذا منكَ حيث لكِ تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا إلّا واحدة، فنظر دارُد فلم ير أحداً، فعَرْف ما وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا بِنَ لَلْلِكَالَةِ ﴾ يعني الشركاء، واحدهم: خليط، وهو المُخالِط في المال وإنما قال هذا، لأنه ظنَّهما شريكين، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: فإنهم لا يَظْلِمون أحداً، ﴿ وَقِلِلٌ مَا هُمُ ﴾ هما واثدة، والمعنى: وقليل هم، وقيل: المعنى: هم قليل، يعني الصالحين الذين لا يَظْلِمونَ.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ أي: أيقن وعَلِم ﴿أَنَّمَا فَنَتَهُ﴾ فيه قولان: أحلهما: اختبرناه. والثاني: ابتليناه بما جرى له من نظره إلى المرأة وافتتانه بها (١٠). وقرأ عمر بن الخطاب: «أنّما فتنّاه بتشديد الناء والنون جميعاً، وقرأ أنس بن مالك، وأبو رزين، والحسن، وقتادة، وعليّ بن نصر عن أبي عمرو: «أنّما فتنّاه بتخفيف الناء والنون جميعاً، يعني الملكين، قال أبو علي الفارسي: يريد: صَمَدا له. وفي سبب عِلْمه وتنبيهه على ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن الملكين أفصحا له بذلك، على ما ذكرناه عن السدي. والثاني: أنهما عَرَّجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فعلم أنه عُني بذلك، قاله وهب. والثالث: أنه لمّا حكم بينهما، نظر أحدُهما إلى صاحبه وضحك، ثم صَعِدا إلى السماء وهو ينظُر، فعلم أن الله تعالى ابتلاه بذلك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبِيْمُ ﴾ قال المفسرون: لمّا فطن داوُد بذَنْبه خَرّ راكعاً، قال ابن عباس: أي: ساجداً، وعبّر عن السجود بالركوع، لأنهما بمعنى الانجناء. وقال بعضهم: المعنى: فخرّ بعد أن كان راكعاً.

فصل

واختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود؟ على قولين: أحدهما: ليست من عزائم السجود، قاله الشافعي، والثاني: أنها من عزائم السجود، قاله أبو حنيفة. وعن أحمد روايتان (٢٠). قال المفسرون: فبقي في سجوده أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلّا لوقت صلاة مكتوبة أو حاجة لا بُدَّ منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكلتِ الأرضُ من جبينه، ونَبَتَ العُشْبُ من دموعه، ويقول في سجوده: ربَّ داود، زَلَّ داوُد زَلَّة أبعدَ ممّا بين المشرق والمغرب. قال مجاهد: نبت البقلُ من دموعه حتى غطّى رأسه، ثم نادى: ربَّ قَرِح الجبين وجَمَدت العينُ وداوُدُ لم يَرْجِع إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجائع فتُطْعَم، أم مريض فتُشْفَى، أم مظلومٌ فيُنتصر لك؟ فتَحَب نَحيباً هاج كلَّ شيء نَبَت، فعند ذلك غفر له (٢٠). وقال ثابت البناني: اتخذ داوُد سبع حشايا من شَعْر وحشاهُنَّ من الرَّماد، ثم بكى حتى أنفذها دموعاً، ولم يشرب شراباً إلا ممزوجاً بدموع عينيه (١٤). وقال وهب بن منبه: نودي: يا داود ارفع رأسك فإنّا قد غَفَرْنا لكَ، فرفع رأسه وقد زَين

⁽١) تقدم القول في مثل هذا لا يليق بالأنبياء ﷺ، والصواب هو القول الأول وهو أنه بمعنى اختبرناه.

⁽٢) قال ابن كثير: اختلف الألعة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين، المجديد من مذهب الشافعي رهي: أنها ليست من عزائم السجود، بل هي سجدة شكر، قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في السجدة في (ص): ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله في السجد فيها، قال: ورواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في الفسيره من حديث أيوب به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

⁽٣) ذكر هذا المعنى السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في التقريب؛ يونس بن خبًاب الأسدي الكوفي: صدوق يخطئ ورمي بالرفض. اهـ.

⁽٤) ذكره السيوطي من رواية أحمد عن ثابت البناني، والله أعلم.

وصار مرعشاً. فأما قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رَجَع مِنْ ذَنْبه تائباً إلى ربَّه، ﴿فَفَفَرْنَا لَهُ دَلِكُ ﴾ يعني الذَّنْب ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنا لُؤَلِّينَ﴾ [قال ابن قتيبة]: أي: تقدُّمُ وقُرْبة.

قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَابٍ﴾ قال مقاتل: حُسْن مَرْجِع، وهو ما أعدَّ الله له في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ﴾ المعنى: وقلنا له يا داود ﴿إِنَّا جَمَلَنَكَ﴾ أي: صيّرناكَ ﴿خَلِفَةَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تُدَبِّرُ أَمْرَ العباد مِنْ قِبَلنا بأمرنا، فكأنك خليفة عنّا ﴿فَأَشَمُ بَيْنَ النّاسِ بِالْمَيّى﴾ أي: بالعدل ﴿وَرَلا تَنْجِي الْهَوَىٰ﴾ أي: لا تَجل مع ما تشتهي إذا خالف أَمْرَ الله وَلَىٰ ﴿فَيْضِلُونَ﴾ وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوة، وابن يعمر: ﴿يُضِلُّونَ﴾ بضم الياء.

قوله تعالى: ﴿بِمَا نَتُوا بَوْمَ الْخِسَابِ﴾ فيه قولان: أحلهما: بما تَرَكُوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي. قال الزجاج: لمّا تركوا العمل لذلك اليوم، صاروا بمنزلة الناسين. والثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: لهم عذاب شديد يومَ الحساب بما نَسُوا، أي: تَرَكُوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة (٢٠).

﴿ وَمَا خَلَقَنَا النَّمَاةَ وَالأَرْضَ وَمَا يَيْتُهُمَا بَعِلِلاً دَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواً فَرَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّادِ ۞ آثر تَجْمَلُ اللَّذِينَ اسْتُوا وَعَكُواُ الصّليحت كَالْفُصِينَ فِي الأَرْضِ أَرْ جَمَلُ الْمُشَوِّينَ كَالفُجَارِ ۞ كِنتَبُ أَرْلَتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَقُ لِيَنْبَرُواْ مَايَدِهِ. وَلِيَنَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَبِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَنَا السَّمَةَ وَالْأَرْسُ وَمَا بَيَنَهُمَا بَطِلاً﴾ أي: عَبْثاً ﴿وَاكِى ظَنُّ الَّذِينَ كَذَوْأَ﴾ أن ذلك خُلِقَ لِغَيْرِ شيء، وإنما خُلِقَ للشواب والعقاب. ﴿أَرْ غَمَلُ اللَّذِينَ ءَاسَتُوا﴾ قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنّا نُعْظَى في الآخرة مثل ما تُعْظَوْن، فنزلت هذه الآية (٢٠٠). وقال ابن السائب: نزلت في الستة الذين تبارزوا يوم بدر، علي ﷺ، وحمزة ﷺ، وعبيدة بن الحارث ﷺ، وعبد، وشيبة، والوليد بن عبة (١٠)، فذكر أولئك بالفساد في الأرض لِعَمَلهم فيها بالمعاصي، وسمَّى المؤمنين بالمتَّقِين لاتَّقائهم الشِّرك، وحُكْمُ الآية عامٌّ.

قوله تعالى: ﴿كِنَبُ ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن، وقد بيّنًا معنى بَرَكَته في سورة [الانعام: ١٦]. ﴿لِكَتَبَرُقُا ءَابَدِيهِ﴾ وقرأ عاصم في رواية: ﴿لِتَدَبَّرُوا آياتِهِ بالتاء خفيفة الدال، أي: ليتفكروا فيها فيتقور عندهم صِحَّتُها ﴿ وَلِنَدَكَّرَ ﴾ بما فيه من المواعظ ﴿أَوْلُوا الْأَلْدِي﴾، وقد سبق بيان هذا [الرمد: ١٩] (٥).

﴿ وَوَهَمْنَا لِمَالُودَ سُلَبَعْنَ فِهُمَ الْعَبَدُ إِنَّهُ أَلَابُ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْمَشِيِّ الصَّنفِسَتُ لِلْهَادُ ۞ فَكَالَ إِنَّ أَحَبَتُ حُبَّ الْمُتَرِ عَن يَكُرِ رَقِي حَنَّى فَوَارَتْ بِالْمُجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَنَّ فَلَفِقَ مَسْمًا بِالشُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۞ وَلِقَدْ فَنَنَا مُلِبَدَى وَالْقَبْنَا عَلَى كُرْمِينِهِ. حَمَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِى وَهَ لِى مُلَكًا لَا يَلْبَى لِأَهْدِ مِنْ بَدِيقٌ إِنِّكَ أَنَ الوَهَابُ ۞ فَسَخَوْنَا لَهُ الرَبِعَ بَجْرِي إِنَّرِهِ. وَغَنَّة مَنْكُ أَنْهِ وَمُنْ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ وَلَيْ وَمُسْنَى وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَفَوْاسٍ ۞ وَمَاخِينَ مُغَرِّمِنَ فِي ٱلْأَسْفَادِ ۞ هَذَا عَلَاقِنَا فَاسُنَى أَوْ أَسُلِكَ بِنَثْمِ حِمَالٍ ۞ وَلَوْ لَمُ عِنْنَا لَلْفَى وَصُنَى مَعْلَى ۞ وَلَذَكُرُ مَبْدَنَا أَبُوبَ إِذْ الذَى رَبُهُ أَنِي مَسْنَى الشَّيْطِينُ بِعُنِ وَلَا تَعْرَبُ ۞ وَكُنْ بِإِنِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ وَهُولِ اللهُ اللهِ وَهُولُولِ الْأَلْهُ فَى وَمُنَا لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) قال ابن كثير: هذه وصية من الله فك لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، قال: وقد توجّد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحصاب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَشِلُونَ مَن سَكِيلِ اللهِ لَهُمْ عَنَاتُ شَكِيدًا بِهَا نَشُوا يَرْمَ لَلْمَسَابِ في يقول تعالى ذِكره: وإن الذين يعيلون عن سبيل الله بعا وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه في المدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بعا نسوا أمر الله. اهـ.

 ⁽٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي عن مقاتل بدون سند، وكذلك ذكره الخازن والألوسي بدون سند ولم يتسباه لأحد، قال الألوسي: وأنت تعلم أن العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب.

⁽٤) ذكر سبب النزول هذا السيوطي في «الدر» ٣٠٨/٥ من رواية ابن عساكر عن ابن عباس في في قوله: ﴿ أَمْ نَبَسُلُ اللَّهِ مَاسَنُوا الصَّلُوا السَّلُوكَتِ كَالْتُمْدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «الذين آمنوا»: علي، وحمزة، وحبينة بن الحارث، و«المفسدين في الأرض»: عتبة، وشيبة، والوليد، قال: وهم الذين تبارزوا يوم بدر.

⁽٥) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَلِتَنْذَكُرَ أَنْلُوا الْأَلَٰبِ﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحجج ما في هذا الكتاب من الأيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلّهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. اهـ.

قوله تعالى: ﴿نِمَّمَ الْمَبَدُّ﴾ يعني به سليمان (١٠). وفي الأوّاب أقوال قد تقدمت في [بني إسرائبل: ٢٥] أَلْيَقُها بهذا المكان أنه رَجّاعٌ بالنَّوبة إلى الله تعالى ممّا يقع منه من السَّهو والغَفْلة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ مَلَتِهِ بِالْمَشِيَّ﴾ وهو ما بعد الزَّوال ﴿الصَّنِفَتُ﴾ وهي الخيل. وفي معنى الصّافنات قولان: أحدهما: أنها القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رِجْل؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وابن زيد، واختاره الزجاج، وقال: هذا أكثرُ ثيام الخيل إذا وقفتْ كأنَّها تراوح بين قوائمها، قال الشاعر:

ألِيفَ الصُّفُونَ فيما يَسزالُ كِانَّـهُ مِيمًا يَقومُ على الشَّلاثِ كَسِيرا(٢)

والثاني: أنها القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث، قال الفراء: على هذا رأيت العرب، وأشعارهم تَدُلُ عَلَىٰ أنه القيام خاصة. وقال ابن قتيبة: الصافن في كلام العَوب: الواقفُ من الخيل وغيرها، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سُرُّه أن يقومَ له الرجال صُفُوناً، فَلْيَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِه (٣)، أي: يُديمون الڤيام له (٤). فأمّا الجِيادُ، فهي السّراعُ في الجَرْي. وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عَرَضَها لأنه أراد جهاد عدرٌ له، قاله عليّ بن أبي طالب ﷺ. والثاني: أنها كانت من دوابّ البحر. قال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجتْ من البحر لها أجنحة. وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة. وقال ابن زيد: أخرجتْها له الشياطين من البحر. والثالث: أنه وَرِثُها من أبيه داؤدَ ﷺ، فَعُرضَتْ عليه، قاله وهب بن منبِّه، ومقاتل. والرابع: أنه غزا جيشاً، فظَفِر به وغنمها، فدعا بها فعُرضَتْ عليه، قاله ابن السائب. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: ثلاثة عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: عشرون ألفاً، قاله سعيد بن مسروق. والثالث: ألف فرس، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: عشرون فرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيم التيمي^(٥). قال المفسرون: ولم تزل تُعْرَض عليه إلى أن غابت الشمس، ففاتته صلاة العصر، وكان مَهِيباً لا يبتدئه أحد بشيء، فلم يذكِّروه، ونسى هو، فلمًّا غابت الشمسُ ذكر الصلاة، ﴿فَقَالَ إِنِّ أَخَبَتُ﴾ فتح الياء(١) أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿حُبَّ الْمُنْبِرِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المال، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والثاني: حُبُّ الخيل، قاله قتادة والسدي. والقولان يرجعان إلى معنى واحد، لأنه أراد بالخير الخيل، وهي مال. وقال الفراء: العرب تسمي الخيل: الَّخيرِ. قال الزجاج: وقد سمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْدَ الخيلِ: زَيْدَ الخيرِ (٧)، ومعنى ﴿أَحْبَبْتُ﴾: آثوتُ حُبُّ الخَيْرِ على ذِكْر ربِّي؛ وكذلك قال غير الزجاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضهم: يحتمل المعنى: فشَغَلَني عن ذِكْر ربِّي. وقال أبو عبيدة: ومعنى [الكلام]: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبُّ إلى الخير. وقال ابن قتيبة: سمَّى الحُيْل خَيْراً، لِما فيها من

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: ﴿وَوَيَمْنِمُ الْكَنَدُ اللّهِ وَلَداً ﴿يَمْمَ الْمَنَدُ ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُۥ الْأَبُ ﴾ يقول: إنه وجباع إلى طاعة الله، تواب إليه مما يكرهه منه، وقيل: إنه مُنيّ به أنه كثير الذكر لله والطاعة. اهـ. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداوه سليمان، أي نبياً، كما قال فَلْقَ: ﴿وَرَبُونَ سُلِكُنُ وَارُدُ ﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر. اهـ.

⁽٢) البيت في همجمع البيان؛ ٢٣/ ١١١، والبحر المحيط؛ ٧/ ٣٨٨، والقرطبي؛ ١٩٣/١٥، واروح المعاني؛ ٢٣/ ١٧٧، واللسان؛ والتاج؛ صفن.

⁽٣)٠ لم نره بهذا اللفظ، ورواه الترمذي ٢/ ١٠٥ من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ بلفظ: قمن سرّه أن يتمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقمهه من النار» وقال: هذا حديث حسن، قال: وفي الباب عن أبي أمامة، ورواه أبو داود رقم (٣٢٩٥) من حديث معاوية بلفظ: قمن أحب أن يمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» ورواه أحمد في قالمسند، ١٩١٤ بلفظ: قمن أحب أن يمثّل له عباد الله قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، وهو حديث صحيح.

⁽٤) - قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِسَ عَلِيم بِالسِّيقِ الصَّنْفِنَتُ لِلْكِادُ ۚ ۖ أَي: إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات، قال: قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، قال: والجياد: السراع، قال: وكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

⁽٥) ذكر القول الرابع الطبري ٢٣/ ١٥٤ عن إبراهيم التيمي، وذكره السيوطي في «المدر» ٥/ ٣٠٩، وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي ﷺ.

⁽٦) يعنى الياء من كلمة اإنيًّا.

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة زيد الخيل: وفد في سنة تسم، وسماه النبي ﷺ: زيد الخير، قال: وروى ابن شاهين من طريق بشير مولى بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ، فقال: يا رسول الله إني أتبتك من مسيوة تسع أسألك عن خصلتين، فقال: قما اسمك؟» قال: أنا زيد الغيل، قال: قبل أنت زيد الخير، سل، قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد...» الحديث. قال ابن حجر: وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير (يعني بشير مولى بني هاشم) وضعفه. اهـ. وكان زيد الخيل شاعراً خطباً شجاعاً كريماً، يكنى أبا مكف ﷺ.

الخَيْر. والمفسرون على أن المراد بذِكْر ربِّه: صلاةُ العصر، قاله عليّ، وابن مسعود، وقتادة في آخرين. وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاةُ العصر مفروضةٌ، أم لا! إلّا أنّ اعتراضه الخيل شَغَلَه عن وقتٍ كان يذكُر الله فيه ﴿حَنَّى تَوَارَتُ بِلَيْجَابِ﴾ قال المصنف: وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يَجْرِ لها ذِكْر، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفِكْر حَبَّه، لأن في الآية دليلاً على الشمس، وهو قوله: قبالعشيّ، ومعناه: عُرِضَ عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب، ولا يجوز الإضمار إلّا أن يجريَ ذِكْر، أو دليل ذِكْر فيكون بمنزلة الذَّكْر؛ وأما الحِجَاب، فهو ما يحجُبها عن الأبصار (١).

قوله تعالى: ﴿ وَرُومًا عَلَيْ الله المفسرون: لمّا شغله عَرْضُ الخيل عليه عن الصلاة، فصلّاها بعد خروج وقتها، اختم وغضب، وقال: ورُدُوها عَلَيْ، يعني: أعيدوا الخيل عَلَيْ ﴿ فَلَائِنَ قَال ابن قتيبة: أي: أقبل ﴿ مَسَنًا فَال الْحَفْش: أي: يَمْسَحُ مَسْحاً. فأمّا السُّوّق، فجمع ساق، مثل دُور ودار. وهمز السُّوق ابن كثير، قال أبو علي: وغيرُ الهمز أحسنُ منه. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن محيصن: قبالسُّوق، مثل الرُّووس. وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضربها بالسيف. روى أبيُّ بن كعب عن رسول الله على قوله: ﴿ لَلَيْنَ مَسَنًا بِالسَّوِق وَابن أولان قبال المسنف، (٢). وروى مجاهد عن ابن عباس قال: مسح أعناقها وسوقها بالسيف. وقال الحسن، وقتادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسُوقها، وهذا اختيار السدي، ومقاتل، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور (٣). والثاني: أنه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حُبًا لها، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن حباس. وقال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير (٤)، والقاضي أبي يعلى. والثالث: أنه كَوى سُوقها وأعناقها وحبسها في سيل الله تعالى، حكاه الثعلمي. والمفسّرون على القول الأول، وقد اعترضوا [على] القول الثاني، وقالوا: أيّ مناسبة بين شغيلها إيّاه عن الصلاة وبين مَسْح أعرافها حُبًا لها؟! ولا أعلم قوله: ﴿ حُبًا لها» يثبت عن ابن وقالوا: أيّ مناسبة بين شغيلها إيّاه عن الصلاة وبين مَسْح أعرافها حُبًا لها؟! ولا أعلم قوله: ﴿ حُبًا لها» يثبت عن ابن وعاس. وحملوا قول مجاهد همسّحها بيده أي: تولَّى ضَرْبَ أعناقها. فإن قيل: فالقول الأول يفسُد بأنه لا ذَبُ لم ينه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكلُ للحيوان، فكيف وجُه العقوبة إليه وقصد التَّشقي بقتله، وهذا يشبه في شرعنا، على أنه إذ ذبحها كانت قرباناً، وأكلُ كين لِينْهُ عَلَ الله إذبك إلا أنه أنه إذا ذات قرباناً، وأكلُ المَان قرباناً، وأكلُ المَانِ أنه إذاك إلله والمناب قرباناً، وأكلُ المَانَ قرباناً أنه إذاك إلله والمناب قرباناً، وأكلُ المَانَ قرباناً على أنه إذلك الأنت قرباناً وأكلُ المَانُ عن المنابية المانُ عن المنابية عن الم

⁽۱) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَكَالَ إِنِّ لَمَبَتْ عُبُّ لَقَيْرٍ مَن يُكِّرٍ رَقٍ مَنَّ وَاَرَتَ بِالْفِبَابِ ﴿ فَكَالَ عَمِلَ السَفُ والمفسّرين أنه اشتغل يعرضها حتى فات وقت صلاة العصو، ثم قال ابن كثير: والذي يُقتقع به أنه لم يتركها عملاً، بل نسياناً، كما شغل النبي عليه يوم المختلق عن صلاة العصو حتى صلاها بعد الغروب، قال: وذلك ثابت في «الصحيحين» من غير وجه، قال: من ذلك حديث جابر عليه قال: جاء عمر عليه يوم المختلق عندا غربت الشمس، فجعل يسبُّ كفار قريش ويقول: يا وسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس، تنوب، فقال رسول الله عليه: قواله ما صليتها، فقال: فقمنا إلى بطحان، نتوضاً نبي الله على المصلاة، وتوضأنا لها، قصلي العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلي بعدما المغرب. إهـ.

 ⁽٢) ذكره السيوطي في «الدو» ٣٠٩/٥ من رواية الطبراني في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه عن أبيّ بن كعب رهيه. قال الحافظ الهيشي في «مجمع الزوائد» ٩٩/٨؛ رواه الطبراني في «الأوسط» وليه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، قال: وبقية رجاله الثات. اهد. وقد ضعف سعيد بن بشير المحافظ ابن حجر في «الشريب».

⁽٣) قال البغوي في الفسيره: ﴿ لَلَاِقَ مَسَنّا بِالشّرِي وَالْفَتَاقِ ﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، قال: هذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسيين، قال: وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرَّم، ولم يكن يتوب عن ذنب بلنب آخر. اهد. وقال ابن كثير: قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان فضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها جتى خرج وقت الصلاة، قال: ولهذا لما خرج عنها لله تمالى عوَّضه الله ظلق ما هو خير منها، وهو الربح التي تجري بأمر، وُخاة حيث أصاب، ضفوها شهر ورواحها شهر، قال: فهذا أسرع وخير من الخيل. اهد. وقال الشوكاني في افتح القديره عن هذا القول: وهذا أولى بسياق الكلام، فإنه ذكر أنه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة المصر، ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بإنساد ما ألها، عن ذلك، وما صده عن عبادة ربه، وشغله عن القيام بما قرضه الله عليه. اهد. وقال آخرون غير هذا، منهم، الامام أبر جعفر ابن جرير الطبري، وميأتي في التعليق الذي بعد هذا، وإلله أعلم.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري ١٩٦/٣٢: حدثني علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي (يعني ابن أبي طلحة) عن ابن عباس قوله: ﴿ فَلَكِنَ مَــَكُا لِمَا اللّهِ وَاللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ

لحمها جائز، فما وقع تفريط. قال وهب بن منبّه: لمّا ضَرَبَ سوقها وأعناقها، شكر الله تعالى له ذلك، فسخَّر له الرّبيح مكانها، وهي أحْسَنُ في المنظر، وأشرَعُ بني السَّيْرِ، وأغجَبُ في الأُحْدُوثة.

قوله ثعالى: ﴿ وَلَقَدُ ثَمَّنَا سُلِمُنَا﴾ أي: ابتليناه وامْتَحَنَّاه بِسَلْب مُلْكه ﴿ وَٱلْقَيْنَا عَلَى كُرْيَبِهِ ﴾ أي: على سريره ﴿ جَسَدًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن غباس، والجمهور. وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال. أحدها: صخر، رواه العوفي عن ابن عباس. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مَرِيدا لم يُسَخَّر لسليمان. والثاني: آصف، قاله مجاهد، إلا أنه ليس بالمُؤمِن الذي عنده الاسم الأعظم، إلّا أنّ بعض ناقِلي التفسير حكى أنه آصف الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب، وأنه لمَّا فُتن سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبت، فقال آصف: أنا أقوم مقامَك إلى أن يتوبَ الله عليك، فقام في مقامه، وسار بالسَّيرة الجميلة، وهذا لا يَصِحُّ، ولا ذكره مَنْ يوثَّق به. والثالث: حبقيق، قاله السدي؛ والمعنى: أجلسنا على كرشّيه في مُلْكه شيطاناً. ﴿ ثُمُّ أَنَّاتُ ﴾ أي: رَّجَع، وفيما رجع إليه قولان: أحدهما: تاب من ذَّنبه، قاله قتادة. والثاني: رَجِّع إلى مُلْكه، قاله الضحاك. وفي سبب ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال: أحدها: أنه كانت له امرأة يقال لها: جَرَادةً، وكان بين بعض أهلها وبين قرم خصومة، فقضى بينهم بالحق، إلا أنه وَّدُّ أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تُعالى إليه أنه سيُصيبك بلاءً، فكان لا يدري أيأتيه من السماء، أو من الأرض، روّاه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن زوجته جرادة كانت آثَرُ النِّساءِ عنده، فقالت له يوما: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإنِّي أُحِبُّ أن تَقْضِيَ له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتُليَ لأجل ما قال، قاله السدي. والثالث: أن زوجته جرادة كان قد سباها في غَزاةٍ له، وكانت بنتَ مَلِك فأسلمتْ، وكانت تبكي عنده بالليل والنهار، فسألها عن حالها، فقالت: اذْكُر أبي وما كنتُ فيه، فلو أنك أمَرْتَ الشياطين فصوروا صورته في داري فأتسلَّى بها، [ففعل]، فكانت إذا خرج سليمان، تسجد له هي وولائدها [أربعين صباحاً، فلمّا عّلِم سليمان، كسر تلك الصورة، وعاقب المرأة وولائدها] ثم تضرُّع إلى الله تعالى مستغفراً ممَّا كان في داره، فسُلِّط الشيطانُ على خاتمه، [هذا قول وهب بن منبّه. والرابع: أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان، احتجبتَ(١) عن الناس ثلاثةَ أيّام فلم تنظّر في أمور عبادي ولم تُنْصِف مظلوماً من ظالم؟! فسلّط الشيطان على خاتمه]، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه قارَبَ امرأةً من نسائه في الحيض أو غيره، قاله الحسن (٢). والقول الثاني: أن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيّة: أنه وُلد [له ولد] فاجتمعت الشياطين، فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد، لم ننفكٌ من البلاء، فسبيلُنا أن نقتُل ولده أو تَخْبِلُهُ، فَعَلِم بذلك سليمان، [فأمر السَّحاب] فحمله، وعدا ابنه في السحاب خوفاً من الشياطين، فعاتبه الله تعالى على تخوُّفه من الشياطين، ومات الولد، فألقى على كرسيه ميتاً جسداً، قاله الشعبي. والمفسرون على القول الأول^(٣). ونحن نلكُر قصة ابتلائه على قول الجمهور.

⁽١) في الأصل: احتجب،

⁽γ) قال ابن كثير بعد أن ذكر بعض هذه الروايات في سبب ابتلاء سليمان على: وهذه كلّها من الإسرائيليات، ثم ذكر أن بن أنكرها ما رواه ابن أبي حاتم من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وسرد الرواية بطولها بنحو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا في سبب ابتلاء سليمان على ولكن بأطول منه. وقال الحافظ ابن حجر في التخريج أحاديث الكشاف ١٤٣٣: وأما ما يحكى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان على في «الدره ٥/ ٣١٠: وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس في قال: أراد سليمان على وكذلك قال الحافظ السيوطي في «الدره ٥/ ٣١٠: وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس في قال: أراد سليمان على أن يدخل الخلاء فأعطى لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه. . وسرد القصة بطولها. قال ابن كثير بعد أن سرد هذا القول بطوله من رواية ابن أبي حاتم : سناد ولي ابن عباس في ابن عباس في ابن عباس المناز والنساء، بطوله من رواية ابن أبي حاتم المناز عباس قال الكتاب، قال: وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوء سليمان علم الصلاة والشلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، قال: ولهذا كان في هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أثمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله هي منه تشريفاً وتكريماً لنبيه على قال: وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اه.

⁽٣) يريد به القول الأول الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿ زَالَتِنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: وفيه قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس والجمهور.

الإشارة إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفية ذهاب خاتم سليمان على قولين: أحدهما: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقع منه في البحر، قاله على ﷺ. والثاني: أن شياطناً أخِذه، وفي كيفية ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه دخل ذات يوم الحمّام ووضع الخاتم تحت فِراشه، فجاء الشيطان فأخله وألقاه في البحر، وجعل الشيطانُ يقول: أنا نبئُ الله، قاله سعيد بن المسيّب. والثاني: أن سليمان قال للشيطان: كيف تُفْتِنون النّاس؟ قال: أرني خاتمك أُخْبِرُك، فأعطاه إيّاه، فنبذه في البحر، فذهب مُلك سليمان، وقعد الشيطان على كرسيه، قاله مجاهد. والثالث: أنه دخل الحمّام، ووضع خاتمه عند أوثق نسائه في نفسه، فأتاها الشيطان فتمثَّل لها في صورة سليمان وأخذ الخاتم منها، فلمَّا خرج سليمانُ، طلبه منها، فقالت: قد دفعتُه إليك، فهرب سليمان، وجاء الشيطان فجلس على مُلكه، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنه دخل الحمّام، وأعطى الشيطانَ خاتمه فألقاه الشيطان في البحر، فذهب مُلك سليمان؛ وألقى على الشيطان شِبْهُه، قاله قتادة. فأمّا قِصَّةُ الشيطان، فذكر أكثر المفسرين أنه لمّا أخذ الخاتم رمى به في البحر، وأُلقى عليه شِبْهُ سليمان، فجلس على كرسيّه، وتحكّم في سُلطانه. وقال السدي: لم يُلْقِه في البحر حتى فرّ من مكان سليمان. وهل كان يأتي [نساء] سليمان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يَقْدِر عليهنّ، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أنه كان يأتيهنّ في زمن الحيض، فأنْكَرْنُه، قاله سعيد بن المسيّب؛ والأول أصح (١). قالوا: وكان يقضى بقضايا فاسدة، ويحكم بما لا يجوز، فأنكره بنو إسرائيل، فقال بعضُهم لبعض: إمّا أن تكونوا قد مَلَكِتِم أنتم، وإمّا أن يكون مَلِكُكم قد مَلَكَ، فاذْمَبوا إلى نسائه فاسألوهُنَّ، فذهبوا، فقُلُنَ: إنّا والله قد أنْكُرنا ذلك؛ فلم يزل على حاله إلى أن انقضى زمن البلاء. وفي كيفيَّة بُعْدِ الشيطان عن مكان سليمان أربعة أقوال: أحدها: أن سليمان وجد خاتمه فتختُّم به، ثم جاء فأخذ بناصية الشيطان، قاله سعيد بن المسيَّب. والثاني: أن سليمان لمَّا رَجَع إلى مُلْكه وجاءته الرِّيح والطَّير والشياطين، فرَّ الشيطان حتى دخل البحر، قاله مجاهد. والثالث: أنه لمَّا مضى أربعون يوماً، طار الشيطان من مجلسه، قاله وهب. والرابع: أن بني إسرائيل لمّا أنكروه، أتّوه فأحدقوا به، ثم نَشَروا التّوراة فقرؤوا، فطار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، قاله السدي. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الأكثرون. والثاني: أربعة عشر يوماً، حكاه الثعلبي. وأما قصة سليمان ﷺ، فإنه لما سُلب خاتمه، ذهب ملكه، فانطلق هارباً في الأرض. قال مجاهد: كان يَسْتَطْعِمُ فلا يُطْعَم، فيقول: لو هَرَفْتُموني أعطيتُموني، أنا سليمان، فيطردونه، حتى أعطته امرأةٌ حوتاً، فوجد خاتمه في بطن الحوت. وقال سعيد بن جبير: انطلق سليمان حتى أتى ساحل البحر، فوجد صيّادين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتن عليهم بعضُه، فأتاهم يَسْتَطعِم، فقالوا: اذهبْ إلى تلك الحيتان فخُذْ منها، فقال: لا، أطْعِموني من هذا، فأبُوا عليه، فقال: أطْعِموني فإنِّي سليمان، فوثب إليه رجُلٌ منهم فضربه بالعصا غَضَباً لسليمان، فأتى تلك الحيتان فأخذ منها شيئاً، فشَقٌّ بطن حوت، فإذا هو بالخاتم. وقال الحسن: ذُكِر لي أنه لم يُؤْوِه أحدٌ من الناس، ولم يُعْرَف أربعينَ ليلةً، وكان يأوي إلى امرأة مسكينة، فبينا هو يوماً على شطّ نهر، وجد سمكة، فأتى بها المرأة فشقَّتها فإذا بالخاتم. وقال الضحاك: اشترى سمكة من امرأة فشقَّ بطنَها فوجد خاتمه. وفي المدة التي سُلب فيها الملك قولان: أحدهما: أربعون ليلة، كما ذكرنا عن الحسن. والثاني: خمسون ليلة، قاله سعيد بن جبير. قال المفسرون: فلمّا جعل الخاتم في يده، ردَّ الله عليه بهاءَه ومُلْكه، فأظَّلته الطَّير، وأقبل لا يستقبله جنيّ ولا طائر ولا حجر ولا شجر إلّا سجد له، حتى انتهى إلى منزله. قال السدي: ثم أرسل إلى الشيطان، فجيء به، فأمر به فجُعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقى في البحر، فهو فيه إلى أن تقوم الساعة. وقال وهب: جابُ(٢) صخرةً فأدخله فيها، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم قذفه في البحر.

⁽۱) وقد رأيت قبل قليل كيف قال ابن كثير: فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أثمة السلف أن ذلك الجني لم يسلّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله فلا منه تشريفاً وتكريماً لنبيه على، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السنلف، ثم قال: وكلّها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ.

⁽٢) جاب: قطع.

قوله تعالى: ﴿ وَمَتْ لِى مُلَكًا لَا يَلْبَنِي لِأَحَدِ مِنَ مَبَرِئَ ﴾ فتح الياء (١) نافع، وأبو عمرو. وفيه قولان: أحدهما: لا يكون لأحد بعدي، قاله مقاتل، وأبو عبيدة. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ مِفرِيتاً من الجِنِّ تفلَّت عليَّ البارحة لَيقُطَعَ عَلَيْ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذتُه، فأردتُ أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلُكم، فذكرتُ دعوة أخي سليمان: ﴿وَمَتْ لِي مُلكًا لَا يَنْبَنِي لِأَحَدِ مِنْ بَهْدِيّ ﴾، فلردتُه خاسئاً (٢٠). والثاني: لا ينبغي لأحد أن يسلبه منّي في حياتي، كما فعل الشيطان الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن، وقتادة (٢٠). وإنما طلب هذا المُلك، ليَعلم أنه قد غُفر له، ويَعرف منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك. ولم يكن في مُلكه حين دعا بهذا الرّبحُ ولا الشياطينُ ﴿ وَمَرَّمُ الرِّبَحُ ﴾ (٤) وقرأ أبو الجوزاء، وأبو جعفر، وأبو المتوكل: «الرّباح» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿ رُبِّنَاتَهُ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُطيعة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. والثاني: أنها الطيِّبة، قاله مجاهد. والثالث: اللَّينة، مأخوذ من الرَّخاوة، قاله اللَّغويُّون. فإن قيل: كيف وصفها بهذا بعد أن وصفها في سورة [الانبياء: ٨١] بأنها عاصفة؟ فالجواب: أن المفسرين قالوا: كان يأمُر العاصف تارةٌ ويأمُر الرُّخاءَ أُخرى. وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتَلِينَ إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿ يَنْ أَمَابَ ﴾ أي: حيث قصد وأراد. قال الأصمعي: تقول العرب: أصابَ فلان الصَّوابَ فأخطأ الجواب، أي: أراد الصَّواب.

⁽١) أي: ياء المديه.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: قوله: ﴿قَالَ يَرِهُ اَقْفِرْ فِي وَمَتْ إِنِهُ مُلَكُا لَا يَبْنِي لِخَيْرِ شِلْ بَشِوَتُ ﴾ يقول تعالى ذِكره: قال سليمان راغباً إلى ربه: ربّ استر عليّ ذنبي الذي أذنبتُ بيني وبينك فلا تعاقبني به ﴿وَمَتْ إِنِ مُلَكًا لَا يَبْنِي لِأَسْدِينَ فِيلَ مِنْ اللّهِ أَحد كما سلينيه قبل هذه الشيطانُ. اهم. وقال ابن كثير: قال بمضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي، كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كوسيه، لا أنه يحجر على من بعده من الناس، قال: والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، قال: وهذا هو ظاهر السياق من الآية، ويذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ. اهد.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخرنا له الربح.

⁽٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَالْشَهِلْينَ كُلْ يَنْكُو وَعُرِسُ ﴿ ﴾ يقول تمالى ذِكره: وسخّرنا له الشياطين فسلَطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها، يستعملها فيما شاه من أعماله، من بنّاه وغوّاض، فالبُناة منها يسنمون محاريب وتماثيل، والغاصّة يستخرجون له الحُلي من البحار، وآخرون ينحتون له جفاناً وقدوراً، والمردة في الأغلال مقرّتون. اهد. وقال ابن كثير: وقوله جل جلاله: ﴿ وَالنّبَافِينَ كُلُ بَنْكُو وَعُرِسُ ﴿ ﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، قال: وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها. اهد.

إلى الشياطين المسخّرِين له؛ فالمعنى: فامْنُنْ على مَنْ شئتَ بإطلاقه، وأَمْسِكْ مَنْ شئت منهم. وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ مِنْتِرِ حِمَالِ ﴾ قال الجمعن: لا تَبِعَةَ عليك في الدُّنيا ولا في الآخرة. وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حسابٌ يومَ القيامة. وقيل: في الكلامُ تقديم وتأخير، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامْنُنُ أو أَمْسِكُ (أ). وما بعد هذا قد سبق تفسيره [سبا: ٣٧، الرحد: ٢٩، الانبياء: ١٨] إلى قوله: ﴿ سَتَّنِي الشَّيْطَانُ ﴾ وذلك أن الشيطان سُلُط عليه، فأضاف ما أصابه إليه.

قوله تعالى: ﴿ يُمْتِ ﴾ قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد؛ وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وابن السميفع، والمحدري، ويعقوب: بفتحهما، وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحلهما: أنهما سواء، قال الفراء: هما كالرُّشَد والمُدْم والمُدْم، والمُرْن والحَرِّن؛ وكذلك قال إبن قتية، والوجلج، قال المفسرون: والمراد بالنصب: الشُّرُ الله أصابه، والثاني: أن النُّهب بتسكين الصاد: الشرُّ، ويتحريكها: الإعياء، قاله أبو عبيدة، وقرأت عائشة، ومجاهد، وأبو حمران، وأبو جعفو، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص: «بنُصْب» بضم النون والصاد جميعاً، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهبيرة عن حفص: «بنَصْب» بفتح النون وسكون الصاد (). وفي المراد بالعذاب عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهبيرة عن حفص: «بنَصْب» بفتح النون وسكون الصاد ().

قوله تعالى: ﴿ رَخُذُ بِيَكَ شِنْنَا﴾ كان قد حَلَفَ لئن شفاه الله لَيَجْلِدَنَّ زوجتَهِ مائةً جَلْدة (٢٠). وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال: أحلها: أن إبليس جلس في طريق زجة أيُّوبَ كأنه طبيب، فقالت له: يا عبد الله: إنَّ هاهنا إنساناً مهتلى، فهل لكَ أن تداويه؟ قال: نعم، إن شاء شفيتُه، على أن يقول إذا بَرَأَ: أنت شفيتني، فجاءت فأخبرتُه، فقال: ذاك الشيطان، لله عَلَى إن شفاني أن أَجْلِدَكِ مائة جَلْدة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس (٧٧). والثاني: أن إبليس لَقِيبَها

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: أخبر تعالى أنه سخر له ما لم يسخّر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الربح والشياطين قال: ثم قال عز ذكره: هذا الذي أعطيناك من الملك وتسخيرنا ما سخّرنا لك، عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن ثهبه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، ثم قال: والله لا يعاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. أهد. وقال ابن كثير: وقوله نهن ﴿ حَمّلُ عَمّاتُوا ثَلَثُنُ أَنْ أَتُنْ أَنْ أَتُنْ وَاللّه يَتِر حِبّابٍ ﴿ أَي الله العيال عليناك من الملك النام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك مهما فعلت، فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صداب اهد.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك الضم في النون والسكون في الصاد. اهـ.

⁽٤) - قال القاسمي: أي: استجبنا له وقلنا: اركض برجلك، أي: اعدُ بها وامش فقد برثتَ وشفيتَ منَ مرضك وقويَ جسمك وضحٌ بدنك ﴿أَرَكُشُ بِيَّهِكُ هَانَا مُنْذَكُنَّ بَارِدٌ رَكَرَكِهُ أي: ماءٌ تفتسل به وتشرب منه، قال: والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما. وقال الطبري: فاختسل وشوب، ففرَّجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهينا له أهله من زوجة وولد ﴿رَيْنَاتُهُمْ شَهُمُ رَحَّةً يَنَا﴾ له ﴿رَيْزُىنَ﴾ يقول: وتذكيرًا لأولي المقول ليمتبروا بها فيتعظوا. اهـ.

ه) في «الصحاح» و«اللسان»: وركفت القرس برجلي: إذا استَحْتَثَتُهُ لِيَعْدُو، ثم كَثُرُ حتى قيل، ركفتن الفَوْسُ: إذا عَدا، وليس بالأصل، والصواب: رُكِفن الفَرسُ، على ما لم يُسمَّ فاعله، فهو مَرْكُوضٌ.

⁽٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَنَدُنْ بِيَرَكَ بِنَنَا نَامَتِهِ بِهِ وَلا فَتَنَاكُ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على ووجه ووجد عليها في أمر فعلته _ قيل: باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه _ فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضرينها مائة جلدة، وقيل لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاه الله فلا وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرجمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأفتاه الله فلا أن يأخذ ضنثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برّت يعينه وعرج من حنه ووفى ينفره، قال: وهذا من الفرّج والمخرج لمن اتفى الله تعالى وأناب إليه. اهـ.

⁽٧) ذكره السيوطي في اللدر، ٣١٦/٥ من رواية أحمد في اللزهدة. وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن بمباس كي.

فقال: إنّي أنا الذي فعلتُ بأيوب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذتُه منه فهو بيدي، فانطلِقي أريكِ، فمشى بها غير بعيد، ثم سَحَرَ بَصَرَها، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلُها وولدُها ومالُها، فأتت أيُّوبَ فأخبرتُه، فقال: ذاكَ الشيطان، ويحك كيف وَعَى قولَه سَمْعُكِ؟ والله لئن شفاني الله عَلَى لأَجْلِدَنَّكِ مائةً، قاله وهب بن منبه. والثالث: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: لِيَذْبَحُ لي هذه وقد بَرَأَء فأخبرتُه، فحَلَفَ لَيجْلِدَنَّها، وقد ذكرنا هذا القول في سورة الانبياء: ١٨٦ عن الحسن. فأمّا الضّغث، فقال الفواء: هو كُلُّ ما جمعتَه من شيع مِثْلِ الحِزْمة الرَّطْبة، قال: وما قام على ساق واستطال ثم جمعتَه، فهو ضِغْث. وقال ابن قتيبة: هو الحُزْمةُ من الخِلال والعيدان. قال الزجاج: هو الحُزْمةُ من الحشيش والرِّيْحان وما أشبههه. قال المفسرون: جزى الله زوجته بحُسْن صبرها أن أفتاه في ضربها فسهل الأمر، فجمع لها مائة عود، وقبل: مائة سنبلة، وقبل: كانت أسلاً (١)، وقبل: من الإِذْخِر(١)، وقبل: كانت شماريخ، فضربها بها ضربة واحلة ولم يَحْنَثُ في يمينه. وهل ذلك خاصٌ له، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عامٌ، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي ولم يَحْنَثُ في يمينه. وهل ذلك خاصٌ لايوب، قاله مجاهه.

فصل

وقد اختلف الفقهاء فيمن حلف أن يَضْرِبَ عبده عشرة أسواط فجمعها كلَّها وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك، والليث بن سعد: لا يَبَرُّ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كلُّ واحدٍ منها، فقد بَرَّ، واحتجوا بعموم قصة أيُّوب عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِرًا ﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به (٣٠).

﴿ وَاذَكُرُ عِنْدَنَا إِنَوْمِمَ وَاِسْحَقَ وَيَقُونَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَنْصَدِ ۞ إِنَّا أَنْلَمَتَكُم عِنَالِهِمَ وَحَدَى الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِندَا لَمِنَ الْمُشَلِمَةِ وَالْمُعْمِ وَالْمُعْمِونَ وَمُعْمَوْ وَمُرَابِ ۞ هَا وَعِندُمُ قَصِرَتُ اللَّرْفِ أَلْرَابُ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيُومِ الْمُعْمِدِ وَمُعْمَوْ وَمُرَابٍ ۞ هَا وَعِندُمُ قَصِرَتُ اللَّرْفِ أَلْرَابُ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيُومِ الْمُعْمِدِ وَمُعْمَوْنَ لِيوْمِ اللَّهِ اللَّهُ مِن أَمْادٍ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَاذَكُرْ عِبَدَناً ﴾ وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، وابن محيصن، وابن كثير: (عبدنا)، إشارة إلى إبراهيم، وجعلوا إسحاق ويعقوب عطفاً عليه، لأنه الأصل وهما ولداه، والمعنى: اذْكُرْ صبرهم، فإبراهيم ألقي في النار، وإسحاق أضجع للذبح (١٠)، ويعقوب صبر على ذهاب بصره وابتُلي بفقد ولده؛ ولم يُذْكَر إسماعيل معهم، لأنه لم يُبتّلى كما ابتُلوا(٥). ﴿ أَوْلِ آلاَيْنِي ﴾ يعني القوة في الطاعة ﴿ وَالاَبْصَدِ ﴾ البصائر في الدِّين والعِلْم، قال ابن جرير: وذِكر الأيدي مَثلٌ، وذلك لأن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قُوَّة القويِّ، فلذلك قيل للقويِّ: ذو يدِه وعنى بالبصر: بصر القلب، وبه تُنال معرفة الأشياء. وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وابن أبي عبلة: ﴿ أُولِي الأيدِ » بغير ياء في الحالين. قال الفراء: ولها وجهان: أحدهما: أن يكون القارئ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياء، وهو صواب، مثل الجَوارِ والمناد. والثاني: أن يكون من القُوَّة والتأبيد، من قوله: ﴿ وَالْيَدَتَهُ بِرُوجِ ٱلْقُدُسُ ﴾ [البعرة: ١٨٥].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَغَلَمْنَامُ ﴾ أي: اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمُفْرَدة من خصال الخير؛ ثم أبان

⁾ قَالَ فَيُ الصحاحة: الأَسَلُ: شجُّرُ، ويقالَ: كل شجر له شوك طويل فشَوْكُه أَسَلٌ.

⁽٢) قال في المصباح؛ الإذخر، بكسر الهمزة والخاء: نبات معروف ذكيُّ الربح، وإذا جَفُّ ابيضٌ.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ إِنَّ وَجَدَنَهُ صَارِأً ﴾ يقول: إنا وجلنا أيوب إسابراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول في معصيته ﴿ يَتَمَ النَّبِهُ إِنَّهُ إِنَّهُ إِنَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ ، وإلى رضاه رجًّاع. اهـ.

⁽٤) هذا على رأي من قال بأن النبيح هو إسحاق، وبذلك قال المصنف، وقد رجح ذلك الطبري، وقد تقدم أن الصواب في ذلك أن النبيح إسماعيل ﷺ، لا إسحاق، وعليه الجمهور.

 ⁽٥) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل هباده المرسلين وأنبيائه العابدين ﴿وَاذَكُرْ مَكناً إِبْرَهِيمَ وَإِسْكُنْ وَبِشُوْرَ أَوْلِي ٱلْأَبْدِى وَالْأَبْهَدَرِ ﴿
 بذلك العمل الصالح والعلم النافع، والقوة في العبادة والبصيرة النافذة. اهـ.

عنها بقوله: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾. وفي المراد بالدار هاهنا قولان: أحدهما: الآخرة. والثاني: الجنة. وفي الذكري قولان: أحدهما: أنها من الذُّكْر، فعلى هذا يكون المعنى: أخْلَصْناهم بذِكْر الآخرة، فليس لهم ذِّكْر غيرها، قاله مجاهد، وعطاء، والسدي. وكان الفُضَيل بن عِياض رحمة الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب. والثاني: أنها التذكير، فالمعنى أنهم يَدْعُون الناس إلى الآخرة وإلى عبادة الله تعالى، قاله قتادة. وقرأ نافع: "بخالصةِ ذِكْرَى الدَّارِي، فأضاف اخالصة الى اذِكْرَى الدار، قال أبو غلي: تحتمل قراءة من نوَّن وجهين: أحدهما: أن تكون اذكري، بدلاً من «خالصة»، والتقدير: أخلصناهم بذكر الدار، والثاني: أن يكون المعنى: أخلصناهم بأن يذكُروا الدَّار بالتأهُّب للآخرة والزُّهد في الدنيا. ومن أضاف، فالمعنى: أخْلَصْناهم بإخلاصهم ذِكْرى الدَّار بالخوف منها. وقال ابن زيد: أخلصناهم بأفضل ما فيه الجنة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَيْنَ ٱلنَّمْ طَنَيْنَ ﴾ أي: من الذين اتخذهم الله صَفْوَةً فصفًّاهم من الأدناس ﴿ ٱلنَّفْيَارِ ﴾ الذين اختارهم. ﴿ وَاذَكُرْ إِسْمَنِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِمَٰلِّ﴾ أي: اذكرهم بفضلهم وصبرهم لِتَسْلُكَ طريقهم. والْيَسَعُ نبيٌّ، واسمه أعجمتي مُعرَّب، وقد ذكرناه في [الانعام: ٨٥]، وشرحنا في سورة [الانبياء: ٨٥] قصة ذي الكفل، وتكلمنا في [البقرة: ١٢٥] في اسم إسماعيل، وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿ مَانَا زَكُرُ ۚ أَي: شرف وثناءٌ جميل يُذْكَرون به أبداً ﴿ وَإِنَّ لِلْمُثَّنِينَ لَصُرْنَ مَنَابٍ ﴾ أي: حُسْنَ مَرْجِع يرجعون إليه في الآخرة. ثم بيَّن ذلك المَرْجِع، فقال: ﴿جَنَّتِ عَنْنِ ثُلَنَّكَهُ لَمْمُ الأَبْوَبُ ۞﴾ قال الفراء: إنما رُفعتَ ﴿الأبوابُ؛ لأن المعنى: مفتحةً لهم أبوابُها، والعرب تجعل الألف واللام خَلَفاً من الإضافة، فيقولون: مررت على رَجُل حَسَنِ العَيْنِ، قبيح الأنف، والمعنى: حسنةٌ عينه، قبيحٌ أنْفُه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَلْبَكِيمَ مِنَ النَّأْرَىٰ ﴿﴾ [النازمات: ٣٩] والمعنى: مأواه. وقال الزجاج: المعنى: مُفتَّحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف، لا للبدل. قال ابن جرير: والفائدة في ذِكْر تفتيح الأبواب، أن الله ﷺ أخبر عنها أن أبوابها تُفتَح لهم بغير فتح سُكَّانها لها بيد، ولكن بالأمر، قال الحسن: هي أبواب تَكُلُّم، فَتُكلُّم: انفتحتي، انغلقي. قوله تعالى: ﴿ وَعِندُمُرْ فَنْمِرَتُ الطَّرْفِ﴾ قد مضى بيانه في االصافات: ٤٨]. قال الزجاج: والأتراب: اللواتي أسنانُهُنَّ

> واحدةٌ وهُنَّ في غاية الشباب والحُسْن. قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢) قرأ أبو عمرو، وابن كثير بالياء. والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ لِبُورِ ٱلْحِسَابِ﴾ اللام بمعنى ﴿ في ﴾. والنَّفاد. الانقطاع. قال السدي: كلَّما أُخِذ من رِزق الجنة شيءٌ ،

﴿ هَمَانًا وَإِنَ لِلْطَانِينِ لَشَرَّ مَنَابٍ ۞ جَهَتُمْ يَسْتَوَبَهَا فَيْقَنَ الْهِمَادُ ۞ هَذَا فَلْيَدُوقُوهُ خِيدٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَمَاخَرُ مِن شَكْلِهِ. أَنْفَجُ 🚳 مَدَا مَيْجٌ مُفَدَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَنَا بِهِمْ إِنَهُمْ مَعَالُوا النَارِ ،﴿ عَالُوا بَلَ النَّهُ لَا مَرْجَا بِكُوْ النَّهُ لَا مَرْجَا بِكُوْ النَّهُ لَا مُرَجَّا بِهِمْ النَّمَالُولُ النَّارِ ،﴿ عَالُوا بَنَا النَّهُ لَا مُؤَا رَبَّنَا مَن قَـنَّمَ لَنَا مَنِذَهُ عَذَابًا مِنعْفًا فِي النَّـارِ ۞ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِيَالًا كُنَّا نَمُذُكُم مِنْ ٱلأَشْرَارِ ۞ أَغَذَنَّهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَهْمُ ٱلْأَيْصَارُ ۞ إِنَّ ذَلِكَ لَمَقٌّ غَنَاشُمُ أَهَلِ النَّارِ ۞ قُلْ إِنْمَا أَنَا مُدَارٌّ وَمَا مِنْ إِلَيهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَبِيدُ اللَّهَارُ ۞ رَبُّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَّا العَزِيزُ النَّفَدُ ﴿ اللَّهُ قوله تعالى: ﴿ مَاذَا ﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناه ﴿ وَإِن كَالْمَانِينَ ﴾ يعني للكافرين ﴿ لَنَرَّ مَنَابٍ ﴾ (١٦)، ثم بيَّن ذلك

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الأخرة، فعملوا لها في الدنيا فأطاعوا الله وراقبوه. اهـ:

قال ابن كثير: أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة، هي التي وعدها لعباده المنتمين الذين يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من

⁽٣) - قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذِكره بقوله: ﴿عَنَا﴾ الذي وصفت لهؤلاء المتقين، قال: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طقرًا عليه ويَغُوا فقال: ﴿ وَإِنَّ لِظَّنْهِينَ﴾ وهم الذين تمرَّدوا على ربهم فعَصَوًا أمره مع إحسانه إليهم ﴿ لَتَنَّر عَنَابٍ ﴾، يقول: لشرّ مرجع ومصير يصيرون إليه في الأخرة بعد خروجهم من الدنيا. اهـ.

بقوله: ﴿ جَهَنَمَ ﴾ والمِهاد: الفِراش. ﴿ هَذَا فَآيَدُونُوهُ ﴾ قال الفراء: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميمٌ وغَسَاقٌ فَلْيَذُوقوه؛ وإن شنتَ جَعلتَ الحميم مستأنفاً، كأنَّكَ قُلْتَ: هذا فلْيَذُوقوه، ثم قلت: منه حَميمٌ، ومنه غَسّاق، كقول الشاعر:

حتى إذا ما أضاء الصّبع في عَلَى وغُورَ البَهْ أَلَ مَلْوِي ومَ حُصُورُ (١) فأم العَسَاق، ففيه لغتان، قرأ جمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: بالتشديد، وكذلك في (عم يتساءلون: ٢٥)، تابعهم المفضل في ﴿ عَمَّ يَسَآتُونَ ﴿ ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف. وفي الغَسّاق أربعة أقوال: أحدها: الزَّمهرير، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: الغَسّاق لا يستطيعون أن يذوقوه من برده. والثاني: أنه ما يجري من صديد أهل النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطية، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أن الغَسّاق: عَيْنٌ في جهنَّم يسيل إليها حُمَةُ كلَّ ذاتِ حُمَة من حَيَّة أو عقرب أو غيرها، فيستنقع، فيؤتى بالآدميّ فيُغْمَس فيها غَمْسَة، فيخرج وقد سقط جِلْدُه ولحمه عن العظام، ويَجُرُّ لحمَه جَرَّ الرجُل ثوبه، قاله كعب. والرابع: أنه ما يَسيل من دموعهم، قاله السدي. قال أبو عبدة: الغَسّاق: ما سال، يقال: غَسقَت العين والجرح. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن قتيبة قال: لم يكن أبو عبيدة [يذهب] إلى أن في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيرُه] يزعُم أن الغَسّاق: البارد المُثين بلسان الترك. وقيل: فعال، من غَسقَ يَغْسِقُ؛ فعلى هذا يكون عربيّاً. وقيل في معناه: إنه الشديد البَرْد، يحْرِق من بَرْده. وقيل: هو ما يَسيل من جلود أهل النار من الصديد(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَاحَرُ ﴾ قرأ أبو عمرو، والمفضّل: ﴿وأُخَرُ ، بضم الهمزة من غير مدًّ، فجمعا لأجل نعته بالأزواج ، وهي جمع . وقرأ الباقون بفتح الألف ومدِّه على التوحيد، واحتجُّوا بأن العرب تنعت الاسم إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفراء: تقول: عذابُ فلانِ ضُروبٌ شتَّى، وضَرْبان مختلفان؛ وإن شتَ جعلتَ الأزواج نعتاً للحميم والفسّاق والآخر، فهُنَّ ثلاثةٌ ، والأشبه أن تجعله صفة لواحد. وقال الزجاج: من قرأ ﴿وآخرُ ، بالمدِّ ، فالمعنى: وعذاب آخر ﴿ مِن شَكُلِيهِ ﴾ أي: مِثْلِ الأول. ومن قرأ ﴿وأَخَرُ ، فالمعنى: وأنواعُ أَخَر ، لأن قوله: ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكُلِيهِ ﴾ أي: مِنْ نَحوِه ، ﴿أَزْوَاجٌ » أي: أصنافٌ . وقال ابن جرير: ﴿مِنْ شَكُلِيهِ أي: مِنْ نَحوِه ، ﴿أَزْوَاجٌ » أي: أصنافٌ . وقال العسن: لمّا ذكر الله تعالى العذابَ الذي المَعيم . قال ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكَلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال الحسن: لمّا ذكر الله تعالى العذابَ الذي يكون في الدنيا ، قال: ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكَلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكَلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكَلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكَلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكِلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكِلِيهِ ﴾ أي: وآخر لم يُر في الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن سَكِلِهِ وَالْتَ عَلَى الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن شَكِلِهِ وَالْتُولُ مِن سَكِلِهِ وَالْتُهُ فَي الدنيا ، قال : ﴿وَمَاحَرُ مِن مَنْ كُلِهِ وَالْعَلَ وَالْعَلَ وَمِنْ مُنْ وَلِهُ الدُولُ اللهِ مِنْ الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ مَنْ الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ الْحَلَى الدُولُ اللهِ الْمُنْ مُنْ مَنْ الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ عَلَى الدُولُ اللهِ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهِ الْوَلَا المِن عَلَى الدُولُ اللهُ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهِ اللهِ اللهِ الْعَلْدُولُ اللهُ عَلَى الدُولُ اللهُ اللهُ اللهِ الْحَلَى اللهُ اللهِ الْحَلَى اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ

قُوله تعالى: ﴿ مَاذَا فَنَ ﴾ هذا قول الزَّبانية للقادة المتقدَّمين في الكفر إذا جاؤوهم بالأتباع. وقيل: بل هو قول المملائكة لأهل النار كلَّما جاؤوهم بأُمَّة بعد أُمَّة بعد أُمَّة أَنَّه. والفوج: الجماعة من الناس، وجمعه: أفواج. والمُقْتَحِمُ: الدّاخل في الشيء رمياً بنفسه. قال ابن السائب: إنهم يُضْرَبون بالمَقامع، فيُلْقُونَ أنفُسهم في النار ويَئِبون فيها خوفاً من تلك المقامع. فلمّا قالت الملائكة ذلك لأهل النار؛ قالوا: ﴿ لَا مَرْجَبًا بِيَمّ ﴾، فاتصل الكلام كأنه قول واحد، وإنما الأول من قول المملائكة، والثاني من قول أهل النار؛ وقد بيّنًا مِثْلَ هذا في قوله: ﴿ لِيَمْلَمُ أَنِي لَمْ أَمُنُهُ بِالنَبِّ ﴾ [يوسف: ٢٥٦. والمَرْحَبُ والرُّحْبُ: السَّعَةُ، والمعنى: لا اتَّسعت بهم مساكنُهم. قال أبو عبيدة: تقول العرب للرجل: لا مَرْحَباً [بك] أي: لا رُحبَتْ عليك الأرض. وقال ابن قتيبة: معنى قولهم: «مَرْحَباً وأهلاً» أي: أتيتَ رُحْباً، أي: سَعَة، وأهلاً، أي: أتيتَ

⁽١) البيت من شواهد الفراء، وهو في فمعاني القرآن، ١٩٣، و«الطبري»: ٢٧٦/٢٣، والغلس: ظلام آخر الليل. والملويّ: اليابس الذابل.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، قال: لأن ذلك هو الأغلب من معنى النسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَمُرُ مِن شَكِيْمِهِ أَرْبَهُ ﴿ اللَّهِ الرَّاحُ ﴿ اللَّهِ الرَّاحُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّ اللَّهُ عَلَى اللَّل

⁽٤) قال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿ مَنَا فَيَّ مُثَنَّدِمٌ مَنَكُمُ لَا مَرَبُّ بِهِمُّ إَيَّمَ صَالًا النَّارِ ۞﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قبل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿ كُلْمًا مَنْكَ أَنْدَ أَنْنَ أَنْنَ أَنْنَ أَنْنَ أَنْنَ أَنْنَا ﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكافبون ويكفر بعضهم ببعض.

أهلاً لا غُرباء، فائنس ولا تستوحش، وسهلاً، أي: أتبتَ سَهْلاً لا حَزْناً، وهو في مذهب الدُّعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيْراً. قال الزجاج: وامَرْحَباً، منصوب بقوله: رَحُبَت بلائك مَوْحَباً، وصادفتَ مَرْحَباً، فأدخلت الا، على ذلك المعنى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أي: داخِلُوها كما دخلناها، ومُقاسون حَرَّها. فأجابهم القوم، ف ﴿قَالُوا بَلَ اَشَرُ لَا مَرْجَا بِكُرُّ اَنتُم قَدَّمَتُوهُ لَنَّ﴾. إن قلنا: إن هذا قول الأتباع للرؤساء، فالمعنى: أنتم زيَّنتم لنا الكفر؛ [وإن قلنا: إنه قول الأُمَّة المتأخرة للأُمَّة المتقلِّمة، فالمعنى: أنتم شرَّعتم لنا الكفر] وبدأتم به قبلنا، فلدخلتم النار قبلنا ﴿فَيَلَنُ اَلْتَكُرُ﴾ أي: مِنْ سنَّه وشرعه ﴿فَزِدَهُ عَذَابًا شِمْفًا فِي النَّارِ﴾ وقد شرحناه في بئس المُسْتَقَرِّ والمنزل. ﴿قَالُواْ رَبَّا مَن شَدَّمَ لَنَا هَدَا﴾ أي: مَنْ سنَّه وشرعه ﴿فَزِدَهُ عَذَابًا شِمْفًا فِي النَّارِ﴾ وقد شرحناه في الاعران: أحلهما: أنه قول جميع أهل النار، قاله ابن السائب. والثاني: قول الأتباع. قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ﴾ يعني أهل النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِبَالَا كُنَا نَسُتُمُ بِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ قال المفسرون: إذا دخلوا النار، نظروا فلم يَرَوْا مَنْ كان يخالفُهم من المؤمنين، فيقولون ذلك. قال مجاهد: يقول أبو جهل في النار: أبن صُهَيب، أبن عمّار، أين حبّاب، أين بلال؟!

قوله تعالى: ﴿ أَتَّخَذَنَهُمْ سِخْرِيًا ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: قبنَ الأشرار اتَّخذْناهم ، بالوصل على الخبر ؛ أي: [إنّا] اتَّخذْناهم ، وهؤلاء يبتدئون بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بقطع الألف وفتحها على معنى الاستفهام ، وهؤلاء يبتدئون بفتح الهمزة. وقال الفراء: وهذا استفهام بمعنى التعجّب والتوبيخ ، والمعنى أنهم يوبِّخون أنفسهم على ما صنعوا بالمؤمنين. وقسخْرِيّاً » يُقرأ بضم السين وكسرها. وقد شرحناها في آخر سورة [المومنين: ١١٠] ﴿ أَمْ زَاعَتُ عَبُّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الله ولا نراهم ؟ وقال أبو عبيدة: قام ، هاهنا بمعنى قبّل .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمَنَّ ﴾ قال الزجاج: [أي]: إن الذي وصفتاه عنهم لَحَقَّ. ثم بيَّن ما هو، فقال: هو ﴿غَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (أَ الله وقرأ أبو الجوزاء، وأبو الشعثاء، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "تَخَاصُمَ المِلْ الصاد وفتح الميم، وكسر اللام من المَّلِ وقرأ أبو مجلز، وأبو العالمية، وأبو المتوكل، وابن السميفع: "تَخَاصَمَ أَهْلُ المِتح الصاد والميم ورفع اللام.

﴿ فَلْ مُو بَدُّا عَلِيمٌ ۞ أَنَمُ عَنْهُ مُعْرِعُونَ ۞ مَا كَانَ إِنَ مِنْ عِلْمٍ وَالْمَلَا إِذْ يَنْتَسِمُونَ ۞ إِن بُومَنَ إِلَا أَلْنَا أَنَا لَذِيرٌ شِيئُ وَمِن فَعُوا لَمُ سَجِدِينَ ۞ إِن بُومَن إِنَّ الْمَلَا لَمُ سَجِدِينَ ۞ مَسَجَدَ الْسَلَتِكُمُ عَلَمُمُ وَلَنَحُتُ فِيهِ مِن رُوحِي مَنْعُوا لَمُ سَجِدِينَ ۞ مَسَجَدَ الْسَلَتِكُمُ عَلَمُهُمُ وَلَنَحُتُ فِيهِ مِن رُوحِي مَنْعُوا لَمُ سَجِدِينَ ۞ مَسَجَدَ السَلَتِكُمُ عَلَمُهُمُ وَلَنَحُتُمُ مِن الْمَكْفِينَ ۞ قَالَ بَالِيسُ مَا مَنْعَلَى أَن سَجُدَ لِلَا عَلَقْتُ بِينَا أَلْهُ لِلْ يَكُونُ مِن الْمَكْفِينَ ۞ قَالَ مَا يَعْلِيلُ سَلَمُ مِن عَلِي فِي قَالَ مَنِ الْمَكْفِينَ ۞ قَالَ مَا عَلَيْكُ مِنْهُمْ الْمُعْمِينَ ۞ قَالَ مَا عَلَيْ فَلَا مَن الْمُعْلِقِينَ ۞ قَالَ مَا عَلَيْكُمْ مَلِيقِينَ ۞ قَالَ مَا إِلَيْ عَلَيْكُمْ مَلِيقِينَ ۞ قَالَ مَا اللّهُ وَاللّهُونَ ﴾ إِن يَعْرِم اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللل

قوله تعالى: ﴿ فَلْ مُو نَبُرُا عَظِيمُ ﴿ فَ النَّبَأَ: الخَبَر. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمجمهور. والثاني: أنه البعث بعد الموت، قاله قتادة (٢٠) ﴿ أَنَّمُ عَنْهُ مُعْرِشُونَ ﴿ ﴾ أي: لا تتفكّرون فيه فتعلمونَ صِدْقي في نُبؤتي، وأنَّ ما جثتُ به من الأخبار عن قصص الماضين لم أَعْلَمْه إلا بوحي من الله. ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿ مَنْ كُن لِن مِنْ عِلْمِ بِالنَهُ الْفَلَا﴾ يعني الملائكة ﴿ إِنْ يَعْتَمِدُونَ ﴾ في شأن آدمَ حين قال الله تعالى: ﴿ إِنْ جَاءَلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٢٠]؛ والمعنى: إنِّي ما عَلِمْتُ هذا إلا بوحي، ﴿ إِن ثُوحَ إِلَى اللهِ عَلَى مَا عَلِمْتُ هذا إلا بوحي، ﴿ إِن ثُوحَ إِلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمَنَّ غَنَّامُمُ أَمَّلِ النَّارِ ﴿ أَنَّارِ ﴿ إِنَّ هَذَا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بمضهم لبعض، لَحَق لا مرية فيه ولا شك. اهـ.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذبيك فيما جنتهم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه:
 إن مذا إلا اختلاق: ﴿مُو نَبُلُ عَظِيمُ لِقول: هذا القرآن خبر عظيم. اهـ.

[أي]: إلّا أنّي نبيّ أُنْذِركم وأبيّن لكم ما تأتونه وتجتنبونه (١٠). ﴿إِذَ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا متصل بقوله: ﴿يختصمونَ وإنما اعترضت تلك الآية بينهما. قال ابن عباس: اختصموا حين شُووروا في خَلْق آدم، فقال الله لهم: ﴿إِنِّ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيّقَةٌ﴾، وهذه الخصومة منهم إنما كانت مُناظَرة بينهم. وفي مُناظَرتهم قولان: أحلهما: أنه قولهم: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُغْلِقَ إِلَا كُنّا أَكْرَمُ منه وأَجْمَلُ فِيهَا مَن يُغْلِقُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣]، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوا: لن يَخْلُقُ الله خَلْقاً إلّا كُنّا أكرمَ منه وأَعْلَمَ، قاله الحسن؛ هذا قول الأكثر من المفسرين. وقد روي عن النبي على أنه قال: ﴿رأيتُ ربّي عَلَى فقال لي: فِيمَ يختصِم الملأ الحسن؛ هذا قول الأكثر من المفسرين. وقد روي عن النبي على أنه قال: ﴿أَيتُ ربّي عَلَى اللهُ مَنا الكفّارات، فإسباغ الوُضوء في السّبَرات (٢)، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وأمّا الدَّرَجات، فإفشاء السّلام، وإطعامُ الطّعام، والصّلاة باللّيل والنّاس نبام (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ لَمُتَكَذِّرَتَ ﴾ أي: اسْتَكْبَرُتَ بنفسكَ حين أَبَيْتَ السُّجودَ ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ أي: من قوم يتكبَّرون فتكبَّرتَ عن السُّجود لِكُونَكَ من قوم يتكبَّرونَ؟!

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ رَحِيمٌ ﴾ أي: مرجَومٌ بالذَّمِّ واللَّمْن.

قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ يَوْرِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَمْلُورِ ﴿ وَهُ وَقَتَ ٱلنَّفَخَةَ الأُولَى، وهو حين موت الخلائق. وقوله: ﴿ فَهِمِرْ إِلَىٰ كَا عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ الْعَلَمَٰ اللهِ عَلَىٰ القصة فَهُو مَذَكُورُ فِي الأَمَانُ: ١٢] و[العجر: ٣٤] وغيرهما مما تقدم.

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿مَا كَانَ إِنْ مِنْ مِلْمِ وَالَيْحِ الْخَلَقِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ إِنْ مِنْ مِلْمِ وَاللّهِ النَّقَلُ إِذَ يَعْمُ عَلَيْ مَا لَهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ إِنْ اللّهُ اللّهُ إِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِنْ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللّه

⁽٢) السَّبَرات: جمع سَبْرة بسكون الباء، وهي الغداة الباردة.

⁽٣) لهذا الحديث طرق متعددة، وروايات مختلفة ذكرها السيوطي في «المدر» ٣١٩/٥ - ٣٣٠، وقد رواه أحمد في «المسند» ٢٤٣/٥ مطولاً من حديث عبد الرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يخابر أن معاذ بن جبل ﷺ قال: احتبس علينا رسول اله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قون الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً، فترَّب بالصلاة وصلَّى وتجرّز ني صلاته، فلما سلَّم قال: «كما أنتم هلى مصافَّكم»، ثم أقبل إلينا فقال: وإني سأحدثكم ما حبسني هنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قلّر لي، فنعستُ في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي ﷺ في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتنوي فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب، قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب، فرأيته وضع كفَّه بين كنفيّ حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلَّى لي كل شيء، وعرفت، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، وجلوس في المساجد بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء عند الكريهات، قال: وما المدوجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ فتنة في قوم فتوفّني غير مفتون، وأسألك حبّك وحب من يحبُّك وحب عمل يقربني إلى حبك؛ وقال رسول الله 選: النهاحق فادرسوها وتعلموها،. قال ابن كثير: فهو حديث المنام المشهور، قال: ومن جعله يقظة، فقد غلط، قال: وهو في «السنن» من طرق، قال: وهذا الحديث بمينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال: حسن صحيح، قال: وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن، فإن هذا قد فسُّر، وأما الاختصام الذي في القرآن، فقد فسَّر بعد هذا، وهو قوله تعالى: ﴿إِذَ قَالَ رَثُكَ لِلْمَلَتِكُمَّةٍ إِنَّ خَلِنًا بَشَرًا مِن طِينٍ ﴿ لَهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ﴿ لَا اللَّهِ اللّ سَرَيْتُهُ رَنَقَتُ يه بِد رُدِسِ فَقَعُوا لَمْ سَجِيدِنَ ۞ نَسَجَدَ التَلَتِيكُةُ حَنَائِتُمْ أَمْشُونَ ۞ إِلّا إلييسَ اسْتَكَبَرَ وَكَانَ بِنَ الكَنفِينَ ۞ قال كَالِيشِ مَا سَتَمَلَ أَن شَجْدَ لِمَا خَلْفُ يبَدَّنَ. . . ﴾ الأيات. اهـ. وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة سماها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام العلأ الأعلى؛ وقال عنه بمد ما ذكره من رواية أحمد في «المسند» عن معاذ بن جبل ﷺ: وخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، قال (يعني الترمذي): وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا؟ فقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: قلت: وفي إسناده اختلاف، وله طرق متعددة، وفي بعضها زيادة، وفي بعضها نقصان، ثم قال: ففي الحديث دلالة على أن النبي ﷺ لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح إلى قريب طلوع الشمس، وإنما كانت عادته التغليس بها، وكان أحياناً يسفر بها عند انتشار الضوء عي وجه الأرض، قال: وأما تأخيرها إلى قريب طلوع الشمس، فلم يكن من عادته، قال: ولهذا اعتلر لهم عنه في هذا الحديث، قال: وفي الحديث دلالة على أن من أخر الصلاة إلى آخر الوقت لعذر أو غيره، وخاف خروج الوقت في الصلاة إن طوَّلها، أن يعقِّفها حتى يدركها كلُّها في الوقت، قال: وفي حديث معاذ دليل على أن من رأى رؤيا تسرُّه فإنه يقصُّها على أصحابه وإخوانه المحبّين له، ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم وتعليماً لما ينفعهم، قال: وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: •من رأى منكم الليلة رؤيا. . . ، ، قال: وفيه أيضاً أن من استثقل نومه في تهجُّده بالليل حتى رأى رؤيا تسره ، فإن في ذلك بشرى له ، قال: وفيه دلالة على أن الملأ الأعلى وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم ويتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم إلى الله ﷺ وتكفر بها عنهم خطاياهم. . . إلى غير ما هنالك من الفوائد، ومن أراد الزيادة، فليرجع إلى رسالته فاختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، فإنها قيِّمة في هذا الباب.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَالْمَتُ وَلَفْتَى آثُولُ ﴿ فَ قُوا عاصم إلا حَسْنون عن هبيرة، وحمزة، وخلف، وزيد عن يعقوب: «فالحقُّ بالرفع في الأول ونصب الثاني، وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد؛ قال ابن عباس في معناه: فأنا الحقُّ وأقولُ الحَقَّ؛ وقال غيره: خبر الحقِّ محذوف، تقديره: الحَقُّ مِنِّي. وقرأ محبوب عن أبي عمرو بالرفع فيهما؛ قال الزجّاج: من رفعهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحَقُّ والحَقُّ أقولُ. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: بالنصب فيهما. قال الفراء: وهو على معنى قولك: حَقاً لاَيّنَلك، ووجودُ الألف واللام وطرحُهما سواءً، وهو بمنزلة قولك: حمداً ش. وقال مكّي بن أبي طالب: انتصب الحق الأول على الإغراء، أي: اتبعوا الحَقَّ، والسَمعوا والنَحقُ، وقيل: هو نصب على القسّم، كما تقول: الله لَأَفْمَلَنَّ، فتَنْصِب حين حذفت الجاز، لأن تقديره: فبالحَقّ؛ فأمّا الحَقُّ الثاني، فيجوز أن يكون الأولَ، وكرَّره توكيداً، ويجوز أن يكون منصوباً بـ "أقولُ» كأنه قال: وأقولُ الحَقّ، وقرأ أبن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، [والأعمش]: "فالحَقّ، بكسر القاف "والحَقّ، بنصبها. وقرأ أبو عمران [الجوني] بكسر القافين جميعاً. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو نهيك: "فالحَقّ، بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَانَ جَهَنَمَ مِنكَ أَي: مِنْ نَفْسِكَ وَذُرِيَّتُك. ﴿ قُلْ مَا آَشَنَكُرُ عَلَيْهِ مِنْ آَجُو أَي: على تبليغ الوحي ﴿ وَاللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ



⁽١) قال ابن كثير: ﴿ رَمَّا أَنَا يِنَ التَكْلِينِ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أدّيته، لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله على والدار الآخرة، قال: قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: أثينا عبد الله بن مسعود على ققال: با أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله في قال لنبيكم على: ﴿ فَلَ مَا آمَنُكُمُ عَلِمِ بِنَ ٱلْجَرِيرَا أَنَا مِنَ التَّكْمُونَ ﴿ فَلَ اللهُ عَلَى إِنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْنَا اللهُ عَلَى ا

سورة الزّمر

وتسمى سورة الغُرَف فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكِّيَة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد. وروي عن ابن عباس أنه قال: فيها آيتان نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿اللهُ زَلَ أَحْسَنَ الْحَرِينِ ﴾ [الزمر: ٢٣] قوله: ﴿يُكِبَادِى اللَّذِينَ أَسَرَقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَسَرَقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَسَرَقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَسَرَقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]. وفي رواية أخرى عنه قال: فيها آيتان مدنيَّتان ﴿يُكِبَادِى اللَّذِينَ أَسَرَقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]. وقال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدنيًّات ﴿قُلْ يُكِبَادِى اللَّذِينَ آسَرُقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠]. وقال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدنيًّات ﴿قُلْ يُكِبَادِى اللَّذِينَ آسَرُقُوا ﴾ [الزمر: ٢٠].

ينسب ألم الكني الزيسة

﴿تَنْرِيلُ ٱلْكِتَنِ مِنَ اللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيدِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَنَبَ بِالْمَنِّ فَأَعْبُدِ اللّهَ تُخْلِمُنَا لَهُ الدِّينَ الْمَالِمُنْ وَالَّذِينَ الْخَذُوا مِن دُونِيهِ أَوْلِكَآءَ مَا مَتَبُدُهُمْ إِلَّا لِلْمَزِيْرُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَقَ إِنَّ اللّهَ يَمْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتِلُونِثُ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَذِبُّ كَنْذِبُ كَفَارُ ۞ لَوْ أَوْدَ اللّهُ أَنْ يَنْخِذَ وَلَكَا لَآصَطْفَىٰ مِنَا يَغْلِقُنُ مَا يَشَكُنُهُمْ هُوَ اللّهُ ٱلنّهِكَارُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَا يَتِوَ الدِّبُنُ الْمُنَالِمُنَ ﴾ يعني: الخالص من الشَّرك، وما سِواه ليس بِدِين الله الذي أمر به؛ [وقيل]: المعنى: لا يَستجقُّ الدِّينَ الخالصَ إِلَّا الله. ﴿وَالَّذِينَ الْمُخَاوَا مِن دُونِدِهِ أَوْلِكَآهَ ﴾ يعني آلهة، ويدخُل في هؤلاء اليهودُ حين قالوا: ﴿عُمُزَيْرُ أَبْنُ اللهِ ﴾ والنصارى لقولهم: ﴿الْمَسِيحُ أَبْثُ اللهِ ﴾ [التربة: ٣٠] وجميعُ عُبَّاد الأصنام، ويدُلُّ عليه قولُه بعد ذلك: ﴿لَوْ آزَادُ اللهُ أَن يَتَخِذَ وَلَكُ ﴾ [الزمر: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿مَا نَمْبُكُمُمْ﴾ أي: يقولون ما نعبُدُهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيَ﴾ أي: إلّا لِيَشْفَعوا لنا إلى الله. والزُّلْفى: القُربى، وهو اسم أُقيم مقامُ المصدر، فكانه قال: إلّا لِيُقَرِّبُونَا إلى الله تقريباً. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي؛ بين أهل الأديان فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدِّين. وذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ لَا يُهْدِى﴾ أي: لا يُرْشِد ﴿مَنْ هُوَ كَنْدِبُ ﴾ في قوله: إن الآلهة تشفع ﴿كَفَارُ ﴾ أي: كافر باتّخاذها آلهة، وهذا إخبار عمن سبق عليه القضاء بجرمان الهداية (٢٠). ﴿لَوْ أَرَادَ اللّهُ أَن يَتَخِـذَ وَلَكَ ﴾ [أي]: على ما يزعم من ينسُب ذلك إلى الله ﴿لَاتَمَالَيْنِ ﴾ أي: لاختار ممّا يخلُق. قال مقاتل: أي: من الملائكة (٢٠).

⁽١) قال في التحاف فضلاء البشر؛: واتفقوا على حلف الياء من ﴿وَهِيَادِ ٱلَّذِينَ ۚ مَاسَرًا﴾ إلّا ما انفرد به أبو العلاء عن رويس من إثباتها وقفاً، فخالف سائر الناس كما مر في المرسوم.

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهَدِى مَنْ هُوَ كَنْذِبٌ كَخَدَّرُ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه ويراهينه. اهـ.

. ﴿ خَلَقَ السَّكَنَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بُكَوِّرُ الْيَلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى النَّبَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى النَّهَارُ عَلَى النَّهَارُ عَلَى النَّهُ الْعَلَىٰ النَّهُ اللَّهُ الْعَلَىٰ اللَّهُ اللللْلِيلُولُ الللِّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللللْلِيلُولُ اللللْمُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُولِ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ

قوله تعالى: ﴿ خَلَنَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [أي]: لم يخلقهما لغير شيء. ﴿ يُكَوِّرُ البَّلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابن قتيبة: وأصل التَّكُوير: اللَّفُ، ومنه كَوْرُ العِمامة. وقال غيره. التَّكُويرُ: طَنْحُ الشيء بعضه على بعض. ﴿ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرُ ﴾ أي: ذلّهما للسَّير على ما أراد ﴿ كُلُّ بَجْرِي لِأَجَلِ تُسَمَّنُ ﴾ أي: إلى الأجل الذي وقت الله للدُنيا. وقد شرحنا معنى العزيز في [البترة: ١٢٩] ومعنى الغفّار في [ط: ١٨].

﴿ خَلَقَكُمْ مِن نَفْسِ وَحِدَةِ ثُمَّ جَمَلَ مِنْهَا رَوْجَهَا وَأَرْلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْفَدِ ثَنَنِيَةَ أَرْزَج يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أَتَهَنِيَكُمْ خَلْقًا مِنْ بَدَدِ خَلْقِ فِي ظُلْمُنَتِ ظَلَقَوْ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَـهُ الْمُلَكُّ لَآ إِلَّهَ إِلّا لِمَقْ فَأَنَّى تُشْرَقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ عَلْفَكُرُ مِن نَفْسِ وَمِدَةٍ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ جَمَلَ مِنْهَا رَوْجَهَا ﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكم جعل منها زوجها، لأنّ حَوّاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذَّرِيَّة، ومِثْلُه في الكلام أن تقول: قد أعطيتُكَ اليوم شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتُك أمس أكثر؛ هذا اختيار الفواء. وقال غيره: ثم أخبركم أنه خَلَق منها زَوْجَها ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْسَدِ ﴾ أي؛ خَلَقَ ﴿ تَمَنِينَةَ أَزْرَجٍ ﴾، وقد بيَّناها في سورة (الانهام: ١٤٢]. ﴿ خَلْقًا مِنْ بَدِ عَلْقٍ ﴾ أي: نُطَفًا ثُمَّ عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عَظْماً ثم لَحْماً ثم أنبت الشَّعر، إلى غير ذلك من تقلُّب الأحوال إلى إخراج الأطفال، هذا قول الجمهور. وقال ابن زيد: خَلْقاً في البُطون مِنْ بَعْدِ خَلْقِكم في ظَهْر آدم.

قوله تعالى: ﴿ فِي ظُلُمَتِ تَلَنَّئِ ﴾ ظُلْمة البَطْن، وظُلْمة الرَّحِم، وظُلْمة المَشِيمة (١)، قاله الجمهور، وابن زيد معهم. وقال أبو عبيدة: إنها ظُلْمة صُلْب الأب، وظُلْمة بَطْن المرأة، وظُلْمة الرَّحِم.

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ تُشْرَفُونَ ﴾ أي: من أين تُصْرَفون عن طريق الحَقِّ بعد هذا البيان؟!

﴿إِن تَكُفُّمُواْ فَإِكَ اللَّهَ غَنِنَّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِمِبَادِهِ الْكُفْرُّ وَإِن تَشَكُّرُوا يَرْضَهُ لَكُمُّ وَلَا نَبْرُدُ وَازِيَةٌ وِذَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَى رَبْكُمُ مُرْجِعُكُمْ فِكَبْيَتُكُمْ بِمَا كُمُمْ تَمْمَلُونُ إِنَّامُ عَلِيتُمْ بِنَاتِ الشُّدُودِ ۞﴾

﴿ إِن تَكُفُرُوا فَإِنَ اللَّهُ عَنَى مَنكُمْ ﴾ أَي: عن إيمانكم وعبادتكم ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَلُوهِ الْكُفُرُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يرضاه للمؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته، وفرق بين الإرادة والرّضا، وقد أشرنا إلى هذا في البقرة: ١٠٠٥ عند قوله: ﴿ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ النّسَادَ ﴾. ﴿ وَإِن تَنْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي: يرضى ذلك الشّكر لكم (٢٠)، ﴿ إِنّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الشّدُورِ ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿ ﴿ وَإِذَا مَسَ الْإِنسَانَ مُثَرِّ دَعَا رَبِّمُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِسْمَةً مِنْهُ نَبِى مَا كَانَ يَدْعُوَّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَيَعَلَ يَلِهِ أَندَادًا لِيَهِ أَندَادًا لِيَهِ أَندَادًا لِيَهِ أَندَادًا لِيَهِ أَندَادًا لِيَا عَن سَبِيلِهِ مُنْ تَمَنَّعُ بِكُفْرِكَ فَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿ ﴾

⁽١) المشيمة وزان كريمة: فشاء ولد الإنسان، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف.

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِن نَشَكُرُوا رَضَة لَكُمُ ﴾ يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكني عن الشكر ولم يُذكّر، وإنما ذُجِر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاشُ إِنَّ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْتُوهُمْ فَرَادَهُمُ إِيمَانَا﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. اهـ.

⁽٣) ذكر سبب النزول هذا؛ البغوي والخازن بدون سند.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَمَنَّعُ بِكُفْرِكِ ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد، ومثله: ﴿ فَتَسَتَّعُواْ فَسَوْفَ مَنْلُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٥]. ﴿ أَمَّنَ هُوَ فَنِيْتُ ءَانَاءَ النِّلِ سَاجِدًا رَقَاَيِمًا يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَرَجُوا رَحْمَةً رَبِهِ أَنْ هَلَ بَسَتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ إِنَّا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَبِ ۞ قُلْ بَعِبَادِ اللَّذِينَ ءَامَنُوا الْقُواْ رَبِّكُمُّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللّهِ وَسِعَةً إِنَّنَا بُوقَ الصَّبُونَ أَجْرَهُم بَقَيْرِ حِسَابٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَامِدًا وَفَآبِمًا ﴾ يعني في الصلاة (١٠). وفيمن تزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصّدِّيق، رواه عطاء عن ابن عباس (١٠). والثاني: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر (١٠). والثالث: عمّار بَن ياسر، قاله مقاتل (١٠). والرابع: ابن مسعود، وعمّار، وصُهَيب، وأبو ذَرّ، قاله ابن السائب (١٠). والخامس: أنه رسول الله ﷺ حكاه يحيى بن سلام (١٠).

قوله تعالى: ﴿يَحُذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: عذاب الآخرة. وقد قرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وابن عباس، وعروة، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأبو عمران: ﴿يَخُذَرُ عذابَ الآخرة، بزيادة ﴿عذابَ، ﴿وَرَبُّهُ أَرَّهُ مُنَّا رَبُّهُ فَيها قولان: أحدهما: أنها المغفرة، قاله ابن السائب، والثاني: الجنة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى اللَّذِينَ يَسْتَوَى الَّذِينَ يَسْتَوَى اللَّذِينَ يَسْتَوَى اللَّذِينَ اللّهِ مِن النّوابِ والعقابِ حَقَّ ﴿ وَاللّذِينَ لَا يَسْتَمَنَّ ﴾ وباقي الآية قد تقدم في النحل: ١٦٠. وفي قوله: ﴿ وَاللّهِ اللّهِ عَلَى مَا نالهم ﴿ يَشَرّ عِسَابِ ﴾ أي: يُعْطُونُ عَطّاءٌ كثيراً وسَعَ مَن أَن يُحْسَب وأعظم من أَن يُعْطَونُ عَطَاءٌ كثيراً وسعَ من أَن يُحْسَب وأعظم من أَن يُعاطَونُ عَلَا أعمالهم .

 ⁽١) قال ابن كثير: يقول \$\ الله مفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً؟! لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: ﴿ الله لَيْمُوا سَرَاتُهُ مَنْ أَمْلٍ الْكِتَبِ أَمَّةً
كَالَمَةٌ يَتَلُونَ مَائِدَ اللهِ مَائَة الَّذِلِ وَكُمْ يَسْجُدُونَ ﴿ وَقَال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿ أَنَنْ هُو فَرَيْتُ مَائَة الَّإِلِ سَلِيدًا وَكَالِيمُ ﴾ أي: في حال سجوده وفي حال
قيامه، ولهذا استدل بهذه الآية من «خب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون. اهـ.

⁽٢) الواحدي في «أسباب النزول»، والبغوي في «التفسير» بدون سند.

 ⁽٣) قال السيوطي في «الدر» ٥/٣٢٣: أخرج أبن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر من ابن عمر أنه تلا هذه الآية: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَرْتُكُ اللَّهُ الْآيَة اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَ اللَّالِمُ اللَّلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

الواحدي في (أسباب النزول) عن مقاتل بدون سند، وقال السيوطي في «الدر» (٣٢٣/ أخرج ابن سعد في (طبقاته)، وابن مردويه عن ابن عباس الله عن قوله: ﴿ أَمْنُ هُو وَنَيْتُ مَائَاةَ اللَّهِ سَلِيمًا وَكَالِيمًا ﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

ه) قال السيوطي في «الدر» ه/٣٢٢: أخرج جريبر عن ابن عباس في قال: نزلت هذه الآية في ابن سنعود، وعمار، وسالم مولى حليفة في وذكر الألوبي عن الكلبي بدون سند أنه انزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان. وذكر الألوبي عن مقاتل بدون سند أن المراد بمن هو قانت: عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر.

⁽٦) ذكره الألوسي عن يحيى بن سلام بدون سند. والآية عامة في كل من اتصف بما تقدم.

 ⁽٧) قال ابن كثير: أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴿إِنَّا يَدْكُرُ أَنْوَا ٱلآتِكِ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له
 لب وهو العقل، والله أعلم. اهـ.

﴿ قُلْ إِنِّ أَيْرَتُ أَنْ أَعَبُدُ اللَّهُ عَلِيمًا لَهُ الِينَ ۞ رَأْيَرَتُ بِأَنْ أَكُونَ أَزَلَ السَّلِينَ ۞ قُلْ إِنِّ أَخَاتُ إِنْ عَسَيْتُ رَبِي هَالَهِ يَنِ وَيُونِهُ قُلْ إِنَّ الْسَلِينَ ۞ قُلْ إِنَّ أَخَلُوا مَا شِئْمُ مِن دُونِهُ قُلْ إِنَّ لَلْتَسِينَ اللَّيْنَ خَيِرُوا أَنْشَهُمْ رَأَهْلِيمْ يَوْمَ الْبَنِينَةُ أَلَا وَلِنَ هُوَ لَلْكُونَ أَنْ اللَّهُ وَيَ اللَّهُونَ أَنْ وَيَوْ عَلَيْمَ ظُلَلُّ وَلِنَ مُنْ أَنْ وَيَ النَّالُ وَنِ النَّالِ وَمِن عَنْهِمْ ظُللًا وَلِنَ السَّوْدَ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْقُولُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَلَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُولُولُولُولُولُولُولُولُ مَا اللَّهُ وَاللَّا اللَّلْمُولُولُولُ مَا اللَّهُ وَاللَّا اللَّلْمُولُ مَا اللَّالِمُولُولُ مَا اللّم

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِي أَدِرَتُ ﴾ قال مقاتل: وذلك أن كُفّار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ما حَمَلك على الذي أتيتنا به؟! ألا تنظر إلى مِلَّة آبائك فتأخذ بها؟! فنزلت هذه الآية (١) والمعنى: ﴿ قُلْ إِنِّ أَمِنُ أَنَّ أَمَيْدَ اللّهَ عَلِيما لَهُ ٱلْآيِنَ ﴿ مَنْ السّول فَي السّوحيد والإخلاص السالم من السّوك ، ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَلَلَ السّل فِي السّفِي من هذه الأمّة. ﴿ فَلْ إِنْ أَكُونَ أَلُنَ السّل فِي الرّجوع إلى هين آبائي ﴿ مَلَابَ يَرْم عَلِيم وقد اختلفوا في نسخ هذه الآية كما بيّنا في نظيرتها في الانعام: ١٥٥. ﴿ وَلَم اللّه أَنُه عَلَيْكُ فَي الله الموحيد ، ﴿ فَاعَلُم وَلَا يَعْتُم وَهذا تهديد ، وبعضهم يقول : هو منسوخ في اللانعام: ١٥٥. ﴿ وَلَم اللّه الوعيد ، فلا وجه لِنَسْخه . ﴿ فَلْ إِنَّ السّيف ، وهذا باطل ، لأنه لو كان أمراً ، كان منسوخاً ، فأمّا أن يكون بمعنى الوعيد ، فلا وجه لِنَسْخه . ﴿ فَلْ إِنَّ السّيف ، وهذا باطل ، لأنه لو كان أمراً ، كان منسوخاً ، فأمّا أن يكون بمعنى الوعيد ، فلا وجه لِنَسْخه . ﴿ فَلْ إِنَّ النِّينَ خَيْرُوا النُوا الله أَلُونَ خَيْرُوا الله النار ﴿ وَ خَسروا ﴿ الْملهم ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أنهم خَيروا الحول الين اللّواتي أُعْدِدُنَ لهم في الجنة لو أطاعوا ، قاله الحسن ، وقتادة . والثاني : خَيروا الأهل في النّار ، إذ لا أهل لهم أله مجاهد ، وابن زيد ، والثالث : خَيروا أهليهم الذين كانوا في الدنيا ، إذ صاروا إلى النار بكُفرهم ، وصار أهلوهم إلى الجَنَّة بإيمانهم ، قاله إلماوردي .

قوله تعالى: ﴿ لَمُم مِن فَرْقِهِمْ ظُلَلُ مِنَ النَّارِ﴾ وهي الأطباق من النار. وإنما قال: ﴿ وَمِن تَمْنِيمُ ظُلَلُ ۗ لاَنَّهَا ظُلَلُ لِمَنْ تحتَهم ﴿ يَالِيَّ﴾ الذي وصف الله من العذاب ﴿ يُمَرِّقُ اللَّهُ يِهِ عِبَادَاً﴾ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ وَالِّذِينَ آجْتَنَوُا الطَّنْوَتَ﴾ روى ابن زيد عن أبيه أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في ثلاثة نَفَر كانوا في المجاهلية يوحُدون الله تعالى: ﴿ أُولَتِهِكَ اَلَّذِينَ هَدَيْهُمُ وابِي ذَرَ، وسلمان الفارسي، ﴿ () والله تعالى: ﴿ الْوَلَيْكَ اَلَّذِينَ هَدَيْهُمُ الْحَيْقِ وَلَى المراد بالطّاغوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الشياطين، قاله مجاهد. والثاني: الكهنة، قاله ابن السائب. والثالث: الأوثان، قاله مقاتل، فعلى قول مقاتل هذا (): إنما قال: ﴿ يعبُدُوها ﴾ لأنها مؤنَّنة. وقال الأخفش: إنما قال: ﴿ يعبُدُوها ﴾ لأن الطّاغوت في معنى جماعة، وإن شئت جعلته واحداً مؤنَّناً.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّابِهَا إِلَى اللّهِ أَي: رَجَعُوا إِلَيه بِالطّاعة ﴿ لَمُمُ ٱلْبُثْرَيُ ﴾ بالجنة فَبَشُرْ عبادي، بياءٍ، وحرَّك الياء أبو عمرو. ثم نعتهم فقال: ﴿ وَاللّهِ يَسْتَعِمُونَ القَوْلَ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحلها: [أنه] القرآن، قاله الجمهور. فعلى هذا، في معنى ﴿ فَيَسَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أقوال قد شرحناها في الأعراف: ١٤٥] عند قوله: ﴿ وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَأْخُلُوا بِأَحْسَنِهُ ﴾. والثاني: أنه جميع الكلام. ثم في المعنى قولان: أحدهما: [أنه الرَّجُل] يَجْلِس مع القوم فيسمع كلامهم، فيعمل بالمحاسن ويحدَّث بها، ويَكُفُّ عن المساوئ ولا يُظْهِرها، قاله ابن السائب. والثاني: [أنه] لمّا ادَّعى مسيلمة أنه قد أتى بقرآن، وأتت الكهنة بالكلام المزخرَف في الأباطيل، فرَّق المؤمنون بين ذلك وبين كلام الله، فاتَّبَعوا كلامَ الله، ورفضوا أباطيل أولئك، قاله أبو سَليمان الدمشقى (١٤).

﴿ اَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمَدَابِ آفَانَتَ تُنفِدُ مَن فِ النَّادِ ۞ لَكِنِ الَّذِينَ الْقَوَّا رَبَّهُمْ لَمُمْ غُرَقٌ مِّن فَرْفِهَا غُرَقٌ مَنْ نِنَةً خَرِي مِن تَحْيَهُ الأَخْبَرُّ رَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِكُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۞﴾

⁽١) ذكر سبب النزول هذا الخازن في «التفسير» بدون سند.

⁽۲) «الطبري» ۲۰۷/۲۳ عن زيد بن أسلم. وأورده السيوطي في «الدر» ۳۲٤/۵ من رواية ابن جرير، وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ۲۱۰ عن عبد الرحمن بن زيد بدون سند، وكذلك ذكر ابن كثير سبب النزول هذا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بدون سند، ثم قال: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن؛ فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اهـ.

⁽٣) عبارة الأصل: فعلى هذا قول مقاتل.

⁽٤) لم يذكر المصنف سوى قولين، ولعله اكتفى بهما عن القول الثالث.

قوله تعالى: ﴿ أَمْنَ حُقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمَذَابِ ﴾ قال ابن عباس: سبق في عِلْم الله أنَّه في النّار. فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيل: أمّا الفراء، فإنه يقول: هذا ممّا يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهام إلى غير موضعه فَرُدّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنت تُثقِذ مَنْ في النار مَنْ حَقَّت عليه كلمة العذاب؟ ومثله: ﴿ أَيَهُ مُرَّمُونَ إِنَا مِثْمَ وَكُنتُر نُرُكِا وَعِظْنَا أَلَّكُم مُخْرَجُون إِنَا مِثْمَ وَكُنتُر نُرُكِا وَعِظْنَا أَلَّكُم مُخْرَجُون إذا مِثْم وَكُنتُر نُرُكا وَعِظْنَا أَلَّكُم مُخْرَجُون إذا مِثْم وَكُنتُ مُواكُون وَلَى المُحتَبَنَّ اللَّهِ مَعْرَجُونَ بِمَفَازة مِن العذاب. وقال الزجاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوف، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب فيتخلص منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟ قال المفسِّرون: أفأنت تخلَّصه ممّا قُدُر له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدر على ذلك. قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومن تخلَّف من عشيرة النبي الله عن عاليه الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱلْقَوَا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر: ﴿لكِنَّ بتشديد النون [وفتحها]. قال الزجاج: والغُرَف: هي المنازل الرفيعة في الجنة، ﴿مِّن فَرْقِهَا غُرُقُ﴾ أي: منازل أرفع منها. ﴿وَعَدَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب على المصدر؛ فالمعنى: وعدهم الله غرفاً وعداً. ومن قرأ: ﴿وَعُدُ الله ﴾ بالرفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ الله.

﴿ اللَّمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ مَسَلَكُمُ بَنَئِيعَ فِ الْأَرْضِ ثُدَّ يُخْجُ بِدِ. زَرَعًا تُخْتَلِفًا ٱلْوَنْمُرُ ثُمَّ بَهِيجُ فَــَنَوْنُهُ مُصْفَحُلًا ثُمَّرً يَجْمَلُمُ حُمَانِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَبِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآهَ﴾ قال الشعبي: كُلُّ ما في الأرض فمن السَّماء ينزل ﴿فَسَلَكُمُ يَنَئِيعَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أدخله فجعله ينابيعَ، أي: عُيوناً تَنْبُعُ، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ أي: يَنْبَسُ. قال الأصمعي: يقال للنَّبت إذا تَمَّ جفافُه: قد هاجَ يَهِيجُ هَيْجاً. فأمّا الحُطام، فقال أبو عبيدة: هو ما يَسِ فتحاتَ من النَّبات، ومثله الرُّفات. قال مقاتل: هذا مَثلَ ضُرب للدَّنيا، بينا ترى النبت أخضر، إذ تغيَّر فبَيِس ثُمَّ هَلَكَ، وكذلك الدُّنيا وزينتُها. وقال غيره: هذا البيان للدّلالة الله على قلرة الله ﷺ (٢٠).

﴿ أَفَىنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرُهُ الْإِسْلَادِ ۚ فَهُو عَلَى نُورٍ مِن رَّتِهِ ۚ فَوَالَّ الْفَسَيَةِ فَلُوبُهُم مِن ذِكْرِ اللَّهُ أُولَيْنَكَ فِي صَلَالٍ ثُمِينٍ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْمَن شَرَحَ اللّهُ صَدْرُمُ ﴾ قال الزجاج: جوابه متروك، لأنَّ الكلام دالَّ عليه، تقديره: أفمن شَرَحَ الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَد؟ ويُدلُّ على هذا قوله: ﴿فَوْيَلُ لِلْقَنْسِيَةِ قُلْرُجُم ﴾؛ وقد روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقلنا: يا رسول الله وما هذا الشَّرْحُ؟ فذكر حديثاً قد ذكرْناه في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِ اللّهُ مَنْدَوُ لِلسَّلَةِ ﴾ الانعام: ١٤٥].

قوله تعالى: ﴿فَهُرَ عَلَىٰ نُورِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: اليقين، قاله ابن عباس. والثاني: كتاب الله يأخذ به وينتهي إليه، قاله قتادة. والثالث: البيان، قاله ابن السائب. والرابع: الهُدى، قاله مقاتل. وفيمن نزلت هذه الآية؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصّدِّيق وأبيّ بن خَلَف، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: في عليّ وحمزة

⁽١) في الأصل: الدلالة.

٢) قال ابن كثير في تنمة الآية: ﴿إِنَّ فِي كَلِكَ لَوْكُرِي الْأَلْكِي﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء، ثم
 تعود عجوزاً شوهاء، قال: والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، قال: وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً.

⁽٣) انظر ٤٦٦، والحديث بتمامه: روى ابن مسعود أن رسول الله قرأ: ﴿ نَمَن يُرِدِ أَلَهُ أَن يَهْدِيمُ يَشْحَ صَدَرَةُ لِلْاسْلَةِ ﴾ فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذفه الله في القلب فينفتح القلب» قالوا: فهل لذلك من أمارة؟ قال: «نعم» قيل: وما هي؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله». رواه الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» مرسلاً ومتصلاً، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه التعلبي والحاكم والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الرهاوي، فيه كلام، ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وفي سنده رجل ضعيف. اهـ.

وأبي لهب وولده، قاله عطاء. والثالث: في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل، قاله مقاتل (١٠).

﴿ اللَّهُ نَزُلَ أَحْسَنَ لَلْمَدِيثِ كِنَبًا مُتَثَنِهَا مَثَانَى نَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَرَكَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنَا لِيَدُهُمُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنَا يَشَهُ فَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ لَلْمَدِيثِ عِني القرآن؛ وقد ذكرنا سبب نزولها في أول (يوسف)(٢).

قوله تعالى: ﴿ نَشَيْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْتَوْكَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: تأخلُهم قشعريرة، وهو تغيَّر يحدُث في جِلْد الإنسان من الحَجْل المعلب عن رسول الله على أنه قال: ﴿ إِذَا الشعرّ جِلْدُ العَبْد من خَشْية الله تَعاتَّت ذُنويُه كما يتحاتُ عن المسجرة المابسة ورقهاه (٢٠٠٠). وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: تَقْشَعِرُ الجُلود لإعظامه، وتلِين عند وَعْده، قاله السدي. والثاني: تَقْشَعِرُ من الخَوْف، وتَلِينُ من الرَّجاء. والثالث: تَقْشَعِرُ الجُلود لإعظامه، وتلِينُ عند تلاوته، ذكرهما الماوردي. وقال بعض أهل المعاني: مفعول الذَّكْر في قوله: ﴿ إِلَى ذِكْرِ اللهِ المعنى: الله المعنى: مفعول الذَّكْر في قوله: ﴿ إِلَى ذِكْرِ اللهِ المعنى؛ والمعنى: تقشَعِرُ جلودُهم [وتلينُ قُلوبُهم]، ولم يَنْمَنْهم بلدُهاب عُقولهم والغِشْيان عليهم، إنَّما هذا في أهل البِدَع، وهذا من الشَّيطان. وقد روى أبو حازم، قال: مَرَّ ابنُ عمر برجُل ساقط من أهل العراق، فقال: ما شانّه؟ فقالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن يُصيبه هذا، قال: إنّا لنَخشى الله على، وما نسقط من أهل العراق، فقال: ما شانّه؟ فقالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن يُصيبه هذا، قال: إنّا لنَخشى الله على، منهم قَطَّ، يذكُرون الله على فيرعد واحدهم حتى يُغْشَى عليه من خَشْية الله على نقعدتُ معهم، فقال: لا تقعد معهم بعدها أبد أبل كُوري الله العراق، فقال: لا يُصيبُهم هذا من خَشْية الله يَشْ فقال: رأيتُ رسولَ الله على يتلو القرآن، ورأيتُ أبا بكر وعمر يتلوان القرآن فلا يُصيبُهم هذا من خَشْية الله تعالى، أفترَى أنهم أخشى لله من أبي بكر وعمر؟ قال: فرأيت ذلك كذلك. وقال عكرمة: سُئلتُ أسماءُ بنت أبي بكر: هل كان أحد من السَّلف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا عكرمة: سُئلتُ أسماءُ بنت أبي بكر: هل كان أحد من السَّلف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا

 ⁽۱) ذكر سبب النزول هذا الخازن بدون سند، والله أعلم.
 (۲) انظر ۲۷۹

٢) ذكره ألسيوطي في «الدر» ٥/ ٣٢٦ من رواية الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن العباس بن عبد المطلب في، وقد ذكره في «الجامع الصغير» أيضاً من رواية سمويه في «فوائده»، والطبراني في «الكبير»، قال الحافظ آلمناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: وكذا رواه البزار والبيهفي في «الشعب» عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال المنذري والعراقي: سنده ضعيف، قال: وبينه الهيثمي فقال: فيه أم كلثوم بنت العباس في المرفها، وبقية رجاله ثقات.

يبكون. وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجَدَّتي أسماء بنتِ أبي بكر، كيف كان أصحاب رسول الله على يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى، تَدْمَعُ أعينُهم وتَقْشَعِرُّ جلودهم. فقلت لها: إنَّ ناساً اليومَ إذا قرئ عليهم القرآن، خَرَّ أحدُهم مَغْشِيًا عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان جَوّاب يُرْعَدُ عند الذُّكُر، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنتَ تملكه، فما أبالي أن لا أعتدَّ بك، وإن كنتَ لا تملكه، فقد خالفتَ مَن كان قبلك،

قوله تعالى: ﴿ذَاِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما يَنْزِلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن من اقشعرار الجلود عند الوعيد، ولينها عند الوعد، قاله ابن الأنباري.

﴿أَفَمَن يَنَقِى بِوَجْهِهِ مُسُوَّة الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيْمَةُ وَقِيلَ لِلظَّلِينِ ذُوقُواْ مَا كُنْمُ تَكْيِبُونَ ۞ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَلْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَبِثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَاذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْىَ فِى الْمَيْزَةِ النُّنَا ۖ وَلَمَلَابُ الآخِزَةِ أَكَبُرُ لَوْ كَانُواْ يَمْلَمُونَ ۞ وَلَقَدَّ ضَرَيْتَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْفُرْيَانِ مِن كُلِّ مَنْلٍ لَمَلَهُمْ يَنْذَكُرُونَ ۞ فُرَانًا عَرَبِّا غَيْرٍ فِي عَنِجَ لَعَلَهُمْ يَنْقُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَن يَنْقِي بِوَجْهِهِ مُثَوَّة ٱلْمَدَابِ﴾ أي: شِدَّتَه. قال الزجاج: جوابه محذوف، تقديره: كَمَنْ يدخُل الجنة؟ وجاء في التفسير أن الكافريُلقى في النار مغلولاً، ولا يتهيًّا له أن يتَّقيَها إلّا بوجهه. ثم أخبر عمّا يقول الخَزْنة للكفار بقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُواْ مَا كُنْتُم تَكْمِبُونَ﴾ أي: جزاء كَسْبِكم.

قوله تعالى: ﴿ كُذَّبَ الَّذِينَ مِن قَلِهِم ﴾ أي: من قبل كفار مكة ﴿ فَأَنْنَهُمُ ٱلْمَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْمُرُونَ ﴾ أي: وهم آمنون غافلون عن العذاب، ﴿ وَلَفَذَ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ فَرُانًا عَرَبِيًا ﴾ قال الزجاج: «عربيًا * منصوب على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيّته وبيانه، فذكر اقرآنًا * توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً عاقلاً، فذكر رجلاً وإنساناً توكيداً.

قوله ثعالى: ﴿غَيْرَ ذِي عِرَجٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: غير مخلوق. وقال غيره: مستقيم غير مختلف (٢٠).

﴿ مَنَرَبَ اللَّهُ مَنْكُلَ رَبُّهُلَا فِيهِ شُرُّكَاتُهُ مُتَشَكِمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلَ يَسْتَوِينِ مَثَلًا اَلْمَنْدُ بِلَهِ بَلَ اَكْتَرُمُمْ لَا يَمْلَمُونَ ۞ إِنَّكَ مَيْتُ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ۞ ثُدً إِنَّكُمْ بَرْمَ ٱلْقِيكَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَرَبَ اللَّهُ مَثَلَا﴾ ثم بيَّنه فقال: ﴿رَّجُلَا فِيهِ شُرَّكَآهُ مُتَشَكِمُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مختلِفون، يَتَنازعُون ويَتَشاخُون فيه، يقال: رجُلٌ شَكِسٌ. وقال اليزيدي: الشَّكِس من الرجال: الضَّيِّق الخُلُق. قال المفسِّرون: وهذا مَثَل

(۲) قال ابن كثير: أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، قال: وإنما جعله الله تعالى
 كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَمُلْتُمْ يَنْتُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد. اهـ.

⁽۱) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ فَتَفَيْرُ يِنْهُ جُلُوهُ الَّذِينَ يَغَنَّرُو كَرَبُّهُمْ مُّمَ تَيْنُ جُلُوهُمْ وَلَمُوهُمْ وَلَمُوهُمْ إِلَا ذِكْرِ اللّهَ والخوف ﴿ مُّ قَيْنُ جُلُوهُمْ والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ مُّ قَيْنُ جُلُوهُمْ وَلَكُوهُمْ إِلّا المُهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخييف والتهديد، تقشعر منه وجوه. أحدها: أن سماع مؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع ولائح النبيات من أصوات القينات. والثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرُّوا شجّداً ويُكينًا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّيْشِكَ النَّيْسُ اللّهِ اللّهُ وَيَلَّدُ قُولُهُمْ وَلِلاً يُلِينَ أَنْ تُوكِمُ اللّهُ وَيَلَّدُ عُلَيْتُ عَلَيْمٍ وَلَا يُلِينَ عَلَيْمَ وَلَوْلاً يُلْتَعَلَّمُ بُعِنُونَ فَي أَرْتِكَ هُمُ النُويْوَى اللّينَ إِنَّا ذَكِرَ اللّهُ وَيَلَّدُ قُولُهُمْ وَلَوْلاً يُلِينَ عَلَيْمَ وَمُنْارَةً وَرَدَّةً عَرِيمُ إِلَى وَاللّهِ عَلَيْمِ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَلِمُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْلَى اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا عَلَيْهُ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَيْكُوهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ ولَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ وَاللّهُ الللّهُ وَا

ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبُد آلهة شتى، فمثّله بعبد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلُغ رضاهم أجمعين؛ والمؤمن يعبُد الله وحده، فمثّله بعبد لرجل واحد، قد عَلِم مقاصدَه وعَرَفَ الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخُلَطاء فيه، فذلك قوله: «سَالماً لِّرَجُلِ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو إلّا عبد الوارث في غير رواية القرّاز، وأبان عن عاصم: «ورجُلاً سالماً» بألف وكسر اللام وبالنصب والتنوين فيهما؛ والمعنى: ورجُلاً خالصاً لرجُل قد سَلِم له من غير مُنازع. ورواه عبد الوارث إلّا القراز كذلك، إلّا أنه رفع الاسمين، فقال: «ورجُلاً سالم لرجُل» وقرأ ابن أبي عبلة: «سِلْمٌ لِرَجُلٍ» بكسر السين ورفع الميم. وقرأ الباقون: «ورجُلاً سَلَماً» بفتح السين واللام [وبالنصب] فيهما والتنوين. والسَّلَم، بفتح السين واللام، معناه الصَّلح، والسَّلم، بكسر السين مثله. قال الزجاج: من قرأ: «سِلْماً» والسَّلم، فهما مصدران وُصِفَ بهما، فالمعنى: ورجُلاً ذا سِلْم لرجُل وذا سَلْم لرجُل؛ فالمعنى: ذا سِلْم؛ والسَّلم، الصُّلح، والسَّلم، بكسر السين مِثْلُه. وقال ابن قتيبة: [من قرأ]: «سَلَماً لِرَجُلٍ» أراد: سلَّم إليه فهو سِلْمٌ له. وقال أبو عبيدة: السَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح، والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم والسَّلْم الصُّلح،

قوله تعالى: ﴿ هَلَ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا يستويان، لأن الخالص لمالكِ واحدِ يَستحقُّ من معونته وإحسانه ما لا يستحقُّه صاحب الشُّركاء المتشاكسين. وقيل: لا يستويان في باب الرّاحة، لأن هذا قد عرف الطريق إلى رضا مالكه، وذاك متحيِّر بين الشُّركاء. قال ثعلب: وإنما قال: (هَلْ يَسْتَوِيان مَثَلاً) ولم يَقُلُ: مَنْلَيْنِ، لانهما واحد. وتم جميعاً صُرِيا مَثَلاً واحداً، ومِثْلُه: ﴿ وَمَعَلّنَا أَنِنَ مَرْيَمَ وَأَنّتُهُ عَلَيْهُ المومنون: ١٥٠]، ولم يَقُلُ: آيتين، لأن شأنهما واحد. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿ اَلْمَتْدُ بِلِهُ ﴾ أي: له الحمد دون غيره من المعبودِين ﴿ بَلُ أَكُونُمُ لَا يَمْلُونَ ﴾ والمراد بالأكثر الكلام أنه يموت، وأن الذين يكذّبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخُصومة عند الله وَلِينَ اللهُ حِقُّ والمُطلُّهُ والظالمُ. وقال ابن عمر: نزلتْ هذه الآية وما ندري ما تفسيرها، وما نرى أنها نزلتْ إلا فينا وفي أهل الكتابين، حتى قُتِل عثمان، فعرفتُ أنها فينا نزلتْ. وفي لفظ آخر: حتى وقعت الفتنة بين عليّ ومعاوية (٢٠).

﴿ ﴿ فَنَ أَطْلَمُ مِنْنَ كَذَبَ عَلَ اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّـَمَ مَثْوَى لِلْكَنفِرِينَ ﴿ وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَمَسَدَّقَ بِهِذِ أُولَتِهِكَ لِهُمُ ٱلْمُنْقُونَ ﴾ لَمْم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِيمٌ ذَلِكَ جَزَلَهُ ٱلْمُعْسِنِينَ ﴾ لِيُكَفِّرِ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوًا ٱلَّذِى عَمِلُوا وَيَحْزِيَهُمْ أَبْعَرُكُمْ بِأَصْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَمَنْ أَظْلَمُ مِنَنَ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ بأن دعا له ولداً وشريكاً ﴿ وَكَذَّبَ بِالْقِهِدِقِ إِذْ جَاآَةُ اللَّهِ وَهُ التوحيد والقرآن ﴿ أَلِيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْكَنْفِرِينَ ﴾ أي: مَقَامٌ للجاحِدِين؟! وهذا استفهام بمعنى التقرير، يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذِى جَاتَهُ وَالصِّدْقِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله عليّ بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد. ثم في الصّدق الذي جاء به قولان: أحدهما: أنه «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال [سعيد] بن جبير. والثاني: [أنه] القرآن، قاله قتادة. [وفي الذي صدَّق به ثلاثة أقوال. أحدها: أنه رسول الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصّدق، وهو صدَّق به، قاله ابن عباس، والشعبي. والثاني: أنه أبو بكر، قاله على بن

⁽۱) في «فتح الباري» ٨/٤٢٢ : وعن أبي عبيدة: «ورجلاً سالماً»، الرجل سالم وسَلْم واحد، وهو من الصلح. فعلى هذا التفسير، السَّلْم: مصدر أريد به اسم الفاعل.

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيْتُ رَايِّتُم مَيْتُونَ ﴿) هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصّدِّين ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقَّل السناس موته مع قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُعَنَّدُ إِلَّا رَسُولٌ مَنْ خَلْتُ مِن قَبِلِهِ الرَّسُلُّ الْمَائِن مَاتَ أَزْ قُتِلَ الشّبَتْمُ عَلَى لَمُقَاتِكُمُ وَمَن يَعَلِبُ عَلَى عَمِيْمُ الله شَبْعًا الله وَسَجَمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷺ في فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموخدين، ويعذب الكافرين المجلدين الممشركين المكذّبين، قال: ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. اهـ.

أبي طالب. والثالث: أنهم المؤمنون، قاله قتادة]، والضحاك، وابن زيد. والقول الثاني: [أن] الذي جاء بالصّدق: أهل القرآن، وهو الصّدق الذي يُجيبونَ به يوم القيامة، وقد أدّوا حَقّه، فَهُم الذين صدَّقوا به قاله مجاهد. والثالث: أن الذي جاء بالصّدق: جاء بالصّدق: جاء بالصّدق: جبريل، وصدَّق به: المؤمنون. والرابع: أن الذي جاء بالصّدق: جبريل، وصدَّق به: محمد، قاله السدي^(۱).

قوله تعالى: ﴿أُولَتِكَ هُمُ ٱلمُنَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقَوا الشّرك (٢)؛ وإنما قيل: «هُم»، لأن معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عبيدة، والزجاج:

فَإِنَّ البذي حانَتْ بِفَلْج دِما وُهُمْمُ مُمَّ الفَّوْمُ، كُلُّ الفَّوْمِ، بِا أُمَّ حالِد (٣)

قوله تعالى: ﴿ لِيُكَنِّمُ اللَّهُ عَنَهُمْ ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا ليكفّر عنهم ﴿ أَسْوَا الَّذِي عَلِمُوا﴾، أي: ليَستُر ذلك بالمغفرة ﴿ وَيَجْزِيمُمُ أَجْرَهُمُ بمحاسن أعمالهم، لا بمساوئها.

﴿ اَلِيْسَ اللَّهُ بِكَالَٰمٍ عَبْدَأَ وَلَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِيدٌ. وَبَن يُعْسَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِنْ هَمَادٍ ﴿ وَبَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن اللَّهُ مِنَا لَلُمُ مِنَ اللَّهُ فَلَ الْمَرَيْتُ مَا تَدْعُونَ مِن مُضِيلٌ اللَّهُ لِمَا لَلَهُ مِنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ مُونِهِ أَوْ الْرَادَنِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِ اللَّهُ بِشَرِّ عَلَى أَمُنَ كَثَمْتِهِ أَلْ حَسِمَى اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ اللَّهُ وَمُنْ كَنْ عَلَيْهِ يَلُوحَكُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوحَكُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوكُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوكَكُنُونَ اللَّهُ عِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتُوكُ عَلَيْهِ يَتُوكُونَ اللَّهُ عِلَى اللَّهُ عِلَى اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّوْمِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عُلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عُلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى عُلِيهُ عَلَى عُلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ عَلَى عُلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى الللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَ

قوله تعالى: ﴿ أَلِيْسَ اللّهُ بِكَانِ عَبْدَمُ ﴾ ذكر المفسّرون أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، ما تزال تذكّر آلهتنا وتَعِيبُها، فاتَّق أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية (٤). والمراد بعبده هاهنا: محمد على وقرأ حمزة، والكسائي: "عِبَادَهُ على الجمع، وهم الأنبياء، لأن الأمم قصدتُهم بالسُّوء؛ فالمعنى أنه كما كفى الأنبياء قَبْلكَ، يكفيك. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عمران الجوني: "بِكافي، مثبتة الياء «عَبْدِهِ» بكسر الدال والهاء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، والشعبي مِثْلَه، إلّا أنهم أثبتوا الألف في «عِبادِهِ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش: "بِكافي، بالتنوين، «عِبادَهُ» على الجمع. ﴿ وَيُحْزِفُونَكَ بِالْدِينَ مِن دُونِدٍ، في ساكنة بعد الفاء «عِبادَهُ» على الجمع. ﴿ وَيُحْزِفُونَكَ بِالْدِينَ مِن دُونِدٍ، أَمَّ أَعْلَمَ بِما بعد هذا أن الإضلال والهداية إليه تعالى، وأنه منتقم ممن عصاه. ثم أخبر أنهم مع عبادتهم، يُقِرُّونَ أنه الخالق. ثم أمر أن يُحْتَج عليهم بأن ما يعبُدون لا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرُّ ولا جَلْبَ خَيْرٍ. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «كاشفاتٌ ضُرَّه» وهمسكاتٌ رحمته، منوَّناً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرَّه» وهمسكاتُ رحمته، عنواناً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرَّه» وهمسكاتُ رحمته، عنواناً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرَّه» وهمسكاتُ رحمته، على الإضافة.

﴿ قُلُ يَنقُومِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مُكَانَيْكُمْ إِنَ عَمَدُلُ فَسَوْنَ تَعْلَمُونَ ۞ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمُ ۞ إِنّا أَرْإَنَا عَلَيْكَ الْكِنْبَ الْنَاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ الْمُتَكَف وَلِنَاشِيهِ قَمَن صَلَ فَإِنّنَا يَضِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۞﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلُ يَنقُومِ اعْمَلُوا﴾ ذكر بعض المفسرين أنها والآية التي تليها نُسخت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِنْدَ﴾ يعني القرآن ﴿ لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخُلْقِ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ليس فيه باطل. وتمام الآية مفسَّر في آخر [يونس: ١٠٨]، وذكروا أنه منسوخ بآية السيف.

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكره عنى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَلَّة بِالسِّدِقِ وَسَكَنَّكَ بِهِ حَلَّ من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدقى هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه. اه.

⁽٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿أَوْلَكُوكَ هُمُ ٱلسُّنَّوْكَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين اتَّقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فخافو عقابه. اهـ.

⁽٣) البيت للأشهب بن رُمُيلة، وهو في (الكتاب؛ ٩٦/١، والمجاز القرآن؛ ٢/ ١٩٠، والمشكل القرآن؛ ٢٨١، والصحاح؛ واللسان، والتاج؛ فلج.

٤) قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٥/٣٢٨: أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفئ عن شتم آلهتنا أو لنامرئها فلتخبأنك، فنزلت: ﴿ وَيُمْوَلُوكَ بِالْمُؤْكِ مِن دُونِيْـ﴾.

﴿ اللَّهُ يَتَوَلَى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهِ كَا وَالْتِي لَذَ تَشُتْ فِي مَنَامِهِ كَأْ فَيَشْيِكُ الَّتِي فَنَنَ عَلَيْهَا ٱلمَوْتَ وَبُرْسِلُ ٱلأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمِّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيكتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ اللهُ يَتُونَى اَلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يَقْبِضُ الأرواحَ حين موت أجسادها ﴿ وَالْتِي اَلَهُ تَمُتُ ﴿ وَ مَنَامِهَا ﴾ . ﴿ فَيُسِكُ ﴾ أي: عن الجسد [والنفس] ﴿ اللَّي قَضَى عَلَيْهَا اللَّوْتَ ﴾ وقرا حمزة، والكسائي: «قُضِيّ، بضم القاف وفتح الياء، «الموتُ ، بالرفع. ﴿ وَرُئِسُ ٱلْخُفْرَى ﴾ إلى الجسد ﴿ إِلَى آلْبَلُ تُستَى ﴾ وهو انقضاءُ العُمُر ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَكْتَ لِقَوْمِ يَنَفَكُرُونَ ﴾ في أمر البعث (١٠ . وروى [سعيد] بن جبير عن ابن عباس قال: تلتي أرواح الأحياء وأرواحُ الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُردُّ أرواحُ الأحياء إلى أجسادها، فلا يُخطأ بشيء منها، فذلك قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَكْتَ لِقَوْمِ يَنَفَكُرُونَ ﴾ وقال ابن عباس في رواية أخرى: في ابن آدم نَفْسٌ بشيء منها، فذلك قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَكْتَ لِقَوْمِ يَنَفَكُرُونَ ﴾ وقال ابن عباس في رواية أخرى: في ابن آدم نَفْسٌ بروح ونَفْسٌ، بينهما حاجز، فهو تعالى يَقْبِضُ النَّفْسَ عند النَّوم ثم يَرُدُها إلى الجسد عند الانتباه، جريح: في الإنسان روح ونَفْسٌ، بينهما حاجز، فهو تعالى يَقْبِضُ النَّفْسَ عند النَّوم ثم يَرُدُها إلى الجسد عند الانتباه، فولين قد ذكرتُهما في «الوجوه والنظائر»، وزدتُ هذه الآية شرحاً في باب التوفي في كتاب «النظائر». وذهب بعض العلماء إلى أن التوفي المذكور في حق النَائم هو نَوْمُه، وهذا اختيار الفراء وابن الأنباري؛ فعلى هذا، يكون معنى توفي النائم: قبضُ نَفْسهِ عن التصرُّف، وإرسالُها: إطلاقُها باليَقَظَة للتصرُّف.

﴿ أَرِ الْخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءً قُلْ أَوَلَقِ كَانُوا لَا يَعْلِكُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۚ قَلْ يَقَالُونَ عَلَى اللَّهُ مُلْكُ اللَّهُ اللَّهُ مُلْكُ اللَّهُ مُلْكُ اللَّهُ الل

قوله تعالى: ﴿أَرِ أَغَذُوا﴾ يعني كُفَّار مكَّة. وفي المراد بالشُّفَعاءِ قولان: أحدهما: أنَّها الأصنام، زعموا أنها تشفع لهم في حاجاتهم، قاله الأكثرون. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لِهَ يَثْلِكُونَ شَبَّكَا﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَمْقِلُونَ ﴾ أنَّكم تعبُدونهم؟! وجواب هذا الاستفهام محذوف، تقديره: أَوَلَو كانوا بهذه الضَّفة تتخذونهم؟! ﴿قُلُ لِنَهُ الشَّفَعَةُ جَيِعًا ﴾ أي: لا يَمْلِكُها أَحَدٌ إلّا بتمليكه، ولا يشفع عنده أَحَدٌ إلّا بإذنه.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَمُدَهُ الشّمَأَزَتَ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ إِلَّا خِرَةٌ وَإِذَا ذُكِرَ اللّذِينَ مِن دُونِهِ: إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۚ فَا اللّهُمُ فَالِمِدُ اللّهُ وَمُلْكُوا اللّهُ وَاللّهُ مَا كَانُوا فِيهِ يَغْلِلُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّ لِلّذِينَ طَلَمُوا اللّهُمُ فَالِمِدُ السّمَدَوَتِ وَالْأَرْضِ عَلِمُ الفَيْمِ وَالشّمَدَةِ أَنتَ تَعَكُّرُ بَيْنَ عِبْمَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَغْلِلُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّ لِلّذِينَ طَلَمُوا مَا فَي اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مَا مُن اللّهُ مِنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَا مُلْكُولُولُ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مُن اللّهُ مَن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَا مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَا اللّهُ مُن اللّهُ مَا مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَا مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مَا مُن اللّهُ مُلْمُ مُن اللّهُ مُن اللللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُ

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكِرَ اللَّهُ وَمُدَهُ اَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوكَ بِالْآخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: انقبضتْ عن التوحيد، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: استكبرتْ، قاله قتادة. والثالث: نَفَرتْ، قاله أبو عبيدة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهِينَ مِن دُونِينَ يعني الأصنام ﴿ إِنَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ ﴾ يفرحون. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره الانمام: ١٤، ٧٣، البقرة: ١١٣، الرحد: ١١٦ إلى قوله: ﴿ وَبَلَا لَمُم مِّرَكَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ ﴾. قال السدي: ظَنَّوا أَنَّ احمالَهم حسناتٍ، فبدت لهم سيئات. وقال غيره: عَمِلوا أعمالاً ظنَّوا أنَّها تنفعهم، فلم تنفع مع شِركهم. قال مقاتل: ظهر لهم حين بُعثوا ما لم يحتَسِبوا أنَّه نازلٌ بهم؛ فهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنَّهم كانوا يرجون القُرْبَ من الله بعبادة الأصنام، فلمّا عُوقِبوا عليها، بدا لهم ما لم يكونوا يحتَسِبون. والثاني: أنَّ البعث والجزاء لم يكن في حسابهم.

وروي عن محمد بن المنكدر أنه جَزِع عند الموت وقال: أخشى هذه الآية أن يبدو لي ما لا أحتسب.

قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: نزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِدِ. يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: ما كانوا يُنْكِرونه ويكذُّبون به.

﴿ فَإِذَا مَشَ ٱلْإِنْسَنَ مُثَرُّ دَمَانَا ثُمَّ إِذَا خُوَلِنَتُهُ يَفَمَةً مِنَا قَالَ إِنْمَا أُونِيتُهُم عَلَى عِلِمْ بَلَ هِى فِشْنَةٌ وَلَكِنَ آكْذَمُمُ لَا بَعْلَمُونَ ۖ فَقَدْ قَالْهَا الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَفْنَى عَتْهُم مَا كَاثُوا بَكْسِبُونَ ۞ فَأَصَابَهُمْ سَيِّعَاتُ مَا كَسَبُواْ وَالّذِينَ طَلَمُواْ مِنْ هَتَؤُلَاهِ سَبُصِيبُهُمْ سَيِّعَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُمَ مِنْفَوْدِينَ ۖ فَلَكُواْ مِثَلُمُواْ أَنَّ اللّهُ يَبْسُطُ الزَّقُ لِمَن يَشَاهُ وَيَقْدِدُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَتِ بَقِيمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَنَ ٱلْإِنسَانَ ضُرُّ دَعَانَا﴾ قال مقاتل: هو أبو حذيفة بن المغيرة، وقد سبق في هذه السورة نظيرها [الزمر: ١٨]. وإنما كنّى عن النَّعمة بقوله: ﴿ أُوتِيتُهُ ﴾، لأن المراد بالنَّعمة: الإنعام. ﴿ عَلَى عِلْمِ ﴾ عندي، أي: على خيرٍ عَلِمَهُ الله عندي. وقيل: على عِلْم مِنَ الله بأنِّي له أهلٌ، قال الله تعالى: ﴿ بَلَ هِي ﴾ يعني النَّعمة التي أنعم [الله] عليه بها ﴿ وَسَنَةٌ ﴾ أي: بلوى يُبتَلى مها العبدُ لِيَشْكُر أو يكفُر، ﴿ وَلَكِنَ آكَرُهُمُ لَا يَسَلَونَ ﴾ أن ذلك استدراج لهم وامتحان. وقيل: قبل هيه أي: المقالة التي قالها فنتنةٌ ، ﴿ فَلَدَ قَالَمَا ﴾ يعني تلك الكلمة، وهي قوله: فإنما أُوتيتُهُ على عِلْمٍ ﴾ ﴿ اللَّذِينَ مِن قَولان: أحدهما: أنَّهم الأمم الماضية، قاله السدي. والثاني: قارون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغَنَى عَبُهُم﴾ أي: ما دفع عنهم العذاب ﴿مَا كَاثُوا يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الكفر. والثاني: من عبادة الأصنام. والثالث: من الأموال. ﴿فَأَسَابُهُمْ سَيِّنَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: جزاءُ سيِّعاتهم، وهو العذاب. ثم أوعد كُفَّار مكَّة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ظَلْنُوا مِنْ مَتُولاً مِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّنَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِرِينَ ﴾ أي: إنهم لا يُعْجِزونَ الله ولا يَفوتونه. قال مقاتل: ثم وعظهم ليَعْلَموا وحدانيَّته حين مُطِروا بعد سبع سنين، فقال: ﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ لَمُ اللهُ يَسْلُطُ الزَّقُ لِمَن يَشَاهُ وَيَقَالُونَ فَي قَلْتُواْ أَنْ فَي بَسْطِ الرَّرَق وتقتيره ﴿ لَاَيْتُوا لَنْ اللهُ وَلَا يَعْلُونَا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَكِبَادِىَ اللَّيْنَ آسَرُوْا عَلَىٰ آسُولُوا عَلَىٰ آسُولُهِم ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ناساً من المشركين كانوا قد قَتَلُوا فأكثروا، وزَنَوْا فأكثروا، ثم أَتُوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ الذي تدعو إليه لَحَسَنٌ، لو تُخبِرُنا أنّ لِما عَمِلْنا كفّارةً، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٠). والثاني: أنها نزلت في عَيّاش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وتَفر من المسلمين كانوا قد أسلموا، ثم عُذّبوا فانتيتوا، فكان أصحاب رسول الله يقولون: لا يقبّلُ الله من هؤلاء صَرّفاً ولا عَذلاً، قوم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه! فنزلت هذه الآية، فكتبها عمر إلى عَيّاش والوليد وأولئك النّفَر، فأسلَموا وهاجروا؛ وهذا قول ابن عمر (١٠). والثالث: أنها نزلتْ في وحشيّ؛ وهذا القول ذكرناه مشروحاً في آخر النفرنان: ١٦٨ عن ابن عباس ألن التي حرَّم الله لم يُغْفَر له، فكيف نُهاجِر ونُشلِم وقد فَعَلْنا ذلك؟! فنزلت هذه الآية؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً (١٠). ومعنى المرقوا على أنفسهم، ارتكبوا الكبائر. والقنوط بمعنى الياس (٥٠). ﴿ وَلَيْبِبُولُ بمعنى ارجِعوا إلى الله من الشرك والذّنوب،

⁽۱) رواه البخاري ۲۸/۸٪ من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، و الطبري، ١١/١٤، وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وكذلك رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١، ورواه البخاري أيضاً ٨٠/٨٪ في سورة الفرقان مختصراً. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٧/٥، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهني من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ،

⁽٢) ﴿ رُواهُ ابن جُرِيرُ الطَّبَرِي ٢٤/ ١٥، وَذَكَرَهُ الْوَاحَدَي فِي أَلْسَبَابِ النَّرُولَ، ٢١١ عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب 🍓 بدون سند.

⁽٣) قال السيوطي في اللدر؛ ٥/ ٣٣٠: أخرج الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في قشعب الإيمان؛ بسند فيه لين عن ابن عباس ﷺ... الخ.

⁽٤) قالطبري؛ ١٤/ ١٤، وذكره الواحدي في قأسباب النزول؛ ٢١١ عن ابن عباس بدون سند، وأورده السيوطي في قالدر، ٥/ ٣٣١، وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس را

⁽٥) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر اللنوب جميعاً لمعن تاب =

﴿ وَأَسْلِمُوا لَمُ ﴾ أي: أخلِصوا له الترحيد. واتَّنْصَرون، بمعنى تُمْنَعون. ﴿ وَاَشِّيعُوٓا أَخْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمُ ﴾ قد بيَّناه في قوله: ﴿ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهُا ﴾ [الاعراف: ١٤٥].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَقُسُ قَال المبرِّد: المعنى: بادروا قَبْلَ أن تقول نَفْسٌ، وحَذَراً من أن تقول نَفْسٌ. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى ﴿بَحَسْرَقُ ﴾ يا ندامتا ويا حزنا. والتحسّر: الاغتمام على ما فات. والألِف في "يا حسرتا" هي [ياء] المتكلم، والمعنى: يا حسرتي (١)، على الإضافة. قال الفراء: والعرب تحوّل الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدُّعاء، وربما أدخلت العربُ الهاء بعد هذه الألف، فيَخْفِضونها مَرَّة، ويرفعونها أخرى، وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو الجوزاء: "يا حسرتي» بكسر التاء، على الإضافة إلى النَّفس. وقرأ معاذ القارئ، وأبو جعفر: "يا حسرتاي»، بألف بعد التاء وياء مفتوحة. قال الزجاج: وزعم الفراء أنه يجوز "يا حسرتاة على كذا» بفتح الهاء، و"يا حسرتاه الفسم والكسر، والنحويّون أجمعون لا يُجزون أن تُثبُتَ هذه الهاء مع الوصل.

قوله تعالى: ﴿ فِي جُنْبِ اللّهِ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن. والثاني: في حق لله، قاله سعيد بن جبير. والثالث: في أَمْر الله، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: في ذِكْر الله، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: في قُرْب الله؛ روي عن الفراء أنه قال: الجَنْب: القُرْب، أي: في قُرْب الله وجواره؛ يقال: فلان يعيش في جَنْب فلان، أي: في قُرْب الله تعالى، وهو الجنة.

﴿ وَيَوْمَ الْفِيكَمَا فِي تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُسْوَدًا ۚ الَّذِينَ فِي جَهَنَّدَ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُحَيِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْاً بِمَعَانَهِهَ لَا يَسَشُهُمُ السُّوَّةُ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْفِيْمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ فَوْعَمُوا أَنْ لَهُ وَلِداً وشريكاً ﴿وَبُحُوهُهُم مُسْوَدَّةً ﴾. وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فَعَلْنا، وإن شئنا لم نَفْعَل. وياقي الآية قد ذكرناه آنفاً [الزمر: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿ وَيُنَيِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقُواْ بِمُفَانَتِهِمْ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "بمفازاتهم". قال الفراء: وهو كما قد تقول: قد تبيَّن أمرُ القوم وأمورهم، وارتفع الصوت والأصوات، والمعنى واحد. وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال. أحدها: بفضائلهم، قاله السدي. والثاني: بأعمالهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثالث: بفوزهم من النار. قال المبرِّد: المَفازة: مَفْعَلة من الفوز، وإن جُمع فحسن، كقولك: السعادة والسعادات، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم، أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر، قال: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم
يتب منه، وسرد بعض الأحاديث المتعلقة بهذه الآية التي تدل على سعة رحمة الله وفضله، ثم قال: وهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر
جميع اللنوب مع التوبة، قال: ولا يقتطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنويه وكثرت، فإن باب الرحمة واسع، قال الله تعالى: ﴿ أَلَّمْ يَمَلُمُوا أَنَّ اللهُ هُو
يَقَبُلُ النَّوِيةُ مِنْ عِبَاوِيهُ وقال عِنْ وَمَن يُسَلُ سُرَّةً أَلَّ يَظُومُ فَدُو يَسَتَمُ فُدُ يَسَتَفْنِ اللهَ يَجِدِ أَلَهُ عَمُونًا رَحِيمًا ﴿). ثم ذكر عدة أحاديث في نفي القنوط،
واعتقاد أن الله تعالى غفور رحيم لمن تاب إليه وأناب.

⁽١) في الأصل: فيا حسرتا،

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَمُ مَثَالِيدُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ وَالَذِينَ كَفَرُوا بِعَابَتِ اللَّهِ أُولَتِهِكَ لَهُمُ الْخَسِرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَمُ مَقَالِلَهُ اَلسَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مفاتيحُها وخزائنُها، لأن مالِكَ المفاتيح مالِك الخزائن، واحدها: إقليد، وجُمع على غير واحد، كما قالوا: مَذاكير جمع ذَكَر، ويقال: هو فارسيّ معرَّب. [وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرَّب]، قال الراجز:

لَـمْ يُسؤذِها اللِّيكُ بـصـوتِ تَسغْسِيدُ ولَـمْ تُـعالِـجْ غَلَمَا بالحَليدُ(١)

والمِقْلِيدُ: لغةٌ في الإِقْلِيدِ، والجمع: مَقَالِيد. وللمفسرين في المقاليد قولان: أحدهما: المفاتيح، قاله ابن عباس. والثاني: الخزائن، قاله الضحاك. وقال الزجاج: تفسيره أن كل شيء في السموات والأرض، فهو خالقه وفتح بابه. قال المفسرون: مفاتيح السموات: المطر، ومفاتيح الأرض: النبات.

﴿ فُلُ أَفَنَيْرَ ۖ اللَّهِ تَأْمُرُونِ أَعَبُدُ أَيُّهَا الْجَهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُرْجَىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اَبِنْ أَشْرُكُتَ لِبَحْبَطَنَّ عَمُلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُصِيرِينَ ۞ بَلِ اللَّهَ فَأَعْبُدُ وَكُن مِنَ الشَّنكِرِينَ ۞﴾

قوله تمالى: ﴿ أَنْفَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِ آعَبُهُ قَرأُ نافع، وابن عامر: ﴿ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ ۗ مَخفَّفةً، غير أَن نافعاً فتح الياء، ولم يفتحها ابن عامر. وقرأ ابن كثير: ﴿ تأمرونَي ﴾ بتشديد النون وفتح الياء، وقرأ الباقون بسكون الياء. وذلك حين دعَوْه إلى دين آبائه ﴿ أَيُّهُا اَلْجَهُلُونَ ﴾ أي: فيما تأمُرون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى النِّينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أُوحِيَ إليكَ لئن أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ، وكذلك أُوحِيَ إلى الذين مِنْ قَبْلِكَ. قال أبو عبيدة: ومجازها مجاز الأمرين اللّذين يُخْبَرُ عن أحدهما ويُكفُّ عن الآخر، قال ابن عباس: هذا أدبٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديدٌ لغيره، لأن الله ﷺ قد عصمه من الشّرك. وقال غيره: إنما خاطبه بذلك، لِيَعْرِفَ مَنْ دونَه أن الشّرك يُحبِطُ الأعمال المتقدَّمة كلَّها ولو وقع من نبيً. وقرأ أبو عمران، وابن السميفع، ويعقوب: «لَنْحُبِطَنَّ» بالنون، «عَمَلَك» بالنصب. ﴿ بَلِ اللهُ قَائِدُ ﴾ أي: وَحَدْ.

﴿ وَمَا قَدُولَ اللَّهَ حَقَّ مَدْدِهِ وَالأَرْضُ جَيبِعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْفِيَامَةِ وَالسَّنَوَتُ مَطْوِيَتَتُ بِيَدِيدِهُ شَبْحَتَهُ وَتَعَالَى عَنَّا يُمْرَكُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا فَدَرُوا اللّهَ حَقَّ فَدْرِو، ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل الكتاب أتى رسول الله على إصبع؟! القاسم، بلغك أن الله تعالى يَحْمِلُ الخلائق على إصبع والأرضين على إصبع والشّجر على إصبع والثّرى على إصبع؟! فضحك رسولُ الله على حتى بدت نواجذُه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله ابن مسعود (٢٠). [وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» نحوه عن ابن مسعود [٣٠]. وقد فسّرنا أول هذه الآية في الانعام: ١١) قال ابن عباس: هذه الآية في الكفار، فأمّا مَنْ آمن بأنه على كل شيء قدير، فقد قَدر الله حَقَّ قَدْرِهِ. ثم ذكر عَظمته بقوله: ﴿وَالأَرْضُ جَيِيمَا فَتَسَنّهُ وَلَدُ اللّهِ عَلَى كُل شيء قدير، فقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن النبي على قال: «يَقْبِضُ الله الأرض يومَ القيامة ويَطُوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملِك، أين ملوكُ الأرض؟ وأخرجا من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله على: "قيطُوي الله على السموات يومَ القيامة، ثم يأخذُهُنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا

⁽١) الرجز في «المعرّب؛ للجواليقي ٢٠.

⁽٢) روى سبب النزول هذا بهذا اللفظ الواحدي في أسباب النزول، ٢١٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو في الصحيحين، دون سبب النزول.

٣) رواه البخاري في «صحيحه ٨ ٤٢٣ ، ومسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن مسعود رضي و وواه الطبري ٢٢/٢٤ ، والحديث أورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والدارقطني في «الأسماء والصفات» عن عبد الله بن مسعود رضي قل الحافظ ابن حجر في «الفتح» في قوله: «حتى بدت نواجله»: وليس ذلك منافياً للحديث الآخر أن ضحكه كان تبسماً كما سيأتي في تفسير سورة (الأحقاف). اهـ.

⁽٤) رواه البخاري في «صحيحه» ٨/ ٣٢٤، ومسلم ٢١٤٨/٤، ورواه الطبري ٢٧/٢٤، وذكره السيوطي في «اللد» ٥/ ٣٣٥، وزاد نسبته لابن المنذر، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي هريرة ﷺ.

الملِك، أين الجبّارون، أين المتكبّرون؟ ١٠٠٠. قال أبن عباس: الأرضُ والسموات كلُّها بيمينه. وقال سعيد بن جبير: السموات قَبْضَةُ والأرّضُونَ قَبْضَةُ ١٠٠٠.

﴿ وَنُفِخَ فِى الشَّمُورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَكُوتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أَخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۖ وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُفِيْتَ الْكَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُفِيْتَ الْكَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُفِيْتَ الْكَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُفِيْتَ كُلُّ نَفْسِ مَّا عَبِلَتْ وَهُو أَعْلَمُ بِنَا يَفْعَلُونَ ۖ وَوَفِيْتَ كُلُّ نَفْسِ مَّا عَبِلَتْ وَهُو أَعْلَمُ بِنَا يَفْعَلُونَ ۖ فَيْ وَكُونِيْتَ كُلُّ نَفْسِ مَّا عَبِلَتْ وَهُو اللّهُ بِنَا يَفْعَلُونَ ۖ فَي الْعَلَمُونَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللللللللللللّهُ الللللللللللّهُ اللللللللللللللللللللّهُ الللللللللللل

قوله تعالى: ﴿وَيُفِحَ فِى الصَّبُورِ فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر، والمجحدري: «فصُعِقَ، بضم الصاد ﴿مَن فِى الشَّمَوَتِ وَمَن فِى الدِّين استُثنوا في سورة الشَّمَوَتِ وَمَن فِى الدِّين اللهِ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلْمُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلْمُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُونُ عَلَى اللهُ عَل

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَفَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت. والمراد بالأرض: عَرَصات القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وَوُيْنِمَ ٱلْكِتَبُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: كتاب الأعمال، قاله قتادة، ومقاتل. والثاني: الحساب، قاله السدي. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنهم الذين يَشْهَدونَ على الناس بأعمالهم، قاله الجمهور. ثم فيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المُرْسَلون من الأنبياء. والثاني: أمَّة محمد يَشهدونَ للرُّسل بتبليغ الرُّسالة وتكذيبِ الأمم إيّاهم، رويا عن ابن عباس رَهِيهُ والثالث: الحَفَظَه، قاله عطاء. والرابع: النَّبيُّون والملائكةُ وأُمَّةُ محمد عَيِيهُ والجوارح، قاله ابن زيد. والثاني: أنهم الشهداء الذين تُتلوا في سبيل الله، قاله قتادة؛ والأول أصح. ﴿ وَوُئِينَ كُلُ نَفْسِ مَا عَيلَتُ ﴾ أي: جزاء عملها ﴿ وَمُو أَمَلُمُ بِمَا يُعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يحتاجُ إلى كاتب ولا شاهد.

﴿ رَسِينَ اللَّذِينَ كُفُرُوا إِلَى جَهَمَّمَ زُمَرًّ حَقَّة إِذَا جَاهُوهَا فَتِحَتْ أَبُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهُمَّا أَلَمْ بِالْحَمْرُ رُسُلُ فِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ مَنْا اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْنَ فِيهَا مَا الكَفِينَ ﴿ فِي قِيلَ انْخُلُوا أَبُوبَ جَهَنَّمَ خَلِينَ فِيهَا مَا يَكُنُ مَنْا قَالُوا بَنَ وَلَنكِنَ حَقَّتَ كِلِيهَ المُكَابِ عَلَى الكَفِينَ ﴿ فِي قِيلَ انْخُلُوا أَبُوبَ جَهَنَّمَ خَلِينَ فِيهَا فَيْكُمْ مَنْوَا لَلْهُ عَلَى اللَّهُ وَمُولَ عَلَيْنَ اللَّهُ وَلَا يَعْمَلُوا اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْلُوا الْمُعَلِقُونَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْلُوا اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى الْعَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْلُوا اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى الْعَلَيْنَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْلُولَالِمُ اللّهُ عَلَيْنَ الللّهُ عَلَيْنِ الللللّهُ عَلَيْنَا الللّهُ عَلَيْنَا الللللّهُ عَلَيْلُوا اللّهُ عَلَيْلُولُوا اللّهُ عَ

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ اَلَّذِينَ كَنَرُواْ إِلَى جَهَنَمَ زُمُرًا ﴾ قال أَبُو عبيدة: الْزُمَر: جماعاتٌ في تفرقة بعضُهم على إثر بعض، واحدها: زُمْرة (٤).

قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ يَـٰكُمُ﴾ أي: من أنفسكم. و﴿ كَلِمَةُ الْمَنَابِ﴾ هي قوله: ﴿لَاَمُلَأَنَّ جَهَنَّمُ﴾ [الاعراف: ١٨]. قوله تعالى: ﴿فُرِّحَتْ أَبْوَبُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿فُتِّحَتْ، ﴿وفُتِّحَتْ، مشدَّدتين؛ وقرأ

⁽١) رواه البخاري في المحيحه ٢٣٤/١٣ مختصراً، ورواه مسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رفي اللفظ له، وتمام الحديث عنده: الله يعلي الأرضين بشماله ثم يقول: اأنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون،

 ⁽٢) قال أبن كثير: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، قال: والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير
 تكييف ولا تحريف. اهـ.

 ⁽٤) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار، قال: وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد، كما قال \$5: ﴿ وَيَمَ لِللّٰهِ الْحَرِي: ﴿ وَيَمْ تَشَرُ النَّنْقِينَ إِلَى الرَّحْنَي لِكُمْ اللّٰهِ الْحَرَى اللّٰهِ اللّٰمِ اللّٰهِ اللّٰمِ اللّٰهِ اللّٰمِ اللّٰهِ الله العال صمَّ وبكم وعمي، منهم من يمشي على وجهه ﴿ وَغَنْدُومُ مِ وَلَيْكُمُ قِرْمُ النِّينَامُ عَلَى لَهُمُوهِمْ عُنْدًا وَيُكُم وَمُنْ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِي اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمُ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمَ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمِ الللللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ اللّٰمِ اللّٰمِ الللّٰمِ الللّٰمِ اللّٰمِلْمُ اللّٰمِ اللّٰمِ الل

عاصم، وحمزة، والكسائي: بالتخفيف. وفي هذه الواو ثلاثة أقوال(١): أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللُّغويِّين منهم الفراء. والثاني: أنها واو الحال؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحتْ أبوابُها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتَّحةً قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مُغْلَقةً قبل مجيئهم، ووجه الحكِمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدما: أنَّ أهل الجنة جاؤوها وقد فُتحت أبوابُها ليستعجلوا السُّرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً، وأهل النار يأتونها وأبوابُها مُغلَقة ليكون أشدَّ لحرِّها، ذكره أبو إسحاق ابن شاقْلا من أصحابنا(٢٠). والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوءُ ذُلِّ، فصِينَ أهلُ الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أَهلُ الجنة بابها مُغلَقاً لأثَّر انتظارُ فَتْحه في كمال الكَرَم، ومن كمال الكَرَم غَلْقُ باب النّار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجِّل المثوبة، ويؤخِّر العقوبة، وقد قال ﷺ: ﴿مَّا يَفْعَكُ ٱللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِن شَكَرْتُكُمْ وَءَامَنـتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]؛ قال المصنف: هذا وجه خطر لي. والقول الثالث: أن الواو زِيدتْ، لأنَّ أبواب الجنة ثمانيةٌ، وأبواب النار سبعةٌ، والعرب تَعْطِفُ في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما ذكرناه في قوله: ﴿وَيَثُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَالْبُهُمُ ۗ [الكهف: ٢٢]، حكى هذا القول والذي قبله الثعلبي. واختلف العلماء أين جوابُ هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الجواب محذوف، قاله أبو عبيدة، والمبِّرد، والزجّاج في آخرين. وفي تقدير هذا المحذوف قولان. أحلهما: أن تقديره: ﴿حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا ...﴾ إلى آخر الآية... سُعِدوا، قاله المبرِّد. والثاني: ﴿حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَدْخُلُوهَا خَلِيرِينَ﴾ . . دخلوها، وإنما حُذف، لأن في الكلام دليلا عليه، وهذا اختيار الزجاج. والقول الثاني: أن الجواب: قال لهم خزنتُها، والواو زائدة، ذكره الأخفش، قال: ومثله في الشُّعر:

فإذا وذلكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَّةِ حَالِمٍ بِحُيال(")

أى: فإذا ذلك. والثالث: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتحتْ أبوابُها، والواو زائدة، حكَّاه الزجاج عن قوم من أهل اللغة. وفي قوله: ﴿ لَٰٓإِنْتُدُ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنهم إذا انْتَهوا إلى باب الجنة وَجدوا عند بابها شجرةً يَخرج من تحت ساقها عينان، فيَشربون من إحداهما، فلا يبقى في بطونهم أذيّ ولا قذَّى إلّا خرج، ويغتَسلون من الأخرى، فلا تَغْبَرُ جلودُهم ولا تَشَعَّتُ أشعارُهم أبدًا، حتى إذا انتَهَوْا إلى باب الجنة قال لهم عند ذلك خزنتها: ﴿سَلَامُ عَلَيْكُمْ طِبْتُهُ ﴾، رواه عاصم بن ضمرة عن على ﷺ (٤٠)، وقد ذكرنا في [الأعراف: ٤٤] نحوه عن ابن عباس. والثاني: طاب لكم المقام، قاله ابن عباس. والثالث: طِبْتُم بطاعة الله، قاله مجاهد. والرابع: أنهم طُيِّبوا قَبْلَ دخول الجنة بالمغفرة، واقتُصَّ من بَعْضِهم لِبَعْض، فلمَّا هُذِّبوا قالت لهم الخَزْنَةُ: طِبْتُم، قاله قتادة. والخامس: كنتم طبِّبينَ في الدُّنيا، قاله الزجاج. فلمّا دخلوها قالوا: ﴿ ٱلْحَكُمُدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعَدُمُ ۖ بالجنة ﴿ وَأَوْرَبَنَا ٱلأَرْضَ ﴾ أي أرض الجنة ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأَتُ﴾ أي: نَتَّخِذُ فيها من المنازل ما نشاء. وحكى أبو سليمان الدمشقى أن أمَّة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيثُ نَشَآتُ﴾؛ يقو الله ﷺ: ﴿فَيْعُمَ أَجْرُ ٱلْعَمِيلِينَ﴾ أي: يغمّ ثوابُ المُطِيعِينَ في الدُّنيا الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَنَرَى الْمَلَتِكَةَ مَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرَيْنِ﴾: أي مُحْدِقِينَ به، يُقال: حَفَّ القومُ بفلان: إذا أُحْدَقوا به؛

وهي الواو في قوله تعالى: ﴿وَتُنِتَحَتْ أَيْزَتُهَا وَقَالَ لَمُنْ خَزَنَهُا سَلَتُم عَلَيْكُمْ ﴾.

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شائلا البزار الحنبلي، جليل القدر، كثير الرواية، حسن الكلام في الأصول والفروع، توفي رحمه الله سنة (٣٦٩ هـ).

⁽٣) البيت لتميم بن مقبل، وديوانه، ٢٥٩ من قصيدة مطلعها:

سَائِسِلْ بِسَكُسِبُسَشَةَ دارسَ الأطسلالِ

فَدْ هَبِيُّ جُنْفُ وُسُومُ هِما لِسُوالِ وهو في الطبري» ٣٦/٢٤، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لمم. ورواية البيت في الديوان: إلَّا كَخَلْمَة. . . ، والحَلَمَةُ: المَرَّة من •حَلَمَ»: إذا رأى شيئًا في المنام، وقال ابن برّي: قوله: ﴿فإذَا وذلكِ مبتدًا، والواو زائلة، كذا ذكره الأخفش، والم يكن؛ خبره.

⁽٤) - «الطبري» ٢٤/ ٣٠. وذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ٣٤٢، وزاد نسبته لابن المبارك في «الزهد»، وعبد الرزاق، وابن أبي شبية، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في (صفة الجنة)، والبيهقي في (البعث)، والضياء في (المختارة) عن علي ﷺ.

ودخلتْ «مِنْ» للتوكيد، كقولك: ما جاءني من أحدٍ. ﴿ يُمَّيَّحُونَ بِحَمَّدِ رَبِّمَ ﴾ قال السدي، ومقاتل: بأمر ربِّهم. وقال بعضهم: يُسَبِّحونَ بالحمد له حيث دخل الموِّحدون الجنة. وقال ابن جرير: التَّسيح هاهنا بمعنى الصَّلاة.

قوله تعالى: ﴿وَقُونِي بَيْنَهُم﴾ أي: بينَ الخلائق ﴿إِلْمَقِ ﴾ أي: بالعَدْلِ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ هذا قول أهل الحنة شُكْراً للله تعالى على إنعامه. قال المفسّرون: ابتدأ الله ذِكْرَ الخَلْق بالحَمْدِ فقال: ﴿اَلْمَتْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السّمَنوَتِ وَالْمَرْضَ ﴾ [الانعام: ١] وختم (١) غاية الأمر _ وهو استقرار الفريقين في منازلهم _ بالحمد لله بهذه الآية، فنبّه على تحميده في بداية كُلِّ أَمْرُ وخاتِمته.

* * *

أن الأصل: وخاتم.

سورة المؤمن

قال أبو سليمان الدمشقي: ويقال لها: سورة الطَّوْل (١٠). وهي مكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿الَّذِينَ يُعُكُولُونَ فِي مَالِكِ اللَّهِ والتي بعدها [المومن: ٣٥، ٣٦]. قال الزجاج: وذُكِر أنَّ الحواميم كلَّها نزلت بمكة. قال ابن قتيبة: يقال: إن «حمّ» اسم من أسماء الله أضيفت هذه السُّورة إليه، كأنه قيل: سُورَةُ الله، لِشَرَفَها وفَضْلها، فقيل: آل حاميم، وإن كان القرآن كلُّه سُورَ الله، وحَرَمُ الله، وناقَةُ الله، قال الكميت:

وَجَــٰذُنَـا لَـٰكُــمْ فـي آكِ حَـامـيــمَ آيــةً تَــَاولًــهَـا مِــنَّـا تَــقِــيُّ ومُـعْــرِبُ (٢)

وقد تُجعل «حمّ» اسماً للسورة، ويدخُل الإعراب ولا يُصْرَف، ومن قال هذا في الجميع: الحواميم، كما يقال: «طسّ» والطواسين. وقال محمد بن القاسم الأنباري: العرب تقول: وقع في الحواميم، وفي آل حميم، أنشد أبو عسدة:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّواتي طُوِّلَتْ وبِمنينِ بَعْدَها قَد أُمْثِيَتْ وبِمنينِ اللَّواتي قُلُفَتْ وبِالطَّواسِينِ اللَّواتي قُلُفَتْ وبالحواميم اللَّواتي شُبِّعَتْ [وبالمفطَّل اللَّواتي فُصَّلَتْ] (٣)

فمن قال: وقع في آل حاميم، جعل حاميم اسماً لِكُلِّهِنَّ؛ ومن قال: وقع في الحواميم، جعل احمّ، كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل. وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: من الخطأ أن تقول: قرأتُ الحواميم، وليس من كلام العرب، والصَّوابُ أن تقول: قرأت آل حاميم. وفي حديث ابن مسعود اإذا وقعتُ في آل حمّ (3) وقعتُ في روضات دوشات، (٥)، وقال الكميت:

وجَدْنَا لَدِيُ مِنْ فَدِي آل حَامَدِمَ آيَةً الْكُنِّنِ الْتَجَدِيْدِ

﴿حَمْ ۞ تَنزِيلُ الْكِنَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَنِيزِ الْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ الذَّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْمِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَآ إِلَّهُ إِلَّا هُوَّ النَّهِ الْمَسِيدُ ۞﴾

وفي ﴿حَمَ ۞﴾ أربعة أقوال: أحدها: قَسَم أَقْسَمَ الله به وهو من أسمائه ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو سليمان: وقد قبل: إن جواب القَسَم قولُه: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ ﴾ [المومن: ١٠]. والثاني: أنها حروف من أسماء الله ﷺ، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن «الّر» وهحمّ» وهنوّن» حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن الحاء مفتاح اسمه هحميد»، والميم مفتاح اسمه همجيد»، قاله أبو العالية. والثالث: أن الحاء مفتاح كل اسم لله ابتداؤه حاء، مثل هحكيم»، وهحيّه، وهحيّه، والميم مفاح كل اسم له، ابتداؤه ميم مثل هملك»، وهمتكبّر» وهمجيد»، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وروي نحوه عن عطاء الخراساني. والثالث: أن معنى هحمّ»: قُضِيَ ما

⁽١) ويقال لها أيضاً: سورة غافر.

⁽٢) البيت في «الكتاب؛ ٣٠/٣، و«مجاز القرآن؛ ١٩٣/، و«غريب القرآن» ٣٦، و«الطبري؛ ٤٠/٢٤، و«الصحاح؛ و«اللسان» و«التاج»: عرب.

⁽٣) دمجاز القرآن، ٧/١ والزيادة بين المعقفين منه.

 ⁽٤) كذا في الأصول وكتب التفسير، وفي «النهاية» و«اللسان» و«التاج»: «قرأتُ آل حاميم» بدل «وقعتُ في آل حاميم».

⁽٥) قال السيوطي في «الدر، ٥/٣٤٤: أخرج أبو عبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا وقعت في الحواميم وقت في روضات أتائش فيهن.

هو كائن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ورُوي عن الضحاك والكسائي مثل هذا كأنهما أرادا (١١) الإشارة إلى حُمَّ، بضم الحاء وتشديد الميم. قال الزجاج: وقد قيل في «حمّ»: حُمَّ الأمر. والرابع: أن «حمّ» اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. وقرأ ابن كثير: «حمّ» بفتح الحاء؛ وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: بكسرها؛ واختلف عن الباقين. قال الزجاج: أمّا الميم، فساكنة في قراءة القُرّاء كلَّهم إلّا عيسى بن عمر، فإنه فتحها؛ وفتحها على ضربين. أحدهما: أن يجعل «حمّ» اسماً للشورة، فينصبه ولا ينوّنه، لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل. والثاني: على معنى: اثلُ حمّ؛ والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسُّورة، ويكون حكاية حروف الهجاء (١٠).

قوله تعالى: ﴿ نَرْيِلُ ٱلْكِنْبِ ﴾ أي: هذا تنزيلُ الكتاب. والتَّوْبُ: جمع تَوْبَة، وجائز أن يكون مصدراً من تاب يتُوب تَوْباً. والطَّول: الفَضْل. قال أبو عبيدة: يقال: فلان ذو طَوْل على قومه، أي: ذو فَضْل. وقال ابن قتيبة: يقال: طُلُّ عليَّ يرحمك الله، أي: تَفَضَّلْ. قال الخطابي: ذو: حرف النَّسبة، والنسبة في كلامهم على ثلاثة أوجه. بالياء، كقولهم: أسديّ، ويكريّ، والثاني: على الجمع، كقولهم: المتهالبة، والمسامعة، والأزارقة، والثالث: بـ «ذي، وهذات، كقولهم: رجُل مال، أي: ذو مال، وكبش صاف، أي: ذو صوف، وناقة ضامر، أي: ذات ضُمر؛ فقوله: ذو الطَّوْل، معناه: أهل الطَّول والفَضْل.

﴿مَا يُجْدِلُ فِى مَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُنُكَ نَتَلَبُهُمْ فِى الْلِكِدِ ۞ كَذَبَ قَلَكُمْمْ قَوْمُ نُوحِ وَالْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتَ كُلُ أَتَيْمْ بِرَسُولِمْ لِيَاخْدُونُّ وَجَدَلُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِشُوا بِهِ الْفَقَّ فَاخْذَنُهُمْ فَكَيْنَ كَانَ عِقَابٍ ۞ وَكَذَلِكَ حَفَّتْ كَلِمَتُ رَقِكَ عَلَى النِّينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ أَسْحَبُ النَّارِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يُجُدُلُ فِى مَائِكِ اللَّهِ ﴾ أي: ما يُخاصم فيها بالتكذيب لها ودفعها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وباقي الآية في الله صدان: ١٩٦]؛ والمعنى: إنّ عاقبة أمرهم إلى العذاب كعاقبة مَنْ قَبْلَهم.

قوله تعالى: ﴿ وَهَنَتْ كُلُّ أَنَّةٍ مِسُلِمٍ لِيَاخُدُونَ ﴾ فيه قولان: أحلهما: ليقتُلوه، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: ليحبِسوه ويعلَّبوه، ويقال للأسير: أَحيدٌ، حكاه ابن قتيبة. قال الأخفش: وإنما قال: قلياخُدوه، فجمع على الكلَّ، لأن الكلَّ مذكَّر ومعناه معنى الجماعة. وما بعد هذا مفسَّر في [الكهف: ٥٦] إلى قوله: ﴿ فَأَخَذُ بُهُمُ ﴾ أي: عاقبتهم وأهلكتهم وفكيّت كان عِدَابِ استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم. ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي: مِثْل الذي حَقَّ على الأمم المكذّبة ﴿ حَقَّتُ كَلِمُ الله عَلَى المُعذَاب، وهي قوله: ﴿ لَأَنْلَانَ جَهَنَهُ ﴾ [الاعراف: ١٨] على الذين كفروا من قومك. وقرأ نافع، وابن عامر: قَلِماتُ رَبِّكَ ، ﴿ أَنْهُمُ وَالله الانتفاء وابن عامر:

﴿ الَّذِينَ بَهِلُونَ الْمَرْضَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِدِ. وَيَسْتَغْيُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَرَبَنَا وَسِفْتَ كُلُ شَيْءِ وَخْسَمَةً وَعِلْمَ اللَّهِيمِ وَعِلْمَ اللَّهِيمِ وَعَلَمُ اللَّهِيمِ وَمَن عَالَمَ الْجَيْمِ فَيَ وَاللَّهُمْ جَنَّتِ عَذَنِ اللَّهِ وَمَن مَسَلَّحَ مِنْ اللَّهِمِمُ وَمَن مَسَلَّحَ مِنْ اللّهِمِمُ وَمَن مَالِكُ هُوَ الْفَوْلُ وَمِن تَنِ السَّيِّنَاتِ يَوْمَهِذِ فَقَدْ رَحْمَتُمُ وَاللَّهُ هُو الْفَوْلُ الْمَعْلِيمُ اللّهَ وَمَن نَنِ السَّيِّنَاتِ يَوْمَهِذِ فَقَدْ رَحْمَتُمُ وَاللَّهَ هُو الْفَوْلُ الْمَعْلِيمُ فَيْ اللّهُ وَاللَّهُ هُو الْفَوْلُ الْمَعْلِيمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ هُو اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُو

ثم أخبر بفضل المؤمنين فقال: ﴿ اَلَّذِينَ يَجِلُونَ الْمَرْضَ﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جُعلوا ثمانية ﴿ وَمَنَ حَوْلَهُ العرض سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة ليس فيهم أحد إلّا وهو يسبِّح بما لا يسبِّحه الآخر. وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيّون وهم سادة الملائكة. وقد ذكرنا في السُّورة المتقدِّمة معنى قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمَّدِ رَبِّمٍ ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿رَبُّنا﴾ أي يقولون: ربَّنا ﴿وَسِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. وقال غيره: المعنى: وَسِمَتْ رحمتُك وعِلْمُك كلَّ شيء ﴿فَأَغْفِرَ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشَّرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَك﴾ وهو

⁽١) في الأصل: أراد.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، قال: وقد بينًا ذلك في قوله: ﴿الدَّ﴾ ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في ﴿حدّ ٢٠) هـ.

دين الإسلام. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّكِيَّاتِّ﴾ قال قتادة: يعني العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِيبَ كَفَرُوا يُنَادَوْكَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقَيْكُمُ الْفُسَكُمْ إِذْ نُنْعَوْكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَكُمُّرُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا اَتَنَا اَتَنَانِ وَأَحْيَبَنَا الثَّنَانِ فَاعَتَرْفَنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلَ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلِ ۞ ذَلِكُم بِأَنَّهُۥ إِذَا دُعِنَ اللَّهُ وَحَدَمُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكُ بِهِ. تُوْمِنُواْ فَالْمُكُمُ لِلَّهِ الْمَبِلِ ۞﴾

قُوله تعالَى: ﴿ إِنَّ اللَّذِيكَ كُفَرُوا يُنَادَوْكَ لَمَقَتُ اللَهِ ﴾ قال المفسِّرون: لمّا رَأَوْا أعمالَهم وأُدخِلوا النّارَ مَقَتُوا أَنفُسَهم لِسُوءِ فِعْلِهم، فناداهم مُنادٍ: لَمَقْتُ الله إيّاكم في النَّنيا ﴿إِذْ نُدْعَوْكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَنَكُفُرُونَ ﴾ أكبرُ مِنْ مقتكم أنفُسكم. ثم أخبر عمّا يقولون في النار بقوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْرَتَا اللّهَ اللّهُ مِنْ أَنْدَيْنَ ﴾ وهذا مِثْل قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْرَتُ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿فَهَلَ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ أي: من النار إلى الدنيا لنعملَ بالطاعة ﴿مِن سَبِيلِ﴾؟ وفي الكلام اختصار، تقديره: فَأُجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك؛ وقيل لهم: ﴿وَلِكُمُ ﴾ يعني العذاب الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُۥ إِذَا دُعِىَ اللّهُ وَحْدَهُ كَامَرُهُ ﴾ أي: إذا قيل الا إله إلا الله الله الكه أنكرتم، وإن جُعل له شريكٌ آمنتم، ﴿وَلَلَّكُمُ بِلّهِ ﴾ فهو الذي حكم على المشركين بالنار. وقد بيّنًا في سورة [البقرة: ٢٥٥] معنى العليّ، وفي [الرعد: ١٩] معنى الكبير.

﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ ءَابَنِهِ. وَيُنَزِّكُ لَكُمْ قِنَ السَّمَاءِ رِزَقاً وَمَا يَنَذَكُرُ إِلَّا مَن يُنِبُ ۞ فَادَعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اللِّينَ وَلَوْ كُوهَ الْكَلِمُرُونَ ۞ رَفِيعُ الدَّرَحَتِ ذُو الْمَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ. عَلَى مَن يَنَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ بَيْمَ النَّلَاقِ ۞ بَرَقُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ فَيَءٌ لّمِنِ النَّلُكُ الْبَوْمُ لِلّهِ الْوَجِدِ الْفَهَارِ ۞ الْبَوْمَ تُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا حَسَبَتُ لَا ظُلْمَ الْبُومُ إِنَّ اللّهُ سَرِيعُ الْجِسَابِ ۞﴾

ُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ءَابَتِهِ ﴾ أي: مصنوعاته التي تَدُلُّ على وَحدانيَّته وقُدرته. والزَّزق هاهنا: المطر، سمِّي رزفاً، لأنه سبب الأرزاق. و ﴿ يَنَذِبُ ﴾ بمعنى يَرْجِع إلى الطاعة. ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال: ﴿ فَادَعُواْ اللَّهَ مُؤْمِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: موحّدينُ.

قوله تعالى: ﴿ رَفِيمُ الدَّرَكَاتِ ﴾ قال ابن عباس. يعني رافع السموات. وحكى الماوردي عن بعض المفسَّرين قال: معناه: عظيم الصَّفات.

قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْمَرْشِ ﴾ أي: خالِقُه ومالِكُه.

قوله تعالى: ﴿ يُلِقِى الرُّومَ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: النَّبوّة. والقولان مرويّان عن ابن عباس. وبالأول قال ابن زيد، وبالثاني قال السدي. والثالث: الوحي، قاله قتادة. وإنما سُمِّي القرآن والوحي روحاً، لأن قِوام الدَّين به، كما أن قِوَام البدن بالرُّوح. والرابع: جبريل، قاله الضحاك. والخامس: الرَّحمة، حكاه إبراهيم الحربي.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَرْدِهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنْ قضائه، قاله ابن عباس. والثاني: بأمره، قاله مقاتل. والثالث: من قوله، ذكره التعليي.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِهِ ﴾ يعني الأنبياء. ﴿ لِيُنذِرُ ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله على والثاني: النّبيُّ الذي يوحى إليه. والمراد بـ ﴿يَوْمَ النّلاقِ ﴾: يوم القيامة. وأثبت ياء «التلاقي» في الحالين ابن كثير ويعقوب، وأبو جعفر وافقهما في الوصل؛ والباقون بغير ياء في الحالين، وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخِرون، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: [يلتقي] فيه المخلق والخالق، قاله قتادة ومقاتل. والرابع: يلتقي المظلوم والظالم، قاله ميمون بن مهران. والخامس: يلتقي المرة بعمله، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَرِزُونَ ۗ أَي: ظاهِرون من قُبُورهم ﴿لَا يَخْنَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾. فإن قيل: فهل يَخْفَى عليه منهم اليوم شيء؟ فالجواب: أنْ لا، غير أن معنى الكلام التهديد بالجزاء؛ وللمفسّرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يَخْفَى عليه ممّا عَمِلوا شيءٌ، قاله ابن عباس. والثاني: لا يَستترونَ منه بجبل ولا مَدَر، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: أَبْرَزهم جميعاً، لأنه لا يَخْفَى عليه منهم شيء، حكاه الماورذي.

قوله تعالى: ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلَكُ ٱلْيُومِ ﴾ اتفقوا على أن هذا يقوله الله ﷺ بعد فَناء الخلائق. واختلفوا في وقت قوله له على قولين: أحدهما: [أنه] يقوله عند فَناء الخلائق إذا لم يبق مجيب، فيرُدُّ هو على نفسه فيقول: ﴿ يَقِمَ ٱلْوَهِدِ ٱلْفَهَّارِ ﴾ ، قاله الأكثرون. والثاني: أنه يقوله يوم القيامة, وفيمن يُجيبونه فيقولون: ﴿ يَقِمَ ٱلْوَهِدِ ٱلْفَهَّارِ ﴾ قاله ابن جريج.

﴿ وَأَنذِرَهُمْ بَوْمَ ٱلْآَوْفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْمَنَاجِرِ كَظِيبِنَّ مَا ۚ الظَّلِلِمِينَ مِنْ جَيبٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۞ بَعْلَمُ خَآيِنَةَ ٱلأَغَيُنِ وَمَا الشَّدُودُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرُهُمْ يَوْمَ ٱلْآنِذِيَةِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يومُ القيامة، قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: وسميت القيامة بذلك لقُربها، يقال: أَزِفَ شُخوص فلان، أي: قَرُبَ. والثاني: أنه يومُ حُضور المنيَّة، قاله قطرب(١١).

قوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْمُنَاجِرِ ﴾ وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تخرُج ولا تعود، هذا على القول الأول وعلى الثاني: القلوب هي النّفوس تبلغ الحناجر عند حضور المنيَّة؛ قال الزجاج: و﴿كَنْطِينَ ﴾ منصوب على الحال، والحال محمولة على المعنى؛ لأن القلوب لا يقال لها: كاظمين، وإنما الكاظمون أصحاب القلوب؛ فالمعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كَظْمهم. قال المفسّرون: «كاظِينِ» أي: مغمومين ممتلئين خوفا وحزناً، والكاظم: المُمْسِك للشيء على ما فيه؛ وقد أشرنا إلى هذا عند قوله: ﴿وَالْكَنْظِينِ الْفَيْخَلُ الله عمرا: ١٣٤]. ﴿مَا لِلظَّلْلِينَ ﴾ يعني الكافرين ﴿وَينَ جَيوِ ﴾ أي: قريب ينفعُهم ﴿وَلَا شَفِيع يُطَاعُ ﴾ فيهم فتُقبَل شفاعتُه. ﴿يَمَلَمُ خَالِنَة الْأَعْيَنِ ﴾ قال ابن قتيبة: الكافرين ﴿وينَ جَيوِ ﴾ أي: قريب ينفعُهم ﴿وَلَا شَفِيع يُطَاعُ ﴾ فيهم فتُقبَل شفاعتُه. ﴿يَمَلَمُ خَالِنَة الأَعْينِ ﴾ قال ابن قتيبة: الكافرين ﴿وينَ جَيو ﴾ أي: قريب ينفعُهم ﴿وَلَا شَفِيع يُطَاعُ ﴾ فيهم فتُقبَل شفاعتُه. ﴿يَمَلَمُ عَالَمَ المرأة فيريهم أنه يتُعنُ بصره، فإذا رأى منهم غفلةً لَحَظَ إليها، فإن خاف أن يَفْطُنوا له غَضَّ بصره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه نظر العين فيما لا يُجبُه الله ما نُهي عنه، قاله مجاهد. والثالث: الغمز بالعين، قاله الضحاك والسدي. قال قتادة: هو الغمز بالعين فيما لا يُجبُه الله ولا يرضاه، والرابع: النظرة بعد النظرة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِى الشُّدُورُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما تُضْمِره من الفعل أن لو قَدَرْتَ على ما نَظَرْتَ إليه، قاله ابن عباس. والثاني: الوسوسة، قاله السدي. والثالث: ما يُسِرُّه القلب من أمانة أو خيانة، حكاه الماوردي^{(٢٠}.

﴿ وَاللهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدَعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْشُونَ بِثَى أَ إِنَّ اللّهَ هُوَ السّيعُ الْبَصِيرُ ﴿ فَ الْآرَضِ فَالْمَا مِن الْمُونِمِ وَمَا كَانُ لَهُمْ مِنَ فَيَنَظُرُوا كَبَفَ كَانَ فَيْكُومِ وَمَا كَانُوا هُمْ الشَّدِ مِنْهُمْ فُوَّةً وَمَانَارَا فِي الْأَرْضِ فَأَخَدُمُ اللّهُ بِلْتُومِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللّهُ مِنْهُمْ وَاللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُو

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ ﴾ أي: يحكُم به فيَجَزي بالحسنة والسَّيِّنة ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ من الآلهة. وقرأ نافع، وابن عامر: «تَدْعُونَ» بالناء، على معنى: قُلْ لهم: ﴿لا يَقَضُونَ بِنَيَّ ﴾ أي: لا يَحْكُمون بشيء ولا يُجازُون به؛ وقد نبَّه الله عَلَى أنه حَيِّ، لأنه إنما يأمُر ويقضي من كان حيًّا، وأيّد ذلك بذِكْر السَّمع والبصر، لأنهما إنَّما يثبُتان لحيٍّ، قاله أبو سليمان الدمشقي. وما بعد هذا قد تقدم بعضه [يرسف: ١٠٩] ويعضه ظاهر إلى قوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَ

 ⁽١) قال ابن كثير: يوم الأزفة: اسم من أسماء يوم القيامة، قال: وسميت بذلك لافترابها، كما قال تعالى: ﴿ إَنْ اللَّونَةُ ۞ لَبُنَ لَهَا بِن دُنِو اللَّهِ كَاللَّهُ ﴿ وَقَالَ هَفَى: ﴿ النَّهَ مُن اللَّهُ اللَّهُ مُن اللَّهُ عَلَى مَتَعَيْدُ ﴾ وقال هذا: ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وقال جل وعلا: ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللّه

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَمْتُمُ عَلَيْنَةُ ٱلْأَعْثِينُ وَمَا غَنْفِي الشَّدُدُرُ ﴿ ﴿ يَحْبِرِ ﴿ عَن علمه النام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة مَن يعلم أنه يراه، فإنه ﴿ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تتطوي عليه خيايا الصدور من الفسائر والسرائر. اهـ.

مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقرأ ابن عامر: «أَشَدَّ مِنْكُمْ» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، وهو على الانصراف من الغَيْبَة إلى الخطاب، ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: من عذاب الله ﴿ مِن وَاقِ ﴾ يقي العذاب عنهم. ﴿ ذَلِك ﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم ﴿ بِأَنَهُمُ كَانَت تَأْتِيمُ رُسُلُهُم بِالْكِيِّنَدَتِ . . . ﴾ إلى آخر الآية . ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليَعتبروا . وأراد بقوله: ﴿ أَقَدُلُوا أَشَكُوا أَشَكُوا أَشَكُمُ اعْدُوا القتل عليهم كما كان أوّلاً ، قاله ابن عباس . وقال قتادة: كان فرعون قَدْ كفَّ عن قتل الولْدانِ ، فلمّا بَعَثَ الله موسى، أعاد عليهم القتل لِيصُدَّهم بذلك عن متابعة موسى.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَنَهْ يَنْ لَكُنُهُ إِنَّا فِي مَهَكُ لِي ﴾ أي: إنه يَذْهَب باطلاً ويَحيق بهم ما يريده الله عَلَى .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْتُ ذَرُونِ آفَتُلُ مُوسَىٰ وَلِيَدَعُ رَبَّةً إِنَّ آخَاتُ أَن يُبَدِلَ يِبِنَكُمْ أَوْ أَن يُظهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿ وَقَالَ رَجُلُ مُؤْمِنٌ مِن كُلِ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْجُسَابِ ﴿ وَقَالَ رَجُلُ مُؤْمِنٌ مِن عَالِ فِرْعَوْتَ بَكُنُمُ إِيمَنَهُ مِن الْمَيْمُ مِن كُلِ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْجُسَابِ ﴿ وَقَالَ رَجُلُ مُؤْمِنٌ مِن عَالِ فِرْعَوْتَ بَكُمُ إِلَيْهَمْ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبِمُم بَعْضُ الْقَنْلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَفِى اللّهُ وَمَد جَمَّتُمُ اللّهُ اللّهِ إِن اللّهِ إِن اللّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُو مُسْرِقُ كُذَاتُ ﴿ يَعْلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ إِن اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ مِن مَا اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا اللّهُ مِن عَامِلُونَ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ عَالِمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَن اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ مُوسُلًا مُلْكُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ مَنْ اللّهُ مَ

﴿ وَقَالَ فِي رَعَوْنَ أَدُّونِ آفَتُلُ مُوسَىٰ وإنما قال هَذَا ، لأنه كان في خاصّة فرعون مَنْ يَمْنَعُه مِنْ قَتْله خوفاً من الهلاك ﴿ وَلِيَتُمْ رَبِيْتُ الذِي يزعم أنه أرسله فليمنعه من القتل ﴿ إِنِي أَلْفَانُ أَنْ يُبَيِلُ لِينَكُمْ ﴾ أي: عبادتكم إيّاي ﴿ أَنْ يُلُهِرَ فِي الْفَسَادَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: قوأنه بغير ألف. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: قأو أنه بالف قبل الواو، على معنى: إن لم يبدّل وينكم أوقع الفسادَ، إلا أن نافعاً وأبا عمرو قرآ: فيُظهِرَ بضم الياء والفسادَ بالنصب. وقرأ الباقون: فيظهرَ بفتح الياء فالفسادُه بالرفع، والمعنى: يظهر الفساد بتغيير أحكامنا، فجعل ذلك فساداً بزعمه؛ وقيل: يقتل أبناءكم كما تفعلون بهم. فلمّا قال فرعونُ هذا، استعاذ موسى بربّه فقال: ﴿ إِنْ عُلَثُ بِرَقِ عُلْنُ مِنَكُمْ مَن أَبناء كم كما تفعلون بهم. فلمّا قال فرعونُ هذا، استعاذ موسى بربّه فقال: ﴿ إِنْ عُلْنُ بِنَ مِلْهُ وَلَا الله وَالْحَسْمِ، وابن عامر: (عُلْتُ مُبيّنة الذّال، وأدغمها أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو عغفر، وخلف ﴿ يَن كُلُ مُنكَمِّرٍ ﴾ أي: متعظّم عن الإيمان فقصد فرعونُ قتل موسى، فقال حينف إلى والكسائي، وأبو فيؤيّرَكَ . . . ﴾ وفي الآل هاهنا قولان: أحدهما: [أنه] بمعنى الأهل والنّسب؛ قال السدي ومقاتل: كان ابنَ عمّ فرعون، وهو المراد بقوله: ﴿ رَبَّلَة رَبّلُ مِن الله ألله أَنْ إِنْ أَلْهَا اللّه على النقس: ١٠٤ . والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة؛ قال فرعون؛ وفي المهملة، قوال: أحدها: حزييل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حبيب، قاله كعب. والثالث: سمعون، بالسين المهملة، قاله شعيب الجبّائي. والوابع: جبريل (١٠)، والخامس: شمعان، بالشين المعجمة، رويا عن ابن إسحاق، المهملة، قال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى (١٠)، وكذلك امرأة فرعون. قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة وعان مائة فرعون. قال المعن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى (١٠)، وكذلك امرأة فرعون. قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة

قوله تعالى: ﴿ أَنَقَتُنُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ أي: لأن يقولَ ﴿ رَوِّى اللَّهُ ﴾ وهذا استفهام إنكار ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم ۚ بِالْمِيْنَاتِ ﴾ أي: بما يدُلُّ على صِدقه، ﴿ وَإِن يَكُ كَنْدِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ أي: لا يضرُّكم ذلك ﴿ وَإِن يَكُ صَدَادِقًا يُصِبْكُمُ بَعْضُ الَّذِي

⁽١) في األصل: جبرك، والتصحيح من كتب التفسير.

 ⁽۲) قال ابن كثير: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان تبطياً من آل فرعون، قال: قال السدي: كان ابن عم فرعون، قال: ويقال: إنه الذي نجا مع موسى
 عليه الصلاة والسلام، قال: واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكفًّ عن قتل موسى ﷺ،
 قال: ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالمقوية لأنه منهم.

يَمِدُكُمْ ﴾ من العذاب. وفي «بَعْض» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «كُلّ»، قاله أبو عبيدة، وأنشد للبيد:

تَسرَّاكُ أَمْ كِنَدَةِ إِذَا لَهُ أَرْضَهِا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حمامُها(١)

أراد: كُلَّ النُّفوس. والثاني: أنها صِلَة؛ والمعنى: يُصِبْكم الذي يَعِدُكم، حُكي عن الليث. والثالث: أنها على أصلها، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فدخل ذِكْر البعض لأنهم على أحد الحالين. والثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكُهم في الدنيا بعض الوَعْد، ذكرهما الماوردي. قال الزجّاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المُناظِر إلى إلزام الحُجَّة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكلِّ، ومثله قول الشاعر:

قَدْ يُسذُوكُ السُسَتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ")

وإنما ذكر البعض ليوجبَ الكلَّ، لأن البعض من الكلّ، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمتأني إدارك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجِل الزَّل، فقد أبان فَضْلَ المتأني على المستعجِل بما لا يَقْير الخصم أن يدفعه، فكأنَّ الموقمن قال لهم: أقَلُ ما يكون في صِدقه أن يُصيبكم بعضُ الذي يَعِدُكم، وفي بعض ذلك هلاككم؟ قال: وأما بيت ليد، فإنه أراد ببعض النفوس: نَفْسَه وحدها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يوفِّق للصَّواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المشرك، قاله قتادة. والثاني: أنه السَّفَّاك للدَّم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ طَلَهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: عالين في أرض مصر ﴿ فَمَن يَنْهُرُنَا ﴾ أي: من يَمْنَعُنا ﴿ مِنْ بَأْسِ اللّهِ ﴾ أي: من عذابه؛ والمعنى: لا تتعرَّضوا للعذاب بالتكذيب وقتل النّبيّ؛ فقال فرعونُ عند ذلك: ﴿ مَا أُرِيكُمْ ﴾ من الرّأي والنّصيحة ﴿ إِلّا مَا أَرْيَا ﴾ لنفسي ﴿ وَمَا آهَدِيكُمْ ﴾ أي: أدعوكم إلّا إلى طريق الهُدى في تكذيب موسى والإيمان بي، وهذا يَدُلُ على أنه انقطع عن جواب المؤمن. ﴿ وَقَالَ الّذِي عَامَنَ يَنَوَّمِ إِنِّ أَنَاكُ عَلَيْكُم مِنْ العذاب مِثْلُ ما نزل بالأمم الزّجاج: أي: مِثْلَ يَوْمِ حزب حزب؛ والمعنى: أخاف أن تُقيموا على كفركم فينزلَ بكم من العذاب مِثْلُ ما نزل بالأمم المكذّبة رسلهم (٣٠).

⁽١) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته، وهو في قديوانه، ٣١٣، وقمجاز القرآن، ٢/ ٢٠٥، وقشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٣٧٠، وقمختار الشعر الجاهلي، ٣٤٤/٦، وقاللسان، يعض.

⁽٢) البيت للقطامي، وهو في «البحر المحيط»: ٧/ ٢٦١.

الجبالُ، وتُرَجُّ الأرض، وتَذهلُ المراضعُ، وتضع الحواملُ، ويولِّي الناس مُذْبِرين ينادي بعضهم بعضاً [وهو قوله: فيومَ التّناد]ه (۱). والثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في الاعران: ٤٤، ٥٥)، وهذا قول قتادة. والثالث: أنه قولهم: يا حسرتنا! يا ويلتنا، قاله ابن جريج. والوابع: أنه ينادي فيه كلُّ أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ ثُولُونَ مُدْرِدِنَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: هرباً من النار. والثاني: أنه انصرافهم إلى النار. قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاسِيرٌ ﴾ أي: من مانع.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدَّ جَآءَكُمْ يُوسُكُ ﴾ وهو يوسف بن يعقوب، ويقال: إنه ليس به، وليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿مِن مَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ موسى ﴿ بِالْبَيِّنَتِ﴾ وهي الدّلالات على التوحيد، كقوله: ﴿ مَأْذَيَاتُ مُتَكَرِّقُونَ خَيْرً... ﴾ الآية [يوسف: ٢٩]، وقال ابن السائب: البيّنات: تعبير الرُّؤيا وشَقُّ القميص، وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موت ملك مصر إلى القبط.

قوله تعالى: ﴿فَا نِلْتُمْ فِي شَكِّ يَمَّا جَآءَكُم بِيثُ﴾ أي: من عبادة الله وحده ﴿حَثَىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ أي: مات ﴿فَلْنَدُ لَن يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ. رَسُولاً﴾ أي: إنكم أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدِّد إيجابَ الحجة عليكم ﴿كَذَيْكَ﴾ أي: مِثْل هذا الضَّلال ﴿يُعِبِلُ اللهُ مَنْ هُوَ مُسَرِقُ﴾ أي: مُشْرِكُ ﴿مُرْتَابُ﴾ أي: شاكُ في التوحيد وصِدق الرُّسل(٢٠).

﴿ اَلَذِينَ يَجْدَدِلُونَ فِي ءَابَتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلطَنٍ أَنَدَهُمُّ كَبُّرَ مَقْتًا عِندَ اللّهِ وَعِندَ اللّذِينَّ ءَاسَوُّا كَذَلِكَ يَلْمَتُمُ اللّهُ عَلَى كُلّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۞ وَقَالَ فِرْغَوْنُ بَنهَنتَنُ آئِنِ لِي مَرْبًا لَمَتِيَّ أَئِلُتُهُ الْأَسْبَتِ ۞ أَسْبَتِ السَّمَوْتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَيهِ مُوسَى وَإِلَى لَاظُنْتُمْ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُبِنَ لِفِرْعَوْنَ سُوّهُ عَمَلِهِ. وَشُدَّ عَنِ السَّبِلِ وَمَا كَبَدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يُجَدِلُونَ ﴾ قال الزجاج: هذا تفسير المسرف المرتاب، والمعنى هُمُ الذين يجادِلُونَ في آيات الله. قال المفسرون: يجادلُونَ في إبطالها والتكذيب بها بغير سلطان، أي: بغير حُجَّة أتتهم من الله. ﴿ كَبُرَ جدالُهم مُقْتًا عند الله وعند الذين آمنوا، والمعنى: يَمْقُتهم الله ويَمْقُتهم المؤمنون بذلك الجدال. مُقَتًا ﴾ أي: كما طبّع الله على قلوبهم حتى كذَّبوا وجادلوا بالباطل، يَظبع ﴿ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ ﴾ عن عبادة الله وتوحيده. وقد سبق بيان معنى الجبّار في [هرد: ٥]. وقرأ أبو عمرو: اعلى كلَّ قلبٍ بالتنوين، وغيرُه من القرّاء السبعة يُضيفه. وقال أبو علي: المعنى: يطبع على جملة القلب من المتكبِّر. واختار قراءة الإضافة الزجاج، قال: لأن المتكبِّر هو الإنسان، لا القلب. فإن قيل: لو كانت هذه القراءة أصوب لتقدَّم القلبُ على الكُلُّ؟ فالجواب: أن هذا جائز عند العرب، قال الفراء: تقدُّم هذا وتأخُّره واحد، سمعتُ بعض العرب يقول: هو يرجُّل شعره يومَ كل جمعة، يريد: كلُّ

⁽۱) هذا جزء من حديث الصور الطويل، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ـ عند قوله تعالى: ﴿يَرْمَ يُنكَعُ فِي السُّرِدُ﴾ من سورة [الأنعام: ٢٧] ـ بطوله من رواية الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات، ثم نقل عن الطبراني قوله عقب الحديث: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وتّقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأثمة، كأحمد بن حبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلام، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلما فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قال ابن كثير: قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوء كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأذكر عليه بسبب ذلك، ثم قال ابن كثير: وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم، اهد. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٩٩/٣٥ ـ ٣٤٢ بطوله، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وعلي بن سعيد في كتاب «الطاعة والعصيات» أعلم، اهد. والحديث أورده السيوطي في «المطولات»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي موسى المديني في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العموات»، وأبي العمد والبيغي في «البعث والشور» عن أبي هريرة ﷺ.

يوم جمعة، والمعنى واحد. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: "على قلبٍ كلِّ متكبِّر،" بتقديم القلب. قال المفسرون: فلمّا وعظ المؤمنُ فرعونَ وزجره عن قتل موسى، قال فرعونُ لوزيره: ﴿ يَنهَنكُنُ ٱبْنِ لِي صَرِّمًا﴾ وقد ذكرناه في [القصص: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ لَمَنِ أَبَلُغُ ٱلأَسْبَتِ أَسَبَتِ السَّمَوَتِ فَالَ ابن عباس وقتادة: يعني أبوابها. وقال أبو صالح: طرقها. وقال غيره: المعنى: لعلِّي أبلُغُ الطُّرق من سماء إلى سماء. وقال الزجاج: لعلِّي أبلُغ ما يؤدِّيني إلى السموات. وما بعد هذا مفسَّر في النصص: ١٦٨ (١) إلى قوله: ﴿ وَكُنَاكِ ﴾ أي: ومِثْلُ ما وصفْنا ﴿ وُيِّنَ لِيْزِعُونَ سُوّهُ عَمَلِهِ. وَصُدَّ عن سبيل الهدى. قرأ عاصم، وحمزة والكسائي: ﴿ وصُدً الصاد، والباقون بفتحها، ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ ﴾ في إبطال أيات موسى ﴿ إِلّا فِي بَبَابٍ ﴾ أي: في بطلان وخسران.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ مَامَنَ يَنفُورِ النَّبِعُونِ اَلْمَدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَقَوْرِ إِنْمَا هَذِهِ الْخَيَوْةُ الدُّنِيَا مَنَنعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ فِى مَارُ الْفَكَارِ ۞ مَنْ عَيلَ سَبِيْمَةُ فَلَا يُجْزَئَ إِلَّا مِثْلُهَا ۖ وَمَنْ عَيلَ صَلِيمًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَ وَكُمُو مُؤْمِثُ فَأُولَتِهِكَ يَدْخُلُونَ لَلْمَنَّةُ يُرْفُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞﴾

ثم عاد الكلامُ إلى نصيحة المؤمن لقومه، وهو قوله: ﴿ اَنَّهُونِ آهَدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ أي: طريق الهدى، ﴿ يَقَوْرِ إِنّمَا هَلَامُ الْمَا ثَمْ تنقطع ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ فِى هَذَهُ الدَار مَاع يُتمتَّع بها أياماً ثم تنقطع ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ فِى هَذَهُ الدَار مَاع يُتمتَّع بها أياماً ثم تنقطع ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ فِى هَذَهُ الدَار مَاع يُتمتَّع بها أياماً ثم تنقطع ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ فِى هَذَهُ الدَار مَاع يُتمتِّع بها أياماً ثم تنقطع ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةِ فِى هَذَهُ الدَّرُونِ الْعَمَل المَالِح الْقَرْدُ وَمِثْلُها : العقوبةُ بمقدارها، قاله أبو سليمان الدمشقي. فعلى الأول، العمل الصالح: التوحيد، وعلى الثاني هو [على] الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَتِهِكَ يَدْخُلُونَ لَلِمَنَةَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: اليُدخَلُونَ ۚ بضم الياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسّائي: بالفتح، وعن عاصم كالقراءتين. وفي قوله: ﴿ بِنَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا تَبِعَةَ عليهم فيما يُعْطُون في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه يُصَبُّ عليهم الرَّزق صَبَّا بغير تقتير، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَيَنقَرْمِ مَا لِيَ آَنَتُوكُمْ ﴾ أي: مالكم، كما تقول: مالي أراك حزيناً، معناه: مالك، ومعنى الآية: أخيروني كيف هذه الحال، أدعوكم ﴿ إِلَى النَّبَزَةِ ﴾ من النار بالإيمان، ﴿ وَيَرْعُونَوْ إِلَى النَّارِ ﴾ أي: إلى الشَّرك الذي يوجب النّار؟! ثم فسَّر الدَّعوتَين بما بعد هذا. ومعنى ﴿ لِيَسَ لِي بِدِ عِلْمٌ ﴾ أي: لا أعلم هذا الذي ادَّعَوْه شريكاً له. وقد سبق بيان ما بعد هذا النبرة: ١٢٥، طه: ١٨٦ إلى قوله: ﴿ لِيَسَ لَمُ دَعَوَةً ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ليس له استجابة دعوة، قاله السدي. والثاني: ليس له شفاعة، قاله ابن السائب.

قُوله تعالَى: ﴿وَإَنَّ مَرَدَّنآ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَرْجِعنا؛ والمعنى أنه يجازينا بأعمالنا. وفي المُسْرِفين قولان قد ذكرناهما عند قوله: ﴿مُسْرِقُ كَذَّاتُ﴾ [غانر: ٢٨].

⁽١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعترّه وتعرّده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبنيّ له صوحاً ــ وهو القصر العالي المنيف الشاهق ــ وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿ فَأَوْيَدُ لِي بَهَنَــُنُو مُن اللَّهِبْنِ فَآئِبَكُلْ فِي مَرْيَحًا﴾.

⁽٢) قال ابن كثير: يقول المؤمن لقومه ممن تمرَّد وطفى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿ يَنفَوْرِ الْمَيْوُنِ اَهْدِكُمْ سَكِيلَ الرَّشَاوِ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿ وَمَا آهَدِيكُمْ إِلاَ سَبِلَ الرَّشَاوِ﴾ ثم زهِّدهم في الدنيا التي قد الرّوها على الأخرى وصدتُهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ وَيَقَوْرِ إِنَّنَا عَنْوَ الْكَبَرُةُ اللَّذِيَ النَّيَا مَنَا ﴾ أي: قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب وتضمحل ﴿ وَإِنَّ الْآخِدَةَ فِي كَانُ الْلَمَالِ ﴾ أي: قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب وتضمحل ﴿ وَإِنَّ الْآخِدةَ فِي كَانُ الْلَمَالِ ﴾ أي: اللذار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظمن عنها إلى غيرها، بل، إما نعيم، وإما جحيم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَسَنَذُكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمُّ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني، وأبور جاء: ﴿فَسَنَذَكُرُونَ » بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها؛ وقرأ أبي بن كعب، وأيوب السختياني: بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعاً. أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة؟! ﴿وَأَفَرَضُ أَمْرِيّ إِلَى اللّهِ ﴾ أي: أَرُدُه (١) ، وذلك أنهم تواعدوه لمخالفَتِه دينَهم ﴿إِنَّ اللّهَ بَعِيدٌ إِلَاسِهَادِ ﴾ أي: بأوليائه وأعدائه. ثم خرج المؤمن عنهم، فطلبوه فلم يَقْدِروا عليه، ونجا مع موسى لمَّا عبر البحر، فذلك قوله: ﴿فَوْقَنَهُ اللّهُ سَيِّكَاتِ مَا مَكُرُواً ﴾ أي: ما أرادوا به من الشَّرُ ﴿وَكَانَ إِنَا فِي فِي المورنَ في البحر ﴿سُومُ الْهَنَابِ ﴾ قال المفسِّرون: هو الغرق (١).

قوله تعالى: ﴿النَّادُ يُعْرَشُوكَ عَلَيْهَا عُدُوًّا وَعَشِيبًا ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يُعْرَضُونَ على النار كُلَّ يوم مرَّتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم. وروى ابن جرير قال: حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا حماد بن محمد البلخي قال: سمعت الأوزاعي، وسأله رجل، فقال: رأينا طيورآ¹⁾ تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بِيْضًا، فَوْجاً فَوْجاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشيّ رجع مثلها سُوداً، قال: وفَطَنْتم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن تلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يُعْرَضُونَ على النار غدوّاً وعشيّاً، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سواده، فينبُت عليها من الليل رياش بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو ويعرضون (٥٠)

 ⁽١) قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من أن فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها المقوم _ إذا عاينتم عقاب الله قد حلَّ بكم، ولقيتم
 ما لقيتموه ـ صِدقَ ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار، ثم قال: وقوله: ﴿وَأَلْوَيْنُ ٱتْرِيت إِلَى اللَّهُ ﴾ يقول: وأسلم أمري
 إلى الله وأجعله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي من توكل عليه. اهـ.

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿ رَبَّاقَ يَعَالِي فِرْعَوْنَ سُوّةُ ٱلْمَكَابِ ﴾ وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساة إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿ وَرَقِرَمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْطِلًا مَالَ فِرْعَوْتَ ٱشَدَّ ٱلْمَدَابِ ﴾ أي: أشدًه ألماً، وأعظمه نكالاً.

⁽٣) - قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على مذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُشْرَشُونَ عَلَيْمًا مُثَمُّونًا وَمُشِيًّا ﴾ قال: ولكن هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القير في البزرخ، وقد قال الامام أحمد: ثنا هاشم ــ هو ابن القاسم أبو النضر - ثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - ثنا سعيد - يعني أباء - عن عائشة 🎇 أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة ﷺ إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها البهودية: وقالِ الله عذاب القبر، قالت عائشة ﷺ: فدخل رسول الله ﷺ علميّ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: ﴿ لا ، من زعم ذلك؟؛ قالت: هذه اليهودية لا أصنع معها شيئًا من المعروف إلا قالت: وقالِ الله علماب القبر، قال 遊: اكلبت يهودية، وهم على الله أكلب، لا علماب دون يوم القيامة، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثريه محمرًة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته: «القير كقطع الليل المظلم؛ أيها الناس لو تعلمون ما أهلم بكيتم كثيراً وضعكتم قليلاً، أيها الناس استعيلوا بالله من هذاب القبر، فإن هذاب القبر حق، قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، قال: وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد، ثنا صفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رلحيًّا قالت: سألتُها امرأة يهودية فأعطتُها، فقالت لها: وقالِ الله من علماب القبر، فأنكرت عائشة 🍓 ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ: ﴿لاَ قالت عائشة ﷺ: ثم قال لنا رسول اله ﷺ بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهُ أوحيَ إليّ أنكم تفتنون في قبوركم؟ قال: وهذا أيضاً على شرطهما. قال: فيقال: فعا الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على علماب البرزخ؟ قال: والمجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غُدوّاً وعشيّاً في البرزخ، وليس فيها دلالة على انصال تألّمها بأجسادها في المقبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البزرخ وتألّمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. قال: وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البزرخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذّب المؤمن في قبره بلنب، قال: ومما يدل على ذلك ما رواه الامام أحمد: ثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة 端 أن رسول اله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعرتِ أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَنُ يِهُودُ؛ قالت عائشة ﷺ: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: فأشعرتِ أنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور؟؛ وقالت عائشة 號: فكان رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر، قال: وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد، وحرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به. قال: وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، قال: ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها، فلما أوحي إلى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه، استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. قال: وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رلطي أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشةً رسول الله 霧 عن عذاب القبر، فقال ﷺ: فنعم عذاب القبر حق، قالت عائشة ቈ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر. قال ابن كثير: فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرّر عليه، قال: وفي الأخبار المتقدِّمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، قال: فلعلهما قضيتان، والله سبحانه أعلم، قال: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً .

⁽٤) في الأصل: (طيراً) والتصويب من (الطبري).

على النار غدواً وعشياً، [ثم ترجع إلى وكورها](١)، فذلك دأبها(١) في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله هنا: ﴿ أَدَخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْكَ أَشَدٌ اَلْعَدَابِ ﴾. وقد روى البخاري ومسلم في "الصحيحين" من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله على إن حديث ابن عمر قال: قال السول الله على أحدكم إذ مات عُرِضَ عليه مَقْعَدُه بالغَداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة فمن [أهل](١) البخة، وإن كان من أهل النار فمن [أهل](١) النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة،(١). وهذه الآية تدل على عذاب القبر، لأنه بين ما لهم في الآخرة فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَتُومُ النّاعَةُ أَدْخِلُواْ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، [وأبو عمرو]، وأبو بكر وأبان عن عاصم: "الساعة ادْخُلُوا ، بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف. وقرأ الباقون: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألف.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَكَلَّوُنَ فِي النّارِ ﴾ المعنى: واذكر لقومك يا محمد إذ يختصون، يعني أهل النار، والآية مفسّرة في [سورة] [ابراميم: ٢١]، والذين استكبروا هم القادة. ومعنى ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهآ ﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿ إِنْ اللّهُ قَدْ حَكّمَ الْسَادِ ﴾ أي: قضى هذا علينا وعليكم (٥). ومعنى قول الخَزْنة لهم: ﴿ فَادَعُوا ﴾ أي: نحن لا نَدْعو لكم ﴿ وَمَا دُعَتُوا السَّيْنِي إِلّا فِي صَلَيْكٍ ﴾ أي: إن ذلك يَبْطُل ولا يَتْفَع (١). ﴿ إِنَّا لَنَسُرُ رُسُلَنَا وَالّذِينَ ءَامَنُوا فِي لَلْبَرْقِ الدُّيْكِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك بإثبات حُججهم. والثاني: بإهلاك عدوهم. والثالث: بأن العاقبة تكون لهم. وفصلُ الخطاب: أن نصرهم حاصل لا بد منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من المُلك ما قهوا به كل كافر، وأظهر وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذّبهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذّبهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى يقوم وتارة يكون بالانتقام من مكذّبهم بعد وفاة الرُّسل، كتسليطه بختنصر على قَلَة يحيى بن ذكريا. وأمّا نصرهم يوم يقوم الأشهاد، فإن الله منجيهم من العذاب، وواحد الأشهاد شاهد، كما أن واحد الأصحاب صاحب. وفي الأشهاد فهم الحَفَظة من الملائكة، شهدوا للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب، قاله مجاهد، والسدي. قال مقاتل: وهم الحَفَظة من الملائكة. والثاني: الملائكة والأنبياء، قاله قتادة. والثالث: أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد (٧).

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنْفُهُ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تَنْفُعُ» بالناء، والباقون بالياء؛ لأن المعذرة والاعتذار بمعنى. ﴿ الظَّالِمِينَ مَدْرِثُهُمٌ ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إن اعتذروا ﴿ وَلَهُمُ اللَّمَـنَةُ ﴾ أي: البُعد من الرَّحمة. وقد بيَّنا في الرحد: ٢٥] أن «لهم» بمعنى «عليهم»، و﴿ شُوّهُ الدَّارِ ﴾: النار.

﴿ وَلَقَدْ مَاتَبَنَا مُوَىَ الْهُمَـٰىٰ وَأَوَرُفَنَا بَيْنَ إِسْهُومِيلَ الْكِتَنَبَ ۞ مُمُدًى وَذِكَرَىٰ لِأَوْلِي ٱلْأَلَبَبِ ۞ فَأَصْدِ إِنَ وَعَدَ اللَّهِ حَقُّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْهِكَ وَسَنَتْعْ مِحَمَّدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيقِ وَٱلْإِنْهَكِرِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَدِلُونَ فِي عَالِيتِ ٱللَّهِ بِمَنْدِ سُلَطَنَنٍ ٱنَـٰنَهُمْ إِن فِي

زيادة من اللبخاري، وامسلم،.

 ⁽٢) في الأصل; «دأبهم» والتصويب من «الطبري».

⁽١) زيادة من الطبري،

⁽٤) رواه البخاري ٣/١٩٣، ومسلم ١٩٩٧٤.

 ⁽٥) قال ابن جريو المطبوي ﴿إِنَ اللهُ قَدْ حَكُم بَيْرِ ٱلْهِبِاءِ﴾ يفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم متقلون. أهـ.

⁽٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿زَيَا رُئَدُ الْكَنِينَ إِلَا فِي شَنَارِ﴾ يقول: قد دَعَوًا، وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلّمون. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿زَيَا دُئَةُ الْكَنِينَ إِلّا فِي شَلَالٍ﴾ إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب. اهـ.

 ⁽٧) قال ابن كثير: ﴿وَيُوم يَنُومُ الْأَنْهَادُ﴾ أي: يوم القيامة تكون النفسية أعظم وأكبر وأجل. اهـ.

مُتُكُودِهِمْ إِلَّا كِبَرُّ مَّا لُمُم بِبَلِيْهِ فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ إِبَّهُمْ لَمُو السَّكِيمِ الْمَعِيدُ الْمَالِينِ الْمَنْوَنِ وَالْأَرْمِنِ أَكْبُرُ مِن خَلْقِ النَّالِينِ وَلَكِنَ أَكْبُرُ النَّالِينَ وَلَكِنَ أَكْبُرُ النَّالِينَ فَي الْمَعْمِنُ وَالْمَعِيدُ وَالْمَيْدُ وَالْمَيْنُ وَالْمَعِيدُ وَالْمَيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنَ اللَّيْنِ اللَّيْنَ الْمُولِيلُ الْمُعْلِيلُ اللَّهُ اللَّيْنَ اللَّيْنِ الْمُلْلِيلُ الْمُولِيلُ الْمُؤْلِقُ اللَّيْنِ الْمُلْلِيلُكُمْ اللَّهُ وَلِيلِمُ اللَّهُ وَالْمُولُ اللَّيْنِ الْمُلْلِيلُ الْمُلْلِيلُ الْمُلْلِيلُكُمْ اللَّهُ وَلِيلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللْمُولُولُ اللَّهُ اللَّ

 ⁽١) قال ابن كثير: ﴿قَاشِرٌ﴾ أي: يا محمد ﴿إِنَّ رَمَّدَ اللَّهِ حَتَّى﴾ أي: وعدناك أنا ستُعلي كلمتك ونجعل العاقية لك ولمن اتبعك، والله لا يخلف العيعاد،
 قال: وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك. اهـ.

⁽٣) الجِرْم: بالكسر: الجسد، والجمع أجرام، مثل خِمْل وأحمال. ﴿ ٤) وهو أنها نؤلت في قريش.

⁽٥) قال ابن كثير: هذا من فضله ـ تبارك وتعالى ـ وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفَّل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أخبُّ عباده =

اَلَّذِيكَ يَسْتَكُمُونَ عَنْ عِبَادَقِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: عن توحيدي، والثاني: عن دعائي ومسألتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمُ﴾ (١) قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، وعباس بن الفضل (٢) عن أبي عمرو: اسيُدْخَلُونَ ﴾ [بضم الياء]، والباقون بفتحها. والدّاخر: الصّاغر. وما بعد هذا قد سبق في مواضع متفرقة إيونس: ١٧، القصص: ٧٣، الانمام: ٩٥، النمل: ٦١، الأعراف: ٤٥، ٢٩، العج: ١٥ إلى قوله: ﴿ وَلِنَالُنُولَ أَبُكُرُ شُسَمً ﴾ وهو أجل الحياة إلى الموت ﴿ وَلَمَلَكُمُ مُ تُمْوِلُونَ ﴾ توحيدَ الله وقدرته.

﴿ اللّٰهِ تَكُونَ ﴿ إِلَى اللّٰهِينَ بَعِيْدِلُونَ فِي مَايَتِ اللّٰهِ اللّٰهِ بَعْمَوُنَ ﴿ اللّٰهِينَ حَدَّوا بِالْحَتْلِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَمُسُلَنًا مَسَوَّى اللّٰهِ الْخَلْلُ فِي الْمَعْبُونَ ﴿ فِي الْمَعْبُونَ ﴿ فِي الْمَعْبُونَ ﴿ وَاللّٰهِ اللّٰهِ الْمَعْبُونَ ﴾ أَنْ اللّهُ الْكَفِينَ ﴿ فَيْ اللّهُ الْكَفِينَ ﴾ وَاللّهُ الْكَفِينَ ﴾ وَاللّهُ الْكَفِينَ ﴾ وَاللّهُ اللّهُ الْكَفِينَ ﴾ وَاللّهُ اللّهُ الْكَفِينَ ﴾ وَاللّهُ اللّهُ وَمِمَا اللّهُ اللّهُ وَمِمَا اللّهُ ال

﴿ أَلَمْ تَرَ لِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْتِ اللَّهِ يعني القرآن، يقولون: ليس من عند الله، ﴿ أَنَ يُعَمَوُنَ ﴾ أي: كيف صُرِفوا عن الحق إلى الباطل؟! وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم القدريّة، ذكره جماعة من المفسرين. وكان ابن سيرين يقول: إن لم تكن نزلت في القَدَريَّة فلا أدري فيمن نزلت (" وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: قوالسلاسل يَسحبونَ المفتح اللام والياء. وقال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشدً عليهم.

قوله تعالى: ﴿ يُسْجُرُونَ ﴾ قال مجاهد: توقّد بهم النار فصاروا وقودُها.

قوله تعالى: ﴿أَنِّى مَا كَشُرُ نُشْرِكُونَ ﴾ مفسَّر في الاعراف: ١٩٠]. وفي قوله: ﴿لَمْ نَكُن نَدَّعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئًا ﴾ قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أن الأصنام لم تكن شيئًا، لأنها لم تكن تشر ولا تنفع، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم قالوه على وجه الجحود، قاله أبو سليمان الدمشقي، ﴿كَنْلِكَ ﴾ أي: كما أضلَّ الله هؤلاء يُضِلُّ الكافرين. ﴿ذَلِكُم ﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنُتُر تَقْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ لَلْقِيّ ﴾ أي: بالباطل ﴿وَبِمَا كُنتُم تَتْرَحُونَ ﴾ وقد شرحنا المَرح في إبني إسرائيل: ٢٧]. وما بعد هذا قد تقدَّم بتمامه [النحل: ٢٥، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤] إلى قوله: ﴿وَمَا كُنتُ لِرَسُولُو أَن يَأْتِ عِنه الآيات ﴿فَإِذَا حَامَة أَمْرُ اللّهِ ﴾ وهو قضاؤه بين الأنبياء وأممهم، و﴿ أَلْمُبُولُونَ ﴾ : أصحاب الباطل.

الله مَن سأله فأكثر سُؤاله، ويا من أبغضُ عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب، رواه ابن أبي حاتم، قال: وفي هذا المعنى يقول الشاعر: الله يسخسفسب إن تسركستَ مسؤاله عن المسال يسخسفسبُ ،

⁽١) وروى الامام أحمد في «المسند» ٤/ ٢٧١ عن النعمان بن بشير في قال: قال رسول الله ﷺ: فإن اللحاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿ أَنَّعُونَ آسَتَهِمَ لَكُمْ إِنَّ اللَّهِ عَنْ عِبَائِقَ سَيَدَخُلُونَ جَهَمُّم وَلِمَعْتُم وَلِمُوكِ ﴾ ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. والحديث ذكره السيوطي في «الذر» ٩/ ٣٥٥، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري في «الأدب المفرد» وابن جرير، وابن المغذر، وابن أبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن النمان بن بشير ﷺ.

 ⁽٢) قال ابن الجزري في اطبقات القراءة: العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري، قاضي
 الموصل، أستاذ حاذق ثقة، قال الحافظ أبو العلاء: وكان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة.

 ⁽٣) «الطبري» ٢٤/ ٨٣ من رواية سفيان عن داود بن أبي هند عن محمد بن سيرين.

5 x x 2

قوله تعالى: ﴿ وَلِتَمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي مُدُنرِكُمْ ﴾ أي: حوائجكم في البلاد(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ ءَايَنتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ^{٢١}.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغَنَىٰ عَنْهُم﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها للنفي. والثاني: [أنها] للاستفهام، ذكرهما ابن

قوله تعالى: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْمِلْمِ ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: [أنهم] الأمم المكذَّبة، قاله الجمهور؛ ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلم منهم لن نُبْعَثَ ولن نُحَاسَبَ، قاله مجاهد. والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه عِلْم(؟)، قاله السدي. والقول الثاني: أنهم الرُّسل؛ والمعنى: فرح الرُّسل لمّا هلك المكذُّبون ونَجَوْا بما عندهم من العِلْم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه أبو سليمان وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَمَاقَ بِهِم﴾ يعني بالمكذِّبين العذاب الذي كانوا به يستهزؤون(٥٠). والبأس: العذاب. ومعنى ﴿مُنَّتَ اللَّهِ﴾: أنه سَنَّ هذه السُّنَّة في الأمم، أي: أن إيمانهم لا ينفعُهم إذا رأوا العذاب، ﴿وَخَيسَرَ هُمَالِكَ ٱلْكَفِيْرُونَ﴾. فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان: أحلهما: أن «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إنما بيَّن لهم مُحسِّرانهم عند نزول العدَّاب، قاله الرَّجاج.

⁽١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَلِتَمْنُلُومُ طَيِّهَا حَلَمَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ يقول: ولتبلغوا بالحُمولة على بعضها ـ وذلك الإبل ـ حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشق لأنفس، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَتَغْمِلُ ٱتْشَالَكُمْ إِلَّ بَلَيْرِ لَّمْ تَكُونُواْ بَلِينِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْشِيرُ﴾. اهـ.

⁽٢) قال ابن جرير: يقول: فأي حجج الله التي يريكم أيها الناسِ في السماء والأرض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها توحيد الله وتدعون من دونه

⁽٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الذهر وماذا حلَّ بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال، قال: فما أغنى عنهم ذلك شيئًا، ولا ردُّ عنهم ذرَّة من بأس الله، قال: وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عِليهم، واستغِنُوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

 ⁽٤) الذي في «الطبري» و«ابن كثير» عن السدي: ﴿ فَيَحُوا بِمَا عِندَهُم يْنَ ٱلْمِلْدِ ﴾ بجهالتهم.

قال ابن كثير: ﴿وَمَاكَ بِهِم تَا كَانُواْ يِدِ بَسْتَهْزِيُوك﴾ أي يكذبون ويستبعدون وقوعه. ثم قال في تتمة الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوَا مَاسَنَا﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿ وَالْوَا عَامَنًا بِاللَّهِ وَسَحَدَرًا بِمَا كُنَّا بِهِءِ مُشْرِكِينَ ﴾ أي: وَخُدُوا الله ﷺ، وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات ولا تنفع المعذرة، قال: وهذا كما قال فرعون حين أدرك الغرق: ﴿ مَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا الَّذِينَ عَامَنتُ يِدِ بَنَّوا إِسْرَةٍ بِلَّا إِسْرَةٍ بِلَّا إِسْرَةٍ بِلَّا إِسْرَةٍ بِلَّا إِسْرَةٍ بِلَّا أَشْرَتُكُ بِلَّا أَلْمَتُكُ عَمَيْتُ فَمْـنُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُغْمِدِينَ ﴿ أَي: فلم يقبل الله منه، لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال: ﴿وَاشْدُدُ عَلَىٰ فُلُوبِهِمْ فَلا يُؤيثُوا حَتَىٰ يَرَيْا النَّذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قال: وهكذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَلَتُر بَكُ يَنْقَمُهُمْ إِيكُنُهُمْ لَنَا زَلُوا بُأَنَا ۖ لَئُوا بُأَنَا ۖ لَكُنَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتَ فِي عِبَادِيرًا ﴾ أي؛ هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل، قال: ولهذا جاء في الحديث: اإن الله يقبل ثؤية العبد ما لم يغرغر، أي: فإذا غرغر ويلغت الروح الحنجرة وعاين الملُّك، فلا توبة حينتلِّ، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَبِيرٌ مُمَالِكَ ٱلْكَثِيرُينَ ﴾. اهـ.

سورة السجدة

مكِّيَّة [كُلُّها] بإجماعهم، ويقال لها: سجدة المؤمن، ويقال لها: المصابيح(١)

ينسيد ألمَّو الكُنِّب العَصَدَ

﴿ حَدَ ۞ تَنزِيلٌ مِنَ الزَّمَنِ الرَّحِيدِ ۞ كِنَتُ فَسِلَتْ مَانِتُمُ مُزَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَمْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَلَيْرِكُ فَاغَوْنَ أَخَمُمُ الْحَدُّمُ مُوانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَمْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَلَيْرِكُ وَمِنْ بَنْنِكَ وَيَهِ عَالْوَنَ وَقِ عَالَالِنَا وَقَرُّ وَمِنْ بَنْنِكَ وَيَسْكِنَ وَهَالُوا فَلُولُمَا فِي أَخْدُونَ النَّكُونُ اللَّهُ وَيَدُّ وَاللَّهُ وَيَدُلُ اللَّهُ وَيُعْلَى اللَّهُ وَيُدُّ وَمُعْمَ إِنَّ الْفَيْنَ اللَّهُ وَيَدُّ وَمُعْمَ اللَّهِ وَلَمْ مَنْمُونِ ۞ اللَّينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكُونَ وَمُمْ إِلَاكِ مَنْ مُنْ وَلِي اللَّهُ وَمُعْمَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمُعْمَ اللَّهُ وَمُعْمَ اللَّهُ اللَّهُ وَمُعْمَ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمُعْمَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللْمُؤْمِلُ اللْمُولُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّالِمُولَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

قوله تعالى: ﴿ تَزِيلُ ﴾ قال الفراء: يجوز أن يرتفع التنزيلٌ ؛ ﴿ حَرَ ۞ ﴾، ويجوز أن يرتفع بإضمار اهذا ». وقال الزجاج: التنزيلُ ، مبتدأ، وخبره، ﴿ كِنَتُ مُتِملَتَ ءَايَنتُمُ ﴾، هذا مذهب البصريَّين. و﴿ فُرَّيَانًا ﴾ منصوب على الحال، المعنى: يُبِتَّتُ آياتُه في حال جَمْعِه، ﴿ لِتَوْرِ يَمَلَتُونَ ﴾ أي: لِمَن يَعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَائَرَيْنَ آكَثَرُهُمٌ ﴾ يعني أهل مكة ﴿نَهُمْ لَا يَسْنَمُونَ ﴾ تكبُّراً عنه، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِنَ آكِنَةِ ﴾ أي: في أخطية فلا نفقه قولك. وقد سبق بيان «الأكنَّة» و«الوَقْره في الانمام: ٢٥]. ومعنى الكلام: إنّا في تَرْكِ القبول منك بمنزلة من لا يَسمع ولا يَفهم، ﴿وَمِنْ بَيْنِكَ وَجِمَاتُ ﴾ أي: حاجزٌ في النَّحلة والدِّين. قال الأخفش: و«من» هاهنا للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿ عَالَمَ عَلَى فَيهُ قَوْلَانَ: أَحَدُهُمَا: أَعملُ في إيطال أمرنا إنا عاملون على إيطال أمرك. والثاني: اغمَلُ على دِينكَ إنا عاملون على ديننا. ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَنَرٌ يَتَلَكُرُ ﴾ أي: لولا الوحي لَمَا دعوتُكم. ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ أَي: قَرَّجُهُوا إِلَيْهِ بالطاعة، واستغفِروه من الشرك (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ لَا يُؤَيُّرُنَ الرَّكَوَةَ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والمعنى: لا يطهّرون أنفُسَهم من الشرك بالتوحيد. والثاني: لا يؤمنون بالزكاة ولا يُقِرُّون بها، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد، والربيع، والرابع: لا يتصدُّقون، ولا يُنفِقون في الطاعات، قاله الضحاك، ومقاتل. والخامس: لا يُعطُّون زكاة أموالهم، قال ابن السائب: كانوا يُحجُّون ويعتمرون ولا يزكُون (٣).

⁽١) ويقال لها: نُصَّلَتْ

 ⁽٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ وَنَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذين المشكرين: ﴿ إِنْمَا أَنَا بَشَرٌ يَثَلَكُمْ بِيَحَى إِنَّا أَنَا إِنَهُكُمْ إِنَّهُ وَيَدَّ ﴾ . لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المعترقين، إنما الله إله واحد، ﴿ وَاسْتَغِيرُو ﴾ أي: أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ﴿ وَاسْتَغِيرُو ﴾ أي: لسالف الذنوب، ثم قال: ﴿ وَيَنْ لِيْمَا إِنِينَ ﴾ أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

. قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونِ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَومَيْنِ ﴾ قال ابن عباس: في يوم الأحد والاثنين، وبه قال عبد الله بن سلام، والسدي، والأكثرون. وقال مقاتل: في يوم الثلاثاء والأربعاء. وقد أخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسولُ الله على بيدي، فقال: ﴿ خَلَقَ الله عَلَى التربة يومَ السبت، وخلق الجبال فيها يومَ الأحد، وخلق الشجر فيها يومَ الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يومَ الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يومَ الخميس، وهذا الحديث يخالِف ما تقدّم، وهو أصح (١).

قوله تعالى: ﴿ وَيَحَدَلُ لَهُ اَدَادَاً ﴾ قد شرحناه في [البترة: ٢٢] و﴿ وَلِكَ ﴾ الذي فعل ما ذُكر ﴿ رَبُّ الْمَكْمِينَ ﴾ . ﴿ وَيَحَدَلُ فِيهَا وَلَيْهَا وَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَقِيلِ : البَّرِكَة فيها : أن ينمي فيها الزرع، فتخرج الحبّة حبّات، والنواة نخلة ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقَوْتَهَا ﴾ قال أبو عبيدة : هي جمع قُوت، وهي الأرزاق وما يُحتاج إليه وللمفسرين فني هذا التقدير خمسة أقوال : أحدها : أنه شقّق الأنهار وغرس الأشجار ، قاله ابن عباس ، والثاني : أنه قسم أرزاق العباد والبهائم، قاله الحسن . والثالث : أقواتها من المطر ، قاله مجاهد . والرابع : قدَّر لكل بلدة ما لم يجعله في الأخرى كما أنَّ ثياب اليمن لا تصلح إلا بـ «اليمن» والهرويَّة بـ «هراة» ، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة ، قاله عكرمة ، والضحاك . والخامس : قدَّر البُرَّ لأهل قُطْرٍ ، والتَّمْر لأهل قُطْرٍ ، والذَّرة لأهل قُطْرٍ ، قاله ابن السائب .

قوله تعالى: ﴿ فِي أَرْسَدُ آيَارِ ﴾ أي: في تتمة أربعة أيّام. قال الأخفش: ومثله [أن] تقول: تزوجت أمسِ امرأة، واليوم ثُنتين، وإحداهما التي تزوجتها أمس. قال المفسرون: يعني: الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام.

قوله تعالى: ﴿ سَوَلَهُ قَرأُ أَبُو جَعَفُر: «سوامًا بالرفع، وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: «سوامٍ بالجر، وقرأ الباقون من العشرة بالنصب، قال الزجاج: من قرأ بالخفض، جعل «سوامٍ» من صفة الأيّام؛ فالمعنى: في أربعة أيّام مستوياتٍ تامَّاتٍ؛ ومن نصب، فعلى المصدر؛ فالمعنى: استوت سواءً واستواءً؛ ومن رفع، فعلى معنى: هي سواءً، وفي قوله: ﴿ لِلسَّائِينَ ﴾ وجهان: أحدهما: للسائلين القوت، لأن كُلاً يطلُب القوت ويسألُه، والثاني: لمن يسأل: في كم خُلقت الأرضُ؟ فيقال: خُلقت في أربعة أيّام سواء، لا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿ ثُمُّ أَسْتَوَى إِلَى النَّمْآيَ ﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٩] ﴿ وَهِنَ دُخَانٌ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه لمّا خلق

⁽۱) ولفظ الحديث بتمامه عند مسلم ٢١٤٩/٤: عن أبي هريرة في قال: أخد رسول الله في بيدي فقال: اخلق الله في النربة يوم السبت، وخلق أهم الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم في الجبال يوم الجمعة في أخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل؟. وهذا الحديث من أفراد مسلم كما ذكر المولف رحمه الله، وقد رواه الامام أحمد في «المسند» من حديث أبي هريرة في وكذلك رواه النسائي في «التفسير» وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث في «التفسير»، بعد ما أورده: وهذا الحديث من غرائب "صحيح مسلم» وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وفير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة سمعه من كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي. اهد. والحديث سندة صحيح، وممن صححه الشوكاني في "فتح القدير»، وإنما تكلم عليه بعض العلماء من جهة متنه ورأوا أنه معارض للقرآن، والذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن، فإن القرآن ذكر أن الله تعلق النموات والأرض وحدها في يومين، والحديث بين أن الله خلق ما في الأرض في سبعة إلم، ويحتمل أن تكون هذه الأيام السبة، غير الأيام السبة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض، وحيثل لا تعارض، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، والله تعالى أعلم.

[الماء] أرسل عليه الربح فثار منه دخان فارتفع وسما، فسمّاه سماءً. والثاني: أنه لمّا خلق الأرض أرسل عليها ناراً، فارتفع منها دخان فسما.

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَمَا وَالدُّرْضِ ﴾ قال ابن عباس: قال للسماء: أظهرى شمسكِ وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقِّقي أنهاركِ، وأخْرجي ثمارك، ﴿ طَوِّعًا أَوْ كُرْهَا ۚ قَالَتًا أَنَّينا طَآبِينَ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، وإنما لم يقل: طائعات، لأنهنَّ جَرَيْنَ مجرى ما يَعْقِل ويميِّز، كما قال في النجوم: ﴿وَكُلُّ فِي فَلَكِ يُسْبَحُونَ﴾ [بس: ١٤]، قال: وقد قيل: أتينا نحن ومَنْ فينا طائعين. ﴿فَقَصَٰنُهُنَّ﴾ أي: خلقهن وصنعهنَّ، قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعَلَيْ هِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابِ غِ تُسبَّعُ (١)

معناه: عَمِلَهما وصَنّعهما.

قوله تعالى: ﴿ فِي يُومَينِ ﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن ملام: وهما يوم الخميس ويوم الجمعة. وقال مقاتل: الأحد والاثنين، لأن مذهبه أنها خُلقتْ قبل الأرض. وقد بيَّنا مقدار هذه الأيام في [الاعراف: ٥٤]. ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَّاهِ أَمْرُهَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أوحى ما أراد، وأمر بما شاء، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: خَلَقَ في كل سماء خَلْقَها ءِقالهِ السدى.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَّا السُّمَاةَ الدُّنيَّا﴾ أي: القُرْبَى إلى الأرض ﴿يِنَمَنْبِيحَ﴾ وهي النُّجوم، والمصابيح: السُّرُج، فسمِّي الكوكب مصباحاً، لإضاءته ﴿وَجِنْظَا ﴾ قال الزجاج: معناه: وحفظناها(٢٠) من استماع الشياطين بالكواكب حِفظاً.

﴿ فَإِنَّ أَغْرَضُوا فَقُلْ أَنْدَوْتُكُرْ صَعِقَةً يَشْلَ صَعِقَةٍ عَادِ وَيَشُودَ ۞ إِذْ جَاءَتُهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَنِينِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْنِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهُ عَالُوا لَوْ شَلَة رَبُّنَا لِأَرْلَ مَلْتَهِكُمُهُ فَإِنَّا بِمَا أَرْسِلُمُ بِهِ. كَفِرُونَ ۞ فَأَمَّا عَادٌّ فَاسْتَكَثِّرُا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ لَلْمَقِ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُوَّةً أُولَدَ يَرَوَا أَكَ اللَّهَ الَّذِى مَنْلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْتُمْ قُوَّةً وَكَافُوا بِنَايَتِنَا يَجْمَدُونَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْتِمْ رِيْمًا صَرْمَمَرًا فِي أَيَامِ غَيسَاتٍ لِيُذِيقَهُمْ عَلَابَ لِلْوَزِي فِي الْمَيْئَةِ وَلَمَذَابُ الْأَيْمِرَةِ أَخَرَتَى وَمُمْ لَا يُصَرُّونَ ۞ وَأَمَا تَسُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَأَسْتَحَبُواْ الْعَسَىٰ عَلَى الْمُلَدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَنِعِقَةُ الْمَذَابِ الْمُونِ بِمَا كَانُوا يَكُسِبُونَ ﴿ وَيَجْيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ أَغَرَسُوا ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿ فَقُلْ أَنذَرْنَكُمْ صَعِقَةٌ ﴾ الصاعقة: المُهلِكُ من كل شيء؛ والمعنى: أنذرتكم عذاباً مثلَ عذابهم (٣). وإنما خَصَّ القبيلتين، لأن قريشاً يمُرُّون على قرى القوم في أسفارهم. ﴿إذّ جَاتَةُ تُهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: أتت آباءهم ومَنْ كان قبلهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهُ ﴾ أي: من خلف الآباء، وهم الذين أرسلوا إلى هؤلاء المُهلَكين ﴿أَلَا تَتَبُدُوٓا﴾ أي: بأن لا تعبُدوا ﴿إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَلَة رَبُّنا﴾ أي: لو أراد دعوة الخلْق ﴿لَأَنَّلَ مَلَتِكَةٍ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَكُنُوا ﴾ أي: تكبُّروا عن الإيمان وعَمِلوا بغير الحقِّ. وكان هود قد تهدُّدهم بالعذاب فقالوا: نحن نَقْدِر على دفعه بفضل قوَّتنا. والآيات هاهنا: الحُجج. وفي الرِّيح الصَّرصر أربعة أقوال: أحدها: أنها الباردة، قالِه ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال الفراء: هي الرِّيح الباردة تحرق كالنار، وكذلك قال الزجاج: هي الشديدة البرد جداً؛ فالصُّرصر متكرِّر فيها البرد، كما تقول: أقللتُ الشيء وقلقلتُه، فأقللتُه بمعنى رفعتُه، وقلقلتُه: كرَّرتُ رفعه. والثاني: أنها الشديدةُ السَّموم(٤)، قاله مجاهد. والثالث: الشديدة الصَّوت، قاله السدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. والرابع: الباردة الشديدة، قاله مقاتل (٥).

البيت في «شرح أشعار الهذليين» ٣٩/١، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٧٥، و«غريب القرآن» ٣٨٨، و«مشكل القرآن» ٣٤٢، و«الطبري» ٦٧/٢٢، و«الصحاح» واللسان، والتاج،: قضي.

في الأصل: وحفظناه.

قال ابن كثير: يقول تعالى، قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذِّبين بما جنتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جنتكم به من عند الله تعالى، فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلَّت بالأمم الماضين من المكنِّبين بالمرسلين. اهـ.

السُّموم: الربح الحارّة. (1)

قال ابن كثير: والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ربحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة =

السجلة: ١٩ ـ ٢٥

قوله تعالى: ﴿فِي آيَالِم غَيَسَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «نَحْساتٍ، بإسكان الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرها. قال الزجاج: من كسر الحاء، فواحدُهن «نَحِس»، ومن أسكنها، فواحدُهن «نَحْس»؛ والمعنى: مشؤومات (١) وفي أوَّل هذه الأيّام ثلاثة أقوال: أحدها: غداة يوم الأحد، قاله السدي. والثاني: يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. والثالث: يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام. والخِرْي: الهوان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نَمُودُ فَهَكَيْتَهُمُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بيَّنًا لهم، قاله أبن عباس، وسعيد بن جبير. وقال قتادة: بيَّنًا لهم سبيل الخير والشر. والثاني: دَعَوْناهم، قاله مجاهد. والثالث: دَلَلْناهم على مذهب الخير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْتَعَبُّوا الْمَكَنِ ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿ فَأَخَذَتُهُمْ صَلِيقَةُ الْمَدَابِ الْمُونِ ﴾ أي: ذي الهوان، وهو الذي يُهينُهم (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعَدَاَّهُ اللَّهِ ﴾ وقرأ نافع: ﴿ نَحْشُرُ ۗ بالنون ﴿ أَعداءً ۗ بالنصب.

قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ بُوزَعُونَ ﴾ أي: يُحْبَس أوَّلُهم على آخرهم ليتلاحقوا. ﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَآءُوهَا ﴾ يعني النار التي حُشروا البيها ﴿ شَهِدَ عَلَيْمٍ سَمَهُمْ وَأَبُصَرُهُمْ وَبُهُودُهُم ﴾ وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال: أحدها: الأيدي والأرجل. والثاني: الفروج، رويا عن ابن عباس. والثالث: أنه الجلود نفسها، حكاه الماوردي. وقد أخرج مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: (هل تدرون مِمّ أضحك؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا رب ألم تُجِزني من الظّلم؟ قال: يقول: بلي، قال: فيقول: فإني لا أجيرُ عليّ إلا شهداً مئي، قال: فيقول: كفي بنفشك اليوم عليكَ شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيقول: فيختمُ على فيه، فيقال لأركانه (٣): انْطِقي، قال: فتنطقُ بأعماله، قال: ثمّ يُخلّى بينه وبينَ الكلام، فيقول: بُعْداً لَكُنّ وسُخقاً، فعنكنّ كنتُ أناضًا، (١٠).

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي آَنطَنَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ممّا نطق. وهاهنا تم الكلام. وما بعده ليس من جواب الجلود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ نَسَتَيْرُونَ أَن يَتْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْقُكُو وَلَا أَشَكَرُكُمْ ﴾ روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حليث ابن مسعود قال: كنتُ مستتراً بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفرٍ، قرشيًّ وخَتْناه ثقفيًّان، أو ثقفيٌّ وخَتْناه قرشيًان،

[·] البرد جداً، كقوله تعالى: ﴿بِيعِ صَرْمَمٍ عَلِيَــُو﴾ أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، قال: ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق: •صرصراً؛ لقوة صوت جريه. اهـ.

 ⁽١) وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَيُ لَيَّارٍ غِّسَاتِ﴾ قال: أيام متنابعات أنزل الله فيهن العذاب، قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى
بذلك المشائيم، قال: وقال آخرون: معنى ذلك: أيام ذات شر، وقال آخرون: النحسات: الشداد. ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك
بالصواب قول من قال: عني بها: أيام مشائيم ذات نحوس، لأن ذلك هو المهموف من معنى النحس في كلام العرب. اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير: وقال الثوري: دعوناهم ﴿ قَاسَتَعَبُّوا آلمَكَنَ كُلَ الْمُدَنَى ﴿ أَيْ بَصِّرْناهم، وبيَّنا لهم، ووضحناً لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿ وَأَغْذَتُهُم سَنَهِمَة اللهَ المَدَابِ المُرْيَى ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿ بِينَا كُلُوا يَكْمِيبُونَ ﴾ أي: من التكفيب والجحود ﴿ وَيَهَنِا اللّهِم أَن التَكْلُف وَاللّه على الله الله الله على الله الله على الله الله على الله ع

⁽٣) أي: جوارحه.

⁽٤) أي: أدافع وأجادل. والحديث في اصحيح مسلم؛ ٤/ ٢٢٨٠ عن أنس بن مالك ﷺ، ورواء النسائي وغيره.

كثيرٌ شَخْمُ بُطونهم، قليلٌ فِقْهُ قُلويهم، فتكلَّموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أثرَوْنَ الله يَسْمَعُ كلامَنا هذا؟ فقال الآخران: إنّا إذا رفعنا أصواتنا سَمِعَه، وإن لم نَرفع لم يَسمع، وقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كُلّه، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فانزل الله تعللى: ﴿وَمَا كُنتُر تَسَتَرُونَ أَن يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ مَمْكُرُ ... ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَنَ ٱلْخَيْرِينَ ﴾ (١). ومعنى وستترون، تَسْتَخْفُون وأن يَشهده أي: من أن يشهد عليكم سَمْعُكم لأنكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم، ولا تظنّرن أنها تشهد ﴿وَلَئِكِن ظَنتُكُم أَنَ الله لا يَمْلُم كَثِيرًا مِنّا شَمْلُونَ ﴾ قال ابن عباس: كان الكفار يقولون: إن الله لا يَعلم ما في أنفُسنا، ولكنه يعلم ما يَظهر، ﴿وَثَلِكُم ظَنْكُر ﴾ أي: أن الله لا يَعلم ما تعملون، ﴿آزَدَكُر ﴾ أهلككم (٢). ﴿فَإِن يَسْتَعْيَبُول ﴾ أي: على النّار، فهي مسكنهم، ﴿وَيَلِكُم ظَنْكُر ﴾ أي: أن الله لا يَعلم ما تعملون، ﴿آزَدَكُر ﴾ أهلككم (٢). وَشَانِ بعد إسخاطه إيّاي. واستعتبتُه، أي: طلبتُ منه أن يُغتِب، لأنهم لا يستحقُون ذلك. يقال: أعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إيّاي. واستعتبتُه، أي: طلبتُ منه أن يُغتِب،

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضَنَا لَمُكُمْ قُرُنَآةَ﴾ أي: سببنا لهم قرناء من الشياطين ﴿فَرَيَّتُواْ لَهُمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين أيديهم: من أمر الآخرة أنه لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خُلفَهم: من أمر الدنيا، فزيَّنوا لهم اللذَّات وجمع الأموال وترك الإنفاق في الخير. والثاني: ما بين أيديهم: من أمر الدنيا، وما خلفهم: من أمر الآخرة، على عكس الأول. والثالث: ما بين أيديهم: ما فعلوه، وما خلفهم: ما عزموا على فعله. وباقي الآية [قد] تقدم تفسيره [الإسراء: ١٦، الأعراف: ٢١).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَا شَمْمُواْ لِمِنَنَا الْفُرْمَانِ وَالْغَوَّا فِيهِ لَمَلَكُمُّ تَقْلِبُونَ ۞ فَلَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِينَا وَلَنَجْزِيَّتُهُمْ أَسُواً الَّذِى كَانُواْ يَتَمَلُونَ ۞ ذَلِكَ جَزَلَهُ أَعْدَادُ اللَّهِ النَّالُّ لَمُنْمَ فِيهَا دَارُ الْمُلَلِّ جَزَلَهُا بِمَا كَانُواْ بِمَنْفِئَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَنَرُوا لاَ تَسْمَوا لِكَنَا النَّرْءَانِ﴾ أي: لا تسمعوه ﴿وَالنَوْا نِيهِ﴾ أي: عارضوه باللَّغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة. وكان الكفَّار يوصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم حتى تُلبِّسوا عليهم قولهم. وقال مجاهد: والغَوْا فيه بالمُكاء والصفير والتخليط من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ ﴿لَمَاكُمُ تَفْلِيُونَ﴾ فيسكُتون ...

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ جَزَاتُهُ أَعْدَاهُ اللَّهِ ﴾ يعني العذاب المذكور. وقوله: ﴿ النَّارِ ﴾ بدل من الجزاء ﴿ لَمُمْ فِهَا دَالُ النَّالَةِ ﴾ أي: دار الإقامة. قال الزجاج: النار هي الدّار، ولكنه كما تقول: لك في هذه الدّار دار السُّرور، وأنت تعني الدّار بعينها، قال الشاعر:

يأبي النُّظلامَة منه النَّوْفَالُ الزُّفَارُ (٤)

أخبو رغبائب يبعبطينها ويستألبها

(٤) البيت لأعشى باهلة من مرثبت المفضلة المشهورة يرثي بها أخاء لأمَّه المنتشر بن وهب، ومطلعها:

⁽۱) رواه البخاري ٤٣١،٤٣١/٨ ومسلم عن عبد الله بن مسعود الله ورواه أحمد في المسند، وقم (٣٦١٤) و(٣٨٧) و(٢٥٤) واللفظ له، والترمذي: ٢/ ١٥٧ وقال: حديث حسن، والطبري، ١٠٩/٤٤ والواحدي في النزول، ٢١٣، وأورده السيوطي في اللر، ٣٦٢/٥، وزاد نسبته لسعيد بن مضور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهتي في الأسماء والصفات، عن عبد الله بن مسعود الله.

 ⁽۲) روى مسلم في (صحيحه ٢٢٠٦/٤ عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول اله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: الا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷺ ورواه أخمد في «المسئلة عن جابر بلفظ: «الا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوماً قد أرداهم سوءٌ ظنهم بالله، فقال الله تعالى: ﴿وَرَدْكُمْ لَلْهُ اللَّهِ اللَّهِ عَنْ جَابِر اللَّهُ عَنْ اللَّهِ عَنْ جَابِر اللَّهِ عَنْ جَابِر ﷺ وأورده السيوطي في «الدر» ٥/ ٣٦٢، وزاد نسبته للطبراني، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن ماجه، وابن حان، وابن مردويه عن جابر ﷺ.

حبارة الطبري: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ وإن يسألوا العتبى، وهي الرجعة لهم إلى اللين يحبُّون ﴿فَنَا هُم مِّنَ ٱلنَّمْتَوِينَ﴾ فليسوا بالقوم اللين يُرجَع بهم إلى اللين المؤون ﴿فَنَا هُم مِّنَ ٱلنَّمْتَوِينَ﴾ فليسوا بالقوم اللين يُرجَع بهم إلى اللين المؤون إلى اللين يحبُّون ﴿فَنَا هُم مِّنَ ٱلنَّمْتَوِينَ﴾

قَسَدُ جساة مِسَنُ عَسلُ أَسَبِسَاءٌ أَسَبِّ وَهَسَاء السَّيِّ لا صَحَبَبُ مَسَنَسَهِ الولا مسخر وهي في «الأصمعيات» ٨٩ واحجمهرة أشعار العرب» و ومختارات ابن الشجري»، وقامالي الشريف المرتفى هو وعزانة الأدب، ٨٩/١. والرغائب: العطايا الواسعة، والتَّوفل: الكثير التوافل، أي: العطايا، والرُّقر: السيَّد، لأنه يزدفر بالأموال في الحَمالات مطبقاً لها. وفي «اللسان»: زفر، وقوله: ومنه مؤكّدة للكلام، والمعنى: يأبى الظلامة لأنه التَّوفل الرُّقر، كما في قوله تعالى: ﴿ يَشَفِرُ لَكُمُ مِن دُنُوكُرُ ﴾ والسخر، بفتحتين ويضمتين:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَنَرُوا ﴾ لمّا دخلوا النار ﴿ رَبّنًا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَانا ﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم:

«أزنا» بسكون الراء. قال المفسرون: يعنون إبليس وقابيل، لأنهما سنّا المعصية، ﴿ غَمّلُهُمَا تَحْتَ أَقْلَابِنَا لِيكُونَا بِنَ الشَّفَائِنَ ﴾ أي: في الدَّرُك الأسفل، وهو أشدُّ عذاباً من غيره، ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبّنَا اللّه ﴾ [أي: وحدو،] ﴿ ثُمّ اسْتَقَدَمُوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصّدِّيق، ومجاهد، والثاني: على طاعة الله وأداء فرائضه، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالمية، والسدي (١٠). وروى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصّدِيق، وذلك أن المشركين قالوا: ربّنا الله، والمدي وعزير ابنه، ومحمد ليس بنبيّ، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربّنا الله، والمسبح ابنه، ومحمد ليس بنبيّ، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: بنبا الله وحده، ومحمدٌ عبد ورسولُه، فاستقام (١٠).

قوله تمالى: ﴿ تَكَنَّلُ عُلَيْهِمُ الْمَلَيْكُ أَلَا تَغَالُولُ أَي: بأن لا تخافوا، وفي وقت نزولها عليهم قولان: أحدهما: عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد؛ فعلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: أحدهما: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، قاله مجاهد، والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي. والقول الثاني: تتنزَّل عليهم إذا قاموا من القبور، قاله قتادة؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم يبشرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة (٣).

قوله تعالى: ﴿ غَنْنُ آزلِيكَ آؤَكُمُ ﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم، والمعنى: نحن [الذين] كنّا نتوّلاكم في اللّّنيا، لأن الملائكة تتولّى المؤمنين وتحبُّهم لِما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السماء، ﴿ وَفِي الْآخِرَةَ ﴾ أي: ونحن معكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. وقال السدي: هم الحفظة على ابن آدم، فلذلك قالوا: ﴿ غَنْنُ آزلِيكَ آؤُكُمُ فَي الْحَيَّاقُ الدُّيْنَا وَفِي الْآخِرَةُ ﴾؛ وقيل: هم الملائكة الذين يأتون لقبض الأرواح (١٤).

قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿ نُرُلاَ﴾ قال الزجاج: معناه: أبشروا بالجنة تنزلونها [نُزُلاً]. وقال الأخفش: لكم فيها ما تشتهي أنفسُكم أنزلناه نُزُلاً،

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلًا مِثَنَ دَعَا ۚ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّنِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا شَتَوَى ٱلْمُسَلَمَةُ وَلَا السَّبِيَّةُ ٱدْفَعْ مِالَتِي هِنَ ٱحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَنَهُ كَانَتُمْ وَلِئَ حَمِيتُ ۞ وَمَا يُلَقَّنَهَاۤ إِلَّا اللَّهِنَ صَبَرُهُا وَمَا يُلَقَنَهَاۤ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَإِنَّا بَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطِينِ نَزَعٌ قَاشَتَهِذْ بِاللَّهِ إِنَّامُ هُوَ السَّمِيعُ القَلِيمُ ۞﴾

⁽١) روى مسلم في «صحيح» ١٩٥١ عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: •قل آمنت بالله ثم استقم، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٥/٣٦٣، وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، والبخاوي في «تاريخه»، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

⁽۲) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ۲۱۳ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ تَنَتَرُّلُ كَنَيْهِمُ النَّكَيْكَةُ قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت قاتلين ﴿ أَلَا تَعَانُكُ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: مما تُقدمون عليه من أمز الآخرة ﴿ وَلَا تَعَرَقُكُ على ما خَلْفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دَيْن، فإنا نخلفكم فيه ﴿ وَأَبْتِمُوا بِالمَّنِيِّةُ إِلَىٰ يَعْمَلُونَهُمُ بِلَهُمَاكِ الشر وحصول الخير، قال: وهذا كما جاء في حديث البراء وفيه قال: (إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطبية في الجسد الطيب كنت تعمينه، اخرجي إلي رَوْح وريحان ورب غير غضبان. أهـ.

⁽٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَتَنُ أَرُلِيَا أَكُمْ فِي الْحَيْزَةِ اللَّذِينَ وَفِي الْأَجْرَةِ ﴾ أي: تقول المعلائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم وتوقّعكم وتعقظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونومنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم المعراط العستقيم، وتوصلكم إلى جنات النميم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُمَ النَّهُمُ كُمُ المعراط العستقيم، وتوصلكم إلى جنات النميم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُم النفوس وتقرّ به العيون ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُم اللهِ عَلَى اللهِ مَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُونَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعا ٓ إِلَى اللَّهِ ﴾ فيمن أريد بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤذنون. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نزلت في المؤذِّنين) (١)، وهذا قول عائشة، ومجاهد، وعكرمة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثالث: أنه المؤمن أجابَ الله إلى ما دعاه، ودعا الناسَ إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَلِلِمًا﴾ في إجابته، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿وَعَمِلَ صَلِلُمَا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: صلَّى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومجاهد، وروى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَن دَعا إِلَى أَلْلُو ﴾ قال: الأذان ﴿ وَعَمِلَ مَدْلِمًا ﴾ قال: الصلاة بين الأذان والإقامة. والثاني: أدَّى الفرائض وقام لله بالحقوق، قاله عطاء. والثالث: صام وصلَّى، قاله عكرمة (٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا شَنَّوِى لَلْمَسَنَةُ وَلَا السِّيِّئَةُ ﴾ قال النرجاج: ﴿لا ﴿ زائدة مؤكِّدة ؛ والمعنى: ولا تستوي [الحسنة] والسَّيِّنة. وللمفسرين فيهما ثلاثة أقوال. أحدها: أن الحسنة: الإيمان، والسَّيِّنة: الشِّرك، قاله ابن عباس. والثاني: الحِلْم والفُحْش، قاله الضحاك. والثالث: النُّفور والصَّبر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ أَدْفَعُ بِأَلِّينَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلتَ ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصَّديق القريب. وقال عطاء: هو السَّلام على من تعاديه إذا لَقِيتُه. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقُّنْهَا ﴾ أي: ما يُعْطاها . قال الزجاج: ما يُلَقَّى هذه الفَعْلة : وهي دفع السَّيَّئة بالحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ مَسَرُولًا﴾ على كظم الغيظ ﴿وَمَا يُلَقُّنُهَا ۚ إِلَّا ذُو حَلِّكِ عَظِيمِ﴾ من الخير. وقال السدي: إلّا ذو جَدٍّ. وقال قتادة: الحظُّ العظيم: الجنة؛ فالمعنى: ما يُلقَّاها إلَّا مَنْ وجبت له الجنة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزَّجٌ ﴾ قد فسَّرناه في [الأعراف: ٢٠٠] (٥).

⁽١) الذي في كتب التفسير وأسباب النزول عن عائشة ومجاهد وهكرمة موقوفاً عليهم أن هذه الآية نزلت في المؤذنين، وقد قال السيوطي في «المدر؛ ٥/ ٣٦٤: أخرج ابن أبي شبية، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة ﷺ قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿وَيَنْ أَخَسَتُنْ فَوْلاَ يَمَّن كَمَّا إِلَّ اللَّهِ ﴾. اهـ. ولم نر رواية جابر بن عبد الله التي ذكرها المولف في السرفوع، والله أعلم. وقد قال ابن كثير في فالتفسيرة؛ والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، قال: فأما حال نزول هذه الآية، فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه حبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري 👛 في منامه فقصَّه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلفيّه على بلال 👛 فإنه أندى صوتاً كما هو مقرّر في - ﴿ مُوضِعُهُ. ثُمُّ قَالَ ابن كثير: فالصحيح إذن أنها عامة، كما قال عبد الرزاق عن يعمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿ وَيَنْ أَحْسُنُ فَوَلاً يَسُّن دَمَّا إِلَى أَمُّو رَمَّولَ مَنْلِمًا وَقَالَ إِنِّنِ مِنَ ٱلْمُتَّلِينَ ۞﴾ فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى اله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. اهـ.

وقال الشوكاني في تفسيره فنتح القديره: ويجاب عن هذا بأن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة، والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمم بين دعاه العباد إلى ما شرعه الله، وهمل صالحاً، وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من

وقال الخازن في «تفسيره»: وقيل: إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية، قال: والدعوة إلى الله مراتب، الأولى: دهوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثانية: دهوة العلماء، والثالثة: دهوة المجاهدين في سبيل الله، والرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة، قال: فهم أيضاً دعاة إلى الله تعالى وإلى طاعته.

⁽٢) والصحيح أنها عامة في كل ذلك.

⁽٣) . قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكُ وَيَبْتُمُ عَذَنَةٌ كُلَّتُمْ وَلِيُّ حَبِيبً ﴾ يقول تمالى ذِكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد، من دَفْع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطقته إياك وَيَرَّه لك، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، قال: والحميم: هو القريب. اهـ.

^(\$) قال ابن كثير: ﴿وَمَا لِنَقَنْهَا ۚ إِلَّهَ الَّذِينَ سَبَرُها﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يَشُقُ على النفوس، ﴿وَمَا يُلْتُمْهَا إِلَّا مُنْ حَظِيرِ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السمادة في الدنيا والآخرة، قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعقو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. اهـ.

⁽٥) - قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَرَمَّا يَرْتَفَنَّكُ بِنَ ٱلشَّيْطَيْنِ نَرَثِّجٌ مَّلْسَتَجِلْدَ بِاللَّهِ اللَّهِ اللَّلْمِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلَّالِيلَّالِيلَّالِيلَّاللَّهِ اللَّهِ الللَّ لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلَّطه عليك، فإذا استعلنت بالله والتجأت إليه، كفَّه عنك وردَّ كيده، قال: وقد كان رسول الله 難 إذا 🛾

﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ ٱلْبَتُلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَّرُ لَا شَمْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَهَ الَّذِي وَمُمْ لَا يَتَخَدُوا لِللَّهُ وَالْبَارِ وَمُمْ لَا يَتَخَدُونَ ۖ ﴿ وَمِنْ مَايَنِهِ الْلَهُ تَرَى ٱلْأَرْضَ إِيَّاهُ تَشَبُدُونَ ﴾ فَإِنِ اسْتَكَبُرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكِ يُمُسَيِّجُونَ لَهُ بِالْتِيلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَشْخَدُونَ ۖ ﴿ وَمِنْ مَايَنِهِ الْلَهُ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَشِمَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْلَمَاةَ الْمَثَرَّقُ وَرَبَتُ إِنَّ الَّذِينَ أَمْرِاهُ الْمُعْيِ المُوزَقُ إِنَّهُ عَلَى كُلُّ جَنْءٍ فَيدُرُ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ اَسْتَكُبُكُ ﴾ [أي: تكبّروا عن التوحيد والعبادة] ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني الملائكة ﴿ يُسَيّبِحُونَ ﴾ أي: يصلُّون. وليَسامُون المعنى يَمَلُون. وفي موضع السجدة قولان: أحدهما: أنه عند قوله: ﴿ يَسامُون الله ابن عباس، ومسروق، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى، لأنه تمام الكلام. والثاني: [أنه] عند قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيّاهُ مَمْدُون ﴾ (١)، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن ﴿ أَنَهُ مِن الله عبد الله والحسن، وأبي عبد الرحمن ﴿ أَنْهُ الله وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَالْعَلَٰمُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَالْعَلَٰمُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَالْعَلْمُ وَاللّٰهُ وَاللَّهُ وَاللّٰهُ وَلّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللَّالْمُ وَاللّٰهُ وَال

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ مَايَنِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلأَرْضَ خَشِمَةً ﴾ قال قتادة: غبراء متهشّمة. قال الأزهري: إذا يَبِست الأرضُ ولم تُمْطَر، قيل: خَشَعَتْ.

قوله تمالى: ﴿ أَهَرَّتُهُ أَي: تحرَّكَتْ بِالنَّبِاتُ ﴿ وَرَبَّتُهُ أَي: عَلَتْ، لأنْ النبت إذا أراد أن يَظْهَرُ ارتفعت له الأرضُ؛ وقد سبق بيان هذا العج: ٥]. من من المنافقة المن المنافقة العجادة على المنافقة العجادة على المنافقة العجادة العجادة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَائِنِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۚ أَفَنَ بُلْقَنِ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَّن يَأْقِي ءَلِمِنَا بَرْمَ الْفِينَدَةُ اعْمَلُواْ مَا شِنْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَشْمَلُونَ بَصِيدُ ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا بِاللِّكِرِ لَمَّا جَاءَهُمُ مَّ وَإِنَّهُ لَكِنْنَكُ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْلِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِيْهِ. تَنزِيلٌ قِنْ حَكِيمٍ حَمِيْدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يُلْمِدُونَ فِي مَايَتِنا﴾ قال مقاتل: نزلت في أبي جهل (٢). وقد شرحنا معنى الإلحاد في االنحل: المعالى: وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه وَضْع الكلام على غير موضعه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه المُكاء والصفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد. والثالث: أنه التكذيب بالآيات، قاله قتادة. والرابع: أنه المُعانَدة، قاله السدي. والخامس: أنه المَيْل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَرُنَ عَلَيْنَاكُهُ هذا وَعَيدُ بالجزاء ﴿أَفَنَ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ لَمْ مَن يَأْنِ عَامِنَا يَوْمَ الْفِينَدَيْهُ وَهذا عامَ. غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريدَ به سُبعة أقوال: أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصّديق، رواه الضحاك عن أبن عباس^(٣). والثاني: أبو جهل وعمّار بن باسر، قاله عكرمة^(١). والثالث: أبو جهل ورسول الله ﷺ، قاله ابن السائب،

قام إلى الصلاة يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفخه»، قال: وقد قدمنا أن هذا المعقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿ يُنْ النَّيْقُ زَلْمُمْ بِالنَّهُو رَامُونَ مَن الْمُهَالِينَ ﴾ وَلَمَّا يَرْفَلُكَ مِنَ الشَّيْطَيْنِ اللَّهُو يَلُمُ مِلْكُولِ مَا مُرَّتِ اللَّهُو يَالَمُونُ مِنَ اللَّهُولِ مَا مُرَّتِ اللَّهُ مَلِيدًا فِي مَدْرَتِ الشَّيْطِينِ ﴾ وَلَمُودُ بِلَّكُ مِنْ أَنْتُمَ يَالُولُ مِن الشَّيّئَةُ مَنْ أَنْتُمْ بِمَا يَسِفُونَ ﴾ وَلَمُ رَبِّ أَعُودُ بِلَّهُ مِنْ مَدْرَتِ الشَّبَطِينِ ﴾ وَلَمُودُ بِلَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

⁽۱) يريد بذلك الآية التي قبل يُوله: ﴿ فَإِنْ النَّجُهُمُّا ... ﴾ الآية، وهي قوله تمالى: ﴿ وَيَنْ عَالِيَتُو الْكِلُّ وَالنّمَالُو وَالنّمَسُولُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَالِيَّ وَالْمَعْرُ وَالْمُوالُومُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُومُ وَالْمُوالُومُ وَالْمُوالُومُ وَالْمُعْرُومُ وَالْمُعْرُولُ وَالْمُعْرُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُومُ وَلِي الْمُعْرِقُ وَالْمُومُ وَلِمُ الْمُعْرِفُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُعْمُ وَالْمُعْلِقُومُ وَلَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُعْمُومُ وَالْمُعْرُومُ وَلَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُومُ وَالْمُولُومُ وَلِلْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْ

⁽۲) ذكر ذلك البغوي عن مقاتل بدون سند.

 ⁽٣) قال السيوطي في «الدر» ٥/٣٦٦ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في في قوله: ﴿ أَفَنَ يُلْقَنَ فِي النَّارِ خَيْرٌ ﴾ قال: أبو جهل بن هشام، ﴿ أَمْ مَن يَأْتِ مَارِنَا
يَرُمُ ٱلْفِئِكَيُّ ﴾ قال: أبو بكر الصديق في.

⁽٤) قال السيوطي في «الدر» ٣٦٦/٥ أخرج ابن عساكر عن عكرمة ﷺ في قوله: ﴿ أَفَنَ يُلْقِنَ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَ ءَالِمَنَا يَوْمَ الْفِيدَانِ ۚ وَلَٰتَ فِي عمار بن ياسر وأبي جهل.

ومقاتل. والرابع: أبو جهل وعثمان بن عقّان، حكاه الثعلبي. والخامس: أبو جهل وحمزة، حكاه الواحدي. والسادس: أبو جهل وعمر بن الخطاب. والسابع: الكافر والمؤمن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الوعيد والتهديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُا بِالذَّكِرِ ﴾ يعني القرآن؛ ثم أخذ في وصف الذِّكر؛ وتَرَكَ جواب اإنَّ، وفي جوابها هاهنا قولان: [أحدهما]: أنه ﴿أُولَتِكَ يُنَادَوْكَ مِن مَّكَانٍ بَمِيدٍ﴾، ذكره الفراء. والثاني: أنه متروك، وفي تقديره قولان: أحدهما: إن اللين كفروا بالذَّكْر لمَّا جاءهم كفروا به. والثاني: إن الذين كفروا يجازُون بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنَابُ عَزِيرٌ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مَنيعٌ من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً، قاله السدي. والثاني: كريمٌ على الله، قاله ابن السائب. والثالث: مَنيعٌ من الباطل، قاله مقاتل. والرابع: يمتنع على الناس أن يقولوا مِثْلَه، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لاّ يَأْنِهِ ٱلْبَطِلُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: التكذيب، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشيطان. والثالث: التبديل، رويا عن مجاهد. قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقّاً، ولا يَزيد فيه باطلاً. وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيّهِ وَلا مِنْ خَلْفِيّهُ للائة أقوال: أحدها: بين يَدَي تنزيله، وبعد نزوله. والثاني: أنه ليس قبّلُه كتاب يُبْطِله، ولا يأتي بعده كتاب يُبْطِله. والثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عمّا تقدّم، ولا في إخباره عمّا تقدّم،

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا فَدْ فِيلَ لِلرَّسُلِ مِن مَبْلِكُ إِنَّ رَبَّكَ لَدُو مَغْفِرَةِ وَذُو عِقَابٍ أَلِيدٍ ۞ وَلَوْ جَمَلَتُهُ قُرْمَانًا أَغَيِبًا لَقَالُواْ لَوْلَا فُشِلَتْ مَائِنَكُمْ مَاغِمِينٌ وَعَرَفَقُ فُلْ هُوَ لِلَّذِينَ مَامَنُواْ هُدُمَ وَشِفَكَانًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِى مَاذَانِهِمْ وَفَرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَئِهِكَ يُنَادُونَ مِن شَكَانِ بَدِيدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا تَدُ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قد قيل فيمن أُرْسِلَ قَبْلَكَ: ساحر وكاهن ومجنون، وكُذَّبوا كما كُذَّبت، هذا قول الحسن، وقتادة، والجمهور. والثاني: ما تُخبَر إلّا بما أُخبِر الأنبياءُ قَبْلُك من أن الله غفور، وأنه ذو عقاب، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَمَلْتُهُ يعني الكتاب الذي أُنزلَ عليه ﴿ قُرُمَانًا أَغَيّا ﴾ أي: بغير لغة العرب ﴿ لَمَالُولُ لَوْلا نُعِيلَتُ اين تُعبر ونافع، وأبو عمره، وابن عمر، وحفص عن عاصم: «آعجمي» [بهمزة] ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أعجمي» بهمزتين، والمعنى: أكِتابٌ أعجميٌ ونبيٌ عربي؟! وهذا استفهام إنكار؛ أي: لو كان كذلك لكان أشدٌ لتكذيبهم. ﴿ قُلْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ لِلَّذِينَ السَّمُ اللهُ كُولُ والأوجاع. و «الرّقُر»: الصَّمم؛ فهم في ترك القبول بمنزلة مَنْ في أذنه صمم. ﴿ وَهُو عَلَيْهِ مَعَيّ ﴾ أي: ذو عمى. قال قتادة: صَمُّوا عن القرآن وعَمُوا عنه ﴿ أَوْلَتِهِكَ بُنَادَوْنَ مِن بعيد.

﴿ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْتَ فَآخَتُهِ فَ فِيهُ وَلَوْلا كَلِيْمَةٌ سَبَقَتْ مِن زَيِكَ لَقُضِى بَيْنَهُمُّ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَلِي مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ مَّنْ عَلِلْ مَلِكَ اللّهِ عِللّهِ لِللّهِ لِللّهِ لِللّهِ عَلِيلًا مُلِكًا وَمَا رَبُّكَ بِطَلّمِ لِلْنَهِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدَ مَانَيْنَا مُرَى الْكِنْبَ ﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ؛ والمعنى: كما آمن بكتابك قومٌ وكذَّب به قومٌ، فكذلك كتاب موسى، ﴿ وَلَوْلَا حَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ ﴾ في تأخير العذاب إلى أجل مسمَّى وهو القيامة ﴿ لَقَيْنَى بَبُنَّهُم ﴾ بالعذاب الواقع بالمكذَّبين ﴿ وَإِنَّهُم لَنِي شَكِ ﴾ من صِدقك وكتابك، ﴿ مُربي ﴾ أي: مُوقع لهم الرُّبة.

﴿ إِلَيْهِ بُرَدُ عِلْمُ السَّاعَةُ وَمَا غَنْجُ مِن ثَمَرَتِ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَبَنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاً مَاذَنَّكَ مَا مِنْنَا مِن شَهِيدِ ۞ وَصَلَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن فَبَلُّ وَظُنُواْ مَا لَهُمْ مِن تَجِيمِن ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِلَّذِهُ يُرَّدُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ: أُخْبِرنا عن السّاعة إن كنتَ رسولاً كما

تزعم، قاله مقاتل^(۱). ومعنى الآية: لا يَعْلَم قيامَها إلّا هو، فإذا سُئل عنها فعِلْمُها مردودٌ إليه. ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثمرةٍ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿من ثمرةٍ ﴾. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿من ثمراتٍ على الجمع ﴿فِينَ أَكْمَامِهَ ﴾ أي: أوعيتها. قال ابن قتيبة: أي: من المواضع التي كانت فيها مستترةً ، وغلاف كل شيء ؛ كُمَّه، وإنما قيل: كُمُّ القعيص، من هذا. قال الزجاج: الأكمام: ما غَطَّى (۱) ، وكلُّ شجرة تُخْرِج ما هو مُكمَّم فهي ذات أكمام، وأكمامُ النخلة: ما غطّى جُمَّارها من السَّعفِ والليف والجِنْع، وكلُّ ما أخرجتُه النخلة فهو ذو أكمام، فالطَّلْمة كُمُها قشرها، ومن هذا قيل للقَلْنُسُوة: كُمَّة، لأنها تُغطِّي الرأس، ومن هذا كُمّا القميص، لأنهما ينطِّيان البدين (۲) .

قوله تعالى: ﴿وَيَرْمَ يُنَادِيهِم﴾ أي: ينادي الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كنتم تزعُمون ﴿قَالُوا مَاذَنَك﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أعلمناك، وقال مقاتل: أسمعناك ﴿مَا مِنّا مِن شَهِيلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من قو، المشركين؛ والمعنى: ما مِنّا مِنْ شهيد بأنَّ لكَ شريكاً، فيتبرَّؤون يومثلُ مِنّا كانوا يقولون، هذا قول مقاتل. والثاني. [أنه] من قول الآلهة التي كانت تُعبد؛ والمعنى: ما مِنّا من شهيد لهم بما قالوا، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ وَصَلَ عَنْهُم ﴾ أي: بُطل عنهم في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ ﴾ أي: يعبُدون في الدنيا، ﴿ وَطَنُوا ﴾ أي: أيقنوا ﴿مَا لَمُهُم مِن تَجِيعِن ﴾ وقد شرحنا المنحيص في سورة النساه: ١٢١].

﴿ لَا يَسْتَمُ ٱلْإِنسَانُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَدِّرِ وَإِن مَسَّمُ ٱللَّمُرُ مَنِتُوسٌ مَنُولٌ ۞ وَلَهِنَ ٱذَفْنَهُ رَحْمَةٌ مِنَّا مِنْ بَقِدِ ضَرَّاتَ مَسَّمَّةُ لَيْقُولَنَّ هَانَا لِى وَمَا ٱلْمُنْ اللَّيْنَ اللَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنْدِيقَنَّهُم مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَإِنَّا ٱلْمَنْ عَلَى اللَّهِ مَنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَإِنَّا ٱلْمَنْ عَلَى اللَّهِ مُنَّ اللَّهِ مُنَّ اللَّهِ مُنَ الْمَنْ عَلَى إِلَى مِنْ عَلَى إِلَيْهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ مُنَّ اللَّهِ مُنَّ اللَّهِ مُنَ اللَّهُ مُنَا عَلَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُنَ اللَّهُ مُنْ فِي شِقَاقِ بَصِيدٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسَنَمُ ٱلْإِنسَانُ﴾ قال المفسرون: المراد به الكافر؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافرُ ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: من دعائه بالخير، وهو المال والعافية. ﴿وَإِن مَسَّهُ ٱلنَّرُّ﴾ وهو الفقر والشَّدة؛ والمعنى: إذا اختُبر بذلك يئس من رَوْح الله، وقَنظ من رحمته. وقال أبو عبيدة: اليؤوس، فَعُول من يأس^(٤)، والقَنُوط، فَعُول من قَنَط.

قوله تعالى: ﴿ وَلَينَ أَذَقَنَهُ رَحَمَةً يَنّا ﴾ أي: خيراً وعافية وغِنى، ﴿ لَيَقُولَنَ هَذَا لِى ﴾ أي: هذا واجب لي بعملي وأنا محقوق به، ثم يشُكُ في البعث فيقول: ﴿ وَمَا أَظُنُ السَّاعَةَ فَآيِمَةً ﴾ أي: لستُ على يقين من البعث ﴿ وَلَين تُعِمّتُ إِلَى رَتِ إِلَى عِندَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ يعني الجنة، أي: كما أعطاني في اللنيا يعطيني في الآخرة ﴿ فَلَكَيْبَانَ اللَّينَ كَفُرُوا ﴾ أي: لَنخبِرنَّهم بمساوئ أعمالهم، وما بعده قد سبق [إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٢٨] إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَنَا يِجَانِيهِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: اونأى، مثل انعى، وقرأ ابن عامر: اوناء، مفتوحة النون ممدودة والهمزة بعد الألف. وقرأ حمزة: النبى مكسورة النون والهمزة أن ﴿ وَنَنَا عِنهِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَال

⁽١) قال الشوكاني في فنتع القديرة: وقد روي أن المشركين قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فخيرنا متى تقوم الساعة! فنزلت. وقد تقدم في سورة [الأعراف: ١٨٧] عند قوله تعالى: ﴿يَتَكُونَهُ مَنِ النَّامِقِ أَنَّى مُرْسَعَةً قُلْ إِنَّا عِلْهَا عِندَ رَبِّ لَا يَجْبَيَا لِوَقِياً إِلَّا هُرُ ﴾ قولان في سبب نزولها: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت، وقد قال ابن جرير قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت، وقد قال ابن جرير الطبري هناك: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة؛ فأنزا، الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكون كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجزز قطع القول على أي ذلك كان. ١٨.

⁽٢) عبارة «اللسان»: وقال الزجاج في قوله: «ذات الأكمام» قال: عنى بالأكمام ما غللى...

⁽٣) في الأصل: اليد، والتصويب من «اللسان».

⁽٤) في همجاز القرآنه: «يؤوس» فعول من يشست؛ وفي «اللسان»: قال سيبويه: يَئِسَ يَيْأَسَ ويأْسَ يَئِيْسُ لغتان ثم يركّب منهما لغة.

⁽٥) سَبَق ذكره القراءات في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَنْسَنَا عَلَّ الْإِنْكِ أَمَّهُمْ رَبَّنَا بِمُنْدِيِّهِ في سورة [الإسراء: ٨٣].

جرير: معنى الآية: [ثُمًّ] كِفرتم به، ألستُم في شقاقٍ للحق ويُعد عن الصواب؟! فنجعل مكان هذا باقي الآية.

﴿ سَذُيهِمْ ءَايَتِنَا ۚ فِى ٱلْاَفَاقِ وَفِى ٱلنَّسِمِمُ حَنَّى يَبَبَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُفِ مِرَيِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِي مَنَىٰو شَهِيدُ ۞ ٱلَّا إِنَّهُ بِكُلِي شَقَو شِّهِيدُ ۞﴾ إِنَّهُمْ فِ مِرْيَةِ مِن لِنَآةِ رَبِهِدُ ٱلاَ إِنَّهُ بِكُلِي شَقَو شِّهِيطُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِ مَ اللّهِ عَلَى الْآفَاقِ وَفِى آننُومِ مَ فِيه خمسة أقوال: أحلها: في الآفاق: فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم: فتح مكة، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنها في الآفاق: وقائع الله في الأمم الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدر، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: أنها في الآفاق: إمساك القَطْر عن الأرضى كلّها، وفي أنفسهم: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج. والرابع: أنها في الآفاق: آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادث الأرض، قاله ابن زيد. وحكي عن ابن زيد أن التي في أنفسهم: سبيل الغائط والبول، فإن الإنسان يأكل وبشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين. والخامس: أنها في الآفاق: آثار مَنْ مضى قَبْلَهم من المكذّبين، وفي أنفسهم: كونهم خُولِقوا نُطَفاً ثم عَلْقاً ثم مُضَعاً ثم عظاماً إلى أن نُقِلوا إلى العقل والتمييز، قاله الزجاج (١٠).

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَنَبَّنَ لَهُمْ أَنَهُ الْحَيُّ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسول. وقال ابن جرير: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا على محمد وأوحينا إليه من الوعد له بأنّا مُظْهرو دينه على الأديان كلِّها. ﴿ أَوَلَمْ يَكُفِ مِرَيِكَ أَنَتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدُ ﴾ أي: أوَلَمْ يكفِ به أنه شاهدٌ على كل شيء؟! قال الزجاج: المعنى: أوَلَمْ يكفِهم شهادةُ ربَّك؟! ومعنى الكَفاية هاهنا: أنه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية في الدّلالة على توحيده وتثبيت رسله (٢٠).

⁽۱) قال ابن كثير: ﴿ سَرْبِهِمْ مَانِيْنَا فِي الْآفَانِ وَلِى اَلْشَهِمْ ﴾ أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بلائل خارجية في الأفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلَّت بهم، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدَّال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجول عليه من الأخلاق العتباينة من حسن وقيح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وخذره أن يجوزها ولا يتعدَّاها. اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير في تتمة الآية: وقوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَهُمْ فِي مِرْكَةِ يَن لِيَدَالِ وَيَهِمُ أَي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يعملون منه، بل هو عندهم هدر لا يعبؤون به، وهو كائن لا محالة، وواقع لا ريب في، قال: ثم قال تعالى مقرراً أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿أَلاَ إِنْهُ بِكُمْ تُحْرِ غِيطُكُ أَي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طيً علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو. اهـ.

سورة حمّ عَسَقَ

واسمها سُورة الشُّورى

وهي مكِّيَّة، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة قالا: إلّا أربع آيات نزلن بالمدينة، أوَّلُها: ﴿قُلُ لاَ أَسْتُلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال مقاتل: فيها من المدنيّ قوله: ﴿وَلِكَ اللّذِي يُبَيِّرُ اللّهُ عِبَادَهُ اللّذِينَ مَاسُوا﴾ [الشورى: ٢٣] إلى قوله: ﴿وَلِكَ الشّدُوبِ﴾ [الشورى: ٢٤] وقوله: ﴿وَاللّذِينَ إِنّا لَهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلِهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلِهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ وَلّهُ الللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ الللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ الللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ الللّهُ اللّهُ وَلّهُ الللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُولُولُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ ال

ينسب ألَّهِ النَّانِ الْعَيْبِ الْعَيْبِ

﴿حَدَ ۞ عَسَقَ ۞ كَذَلِكَ يُوحِنَ إِيَّكَ وَإِلَ الَّذِينَ مِن قَبِكَ اللّهُ الْمَزِيزُ الْمَكِيدُ ۞ لَمُ مَا فِى السَّمَوْتِ وَمَا فِى الأَرْضُّ وَهُوَ الْكِلُّ الْمَظِيمُ ۞ ثَكَادُ السَّمَوْتُ يَتَغَطَّرَكَ مِن فَرْفِهِ أَنْ وَالْمَلْتِهِكُمُ يُسْتَجُونَ هِمَندِ رَبِّمَ الرَّحِيمُ ۞ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۥ أَوْلِيَّةَ اللّهُ حَفِيظً عَتَيْهِمَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيــلِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ حَدّ ١٩ قد سبق تفسيره [المؤمن].

قوله تعالى: ﴿عَسَنَ ﴿ عُ فَهِ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قَسَمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه حروف من أسماء؛ ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أن العين عِلْم الله، والسين سناؤه، والقاف قُدرته، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أن العين فيها عذاب، والسين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحاء من حرب، والميم من تحويل مُلك، والعين من عدو مقهور، والسين استثمال بسِنينَ كسِنتي يوسف، والقاف من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين من قُدرة من عبير. والخامس: أن العين من العزيز، والسين من الماد، والقاف من قاهر، قاله السدي. والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة (١١).

قوله تعالى: ﴿ كُنْكِكَ يُومِى إِنْكَ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه كما أوحيتُ الحَمَّم عَسَقَ الى كلِّ نبيّ ، كذلك نوحيها إليك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك نوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلُكَ ، وواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحمّ عَسَقَ ازلت في أمر العذاب، فقيل: كذلك نُوحِي إليكَ أن العذاب نازلٌ بمن كذّبك كما أوحينا ذلك إلى مَنْ كان قَبْلُكَ ، قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: هكذا نوحي إليكَ ، قاله ابن جرير. وقرأ ابن كثير: الله وروى أبان عن عاصم: انوحي ابالنون وكسر الحاء. ﴿ تُكَادُ السَّكُونُ يَتَنَظِّرُنَ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة: اتكاد ، بالتاء اليَقظُونَ ابياء وتاء مفتوحة وقتح الطاء وتشديدها. وقرأ نافع، والكماتي: ايكاد ، بالياء اليَتَفَظُّرْنَ مثل قراءة ابن كثير. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: الكاء بالتاء اليَفْظِرْنَ ، بالنون وكسر الطاء وتخفيفها، أي: يَتَشَقَّقُنَ ﴿ مِن فَرْقِهِنَ ﴾ أي: من فوق الأرضين من عاصم: التكاد ، بالتاء المؤمنين أبلنون وكسر الطاء وتخفيفها، أي: يَتَشَقَّقُنَ ﴿ مِن فَرْقِهِنَ ﴾ أي: من فوق الأرضين من عظمة الرحمن؛ وقيل: من قول المشركين: ﴿ أَنْجَكُ أَلله وَلَانَ عَمّا لا يجوز في صفته، ﴿ وَلَلْكَيْكُمُ لَيْنَ فِي الأَرْضِ ﴾ فيه قولان المؤمنين، قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلمًا ابتُلَيْ هاروت قولان: أحدهما: أنه أراد المؤمنين، قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلمًا ابتُلَيْ هاروت

⁽١) - قال الشوكاني في تفسيره فنتح القديرة: واختلفوا في ﴿حَدَ ۞ عَسَقَ﴾ فقيل: صعاها: حُمَّ، أي: قضي، وقيل: إن •ح، حلمه، وهم، مجده، وهع، علمه، وانس، سناه، وفق، قدرته، أقسم الله بها، وقيل غير ذلك منها هو متكلَّف متعسَّف لم يدل عليه دليل، ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، قال: وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك ما لا أصل له. اهـ. وقد تقدم الكلام على أوائل الحروف في (العنكبوت) وغيرها بما فيه كفاية.

وماروت استغفروا لِمَن في الأرض. ومعنى استغفارهم: سؤالهم الرَّزق لهم، قاله ابن السائب. وقد زعم قوم منهم مقاتل أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ وَيَسْتَغْفُرُونَ لِلنَّيِنَ مَامَنُواً ﴾ [غانر: ٧]، وليس بشيء، لأنهم إنَّما يَستغفرون للمؤمنين دون الكفار، فلفظ هذه الآية عام، ومعناها خاص، ويدل على التخصيص قوله: ﴿ وَيَسْتَغْفُرُونَ لِلَّذِينَ مَامَنُواً ﴾ [غانر: ٧]، لأن الكافر لا يستحق أن يُستغفر له.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ الْتَفَدُولَ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاتَهُ يعني كفار مكة اتَّخَذُوا آلهة فعبدوها من دونه؛ ﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: حافِظٌ لأعمالهم ليجازيهم بها ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ ﴾ أي: لم نوكُّلْكَ بهم فتؤخّذَ بهم. وهذه الآية عند جمهور المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا يصح.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْجَنَا ۚ إِلِنَكَ قُرْمَانًا عَرَبًا لِتُشَارَ أَمُّ الشَّرَىٰ وَمَنْ حَوْلَمًا وَلَنَذِرَ بَوْمَ الْمُسْتِعِ لَا رَبِّبَ فِيذً فَرِيقٌ فِى الْمُسْتِدِ ۞ أَمِ الْمُسْتَذُوا مِن دُونِيهِ أَوْلِيَّةً فَاللّهُ وَلَا شَعِيدٍ ۞ أَمِ الْخَذُوا مِن دُونِيهِ أَوْلِيَّةً فَاللّهُ مُلّمَ فِينَ وَلِيْ وَلَا ضَمِيدٍ ۞ أَمِ الْخَذُوا مِن دُونِيهِ أَوْلِيَّةً فَاللّهُ مُلْكِ وَهُو يَشِي أَلَهُ وَمُو يَشِي أَلُونَ وَهُو مَلْنِ كُلّ مَنْهُ مَلِيدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكُذِرَ ثِنَ لَلْمَتِهِ أَي: ومثل ما ذكرنا ﴿ أَوْتَمِنَا ۚ إِلَكَ قُرْتَانا عَرَبِيّا ﴾ ليفهموا ما فيه ﴿ لِلْذِرَ أَمَّ الْقُرَيٰ ﴾ يعني مكة، والمراد: أهلها (١٠) ﴿ وَنُذِرَ ثِنَ لَلْمَتِهِ أَي: وتنذرهم يوم الجمع، وهو يوم القيامة، يَجمع الله فيه الأوَّلِين والآخِرين، وأهل السموات والأرضين ﴿ لَا رَبِّ يَبِيهُ أَي: لا شكَّ في هذا الجمع أنه كائن، ثم بعد الجمع يتفرَّون، وهو قوله: ﴿ فَإِنَّ فِي اللَّبِيرِ ﴾. ثم ذكر سبب افتراقهم فقال: ﴿ وَلَوْ شَاةَ اللهُ لَمَسَلَهُمْ أَنَةٌ وَبِيدَةً ﴾ أي: على دين واحد، كولين اللهنام، على الانام، وها أوليكن يُدْخِلُ مَن بَنَاهُ في رَحْمَيْهُ أَي: في دينه ﴿ وَالظّيامِنَ ﴾ وهم الكافرون ﴿ مَا لَكُونُ وَلَمْ مِن وَلِيْ يَعْدَوْا مِن دُونِيهِ ﴾ أي: بل اتخذ الكافرون من دون الله ﴿ وَلَا يَعْدِلُ مِن الرَّبُ ﴾ أي: وليُ أوليائه، فليتّخذوه وليّا دون الآلهة؛ وقال ابن عباس: وليّك يا محمد ووليّ مِن البّعك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اَخْلَفَتُمُ فِيهِ مِن شَيْوِ﴾ أَي: من أمر الدِّين؛ وقيل: بل هو عام ﴿ فَصُكُنُهُ إِلَى اللَّهِ فيه قولان. أحدهما: عِلْمه عند الله. والثاني: هو يحكُم فيه. قال مقاتل: وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وآمن بعضهم، فقال الله: أنا الذي أحكُم فيه. ﴿ وَلِكُمُ اللهُ ﴾ الذي يحكُم بين المختلفين، هو ﴿ رَبِي عَلَيْهِ وَكَلَّمُ اللهُ في مهمّاتي، ﴿ وَإِلَيْهِ أَي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ أَي اللهُ عَلَى اللهُ على أما الكناية يكثركم، قاله الله على أصلها، قاله الأكثرون. فعلى هذا في هاء الكناية يكثركم، قاله الفراء. وإني قوله] ﴿ فِي قولان: أحلهما: أنها على أصلها، قاله الأكثرون. فعلى هذا في هاء الكناية

⁽۱) قال ابن كثير: يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿ أَيْسَنَا إِلَيْكَ مُرْمَا) أَي: واضحاً جِليًا بينًا ﴿ لِلْمَلِينَ أَمُّ الشَرَى ﴾ وهي مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلًا ﴾ أي: واضحاً جليًا بينًا ﴿ لِلْمَلِينَ أَمُ الشَرَى ﴾ وهي مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلًا ﴾ أي: من سائر البلاد مُواة في مواضعها، قال: ومن أوجز ظلك وأدلّه ما قال الامام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: إن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: قواله إنها لَحَيْدُ أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجته قال ابن كثير: هكذا رواية الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من جديث الزهري به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى بطون الإناث وقد تقدم ذكر الأزواج، قاله زيد بن أسلم. فعلى هذا يكون المعنى: يخلُقكم في بطون النساء، وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة، فقال: يخلقُكم في الرَّحِم أو في الرَّوج (()؛ وقال ابن جرير: يخلقُكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيِّشكم فيما جعل لكم من الأنعام. والثاني: أنها ترجع إلى الأرض، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا يكون المعنى: يذرؤكم فيما خلق من السموات والأرض. والثالث: أنها ترجع إلى الجَعْل المذكور؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يعيِّشكم فيما جعل من الأنعام، قاله مقاتل. والثاني: يخلُقكم في هذا الوجه الذي ذكر مِنْ جَعْلِ الأزواج، قاله الواحدي. والقول الثاني: أن «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يكثِّركم بما جعل لكم، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِشَاهِمِ شَى يَ اللهِ عَدًا. وقال ابن قتيبة: أي: ليس كَهُوَ شيء، والعرب تُقيم المِثْلَ مُقام النَّفْس، فتقول: مِثْلِي لا يُقال له هذا، أي: أنا لا يُقال لي هذا. وقال الزجاج: الكاف مؤكّدة، والمعنى: ليس مِثْلَه شيءٌ. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الزمر: ٣٣، الرعد: ٢٦]. إلى قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمُ ﴾ أي: بينن وأوضح ﴿ يَنَ الدِّينِ مَا وَضَى بِهِم نُومًا ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة. والثاني: تحريم الأخوات والأمهات، قاله الحكم. والثالث: التوحيد وترك الشَّرك.

قوله تعالى: ﴿وَالَذِى آوَحَيْمَا إِلِيَكَ﴾ أي: من القرآن وشرائع الإسلام، قال الزجاج: المعنى: وشرع الذي أوحينا إليك وشرع لكم ما وضّى به إبراهيم وموسى وعيسى (٢٠). وقوله: ﴿وَالَّذِينَ الْفِينَ اللّهِينَ تفسير قوله: ﴿وَمَا وَشَيْنَا بِهِ إِبْرَهِمَ وَمُوسَىٰ وَعَيْمَ وَاللّهِ اللّهِينَ وَهِيئَ ﴾، وجائز أن يكون تفسيراً لـ ﴿مَا وَصَّىٰ بِدِ نُوسًا﴾ ولقوله: ﴿وَالّذِينَ آوَحَيْمَا إِلَيْكَ ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَشَيْنَا اللّهِينَ وَعِيمَ اللّهُ وَلَهُ لَهُ وَمُعَنَى وَيَهِمَ وَمُوسَىٰ وَعِيمَ وَاللّهُ وَالْمُولُولُ الللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالل

قوله تعالى: ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ أَي: يصطفي من عباده لِدِينه ﴿مَن يَشَآهُ وَبَهْدِى ﴾ إلى دينه ﴿مَن يُنِيبُ ﴾ أي: يَرجع إلى طاعته. ثم ذكر افتراقهم بعد أن أوصاهم بترك الفُرقة، فقال: ﴿وَمَا نَذَرَقُوا ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿إِلَا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ السِلمِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد كثرة عِلْمهم للبغي. والثاني: من بعد أن علموا أن الفُرقة ضلال، والثالث: من بعد ما جاءهم القرآن، بغياً منهم على محمد ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتَ مِن رَبِّكَ ﴾ في تأخير المكذّبين من هذه الأُمّة إلى يوم القيامة، ﴿ لَتُعْنِى بَيْنَهُم ﴾ بإنزال العذاب على المكذّبين ﴿ وَلِنَّ الَّذِينَ أُورِينًا الْكِتَبَ ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ مِن بَعْدِ عَلَى محمد ﷺ.

﴿ وَلِذَلِكَ فَادُغُ وَاسْتَفِمْ كُمَا أَمِرَتُ وَلَا نَنْغُ أَمْرَتُمُ وَقُلَ مَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍّ وَأَمِرَتُهُ لِأَغْدِلَ بَيْنَكُمُّ اللّهُ رَبُّنَا وَرَبُكُمْ لِللّهُ عَمْدُ اللّهِ مِنْ اللّهُ مُمْدُلُكُمْ وَاللّهِ مُنْ اللّهُ مُعَلّمُ مُنَاكُمُ مُنَاكُمُ مُنَاكُ شَكِيدُ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَالِكَ فَأَدَّعُ ﴾ قال الفراء: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوتُ إلى فلان، ودعوت لفلان، والخلك، يمعنى الهذاه؛ وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني: أنه التوحيد، قاله مقاتل (٤٠).

⁽١) قال القرطبي: أو في الزوج، أي: يخلقكم في بطون الإناث. أهـ.

⁽γ) قال ابن كثير: يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿ مَرْجَ لَكُمْ مِنَ الْدِينِ مَا وَعَن بِدِ وَمَا وَالَذِي آوَسَنَا إِلَيْكَ فَذَكَ أُولِ الرسل بعد آدم عليه، وهو المحمد على من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وحيسى ابن مريم، وهله الآية انتظمت ذكر المخمسة كما اشتملت آية (الأحزاب) عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَرَدْ أَغَذَنَا بِنَ النَّبِينَ بِيسَتَهُمُ بَنَكَ وَن فُج وَلِرُدِمَ وَنُونَى وَسِنَى آتِن مَرَبِمَ اللَّهِ الذي الذي الذي الله عليه الله وحده لا شريك له، كما قال في : ﴿ وَيَا أَرْمَلْتَا مِن تَبْلِكَ مِن وَسُولٍ إِلَّا فُوبِينَ إِلَيْنَ بَنَاكُ وَلَكُ مَن اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَحَدُه لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم وفي المحديث: فنحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا وإحده أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كلوله جل جلاله: ﴿ وَلِكُمْ جَمَلًا مِنْكُمُ مِنْ مُنْ مُولِكُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽٣) في الأصل: (ما وصي).

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِڭره: فإلى ذلك الدِّين الذي شرع لكم، ووصَّى به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على =

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَلْبَعُ أَمْوَاتُمْمُ ﴾ يعني أهل الكتاب، لأنهم دعوه إلى دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُّهُ﴾ قال بعض النحويِّين: المعنى: أُمِرْتُ كي أَعْدِلَ. وقال غيره: المعنى: أُمِرْتُ بالعَدْل. وتقع «أُمِرْتُ» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يقال: أُمِرْتُ أن أعدل، وكي أعدل، ولأعدل. ثم في ما أُمِرَ أن يَعْدِلَ فيه قولان: أحدهما: في الأحكام إذا ترافعوا إليه. والثاني: في تبليغ الرسالة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۗ أَي: هو إِلَهنا وإن اختلفنا، فهو يجازينا بأعمالنا، فذلك قوله: ﴿لَنَّ أَعْمَالُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حُبَّةُ بِيِّنَا وَبِيْنَا وَبِينَكُم.

فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أنها اقتضت الاقتصار على الإِنذار، وذلك قبل القتال، ثم نزلت آية السيف فنسختُها، قاله الأكثرون. والثاني: أن معناها: إن الكلام ـ بعد ظُهور الحُجج والبراهين ـ قد سقط بيننا، فعلى هذا هي مُحْكَمة، حكاه شيخنا على بن عبيد الله عن طائفة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَآجُونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يُخاصِمون في دِينه، قال قتادة: هم اليهود، قالوا: كتابُنا قَبْلَ كتابكم، ونبيُّنا قبل نبيَّكم، فنحن خيرٌ منكم. وعلى قول مجاهد: هم المشركون، طمعوا أن تعود الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَدِ مَا اسْتُجِبَ لَهُ ﴾ أي: من بعد إجابة الناس إلى الإسلام؛ ﴿ جُنَّاتُهُمْ وَاجِمَلُهُ ﴾ أي: خصومتهم باطلة.

﴿ اللهُ الَّذِى آذِلَ الْكِنْبَ بِالْحَيِّقِ وَالْمِيرَانَّ وَمَا بُدْرِيكَ لَمَلَ السَّاعَة مَرِثُ ﴿ بَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا بُؤْمِنُونَ بِهَمَّ وَالَّذِينَ اللَّهِ اللَّهِ بَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَيْنَ شَكَالٍ بَدِيدٍ ﴿ اللَّهُ لَلِيكُ بِمِبَادِهِ بَرْزُقُ مَن يَشَآتُهُ وَمُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّلْمُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِى اَزَلَ الْكِنْبَ﴾ يعني القرآن ﴿ بِلَنْيَ ﴾ أي: لم ينزله لغير شيء، ﴿ وَالْنِيزَانُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة، والجمهور. والثاني: أنه الذي يوزّن به، حكي عن مجاهد. ومعنى إنزاله: إلهامُ الخُلْق أن يَعملوا به، وأمرُ الله عَلَى إيّاهم بالإنصاف، وسمّي العَدْلُ ميزاناً، لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخُلْق. وتمام الآية مشروح في [الاحزاب: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿يَسَتَعْبِلُ بِهَا الَّذِبِ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذْ لم يؤمنوا بكونها، فهم يطلُبون قيامها استبعاداً واستهزاء، ﴿وَاللَّذِبِ مَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿رِنّهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحاسَبون ومَجزيُّون، ولا يدون ما يكون منهم، ﴿وَيَمْلَمُونَ أَنَهَا المُنْ اللَّهُ ﴾ أي: أنها كائنة لا محالة. ﴿إَلَا إِنَّ النّبِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي: يخاهِمون في كونها ﴿لَنِي صَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ حين لم يتفكروا، فيَعلموا قدرة الله على إقامتها. ﴿إِلَهُ لَطِيئُ بِعِبَادِهِ ﴾ قد شرحنا معنى [اسمه] والمطيف في [الانمام: ١٠٣]. وفي عباده هاهنا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: أنه عام في الكُلّ. ولطّفه بالفاجر: أنه لا يُهلِكه. ﴿ وَرَزُقُ مَن يَشَاتُهُ ﴾ أي: يوسّم له الرّزق.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عَمَلَ الآخرة، يقال: فلانٌ يحرُث للدُّنيا، أي: يعمل لها ويجمع المال؛ فالمعنى: من أراد بعمله الآخرة ﴿ وَرَدْ لَهُ فِي حَرْثِيرٌ ﴾ أي: نُضاعِف له الحسنات. قال

العمل به، ولا تَزغُ عنه، وأثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. اهـ.

وقال ابن كثير: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلّات كلَّ منها مفصلة عن التي قبلها، حُكُم برأسها، قال: قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه، قال: وقوله: ﴿فَيَلَاكِكَ قَادَةٌ﴾ أي: قالذي أوحينا إليك من الدين الذي وصَّينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم قادع الناس إليه، قال: وقوله ﴿ وَاَسْتَقِمْ كَمَا أَرِبَ ﴾ أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبدة الله تعالى كما أمركم الله ﴿ وَاسْتَقَمْ مَا مُنْ اللهِ وَاللهُ عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّه

المفسرون: من أراد العمل لله بما يُرضيه، أعانه إلله على عبادته، ومن أراد الدُّنيا مُؤثِراً لها على الآخرة لأنه غير مؤمن بالآخرة، يؤته منها، وهو الذي قسم له، ﴿وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ۞ لأنه كافر بها لم يعمل لها(١).

فصل

اتفق العلماء على أن أول هذه الآية إلى «حرثه» مُحْكَم، واختلفوا في باقيها على قولين: أحدهما: [أنه] منسوخ بقوله: ﴿عَبَّلْنَا لَمُ فِيهَا مَا نَشَلَهُ لِمَن نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا قول جماعة منهم مقاتل. والثاني: أن الآيتين مُحكمتان متّققتان في المعنى، لأنه لم يقل في هذه الآية: نؤته مُراده، فعُلِم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد، وهذا موافق لقوله؛ ولمن نُريد»، ويحقّق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يدخلُه النسخ، وهذا مذهب جماعة منهم قتادة.

﴿ أَمْ لَهُمْرَ شُرَكَتُواْ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِيمَ اللَّهُمْ اللَّهُمْ وَإِنَّ الطَّالِمِينَ لَهُمْ عَلَابُ اللَّهِمْ اللَّهُمْ وَالْمِينَ اللَّهُمْ عَلَابُ اللَّهُمَاتِ الْمُكَاتِ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ اللَّهِمُ اللَّهُمُ الْمُلِمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَتُوا ﴾ يعني كفار مُكة ؛ والمعنى: أَلَهُمْ آلهةٌ ﴿ شُرَعُوا ﴾ أي: ابتدعوا ﴿ لَهُمْ ﴾ دِيناً لم ياذن به الله؟ (٢٠ ﴿ وَلَوْلا كَلْمَ ٱلْهَمُ الْفَشِل ﴾ وهي: القضاء السابق بأن الجزاء يكون في القيامة ﴿ لَمُشِينَ بَيْتُهُمْ ﴾ في الدنيا بنزول العذاب على المكلّبين. والظالمون في هذه الآية والتي تلها: يراد بهم المشركون. والإشفاق: الخوف. والذي كسبوا: هو الكفر والتكذيب، ﴿ وَمُعُو وَاتِمُ بِهِمْ ﴾ يعني جزاءه. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ وَرَاك ﴾ يعني: ما تقدم ذِكْره من الجنّات ﴿ الذِي أَخِرتُكم به بشرى يبشّر الله بها عباده. وقرأ ابن كثير، وأبو عموه، وحمرة، والكسائي: «يَبشُر» بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لَا آَ المَثْلَكُمُ عَلَيْهِ آَدُمُ ﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقرال: أحدها: أن المشركين كانوا يؤذون رسول الله على بمكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس (٢٠). والثاني: أنه لمّا قَدِم المدينة كانت تُثوبه نوائب وليس في يده سَعَةٌ، فاجْمَعوا له من أموالكم ما لا وليس في يده سَعَةٌ، فاجْمَعوا له من أموالكم ما لا يضرُّكم، ففعلوا ثم أثَوْه به، فنزلت هذه الآية، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً (٤٠). والثالث: أن المشركين اجتمعوا في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أتُرون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (٥٠). والهاء في هميا عما جاء به من الهدى. وفي الاستثناء هاهنا قولان: أحدهما: أنه من الجنس، فعلى هذا يكون سائلاً

⁽١) قال ابن كثير: أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكليّة، خرمه الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، قال: والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا منها، وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، قال: والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا معينا قال على هذا أن هذه الآية هاهنا من منافعة المنافعة والمنافعة المنافعة الله منافعة الله المنافعة المنافعة الله المنافعة الله المنافعة المنافعة الله المنافعة المن

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقوله جل وحلا: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكِكُواْ لَهُمْ مَنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأَذَلْ بِهِ اللّهُ أَي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرَّموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد الجبرهوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاصدة. اهـ.

 ⁽٤) ذكره الواحدي في (أسباب النزول؛ ٢١٣ عن ابن عباس بدون سند. (٥) وكذلك ذكره الواحدي في (أسباب النزول؛ ٢١٣ عن قتادة بدون سند.

أجراً. وقد أشار ابن عباس في رواية الضحاك إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسخت هذه بقوله: ﴿ فَلَ مَا سَأَنْكُمُ مِن أَجَرِ فَهُو لَكُمُ مَن أَجَرِ فَهُو لَكُمْ مَن ﴾ الآية [سبا: ١٤٧]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل. والثاني: أنه استثناء من غير الأول، لأن الأنبياء لا يَسألون على تبليغهم أجراً؛ وإنما المعنى: لكنّي أَذكَرُكم المَوَدّة في القُرْبي، وقد روى هذا المعنى جماعة عن ابن عباس، منهم العوفي، وهذا اختيار المحققين، وهو الصحيح، فلا يتوجّه النسخ أصلاً (١٠ وفي المراد بالقُربي خمسة أقوال: أحدها: أن معنى الكلام: إلا أن تَوَدُّوني لقرابتي منكم، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في الأكثرين، قال ابن عباس: ولم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة. والثاني: إلا [أن] تَوَدُّوا قرابتي، قاله عليّ بن الحسين، وسعيد بن جبير، والسدي. ثم في المراد بقرابته قولان: أحدهما: عليّ وفاطمة وولدها، وقد رووه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ (١٠) والثاني: أنهم الذين تَحْرُم عليهم الصدقة ويُقْسَم فيهم الحُمُس، وهم بنو هاشم وبنو المطّلِب. والثالث: أن المعنى: إلا أن تَوَدُّون قرابتَكم، قاله ابن زيد. والخامس: إلّا أن تَوَدُّوا قرابتَكم وتصِلوا أرحامَكم، حكاه الماوردي، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿رَبَنَ يَغْتَرِفَ﴾ أي: مَنْ يَكْتَسِبْ ﴿حَسَنَةً نَزِدَ لَهُ فِهَا حُسْنَا﴾ أي: نُضاعفُها بالواحدة عشراً فصاعداً. وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر، والجحدري: •يَزِدْ له بالياه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَنُورٌ﴾ لللَّنوب، ﴿شَكُورُ﴾ للقليل حتى يضاعفه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفار مكة ﴿أَفْتَكَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله! ﴿قَإِن بَنَهَ اللّه يَخْتِر عَلَى قَلْبِكُ﴾ فيه قولان: أحمدهما: يَخْتِم على قلبك فيُنسيك القرآن، قاله قتادة. والثاني: يَرْبِط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يَشُقّ عليك قولهم: إنك مفتر، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّتُ الْبَعِلَ ﴾ قال الفراء: ليس بمردود على ﴿ يَخْتِمْ ۗ فيكونَ جزماً ، وإنما هو مستأنف، ومثله ممّا حُذفتْ منه الواو ، ﴿ رَبِّعُ اَلْإِنكُ لَى اللّه الله الله الكسائي: فيه تقديم وتأخير . تقديره: والله يمحو الباطل . وقال الزجاج: الوقف عليها ﴿ ويمحوا ، بواو وألف والمعنى: والله يمحو الباطل على كل حالٍ ، غير أنها كُتبتْ في المصاحف بغير واو ، لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين ، فكُتبتْ على الوصل ، ولفظ الواو ثابت ا والمعنى : ويمحو الله الشّرك ويُحِقُ الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيّه ﷺ .

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَمْبَلُ النَّزَيَةُ عَنْ عِبَادِهِ. وَيَشْفُواْ عَنِ السَّيِّعَاتِ وَيَسْلُمُ مَا تَفْصَلُونَ ۞ وَيَسْتَجِبُ الَّذِينَ مَامَنُوا وَعِيلُوا الصَّلِخَتِ وَيَرِيدُهُمْ مِن فَشْلِهِ ۚ وَالكَفِرُونَ لَمُمْ عَدَاتُ شَدِيدٌ ۞ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الزِّزْقَ لِيبَادِهِ. لَبَغَوَا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَأَةً إِنَّهُ بِيبَادِهِ. خَيدُرُ صَدُرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ النَّوْيَةَ عَنْ عِبَادِدِ. ﴾ قد ذكرناه في [براء: ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿ رَبِّنَاكُمُ مَا نَفْمَكُونَ ﴾ أي: من خير وشرّ. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون: بالباء، على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم. و«يستجيب» بمعنى يُجيب. وفيه قولان. أحدهما: أن الفعل

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: منا: قل لا أسألكم عليه أجراً يا مصر قريش، إلا أن توقُوني في قوابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. اهد. وقال ابن كثير: وقوله هي : ﴿ لَا لَا تَتَأَكُمُ عَلَيْهِ لَجَرَا إِلَّا النَّرَةَ فِي الْقِبْلُ ﴾ أي: قل يا محمد لهولاء المصركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفُّوا شرَّكم عني، وتذوني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤوني بما بيني وبينكم من القرابة. اهد.

فيه لله، والمعنى: فيُجيهم إذا سألوه؛ وقد روى قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي (١)، ﴿ وَلَسَتَجِبُ الَّذِينَ ءَامَوُلَ قال: يُشَفَّعون في إخوان إخوانهم. والثاني: أنه للمؤمنين؛ فالمعنى: يجيبونه. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطُ اللّهُ الرِّزَقَ لِمِبَادِهِ ﴾ قال حَبَّاب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنّا نَظَرْنا إلى أموال بني قريظة والنّضير فتمنّيناها، فنزلت هذه الآية (٢). ومعتى الآية: لو أوسَع الله الرّزق لعباده لبَطِروا وعَصَوا وبغى بعضُهم على بعض، ﴿وَلَذَى يُثِلُ مِنْدُو مَا يَشَاهُ مِن لا يُصلحه إلا الغني، ومنهم من لا يُصلحه إلا الفقر (٣).

﴿وَهُوَ الَّذِى بُنَزِلُ الْعَبْتَ مِنْ بَصْدِ مَا فَنَطُواْ وَيَشْرُ رَحْمَتَةً وَهُوَ الْوَلِىُّ الْحَبِيدُ ۞ وَمِنْ ءَابَنِيهِ. خَلَقُ السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِن دَابَّةً وَهُوَ عَلَىٰ جَمِيهِمْ إِذَا يَشَلَهُ قَدِيرٌ ۞ وَمَا أَسَبَكُمْ مِن ثُمِيبِكِةً فِيمَا كَسَبَتْ أَبَدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرِ ۞ وَمَا أَشَرُ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِن دُوبِ اللّهِ مِن وَلِي وَلَا نَسِيرٍ ۞﴾

قولة تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّذِى يُنَزِلُ الْنَيْكَ﴾ يعني المطر وقت الحاجة ﴿مِنْ بَسْدِ مَا قَنَطُوا﴾ أي: يتسوا، وذلك أدعى لهم إلى شكر مُنزِله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتُمُ ﴾ في الرحمة هاهنا قولان: أحلهما: المطر، قاله مقاتل: والثاني: الشمس بعد المطر، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقد ذكرنا «الوليّ» في سورة [الساه: ١٤٥ و«الحميد» في اللَّمَة: ٢٢٧].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا آَصَنَبَكُم يِن مُصِيكِةٍ ﴾ وهو ما يلحق المؤمن من مكروه ﴿ فَهِمَا كَسَبَتْ آيَدِيكُمُ ﴾ من المعاصي. وقرآ نافع، وابن عامر: فهما كَسَبَتْ أيديكم بغير فاء، وكذلك [هي] في مصاحف أهل المدينة والشام، ﴿ وَيَعْنُواْ عَن كَثِيرِ ﴾ من السَّينات فلا يُعاقِبُ بها. وقيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللَّوم عبَّن أساء إليهم؟ قال: إنهم علموا أنّ الله تعالى إنها ابتلاهم بدنويهم، وقرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَشَرُ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إن أراد الله عقوبتكم، وهذا يدخل فيه الكفار والعصاة كلُّهم.

﴿ وَمِنْ ءَابَتِهِ ٱلْمُوَارِ فِي ٱلبَّمْرِ كَالْأَغَلَىٰدِ ۞ إِن يَمَنَا يُسْكِنِ ٱلْرَبِحَ فَيَظْلَلُنَ رَوَاكِدَ عَلَى طَهْرِهُۥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَابَتْنِ لِكُلِّ صَبَّارٍ مَسْكُورٍ ۞ وَمَثْلُمُ ٱلْذِينَ يُجْدِلُونَ فِنَ ءَابَنِنَا مَا لَمُمْ مِن تَجِيعِن ۞ فَمَّ أُوتِيتُمْ مِن تَحْيَمِ فَلَنَامُ ٱللَّيْلُووَ ٱللَّذَا وَمَا اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّيْلُووَ ٱللَّذَا وَمَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللِهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنَ الللّهُ اللَّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللَّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللل

قوله تعالى: ﴿ رَبِنْ مَابَتِهِ الْبَوْرِ فِي الْبَحْرِ ﴾ والمراد بالجوارِ: السفن. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «الجوادي» بياء في الوصل، إلّا أن ابن كثير يقف أيضاً بياء، وأبو عمرو بغير ياء، ويعقوب يوافق ابن كثير، والباقون بغير ياء في الوصل والوقف؛ قال أبو علي: والقياس ما ذهب إليه ابن كثير، ومن حذف، فقد كثر حذف مثل هذا في كلامهم، ﴿ كَالْأَمْلَادِ ﴾ قال ابن قتيبة: كالجبال، واحدها: عَلَم. وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: كل شيء مرتفع - عند العرب - فهو عَلَم.

قوله تعالى: ﴿إِن بَشَأَ بُسَكِنِ الرِّبِحَ﴾ التي تُجريها ﴿فَظْلَلْنَ﴾ يعني الجواري ﴿وَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِءَ﴾ أي: سواكن على ظهرَ البحر [لا يَجْرِينَ]. ﴿أَرْ بُويِتَهُنَ﴾ أي: يُهْلِكُهُنَّ ويُغْرِقْهُنَّ، والمراد أهل السفن، ولذلك قال: ﴿يِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: من

⁽١) كذا الأصلَ، والذي في «الطبري»: إبراهيم اللخمي.

ذكر سبب النزول هذا عن خباب بن الأرت بهذا اللفظ الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٣ بدون سند، وكذلك ذكره البغوي والخازن في انفسيريهما» عن خباب فله بدون سند. وروى الطبري في انفسيره من رواية عمرو بن حريث وغيره قال: يقولون: إنما نزلت في أهل الصُّفة. وقال السيوطي في «المدر» ٢٨٠ أخرج ابن المنذر، وسعيد بن منصور، وهبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نميم في «الحلية»، والبيهقي في «المعلية»، والبيهقي شن في شعب الإيمانه بسند صحيح عن أبي هانئ المخولاني قال: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أهل المُشقة: ﴿وَلَوْ أَكَ لَناً ﴾، فتمنّوا المدنيا. وقال السيوطي أيضاً: وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن على ظهم قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفة: ﴿وَلَوْ بَسَكُ اللهُ الزِّنْ لِيكِودِ لِنَوْلِ فَ وَلَكُ أَنهم، فتمنّوا المنيا. وها المنزل وذلك أنهم قالوا: ﴿وَلَوْ أَكَ لَنا ﴾، فتمنّوا المنيا. اه.

⁽٣) قال ابن كثير: أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. اهـ.

الذُّنوب ﴿وَيَمَّتُ عَن كِنيرِ﴾ من ذنوبهم، نيُنجيهم من الهلاك. ﴿وَيَمْلَمُ الَّذِينَ يُجُدِلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: ﴿وَيَعْلَمُۥ بالمرفع على الاستئناف وقطعه من الأول؛ وقرأ الباقون بالنصب. قال الفواء: هو مردود على الجزم، إلّا أنه صُرف، والجزم إذا صُرف عنه معطوفه نُصب. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحلهما: ويعلم الذين يخاصِمون في آيات الله حين يؤخذون بالغرق أنه لا ملجاً لهم. والثاني: أنهم يعلمون بعد البعث أنه لا مهرب لهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيمُ مِن نَصَوِهِ أي: ما أُعطيتم من الدنيا فهو متاع تتمتَّعون به، ثم يزول سريعاً، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعدَّ لهم في الآخرة العذاب.

﴿ وَالَّذِنَ بَعَنَبُونَ كَبُتُهِرُ الْإِنْمِ وَالْفَرَحِنَ وَإِذَا مَا عَضِبُمَا هُمْ بَغَيْرُونَ ۞ وَالَّذِنَ اَسْتَجَابُوا لِرَبِّمِ وَافَامُوا السَّلَوَة وَالْمُومُم شُورَى يَسْتُمْ وَبِينًا مُمْ بَغَيْرُونَ ۞ وَمَرُواْ مَيْتَعْ مَبِيْتُهُ مِنْكُا مَنْتُهُمْ فَدَنْ عَلَىٰ وَأَمْلُمُ مَا اللَّهُ إِنَّهُ لَا يُجِبُ الطَّلِدِينَ ۞ وَمَرُواْ مَيْتَعْ مَبِيْتُهُ مِنْكُ أَنْكِيلِينَ وَلَمْنُونَ إِنَّا السَّيلِ اللَّهُ مِنْ مَلِيلِ ۞ إِنَّنَا السَّيلُ عَلَى الَّذِينَ يَطْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْتُونَ فِي الأَرْضِ بِنَبْرِ الْمَؤْ أَوْلَتِلِكَ مَا عَلَيْهِم قِنْ مَنْهِ إِنَّ وَلِيلِينَ عَذْرِ الْأَنْكُونِ ۞﴾ لَمُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلِمُنْ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللللّ

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمُنِيُّوُنَ كَبَيْرُ الْإِنْمِ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «كبيرَ الإِثم) على التوحيد من غير ألف، والباقون بألف. وقد شرحنا الكبائر في سورة [النساء: ٣١](١). وفي المراد بالفواحش هاهنا قولان: أحدهما: الزنا, والثاني: موجبات الحدود.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمُ يَنْفِرُونَ ﴾ أي: يَعْفُون عمَّن ظَلَمهم طلباً لثواب الله تعالى (٢٠). ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَوْمِهُۗ أَي: أجابوه فيما دعاهم إليه. ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُوَىٰ يَنْتُهُم ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يتشاورون فيه [بينهم]. وقال الزجاج: المعنى أنهم لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِنَّا أَمَاتِهُمُ الْبَقُ مُ يَنفِيرُونَ ﴿ اختلفوا في [هذا] البَنْي على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بَنْي الكفار على المسلمين. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبَغَوْا عليهم، ثم مَكّنهم الله منهم فانتصروا. وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﴿ وَقَتِينَ بِمكة، فرقة كانت تُؤذَى فتَعفو عن المشركين، وفرقة كانت تُؤذَى فتعفو عن المشركين، وقرقة كانت تُؤذَى فتنتصر، فأثنى الله عَلَى عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا لَمُ يَنفِرُونَ ﴾ ، وقال في المستصرين: ﴿ وَالَّذِينَ إِنَّا أَسَابُهُمُ الْبَقُ مُ يَنفِيرُونَ ﴾ أي: من المشركين، وقال ابن زيد: ذكر المهاجرين، وكانوا صنفين، صنفاً عفا، وصنفاً انتصر، فقال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا مُمْ يَنفِرُونَ ﴾ ، فبدأ بهم، وقال في المنتصرين: ﴿ وَالَّذِينَ إِنَّا أَسَابُهُمُ الْبَقُ مُ يَنفِيرُونَ ﴾ أي: من المشركين؛ وقال: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَعَابُوا لِرَبِّهِم ﴾ إلى قوله: ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ وهم الأنصار؛ ثم ذكر الصّنف يتأسِرُونَ ﴾ أي: من المشركين؛ وقال: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَعَابُوا لِرَبِّهِم ﴾ إلى قوله: ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ وهم الأنصار؛ ثم ذكر الصّنف والثالث فقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِنَّا مُسلمين على المسلمين خاصة. والثالث: أنه عام في جميع البُغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

فصل

واختلف في هذه الآية علماء الناسخ والمنسوخ، فذهب بعض القائلين بأنها في المشركين إلى أنها منسوخة بآية السيف، فكأنهم يشيرون إلى أنها أثبتت الانتصار بعد بَغي المشركين، فلمّا جاز لنا أن نبدأهم بالقتال، ذلَّ على أنها منسوخة. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَلَكَن سَبَرٌ وَعَنَدُ﴾ [الشرى: ٢٤] فكأنها نبّهتْ على مدح المنتصِر، ثم أعلمنا أن الصبر والغفران أمدح، فبان وجه النسخ. والثاني: أنها محكمة، لأن الصبر

⁽١) إنظر ٢٧٥.

 ⁽٢) قال ابن كثير: أي: سجيَّتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيِّتهم الانتقام من الناس.

⁽٣) قال ابن كثير: أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتمالى: ﴿وَشَاوِرَهُمْ فِي الْوَفَاةُ لَا لِللَّهُ مِن الْحَوْلِ وَنَحُوهُ الْمُطْلِبِ فِلْكُ قَلُوبِهِم، قال: وهكذا لما حضرت عمرَ بن الخطاب في الوفاة حين ظُمن جعل الأمر بعده شورى في ستة نَفَر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، في، فاجتمع رأي الصحابة كلّهم في على تقديم عثمان عليهم، في. اهم.

والغفران فضيلة، والانتصار مباح، فعلى هذا تكون محكمة، [وهو الأصح]. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وظاهرُها مدح المنتصِر - وبين آيات الحَثِّ على العفو؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه انتصار المسلمين من الكافرين، وتلك رتبة الجهاد كما ذكرنا عن عطاء. والثاني: أن المنتصِر لم يَخرِج عن فعل أبيح له، وإن كان المعفو أفضل، ومَنْ لم يَخرِج من الشرع بفعله، حَسُنَ مدحُه. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين، صنف يعفو، فبدأ بذكره، وصنف ينتصر. والثالث: أنه إذا بغي على المؤمن فاسق، فلأنَّ له اجتراء الفُسَّاق عليه، وليس للمؤمن أن يُذِلُّ انفسه، فينبغي له أن يَكْسِر شوكة المُصاة لتكون العِزَّة لأهل الدِّين. قال إبراهيم النخعي: كانوا يَكرهون للمؤمنين أن يُذِلُّوا أنفُسَهم فيجترئ عليهم الفُسّاق، فإذا قَدَروا عَفَوًا. وقال القاضي أبو يعلى: هذه الآية محمولة على من تعدَّى وأصرَّ على ذلك، وآيات العفو محمولة على أن يكون الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَيَحَرُونُا سَبِتَةٌ مِنْلُهَا ﴾ قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح، إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يعتدي. وقال مقاتل: هذا في القصاص في الجراحات والدماء. ﴿فَتَنْ عَفَى ﴾ فلم يقتص ﴿وَاَسْلَمَ ﴾ العمل ﴿فَلَبْرُمُ عَلَى اللهُ لِلهُ لَهُ لَا يُحِبُ الظّلِينَ ﴾ يعني من بدأ بالظّلم. وإنما سمّى المجازاة سيّنة ، لما بيّنًا عند قوله: ﴿فَنَنِ اعْتَدَىٰ عَلَى الله وَلَمْ عَنَى الله وَلَمْ وَلَمْ عَلَى الله وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ عَلَى الله وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ وَلَمْ عَلَى الله وَلَمْ وَلَا حَلَيْ اللّهُ وَلَمْ وَلَهُ اللّهِ وَلَمْ وَلا حَدًّا ﴿ وَلَمْ ولا حَدًّا ﴿ وَلَمْ ولا حَدًّا ﴿ وَلَمْ ولا حَدًّا ﴿ وَلَمْ ولا حَدًّا فَلَا النّبِيلُ عَلَى اللّهِ لَكُونَ النّاسَ ﴾ أي: يبتدئون بالظّلم ﴿وَيَبْتُونَ فِى الْأَرْضِ بِنَيْرِ الْحَقِيمُ أَي يَعْلُونَ فَيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَلَدَر إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصير والتجاوز ﴿لَينَ عَزْمِ ٱلْأُمُونِ﴾ وقد شِرحناه في الله عمران: ١٨٦].

﴿ وَمَن يُشْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَمُ مِن وَلِيَ مِنْ بَعْدِيدٌ وَزَى الظّليمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْمَذَابَ يَقُولُونَ هَلَ إِلَىٰ مَرَوْ مِن سَهِيلِ ﴿ وَمَرَنَهُمْ يُعْرَضُونَ مَلَيْهِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَن اللَّهِ مِن اللَّهِ مَن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهُ مِن سَبِيلٍ ﴾ الظّدلمِينَ في عَدَابٍ مُقِيدٍ ﴿ وَمَا كَانَ لَمُنْمُ مِنْ أَوْلِياتَهُ يَنْصُمُونَهُم مِن مُونِ اللَّهِ وَمَن يُصْلِلِ اللَّهُ مَن سَبِيلٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَلِلِ اللّهُ فَمَا لَمْ مِن وَلِيّ ﴾ أي: من أحدٍ يلي هدايته بعد إضلال الله إيّاه. ﴿ وَرَّى الظّلِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَمّا رَاتُحُ الْعَلَيْنِ ﴾ في الآخرة يسألون الرَّجعة إلى الدنيا ﴿ يَقُولُونَ هَلَ إِلَى مَرَةٍ مِن سَبِيلِ ﴾ ؟ ﴿ وَرَّرَبُهُمْ يُمْرَضُونَ عَلَى النار ﴿ خَشِيبِ ﴾ أي: خاضعين متواضعين ﴿ مِن اللّهُ لِي يَظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِي فَي وفيه أربعة أقوال المجاهد. وقال الأخفش: ينظُرون من عين ضعيفة. وقال غيره: ﴿ مِنْ الله عَن الله عن النار عباس، ويه قال مجاهد. وقال الأخفش: ينظُرون ببعض العَيْن، قاله أبو غيره: ﴿ وَالرابع: أنهم ينظُرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم قد حُشروا عُنياً ، فلم يَرَوها بأعينهم، حكاه الفراء، والزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيانه اللانام: ١٢، هود: ٢٦ إلى قوله: ﴿ يَصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهَ فِي الله عَد مُدود الله .

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِبُوا لِرَبِيكُمْ﴾ أي: أجيبوه، فقد دعاكم برسوله ﴿يَن قَبْلِ أَن يَأْتِنَ يَرَمٌّ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَلُمُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يقدر أحد على ردَّه ودَفْعه ﴿مَا لَكُمْ مِن مُلْجَإِ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُمْ مِن نَّكِيرِ﴾ قال مجاهد:

⁽١) في الأصل: وسؤال نعجتك.

من ناصر ينصُركم. وقال غيره: من قُدرة على تغيير ما نزل بكم (١٠). ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ۗ عن الإجابة ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَيْهِظاً ﴾ لحفظ أعمالهم ﴿ إِنْ عَلِيَكَ إِلَّا ٱلْبَلَتْجُ ﴾ أي: ما عليك إلّا أن تبلّغهم. وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنّا إِنّا أَذَقنا الْإِنسَانَ مِنّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ﴾ قال المفسرون: المراد به: الكافر؛ والرحمة: الغنى والصحة والمعطر ونحو ذلك، والسيّنة: المرض والفقر والقحط [ونحو ذلك]. والإنسان هاهنا: اسم جنس، فلذلك قال: ﴿وَإِن نُعُينَهُمْ سَيِنْتَهُ بِمَا قَدْمَتَ أَيْدِيهِم ﴾ أي: بما سلف من مخالفتهم ﴿فَإِنَ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ بما سلف من النّعم. ﴿يَقِهُ مُلكُ السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَي: له التصرّف فيها بما يريد، ﴿يَهُ لِمَن يَثَلَهُ إِنسَانُ ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه وهب للوط ﷺ، فلم يولد له إلا البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَثَلَهُ الدُّكُورَ ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، [فلم يولد له إلا الذكور]. ﴿أَوْ يُرَوّجُهُم ﴾ يعني الإناث والذكور. قال الزجاج: ومعنى فيزوّجُهم ؛ يَقُرنُهم. وكل شيئين يقترن أحدهما بالآخر، فهما زوجان، ويقال لكل واحد منهما: زوج، تقول: عندي زوجان من الخِفاف، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمفسرين قولان: أحلهما: أنه وضّعُ المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية مقالوا: وذلك كما جارية، قاله مجاهد والجمهور. والثاني: [أنه] وضّعُ المرأة جارية وغلاماً توأمين، قاله ابن الحنفية. قالوا: وذلك كما الموحدة في مائر الناس، وإنما ذكروا الأنبياء تمثيلاً.

وَهُ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَا رَحْيًا أَوْ مِن وَرَآبِي جَمَابٍ أَوْ رُسِلَ رَسُولًا فَيُوحِى بِإِذْنِهِ. مَا يَشَأَةُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيبُرُ
 وَكَذَلِكَ أَوْسَيْنًا إِلِيْكَ رُئِمًا مِنْ أَمْرِنًا مَا كُنتَ نَدْرِى مَا الْكِتَنْبُ وَلَا الْإِينَىٰ وَلَذِينِ بَمَلَنَهُ فُولًا تَبْدِى بِهِ. مَن فَثَالَة مِنْ عِبَاوِنًا وَإِلَىٰ لَتَهْدِى إِلَىٰ سَرَطٍ مُسْتَقِيمٍ \$ مِرَطِ اللهِ الذِي لَمُ مَا فِي السَّمَنَوْتِ وَمَا فِي اللَّرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَعِيدُ الْأَمْولُ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَسَرِ أَنَ يُكُلِّمُهُ اللهُ إِلّا وَحَيّا ﴾ قال المفسرون: سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلّم الله وتنظّر إليه إن كنتَ نبيّاً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه ؟ فقال لهم: قلم ينظّر موسى إلى الله، ونزلت هذه الآية (٢٠). والمراد بالوحي هاهنا: الوحي في المنام. ﴿ أَوْ مِن وَرَآي حِابٍ ﴾ كما كلّم موسى (٢٠). ﴿ أَوْ رُسِلَ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: قيرْسِلُ ، بالرفع ﴿ فَبُوحِي ﴾ بسكون الياء. وقرأ الباقون: قيرْسِلَ ، بنصب اللام قنيوحي ، بتحريك الياء، والمعنى: قاو يرسل رسولا ، كجبرائيل قنيوحي ، ذلك الرسول إلى المرسل إليه ﴿ بِإِذْنِهِ مَا يَشَامُ ﴾ . قال مكي بن أبي طالب: من قرأ قاو يرسِلَ ، بالنصب، عطفه على معنى قوله: ﴿ إلّا وحياً » لأنه بمعنى: إلّا أن يوحي . ومن قرأ بالرفع، فعلى الإبتداء، كأنه قال: أو هو يرسل. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلّم بشراً إلّا من وراء حجاب في دار الدنيا .

قوله تعالى: ﴿ رَكَنَاكِ ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسل ﴿ أَرْحَيْنَا ۚ إِلَيْكَ ﴾، وقيل: الواو عطف على أول السورة، فالمعنى: كذلك نوحى إليك وإلى الذين مِنْ قبلك. ﴿ وَكَنَاكِ أَرْحَيْنَا ۚ إِلْكِكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ قال ابن عباس: هو القرآن. وقال

⁽۱) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة، حلَّى منه، وأمر بالاستعداد له فقال: ﴿ اَسَتَهِمُوا لِرَبِكُمْ بَن تَبْلِ أَن بَأِنَّ بَرَمَّ لَا مَرَدَّ لَهُ مِن اللَّهُ أَي: إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع، قال: وقوله هَا: ﴿ مَا لَكُمْ بَن تُلْجَا بِرَبَهِ وَنَا لَكُمْ بَن نَّكِيرِ ﴾ أي: ليس لكم حصن تتحصّنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكّرون فيه فتفييون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجاً منه إلا إليه ﴿ يَمُلُ آلِهِ مَا لِلَّ إِلَيْنَ آلِهُمُ إِنَّ آلَتُمْ ﴿ ﴾ لَا يَلْهِ ﴿ يَمُلُوا اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽٣) قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله في ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقلف في رَوْع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله في ، كما جاه في قصحيح ابن حيانة عن رسول الله في أنه قال: فإن روح القلس نفث في رَوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، قال: وقوله تعالى: ﴿أَرْ يِن رَوْبَي جِنَابٍ ﴾ كما كلّم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها. ثم قال: وقوله في: ﴿أَرْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُرْحِى إِلْنَفِدِ مَا يَشَابُ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مقاتل: وَحْياً بأمرنا (١).

قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ مَدّرِى مَا الْكِتْبُ وذلك أنه لم يكن يَعرف القرآن قبل الوحي ﴿ وَلَا آلِيكُنُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الدعوة إلى الإيمان، قاله أبو العالمية. والثاني: أن المراد به شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلّها إيمان؛ وقد سمّى الصلاة إيماناً بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ أَلَهُ لِيُعْيِعُ إِيمَنْكُمُ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذا اختبار ابن قتيبة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة. والثالث: أنه ما كان يَعرف الإيمان حين كان في المهد وإذ كان طفلاً قبل البلوغ، حكاه الواحدي. والقول ما اختاره ابن قتيبة، وابن خزيمة، وقد اشتهر في الحديث عنه على أنه كان قبل النبوّة يوحد الله، ويُنفض اللآت والمؤتى، ويَحُجُ ويعتمر، ويتّبع شريعة إبراهيم على قبل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من زعم أن النبيّ كان على دين قومه، فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النّصُب؟ وقال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعينَ سنة. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا مِنْ دِين إسماعيل، من ذلك حِجُ البيت، والختانُ، وإيقاعُ الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرّجعة في الواحدة والاثنتين، وييّة النّفس مائة من الإبل، والخسل من الجناية، وتحريمُ ذوات المحارم بالقرابة والصّهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والنُسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويَعيّها. وكان لا يَعرف شرائع اله التي شَرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿ مَا كُنتَ مَدّرِى مَا الْكِنّابُ ﴾ [يعني القرآن] ﴿ وَلا آلْإِيمَانُ ﴾ يعني شرائع الإيمان؛ ولم يُردِ الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجُون له [البيت] مع شركهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن جَمَلَنَهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى الإيمان. ﴿وُولَا﴾ أي: فَتَدعو ﴿إِلَّهُ عَلَيْهُ عَلَى البَعِيمَ ﴾ أي: لَقَدعو ﴿إِلَّهُ مُسَاعًة ودليلاً على البَعرحيد ﴿فَهَدِى بِهِ مَن نَتَآهُ﴾ [من عبادنا] إلى دِين الحق (*). ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى ﴾ أي: لَقَدعو ﴿إِلَّهُ مُسْتَقِيدٍ ﴾ وهو الإسلام (**).

* * *

⁽١) في الأصل: هو وحياً بأمرنا.

 ⁽٢) قال البغوي في انفسيره : ﴿ كُنْتَ مَدْوى ﴾ قبل الوحي ﴿ كَا ٱلْكِتَبُ وَلا ٱلْإِيدَانُ ﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال: وقال محمد بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع: الصلاة، ودليله قوله ﷺ وكان الله يُقيع إيتكثل قال: وأهل الأصول على أن الأنبياء ﷺ كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يثبين له شرائع دينه. اهـ.

وقال ابن كثير: ﴿ كُنتَ بَدَّرِى مَا الْكِنْبُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن. اه. وقال الشوكاني في تفسيره وفتح المقديره: ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحي إليه، فقال: ﴿ اَ كُنتَ بَدّرِى مَا الْكِنْبُ ﴾ أي الله أي ميه هو؟ لأنه ﷺ كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز وأدلُّ على صحة نبوّته، قال: ومعنى ﴿ وَلا الْإِيمَانَ ﴾ أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، قال: وخص الإيمان، لأنه رأسها وأساسها، قال: وقيل: أراد بالإيمان هنا: الصلاة، قال بهذا جماعة من أهل العلم، منهم إمام الأثمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال واحتج بقوله تعالى: ﴿ مَن الله الله يعني الصلاة، فسماها إيماناً، قال: وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به، وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أي: يا محمد ﴿إِنَّهِ عَنَ إِنَّ سِرَطِ تُسْتَقِيرٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم قال في تنمة الآية: ثم فسره بقوله تعالى: ﴿وَسِرَطِ اللَّهِ أَي: شرعه اللهي أمر به ألله ﴿اللَّوَى أَمُ مَا فِي ٱلشَّكَوَتِ وَمَا فِي ٱلأَرْتِثُ﴾ أي: ربهما ومالكهما والمتصرّف فيهما والحاكم الذي لا معقّب لحكمه ﴿إِنَّ إِلَى الدَّمْ يُعِيرُ أَلْمَ رُبُو فِيفِيها ويتحكم فيها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً. اهم.

سورة الزخرف

وهي مكِّيَّة بإجماعهم

وقال مقاتل: هي مكُّيَّة، إلَّا آيَةً، وهي (١) قوله: ﴿ وَمِّتَلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ١٥].

يسد ألَّهِ النَّافِ النَّهَديد

﴿ حَمْ ۞ رَالْكِتَبِ الْمُدِينِ ۞ إِنَّا جَمَلَتَهُ فَزُمَانًا عَرَبِيًّا لَمَلَكُمْ مَّفَقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِنَ أَرِّ الْكِتَبِ لَدَيْنَا لَمَالًى حَكِيدُ ۞ أَفَنَظْرِبُ عَنكُمُ الذِحْرَ مَفْحًا أَن كُنتُرْ قَوْمًا تُسْرِفِينَ ۞ وَيُمْ أَرْسَلُنَا مِن نَبِيْ إِلَّا كَافُوا بِهِ. يَسْتَمْرِهُنَ ۞ فَأَمْلَكُنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَعْنَى مُنَلُ الْأَوْلِينَ ۞ وَلَهِن سَأَلْتُهُمْ مِّنْ ظَنَى السَّكَوْتِ وَالأَرْضَ لِقُولُنَ خَلْقَهُنَّ الْمَرِيدُ الْفِلِيدُ ۞ الَّذِى جَمَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَمَلَ لَكُمْ فِيهَا شُبُلًا لَمَلَكُمْ نَهْتَدُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿حمّ ﴿ ﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن]. ﴿ وَالْكِتَبِ النَّهِينِ ﴾ قسم بالقرآن. ﴿ إِنَّا بَعَلَتُهُ ۗ قال سعيد بن جبير: أنزَلْناه. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [النساء: ٢٨، يوسف: ٢٢] إلى قوله: ﴿ وَإِنَّابُ ﴾ يعني القرآن ﴿ فِي أَتِر الْكِتَبِ ﴾ قال الزجاج: أي: في أصل الكتاب، وأصل كلّ شيء: أمُّه، والقرآن مُثْبَتٌ عند الله الله في في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَـا﴾ أي: عندنا ﴿لَمَائِ﴾ أي: رفيع. وفي معنى الحكيم قولان: أحدهما: مُخْكُم، أي: ممنوعٌ من الباطل، قاله مقاتل. والثاني: حاكمٌ لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الكفر بالنار، ذكره أبو سليمان الدمشقي، والمعنى: إن كذَّبتم به يا أهل مكة فإنه عندنا شريفٌ عظيمُ المَحَلِّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْنَفْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ مَنْحًا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: نُمْسِكُ عنكم فلا نذكُركم صفحاً، أي: إعراضاً، يقال: صَفَحْتُ عن فلان: إذا أعرضت عنه، والأصل في ذلك أن تُولِيه صَفْحَة عنقك، قال كُثيَّر يصف امرأة: صَفْحُوحاً فسما تَلْقالُ إلّا بَسِخِيلَةً فَي فَي مَنْ مَلْ منها ذلك الوَصْل مَلَّتِ (٢)

أي: مُعْرِضَة بوجهها، يقال؛ ضَرَبْتُ عن فلان كذا: إذا أمسكتَه وأضربتَ عنه. ﴿أَن كُنتُمْ قَرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أن كنتم» بالنصب (٢٠)، أي: لأن كنتم قوماً مسرفين. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة. قال الزجاج: وهذا على معنى الاستقبال، أي: إن تكونوا مسرفين نَضْرِبْ عنكم اللَّكُر. وفي المراد بالذُّكُر قولان: أحدهما: أنه ذِكْر العذاب، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن عذابكم ونترُكُكم على كفركم؟! وهذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به؟! وهو معنى قول قتادة، وابن زيد. وقال قتادة: «مُشْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلم نبيَّه أنِّي قد بعَثتُ رُسُلاً فَكُذَّبوا فأهلكتُ المَكلِّين بالآيات التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَشَدَ مِنهُم﴾ أي: من قريش ﴿ بَطْشَا﴾ أي: قُوَّةً ﴿ وَمَعَنىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: سبق وصف عِقابهم فيما أنزل عليك. وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المشابهة بينهم في الإهلاك. ثم أخبر عن جهلهم حين أقرُّوا بأنه خالق السموات والأرض ثم عبدوا غيره بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسَّرة في [طه: ٥٣] إلى قوله: ﴿لَمَنَاكُمْ نَهُ مَدُوكِ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم.

﴿ وَالَّذِي نَزُّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَامًّا مِقَدَرٍ فَاتَشَرَا بِهِ. بَلْدَةً مَّيَّتًا كَذَلِك تُخْرَجُونَ ۞ وَالَّذِي خَلَقَ ٱلأَزْوَجَ كُلُّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ

⁽١) في الأصل: وهو.

 ⁽٢) • الغرآن، ٣٩٥، واللسان، والتاج،: صفح. وفي الغريب القرآن، والتاج،: اإلا بِحِيلة، بدل البَخِيلة،.

⁽٣) أي: بفتح الهمزة.

الْفَاكِ وَالْأَنْفَدِ مَا تَكَبُّونَ ۞ لِتَسْتَوُا عَلَى طُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكُرُوا نِعْمَةً رَشِكُمْ إِذَا اسْتَوَيَّمٌ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَدَا وَمَا كُنَا لَمُ مُغْرِينِ ۞ وَلِنَا إِلَىٰ رَبَّا لَمُنْقِلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِى نَزُّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَا اللَّهِ مَا أَمْ مِقَدْرِ ﴾ قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قَدَرٍ فأغرقهم، بل هو بقَدَرٍ ليكون نافعاً ، ومعنى وأنشَونا المحرِّينا .

قوله تعالى: ﴿كَنَالِكَ تُخْرِجُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر: "تَخْرُجُونَ المناء وضم الراء؛ والباقون بضم التاء وفتح الراء. وما بعد هذا قد سبق ايست: ٣٦، ٤٦] إلى قوله تعالى: ﴿لِلسَّتَوَا عَلَى ظَهُوبِه ﴾ قال أبو عبيدة: هاء المنذكير لـ «ما». ﴿ثُمَّ تَذَكُوا نِعْمَة رَبِكُم ﴾ إذ سخّر لكم ذلك المركب في البرّ والبحر، ﴿وَمَا كُنَا لَمُ مُقْرِينَ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أيّ: مُطيقين، قال ابن قتيبة: يقال: أنا مُقْرن لك، أي: مُطيق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قرن لفلان الفلان: إذا كنت مثله في الشّدة، فإن قلت: أنا قرن لفلان منفتح القاف في معناه: أن تكون مثله بالسّن. وقال أبو عبيدة: المُقْرنين الهذي ضابطين، يقال: فلان مُقْرن لفلان، أي: ضابط له.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا إِلَّا رَبِّ لَمُنْقِلُونَ ١٠٠٠ أي: راجعون في الآخرة (١٠٠٠.

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزَّةًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكُفُورٌ شُبِئُ ۞ آدِ اتَّخَذَ مِنَا يَغْلُقُ بَنَاتِ وَأَصْفَىٰكُمُ بِالْبَنِينَ ۞ وَإِذَا بُشِرَ اَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّمْنَنِ شَكَا ظُلَّ وَجْهُمُ مُسْوَدًا وَهُو كَظِيمُ ۞ أَوْمَن يُنشَقُؤ فِ الْجِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُهِينِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَجُمَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزُءًا ﴾ أمّا الجَعْل هاهنا، فمعناه: الحُكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بناتُ الله؛ والمعنى: جعلوا له نصيباً من الولد، قال الزجاج: وأنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى «جزء» معنى الإناث ـ ولا أدري البيت قديم أو مصنوع ـ:

قد تُجزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أَحْياناً"

إِنْ أَجْدَرُأَتْ خُدرًا أَ، يُدوماً، فيلا عَجَبَ

أي: آنثت، ولدت أنثى^(٣).

قُولُه تَعَالَى: ﴿إِنِّ ٱلْإِنسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿لكَفُورٌ﴾ أي: جَحودٌ لِنِعَم الله وَلِئَى ﴿قَبِينَ﴾ أي: ظاهرُ الكُفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَمِ أَغَنَدُ مِنَا يَغُلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهام توبيخ وإنكار ﴿وَأَسْفَنكُمُ ﴾ أي: أخلَصَكم ﴿وَإَلْبَنِينَ ﴾. ﴿وَإِذَا بُئِرَ أَمَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّعْنِ مَثَلًا﴾ أي: بما جعل لِله شبها، وذلك أن ولد كلِّ شيء شبهه وجنسه. والآية مفسرة في [النحل: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿أَوْمَن بُنَقُوا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: "يُنَشَّأُ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ وقرأ الباقون: بفتح الياء وسكون النون. قال المبرّد: تقديره: أو يَجعلون من ينشأ ﴿فِ الْمِلْيَةِ ﴾ قال أبو عبيدة: الحِلْية: الحِلْية: الحِلْية: الحِلْية. والخصام بمعنى المُخاصَمة، ﴿غَيْرُ لُبِينِ ﴾ حُجَّةً قال قتادة: قلَّما تتكلَّم امرأة بحُجَّتها إلّا تكلَّمتُ بالحُجَّة عليها. وقال بعضهم: هي الأصنام.

﴿ وَجَمَلُوا الْمَلَتَهِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّمْنِينِ إِنَانًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمُّ سَتُكْنَبُ شَهَندَئُهُمْ وَيُسْتَلُونَ ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَآة الرَّمْنُونَ مَا عَبْدَتُهُمْ مَا لَهُم بِدِ مُسْتَسِكُونَ ﴿ بَلَ قَالُوا إِنَّ مَبْدَنَةُمْ حَبَنَا مِن فَبْلِهِ فَهُم بِدِ مُسْتَسِكُونَ ﴿ بَلَ قَالُوا إِنَّ وَبَدَنَا عَلَى أَلَيْهِ مِن فَنْدِهِ مِن اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

⁽١) روى مسلم في (صحيحه؛ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى أن رسول الله إلى النازى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿ سُبَكَنَ الّذِى سَخْرَ لَنَا كَذَا رَمَّا حَشَا لَهُ مُعْرِينَ كُوااً إِلَى رَبَّا لَسُنَوْلِدَى ﴿ ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرِّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم وقن علينا سفرنا هذا، وإلحو عنّا بُعْدَه، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعَنَاهِ السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهنَّ، وزاد فيهن (آيون تاثبون، عابدون، لربنا حامدون».

⁽٢) البيت غير منسوب في فغريب القرآن؛ ٣٩٦، والقرطبي؛ ٦٩/١٦، والبحر المحيط؛ ٨/٨، واللسان؛ والتاج؛: جزأ.

 ⁽٣) قال في (غريب القرآن) نقلاً عن الزجاج: فمعنى (إن أجزأت) أي: آتنت، أي: أتت بأنثى.

قوله تعالى: ﴿رَجَمَلُوا اَلْمَلَتَهِكَةَ﴾ قال الزجاج: الجَعْل هاهنا بمعنى القول والحكم على الشيء، تقول: قد جعلتُ زيداً أعلمَ الناس، أي: قد وصفته بذلك وحكمت به. قال المفسرون: وجَعْلُهم الملائكة إناثاً قولُهم: هُنَّ بناتُ الله.

قوله تعالى: ﴿ وَنَالُواْ لَرُ شَامَ الرَّمَنُ مَا عَبَدَيْهُم ﴾ في المكنيُ عنهم قولان. أحلهما: أنهم الملائكة، قاله قتادة، ومقاتل في آخرين. والثاني: الأوثان، قاله مجاهد. وإنها عَنَوْا بهذا أنه لو لم يَرْضَ عبادتنا لها لعجّل عقوبتنا، فرد عليهم قولهم بقوله: ﴿ مَا لَهُم بِذَلِك مِنْ عِلْمُ الله مِن المفسرين يقول: إنها أشار بقوله: ﴿ مَا لهم بذلك مِنْ عِلْم الله الأعالم المائكة إناث؛ قال: ولم يتعرّض لقولهم (المعنى الموسمين الموسمين المائلة المائلة الله قول صحيح؛ والذي اعتمدنا عليه أصح، لأن هذه الآية كقوله: ﴿ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَنْرَصَكُنا ﴾ [الانمام: ١٤٨]، وقوله: ﴿ أَظُمْ مَن لُو بَنَاهُ الله المعنى هنالك. وه يَحْرُصُونَ بمعنى: يكذبون. وإنما كذّبهم، لأنهم اعتقدوا أنه ألمَمَنهُ إلى المعنى منهم الكفر ديناً. ﴿ إِنَّ عَالُوا إِنَّ وَبَدْنَا عَالَيْهُ اللهُ إِنَا عَلَى اللهُ ﴿ فَهُم بِهِ مُسْتَسِكُونَ ﴾ يأخذون بما فيه (أَن قَالُوا إِنَّ وَبَدْنَا عَالَيْنَا عَلَى اللهُ إِنَّ عَلَيْهُ أَيْ وَبَدْنَا عَلَى اللهُ وَلَوْ عِلْهُ وَدِين ﴿ وَإِنَّا عَلَى مَالْمُوم المنام؛ المنام؛ المنام؛ هوا أولو الله وقول الله وقول المنام؛ على الله وقول الله وقول الله وقول الله وقول الله وقول اللهم النفير. وقوا أبو حفص عن عاصم: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ عِنْهُ أَلُهُ اللهُ والله القول بالتقليد. قال المقاتل: فقال المنام النبي على فقال: ﴿ وَلَنَا عَلَى اللهُ الله على النبي على قوا أبو علم عليه آباءكم وإن جنتكم بأهدى منه إلى الأمم الخالية، فقال: ﴿ قَانَقَمَنَا يَنْهُمْ مِن كَالْمَ ولها النبي عقال: ﴿ قَانَقَمَنَا يَنْهُمْ مِن كَالَهُ وَلُو وَلَمْ المنالية وقال: ﴿ قَانَقُمْنَا يَنْهُمْ مِن كَالَةُ والله القول بالتقليد. قال المقاتل: فَرَقُوا على النبي على فقالوا: ﴿ إِنَّا أَرْبُولُهُ اللهُ المنال القول بالتقليد. قال المقاتل: فَرَقُوا على النبي على فقالوا: ﴿ إِنَّا أَنْهُمَا النبي اللهُ المنال القول بالتقليد. قال المقاتل: فَرَقُوا على النبي على فقالوا: ﴿ قَانَقُمُنَا عِنْهُ اللّهُ اللهُ ال

⁽١) في الأصل: عن عباده بنات.

 ⁽٢) ذكر هذا الحديث البغوي في اتفسيره، عن الكلبي ومقاتل بدون سند، وهو متقطع. وذكره الخازن أيضاً من غير سند، ولم يعزه الأحد.

⁽r) في الأصل: بقولهم. (a) أن الأصل: «لو شاه الله ما عبدناهم»، ولفظ الآية كما أثبتناه.

⁽ه) قال ابن كثير: يقول تعالى منكِراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا ُ دليل ولا حجة: ﴿أَمْ مَاتِنَكُمْ حَجْتَكُمْ بِنَا قَبْلِيهِ﴾ أي: من قبل شركهم ﴿وَهُمْ بِدِ سُنَتَمِكُونَ﴾ أي المركهم ﴿وَهُمْ بِدِ سُنَتَمِكُونَ﴾ أي الم يكن ذلك. أه. الله. أه.

⁽٢) قال ابن كثير: أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمّة، قال: والمراد بها الدين هاهنا وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مَنْهِهِ أَتْكُمُّرُ أَنْذُ رَبُودَةٌ﴾، قال: وقولهم: ﴿وَإِنَّا عَلَيْمَ النَّزِيمِ﴾ أي: وراءهم ﴿ثُمَّيْدُرنَ﴾ قال: دعوى منهم بلا دليل. اهـ.

 ⁽٧) قال ابن كثير: بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد صبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرمل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم:
 ﴿ كَنْكِكُ مَا أَنَ النِّينَ بِن تَبْلِهِم بِن رَسُولٍ إِلّا قَالُما تَسْبِرُ أَنْ جَنْزُهُ ۞ أَنْوَاسَوْا بِيدً بَلْ هُمْ فَرْمٌ طَاشْرَى ۞ قال: ثم قال: وهكذا قال هاهنا: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلُنَا بِن تَبْلِكَ بِن قَبْلِكَ بِن قَبْلِهِ فَلَا المشركين: ﴿ وَلَنَهُ مِنْ اللّهِ اللّهُ عَلَى عَاشُوهِم مُقْتَثَمْرِي ۞ قال: ثم قال ﷺ ﴿ وَلَمْ اللّه الله المشركين: ﴿ أَرْلُو يَعْلَى اللّه الله الله الله السوء قصدهم ﴿ يَتَمْ اللّه الله الله الله الله السوء قصدهم ﴿

﴿وَإِذْ قَالَ إِبَرْهِمُ لِأَبِيهِ وَفَرْمِيهِ؞ إِنَّنِي بَرَاثُهُ مِنَا مَشَّبُتُونَ ۞ إِلَّا الَّذِى فَلَمَرِنِ فَإِنَّهُ سَيَتْهِدِينِ ۞ وَجَمَلَهَا كَلِمَةٌ بَافِيهُ فِي عَفِيهِ؞ لَلْلَهُمْ بَرْجِمُونَ ۞ بَلَ مَثَمَّتُ هَـُثُولَاهِ وَيَائِلَهُمْ حَقَّى جَاءَمُمُ الْمَقُ وَرَسُولٌ شُبِنٌ ۞ وَلِنَّا جَاءَمُ الْمَقُ قَالُوا هَمَذَا سِخَرٌ وَإِنَّا بِهِـ كَثِرُونَ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّنِي بَرَيَهُ ﴾ قال الزجاج: البَراء بمعنى البَريء، والعرب تقول للواحد: أنا البَراء منك، وكذلك للاثنين والجماعة، وللذكر والأنثى، يقولون: نحن البَراء منك والخَلاء منك، لا يقولون: نحن البَراءان منك، ولا البَراءون منك، وإنما المعنى: أنا ذو البَراء منك، ونحن ذو البَراء منك، كما يقال: رجل عَذَل، وامرأة عَذَل. وقد بيّنًا استثناء إبراهيم ربّه عَلَى مما يعبدون عند قوله: ﴿إِلّا رَبَّ ٱلْمَلَينَ ﴾ [الشعراء: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ رَجَمَلَهَا ﴾ يعني كلمة التوحيد، وهي الا إله إلا الله ﴿ كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ فِي عَقِيدٍ ﴾ أي: فيمن يأتي بعده من ولده، فلا يزال فيهم موجّد ﴿ لَمَلَهُمْ يَرْحِمُونَ ﴾ إلى التوحيد كلَّهم إذا سمعوا أنّ أباهم تبرّاً من الأصنام ووجّد الله ﷺ (١٠). ثم ذكر نعمته على قريش فقال: ﴿ بَلَ مَتَمَّتُ هَنُوُلَا وَ وَيَائِلَهُمْ ﴾ والمعنى: إنّي أجزلتُ لهم النّعَم ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿ حَقَى جَآءُمُ لَكُنّ ﴾ وهو القرآن ﴿ وَرَسُولُ شُيِنٌ ﴾ وهو محمد ﷺ، فكان ينبغي لهم أن يقابِلوا النّعَم بالطاعة للرسول، فخالفوا. ﴿ رَبّنًا جَآءُمُ ﴾ يعني قريشاً في قول الاكثرين. وقال قتادة: هم اليهود. و﴿ آلَمُنّ ﴾ القرآن.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُوْلَ مَكَا الْفُرْمَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْفَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿ اَلْمُتَنِ عَظِيمٍ ﴾ أَهُمْ يَضِيمُونَ رَجْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِنَا يَبَيْمُ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْكَيْوَةِ اللَّهُ أَلَا اللَّهُ مَنَا بَسَمُهُم بَسْمَنا سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِكَ خَيْرٌ مِنَا يَجْمَعُونَ ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أَمَنَهُ وَمِمَائِحَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ وَلِمُنْ اللَّهُ وَسُمُوا عَلَيْهَا يَتُحُونَ ﴾ وَرُحْمُنًا وَلِمُ وَلَمْ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنْ فِضَيْ وَمُعَاجِعَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ وَاللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ عَلَيْهَا يَشْكُونَ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللللّهُ الللللّه

قوله تعالى: ﴿ رَمَّالُوا لَوَلا﴾ أي: هلّا ﴿ لُوْلَ هَذَا الْفَرْمَانُ عَلَى رَجُلِ مِن الْفَرْمَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ أمّا القريتان، فمكّة والطائف، قاله ابن عباس، والجماعة؛ وأمّا عظيم مكة، ففيه قولان: أحدهما: الوليد بن المغيرة القرشي، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، [وبه قال قتادة، والسدي]. والثاني: عُتبة بن ربيعة، قاله مجاهد. وفي عظيم الطائف خمسة أقوال: أحدها: حبيب بن عمرو بن عبير الثقفي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: مسعود بن عمرو بن عبيد الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: مسعود بن عمرو بن عبير الثقفي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: عمره بن عمرو بن عمير الطائفي، قاله السدي، عبد ياليل (٢٠)، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: كنانة بن عبد [بن] (٣) عمرو بن عمير الطائفي، قاله السدي، فقال الله فيكل ردًا عليهم وإنكاراً: ﴿ أَمُر يَقْسِمُونَ رَجَمْتَ رَبِكَ ﴾ يعني النبوّة، فيضعونها حيث شاؤوا، لأنهم اعترضوا على الله فالوا(٤). ﴿ خَمُنُ مَسَنَا بَيْنُمُ مَيِيشَتُهُم ﴾ المعنى أنه إذا كانت الأرزاق بقدر الله، لا بحول المحتال وهو دون النبوّة بسيط فكيف تكون النبوّة؟! قال قتادة: إنك لَتَلْقَى ضعيف الجيلة عَيَّ اللسان قد بُسِطَ له الرَّزْقُ، وتَلْقَى شديدَ الجيلة بسيط فكيف تكون النبوّة؟! قال قتادة: إنك لَتَلْقَى ضعيف الجيلة عَيَّ اللسان قد بُسِطَ له الرَّزْقُ، وتَلْقَى شديدَ الجيلة بسيط اللسان (٥) وهو مقتور عليه.

 ⁽٢) هو كنانة بن عبد ياليل الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف (في الحجاز)، كان رئيس ثقيف في زمانه، مدح النعمان بن المنذر، وأدرك الإسلام،
 وقدم على النبي ﷺ في وقد ثقيف بعد حصار الطائف، فأسلم الوقد إلا كنانة، فتوجه إلا بلاد الروم فمات فيها.

⁽٣) زيادة من «الطبري» و«القرطبي».

⁽٤) قال ابن كثير: قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْتَتَ رَيِّكَ﴾ أي: ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله ﷺ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم يبتاً، وأطهرهم أصلاً. اهـ.

⁽٥) كذا الأصل ابسيط اللسان، والذي في الطبري اسليط اللسان،

قوله تعالى: ﴿وَرَبَقَنَا بَعَضُهُمْ فَرْقَ بَعْنِى دَرَجَدَتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالغنى والفقر. والثاني: بالحرية والرق ﴿ لِنَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضَا مُخْرِيًا ﴾ وقرأ ابن السميفع، وابن محيصن: ﴿ سِخْرِيّا ﴾ بكسر السين. ثم فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياءُ الفقراء بأموالهم، فَيَلْتَتِمُ قِوام العالَم، وهذا على القول الأول. والثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيتَّخذونهم عبيداً، وهذا على الثاني (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَرَحْتُ رَبِّكَ ﴾ فيها قولان: أحدهما: النُّبوَّة خير من أموالهم التي يجمعونها، قاله ابن عباس. والثاني: الجنة خير ممّا يجمعون في الدنيا، قاله السدي(٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أَمَّةً وَحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لولا أن يجتمعوا على الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: على إيثار الدنيا على الدّين، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَمَلُنَا لِمَن يَكُفُرُ بِالرَّحْنِ لِبُهُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ لهوان الدنيا عندنا. قال الفراء: إن شئت جعلت اللام في البيوتهم، مكرَّرة، كقوله: ﴿يَتَكُونَكُ عَنِ النَّهُو الْمَوَامِ فِتَالِ فِيهِ ﴾ [البور: ١٧٧]، وإن شئت جعلتها بمعنى اعلى، كأنه قال: جَعلنا لهم على بيُوتهم، تقول للرجل: جعلتُ لك لقومك الأعطية، أي: جعلتُها من أجلك لهم. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: استَّففاً على التوحيد. وقرأ الباقون: استُقفاً بضم السين والقاف جميعاً. قال الزجاج: والسَّقف واحد يدلُّ على الجمع؛ فالمعنى: جعلنا لبيتِ كلِّ واحد منهم سقفاً من فِضَّة ﴿وَمَمَالِحَ ﴾ وهي الدَّرَج؛ والمعنى: وجعلنا معارج من فِضَة، وكذلك ﴿وَلِيمُوتِهِمَ أَوْرَاكُ أي: من فِضَة ﴿وَسُرًا ﴾ أي: من فِضَة.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن تتيبة: أي: يَعْلُون، يقال: ظَهَرْتُ على البيت: إذا عَلَوْتَ سطحه.

قوله تعالى: ﴿وَرُخُرُفاً ﴾ وهو الذهب؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وغنّى ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَعُ لَلْيَوَةِ اللّهِ المعنى: لَمَتَاع الحياة الدنيا، واما؛ زائدة وقرأ عاصم، وحمزة: اللّما؛ بالتشديد، فجعلاه بمعنى الله؛ والمعنى: إنّ ذلك يُتمتّع به قليلاً ثم يزول ﴿وَالْآتِخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصةً لهم (٢٠).

﴿ وَمَن يَمْشُ عَن ذَكْرِ الرَّحْنِ نُفَيِّضَ لَمُ شَيْطَكَ فَهُوَ لَهُ فَرِنَ ۞ وَإِنَّهُمْ لِيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَهُم مُّهَـتَدُونَ ۞ حَقّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَنْتُبَتُ أَنْكُو فِي الْمَذَابِ مُشْتَرَكُونَ ۞ حَقّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَنْتُبَتُ أَنْكُو فِي الْمَذَابِ مُشْتَرَكُونَ ۞ أَنَاتَ تُشْبِعُ اللّهُ وَلَا يَنْعَكُمُ الْيُوْمَ إِذَ ظَلَمْتُدُ أَنْكُو فِي الْمَذَابِ مُشْتَرَكُونَ ۞ أَنَاتَ تُشْبِعُ أَلْفُهُ وَلَا يَنْعَكُمُ الْيُومُ إِذَا خَلَامُ أَنْ مَنْ اللّهُ عَنْ أَنْ عَلَى فَي مَسَلَلٍ شَبِينٍ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشُن﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يُعْرِضُ، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء، والزجاج، والثالث: أنه البَصَر الضعيف، والفراء، والزجاج، والثالث: أنه البَصَر الضعيف، حكاه الماوردي. وقال أبو عبيدة: تُظْلِمْ عينه عنه. وقال الفراء: من قرأ: ﴿يَعْشُ، مَعناه: يُعْرِضُ، ومن نصب الشين،

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ فَتُنْ مُسْتَنَا يَيْتُمْ فَيِينَتُهُمْ فِي الْمَيْزَةِ الدُّيَا﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلفنا، فنجعل من شئنا رسولاً، ومن أردنا صدِّيقاً، ونتُخذ من أردنا خليلاً، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً ﴿ لِتَنْجِدُ بَسَمُهُم بَسَمَنا المُؤَلِّ ﴾.
وقال ابن كثير: قال الله على مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القرى الظاهرة والباطنة فقال: ﴿ لَكُنْ مُسَنّا مُسْتِهِم بَهِ فَيلَ عَمْدَاء ليسخُر بعضهم بعضاً.
في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً.

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَرَحْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِنَا يَجْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذِكره: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. اهـ. وقال ابن كثير: أي: ورحمة الله خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا. اهـ.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: ونوله: ﴿ وَإِن كُمُّ مَنْكُ لَكَرَوْ الدَّيَا ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كلُّ هذه الأشياء التي ذكرت، من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسُّرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل اللنيا في اللنيا ﴿ وَالْكَيْمَ وُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَهِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين ـ الذين اتقوا الله فخانوا عقابه، فجلُوا في طاعته رحذروا معاصبه ـ خاصة، دون غيرهم من خلق الله. اهد. وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ولا تشريوا في آتية اللهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنياء ولكم في الآخرة، وروى الترمذي عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ولا كانت اللنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرة شرية عاه قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أراد: يَعْمَ عنه؛ قال ابن قتيبة: لا أرى القول إلّا قول أبي عبيدة، ولم نر أحداً يجيز اعَشَوْتُ عن الشيء، أعرضتُ عنه، إنما يقال: ﴿تَعَاشَيْتُ عَن كَذَا﴾، أي: تغافلتُ عنه، كأنِّي لم أره، ومثلُه: تعامَيْتُ، والعرب تقول: ﴿عَشُوتُ إلى النار»: إذا استدللتَ إليها ببصر ضعيف، قال الحطيئة:

مستَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْء نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ(١)

ومنه حديث ابن المسيّب: ﴿أَنْ إحدى عينَيْه ذهبتْ، وهو يَعْشُو بِالْأَخرى ، أي: يُبْصِر بها بصراً ضعيفاً. قال المفسرون: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّمْيَنِ ﴾ فلم يَخَف عِقابه ولم يلتفت إلى كلامه ﴿ نُقِيِّشْ لَمُ ﴾ أي: نسبب له ﴿ شَيْطُنَا ﴾ فنجعل ذلك جزاءَه ﴿ فَهُو لَمُ مَرِينٌ ﴾ لا يفارقه (٢). ﴿ رَائِبُمْ ﴾ يعني الشياطين ﴿ لَصُدُّوبَهُمْ ﴾ يعني الكافرين، أي: يمنعونهم عن سبيل الهدى؛ وإنما جمع، لأن امَنْ، في موضع جمع، ﴿ وَيُعْسَبُونَ ﴾ يعنى كفار بني آدم ﴿ أَنْهُم ﴾ على هدى. ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا﴾ وقوأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «جاءنا» واحد، يعنى الكافر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «جاءانا» بألفين على التثنية، يعنون الكافر وشيطانه. وجاء في التفسير أنهما يُجعلان يومَ البعث في سلسلة، فلا يفترقان حتى يُصَيَّرُهما الله إلى النار، ﴿وَالَ﴾ الكافر للشيطان: ﴿يَنلِنَتَ بَبْنِي وَبَبْنَكَ بُمَّدَ ٱلمَشْرِقَةِنِ﴾ أي: بُعْدَ ما بين المَشْرِقَيْن؛ وفيهما قولان: أحدهما: أنهما مَشْرِقُ الشمس في أقصر يوم في السنة، ومَشْرِقُها في أطول يوم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه أراد المَشْرِق والمَغْرِب، فغلُّب ذِكْر المَشْرِق، كما قالوا: سُنَّة العُمَرَيْن، يريدون: أبا بكر وعمر، وأنشدوا من ذلك:

أخَذُنا بِآنِاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ

يريد: الشمس والقمر؛ وأنشدوا: فَسَسَصْرَةُ الأَذْهِ مِسنَّسا والسعِسراقُ لَسنسا

لَنا قَمراها والنجومُ الطّوالِعُ(٣)

والسمَسوْصِلان ومِسنَّسا مِسطَسرُ والسحَسرَمُ (١)

يريد: الجزيرة والموصل، [وهذا اختيار الفراء، والزجاج].

قوله تعالى: ﴿ فِينْسَ الْقَرِينُ ﴾ أي: أنتَ أيُّها الشَّيطان. ويقول الله كلُّن يومثذِ للكفار: ﴿ وَكُن يَنفَعَكُمُ ٱلْيُومَ إِذ ظَّلَمْتُدُ ﴾ أي: أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُرُ فِي ٱلْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعكم الشِّركة في العذاب، لأن لكل واحد منه الحظُّ الأوفر. قال المبرِّد: مُنِعوا روح التَّأسِّي، لأن التَّاسِّيّ يُسهل المُصيبة، وأنشد للخنساء أخت صِخر بن مالك في هذا

ولَسؤلا . كَسَفْرَةُ السبساكِسيسنَ حَسؤلِسي

ومسا يَسبُسكُسونَ مِسفُسلَ أخسي ولسكِسنُ أَعَسزُي السِّفَ فُسسَ عَسفُهُ بِسالسَّتَ السَّسي (٥)

وقرأ ابن عامر : ﴿إِنَّكُمُ بَكُسُرِ الْأَلْفِ. ثُمَّ أُخبرُ عنهم بما سبق لهم من الشَّقاوة بقوله: ﴿أَفَاتَتَ تُشَـيِعُ ٱلصَّدَّ . . . ﴾ الآية .

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنَفِقُونَ ۞ أَوْ زُيِنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُقْتَدِرُونَ ۞ فَاسْتَسْبِكَ بِٱلَّذِى أُرْجَى إِلَيْكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَالِ مُسْتَفِيدِ ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِغَوْمِكُّ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ قال أبو عبيدة: معناها: فإن نَذْهَبَنَّ؛ وقال الزجاج دخلت اما، توكيداً للشرط، ودخلت النون الثقيلة في «نَذْهَبَنَّ» توكيداً أيضاً؛ والمعنى: إنّا ننتقِم منهم إن تُوفّيتَ أَوْ نُرِيَنّكَ ما وَعَدْناهم ووعَدْناك فيهم

⁽١) ﴿ ويوانه ١٦١، وهمجاز القرآن؛ ٢٠٤/، ووغريب القرآن؛ ٣٩٨، و«الكتاب؛ ١/ ٤٤٥، و«الخزانة» ٣/ ٦٦٢، وفروح المعاني؛ ٧٤/٥٥، وفالصحاح، واللسان؛ والتاج؛ عشا.

قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿وَمَن يَسْتُن﴾ أي: يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّمَنِي﴾ قال: والعشا في العين: ضعف بصرها، والعراد هاهنا: عشا البصيرة ﴿نُفَيِّضْ لَمُ شَيْطَنَا فَهُوَ لَهُ فَيِنَّ﴾ كفوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَانِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَقدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَجْعَ غَيْرَ سِيلِ الشَّهِبِينَ فَهَلِدٍ. مَا قَالَ وَنُصَافِدٍ. جَهَنَّامٌ وَمَكَاءَتْ مَعْمِيرًا 🐠 . اهـ.

البيت للفرزدق، ديوانه، ١٩٤٥، و الكامل، ١٧٤، و (الطبري، ٢٥/ ٧٤.

البيت غير منسوب في (الطبري، ٢٥/ ٧٤)، و(الصحاح، و(اللسان، و(التاج،: وصل.

قديوانها؛ ٨٤، وقالكامل؛: ١٥، وقالبحر المحيط؛ ٨/ ١٧، وقروح المعاني؛ ٧٥/ ٧٧. والتأسّي: التصبُّر.

من النَّصر. قال ابن عباس: ذلك يومَ بدر. وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا وجه [له].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ يعني القرآن ﴿الْذِكِّ آلَكَ ﴾ أي: شَرَفٌ لَكَ بما أعطاكَ الله ﴿وَلِقَرْبِكُ ﴾ في قومه ثلاثة أقوال: أحدها: العرب قاطبة. والثاني: قريش. والثالث: جميع من آمن به. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل: لِمَنْ هذا الأمرُ من بعدك؟ لم يُخْبِر بشيء، حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: القريش (١) وهذا يَدُلُ على أن النبي ﷺ فَهِم من هذا أنه يَلِي على المسلمين بحُكُم النَّبوَّة وشَرَفِ القرآن، وأن قومه يَخْلُفونه من بعده في الولاية لشرف القرآن، وأن قومه يَخْلُفونه من بعده في الولاية لشرف القرآن الذي أنزلَ على رجُلٍ منهم. ومذهب مجاهد أن القوم هاهنا: العرب، والقرآن شَرَفٌ لهم إذ أنزلَ بلُغتهم. قال ابن قتيبة: إنما وُضع الذَّكر موضعَ الشَّرف، لأن الشَّريف يُذْكَر. وفي قوله: ﴿وَسَرْفَ ثُمُنَالُنَ ﴾ قولان: أحدهما: عن شُكر ما أعطيتم من ذلك. والثاني: عمّا لزمكم فيه من الحقوق.

﴿ وَمَثَلُ مَن أَرْسَلُنَا مِن قَبْلِكَ مِن أَرْسُلِنَا آجَمَلُنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْنِ مَالِهَهُ يُعْبَدُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلُنَا مُوسَىٰ بِغَايَدِينَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِانِهِ. فَقَالَ إِنَ رَسُولُ رَبِّ ٱلْكَلِينَ ﴿ فَمَا أَيَّمُ عِلْقِينًا إِنَا مُ مِنْهَا يَعْضَكُونَ ﴿ وَمَا أَرْبِهِم مِنْ مَالِيَةٍ إِلَا هِى آخَبُرُ مِن أَخْتِهَا وَلَا مُعْبَدُونَ ﴿ وَمَا لَمُ اللّهَ مَنْ مَالِيةٍ إِلَا هِى آلْكَنَابَ وَلَمَنْ اللّهُ مَنْ مِنْهُ وَمَالُوا بِمَالَّهُ السَّاحِرُ انْعُ لِنَا رَبِّقِ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّا لَكُهْمَدُونَ ﴿ وَلَمَا كَشَفَا عَنْهُمُ الْمُلْلَانِ مِن مَنْهُ وَلَا يَكُونُ فِى فَرْمِهِ قَالَ يَعْفِي الْبَيْلِ لِي مُلْكُ مِمْرَ وَهَذِهِ ٱللّهَ لِمَا لَيْهِ مَنْ وَلَا يَكُونُ فِى فَرْمِهِ قَالَ يَعْفَى إِلَيْهِ الْمُؤْرِقُ فِى وَمُومِ وَاللّهُ مُنْ مِينَ فَيْ اللّهُ مِنْ وَلَا يَكُونُ أَلْقِي عَلْمُ الْمُؤْلِقُ مِنْ وَمَعْلِمُ اللّهُ مَنْ مِن عَلَيْهِ اللّهُ مَنْ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن مَعِينَ وَلَا مَنْ مَنْ اللّهُ مُنْ مِن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِن اللّهُ وَلَا مَنْ مَن مَن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مَن اللّهُ مِنْ اللّهُ مُن اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ وَلَا مُنْ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿ وَسَّتُلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبُلِكَ مِن رُسُلِنا ﴾ إن قبل: كيف يسأل الرُسل وقد ماتوا قبله؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لمنا أسري به جُمع له الأنبياء فصلًى بهم، ثم قال [له] جبريل: سَلْ من أرسَلْنا قَبْلُك . . الآية (٢) . فقال: لا أسأل، قد اكتَفَيْتُ، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا قول سعيد بن جبير، والزهري، وابن زيد؛ قالوا: جُمع له الرُسل ليلة أسري به، فلقيهم، وأمر أن يسألهم، فما شَكَ ولا سأل. والثاني: أن المراد [اسأل] مؤمني أهل الكتاب [من] الذين أرسلت إليهم الأنبياء، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين، قال ابن الأنباري: والمعنى: سَلْ أتباع مَنْ أرسَلْنا قَبْلُكَ، كما تقول: السخاء حاتِم، أي: سخاء حاتِم، والشعر زهير، أي: شخء حاتِم، والشعر زهير، أي: شخء حاتِم، والشعر الممنى: أي شعر زهير. وعند المفسرين أنه لم يسأل على القولين. وقال الزجاج: هذا سؤال تقرير، فإذا سأل جميع الأمم، لم يأتوا بأن في كتبهم: أن اعبدوا غيري. والثالث: [أن] المُراد بخطاب النبي ﷺ: خطابُ أُمّته، فيكون المعنى: سَلُوا، قاله الزجاج (٣). وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ إِنَا مُ يَنْهَا يَعْمَكُونَ ﴾ استهزاء بها وتكذيباً. ﴿ وَمَا نُوبِهِ مِنْ عَالِهُ مِنْ الشُوفان والجراد والقُمَّل والضّفادع والدَّم والطّمس، فكانت عذاباً لهم، ومعجزات لموسى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُ ﴾ في خطابهم له بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا: يا أيها العالِم، وكان

⁽١) ذكره البغوي من رواية الضحاك عن ابن عباس بدون سند، وكذلك ذكره البغوي عن ابن عباس بدون سند. قال السيوطي في اللاره ١٨/٦: أخرج ابن علي، وابن مردويه عن علي رابن عباس قالا: كان رسول الله ﷺ يَعرض نفسه على القبائل بمكة، ويَعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعلك؟ أمسك فلم يجبهم بشيء ه لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء، حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُ لِنَكُرْ لَكَ وَلَقَرِيكٌ ﴾ فكان بَعدُ إذا سئل، قال: ولقريش، فلا يجببوه، حتى قبلته الأنصار على ذلك. وروى البخاري في قصحيحه، عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فإن هلم الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين، قال ابن كثير: ومعناه: أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعلمهم بمقتضاه، قال: وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من المخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم. اه.

⁽٢) وهذا تنسير للآية، ولفظها: ﴿وَمَثَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن نَبْلِكَ مِن تُمُلِنّا ﴾. ﴿ ٣) رجع القول الناني ابن جرير الطبري في فتفسيره.

الساحر فيهم عظيماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله الحسن. والثالث: أنهم خاطبوه بما تقدَّم له عندهم من التَّسمية بالسّاحر، قاله الزجّاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُهَنَّدُونَ ﴾ أي: مؤمنون بك. فدعا موسى، فكُشف عنهم، فلم يؤمِنوا. وقد ذكرنا ما تركناه ها في الأعراف: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿ عَبِرِى مِن نَحَيِّ ﴾ أي: من تحت قصوري (١) ﴿ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾ عظمتي وشِدَّة مُلكي؟! ﴿ أَمَا خَيْرٌ ﴾ قال أبو عبيدة: أراد: بل أنا خَيْرٌ. وحكى الزجاج عن سيبويه والخليل أنهما قالا: عطف «أنا» بـ «أمْ على «أفلا تُبْصِرون» [فكأنه قال: أفلا تُبْصِرون] أم أنتم بُصَراء؟! لأنهم إذا قالوا: أنتَ خيرٌ منه، فقد صاروا عنده بُصراءً. قال الزجاج: والمَهينِ: القليل؛ يقال: شيء مَهِين، أي: قليل. وقال مقاتل: «مَهِين» بمعنى ذليل ضعيف (١).

قُوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُادُ يُبِينُ﴾ أشار إلى عقدة لسانه التي كانت به ثم أذهبها الله عنه، فكأنه عيَّره بشيء قد كان وزال، ويدل على زواله قوله تعالى: ﴿وَنَدْ أُرْتِيتَ سُوْلُكَ يَسُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٦]، وكان في سؤاله: ﴿وَاَسْلُلُ عُقْدَةٌ مِن لِسَالِيْ ﴿ وَاللهِ وَاللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ أَلَاتِي بَيانَ يُفْهِم (٢٠). ﴿وَلَالِهَ ﴾ أي: فهلا الْأَلْقِي عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ فَهِم الله وقرأ حفص عن عاصم: «أشورة بغير ألف. قال الفراء: واحد الأساورة: إشوار، وقد تكون الأساورة جمع أشورة، كما يقال في جمع الأشقية: الأساقي، وفي جمع الأكرُع: الأكارع، وقال الزجاج: يصلُح أن تكون الأساورة جمع الجمع تقول: أشورة وأساورة، كما تقول: أقوال وأقاويل، ويجوز أن تكون جمع إشوار، وإنما صرفت أساورة، لأنك ضممت الهاء إلى أساورة، فصار اسما واحداً، وصار له مثال في الواحد، نحو اعلانية، قال المفسرون: إنما فرعون هذا، لأنهم كانوا إذا سؤدوا الرجل منهم سؤروه بِسوار. ﴿أَوْ جَاءَ مَمَهُ الْمَلَمِكُمُ مُقَرِّنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: متنابعين، قاله قتادة: والثاني: يُمشون معه، قاله الزجاج،

قوله تعالى: ﴿ فَالسَّتَخَكَ قَرَّمُمُ ﴾ قال الفراء: استفرَّهم؛ وقال غيره: استخفَّ أحلامَهم وحملهم على خِفَّة الحِلْم بكيده وغُروره ﴿ فَأَطَاعُوهُ ﴾ في تكذيب موسى. ﴿ فَلَمَا الله عَلَى الله على الله على المنقب المن وقتح اللام، كأن واحدته سُلفة من الناس، مثل القطعة المنه المن وقتح اللام، كأن واحدته سُلفة من الناس، مثل القطعة المنقب المنقب المنقب المنقب وقب المنقب المنقب وحمل المنقب وحمل المنقب المنقب وحمل المنظل المنظل

قوله تعالى: ﴿ رَمَثَكَا ﴾ أي: عِبْرة [وعظة].

﴿ وَلَنَا شُرِبَ أَبُنُ مَرْيَدَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنَهُ يَعِيدُونَ ﴿ وَقَالُوٓا مَالِهَتُمَنَا خَيْرُ أَدَ هُوَ مَا صَرَيُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًّا بَلْ هُرْ

⁽۱) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرُّده وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجّحاً مفتخراً بملك مصر وتصرُّفه فيها ﴿الْبَسَ لِي مُلكُ مِشْرَ وَهَكَذِهِ الْأَنْهُرُ خُيْرِي مِن تَحْبَقُ ﴾.

إلى الله الله كثير: يعني فرعون له الله الله الله أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، قال: وقد كذب في قوله هذا كذباً بيّناً واضحاً، فعليه لعائن الله المتنابعة إلى يوم القيامة، قال: وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال. اهـ.
 له ولا سلطان ولا مال. اهـ.

⁽٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَلَا يَكُادُ يُمِينُ ﴾ افتراء أيضاً (يعني من فرعون لغنه الله) فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷺ أن يحلُّ عدة من لسانه ليفقهوا قوله، قال: وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿ وَدَ أُرْتِيتَ شُؤْلُكَ يَكُونَنِ ﴾ قال: ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، قال: فالأشياء الحُلقية التي ليست من فعل المبد لا يعاب بها ولا يُدَمُّ عليها، قال: وفرعون وإن كان يفهم وله عقل، فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغياء. اهـ.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَدَّنَا ءَاسَقُونَا﴾ قال: أغضبونا ﴿آئِنَتَنَا مِنْهُمْرَ﴾ يقول: انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلًناه لهم، فأغرقناهم جميعاً في البحر. اهـ.

قَرَّمُ خَصِمُونَ ۞ إِنَ هُوَ إِلَا عَبْدُ أَنْمَتَنَا عَلِتِهِ وَيَعَمَلَتُهُ مَثَلًا لِبَيِّ إِسْرُهِ بِلَ ۞ وَلَوْ نَشَاءٌ لِجَمْنَا مِنكُم لَلْتَهِكُمُ فِي الْأَرْضِ بَعْلَمُونَ ۞ وَإِنَا مِنْمُ الشَّيْطُنُّ إِنَّمُ لَكُوْ عَدُوُّ مُبِينٌ ۞ وَلِنَا جَاءً عِسَىٰ وَإِنَّهُ لِمِنْمُ الشَّيْطُنُّ إِنَّمُ لَكُوْ عَدُوُّ مُبِينًا عَلَيْهُ وَلِنَا جَاءً عِسَىٰ إِلَيْنِ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَغْلَمُونَ فِيهً قَاتُمُوا اللَّهُ وَلَلْلِمُونِ ۞ إِنَّ مَرَافِكُو فَاعَبُدُوا مَنَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلِهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْلُ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْلُولُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللْمُؤْلِقُ اللْهُ وَلِلْمُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا شُرِبَ أَنُ مُرَيّرَ مَثَلًا ﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزّبعري رسول الله على حين نزل قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَشَبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ ﴾ الآية الانبياء: ١٩١ وقد شرحنا القصة في سورة الانبياء: ١٠١] (١) . والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مَثَلاً لآلهتهم وشبههوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذِكر الاصنام، لأنها عُبِدَتْ مِنْ دون الله، فألزموه عيسى، وضربوه مثلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى. والمراد بقومه: المشركون. فأما ﴿ يَمِيدُونَ ﴾ فقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بضم الصاد، وكسرها الباقون؛ قال الزجاج: ومعناهما جميعاً: يَضِجُون، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يُعْرِضون. وقال أبو عبيدة: من كسر الصاد، فمجازها: يَعْبُون، ومن ضمَّها، فمجازها: يَعْبُلون.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ءَالِهَتُمَا خَيْرُ أَدْ هُوَّ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإن كان في النار لأنه عُبِدَ مِنْ دون الله، فقد رضينا أن تكون آلهتُنا بمنزلته. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ذَكَروا عيسى إلّا ليجادلوك به، لأنهم قد عَلِموا أن المراد بـ «حَصَب جهنم» ما اتخذوه من الموات^(٢) ﴿بَلْ هُرْ فَقَمُ خَصِدُونَ﴾ أي: أصحاب خصومات^(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَهَ مَلَكُ مُثَلًا ﴾ أي: آية وعِبرة ﴿ لِنَيْ إِسْرَوبِلَ ﴾ يعرِفون به قُدرة الله على ما يريد، إذ خلقه من غير أب. ثم خاطب كفار مكة، فقال: ﴿ وَلَوْ نَنَاءً لِمَكُلًا مِنكُم ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لَجَعَلْنا بدلاً منكم ﴿ مُلْكَيِّكَةً ﴾ ؛ ثم في معنى فيَخُلُفُونَ الثاني: يخلُف بعضُهم بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: يخلُفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مجاهد. والثالث: يخلُفون الرُّسل فيكونون رسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أن المعنى: ﴿ وَلَوْ نَنَاءً لِتَكَلّا مِنكُم مَلَاكَةً يخلُفونَ مَنْ ذهب منكم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِيَنَّمُ لِلسَّاعَةِ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: [أنها] تَرْجِع إلى عيسى على المهاد، وقتادة، الكلام قولان: أحدهما: نزولُ عيسى من أشراط الساعة يُعْلَم به قُربها، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليلٌ على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق. والقول الثاني: أنها تَرْجِع إلى القرآن، قاله الحسن، وسعيد بن جبير. وقرأ الجمهور: «لَعِلْمٌ» بكسر العين وتسكين اللام؛ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وحميد، وابن محيصن: بفتحهما (1). قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين، فالمعنى أنه يُعْلَم به قُرْبُ الساعة، ومن فتح العين واللام، فإنه بمعنى العلامة والذليل (٥).

⁽۱) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ۱۷۵، ۲۱۶، وذكره البغوي بدون سند قال: قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن المزيعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنۡكَـٰكُمْ وَمَا نَسۡبُدُنَ مِن دُونِ اَلَّهَ حَسَبُ جَهَدَرَ﴾ [الأنبياء: ۱۰۱]، وكذلك ذكره المخازن بدون سند، وقد ذكر المفسرون ذلك في سورة [الأنبياء: ۱۰۱]، وانظر ۹٤٥ من كتابنا هذا.

⁽٢) عبارة البغوي والخازن: وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَصَّبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَسَبُ جَهَنَّكُ ۖ هؤلاء الأصنام.

 ⁽٦) روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري عن أبي أمامة ﷺ بسند صحيح قال: قال رسول الله 漢: اما ضل قوم بعد هدى كانوا
 عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ رسول الله 養 هذه الآية: ﴿مَا شَرَيْوُهُ لَكَ إِلَّا جَدُلٌ أَنْ مُرْ قَرْمُ حَمْسُونَ﴾.

⁽٤) في الأصل: بفتحها، والتصويب من كتب التفسير.

 ⁽٥) قال ابن كثير: تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام، قال: وفي هذا نظر، قال: وأبعد منه ما حكاء قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في "وإنه عائد على القرآن، قال: بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، قال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَنْ أَمْلِ الْكِنْدِ إِلَّا لِكُونِينًا في فِيدَ فَمْلَ مَوْقِيمً مَنْ عِلْمَ الله عني المعنى القراءة على المعنى القراءة =

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَا جَاتَهُ عِسَىٰ إِلْكِيْنَتِ ﴾ أي: فلا تَشُكُنَ فيها ﴿ وَاتَبِمُونِ ﴾ على التوحيد ﴿ وَلَهُ الذي أنا عليه ﴿ مِرَطِ مُسْتَفِيرٍ ﴾ . ﴿ وَلَنَا جَاتَهُ عِسَىٰ إِلْكِيْنَتِ ﴾ قد شرحنا هذا في [البقرة: ١٨] . ﴿ وَلَا يَتِنَ كُمُ بَعْضَ الّذِي تَخْلِيْنُونَ فِيقٍ ﴾ [أي]: من أمر النّبوّة، قاله عطاء، والسدي. والثاني: الإنجيل، قاله مقاتل. ﴿ وَلِأَيْنِ لَكُمْ بَعْضَ الّذِي تَخْلِيْنُونَ فِيقٍ ﴾ [أي]: من أمر دينكم؛ وقال مجاهد: ﴿ بَعْضَ اللّذِي تَخْلِيْنُونَ فِيقٍ ﴾ من تبديل التوراة؛ وقال ابن جرير: من أحكام التوراة. وقد ذهب قوم إلى أن البعض هاهنا بمعنى الكُلّ. وقد شرحنا ذلك في [خمّ الدون: ١٨]؛ قال الزجاج: والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكُلّ، وإنما بيّن لهم عيسى بعض الذي اختلفوا فيه ممّا احتاجوا إليه؛ وقد قال ابن جرير: كان بينهم اختلاف في أمر دينهم فقط. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ١٧٥، مربم: ١٧] إلى قوله: ﴿ مَلَ بُطُرُونِ كِنْ يَطُرُونَ كُنْ مِنْ كُمْ اللّهُ عَلَى كُنُار مَكة.

﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَهِنِم بَعْشُهُمْ لِيَعْمِى عَدُوُ إِلَّا الْمُتَقِينَ ۞ يَعِبَادِ لَا خَوْنُ عَلَيْكُو الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُر خَمْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ مَامَنُوا يِعَايَنِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۞ انْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَجُكُو تُحْبَرُونَ ۞ يُطَانُ عَلَيْم الْأَنْفُسُ وَتَلَذُ الْأَعْبُثُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ وَيَلْكَ الْمَنَّةُ الْتِي أُورِثْتُمُومًا بِمَا كُنْتُر تَمْمَلُونَ ۞ لَكُو فِيهَا فَكِمَةً كَذِيرَةً يُنْهَا تَأْكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلْاَهُ﴾ أي: في الدنيا ﴿يَوَمَهِنِهُ أي: في القيامة ﴿بَمْشُهُمْ لِبَمْضِ عَدُوَّ ﴾ لأن الخُلَّة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوة يوم القيامة؛ وقال مقاتل: نزلت في أُمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط ﴿إِلّا الْمُتَقِيرِ ﴾ يعني الموحِّدين (١). فإذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد ﴿يَنِمِيَادِ لاَ خَوْنُ عَلَيْكُ الْيَرْمَ وَلا أَنتُر عَمَرَوُن ﴾ فيرفع المخلائق رؤوسهم، فيقول: ﴿النِّينَ مَامَنُوا عِيَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿﴾ فينكُس الكفار رؤوسهم (٢). قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحالين وإسكانها، وحذفها في الحالين ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص، والمفضل عن عاصم، وخلف. وفي أزواجهم قولان: أحدهما: زوجاتهم. والثاني: قرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿فُحَيَرُونِ﴾ [الروم: ١٥].

َ **قوله تعالى: ﴿**يُطَائُنُ عَلَيْهِم بِصِمَافِ﴾ قال الزجاج: واحدها صَحْفة، وهي القَصْعة. والأكواب، واحدها: كُوب، وهو إناء مستدير لا غُرْوَة له؛ قال الفراء: الكُوب: [الكوز]^(٣) المستدير الرأس الذي لا أُذُن له، وقال عديّ:

مُستَّكِ مِنا تَصفِيقُ أَبِوابُه يَسْعَنَى عليه العَبْدُ بِالكُوبِ(١٤)

وقال ابن قتيبة: الأكواب: الأباريق التي لا عُرى لها. وقال شيخنا أبو منصور اللغوي: وإنما كانت بغير عُرىً لِيَشرب الشارب من أين شاء، لأن العُروة تَرُدُّ الشارب من بعض الجهات.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِـبِهِ ٱلْأَنْفُسُ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تشتهيه» بزيادة هاءٍ. وحذفُ الهاء كإثباتها في المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَيَلَذُّ ٱلْأَعْيُرُ ۗ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشيءَ، واستلذذتُه، والمعنى: ما من شيء اشتهتْه نَفْس أو استلذَّتْه

الأخرى (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال: قال مجاهد: (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة، قال: هكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقنادة، والضحاك، وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً. اهـ.

 ⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿الأَخِلَةُ بَرْمَيْم بَتَشَهُمْ لِتَشْهِ مَثَدُّ إِلَّا النَّقِينَ ﴿ أَيْ اللَّمَةِ وَصحابة لغير الله، فإنها تقلب يوم القيامة عداوة،
 إلا ما كان لله على، فإنه دائم بدوامه، قال: وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿إِنَّمَا أَغَذَرُ ثِن دُونِ اللَّهِ أَرْئَكَا مَرْدَةً بَيْنِكُمْ فِي الْحَيْزَةِ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُولُ عَلَى اللّهُ عَلَى ال

⁽٢) - قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَبِيبَادِ لَا خَوْقُ عَيْتِكُمُ ٱلْيُرْمَ وَلَا أَشُرٌ عَتَرَبُونَ ۞﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه، قال: ومعنى الكلام: الأخلاء يومثذِ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها. اهـ.

⁽٣) زيادة من «اللسان».

⁽٤) البيت لعديّ بن زيد، وهو في «مجاز القرآن» ٢٠٦/٢، و«القرطبي» ١١٤/١٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: كوب.

﴿إِنَّ الْمُجْرِينَ فِي عَذَابِ جَهَتُمْ خَلِدُرِنَ ﴿ لَا يُغَثَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُثْلِسُونَ ﴿ وَمَا طَلَتَنَهُمْ وَلَكِنَ كَانُواْ هُمُ الظّلِلِينَ ﴿ وَالْآوَالَ لَكُنْ الْمُؤْمِنَ ﴿ وَمَا طَلَتَنَهُمْ وَلَكِنَ الْمُؤْمِنَ ﴿ وَمَا طَلَتَنَهُمْ وَلَكِنَ الْمُؤْمِنَ ﴿ وَمَا طَلَتَنَهُمْ وَلَكِنَ الْمُؤْمِنَ ﴾ المُعْلِمِينَ ﴿ اللَّهُ مُؤْمِنَ ﴾ المُعْلِمِينَ ﴿ اللَّهُ مُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهُ مُؤْمِنُونَ ﴾ السَّمَوْنِ اللَّهُ مُؤْمِنُونَ ﴾ وَرُمُنُنَا لَدَيْمِمْ يَخُومُونُوا وَيُلْمَبُوا حَقَّ بُلِنَعُلِ اللَّهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ والمُعْرَفِقُ فَي فَوْمُونُ وَيُلْمَعُونَ اللَّهُ مُؤْمِنُوا وَيُلْمَبُوا حَقَّ بُلِنَعُلُ اللَّهُ مُؤْمِنُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلْمُجِرِينَ ﴾ يعني الكافرين، ﴿لا يُغَدَّ ﴾ أي: لا يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ رَمُمْ فِيهِ ﴾ يعني في العذاب ﴿يُلِينُونَ ﴾ قال ابن قتيبة: آيسون من رحمة الله. وقد شرحنا هذا في الانمام: ٤٤] ﴿وَمَا ظَلْنَاهُمْ ﴾ أي: ما عَذَّبْناهم على غير ذَنْب ﴿وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّلْلِينَ ﴾ لأنفسهم بما جَنَوْا عليها. قال الزجاج: والبصريُّون يقولون: «هُم، هاهنا فصل، كذلك يسمُّونها، ويسمِّيها الكوفيُّون: العِماد.

قوله تعالى: ﴿وَاَدَوْ يَدَيِكُ ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب ﴿ وابن مسعود، وابن يعمر: [«يا ماكِ»] بغير كاف مع كسر اللام. قال الزجاج: وهذا يسميه النحويون: [الترخيم]، ولكني أكرهها لمخالفة المصحف. قال المفسرون: يَدْعُون مالكاً خازنَ النار فيقولون: ﴿لِيَقْنِ عَيْتَا رَبُّكُ ﴾ [أي]: لِيُعِتْنا (١) ؛ والمعنى: أنهم توسّلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيستريحوا من العذاب؛ فيسكتُ عن جوابهم مُدَّة، فيها أربعة أقوال: أحدها: أربعون عاماً، قاله عبد الله بن عمرو، ومقاتل. والثاني: ثلاثون سنة، قاله أنس. والثالث: ألف سنة، قاله ابن عباس. والرابع: مائة سنة، قاله كعب. وفي سكوته عن جوابهم هذه المدة قولان: أحدهما: أنه سكت حتى أوحى الله إليه أن أُجِبُهم، قاله مقاتل. والثاني: لأن بعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذَّلُ. قال الماوردي: فرَّد عليهم مالك فقال: ﴿إِنَّكُمْ مَا بَين النداء والجواب أخزى لهم وأذَّلُ. قال الماوردي: فرَّد عليهم مالك فقال: ﴿إِنَّكُمْ الْكُونَ ﴾ أي: أرسَلْنا رسلنا بالتوحيد ﴿لَاكِنَ أَكَرَكُمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد: كُلِّكم ﴿كَيْهُونَ ﴾ لما جاء به محمد الله المعدد الله الله المعالى المعالى المعالى الله عباس عباس: يريد: كُلِّكم ﴿ كَيْهُونَ ﴾ لما العذاب به محمد الله الله المعال الله عباس المعالى الله المعالى المعالى الله عباس المعالى المعالى الله المعالى ا

قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَبُرُواْ أَمْرً ﴾ في هأم عولان: أحدهما: أنها للاستفهام. والثاني: بمعنى قبل على والإبرام: الإحكام . وفي هذا الأمر ثلاثة أقوال: أحدها: المَكْرُ برسول الله على المَتْ الله الأكثرون. والثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة. والثالث: أنه: إبرامُ أمرهم بيان القصة الاننال: ٣٠]، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة. والثالث: أنه: إبرامُ أمرهم يُنجيهم من العذاب، قاله الفراء. ﴿ إِنَّا مُبْرُونَ ﴾ أي: مُحْكِمون أمراً في مجازاتهم. ﴿ مَ يَسْبُونَ أَنَا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ هو ما يتناجون به بينهم ﴿ إِنَ ﴾ والمعنى: إنّا نسمع ذلك ﴿ رَبُسُكُ ﴾ يعني [من] الحَفظة ﴿ الشَيْمُ لِللهُ وَلا أَن اللهُ واللهُ عني الله ولد في قولكم يكُنبُونَ ﴾ . ﴿ أَن كان للله ولد في قولكم وعلى زعمكم (٢) ، فعلى هذا في قوله: ﴿ أَنْ السَبِينَ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فأنا أول الجاحدين، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن أعرابيّن اختصما إليه، فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض، فعبدنيها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فأنا أوّلُ العابدين الجاحدين أن لله ولداً. والثاني: فأنا أوّلُ الموحدين. معناه: إن كنتم تزعمون للرحمن وَلَداً، فأنا أوّلُ الموحدين.

⁽١) في الأصل: يميتنا، والتصويب من كتب التفسير.

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿ لَكِنَ أَكْثَكُمْ لِلْمَنْ ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله، ولا تُقبِل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصدُّ عن الحق وتأباء،
 وتبغض أهله، فعُردوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ أَنْ ﴾ يا محمد ﴿ نَ كَانَ النَّرَحْنِ وَلَدُّ قَاتَا أَلَنُ ٱلنَّبِينَ ﴾ أي: لو فوض هذا لعبدتُه على ذلك لاني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباءٌ عن عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، قال: والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال ﷺ : ﴿ وَلَنْ أَنْ يَتَخِدُ وَلَنَا لَاتَظَلْنَ مِنَا يَضَلُقُ مَا يُشَكِّدُ مُنْ اللهُ أَلْوَجِدُ النَّهَكَارُ ۚ إِلَى اللهِ الل

والثالث: فأنا أول الآنفين له مما قُلتم، قاله ابن السائب، وأبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يقال: عَبِدْتُ من كذا، أُعبَدُ عَبَداً، فأنا عَبدٌ وعابدٌ، قال الفرزدق:

وأَعْبَدُ أَنْ تُنهَجَى تَسِيمٌ بِعدادِمٍ (١)

[أولتك قَوْمٌ إِنْ هَجَوني هَجَوتُهم] أي: آنف، وأنشد أبو عبيدة:

وأغبَدُ أن اسبَّهُمُ بعقَوْمِي وأوثِدُ دارماً وبَديدي رَزاح

والرابع: أن معنى الآية: كما أنّي لستُ أول عابدٍ شه، فكذلك ليس له ولد؛ وهذا كما تقول: إن كنتُ كاتباً فأنا حاسبٌ، أي: لستَ كاتباً ولا أنا حاسبٌ؛ حكى هذا القول الواحدي عن سفيان بن عيينة. والقول الثاني: أنّ «إنْ» بمعنى دما»، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد؛ فيكون المعنى: ما كان للرحمن [ولد]، فأنا أولُ من عَبَدَ الله على يقين أنه لا وَلَدَ له. وقال أبو عبيدة: الفاء على [هذا القول] بمعنى الواو(٢).

قوله تعالى: ﴿ نَذَرُهُمْ ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يَخُونُمُوا ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْمَبُوا ﴾ في دنياهم ﴿ حَقَّى بُلَثُوا ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن محيصن، وأبو جعفر: «حتى يَلْقُوا» بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير ألف. والمراد: يلاقوا [يوم] القيامة وهذه الآية [عند الجمهور] منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ وَمُو الّذِى فِى السَّمَاءِ إِنَهُ وَفِى الْأَرْضِ إِنَهُ ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يُعْبَد في السماء ويُعْبَد في الأرض. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس، وابن السميفع، وابن يعمر (٣)، والجحدري: "في السماء الله وفي الأرض الله» بألف ولام من غير تنوين ولا همز فيهما. وما السميفع، وابن يعمر (٣)، والجحدري: "في السماء الله وفي الأرض الله» بألف ولام من غير تنوين ولا همز فيهما. وما بعد هذا قد سبق بيانه الاعراف: ٤٥، لغمان: ٤٢٤ إلى قوله: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ اللّذِينِ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشّفاعة من محمد، النفر بن الحارث ونفراً معه قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن نتولّى الملائكة، فهم أحق بالشفاعة من محمد، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٥). وفي معنى الآية قولان: أحدهما: أنه أراد بالذين يَدْعُون مِنْ دونه: آلهتهم، ثم استثنى عيسى وعزير والملائكة، فقال: ﴿ وَلَا مَن شَهِدَ إِللَّهُ مِن شَهِدَ اللهُ الله ﴿ وَمُعْم يَسْلَوه وَالله الله وَرُعُم يَسْلُوه وهي كلمة الإخلاص عبدهم المشركون بالله لا يَمْلك هؤلاء الشفاعة لأحد ﴿ إِلّا مَن شَهِدَ ﴾ أن الله فَي خلق عيسى وعزير والملائكة، وهذا مذهب قوم، منهم مجاهد. وفي الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالماً بما يَشهد به.

قوله تعالى: ﴿ وَيَدِيدِهِ يَكُرُبِّ ﴾ قال قتادة: هذا نبيُّكم يشكو قومه إلى ربِّه. وقال ابن عباس: شكا إلى الله تخلُّف

⁽١) البيت في همجاز القرآن؛ ٢٠١/٢، وهخريب القرآن؛ ٤٠١، و«البحر المحيط؛ ٢٨/٨، و«القرطبي؛ ١٢٠/١٦، «الصحاح؛ و«اللسان؛ و«التاج؛: عبد.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى «إن»: الشرط الذي يقتضي الجزاء.

 ⁽٣) في النسخة الاستنبوليه: ﴿وأبو الجوزاء بدل ﴿وابن يعمر ﴾.

⁽٥) ذكر سبب النزول هذا الخازن في اتفسيره بدون سند، ولم يعزه لأحد، بل قال: قيل: سبب نزولها أن النضر بن المحارث ونفراً معه قالوا… إلخ.

قومه عن الإيمان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «وقيلَه» بنصب اللام؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه أضمر معها قولاً، كأنه قال: وقال قيلَه، وشكا شكواه إلى ربَّه. والثاني: أنه عطف على قوله: ﴿أَمْ يَسَبُونَ أَنَا لاَ سَنَعُ وَقِيلَه؛ فالمعنى: ونسمع قِيلَه، ذكر القولين الفراء، والأخفش. والثالث: أنه منصوب على معنى: وعنده عِلْم الساعة ويَعْلَم قِيلَه، هذا اختيار الزجاج. وقرأ عاصم، الساعة ويَعْلَم قِيلَه، هذا اختيار الزجاج. وقرأ عاصم، وحمزة: «وقيلِه» بكسر اللام والهاء حتى تبلغ إلى الياء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ الساعة وعِلْمُ قِيلِه. وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة، وحميد: برفع اللام؛ والمعنى: ونداؤه هذه الكلمة: يا رب؛ ذكر عِلَّة الخفض والرفع الفراء والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ فَاصَغَعْ عَنَهُ ﴾ أي: فأغرض عنهم ﴿ وَقُلَ سَلَمُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قُلْ خيراً بدلاً من شرَّهم، قاله السدي. والثاني: ارْدُد [عليهم] معروفاً، قاله مقاتل. والثالث: قُلْ ما تَسْلَم به من شرَّهم، حكاه الماوردي. ﴿ فَسَوْتَ بَعْلَمُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم. والثاني: أنك صادق. والثالث: رحلول العذاب بهم، وهذا تهديد لهم: ﴿ فَسَوْتَ بَعْلَمُونَ ﴾ (١٠). وقرأ نافع، وابن عامر: فتعلمون وبالتاه. ومن قرأ بالياء، فعلى الأمر للنبي ﷺ بأن يخاطبهم بهذا، قاله مقاتل؛ فتسخت آية السيف الإعراض والسلام.

帝 帝 帝

 ⁽١) قال ابن كثير: ﴿ نَسُونَى بِمُلَمُونَ ﴾ هذا تهديد من الله تعالى لهم. قال: ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يردّ، وأعلى دينه وكلمته، قال: وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب، والله أعلم.

سورة الدّخان

وهي مكِّيَّة كلُّها باجماعهم

بنب ألَّهُ النَّابِ الرَّجَبِ إِنَّ الرَّجَبِ إِنَّ الرَّجَبِ إِنَّ الرَّجَبِ إِنَّ الرَّجَبِ إِنَّ

﴿ حَمْ ۞ وَلَكِتَٰبِ الْمُدِينِ ۞ إِنَاۤ اَنزَلْتَهُ فِى لِسُلَمَةٍ مُّبَرَكَةً إِنَّا كُنَّا مُسْدِينَ ۞ فِيهَا بُمْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا نِينَ عِندِنَاۚ إِنَّا كُنَّا مُرْمِيلِينَ ۞ رَحْمَةً مِن رَبِّكُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبِّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَّا ۖ إِن كُشُر مُوفِيدِك ۞ لاَ إِنَّهُ إِلَّا هُو بُخِي. وَيُمِيثُ رَبِّكُو وَرَبُ مَامَاتِهُكُمُ الْأَوْلِينِ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَاقِ بَلْمَبُونِ ۞﴾

قوله ﷺ: ﴿ حَمْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْرَائِدَةُ ﴾، وجواب القسم ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ ﴾، والنه كناية عن الكتاب، وهو القرآن ﴿ فَي لَيْلَةٍ بُّكِرَكَةً ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهو قول الآكثرين. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جُملة واحدة، فوُضع في السماء الدنيا، ثم أنزِل نجوماً. وقال مقاتل: نزل القرآن كلّه في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان، قاله عكرمة (١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُندِرِنَ ﴾ أي: مخوِّفين عقابنا (٢٠). ﴿فِيهَا ﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُ ﴾ أي: يُفْصَل (٣٠). وقرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: فيقُرقُ الفتح الياء وكسر الراء الحُلَّ النصب اللام ﴿أَمْرِ حَكِيمٍ ﴾ أي: مُحكم، قال ابن عباس: يُكتَب من أمَّ الكتاب في ليلة القَدْر ما هو كائن في السنة من الخير والشرِّ والأرزاق والآجال، حتى الحاج، وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى. وعلى ما روي عن عكرمة أن ذلك في ليلة القدر، ليلة النصب من شعبان، والرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة أنه قال: في ليلة القَدْر، وعلى هذا المفسرون (١٠).

قوله تعالى: ﴿أَمْرُ مِنْ عِندِهَا ﴾ قال الأخفش: «أمراً» ودرحمةً» منصوبان على الحال؛ المعنى: إنّا أنزَلْناه آمرين أمراً وراحمين رحمة. قال الزجاج: ويجوز أن يكون منصوباً به اللهُرَقُ، بمنزلة يُفْرَقُ فَرْقاً، لأن «أمراً» بمعنى «فَرْقاً». قال الفراء: ويجوز أن تُنصب الرحمة بوقوع «مرسِلين» عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ. وقال مقاتل: «مرسِلين» بمعنى منزِلين هذا القرآن، أنزلناه رحمةً لِمَن آمن به. وقال غيره: ﴿أَمْرَا مِنْ عِندِناً ﴾ أي: إنا نأمر بنسخ ما يُنسخ من

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال على: ﴿إِنَّا أَنْزَلْتُهُ فِي لَيَلَةِ النَّدَيِ ۚ ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ لَنَكُمْ لَاسَكَانَ النَّعِهُ مَنْ القرآن أنها في رمضان.
 الذي أنزل فيه الشُّرَة أن ل من قال: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان ـ كما روي عن عكرمة ـ فقد أبعد النَّجمة، فإنَّ نص القرآن أنها في رمضان.

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِينَ ﴾ أي: معلِّمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله عِلى عباده.

٧٧ قال ابن كثير: وتوله: ﴿ يَكُمُ ثُلُ أَمْرِ حَكِيمٍ ﴿ ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السّنة وما يكون فيها من الأجال والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، قال: وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف. اه. وكذلك ذكر غيره من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يُشْرِثُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ ﴾ يعود على الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر، وهو الحق الذي لا معدل عنه، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، فحجته في ذلك بعض الآثار الضعيفة التي لا تقوم بها حجة، ومن ذلك تعلم خطأ الدعاء الذي يقرق، بعض الناس في ليلة النصف من شعبان: ٥٠. إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم...، فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، هي ليلة القدر المقصودة في هذه السورة، وليست ليلة النصف من شعبان.

⁽٤) قال ابن كثير: والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ قال: فتقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل أيتكِح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى؛ قال: فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ.

اللوح (١) ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَبِّمَتُهُ مِنَّا بِخَلْقَنا ﴿رَبِّ ٱلسَّمَوَتِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «ربُّ، بكسر الباء. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ربُّ، بكسر الباء. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿بَلَ مُهُ عِنِي الكفار ﴿فِي شَلِيْ﴾ مما جثناهم به ﴿يَلَمَبُونَ ﴾ يهزؤون به.

﴿ أَرْتَفِتْ بَوْمَ تَأْقِ ٱلسَّمَاءُ يَدْخَانِ مُبِينِ ۞ يَغْشَى النَّاسُّ هَنذَا عَدَابُ أَلِيدٌ ۞ رَبَّنَا ٱكْفِفَ عَنَا ٱلْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ أَنَّ لَمُمُ اللِّكَرَىٰ وَقَدْ جَاءَمُ رَسُولُ مُبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوْلُوا عَنْهُ وَقَالُوا مُمَلَّةٌ جَنُونُ ۞ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْمَذَابِ قِلِيلًا ۚ إِنَّكُرُ عَآبِدُونَ ۞ بَيْمَ بَطِيشَ ٱلْبَطْشَةَ ٱلكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْفِعُونَ ۞﴾

﴿ وَآرَتَهِ ﴾ أي: فانتظر ﴿ وَرَمَ تَأْنِي السّمَاءُ بِدُعَانِ تُبِينِ ﴾ اختلفوا في هذا الدخان ووقته على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] دخان يجيء قبل قبام الساعة، فروي عن ابن عباس عن النبي على أنه قال: فإن الدُّخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كيهئة الزّكام (١٠٠٠). وروى عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوتُ على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحتُ، قلت: لم ؟ قال: طلع الكوكب ذو الذَّنَب، فخشيتُ أن يطرق الدخان (١٠٠٠)، وهذا المعنى مروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، والحسن. والثاني: أن قريشاً أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخاناً من الجوع؛ فروي البخاري ومسلم في قالصحيحين من حديث مسروق، قال: كنا عند عبد الله، فدخل علينا رجل، فقال: كنا عند عبد الله، فلا القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كيهنة الزكام؛ فقال عبد الله: من عليم عِلْماً فليَقُل به، ومن لم يَعْلَم فليَقُل القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كيهنة الزكام؛ فقال عبد الله: من عليم عِلْماً فليَقُل به، ومن لم يَعْلَم فليَقُل القاعلم، إنما كان [هذا] لأن قريشاً لمّا استعصت على النبي على دعا عليهم بسنين كسنّي يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والمينة، وجعل الرجلُ ينظُر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فقالوا: عادوا إلى الكفر، فأخذوا يوم بدر، فذلك قوله: ﴿ وَمَ مَلِشُلُ الْمُلْكَةَ الْكُبْرَة ﴾ والى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالمة، والضحاك، وابن السائب، ومقائل. والثالث: أنه يوم فتح مكة لمّا حُجبت السماء بالغبرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ مَنذَا عَدَابُ ﴾ أي: يقولون: هذا عذاب. ﴿ رَبُّنَا ٱكْثِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: الجوع. والناني: الدخان ﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿ أَنَّ لَكُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: من أين لهم التذكّر والاتُّعاظ بعد نزول هذا

⁽١) عبارة الطبرسي في المجمع البيان، والشوكاني.في افتح القدير،: إنا نأمر بيبان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ.

 ⁽٢) ذكر الطبري بنحوه عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه من رواية أبي الضحى عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا،
 فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إنَّ قاصاً عند أبواب كندة يقصُّ ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام... إلخ.

⁽٣) والطبري، ١١٣/٣٥، قال ابن كثير: وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس فلل من الطبري، ١١٣/٣٥، قال ابن عباس عباس عبد الأمة وترجمان القرآن، قال: وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أبي أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والنحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن اللخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمَائِينَ بِهُ النَّمَاءُ مِنْ النَّهُ مِنْ النَّهُ النَّمَاءُ النَّهُ النَّمَاءُ مِنْ عمر عن مسروق) إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. اهـ.

قال الشوكاني في "فتح القدير": قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح (يريد بذلك سند رواية ابن أبي حاتم)، وكذا صححه السيوطي، ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية، قال: وقد عرفناك أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات المساعة وهلاماتها وأشراطها، فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، قال: وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه المدخان الذي هو من أشراط الساعة، كابن كثير في "تفسيره" وغيره، قال: وهكذا يندفع قول من قال: إنه المدخان الكائن يوم فتح مكة، متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله: ﴿ فَالنَّيْتُ بَيْمَ مَا لُلُ السُّكَاةُ بِلُكُونَ أَبِهِ هريرة قال: فإن هذا لا يعارض ما في «الصحيحين» على تقدير صحة إسناذه، مع احتمال أن يكون أبو هريرة في ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنه المراد بالآية، قال: ولهذا لم يصرح بأنه سبب نزولها. اهد.

⁽٤) ذكره البخاري بألفاظ مختلفة: ٨/٣٩٤، ٤٤٠، ٤٤٠، ورواه مسلم أيضاً، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨/٦، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل».

البلاء، ﴿و﴾ حالهم أنه ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ أي: ظاهر الصّدق؟! ﴿ثُمَّ تَرَلَّواْ عَنَهُ﴾ أي: أعرضوا ولم يقبلوا قوله ﴿وَقَالُواْ مُنَدِّ جَنَوْنُ﴾ أي: زماناً يعلّمه بشر مجنون بادعائه النّبوّة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنّا كَاشِعُواْ اَلْمَدَابِ قِلِيلاً﴾ أي: زماناً يبدراً. وفي العذاب قولان: أحدهما: الضّرُّ الذي نزل بهم كُشف بالخصب، هذا على قول ابن مسعود، قال مقاتل: كشفه إلى يوم بدر. والثاني: أنه الدخان، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُرُ عَآبِدُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى عذاب الله، قاله قتادة ...

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَظِشُ الْطَسَةَ الْكُبُرَى ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر، وأبو عمران: (يومَ تُبْطَشُ) بتاء مرفوعة وفتح الطاء (البَطْشَةُ) بالرفع. قال الزجاج: المعنى: واذكر يومَ نَبْطِش، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: (منتقِمون)، لأن ما بعد (إنّا) لا يجوز أن يعمل فيما قبلها. وفي هذا اليوم قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن مسعود، وأُبْئُ بن كعب، وأبو هريرة، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن. والبطش: الأخذ بقوة.

وَلَمْ وَلَقَدْ مَنَنَا مَلَكُمْ مَرْمَ وَرَعَوْتَ وَجَاءَمُمْ رَسُولُ حَيْرِمُ ۚ أَنَ أَذُوا إِلَى عِبَادَ اللَّهِ إِنِى لَكُوْ رَسُولُ أَمِينُ ﴿ وَانَ لَا شَلُوا عَدْتُ اللَّهِ إِنِى الْكُوْ رَسُولُ أَمِينُ ﴿ وَانَ لَا شَلُوا عَدْتُ اللَّهِ إِنَّهُ اللَّهُ إِنَّهُ اللَّهُ إِنِي عَلَيْكُوا لِللَّهِ الْمَاكِنُ اللَّهُ عَدْتُ اللَّهُ عَدْدُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عِلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيلًا عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَالِكُولُونَا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَتَنَا﴾ أي: ابتَلَينا ﴿قَبَلَهُمْ ﴾ أي: قَبْلَ قومك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْكَ ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَآءُمُّ رَسُولُ كَيْمِ ﴾ وهو موسى بن عمران. وفي معنى «كريم» ثلاثة أقوال: أحدها: حسن الخُلُق، قاله مقاتل. والثاني: كريم على ربّه، قاله الفراء. والثالث: شريفٌ وسيطُ النسب، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَذُوّا ﴾ أَي: بأن أدواً ﴿إِنَّ عِبَادَ اللّهِ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أدُّوا إليَّ ما أدعوكم إليه من الحق باتباعي، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا ينتصب اعباد الله بالنداء. قال الزجاج: ويكون المعنى: أطلِقوهم من أن أدُّوا إلي ما آمُركم به يا عباد الله. والثاني: أرسِلوا معي بني إسرائيل، قاله مجاهد، وقتادة، والمعنى: أطلِقوهم من تسخيركم، وسلموهم إليَّ. ﴿وَأَنْ لا تَقَلُوا عَلَى اللّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تفتروا عليه، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعتوا عليه أن الله قتادة. والثالث: لا تعظّموا عليه، قاله ابن جريج ﴿إِنَّ مَاتِيلٌ بِلَيْكُونُ مُنْ مَالِي عَلَى اللّهُ وَالله و

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُندُ مُّنْزَقُونَ ﴾ أخبره الله على بغرقهم لِيَظْمَئِنَّ قلبُه في ترك البحر على حاله. ﴿ كَمْ تَرَكُوا ﴾ أي:

⁽١) كذا الأصل: ﴿لا تعتوا عِبَاءِين ، والذي في الطَّبْرِي عَنْ قتادة: ﴿لا تُبغُوا ۗ.

٢) قال ابن كثير: وقوله غلا: ﴿وَآثِرُكِ ٱلْبَحْرُ رَحَوًا إِنَّهُمْ جُندُ مُشْرَوْنَ ﴿ اللهِ أَن موسى عليه الصلاة والسلام لمّا جاوز هو وينو إسرائيل البحر أواد موسى
 ان يضربة بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلاً بينهم ويين فرعون فلا يصل إليهم، فأمره الله تمالى أن يتركه على حاله ساكناً، ويشره بأنهم جند
 مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى. اهـ.

بعد غرقهم ﴿ مِن جَنَّتِ ﴾ وقد فسرنا الآية في الشعراء: ٧٥]. فأما «النَّعمة» فهو العيش اللَّيْن الرغد. وما بعد هذا قد سبق بيانه إيس: ١٥٥] إلى قوله: ﴿ وَاَوَيْنَتُهَا قَوْمًا ءَاخِينَ ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿ فَمَا بَكُتَ عَلَيْهُمُ السّمَاء أَوال: أحدها: أنه على الحقيقة؛ روى أنس بن مالك عن رسول الله على أنه قال: قما مِن مُسْلِم إلا وله في السماء بابان، باب يصعَدُ فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه وتلا هذه الآية (١٠). وقال علي الأرض ومُضعَد عمله من السماء (٢٠)، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصلّى ولا في السماء مَضعَد عمل، فقال الله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتَ عَلَيْهُمُ السّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس، مُصلّى ولا في السماء والأرض أربعين صباحاً، فقيل له: أو تَبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دُويّ كَدُويٌّ النحل (٢٠٪ والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ حَنَّ تَنَهَ لَدُن أَوْرَاهُمُ المَعدد ؛]، أي: أمل الحرب. والشامء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ حَنَّ تَنَهَ لَدُن أَوْرَاهُمُ المَعدد ؛]، أي: أهل الحرب. والشامء وألارضُ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة، وليس ذلك بكذب منهم، لأنهم جميعاً متواطئون عليه، والسّامِ له يَعرف مذهبَ القائل فيه؛ ونِيَّتُهم في قولهم: أظلمت الشمسُ له، وكَسَفَ القمرُ لقده، وكسّف القمرُ: كاد يَكُسِف، والسّامِعُ له يَعرف مذهبَ القائل فيه؛ ونِيَّتُهم في قولهم: أظلمت الشمسُ: كادت تُظِلم، وكَسَفَ القمرُ: كاد يَكُسِف، ومعني «كاده: هَمَّ أن يَقَعل ولم يفعل؛ قال ابن مُفَرِّغ يرثي رجلاً :

والبَسرَقُ يَسلُمنعُ في غَسمامَـة (١)

السريسخ تَبِي شَـُهِ وَهُ وَقَالُ الْآخِرِ:

الشَّمْسُ طالِعَةً لَيْسَتْ بِكاسِفَةٍ - تَبْكِي عَلَيْكَ - نُجُومَ اللَّيْل والْقَمَرا(٥)

أراد: الشمسُ طالعةٌ تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسِفةٌ النجومَ والقمرَ، لأنها مُظْلِمةٌ، وإنما تَكْسِفُ بضوئها، فنُجومُ الليل باديةٌ بالنهار، فيكون معنى الكلام: إن الله لمّا أهلك قوم فرعون لم يَبْكِ عليهم بالهُ، ولم يَجْزَعُ جازعٌ، ولم يوجد لهم قَقْدٌ، هذا كلُّه كلامُ ابن قتيبة.

﴿ وَلَقَدَ خَيْنَا بَنِى إِمْرُوبِلَ مِنَ الْمَدَابِ الشهينِ فِي مِن فِرْعَوْتُ إِنَّهُم كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ فِي وَلَقَدِ الْمُمْرَقِينَ فَي وَلِمَا عَنَى مِسْلِمِ عَلَى عِسْلِمِ عَلَى الْمُسْرِفِينَ فَي وَالْمَسْرِفِينَ فَي وَالْمَسْرِفِينَ فَي وَالْمَسْرِفِينَ فَي وَالْمَسْرِفِينَ فَي وَالْمَسْرِفِينَ فَي اللهُ مَنْ اللهُ وَلَى وَمَا عَنُو مُنْجَ وَالْمَيْنَ فِي وَمَا مَنْهُ اللهُ وَمُ مُنْجِورَ وَلَا مَنْ مُنْجُورً وَالْمُونَ فِي إِنَّ مِنْ اللهُ وَمُ اللهُ وَمُ اللهُ وَلَمْ مُنْجُورً وَالْمُونَ فِي إِنَّ مِنْ اللهُ اللهُ اللهُ وَمُعْمُونَ فَي إِنَا مُنْفَعِينَ فَي اللهُ اللهُ وَلَكُونَ أَصْحَامُونَ فِي إِنَّ مِنْ اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمَنَابِ الْمُهِينِ ﴾ يعني قتل الأبناء واستخدام النساء والتعب في أعمال فرعون، ﴿ إِنَّهُر كَانَ عَالِيكُ اَي: جَبَّاراً. ﴿ وَلَقَدِ الْخَرْنَهُمْ ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿ عَلَى عِـلْمٍ ﴾ عَلِمه الله فيهم على عالَمي زمانهم، ﴿ وَمَانَيْنَهُمْ مِّنَ ٱلْآيَنَتِ ﴾ كانفراق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المَنِّ والسَّلُوى، إلى غير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَتَوًّا شُبِثُ ﴾ أي: نعمة ظاهرة. ثم رجع إلى ذِكْر كفار مكة، فقال: ﴿ إِنَّ مَنَوُلاَءَ لِتَقُولُونَ ۞ إِنْ مِنَ إِلَّا مَوْتَنَنَا ٱلْأُولَى ﴾ يعنون التي تكون في الدنيا ﴿ وَمَا غَنُ بِمُنشَرِينَ ﴾

⁽١) رواه الترمذي في «سننه ١٥٨/٢ من حديث موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرَّقاشي عن أنس بن مالك ﷺ، قال الترمذي: هذا حديث غويب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرَّقاشي يضعَّنان في الحديث. والحديث ذكره السيوطي في «اللدو» ١٠٠/٦، وزاد نسبته لابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والخطيب عن أنس بن مالك ﷺ.

⁽٢) ذكره السيوطي في االدر؟ ٦/ ٣١ من رواية ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي اللنيا، وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع عن علي الله

⁽٣) أورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٠ من رواية عبد بن حميد، وأبي الشيخ في «العظمة» عن مجاهد بنحوه.

⁽٤) البيت ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ، وهو في «مشكل القرآن» ١٢٨، و«الأِضداد» للأنباري ٤٣٤، و«الأغاني» ١٨٧/١٨.

⁽ه) البيت لجرير يرثي عمر بن عبد العزيز، وديوانه ٣٠٤، ووشكل القرآن، ١٢٨، والصحاح،، واللسان، والتاج،: بكي. ورواية البيت في الديوان،: فسالسَّسَمُسُسُ كساسِمَــَةٌ لَـــُـسَتَ بِــطــالِــــَــَةٍ

أي: بمبعوثين، ﴿ فَأَنُوا بِعَالَهَا ﴾ أي: ابعثوهم لنا ﴿ إِن كُتُتُم صَدِيقِنَ ﴾ في البعث. وهذا جهل منهم من وجهين: أحدهما: أنهم قد رأوا من الآيات ما يكفي في الدلالة؛ فليس لهم أن يتنظعوا. والثاني: أن الإعادة للجزاء؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خوَّفهم عذاب الأُمَم قَبْلَهم، فقال: ﴿ أَهُمْ خَيْرُ ﴾ أي: أشَدُ وأقوى ﴿ أَمْ قَرُمُ ثَبَع ﴾ ؟! أي: ليسوا خيراً منهم. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ هَا أُدرِي تُبعاً، نبيّ، أو غير نبيّ ١٠٠ . وقالت عائشة: لا تسببوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً ، ألا ترى أن الله تعالى ذمَّ قومه ولم يذُمّ ١٠٠ . وقال وهب: أسلَم تُبع ولم يُسْلِم قومُه ، فلذلك ذكر قومه ولم يُذكر. وذكر بعض المفسرين أنه كان يعبدُ النار، فأسلم ودعا قومَه - وهم حِثير - إلى الإسلام، فكذبوه. فأمّ السميته به "تبع فقال أبو عبيدة: كل ملك من ملوك اليمن كان يسمّى: تبعاً ، لأنه يَثْبَع صاحبَه، فموضعُ "تبع في المجاهلية موضعُ الخليفة في الإسلام، وقال مقاتل: إنما سمّي تبعاً لكثرة أتباعه، واسمه: مَلْكَيْكُوب ٢٠٠ . إنما ذكر قوم تعالى: ﴿ إِنَّ يَرْمَ الْفَسُلِ ﴾ وهو يوم يَفْصِلُ الله ﷺ بين العباد ﴿ بِيتَنْهُمْ ﴾ أي: ميعادهم ﴿ أَخَيْرَ الله مقاتل. وقال ابن قتيبة: لا يَنْفع ورب قرباً ، قاله مقاتل. وقال ابن قتيبة: لا يَنْفع ولي عن وليه بالقرابة أو غيرها. والثاني: لا يَنْفَع ابنُ عَمَّ ابنَ عمّه، قاله أبو عبيدة. ﴿ وَلا هُمَ يُصَرُوك ﴾ أي، لا يُغني مؤلًا مَن تَوِم المَوْمنون، فإنه يشفع بعضهم في بعض.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ ﴿ ﴾ قد ذكرناها في [الصانات: ٦٦]. و﴿الأَثْيَمِّ : الفَاجِر؛ وقال مقاتل: هو أبو جهل. وقد ذكرنا معنى «المُهْل» في [الكبف: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَغْلِى فِي ٱلْبُطُونِ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يغلي» بالمياء؛ والباقون: بالتاء. فمن قرأ [«تغلي»] بالتاء، فلتأنيث الشجرة؛ ومن قرأ بالياء، حمله على الطعام. قال أبو على الفارسي: ولا يجوز أن يُحْمَل الغُلْيُ على المُهْل. لأن المهْل ذُكِر للتشبيه في الذَّوْب، وإنما يغلي ما شُبَّه به ﴿كَنَلِ ٱلْحَمِيدِ ﴿ الله وهو الماء الحار إذا اشْتَدَّ عَلَىانُه.

قوله تعالى: ﴿ فُذُوهُ ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه ﴿ فَآعْتِلُوهُ ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: بضم التاء؛ وكسرها الباقون؛ قال ابن قتيبة: ومعناه: قُودوه بالعُنف، يقال: جيء بفلان يُعْتَلُ إلى السلطان، و﴿ مَوَا التَّاءِ وَكُسُوا الناو. قال مقاتل: الآيات في أبي جهل يضربه الملك من خُزّان جهنم على رأسه بمقمعة من حديد فتنقُب عن دماغه، فيجري دماغُه على جسده، ثم يصُبُّ الملك في النَّقُب ماء حميماً قد انتهى حَرَّه، فيقع في بطنه، ثم يقول [له] الملك: ﴿ وَكَانَ أبو جهل يقول: أنا أَعَرُّ للسَّوِيمُ ﴾ هذا توبيخ له بذلك؛ وكان أبو جهل يقول: أنا أَعَرُ قريش وأكرمُها. وقرأ الكسائي: ﴿ وَقُ أَنَّكَ الْهَمَوَة ؛ والباقون: بكسرها. قال أبو على: من كسرها، فالمعنى: أنت

 ⁽١) قال الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف، ١٤٨: رواه الثعلبي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة رهي المعروف بهذا الإسناد: «ما أدري ألميني هو، أم لا؟ وما أدري أعزير نبي، أم لا؟؛ أخرجه أبو داود، والحاكم، لكن قال: «فو القرنين» بدل «عزير» قال: قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق، وغيره أرسله. اهـ.

 ⁽٢) رواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٥٠ عن عائشة في اصححه، ووافقه الذهبي. قال ابن كثير: وكأنه ـ واله أعلم ـ كان كافراً ثم أسلم وتابع دين
 الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح ، وحج البيت في زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل
 من الحرير والحبر وتحر عنده ستة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن. اهـ.

⁽٣) الذي في «القرطبي»: وقال الكلبي: تبم: هو أبو كرب أسعد بن ملكيكرب.

العزيز في زعمك، ومن فتح، فالمعنى: بأنَّكَ. فإن قيل: كيف سُمَّي بالعزيز وليس به؟! فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قيل ذلك استهزاءً به، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل والثاني: أنت العزيز [الكريم] عند نفسك، قاله قتادة. والثالث: أنت العزيز في قومك، الكريم على أهلك، حكاه الماوردي. ويقول الخزّان لأهل النار: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ وَالثَّالُثُ: أَنْ الْعَرْانُ لَلْهُ النَّارِ: ﴿إِنَّ مَنَا مَا كُنتُم بِهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ وَلِكُ وَاللهُ وَاللّهُ و

قوله تعالى: ﴿أَمِينَ ﴾ أي: أمِنوا فيه الغِيَر والحوادث. وقد ذكرنا «الجَنّات» في [البقرة: ٣٥] و[ذكرنا] معنى «العُيون» ومعنى «متقابِلِين» في [الحجر: ٤٥، ٤٧] وذكرنا «السُّندُس والإِستبرق» في [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿ كُذَاكِم أَي: الأمر كما وَصَفْنا ﴿ وَرَقَيْمَنَهُم يُحُودٍ عِينِ ﴾ قال المفسرون: المعنى: قَرَناهم بِهِن، وليس من عقد التزويج. قال أبو عبيدة: المعنى: جَعَلْنا ذكور أهل الجنة أزواجاً ﴿ عُودٍ عِينِ ﴾ من النساء، تقول للرجل: زوَّج هذه النَّعل الفرد بالنَّعل الفرد، أي: اجعلهما زَوْجاً، والمعنى: جَعَلْناهم اثنين اثنين. وقال يونس: العرب لا تقول: تزوَّج بها، إنما يقولون: تزوَّجها. ومعنى ﴿ وَرَقَبَّنَهُم عِحُرٍ عِينِ ﴾: قَرَنَاهم. وقال ابن قتيبة: يقال: زوَّجه امرأة، وزوَّجه بامرأة. وقال أبو علي الفارسي: والتنزيل على ما قال يونس، وهو قوله تعالى: ﴿ رَبَّعَنْكُهُ ﴾ [الاحزاب: ٢٧]، وما قال: زَوَّجُناك بها. فأمّا الحُور، فقال مجاهد: الحُور: النساء التقيّات البياض. وقال الفراء: الحَوْراء: البيضاء من الإبل؛ قال: وفي قالحُور العِين، لغتان: حُور عِين، وجير عِين، وأنشد:

أزمانَ عيناء سرور المسير وحَوْراء عيناء مِنَ الجِين الحِير

وقال أبو عبيدة: الحوراء: الشديدة بياض بياض العَيْن، الشديدة سواد سوادها. وقد بيُّنّا معنى «العِين» في

قوله تعالى: ﴿يَدَعُنَ فِيهَا بِكُلِّ فَكِهَةٍ مَامِنِينَ ﴿ فَهِ قُولانَ: أَحَدُهُمَا: آمنين مِن انقطاعها في بعض الأزمنة. والثاني: آمنين مِن التُّخَم والأسقام والآفات.

قوله تفالى: ﴿إِلَّا الْمَرْدَةَ الْأُرِيَّ فِيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة إلتي فلقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا يَنكِمُواْ مَا نَكُمْ مَاكَارُكُم مِن النِسَاء إلى ما قد سكف النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ النَّمَرُتُ وَالْأَرْشُ إِلّا مَا شَآةَ رَبُّكُ ﴾ [هذه: ٢٠٠] أي: سوى ما شاء لهم ربُّك من الزيادة على مقدار الدنيا، هذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أن الشُعداء حين يموتون يصيرون إلى الرَّوح والرَّيحان وأسباب من الجنة يَرُونَ منازلهم منها، وإذ ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إيّاها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن «إلاً» بمعنى فبُغده، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿إِلاً مَا قَدْ سَلَكُ ﴾ [انساء: ٢٢]، وهذا قول ابن جرير (١٠).

قوله تعالى: ﴿فَشْلَا مِن زَيِكُ ﴾ أي: فعل الله ذلك بهم فَشْلاً منه (٢٠). ﴿فَإِنْمَا يَشَرَئُكُ ﴾ أي: سهَّلْناه، والكناية عن القرآن ﴿ بِلِيَائِكَ ﴾ أي: لنتَظِرُ بهم العذاب ﴿ إِنَّهُمْ مُنَكَ اللهُ ا

金 泰 朱

⁽١) قال ابن كثير: وقوله÷ ﴿لَا بَدُرَفُرَكَ فِيهَا الْمَرَّدَ إِلَّا الْمَرَّدَةَ الْأُولَيِّ﴾ هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يلوقون فيها الموت أبدأ، كما ثبت في االصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: ايؤتمى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ رَوَدَنَهُمْ عَنَابَ لَلْمَصِيرِ فَشَلاً بِن رَبِّكَ يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين رئهم يومئذ عذاب النار، تفضلاً يا
 محمد من ربك عليهم، وإحسانه منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بنجرم سلف منهم في الدنيا، قال: ولولا تفضّله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على
 ما سلف منهم من ذلك، لم يَقِهم عذاب الجحيم؛ ولكن كان ينالهم ويصيهم ألمه ومكروهه.

 ⁽٣) قال ابن كثير: ثم لما كان مع هذا الموضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مُسَلِّياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك ﴿ قَارَشِتِ ﴾ أي: انتظر ﴿ إِنَّهُم مُرَّيَّتِهُونَ ﴾ أي: فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلوُّ الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك ولإخوانك من النبين والمرسلين ومن البيع من المؤمنين. اهـ.

سورة الجاثية

وتسمَّى سورة الشريعة

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكّيَّة، وهو قول الحسن، [وعكرمة]، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وقال مقاتل: هي مكّيّة إلّا آية، وهي قوله: ﴿ قُلُ لِلَّذِينَ ءَاسَوُا يَقْفِرُا﴾ [الجائية: ١٤].

ينسد ألم الكنب التحسد

﴿ حَمْ ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الْهَ الْمَارِزِ لَلْكِيمِ ۞ إِنَّ فِي الْمَئْوَتِ وَالْأَرْضِ لَاَيْتِ لِلْمُؤْمِدِينَ ۞ وَفِي خَلْفِكُرُ وَمَا يَبُكُ مِن مَالَئِهُ مَائِكُ لِمُعْمِ مِنْهُ مَنْ الْسَكَمُ مِن رِّدَٰقِ هَأَجُهُ بِهِ الْأَرْضَ بَهَدَ مَوْجَا وَتَصْرِيفِ الْهَيْجَ مَائِكُ لِقَوْم بِمَقْلُونَ ۞ وَلِّ لِكُلِّ الْمَالِي لَيْمِ ۞ بَشِكُ وَمَائِكِم مَنْهُ اللّهِ مِنْ مَائِكِم مَنْهُ اللّهِ مَنْهُ اللّهِ مُنْهِ مُؤْمِنُونَ ۞ وَلِّ لِكُلِّ الْمَالِي أَيْدِ ۞ بَسْتُعُ مِنْ اللّهُ مُنْفِقُونَ ۞ وَلِي لِكُلِي اللّهِ لَيْمِ ۞ بَسْتُمُ مَنْهُ اللّهِ مُنْفِقُونَ ﴾ بَعْلَمُ مَنْ مَنْهُ اللّهُ مَنْهُ مَنْهُ وَمَائِكِيم مُنْهُ الْمُنْفِقُونَ ۞ وَلِلّهُ لِكُلِي الْمَالِقِ لَيْمِ ۞ مِنْهُ اللّهِ مُنْفِقُونَ مِن وَاللّهِ مُنْفِقُونَ مِن مُونِ اللّهِ أَوْلِيكَ مَنْهُمُ مَنَاكُ مُؤْمِنُ الْفَائِينَ مَنْهُمُ مَنَاكُ مَنْهُونَ مَنْ مَنْهُمُ وَاللّهِ لَيْمِ مُنْفَعِينٌ ۞ وَلِمُ لِكُلُ اللّهُ مُنْفِقُونَ مِن مُونِ اللّهِ أَوْلِيكَ مُنْفَعِينَ مُنْفُونَ أَوْلَئِيكَ مُنْمُ مَلَكُ مُنْفِقُونَ مِن مُونِ اللّهِ أَوْلِيكَ مُؤْمُ الْوَلِيقِينَ كَفَرُوا مِن مُونِ اللّهِ أَوْلِيكَ مُنْمَ عَلَالُهُ مِنْ وَلَمْ مَلِكُونُ مُؤْمِلُونَ مُنْ وَاللّهِ لَيْمَ لِلْمُؤْمِلُ مِنْ مُنْفُونَ مِن مُونِ اللّهِ أَوْلِيمَ مُؤْمُ الْمُؤْمِلُونَ مُنْ وَاللّهِ مُنْفِيقُونَ مِن مُونِ اللّهِ أَولِيمَ مُؤْمُ وَلَيْنِكُمُ مُنَافِقًا مِنْ مُونِ اللّهِ أَولِيمَ مُؤْمُونَ مِنْ مُنْفَالِمُ مُنْفَالِمُ مُنْفُونِهُ مِنْ مُنْفِي وَلِلْكَ كُنْمُولُ مِنْ مُنْفُولِهِ مُؤْمِلُونَ مُنْ وَلِمُنْ مُنْفُونُ مِنْ مُنْفُولُونَ مُنْ وَلِمُنْفِيمُ مُنْ مُنْ فِي السَّمُونُ وَمَا فِي الْفَرْفِيمِ مِنْفُولُولُونَ مُنْفُولُونَ مُنْفُولُونَ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مِنْ وَلِلْمُؤْمُونُ مُنْ وَلِمُنْ مُنْفُولُونُ مِنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُؤْمِلُونُ مُنَالِقُونُ مُنْفُولُونُ مُنَالِمُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنْفُولُونُ مُنَالِمُولُونُ مُنْفُولُونُ

قوله تعالى: ﴿حَمَّ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِنْكِ﴾ قد شرحناه في أول (المؤمن).

قوله تعالى: ﴿ وَفِ خَلْفِكُ أَي: من تراب ثم من نَطْفة إلى أن يتكامل خَلْق الإنسان ﴿ رَبَا يَبُثُ بِن كَاتَبُ أِي: وما يُفُرِّق فِي الأرض من جميع ما خلق على اختلاف ذلك في الخَلْق والصَّور ﴿ يَابَتُ اللَّهُ عَلَى وَحدانيَّته. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «آيات» رفعاً ﴿ وَتَسْرِيفِ الرَبْتَ عَارَتُ ﴾ رفعاً أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي: بالكسر فيهما. والرَّزق هاهنا بمعنى المطر.

قوله تعالى: ﴿ يِنْكَ مَانِتُ اللَّهِ أَي: هذه حجج الله ﴿ تَتُلُومًا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فِأَقِ حَدِيثٍ بَهَدَ اللَّهِ أَي: بعد حديثه ﴿ وَمَايَدِيهِ ﴾ يؤين هؤلاء المشركون؟!

قوله تعالى: ﴿وَبَلُ لِكُلِ أَنَّاكِ لِيَدِ ۞﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أنها نزلت في النضر بن الحارث^(١) وقد بيَّنا معناها في [الشعراء: ٢٢٢]، والآية التي تليها مفسَّرة في القيان: ٧].

قوله تعالى: ﴿ رَإِذَا عَلِمَ مِنْ مَايَنِنَا شَيَّا﴾ قال مقاتل: معناه: إذا سمع. وقرأ ابن مسعود: "وإذا عُلِّمَ" برفع العين وكسر اللام وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿ أَغَذَهَا هُرُوا﴾ أي: سَخِر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُورِ ﴿ مَلَامُ الْأَثِيدِ ﴾ اللَّذِيدِ ﴾ اللخان: ١٤٦ فدعا بتمر وزُبْد، وقال: تَزَقَّموا فما يَعِدُكم محمد إلَّا هذا. وإنما قال: ﴿ أُولَتِهِكَ ﴾ لأنه ردَّ الكلام إلى معنى «كُلّ». ﴿ يِّن رَزَآمِهِم جَهَنَمُ ﴾ قد فسَّرناه في البراميم: ١٦] ﴿ وَلَا يُنْنِي عَنْهُم تَا كَسَبُواْ شَيْئَ ﴾ من الأموال، ولا ما عبدوا من الآلهة.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدَيٌّ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَالَّذِينَ كَثَرُوا﴾ به، ﴿ لَمُمْ عَدَابٌ مِن رِّيِّدٍ آلِيدً ﴾ قرأ ابن بحشير، وحفص عن

⁽١) قال البغوي: ﴿وَرَلَ آيُمُلِ أَنَّاكٍ أَنَّكٍ عَلَى، وقبل في النضر بن الحارث، وكان يشتري حديث الأعاجم ويشغل به الناس عن استماع القرآن، قال: لكنها عامة كما هو مقتضى •كلّ،، ويدخل من نزلت فيه دخولاً أولياً. اهـ.

عاصم: «أليمٌ» بالرفع على نعت العذاب. وقرأ الباقون: بالكسر على نعت الرِّجز. والرِّجز بمعنى العذاب، وقد شرحناه في [الأعراف: ١٣٤].

قوله تعالى: ﴿ مَبِيَمًا يَنَهُ ﴾ أي: ذلك التسخير منه لا مِنْ غيره، فهو مِنْ فضله. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميفع، وابن محيصن، والجحدري: «جميعاً مِنَّةً» بفتح النون وتشديدها وتاء منصوبة منوَّنة. وقرأ سعيد بن جبير: «مَنَّهُ» بفتح الميم ورفع النون والهاء مشددة النون.

﴿ ثُلُ لِلَّذِينَ مَامَثُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَنَيَامَ اللَّهِ لِيَجْزِى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ مَنْ عَمِلَ صَلِيمًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَلَتُهُمْ مَلَكُمْ وَاللَّهُمْ مَنْ اللَّهِمْ وَلَقَدْ مَالِمُعَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمِينَ فَى الْعَلَيْنَ فِي وَمَالَئِكُمْ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللّهُمُ اللَّهُ مَنْكُمْ وَاللَّهُمُ اللَّهُ مِنْكُمْ وَاللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْكُمْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْكُمُ وَمُعْمُ اللَّهُ اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ مُنْ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ مُولُولُ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُمُ مُنْ اللّهُمُ مُنْ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ مُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الل

قوله تعالى: ﴿ فَلُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَمْنِورُواْ . . . ﴾ [الآية] في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنهم نزلوا في غَزاة بني المصطلق على بثر يقال لها: المريسيم، فأرسل عبدُ الله بن أبيّ غلامَه ليستقيّ الماء، فأبطأ عليه، فلمّا أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملا قُرَبَ النبيّ ﷺ وقُربَ أبي بكر، وملا لمولاه، فقال عبد الله ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلّا كما قيل: سمّن كلبك يأكلك، فبلغ قولُه عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجّه إليه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس (۱) والثاني: [أنها] لمّا نزلت: ﴿مَن ذَا الّذِي يُقِرضُ الله قَرَمُنّا حَسَنا﴾ [البقرة: ١٤٥] قال يهوديُّ بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج ربُّ محمد، فلمّا سمع بذلك عمر، اشتمل [على] سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية، فبعث النبيُ ﷺ في طلب عمر، فلمّا جاء، قال: فيا عمر، ضغ سيفك، وتلا عليه الآية، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس (۲) والثالث: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من ميمون بن مهران عن ابن عباس (۲) والثالث: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من والرابع: أن رجلاً من كفار قريش شتم عمر بن الخطاب، فهمّ عمر أن يبطش به، فنزلت هذه الآية، قاله القرظي، والسدي (۱) والوابع: أن رجلاً من كفار قريش شتم عمر بن الخطاب، فهمّ عمر أن يبطش به، فنزلت هذه الآية، قاله القرظي، والسدي (۱) ومعنى الآية: قُلُ للذين آمنوا: الحفوروا، ولكن شبّه بالشرط، والجزاء، كقوله: ﴿قُلُ لِيَبَادِىَ اللّذِينَ مَامَنُوا بُيُبِينُ السَّكُونَ الله عليهم، أم لا. وقد سبق بيان معنى فأيّام الله في سورة البراميم: ۱۵).

فصل

وجمهور المفسرين على أن هذه الآية منسوخة، لأنها تضمَّنت الأمر بالإعراض عن المشركين. واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] قوله: ﴿قَاتَنْكُوا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) [التربة: ٥]، رواه معمر عن قتادة. والثاني: أنه قوله في [الانفال: ٢٠]: ﴿وَقَائِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَالَفَةُ ﴾، رواه سعيد عن قتادة.

١) ذكر سبب النزول هذا الألوسي بدون سند، قال: قيل: إن النبي ﷺ وأصحابه نزلوا في غزوة بني المصطلق... إلخ.

⁽۲) الواحدي في فأسباب النزول؛ ۲۱۵.

⁽٣) ذكره البغوي في اتفسيره! عن القرظي والسدي بدون سند، وقال: ثم نسختها آية القتال. وكذلك ذكره الخازن بدون سند، ولم يعزه لأحد.

 ⁽٤) ذكره البغوي عن ابن عباس ومقاتل بدون سند، وكذلك ذكره الخازن بدون سند.

 ⁽٥) في الأصل: «أَتْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ» بدون فاء.

والثالث: [أنه] قوله: ﴿ أَوْنَ لِلَّذِينَ يُعَنَّدُونَ إِلَّنَّهُمْ ظُلِمُواً ﴾ [الحج: ٣٩]، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِى قَوْمًا ﴾ وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: النَّجْزِيِّ، بالنون القوماً، يعني الكفار، فكأنه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن. وما بعد هذا قد سبق [الإسراء: ٧] إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ مَالَيْنَا بَنِيَ إِسْرَوْمِلَ ٱلْكِتُنَبُ ﴾ يعني التوراة ﴿وَلَلْكُمْرَ﴾ وهو الفَهْم في الكتاب، ﴿وَرَبَقْنَهُم يَنَ ٱلظَّيِّنَتِ﴾ يعني المَنَّ والسَّلوي ﴿ وَفَشَّلْنَكُمْ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ﴾ أي: عالَمي زمانهم. ﴿ وَمَالَيْنَكُم بَيِّنَكُو مِنَ ٱلْأُمْرِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيان الجلال والحرام، قاله السدي. والثاني: العِلْم بمبعث النبي ﷺ وشواهد نبوَّته، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [آل صران: ١٩] إلى قوله: ﴿ثُمَّرَ جَعَلْنَكَ عَلَن شَرِيعَةِ يَّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ سبب نزولها أن رؤساء قريش دعوا رسول الله على إلى مِلَّة آبائه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس(١١). فأمَّا قوله: ﴿عَلَن شَرِيعَةِ﴾ فقال ابن قتيبة: [أي] علمي مِلَّة ومذهب، ومنه يقال: شَرَعَ فلان في كذا: إذا أخَذ فيه، ومنه «مَشارِعُ الماء» وهي الفُرَض التي شرع فيها الوارد(٢). قال المفسرون: ثم جلناك بعد موسى على طريقة من الأمر، أي: من الدِّين ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (٣٠). و﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كفار قريش. ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْفُوا عَنك ﴾ أي: لن يَدْفَعوا عنك عذاب الله إن اتَّبعتَهم، ﴿ وَإِنَّ الطَّائِينِينَ ﴾ يعني المشركين (٤). ﴿ وَاللَّهُ وَلُّ ٱللُّنَّقِينَ ﴾ الشرك. والآية التي بعدها [مفسَّرة] في آخر [الامراف: ٢٠٣]. ﴿أَمَّ حَسِبَ الَّذِينَ ٱجْمَرُكُوا السَّيِّئاتِ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للمؤمنين: إنّا نُعطى في الآخرة مثلما تُعطّون من الأجر، قاله مقاتل^(٥). والاستفهام هاهنا استفهام إنكار. و«اجترحوا» بمعنى اكتسبوا. ﴿سَوَآء تَحْيَلُهُمْ وَمُمَاثُهُمْ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وزيد عن يعقوب: ﴿سُواءٌ نَصِباً ؛ وقرأ الباقون: بالرفع. فمن رفع، فعلى الابتداء؛ ومن نصب، جعله مفعولاً ثانياً، على تقدير: أن نجعل مَحياهم ومماتَهم سواءً؛ والمعنى: إن هؤلاء يَحْيَون مؤمنين ويموتون مؤمنين، وهؤلاء يَحْيَون كافرين ويموتون كافرين؛ وشتّانَ ما هم في الحال والمآل ﴿سَاتَه مًا يُعَكُّمُونَ ﴾ أي: بئس ما يقضون (١٠). ثم ذكر بالآية التي تلى هذه أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: للحق والجزاء بالعدل، لئلًا يظُن الكافرُ أنه لا يُجزى بكفره.

﴿ أَنْوَيْتِ مَنِ أَغَذَ إِلَهُمُ هَرَنُهُ وَأَضَلُهُ اللّهُ عَلَى عِلْمِ وَخَتَمَ عَلَى صَبْدِهِ وَقَلْهِهِ وَجَمَلُ عَلَى بَعَدِهِ عِنْتَوَةً هَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّهُ أَلَّلًا تَذَكَّرُونَ ﴾ وقالوا ما هِنَ إِلّا كَتُنْ وَغِيَا وَمَا يَبْلِكُمَا إِلّا اللّهُوْ وَمَا لَمُم بِلَئِكَ مِنْ عِلِيٍّ إِنْ هُمْ إِلّا يَطْنُونَ ۞ وَإِنَا ثُمْلُ مَانِيْنَ هَا يَئِنَا يَبْتَتُو تَا كُنُ مُنْتُم اللّهُ مُشِيكُونُ مُنْ يَعْبُمُ اللّهُ مُنْتُم السَّاعَةُ مِنْهُمُ السَّاعَةُ مِنْهُمْ السَّاعَةُ مِنْهُمْ السَّاعَةُ مِنْهُمْ السَّاعَةُ مُنْهُمُ السَّعْمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ السَّعْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللللللللللّه

 ⁽١) قال البغوي: وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك، فقال الله جل ذِكره: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُمْثُواْ مَنكَ بِنَ اللهِ شَيّئاً﴾،
 وكذلك قال الخازن. قال القرطبي: ﴿ وَلَا نَشِّعْ أَهْرَاتَهُ الَّذِينَ لَا لِمَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت لما دعته قريش إلى دين آبائه. وقال الألوسي: ﴿ وَلَا نَشْيعْ اللهِ وَلَا نَشْيعٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وقيل: رؤساء قريش كانوا يقولون له ﷺ: ارجع إلى دين آبائك.
 كانوا يقولون له ﷺ: ارجع إلى دين آبائك.

 ⁽٣) قال في «اللسان»: شُرَعَ الوارد شَرْعاً وشُروعاً: تناول الماء بفيه.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ثَمْرَ جَمَلْتَكَ﴾ يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل الذين وصفتُ لك صفتهم ﴿مَلَن شَرِيعَةِ
 مِنَ ٱلأَمْرِ ﴾ يقول: على طريقة وسُنَّة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من وسلنا ﴿قَائَمَهُ ﴾ يقول: فاتّبِع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلاَ نَشْعُ أَلَوْنَ لا يعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك إن عملت به. اهد.

⁽٤) قال ابن كثير: ﴿وَلَنَّ الظَّالِمِينَ بَشَتُهُمْ أَوْلِيَاتُهُ بَشَيْرٌ﴾ أي: وما تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، لأنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً. اهـ.

⁽٥) قال البغوي والخازن: نزلت في نفر من مشركي مكة تالوا للمؤمنين: لثن كان ما تقولون حقاً لِنفضلنَّ عليكم في الأخرة كما فضلنا عليكم في اللغيا. وقال الألوسي: والآية وإن كانت في الكفار على ما نقل عن «البحر»، وهو ظاهر ما روي عن الكلبي من أن عتبة وشبية والوليد بن عتبة قالوا لعليٌ كرَّم الله تعالى وجهه، وحمزة وظيه، والمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقاً لحالنا أفضلُ من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا، فنزلت الآية: ﴿أَمْ حَبِ الذّي المَهْرَمُ النّي المَهْرَمُ النّي المَهْرَمُ النّي المَهْرَمُ النّي المَهْرَمُ النّي المنافق على على على جميع أوجهها، كما يعرف بأدنى تدبر يستنبط منها تباين حالي المؤمن العاصي والمؤمن الطائع. ١هـ.

⁽٦) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أَمْ حَيِبَ الَّذِينَ بَشَرْتُوا السَّيْعَاتِ﴾ يقول تعالى ذِكره: أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا وكلنبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدَّقوا رسله وعملوا الصالحات فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والألهة؟! كلَّا ما كان الله لِفعل ذلك، لقد ميَّر بين الفريقين، فجمل حزب الإيمان في الحبنة، وحزب الكفر في السعير، اهـ.

ٱلْيَوْمَ ثَمْرُونَ مَا كُفُمُ شَمَلُونَ ﴿ مَنَا كِنَبُنَا يَطِقُ عَلِيَكُمْ بِالْمَقَّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُر تَمْمَلُونَ ﴿ فَآمَا ٱلَّذِينَ عَلِيكُمْ بِالْمَقَّ إِنَّا كُنَّا الْمَسْلِحُنتِ يُمُدُّخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحَمَدِدُ ذَلِكِ هُوَ الْفَوْزُ الْشِينُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُّوا أَفِلَا يَكُنْ ءَايَتِي ثُتِلَ عَلَيْكُرُ فَاسْتَكَبْرَتُمْ وَكُمْ قَوْمًا تَجْرِمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ أَغَذَ إِلَهُمُ هَرَئُهُ﴾ قد شرحناه في [الفرقان: ٤٣]. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلَهُ اللهُ عَلَى عِلْمِهِ أَي: على عِلْمه السابق فيه أنه لا يَهتدي ('') ﴿وَمَثَمَّ عَلَى سَبِيهِ أَي: طَبَع عليه فلم يَسمع الهُدى ﴿وَ على ﴿قَلْبه ﴾ فلم يَعْقِل الهُدى. وقد ذكرنا الفِشاوة والخَثْم في [البقرة: ٧]. ﴿ فَنَن يَبْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ اللهِ إِيّاه ﴿ أَفَلا تَذَكّرُونَ ﴾ فتعْرِفوا قُدرته على ما يشاء (''). وما بعد [هذا] مفسَّر في سورة [المومنون: ٧٧] (أن) إلى قوله: ﴿وَمَا يُبُكِكُمْ إِنَّ اللّهُورُ ﴾ أي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَمْم بِنْكِ مِنْ عِلْم اللهُ هو الدّهر اللهُ عن عِلْم، إنّما قالوه شاكّين فيه. ومن أجل هذا قال نبيّنا عليه الصلاة والسلام: ﴿لا تَسْبُوا اللّهُورُ اللهُ هو الدّهر النّمان. وما بعد هذا ظاهر، وقد تقدم بياته [البقرة: ٨٨، الشورى: ٧] إلى قوله: ﴿يَمْسُرُ اللّهُ لِللهُ عَنِي المكلّم بِينَ المكلّبين الكافرين أصحابَ الأباطيل والمعنى: يظهر خسرانُهم يومثذٍ. ﴿وَيَرَى كُلُّ أَنَهُ قال الفراء: ترى أهل كل دين ﴿ يَرَّى كُلُّ أَنْذَ ﴾ قال الفراء: على المكلّبين الكافرين أصحابَ الأباطيل والمعنى: يقال: قد جنا فلان جُنُواً: إذا جلس على ركبتيه، ترى أهل كل دين ﴿ جَائِنَهُ قال الزجاج: أي: جالسة على الرّكب، يقال: قد جنا فلان جُنُواً: إذا جلس على ركبتيه، ومِنْلُه: جَذا يَجُذو. والجُدُو أَشد استيفازاً من الجُنُو، لأن الجُذُو: أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه. قال ابن قتية: والمعنى أنها غير مطمئنَة.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ أَنْتَرَ ثُدْعَنَ إِلَى كِنَبِهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيُّناتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه حسابها (٢٠)، قاله الشعبي، والقراء، وابن قتيبة. والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله، حكاه الماوردي. ويقال لهم: ﴿ النَّيْمَ مُنْزَنَ مَا كُمُّ مَسَلُونَ ﴾. ﴿ هَنَا كِنَبُنا ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحقظة، قاله ابن السائب. والثاني: اللوح المحفوظ، قاله مقاتل: والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرؤونه فيدُلُّهم ويُذكّرُهم، فكأنه يَنْظِق عليهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مَسْتَنسِخُ مَا كُنتُرٌ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكثبها وإثباتها. وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، تَسْتَنْسِخُ الملائكةُ كلَّ عامٍ ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلّا مِنْ أصلٍ. قال الفرَّاء: يوفع الملكان العملُ كلَّه،

⁽١) ذكر سبب النزول هذا القرطبي بدون سند، قال: قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه. اهم. وقال الألوسي: والآية نزلت على ما روي عن مقاتل في الحارث بن قيس السهمي، كان لا يهوى شيئاً إلا ركبه، قال: وحكمها عام، قال: وفيها من ذمّ اتباع هوى النفس ما فيها. اهم.

⁽٢) قَالَ ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَشَلُّهُ اللَّهُ عَنْ عِلْرِ﴾ يقول تعالى ذِكره: وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على عِلم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية. اهـ.

⁽٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿ فَنَن يَهْذِيهِ مِنْ بَسِدِ أَهَمُ ﴾؟! يقول تعالى ذِكره: فمن يوفقه لإصابة الحق وإيصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياء؟! ﴿ أَلَمْ لَذَكْنَكُ ﴿ ﴾ أَلَا لَذُكُنُكُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى يَهْدِي أَبِدًا، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟! اهـ.

⁽٤) في الأصل: «المؤمن».

رواه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه ٤/ ١٧٦٣ عن أبي هريرة في. قال الامام النووي في «شرح مسلم»: أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سبتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاهلها ومنزلها، قال: وأما الدهر الذي هو الزمان، فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق لله تعالى، قال: ومعنى «فإن الله هو الدهر» أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم. اهـ. وقال ابن كثير: قال الشافعي وأبو عبيلة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: الا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خبية الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى المدهر، ويسبونه، قال: وإنما فاهلها هو الله تعالى، فكأنهم إنما سبوا الله في لأنه قاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. قال ابن كثير: هذا أحسن ما قبل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. اهـ. وللحديث ألفاظ أخر، منها ما وواه أحمد في «المسند» والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة في قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى؛ يؤنيني ابن لام يسب المدهر، وأنا اللهر، بيدي الأمر، أملَب ليله وتهاره».

 ⁽٦) في الأصل: «حسناتها» والتصويب من (غريب القرآن».

فَيُثْبِتُ الله منه مافيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللَّغو. وقال الزجاج: نستسنخ ما تكتبه الحَفَظة، ويثبت عند الله على. قوله تعالى: ﴿ فِي رَحْمَيْدِ ﴾ قال مقاتل: في جَنَّته.

قُوله تعالَى: ﴿أَنَارَ نَكُنَّ ءَايَقِ﴾ فيه إضمَّار، تقديره: فيقال لهم ألم تكن آياتي، يعني آيات القرآن ﴿تُثَلَ عَلَيْكُرُ فَاشَكَكَرَّتُمُ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنُمُ قَوْمًا تُجْرِينَ﴾؟! قال ابنَ عباس: كافرين.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَقَّ وَالسَّاعَةُ لَا رَبِّ فِيهَا قُلْتُمْ مَّا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُّ إِلّا طَنَا وَمَا خَنُ بِمُسْتَنِقِينَ ۞ وَبَمَا لَمَتْمْ سَيَّاتُ مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُ إِلّا طَنَا وَمَا وَمَلَ فِيمُ السَّنَقِينَ ۞ وَبَمَا لَكُمْ سَسَنَكُمْ كَا فَيَهُمْ إِلِثَاءً يَوْيَكُمْ النَّالُ وَمَا لَكُمْ مِن فَصِينَ ۞ وَلِيلَ الْقِرْمَ نَسَنَكُمْ كَا فَيَهُمْ إِلِثَاءً مَنْهُ وَمَا لَكُمْ اللّهَوْمُ اللّهَ مَلَى الْمُؤْمِنُ وَمِنْ الْمُؤْمِنُ وَمِنْ الْمُعْرَفِينَ وَمَا اللّهُ وَمُو الْمُرَوْمُ وَالْمَرْمِنُ وَمُو الْمَدَوْرُ الْمَكِيمُ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَا فِيلَ إِنَّ رَعَدَ اللّهِ ﴾ بالبعث ﴿ حَقَّ ﴾ أي: كائن ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ قرأ حمزة: ﴿ والساعة ﴾ بالنصب ﴿ لا رَبِّ فَهَا عَيْنَ ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي: كائن ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي: كائنة بلا شك ﴿ فَائُم نَا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ ﴾ أي: أنكرتموها ﴿ إِن نَظْنُ إِلّا ظُنّا ﴾ أي: ما نعلم ذلك إلا ظنّا وحَدْساً ، ولا تُسْتَقَيقُ كُونَها . وما بعد هذا قد تقدم الزمر : ٤٤ إلى قوله : ﴿ وَفِيلَ ٱلْمِيْمَ اللّهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلِي اللهُ عَلَى اللهُ إِلَيْ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ آلَكِيْرِكَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: السُّلطان، قاله مجاهد. والثاني: الشَّرَف، قاله ابن زيد. والثالث: المَظَمة، قاله يحيى بن سلام، والزجاج (٢٠).

* * *

⁽١) ثبت في «صحيح مسلم؛ ٢٢٧٩/٤ عن أبي هريرة ﴿ عن رسول الله ﴿ أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «الم أكرمُكُ وأسوَّدُكَ؟! (أي أجملك سيداً على غيرك) وأزوَّجُكَ، وأسخَرُ لك الخيل والإبل، وأذَرُكَ ترأسُ (أي تكون رئيس القوم) وتربَعُ؟! (أي: تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً)؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفَظَنَتَ أنَّك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني (أي: أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي)».

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَهُ الْكَنْكِيْتِ وَالْأَنْقِيْتُ قال: قال مجاهد: يعني السلطان، أي: هو العظيم الممجّد الذي كل شيء تحاضع لديه فقير إليه، قال:
 وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تمالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكتُه ناريه. ثم قال في تتمة الآية:
 ﴿وَهُوْ الْمُذِيدُ ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿الْمَرَيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدرَه تعالى وتقدس لا إله إلا هو. اهـ.

سورة الأحقاف

ينسد ألله ألكن التحسير

﴿حَمّ ۞ تَنهِلُ الْكِنَبِ مِنَ اللَّهِ الْمَهِيزِ لَلْمَكِيدِ ۞ مَا خَلَقَنَا السَّمَتَوْتِ وَالأَوْضَ وَمَا بَيْنَهُمَنَا إِلَّا بِالْمَيْقِ وَلِبَلِ مُسَمَّقٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُشْرِضُونَ ۞ قُل اَرْمَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ اَرُهُ فِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَمُثَمْ شِرْكُ فِي السَّمَوَتِ الْفَرْفِ بِكِنَسِ مِن فَبْلِ مَنذَا أَوْ اَنْتَرَوْ مِنْ عِلْمِ إِن كُنْتُمْ مَسْدِيْنِينَ ۞﴾

فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكّيّة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: فيها آية مدنيّة، وهي قوله: ﴿ قُلُ اَرْهَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾ [الاحتاف: ١٠]. وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: قوله: ﴿ قُلُ اَرْهَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾ [الاحتاف: ١٠] وقوله: ﴿ وَالسّيرُ كُمّا صَبَرَ أَوْلُوا الْمَرْمِ مِنَ الرّسُلِ ﴾ [الاحتاف: ٢٥] نزلتا بالمدينة. وقد تقدم تفسير فاتحتها [المؤمن، العجر: ١٥] إلى قوله: ﴿ وَلَهَلِ السّمَيّ ﴾ وهو أجَل فَناء السموات والأرض، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ فَلْ آرَمَيْتُم ﴾ مفسَّر في [ناطر: ٤٠] إلى قوله: ﴿ آتَوُنِ بِكِتَب ﴾، وفي الآية اختصار، تقديره: فإن ادَّعُوا أن شيئاً من المخلوقات صنعة آلهتهم، فقل لهم: إيتوني بكتاب ﴿ مِن فَبِّل هَدُلَا﴾ أي: مِنْ فَبِل القرآن فيه برهانُ ما تدَّعون من أن الأصنام شركاء الله، ﴿ أَوَ آتَوَرَوْ مِن عِلْم وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيء يثيره مستخرجه، قاله الحسن. والثاني: بقيّة مِنْ عِلْم تُوثَر عن الأوَّلِين، قاله ابن قتيبة، وإلى نحوه ذهب الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: علامة مِنْ عِلْم، قاله الزجاج (١٠). وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبوب السختياني، ويقعوب: «أثَرَةٍ» بفتح الثاء، مثل شجرة. ثم ذكروا في معناها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخطّ، قاله ابن عباس؛ وقال: هو خط كانت العرب تخطّه في الأرض، قال أبو بكر بن عيّاش: الخطُّ هو العيافة. والثاني: أو عِلْم تأثُرونه عن غيركم، قاله مجاهد. والثالث: خاصَّة مِنْ عِلْم، قاله معنادة. وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن يعمر: «أثَرَةٍ» بسكون الثاء من غير ألف بوزن نَظْرَةٍ (١٠). وقال الفراء: قرئت «أثارةٍ» و«أثرَةٍ»، وهي لغات، ومعنى الكل: بقيَّة مِنْ عِلْم، ويقال: أو عي مأثور من كتب الأولين،، فمن قرأ «أثارةٍ» فهو المصدر، مثل قولك: السماحة والشجاعة، ومن قرأ «أثَرَةٍ» فكأنه أراد مثل قوله: "الخَطْفَة» [الصانات: ١٠] و«الرَّجْفَة» [الاعراف: ٨٧]. وقال اليزيدي: الأثارة: البقيَّة؛ والأثرَة، مصدر أثَرُه فإنه بناه اليزيدي: الأثارة: البقيَّة؛ والأثرَة، مصدر أثَرَه يأثُره أي: يذكُره ويَرويه، ومنه: حديثٌ مأثور.

﴿ وَمَنْ أَمْسَلُ مِمَّنَ يَدْعُوا مِن دُونِ اللّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى بَوْرِ الْقِيْكَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَنِلُونَ ۞ وَإِذَا حُمِيْرَ النَّاسُ كَافُواْ لَمِنْمُ أَمْمَاتُهُ فَكَافُواْ بِمِبَادَيْهِمْ كَفِينَ ۞ وَإِذَا نُتُلَ عَلَيْهِمْ مَايَنْنَا بَيِسَتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْمَخِيِّ لِنَّا جَاءَمُ هَذَا سِخْرُ ثُمِينُ ۞ أَدْ بَقُولُونَ الْفَرَّتُهُ قُلْ إِنِ الْفَرَيْتُمْ فَلَا تَعْلِكُونَ لِي مِنَ اللّهِ شَبِئًا هُوَ أَغَلُمُ بِمَا لَيْبِعَنُونَ فِيهُ كَنَى بِهِ. شَهِينًا بَيْنِي وَيَشَكِزُ وَهُوَ اللّهَوْرُ الرَّحِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِبُ لَهُ ﴾ يعنى الأصنام (٢) ﴿ وَهُمْ عَن دُعَالَهِمْ غَيْلُونَ ﴾ لأنها جماد لا تسمع، فإذا قامت

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأتوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، قال: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. اهـ.

⁽٢) قال ابن جرير: والقراءة التي لا أستجيز غيرها ﴿ أَوْ أَنْذَرْمَ مِنْ مِلْمِكُ بِالأَلْف، لإجماع قرَّاء الأمصار عليها. اهـ.

 ⁽٣) وأول الآية: ﴿ وَمَنْ أَضَلُ مِنْ بَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لا يَسَتَجِبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْفِيكَمَةِ﴾. قال ابن جرير: يقول ثعالى ذِكره: وأي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة ﴿ لا يَسْتَجِبُ لَهُ إِلَا يَرْمِ الْقِيكَمَةِ ﴾ يقول: لا يجيب دعاءه أبداً، لانها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

القيامة صارت الآلهة أعداءً لعابديها في الدنيا(١). ثم ذكر [بما] بعد هذا أنهم يسمُّون القرآن سِحْراً وأن محمداً افتراه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَلِكُونَ لِي مِنَ اللّهِ شَيْئاً ﴾ أي: لا تقدِرون على أن تردُّوا عني عذابَه، أي: كيف أفتري مِنْ أجلِكم وأنتم لا تقدرون على دفع عذابه عنِّي؟! ﴿هُو أَعَلَمُ بِمَا نَفِيمْتُونَ فِيهٌ ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب والقول بأنه سِخْر ﴿كَنَى بِهِ. شَهِينًا بَنِنِي وَيَتَنكُرُ ﴾ أن القرآن جاء مِنْ عندِ الله ﴿وَهُوَ ٱلْفَقُورُ ٱلرَّجِيمُ ﴾ في تأخير العذاب عنكم. وقال الزجاج: إنما ذكر هاهنا الغُفران والرَّحمة ليُعْلِمَهم أنَّ من أتى ما أَتَيْتُم ثم تاب فإن الله تعالى غفور له رحيم به.

﴿ وَمَا مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آدَرِى مَا يُفعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۚ إِنْ أَنَيْعُ إِلَا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَا نَذِيرٌ شَبِينٌ ۞ فَلَ أَرَمَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ. وَشَهِدَ شَاهِدُ مِّنْ بَنِيَ إِسْرَةِ بِلَ عَلَى مِثْلِهِ. فَنَامَنَ وَاسْتَكَبْرَثُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا بَهْدِى ٱلْفَوْمِ ٱلظّليمِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ مَا كُمْتُ بِدَعَا مِنَ الرُسُلِ ﴾ أي: ما أنا بأوّل رسولٍ (٢). والبِدْع والبديع من كل شيء: المبتدأ ﴿ وَمَا اَدْرِى مَا يُمُعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبلة: ﴿ مَا يَهْعَلُ بِفتح الياء، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان: أحدهما: [أنه] لمّا اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجر إلى أرضٍ ذات نخلٍ وشجرٍ وماء، فقصّها على أصحابه، فاستبشّروا بذلك لِما يلقون من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا بُرهة لا يَروْن ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى تُهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسولُ الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْرِهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى وَلَا يُكَرِّ ﴾، يعني لا أدري، أخرُجُ إلى الموضع الذي رأيتُه في منامي أم لا؟ ثم قال: ﴿ إِنما هو شيء وَمَا ﴿ أَيُّ لِكُ يَكُو لَلُ كَا يُوحَى إِلَى ﴾، رواه أبو صالح عن ابن عباس (٢) وكذلك قال عطية: ما أدري هل يتركني بمكة أو يُخرجني منها. والثاني: ما أدري هل أخرج كما أخرج الأنبياء قبلي، أو أفقل كما قبلوا، ولا أدري مل يتركني بمم ، اتعلَّبونَ أم تؤخّرون؟ أتُصدَّقونَ أم تُكلَّبون؟ قاله الحسن. والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة أن النتج: ٢] ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لمّا نزلتُ هذه الآية، نزل بعدها ﴿ لِنَهْلَ للهُ أَنتُ مَن يَلُكُ مَا نَفَكُمُ مِن يَلُكُ وَمَا تَأَخَرُ ﴾ [النتج: ٢] عند نزول هذه الآية وقالوا: ما أمرُنا وأمرُه محمد إلّا واحد، ولولا أنه ابتدع ما يقوله لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزل الله الله الله فالله الله فماذا يُغْعَل بنا؟ فنزلت: فنزل الكين الله إلى هذا القول أنس، وعكرمة، وقتادة، وروي عن فنزلك.

⁽١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿ وَمُمْ مَن دُكَآبِومْ خَيْلُونَ ﴾ يقول تمالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعلى على تعقل، قال: وإنما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، قال: وإنما هذا تربيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء وأيهم وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من الجوائح والمصائب. أه.

⁽٢) قال ابن كثير: أي لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فهما أنا بالأمر الذي لا نظر له حتى تستنكروني وتستبعدون بعثني إليكم، فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم. اهـ.

 ⁽٣) ذكره الواحدي في اأسباب النزول، ٢١٥ هكذا بدون سند عن أبي صالح عن ابن عباس. وكذلك ذكره البغوي والمخازن عن ابن عباس بدون سند، والله
 أعلم.

٤) قال أبن كثير: قال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ وَمَا الّذِي مَا يُعْمَلُ بِي رَلَا يَكُوْ ﴾ قال: أما في الآخرة، فعماذ الله، وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرَج كما أخرجت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أيخسف بكم أو ترمّؤن بالحجارة؟ قال: وهذا القول هو الذي عوّل عليه ابن جوير الطبري، وإنه لا يجوّز غيره، قال: ولا شك أن هذا هو اللائق به هؤه، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا، فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا، أيؤمنون، أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم؟ اهـ.

ره) رواه بنحوه مختصراً الطبري ٧٢٦، وذكره السيوطي في «اللد»: ٣٨/٦ بنحوه، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس را الله عباس الله الله عباس الل

⁽٦) في الأصل: فنزلت.

⁽٧) هكذا ذكره البغوي والخازن بدون سند، وذكره بنحوه مختصراً أحمد في «المسند» والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فُلُ أَرَّاتِكُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَكَفَرُمُ بِدِ وَشَهِدَ شَاهِدُ مِن ابَى إِسْرَى بِلَ وفيه قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن سلام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أنه موسى بن عمران على قاله الشعبي، ومسروق. فعلى القول الأول يكون ذلك المثل صلة، فيكون العنى: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه، أي: على أنه من عند الله، ﴿ فَنَامَنَ الشاهد، وهو ابن سلام ﴿ وَاسْتَكَبَرُمُ الله معشر اليهود. وعلى الثاني يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مِثْل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، ﴿ فَامَنَ مَنْ آمن بموسى والتوراة ﴿ وَاسْتَكَبَرُمُ انتم يا معشر العرب أن تؤمِنوا بمحمد والقرآن. فإن قيل: أين جواب وإنْ وَ قيل: هو مُضْمَر؛ وفي تقديره ستة أقوال: أحدها: أن جوابه: فمَنْ أضَلُ منكم، والقرآن. والثاني: أن تقدير الكلام: وشَهد شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله فآمن، أتؤمِنون؟ قاله الزجاج. والثالث: أن تقديره: أتأمنون عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي. والرابع: أن تقديره: أفما تهلكون؟ ذكره المعلى؟ ذكره الثعلبي. والسادس: أن تقديره: أليس قد ظَلَمْتُمْ؟ ويدُلُ على هذا المحذوف مَن المُجْوِلُ ذكره الثعلبي. والسادس: أن تقديره: أليس قد ظَلَمْتُمْ؟ ويدُلُ على هذا المحذوف قوله: ﴿ إِنْ اللهُ مِن الْفُرْمُ الْفَالِينَ ﴾ ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّيْنَ صَكَفُرُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾ الآية، في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن الكفار قالوا: لو كان دين محمد خيراً ما سبقنا إليه اليهودُ، فنزلت هذه الآية، قاله مسروق. والثاني: أن امرأة ضعيفة البَصر أسلمتْ، وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الزناد. والثالث: أن أبا ذر الغفاري أسلم واستجاب به قومه إلى الإسلام، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو المتوكل. والرابع: أنه لمّا اهتدت مُزَيْنَةُ وجُهيئَةُ وأسلمتْ، قالت أسّد وَغَطَفان: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رِعاءُ الشّاء، يعنون مُزَيْنَةٌ وجُهيئَةٌ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أن اليهود قالوا: لو كاد دين محمد خيراً ما سبقتمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لكم بذلك، ولو كان حَقاً لدَّعُلْنا فيه، ذكره أبو سليمان الدمشقي وقال: [هو قول مَنْ يقول: إن الآية نزلت بالمدينة؛ ومن قال: هي مكية، قال]: هو قول المشركين. فقد خرج في «الذين كفروا» قولان: أحدهما: أنهم المشركون، والثاني: اليهود. وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أي: لو كان محمد خيراً ﴿ مَن سَبُونًا إليّه ﴾ . فمن قال: هم المهود، قال: أرادوا: إنّا أعَرُّ وأفضل؛ ومن قال: هم اليهود، وقال]: أرادوا: إنّا أعَرُّ وأفضل؛ ومن قال: هم اليهود، وقال]: أرادوا: إنّا أعرُّ وأفضل؛ ومن قال: هم اليهود، وقال]: أرادوا: إنّا أعرُّ وأنفل؛ ومن قال: هم اليهود،

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْ تَدُواْ بِي ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مَنَبَعُرُونَ هَنَاۤ إِنَّكُ تَدِيرٌ ﴾ أي: كذب متقدّم، يعنون أساطير الأولين. ﴿ وَبِن تَبْلِهِ كِنَتُ مُوسَىٰ ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآن التوراةُ. وفي الكلام محذوف، تقديره: فلَمْ يهتدوا، لأن المشركين لم يهتدوا بالتوراة. ﴿ إِمَانًا ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ عطف عليه ﴿ وَمَنا كَتَبُ مُصَدِّقٌ لِما بينَ يديه عربياً ؛ وذكر السانا ، مُصدِّقٌ لِما بينَ يديه عربياً ؛ وذكر السانا ، توكيداً ، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً ، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً .

قوله تعالى: ﴿ لِيُكْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿لِيُنْذِرَ بالياء. وقرأ تافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿لِتُنْذِرَ اللّهِ التاء. وعن ابن كثير كالقراءتين. و﴿الذَين ظلموا المشركون ﴿ رَبُشْرَى ﴾ أي: وهو بُشرى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ وهم الموحّدون يبشّرهم بالجنة. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [فصلت: ٣٠] إلى قوله: ﴿ بِزَلِالَهِ حُسْنًا ﴾ وقرأ

عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿ حَسَاناً ؛ بألف. ﴿ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ كُرْهَا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: اكرهاً ؛ بفتح الكاف؛ وقرأ الباقون: بضمها. قال الفراء: والنحويُّون يستحبُّون الضَّمَّ هاهنا، ويكرهون الفتح، للعلَّة التي بيُّناها عند قوله: ﴿ وَهُوَ كُرُّهُ لَكُمُّ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. قال الزجاج: والمعنى: حملته على مشقَّة ﴿ وَوَضَعَتْهُ على مشقَّة (١). ﴿ وَنِصَدَلُمُ ﴾ أي: فِطامُه. وقرأ يعقوب: ﴿ وَفَصْلُهُ ۚ بِفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف ﴿ نَلَنُونَ شَهَرًا ﴾ (٢). قال ابن عباس: ﴿ وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا﴾ يريد به شِدَّةَ الطُّلْق. واعلم أن هذه المُدَّة قُدِّرتْ لأقلِّ الحَمْل وأكثر الرَّضاع؛ فأمّا الأشُدّ، ففيه أقوال قد تقدَّمت؛ واختار الزجاج أنه بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، لأنه وقت كمال الإنسان في بدنه وقوَّته واستحكام شأنه وتمييزه (٣٠). وقال ابن قتيبة: أشُدُّ الرجُل غير أشُدِّ اليتيم، لأن أشُدَّ الرجُل: الاكتهال والمُحنَّكة وأن يشتدَّ رأيُه وعقلُه، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة، وأشُدُّ الغُلام: أن يشتدَّ خَلْقُه ويتناهى نَبَاتُه (٤٠). وقد ذكرنا بيان الأشُد في [الانعام: ١٥٣] وفي [يرسف: ٢٢] وهذا تحقيقه. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنها] نزلتْ في أبي بكر الصَّدِّيق ﷺ، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرَة، فقعد رسولُ الله ﷺ في ظِلْها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال [له]: مَن الرَّجُل الذي في ظِلِّ السُّدْرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبيٌّ، وما استَظَلُّ تحتَها أحدٌ بعد عيسى إلَّا محمدٌ نبيُّ الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسولَ الله ﷺ في أسفاره وحضره، فلمّا نُبّئ رسولُ الله ﷺ _ وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة _ صدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلغ أربعين سنة قال: ربُّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ التي أنعمت عليَّ، رواه عطاء عن ابن عباس (٥)، ويه قال الأكثرون؛ قالوا: فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، دعا الله ﷺ بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله، فأسلم والداه وأولادُه ذكورُهم وإناثُهم، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة. والقول الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا قصته في سورة [العنكبوت: ١٨، وهذا مذهب الضحاك، والسدي(٦). والثالث: أها نزلت على العموم، قاله الحسن. وقد شرحنا في سورة [النمل: ١٩] معنى قوله: ﴿ أَرَزِعَنِي ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَصَٰلَ صَّلِهُمَا تَرْضَنْكُ قال ابن عباس: أجابه الله _ يعني أبا بكر _ فأعتق تسعةً من المؤمنين كانوا يُعذَّبون في الله عَلَى، ولم يُرِدْ شيئاً من الخير إلّا أعانه الله عليه، واستجاب له في ذُرِّيته فآمنوا، ﴿إِنّ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: رَجَعْتُ إِلَى كُلُ مَا تُحِبُّ (٧).

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَتِكَ اللَّذِينَ نَنْقَبُلُ عَنْهُمُ أَحْسَنَ مَا عَبِلُوا وَنَنْجَاوَزُ عَن سَيْكَاتِهِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ لِيُتَقَبِّلُ ﴾ ﴿ وِيُتَجَاوِزُ ﴾ بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: ﴿ تَنَقَبَّلُ ﴾ ﴿ وَنَتَجَاوَزُ ﴾ بالنون فيهما. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني: ﴿ يَتَقَبَّلُ ﴾ ﴿ وَيَتَجَاوَزُ ﴾ بياء

 ⁽١) قال ابن كثير: ﴿ مَلْتَهُ أَيْمُ كُرْهَا﴾ أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً من وحم وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ﴿ وَوَشَكْنَهُ كُرُها ﴾ أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدته. اهـ.

 ⁽٢) ﴿ وَمَمَنَكُم تَلَكُونَ مَبَرُّكُ قَال ابن كثير: وقد استدل علي ﷺ بهذه الآية مع التي في لقمان ﴿ وَنِصَنْكُم فِي عَلَمَنِ ﴾ وقوله تباوك وتعالى: ﴿ وَالْعَلَاثُ يُرْضِنَ لَمُ اللّهِ عَلَم اللّهُ اللّهِ مَا اللّهِ عَلَم الله عثمان ﷺ وَلَلْمُكُنَّ مَوْلِينَ لِينَ أَرْدَا أَن يُبَمِّ الزَّمَاعَةُ ﴾ على أن أقلَّ مدة الحمل ستة أشهر، قال: وهو استنباط قوي صحيح، قال: ووافقه عليه عثمان ﷺ وجماعة من الصحابة ﷺ. اهـ.

 ⁽٣) ﴿حَتَّ إِنَّا لِلَّمْ أَشْدَرُ ۚ قال ابن كثير: أي: قوي وشب وارتجل ﴿وَيَلْمَ أَرْبَعِينَ سَنَدً ﴾ أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. اهـ.

 ⁽٤) في النسخة الاستنبولية: بنيانه، والذي في «اللسان» و«التاج»: وينتهي شبابه.

هكذا ذكره الواحدي بتمامه في الصباب النزول، ٢١٦ من رواية عطاء عن عبد الله بن عباس في بدون سند. وقال السيوطي في اللده ٢٠٦٠: أخرج
ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبني صالح عن ابن عباس في قال: نزلت في أبي بكر الصدِّيق في وَيَشَنَا الْإِنْنَ بِاللِّهِ حُسَناً إلى قوله: ﴿ وَمَدَ

 الشِدْقِ اللَّذِي كَافَرا بُوعَدُنَى .

⁽٦) قال البغوي: قال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقال الخازن: قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص.

⁽٧) قال ابن كثير: ﴿إِنِّ بُنْتُ إِلَيْكَ مَإِلَى مِنَ ٱلسُّمْلِمِينَ﴾ قال: وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدُّد التوبة والإنابة إلى الله ﷺ ويعزم عليها. اهـ.

مفتوحة فيهما، يعني أهل هذا القول. والأحسن بمعنى الحَسَن. ﴿ فَيْ أَصَّى اَلْمَتَوَّ اَيْ : في جملة من يُتجاوز عنهم، وهم أصحاب الجنة. وقيل: «في بمعنى «مع». ﴿ وَمَقَدَ السِّلْقِ فَي اللهِ الزجاج: هو منصوب، لأنه مصدر مؤكّد لما قَبْله، لأن قوله: ﴿ أَوْلَتِكَ اللَّهِ مَنْ الْوَعْد، لأنه وعدهم القبول بقوله: ﴿ وَمَدَ السِّلْقِ فَي اللهُ قُولُه: ﴿ اللَّهِ عَدْدُ اللَّهُ الللللللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللّ

﴿وَالَذِى قَالَ لِوَلِدَنِهِ أَقِ لَكُمَّا أَتَهِدَانِينَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَّا يَسْتَنِينَانِ اللّهَ وَيَلِكَ مَايِنَ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَقُّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَا أَسْطِيرُ الْأَوْلِينَ ۞ أُولَتِكَ الَّذِينَ حَتَّى عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَثْرِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِنَ لَلْمِنْ وَالْإِنَّ إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ ۞ وَلِكُلِّ دَنَهَتُ ثِنَا عَلِكُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُمُنُمْ وَمُمْ لَا يُظَلَّمُونَ ۞ وَقِعَ بَشْرَشُ الْذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اذْهَبَتُمْ لَمِينَكُمْ فِي مَهَاتِكُو اللّهَائِقُونَ فِيمَ اللّهَائِقُونَ عِنَاكُمُ اللّهَائِقُونَ مِنَاكُمُونَ مِنَا كُنُمُ تَسْتَكَمُّولُونَ فِي الْأَرْضِ بِقَدْرٍ الْمَيْقِ وَعِا كُذُمْ الْمُشْلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللّذِى قَالَ لِوَلِدَيهِ أَنِ لَكُنّا ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: وأفّ لكما المخفض من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: بفتح الفاء. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: وأفّ بالخفض والتنوين. وقرأ ابن يعمر: ﴿أفّ بتشديد الفاء وبالنصب والتنوين. وقرأ ابن يعمر بن دينار: ﴿أفّ بتشديد الفاء وبالرفع من غير تنوين. وقرأ أبو المتوكل، [وعكرمة]، وأبو رجاء: وأفّ لكما بإسكان الفاء خفيفة. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: ﴿أفّي بتشديد الفاء وياءٍ ساكنة مُمالة. وروي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبْل إسلامه، كان أبواه يدعُوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهور المفسّرين. وقد روي عن عائشة أنها كانت تُنكِر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن، وتَخلِفُ على ذلك وتقول: لو شئتُ لسمّيتُ الذي نزلتْ فيه. قال الزجاج: وقول من قال: إنها نزلت في عبد الرحمن، باطل بقوله: ﴿وَلَوْلَ لَكُونَ الْعَاقِ الْعَاقِ وَروي [عن] مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وعن الحسن [أنها] نزلت في جماعة من كفار في الكافر العاقً. وروي [عن] مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وعن الحسن [أنها] نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم (٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَقَدَ خَلَتِ ٱلْقُرُنُ مِن تَبْلِ﴾ (٣) فيه قولان: أحدهما: مضت القُرون فلم يرجع منهم أحد، قاله مقاتل. والثاني: مضت القُرون مكنِّبة بهذا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ ﴾ أي: يَدْعُوَان الله له بالهدى، ويقولان له: ﴿وَيَلَكَ ءَايِنْ ﴾ أي: صدُّق بالبعث، ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا ﴾ الذي تقولان ﴿إِلَّا أَسُولِيرُ ٱلْأَوْلِينَ ﴾ وقد سبق شرحها [الانمام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿أَوْلَتِكَ﴾ يعني الكفار ﴿الَّذِينَ حَقَى عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم قضاء الله أنهم من أهل النار ﴿وَا أَمْرِ﴾ أي: مع أمم. فذكر الله تعالى في الآيتين قَبْلَ هذه مَنْ بَرَّ والدّيه وعَمِل بوصيَّة الله رَبَّقُ، ثم ذكر مَنْ لم يَعْمَل بالوصيَّة ولم يُطِعْ ربَّه ولا والدّيه، ﴿إِنَّهُمْ كَاثُوا خَيْرِينَ ﴾ وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران: «أنَّهم» بفتح الهمزة. ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَحَتُ يُمَّا عَلَا الجنة في الكرامة، وأهل

⁽١) قال ابن كثير: قال الله على: ﴿ وَلَتَكِكَ اللَّهِ تَنْتَلُ مَتْهُم أَحْتَنَ مَا عَلِمُوا وَنَتَجَارُدُ مَن سَيْعَاتِم في أَضَّ لِلْبَدَّة ﴾ أي: هولاء المتصفون بما ذكرنا، التاثيون إلى الله المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستففار، هم الفين نتقبًل عنهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن سيئاتهم، فنفغر لهم الكثير من الزّلل، ونتقبًل منهم اليسير من العمل «في أصحاب الجنة» أي: هم في جملة أصحاب الجنة، قال: وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله على من تاب إليه وأناب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَهَذَا قَلْتِنْ لَلْوَى كَافُوا يُوعُدُونَ ﴾ . اهـ.

⁽٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَأَدِى قَالَ لِيَلِيدَةِ أَنِ لَكُمّا ﴾: هذا عام في كل من قال هذا، قال: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق ﴿ الله عنه نقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﴿ الله عبد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، قال: وروى الموفي عن ابن عباس ﴿ النها نزلت في ابن لابي بكر الصدّيق ﴿ الله عنه عبد الله بن أبي بكر ﴿ الله عنه الله بن أبي بكر ﴿ الله عنه الله بن أبي بكر ﴿ الله عنه الله بن الله عنه على الله عنه على أنه الله الله الله عنه الله الله عنه على الله عنه الله الله الله أن الكما، عقهما. اهـ.

^{ِ (}٣) وأول الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالَهِمِ أَلِّ لَكُمَّآ آلَهِدَائِينَ أَنْ أُخْرَمَ﴾ أي: أن أبعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ النَّرُونُ مِن قَبلٍ﴾.

النار في العذاب ﴿ وَلِيُوفِيَهُمْ أَصَالَهُمْ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿ ولِيُوفِّيهُمْ ۗ بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاء أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ نَسْتَكُبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تتكبَّرون عن عبادة الله والإيمان به.

﴿ ﴿ وَاذَكُرُ آَمَا عَادٍ إِذَ أَمَدَ فَرْمَهُ إِلْأَخْفَانِ وَفَدْ خَلَتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ بَدَيْدِ وَينْ خَلْفِدِء أَلَا تَشَبُدُواْ إِلَّا اللّهَ إِنِّ آخَانُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَلِيمِ ۞ قَالُواْ أَجِنْتَنَا لِتَأْفِكَا عَنْ مَالِمَتِنَا قَالِنَا بِمَا تَمِثْنَا ۚ إِن كُنتَ مِنَ الصَّندِفِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا اللّهِمُ عِندَ اللّهِ وَأَيْلِفُكُمْ مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ. وَلَكِنِيَ آرَنكُرْ فَوَمَا جَمْهُونَ ۞ فَلَمَّا رَأْوُهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ ثُمِّلِنَا بِّلْ مُو مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِيدٌ رِيحٌ فِيهَا عَدَابُ لَيمٌ ۞ ثُدَيْرُ كُلِّ مَنْ عَلَى إِنْهِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا بُرَى ٓ إِلَا مَسْكِيْهُمْ كَذَلِكَ نَهْرِي الْفَوْمَ اللّهُمْرِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ زَاذَكُرُ لَنَا عَايِهِ يعني هوداً ﴿ إِذَ أَنَدَرَ فَوْمَمُ ۚ إِلْآَخَتَانِ ﴾ قال الخليل: الأحقاف: الرِّمال العِظام. وقال ابن قتية: واحد الأحقاف: حِقْف، وهو من الرَّمْل: ما أشرَف من كُثبانه واستطال وانحنى. وقال ابن جرير: هو ما استطال من الرَّمْل ولم يبلُغ أن يكون جَبَلاً. واختلفوا في المكان الذي سمِّي بهذا الاسم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبل بالشام، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه وادِ، ذكره عطية. وقال مجاهد: هي أرض. وحكى ابن جرير أنه وادِ بين عُمان وحَصْرَمَوْت، واليمن كلُه. والثالث: أن الأحقاف: رمال مشرِفة على البحر بأرض يقال لها: الشَّحْر، قاله قتادة (٤٠).

قولُه تعالى: ﴿ وَمَدْ خَلَتِ النَّذُرُ ﴾ أي: قد مضت الرُّسُل مِنْ قَبْلِ هود ومِنْ بَعده بإنذار أممها ﴿ أَلَا نَتَبُدُوٓا إِلَّا اللَّهُ ﴾ ا والمعنى: لم يُبعَث رسولٌ قَبْلَ هود ولا بعده إلّا بالأمر بعبادة الله وحده. وهذا كلام اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه. ثم عاد إلى كلام هود فقال: ﴿ إِنَّ لَنَاكُ عَلَيْكُ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ لِنَا فِكُنا ﴾ أي: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالإفك.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمِلْمُ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي: هو يَعْلَم متى يأتيكم العذاب. ﴿ فَلَمَّا رَأَوهُ ﴾ يعني ما يوعدون في قوله: «بما تَعِدُنا» ﴿ عَارِضًا ﴾ أي: سحاب يعرُض من ناحية السماء. قال ابن قتيبة: العارض: السحاب. قال المفسرون: كان المطر

⁽١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وقرأ ابن كثير والداجوني عن هشام من طريق النهرواني ورويس بهمزتين محققة فمسهّلة مع عدم الفصل.

 ⁽۲) روه الحاكم في «المستدرك» من حديث ابن عباس في وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه في «سننه» بنحوه من حديث ابن عباس أيضاً
 بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك في بنحوه.

⁽٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن من رواية جابر بن عبد الله عن عمر بدون سند.

⁽٤) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هودٌ بالأحقاف، قال: والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة. اهـ.

قد حُسِس عن عاد، فساق الله إليهم سحابة سوداء، فلمّا رأوها فرحوا و ﴿ قَالُواْ هَذَا عَارِشٌ ثُمُطِرُناً ﴾، فقال لهم هود: ﴿ بَلْ هُوَ
مَا اَسْتَعْجَلُمُ بِدِيَّ ﴾، ثم بيّن ما هو فقال: ﴿ رِيحُ فِيهَا عَذَابُ الِيمُ ﴾ فنشأت الرّبح من تلك السحابة، ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ مَنَ مِ ﴾ أي:
تُهْلِك كلَّ شيءٍ مَرَّت به من الناس والدواب والأموال. قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الربّح تحتمل الظّعينة فترفعُها
حتى تُرى كأنها جرادة، ﴿ فَأَصَبَحُوا ﴾ يعني عاداً ﴿ لَا يُرَى ٓ إِلّا مَسْكِنُهُم ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: ﴿ لا يُرَى ۗ برفع الياء ﴿ إِلّا مَسْكِنُهُم ﴾ والحسن، وقتادة، والجحدري: ﴿ لا تُرَى ﴾ بناء مضمومة.
وقرأ أبو عمران، وابن السميفع: ﴿ لا تَرَى ﴾ بناء مفتوحة ﴿ إِلّا مسكنَهم ﴾ على التوحيد: وهذا لأن السُّكان هلكوا، فقيل: أصبحوا وقد غطّتهم الرّبح بالرّمُل فلا يُرون.

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مُتَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَمَلَنَا لَهُمْ سَمَّا وَأَشْهَرُا وَأَفِيدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْهُهُمْ وَلَا أَفِيدَهُمْ مِنَ الْقَرَى وَسَرَقَنَا الْإَيْتِ لَمَلَهُمْ مِن الْفَرَى وَسَرَقَنَا الْإَيْتِ لَمَلَهُمْ وَلَا أَغْلُ يَجَدُونَ ﴿ وَلَقَدَ أَمْلَكُمَا مَا خَوْلَكُو مِنَ الْفَرَى وَسَرَقَنَا الْآيَتِ لَمَلَهُمْ وَمَا كَافُوا بِمُنْ اللّهِ مُرْيَانًا مَالِمَةً بَلْ مَسْلُوا عَنْهُمْ وَوَالِكَ إِنْكُهُمْ وَمَا كَافُوا بِمُنْ أَقُونَ ﴾ وَيُولُونُ ﴿ وَاللّهُ إِنْكُهُمْ وَمَا كَافُوا بِمُنْ أَوْلِ اللّهِ مُرْيَانًا مَالِمَةً بَلْ مَسْلُوا عَنْهُمْ وَوَالِكُو إِنْكُونُ مِنْ وَمُولِ اللّهِ مُرْيَانًا مَالِمُكَمَّا بَلْ مَسْلُوا عَنْهُمْ وَوَالِكُو إِنْكُونُ اللّهِ مُولِدُونَا اللّهِ مُرْيَانًا مَالِمُكُمْ أَلَى اللّهُ مُولِدُونَ اللّهِ مُولِدُونَ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَمُولُولُونَا لِلْمُؤْلِقُونَا لَهُ مُؤْلِنَا مُؤْلِقُونَا لَهُمْ مُولُولُونُونَا اللّهُ مُولُولُونُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُمُ وَمَا كَافُوا بِمُعْلَمُهُمْ وَمَا كَافُوا بِمُعْلَمُهُمْ وَمُولُونَا لِمُعْلَمُونَا لِمُنْ إِلَيْنَا مُؤْلِمُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْلُمُ وَمُؤْلُونُ اللّهُ مُنْهُمُ وَلَا لَعْلَالُهُمْ وَمَا كَافُوا بِمُؤْلِقُولُونَ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مُؤْلِقُولُونَا لِمُؤْلِقُولُونَا مُؤْلِقُونَا لَعُلَالِكُونَا لَعُلَالًا مُعْلَمُونًا مُؤْلِكُونَا لِللّهُ وَلَالِكُونَا لِمُؤْلِقُونَا لِمُؤْلِقُونَالُولُهُمُ وَلَا لَعُلْمُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُعْلَمُ وَلَا لَالْمُؤْلِمُ لَمُؤْلِقُولُ اللّهُ وَلَالِكُونِ لِللّهُ اللّهُ الْمُؤْلِمُهُمْ وَمَا كَافُوا مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُونَا لِللّهُ اللّهُ اللّ

ثم خوّف كفّار مكة، فقال هُلِيّ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّتُهُمْ فِيما إِن تَكَنّكُمْ فِيهِ فِي الله وَلان: أحدهما: أنها بمعنى الله فتقديره: فيما لم نمكّنكم فيه، [قاله (۱) ابن عباس، وابن قتيبة. وقال الفراء: هي بمنزلة الماء في الجحد، فتقدير الكلام: في الذي لم نمكّنكم فيه]. والثاني: أنها زائلة؛ والمعنى: فيما مكّناكم فيه، وحكاه ابن قتيبة أيضاً. ثم أخبر أنه جعل لهم آلات الفهم، فلم يتدبّروا بها، ولم يتفكّروا فيما يدلّهم على الترحيد. قال المفسرون: والمراد بالأفتدة: القلوب؛ وهذه الألات لم تردّ عنهم عذاب الله (۱) ثم زاد كفّار مكة في التخويف، فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكُنَا مَا خَوْلَكُو مِن اللهُهُ كَدُور وَمَرَقَنَا اللّهُهُ كَا اللهُ وَمَرَقَنَا اللّهُ وَمَرَقَنَا اللّهُ عَلَى اللهُ عَلى اللهُ على إلله اللهُ اللّه على الله الله الله عن كفرهم. ﴿ وَلَوْلاَهُ أَي : بيّناها ﴿ لَمَلّهُمُ هُمُ أَي : منعهم من عذاب الله عن كفرهم. وهاهنا محذوف، تقديره: فما رَجَعوا عن كفرهم. ﴿ وَلَوْلاَهُ أَي : فيلا ﴿ فَصَرَعُمُ الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، ﴿ وَاللّه الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، معناه: لم ينصروهم ﴿ بَلَ صَلّواً عَنهُمُ اي الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، عمناه: لم ينصروهم ﴿ بَلَ صَلًا عَلَهُمُ اي : لم ينفعوهم عند نزول العذاب ﴿ وَدَلِكَ الهمزة وقصرها وقتح الفاء أي: كذبهم، وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن يعمر، وأبو عمران: وذلك أقّكهم، بفتح الهمزة وقصرها وقتح الفاء وتشديدها ونصب الكاف. وقرأ أبيّ بن كعب، وابن عباس، وأبو رزين، والشعبي، وأبو العالية، والجحدري: الفكهم عن الحق فجعلهم صُلالاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: ﴿ أَوْكُهُمْ اللهمَ ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع عن الحق فجعلهم صُلالاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: ﴿ أَوْكُهُمْ اللهمَ الهمزة ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع عن الحق فجعلهم صُلالاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: ﴿ أَوْكُهُمْ اللهمَ الهمزة ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف، أي: مُضِلّهم.

﴿وَإِذْ صَرَفَنَا ۚ إِلِنَكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِ يَسْتَعِمُونَ الْفُرْمَانَ فَلَمَنَا حَمَرُهُمُ قَالُواْ أَنْسِيُواً فَلَمَا فَضِي وَلُواْ إِلَى فَوْسِهِم مُّنذِرِينَ ﴿ فَالْوَا مَمْرُهُمُ قَالُواْ أَنْسِيمُواْ الْفَرْمَانَ الْمِيمُولُ وَلَيْ مَلْمِنِ مُسْتَقِيمٍ ﴿ يَعْوَمُنَا أَيْرِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَإِلَى اللَّهِ مَنْ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ مَنْ عَلَى اللّهِ مِنْ وَكُولُمُ مِنْ عَلَى اللّهِ عَلَى وَمَن لَا يُجِبُ وَاعِي اللّهِ عَلَى اللّهِ مِن وَلَيْقُ وَلِمُ اللّهُ مِن وَلِيمَ اللّهُ مِن وَلِيمَةً أَوْلَئِكُ فِي ضَلَيلٍ ثُمِينٍ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ مَرَفَا ٓ إِلَيْكَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنّ ﴾ وبَّخ الله على بهذه الآية كُفّارَ قريش بما آمنت به الجِنّ . وفي سبب صرفهم إلى النبي ﷺ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم صُرِفوا إليه بسبب ما حدث من رجمهم بالشُّهُب. روى البخاري ومسلم في والصحيحين، من حديث ابن عباس قال: انطلق رسولُ الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد

⁽١) في الأصل: قال، والتصويب من كتب التفسير.

⁽٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ولقد مكنًا الأمم السالقة في الهنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم تعطكم مثله ولا قريباً منه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفقدة ﴿فَنَا أَفْنَى عَبُمُ مَعْمُهُمْ وَلَا أَبْسَتُوهُمْ وَلَا أَنْفِتُهُمْ مِن أَنْوَدُهُمْ وَلَا أَنْفَتُهُمْ وَلَا أَنْفَا لِلْهِ المخاطون أَنْها المخاطون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والأخرة. اهـ.

حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلتْ عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبينَ خبر السماء وأرسلت علينا الشُّهُب، قالوا: ما ذاك إلَّا من شيءٍ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربَها فانظروا ما هذا الأمر، فمرَّ الَّنفرُ الذين توجُّهوا نحو تِهامة بالنبيِّ ﷺ وهو بـ ﴿نَخْلَةَ ﴾ (١) وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمَّا سمعوا القرآن تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجَّعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُواْ إِنَّا سَمِمْنَا وُوَانًا جَبًا ﴾ يَهِدِى إِلَى الرُّشَدِ ﴾ [الجن: ١-٢] فأنزل الله على نبيَّه ﴿قُلْ أُرِينَ إِلَّى أَنَهُ أَسْتَمَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الجن: ١](٢٠). وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن، ولا رآهم، وإنما أتَوْه وهو بـ (نخلة) فسمعوا القرآن. والثاني: أنهم صُرفوا إليه لِيُنْذِرهم، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن، هذا مذهب جماعة، منهم قتادة. وفي أفراد مسلم من حديث علقمة قال: قلت لعبد الله: من كان متكم مع النبئ ﷺ ليلة الجن؟ فقال: ما كان منّا معه أحد، فقدناه ذاتَ ليلة ونحن بمكة، فقلنا: اغتيل رسولُ الله ﷺ أو استُطير، فانطلقْنا نطلبه في الشِّعاب، فلقِيناه مُقْبلاً من نحو حِراء، فقلنا: يا رسول الله، أين كنت؟ لقد أشفقنا عليك، وقلنا له: بثنا الليلةَ بشَرَّ ليلةِ بات بها قوم حين فَقَدْناك، فقال: ﴿إنه أتاني داعي الجن، فذهبت أقرئهم القرآن، فذهب بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم (٣). وقال قتادة: ذُكِر لنا أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَن أقرأ على الجن، فأيُكم يَتبعُنى؟؛ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثةَ فأطرقوا، فأتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل نبئُ الله ﷺ شِعْبًا يقال له: «شِعْبُ الحَجونَ»، وخطُّ على عبد الله خطًّا ليُثبته به، قال: فسمعت لغطاً شديداً حتى خِفْتُ على نبئ الله عَلَيْم، فلمّا رجّع قلت: يا نبي الله، ما اللغط الذي سمعتُ؟ قال: الجتمعوا إلى في قتيل كان بينهم، فقضيت بينهم بالحق (٤). والثالث: أنهم مَرُّوا به وهو يقرأ، فسمعوا القرآن. فذكر بعض المفسرين أنه لمّا يئس من أهل مكة أن يجيبوه، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام ـ وقيل: ليلتمس نصوهم ـ وذلك بعد موت أبي طالب، فلمّا كان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر، فمرَّ به نفرٌ من أشراف جِنّ نصيبين، فاستمعوا القرآن. فعلى هذا القول والقول الأول، لم يعلم بحضورهم حتى أخبره الله تعالى؛ وعلى القول الثاني، عَلِمَ بهم حين جاءوا(٥). وفي المكان الذي سمِعوا فيه تلاوةَ النبئ ﷺ قولان: أحدهما: الحَجون، وقد ذكرناه عن ابن مسعود، وبه قال قتادة. والثاني: بطن نخلة، وقد ذكرناه عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وأما النَّفَر، فقال ابن قتيبة: يقال: إن النُّفَر ما بين الثلاثة إلى العشرة. وللمفسرين في عدد هؤلاء النَّفَر ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن مسعود، وزِرُّ بن حبيش، ومجاهد، ورواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: تسعةً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: اثني عشر ألفًا، روي عن عكرمة، ولا يصح، لأن النَّفَر لا يُطلَق على الكثير.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا حَمَرُوهُ ﴾ أي: حضروا استماعه، و﴿ قُضِيَ ﴾ يعني: فُرِغَ من تلاوته ﴿ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِم مُنْدِدِينَ ﴾ أي: محذِّرين عذاب الله ﷺ إن لم يؤمنوا. وهل أنذَروا قومَهم مِنْ قِبَل أنفُسهم، أم جعلَهم رسولُ الله رُسُلاً إلى قومهم؟

 ⁽١) موضع بين مكة والطائف، وهي التي ينسب إليها، قبطن تخلقه قال الحافظ ابن حجر في قالقتح»: ووقع في رواية مسلم قبنخل، بلا هاء، والصواب إثناتها. اهـ.

 ⁽۲) رواه البخاري ۲/ ۲۱۰، و۸/ ۹۱۳، ومسلم ۱/ ۳۳۱، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٦/ ۲۷۰، وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، والطبرائي، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهتي في «الدلائل» عن ابن عباس ،

٣) رواه مسلم ١/ ٣٣٢، ورواية المصنف له عن مسلم بالمعنى. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المسند» رقم (٤١٤٩). وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لعبد بن حميد، والترمذي.

⁽٤) هذه الرواية مرسلة، رواها ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

هذا الخبر من رواية ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن كثير بعد أن سرد كثيراً من الروايات حول هذا الموضوع: فهذه الطوق كلّها تدلّ على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصداً، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷺ، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، قال: وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس ﷺ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود ﷺ، قال: وأما ابن مسعود ، فإنه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، قال: وإنما كان بعيداً منه، ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، قال: هذه طريقة البيهتي، قال: وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود ﷺ ولا غيره، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم.

فيه قولان. قال عطاء: كان دِينُ أولئك الجِنِّ اليهودية، فلذلك قالوا: ﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ يعنون محمداً ﷺ. وهذا يدُلُّ على أنه أُرسِلَ إلى الجن والإنس (١٠).

قوله تعالى: ﴿ يَنْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُرْ ﴾ (مِنْ) هاهنا صلة (٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعَجِزِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (٢) أي: لا يُعْجِزُ الله تعالى ﴿وَلَيْسَ لَمُ مِن دُونِهِ؞ أَوَلِيَّآهُ﴾ أي: أنصار يمنعونه من عذاب الله تعالى ﴿أَوْلَتِهَكَ﴾ الذين لا يجيبون الرَّسل ﴿فِي ضَلَالٍ شَبِينٍ﴾.

﴿ أَوَلَتُمْ بَرُواْ أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَتِ وَاللَّهُمْ وَلَمْ يَعْى جِنْلِقِهِنَّ بِمَندِدٍ عَلَىٰ أَن يُحْتِى الْمَوْفَى بَكَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَدِيرٌ ۞ وَيَوْمَ بُعْرَضُ الَّذِينَ كَفُرُهُا عَلَى النَّارِ الْلِيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ عَالُواْ بَلَىٰ وَوَيِّنَا قَالَ مَـدُوفُواْ الْمَذَاتِ بِمَا كُمُثُمْ تَكَفُّرُونَ ۞ فَأَسْيِر كَمَا صَبَرَ أُولُواْ الْمَرْدِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمُثَمَّ كَانَهُمْ بَوْمَ بَرْوَنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ بَلِبَقُواْ إِلَا سَاعَةً فِن ثَبَارٍ بَلِنَعٌ فَهَل يُهْلَكُ إِلَّا الْقَرْمُ النّسِيقُونَ ۞﴾

ثم احتجَّ على إحياء الموتى بقوله: ﴿أَرَلَا بَرَوْا . . ﴾ إلى آخر الآية. والرُّوية هاهنا بمعنى العِلْم '' . ﴿وَلَمْ يَتَّى ﴾ أي الله ولم يَقدر عليه. قال الزجاج: يقال: عَبِيتُ بالأمر، إذا لم يَهتد له ولم يَقدر عليه. قال الزجاج: يقال: عَبِيتُ بالأمر، إذا لم تعرف وجهه، وأعييّتُ، إذا تعبت.

قوله تعالى: ﴿ وَلَكُدِدٍ ﴾ قال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة مؤكدة. وقال الفراء: العرب تُدخل الباء مع الجحد، مثل قولك: ما أَطُنُك بقائم، وهذا قول الكسائي، والزجاج. وقرأ يعقوب: فيقيرُه بياء مفتوحة مكان الباء وسكون القاف ورفع الراء من غير ألف. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ كُمّا صَبّرٌ أُولُواْ أَلمَرْدٍ ﴾ أي: ذوو الحَرْم والصَّبر؛ وفيهم عشرة أقوال: أحدها: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليهم وسلم، رواه الضحاك عن ابن الله عليهم وسلم، قاله أبو العالية الرياحي. والثالث: أنهم الذين لم تُصِبهم فتنةٌ من الأنبياء، قاله الحسن. والرابع: أنهم العرب من الأنبياء، قاله الحسن، والسائم: أنهم إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليهم وسلم، قاله السدي. والسائمي: أن منهم إسماعيل، ويعقوب، وأيُّوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان، قاله ابن جريج. والسابع: أنهم الذين أمروا بالجهاد والقتال، قاله ابن زيد، واختاره ابن الأنباري، والثامن: أنهم جميع الرُّسل، فإن الله لم يَبْمَث رسولاً إلا كان من أولي العزم، قاله ابن زيد، واختاره ابن الأنباري، وقال: فين دخلت للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: قد رأيتُ الثياب من الخَرِّ والحِباب من القرِّ. والتاسع: أنهم وقال: فينَه دخلت للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: قد رأيتُ الثياب من الخَرِّ والحِباب من القرِّ. والتاسع: أنهم الأنبياء الأ

 ⁽١) قال ابن كثير: فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم، وهي سورة (الرحمن)، قال: ولهذا قال: ﴿لَجِيبُوا دَائِعَ اللهِ وَكَايِثُواْ بِهِ. ﴾.

٢) وتتمة الآية: ﴿ وَيُمْكِنُمُ يَنْ مَلَا إِلَيهِ ﴾ أي: ويقيكم من عذابه الأليم، قال ابن كثير: وقد استدل بهله الآية من ذهب من العلماء إلى أن المجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحيهم أن يُجَاروا من عذاب النار يوم القيامة، ثم قال: والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، قال: وقد استدل بعضهم لهذا بقوله على: ﴿ مُنْ بَلْمَتُنَ اللهِ يَنْكُمْ وَلا جَأَنٌ ﴾ قال: وقد استدل بعضهم لهذا بقوله على: وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿ وَلَهُ عَنْكُمْ تَرَجُّكُما تَكُلِّكُونُ ﴾ فقد امتن تمالي على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، قال: وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا: ﴿ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذُب فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم. اهـ.

 ⁽٣) وأول الآية: ﴿ وَنَمَن لَا يُجِبُ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾.

⁽٤) قال ابن كثير: يقول تعالى: أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد، أن الله الذي خلق السموات والأرض
﴿وَلَمْ يَهْنَ يُطْلِعُونَ ﴾ أي: ولم يكترثه خلقهن، بل قال لها كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن
يحيى الموتى؟.

⁽٥) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلَّهم محمد 義، قال: قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي (الأحزاب) و(الشوري).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَسْتَعْجِل لَمُمُ ﴾ يعني العذاب. قال بعض المفسرين: كان النبيُّ ﷺ ضَجِر بعض الضَّجَر، وأحبَّ أن ينزل العذاب بمن أبى من قومه، فأمر بالصَّبر.

قوله تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي: من العذاب ﴿ لَرَ يَبَنُوا ﴾ في الدنيا ﴿ إِلّا سَاعَةً يَن نَهَارٍ ﴾ لأن ما مضى كأنه لم يكن وإن كان طويلاً. وقيل : لأن مقدار مَكْثهم في اللّذيا قليلٌ في جَنْبٍ مَكْثهم في عذاب الآخرة. وهاهنا تم الكلام. ثم قال: ﴿ بَلَثُمُ ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغٌ عن الله إليكم. وفي معنى وصف القرآن بالبلاغ قولان: أحدهما: أن البلاغ بمعنى التبليغ. والثاني: أن معناه: الكفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفاية وذكر ابن جرير وجها آخر، وهو أن المعنى: لَمْ يَلْبَثُوا إلّا ساعةً من نهار، ذلك لُبث بلاغ، أي: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم، ثُمَّ حُذفتُ «ذلك لُبث» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِر في الكلام عليها. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «بُلغ بكسر اللام وتشديدها وسكون الغين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿ فَهَلَ يُهَلَكُ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل، وابن محيصن: «يَهْلِكُ» بفتح الياءَ وكسر اللام، أي: عند رؤية العذاب ﴿ إِنَّا ٱلْقَرْمُ ٱلْفَسِئُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله ﷺ؟!(١).



 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَهُنَلَ يُهُنِكُ إِلَّا ٱلْفَرَّمُ ٱلنَّسِيقُرَى﴾ يقول تعالى ذِكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به؟! قال: ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. اهـ.

سورة محمد ﷺ

وفيها قولان: أحدهما: [أنها] مدنيَّة، قاله الأكثرون، منهم مجاهد، ومقاتل. وحُكي عن ابن عباس وقتادة أنها مدنيَّة، إلّا آية منها نزلت عليه بعد حجِّه حين خرج من مكة وجعل ينظُر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَأْيَن مِن فَرَيَةٍ هِىَ أَشَدُّ وَوَا اللهِ عَلَيْهِ مِن مَرَّةٍ هِيَ أَشَدُّ مِن فَرَيَّةٍ مِن اللهِ عَلَيْهِ مَا اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلِيهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْ

يسب ألَّهِ النَّالِ النَّهَا النَّهَا إِلَيْهَا إِلَيْهَا إِللَّهِ النَّهَا إِللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّا لَلَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّه

﴿ الَّذِينَ كَفَرُهَا وَمَدُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ اَضَكَ آخَنَاتُهُمْ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَثُوا وَمِمْلُوا العَنلِحَتِ وَمَامُوا بِمَا أَزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَمُو الْحَقَّ مِن رَبِّهِمْ كَذَّرِ عَنْهُمْ سَيَّاتِهِمْ وَاصْلَحَ بَالْمُمْ ۞ وَلِكَ بِأَنَّ اللَّذِينَ كَفَرُهُا الْبَطِلَ وَأَنَّ اللَّذِينَ بَاشُوا الْبَمُوا الْمُؤَلِّ الْمَؤْلُو الْبَطِلَ وَأَنْ اللَّذِينَ بَاشُوا الْمَثَلِحَةِ وَيُعَالِمُمْ اللَّهِمُ وَيُعْلِمُ اللَّهِمُ وَيُعْلِمُ اللَّهُمُ وَلَمُوا الْوَقَاقُ فَإِمَّا مِنَّا بَشَدُ وَلِمَا يَشَيْعُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَكِن لِبَنْلُوا بِمُضَكُم بِبَعْنِ وَاللَّذِينَ فَيْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَى بُغِيلًا أَعْمَلُهُمْ وَالْمُعَل لِبَنْلُوا بِمُضَكِمْ بِبَعْنِ وَالْذِينَ فَيْلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَى بُغِيلًا أَعْمَلُهُمْ وَلِمُعْلِ

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَثَرُهِا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَمَدُوا﴾ الناس عن الإيمان به، وهم مشركو قريش، ﴿أَمْنَكُ أَمْنَكُهُمُ﴾ أي: أبطلها، ولم يجعل لها ثواباً، فكأنَّها لم تكن؛ وقد كانوا يُظعِمُون الطَّعام، ويَصِلون الأرحام، ويتصدّقون، ويفعلون ما يعتقدونه قُرْبَةً. ﴿وَالَذِي مَامُوا وَمَهُ أَلَيْكُ عَنَهُ عُسَرِهُ وقرأ ابن مسعود: ﴿وَمَا النّون والزَّاي وتشديدها. وقرأ أبيُّ بن كعب، ومعاذ القارئ: ﴿أَنْوِلُ المِهمْوة مضمومة مكسورة الزَّاي. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿نَزَلُ المِفتِ النون والزَّاي وتخفيفها، ﴿كَثَرَ عَنَهُمْ سَيَّاتِهُ ﴾ أي: على على المهرد.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكَ ﴾ قال الزجاج: معناه: الأمرُ ذلك، وجائز أن يكون: ذلك الإضلال، لاتّباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفّارات باتّباع المؤمنين الحقّ، ﴿ كَنَالِكَ يَعْرِبُ اللّهُ لِلنّاسِ أَمَنّاهُمْ ﴾ أي: كذلك يُبيّن أمثال حسنات المؤمنين وسيّات الكافرين كهذا البيان.

قوله تعالى: ﴿ فَشَرْبَ الْإِنَابِ ﴾ إغراءً؛ والمعنى: فاقتُلوهم، لأن الأغلب في موضع القتل ضربُ المُنق (١٠ ﴿ خَتَ إِذَا الْعَلَبِ الْمُنقَرُهُ ﴾ أي: أكثرتُم فيهم القتل ﴿ فَتَدُوا الْوَائِق ﴾ يعني في الأسر؛ وإنما يكون الأسر بعد المبالغة في القتل. واللوثاق اسم من الإيثاق؛ تقول: أوثقتُه إيثاقاً ووَثاقاً ، إذا شددتَ أسره لئلا يُقْلِت ﴿ فَإِنَا مَنَا بَعَدُ ﴾ قال أبو عبيدة: إمّا أن تمثّوا ، وإمّا أن تفادوا ، ومثله: سَقياً ، ورَعْياً ، وإنما هو سُقِيتَ ورُعِيتَ . وقال الزجاج: إمّا مَنَنتُم عليهم بعد أن تأسِروهم مَنّاً ، وإمّا أطلقتُموهم بفِدا ء .

فصل

وهذه الآية محكمة عند عامَّة العلماء. وممَّن ذهب إلى أنَّ حُكم المَنِّ والفداء باقِ لم يُنْسَخ: ابنُ عمر، ومجاهد، والحسنُ، وابن سيرين، وأحمدُ، والشافعيُّ. وذهب قوم إلى نسخ المَنِّ والفداء بقوله: ﴿ فَآقَنُلُوا ٱلسُّرِكِينَ حَيْثُ وَبَمْنُمُوهُ ﴾ (٢)، وممن ذهب إلى هذا ابن جريج، والسدي، وأبو حنيفة. وقد أشرنا إلى القولين في [براء: ٥].

قوله تعالى: ﴿ مَنَّ نَشَمَ الْمَرِّثُ أَرْزَارَهَا ﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين. وقال مجاهد: حتى لا

⁽١) قال ابن كثير: يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْمَالَمِينَ الرَّهَابِ ﴾ أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف. اهد.

⁽٢) في الأصل: «اقتُلوا» بدل «فاقتُلوا».

يكون دِينٌ إلّا دِين الإسلام. وقال سعيد بن جبير: حتى يخرُج المسيح. وقال الفراء: حتى لا يبقى إلّا مُسْلِم أو مُسالِم. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: حتى يضعَ أهلُ الحرب سلاحَهم؛ قال الأعشى:

وَأَغْسَدَدْتُ لِسَلْسَحُسِرْبِ أَوْزَارَهُسا: يَمْسَاحِساً طِسْوَالاً وَخَسَيْسَادٌ ذُكُسُورَا(١)

وأصل «الوِزْرِ» ما حملته، فسمّى السلاح «أوزاراً» لأنه يُحمل، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: حتى تضعّ حربُكم وقتالُكم أوزارَ المشركن وقبائح أعمالهم بأن يُسْلِموا ولا يعبُدوا إلّا الله، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذَكَرْنا ﴿ وَلَوْ آَئَاتُهُ أَلَّهُ لَاَنْصَرَ مِنْهُمْ ﴾ بإهلاكهم أو تعذيبهم بما شاء ﴿ وَلَكِن ﴾ أمركم بالحرب ﴿ لِبَنْلًا بَعْضَكُم بِتَعْنِ ﴾ فيتيب المؤمن ويُكرمه بالشهادة، ويُخزي الكافر بالقتل والعذاب.

قوله تعالى: ﴿رَالِّينَ ثُلِكُا﴾ قرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قُتِلُوا» بضم القاف وكسر التاء؛ والباقون: ﴿قاتَلُوا» بالف.

قوله تعالى: ﴿سَبَهِيمِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يَهديهم إلى أرشد الأمور، قاله ابن عباس. والثاني: يحقّق لهم الهداية، قاله الحسن. والثالث: إلى مُحاجَّة منكر ونكير. والرابع: إلى طريق الجنه، حكاهما الماوردي. وفي قوله: ﴿عَرَّفَهُا لَمُمْ ﴾ قولان: أحدهما: عرَّفهم منازلهم فيها فلا يستلِلُون عليها ولا يُخطِئونها، هذا قول الجمهور، منهم مجاهد، وقتادة، واختاره الفراء، وأبو عبيدة. والثاني: طيَّبها لهم، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: وهو قول أصحاب اللغة، يقال: طعامٌ معرَّف، أي: مطيَّب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: فعَرَفَها لهم، بتخفيف الراء (٢٠)

قوله تعالى: ﴿إِن نَشُرُوا الله ﴾ أي: تنصروا دينه ورسوله ﴿يَشَرَكُمْ ﴾ على عدوًكم ﴿وَيُشِتْ أَنْالَكُو ﴾ عند القتال. وروى المفضل عن عاصم: ويُثْبِتْ بالتخفيف. ﴿وَالَذِينَ كُنُوا فَتَمْتُ لَمُ ﴾ قال الفراء: المعنى: فأَتْعَسَهم الله والدُّعاء قد يجري مَجرى الأمر والنهي. قال ابن قتيبة: هو من قولك: تَعَشَتُ، أي: عَثَرَتُ وسَقَطْتُ. وقال الزجاج: التَّعْسُ في اللغة: الانحطاط والعُثُور. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿وَمَر الله عَلَيْم ﴾ أي: أهلكهم [الله] ﴿ وَالْكَنُونَ مَن النصر، وبالكافرين من النَّمار ﴿ وَاللهُ الله مَن النَّمار ﴿ وَاللهُ الله عَلَى الله عَد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ وَالمَثْوَى ﴾ أي: إن الأنعام تأكُل الأَنْكُم ﴾ أي: إن الأنعام تأكُل وتشرب، ولا تَدري ما في غدٍ، فكذلك الكفار لا يلتفتون إلى الآخِرة. و «المَثْوَى»: المَنْزِل. ﴿ وَكَأَيْن ﴾ مشروح في آل صمران: ١٤٦٤ والمراد بقريته: مكة؛ وأضاف القوة والإخراج إليها، والمراد أهلُها، ولذلك قال: ﴿ أَلَاكُمُهُ اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى المَنْوَلِ . ﴿ وَالْمَثْوَى ﴾ الله عليه عليه عليه المؤمنين من الدَاله عليه المؤمنين من النَّم عنه الله عليه الله عليه الله عليه المؤمنين من النَّم اللهُ عَلَى المُنْوَلِ اللهُ عَلَى اللهُ المُؤْلِقُ المُنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ عَلَى بَيْنَةِ مِن رَّبِهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله أبو العالية. والثاني: أنه

⁽١) قديوانه، ٩٩، وفغريب القرآن، ٤٠٩، وفالقرطمي، ٢١/ ٢٢، وفالصحاح، وفاللسان، وفالتاج،: وزر,

٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: سيوقّى الله تعالى ذِكره للعمل بما يرى ويحبُّ هؤلاه اللين قاتلوا في سببله ﴿وَرَسِيّمُ بَالَمٌ ﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿يَرَبَعُهُمْ لَلِنَةٌ مَرْفَهَا لَمُمْ ﴿ ﴾ يقول: ويدخلهم الله جنته عرّفها وبيّنها لهم، قال: حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشكل عليه ذلك. اهد. وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والذي تفسى بيده المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والذي كان في الدنيا».
إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا».

⁽٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ فَلَرْ يَسِيرُوا ﴾ يعني المشركين بالله المكلِّبين لرسوله ﴿ ٱلْرَّتِن نَبَطُرُا كَنَكَ كَانَ عَلِيَهُ ٱلْذِينَ بِن قَلِهِمٌ مَثَرَ اللَّهُ عَلَيْهُ ﴾ أي: عاقبهم بتكذيهم وكفرهم .

⁽٤) وأول الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنْقُونَ رَبُّاكُونَ كُنَا تَأْكُلُ النَّشَمُ ﴾. ﴿ ﴿ وَأُولُ الآية: ﴿وَكَأَنِي تِن مَرَتَهِ مِنَ الشَّذُ فُونًا مِن قَرْيَكِكَ الْتِي الْمَيْمَاكَ ﴾.

المؤمن، قاله الحسن. وفي «البيّنة» قولان: أحدهما: القرآن، قاله ابن زيد. والثاني: الدّين، قاله ابن السائب. ﴿كُنَ زُيِّنَ لَمُ سُوَّهُ عَرَادِي﴾ يعني عبادة الأوثان، وهو الكافر ﴿زَاتَبُنّوا أَهْرَاتُمُ﴾ بعبادتها(١٠).

﴿ مَثَلُ الْمُنَدُّ الْمُنَدُّنِ أَلَمُنَدُنَّ فِيهَا أَنهَرُّ مِن مَلَهِ غَيْرِ عَاسِنِ وَأَنهَرُّ مِن لَبَنِ لَدَ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُمْ وَأَنهَرُّ مِن خَمْرٍ لَذَوْ لِلشَّرِيبَ وَأَنهَرُّ مِنْ عَسَلِ تُصَلِّى وَلَمْمُ فِنهَا مِن كُلِّ الشَّمَرُتِ وَمَغْيِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ كَمَنْ هُو خَلِدٌ فِي النَّارِ وَمُقُوا مَاءٌ خَيِمًا فَقَطَّعَ أَتَمَاتُهُمْ ﴿ ۞﴾

﴿ مَٰتُلُ الْمَنَةِ اللَّتِي وُعِدَ الْمُنْقُونَ ﴾ أي: صَفَتُها، وقد شُرحناه في [الرعد: ٣٥]. والمتَّقُون عند المفسرين: الذين يَتَّقون الشّرك. واللَّاسِن المتغيّر الرّبح، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن قتبة: هو المتغير الرّبح والطّعم، والآجِن نحوه. وقرأ ابن كثير: اغير أسِن بغير مد. وقد شرحنا قوله ﴿ لَذَةٍ لِلشّرِينَ ﴾ في [الصافات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿ نَنَّ عَسَلِ مُصَلِّيكُ ﴾ أي: من عسل ليس فيه عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كُنَ هُوَ خَلِكُ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: أراد: مَنْ كان في هذا النعيم، كمن هو حالد في النار؟ ا^(٢). قوله تعالى: ﴿مَاءَ جَمِينَا﴾ أي: حارًا شديد الحرارة. و«الأمعاء» جميع ما في البطن من الحوايا^(٣).

قوله تعالى: ﴿ رَبْتُهُم مَّن يَسْتَعُم إِلَيْكَ ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: أحلهما: أنه سماع خُطبة رسول الله على عموم الأوقات، فأمّا ﴿ لِلَّذِينَ أُرتُوا الْمِلْرَ ﴾، فالمراد بهم: علماء الصحابة.

قوله تعالى: ﴿ مَاذَا قَالَ اَلِنَا ﴾ قال الزجاج: أي: ماذا قال الساعة، وهو من قولك: استأنفتُ الشيء: إذا ابتدأته، وروضة أُنف: لم تُرْع، أي: لها أوَّل يُرْعى؛ فالمعنى: ماذا قال في أوَّل وقت يَقْرُبُ مِنّا. وحُدِّنْنا عن أبي عمر غلام ثعلب أنه قال: معنى «آنفأه مُذْ ساعة. وقرأ ابن كثير، في بعض الروايات عنه: «أَنِفاً» بالقصر، وهذه قراءة عكرمة، وحميد، وابن محيصن. قال أبو علي: يجوز أن يكون ابن كثير توهّم، مثل حاذِر وحَذِر، وفاكِه وفَكِه. وفي استفهامهم قولان: أحدهما: لأنهم لم يَعْقِلوا ما يقول، ويدُلُ عليه باقي الآية. والثاني: أنهم قالوه استهزاءً.

قوله تعالى: ﴿ رَالَيْنَ الْمَدَرُولُ فيهم قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. والثاني: قومٌ من أهل الكتاب كانوا على الإيمان بأنبيائهم وبمحمد على المنافقين والله على الإيمان بأنبيائهم وبمحمد على المنافقين والمنافقين والماؤمنين هُدَى، ذكرهن الزجاج. وفي معنى أحدها: أنه الله على والثاني: قول الرسول. والثالث: استهزاء المنافقين زاد المؤمنين هُدَى، ذكرهن الزجاج. وفي معنى الهُدى قولان: أحدهما: أنه العِلْم. والثاني: البصيرة. وفي قوله: ﴿ وَمَائنَهُمْ تَقَوَيْهُمْ لَلا ثَهُ أقوال: أحدها: ، ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. والثاني: اتقاء المنسوخ والعمل بالناسخ، قاله عطية. والثالث: أعطاهم التقوى مع الهُدى، فاتّقُوا معصيته خوفاً من عقوبته، قاله أبو سليمان الدمشقي (١٤). و ﴿ يَظُرُونَ لَا بمعنى ينتظرون، ﴿ أَن تَأْنِيمُ ﴾ وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو الأشهب، وحميد: ﴿ إِنْ تَأْتِهِم الهمزة من غير ياء بعد الناء. والأشراط: العلامات؛ قال أبو عبيدة: الأشراط: الأعلام، وإنما سمّى الشُرط فيما ترى و لأنهم أعلموا أنفُسهم. قال المفسرون: ظُهور النبيّ على معنى عبيدة: الأشراط: الأعلام، وإنما سمّى الشُرط فيما ترى و لأنهم أعلموا أنفُسهم. قال المفسرون: ظُهور النبيّ على معنى عبيدة الناء المفسرون عليه النبي المنهم عليه المناسفة عليه المنهم عليه المناسون عليه عليه النبية عليه المناسون عليه عليه النبي المناسفة عليه المناسفة عليه المناسون عليه عليه النبية عليه المناسفة عليه النبول المناسفة عليه النبول النبول عليه عليه النبول المناسون عليه عليه النبول المناسفة عليه المناسفة عليه المناسفة عليه النبول النبول

 ⁽١) يقول تعالى: ﴿ أَنْتَن كَانَ عَنَ نَيْدَةِ مِن رَبِدِ.﴾ أي: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، ويما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة ﴿ كَنْ نُونَ لَمُ سُوءٌ عَمْلِهِ. وَالنَّمُوا أَهْلِتَمْ ﴾؟! أي: ليس هذا كهذا، كقوله تعالى: ﴿ أَنْنَ يَلَا أَنْنَ أَنْ اللَّهُ عَلَيْ مَنْ أَمْنَ أَلْمَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ إِلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ إِلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ إِلَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ عَلَى اللَّهُ عَلَّالَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

⁽٢) قال ابن كثير: ليس هؤلاء كهؤلاء، وليسَ من هو في الدرجات كمن هو في الدركات. اهـ.

 ⁽٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿ وَسُعُوا مَاءٌ جَيِمَا نَقَلَعَ أَسَاءَهُر ﴾ يقول تعالى ذِكره: وسُقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حرّه، فقطّع ذلك الماء من شدة حرّه أمعاءهم. اهـ.

⁽٤) قال ابن كثير: ﴿ وَاللَّذِينَ آمَدُونَا زَوَمُرٌ مُدُى﴾ أي: والذين قصدوا الهداية، وفَّقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبَّتهم عليها، وزادهم منها ﴿ رَالنَّهُمْ تَقْرَيْهُمْ ﴾ أي: ألهمهم رشدهم. اهـ.

أشراط الساعة، وانشقاقُ القمر والدخانُ وغير ذلك^(١). ﴿فَأَنَّ لَمُهُ﴾ أي: فمن أين لهم ﴿إِنَا جَآيَتُهُمٌ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَنهُمْ﴾؟! قال قتادة: أنَّى لهم أن يَذَّكُروا ويتوبوا إذا جاءت؟!

﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَا اللّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلْكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالنَّوْمِنَاتُ وَاللّهُ يَمْلُمُ مُتَفَلِّكُمْ وَمَثْوَبُكُو ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَاشُوا لَوَلا نُوْلِتَ سُورَةٌ ۚ فَإِذَا أَنْزِلْتَ سُورَةٌ تُحَكَّمَةٌ وَثُوكِرَ فِنهَا الْقِتَالُ رَلَّيْنَ اللّذِينَ فِي قُلُوسِهِم شَـرَضٌ يَنْظُـرُونَ إِلَيْكَ نَظَـرَ الْمَنْشِيقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوْتِّ فَأَوْلِى لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَرْلٌ مَشْرُونٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَتَوْ صَكَفُوا اللّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَرُ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَا اللهُ ﴾ قال بعضهم: اثْبُتْ على عِلْمك، وقال قوم: المراد بهذا الخطاب غيره ؛ وقد شرحنا هذا في فاتحة (الأحزاب). وقيل: إنه كان يَضيق صدرُه بما يقولون، فقيل له: اعْلَمْ أنه لا كاشف لِما بِكَ إِلاَ الله. فأمّا قوله: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْكِكَ ﴾ فإنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة (٢)، وأمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم لأنه شفيعٌ مُجابٌ (٣). ﴿ وَاللهُ يَمْلَمُ مُتَقَلِّكُمْ وَمَوْرَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُتقلَّبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: مُتقلَّبكمْ في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامكم في القبور، قاله عكرمة. والثالث: «مُتقلَّبكم بالنهار و«مثواكم أي: مأواكم بالليل، قاله مقاتل (١٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَثُولُ الدِّيرَ الدِّيرَ الدَّيرَ الدَّيرَ المنالِ المفسرون: سألوا ربَّهم أن يُنزل سُورة فيها ثواب القتال في سبيل الله، اشتباقاً منهم إلى الوحي وجرصاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هلا؛ وكان أبو مالك الأشجعي يقول: «لا» هاهنا صلة، فالمعنى: لو أُنزلتُ سورة، شوقاً منهم إلى الزيادة في العِلْم، ورغبة في الثواب والأجر بالاستكثار من الفرائض. وفي معنى ﴿فُتُكَدّةٌ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يُذْكر فيها القتال، قاله قتادة. والثاني: أنها التي يُذْكر فيها المحلال والحرام، والثالث: التي لا منسوخ فيها، حكاهما أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله: ﴿وَدُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أَي : فُرِضَ فيها الجهاد، وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: النفاق، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور، والثاني: الشك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ أي: يَشْخُصون نحوك بأبصارهم ينظرون نظراً شديداً كما ينظُر الشاخص ببصره عند المموت، لأنهم يكرهون القتال، ويخافون إن قعدوا أن يتبيَّن نفاقُهم. ﴿فَأَوْكَ لَهُمْ ﴾ قال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: ﴿أَوْلَى لَكَ اللهِ اللهِ الذِّلَ وَقَارَبَكُ مَا تَكُرُه. وقال ابن قتية: هذا وَعِيدٌ وتهديد، تقولُ للرجُل _ إذا أردت به سوءاً، فَقَاتَكَ _ أُوْلَى لَكَ، ثم ابتداً، فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَرْلٌ مَمْرُدُتُ . . ﴾ وقال سيبويه والخليل: المعنى: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثل. وقال الفراء: الطاعةُ معروفةٌ في كلام العرب، إذا قبل لهم: افعلوا كذلك، قالوا: سَمعٌ وطاعةً، فوصف [الله] قولُهم قبل أن تنزل السُّورة أنهم يقولون: سمعٌ وطاعة، فإذا نزل الأمر كرهوا. وأخبرني حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَوْلُ ﴾، ثم قال: ﴿فَمْمَ ﴾ أي: للذين آمنوا منهم ﴿طَاعَةٌ ﴾، فصارت ﴿أَوْلَى وعيداً

⁽۱) قال ابن كثير: فبعثة رسول الله 養 من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، قال: وقد أخبر 藥 بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله، قال: ولهذا جاء في أسمائه 瓣 أنه نبي التربة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي. اهد. وروى البخاري في «صحيحه» عن سهل بن سعد ظلمة قال: وأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تليها: «بعث أنا والساعة كهاتين».

⁽٢) روى مسلم في «صحيحه» عن الأخرّ بن يسار المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليفان على قلبي، وإني الأستفقر الله في اليوم ماتة مرة، والمراد بليفان: أن يفتر عن الذكر الذي في شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه الأمر ما عدَّ ذلك ذنباً فاستغفر منه. وروى البخاري في «صحيحه» عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي الا إله إلا أثت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطمت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بلذبي، قافو لم فإنه الإيفار المتناف المتعلق علي، وأبوء بلذبي، قافور لي فإنه الإيفار المتوب إلا أنت، قال: «ومن قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

٣) روى أحمد في «مسنده من حديث شعبة عن عاصم الأحول قال: سمعت عبد الله ين سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ فاكلت معه من طعامه، فقلت:
 ففر الله لك يا رسول الله، فقال ﷺ: قولك، فقلت (أي شعبة): أستغفر لك؟ قال: فتعم ولكم، وقرأ: ﴿وَاسْتَنْفِرْ لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْيِنِينَ وَالْمُؤْيِنَةِ﴾، قال
 ابن كثير: ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به.

 ⁽٤) والقول الثالث أولى كما قال ابن كثير.

لِمَن كَرِهها، واستأنف الطاعة بـ الهمّا؛ والأول عندنا كلام العرب، وهذا غير مردود، يعني حديث أبي صالح. وذكر بعض المفسرين أن الكلام متصل بما قبله؛ والمعنى: فأوْلَى لهم أن يُطيعوا وأن يقولوا معروفاً بالإِجابة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا عَزَمَ آلِأَمْرُ ﴾ قال الحسن: جَدَّ الأمُر. وقال غيره: جَدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، ولَزِمَ فرضُ القتال، وصار الأمر معروفاً عليه. وجواب اإذا» محذوف، تقديره: فإذا عَزَمَ الأمْرُ نَكَلُوا؛ يدُلُّ على المحذوف ﴿ فَلْرَ صَكَفُوا اللهَ ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُرٌ ﴾ من المعصية والكراهة.

﴿ نَهَلَ عَسَيْتُمْ إِن وَلِيَهُمْ أَن تُنْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّمُوا أَرْمَامَكُمْ ﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِنَ لَسَهُمُ اللهُ فَأَسَنَعُمْ وَأَعْمَى أَبْقَتُمُمُ اللهُ فَأَسَنَعُمْ وَأَعْمَى أَنْفَهُمُ اللهُ وَالْفَرَاتُ أَلَهُ اللهُوَ اللَّهُمُ اللّهُ اللهُوَ اللَّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَكُولُوا رَضُولَامُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَكُولُوا رَضُولَامُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللل

قوله تعالى: ﴿ نَهَلَ عَسَيْمُ إِن تَوَلَيْمُ ﴾ في المخاطب بهذا أربعة أقوال: أحدها: المنافقون، وهو الظاهر. والثاني: منافقو اليهود، قاله مقاتل. والثالث: الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني. والرابع: قريش، حكاه جماعة منهم الماوردي. وفي قوله: ﴿ وَرَلِيَّمُ ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإعراض. فالمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بأن تعودوا إلى الجاهلية يقتل بعضكم بعضاً، ويُغِير بعضكم على بعض، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه من الولاية لأمور الناس، قاله القرظي. فعلى هذا يكون معنى وأن تُفْسِدوا في الأرض ، بالجَوْر والظّلم. وقرأ يعقوب: ﴿ وَتَقْطَعُوا ۗ بفتح الناء والطاء وتخفيفها وسكون القاف (١٠). ثم ذَمَّ من يريد ذلك بالآية التي بعد هذه. وما بعد هذا قد سبق النساء ١٢٦ إلى قوله: ﴿ أَمْ عَلَى تُلُوبٍ أَفْنَالُهَا ﴾ وأمّ بمعنى (بَلْ ، وذِكْر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المُقفَل لا يَصِلُ إليه الهُدى. [قال مجاهد]: الرّان أيسرُ من الطّبْع، والطبّع أيسرُ من الإقفال، والإقفال وعينان في قلبه لِلنيه وما وَعَد الله من الغَيْب، فإذا أراد الله بعبد خيراً أبصرتْ عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْنَالُهَا ﴾ (١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكِ اَرْنَدُواْ عَلَىٰ آذَبُوهِ ﴾ أي: رجّعوا كُفّاراً؛ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة، ومقاتل. ﴿ يَنْ بَعْدِ مَا نَبَيْنَ لَهُمُ الْهُدَكِ ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ ما وَضَحَ لهم الحقُّ. ومن قال: هم اليهود، قال: مِنْ بَعْدِ أن تبين لهم وصفُ رسولِ الله ﷺ ونعتُه في كتابهم، و﴿ سَوّلَ ﴾ بمعنى زيَّن، ﴿ وَإَمْنِيَ لَهُمُ ﴾ قرأ أبو عمرو، وزيد عن يعقوب: ﴿ وَأُمْلِيَ لهم الهمزة وكسر اللام وبعدها ياء مفتوحة. وقرأ يعقوب إلا زيداً، وأبان عن عاصم كذلك، إلّا أنهما أسكنا الياء. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام. وقد سبق معنى الإملاء إلى عمران ١٧٨، الأعراف: ١٨٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِلِكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأَمْرُ ذلك، أي: ذلك الإِضلال بقولهم ﴿ لِلَّذِبِ كَرِهُوا مَا نَزَّكَ اللهُ وَفَى الكارهين قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، فعلى هذا في معنى قوله: ﴿ سَنُطِيمُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ ثلاثة

⁽۱) أي: وتقطعوا الأرحام. قال ابن كثير: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر ألله تعالى بالإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال، قال: وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله علي من طرق عديدة ووجوه كثيرة. اهد. روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أنس عليه أن رسول الله علي قال: همن أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه. وروى البخاري ومسلم عن عائشة على عن النبي على قال: فلرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعه الله. وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة على قال: قال رسول الله على: إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام المعاتل بلي، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله على المناقل المعاتل بلي، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله على القرووا إن شتم: ﴿ فَهَلَ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللهُ

⁽۲) رواه الطبري ۲۱/۵۷ رقي سنده ضعف.

أقوال: أحدها: في القُعود عن نُصرة محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: في المَيْل إليكم والمظاهرة على محمد ﷺ. والثالث: في الأرتداد بعد الإيغان، حكاهما الماوردي. والثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه قولان: أحدهما: في أن لا يصدِّقوا شيئاً من مقالة رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثاني: في كُثم ما عَلِموه من نُبوَّته، قاله ابن جريج (۱). ﴿وَاللّهُ مُعَلّمُ إِسْرَارَكُمُ وَا حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، والوليد عن يعقوب: بكسر الألف على أنه مصدر أَسْرَرْتُ؛ وقرأ الباقون: بفتحها على أنه جمع سِرًّ، والمحنى أنه يَعْلَم ما بين اليهود والمنافقين من السَّرِّ.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْتُ إِذَا تَوَفَّتُهُمُ ٱلْمَلَتَمِكَةُ﴾؟ أي: فكيف يكون حالُهم حينثذِ؟ وقد بيَّنًا في [الانفال: ٥٠] معنى قوله: ﴿يَعْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذِبَكُومُمْ﴾.

قوله تعللي: ﴿وَكَارِمُواْ رِضْوَتَكُمُ﴾ أي: كرِهوا ما فيه الزِّضوان، وهو الإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ اللَّذِيَ فِي قُلُوبِهِم مَرَشُ ﴾ أي: نفاق ﴿أَن لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْفَتُهُمْ ﴾ قال الفراء: أي لن يُبْدِي الله عداوتهم ويُغْضَهم لمحمد ﷺ وقال الزجاج: أي: لن يُبْدِي عدواتهم لرسوله ﷺ ويُظْهِرَهُ على نفاقهم (٢٠). ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَا يَنْكُهُمْ ﴾ أي: لعرّفناكهم، تقول: قد أريتُكَ هذا الأمر، أي: قد عرّفتُك إيّاه، المعنى: لو نشاء لجَعَلْنا على المنافقين علامة، وهي السّيماء ﴿ فَلْتَرَفّتُهُم مِسِيمَهُم أي: بتلك العلامة ﴿ وَلَتَرَفّتُهُم فِي لَمّنِ القَرْلُ ﴾ أي: في فحوى القول، فدلُ بهذا على أن قول القائل وفعله يدُلُ على نِيَّته. وقولُ الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أخذ في ناحية عن الصواب، وعَدَلُ عن الصواب إليها، وقول الشاعر:

مَـنْطِسَقُ صِائِسَةٌ وتَسلْحَسنُ أَحْسِا نا، وخَيْرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنا(٣)

تأويله: خير الحديث من مِثْل هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعْرَفُ قولها في أنحاء قولها. قال المفسرون: ولَتَعْرِفَنَّهم في فحوى الكلام ومعناه ومقْصَده، فإنهم يتعرَّضون بتهجين أمرك والاستهزاء بالمسلمين. قال ابن جرير: ثم عرَّفه الله إيّاهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُمُ ﴾ أي: ولَنُعامِلَنَكم معامَلَة المُخْتَبِر بأن نأمرَكم بالجهاد ﴿ حَقَّ نَمَارَ ﴾ العِلْم الذي هو عِلْم وجود، ويه يقع الجزاء؛ وقد شرحنا هذا في [المنكبوت: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَبَلُوا لَخَبَارَكُو﴾ أي: نُظْهِرها ونَكْشِفها بإباء من يأبى القتال ولا يَصْبِر على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿ولَيَبْلُونَاكُمِ بالياء ﴿ويَبْلُو ﴾ بالياء خيم وخيره (٤).

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَنَرُواْ...﴾ [الآية](٥) اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في المُطْعِمِين

 ⁽١) قال ابن كثير: أي: مالؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، قال: وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله ﷺ: ﴿وَاللّٰهُ يَسْلُمُ إِسْرَارُونُهُ أَي: ما يسرُّون وما يخفون، والله مظّلع عليه وعالم به، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللّٰهُ يَكْتُبُ مَا يُبْكِمُنُكُم. اهـ.

إلى قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَيِبَ اللَّهِينَ فِي قُلُولِهِم مَرْضُ أَن لَن يُغْيِجَ اللّهُ أَشْفَتُهُم ﴿ أَي: أَيعتقد الْمَنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟! بل سيوضح أمرهم ويجلُّيه حتى يفهمهم ذوو البصائر، قال: وقد أنزل الله تعالى في ذلك سيوه (براءة) فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، قال: ولهذا كانت تسمى «الفاضحة» قال: والأضفان جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهمه والقائمين بنصره. اهـ.

 ⁽٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وهو في «البيان والتبيين» ١٤٧/١، و«الأمالي» ١٤/٥، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لحن. قال في «اللسان»: تأويله: وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كالله أحد، إنما يُعرف أمرها في أنحاء قولها.

 ⁽٤) قال في (اللسان): ورجُلٌ خَيْرٌ وخَيْرٌ، مشدد ومخفف، وامرأة خَبْرٌةٌ وخَيْرٌةٌ، والجمع أخيارٌ وخِيَارٌ.

 ⁽a) وتمامها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَصَلُوا مَن سَيلِ اللَّهِ وَشَالُوا الرَّسُولَ مِنْ بَنِي مَا تَبَيَّ أَيْمُ الْمُكْنَ لَن يَشَرُّوا اللَّهَ شَبْنًا رَسَيْمُ لِلَّا أَشْدَلُهُمْ ﴾.

يوم بدر، قاله ابن عباس (۱). والثاني: أنها نزلت في الحارث بن سويد، ووحوح الأنصاري، أسلما ثم ارتدًا، فتاب المحارث ورجع إلى رسول الله على وأبى صاحبه أن يَرْجِع حتى مات، قاله السدي. والثالث: أنها في اليهود، قاله مقاتل. والرابع: أنها في قريظة [والنضير]، ذكره الواحدي (۱).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا بُطِلُوا آعَنكُرُ ﴾ (٢) اختلفوا في مُبْطِلها على أربعة أقوال: أحدها: المعاصي والكبائر، قاله الحسن. والثاني: الشّك والنّفاق، قاله عطاء. والثالث: الرّباء والشّمعة، قاله ابن السائب. والرابع: بالمَنّ (١٤)، وذلك أن قوماً من الأعراب قَدِموا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ [العجرات: ١٧]، هذا قول مقاتل (٥). قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدُلُ على أن كُلَّ مَنْ دخل في قُرْبَة لم يَجُزُ له الخُروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحج، فأمّا في الصلاة والصيام، فهو على سبيل الاستحباب (١).

﴿ فَلَا تَهِنُوا رَمَتُمُوا إِلَى النَّلِمِ وَالنَّهُ الْأَعَلَوْنَ وَاللَّهُ مَمَكُمْ وَلَن يَرَكُّو أَصَلَكُمْ ﴿ إِنَّمَا لَلْبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْهُ اللَّبَوْءُ اللَّمَا اللَّبَوْءُ اللَّمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا مَتَعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلِلهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِلهُ اللَّهُ وَلِلهُ اللَّهُ وَلِلهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِلهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَلْهُ اللَّهُ وَلِلْلَّالِمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّذُا لِلللْلِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَاللَّالِمُولَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّالِمُولِلْمُولِلْمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولُولُولُولُولُولُولُو

قوله تعالى: ﴿ فَلَا نَهِنُوا﴾ أي: فلا تَضْعَفُوا ﴿ وَمَتَعُوا إِلَى التَلْمِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: الله السَّلْم، بفتح السين؛ وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر السين، والمعنى: لا تَدْعُوا الكفار إلى الصلح ابتداء. وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز طلب الصَّلح من المشركين، ودلالة على أن النبي ﷺ لم يدخل مكة صلحاً، لأنه نهاه عن الصَّلح.

قوله تعالى: ﴿وَآنَتُرُ الْأَغَانِينَ﴾ أي: أنتم أعزُّ منهم، والحُجَّة لكم، وآخِرُ الأمر لكم وإن غَلَبوكم في بعض الأوقات (٧) ﴿وَآلِقَهُ مَعَكُمُ ﴾ بالعَوْن والنُّصرة ﴿وَلَن يَرْكُمُ ۖ قال ابن قتيبة: أي: لن يَنْقُصَكم ولن يَظْلِمَكم، يقال: وتَرْتَني حَقِّي، أي: بَخَسْتَيِه. قال المفسرون: المعنى: لن يَنْقُصَكم من ثواِب أعمالكم شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَلَكُمْ أَنْوَلَكُمْ ﴾ (١) أي: لن يَسَالَكُموها كُلُّها.

قوله تعالى: ﴿ فَيُمْفِكُمُ قَالَ الفراء: يُجْهِدكم. وقال ابن قتيبة: يُلِحَ عليكم بما يوجبه في أموالكم ﴿ تَمْعُلُوكُ ، [يقال: أَخْفَاني بالمسألة والْحَف: إذا ألحَّ. وقال السدي: إن يسألكم جميعَ ما في أيديكم تبخلوا]. ﴿ وَيُخْرِجُ أَشَفَنْكُوكُ وَوَرا أَبِيُ بن وقاص، وابن عباس، وابن يعمر: «ويُخْرَج» بياء مرفوعة وفتح الراء «أضغانُكم» بالرفع. وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو رزين، وعكرمة، وابن السميفع، وابن محيصن، والجحدري: «وتَخْرُج» بتاء مفتوحة ورفع الراء،

⁽١) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند.

 ⁽۲) قال ابن كثير: يخبر تعالى عمن كفر وصدً عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتدً عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضر الله شيئاً،
 وإنما يضر نفسه، ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات. اهـ.

 ⁽٣) والآية بتمامها: ﴿ ﴿ يُمَالِيمَا الَّذِينَ مَا مُثَالِمَا اللَّهُ وَلِيمُوا الرَّشُولُ إِنَّ لَبُلُوا احْسَلَكُم ﴿ ﴾.

⁽٤) قال الشوكاني في افتح القديرة: والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كائناً ما كان من غير تخصيص بنوع معيّن. اهـ.

⁽٥) ذكره البغوي عن مقاتل بدون سند.

 ⁽٦) روى أحمد والبيهقي بسند جيد عن أم هانئ أن رسول الله شخرب شراباً، فناولها لتشرب، فقالت: إني كنت صائمة، ولكني كرهت أن أرد
 سؤرك، فقال: اإن كان قضاء من رمضان، فاقضي يوماً مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضي، وإن شئت فلا تقضياً.

⁽٧) قال ابن كثير: ﴿ فَلَا تَهِنْهُ أَي: لا تضعفوا عن الأعداء ﴿ وَثَنَعُواْ إِلَّى النَّالِ ﴾ أي: إلى المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال فؤتكم وكثرة عددكم وعُددكم، قال: ولهذا قال: ﴿ فَلَا يَهُمُواْ إِلَّ النَّالِ وَالنَّمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: في حال علوكم على عدوكم، قال: فأما إذا كان الكفار في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله على عين صدّه كفار قريش عن مكة ودَعَره إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم على إلى ذلك. اهـ.

 ⁽A) والآية بتمامها: ﴿إِنَّمَا لَلْتِرَةُ الدُّنِيَّا لَيْتُ وَلَهُوْ وَلِن تُتَّفِوْا وَتَقُولُ وَتَقُولُ وَتَقَولُ اللَّهِ اللّ

«أضغانُكم» بالرفع. وقرأ ابن مسعود، والوليد عن يعقوب: "ونُخْرِج» بنون مرفوعة وكسر الراء، "أضغانكم» بنصب النون، أي: يُظهر بُغضَكم وعداوتَكم لله ولرسوله ﷺ، ولكنه فرض عليكم يسيراً. وفيمن يضاف إليه هذا الإخراج وجهان: أحدهما: إلى الله ﷺ. والثاني: البخل، حكاهما الفراء. وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، وليس بصحيح، لأنّا قد بينّا أن معنى الآية: إنْ يسألُكم جميع أموالكم؛ والزكاة لا تنافى ذلك.

قوله تعالى: ﴿ فَكَانَتُمْ هَوُلَاء تُدْعَوْ كَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ يعني ما فرض عليكم في أموالكم ﴿ فَينكُم مَن يَبَعَلُ عَن نَقْسِمْ فَي يَعني ما فرض عليه من الزكاة ﴿ وَمَن يَبْحَلُ عَإِنّمَ النّهَ لَيْنَ يَبَعَلُ عَن نَقْسِمْ فَي اللّخرة ﴿ وَاللّه اللّه عَن طاعته ﴿ مِسْتَبَيلٌ فَوَما عَبْرُكُم ﴾ وعن أموالكم ﴿ وَأَنتُم النّفَكَرَا مُهُ إِلَيه وإلى ما عنده من الخبر والرحمة ، ﴿ وَإِن تَتَوَلّوا ﴾ عن طاعته ﴿ يَسْتَبَيلُ وَمّا عَبْرُكُم ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخبر والرحمة ، ﴿ وَإِن تَتَوَلّوا ﴾ عن طاعته ﴿ يَسْتَبَيلُ وَمّا عَبْرُكُم ﴾ كان سلمان العجم ، قاله الحسن . وفيه حديث يرويه أبو هريرة قال : لمّا نزلت ﴿ وَلِن تَتَولّوا يَسْتَبُيلُ وَمّا عَبْرَكُم ﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ [يده] على رسول الله ﷺ [يده] على من من هؤلاء الذين إذا تولّينا استُبْدِلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ [يده] على منكب سلمان ، فقال : «هذا وقومُه ، والذي نفسي بيده ، لو أن الدّين معلّق بالثّريًا لتناوله رجال من فارس () . والثاني : فارس والروم ، قاله عكرمة . والثالث: من يشاء من جميع الناس ، قاله مجاهد . والرابع : يأتي بخلق جديد غيركم ، وهو معنى قول قتادة . والخامس : كندة والنخع ، قاله ابن السائب . والسادس : أهل اليمن ، قاله راشد بن سعد ، وعبد الرحمن بن جبير ، وشريح بن عبيد . والسابع : الأنصار . قاله مقاتل . والثامن : أنهم الملائكة ، حكاه الزجاج وقال : فيه بُعدٌ [لأنه] لا يقال للملائكة ﴿ قَوْمٌ ﴾ إنها يقال ذلك للآدمين ؛ قال : وقد قيل : إن تولّي أهلُ مكّة استَبْدَلُ الله وقال المدينة ، وهذا [معني] ما ذكرنا عن مقاتل () .



⁽١) في الأصل: فقال.

رواه ابن جرير الطبري ٢٦/٣٦، وفي منده مسلم بن خالد المخزومي المعروف بالزُّنجي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: فقيه صدوق كثير الأوهام، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأثمة رحمة الله عليهم، والله أعلم. ورواه الترمذي في هسننه ١٥٨/٣ وفي سنده جعفر بن عبد الله بن نجيح، قال الحافظ ابن حجر عنه في «المدول في «المدول في «المدول عنه والدر» ١٦/٣، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة والله المدافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥١؛ رواه الترمذي، وابن جان، والحاكم، والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وله طرق عنه وعن غيره. ورواه البخاري في «صحيحه» ١٩٧١، ومسلم ١٩٧٤ بسبب نزول صورة (الجمعة)، ولفظه عند مسلم: عن أبي هريرة في قال: كنا جلوسا عند النبي إله قال أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع يُلمقول بيخ قال رجل: من هواله المنان الفارسي، قال: فوضع النبي الله على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنْوَلُوا مُرَبِّينَ أَوْ تُلَاثًا وَيَا عَلَى المؤلد؛ عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنْوَلُوا مُرَبِّينَ أَوْ تُلَا المؤلد المه عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنْوَلُوا مُرَبِّينَ أَوْ المُناسِ عن أبي هريرة المنظ: «لو كان اللهن عند النويا للعب به رجل من قارس (أو قال: من أبناء فارس) حتى يتناوله». ورواه أحمد في «المسند» عن أبي هريرة بلفظ: «لو كان العلم معلماً بالثريا لتناس من أولاد فارس، وفي سنده شهر بن حوشب، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام كما قال عنه الحافظ ابن حجر في «التقريب».

 ⁽٦) قال ابن جرير الطبري: وقوله تعالى ذِكره: ﴿ إِن تَنْوَلُواْ يَسَتَبْدِلْ فَرَاا عَبْرَكُمْ ﴾ يقول تعالى ذِكره: وإن تتولّوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ فترتدُوا راجعين عنه ﴿ يَسَبْدِلْ فَرَاا عَبْرُكُمْ ﴾ يقول: يهلككم، ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم، يصدّلون به، ويعملون بشرائعه ﴿ يُرَا مُنْكُرُواْ أَمْنَاكُمْ ﴾ ، يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيّعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به. اهـ.

سورة الفتح

وهي مدنيَّةٌ كُلُّها بإجماعهم

يسد ألَّهِ الكِّنِ النَّهِ يَ

﴿إِنَّا مُتَخَنَا لَكَ قَنْنَا مُهِينَا ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمُ مِن ذَلِكَ وَمَا تَأَخِّرَ وَلِيَدَ يَسْمَتُمُ عَلَيْكَ وَيَهِدِيكَ مِرَطًا مُسْتَقِيمًا ۞ وَيَشْرَكِ اللّهُ تَعْمَّرًا عَزِيزًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَتَمَا لِكُ فَتَمَا بُهِينَا ﴿ الآية] سبب نزولها أنه لمّا نزل قوله: ﴿وَمَا آذَرِى مَا يُغْمَلُ هِ وَلا يِكُو كُو الآلاحقان: ٩] قال اليهود: كيف نتيع رجُلاً لا يَدري ما يُفْعَل به؟! فاشتد ذلك على وسول الله على أن فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء عن ابن عباس (وفي المراد بالفتح أربعة أقول: أحدها: أنه كان يوم الحديبية ، قاله الأكثرون. قال البراء بن عازب: نحن نَعُذُ الفتح بَيْعَة الرَّضُوان () وقال الشعبي: وهو فتح الحديبية ، غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأخَّر ، وأطعموا نخل خيبر ، وبلغ الهذي مُحِلَّه ، وظهرت الرُّومُ على فارس ، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس ، قال الزهري: لم يكن فتح أعظمَ من صُلح الحديبية ، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم ، وأسلم في ثلاث سنين خَلْق كثير وكثر بهم سواد الإسلام . قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهذي بالحديبية وخلق رأسه . وقال ابن قتيبة : ﴿إِنَّا نَتَمَا لُهُ لَنَ مَنْ الله عَنْ وَلَا الفراء: والفتح قد يكون صُلحاً ، ويكون أخذ الشيء عَنْوَةً ، ويكون بالقتال . وقال غيره : معنى الفتح في اللغة : الفتّاح . قال الفراء: والفتح قد يكون صُلحاً ، ويكون أخذ الشيء عَنْوَةً ، ويكون بالقتال . وقال غيره : معنى الفتح في اللغة : فتح المنغلق، والعُلْق الذي جُعل مم المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذّراً حتى فتحه الله تعالى .

الإشارة إلى قصة الحديبية^(٢)

روت عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى في النَّوم كأن قائلاً يقول [له]: لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، فأصبح فحدَّث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعُمرة (١٠)؛ فذكر أهلُ العِلْم بالسَّيْرِ أنَّه خرج واستنفر أصحابَه للعمرة،

⁽١) ذكره الواحدي في اأسباب النزولِ؟ ٢١٧ مِن رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

روى البخاري في وصحيحه ٧٠ /٣٤ عن البراء بن عازب على قال: وتمدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيمة الرضوان يوم الحديية، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: ووبحن نعد الفتح بيمة الرضوانه يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ فَتَنَا لِللهُ فَتَا نَبِينَا ﴾ قال: وهما موضع وقع فيه اختلاف قبيم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فَتَنَا لَيُهَا ﴾ المراد بالفتح هنا: الحديية، لأنها كانت مبدأ الفتح العبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ووقع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لحالا بن الوليد، وحمرو بن العاص، وغيرهما، ثم تبعته الأسهاب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح. ثم قال: وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَالْنَهُمْ مُنْكَا يَهِا﴾ فالمراد بها فتح خبير على الصحيح، لأنها هي التي وقمت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين، قال: وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدننا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله بي والذي نفسي بيده إنه الفتح» في قسمت خبير على أهل الحديبية، قال: وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّ فَتَمَا فَرَيُكُ لَكُنَا نَبُهُ فَلَى المُحدون نخبل خبير، وظهرت قوله: ﴿إِنَّ فَتَمَا فَرِكُ فَلَى المُولِ اللهُ قال والمحدود المحلمون بنصر الله. قال: وأما قوله تعالى: ﴿ وَتُمَكَلُ بِن دُونِ دَالِكَ فَلَا المحدود المحلمون بنصر الله. قال: وأما قوله تعالى: ﴿ وَتُمَكَلُ بِن دُونِ دَالِكَ المَنْ الله تعالى المربع على المربع مكة باتفاق، قال: فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع تعالى: ﴿ إِنْ الله تعالى. اهم. المعرب الله تعالى. اهم. المعرب الله تعالى. اهم.

 ⁽٣) الحُمنينية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، أو بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين
 الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مواحل.

⁽٤) قال الواحدي: قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك 🕊

وذلك في سنة ست، ولم يخرج بسلاح إلّا السيوف في القُرُب. وساق هو وأصحابُه البُدْنَ، فصلَّى الظُّهر بـ «ذي الحُلَيْفة؛ ثم دعا بالبُدْنِ فجُلْلَتْ، ثم أشعرها وقلَّدها، وفعل ذلك أصحابه، وأحرم ولبَّى، فبلغ المشركِينَ خروجُه، فأجمع رأيهم على صدِّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتى عسكروا به (بَلْدَح)(١١)، وقدَّموا ماثتي فارس إلى كُراع الغميم، وسار رسولُ الله ﷺ حتى دنا من الحديبية؛ قال الزجاج: وهي بئر، فسمِّي المكان باسم البئر؛ قالوا: وبينها وبين مكة تسعة أميال، فوقفت يَدَا راحلته، فقال المسلمون: حَلْ حَلْ (٢) يزجرونها، فأبَتْ، فقالوا: خَلأَتِ القضواءُ(٣) ـ والخِلاءُ في النَّاقة مثل الحِران في الفَرَس ـ فقال: «ما خَلاَتْ، ولكن حَبَسها حابسُ الفِيل، أما والله لا يسألوني خُطَّةً فيها تعظيمُ حُرْمة الله إلا أعطيتُهم إيّاها، ثم جرَّها فقامت، فولِّي راجعاً عَوْده على بَدْئه حتى نزل على ثُمَدِ من أثماد الحديبية قليل الماء(٤)، فانتزع سهماً من كنانته فغرزه فيها، فجاشت لهم بالرَّواء(٥)، وجاءه بُدَيْل بن ورقاء في ركب فسلَّموا وقالوا: جئناك من عند قومك وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، يُقْسِمون، لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تُبيد خَضْراءَهم(١٦)، فقال رسول الله ﷺ: قلَمْ نأتِ لقتال أحَد إنما جننا لنطوف بهذا البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه، فرجَع [بديل] فأخبر قريشاً، فبعثوا عروة بن مسعود، فكلُّمه بنحو ذلك، فأخبر قريشاً، فقالوا: نَرُدُّه مِن عامِنا هذا، ويَرْجِع مِن قابِل فيَذْخُل مكة ويطوف بالبيت، فأرسل رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان، قال: الذَّهَبُ إلى قريش فأخبرُهم أنّا لَمْ نَاتِ لَقَتَاكِ أَحَد وإنما جَنَنا زُوَّاراً لَهَذَا البِيتِ، معنا الهدي ننحره وننصرف، فأتاهم فأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبداً، ولا يَدخُلها العامَ، ويَلَغَ رسولَ الله ﷺ أن عثمان قد قُتل، فقال: الا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَهم، فذاك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرّضوان، فبايعهم تحت الشجرة (٧). وفي عددهم يومثذٍ أربعة أقوال: أحدها: ألف وأربعمائة، قاله البراء، وسلمة بن الأكوع، وجابر، ومعقل بن يسار. والثاني: ألف وخمسمائة، روي عن جابر أيضاً، وبه قال قتادة. والثالث: ألف وخمسمائة وخمس وعشرون، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: ألف وثلاثمائة، قاله عبد الله بن أبي أونى. قال: وضَرَبَ يومنذٍ رسولُ الله ﷺ بشِماله على يمينه لعثمان، وقال: إنه ذهب في حاجة الله ورسوله، وجَعَلَت الرُّسُل تختلف بينهم، فأجمعوا على الصُّلح، فبعثوا سهيل بن عمرو في عِدَّة رجال، فصالحه كما ذكرنا في [براء: ٧]، فأقام بالحديبية بضعة عشر يوماً، ويقال: عشرين ليلة، ثم انصرف، فلمّا كان بـ اضَجَنَان (٨) نزل عليه: ﴿ إِنَّا نَتَمَا لَكَ نَتُمَا شُيئًا ﴿ ﴾، فقال جبريل: يَهنيك يا رسول الله، وهنَّأه المسلمون. والقول الثاني: أن هذا الفتح فتح مكة، رواه مسروق عن عائشة، وبه قال السدي. وقال بعض مَن ذُهَب إلى هذا: إنما وُعِد بفتح مكة بهذه الآية. والثالث: أنه فتح خيبر، قاله مجاهد، والعوفي وعن أنس بن مالك كالقولين. والرابع: أنه القضاء له بالإسلام، قاله مقاتل. وقال غيره: حَكّمنا لك بإظهار دِينك والنَّصرة على عدوِّك.

أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذاك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة، فقال المنافقون: والله ما حلقنا، ولا قطّرنا، ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية. اه.

⁽١) قال في المعجم البلدان، (بلد-): آخره حاء مهملة والدال قبله: وادٍ قبل مكة من جهة المغرب.

 ⁽۲) قال الحافظ ابن حجر في «الفتع»؛ حل حل، بفتح المهملة وسكون اللام: كلمة تقال للناقة إذا تركت السَّيْر. قال الخطابي: إن قلت: «حل» واحدة،
 فالسكون، وإن أعدتها، نؤنت في الأولى، وسكِّنت في الثانية. قال: حكى غيره السكون فيهما والتنوين، كنظيره في: «بنج بنج» يقال: خَلْحلْتُ فلاناً:
 إذا أزعجته عن موضعه. إهـ.

 ⁽٣) قال الحافظ ابن حجر: القصواء، بفتح القاف بعدها مهملة ومدّ: اسم ناقة رسول الله على وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق، فقيل لها: القصواء،
 لأنها بلغت من السبق أقصاء.

⁽٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: النّمَد: حفيرة فيها ماءٌ مثمود، أي قليل، قال: وقوله: قليل الماء، تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول: إن الثمد: الماء الكثير. قال: وقبل: الثمد: ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.

⁽٥) قال في االلسان؛ وماءٌ رَواء، ممدود مفتوح الراء، أي: عَذب.

٦) قال في اللسانة: وقولهم: أباد الله خضراءهم، أي سوادَهم ومُعْظَمهم.

حديث قصة الحديبية، ذكره أهل السّير، وهو في «مسند أحمد» و«صحيح البخاري» وأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وغيرهم مختصراً ومطوّلاً، بألفاظ مختلفة، وانظر «صحيح البخاري» ١٩٤/٤، و«المسيد» ١٩٤/٤، و«المسيد البخاري» ١٩٤/٤،

 ⁽A) قال في المعجم البلدان؛ ضَجَنان: جبل بناحية تهامة.

قوله تعالى: ﴿لِيَنْفِرَ لَكَ اللّهُ قال ثعلب: اللام لام «كي»، والمعنى: لكي يجتمع لك [مع] المغفرة تمام النّعمة في الفتح، فلمّا انضمّ إلى المغفرة شيءٌ حادِثٌ، حُسُنَ معنى «كي»، وغَلِط من قال: ليس الفتح سببَ المغفرة.

قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَيْكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ قال ابن عباس: والمعنى: "ما تقدَّم" في الجاهلية، و"ما تأخَّر" ما لم تعلمه، وهذا على سبيل التأكيد، كما تقول: فلان يَشْرِب من يلقاه ومن لا يلقاه.

قوله تعالى: ﴿وَيُشِرِّ مِنْمَتُمُ عَلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن ذلك في الجنة. والثاني: أنه بالنُبُوَّة والمغفرة، رويا عن ابن عباس. والثالث: بفتح مكة والطائف وخيبر، حكاه الماوردي. والرابع: بإظهار دينك على سائر الأديان، قاله أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ مِرَطَا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: ويُثَبِّتك عليه؛ وقيل: ويهدي بك، ﴿وَيَشَرَكَ اللّهُ﴾ على عدوَّك ﴿نَصْرًا عَرِيزًا﴾ قال الزجاج: أي: نَصْراً ذا عِزٌ لا يقع معه ذُلُّ^(١).

قوله تعالى: ﴿ مُوَ الَّذِينَ أَزَلَ التّكِينَةَ ﴾ أي: السُّكون والطَّمأنينة ﴿ فِي مُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لئلا تنزعج قلوبُهم لِما يَرِد عليهم، فسلموا لقضاء الله، وكانوا قد اشتد عليهم صَدُّ المشركين لهم عن البيت، حتى قال عمر: علامَ نُعطي الدَّنِيَّة في ديننا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: ﴿ أَنَا عَبدُ الله ورسولُه، لن أُخالِف أمره ولن يُضَيِّعني (٢٠)، ثم أَوْقَعَ الله الرَّضى بما جرى في قلوب المسلمين، فسلَّموا وأطاعوا. ﴿ لِيرِّنَادُوا إِيمنَا ﴾ وذلك أنه كلما نزلت فريضة زاد إيمانُهم. ﴿ وَيقِي جُمنُودُ السَّكُونِ وَالْمُرْضِ مُلْكُ له، لو أراد نُصرة نبيّه بغيركم لَفَعَل، ولكنه اختاركم لذلك، فاشكُروه.

قوله تمالى: ﴿ لِلنَّنِلُ ٱلنَّرْيِينَ... ﴾ [الآية] سبب نزولها أنه لمّا نزل قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحَا لَكَ ﴾ قال أصحابُ رسول الله ﷺ: هنيئا لك يا رسول الله بما أعطاك الله، فما لَنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك (٢٠). قال مقاتل: فلمّا سمع عبد الله بن أبيّ بذلك، انطلق في نَفَرٍ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما لَنا عند الله؟ فنزلت: ﴿ وَيُعَلِّبُ ٱلنَّتُوفِينَ ... ﴾ الآية. قال ابن جرير: كُرُّرت اللّامُ في ولِيُدْخِلَ على اللام في ولِيَغْفِرَ ، فالمعنى: إنّا فَتَحْنا لك لِيَغْفِرَ لك الله لِيُدْخِلَ المؤمنين، ولللك لم يُدخِل بينهما واو العطف، والمعنى: لِيُدْخِل وليُعَذَّب.

⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لِيَنْدِ لَكَ اللهُ مَا تَدَدُمُ مِن دَبُكُ وَمَا تَأَخَرُ﴾ هذا من خصائصه 難 التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال كفيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول اش 夢، وهو 難 في جميع أموره على الطاعة والبرّ والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو 難 أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في اللنيا والآخرة، قال: ولما كان أطوع خلن الله تعالى وأشده تعظيماً ولأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة: قديسها حابس الفيل، ثم قال ﷺ: اوالذي نفسي بيله لا يسألوني اليوم شيئاً معظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها، قال: فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له: ﴿ اللهُ فَتَمَا لُكُ فَتَا يُبِيّا ﴾ في المنيا والآخرة ﴿ وَرَسُولُ اللهُ مَنْ اللهُ عَالَى الشرع العظيم والدين القويم ﴿ وَرَسُولُ اللهُ مَنْ اللهُ عَالَى الله عبداً بعفو إلا عزاً من الصحيح: ﴿ وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله ﷺ إلا رفعه الله تعالى . اهـ.

⁽٢) رواه أحمد في االمسند، بهذا اللفظ، ورواه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير بمعناه.

 ⁽٣) رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك ، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٧، وذكره السيوطي في
 «الدر» ٦/ ٧٠، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، وأبي نعيم في «المعرفة» عن أنس بن
 مالك دلي.

قوله تعالى: ﴿ مَلَيْهِمُ دَايِرَهُ السَّرَةِ ﴾ (١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم السين؛ والباقون: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الوَعْد بإدخالهم الجنة وتكفير سيِّئاتهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُكمه ﴿وَزَرًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حكم لهم بالفَوْز، فلذلك وعدهم إدخال الجنة.

قوله تعالى: ﴿ الطَّايَدِي بِاللّهِ طَرْبَ السّوّهِ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم ظنّوا أن لله شريكاً. والثاني: أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه. والثالث: أنهم ظنّوا به حين خرج إلى الحديبية أنه سيُقْتَل أو يُهْزَمُ ولا يعود ظافراً. والرابع: أنهم ظنّوا أنهم ورسول الله يَهِيُّة بمنزلة واحدة عند الله. والخامس: ظنّوا أن الله لا يبعث الموتى. وقد بيّنا معنى «دائرة السّوء» في إيرانة: ١٩٨. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النتج: ٤، الأحزاب: ١٤٥] إلى قوله: ﴿ لِتُوْيِسُوا بِاللّهِ وَرَسُولِيهِ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ لِيُوْمِنُوا اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ على معنى: قل لهم: إنّا أرسلناك، لتؤمنوا، وقرأ عليُ بن أبي طالب: وابن السميفع: «ويُعَرِّزُوه» بزاءين. وقد ذكرنا في [الأعراف: ١٥٧] معنى . وقيه قوله: ﴿ وَهَمَرُوهُ وَهَمَرُوهُ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَثُورَيِّ رُوءُ﴾ أي: يعظّموه ويبجّلوه. واختار كثير من القرَّاء الوقف هاهنا، لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّرِى بَهَامِوْلَكَ ﴾ يعني بَيْعة الرّضوان بالحديبية. وعلى ماذا بايعوه؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم بايعوه على الموت، قاله عبادة بن الصامت. والثاني: على أن لا يفِرُوا، قاله جابر بن عبد الله. ومعناهما متقارب، لأنه أراد: على أن لا تَفرُوا ولو متَّم. وسمِّيتُ بَيْعة، لأنهم باعوا أنفُسهم من إلله بالجنة، وكان المَقد مع رسول الله على فكأنهم بايعوا الله على النه ضمِن لهم الجنة بوفائهم. ﴿يَدُ اللهِ فَوَق آيدِيهِم ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يد الله في الوفاء فوق أيديهم. والثالث: يد الله عليهم في المنة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة، ذكر هذه الأقوال الزجاج. والرابع: قُوَّة الله ونُصرته فوق قُوَّتهم ونُصرتهم، ذكره ابن جرير، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿ نَمَنَ نَكَكَ ﴾ أي: نقض ما عقده من هذه الْبَيْعة ﴿ فَإِنَّمَا يَنَكُ عَلَى نَقْيهِ ۗ ﴾ أي: يَوْجِع ذلك النَّقْضُ عليه ﴿ وَمَنَ أَوْنَى بِمَا عَنْهَدَ هَاتِهُ اللّهَ ﴿ مَنَ البَيْعة ﴿ فَسَبُوْتِيهِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبان عن عاصم: افسنُؤتيه ﴾ بالنون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بالياء ﴿ أَبَرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة. قال ابن السائب: فلم ينكُث العهد منهم غير رجل واحد يقال له: الجدِّبن قيس، وكان منافقاً (٤).

﴿ سَيَغُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَفَلَتْنَا آمُولُنَا وَأَعْلُونَا فَاسْتَنْفِر لَنَا يَعُولُونَ بِالْسِنَتِهِم مَّا لَبَس فِي عُلُوبِهِمْ عُلْ فَمَن يَسْلِكُ لَكُمْ
مِنَ اللّهِ شَيْنًا إِنْ أَلَادَ بِكُمْ مَثَلًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ مَفَنَا بَلْ كَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خِيرًا ﴿ لَى بَلْ طَنَعْتُمْ أَن لَن يَنْقِلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُتُومِثُونَ إِلَى اللّهِ مِن أَلِدُ وَيُعْلِقُونَا فِي مَنْ اللّهُ وَمُلِكُمْ وَطُنْنُتُمْ طَنَ السّرُو وَكُنتُمْ فَوَا أَبُولُ اللّهُ وَمُلَا إِلّهُ وَمُنْ اللّهُ عَلْمُولُ وَمِن بِلَقَا أَعْتَمَا اللّهُ وَمُلِيعِ سَعِيرًا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَمُلِكًا فَي وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَمُلْولًا وَعَلَيْهِ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلِّقُونَ مِنَ ٱلْأَقْرَابِ ﴾ قال ابن إسحاق: لما أراد العمرة استنفر مَنْ حَوْلَ المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، خوفاً من قومه أن يَعْرِضوا له بحرب أو بصَدِّ، فتثاقل عنه كثير منهم، فهم الذين

 ⁽١) هذه الفقرة من الآية الكريمة تتمة لقوله تعالى: ﴿الطَّـالَيْرَى بَاللَّهِ طَلَى النَّرَةِ﴾ الذي سيأتي بعد قليل، وكان حق المؤلف أن يذكرها في محلها، ولعله ذكرها هنا ليتكلم عن الخلاف في قراءتها فقط، لأنه لم يرد أن يفسرها في محلها حيث قال: وقد بينا معنى ﴿فَلَهُرَةٌ ٱلسَّرَةُ﴾ في (براءة).

 ⁽٢) وذكر ابن جرير عن قتادة أن في بعض القراءات: (ويسبّحوا الله بكرة وأصيلا).

 ⁽٣) قال الألوسي في (روح المعاني): قرأ الجمهور (عليه) بكسر الهاء كما هو الشائع، وضمها حفص هنا. ثم قال: وحسن الضم في الآية، للتوصل به
 إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام. اهـ.

 ⁽٤) ونقل الزمخشري في «الكشاف، نحوه عن جابر بن عبد الله رضي على الله عليه المسلم» ١٤٨٣/٣ عن جابر: قبايعناه، غير جدّ بن قيس اختبأ
 تحت بطن بعيره. ولأبي يعلى: بايعناه كلنا إلا الجدّ بن قيس، فإنه اختبأ تحت بطن بعيره، فهذا ليس فيه أنه بايع ونكث، بل فيه أنه لم يبايع أصلاً.

عنى الله بقوله: ﴿ سَيَتُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَمْرَابِ ﴾، قال أبو صالح [عن ابن عباس]؛ وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والدَّيل وأسلم. قال يونس النحوي: الدِّيل في عبد القيس ساكن الياء. والدُّول من حنيفة ساكن الواو، والدُّيل في كنانة رهط أبي الأسود الدُّولي (١٠). فأمّا المخلَّفون، فإنهم تخلَّفوا مخافة القتل. ﴿ شَغَلَتْنَا آمُولُنَا وَآمَلُونَا ﴾ أي: خفنا عليهم الضَّيْعة ﴿ فَاسْتَغْفِر لَنَا وَ اللهُ اللهُ عَلْمُ لَنَا اللهُ عَلْمُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ وَ اللهُ اللهُ عَلْمُ اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ فَنَن بَعْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْنًا إِنْ أَلَادَ بِكُمْ مَثَرًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ضُرّاً بضم الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو علي: «الضَّرَّ بالفتح: خلاف النفع، وبالضم: سوءُ الحال، ويجوز أن يكونا لغتين كالفَقْر واللّهُ أنهم ظنُوا أن تخلّفهم يدفع عنهم الضَّرَّ، ويعجِّل لهم النفع بسلامة أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إذا أراد بهم شيئاً، لم يَقْدِر أحد على دفعه [عنهم]، ﴿ بَلْ كَانَ اللّهُ بِمَا تَسْلُونَ خَبِرًا ﴾ من تخلُفهم وقولهم عن المسلمين أنهم سيهلكون، وذلك قوله: ﴿ بَلُ ظَنَنتُم ﴾ أي: توهَّمتم ﴿ أَن لَن يَنقِلِ الرَّسُولُ وَالْمُوْمِثُونَ إِلَى آهَلِهِم ﴾ أي لا يَرْجِعون إلى المدينة، لاستصال العدق إيّاهم، ﴿ وَلَهُ فَ قَلْمِكُم ﴾ وذلك من تزيين الشيطان.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ قُومًا بُورًا ﴾ قد ذكرناه في [النرنان: ١٨].

﴿ سَكِيثُولُ ٱللَّهُ لَلُونَ إِذَا ٱنطَلَقَتُ مِنَ مَعَانِدَ لِتَأْعُلُومَا ذَرُهَا نَتَيْعَكُمْ بُرِيدُوك أَن بُسَدِلُوا كَلَىمَ اللَّهُ قُل لَن تَلَّيْمُونَا كَالِكُمْ وَاللَّهُ عَالِكُمْ عَلَا لَكُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّ

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ سَكِنُولُ اللّهَ كَلُونَ ﴾ الذين تخلّفُوا عن الحديبية ﴿ إِذَا اَلْطَلَقَتُدُ إِلّ مَعَانِمَ ﴾ وذلك أنهم لمّا انصرفوا عن الحديبية بالصّلح وعَدَهم الله قَتْحَ خيبر، وخصَّ بها من شَهد الحديبية فانطلقوا إليها، فقال هؤلاء المحلّفون: ﴿ وَرُبُونَا نَتَبِعَكُمُ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ مُربِدُونَ أَن بُبَدِلُوا كُلُمَ اللهِ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «أن يبدّلوا كليم الله بكسر اللام. وفي المعنى قولان: أحدهما: أنه مواعيد الله بغنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أمرُ الله نبيّة أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه خيبر، ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلّفين، قاله مقاتل. وعلى القولين: قصدوا أن يجيز لهم رسول الله عليه ما يخالِف أمرَ الله، فيكون تبديلاً لأمره.

قوله تعالى: ﴿كَلَاكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن فَسَلَّ﴾ فيه قولان. أحدهما: قال: إن غنائم خيبر لِمَن شَهِد الحديبية، وهذا على القول الأول. والثاني: قال: لن تتَّبعونا، وهذا قول مقاتل. ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ غَسُدُونَنَاً﴾ أي: يمنعُكم الحسد من أن نُصيب معكم الغنائم.

﴿ وَمُل الْمُمَلَّذِينَ مِنَ الْأَمْرَابِ سَنُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْرٍ أُولِ بَأْسِ شَدِيدٍ لْقَاتِلُونَهُمْ أَوْ بُسُلِمُونَّ فَإِن تُطِيمُوا بُؤَدِكُمُ اللّهُ أَجَرًا حَسَــَانَّ وَإِن تَتَوَلَّوَا كُنَا نَوْلَيْتُمْ مِن فَبْلُ يُمَاذِبُكُمْ حَدَابًا أَلِيمًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ سَنُنْعُونَ إِلَى قَرْمِ ﴾ المعنى: إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فستُدْعُون إلى جهاد قوم ﴿ أَولِ أَسِ شَيدٍ ﴾. وفي هؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أنهم فارس، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وابن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين. والثاني: فارس والروم، قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والرابع: أنهم الروم، قاله كعب. والمخامس: نجيع عن مجاهد. والرابع: أنهم الروم، قاله كعب. والمخامس: أنهم هوازن وغطفان، وذلك يوم حنين، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. والسادس: بنو حنيفة يوم اليمامة، وهم أصحاب مسيلمة الكذّاب، قاله الزهري، وابن السائب، ومقاتل (٢٠). قال مقاتل: خِلانةُ أبي بكر في هذه بيّنةٌ مؤكدة. وقال رافع بن خديج: كنّا نقرأ هذه الآية ولا نَعْلَم مَنْ هُم حتى دُعِيَ أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعَلِمنا أنهم هُمْ. وقال بعض أهل

⁽١) . قال أبو العباس المبرّد: الدُّولي مضمومة الدال مفتوحة الواو من الدُّثيل بضم الدال وكسر اليام: وهو داية.

 ⁽۲) قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم، الذين هم أولي بأس شديد على أقوال، ثم قال: وعن مجاهد: هم رجال أولو
 بأس شديد، قال: ولم يعين فرقة، وبه يقول ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير. اهـ.

العِلْم: لا يجوز أن تكون هذه الآية إلّا في العرب، لقوله: ﴿ لْتَشِلُونَهُمْ أَرْ يُسْلِمُونَ ﴾، وفارس والروم إنما يقاتَلون حتى يُسْلِموا أو يؤدُّوا الجزية. وقد استدلَّ جماعةٌ من العلماء على صِحَّة إمامة أبي بكر وعمر بهذه الآية، لأنه إن أريدَ بها بنو حنيفة، فأبو بكر دعا إلى قتالهم، وإن أريدَ بها فارس والروم، فعمر دعا إلى قتالهم، والآية تُلْزِمهم اتباع طاعة من يدعوهم، وتتوعَّدهم على التخلُّف بالعقاب. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدُلُّ على صِحَّة إمامتهما إذا كان المتولِّي عن طاعتهما مستحقاً للعقاب (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيمُوا ﴾ قال ابن جريج: فإن تُطيعوا أبا بكر وعمر، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا ﴾ عن طاعتهما ﴿ كُمّا تَوَلَّيْمُ ﴾ عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى الحديبية. وقال الزجاج: المعنى: إن تُبتم وتركتم نفاقكم وجاهدتم، يؤتكم الله أُجْراً حسناً، وإن تولَّيتم على عهد رسول الله ﷺ يعلِّبكم عذاباً اليماً (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ لَيْنَ عَلَ ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ قال المفسرون: عَذَرَ الله أهل الزَّمانة الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية (٢٠).

قوله تعالى: ﴿يُدَخِلُهُ جَنَّتِ﴾ (٤) قرأ نافع، وابن عامر: ﴿نُدْخِلُهِ» و﴿نُعَذِّبِهِ» بالنون فيهما؛ والباقون: بالياء.

﴿ لَمَدَ رَضِى اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِدِينَ إِذْ يُبَامِعُولَكَ غَتَ الشَّجَرَةِ نَدَلِمَ مَا فِي مُلُومِهِمْ فَأَنَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَهُمْ فَنْمُنَا قَرِيبًا فَلَ رَمَعُنَا مَلَ وَمَدَكُمُ اللّهُ مَنَايِدَ كَيْمَ اللّهُ مَنَايِدَ كَيْمَ اللّهُ مَنَايِدَ كَيْمَ اللّهُ مِنَايِدَ كَيْمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى النّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ وَاللّهُ اللّهُ بِهِمَا وَكُونَ اللّهُ عَلَى كُمْ مَوْمِكُ أَسْتَقِيمًا فَي وَلُمُورَى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا فَدْ أَخَاطُ اللّهُ بِهِمَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُمْ فَي قَيْمُ وَلَيْكُمْ عَنْهُمْ وَلِيكًا فَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهِ وَلَوْ وَلَذَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عِلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى ا

ثم ذكر الذين أخلصوا نيَّتهم وشَهدوا بَيْعة الرِّضوان بقوله: ﴿ لَتَدْ رَيْنَ اللهُ عَنِ اَلْمُوْيِينِ ﴾ وقد ذكرنا سبب هذه البَيْعة اَنفا. وإنما سمِّيتْ بَيْعة الرَّضوان، لقوله: ﴿ لَنَدْ رَيْنِ اللهُ عَنِ الْمُؤْيِينِ إِذْ يُبَايِمُونَكَ عَتَ الشَّجَرَة ﴾ روى إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه، قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس، البَيْعة، البيعة، نَزَل روح القُدُس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمْرة، فبايَعْناه (٥٠). وقال عبد الله بن مغفّل: كان رسول الله ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس، وإنِّي لأرفع أغصانها عن رأسه (١٠). وقال بكير بن الأشج: كانت الشجرة بفجً نحو مكة (٧٠). قال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلُّون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها، وأمر بها فقُطِعَتْ (٨٠).

 ⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَتَنِيْلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ لِعني شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم، ولكم النصرة عليهم، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار.

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿ إِنَا نُطِيعُ إِلَى المجيروا وتنفروا في الجهاد وتؤدُّوا الذي عليكم فيه ﴿ يُؤتِيكُمُ اللهُ أَجْلُ حَسَكَنّا وَإِن نَتَوَلُّوا كَمَا قَرْلَتُمُ مِن قَرْلُ يعني زمن الحديبة حيث دعيتم فتخلفتم ﴿ يُمُؤْمِكُمُ مَكَانًا ۚ إِلَيْما ﴾.

⁽٣) قال ابن كثير: ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد، نمنها لازم كالعمى والعرج المستمر، وعارض كالمرض الذي يطرأ أياماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ. اهـ.

 ⁽³⁾ والآية بتمامها: ﴿ وَمَن يُطِع أَلَة وَرَسُولَمُ يُدَخِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِى بِن فَنْتِهَا ٱلأَنْهَرُّ وَمَن يَتَوْلًا يُسُؤِيهُ عَلَامًا أَلِيمًا ﴾ وذلك ترغيب في الجهاد وطاعة الله ورسوله، وأن من نكل عن الجهاد وأقبل على المعاش يعذبه عذاباً أليماً في الدنيا بالمذلّة، وفي الآخرة بالنار.

⁽ه) ﴿ رواه ابن جرير الطبري ٨٦/٢٦ وقيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، وعند مسلم ١٤٨٦/٣ من حديث مولى سلمة بن الأكوع قال: قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. والسمر: وزان رَجُل وسبع: شجر الطلع، وهو نوع من العضاء، الواحدة: سَمرة.

⁽٦) رواه الطبري ٩٤ ، ٩٣/٢٦ وإسناده جسن، وهو في مسلم ٣/ ١٤٨٥ بمعناه من حديث معقل بن يسار.

⁽٧) رواه الطبري: ٨٦/٢٦ عن بكبر بن الأشج أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله 響 على الموت، فقال رسول الله 響: «على ما استطعتم» والشجرة التي . بويع تحتها بفج نحو مكة.

 ⁽A) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٧/ ٣٤٥ رواه ابن سعد بإسناد صحيح.

قوله تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُومِمَ ﴾ أي: من الصَّدق والوفاء، والمعنى: عَلِم أنهم مُخْلِصون ﴿ فَأَرْلُ ٱلسَّرِيحَنَةَ عَلَيْمٍ ﴾ يعني الظُمأنينة والرِّضى حتى بايعوا على أن يقاتِلوا ولا يَقِرُّوا ﴿ وَأَنْبَهُم ﴾ أي: عوَّضهم على الرِّضى بقضائه والصَّبر على أمره ﴿ فَتَمَا قَرِيبَ ﴾ وهو خيبر، ﴿ وَمَقَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُدُومَ ﴾ أي: من خيبر، لأنها كانت ذات عقار وأموال. فأمّا قوله بعد هذا: ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَمْانِدَ حَكِيرَةً تَأْخُدُومَ ﴾ فقال المفسرون: هي الفُتوح التي تُفْتَح على المسلمين إلى يوم القيامة. ﴿ وَعَدَدُمُ اللهُ مَدْنِهِ فَيها قولان: أحدهما: أنها غنيمة خيبر، قاله مجاهد، وقتادة، والجمهور. والثاني: أنه الصَّلح الذي كان بين رسول الله على ويين قريش، رواه العوفي عن ابن عباس (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَكُفَّ أَيْنِى النّاسِ عَنكُم ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود همُّوا أن يغتالوا عيال المسلمين الذين خلفوهم في المدينة، فكفّهم الله عن ذلك، قاله مقاتل. وقال الفراء: كانت أسد وغطفان جاؤوا لينصروا أهل خيبر، فقصدهم فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فانصرفوا عنهم، قاله مقاتل. وقال الفراء: كانت أسد وغطفان [مع أهل خيبر، فقصدهم رسول الله على فصالحوه وخلّوا بينه وبين خيبر. وقال غيرهما: بل همّت أسد وغطفان] باغتيال [أهل] المدينة، فكفّهم الله عن ذلك. والثالث: أنهم أهل مكة كفّهم الله بالصّلح، حكاهما الثعلبي وغيره. ففي قوله: (عنكم قولان: أحدهما: أنه على أصله، قاله الأكثرون. والثاني: عن عيالكم، قاله ابن قتيبة، وهو مقتضى قول قتادة. ﴿ وَلِنَكُونَ مَالِكُ لِلنَّوْمِينِينَ ﴾ في على أصله، قاله الأكثرون. والثاني: عن عيالكم، قاله ابن قتيبة، وهو مقتضى قول قتادة. ﴿ وَلِنَكُونَ مَالِكُ لِلنَّوْمِينِينَ ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الفَعلة التي فَعلها بكم من كفّ أيديهم عنكم كانت آية للمؤمنين في تصديق رسول الله تشخ فيما متولًى حراستهم في مشهدهم ومَغيبهم. والثاني: أنها خيبر كان فتحها علامة للمؤمنين في تصديق رسول الله تشخ فيما

قوله تعالى: ﴿ وَيَهَدِيَكُمْ مِرَمُكَا تُسْتَقِيمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: طريق التوكُّل عليه والتفويض إليه، وهذا على القول الأول. والثاني: يَزيدكم هُدَىّ بالتصديق بمحمد ﷺ فيما جاء به من وعد الله تعالى بالفتح والغنيمة.

قوله تعالى: ﴿ وَلُخْرَىٰ﴾ المعنى: وعدكم الله مَغانَم أُخرى؛ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها ما فُتح للمسلمين بعد ذلك. روى سماك الحنفي عن ابن عباس ﴿ وَلُخْرَىٰ لَرّ تَقْيِرُواْ عَلَيْهَا﴾ قال: ما فتح لكم من هذه الفتوح، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها خيبر، رواه عطية، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد. والثالث: فارس والروم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الحسن، وعبد الرحمن بن أبي ليلي. والرابع: مكة، ذكره قتادة، وابن قتيبة.

قُوله تعالى: ﴿فَدْ أَحَالُمُ اللَّهُ بِهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أحاط بها عِلْماً أنها ستكون من فُتوحكم. والثاني: خَفِظها لكم ومَنعها من غيركم حتى فتحتموها.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَنْنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُولِ هذا خطاب لأهل الحديبية، قاله قتادة؛ والذين كفروا مشركو قريش. فعلى هذا يكون المعنى: لو قاتلوكم يومَ الحديبية ﴿ لَوَلُوا اللَّهُ بَلَا اللهُ قد خذلهم. قال الزجاج: المعنى: لو قاتلك من لم يقاتِلْك لنُصِرْت عليه، لأن سُنّة الله النُّصرة لأوليائه. و﴿ سُنّةَ اللهُ اللّهِ مَنْ اللهُ عَلَيْ خِذلانهم سُنّةً. وقد مَرَّ مِثْلُ هذا في قوله: ﴿ كِنْكَ مَنْ اللهُ عَلَيْكُمْ الله اللهُ اللهُ عَلَيْكُمْ الله اللهُ الل

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كُنَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمُ ﴿ وَى أَنسَ بِنَ مَالُكُ أَنْ تُمَانِينَ رَجِلاً مِن أهل مكة هبطوا على رسول الله على من الله على متسلِّحين يريدون غِرَّة (٢٠) النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلماً (٢٠)، فاستحياهم، وأنزل الله

⁽١) قال ابن جرير: وأولى الاقوال في تأريل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها. اه.

⁽٢) الغِزَّة: هي الغفلة، أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأمُّب لهم ليتمكُّوا من غدرهم والفتك بهم.

 ⁽٣) قال الامام النووي في فشرح مسلم؟ ١٨٧/١٢: قسلماً ضبطوه بوجهين: أحدهما: سَلَما، والثاني: سَلْماً، قال الحميدي: ومعناه: الصلح. قال القاضي في «المشارق»: هكذا ضبطه الأكثرون، قال فيه وفي الشرح: والرواية الأولى أظهر. والمعنى: أسرهم. والسلم: الأسر. وجزم الخطابي بفتح اللام والسين، قال: والمراد به: الاستسلام والإذهان، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَرْا إِلَيْكُمْ النّائِيّة) إِذَا الانقباد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين على المواحد والاثنين على المواحد والمنافق المنافق ال

هذه الآية (١٠). وروى عبد الله بن مغفّل قال: كنّا مع رسول الله على الحديبية في أصل الشجرة، فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابّاً، فثاروا في وُجوهنا، فدعا عليهم رسول الله على فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله على: «هل جثتم في عهد؟» أو «هل جعل لكم أحد أماناً؟» قالوا: اللهم لا، فخلًى سبيلهم، ونزلت هذه الآية (١٠). وذكر قتادة أن رسول الله على بعث خَيْلاً، فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار، فأرسلهم (١٠)، وقال مقاتل خرجوا يقاتِلون رسول الله على، فهزمهم النبي على بالطّعن والنّبل حتى أدخلهم بيوت مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكر مِنّته إذ حجز بين الفريقين فلم يقتتلا حتى تم الصلح بينهم. وفي بطن مكة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحديبية، قاله أنس. والثاني: وادي مكة، قاله السدي. والثالث: التنعيم، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأمّا «مكة» فقال الزجاج: «مكة» لا تنصرف لأنها مؤنّة، وهي معرفة، ويصلُح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق «بكة»، والميم تُبدل من الباء، يُقال خصرت الله في ضرع النّاقة: إذا مَصَّ مُصاً شديداً حتى لا يُبقي فيه شيئاً، فيكون سمّيث بذلك لشِدَّة الازدحام فيها؛ قال: والقول الأول أحسن. وقال قطرب: مكة من تَمكَّكُتُ المُثَّة؛ إذا أكلتَه. وقال ابن فارس: تَمكَّكُتُ العظم: إذا أخرجت مُحَّه؛ والتمكُك: الاستقصاء؛ وفي من تَمكَّكُتُ المُثَّة؛ إذا أكلتَه. وقال ابن فارس: تَمكَّكُتُ العظم: إذا أخرجت مُحَّه؛ والتمكُك: الاستقصاء؛ وفي من تَمكَّكُتُ المُثِّ المُعْتِ المُعْتِ إلها المؤلِّ من قول العرب: امْتَكُ الفَصيلُ ما في ضَرْع النّاقة. والثاني: أنها سمّيت (مكة) من قولك: بَكَتُتُ الرجُل: إذا وضَعْت منه وَرَدَدْت تَخُوتَه (٥٠)، فكأنها تَمُكُّ مُن ظلم فيها، أي: تُهلكه وتُنتِصه، وأنشدوا: يا مَكَّه، الفاعرة، الفاعرة، أي: تُهلكه وتُنتِصه، وأنشدوا: يا مَكَّه، الفاعرة مَكَّه، الفاعرة وعَمَّماً وعَكُما الله وعَمَّماً وعَكُماً المُنْ عَلَى مَكُمَّه النفاعة، وأي وعَكَما وعَمَّماً وعَكَماً المُنْ عَلَمَةً والنائه، أي: تُهلك وتُنتِصه، وأنشدوا: يا مَكَّه، الفاعرة وعَمَّماً وعَكَماً المُنْ عَلَم فيها، أي: تُهلك وتُنتِصه واتَمَعُما وعَلَى مَكَّه والله عَرَاه وعَنْ المُنْ عَلَم الله وعَنْ وعَلَم والمَنْ والمنائع وعَنْ المُنْ والمَنْ المُنْ والمنائع والمنائع والمنائع والمنائع والمنائع والمنائع والمنائع والمنائع وا

والثالث: [أنها] سمَّيتُ بذلك لجَهْد أهلها. والرابع: لقِلَّة الماء بها. وهل مكة وبكة واحد؟ قد ذكناه في (آل عمران: ١٦٦. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ بَمْدِ أَنْ أَظْفَرُكُمْ عَلَيْهِ مُ ﴾ أي: بهم؛ يقال: ظَفِرْتُ بفلان، وظَفِرْتُ عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَمْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرو: [اليعملون] بالياء؛ والباقون: بالتاء.

﴿ مُمُ الَّذِيبَ كَثَرُوا رَمَنَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَارِ وَالْمَدَى مَعْكُونًا أَنْ يَبَلُغَ عِلَمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَلَةٌ مُؤْمِنَتُ لَّهِ تَمْلُوهُمْ أَنْ مَنْكُوهُمْ فَتُعِيبَكُمْ مِنْهُد مَمَزَةً بِفَيْرِ عِلْمِ لَلْمُؤْمِ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ. مَن يَشَاةً لَوْ تَـزَئِلُوا لَمَذَبَنَا الَّذِيبَ كَفَرُوا مِنهُمْ عَذَابًا أَلِيبًا اللّهُ إِنْ مُنْوَهِمُ لَلْمَيْتَةَ حَيْبَةً الْمُعْلِيّةِ فَأَذَلَ اللّهُ سَكِبنَتُمُ عَلَى رَسُولِهِ. وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْزَمَهُمْ كَالِمَا اللّهُ فَي عَلِيمًا ﴿ وَعَلَى اللّهُ مِنْهُ وَعَلِيمًا ﴿ وَاللّهُ اللّهُ مِنْهُ وَعَلِيمًا ﴿ وَاللّهُ اللّهُ مِنْهُ عَلِيمًا اللّهُ فَي عَلِيمًا اللّهُ اللّهُ مَنْهُ عَلَى اللّهُ مِنْهُ وَلَا لَهُ اللّهُ مِنْهُ وَعَلِيمًا اللّهُ فَي اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَنْهُ وَعَلِيمًا اللّهُ فَي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ الللللللللللللل

قوله تعالى: ﴿ مُمُ الَّذِيكَ كَفَرُوا ﴾ يعني أهل مكة ﴿ وَسَدُوكُمْ عَنِ الْسَنْجِدِ الْحَرَارِ ﴾ أن تطوفوا به وتحلّوا من عُمرتكم ﴿ وَالْمَدْى ﴾ قال الزَّجاج: أي: وصدُّوا الهدي ﴿ مَعْكُونًا ﴾ أي: محبوساً ﴿ أَنْ يَبْلُغُ ﴾ أي: عن أن يبلُغَ ﴿ عَلَمُ ﴾ قال المفسرون: «مَحِلّه » مَنْحَره، وهو حيث يَحِلُ نَحْره ﴿ وَلَوْلا بِعَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاةً مُؤْمِنَتُ ﴾ وهم المستضعفون بمكة ﴿ لَمَ تَمْلُوهُمْ ﴾ أي: لم تعرفوهم ﴿ أَنْ تَطُوهُمْ ﴾ بالقتل، ومعنى الآية: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات بالقتل، وتُوقِعوا بهم ولا تعرفونهم، ﴿ فَتَعْيِبَكُمْ يَنْهُم تَهَرَّةً ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحلها: إثم، قاله ابن زيد. والثاني: غُرم

والجمع، قال ابن الأثير: هذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً، وإنما أخذوا قهراً، وأسلموا أنفسهم عجزاً، قال: وللقول الآخر وجه،
 وهو أنه لما لم يجر معهم قتال، بل عجزوا عن دنعهم والنجاة منهم، فرضوا بالأسر، فكأنهم قد صولحوا على ذلك. اهد.

⁽۱) رواه مسلم ٣/ ١٤٤٢، والطبري ٢٦/ ٩٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٧٥، وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك ﷺ.

 ⁽واه الطبري ٢٦/ ٩٤ وإسناده حسن، والحاكم ٢/ ٤٦٠ وصححه، والواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨/٦ وزاد نسبته
 لأحمد، والنسائي، وأبي نعيم في «الدلائل»، وابن مردويه، عن عبد الله بن مغفّل ﷺ.

⁽٣) «الطبري» ٢٢/ ٩٤ وهو مرسل، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٧٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد عن قتادة.

⁽٤) هذا الحديث ذكره ابن الأثير في النهاية؛ في غريب الحديث، ولم نره في كتب الحديث.

 ⁽٥) كانت العبارة في الأصل هكذا (مَكَكُتُ الرجل: إذا أردت نخوته) وقد صوبناها كما ترى نقلاً عن المصنف كما مر سابقاً عن اليزيدي وقطرب، ومن
 كتب اللغة.

⁽٦) الرجز غير منسوب في «اللسان» و«التاج»: مكك.

اللّية، قاله ابن إسحاق. والثالث: كفّارة قتل الخطأ، قاله ابن السائب. والرابع: عيب بقتل مَنْ هو على دينكم، حكاه جماعة من المفسرين. وفي الآية محذوف، تقديره: لأدخلتُكم من عامكم هذا؛ وإنما حُلتُ بينكم وبينهم ﴿لَيْخِلُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في دينه ﴿مَن يَشَاهُ ﴾ من أهل مكة، وهم الذين أسلموا بعد الصَّلح ﴿لَوْ تَنزَيْلُوا ﴾ قال ابن عباس: لو تفرّقوا. وقال ابن قتيبة، والزجاج: لو تميَّزوا. قال المفسرون: لو انماز المؤمنون من المشركين ﴿لَمَنْبَا النّيكَ كَفَرُوا ﴾ بالقتل والسَّبْي بأيديكم. وقال قوم: لو تزيَّل المؤمنون من أصلاب الكُفّار لعلَّبْنا الكفار. وقال بعضهم: قوله: ﴿لمَذَبنا ﴾ جواب لكلامين؛ أحدهما: الولا رجاله، والثاني: الو تزيَّلوا »، وقوله: ﴿إذَ جَمَلَ ﴾ من صلة قوله: ﴿لَمَذَبنا ﴾. والحميّة: الأنفّة والجَبريّة. قال المفسرون: وإنما أخذتهم الحمية حين أراد رسول الله ﷺ دخول مكة، فقالوا: يدخلون علينا [وقد قتلوا] أبناءنا وإخواننا فتتحدَّث العربُ بذلك! والله لا يكون ذلك، ﴿فَأَنزَلُ اللهُ سَكِبنَامُ عَلَ رَسُولِهِ وَعَل علينا [وقد قتلوا] أبناءنا وإخواننا فتتحدَّث العربُ بذلك! والله لا يكون ذلك، ﴿فَأَنزَلُ اللهُ سَكِبنَامُ عَلَ رَسُولِهِ وَعَل الحميّةُ ما تداخل سهيلٌ بن عمرو من الأنفة أن يكتُب في كتاب الصَّلح ذِكْر الرحمن الرحيم وذِكُر الرسول الله ﷺ مكان سهيلٌ بن عمرو من الأنفة أن يكتُب في كتاب الصَّلح ذِكْر الرحمن الرحيم وذِكُر الرسول الله ﷺ عمره من الأنفة أن

قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمُهُمْ كَلِمَةُ النَّقَوَىٰ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ﴿لا إِلَّا اللهُ وَاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد في آخرين، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ألا فعلى هذا يكون معنى: ﴿الزَمَهِمِ : حَكَمَ لهم بها، وهي التي تَنفي الشَّرك. والثاني: ﴿لا إِله إِلا الله والله أكبر ، قاله ابن عمر. وعن علي بن أبي طالب كالقولين. والثالث: ﴿لا إِله إِلا الله وحده لا شريك له له المُلك وله الحمد وهو عل كل شيء قدير »، قاله عظاء بن أبي رباح. والرابع: ﴿لا إِله إِلا الله محمد رسول الله »، قاله عظاء الخراساني. والمخامس: ﴿له المرحمن الرحيم قاله الزهري. فعلى هذا يكون المعنى أنه لمنا أبي المشركون أن يكتُبوا هذا في كتاب الصُّلح ، الزمه الله المؤمنين ﴿وَكُ كَانُوا ﴿الله الله قال الله تعالى.

﴿ لَقَدْ مَدَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ الزُّمَّا بِالْحَقِّ لَتَدَخُلُنَ الْسَعِدَ الْحَرَامَ إِن شَآةَ اللَّهُ عَايِنِكَ مُحْلِقِينَ رُمُوسَكُمْ وَمُعَيِّرِينَ لَا غَنَانُوكَ لَمُّكُمْ مَلَكُولِهُ اللَّهِ مَا لَمْ تَمْدَلُوا فَجَمَدَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتُمَّا قَرِبُ إِلَّهُ مَلَ اللَّذِي كُلُودَ اللَّذِي الْرَبُلُ وَاللَّهُ بِاللَّهُ مَا لَمُ لَذِي كُلُودُ وَكُفَى مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا لَمُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّالِمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّ

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَفَ اللّهُ رَسُولُهُ الرُّمَا الْمُعَلِّ عَال المفسرون: سبب نزلها أن رسول الله على كان أري في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: ﴿ لَنَمُّئُنَ الْسَتْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لاَ غَنَائُونَ ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يدخُلون مكة وقد حَلقوا وقصَّروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلمّا خرجوا إلى الحديبية حَسِبوا أنهم يدخُلون مكة في عامهم ذلك، فلمّا رجعوا ولم يدخُلوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟! فنزلت هذه الآية (٢٠) فلخلوا في العام المقبل. وفي قوله: ﴿ إِن شَاءَ اللهُ ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن وإن بمعنى وإذا، قاله أبو عبيدة، وابن

⁽١) روى الترمذي في قسنته ١٥٩ قال: حدثنا الحسن بن قرّمة البصري، حلثنا سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن الطفيل بن أبي تعديث أبي عن أبيه عن الطفيل بن أبي تعديث أبي عن النبي الله و التركيب المركية التُوكِّنُ قال: ولا إله إلا الله قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نمرقه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، قال: وسألت آبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الرجه. اهد. وثوير بن أبي فاختة ضعيف، ورواه الطبري ٢٦/ ١٩ وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في قزوائد المسند، والمداوقطني في والافراد، وابن مردويه، وابن مردويه عن أبي هريرة الله مرفوعاً، ومن رواية والبيه عن أبي هريرة الله مرفوعاً، ومن رواية ابن مردويه عن أبي هريرة الله مرفوعاً،

⁽٢) روى سبب النزول هذا البغوي والخازن هكذا بغير سند. ورواه الطبري ٢٦/٧٦٦ من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَكَ اللهُ وَسُولُهُ الزُّبَا وَالْمَقِيُ ﴾ إلى آخر الآية، قال: قال لهم النبي ﷺ: وآتي قد وأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين، فلما نزل بالحديبية، ولم يدخل ذلك العام، طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَنَدْ صَدَكَ اللهُ رَسُولُهُ الزُّبَا بِالْحَيْ ﴾ فقرا حتى بلغ ﴿وَسَتَشِينَ لَا العام، ولمي نقل العام، ولمي نقل.

وروى الطبري أيضاً من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿الرُّمَّا بِالْحَيِّ ﴾ قال: أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلَّقين، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد ﷺ. وذكره السيوطي في «المد» ٦/ ٨٠ وزاد نسبه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد.

قتيبة. والثاني: أنه استثناء من الله، وقد عَلِمه، والخَلْق يستثنون فيما لا يَعْلَمون، قاله ثعلب؛ فعلى هذا يكون المعنى أنه عَلِم أنهم سيدخُلونه، ولكن استثنى على ما أمر الخَلْق به من الاستثناء. والثالث: أن المعنى: لتدخُلُنَ المسجد الحرام إن أمركم الله به، قاله الزجاج. والرابع: أن الاستثناء يعود إلى دخول بعضهم أو جميعهم، لأنه عَلِم أن بعضهم يموت، حكاه الماوردي. والخامس: أنه على وجه الحكاية لما رآه النبيُّ ﷺ في المنام أن قائلاً يقول: ﴿لَتَدَخُلُنَ ٱلسَّحِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ عَلِيفِ والخوف، فأمّا الدُّخول، فلا شَكَّ فيه، حكاه القاضي أبو يعلى. والسادس: أنه يعود إلى الأمن والخوف، فأمّا الدُّخول، فلا شَكَّ فيه، حكاه الثعلبي (1).

قوله تعالى: ﴿ اَمِنِينَ ﴾ من العَدُوِّ. ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَيِّرِينَ ﴾ من الشَّعر (٢) ﴿ لَا غَنَانُونَ ﴾ عدواً. ﴿ لَمَلِمَ مَا لَمْ مَنَانُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عَلِم أن الصَّلاح في الصَّلح. والثاني: أن في تأخير الدُّخول صلاحاً. والثالث: فعلم أن يفتح عليكم خير قبل ذلك .

قوله تعالى: ﴿فَجَمَلَ مِن دُونِ ذَالِتَ فَتَمَا قَرِبًا﴾ فيه قولان: أحلهما: فتح خيبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: صلح الحديبية، قاله مجاهد، والزهري، وابن إسحاق، وقد بينًا كيف كان فتحاً في أول السورة. وما بعد هذا مفسر في [براء: ٣٣] إلى قوله ": ﴿وَكَفَنَ بِاللّهِ شَهِديدًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شَهِدَ له على نَفْسه أنه يُظْهِره على الدّين كُلّه، قاله الحسن. والثاني: كفى به شهيداً أن محمداً رسوله، قاله مقاتل.

﴿ تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ أَشِدَاهُ عَلَى الكُمَّارِ رُحَمَّاهُ بَيْنَهُمْ وَكُمَّا سُجَدًا بَيْنَعُونَ فَشَلَا مِنَ اللّهِ وَرَضُونَا سِبمَاهُمْ فِي وَمُحُوهِهِم مِنْ أَنْرِ الشَّجُودُ دَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التَّوْرَيْةُ وَمَثَلُعُرْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَيْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَةُ فَانَوَهُ فَاسْتَقَلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى شُوقِهِ. يُشْجِبُ الزُّنَاعَ لِيَغِيظَ يَهُمُ الكُفَّالُّرُ وَعَدَ اللّهُ الذِينَ مَامِنُوا وَعِيلُوا الفَتلِيخَاتِ مِنْهُم مَنْفِرَةً وَلَجَرًا عَظِيئًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ عُمَّنَدٌ رَسُولُ اللهِ وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وأبو المتوكل، والجحدري: المحمداً رسول الله، بالنصب فيهما. قال ابن عباس: شَهِد له بالرِّسالة.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مَمَهُ مُهُ يعني أصحابه، والأشدّاء: جمع شديد. قال الزجاج: والأصل: أَشْدِدَاءُ، نحو نصيب وأنصباء، ولكن الدّالَين تحركنا، فأدغمت الأولى في الثانية، [ومثله] ﴿ مَن يَنَدَّ مِنكُمْ ﴾ [المائدة: ١٤٥].

قوله تعالى: ﴿ رُحَمَّاهُ بَيْنَهُمْ ﴾ الرُّحماء جمع رحيم، والمعنى أنهم يُعْلِظون على الكفار، ويتوادُّون بينَهم (١) ﴿ تَرْبُهُمْ رُكُما سُجّدًا ﴾ يَصِفُ كثرة صَلاتهم ﴿ يَبْتَثُونَ فَشَلا مِنَ اللّهِ ﴾ وهو الجنة ﴿ رَبِضَوْنَا ﴾ وهو رضا الله عنهم. وهذا الوصف لجميع الصحاية عند الجُمهور (٥) وروى مبارك بن فضاله عن الحسن البصري أنه قال: ﴿ وَالَّذِن مَعَهُ ﴾ أبو بكر ﴿ أَشِلَاهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى إِن أبي طالب ﴿ يَبْتَعُونَ فَشَلا يَنَ اللّهِ وَرَضَوَنَا ﴾ طلحة والزبير

⁽١) قال ابن كثير: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الإستثناء في شيء.

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿ مُنْكِنِهُ رُدُكُمْ مُنْكَبِينَ ﴾ حال مقدرة، لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه، ومنهم من قصره. اهد. وقد روى مسلم في «صحيحه ١٤٦/٢ عن أبي هريرة ﷺ قال: تال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: (وللمقصرين، قال: (وللمقصرين، قال: (وللمقصرين، قال: (اللهم المحلقين، قالوا:) رسول الله وللمقصرين، قال: (اللهم المحلقين، قالوا:)

⁽٤) قال ابن كثير: وهذه صفة المؤمنين، أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار رحيماً برُّا بالأخيار، غضوباً بي وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّا الَّذِينَ مَاتُوا الَّذِينَ لَيْ السَّفَاءِ وَلَيْتِهُمْ مِنَ السَّفَاءِ وَلَيْتِهُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ وَلَكُ السَّفَاءِ وَلَيْتُهُمْ عَلَى اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَى اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَكُ اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَكُ اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ وَمَا لللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا لِكُونَا اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لِللهُ عَلَيْكُمُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمُ وَلَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا لِلللهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ وَلَا لِلللهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لِللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْكُمُ وَلَا لِلللهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لِلللّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لِللّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لِلللّهُ عَلَيْكُمُ وَلِي اللّهُ عَلَيْكُمُ وَلِي لِلللهُ عَلَيْكُمُ وَلِمُ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا لَلْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُمُ وَلِمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ وَالْتُوالِقُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ ا

 ⁽٥) قال ابن كثير: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَرَبُهُمْ ثُكُمُ سُجُكَا يَبَتُونَ فَشَالاً بَنَ أَلَيْ وَيُحْوَثَا ﴾ وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها له هي والاحتساب عند الله تعالى جنول الثواب وهو الجنة المشتملة على قضل الله هي وهو سعة الروق عليهم ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول. كما قال جل وعلا: ﴿ وَيَصُونُ أَيْنَ لَهُو أَسَحَيْنَ ﴾. اهـ،

وعبد الرحمن وسعد وسعيد وأبو عبيدة (١).

قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمُ أَي: علامتهم ﴿ فِي وَجُوهِهِم ﴾، وهل هذه العلامة في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السَّمْت الحسن، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة؛ وقال في رواية مجاهد: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسَمْتُه وخُشوعُه، وكذلك قال مجاهد: ليس بِنَدَبِ التراب في الوجه، ولكنه الخُشوع والوقار والتواضع. والثاني: أنه نَدَى الطَّهور وترى الأرض، قاله سعيد بن جبير. وقال أبو العالية: لأنهم يسجُدون على التراب لا على الأثواب. وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حَمَلتْ جباهُهم من الأرض. والثالث: أنه السُّهوم (٢)، فإذا سهم وجه الرجُل من الليل أصبح مُصفارًا. قال الحسن البصري: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي رَجُوهِهِم ؛ الشَّفرة؛ وقال سعيد بن جبير: أثر السهر؛ وقال شمر بن عطية: وهو تهيَّج في الوجه من سهر الليل. والقول الثاني: أنها في الآخرة (٣). ثم فيه قولان: أحدهما: أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشدً وجوههم بياضاً يوم القيامة، قاله عطية العوفي، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، والزهري. وروى العوفي عن ابن عباس قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يم ما القيامة، والثاني: أنهم يُعتون غُراً محجَّلين من أثر الطَّهور (١٤)، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَنَاهُمُ اَي: صِفَتُهم؛ والمعنى أن صفة محمد وأصحابه ﴿ فِي التَّوْرَانِيُّ هذا. فأما قوله: ﴿ وَمَنَلُمُ فِي النَّوراة هو مَنَلُهم في الإنجيل. قال مجاهد: مَنَلُهم في التوراة هو مَنَلُهم في الإنجيل فهو قوله: ﴿ كَرْجُ ﴾ مَنَلُهم في التوراة فأمّا مَنْلُهم في الإنجيل فهو قوله: ﴿ كَرْجُ ﴾ وهذا قول الضحاك، وابن زيد (٥). والثالث: أن مَثَلَهُم في التوراة والإنجيل كزرع، ذكر هذه الأقوال أبو سليمان الدمشقى.

قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ شَطْكُمُ ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: [قشَطَأَهُ بفتح الطاء والهمزة. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: قشطأهُ بسكون الطاء. وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة. وقرأ أبيُّ بن كعب، وأبو العالية، وابن أبي عبلة]: قشطاءَهُ بفتح الطاء [وبالمد] والهمزة وبالف. قال أبو عبيدة: أي: فِراخه يقال: أشطأ الزَّرعُ فهو مُشْطِئُ: إذا أفرخ ﴿ قَانَزَنَهُ اي: ساواه، وصار مثل الأمِّ، وقرأ ابن عامر: قاأزَرَهُ مقصورة الهمزة مثل فَمَلُهُ. وقال ابن قتيبة: آزره: أعانه وقواه ﴿ قَاسَتَغَلَظُ ﴾ أي: غَلُظ ﴿ فَآسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِيه ﴾ وهي جمع قساق، وهذا مَثلٌ ضربه الله فل للنبي تلله إذ خرج وحده، فايده بأصحابه، كما قوَّى الطّاقة من الزَّرع بما نبت منها حتى كَبُرتُ (٢٠ وغَلُظت واستحكمت. وقرأ ابن كثير: قعلى سُؤقه مهموزة؛ والباقون: بلا همزة. وقال قتادة: في الإنجيل: سَيخرجُ قومٌ ينبتُون نبات الزَّرع (٧٠). وفيمن أريد بهذا المثل مهموزة؛ والباقون: بلا همزة. وقال قتادة: في الإنجيل: سَيخرجُ قومٌ ينبتُون نبات الزَّرع (١٠). وفيمن أريد بهذا المثل قولان: أحدهما: أن أصل الزَّرع: عبد المطلب ﴿ أَشَرَعَ شَطْنَهُ ﴾: أخرج محمداً في ﴿ فَارَبُوهُ ﴾: بأبي بكر ﴿ فَاسَتَفَلَظُ ﴾: بعمر ﴿ فَاسَتَفَلَظُ ﴾: بعثمان ﴿ فَلَ سُوقِه ﴾ : بعثمان ﴿ فَلَ سُوقِه ﴾ : علي بن طالب، وواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (٨٠). والثاني: أن المراد بالزَّرع:

⁽١) اللغة لا تحتمل هذا التأويل، وليس مع الحسن نقل يثبت عن رسول الله ﷺ. ومبارك بن فضالة الراوي عن الحسن موصوف بالتدليس.

 ⁽٢) قال في «اللسان»: الشَّهام والسُّهام: الضُّمر وتغير اللون وذُبول الشَّفَتَين. سَهَمَ، بالفتح، يَسْهَمُ سُهاما وسُهوماً، وسَهُم أيضاً، بالضم، يَسْهُمُ سُهوماً
فيهما، وشهِمَ يُسْهَمُ، فهو مَسْهومٌ: إذا ضمُرَ.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذي وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، قال: ولم يخص ذلك على وكل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك على حكل الأعرف به، وذلك الغُرَّة في الوجه، في الدنيا أثر الإسلام، وذلك عند عرفون به، وذلك الغُرَّة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود. اهـ.

⁽٤) روى البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن أبي هريرة رضي أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنْ أَمْنِي يَأْتُونَ يُومِ القيامة غرّاً محجَّلين من أثر الوضوء، واللفظ لمسلم.

⁽٥) وهو الذي اختار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما. (٦) كذا الأصل، وفي اغريب القرآن»: حتى كثُرتْ.

⁽٧) قال ابن كثير: أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيَّدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع.

⁽A) هذا تأويل بعيد، وليس تفسيراً لظاهر لفظ القرآن، وقد ذكر مثل هذا المعنى السيوطي في «الدر» ٣/٦ من رواية ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عباس، والله أعلم بصحته، وكذلك الخبر الذي بعد هذا من رواية الضحاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن، والأولى في ذلك أن يكون هذا مثلاً لأصحاب رسول الله عني الإنجيل على العموم، ولا شك أن هؤلاء أفضل من غيرهم، فهم داخلون بطريق الأولى.

محمد (١) ﷺ ﴿ لَغْرَجُ شَطْعَتُمُ ﴾: أبو بكر ﴿ فَقَانَدُمُ ﴾: بعمر ﴿ فَآسَتَغَلَظُ ﴾: بعثمان ﴿ فَآسَتَوَىٰ عَلَ سُوفِهِ ﴾: بعليّ. ﴿ يُسْجِبُ النَّوْعَ ﴾ : بعليّ. ﴿ يُسْجِبُ النَّوْعَ ﴾ : بعليّ النُّوعَ ﴾ : يعني المؤمنين ﴿ لِيَغِيظُ بِهِمُ الكُفَّادُ ﴾ وهو قول عمر الأهل مكة : الا يُعْبَدُ الله سِرّاً بعد اليوم، رواه الضحاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن.

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيظَ بِهُمُ الكُفَّارُ ﴾ أي: إنَّما كثَّرهم وقوَّاهم لِيَغيظ بهم الكُفّار. وقال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وقال ابن إدريس: لا آمَنُ أن يكونوا قد ضارعوا الكُفّار، يعني الرَّافضة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِظَ بِهُمُ الكُفّارُ ﴾(١).

قولم تعالى: ﴿ وَهَدَ اللّهُ الّذِينَ مَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الْعَنْلِحَنْتِ مِنْهُم مَّقْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال الزجاج: في اومن قولان: أحدهما: أن يكون تخليصاً للجنس من غيره، كقوله: ﴿ فَاجْتَكِبُواْ الرِّجْسَ مِن الْأَوْشُنِ ﴾ [العج: ٢٠]، ومثله أن تقول: أَنْفِقْ من الدَّراهم، أي: اجعل نفقتك من هذا الجنس. قال ابن الأنباري: معنى الآية: وعَدَ الله الذين آمنوا من هذا الجنس، أي: من جنس الصحابة. والثاني: أن يكون [هذا] الوغدُ لِمن أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح (٢٠).

* * *

⁽١). - في الأصل: (محمداً).

⁽٢) ولا يجوز لمسلم أن يطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، أو يتعرض لهم بسوء، أو يضعر في قلبه بفضاً لأحد منهم، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي قال: قال النبي ﷺ: ولا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنقق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه، وروى مسلم عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وأصحابي أمنة لأمتي، فإنا ذهب أصحابي أتاهم ما يوحدون، أي من الفتن.

⁽٣) قال ابن كثير في تتمة الآية: ﴿ تُنفِيزَكُ أي للنّوبهم ﴿ وَلَجُّرًا عَظِيمًا ﴾ أي ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، قال: ووعد الله حتّى وصدق، لا يخلف ولا يبدّل، وكل من اقتضى أثر الصحابة ، فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة في وأرضاهم، وجعل جنات القردوس مأواهم، وقد فعل. اهـ.

سورة الحجرات

وهي مدنيَّة بإجماعهم

روى ثوبان عن رسول الله على أنه قال: (إن الله أعطاني السّبع الطُّول(١) مكان النوراة، وأعطاني المبنين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الرّبور المَثاني، وفضلني ربّي بالمفصّل(٢). أمّا السّبع الطُّوَل فقد ذكرناها [اعند قوله ع الإنجيل، وأعطاني مكان الرّبور المَثاني، وفضلني ربّي بالمفصّل (٢). أمّا السّبع الطُول، وإنما سمّيت بالمبنين، لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو تُقاربها، والمَثاني: ما ولي المبنين من السُّور التي دون المائة، كأن المبنين مَباد، وهذه مَنانٍ، وهذه منانٍ، وهذه منانٍ، فهو ما يلي المثاني من قصار السُّور، وإنما سمّيت مُفصّلاً لِقِصِرَها وكثرة الفُصُول فيها بسطر: بسم الله الرحمن الرحيم. وقد ذكر الماوردي في أول الفسيره، في المُفصّل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من أول سورة (محمد) إلى آخر القرآن، قاله الأكثرون. والثاني: من سورة (قاف) إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة. والثالث: من (الضّحي) إلى آخره، قاله ابن عباس (٤).

ينسب ألَّو الكِّنِ الرَّجَيدِ

﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نُفَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِيدٌ وَالْفُؤَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا مَّرْفَعُوٓا أَسَوَتُكُمْ فَوْقَ

- (۱) السَّبْع الطُّوّل، بضم الطاء وفتح الواو، جمع الطولى، مثل «الكُبر» و«الكُبرى». قال ابن جرير الطبري: والسبع الطُّوّل: «البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائلة، والأنمام، والأعراف، ويونس، في قول سعيد بن جبير، قال: وإنما سميت هذه السور: السبع الطول، لطولها على سائر سور القرآن. اهـ. وقال ابن كثير: قال سعيد ابن جبير: بيّن فيهن الغرائض والحدود والقصص والأحكام، وقال ابن عباس بيّن الأمثال والخبر والبيّر. اهـ.
- (۲) أخرجه البغوي في «التفسير» بإستاد الثعلبي عن ثوبان ، ونيه ضعف، ورواه أحمد في «المسند» ۱۰۷/۶، و«الطبري» ۱۰۰/۱ عن واثلة بن الأسقع شه من طريق أبي داود الطيالسي عن أبي العوام عن قتادة عن أبي العليج عن واثلة، وإسناده صحيح. وذكره الهيشمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٥ من حديث واثلة، وقال: رواه أحمد، والطبراني بنحوه.
 - (٣) زيادة ليست في الأصل.
- (٤) قال ابن كثير في أول سورة (ق) هذه السورة هي أول الحزب المفصّل، وقيل: من (الحجرات)، قال: وأما ما يقول العوام: إنه من (عم) فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء 🚓 المعتبرين فيما نعلم، قال: والثليل على أن هذه السورة (يعني سورة (ق) هي أول المفصل، ما رواه أبو داود في فسننه: قباب تحزيب القرآن، ثم قال: حدثنا مسدَّد، أخبرنا قُرَّان (الأصل: قراب وهو خطأ) ابن تمام ـ ح ـ وحدثنا عبد الله بن صعيد أبو سيعد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حبان، وهذا لفظه عن عبد اله بن عبد الرحمن بن يملي، عن عشمان بن عبد الله بن أوس عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثنيه أوس بن حذيقة، ثم اتفقاء قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وقد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ﷺ، وأنزل رسول اله 纖 بني مالك في قبَّة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول اله 纖 قال: كان رسول اله 纖 كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قريش، ثم يقول ﷺ: الا سواء (في ابن كثير: ﴿لا أَصَاءٌ وفي "تهليب السننَّ ﴿لا أَنسَى وكلاهما خطأً) وكنا مستضعفين مستَذلين، قال مسند: بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم، نُدال عليهم، ويُدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: اإنه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه، قال أوس (يعني ابن حذيفة) سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يحزّبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. قال ابن كثير: رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به. قال: ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن ـ هو ابن يعلى الطائفي ـ به، ثم قال ابن كثير: إذا علم هذا، فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة، فالتي بعدهن سورة (ق) بيانه: الثلاثه: البقرة، وآل عمران، والنساء، وقوخمس؛ الثائلة، والأنعام، والأعراف، والأنقال، ويراءة. فوسيمه: يُونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل. فوتسمه: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج؛ والمتزمتون، والنور، والفرقان. فوإحدى عشرَة؛ الشعراء، والنمل، والمقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وآلم السجدة، والأحزاب، وسيأ، وقاطر، ويس. قوثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر. وغافر، وحم السجدة، وحم عسق، والزخرف، والمدخان، والجاثية، والأحقاف، والفتال، والفتح، والحجرات. ثم يعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة 🚓، قال: فتمين أن أوله سورة (ق) وهو الذي قلنا، ولله الحمد والمنة. اهـ.

مَنَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا جَمْهَرُوا لَمُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَسِيْكُمْ لِبَعْنِ أَن تَعْبَطُ أَعْمَلُكُمْ وَأَشَرْ لَا تَشَّعُرُهُنَ ۞ إِنَّ الَذِينَ يَغُفُّونَ أَمَنُونَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَتِهِكَ الَّذِينَ آمَتَحَنَ اللَّهُ مُلُوبُهُمْ لِلنَّقَرَئُ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرُ عَظِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِيُّهُ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنْ رَكْباً من بني تميم قَلِموا على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بنَ معبد، وقال عمر: أمِّر الأقرعَ بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خِلافي، وقال عمر: ما أردتُ خلافَك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتُهما، فنزل قوله: ﴿ يَتَأَيُّما الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نُقَدِمُوا بَيْنَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَوْ أَنْهُمْ مَ بَرُوا ﴾، فما كان عمر يُسْمِع رسول الله على [بعد هذه الآية] حتى يستفهمه، رواه عبد الله بن الزبير(١٠). والثاني: أن قومًا ذَبحوا قبل أن يُصَلِّى رسولُ الله ﷺ يومَ النَّحر، فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يُعيدوا الذَّبح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن(٢). والثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يقولون: لو أنزَلَ الله فِيَّ كذا وكذا! فكره الله ذلك، وقدَّم فيه، قاله قتادة^(٣). والوابع: [أنها] نزلت في عمرو بن أميّة الضَّمْري، وكان قد قتل رجُلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسولَ الله ﷺ، قاله ابن السائب(٤). وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة (٥٠). وروى العوني عنه قال: نُهوا أن يتكلَّموا بين يَدّيُ كلامه(١٦). وروي عن عائشة ﷺ في هذه الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصومَ نبيُّكم(٧). ومعنى الآية على جميع الأقوال: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقولَ رسول الله ﷺ أو يفعل. قال ابن قتيبة: يقال فلانٌ يُقَدِّم بين يَدَي الإمام وبينَ يَدَي أبيه، أي: يُعجِّل بالأمر والنهي دونه. فأمّا فتُقدِّموا، فقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك وابن سيرين، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب: بفتح التاء والدال؛ وقرأ الباقون: بضم التاء وكسر الدال. قال الفراء: كلاهما صواب، يقال: قَدَّمْتُ، وتَقَدَّمْتُ؛ وقال الزجاج: كلاهما واحد؛ فأمّا (بينَ يَدَي الله ورسولِهِ) فهو عبارة عن الأمام، لأن ما بين يَدَي الإنسان أمامَه؛ فالمعنى: لا تَقَدَّموا قُدَّام الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا نَرْنَمُوا أَسُوتَكُمْ فِي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر وعمر رفعا أصواتهما فيما ذكرناه آنفاً في حديث ابن الزبير، وهذا قو ابن أبي مليكة (٨). والثاني: [أنها] نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، وكان

⁽١) رواه البخاري في «صحيحه ٨٤٤٨ عن عبد الله بن الزبير ﷺ، باب: ﴿إِنَّ ٱلْإِنِي يُلَدُنِكَ بِن رَيَّامَ ٱلمُشْجَرِتِ أَصَّتَكُمْمُ لا يَسْتِهْلُونَ ﴾ ما دون قوله: فعما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه فإنه ذكره في الباب الذي قبله من سورة الحجرات ٨/ ٤٥٢ باب: ﴿لا تَرْقُمُوا ٱلنَّوْتَكُمُ فَقَ سَرْتِ ٱلنِّينَ ... ﴾ الآية من حديث ابن أبي مليكة، ثم قال: قال ابن الزبير: فعا كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه يريد بذلك قوله تعالى: ﴿لا تَرْمُوا ٱسْرَتُكُمُ فَقَ سَرُتِ ٱلنِّينِ ... ﴾ الآية. والحديث ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨ بسنده، دون قول ابن الزبير: فعما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه وأورده البيوطي في «الدر» ٢/ ٨٣ بنحوه من رواية البخاري، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن النسريطي.

 ⁽۲) ذكره الطبري عن الحسن يغير سند ۲۱۷/۲۱، وأورده السيوطي في «الدر» ۸٤/۱ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

⁽٣) رواه الطبري ١١٧/٢٦ عن فتاهة، وذكره السيوطي في اللدو، ٦/٤٪ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

⁽٤) ذكره الآلوسي بمعناه بغير سند ولم يعزه لأحد.

⁽٥) رواه الطبري ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٨٤/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية» عن ابن عباس را

⁽١) ﴿ ﴿ الْطَبْرِي ٤ ١١٦/٢١، وذكره السيوطي في ﴿ اللَّهِ ٩ / ٨٤ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس الله

⁽V) ذكره السيوطي في اللد، ٦/ ٨٤ من رواية الطبراني في «الأوسط» وابن مردويه عن عائشة والما.

⁽A) رؤاه البخاري في الصحيحة ٨/ ٤٥٢ باب ﴿لا تَرَفَّوا أَسَرَدَكُمْ فَنَ سَرْبِ النِّي ...﴾ الآية، من حديث نافع عن ابن أبي مليكة قال: كادَ الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر ﴿ وَهَا أصواتهما عند النبي ﴿ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس آخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿ يَكُنُّ اللَّذِينَ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَ

جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فربما كان إذا تكلُّم تأذَّى رسولُ الله ﷺ بصوته، قاله مقائل (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا بَحَهُرُوا لَهُمُ بِالْقَوْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الجهر بالصَّوت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تَدْعوه باسمه: يا محمد، كما يدعو بعضُكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول ش، ويا نبيَّ الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَن تَعَبَطُ﴾ قال ابن قتيبة: لثلا تَحْبَطَ. وقال الأخفش: مَخافة أن تَحْبَطَ. قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المَنْزلة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنُشُونَ أَصَّوَتُهُمْ﴾ قال ابن عباس: لمّا نزل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُواْ أَسَرَتُكُمْ﴾ تالَّى أبو بكر أن لا يكلّم رسول الله ﷺ إلّا كأخي السّرار، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إِنَّ اللّذِينَ يَنُفُنُونَ أَصَّوَتُهُمْ﴾، والغَضُّ: النّقص (٢٠ كما بيّنًا عند قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنُفُنُوا ﴾ النور: ٢٠]. ﴿أَوْلَتِكُ ٱلّذِينَ آمْتَكُنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: أخلصها ﴿لِلنّقُونَ ﴾ من المعصية، وقال الزجاج: اختبر قلوبهم فوجدهم مُخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب والفضة، أي: اختبرتهما بأن أذبتهما حتى خَلَصا، فعلمت حقيقة كل واحد منهما. وقال ابن جرير: اختبرها بامتحانه إيّاها، فاصطفاها وأخلصها للتّقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ بُنَادُونَكَ مِن وَلَلَوَ لَلْمُجُرَّتِ أَكُنَّكُمْ لَا بَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنْهُمْ صَبَمُوا حَقَّ مَنْجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَبُرُ لَهُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّجِمَةُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي يُتَادُونَكَ مِن وَلِكَوَ ٱلمُّجُرُتِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن بني تميم جاؤوا إلى رسول الله على فنادُوا على الباب: يا محمد اخرُج إلينا، فإنَّ مَدْحَنا زَيْن وإن ذَمَّنا شَيْن، فخرج وهو يقول: إنما ذلكم الله، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جننا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال: قما بالشعر بُعِمْتُ ولا بالفخار أمِرْتُ، ولكن هاتوا، فقال الزبرقان بن بدر لشابّ منهم: قُمْ فاذكُر فَضْلك وفَضل قومك، فقام فذكر ذلك، فأمر رسولُ الله على ثابت بن قيس، فأجابه: وقام شاعرُهم، فأجابه حسان، فقال الأقرع بن حابس: والله ما أدري ما هذا الأمر؟! تكلّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وتكلّم شاعرُنا فكان شاعرُهم أشعَر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله في فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله وسول الله في فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله والزبرقان بن بدر، [وقيس بن عاصم المنقري]، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام، وهما نهشلبًان، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع أ. والثاني: أن رسول الله بعث سريَّة إلى بني العنبر، وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلمّا عليموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذّراري، فقدِموا وقت الظهيرة الفزاري، فلمّا عليموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذّراري، فقدِموا وقت الظهيرة الفزاري، فلمّا عليموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذّراري، فقدِموا وقت الظهيرة الفزاري، فلمّا عليهم عينة بن حصن الفيالهم، فسباهم عينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذّراري، فقدِموا وقت الظهيرة الفزاري، فقدِموا وقت الظهيرة الفزاري، فقد عليهم عينة بن حصن الفرية المؤرون الذّراري، فقد عليهم عينة بن حصن الفرية المؤرون الذّراري، فقد عن وكيع بن وكيع بن وكيع بن وكيع أن عليهم عينة أن عبد أنه وحاله الله المؤرون الذّراري، فقد عن وكيه المؤرون الذّرون المؤرون المؤرور وتركوا عيالهم فيباهم عينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذّراري، فقد عن وكيه عن وكيه عن وكيه المؤرور وتركوا عيالهم فيباهم عينة بن وكيه عن وكيه المؤرور وتركوا عيالهم فيباهم عينة بن وكيه عن وكيه عن وكيه وكيه المؤرور وتركوا عياله المؤرور وتركوا عياله المؤرور وتركوا عيالهم المؤرور وتركوا عياله المؤرور وتركوا عيالهم المؤرور وتركوا عياله عليه المؤرور والمؤ

⁽۱) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ۲۱۸ بغير سند، ولم يعزّه لأحد. وحديث ثابت بن قيس بن شماس رواه البخاري في «صحيحه» // ۲۵۵ من حديث موسى بن أنس، عن أنس بن مالك في أن النبي على انتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأناه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي على فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأني الرجل النبي الله فأخبره أنه قال كلا وكذا، فقال موسى (يعني ابن أنس) فرجع إليه المرة الأخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجناني عن أنس بن مالك في، وأورده السيوطي في «اللاء ٢/ ٨٤ وزاد نسبته من أهل الجناني على أنس بن مالك في.

⁽٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٩ عن ابن عياس يغير سند، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبي بكر قال: لما نزل ﴿ يَكُنُّ اللَّيَةُ كَامَنُوا لا رَفَعُوا أَسَرَقَكُمْ فَقَ صَوْتِ النَّبِيّ ﴾ قلت: يا رسول الله آليت الا أكلمك إلا كأخي السّوار حتى ألقى الله، قال: وأخرجه الحاكم والبيهقي في «المدخل» من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ اللَّذِينَ يَتُشُونَ . . . ﴾ الآية، قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السوار حتى ألقى الله ﴿ على شرط مسلم.

 ⁽٣) رواه الواحدي في اأسباب النزول؛ ٢٢٠ مطولاً، من رواية معلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن عمر بن الحكم عن جابر بن عبد الله،
 وفي سنده معلى بن عبد الرحمن الواسطي، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

⁽٤) ذكره الواحدي في اأسباب النزول؛ ٢١٩ عن محمد بن إسحاق بغير سند.

ورسولُ الله على قائل، فجعلوا ينادون يا محمد اخرُج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (١٠). والثالث: أن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض: انطلِقوا بنا إلى هذا الرجُل، فإن يكن نبيّاً نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملِكاً نعش في جناحه، فجاؤوا، فجعلوا ينادون يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية، [قاله زيد بن أرقم] (١٠). فأمّا «الحجرات» فقرأ أبيّ بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، [وأبو جعفر، وشيبة]: بفتح الجيم؛ وأسكنها أبو رزين، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبلة؛ وضمها الباقون. قال الفراء: وجه الكلام أن تُضمَّ الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجُرات والرُّكبات، وربما خفَّفوا فقالوا: «الحُجُرات» والتخفيف في تميم، والتثقيل في أهل الحجاز. وقال ابن قتيبة: واحد الحُجُرات حُجرة، مثل ظُلْمة وظُلُمات. قال المفسرون: وإنما نادَوا من وراء الحُجرات، لأنهم لم يعلموا في أي الحُجَر رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَهُمْ صَبَرُهُا حَنَّى تَمْرُمُ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمَّ﴾ قال الزجاج: أي: لكان الصَّبر خيراً لهم. وفي وجه كونه خيراً لهم قولان: أحدهما: لكان خيراً لهم فيما قَلِموا له من فداء ذراريهم، فلو صَبَروا خلَّى سبيلهم بغير فداء، قاله مقاتل. والثاني: لكان أحسنَ لآدابهم في طاعة الله ورسوله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَنُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: لمن تاب منهم.

﴿ يَتَأَيُّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُو فَاسِنًا بِنَا فَسَيَئُوا أَن شَيبُوا فَرَمًا بِحَهَىٰلَةِ فَنْصَبِحُوا عَلَى مَا نَمَلَتُمْ نَدِمِينَ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّ يَبِكُمُ رَسُولَ اللَّهِ لَوَ يُطِيمُكُو فِي كَبِيرِ مِنَ الْأَمْنِ لَنَيْمُ وَلَئِكِنَ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإبنَىٰ وَزَيْنَهُ فِي فُلُوكُو وَكُونَ إِلَيْهُمُ الْأَلِيصَانُ أُولَئِكُ هُمُ الزَّشِدُونَ ۞ مَعْمَلًا مِنَ اللَّهِ وَيَعْمَةُ وَاللَّهُ عَلِيدُ عَكِدٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ إِن جَاءَكُمُ فَاسِقًا بِنَهِ فَتَنَيْنَا ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، بعثه رسولُ الله ﷺ إلى بني المصطلق لِيَقْبِض صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فسار بعض الطريق، ثم خاف فرجع فقال: إنهم قد منعوا الصدقة وأرادوا قتلي، فصرف رسولُ الله ﷺ البَعْثَ إليهم، فنزلت هذه الآية (٢٠٠). وقد ذكرتُ القصة في كتاب ﴿المُغني وفي الحدائق مستوفاة، وذكرتُ معنى ﴿فَتَهَنِوا في سورة [الناء: ٩٤]، والنّبا: الخبر، وهأنْ بمعنى ﴿فلا »، والجهالة هاهنا: أن يجهل حال القوم، ﴿فَنُسْبِحُوا عَلَى مَا فَمَلَنُهُ مِن إصابتهم بالخطأ ﴿فَيْدِمِينَ ﴾. ثم خوَفهم فقال: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ يَكُمْ رَسُولُ الله عَلَيْ إِن كَذَبتموه أخبره الله فافتضحتم، ثم قال: ﴿ وَلَ يُطِيمُكُمْ فِي كَثِيرِ مِنَ ٱلأَمْرِ وَالفساد. وقال غيره: هو الإثم والهلاك، وذلك أن المسلمين لمّا سَمِعوا أن أولئك القوم قد كَفَروا قالوا: ابْعَثْ إليهم يا رسولُ الله واغرُهم واقْتُلهم؛ ثم خاطب المؤمنين المسلمين لمّا سَمِعوا أن أولئك القوم قد كَفَروا قالوا: ابْعَتْ إليهم يا رسولُ الله واغرُهم واقْتُلهم؛ ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ الله حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِمِنَ فِي الله قال الزجاج: المعنى: فقعل بكم ذلك فضلاً أي: للفضل والنّعمة.

﴿ وَإِن طَاهِفَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْنَنَالُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمْا فَإِنْ بَنَتْ إِسْدَنْهُمَا عَلَ ٱلْأَمْرَىٰ فَتَشِلُوا اللَّهِ مَنْ فَعَنَ اللَّهُ أَمْنِ اللَّهُ فَإِنْ فَآمَتُكُوا اللَّهُ مِنْ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ الْحَوْمِكُونَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الل

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في فتخريج الكشاف: أخرجه ابن مردويه من رواية إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد تالف.

⁽٢) رواه الطبري ٢٦/ ١٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٨٦ وزاد نسبته لابن راهويه، ومسدد، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم ر الله

⁽٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٢ بغير سند، ورواه الطبري من حديث أم سلمة، وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ورواه أحمد في «المسند» من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الحافظ ابن حجو في «تخريج الكشاف»: رواه ابن إسحاق، والطبراني من حديث أم سلمة، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. قال: ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي. وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر. قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين يعثه رسول الله تلك على صدقات بني المصطلق، قال: ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين المائية، ثم قال: وكذا ذكر غير واحد من السلف، منهم ابن أبي ليلي، ويزيد بن رومان، والفسحاك، ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة، والله أعلم.

«الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول لله على: لو أتيتَ عبدَ الله بن أبئ، فركِب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون، فلمّا أتاه النبيُّ ﷺ، قال: إليكَ عنِّي، فوالله لقد آذاني نَتَن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمارُ رسولِ الله أطيبُ ربحاً منك، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابُه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنِّعال، فبلغَنا أنه أنزلت فيهم ﴿وَإِن طَايِّفَنَانِ. . .﴾ الآية (١٠). وقد أخرجا جميعاً من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله على خرج يعود سعد بن عبادة، فمرَّ بمجلس فيهم عبدُ الله بن أبي، وعبدُ الله بن رواحة، فخمَّر ابنُ أبيّ وجهه بردائه، وقال: لا تغبُّروا علينا، فذكر الحديث، وأن المسلمين والمشركين واليهود استَبُوا^(٢). وقد ذكرت الحديث بطوله في «المغني» و«الحدائق». وقال مقاتل: وقف رسولُ الله ﷺ على الأنصار وهو على حمار له، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبئي: أف، وأمسك على أنفه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لَهُوَ أطيبُ ربحاً منك، فكان بين قوم إبن أبئ وابن رواحة ضرب بالنَّعال والأيدي والسَّعَف، ونزلت هذه الآية. والقول الثاني: أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مُماراة في حقٌّ بينهما، فقال أحدهما: لآخذنٌّ حقى عَنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاه الآخر ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، قاله قتادة "". وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج؛ اقتتلوا بالعصى بينهم. وقرأ أبئ بن كعب، وابن مسعود، وأبو عمران المجوني: ﴿اقتتلاً؛ على فعل اثنين مذكَّرين. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وأبو المجون، وابن أبي عبلة: ﴿اقتتلتا، بتاء وألف بعد اللام على فعل اثنين مؤنثتين. وقال الحسن وقتادة والسدي ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيَّنَّهُمَّا ﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷺ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنَّ بَنَتْ إِخَدَنَّهُمَا﴾ طلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح، ﴿فَقَلْنِأُوا أَلَّي تَبْغِ حَتَّى نَعِيَّهُ ﴾ أي: تَرْجِع ﴿ إِنَّا أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي: إلى طاعته في الصلح الذي أمر به.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْسِطُوا ﴾ أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما (١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْتُؤْمِنُونَ إِخَوَةً﴾ قال الزجاج: إذا كانوا متفقين في دينهم رجَموا باتفاقهم إلى أصل النسب، لأنهم لآدم وحواء، فإذا اختلفت أديانهم افترقوا في النسب^(ه).

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ لَخَوَيْكُو قُواْ الأكثرون: [قبين أخويكم،] بياء على التثنية، وقرأ أبيُّ بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، [وقتادة]، وأبو العالمية، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، ويعقوب: قبين إخوتكم، بتاء مع كسر الهمزة على الجمع، وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وابن صيرين: قبين إخوانكم، بالنون وألف قبلها. قال قتادة: ويعني بذلك الأوس والخزرج.

﴿ يَكَأَيُّنَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا يَسْخَرْ فَوْمٌ مِن فَوْمٍ عَمَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْلَهُ مِن فِينَاتُو صَىٰ أَن يَكُنُ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْلَهُونَ عَنَ أَن يَكُونُوا اَنْسُسَكُوْ وَلَا نَنابَرُوا بِالْأَلْفَابُ بِئِسَ الِإِنْمُ الْلُسُوقُ بَشَدَ الْإِيكِنْ وَمَن لَمْ يَتُبُ قَاٰولَتِهِكَ ثُمُ الظِّلِيمُونَ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قُومٌ مِن فَوْرِ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب؛ فأما أولها إلى قوله تعالى: ﴿خَيْرُ مِنْهُمْ

⁽١) رواه البخاري ٢١٨/، ومسلم ٢/١٤٢٤، وذكره السيوطي في «الثر» ٢٠/٦، والحديث رواه أيضاً أحمد في «المسند» وابن جرير الطبري في والنصوب، وذكره السيوطي في «الثر» ٢٠/٦، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مرديه، والبيهقي في «سننه» عن أنس بن مالك .

⁽۲) رواه البخاري ۱۷۳/۸ ، ومسلم ۱٤۲٤/۳.

 ⁽٣) ذكره السيوطي في اللده ٩٠/٦ من رواية عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة قال: ذكر لنا هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار
 كانت بينهما مماراة . . . الخ.

⁽٤) وتئمة الآية ﴿إِنَّ أَلْنَهُ يَجُبُّ ٱلْنَهُ عِلَيْهُ أَي: إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط اهـ. وهو العدل، وروى مسلم في اصحيحه، ٢٠ ١٤٥٨ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ. إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يدبه يعين. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُواهـ...

٥) قال ابن كثير، ﴿إِنَّا ٱلنَّوْسُونَ إِخَوْ ﴾ أي الجميع إخوة في الدين، كما قال وسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وفي «الصحيح»: «والله في حون العبد ما كان في حون أخيه» وفي «الصحيح» أيضاً: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله والأحاديث في هذا كثيرة. قال: وفي «الصحيح»: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتراصلهم كمثل الجسد إلى مته عضو تعلمى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وفي «الصحيح» أيضاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه ﷺ. اهد.

فنزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شمَّاس جاء يوماً يريد الذُّنُوُّ من رسول الله ﷺ، وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبتَ مجلساً، فجلس مُغْضَباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان. فقال ثابت: أنت ابن فلانة!! فذكر أمّاً له كان يعيّر بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسَخَرْ قَوْمٌ مِن فَوْرٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْلًا مِنْهُمٌ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس(١١). والثاني: أن وفد تميم استهزؤوا بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ لِما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل(٢٠٠). وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِن نِسَآيَ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ عيَّرن أمَّ سَلَمَة بالقِصَر، فنزلت هذه [الآية]، قاله أنس بن مالك (٢٠). وزعم مقاتل أن عائشة استهزأت من قِصَر أمّ سَلَمة. والثاني: أن امرأتين من أزواج رسول الله ﷺ سَخرتا من أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، وكانت. أم سلمة قد خرجت ذات يوم وقد ربطت أحد طرفي جلبابها على حَقُوها، وأرخت الطرف الآخَر خلفها، ولا تعلم، فقالت إحداهما للأخرى: انظُري، ما خَلْفَ أم سلمة كأنه لسان كلب، قاله أبو صالح عن ابن عباس (٤). والثالث: أن صفيَّة بنت حُيني بن أخطب أتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيِّرنني ويقُلن: يا يهودية بنت يهوديَّين، فقال رسول الله ﷺ: دهلًا قُلْتِ: إن أبى هارون، وإن عمَّى موسى، وإن زوجي محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس(٥). وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا نَلْمِزُوٓا أَنْسُكُمُ وَلَا نَنَابُوۡا بِالۡأَلۡقَابُ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة ولهم ألقاب يُدْعَون بها، فجعل الرجل يدعو الرجل بلقَبه، فقيل له: يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا نَنَابُرُهُا بِالْأَلْقَابِ ﴾، قاله أبو جبيرة بن الضحاك(١٠). والثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة، فقال له الرجل: يا ابن اليهودية، فنزلت: ﴿وَلَا نَنَابُوا بِالْأَلْمَاتِ﴾، قاله الحسن. والثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي كلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما ﴿وَلَا نَلْمِزُوٓا أَنْنُسَكُمُ وَلَا نَنَابُنُوا بِٱلْأَلْفَنْبِ ۗ﴾ قاله مقاتل. وأمّا التفسير، فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ فَرْمٌ يَن فَوْرٍ ﴾ أي: لا يستهزئ غنيّ بفقير، ولا مستور عليه ذُنْبُه بمن لم يُستَر عليه، ولا ذو حَسَب بلثيم الحَسَب، وأشباه ذلك ممّا يتنقصه به، عسى أن يكون عند الله خيراً [منه]. وقد بيَّنَا في البقرة: ١٥٤ أن القوم اسم الرجال دون النساء، ولذلك قال: ﴿وَلَا نِسَامٌ مِن لِسَامٍ﴾ وفتَلْمِزوا، بمعنى تَعيبوا، وقد سبق بيانه [النيه: ٨٥]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تَعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم. والتنابز: التفاعل من النَّبْز، وهو مصدر، والنَّبَز الاسم. والألقاب جمع لقب، وهو اسم يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سمَّى به. قال ابن قتيبة: ﴿وَلَا نَنَابُرُوا بِالْأَلْمَاتِ ﴾ أي: لا تتداعَوْا بها. والألقاب، والأنباز، واحد، ومنه الحديث: ﴿نَبْزُهُم الرافضة؛ أي: لتبُهم (٧). وللمفسرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال: أحدها: تعيير التائب بسيِّئات قد كان عملها، رواه عطية العوني عن ابن عباس (^). والثاني: أنه تسميته بعد إسلامه بدينه قبل الإسلام، كقوله

ذكره الواحدي في اأسباب النزول؛ ٢٢٣ بغير سند ولم يعزه لأحد. وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف؛ ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند...

ذكر البغوي والخازن عن الضحاك بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٩١ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل. (٣)

ذكره الواحدي في فأسباب النزول؛ حن أنس بن مالك بغير سند، وكذلك البغوي والخازن.

⁽¹⁾ ذكره الألوسي بغير سند ولم يعزه لأحد.

⁽⁰⁾ ذكره البغوي والخازن في «التفسير»، والمواحدي في اأسباب النزول» عن عكرمة عن ابن عباس بلا سند.

رواه الترمذي ٢/١٥٩ وقال: حديث حسن، ورواء الطيري ١٦/ ١٣٢، والواحدي في فأسباب النزول،، وأورد، السيوطي في فالمدر، ٦/ ٩١ وزاد نسبته (7) لأحمد، وعبد بن حميد، والمبخاري في «الأدب المفرده، والنسائي، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن المنذر، والبغوي في «معجمه، وابن حبان، والشيرازي في «الألقاب؛ والطبراني، وابن السنّي في «صمل اليوم والليلة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان؛ عن أبي جبيرة بن الضحاك.

قال ابن قتيبة في «غريب القرآن»: ومنه قيل في الحديث: «قوم نَبْرُهم الرائضة» أي لقبُّهم، قال الفقيه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في مقلمة كتابه االصواعق المحرقة في الرد على أهل البذع والزندقة. أخرج الغارقطني عن علي عن النبي ﷺ: فسيأتي هن بعدي قوم لهم نبز يقال لهم: الرافضة. .) الحديث، ولم نعبر عليه، والله أعلم بصحته.

دالطبري، ٢٦/ ١٣٣.

لليهودي إذا أسلم: يا يهودي، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً (١)، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، والقرظي. والثالث: أنه قول الرجل للرجل: يا كافر، يا منافق، قاله عكرمة (١). والرابع: أنه تسميته بالأعمال السيئة، كقوله: يا زاني؛ يا سارق، يا فاسق، قاله ابن زيد (١). قال أهل العلم: والمراد بهذه الألقاب: ما يكرهه المنادى به، أو يُعدُّ ذمّاً له. فأمّا الألقاب التي تكسب حمداً وتكون صدقاً، فلا تُكره، كما قبل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك. وقوله: ﴿ يُشَى اللّهُ وَهَن النّابِ ﴿ فَأَنْ اللّهِ عَلَى اللّهِ وَهُ وفيه قولان: أحدهما: النشار و لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد.

﴿ يَكَانُهُمُ الَّذِينَ مَامَنُوا اجْنَيْوا كَبِيرَا يَنَ الظَنِ إِنَّ بَسَضَ الظَّنِ إِنْدُّ وَلَا جَسَنَسُوا وَلَا بَسْتَبَ بَعْشُكُم بَعْمَنَا ۚ أَيُمِتُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْنَا فَكَرِهْمُنُوهُ وَانْقُوا أَنْهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَاتُ رَحِيمٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِبْمَيْرُوا كَبِرِكِ مِنَ الظّنِ ﴾ قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمنَ أن يظُنَ بالمؤمن شرّاً. وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخُل مَدخلاً لا يريد به [سوءاً](٤)، فيراه أخوه المسلم فيظُن به سوءاً. وقال الزجاج: هو أن يظُن بأهل الخير سوءاً. فأمّا أهل السوء والفسق، فلنا أن نظُنَّ بهم مِثْل الذي ظهر منهم. قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم يُنه عن جميع الظّنّ؛ والظّنُ على أربعة أضرب: محظور، موء ومامور به، ومباح، ومندوب إليه، فأمّا المحظور، فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب: حُسنُ الظن بالله (٥)، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرُهم العدالةُ محظور (٦)، وأما الظن المأمور به، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى المؤلم به، وقد تُعبُّدنا بتنفيذ الحُكم فيه، والاقتصار على غالب الظن وإجراءُ الحُكم عليه واجب، وذلك نحو ما تُمبُّدنا به من قبول شهادة العُدول، وتحرِّي القِبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات التي لم يَردُ بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تُعبُّدنا فيه بأحكام غالب الظنّون. فأمّا الظن المباح، فكالشّاذُ في الصلاة إذا كان إماماً، أمره النبيُ على المنعني على ما يَعلِّب في ظنّه، وإن فعله كان مباحاً، وإن عَدَلُ عنه إلى البناء على اليقين كان جائزاً وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله على الله أن يحقّقه، وأن فعله كان مباحاً، وإن عَدَلُ عنه إلى البناء على اليقين كان جائزاً أخيه فيما يوجب الرِّية، فلا ينبغي له أن يحقّقه. وأما الظن المندوب إليه، فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يُنذَب إليه ويُناب عليه. فأمّا ما روي في الحديث: «احترِسوا من الناس بسوء الظن» فالمراد: الاحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحا خشيت الشُرّاق.

⁽١) ذكره الطبري ٢٦/ ١٣٣ عن الحسن، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٩١ من رواية عبد الرزاق عن الحسن.

 ⁽۲) «الطبري» ۲۲/۱۳۲، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٩١ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة.

⁽٣) والطبري، ٢٦/ ١٣٣. (٤) زيادة ليست في الأصلين.

⁽٥) روى مسلم في اصحيحه، ٢٢٠٦/٤ عن جابر ى قال: سمعت رسول الله 越 قبل موته بثلاثة أيام يقول: ﴿لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن ما الله عن الل

 ⁽٧) ذكره ابن كثير في التفسير، من رواية الطبراني، ولفظه بتمامه: اللاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن، فقال رجل: وما يذهبهن
يا رسول الله ممن هن في، قال 数: إذا حسلت قاستففر، وإذا ظنت فلا تحقق، وإذا تطيرت قامضي، وأورده الحافظ الهيشي في المجمع الزوائد، ٨/
 ٨٧ وقال: رواه الطيراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف.

⁽A) رواه الطبراني في «الأوسط» وابن عدي من حديث بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن سليم عن أنس مرفوها. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨/٨: بقية بن الوليد مدلس، ويقية رجاله ثقات، وقال الحافظ المناوي في «فيض القدير»: قال الحافظ ابن حجر في «الفتع»: خرجه الطبراني في «الأوسط» من طريق أنس، وهو من رواية بقية بالعنمنة، عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف، فله علتان. قال: وصح من قول مطرف، أخرجه مسدد. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: رواه أحمد في «الزهد» والبيهتي في «السنن» وغيرهما، كلاهما من قول مطرف بن الشخير أحد التابعين. اهد. والحديث مخالف للأحاديث الصحيحة التي يأمر فيها النبي ﷺ المسلمين بأن لا يسيئوا الظن بإخوانهم، منها قوله ﷺ في الحديث الذي تقدم: «إياكم والظن...» الحديث، ولا تستقيم المعاملة مع الناس على إساءة الظن بهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَهْنَ النَّلَيْ إِنْرُ ﴾ قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنَّه من السُّوءِ بأخيه المسلم، فإن لم يتكلَّم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس ذلك الظن وإن لم يُنْطِق به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَسَسُوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء، وابن يعمر: بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد، وهو التّبحُّث، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: التجسس، بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم؛ فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطّلع عليه إذ ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا نُهينا عن التجسس، فإن يَظهرْ لنا شيء نأخذُه به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْنَبُ بَعْشُكُم بَعَشَا﴾ أي: لا يتناول بعضُكم بعضاً بظَهر الغَيْب بما يَسوؤه. وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سئل ما الغيبة؟ قال: ﴿فَكُرُكُ أَخَاكُ بِما يَكره *. قال: أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول. قال: ﴿إَيُبُ أَحَدُكُمْ أَن في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه *(۱). ثم ضَرَبَ الله للفِيبة مثلاً ، فقال: ﴿أَيُبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْصُكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْناً ﴾ وقرأ نافع هميناً * بالتشديد. قال الزجاج: وبيانه أن ذِكرك بسوءٍ مَنْ لم يَحْضُر، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يُحِسُّ بذلك. قال القاضي أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النُّوس تَعافَه من طريق الطَّبع، فينبغي أن تكون الغِيبة بمنزلته في الكراهة.

قوله تعالى: ﴿ فَكُوهُنُّ مُونَا ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: ﴿ فَكُرَّ هتموه ﴾ برفع الكاف وتشديد الراء. قال الفراء: أي: وقد كرهتموه فلا تفعلوه، ومن قرأ ﴿ فَكُرّهتموه ﴾ أي: فقد بُغِّض إليكم، والمعنى واحد. قال الزجاج: والمعنى: كما تكرهون أكل لحمه ميتاً، فكذلك تجنّبوا ذِكْره بالسُّوء غائباً.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّفُوا اللَّهُ ﴾ أي: في الغِيبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابُّ ﴾ على من تاب ﴿ تَحِيدُ ﴾ به.

﴿ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِن ذَّكُرٍ وَأَنَتَى وَجَمَلْنَكُمْ شُعُومًا وَجَآبِلُ لِتَعَارَقُواْ إِنَّ أَكْرَبَكُمْ عِندُ اللَّهِ الْقَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَبِيرٌ ﴾

 ⁽۲) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ۲۲۳ بلا سند، ولم يعزه لأحد، وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بلا سند أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر في
 وتخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي ومن قبله عن ابن عباس بغير سند.

⁽٣) ذكره. الواحدي في (أسباب النزول؛ ٢٢٤ عن مقاتل.

⁽٤) قال الحافظ ابن حجر في اتخريج الكشاف؟ ١٥٩: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

لأحد، والقبائل: قبائل العرب. وقال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل: إن القبائل هني الأصول، والشَّعوب هي البُطون التي تتشعَّب منها، وهذا ضد القول الأول.

قوله تعالى: ﴿لِتَمَارَقُوا ﴾ أي: ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً في قُرب النسب وبُعده. قال الزجاج: المعنى: جعلناكم كذلك لتعارفوا، لا لتفاخروا. ثم أعلمهم أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم. وقرأ أبيُّ بن كعب، وابن عباس، والضحاك، وابن يعمر، وأبان عن عاصم: ﴿لِتَعْرِفوا ، بإسكان العين وكسر الراء من غير ألف. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل، وابن محيصن: ﴿لِتَعارَفوا ، بتاء واحدة مشددة وبألف مفتوحة الراء مخففة. وقرأ أبو نهيك، والأعمش: ﴿لِتتعرَّفوا ، بتاء بن مفتوحة الراء وبتشديدها من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكَرَمَكُمُ ۗ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ومجاهد، وأبو الجوزاء: ﴿أَنَّ بِفَتِح الهمزة. قال الفراء: مِن فتح ﴿أَنَّ فَكَانُهُ قَالَ: لتعارفوا أَنَّ الكريمَ التَّقَيُّ، ولو كان كذلك لكانت ﴿لِتَعْرِفوا ، غير أنه يجوز ﴿لِتَعارفوا على معنى: ليعرَّف بعضُكم بعضاً أن أكرمكم عند الله اتقاكم (١٠).

﴿ الله عَلَيْ اَلْأَمْرَابُ مَامَنًا مَٰلُ لَمْ تُؤْمِمُوا وَلَكِن مُولُوا اَسْلَمَنا وَلَمَا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي مُلُوحِكُمٌ وَإِن نُطِيعُوا الله وَرَسُولُمُ لا يَلِينُكُم قِنْ الْمُومِدُنِ اللهُ يَمُونُ اللَّذِينُ مَاسَنُوا بِأَعْدِ وَرَسُولِهِ. ثُمَّ لَمْ بَرْقَابُوا وَجَعَمْدُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَجِيلِ اللّهُ مَنْ أَنْ اللّهُومِدُن اللّهُ بِينِحُمْ وَاللّهُ بَعْلَمُ مَا فِي السّمَتَوْتِ وَمَا فِي الْآوَيِفُ وَاللّهُ بِيعِيلًا فَي بِمُنْ مَنْ مَلِيدًا اللّهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُلّمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ الللللّهُ اللّهُ مُلْمُ اللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ الللللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَمْرَابُ كَانَناً ﴾ قال مجاهد: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة. ووصف غيره حالهم، فقال: قَلِموا المدينة في سنة مُجْدِبة، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارهم، وكانوا يُمنُّون على رسول الله ﷺ فيقولون: أتيناك بالأثقال والعيال، ولَمْ نُقاتِلُك، فنزلت فيهم هذه الآية (٢٠٠٠). وقال السدي: نزلت في أعراب مزينة وجهيئة وأسلم وأشجع وغفار [وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة (الفتح) وكانوا يقولون: آمنا بالله، ليأمنوا على أنفُسهم]، فلما استُنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فنزلت فيهم هذه الآية (١٠٠٠). وقال مقاتل: كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرّت بهم سريّة من سرايا رسول الله ﷺ قالوا: آمنا، ليأمنوا على دما عهم وأموالهم، فلمّا سار رسول الله ﷺ قالوا: آمنا، ليأمنوا على

قوله تعالى: ﴿ قُلُ لَمْ تُوْمِنُوا ﴾ أي: لَمْ تصدِّقوا ﴿ وَلَكِن قُولُواْ أَسَلَمْنا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: اسْتَسلمنا من حوف السيف، وانْقَدْنا. قال الزجاج: الإسلام: إظهار الخُضوع والقَبول لِما أتى به رسولُ الله ﷺ، وبذلك يُحْقَن الدَّم، فإن

⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَحَمُرَكُمْ عِنَدَ المَوْ الْتَمَكُمُ ﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالنقوى، لا بالأحساب. قال: وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله 養 أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله للك عن رسول الله 養 أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم». وردى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة 毒 قال: قال رسول الله 接 الإينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى تلويكم وأممالكم، وردى أبر داود في «سنته» والترمذي وحسته عن أبي هريرة 毒 قال: قال رسول الله 接 الله ف قد أذهب عنكم عُبِيّة الجاهلية (كبرها ونخوتها) وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم يتو آمم وآمم من تراب، ليدَعَنَّ وجالٌ فخرَهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكوئن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأقمهم التنه.

وروى أحمد في «المسند» بسند صحيح أن رسول الله على قال: «يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أحجمي، ولا لعجمي على هربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ثم قال ابن كثير في تتمة الآية: ﴿إِنَّ أَلْفَ كَيْدُ خَبِدِّ﴾ أي عليم بكم، خير بأموركم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعقب من يشاء، ويفضل من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله، قال: واستذل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريقة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط، ولا يشترط سوى الدين، لقول تمالى: ﴿إِنَّ أَسْكُومُ هُمُ اللَّذِينَ الموقوع: ﴿إِنَّا أَتَاكُمُ مِن تُرضُونَ دينه وأمات فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد هريض، وواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو حديث حسن.

 ⁽٢) ذكره الواحدي في اأسباب النزول؛ والبغوي والخازن في (التفسير) بلا سند.

 ⁽٣) ذكره البغوي والخازن عن السُّدي بغير سند، ولم يعزواه الأحد.

كان معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان، فأخْرَجَ الله هؤلاء من الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ﴾ أي: لَمْ تُصَدِّقوا، إنما أسلمتم تعوُّذاً من القتل، وقال مقاتل: «ولمّا» بمعنى «ولم» يدخُل التصديقُ في قلوبكم(١).

قُوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَمُ ﴾ قال ابن عباس: إن تُخْلِصوا الإيمان ﴿لَا يَلِئَكُم ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿يَالِئُكُم ﴾ بنير ألف ولا همز. فقراءة أبي عمرو من بألف وهمز؛ وروي عنه بألف ساكنة مع ترك الهمزة: وقرأ الباقون: ﴿يَلِئْكُم ﴾ بغير ألف ولا همز. فقراءة أبي عمرو من ألتَ يألِتُ ، وقراءة الباقين من لاتَ يَلِيتُ ، قال الفراء: وهما لغتان، قال الزجاج: معناهما واحد. والمعنى: لا ينقصكم. وقال أبو عبيدة: فيها ثلاث لغات: ألتَ يألِتُ ، تقديرها: أفَكَ يأفِكُ ، وألاتَ يُلِيتُ ، تقديرها: أقال يُقِيلُ ، ولا يَلِيتُ ، قال رؤية:

ولسيسلسة ذات تسدى سسريست ولم يَسلِشني عن سُراها لَيْتُ (٢)

قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَعَدَلِكُمْ ﴾ أي: من ثوابها. ثم نعت الصادقين في إيمانهم بالآية التي تلي هذه (٢٠٠). ومعنى: ﴿ يَرْتَابُوا ﴾ يَشُكُوا. وإنما ذكر الجهاد، لأن الجهاد مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت، ﴿ أُولَيْكَ هُمُ السَّدَلِقُونَ ﴾ [في إيمانهم. فلمّا نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون] فنزلت [هذه الآية].

قوله تعالى: ﴿ قُلُ أَشَالِمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ و علم المعنى العلم الله و الله و الله على الله على الله على المعنى: أنتخبرون [الله] باللّين الذي أنتم عليه ؟ ا أي: هو عالِمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخباركم ؛ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ قالوا: أسْلَمُنا ولم نُقاتِلُكَ (الله أعلم] .

* * *

⁽١) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على الأحراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادَّعَوْا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم بعد ﴿قَالَتِ اللَّمْيَاتُ مُنْتُمْ الْإِيمَانُ فِي قَالُوبِهِم بعد ﴿قَالَتُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الكَرْبِمَةُ أَنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللللللهُ اللهُ الللللللهُ اللللللللهُ اللهُ اللهُ اللللللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللللهُ اللهُ الله

⁽٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢١، و«الطبري» ٥٠/ ٢ و٢٦/ ١٤٣، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: ليت.

 ⁽٣) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّوْمُثَنَ الَّذِينَ مَامَنُوا بِأَنَّهِ رَبِّمُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْكَابُوا وَيَحْمَدُوا بِأَمْزِلِهِمْ وَأَنْشِيهِمْ فِي سَهِيلِ اللَّهِ أَوْلَكِمْ هُمُ المُسَدِيدُونَ ۞﴾.

⁽٤) قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٦٠ / ١٠٠: أخرج ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفي أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿ يُمْتُونَ هَلِكَ أَنْ أَسْلَمُوا . ﴾ الآية، قال الحافظ الهيشمي في «المجمع» ١١٢/ : رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة، ولكنه مدلس، ويقية رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن كثير عن البزار من طريق أبي عون عن سعيد بن جبير عن أبن عباس، ثم قال: قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبد الله غير هذا الحديث. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» من رواية النسائي والمبزار وابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن سعيد بن معيد بن جبير، ومن رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن. والله أعلم اه.

سـورة ق^(۱)

ويقال لها: سورة الباسقات

روى العوفي [وغيره] عن ابن عباس أنها مكِّيَّة، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتُكَا ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ﴾ الآية [ق: ٢٨].

ينسد ألق الكنف التكسير

﴿ فَ ۚ وَالشُّرَانِ الْسَجِيدِ ۞ بَنْ جَبُواْ أَن جَاءَهُم مُنذِرٌ يَنْهُمْ فَقَالَ الْكَيْرُونَ هَذَا فَقَ مُجِيدٌ ۞ أَوَذَا مِثْنَا وَكُنَا زُرَااً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۞ فَدَ عَلِمْنَا مَا نَفُصُ ٱللَّارِشُ مِنْهُمْ وَعِدَنَا كِنَابٌ حَفِيظًا ۞ بَلْ كَذَبُواْ بِالْحَقِّ لَنَا جَاءَهُمْ فَهُمْرَ فِي أَشْرِ شَرِيجٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَانَ ﴾ قرأ الجمهور بإسكان الفاء، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتركل، وأبو رجاء، وأبو المجوزاء: «قافّ بنصب الفاء، وقرأ أبو رزين، وقتادة: «قافّ» برفع الفاء. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «قافِ» بكسر الفاء. وفي «قّ» خمسة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه جبل من زَبَرْ جَدة خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: خَلَقَ الله جبلاً يقال له: «قّ» محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله على أن يزلزل قرية، أمر ذلك الحجبل فحرَّك العرق الذي يلي تلك القرية. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض. وروي عن الضحاك أنه من زمردة خضراء، وعليه كَنَفًا (٢) السماء، وخُضرة السماء منه. والثالث: أنه جبل من نار في النار، قاله الضحاك في رواية عنه عن ابن عباس. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والخامس: أنه حرف من كلمة. ثم فيه خمسة أقوال. أحدها: أنه افتتاح اسمه «قدير»، قاله أبو العالية. والثاني: أنه افتتاح أسمائه: القدير والقاهر والقريب ونحو ذلك، قاله القرظي. والثالث: أنه افتتاح اسمه «قدير»، قاله أبو العالية. والثاني: أنه افتتاح أسمائه: القدير والقاهر والقريب ونحو ذلك، قاله القرظي. والثالث: أنه افتتاح المه «قلير»، وأشدوا:

قُسلنا لها قِيفِي في قالتُ قان (٦)

معناه: أقف، فاكتفت بالقاف من «أقف»، حكاه جماعة منهم الزجاج. والرابع: قف عند أمرنا ونهينا، ولا تَعْدُهُما، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: قُلْ يا محمد، حكاه الثعلبي(²⁾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُرْءَانِ ٱلْسَجِيدِ﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: المَجيد: الكريم. وفي جواب هذا القسم أربعة أقوال: أحدها: أنه مُضمر، تقديره: لَيُبْعَثُنَّ بَعْدَ الموت. قاله الفراء، وابن قتيبة، ويدُلُّ عليه قولُ الكفار: ﴿هَاذَا نَتْهُ

⁽١) وهي أول المفصل على الصحيح، وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة (الحجرات) فليراجع، وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والترهيب.

⁽٢) في الأصلين: كتفا بالتاء وهو تصحيف.

⁽٣) الرجز في «الطبري» ٢٦/٧٦، و«القرطبي» ٢٠/٧، و«اللسان»: وقف.

قال ابن كثير: روي عن بعض السلف أنهم قالوا: (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكأن هذا و والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لِما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدّق ولا يكذّب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادتنهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفّاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي في وما بالعهد من قِدَم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفّاظ النقّاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحنثوا عن بني إسرائيل ولا حرجه فيما قد يجوّزه العقل، فأما فيما تحبله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كلبه، فليس من هذا القبيل والله أعلم، قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من المخالف على الظنون كلبه، فليس من هذا القبيل والله أعلم، قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، وعلى الله الحمد والمنّة، ثم قال: والذي ثبت عن مجاهد أن الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، وعلى الله الحمد والمنّة، ثم قال: وقد ذكرنا نحن الكلام عليها في أول سورة (البقرة) اهد. وقد ذكرنا نحن الكلام على ذلك في أول سورة (الشمراء) فليراجع.

غِيبُ ﴾. والثاني: أنه قوله: ﴿فَدْ عَلِمْنَا مَا نَتُهُنُ الْأَرْضُ مِنْهُمُ ﴾، فيكون المعنى: [قاف] والقرآنِ المجيدِ لقد عَلِمْنا، فحُذفت اللّهُم لأنّ ما قبْلَهَا عِوَضٌ منها، كقوله: ﴿وَالنَّمْسِ وَشَحْنَهَا . . . قَدْ أَفَلَحَ ﴾ [الشمس: ١-٩] أي: لقد أفلح، أجاز هذا القول الزجاج. والثالث: أنه قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِهُ، حكي عن الأخفش. والرابع: أنه في سورة أخرى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، ولم يبيّن في أي سورة.

قوله تعالى: ﴿ لَلْ عَِبُراً ﴾ مفسَّر في [سَ: ١٤] إلى قوله: ﴿ فَنَ مُ عَبِّ أَي: مُعْجِبٌ. ﴿ أَوَذَا مِثْنَا ﴾ قال الأخفش: هذا الكلام على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً ؟ وقال غيره: تقدير الكلام: قَ والقرآنِ ليُبْعَثُنَ ، فقال: أثذا متنا وكنا تراباً ؟ والمعنى: أنْبُعَث إذا كنا كذلك؟! وقال ابن جرير: لمّا تعجَّبوا من وعيد الله على تكذيبهم بمحمد على فقالوا: هذا شيء عجيب، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بُعثتم ما يكون حالُكم في تكذيبكم محمداً، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً ؟!

قوله تعالى: ﴿ وَلِكَ رَجُّ ﴾ أي: ردَّ إِلَى الحياة ﴿ بَعِيدٌ ﴾ قال ابن قتيبة: أيْ: لا يكون. ﴿ فَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُم ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم إذا ماتوا، يعني أن ذلك لا يَعْزُب عن عِلْمه ، ﴿ وَعِندَا ﴾ مع عِلْمنا بذلك ﴿ كِنَتُ عَفِيلًا ﴾ أي: حافظ لعددهم وأسمائهم ولِما تَنْقُص الأرضُ منهم، وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يكون. ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِيْ ﴾ وهو القرآن. والمريج: المختلِط، قال ابن قتيبة: يقال: مَرِج [أمرً] الناس، ومَرج الدِّينُ، وأصل هذا أن يَقْلَق الشيء، ولا يستقر، يقال: مَرِج الخاتم في يدي: إذا قلق، للهُزَال. قال المفسرون: ومعنى اختلاط أمرهم: أنهم كانوا يقولون للقرآن مرة: سحر، ومرة: شاعر، ومرة: مُعَلَّم، ويقولون للقرآن مرة: سحر، ومرة مُمُقْرَى، ومرة: رَجَز، فكان أمرُهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

﴿ أَنَكُمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوَهُمُ كَيْفَ بَلَيْنَهَا وَزَيْنَهَا وَمَا لَمَا مِن فُرُج ۞ وَالأَرْضَ مَدَدُتَهَا وَالْقَبَنَا فِيهَا وَوَمِي وَالْبَشَا فِيهَا مِن كُلِ وَنَعْ بَهِيجٍ ۞ بَهِيرَهُ وَوَكُرُفَ لِكُلِّ عَبْدٍ نُبِيبٍ ۞ وَنَزْكَا مِنَ السَّمَاءِ مَاتَهُ ثُمِنَزُكَا فَالْبَشْنَا بِهِ. جَنَّنِ وَحَبَّ الْمَصِيدِ ۞ وَالنَّفُلَ بَاسِقَنتِ لَمَا طَلِقٌ نُفِيدٌ ۞ وَنَقَا لِيْمِيالُ وَأَخْيَنَا بِهِ. بَلَدَهُ مَنْئًا كَذَلِكَ المُرُبُ ۞ كُذَبَ قَلْهُمْ قَوْمُ ثُوجٍ وَأَصْمَكُ الرَّيْنَ وَقَوْمُ لَيْجً كُلُّ كُذَبَ الرُّسُلَ لَمَقَ وَعِدٍ ۞ أَنْسِينَا بِالْعَلْقِ الْأَوْلُو مِنْ أَنْ كَذَبَ الرُّسُلَ لَمَقَ وَعِدٍ ۞ أَنْسِينَا بِالْعَلْقِ الْأَوْلُ بَلْ هُمْ فِي النِسِ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞﴾

ثم دلَّهم على قُدرته على البعث بقوله: ﴿ أَنَاتَرَ يَنْظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَهَا ﴾ بغير عمد ﴿ وَزَيِّنَتَهَا ﴾ بالكواكب ﴿ وَمَا لَمَا مِن فَرُوجٍ ﴾ أي: من صُدوع وشُقوق. والزَّوج: الجنس. والبهيج: الحَسَن، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: البهيج: الذي يُبْتَهَج به.

قوله تعالى: ﴿ تَهِرَةُ رَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞﴾ قال الزجاج: أي: فَعَلنا ذلك لِنُبَصِّر ونَدُلَّ على القُدرة. والمُنيب: الذي يَرْجع إلى الله ويفكّر في قُدرته.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَّنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءُ﴾ وهو المطر ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير، فيه حياة كل شيء، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّتِ﴾ وهي البساتين ﴿وَرَحَبَ لَلْسَيدِ﴾ أراد: الحبَّ الحصيد، فأضافه إلى نفسه، كقوله: ﴿لَمُو حَقُ الْقِينِ﴾ الواقعة: ٢٥] وقوله: ﴿مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ﴾ الى تفال: مسجدُ الجامع، يراد: الصلاةُ الأولى، ويقال: مسجدُ الجامع، يراد: المسجدُ الجامع، وإنما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفراء، وابن قتيبة. وقال غيرهما: المسجدُ النبتِ الحصيدِ. ﴿وَالنَّعَلَ ﴾ أي: وأنْبَتْنا النخل: ﴿بَاسِقَتِ ﴾ و فبُسوقها، طولها. قال ابن قتيبة: يقال: بَسقَ الشيءُ أراد حَبَّ النبتِ الحَصيدِ. ﴿وَالنَّعَلَ ﴾ أي: وأنْبَتْنا النخل: ﴿بَاسِقَتِ مَا فَا انْ يَتَفَعَ ، فإذا انشقَ جُفُ طلعه وَتَفَرَّقُ فليس بنضيدِ.

قوله تعالى: ﴿ وَزَقَا لِلْهِمَارِ ﴾ أي: أنْبَتْنا هذه الأشياء للرِّزق ﴿ وَلَحْيَيْنَا بِيرِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ بَلَنَ أَنَيْنَا هذه الأشياء للرِّزق ﴿ وَلَحْيَيْنَا بِيرِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ بَلَنَ أَنَيْنَا هذه الأمير. ﴿ فَأَفَيِينَا بِيرِ ﴾ أي وجب عليهم عذابي. ﴿ فَأَفَيِينَا إِلَى قوله: ﴿ فَقَ وَعِدٍ ﴾ أي: وجب عليهم عذابي. ﴿ فَأَفَيِينَا إِلَيْنَ الْأَوْلُ وهذا جواب لقولهم: ذلك رَجْعٌ بُعيدٌ ، والمعنى: أعَجَزْنا عن ابتداء الخَلْق، وهو الخَلْق الأوَّل، فنعيا بالبعث وهو الخَلْق الثاني؟! وهذا تقريز لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق، وأنكروا البعث ﴿ بَلَ هُمْ فِي لَيْسٍ ﴾ أي: في شَكُ ﴿ فَيْ جَدِيدٍ ﴾ وهو البعث.

﴿ وَلَفَذَ خَلَقَنَا ٱلْإِنكُنَ وَلَمَلُا مَا نُرَسُوسُ بِدِء نَشْئُمُ وَغُنُ أَوْبُ إِلَهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَبِيدِ ﴿ إِذَ يَنَانَى ٱلنَّلَقِبَانِ عَنِ ٱلْبَهِينِ وَعَنِ ٱلْخَالِ فَيهُ ۞ مَا يَلْفِظُ مِن قَلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِبُ عَنِيدٌ ۞ وَبَمَاتَتْ سَكُونُ ٱلْهَرْتِ بِالْمَتِيِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ غَيْدُ ۞ وَلَئِيحَ فِي الشَّورُ ذَلِكَ بَوْمُ ٱلْوَجِيدِ ۞ وَمَاتَتْ كُلُّ نَفْسِ تَمَهَا سَآئِقٌ رَفَيهِدُ ۞ لَقَدَ كُتَ فِي خَلْلَةٍ مِنْ هَلْ الْمُكْتَفَا عَنكَ خِطَاتَكُ فَصَرُكِ ٱلْهِنَ حَدِيدٌ ۞﴾

﴿ وَلَقَدَ خَلَقَنَا ٱلْإِسْكَنَ ﴾ يعني ابن آدم ﴿ وَتَمَارُ مَا تُوسِّوسُ بِدِ مَنْسُمٌّ ﴾ أي: ما تحدّثه به نفسه. وقال الزجاج: نعلم ما يُكِنُّه في نَفْسه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنَ الرَّهُ إِلَيْهِ أَي: بالعلْم ﴿ مِنْ مَبْلِ الوَهِدِ ﴾ الحَبْل هو الوريد، وإنما أضافه إلى نفسه لِما شرحناه اَنفاً في قوله: ﴿ وَمَنَ المَهْدِ ﴾ [ق: 1] قال الفراء: والوريد: عِرْقٌ بين الحُلُقوم والعِلْباويْن. وعنه أيضاً قال: عرق بين اللَّبة والعِلْباويْن. وقال الزجاج: الوريد: عِرْق في باطن العُنُق، [وهما وريدان]، والعِلْباوان: المَصَبتان الصَّفراوان في مَنْن العُنُق، واللَّبْتان: مَجرى القُرط في المُنُق. وقال ابن الأنباري: اللَّبة حيث يتذبذب القُرط مِمّا يَقُرُبُ من شحمة الأُذن. وحكى بعض العلماء أن الوريد: عِرْقٌ متفرِّق في البدن مُخالِط لجميع الأعضاء، فلمّا كانت أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضاً، أَعْلَمَ أن عِلْمه لا يحجبُه شيء. والمعنى: ونحن أقربُ إليه حين يَتلقَّى المُتلقِّيان، وهما الملكان الموكّلان بابن آدم يتلقيَّانِ عَمَلَهُ (١٠). وقوله: ﴿ إِنْ بَلَقَى الْمَتَاقِيَانِ عَمَلَهُ الرَّجاج: والمعنى: عن اليمين قَميد، وعن الشّبال قَميد، فدلُّ أحدُهما على الآخر، فحذف المدلولُ عليه، قال الشاعر:

للَّذُ رَاضِ والسَّرَّأَيُّ مُسِخُسِتَلِسْتُ (١)

نَـحُـنُ بِـمَـا عِـنْـدَنا وأنْـتَ بِـمَـا عِـنْــ وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوالِدِي بَرِيشاً، ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (٣) المعنى: كنتُ منه بريئاً. وقال ابن قتيبة: القعيد بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القعيد بمعنى مُقاعِد، كالأكيل والشَّرِب بمنزلة: المُؤاكِل والمُشارِب.

قوله تعالى: ﴿ مَا يَانِطُ ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلّم من كلام فيَلْفِظُه، أي: يَرميه من فمه، ﴿ إِلّا لَدَيْهِ رَنِيبُ ﴾ أي: حافظ، وهو الملك الموكّل به، إمّا صاحب اليمين، وإمّا صاحب الشمال ﴿ عَيْدٌ ﴾ قال الزجاج: العتيد: النّابِت اللّازم، وقال غيره: العتيد: الحاضر معه أينما كان. وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: •كاتِبُ الحسنات على يمين الرجُل، وكاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له يمين الرجُل، وكاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، وأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال صاحب اليمين: أَمْسِك، فيمُسِك عنه سَبْع صاحب اليمين المنفور منها لم يُكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر كُتِب عليه سيئة واحدة ١٤٠٠. وقال ابن عباس: جَعَل اللهُ

⁽١) قال ابن كثير: وقوله فلا : ﴿ وَمُنْ آَرُتُ إِلَهِ مِنْ مَيْلِ آلْرَبِيهِ ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لثلا يلزم حلول أو اتحاد ، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس. ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: اوأنا أقرب إليه من حبل الوريده وإنما قال: قال ﴿ وَمُنْ أَنْرُ إِلَهِ مِن جَبِل الوريده وإنما على الله ﴿ وَمُنْ أَنْرُ إِلَهِ مِن الله وَمَنْ عَلَى الله وَمَنْ الله وَمُنْ الله ومُنْ ال

 ⁽٢) سبق تخريج البيت في ٥٨٠ و١١٥٧، وانظر «اللسان»: تعد.

 ⁽٣) البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي، أو للأزرق بن طرفة، وهو في «الكتاب» ١/ ٣٨٠، وقمعاني القرآن» ١/ ٤٥٨، وقمجاز القرآن» ٢/ ١٦١، وقلصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح»، وقالصحاح».

٤) رواه البغوي والثمليي من طريق حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة وفيه ضعف، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني، وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن ينير عن القاسم نحوه، وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه، وروى أبو نعيم في «الحلية» وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عياش، عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رويم عن القاسم عن أبي أمامة، وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة قال: دخل عثمان بن عفان على =

على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار. واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين: أحدهما: أنهما يكتبان إلى ما يؤجر أحدهما: أنهما يكتبان إلى من يؤجر [عليه]، أو يُوزَر، قاله عكرمة. فأمّا مجلسهما، فقد نطق القرآن بأنهما عن اليمين وعن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أمامة. وقد روى علي كرَّم اللَّهُ وجهه عن النبي على قال: قإن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسائك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك (١) وروي عن الحسن والضحاك قالا: مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

قوله تعالى: ﴿وَبَاآتَ سَكُرُهُ السَرَبُ وهِي غَمرتُه وشِدَّتُه التي تَغشى الإِنسان وتَغْلِب على عقله وتدُلُه على أنه ميت، ﴿ إِلْحَقَ وَيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للإنسان ما لم يكن بيناً له من أمر الآخرة. ذكر الوجهين الفراء، وابن جرير. وقرأ أبو بكر الصديق على: ﴿ وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾، قال ابن جرير: ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المجنى: وجاءت سكرة الله بالموت، والثاني: أن تكون السبنى: ﴿ وَمَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَالَّهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّه

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: فيقال للإنسان حيناني: «ذلك» أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنَ مِنْهُ مَيدُ ﴾ أي: تهرُب وتفرّ (٢٠). وقال ابن عباس: تكره.

قوله تعالى: ﴿وَيُفِخَ فِي الشَّرْبِ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَلِّكَ﴾ اليوم ﴿بَرْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: يوم وقوع الوعيد.

قوله تعالى: ﴿ مَهُمّا سَآنِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السائق: ملّك يسوقها إلى مَحْشَرها، قاله أبو هريرة (٣٠). والثاني: أنه قرينها من الشياطين، سمّي سائقاً لأنه يتبَعها وإن لم يَحقّها. وفي الشهيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ملك يَشهد عليها بعملها، قاله عثمان بن عفان، والحسن. وقال مجاهد: الملكان: سائق، وشهيد. وقال ابن السائب: السائق: الذي كان يكتب عليه السَّيَّات، والشهيد: الذي كان يكتب الحسنات. والثاني: أنه العمل يَشهد على الإنسان، قاله أبو هريرة، والثالث: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله، قاله الضحاك. وهل هذه الآيات عامّة، أم خاصّة؟ فيها قولان: أحدهما: أنها عامة، قاله الجمهور. والثاني: خاصة في الكافر، قاله الضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَتَدَ كُنتَ﴾ أي: ويقال له: ﴿لَقَدَ كُنتَ فِي عَنْلَةٍ مِنْ كَذَا﴾ اليوم. وفي المخاطّب بهذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافر، قاله ابن عباس، وصالح بن كيسان في آخرين. والثاني: أنه عام في البّرَّ والفاجر، قاله حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، واختاره ابن جرير. والثالث: أنه النبي ﷺ، وهذا قول ابن زيد^(٤). فعلى القول الأول يكون المعنى: لقد كنتَ في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بكفرك به؛ وعلى الثاني: كنتَ غافلاً عن أهوال القيامة، ﴿ وَكُلّتُنَا عَنَ إِطَالَتُهَ عَلَهُ مَا كَانَ مستوراً القيامة، ﴿ وَكُلّتُنَا عَنَكَ عَالَةً عَنَ الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك. وقيل معناه: أريناك ما كان مستوراً

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم مع العبد ملك؟... الحديث. وقد ذكره السيوطي في الدر، ٦٠٤/٦ من رواية الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب، عن أبي أمامة ﷺ.

 ⁽١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٣/٦ عن علي موقوفاً قإل: أخرج ابن أبي اللنيا في «العسمت» عن علي قال: لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداد.
 وذكره مرفوعاً من رواية أبي نعيم، والديلمي عن معاذ بن جبل را الله العلق الملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجلين وجعل لسانه قلمهما،
 وريقه مداههماه والله أعلم.

⁽٢) قال ابن كثير: أي: هذا هو الذي كنت تفرُّ منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

⁽٣) قال ابن كثير: هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير.

قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنيَ بها البُرُّ والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿ وَلَقَدَ عَلَيْكَ الْهِ الْمَانِ لَي هَذَا لَكَ كَذَلْكَ أَنْ معنى قوله: وَيَشَدُّ مَا فُرْسُوسُ بِهِ مَنْسُهُم دون يعضى، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: ﴿ وَلَمَانَ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ الْإِنسان سَكُرة الموت بالحق ﴿ وَلِنَ مَا كُمُنَ يِنَهُ فِيلُهُ وَإِذَا كَانَ ذَلْكَ كَذَلْكَ، كَانْتَ بِينَة صحة ما قلنا. اهـ.

عنك؛ وعلى الثالث: لقد كنتَ قبل الوحى في غفلة عمّا أُوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي ﴿فَمَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَريدٌ ﴾ وفي المراد بالبصر قولان: أحدهما: البصر المعروف، قاله الضحاك. والثاني: العِلْم، قاله الزجاج. وفي قوله: «اليومَ» قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنه في الدنيا، وهذا على قول ابن زيد. فأمّا قوله: احديدًا فقال ابن قتيبة: الحديد بمعنى الحادّ. أي: فأنت ثاقب البصر. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فبصرك حديدٌ إلى لسان الميزان حين تُوزَن حسناتُك وسيِّئاتُك، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة، قاله مقاتل. والثالث: أنه العِلْم النافذ، قاله الزجاج.

﴿وَقَالَ مَهِنَّهُمْ هَذَا مَا لَدَىٰ عَبِدُ ۞ ٱلَّذِي فِي جَهَمْمَ كُلَّ حَنَادٍ عَنِيدٍ ۞ مَثَلَج لِلْمَنْدِ مُمْنَدِ ثُمِيبٍ ۞ ٱلَّذِى جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهُمَّا ءَاخَرَ قَالْقِيَاهُ فِي الْمَدَابِ النَّذِيدِ 🗯 🕏 قَالَ مَهِنُمُ رَبَّنَا مَا أَلْمَنْتِتُمُ وَلِكِن كَانَ فِي صَلَالٍ بَعِيدٍ 🕲 قَالَ لَا تَخْسَسُواْ لَدَّقَ وَقَدْ مَذَّمْتُ إِلَيْكُمُ الْوَعِيدِ 🕲 مَا يُبَدِّلُ ٱلْغَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَيرِ لِلْتَبِيدِ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فَرِسُهُ ﴾ قال مقاتل: هو مَلَكُه الذي كان يكتُب عملَه السيئ في دار الدنيا، يقول لربه: قد كتبتُ ما وكَمْلْتَني به، فهذا عندي مُعَدُّ حاضرٌ من عمله الخبيث، فقد أتيتُك به ويعمله. وفي (ما) قولان: أحدهما: أنها بمعنى همن؟ قاله مجاهد. والثاني: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيء لديٌّ عتيدٌ، قاله الزجاج. وقد ذكرنا معنى العتيد في هذه السورة [قَ: ١٨]، فيقول الله تعالى: ﴿أَلْنِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاطبة للواحد بلفظ الخطاب للاثنين، قال الفراء: والعرب تأمر الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجُل: ويلك ارحلاها وازجُراها، سمعتها من العرب، وأنشدني بعضهم:

بِنَازِع أَصُولِهِ واجْتَازٌ شِيدِها(١)

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسانا وأنشدنى أبو ثُرُوان:

وإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا(٢)

فبإنْ تَبزُجُرانِي بِيا ابْدنَ عَفَّان أَنْرَجِرْ ونرى أن ذلك منهم، لأن أدنى أعوان الرجُل في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرُّفقةَ أدنى ما تكون ثلاثة، فجرى الكلام على صاحبيه، ألا ترى الشعر أكثر شيء قِيلاً: يا صَاحِبَيٌّ ويا خليليٌّ. قال امرؤ القيس:

نُقَضِّي (٣) لُباناتِ الْفُوادِ المُعَذَّبِ

خَـلِـبلَـيَّ مُـرًا بِي عـلـى أُمُّ جُـنْـدَب

وَجَدْتُ بِهِا طِيباً وإِنْ لَمْ تَطَيُّبِ(١)

الم تَسرَ أنِسي كُلُّما جِئْتُ طارِقاً فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقال: "ألقياً" خطاب للخازن، يعني خازن النار. والثاني: أنه فِعل ثُنِّي توكيداً، كأنه لمّا قال: ﴿القيا»، ناب عن ألْقِ أَلْقِ، وكذلك: قِفا نَبُكِ(٥)، معناه: قِفْ قِف، فلمًا ناب عن فعلين، ثُنَّى، قاله المبرد. والثالث: أنه أمر للملكين، يعني السائق والشهيد، وهذا اختيار الزجاج. فأمّا ﴿الكُفَّارُ ﴾، فهو أَشَدُّ مُبالَغةً من الكافر. و ﴿العنيدِ عَدْ فسرناه في [هود: ٥٩].

البيت لمُضَرِّسٍ بن رِيْعِيِّ الأَسَدي، وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤، و«الطبري» ٢٦/ ١٦٥، و«الصحاح»، و«اللسان» و«التاج»: جزز، ونسبه الجوهري ليزيد ابن الطثرية. وقوله: فقلت لصاحبي، أراد بالصاحب من يحتطب له، يقول لصاحبه: لا تحبسنا عن شيَّ اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه، بل اكتفِ بقطع الشيح فو أسهل وأسرع.

البيت في «مشكل القرآن؛ ٢٦٥، والطبري؛ ٢٦/ ١٦٥، وقوله: •وإن تَذَعاني؛ أي: إن تركتماني حميت عرضي ممن يؤفيني، وإن زجرتماني انزجرت

في الأصل! يقضِّي، والتصويب من «الديوان».

[«]ديوانه» ٤١، و«الطبري» ٢٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٣/١. واللَّبانات: جمع لُبانة، وهي الحاجة، والطارق: الذي يأتي ليلاً، يعني أنها طيبة الربح وإن لم تمسّ طيباً، وخاصة في الوقت الذي تتغيّر فيه الأفواه.

جزء من أول بيت في معلقة امرئ القيس، والبيت بتمامه: قِسفَسا نَسبُسكِ مِسنَ ذِخْسرَى حَسبِسبِ وَمَسنُسزِلِهِ

بسيستشبط السلسوى بَسنسنَ السدُّحُسولِ فَسحَسوْمَسلِ

قوله تعالى: ﴿ مُنَاعِ لِلْمَبْرِ﴾ في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الزكاة المفروضة، قاله فتادة. والثاني: أنه الإسلام، يمنع الناس من الدُّخول فيه، قاله الضحاك، ومقاتل، وذكر أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه عن الإسلام (١١). والثالث: أنه عامٌ في كل خير من قول أو فعل، حكاه الماوردي (٢١).

قوله تعالى: ﴿مُمَتَوِ﴾ أي: ظالم لا يُقِوُّ بالتوحيد (؟ ﴿مُرِسِي﴾ أي: شاكَ في الحق، من قولهم: أرابَ الرجُلُ: إذا صار ذا رَيْب.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: شيطانه، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان ادّعى على قرينه من الشياطين أنه أضلَّه فقال: ﴿ رَبَّنَا مَا أَلْفَيْتُهُ ﴾ أي: لم يكن لي قُوّة على على إضلاله بالإكراه، وإنما طغى هو بضلاله. والثاني: أنه الملَك الذي كان يكتُب السَّيِّئات. ثم فيما يدَّعيه الكافرُ على الملَك قولان: أحدهما: [أنه] يقول: زاد عليَّ فيما كتب، فيقول الملَك: ما أطفيتُه، أي: ما زدتُ عليه، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أنه يقول: كان يُعجِلني عن التَّربة، فيقول: ربَّنا ما أطفيتُه، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَسِيرٍ ﴾ أي: بعيد من الهُدى، فيقول الله تعالى: ﴿ لاَ تَشْعِسُوا لَدَى ﴾. في هذا الخصام قولان: أحدهما: أنه اعتذارهم بغير عذر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه خصامهم مع قرنائهم الذين أغرَوْهم، قاله أبو العالية. فأما اختصامهم فيما كان بينهم من المظالم في الدنيا، فلا يجوز أن يُهمَل، لأنه يوم التناصف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِدِ﴾ أي: قد أخبرتُكم على ألسُن الرُّسل بعذابي في الآخرة لمن كفر. ﴿مَا يُبَدَّلُ النَّقُلُ لَدَّيَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يبدَّل [القول] فيما وعدتُه من ثواب وعقاب، قاله الأكثرون. والثاني: ما يُكذَّب عندي ولا يغيَّر القول عن جهته، لأنِّي أغْلَمُ الغيب وأغلَمُ كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم، هذا قول ابن السائب واختيار الفراء وابن قتيبة، ويدل عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ النَّوَلُ لَكَا ﴾ ولم يقل: ما يُبَدَّل قولي ﴿وَيَا آتَا يِظَلَّرِ لِتَّتِيدِ ﴾ فأزيدَ على إساءة المُسىء، أو أنقص من إحسان المُحسن.

﴿ يَهُمْ غَوُلُ لِجَهَمَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر؛ وحمزة، والكسائي: قيومَ نقول البانون المفتوحة وضم القاف. [وقرأ نافع، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: قيومَ يقول الباء المفتوحة وضم القاف]. وقرأ أبيُّ بن كعب، والحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو: قيومَ يُقال ابياء مضمومة وفتح القاف وإثبات ألف. قال الزجاج: وانتصاب قيومً على وجهين: أحدهما: على معنى: ما يُبدَّل القولُ لديَّ في ذلك اليوم. والثاني: على معنى: وأنْذِرهم يومَ نقولُ لجهنم. فأمّا فائلة سؤاله إيّاها، وقد عَلِم هل امتلأتُ أم لا، فإنه توبيخ لمن أُذْخِلها. وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿ وَلَن عَند أهل اللغة: أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فالمعنى: هل بقي فيً موضعٌ لم يمتلئ؟ أي: قد امتلأتُ. والثاني: أنها تقول تنيُظاً على من عصى اللّهَ بعد امتلائها، فالمعنى: هل بقي فيً موضعٌ لم يمتلئ؟ أي: قد امتلأتُ. والثاني: أنها تقول تنيُظاً على من عصى اللّه

 ⁽١) ذكره البغوي والخازن في «تفسيريهما» بنحوه بغير سند ولم يعزواه الأحد.

 ⁽۲) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله تعالى أو لأدمي في ماله، قال: والخير في هذا الموضع هو المال،
 وإنما قلنا: ذلك هو الصواب من القول، لأن الله تعالى ذكره عم بقوله: ﴿ تَنْ إِلْمَاتِكِ ﴾ أنه يمنع الخير، ولم يخصص منه شيئاً دون شيء، فذلك على كل خير يمكن منعه طالبه. اهم.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «معتد» يقول: معتد على الناص بلسانه، بالبذاء والفحش في المنطق، وبيده بالسطوة والبطش ظلماً. اهـ. وقال ابن كثير: «معتد» أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد، قال: وقال قتادة: معتد في منطقه وسيره وأمره. اهـ.

تعالى، وجَعَلَ اللّهُ فيها أن تميّز وتخاطِب، كما جَعَلَ في النملة أن قالت: ﴿ أَدْخُلُواْ سَنَكِنَكُمْ ﴾ [النمل: ١٨] وفي المخلوقات أن تسبّع بحمده.

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلِفَتِ لَلِمُنَدِّنَ ﴿ اللهِ أَيْ قُرِّبَ للمُتَّقِينَ [الشرك] ﴿فَيَرَ بَمِيدِ ﴾ أي: جُعلتْ عن يمين العرش حيث يراها أهلُ الموقف، ويقال لهم: ﴿هَنَذَا ﴾ الذي ترونه ﴿مَا نُوكُدُوك ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن: "يُوعَدُونَ بالياء ﴿لِكُلِ أَزَابٍ ﴾ وفيه أقوال قد ذكرناها في [بني إسرائيل: ٢٥]. وفي ﴿حَفِيظُ ﴾ قولان: أحدهما: الحافظ لذنوبه حتى يرجع عنها، قاله أبن عباس. والثاني: الحافظ لأمر الله تعالى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ خَيْنَ اَرْحَنَ إِلْفَتِ ﴾ (١) قد بيّناه في الانبياه: ٤٩] ﴿ وَبَلَةُ يَقْلَو كُنِيكِ أَي: راجع إلى طاعة الله عن معصيته. ﴿ وَمَنْكُوهُ وَي الجنة، ﴿ وَالكُ أنهم سلموا من عذاب الله، وسلموا فيها من العُموم والتغيَّر والزَّوال، وسلَّم اللهُ وملائكتُه عليهم ﴿ وَلِكَ يَوْمُ ٱلتُلُودِ ﴾ في الجنة، لأنه لا موت فيها ولا زوال. ﴿ مَمْ مَا بَنَاكُنُ والنَّعُ اللهُ وملائكتُه عليهم ﴿ وَلِكَ يَوْمُ ٱلتُلُودِ ﴾ في الجنة، لأنه لا موت فيها ولا زوال. ﴿ مَمْ مَا لَمْ يَسَالُوا، فذلك قوله: ﴿ وَلَلَيْنَا مَرِيدٌ ﴾ وذلك أنهم يَسألوا الله المزيد ثلاثة أقوال: أحلها: أنه النظر إلى الله على وي علي على عن النبي على في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَرِيدٌ ﴾ : يتجلى لهم الرب تعالى في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَرِيدٌ ﴾ : يتجلى لهم الرب تعالى في كل جمعة (٣). وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَرِيدٌ ﴾ : يتجلى لهم الرب تعالى في أخر جمعة (٣). والثالث: أن الزِّيادة على ما تمنَّوه وسألوا ممّا لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، ذكره أبو سليمان الدمشقي. ثم خوَّف كفار مكة بما بعد هذا إلى قوله: ﴿ وَنَشَوْا فِي الْلِدِ ﴾ قرأ الجمهور فونقَبُوا ، بفتح النون والقاف مع تشليدها. وقرأ أبيُّ بن كعب، وابن عباس، والحسن، وابن السميفع، ويحيى بن يعمر كذلك، الإ أنهم كسروا القاف على جهة الأمر تهدُّداً. وقرأ عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وقنادة، وابن ابي عبلة ، وعبيد عن أبي عمرو: فنقَبوا ، فيتح القاف وتخفيفها. قال الفراء: ومعنى فنقَبوا ، ساروا في البلاد، فهل كان لهم من الموت مِن مَحيد القاف، فإنه كالوعيد؛ والمعنى: اذهبوا في البلاد وجيئوا فهل من الموت مِن مَحيص؟! وقال المرة القيس: القاف، فإنه كالوعيد؛ والمعنى: اذهبوا في البلاد وجيئوا فهل من الموت مِن مَحيص؟! وقال الرجاج: وقال المرة القيس:

لَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّا الللّه

فأمَّا المَحيص فهو المَعْدِل؛ وقد استوفينا شرحه في سورة [النساء: ١٢١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ ﴾ يعني الذي ذكره من إهلاك القرى ﴿ لَذِكْرَىٰ ﴾ أي: تذكرة وعِظَة ﴿لِنَ كَانَ لَهُ قَلَبُ ﴾ قال ابن عباس: أي: عقل. قال الفراء: وهذا جائز في اللغة أن تقول: مالَكَ قلب، وما معك قَلبُك، تريد العقل. وقال ابن قتيبة: لما كان القلب موضعاً للعقل كنى به [عنه]. وقال الزجاج: المعنى: لمن صرف قلبه إلى التفهُم ﴿أَنَى التَّفَهُم ﴿أَنَى التَّفَهُم ﴿ أَنَى التَّفَهُم ﴿ أَنَى التَّمْ اللهُ الفراء: «وهو شهيد، أي: شاهد ليس منائل. من الله الفراء: «وهو شهيد، أي: شاهد ليس منائل. م

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خُلَقَنَكَا ٱلشَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ذكر المفسرون أن اليهود قالت: خَلَقَ اللهُ السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فنزلت هذه الآيات،

⁽١) قال ابن كثير: أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله ﷺ؛ قورجل ذكر الله خالبًا ففاضت عينامه.

 ⁽۲) ذكره الألوسي في «روح المعاني» ۲۷/ ۱۷۳ من رواية البيهةي في «الرؤية» والديلمي عن علي ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَنَا مَزِيدٌ﴾ قال:
 يتجلى لهم الرب ﷺ.

 ⁽٣) ذكره الألوسي في (روح المعاني؛ ١٧٣/٢٧ من رواية ابن المنذر وجماعة عن أنس أنه قال في ذلك أيضاً: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة.

 ⁽٤) دديوانه، ٩٩، وفعجاز القرآن، ٢/ ٢٢٤، ودالطبري، ٢٦/ ٢٧١، والعجار الشعر الجاهلي، ١/ ٨٠، وداللسان، ودالتاج، نقب. وفي دالليوان، دوقد طوفت، بدل دلقد نقب.

فَأَكْذَبِهِمُ اللَّهُ ﷺ بقوله: ﴿وَمَا مُشَيِّنَا مِن لُّنُوبٍ﴾ (١٠ ٪ قال الزجاج: واللُّغوب: التَّعب والإعياء.

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُ عَلَى مَا يَتُولُونَ ﴾ أي: من بَهتهم وكذبهم. قال المفسرون: ونسخ معنى قوله: «فاضبِر» بآية السيف، ﴿ وَسَيْعَ بِعَنْدِ رَئِكَ ﴾ أي: صَلِّ بالثَّناء على ربُّك والتنزيه [له] ممَّا يقول المُبْطِلُون ﴿ قَبَلَ طُلُوعِ الشَّيْسِ ﴾ وهي صلاة الفجر. ﴿ وَبَيْلَ النُرُوبِ ﴾ فيها قولان: أحدهما: صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس. والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبد الله، قال: كُنّا عند رسول الله على البدر، فقال: النَّكم سَتُرُونَ وبُكم عِياناً كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُونَ (من عبد الله النَّروب فانعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدِد رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبِل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدِد رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبَل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدِد رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبَل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدِد رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبَل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدِد رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبَل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدْدِ رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقِبَل المُعْروب فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّح بِحَدْدِ رَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّعِينَ وَالْتُعْمَالَةُ وَلَا النَّهِ اللهِ عَلَيْقَ اللَّهُ عَلَيْكُونُ وَلِيْكُ عَلَى اللهُ وَالْمِعْ الشَّعْسِ وَقِبَل المُعْرُوبِ فافعلوا: وقرأ: ﴿ وَسَيِّع بِحَدْدِ رَبِكَ قَبْلُ طُلُوعِ الشَّعْسِ وَقِبَل المُعْرِقِ وَقَرْنَا الْقُومِ اللهِ السَّعْنِ اللهُ عَلَيْلُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَالْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللهُ الْعَلَوْدُ وَالْعَلَادُ وَلَمْ اللهِ اللهُ عَلَى اللْعَلَوْنَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ السَّعْمِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ ا

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّيْلِ شَرَبِتُهُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة الليل كلُّه، أيَّ وقت صلّى منه، قاله مجاهد. والثاني: صلاة العشاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَرَادَبُكَرَ السُّجُودِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، وخلف: بكسر الهمزة؛ وقرأ الباقون بفتحها. قال الزجاج: من فتح ألف «أدبار» فهو جمع دُبُر، ومن كسرها فهو مصدر: أدبر يُدْبِر إدباراً. وللمفسرين في هذا التسبيح للاثة أقوال: أحدها: أنه (٤) الرَّكعتان بعد صلاة المغرب، روي عن عمر، وعليّ، والحسن بن علي رهيء، وأبي هريرة، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وقتادة في آخرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه النوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات، رواه مجاهد عن ابن عباس. وروي عن أبي الأحوص أنه قال في جميع التسبيح المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

﴿ وَٱسْتَنِعْ بَيْمَ يُنَادِ الْنُنَادِ مِن مَكَانِ قَرِهِ ۞ بَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْعَةَ بِالْعَقِّ ذَلِكَ بَوْمُ الْمُثُوجِ ۞ إِنَّا خَنُ ثَمْدٍ. وَنُبِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَعِيرُ ۞ بَنَ أَعْلَ بِنَا يَشُولُونَ وَمَا أَنَتَ عَلَيْهِم بِمِبَالْرِ فَذَكِرٌ بِالْفُرْمَانِ مَن يَعَافُ وَمِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبِعْ بَرْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر "ينادي المُنادي، بياءٍ في الوصل. ووقف ابن كثير بياءٍ، ووقف نافع وأبو عمرو بغير ياءٍ. ووقف الباقون ووصلوا بياءٍ. قال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي الممنادي. قال المفسرون: والمنادي: إسرافيل، يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس هلُمُوا إلى الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء؛ وهذه هي النفخة الأخيرة، والمكان القريب: صخرة بيت المقدس. قال كعب ومقاتل: هي قرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن السائب: باثني عشر ميلاً. قال الزجاج: ويقال: إن تلك الصخرة في وسط الأرض (٥).

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ يَسْمَوُنَ الصَّيْمَةَ ﴾ وهي [هذه] النَّفخة الثانية ﴿ إِلْحَقُّ ﴾ أي: بالبعث الذي لا شكَّ فيه ﴿ وَلِكَ يَرْمُ الشَّيْمَةَ ﴾ وهو قوله: النَّرُوجِ ﴾ من القبور. ﴿ إِنَّا غَنْ غُيِّهِ وَكُبِيتُ ﴾ أي: نُميت في الدنيا ونُحيي للبعث ﴿ وَإِلْيَنَا الْمَسِيرُ ﴾ بعد البعث، وهو قوله: ﴿ يَشَقَّ اللَّهُ الشَينَ ؛ وقرأ الباقون بتخفيفها: ﴿ مِرَاعَا ﴾ أي: فيخرجون منها سراعاً. ﴿ وَلِكَ حَثْرُ عَلَيْهَ عَلِيمٍ ﴾ أي: هيئنٌ. ثم عزَّى نبيَّه فقال: ﴿ فَنَنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ في تكذيبك، يعني كفار مكة ﴿ وَمَا أَنْ عَلَيْمٍ عِبَارً ﴾ قال ابن عباس: لم تبعث لتجبرَهم على الإسلام إنما بُعثتَ مذكّراً ،

 ⁽١) ذكره الطبري عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ١١٠ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن الحسن وقتادة.

 ⁽۲) ولا تضامون، يجوز ضم التاء وفتحها. وهو بتشديد الميم من الضم، أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض، ولا يقول: أرتبه، بل كل ينفرد برؤيته. وروي بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم، يعني: لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض، بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى.

٣) رواه البخاري في اصحبحه ٤٥٨/٨، ومسلم ٤٣٩١، ورواه أحمد في المسند؛ وأصحاب السنز؛ عن جرير بن عبد الله كلم.

⁽٤) في الأصل: أنها ...

٥) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند، والخازن بغير سند ولم يعزه لأحد، وذكره ابن جرير الطبري ٢٦ / ١٨٣ عن تنادة عن كعب الأحبار مطولاً، ومختصراً
 عن بريدة ﷺ، وأفورده السيوطي في «الدر» ٦/ ١١٠ من رواية ابن عساكر والواسطي في «قضائل بيت المقدس» عن يزيد بن جابر.

وذلك قبل أن يؤمّر بقتالهم؛ وأنكر الفراء هذا القول فقال: العرب لا تقول: «فَعّال من أفعلتُ» لا يقولون: «خَرَّاج» يريدون «مُخْرِج» ولا «دخّال» يريدون «مُدْخِل»، إنما يقولون «فَعّال» من «فَعَلْتُ»، وإنما الجبّار هنا في موضع السلطان من الجبرية، وقد قالت العرب في حرف واحد: «دَرَّاك» من «أَدْرَكْتُ» وهو شاذ، فإن جعل هذا على هذه الكلمة فهو وجه. وقال ابن قتيبة: ﴿ يَمِّبًارُ ﴾ أي: بمسلَّط، والجبّار: الملِك، سبِّي بذلك لِتَجَبُّره، يقول: لستَ عليهم بملِك مُسلَّط. قال اليزيدي: لستَ بمسلَّط فتقهرَهم على الإسلام. وقال مقاتل: لِتَقْتُلَهم. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿ وَمَا آنَ عَلَيْهم يَهِ الله السيف.

رَبِهِ إِنْ مَنْ مَا اللهِ اللهِ أَيْ نَعِظْ به ﴿مَن يَخَاتُ وَعِيدِ﴾ [وقرأ يعقوب: «وعيدي، بياءٍ في الحالين]، أي: ما أوحدتُ مَنْ عَصانى من العذاب(١١).

* * *

 ⁽۱) قال ابن كثیر: ﴿ نَذَیْرٌ بِٱلْقُرُانِ مَن بَخَالُ رَمِیهِ ای: بلغ آنت رسالة ربك، فإنما بتذكر من بخاف الله ووعیده، ویرجو وعده كفوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا مَلَكُ مُلَكُ مَا لَكُ مُلَا اللّهُ وَعَلَيْكَ مُدَفَّهُمْ وَلَسَجِينَ اللّهُ بَهْدِى مَن يَشَكَآهُ ﴾، ﴿ لَيْنَ عَتَبْكُ مُدَفَّهُمْ وَلَسَجِينَ اللّهُ بَهْدِى مَن يَشَكَآهُ ﴾، ﴿ إِنَّكَ لَا يَمْدِى مَن يَشَكَآهُ ﴾، ﴿ إِنَّكَ لَا يَمْرُكُ مَلْكُمْ وَلَولُو جلل جلاله : ﴿ وَلَهْذَا قال تعالى هاهنا: ﴿ وَلَهَا أَنْ عَلَيْهِ عِبْدُ مِنْدُ أَمْرَانِ مَن بَثَالُ رَعِيدٍ ﴾ اهـ.

سورة الذاريات

مكية كلها بإجماعهم

يسم الله الكن التصد

قوله تعالى: ﴿ وَالدَّرِيَتِ ذَرَرا ﴿ ﴾ يعني الرِّيَاح، يقال: ذَرَت الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْواً: إذا فرَّقَتْه، قال الزجاج: يقال: ذَرَتْ فهي ذارية، وأذْرَت فهي مُذْرية، بمعنى واحد. ﴿ وَاللَّرِيَتِ ﴾، مجرور على القَسَم، المعنى: أُحْلِف بالذَّارياتِ وهذه الأشياء، والجواب ﴿ إِنَّا تُوعَدُنَ لَسَادِنٌ ﴾ قال قوم: المعنى: وربَّ الذاريات، وربِّ الجاريات. الجاريات.

 ⁽١) قال السيوطي في «الدر» ٦٠ ١١١: أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنفر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، من طرق عن علي بن أبي طالب في في قوله: ﴿وَالدَّرِيتِ عَلَى ﴿ وَالدَّرِيتِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى

 ⁽٢) قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس ، الناء، هانها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

في الماء وفي الرَّمْل إذا أصابته الرَّيح فهو حُبُك. وروي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: هذه هي السماء السابعة. ثم ذكر جواب القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَنِي قَوْلِ مُتَلِينٍ ﴾ في أمر محمد ﷺ، بعضُكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون. وفي القرآن [بعضكم] يقول: صِحْر، وبعضكم يقول: كَهانة ورَجَز، إلى غير ذلك. ﴿يُوْلَكُ عَنْهُ مَنْ أَيْكَ ﴿ الله وَقِيل القرآن، وقيل: يُصْرَف عن مَنْ أَيْكَ ﴿ الله والفاء في "عنه عائدة إلى القرآن، وقيل: يُصْرَف عن هذا القول، أي: من أجْله وسببه عن الإيمان من صُرِف [وقرأ قتادة: "مَنْ أَقَكَ، بفتح الألف والفاء. وقرأ عمرو بن دينار: «مَنْ أَقِكَ، بفتح الألف وكسر الفاء. ﴿ يُلِّلَ المَرَّسُونَ ﴿ الله قال الفراء: يعني [لُعن] الكذّابون الذين قالوا: إن دينار: «مَنْ أَقِكَ» بفتح الألف وكسر الفاء. ﴿ يُلِل المَرَّسُونَ ﴿ الله الفراء: يعني المُعنا الكينا الكذّابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكذًا بوشاعر، خَرَصوا ما لا علم لهم به. وفي رواية العوفي عن ابن عباس: أنهم الكهنة. وقال ابن الأنباري: والقتل إذ أخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ مُمْ لِى غَرَوَ ﴾ أي: في عمى وجهالة بأمر الآخرة: ﴿ سَاهُوتَ ﴾ أي: غافلون. والسَّهو: الغَفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه. ﴿ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ بَرْمُ اللِّينِ ﴿ ﴾ أي: يقولون: يا محمد متى يومُ الجزاء؟ التكذيباً منهم واستهزاء. ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿ يَتَمَ مُ عَلَ النَّارِ ﴾ قال الزجاج: «اليوم، منصوب على معنى: يقع الجزاء يومَ هُم على النّار ﴿ يُمُنَّنُوكَ ﴾ أي: يُحرَقون ويعلَّبون، ومن ذلك يقال للحجارة السُّود التي كأنها قد أُحرقت بالنار: الفّتين.

قوله تعالى: ﴿ وَدُونُوا ﴾ المعنى: يقال لهم: ذوقوا ﴿ فِنْنَكُرُ ﴾ وفيها قولان: أحدهما: تكذيبكم، قاله ابن عباس. والثاني: حريقكم، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: هاهنا تم الكلام، ثم اثتنف، فقال: ﴿ هَذَا اللَّهِ كُمُ بِهِ نَسَتَهُونَ ﴾ قال المفسرون: يعني الذي كتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء. ثم ذكر ما وعد اللّه لأهل الجنة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلنُّنَّةِ بَنْ فِي جُنَّدِ وَعُمُونٍ ﴾ وقد سبق شرح هذا [القرة: ٢٥، العجر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿ اَنِيْنِ كَ قَالَ الرَّجَاجِ ؛ هو منصوب على الحال، فالمعنى: في جنّات وعيون في حال أخذ ﴿ مَا عَالَيْهُمْ كَاثُوا مِنْ المعنى في العمالهم. وفي الآية وجه آخر: ﴿ عَنَيْنِ كَا المفسرون: أي ما أعطاهم الله من الكرامة ﴿ إِنَّهُمْ كَاثُوا فَلَلَ كُون عَيْنِ فَي أعمالهم. وفي الآية وجه آخر: ﴿ عَنَيْنِهُ أَي عَالَيْهُم ﴾ أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض ﴿ إَنَّهُمْ كَاثُوا فَلَلَ الْمُوسُ الفرائض عليهم، ﴿ عَنِينَ اللَّيْلِ مَا يَهَجُنُونَ ﴾ أي: مطيعين، وهذ معنى قول ابن عباس في رواية مسلم البطين (١٠). ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿ كَاثُوا قَلِلاً يَنَ اللَّيْلِ مَا يَهَجُنُونَ ﴾ أي اللهجوع: النّوم بالليل دون النهار (١٠). وفي قماء قولان: أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا ميسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله: ﴿ قليلاً على معنى: كانوا من الناس قليلاً ، ثم ابتدأ فقال: «من الليل ما يهجعون» على معنى نفي النوم عنهم البتّة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن قما بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري، وعلى هذا يحتمل أن تكون قما) زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَإِلْأَتِمَادِ ثُمْ يَسْتَغْيِرُنَ ۞﴾ وقد شرحناه في [آل عمران: ١٧].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَنْزَلِهِمْ خَنٌّ ﴾ أي: نصيب، وفيه قولان: أحدهما: أنه ما يَصِلون به رَحِماً، أو يَقْرون به ضيفاً، أو يحملون به كلّا، أو يُعينون به محروماً، وليس بالزَّكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة، وابن سيرين.

⁽۱) رواه ابن جرير ۱۹۲/۲۹ وفي سنده ضعف وانقطاع، وذكره ابن كثير عن عثمان بن أبي شيبة بسند حسن. وقد رد ابن كثير على ابن جرير مذا التفسير الذي أورده في انفسيره واقتصر عليه بقوله: ﴿ فَلَ جَنْتُ وَعُبُونِ﴾ الذي أورده في انفسيره واقتصر عليه بقوله: ﴿ وَ الله عَلَى الله وَ الله عَلَى الله وَ الله الله وَ الله الله وَ الله الله وَ الله وَالله وَ الله وَالله وَالله وَالله وَالله وَ الله وَالله وَ الله وَ الله وَالله وَ الله وَالله وَالله وَ الله وَالله وَ الله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَ الله وَالله و

⁽٢) روى أحمد في «المسند» والترمذي وابن ماجه في «سننهما» بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي الله المدينة انجفل الناس عليه (أي: ذهبوا)، مسرعين إليه فكنت فيمن انجفل، فلما ثبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا اللجنة بسلام».

قوله تعالى: ﴿ لِلنَّايَلِ ﴾ وهو الطالب. وفي: «المَحْرُومِ ، ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي ليس له سهم في في المسلمين، وهو المُحارَف (١) ، قاله ابن عباس. وقال إبراهيم: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. والثاني: أنه الذي لا ينمى له شيء، قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء: هو المحروم في الرّزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير، قاله محمد بن علي. والرابع: أنه المتعفّف الذي لا يَسأل شيئاً، قاله قتادة، والزهري. والمخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن بن محمد ابن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي. والثامن: أنه الكلب، روي عن عمر بن عبد العزيز. وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلَم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفّف لا يسأل ـ ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل ـ ثم يتحفظ بالتعفّف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروماً من قبّل نفسه حين لم يَسأل، ومن قبّل الناس حين لا يُعطونه، وإنما يفطن له متيقّظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية حين لم يَسأل، ومن قبّل الناس حين لا يُعطونه، وإنما يفطن له متيقّظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَايَتُ ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿ إِنْمُوتِينَ ﴾ بالله في الذين يعرفونه بصنعه. ﴿ وَفِي ٱللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَمَ عَلَما مَا مَ عَلَقاً ، ثم مُضَعاً ، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الشُور والألوان والطبائع، وتقويم الأدوات، والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودّعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله: قوفي أنفسكم، ثم قال: ﴿ أَفَلَا تُبْعِرُونَ ﴾ قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خَلقكم فتعرفوا قُدرته على البعث (٢).

قوله تعالى: ﴿ رَفِى النَّهَ لِهِ رَفَكُرُ ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وحميد، وأبو حصين الأسدي: «أرزاقُكم» براء ساكنة وبالف بين الزاي والقاف. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو نهيك: «رازِقُكم» بفتح الراء وكسر الرّاي وبألف بينهما. وعن ابن محيصن (٢٠ كهاتين القراءتين. وفيه قولان: أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وفي قوله: ﴿ مَا تُوكُنُك ﴾ قولان: أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمر مجازه: عند مَنْ في السماء رزقُكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُشْهره، قال نابغة [ذبيان]:

يُقَعْقَعُ خَلَفٌ رِجُلَبُهِ بِشَنْ (١)

كانَّكَ مِنْ جِمالِ بَنني أَتَبُسْ

أراد: كأنك جملٌ من جِمال بني أُقَيش،

قوله تعالى: ﴿إِنَّمُ لَحَقُّ ﴾ قال الزجاج: يعني ما ذكره من أمر الآيات والرِّزق وما توعدون وأمر النبي ﷺ ﴿يَئُلُ مُنَّا وَاللّمِ عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلْمُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى ال

﴿ مَلْ أَلَنَكَ حَدِيثُ مُنْبِ إِرَهِمَ الْمُكْرِينَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَكًا قَالَ سَلَمٌ فَرَمٌ مُنكُرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ. فَجَاةَ بِعِجْلِ سَيبنِ ۞ فَفَرَيْهُۥ إِنْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ فَأَرْضَن مِنهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا خَفَقْ رَبَشَرُوهُ بِمُلكِم عَلِيدٍ ۞ فَاتَبَلَتِ امْرَأَتُمُ فِي صَرَّرَ فَصَكَّتْ

⁽١) قال في «الصحاح»: ورجل محارف، بفتح الراء، أي محدود محروم، وهو خلاف قولك؛ مبارك، وقد حورف كسب فلان: إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿زَلِمْ أَشَكُمْ ﴾ أيضاً أيهمًا الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواء، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَلَكُ نَهِمُهُتَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه فتعلمؤا حقيقة وحدانية خالفكم؟!.

⁽٣) في الأصل: المحيصنة.(٤) تقدم البيت ٥٥٨.

رَحْهَهَا وَقَافَ عَبُوزُ عَفِيمٌ ۞ قَالُوا كَنَالِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞ ۞ قَالَ فَا خَطْبَكُو أَيُّنَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَيْسِلَنَا إِلَىٰ فَوْمِ تَجْرِينَ ۞ لِبَرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَازًا مِن طِينِ ۞ أَسَرَّيَةً حِدَ رَئِكِ الْسَرِينِينَ ۞ فَأَخْرَجَنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُنْوَمِينَ ۞ فَا رَحَدُنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِنَ الْشَرْلِينَ ۞ وَتُرْكُنَا فِيهَا مَاتِهُ لِلْذِينَ يَخَانُونَ الْلَمَانَ الْأَلِيمَ ۞

قوله تعالى: ﴿ مَلَ أَنْكَ حَدِثُ صَيْدٍ إِرَّهِمَ الْكُرِينَ ﴿ هَلَ المعنى قله في قول ابن عباس، ومقاتل، فيكون المعنى: قد أتاك فاستمع تَقْصُصُهُ عليك، وضَيفُه: هم الذين جاؤوا بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في [عود: ٧٠]، وذكرنا هناك معنى الضيف. وفي معنى المُكْرَمِينَ البعة أقوال: أحدها: لأنه أكرمهم بالعِجُل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: بأن خدمهم هو وامرأته بأنفُسهما، قاله السدي. والثالث: أنهم مُكْرَمون عند الله، قاله عبد العزيز بن يحيى. والرابع: لأنهم أضياف، والأضياف مُكْرَمون، قاله أبو بكر الورَّاق.

قوله تعالى: ﴿ فَمَّا أَوْا سَكَنَّهُ قَدْ ذَكُرْنَاهُ فِي [مرد: ٧٠].

قوله تعالى: ﴿ قَرُمُ تُنكُرُونَ ﴾ قال الزجاج: ارتفع على معنى: أنتم قومٌ مُنكرونَ. وللمفسرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال: أحدها: لأنه لم يعرفهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأنهم سلَّموا عليه، فأنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قاله أبو العالية. والثالث: لأنهم دخلوا [عليه] من غير استئذان. والرابع: لأنه رأى فيهم صورة البشر وصورة الملائكة.

قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَى آمْلِهِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عَدَل إليهم في خُفَيْة، ولا يكون الرَّواغُ إِلَّا أَن تُخْفِيَ ذهابَك ومَجيئك.

قوله تعالى: ﴿ فَجَانَةٍ بِسِجْلِ سَيينِ﴾ وكان مشويّاً ﴿ فَقَرْبَهُۥ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: والمعنى: فقرَّبه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿ أَلَا تَأْكُونَ ﴾؟! على النَّكير، أي: أمرُكم في ترك الأكل ممّا أُنْكِرُه (١٠).

قوله تعالى: ﴿ مَا رَحَسَ مِنْهُمْ خِيلَةً ﴾ قد شرحناه في [هرد: ٧٠]، وذكرنا معنى: "غلام عليم" في [العجر: ١٥١. ﴿ تَأْبَلُتِ الْمَرَاتُهُ ﴿ وَهِي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة للم تُقْبِل مِن مَوضع إلى مَوضع، وإنما هو كقولك : أقبل يَشتُمني، وأقبل يَصيح ويتكلم، أي: أخذ في ذلك، والصَّرَة: الصَّيحة، وقال أبو عبيدة : الصَّرَة: شِدَّة الصَّوت. وفيما قالت في صَيحتها قولان: أحهما: أنها تأوَّهتْ، قاله قتادة، والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿ نَمَكُنْ رَجْهَهَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: لطمتْ وجهها، قاله ابن عباس. والثاني: ضربتْ جبينها تعجَّباً، قاله مجاهد. ومعنى الصَّلُّ: ضَرْبُ الشيء بالشيء العريض (٢٠). ﴿ وَقَالَ عَبُورُ ﴾ قال الفراء: هذا مرفوع بإضمار واتلِدُ عجوزٌ ٤. وقال الزجاج: المعنى: أنا عجوز عقيمٌ، فكيف ألِدُ؟! وقد ذكرنا معنى ﴿ اَلْمَيْبَ ﴾ في [مود: ٢٧]. ﴿ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ أنك ستلِدين غُلاماً ؛ والمعنى: إنما نُخبرك عن الله عَلَى وهو حكيم عليم يَقَدِر أن يَجعل العقيم وَلُوداً ، فعلِم [حينندً] إبراهيمُ أنهم ملائكة. ﴿ قَالَ بَنَا خَطْبُكُمُ هفسر في [الحجر: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿ حِجَازَةُ مِن طِينِ ﴾ قال ابن عباس: هو الآجُرُّ.

قوله تعالى: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكُ ﴾ قد شرحناه في [مود: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ قال ابن عباس: للمشركين.

قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾، أي: من قُرى لوط ﴿ بِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَسَرِ بِأَهْلِكَ﴾ الآية. هود: ٤٨].

⁽١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَكَ تَأَكُّونَ ﴾؟: تلطف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام. بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي. فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: ﴿ أَلا تَأْكُونَ ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

⁽٢) قال في، اللسانة: الصك: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صكه يصكه صكاً.

﴿ فَمَا وَيَدَقَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ بِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ ﴿ وهو لوط وابنتاه، وَصفهم اللَّهُ ﷺ بالإِيمان والإِسلام، لأنه ما من مؤمِن إلا وهو مُسْلِم.

﴿ وَتَرَكَّكَا فِيهَا مَايَدً﴾ أي: علامة للخائفين من عذاب الله تَدُلُّهم على أن الله أهلكهم. وقد شرحنا هذا في [المنكبوت: ٣٥] وبيّنًا المَكنى عنها.

قوله تعالى: ﴿ وَفِ مُوسَىٰ ﴾ أي: وفيه أيضاً آية ﴿ إِذْ أَرْسَلَنَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلَطُنِ شَيِنِ ﴾ أي: بحجة ظاهرة ﴿ فَنَوَلَىٰ ﴾ أي: أعرض ﴿ يِرْكُودِ ﴾ قال مجاهد: بأصحابه. وقال أبو عبيدة: "بركنه" و "بجانبه" سواء، إنما هي ناحيته ﴿ وَقَالَ سَحِرُ ﴾ أي: وقال لموسى: هذا ساحر ﴿ أَوْ بَحَوْنٌ ﴾ وكان أبو عبيدة يقول: «أو» بمعنى الواو. فأمّا «البّيمٌ افقد ذكرناه في [الاعراف: ١٢٦] و «مُليم في [المانات: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿ وَفِي عَادِ ﴾ أي: في إهلاكهم آية أيضاً ﴿ إِذْ أَرْسَلَنَا عَلَيْهِمُ ٱلزِّيجَ ٱلْمَقِيمَ ﴾ (() وهي التي لا خَير فيها ولا بَرَكة، لا تُلقِح شجراً ولا تَحْمِل مطراً، وإنما هي للإهلاك. وقال سعيد بن المسيّب: هي الجَنُوب. ﴿ مَا لَذَرُ مِن ثَيْهِ أَتَ عَلَيْهِ ﴾ أي: من أنفسهم وأموالهم، ﴿ إِلاّ جَمَلَتُهُ كَالرَّمِيمِ أي: كالشيء الهالك البالي. قال الفراء: الرَّميم: نبات الأرض إذا يَسِس وَدِيس. وقال الزجاج: الرَّميم: الورق الجاف المتحطّم مثل الهشيم. ﴿ وَنِ تَنُودَ ﴾ آية أيضاً ﴿ إِذْ يَلَ لَمُمْ تَسَمُّوا خَيْ يَسِس وَدِيس. وقال الزجاج: الرَّميم: الورق الجاف المتحطّم مثل الهشيم. ﴿ وَنِ تَنُودَ ﴾ آية أيضاً ﴿ إِذْ يَلَ لَمُمْ تَسَمُّوا فَي الدُّنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهدُّداً لهم. والثاني: أن صالحاً قال يعرف لهم بعد عقر النّاقة: تَمتَّموا ثلاثة أيام؛ فكان الجين وقت فناء آجالهم، ﴿ فَمَثَوا عَنْ أَثْرِ رَبِّمَ ﴾ قال مقاتل: عصوا أمره ﴿ فَالَمُ السَّمُ وَحَدُهُ: والصَّعْقةُ ﴾ يعني العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل. وقرأ الكسائي وحده: والصَّعْقةُ ﴾ [بسكون العين من غير ألف]؛ وهي الطوت الذي يكون عن الصاعقة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يَرَوْنُ ذلك عِياناً. والثاني: وهم يَنتظرون العذاب، فأتاهم صيحةً يومَ السبت.

قوله تعالى: ﴿فَا اَسْتَطَاعُوا مِن فِيَارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما استطاعوا نُهوضاً من تلك الصَّرعة. والثاني: ما أطاقوا ثُبُوتاً لعذاب الله ﴿وَيَا كَانُوا مُنفَعِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ شُجِ مِن مَلَ ﴾ قرأ أبو عمرو إلّا عبد الوارث، وحمزة، والكسائي: بخفض الميم، وروى عبد الوارث رفع الميم، والباقون بنصبها. قال الزجاج: من خفض القوم فالمعنى: وفي قوم نوح آيةٌ، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿ فَأَخذَتُهم الصاعقةُ عَلِن معناه: أهلكناهم، فيكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح، والأحسن - والله أعلم - أن يكون محمولاً على قوله: ﴿ وَأَخَذَتُهُ وَجُورُهُ فَنَبَدَهُمْ فِي ٱلْيَهِ ﴾ لأن المعنى: أغرقناه، وأغرقنا قوم نوح. ﴿ وَالنَّمَاةَ المُصورين المعنى: وبنينا السماء بنيناها ﴿ إِنَّيْكِ ﴾ أي بقُوّة، وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسائر المفسرين واللغويين: ﴿ بأيد الي بقُوّة. وفي قوله: ﴿ وَإِنَّا لَهُ يُسِعُونَ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: لموسِعون الرّزق بالمطر، قاله الحسن. والثاني: لموسِعون السماء، قاله ابن زيد. والثالث: لقادرون، قاله ابن قنيبة. والرابع: لموسِعون ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج. والخامس: لذو سعة لا يضيق عمّا يريد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشَتَهَا فَيْمَ ٱلْمَنْهِدُونَ ١ ﴿ قَالَ الزجاج: هذا عطفٌ على ما قبله منصوبٌ بفعل مُضمر

⁽١) وهي الدبور، فقد روى مسلم في اصحيحه ٢١٧/٢ عن عبد الله بن عباس را النبي الله اله قال: انصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبوره.

محذوف يدلُّ عليه قوله: «فرشناها»، فالمعنى فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَيْمَ ٱلْكَيْهِدُونَ﴾ أي: فنِعْم الماهدون نحن. قال مقاتل: «فرشناها» أي: بسطناها مسيرة خمسمائة عام، وهذا بعيد، وقد قال قتادة: الأرضُ عشرون ألف فرسخ^(۱)، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَيَن كُلِّ نَيْءٍ خَلْنَا زَنَيْمَيْ ﴾، أي: صِنفين ونَوعَين كالذكر والأنثى، والبرّ والبحر، واللّيل والنّهار، والحُلو والمُرّ، والنُّور والنُّظلمة، وأشباه ذلك ﴿ لَمَلّكُمْ تَذَكّرُونِ﴾ فتغلموا أن خالق الأزواج واحد. ﴿ فَيَرُوّلَ إِلَى اللّهِ ﴾ بالنَّوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: الهُرُبُوا ممّا يوجِب المِقاب من الكُفر والمِصيان إلى ما يوجِب النَّواب من الطّاعة والإيمان.

قوله تعالى: ﴿ كَتَالِكَ ﴾ أي: كما كذَّبك قومُك وقالوا: ساحر أو مجنون، كانوا من قبلك يقولون للأنبياء.

قوله تعالى: ﴿ أَنُواَصُوْا بِدِهِ اي: أَوْصَى أَوَّلُهُم آخَرَهُم بِالتَكَذَيبِ؟ ا وهذا استفهام توبيخ. وقال أبو عبيدة: أتواطؤوا عليه فأخذه بعضُهم من بعض؟!

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مُمْ قَرِّمٌ مَا عُونَ﴾ أي يحملُهم الطُّغيان فيما أُعطوا من الدُّنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة. ﴿ وَنَوْلٌ عَنْهُم ﴾ فقد بلَّغْتُهم ﴿ وَمَا أَنَ ﴾ عليهم ﴿ بِمَلُورٍ ﴾ لأنَّك قد أدَّيت الرِّسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿ وَيَكُرُ يَانَ اللَّهُ كُنُ لَنَكُمُ النُّوْيِينَ ﴾ والثاني: آية السيف، وفي قوله: ﴿ وَذَكُر ﴾ قولان: أحدهما: عَظْ، قاله المقاتل. والثاني: ذَكِّرهم بأيّام الله وعذابه ورحمته، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَاخْتَلُفُوا فِي هَذَهُ الْآيَةُ عَلَى أَرْبُعَهُ أَوْلِهُ الْبَاءُ فِي قَيْدُونِ ﴾ أثبت الياء في قيدُبُدُون و قيطُعِمُون، و قلا يستعجِلون، في الحالين يعقوب. واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلّا لا مُرهم أن يعبدوني، قاله علي بن أبي طالب، واختاره الزجاج. والثاني: إلّا لِيُقِرُّوا بالعبُودية طوْعاً وكرْها، قاله ابن عباس؛ وبيان هذا قوله: ﴿ وَلَهِن سَأَنْتُهُم مَّنْ خَلْقَهُمْ لَيُعْدُلُ اللّهُ ﴾ [الزحرف: ١٨]. والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيّب: ما خلقتُ من يعبدني إلا ليعبُنني. وقال الضحاك، والفراء، وابن قتية: هذا خاص لأهل طاعته، وهذا اختيار القاضي أبي يعلى فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأن البُله والأطفال والمجانين لا يدخُلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، فكذلك الحُقّار يخرجُون من هذا بدليل قوله: ﴿ وَلَقَدُ ذَرَانًا لِجَهَنَدُ كَثِيرًا مِن البِنِي وَلَلْإِن اللّهُ اللّه اللهُ عَلَى اللّه اللهُ والله الله الله الله عنه العبادة في اللغة: الذُّلُ والانقياد. وكُلُّ الخلق خاصة ذليلٌ لقضاء الله على لا يملك خُروجاً عمّا قضاء الله على المعاني.

قولة تعالى: ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُم مِن زِنْوَ﴾ أي: ما أُريدُ أن يرزُقوا أنفسهم ﴿وَمَا أَرِيدُ أَن يُطْمِعُونِ﴾ أي: أن يُطْمِعُوا أحداً من خَلْقي، لأنّي أنا الرَّزَاق. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعم عِيالَ أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الخديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿يقول الله ﷺ يوم القيامة: يا ابن آدم: استطعمتُكُ فلم تُطُخِمني، أي: لأم تُطْعِم عبدي (١٠). فأمّا ﴿الرَّزَاقُ﴾ فقراً الضحاك، وابن محيصن: ﴿الرَّارَقُ، بُورَن ﴿العالِمِ». قال الخطابي: هو المتكفّل بالرَّزُق القائمُ على كل نَقْس بما يُقيمها من قُوتها. ﴿السَّينَ ﴾ الشديد القُوّة الذي لا تنقطع قُوّته ولا يَلحقه في

⁽١) ليس في هذا خير عن الشارع، وإنما هو ضرب من الظن والتخمين.

⁽٢) وهو تطعة من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ٤/ ١٩٩٠، ونصه: عن أبي هريرة رضي قال: قال رسول الله رضي النه الله يقدي يقول يوم المتيامة: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدي فلاتاً مرض فلم تعلمه، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك غلم تعلمه تفل تعلمه قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك قلم تستني، قال: يا رب كيف أسقبك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك في مشيته وجدت ذلك عندي، إلى المناسمة على الله عندي، ألى الله عندي، أما إنك الله عندي، أما إلى الله عندي، ألى الله عندي، ألى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما الله عندي، أما الله الله عندي، أما الله عندي، أما الله عندي، أما الله عندي، أما إلى الله عندي، أما إلى الله عندي، أما الله عندي، أما الله عندي، أما الله عندي، أما إلى الله عندي، أما الله الله الله عندي، أما الله الله الله عندي، أما ا

. .

أفعاله مَشقَّة. وقد روى قتيبة عن الكسائي أنه قرأ: «المتين» بكسر النون. وكذا قرأ أبو رزين، وقتادة، وأبو العالية، والأعمش. قال الزجاج: ﴿ذُو ٱلْقُوَةِ المتينِ ۚ أَي: ذو الاقتدار الشديد، ومن رفع ﴿المتينِ ۖ فهو صفة الله ﷺ، ومن خفضه جعله صفة للقُوة، لأن تأنيث القُوَّة كتأنيث المَوعظة، فهو كقوله: ﴿ فَمَن جَآةُمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِيهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ طَلَمُوا ﴾ يعني مشركتي شكة ﴿ ذَوْيًا ﴾ أي: نصيباً من العذاب ﴿ مِثْلَ ذَنُوبِ أَصَيبِهِ ﴾ الذين أهلكوا، كقوم نوح وعاد وثمود. قال الفراء: الذُّنوب في كلام العرب: الدُّلْرُ العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصيب والحظِّ: (١)، قال الشاعر:

لَــنـا ذَنُــوبٌ وَلـــكُـــمْ ذَنُــوبُ فَإِذْ أَبَيْتُم فَلَنا الْقَلِيبُ ''

والنَّنوب يُذَكِّر ويؤنَّث. وقال ابن قتيبة، أصل النَّنوب: اللَّلو العظيمة، وكانوا يَستقون، فيكون لكل واحدٍ ذَنوب، فُجُعل ﴿ الذُّنوبِ ، مكان ﴿ الحظِّ والنصيبِ ، .

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَمْمِلُونِ ﴾ أي: بالعذاب إن أُخِّروا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يوم

.

⁽١) وتمام كلام الفراء: ويذاك أتى التفسير، فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم.

⁽٧) البيت في همعاني القرآن؛ الورقة ٣١٣، والطبري، ٧٤/٦٤، والبحر، ٨/١٣٣، واللسان، والتاج، ذنب. والقليب: البثر.

سورة الطّـور وهي مكية كلُّها بإجماعهم

ينسب ألمّر التُغَنِ التَّحَبُ إِنْ التَّحَبُ لِي

﴿ وَالشَّوْدِ ۞ وَكَتَّتُو مَسْتُطُودٍ ۞ فِي رَقِ مَنْشُورٍ ۞ وَالبَّيْتِ الْمَسْتُورِ ۞ وَالشَّقْفِ الْمَرْفُعِ ۞ وَالبَّخْرِ اللَّهَ عَمْوَ وَالْمَيْتِ الْمَسْتُورِ ۞ وَالشَّفِ الْمَرْفُعِ ۞ مَوْدِ اللَّهَ عَمْدُ وَ مَوْدِ وَاللَّهِ اللَّهِ مَا لَذِي مُمْ وَاللَّهِ اللَّهِ مَا لَذِي اللَّهُ اللَّهِ مَا لَهُ مِن وَافِع ۞ بَرْمَ نَشُورُ السَّمَلَةُ مَوْرُو ۞ وَشِّيعُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ مَا لَمُنْ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مَلْمُونَ ۞ السِّيمُ اللَّهُ اللّ اللّهُ اللّ

قوله تعالى: ﴿ وَالتَّارِ ﴿ ﴾ هذا قَسم بالجبل الذي كلَّم اللّهُ ﴾ عليه موسى ﴿ وهو بأرض مَدْين [واسمه زَبير] (١٠٠ ﴿ وَكُنْبٍ مَسَّطُرهٍ ﴿ ﴾ أي: مكتوب، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: التوراة. والرابع: القرآن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ فِي رَقِهِ قال أبو عبيدة: الرَّقِّ: الرَّرِّق. فأما المنشور: فهو المبسوط.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَثْوُرِ ﴿ فَيه قولان: أحلهما: أنه بيت في السماء. وفي أي سماءٍ هو؟ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] في السماء السابعة، رواه أنس عن النبي ﷺ (٢٠). وحديث مالك بن صعصعة الذي أُخرج في الصحيحين، يدل عليه (٣٠). والثاني: أنه في السماء السادسة، قاله علي ﷺ (٤٠). والثالث: أنه في السماء الدنيا، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (٥٠). وقال ابن عباس: هو حيال الكعبة يحُجُّه كُلَّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضَّراح. وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلمّا كان زمن نوح أمر الناس بحجُه، فعصوه، فلمّا طغى الماء رُفع فجُعل بحذاء البيت في السماء الدنيا (٢٠). والثاني: أنه البيت الحرام، قاله الحسن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «المعمور»: الكثير الغاشية.

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّقَفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۞ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، قاله علي ﷺ والجمهور. والثاني: العرش، قاله الربيع.

⁽١) قال ابن كثير: يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، قال. فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، قال: وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل. اهم.

⁽۲) روى ابن جرير الطبري ۱۷/۲۷ من حديث حماد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم صبعون ألف ملك ثم لا يمودون إليه حتى تقوم الساعة، ورواه الحاكم ٤٦٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٦/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

⁽٣) حديث مالك بن صعصة رواه البخاري في «صحيح» ٢١٩/٦، ومسلم ١٥٠/١ وهو حديث طويل، والشاهد منه هنا قوله ﷺ وقاتينا السماء السابعة، قبل: من هذا؟ قبل: من همك؟ قبل: محمد، قبل: وقد أرسل إليه؟ مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتبت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من ابن ونهي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي قبه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخر ما طبهم. . . ، واللفظ للبخاري.

⁽٤) رواه ابن جرير الطبري ١٦/٢٧ وفي سنده خالد بن عرعرة وهو مجهول، وهو معارض للحديث الصحيح.

 ⁽٥) ذكره السيوطي في «الدر، ١١٧/٦ ونسبه إلى ابن العنذر، والعقيلي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وضعف إسناده. وقال ابن كثير: والذي في السماء الدنيا يقال له: بهت العزة، والله أعلم.

⁽٦) والقول األول، وهو أن البيت المعمور في السماء السابعة هو الصواب كما ثبت ذلك في «الصحيحين» وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بحر تحت العرش ماؤه غليظ يُمْطَر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتُون في قبورهم، قاله على هي والثاني: أنه بحر الأرض (١١) ، ذكره الماوردي. وفي ﴿السّجُورِ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: المملوء، قاله الحسن، وأبو صالح، وابن السائب، وجميع اللغويين (١٦). والثاني: أنه المُوقد، قاله مجاهد، وابن زيد. وقال شمر بن عطية: هو بمنزلة التنور المسجور. والثالث: أنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، قاله أبو العالية. وروي عن الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة. وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد. وقد نقل في الحديث ﴿أَنَ اللهُ تعالى يجعل البحار كلّها ناراً، فتزاد في نار جهنم (١٣). والرابع: أن «المسجور» المختلط عذبه بولحه، قاله الربيع بن أنس. فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن تعذيب المشركين حق، فقال: ﴿إنَّ عَذَابُ رَبِّكَ لَوَيْعٌ ﴿) أي: لكائن في الآخرة. ثم بين متى يقع، فقال: ﴿وَنَ مَدُوراً ، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. والثاني: تحرَّكُ تحرُّكاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. والثاني: تحرَّكُ تحرُّكاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قادة. وقال أبو عبيدة: «تمور» أي: تكفّأ، وقال الأعشى:

كَأَذَّ مِشَيْتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِها . مَوْرُ السَّحابِةِ لا رَيْثٌ ولا عَنجَلْ "

والثالث: يموج بعضها في بعض لأمر الله تعالى، قاله الضحاك. وما بعد هذا قد سبق بيانه النمل: ١٨٨ إلى قوله:

﴿ اللَّذِينَ هُمْ فِي خَوْمِ يَلَمُّونَ ﴾ أي: يخوضون في حديث محمد وللله بالتكذيب والاستهزاء، ويلهُون بذكُره، فالويل لهم. ﴿ وَمَعْ يُدَعُّونَ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُذفعون، يقال: دَعَعتُه أدُعُه، أي: دفعته، ومنه قوله: ﴿ يَلَمُعُ الْكِيْسَمُ اللهاعون: ٢٢. قال ابن عباس: يُذفع في أعناقهم حتى يردوا النّار. وقال مقاتل تُغلُّ أيديهم إلى أعناقهم وتُجْمعُ نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتُها: ﴿ وَلَنُ اللَّهِ كُنتُهُ بِهَا النّار؟ فلمّا ألقوا فيها قال لهم خزنتُها: ﴿ اصَّلَوْهَا ﴾ . وقال غيره: لمّا نسبوا محمداً الله إلى أنه ساحر يغطّي على النار؟ فلمّا ألقوا فيها قال لهم خزنتُها: ﴿ اصَّلَوْهَا ﴾ . وقال غيره: لمّا نسبوا محمداً الله إلى أنه ساحر يغطّي على العذاب الأبصار بالسَّحر، ويُتّخوا عند رؤية النار بهذا التوبيخ، وقيل: ﴿ اَصَّلَوْهَا ﴾ أي: قاسوا شِدَّتها ﴿ وَالتَحَدْبِ .

﴿إِنَّ ٱلْمُنْقِينَ فِي جَنَّتِ رَفِيدٍ ۞ تَكِيهِبَنَ بِمَا مَالنَهُمْ رَيُّمُ وَوَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْمَجِيدِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا حَنِيَنَا بِمَا كُنتُمْ تَمَمَّلُونَ ۞ مُتَكِينِ عَلَى شُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَيَّخْتَهُم بِحُورٍ عِينِ ۞﴾

ثم وصف ما للمؤمنين بما بعد هذا، وقوله: ﴿ فَنَكِهِينَ ﴾ قرئت بألف وبغير ألف، وقد شرحناها في [يس: ٥٥]، ﴿ وَكَانَهُمْ ﴾ أي: صرف عنهم و ﴿ أَلْمِيمُ ﴾ مذكور في [البنرة: ١١٩]. ﴿ كُلُوا ﴾ أي: يقال لهم: كُلوا ﴿ وَالْمَرَةُ كُلُوا ﴾ أي تأمنون حدوث المرض عنه. قال الزجاج: المعنى: لِيهْنِكم ما صِرتم إليه، وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ١٤]. ثم ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم، فقال: ﴿ مُتَكِينَ عَلَى سُرُر ﴾ وقال ابن جرير: فيه محذوف تقديره: على نمارق على سُرُر، وهي جمع سرير ﴿ مَتَمَنُونَةٌ ﴾ قد وُضع بعضها إلى جنْب بعض. وباقي الآية مفسر في سورة [الدعان: ١٥٤].

⁽١) وهو قول الجمهور، والأول لا يصح. (٢) وهو الذي اختاره الطبري ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء.

⁽٣) لم نقف على هذا الحديث مسنداً قيما بين أيدينا من المصادر، وقد أورده بعض المفسرين كالمصنف بلا سند.

⁽٤) • «ديوانه» ٥٥، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٣١، و«الطبري» ٢٠/٢٧، و«مختار الشعر المجاهلي» ٢/ ٩٧، و«اللسان» و«التاج»: مور. وفي «الديوان»: «مَرُُّّ» بدل «مورُّ».

قوله تعالى: ﴿وأبعناهم ذرياتهم﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «واتبعتهم» بالتاء «ذُريَّتُهم» واحدة ﴿ وَمِمْ وُرِيَّتُهُم ﴾ واحدة ابهم ذُريَّاتِهم ﴾ واحدة أيضاً. وقرأ ابن عامر: «وأتبعتهم فُريَّاتِهم واحدة أيضاً. وقرأ ابن عامر: «وأتبعتهم فُريَّاتِهم وبهم ذُريَّاتِهم الموضعين. واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: اتبعتهم فريتُهم بإيمان ألحقنا بهم [ذرياتهم] من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلُغوا أعمال آبائهم، تكرمة من الله تعالى لآبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم ووي هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: واتبعتهم ذريتُهم بإيمان، أي: بلغت أن آمنت، ألحقنا بهم ذُريَّتهم الصِّغار الذين لم يبلُغوا الإيمان. وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء وأدخلناهم الجنة، بإيمان الآباء فأدخلناهم الجنة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّيْمُ ﴾ قرأ نافع: وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وما النَّناهم والهمزة وفتح اللام. وقرأ ابن كثير: ﴿وما النِّناهم بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ عن قنبل عنه ﴿وما لِثناهم بإسقاط الهمزة مع كسر اللام. وقرأ أبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بإسقاط الهمزة مع فتح اللام. وقرأ ابن السميفع ﴿وما النَّناهم بمد الهمزة وفتحها. وقرأ الضحاك، وعاصم الجحلري: ﴿وما وَلَتْناهم بواو مفتوحة من غير همزة وبنصب اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتركل: ﴿وما أَلَتْهُم من جَعلتُهم. وقد ذكرنا هذه الكلمة في [العجرات: ١٤٠] والمعنى: ما نَقَضنا الآباء بما أعطينا الذَّريَّة. ﴿كُلُّ انْهِم يَا كُنَب رَدِين ﴾ أي: مُوثقن بعمله لا يؤاخذ أحدٌ بذَنْب أحد. وقيل: هذا الكلام يختصُ بصفة أهل النار، وذلك الكلام قد تمَّ.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمْتَدُنَّهُم ﴾ قال ابن عباس: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿ يُتَنَّذِعُونَ ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتعاطون ويتداولون، وأنشد الأخطل:

نازُغْتُهُ طَبِّبَ الرَّاحِ الْشَّمُولِ وقَدْ صَاحَ الدَّجاجُ وحانَتْ وَقْعَةُ الْسَارِي(١١)

قال الرَّجَّاج: يتناول هذا الكأسّ من يد هذا، وهذا من يد هذا. فأمّا الكأس فقد شرحناها في [الصافات: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لَا النَّرِ فِهَا وَلَا تَأْنِيرٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمٌ الصبا، وقرأ الباقون: ﴿لَا لَنُو فِيها ولا تأثيمٌ والمباهون الله على خمر لَمَو فيها ولا تأثيرٌ ﴾ وفعاً منوناً. قال ابن قتيبة: أي: لا تَذهبُ بعقولهم فيَلْفُوا ويَرْفُثوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الله الله التأثيم: تفعيل من الإثم، يقال: آثمه: إذا جعله ذا إثم. والمعنى أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. وسئل ﴿وَيُلُونُ عَلَيْهِم ﴾ للخدمة ﴿فِلْمَانُ لَهُم كَانَهُم ﴾ في الحُسن والبياض ﴿الْوَلُونُ مَكْنُونٌ ﴾ أي: مصونٌ لم تَمسّه الأيدي. وسئل رسول الله على قلل: إن فَصْل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة المدر على سائر الكواكب)(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَأَثِنَلَ بَشُهُمْ عَلَ بَنْضِ يَتَمَاتَلُونَ ﴿ قَالَ ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: ﴿ وَالْوَا إِنَّا كُنَّ أَيْلُ إِنَّ أَهْلِنَا ﴾ أي: في ذار الدنيا ﴿ مُشَنِقِينَ ﴾ أي: خالفين من العذاب، ﴿ فَمَرَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقَلْنَا عَذَابَ النَّهُ وِ أَي عَذَابِ النار، وقال الحسن: السَّموم من أسماء جهنم، وقال غيره: سموم جهنم: وهو ما يوجد من نَفْحها وحَرِّها، ﴿ إِنَّا كُنَا مِن نَلْمُ اللهُ ﴾ أي: نوحٌده ونُخْلِص له ﴿ إِنَّهُ هُوَ البَرُ ﴾ وقرأ ناهم، والكسائي: ﴿ أَنَّهُ بِفَتِح الهمزة، وفي معنى ﴿ البَرُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: الصادق فيما وعد، رواه أبو صالح عن

⁽۱) • ديوانه ١١٦، وقمجاز القرآن، ٢/ ٢٣٢، و«الطبري» ٢٨/٢٧.

⁽٢) روى ابن جرير الطبري ٢٩/٢٧ عن فتادة قوله: ﴿ قَ وَيَلُونُ عَلَيْمٌ وَلَكُانٌ لَهُمْ كَأَيْمٌ أَوْلُوا كَكُونُ ﴿ فَ وَاللهِ ٢٩/٢٧ عن فتادة قوله: ﴿ قَ وَيَلُونُ عَلَيْمٌ وَلَكَانٌ لَهُمْ كَالْمُمْ أَوْلُوا كَكُونُ ﴿ فَعَلَ المخدوم؟ قال: يا نبي الله هذا الخاده واورده للمخدوم؟ قال: ووالمي محمد بيده إن فضل المخدوم على النخام كفضل القمر ليلة البدر جلى سائر الكواكب، وهو مرسل، وأورده السيوطي في «اللد» ١١٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٦٠: رواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن فتادة به.

ابن عباس. والثاني: اللطيف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عَمَّ بِبرِّه جميع خَلْقه، قاله أبو سليمان الخطابي.

﴿ فَدَكِرٌ فَمَا آنَتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَا جَمُونِ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَفَرَيْضُ بِهِ. رَبِّبَ ٱلْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِن ٱلْمُتَرْتِيْسِينَ ۞ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعَلَىٰكُمْ بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ فَقَوْلَةُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْبَأْنُواْ بِحَدِيثٍ مِثْلِيء إِن كَانُواْ مَسْدِيْبِ ۞ ۖ ٱلْمُتَرْتِيْسِينَ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْبَأْنُواْ بِحَدِيثٍ مِثْلِيء إِن كَانُواْ مَسْدِيْبِ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرُ ﴾ أي: فَعِظ بالقرآن ﴿ فَمَا آنَتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوَّة ﴿ بِكَامِين ﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويُخْبِر عمَّا في غد من غير وحي. والمعنى: إنما تَنْطِق بالوحي لا كما يقول [فيك] كفار مكة. ﴿أَمْ يْقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعر. وقال أبو عبيدة: ﴿أَمَّا بِمعنى ﴿بلُّ، قال الأخطل:

كَنَهَ شَكَ عَيْدُكَ أَمْ دَأَيْتَ بِواسِطٍ خَيالًا (١)

لم يستفهم، إنما أوجب أنه رأي.

· قوله تعالى: ﴿ نَرَبُّ مَنْ بِهِ رَبِّ الْمَنُونِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، و «المُنون؛ الدهر، قال أبو ذريب:

أَصِسنَ السمَسنُسونِ ودَيْسبِسِ نَستَسوَجَّسعُ والدَّهْرُ ليْسَ بِمُعْتِبِ مَنْ يَحْزَعُ^(۲)

هكذا أنشدنًاه أصحابُ الأصمعيّ عنه، وكان يذهب إلى أن المَنرِنَ الدَّهْرُ، قال: وقوله: (والدَّهْرُ ليس بمُعْتِب، يثُلُّ على ذلك، كَأَنَهُ قال: ﴿أَمِنَ الدُّهْرِ ورَبْيِهِ تَتَوَجُّعُ؟!﴾ قال الكسائيُّ: العرب تقول: لا أكلُّمك آخِرَ المَنون، أي: آخِرَ

قوله تعالى: ﴿ قُلُ تَرَبَّصُوا ﴾ أي: انتظروا بي ذلك ﴿ فَإِنِّ مَمَكُمْ مِّرَ ۖ ٱلْمُتَرِّبِينَ ﴾ أي: من المُنتظرين عذابَكم، فعُذُّبوا يومَ بدر بالسيف. وبعض المفسرين يقول: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، إذ لا تضَادُّ بين الآيتين.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَأْمُرُمُ أَعْلَنُمُ بِهَدَّا ﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي العُقول، فأزرى اللَّهُ بحُلومهم، إذ لمْ تُثمِر لهم معرفةَ الحق من الباطل. وقيل لعمرو بن العاص: ما بال قويك لم يؤينوا وقد وصفهم اللَّهُ تعالى بالعُقول؟! فقال: تلك عُقول كادها بارئُها، أي: لمْ يَصْحَبْها النَّوفيقُ. وفي قوله: ﴿أَمْ تأمُرُهم﴾ وقوله: ` ﴿أُمُّ شُمُّ﴾ قولان: أحدهما: أنهما بمعنى "بل"، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى ألف الاستفهام، قاله الزجاج؛ قال: والمعنى: أتأمُّرُهم أحلامُهم بترك القَبول ممَّن يدعوهم إلى التوحيد ويأتيهم على ذلك بالدَّلائل، أم يكفُرون طُغياناً وقد ظهر لهم الحق؟! وقال ابن قتيبة: المعنى: أم تذُّلُهم عقولُهم على هذا؟! لأن الحِلم يكون بالعقل، فكني عنه به.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُمْ ﴾ أي: افتَعَل القرآنَ من تِلقاء نَفْسه؟ والتَّقَوُّل: تكلُّف القول، ولا يستعمل إلَّا في الكذب ﴿ بَلَ ﴾ أي: ليسُ الأمر كما زعموا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بالقرآن، استكباراً. ﴿ نَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِيهِ فَى نَظْمه وحُسن بيانه. وقرأ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورّق العجلي، وعاصم الجحدري: "بحديثِ مِثْلِه، بغير تنوين ﴿ إِن كَانُواْ صَلَافِينَ﴾

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ ثَنَاءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَنَوْتِ وَٱلأَرْضُ بَل لَا يُوفِئُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَابِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُهَيْنِطِارُونَ ۞ أَمْ لَمُمْ شَامُرٌ يَسْنَيعُونَ فِيقًا نَلْيَأْتِ مُسْنَيعُكُمْ بِسُلطَنِ تُمِينٍ ۞ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ تَسْتَلَهُمْ آبَرُا فَهُم مِن مَغْرَمِ تُشْقَلُونَ ﴿ أَمْ عِندَهُ اللَّمَيْهُ فَمُ يَكْشُونَ ۞ أَمْ بُرِيدُونَ كَيْدَأُ فَالَّذِينَ كَفَرُواْ هُرُ الْسَكِيدُونَ ۞ أَمْ لَمُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَنَا بُشْرِكُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِتُواْ مِنْ غَيْرِ ثَيْنِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أَمْ خُلقوا من غير ربِّ خالق؟ والثاني: أَمْ خُلقوا من غير آباءٍ ولا أمَّهات، فهم كالجماد لا يعقِلون؟ والثالث: أمْ خُلقوا من غير شيء كالسماوات والأرض؟ أي: إنهم ليسوا بأشَدَّ خَلْقاً من السماوات والأرض، لأنها خُلقت من غير شيء، وهم خُلقوا من آدم، وآدم من تراسِد. والرابع: أمْ

 ⁽۲) البيت مطلع مرثيته الجيدة، وهو في «ديوانه» ۱/۱، و «خريب الترآن» ٤٢٥، و «المفضليات» ٤٢١، و «ديوان الهذلبين» ۱/۱، و «اللسان» و «التاج»:

خُلقوا لغير شيء؟ فتكون (مِنْ) بمعنى اللام. والمعنى: ما خُلقوا عَبَثاً قلا يؤمَرون ولا يُنْهَون.

قوله تعالى: ﴿أَمَّ مُمُ ٱلْخَلِلْمُونَ﴾ فلذلك لا يأتمرون ولا ينتهون؟ لأن الخالق لا يؤمر ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿ بَل لَّا يُوقِئُونَ ﴾ بالحق، وهو توحيدُ الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَرَآتِنُ رَبِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: المطر والرَّزق، قاله ابن عباس. والثاني: النَّبوَّة، قاله عكرمة. والثالث: عِلْم ما في خزائن ربَّك من العِلْم، وقيل: من الرَّزق، فهم مُعْرِضُون عن ربَّهم لاستغنائهم؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُوبَيْطِرُونَ﴾ قرأ ابن كثير: «المُسيطِرونَ» بالسين. وقال ابن عباس: المسلَّطون (١٠). قال أبو عبيدة: «المُصيطِرون»: الأرباب. يقال: تسيطرت عليّ، أي: اتَّخذتني خَوَلاً، قال: ولم يأت في كلام العرب اسم على «مُقَيْعِل» إلا خمسة أسماء: مُهيَّمِن، ومُجَيْعِر، ومُسيْطِر، ومُبيَّطِر، ومُبيَّظِر، ومُبيَّقِر؛ فالمُهيْمن: الله الناظر المُحصي الذي لا يفوته شيء؛ ومُجَيْعِر: جبل؛ والمُسيَّطِر: المسلَّط؛ ومُبَيَّطِر: بَيْطار؛ والمُبيَّقِر: الذي يخرُج من أرض إلى أرض، يقال: بَيْقَرَ: إذا خرج من بلد إلى بلد، قال امرؤ القيس:

ألا هَسَلُ أَتَسَاهَمَا، والسحوادِثُ جَسَّةً بِأَنَّ الْمَرأَ الْقَيْسِ ابِنَ تَمْلِك بَيْقُرا(٢)؟

قال الزجّاج: المسيطِرون: الأرباب المسلَّطون، يقال: قد تسيطر علينا وتصيطر: بالسين والصاد، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء، فيجوز أن تُقلب صاداً، تقول: سطر وصطر، وسطا علينا وصطا. قال المفسرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحت أمر ولا نهى؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمُ شَكَرُ ﴾ أي: مَرْقَى ومضعد إلى السماء ﴿يَسَتِيمُونَ فِيدٍ ﴾ أي: عليه الوحي، كقوله: ﴿في جُدُيع النَّقَلِ ﴾ [طه: ٧١]، فالمعنى: يستيعون [الوحي] فيعلمون أنَّ ما هُم عليه حق ﴿تَيْأَتِ سُتَيَمُهُ ﴾ إن ادَّعى ذلك ﴿يِسُلَمُنَ مُعْبِ أي، بحُجَّة واضحة كما أتى محمد بحُجَّة على قوله. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنْتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿ هَا إِنكُارِ عليهم حين جَعلوا لله البناتِ. ﴿أَمْ تَسَالُمُ لَبُرًا فَهُم مِن مَغْرَمِ مُنْقَلُونَ ﴿ ﴾ أي: هل سألتهم أجراً على ما جئتَ به، فأثقلهم ذلك الذي تطلبه منهم فمنعهم عن الإسلام؟ والمَغْرَم بمعنى الغُرْم، وقد شرحناه في [براء: ١٩٨].

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدَأَ ﴾ وهو ما كانوا عزموا عليه في دار النّدوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَتَكُرُ بِكَ اللّهِ عَالَى اللّهُ وَهُو الْمَجْزِيُّونَ بَكِيدُهُم ، لأن ضرر ذلك عاد عليهم فقُتلوا ببدر وغيرها. ﴿أَمْ لَمُمْ إِنّهُ عَبْرُ اللهُ عَبْرُ اللهُ ؟ والمعنى أن الأصنام ليست بآلهة ، لأنها لا تنفع ولا تدفع. ثم نزّه نفسه عن شِركهم بباقي الآية.

 ⁽١) روى البخاري في اصحيحه ٨ ٤٦٣ عن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خَلَتُواْ اَلسَّكُوتِ
 وَالْأَرْضُ بَلُ لَا يُوفِئُونَ ۚ هَا مُن مُعْرَاتُهُ رَبِّكَ أَمْ مُمُ السَّيِنِيلِينَ ﴾ كاد قلبي أن يطير.

٢) ﴿ ديوانه ٣٩٢، و﴿ اللسان و﴿ التاج ا: بقر. و﴿ تملك ا: أمه.

﴿ وَإِن بَرَوْا بِكَسْنَا ثِنَ النَّمَاةِ سَانِطاً يَقُولُوا سَمَاتُ مَرَّوُمٌ ۞ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلْتَقُوا بَرْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُسْمَقُونَ ۞ بَرْمَ لَا يُغِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْنًا وَلَا هُمْ يُعَمُّرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَذِينَ طَلَمُوا عَذَانا دُونَ ذَلِكَ وَلَئِكَنَّ آكَرُهُمْ لَا بِمَلْمُونَ ۞ وَاصْدِ لِمُكْرِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُدِنَا ۖ وَسَيْحَ يَحْدِ رَلِكَ حِينَ لَقُومُ ۞ وَمِنَ الْبِلِ مَسَيْحُهُ وَإِذْبَرَ النَّجُورِ ۞﴾

ثُم ذكر عنادهم فقال: ﴿ وَإِن يَرَا كِمَنا مِنَ النَّمَا وَ المعنى: لو سقط بعضُ السماء عليهم لَمَا انتهوا عن كفرهم، ولَقالوا: هذه قِطعة من السَّحاب قد رُكم بعضُه على بعض. ﴿ فَذَرَهُمْ ﴾ أي خَلِّ عنهم ﴿ حَقَّ يُلَتُوا ﴾ قرأ أبو جعفر فيَلْقَوا ﴾ بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير ألف ﴿ يَوْمَهُمُ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم موتهم. والثاني: يوم القيامة والثالث: يوم النَّفخة والولى.

قوله تعالى: ﴿يُسْمَقُونَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر: ﴿يُصْعَقُونَ برفع الياء، من أَصَعَقَهم غيرُهم؛ والباقون بفتحها، من صعقوهم. وفي قوله: ﴿يُمْمَقُونَ﴾ قولان: أحدهما: يموتون. والثاني: يُغشى عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوفَاً﴾ [الاعراف: ١٤٣]، وهذا يخرج على قول من قال: هو يوم القيامة، فإنهم يُغشى عليهم من الأهوال. وذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا يصح، لأن معنى الآية الوعيد.

قوله تعالى: ﴿ يَرْمَ لَا يُمْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيّاً﴾ هذا اليوم الأول؛ والمعنى: لا ينفعهم مكرهم ولا يدفع عنهم العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُعَمُّونَ ﴾ أي: يُشتعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿مَلَا الْمَنْ ذَلِكَ أَي، قَبْل ذلك اليوم؛ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه عذاب القبر، قاله البراء، وابن عباس. والثاني: عذاب القتل يوم بدر، وروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: مصائبهم في الدنيا، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: عذاب الجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَ آَحَامُهُمْ لَا يَمْلُونَ ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازلٌ بهم. ﴿ وَأَسَيْر الْمُكْرِ رَبِّكَ أَي أَي الما يحكُم به عليك ﴿ إِنَّكَ بِأَعْيُنِكَ ﴾ أي: لما يحكُم به عليك ﴿ إِنَّكَ بِعَيْنِكَ ﴾ قال الزجاج: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك. وذكر المفسرون: أن معنى الصبر نُسخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه لا تضادً. ﴿ وَسَيْع يُعَيْدِ رَبِكَ حِينَ تَقُوم من مجلسك، قاله عطاء، حين تقوم من منامك، قاله ابن عباس. والثاني: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثالث: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك حين تقوم في الصلاة، قاله الضحاك. والرابع: سبّح الله إذا قُمْت من نومك، قاله حسّان بن عطية. والخامس: صلّ صلاة الظّهر إذا قُمْت من نوم القائلة، قاله زيد بن أسلم (١٠). والسادس: اذْكُر الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخُل في الصلاة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النِّلِ مَسَيِّمُهُ قَالَ مَقَاتَلَ: صلّ المغرب وصلّ العِشَاء ﴿وَإِذَبُرَ النَّجُومِ قَوا زيد عن يعقوب، وهارون عن أبي عمرو، والجعفي عن أبي بكر: ﴿وأدبار النَّجوم الفيزة و [قرأ] الباقون بكسرها. وقد شرحناها في [ق: ٤٤]؛ والمعنى: صلّ له في إدبار النجوم، أي: حين تُدْيِر، أي: تغيب بضَوء الصّبح. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: أنها الرّكعتان قَبْل صلاة الفجر، رواه علي عن النبيّ عن النبيّ هذه وهو قول الجمهور(٢٠). والثاني: أنها صلاة الغداة، قاله الضحاك، وابن زيد.

* * *

⁽١) رجح هذا القول ابن جرير الطبري في اتفسيره.

⁽Y) أخرجه مسدد في امسنده، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر» ١١٠/٦ هن علي بن أبي طالب قال: سألت رسول الله 磐 عن إدبار النجوم والسجود، فقال: الوبار السجود، فقال: الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الركعتان قبل الفغاة».

. .

سورة النجم

وهي مَكِّيَّة بإِجماعهم

إِلَّا أَنه قد حُكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا إِلَّا آيةً منها، وهي ﴿ اَلَٰذِينَ يَجْنَبُونَ كَبَيْرَ ٱلإِثْدِ﴾ [النجم: ٣٢]، وكذلك قال مقاتل؛ [قال]: وهذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكَّة.

ينسد أقر الكف التصد

﴿ وَالنَّبْدِ إِنَا مَوَىٰ ۞ مَا صَلَّ صَاحِبُكُو وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا بَطِئْهِ عَنِ ٱلْمَوْقَ ۞ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَثَمَّ بُوكِن ۞

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْرِ إِذَا هَرَىٰ ﴿ ﴾ هذا قسم. وفي المراد بالنجم خمسة أقوال: أحدها: أنه التُّريّا، رواه العوفي عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد (۱۰). قال ابن قتيبة؛ والعرب تسمي الثريا _ وهي ستة أنجُم _ نجماً وقال غيره: هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفي يمتحن به الناسُ أبصارَهم. والثاني: الرُّجوم من النَّجوم، يعني ما يرمي به الشياطين، رواه عكرمة عن ابن عباس، والثالث: أنه القرآن نزل نجوماً متفرّقة، قاله عطاء عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد. وقال مجاهد: كان ينزل نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات ونحو ذلك. والرابع: نجوم السماء كُلّها، وهو مروي عن مجاهد أيضاً. والمخامس: أنها الزُّهرةُ: قاله السدي. فعلى قول من قال: النجم: الثريا، يكون هموى؛ نزل، ومن عن مجاهد أيضاً. هو الرُّجوم، يكون مُويَّها في رمي الشياطين، ومن قال: القرآن، يكون معنى «هوى»: نزل، ومن قال: نجوم السماء كلّها، ففيه قولان: أحدهما: أن مُويِّها أن تغيب. والثاني: أن تنتثر يوم القيامة. قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلّها بفتح أواخر آياتها. وقرأ أبو عمرو ونافع بين الفتح والكسر. وقرأ حمزة والكسائي ذلك كلّه بالإمالة.

قوله تعالى: ﴿مَا شَلَ صَاحِبُكُرُ ﴾ هذا جواب القَسَم؛ والمعنى: ما ضَلَّ عن طريق الهُدى، والمراد به: رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا يَطِقُ مَنِ الْمُرَيِّ ۚ إِلَى الْمُرَيِّ ۚ إِلَى الْمُرَيِّ ۚ إِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

﴿ مَلَتُمُ شَدِيدُ الفُرْنَ ۞ ذُر مِرَّزُ مَاسَنَوَىٰ ۞ وَهُوَ إِلاَّذِي الْإَنْ الْإِنْ ۞ ثُمَّ دَنَا فَنَدَكَ ۞ فَكَانَ فَابَ قَرْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ مَلْتُومَةِ مِنْ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَنَدَ رَبَاءُ نَزَلَةَ أَخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدَرَةِ الشَّنَعَىٰ ۞ عِندَمَا جَنَّةُ الْفَرَىٰ ۞ عِندَمَا جَنَّةً الْفَرَىٰ ۞ عَن مَا يَرَىٰ ۞ وَلَنَدَ رَبَاءُ نَزَلَةَ أَخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدَرَةِ الشَّنَعَىٰ ۞ عِندَمَا جَنَّةً الْفَرَىٰ ۞ عَن مَا يَرَىٰ ۞ وَلَنَدَ رَبَاءُ لَنَاكُمْ وَنَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَلَّمُ شَدِيدُ ٱلنَّرَىٰ ۞﴾ وهو جبريل ﷺ علَّم النبيَّ ﷺ؛ قال ابن قتيبة: وأصل هذا من «قُوَى الحَبْلِ» وهي طاقاتُه، الواحدة: قُوَّةً: ﴿ذُر مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قُوَّة، وأصل المِرَّة: القَتْلُ. قال المفسرون: وكمان من قُوِّته أنه قلع قَرْيات لوط وحملها على جناحه فقلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين.

قوله تعالى: ﴿ نَاسْتَزَىٰ ۞ رَهُو بِاللَّذِي ٱللَّمْنَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: فاستوى جبريل، وهو يعني النبيَّ ﷺ؛ والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لمّا أسري برسول الله ﷺ، قاله الفراء (٢٠). والثاني: فاستوى جبريل، وهو ـ يعني جبريل ـ

⁽١) قال ابن كثير: وكلما روي عن سفيان الثوري، واختاره ابن جرير الطبري.

بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يَتمَّثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجُل، وأحبَّ رسولُ الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى جبريلُ بالأفق الأعلى في صورته، هذا قول الزجَّاج. قال مجاهد: والأفق الأعلى: هو مَطْلِع الشمس. وقال غيره: إنما قيل له: «الأعلى؛ لأنه فوق جانب المَثْرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ كَكُانَ قَابَ قَرْسَيْنِ أَدْ أَدْنُ ﴿ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين: "فكان قاد قوسين" بالدال. وقال أبو عبيدة: القابُ والقادُ: القَدْر. وقال ابن فارس: القابُ: القدر. ويقال: بل القابُ: ما بين المَقْبِض والسِّية، ولكل قوس قابان. وقال ابن قتيبة: سِيّة القَوْس: ما عُطِفَ من طَرَفْيها. وفي المراد بالقوسين قولان: أحدهما: أنها القوس التي يُرمى بها، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة، فقال: قَدْر قوسين. وقال الكسائي: أراد بالقوسين: قوساً واحداً. والثاني: أن القوس: الذراع؛ فالمعنى: كان بينهما قَدْر ذراعين، حكاه ابن قتيبة، وهو قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والسدي. قال ابن مسعود: دنا جبريل منه حتى كان قَدْر ذراع أو ذراعين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إنها بمعنى «بل»، قاله مقاتل. والثاني: أنهم خوطبوا على لغتهم؛ والمعنى: كان على ما تقدِّرونه أنتم قَدْرَ قوسين أو أقلَّ، هذا اختيار الزجَّاج.

السم تسر أن السنب عيد صداً سب عدودًه ولا يستسوي والسخروع السمت قد مسف وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، لكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل، لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ، وتذلل إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى صند سلوة المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة ﴿آقلَ﴾ ثم فتر الوحي. . . حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوصى إليه عن الله ﷺ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة المملك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه . اهـ.

⁽١) حديث شريك أخرجه البخاري في اصحيحه ٣٩٩/١٣، وذكر مسلم ١٤٨/١ قطعة منه، ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص. وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه الحقاظ، وغلطوه فيها. منها ما نقله ابن كثير عن الحافظ أي بكر البيهتي أنه قال: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه بهر رأى الله في يدني قوله: فثم دنا للجبار رب العزة فتعلى فكان قاب قوسين أو أدفى، قال البيهقي: وقول عائشة وابن مسعود وأيي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح. قال الخافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق، فإن أبا ذر قال: يا رسول الله هل رأيت ريك؟ قال: فتور أني أراء، وفي زواية فرأيت نوراً أخرجه مسلم، وقوله: ﴿ثُمْ مَا نَدَكُ لِلْ ﴾ إنما هو جبريل الله كما ثبت ذلك في الصحيحين، عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في قصحيح مسلم، عن أبي هريرة، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا، قلت: وهذا القول هو الصواب وما عناه من الأقوال لا يصح. وإذا أردت الاطلاع على بقية ما أخطأ فيه شريك في هذا الحديث فانظر فشرح مسلم، ٢٠/١٠، وفتح البازي، ٢٠/٢٠، عمد.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْحَىٰ إِلَى عَبْدِهِ مَا آَوْمَى ﴿ إِنَّ فِيهِ ثَلاثَةَ أَقُوالَ: أحدها: أَوْحَى اللَّهُ إلى محمد كِفاحاً (١) بلا واسطة، وهذا على قول من يقول: إنه كان في ليلة المعراج. والثاني: أوحى جبريلُ إلى النبي ﷺ ما أوحى اللَّهُ إليه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أوحى [اللَّهُ] إلى جبريل ما يوحيه، روي عن عائشة رضيًا، والحسن، وقتادة...

قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞﴾ قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وأبان عن عاصم: «ما كُذِّب؛ بتشديد الذَّال؛ وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن شدَّد أراد: ما أنكر فؤادُه ما رأته عينُه؛ ومن خفَّف أراد: ما أوهمه فؤادُه أنه رأى، ولم يرَ، بل صَدَّقَ (٢) الفؤاد رؤيته. وفي الذي رأى قِولان: أحدهما: أنه رأى ربَّه عَلَى، قاله ابن عباس، [وأنس] والحسن، وعكرمة^(٣). وا**لثاني:** أنه رأى جبريلَ في صورته التي خُلق عليها، قاله ابن مسعود وعائشة.

قوله تعالى: ﴿أَمْتُنُونَكُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف، ويعقوب: ﴿أَفَتَمْرُونُهُۗۗ. قال ابن قتيبة: معنى ﴿ أَفَتُمارُونُهِ ٤ : أَفتُجادِلُونُه ، مِن الهِراء ، ومعنى ﴿ أَفتَمْرُونُه ٤ : أَفَتَجْحدُونُه .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رُمَّاهُ نَزَّلَةً أَخْرَىٰ ۞ قال الزّجَاج: أي: رآه مَرَّة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمدٌ ربَّه؛ وبيان هذا أنه تردَّد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربَّه في بعض تلك المّرات مَرَّةً أُخرى. قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى، فرآه محمد مرتين، وكلُّمه موسى مرتين. وقد روي عن ابن مسعود أن هذه الرؤية لجبريل أيضاً، رآه على صورته التي خُلق عليها(٤). فأمّا سِدْرة المُنتهى، فالسِّدْرة: شجرة النَّبِق، وقد صح في الحديث عن رُسُولُ الله ﷺ أنه قال: (نَبِقُها مِثْلُ قِلال هَجَر، ووَرَتُها مِثلُ آذان الفِيَلة،(٥). وفي مكانها قولان: أحدهما: أنها فوق السماء السابعة، وهذا مذكور في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة (٢). قال مقاتل: وهي عن يمين العرش. والثاني: أنها في السماء السادسة، أخرجه مسلم في أفراده(٧) عن ابن مسعود، وبه قال الضحاك. قال المفسرون: وإنما سُمِّيتُ سِدْرة المُنتهى، لأنه إليها مُنتهى ما يُصْعَد به من الأرض، فيُقْبَض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها فيُقْبَض منها، وإليها ينتهي عِلْم جميع الملائكة.

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو نهيك: ﴿عِنْدُهُۥ بهاءٍ مرفوعة على ضمير مذكّر ﴿جَنَّهُ لْلَائِكَةُ قال ابن عباس: هي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال الحسن: هي التي يصير إليها أهل الجنة. وقال مقاتل: هي جَنَّة إليها تأوي أرواح الشهداء. وقرأ سعيد بن المسيّب، والشعبي، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: «جَنَّهُ المأوى؛ بهاء صحيحة مرفوعة. قال ثعلب: يريدون أجَنَّهُ، وهي شاذَّة. وقيل: معنى (عندها): أدركه المبيت، يعنى رسول الله على.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْشُ ٱلبِّنْدَةُ مَا يَنْشَىٰ ﴿ وَي مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال: غَشِيَها فَراشٌ مِنْ ذهب (٨). وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ قال: المّا غَشِيَها مِنْ أَمْرِ الله ما غَشِيَها، تغيّرت فما أحدٌ مِنْ خَلْقِ الله يستطيع أن يَصِفها مِنْ حُسْنها) (٩). وقال الحسن، ومقاتل: تَغْشاها الملائكةُ أمثالَ الغِرْبان حين يَقَعْنَ على الشجرة. وقال الضحاك: [غَشِيها] نور ربِّ العالمين.

كفاحاً، أي: مواجهة. . (٢) في الأصل: صدقه،

⁽٣) روى مسلم في اصحيحه عن ابن عباس ﷺ ﴿مَا كُلَّبَ ٱلْمُؤَادُ مَا زَّلَقَ لَهُ ﴿ وَلَلْذَ رَاهُ زَلَهُ أَمْرَى ۖ قَالَ: رَآه بِفَوَاده مرتبن. قال ابن كثير: وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما : إنه رآه بفؤاده مرتين، قال: وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، قال: وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، قال: ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة 🦓، قال: وقول البغوي في انفسيره:: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

⁽٤) وهو الذي عليه أكثر المحققين. قال ابن كثير: هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله 藥نيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

رواه البخاري في قصحيحه ٧/ ١٦٤، ومسلم ١/١٥٠، وهو جزء من حديث الإسراء الطويل.

⁽٦) البخاري ٧/ ١٦٤، ومسلم ١/١٥٠. .10V/1 (V)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح؛ ولا يمارض قوله: إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل على أن أصلها في السادسة وأعضاؤها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها.

⁽٩) هذا اللفظ في رواية ثابت البناني عن أنس بن مالك رهيمًا عن مسلم في (صحيحه) ١٤٦/١.

﴿ أَمْرَةِ يَمُ ٱللَّتَ وَالْفَرَى ۞ وَمَنَوْءَ النَّالِئَةَ ٱلْأَخْرَىٰ ۞ النَّكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ ٱلأَثْنَى ۞ فِلْفَ إِذَا فِيشَةٌ ضِيرَىٰ ۞ إِنْ هِنَ إِلَّا أَشَآهُ مَنْمِنْتُمُومَا أَشُمْ وَمَا بَأَوْلُو اللَّهُ بِهَا مِن شُلُطَنَّ إِن بَنْمُهُنَ إِلَّا ٱلطَّنَّ وَمَا نَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآتَهُمْ مِن نَيْهِمُ ٱلْمُدَىٰ ۞ أَمْ لِلْإِسْدِنِ مَا نَشَى ۞ فَلِهِ الْاَجِرُهُ وَالأَوْلُ ۞ ۞ وَكُمْ مِن مَلَهِ فِي ٱلسَّمَكُونِ لَا تُشْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْءًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن بَأَذَنَ ٱللَّهُ لِمِن بَشَآةً وَيْرَعَىٰ ۞﴾

قال الزجاج: فلمَّا قَصَّ اللَّهُ تعالى هذه الأقاصيص قال: ﴿أَنْوَيُّتُم ٱلَّكَ وَٱلْفَرَّىٰ ﴿ المعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها هل لها من القُدرة والعظمة التي وُصف بها ربُّ العِزَّة شيءٌ؟! فأمَّا «اللَّات» فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وهو اسم صنم كان لثقيف اتَّخذوه من دون الله، وكانوا يَشتقُّون لأصنامهم، من أسماء الله تعالى، فقالوا من «الله»: اللات، ومن «العزيز»: العُزَّى. قال أبو سليمان الخطابي: كان المشركون يتعاطون «الله» اسماً لبعض أصنامهم، فصرفه الله إلى اللَّات صيانةً لهذا الاسم وذُبًّا عنه. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن السميفع، ومجاهد، وابن يعمر، والأعمش، وورش عن يعقوب(٤): «اللَّات، بتشديد التاء؛ 'ورد في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد أن رجلاً كان يلُتُّ السُّويق للحاجّ، فلمّا مات عكفوا على قبره فعبدوه. وقال الزجاج: زعموا أن رجلاً كان يلُتُّ السَّويق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسُمِّي الصنمُ: اللَّاتِّ. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، فيقول: «اللامَّه؛ وهذا قياس، والأجود الوقوف بالتاء، لاتباع المصحف. وأمَّا «العُزَّى» ففيها قولان: أحدهما: أنها شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، قاله مجاهد. والثاني: صنم لهم، قاله الضحاك. قال: وأمّا المناة، فهو صنم لهُذَيل وخُزاعة يعبُده أهلُ مكة. وقال قتادة: بل كانت للأنصار. وقال أبو عبيدة: كانت اللَّات والعُزَّى ومُناة أصناماً من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها. وقرأ ابن كثير: "ومَناءَةً" ممدودة مهموزة. فأمّا قوله: ﴿التَّالِكَةُ ﴾ فإنه نعت لـ «مَناة"، هي ثالثة الصنمين في الذِّكر، و «الأخرى» نعت لها. قال الثعلبي: العرب لا تقول للثالثة: الأخرى، وإنما الأخرى نعت للثانية؛ فيكون في المعنى وجهان: أحدهما: أن ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَثَارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولم يقل، أخَر، قاله الخليل. والثاني: أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: أفرأيتم اللّات والعُزَّى الأخرى ومَناة الثالثة، قاله الحسين بن الفضل.

 ⁽¹⁾ قال في «البحر المحيط»: ﴿ فَلَمْ مِنْ مَلِيَتِ رَبِّهِ الْكُبُّكَة ﴿ إِلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْعَلَى اللَّهِ عَلَى الللَّهِ عَلَى الللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَل

⁽٢) زيادة من «الطبري».

٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لَمَّة رَّغَه بِنَ مَائِئِت رَبِهِ ٱلْكُبُّكَة ﴿ ﴾ كقوله: ﴿لَيْمِيَّمْ مِنْ مَائِئِتْ ﴾ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا، قال: وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، الأنه قال: ﴿لَمَّة رَّالًا بِنَ مَائِئِتَ رَبِّهِ ٱلْكُبُكَة ﴿ ﴾ ولو كان رأى ربه الأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس. اهـ.

⁽٤) في النسخة الأستنبولية: ورويس عن يعقوب.

بفتح الضاد من غير همز. قال الزجاج: الضّيزى في كلام العرب: الناقصةُ الجائرة، يقال: ضازه يَضِيزُه إذا نقصه حَقَّه، ويقال: ضَازَه يَضْأَزُه () بالهمز. وأجمع النحويُّون أن أصل ضِيزَى: ضُوزَى، وحُجَّتُهم أنها نُقلت من «فُعلى» من ضُوزى إلى ضِيزى، لتسلم الياء، كما قالوا: أبيض وبِيْض، وأصله: بُوضٌ، فنُقلت الضَّمَّة إلى الكسرة. وقرأت على بعض العلماء باللَّغة: في «ضيزى» لغات يقال: ضِيزَى، وضُوزَى، وضُؤزَى، وضَأْزَى على «فَعْلى» مفتوحة؛ ولا يجوز في العلماء باللَّغة: في «ضيزى» بياء غير مهموزة؛ وإنما لم يقُل النحويُّون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فِعْلى» صفة، إنما يعرفون الصّفات على «فَصْلى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِنَ يعني الأوثان ﴿إِلّا أَسْمَاءُ والمعنى: إن هذه الأوثان التي سمّوها بهذه الأسامي لا معنى تحتها، لأنها لا تضر ولا تنفع، فهي تسميات ألقيت على جمادات، ﴿مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطَنَ اللهُ الهِ أَن لم يُنزل كتاباً فيه حُجّة بما يقولون: إِنها آلهة، ثم رجع إلى الإخبار عنهم بعد الخطاب لهم فقال: ﴿إِنْ يَتَّمِثُونَ ﴾ في أنها آلهة، [﴿إِلّا الظّنَ وَمَا نَهُوى ٱلأَنكُ وهو البيان بالكتاب والرسول، وهذا ومَا نَهُن لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ بَاتَهُم مِن نَيِّهُ ٱلْمُنكَ وهو البيان بالكتاب والرسول، وهذا تعجيب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وُضوح البيان. ثم أنكر عليهم تمنيهم شفاعتها فقال: ﴿أَمْ لِلإِنكِنِ لِهِ عني الكافر ﴿مَا تَنبَيْ مَن شفاعة الأصنام، ﴿فَلِي آلْخِرَةُ وَٱلأُولَ ﴿ أَي لا يَملك فيهما أحد شيئاً إلّا بإذنه. ثم أكّد هذا بقوله: ﴿وَكُم مِن مُلْكِ فِي السّمَوْتِ لَا تُنْنِ شَعَنَهُمُ مُنبًا في فجمع في الكناية، لأن معنى الكلام الجمع ﴿ إِلّا مِنْ بَعْدِ أَن يَلُونُ وَلِي السّفاعة ﴿ لِلَن يُثَانُهُ وَرَفَى الهم لا يَشفعون إلّا لمِن رضي الله عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلْآئِيمَ لِنَسَتُونَ الْلَتَهَكَةَ مَنْدِيَةَ الْأَنْقَ ۞ وَمَا لَمُمْ بِدٍ. مِنْ عِلْمٍ إِن يَنْجِمُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَ لَا يُمْنِي مِنَ الْمُقِيَّ شَيَّا ۞ فَأَعْرِشْ عَن مَن قَوْلُ عَن ذِكْرِنَا وَلَرَّ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَزَةَ الدُّنْبَا ۞ ذَلِكَ مَبْلَمُهُمْ مِنَ الْمِلِيَّ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن صَلَّ عَن سَبِيلِدٍ. وَهُوَ أَمَلُهُ بِمَنِ الْمَنْدَىٰ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْخَفِرَةِ﴾ أي: بالبعث ﴿لَيُسَنُّونَ الْلَكَيْكَةَ نَسِيمَ آللُهُ وَلْكَ حَين زَعَمُوا أَنَهَا بِناتِ الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَكِ، ﴿وَنِ لَلْمَ عَنِي اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ أَيَّ اللَّهُ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ لَلْمَتِي مَنِيكَ أي: لا يَعْنِي اللَّهُ عَلَيْهُ أي: لا يَعْنِي اللَّهُ عَلَيْهُ أَيْ الطَّنَّ وَلِيَّ اللَّهُ عَلَيْهُ أَيْ عَن يَرْ نَوْلَ عَن يَرْ نَوْلَ عَن يَرْكُونَا فِي عَنِي القرآن؛ وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَلَنَهُم مِنَ ٱلْمِلَيِّ عَالَ الرَجَّاج: إِنَّما يعلمون ما يحتاجون إليه في معايشهم، وقد نبذوا أمر الآخوة.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَرُ بِمَن مَلَّ عَن سَبِيائِيٌّ ﴾ الآية؛ والمعنى أنه عالِمٌ بالفريقين فيجازيهم.

﴿ وَيَقَدِ مَا فِي اَلسَّمَوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَعْزِينَ الَّذِينَ اَسَتُوا بِمَا عِيلُوا وَيَعْزِى الَذِينَ اَحْسَنُوا مِلَاسُنَى ۞ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبُكُمْ الْإِنْسُولُ وَالْفَوْحِسُ إِلَّا اللَّهُمْ إِنَّ رَبِّكَ وَضِعُ الْمَغْفِرَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُرُ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنشُر أَجِينَةٌ فِي بُطُونِ أَمْهَاتِكُمْ فَلَا تُرَكُّوا أَنشُسَكُمْ هُوَ أَعْلَا بِمِنَ اتَّقَقَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِنَهُ مَا فِي السَّكُوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن قُدرته وسَعَة مُلكه، وهو كملام معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْرِى اللَّهِ اللهِ اللهُ ا

 ⁽١) في الأصل: ضازه يضيزه بالهمز، والتصويب من كتب اللغة.
 (٢) ما بين المعقفين زيادة سقطت من الأصل.

آيَجْتَنِبون كبِيرَ الإثم، واللَّم في كلام العرب: المُقارَبة للشيء. وفي المراد به هاهنا ستة أقوال: أحدها: ما ألمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية، فإنه يُغْفَر في الإسلام، قاله زيد بن ثابت. والثاني: أن يُلِمَّ بالنَّنْب مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثالث: أنه صِغار الذَّنوب، كالنَّظرة والقُبلة وما كان دون الزِّنا، قاله ابن مسعود، وأبو هريرة، والشعبي، ومسروق، ويؤيَّد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: فإنَّ الله كتب على ابن آدم حظه من الزِّنا، فزنا العينين النَّظر، وزنا اللسان النُّعلق، والنفس تشتهي وتتمنَّى، ويصدِّق ذلك ويكذَّبه الفَرْجُ (۱۰)، فإن تقدَّم بفَرْجه كان الزِّنا، وإلا فهو اللَّمم. والوابع: أنه ما يَهُمُّ به الإنسان، قاله محمد ابن الحنفية. والخامس: أنه المَّ بالقلب، أي: خَطَر، قاله سعيد بن المسيّب. والسادس: أنه النَّظر من غير تعمَّد، قاله الحسين بن الفضل. فعلى القولين الأولين] يكون الاستثناء من الجنس، وعلى باقى الأقوال ليس من الجنس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّكَ وَسِمُ ٱلْمَغْنِرَةِ ﴾ قال ابن عباس: لِمَن فعل ذلك ثم تاب، وهاهنا تمَّ الكلام. ثم قال: ﴿هُوَ أَغَلَرُ بِحَى عَنِي قبل خلقكم ﴿إِذَ أَنشَاكُمْ عَنِي آدَم ﷺ ﴿وَإِذَ أَنشُر آجِنَةٌ ﴾ جمع جَنِين؛ والمعنى أنه عِلِم ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تُزْكُوا أَنشُكُمْ ﴾ أي: لا تشهدوا لها أنّها زكيّة بريئة من المعاصي. وقيل: لا تمدحوها بحُسن أعمالها. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن البهود كانوا إذا هلك لهم صبيّ، قالوا: صِدِّيق، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة ﷺ والثاني: أن ناساً من المسلمين قالوا: قد صلَّينا وصُمنا وفعلنا، يُزكُون أنفُسَهم، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ هُو أَغَارُ بِمَنِ آتَقَى ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عمل حسنة وارعوى عن معصية، قاله علي هلله. والناني: أخلص العمل لله، قاله الحسن. والثالث: اتّقى الشّرك فآمن، قاله الثعلبي.

﴿ أَمْرَهُ بِنَ الَّذِى نَوْلُ ۞ وَأَعْلَىٰ قَلِيلًا وَأَكْمَانَ ۞ آعِندَةُ عِلْتُ الْفَيْتِ فَهُو يَرَىٰ ۞ أَمْ لَمْ يُبَتَأْ بِمَا فِي مُسْخُفِ مُوتَىٰ ۞ وَإِنَّ الْفَيْنِ إِلَّا مَا سَمَنَ ۞ وَأَنْ سَمْيَتُمْ سَوْتَ بُرَىٰ ۞ ثُمَّ بُجْرَتُهُ الْجَرَّآةُ الْأَوْقُ ۞﴾ الْأَوْقُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنْرَبَتُ اللّٰهِ عَنَى اللّٰهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ العقيرة، وكان قد تَبع رسولَ الله على دينه، فعيّره بعضُ المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ وضلَّلتهم؟ قال: إنِّي خشيتُ عذابَ الله عَضَمِن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شِركه أن يتحمَّل عنه عذابَ الله عَلَى ففعل، فأعطاه بعضَ الذي ضَمِن له، ثم بَخِل ومنعه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه النَّضر بن الحارث أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حتى ارتدَّ عن إسلامه. وضَمِن له أن يَحْمِل عنه إثمه، قاله الضحاك. والثالث: أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: والله ما يأمُرنا محمدٌ إلا بمكارم الأخلاق، قاله محمد بن كعب القرظي. والوابع: أنه العاص بن وائل السهمي، وكان ربَّما وافق رسول الله على في بعض الأمور، قاله السدي. ومعنى «تَوَّلى»: أعرض عن الإيمان. وأن السهمي، وكان ربَّما وافق رسول الله على في بعض الأمور، قاله السدي. والثاني: أعطى قليلاً من قليلاً من ماله ثم مَنَع، قاله الضحاك. والوابع: أعطى قليلاً من الخير ثم الخير عنه الله مناس. والثاني: أعطى قليلاً من الخير عنه المناب بلسانه ثم قطع، قاله مقاتل. قال ابن قتية: ومعنى «أكُذَى»: قَطع، وهو من كُذية الرَّكِيَّة، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها الحافريي من حَفْرها، فقطع الحَفْر، فقيل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخِرَه، أو أعظى ولم يُتِمَّة أكُذَى.

قوله تعالى: ﴿أَعِندُمُ عِلْدُ ٱلْفَيْبِ نَهُوَ بَرَىٰ ۞﴾ فيه قولان: أحدهما: فهو يرى حاله في الآخرة، قاله الفراء. والثاني: فهو يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة وغيرها، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُومَىٰ ﴿ فَهَا لَا عِنْ التوراة، ﴿ وَإِزَهِيمَ ﴾ أي: وصحف إبراهيم. وفي حديث

⁽١) رواه البخاري في (صحيحه) ٢٢/١١، ومسلم ٢٠٤٦/٤ عن أبي هريرة 🕉.

 ⁽۲) رواه الواحدي في فأسباب النزول؛ ۲۲٦ عن ثابت بن الحارث الأنصاري وفي سنده ابن لهيعة، وفكره السيوطي في «الدر» ۱۲۸/٦ وزاد نسبته
 لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نميم في «المعرفة»، وابن مردويه عن ثابت بن الحارث الأنصاري.

أبي ذر عن النبي ﷺ قأن الله تعالى أنزل على إبراهيمَ عشر صحائف، وأنزل على موسى قَبْلَ التَّوراة عشر صحائف، (١٠).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَكَّ ﴾ قرأ سعيد بن جبير، وأبو عمران الجوني، وابن السميفع اليماني ﴿وَفَى ابتخفيف الفاء. قال الزجاج: قوله: "وَفَّى" أَبِلغ من "وَفَى"، لأن الذي امتُحن به مِنْ أعظم المِحن. وللمفسرين في الذي وفَّى عشرة أقوال: أحدها: أنه وفَّى عملَ يومه بأربع ركعات في أول النهار، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ (٢). والثاني: أنه وفَّى في كلمات كان يقولها. روى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمُ سمَّى اللَّهُ إبراهيمَ خليله [الذي وفَّى]؟ لأنه كان يقول كلَّما أصبحَ وكلَّما أمسى: ﴿فَشُبْحَنَ ٱللَّهِ حِبْنَ تُشُونَ وَحِنْنَ تُشْبِحُنَ ﴾، وختم الآية [الروم: ١٧](٣). والثالث: أنه وقَى الطاعة فيما فعل بابنه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال القرظي. والرابع: أنه وفَّى ربَّه جميع شرائع الإسلام، روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس. والخامس: أنه وفَّى ما أمر به من تبليغ الرِّسالة، روي عن ابن عباس أيضاً. والسادس: أنه عَمِل بما أمر به، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وقال مجاهد: وفَّى ما فُرض عليه. والسابع: أنه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿أَلَّا نَزُرُ وَزِرَةٌ وِزْرَةٌ وَلَا لَزَلُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وما بعدها، وهذا مروي عن عكرمة، ومجاهد، والنخعي. والثامن: وفَّى شأن المناسك، قاله الضحاك. والتاسع: أنه عاهد أن لا يَسأل مخلوقاً شيئاً، فلمّا قُذف في النار قال له جبريل، ألكَ حاجةً؟ فقال: أمّا إليك فلا^(٤)، فوفّى بما عاهد، ذكره عطاء بن السائب. والعاشر: أنه أدَّى الأمانة، قاله سفيان بن عيينة. ثم بيَّن ما في صحفهما فقال: ﴿ أَلَّا نَزِدُ وَزِيَّةٌ وِلْدُ لْتَرَىٰ ۞﴾ أي: لا تَحْمِل نَفْس حاملةً حِمْلَ أُخْرى؛ والمعنى: لا تؤخَّذ بإثم غيرها. ﴿وَأَن لَيْسَ للإنسَيْنِ إِلَّا مَا سَعَن ۞﴾ قال الزَّجَاج: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلَّا جزاء سعيه، إن عَمِل خيراً جُزي عليه خيراً، وإن عَمِل شَرّاً جزي شَرّاً. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال: أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان﴾^(ه) [الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجَنَّة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يضح، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تُنْسَخ. والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأمَّة فلهم ما سَعَوا وما سعى غيرُهم، قاله عكرمة، واستدل بقول النبي ﷺ للمرأة التي سألته: إنَّ أبي مات ولم يحُجَّ، فقال: «حُجِّى عنه»(١). والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأمّا المؤمن، فله ما سعى وما سُعى له، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أنه ليس للإنسان إلّا ما سعى من طريق العدل، فأمّا مِنْ باب الفَضْل، فجائز أن يَزيده اللّهُ عَلَى ما يشاء، قاله ألحسين بن الفضل. والخامس: أن معنى «ما سعى»: مَا نوى، قاله أبو بكر الورّاق. والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدُّنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي. والسابع: أن اللام بمعنى "على"، فتقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى. والثامن: أنه ليس له إلا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خِدمة الدِّين والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدِّين، فيكون ذلك سبباً حصل بسعيه، حكى

 ⁽۱) قال السيوطي في «الدر» ٦ (١٣٤١: أخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي فر رفي قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟
 قال: «مانة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف...» إلخ.

 ⁽٢) رواه ابن جرير الطبري ٧٧/ ٧٧ وفي سنده جعفر بن الزبير الباهلي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه،
 وذكره السيوطي في «اللر۴ ٦٠/ ١٢٩ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والشيرازي في «الألقاب» والديلمي بسند ضعيف عن أبي أمامة ﷺ.

 ⁽٣) رواه أحمد في «المسند» ٣٣٩/٣ عن معاذ بن أنس، وابن جرير الطبري ٧٧/٢٧، وفي سنده زبان بن قائد وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر»
 ٥٥ ١٥٤ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني، وابن مردويه، والبيهةي في «الدعوات» عن معاذ بن أنس عليه.

 ⁽٤) قد تقدم الكلام على هذا الأثر ٩٣٤ فانظره فيه.

 ⁽۵) قراءة حفص ﴿وَٱلْبَعْتَهُمْ نُرْيِئَهُم﴾ وهذه قراءة ابن عامر.

 ⁽٦) رواه البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن عبد الله بن عباس رهاه ونصه: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج
 شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، قال: (فحجي هنه).

القولين شيخنا علي بن عبيد الله الزاغوني (١).

قوله تعالى: ﴿ رَأَنَ سَعْيَامُ سَوَّكَ يُرَىٰ ۞ فيه قولان: أحدهما: سوف يُعْلَم، قاله ابن قتيبة. والثاني: سوف يرى العبدُ سعيه يومَ القيامة، أي: يرى عمله في ميزانه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ يُجْزَنْهُ ﴾ الهاء عائدة على السعى ﴿ ٱلْجُزَّاةُ ٱلْأُوِّنَّ ﴾ أي: الأكمل الأتم.

﴿ رَأَنَ إِلَىٰ رَبِّكَ الشَّبَىٰ ۞ رَأَنَهُ هُوَ أَضَمَكَ رَأَتِكَى ۞ رَأَنَهُ هُوَ آمَاتَ رَأَخَيَ ۞ رَأَنَهُ إِنَا ثَنَىٰ ۞ رَأَنَّ عَلِيمِ النَّفَاةَ الْأَخْرَىٰ ۞ رَأَنَهُ هُوَ أَفَقَ رَآتَنَ ۞ رَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الِفِتْرَىٰ ۞ رَأَنَّهُ الْمَلِكَ مَاذَا اللَّهِ وَلَكُ اللَّهُ عَلَىٰ ۞ رَأَنَّهُ اللَّهِ عَلَىٰ ۞ وَكُفُونَا لَا أَبَىٰ ۞ رَقَعَ نُوجٍ بِنِ فَهُلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمَ آفَلَمَ رَأَفَقَ ۞ رَائِنُونِكُمْ آفَرَىٰ ۞ فَسَفْنَهَا مَا فَقَىٰ ۞ فَإِنْ مَالَا وَبَكُ نَسْتَهُ ۞

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلسُّهُمْنَ ۞﴾ أي: مُنتهى العباد ومَرجِعُهم. قال الزجاج: هذا كُلُّه في صحف إبراهيم وموسى.

قوله تعالى: ﴿ وَاَنَّهُ هُوَ أَضَمَكَ وَأَبَّى ﴿ قَالَتَ عَانْشَةَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: «لو تَعْلَمُونَ مَا أَهْلَمُ لَضَحِكتم قليلاً، ولبَكَيتم كثيراً، فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية، فرجع إليهم، فقال: ما خطَوْتُ أربعينَ خطوة حتى أتاني جبريل، فقال: اثنت هؤلاء فقُل لهم: إن الله يقول: وأنّه هو أضحك وأبْكى (٢٠)، وفي هذا تنبيه على أن جميع الأعمال بقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء. وقال مجاهد: أضْحك أهلَ الجُنّة، وأبكى أهل النّار. وقال الضحاك: أضْحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُم مُو آمَاتَ ﴾ في الدُّنيا ﴿ وَلَمْيَا ﴾ للبعث ﴿ وَأَنْتُم عَلَقَ الرَّوْجَيْنِ ﴾ أي: الصَّنفين ﴿ الذَّكَ وَالْأَنِي مِن جميع الحيوانات ﴿ مِن ثُلْقَةٍ إِذَا تُشْقَ ﴿ إِنَ تُنْ ﴿ فَهُ فَي قَلِهُ إِذَا تُراق في الرَّحِم، قاله ابن السائب. والثاني: إذا تُخْلَق وتُقدّر. ﴿ وَأَنَّ مُو النَّفَةَ الأَنْوَى ﴿ وَهِي الخَلْق الثاني للبعث يوم القيامة. ﴿ وَأَنَّهُ مُو أَفْقَى المِنه أوراله أولان أحدها: أضى بالكفاية، قاله ابن عباس. والثاني: بالمعيشة، قاله الضحاك. والثالث: بالأموال، قاله أبو صالح. والرابع: بالقناعة، قاله سفيان. وفي قوله: ﴿ وَآفَيَ اللهُ أَوال: أحدها: أرضى بما أعطى، قاله ابن عباس. والثاني: أخدم، قاله الحسن، وقتادة، وعن مجاهد كالقولين. والثالث: جعل للإنسان قِنيَة، وهو أصل مال، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿ رَأَنَهُ هُوَ رَبُّ اَلِيَّمْرَىٰ ﴿ قَالَ ابن قتيبة: هو الكوكب الذي يطْلُع بعد الجَوْزاء، وكان ناس من العرب يعبُدونها.

قوله تعالى: ﴿ وَآلَتُهُ آَهُكُ عَادًا آلأُولَى ﴿ فَأَ آلِنُ كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «عاداً الأولى» منوّنة. وقرأ نافع، وأبو عمرو: «عاداً لُولى» موصولة مدغمة. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم قوم هود، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى، هذا قول الجمهور. والثاني: أن قوم هود هم عادّ الأخرى، وهم من أولاد عاد الأولى، قاله كعب الأحبار. وقال الزجاج: وفي «الأولى» لغات، أجودها سكون اللام وإثبات الهمز، والتي تليها في الجودة ضم اللام وطرح الهمزة، ومن العرب من يقول: لُولى، يريد: الأولى، فتطرح الهمزة لتحرّك اللّام.

قوله تعالى: ﴿ رَقَوْمَ نُرِجٍ مِن مَبَلُ ﴾ أي: مِن قَبْل عادٍ وثمودَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَالْمَوْنِ ﴾ من غيرهم، لطول دعوة نوح إيّاهم، وعتوهم، ﴿ وَالْمُؤْنِوَكُمْ ﴾ أي: في الله إلى الله الذي تولَّى ذلك جبريل بعد أن رفعها، وأتبعهم الله بالحجارة، فذلك قوله: ﴿ مُنَشِّنِهَ ﴾ أي: ألبسها ﴿ مَا عَشَّنِ عني الحجارة ﴿ مَإَنِّي مَالَةٍ رَيِّكَ نَسَمَارَى ﴿ هُ مُنَا لِللهُ مِن اللهُ بالحجارة ، فذلك قوله: ﴿ مَنَشَّلِهُ ﴾ أي: ألبسها ﴿ مَا عَشَّنِ عني الحجارة ﴿ مَا عَدُلُ على وحدانيَّته تتشكَّك؟ خطاب للإنسان، لمّا عدَّد اللهُ ما فعله ممّا يَدلُ على وحدانيَّته قال: فبأي نِعم ربِّك التي تدُلُ على وحدانيَّته تتشكَّك؟ وقال ابن عباس: فبأي آلاءِ ربِّك تكذَّب يا وليد، يعني [الوليد] بن المغيرة.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذُرِ الْأَوْلَةِ ۞ أَيْتِ الْآيِنَةُ ۞ لَيْنَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ كَامِنَةُ ۞ أَفِنَ هَذَا لَلْدِيثِ تَسْجَرُنَ ۞ وَمُسْتَكُونَ لَلَا ﴾ تَتُحُونَ ۞ وَمُسْتَكُونَ لَلّا عَبُدُونَ ۞ وَمُسْتَكُونَ لَلّا عَبُدُونَ ۞ وَمُسْتَكُونَ لَل

 ⁽١) هو علي بن عبيد الله بن نصر بن السرّي البغدادي مؤرخ فقيه من أعيان الحنابلة، قال ابن رجب: كان متفنناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله. توفي سنة ٧٧هـ.

⁽٢) ذكره السيوطي في «الدر) ٦/ ١٣٠ من رواية ابن مردويه عن عائشة رأيا، والله أعلم.

· · · · · ·

قوله تعالى: ﴿ مَنْنَا نَذِيرٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، نذيرٌ بما أنذرت الكتبُ المتقدِّمة، قاله قتادة. والثاني: أنه رسول الله على نذيرٌ بما أنذرت به الأنبياء، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿ أَنِفَ ٱلْآنِفَةُ ﴿ أَي : دَنَت القيامة، ﴿ لِنَسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ كَافِفَةٌ ﴿ فَه قولان: أحدهما: إِذَا غَشِيَت الخَلْقَ شدائلُها وأهوالُها لمْ يَكْشِفها أحد ولم يردها، قاله عطاء، وقتادة، والضحاك. والثاني: ليس لِعلْمها كاشف دونَ الله، أي: لا يَعلم عِلْمها إلّا الله، قاله الفراء، قال: وتأنيث إكاشفة كقوله: ﴿ فَهَلْ زَعَا لَهُم مِنْ بَافِيكَ ﴾ (١) كاشف دونَ الله، أي: لا يَعلم عِلْمها إلّا الله، قاله الفراء، قال: وتأنيث إكاشفة كقوله: ﴿ فَهَلْ زَعَا لَهُم مِنْ بَافِيكَ ﴾ (١) النحاقة: ٨]، يريد: مِن بقاءٍ والمعافية والباقية والناهية كُلُه في معنى المصدر, وقال غيره: تأنيث الكاشفة على تقدير: نفس كاشفة.

قوله تعالى: ﴿أَفِنْ هَذَا لَلْنَهِ عِنَ المَاتِلَ: يعني القرآن ﴿ تَشَجَّرُنَ ﴾ تكذيباً به، ﴿ وَتَشْكُونَ ﴾ استهزاء ﴿ وَلَا تَبَكُونَ ﴾ مما فيه من الوعيد؟! ويعني بهذا كفار مكة، ﴿ وَأَنَمُ سَيْدُنَ ﴿ فَهُ فيه خمسة أقوال: أحدها: لاهون، رواه العوفي عن ابن عباس، ويه قال الفرّاء والزجّاج. قال أبو عبيدة; يقال: دَعْ عنك سُمودَك، أي: لَهُوك. والثاني: مُعْرِضون، قاله مجاهد. والثالث: أنه الفِنام، وهي لغة يمانية، پقولون: اسْمُد لنا، أي: تَعَنَّ لن، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة: هو الفِناء بالجِدْيريَّة. والرابع: غافلون، قاله قتادة. والخامس: أشِرون بَطِرون، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ اَلْمَهُمُوا يَقِيهُ فيه قولان: أحدهما: أنه سُجود التلاوة، قاله ابن مسعود. والثاني: سُجود الفرض في الصلاة. قال مقاتل: يعني بقوله: «فاسُجُدوا»: الصلوات الخمس. وفي قوله: ﴿ وَاَعْبُدُوا ﴾ قولان: أحدهما: أنه التوحيد. والثاني: العبادة (٢).

1. Maria de la compansión de

⁽١) الآية في التلاوة: ﴿فَهُلَ نَهُمْ مِنَا كِيْكِمَ﴾ وقد سوغ المتقدمون حذف الواو والفاء عند ذكر الآية للاستدلال، انظر «الرسالة» للشافعي ٣٦١ بتحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

⁽٢) قال ابن جريرالطبري: وقوله: ﴿ أَأَسُمُوا بِنَهِ وَاعْبُوا ﴾ يقول تعالى ذِكره: فاسجدوا له أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه. وروى البخاري في قصحيحه ٨/ ٤٧٧ عن ابن عباس ﴿ قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. وروى البخاري أيضاً عن ابن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ رَائَيْمِ ﴾ قال: قسجد رسول الله ﴿ وسجد من خلفه إلا رجلاً وأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أهية بن خلف.

سورة القمر

ينسب ألَّهِ النَّانِ النَّهَ النَّهَ إِنَّ النَّهَ إِنَّ النَّهُ إِنَّ النَّهُ إِنَّ النَّهُ إِنَّ النَّهُ إِنَّ النَّهُ النُّلُ النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّالِي النَّهُ النَّالِي النَّالِي النَّهُ النَّالِي النّلِي النَّالِي النّلِي النَّالِي النّلِي النَّالِي النّلِي النَّالِي النَّلْمُ اللَّلْمِيلُولِي النَّالِي النَّالِي النَّالِي النَّلْمُ اللَّالِي ال

﴿انْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْتَقَ الْفَتَدُ ۞ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُشْرِقُواْ وَيَقُولُواْ سِخَرُّ مُسْتَيَدُّ ۞ وَكَذَبُواْ وَانْبَعُواْ أَمْوَانَهُمْ وَكُلُّ أَسْرِ مُسْتَقِدُّ ۞ وَلَقَدْ جَنَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءَ مَا فِيهِ مُزْدَجَدُ ۞ حِكْمَةٌ بَلِينَةٌ فَمَا ثَنْنِ النَّذُرُ ۞﴾.

وهي مكيّة بإجماعهم، وقال مقاتل: مكّيّة غير آية ﴿مَيْهُرُمُ الْقَمْعُ القرد: ها]، وحكي عنه أنه قال: إلا ثلاث آيات، أولها: ﴿أَر يَمُولُونَ مَن جَبِعٌ مُنْكِرٌ ﴿ إلى قوله: ﴿وَآمْرُ ﴾ [القمر: ٤٤- ٤٦]، قال ابن عباس: اجتمع الممسركون إلى رسول الله ﷺ قالوا: إن كنت صادقاً فشُقَ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: وإن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل رسولُ الله ﷺ ربّه أن يُعطيه ما قالوا، فانشقَ القمر فرقتين، ورسولُ الله ﷺ ينادي: ويا فلان الشهدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة (١٠). وقد روى البخاري ومسلم في قصحيحهما من حديث ابن مسعود قال: انشقَ القمر على عهد رسول الله ﷺ: وأشهدوا» (١٠). وقد روى حديث الانشقاق الله النشق القمر على عهد رسول الله ﷺ: وأشهدوا» (١٠). وقد روى حديث الانشقاق المفسرين، إلّا أن قوماً شذُّوا فقالوا: سينشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول المفسرين، إلّا أن قوماً شذُّوا فقالوا: سينشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول ودليل، وليس ذلك موجوداً (١٠). وفي قوله: ﴿وَإِن يَرَوَا مَايَة يُرْمُوكُ دليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿ أَنْفَرْيَكِ ﴾ الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿ وَإِن يَرَوَا مَايَة يُرْمُوكُ وليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿ أَنْفَرْيَكِ ﴾ القيامة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، تقديره: انشقَ القمر واقتربت الساعة. وقال مجاهد: وتُعيق فان وله: ﴿ أَلْسَاعَةُ والنّه الله على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿ أَنْفَرَ الله على أنه قد كان أيل أبي كبشة ، فاسألوا الشُقًار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فانول الله ﷺ: ﴿ أَنْمَرَكِ السَّعَةُ والنَقُ القمر فالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة ، فاسألوا الشُقًار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فانول الله ﷺ: ﴿ أَنْمَرَكِ السَّاعَةُ وَلَنْهُ المَامِد المَنْ المَ

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوا مَايَةٌ ﴾ أي: آية تدُلُّهم على صدق الرسول، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر ﴿يُمْرِشُوا ﴾ عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا مِنحُرٌ مُسْتَبِرٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهب، من قولهم: مَرَّ الشيءُ واستمرَّ: إذا ذهب، قاله مجاهد، وقتادة، والكسائي، والفراه؛ فعلى هذا يكون المعنى: هذا سِحر، والسَّحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديدٌ قويٌّ، قاله أبو العائية، والضحاك، وابن قتيبة، قال: وهو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْلُ (1). والثالث: دائم، حكاه الزجّاج.

قُوله تعالى: ﴿ وَكُذَّبُوا﴾ يعني كذَّبوا النبيَّ ﷺ وما عاينوا من قُدرة الله تعالى ﴿ وَاَلْبَيَّ الْهَوَاءُمُۗ﴾ ما زيَّن لهم الشيطانُ ﴿ وَصَالَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّلْمُلّاللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ الل

⁽١) رواه البخاري ٢/ ٤٦٤ بمعناه مختصراً، وذكره السيوطي في «اللد» ٦/ ١٣٣ ونسبه إلى أبي نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس.

⁽٢) البخاري ٨/٤٧٤، ومسلم ٢١٥٨/٤.

٣) حليث عبد الله بن عمر رواه مسلم والترمذي والبيهقي: وحديث خليفة أغرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في ازوائد الزهدة وابن جرير، وابن مردويه. وحديث أنس بن مالك رواه أحمد والبيهقي، وخديث ابن عباس رواه البخاري في اصحيحه، وحديث أنس بن مالك رواه أحمد والبخاري ومسلم.

⁽٤) في الأصل: موجود.

⁾⁾ وواه الواحدي في السياب النزول؛ ٧٢٪، وابن جرير الطبري ٢٧/ ٨٥، وذكره السيوطي في الدر؛ ١٣٣/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نميم والبيهقي كلاهما في الدلائل؛ من طريق مسروق عن ابن مسعود ﷺ.

⁽٦) في الأصل: القتل، وهو تصحيف، والتصويب من فغريب القرآن».

الشر، قاله قتادة. والثاني: لكل حديثٍ مُنتهى وحقيقةٌ، قاله مقاتل. والثالث: أن قرار تكذيبهم مستقِرّ، وقرار تصديق المصدِّقين مستقِرّ حتى يعلموا حقيقته بالثواب والعقاب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ جَآءَمُمُ ﴾ يعني أهل مكة ﴿قِنَ ٱلأَئْبَآهِ ﴾ أي: من أخبار الأُمم المكذَّبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَدُ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مُتَّمَظٌ ومُتهى.

قوله تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ اللِّلِغَةً ﴾ قال الزجّاج: هي مرفوعة لأنها بدل من "ما"، فالمعنى: ولقد جاءهم حكمةٌ بالغة [وإن شئت رفعتهما بإضمار: هو حكمة بالغة]. و "ما" في قوله: ﴿ فَمَا تُغْنِ النَّذُرُ ﴾ جائز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، فيكون المعنى: أيّ شيء تُغْني النَّذُر؟! وجائز أن يكون نفياً، على معنى، فليست تُغْني النَّذر. قال المفسرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حِكْمة تامَّة قد بلغت الغاية، فما تُغْني النَّذُر إذا لم يؤمنوا؟!.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمُ يَوْمَ يَدَعُ ٱلدَّاعِ إِلَى شَيْءِ نُكُرٍ ۞ خُتَمًا أَبْصَنُوكُمْ يَغَرْبُونَ مِنَ ٱلْأَبْمَاثِ كَأَنَهُمْ جَرَادٌ ثُنَائِنُ ۞ تُهطِيبِنَ إِلَى ٱلدَّاقِ بَقُولُ ٱلكَفِيْرِينَ هَذَا يَوْمُ عَبِرٌ ۞﴾

﴿ فَنُولً عَنْهُم ﴾ قال الزجّاج: هذا وقف التمام، و ﴿ يَرْمَ ﴾ منصوب بقوله: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَبْدَاثِ ﴾. وقال مقاتل: فتولَّ عنهم [إلى] يوم «يَدْعُ الدَاعِي» أثبت هذه الياء في الحالين يعقوب؛ ووافقه أبو جعفر، وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الأكثرون في الحالين. و «الداعي»: إسرافيل ينفُخ النفخة الثانية. ﴿ إِلَى تَنْعُو تُحَكُم ﴾ وقرأ ابن كثير: «نُكْرِ» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع. وقال مقاتل: «النُّكُر» بمعنى المُنْكر، وهو القيامة، وإنما يُنْكِرونه إعظاماً له. والتَّولِي المذكور في الآية مسوخ عند المفسرين بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿خُنَمًا أَمَنُومُ ﴿ قَرأ أهل الحجاز، وابن عامر، وعاصم: ﴿خُشَعاً المضم الخاء وتشديد الشين من غير ألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿خَاشِعاً المفتى الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين. قال الزجاج المعنى: يخرُجون خُشَعاً ، و ﴿خاشعاً الفاعلين إذا تقدّمت يخرُجون خُشَعاً ، و ﴿خاشعاً الفاعلين إذا تقدّمت على الجماعة التوحيد والتأنيث والجمع ؛ تقول: مررت بشبّانٍ حَسَنٍ أوجههم، وحِسانٍ أوجههم، وحَسنةٍ أوجههم، قال الشاعر:

وشَــبابِ حَــسَــنِ أَوْجُــهُــهُــمُ مِــنْ إِيـاد بْــن نِــزَارِ بْــن مَــعَــدّ(١)

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. والأجداث: القبور، وإنما شبّههم بالجراد المنتشِر، لأن الجراد لا جِهة له يَقْصِدها، [فهو أبداً مختلف بعضه في بعض]، فهم يخرجُون فزعين ليس لأحد منهم جهة يَقْصِدها. والدَّاعي: إسرافيل. وقد أثبت ياء «الدّاعي» في الحالين ابن كثير، ويعقوب؛ تابعهما في الوصل نافع، وأبو عمرو؛ والباقون بحذفها في الحالين. وقد بيّنًا معنى «مُهْطِعين» في سورة [براهم: 2] والعَسِر: الصّعب الشّديد.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُنَّ مَبْلَهُمَ ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿قَرْمُ ثُنِج فَكَنَّهُ نُوحاً ﴿وَقَالُواْ جَنُونٌ وَارْدُجِرَ ﴾ قال أبو عبيدة: افتجل مِن زُجِر. قال المفسرون: زجروه عن مقالته ﴿فَدَعَا ﴾ عليهم نوح ﴿رَبِّهِ ﴾ به ﴿أَنِي مَنْلُوبٌ فَأَنْصِرَ ﴾ أي: فانتَقِم لي ممَّن كذَّبني. قال الزَّجاج: وقرأ عيسى بن عمر النحوي: ﴿إِنِّي الله بكسر الألف، وفسرها سيبويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: دعا ربَّه به ﴿أَنِي مَنْلُوبٌ ﴾.

⁽۱) البيت للحارث بن دوس الإيادي، ويروى لأبي داود الإيادي «هامش القرطبي» ١٢٩/١٧. وهو في «الطبري» ٩٠/٢٧. والبيت من شواهد الفراء في همماني القرآن، الورقة ٣١٧ قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهو له، أو قبل جمع مؤنث، مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها، جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه.

قوله تعالى: ﴿ فَهَنَحْنَا أَبْوَبَ السَّمَايَ ﴾ قرأ ابن عامر ﴿ فَقَتَّحْنَا ﴾ بالتشديد. فأمّا المُنهمِر، فقال ابن قتيبة: هو الكثير السريع الانصباب، ومنه يُقال: هَمَر الرجُل: إذا أكثر من الكلام وأسرع. وروى علي هي المواب السماء فُتحت بالماء من المجرَّة، وهي شَرَجُ السماء. وعلى ما ذكرنا من القصة في [هرد: ٤٤] أن المطر جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿ فَفَنَحْنَا أَبُوبَ السَّمَايَ ﴾ قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفُجِّرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً، ﴿ وَفَجْرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً . ﴿ وَاللّهُ وَاللّهُ وَوَلَ مُكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: ﴿ الماوانِ ﴾ بواو وألف وقول مكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: ﴿ الماوانِ ﴾ بواو وألف وكسر النون. قال الزجاج: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأن اسم الماء اسم يجمع ماء الأرض وماء السماء.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ فَدَ فَدُرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: كان قَدْر ماء السماء كقَدْر ماء الأرض، قاله مقاتل. والثاني: قد تُفي عليهم، وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿وَمَلَنَهُ يعني نوحاً ﴿عَلَىٰ ذَاتِ الْوَبِحِ وَنُمُرِ ﴾ قال الزجاج. أي: على سفينة ذاتِ الواح. قال المفسرون: الواحها: خشباتها العريضة التي منها جُمعت. وفي الدُّسُر أربعة أقوال: أحدها: أنها المسامير، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال الزجاج: الدُّسُر: المسامير والشُّرُط التي تُشدَّ بها الألواح، وكل شيء نحو السَّمْر أو إدخال شيء في شيء بقوَّة وشِدة قهر فهو دَسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أدْسُرُه وأدْسِرهُ. والنُّسُرة، والنُّسُرة، والدُّسُرة، والدُّسُرة، والدُّسُرة واحدها دِسار، نحو جمار، وحُمُر، والثاني: أنه صَدْر السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدْسُر الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر أنه شيء دسره البحر، أي: دفعه (۱). والثالث: أن الدُّسُر: أضلاع السفينة، قاله مجاهد. والرابع: أن الدُّسُر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانباها، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ يَمْنِي بِأَعْنِيا ﴾ أي: بمَنْظَرِ ومرأى مِنّا ﴿ جَرَابَ ﴾ قال الفراء: فعَلْنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كُفِر به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله على، وهو مذهب مجاهد، فيكون المعنى: عوقبوا لله ولكفرهم به. والثاني: أنه نوحٌ كُفِر به وجُجِد أمْرُه، قاله الفراء. والثالث: أن «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاءً لِما كان كُفِر من نِعم الله عند الذين أغرقهم، حكاه ابن جرير. وقرأ قتادة: «لِمَنْ كان كَفَر» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تُرَكُنُهَا ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها السفينة، قال قتادة: أبقاها الله على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة. والثاني: أنها الفَعْلة، فالمعنى: تركنا هذه الفَعْلة وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها، ﴿ فَهَلْ مِن مُذَكِرٍ ﴾ وأصله مُدتكِر، فأبدلت التاء دالاً على ما بيَّنا في قوله: ﴿ وَاتَكُر بَهَدَ أَمْيَ ﴾ [يوسف: ٥٤]. قال ابن قتيبة؛ أصله: مذتكِر، فأدغمت التاء في الذال، ثم قُلبت دالاً مشدَّدة. قال المفسرون: والمعنى: هل من متذكر يعتبر بذلك؟ ﴿ فَكَيْكَ كَانَ عَذَابِي وَنُدُر فَهِ هذه السورة * وَنُذُر استة مواضع، أثبت الياء فيهن في الحالين يعقوب، تابعه في الوصل ورش، والباقون بحذفها في الحالين. وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَنَابِي ﴾ استفهام عن تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. قال ابن قتيبة: والنُّذُر هاهنا جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار، ومثله النَّكير بمعنى الإنكار. قال المفسرون: وهذا تخويف لمشركي مكة. ﴿ وَلَقَد يَمَرَنَا القُرُيَانَ ﴾ أي: سهَلناه ﴿ لِلذِكِ ﴾ أي: للجفظ والقراءة ﴿ فَهَلَ مِن الله طاهراً إِلّا القرآن. وأمّا الرّبع الصّرصر، فقد ذكرناها في [عم السجدة].

⁽١) قال الشيخ محمد السفاريني في اشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمده: جاء في الحديث عن ابن عباس ﷺ: سئل رسول الله ﷺ عن زكاة العنبر؟ فقال: الإيام أجدية والمعاربة العنبر؟ فقال:

 ⁽۲) قال ابن كثير: ﴿ رَلَقَدْ بَشَرًا ٱلثَّرُينَ لِلزِّكِ ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمعن أراده، ليتذكر الناس، كما قال: ﴿ كِنَتُ ٱلزَّلَةُ ٱلزَّلَةُ ٱلزَّلَةُ ٱلزَّلَةُ الزّرَةِ وَلَنَدُ بَدَرًا ٱللَّهُ عَلَيْكِ كَلَيْمَ وَلَنَدُ مِيهِ النَّبُقِيمِ وَلَيْدَ بِدِ قَرْبًا لَنْ اللّٰهِ ﴾ يعني هؤنا = أزلوا الألّٰذِي في وقال تعالى: ﴿ وَلِمَدْ يَدَرُ اللّٰمُ عَلَيْكِ كَلَةً اللّٰمُ عَلَيْكِ كَلِيمُ عَلَيْ اللّٰمُ عَلَيْكِ عَلَيْ عَلَيْكِ عَلَيْكِ كَلَيْمُ مَا اللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ عَلَيْكُ إِللّٰمِ اللّٰمِ اللّٰمُ إِلَيْكُ إِلَيْمُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْمُ اللّٰمُ عَلَيْكُ إِللّٰمُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ إِلَيْكُ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ مِنْ اللّٰمُ عَلَيْكُ مِنْ اللّٰمُ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ مِنْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْمُ اللّٰمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُونَا اللّٰهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلِ

قوله تعالى: ﴿فِي بَرِهِ غَسِ شُتَكِرٍ ﴾ قرأ الحسن: ﴿في يوم التنوين، على أن اليوم منعوت بالنّحس. والمُستمّر: الدائم الشؤم، استمر عليهم بنُحوسه. وقال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم. وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر (۱). ﴿فَيْخُ النّاسَ ﴾ أي: تقلعهُم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدُق رقابَهم فتُبِين الرّاسَ عن الحسد، ف ﴿كَانَهُم أَعَبَادُ غَلِ ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميفع: ﴿أَعْجُرُ نَحْلٍ الجيم من غير ألف بعد الجيم. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو عمران: ﴿كَانَهم عُجُز نخل ابضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصول نَخلٍ ﴿مُنتَبِرٍ ﴾ أي: مُنقَلع. وقال الفراء: المُنقور: المُنتَصرع من النّخل. قال ابن قتيبة: يقال: قَمْرُتُه فانقَعَر، أي قلعته فسقط. قال أبو عبيدة: والنّخل يُذكّر ويؤنّث، فهذه الآية على لغة من ذكّر، وقوله: ﴿أَعْجَادُ غَلٍ خَارِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٨] على لغة من إلنّحل مقاتل: شبّههم حين وقعوا من شِدّة العذاب بالنّخل الساقطة التي لا رؤوس لها، وإنما شبّههم بالنّخل لِعُلْولهم، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراءاً.

﴿ وَلَقَدَ بَدَرًا النَّرَانَ لِلذِكْرِ فَهَلَ مِن مُثَكِرٍ ۞ كَفَبَتْ نَمُوهُ بِالنَّذُرِ ۞ فَقَالُوا أَبْشَرُ بِنَا وَبِمَا أَنْفِهُمْ إِنَّا إِذَا لَنِي صَلَّالِ وَشَعْمٍ ۞ لَأَيْنَ اللَّذِنُ اللَّهُمُ مَا تَنِيَعُهُمْ وَاسْتَلِي مُوسَالًا اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مَنْ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ الللللَّاللَّا اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللل

قوله تعالى: ﴿كُنَّتُ نَبُودُ بِالنَّذُرِ ﴿ كَنَّتُ نَبُودُ بِالنَّذُرِ ﴿ كَانَهُ فِيهِ قولان: أحدهما: أنه جمع نذير. وقد بينّا أن من كذَّب نبيًا واحداً فقد كذَّب الكُلَّ. والثاني: أن النَّذُر بمعنى الإنذار كما بينًا في قوله: ﴿فَكِنَ كَانَ عَلَهِ وَلَهُ وَكُلْهِ وَ فَكَانِهِم كَذَّبُوا الإنذار الذي جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبْسَرُ بَتَا﴾ [قال الزجاج: هو منصوب بفعل مُضْمَر والذي ظهر تفسيره، المعنى: أنتبع (٢) بَشَراً مِنَا ﴿وَبِهِا﴾]، قال المفسرون: قالوا: هو آدميّ مِثْلُنا، وهو واحد فلا نكون له تَبَعاً ﴿إِنَّا إِذَا ﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَيْ مَنَالُو﴾ أي: خطأ وذهاب عن الصواب ﴿وَيُشْرُ ﴾ قال ابن عباس: أي: جنون. قال ابن قتيبة: هو من: تَسَعَّرتِ (٣) النَّارُ: إذا التَهبث، يقال: ناقةٌ مَسْعُورةٌ، أي: كأنها مجنونة من النشاط. وقال غيره: لَفي شقاء وعنَاءٍ لأجل ما يلزمنا من طاعته. ثم أنْكُروا أن يكون الوحي يأتيه فقالوا: ﴿لِلْإِنْ الذِّكُرُ ﴾؟ أي: أنزَل الوحيُ ﴿عَلَهِ مِنْ آلِهُ أَيْ كُنُ أَيْرٌ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المَرِح المتكبِّر، قاله ابن قتيبة. والثاني: البَطِر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿سَيَمْأَتُونَ عَدَا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة: «ستَعلمون، بالتاء (غداً) فيه قولان: أحدهما: يوم القيامة، قاله ابن السائب. والثاني: عند نزول العذاب بهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْيِلُوا النَّافَةِ وَذَلَكَ أَنهُم سألوا صالحاً أَن يُظْهِر لهم ناقة من صخرة، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْيِلُوا النَّافَةِ ﴾ أي: مُخرجوها كما أرادوا ﴿وَنَنَهُ لَهُم ﴾ أي: وحنة واختباراً ﴿قَارَقَتْهُم ﴾ أي فانتظر ما هم صانعون ﴿وَاصَلَا ﴾ على ما يُصيبُك من الأذى، ﴿وَنَيْنَهُمْ أَنَّ النَّاةَ فِشَمَةٌ بَيْتُهُم ﴾ أي: بين ثمود وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: ﴿كُلُّ شِرْبُو مُعْمَدُ ﴾ يحضُرُهُ صاحبُه ويستحقُّه.

قوله تعالى: ﴿ نَادَوْا مَاجِكُمٌ ﴾ واسمه قُدار بن سالف ﴿ نَهَا طَنى ﴾ قال ابن قتيبة: تعاطى عَقْر الناقة ﴿ فَنَفَرَ ﴾ أي: قتل؛ وقد بيَّنا هذا في [الأعراف: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَكَا طَيُّهِمْ صَيِّمَةً رَحِيدَةً ﴾ وذلك أن جبريل عليه صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصتهم في [هود: ١١]

قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن. وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الأدميين ما استطاع أحد من الخلق أن
 يتكلم بكلام الله \$\tilde{x}. وقوله: ﴿ فَهَلَ مِن مُذْكِرِ ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟! وقال محمد بن كعب القرظمي: فهل
 منزجر عن المعاصمي؟!.

⁽١) الشؤم من معقدات الجاهلية المقيتة التي أبطلها الإسلام، وما يروى مرفوعاً من أن قيوم الأربعاء يوم نحس مستمرًا فلا يصح منه شيء.

 ⁽٢) في الأصل: اتبع، والتصويب من «القرطبي».
 (٣) في الأصل: تسعر، والتصويب من «غريب القرآن».

﴿ فَكَانُواْ كَهَ شِيرِ اللَّهُ فَيلِ ابن عباس: هو الرجُل يجعل لغنمه حظيرة بالشَّجر والشوك دون السَّباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنم، فهو الهَشيم. وقد بيَّنا معنى «الهشيم» في [الكهف: ٤٥] وقال الزجَّاج: الهَشِيم: ما يَبِس من الورق وتكسَّر وتحطَّم، والمعنى: كانوا كالهَشِيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، فهو يُجمع ليوقد. وقرأ الحسن: «المُحتظَرِ» بفتح الظاء، وهو اسم الحظيرة؛ والمعنى: كهشيم المكان الذي يُحتظَر فيه الهشيم من الحطب. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحيطان. وقال قتادة: كالعظام النَّخِرة المحترقة. والمراد من جميع ذلك: أنهم بادوا وهلكوا حتى صاروا كالشيء المتحطّم.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُولِمِ بِالنَّذُرِ ۞ إِنَّا أَرْمَلْنَا عَلَيْمِمْ حَامِبًا إِلَّا ءَالَ لُولِّ نَجَيْتُهُم بِسَحَرٍ ۞ يَعْمَةُ مِنْ عِدِينًا كَذَاكِ نَجْرِى مَن شَكَرَ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَن مَيْعِهِم فَكُونُواْ عَلَىهِ وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ مُشْتَعِبٌ ۞ فَدُولُوا عَلَىهِ وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ مُشْتَعِبٌ ۞ فَدُولُوا عَذَاهِ وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ مُشَتَعِبٌ ۞ فَدُولُوا عَذَاهِ وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ مُشْتَعِبٌ ۞ فَدُولُوا عَذَاهِ وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ وَمُؤْلِعُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ مُثَلِّمٍ ۞ وَلَقَدْ مُنْبَحَهُم بَكُرُةً عَدَابٌ وَمُؤْلِعُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَذِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَا لَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالُولُوا عَلَالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا مُنْهُمُ وَاللَّهُ وَلَا مُعْلَمُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا عَلَالًا مِنْ وَاللَّهُ وَلَا عَلَالِ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا عَلَالًا مِنْ اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلِيَمٌ حَاسِبًا﴾ قال المفسرون: هي الحجارة التي قُلِفوا بها ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطِ﴾ يعني لوط وابنتيه ﴿بَنِيْتُهُم﴾ من ذلك العذاب ﴿مِسَمَرٍ ﴾ قال الفراء: «سَحَرٍ هاهنا يجري^(١) لأنه نكرة، كقوله: نجيَّناهم بِلَيْل، فإذا ألقت العرب منه الباء لم يَجر، لأن لفظهم به بالألف واللام، يقولون: ما زال عندنا منذُ السَّحَرِ، لا يكادون يقولون غيره، فإذا حذفت منه الألف واللام لم يُصْرَف. وقال الزجاج: إذا كان السَّحر نكرة يراد به سَحَرٌ من الأسحار، انصرف، فإذا أردتَ سَحَرٌ يومِكَ، لم ينصرف.

قوله تعالى: ﴿كَنَالِكَ نَجْزِى مَن شَكَّرَ ﴾ قال مقاتل: من وحدًّ الله تعالى لم يُعَذَّب مع المشركين.

قوله تعالى: ﴿ رَلَتَدُ رَدَدُوهُ عَن صَيِّنِهِ ﴾ أي: طلبوا أن يسلِّم إليهم أضيافه، وهم الملائكة ﴿ مَسَّسَنَا أَعَيْبُهُم ﴾ وهو أن جبريل ضرب أعينهم بجناحه فأذهبها. وقد ذكرنا القصة في سورة [هرد: ٨١]. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿ فَلُوتُوا ﴾ أي: فقُلنا لقوم لوط لما جاءهم العذاب: ذوقوا ﴿ مَنَابِى رَنُدُو ﴾ أي: ما أنذركم به لوط، ﴿ وَلَقَدٌ صَبَّعَهُم بُكُرُه ﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿ مَنَابُ أُسُمِّ أَسُورُ ﴾ أي: نازل بهم. قال مقاتل: استقرَّ بهم العذابُ بُكُرةً. قال الفرّاء: والعرب تُجري فغدوة و في كرة ولا تُجريهما، وأكثر الكلام في فغدوة ترك الإجراء، وأكثر في فبكرة أن تُجري، فمن لم يُجرها جعلها معرفة، لأنها اسم يكون أبداً في وقتٍ واحد بمنزلة فأمسٍ و فغدٍ ، وأكثر ما تُجري العربُ فغدوة وعشيّة ، [وبعضهم يقول: ﴿ فُدُوة »، فلا يُجريها ، و "عشية »] فيُجريها، ومنهم من لا يُجري قولون: إني لا تيهم غُدوة وعشيّة ، [وبعضهم يقول: ﴿ فُدُوة والبُكرة إذا كانتا نكرتين نُونتا وصُرِفتا ، فإذا أردت بهما بُكرة ومثليّة الكثرة ما صحبت ﴿ فُدُوة ». وقال الزجاج: الغُدوة والبُكرة إذا كانتا نكرتين نُونتا وصُرِفتا ، فإذا أردت بهما بُكرة يومك وغذاة يومك ، لم تصرفهما ، والبُكرة هاهنا نكرة ، فالصرف أجود ، لأنه لم يثبُت رواية في أنه كان في يوم كذا في

﴿ وَلَقَدْ مَنْهُ مَالَ فِرْمَوْدَ النَّذُرُ ۞ كَذَّهُمْ بِمَانِينَا كُلِمَا مَأَمَنْنَامُ آمَدَ مَرِيزِ تُمْقَدِدٍ ۞ اكْفَازَكُمْ مَيْرٌ بِنَ أُولَتِهِكُمْ أَرَ لَكُمْ بَرَادَةً فِ الزَّهُرِ ۞ أَدُ بَعُولُونَ خَنْ جَمِيعٌ شَنَمِيرٌ ۞ مَبْهَزُمُ الجُمْتُمُ رَبُولُونَ النَّبُرَ ۞ كِلِ السّاحَةُ مَوْجِدُمُمْ وَالسَّاعَةُ أَدَمَى وَأَمَرُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ مَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ يعني القِبْظ ﴿ النَّذُرُ ﴾ فيهم قولان: أحدهما: [أنه] جمع نذير، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى. والثاني: أن النَّذُر بمعنى الإنذار؛ وقد بينّاه آنفاً، ﴿ فَأَغَذَتُهُمُ ﴾ بالعذاب ﴿ أَغَدَ عَبِيزٍ ﴾ أي: غالب في انتقامه ﴿ مُقْنَدِ ﴾ قادر على هلاكهم. ثم خوَّف أهل مكة فقال: ﴿ أَكُنُارَكُو ﴾ يا معشر العرب ﴿ فَيْرٌ ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿ وَمَا استفهام معناه الإنكار؛ والمعنى: ليسوا بأقوى من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم ﴿ أَرْ لَكُمْ اللَّهُ ﴾ ؟! وهذا استفهام معناه الإنكار؛ والمعنى: ليسوا بأقوى من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم ﴿ أَرْ لَكُمْ اللَّهُ مَنْ جَمِيعٌ شَنَعِيرٌ ﴾ أي: في الكتب المتقدِّمة، ﴿ أَرْ يَتُولُونَ غَنُ جَمِيعٌ شَنَعِيرٌ ﴾ المعنى: أيقولون: نحن يد واحدة على مَنْ خالفنا فنتصر منهم؟ وإنما وحَّد المُنتَصِر للفظ الجميع، فإنه على لفظ واحده وإن كان اسماً للجماعة ﴿ سَيُهِمُ مُ وروى أبو حاتم بن يعقوب: «سنهزم» بالنون، «الجمع» بالنصب،

⁽١) أي ينصرف.

﴿وتوّلون﴾ بالتاء، ويعني بالجمع: جمع كفار مكة ﴿وَيُولُونَ اللُّهُرَ﴾ ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائز؛ قال الفراء: مِثلُه أن يقول: إن فلاناً لكثير الدّينار والدّرهم. وهذا مما أخبر اللّهُ به نبيَّه من عِلم الغَيب، فكانت الهزيمة يومَ بدر.

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدَهَى ﴾ قال مقاتل: هي أفظع ﴿ وَأَمْرٌ ﴾ من القتل. قال الزجاج: ومعنى الدّاهية: الأمر الشديد الذي لا يُهتدى لدوائه؛ ومعنى «أمَرُه: أشدُ مرارةً من القَتْل والأشر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي صَلَالِ وَشُعُرٍ ۞ يَتَمَ يُسْتَحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوفُواْ مَنَّ سَفَرَ ۞ إِنَّا كُلُّ فَنَىءٍ خَلَقَتُهُ بِمَلَارٍ ۞ وَمَا أَمْرُنَا ۚ إِلَّا وَحِدَّةٌ كَلَنَجٍ بِالْبَصَرِ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَا أَشْبَاعَكُمْ فَهَلَ مِن مُدَّكِرٍ ۞ وَكُلُّ مَسْفِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرُ ۞ إِنَّ النَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَبَهَرٍ ۞ فِي مَقْمَدِ صِنْدٍةٍ عِندَ مَلِيكِ مُتَّفَذِيرٍ ۞ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَرِّمِينَ فِي ضَلَالِ وَمُتُرِ ﴿ فِي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُخاصِمونَ في القدّرَ، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ غَلَقْتُهُ مِنْدَرِ ﴾ انفرد بإخراجه مسلم من حديث أبي هريرة (١) وروى أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِن هذه الآية نزلت في القَدَريَّة (٢). والثاني: أن أُستُف نَجران جاء إلى النبي ﷺ فقال؛ يا محمد تزعُم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿أَنتُم خُصَماءُ الله ، فنزلت: ﴿إِنَّ النَّمَ عُلَا الله ، فنزلت: ﴿إِنَّ النَّمَ عُلَا وَلَا عَلَاء.

قوله تعالى: ﴿ وَسُمْرٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجنون. والثاني: العَناء، وقد ذكرناهما في صدر السورة. والثالث: أنه نار تَسْتَعِرُ عليهم، قاله الضحاك. فأمّا ﴿ سَقَرَ اسم لنار الآخرة أعجميّ، ويقال: بل هو عربيّ، من معرفة، وهي مؤنّة. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: سَقر: اسم لنار الآخرة أعجميّ، ويقال: بل هو عربيّ، من قولهم: سَقرَتُه الشمس: إذا أذابته، سمّيتُ بذلك لأنها تُذيب الأجسام. وروى عمر بن الخطاب عليه عن رسول الله على قال: ﴿إذا جَمَع الله الخلائق يوم القيامه أمر منادياً فنادى نداة يسممُه الأولون والآخرون: أين خُصَماء الله؟ فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار، يقول الله تعالى: ﴿ دُرُولُوا مَن سَمَرٌ ﴿ إِنَا كُلُّ نَنَى خَلَقَتُهُ بِعَدَرٍ ﴾ (٣)، وإنما قبل لهم: ﴿ حُصَماء الله لأنهم يُخاصمون في أنه لا يجوز أن يُقدِّر المعصية على العَبْد ثم يعذّبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أنَّ قدرياً صام حتى يصير كالحبّل، ثم صلَّى حتى يصير كالوتر، ثم أخذ ظلماً وزُوراً حتى ذُبح بين الرُّكُن راحكيه والمقام لكبَّه الله على وجهه في سَقر ﴿ إِنَا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَتُهُ مِنَكِ ﴾ . [وروى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله على وجهه في سَقر حتى العَجْزُ والكيشُ (٤). وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعُ يدك على خدلك وقال الزجّاج: معنى ﴿ بقدر حتى العَجْزُ والكيشُ ﴿ أَن كُنُ مَن وقال الزجّاج: معنى ﴿ بقدر حتى العَجْزُ والكيشُ ﴿ قَالُ ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعُ يدك على خدلك وقال الزجّاج: معنى ﴿ بقدر عنى العَجْزُ والكيشُ الله على وجهه ونصب ﴿ كُلُ شيء خلقناه بقدرٍ مكتوبٍ في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب ﴿ كُلُ شيء خلقناه بقدرٍ المعنى: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدرٍ المحفوظ قبل وقوعه، ونصب ﴿ كُلُ شيء بقدر عن المعمر؛ المعنى: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدرٍ مكتوبٍ في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب ﴿ كُلُ شيء بقدر عن علمه عنه المعمر؛ المعنى: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدرٍ المحفوظ قبل وقوعه، ونصب ﴿ كُلُ شيء بقدر عنه عنه المنه على المنه عنه عنه المنه عنه المنه عنه المنه عنه المنه ع

قوله تعالى: ﴿وَمَا آمُرُنَا إِلّا رَحِدُةٌ﴾ قال الفراء: أي: إلّا مرَّة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرَّة واحدة لا مثنويّة لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: إِن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السُّرعة إلّا كلَمْح البصر. ومعنى اللَّمْح بالبصر: النَّظر بسرعة، ﴿وَلَقَدُ أَهْلَكُنَا آشَبَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهكم ونظراءكم في الكُفر من الأمم الماضية ﴿نَهَلَ مِن مُدَّكِرٍ ﴾ أي مُتَّعظ ﴿وَرُكُلُ شَيْءٍ فَعَدُوهُ يعني الأمم. وفي ﴿وَالنَّهُ وَلان: أحدهما: أنه كُتُب الحَقظة. والثاني: اللَّوح المحفوظ. ﴿وَكُلُ صَغِيرٍ وَكِيرٍ ﴾ أي: من الأعمال المتقدِّمة ﴿ فَسُنَطَرُ ﴾ أي: مكتوب، قال ابن قيبة: هو دمُفْقَعل عن سَطَرْتُ اذا كتبت، وهو مثل المسطورة.

⁽١) ٢٠٤٦/٤، ورواه أحمد في االمسند، والترمذي، وابن ماجه، والواحدي في اأسباب النزول، ٢٢٨، وابن جرير الطبري، وذكره السيوطي في االمد، ١٣٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ.

⁽٢) ذكره السيوطي في «الدرة ٦/ ١٣٧ ونسبه إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عــاكر، بسند ضعيف عن أبمي أمامة ﷺ.

⁽٣) ذكره بنصه الخازن في «تفسيره» نقلاً عن المؤلف، وذكر السيوطي في «المدر» ١٣٨/٦ نحوه عن ابن عباس را الطول منه من رواية ابن مردويه.

⁽٤) قصحيح مسلم؛ ٢٠٤٥/٤، والكيس: ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه، والحديث رواه أيضاً أحمد في «المسندة.

قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّتِ وَنَهُرٍ ﴾ قال الزجاج: المعنى: في جنّات وأنهار، والاسم الواحد يَدلُّ على الجميع، فيجتزأ به من الجميع. أنشد سيبويه والخليل:

فَيِيضٌ وأمّا جِلْدُها فَصَلِببُ(١)

بِهَا جِينَتُ أَلْحَسْرَى، فأمّا عِظامُها يريد: وأمّا جلودها، ومثله:

* 4

في حَلْقِ كُم عَظْمٌ وقد شجينا(٢)

ومثله:

كُسلُسُوا فسي نِسصَفِ بَسطَسِدِ كُسمُ تَسعِسِ شُسُوا(٣)

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وُخِّد لأنه رأسُ آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: النَّهَر: الضِّياء والسَّعة، من قولك: أنْهَرْتُ الطعنة: إذا وسَّعْتها، قال قيس بن الخَطِيم يصف طعنة:

مَلَكُتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرُّتُ فَتْقَهَا لَا لَهُ مَن دُونِها ما وراءها(١٤)

أي: أوسعتُ قَتْقَها. قلت: وهذا قول الضحاك. وقرأ الأعمش ﴿ونُّهُرِۗۗۗ.

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْمَدِ صِدْقِ﴾ أي: مَجلِس حسن؛ وقد نبَّهْنا على هذا المعنى في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ١]. فأمّا المَلِيك، فقال الخطابي: المَلِيك: هو المالك، وبناء فَعِيل للمُبالغة في الوصف، ويكون المَلِيك بمعنى المَلِك، ومنه هذه الآية. والمُقْتَدِر مشروح في [الكهف: ٤٥].

١) تقدم تخريجه ٢٩٩.

⁽۲) سبق الرجز ۲۹۹.

⁽٣) سبق الشطر ١٣٣ و٥٠٥ والبيت بكامله ٧٨٠.

 ⁽٤) • ديوانه ١٨، و فخريب لقرآن ١٣٥، و دمشكل القرآن ١٣٢، و «الصحاح»، و «اللسان» و «التاج»: نهر.

سورة الرحمن

وفي نزولها قولان: أحدهما: أنها مكيَّة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، ومقاتل، والمجمهور، إلّا أن ابن عباس قال: سوى آية، وهي قوله: ﴿ يَتَكُلُمُ مَن فِي اَلْتَكُوْتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الرحمن: ٢٩]. والثاني: أنها مدنيَّة، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال ابن مسعود.

ينسبدا قو الكنب التحديد

قوله تعالى: ﴿ الرَّمْكُ ﴾ عَلَمَ الشُرْءَانَ ﴾ قال مقاتل: لمّا نزل قوله: ﴿ الشَّهُدُوا لِلرَّمْكُ الفرنان: ٢٠] قال كُفّار مكّة: وما الرَّحْمنُ؟! فأنكروه وقالوا: لا نَعرِفُ الرحْمنَ، فقال تعالى: ﴿ الرَّمْكُ الذي أَنكروه هو الذي ﴿ عَلَمَ الْقُرْءَانَ ﴾ . وفي قوله: ﴿ عَلَمَ الشُرْءَانَ ﴾ قولان: أحلهما: علَّمه محمداً، وعلَّم محمدٌ أُمَّته، قاله ابن السائب. والثاني: يسَّر القرآنَ، قاله الزجّاج (١٠).

قوله تعالى: ﴿ غَلَقَ الْإِنْ اَلْمِنْ اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَسُرُ بِحُسْبَانِ ۞﴾ أي: بحساب ومنازل، لا يَعْدُوانها؛ وقد كشَفْنا هذا المعنى في [الانمام: ٩٦]. قال الأخفش: أضمر الخبر، وأظُنُّه _ والله أعلَمُ _ أراد: يَجريان بحُسبان.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالنَّجْرُ يَسْجُدَانِ ﴿ فِي النجم قولان: أحلهما: أنه كُلُّ نَبْتِ ليس له ساق، وهو مذهب ابن عباس، والسدي، ومقاتل، واللُّغويين. والثاني: أنه نَجْم السَّماء، والمُراد به: جميعُ النُّجوم، قاله مجاهد. فأمّا الشَّجَرَ: فكُلُّ ما له ساق. قال الفراء: شجودهما: أنّهما يستقبِلان الشمسَ إذا أشرقت، ثم يَميلان معها حتى ينكسر الفيء. وقد أشرت في النمل: ٤٩] إلى معنى شجود ما لا يَثْقِل. قال أبو عبيدة: وإنّما ثني فعلهما على لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاةَ رَفَهَا﴾ وإنما فعل ذلك ليحيا الحيوان وتمتد الأنفاس، وأجرى الرِّيح بينها وبين الأرض، كيما يتروحُ^(٣) [الخلق]. ولولا ذلك لماتت الخلائق كَرْباً.

قوله تعالى: ﴿ وَوَمْمَ الَّهِ يَزَاكَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العَدْل، قاله الأكثرون، منهم مجاهد والسدي

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصركم به ما فيه رضا ربكم، وعرَّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم وعملكم بما أمركم به، ويتجنيكم ما يسخط عليكم فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه. اهـ.

 ⁽۲) قال ابن كثير: وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق،
 وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها. اهـ.

⁽٣) في الأصل: يتروج.

واللغويون. قال الزجّاج: وهذا لأن المعادلة: مُوازّنة الأشياء. والثاني: أنه الميزان المعروف، ليتناصف الناس في الحقوق، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْفَوا ﴾ ذكر الزجّاج في قانْ، وجهين: أحدهما: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لثلّا تُظغُوا. والثاني: أنها للتفسير، فتكون قلا، للنهي؛ والمعنى: أي: لا تُظغُوا، أي لا تُجاوِزوا العَدْل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا غُيْرُوا اللِّيرَانَ﴾ قال ابن قتيبة، أي: لا تنقصوا الوزن. فأمّا الأنام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الناس، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاتي: كل ذي رُوح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي، والفراء. والثالث: الإنس والجن، قاله الحسن، والرَّجّاج.

قوله تعالى: ﴿ فِيهَا فَنَكِهَ أَي، مَا يُتَفَكُّه [به] مِن أَلُوانَ الشَّمَارِ. ﴿ وَٱلنَّفَٰلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَادِ ﴾ والأكمام: الأوعية والغُلُف؛ وقد استوفينا شرح هذا في [حم السجدة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَلْمَتُ ﴾ يريد: جميع الحبوب، كالبر والشعير وغير ذلك. وقرأ ابن عامر: *والحَبُّ، بنصب الباء *ذا العصف، بالألف *والرَّيْحانَ، بنصب النون. وقرأ حمزة، والكسائي إلّا ابن أبي سُريج، وخلف: ﴿وَلَلْتُ ثُو الْمَشْفِ وَالرَّيِّكَانُ ﴾ بخفض النون؛ وقرأ الباقون بضم النون. وفي *العَصْف، قولان: أحدهما: أنه يَبن الزَّرع وورقه الذي تعصفه الرِّياح، قاله ابن عباس. وكذلك قال مجاهد: هو ورق الزَّرع، قال ابن قتيبة: العَصْف: ورق الزَّرع، ثم يصير إذا جف ويس ويس تبناً. والثاني: أن العَصْف: المأكول من الحبِّ، حكاه الفراء. وفي *الرَّيْحان، أربعة أقوال: أحدها: أنه الرَّزق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي. قال الفراء: الرَّيْحان في كلام العرب: الرُّزق، تقول: خرجنا نطلُب رَيْحان الله، وأنشد الزجاج للنَّور بن تَوْلب:

والثاني: أنه خُضرة الزَّرع، رواه الوالبي عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: فعلى هذا، سُمِّي رَيْحاناً، لاستراحة النَّفْس بالنظر إليه، والثالث: أنه رَيحانكم هذا الذي يُشَمُّ، روى العوفي عن ابن عباس قال: «الرَّيْحان»: ما أُنبت الأرضُ من الرَّيْحان، وهذا مذهب الحسن، والضحاك، وابن زيد. والرابع: أنه ما [لم] يؤكل من الحَب، والعَصْف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَالاَءَ رَبِّكُمَّا تُكَذِّبُكِ ﴿ فَإِن قَيلَ: كيف خاطب اثنين، وإنما ذكر الإنسان وحده؟ فعنه جوابان ذكرهما الفراء: أحدهما: أن العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين كما بيّنًا في قوله: ﴿ أَلْقِنَا فِي جَهَنَّهُ اتَّ: ٢٤]. والثاني أن الذّكر أريد به: الإنسان والجانّ، فجرى الخطاب لهما من أول السورة إلى آخرها. قال الزجاج: لمّا ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يدُلُ على وحدانيته من حَلْق الإنسان وتعليم البيان وحَلْق الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطب الجن والإنس قال: ﴿ فَإِنَّ مَالاً مَن مَن هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلَّها الجن والإنس قال: ﴿ فَإِنَّ مَالاً عَلَى وحدانيّته وفي رزقه إيّاكم ما به قوامكم. وقال ابن قتيبة: الآلاء: النَّعم، واحدها: ألاً، مثل: مِعيّ.

قوله تعالى: ﴿ خُلُقَ ۚ ٱلْإِنسَانَ ﴾ يعني آدم ﴿ مِن صَلْمَالِ ﴾ قد ذكرنا في [العجر: ٢٦، ٢٦] الصَلْصال والجانَّ، فأمّا قوله: ﴿ كَالْفَخَارِ ﴾ فقال أبو عبيدة: خُلق من طينِ يابس لم يُطْبَخ، فله صوتٌ إذا نُقِر، فهو من يُبْسِه كالفَخّار. والفَخّار: ما

طُبِخ بالنّار. فأمّا المارج، فقال ابن عباس: هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت. وقال مجاهد: هو المحتلِط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أُوقِدَتْ. وقال مقاتل: هو لهب النار الصافي من غير دخان. وقال أبو عبيدة: المارج: خَلْط من النار. وقال ابن قتيبة: المارج: لهب النار، من قولك: قد مَرَجَ الشيءُ: إذا اضطرب ولم يستقر. وقال الزجاج: هو اللّهب المختلط بسواد النار. فإن قيل: قد أخبر اللّه تعالى عن خَلْق آدم عليه بالفاظ مختلفة، فتارة يقول: ﴿ عَلَكُمُ مِن ثُوبِ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وتارة: ﴿ مِن صَلَمَنْكِ ﴾ وتارة: ﴿ مِن صَلَمَانِ ﴾ وتارة: ﴿ مِن صَلَمَانِ ﴾ وتارة: ﴿ مِن صَلَمَانِ ﴾ اللرحمن: ١٤]، وتارة: ﴿ مِن صَلَمَالًا كالفَخّار، هذه أخبار عن حالات أصله. فإن الأصل التراب فجُعل طيناً، ثم صار كالحمإ المسنون، ثم صار صَلصالاً كالفَخّار، هذه أخبار عن حالات أصله. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿ فِيلُّ مَنْكُونِ ﴾ الجواب] أن ذلك التكرير لتقرير النّعم وتأكيد التذكير بها. قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار [للتخفيف والإيجاز، الأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره] في المقام على فنَّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللّه لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار ولاً إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار ولاً إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار ولاً إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار ولاً إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار ولاً إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللّه أن عالمة على النّه على المسلمة على المقام على المقام على المتاب على المتاب المستعجل: اعْجَل عُنْكُ أن والله على المسابقة على المسابقة على المتابع على

كَسَمْ نِسَعْهَ مَسَةً كَسَانَتُ ثُلِّهُ وكَسَمْ وكَسِمْ ('')

وقال الآخر:

هَالًا سَالَت جُمُوعَ كِنْ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ الْسِنَ

وربَّما جاءت الصَّفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانيةً لأنها كلمة واحدةً، فغيَّروا منها حرفاً ثم أتبعوها الأولى، كقولهم: عَظْشَانُ نَظْشَانُ، وشَيطانَ لَيْطانَ، وحَسَنٌ بَسَنٌ. قال ابن دريد: ومن الإتباع: جائع نائع، ومليح قريح، وقبيح شَقِيح، وشَحيح نَحيح، وحَبيث نَبيث، وكثير بَثير: وسيِّغ لَيِّغ، وسائغ لائغ، وحقير نقير، وضئيل بَيْل، وخضر مضر (٢)، وعِفْريت يَفْريت، وثِقَةٌ يَقَةٌ، وكِنَّ إنَّ، وواحدٌ فاحدٌ، وحاثرٌ بائرٌ، وسَمْحٌ لَمْحٌ. قال ابن قتيبة: فلمّا عَدُّد اللّهُ تعالى في هذه السورة نعماء، وأذكرَ عِبَادَه آلاء، ونبَّههم على تُدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل يعمتين، ليُفَهِّمهم النِّعم ويُقرِّرهم بها، كقولك للرجل: ألم أبوّئك مَنْزِلاً وكنتَ طريداً؟ أفتُنْكِرُ هذا؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورَةٌ (٤)؟ أفَتُنْكِرُ هذا؟. وروى الحاكم أبو عبد الله في (صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسولُ الله شي سورة الرحمن حتى ختمها [ثم] قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟! لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردّاً، ما قرأتُ عليهم هذه الآية من مَرَّة ﴿ فَإِنَّي مَالَةٍ وَيَكُمُا ثَكَذِبَانِ ﴿ فَي إِلّا قالوا: ولا بشيء من يعمك ربًنا نكذُ بالك الحمد (٥).

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمُتَرِيِّينَ﴾ قرأ أبو رجاء، وابن أبي عبلة: «ربِّ المشْرِقَيْن وربِّ المَغْرِبَيْن، بالخفض، وهما مَشْرِق الصَّيف ومَشْرِق الشتاء ومَغْرِب الصَّيف ومَغْرِب الشتاء للشمس والقمر جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَكِّرَيْزِ﴾ أي: أرسل العذبَ والمِلْحَ وخلاهما وجعلهما: ﴿يَلَنَيْكِانِ﴾، ﴿يَنْتُهُمَّا بَرْزَجٌ﴾ أي: حاجز

وهو أيضاً في قامالي المرتضى، ١/٤٨ وقالصناعتين، ١٤٤، وقالصاحبي، ١٧٧.

⁽١) الرجز غير منسوب في المشكل القرآن، ١٨٣ وفيه:

كسم نسعسمسة كسانست لسكسم كسم كسم وكسم

⁽٢) البيت لعبيد بن الأبرس، (ديوانه: ١٤٢، والمشكل القرآن؛ ١٤٣، والمختارات ابن الشجري؛ ٣٩/٢، والشعر والشعراء؛ ١/ ٢٢٤.

 ⁽٣) قال في «اللسان»: مضر: أخذ الشيء خِضْراً مِضْراً وخَضِراً مَضِراً، أي: غضاً طِرياً.

⁽٤) في اللسان؛ صرر: ورجل صرور وصرورة: لم يحج قط.

⁽٥) رواه الترمذي ٢/ ١٦١، والحاكم في «المستدرك» ٤٧٣/٢ من حديث الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر ك. . وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حدث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قلت: وزهير بن محمد هذا وإن أخرج له الشيخان فقد قال البخاري كما في «التهذيب» ٣/ ٣٤٩: ما روى عنه أهل الشام، فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، قلت: وهذا الحديث مما رواه عنه الوليد بن مسلم وهو من أهل الشام.

من قدرة الله تعالى: ﴿لَا يَتَنِيَانِ﴾ أي: لا يختلطان فيبغي أحدهما على الآخر. وقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كُلَّ عام. قال الحسن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحَرِيْنِ﴾ يعني [بحر] فارس والروم، بينهما برزخ، يعني الجزائر؛ وقد سبق بيان هذا في [الفرقان: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿ يَمْخُ بِنُهُا اللَّوْلُو وَالْمَرَاكُ ﴿ قَالَ الزجاج: إنما يخرُج من البحر المِلْحِ، وإنما جمعهما، لأنه إذا خرج من أحدهما فقد أخرج منهما، ومِثله: ﴿ وَبَعَلَ الْقَدَرَ فِيهِنَ وَرُاكُ ابْنَ : ١٦٥. قال أبو علي الفارسي: أراد: يخرُج من أحدهما، فحذف المضاف. وقال ابن جرير: إنما قال «منهما» لأنه يخرج من أصداف البحر عن قطر السماء. فأمّا اللّولو والمرجان، ففيهما قولان: أحدهما: أن المرجان: ما صَغُر من اللّولو، واللّولو: العظام، قاله الأكثرون. منهم ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والفراء. وقال الزجاج: اللّولو: اسم جامع للحبّ الذي يخرج من البحر، والمرجان: موغاره. والناني: أن اللّولو: الصّغار، والمرجان: الكبار، قاله مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال ابن عباس: إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلو؛ قال ابن جرير: حيث وقعت قطرة كانت لؤلوة، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللّغويّ قال: ذكر بعضُ أهل اللّغة أن المرجان أعجميّ معرّب. قال أبو بكر، يعني ابن دريد: ولم أسمع فيه بفعل منصرف، وأخرِ به أن يكون كذلك. قال ابن مسعود: المرجان: المخرز الأحمر، وقال الزجاج: [المَرجان] أبيض شديد البياض، وحكى القاضي أبو يعلى أن المرجان: ضرب من اللّولو كالقضبان.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ ﴾ يعني السفن ﴿اللَّهُ عَالَ مجاهد: هو ما قد رُفع قِلْعه من السفن دون ما لم يُرفع قِلْعه. قال ابن قتيبة: هُنَّ اللواتي أُنشئن، أي: ابتُدئ بهنَّ ﴿فِي ٱلْبَعْرِ ﴾، وقرأ حمزة: ﴿المُنْشِئاتُ، فجعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر: إذا ابتدأت، وأنشأ الشاعرُ يقول. والأعلام: الجبال، وقد سبق هذا الشورى: ٣٢].

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ۞ رَبَّعَنَى رَبَّهُ رَبِّكَ ذُر الْمُلَكِلِ وَٱلإِكْرَارِ ۞ فَيَأَيَ ءَالَاتِمَ كُلَّ الْكَذِبَانِ ۞ بَسَكُمْ مَن فِي السَّمَوَتِ وَٱلأَرْضُ كُلُّ يَرْمٍ هُوَ فِي غَنْوِ ۞ فِأَيْ ءَالَاتِمْ رَبِّكُمَا فَكَذِبَانِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا لَانِ ﴿ هُ أَيَ عَلَيْهَا لَانِ ﴿ أَيْ عَلَيْهَا لَانِ ﴾ أي: على الأرض، وهي كناية عن غير المذكور، "فانِ": أي؛ هالك. ﴿ وَيَبَقَن وَبَهُ رَبِّكَ ﴾ أي: ويبقى ربُّكَ ﴿ وَيُرَ لَبُلْكِ وَآلٍ كَرَارٍ ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: الجلال: مصدر الجليل، يقال: جليل بَيْن الجلالة والجلال. والإكرام: مصدر أكرم يُكُرِم إكراماً؛ والمعنى أن الله تعالى مستحِق أن يُجَلَّ ويُكرَم، ولا يُجحَد ولا يُحْفَر به؛ وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنه يُكرم أهلَ ولايته ويرفع درجاتهم؛ وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين - وهو الجلال - مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿ مُو آهَلُ النَّذِينَ وَ المنفرة، والآخر إلى العباد وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿ يَتَنَائُمُ مَن فِي السَّيَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ المعنى أن الكل يحتاجون إليه فيسألونه وهو غنيٌّ عنهم ﴿ كُلَّ يَوْرٍ هُوَ فِي مَثَلُو ﴾ مثل أن يُحيى ويُميت، ويُعِزّ ويُذلّ، ويشفي مريضاً، ويُعطي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. وقال الحسين بن الفضل: هو سَوق المقادير إلى المواقيت. قال مقاتل: وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئاً، فنزلت: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُو فِي مَاأَنٍ ﴾ .

﴿ سَنَرَعُ كُمُ أَيُهُ الْفَكَادِ ۞ نَإِنِي مَائِمَ رَيِكُنَا تُكَذِبُهِ ۞ بَمَعْشَرَ الْجِنِ وَآلِانِ إِنِ اسْتَطَعْشُمْ أَن تَنَفَدُوا مِنْ أَصَارِ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا نَفُدُونَ إِلَّا بِسُلطَنِ ۞ فِأَيْ مَائِمَ وَيُكُنَا تُكَذِبُهِ ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاطٌ مِن نَارٍ وَثَمَاشُ فَلَا تَنْصِرَانِ ۞ فَهَأَيْ مَالاَمَ وَيَكُمَا تُكَذِبُهِ ۞ رَبُكُمَا تُكَذِبُهِ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَنْزُمُ كُمْ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «سَنَفُرُغُ» بنون مفتوحة. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وعبد الوارث: [«سَيَفُرُغُ»] بياء مفتوحة. وقرأ ابن السميفع، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، وعاصم الجحدري، عن عبد الوارث: «سَيُفْرَغُ» بضم الياء وفتح الراء. قال الفراء: هذا وعيد من الله تعالى، لأنه لا يشغَله شيء عن شيء، تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي؛ قد فرغت تشتمني؟! أي: قد أخذت في هذا وأقبلت عليه؟! قال الزجاج: الفراغ في اللغة على ضربين. أحدهما: الفراغ من شغل. والآخر:

القصد للشيء، تقول: قد فرغتُ مما كنتُ فيه، أي: قد زال شغلي به، وتقول: سأتفرَّغ لفلان، أي: سأجعله قصدي، ومعنى الآية: سنَقْصُد لحسابكم. فأمّا «الثَّقَلان» فهما الجن والإنس، سُمِّيا بذلك لأنهما ثقل الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَن تَنفُذُوا﴾ أي: تخرُجوا؛ يقال: نفذ الشيء من الشيء: إذا خَلَص منه، كالسهم ينفُذ من الرَّمِيَّة؛ والأقطار: النواحي والجوانب. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إن استطعتم أن تعلَموا ما في السموات والأرض فاعلَموا، قاله ابن عباس. والثاني: إن استطعتم أن تهريُوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربُوا واخرجُوا منها؛ والعراد: أنكم حيثما كنتم أدرككم الموت، هذا قول الضحاك ومقاتل في آخرين. والثالث: إن استطعتم أن تَجُوزوا أطراف السموات والأرض فَتُعْجِزوا ربَّكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا؛ وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿لَا نَنُفُذُونَ إِلَّا مِسُلَطَنِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تنفذون إلا في سلطان الله ومُلكه، لأنه مالك كل شيء، قاله ابن عباس. والثاني: لا تنفذون إلا بمُلك، وليس لكم مُلك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ رُبِّتُكُ عَلَيْكُا﴾ فئنَّى على اللفظ. وقد جمع في قوله: ﴿ إِن اسْتَطْنَتُمُ على المعنى. فأمّا «الشُّواظ» ففيه ثلاثة أقوال: أحلها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار. والثاني: الدُّخان، قاله سعيد بن جبير. والثالث: النار المحضة، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: هي النار التي تأجَّج لا دخان فيها، ويقال: شُواظ وشِواظ، وقرأ ابن كثير بكسر الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهل البصرة: «ونُحاس» بالخفض، والباقون برفعهما. وفي «النُّحاس» قولان: أحلهما: أنه دخان النار، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والفراء وأبو عبيدة، وابن قبية، والزجاج، ومنه قول الجعديّ يذكر امرأة:

تُنضيء كنضواء سراج السليد يَجْعَل اللّه فيه نُحاسا(١)

وذكر الفراء في السَّليط ثلاثة أقوال: أحدهًا: أنه دُهن السَّنام، وليس له دَعان إذا استُصبح به. والثاني: أنه دُهن السَّمسِم. والثالث: الزيت. والثاني: أنه الصُّفْر المُذَاب يُصَبُّ على رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. قال مقاتل: والمراد بالآية: كفار الجن والإنس، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصُّفْر الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار نهار الدنيا(٢٠)، ﴿ فَلَا يَنْهُمُ إِنْ هُ أَلَا يُنْهُمُ إِنْ هُ أَيْ الْمُعَالِينَ هُ أَيْ فَلَا مَتَنَعَانَ مَن ذلك.

﴿ وَإِذَا انشَلْتِ السَّمَاتُهُ لَمُكَاتَ رَدَءُ كَالْوَمَانِ ۞ فَإِنِي مَاكَمْ رَوْكُمَا نُكُوْبَانِ ۞ فَوَيَهِدِ لَا يَشَعُلُ مَن دَلِمِهِ إِنِّسُ وَلا جَمَانٌ ۞ فَإِنِ مَاكَمْ رَيْكُمَا نُكُوْبَانِ ۞ فَرَنُ الشَّمْرِمُنَ بِسِمَهُمْ فَيُؤَمِّدُ إِلنَّوْسِي وَالْأَقَاعِ ۞ فَإِنِ مَاكَمْ رَيْكُمَا نُكُوْبَانِ ۞ فَالِمَ مَهُمُّ الَّيْ يَكُونُ كَاللَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَالَى اللَّهُ مَالَةُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَالَةُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُمُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللْفُولُولُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللْفُولُ الللْهُ مُنْ الللْهُ مُنْ الللْهُ مُنْ الللْهُ مُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ الللْمُعُمُ الللْمُ اللللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ الللْمُنْ الللْمُنْ الللْمُنْ اللْمُوالِمُ الللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النَّمَةَ السَّمَاءَ ﴾ أي: آنفرجتُ من المجرَّة لنُّزول مَنْ فيها يومَ القيامة ﴿ وَكَانَت وَرَوَءَ ﴾ وفيها قولان: أحدهما: كلون الفرس الوردة، قاله أبو صالح، والضحاك. وقال الفراء: الفرس الوردة، تكون في الربيع وردة إلى الصَّفرة، فإذا اشتد الحركانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبّه تلوّن السماء بتلوّن الوردة من الخيل؛ وكذلك قال الزجاج: ﴿ وَكَلَتَ وَرَوَءَ ﴾ أي: كلون فرس وردة؛ والكُميت: الورد يتلوّن، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الصيف خلاف لونه في الشتاء، فالسماء تتلوّن من الفزع الأكبر. وقال ابن قتيبة: المعنى: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. والثاني: أنها وردة النبات؛ وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحمرة، ذكره الماوردي. وفي الدّهان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دُهن، والدّهن تختلف ألوانه بخُضرة وحُمرة وصُفرة، حكاه اليزيدي، وإلى نحوه ذهب

البيت في قمجاز القرآن، ٢/ ٢٤٥، وقريب القرآن، ٤٣٨، وقالطبري، ٢٧/ ١٤١، وقاللسان، وقالتاج، نمحس.

 ⁽٢) هذا الخبر لا سند له، وراويه مقاتل ـ وهو ابن سليمان الأزدي المفسر ـ كذبوه وهجروه ورموه بالتجسيم كما في االتقريب.

مجاهد. وقال الفراء: شبَّه تلوُّن السماء بثلوُّن الوردة من الخيل، وشبَّه الوردة في اختلاف ألوانها بالدُّهن.

قوله تعالى: ﴿ فَوَمَهِذِ لَا يُشَكُلُ عَن ذَنْهِهِ إِنَّى وَلَا جَمَآنٌ ﴿ فَيه ثلاثة أَتُوالَ: أَحَدَهَا: لا يسألون ليُعلم حالهم، لأن الله تعالى أعلم منهم بذلك. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لاشتغال كل واحد منهم بنفسه، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: لا يُسألون عن ذنوبهم لأنهم يُعرفون بسيماهم، فالكافر أسود الوجه، والمؤمن أغر محجَّل من أثر وضوئه، قاله الفراء. قال الزجاج: لا يُسأل أحد عن ذنْبه ليُستفهم، ولكنه يُسأل سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿ بُتُرَفُ النَّبِرِ مُونَ بِسِينَهُمْ ﴾ قال الحسن: بسواد الوجوه، وزَرَق الأعيُن ﴿ بَتُوَخَذُ بِالنَّوْسِ وَالْغَلَا ﴾ فيه قولان: أحلهما: أن خزنة جهنم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم على وجوههم في النار، قاله مقاتل. وروى مردويه الصائغ، قال: صلّى بنا الإمام صلاة الصبح فقرأ سورة «الرحمن» ومعنا علي بن الفضيل بن عياض، فلمّا قرأ ﴿ بُتُرَفُ النَّبْمِ مُونَ بِسِينَهُمْ ﴾ خَرَّ عليّ مغشيّاً عليه حتى فرغنا من الصلاة، فلمّا كان بعد ذلك قلنا له: أما سمعت الإمام بقرأ ﴿ حُرَّ مُقَشُورَتُ فِي لَلْهُمْ مُؤْمَدُ اللَّهُمْ مُؤَمِّدُ اللَّهُمْ وَالْأَمْا فِي وَالْمُورِ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُؤَمِّدًا فِي وَالْمَامِ وَالْمُورَانُ فِي مِن الْمُعْرِينَ فِي اللَّهُمْ وَالْمُقَامِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَاذِيهِ جَهَنَّمُ ﴾ أي: يقال لهم: هذه جهنَّمُ ﴿ آلَتِي ثِكَذِبُ بِهَا ٱلْمُثْرِمُونَ بَعني المشركين، ﴿ يَلُوثُونَ بَيْبًا﴾ وقرأ أبو العالية، وأبو عمران الجوني: «يُطَوَّفون» بياءٍ مضمومة مع تشديد الواو؛ وقرأ الأعمش مثله إلا أنه بالتاء.

قوله تعالى: ﴿ وَيَيْنَ مَيدٍ عَانِ ﴾ قال ابن قتيبة: الحميم؛ الماء الحارّ، والآني: الذي قد انتهت شِدَّة حَرَّه. قال المفسرون: المعنى أنهم يسعون بين عذاب الجحيم وبين الحميم، إذا استغاثوا من النار جُعل غياثهم الحميم الشديد الحرارة.

﴿ وَلِمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّنَانِ ۞ فَإِنِّ مَالَادِ رَبِّكُما فَكَذَبَانِ ۞ ذَرَانَا آفَانِ ۞ فَإِنِ مَالَادِ رَبِّكُما فَكَذِبَانِ ۞ فِيهَا حَبَانِ تَجْرِيانِ ۞ فَإِنَّ مَالَادِ رَبِّكُما فَكَذَبَانِ ۞ فِيهَا مِن كُلِ فَكِكَهِ وَدَجَانِ ۞ فِيلًا مِن كُلِ فَكِكَهِ وَدَجَانِ ۞ فِيلًا مِن كُلِ فَكِكَهِ وَدَجَانِ ۞ فِيلًا مِن كُلُو فَكَهُ وَمَالِهُ مَالَادَ رَبِكُما فَكَذَبَانِ ۞ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَلِنَ عَالَى مَثَامَ رَبِّهِ جَنَانِ ﴿ فَيه قولان: أحدهما: قيامه بين يدي ربه ﷺ يوم الجزاء. والثاني: قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسب. وجاء في التفسير؛ أن العبد يهُمُّ بمعصية فيتركها خوفاً من الله ﷺ فله جنتان، وهما بستانان (١٠). ﴿ وَرَاتًا أَنَانِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الأغصان، وهي جمع فَنَن، وهو الغُصن المستقيم طولاً، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وعطية، والفراء، والزجاج. والثاني: أنها الألوان والضروب من كل شيء، وهي جمع فَنَن، وهذا قول سعيد بن جبير. وقال الضحاك: ذواتا ألوان من الفاكهة. وجمع عطاء بين القولين، فقال: في كل غصن فُنون من الفاكهة.

قوله تعالى: ﴿ فِيْهِمَا عَيَانِ تَجْرِيَانِ ﴿ فَيْهِمَا عَيَانِ تَجْرِيَانِ فِلْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ السلسبيل، والأخرى: المتسنيم. وقال عطية: إحداهما: من ماء غير آسن، والأخرى: من خمر. وقال أبو بكر الورّاق: فيهما عينان تجريان لِمُن كانت له في الدنيا عينان تَجْريان من البكاء.

قوله تعالى: ﴿ نِهِمَا مِن كُلِّ نَكِهَةٍ زَيْجَانِ ﴿ أَي: صنفان ونوعان. قال المفسرون: فيهما من كل ما يُتفكُّه به نوعان، رطب ويابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في فضله.

﴿ مُتَكِمِنَ عَلَ مُرْضٍ بَعَايِمُهُمْ مِنْ إِسْتَمَرُوْ رَحَىٰ الْجَنْسَةِ ءَنِ ۞ نِإَيْ ءَالَآءِ رَيْكُما نُكَذِبَانِ ۞ نِهِنَ قَصِرَتُ الطَّرْفِ لَرَ بَعْلِمِتُهُنَّ إِنسُّ تَجَلَهُمْرُ وَلَا جَانَّ ۞ فِيأَيْ ءَالَآءِ رَبِيْكُمَا ثُكَذِبَانِ ۞ كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فِيأَيْ ءَالَآءِ رَبِكُمَا ثُكَذِبَانِ ۞ مَلَ جَمَزَتُهُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الإحسَنُ ۞ فِبَاقِ ءَالاَّءِ رَبِكُمَا ثُكَذِبَانِ ۞ ﴾

﴿ مُنْكُونِ ﴾ هذا حال المذكورين ﴿ عَلَىٰ مُرْثِ ﴾ جمع فِراش: ﴿ بِمَا يَهُمُ جمع بِطانة، وهي التي تحت الظّهارة. وقال أبو هريرة: هذه البطائن، فما ظنُّكم بالظهائر؟! وقال ابن عباس: إنما ترك وصف الظواهر، لأنه ليس أحد يعلم ما هي.

 ⁽١) روي البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن عبد الله بن قيس أن رسول الله على وجهد في جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجئتان من فصب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الله إلا رداء الكبرياء على وجهد في جنة عدن.

وقال قتادة: البطائن: هي الظواهر بلُغة قوم. وكان الفراء يقول: قد تكون البطانة ظاهرة، والظاهرة بطانة، لأن كل واحد منهما قد يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظَهْرُ السماء، وهذا بَطْنُ السَّماء، لظاهرها، وهو الذي نراه، وقال ابن الزبير يَعيب قَتَلة عثمان: خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتلة، ونجا منهم من نجا تحت بطون الكواكب. يعني هربوا ليلاً؛ فجعلوا ظهور الكواكب بطوناً، وذلك جائز في العربيَّة. وأنكر هذا القول ابن قتيبة جداً، وقال: إنما أراد الله أن يعرُفنا - من حيث نَفهم - فضلَ هذه القُرش وأن ما ولي الأرضَ منها إستَبْرَقٌ، وإذا كانت البطانة كذلك، فالظهارة أعلى وأشرف. وهل يجوز [لأحد] أن يقول لوجهِ مصَلِّ: هذا بطانتُه، ولما وَلِيَ الأرضَ منه: هذا ظِهارته (١٠)! وإنما يجوز هذا في ذي الوجهين المتساويين، تقول لِما وَلِيَك من الحائط؛ هذا ظَهْرُ الحائط، ويقول جارك لِما وَلِيَك من الحائط؛ وقد ذكرنا الإستبرق في [سورة] [الكهن: ١٦].

قوله تعالىٰ؛ ﴿ وَمَنْ ٱلْجَنَّاتِنِ دَانِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: ما يُجتنى قريبٌ لا يُعنِّي الجانيَ.

قوله تعالى: ﴿ فِهِنَّ تَصِرَتُ اَلطَّرْفِ﴾ قد شرحناه في الصانات: ٤٨]. وفي قوله: ﴿ فِيهِنَّ * قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الغُرُش، ذكره علي بن أحمد النجاج. والثاني: أنها تعود إلى الفُرُش، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿ أَرْ يَطْمِتُهُنَ ﴾ قرأ الكسائي بضم الميم، والباقون بكسرها، وهما لغتان: يَطْمِتُ ويَظْمُتُ، مثل يَعْكِفُ ويَعْكُفُ. وفي معناه قولان: أحدهما: لم يَقْتَضِضْهُنَّ؛ والطَّمْتُ: النَّكَاح بالتَّدمية، ومنه قيل للحائض: طامِتُ، قاله الفراء. والثاني: لَمْ يَمْسَسُهُنَّ؛ يقال: ما طَمَتَ هذا البعيرَ حَبْلُ [قَطً]، أي: ما مسَّه، قاله أبو عبيد. قال مقاتل: وذلك لأنهنَّ خُلِقْنَ من الجَنَّة؛ فعلى قوله، هذا صفة الحُور. وقال الشعبي: هُنَّ من نساء الدنيا لَمْ يَمْسَسْهُنَّ مذ أنشئن خَلْقٌ. وفي الآية دليل على أن الجِنَّى يَغْتَى المرأة كالإنسىء.

قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّنُ آلِكَوْتُ وَآلَنَزَكَانُ ﴿ فَالْ قتادة: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجان. وذكر الزجاج أن أهل التفسير وأهل اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجان (٢) والمَرْجان: صِغار اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضاً. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: «الياقوت» فارسيٌّ معرَّب، والجمع «اليواقيت»، وقد تكلَّمت به العربُ، قال مالكُ بن نُويُرَةً البَرْبُوعي:

لَنْ يُسَذُّهِ بَ ٱلسُّلُوْمُ تَناجٌ قَسَدْ حُسِيتَ بِهِ مِنَ السِّرُبَرْجَدِ والسَّاقوتِ والسَّلْهَسِ (1)

قوله تعالى: ﴿ مَلْ جَزَلَهُ ٱلْإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴾ قال الزجاج، أي: ما جزاءً مَنْ أحسنَ في الدُّنيا إلّا أن يُحسَنَ إِللهِ وَهِي الدَّنيا إلله أن يُحسَنَ إِللهُ الجنة. وروى الله في الأخرة. وقال ابن عباس: هل جزاءً من قال: ﴿ لا إله إلّا اللهُ وعَمِل بما جاء به محمد ﷺ إلّا الجنة. وروى أنس بن مالك قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية، وقال: ﴿ هل تدرون ما قال ربَّكم ؟ قالوا: اللهُ ورسُوله أعلمُ، قال: ﴿ فَإِنْ ربِكُم يقول: هل جزاءً مَنْ أَنْعَمْنا عليه بالتوحيد إلاّ الجنّة (٥٠)!

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّانِ ۞ فَإِنَّيَ ءَالَاهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْمَاتَتَانِ ۞ فَإِنِّ ءَالَاهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ضَمَّاعَتَانِ ۞

⁽١) في الأصل فبطانته، والتصويب من فخريب القرآن، . (٢) في فغريب القرآن، وهو لمن فوقها ــ من العلائكة ــ بطن.

 ⁽٣) روى مسلم في قصحيحه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن أول زمره تلخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل لمرئ منه زوجتان الثنان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب.

⁽٤) البيت في «المعرَّب» ٢٥٦.

⁽٥) رواه البغوي في اتفسيره وفي إسناده ضعف، وذكره السيوطي في «الدر» ١٤٩/٦ وزاد نسبته للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» والديلمي في «سند الفردوس» وابن النجار في «تاريخه» عن أنس بن مالك ... وقال السيوطي في «المدر» ١٤٩/٦: أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهتي في «شعب الإيمان» وضعفه عن ابن عمر قال: قال رسول الله عليه في قوله: ﴿ مَلْ جَزَّهُ ٱلْإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴿ قَالَ المعالِم عليه بالتوحيد إلا المجته. قال: وأخرج عبد حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قوله: ﴿ مَلْ جَزَاهُ ٱلْإِحْسَنَ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴿ قَالَ رسول الله عِنْ الله عنه قال: لا إله إلا أله إلا الله إلا المجته في الاخرة.

يَأَيْ مَالَآهُ رَبِّكُمَّا فَكَذِبَانِ ۞ نِبِهَا فَكِمَةٌ رَفَالُّ رَبَادُّ ۞ نَإِنَ مَالَآءَ رَبِكُمَّا فَكَذِبَانِ ۞ نِبِنَ خَبَرَتُ حِسَانٌ ۞ نَإِنِ مَالَآهُ رَبِّكُمَّا فَكَذِبَانِ ۞ لَرْ بَلْمِيْتُهُمْ إِنَّنَ جَلَقُمْ رَلَا جَانًّ ۞ فَإِنِ مَالَآءَ رَبِّكُمَّا فَكَذِبَانِ ۞ لَرْ بَلْمِيْتُهُمْ إِنِّنُ جَلَقُمْ رَلَا جَانًّ ۞ فَإِنِ مَالَآءَ رَبِّكُمَا فَكَذِبَانِ ۞ مُتَكِينَ مَلَى رَفَرَبٍ خُفْرٍ رَعَبَقْرِي حِسَانٍ ۞ فِأَنِ مَالَآءَ رَبِّكُما فَكَذِبَانِ ۞ ثَبَرُكَ انتُ رَقِفَ ذِي الْمَلَانِ وَالإَكْرَامِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّانِ ۞ ﴾ قال الزجاج: المعنى: ولِمَن خاف مقام ربَّه جنَّتان، وله مِن دونهما جنَّتان. وفي قوله: ﴿ ومِنْ دونِهما في الفضل كما ووى أوله: ﴿ ومِنْ دونِهما في الفضل كما ووى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ جَنَّتَانُ مِنْ دُهِب وجنَّتَانُ مِنْ فَضَة ﴾ (١٠) ؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿مُدَهَاتَتَانِ ﴿ عَلَى اللهِ عَالَ ابن عباس [وابن الزبير]: خضراوان من الرِّيّ. وقال أبو عبيدة: من خُضرتهما قد اسودّتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضرب خضرتُهما إلى السَّواد، وكل نبت أخضر فتمام خُضرته وربّه أن يَضرب إلى السَّواد.

قوله تعالى: ﴿نَشَاخَتَانِ﴾ قال أبو عبيدة: فوّارتان. وقال ابن قتيبة: تفوران، و «النَّضْخ» أكثر من «النَّضْح». وفيما يفوران به أربعة أقوال: أحدها: بالمسك والكافوو، قاله ابن مسعود. والثاني: بالماء، قاله ابن عباس. والثالث: بالخير والبركة، قاله الحسن. والرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبير..

قوله تعالى: ﴿وَيَغَلُّ وَيُكَانُّ﴾ قال ابن عباس: نَخْلُ الجَنَّة: جذوعها زمرُّد أخضر، وكَرَبُها: ذهب أجمر (٢)، وسَعَفها: كُسوة أهل الجنة، منها مُقطَّعاتهم وحُللهم. وقال سعيد بن جبير: نخل الجنة: جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرُّد، ورُطبَها كالدِّلاء أشد بياضاً من اللَّبن، وألين من الزَّبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم (٢). قال أبو عبيدة: الكرانيف: أصول السَّعَف الغلاظ، الواحدة: كرْنافَة (٤). وإنما أعاد ذكر النَّخُل والرُّمّان وقد دخلا في الفاكهة – لبيان فضلهما كما ذكرنا في قوله: ﴿وَمُلْتَحَيِّهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكُنلَ ﴾ [البترة: ١٩٥، هذا قول جمهور المفسرين واللَّغويِّين. وحكى الفراء والمزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة؛ قال الفراء: وقد ذهبوا مذهباً، ولكن العرب تجعلهما فاكهة، قال الأزهري: ما علمتُ أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها: إنها ليست من الفاكهة، وإنما قال من قال، ليتَّه عِلْمه بكلام العرب، فالعرب تذكرُ أشياء جملة ثم تخصُّ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكُنلَ ﴾ [البترة: ١٩٥]؛ فمن قال: ليسا من الملائكة كفر، ومن قال: ثمر النخل والرمان ليسا من الفاكهة جهل.

قوله تعالى: ﴿فِيهِكَ﴾ يعني في الجِنان الأربع: ﴿غَيْرَتُ ﴾ يعني الحور. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك؛ ﴿خَيِّراتٌ» بتشديد، فخُفِّف، كما قيل: هَيْنٌ لَيْنٌ. وهَيْنٌ لَيْنٌ، وويت أُمُّ سَلَمة عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيراتُ الأخلاقِ حِسان الوُجوه»(٥٠).

قوله تعالى: ﴿ وُورٌ مَّ فَصُرَرَتُ ﴾ قد بيَّنا في سورة [الدعان: ٥٤] معنى الحُور. وفي المقصورات قولان: أحدهما: المحبوسات في الحِجّال، قاله ابن عباس، وهو مذهب الحسن، وأبي العالية، والقرظي، والضحاك، وأبي صالح. والثاني: المقصورات الطَّرف على أزواجهن، فلا يرفعن طَرْفاً إلى غيرهم، قاله الربيع. وعن مجاهد كالقولين. والأول أصح، فإن العرب تقول: امرأة مَقْصُورة وقَصُورة: إذا كانت ملازمة خدرها، قال كُثير:

لَعَمْرِي لَفَد حبَّبْتِ كُلَّ فَصِيرةٍ إِلَيَّ، وما تَدْدِي بِذَاكُ الفَّصَالِ رِ (١)

١) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٧٩/٨ ومسلم ١٦٣/١ ولفظه بتمامه: «جنتان من قضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين
 القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداه الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

٧) قال في النهاية؛ وفي صفة نخل الجنة: كرّبها ذهب، وهو بالتحريك أصل السعف، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي.

٣) العجم بالتحريك: النوى، الواحدة: عجمة، مثل قصبة وقصب.

⁽٤) كرنافة: بكسر الكاف وضمها.

⁽٥) 🤇 رواه ابن جرير الطبري ٢٧/٢٧ وفي سنده ضعف، وذكره السيوطي في االدر» ١٥٠/٦ وزاد نسبته للطبراني، وابن مردويه عن أم سلمة رأله.

⁽٦) البيتان في فخريب القرآن؛ ٤٤٣، وفالقرطبي؛ ١٨٩/١٧، وقالبحر؛ ٨/١٨٦، وقاللسان؛ وقالتاج؛: قصر.

عَنَيْتُ قَصيرات البحبة إلى ولَمْ أُرِدْ قِصار الخُطى، شَرُّ النُساءِ البَحاتِرُ وبعضهم ينشده: قَصُورَة، وقَصُوراتِ؛ والبحاتر القِصار. وفي «الخيام» قولان: أحدهما: أنها البيوت. والثاني: خيام تضاف إلى القصور. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ [أنه] قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجرّفة، طُولها في السماء سِتُون مِيلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم [المؤمن]، فلا يرى بعضهم بعضاً» (۱). وقال عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس: الخيام: دُرَّ مُجَرَّف، وقال ابن عباس: الخيمة: لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِينَ كُلُ رَفَرَفِ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «على رَفَارفَ» جمع غير مصروف. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني مثلهم، إلّا أنم صرفوا «رفارف» قال ثعلب: إنما لم يقل: أخضر، لأن الرَّفرف جمع، واحدته: رفرفة، كقوله: ﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ يِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلأَخْضَرِ نَازًا﴾ [بَس: ١٨٠] ولم يقل: الخُضْر، لأن الشجر جمع، تقول: هذا حصى أبيض، وحصى أسود، قال الشاعر:

· أَحَقًا عِبادَ اللّهِ أَنْ لستُ ماشياً بِهِرْجَابَ مَا دامَ الأراكُ به خُـضْرا(٢)

واختلف المفسرون في المراد بالرَّفرف على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها فضول المحابس [والبُسُط]، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: هي: الفُرُش والبُسط. وحكى الفراء، وابن قتيبة: أنها المحابس^(٢٢). وقال النقاش: الرَّفرف: المحابس الخُضر فوق الفُرش. والثاني: أنها رياض الجنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثالث: أنها الوسائد، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَقَرِي حَسَانِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الزَّرابيّ، قاله ابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، وكذلك قال ابن قتيبة: العبقريّ: الطنّافيس النُّخان. قال أبو عبيدة: يقال لكل شيء من البُسُط: عبقريّ، والثاني: أنه الدِّيباج الغليظ، قاله مجاهد. قال الزجاج: أصل العبقريّ في اللغة أنه صفة لكل ما بُولِغَ في وصفه، وأصلُه أن عبقر: بلد كان يوشى فيه البُسط وغيرها، فنُسب كل شيء جيّد إليه، قال زهير:

بِخُيْسِلٍ صِلْبَهِا جِنَّةً عَبْقَرِيَّةً ۗ . ﴿ جَلِيرُونَ يَوْماً أَن يَنالُوا فَيَسْتَعْلُوا(٤٠)

وقرأ عثمًان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «وعبَاقِرِيَّ» بألف مكسورة القاف مفتوحة الياء من غير تنوين؛ قال الزجاج: ولا وجه لهذه القراءة في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان، نحو؛ مساجد ومفاتح، لا يجوز أن يكون فيه مثل عباقِرِي، لأن ما جاوز الثلاثة لا يُجمع بياء النَّسب، فلو جمعت «عبقريّ» كان جمعه «عباقرة»، كما أنك لو جمعت «مُهلييّ» كان جمعه «مَهالية»، ولم تقل: «مَهالييّ»، قال: فإن قيل: «عبقريّ» واحد، و «حِسَان» جمع، فكيف جاز هذا؟ فالأصل أن واحد هذا «عبقريّة» والجمع «عبقري»، كما تقول: تَمْرة، وتَمْر، ولَوْزة، ولؤذ، ويكون أيضاً «عبقري» اسماً للجنس. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «وعَباقِرِيّ» بألف مع التنوين.

قوله تعالى: ﴿ لِنَرُكُ اللهُ رَبِكِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ذِكْر «الاسم» صِلَة، والمعنى: تبارك ربُك. والثاني: أنه أصل. قاله ابن الأنباري: المعنى: تفاعل من البَركة، أي: البَركة تُنال وتُكتَسَب بذِكْر اسمه. وقد بيئنا معنى «تبارك» في [الاعران: ٤٥]، وذكرنا في هذه السورة معنى ﴿ وَى لَلْمَكُلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وكان ابن عامر يقرأ: «ذو الجلال» وكذلك هي في مصاحف أهل الصحاز والعراق، [وهم] متفقون على الموضع الأول أنه «ذو».

⁽١) رواه البخاري ٨/ ٤٧٩، ومسلم ٤/ ٢١٨٢.

⁽٢) الشطر الثاني من البيت في «اللسان» و«التاج»: هرجب. و«هرجاب»: اسم موضع.

⁽٣) المحابس: جمع محبس، وهو الثوب يطرح عن ظهر الفراش للنوم عليه.

⁽٤) • ديوانه، ١٠٣، وقمجاز القرآن، ٢٤٦/٢، والقرظبي، ١٩٣/١٧، و«اللسان»: عبقر.

سورة الواقعة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكُيَّة، قاله الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، ومقاتل. وحكي عن أبن عباس أن فيها آية مدنيَّة وهي قوله: ﴿وَيَقْمَلُونَ رِزْقَكُمُ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﷺ [الواقعة: ١٨٦. والثاني: أنها مدنيَّة، رواه عطيَّة عن ابن عباس.

ينسدالة الكني التتسيد

﴿ إِذَا وَمَسَ الْوَامِنَةُ ۞ لَيْسَ لِوَمْسَهُمَا كَامِنَةً ۞ خَاضَةً زَامِمَةً ۞ إِذَا رُخَتِ الْأَرْضُ رَبًا ۞ وَمُسَّتِ الْجِمَالُ بَسَّا ۞ فَكَاتَ مَبَلَهُ مُلِينًا ۞ وَكُنْمُ أَزْوَا لَلَئَةً ۞ فَأَصْحَتُ الْتَبَنَّتُو مَا أَصْمَتُ الْسَيْقُونَ السِّيقُونَ ۞ أُولِتِهِكَ الْفَقْرُونَ ۞ فِي جَنَّتِ النَّهِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَمَتِ الْوَاقِمَةُ ﴿ قَالَ أَبُو سليمان الدمشقي: لمّا قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟! نزل قوله: ﴿إِذَا وَقَمَتِ الْوَاقِمَةُ ﴿ فَ المعنى: يكون إذا وقعت الواقعة. قال المفسرون: والواقعة: القيامة، وكل آتٍ يتوقع، يقال له إذا كان: قد وقع، والمراد بها هاهنا: النّفخة في الصّور لقيام الساعة. ﴿لَيْسَ لُونَقْئِهَ ﴾ أي: لظهورها ومَجيئها ﴿كَوْبَهُ أَي: كذب، كقوله: ﴿لاّ تَسْمَعُ فِهَا لَنِيْدُ ﴾ الناشة: ١١] أي: لغواً. قال الزجاج: و «كاذبة» مصدر، كقولك: عافاه الله عافية، وكذب كاذبة، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا رجعة لها ولا ارتداد، قاله قتادة. والثاني: ليس الإخبار عن وقوعها كذباً، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَانِشَةٌ﴾ أي: هي خافضة ﴿ آنِمَةٌ ﴾ وقرأ أبو رزين (١٠)، وأبو عبد الرحمن، وأبو العالية، والحسن، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة، واليزيدي في اعتياره: «خافضة رافعة» بالنصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها خفضت فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، وواه العوفي عن ابن عباس. وهذا يدل على أن المراد بالواقعة: صيحة القيامة. والثاني: أنها خفضت ناساً، ورفعت آخرين، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال المفسرون: تخفض أقواماً إلى اسفل السافلين في النار، وترفع أقواماً إلى عِلَيْن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُبُعَتِ ٱلأَرْضُ رَبَّا ﴿ أَي: حُرِّكَ حركةٌ شديدةٌ وزَلزلتْ، وذلك أنها ترتجُ حتى ينهذم ما عليها من بناءٍ، ويتفتّ ما عليها من جبل. وفي ارتجاجها قولان: أحدهما: أنه لإماتة مَن عليها من الأحياء. والثاني: لإخراج من في بطنها من الموتى.

قوله تعالى: ﴿رَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسَّا ﴿ فَ فِيهِ قولان: أحدهما: فُتِّتت فَتَاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. قال ابن قتيبة: فُتِّتتْ حتى صارت كالدَّقيق والسَّويق المبسوس. والثاني: لُتَّتْ، قاله قتادة. وقال الزجاج: خُلِطتْ ولُتَّت. قال الشاعر:

لا تَسْخُ بِ زوا خَ بِسَارًا ويُسْسِا بَسَسَا ١٠٠

وفي «الهَباء» أقوال قد ذكرناها في الفرنان: ٢٣]. وذكر ابن قتيبة أن الهَباء المُنْبَثّ: ما سطع من سنابك الخيل، وهو من «الهَبُوّة»، والهَبُوّة: الغُبار. والمعنى: كانت تراباً منتشراً.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنْمُ أَزْدَبُهُ أَنِ أَصَنَافاً ﴿ اللَّهُ الْمَرْمَدُ الْمَرْمَدُ الْمَرْمَدُ الْمَرْمَةِ فيهم ثمانية أقوال: أحدها: [أنهم] اللَّذِن اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّالَّاللَّالَّاللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّالَا الللَّاللَّالِمُ اللَّا اللَّهُ اللَّالَّاللَّاللَّالَا اللَّالَّ

⁽١) في النسخة الأستنبولية: أبو المتوكل.

 ⁽۲) الرجز في «مجاز القرآن» ۲/۲۷٪، و«الطبري» ۲۲/۲۷، و«القرطبي» ۱۹۳/۱۷، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: بسس.

الضحاك، والقرظي. والثالث: أنّهم الذين كانوا ميامين على أنفُسهم، أي: مباركين، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنهم الذين أخذوا من شِقِّ آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم. والخامس: أنهم الذين منزلتهم عن اليمين، قاله ميمون بن مهران. والسادس: أنهم أهل الجنة، قاله السدي. والسابع: أنهم أصحاب المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والثامن: أنهم الذين يؤخذ [بهم] ذات اليمين إلى الجنة، ذكره على بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿نَا أَصْنُ الْمَهْمَنَةِ﴾ قال الفراء: عجَّب نبيَّه على منهم؛ والمعنى: أيُّ شيء هُمْ؟! قال الزجاج: وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، ومجراه من الله على في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم، ومثله: ﴿نَا لَلْمَقَةُ ﴿﴾ [العارمة: ٢]؛ قال ابن قتيبة: ومثله أن يقول: زَيدٌ ما زَيدٌ! أي: أيُّ رجُل هو! ﴿وَأَصْنُ الشَّعْمَةِ مَا أَصَنُ الشَّعْمَةِ فَ﴾ [أي: أصحاب] (١) الشمال، والعرب تسمِّي البد البسرى: الشُّومى، والجانبَ الأيسر: الأشام، ومنه قبل: اليُمْن والشُّوم، فاليُمْنُ: كأنه [ما] (١) جاء عن اليمين، والشؤم [ما جاء] عن الشمال، ومنه سمِّيت «اليَمَن» و «الشَّام» لأنها عن يمين الكعبة وشمالها. قال المفسرون: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين، ويعظون كتبهم بأيمانهم؛ وتفسير أصحاب المشأمة على ضد تفسير أصحاب الميمنة سواء؛ والمعنى: أيُّ قوم هم؟! ماذا أعِدٌ لهم من العذاب؟!.

قوله تعالى: ﴿ رَالتَنبِغُونَ التَنبِغُونَ التَنبِغُونَ التَنبِغُونَ التَنبِغُونَ التَنبِغُونَ الله فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أُمّة، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أنهم الذين صلّوا [إلى] القبلتين، قاله ابن سيرين. والثالث: أهل القرآن، قاله كعب. والرابع: الأنبياء، قاله محمد بن كعب. والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سودة. وفي إعادة ذِكْرهم قولان: أحدهما: أن ذلك للتوكيد. والثاني: أن المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرْتَكِكَ ٱلْمُقَرِّئِونَ ۗ ﴿ قَالَ أَبُو سَلِّيمَانَ الدَّمْشَقِ: يعني عند الله في ظل عرشه وجواره.

﴿ ثُلَةٌ مِنَ الْأَزَلِينَ ۞ وَقِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۞ عَلْ شُرُرِ مَوْشُونَةِ ۞ مُخْكِدِينَ عَلَيْهَا مُتَعَبِيلِينَ ۞ يَلُوفُ عَلَيْمْ وِلِنَدُهُ غُلَلُدُنُ ۞ وَلَكِيهِ وَمِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَكِيهِ وَمِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَكِيهِ وَمِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَوْمِهُوْ مِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَمُو مِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَمُو مِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَمُو مِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَمُونَ فِي اللّهِ وَلِمَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلُومِهُوْ مِنَا يَسْتَجُونَ ۞ وَلَمُ مِنْ اللّهِ وَلَمُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَلَمُ مَلِيهُ ﴾ كاشتال اللّهُ إِلَى اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽١) زيادة من فغريب القرآن،

الغِلْمان. وقال الحسن البصوي: هؤلاء أطفال لم يكن لهم حسنات فيُجْزَون بها، ولا سيِّئات فيعاقبون عليها، فوُضعوا بهذا الموضع. وفي المخلَّدين قولان: أحدهما: أنه من الخُلد؛ والمعنى: أنهم مخلوقون للبقاء لا يتغيَّرون، وهم على سنَّ واحد. قال الفراء: والعرب تقول للإنسان إذا كَبِر ولم يَشْمَط: أو لم تذهب أسنانه عن الكِبَر: إنه لمخلَّد، هذا قول المجمهور. والثاني: أنهم المُقَرَّطُون، ويقال: المُسَوَّرون، ذكره الفراء، وابن قتية، وأنشدوا في ذلك:

ومُخَلَّداتُ بِاللَّهَ فِينِ كِانَّما أَعِيدِينَ كَانَّما أَعِيدِينَ أَقَاوِزُ الْكُفْسِانِ (١)

قوله تعالى: ﴿ وَإَكْوَاتُو وَلَاكِونِ ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ولا خُرطوم، وقد ذكرناه في النزخرف: ٧٧]؛ والأباريق: آنية لها عُرىّ وخراطيم؛ وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الإبريق: فارسيّ معرَّب، وترجمتهُ من الفارسية أحدُ شيئين، إمّا أن يكون: طريق الماء، أو: صبَّ الماءِ على هينة، وقد تكلمتْ به العربُ قديماً، قال عديُّ بن زيد:

ودُعَا بالصَّبُوحِ يـوماً فـجاءتْ قَـيْنَةُ فـي يـمـيـنـها إبـريـتُ وباقى الآيات في الصانات: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ يُسَدَّعُونَ عَنَهُ وَلَا يُنِوْوَنَ ﴿ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يَلْحَقُهم الصَّداع الذي يلحق شاربي خمر الدنيا. و «عنها» كناية عن الكأس المذكور، والمراد بها: الخمر، وهذا قول الجمهور. والثاني: لا يتفرَّقون عنها، من قولك: صدَّعْتُه فانْصَدَع، حكاه ابن قتيبة. «ولا يُنْزِفُونَ» مفسر في [الصافات: ٤٢] .

قوله تعالى: ﴿ يَنْ مَنْ يَكُنَّكُ ﴾ أي: يختارون، تقول: تخيَّرتُ الشيءَ: إذا أخذتَ خيره.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِرِ كَابُرِ ﴾ قال ابن عباس: يخطُر على قلبه الطير، فيصير ممثَّلاً بين يديه على ما اشتهى. وقال مغيث بن سمي: تقع على أغصان شجرة طوبى طير كأمثال البُخْتُ ، فإذا اشتهى الرجل طيراً دعاه، فيجيء حتى يقع على خوانه (٥) ، فيأكل من أحد جانبيه قديداً والآخر شِواء، ثم يعود طيراً فيطير فيذهب.

قوله تعالى: ﴿ وَمُورُ عِينٌ ﴿ فَي قُوا ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: وحُورٌ عِينٌ بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض فيهما. وقرأ أبيُ بن كعب، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم المحدري: ﴿ وُحوراً عِيناً بالنصب فيهما. قال الزجاج: واللين رفعوا كرهوا الخفض، لأنه معطوف على قوله: ﴿ يَلُونُ عَلَيْمٌ ﴾ قالوا: والحُور ليس ممّا يُطاف به، ولكنه مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء، لأن المعنى: يطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون بأكوابٍ ينعمون بها، كذلك ينعمون بلحم طير، فكذلك ينعمون بحُور عِينٍ والرفع أحسن، والمعنى: ولهم حُورٌ عِينٌ ؛ ومن قرأ ﴿ وحُوراً عِيناً المعنى، لأن المعنى: يُعطّون هذه الأشياء ويُمطّونُ حوراً عِيناً ، إلا أنها تُخالِف المصحف فتُكْرَه. ومعنى ﴿ كَأَشُلِ اللّؤلُو ﴾ أي: صفاؤهُنَّ وتلالؤهُنَّ كصفاء اللّؤلؤ ويترائه. والمكنون: الذي لم يغيِّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهنَّ كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه. ﴿ جَرَاهً ﴾ منصوب مفعول له؛ والمعنى: يُفعل بهم ذلك جزاءً بأعمالهم، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى منصوب على هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿ يَسَمُونَ فِيهَا لَفُوا ﴾ قد فسرنا معنى اللَّغو والسلام في سورة [مريم: ٢٦] ومعنى التأثيم في [الطور: ٢٣] ومعنى التأثيم في الطور: ٢٣] ومعنى التأثيم في أفَحَتُ الْيَبِينِ ﴾ في أول هذه السورة [الواقعة: ٩]. فإن قيل: التأثيم لا يُسمع فكيف ذكره مع المسموع؟ فالجواب: أن العرب يُتْبِعون آخر الكلام أوَّلَه، وإن لم يحسُن في أحدهما ما يحسُن في الآخر، فيقولون: أكلتُ خبزاً ولبناً، واللَّبن لا يؤكل، إنما حَسُن هذا لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

⁽١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤١٧، و«القرطبي» ٢٠٢/١٧، و«اللسان» و«التاج»: قوز. والأقاوز: جمع قَوْز، وهو كثيب من الرمل صغير شبه به أرداف النساء، فالإضافة للبيان.

⁽٢) البيت في «المعرّب» للجواليقي ٢٣.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر، والصُّلاع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونؤهها
 عن هذه الخصال. اهـ.

⁽٤) البُخُت: الإبل الخُراسانية.

⁽٥) الخوان، بضم الخاء وكسرها: الذي يؤكل عليه.

إذا ما الخانسياتُ بَسرَذْنَ يَسوماً وَذَجُّ جُسنَ الْحَواجِبَ والسعُيُونا(١)

قال: والعَيْنُ لا تُزَجَّج إنما تُكَحَّل، فردَّها على الحاجب لأن المعنى يُعْرَف، وأنشدني آخر: . ولَسِقَتِمِسِتُ زَوْجَسِك فسِر السوغِسِرِ فاللهِ عَلَيْنِ المعنى يُعْرَف، وأنشدني آخر:

ولَــقِميتُ زَوْجَــكِ فَــي الــوغــى مـــــقــلُــداً سَــيْــفــاً ورُمْــحــاً(٢)

وأنشدني آخر:

عَالَمْ تُها يَبْنا وماء بارداً (٢)

والماء لا يُعْلَف وإنما يُشْرَب، فجعله تابعاً للتّبن؛ قال الفراء: وهذا [هو] وجه قراءة من قرأ، •وحُورٍ عِينٍ، بالمخفض، لإتباع آخرِ الكلام أوَّله، وهو وجه العربيَّة.

﴿ وَاَلْمَنْتُ الْبِينِ مَا أَمْعَتُ الْبِينِ ۞ فِي سِنْوِ غَنْشُودِ ۞ وَلِمَلْحِ سَنُودِ ۞ وَظِلِ تَمَثُورِ ۞ وَلَا مَنْكُوبٍ ۞ وَلَاَكِهِ وَكُونِ مَرْفُوهِ مَرْفُوهِ مَنْ إِنَّا أَنَاءُ ۞ اِلْسَحَبِ الْبَينِ ۞ لَاَ مَنْطُوعَةِ وَلَا مَنْوُعَةِ ۞ إِنَّ الْسَاتُمُنَّ إِنَّانَهُ ۞ اِلْمَسَلُمُ الْبَيْنِ ۞ مُثَا أَزَاءَ ۞ لِاَسْحَبِ الْبَينِ ۞ فَلَا اللهِ عَنْ الْبَينِ ۞ لِاَسْحَبِ الْبَينِ ۞ فَلَا اللهِ عَنْ الْلَهِ مِنَ اللَّهِ عِنَ الْلَهِ عِنَ الْلَهِ عِنَ الْلَهِ عِنَ الْلَهِ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَي

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَصَنُ ٱلْيَهِينِ﴾ في قوله: ﴿فَأَصْحَنُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٩]. وقد روي عن علي ﷺ أنه قال: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين^(٤).

قوله تعالى: ﴿ فِي سِنْرِ غَنْسُودِ ﴿ الله سبب نزولها أن المسلمين نظروا إلى وَجَّ. وهو وادٍ بالطائف مخصبٌ. فأعجبهم سِذْره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية، والضحاك. وفي المخضود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي لا شَوْكَ فيه، رواه أبو طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقسامة بن زهير. قال ابن قتية: كأنه بُخِصَد شوكُها أن والمثاني: أنه المُوقَر حملاً، رواه كأنه بُخِصَد شوكُها أن والمثاني: أنه المُوقَر حملاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك. والثالث: أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه، ذكره قتادة. وفي الطّلح قولان: أحلهما: أنه الموز، قاله عليّ، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، [والحسن]، وعطاه، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والشال الحادي:

بَدُّ رَهِ السَّالَ عَلَا السَّالَ عَلَا تَرَيْنَ السَّلَا عَ والبجالا(٢)

فإن قبل: ما الفائدة في الطَّلْح؟ فالجواب أن له نَوْراً وريحاً طيِّبة، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا. وقال مجاهد: كانوا يُعْجَبون بـ «رَجَّ» وظِلاله من طلحه وسدره، فأمّا المنضود، فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نُضِدَ بالحَمْل أو بالورق والحَمْل من أوَّله إلى آخره، فليس له ساق بارزة، وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها.

قوله تعالى: ﴿وَطَالَ مَّنْدُورِ ۞﴾ أي: دائم لا تنسخه الشمس(٧). ﴿وَمَآوِ مَشْكُوبٍ ۞﴾ أي: جار غير منقطع.

قوله تعالى: ﴿لَا مُتَطُرِعَةِ وَلَا مَتُوْعَةِ ﴿ فَي ثلاثة أتوال: أحدها: لا مقطوعة في حين دون حين، ولا ممنوعة بالحيطان والنواطير، إنما هي مُطْلَقة لمن أرادها، هذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. ولخصه بعضهم فقال: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والثاني: لا تنقطع إذا جُزِيَت، ولا تُمنع من أحد إذا أريدت،

(۲) سبق البيت ۲۲۲: (۳) سبق الشطر ۲۲۲.

⁽١) َ البيت غير مُنسوب في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«الطبري» ٢٧/ ١٧٦، و«أساس البلاغة» و«الصحاح»، و«اللسان» و«التاج»: زجج.

⁽٤) رواه الطبري ٢٧/ ٢٧ وفي سنده عثمان بن قيس وهو ضعيف.

⁽٥) رواه أحمد في «المسند» وقم (٢٩٢٣) ولفظه بتمامه: عن ابن عباس في قال: قال رسول الله في: «لكل نبي حرم، وحرمي العدينة، اللهم إني أحرمها بحرمك، أن لا يؤوى فيها محدث، ولا يختلى خلاها، ولا يعقد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد» وذكره الهيشي في «مجمع الزوائد» ٢٠١٧ عن أحمد وحسنه. قال الحافظ ابن حجر في «الفتع» ٢٧٧٤: ووقع في رواية لعمر بن شبة بلفظ «لا يخضد» بالخاء المعجمة بدل العين المهملة، وهو راجع إلى معناه، فإن أصل الخضد: الكسر ويستعمل في القطع. اهـ.

⁽٦) البيت غير منسوب في امجاز القرآن، ٢/ ٢٥٠، والطبري، ٢٧/ ١٨١، ونسبه القرطبي، ٢/ ٢٠٨ إلى الجعدي.

⁽٧) روى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماثة عام لا يقطمها، اقرؤوا إن شتتم: ﴿وَيَالِي تُمَدِّيرٍ ﴿﴾».

روي عن ابن عباس. والثالث: لا مقطوعة بالفّناء، ولا ممنوعة بالفساد، ذكره المّاوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَفُرُثُو مَرْفُوعَة ﴿ فَهَا قولان: أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، وفي رفعها قولان: أحدهما: [أنها] مرفوعة فوق السُّرر. والثاني: أن رفعها؛ زيادة حشوها ليطيب الاستمتاع بها. والثاني: أن المراد بالفِراش: النساء؛ والعرب تسمِّي المرأة: فِراشاً وإزاراً ولباساً؛ وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن المراد بالفِراش على نساء أهل الدنيا. والثاني: رُفِعْن عن الأدناس. والثالث: في القلوب لشِدَّة الميل إليهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْنَأْتُهُنَّ إِنْنَا اللهِ وَ يَعني النساء. قال ابن قتيبة: اكتفى بذِكْر القُرُش لأنها محل النساء عن ذكرهن. وفي المشار إليهن قولان: أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات؛ ثم في إنشائهن قولان: أحدهما: أنه إنشاؤهن من القبور، قاله ابن عباس. والثاني: إعادتهن بعد الشَّمَط (١) والكِبَر أبكاراً صغاراً، قاله الضحاك. والثاني: أنهن الحُور العين، وإنشاؤهن: إيجادهن عن غير ولادة، قاله الزجاج. والصواب أن يقال: إن الإنشاء عمَّهُنَّ كُلَّهن، فالحُور أنشن ابتداء، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن النبي الله أنه قال: ﴿إِنَّ مَنْ المنشَآت اللَّذِي كُنَّ فِي الدنيا عجائزَ عُمْشاً رُمْصاً (١).

قوله تعالى: ﴿ جُمُلَتُهُنَّ أَبْكَارًا ١٩٠٠ أي: عذارى. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلَّا وجدها بِكُراً.

قوله تعالى: ﴿ عُرُا ﴾ قرأ الجمهور: بضم الراء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء؛ قال ابن جريو: هي لغة تميم وبكر. وللمفسرين في معنى اعرباً عصمة أقوال: أحدها: أنهن المتحببات إلى أزواجهن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنهن العواشق، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل، والمبرد؛ وعن (٢) مجاهد كالقولين. والثالث: الحسنة التبعّل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والرابع: الغيجات، قاله عكرمة. والخامسة: الحسنة الكلام، قاله ابن زيد. فأمّا الأتراب فقد ذكرتاهن في [من: ٥١].

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوْلِينَ ﴿ وَلَمْ مِنْ الْآخِينَ ﴾ هذا من نعت أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلاف، وقد سبق شرحه الرائعة: ١٣]. وقد زعم مقاتل أنه لمّا نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِينَ ﴾ وجد المؤمنون من ذلك وَجُداً شديداً حتى أُنزلت ﴿ وَثُلِقٌ مِنَ الْآخِينَ ﴾ فنسختها. وروي عن عروة بن رُويم نحو هذا المعنى. قلت: وادّعاء النّسخ هاهنا لا وجه له لئلاثة أوجه: أحلها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا. والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، [فهو هاهنا لا وجه له]. والثالث: أن الثّلة بمعنى الفرّقة والفئة؛ قال الزجاج: اشتقاقهما من القطعة، والثّلُ: الكسر والقطم. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثّلة في معنى القليل.

﴿وَاَصْتُ النِيَالِ مَا أَصْتُ النِيَالِ مِنَ أَصْتُ النِيَالِ ۞ فِي سَوْمِ وَجَيهِ ۞ وَظِلِ مِن يَعَمُومٍ ۞ لَا بَارِهِ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إَنَهُمْ كَافُواْ مَثَلَ ذَلِكَ مُتَوْدِت ۞ وَكَافُوا يَعْوَلُونَ أَيِمَا يَفَا مَثَنَا وَكُنَا تَمْوَلُونَ ۞ وَكَافُوا يَعُولُونَ أَيْمَا يَشَا وَكُنَا تُمْوَلُونَ أَنَا لَتَبَعُولُونَ ۞ أَلُو مَالَوْلَ يَعْوَلُونَ أَيْمَا لِيَا اللَّهُ وَعِظَامًا أَيَّا الشَّالُونَ الثَّكَذِينَ ۞ تَعْيُونَ مِن شَجَرٍ مِن نَقُومٍ ۞ مَا يُؤْمُونَ مِنَا اللَّهُ مِنَ اللَّهِ ۞ فَالنَّوْلُونَ أَنْ اللَّهُ مِنَ اللَّهِ ۞ فَالنَّوْلُونَ أَلْهُمْ مِنَ اللَّهِ ۞ فَالنَّوْلُ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ ۞ فَالنَّوْلُ مِنْ اللَّهِ ۞ فَالنَّهُ مِنْ اللَّهِ ۞ فَالنَّهُ مِنْ اللَّهِ ۞ فَالنَّهُ مِنْ اللَّهِ ۞ فَالنَّهُ مِنْ اللَّهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَضَحُكُ الشِّمَالِ﴾ قد بيَّنا أنه بمعنى التعجُّب من حالهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أعدَّ لهم من الشَّرَّ؟! ثم بيَّن لهم سوء مُنْقَلَبهم فقال: ﴿فِي سُمُورِ﴾ قال ابن قتيبة: هو حَرُّ النّار.

قوله تعالى: ﴿وَظِلَ مِن يَمَنُومِ ۞﴾ قال ابن عباس: ظِلَّ من دخان، قال الفراء: اليَحْموم: الدُّخان الأسود، ﴿لَّ بَارِو وَلَا كَرِيمٍ ۞﴾ فوجه الكلام الخفض تبعاً لما قبله، ومثله ﴿زَيَّتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك قوله:

⁽١) الشَّمَط: الشَّيْب

⁽٢) رواه ابن جرير ٢٧/ ١٨٥، ١٨٦، والترمذي في الجامعه ٢/ ١٦٤ من رواية موسى بن عبيلة الربذي عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس على، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيلة، قال: وموسى بن عبيلة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

⁽٣) في الأصل: عن.

﴿وَفَكِكَهُوۡ كَثِيرَةِ ۞ لَا مُقَطُّوعَةِ وَلَا تَمْنُوعَةٍ﴾، ولو رفعتَ ما بعد ﴿لاَ كان صواباً، والعرب تجعل الكريم تابعاً لكل شيء نفت عنه فعلاً يُنوى [به] الذم، فتقول: ما هذه الدار بواسعة ولا كريمة، وما هذا بسمين ولا كريم. قال ابن عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَاثُواْ فَلَى ظَلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتَوَفِيكَ﴾ أي: متنعّمين في ترك أمر الله، فشغلهم ترفُهم عن الاعتبار والتعبُّد. ﴿وَقَافُواْ بِيُرُونَ﴾ أي: يُقيمون ﴿ عَلَ لَلِنبُ ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشّرك، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن زيد. والثاني: الذّنب العظيم الذي لا يتوبون منه. قاله مجاهد. وعن قتادة كالقولين. والثالث: أنه اليمين الغموس، قاله الشعبي. والرابع: الشّرك والكفر بالبعث، قاله الزجاج.

تَسَكُّفُ مِسْدِهِ حَسِزَةً فِسَلْسَادِ إِنْ أَلَّسِم بِسِهَا مِن الشَّواءِ ويَسَكُمِفِي شَرْبَعُ الغُمَرُ (١٠٠٠ .

وزعم الكسائي أن قوماً من بني سعد بن تميم يقولون: «شِرْبَ الهِيم» بالكسر. وقال الزجاج: «الشَّرْب» المصدر، و «الشُّرْب» بالضم: الاسم، قال: وقد قيل: إنه مصدر أيضاً. وفي «الهِيم» قولان: أحدهما: الابل البطاش، رواه ابن أبي طلحة والعوفيُّ عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وقتادة. قال ابن قتيبة: هي الإبل يُصيبها داءٌ فلا تَرْوَى من الماء، يقال: بعيرٌ أهْيَمُ، وناقةٌ هَيْماءُ. والثاني: أنها الأرض الرَّملة التي لا تَرْوَى من الماء، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً. قال أبو عبيدة: الهيم: ما لا يَرْوَى من رَمْل أو بعير.

قوله تعالى: ﴿ هَٰكَا نُزُلِمُ ﴾ أي: رزقهم، ورواه عباس عن أبي عمرو: «نُزْلُهم السكون الزاي، أي: رزقهم وطعامهم، وفي «الدَّين الوّلان قد ذكرناهما في (الفاتحة).

﴿ فَتَنْ خَلَقَنَكُمْ مَلَوَلَا تُسَدِقُونَ ۞ الْزَمَيْثُمُ مَا تُشْنُونَ ۞ مَاشَدُ خَلَقُونَدُهُ أَمْ نَحْنُ لَلْنَافُونَ ۞ فَمَنُ مَذَرُنَا بَيَنَكُمُ الْمَوْنَ وَمَا فَمَنُ يَسْشُرُونِنَ ۞ عَلَىٰ أَن نُبُكِلَ أَشَائِكُمْ رَشُومَتَكُمْ فِي مَا لَا تَسْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَيِشْتُرُ اللَّفَاأَةَ الْأُولَى فَلُولَا نَذَكَّرُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَمَن عَلَقَنكُمُ ﴾ أي: أوجدناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تُقرُّونَ بهذا ﴿ فَلَوْلا ﴾ أي: فهلا ﴿ تُمَالِثُونَ ﴾ بالبعث؟ اثم احتجَّ على بعثهم بالقدرة على ابتدائهم فقال: ﴿ أَنْرَائِهُمْ مَا نُشُونَ ﴾ قال الزجاج: أي: ما يكون منكم من المبعث؟! أمنى الرجل يُمْني، ومَنى يَمني، فيجوز على هذا «تَمْنونَ» بفتح التاء إن ثبتت به رواية.

قوله تعالى: ﴿ مَأْتُتُرَ غَنْلَتُونَهُ وَ أَمْ نَحْنُ لَلْتَوْلِقُونَ ﴿ أَي وَ تَعْلَمُ اللَّهِ الْمَاءِ الْمَهِينَ بَشُراً سُويّاً. والثاني: أن من قَلَر على خَلْق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقلَرَ على خَلْق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقلَرَ على خَلْق ما غاب عنكم من إعادتكم.

قوله تعالى: ﴿ فَتَنُ قَذَرُنَا بَيَنَكُمُ الْمَرْتَ ﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿ قَدَرُنا ﴾ بتخفيف الدال. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قضينا عليكم بالموت. والثاني: سرّينا بينكم في الموت ﴿ وَمَا غَنُ بِمَسْبُوتِنَ ۞ عَلَ أَن نَبُولَ أَتَسَلَكُم ﴾ قال الزجاج: المعنى: إن أردنا أن نخلُق خَلْقاً غيركم لم يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك. وقال ابن قتيبة: لسنا مغلوبين على أن نستبدل بكم أمثالكم.

⁽١) البيت أأعشى باهلة من قصيدته الجيدة التي يرثي بها أخاه المنتشر بن وهب الباهلي ومطلمها:

قسد جساء مسمن عَسلُ أنسبساء أنسبّ وهسا "إلسيّ لا عَسجَسبٌ مسنسها ولا مَسخَسرُ وهي في «الأصمعيات» ٨٩، وهجمهرة أشعار العرب» ٢٥، وهمختارات ابن الشجري» ١٩، وهأمالي المرتضى، ١٠٥/٣ وغيرها، والحزة: ما قطع من اللحم طولاً، والفلذ: كبد البعير، والغمر: أصغر الأقداح.

قوله تعالى: ﴿وَنُشِيَكُمُ فِي مَا لَا تَمْلَمُونَ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحلها: نبدّل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن. والثاني: ننشئكم في حواصل طير سود تكون به «برهوت» كأنها الخطاطيف، قاله سعيد بن المسيّب (۱). والثالث: نخلقكم في أيّ خَلْق شئنا، قاله مجاهد. والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي. قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُهُ النَّشَأَةَ الْأُولَةِ﴾ وهي ابتداء خَلقكم من نُطفة وعَلَقة ﴿فَلُولَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهالا تَعتبِرون فتعلموا قُدرة الله فتُقِرُّوا بالبعث.

﴿ أَوْرَيْتُمُ مَا تَمْرُونَ ﴾ أي: ما تعملون في الأرض من إثارتها، وإلقاء البذور فيها، ﴿ أَنْتُرْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ أي: تُبِتونه؟! وقد نبّه هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى، ومنها الامتنان بإخراج القُوت، ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَمَلَنَهُ عِني الزرع ﴿ مُكَامَاً ﴾ قال عطاء: تبناً لا قمح فيه. وقال الزجاج: أبطلناه حتى يكون محتطماً لا حنطة فيه، ولا شيء.

قوله تعالى: ﴿فَظَلَتُمْ ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة؛ «فظِلْتُم، بكسر ألظاء؛ وقد بيناه في قوله: ﴿ظُلْتَ عَلِيْهِ عَاكِفًا ﴾ [نه: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿نَتَكَمُّونَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميفع، والقاسم بن محمد، وعروة: ﴿تَفَكَّنُونَ ۖ بالنون. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: تَعجَّبون، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. قال الفراء: تتعجَّبون ممّا نَزَل بكم في زرعكم. والثاني: تَندَّمون، قاله الحسن، والزجاج. وعن قتادة كالقولين. قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفكُّهُونُ ۗ : تَندَّمُون، ومثلها: تَفكَّنونَ، وهي لغة لعُكُلٍ. والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة. والرابع: تتفجَّعون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿ قَالَ الزجاج: أي: تقولون: قد غَرِمْنا وذهب زرعنا. وقال ابن قتيبة: «لَمُغْرَمونَ» أي: لَمُعَذَّبون (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ إِن عَن تَمْرُمُونَ ﴿ أَي: حُرِمْنا ما كنّا نطلبه من الرّبع في الزرع. وقد نبّه بهذا على أمرين: أحدهما: إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حُطاماً. والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع. فأمّا المُزن، فهي السّحاب، واحدتها: مُزْنة. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ وُرُونَ ﴾ قال أبو عبيدة: تستخرجون، من أَوْرَيت، وأكثر ما يقال: وَرَيت. وقال ابن قتيبة؛ التي تَستخرجون من الزُّنود. قال الزجاج: «تورون» أي: تقدحون، تقول: أوريتُ النّار: إذا قدحتها.

قوله تعالى: ﴿مَأْنَتُمْ أَنشَأَتُمْ شَكَرَيَّا﴾ في المراد بشجَرتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنّها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها الشجرة التي تُتَّخذ منها الرُّنود، وهو خشب يُحَكُّ بعضُه ببعض فتخرج منه النار، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أن شجرتها: أصِلُها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ غَنْنُ جَمَلَنَهَا تَذَكِرَهُ ﴾ قال المفسرون: إذا رآها الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿ وَمَتَنَّا ﴾ أي: منفعة ﴿ لِلْمُقْرِينَ ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس،

 ⁽١) برهوت: وادٍ باليمن، وقد روي أن أرواح الكفار تجتمع فيه، وأن أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، ولكن لا دليل عليه من الكتاب والسنة الصحيحة، ولعل ذلك من الإسرائيليات.

 ⁽۲) قال ابن جوير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إنا المعلَّبون، وذلك أن الغرام عند العرب: العداب.

وقتادة، والضحاك. قال ابن قتيبة: سموا بذلك لنزلهم القَوَى، وهو القفر. وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين، لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى بهم الضال. والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد. والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب. والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مردَّ لهم، قاله أبو عبيدة (١٠).

قوله تعالى: ﴿ فَسَيَّتَ بِأَسْرِ رَبِكَ الْمَطِيمِ ﴿ قَالَ الزجاج: لما ذكر ما يدل على توجيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: برَّ الله ونزَّهه عما يقولون في وصفه. وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك، أي: استفتح الصلاة بالتكبير. وقال ابن جرير زَّسبح بذكر ربك وتسميته. وقيل: الباء زائدة، والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

قوله تعالى: ﴿ لَكَ أَقْسِمُ ﴾ في (لا) قولان: أحدهما: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأقسم، ومثله ﴿ لِنَلا يَتَلَر الْكَنْبِ ﴾ [العشر: ٢٩] قال الزجاج: وهو مذهب سعيد بن جبير. والثاني: أنها على أصلها. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي. والثاني: أنَّ (٢) ولا ورد لما يقوله الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر، وكهانة. ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله على بن أحمد النيسابوري: وقرأ الحسن: فلأقسم بغير ألف بين اللام والهمزة.

قوله تعالى: ﴿ بِمَوَرِقِهِ ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد. قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومَنْ أَفْرَدَ، فلأنه اسم جنس. ومَنْ جَمَعَ، فلاختلاف ذلك. وفي «النجوم» قولان: أحدهما: نجوم السماء، قاله الأكثرون. فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال: أحدها: انكدارها وانتثارها يوم القيامة، قاله الحسن. والثاني: منازلها، قاله عطاء، وقتادة. والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه ابن جبير عن ابن عباس. فعلى هذا سميت نجوماً لنزولها متفرقة، ومواقعها: نزولها ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَرُ ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظَمَهُ. ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَتُرْبَلُ كُرِمٌ ﴿ وَالكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعَظّم عند الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فِي كِنَنِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة. وفي المكنون، قولان: أحدهما: مستور عن الخلق، قاله مقاتل، وهذا على القول الأول. والثاني: مصون، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَشُهُ إِلَّا ٱلْمُطَهِّرُونَ ﴿ مَن قال: إِنَّه اللوح المحفوظ. فالمطهرون عنده: الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. فعلى هذا يكون الكلام خبراً. ومن قال: هو المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور. فيكون ظاهر الكلام النفي، ومعناه النهي، والثاني: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنهي، والأابع: أن معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفراء(٣).

إ) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُني بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء له، وأصله من قولهم:
 أقوت الدار: إذا خليت من أهلها وسكانها. اهـ.

⁽٢) : في الأصل: أنه.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، قعم بخبره المطهرين، ولم يخصص بعضاً دون بعض، قال: فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين، قال: وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثني وعني بقوله: ﴿إِلَّا ٱلسُلَمْ وَهُ المَاهِ.

قال ابن كثير: وقال آخرون: ﴿لَا يَسَنُسُهُ إِلَّا الشَّلْمَيْرُونَ ﴿﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناها الطلب، قالوا: والعراد بالقرآن =

قوله تعالى: ﴿ نَزِيلٌ ﴾ أي: هو تنزيل. والمعنى: هو منزل، فسمي المنزل تنزيلاً في اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قدر، وللمخلوق: خلق.

قوله تعالى: ﴿أَيْبُنَا الْمَدِينِ وَعَنِي: القرآن ﴿أَنْتُم تُدّوثُونَ وَ فيه قولان: أحدهما: مكذّبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والفاني: ممالئون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: المدهن: المداهن، وكذلك قال ابن قتيبة: ومدهنون أي: مداهنون. يقال: أدهن في دينه، وداهن ﴿وَيَّمَلُونَ رِزَقَكُمْ أَنَكُمْ تُكَثّبِونَ ﴿ وَهَ مَلَم في الناس شاكر، وصحيحه (۱) من حديث ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله على فقال النبي على: وأصبح من الناس شاكر، ومنهم كافو، قالوا: هذه رحمة وضعها الله حيث شاء. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآية ﴿ فَلَكُمْ أَنْسُرُ بِمَوْتِهِ النَّجُورِ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَنَكُمْ تُكَذّبُونَ ﴾. وروى البخاري ومسلم في والصحيحين امن حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله على صلاة بالحديبية على إثر سماء (۱) كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: همل تدوون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: وقال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. الناس، فقال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب (۱). وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرزق هاهنا بمعنى الشكر. ووت عائشة عن رسول الله على أنه قال: ﴿ وَبَعَلُونَ رِنَوْكُمُ ﴾ قال: ﴿ شكركم (١٠) وهذا على بن أبي طالب، وابن عباس. وكان علي يقرأ وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله وابن عباس. وكان علي يقرأ وتجعلون شكركم (١٠). والثاني: أن الرزق بمعنى الحظ. فالمعنى: وتجعلون وابنكان الكاف، مخفّقة الذال.

﴿ مَلُولاً إِذَا بَلَشَتِ لَلْمُلْتُومَ ۞ وَأَشَدُ حِبَهِلِ نَظُرُونَ ۞ وَيَحُنُ أَذَبُ إِلِيهِ مِنكُمْ وَلَاكِن ۖ لَا تَبْعِيرُونَ ۞ فَلَوْلاً إِن كُفَتُمْ خَبْرَ مَدِينِنَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِن كُفُتُمْ صَدِينِينَ ۞ فَلَنَا إِن كَانَ مِنَ النَّمُقَرِّينَ ۞ فَرَحُ وَرَثِمَانُ وَيَخَتُ نَبِيرٍ ۞ وَأَنَّا إِن كَانَ مِنَ أَصَّبِ الْيَدِينِ ۞ شَكَدُ أَنْ مِنْ أَصَبِ الْبِينِ ۞ وَأَنَا إِن كَانَ مِنَ الشَكَاذِينَ الشَّالِينُ ۞ فَتُرُكُ مِنْ جَمِيرٍ ۞ وَتَصْلِيدُ جَمِيمٍ ۞ إِنَّ هَذَا لَمُوَ حَقُ الْدِينِ ۞ مَسَيْحَ إِلَىٰ النَظِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلًا ﴿ إِذَا بَلَنْتِ الْمُلْتُومَ ﴾ يعني: النَّفْس، فترك ذِكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك: إذا حَـــشــرَجَـــتْ يَـــؤمـــاً وضَـــاقَ بِـــهَـــا الـــصَّـــدُرُ (٢)

ه هاهنا: المصحف، كما روى مسلم في "صحيحه» عن ابن عمر أن رسول الله على نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطئه» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، قال: وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله على قال: ولا يمس القرآن إلا طاهر» اهد. قلت: وقد روي الحديث موصولاً عن كثير من الصحابة، وهو صحيح بمجموع طرقه اهد.

١) ٨٣/١، ٨٤. (٣) إِثْرُ وأثَرَ، لغتان مشهورتان، أي بعد المطر، والسماء: المطر.

 ⁽٣) رواه البخاري في اصحيحه ٢/ ٣٤٤، ومسلم ١/ ٨٤ واللفظ للبخاري. قال أبو عمرو بن الصلاح: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر
 ناه ينوء، أي: سقط وغاب، وقيل: أي نهض وظلع. اهـ.

⁽٤) لم نقف على هذا الحديث من طريق عائشة وإنما هو من طريق علي على من عن النبي على كما رواه الطبري ٢٠/٢٧ وفي سنده عبد الأعلى بن عامر الثملي وهو ضعيف، ورواه أحمد أيضاً ٢/٧٧ من حديث عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عن النبي على قال: ﴿وَتَجَمَّلُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيَعَلَمُ الْكُمُ الله وكذا . في على على الله عند على عند المناه شرككم وهو خطأ) و مُؤلونا ينوه كذا وكذا .

وروى ابن جرير في اتفسيره، ٢٠٨/٢٧ بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كاقراً يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس ﴿وتجملون شكركم أنكم تكذبون﴾ ،

 ⁽٥) أخرجه ابن جرير ٢٠٨/٢٧ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كان علي في يقواً ﴿وتجعلون شكركم أنكم تكذبون﴾ وفي سنده عبد الأعلى الثملمي،
 وقد حمل بعض الشراح هذه القراءة على التفسير، من غير قصد للتلاوة.

 ⁽٦) البيت لحاتم الطائي، «ديوانه» ٥٠ وصدره:

أمساويُّ مسا يسغبنس السنُّسراء مسن السفستسي

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ عِنِي أَهِلِ المِيتِ ﴿ نَظُرُونَ ﴾ إلى سلطان الله وأمره. والثاني: تنظرون إِلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون له شيئاً ﴿وَتَعَنُ أَنْرُبُ إِلَيْهِ مِنكُمُ فيه قولان: أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿وَلَكِنَ لَا بَعُرُونَ ﴾ الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَكِنَ لَا بَعُمُونَ ﴾ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره الواخدي.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَدِينِنَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: محاسبين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة. والثاني: موقنين، قاله مجاهد. والثالث: مبعوثين، قاله قتادة. والرابع: مجزيين. ومنه يقال: دِنته، وكما تدين تدان، قاله أبو عبيدة. والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دِنت له بالطاعة، قاله أبن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّعُونَهَا ﴾ أي: تردُّون النَّفْس. والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلَّا تردُّون هذه النَّفْس؟! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم. قال الفراء: وقوله تعالى: ﴿ مُرِّمِعُونَهَا ﴾ هو جواب لقوله تعالى: ﴿فَلْوَلَا إِذَا لِمُلْفَوْمَ ۞﴾ ولقوله تعالى: ﴿فَلْوَلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞﴾ فإنهما أجيبتا بجواب واحد. ومثله قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ بَنِّي هُدَى فَمَن نَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ [البقرة: ٢٨] ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ ﴾ يعني: الذي بلغت نَفْسه الحلقوم ﴿ مِنَ ٱلنُّقَرِّينَ ﴾ عند الله. قال أبو العالية؛ هم السابقون ﴿ فَرُبِّ ﴾ أي: فَلَهُ رَوْحٌ. والجمهور يفتحون الراء. وفي معناها ستة أقوال: أحدها: الفرح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: الراحة، رواه أبو طلحة عن ابن عباس. والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: الجنة، قاله مجاهد. والخامس: رَوْحٌ من الغمّ الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب. والسادس: رَوْح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة (١). وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقتادة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سُريج عن الكسائي: ﴿فَرُوْحٌ ، برفع الراء. وفي معنى هذه القراءة قولان: أحدهما: أن معناها: فرحمة، قاله قتادة. والثاني: فحياة وبقاءً، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: معناه: فحياة دائمة لا موت معها. وفي «الريحان» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: أنه الريحان المشموم. وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضبائر(٢) الريحان من الجنة، فتجعل روحه فيه.

قوله تعالى: ﴿ مُسَلَدُ لُكَ مِنْ أَصَلِ ٱلْيَمِينِ ﴿ فَهِ ثلاثة أقوال: أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح

والحشرجة: الغرغرة عند الموت، وتردد النفس، وهو في فأمالي المرتضى، ٢٣/٤، وفالعمدة، ٢٦٣/٧، وفمجموعة المعاني، ٣١، وفالعقد الفريد، ٢٣٣/١، وفأمالي ابن الشجري، ١/٠٥٠.

⁽۱) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بالرُّوْح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رُحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحرّ. وروى الإمام أحمد في "المسندة عن أم هانئ أنها سألت رسول الله على: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله على: فيكون النسيم طبراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسلها، وفي سنده ابن لهيعة، قال ابن كثير: هلنا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن. ومعنى يعلق: يأكل، ويشهد لهذا الحديث بالصحة ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام محمد بن ادريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، عن رسول الله على قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسله يوم يبعثه قال: وهذا إسناد عظيم ومن قويم، قال: وفي الصحيح أن رسول الله يهي قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. . . > الحديث. اهد. وروى البخاري ومسلم في وصحيحيهما عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله عين أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت قالته ما أمامه فأحب لقاء الله وكره الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقويته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وكره الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعويته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وكره الله لقاءه .

 ⁽٢) الضبائر ـ كما في «اللسان» ـ: الجماعات في تفرقة، وفي الحديث: أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضبائر الربحان. قلت: أخرج عبد بن حميد، وابن أبي اللنبا، وعبد الله بن أحمد في (زوائد الزهد) عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿ لَمُلنّا إِن كَانَ بِنَ النَّمُونِينَ ﴿ الْمُوتَ يَلْقَ مُؤَيّعٌ وَرَبِّمَانٌ ﴾ قال: بلغني أن المؤمن إذا نزل به الموت يلقى بضبائر الريحان من الجنة فتجعل روحه فيها. انظر «الدر المنثور» ١٦٧/١.

عن ابن عباس. والثاني: تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عطاء. والثالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. وقد علمت ما أُعدَّ لهم من الجزاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّيِينَ ﴾ أي: بالبعث ﴿الشَّالَيْنَ ﴾ عن الهدى ﴿فَنْزُلُ ﴾ وقد بيَّناه في هذه السورة [الراقة: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَلَاكُ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿لَمُنَّ حَتَّ الْلَكِينِ﴾ أي: هو اليقين حقاً، فأضافه إلى نفسه، كقولك: صلاة الأولى، وصلاة العصر، ومثله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا المعنى. وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقاً. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿ نَسَيِّحٌ بِأَسْدِ رَبِّكَ ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواتمة: ٧٤].

* *

سورة الحديب

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها مكية، قاله ابن السائب.

ينسد ألَّو الكنِّف النَّجَدِ

قوله تعالى: ﴿ سَبَّعَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أمّا تسبيح ما يعقل، فمعلوم، وتسبيح ما لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِجَدِيهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَنِّلُ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: هو السابق للأشياء ﴿وَٱلْآيَرُ﴾ الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَالنَّلُورُ﴾ بحججه الباهرة، وبراهينه النَّيْرة، وشواهده الدَّالة على صِحَّة وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدرته، وقد يكون الظهور بمعنى العلق، ويلبطون: هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهُّم الكيفية، وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكّرين، ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطّلع على ما بطن من الغيوب(١) ﴿هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَوْتِ وَالأَرْضَ) مفسر في [سبا: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُو مَمَّكُمُ أَيْنَ مَا كُنُمُ أَيْنَ مَا كَنُمُ مَا يَلِحُ فِي ٱلْآرَضِ ﴾ وهو مفسر في [سبا: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُو مَمَّكُمُ أَيْنَ مَا كُنُمُ أَيْنَ مَا لَحْطاب لَكُونُ وَيُسُولِهِ عَيْرهم، فأهلكهم الله، وأعطى قريشاً ذلك لكفار قريش ﴿وَأَنِفُوا مِمّا جَمَلَكُمُ شُسَتَخْلَفِينَ فِيدٍ عني: المال الذي كان بأيدي غيرهم، فأهلكهم الله، وأعطى قريشاً ذلك المال، فكانوا فيه خلفاء من مضى.

﴿ اَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَنفِقُوا مِمَّا جَمَلَكُم شَنَخْلَفِينَ فِيدٌ فَالَيْنَ مَاسُؤَا مِنكُو وَانْفَقُوا لِمُثَمَّ أَبْثُرٌ كِبَدُّ ۞ وَمَا لَكُو لَا لَوْمُونَ بِاللَّهِ وَالرَسُولُ بَدْعُوكُرُ لِلْوَمِنُوا بِرَتِكُو وَقَدْ أَنَذَ مِينَقَكُمْ إِن كُنُمُ ثُنْوِينِينَ ۞ هُوَ الَّذِي يُنَزِلُ عَلَى عَبْدِمِهِ مَايَنِ بَيْنَتِ لِيُخْرِمَكُمْ تِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

⁽۱) قال ابن كثير: وقد اختلفت عباراتُ المفسرين في هذه الآية وأقوالُهم على نحو من بضعة عشر قولاً، وقال البخاري: قال يحيى: (يريد به يحيى بن زياد الفراه صاحب المعاني القرآنه) الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً، اهد. وروى مسلم في الاسحيات ورب الأرض ورب العرش أبي صالح قال: كان أبر صالح يأمرنا إذا أراد أحد أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإتجيل والقرقان، أحوذ بك من شرّ كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الأخر فليس بعدك شيء، وأنت الأخر فليس نوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، قال: وكان (يعني أبا صالح) يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ا) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَثُوْ مَتَكُو أَبْنَ مَا كُشْتُم يَقُول: وهو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع، ﴿وَاللهُ بِعَا مُسَمُّونَ بَسِيرٌ﴾ يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ، وطاعة ومعصية، ذو بصر، وهو لها محص، لبجازي المحسن منكم بإحسانه، والسيئ بإساءته. اهد. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمُوْ مَمَكُو أَبْنَ مَا كُشْهُ وَاللهُ بِيرٌ﴾ أي رفيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت عليكم، شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال تعالى: ﴿إِلاّ إِنَهُمْ بِلْذُنْ صُدُورُدُو لِيَسْتَغْفِرا مِنْهُ أَلاّ حِينَ يَسْتَغْفُرا وَمُنْ اللهِ وَسَائِهُ وَاللهِ وَاللهِ عَلَى اللهُ كأنك تراه، قال لم تكن تراه فإنه براكه. اهد.

النُّوْدِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُو لَرَمُونٌ تَحِيمٌ ۞ وَمَا لَكُو اَلَا ثُنِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَو مِيرَثُ السَّمَوَتِ وَالاَرْضِ لَا يَسْنَوِى مِنكُم مَنْ أَلَفَقَ مِن فَبَلِ الْفَسْعِ وَقَلْنَلُّ أُولَئِهِكَ أَعْظُمُ دَرَجَهُ مِنَ الَّذِينَ أَلِفَقُوا مِنْ بَسْدُ وَقَسْتَلُواً وَكُلاَ وَعَدَ اللَّهُ لَلْسُنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ مَن ذَا الَّذِي يُقُرِضُ اللَّهُ وَمِنَا حَسَنَا فِيشَنْمِنْمُ لَمُ وَلَهُ أَخِرٌ كُرِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُرُ لَا نُوْمِئُونَ بِاللَّهِ ﴾ هذا استفهام إِنكار، والمعنى: أيَّ شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِينَقَكُرُ﴾؟ قرأ أبو عمرو «أُخذ» بالرفع. وقرأ الباقون «أخذ» بفتح الخاء ﴿مِيثَنَقَكُمُ ﴾ بالفتح. والمراد به: حين أخرجتم من ظهر آدم ﴿إِن كُنْـتُمُ مُؤْمِنِينَ ﴾ بالحجج والدلائل.

قوله تعالى: ﴿ ثَن ذَا الَّذِى يُقُرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُصَلِعِهُ لَهُ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر الفيضعَفَه مشددة بغير ألف، إلا أن ابن كثير يضم الفاء، وابن عامر يفتحها. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي الفيضاعفُه، بالألف وضم الفاء، وافقهم عاصم، إلا أنه فتح الفاء. قال أبو علي: يضاعف ويضعّف بمعنى واحد، إلا أن الرفع في ايضاعف هو الوجه، لأنه محمول على ايقرض». أو على الانقطاع من الأول، كأنه [قال:] فهو يضاعف. ويحمل قول الذي نصب على المعنى، لأنه إذا قال: من ذا الذي يُقرض اللّهَ، معناه: أيقرض اللّه أحدٌ قرضاً فيضاعفه. والآية مفسرة في [البقرة: على الكريم: الجنة (المناس).

﴿ وَيَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَتِ يَسْعَى فُوهُمْ بَيْنَ أَيْدِيمِ ۚ وَأِيْتَنِهِ بُشْرَيْكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ غَيْرِي مِن غَيْبًا الْأَنْهُوْ خَلِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْمُقَوَّةُ الْمُقَالُةُ اللّهَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَةُ لِلّهِ مَامُنُوا الشَّرُونَا نَشْيَشَ مِن فُرِيَّمُ قِيلَ ارْجِعُوا وَزَاتَكُمُ فَالْوَاسُوا فَوْلَ مَشْرِبَ يَيْهُمْ بِمُورٍ لَمُّ بَابُ بَالِمُعُمْ الْمُعَالِقُ مَنْ مَعْمُ قَالُوا بَلَقُ وَلِيكُمُ وَنَسْتُمُ أَنْفَيْكُمْ وَزَيْقَتُمْ وَقَرْقَتُمُ وَفَرَقِكُمُ الْأَمَانِ خَنَّى مَعْكُمْ فَالْوَا بَلَقَ وَلِكِنَاكُمْ وَنَسْتُكُمْ وَزَيْقَتُكُمُ وَمُواكِمُمْ الْمُعَالِقُ خَنَّى مُعَلِّمُ فَالْوَا بَلَقَ وَلِيكُكُو فَنَشْتُمُ أَنْفُونُ مِنْ اللّهَ وَلَا مُعْرَالِهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مُعْرَالُهُمْ اللّهُ اللّ

 ⁽١) أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، فلم يكن يؤمن حيننا إلا الصديقون، وأما بعد الفتح، فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل النام في دين الله أفواجاً، ولهذا قال تمالى: ﴿ أَوْلَتِكَ أَعْظُمُ دَرَيْهَ مِنَ الْفَيْوَا مِنْ بَعْدُ وَقَدْتُواْ وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْمُسْتَنَ ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا: صلح الحديبية.

⁽٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠٣ عن محمد بن قفيل بن غزوان عن الكلبي، والكلبي متّهم بالكذب، ورواه الواحدي بسنده عن ابن عمر، وفي سنده ضعف. وذكره ابن كثير وقال: هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه. اهـ. ولا شك عند أهل الإيمان أن الصدّيق أبا يكر الله العظ العظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتفاء وجه الله عني، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

⁽٣) قوله تعالى: ﴿ ثَنَ ذَا اللّذِي يُغْرِضُ اللّهَ فَرَصًا حَسَنًا ﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في صبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال. قال ابن كثير: والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثَن ذَا اللّذِي يُغْرِضُ اللّهُ مُرْصًا حَسَنًا فَيَسَادُونُ مُلْكِ وَلِهُ اللّهِ الأخرى: ﴿ أَسَانًا صَحَيْرُهُ ﴾ وله أجر كريم أي: جزاء جميل، ورزق باهر، وفي الجنة يوم القيامة. اهد. وقال الآلوسي: القرض الحسن: الإنفاق بالإعلاص، وتحري أكرم المال وأفضل الجهات قال: وذكر بعضهم أن القرض الحسن: ما يجمع عشر صفات: أن يكون من الحلال، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن يكون من أكرم ما يملكه المره، وأن يكون والمره صحيح شخيح يأمل العيش ويخشى الفقر، وأن يضعه في الأحوج الأولى، وأن يكتم ذلك، وألا ينبعه بالمن والأذى، وأن يقصد به وجه الله تعالى، وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر، وأن يكون من أحب أمواله إليه، وأن يتوخى في إيصاله للفقير ما هو أسر لديه من الوجوه كحمله إلى بيته، قال: ولا يخفى أنه يمكن الزيادة والنقص فيما ذكر. اهـ.

اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُودُ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يُؤخَذُ يَنكُمْ فِنْدَيَّةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَنكُمُ النَّازُّ هِيَ مَوْلَنكُمْ وَبِلْسَ السَّعِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَنَ نُرُدُمُ ﴾ قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم. قال ابن مسعود: منهم مَن نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفئ مرة، ويتَّقد أخرى. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَأْتَكَبِهِ ﴾ قولان: أحلهما: أنه كتبهم يعطّونها بأيمانهم، قاله الضحاك. والثاني: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: «في». و «في» بمعنى «عن»، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿ بُشْرَنِكُمُ ٱلْكِرْمَ ﴾ هذا قول الملائكة لهم .

قوله تعالى: ﴿ اَنْطُرُونَا نَقَيْسٌ ﴾ وقرأ حمزة: ﴿ أَنظِرونا ﴾ بقطع الهمزة ، وفتحها ، وكسر الظاء . قال المفسرون : يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ، فيعطى المؤمنون النور ، فيمشي المنافقون في نور المؤمنون ، قإذا سبقهم المؤمنون قالوا : انظرونا نقتبس من نوركم ﴿ قِلَ الرَّحِمُ الرَّيَةُ مُ في القائل قولان : أحدهما : أنهم المؤمنون ، قاله ابن عباس . والثاني : الملائكة ، قاله مقاتل . وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال : أحدها : ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور ، فيرجعون ، فلا الملائكة ، والثاني : ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله لكم نوراً . والثالث : أن المعنى : لا نور لكم عندنا . ﴿ فَشُرِبُ بَيْتُهُم لِمُورِ ﴾ قال ابن عباس : هو الأعراف ، وهو سُورٌ بين الجنة والنار ﴿ الله أن هذا السور يكون ببيت المقدس في مكان السور وراء السور ﴿ يَن فِيَلِهِ النَّمَ الله وم جهنم . وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون ببيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى : وادي جهنم ، وبين الباب الذي يسمى : باب الرحمة ، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو ، وكعب () .

قوله تعالى: ﴿ مِن تَرْلُنكُمْ ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم.

﴿ ﴿ أَنْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ مَامَنُوٓا أَن فَضَتَعَ فَلُومُهُمْ لِذِكِ لِللَّهِ وَمَا زَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُونُوا الْكِنَبَ مِن فَبَالُ مَلَيْلًا عَلَيْهُمُ الْفَالِمُ عَلَيْهُمُ الْفَاسِمُ الْفَاسُوّا أَنَّ اللَّهُ يُمِّي الْلَازَضَ بَعْدَ مَوْيَهُا فَذَ يَبَنَا لَكُمُ الْآيَنَٰتِ لَمَلَكُمْ نَمْفِلُونَ ۖ ﴾ الْفَلْمُونُ اللَّهُ عَلَيْ الْفَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهُا فَذَ يَبَنَا لَكُمُ الْآيَنَٰتِ لَمَلْكُمْ نَمْفِلُونَ ۗ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين أن فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس (٣). قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا:

⁽١) قال ابن كثير: وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى، ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بـ دوادي جهنمه فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين، قال: وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلاته وترهاته، وإنما المراد بذلك: سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة. اهـ.

⁽٢) رواه مسلم في اصحيحه؛ ٢٣١٩/٤ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه، وذكره السيوطي في اللدر، ٦/ ١٧٥ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

⁽٣) هذا غير صحيح، لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

حدِّثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية (١٠). وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حَثُوا على الرُّقَة والخشوع. فأما من كان وصفه الله ﷺ بالخشوع، والرُّقَّة، فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء. فعلى الأول: يكون الإيمان حقيقة. وعلى الثاني: يكون المعنى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ بالسنتهم. قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحن، تقول: أنى الشيء: إذا حان.

قوله تعالى: ﴿أَن تَغْتَعُ مُلُوبُهُمْ ﴾ أي: تَرِقَ وتلين لذكر الله(٣). المعنى: أنه يجب أن يورثهم الذُكر خشوعاً ﴿وَمَا زَلَ مِع مِن المُؤَيِّ وَرا ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (وما نزَّل) بفتح النون، والزاي، مع تشديد الزاي. وقرأ أنوع، وحفص، والمفضل عن عاصم (نزل) بفتح النون، وتخفيف الزاي. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم (نزَّل) برفع النون، وكسر الزاي، مع تشديدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء (وما أنزل) بهمزة مفتوحة، وفتح الزاي. وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهمزة، وكسر الزاي. و (الحق، القرآن، ﴿وَلَا يَكُونُوا ﴾ قرأ رويس عن يعقوب (لا تكونوا الماتاء والمعنى: أنه بَعُد عهدهم بالأنبياء والصالحين ﴿مُقَتَى عُلُوبُمُ وَكِيْرٌ مِنْهُمْ فَنِيقُونَ ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا بعيسى ومحمد ﷺ (١) ﴿ وَمَا لَمُن الله على وحدانيته وقدرته ﴿ مَنها النبات بعد يبسها، فكذلك يقدر على إحياء الأموات (١) ﴿ وَمَا بَلُول الله الله على وحدانيته وقدرته ﴿ وَلَدُكُمُ تَمْوَلُونَ ﴾ أي ذلك يتأملوا.

﴿ إِنَّ النُّمُمَّدِيْنِ وَالنَّمُمِّدِيْنِ وَأَمْرَمُوا اللَّهَ مَرْمَتُنَا حَسَنًا بُعَنَدَعُتُ لَهُمْ وَلَهُمْرَ أَجْرٌ كَرِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ مَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِمِهِ أُولَتِهِكَ هُمُ الشِّدِيشُونُ وَالنُّهُمَالُهُ عِنْدُ الْمُحْمِدِ ۞﴾ الشِّدِيشُونٌ وَالنَّهِكَ أَمْمَنُ لَلْمُوا وَكَذُّوا وَكَذُّوا وَكَذُّوا بِعَايَدِينَا أُولَتِهِكَ أَمْمَنُ لَلْمَحِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ النُّصَّلِقِينَ وَالنَّمَ لِنَتِهِ قرأ ابن كثير، وعاصم إلا حفصاً بتخفيف الصاد فيهما على معنى التصديق وقرأ الباقون، بالتشديد على معنى الصدقة (٥).

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ مُمُ الصِّدِيثُونُ وَالشُّهَلَهُ عِندَ رَبِّهِم ﴾ اختلفوا في نظم الآية على قولين: أحدهما: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿ وَالنَّهَالَهُ عِندَ رَبِّهِم ﴾ هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها. والواو في « والشهداء» واو النسق. ثم في معناها قولان: أحدهما: أن كل مؤمن صِدِّيق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر سبقوا إلى

⁽١) ذكره الواحدي في فأسباب النزول؛ ٣٣ عن الكلبي ومقاتل بغير سند، وكذلك ذكره البغوي، والصحيح الأول كما جاء في اصحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود.

⁽٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله والموطقة وسماع القرآن فتفهم وتنقاد له وتسمع له وتطيعه. اهد. وقال الآلوسي: المعنى: ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارُعوا إلى الطاعة على أكمل وجوهها ١٩ اهد.

⁽٣) قال ابن كثير: نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لمّا تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. اهـ.

⁽٤) قال ابن كثير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتّان الرابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فقال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، القطيف الخبير الكبير المتعال. اهـ.

⁽ه) قال ابن جرير الطبري: قرآته عامة قراء الأمصار خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال، بمعنى: إن المتصدقين والمتصدقات، قال: ثم تدغم التاء في الصاد فتجعلها صاداً مشددة، كما قبل: ﴿ يَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ ا

الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد. والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.

﴿ آَمَلُمُوٓا أَنَمَا لَلْمَيْوَةُ الدُّنِيَا لَيْتُ وَلَمُوَّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُّ بِيَنكُمْ وَثَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَلِ وَالأَوْلَيْرِ كَمْشَلِ خَيْنٍ أَغِبَ الكُمْنَارَ بَالْلُمْ ثُمْ بَيِيجُ فَنَرَيْهُ مُصْفَرًا ثُمَّ بَكُونُ حُمَلِمُنَّا وَفِي الْاَخِرَةِ عَدَابٌ شَكِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ قِنَ اللّهِ وَرَشُونَ أَوَاللّهُ وَمَا لَلْمِيْوَ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهِ بُوْنِيهِ مَن بَشَآةً وَاللّهُ ذُو مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا كَمَرْضِ السَّمَلَةِ وَالأَرْضِ أُعِلَتْ لِلّذِيرَ الشَّوْلِ إِللّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ بُوْنِيهِ مَن بَشَآةً وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ الْمَظِيمِ ﴿ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَمْلَنُوا أَنَّا لَلْيَوْ الدُّيّا ﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿ لَيَتُ وَلَهُوّ ﴾ أي: غرور ينقضي عن قليل. وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزين الدنيا، ويفاخر قرناءه وجيرانه، ويكاثرهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حلّه، ويتطاول على أولياء الله بماله، وخدمه، وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شبها، فقال: ﴿ كَنَالِ غَيْنِ ﴾ يعني: مطراً ﴿ أَغِبَ الكُفَارَ ﴾ وهم الزُّرًاع، وسموا كفاراً، لأن الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره، أي: غطاه. ﴿ بَنَاتُهُ ﴾ أي: ييبس ﴿ فَتَرَنَاهُ مُشَمَّكُ ﴾ بعد خضرته وَريّه ﴿ ثُمَّ بَكُونُ حُلَنَا ﴾ (آية: عنالى: ﴿ إِنَّمَا مَثُلُ الْحَيَوْةِ الدُّيّا ﴾ (آية: في الكهف عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثُلُ الْحَيَوْةِ الدُّيّا ﴾ (آية: في الكهف عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثُلُ الْحَيَوْةِ الدُّيّا ﴾ (آية: في الكهف عند قوله تعالى: ﴿ وَالْمَرِ مُنْ مُثَلُ الْمُثُلِقَ الدُّيّا ﴾ (آية: في الكهف عند قوله تعالى: ﴿ وَاللّه عالى عند قوله تعالى عند قوله عالى عند قوله تعالى عند قوله عند عند قوله عند قوله عند قوله عند قوله عند قو

قوله تعالى: ﴿ وَفِي آثَانِهُ مَذَابٌ شَكِيدٌ ﴾ أي: لأعداء الله ﴿ وَمَغْفِرَةٌ قِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاتًا ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في إلى ممران: ١٨٥] إلى قوله: ﴿ وَلِكَ فَشَلُ اللَّهِ ﴾ فبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله (٢٠).

﴿ تَا أَمَابَ مِن مُسِبَنَةِ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى آننُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَنبِ مِن فَبْلِ أَن نَبْرَأَهَأَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَسِيرٌ ﴿ لِكَبْلَا تَأْسَوا عَلَى مَا قَاتَكُمْ وَلَا نَشْرَعُوا بِمَا ءَانَنَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ كُلَّ مُشْتَالِ فَخُورٍ ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُهُنَ النَّاسَ بِالْبُمْثُلُ وَمَن يَتُولُ عَلْى مُثَنَالِ فَخُورٍ ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُهُنَ النَّاسَ بِالْبُمْثُلُ وَمَن يَتُولُ فَمِن اللَّهِ مُو النَّذِينُ الْمُتَلِيدُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا أَمَانَ مِن مُّمِيبَةٍ فِي الأَرْضِ عِني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي اَنْسَيكُمُ مِن الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلّا فِي كِنَ ﴾ وهو اللوح المحفوظ. ﴿يَن فَيْلِ أَن نَبْرَأُمَا ﴾ أن نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ عَلَى كثرته هين على الله على الله على الله على الله على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ من الدنيا ﴿وَلَا نَفْرَهُوا بِمَا النكِمُ وقرأ أبو عمرو _ إلا اختيار اليزيدي _ بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقون بالمدّ على معنى: أعطاكم الله منها. وأعلم أنه من علم أن ما قضي لا بدّ أن يصيبه قلّ حُزنه وفرحه. وقد روى قتيبة بن سعيد قال: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا بفضاء من الأرض فيه من الإبل ما لا يحصى عدده، كلّها قد مات، فسألت عجوزاً: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تلّ يغزل الصوف، فقلت له: يا شيخ ألك كانت

⁽۱) قال ابن كثير: هكذا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكنهل، ثم تكون عجوزاً شوهاه، قال: والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه فضاً طرياً، لين الأعطاف بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء البسير، كما قال تعالى: ﴿ ﴿ اللّهُ اللّهِى خَلْقَكُمْ مِن ضَقَعْ ثُمٌّ جَمَلَ مِنْ بَشَوْ مُؤَوَّ ثُمَّ جَمَلَ مِنْ بَشَو مُوَا ثُورُ مُنَدِّ اللّهُ عَلَى أَوَال اللّه الله الله الله الله على زوال اللنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حدَّر من أمرها، ورغب فيما من الخير فقال: ﴿ وَإِن الْأَخِرَةُ مَلَكُمْ شَرِيدٌ وَرَخْوَنُ مُنَا لَلْكُمْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّه الله الله الله ورغوان، ﴿ وَمَا اللّهُ اللّهُ الله والله والله والله والله بالنبة إلى الدار الآخرة. اهـ.

⁽٢) وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ نيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: قلن يدخل أحداً منكم صمله الجنة، قالوا : ولا أنت يا رسول الله، قال: قولا أنا إلا أن يتفمدني الله منه يقضل ورحمة، منفق عليه واللفظ لمسلم.

هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لا والله أنَّ الله عَبْدُ في عِبْدَادَتِهِ والمَرْءُ في الدَّهُ ونصبَ الرُّزْءِ والحَرَّنِ ما سَرَّني أَنَّ السلي في مَبَارِكِها وما جرى في قَنضَا رَبُّ الوَرَى يَكُنِ

وما بعد هذا قد ذكرناه في سورة [النساء: ٢٧] والذي قيل في البخل هناك هو الذي قيل هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلُّهُ أَي: عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَيْءُ عن عباده ﴿ ٱلْحَكِيلُـ ﴾ إلى أوليائه. وقد سبق معنى الاسمين في [البقرة: ٢٦٧] وقرأ نافع وابن عامر «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، والشام.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ۚ بِٱلْبَيِّنَدَ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِنْبَ وَٱلْبِيزَانَ ۚ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْفِسْطِ وَٱزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْشُ شَدِيدٌ وَمَنَكَفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَصُرُمُ وَرُسُلَمُ بِٱلْفَيْبُ إِنَّ ٱللَّهَ فَوِئُ عَزِيزٌ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَقَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَتِ ﴾ أي: بالآيات والحجج ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِنَبَ ﴾ ببيان الشرائع، والأحكام. وفي "الميزان، قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل. فعلى القول الأول: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان، أي أمرنا به ﴿ لِيُقُومُ النَّاسُ بِٱلْقِسْلِ ﴾ أي: لكي يقوموا بالعدل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَلْمَدِيدَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان، والكلبتين، والمطرقة، قاله ابن عباس. والثاني: أن معنى «أنزلنا»: أنشأنا وخلقنا، كقوله تعالى: ﴿وَلَزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْأَنْصَابِ قَمَنِيَةَ أَزْفَاجِ﴾ [الزمر: ٦]

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ بَأَشُّ شَدِيدٌ﴾ قال الزجاج: وذلك أنه يُمتنَع به، ويُحارَب به ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ في أدواتهم، وما يتفعون به من آنية وغيرها(١٠).

قوله تعالى ﴿ وَلِيَمْلَمُ اللّهُ ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿ لِيَقُومُ النَّاسُ ﴾، والمعنى: ليتعامل الناس بالعدل وليعلم الله ﴿ مَن يَنْمُرُهُ } بالقتال في سبيله ونصرة دينه، وذلك أنه أمر في الكتاب الذي أنول بذلك. وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِيمُلُمُ اللّهُ ﴾ في مواضع. وقوله تعالى: ﴿ وَإِلْفَيْبِ ﴾ أي: ولم يرَ اللّه، ولا أحكام الآخرة، وإنما يجهد ويثاب من أطاع بالنيب.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فُوحًا وَإِبْرُهِمَ وَجَمَلْنَا فِى ذُرِيَّتِهِمَا الشَّبُوَّةَ وَالْكِتَنِّ فَيَنْهُم مُّهَنَّلًا وَكَثِيْرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ ۞ ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَىَّ مَاكُوهِم بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا بِعِيسَى آنِ مَرْهَمَ وَمَالَيْنَهُ ٱلْإِنِجِيدِلُّ وَجَمَلْنَا فِى قُلُوبِ اللَّهِنَ ٱلْبَعْوُهُ وَأَفَدُ وَرَحْمَةُ وَرَهْبَائِغُ ٱلْبَنَاعُوهَا مَا كَتَبْهُمُ عَلَيْهِمْ أَجْرَهُمُّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ ۞﴾ كَتَبْنَهَا عَلَيْهِمْ أَجْرَهُمُّ وَكِيْرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ ۞﴾

قُولهُ تَعالَى: ﴿ وَجَمَلَنَا فِي ذُرُيَّتِهِمَا ٱلنَّبُوَّةَ وَٱلْكِنَبُّ ۚ يعني: الكتب ﴿ فَيَنْهُم ﴾ يعني: من الذرية ﴿ مُهْتَلِّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمُ فَسِقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس. والثاني: عاصون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمُّ قَلَيْنَا عَلَىٰ ءَالنَّرِهِمِ﴾ أي: أَتَبَعْنا على آثار نوح، وإبراهيم، وذريتهما ﴿يبِيسَ﴾ وكان آخر أنبياء بني إسرائيل، ﴿وَجَمَلْنَا فِي قُلُوبِ النَّيِزِ ٱلنَّيِورُ﴾ يعني: الحواريين وغيرهم من أتباعه على دينه ﴿رَأَنَهُ ﴾ وقد سبق بيانها االنود: ٢] متوادّين، كما وصف الله تعالى أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿رُكُمَّاهُ يَنْتُهُمُّ ۖ الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةُ آبْنَكُوهَا﴾ ليس هذا معطوفاً على ما قبله، وإنما انتصب بفعل مضمر، يدل عليه ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، أي: جاؤوا بها من قِبل أنفسهم، وهي غلوَّهم في العبادة، وحمل المشاق على

⁽۱) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْلَنَا لَلْكِيدَ نِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، قال: ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودالالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. قال: ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَعْ بَأَنْ شَكِيدٌ ﴾ يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع وضعوها ﴿ وَيَنْفِعُ لِلنَابِي ﴾ أي في معايشهم، كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والألات التي يستعان بها في الحراثة والعيامة والطبخ والخيز وها لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك. اهـ.

أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبّد في الجبال (مَا كَبَنَهَا عَلَيْهِمَ اي: ما فرضناها عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿إِلّا آبِيْفَاةَ رِضُونِ اللهِ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها»، وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرماني عن قتادة، وزيد بن أسلم. والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: «ما كتبناها». ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعاً إلا ابتغاء رضوان الله. قال الحسن: تطوعوا بابتداعها ثم كتبها الله عليهم. وقال الزجاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه، لزمه أن يتمه (۱). قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذره ويوجبه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقتضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولاً، أو فعلاً، فعليه رعايتها وإتمامها. والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله عليه، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ما رَعَوْها لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي. والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم. والثالث: لكفرهم برسول الله الله يُحث، ذكر القولين الزجاج. والثاني: أنهم الذين لتعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رَعوها بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَكَانَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمُ أَجَرَهُمِّ ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿ وَكِيْرٌ مِنْهُمْ فَنِيهُمْ فَنِيهُمْ فَنِيهُمْ الله وَمنوا به. والثالث: أن فنيقُوبَ ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به. والثاني: أن الذين آمنوا: المومنون بعيسى، والفاسقون: المشركون. والثالث: أن الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَـنُوا التَّهَ وَمَامِنُوا مِيسُولِهِ. يُؤْدِكُمُ كِلْلَيْنِ مِن تَحْمَدِهِ. وَيَعْمَلُ لَكُمْ فُولًا تَسْشُرِنَ بِهِ. وَيَغْفِرْ لَكُمُّ وَاللَّهُ غَفُولٌ تَحِيمٌ ۞ لِثَلًا يَسَلَرَ أَمْلُ الْكِئْبِ أَلَّا يَنْدِرُونَ عَلَ ثَنْهِ مِن نَشْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَشْلِ بِيدِ اللّهِ يُؤْنِيدٍ مَن يَشَلُخُ وَاللّهُ ذُو الْفَشْلِ الْسَظِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا اللَّذِينَ مَاسَنُواْ اَنَّقُواْ اللَّهَ وَمَامِنُواْ بِرَسُولِهِ عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. والمعنى: يا أيها اللين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد على ﴿يُؤْتِكُمْ كِثَايِّنِ ﴾ أي: نصيبين، وحظين ﴿مِنْ رَحْمَيهِ ﴾ قال الزجاح: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي. وقد بينا معنى «الكفل» في سورة النساء: ١٥٥ وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان: أحدهما: لإيمانهم بمن تقدّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمد على قاله ابن عباس. والثاني: أن: أحدهما: أجر الدنيا، والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْمَلُ لَكُمُ نُورًا﴾ فيه أربعة أقوال: أجدها: القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: نوراً تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الهدى، قاله مجاهد. والرابع: الإيمان، قاله ابن السائب.

⁽١) وهو مذهب الحنفية والمالكية، وأما عند الشافعية فلم يوجبوا الإتمام، ففي «المجموع» ٣٩/٦٣: قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: فإذا دخل في صوم تطوع أو صلاة تطوع، استحب له إتمامهما، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِبَيْلِوَا أَصَالَحُونِ مِن خلاف العلماء، فإن خرج منهما بعلر أو بغير عذر، لم يحرم عليه ذلك، ولا قضاء عليه، لكن يكره الخروج منهما بلا علر، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَلِمَنْكُمُ ﴾ هذا هو المذهب.

 ⁽٢) جاء في انفسير القاسمي، ٥٦٩٨/١٦ (فَمَا رَعَرَهَا مَنَ رِعَائِتِهَا﴾ أي: ما قاموا بما التزموه منها حق القيام من التزهد والتخلّي للعبادة وعلم الكتاب، بل
 اتخلوها آلة للترؤس والسؤدد وإخضاع الشعب الأهوائهم.

⁽٣) حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين، كما في الآية التي في (القصص)، وكما في حديث الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: قالاته يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وأمن بي فله أجران، وجد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أذب أمة فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران، ووافق ابن عباس على هلما التفسير الضحاك وعنة ابن أبي حكيم وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة وكانيًا اللهيم استفرا أنتها الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة وكانيًا اللهيم المنظور المعلم على يتبصر به من العمى والجهالة، ﴿وَيَتِيْرُ لَحْرُ ﴾ و فقضلهم بالنور والمعفرة.

قوله تعالى: ﴿ لِنَكُرُ يَسَلَهُ وَلا وَالدة. قال الفراء: والعرب تجعل ولا صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد، فهذا مما جُعل في آخره جحد، والمعنى: ليعلم ﴿ أَهْلِ الْكِنْبِ اللّذِن لم يؤمنوا بمحمد ﴿ اللّا يَقْدِرُون ﴾ أي: أنهم لا يقدرون ﴿ عَلَى شَيْءٍ مِن فَشْلِ اللّهِ ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿ وَأَنَّ اَلْفَشْلَ بِيدِ اللّهِ يُوتِيدِ مَن يَشَاهُ ﴾ فآتاه المؤمنين. هذا تلخيص قول الجمهور في المتن الآيتين. وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مُسلمة أهل الكتاب ﴿ الّذِينَ النّيسَمُ الْكِنَبُ مِن هَلِيدِ هُم بِيد يُؤمِنُونَ ﴿ المنصلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين ويكون المعنى: وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. فعلى هذا يكون المخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي خصَّكم، فإنه فضَّلكم على جميع الخلائق. وقال قتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّ اللّذِينَ عَامَدُوا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهِ عَلَى الْمَالِي الْمَالمين عليها، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِنَاكُمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

سورة المجادلة

ينسد ألَّهِ أَلَكُنِ الْيَعَدِ

﴿ فَدَ سَمِعَ اللَّهُ قُولَ الَّتِي تُجُكِلُكَ فِي زُوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ بَسْتُمُ تَمَاوُرُكُمّا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞

قوله تعالى: ﴿ وَدَ سَهِ اللّهُ قَلُ الّنِي بُحُرِكُ فِي رَفِيها ﴾ أما سبب نزولها، فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلّمتْ رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى عليً بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرتُ له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات (١٠). فأما تفسيرها، فقوله تعالى: ﴿ وَدَ سَيْمَ اللّه إِنِي أَشْكُ قال الزجاج: إدغام الدال في السين حسن لقرب المخرجين، لأنهما من حروف طرف اللسان، وإظهار الدال جائز، لأنه وإن قرب من مخرج السين، فله حيّز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصفير. وفي اسم هذه المجادلة واستها أربعة أقوال: أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي. والنائي: خوله بنت خويلد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثائي: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي، حُرُمَتْ عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، كم ندم، وقال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي، حُرُمَتْ عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، فإنه كان كلًما قال لها: قد حرمتِ عليه، تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحي إليّ في هذا شيء، فجعلت تشتكي فإنه كان كلًما قال لها: قد حرمتِ عليه، تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحي إليّ في هذا شيء، فجعلت تشتكي ضاءوا، وإن ضممتهم إليه جاءوا. فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عشرة في فرسه:

لوكان يندري ما المُحاورةُ اشتكى ولكان لو عَلِم الكلامَ مُكلِّمي ("")

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُطَاهِرُونَ مِنكُمْ مِن لِسَآنِهِم ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ايظُهَّرون، بفتح الياء، وتشديد

 ⁽۱) رواه الواحدي في (أسباب النزول؛ ٣٠٤، و(الطبري؛ ٢٨/ ٢٠٥، والحاكم في (المستدرك؛ ٢/ ٨١) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه في (سننه) رواه الواحدي في (المستدرك؛ ٢/ ٢٨) وصنده صحيح، والبيهقي في (سننه) (/ ٣٨٢.

⁽y) رواه البيهقي في اسنته ٧/ ٣٨٣ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سنده أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في االتقريب. والخبر ذكره السيوطي في االدر، ١٧٩/٦ وزاد نسبته للنحاس، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس.

 ⁽٣) هو من معلقته المشهورة. وفي اشرح القصائد السبع، لابن الأنباري: أو كان لو علم الكلام مكلمي. وفي امختار الشعر الجاهلي، ٣٧٩/١ أو كان يدري ما جواب تكلّمي.

الظاء والهاء وفتحهما من غير ألف. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتح الياء، وتشديد المظاء، وبألف، وتخفيف الظاء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع وبألف، وتخفيف الألف. وقرأ ابن مسعود فيتظاهرون، بياء، وتاء، وألف. وقرأ أبي بن كعب فيتظهّرون، بياء، وتاء، وتعفيف اللاء، وتشديد الهاء من غير ألف. وقرأ الحسن، وقتادة، والضحاك فيظهرون، بفتح الباء، وفتح الظاء، مخففة، الماء، وتشديد الهاء مشددة. والمعنى: تقولون لهن: أنتن كظهور أمهاتنا. ﴿ مَنَا مُنَى أَمَهَيْهِ فَوا الأكثرون بكسر التاء. ووى المفضل عن عاصم رفعها. والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم ﴿ إِنْ أَمْهَيُهُ فَي بأمهاتهم، ومثله: ﴿ لَا الله والمعنى: ما هذا ببشر، قلما ألقيت الباء، وهي قراءة عبد الله قما مُنَّ بأمهاتهم، ومثله: ﴿ لَا مَنَا المواء: وانتصاب قالأمهات، هاهنا بإلقاء الباء، وهي قراءة عبد الله قما مُنَّ بأمهاتهم، ومثله: وكنا مَنْ أهل أهل نجد، فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: قما هن أمهاتُهم، وقما هذا بشر، أنشدني بعض العرب: وكابُ حُسسَيْ لِ آخِر السَّمْ فِي بُدَنًا وَلَا أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مَنَا أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مَنَا أَنْ تَعْرُو مَنَا أَنْ تَعْرُو مَنَا يُسَعِلُ لَهَا أَنْ فَلَا أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مِنْ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مِنْ أَنْ أَنْ يَكُولُ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مَنَا أَنْ قَسَرْعُ فَسُوهِ مَنَا أَنْ تَعْرُو مِنَا أَنْ تَعْرُو مَنَا أَنْ تَعْرُو مَنَا أَنْ قَنْ يُعْلَلُ لَهُ الله وَلَا أَنْ الله وَعَلَا أَنْ قَسَرْعُ فَسُوهُ مَنْ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مَنَا أَنْ تَعْرُو مَنْ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهِ مَنْ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهُ وَمِنَا أَنْ تَعْرُونَ وَمَنَا أَنْ فَسُوهُ وَمِنَا وَلَوْ الله وَمِنْ أَنْ فَسَرْعُ فَسُوهُ وَمِنَا أَنْ فَسَرُعُ فَسُوهُ وَمِنَا أَنْ مَنْ فَالْمُهُمُ وَ قَمْ المَنْ المُعْرَاقِ أَنْ فَسُوعُ فَسُوهُ وَمُنْ أَنْ فَا أَنْ فَالْمُوا وَلُوا الله وَمُنْ أَنْ فَا أَنْ الله وَلَا أَنْ فَا أَنْ فَا أَنْ الله وَلَا أَنْ فَالْمُوا أَنْ فَا أَنْهُمُ وَالْمُوا أَنْ فَا فَا أَنْ فَا فَا فَا أَنْ فَا فَا أَنْ فَا فَا أَنْ الْمُوا أُنْ فَا فَا أَنْ الْمُوا أَنْ فَا

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمُ ﴾ يعني: المظاهرين ﴿ لِتَقُولُونَ شُنكِّرُا يِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرمات على التأبيد، بخلاف الزوجات، ﴿ وَرُورًا ﴾ أي: كذباً ﴿ وَإِنَ ٱللَّهَ لَمَنُورٌ ﴾ إذ شرع الكفارة لذلك(٢٠).

قوله تعالى: ﴿ثُمْ بَوْدُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اللام في «لما» بمعنى «إلى» والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرَّموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء. قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا. وقال سعيد بن جبير: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرَّموه على أنفسهم. وقال الحسن، وطاووس، والزهري: المود: هو الوطء. وهذا يرجع إلى ما قلناه. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة، لأنه قصد بالظهار تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأ به، فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة. وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانياً، لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿يَوْرُونَ﴾ يدل على تكرير اللفظ. قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة. وقال أبو على الفارسي: ليس في هذا كما ادَّعُوا، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معاداً، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليه. قال الهذلي:

وعَادَ الفَتَى كالكَهُلِ لَيْسَ بِفَائِلٍ لَيْسَ بِفَائِلٍ العَواذِلُ (٣)

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى اللّهِ تُرْبَعُ الْأَمُونُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] قال ابن قتيبة: من توهّم أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء، لأن الناس قد أجمعوا أن الظهار يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلّقون بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكم عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَهِرُونَ مِن نِنَآ إِبّم ﴾ يريد في الجاهلية ﴿ مُ يُمودُونَ لِنَا قَالُوا ﴾ في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام (٤٠)، ﴿ وَتَرَبّرُ رَقِبة، أي: عتقها. وهل

إ) أنشد البيتين صاحب الإنصاف في مسائل الخلاف؟ ٦٩٤ ولم يعزهما لقائل، والشاهد في قوله: «وما أنت فرع يا حُسَيْل ولا أصل؛ فإنه أهمل «ما» النافية فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر، وإهمالها لغة تميم، وإعمالها لغة الحجاز.

⁽y) قال ابن كثير: أصل الظهار: مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

⁽٣) في الأصلين: كالطفل، وهو خطأ، وقائل البيت أبو خراش خويلد بح مرة الهذلي، وهو في «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٣٢٦، و«ديوان الهذليين» ٢/ ١٦٣، و«التحامل» ٢٦٧/١، و«مشكل القرآن» ١١٦، و«شرح الحماسة» لامرزوقي ١٢٧/١ من أبيات جياد في رئاء صديق له. وفي «ديوان الهذليين» يقول: رجع الفتى عما كان عليه من قوته. وصار كأنه كهل. قوله. فاستراح المعواذل، لأنهن لا يجدن ما يمذلن فيه سوى المدل، أي: سوى الحق.

⁽٤) قال ابن كثير: اختلف السلف والأثمة في المراد بقوله تعالى: ﴿ يُمْ بَسُونُونَ لِمَا عَالَوا ﴾ فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكوره، =

يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان^(١١).

قوله تعالى: ﴿ مَن تَبُلِ أَن يَتَمَاّشَأَ ﴾ وهو: كناية عن الجماع على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان. وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية •والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم».

فصل

إذا وطئ المظَاهِرُ قبل أن يكفِّر أثِمَ، واستقرَّت الكفارة. وقال أبو حنيفة: يسقط الظهار والكفارة. واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاووس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه كفارة واحدة، وقال الزهري، وقتادة في آخرين: عليه كفارتان. فإن قال: أنت علي كظهر أمي اليوم، بطل الظهار بمضيّ اليوم، هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي. وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبداً.

واختلفوا في الظهار من الأمة، فقال ابن عباس: ليس من أمة ظهار، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال سعيد بن جبير، وطاووس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار. ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهراً من أمته، ولكن تلزمه كفارة الظهار، كما قال في المرأة إذا ظاهرت من زوجها لم تكن مظاهرة، وتلزمها كفارة الظهار.

واحتلفوا فيمن ظاهر مراراً، فقال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات، وإن كان في مجلس واحد، فكفارة. قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس، أو في مجالس، ما لم يكفّر، وهذا قول مالك.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُو تُوعَظُونَ بِدِ ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به. والمعنى: أن غِلَظَ الكفارة وَعُظُّ لكم حتى تتركوا الظهار.

قوله تعالى: ﴿ فَنَ لَمْ يَمِدَ ﴾ يعني: الرقبة ﴿ فَصِيامُ شَهْرَتِنِ ﴾ أي: فعليه صيام شهرين ﴿ مُتَنَامِتَنِ مِن فَبِّلِ أَن يَتَمَاتَنَا فَنَن لَمْ يَسَكِناً فَنَن اللهِ عَلَى اللهِ وَمَعْلِهِ اللهِ وَمَعْلِهِ ﴾ أي: الفرض ذلك الذي وصفنا ﴿ لِتُتَوْمِنُوا بِاللّهِ وَيَسُولِهِ ﴾ أي: الفرض ذلك الذي وصفنا ﴿ لِتُتَوْمِنُوا بِاللّهِ وَيَسُولِهِ ﴾ أي: تصدّقوا بأنَّ الله أمر بذلك وتصدّقوا بما أتى به الرسولُ ﴿ وَتِلْكَ حُدُوهُ اللّهِ عني: ما وصفه الله من الكفّارات في الظّهار ﴿ وَلِلْكَ عَدُوهُ اللّهِ ﴾ يعني: ما وصفه الله من الكفّارات في الظّهار ﴿ وَلِلْكَ عَدُوهُ وَلِلْكَ عَدُوهُ اللّهِ هِ اللهِ عنهِ اللهِ عنهِ اللهُ عنه الكفّارات في الظّهار ﴿ وَلِلْكَ عَدُوهُ اللّهِ عنهِ اللهِ عنهِ اللهُ عنه اللهُ ال

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَاذُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قد ذكرنا معنى المحادَّة في [التربة: ٦٣] ومعنى (كُبتوا) في [آل عمران: ١٢٧]

وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقول داود. حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفّر بهذه الكفارة، وقد حكي عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإمساك، وعنه: أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد. وقال ابن لهيعة: حدثني عطاه عن سعيد بن جبير ﴿ المُحَلِي المُعَلَقُ المُعْرِينُ اللهِ على المُحسن البصري: يعني الغياد، في الفرع، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفّر.

⁽١) قال ابن كثير: هاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاهنا على ما قيد هناك، لاتحاد الموجب، وهو عتن الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله عليه قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في «مسنده» ومسلم في «صحيحه».

عند قوله تعالى: ﴿ أَذْ يَكِمْ تَهُم ﴾. وقال ابن عباس: أُخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أُخزي الذين من قبلهم ممن قاتل الرسل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبَعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعًا﴾ أي: من قبورهم ﴿فَيُنَتِّتُهُم بِمَا عَبِلُواً﴾ من معاصبه، وتضييع فرائضه. ﴿أَخْصَنْهُ اللّهُ﴾ أي: حفظه الله عليهم ﴿وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السِّر والعلانية ﴿شَهِيدُ﴾. ﴿أَلَمْ تَـرَ﴾ أي: ألم تعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَجْرَىٰ ثَلَنَاؤَ﴾ وقرأ أبو جعفر الما تكونَ بالتاء. قال ابن قتيبة: النجوى: السرار. وقال الزجاج: ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً، ويتناجَوْن به ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمُ﴾ أي: عالم به. و النجوى، مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع. وقرأ يعقوب اولا أكثرُ، بالرفع. وقال الضحاك: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمُۥ﴾ أي: علمه معهم.

﴿ اللهُ نَرَ إِلَى الَذِينَ نَهُوا عَنِ النَّجَوَىٰ ثُمَّ يَمُودُونَ لِنَا نُهُوا عَنْهُ وَيَشْتَجَوْنَ بِالْإِشْرِ وَالْمُنْوَنِ وَمَعْصِيْتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاهُوكَ حَقُوكَ بِمَا لَا جُمُّاتُ مِنَا لَمُ جُمَّتُمُ مِسْلَوَنَهُمْ جَهَمَّمُ بَصْلَوْنَهُمْ عَبَهُمْ جَهَمَّمُ بَصْلَوْنَهُمْ عَبَهُمْ عَبَالُهُمْ عَلَيْتُهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُونَ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُونُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلِيهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلِيهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلِيهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلْهُ عَلَيْهُمُ عُلِكُمُ عَلَيْمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَ

قوله تعالى: ﴿ آلَمْ تَرُ إِلَى اللَّذِينَ أَبُوا عَنِ النَّجُوى ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجُون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدَّم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكا المؤمنون إلى رسول الله على فأمرهم أن لا يتناجُوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس (١١). والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد. قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادعة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجُوا النجوى، فيظن المسلم أنهم يتناجَوْن بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله على النجوى؛ بمعنى النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها، فنزلت هذه الآية. وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين. والنجوى: بمعنى المناجاة. ﴿ مُن يُورُونَ ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿ وَيَنْ يَوْنَ وَعَلَ الله على المنافقين. وأله المناجاة التي نهوا عنها ﴿ وَيَنْ يَوْنَ وَعَلَ عَلَ الله على الرسول، ولك هو الإثم والعدوان المول، ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول. والثاني: يتناجَوْن بعد نهي الرسول، ذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

⁽۱) هو في «أسباب النزول» ٣٠٦ عن ابن عباس ومجاهد بغير سند.

٢) رواه ابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن مسروق عن عائشة وإسناده صحيح، وهو أيضاً في "صحيح مسلم" ١٧٠٧/٤ عن عائشة ﷺ. ورواه أحمد في «المسنده رقم (١٥٨٩) عن عبد الله بن عمر أن البهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامٌ عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿ وَلَا يُسَدِّكُ اللّهُ بِمَا تَعْوَلُ ﴾ وقال: رواه أحمد والبزار فنزلت هذه الأية: ﴿ وَلِنَا جَنُولُ عَبِولَ مِنَا لَمُ يُمِينَكُ بِهِ اللّهُ ﴾. وقال ابن كثير: إسناد حسن، وهو في "مجمع الزوائد، ١٢١/، وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، وإسناده جيد، لأن حماداً سمع من عطاء في حالة الصحة. .

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِيكَ ءَامُثُواْ إِنَّا تَتَجَيَّمُ فيها قولان: أحدهما: نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بزعمهم، وهذا قول عطاء ومقاتل. والثاني: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نهاهم عن فعل المنافقين واليهود، وهذا مذهب جماعة، منهم الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ نَلَنَامَوا ﴾ هكذا قرأ الجماعة بألف. وقرأ يعقوب وحده "فلا تتنجَّوا". فأما "البِر" فقال مقاتل: هو الطاعة، و "التقوى" ترك المعصية. وقال أبو سليمان الدمشقي: "البِرِّ" الصدق، و "التقوى" ترك الكذب. ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّبْوَيْنُ مِنَ الشَّبْطَنِ ﴾ أي: من تزيينه، والمعنى: إنما يزيّن لهم ذلك ﴿ لِيَحْرُكَ الَّذِينَ مَا مَنُوا ﴾ وقد بيّنا اتّقاء ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى ﴿ وَلَبْسَ بِعَسَارِهِمْ شَبْنًا ﴾ أي: فليكلوا أمورهم إليه.

﴿ يَكَأَيُّنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا فِيلَ لَكُمْ تَفَسَّمُوا فِ ٱلْمَجَالِينِ قَائْسَتُوا بَسْتِح اللهُ لَكُمُّ وَإِنَا فِيلَ ٱنشُرُوا قَانشُرُوا بَرْفِع اللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُونُوا ٱلْمِلْرَ دَرَكَنَوْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا فِي المجلس ، وقرأ عاصم (في المجالس، على الجمع، وذلك لأن كل جالس له مجلس، فالمعنى: ليفسح كل رجل منكم في مجلسه. قال المفسرون: نزلت في نفر من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السابقة، لم يجدوا موضعاً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم جمعة جالس في صُفَّةٍ ضيَّقةٍ في المسجد، جاء نفر من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، فسلَّموا وانتظروا أن يوسَّعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقى بعضهم، فشق ذلك غلى رسول الله ﷺ، فقال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه من أقامهم الكراهة، وتكلُّم المنافقون في ذلك وقالوا: والله ما عدل، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل مقبل ضَنّوا بمجلسهم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، قال المفسرون: ومعنى اتفسَّحوا، توسَّعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حول رسول الله ﷺ فلا يجد غيرهم مجلساً عنده، فأمرهم أن يوسُّعوا لغيرهم ليتساوى الناس في الحظُّ منه، ويظهر فضيلة المقرَّبين إليه من أهل بدر وغيرهم. وفي المراد (بالمجلس) هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مجلس الحرب، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصفِّ، فيقول لهم: تُوسِّعُوا، فيأبَوْن عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وأبي العالية، والقرظي. والثاني: أنه مجلس رسول الله ﷺ، قاله مجاهد. وقال قتادة: كان هذا للنبي ﷺ ومن حوله خاصة. والثالث: مجالس الذكر كلُّها، روي عن قتادة أيضاً (١٠). وقرأ على بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبلة، والأعمش: ﴿ فَنُسَّحُوا فِ ٱلْمَجَالِسِ﴾ بألف على الجمع.

قوله تعالى: ﴿ يَنْسَجُ اللهُ لَكُمْ اللهِ أَيْ يوسّع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. ﴿ وَإِنَا قِبَلَ اَنشُرُوا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «انشُزوا فانشُزوا» برفع الشين. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بكسر الشين فيهما. ومعنى «انشزوا» قوموا. قال الفراء: وهما لغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال: أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يتثاقلون عنها، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة، والضحاك. والثاني: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن. والثالث: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله مجاهد. والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله على وذلك أنه كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله على أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهداً به، فأمروا أن ينشُزوا إذا قيل لهم: انشزوا، قاله ابن زيد. والخامس: أن المعنى: قوموا

⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكره، أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس التي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال، اهـ.

وتحرَّكوا وتوسَّعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي(١).

قوله تعالى: ﴿يَرْفِع اللهُ اللَّذِينَ ءَامَوُا مِنكُمْ ﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على مَن ليس بمنزلتهم من الإيمان ﴿و﴾ يرفع ﴿الذين أوتوا العلم﴾ على مَن ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة. والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الذيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولْتُرغَّبْكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات (٢٠).

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَجَيْمُ الرَّسُولَ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله على حتى شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيّه، فأنزل هذه الآية، قاله ابن عباس (٣). والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرون مناجاة رسول الله على ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله في ذلك، فنزلت هذه الآية، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله في فنزلت الرحصة، قاله مقاتل بن حيّان، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينتل على مناجاة رسول الله في ولم يقدّم أحدٌ من أهل الميسرة صدقة غيرَ علي بن أبي طالب. وروى مجاهد عن على في قال: آية في رسول الله الم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله في قدّمت درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿الْمَنْقُمُ أَنْ تُعَرِّمُونَ الآية.

قوله تعالى: ﴿ لَكُو نَا لَكُو وَالْمَهُمْ ﴾ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر للنويكم ﴿ إِن يَعِدُ لَكُمْ يَعِني الفقراء ﴿ وَإِنَّ اللَّهُ عَنُورٌ رَحِيمٌ ﴾ إذ يمفا عمن لا يجد.

قوله تعالى: ﴿ اَمْنَقَتُم ﴾ أي: خِفتم بالصدقة الفاقة ﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُم ﴾ أي: فتجاوز عنكم، وخَفَّف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

﴿ ﴾ أَلَدُ نَرَ إِلَى ٱلَذِينَ تَوْلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِم مَّا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنهُمْ وَيَقِلِفُونَ عَلَ ٱلكَذِبِ وَهُمْ بَعَلَمُونَ ۞ أَعَدُّ اللّهُ لَمُمْ عَذَابًا مِنْهُمْ عَذَابٌ مُهِينًّ ۞ لَن ثُنْنِيَ عَتْهُمْ أَمَوْلُكُمْ وَلَا أَوْلَاكُمْ مَذَابًا إِنَّهُمْ صَادَبٌ مُهِينًّ ۞ لَن ثُنْنِيَ عَتْهُمْ أَمَوْلُكُمْ وَلَا أَوْلَاكُمْ مَدِيدًا ۚ إِنَّهُمْ عَذَابًا لِللّهُمْ عَذَابًا لَهُ مُنْ اللّهُمُ عَذَابًا لِللّهُمْ عَلَيْ اللّهُمْ عَذَابًا لِمُعْمَلِمُ اللّهُمُ عَلَيْ اللّهُمْ عَذَابًا لِمُعْمَلِمُ اللّهُمُ عَلَيْ اللّهُمْ عَذَابًا لِمُعْمَلِهُمْ اللّهُ اللّهُمْ عَلَيْ اللّهُمْ عَلَيْ اللّهُمُ عَلَيْ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُ عَلَيْ اللّهُمْ عَلَيْ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُ عَلَيْكُونَ اللّهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُمُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُمُ عَلَيْكُونُ اللّهُمُ عَلَيْكُ اللّهُمُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُمُ عَلَيْكُونُ اللّهُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ الللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ الللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَ

⁽۱) ورى البخاري ومسلم في اصحيحيها، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب في عن التي قد قال: الا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، قال ولكن تفسحوا وتوسعوا، وروى مسلم في الصحيحة عن أبي مريرة في أن وسول الله في قال: المن قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به، قال ابن كثير: وقد اختلف الفقها، في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال، فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: اقوموا إلى سيدكمة ومنهم من من ذلك محتجاً بحديث: القدوم من سفر، وللحاكم من من ذلك محتجاً بحديث: حمن أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوا مقمده من النارة ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي على حاكباً في يني قريظة، قرآه مقبلاً قال للمسلمين: القوموا إلى سيدكمة وما ذلك إلا ليكون انفذ لحكمه، والله أعلم، قال: قال، فأما إتخاذه ديدناً، فإنه من شعار المجم، قال: وقد جاء في اللسنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله على، وكان إذا جاء الا يقومون له لما يعلمون من كواهيته لذلك. اهم.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَيَرْبَعُ اللهُ اللَّذِينَ ءَاسُؤا يَنكُمْ وَاللَّذِينَ أُوثُوا اللَّهِمَ وَيَرَعُ وَاللّهُ مِنا تَسَلُونَ خَيرٍ ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله تقدر وتحدد قال الله تعالى: ﴿ يَرْبُعُ اللهُ اللّهِمَ عَالَمُ مِنْ اللّهِ عَدْرَهُ وَلَمْ مِنَا اللّهُ عَدْرَةً وَلَا اللّهُ عَدْرَكُوهُ وَلَهُ لِمَا لَمَنْكُونَ اللّهُ عَدْرَا اللّهُ وَمِنْ لا يستحقه. اهـ.

وروى مسلم في اصحيحه ١٩/١ ٥٥ عن عامر بن وائلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بمُسْفان وكان عمر يستعمله على مكة. فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومَن ابن أبزى؟ قال: مولىّ من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولىّ! قال: إنه قارئ لكتاب الله على الم الفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم على قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.

⁽٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي في وتفسير، عن ابن عباس بغير سند، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ١٨٥ من رواية ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس وقال في آخره: فأنزل الله بعد هذا ﴿ اللهِ بعد هذا ﴿ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى ال

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَوْلَئِكَ أَصَكُ النَارُّ لِمُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ يَوْمَ يَيَعَلَمُمُ اللَّهُ خَيِمًا يَسْلِمُونَ لَمُرٌ كَمَّا يَمْلِمُونَ الكَّرِّ وَيَصَّبُونَ النَّبُمُ عَلَى مَنْهُمُ اللَّهِ خَيْمًا لَسَنَهُمْ وَكُو اللَّهِ أَوْلَئِكَ حِرْبُ الشَّيْطُونُ لَا إِنَّا النَّيْطُونُ لَكُو اللَّهِ اللَّهِمُونَ ﴾ إِنَّ اللَّذِينَ فِيهُمُ اللَّهُ مُنْفُونُ فَي اللَّهِمُ إِنَّ اللَّذِينَ فَي اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿أَلَوْ رَ إِلَى اللَّهِن وَلَوْا وَمَا عَضِبَ اللهُ عَلَيْمٍ وَلَاكَ في المنافقين الذين تولّوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المعثمنين. وقال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله على حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوماً، وكان أزرق، فقال له رسول الله على المتوه، فأنزل الله هذه الآيات. وروى ما فعل، فقال له النبي على وصحيحه من حديث ابن عباس، أن رسول الله على كان في ظل حُجرة من حجره، وعنده نفر الحاكم أبو عبد الله في وصحيحه من حديث ابن عباس، أن رسول الله على كان في ظل حُجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شبطان، فإذا أتاكم فلا تُكلّموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله على فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمُ بِيَنْهُمُ اللهُ حَبِينَ مُعَلِيلُونَ عَلَ الكَذِبِ ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبّوا رسول الله على، ولا المبهود ﴿وَمَلِوْنَ عَلَ الكَذِبِ ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبّوا رسول الله على، ولا المعنى: اليهود ﴿وَمَلُونُ عَلَ الكَذِبِ ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبّوا رسول الله على، ولا المعنى: المعنى: المعنى: من الإسلام، قاله السدي. والثاني: صَدّوا كاذبين، ﴿ فَسَدُوا عَن سَبِيلِ الله في فيه قولان: أحدهما: صَدّوا الله عن سَبِيلِ الله عن دين الإسلام، قاله السدي. والثاني: صَدّوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوله تعالى: ﴿ يَبَالِنُونَ لَبُرُ﴾ قال مقاتل، وقتادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا ﴿ يَتَسَبُونَ أَنْهُمْ عَلَىٰ مَنْءً﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿ آلَا إِنَّهُمْ مُمُ ٱلكَذِبُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم.

قوله تعالى: ﴿اَسْتَمْوَدَ عَلِيَهِمُ النَّيْطَانُ﴾ قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة [النساء: ١٤١] عند قوله تعالى: ﴿نَسْتَحْوِذَ عَلِيَكُمْ﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَكِكَ فِى ٱلأَذَلِينَ﴾ أي: في المغلوبين، فلهم في الدنيا ذُلُّ، وفي الآخرة حِزْيٌ.

قوله تعالى: ﴿ كَنَبُ اللَّهُ ۚ أَي: قضى الله ﴿ لَأَغْلِبَكَ أَنَا وَرُسُلِيٌّ ﴾ وفتح الياء نافع، وابن عامر. قال المفسرون: من بُعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَرِئٌ عَزِيرٌ ﴾ أي: مانع حزبه من أن يذل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِدُ قَرْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرَّعلة الأولى (٢٠)، فقال: متَّعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمنة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود (٢٠). والثاني: أنها نزلت في

 ⁽۱) الحاكم في «المستدرك؟ ٢/ ٤٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٣٢٧٧)،
 وإسناده جيد كما قال ابن كثير.

 ⁽٢) الرُّعلة والرُّعيل: القطعة المتقدِّمة من الخيل، يريد: الفوج الأول المتقدِّم ليقاتل في سبيل الله.

 ⁽٣) ذكره الواحدي في (أسباب النزول؛ ٣١٠ بغير صند، وروى الحاكم في (المستدرك؟ ٣٠ / ٢٦٥ عن عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب الآل (وهي الحرية العريضة النصل) لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة، فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿ لاَ يَبِدُ وَنَا﴾ وقال الحافظ في (الإصابة، ٢٤٤/٤): وأخرجه الطبري بسند جيد عن عبد الله بن شوذب.

قُوله تعالى: ﴿ أُولَٰتِكَ ﴾ الذين، يعني: الذين لا يوادُّون من حادً الله ورسوله ﴿ كُتِبَ فِي قُلُوبِهُمُ آلِإِيمَنَ ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم « تُتِبَ و بفع الكاف والنون من «الإيمان». وفي معنى «كتب خمسة أقوال: أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس. والثاني: جعل، قاله مقاتل. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان، حكاه الماوردي. والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان، ذكره الثعلبي. والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَيْدَهُم﴾ أي: قرَّاهم ﴿يرُوحِ يَنَدُّهُ وفي المراد (بالروح) ها هنا خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحاً، لأن أمرهم يحيا به. والثاني: الإيمان، قاله السدي. والثالث: القرآن، قاله الربيع. والرابع: الرحمة، قاله مقاتل. والخامس: جبريل ﷺ أيَّدهم به يوم بدر، ذكره الماوردي. فأما ﴿حِرَّبُ الله﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم وارتضاهم، و «ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.



⁽١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة. إلخ، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٦٦: نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة... فذكره.

سورة الحشر

وهي مدنية كلها بإجماعهم

وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النَّضِير^(۱). وكان ابن عباس يسمي هذه السورة قسورة بني النضير^(۲) وهذه الإشارة إلى قصتهم.

ذكر أهل العلم بالتفسير والسّير: أن رسول الله و خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، فصلّى فيه، ثم أتى بني النفير، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما، فقتلهما عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهَمُوا بالغَدْر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلّام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليُخبرن بما هممتم به، وجاء رسول الله والخبر، فنهض سريعاً، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر؟! فقال: هَمَّتْ يهودُ بالغدر، فأخبرني الله بذلك، فقمت، وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدتي، فلا تساكنوني، وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجَّلتكم عشراً (١٦). فمن رئي بعد ذلك ضربتُ عنقه، فمكثوا أياماً يتجهَّزون، فأرسل إليهم ابنُ أبيٍّ: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتَمُدُّكُم فريظة، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع حُبي فيما قال ابن أبيٍّ، فأرسل إلى رسول الله و إن لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله و وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبيٍّ وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبيٍّ وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله، فأخبر الله رسوله بذلك، فبعث محمد بن مصلمة فاغتره فقتله، وحاصرهم رسول الله، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فأجلاهم عن المدينة، مصفى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقَبَضَ سلاحهم وأموالهم، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خير، وقَبَضَ سلاحهم وأموالهم، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضة،

⁽١) وهم طائفة من اليهود أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة بعدما نقضوا العهد الذي بينه وبينهم على رأس سنة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد كما ذكر ذلك عبد الرزاق في امصنفه عن معمر عن الزهري عن عروة.

 ⁽۲) روى البخاري في (صحيحه ۲۵٦/۷ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير. قال الحافظ ابن حجر في
 (۱) والفتح، ۸/ ۸۵٪ كأنه كره تسميتها بالحشر، لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير.

⁽٣٠ هكذا رواية ابن سعد: «وقد أجّلتكم عشراً». والذي في «دلائل النبوة» للبيهقي كما في «فتح الباري» ٧/ ٢٥٤ من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام.

روى هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ٢/٧٥، ٥٨ في غزوة بني النضير، وذكره ابن هشام في «السيرة» ٢/ ١٩٠ بنحوه من رواية ابن إسحاق، وانظر والبداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي ٤/٥٠، وهشرح المواهب اللغية للزوقاني» ٢/ ٩٥، ٩٠. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢/ ٢٥٥؛ وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي الله قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهذونهم بإيوائهم النبي أو وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين، فأتام النبي في ققال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحقة والحصون يتهذونهم، فأجمع بنو النفير سمعوا ذلك عرفوا الحقة والحصون يتهذونهم، فأجمع بنو النفير على الغذر، فأرسلوا إلى النبي أن اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علماتنا، فإن آمنوا بك أبنعناك، فقعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الغذاج، فأرسلت امرأة من بني النفير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النفير، فأخبر أخوها النبئ في قبل أن يصل إليهم، فرجع على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النفير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النفير، فأخبر أخوها النبئ في قبل أن يصل إليهم، فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غذا على بني قريظة، فحاصرهم، فماهدو، فانصرف عنهم إلى بني النفير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيرتهم، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان وعمد أن غيد الرزاق، قال: وفي ذلك رد على ابن التين طبح، في دفه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت (القائل ابن حجر): فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النفير طلبه في أن

ينسب أنَّو النَّانِ الرَّجَيارِ

﴿ سَبَتَ لِدِهِ مَا فِي السَّمَوَنِ وَمَا فِي الْأَرْضُ وَهُو الْمَزِيرُ الْمَكِيدُ ۞ هُوَ الَّذِي آخْجَ الَّذِينَ كَفَرُا مِنْ أَهْلِ الْكِنْسِ مِن دِبَرِمِ لِأَوَّلِ الْمُشْرِّ مَا طَنَنتُدُ أَن يَخْرُجُواْ وَطَنْواْ الْمَهُمِ اللهُ مِن مَنْ اللهِ فَانتُهُمُ اللهُ مِن حَبْثُ لَرْ يَحْتَسِبُواْ وَلَمَدَّى فِي ثَلُوبِمُ الرَّعْتُ بَغْرُهُمَ بِأَنْدِيمُ وَلَبْدِيمَ وَلَبْدِيمَ وَلَيْنِهِمُ وَلَهُمْ مَنْ اللهِ فَانتُهُمُ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَكَةُ لِمُذَّيْبُمْ فِي الدُّنْيَأُ وَلَمَنْ فِي اللهُ فَإِنْ اللهِ وَلِيُخْرِقُ عَلَىكُ النَّالِ ۞ مَا فَطَعْتُم مِن لِينَةٍ أَوْ وَكَنْتُوهُمَا فَآلِهِمُ عَلَى اللهَ فَإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْرِقَ الْفَنسِدِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى آخَرُجَ الَّذِينَ كَثَرُوا مِنَ أَهَلِ الْكِتَابِ عَني: يهود بني النضير ﴿ مِن دِيَوهِم ﴾ أي: من منازلهم ﴿ لِأَوَّلِ اَلَحَتْمِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحلها: أنهم أول من حُشر وأخرج من داره، قاله ابن عباس. وقال ابن السائب: هم أول مَنْ نفي من أهل الكتاب. والثاني: أن هذا كان أول حشرهم، والحشر الثاني: إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن. قال عكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي على قال لهم يومئذ: اخرجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر (١٠). والثالث: أن هذا كان أول حشرهم. والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة. والرابع: أن هذا كان أول حشرهم من المدينة، والحشر الثاني: من خيبر (٢٠)، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات (٣)، وأربحا (١٤) من أرض الشام في أيام عمر بن الخطاب، قاله مرة الهمداني.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُرُ عِناطِب المؤمنين ﴿ أَن يَمْرُجُوا ﴾ من ديارهم لعزّهم، ومَنعَتِهم، وحُصُونهم ﴿ وَظُنُوا ﴾ يعني: بني النغير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿ وَلَنهُم اللهُ مِن حَيْثُ لَرَ يَحْتِبُوا ﴾ وذلك أنّه أمر نبيّه بقتالهم وإجلائهم، ولم يكونوا يظنون أن ذلك يكون، ولا يحسبونه، ﴿ وَهَذَكَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْب ﴾ لخوفهم من رسول الله على وقيل: لقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿ يُحْرِيُن بُوبُهُم بِلَيْرِيم وَلَيْنِي النَّوْمِين ﴾ قرأ أبو عمرو «يُحَرِّبون» بالتشديد. وقرأ الباقون ويَخرِبُون». وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحلهما: أن المشددة معناها: النقض والهدم. والمحففة معناها: يخرجون منها ويتركونها خراباً معطّلة، حكاه ابن جرير. روي عن أبي عمرو أنه قال: إنما اخترت التشديد، لأن بني النفير نقضوا منازلهم، ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة. والثاني: أن القراءتين بمعنى واحد. والتخريب والإخراب لغتان بمعنى، حكاه ابن جرير عن أهل اللغة (٥٠). وللمفسرين فيما فعلوا بمنازلهم أربعة أقوال: أحدها: أنه كان للمسلمون كلما ظهروا على دارٍ من دُورهم هدموها ليتسع لهم مكان القتال، وكانوا هم ينقبون دورهم، فيخرجون إلى ما للمسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا ما يبنون به الذي خربه يليها، قاله الن عباس. والثاني: أنه كان المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم أو العمود، أو الباب، فيستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم، ويخرب المؤمنون باقيها، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا ينظربونها لئلا يسكنها المؤمنون، حسداً منهم وبغياً، قاله ابن زيد.

يعينوه في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جلُّ أهل المغازي، فالله أعلم. اهـ.

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن أبيه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

ا) وذلك أن رسول الله ﷺ لما أجلى يهود بني النفير من المدينة لغدرهم، ذهبوا إلى خيير، وأذرعات، وخيير مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُرد (٩٦ ميلاً) من المدينة إلى جهة الشام، فتحها رسول الله سنة سبع من الهجرة. وقيد روى البخاري في قصحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: صبحنا خيير بكرة، فخرج أهلها بالمساحي (آلات الحرث) فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس (الجيش) قتال النبي ﷺ: قالله أكبر خربت خيير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنظرين، وكذلك رواه مسلم، ثم بعدما فتحها رسول الله ﷺ تسم غنائمها، فأعطى الراجل سهماً، والفارس ثلاثة أسهم، بعد أن خمسها خسمة أجزاء، ثم دفعها لأهل خيير ليمملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع على أن يخرجهم منها إذا شاء، فاستمروا على ذلك إلى خلاقة عمر بن الخطاب ﷺ، إلى أن وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار في ذلك الصحابة ﴿

 ⁽٣) أذرعات: بفتح الهمزة، وسكون الذال، وكسر الراء، وعين مهملة، وألف، وتاء: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعَمّان، والنسب إليها أذرعي، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.

⁽٤) أريحا: بفتح الهمزة وكسر الراء وياءٍ ساكنة وهاءٍ مهملة وألف بالقصر: مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام.

قال ابن جريرالطبري: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه. اهـ.

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْتَرُوا يَتَأُولِى ٱلْأَيْصَارِ ﴾ الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها، و «الأبصار» العقول. والمعنى: تدبَّروا ما نزل بهم ﴿ وَلَوَلا أَن كُنَبُ الله ﴾ أي: قضى ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلاءَ ﴾ وهو خروجهم من أوطانهم. وذكر الماوردي بين الإخراج والجلاء فرقين: أحدهما: أن الجلاء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد. والثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة. والإخراج: قد يكون لواحد ولجماعة. والمعنى: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج ﴿ لَمَذَّبُهُم فِي اللَّيْتَ ﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآيَغِرَقِ مع ما حلَّ بهم في الدنيا ﴿ عَذَكُ النَّهِ عَلَى الله إلى الله والدنيا ﴿ عَنَابُ الله على الله الله الله الله الله على القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير سبي ولا القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير سبي ولا القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الجزية. وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدروا على بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يُؤدُّوا الجزية. وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدروا على إدخالهم في الإسلام أو الذمة، يجوز لهم حينين صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلّت الإبل، وذلك مجهول.

قوله تعالى: ﴿مَا فَطَعْتُم بِن لِينَهُ سبب نزولها أن رسول الله وحرق نخل بني النضير، وقطع، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر (۱۱). وذكر المفسرون أنه لما نزلت ببني النضير تحصَّنوا في حصونهم، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزعوا، وقالوا: يا محمد زعمتَ أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، واختلف المسلمون، فقال بعضهم: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى (۲۲). وفي المراد وباللينة ستة أقوال: أحدها: أنه النخل كله ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وبه قال عكرمة، وقتادة، والفراء. والثاني: أنه النخل والشجر، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنها ألوان النخل كلها إلا العجوة، والبرنية والعجوة. وأصل ولينة، لؤنة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والرابع: أنها النخل كله، قاله مجاهد وعطية، البرني والعجوة. وأصل ولينة، لؤنة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والرابع: أنها النخل كله، قاله مجاهد وعطية، وابن خبرر: معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخيل. والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان. والسادس: أنها ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، وهي شديدة الصُّفرة، ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم والسادس: أنها ضرب من النخل وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق. والثالث: قطعوا وأحرقوا ست نخلات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ قال يزيد بن رومان ومقاتل: بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيُخْزِى ٱلْفَنِيقِينَ﴾ يعني اليهود. وخزيهم: أن يُريهم أموالهم يتحكَّم فيها المؤمنون كيف أحبُّوا. والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودل على المحذوف قوله: ﴿ فَبِإِذَنِ ٱشَّهُ .

﴿ وَمَا ۚ أَفَاهُ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ. مِنهُمْ فَمَا ۚ أَرْجَفَتُمْ عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ وَلَا رِكَابِ وَلَكِنَ اللّٰهَ يُسْلِطُ رُسُلُمُ عَلَى مَن يَشَاتُهُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ مِنْ مِنْ أَمْلِ ٱلثُرَّى فَلِيْهِ وَالرَّمُولُ وَلِذِي ٱلفُرْقُ وَالْيَسَكِي وَالْمِن وَالْمِن وَالْمِن اللّٰهِ عَلَى مُلْمَا بَيْنَ الخَيْنِبَةِ مِنكُمُّ وَمَا ءَائنكُمُ الرَّسُولُ فَنَصُدُوهُ وَمَا تَهْنَكُمْ عَنْهُ فَانَتُهُواْ وَالتَّهُ إِنَّ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهُ وَمُونَ اللَّذِينَ الْخَرِجُوا

⁽۱) البخاري في اصحيحه ٧/ ٢٥٦ و ٨/ ٤٨٣، ومسلم ٣/ ١٣٦٥، ١٣٦٦.

 ⁽۲) الواحدي في «أسباب النزول» ۳۱۲» ورواه الطبري ۳۲/ ۳۲ من رواية ابن إسحاق، ثنا يزيد بن رومان.

⁽٣) في الأصل: إليه.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهو من ألوان النخل ما لم تكن عجوة.

ين دِبَكِرِهِمْ وَأَمْوَلِهِمْ بَبْتَمُونَ فَشَلَا مِنَ اللّهِ وَرِضَوْنًا وَيَصْرُونَ اللّهَ وَرَسُولُهُۥ أُولَتِهِكَ هُمُ الصَّدِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ بَنَوَمُو اللّهَارَ وَالْإِيمَنَ مِن فَلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِمُدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَحَةً مِتَا أُرْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنشِيمِمْ وَلَوْ كَانَ يَهِمْ خَصَاصَةً وَمَن يُوفَ شُخَ نَقْسِهِ. فَأُولِئِكَ هُمُ الْمُغْلِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ وَبَنَّا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَيْنَا الَّذِينَ سَبَقُونًا بِآلِابِمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُومِنَا غِلَا لِيَذِينَ مَاسَوُا رَبِّنَا إِلَىٰكَ رَمُوكً رَجِيمُ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَّهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ أي: ماردً عليهم ﴿ مَنْهُمْ ﴾ يعني: من بني النضير ﴿ فَمَا أَرْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيلِ وَلا يَكْبِ ﴾ قال أبو عبيدة؛ الإيجاف: الإيضاع، والركاب: الإبل. قال ابن قتيبة: يقال: وجف الفرس والبعير، وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير. وقال الزجاج: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله على خاصة. قال المفسرون: طلب المسلمون من رسول الله على أن يخمِّسَ أموال بني النضير لما أجلُوا، فنزلت هذه الآية تبين أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله على، فهو له خاصة، يفعل فيه ما يشاء، فقسمه رسول الله على بن أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله على نشر كانت بهم حاجة، وهم: أبو يشاء، فقسمه رسول الله عَلَى رَسُولِهِ، مِنْ أَهْلِ ٱلْمُرَى وَلَم يعط الأنصار منه شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دُجَانة، وسهل بن حُنيف، والحارث بن الصَّمَّة. ثم ذكر حكم الفيء فقال تعالى: ﴿ مَنَا أَلَاهُ اللهُ إياه. وقد ذكرنا الفري والبتامى في الانفال: (عَلَا الله إياه. وقد ذكرنا الفيء والغنيمة.

فصل

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فذهب قوم: أن المراد بالفيء هاهنا: الغنيمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة، وكانت في بدوِّ الإسلام للذين سمّاهم الله هاهنا دون الغالبين (١) الموجفين عليه، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في [الانفال: ٤١]: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنْمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ . . ﴾ الآية، هذا قول قتادة ويزيد بن رومان. وذهب قوم إلى أن هذا الفيء: ما أخذ من أموال المشركين ما لم يوجف بخيل ولا ركاب، كالصلح، والجزية، والعشور ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كان يقسم في زمن رسول الله على خمسة أخماس، فأربعة لرسول الله على يفعل بها ما يشاء، والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية. واختلف العلماء فيما يصتع بسهم رسول الله على بعد موته على ما بيننًا في [الانفال: ٤١] مثبتة لحكم الغتيمة، قلا يتوجه النسخ (١٠).

قوله تعالى: ﴿ كَنَ لَا يَكُونَ ﴾ يعني: الفيء ﴿ دُولَةٌ ﴾ وهو اسم للشيء يتداوله القوم. والمعنى: لئلا يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبوا الفقراء عليه. قال الزجاج: الدُّولة؛ اسم الشيء يتداول. والدَّولة، بالفتح: الفعل والانتقال من حال إلى حال. ﴿ وَمَا مَا نَكُمُ الرَّسُولُ ﴾ من الفيء ﴿ فَخَدُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ ﴾ عن أخذه ﴿ فَأَنتَهُوا ﴾ وهذا نزل في أمر الفيء. وهو عام في كل ما أمر به، ونهى عنه " . قال الزجاج: ثم بين مَن المساكين الذين لهم الحق، فقال تعالى: ﴿ اللَّفْقَالَ الْمُكْجِينَ ٱلَّذِينَ اللَّينَ

⁽١) في الأصل: العالمين.

⁽٢) قال ابن كثير: يقول تعالى مبيناً ما الفي ١٥ وما صفته وما حكمه فالفيه: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النفير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون هليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأهناء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل فزل أولئك من الرعب الذي ألفى الله في قلوبهم من هيبة رصول الله يخلى فأفاءه الله على يرصوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاه، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله في في هذه الآية نقال تعالى: ﴿ أَنَّهُ اللهُ عَنْ رَسُولِه، مِنْ أَشْلِ الشَّرَىٰ ﴾ أي من يني قلنضير ﴿ فَنَا أَرْتَهُ مَنْ مَسُولِه، عِنْ أَشْلِ الشَّرَىٰ وَلَنَ مَنْ بَنَا أَلَا اللهُ عَلَى صَالِحًا لَه اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ رَسُولِه، مِنْ النفير، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَنَا أَلَاتُ مَالِي مُؤلِدُن النَّهِ وَلِدِي النَّمْ وَلِي النَّهِ عَلَى النَّهُ وَلَوْتُولُو وَلِذِى النَّمْ وَرجوهه. اهـ.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَمَا ٓ مَائَنَكُمُ الرَّسُلُ فَحُدُّرُهُ﴾ يقول تعالى ذِكوه: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه، ﴿وَمَا تَهَنَّمُ عَنَهُ﴾ من الفلول وفيره من الأمور: ﴿فَانَهُواْ﴾. اهـ.. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا ٓ مَائَكُمُ الرَّسُلُ فَخُدُوهُ وَمَا تَهَدُّمُ عَنْهُ فَانَهُواْ﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر. اهـ. وقال الشوكاني في فنتح القديره: والحق أن هذه الآية عامة في كل =

أَنْرِجُواْ مِن دِبَرِهِم ﴾ قال المفسرون: يعني بهم المهاجرين ﴿ يَنَفُونَ فَضَلا مِن اللّهِ أَي: رزقاً يأتبهم ﴿ وَرَشُوناً ﴾ رضا ربهم حين خرجوا إلى دار الهجرة ﴿ أَوْلَتِكَ هُمُ الفَكِهُ فِي إيمانهم. ثم مدح الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفيء، فقال تعالى: ﴿ وَالّذِينَ تَبُوهُ وَ الذَارَ ﴾ يعني: دار الهجرة، وهي المدينة ﴿ وَالْإِيمان عِلْفَ على الدار ، في الظاهر، لا في المعنى، لأن تبوؤوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على الدار ، في الظاهر، لا في المعنى، لأن الإيمان المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره، والمعنى: تبوّؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة ﴿ وَيُجِبُّونَ مَنْ هَاجَرُ إِلْيَهِم ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم، ﴿ وَلا يَحِدُونَ فِي صُدُورِهِم عَلَيَكُ الله وَعِيظاً مما أوتي المهاجرون. وفيما أوتوه قولان: أحلهما: مال الفيء، قاله الحسن. وقد ذكرنا آنفا أن النبي عَلَيْ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار غير ثلاثة نفر. والثاني: الفضل والتقدَّم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرُوْدُورُونَ عَلَى ٱلنَّسِمِ ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي فقر وحاجة، فبين الله على أينارهم لم يكن عن غنى (١). وفي سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً أتى رسول الله على ، وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله إني جائع فأطعمني، فبعث رسول الله إلى أزواجه: هل عندكنَّ شيء؟ فكلُهن قلن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال: ما عند رسول الله على منزله، فقال لأهله: ثم قال: همن يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فأتى به منزله، فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله على فأكرميه ولا تدَّخري عنه شيئاً، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، فقال: قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يظعموا شيئاً، ثم أصبحي سراجك(١)، فإذا أخذ الضيف ليأكل، فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفنيه، وتعالَيْ نمضغ علما أصبحا غَدَوا إلى رسول الله على ونفعلت ذلك، وظن الضيف أنهما يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويَين، فلما أصبحا غَدَوا إلى رسول الله على، فلما نظر إليهما تبسم، ثم قال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما(١٠)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرُوْدُورُونَ عَلَى أَنشِيهم وَلَوَ كَانَ يَهم خَصَاصَةٌ ﴾ الآية. أخرجه البخاري ومسلم في والصحيحين، من حديث أيي هويرة(١٤)، وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أن الضيف كان من أهل الصَّفَة، والمضيف كان من الأنصار، وأن

شيء يأتي به رسول الله على من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان البيب خاصاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع، هذا أعطانا إياه وأوصلنا إليه، قال: وما أنفع هذه الآية وأكثر فابدتها! ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاه عنه، أمرهم بتقواه وخوقهم شدة عقوبته فقال: ﴿ وَالْتُمُوا اللهُ يَلُ اللهُ عَنْ مُلْمَاهِ عَنه، لهم يأخذ ما آناه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه. أهم. وقد روى الإمام أحمد في «المسئدة» والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود في المه الواشعات والمستوشيمات، والمستوشيمات والمتنصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله في من على في أمر يقل أمرأة من يني أحمد يقال لها: أم يعقوب، فجادت إليه فقالت: إنه بلغني أنك لمنت كيت وكيت، قال: ومالي لا ألمن من لمن رسول الله في وهو في كتاب الله؟! قالت: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدت فيه شيئاً من هذا؟ قال: لمن كذب قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿ مَن عَلْ مُريرة في أن رسول الله في قال: فإن رسول الله في قلد نهى عنه أبي هريرة في أن رسول الله في قال: فإنا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

⁽¹⁾ ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: فأفضل الصدقة جهد المقل، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى بقوله: ﴿وَيُلْوِسُنَ السَّامَ عَن حُيْرٍ ﴾ وقوله: ﴿وَمَانَ النَّالَمُ عَن حُيْرٍ ﴾ وقوله: ﴿وَمَانَ النَّالَمُ عَن حُيْرٍ ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدّقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوا، من هذا الباب تصدق الصّديق ﷺ بجميع ماله، فقال رسول الله ﷺ فالله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إليم، فرده الآخر إلى الثالث، حتى وصل إلى الثالث حتى ماتوا عِن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، ﴿ وأرضاهم.

⁽۲) أي أوقديه.

 ⁽٣) قال الحافظ ابن حجر: نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما: الرضا بصنيمهما: وقوله وفعالكما، وفي رواية وفعلكما، بالإفراد، قال
 في «البارع»: الفعال بالفتح: اسم الفعل الحسن، مثل الجود والكرم، قال: وفي «التهذيب»: الفعال بالفتح: فعل الواحد في الخير خاصة، يقال: هو
 كريم الفعال بفتح الفاء، وقد يستعمل في الشر. والفعال بالكسر: إذا كان الفعل بين اثنين، يعني أنه مصدر قاعل، مثل قاتل قتالاً.

⁽٤) البخاري في اصحيحه ٧/ ٩٠، ٩١ و١٨٤/٨٠، ومسلم ٣/ ١٦٢٤.

النبي على قال: (لقد عجب من فعالكما أهلُ السماء)(۱). والثاني: أن رجلاً من أصحاب رسول الله الله أُهدِيَ له رأسُ شاةٍ، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تداولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر (۱). وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أُهدي لبعض الصحابة رأسُ شاةٍ مشويّ، وكان مجهوداً، فوجَّه به إلى جارٍ له فتناوله تسعةُ أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية (۱).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَشَيهِ ﴾ وقرأ ابن السميفع، وأبو رجاء «ومن يُوقَّ» بتشديد القاف. قال المفسرون: هو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئاً أمره الله بأدائه. والمعنى: أن الأنصار ممن وُقِيَ شُحَّ نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفيء للمهاجزين.

فصل

وقد اختلف العلماء في الشح والبخل، هل بينهما فرق، أم لا؟ فقال ابن جرير: الشُّحُ في كلام العرب: هو منع الفضل من المال. وقال أبو سليمان الخطابي: الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشُّحُ بمنزلة المجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل: إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قِبَل الطَّبع والجِبِلَّة. وحكى الخطابي عن بعضهم أنه قال: البخل: أن يَضِنَّ بماله، والشح: أن يبخل بماله ومعروفه. وقد روى أبو الشعثاء أن رجلاً أتى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَن يُونَ شُحَ نَفْسِوم وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يديَّ شيء، فقال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، الشُّحُ: أن تأكل مال أخيك ظلماً، إنما ذلك البخل، وبئس الشيء البخل (أنك. وروى أنس بن مالك عن النبي علي قال: قبرئ من الشَّعُ من أدَّى الزكاة، وقرَى الضيف، وأعطى في النائبة (أنك.)

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي جَاهُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ يعني التابعين إلى يوم القيامة. قال الزجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين، وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله على ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي جَاهُو مِنْ بَعْرِهِمْ ﴾ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿ رَبَّنَا أَغْيِرْ لَنَا وَلِا هُمْ وَلِي حَلَى أصحاب رسول الله على ولم يكن في قلبه غِلَّ لهم، فله حَظٌ من فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترجّم عليهم، وكان في قلبه غِلَّ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنص الكتاب. وكذلك روي عن مالك بن أنس على أنه قال: من تنقص أصحاب رسول الله على أو كان في قلبه عليهم غِلٌ، فليس له حق في في المسلمين، ثم تلا هذه الآيات.

﴿ ﴿ إِلَّ الَّذِيكَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ الْإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِئَابِ لَهِنْ أَخْرِجُتُمْ لَنَخْرُجَكَ مَمَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُو

⁽١) كذا لفظ الحديث في «أسباب النزول» للواحدي ٣١٣، ٣١٤، وكون المضيف من الأنصار ثابت في «الصحيحين». وأهل الصَّفة: أضياف الإسلام من فقراه المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله ﷺ، والصَّفّة: موضع مظلّل من المسجد كانوا يأوون إليه.

⁽٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٤ عن عبد الله بن عمر، وفي سنده عبيد الله بن الوليد الوصافي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ضعيف، والحديث رواه الحاكم في «المستدرك» ٢١٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: عبيد الله بن الوليد، ضعفوه. وأورده السيوطي في «الدر» ١٩٥/٦ وزاد نسبته لابن مردويه، والبيهتي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر ولياً. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في رواية البخاري الأولى: هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية، ثم ذكر زواية ابن مردويه هذه وقال: ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله. اهـ.

 ⁽٣) ذكره القرطبي في الفسيره ١٨ / ٢٥ ونسبه إلى الثعلبي عن أنس، بلفظ: افتداولته سبعة أنفس في سبعة أبيات بدل افتتاوله تسعة أنفس٠.

٤) رواه ابن جرير: ٢٨/٢٤، وذكره ابن كثير ٤/٣٣٩ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، إلا أن المسعودي أحد رواته اختلط قبل موته.

آمَدًا أَبَدًا وَلِن قُونِلَتُمْ لَنَصُرُكُمُ وَاللَّهُ يَشَهُدُ إِنَّهُمْ لَكَوْبُونَ ۞ لَهِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُمُونَ مَعَهُمْ وَلَهِن فُونِوَا لَا يَخْرُونُهُمْ وَلَهِن فَسَرُوهُمْ لِكُولُكِ الْأَذِبَنُ نُكَرَّ لَا يُسَمُّرُكِ ۞ لَأَشَدُ الْفَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِنَ اللَّهِ ذَاكِ بِأَنْهُمْ قَرْمٌ لَا يَمْفَهُونَ ۞ لَا بَنْبَلُونَكُمْ جَمِيمًا إِلَّا فِي ثُرَى خُمَسَنَمْ أَوْ مِن وَوَلَهُ جُدُرُمٍ بَأْسُهُم يَيْنَهُمُ شَيْبِهُمْ خَيِمًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَّ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَرْمٌ لَا يَسْفِلُونَ ۞ كَنْفِلُ اللَّهِ فَي كَنْ الشَّالِينِ إِنَّا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْكُ أَلِيمٌ ۞ كَنْفِلُ الشَّعِلُونِ إِذْ قَالَ الْإِنسَانِ السَّخْرُ فَلْنَا كُذَرَ قَالَ إِلَى بَرِينَ مُ يَعْلَمُ اللَّهِ عَلَيْهُ فَيْهُ وَلِيلًا وَيَالِكُ مِنْكُولُونُهُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْكُونُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى النِّينَ نَافَقُولُهُ يعني: عبد الله بن أُبِيّ وأصحابه ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ ﴾ في الدّين، لأنهم كفّار مثلهم، وهم اليهود ﴿ لَيَنْ أُخْرِجْنَمَ ﴾ من المدينة ﴿ لَنَخْرُجَنَ مَمَكُمْ وَلَا نُولِيمُ فِيكُرُ ﴾ أي: في خذلانكم ﴿ أَمَدًا أَبَدُ ﴾ فكذَّبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَنْهُدُ إِنَّهُم لَكَنِهِنَ ﴾ ثم ذكر أنهم يُخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى، لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقُوتلوا فلم ينصروهم، ومعنى ﴿ وَلَهِن نَصَرُوهُم ﴾ : لئن قُدر وجودُ نصرهم، لأن الله نفى نصرهم، فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ وَمُمْ لَا يُعْمَرُونَ ﴾ يعني: بني النضير.

قوله تعالى: ﴿ لَأَنتُرُ أَشَدُ ﴾ يعني: المؤمنين أشد ﴿ رَقْبَةً فِي صُدُورِهِم ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَا يُتَنِارُنَكُمْ بَجِيمٌ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي. والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون مُتَحَصَّنين ﴿ فِي قُرَى خُمَسَّةٍ أَوْ مِن وَلَمَا فَقَوَى اللهُ وَقَرا اللهُ وَقَرا اللهُ وَقَرا اللهُ وَقَرا اللهُ وَقَرا اللهُ وَقَرا أبو بكر الصُّدِّيق، وابن أبي عبلة «جَدَر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصم الجحدري «جَدْر» بفتح الجيم وسكون الدال. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والحسن، وابن سيرين، وابن يعمر «جُدْر» بضم الجيم وإسكان الدال. ﴿ بَأْسُهُم بِينَهُمُ شَدِيدٌ فيما وراء الحصون شديد، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله.

قوله تعالى: ﴿ غَسَبُهُمْ جَيِيمًا ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، له الفراء.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلُوبُكُمْ شَقَيَّ ﴾ قال الزجاج: أي: هم مختلفون لا تستوي قلوبهم، ولا يتعاونون بنيَّات مجتمعة، لأن الله تعالى ناصر حزبه، وخاذل أعدائه.

قوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ ﴾ يعني: ذلك الاختلاف ﴿ إِنَّهُمْ قَرْمٌ لا يَتَلُونَ ﴾ ما فيه الحظُّ لهم. ثم ضرب لليهود مثلاً، فقال تعالى: ﴿ كَمْتَلِ اللَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بنو قينقاع، وكانوا وادعوا رسول الله، ثم غدروا، فحصروهم، ثم نزلوا على حكمه أن له أموالهم، ولهم النساء والذَّرية. فالمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبني قينقاع فيما فعل بهم، والثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد. والمعنى: مثلُ هؤلاء اليهود كمثلِ المشركين الذين كانوا من قبلهم قريباً، وذلك لقرب غزاة بني النضير من غزاة بدر. والثالث: أنهم بنو قريظة، فالمعنى: مثلُ بني النضير كبني قريظة ﴿ وَلَهُمْ عَذَاتُ أَرْمِيمٌ ﴾ بأن قُتلت مقاتلتهم، وسُبِيتُ ذراريهم، وهؤلاء أجلوا عن ديارهم فذاقوا وبال المنافقين في غرورهم بني النضير، وقولهم: لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم، ولئن قوتلتم لننصرنكم، كمثل الشيطان: ﴿ لَمَن الله الشيطان، وهو عام في جميع مثل النس، قاله مجاهد. والثاني: أنه مَثلٌ ضربه الله لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين، وهذا شرح قصته. ذكر الناس، قاله مجاهد. والثاني: أنه مَثلٌ ضربه الله لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين، وهذا شرح قصته. ذكر أهل التفسير أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصا تعبَّد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحدٌ منكم يكفيني برصيصا، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحدٌ منكم يكفيني برصيصا، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا

أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا، اطَّلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إنى أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدُّب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إنى لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقْبِلُ إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انفتل، فرآه يصلى، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعِد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا ينفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إنى منطلق عنك، فإن لى صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصًا، وكره مفارقته، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَواتٍ أعلمكها، يشفى الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، فقال برصيصا: إنى أكره هذه المنزلة، لأن لى في نفسى شغلاً، أخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكتُ الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرَّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبِّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟ قالوا نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنِّيُّه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافى، فقالوا له: ذُلَّنا، قال: انطلقوا إلى برصيصا العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيُعافّون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبِّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تَدَعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا، ومن هَو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منًّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟! قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبي عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتُضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟! فإن سألوك عنها فقل: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل بها حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدَّقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعتْ إليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسَوْا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال؛ ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط، وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتُّهمتموني، قالواً: لا والله، واستحيُّوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عِدوَّ الله لم قتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وصَلْبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علَّمتك الدعوات، ويحك ما اتَّقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحيِّيْتَ من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟! فإن مِتَّ على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له،

فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت ﴿إنِّ بَرِيَّ مِناكَ﴾ ثم قتل^(١). فضرب الله هذا المثل لليهود حين غَرَّهم المنافقون، ثم أسلموهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَخَانُ اللَّهَ ﴾ ونصب ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ياء ﴿إِنِّي ۗ وأسكنها الباقون. وقد بيَّنا المعنى في [الانغال: ٤٨] ﴿فَكَانَ عَنِيْمَهُمّاً ﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿ يَكَائِبًا الَّذِينَ مَامَنُوا اَتَفُوا اللَّهَ وَلَتَنظُرْ نَفَشٌ مَا فَذَمَتْ لِفَدٍّ وَانْقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَسْمَلُونَ ۞ وَلَا نَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّالِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّاللَّا

قوله تعالى: ﴿وَلَتَنظُرَ نَنْسٌ مَا فَدَّمَتُ لِنَدِّ﴾ أي: لينظر أحدكم أيّ شيء قَدَّم؟ أعملاً صالحاً يُنجيه؟ أم سيئاً يُوبِقُه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَذِينَ نَبُوا اللّهَ﴾ أي: تركوا أمره ﴿فَانسَنهُمْ اَنشُسُمُ ۗ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم، فلم يعملوا بالطاعة، ولم يقدِّموا خيراً. قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع.

قوله تعالى: ﴿ وَ الْخَاهِ مَنَا الْقُرْمَانَ عَلَى جَبَلِ ﴾ أخبر الله بهذا عن تعظيم شأن القرآن، وأنه لو جعل في جبل ـ على قساوته وصلابته ـ تمييزاً، كم جعل في بني آدم، ثم أنزل عليه القرآن لتشقّق من خشية الله، وخوفاً أن لا يؤدِّي حق الله في تعظيم القرآن. و «الخاشع»: المتطأطئ الخاضع، و «المتصدّع»: المتشقّق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤرُّر في قلبه مع الفهم والعقل، ويَدُلُكُ على هذا المثل قوله تعالى: ﴿ وَيَلْكَ الْأَنْسَلُ نَصْرِيُهَا النَّابِ ﴾ ثم أخبر بعظمته وربوبيته، فقال تعالى: ﴿ وَقَلْكَ الْأَنْسَلُ نَصْرِيكُ اللَّهُ وَلَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلِيهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلْمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمُ اللهُ الله

⁽۱) الخبر بطوله أخرجه ابن جرير الطبري ٥٠/٢٨ وغيره عن ابن عباس موقوقاً عليه وإسناده ضعيف جداً، وأخرجه المحاكم في «المستدرك» ٢١٪ ٤٥ عن علي في قال: كان راهب يتعبد في صومعته وامرأة زينت له نفسها، فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت، فتتلها فففها، فجاؤوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون، إذ جاءه الشيطان فقال: أنا الذي زينت لك، فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأنزل الله فيك: ﴿كَنَّلُ الشَّيلُينِ إِذَ قَالَ اللاِحْنِ اَسَّعَمْرٌ قَلْنًا كَثَرٌ قَلْ إِلَى بَرِيَتٌ يُنك ﴾ الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدره ١٩٥٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن راهويه، وأحمد في «الزهد»، والبخاري في «تاريخه» وابن المنذر، وابن مردويه، والبهقي في «شعب الإيمان» عن علي في اها. وها رواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبيد بن رفاعة الزرقي يبلغ به النبي في قصة هذا الراهب، فلا يصح رفعها، بل الصحيح أنها موقوفة على علي في وغيره، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم، وقد أورد هذه القصة ابن كثير في «تفسير» من رواية ابن جوير الطبري عن ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، قال: واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العايد هو برصيصا» قالة أعلم.

وجاء في هامش نسخة الرباط بخط مغربي ما يلي:

لله در الحافظ ابن الجوزي، إذ لم ينص على ضعف هذه القصة، إذ نسبها صاحب «الدر المنتور» لعبد الرزاق، وابن راهويه، وأحمد في «الزهد» وعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه» وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححها، وسلمه الذهبي في «التلخيص» وابن مرديه، والبيهقي عن علي موقوفاً، ثم أوردها أيضاً من عند ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً، ثم عن ابن مسعود كذلك، أخرجه ابن جرير، ثم عن ابن أبي الدنيا، وابن مرديه، والبيهقي عن عبد الله بن رفاعة الزرقي مرفوعاً، لكن رفعها لا يصح، إنما الصحيح فيها الوقف على علي، خلافاً لقول ابن عطية لما علمها: «كُنّل اَلتّبكُن إنّ عليه لما علمه على المناسنة منا من أبي الذين أبي الذين أبي الذين وقبل المراد بالإنسان منا من أطاع المنطق من نوع الإنسان، وقبل: هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر فأطاعه، فلما كفر قال: إني بريء منك. وقبل: المراد بالإنسان، وقال الرازي في «تفسيره» قال: إني بريء منك. وقبل: المراد بالإنسان، وقال الرازي في «تفسيره» أن منا المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم: ﴿ اللهِ أَلَى مَدَدُمُ ﴾ ﴿ كُنّلُ النّبَالَذِي السّبَادُ اللهِ الله عنه العاقب الماقبة. المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، قال: والأول أولى اهم. يريد بذلك عموم جنس الإنسان، وقال الرازي في «تفسيره» أي مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم: ﴿ إِنْ أَنْرَبُهُ كُنّلُ النّبَادُنِ إِنْ قَالَ الْإِنْ النّبَادُنِ إِنْ قَالَ الْإِنْ النّبَادُنِ النّبَادُة اللهِ المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم: ﴿ إِنْ أَنْ أَنْ مَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

«القدوس»: الطاهر من العبوب، المنزُّه عن الأنداد والأولاد. و القدس: الطهارة. ومنه سمى: بيت المقدس، ومعناه: المكان الذي يُتَطَهِّرُ فيه من الذنوب. وقيل للجنة: حظيرة القدس، لطهارتها من آفات الدنيا. والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فُعول بضم الفاء إلا "قُدُّوس"، و "سُبُّوح" وقد يقال أيضاً: قَدُّوس، وسَبُّوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولهم: سَفُّود، وكَلُّوب. فأما «السلام» فقال ابن قتيبة: سمى نفسه سلاماً، لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء. وقال الخطابي: معناه: ذو السلام. والسلام في صفة الله سبحانه: هو الذي سَلِمَ من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخلقُ من ظلمه. فأما «المؤمن»، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه الذي أمِنَ الناسُ ظلمَهُ، وأمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابَهُ، قاله ابن عباس، ومقاتل. **والثاني**: أنه المجير، قاله القرظي. والثالث:الذي يصدِّق المؤمنين إذا وحَّدوه، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الذي وَحَّد نفسه، لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] ذكره الزجاج. والخامس: أنه الذي يُصدِّق عباده وعده، قاله ابن قتيبة. والسادس: أنه يصدُّق ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخيِّب آمالَهم، كقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي الله عنه الخطابي. فأما «المهيمن» ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي. قال الخطابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيِّبِنَّا عَلَيْرٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل. والثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك، قال الخطابي: وأصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاءً، لأن الهاء أخفُّ عليهم من الهمزة. ولم يأت مُفَيْعِلٌ في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف المسيطر، و المُبيطر، و المهيمن،. وقد ذكرنا في سورة [الطور: ٣٧] عن أبي عبيدة، أنها خمسة أحرف. والثالث: المصدِّق فيما أخبر، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل. قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَنْ رَ النَّاسِ بَسَعْدَ نَسِيًّ مِ مُهَيْمِنهُ التاليه في الْعُرْفِ والْنُّكُو

يريد القائم على الناس بعده بالرَّعاية لهم. وقد زدنا هذا شرحاً في [المائدة: ٤٨] وبيَّنا معنى «العزيز» في [البغرة: ١٢٩]. فأما «المجبار»، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العظيم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسدي. وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء. وحكى الخطابي: أنه الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره السلطان، وأجبره. والثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. والرابع: أنه العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبات: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطابي. فأما «المتكبر» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة. والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج. والثالث: أنه ذو الكبرياء، وهو الملك، قاله ابن الأنباري. والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق. والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فقصمهم، ذكرهما الخطابي. قال: والتاء في «المتكبر» تاء التفرد، والتخصص، لأن التعاطي والتكلّف والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلل. وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق. وأما «الخالق» فقال

⁽۱) هذه قطعة من حديث قدسي رواه البخاري في «صحيح» ٣٥/ ٣٥٠، ومسلم ٢١٠٧، ولفظه عند البخاري بتمامه: عن أبي هريرة هله قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً نقرب إلي ذراعاً تقريت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». والحديث يرشد إلى تحسين الظن بالله هذا، ولكن حسن الظن إنما يكون لمن تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة، فمن فعل ذلك، ثم أحسن الظن، فقد أحسن، وحله محله، وأما من أساء وأصر على الكبائر، فوحشة المعاصي لا يجامعها إحسان الظن بالله تعالى. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٢٧/١٦؛ قال صاحب «المشارق»: والمراد بما جاء في الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد، أو تيسير طاعته وتقويته عليها، وتمام هدايته وتوفيقه، والله أعلم بمراده. اهد:

⁽٢) روى مسلم في «صحيحه ١٧٣/١٦ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة في قال: قال رسول الله ﷺ: «العزّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فعن ينازعني عدبته، قال النوري: هكذا هو في جميع النسخ «العز إزاره والكبرياء رداؤه» فالضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى، للعلم به، وفيه محذوف =

الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع لهم على غير مثال سبق، فأما في نعوت الآدميين، فمعنى الخلق: كقول زهير: وَلْأَنْــتَ تَــفْــرِي مِــا خَــلَــفْــتَ.وبَــغــــ فُسُ الْــقَــوْم يَــخُــلُــقُ ثـــم لَا يَــفــزِي

يقول: إذا قدرت شيئاً قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، أي: يتمنَّى ما لا يبلغه. و﴿ الْبَارِئُ ﴾ الخالقُ. يقال: بَرَأَ الله الخلق يَبْرُؤُهُمْ. و «المصوَّر»: الذي أنشأ خلقه على صُورٍ مختلفةٍ ليتعارفوا بها. ومعنى: التصوير: التخطيط والتشكيل. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع «البارئ المصوَّر» بفتح الواو والراء جميعاً، يعني: آدم ﷺ. وما بعد هذا قد تقدم بيانه[الأعراف: ١٨٥، والإسراء: ١١٥] إلى آخر السورة.

帝 帝 帝

تقديره، قال الله تعالى: ومن ينازعني ذلك أعلبه، ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك.

⁽۱) قديوانه: ٩٤ قرمختار الشعر الجاهلي، ٢٦٥/١ وقالأضداد؛ لابن السكيت: ٢٠٥، وقشرح شواهد الشافية؛ ٢٢٩، وقالكتاب، ٢٨٩/٢ وقالحيوان؛ ٣٨٣/٣ الخالق هنا: الذي يقدر الجلد ويهيئه لأن يقطعه ويخرزه. والفري: القطع، يريد أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه كما يعجز بعض القوم عن إتمامه.

سورة الممتحنة

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بنسب ألَّهِ الْكَانِ الْجَيْسِ الْجَيْسِيْ

قوله تعالى: ﴿ يَكَانُهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَنْفِذُوا عَدُونِي وَعَدُونُهُمْ أَوْلِيَّاتَهُ ذكر أهل التفسير أنها نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صَيْفيّ بن هاشم أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهَّزُ لفتح مكة، فقال لها: ﴿أُمسلمةَ جَسُتِ؟﴾ قالتْ: لا، قال: ﴿فما جاء بكِ؟﴾ قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالمي، وقد احتجت حاجةً شديدة، فقدِمت إليكم لتعطوني. قال لها رسول الله ﷺ: ﴿فَأَينَ أَنْتِ مِن شَبَابِ أَهُلَ مُكَة؟ وكانت مغنية، فقالت: ما طُلِبَ منى شيءٌ بعد وقعة بدر، فحتَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فَكَسَوْها، وحملوها، وأعطُّوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، [وكتب في الكتاب: مِن حاطب إلى أهل مكة] إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت به سارة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مَرْثَدٍ، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ»(١)، فإن فيها ظعينةٌ(٢) معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وخُلُوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها، فخرجوا حتى أدركوها ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها فلم يجدوا شيئًا، فهمُّوا بالرجوع، فقال عليٌّ: والله ما كَذَّبْنَا ولا كُذَّبْنَا، وسلَّ سيفه، وقال: أخرجي الكِتابُ، وإلا ضربت عنقك، فلما رأت الجِدُّ أخرجته من ذؤابتها(٣)، فخلُّوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه، فقال له: (هل تعرف الكتاب؟) قال: نعم. قال: (فما حملك على ما صنعت؟؛ فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلَّا وَلَه بمكة من يمنع عشيرته، وكنت [غريباً] فيهم، وكان أهلي بين ظهرانَيْهم، فخشيتُ على أهلي، فأردت أن أُتَّخِذَ عندهم يداً، وقد علمتُ أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدَّقه رسول الله على وعَذَرَهُ، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: ووما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر، فقالوا: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، (٤). وقد أخرج هذا الحديث في «الصحيحين، مختصراً، وفيه ذكر علي، وابن الزبير، وأبي مَرْثَدِ فقط^(ه).

⁽١) ﴿ وَوَضَّةَ خَاخَ ﴾ : موضع بين مكة والمدينة، شرفهما الله تعالى، بقوب المدينة.

⁽٢) الظمينة هنا: الجارية، وهي في الأصل: الهودج، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

 ⁽٦) اللـۋابة: الناصية، أو منبتها من الرأس، وشعر في أعلى ناصية الفرم، والمراد هنا: الشعر المضفور من شعر الرأس.

⁽٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٥ ولم ينسبه لأحد، بل قال: قال جماعة من المفسرين: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة . . . فذكره .

 ⁽٥) انظر قصحيح البخاري، ٧/ ٢٠٠ و ٨/ ٤٨٦، وقصلم، ٤/ ١٩٤١، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٠٢/٦ من رواية قالصحيحين، وزاد نسبته
 لأحمد في قالمسند، والحميدي، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأبي عوانة، وابن حبان، وابن جرير، وابن المناد، وابن أبي =

قوله تعالى: ﴿ تُلْقُرُكَ إِلَيْهِم بِالْمَوَقَ ﴿ وَفِيه قولانَ: أحدهما: أن الباء زائدة، والمعنى: تلقون إليهم المودّة، ومثله ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْكَادِ بِظُلْمِ ﴾ [الحج: ٢٥]، هذا قول القراء، وأبي عبيدة، وابن قتيبة، والجمهور. والثاني: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسِرَّه بالمودة التي بينكم وبيئه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَفَرُالُهُ الواو للحال، وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وهو القرآن ﴿ يُمْرِجُونَ ارْسُولَ وَإِنَّاكُمْ ﴾ من مكة ﴿ أَن نُوْمِثُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنُمُ خَرَحْتُنَ ﴾ هذا شرط، جوابه متقدّم، وفي الكلام تقديم وتأخير. قال الزجاج: معنى الآية: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

قوله تعالى: ﴿ شُرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوْنَ﴾ الباء في «المودّة» حكمها حكم الأولى. قال المفسرون: والمعنى: تُسِرُون إليهم النصيحة ﴿ وَإِنَا أَغَلَرُ بِمَا أَخْنَيْتُمُ مِن المودَّة للكفار ﴿ وَمَا أَغَلَتُمُ ۚ أَي: أَظَهرتم بالسنتكم. وقال ابن قتيبة: المعنى: كيف تستسرُون بمودتكم لهم مني وأنا أعلم بما تضمرون وما تظهرون؟!

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفْمَلُهُ مِنكُمُ يعني: الْإسرار والإلقاء إليهم ﴿ فَقَدْ ضَلَ سَوَآءَ السَّكِيلِ ﴾ أي: أخطأ طريق الهدى. ثم أخبر بعداوة الكفار فقال تعالى: ﴿ إِن يَتَقَوْكُمُ أَي: يظفروا بكم ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَمَدَاءَ ﴾ لا موالين ﴿ وَيَبْسُلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُم وَاللَّهُم وَاللَّهُم اللَّهُمُ وَوَدُوا لَوْ تَكُفُرُونَ ﴾ فترجعون إلى دينهم. والمعنى: أنه لا ينفعكم التقرُّب إليهم بنقل أخبار رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ لَن تَنفَكُمُ أَرْمَاكُمُ أَي: قراباتكم، والمعنى: ذوو أرحامكم، أراد: لن ينفعكم الذين عصيتم الله لأجلهم، ﴿ يَوْمَ ٱللَّيْكَةُ يَنْجَلُ يَنْكُمُ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: أيُفصّل، برفع الياء، وتسكين الفاء، ونصب الصاد. وقرأ ابن عامر: (يُفصّل بينكم، برفع الياء، والتشديد، وفتح الصاد، وافقه حمزة، والكسائي، وخلف، إلا أنهم كسروا الصاد. وقرأ عاصم، غير المفضل، ويعقوب بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد، وتخفيفها. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية: (تُفصّل بنون مرفوعة، وفتح الفاء، مكسورة الصاد مشددة. وقرأ أبو رزين، وعكرمة، والضحاك: (تَفصِل) بنون مفتوحة، ساكنة الفاء، مكسورة الصاد خفيفة، أي: نفصل بين المؤمن والكافر وإن كان ولده. قال القاضي أبو يعلى: في هذه القصة دلالة على أن الخوف على المال والولد لا يبيح التقية في إظهار الكفر، كما يبيح في الخوف على النفس، ويبين ذلك أن الله تعالى فرض الهجرة، ولم يعذرهم في التخلّف لأجل أموالهم وأولادهم. وإنما ظن حاطب أن ذلك يجوز له ليدفع به عن ولده، كما يجوز له أن يدفع عن نفسه بمثل ذلك عن غير تأويل.

قوله تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسوةٌ حَسَنةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ» وقرأ عاصم: ﴿أَسوةٌ بَضَم الأَلْف، وهما لغتان، أي: اقتداءٌ

حاتم، وابن مردويه، والبيهقي وأبي نعيم في «الدلائل» عن علي في أن الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٧/٨ في شرح قوله في وما يلديك لعل الله اطلع على أمل بدر فقال: اعملوا ما شنتم فقد فقرت لكم»: قال القرطبي: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن مؤلاء، حصلت لهم حالة ففرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من المذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التربة ولازم الطريق المثلى، ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. اهد.

⁽١) زيادة ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

حَسَن به وبمن معه. وَفيهم قَوْلاَن: أَحَدُهُما: أَنهُم الأنبياء. والثّاني: الْمؤمنون، ﴿إِذَ قَالُوا لِتَوْمِمْ إِنّا بُرَيَاثُوا مِنكُمُ قَالَ الفراء: يقول: أفلا تَأَسَّيْتَ يا حاطَب بإبرَاهيم وَقَوْمَهُ فَتَبرَّآتَ مَنَ أَهلكَ كَمَا تَبَرُؤُواْ مِن قُومَهُم؟!

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قُولَ إِنَرُهِمَ لِأَبِيهِ قَالُ الْمَفْسُرُونَ: والْمَعْنَى: تَأْسُواْ بِاِبْرَاهِيم إِلا فِي اَسْتَفَارُ إِبراهِيم لأبيه فلا تأسُّوا به في ذلك، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه ﴿ وَمَا أَتَلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِن شَيَّ أَيْ اللهِ أَنْ عَنكُ عذاب الله إِن أَسْركت به، وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه: ﴿ وَيَنَا عَلَيْكَ تَرَكُنُ إِلَى قُولُه تعالَى: ﴿ اللّهِ قَالُ الفراء: قولُوا أَنتم: ربنا عليك توكلنا. وقد بينا معنى قوله تعالى: ﴿ لَا جَمَلْنَا نِتَنَدُّ لِلّذِينَ كَثَرُهُ ﴾ في إيونس: ١٨٥. ثم أعاد الكلام في ذكر الأسوة فقال تعالى: ﴿ لَمَن كَانُ وَلَكُ أَنهُم كَانُوا يَبغَضُونَ مَن خالف الله. وقوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانُ اللّهِ وَلَكُ أَنْهُم كَانُوا يَبغَضُونَ مَن خالف الله. وقوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانُ اللّهِ وَلَكُ أَنْهُم كَانُوا يَبغَضُونَ مَن خالف الله. وقوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانُ اللّهِ عَلَى اللّهِ وَلِينَ اللّهُ عَلَى اللّهِ وَلِلْكُ أَنْهُم كَانُوا اللّهُ وَيَخْشَى عقابِ الأَخْرَة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَكُ أَي: يعرض عن الإيمان ويوال الكفار ﴿ فَإِنَّ اَللَّهَ هُوَ ٱلْفَيْكُ عن خلقه ﴿ ٱلْحَيَيدُ ﴾ إلى أوليائه. فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادُوا أقرباءهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَنَى اللهُ أَن يَجْمَلَ يَتَنكُرُ وَيَبّنَ اللَّذِن فَاتيتُم أِين مَن كفار مكة ﴿ مَوَدَّةٌ ﴾ ففعل ذلك، بأن أسلم كثير منهم يوم الفتح، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فانكسر أبو سفيان عن كثير مما كان عليه حتى هذاه الله للإسلام ﴿ وَاللّهُ فَدِيَّ ﴾ على جعل المودة ﴿ وَاللّهُ عَفُورٌ ﴾ لهم بعدما أسلموا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَهَاكُرُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُكْتِلُوكُمْ فِ الدِّينِ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد المُزَّى، قَلِمَت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل هداياها، ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة رسول الله على فنزلت هذه الآية، فأمرها رسول الله على أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتكرمها، وتحسن إليها، قاله عبد الله بن الزبير (۱۱). والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله على عن الحسن البصري أنها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله على عهد، فداموا على الوفاء به. والثالث: نزلت في غوم من بني هاشم منهم العباس، قاله عطية العوفي ومرة. والرابع: أنها عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَالنَّهُ اللَّهُ وَكُلُهُ اللَّهُ الدّرية عن منسوخة بقوله تعالى المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز بِرَّهم، وإن كانت الموالاة منهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَرْ يُمْرِهُو مِن دِيَرِكُم أَي: من مكة ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُتَسِطُوٓا إِلَيْمَ ﴾ أي: تعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوله تعالى: ﴿ وَطَانَهُوا عَلَى إِخْرَاحِكُم أَي: عاونوا على ذلك ﴿ أَن تَوَلَّوْهُ أَي المعنى: إنما ينهاكم عن أن تَولُوا هؤلاء، لأن مكاتبتهم بإظهار ما أسرَّه رسول الله على موالاة. وذكر بعض المفسرين أن معنى الآية والتي قبلها منسوخ بآية السيف. قال ابن جرير: لا وجه لادِّعاء النسخ، لأن بِرَّ المؤمنين للمحاربين سواء كانوا قرابة أو غير قرابة، غير محرم إذا لم يكن في ذلك تقوية لهم على الحرب بكراع أو سلاح، أو دلالة لهم على عورة أهل الإسلام. ويدل على ذلك حديث أسماء وأمَّها الذي سبق.

⁽۱) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ۲۱۷ من رواية عبد الله بن المبارك عن مصحب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير .
ومصحب بن ثابت لين الحديث كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». ورواه أحمد في «المسند» ٤/٤ من رواية ابن المبارك، والطبري، والحاكم
في «المستدك» ٢/٥٨٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناه ولم يخرجاه، ووافقه اللهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائلة» ١٢٣/٧ من رواية أحمد
والطبراني والبزار، وقال: وفيه مصمب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، ويقية رجاله رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «المده ٢٠٤/٦ من رواية أحمد
وزاد نسبته للطيالسي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والتحاص في «تاريخه»، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير عليه. وروى أحمد في
همسنده والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» بغير هذا السياق عن أسماه بنت أبي بكر ربي قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا،
فأتيث النبي على قلت: يا رسول الله إن أمني قدمت وهي زاغبة، أفاصلها؟ قال: فتمم صلي أمك».

﴿ يَكَانُهُمُ الَّذِينَ مَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُتُومِنَتُ مُهَنجِرَتِ فَاَسَحِتُوهُمَّ اللَّهُ أَمْلُم بِإِينَدِينَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ إِذَا جَاءَكُمُ المُتُومِنَتُ مُهَنجِرَتِ فَاسَحِتُوهُمَّ اللَّهُ أَمَلُمُ بِإِنَّا يَلْمُتُمُومُنَّ أَبُورُهُمَّ وَلا تُمْسِكُوا بِمِصَمِ الكَوْافِرِ وَسَتَلُوا مَا أَنْفَتُمُ وَلَا تُمْسِكُوا بِمِصَمِ الكَوْافِرِ وَسَتَلُوا مَا أَنْفَتُمُ وَلِيَّا مُلْفَعُ مِنْ أَنْ اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَقَدُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلِيمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِمُ عَلِيمٌ عَلَيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيمٌ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عِلْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَي عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ ع

قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَآءَكُمُ ٱلنُّوْمِنَتُ مُهَاجِرُتِ فَاتَّتَحِنُومُنَّ ﴾ قال ابن عباس: إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحُديبية على أنَّ من أتاه من أهل مكة ردَّه إليهم. ومن أتى أهل مكة من أصحابه، فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب، وختموه، فجاءت سُبَيْعَة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد: اردد على امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن تردَّ علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تَجِفُ بعدُ، فنزلت هذه الآية (١). وذكر جماعة من العلماء منهم محمد بن سعد (٢) كاتب الواقدي (٣) أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فَقَدِمَتْ المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعُمارة ابنا عقبة، فقالا: يا محمد، أوف لنا بشرطنا، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، فتردّني إلى الكفار يفتنوني عن ديني، ولا صبر لي؟! فنقض الله عزَّ وجلَّ العهد في النِّساء، وأنزل فيهن المحنة، وحكم فيهنَّ بحكم رضوه كلُّهم، ونزل في أم كَلْثُوم ﴿ فَآمَتُحِنُومُنَّ ﴾ فامتحنها رسول الله ﷺ، وامتحن النساء بعدها، يقول: والله ما أخرجكنَّ إلا حبُّ الله ورسولهِ، وما خرجتنَّ لزوج ولا مال؟ فإذا قلن ذلك تركن، فلم يرددن إلى أهليهن^(٤). وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سبيعة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط، وقد ذكرناه عن جماعة من أهل العلم، وهو المشهور. والثالث: أميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف، ذكره أبو نعيم الأصبهاني. قال الماوردي: وقد اختلف أهل العلم هل دخل ردُّ النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟ فقالت طائفة: قد كان شرط ردِّهن في لفظ الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله تعالى ردُّهن من العقد، ومنع منه، وأبقاه في الرجال على ما كان. وقالت طائفة: لم يشرط ردُّهن في العقد صريحاً، وإنما أطلق العقد، وكان ظاهر العموم اشتماله مع الرجال، فبين الله ﷺ خروجهنَّ عن عمومه، وفرق بينه وبين الرجال لأمرين: أحدهما: أنهن ذوات فروج تحومن عليهم. والثاني: أنهنّ أرقُّ قلوبًا، وأسرع تقلُّبًا منهم. فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهم. وقال القاضي أبو يعلى: وإنما لم يردُّ النساء عليهم، لأن النسخ جائز بعد التميكن من الفعل، وإن لم يقع الفعل(٥٠). قال المفسرون: والمراد

١١) قال الحافظ ابن حجر في اتخريج الشكاف، ١٦٨: هكذا ذكره البغوي عن ابن عباس بغير سند.

 ⁽۲) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم أبو عبد الله (۱۲۸ - ۲۳۰هـ) صاحب «الطبقات الكبرى»: مؤرخ ثقة ومن حفاظ الحديث الثقات، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها وصحب الواقدي المؤرخ زماناً، فكتب له وروى عنه، وعرف بـ «كاتب الواقدي» المؤرخ. قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: صدوق فاضل.

⁽٣) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي (١٣٠ - ٢٥٠هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، ثم انتقل إلى العراق، وولي قضاء بغداد، واستمر فيها إلى أن توفي، وهو الذي ينسب إليه كتاب افتوح الشام، وأكثره مما لا تصبح نسبته إليه، له مؤلفات كثيرة، ولكنه مع سعة علمه متروك، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهري، صاحب «الطبقات».

⁽٤) ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٣٣٠ بغير سند. وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٦ من رواية ابن سعد عن ابن شهاب بنحوه وهو مقطوع. وذكره بنحوه الحافظ الهيشي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٣٢ من رواية الطبراني عن عبد الله بن أبي أحمد، وقال: وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف، وأورده بنحوه الحافظ السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٦ ققال: أخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد... فذكره.

⁽٥) قال القرطبي في «تفسيره» ٨١/٩٣: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشاً، من أنه يرد إليهم من جاء منهم مسلماً، فنسخ من ذلك النساء، قال: وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن. وقال ابن كثير في «تفسيره» ١٤٠٤: تقدم في سورة (الفنح) ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، فكان فيه: على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال: وهذا قول عروة، والفحاك، وعبد الرحمن بن زيد، والزهري، ومقاتل بن حيان، والسدي، قال: فعلى هذه الرواية تكون هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، قال: وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله \$ك =

بقوله تعالى: ﴿يَاتُمُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي تولَّى امتحانهن، ويراد به سائر المؤمنين عند غيبته ﷺ. قال ابن زيد: وإنما أمرنا بامتحانهن، لأن المرأة كانت إذا غضبت على زوجها بمكة، قالت: لألحقنَّ بمحمد. وفيما كان يمتحنهن به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يمتحنهن به شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، رواه العوفي عن ابن عباس^(۱). والثاني: أنه كان يستحلف المرأة بالله: ما خرجتِ من بغض زوج، ولا رغبةً عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجتِ إلا حباً لله ولرسوله، روي عن ابن عباس أيضاً أن والثالث: أنه كان يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآمَكَ ٱلنَّوْمِنَتُ يُبَايِمَنَكَ ﴾ فمن أقرت بهذا الشرط قالت: قد بايعتك، هذا قول عائشة (۱).

قوله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِالْمَنْدِينَ ﴾ أي: إن هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهن، ﴿إِنَّ عَلِمْتُمُوثُنَّ مُؤْيَّسُونَ وَذلك يُعلم بإقرارهن، فحينئذِ لا يحل ردُّهُنَ ﴿إِلَى آلكَنَارِّ ﴾ [لأن الله تعالى لم يبح مؤمنة لمشرك ﴿وَمَانُوهُم ﴾ يعني أزواجهن الكفار] ﴿مَا آنفَتُوا ﴾ يعني: المهر. قال مقاتل: هذا إذا تزوجها مسلم. فإن لم يتزوجها أحد، فليس لزوجها الكافر شيء ﴿وَلَا جُنُكُمُ أَنْ تَنكِمُوهُنَّ إِذَا مَائِنْمُوهُنَّ أَبُرَهُنَّ ﴾ وهي المهور.

فصل

عندنا إذا هاجرت الحرة بعد دخول زوجها بها، وقعت الفرقة على انقضاء عدتها. فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي امرأته، وهذا قول الأوزاعي، والليث، ومالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين (١٤).

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُتَكِدُوا بِمِسَمِ ٱلكَوَارِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تُمسكوا» بضم التاء، وبالتشديد. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والنبيعمر، وأبو حيوة: «تَمسّكوا» بفتح التاء، والميم، والسين مشددة. و «الكوافر» جمع كافرة، وعكرمة، والحسن، وابن يعمر، وأبو حيوة: «تَمسّكوا» بفتح التاء، والميم، والسين مشددة. و «الكوافر» جمع كافرة، والمعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن المقام على نكاح الكوافر، وأمرهم بفراقهن. وقال الزجاج: المعنى: أنها إذا كفرت، فقد زالت العصمة بينها وبين المؤمن، أي: قد انبتَّ عَقْدُ النكاح. وأصل العصمة: الحبل، وكلُّ ما أمسك شيئاً فقد عصمه.

قوله تعالى: ﴿وَرَسْتُواْ مَا أَنْفَتُمُ ﴾ أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدّة، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا لم يدفعوها إليكم ﴿وَلِسْتُواْ مَا أَنْفَوْا ﴾ يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم، فليسأل أزواجهن الكفار من تزوجهن هما أنفقوا » وهو المهر. والمعنى: عليكم أن تغرموا لهم الصداق كما يغرمون لكم. قال أهل السيّر: وكانت أم كلثوم حين هاجرت عاتقاً لم يكن لها زوج فيبعث إليه قدر مهرها، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة.

قوله تعالى: ﴿ زَالِكُمْ مُكُمُّ اللَّهِ ﴾ يعني ما ذكر في هذه الآية.

ا مر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهنَّ، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار، لا هنَّ حل لهم، ولا هم يحلون لهن. اهـ.

⁽١) رواه الطبري ٢٨/٢٨ بإسناد مسلسل بالضعفاء عن ابن عباس.

⁽٢) رواه الطبري ٢٧/٢٨ من حديث قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس... وقيس بن الربيع الأسدي قال الحافظ: صدوق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، وأبو نصر الأسدي وثقه أبو زرعة، وقال البخاري: لم يعرف سماعه من ابن عباس.

⁽٣) رواه الطبري ٢٨/٢٨ من رواية ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضيًا، والترمذي ٢/ ١٦٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْسُومُنَ إِلَ الكَفَارِ لَا مُنَ جِلَّ لَمْ رَلا مُمْ عَلِنَ لَأَنْ مَلْ مَنْ عَلِلْ الله عَلَى الله عَلَى أَن الله على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامها، لا هجرتها. وقال أبو حنيفة: الذي قرق بينهما هو اختلاف الدارين، قال: والصحيح الأول، لأن الله تعالى قال: ﴿ لا مُنْ جِلَّ لَمْ مَ يَلُونَ لَا هُمْ عَلَى فَيْلُونَ عَلَى الله عنه الحل بالإسلام، وليس باختلاف الدار . والله أعلم.

فصل

وذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَسِكُواْ بِمِمَمِ ٱلْكَوَاذِ﴾ أنه نسخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَٱلْخُمَنَتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَكِ﴾ [المائد: ٥]، وهذا تخصيص لا نسخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن فَانَكُو شَيّهُ مِن آزَوَمِكُم إِلَى آلْكُنّارِ فَمَاقَبَم ﴾ قال الزجاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم. وقرأ ابن مسعود، والأزهري، والنخعي: «فعَقَبَم» بغير ألف، وبفتح العين والقاف، وبتخفيفها. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وحميد، والأعمش مثل ذلك، إلا أن القاف مشددة. قال الزجاج: المعنى في التشديد والتخفيف واحد، فكانت العقبى لكم بأن غلبتم. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، ومجاهد: «فأعقبتم» بهمزة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: «فعقبتم» بفتح العين، وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف ﴿فَنَاتُوا خَفِيفة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: «فعقبتم» بفتح العين، وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف ﴿فَنَاتُوا الْأَزُواجِ مِن رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر. وذكر بعض المفسرين أن الله المنافقة بن عياض بن غنم (۱۱)، كانت زوجته مسلمة، وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدَّث، فلحقت بمكة، فأمر الله المسلمين أن يعطُوا زوجها من الغنيمة بقدر ما ساق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ يُنَ اللّهِ وَرَسُولِيه ﴾ [النوبة: ١] إلى رأس الخمس.

فصل

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صداق قد وجب ردَّه على أهل الحرب، منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. قلت: وكذا قال مقاتل: كل هؤلاء الآيات نسختها آية السيف.

﴿يَكَانُهُمُ النِّيمُ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَتُ بُبَايِفِنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكِنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرِفَنَ وَلَا يَشْلُلَنَ أَوْلَلَدَمُنَّ وَلَا بَأْنِينَ بِبُهْتَنِ بَمْقَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْشِلِهِنَّ وَلَا يَسْمِينَكَ فِي مَعْرُونِ فَبَايِفَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَئَنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُرُرٌّ رَّحِيمٌ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَتُ يُابِمِنَكَ﴾ قال المفسرون: لما فتح رسول الله على مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتهن الشرائط المذكورة في الآية، فبايعهن وهو على الصفا، فلما قال: ولا يزنين، قالت هند (٢): أو تَزني الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربَّيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم (٣). وقد صع في الحديث أن النبي على لم يصافح في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام (٤). وقد سمَّينا من أحصينا من المبايعات

⁽۱) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد الفهري، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد، وكان يقال له: زاد الراكب، لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده، وإذا كان مسافراً آثرهم بزاده، فإن نفذ نحر لهم جمله.

⁽٢) هي هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

⁽٣) ذكره بنحوه البغوي في الفسيره، وكذلك الخازن، قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف،: لم أره بسياق، لكن أخرجه الطبري بمعناه وأخص منه من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيّناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب على حتى استلقى.

⁽٤) روى البخاري في «صحيحه» ٨٨/٨٤ عن عروة بن الزبير أن عائشة ﴿ أَن عائشة ﴿ كَان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تمالى: ﴿ يَأَيُّنَ النَّيْ إِنَا جَانَكُ النَّهِ الله عَلَى قوله: ﴿ عَمْشُ رَحِيدٌ ﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات: قال لها رسول الله ﷺ: فقد بايعتك كلاماً والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعن إلا بقوله: •قد بايعتك على قلك». والحديث أورده السيوطي في «اللر» ٢٠٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن ماجة، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة ﷺ.

وروى الإمام أحمد من حديث سقيان عن محمد بن المنكدر عن أسيمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لتبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئاً ... الآية. وقال: فليما استطعتن وأطقتن قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: فإني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمئة امرأته قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح، قال: وقد رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عبينة، والنسائي أيضاً من حديث الثوري، ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر به، وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر عن أميمة به، وزاد: فلم يصافح منا امرأته قال: وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به.

والمبايعة عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية.

في كتاب «التلقيح» على حروف المعجم، وهن أربعمائة وسبع وخمسون امرأة، والله الموفق. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقَنُلُنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ قال المفسرون: هو الوأد الذي كانت الجاهلية تفعله.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْنَنِ يَفَرِّينَمُ بَيْنَ أَيْدِينَ وَأَرْجُلِهِنَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قاله ابن عباس، والجمهور، وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وإنما قال: ﴿ يَبْنَ أَيْرِينَ وَأَرْجُلِهِنَ ﴾ لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها. وقيل: معنى ﴿ يَفْتَرِينَمُ بَيْنَ أَيْدِينَ ﴾ : يأخذنه لقيطاً ﴿ وَأَرْجُلِهِنَ ﴾ ما ولدنه من زنى. والثاني: السحر. والثالث: المشي بالنميمة، والسعي في الفساد، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمِينَكَ فِي مَمْرُونِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النّوح، قاله ابن عباس، وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ (۱) والثاني: أنه لا يَدْعين ويلاً، ولا يَخْدِشْنَ وجهاً، ولا يَنْشُرنَ شعراً، ولا يَشْقُقْنَ ثوباً، قاله زيد بن أسلم. والثالث: جميع ما يأمرهن به رسول الله ﷺ من شرائع الإسلام وآدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي هذه الآية دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المباح دون المحظور.

قوله تعالى: ﴿ فَا يِمْهُنَّ ﴾ المعنى: إذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن.

﴿ يَكَانُهُمُا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا نَنَوَلُوْاْ فَوَمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَهِسُواْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا بَهِسَ الْكُنَّالُ مِنْ أَصَحَبِ اللَّهُورِ ﴿ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا نَنَوَلُواْ فَوَمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتقرَّبون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية ٢٠٠٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَدْ يَبِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمداً، وهم يعرفون صدقه، قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة خير، والمعنى: قد يئسوا من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال قتادة: قد يئسوا أن يبعثوا، ﴿كَمَّا يَبِسَ ٱلْكُفَارُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يئس الكفار مِن بعث مَن في القبور، قاله ابن عباس. والثاني: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة، لأنهم أيقنوا بالعذاب، قاله مجاهد.

* * *

 [◄] قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٨٨٤: قوله: قد بايعتك كلاماً» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرجال
 عند المامة.

وقال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه فشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد عليم المكتب الإسلامي ٩٢٨/٢ وما جاء عن ابن خزيمة ، وابن حبان، والمبزار، والطبراني، وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جدته أم عطية أن في قصة المبايعة، قالت: فعد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: فاللهم اشهده وكذا حديثها الذي في االبخاري، وغيره: فقبضت منا امرأة يدها، فإنه يشعر بأنهن كن يبايعته بأيديهن، والتي قبضت يده هي أم عطية أبهمت نفسها. قال: وأجيب عن الأول بأن مدّ الأيدي من وراء الحجاب، إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقيض الأيدي: التأخر عن القبول. وأم عطية التي قبضت يدها وتأخرت عن المبايعة، رجمت بعد ذلك وبايعها رسول الله الله المرسول الله المست يده عدام أن المبايعة كانت كلاماً، ولم تكن مصافحة باليد، وأن الرسول الله ما مست يده يد امرأة الملا.

اخرجه مسلم في الصحيحة ١٤٦/٢ من حديث أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَايِمْنَكَ عَلَ أَن لا يُشْرِكُ عِلْقَ شَبَا... وَلا يَسْمِبنَكَ فِي مَشْرُونِ﴾
 قالت: كان منه النياحة... وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث أم سلمة الأنصارية قالت امرأة من هذه النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه؟ فقال ﷺ: ولا تتحن... ١٠ الحديث.

 ⁽٢). ذكره الواحدي في اأسباب النزول، ٣١٨ بغير سند ولم يعزه لأحد، وكذلك البغوي والخازن في تفسيريهما، وقال الحافظ السيوطي في «المدر» ٦٠
 ٢١١: أخرج ابن إسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس في قال: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن حارثة، يواذُون رجالاً من يهود، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَا يُنِ عَاشَوْا لَا نَكُولُوا فَوَمّا عَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم ﴾ الآية.

سورة الصف

ويقال لها: سورة الحواريين

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن يسار.

ينسب ألم الكني التجسير

﴿ مَنْجَعَ بِلَهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ وَهُو الْعَزِيرُ لَلْتَكِيدُ ۞ بَكَائِبًا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا نَشْمَلُونَ ۞ حَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن نَقُولُوا مَا لَا نَفْمَلُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ بُحِبُّ الَّذِينَ بُعَنِيلُونَ فِي سَبِيلِهِ. صَفًا كَأَنْهُم بُنْبَنُ مُرْشُوشٌ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: ما روى أبو سلمة عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله على، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله على عملناه، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ يِلِهِ مَا فِي السّمَوْتِ﴾ إلى آخر السورة (١٠). والثاني: أن الرجل كان يجيء إلى النبي على، فيقول: فعلتُ كذا وكذا، وما فعل، فنزلت ﴿لَم تَقُولُونَ مَا لاَ نَفْعَلُونَ ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس (١)، وكذلك قال الضحاك: كان الرجل يقول: قالتُ ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس (١٠). والرابع: أن صهيباً قتل رجلاً يوم بدر، فجاء رجل فادعى أنه قتله وأخذ سلبه، فقال صهيب: أنا قتلته يا رسول الله، فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيب، ونزلت هذه الآية، وأم سعيد بن المسيب عن صهيب. والمخامس: أن المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلما خرج النبي على كصوا عنه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿كُبُرَ مَفْتًا عِندَ اللهِ﴾ قال الزجاج: «مقتاً» منصوب على التمييز، والمعنى: كُبُرَ قولُكم ما لا تفعلون مقتاً عند الله(٤). ثم أعلم ﷺ ما الذي يحبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُعَنِّلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَّهُم بُنْيَنُّ مَقَّا عَند اللهِ أَي يُعِنْ أَي اللهِ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهِ عَالْمُ عَلَا عَالِمُ عَلَا عَلَا عَلْمُ عَالِمُ عَلَا عَلْمُ عَلَا عَلْمُ عَلَ

⁽١) رواه الدارمي في «سننه» ٢٠٠٧، والواحدي في «أسباب النزول»، ورواه بمعناه أحمد في «المسند» ٥/ ٤٥٢، والحاكم في «المستدوك» ٢/ ٢٨٤ مسلسلاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والثرمذي ٢/ ١٦٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ١٦٢ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن حبان، ثم قال: وأخرجه ابن المنذر مسلسلاً، والبيهتي في «الشعب» و«السنن» مسلسلاً، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٤١٩: وقد وقع لنا سماح هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها وإسناده صحيح قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

⁽٢) ذكره السيوطي بنحوه في االلم؛ ١١٢/٦ من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس رأي.

 ⁽٣) رواه ابن جرير الطبري ٧٨ / ٨٤ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وذكره السيوطي في اللدر،
 ١١٢/٦ من رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ، وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

⁾ وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَكَاتُمُ اللَّيْنَ مَا تَتُولُونَ مَا لاَ تُقْمَلُونَ ﴾ فيه إنكار على من يبد وعداً أو يقول قولاً لا يفهمه، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعود، أم لا، واحتجوا أيضاً بما ثبت في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: فآية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وفي الحديث الآخر في الصحيح: فأربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها... فذكر منهن إخلاف الوعد، ولهذا أكد الله تمالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿ حَجَبُرٌ مَثناً عِندَ اللَّهِ أَن تَلُولُوا لَا لا تَقْمَلُونَ ﴿ ﴾ . وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود، وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: تزوج ولك علي كل يوم كذا، فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق من آدمي، وهو مبني على المضايقة، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنّوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضه، وهكذا هذه الآية معناها، وهذا اختيار ابن جرير.

المرصوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. وللمفسرين في المراد بـ «المرصوص» قولان: أحلهما: أنه الملتصق بعضه ببعض، فلا يرى فيه خلل لإحكامه، قاله الأكثرون. والثاني: أنه المبنيُّ بالرصاص، وإلى نحو هذا ذهب الفراء، وكان أبو بحرية يقول: كانوا يكرهون القتال على الخوين القتال على الأرض لهذه الآية (١٠). اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التَّراغِمي، يروي عن معاذ (١)، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفُّون في الغالب إنّما يَصْطَفَّ الرَّجَالة (٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُومَى لِغَوْمِهِ يَغَوْرِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدَ لَمُمَلُّونَ أَنِي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَا زَاغُوا أَزَاغَ اللّهُ فَلُومَهُمْ وَاللّهُ لا يَجْدِى الْفَرْمِ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهُ فَلَا يَبْنَ يَدَى مِنْ النَّوْمَةِ وَمُبَيْرًا بِرَسُولِ بَلْهِ رَسُولُ اللّهِ إِلَكُمْ نُسُدِقًا لِنَا بَيْنَ يَدَى مِنْ النَّوْمَةِ وَمُبَيْرًا بِرَسُولِ بَأَنِي مِنْ النَّرَفُ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَهُو بُدْعَى إِلَى اللّهِ اللّهِ مَنْ النَّالِينَ اللّهُ اللّهُ مِنْ النَّذِي اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ أُورِهِ وَلَوْ كَوْ اللّهُ اللّهُ مُنْ أَوْمِهِ وَلَلْهُ مُنْ أُورِهِ وَلَوْ كَوْ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذيك من المنافقين ما صنعتُ بالذين آذَوًا موسى، وقد ذكرنا ما آذَوًا به موسى، في [الأعزاب: ٢٩٩](٤).

قوله تعالى: ﴿ فَلْنَا زَاغُوا ﴾ أي: مالوا عن الحق: ﴿ أَنَاعُ اللّهُ تُلُوبُهُم ﴾ أي: أمالها عن الحق جزاءً لما ارتكبوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ يَأْتِي مِنْ بَتَدِى ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم «من بعدي اسْمُه» بفتح الياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «من بعدي اسمه» بإسكان الياء (٥) ﴿ وَمَنْ أَظْرُ مَتَنِ الله الله وَ وَالله وَ الله وَالله وَ الله وَالله وَال

قوله تعالى: ﴿ مَلْ أَذُلُّمُ عَلَىٰ يَحَرِّزُ ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله

⁽١) رواه الطبري في اتفسيره ٨٦/٢٨ وفي سنده بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وقد عنمن في هذا الخبر.

⁽٢) هو عبد الله بن قيس الكندي السكوني التراضي أبو بحرية الحمصي، شهد خطبة عمر بالجابية، روى عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح وأبي المدرداء وأبي هريرة ومالك بن يسار السكوني وحمزة بن ثعلبة، وعنه ابنه بحرية، ويزيد بن قطيب السكوني، وخالد بن معدان، ويزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، وأبو ظبية الكلاعي، وعبد الملك بن مروان، وأبو بكر بن عبيد الله بن أبي مريم، قال ابن عبد البر: تابعي ثقة، وذكر أبو الحسن بن سميع أنه أدرك الجاهلية. قال الحافظ في التقريبة: حمصي مشهور مخضرم ثقة، مات سنة سبع وسبعين.

 ⁽٣) الرَّجَالة، جمع راجِل، وهو الذي يمشي على رجليه، وله جموع كثيرة، قال في «القاموس»: ورَجِل - كفرح - فهو واجِل، ورَجُل، ورَجِل، ورجِيل، ورَجَل، ورَجَل، ورَجَال، ورَجَال

⁽³⁾ قال ابن كثير: وفي هذا تسلية لرسول الله 離 نيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: ورحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا قصير، قال: ﴿يَتَأَيُّمُ اللَّهِ مَا اللَّهُ عَالَمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَالَمُوْمَنِينَ أَنْ يِنالُوا من النبي 蘇 أو يوصلوا إليه أذىّ، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ اللَّهِنَ مَاشُوا لَا تَكُولُوا كَالَيْنَ مَاذَوًا مُرْسَى فَيَرَّكُ اللَّهُ مِنَّا قَالُوا وَقَالِهُ مِنْ اللَّهِ وَمِيمًا ﴾.

 ⁽٥) قال ابن كثير: فعيسى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملاً بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة
 بعده ولا نبوة. وانظر (١١٦٦) من كتابنا هذا.

لعملنا به أبداً، فدلُّهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه (١).

قوله تعالى: ﴿ نُبِيرُ ﴾ قرأ ابن عامر التنجيكم التشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بَيَّن التجارة، فقال تعالى: ﴿ نُوْمُونَ بِاللّهِ إلى قوله تعالى: ﴿ يَمُونَر لَكُ اللّهِ وقوله: الفقر لكم الجواب قوله: الوتجاهدون المناه معنه الأمر. والمعنى: آمنوا بالله وجاهدوا، يغفر لكم، أي: إن فعلتم ذلك، يغفر لكم. وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب الهل وهذا غلط بين الأنه ليس إذا دلّهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر له إذا عملوا بذلك. ومن قرأ اليغفر لهم المواد في اللام في قولهم. وقد ومن قرأ اليغفر لهم المواد في اللام، فغير جائز عند سيبويه والخليل، لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم. وقد رُويَتُ عن أبي عمرو بن العلاء، وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب؛ وقد زعم سيبويه والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحُجَّتهم أن الراء حرف مكرد قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَن اللّهِ وَلَنْ مُ فَي العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبُّونها، ثم فسرها فقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَن اللّهِ وَلَنْ مُ وَلِه وَلاه علاه .

قوله تعالى: ﴿ رَبَشِرِ ٱلنَّوْمِينِ ﴾ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الأخرة. ثم حضَّهم على نصر دينه بقوله تعالى: ﴿ كُونُواْ اَسَارَ اللهِ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «كونوا أنصاراً للله منوَّنة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أنصار الله». معنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نُصْرَة الحواريين لمَّا قال لهم عيسى: ﴿ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى اللهُ ». وقد سبق تفسير هذا الكلام الله مران: ٢٥] ﴿ فَالَمَنَ عَلَيْهَ أَن اللهُ وحرَّك نافع ياء «مَن أنصاري إلى الله». وقد سبق تفسير هذا الكلام الله مران: ٢٥] ﴿ فَالَمَنَ اللهِ عَلَى اللهُ وَلَمْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَكُن عَلَيْهُ وَلَمْ اللهُ عَلَى اللهُ وروحه بتعليم الحجة (٣). قال ابن قتية: ﴿ فَأَصَحُوا ظَهِونَ اللهِ عليهم بمحمد. من قولك: فال عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة (٣). قال ابن قتية: ﴿ فَأَصَحُوا ظَهِونَ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ ورقه الله عليه المحمد. من قولك: فلهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت فوقه.

帝 帝 帝

⁽١) ذكر ذلك البغوي والمخازن في الفسيريهما وقد تقدم في حديث عبد الله بن سلام في أول السورة أن الصحابة رأوا أن يسألوا رسول الله على عن أحب الأعمال إلى الله على المؤد، فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية.

⁽٢) قال ابن كثير: أي لما بلّغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورَمّوه رأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لمائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، قال: وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه قوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً، فمن قائل متهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن، وروح القدم، ومن قائل: إنه الله، وهم النصارى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وقال ابن كثير أيضاً في سورة [المائلة: ٧٧ ، ٧٣] عند قوله تعالى: ﴿ فَلَذَ حَكُمْ النّبِيحُ إِنْ مَنْ الله عن قولهم وتنزه وتقدم علواً كبيراً، قال: وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿ إِنْ صَدْ أَنْكَ وَلُم يقل: إني أنا الله، ولا: ابن الله، بل قال: ﴿ إِنْ صَدْ أَنِّهَ النّبِ وَيَكُمْ فَاعَدُونُ مَنْ عَرَالًا الله، ولا اللهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم عبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ السّبِيعُ يَبَيْنَ إِسْرَكُمْ النّبُونُ النّبُونُ النّبُونِ مَنْ فَلْهُ مَنْ يُنْ الله عَلَى المَالَ عَلَى الله عَلَى اللهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم بعادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ السّبِيعُ يَبَيْنَ إِسْرَكُولُ النّبُولُ اللّهَ وَقَ وَاللّهُ اللّهُ مَنْ وَرَبّعَامُ إِنْكُ مَن يُغْتِلُهُ إِلّهُ مَنْ يَشْرَا الله وَي اللهم في حال كهولته ونبوته آمراً ومَالَدُ النّبُولِينِ مِنْ أَسْرَالُهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مَنْ وَرَبُعْمُ إِنْكُ مَن يُغْتِلُهُ إِلَيْ الله عَلَى المَالِي .

⁽٣) والأول أظهر، والله أعلم.

سورة الجمعة

وهي مدنية كلها بإجماعهم

وقد سبق شرح فاتحتها. وقرأ بأبو الدرداء، وأبو عيد الرحمن السلمي، وعكرمة، والنخعي، والوليد عن يعقوب الملك القدوسُ والعزيزُ الحكيمُ، بالرفع فيهن. وإن قبل: فما الفائدة في إعادته ذكر التسبيح في هذه السورة؟ فالعواب: أن ذلك لاستفتاح السور بتعظيم الله على تستفح يـ اليسم الله الرحمن الرحيم، وإذا جلَّ المعني في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به.

ينسب أقد الكن التيد

﴿ لَمُسْتِحْ يَدُهِ مَا فِي السَّمَوْتِ رَمَا فِي الأَرْضِ الْبَلِكِ الْفُذُوسِ الْمَرْنِ لَلْبَكِيرِ ۞ هُوَ الَّذِى بَمَثَ فِي الأَنْتِيْنَ رَسُولًا يَمْهُمْ بَسُلُوا عَلَيْهِمْ مَايَنِهِ. رَثِرُكَيْهِمْ وَيُتَلِمُهُمُ الْكِنَبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَاثُوا مِن قَبْلُ لَنِي صَلَلِ ثُمِينِ ۞ وَمَاخَرِنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَرَاثُ الْمَاكِمُ ۞ وَلِكَ مَشْلُ اللّهِ يُؤْتِهِ مَن يَمَلُهُ وَاللّهُ ذُو الْفَشْلِ الْمَنْظِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَكَ فِي الْأَيْتِينَ ﴾ يعني: العرب، وكانوا لا يكتبون وقد شرحنا هذا المعنى في [البقرة: ١٧٨] ﴿ وَرَسُولُ ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿ وَنَهُمْ مَا أَمِياً اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

قوله تعالى: ﴿ وَمَاخَرِنَ مِنْهُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما: وبعث محمداً في آخرين منهم، أي: من الأميين. والثاني: ويعلم آخرين منهم، ويزكّيهم. وفي المراد بالآخرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم العجم، قاله ابن عمر، وسعيد بن جبير، وهي رواية ليث عن مجاهد ". فعلى هذا إنما قال: «منهم»، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذ المسلمون يد

- (۱) قال ابن كثير: وتخصيص الأميين بالذّكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿ وَلَمْ لَذَكُرُ لَكَ وَلَقُولَ كَا وَاسْتُهُ عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُولُ اللهَ وَلَمْ يَكُولُ اللهَ إِلْكَ عَلَى اللّهُ عَلَى عَمْوم بِعَيْدًا ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمْ إِخْدُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى عَمْوم بِعَيْدًا لَهُ عَلَى عَمْوم بِعَيْدًا لَهُ وَاللّهُ عَلَى عَمْوم بِعَلَى اللّهِ عَلَى عَمْوم بِعَلَى اللهِ عَلَى عَمْوم بِعَلَى عَلَى عَمْوم بِعَلَى عَلَى عَمْدُ عَلَى عَلَى عَلَى عَمْدُ عَلَى عَمْدُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَمْوم بِعَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللّهُ عَلَى عَ
- (٢) وهذه الآية، هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم وبعلمه الكتاب والحكمة، فيمثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمئة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، أي: نزراً يسبراً ممن تهسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم على. وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الدخليل على فيلوه وغيروه، وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً في بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة فيه، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع الله تعالى ـ وله الحمد والدغة ـ جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يمط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الأخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.
- ٢) روى البخاري في «صحيحه» ٨/ ٤٩٢ عن أيي هريرة ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة (الجمعة) ﴿وَمَاكِينَ مِنهُمْ لَنَا يَأْحَفُوا بِهِمْ ﴾
 قال: قلت: من هم يا رسول الله، فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال _ أو رجل _ من هؤلاء».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» تعليقاً على قوله: فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَيَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَنَا يَلَحَنُوا بِهِمْ ﴾: كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة (الجمعة) وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي، قال: ووقع في رواية الدواوردي عن ثور عند مسلم: نزلت عليه سورة (الجمعة) فلما قرأ ﴿وَمَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ واحدة، وملَّةٌ واحدة. والثاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. والرابع: أنهم الأطفال، حكاه الماوردي^(١).

قوله تعالى: ﴿لَنَا يُلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ أي: لم يلحقوا بهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكَ نَشَلُ اللَّهِ ﴾ يعنى: الإسلام والهدى ﴿ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضِّلِ ٱلْمَظِيهِ ﴾ بإرسال محمد ﷺ.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِيَلُوا النَّوْرَيَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمْثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَازًا بِلْسَ مَثَلُ الْفَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِنَابَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهِمِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهِمِينَ اللَّهُ اللَّهُمُ الْوَلِيَالُهُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَثُوا الْمُؤْنَ إِن كُمُمُ صَدِفِينَ ۞ وَلا يَشَوَّتُهُ أَبُولِكُ أَلَا إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَعْرُونَ إِن كُمُمُ مُدَوْدُ إِلَى عَالِمِ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّلِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَعْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ مِن كُنُمُ تَمْمُلُونَ ۞﴾ اللَّمْذِيبُ وَالشَّهُونَ هُلُونَ إِلَى عَالِمُ عَلِيمٌ وَاللَّهُ مَنْمُونَ ۞﴾

ثم ضرب لليهود الذين تُركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُيَلُوا اَلتَّوَرَيْقَ﴾ أي: كُلُفوا العمل بما فيها ﴿كَثَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ وهي جمع سفر. والسَّفْر: الكتاب، فشبَّههم بالحمار لا يعقل ما يحمل، إذ لم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد [وهذا المثل يلحق من لم يعمل بالقرآن ولم يفهم معانيه ﴿ بِثَنَ مَثَلُ التَوْرِ ﴾ ذم مثلهم، والمراد ذمُّهم، واليهود كذبوا بالقرآن وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد] ﴿ وَلَنَهُ لا يَهْدِى التَوْمَ التَّلُوبِينَ ﴾ أنفسهم بتكذيب الأنباء.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِكَ لِلصَّلَوٰةِ مِن بَوْدِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْحُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُمُنَّمُ تَعْلَمُونَ نَا اللهِ الصَّلَوْةُ فَانْتَشِئُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَعُوا مِن فَشْهِلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَبِيرًا لَمُلَكُو نُقْلِحُونَ ﴿ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا نُرْدِكَ لِلصَّلَوْقِ﴾ وهذا هو النداء الذي ينادى به إذا جلس الإمام على المنبر، ولم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، كان إذا جلس على المنبر أذَّن بلال على باب المسجد، وكذلك كان على عهد أبي بكر، وعمر، فلما كثر الناس على عهد عثمان أمر بالتأذين على دارٍ له بالسُّوق، يقال لها: قالزوراء (١٠) وكان إذا

قال ابن كثير: والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق عن ثور بن يزيد الديلي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به، قال: ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثه ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَمَاحَرِينَ بِنَهُمْ ﴾ بفارس، قال: ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدهوهم إلى الله ﷺ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿وَمَاحَرِينَ بِنَهُمْ لِنَا لِللّٰهِ عَلَيْهُ من غير العرب.

⁽۱) ذكر ابن جُرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الاجناس، لأن الله ﷺ مع بقوله: ﴿وَيَاشَرِنَ مِنْهُمْ لَنَا يَلْمَتُواْ مِيمُ كُلُ لاحق بهم فهو من آخرين، ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الاجناس، لأن الله يكونوا في هداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو هلهم آيات الله.

⁽٢) روى البخاري في قصحيحه ٢/ ٣٢٦ عن السائب بن يزيد ر البخاء عن النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ

جلس أذَّن أيضاً ^(١).

قوله تعالى: ﴿ لِلصَّلَوٰ اِن الوقت الصلاة. وفي «الجمعة» ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور. وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبلة، والأعمش. وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو. قال الزجاج: من قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل الضميتن. وأما فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لُعنَة: يكثر لعنة الناس، وضُحَكَة: يكثر الضحك. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال: أحدها: لأن فيه جُمع آدم. روى سلمان قال: قال لي رسول الله على: «أتدري ما الجمعة؟ قلت: لا. قال: وفي جُمع أبوك عني: تمام خلقه في يوم (٢). والثاني: لاجتماع الناس فيه للصلاة. والثالث: احدهما: أنه المخلوقات فيه، لأنه اليوم الذي منه فرغ من خلق الأشياء (٣). وفي أول من سماها بالجمعة قولان: أحدهما: أنه كعب بن لؤي سماها بذلك، وكان يقال ليوم الجمعة: المَروبة، قاله أبو سلمة. وقيل: إنما سماها بذلك لاجتماع قريش فيه. والثاني: أول من سماها بذلك الأنصار، قاله ابن سيرين (٤).

قوله تعالى: ﴿ فَاسْمَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وفي هذا السعي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المشي، قاله ابن عباس. وكان ابن مسعود يقرؤها «فامضوا» ويقول لو قرأتها «فاسعَوْا» لسعّيت حتى يسقط ردائي (٥٠). وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة. والثاني: أن المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك، فيكون المعنى: فاعملوا على

وأبي بكر وحمر ألى الماكان حثمان في وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء. وفي رواية أخرى للبخاري عن السائب بن يزيد بزيادة افتبت الأمر على ذلك. قال ياقوت في المعجم البلدان»: الرَّوراء: موضع عند سور المدينة قرب المسجد. قال الحافظ ابن حجر في الفتح»: قوله: فزاد النداء الثالث، في رواية وكيع عن ابن أبي ذئب الأمر عثمان بالأذان الأول، ونحوه للشافعي من هذا الرجه. قال: ولا منافاة بينهما، لأنه باعتباره مزيدا يسمى ثالثًا، وباعتبار كونه جعل مقدماً على الأذان والإقامة يسمى أولاً، قال: ولفظ رواية عقيل: (يعني في البخاري) أن التأذين بالثاني أمر به عثمان، قال: وتسميت ثانياً أيضاً مترجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة. والمقصود من الأذان الثالث، الإقامة.

⁽١) أي إذا جلس على المنبر أذن الأذان الثاني.

⁽Y) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في «المسند» ٥/ ٤٤٠ وتتمته قال النبي ﷺ: «ألا أحدثك عن يوم الجمعة، لا يتطهر رجل مسلم ثم يعشي إلى المسجد، ثم ينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التي بعدها ما اجتنبت المقتلة، وهو حديث حسن، قال الحافظ الهيشمي في همجمع الزوائد، ٢١٣/٣ رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن، قال: وروى النسائي بعضه، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٦/٦ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وروى مسلم في «صحيحه ٢/ ٥٨٥ عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: وخير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة، وروى مالك في «الموطأ» ١٠٨/١ من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تب عليه، وفيه مات، وفيه تناسله، ومن الساعة، إلا أعطاء إياه وسنده صحيح، ورواه بنحوه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، قال الترمذي ٢٣/٣٠: هذا حديث صحيح. وروى أبو داود في «سنته» وتم (٧٤٠١) عن أوس بن أوس على قال: قال رسول الله ﷺ؛ وإن والنسائي، قال الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت، فقال: «إن الله الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». وسنده صحيح، ورواه النسائي وابن ماجه وغيزهما.

 ⁽٣) قال ابن كثير: إنما سميتِ الجمعة جمعة، لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، قال: وفيه كمل
 جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

⁽٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢/ ٣٩٤: روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة، فقال الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلم فلنجمل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر . فجعلوه يوم المَروية .

⁽٥) رواه الطبري ٢٨/ ٢٠٠ من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، وفي سنده انقطاع. قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» ٢٤٤/١؛ رواه الطبراني، وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود، ورجاله ثقات، وأروده السيوطي في «الدر ٢١٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، والفريايي، وأبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شبيئة، وهبد بن حميد، وابن المنذر، وابن الأنباري من طرق عن عبد الله بن مسعود. وصح عن عمر أنه قرأها كذلك. ونقل القرطبي عن ابن شهاب أنه قرأها كذلك، ثم قال: وهو كله تفسير منهم. وقال البخاري في «صحيحه» (باب فرض الجمعة) لقول الله تعالى: ﴿وَيُكَأُمُ اللَّبِيّ ﴾ أللَين هَائلَوا إلى وَرُوكَ السَّمَوا أَنْ وَرُكَا اللَّبِيّ ﴾ قال: فاستوا، فاصداد بالسعي، وقد عن «المحدد» (باب فرض الحديث: «فلا تأتوها تسعون» فالمراد به: الجري، وقد جاء أن عمر قرأ «فاصفوا» وهو يؤيد ذلك.

المضي إلى ذكر الله بالتفرغ له، والاشتغال بالطهارة ونحوها. والثالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن. وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجدّ. وفي المواد ابذكر الله، قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ٱلْبَيِّعُ أَي: دعوا التجارة في ذلك الوقت. وعندنا: أنه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيع باطلاً في حق من يلزمه فرض الجمعة. وبه قال مالك(١) خلافاً للأكثرين(٢).

فصل

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صَيّّناً، والربح ساكنة. وقد حدَّه مالك بفرسخ، ولم يحدِّه الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما. وتجب الجمعة على أهل القرى (٢٠). وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافاً للشافعي. ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة (٤) وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان. وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة: ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجوز والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزاً حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين. والمستحب لأهل الأعذار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز والنفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز روهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. يجوز أصلاً. والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة. والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافاً للشافعي في يجوز أصلاً. والخطبة نطرفاً للشافعي في أحد قوليه. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافاً للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبة، خلافاً له أيضاً. ومن شرط الخطبة: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة. شرط الخطبة: التحميد، والصلاة على النبي الخطبة، خلافاً لشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبة بيجوز أن يخطب بتسبيحة.

وقال ابن كثير: أي: اقصدوا واحمدوا واحمدوا في سيركم إليها، قال: وليس المراد بالسعي هاهنا: المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله
 تعالى: ﴿وَمَنْ أَزَادُ الْآخِرَةُ وَسَكَنَ لَمَا سَتَهَا وَهُو مُؤْمِنُ وَالله قال: فأما المشي
 السريع إلى الصلاة، فقد نهي عنه، لما أخرجاه في «الصحيحين» عن أبي هريرة شي عن النبي قية قال: فإذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرحوا، قما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتمواه.

⁽١) قال القرطبي في تفسير الآية: ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نودي للصلاة، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت، ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع، قالوا: وكذلك الشركة والهبة والصدقة نافر لا يفسخ. قال: قال ابن العربي: والصحيح فسخ الجميع، لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به، فكل أمر يشغل عن الجمعة من العقود كلها، فهو حرام شرعاً منسوخ ودعاً.

 ⁽۲) كأبي حنيفة، والشافعي، وغيرهما، فإن البيع عندهم ينعقد مع الحرمة بعد النداء ولا يفسخ. قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء
 الثاني، واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط، أم لا؟ على قولين، قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

⁽٣) قال الحافظ ابن حجر: عن عمر أنه كتب إلى أهل البحرين أن جمّعوا حيثما كتتم. قال: وهذا يشعل المدن والقرى، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع عن أبي هريرة عن عمر، وصححه ابن خزيمة، قال: وعند عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمّعون فلا يعيب عليهم.

⁽³⁾ لا خلاف بين العلماء في أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة، ولكن اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة إلى عدة أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في «الفتح»، والراجح أنها تصح باثنين فأكثر، قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: وقد انعقدت سائر الصلوات بالاثنين بالإجماع، والجمعة صلاة، فلا تختص بحكم يخالف غيرها إلا بدليل، ولا دليل على اعتبار عدد فيها زائد على المعتبر في غيرها، وقد قال عبد الحق الإشبيلي: إنه لا يثبت في عدد الجمعة حديث، وكذلك قال السيوطي: لم يثبت في شيء من الأحاديث تبيين عدد مخصوص، وممن ذهب إلى هذا: الطبري، وداود، والنخعي، وابن حزم.

والخطبتان واجبتان. وأما القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرط، خلافاً للشافعي. والسُّنَّة للإمام إذا صعِد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلِّم، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان. ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافاً للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حنيفة. ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك (۱). وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُتُتُر تَمْلَتُونَ﴾ أي: إِن كان لكم علم بالأصلح ﴿فَإِذَا تُمْنِيَتِ الشَمَانَةُ﴾ أي: فرغتم منها ﴿فَانَشِسُرُوا فِي اَلْأَرْضِ﴾ هذا أمر إباحة ﴿وَآبَنَتُوا مِن نَشْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ الْبَيْعُ﴾ وقال الحسن، وابن جبير: هو طلب العلم.

وَوَلِدَا رَأُواْ يَحَرُهُ أَوْ لَمُوا النَفَسُوا إِلَيْهَا وَرَوُكُ فَلْهَا أَنْ مَا عِندَ اللّهِ خَبرٌ بِن اللّهِو وَمِن النّجَرُةُ وَاللّهُ خَبرُ الزّوفِين ﴿ وَلَا تَعْلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ المحمعة، إذ أقبلت عير قد قليمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله (٢٠)، قاله الحسن. وذلك أنهم أصابهم جوع، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: «لو اتبع آخرُهم أولهم التهب عليهم الوادي ناراً» ". قال المفسرون: كان الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي، قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم. قالوا: قَرِمَ بها من الشام، وضرب لها طبل يُؤذن الناس بقدومها. وهذه كانت الكلبي، قال مقاتل: وذلك قبل جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعاماً. وقال أبو مالك: كانت زيتاً. والمراد باللهو: ضرب الطبل. و انفشوا إليها، أو لهوا انفضوا ضرب الطبل. و انفشوا إليها، أو لهوا انفضوا كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء، والمبرد. وقال الزجاج: المعنى: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما، لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة «انفضوا إليهما» على التثنية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عبلة «انفضوا إليه» على ضمير مذكر ﴿ وَرَكُولُ فَاهِكُ ﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿ قُلُ مَا عِندُ اللّهِ ﴾ من ثواب الصلاة والنبات مع رسول الله ﷺ ﴿ خَبْرٌ مِن النّهُ وَمِن النّهُ وهذا القيام كان في يردق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويجحده، فهو يعطي من سأل، ويبتدئ من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منه، ويقبل على خدمة (٥٠).

帝 帝 帝

 ⁽١) وذهب الشافعي إلى الاستحباب أيضاً. وحجتهما في ذلك ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن جابر ﷺ قال: دخل رجل يوم الجمعة
ورسول الله ﷺ يخطب، فقال: «صليت»؟ قال: لا، قال: «فصل ركمتين» والرجل هو: سليك الغطفاني ﷺ. وروى مسلم في "صحيحه» عن
جابر ﷺ قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: «يا سليك قم فاركع ركمتين وتجوز فيهما» ثم قال: «إذا
جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركمتين وليتجوز فيهما».

⁽٢) البخاري ٨/ ٤٩٣، ومسلم ٢/ ٥٩٠.

 ⁽٤) ذكره السيوطي في «الدر؛ ٦/ ٢٢١ من رواية البيهقي عن قتادة مرسلاً.

٥) - قال ابن جرير الطبري: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّبِيِّنَ﴾ يقول: والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره.

سورة المنافقون وهي مدنية بإجماعهم

وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبدالله بن أبيّ ونظرائه. وكان السبب أن عبد الله خرج مع النبي ﷺ في خَلْقِ كثيرٍ من المنافقين إلى المُرَيِّسيم، وهو ماءٌ لبني المصطلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد، لأن السفر قريب. فلما قضى رسول الله ﷺ غزوه، أقبل رجل من جهينة، يقال له: صِنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد، وهو أجير لعمر بن الخطاب لاستقاء الماء، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فلطم الجهني، فأدماه، فنادي الجهني: يا آل الخزرج، فأقبلوا، ونادي الغفاري: يا آل قريش، فأقبلوا، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين. فبلغَ الخبرُ عبد الله بن أبَيِّ، فقال وعنده جماعة من المنافقين: والله ما مَثَلكم ومَثَل هؤلاء الرهط من قريش إلا مَثَل ما قال الأوّل: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلْكَ، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم، آويتموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أموالكم، فقووا وضَعُفْتُم. وايم الله؛ لو أمسكتم أيديكم لتفرّقت عن هذا جموعه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَن الأعزُّ منها الأذلُّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلام يومئذٍ لا يؤبُّه له، فقال عبد الله: أنت والله الذُّليل القليل، فقال: إنما كنت ألعب، فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني أضرب عنقه. فقال: إذن ترعد له آنف كبيرة، قال: فإن كرهت أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر سعد بن عبادة، أو محمد بن مسلمة، أو عبَّاد بن بشر فليقتله، فقال: إذن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبَيٌّ، فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام؟ فقال: والذي أنزل عليك ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيداً لكذَّاب، فقال من حضر: لا يصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعذره رسول الله ع الله وفشت الملامة من الأنصار لزيد، و كذَّبوه، وقال له عمّه: ما أردت إلا أن كذِّبك رسول الله ع والمسلمون، ومقتوك! فاستحيا زيد، وجلس في بيته. فبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبَّى ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، لما بلغك عنه. فإن كنت فاعلاً فمرنى، فأنا أحمل إليك رأسه، فإني أخشى أن يقتله غيري، فلا تدعني نفسي حتى أقتل قاتله، فأدخل النار، فقال رسول الله عليه: (بل تحسن صحبته ما بقي معنا)، وأنزل الله سورة (المنافقين) في تصديق زيد، وتكذيب عبدالله، فأرسل رسول الله عليه فقرأها عليه، فقال: إن الله قد صدقك. ولما أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه، فقال: ما وراءك، قال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله على ليعلم اليوم مَن الأعَزُّ، ومَن الأَذَلُ، فشكا عبد الله إلى رسول الله على ما صنع، فأرسل إليه رسول الله على أن خلٌّ عنه جتى يدخل، فلما نزلت السورة وبان كذبه قيل له: يا أبا حباب: إنه قد نزلت فيك آيات شداد، فاذهب إلى رسول الله ليستغفر لك، فلوى به رأسه، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَوَرَّا رُوسَهُ ﴾ (١) وقيل: الذي قال له هذا عبادة بن الصامت(٢).

⁽۱) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٣١، ٣٣١ بنحوه مختصراً. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: حديث أن رسول الله وعنه عين المصطلق على المريسيع، وهو ماه لهم وهزمهم، وقتل منهم، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير عمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي المصطلق على المريسيع، وهو ماه لهم وهزمهم، وقتل منهم، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير عمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا ... المحديث، وفيه قصة زيد بن أرقم في قول عبد الله بن أبي: ليخرجن الأعز منها الأذل، وغير ذلك إلى قوله: إن الله قد صدقك وكذب المناقق .. هكذا ذكره الواقدي في «المعاق عني «السيرة»: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، فذكر الغزوة بطولها، والقصة المذكورة باختلاف يسير، وكذا أخرجه الطبري من طريقه، وأصل القصة في «الصحيحين» من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي فسممت عبد الله بن أبي يقول ... الحديث. وأوله عندهما أيضاً من طريق عمرو بن دينار عن جابر قال: كنا في غزوة بني المصطلق، فتبع رجل من المهاجرين رجلاً من الأعراب، فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقوننا، سبق أعرابي فملأ الحوض فذكر القصة بطولها، وفي سياقها اختلاف.

⁽٢) يعني قوله: يا أبا الحباب إنه قد نزلت فيك آيات شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، والصحيح الأول.

ينسب أنو الكنب التيسير

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنْكِنِفُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُم مَصَدُّوا عَن سَيِيلِ اللّهِ إِنَّهُمْ سَآة مَا كَاوُا يَسْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَثَرُوا مَطْبِعَ عَلَى تُلُوبِهِمْ مَهُمْرُ لا يَفْقَهُونَ ۞ ﴿ وَإِنَا رَاتَتُهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا نَسَمَعَ لِنَوْلِيمْ كَانَّهُمْ خُشْتُ شُسَنَدَ ۚ يَحْسَبُونَ كُلُّ صَيْمَةٍ عَلَيْمٍ مُنْ ٱلسَّدُونُ فَاسْدَدُمْ فَسَلَمُهُمْ وَإِن يَقُولُوا نَسَعَةً لِنَوْلِيمُ اللّهُ اللّهُ يَوْقَلُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآدَكَ ٱلْمُتَنِفُرنَ ﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿قَالُواْ نَشَهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ ﴾ وهاهنا تم الخبر عنهم. ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَمْلُمُ إِنَّكَ لَرَسُولُمُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُتَنِفِيْنَ لَكَذِبُونَ ﴾ وإنما جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا. قال الفراء: إنما كذب ضميرهم. ﴿ أَغَذُواْ أَيْنَبُمُ جُنَّةُ فَمَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قلوا: فنهده فجعله [المجادلة: ١٦]. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أن قول القائل: «أشهد» يمين، لأنهم قالوا: «نشهد» فجعله يميناً بقوله تعالى: ﴿ أَغَنَدُواْ أَيْنَهُمُ جُنَةً ﴾ وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهَدُ، وأفسِمُ، وأغزِمُ، وأُخلِفُ، كُلُها أَيْمان. وقال الشافعي: «أقسم» ليس بيمين، وإنما قوله: «أقسم بالله» يمين إذا أراد اليمين (١٠).

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَ ﴾ أي: ذلك الكذب ﴿ بِأَنْهُمْ عَامَنُوا ﴾ باللسان ﴿ ثُمَّ كَثَرُوا ﴾ في السِّرِ ﴿ فَطُيعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لَا يَمْقَهُونَ ﴾ الإيمان والقرآن ﴿ وَإِذَا رَأَيْنَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني: أن لهم أجساماً ومناظر. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبَيّ جسيماً فصيحاً ، ذَلْق اللسان (٢٠) ، فإذا قال، سمع النبيُ عَلَي قوله. وقال غيره: المعنى: تصغي إلى قولهم، فتحسِب أنه حق. ﴿ كَأَبُمُ حُشُبُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: وحمزة: المُحُسُبُ ، بضم الخاء، والشين جميعاً ، وهو جمع خَشبة. مثل تُمَرّق، وثُمُر، وقرأ الكسائي: يضم الخاء، وتسكين الشين، مثل: بَدَنَة، وبُدُنِ ، وأكمة و وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: ﴿ خَشَبٌ » بفتح الخاء، والشين جميعاً . وقرأ أبو نهيك، وأبو وأبي عمرو مثله . وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: ﴿ خَشَبٌ » بفتح الخاء، والشين جميعاً . وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران بفتح الخاء، وتسكين الشين، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخُشُب. والمُسَنَّدة : الممالة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتنمي، بل خُشُبٌ مُستَدة إلى حائط. ثم عابهم بالجبن فقال تعالى: ﴿ يَعَسُرُونَ كُلُّ صَيْحَةِ مَلَيْمٌ ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الزعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُودَةً لَحِسِبْقَها مُسَوَّمةً تدعو عُبْيداً وَأَذْنَها (٣)

أي: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً تدعو هاتين القبيلَتين.

قوله تعالى: ﴿هُرُ الْمَدُدُّ فَاَحْدَرُهُمُ أَي: لا تأمنهم على سِرَّك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. ﴿فَلَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّك يُؤْفَكُونَ﴾ مفسر في [براء: ٣٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُنْمَ ثَمَالُوّاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْقا رُمُوسَمُ وَرَابَتَهُمْ بَصُدُّونَ وَهُم مُسْتَكُمُونَ ۞ سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اللَّذِينَ لِمُعْرِلُونَ لَا نُسْفِعُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ لَهُمْ اللَّهِ لَكُمْ لَنَ بُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهُدِى اللَّوْمَ اللَّهُمُونَ ۞ مَمُ اللَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُشِعُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَنَّى يَنْفَشُواْ وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السّتَمَوْنِ وَلَاكِنَ الشّيْفِينِينَ لَا يَشْقَهُونَ ۞ يَتُولُونَ لَين زَجَمُننَا إِلَى السّدِينَةِ لَيُخْرِجَنَ الأَعْلُ

⁽٢) أي طَلْقَ اللسان، يقال: تكلم فلان بلسان دُلْق طَلْق. أي: فصيح بليغ. قال في «اللسان»: لسان دُلْق طَلْق، ودُلِقٌ طَلِقٌ، ودُلْق طُلُق، ودُلْق طُلُق، أدبع لغات فيها، والفليق: الفصيح اللسان.

 ⁽٣) البيت للعوام بن شوذب الشيباني، وهو ني امشكل القرآن، ٦، وهنويب القرآن، ٤٦٨، و«النقائض، ٥٨٥، و«العقد الفريد، ٥/ ١٩٥، و«معجم الشعراء، ٣٠٠ وهيون الأخبار، ١٦٦/١، و«الصحاح، و«اللسان» و«التاج»: زنم، و«القرطبي، ٢٣/ ١٢٦، و«أزنم» بطن من بني يربوع.

مِنْهَا ٱلأَذَلُ وَيَلَهِ ٱلْمِذَّةُ وَلِرَسُولِهِ. وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِئَ ٱلْمُتَنِفِقِينَ لَا يَعَلَمُونَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فِيلَ لَمُمْ تَمَالُوا يَسَتَغَفِّر لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﴾ قد بيّنًا سببه في نزول السورة ﴿ وَوَا أَوُوسَمُ ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: «لَوَوا» بالتخفيف. واختار أبو عبيدة التشديد. وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرّة بعد مرّة. قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أُبَيّ : تعال يستغفر لك رسول الله لوّى رأسه، قال: ماذا قلت؟ وقال مقاتل : عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار. وقال الفراء: حَرَّكوها استهزاء بالنبي ويدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُسْتَكَمِّرُونَ﴾ أي: متكبِّرون عن ذلك. ثم ذكر أن استغفاره لهم لا ينفعهم بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ٱسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ وقرأ أبو جعفر: ﴿آستغفرت﴾ بالمدُّ.

قوله تعالى: ﴿ فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا يُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ ﴾ قد يَنبًا إنه قول اين أبيّ. و ﴿ وَيَنفَشُوا ﴾ بمعنى: يتفرّقوا. ﴿ وَلِهَ خَزَانُ السّموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات. والمعنى: انه هو الرَّزَاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك، ﴿ وَلَذَكِنَ الْمَتَنِوْنِ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أن الله رازقهم في حال إنهاق هؤلاء عليهم. ﴿ يَتُولُونَ لَهِن رَّجَمَناً ﴾ من هذه الغزوة. وقد تقدم ذكرها وهذا قول ابن أبي ﴿ لَيَخْوِجَنَ الأَكْرُ ﴾ يعني: نفسه، وعنى بـ ﴿ الأَذَلُ ﴾ رسول الله ﷺ. وقرأ الحسن: النخرجة، بالنون مضمومة وكسر الراء الأعرَّ بنصب الزاي [والأذل والله على منصوب] على الحال [بناء على جواز تعريف الحال، أو زيادة وألى فيه، أو بتقدير المثلى]. المعنى: لنخرجة ذليلاً على أي حال ذلّ. والكل نصبوا الأذل، فرد الله ﷺ عليه فقال: ﴿ وَيلَهُ الْمِنَةُ ﴾ وهي: المَنعة والقوّة ﴿ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿ وَلَكِنَ النَّيْوَيْنَ لَا يُعَلَّونَ ﴾ ذلك.

﴿ يَائِبُنَا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا لَلْهِ كُوْ اَمْوَلَكُمْ وَلَا اَوْلَدُكُمْ عَن ذِحْمِ اللَّهِ وَمَن يَفْمَلَ ذَلِكَ فَأُولَتِكَ هُمُ الخَسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُواْ مِن تَن رَفْنَكُمْ قِن الْفَلِلِحِينَ ۞ وَلَن يُوَخِّرُ مِن تَن رَفْنَكُمْ قِن الْفَلِلِحِينَ ۞ وَلَن يُوَخِّرُ مِن اللَّهِ وَلِي فَأَمْدَذَكَ كَأَكُن قِنَ الصَّلِلِحِينَ ۞ وَلَن يُوَخِّرُ مِن اللَّهِ وَلِي اللَّهُ وَلِي فَأَمْدَذَكُ وَ ﴾ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَبْرُ بِهَا تَمْدُونَ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا لَمُهِكُو ﴾ أي: لا تشغَلكم. وفي المراد بذكر الله هاهنا أربعة أقوال: أحِدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الصلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك. والرابع: أنه على إطلاقه. قال الزجاج: حضَّهم بهذا على إدامة الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِتُواْ مِن مَّا رَزَقْتُكُمْ ﴾ في هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زكاة الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه النفقة في الحقوق الواجبة بالمال، كالزكاة والحج، ونجو ذلك، وهذا المعنى مروي عن الضحاك. والثالث: أنه صدقة التطوّع، ذكره الماوردي. فعلى هذا يكون الأمر ندباً، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن تَبْلِ أَن يَأْتِكَ أَمَدُكُم الْمَوْتُ ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميت.

قوله تعالى: ﴿ وَأَصَدَّوْ كَا أَتَرَيْنِ ﴾ أي: هلًا أخرتني ﴿ إِنَّ آجَلِ وَبِهِ ﴾ يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدَّق ويزكي، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَصَدَّوْ كَ ﴾ قال أبو عبيدة: ﴿ فأصدق نصب، لأن كل جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: مَنْ عندك فآتيك. هلًا فعلت كذا فأفعَل كذا، ثم تبعثها ﴿ وَأَكُنُ مِنَ الصَّلِونِ ﴾ بغير واو. وقال أبو عمرو: إنما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخط. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء، وهكذا يقرؤها أبو عمرو ﴿ وأكونَ ﴾ بلواو، ونصب النون. والباقون يقرؤون ﴿ وأكن المعنى: إن بغير واو. قال الزجاج: من قرأ ﴿ وأكونَ ﴾ فهو على لفظ فأصَّدَق. ومن جزم ﴿ أكنْ ﴾ فهو على موضع ﴿ فأصدق ﴾ لأن المعنى: إن أخرتني أصدق وأكن. وروى أبو صالح عن ابن عباس ﴿ فأصّدَق ﴾ أي: أزكي مالي ﴿ وأكنُ من الصالحين ﴾ أي: أحُجّ مع المؤمنين، وقال في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَنُهُ خَبِيرٌ بِمَا تَمَمَلُونَ ﴾ والمعنى: بما تعملون من التكذيب بالصدقة. قال مقاتل: يعني المنافقين. وروى الضحاك عن ابن عباس: ما من أحد يموت، وقد كان له مال لم يزكّه، وأطاق الحج فلم يحج ، إلا سأل الله الرجعة عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: أنا أتلو عليكم به قرآنا، ثم قرأ هذه الآية () .

⁽١) في سنده انقطاع كما قال ابن كثير، والله أعلم.

سورة التغابن

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك. وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آبات منها نزلن بالمدينة قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهُا الَّذِيكَ ءَاسُوًا إِن مِنْ أَزْرَجِكُمُ ﴾ واللتان بعدها.

ينسب ألم الكني النصية

﴿ يُسَيِّحُ بِلَهِ مَا فِي السَّمَنُوتِ وَمَا فِي الأَرْضُ لَهُ اَلْمُنْكُ وَلَهُ الْحَمَنَةُ وَهُوَ عَلَى كُلِ خَيْمِ فَدِيْرُ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم فِيَكُمْ كَانِكُ وَلَهُ الحَمْنَةُ وَهُوَ عَلَى كُلِ خَيْمٍ فَدِيْرُ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمُ فِيكُمْ مَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالحَقِّ وَسَوَّرُكُمْ فَأَعْسَنَ مُمُورَكُمْ وَلِيَّتِهِ السَّمِيدُ ۞ جَلَقُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَيَسَلَمُ مَا شِيْرُونَ وَمَا شَلِئُونُ وَلِللَّهُ عَلِيمٌ بِذَكِ الشَّمُودِ ۞ اللهِ يَأْتِكُو بَنُوا الَّذِينَ كَثَوُا مِن قَبْلُ فَلَاقًا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَمْمُ عَلَكُ أَلِيمُ وَلَمْ عَلَاكُ اللّهُ وَلِللّهُ وَلَقَهُ عَيْنُ جَيدٌ ۞ ﴾

وقد سبق تفسير فاتحتها إلى قوله تعالى: ﴿ وَ يَكُمُ كُونَ وَ فَيْكُ مُونِنَ ﴾ وفيه قولان: أحلهما: أن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، رواه الوالبي عن ابن عباس. والأحاديث تعضد هذا القول، كقوله عليه الصلاة والسلام: فخلق فرعون في بطن أمه مؤمناً والمائد وقوله: فيوفر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقيه في بطن أمه كافراً، وحقي أم سعيد (٢٠٠٠ والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم صعيد (٢٠٠٠ والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء. والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله والكفر بالخلق مذهب اللهوية، وأهل الطبائع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تغالى: ﴿ وَمَوَرَكُمُ مَ فَالَّمُ النَّواء وأمل الطبائع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تغالى: ﴿ وَمَوَرَكُمُ مَ فَالَّمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله والله عَلَمُ الله والله علم المناد. ويقال في جمع صورة: صُور، وصوره كما يقال في جمع صورة: صوره وصوره كما يقال في جمع لحية: لحى، ولُحى، وذكر ابن السائب أن معنى ﴿ فَالَمُنُ مُن الله عَلَمُ عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عن من العناب في الدنيا ﴿ وَلَهُمُ الله عَلَمُ الله وله تعالى: ﴿ وَلَمُ الله الله عَلَمُ ال

⁽١) ذكر هذا الحديث السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية ابن عدي، والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ بلفظ: «محلق الله يحيى بن ذكريا في بطن أمه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً» قال الحافظ المناوي في «فيض القدير»: وكذا زواء الديلمي عن ابن مسعود، وفي صنده محمد بن سليم العبدي الراسي، قال النسائي، ليس بالقوي في الحديث، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق فيه لين.

⁽γ) هو قطعة من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود الله قال: حدثنا رسول الله الله و و الصادق المصدوق قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً تطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضفة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وهمله، وشقي أو صعيد، قواله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل أهل الجنة حتى ما يكون بيته و بينها إلا فراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بيته وبيتها إلا فراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

 ⁽٣) جاء في «القرطبي؛ ١٣٣/١٨: وقال الزجاج ـ وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأثمة والجمهور من الأمة ـ: إن الله خلق الكافر، وكفرهُ فِقلٌ له
 وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، إيمانُه فعلٌ له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

لفظه واحداً ﴿ نَكَفَرُوا وَتَوْلُوا ﴾ اي: أعرضوا عن الإيمان ﴿ وَٱسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ عن إيمانهم وعبادتهم.

قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوّا﴾ كان ابن عمر يقول: (زعموا) كناية الكذب. وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان.

قوله تعالى: ﴿ وَنَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعني: البعث ﴿ وَالنَّورُّ ﴾ هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.

قوله تعالى: ﴿ يَرْمُ يَجْمَكُونِ﴾ هو منصوب بقوله تعالى: «لتبعثنَّ ثم لتنبؤنَّ بما عملتما ﴿ يَرْمُ يَجْمَكُو لِيرِّو الْمُمَيِّ وهو يوم القيامة. سمي بذلك لأن الله تعالى يجمع فيه الجن والإنس، وأهل السموات، وأهل الأرض، ﴿ وَلِكَ يَوْمُ النَّفَائِكُ تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ. والمراد في تسميته يوم القيامة بيوم التغابن فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينتذِ الكافر، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: غبن أهل الجنة أهل النار، قاله مجاهد، والقرظي. والثالث: أنه يوم غبن المظلوم الظالم، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبونًا، فصار في الآخرة غابنًا، ذكره الماوردي. والرابع: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه للإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ذكره الثعلبي. قال الزجاج: وإنما ذكر ذلك مثلاً للبيع والشراء، كقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَعَت يَّغَنَرْتُهُمْ﴾ البقرة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ مَلْ أَتْلَكُو عَلَى يَجَزَرُ﴾ الصف: ١٠١وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيُعَالِدِنَ قُوا نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم انكفر، اوندخله، بالنون فيهما. والباقون: بالياء. ﴿مَآ أَسَابَ مِن مُّصِيبَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: بعلمه وقضائه، ﴿ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُهُ ۖ فيه ستة أقوال: أحدها: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله تعالى، فيسلم، ويرضى. والثاني: يهد قلبه للاسترجاع، وهو أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قاله مقاتل. والثالث: أنه إذا ابتلى صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر، قاله ابن السائب، وابن قتيبة. والرابع: يهد قلبه، أي: يجعله مهتديًّا، قاله الزجاج. والخامس: [يهد وليَّه بالصبر والرضا، قاله أبو بكر الورَّاق. والسادس:] يهد قلبه لاتباع السنَّة إذا صح إيمانه، قاله أبو عثمان الحيري. وقرأ أبو بكر الصديق، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: ﴿يَهْدَهُ بِياءٍ مفتوحة ونصب الدال، ﴿قَلْبُهُۥ بالرفع. قال الزجاج: هذا من هدأ يهدأ: إذا سكن. فالمعنى: إذا سلَّم لأمر الله سَكَنَ قِلبُه. وقرأ عثمان بن عفان، والضحاك، وطلحة بن مصرف، والأزرق عن حمزة: ﴿نَهُد ﴾ بالنون. وقرأ على بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن: ﴿يُهْدَ ﴾ بضم الياء، وفتح الدال ﴿قُلْبُهُ ۗ بالرفع. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَلِهِكُمْ وَأُولَئِدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمُّ صَبِ نزولها أن الرجل كان يسلم. فإذا أراد الهجرة منعه أهله، وولده، وقالوا: نَنْشُدُكُ الله أن تذهب وتَدَعَ أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال. فمنهم من يَرقُّ لهم، ويقيم فلا يهاجر، فنزلت هذه الآية. فلما هاجر أولئك، ورأوا الناس قد نَقُهوا في الدِّين همُّوا أن يعاقبوا أهلهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تَمَقُواْ وَتَصْفَحُوا ﴾ إلى آخر الآية، هذا قول ابن عباس(١٠). وقال

⁽١) ذكره الواحدي في اأسباب النزول؛ ٣٢٧ عن ابن عباس رفي، ورواه بنحوه الترمذي في اجامعه؛ ٢/ ١٦٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، _

الزجاج: لما أرادوا الهجرة قال لهم أزواجهم، وأولادهم: قد صبرنا لكم على مفارقة الدِّين ولا نصبر لكم على مفارقة الأموال، والمساكن، فأعلم الله رَهِّيُّ أن من كان بهذه الصورة، فهو عدوِّ، وإن كان ولداً، أو كانت زوجة. وقال مجاهد: كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه. وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم من ينهاهم عن الإسلام، ويثبِّطهم عنه، فخرج في قوله تعالى: ﴿ عَدُواً لَهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى قول ابن عباس. والثاني: بكونهم سبباً للمعاصي، هذا على قول مجاهد. والثالث: بنهيهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمْدُرُ وَهُمُّ ﴾ قال الفراء: لا تطيعوهم في التخلُّف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَتُولُكُمُ وَأَوْلَدُكُمُ وَتَنَقُّ أَي: بلاء وشغل عن الآخرة. فالمال والأولاد يوقعان في العظائم إلا من عصمه الله. وقال ابن قتيبة: أي: إغرام. يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها، أي: أغرم بها. وقال الفراء: قال أهل المعاني: إنما دخل قمن في قوله تعالى: قان من أزواجكم لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء ولم يذكر قمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَن أزواجكم لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء ولم يذكر ولي بريدة عن رسول الله على أنه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، قنزل من المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: قصدق الله عزّ جلّ: ﴿إِنَّمَا أَتُولُكُمُ وَأَوْلَدُكُمُ وَأَلَكُمُ وَأَلَدُكُمُ وَاللهُ عَلَيْن الصّبيين يعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى، وونعتهما (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ عِندُهُ آَجُرُ عَظِيمٌ ﴾ أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا توثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم. ﴿فَانَقُوا اللّهُ مَا اَسْتَطَعْتُمُ ﴾ أي: ما أطقتم ﴿وَاسْمَعُوا ﴾ ما تُؤمّرُون به ﴿وَاَطْيَعُوا وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَفِي هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: الصَّدقة، قاله ابن عباس. والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن. والثالث: النفقة في الجهاد، قاله الضحاك. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَسْمِهِ ﴿ حتى يعطي حق الله في ماله. وقد تقدم بيان هذا في الحدد: ١١، ١٨. والحدد: ١١، ١٨. والحدد: ٢١، ١٢.

帝 帝 帝

ورواه الطبري في «التفسير» ١٢٤/٢٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه اللهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/٨٢٦ وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

⁽۱) رواه الإمام أحمد في «مسنده» / ٣٥٤ وفي سنده الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاضي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ثقة له أوهام، قال ابن كثير: ورواه أهل «السنن» من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٣: أخرجه أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شية، وأبو يعلى، والبزار، من رواية حسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه، قال: قال البزار: لا نعلم له طريقاً إلا هذا.

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القُصْرَى(١)، وهي مدنية كلُّها بإجماعهم

بنب أنَّو الزُّنِي الرَّجَيدِ

﴿ يَكَأَيُّكُ النِّيمُ إِذَا طَلَقْتُدُ النِّــَاتَةِ فَطَلِقُوهُنَّ لِيدَّتِهِنَّ وَأَحْسُواْ الْبِدَةَ ۚ وَآتَـَقُواْ اللّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُونِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَ إِلَّا أَن يَآتِينَ بِفَنجِشَةِ ثُبَيِّئَةٍ وَبَلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يَتَمَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ طَلَمَ نَفْسَتُم لَا تَدْرِى لَمَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۖ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهُا النِّيُ إِذَا طَلَقَتُدُ النِّسَاءَ﴾ قال الزجاج: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه فيه. ومعناه: إذا أردتم طلاق النساء، كقوله تعالى: ﴿إِذَا تُستُّمُ إِلَى اَلسَّمَاؤَةِ اللهائدة: ٦]. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت حين طلَّق رسول الله ﷺ حَفْصَةً، وقيل له: راجعها، فإنها صَوَّامةٌ قَوَّامةٌ، وهي من إحدى زوجاتك في الجنة، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً فأمره النبي ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، قاله السدي (٢).

قوله تعالى: ﴿لِيدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عِدَّتهن، وهو الطهر. وهذا للمدخول بها، لأن غير المدخول بها لا عدَّة عليها. والطلاق على ضربين: سُنِّيّ، وبِدْعيّ. فالسُّنيُّ: أن يطلِّقها في طهر لم يجامعها فيه، وذلك هو الطلاق لِلْبدَّة، لأنها تعتدُّ بذلك الطهر من عدَّة، وتقع في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة. والطلاق البدعي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، فهو واقع، وصاحبه آثم، وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد، فالمنصور من مذهبنا أنه بدعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسُواْ الْمِدَّةَ ﴾ أي: زمان العدة. وفي إحصائها فوائد. منها: مراعاة زمان الرجعة، وأوان النفقة، والسكنى، وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلّق ثلاثاً، ولِيَعْلَمَ أنها قد بانت، فيتزوّج بأختها، وأربع سواها

قوله تعالى: ﴿وَالتَّمُوا اللهُ رَبَّكُمْ اي: فلا تعصوه فيما أمركم به. ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُبُوتِهِنَ ﴾ فيه دليل على وجوب السكنى. ونسب البيوت إليهن، لسكناهن قبل الطلاق فيهن، ولا يجوز لها أن تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة. فإن خرجت أثِمتُ، ﴿إِلّا أَن يُفْرِشُونَ وفيها أربعة أقوال: أحدها: المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء المدة، فخروجهن هو الفاحشة المبينة، وهذا قول عبد الله بن عمر، والسدي، وابن السائب. والثاني: أن الفاحشة: الزنى، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: إلا أن يزنين فَيُخْرَجْنَ لإقامة الحدِّ عليهنَّ. والثالث: الفاحشة: أن تبذُو على أهلها، فيحلُّ لهم إخراجها، رواه محمد بن إبرهيم عن ابن عباس. والرابع: أنها إصابة حدًّ، فتخرج لإقامة الحدِّ عليها، قاله سعيد بن المسيب (٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿وَمَن يَنَفَذَ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ التي بيَّنها، وأمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَرَ

⁽١) سماها بذلك عبد الله بن مسعود فله كما في اصحيح البخاري، ٨/ ٥٠٢.

⁽٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٣ عن السدي بغير سند. وأخرج البخاري ومسلم من حديث سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله 蒙، فتغيظ رسول الله 蒙، ثم قال: فليراجمها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله 寒، ولفظ مسلم: فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق فها النساء، وفي رواية لمسلم قال ابن عمر: وقرأ النبي 蒙: بها أبها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن. .

⁽٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ إِلاَ آَنَ بِأَيْنِهُ مِنْتُحَتَّةِ شُهِيْتُةً ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبيئة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبيئة، تشمل الزنى كما قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو قلابة، وأبو صالح، والفحاك، وزيد بن أسلم، وعطاء المخراساني، والسدي، وسعيد بن أبي هلاك، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بذؤت على أهل الرجل، وآنتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب، رابن عباس، وعكرمة وغيرهم.

نَهْسَةُ﴾ أي: أثم فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِى لَمَلَ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَثْرًا﴾ أي: يُوقع في قلب الزوج المحبَّة لرجعتها بعد الطُّلْقة والطلقتين. وهذا يدل على أن المستحب في الطلاق تفريقه، وأن لا يجمع الثلاث.

﴿ وَإِذَا بَلَمْنَ أَلَمُهُنَ فَأَشِكُوهُنَ بِمَعْرُونٍ أَوْ فَارِقُوهُنَ بِمَعْرُونٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلِ يَنكُو وَأَفِيمُواْ الشَّهَنَدَةَ بِلَيْهِ ذَالِحَمْ بُوعُظُ بِهِـ مَن كَانَ يُؤْدِنُ بِاللَّهِ وَالْنِيْرِمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَنْقِ اللَّهَ يَجْمَل لَهُ بِمُرْبَا ۞ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْتَسِبُ وَمَن يَتُوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ إِنَّ اللَّهَ بَنِهُمْ أَمْرِهِ، فَذَ جَمَلَ اللَّهُ لِكُلِّلِ فَنَهِ فَذَرًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَفَنَ أَجَلُهُنَّ ﴾ أي: قاربن انقضاء العدة ﴿ أَنْسِكُونُكَ بِمَرُفِ ﴾ وهذا مبيَّن في [البقرة: ٢٣١] ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَرَى عَدْلِ مِنكُرُ ﴾ قال المفسرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة. واختلف العلماء: هل الإشهاد على المراجعة واجب، أم مستحب؟ وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قولان(١) ثم قال للشهداء: ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ أي: اشهدوا بالحق، وأذُّوها على الصحة، طلباً لمرضاة الله، وقياماً بوصيَّته. وما بعده قد سبق بيانه [البنرة: ٢٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتِّقِ اللَّهَ يَجْمَل لَّهُ رَخْرَجًا﴾ فذكر أكثر المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدوُّ ابناً له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقة، فقال: اتق الله، واصبر، وأكثر من قول؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، فغفل العدوُّ عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية (٢٠). وفي معناها للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: ومن يتق الله يُنجِه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس. والثاني: بأن مَخْرَجُه: علمُه بأن ما أصابه من عطّاءِ أو مَنْع، من قِبَل الله، وهو معنى قول ابن مسعود. والثالث: ومن يتق الله، فيطلق للسُّنَّةِ، ويراجع للسُّنَّةِ، يَجْعَلُ له مخرجاً، قاله السدي. والرابع: ومن يتَّق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب. والخامس: يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، قاله الزجاج. والصحيح أن هذا عام، فإن الله تعالى يجعل للتقي مخرجاً من كل ما يضيق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة. قال الربيع بن خُثَيْم: يجعل له مخرجاً من كل ما يضيق على الناس ﴿وَبَرْتُغَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحَتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو. قال الزجاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على السُّنَّة، رزقه الله أهلاً بدل أهله ﴿وَمَن يَتَوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ۚ ﴾ أي: مَنْ وَيْقَ به فيما نابه، كفاه الله ما أهمّه ﴿إِنَّ اللهَ بِاللَّمْ أَمْرُهُ ۗ وروى حفص، والمفضل عن عاصم ابالغُ أمرِه، مضاف. والمعنى: يقضى ما يريد ﴿فَلَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَّلًا﴾ أي: أجلاً ومنتهَى ينتهي إليه، قدَّر الله ذلك كلُّه، فلا يقدَّم ولا يؤخرُّ (٣). قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقدَّر متى يكون هذا الغنى فقيراً، وهذا الفقير غنياً.

﴿ وَالَّتِي بَيْسَنَ مِنَ الْمَحِينِ مِن يُسَايِكُو إِنِ اتَنِتَدُ فَيدَّتُهُنَّ ثَلَنَتُهُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَدُ يَمِضْنُ وَأُولَتُ الْأَخَالِ أَجُلُهُنَّ أَن يَضَمَّنَ حَلَهُمْ إِلَيْكُوْ وَمَن يَنِي اللّهَ يَجَدَل لَمُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرُ ۞ ذَلِكَ أَمْرُ اللّهِ أَرْلُهُمْ إِلَيْكُوْ وَمَن يَنِي اللّهَ يَكَفِرْ عَنْهُ سَبِّئَايِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ لَجُولُ ۞﴾

 ⁽١) وقال عطاه: لا يجز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل، كما قال الله ﷺ: ﴿وَأَنْمِيدُواْ ذَوَى عَدْلِ مِنكُ﴾ إلا أن يكون من عدر. وروى أبو داود في اسنته رقم (٢١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين ﷺ سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجمتها؟ فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجمتها ولا تُمدد. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في ابلوغ المرام.

⁽٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٤ بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٣/ من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وينحوه من رواية الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق جويير عن الضحاك عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلاً قال: نزلت في رجل من أشجع، فذكره بنحوه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٤: رواه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: وروى الحاكم من طريق سالم أبي الجعد عن جابر قال: نزلت هذه الآية في رجل من أشجع... فذكره. قال: وفيه عبيد بن كثير تركه الأزدي.

⁽٣) روى أحمد في «المسند»، والترمذي في «سننه» عن عبد الله بن عباس الله قال: كنت خلف النبي الله يوماً فقال لي: «يا هلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استمنت فاستمن بالله، واصلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يضموك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولمت الألام، وجفت الصحف» قال يضعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولمت الألام، وجفت الصحف» قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال: وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن عمر بن الخطاب الله عن على الله حق توكّله لمرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطائلًا قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي. ومعنى خماصاً: جياعاً، ويطاناً: شباعاً.

قوله تعالى: ﴿وَالْتِي بَهِسَنَ مِنَ الْمَحِينِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحلهما: أنها لما نزلت عِدَّة المطلَّقة، والمتوفَّى عنها زوجُها في [البقر، ٢٢٧، ٢٣٧] قال أُبَيُّ بن كعب: يا رسول الله: إن نساءً من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: ﴿وما هو؟ قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم (١٠) والثاني: أنه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُلْلَّنَكُ مُرَّعَمَى إِنْشُيهِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨] قال خلَّد بن المنعمان الأنصاري: يا رسول الله، فما عِدَّة التي لا تحيض، وعدَّة التي لم تحض، وعدة الحُبلي؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (١٠). ومعنى الآية: ﴿إِن ارْبَهَنَّهُ مَن مُن كُمّ مَلْم تَدْرُوا ما عِدَّتهن ﴿فَيَدَّبُنَّ ثَلَيْمَةُ أَشْهُرٍ وَالْتِي لَرْ يَعِشْنُ ﴾ كذلك (١٠).

فصل

قال القاضي أبو يعلى: المراد بالارتياب هاهنا: ارتياب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتياب المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية. ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجّه الخطاب إليهن، فقيل: إن ارتبتن، أو ارتبن، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن، وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة. والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة. فإن حاضت قبل السنة بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تَمَّتُ السَّنةُ من غير حيض، حَلَّت، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبداً حتى يعلم براءة رحمها قطعاً، وهي أن تصير في حدّ لا يحيض مثلها، فتعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَدْ يَحِفْنَ ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضاً، لأنه كلام لا يستقلُّ بنفسه، فلا بدَّ له من ضمير، وضميره تقدَّم ذكره مظهراً، وهو العدَّة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعتد ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعتدُّ سنة.

قوله تعالى: ﴿ وَأُولَتُ ٱلْأَمْالِ أَبَلُهُنَّ أَن يَعَمَّنَ حَلَهُنَّ ﴾ عامٌ في المطلقات، والمتوفّى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمود، وأبي مسعود البدري، وأبي هريرة، وفقهاء الأمصار. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعتدُّ آخر الأجلين. ويدل على قولنا عموم الآية. وقول ابن مسعود: من شاء لاعنته ما نزلت ﴿ وَأُولَتُ ٱلْأَمْالِ ﴾ إلا بعد آية المتوفّى عنها زوجها أنه وقول أم سلمة: إن سُبَيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج (٥٠).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَنِّقِ اللَّهُ ﴾ أي: فيما أُمِرَ به ﴿يَجَعَل لَهُ مِنْ أَشِودِ يُشْرَا ﴾ يُسَهِّلُ عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول

⁽۱) رواه الواحدي في فأسباب النزول؛ ٣٢٤ عن عمرو بن سالم، ورواه بنحوه ابن جرير الطبري ٢٨/ ١٤١، والحاكم ٢/ ٤٩٢ وقال: صحيح الاسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في فالدر، ٦/ ٢٣٤ وزاد نسبته لإسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حائم، وابن مردويه، والسيهقي في قسنته؛ عن أبي بن كعب الله.

 ⁽٢) رواه الواحدي في (أسباب النزول) ٣٢٤ عن مقاتل بغير سند. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن قنادة.

⁽٣) قال ابن كثير: وهذا مروي عن سعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى. وذكر أنه يحتج لذلك بحديث عمرو بن سالم الذي تقدُّم ذكره.

^(؛) قال السيوطي في الدرة ٦/ ٢٣٥؟: أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: تعتد آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعته، إن الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى (يريد بذلك سورة الطلاق) نزلت بعد سورة (البقرة) ﴿وَأَوْلَتُ ٱلأَثْمَالِ أَبْنَاهُنَّ أَنْ يَشَمَّنُ حَمَّاهُنَّ﴾ بكذا وكذا شهراً، فكل مطلقة أو متوفى عنها زوجها فأجلها أن تضع حملها.

رواه البخاري في اصحيحه ٥٠١/٨ عن أم سلمة قالت: قتل زوج سُبيّعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فانكحها رسول الله على وكان أبو السنابل فيمن خطبها. قال ابن كثير: هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصراً، وقد رواه مسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه أخر، وذكره من رواية أحمد ثم قال: ورواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن أم سلمة اللها. وأورده السيوطي في والدره ٢٣٦/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المعند، وابن مردويه.

الأكثرين. وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق السُّنَّة، يجعل الله له من أمره يسراً في الرَّجعة ﴿ ذَاِكَ أَمْرُ اللّهِ أَنزَلَهُۥ إِلَيْكُرُّ وَمَن يَلْقِ اللّهُ﴾ بطاعته ﴿ يُكَفِّر عَنْهُ سَيِّنَائِهِ﴾ أي: يمحى عنه خطاياه: ﴿ وَيُعْظِمْ لَهُۥ أَجْرُكُه فِي الآخرة.

﴿ اَسْكِنُوهُنَ مِنْ حَبْثُ سَكَشُر مِن وَجُوكُمْ وَلَا لَشَازُوهُنَ لِيُسَيِّمُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَكِ حَلِ فَالْفِيثُوا عَلَيْهِنَّ حَقَى بَعَمَعْنَ حَمَّلَهُنَّ فَإِن الْرَصْعَ لَهُ الْجَرَىٰ ۚ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَيَةٍ وَمَن فُدِرَ عَلَيْهِ رِنْقُتُمْ فَلَيْنِيْفَى مِثَا لَكُو اللّهُ لَمَدُ مُسَرِّمُ مُسَمِّرُ مُعَ لَدُهُ أَخْرَىٰ ۖ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَيَةٍ وَمَن فُدِرَ عَلَيْهِ رِنْقُتُمْ فَلَيْنِيْفَى مِثَا اللّهُ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

قوله تعالى: ﴿ أَشَكِئُومُنَّ مِنْ حَبْثُ سَكَتُمُ ﴾ و (من) صلَة قوله: ﴿ مِن وُجَلِكُم ﴿ قَرا الجمهور بضم الواو. وقرأ أبو هريرة، وأبو عبد الرحمن، وأبو رزين، وقتادة، ورَوْح عن يعقوب بكسر الواو. قرأ ابن يعمر، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة: بفتح الواو. قال ابن قتيبة: أي: بِقَدْر وُسْعِكم. والوُجد: المقدرة والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وُجْدٍ. قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان مُوَسَّعاً عليه، وسَّمَ عليها في المسكن والثَّفَة، وإن كان مقتَّراً عليه، فعلى قَدْرٍ ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ نُشَارُوهُنَ بِالتضييق عليهن في المسكن والنفقة، وأنتم تجدون سَعة. قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله تعالى: ﴿ لاَ تَدْرِى لَمَلَ اللّهَ يُحْدِثُ بَمْدَ ذَلِكَ أَمْكُ [الطلاق: ١]. وقوله: ﴿ فَإِذَا بَلْنَ أَبَلُهُنَ فَاسْكُوهُنَ بِمَمْرُونِ أَوْ فَإِوْهُمَن بِمَمْرُونِ ﴾ [الطلاق: ٢] فدل ذلك على أنه أراد الرجعية. وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى. وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقد رواه الكوسج (۱) عن أحمد. ويدل على الأول حديث فاطمة بنت قيس أن النبي على قال لها: اإنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة، فإذا لم يكن له عليها، فلا نفقة ولا سكنى (۱٬ ومن حيث المعنى: إن النفقة إنما تجب لأجل التمكين من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها. واختلفوا في الحامل، والمتوفّى عنها زوجها، فقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها، وبه قال ليلى، والثوري، وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعَنَ لَكُرُ فَنَاتُوهُنَ أَجُورَهُنَ عَنِي: أجرة الرضاع. وفي هذا دلالة على أن الأم إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثلها، لم يكن للأب أن يسترضع غيرها ﴿ وَأَنِيرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُونِكُ ، أي: لاتشتط المرأة على الزوج فيما تطلبه من أجرة الرضاع ، ولا يقصِّر الزَّوج عن المقدار المستحق ﴿ وَإِن تَمَاسَرُ مُ ﴾ في الأجرة ، ولم يتراض الوالدان (٢٠) على شيء ﴿ فَسَرُضِحُ لَهُ أَخْرَكُ لَفظه لفظ الخبر ، ومعناه : الأمر ، أي: فليسترضع الوالد غير والدة الصبي . ﴿ لِيُنِقِ ذُر سَعَةٍ بِن سَمَيَةٍ ﴾ أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم . وقرأ ابن السميفع الينفق ، بفتح القاف ﴿ وَمَن فُدِر عَلَيْ وَرَفْهُ أي : ضُيِّق عليه من المطلقين . وقرأ أبي بن كعب ، وحميد القدر ، بضم القاف ، وتشديد الدال . وقرأ ابن مسعود ، وابن أبي عبلة ﴿ قَدْر ، بفتح القاف وتشديد الدال ﴿ رَقَه ، بنصب القاف ﴿ فَلِيْفِقْ مِنَا مَالَكُ أَلَنُهُ نَشًا إِلّا مَا عَلَيْهُ أي : على قدر ما أعطاها من المال ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرِ مُسْرَكُ أي الله عليه معند الفقر ، فاعلمهم أنه سيفتح عليهم بعد ذلك .

﴿ وَلَمَيْنِ مِن قَرْبَةِ مَنْتُ مَنْ أَمْنِ رَبِّمَا وَرُسُلِمِهِ. فَعَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَلَبْهَا عَذَابًا لَكُوا ۞ فَذَافَتْ وَبَالَ أَمْنِهَا وَكَانَ عَفِينَهُ أَمْنِهَا خَشْرًا ۞ أَمُوكًا بِنَدُوا مَلْتِكُو مَايِنَتِ اللَّهِ مُبَيِّنَتَتِ لِيُغْرِجَ الَّذِينَ اللَّهُ مِنْكُوا لَقَدُ اللَّهُ مِنْكُوا مِنْكُولًا بِمُنْفُوا اللَّهَ يَكُولُونِ الْأَلْبَتِ اللَّذِينَ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُغْرِجَ الَّذِينَ اللَّهُ مُنْكُولًا لِللَّهِ اللَّذِينَ مَامَثُوا لَقَدُ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُغْرِجَ اللَّذِينَ اللَّهُ مُبَيِّنَتِ لِيُغْرِجَ اللَّذِينَ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُغْرِجَ اللَّذِينَ اللَّهُ مُنْكُولًا مُنْكُولًا اللَّهُ مِنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مِنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مُنْكُولًا مِنْكُولًا اللَّهُ مُنْكُولًا اللَّهُ مُنْكُولًا اللَّهُ مُنْكُولُونُهُ اللَّهُ مُنْكُولًا مُؤْلِقُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْهُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا اللَّهُ مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُلُونُ اللَّهُ مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مِنْكُولُونُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مُنْكُلُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُولًا مُنْكُلُونُ مُنْكُلُونُ مُنْكُلُولُونُ اللَّهُ مُنْكُلُولُونُ اللَّهُ مُنْكُلُولُونُ اللَّهُ مُنْكُلُونُ مُنْكُلُونُ مِنْكُولًا مُنْكُلُونُ مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنَالِهُ مُنْكُولًا مُنْكُولُونُ اللَّهُ مُنْكُلُولُونُ مُنْكُلُونُ مُنْكُلُونُ مُنْكُولُونُ مُنْكُلُونُ مُنْكُولُونُ مُنْكُلُونُ

⁽١) هو إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، وهو الذي دوَّن المسائل الفقهية عن الإمام أحمد بن حنبل، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وهو ثقة ثبت من رجال الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٥١٦).

 ⁽۲) رواه أحمد في «المسندة ٢/ ٣٧٣ عن فاطمة بنت قيس وهو جزء من حديث طويل. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ٢/ ١٠٨/٠: تفرد برفعه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، قال: وقد تابعه في رقعه بعض الرواة، قال في «الفتح»: ولكنه أضعف من مجالد، وهو في أكثر الروايات موقوف عليها، والرفع زيادة يتعين قبولها لما بيناه في غير موضع، ورواية الضعيف مع الضعيف توجب الارتفاع عن درجة السقوط إلى درجة الاعتبار.
 (٣) في الأصل: الولدان.

عَامَنُوا وَعَبِلُوا الصَّالِحَتِ مِنَ الظَّامُتِ إِلَى النُّورُ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُدْخِلَهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْيِهَا ٱلأَنْهَرُ خَلِلِينَ فِهَا ٱلدَّا مَدَّ أَخْسَنَ اللّهُ لَهُ رَزْقًا ﷺ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَكَانِّنِ ﴾ أي: وكم ﴿ مِن قَرْيَةٍ عَنَنْ عَنْ أَمْ رَبِّا وَرُسُلِهِ ﴾، أي: عن أمر رسله. والمعنى: عتا أهلها. قال ابن زيد: عتت، أي: كفرت، وتركت أمر ربها، فلم تقبله. وفي باقي الآية قولان: أحدهما: أن فيها تقديماً، وتأخيراً. والمعنى: عذّبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع، والسيف، والبلايا، وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابن عباس، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: حاسبناها بعملها في الدنيا، فجازيناها بالعذاب على مقدار عملها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وعذّبناها فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر ﴿ فَذَاتَتَ وَبَالَ أَمْ مِنَاكَ أَيْ هَا ﴾ أي: جزاء ذنبها ﴿ وَكُانَ عَتِبَةٌ أَمْ هَا لَذَيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَدَ أَرَلَ اللهُ إِلَكُمْ وَكُولُ أَي: قرآنا ﴿ رَسُولُ ﴾ أي: وبعثه رسولاً، قاله مقاتل. وإلى نحوه ذهب السدي. وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبرائيل، فعلى هذا: يكون الذّكر والرسول جميعاً منزّلين. وقال ثعلب: الرسول: هو الذّكر. وقال غيره: معنى الذّكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدّم البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٢٤، والتغابن: ١٩ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَدّ أَمْسَنَ اللّهُ لَمُ رِزْقًا ﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَنَوَتِ وَمِنَ ٱلأَرْضِ مِثْلَهُنَّ بِنَدَّلُ ٱلأَثْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّي شَيْءٍ وَلَوْ اللَّهَ قَدْ أَخَاطَ بِكُلِّي شَيْءٍ عِنْنَا ﴾

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِنْلَهُنَ ﴾ أي: وخلق الأرض بعددهن (١٠). وجاء في الحديث: كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك (٢٠). وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى، فهذا الحديث [تارة] يرفع إلى ابن عباس، وتارة يوقف على أبي الضحى (٢٠)، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقاً من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومتقدّمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذُرِيّتُه في السِّنِّ والقِلَم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم. وقال كعب:

⁽١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَيَنَ الأَرْضِ مِنْلَهُمْ﴾ أي: صبعاً أيضاً، كما ثبت في «الصحيحين»: فمن ظلم قيد شهر من الأرض طوقه من سبع أرضين؟ وفي قصحيح البخاري»: فخسف به الله سبع أرضين؟ قال: ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجمة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند. وقد صح من رواية البخاري وغيره قوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن. . . ، الحديث.

⁽٢) روى ابن جرير الطبري ٢٨/ ١٥٣ ، وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الارد على الجهمية ص ٢٦ طبع المكتب الإسلامي من طريق عاصم عن ذرّ عن جد الله بن مسعود على موقوفاً عليه قال: خلق الله سبع سموات، غلظ كل واحلة مسيرة خمسمائة عام، وبين كل واحلة منهن خمسمائة عام، وفوق السبع السموات المعاه، والله جل ثناؤه فوق المعاه، ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، والأرض سبع، وبين كل أرضين خمسمائة عام، وغلظ كل أرض خمسمائة عام، وإسناده حسن ولكنه موقوف. ورواه مرفوعاً أحمد في «المسند» وقم (١٧٧١) و (١٧٧١)، وأبو داود وقم (١٧٧٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، وفي سنده عندهم عبد الله بن عميرة وهو مجهول، وفيه أسطورة الأوعال. ورواه الترمذي ٢٢/ ١٢٨ من رواية الحسن عن أبي هريرة وليس فيه ذكر الأوعال وقال: هلما حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أبوب ويونس وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وروى شريك بعض هذا المعنى عن سماك ووقفه، فالحديث لا يصح مرفوعاً، وهو حسن موقوفاً والله أعلم.

اً وقال ابن كثير أيضاً في «البداية والنهاية» ٢١/١: وهو محمول ـ إن صح نقله عن ابن عباس ـ على أنه أخذه ﷺ عن الإسرائيليات، والله أعلم.

ساكن الأرض الثانية: البحر العقيم، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس(١).

قوله تعالى: ﴿ يَنَزُّكُ ٱلْأَثْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ ، في الأمر قولان: أحدهما: قضاء الله وقدره، قاله الأكثرون. قال قتادة: في كل أرض من أرضهِ وسماءٍ من سمائه خَلْقٌ من خَلْقِهِ، وأمْرٌ من أمْرِهِ، وقَضَاءٌ من قَضَائِهِ. والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء^(۳).



en de la companya de la co La companya de la co

grand the control of the control of

teritorio de la financia de la companio de la comp La companio de la co La companio de la co

وهذا أيضاً _ والله أعلم _ من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن أهل الكتاب.

⁽٢) قال ابن جرير: وقوله تعالى: ﴿ يَنْزُلُ ٱلأَثُّمُ بَيِّئَكُ يقول تعالى ذِكره: ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة.

⁽٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ لِنَمْلُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّي فَيْرَاكُ لِيهُول تعالى ذِكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك، كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته 🥆 وسلطانه، زأته لا يتمذَّر هليه شيزه أواده، ولا يمتنع عليه أمر شاءه، ولكنه على ما يشاء قدير ﴿ وَلَنْ أَلْتُهُ قَدْ أَحَالًا بِكُلِّ مَنْوَءِ طِنْكُم يقول جل ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. يقول جل ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على كل شيء قادر، ومحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم ليجازيكم بها، يوم تجزى كل نفس ما كسبت.

سورة التحريم (١)

وهي مدنية كلها بإجماعهم

ينسب ألم الكنب التبسير

قوله تعالى: ﴿ لَرَ عُرُمُ مَا لَمُلَ اللهُ لَكُ ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تتكدّت عنده، فأرسل النبي على إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم [الذي] يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غَيْرة شديدة. فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت من كان عندك .والله لقد سُؤتني، فقال النبي على: ﴿ والله لأرْضِيَنُك، وَإِني مُسِرٌ إليك سراً فاحفظيه، قالت: وما هو؟ قال: ﴿ إِني أسهلكِ أن سِريّتي هذه علي حرام رضى لكِ، وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي على، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري، إن النبي على قد حرَّم عليه فتاته، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس (٢٠). وقد روي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جاريتك؟! فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: ﴿ لا تذكريه لأحد، فذكرته لعائشة، فأكى أن لا يدخل على نسائه شهراً، فنزلت هذه الآية (٣) وقال الضحاك: قال لها: ﴿ لا تذكري لعائشة ما رأيت، فذكرته نغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية (١٠)، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، فنزلت هذه الآية (١٠)، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، فالكثرون. والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله على يحب الحَلُواء والعسل (٥)، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه، فدخل على حَفصة بنت عمر، احتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها مرأة من قومها عُكَةً من عسل (٢)، فسقت رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي؛ منك إذا دخل عليك، فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي؛

⁽١) ويقال لها: صورة التحريم، وصورة الم تحرم. قال الألوسي: ويقال لها السورة النبي ﷺ؛ وعن ابن الزبير: سورة النساء.

 ⁽۲) رواه ابن جرير الطبري ۲۸/۲۵ عن محمد بن سعد صاحب «الطبقات» من رواية عطية الموفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف. وأورده السيوطي في
 ۱۵۲/۳۹ وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس رهي.

⁽٤) رواه الطبري ٧٨/١٥٦ وفي آخره: وأمره أن يكفر عن يمينه ويأتي جاريته، وفي سنله انقطاع.

⁽٥) المراد بالحلواء هنا: كل شيء حلو، وذكر العسل بعدها تنبيه على شرفه ومزيته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطبيات من الرزق، وأنو ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة، لا سيما إذا حصل اتفاقاً.

⁽٦) قال الجوهري: الفكة: آنية السمن، أو القربة الصغيرة.

أي لنطلبن له الحيلة، وهي الحذق في تدبير الأمور وتقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود.

جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُظُ^(۱) وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حَرَمْنَاه (۲) قلت لها: اسكتي، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» (۲). وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أن التي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحاً، فقال: "إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا منك ريحاً، فنال: "إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزلت هذه الآية (٤). وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أن التي شرب عندها العسل زينب بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولا له ذلك القول (٥). قال أبو عبيد: المغافير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلاوة، وخرج الناس يتمغفرون: إذا خرجوا يجتنونه، ويقال: المغاثير بالثاء، مثل جدث، وجدف، وقال الزجاج: المغافير: صمغ متغير الرائحة، فخرج في المراد بالذي أحل الله له ولان: أحدهما: أنه جاريته، والثاني: العسل (١).

قوله تعالى: ﴿ نَبْنِى مُرْمَاتَ أَنْفَهِكُ ﴾ أي: تطلب رضاهن بتحريم ذلك. ﴿ وَاللّهُ خَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ غفر الله لك التحريم ﴿ فَعَدُ فَرَضَ الله لكم ﴿ فَيَلَةَ أَيْمَنِكُمُ ﴾ أي: كفارة أيمانكم، وذلك البيان في المائدة: ١٨٩. قال المفسرون: وأصل «تَحِلْلَة على وزن تَفْعِلَة، فأدغمت، والمعنى: قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفّارة، فأمره الله أن يكفّر يمينه، فأعتق رقبة (٧٠). واختلفوا هل حرّم مارية على نفسه بيمين، أم لا؟ على قولين: أحدهما: حرّمها من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس (١٨). والثاني: أنه حلف يميناً حرَّمها بها، قاله الحسن. والشعبى، وقتادة (١٠)، ﴿ وَاللّهُ مُولَكُمُ أي: وليّكم وناصركم.

⁽١) أيَّ: رُعت نحل هذا العسل الذي شربته، يقال: جرست النحل تجرس جرساً: إذا أكلت لتعسل، ويقال للنحل: جوارس، والعرفط: مفعول جرست، وهو شجر ينضح الصمة المعروف بالمكافير، أي لكونها رعته وأخذت منه حصلت هذه الرائحة.

⁽٢) حرمناه، هو بتخفيف الراء، أي: منعناه منه، يقال فيه: حرمته وأحرمته، والأول أفصح.

 ⁽٣) رواه البخاري في اصحيحه ١١/ ٢٩٥_٢٩٧ ومسلم ١/١٠١/ من حديث عروة عن عائشة رفياً

⁽³⁾ وقال السيوطي في «الدرة ٢/ ٢٣٩؟ أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عاشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل على حفصة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه و فانزل الله: ﴿ كَانِمُ لِدَ حُمْعُ مَا لَلَهُ اللّهَ اللّهِ الآية. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتحة ١١/ ٢٩٢. وأخرج ابن مردويه من طريق ابن لمبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة. . والراجع أن صاحبة العسل زينب لا سودة، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير.

⁽٥) رواه البخاري ١٩٣/١١، ومسلم ١٩٠٠/٢، قال ابن كثير بعد أن ساق حديث صيد بن عمير وحديث عروة: وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بُعد في ذلك، إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم، قال: ومما يدل على أن عائشة وحفصة في هما المتظاهرتان، الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس، وفيه أنه سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي الله اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن نَنُوا إِلَهُ اللَّهُ سَمَّتَ قُلُوكُما ﴾ أحمد عن ابن عباس، وفيه أنه سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي الله الله تعالى: ﴿إِن نَنُوا إِلَهُ اللَّهُ سَمَّتَ قُلُوكُما ﴾، قال: هي عائشة وحفصة، والحديث بطوله أخرجه البخاري ٥٠٣/٨ وغيره.

⁽٧) ذكر الحافظ السيوطي في اللده ٢٤٠/٦ من رواية ابن مردويه عن أنس ﷺ: فأعتى رسول الله ﷺ رقبة. قال القرطبي: وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه بعتى رقبة وعاد إلى مارية ﷺ، قاله زيد بن أسلم وغيره. وكلك ذكر الزمخشري والخازن، والشوكاني، والآلوسي. وأخرج النسائي ١٩١٦ من طريق سالم الأبطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً جاءه فقال: إني جعلت امرأتي علي حراماً، قال: كنبت ما هي عليك بحرام، ثم تلا ﴿ كَانُّ اللَّهُ لِلْ شُورُ مَا لَلَّ اللَّهُ لَلَّهُ ثَمَ قال له: عليك وقبة. وإسناده صحيح. قال الحافظ: وكأنه أشار عليه بالرقبة لأنه عرف أنه موسر، فأراد أن يكفر بالأغلظ من كفارة اليمين، لا أنه تعين عليه عتق الرقبة. وذكره السيوطي في «اللره ٢٤١/٦ من رواية ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس.

⁽٨) رواه ابن جرير ١٥٧/٢٨ من طريق العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٣٩/٦ من رواية ابن سعد، وابن مردويه عن ابن عباس. قال البين كثير: ومن هاعنا ذهب من ذهب من الفقهاء معن قال بوجوب الكفارة على من حرم جارية أو زوجة أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، قال: وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم يمينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إن نوى طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما.

⁽٩) قال السيوطي في «الدر»: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن الشعبي وقتادة ﷺ، ﴿ يَأَيُّمُ النَّبُ لِل تُحْرُمُ مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكُ ﴾ قال: حرم جاريته، قال =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَسَرَ النَّيُ إِلَى بَعْضِ أَزَوَيِهِ حَدِينًا ﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه. وفي هذا السّر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قال لها: إني مُسِرِّ إليك سِرًّا فاحفظيه، سرّيتي هذه عليَّ حرام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي. والثاني: أنه قال لها: «أبوك، وأبو حائشة، وإليا الناس من بعدي، فإياك أن تخبري أحداً»، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (۱). والثالث: أنه أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي، قاله ميمون بن مهران (۲).

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَّا نَبَأُهَا بِدِ ﴾ أي: أخبر حفصة بإنشائها السرَّ ﴿ قَالَتْ مَنَ أَنْبَأُكَ هَذَاً ﴾؟ أي: من أخبرك بأني أنشيت سرك؟ ﴿ قَالَ نَبُنَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿ فَقَلْ صَفَتَ تُلُونُكُمّاً ﴾ قال ابن عباس: زاغت، وأثمت. قال الزجاج: عدلت، وزاغت عن الحق. قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: فقد صغت قلوبكما هيئاً هيئاً حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زاغت قلوبكما. وإنما جعل

[«] الشعبي: وحلف يميناً على التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين، وقال فتادة: حرمها فكانت يميناً.

⁽١) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح؟ ٢٠٠/١١ من رواية ابن مردويه عن الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حقصة على النبي ﷺ بيتها فوجلت معه مارية فقال: ولا تخبري حائشة حتى أبشرك بيشارة، إن أباك يلي هذا الأمر بعد أبي بكر إذا أنا مت. . . ، قال: وفي سنده ضعف.

⁾ قال السيوطي في «الدر» ١/ ٣٤١: أخرج ابن صاكر عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿إِذْ أَسَرُ النِّيُ إِلَى بَسِنِ انْوَيِمِ سَوِينَا﴾ قال: أسر إليها أن أبا بكر عليه عليه عليه التصريح بإمارة أبي بكر وعمر على وإلا لما حصل خلاف في ذلك أبدأ، ولكنها تشير إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أبر بكر على، من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة على قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: فلدعي لك أباك وأخلك حتى أكتب كتاباً فإني أخلف أن يتمنى معمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر، وروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك - كانها تريد الموت - قال: فأتي أبا بكرة، وروى الترمذي بسند جبد عن عمر على قال: أبو بكر صيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ: وأي لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدوا بالللين من بعدي أبي بكر وهمر وديت حسن، وروى الترمذي عن حديقة على قال: قال رسول الله ﷺ: قابو بكر وهمر سيدا كهول أهل المجنة من الأولين والأخرين إلا النبين إلا البين والمرسلين، وهو حديث صحيح. وروى الترمذي عن عقبة بن عامر قال: قال النبي ﷺ: قلو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ومو وعديت حسن، وروى الترمذي عن عقبة بن عامر قال: قال النبي ﷺ لا نعذل بابي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عمان، ثم عمان، ثم عنوان أسحاب النبي ﷺ لا نعاضل فيهم.

 ⁽٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتحا: أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتها فوجدت معه مارية،
 فقال: لا تخبري عائشة، فأخبرتها، فعاتبها ولم يعاتبها على أمر الخلافة، فلهذا قال الله تعالى: ﴿عَرَّنَ بَشَيْمُ رَأَعْنِهَ مَا بَسِيّ ﴾. قاله: وأخرج الطبراني في الأرسطة وفي اعشرة النساءة عن أبي هريرة تحوه بتمامه، وفي كل منهما ضعف.

⁽٤) تقدم الحديث في الصفحة ١٤٥٠ بلفظ: «راجعها قاتها صوّامة قوّامة» هو يدل على أنه ﷺ طلقها، ويؤيده ما رواه أبو داود ٣٨٢/٢ والنسائي ٢١٣/٦ عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وإسناده صحيح.

القلبين جماعة لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة. وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخُوهُ ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ شَرَاكُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ المفسرون: وذلك أنهما أحبًا ما كَرِهَ رسول الله على من اجتناب جاريته، ﴿ وَإِن اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى الظاء، أي: تعاونا على النبي على بالإيذاء ﴿ فَإِنَّ اللهُ هُو مَوْلَئُهُ أَي: وَلَهُ في العون والنصرة ﴿ وَجَرِيلَ ﴾ وليه ﴿ وَصَلِمُ النّوينِ اللهُ اللهُ وَمَعَلِهُ وليهُ وَمَعَلِهُ وليه وَمَعَلِهُ وليه وَمَعَلِهُ وليه وَمَعَلِهُ وليه والمنافي الطاء، أي: المواد بصالح المؤمنين ستة أقوال: أحدها: أنهم أبو بكر وعمر، قاله ابن مسعود، وعكرمة، والضحاك. والثاني: أبو بكر، رواه مكحول عن أبي أمامة. والثالث: عمر، قاله ابن جبير، ومجاهد. والرابع: خيار المؤمنين، قاله الربيع بن أنس. والمخامس: أنهم الأنبياء، قاله قتادة، والعلاء بن زياد العدوي، وسفيان، والسادس: أنه علي فيها، حكاه الماوردي، قاله الفراء: ﴿ وصالح المؤمنين؛ موحّد في مذهب جميع، كما تقول: لا يأتيني إلا سائس الحرب، فمن كان أساسة للحرب، فقد أمر بالمجيء، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَالشَارِقُ وَالسَارِقَةُ ﴾ [المائد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَالْشَارِقَةُ وَالسَارِةِ وَالمَا الجميع (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَيْ الْإِنْ مَالُوعًا فِ ﴾ [المعارج: ١٩] في كثير من القرآن يؤدي معنى من الواحد عن الجميع (٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَالْمَاتِكُةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ ﴾ أي: ظهراً ، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجميع، ومثله ﴿يَحْرِيكُمُ طِفَلا ﴾ [ظار ١٤] ، وقد شرحناه هناك. ثم خوّف نساءه، فقال تعالى: ﴿عَمَىٰ رَيُّهُ إِن طَلَقَكُنَ ﴾ وسبب نزولها ما روى أنس عن عمر بن الخطاب قال: بلغني بعض ما آذى به رسول الله نساؤه، فدخلتُ عليهنَّ ، فجعلت أستقرثهن واحدة واحدة واحدة ، فقلت: والله لتنتهنَّ ، أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت هذه الآية (٢) . والمعنى واجبٌ من الله ﴿إِن مَلَكُنَ ﴾ رسوله ﴿أَن يُبْوِلُهُ واللهِ عَلَى اللهِ ﴿إِن مَلَكُن مُسْلِمُ وَلِهُ وَلَيكُ مُن اللهِ ﴿إِن مُلِيكُ مُن اللهِ ﴿إِن مُلِكِمُ مُن اللهِ ﴿إِن مُلِكِمُ أَن مُن اللهِ ﴿ وَاللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَل قوله أَي عَل اللهِ عَل اللهِ عَل مَا اللهُ عَل اللهِ عَل مَا اللهُ عَل اللهِ عَل اللهُ وَل اللهُ وَل اللهُ اللهُ عَل اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَلَان أَحدهما: صائمات، قاله ابن عباس، والجمهور. قد شرحنا هذا المعنى عند قوله المرأة الله على اللهُ عَلى اللهُ عَلَي اللهُ عَلَ اللهُ عَل اللهُ وَلِه اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَل اللهُ عَل اللهُ عَل اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَل اللهُ عَلَى اللهُ عَل اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَل اللهُ اللهُ اللهُ عَل اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَ عَل اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوْا ٱلفُسَكُمُ وَأَهَلِيكُو نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَتِهِكُمُّ عِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْمُونَ اللّهَ مَا أَمَرُهُمْ وَيَعْمَلُونَ اللّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَا عَلَيْكُمُ عَلَا عَلَيْك

قوله تعالى: ﴿قُوْا أَنفُسَكُمُ وَأَقلِيكُو نَارًا﴾ وقاية النفس: بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ووقاية الأهل: بأن يُؤمّروا بالطاعة، ويُنْهَوا عن المعصية. وقال علي ﷺ: علَّموهم وأدّبوهم (¹⁾: ﴿وَتُودُهَا النَّاسُ وَالْحِبَارَأُ﴾ وقد ذكرناه في

 ⁽۱) بحذف إحدى التامين وتخفيف الظاء وهي قراءة هاصم ونافع في رواية، وقرأ الجمهور «تظاهرا» بتشديد الظاء.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عبدي أن قوله: ﴿ وَيَهَاعُ التَّوْمِينِ ۗ وَإِن كَانَ فِي لَفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: ﴿ إِنَّ الْإِنْكُنَ لَيْنِ شُمْرٍ ﴿ إِنَّ كَانَ فِي لَفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تَقْرِينُ إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجميع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقريه واحداً كان أو جماعة.

 ⁽٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٨/ ١٦٤ وسنده صحيح، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم.

⁽ع) روي ابن جرير من قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَمَّ أَنْشَكُمُ وَلَمْلِكُو نَازًا رَقُومُهَا النَّاسُ وَلَلْمِبَرَةٌ﴾ قال: يقيهم: أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها. وقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ رَأْمُرُ آَمُلُكَ بِالشَّلَاةِ وَاسْطِيرُ عَيْبًا﴾ أي: استنقذهم من هذاب الله بإقامة الصلاة وأصبر أنت على مثلها.

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد في أعسنامة ٢/١٨٧، وأبو داود في فسنه، رقم (٤٩٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: قبروا أولادكم بالصلاة وهم أبناه سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناه عشر سنين، وقرقوا بينهم في المضاجع، وهو حديث حسن. ومعنى: قرقوا بينهم في المضاجع، أي: ذكوراً كانوا أو إناثاً، وهو من باب سد الذرائع، ومن محاسن هذه الشريعة الغراه، قال ابن كثير: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على النبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصبة وترك المنكز، والله المسونى. ويدخل هذا في قوله تمالى: ﴿وَيَعْمَارُوا كُلُ النَّارِيَّ وَالنَّاسِينَ مسوول يوم القيامة عن أهله ورهيته، فقد روى البخاري المسونى.

[البقرة: ٢٤] ﴿عَلَيْهَا مَلْتِكَةً غِلَاظُهُ على أهل النار ﴿شِكَادُ ﴾ عليهم. وقيل: غلاظ القلوب شِدَاد الأبدان. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خَزَنَةُ النَّار تسعةَ عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، وقُوَّته: أن يضرب بالمقمعة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفاً، فيهؤون في قعر جهنَّم ﴿لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرُهُم ﴾ أي: لا يخافون فيما يأمر ﴿وَيَقْتَلُونَ مَا يُؤْمُرُونَ فيه النار: قولان: أحدهما: لا يتجاوزون ما يؤمرون. والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخّرونه ولا يقدِّمونه. ويقال لأهل النار: ﴿ يَكَانُهُمُ النِّي كَدُولُ لا يُعَلِّمُونَهُ أَلِي مَا يُؤْمِلُ النَّهِ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَدُ شَبُوعُ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع "نُصوحاً» بضم النون. والباقون بفتحها. قال الزجاج: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و قفعُول، من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ينصحون فيها نصوحاً، يقال: نصحت له نصحاً، ونصاحة، ونصوحاً. وقال غيره: من ضم أراد: توبة نُصْح النفسكم. وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدُّث نفسه أنَّه لا يعود. وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود. وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُمْزِى اللّهُ اللّهِيَ قد بيّنا معنى «الخزي» في [آل عمران: ١٩٢] وبيّنا معنى قوله تعالى: ﴿وُرُوهُمْ يَسَىٰ أَلِيْتِهُمْ وَالْحَدِيهِ وَلَكَ إِذَا رَأَى المؤمنون نور المنافقين يُطفأ مَا اللّهِ تعالى أن يتمم لهم [نورهم]، ويبلّغم به الجنة. قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة. فأما المنافق فيُطفأ نورُه، والمؤمن مُشْفِق مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّكَ آتَيمٌ لَنَا ثُورُكَا﴾.

﴿ يَكَأَيُّهَا النَّيِنُ جَهِدِ الْحُنَادَ وَالْمُنَانِقِينَ وَاغْلُظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيِشْنَ الْمَهِيدُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَذَرُوا اَمْرَاتَ نُوجِ وَامْرَاتَ لُولِ كَانَتَا خَمْتَ جَدَيْنِ مِنْ جِهَادِنَا مَسَلِحَيْنِ فَخَاتَنَاهُمَا فَلَرْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَفِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ اللَّاخِلِينَ ۞ وَمَنْرَبَ اللَّهُ مَثْلًا لِلَذِينَ مَامَنُوا اَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْنًا فِي الْجَنَّةِ وَغَيْنِ مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَغَيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ ۞ وَمُرْبَمُ ابْنَتَ عِمْرَنَ الْتِي آخَصَلَتْ فَرْجَهَا مَنْفَخْتَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَنْتِ رَبِّهَا وَكُثْبُهِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَرْبِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ جَهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُتَنِّقِينَ ﴾ قد شرحناه في [براء:: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ مَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْمَرَاتَ نُوجِ قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عَصيا ربَّهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مقاتل: اسم امرأة نوح (والهة) وامرأة لوط (والنة).

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَكِلِعَيْنِ﴾ يعني: نوحاً ولوطاً ﷺ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما في الدِّين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيفٌ بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف. وقال السدي: كانت خيانتهما: كفرهما. وقال الضحاك: نميمتهما. وقال ابن السائب: نفاقهما.

قوله تعالى: ﴿ فَلَرْ يُنْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئا﴾ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطبع بقوله تعالى: ﴿ وَمَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلّهِ المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطبع بقوله المثل الأول يحدّر به عائشة لِلّذِيبَ مَامَثُوا أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ وهِي آسية بنت مزاحم على التعسك بالطاعة. وكانت آسية قد آمنت بموسى. قال أبو هريرة: وحفصة على الله المثل يرغبهما في التعسك بالطاعة. وكانت آسية قد آمنت بموسى. قال أبو هريرة:

ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب الله قال: سمعت رسول الله على يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رهيته، الرجل راع في أهله ومسؤول عن رهيته، وكلكم راع ومسؤول عن رهيته، وكلكم راع ومسؤول عن رهيته، وكلكم راع ومسؤول عن رهيته،

ضرب فرعون لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرَّقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ اَبُنِ لِي عِندَكَ بَيْتَــَا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها (١) ﴿رَيَّقِنِ مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ.﴾ فيه قولان: أحدهما: أن عمله: جِمَاعُهُ. والثاني: أنه دينه (٢) رويا عن ابن عباس، ﴿رَيِّقِنِ مِنَ ٱلْفَوْرِ الظَّلْلِينَ ﴾ يعني: أهل دين المشركين.

قوله تعالى: ﴿رَالَتِيَ أَعْمَـنَتَ فَرَجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة االانبياء: ١٩] فمن قال: هو فرج ثوبها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مَدَّ جيب درعها، فدخل فيه. و من قال: هو مخرج الولد، قال: «الهاء» كناية عن غير مذكور، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها(").

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَتَ بِكُلِمَنْتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: أحدهماً: أنها قول جبريل ﴿إِنْمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]. والثاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزلة. وقرأ أُبيَّ بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري ابكلمة ربها على التوحيد. اوكُتُبه، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم اوكتابِهِ على التوحيد، وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع اوكُتُبه جماعة، وهي التي أنزلت على الأنبياء، ومن قرأ اوكتابه فهو اسم جنس على ما بيّنًا في خاتمة [البقرة: ١٨٥] وقد بيّنًا فيها القنوت مشروحاً [البقرة: ١١٦]. ومعنى الآية: وكانت من القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات(٤٠).



⁽١) قال السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٦: أخرج أبو يعلى والبيهقي يسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة ﷺ، فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندُكَ بَيْتًا فِي الْجَدَّةِ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة.

 ⁽٢) أي: شركه وكفره، وهذا القول أولى، والمعنى: نجني من نفس فرعون الخبيثة وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة غير الله والتعذيب بغير جرم وغير
 ذلك من قبائحه.

⁽٣) قال ابن كثير: ﴿فَنَفَخُكَا فِيهِ مِن زُّمِجِنَا﴾ أي: يواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه العصل بعيسى ﷺ.

 ⁽³⁾ روى البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن أبي موسى الأشهري رضي عن النبي عنه قال: اكمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل حائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

*, * . *

· سبورة الملك ·

وهي مكية بإجماعهم

قال ابن مسعود: هي المانعة من عذاب القبر(١).

بند أقر الكنب التقديد

﴿ بَنَرُكَ الّذِى بِيدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِ مَنْ هِ نَدِيرٌ ۞ اللّذِى خَلَقَ السَوْتَ وَالْجَوْةَ لِبَنْلُوكُمْ أَيْكُو أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُو الْمَيْرُ الْمَمْوُ ۞ اللّهِ خَلَقَ البَعْبَرُ هَلَ وَيَى مِن مُشَلُورٍ ۞ ثُمَّ اتَجِع الْبَعْبَرُ عَلَى مِن مُشُلُورٍ ۞ ثُمَّ اتَجِع الْبَعْبُر عَلَى مِن مُشُلُورٍ ۞ ثُمَّ اتَجِع الْبَعْبُر خَلِيعًا وَهُو حَدِيرٌ ۞ وَلَقَدَ، زَنَا السَّكَةَ اللّهَ المَيْعِيجَ وَجَعَلَتُهَا كَفُومُ الْمَنْجَعِيدٌ وَالْتَعْدَاعُ لَمُعْمَا لِللّهَ اللّهَ عَلَى اللّهُ مِن اللّهِ وَلَمْ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ مِن مُعُومُ اللّهُ مِن مُنْورُ ۞ فَكَادُ تَمْبُلُ كَبِيرٍ ۞ وَاللّهِ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهِ اللّهِ مُنْفِرُ ۞ وَاللّهُ مِن اللّهِ مُنْفِرُ اللّهُ مِن مُنْورُ ۞ فَكَادُ تَمْبُولُ كِيرٍ ۞ وَاللّهِ اللّهُ فِي اللّهُ مِنْفُورُ ﴾ وأنه اللهُ مِن مُنْفِرُ ۞ أَنْفُورُ ﴿ وَاللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُنْفُورُ ﴾ وأَنْ اللّهُ اللّهُ مُن مُنْفُورُ ﴾ وأنه اللهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِنْفُورُ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللل

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤](٢).

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلنُّلُكُ ﴾ قال ابن عباس: يعني: السلطان يُعِزُّ ويُذِلُّ.

قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ عَلَى الْمَرْتَ وَالْمَيْوَ ﴾ قال الحسن: خلق الموت المزيل للحياة، والحياة التي هي ضد الموت ﴿ لِبُلُوكُمْ أَيْكُمْ أَصَنُ عَمَلاً ﴾ قد شرحناه في [هود: ٧] قال الزجاج: والمعلّق بـ ﴿ أَيُكُمُ مُ مضمر تقديره: ليبلوكم، فيعلم أيُّكم أحسن عملاً، وهذا علم وقوع. وارتفعت (أي بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام، ومثله ﴿ أَنُ لَلْمِنَيْنَ أَحْمَى ﴾ [الكهف: ١٦]. والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليبعثكم ويجازيكم. وقال غيره: اللام في اليبلوكم، متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة، ﴿ اللّذِي خَلَقُ سَبّعَ سَكُونِ طِلْمَانًا ﴾ أي: خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض ﴿ مَا تَرَىٰ ﴾ يا ابن آدم ﴿ فِ خَلْقِ الرّحَيْنِ مِن تَقَوُرَ ﴾ وأصله حمزة والكسائي: (من تفوّت) بتشديد الواو من غير ألف. وقرأ الباقون بألف. قال الفراء: وهما بمنزلة واحدة، كما تقول: تعاهدت الشيء، وتعهدته. والتفاوت: الاختلاف، وأمله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً، فيقع الخلل، ولكنه متصل بعضه ببعض.

قوله تعالى: ﴿فَالَجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أي: كرِّر البصر ﴿مَلْ تَرَىٰ مِن فُلُورِ﴾ وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «هل ترى» بإدغام اللام في الناء، أي: هل ترى فيها فروجاً وصُدوعاً.

قوله تمالى: ﴿ثُمُّ آتِيمِ ٱلْمَرَ كُرُّيْنِ﴾ أي: مرَّة بعد مرَّة ﴿ يَقَلِبَ إِلَيْكَ ٱلْمَسَرُ خَاسِنًا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مبعداً من قولك: خسأتُ الكلب: إذا باعدته ﴿ رَمُو حَسِيرٌ ﴾ أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه. وقال الزجاج: قد أعيا من قبل أن يرى في السماء خَللاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقُدُّ رَبُّنَا السَّمَاةَ اللَّهُ اِبِمَسْيِيحَ﴾ وقد شرحناه في اخم السجدة: ١٦] ﴿وَبَمَلَنَهَا رُجُومًا لِلشِّيطِانِّ﴾ أي: يرجم بها مسترقو السمع. وقد سبق بيان هذا المعنى اللحجر: ١١٩ ﴿وَأَعْتَدَنَا لَمُهُۖ أَي: في الآخرة ﴿مَدَابِ السَّمِيرِ﴾ وهذا وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿يَمِمُوا لَمَا شَهِيقًا﴾ أي: صوتاً مثل صوت الحمار. وقد بينا معنى الشهيق في [مود: ١٠٦]

⁽١) ذكره السيوطي في اللدا ٢٤٦/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود موقوقاً عليه، وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس مرفوعاً، وهو ضعيف.

 ⁽٢) روى أحمد في «المسند»، وأصحاب «السنن» الأربعة بسند حسن عن أبي هريرة رهي قال: قال رسول الله ﷺ: فإن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى ففر له، وهي ﴿ تَبَرُكَ اللَّهِ ﴾ يَهُو ٱللَّهُ ﴾».

﴿ وَهِى تَفُورُ﴾ أي: تغلي بهم كغلي المِرْجَل ﴿ تَكَادُ تَمَيَّرُ﴾ أي: تتقطّع من تَغَيَّظها عليهم ﴿ كُلَّنَا ٱلْقِيَ فِيهَا فَرَجٌ﴾ أي: جماعة منهم ﴿ سَأَلْهُمْ خَرَنَتُهَا أَلَدَ بَأْتِكُرُ نَذِيرٌ ﴾؟! وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَشَكُ أَي: قلنا للرسل: ﴿إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا فِ صَلَالِ أَي: في ذهاب عن الحق بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا سَتَمْ أَي: سماع من يعي ويفكّر ﴿أَوْ نَتْقِلُ } عقل من يُميّز وينظر ﴿مَا كُنّا مِن ما هل النار ﴿نَسْتَقَا الله أَي: بُعْداً. هو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسحيق: البعيد. وكذلك روى ابن أبي ظلحة عن ابن عباس الفسحقاً أي: بُعْداً. وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السُّحق: وإد في جهنم يقال له: سُحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَبَّبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ رَأَجُرٌ كَبِيرٌ ۞ وَأَسِرُوا فَوَلَكُمْ أَوِ اَجْهَرُوا بِيَّةٍ إِنَّهُ عَلِيدٌ بِمَانِ الشَّدُورِ ۞ أَلَا بَسْلُمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الطَّلِيثُ الْمَائِدُ ۞ هُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَاشْوا فِي مَناكِهِا وَلَمُوا مِن رَفِقِهُ وَإِلَيْهِ الشَّمُورُ ۞﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَرُنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قد شرحناة في سورة (الانبياه: ١٤١) ﴿ لَمُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَأَجْرُ حَيِيرٌ ﴾ وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفَّار، فقال تعالى: ﴿ وَأَسِرُنَا فَوْلَكُمْ أَوِ آجَهَرُواْ بِينِهُ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَسْلُمُ مَنْ عَلَى ﴾؟! أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟! و «اللطيف» مشروح في االانعام: ١٠٣ و «الخبير» في االبترة: ١٩٤٤.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَمَـٰلَ لَكُمُّ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً﴾ أي: مُذَلَّلةً سَهْلَةً لم يجعلها ممتنعة بالحُزُونَة والغِلَظ.

قوله تعالى: ﴿ نَاتَشُوا فِي مَنَاكِيّا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها:طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل. والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قيبة (١)، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّهِ ٱلشُّورُ ﴾ أي: إليه تُبْعُثُون من قبوركم.

﴿ آلِينَامُ مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَعْمِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ لَإِذَا مِنَ تَمُورُ ۞ أَمْ أَينَامُ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ سَاحِبُأَ مُسَتَّمَلُونَ كَيْفَ لَذِي صَلَّى اللَّهِ وَلَقَدْ مَنْ اللَّهِ وَلَقَدْ مَنْ اللَّهِ عَلَيْكُ مَا يُعْمِكُمُنَ إِلَّا الرَّعَانُ إِنَّهُ بِكُلِ عَلَيْهِ مَنْ فَلَهُ مَا يَعْمِكُمُنَ اللَّهِ الرَّعَانُ إِنَّهُ بِكُلِ عَلَيْهِ مَنْ فَلَهُ مَا يُعْمِكُمُنَ اللَّهِ الرَّعَانُ إِنَّهُ بِكُلِ عَلَيْهِ مَنْ فَلَهُمْ مَنْ مَا يُعْمِلُ هَا الرَّعَانُ إِنَّهُ إِنَا الرَّعَانُ إِنَّهُ بِكُلِ مَنْ مَا يُعْمِلُونَ مِن مِلْهِمْ فَكُونُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ فَلَهُمْ مَنْ فَلَهُمْ مَنْ فَاللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ فَلَهُمْ مَنْ فَاللَّهُ مِنْ فَاللَّهُ مِنْ فَاللَّهُ مِنْ مِن مُلْفِعُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُ مِنْ فَاللَّهُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ مَنْ اللَّهُمُ مِنْ مِنْ فَاللَّهُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ مَنْ مِنْ فَاللَّهُمْ مُنْ أَلِهُ مُنْ أَلِيلًا اللَّهُمُ مُنْ أَمْ اللَّهُ مُنْ مُنْ فِي السَّمَاءُ مَنْ اللَّهُمُ مُنْ أَنْ أَنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُنْ أَنْ السَّمَاءُ مُنْ أَنِيلًا مُنْ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَنْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَنْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمُ اللَّهُمُ مِنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمُ اللَّهُمُ مُنْ أَلِهُمْ اللَّهُمُ مُنْ أَلِيلًا مُنْ أَنْ أَلَامُ مُنْ أَلِهُمُ مُنْ أَنْ أَنْ أَلِمُ مُنْ أَنْ أَلِهُمْ مُنْ أَنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ أَلِهُمُ مُنْ أَلِهُمُ مُنْ أَلِنُ أَلِهُمْ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمْ مُنْ أَلِهُمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِمُ أَلَّا مُعْمُولُونَا مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِنُ أَلِنَا مُنْ أَلْمُولُونُ أَلَّا مُنْ أَلْمُولُولُونُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِنَا مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَا

ثم خوف الكفار فقال: ﴿ أَيْنَامُ ﴾ قرأ ابن كثير: «وإليه النشور وأمنتم» وقرأ ناعف، وأبو عمرو: «النشور آمنتم» بهمزة ممدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أأمنتم» بهمزتين ﴿ مَنْ فِي السَّمَا ﴾ قال ابن عباس: أمنتم عذاب مَنْ في السماء، وهو الله عزَّ وجلَّ ؟! و «تمور» بمعنى: تدور، قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

قوله تعالى: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمُ حَاسِبُأَ﴾ وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط، ﴿ نَسَتَمْلُونَ كَيْنَ نَدِيرِ ﴾ أي: كيف كانت عاقبة إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب، ﴿ وَلَقَدْ كُذَّبَ الَّذِينَ مِن قَلِهِم ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿ فَكَنَ كَذَبُ الَّذِينَ مِن قَلِهِم ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿ فَكَنَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم بالعذاب. ﴿ أَوْلَدُ يَرْاً إِلَى الطّيرِ فَوْتُهُمْ مَنْفَنْتِ ﴾ أي: تصف أجنحتها في الهواء، وتقبض أجنحتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ أن يقعن: ﴿ إِلَّا الرَّحَمَٰنَ ﴾ .

﴿ أَمَنَ هَذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَكُرَ يَصُمُكُمُ مِن دُونِ ٱلزَّمَنِ ۚ إِن ٱلكَيْرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أَمَنْ هَذَا ٱلَّذِى بَرَاثُكُرُ إِنْ أَسَلَكَ رِنَفَكُم لِللَّهُ لَلْ لَجُواً فِي عُمُورٍ ۞ أَمَنَ بَيْنِي مُكِبًا عَلَى رَجِهِمِهِ ٱلْهَدَىٰ ٱلْنَ إِنْ الكَيْرُونَ إِلَّا فِي عَرُولٍ الشَّيْتِيمِ ۞ قُلْ لِهُوَ ٱلَّذِى ٱلنَّمَاكُمُ وَجَمَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ فِي عُمُورٍ ۞ أَمَن بَيْنِي مُكِبًا عَلَى رَجِهِمِهِ ٱلْهَدَىٰ ٱلنَّن يَبْنِي سَوًّا عَلَى مِرْطِ الشَّيْتِيمِ ۞ قُلْ لِهُوَ ٱلَّذِى ٱلنَّاكُمُ وَجَمَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ

⁽١) وهو اختيار ابن جرير الطبري أيضاً.

وَالْأَشِكَرُ وَالْأَنْدِدَةً فَلِيلًا مَا نَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَاكُمْ فِي الْآرْضِ وَالِّذِهِ ثُمَشَرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَنَى مَلَنَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَدِفِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْفِلْدُ حِندَ اللَّهِ وَإِنْمَا أَنَا نَذِيرٌ مُهِدِينٌ ۞ فَلَمَا رَاْوَهُ زُلْفَةً سِبَتَتْ وُجُوهُ الَّذِيرَ ۖ كَفَرُا وَفِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِـ نَدَعُونَ ۞﴾

قُولُه تعالَى: ﴿ أَمَنَ هَلَا اللَّهِى هُوَ جُدُّ لَكُرُ ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجُنْدِ» مُوحَّد، فلذلك قال تعالَى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُنْدَ لكم ﴿ يَمُرُمُ مُ أَي: يمنعكم من عذاب الله إن أراده بكم ﴿ إِن الْكَثِرُونَ إِلّا فِي غُرُورٍ ﴾ وذلك أن الشيطان يغرُّم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم ﴿ أَنَّ هَذَا الّذِي يَرَنُهُ كُرُ ﴾ المطر وغيرَه ﴿ إِن الْمَدَابُ لا ينزل بكم ﴿ أَنَّ هَذَا الّذِي يَرَنُهُ كُرُ ﴾ المطر وغيرَه ﴿ إِن المَدَابُ لا ينزل بكم ﴿ أَنَّ هَلَا اللّذِي يَرَالُهُ كُو المطر وغيرَه ﴿ إِنَّ المَدَابُ لا ينول بكم ﴿ أَنَّ يَنْهِي مُكِنًا عَلَى وَجَهِهِ عَلَى اللّهُ وَلَا يَعْلَى وَجَهِهُ اللّه اللّه وَلا من بين يديه. يقال: أكبَّ فلانٌ على وجهه بالألف، وكبّه إلله لوجهه، وأراد: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و «السويُّ»: المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مُكِبًا على وجهه، والمؤمن يمشي سوياً.

قوله تعالى: ﴿ فَلِيلًا مَّا نَشَكُرُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل. والثاني: يشكرون قليلاً، قاله أبو عبيد.

قوله تعالى: ﴿ وَنَرَأَكُمُ ﴾ أي: خلقكم ﴿ وَيَثُولُونَ مَقَ هَذَا آلَوَمُهُ ﴾ يعنون بالوعد: العذاب ﴿ وَقَلْنَا رَأَوَهُ رُلْفَةً ﴾ أي: رأوا العذاب قريباً منهم ﴿ يَبَتَتَ رُجُوهُ ٱلَذِيكَ كَنَرُوا ﴾ قال الزجاج: أي: تبين فيها السُّوءُ. وقال غيره: قُبْحْت بالسواد ﴿ وَقِيلَ الْعَذَابِ قريباً منهم ﴿ يَبَتَتُ رُجُوهُ ٱلَذِيكَ كَنَرُوا ﴾ قال الزجاج: أي: تبين فيها السُّوءُ. وقال غيره: قُبْحْت بالسواد ﴿ وَقِيلَ اللّهِ كُثُمُ بِهِ تَنَمُّونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنَّ وتدّعون بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو وتفتعلون المناء، الدعاء. يقال: دعوت، وادَّعيت، كما يقال: خَبَرْتُ وَاخْتَبَرْتُ، ومثله: يَدَّكِرون، ويَدُكُرون، هذا قول الفراء، وابن قتية. والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعون الأباطيلَ والأكاذيب، تَدَّعون أنكم إذا مُتُم لا تُبْعَثُون؟! وهذا اختيار الزجاج. وقوأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن أبي عبلة، ويعقوب: «تَدْعون بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلُون من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يَدعُون بالعذاب.

﴿ فَلْ أَرْمَنِتُمْ ۚ إِنَّ أَهْلَكُمِنَى اللَّهُ وَمَن شَيْمَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يَّجِيرُ ٱلكَيْفِرِينَ مِنْ عَدَابٍ أَلِيدٍ ۞ قُلْ هُوَ ٱلزَّمْمَنُ مَاسَنَا بِهِ. وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاً مُسَتَقَلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ ثَبِينٍ ۞ قُلْ أَرَمَيْتُمْ إِنْ أَسْبَعَ مَآؤَكُو غَوْلَ فَمَن يَأْتِيكُر مِبَلَهِ شَعِينٍ ۞ ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَيَتُمْ إِنَّ أَهْلَكُنَى اللهُ ﴾ بعذابه ﴿رَبَن نَبِي ﴾ من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «معي، بالإسكان، ﴿أَنْ وَبَن عاصم، والكسائي: «معي، بالإسكان، ﴿أَنْ وَمَنَا ﴾ فلم يعلَّبْنَا ﴿فَمَن يُجِدُ ٱلْكَيْفِينَ ﴾ أي يمنعهم ويؤمّنُهم ﴿رَبْنَ عَذَابٍ أَلِيرٍ ﴾ ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرَّجاء: فمن يجيرُكم مع كفركم من العذاب؟! أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين، ﴿قُلْ هُوَ الرَّجَنُ ﴾ الذي نعبُدُ ﴿فَسَتَمْلَئُونَ ﴾ وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاينة العذاب من الضالُ نَحْن أم أنتم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَشْبَحَ مَا ذُكُرُ غَوْلَ ﴾ قد بيّنًاه في [الكهف: 11] ﴿فَنَ يَأْتِكُرُ بِمَآهِ مَعِينٍ ﴾؟! أي: بماء ظاهر تراه العيون، وتناله الأرشية.

سورة القلم

وهي مُكية كلها بإجماعهم

إلا ما حكي عن ابن عباس وقتأدة أن فيها من المدني قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَاوَنَهُرٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَمْلُوكِ﴾.

يسد ألَّهِ النَّانِ الْتَحَدِدُ

﴿تَ وَالْفَلِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَتَ بِيمْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونِ ۞ وَإِذَ لَكَ لَأَجْرًا عَبْرَ مَسْنُونِ ۞ وَإِنَّكَ لَقُلَ عُلِيمٍ ۞ فَطِيمٍ ۞ مَشْنُونِ ۞ وَإِنَّكَ لَقُلُ عَلَيْهِ مِنَ مَثَلَ عَن سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلنَّهُمَدِينَ ۞﴾.

قوله تعالى: ﴿تَ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص: ﴿نُ والقلم﴾ النون في آخر الهجاء من نون ظاهرة عند الواو، وهذا اختيار الفراء. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان لا يُبين النون من (نون). وبها قرأ الكسائي، وخلف، ويعقوب، وهو اختيار الزجاج. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والأعمش؛ انون والقلم، بكسر النون. وفي معنى نون سبعة أقوال: والقلم، بكسر النون. وفي معنى نون سبعة أقوال: أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله على أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله على أنه الله المحسن وقتادة. والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه الحوت الذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان عن ابن عباس (٢٠)، وهو مندهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أنه لؤح من نور، قاله معاوية بن قُرَّة. والمخامس: أنه افتتاح المختوب و إناصر، قاله عطاء. والسابع، والنائي: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه الذي الجنة، قاله جعفر الصادق (٣). وفي «القلم، قولان: أحدهما: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه الذي يكتب به الناس (١٠)، والما والنابي: أنها تكتب، و ﴿ يَسَمُ الله معنى: يكتبون. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنهم جميع الكتبة، حكاه الثعلبي. ﴿ مَنَا أَتَ يِتَدَة رَبِّكَ يِمَجُرُنِ ﴿ كُنَا أَنَ يَعْتَدَ رَبِّكَ يَمْجُرُنِ ﴿ كُنَا أَتَ يَعْتَدَ رَبِّكَ عَلَكُ بالإيمان والنّبوّة بمجنون. قال الزجاج: هذا جواب قولهم: إنك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بعمة الله.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ ﴾ بصبرك على افترائهم عليك، ونسبتهم إيّاك إلى الجنون ﴿ لِأَجْرًا عَيْرَ مَمْنُونِ ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص، ﴿ وَإِنَّكَ لِمَانَى عَلِيمِ ﴿ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني:

⁽۱) رواه ابن عساكر ۱/۲٤۷/۱۷ عن الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ باطول منه، وتمامه:
دثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون ـ أر ما هو كائن من همل أو رزق أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فلك قوله: ﴿تُ
وَالْفَيْرِ وَيَا يَسُكُرُونَ ﴾ ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي الأكملك فيمن أحببت، والتقصئك ممن أبغضته، والحسن بن يحيى صدوق كثير الغلط كما قال الحافظ في «التقريب»، والحديث رواه أحمد في «المسند، ١٩٧٥ من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه عبادة بن الصامت ﷺ، وليس فيه ذكر النون في أوله، ولا ذكر العقل في آخره، ورواه الترمذي ٢٦٢ بنحو رواية أحمد وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً أبو داود في السنده وقم (٤٧٠٠)، والطبري ١٧٤ وهو حديث صحيح بهذا القدر.

⁽٢) رواه الطبري ٢٩/٢٤، وأبو ظبيان قابوس، فيه لنين كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب.

⁽٣) والصواب أن (نون) من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته، وقد تقدم ذلك.

 ⁽³⁾ قال ابن كثير: والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَبُّكُ الْأَرْمُ ۚ إِنَّا إِنَّكُمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى عَلَمْ اللَّهُ عَلَى عَلَمْ اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّالِمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّالِمُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَالَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَّ اللَّهُ عَلَ

أدب القرآن، قاله الحسن. والثالث: الطبع الكريم. وحقيقة «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خُلُقا، لأنه يصير كالخِلْقة في صاحبه. فأما ما طبع عليه فيسمى: «الخِيم» فيكون الخِيم: الطبع الغريزي، والخُلُق: الطبع المُتكلَّف. هذا قول الماوردي. وقد سئلت عائشة على عن خُلُقِ رسول الله على ما أمره الله به في القرآن. عند تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوله تعالى: ﴿ فَسَنُشِرُ وَيُشِيرُونَ ﴿ فَ يَعني: أهل مكة. وهذا وعيد لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب بِبَدْرٍ ﴿ بِأَيْرِكُمُ ٱلْمُقْتُونُ ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: الضال، قاله الحسن. والثاني: الشيطان، قاله مجاهد. والثالث: المجنون، قاله الضحاك. والمعنى: الذي قد فتن بالجنون. والرابع: المعذّب، حكاه الماوردي. وفي الباء قولان: أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة، وابن قتية. وأنشدوا:

[نَحْنُ بَنُو جَعْدَةً أَصْحَابُ الفَلَجْ] نَصْرِبُ بِالسَّيْف وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ")

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفراء، والزجاج. قال الزجاج: ليس كونها لغواً بجائز في العربية في قول أحد من أهلها. وفي الكلام قولان للتحويين: أحدهما: أن «المفتون» هاهنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس هذا معقود رأي، أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره، أي: يسره. والمعنى: بأيكم الجنون. والثاني: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج. وقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: «في أي المفتون». ثم أخبر أنه عالم بالفريقين بما بعد هذا.

﴿ فَلَا نَبْلِجِ النَّكَذِينَ ۞ وَدُوا لَوَ نَدُونُ فَيُدِمِنُونَ ۞ وَلَا تُطْلِعَ كُلُ عَلَانٍ مَهِينِ ۞ مَنَازٍ مَشْلَتِم بِنَيسِرٍ ۞ مَنَاجِ الِنَتَبِرِ مُعْمَدٍ أَلِيسٍ ۞ عُتُلِ بَهْدَ ذَلِكَ زَيْدِمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالِ وَبَدِينَ ۞ إِذَا تُشَلَ عَلَيْهِ مَائِدُنُكُ الْأَوْلِينَ ۞ مَنْدِمُومُ مَنَ الْمُؤْدِمِ ۞ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ غَلَا تُطِع الْكُكَدِينَ ﴿ ﴾ وذلك أن رؤساء أهل مكة دَعَوْه إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم ﴿ وَيُوا لَوَ مُرْوَنَ عَلَى ﴿ وَلَكَ أَنْ رؤساء أهل مكة دَعَوْه إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم ﴿ وَيُوا لَوَ مُدِينَكُ مُدْوِنَ فَي فَي الله ابن عباس. والثاني: لو تُصافِعهم في دِينك فَيَهما نِعون في دينهم، قاله الحسن. والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل. والرابع: لو تَلِينُ فيلنون لك، قاله إبن السائب. والخامس: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون، قاله زيد بن أسلم. والسادس: ودُّوا لو تعلمن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مُدَّة، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هو من المداهنة، والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك، قاله ابن كيسان (٣٠).

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ شَلِعَ كُلُّ حَلَانِ ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل ﴿ مَهِيٌّ ﴾ وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: الممهين: الكذَّاب. واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثانى: الأخس بن شريق، قاله عطاء، والسدي. والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد (٤٠).

⁽۱) هو قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد في «مسنده ٢/ ٥١، ٥١، ورواه مسلم ٢/ ٥١ بنحو حديث أحمد. ورواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٥٩ مختصراً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وواقعه الذهبي، وأورده النبيوطي في «الدر» ٦/ ٢٥٠ مختصراً، وزاد نسبته لابن أبي شبية، وهبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة على الله كثير: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخُلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أهرة القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه تمن الخلق العظيم، من الحياد، والكرم، والشجاعة، والعلم، وكل خلق جميل.

 ⁽٢) هو لراجز من بني جعدة، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ٥، و «الخزانة» ٤/ ١٦٠، و الاقتضاب، ٤٥٥، و شواهد «المغني» ١١٤ أو «الطبري» ١١٤ و ١٢٠ و و القرآن» ١١٤ و ١٤٠ و القرآن» ١١٤ و القرآن» ١١٤ و القرآن» ١١٤ و القرآن» ١١٤ و القرآن» و و و في أعلى بلاد قيس، والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله «بالفرج»، أي: ونرجو الفرج، وهي زائدة في المفعول به سماعاً، ويروى البيت: نضرب بالبيض و تدعو بالفرج. وكلا الروايتين بمعنى واحد.

⁽٣) - قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودَّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينوني لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَيَوَلَا أَن نَبَّتَنَكَ لَقَدْ كِدَثَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِرَ شَيْكَ قَلِيكٌ ۚ ﴿ إِنَّا لَا فَذَنْكَ ضِعْفَ الْمَيْزِةِ وَضِفْتَ الْسَكَاتِ﴾ قال: وإنما هو مأخوذ من اللَّهن، شبه النليين في القول بتليين النَّهن.

⁽٤) روى البخاري في اصحيحه ٨/٧٥ عن ابن عباس رضي الله عنه و المحافظ = (٤) وي البخاري في اصحيحه ٨/٧٥ عن ابن عباس الله عنه المحافظ =

قوله تعالى: ﴿مَنَازِ﴾ قال اين عباس: هو المغتاب. وقال ابن قتيبة: هو العَيَّاب.

قوله تعالى: ﴿مَثَنَامِ بِنَبِيرِ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم(١) ﴿مَثَاعِ لِلْمَنْ فَي قَوْلان: أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: مَنَّاعِ للحقوق في ماله، ذَكَرَهُ الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مُتَكِدِ﴾ أي: ظلوم ﴿آتِيرِ﴾ فاجر ﴿عُثُلِ بَدَدَ دَلِكَ﴾ أي: مع ما وصفناه به (٢). وفي «العُتُلُ سبعة أقوال: أحدها: أنه العاتي الشديد المنافق، قاله ابن عباس. والثاني: أنه العتوفر الجسم، قاله الحسن. والثالث: الشديد الأشرُ. قاله مجاهد. والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة. والخامس: الأكول الشروب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير، والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء. والسابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتيبة، وفي «الزنيم» أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّعِيُّ في قريش وليس منهم، رواء عطاء عن ابن عباس، وهذا معروف في اللغة أن الزنيم: هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء،. وأبو عبيدة، وابن قتيبة. قال حسان:

وَأَنْتَ زَنِيهُ نِيهِ ظُ فِي آل هَاشِهِ فَي أَل مَاشِهُ الفَرُدُ الفَرَاكِ الفَدُّ الفَردُ الفَردُ ال

والثاني: أنه الذي يعرف بالشَّرِّ، كما تعرف الشاة بِرَّنَمتها⁽¹⁾، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: أنه الذي له رَنَمة مثل زنمة الشاة. وقال ابن عباس: نُعت قلم يعرف حتى قيل: زنيم، فعرف، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها. ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد، لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدَّعوة، فألحق به عاراً لا يغارقه في الدنيا والآخرة. والزَّنَمَتان؛ المعلقتان عند حلوق المعزى. وقال ابن فارس: يعني التي تتعلق من أذنها. والوابع: أنه الظلوم، رواه الوالي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالِ وَبَنِينَ ﴿ قَلَ عَرَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: أن كانه على الخبر، أي: لأن كان. والمعنى: لا تطعه لمناله وبنيه. وقرأ ابن عباس بهمزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، و قصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: ﴿أَان كانه بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وله وجهان: أحدهما: لأن كان ذا مال تطيعه؟! والثاني: ألأن كان ذا مال وبنين؟! ﴿إِنَا تُتُلَ عَلَيْهِ مَايَئناً ﴾ يكفر بها؟ فيقول: ﴿أَسُولِكُ الْأَوْلِينَ الْمُواء. وقرأ ابن مسعود: ﴿أَن كانه بهمزة واحدة مقصورة. ثم أوعده فقال تعالى: ﴿مَيْسَمُمُ عَلَ لَلْوَلُودِ ﴿ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ ما عاش، فقاتل الخرطوم: الأنف. وفي هذه السّمة ثلاثة أقوال: أحدها: سنسمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس. والثاني: سنلمق به شيئاً لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أن المعنى: سنشود وجهه. قال الفراء: و «الخرطوم» وإن كان قد خص بالسّمة، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤدي عن البعض. وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم. وجائز ـ والله أعلم ـ أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله على يتبين بها عن غيره.

ابن حجر في «الفتح»: اختلف في الذي نزلت فيه: فقيل: هو الوليد بن المفيرة. وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» وقيل: الأسود بن عبد يفوث،
 ذكره سنيد بن داود في «تفسيره» وقيل: الأخنس بن شويق، وذكره السهيلي عن القتيبي. وحكى هذين القولين الطبري، فقال: يقال: هو الأخنس،
 وزهم قوم أنه الأسود، وليس به، وأبعد من قال: إنه عبد الرحمن بن الأسود، فإنه يصغر عن ذلك، وقد أسلم، وذكر في الصحابة.

⁽١) وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس رأة قال: مرَّ رسول الله على بقبرين، فقال: «إنهما ليعلَّبان، وما يعلَّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يعشي بالنميمة، وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث حذيفة في قال: سمعت رسول الله على يقول: «لا يدخل الجنة قات أي: نمامة، كما في رواية أخرى لمسلم.

 ⁽٢) في «الصحيجين» عن حارثة بن وهب الخزاعي في قال: قال رسول الله على: «الا أثبتكم بأهل الجنة، كل ضعيف متضفف لو أقسم على الله لأبرُه، ألا أثبتكم بأهل النار كل صلى على مستكر». والجوّاظ: الجموع المنوع.

⁽٣) دويوانهه ١٦٠، ودمجاز القرآن، ٢/ ٢٥٠، ودالطبري، ٢٩/ ٢٥، ودالقرطبي، ١٩٣٤.

 ⁽٤) قال في «المصباح»: الزُّنمة مثال قصبة: المتدلية من الحلق.

﴿ إِنَّ بَاوَنَهُدَ كَنَا كُونَا أَسَنَ لَلِنَهُ إِنَّ أَشُوا لِيَسْرِينَا مُسْيِعِينَ ﴿ رَبِّ بِتَسْتُونَ ﴿ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهِ عَلَى مَرْدُ اللَّهُ مُسْيِعِينَ ﴿ وَاللَّهُ مُسْيِعِينَ ﴿ وَاللَّهُ مُسْيِعِينَ ﴾ اللّهُ وَلا يَسْتَلُقُ اللّهِ عَلَى مَرْدُ إِن كُمْ صَرِيعَ ﴿ اللّهُ اللّهُ لَكُ وَلا يُسْتِعُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ يَشِيعُ ﴿ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَلا يُسْتِعُونَ ﴾ اللّهُ اللّهُ وَلا يُسْتِعُونَ ﴾ اللهُ اللّهُ مَنْ مَرْدُونَ ﴾ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلا يُسْتِعُونَ ﴾ اللهُ مَنْ مَنْ مُنْ مُنْ مَنْ اللّهُ اللهُ الله

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلْوَتَهُرَ ﴾ يعني: أهل مكة، أي: ابتليناهم بالجوع، والقحط ﴿كَنَا بَلُونَا أَصْنَ لَلْمَتِّ ﴾ حين هلكت جَنَّتهم

وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً. وذلك بعد عيسى ابن مريم بي وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدّق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعدّاه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدِّراس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاث بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا فعزموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليغدُنَّ قبل خروج الناس، فليصرمُنَّ نخلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَتَنُوا إِي المساكين حلفوا ﴿لِيَسْرِبُنُ ﴾ أي: في أول الصباح. وقد بقيت من الليل ظلمة لئلا يبقى للمساكين شيء (١٠) . وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا بَسَنْتُونَ فَي أُول الصباح. وقد بقيت من الليل ظلمة لئلا يبقى للمساكين سيء (١٠) . وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا بَسَنْتُونَ فَي وَلان: أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون. والثاني: لا يستثنون حق المساكين، قاله عكرمة. ﴿وَلَانَ عَلَهَا طَآلِتُ مَنْ يَوْكَ ﴾ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطائف لا يكون إلا بالليل. قال المفسرون: بعث الله عليها ناراً بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قول تعالى: ﴿وَلَانَتُ مِنْ اللَّهِ وَلِهُ ثَلاثَة أَقُوال: أحدها: كالرَّماد الأسود، قاله ابن عباس. والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء. وكذلك عن ما فيها من الثمر، فكأنه قد صرم، أي: قطع وجُذَّ، حكاه ابن قيبة أيضاً. عن صاحبه. والثالث: أصبحت سوداء كالليل محترقة. والليل: هو الصريم، والصبح أيضاً: قطع وجُذَّ، حكاه ابن قيبة أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ نَنَادَوْا مُسْمِعِينَ ﴿ أَي: نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا ﴿ أَو اَغَدُوا عَنَ حَوْكُ عِني: الشمار والزروع والأعناب ﴿ إِن كُنُمْ صَرِينَ ﴾ أي: قاطعين للنخل، ﴿ فَاطَلَقُوا ﴾ أي: ذهبوا إلى جنّتهم ﴿ وَهُر يَنَتَنَوُنَ ﴾ قال ابن قتيبة: يتساررون بـ ﴿ أَن لا يَنْ تَنْتُنَ الْقِمْ عَلَيْكُم يَسْكِنُ ﴿ وَيَعَوَا عَلَى حَرْدٍ ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: على قلرة، قاله ابن عباس. والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية، والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية، والفراء، ومقاتل، والرابع: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة. والخامس: أن الحرد: اسم الجنة، قاله السدي، والسادس: أنه الحنق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان، وأنشد أبو عبيدة:

أُسُودُ شَرَى لَاقَتْ أُسُودَ خَهِيَّةٍ وَ الْمَسَاقِ وَاعلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ (٢)

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حارَدَتِ السَّنَة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

⁽١) ذكر هذه القصة البغوي في الفسيره، من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكرها الخازن عن ابن عباس، وذكرها الخازن عن ابن عباس بغير سند.

⁽٢) البيت للأشهب بن رُمَيلة الذي كان يهاجي الفرزدق، وهو في «مجاز القرآن» ٢٢٦٢، و«الكامل» للمبرد ٤٣٨، و«الطبري» ٢١/٩٠، و«القرطبي» ٢/ ٢٨٠، و«الحرّد: ١٧٧، و«السمط» ٣٥، و«معجم ما استمجم» ٣/ ٧٨٠، و«العيني» ١/ ٤٨٠، و«الخزانة» ٢/ ٥٠٨/، وهرى، و«خقية» مأسدتان معروفتان، والحرّد: الغَفَب، من حَرِدَ يَحْرَدُ حُرَداً، مثل غَفِبَ يَفْضَبُ غَضَباً. والأساود: جمع أسود، وهو اسم للحية، ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على «أفاعل»، مثل «أرانب»، ولو كان صفة لجُمِع على: سود.

يَحْرُدُ الحَبُدُةِ اللَّهُ خِلَّهُ الْمُ

فَدْ جَداءَ سَيْدِلْ كَدانَ مِدنْ أَمْدِ السِّلَة

قوله تعالى: ﴿كَتَاكُ الْمَانَةُ ﴾ ما فعلنا بهم نفعل بمن تعدَّى حدودنا. وهاهنا انتهت قصة أهل الجنة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَلَكُ الْاَخِرَةِ آكُبُرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني: المشركون: إنا للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا للنخطى في الآخرة أفضل مما تُعْطَوْنَ، فقال تعالى مكذَّباً لهم: ﴿الْنَجْمُلُ التَّبِينَ كَالْبَرِينَ اللهُ ؟! قال الزجاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاهنا مجاز التوبيخ، والتقرير.

قوله تعالى: ﴿ كَيْكَ غَكْتُونَ ﴾ أي: كيف تقضون بالجَوْرِ ﴿ أَمْ لَكُو كِنَتُ ﴾ أَنْزِلَ من عند الله ﴿ فِيهِ ﴾ هذا ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ أي: تقرؤون ما فيه ﴿ إِنَّ لَكُرُ ﴾ في ذلك الكتاب ﴿ لَا تَخَرُنُ ﴾ أي: ما تختارون وتشتهون. وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم المجحدري، وأبو عمران: «أن لكم، بفتح الهمزة. وهذا تقريع لهم، وتوبيخ على ما يتمنّون من الباطل ﴿ سَلَهُمْ أَنَهُمْ بِلَاكِ ﴾ أَمْ لَكُر أَيْنَ مَيْنَا بَلِغَهُ أَي: ألكم عهود على الله تعالى حلف لكم على ما تَدَّعُونَ بأيمانِ بالغة، أي: مُؤكّدة وكل شيء متناو في الجودة والصحة فهو بالغ. ويجوز أن يكون المعنى: بالغة إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمان إلى يوم القيامة في لزومها وتوكيدها. ﴿ إِنَّ لَكُر لَا تَعَكُنُونَ ﴾ لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفراء: والقرّاء على رفع «بالغة» إلا الحسن فإنه نصبها على مذهب المصدر، كقوله تعالى: ﴿ حَقّا ﴾ [الروم: ١٤]. ومعنى الآية: هل لكم أيمان علينا بالغة بأن لكم ما تحكمون؟! فلما كانت اللام في جواب «إن» كسرتها.

قوله تعالى: ﴿ سَلَهُمْ أَبُهُم بِدَلِكَ زَعِمُ ۞ فيه قولان: أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقتادة. والمعنى: أيُّهُم كفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير. والثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

⁽۱) الرجز غير منسوب المجاز القرآن؟ ٢٩٦٢، والكامل؟ ٥٠، والطبري؟ ٣٣/٢٩، والقرطبي؟ ٢٥٤، واشواهد الكشاف؟ ٢٥٤، وفي المعاني القرآن؟ للفراء: والحرد أيضاً: القصد كما يقول الرجل: قد أقبلت، وقصدت تصدك، وحردت حردك، وأنشدني بعضهم: وجاء سيل كان.... وجاء في الكامل؛ للفراء: والحرد أيضاً: القصد كما يقول الرجل: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطرياً. وأبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من شيوخ أبي العباس، وقوله: اهذه صنعة، يريد حذف الألف من لفظ الجلالة، والأليق باسم الله أن ينطق به على أكمل وجه، والمراد به فطوي، قطوي بن الفجاءة الخارجي. قال المرصفي في شرح الكامل؛ ١٨٠/١؛ ومن الغريب من نقل عن ابن السيد شارح الكتاب أن هذا الرجز لقطرب بن المستثير تلميذ سيويه.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَتُواكُ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله تعالى، والمعنى: ألهم أرباب يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يشهدون لهم بصدق ما ادَّعَوْا ﴿ فَيُأْتُوا لِثُكَامِمْ إِن كَانُواْ مَنْدِقِينَ ﴾ في أنها شركاء الله. وإنما أضيف الشركاء إليهم لادِّعائهم أنهم شركاء الله.

﴿ يَرْمَ يُكُشُفُ ﴾ المعنى: فليأتوا بها يوم يكشف عن ساق. قرأ الجمهور: ﴿ يُكُشَفُ عِضم الياء ، وفتح الشين . وقرأ ابن أبي عبلة ، وعاصم الجحدري ، وأبو الجوزاء ، بفتح الياء ، ويكسر الشين . وقرأ أبي بن كعب ، وابن عباس : ﴿ يَكُ شِف بَناو مفتوحة ، وكسر الشين . وهذا اليوم هو يوم القيامة . وقد روى عِكرمة عن ابن عباس : ﴿ يَكُنَتُ عَن سَاوِ ﴾ قال : يُخْشَفُ عن شِيرٌ ، وأنشد:

وَقُسامَت السحررُبُ بِسنَسا عَسلَسي سَساقُ (٢)

وهذا قول مجاهد، وقتادة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه، شعر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، واللغويين. وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى، فروي في الصحيحين، من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي أنه المحكشف عن ساقه، (٢٠)، وهذا إضافة إليه، لأن الكل له وفعله. وقال أبو عمر الزاهد: يراد بها النفس، ومنه قول علي في اقتلهم ولو تلفت ساقي، أي: نفسي، فعلى هذا يكون المعنى: يتجلّى لهم.

قوله تعالى: ﴿ وَيُبْتَعُنَ إِلَى اَلشَّجُوهِ يعني: المنافقين: ﴿ فَلَا يَسْعَلِمُونَ ﴾ كأن في ظهورهم سفافيد الحديد. قال النقاش: وليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا، وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم بتركهم السجود ﴿ خَنِمَةٌ أَسَرُهُ ﴾ أي: خاضعة ﴿ رَمَّقُهُمْ وَلَّةٌ ﴾ أي: تغشاهم ﴿ وَقَد كَانًا بُنْعَنَ إِلَى النَّجُره ﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا، ويُؤمّرون بالصلاة المكتوبة ﴿ وَمُ مَلُونَ لِيس في أصلابهم مثل سفافيد الحديد. وفي هذا وعيد لمن ترك صلاة الجماعة. وكان كعب يقول: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلّفون عن الجماعات. ﴿ فَدَنْ وَبَن يُكَنّبُ بِهَذَا اللّهِينَ ﴾ يعني: ألقرآن، والمعنى: خَلّ بيني وبينه. قال الزجاج: أي: لا تشغل قلبك به، كِله إليّ فأنا أكفيك أمره. وذكر بعض الفسرين أن هذا القدر من الآية إلى قوله: «الحديث منسوخ بآية السيف. وما بعد هذا مفسر في الأعراف: ١٨٧ ـ ١٨٦] إلى قوله تعالى:

﴿ أَمْدِيْ لِلْكُمْ رَبِكَ وَلَا ذَكُن كُمُّلُوبِ إِذْ مَادَىٰ وَهُوَ مَكُظُّمُ ۚ ۞ أَثَوَا ۖ أَن تَدَرَكُمُ نِشَةٌ بِن رَبِهِ. لَئِهَ بِالْمَرَاءِ وَهُو مَذْمُومٌ ۞ الْجَنْبَةُ رَبُّمُ فَجَسَلَمْ بِنَ الصَّلِيبِينَ ۞ وَإِن بَكَادُ الَّذِينَ كَثَرُوا لَبُرْلِشُونَكَ بِأَبْسَنَرِهِرِ لَنَا سَيْحُوا اللِّكَرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْدُقٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْسَالِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَنْ مَرْ لِللَّهِ كُور لِكُم أَي: اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ رَلَّا تَكُن كَمَامِبِ ٱلْمُوبِ ﴾ وهو يونس. وفيماذا نُهِيَ أن يكون مثله قولان: أحدهما: أنه العجلة، والغضب، قاله قتادة. والثاني: الضعف عن تبليغ الرسالة، قاله ابن جرير. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخْرِج يونس من

⁽١) ۚ قال النووي في فشرح مسلم؛: فسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي: يكشف عن شدة وأمر مهول.

⁽٢) - هذا البيت من الرجز المشطور، ذكره الطبري ٣٩/٢٩ من روآية ابن حميد عن مهران عن سنيان عن المغيرة عن إيراهيم عن ابن عباس، ونص رواية عكرمة عن ابن عباس ﴿يَرَمُ يُكْتُتُ مَن سَاقٍ﴾ قال: هو يوم حرب وشدة، ولم يذكن الرجزُ فيها.

 ⁽٣) هو جزء من حديث طويل مشهور في البخاري ٣٥٩/١٣، ومسلم ١٦٨/١، ورواه البخاري مختصراً ٨/٨٠٥ وتصه: عن أبي سعيد الخدري في قال:
 سممت رسول الله الله يقول: «يكشف زينا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسممة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً».

أولى العزم، لأنها خطيئة. ولو قلنا: إن كل مخطئ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى. ثم أخبر عن عقوبته إذْ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَّكُظُومٌ ﴾ قال الزجاج: مملوء غماً وكرباً.

قوله تعالى: ﴿ فَيْلَا أَن تَدَرَّكُمُ ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلة: ﴿ لُولَا أَن تَدَاركُتُهُ بِتَاءٍ خَفَيْفَة، وبتَاءٍ ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال. وقرأ أبو هريرة، وأبو المتكل: ﴿تَدَّارِكهِ ، بتاءٍ واحدة خفيفة مع تشديد الدال. وقرأ أَبِيّ بن كعب: «تتداركه؛ بتاءين خفيفتين. ﴿ يَشِنُّ يَن رَّبِيهِ ﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿ لَنُهِذَ بِٱلْعَرَاءَ وَهُو مَذُمُومٌ ﴾ وقد بينا معنى «العَراء» في الصانات: ١٤٥]. ومعنى الآية: أنه نبِذَ غيرَ مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة. وقال ابن جريج: نُبِذَ بالعراء، وهي: أرض المحشر، فالمعنى: أنه كانَ يبقى مكانه إلى يوم القيامة ﴿ مَا مَنْكُ رَبُّمُ أي: استخلصه واصطفاه، وخلَّصه من الذم ﴿مَبَعَلَمُ مِنَ المَالِحِينَ﴾ فردَّ عليه الوحي، وشفَّعه في قومه ونفسه ﴿وَإِن بَكَادُ الَّذِينَ كَنْمُوا لَيُرْلِقُونَكَ بِأَشَرِيرٍ﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان بفتحها من زَلَقْتُه أَزْلِقُهُ، وهما لغتان مشهورتان في العرب. قال الزجاج: يقال: زلق الرَّجُلُّ رأسَه وأزلقه: إذا حلقه. وفي معنى الآية للمفسرين قولان: أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئًا، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرُّ به النَّعم، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً لا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله على بالعين، فعصم الله نبيَّه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قوم من المفسرين تلقُّفوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء(١١). والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزْلِقُه من شدته، أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعمل في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا:

نَــظَــراً يُــزِيــلُ مَــواطِــنَ الأَقْــدَامِ(٢) يَستَسقَ ارضُ ون إذا السَّسَقَ وْا فِي مَـ وْط بِ أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج. ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَنَا سِمُوا اللِّكر ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهة، فيُجدُّون النظر إليه بالبغضاء. وإصابةُ العين، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظن بالكلبي أنه فهم معنى الآية. ﴿ وَيَمَا هُوَ ﴾ يعني: القرآن ﴿ إِلَّا ذِكُرٌ ﴾ أي: موعظة.

Lr. se (١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷺ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. وقد روى مسلم في (صحيحه) ١٧١٩/٤ عن ابن عباس رضي عن النبي ﷺ قال: «المين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغْسلتم

وروى البخاري وأصحاب االسنن؛ عن ابن عباس 🎄 قال: كان رسول الله ﷺ يعوَّذ الحسن والحسين يقول: وأهيلكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامَّة،

البيت غير منسوب في اغريب القرآن، ٤٨٢، وامشكل القرآن، ١٣٠، والبيان والتبيين، ١١١، والصناعتين، ٢٨١، واللسان، قرض، واتفسير القرطبي، ٨/ ٢٥٦، والبحر المحيط، ٨/ ٣١٧، والكشاف، ٤/ ١٣٢: ١٤٥.

سورة الحاقلة

وهي مكية كلها بإجماعهم

ينسد ألَّهِ النَّابِ الْعَيْبِ الْعَيْبِ

﴿ لَلْآَفَةُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

قوله تعالى: ﴿ مَا الْمَانَةُ ﴿ هَذَا استفهام، معناه التفخيم لشأنها، كما تقول: زيد، وما زيد؟ على التعظيم لشأنه. ثم زاد في التهويل بأمرها، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَذَرَكَ مَا الْمَانَةُ ﴿ أَي: لأنك لم تعاينها، ولم تدر ما فيها من الأهوال. ثم أخبر عن المكذّبين بها، فقال تعالى: ﴿ كَذَبَتَ نَمُودُ وَعَادُ إِلْقَارِعَةِ ﴿ قَال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة. قال مقاتل: وإنما سميت بالقارعة، لأن الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب. وقال ابن قتيبة: القارعة: القيامة لأنها تقرع، يقال: أصابتهم قوارع الدهر. وقال الزجاج؛ لأنها تقرع بالأهوال. وقال غيرهم: لأنها تقرع القلوب بالفزع. فأما ﴿ إِللَّاغِيبَ فَفِها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها طغيانهم وكفرهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الزجاج: ومعنى الطاغية عند أهل اللغة: طغيانهم. و «فاعلة» قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقبة، وعافية. والثاني: بالصيحة الطاغية، قاله قتادة. وذلك أنها جاوزت مقدار الصياح، فأهلكتهم. والثالث: أن الطاغية: عاقر الناقة، قاله ابن زيد. والربح الصرصر قد فسرناها في [تم السجدة: ١٦]. والعاتية: التي جاوزت المقدار. وجاء في التفسير أنها عَتَثُ على خُزّانها يومثر، فلم يكن لهم عليها سبيل.

قوله تعالى: ﴿ سَخَرَمَا عَلَيْمِ ﴾ أرسلها وسلَّطها. والتسخير: استعمال الشيء بالاقتدار. وفي قوله تعالى: ﴿ حُسُومً ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تباعاً، قاله ابن عباس. قال الفراء: الحسوم: التِّباع، يقال في الشيء إذا تتابع، فلم ينقطع أوله عن آخره: حسوم. وإنما أُخِذَ والله أعلم من حَسْم الدَّاءِ: إذا كُوي صاحبُه، لأنه يحمى ثم يكوى، ثم يتابع الكي عليه. والثاني: كاملة، قاله الضحاك. فيكون المعنى: أنها حسمت الليالي والأيام فاستوفتها على الكمال، لأنها ظهرت مع طلوع الشمس، وذهبت مع غروبها. قال مقاتل: هاجت الربح غُدُرةً، وسكنت بالعَشِيِّ في اليوم الثامن، وقبضت أرواحم في ذلك اليوم، ثم بعث الله طيراً أسود فالتقطهم حتى ألقاهم في البحر. والثالث: أنها حسمتهم، فلم تبق منهم أحداً، أي: أذهبتهم وأفنتهم، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ فَتَرَفَ ٱلْقَرْمَ فِيهَا﴾: أي: في تلك الليالي والأيام ﴿ صَرَّعَيَ ۗ وهو جمع صريع، لأنهم صرعوا بموتهم ﴿ كَانَهُمْ أَعْبَازُ غَلْهِ أي: أصول نخل ﴿ خَارِيَتُهُ أي: بالية. وقد بيَّنًا هذا في سورة [القمر: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿ نَهُنْ نَرَىٰ لَهُم مِنْ بَالِيَكِ ﴿ فَهُ ثَلاثة أقوال: أحدها: من بقاءٍ، قاله الفراء. والثاني: من بقية، قاله أبو عبيدة. قال: وهو مصدر كالطاغية. والثالث: هل ترى لهم من أثر؟ قاله ابن قتيبة. ﴿ رَبَّاتَ فِرْعَوْنُ وَنَن تَبَلَى قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وأبان: بكسر القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكان الباء. فمن كسر القاف أراد: من كان قبله من الأمم الكافرة. وفي «المؤتفكات»

ثلاثة أقوال: أحدها: قرى قوم لوط. والمعنى: وأهل المؤتفكات، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم الذين ائتفكوا بذنوبهم، أي: هلكوا بالذنوب التي معظمها الإفك، وهو الكذب، قاله الزجاج. والثالث: أنه قارون وقومه، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمَالِئَةِ ﴾ قال ابن قتيبة أي: بالذنوب، وقال الزجاج: الخاطئة: الخطأ العظيم. ﴿ وَمَعَمَوْا رَسُولَ رَبِيمَ ﴾ أي: حكَّبوا رسلهم ﴿ فَأَخَدُهُمْ أَنَدُهُ رَبِيمُ ﴾ أي: خادة على علا على كل شيء في زمن نوح: ﴿ مَلْنَكُمُ لَعَنَى الماء على على الماء: ﴿ وَمَا مَنْ مَلْكُولُهُ ﴾ وهي: السفينة التي تجري في الماء: ﴿ لِيَجْمَلُهُمُ ﴾ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح؛ ونجاة من حملنا معه: ﴿ لِنَّكِرَهُ ﴾ أي: عبرةً، وموعظة: ﴿ وَتَهَمَّهُ اللهُ وَعَنَهُ اللهِ الذَّنُ وَعَنَهُ اللهِ اللهُ الذَّنُ وَعَنَهُ ﴾ أي: أذُن تحفظ ما سمعَتْ، وتعمل به، وقال الفراء: لتحفظها كل أَذُن، فتكون عظة لمِن يعده.

﴿ إِنَّا ثُنِيَّا إِنَّ الْمُثَوِرُ نَذَمَةٌ رَبِدَةً ﴿ رَجُلِتِ الْأَرَضُ رَالِبَالُ مَثْكَا ذَكَةً رَجِدَةً ۞ نَوْمِدٍ رَتَسَتِ الْرَائِمَةُ ۞ رَائِمَةً فِي السَّلَةُ فِينَ يَرْمِدٍ فَرَشُونَ لَا تَخْنَى مِنكُّ عَائِمةٌ ۞ وَالْمَلَّ عَلَيْهُ ۞ وَمُعَلَّ مَالُهُ وَالْمَلَّ عَلَيْهُ ﴾ ويَحْدُ وَالْمَلُونُ وَهُ هُولُهُمُ وَيَهُ وَمُعْلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَالْمَلَّ عَلَيْهُ ﴾ ويَحْدُ وَالْمَلُونُ ۞ وَالْمَلَلُ عَلَيْهُ ۞ وَالْمَلَّ مُولُولُ وَاللَّهُ ﴾ ويَحْدُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ﴾ ويَحْدُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ﴾ وأنا مَنْ أَوْقَ كِنَتُمْ وَيَعْلَمُ مِنْ عَلَيْهُ وَاللَّهُ ﴾ وأنه الله والله وال

قوله تعالى: ﴿ لَإِنَا نَيْمَ فِي الصَّرِ نَنْمَةً وَحَدِدً ﴿ فَيها قرلان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله عطاء. والثاني: الأخيرة، قاله ابن السائب، ومقاتل. ﴿ وَجُلِتَ الأَرْضُ رَافِيالُ ﴾ أي: حملت الأرض والجبال وما فيها ﴿ وَنَمِكَ وَقَلْ وَعَلَيْ وَلَيْكُالُ ﴾ أي: حملت الأرض والجبال وما فيها ﴿ وَتَعَلَّ وَقَلْ أَشْرَنَا وَيَقَلَ المَمدود. وقد أشرنا أي: كسرتا، ودقّتا دقّة واحدة، لا يثنى عليها حتى تستوي بما عليها من شيءٍ، فتصير كالأديم الممدود. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الاعراف: ١٤٣] عند قوله تعالى: ﴿ جَمَلَهُ وَكُلُ . قال الفراء: وإنما قال: فدكتا، ولم يَقُل: فَدُكِكُنَ، لانه جعل الجبال كالشيء الواحد، كقوله تعالى: ﴿ أَنَ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَقْقاً فَفَنَقَنَهُمَا ﴾ [الانبياء: ٣٠]، وأنشدوا:

هُــمَــا سَــيُّــدَانَــا يَــزْعُــمــانِ وَإِنَّــمــا والعرب تقول: قد يسرت الغنم: إذا ولدت، أو تهيأت للولادة.

قوله تعالى: ﴿فَوْمَهِذِ وَقَمَتِ ٱلْوَقِمَةُ ﴿ أَي: قامت القيامة ﴿وَانْفَقَتِ السَّلَةِ ﴾ لنزول من فيها من الملائكة ﴿فَهِنَ يَوْمَهِنَ وَالْهَبَةُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وَهْيَها: ضَعْفُها وتمزُقْها من الخوف، قاله مقاتل. والثاني: أنه تشققها، قاله الفراء. ﴿وَالْمَلَكُ ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسم جنس ﴿عَلَى أَرْبَاهِما ﴾ أي: على جوانبها. قال الزجاج: ورجاء كل شيء: ناحيته، مقصور. والتثنية: رجوان، والجمع: أرجاء. وأكثر المفسرين على أن المشار إليها السماء. قال الضحاك: إذا انشقت السماء كانت الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الله تعالى، فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بها، ومن عليها. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: على أرجاء الدنيا.

⁽١) البيت في اتفسير ابن جرير الطبري، ٥٦/٢٩، ونسبه في «اللسان»: بسر، و«العيني في شرح شواهد الألفية» إلى أبي أسيدة الدُّبَيْري، وأنشد في «اللسان» قبله بيناً آخر هو:

إن لسندا شَسِيْسَ خَيْسَ لا يُستِّسَ فَعَالِسَا غِنَاهُ مِا

أي: ليس فيهما من السيادة إلا كوفهما قد يسرت غنماهما، أي: كثرت ألبانها ونسلها، والسؤدد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التغيير والحلم، وليس عندهما من ذلك شيء، واستشهد المؤلف بهذا البيت على أن الشاعر قال: غنماهما بلفظ التثنية للغنم، مع أن الغنم اسم للجمع، وليس بعفرد، ولكنه عامله معاملة المفرد، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى: ﴿وَجُلِكَ ٱلْأَرْضُ وَلَلِبَالُ فَدُكُنَ كُنَّ وَجِدَةٌ ﴾ في حكم المفرد كالأرض، ولللك قال: فدكنا، ولم يقل: فدكن.

قوله تعالى: ﴿وَيَحِلُ عَنَى رَبِّكَ فَرَبَعُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فوق رؤوسهم، أي: العرش على رؤوس الحَملة، قاله مقاتل. والثاني: فوق الذين على أرجائها، أي: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها. والثالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي. ﴿يَوَمَهِذِ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ثَمَيْنِهَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ثمانية أملاك. وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور (١٠) والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عنى، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة. والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل. وقد روى أبو داود في هسننه، من حديث جابر بن عبد الله عن النبي على أنه قال: وأذِنَ لي أن أحدث عن مَلَك من ملائكة الله من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سجمائة عامه (١٠).

قوله تعالى: ﴿ رَبَّهُ لِنُرَسُونَ ﴾ على الله لحسابكم ﴿ لاَ تَخَلَّن ﴾ عليه. قرأ حمزة، والكسائي الا يخفى ابالياه. وقرأ الباقون بالتاه. والمعنى: لا يخفى عليه ﴿ يَخَلَّ خَلِيَةٌ ﴾ أي: نفس خافية، أو فَعْلَة خافية. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ايعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال، ومعافير، وأما الثالثة، فعندها تتطاير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه، وآخذ بشمالها ""، وكان عمر بن الخطاب يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر، يومئذٍ لا تخفى منكم خافية. ﴿ فَيْتُولُ مَاتَبُ ﴾ قال الزجاج: اهاؤم أمر من الجماعة. بمنزلة هاكم. تقول للواحد: ها يا رجل، وللاثنين: هاؤما يا رجلان. وللثلاثة: هاؤم يا رجال. قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجاته. وذكر مقاتل أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ طَنَتُ ﴾ أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿أَلِّ مُنَّتِ حِنَايَةٌ ﴾ أي: أبعث، وأحاسب في الآخرة ﴿فَهُو في عِبْنَوْ ﴾ أي: حالة من العيش ﴿زَّابِيَةٍ ﴾ قال الفراء: أي: فيها الرضا. وقال الزجاج: أي: ذات رضّى يرضاها من يعيش فيها. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضية ﴿فِي جَكَةٍ عَالِكةٍ ﴿ أَي: عالية المنازل ﴿قُلُولُهُا ﴾ أي: ثمارها ﴿دَائِيةٌ ﴾ أي: قريبة ممن يتناولها، وهي جمع قطف. والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

قوله تعالى: ﴿كُنُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَالشَّرُوا هَنِيَّا بِمَا أَسَلَنْتُدُ﴾ أي: قَدَّمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِ ٱلْأَيْدِ لَلْآلِيَةِ﴾ الماضية، وهي أيام الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُرْقَ كِنَبُهُ بِشِمَالِيهِ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسود، قتله حمزة ببدر، وهو أخو أبي سلمة. وقبل: نزلت في أبي جهل.

قوله تعالى: ﴿ يُلِتَنِي لَرُ أُرِنَ كِنَبِيهُ ﴾ وذلك لما يرى فيه من القبائح ﴿ وَلَرُ أَدْرِ مَا حِسَابِيهُ ﴿ وَ لَا عاصل له في ذلك الحساب، إنما كلّه عليه. وكان ابن مسعود، وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من "كتابيه، و "حسابيه، في الوصل. قال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات، ولا توصل، لأنها أدخلت للوقف. وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أُحِبُّ مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا آدَرَنكَ مَا هِيمَةً ﴿ ﴾ [التارعة: ١٠].

⁽¹⁾ رواه الطبري من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ، وهو خبر مقطوع. ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن إسحاق قال: بلفتا أن رسول الله ﷺ قال: هم اليوم أربعة بعني حملة العرش افإذا كانوا يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية، وقد قال الله: ﴿وَيَجْلُ مُرْتَى رَبِّكَ وَرَبُهُم بِيَبِغٍ لِنَبِيةٌ ﴾ وهذا خبر مقطوع أيضاً. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ مُرْتُنَ رَبِّكَ فَرَبُهُم بِيَبِغٍ لِنَبِيةٌ ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، قال: ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

⁽٢) رواه أبو داود في اسنته؛ رقم (٤٧٢٧) وسنده جيد، وذكره ابن كثير في اتفسيره؛ من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات.

⁽٣) رواه أحمد في «المسند»، وابن ماجه ٢/ ١٤٣٠ من رواية وكيع عن علي بن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى. قال البوصيري في «الزوائد»: رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى، قاله علي بن المديني، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وقد رواه الترمذي عن الحسن عن أبي هريرة وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. ورواه العلمري ٩٩/١٩، من رواية مجاهد بن موسى عن زيد، عن سليمان بن حامد عن مروان الأصغر عن أبي واثل عن عبد الله نحوه، وقال ابن كثير: ورواه سعيد بن أبي عروية عن قتاعة مرسلاً مثله.

قوله تعالى: ﴿ يَكِتَبَهَ ﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿ كَانَتِ ٱلْتَاشِيَةَ ﴾ أي: القاطعة للحياة، فكأنه تمنَّى دوام الموت، وأنه لم يُبْعَثُ للحساب ﴿ مَلَكَ عَنِي سُلَطْنِية ﴿ ﴾ فيه قولان: أحدهما: ضلَّت عني حجتي، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي. والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿خُذُرهُ ﴾ أي: يقول الله تعالى: ﴿خُذُهُ نَثَلُوهُ ﴿ آيَ: اجمعوا يده إلى عنقه ﴿أَرَّ لَلْتِحِمَ سَلُوهُ ﴾ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجعلوه يَصْلَى النَّارَ ﴿ثُرَّ فِي سِلْسِلَةٍ ﴾ وهي: حَلَقٌ منتظمة ﴿ذَرْعُهَا سَبْسُونَ ذِرَاعًا ﴾ قال ابن عباس: بذراع المملك. وقال نوف الشامي (١٠): كل ذراع سبعون باعاً، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعاً بالذراع الأول. ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

قوله تعالى: ﴿فَاشْلُكُوهُ﴾ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها. والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ آلَيَلِيرِ ﴿ أَي: لا يصدِّق بوحدانيته وعظمته ﴿وَلَا يَحُشُ مَلَ طَمَامِ آلَيسَكِينِ ﴿ أَي: لا يصدِّق بوحدانيته وعظمته ﴿ وَلَا يَحُمُ مَلَ طَيْلِينِ ﴿ ﴾ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿ فَلَكِسَ لَهُ آلِيْمَ هَنُهَا حَبِيمٌ ﴿ ﴾ أي: قريب ينفعه، أي: يشفع له ﴿ وَلَا طَمَامُ إِلَّا مِنْ غِنْلِينِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس. قال مقاتل: إذا سال القيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار. والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع: والثالث: أنه غُسَالَةُ أجوافهم، قاله يحيى بن سلام. قال ابن قتية: وهو ويغلين امن (غسلت) كأنه غسالة (٢٠).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَاطِئُونَ ﴾ يعنى: الكافرين.

﴿ فَلَا ٱلۡمِمُ بِنَا لَيُصِرُونَ ۞ وَمَا لَا لَيُصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَتَوْلُ رَمُولِ كَدِيرِ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ فَلِيلًا مَا ثَوْيَنُونَ ۞ وَلَا بِقُولِ كَاهِنِّ قَلِيلًا مَا نَذَكُرُونَ ۞ نَذِيلٌ مِن زَبِ ٱلتَكِينَ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ لَكُ اللّٰهِ المشركون ، كأنه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون ﴿ أَنْهُم بِنَا أَبُورُنَ وَال وَم: ﴿ لا الله وَلَاهُ مَوْكَدَة . والمعنى: أقسم بما ترون ، وما لا ترون ، فأراد جميع الموجودات . وقيل: الأجسام والأرواح ، ﴿ إِنَّهُ لِعني : القرآن ﴿ لَنَوْلُ رَسُولٍ كَبِيرٍ ﴾ فيه قولان : أحدهما : محمد ﷺ ، قاله الأكثرون . والثاني : جبريل ، قاله ابن السائب ، ومقاتل . قال ابن قتية : لم يرد أنه قول الرسول ، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله وأمّا هُو بِفَوْلِ شَاعِرٌ قَلِلاً مَا نُوْيُونَ ﴾ وقرأ ابن كثير : تعالى ، وفي الرسول ما يدل على ذلك ، فاكتفى به من أن يقول عن الله ﴿ وَمَا هُو بَوْلِ شَاعِرٌ قَلِلاً مَا نُويُونَ ﴾ وقرأ ابن كثير : ويؤمنون ، و لا الربوا . والمعنى : قليلاً تؤمنون . وقال غيره : أراد نفي إيمانهم أصلاً . وقد بيّنًا معنى «الكاهن» في [الطور : ٢٩] . قال الزجاج : وقوله تعالى : "تنزيل ، مرفوع بده وه مضمرة يدل عليها قوله تعالى : "تنزيل ، مرفوع بده وه مضمرة يدل عليها قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُو يَوْلِ شَاعِرٌ ﴾ هو تنزيل .

﴿وَلُوْ نَقَلَ عَلِمَنَا بَعَضَ الْأَهْرِيلِ ۞ لَأَنَذَا يِنَهُ بِٱلْبَدِينِ ۞ ثُمَّ لَقَلْمَنَا مِنَهُ الْوَبَنَ ۞ فَمَا مِنكُر مِنْ لَمَدٍ عَنَهُ حَدِينَ ۞ رَإِنَّهُ لَلْكُورُاً الْتَنْفِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَفْلُ أَنَّ مِنكُم مُكَذِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَشْرُةً عَلَى ٱلْكَفِينَ ۞ رَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْبَدِينِ ۞ مَسَيّحَ بِأَنْجِ رَبِكِ ٱلْمُطِيدِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَقَرُلَ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلَّف محمد أن يقول علينا ما لم نقله ﴿ لَأَغَذَنَا مِنَهُ بِٱلْبَيِينِ ﴿ ﴾ أي: لأخذناه بالقوة والقدرة، قاله الفراء، والمبرد، والزجاج. قال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ماهنه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَطْتَنَا مِنْهُ ٱلْوَتِنَ ١٩٥٥ وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى،

⁽١) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذِكره في الصحيحين، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار. توفي تحو (٩٩هـ) زحمه الله.

⁽٢) في الأصل: النسالة.

ومات صاحبه. قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشُّمَّاخ:

إِذَهُ بَسَلُّم خُسِينِي وَحَسَمَسُلُتِ رَحْلِي عَسرَابَةً فَساشُسرَقِسي بِسدَم الوتِسيسن(١)

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبة،

قوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُمْ مِن أَمَدِ عَدُ حَدِين ﴿ أَي لِيس منكم أحد يحجزنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿ حَبِينَ ﴾ لأن أحداً يقع على الجمع، كقوله تعالى: ﴿ لاَ نُدَوْ مَيْكَ أَحَدِ مِن رُسُلِمِ ﴾ [البنرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج. ومعنى الكلام: أنه لا يتكلّف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلّف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه ﴿ وَإِنّهُ إِن القرآن ﴿ لَحَسَرَةً عَلَى الْكَذِينَ ﴾ في يوم القيامة، يندمون إذ لم يؤمنوا به ﴿ وَإِنّهُ لَحَقُ الْكِينِ ﴾ عقوبتنا عنه ﴿ وَإِنّهُ لَمَنُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ عَنى عقوله تعالى: ﴿ وَلَذَارُ اللّهَ عَن الله الزجاج: المعنى: وإنه لليقين حق البيقين، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في [الراقة: ٥٥، ٩٦].

⁽۱) البيت للشماخ بن ضرار التغلبي، فديوانه، طبع القاهرة ٩٢، وقالطبري، ٩٧/٢٩، وقالقرطبي، ٢٧٦/١٨ من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيظي، وكان هو وأبوه من الصحابة، وكان عرابة مشهوراً بالكرم.

سورة المعارج

سورة سأل سائل، ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها:

سورة الواقع، وهي مكية كلها بإجماعهم

يسد ألَّهِ النَّابِ النَّهِدِ

﴿ سَالَ سَائِنَا مِسَاسٍ رَلِغِمِ ۞ لِلْكَفِرِنَ لَبَسَ لَمُ دَائِعٌ ۞ مِنَ اللّهِ ذِى الْسَسَاجِ ۞ تَدَجُ السَلَهِ كَا الْسَلَهُ وَالْرُحُ إِلَيْهِ فِي بَرْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ خَسِينَ اللّٰدَ سَنَةٍ ۞ فَاصْدِ سَبُرًا جَبِيلًا ۞ إِئَمْ بَرْوَاتُهُ بَيْدًا ۞ زَرَبُهُ فَرِيا ۞ يَوْمَ نَكُونُ النِسَلَةُ كَالْمَهُلِ ۞ رَتَكُونُ الْمِيالَةِ اللّهِ كَالْمِهْنِ ۞ رَلَا يَسْتُلُ خَبِيمًا ۞ يُقِمَّرُونَهُمْ يَرَدُ الْمُعْبُمُ لَوْ يَشْتَدِى مِنْ عَذَابٍ يَرْمِيلٍ بَيْنِيهِ ۞ رَصَنجَنِهِ. وَأَخِيهِ ۞ وَلَصِيلَتِهِ الّذِي تُحْرِيهِ ۞ وَمَن فِي الْأَدِنِ جَيِمًا ثُمَّ بُمِيهِ ۞ كُلَّ إِنَّهَا لَهُن ۞ نَزْاعَةً لِلشَّوى ۞ تَعْفُلُ مَ

قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُ ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ اللَّهُمَ إِن كَاكَ هَذَا هُو الْحَقَ مِنْ عِندِكَ نَأْسَطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ بِنَ السَّنَآيِ ﴾ (١) الاننال: ٢٣١، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل. قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر: «سال» بغير همز. والباقون: بالهمز (١). فمن قرأ: «سأل» بالهمز ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذابٍ واقعٍ. والثاني: سأل سائل عن عذابٍ واقعٍ لمن هو؟ وعلى من يَنْزِل ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِنْ تُسْأَلُونِي بِالنِّساءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّساءِ طَبِيبٌ (٣)

والثالث: سأل سائل عذاباً واقعاً، والباء زائدة. ومن قرأ بلا همز ففيه قُولان: أحدهما: أنه من السؤال أيضاً، وإنما لَيّن الهمزة، يقال: سأل، وسال، وأنشد الفراء:

تَعَالَوْا فَسَالُوا يَعُلَمِ النَّاسُ أَيُّنَا لِيُصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدُّفُو تَابِع

والثاني: المعنى: سال واد في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون "سَالَ سَيْلٌ» بفتح السين، وسكون الياء من غير ألف ولا همز وإذا قلنا: إنه من السؤال، فقوله تعالى: "للكافرين، جواب للسؤال، كأنه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين. والواقع: الكائن. والمعنى: أن العذاب للذي سأله هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة ﴿ لِلْكَوْرِينَ لَبُسَ لَمُ دَافِعٌ ﴾ يَنَ الله هذا الكافرين.

قوله تعالى: ﴿ ذِى ٱلْمَارِجِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة. قال ابن قتية: أصل «المعارج» الدَّرَج، وهي من عَرَجَ: إذا صَعِدَ. قال الفراء: لما كانت الملائكة تَعْرُج إليه، وصف نفسه بذلك. قال الخطابي: المعارج: الدَّرَج، واحدها: مَعْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إليه بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يُصْعَدُ فيها. والثاني: أن المَعَارِجَ: الفَوَاضِلُ والنَّعم، قاله قتادة.

⁽۱) رواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٠٧ عن سعيد بن جبير وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي نقال: على شرط البخاري فقط، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣/٦٦ وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس رفي.

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بالهمز، لإجماع الحجة من القراء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمزة تأوّلوه.

 ⁽٣) البيت لعلقمة بن عَبَدَة، وهو في «ديوانه» ١١، و «المفضليات» ٣٩٣، و«أدب الكاتب» ٥٠٥، و«القرطبي، ٢٧٩/٢٨ والشاهد فيه أن الباء في قوله
 «بالنساء» بمعنى «صن». والمعنى: فإن تسألوني عن النساء. والأدواء: جمع داء.

قوله تعالى: ﴿ يَمْرُجُ ٱلْمَلَهِ صَلَى الْكَسَائِي: ﴿ يَعْرُجِ ﴾ بالياء. ﴿ وَٱلْرُبُ ﴾ في «الروح» قولان: أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون. والثاني: رُوح الميَّت حين تُقْبَضُ، قاله قبيصة بن ذُقَيْب.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَي: إِلَى الله ﷺ ﴿ يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُمُ خَسِبنَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والقرظي، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق. وفي الحديث: ﴿إِنه لَيُخفَّفُ على المؤمِن حتى يكون أَخَفَّ عليه من صلاة مكتوبة (١٠). وقيل: بل لو ولي حسب الخلق سوى الله ﷺ لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحقُّ يفرغ منه في ساعة من نهار. وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس دافع من الله في يوم مقداره خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير. والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وَاَسْرَ ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم إياك ﴿ صَبُرٌ جَيِدٌ ﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل أن يُؤْمَر بقتالهم، ثم نسخ بآية السيف. ﴿ إِنَّهُمْ بَرُوْنَهُ ﴾ يعني: العذاب ﴿ بَهِيدًا ﴾ غير كائن ﴿ وَرَزَيْهُ وَبِا ﴿ كَانَا ، لأن كل ما هو آتِ قريبٌ. ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿ مَرْمَ تَكُونُ اَلتَنَاهُ كَالْهُولِ ﴾ وقد شرحناه في اللكهف: ٢٩ ﴿ وَتَكُونُ لَلْهَالُ إِنْ اللهِ فِي خِفَّتِها وَسَيْرِها، لأنه قد نقل أنها تسير على صورها، كالصوف، فقبهم المناهمة المناهمة والمحدد واحدته: عِهنة، ويقال: عُهنة، وعُهنّ، مثل: صُوفه، وصُوفي. وقال ابن قنية : «العهن الصوف المصوف.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسَلُ مَبِيرٌ مَبِيمًا ﴾ قرأ الأكثرون: ﴿ يسأل المعنى: لا يسأل قريب عن قرابته ، لا شتغاله بنفسه. وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته ، ولا يكلّمه من شدة الأهوال. وقرأ معاوية ، وأبو رذين ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن محيصن ، وابن أبي عبلة ، وأبو جعفر بضم الياء . والمعنى: لا يقال للحميم: أين حجيم أك ؟

قوله تعالى: ﴿ يُهَرُّونَهُمُ أَي: يعَرَّفُ الحميم حميمَه حتى يَعْرِفَه، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه، ولا يكلَّمه اشتغالاً بنفسه. يقال: بَطَّرْتُ زيداً كذا: إذا عَرَّفْتَهُ إِيَّاه. قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يَسْأَلُ ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يُبَصَّرُونَهم، أي: يُعَرَّفُونَهم. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران ليُبْصِرُونَهم، بإسكان الباء، وتخفيف الصاد، وكسرها.

قوله تعالى: ﴿بَوَدُ ٱلْمُثِرِمُ ﴾ يعني: يتمنَّى المشرك لو قُبِلَ منه الفداءُ ﴿يَوْمِيدٍ بِبَنِيهِ ۞ وَمَنْجَبَوهِ ﴾ وهي الزوجة: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته. وقال الزجاج: هي أدنى قبيلته منه. ومعنى: ﴿تُوْمِهِ ﴾ تضمنه، فيودُ أن يفتديَ بهذه المذكورات ﴿ثُمِّ يُجِيهِ ﴾ ذلك الفداء، ﴿كُلُّ ﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَهَ لَيْنَ ﴾ قال الفراء: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجْرَ، وقال غيزه: معناها في اللغة: اللهب الخالص. وقال ابن الأنباري: سميت لظى لشدة تَوَقَّدِها وتلهَّبِها، يقال: هو يتلظّى، أي: يتلهَّب ويتوقَّد. وكذلك النار تتلظّى يراد بها هذا المعنى. وأنشدوا:

جَبِهِ مِنْ هَا قَالِ اللَّهُ وِ يَبُرُدُ وَلَا الحَدِّ مِنْ هَا قَالِ اللَّهُ وِ يَبُرُدُ وَلَا الحَدِّ مِنْ هَا قَالِ اللَّهُ وِ يَبُرُدُ وَلَا الحَدِّ مِنْ الخطاب، وأبو رذين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبلة، وحفص عن عاصم انزَّاعةً بالنصب. قال الزجاج: وهذا على أنها حال مؤكدة، كما قال تعالى: ﴿ هُو الْحَقُ مُصَيِّفًا ﴾ [ناطر: ٣١] ويجوز أن ينصب على معنى (إنها تتلظى نزاعة؟، وفي

⁽۱) رواه الإمام أحمد عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيمة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رهاه ولفظه: ووالذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلبها في اللنباة ورواه ابن جرير الطبري عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به، ودراج وشيخه أبو الهيثم ضعيفان.

المراد بـ ﴿ لِلنَّرَى ﴾ أربعة أقوال: أحدها: جلئة الرأس، قاله مجاهد. والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: العصب، والعقب، قاله ابن جبير. والرابع: الأطراف: اليدان، والرجلان، والرأس، قاله الفراء، والرجاج.

قوله تعالى: ﴿ تَنْعُواْ مَنَ أَدْبَرُ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَنَوَلَ ﴾ عن الحق. قال المفسرون: تقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق ﴿ وَجَمَ نَازَعَ ﴾ قال الفراء: أي جمع المال في وعاء فلم يؤدّ منه زكاةً، ولم يصل منه رحماً.

﴿ إِذَ ٱلْإِنْدَنَ خُبِنَ مَلُوعًا ﴿ إِنَا مَسَنَهُ الشَرُّ جَرُوعًا ﴾ وإِنَا مَسَنَهُ الشَرُّ حَرُوعًا ﴾ وإلَا مَسْنَهُ الشَرُ عَرَبُوعًا ﴾ والشَينَ فِي وَالْمِينَ ﴾ والشَينَ في وَالْمَينَ بَعْرَدَ ﴾ والشَينَ في الشَينَ مُ عَنْ مَلُومِهِم مَنْ الشَيْعُونَ ﴾ والسَدُونَ الشَيْعُ عَلَمُ السَدُونَ فَي وَالْمِينَ أَنِ اللَّهُ مُ السَدُونَ الشَيْعُ عَلَمُ السَدُونَ اللَّهِ اللَّهُ مَنْ مَلَوْمِهِم مَنْ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ مُ السَدُونَ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْلُولُولُولُولُولُولُ

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْكَ خُلِقَ هَلُومًا ﴿ فَ اللهَ عَلَى اللهُ الْمَعَةِ بن خلف الجُمَحي. وفي الهَلوع سبعة أقوال: أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، والزجاج. واللاني: أنه الحريض على ما لا يحلُّ له، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك. والرّابع: الشحيح، قاله ابن جبير. والعامس: الشَّرِه، قاله مجاهد. والسادس: الضَّجُور، قاله عكرمه، وقتادة، ومقاتل، والفراء. والسابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتية.

قوله: ﴿مَن ٱلْبَيْدِ وَمَنِ ٱلْبَمَالِ عِيْنَ ﴿﴾. قال الفراء: العِزُون: الحِلَق، الجماعات، واحدتها! عِزَةً، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: إن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمدﷺ، فلندخلنَّها قبلهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَيَّلْمُ حُلُّ النّبِي مِنْهُمْ أَن يُدَّجُلُ جَنَّةٌ نَبِيرٍ ﴾ (١) وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، والمفضل عن عاصم فأن يُذْخُلَ ابفتح الياء، وضم المخاء. وقال أبو حبيدة: عِزِين جمع عِزَة، مثل ثُبَة، وثُبِين، فهي جماعات في تفرقة (٢).

⁽١) - ووى البخاري ومسلم في اصحيحيهما، عن أبي هزيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه.

ا ذكره الواحدي عن المنسرين بغير سند ولم يعزه الأحد.

[🥏] روى مسلم في (صحيحه) ٢٣٢١/١ عن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فرآنا حِلَفًا، غقال: اما لمي أراكم هِزين؟؟ أي جماعات في 🛥

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿ إِنَّ خَلْقَنَهُم يُمَّا يَمْلَوُنَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: من نطفة، ثم من علقة، ثم من ملقة، ثم من مضغة، فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يَدَّعيه من الشرف على غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة. والثاني: إنا خلقناهم من أقذار. فبماذا يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟! وقد روى بشر (١١) بن جَحَّاش عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ إِنَّا خَلَقْنَكُم مِنَا يَمْلُونَ ﴾ ثم بَزَق، قال: يقول الله ﷺ: أنَّى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه؟! حتى إذا سَرَّيتُك، وعَدَّلْتُك، مَشَيْتَ بين بُرْدَيْنِ، وللأرض منك وثيد، فجمعتَ، ومنعتَ، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدَّقُ، وأنَّى أوان الصدقة؟!) (٢٠).

قوله تعالى: ﴿ فَكَرَ أُشِّهِ ﴾ قد تكلمنا عليه في اللمانة: ٣٨] والمراد بالمشارق، والمغارب: شرقُ كل يوم ومغربهُ ﴿ إِنَّا لَقَيْرِكُ شَ عَمَوْا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَشْبُونِينَ ﴾ مفسر في اوالوانعة: ٣٨] ﴿ إِنَّا لَقَيْرُكُ شَ عَمَوْا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَشْبُونِينَ ﴾ مفسر في اوالوانعة: ٢٠] ﴿ فَنَذَرُهُمْ يَخُوشُوا ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْمَبُوا ﴾ أي: يلهوا في دنياهم ﴿ حَقَى يُلَنقُوا ﴾ وقرأ ابن محيصن فيَلْقُوا يومَهم الذي يوعدونه وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر، معناه الوعيد. وذكر المفسرون أنه منسوخ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وعيد بلقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ. ﴿ وَيَمْ يَمْرُجُونَ مِنَ الْأَبْنَاكِ سِرَاعًا ﴾ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يَسْتَبِقُون.

قوله تعالى: ﴿ كُأنَهُمْ إِنْ نُسُبِ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم بضم النون والصاد. وقال ابن جرير: وهو واحد الأنصاب، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها يُسرعون، وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي بفتح النون وسكون الصاد، وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنه مصدر. كقول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون، وقال ابن جرير: تأويله: كأنهم إلى صنم منصوب يُسْرِعُون. وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي ونُصْب، برفع النون، وإسكان الصاد. وقرأ الحسن، وأبو عثمان النَّهدي، وعاصم الجحدري فإلى نَصَب، بفتح النون والصاد جميعاً. قال ابن قتيبة: النصب، حجر يُنصَبُ أو صنم، يقال: نَصْب، ونُصْب، ونُصُب. وقال الفراء: النَّصْب والنَّصْبُ واحد، وهو مصدر، والجمع: الأنصاب. وقال الزجاج: النَّصْب، والنَّصُب؛ العلم المنصوب. قال الفراء: والإيفاض: وهو مصدر، والجمع: الأنصاب. وقال الزجاج: النَّصْب، والنَّصُب؛ العلم المنصوب. قال الفراء: والإيفاض:

قوله تعالى: ﴿ رَبِّمُهُمْ وَلَٰهُ ۗ ﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار «ذِلَّةُ ذلك اليومِ، بغير تنوين، ويخفض الميم. وباقي السورة قد تقدم بيانه [السارج: ٤٢].

* * *

تفرقة، جمع عِزّة، وأصلها «عزوة» فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس كثبين جمع ثبة. والحديث رواه أيضاً أحمد، وأبو داود،
 والنسائي، وابن جرير الطبري. وفي هذا الحديث دلالة على أن التفرقة في الأجسام تولّد التفرقة في القلوب.

⁽۱) كذا الأصل: قبشر، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» قبسر» بالسين المهملة بن جحاش قال: بكسر الجيم بعدها مهملة خفيفة، قال: ويقال: بفتحها بعدها مثقلة، وبعد الألف معجمة، قرشي نزل حمص. قال ابن مناه: أهل العراق يقولونه بالمعجمة (بشر) وقال الدارقطني وابن زيد: لا يصح بالمعجمة، وكذا ضبطه بالمهملة أبو علي الهجري في «نوادره» لكن سمى أباه جحشاً. وقال مسلم وابن السكن وغيرهما: لم يرو عنه غير جبير بن نفر، وحديثه عند أحمد وابن ماجه والحاكم من طريقه بإسناد صحيح. قال ابن مناه: عناده في الشاميين، مات بحمص.

 ⁽۲) رواه أحمد في قالمسند؟ ٢١٠/٤ من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن يسر بن جحاش، وإسناده حسن، ورواه
 الحاكم في قالمستدرك؟ ٢/ ٥٠٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: صحيح. ورواه ابن ماجه رقم (٢٧٠٧)، وقال البوصيري في قالزوائد؟ إسناده صحيح. وأورده السيوطي في قالدر، ٢٦٧/١ من رواية البيهقي في قشعب الإيمان؟.

سورة نوح

وهي مكية كلها بإجماعهم

يسب ألَّهِ النَّانِ الرَّكِيبَ الرَّكِيبَ إِلَيْكِيبَ

﴿ إِنَّا ٱرْسَلْنَا نُوسًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ أَنَ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن مَثْلِ أَن يَأْيِمُهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ قَالَ يَنَوْمِ إِنِّ لَكُوْ نَذِيرٌ مُهِينً ۞ أَنِ اَعَبُدُواْ اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيمُونِ ۞ يَغْفِرُ لِكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤخِذَكُمْ إِلَنَّ أَجَلِ مُسَمَّىً إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِنَا جَاةَ لَا يُؤخَرُّ لَوْ كُنتُمْ تَمَلّمُونَ ۞﴾.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن أنذر قومك. و «العذاب الأليم» الغَرَق.

قوله تعالى: ﴿أَنِ آعَبُدُواْ اللّهَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو «أَنُ اعبدوا الله» بضم النون. وقرأ عاصم، وحمزة، وعبد الوارث عن أبي عمرو ﴿أَنِ آعَبُدُواْ اللّهَ﴾ بكسر النون. قال أبو علي: من ضم كره الكسر.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْطِيعُونِ ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿ يَن ذُنُوكِكُمْ ﴾ قين هاهنا صلة. والمعنى: يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدي ومقاتل. وقال الزجاج: إنما دخلت قمن هاهنا لتختص الذنوب من سائر الأشياء. ولم تدخل لتبعيض الذنوب، ومثله ﴿ فَاتَمْكِنِبُوا ٱلرِّمَسُ مِن الْأَوْلَانِ ﴾ [العج: ٣٠] وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعيض. والمعنى: يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ ﴾ أي: عن العذاب ﴿ إِلَى آمَكِنُ هُ وهو منتهى آجالهم، والمعنى: فتموتوا عند منتهى آجالكم غير مِيتة المعلَّبين، ﴿ إِنَّ أَجُلُ اللهِ فَه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون المعنى: إن أجل الله الذي أجًلكم إليه لا يُؤخِّرُ إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان. والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن. والثالث: أجل العذاب، قاله السدي ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿ فَالَمْ يَزِهُو دُعَاَءِى إِلَّا فِرَارًا ﴿ إِي اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ الل

⁽١) قال ابن كثير: أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت

قوله تعالى: ﴿ يَا لَكُو ۗ لاَ نَجُونَ سِنِهِ وَاللهِ؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تَرَوْن لله عظمة، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: لا تتزون لله طاعة، قاله ابن زيد. والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج: ﴿ وَلَدْ خَلَقَكُو أَلْمَوال ﴿ فَي أَيْ وقد جعل لكم في أنفسكم آيةً تدل على توحيده من علقه الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج: ﴿ وَلَدْ خَلَقَكُو أَلْمَوال ﴿ فَي أَنْ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ على توحيده من خلقه إلى من علقة شيئاً بعد شيء إلى آخر الخلق. قال ابن الأنباري: الطَّوْر: الحال، وجمعه: أطوار. وقال ابن فارس: الطَّوْر: التارة، طوراً بعد طور، أي: تارةً بعد تارة. وقيل: أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، من طويل، وقصير، وغير ذلك، ثم قَرَّرَهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَوْ نَرُواْ كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبَعَ سَمَوَتٍ طِبَاتًا ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة (طباقٍ، بتنوين القاف، وكسرها من غير ألف. وقد بينًا هذا في سورة [الملك: ١٦].

قوله تعالى: ﴿ رَبَعَلَ الْقَمَرَ نِبِينَ ثُورًا ﴾ فيه قولان: أحلهما: أن وجة القمر قِبَل السموات، وظهرَه قِبَل الأرض، يضيء لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو. والثاني: أن القمر في السماء الدنيا، وإنما قال: فيهن الأنهن كالشيء الواحد، ذكره الأخفش والزجاج، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيت بئي ثميم، وإنما أتيت بعضهم، وركبتُ السفن، ﴿ وَجَمَلَ الشَّنَسَ سِرَكِ ﴾ يستضيء بها العالم (١) ﴿ وَاللهُ أَلْبُتُكُم يَن الأَرْض عني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم ﴿ بَهَا ﴾ قال الخليل: معناه: فنبتُم نباتاً. وقال الزجاج: قاباتاً ، محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتاً. قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنه جاء على نبت. ومثله: ﴿ وَبَيْنَلُ إِبْدِ بَتِيدِ ﴾ [الدرل: ١٨] فجاء على قبتًا ، قال الشاعر:

وْتَحَيْسُو الْأَمْسِ مِنَا استقبلتَ مُنْتُ مَنْتُ مَنْ وَلِيسَ بِنَانُ تَتَبَّعُهُ اتَّسِاعَنَا (٢)

فجاء على اتُّبَعْتُ. وقالَ الآخر:

وإن شـــــــــــــــــم تــــــعـــــاودنــــــا عُــــــواداً

فجاء على «عاودنا»، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال، لأن الأفعال وإن اختلفت أبنيتها، واحدة في المعنى.

قوله تعالى: ﴿ شُبُلًا فِنَهَابًا ﴾ قال الفراء: هي الطرق الواسعة.

قوله تعالى: ﴿ وَانْتَمُوا مَن لَرْ يَزِهُ مَالَمُ وَوَلَدُهُ ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم (ووَلَده) بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون (وُلُده) بضم الواو، وسكون اللام. قال الزجاج: وهما بمعنى واحد، مثل العَرَب، والعُرْب، والعَجَم، والعُجْم، وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجحدري: ﴿ وَوِلْده الحسر الواو، وإسكان اللام. قال المفسرون: المعنى: أن الأتباع، والفقراء اتبُعوا رَأْيَ الرؤساء والكبراء،

⁼ لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات نيها أنواع الشمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها. ثم قال: هذا مقام الدعوة بالترهيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿يَ لَكُرُ لَا يَرُمُنُ لِلَّهِ وَلَا ﷺ؟.

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَجَمَلَ الْفَمَرَ فِيئَ رُوكِ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نوراً، وجعل الشمس فيهن سراجاً. وقال ابن كثير: المقصود أن الله سبحانه وتعالى: خلق سبع سموات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً، أي: فاوت بينهما في الاستنارة، فجمل كلاً منهما أنموذجاً على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومفيها، وقد للقمر منازل ويروجاً، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستسر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿ فَمُ اللَّذِي سَلَمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَلِكَ إِلَّا يَلْكُنُ النَّكِيْتِ لِقِرْمٍ يَسْلَكُمْ وَلَا اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِلْكَ إِلَّا يَلْكُنُ النَّكِيْتِ لِقِرْمٍ يَسْلَمُوكُ . وقال الألوسي: ﴿ وَيَسُلُ الْفَيْسَ نِبْحِ اللَّهُ مَا اللَّهِ اللَّهِ والمِجْلُق وكونها طباقاً فيهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد وهو في بقعة منها، والمرجع له الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية وكونها طباقاً شفاة.

 ⁽٢) البيت للقطامي، وهو في «ديوانه» ٣٥، و«اللسان»: تبع. وضع الاتّباع موضع التبُّع مجازاً، لأن تَتَبَّتُ في معنى اتَبَعْتُ.

يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صُورَهُمْ كان أنشط لكم، وأشوق للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وسميت تلك الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسمّين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم، مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها. ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صور صوراً خمسة. ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: لمن نعبد؟ قال: هذه الهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصوّرة في مصلاكم؟! فعبدوها. وقال الزجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان «ود» لكلب، و «سواع» لهمدان، و «يغوث» لبني غطيف، وهم حي من مراد. وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمّها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين، قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجل، و «سواع» على صورة امرأة، الطوفان على صورة أسد، و «يعوق» على صورة أسد، و «يعوق» على صورة أسر، من الطير.

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَضَالُوا كَتِيرًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها. والثاني: وقد أضلَّ الكبراء كثيراً من الناس. ﴿ وَلَا زَدِ ٱلظَّالِينَ ﴾ يعني: الكافرين ﴿ إِلَّا صَلَلَا ﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿ يَمَّا خَطِيَتَكِيْمُ أَغَرُبُوا فَالْمَنْتُولُوا فَاكِنَا فَلَتَرَ يَجِدُوا لَمُتُم مِن دُونِ اللّهِ أَنصَانًا ۞ وَقَالَ فُحُ زَبِ لَا نَذَرْ عَلَ ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِيرَنَ دَبَانًا ۞ أَتِ ٱغْفِـرْ لِى وَلِوَلِدَى وَلِمَن دَخَـلَ بَيْنِكُ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِدِينَ وَالنَّوْيِسَتِ وَلَا نَزِدِ ٱلظَّلِينَ إِلَّا بَبَانًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ يَمَّا خَطِيَكِيْمَ ﴾ قما": صلة. والمعنى: من خطيئاتهم: أي: من أجلها، وسببها، وقرأ أبو غمرو قمما خطاياهم، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري الخطيئتهم من غير ألف، ﴿ أُمِّرُ أُوا نَازَا هُوا ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة ناراً، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين، وقال الضحاك: فأدخلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب.

قوله تعالى: ﴿ فَلَرْ بَجِدُوا لَمُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاكًا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ دَيَّارٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أحداً. يقال: ما بالمنازل دَيَّارٌ، أي: ما بها أحد، وهو من الدار، أي: ليس بها نازل داراً. وقال الزجاج: أصلها: 'دَيُّوارِ " فَيُعَال، فقلبت الواو ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإما دعا عليهم نوح، لأن الله تعالى أوحى إليه ﴿ لَن يُؤْمِنَ مِن قَرِيكَ إِلَّا مَن فَدْ مَاسَ ﴾ [مود: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّواْ عِبَادَكِ ﴾ وذلك أن الرجل منه كان ينطلق بابنه إلى نوح، فيحذِّره تصديقه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا ﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿ زَبِّ اَغْضِرُ لِى رَلِزَلِدَى ﴾ قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين. وقرأ أبو بكر الصديق، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدري، والجوني «ولوالدي» ساكنة الياء على التوحيد. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولولَدَيُّ» من غير ألف على التثنية «وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي» وقرأ حفص عن عاصم «بيتي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك. والثالث: سفينته، حكاه التعليي.

قوله تعالى: ﴿ رَالْمُزْمِنِينَ رَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني: الكافرين ﴿ إِلَّا لَبَالًا أَي: هلاكاً. ومنه قوله تعالى: ﴿ تَبَرِّنَا تَتْبِيرًا﴾ [القرنان: ٢٩].

سورة الجن

كلها مكية بإجماعهم

ينسيد ألمَّهِ أَلْكُنِّ الرَّهِينِيدِ

قوله تعالى: ﴿ قُلُ أُرْمِى إِنَّ أَنَهُ أَسْتَهَ نَفَرٌ مِنَ لَلِنِهِ قد ذكرنا سبب نزول هذه الآية في الاحتان: ٢٩ وبَيَنًا هنالك سبب استماعهم. ومعنى «النفر» وعَدَدَهم، فأما قوله تعالى: ﴿ وَرَادًا عَيْكُ فمعناه: بليغاً يعجب منه لبلاغته ﴿ يَهْدِى إِلَى الرَّسِيهِ أَي: يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿ وَلَن نُشْرِكَ مِرَاكًا ﴾ أي: لن نعدل بربنا أحداً من خلقه. وقبل: عنوا إبليس، أي: لا نطيعه في الشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ تَمَانَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف القراء في اثنتي عشرة همزة في هذه السورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول،، ﴿وأنا ظننا، ﴿وأنه كان رجال، ﴿وأنهم ظنوا»، ﴿وأنا لمسنا»، ﴿وأنا كنا»، ﴿وأنا لا ندري، ﴿وأنا منا»، «وأنا ظننا أن لن نعجز الله»، «وأنا لما سمعنا»، «وأنا منا» ففتح الهمزة في هذه المواضع ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، و وافقهم أبو جعفر في ثلاثة مواضع: "وأنه تعالى،" "وأنه كان يقول»، "وأنه كان رجال؛، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرهن. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: ﴿أَنَّ بِالفَتِحِ، وما كان من قول الجن قيل: ﴿إِنَّ بِالكَسرِ، معطوف على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سِمْنَا فُرُمَّاكًا عَبُهُ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ ربنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهنا. فأما من فتح، فذكر بعض النحويين، يعني الفراء: أنه معطوف على الهاء في قوله تعالى: ﴿ فَامَنَّا بِدِّ ﴾ وبأنه تعالى جَد رَبُّنا. وكذلك ما بعد هذا. وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكّنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمنًا به، فيكون المعنى: وصدَّقْنا أنه تعالى جَد رَبِّنا. وللمفسرين في معنى ﴿ تَنَالُ جَدُّ رَبَّنا﴾ سبعة أقوال: أحدها: قُذْرَةُ رَبِّنا، قاله ابن عباس. والثاني: غِني رَبِّنا، قاله الحسن. والثالث: جَلَالُ رَبِّنا، قاله مجاهد، وعكرمة. والرابع: عَظَمَةُ رَبِّنا، قاله قتادة. والخامس: أَمْرُ رَبِّنا، قاله السدي. والسادس: ارتفاع ذِكره وعظمته، قاله مقاتل. والسابع: مُلْكُ رَبِّنا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيلة. ﴿وَأَنَّمُ كَانَ يَقُولُ سَيْبُنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه إبليس، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: أنه كفارهم، قاله مقاتل. و «الشطط»: الجَوْر، والكذب، وهو: وصفه بالشريك، والولد. ثم قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا ظُنَنَّا أَن نَقُولَ ٱلْإِنشُ وَلَلِمُّنَّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِيًا ۞ وقرأ يعقوب: «أن لن تَقَوَّلَ» بفتح القاف، وتشديد الواو. والمعنى: ظنناهم صادقين في قولهم: لله صاحبة وولد، وما ظننَّاهم يكذبون حتى سمعنا القرآن، يقول الله ﷺ ﴿ وَأَنْتُر كَانَ رِجَالٌ بِّنَ ٱلإنسِ بَهُودُونَ رِبِهَالٍ بِّنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ

بِسيِّدِ هذا الوادي من شَرِّ سُفَهَاءِ قومه، فيبيت في جِوارِ منهم حتى يصبح. ومنه حديث كردم بن أبي السائب الأنصاري، قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذُكِرَ رسول الله على بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب، فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسله. فإذا الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كلمة (ان فأنزل الله على رسوله و وأنتَم كان رِجَالٌ مِن آلانين. ﴾ الآية (المعنى قوله تعالى: ﴿ وَالْتُورُهُم رَفَقًا ﴾ قولان: أحدهما: أن الإنس زادوا الجن رهقاً لتعوذهم بهم، قاله مقاتل. والمعنى: أنهم لما استعاذوا بسادتهم قالت السادة: قد سدنا الجن والإنس. والثاني: أن الجن زاد الإنس رَهقاً ، ذكره الزجاج. قال أبو عبيدة: زادوهم سَفَهاً وطغياناً. وقال ابن قتيبة: زادوهم ضلالاً. وأصل الرهق: العيب، ومنه يقال: فلان يرهق في دينه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّمُ طَنُّوا ﴾ يقول الله ﷺ: ظن الجن ﴿ كُنَا ظَنَنتُ ﴾ أيها الإنس المشركون أنه لا بعث. وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَسَنَّا السّمَا السّمَا ﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها من استراق السمع ﴿وَثُنَّا كُنّا نَقْمُدُ مِنّا مَدّيدَ لِلسّمِّع ﴾ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا ورشُبُا ﴾ جمع شهاب، وهو النجم المضيء ﴿وَأَنّا كُنّا نَقْمُدُ مِنّا مَدّيدَ لِلسّمِّع ﴾ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماع بعد بعث محمد ﷺ رُمينا بالشّهب. ومعنى ﴿رَصَدًا ﴾ قد أرصد له المرمى به ﴿وَأَنّا لا نَدْرِئَ أَندُ أَريدَ بِمَن فِي الْأَرض بحدوث الرجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفواء. أنه قول كفرة الجن، والمعنى: لا ندري أشرُّ أريدَ بمن في الأرض بحدوث الرجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفواء. ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنّا بِنَا السّرِلُون ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَيَنّا دُونَ ذَلِكُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: أنه أهل الشرِّ دون الشرك. ﴿ كُنّا طَرَآنِ وَ يَدَدُا ﴾ قال الفراء: أي: فرقاً مختلفة أهواؤنا. وقال أبو عبيدة: واحد الطرائق: طريقة، وواحد القِددِ: قدة، أي: ضروباً وأجناباً ومِلَلاً. قال الحسن، والسدي: الجن مثلكم، فمنهم قَدَيةٌ، ومرجئةٌ، ورافضة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنّا ﴾ أي: أيقنًا ﴿أَن نُتَجِرَ اللّهَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لن نَفُوته إذا أزاد بنا أمراً ﴿وَلَى نُتَجِرَمُ هَراً﴾ أي: أنه يدركنا حيث كنًا ﴿وَأَنَّا لَمَا سَمِعَنَا ٱلمُدَّنَة ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ﴿وَامْنًا بِهِ ﴾ أي: صدَّقنا أنه من عند الله ﷺ ﴿وَلَا رَهَقَا ﴾ أي: ولا ظلماً ومكروها يغشاه ﴿وَأَنّا لَمَا اللّه عَنْسُه ﴿ وَمَنّا الْفَسُولُونَ ﴾ وهم المَرَدة. قال ابن قتيبة ؛ القاسطون: الجاثرون. يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل (٢٠). قال المفسرون: هم الكافرون. ﴿وَمَنّ أَسُلُم فَأُولَتٍكَ غَرَوًا رَشَدًا ﴾ أي: تَوخّوه ، وأمّوه. ثم انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفار مكة فقال تعالى: ﴿وَالَّوِ اسْتَقَدّمُوا عَلَى الطّريقة هاهنا بالألف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى. وذهب قوم إلى أن المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قاله محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قاله محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة ، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قاله محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قاله محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قاله محمد بن كعب، والموسون الموسون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قالم محمد بن كعب، والربع، والفواء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا قالم محرفة من القول المؤلّم المؤل

⁽١) أي: أثر عَضِ.

٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «الغسير» من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائلة ١٢٩/٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجير في «الإصابة» في ترجمة (كردم بن أبي السائب) بعدما ساق حديثه هذا من رواية العقيلي من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب: وأخرجه ابن مردويه في «التغسير» من هذا الوجه، وأخرج له شاهداً من حديث معاوية بن قرة عن أبيه. وأورده السيوطي في «الدر» ١/٧٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن عساكر عن كردم بن أبي السائب الأنصاري في قال ابن كثير: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا اللئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم ردَّه عليه لما استجار به ليضله ويخرجه عن دينه، والله أعلم. اهـ.

 ⁽٣) ومنه قوله 難 فيما رواه مسلم في (صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص 歲 قال: قال رسول الله 點: قان المقسطين عند الله على منابر من نوره.

عليهم ﴿ لِنَفْتِهُمْ ﴾ أي: لنختبرَهم ﴿ فِيدِ ﴾ فننظر كيف شُكُرُهم. والماء الغَدَق: الكثير، وإنما ذكر الماء مثلاً، لأن الخير كله يكون بالمطر، فأقيم مقامه إذ كان سببه. وعلى الثاني: يكون المعتى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كلهم، لأكثرنا لهم المال لنفتنهم فيه عقوبة واستدراجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم كقوم نوح، ﴿ وَمَن يُرِضَ عَن يَرْ رَبِهِ ﴾ يعني: القرآن ﴿ يَسَلُكُهُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر انسلكه بالنون. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بالباء ﴿ عَدَابًا صَعَدًا ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عذاباً شاقاً. يقال: تصعَّدني الأمر: إذا شَقَّ عليً . ومنه قول عمر: ما تَصَعَّدني شيء ما تصعَّدتني خِطْبَةُ النُكاح. ونرى أصل هذا كله من الصعود، لأنه شاق، فكني به عن المشقّات. وجاء في التفسير أنه جبل في النار يكلَّف صعوده، وسنذكره عند قوله تعالى: ﴿ مَا نُونَهُمُ مَسُونًا ﴿ ﴾ المستر:

﴿ وَأَنَّ الْسَنَحِدَ يَنِوَ فَلَا مَنْعُوا مَعَ اللَهِ آخَدًا ﴿ وَأَنَّهُ لَمَا عَهُ اللّهِ يَنْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيكَا ﴿ فَلَ إِلَيْنَا آدَعُوا رَبِي وَلَا أَشَرِكُ بِدِهِ مُقَالِمُ اللّهِ وَمَنْ أَلِيهُ وَمِنَا ﴾ أَمْنَا ﴿ وَمَنْ أَلَهُ لَمَا إِنِ لَنَ يُجِينِهِ مِنَ اللّهِ أَخَدًا ﴿ وَلَنَ أَلِيدَ مِنَ اللّهِ أَخَدُ وَلَى اللّهِ لَمَنَا ﴾ إلَّا بَلْنَا مِنَ اللّهِ وَرَسُولُمُ فَإِنَّ لَمُ رَبِّ أَمْدًا ﴿ وَمَنْ أَلَيْكُ وَلَ مَنْكُولُونَ مِنَ اللّهِ وَمَنْكُونَ مَنْ أَضْعَكُ نَامِرًا وَأَقَلُ عَدَدًا ﴿ وَمَنْ فَلَ مُرْمِئُولُونَ مَنَ أَضَعُونُ مَنْ أَضَعُونُ مَنْ أَضْمَا وَاللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ وَمِنْ أَلْمُولُوا فَإِلَّهُ اللّهُ وَمِنْ عَلَيْكُوا مِنْكُولُونَ مِنْ اللّهُ مِنْ وَلَمُولُوا فَإِلَيْمُ وَمِنْ خَلُومِ وَمِنْ عَلَيْهِ مُولِ فَإِلَيْمُ وَمِنْ خَلُومِ وَمِنْ خَلُومِ وَمِنْ خَلُومِ وَمِنْ عَلَيْهُ وَمِنْ خَلُومِ وَمُؤْلِفُوا وَمُؤْلِمُ فِي اللّهُ وَمِنْ خَلُومُ وَمِنْ خَلُومُ وَمُؤْلِمُونُ مَنْ أَمْنَ وَمُؤْلُولُومُ وَمُؤْلِمُونُومُ وَمِنْ خَلُومُ وَمِنْ خَلُومُ وَمُؤْلِمُومُ وَمِنْ خَلُومُ وَمُؤْلِمُ وَمُؤْلِمُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُ وَاللّهُ وَمُؤْلِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُومُ وَلَمُ مُعَلّمُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُومُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُ وَاللّهُ وَلَالْمُومُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُ وَاللّهُ وَلِمُ وَاللّهُ وَلَا مُؤْلِمُ وَالْمُوالِمُومُ وَاللّهُ وَلِمُ وَاللّهُ وَلِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُؤْلُومُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُوالِمُواللّهُ وَاللّهُ وَالْمُواللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُواللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُواللّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُواللّهُ وَالْمُوالِمُوالِمُو

قوله تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْسَنَّجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات، قاله ابن عباس. قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهُم أشركوا، فأمر الله ﷺ المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم. والثاني: الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبير، وابن الأنباري، وذكره الفراء. فيكون المعنى، لا تسجدواً عليها لغيره(١). والثالث: أن المراد بالمساجد هاهنا: البقاع كلُّها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أن الأرض كلها مواضع للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها. والرابع: أن المساجد: السجود، فإنه جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً، ومُسْجِداً، كما يقال: ضربت في الأرض ضرباً، ومُشْرِباً، ثم يجمع، فيقال: المساجِد، والمضارِب. قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مَسْجَداً، بفتح الجيم. والمعنى: أُخْلِصُوا له، ولا تسجدوا لغيره. ثم رجع إلى ذكر الجن فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يَتْوُهُ ﴾ أي: يعبده. وكان يصلي ببطن نخلة على ما سبق بيانه في [الأحقاف: ٢٩] ﴿ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِلدَّا﴾ قرأ الأكثرون: ﴿لِبَداَّ بكسر اللام، وفتح الباء. وقرأ هشام عن ابن عامر، وابن محيصن (لُبَداً) بضم اللام، وفتح الباء مع تخفيفها. قال الفراء: ومعنى القراءتين واحد. يقال: لِبَدة، ولُبَدة. قال الزجاج: والمعنى: كاد يركب بعضهم بعضاً. ومنه اشتقاق اللبد الذي يفترش. وكل شيء أضفته إلى شيء فقد لَبَّدته. وقرأ قوم منهم الحسن، والجحدري: البُّداُّ، بضم اللام مع تشديد الباء. قال الفراء: فعلى هذه القراءة يكون صفة للرجال، كقولك: رُكُّعاً وركوعاً، وسُجَّداً وسجوداً. قال الزجاج: هو جمع لابد، مثل راكع، وركُّع. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخبار الله تعالى عن الجن يحكي حالهم. والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضاً، حِرْصاً على سماع القرآن، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب محمد رسول الله على وانتمامهم به في الركوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدأ ، وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله ﷺ بالدَّعوة تلبَّدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه، ليبطلوا الحق الذي جاء به، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد ".

⁽٢) وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿لَمْ إِنَّمَا أَدَّعُواْ رَبِّ لَأَدَّ أَشَيْكُ بِهِ أَسَدًا ۞﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذابوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿لِنَّا أَدْعُواْ رَبِّ﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شزيك له، وأستجير به؛ وأتوكل عليه ﴿لاَ أَشَيْهُ بِهِۥ لَمَدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ قُلُ إِنْنَآ أَدْعُواْ رَبِّ﴾ قرأ عاصم، وحمزة ﴿ قُلُ إِنَّنَآ أَدْعُواْ رَبِّ﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبي ﷺ. قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع بمثله فارجع عنه، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِي لاَ أَمْلِكُ لَكُرُّ صَرَّاكُ أَي: لا أدفعه عنكم ﴿ وَلاكَ أسوق إليكم ﴿ رَشَدًا﴾ أي: إن الله تعالى يملك ذلك، لا أنا ﴿ قُلْ إِنِي لَنَ يُجِرِنِ مِنَ اللَّهِ أَمَدُ ﴾ أي: إن عصيته لم يمنعني منه أحد، وذلك أنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك ﴿ وَلَنَ أَيْدَ مِن دُونِهِ مُلْتَكُلُ ﴾ وقد بينًا وفي [الكهف: ٢٧] ﴿ إِلَّا بَلْنَا مِنَ اللَّهِ فيه وجهان، ذكرهما الفواء: أحدهما: أنه استثناء من قوله تعالى: ﴿ لاَ أَمْلِكُ لَكُرُّ ضَرًا وَلا رَشَدًا ﴾ إلا أن أبلغكم. والثاني: لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالته. وبالأول قال ابن السائب، وبالثاني قال مقاتل. وقال بعضهم: المعنى: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أبلغ عن الله ما أُرسِلْتُ، فذلك البلاغ هو الذي يجيرني. ﴿ وَمَن يَعْمِن اللَّهَ وَرَسُولَمُ ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله تعالى: ﴿ حَقّ إِذَا رَآوَا ﴾ يعني: الكفار ﴿ مَا يُوَكُون ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة، ﴿ فَلَكِمُ مُن أَضْعَكُ نَاصِرًا وَأَقَلُ عَدَدَا ﴾ أي: جنداً ونصراً، أهم، أم المؤمنون؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَذِيت ﴾ أي: ما أدري ﴿ أَفَيتُ مُن أَضْعَكُ نَاصِرًا وَأَقَلُ عَدَدَا ﴾ أي: خالةً ونصراً، أهم، أم المؤمنون؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَذِيت ﴾ أي: ما أدري ﴿ أَفَيتُ مِن العذاب ﴿ أَرْ يَجْمَلُ لَمُ رَبّ آمَدًا ﴾ أي: غاية وبعُدا أن علم الغيب لله وحده ﴿ فَلَا يَظُهُ ﴾ أي: فالا يُطلع ﴿ عَلَى عَتِهِ وَفِي هذا دليل على صدق الرسل إنجارَهم بالغيب والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿ وَإِنّ مَن اللهُ مِن النّ يَشْتِر قَه السّاطين، فتلقيه إلى الكهنة، فيتكلّمون به قبل أن يخبر النبي على الناس. وقال الزجاج: يسلك من بين يَدَي المحك على المراحد، فالرُّصَّدُ من الملائكة يدفعون الشياطين عن أن تستمتع ما ينزل من المحد.

قوله تعالى: ﴿ لِيَمْلَتُ فيه خمسة أقوال: أحدها: ليعلم محمد ﷺ أن جبرائيل قد بلَّغ إليه، قاله ابن جبير. والثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله ﴿ تَدَ أَبْلُواْ رِسَالَتِ رَبِّمَ ﴾ وأن الله قد حفظها فدفع عنها، قاله قتادة (٢٠). والثالث: ليعلم مكذبو الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، قاله مجاهد. والرابع: ليعلم الله ﷺ ذلك موجوداً ظاهراً يجب به الثواب، فهو كِقوله تعالى: ﴿ وَلَنَا يَمْلُمُ اللّهِ الْذِينَ جَهَدُواْ مِنكُم ﴾ آل عمران: ١١٤٦، قاله ابن قتيبة. والمخامس: ليعلم النبي أن الرسل قد أتنه به ولم تصل إلى غيره، ذكره الزجاج. وقرأ رويس عن يعقوب اليُعْلَم ، بضم الياء على ما لم يسيم فاعله، وقال ابن قتيبة: ويُقرأ ولتَمْلُم بالناء ، يريد: لتعلم الجن أن الرسل قد بلَّغت عن إللههم بما رَجَوا من استراق السمع. ﴿ وَلَمَا لِيهَا لَهُ مَا عند الرسل ﴿ وَلَعْمَى كُلُ شَيْءٍ عَدَنُه في عنه شيء حتى الذَّر والخردل.

^{* * *}

⁽۱) قال ابن كثير: وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ سأل عن وقت الساعة، قلا يجيب عنها، ولما تبدّى له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال: يا محمد: فأخبرني عن الساعة؟ قال: قما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد من الساعة؟ قال: ووبعث إنها كائنة قما أهدنت لها؟، قال: أما إني لم أحدّ لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، قال: فأنت مع من أحببته قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث.

⁽٢) هذا القول اختاره ابن جرير الطبري في اتفسيره.

سورة المزمل

وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: سوى آيتين منها، قوله تعالى: ﴿وَأَشْيِرَ عَلَىٰ مَا يَتُولُونَ﴾ والتي بعدها [المزمل: ١٠]. وقال ابن يسار، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ يَسُلُرُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [المزمل: ٢٠].

بنسبه الله الكنب التيسير

وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران، والأعمش «المتزمِّل» بإظهار التاء. وقرأ عكرمة، وابن يعمر: «المزمل» بحذف التاء، وتخفيف الزاي. قال اللغويون «المُزَمِّل» الملتف في ثيابه، وأصله «المتزمِّل» فأدغمت التاء في الزاي، فنقلت. وكل من التفَّ بثوبه فقد تزمَّل. قال الزجاج: وإنما أدغمت فيها لقربها منها. قال المفسرون: وكان النبي عَلَيْ يتزمَّل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فَرَقاً منه حتى أنس به، وقال السدي: كان قد تزمَّل للنوم. وقال مقاتل: خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل: يا أيها المُزَمِّل. وقيل: أريد به مُتَزَمِّل النبوة. قال عكرمة في معنى هذه الآية: زُمِّلْتَ هذا الأمر، فَقُمْ به. وقيل: إنما لم يخاطب بالنبي والرسول هاهنا، لأنه لم يكن قد بلَّغه وإنما كان في بدء الوحي.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ اَلْبُلُ ﴾ أي: للصلاة. وكان قيام الليل فرضاً عليه ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴿ أَنْ اَلله من الليل ، كما تقول: ضربت زيداً رأسّه. فإنما ذكرت زيداً لتوكيد الكلام، لأنه أوكد من قولك: ضربت رأس زيد. والمعنى: قم من الليل النصف إلا قليلاً ﴿ أَوْ اَنْتُصْ مِنْهُ قَيِلاً ﴾ أي: من النصف ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهٍ ﴾ أي: على النصف. قال المفسرون: انقص من الليل النصف إلى الثلث، أو زد عليه إلى الثلثين، فجعل له سَعة في مدة قيامه، إذ لم تكن محدودة، فكان يقوم ومعه طائفة من المومنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فكان الرجل لا يدري كم صلى، وكم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كلّه مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: ﴿ إِنّ رَبّكَ يَمَلُمُ أَنَكَ تَدُمُ أَذَنَ بِن ثُلُنِي اللّهِ . . . ﴾ الآية، هذا لا يحفظ القدر الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: ﴿ إِنّ رَبّكَ يَمَلُمُ أَنَكَ تَدُمُ أَذَنَ بِن ثُلُنِي اللّهِ . . . ﴾ الآية، هذا مذهب جماعة من المفسرين. وقالوا: ليس في القرآن سورة نسَخَ آخِرُها أولَها سوى هذه السورة. وذهب قوم إلى أنه نُسِخَ قيامُ اللّيل في حقّه بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النّيلُ فَتَهَجّدَ بِهِ عَالِلًا لَكُلُهُ اللهماء : ٢٧١، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات نُسِخَ قيامُ اللّيل في حقّه بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النّيلُ فَتَهَجّدَ بِهِ عَالِلَهُ اللّه على مؤوضاً عليه دونهم. وفي مدة فرضه قولان: الخمس. وقيل: نسخ عن الأمة، وبقي عليه فرضه أبداً. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دونهم. وفي مدة فرضه قولان: أحدهما: سَنَةٌ، قال ابن عباس: كان بين أول: (المزمل) وآخرها سَنَةٌ. والثاني: ستة عشر شهراً، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ وَرَبِّلِ ٱلنُّرْءَانَ ﴾ قد ذكرنا الترتيل في [الفرتان: ٣٦](١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنْلِقِي عَلَيْكَ فَرُلا ثَقِيلاً ﴿ ﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثِقَله ستة أقوال: أحدها: أنه كان يتقُل عليه إذا أوحي إليه، وهذا قول عائشة. قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، يعني يتخلص عنه وإن جبينه ليتفصد عوقا (). والثاني: أن العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد. والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجع، قاله عبد العزيز بن يحيى. والخامس: أنه ليس بالخفيف ولا السفساف، لأنه كلام الرب رضي قاله الفراء. والسادس: أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول وزن: إذا استجدته، ذكره الزجاج () .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةٌ النَّلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة. وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان: أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة. وإلى هذا ذهب اللغويون. قال ابن قتية: ناشئة الليل: ساعاته الناشئة، من نشأت: إذا ابتدأت. وقال الزجاج: ناشئة الليل: ساعات الليل، كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث. وقال أبو علي الفارسي: كأن المعنى: إن صلاة ناشئة، أو عمل ناشئة الليل. والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل. ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها ما بعد العشاء، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي، وقد نص عليه أحمد في رواية المروذي. والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز. والرابع: أنها عليه أحمد في رواية المروذي. والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿ مَ أَشَدُ وَطَاءً وَاراد أَن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهّم للقرآن على كذا مُواطّأةً، وَوِطاءً، وأراد أَن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهّم للقرآن والإحكام لتأويله () . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنْوَاطِنُواْ عِنَةً مَا حَرَّمُ اللهُ ﴾ التدبة: ١٣٧]. وقرأ الباقون «وَظأُهُ السلطان: إذا ثقل القصر. والعنى: إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وَظأَةُ السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم. ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشده وطأتك على مضوء () . ذكر معنى القراءتين ابن قتيبة. وقرأ ابن محيصن «أشد وطاء» وبالمد.

قوله تعالى: ﴿وَأَقَرُمُ بِيُلاَ﴾ أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سمعه وتفهّمه حائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبَّمَا طَوِيلاً ﴾ أي: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء. وقرأ علي، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبلة «سبخاً» بالخاء المعجمة. قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح. يقال: قد سبخت القطن بمعنى نفشته. ومعنى نَفَّشته: وسَّعته، فيكون المعنى: إن لك في النهار توسُّعاً طويلاً.

قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرُ الْمُ رَبِّكَ ﴾ أي: بالنهار أيضاً ﴿ وَبَّتَلْ إِلَّهِ بَبِّيلًا ﴾ قال مجاهد. أخلص له إخلاصاً. وقال

عبد الله بن عمرو عن النبيﷺ قال: فيقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإ منزلتك عند آخر آية تقرؤها، ورواه أبو داود
 والنرمذي والنسائي وقال النرمذي: حديث حسن صحيح.

⁽١) رواه البخاري في اصحيحه؛ عن عائشة ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: الحياناً يأتيني مثل صلصلة البجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وهيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأهي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه يفصّد عرقاً.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه.

 ⁽٣) في الأصل: والإحكام وتلاوته، والتصويب من «فريب القرآن». قال ابن كثير: أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولفط الأصوات وأوقات المعاش.

⁽٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رشي في قصة القنوت في صلاة الصبح.

ابن قتيبة: انقطع إليه، من قولك: بَتَّلتُ الشيء: إذا قطعتَه. وقال الزجاج: انقطع إليه في العبادة. ومنه قبل لمريم: البتول، لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة. وكذلك صدقة بتلة: منقطعة من مال المصدِّق. والأصل في مصدر تبتَّل تبتلاً. وإنما قوله تعالى: «تبتيلاً» محمول على معنى: تبتل. ﴿ رَبُّ السَّرِقِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم «ربُّ» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بالكسر. وما بعد هذا قد سبق النسماء: ١٨٤ إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللّم الله على عَلْم اللّه الله على التَّذِيب لك والأذى ﴿ وَالْهُجُرُهُم هَجُرًا جَيلاً ﴾ لا جزع فيه. وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السي. ﴿ وَفَرْنِ وَالْمُكِيبِ ﴾ أي: لا تهتم بهم، فأنا أكفيكهم ﴿ أَوْلِى النَّمَةِ ﴾ يعني: التَّعم. وفيمن عُني بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المطعمُون بِبُدْر، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان. والثالث: أنهم المستهزئون، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ وَمَهَالَمُ لَئِلاً ﴾ قالت عائشة: فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ وهي القيود، واحدها: نكل. وقد شرحنا معنى الجحيم، في [البنرة: ١١٩] ﴿وَلَمْامَا نَا عُمَّةٍ﴾ وهو الذي لا يسوغ في الحلق. وفيه للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: الزَّقُوم، قاله مقاتل. والثالث: الضَّريع، قاله الزجاج. والرابع: الزَّقُوم والغِسُلين والضَّريع، حكاه التعليي.

قوله تعالى: ﴿ يَرْمُ نَرَجُتُ ٱلأَرْسُ ﴾ قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ آدَيْنَا أَنَكَالَا ﴾ والمعنى: ينكُّل الكافرين ويعلِّيهم ﴿ يَرَمُ تَرَجُتُ ٱلأَرْشُ ﴾ أي: تُؤلؤل وتُحَرِّك أغلط حركة.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَتِ لَلِبَالُ ﴾ قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة ﴿ كِيبًا ﴾ قال الفراء: «الكثيب»: الرمل. و اللميهل»: الذي تحرَّك أسفله، فينهال عليك من أعلاه، والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول. وقال الزجاج: الكثيب جمعه: كثبان، وهي: القطع العظام من الرمل. وللمهيل: السائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْسَلْنَا إِلْتَكُو بِهِ بِهِ إَهِلَ مَكَة ﴿ وَسُولًا ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿ شَهِدًا عَلَيْكُ ﴾ بالتبليغ وإيمان من آمن، وكفر من كفر ﴿ كَا أَنْسَلَنَا إِلَىٰ فَرَعَوْنَ رَسُولًا ﴾ وهو موسى ﷺ. والوبيل: الشديد. قال ابن قتيبة: هو من قولك: استوبلت المكان: [إذا استوحمته]. ويقال: كَلاَ مُسْتَوْبَل أي: لَا يُسْتَمْرَأُ. قال الزجاج: الوبيل: الفقيل الغليط جداً. ومنه قيل للمطر العظيم: وابل. قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الوبيل: الغرق. وهذا تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون.

قوله تعالى: ﴿ فَكُنْتُ نَنْتُونَ إِن كُنْتُمْ بِوَمًا ﴾ أي: عذاب يوم. قال الزجاج: المعنى: بأي شيء تتحصّنون من عذاب يوم مِنْ هوله يَشيب الصغير من غير كِبَر. وقرأ أبى بن كعب، وأبو عمران انجعل الولدان، بالنون.

قوله تعالى: ﴿السَّنَاءُ مُنفَطِرٌ بِوْهِ ﴾ قال الفراء: السماء تُذكّر وتؤنّث. وهي هاهنا في وجه التذكير. قال الشاعر: فَسَلَوْ رَفَع السَّماءُ السيحاب(١)

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين: أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني: على قولهم: امرأة مُرْضِع على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انفطار، كما أن المرضع ذات الرضاع. وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء مُنْشَقَ به، أي: فيه، يعنى في ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿ كَانَ رَعْدُو مَنْمُولًا ﴾ وذلك أنه وعد بالبعث، فهو كائن لا محالة.

﴿إِنَّ هَدَٰذِهِ تَنْكِرُةً فَمَن شَآةَ الْخَدَدَ إِلَى رَقِهِ سَبِيلًا ﴿ ۞ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَمَلُ أَنَكَ تَقُومُ أَذَنَ مِن ثُلُقِي الَّذِلِ وَيَصْفَمُ وَلُلْتُمُ وَلَمَايِمَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَمَكُ وَاللّهُ يُقَدِّدُ الْئِلَ وَالنَّهَارُ عَلِمَ أَن لَنْ تَحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقَرْمُوا مَا نَيْشَرَ مِنَ الْفَرْمَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم تَرْجَىٰ وَمَاخَرُونَ بَضْرِيُونَ فِي

⁽١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة ٢٤٦. والشاهد فيه تذكير السماء.

and the second

¥ s.

ٱلأَرْضِ بَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَٱلخَرُونَ بُعَنِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَمُوا مَا نَيْتَرَ مِنْةً وَأَفِيمُوا الصَّالَوَةَ وَالْوَا الزَّكُوةَ وَاقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا لَقَيْمُوا لِأَنْشِيكُمْ يَنْ خَبْرِ نَجْدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْلَمَ لَجُزًّا وَلَسْتَغِيرُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ زَحِيمٌ ﴿ ﴾

﴿إِنَّ هَلَامِهِ مِعني: آيات القرآن ﴿نَنْكِرَةُ ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَكَن شَآةَ ٱلَّخَذَ إِلَىٰ رَبِيد سَهِيلًا﴾ بالإيمان

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ يَنَارُ أَنَّكَ تَنُومُ أَنْنَهُ أَنْنَهُ أَي: أقل ﴿مِن ثُلْتِي وَيَسْفَهُ وَثُلْكُمُ ﴾ وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة بفتح الفاء والثاء والباقون: بكسرهما.

قوله تعالى: ﴿ وَطَائِفَةٌ يَنَ الَّذِينَ مَمَكً ﴾ يعني: المؤمنين ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَ أَن النَّبَارُ ﴾ يعلم مقاديرهما، فيعلم القدر الذي تقومون(١) به من الليل ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْسُوهُ﴾ وفيه تولان: أحدهما: لن تطيقوا قيام ثُلُتَي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل. والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء. ﴿ فَنَابَ عَلَيْكُمُّ ۚ ﴾ أي: عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف ﴿ فَأَقْرَءُواْ مَا نَبُشَرَ ﴾ عليكم ﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ يعني: في الصلاة، من غير أن يوقت وقتاً. وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء. ثم ذكر أعذارهم فقال تعالى: ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ يِنكُمْ مَرْتَئَكُ ۗ فلا يطيقون قيام الليل ﴿ وَمَاخُرُكُ يَغْرِيُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهم المسافرون للتجارة: ﴿يَبْنَعُونَ مِن نَشَلِ اللَّهِ﴾ أي: من رزقه فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَءَاخُرُونَ يُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وهم المجاهدون فلا يطيقون قيام الليل ﴿ نَاتَرَهُ وَا مَا تَيْتَرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِّ ﴾ وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا اَلصَّلَوَاۗ أَي: الصلوات الخمس في أوقاتها(٢) ﴿وَأَفْرَشُوا ۖ آلَةَ فَرَشَا حَسَنَا﴾ وقد سبق بيانه [الحديد: ١٨]. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقِرى الضيف، ﴿وَمَا لُقَيْمُوا لِأَنشِكُم تِن خَمْيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهُ ﴾ أي تجدوا ثوابه في الآخرة. ﴿فُو خَيَرًا﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: تجدوه خيراً. قال الزجاج: ودخلت «هوا فَصَلًا. وقال المفسرون: ومعنى تخيرًاً؛ أي: أفضل مما أعطيتم ﴿وَأَغْلَمْ لَبَرَّا﴾ من الذي تؤخِّرونه إلى وقت الوصية عند الموت^(۱).

⁽٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَأَتِيمُوا اَلشَّلُواۚ وَمَالُوا الرَّقُواۚ ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النُّصُب والمخرّج لم تُبيّن إلا بالمدينة، والله أعلم. قال: وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وللحسن، وقتادة، وغير وّاحد من السلف: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل، واختلفوا في المبدة للتي بينهما على أقوال، وقد ثبت في االصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل الذي سأل: ماذا فرض الله عليه من الصلوات؟ قال: الحمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: ﴿لا إِلا أَنْ تَطُوعُهُ.

٣)٪ قال ابن جرير الطبري في تتمة الآية من آخر السورة ﴿وَاَسْتَنْفِرُا اللَّهُ ﴾ يقول تعالى ذِكره: سلوا الله غفران ذنوبكم، يصفحُ لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهُ غَلُورٌ رَّجِمُّهُ ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها. ﴿ ﴿

سورة المدثر

وهى مكية بإجماعهم

وقال مقاتل: فيها من المدني آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَمَلَنَا عِذَّتَهُمْ إِلَّا يِثَنَّهُ ۗ [المدثر: ٣١].

ينسب ألمَّو النَّخْفِ النَّجَبُ لِي

فأما سبب نزولها، فروى (١) البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله على قال: هجاورت بِحِرَاه شهراً، فلما قضيت جواري (٢) نزلتُ فاستَبْطَنْتُ بطن الوادي (٢)، فنوديتُ، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو في الهواء (يعني: جبريل على أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو في الهواء (يعني: جبريل المفسرون: فلما رأى خليجة، فقلت: دَنُّروني دَفُروني، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبّه عليه، وقال: دَنُّروني، فلمَّروه بقطيفة، فأتاه جبريل وقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبّه عليه، وقال: دَنُّروني، فلمَّروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال: ﴿ يَكُنُّبُ النَّنَرُ ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، والأعمش «المتدثّر» بإظهار التاء. وقرأ أبو رجاء، وعكرمة، وابن يعمر «المدثر» بحذف التاء، وتخفيف الدال. قال اللغويون: وأصل «المدَّرُ» المتدثر، فأدغمت التاء، كما ذكرنا في وابن يعمر «المدثر» بوهذا في قول الجمهور من التدثير بالثياب. وقيل المعنى: يا أيها المدثر بالنبوّة، وأثقالها. قال عكرمة: دُثُرُتَ هذا الأمر فقم به.

قوله تعالى: ﴿ أَرُ نَاأَذِرُ ﴿ ﴾ كفارَ مكة العذابَ إن لم يُوحِّدوا ﴿ وَرَبَّكَ نَكَيْرُ ﴿ ﴾ أي: عظّمه عما يقول عبدة الأوثان. ﴿ رَبِّابَكَ نَلَغِرُ ﴾ أي غدر. قال غيلان بن سلمة الثقفي:

وَإِنْسِي بِحَــمْــدِ الله لَا ثَــوْبَ فَــاجِــرِ لَـــِ الله لَا ثَــوْبَ فَــاجِــرِ لَــــرُ لَــــــ لَــــِ الله وَ الله وَالله وَالله

⁽٢) أي: مجاورتي واعتكافي.

⁽١) في الأصل: روى.

⁽٣) أي: , صبرت في ياطئه.

⁽٤) رواه البخاري ٨/ ٥٢٠، ومسلم ١٤٤/، وأحمد في «المسند» ٣٠٦/٣، و الطبري ٢٩/ ١٤٣، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣، وأورده السيوطي في «اللذ» ٦/ ٢٨٠ وزاد نسبته للطيالسي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن الأنباري في «المصاحف» عن جابر ﷺ.

 ⁽٥) البيت في «الطبري، ٢٩/ ٢٤، و«القرطبي، ١٩/ ٦٢، و«البحر المحيط» ٨/ ٣٧١، و«ابن كثير، ٤٤١/٤، و«الدر، ٦/ ٣٨١، و«فتح القدير» للشوكاني
 ٣١٥/٥ منسوباً إلى غيلان بن سلمة الثقفي، وهو في «اللسان»: ثوب.

أيضاً. والثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد، وقتادة. ويشهد له قول عنترة:

فَسَسَكَكُتُ بِالرَّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَبُسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحرَّمِ (۱) أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة. قال: المعنى: طهر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه. قالت ليلى الأخيلية وذَكَرَتْ إبلاً:

رَمَــوْهــا بِــاْئــوابِ خِــفَــافٍ فــلا تــرى لَــهَــا شَــبَـهــاً إلا الــنَّ عَـام الــمُــنَفَّــرا(٢) أي: ركبوها، فَرَمَوْها بأنفسهم. والعرب تقول للعفاف: إذارٌ، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ. والرابع: وعَمَلَكَ فَأَصْلُو وشَمَّرْ، قاله الضحاك. والمخامس: خُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسن، والقرظي. والسادس: وَثِيَابَك فَقَصَّرُ وشَمَّرْ، قاله طاووس. والسابع: قَلْبَكَ فَظَهَّرْ، قاله سعيد بن جبير. ويشهد له قول امرئ القيس:

قَانْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنى خَلِيقَةٌ فَسَلَى ثِيابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ (٣) أَيْ: قلبي مِنْ قبيابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ (٣) أَيْ: قلبي مِن قلبك. والثامن: اغسل ثيابك بالماء، ونقّها، قاله ابن سيرين، وابن زيد (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَالْجُرُ الْهُجُرُ ﴾ قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم إلا أبا بكر، ويعقوب، وابن محيصن، وأبن السميفع الوالرجزّ بضم الراء. والباقون بكسرها. ولم يختلفوا في غير هذا الموضع. قال الزجاج: ومعنى القراءتين واحد. وقال أبو علي: قراءة الحسن بالضم، وقال: هو اسم صنم. وقال قتادة: صنمان: إساف، ونائلة. ومن كسر، فالرّجز: العذاب. فالمعنى: ذو العذاب فاهجر. وفي معنى «الرجزّ للمفسرين ستة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس. ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك. والرابع: الذنب، قاله الحسن. والمخامس: العذاب، ومعنى الآية: المجر ما يؤدِّي إلى عذاب الله العذاب، قاله ابن كيسان (٥٠٠ ﴿ وَلَا تَشَكُورُ ﴿ وَلَا تَشَكُورُ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة. قال المفسرون: معناه: أغطِ لِربّك وأرد به الله، فأدَّبه بأشرف الآداب. أن يهدي هدي هذه الذب للنبي من خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يهدي هدي هدية يرجو بها ثواباً أكثر منها. والثاني: لا تمنن على الناس بالنبورة المناث، قاله الحسن، والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد. والرابع: لا تمن على الناس بالنبورة المناث عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد (١٠) فيه أربعة أقوال: أحدها: على طاعته وفرائضه، والثاني: على الأدى والثالث: لأمر ربك. والوابع: لوغد ربّك فيه قولان: أحدهما: على طاعته وفرائضه، والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُيْرَ فِي النَّاقُرِ ﴿ ﴾ أي: نفخ في الصور. وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان، ﴿ فَنَوْكُ مَي مَيْنَ ﴿ ذَوْكِ قَد شرحناه في العزمل: ١١] ﴿ فَنَوْكَ بَرَمَهِذِ بَرَمَّ عَسِيرُ ﴾ أي: يعسر الأمر فيه ﴿ عَلَ الْكَنْفِينَ غَيْرٌ يَبِيرٍ ۞﴾ غير هَيِّن ﴿ ذَوْكِ قَد شرحناه في العزمل: ١١] ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُهُ أَي: ومن خلقته ﴿ وَسِيدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقته وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله

⁽١) • ديوانه، ١٢٥، وفشرح القصائد العشر؛ ١٨٤، و فأمالي المرتضى؛ ٢/ ٦٤، وفمختار الشعر الجاهلي، ٢٧٧/١.

 ⁽۲) هو في المعاني الكبير؟ ١/٤٨٦، و الصناعتين؟ ٧٧٧، و الفائق؟ ١/٨٨، و اللسانة: ثوب، غير منسوب. قال ابن قتية: يعني بأجسام خِفاف،
 بريد: ركيوها.

⁽٣) • ديوانه؛ ١٣ وروايته فيه :. وإن كنتِ قد ساءتك مني خليقة إلخ.

⁽٤) واختار هذا الأخير ابن جرير الطبري قال: قال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويطهر ثيابه. وقال ابن كثير: وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب.

⁽٥) قال ابن كثير: وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبُّسه ﷺ بشيء من ذلك. كقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّا النَّيُّ أَنِّي اللَّهُ وَلَا تَنْطِع الْكَنْبِينَ ﴾ ﴿ وَقَالَ مُوسَى الْمُنْجِدِ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

⁽٦) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال، معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، قال: وإنما قلمت: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في صياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه ﷺ بالجهد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، قال: فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها.

قوله تعالى: ﴿ رَجَدَكُ لَمُ مَالًا مَندُونًا ﴿ فَي معنى الممدود ثلاثة أقوال: أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة. والثاني: دائماً، قاله ابن قتيبة. والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج. وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال: أحدها: غَلَّة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب. والثاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، قال الفراء: نرى أن الممدود جُعِلَ غاية للعدد، لأن «ألف، غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف. والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة. والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا ينقطع خيره شتاة ولا صيفاً، قاله مقاتل (٣).

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُونَا ﴿ فَيَ حَضُوراً مَعَهُ لا يَحَتَاجُونَ إلَى التَصَوُّفُ وَالسَّفْرُ فَيَغَيْبُوا عَنَهُ. وَفِي عَدَدَهُمْ أَرْبَعَةُ أَقُوالُونُ الْحَدَّانِ عَشْرَهُ قَالُهُ السَّلِيقِ. أَقُوالُونُ أَحِدُمُ وَالثَّانِيَ ثَلَاثَةً عَشْرَ، قالهُ السَّلِيقِ. والثَّالُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ أَنَّ أَرِيدٌ ﴿ وَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ أَنَّ أَرِيدٌ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهُ أَنَّ أَرِيدٌ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن. والثاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مِقاتل.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّ ﴾ أي: لا أنعل، فمنعه الله المال والوَلدَ حتى مات فقيراً، ﴿ إِنَّمُ كَانَ لِإَيْكِنَا عَنِدَا ﴾ أي: معانداً. وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله أبن جبير. والثاني: الحق، قاله مجاهد. والثالث: رسول الله على قاله السدى.

قوله تعالى: ﴿ تَأْرُمْنَهُمْ صَعُودًا ﴿ قَالَ الزجاج: سأحمله على مشقة من العذاب. وقال غيره: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. وقال ابن قتيبة: «الصَّعود»: العقبة الشاقة، وكذلك الكؤود». وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مَا رَمِنُكُ ﴿ اللهُ ﴾ قال: جبل من نار يكلَّف أن يصعده، فإذا وضع رجله عليها ذابت، فإذا رفعها عادت. يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً (٤٠). وذكر ابن السائب أنه جبل من صخوة ملساء في

⁽١) رواه بهذا اللفظ الواحدي في «أسباب النزول» ٢٣٠ من رواية عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس، وسنده صحيح. ورواه الحاكم به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ورواه الطبري من رواية معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة. ورواه أيضاً الطيري بنحوه من رواية عطية العوني عن ابن عباس. قال ابن كثير: وقد ذكر محمد ابن إسحاق وغير واحد تحواً من هذا.

⁽۲) ذكره ينحوه ويأخصر منه الواحدي في (أسباب النزول؛ ٣٣٠ عن مجاهد بغير سند.

٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿ رَجَمَكُ لَمُ مَالًا مَسْلَونًا ۞﴾ وهو الكثير الممدود عده أو مساحته.

⁽٤) هذا البعديث ذكره المؤلف ملفقاً من حديثين، الأول وواه ابن جرير الطبري من رواية شريك بن عبدالله بن أبي شريك النخعي عن عمارة بن القعقاع عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، ررواه ابن أبي حاتم من رواية شريك عن عمار الدهني عن عطية به، بلفظ ﴿ مَازُونَهُم مَسُودًا ﴿ فَيَهُ قَالَ: هو جبل ح

الناره يكلُّف أن يصعَدها حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلُّف أن يصعَدها، فذلك دأبه أبداً، يجذب من أمامه سلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنة.

قوله تعالى: ﴿ إِنْهُ ۚ مَكُرُ ۗ أَي: تَفَكَرُ مَاهَا يقول في القرآن ﴿ وَقَدْرَ ﴾ القول في نفسه ﴿ نَقُولَ ﴾ أي: لعن ﴿ كَفَ نَدَرُ ۗ القول في نفسه ﴿ نَقُولَ ﴾ أي: لعن ﴿ كَفَ نَدُرُ ۗ والتوييخ. ثُمُّ قُولَ كَيْنَ مَدَنَ ﴾ أي: لُعِن على أي حال قَدَّر ما قدَّر من الكلام. وقيل: «كيف» هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوييخ. وإنما كرر تأكيداً ﴿ ثُمُ نَظْرُ ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويردُّه ﴿ ثُمَّ عَبَنَ وَبَسَرَ ﴾ قال اللغويون: أي: كَرَّهُ وَجْهَهُ وَقَطَّب. يقال: بسر الرجل وجهه، أي: قبضه. وأنشدوا لتؤيّة:

" وقَدَّ زَابَنَتْنِي مِسنِّهِ الصَّدُودُ رَأَيْتُهُ ﴿ وَإِنْ وَإِنْ مُسُورُها (١)

قال المفسّرون: كرَّه وجهه ، ونظر بكراهية شديدة ، كالمهتم المتفكّر في الشيء ﴿ ثُمَّ أَنْبَه عن الإيمان ﴿ وَاسْتَكُبْرَ ﴾ أي: تكبر حُين دعي إليه ﴿ نَقَالُ إِنْ هُذَا ﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿ إِلَّا يِشَرُّ يُؤَثُّ ﴾ أي: يُروى عن السَّحَرة ﴿ إِنْ هُذَا إِلَّا قَلُ البَشَرِ ﴿ إِنَّ هُذَا إِلَّا يَتُرُ ﴾ أي: من كلام الإنس ، وليس من كلام الله تعالى : ﴿ سَأَشَلِهِ سَتَرَ ۞ أي: سأدخله النار . وقد ذكر «سقر» في سورة القنز : ١٤٤ ﴿ وَمَا أَنْرَكُ مَا سَتَرُ ۞ ﴾ لِعِظَم شَأْنها ﴿ لا بُنِي رَكُ نَدُرُ ۞ أي: لا تبقي لهم لحماً إلا أكلته ، ولا تلرهم إذا أعيدوا خلقاً جديداً ﴿ لاَبَتَهُ إِنَى مَعَيِّرَة . يقال: لاُحْتَه الشمس، إي: غيَّرتُه . وأنشدوا:

" يسا الْسَنْسَةُ عُسَنِي لَاحُسَنِي السَّهِ وَاجِسَرُ (١٢)

وقرأ ابن مسعود، وابن السميفع، وابن أبي عبلة «لوَّاحةً» بالنصب. وفي «البَشَر» قولان: أحدهما: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجاج. والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة في آخرين.

من نار يكلّف أن يضعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت، وعطية العوفي ضعيف، والحديث الثاني رواه أحمد من حديث ابن لهيمة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، والطبري عن عمرو بن الحارث عن دراج به، بلقظ «الجُمّعود: جيل من نار، يهيعد فيه الكافر سيعين جريفاً، ثم يهوي به كذلك منه أيداً» ودراج عن شيخه أبي الهيثم ضعيفان. وقال ابن كثير بعدما ذكر حديث أحمد والطبري (وهو الرواية الثانية): وفيه غرابة وتكارة.

⁽أ) ` أَلْبَيْت لتَوْبَة بِنَ النِّحْمَيِّرُ، وَهُوَ فَي «مجاز القَرَآنَة ٧/٥٧٥٪ وَ«الأَعْانَيِّ» ١٠/ ٢٧٧، و«الطبريَّ» ٩٧/ ٢٥٦، والقرطبيء ١٩٩ ٧٤.

⁽٢) هَوْ فَيْ أَصْجَازُ القَرْآلُ: ٢/٥٧٤، وَفَالقَرْشُلِي لاَ ١٩/٢٥، وَفَالْأَلُوسِ، ٣٩/٢٥٠.

⁽٣) كُذَا الأصل: أبو الأشدين، وهو كذلك في بعض كتب التفسير؛ وفي النسخة الاستنبولية: أبو الأسذين، والذي في «القرطبي»، و«البحر»، و«روح المعاني»: أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحي. وكان شديد البأس، وذكروا أنه كان بيسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا» فلا ينزع إلا قِطَعاً، ويقى موضع قدميّة، وكان من أعداء النبي ﷺ.

﴿ بِهَندًا ﴾ الحديث والخبر ﴿ مَثَلًا ﴾ والمثل يكون بمعنى الحديث نفسه. معنى الكلام: يقولون: ما هذا من الحديث ﴿ كَذَلِك ﴾ أي: كما أضل من أنكر عَدَد الحَزَنَة، وهدى من صدَّق ﴿ يُحِلُ اللهُ مَن يَثَلَهُ وَهَدِى مَن يَثَلُهُ ﴾ وأنزل في قول أبي جهل: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿ وَمَا يَتَلَمُ جُوُّهُ رَبِّكَ إِلّا هُوَّ ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لمتعذيب أهل النار. وذلك أن لكل واحد من هؤلاء التسعة عشر من الأعوان ما لا يعلمه إلا الله. وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولاً محتملاً ، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير، لأن الآحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الآحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير، وأكثر القليل. ثم رجع إلى ذكر النار فقال تعالى: ﴿ وَمَا هِمَ إِلّا يَكُونَ ﴾ أي: ما النار في الدنيا إلا مذكّرة لنار الآخرة ﴿ كُلاّ ﴾ أي: حقاً ﴿ وَالْغَنْ يَنْ هُو الله على عدما هإذا أدبر ، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم هإذا أدبر ، وقرأ نافع، وحمزة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب إذه بسكون الذال من غير ألف بعدها هأدبر ، بسكون الذال، وبهمزة قبلها. وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل، وأدبر، معنى خلف، و قادبر، بمعنى ولَّى. يقال: دبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش، وثعلب. والثاني: أن قدبر، بمعنى خلف، و قادبر، بمعنى ولَّى. يقال: دبرني فلان: جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتية (١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَشَدَ﴾ أي: أضاء وتبيَّن ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سقر ﴿إَيْمَدَى آلكُبَرِ﴾ قال ابن قتيبة: الكُبَر، جمع كبرى، مثل الأُوّل، والأُولى، والصُّغَر والصُّغْرى. وهذا كما يقال: إنها لإحدى العظائم. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أوهى منها. وقال ابن السائب، ومقاتل: أراد بالكُبَر: دركات جهنم السبعة.

قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿ فَهِ قَالَ الرَّجَاجِ: نصب «نذيراً» على الحال. والمعنى: إنه لكبيرة في حال الإنذار. وذكّر «النذير»، لأن معناه معنى العذاب. ويجوز أن يكون «نذيراً» منصوباً متعلقاً بأول السورة، على معني: قم نذيراً للبشر.

قوله تعالى: ﴿ لِنَ ثَانَهُ مِنكُو ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿ للبشرِ ﴾ ﴿ أَن يَنَدَّمَ أَوْ بَنَكُو ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن يتقدَّم في طاعة الله أو يتأخّر عن معصيته، قاله ابن جريج. والثاني: أن يتقدَّم إلى النار، أو يتأخّر عن الجنة، قاله السدي والثالث: أن يتقدَّم في الخير، أو يتأخر إلى الشر، قاله يحيى بن سلام. والرابع: أن يتقدَّم في الإيمان، أو يتأخّر عنه. والمعنى: أن الإندار قد حصل لكل أحد ممن أقر أو كفر.

﴿ كُلُ نَتَيْنَ بِمَا كَنَبَتْ رَمِينَةً ۞ إِلَا أَضَبَ الْتِينِ ۞ فِي جَنْنِ يَشَامَلُونَ ۞ عَنِ الشَمْرِينَ ۞ مَا سَلَحَكُمْ فِي سَفَرَ ۞ فَالُوا لَرَ نَكُ يَتُ لَيْنِ الشَّكِينَ ۞ رَكُنَا غَنْمُ مَا لَلْقَهِمِينَ ۞ وَكُنَا كَلَيْتُ بِيْرِهِ اللِّينِ ۞ حَنَّ أَنْنَا الْتِينُ ۞ فَا تَعْمُهُمْ مَنَ لَلْقَهِمِينَ ۞ وَكُنَا يُونَ مِن اللَّذِي ۞ وَكُنَا اللَّيْنَ ۞ فَا تَعْمُهُمْ مَنُ لَلْقَهِمِينَ ۞ فَرَتْ مِن اللَّذِي ۞ فَلَ اللَّهِمُ مُعُرّ مُسْتَفِينَ ۞ فَرَتْ مِن مَسْرَوَهُ ۞ بَلَ يُرِيدُ كُلُ الرّمِيهِ يَنْهُمْ أَنْ يُؤَقَّ مَنْ مُسَدِّقً ۞ فَرَتْ مِن مَسْرَوهُ ۞ وَمَا يَذَكُونَ إِلَا أَن يَشَلُهُ اللَّهُ مُنَ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا لَهُ مُنْ اللَّهُ مُلَّالًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا لَهُ مُنْ اللَّهُ مَا لَهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا لَهُ اللَّهُ مَا لَهُ مَنْ مُنْ اللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُلَّالِهُ الللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قوله تعالى: ﴿ كُلُ نَبْسِ بِنَا كَسَتَ رَبِينَةً ﴿ فَهِ ثلاثة أقرال: أحدها: كل نفس بالغةِ مُرتَهنةٌ بعملها لتُحاسب عليه ﴿ إِلّا أَصَنَ الْبِينِ ﴿ فَهُ وَهُم أَطْفَال المسلمين، فإنه لا حساب عليهم، لأنه لا ذنوب لهم، قاله علي، واختاره الفراء. والثاني: كل نفس من أهل النار مرتَهنةٌ في النار، إلا أصحب اليمين، وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضحاك. والثالث: كل نفس مرتهنةٌ بعملها لتحاسب عليه إلا أصحاب اليمين، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿ يَشَاتَانُونَ ۞ عَنِ ٱلشَّمِرِينَ ﴾ قال مقاتل: إذا خرج أهل التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿مَا سَلَكُمُ فِي مَلَى ﴿ يَلُونُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللّ

⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

الباطل والتكذيب ﴿ وَكُنَّ ثُكِيْدُ بِيّرِ البّينِ ﴿ وَهَذَا إِنَمَا جَرَى بِعِد شَفَاعَة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل تعالى: ﴿ فَنَا نَنْتُهُمْ شَنْعَهُ الشّينِينَ ﴿ وَهَذَا إِنَمَا جَرَى بِعِد شَفَاعَة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل على نفع الشفاعة لمن آمن. ﴿ فَنَا لَمْتُمُ عَنِ التّذَكِرَةِ مُعْرِمِينَ ﴾ يعني: كفار قريش حين نفرو امن القرآن والتذكير بمواعظه. والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذْ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به، ثم شبّههم في نفورهم عنه بالحُمُر، فقال تعالى: ﴿ كُانَهُمْ حُمُرٌ شَتَنَفِرَةٌ ﴿ فَ فَ قَرا أَبُو جعفر، ونافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم بفتح الفاء. والباقون بكسرها. قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: من قرأ بفتح الفاء أراد: مذعورة، استنفرت فنفرت. ومن قرأ بكسر الفاء أراد: نافرة. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُمُرٌ مستنفرة. وناس من العرب يكسرون الفاء. والفتح أكثر في كلام العرب. وقراءتنا بالكسر. أنشدني الكسائي:

帝 帝 帝

⁽١) البيت في اللشانة: نفر، منسوباً لابن الأعرابي، وأوله «اربط حمارك» بدل «احبس» وهو في «الطبري» ١٦٨/٢٩ غير منسوب، و«القرطبي» ٩٧/١٩ أُنَّ وَاللَّهُ وَلِهَا "اَمْسُكُ حَمَارُكُ بَدُل الحَبِسُ». وهُوَّتِ» كَشَكَر: اسمَ موضع وجبل دون الشام في بلاد بني كلب.

⁽٢) (واه أحمد في «المسند»، و«الترمذي» ١٦٨/٢، و«الحاكم» ٢٠٨/٥، وابن ماجه، والدارمي، والطيراني في «الأوسط»، وابن عدي، وأبو يعلى، والبزار، كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القُطمي عن ثابت بن أنس، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال الترمذي: حديث حديث غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٠: ورواه الحكيم الترمذي في السابع والسبعين بعد المائة بلفظ: «قال: هو أهل أن يتقي، فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له، وله شاهد من رواية عبد الله قال: سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس ﷺ يقولون: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى . . . فذكره،

ســورة القيامــة وهي مكية كلَّها بإجماعهم

ينسبد ألم الكنب التعييد

قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَنْيُمُ بِالنَّسِ اللَّوَامَةِ اللَّهِ قَال الحسن؛ أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقال قتادة: حكمها حكم الأولى: . وفي «النفس اللّوامة» ثلاثة أقوال: أحلها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس، فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم. والثاتي: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفزاء: ليس من نفس بَرَّةٍ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قال: هلا زفت. وإن كانت عملت سوءاً، قال: ليتني لم أفعل (١٠).

قوله تعالى: ﴿ أَغَسُ ٱلْإِنْ أَنَّ غَنَعَ عِظَامَهُ ﴾ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وقال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أيجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي على لله له: هنعمه، فاستهزأ مِنْه، فنزلت هذه الآية (٢٠٠). قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه: لتُبَعَثُنَّ، لتُحَاسَبُنَّ، فدل قوله تعالى: ﴿ أَيْحَسُ ٱلْإِنْسُنُ أَنَّ بَنْهَ عَلَى الجواب، فحذف (١٠).

قوله تعالى: ﴿كِنَهُ وقوف حسن. ثم يُبتدأ ﴿نَا تَدِينَ ﴾ على معنى: بلى نجمعها قادرين. ويصلح نصب اقادرين، على التكرير: بلى فَلْيَحْسَبْنَا قادرين (٥) ﴿عَلَى أَنْ شُوِّى بَانَهُ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً

⁽١) قال ابن كثير: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، كما قاله قتادة رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير.

⁽٢) قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما قات.

⁽٣) قال البغوي: نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة خَتَن الأخنس بن شريق النتفي، وكان رسول الله تلقيق يقول: قاللهم اكفني جَارَي السوء، يعني عدياً والأخنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أنى رسول الله تلقق ققال: والمخنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أنى رسول الله تلقق ققال: لا محمد حدثني عن القيامة منى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخيره رسولُ الله تلقق ققال: لو هاينتُ ذلك اليوم لم أصدِّقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله المظام؟! فأنزل الله على: ﴿ الْبَسَنُ الْهَامِ؟! فالرام الله المظام؟! فانزل الله على المحيطة: وقيل: نزلت في أي جهل. فنحيده قبل ذكر العظام، وذكره كذلك بغير سند القرطي والخازن . والله أعلم. وفي «القرطي» وقالبحر المحيطة: وقيل: نزلت في أي جهل.

⁽٤) قال ابن كثير: والمقسم عليه هاهنا، هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعم الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد.

⁽٥) قال ابن كثير: والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿تَكِيرِتَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿تَخَمَّهُ أَي أَيظَنَ الإنسان أَنَا لا نجمع عظامه؟ ﴿بَالَ﴾ سنجمعها ﴿قَدِيرَنَ كَنَّهُ أَنْ تُنْوَى بَاشَهُ﴾، أي قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شنتا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية.

واحداً كخُفّ البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتية، والزجاج. وقد بينا معنى البنان في االأننال: ١١].

قوله تعالى: ﴿ يَمُنُ آيَانَ يَمُ الْيَنَدَ ﴿ ﴾ أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر ﴿ وَ الْسَرُ ﴿ فَ الْمَل المدينة، وأبان عن عاصم "بَرَق» بفتح الراء، والباقون بكسرها. قال الفراء: العرب تقول: بَرِق البصر يبرّق، وبَرّق يبرُق: إذا رأى هولاً يفزع منه، و «بَرِق» أكثر وأجود (٢٠)، قال الشاعر:

<u>فَنَ فُسَمَ كَ</u> فَانُمَ ولا تَّسَنِّ عَنِي وَالِ المُفَسِرُونَ وَالِ السَّكُ لُسُومَ وَلَا تَسَبِّرُقِ^(٣) بِالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي^(٤) بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يَطْرِفُ لما

بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي " بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم الفيامه، قلا يطرف لعا يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: برق البصر عند الموت.

قوله تعالى: ﴿رَخَسَكَ ٱلْفَرَرُ ﴿ ﴾ قال أبو عبيدة: كَسَفُ وخَسَفُ بِمعنى واحد، أي: ذهب ضوؤه، من ما الله الله ا

قُوله تعالى: ﴿ وَرَجُهُ النَّسُ وَالْفَتُرُ ﴿ ﴾ إنما قال فجمع التذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة، وقال الفراء: إنما لم يقل: جُمِعَتْ، لأن المعنى: جمع بينهما. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: جمع بين ذاتيهما. وقال ابن مسعود: جمعا كالمبعيرين القرينين. وقال ططاء بن يسار: يُجْمَعَان ثم يُقْذَفَان في البحر. وقيل: يُقْذَفَان في النار. وقيل: يجمعان، فيطلعان من المغرب. والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَثُولُ آلِانَتُنَ ﴾ يعني: المكذّب بيوم القيامة: ﴿ أَنَ ٱلْمَثُ ﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم، والمفاء، وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: يكسر الفاء. قال الزجاج: فمن فتح، فالمعنى: أين الفرار؟ ومن كسر، فالمعنى: أين مكان الفرار؟ تقول: جلست مجلساً بالفتح، يعني: جلوساً، فإذا قلت: مجلساً بالكسر، فأنت تريد المكان.

قوله تمالى: ﴿كُلَّ لاَ رَنَدُ ﴿ كُلُّ لاَ رَنَدُ ﴿ كَا اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهُ اللهِ ا

قوله تعالى: ﴿ إِن الْإِندُونُ عَلَى تَقْدِهِ بَسِرَةٌ ﴿ عَالَ الفراء: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي: رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجوارح، قال أبن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه. وقال أبو عبيدة:

⁽١) قال ابن كثير: وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوّف التوبة.

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء، ﴿ يَهُ ﴾ بمعنى: فَزع فشُق وفُتح من هول القيامة وفزع الموت، قال:
 وبذلك جاءت أشعار العرب.

⁽٣) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه ٢١٨»، وهو في «الطبري» ١٧٩/٢٩، و«القرطبي» ١٤/٩٤، و«اللسان»: برق. وتبرق. تهدّد. يقول طرفة لعنانة: إذا تاقت نفسُك إلى السخرية والاستهزاء، فابعد عني واستهزئ بنفسك واحتقرها، واحبس نفسك واخل لتداوي ما أصبتُك به من جروح، وإياك وتهديد الأبطال مرة أخرى فلست منهم، ولا تقوى عليهم. وقبله بيت، وهو:

أسعق النسبي حسن السوسة وقد السوسة وقد السوسة وقد السوسة وقد الترخيم. تسف: تأكل البيس: اليابس، العشرة: بات معروف. ومعنى الكلام: إن حانة قد حاول أن يميني ويشقر بي، فرحمة لك أيتها المعجة التي ترعى يابس العشب وأردأه.

⁽٤) في الأصل: الذي.

جاءت المهاء في «بصيرة» في صفة الذكر، كما جاءت في رجل «راوية»، و اطاغية»، و«علَّامه».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اَلْقَن مَعَاذِيرُو ﴿ ﴾ في المعاذير قولان: أحدهما: أنه جمع عذر، فالمعنى: لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذّب عذره، وهي: الجوارح، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستر. والمعاذير: الستور. فالمعنى: ولو أرخى ستوره، هذا قول الضحاك، والسدي، والزجاج. فيخرج في معنى «ألقى» قولان: أحدهما: قال، ومنه ﴿فَأَلْقَوْأُ إِلْبَهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ [النحل: ٢٦]، وهذا على القول الأول. والثاني: أرخى، وهذا على القول الثاني.

﴿ غُرِلَه بِيهِ لِسَائِكَ لِتَسْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ مَلِيَنَا جَمَــُم وَقُونَاتُم ۞ إِذَا قَرَائَتُهُ مَالِّغَ قُونَاتُم ۞ ثَمْ إِنَّ عَلَيْمَا بَيْنَاتُم ۞ ثَمْ بَلَ غُيثُونَ الْفَيْزَة ۞ وَنَبُوا بَيْنَا ۞ وَنَبُوا بَيْنَا ۞ وَنَبُوا بَيْنَا ۞ فَلَيْنَ ﴾ ﴿ اللَّهُ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ ﴿ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلَيْنَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلِينَا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلَى مَلِينًا مِنْ ۞ فَلَيْنَ فَلَيْنَ فَلَى مَلِينَ أَلِي فَلَيْنَ فَلَى مِنْ فَلَيْنَ أَلِينَا مِنْ ۞ فَلِمُ لِللَّهُ إِلَّهُ فَلَيْنَ أَلَى مُنْفِقَ فَلَيْنَا مِنْ وَلِينَا مِنْ أَلَانَا مُنْ فَلَيْنَ فَلَيْنَا مِنْ إِلَيْنَ هُونَا مِنْ فَلِينَا مِلْمَ أَلَى فَلِينَا مِنْ أَنْ فِي فَلِينَا مِنْ أَنْ فِي فَلِينَا مِنْ فَلِينَا مِنْ أَلَيْهُ فَلَيْنَا مِنْ فَلَيْنَا مِنْ فَلِيلِنَا هُولِينَا هُمْ أَلَيْنَا مِنْ فَلَيْنَا مِنْ أَلِي فَلِينَا مِنْ أَلِي فَلَيْنَا مِنْ أَلَيْنَا مِنْ أَلَانِهُ فَلَا أَلَيْنَا مِنْ أَلِي فَلِينَا مِنْ أَلِينَا مِنْ أَلِي مُنْ أَلِي فَلِينَا مِنْ أَلِي فَلْ مَلْمُ مِنْ أَلِي مُنْ أَلِي فَلَا مُؤْلِلُمُ مِنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِينَا مِنْ أَلِي مِنْ أَلِي مُنْ أَلِينَا مِنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِينَا مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُلِينَا مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلَيْ مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَلِي مُنْفِقُ مُنْ أَلَيْهُ مُنْ أَلِي مُنْ أَلْمُ مُنْ أَلْمُ مُنْ أَلِلَا مُنْ أَلَيْهُ مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِي مُنْ أَلِلْمُ مُنْ أَلِي مُنْ

قوله تعالى: ﴿كُلَّا ﴾ قال عطاء: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه، وقال ابن جرير: المعنى: ليس الأمر كما تقولون من أنكم لا تُبْعَثُون، ولكن دعاكم إلى قِيل ذلك مَحَبُّتُكم للعاجلة.

قوله تعالى: ﴿ يَ غُِبُونَ ٱلْمَالِمَةَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (بل يحبون العاجلة ويذرون) بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. المراد: كفار مكة، يحبونها ويعملون لها (ويذرون الآخرة) أي: يتركون العمل لها إيثاراً للدنيا عليها.

قوله تعالى: ﴿ وَبُورٌ يَوْيَهُو نَائِرُهُ ﴿ إِنَ مَا مَا مَالَّاتُهُمَ ﴿ إِنْ رَبِّهَا نَاظِرَةً ﴿ فَهُ رَوى عطاء عن ابن عباس قال: إلى الله نظرة. قال الحسن: حق لها أن تُنْضَر وهي تنظر إلى الخالق، وهذا مذهب عكرمة. ورؤية ألله الله عنى لا شك فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرتُ جملة منها في «المغني» و «الحدائق، (٢٠).

قوله تعالى: ﴿رَدُّ بُرُمُ إِنْ مُنْمِيْرٍ بَاسِرٌ ۗ ١٠ قال ابن قتيبة: أي: عابسة مقطّبة.

قوله تعالى: ﴿ عَلَنُ ﴾ قال الفراء: أي: تعلم، و الفاقرة الداهية. قال ابن قتيبَة: إنه مَن فَقارة الظهر، كأنها تكسره، يقال: فَقَرْتُ الرجل: إذا كسرتَ فَقارَه، كما يقال: رأشتُه: إذا ضربتَ رأسَه، وبَطَلْتُه: إذا ضَرَبْتَ بَطْتَه. قال ابن إلسائب: هي أن تُحْجَبَ عن ربها، فلا تنظر إليه.

﴿ كُلَّ إِنَا بَلَمَتِ النَّمَاقِ ۚ ۞ رَمَيْلَ مَنَّ دَاتِ ۞ رَمَلَ أَلَهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالنَّمَٰتِ السَّاقُ ۞ لَلاَ مَلَدَ لَكَ مَلَدَ لَكُ مِلْكُ مِلْكُونُ مِلْكُولُونُ وَلَيْكُولُونُ مِلْكُولُونُ مِلْلِلْكُونُ مِلْكُولُونُ مِلْلِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُولُونُ مِلْكُولُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُولُونُ مِلْكُونُ مِلْمُلْمُونُ مِلْكُونُ مِلْمُلْمُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْمُلْمُونُونُ مِلْكُونُ مِلْكُونُ مِلْمُلْمُونُ مِلْمُلْمُونُ مِلْكُونُ مِلْلِمُ مِلْمُلْمُونُ مِلْلِل

⁽١) رواء الإمام أحمد في «المسند» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس، و«البخاري» ٨/ ٣٢٥ ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وذكر، السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٨٩ وزاد نسبته للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنبادي في «المصاحف» والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» عن ابن عباس رأي.

⁽٣) وقد ثبتت رؤية المؤمنين ش كل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهما في الصحيحين، أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كللك» وفي «الصحيحين؛ عن جرير قال: نظر رسول الله على إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون ربكم كما ترون ربكم كللك» وفي «الصحيحين؛ عن جرير قال غل خويها قافعلوا».

آلَةِ بَكُ نُطْنَةً مِن مَنِيَ بُسْنَى ﴿ كُنَّ عُلَقَةً مُنْلَقَ مُسُوِّى ﴿ فَهُمُلَ مِنْهُ الزَّوَجَيْنِ الذَّكَرَ وَاللَّمَ ﴿ الْهَنَ مِنْهِ مِنْكَ مِنْكَ مِنْكَ اللَّوَى اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّ

قوله تعالى: ﴿إِذَا لِلْفَتِ﴾ يعني: النفس. وهذه كناية عن غير مذكور. و «التراقي» العظام المكتنفة لنُقْرَة النَّحر عن يمين وشمال. وواحدة التراقي: تَرْقوة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، ﴿فَيْلَ مَنْ كَوْ ﴿ فَيْكَ مَنْ كَوْ ﴿ فَيْكَ مَنْ كَوْ ﴿ فَيْلَ مَنْ كَوْ ﴿ فَيْلَ مَنْ كَوْ إِلَهُ فَيْكَ عَلَى الموت، وله الملائكة العذاب؟ رواه أبو المجوزاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية ومقاتل. والثاني: أنه قول أهله: هل مِنْ رَاقٍ يَرْقيه بالرُّقى؟ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عكرمَة، والضحاك، وأبو قلابة، وقتادة، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قيبة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ وَطَنَّهُ أَي: أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ للدنيا ﴿ وَالنَّتِ السَّانُ بِالنَّاتِ ۞ فيه خمسة أقوال: أحدها: أمر الدنيا بأمر الآخرة، رواه الوالبي عن ابن عباس: وبه قال مقاتل. والثاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: التفت ساقاه في الكفن، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي. والخامس: الشدة بالشدة، قاله قتادة. قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة (۱).

قوله تمالي: ﴿إِنْ رَبِّكَ يَرْبَهِذِ آلْسَانُ ﴿ إِلَى الله المنتهى. ﴿فَلَا صَلَّفَ فَلَا صَلَ ﴿ قَالَ أَبُو عبيدة: ﴿لا هاهنا في موضع قلم الله قلم المفسرون: هو أبو جهل (٢ ﴿ وَلَكِن كُلَّبَ وَقَوْلَ عن الإيمان: ﴿ أُمَّ ذَهَبَ إِلَى ٱلْفِيهِ يَبْتَكُن ﴾ أي: رجع إليهم يتبختر ويختال. قال الفراء: قيتمظّى الي أي: يتبختر، لأن الظهر هو المَطّا، فيلوي ظهره متبختراً. وقال ابن قتيبة: أصله يتمطط، فقلبت الطاء فيه ياءً، كما قبل: يتظنّى، وأصله: يتظنن، ومنه المشية المُطَيْطَاء. وأصل الطاء في هذا كله دال. إنما هو مد يده في المشي إذا تبختر. يقال: مُطَطتُ ومَدَدتُ بمعنى.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَ لَكَ فَأُولُ ﴿ قَلَ ابن قَتِية: هو تهديد ووعيد. وقال الزجاج: العرب تقول: أولى لفلان: إذا دعت عليه بالمكروه، ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوله تعالى: ﴿ أَيْضَبُ آلِانَنُ ﴾ يعني: أبا جهل ﴿ يُرْكَ سُنُك قال ابن قتيبة: أي: يهمل فلا يؤمر ولا ينهى ولا يعاقب، يعاقب، يقال: أسديت الشيء، أي: أهملته. ثم دل على البعث بقوله تعالى: ﴿ أَتُرَ بُكُ نُطْنَةٌ مِن مَوْوَ بُتِنَ ﴿ أَتُونَ بُتَى ﴿ أَتُونَ بُتَى الله مِن عاصم، ويعقوب ابن كثير، ونافع، وحمزة، الكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿ تُمْنَى ﴾ بالناء. وقرأ ابن عامر، وحفض عن عاصم، ويعقوب ﴿ يُمُنَى ﴾ بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقد شرحنا هذا في [النجم: ٢٤] ﴿ أَمْ كَانَ عَلَقَه ﴾ بعد النطفة ﴿ فَنَكَى فَيه الروح ، وسَوَّى خلقه ﴿ فَيَلَ بِنُهُ أَي: خَلَقَ من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً. ﴿ أَيْسَ ذَلِكَ الذي فعل هذا ﴿ بِقَدِيهِ ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري «يقدر» ﴿ عَلَى آلَن يُحْتَى الْمَوْتُ ﴾ ؟! وهذا تقرير لهم، أي: إن من قَدَر على الابتداء قدر على الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى (٢٠).

卷 卷

⁽١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك من شدة كرب الموت، بشدة هول المطلم.

⁽٢) والصحيح أنها عامة في أبي جهل وغيره.

⁽٣) ذكره ابن كثير في «التفسيرة من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً من حديث أبي إسحاق السبيمي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأبو إسحاق السبيمي ثقة عابد لكنه اختلط بأخرة. 'ورواه أبو داود والترمذي مطولاً عن أبي هريرة على مرفوعاً وفي سنده أعرابي لم يسم، وعنه أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٩، والترمذي ٢/ ٢٣٨ مختصراً وأعله بالأعرابي. ورواه الحاكم في «المستدركة ٢/ ٥١٠ وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنده يزيد بن عباض، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف». ورواه أبو داود رقم (٤٨٤) من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه من النبي عليه قال ابن كثير: تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

سبورة الدهبر

e, c

سورة هل أتى: ويقال لها: سورة الإنسان

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مدنية كلها، قاله الجمهور منهم، مجاهد وقتادة. والثاني: مكية، قاله ابن يسار، ومقاتل، وحكي عن ابن عباس. والثالث: أن فيها مكياً ومدنياً. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن المكي منها آية، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلاَ نُتُوا عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

ينسد ألمّو الركين التقديد

﴿ مَل أَنَّ عَلَ ٱلإِنسَنِ حِبْنُ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن ضَيْنًا مَلْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَنَ مِن ثُّطُفَةٍ أَسْسَاجٍ لَبَتَالِمِهِ فَجَمَلَتُهُ سَيِيمًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا مَدَيْنَهُ السَّبِيلَ إِنَّا ضَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَلَ أَنَ ﴾ قال الفراء: معناه: قد أتى. و «هل» تكون خبراً، وتكون جحداً، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟ فتقرّره بأنك قد فعلت ذلك. والجحد، أن تقول: وهل يقدر أحد حلى مثل هذا؟ وهذا قول المفسرين، وأهل اللغة. وفي هذا الإنسان قولان: أحدهما: أنه آدم ﷺ. والحين الذي أتى عليه: أربعون سنة، وكان مصوّراً من طين لم يُتُفَع فيه الروح، هذا قول الجمهور. والثاني: أنه جميع الناس، روي عن ابن عباس، وابن جريج، فعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس، ويكون الحين زمان كونه نطفة، وعلقة، ومضغة.

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُن شَيِّنَا مَّذَكُونَ ﴾ المعنى: أنه كان شيئًا، غير أنه لم يكن مذكوراً.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا ظَلَقَنَا ٱلْإِنسَانَ﴾ يعني: ولد آدم ﴿ مِن نُطْفَةٍ أَنشَاجِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أخلاط. يقال: مشجته، فهو مشيج، يريد: اختلاط ماء المرأة بماء الرجل.

قوله تعالى: ﴿ نَتَكِيبُ قال الفراء: هذا مقدَّم، ومعناه التأخير، لأن المعنى: خلقناه وجعلناه سميعاً بصيراً للبتليه. قال الزجاج: المعنى: جعلناه كذلك لنختبره. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَكَيْنَهُ ٱلتَّبِيلُ الْيَّ الله سبيل الهدى بنصب الأدلة، وبعث الرسول (١) ﴿ إِمَّا شَكِرُ ﴾ أي: خلقناه إما شاكراً ﴿ وَإِمَّا كَثُورً ﴾ قال الفراء: بيَّنَا له الطريق إن شكر، أو كفر (٢).

⁽۱) قال ابن كثير: وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّا هَدَيْتُهُ السِّيا﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصّرناه به، كقوله جل وعلا: ﴿ وَلَمَّا نَشُودُ فَهَاكَيْتُهُمْ فَاسْتَحَبُّوا السّرَى عَلَى المُنْتَعَلَى وطويق الشر، وهذا قول عكومة وعطية وابن زيد مجاهد في المشهور عنه والجمهور.

 ⁽٢) قال ابن كثير: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيده كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري الله قال: قال رسول الله على التاس يغدو فبائع نفسه فمعتفها أو مويقها».

۞ إِكَ هَوْلَاهَ يُجِنُونَ الْمَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاتَهُمْ يَوَمَا نَبِيلا ۞ غَنُ خَلَقَتَهُمْ وَشَدَدَنَا أَسَرَهُمْ وَإِذَا مِنْتَنَا بَدُلِنَا أَشَنَاهُمْ تَبِيلا ۞ إِنَّ هَدِيهِ تَذَكِرُةٌ فَمَن شَلَهُ الْخَنَدُ إِلَى رَبِيهِ سَهِيلا ۞ وَمَا تَشَاتُونَ إِلَّا أَن يَشَلَةُ إِنَّ أَللَهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ بُدْخِلُ مَن يَشَلَةُ فِ رَحْمَوِهُ وَالْطَلِهِينَ أَعَدَّ لَمُمْ عَذَا اللّهِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَغَنَدُنَا لِلْكَفِرِينَ سَلَسِلاً﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة اسلاسل، بغير تنوين، ووقفوا بألف. ووقف أبو عمرو بألف. قال مكي بن أبي طالب النحوي: اسلاسل، و اقوارير، أصله أن لا ينصرف، ومن صرفه من القراء، فإنها لغة لبعض العرب. وقيل: إنما صرفه لأنه وقع في المصحف بالألف، فصرفه لاتباع خط المصحف. قال مقاتل: السلاسل في أعناقهم، والأغلال في أيديهم. وقد شرحنا معنى السعير، في الساء: ١٠.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ واحدهم بَرَّ، وبَارِّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون. وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرَّ ﴿يَشْرَبُونَ بِن كَأْسِ﴾ أي: من إناء فيه شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يعني: مزاج الكأس ﴿كَانَوْلَ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافور، ثلاثة أقوال: أحدها: برده، قاله الحسن. والثاني: ريحه، قاله قتادة. والثالث: طعمه، قاله السدي. والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب. والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، أجازه الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿ عَنَا ﴾ قال الفراء؛ هي المفسرة للكافور، وقال الأخفش: هي منصوبة على معنى: أعين عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من عين ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشرب منها. والثاني: يشربها، والباء صلة. والثالث: يشرب بها عباد الله الخمر يمزجونها بها. وفي هذه العين قولان: أحدهما: أنها الكافور الذي سبق ذكره. والثاني: التسنيم، و ﴿ عِبَادَ اللهِ ﴾ هاهنا: أولياؤه ﴿ يُتَجِرُهُ إَنَ النَّهِ عَالَ مجاهد: يقودونها إلى حيث شاؤوا من المجنة. قال الفراء: حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجرها لنفسه.

قوله تعالى: ﴿ يُونُونَ بِالنَّدِ ﴾ قال الفراء: فيه إضمار «كانوا» يوفون بالنذر. وفيه قولان: أحدهما: يوفون بالنذر إذا نذروا في طاعة الله، قاله مجاهد، وعكرمة. والثاني: يوفون بما فرض الله عليهم (١)، قاله قتادة. ومعنى «النذر» في اللغة: الإيجاب. قالمعنى: يوفون بالواجب عليهم ﴿ وَيَعَانُونَ بَرُبًا كَانَ شُرُهُ مُسْتَطِيرً ﴾ قال ابن عباس: فاشياً. وقال ابن قتيبة: فاشياً متشراً. يقال: استطار الحريق: إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء. وأنشدوا للأعشى:

فَسَبَسانَسَتْ وَقَسَدُ أَسَساُرَتُ فَسَي السَفُسِوَا وَصَدْعا عَسَلَى نَبَايِسِها مُسْتَسَطِيسِ (٢٠٠٠)

وقال مقاتل ؛ كان شرَّه فاشياً في السموات، فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكوَّرت الشمس والقَمر في الأرض، ونُسِفَتُ أَلجبال، وغَارَت المياه، وتكسَّر كل شيء على وجه الأرض من جبل، ويناء، وفَشَا شَرُّ يوم القيامة فيهما.

قوله تعالى: ﴿ وَيُعْلِمُونَ الطَّمَامَ عَنَ حُيِدِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في علي بن أبي طالب. آجر نفسه ليسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح. فلما قبض الشعير طحن ثلثه، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكين، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم أتى يتيم، فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما استوى جاء أسير من المشركين، فأطعموه وطوّوًا يومهم ذلك، فنزلت هذه الآيات، رواه عطاء عن ابن عباس (٣).

⁽١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَثِوْنَ إِلْنَقِ ﴾ أي: يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النظر. قال الإمام مالك في «الموطأة ٤٧٦/٢، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القائم بن محمد بن المصديق عن عائشة ﴿ أَن رسول الله ﷺ قال: «من نظر أن يطبع الله فليطعه، ومن ثلو أن يعصي الله قلا يعصه ورواء البخاري في «صحيحه كتاب الأيمان والنفورة باب النفر في المطاعة من صحيحه ملك. ...

 ⁽۲) البيت للاعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» ٩٣ ورواية الشطر الأول فيه: وبانت وقد أوْرَثَتْ في الفؤاد... الخ وهو في «الطبري» ٢٩/
 ٢٠٠٠ و«المقرطي» ١٤٢/١٩ ، و«اين كثير» ٤٠٤/٤٥، و«الشوكاني» ٥/٣٣٧.

⁽٣) ذكره الواخدي في المُسَبَابُ النُزُولُ؛ ٣٣٩ ُ والبُغُوي مُنَّ رواية عطاء عن ابن هباسَ بغير سند. وأورده السيوطي في اللد، ٢٩٩/٦ من رواية ابنَ مردويه عن ابن هباس قالى: نزلت في عليَّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ . والله أعلم.

والثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل^(۱). وفي هاء الكناية في قوله تعالى ﴿عَلَى حُبِّمِ ﴾ قولان: أحدهما: ترجع إلى الطعام، فكأنهم كانوا يُؤيُرُون وهم محتاجون إليه، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والزجاج، والجمهور^(۲). والثاني: ترجع إلى الله تعالى، قاله الداراني^(۳). وقد سبق معنى «المسكين واليتيم» [البقرة: ۸۳]. وفي الأسير أربعة أقوالى: أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة، قاله عطاء، ومجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي. والرابع: العبد، ذكره الماوردي⁽¹⁾.

فصا

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمول على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفّار، ذكره القاضى أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُلْمِنُكُرُ لِرَبِّهِ اللَّهِ أَي: لطلب ثواب الله. قال مجاهد، وابن جبير: أما إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم لِيرْغَبَ في ذلك راغب.

قوله تعالى: ﴿لَا ثِيدُ مِنكُرُ جُرَّةَ﴾ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُولُ﴾ بالقول ﴿إِنَّا غَنَاتُ مِن تَبِنَا بَرَبًا﴾ أي: ما في يوم ﴿عَبُوسًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: تعبس فيه الوجوه، فجعله من صفة اليوم، كقوله تعالى: ﴿فِي يَرْمٍ عَاصِفِ البراميم: ١٥]، أراد: عاصف الربح، فأما «القمطرير» فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنه الطويل. وروى عنه العوفي أنه قال: هو الذي يقبّض فيه الرجل ما بين عينيه، فعلى هذا يكن اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قلنا في «العبوس» لأن اليوم لا يوصف بتقبيض ما بين العينين، وقال مجاهد، وقتادة: «القمطرير» الذي يقلّص الوجوه، ويقبض الحياة، وما بين الأعين من شدته، وقال الفراء: هو الشديد. يقال: يوم قمطرير، ويوم قماطر، وأنشدني بعضهم:

بَسْنِي عَسَمُّنَا هَسَلُ تَسَذُّكُسُرُونَ بَسَلَاءَنَا عسليكُسم إذا ما كمان يَسَوْمٌ قُسماطِسُرُ (٥) وقال أبو عبيدة: العبوس، والقمطرير، والقماطر، والعَصِيب، والعَصَبْصَب: أشد ما يكون من الأيام، وأطوله في البلاء.

قوله تعالى: ﴿ فَوَنَنَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَرِ ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿ وَلَنَّهُمْ نَنْبُرَا ﴾ أي: حُسْناً وبياضاً في الوجوه ﴿ وَسُرُولا ﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النَّضْرة في الوجوه، والسُّرُور في القلوب ﴿ وَبَرْبَهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ على طاعته، وعن معصيته

⁽۱) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند قال: نزلت في رجل من الأنصار، ولم يسمه، وقال الخازن: قيل: نزلت في رجل من الأنصار يقال له: أبو المحداح، وقال الفرطبي في «تفسيره» ١٢٨/١٩: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعل فعل خعل عامة، قال: وقد ذكر النقاش، والتعلبي، والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الشكاف» من الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليت بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَمُونَ إِنَاتُو الله عَلَى وَفَاطَمة وَ الله السمرة الله المعرف المعلى وفاطمة والله المعرف المعلى وفاطمة والله السمرة المعلى المعرف على المعرف المعلى وفاطمة والله السمرة المعلى المعرف عن ابن عباس في الحكيم الترمذي: هذا حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، من طريق أبي عبد الله السمرة عن محمد بن كثير عن الماصبة بن نباته، قال: مرض الحسن والحسين . . . إلخ. فذكره بشعره وزيادة ألفاظ ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه.

 ⁽٢) قال ابن كثير: والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهو تهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير،
 كقوله تعالى: ﴿زَمَانَ النَالَ عَلَيْ مُتِيهِ﴾ وكقوله تعالى: ﴿نَ نَنَالُواْ الْهِرَّ حَتَّ تُتُوتُواْ مِنَا شُيرًا ثُمِي ثم الله على وتحديد المعالى وتخشى الفقره أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال: ﴿زَيْكِوسُرَدُ الطَّمَامُ عَلَى حُبُدِ وشَكِينًا وَلِيبًا وَلِيبًا وَلَيبًا وَلَيبًا وَلَيبًا وَلَيبًا وَلَيبًا وَلَيبًا الله).

 ⁽٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي أبو سليمان الداراني، زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق) توفي فيها رحمه الله سنة
 (٥١٦هـ).

⁽٤) قال ابن كثير: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير، لعموم الآية للمسلم والمشرك، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة، وقد وصى رسول الد 整 بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه آخر ما أوصى أن جعل يقول: الصلاة الصلاة وما ملكت أيماتكم.

 ⁽٥) البيت في (اللسان): قمطر، ولم ينسبه، وهو في (الطبري، ٢٩/ ٢٩١، و «القرطبي» ١٩٣/١٩، و «ابن كثير» ٤/ ٥٥٥، و «الشوكاني» ٥/ ٣٣٨.

﴿ جَنَّةُ وَمَرِيرٍ ﴾ وهو لباس أهل الجنة ﴿ مُتَّكِينَ فِيهَا ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المحال، أي: جزاهم جنة في حال اتكائهم فيها. وقد شرحنا هذا في االكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْوَنَ فِيهَا شَنَسَا﴾ فيُوذيهم حَرُّها ﴿ رَلَا زَمَهُ بِرَا﴾ وهو البرد الشديد. والمعنى: لا يجدون فيها الحَرَّ والبرد. حكى عن تعلب أنه قال: الزمهرير: القمر، وأنشد:

قَطَعْتُهَا وَالزَمْهَ ريرُ مَا زَهَ (١)

وَلَـيْـلَـةِ ظَـلَامُـهَـا قِـداغـقَـكَـرْ

أي: لم يطلع القمر.

قوله تعالى: ﴿ نَدُّرُهَا تَشَيِرُ ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر «قُدُّروها» برفع القاف، وكسر الدال، وتشديدها. وقرأ جميد، وعمرو بن دينار قَدَرُوها» بفتح القاف، والدال، وتخفيفها. ثم في معنى الآية قولان: أحدهما: قَدَّرُوها في أنفسهم، فجاءت على ما قَدَّرُوا، قاله الحسن، وقال الزجاج: جعل الإناء على قَدْر ما يحتاجون إليه ويريدونه على تقديرهم، والثاني: قَدَّروها على مقدار لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد، وقال غيره: قَدَّر الكأس على قَدْر رِيَّهم، لا يزيد عن رِيِّهم فيُثْقِلُ الكفَّ، ولا ينقص منه فيطلب الزيادة، وهذا ألدُّ الشراب، فعلى هذا القول يكون الضمير في قدَّروا» للسقاة والخدم، وعلى الأول للشاريين،

قوله تعالى: ﴿ وَيُسْتَوْنَ يَهَا﴾ يعني في الجنة ﴿ كَأْمًا كَانَ مِنَاجُهَا زَغِيلًا﴾ والعرب تضرب المثل بالزنجبيل والخمر ممزوجَين. قال المسيَّب بن عَلَس يصف فم امرأة:

> فَكَانًا طَعْمَ الرَّنْ جَرِيل بِدِ وقال آخر:

> كَانَّ اللَّهَ رَنْهُ لَ والرَّنْجَ بِير

إِذْ ذُقْتَهُ وَسُهَلَافَهُ السَحَهُ السَحَهُ إِنَّ

ل بانا بِفِيها وأزيّاً مُسْساراً (٣)

⁽١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٩٣١/١٥، و«الألوسي» ٢٩/ ١٥٨.

 ⁽۲) هو في آخر (ديوان الأعشى؛ ابن أخت المسيب بن علس، وراويته ٣٥٧ من قصيدة مطلعها:
 أصسرمست حسبسل السوصسل مسن فستسر

 ⁽٣) رواية البيت في العيوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ٩٣:
 كان جَسنِيسًا مسن السرَّنْسَجَسيسِيسِ

وهسجس تسبها ولسجسجست فسي السهسجس

ل خَالَد ظَ فَاهَا وَأَرْيا مَدُدوراً

الأربي: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل. قال مجاهد: والزنجبيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الزنجبيل معرَّب. وقال الدِّيْنَرِي: يَنْبُتُ في أرياف عُمَان، وهي عروق تسري في الأرض، وليس بشجرة تؤكل رُطباً، وأجود ما يحمل من بلاد الصين. قال الزجاج: وجائز أن يكون فيها طعم الزنجبيل، والكلام فيه كالكلام السابق في الكافور. وقيل: شراب الجنة على بردِ الكافور، وطعم الزنجبيل، وربح المسك.

قوله تعالى: ﴿ يَنَا فِيهَ قال الزجاج: يسقون عيناً. وسلسبيل: اسم العين، إلا أنه صرف لأنه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. فكأن العين وصفت وسميت بصفتها. وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿ شُتَنَ سَلَيِكُ قيل: هو اسم أعجمي نَكِرَة، فلذلك انصرف. وقيل: هو اسم معرفة، إلا أنه أُجْرِي، لأنه رأس آية، وعن مجاهد قال: حديدة الجرية. وقيل: ملسبيل: سلسل ماؤها، مستقيد لهم، وقال ابن الأنباري السلسبيل صفة للماء، لِسَلَيهِ وسهولة مدخله في الحلق. يقال: شراب سَلْسَل، وسَلْسال، وسَلْسَيل. وحكى الماوردي: أن علياً قال: المعنى: سَلُ سَبِيلاً (١) إليها، ولا يصح (١).

قوله تعالى: ﴿ رَسُلُونُ عَلَيْمٌ لِلدَنَّ تُمُلَدُونَ﴾ قد سبق بيانه اللوانمة: ١٧] ﴿ إِنَا رَأَيْكُمْ حَبِنَهُمْ أَوْلُوا شَوْرَا﴾ أي: في بَيَاضِ اللولو وحُسْنِهُ، واللولوُ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظراً. وإنما شُبَّهوا باللولو المنثور، لانتشارهم في الخدمة. ولو كانوا صَفاً لشَبَهُوه بالمنظم. ﴿ وَإِنَا رَأَيْنَ ثَمَّ ﴾ يعني: المجنة ﴿ رَأَيْنَ نَبِيّ ﴾ لا يوصف، ﴿ وَمُلْكًا كِيرًا ﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلا قدّروا عليه، ولا يدخل عليهم ملك إلا باستئذان.

قوله تعالى: ﴿ عَلِيْمُ وَا أَهُلُ المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم بإسكان الياء، وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلا أن الجعفي عن أبي بكر قرأ (عَالِيَتُهُم، بزيادة تاء مضمومة. وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقتادة وعَلَيْهِم، بفتح اللام، وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف. قال الزجاج: فأما تفسير إحراب (عالِيْهم، بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون الخبر ﴿ يُكُ سُنُسٍ ﴾ وأما (عَالِيَهم، بفتح الياء، فنصبه على الحال من شيئين، أحدهما من الهاء والمعنى: يطوف على الأبرار وللدان مُخلِّدُون عالياً للأبرار ثياب سندس، لأنه وصف أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالاً من الوِلْدان. المعنى: إذا وأيتَهم حَسِبْتَهم لؤلؤاً منثوراً في حال عُلوً الثياب. وأما (عَالِيتُهُم، فقد قرئت بالرفع ومالنصب، وهما وجهان جَيِّدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير (عاليهم).

قوله تعالى: ﴿يَٰإِنُ سُنُسِ خُفَرٌ ﴾ قرأ ابن عمر، وأبو عمرو اخضر، وفعا اوإستَبْرق، خفضاً. وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم المحضير، خفضاً اوإستبرق، ونعاً. وقرأ نافغ، وحفص عن عاصم الحُضْر وإستبرق، كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي اخضر وإستبرق، كلاهما بالخفض. قال الزجاج: من قرأ الحُضْرٌ، بالرفع، فهو نعت الثياب، ولفظ الثياب لفظ الجمع، ومن قرأ الحُضْرِ، فهو من نعت السندس، والسندسُ في المعنى راجع إلى الثياب. ومن قرأ الماستبرق، فهو نسق على الثياب، وعمن عليهم إستبرق. ومن خفض، عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين. وقد بَيّنًا في [الكهف: ٢١] معنى السندس، والإستبرق، والأساور.

قوله تعالى: ﴿ رَمَتَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَكَرًا لَمُهُورًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يُخدِثون ولا يَبُولُون عن شُرُب خَمْر الجَنَّة، قاله عطية. والثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء. وقال أبو قلابة: يُؤتَوْنَ بعد الطّعام بالشَّرابِ الطّهورِ فيشربون فَتَضْمُر بذلك بُطونُهم، ويفيض من جلودهم عَرقٌ مثل ربح المسك.

⁽١) على أنه أمر للنبي ﷺ ولأمته بسؤال السبيل إليها.

 ⁽٢) قال الآلوسي: وهو غير مستقيم بظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: •سل سبيلاً • جعلت اسماً للعين؛ كما قيل: تأبط شراً، وسميت بذلك لأنه
 لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل الأمير في أبدع، ونص بعضهم على أنه افتراء عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما وصف من نعيم الجنة ﴿كَانَ لَكُرْ جَرَّاتَهُ بأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْبُكُر﴾ أي: عملكم في الدنيا بطاعته ﴿مَشَكُوا﴾ قال عطاء: يريد: شكرتُكم عليه، وأَنْبُثُكم أفضل الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلَنَا عَلَيْكَ ٱلفَّرَءَانَ تَنزيلًا ﴿﴾، أي: فضَّلناه في الإنزال، فلم نُنْزِلُه جُمْلَةً واحدةً ﴿ نَاتَبِرَ لِللَّمِ رَبِّكَ﴾ وقد سبق بيانه في مواضع الطور: ٤٨، والقلم: ١٤٨. والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، ﴿وَلَا تُطِعْ مِتْهُمْ﴾ أي: من مشركي أهل مكة: ﴿مَانِنَا أَذ كَفُوكَا﴾ ﴿ أَوْ بَمَعْنَى الْوَاوَ ، كَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿ أَوْ ٱلْخَوَائِكَا ﴾ [الأنمام: ١٤٦]. وقد سبق هذا. وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما صفتان لأبي جهل. والثاني: أن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والثالث: الآثم: الوليد. والكَفُور: عتبة، وذلك أنهما قالا له: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج. ﴿ وَأَذْكُرُ اَتُّمَ رَبُّكَ﴾ أي: اذكره بالتوحيد في الصلاة ﴿ بُكُرَّهُ ﴾ يعني: الفجر ﴿ وَأَصِيلًا ﴾ يعني: العصر. وبعضهم يقول: صلاة الظهر والعصر ﴿وَبِنَ الَّذِلِ فَاشْبُدَ لَتُمُ يعني: المغرب والعشاء. ﴿وَسَيَجْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي: صلاة الليل، كانت فريضة عليه، وهي لأمَّتِهِ تَطَوّع ﴿إِنَّ مَتُؤُلّآيَ﴾ يعني: كفَّار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْمَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿رَيْدَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿ وَمَّا نَيْلاً ﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمان به، والعمل له. ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿ غُنُنُ عَلَقْتُهُمْ وَشَدَدُنَّا أَشَرَهُمْ ۚ أَي: خَلْقهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة؛ يقاله: امرأة حَسَنَةُ الأسر، أي: حَسَنَةُ الخَلْق، كأنها أُسِرتْ، أي: شُذَّتْ. وأصل هذا من الإسار، وهو: القِدُّ. [الذي تشد به الأقتاب] يقال: ما أحسن ما أَسَر قَتَبُهُ، أي: ما أحسن ما شَدُّه [بالقِدِّ]. وروي عن أبي هريرة قال: مفاصلهم. وعن الحسن قال: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، ﴿ وَإِذَا شِنْنَا بَدُّكُمَّ أَتَنَاهُم ﴾ أي: إن شئنا أهلكناهُم وأتينا بأشباههم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿ إِنَّ هَنذِهِ تَذْكِرَا ۖ ﴾ قد شرحنا الآية في [العزمل: ١٩].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ ﴾ إيجاد السبيل ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ذلكِ لكم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، الوما يشاؤون الياء.

قوله تعالى: ﴿ يُرْخِلُ مَن يَشَآهُ فِي رَحْيَتِهِ ﴾ قال المفسرون: الرحمة هاهنا: الجنة، ﴿ وَالطَّالِمِينَ ﴾ المشركون. قال أبو عبيدة: نصب الظّالمين، بالجوار. المعنى: ولا يُدخل الظّالمين، في رحمته. وقال الزجاج: إنما نصب الظّالمين، لِأنَّ (١) قبله منصوباً. المعنى: يُدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظّالمين، ويكون قوله تعالى: ﴿ أَمَدَ لَمُهُ تَفْسِيراً لَهِذَا المضمر، وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبى عبلة: ﴿ والظّالمون» رفعاً.

⁽١) في الأصل: لأنه، والتصحيح من انفسير الرازي،

سورة المرسلات مكية كلها في قول الجمهور

وحكي عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل أن فيها آية ملنية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فِلَ لَمُدُّ ارْكُمُوا لَا يَزَكُونَ﴾ [المرسلات: ٨٤].

ينسب الله الكنب التبسير

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْمَلَتِ عُرُهُ ﴿ فَهِ أَربعة أقوال: أحدها: أنها الرياح يَتْبُعُ بعضُها بعضاً، رواه أبو العُبَيْدَينِ (١) عن ابن مسعود، والعوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، رواه مسروق عن ابن مسعود، وبه قال أبو هريرة، ومقاتل. وقال الفراء: هي الملائكة. فأما قوله تعالى: فعُرفاً واحداً: إذا فيقال: أرسِلتْ بالمعروف، ويقال: تَتَابَعَتْ كعُرفِ الفَرَسِ. والعرب تقول: يركب الناس إلى فلان عُرفاً واحداً: إذا توجهوا إليه فأكثروا. قال ابن قتيبة: يريد أن الملائكة متتابعة بما ترسَل به وأصله من عُرف الفَرَسِ، لأنه سطر مستو بعضه في إثر بعض، فاستعير للقوم يتبع بعضهم بعضاً. والثالث: أنهم الرسل بما يعرفون به من المعجزات، وهذا معنى تول أبي صالح، ذكره الزجاج. والرابع: الملائكة والربح، قاله أبو عبيدة. قال: ومعنى «عُرفاً»: يتبع بعضها بعضاً. يقال: جاؤوني عُرفاً (٢٠). وفي ﴿ فَالنَصِ مَن الله الزجاج: تعصف بروح الكافر. وفي «الناشرات» خمسة أقوال: أحدها: أنها الرياح الملائكة، قاله مسلم بن صبيح. قال الزجاج: تعصف بروح الكافر. وفي «الناشرات» خمسة أقوال: أحدها: أنها الرياح تنشر السحاب، قاله أبو صالح. والثالث: الصحف تنشر السحاب، قاله ابن مسعود، والجمهور. والثاني: الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح. والثالث: الصحف تنشر السحاب، قاله ابن مسعود، والجمهور. والثائي: الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح. والثالث: الصحف تنشر

⁽١) أبو العُبَيدين، بالتصغير والتثنية: هو معاوية بن سَبْرة بفتح السين وسكون الباء: السُّوائي بضم السين والمدّ، العامري الكوفي الأعمى. روى عن ابن مسعود. وهو ثقة، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب».

⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات مُرفاً، وقد ترسل عرفاً الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدل على أن المعنيّ بذلك أحد الحزيين دون الآخر، وقد عم جل ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكل من كانت صفته كذلك الرياح، فلا غلل عنداخل في قسمه ذلك، ملكاً أو ريحاً أو رسولاً من بني آدم مرسلاً. وقال ابن كثير: الأظهر أن المرسلات: هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وَرُوْتُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى ا

على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك. والرابع: البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع. والخامس: المطر ينشر النبات، حكاه الماويدي. وفي الفارقات أربعة أقوال: أحدها: الملائكة تأتي بما يفرِّق بين الحق والباطل، قاله الأكثرون. والثاني: آيُ القرآن فَرَّقَتْ بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان. والثالث: الربح تفرق بين السحاب فتبدُّدُه، قاله مجاهد. والرابع: الرسل، حكاه الزجاج. ﴿ فَالْكُلْتِبَتِ ذِكْرًا إِنْ ﴾ قولان: أحدهما: الملائكة تلقي ما حلمت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، والجمهور. والثاني: الرسل يلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب (١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَيْنَتَ ﴿ قَرَا أَبُو عمرو ﴿ وُقِّتَتْ بُواو مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفر، إلا أنه خَفَّف القاف. وقرأ الباقون: ﴿ أُقِّتَت المَاف مكان الواو مع تشديد القاف. قال الزجاج: وُقِّتَتُ وأُقِّتُ بمعنى واحد. فمن قرأ ﴿ أَتَّت اللهمز، فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضما الواو. وكل واو انضمت، وكانت ضمتها لازمة، جاز أن تبدل منها همزة. وقال الفراء: الواو إذا كانت أول حرف، وضُمَّتْ، همزت. تقول: صلى القوم أحداناً. وهذه أجوه حسان. ومعنى ﴿ أُقِّتَ الله على القام الزجاج: جعل لها ومعنى ﴿ أُقِّتَ الله المن المن الله المن الله المن المن وقت واحد لفصل القيامة. وقال الزجاج: جعل لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة.

قوله تعالى: ﴿ لِنَّمْ لِيَّرِ أَيْلَتَ ﴿ فَيْ أَيْلَتَ ﴾ أي: أُخِرَتْ. وضَرْبُ الأجل لجمعهم، يعجِّب العباد من هول ذلك اليوم. ثم بيّنه فقال تعالى: ﴿ لِيَّرِ النَسَلِ ﴾ وهو يوم يفصل الله تعالى غيه بين الخلائق. ثم عَظَم ذلك اليوم بقوله: ﴿ وَمَا أَدَرَكَ مَا يَوْمُ الْفَسَلِ ﴾ وَيُّ الْفَسَلِ ﴾ ويَّ يُولِدُ يَسْتُكُ بِينَ الخلائق. ثم عَظم ذلك اليوم بقوله: ﴿ وَمَا أَدُرِكَ مَا يَوْمُ الْفَسِلِ ﴾ وين المناب في الدنيا حين كذّبوا رسلهم ﴿ ثُمَّ نُتْمِتُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ والقراء على رفع العين في النبعهم، وقد قرأ قوم منهم أبو حيوة بإسكان العين. قال الفراء: إنتبعهم موفوعة. ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود اوسنتبعهم الآخرين، ولو جزمت على معنى: ألم نقدر على إهلاك الأولين وإتباعهم الآخرين كان وجها جيداً. وقال الزجاج: الجزم عطف على المُهلك، ويكون المعنى: لمن أهلك أولاً وآخراً. والرفع على معنى: ثم نتبعهم الآخرين: يعني: كفار مكة حين كذّبوا بالنبي على. وقال ابن جرير: الأولون: قوم نوح، مجرم وقال مقاتل: ثم نتبعهم الآخرين: يعني: كفار مكة حين كذّبوا بالنبي على. وقال ابن جرير: الأولون: قوم نوح، وعاد، وثمود، والآخرون: قوم إبراهيم، ولوط، ومَذْيَن.

قوله تعالى: ﴿ كَذَالِكَ﴾ أي: مثل ذلك ﴿ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ يعني: المكذّبين. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿ وَبُلُّ بِهَمْدٍ لِلسَّكَذِينَ ﴿ وَهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّمُ عَلَّهُ عَ

قوله تعالى: ﴿ أَلَّوْ غَنْتُكُم ﴾ قرأ قالون عن نافع بإظهار القاف. وقرأ الباقون بإدغامها.

قوله تعالى: ﴿ مِن نَاو مَّهِينِ ﴾ أي: ضعيف ﴿ نَجَمَلْتُهُ فِ قَرَادٍ مُّكِينِ ۞ يعني: الرحم ﴿ إِنَّ تَعْلُومِ ۞ ﴾ وهو مدة

 ⁽١) قال ابن كثير: وقوله تمالى: ﴿ قَالَمْزِقَتِ نَهَا ﴾ قَالْمُلْتِينَ ذِكْرًا ﴾ مُذْرًا أَنْ نُذْكَ يعني الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري، ولا خلاف هاهنا، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والمعرام، وتقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

الحمل ﴿ فَنَدَرَا ﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي "فَقَدَّرْنَا ﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. قال الفراء: تقول العرب: قَدَر عليه، وقَدَّر عليه، وقد احتج من قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشددة لقال: فنعم المقدِّرون، فأجاب الفراء فقال: قد تجمع العرب بين اللغتين م كقوله تمالى: ﴿ فَهِل الكَمْرِينَ النَّهِلُمُ مُرْبِاً ﴿ فَهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وَأَنْكُ رَبُّنْ فِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوادِثِ إِلا الشَّبْبَ والطَّلَعَا(١)

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس. والثاني: أن المخفّقة من القُدْرة والملك، والمشدَّدة من التقدير والقضاء. ثم بين لهم صنعه ليعتبروا فيوخدوه، فقال تعالى: ﴿ أَنْ جَبُلِ الْأَرْضَ كِنَانًا ﴿ قَالِ اللغويون: الكفت في اللغة: الضم. والمعنى: أنها تضم أهلها أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. قال ابن قتيبة: يقال: اكفت هذا إليك، أي: ضمه. وكانوا يسمون بقيع الغرقد: كفتة، لأنه مقبرة يضم الموتى، وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْانًا وَأَنْوَاتًا ﴿ فَهُ وَلان: أحلهما: أن المعنى: تكفتهم أحياء وأمواتاً، قاله الجمهور، قال الفراء: وانتصب الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليهم، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات، فإذا نَوَّنْتَ نصبتَ كما يقرأ ﴿ أَنْ إِلمَندُ فِي يَرِّم فِي مَستَبَرَ ﴾ [البلد: ١٤]. وقال الأخفش: انتصب على النحال. والقول الثاني: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء بالمنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب واليس، هذا قول مجاهد، وأبي عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلنَا فِهَا رَوْسَى﴾ قد سبق بيانه ﴿مَثِيخُت ﴾ أي: عاليات، ﴿وَأَتَيْنَكُرُ ﴾ قد سبق معنى السعن. ثم ذكر ما [العجر: ٢٧، والمهن: ٢١] ومعنى الفوات الفرات الفرات الفرات الفرات وهو النار ﴿الْمَلِنُولَ إِنَّ ظِلَى ﴾ قرأ المجمهور هذه الثانية يقال لهم في الآخرة: ﴿الطَّيْقُ إِنَى مَا كُتُم بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿الْمَلِنُولَ إِنَّ ظِلَى ﴾ قرأ المجمهور هذه الثانية بكسر اللام على الأمر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، ورويس عن يعقوب بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابن قتية: ﴿والظل هاهنا: ظل من دخان نار جهنم سطع، ثم افترق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدُّخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه، أو محيث شاء من الظل، ثم يُؤمّرُ بكل فريق إلى مستقره من المجنة والنار. ﴿لَهُ طَلِلِ ﴾ أي: لا يظلكم من حرِّ هذا اليوم بل يلأنيكم من من الطل، فتحيط به. وقال الضحاك، الشعب الثلاث: هي الفَّريع، والرَّقوم، والغِسُلين. فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوله تعالى: ﴿وَلا يُنْنِ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: لا ينفع عنكم لَهَبَ جهنم. ثم وصف النار فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْى بِشَكَرِ ﴾، وهو جمع شررة، وهو ما يتطاير من النار متفرقاً ﴿كَالْقَدْ ﴾ قرأ الجمهور بإسكان الصاد على أنه واحد القصور المبنيّة. وهذا المعنى في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول الجمهور، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، وأبو الجوزاء (كالقصر) بفتح الصاد. وفي أفراد البخاري(٢) من حديث ابن عباس قال: كنا نرفح الخشب [بقصر] ثلاثة أذرع أو أقل [فنرفعه] للشتاء، فنسميه: القصر، قال بن قتيبة; من فتح الصاد أواد؛ أصول النخل المقطوعة المقلوعة. قال الزجاج: أراد أعناق الإبل. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومحكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر (كالقصر) بفتح القاف، وكسر الصاد. وقرأ أبن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي (كالقصر) برفع القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبير (كالقِصَر) بكسر القاف، وفتح الصاد، وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نُهيك، ومعاذ القارئ (كالقُصَر) بضم القاف وإسكان الصاد،

قوله تعالى: ﴿ كَانَتُهُ جَنَكَتُ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم الجِمالَات، بالف،

⁽۱) البيت للأعشى الكبير ۱۰۱ من قصيلة يمدح بها مَوْفَق بن علي المحتفي ملك اليمامة، وأنشده الفراء في امعاني القرآن، ۲۰۶، والطيري، ۲۹/۲۳۱، والقرطبي، ۱۰۸/۱۹.

⁽٢) ٨/ ٨٢٥ تفسير سورة المرسلات.

وكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «جَمَالَةٌ» على التوحيد. وقرأ رويس عن يعقوب «جُمَالَات» بضم الجيم، وقرأ أبو رزين، وحميد، وأبو حيوة «جُمَالة» برفع الجيم على التوحيد. قال الزجاج: من قرأ «جِمالات، بالكسر، فهو جمع جِمَال، كما تقول: بُيوت، وبُيوتَات، وهو جمع الجمع، فالمعنى: كأن الشرارات كالجمالات. ومن قرأ «جُمالات» بالضم، فهو جمع «جمالة» ومن قرأ «جِمالة» فهو جمع جَمَل وجِمالة، كما قبل: حَجر، وحِجَارة. وذكر، وذِكَارة. وقرئت «جُمالة» على ما فسرناه في جُمالات بالضم، و «الصُّفُر» هاهنا: السود. يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صُفْرٌ. وقال الفراء: الصُّفُر: سود الإبل لا يُرى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةٌ، فلذلك سَمَّتُ العرب سود الإبل: صُفْرة، كما سَمَّوا الظباء: أدماً لما يعلوها من الظلمة في بياضها.

قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَرُمُ لَا يَطِئُونَ ﴿ قَالَ المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة. قال عكرمة: تكلَّموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلَّمت أيديهم، وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون بحجة تَنْفَعُهم. وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش، وابن أبي عبلة «هذا يومَ لا ينطقون» بنصب الميم.

قُولُه تَعالَى: ﴿ مَنَا يَرَمُ النَسَلِ ﴾ أَي: بين أهل الجنة وأهل النّار ﴿ بَمَنْكُرُ ﴾ يعني: مكذّبي هذه الأمة، ﴿ وَالْأَوْلِينَ ﴾ من المكذّبين الذين كذّبوا أنبياءهم، ﴿ فَإِن كَانَ لَكُرُ كَيْدٌ فَكِدُونِ ﴾ أثبت فيها الياء في الحالين يعقوب، أي: إِن قَدَرْتُم على حيلة، فاحتالوا الأنفسكم. ثم ذكر ما للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ النُيْتِينَ فِي ظِلَالٍ ﴾ يعني: ظلال الشجر، وظلال أكنان القصور، ﴿ وَعُبُونِ ﴾ الماء، وهذا قد تقدَّم بيانه، إلى قوله تعالى: ﴿ كُولُ ﴾ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله. ثم قال لكفار مكة: ﴿ كُلُوا وَتَمْتَمُوا فَيِلًا ﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿ إِلَّكُم مُجْرِثُونَ ﴾ أي: مشركون بالله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يِلَ لَمُرُ ارْكَمُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه حين يُدْعُون إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم: اركعوا، أي صلوا ﴿لَا يَرْكَمُونَ﴾ أي: لا يصلُّون. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأصح. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نحني، فإنها مَسَبَّة علينا، فقال: ﴿لا حَيْر في دين ليس فيه ركوع، (١).

قوله تعالى: ﴿ يَائِي مَدِيمٍ بَهَدَهُ يُؤْمِثُونَ ﴾ أي: إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن، فبأيُّ كتاب بعده يصدِّقون، ولا كتاب بعده.

man the state of t

and the company of the state of the company of the

the state of the s

⁽١) قال الحافظ ابن حجر في التخريج الكشاف، ١٨١: هكذا ذكره الثعلبي، قال: وأخرجه أبو داود ٣/ ٢٢٢، وأحمد ٢١٨/٤، وابن أبي شيبة، والطبراني، من رواية الحسن عن عثمان بن أبي العاص به، وأتم منه. قلت: وفيه عنعة الحسن.

سورة النبأ

ويقال لها: سورة التساؤل وهي مكية كلُّها بإجماعهم

ينسد ألَّو النَّفِ النَّجَدِ

﴿ مَنْ بَسَنَهُ وَ فَ مَنِ النّبِ النّفِيهِ ﴿ النّبِي هُو نِيهِ مُعَيْدُونَ ﴾ لَا سَبَعَدُونَ ﴾ وَ كَلْ سَبَعَلُونَ ﴾ وَاللّهُ سَبَعَهُ وَاللّهُ هُونِهِ ﴾ وَسَبَعَنَا وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَسَبَعَا اللّهِ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ هُونِهُ ﴾ ويَعْتَلُمُ اللّهُ وَاللّهُ هُونِهِ ﴾ ويَعْتَلُمُ اللّهُ وَاللّهُ هُونِهِ ﴾ ويَعْتَلُمُ اللّهُ هُونَا فِي وَاللّهُ اللّهُ هُونِهِ فَي اللّهُ فَي وَلِمُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللهُ الللللّهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ اللل

قوله تعالى: ﴿ مَمَّ يَسَاءَلُونَ ﴿ كُ أَصِله (عَنْ ما) فأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف (ما) كقولهم: فيم، ويم، قال المفسّرون: لما يُعِبُ رسولُ الله ﷺ جَعَلَ المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بعث به، فنزلت هذه الآية (١٠). واللفظ لفظ استفهام، والمعنى: تفخيم القصة، كما يقولون: أيَّ شيء زيد؟ إذا أردت تعظيم شأنه. ثم بيَّن ما الذي يتساءلون عنه، فقال تعالى: ﴿ مَنِ النَّبَ الْعَظِيمِ ﴾ يعني: عن الخبر العظيم الشأن. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن، قاله مجاهد، ومقاتل، والفراء. قال الفراء: فلما أجاب صارت (عمّ) كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن. والثاني: البعث، قاله قتادة. والثالث: أنه أمر النبي ﷺ، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى مُرَ فِيهِ تُخْلِئُونَ ﴿ مَن قال: إنه القرآن، فإن المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو أسطير الأولين، إلى غير ذلك. وكذلك من قال: هو أمر النبي ﷺ. فأما من قال: إنه البعث والقيامة، ففي اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لمَّا سمعوا به، فمنهم من صدَّق وآمن، ومنهم من كنَّب، وهذا معنى قول قتادة. والثاني: أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصدَّق به المسلمون، وكذَّب به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّا ﴾ قال بعضهم: هي ردع وزجر. وقال بعضهم: هي نفي لاختلافهم، والمعنى: ليس الأمر على ما قالوا ﴿ سَيَقَاتُونَ ﴾ وعيد على إثر وعيد. وقرأ ابن عامر الله الله الله على الله على إثر وعيد. وقرأ ابن عامر الستعلمون في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيد، فقال تعالىٰ: ﴿ أَلَا جَنَلِ ٱلْأَرْضَ بِهَدًا ﴾ أي: فراشاً وبساطاً ﴿ وَلَلِبَالُ أَوْنَانًا ﴾ للأرض لئلا تميد ﴿ وَمَلْقَنْكُمُ أَنْوَابًا ﴾ أي: أصنافاً، وأضداداً، ذكوراً، وإناثاً، سوداً،

⁽۱) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ٣٠/ ١، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٠٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن.

وبيضاً، وحمراً ﴿وَجَمَلُنَا نَوْمَكُرُ سُبَانَا ۞﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم. وقد شرحنا هذا في [الفرقان: ٤٧] وشرحنا هناك قوله تعالىٰ: ﴿وَجَمَلُنَا التِّلَ لِاسًا ۞﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَمَلُ النَّهَارَ مَمَانَا ﴿ ﴾ أي: سبباً لمعاشكم. والمعاش: العيش، وكل شيء يُعَاشُ به، فهو مَعَاشٌ. والمعنى: جعلنا النهار مطلباً للمعاش. وقال ابن قتيبة: معاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدر. ﴿ وَبَنَّيْنَا فَوْقَكُمُ سَبَّما شِدَادًا ﴾ قال مقاتل: هي السموات، غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء ين مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني أدم. فاحذروا أن تَعْضُوا فَتَخِرٌ عليكم.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَهَا اللَّهُ عِنْ يَ السَّمَسِ ﴿ وَهُمَا إِنَّا ابن عباس: هو المضيء. وقال اللغويون: الوهَّاج: الوقَّاد. وقيل: الوهَّاج يجمع النور والحرارة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْزَانَا مِنَ الْمُعْمِرَتِ ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحلها: أنها السموات، قاله أَبِيّ بن كعب، والحسن، وابن جبير. والثاني: أنها الرّياح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. وقال زيد بن أسلم: هي الجنوب. فعلى هذا القول تكون «مِنْ» بمعنى «الباء»، فتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدرُّ المطر. والثالث: أنها السحاب، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والضحاك، والربيع. قال الفراه: السحابة المعصر: التي تتحلَّب بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحضْ. وكذلك قال ابن قتيبة: شبَّهت السحاب بمعاصير الجواري، والمُعْصِرُ: الجارية التي قد دنت من الحيض. وقال الزجاج: إنما قيل للسحاب: معصرات، كما قيل: أجزً الزرعُ، فهو مُجَزَّ، أي: صار إلى أن يُجزَّ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أن يمطر، فقد أعصر.

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ فِيَا ﴾ قال مقاتل: أي: مطراً كثيراً مُنْصباً يتبع بعضُه بعضاً. وقال غيره: يقال: ثبج الماء يشج: إذا انصب ﴿ إِنَّهُ عَلَى الله الناس، والنبات: ما إذا انصب ﴿ إِنَّهُ إِنَ الْحَبِ: ما يأكله الناس، والنبات: ما تنبته الأرض مما يأكل الناس والأنعام، هذا قول الجمهور. وقال الزجاج: كُلُّ ما حُصِدَ حَبِّ، وكُلُّ ما أكلَتْهُ الماشية من الكلام، فهو نبات. والثاني: أن الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي الأرض عشباً.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَنَّتِ ﴾ يعني: بساتين ﴿ آنَانَا ﴾ قال أبو عبيدة: أي: متلفّة من الشجر ليس بينها خلال، الواحدة: لقّاء، وجنّات لُفّ، وجمع الجمع: ألفّاف قال المفسرون: فدلّ بذكر المخلوقات على البعث. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ النَّفَالِ ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿ عَن مِيقَت الما وعد الله من الثواب والعقاب. ﴿ وَمَ يُنتُهُ فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن عَامِ وَفَو اللّهِ عَن اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

قوله تعالى: ﴿ إِيْنِينَ ﴾ وقرأ حمزة ﴿ لَبِثِينَ المعنى فيهما واحد. يقال: هو لابث بالمكان، ولبث. ومثله طَامِع، وطَمِع، وفَارِه، وفَرِه، وأما الأحقاب فجمع حقب، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في اللكهف: ٢٦٠. فإن قيل: ما معنى ذكر الاحقاب، وخلودهم في النار لا نفاد له؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب. ولو أنه قال ﴿ لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة ﴾ دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وبيانه أن زمان أهل الجنّة والنار يُتَصوَّرُ دخوله تحت العدد، وإن لم يكن لها نهاية ﴿). والثاني: أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أحقاباً ﴿

⁽١) في النسخة الإستنبولية: وإن لم يكن لها غاية.

يَدُونُونَ ﴾ في الأحقاب ﴿بَرْدًا وَلا شَرَايا ﴾ فأما خلودهم في النار فدائم. هذا قول الزجاج. وبيانه أن الأحقاب حَدٌّ لعذابهم بالحميم والغَسَّاق، فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب. وفي المراد «بالبرد» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه برد الشراب. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب، ولا الشراب. والثاني: أنه الرُّوح والراحة، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أنه النوم، قاله مجاهد، والسدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، وأنشدوا:

فَإِنْ شِنْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ وَإِنْ شِنْتُ لَمْ أَظْعَمْ نُفَاحاً ولَا بَرْداً ١٦

قال ابن قتيبة: النقاخ: الماء، والبرد: النوم، سمى بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة. وقال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرِّها، ولا شرابًا ينفعهم من عطش، ﴿إِلَّا حَبِيمًا وَغَسَّاتًا ۞﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿غَسَاقاً﴾ بالتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وحفص عن عاصم بالتشديد. وقد تقدم ذكر الحميم، والغساق [ميّ: ٥٧] ﴿جَرَزَاءٌ وِنَاتًا﴾ قال الفراء: وِنْقاً لأعمالهم. وقال غيره: جُوزوا جزاءٌ وفاقاً لأعمالهم على مقدارها، فلا ذنب أعظم من الشُّوك، ولا عذابَ أعظمُ من النَّار. ﴿إِنَّهُمْ كَاثُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞﴾ فيه قولان: أحلهما: لا يخافون أن يحاسبوا، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور. والثاني: لا يرجون ثواب حساب، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج.

قُوله تعالى: ﴿ وَكُذَّبُوا بِنَائِنِنَا كِذَابًا ﴾ قال الفراء: الكِذَّابِ بالتشديد لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذَّبت به كِذَّاباً، وخرَّقت القميص خِرَّاقاً، وكل فَقَلْتُ؛ فمصدره في لغتهم مُشَدَّد. قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحَلْقُ أحب إليك، أم القِصَّار؟ وأنشدني بعض بني كلاب:

قَدْ طَالَ مَا ثَبُطَتني مِن صَحَابَتي وَعَنْ حَوَجٍ قِنضَالَهَا مِن شِفَائِيَا (٢) وأما أهل نجد، فيقولون: كذَّبت به تكذيباً. وقال أبو عبيدة: الكِذَّاب أشد من الكِذَاب، وهما مصدر المكاذبة. لَقَدُ ظَالَ مَا ثُبِّطَتنى عِن صَحَابَتى

فَصَدَفُ نُهِا وكَذَبُ نُهَا والسمَسرُّ يَسنُ فَسعُسهُ كِسذَابُسهْ"

قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ نُوَّءٍ أَحْمَيْنَكُ ﴾ قال الزجاج: (كلَّ) منصوب بفعل مضمر تفسيره: أحصيناه، والمعنى: أحصينا كلُّ شيءٍ، و﴿كِتَابًا﴾. توكيد(٤) لـ الجصيناه، لأن معنى (أحصيناه، واكتبناه، فيما يحصل ويثبت واحد. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المفسرون: وكلّ شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ. ﴿ لَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ عَا المُعال فعالكم ﴿ فَكَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۞ إِنَّ لِلشَّتَينَ ﴾ الذين لم يشركوا ﴿مَغَازًا﴾ وفيه قولان: أحلهما: متنزَّهاً، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: فازوا بأن نُجَوًّا من النار بالجنَّة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: «مفازاً» في موضِع افوزًا. ﴿ مُلَاِّينًا ﴾ قال ابن تتية: الحدائق: بساتين نخل، واحدها: حديقة.

قوله تعالى: ﴿ وَكُاعِبُ ﴾ قال ابن عباس: الكواعب: النُّواهِد. قال ابن فارس: يقال: كعبت المرأة كعابة، فهي كاعب: إذا نَتَأ تُدْيُها. وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في [من: ٥٠].

قوله تعاليٰ: ﴿وَكُمُّنَا دِمَانًا ١ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملأى، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في اديوانه؛ ١٠٩، واغريب القرآن؛ ١٤٦، ٥٠٩، واشواهد الكشاف؛ ٣٤، (1) والقرطبي ١٧٨/١٩، وقالبحرة ٨٤١٤.

البيت من شواهد الفراء في همعاني القرآن؛ (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري ١٦/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، واللسان؛ قضى. والشاهد فيه تشديد (٢)

البيت في ملحق دبيوان الأعشى؛ ٢٣٨، ودمجاز القرآن» ٢/ ٢٨٣، و«الكامل؛ للمبرد ٥٦٤. قال العبرد: وأنشد العازني للأعشى، وليس معا روت الرواة متصلاً بقصيدة: والسمرة يسنسف عسه كسذابسة

فسنتسدة فيسبغ وكسداب وهو في الطبري ٣٠/ ٢٠، والقرطبي ١٩/ ١٧٩، و«اللسان» و«التاج»: صدق.

في الأصل: توكيداً. (٤)

الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة.

قوله تعالىٰ: ﴿لاّ يَسَمُونَ فِيها﴾ أي: في الجنّة إذا شربوها ﴿لَنَوا﴾ وقد ذكرناه في الطور: ٢٣ وغيرها ﴿وَلا كِذّا﴾ أي: لا يكذّب بعضهم بعضاً، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلَّموا بالباطل، وأهل الجنّة مُنزَّهون عن ذلك. قال الفراء: وقراءة علي ﴿ وَلَا الكسائي يخفّف هذه ويشدّه، الفراء: وقراءة علي ﴿ وَلَذَاباً التخفيف، كأنه _ والله أعلم _ لا يتكاذبون فيها. وكان الكسائي يخفّف هذه ويشدّه، ﴿ وَلَذَنُهُم إِنَا لِالكِذَابِ التخفيف مصدر المكاذبة . وقال أبو علي الفارسي: «الكِذَاب» بالتخفيف مصدر المكاذبة . وقال أبو علي الفارسي: «الكِذَاب» بالتخفيف مصدر المكاذبة . وقال أبو علي الفارسي: «الكِذَاب» مصدر «كتّب».

قوله تعالى: ﴿ حَرَاتَهُ قال الزجاج: المعنى: جازاهم بذلك جزاء، وكذلك اعطاء، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد. و ﴿ حَابَهُ معناه: ما يكفيهم، أي: فيه كل ما يشتهون. يقال: أحسبني كذا بمعنى كفاني. ﴿ وَتِ السّكوَتِ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والمفضل الربُّ السلوات والأرض وما بينهما الرحليُّ، برفع الباء من الرب والنون من الرحليُ السلوات. وقرأ عاصم، وابن عامر بخفض الباء والنون على الصفة من الربُّك، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع النون، واختار هذه القراءة الفراء، ووافقه على هذا جماعة، وعلَّلوا بأن الربُّ قريب من المخفوض، والرحلين بعيد منه.

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَلِكُنَ يِنْهُ خِطَابًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يملكون الشفاعة إلّا بإذنه، قاله ابن السائب. والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلّموا الربّ إلّا بإذنه، قاله مقاتل.

قوله تعالىٰ: ﴿ يَهُمُ يَنُومُ الرَّومُ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنه جند من جند الله تعالىٰ، وليسوا بملائكة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ (١٠) وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون. والثاني: أنه مَلَك أعظم من السموات والجبال، والملائكة، قاله ابن مسعود، ومقاتل بن سليمان (١٠). وروى عطاء عن ابن عباس قال: الروح: مَلَك ما خلق الله أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صَفّاً، وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً، فيكون عِظمُ خَلْقِه منه والثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تُرَدَّ إلى الأجسام، رواه عطية عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل ﷺ قاله الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك. والخامس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن، وقادة. والسادس: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم. والسابع: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان (١٠).

قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمَلَيُكُةُ مَنَّا﴾ قال الشعبي: هما سماطان، سماط من الروح، وسماط من الملائكة. فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الزُّوحُ صفاً، والملائكة صفاً. وقال ابن قتيبة: معنى قوله تعالىٰ: ﴿مَثَالُهُ صفوفاً.

قوله تعالىٰ: ﴿لَا بَتَكُلُمُونَ﴾ يعني: الخلق كلهم ﴿إِلَا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْنُنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في المدنيا صواباً، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسّرين. وقال مجاهد: قال حقاً في الدنيا، وعمل به ﴿وَلِكَ ٱلْوَمُ ٱلْحَقُ ﴾ الكائن الواقع بلا شك ﴿فَمَن شَآة ٱلْخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَنَابًا﴾ أي: مرجعاً إليه بطاعته. ثم خَوَّف كفَّار مكة، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا ٱنَدْرَتَكُمْ عَذَابًا وهو عذاب الآخرة، وكل آتٍ قريبٌ ﴿وَوَمَ يَنظُرُ ٱلْمَرَهُ مَا فَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي: يرى عمله مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً ﴿وَيَعُولُ ٱلْكَافِر هاهنا: ﴿وَكُم التُعْاسِر أَن الكافر هاهنا: إليس وذلك أنه عاب آدم، لأنه خُلِقَ من التراب، فتمنّى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم، فقال: يا ليتني كنت تراباً (١٠).

 ⁽١) ذكره السيوطي في «المدرة ٢٠٩/٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «المظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس، والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكر ابن
 كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقوفاً عليه، وذكره ابن كثير والشوكاني عن مجاهد وأبي صالح، ولعلّه مما تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات، والله أعلم.
 (٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٢٢ عن ابن مسعود. قال ابن كثير: وهذا قول غريب جداً.

 ⁽٣) توقف ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، وقال ابن كثير: والأشبه عندي ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدم.

 ⁽١) والصحيح أنها عامة في كل كافر، وإبليس داخل بطريق الأولى.

سورة النازعات

مكية كلها بإجماعهم

يسب ألَّهِ النَّانِ الْعَيْبِ الْعَيْبِ

﴿ وَالنَّذِعَتِ غَزَا ۞ وَالنَّفِطَتِ نَصْمًا ۞ وَالنَّذِحَتِ سَبْمًا ۞ فَالسَّبِنَتِ سَبْمًا ۞ فَالْمَذِوْتِ أَنْرَا ۞ بَمَ رَجُمُّ الْرَابِغَةُ ۞ فَكُولُونَ أَوْنًا لَنَوْدُودُونَ فِى ٱلْمَازِرَةِ ۞ أَوْنَا كُنَا عِطْمُنَا لَخِرَةً ۞ فَالُوا فِلْكَ إِذَا كُرَّةً خَامِرَةً ۞ فِإِنَّا مِن رَجَرَةً رَبِيدَةً ۞ فَإِنَا مُم بِالسَّامِرَةِ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالتَّزِعَتِ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحلها: أنها الملائكة تَنْزعُ أَرْواح الكفَّار، قاله علي، وابن مسعود. وروى عطية عن ابن عباس قال: هي الملائكة تَنْزع نفوسَ بني آدم، وبه قال مسروق. والثاني: أنه الموت يَنْزع النفوسَ، قاله مجاهد. والثالث: أنها النفس حين تُنْزعُ ، قاله السدي. والرابع: أنها النجوم تَنْزع من أَفْق إلى أُفقِ تطلع ثم تغيب، قاله الحسن، وقتادة، وأبو عبيدة، والأخفش، وابن كيسان. والخامس: أنها القِسِيّ تَنْزع بالسَّهم، قاله عطاء، وعكرمة. والسادس: أنها الوحوش تنزع وتنفر، حكاه الماوردي. والسابع: أنها الرُّماةُ، حكاه الثملي (١).

قوله تعالىٰ: ﴿ مَنَ ﴾ اسم أقيم مقام الإغراق. قال ابن قتيبة: والمعنى: والنازعات إغراقاً، كما يغرق النازع في القوس، يعنى: أنه يبلغ به غاية المد.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّيْطَتِ نَفْلَا ﴿ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحلها: أنها الملائكة (٢٠٠٠). ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغمّ، قاله على ظله. قال مقاتل: ينزع ملك الموت روح الكافر، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه، فيعلّبه في حياته، ثم ينشطها من حلقه - أي: يجذبها - كما ينشط السفّود من الصوف المبتل. والثاني: أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها، قاله ابن عباس. وقال الفراء: الذي سمعته من العرب: كما أنشط من عِقَال بألف. تقول: إذا ربطت الحبل في يد البعير: نشطته، فإذا حللته قلت: أنشطته. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. وبيانه أن المؤمن يرى منزله من الجنّة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك. والثالث: أن الناشطات: الموت ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد. والرابع: النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي: تذهب، قاله قتادة، وأبو عبيدة، والأخفش. ويقال لبقر الوحش: نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع. قال أبو عبيدة: والهموم تنشط بصاحبها. قال هميان بن قحافة:

السُسَّامَ بسي طَـوْداً وطَـوْداً واسِسطَـا(٢)

أنست أشرومي تنشيط المناشطا

والخامس: أنها النفس حين تُنشط بالموت، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّهِ حَنِ سَبِّمًا ﴿ فَهُ سَتَهُ أَقُوالَ: أَحَدُهَا: أَنَهَا الْمَلَائِكَةُ تَسْبِع بِأَرُواحِ الْمؤمنين، قاله علي الله على الله على السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبع في الماء. فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع، يسلُّونها سلّاً رفيقاً،

⁽١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله: ﴿ وَالتَهِيْمَتِ مَيَّا﴾: الملائكة، قال: يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرقه في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿ وَالشِّيطَتِ لَنَظَّا﴾.

⁽٢) وهو الاقرب.

⁽٣) البيت في اللسانة: نشط، لهيمان بن قحافة، راجز إسلامي. وهو في المجاز القرآنة ٢/ ٢٨٤، والمطبري ٣٠/ ٢٩، والقرطبي ١٩٠/١٩، والروح المعاني، ٣٠/ ٢٤، ومعنى البيت: يقول: صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد، فمرة إلى الشام، ومرة إلى واسط.

ثم يَدَعُونها حتى تستريح. والثاني: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفرس الجواد: سابح: إذا أسرع في جريه، قاله مجاهد، وأبو صالح، والفراء. والثالث: أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها السفن تسبح في الماء، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كل في فلك يسبحون، قاله قتادة، وأبو عبيدة. والسادس: أنها الخيل، حكاه الماوردي(١).

قوله تعالىٰ: ﴿ فَالتَّيِنَتِ سَبَقًا ﴿ فَيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله علي، ومسروق. والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد، وأبو رَوْق. والثالث: أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان، قاله الحسن. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الموت يسبق إلى النفوس، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها الخيل، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ فَالْلَكُوْتِ أَمْرا ﴿ فَالَ ابن عباس: هي الملائكة. قال عطاء: وُكُلتْ بأمور عَرَّفهم الله العمل بها. وقال عبد الرحمٰن بن سابط: يُنبَر أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وهو موكل بالرِّياح والجنود. وميكائيل، وهو موكل بالقطر والنبات. وملك الموت، وهو موكل بقبض الأنفس. وإسرافيل، وهو يَنزل بالأمر عليهم. وقيل: بل جبريل للوحي، وإسرافيل للصور. وقال ابن قتيبة: فالمدبِّرات أمراً: تنزل بالحلال والحرام. فإن قيل: أين جواب هذه الأقسام؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الجواب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمِبَنَ لَي يَنْنَى ﴿ فَي الله مقاتل. والثاني: أن الجواب مفمر، تقديره: لَتُبْعَثُنَ ، وَلتُحاسَبُنَ ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الفراء.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُمْ اَلَكُوفَةُ ﴿ وَهُمُ اللَّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عظيمة فيها تردّد واضطراب كالرعد إذا تمحض. والرجف بمعنى: تتحرّك حركة شديدة ﴿ اللّهُ الرّافِقة ﴿ وَهُمْ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

أَحَافِرَةً على صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهِ وَعَادِ "
[كأنه قال: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصّبا (" "بعد ما شِبْتُ وصَلَغتُ ؟ (") والثالث: أن الحافرة: النار، قاله ابن زيد ["] .

⁽١) والقول الأول أقرب إلى الصواب. (٢) في الأصل: ففي ، والتصحيح من فضريب القرآن».

⁽٣) البيت في فخريب القرآن؛ ٥١٣، والطبري ٣٠/٣٣، والقرطبي ١٩٥/١٩، وهو في اللسان؛: حفر، قال: وأنشد ابن الأعرابي... فذكره.

⁽٤) في الأصل: أرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا. والتصحيح من السان العرب.

 ⁽٥) زيادة من اللسان».
 (١) ما بين المعقوفين زيادة من النسخة الإستنبولية.

قوله تعالى: ﴿ إَنَا كُنّا عِظْمًا عَيْرَةُ ﴿ وَمَرا حمزة، وأبو بكر عن عاصم الناخِرَة . قال الفراء: وهما بمعنى واحد في اللغة. مثل طَبِع، وطّابِع. وحَلِر، وحافِر. وقال الأخفش: هما لغتان. وقال الزجاج: يقال: نَخِرَ العظم يَنْخُرُ، فهو نَخِرٌ. مثل عَفِنَ الشيء يَعْفَنُ، فهو عَفِنٌ. وناخرة على معنى: عظاماً فارغة ، يجيء فيها من هبوب الربح كالنخير. قال المفسّرون: والمراد أنهم أنكروا البعث، و ﴿ قَالُوا ﴾ : نُردُّ أحياء إذا متنا وبليت عظامنا؟ ا ﴿ يَاكَ إِنَا كُرَّةُ عَيْرَ ﴾ أي: إن رُدِدْنَا بَعْدَ الموت لنَحْسَرَنَّ بما يصيبنا مما يَعِدُنَا به محمد، فأعلمهم الله بسهولة البعث عليه، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا هِي عني النفخة الأخيرة ﴿ رَبِّرَةً لَيَهِدَ ﴾ أي: صيحة في الصور يسمعونها من إسرافيل وهم في الأرض فيخرجون ﴿ فَإِنَا هُم إِلنَاهِرَةٍ ﴿ وَفِها أربعة أقوال: أخلها: أن الساهرة: وجه الأرض، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، واللغويون (١٠). قال الفراء: كأنها سمّيت بهذا الاسم، لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم. والثاني: أنه جبل عند بيت المقدس؛ قاله وهب بن منبه. والثالث: أنها جهنم، قاله قتادة. والرابع: أنها أرض الشام، قاله سفيان.

﴿ مَلَ أَنَكَ حَدِيثُ مُوحَ ۞ إِذَ خَادَهُ رَبُّمُ بِالْوَدِ النَّقَيْقِ عُوى ۞ الْمَبْ إِلَى رَجَوَقَ إِنَّهُ مَنَى ۞ نَقُلَ مَلَ أَنَّهُ إِنَّهُ الْفَقَى عُوى ۞ الْمَبْ إِلَى رَجَوَقَ إِنَّهُ مَنَى ۞ نَقُلُ مَلَ أَنَّارَ بَالْكُونُ ۞ فَكُذَبُ رَعَمَى ۞ ثُمُّ أَنَيْرَ بَدَى ۞ فَحَدَرُ قَادَى ۞ فَقَالَ أَمَّا يَكُمُّ الْفَلْ ۞ فَكُذَبُ اللَّهُ بَلِكُ ۞ فَكَذَبُ اللَّهُ بَلِكُ ۞ وَهُمُ أَنَذُ عَنْهَا أَمِ السَّهُ بَلِكُ ۞ رَفَعَ مَنْ أَلِنَ فَيْفَى فِلْكُمْ اللَّهُ فَيْمَ اللَّهُ مُعْمَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مُعْمَى اللَّهُ مُعْمَى اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَمُوا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعْمَى اللَّهُ وَمُؤْمَعُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُؤْمِعُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ ال

قوله تمالى: ﴿ مَلَ أَنْنَكَ حَرِيثُ مُوسَىٰ ﴿ فَ) أَي: قد جاءك. وقد بيَّنًا هذا في آطه: ١٩ وما بعده إلى قوله تعالى: ﴿ مُرْسُ ﴾ أَي تعلى الله وَابَعَ مَا أَبَنَ كُوسَىٰ مُوسَىٰ وَأَبُو عمرو (طوى اذهب غير مُجراةٍ. وقرأ الباقون اطوى ا منونة ﴿ نَفُلْ مَلْ لَكَ إِنَّ مَنَ أَلَى الله وَابِعَ مَنْ وَنَافِع الله وَالْعَ مَنْ وَنَافِع الله وَالْعَ مَنْ وَلَا الله والعَما والله والله والله والله عمهور توحيده، وعبادته ﴿ وَنَفْنَى ﴾ عذابه ﴿ فَأَرَالُهُ آلَكُمْ يَنَ ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها اليد والعصا، قاله جمهور المفسرين. والثاني: أنها اليد، قاله الزجاج.

قوله تعالىٰ: ﴿ لَكُذَّبَ ﴾ أي بأنها من الله، ﴿ وَعَمَىٰ ﴾ نبيَّه ﴿ ثُمَّ أَدْبَرُ ﴾ أي: أعرض عن الإيمان ﴿ يَعَمل بالفساد في الأرض ﴿ نَمَنْرُ ﴾ أي: فجمع قومه وجنوده ﴿ نَادَىٰ ﴾ لما اجتمعوا ﴿ نَنَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَفَلَ ﴿ ﴾ أي: لا ربَّ فوتي. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب، وأنها ربَّها وربُّكم، وقيل: أراد: أنا ربُّ السادة والقادة.

قوله تعالى: ﴿ لَأَمَدُهُ اللهُ ثَكَالُ الْآَيْرَةِ وَالْأَوْقَ ﴿ فَهَ أُربِعة أَقُوالَ: أَحلها: أَن الأُولَى قوله: ﴿ مَا كَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَكِهِ عَبْرِي ﴾ والنمس: ٢٨] والآخرة قوله: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ الْأَغْلُ ﴾ ، قاله ابن عباس، وعكرمة، والشعبي، ومقاتل، والفراء. ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة. قال السدي: فبقي بعد الآخرة ثلاثين سنة. قال الفراء: فالمعنى: أخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والأولى. والثاني: المعنى: جعله الله نكال الدنيا والآخرة، أغرقه في الفراء: وعناه ألحدن، وقتادة. وقال الربيع بن أنس: عنّبه الله في أول النهار بالغرق، وفي آخره بالنّار. والثالث: أن الأولى: تكذيبه وعصيانه. والآخرة قوله: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ الْأَعْلَ ﴾ ، قاله أبو رزين. والرابع: أنها أول أعماله وآخرها، رواه منصور عن مجاهد. قال الزجاج: النكال: منصوب مصدر مؤكد، لأن معنى أخذه الله: نكل الله به نكال الآخرة والأولى: فأغرقه في الدنيا ويعنّبه في الآخرة ().

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ الذي قُبِل بفرعون ﴿لِيَمَرَّهُ أَي: لعظةً ﴿لِمَن يَغَشَىٰ ﴾ الله. ثم خاطب منكري البعث، فقال تعالىٰ: ﴿مَانَتُم اللَّهُ عَلَمُا لَهُ وَاللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَيْكُ عَلَمُ عَل

⁽١) وهذا هو الصحيح كماً قال ابن كثير، وبقية الأقوال غربية.

 ⁽٢) قال ابن كثير: ﴿ لَمُكَنَّدُ اللهُ لَكُلُّ الْأَرْنَ وَالْأَرْنَ وَالْمَالِهِ من المتمردين في الدنيا، ﴿ وَيَرَمَ اللَّيْمَةُ عِنْ مَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّلْمُ الللَّهُ اللّه

السماء، فيكون المعنى: أم السماء التي بناها. وقال قوم: السماء ليس مما توصل، ولكن المعنى: أأنتم أشد خلقاً، أم السماء أشد خلقاً؟ ثم بيَّن كيف خلقها، فقال تعالى: ﴿ يَنَهَا ﴾ قال المفسّرون: أخَلْقُكم بعدَ الموت أشدُ عندكم، أم السماءُ في تقديركم؟ وهما في قدرة الله واحد. ومعنى: «بناها» رفعها. وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناءً. ومعنى ﴿ رَفَعَ سَنَكَما ﴾ رفع ارتفاعها وعلوَّها في الهواء ﴿ نَسَوَّها ﴾ بلا شقوق، ولا فُطور، ولا تفاوت، يرتفع فيه بعضها على بعض ﴿ رَفَعَ سَنَكَما ﴾ أي: أظلمه فجعله مظلماً. قال الزجاج: يقال: غطش الليل وأغطش، وغبش وأغبش، وغسق وأغسق، وغشى وأغبش، وخسق وأغسق،

قوله تعالى: ﴿وَرَخْمَ ضُنَهَا﴾ أي: أبرز نهارها. والمعنى: أظهر نورها بالشمس. وإنما أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنهما عنها يصدران ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَنَهَا﴾ أي: بسطها. وبعض من يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن (بعد) هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ حَبَنَا فِي النّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [الانبياء: ١٠٥]. وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»؛ كقوله تعالى: ﴿ عُتُلِ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيرٍ ﴿ القلم: ١٣]، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد كمال السماء، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص. وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في [البقرة: ٢٩] (أن ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَحَنها ﴾ . ﴿ أَخْمَ مِنها ﴿ مَنها ﴿ وَمَنها ﴾ وهو ما يأكله الناس والأنعام، ﴿ وَالْهِبَالُ أَرْسَلُها ﴿ وَالْ الزجاج: أي: أثبتها ﴿ مَنْها لَكُو ﴾ أي: المجاع. الله عنى أخرج منها ماءها ومرعاها: أمتم بذلك. وقال ابن قتية: ﴿ مَنّها لَكُو ﴾ أي: منفعة [لكم].

﴿ إِذَا جَدَتِ الْمَاتَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿ يَنَ يَنَذَكُّرُ الْإِنسَانُ مَا سَنَى ۞ رُبُرِيَتِ الْمَبْرِيمُ لِمَن بَرَىٰ ۞ فَأَنَا مَن لَمَنيْ ۞ وَمَاثَرَ الْمُتَهِمُ أَلَنَ مَن طَفَق ۞ وَمَاثَرَ اللَّهُونَ ۞ فَإِنَّا اللَّهُمَ فِي الْمَازَىٰ ۞ يَشَلُونَكَ مَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مُرْسَلُهَا ۞ فِي السَّارَىٰ ۞ يَشْلُونَكَ مَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مُرْسَلُهَا ۞ فِي السَّامَةِ أَبَانَ مُرْسَلُهَا ۞ فِي السَّامَةِ أَنَا مُنْ مُرْسَلُهُا ۞ إِنْسَا أَنْ مُسْلِهُا ۞ إِنْسَا أَنْ مُسْلُهُا ۞ كَانَتُهُمْ فِيمَ يَرُونَهَا لَوْ يَبْشُوا إِلَّا عَشِينًا أَوْ مُسْلَمًا ۞ وَمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا بَآءَتِ الطَّآتَةُ آلَكُبْرَىٰ ﴿ ﴾ والطامة: الحادثة التي تطمُّ على ما سواها، أي: تعلو فوقه. وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النفخة الثانية التي فيها البعث. والثاني: أنها حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. والثالث: أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنّة، وأهل النار إلى النار.

قوله تعالىٰ: ﴿ يَنَدَكُرُ الْإِنكُنُ مَا سَعَى ﴿ أَي: ما عمل من خير وشر ﴿ وَثُرِنَتِ الْمِحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿ أَي: لأبصار الناظرين. قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق. وقرأ أبو مجلز، وابن السميفع: المن ترى الناء. وقرأ ابن عباس، ومعاذ القارئ المن رأى بهمزة بين الراء والألف.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَنَا مَن مَلْنَىٰ ۞﴾ في كفّره ﴿ وَمَاثَرَ لَلْبَوْةَ اللَّهَ إِلَّا هِا لاَ خرة ﴿ فَإِنَّ الْمَأْوَىٰ ۞﴾ قال الزجاج: أي هي المأوى له. وهذا جواب ﴿ فَإِذَا جَآتِ الطَّاتَةُ ﴾ فإن الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿ رَأَمَّا مَنْ خَانَ مَقَامَ رَبِّيهِ ﴾ قد ذكرناه في سورة [الرحلن: ٤٦].

قوله تعالىٰ: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ ٱلْمَرَىٰ ﴾ أي: عما تهوى من المحارم. قال مقاتل: هو الرجل يَهُمّ بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها.

قوله تعالى: ﴿ يَتَكُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا ﴿ قَالَ سَبق فِي الاعراف: ١٨٧] ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذَكَرَهَا ﴿ فَي السَّت فِي شَيءٍ من علمها ﴿ إِنَّمَا أَنْ سُنِدُ مَن شَيءٍ من علمها ﴿ إِنَّمَا أَنْتُ مُنْذِدُ مَن علمها ﴿ إِنَّمَا أَنْتُ مُنْذِدُ مَن عِلمها ﴿ إِنَّمَا أَنْتُ مُنْذِدُ مَن يَخَافَها. والمعنى: إنما ينفع إنذارك مَن يخافها، وهو المؤمن بها. وأمّا من لا يخافها فكأنه لم يُنذَر ﴿ كَأَنَّهُ ﴾ يعني: كفار قريش ﴿ يَثَمَ بَرُقَا ﴾ أي: يعاينون القيامة ﴿ لَا يَبْتُولُ ﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿ إِلَّا عَنِيَةً أَدْ صُنْهَا ﴾ أي: قَدْر آخر النهار من بعد العصر، أو أوّله إلى أن

⁽۱) قال ابن كثير ۴۲/۶: أما خلق الأرض، فقبل خلق السماء بالنص، ويهذا أجاب ابن عباس ر المخاري. انظر الصحيح البخاري، ۴۲۷/۸، الم المخاري، ۴۲۷/۸. ثم قال ابن كثير ۴۲۸/۶: ولكن إنما دحيت الأرض بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، قال: وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد، واختاره ابن جرير.

ترتفع الشمس. قال الزجاج: والهاء والألف في «ضحاها» عائدان (١) إلى العشية. والمعنى: إلا عشية، أو ضحى العشية. قال الفراء: فإن قيل: للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار؟ فالجواب: أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية، أو غداتها، أو آتيك الغداة، أو عَشِيتها، فتكون العشية في معنى «آخر»، والغداة في معنى «أول». أنشدنى بعض بنى عقيل:

* * *

⁽١) في الأصل: عائد.

⁽٢) البيت لبعض بني عقيل، أنشده القراء في «معاني القرآن» ٣٥٧ عند قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا عَئِينٌ أَرَّ شُمَنَهُ﴾ وهو في الطبري ٣٠/ ٥٠، والقرطبي ١٩/ ٢٠٨.

سورة عبس

مكية كلُّها بإجماعهم

بنسب ألَّهِ النَّهُ النَّهُ الرَّيَدِ الرَّيَدِ إِنَّهِ الرَّيَدِ إِنَّهُ الرَّيَدِ إِنَّهُ الرَّبِيدِ

﴿ مَتِنَ رَبَوْكَ ۚ ۞ أَن بَنَهُ الْغَمَى ۞ رَمَا يُدَرِيْكَ لَمَلَمُ بَرَّتُهُ ۞ أَدَ يَلِكُنُ مَنْسَعَهُ اللِّكُوٰقَ ۞ أَنَا مَنِ اسْتَمَثَقُ ۞ مَّكَ لَمُ مُسَلَّمُكُ رَمَا عَلِيْكَ الْهَ يَرُّكُ ۞ رَأَنَا مَن بَهَافَ بَسَنَ ۞ رَمُو يَسْتَمَعُ ۞ مَلْتَ عَنْهُ لَلَهُ ۞ كَلَ إِلَا الْمَرَاقُ ۞ فَن نَاهَ لَكُنُ ۞ فِي مُسُلِّمِ الْمُرْتَوَ ۞ تَهُوْمَو مُطْلَمَهُ ۞ بِلْمِي سَنَزَ ۞ رِلِمِ بَرَدَ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿عَبَىٰ وَقَرَاتُ ﴿ عَبَىٰ وَقَرَاتُ ﴿ عَبَىٰ وَقَرَاتُ ﴿ عَبَىٰ وَقَرَاتُ ﴿ عَبَىٰ وَأَبِيا بَهُ وَالله عَلَىٰ وَحِه عَلَىٰ الله عَلَىٰ ويقول: المورحباً بمن عاتبني فيه ربي (١). وذهب قوم، منهم مقاتل، إلى أنه إنما جاء ليؤمن، فأعرض عنه النبي على القوم يكلّم وتول وتول أبي بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، الله عَلَىٰ والمنوحة وابن السميفع الله عَلى بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، الله عمرة واحدة مفتوحة ممدودة. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، الله على الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلّمه قيس. وقيل: اسمه عبد الله بن عمرو ﴿ وَمَا يُدْيِكُ لَسُلُم يُرْفَى ﴾ أي: يتعظ بما يتعلمه من مواعظ القرآن ﴿ فَلَنَمُهُ اللّٰذِكْ يَكُ وَمُ حَصْ عن عاصم فتناك. وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿ أَوَ يَلَكُرُ ﴾ أي: يتعظ بما يتعلمه من مواعظ القرآن ﴿ فَلَنَمُهُ اللّٰذِكْ يَكُ وَمُ حَصْ عن عاصم ويتُ المعنى، والباقون بوفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب العلى، ومن رفع، فعلى العطف على العطف على هيء الهين، والباقون بوفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب العلى، ومن رفع، فعلى العطف على هيءً على .. وقبل هيؤمن وأبو بوفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب العلى، ومن رفع، فعلى العطف على هيءً والمين، والباقون بوفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب العلى، ومن رفع، فعلى العطف على

قوله تعالى: ﴿أَنَّا مَنِ اَسْتَغَنَّ ﴿ قَالَ ابن عباس: استغنى عن الله وعن الإيمان بماله. قال مجاهد: ﴿أَنَّا مَنِ السَّغَفَّ ﴾ عتبة، وشيبة، ﴿أَنَّا مَن مَنَّكُ ﴿ فَ قَلْ ابن كثير، ونافع اتصَدَّى، بتشديد الصاد. وقرأ عاصم، وأبو عمرو بن وابن عامر، وحمزة، والكسائي اتصَدَّى، بفتح التاء، والصاد وتخفيفها، وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: اتتصدَّى، بتاءين مع تخفيف الصاد. قال الزجاج: الأصل: تتصدى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين. ومن قرأ اتصَدَّى، بإدغام التاء، فالمعنى أيضاً: تتصدَّى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد. قال ابن عباس: اتصدَّى، تقبل عليه بوجهك. وقال ابن قتيبة: تتعرض (٢٠). وقرأ ابن مسعود، وابن السميفع، والجحدري: التُصدِّى، بتاء واحدة مضمومة، وتخفيف الصاد.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَلَتَكَ﴾ أي: أي شيءٍ عليك في أن لا يُسْلِمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلّا البلاغ. ﴿وَلَنَا مَن جَانَكَ يَمَنٌ ۞﴾ فيه قولان: أحدهما: يمشي. والثاني: يعمل في الخير، وهو ابن أم مكتوم ﴿وَهُو يَحْنَىٰ ۖ ۞﴾ الله ﴿فَأَتَ عَنْهُ لَلَكَن ۞﴾ وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وأبو الجوزاء «تتلهى» بتاءين. وقرأ أبيّ بن

٢) وفي اغريب القرآن؛ تعرَّض.

كعب، وابن السميفع، والجحدري: «تُلْهَى» بتاءٍ واحدة خفيفة مرفوعة. قال الزجاج: أي: تتشاغل عنه. يقال: لهيت عن الشيء ألهي عنه: إذا تشاغلتَ عنه.

قوله تعالىٰ: ﴿ كُرُ ﴾ أي: لا تفعل ذلك. ﴿ إِنَّ ﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: آيات القرآن، قاله مقاتل. والثاني: هذه السورة، قاله الفراء. «والتذكرة» بمعنى التذكير ﴿ وَنَ شَدَ ذَرَرُ ﴿ فَنَ شَدَ ذَرَرُ ﴾ مفسر في آخر [المدثر: ٥٥]. ثم أخبر بجلالة القرآن عنده، فقال تعالىٰ: ﴿ فِي مُمُنِ مُكُرِّمَرُ ﴾ أي: هو في صحف، أي: في كتب مكرَّمة، وفيها قولان: أحدهما: أنها اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثاني: كتب الأنبياء، ذكره الثعلبي. فعلى هذا يكون معنى «مرفوعة»: عالية القدر. وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء. وفي معنى «المطهرة» أربعة أقوال: أحدها: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن. والثاني: مطهرة من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: لأنه لا يمسها إلّا المطهرون، قاله الفراء. والرابع: مطهرة من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿ إِلَيْ يَكُو ﴿ فِيهِم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الجمهور. والثاني: أصحاب محمد على الله وهب بن منه. وفي معنى ﴿ مَرَوَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الكَتَبّة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: واحدهم: سَافر، وسَفَرَة، مثل كَاتِب، وكَتَبّة، وكافِر، وكَفَرة. وإنما قيل للكتاب: سفر، وللكاتب: سافر، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه. يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء. وسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها. ومنه: سفرتُ بين القوم، أي: كشفتُ ما في قلب هذا، وقلب هذا، لأصلحَ بينهم. والثاني: أنهم السفراء، وهم المصلحون. قال الفراء: تقول العرب: سفرتُ بين القوم، أي: أصلحتُ بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله، كالسفير الذي يصلح بين القوم. قال الشاعر:

وَمَا أَدَعُ السُّفَارَةَ بَسِيْنَ قَدُوْسِي وَمَا أَمْشِي بَعِينٌ إِنْ مَشَيْسَتُ (١)

قوله تعالىٰ: ﴿ كِرَامِ ﴾ أي: على ربِّهم ﴿ بَرَرَكِ أي: مطيعين. قال الفراء: واحد «البررة» في قياس العربية: بَارٌّ، لأن العرب لا تقول: فَعَلَة ينوون به الجمع إلّا والواحد منه فاعل، مثل كافر، وكَفَرة، وفاجر، وفَجَرَة.

﴿ فَالَ الْإِسَانُ مَا الْفَرُ ۚ هِي مِنْ أَنِهَ عَنْهِ عَلَمْ هِي مِنْ فَالَمْ عَلَمْ مَا فَكَرُمُ ۚ هُمْ النَّبِلَ بَسَرُ ۗ هُمْ النَّبِلَ بَسَرُ هُمْ أَنَا اللَّهُ عَلَمُ هُمْ أَنَا مَاللَّهُ هُمُ أَنَا اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى

قوله تعالى: ﴿ نُبِلَ الْإِسَنَ ﴾ أي: لعن. والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أشار إلى كل كافر، قاله مجاهد. والثاني: أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك. والثالث: عتبة بن أبي لهب، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿ مَا أَلْمَرُ أَنَّ للاثة أقوال: أحدها: ما أشد كفره، قاله ابن جريج. والثاني: أيّ شيء أكفّره؟ قاله السدي. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثالث: أنه على وجه التعجّب، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون، والمعنى: اعجبوا أنتم من كفره، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ يَنَ أَيْ يَرَمِ خَلَقَتُم ﴿ يَكَ ثُمْ فَسَره فقال تعالىٰ: ﴿ مِن شَّلَنَةِ خَلَتَمُ ﴾. وفي معنى ﴿ فَنَذَرَهُ الله أقوال: أحدها: قدَّر أعضاءه: رأسه، وعينيه، ويديه، ورجليه، قاله ابن السائب. والثاني: قدَّره أطواراً: نطفة، ثم علقة، إلى آخر خلقه، قاله مقاتل. والثالث: فقدَّره على الاستواء، قاله الزجاج. ﴿ ثُمُّ النَّيِيلَ يَتَرَمُ ﴿ فَهُ وَلانَ الحماء الله المسيل له العلم بطريق الحق والباطل، قاله الحسن، ومجاهد. قال الفراء: والمعنى: ثم يسره للسبيل. والثاني: يسر له السبيل في خروجة من بطن أمّه، قاله السدي، وقاتل (*).

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْدَرُ ﴾ قال الفراء: أي جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، فكأنَّ القبر مما أُكْرِمَ به المسلم. ولم يقل: قبره؛ لأن القابر هو الدافن بيده. والمُقْبِرُ الله، لأنه صيَّره مقبوراً، فليس فعله كفعل الآدمي.

⁽١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٨، وفي «اللسان»: صفر، وهو في الطبري ٣٠/ ٥٤، والقرطبي ١٩/ ٢١٤، وابن كثير ٤/١٧١.

⁽٢) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره.

والعرب تقول: بَتَرْتُ ذَنَبَ البعير، والله أبتره. وعَضَبْتُ قَرْنَ الثور، والله أعْضَبَه. وطُودتُ فلاناً عني، والله أطرده، أي: صيَّره طريداً. وقال أبو عبيدة: أقبره: أي أمر أن يقبر، وجعل له قبراً. قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمٰن: أقبرنا صالحاً، فقال: دونكموه. والذي يدفن بيده هو القابر. قال الأعشى:

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَا شَآةَ أَنشَرَمُ ﴿ أَي: بعثه. يقال: أنشر الله الموتى، فَنُشِرُوا، ونَشَر المينَّتُ: حَيِيَ [هو] بِنَفْسِه، وواحدهم ناشر. قال الأعشى:

حَدُّ يَ فُولَ النَّاسُ مِمَّا زَأَوْا يَا عَجَباً لِلْمَبِّتِ النَّاشِرِ(٢)

قوله تعالى: ﴿ كُرُّكُ قال الحسن: حقاً ﴿ لَنَا بَقِينِ مَا أَرَبُ لِهِ وَلِم يؤدِّ ما فرض عليه. وهل هذا عام، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام. قال مجاهد: لا يقضي أحد أبداً كُلَّ ما افترض الله عليه (٣). والثاني: أنه خاص للكافر لم يقض ما أمِرَ به من الإيمان والطاعة، قاله يحيى بن سلام. ولما ذَكر خَلْق ابن آدم، ذكر رزقه ليعتبر وليستدلَّ بالنبات على البعث، فقال تعالى: ﴿ فَيُكُم آلِينَيُ إِلَّ لَمَايِدِه ﴾ قال مقاتل: يعني به عبّة بن أبي لهب. ومعنى الكلام: فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟ ثم بين فقال تعالى: ﴿ أَنَا ابن كثير، وَنافع، وأبو عمرو، وابن عامر إنا الكسر. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي ﴿ أَنَّ مَبَيّ الهمرة في الوصل وفي الابتداء، ومن ووافقهم رويس على فتحها في الوصل، فإذا ابتدأ كسر. قال الزجاج: من كسر إنا العمر أن المعلم وأمَّ مَنَنَا ومن على البدل من الطعام، المعنى: فلينظر الإنسان أنا صببنا. قال المفسرون: أراد بصب الماء: المطر ﴿ أَمَّ مَنَنَا وَالاَ المُواء: هو الرّطة. وأهل مكة يسمون القتَّ: القضب (٤). قال ابن قتية: ويقال: إنه سمي بذلك، لأنه يُقضَبُ مرة بعد مرة، أي: يقطم، وكذلك القصيل، لأنه يُقضَلُ، أي: يقطع.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَرْتُونَا وَغَلَا ۞ وَمَدَابِنَ غُلِكُ قال الفراء: كل بستان كان عليه حائط، فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل: حديقة. والغُلْب: ما غلظ من النخل. قال أبو عبيدة: يقال: شجرة غَلْباء: إذا كانت غليظة. وقال ابن قتية: الغُلْب: الغِلاظ الأعناق. وقال الزجاج: هي المتكاثفةُ، العظامُ.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَكِهَهُ يعني: ألوان الفاكهة ﴿ وَآيَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس، وعكرمة، واللغويّون. وقال الزجاج: هو جميع الكلا التي تعتلفه الماشية. والثاني: أنه الثمار الرطبة، رواه الوالبي عن إبن عباس (٥٠). ﴿ مَنْكَا لَكُوْ وَلِأَنْدَبِكُو ﴿ اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهُ وَلِمَا اللهُ وَلَا لَهُ عَلَيْهُ اللهُ وَلِمُ قَدْ بَيّنًاه في السورة التي قبلها اللهٰ وَما . ٢٣

 ⁽۱) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، (ديوانه) ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علائة ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بيهما، وهو
 في المجاز القرآن) ٢٨٦٧، والطبري ٥٦/٣٥، والقرطبي ٢١٧/١٩. ورواية البيت فيها: عاش ولم يُنْقُل إلى قابر.

 ⁽۲) مو أيضاً للأعشى الكبير من القصيدة نفسها ١٤١، وبعد البيت السابق بلا فاصل بينهما، وهو في «مجاز القرآن؛ لأبي عبيد ٢٨٦/٢، والطبري ١٠٠
 ٥٦، والقرطبي ٢١٧/١٩.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو هذا من هذا، قال: ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك _ والله أعلم _ أن المعنى: ﴿ثُمْ إِنَا نَدْتَ أَشَرُهُ ﴿ إِنَّ لَنَا يَشِي بَعْهِ ﴿ كُمْ ۖ لَنَا يَشِي اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

⁽٤) القضب: الرَّطبة، ويقال لها: الغِصْفِصة، وهي التي تأكلها الدواب رَطْبةً، ويقال لها: اللَّتُّ أيضاً، وكلها بمعنى واحد.

 ⁽٥) وما ورد من أن أبا بكر الصديق شه سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَلَكِيمَةُ وَبُّ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم، فقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في ففضائل القرآن، من رواية محمد بن زيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أبي بكر في، وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وبين أبي بكر في. وقد روى ابن جرير قال: حدثنا بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب في حدثنا ابن الأبّ؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى عمر بن الخطاب في، وقد رواه غير واحد عن أنس به، ولكن هذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهر وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْنَا يَهَا عَلَى وَنَدَا عَلَى وَمَنَا فَي وَنَدَا وَ مَنَا لَمُ وَلَا اللهِ وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْنَا يَهَا وَنَدَا اللهِ وَلَا اللهِ وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْنَا يَهَا وَنَدَا اللهِ وَلَا فَهِ وَلَا فَهُ وَلَدُ اللهِ عَلَى عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ الله

﴿ لِمَا بَاتَتِ الْمَالَمَةُ ۞ يَمْ يَشِّ النَّهُ بِنَ لَيْدِ ۞ تَأْمِدِ فَلِيهِ ۞ وَمَنجِنِيهِ وَبَيْدِ ۞ لِكُلِ انْرِي بِنَثْمُ بَرَبَهِ نَانًا بَيْدِي ۞ وُمُونًا يَمَهِ نُسْفِرًا ۚ ۞ مَاحِكَةً شُسَنَجِرًا ۚ ۞ وُمُونُ يَمَهِ عَنَهَا غَيْزًا ۞ تَكَفُّا فَلَوْ ۞ أَلَهُونَ أَلْمَانُ النَّمَرُ النَّمِينَ النَّهُ النَّمَرُ النَّمَانُ النَّهُ النَّمُ النَّمُ النَّهُ النَّمَرُ اللَّهُ اللَّهُ النَّمَانُ النَّهُ النَّمَانُ النَّمَ الْمُمْرُ ال

قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الشَّائَةُ ﴿ وهي الصيحة الثانية. قال ابن قتيبة: الصاخة تصِيَّحُ صَخَا، أي: تُصِمُّ. يقال: رجل أصخ، وأصلخ: إذا كان لا يسمع. والداهية صاخة أيضاً. وقال الزجاج: هي الصيحة التي تكون عليها القيامة، تصخّ الأسماع، أي: تصمّها، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها. ثم فسّر في أي وقت تجيء، فقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُ اللّهِ عَنَى اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَنَى أَيْدِ ﴾ قال المفسّرون: المعنى: لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه، لِعِظَم ما هو فيه. قال الحسن: أوّل من يَفِرُ من أخيه هابيل، ومن أمّه وأبيه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح. وقال قتادة: يفر هابيل من قابيل، والنبي عَنْهُ من أمّه، وإبراهيم من أبيه، ولوط من صاحبته، ونوح من ابنه (١٠).

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِ آمْرِي مِنْهُمْ وَسَهِرْ مَانَ يُشِيدِ ﴿ قَالَ الفراء: أَي: يَشْفَلُه عن قرابته. وقال ابن قتيبة: أي: يَصْرِفه ويصدُّه عن قرابته، يقال: أغْنِ عني وجهك، أي: اصرفه، واغْن عني السفيه. وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميفع، وابن محيصن، وابن أبي عبلة «يَعنيه» بفتح الياء والعين غير معجمة. قال الزجاج: معنى الآية: له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره. وكذلك قراءة من قرأ «يغنيه» بالغين، معناه: له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره. وكذلك قراءة من قرأ «يغنيه» بالغين، معناه: له شأن لا يهبه معه غيره. وقد روى أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي ﷺ: أنحشر عراةً؟ قال: نعم. قالت: واسوءتاه، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِكُلِّ آمْرِي مِنْهُمْ وَسَهُمْ لِنَانُ يُشِيدٍ ﴿) (٢).

قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوا يُعَيِرُ مُسَوِّرًا ﴿ فَالْمَوْرُ ۗ ﴾ أي: مضيئة قد علمت ما لها من الخير ﴿ طَاحِكَةٌ ﴾ لسرورها ﴿ مُسَنَبْرِرُ أَ ﴾ أي: فرحة بما نالها من كرامة الله ﴿ وَتَنْجُوا مُنْ غَبَهُ عَبَهُ عَبَهُ عَبَهُ عَبَهُ أَي: غبار. وقال مقاتل: أي: سواد وكآبة ﴿ تَعَنَّهُا ﴾ أي: تغشاها ﴿ فَنَرْهُ ﴾ أي: ظُلْمة. وقال الزجاج: يعلوها سواد كالدخان. ثم بَيَّن مَنْ أَهْلُ هذه الحال، فقال تعالىٰ: ﴿ أَنْلِيْكُ مُمُ الْمُمَرِّةُ الْفَبَرُةُ ﴾ وهو جمع كافر وفاجر.

⁽۱) والصحيح أن الآية عامة. قال الخازن: وفائدة الترتيب: كأنه قيل: يوم يفر المره من أخيه، بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة، بل من الصاحبة والولد، لأن تملقه بهما أشد من تملقه بالأبوين. قال ابن كثير: يراهم ويفر منهم، لأن الهول عظيم، والخطب جليل. ثم قال: وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في المخلائق يقول: تفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني.

⁽۲) رواه بنحوه الطبري ۲۰/ ۲۱ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائل بن شريح عن أنس، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أزهر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائل بن شريح به، وعائل بن شريح به، وعائل بن شريح قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل»: في حديث ضعف. وروى الترمذي في هسنته ۲۱۸/۷ عن ابن عباس في عن النبي ﷺ تال: وتحشرون حفاة عراة خُرلاً فقالت امرأة: أيبُصر أو يرى بعضنا عررة بعض؟! قال: يا فلانة ﴿ لِلْكِلِ أَمْنِ يَنْهُمْ يَرْبُو نَلُنْ يَشِيدٍ ﴾ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن ابن عباس. وروى مسلم في وصحيحه ٤/ ٤/ عن عائشة ﴿ قالت: سمعت رسول الله النساء على الله عنه الله الترمذي: ها عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض؟.

سورة التكوير

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بِسْدِ اللَّهِ النَّفِيلِ النَّجَدِ

روى أبو عبد الله الحاكم في "صحيحه" من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله على: "من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّيْسُ كُورَتُ ﴿ إِنَّ النَّيْسُ كُورَتُ ﴿ وَفِي قوله تعالى: ﴿ كُورَتُ البعة أقوال: أحدها: اظلمت، رواه الوالبي عن ابن عباس، وكذلك قال الفراء: ذهب ضوؤها، وهذا قول قتادة، ومقاتل. والثاني: ذَهَبَ من رواه عطية عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: اضمحلَّتْ. والثالث: غُورَتْ، روي عن أبن عباس، وسعيد بن جبير، وابن الأنباري، وهذا من قول الناس بالفارسية: كُوربكرد(٢). وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: هو بالفارسية كوربور. والرابع: أنها تُكوَّرُ مثل تكوير العمامة، فتلفُّ وتمحى، قاله أبو عبيد. قال الزجاج: ومعنى "كُوِّرت، جمع ضوؤها، ولُقَتْ كما تلف العمامة. ويقال: كَوَّرْتُ العمامة على رأسي أكوِّرُها: إذا لَفَفْتَها. قال المفسرون: تُجمع الشمس بعضُها إلى بعض، ثم تُلَفُّ ويرمى بها في البحر. وقيل: في النار(٣). وقيل: تعاد إلى ما خلقت منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النَّجُومُ الْكَدَرَتُ ﴿ أَي: تناثرت، وتهافتت. يقال: انكدر الطائر في الهواء: إذا انقضَّ. ﴿وَإِذَا الْبَالُ شُيْرَتُ ﴾ قال المفسرون وأهل اللغة: الميشار: النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقيل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أحسنُ زَمَانِ حَمْلِها، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لتمامٍ في سنة، فهي أنفس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها، إلا لإتيان ما يَشْغَلهم عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل. ومعنى «عُطّلت» سُيّبتُ وأهميلت، لاشتغالهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْرُحُوشُ﴾ يعني: دوابَّ البحر ﴿ عُشِرَتُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ماتت، قاله ابن عباس. والثاني: جمعت إلى القيامة، قاله السدي. وقد زدنا هذا شرحاً في الانعام: ١١١].

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا البِّمَارُ شُيِّرَتُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو اسُجِرَتُ بتخفيف الجيم، وقرأ الباقون بتشديدها. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أُوقِدَتْ فاشتعلت ناراً، قاله على وابن عباس. والثاني: يبست، قاله الحسن. والثالث: ملئت بأن صارت بحراً واحداً، وكثر ماؤها، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالىٰ: ﴿ رَإِذَا النُّنُوسُ زُوِّجَتُ ۞ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قرنت بأشكالها، قاله عمر ﷺ. الصالح مع الصالح في الجنّة، والفاجر مع الفاجر في النار، وهذا قول الحسن، وقتادة (٤٠٠ والثاني: رُدَّت الأرواح إلى الأجساد،

⁽۱) أخرجه أحمد في «المسئد» رقم ٤٨٦٦ و٤٩٣٤ و٤٩٤١ و٥٧٥٥ وإسناده صحيح، والترمذي ١٦٨/٢، والحاكم ١٥١٥/١، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «اللد» ١٩٧٦ وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

⁽٢) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري، ونقله عنه ابن كثير، والسيوطي في «الدر المنثور» بألفاظ مختلفة.

 ⁽٣) وقد ورد في المرفوع من حديث أبي هريرة: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» وإسناده صحيح.
 ورواه بنحوه أبو يعلى والبزار من حديث أبي هريرة، والطيالسي من حديث أنس. وذلك تبكيناً لمن عبدهما في الدنيا.

⁽٤) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير، وهو الصحيح.

فَرُّوِّجَتْ بها، قاله الشعبي. وعن عكرمة كالقولين. والثالث: زُوِّجَتْ أنفس المؤمنين بالحور العين، وأنفس الكافرين بالشياطين، قاله عطاء، ومقاتل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْمُرُدَةُ سُمِلَتَ ﴿ قَالَ اللَّغُويُونَ: الْمُورُودَةُ: الْبِنْتُ تُدُفِّنُ وهي حَيَّةٌ، وكان هذا من فعل الجاهلية. يقال: وَأَدْ وَلَدَهُ، أي: دفنه حياً. قال الفرزدق:

وَمِسنَّسا الَّسلِي مَسنَسعَ السوَائِسدَا بِ فَسأَحْسِبَا السرَئِسِيدَ وَلَسمُ يُسواُدِ(')

يعني: صعصعة بن صوحان، وهو جَد الفرزدق. قال الزجاج: ومعنى سؤالها: تبكيت قاتليها في القيامة، لأن جوابها: قُتِلتُ بغير ذنب. ومثل هذا التبكيت قولة تعالى: ﴿ اَلْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْغَِذُونِ وَأَيْ إِلَهَ إِلَهَ إِلَهَ إِلَا الله الله الله الله الله الله التبكيت قولة تعالى: ﴿ الرحمٰن، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، وهارون عن أبي عمرو اسالب وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمٰن، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، وهارون عن أبي عمرو اسالت بفتح السين، وألف بعدها قباي ذنب قُتِلتُ بإسكان اللام، وضم التاء الأخيرة، وسؤالها هذا أيضاً تبكيت لقاتليها. قال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، فكان أوان ولادها حفرت حفيرة، فتمخضت على رأس الحقيرة، فإن ولدت جارية رَمَتُ بها في الحفيرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

قُوله تعالى: ﴿وَإِذَا الشُّمُ ثَبِرَتَ ﴿ وَإِذَا الشُّمُ ثَبِرَتَ ﴿ وَإِذَا الشَّمَةُ لَيُرِتَ ﴾ قرا الفراء: والمراد بالصحف: صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب، ﴿وَإِذَا النَّمَةُ كُيْطَتَ ﴿ وَأَمَا قريش، فتقوله يُرْعَتْ، فطُويَتْ، فطُويَتْ، وفي قراءة عبد الله وقُشِطَتْ بالقاف، وهكذا تقوله قيس، وتميم، وأسد، بالقاف. وأما قريش، فتقوله بالكاف، والمعنى واحد، والعرب تقول: القافور، والكافور، والقسط، والكسط، وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات، كما يقال: خدّتُ، وخدّتُ. قال ابن قتيبة: كُشِظتْ كما يُحْشَطُ الفِطاء عن الشيء، فطُويَتْ، وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف، واسمِرَتُ أوقدت، وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم السُعِرت مشدة. قال الزجاج: المعنى واحد، إلّا أن معنى المشدد: أوقدت مرة بعد مرة. و﴿ أَلْفَتَ مُ قُرِّبَتُ مَن المتقين، وجواب هذه الأشباء ﴿ وَلَنْ مَنْ مَا أَحْضَرَتُ ﴾ أي: إذا كانت هذه الأشباء، علمت في ذلك الوقت كلُّ نفس ما أحضرت من علي، فأليت على قدر عملها، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَتُ مَنْ مُنْ أَخْصَرَتُ ﴾ ؛ لهذا جرى الحديث (المحديث (المنه على المنه عن الله وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ الذيا، وستة في الآخرة. جرى الحديث (المنه النه والله عليه المنه النه والله المنه والله المنه في المنباء وسته في الانبا، وستة في الآخرة.

﴿ لَهُ أَشِمُ لِلْفَئْسِ ۞ الْمَبَارِ الْكَثِّينِ ۞ رَاقَتِلِ إِنَّا عَسْمَسَ ۞ رَالشَّيْحِ إِنَّا نَفْسَ ۞ إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولُو كَرِيرٍ ۞ دِى فُوَّةٍ عِندَ ذِى الْمَرَّقِ مَكِيْدٍ ۞ مُطَاعِ ثَمَّ أَمِينِ ۞ رَبَّا صَاحِبُكُمْ بِمَخْتُونِ ۞ رَلَقَدْ رَبَّهُ بِالْأَنْقِ ٱلْمُبِينِ ۞ رَبَّا مُوَ مِنْقِلِ مُتَنِّعِنِ تَجِمِ ۞ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۞ إِنْ هُمُو إِلَّا دِكْرٌ لِلْمَالِمِينَ ۞ لِمِن شَلَةً مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم

⁽۱) معديوانهه ٢٠٣/١ وفي الأغاني؟ والكامل، والمعاهد التنصيص، وجدي الذي منع الوائدات، وهو في اللسان؛ وأد، والمجاز القرآن، (٢/ ٢٨٧)، والقرطبي (١٩/ ٢٣١)، وفسواهد الكشاف، (١٠٧).

⁽Y) في الفسير ابن كثير؛: أجرى الحديث. (٣) وهو الأقرب إلى الصواب.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالِيَٰٰلِ إِنَّا عَسْمَسَ ﴿ فَهِ قُولان: أَحَدُهُمَا: ولَّى، قاله ابن عباس، وابن زيد، والفراء. والثاني: أقبل، قاله ابن جبير، وقتادة. قال الزجاج: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل. وعسعس: إذا أدبر. واستدلّ من قال: إن المراد: إدباره بقوله تعالىٰ: ﴿ وَالشَّبْحِ إِنَا نَشَنَ ﴿ وَانشد أَبُو عَبِيدة لَعَلْقَمَة بن قرط:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنفُّسَا مَا مُن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

وفي قوله تعالى: ﴿ نَفُسَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه طلوع الفجر، قاله على وقتادة. والثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك. قال الزجاج: معناه: إذا امتد حتى يصير نهاراً بَيّناً. وجواب القسم في قوله: ﴿ فَلَا أَفْيمُ بِلَكْنِسُ ﴿ وَ وَ ابعده قوله : ﴿ إِنَّمُ لَقُولُ رَسُولٍ كَرِيرٍ ﴿ وَ العني : أن القرآن نزل به جبريل. وقد بيّناً هذا في الحانة: ١٤٠. ثم وصف جبريل بقوله تعالى: ﴿ ذِنُو بِرَقٍ ﴾ وقد شرحناه في النجم آية: ٢] ﴿ ذِنُ فَزَةٍ عِندَ ذِى الْمَرْنُ مَكِنٍ ﴾ يعني: في السموات تطبعه الملائكة. فَمِنْ طَاعَةِ الملائكة له: أنه أَمرَ خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتحها لمحمد ﷺ فدخلها ورأى ما فيها، وأمر خازن جهنم ففتَح له عنها حتى نظر إليها. وقرأ أُبَيّ بن كعب، وابن مسعوده وأبو حيوة فئمًا بضم الثاء. ومعنى قامين على وحي الله ورسالاته. قال أبو صالح: أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

قوله تعالى: ﴿وَنَا صَاحِبُكُو سِبَجُونِ ﴿ عَني محمداً ﷺ، والخطاب لأهل مكة. قال الزجاج: وهذا أيضاً من جواب القسم، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس بمجنون كما يقول أهل مكّة.

قوله تعالىٰ: ﴿رَلَفَدْ رَءَاهُ بِٱلْأَنْيَ ٱلْمُبِينِ﴾ قال المفسرون: رأى محمد ﷺ جبريل على صورته بالأفق. وقد ذكرنا هذا ني سورة [النجم: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَرَا هُو﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿عَلَ النَّبِ﴾ أي: على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض ﴿يِمَنِينِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس "بظنين" بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. قال ابن قتيبة: من قرأ بالظاء، فالمعنى: ما هو بمُتَّهم على ما يُخبر به عن الله، ومن قرأ بالضاد، فالمعنى: ليس ببخيل عليكم بعلم ما غابَ عنكم مما ينفعكم. وقال غيره: ما يكتمه كما يكتم الكاهن ليأخذ الأجر عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُرُ ﴾ يعني: القرآن ﴿ بِقَرِلِ شَيْطُنِ تَجِيرٍ ﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا: إنما يجيء به الشيطان، فيلقيه على لسان محمد في المنافقة على السيطان، فيلقيه على لسان محمد في المنافقة على السيطان، فيلقيه على السيطان المنافقة على المنافقة على السيطان المنافقة على المنافقة على السيطان المنافقة على المنا

قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ ثَلَّمُهُونَ ﴿ ﴾ قال الزجاج: معناه: فأي طريق تسلكون أبْيَنَ من هذه الطريقة التي قد بَيَّنْتُ لكم؟ ﴿ وَلَا هُو ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِتَعَلِيبَ ﴾ أي: موعظة للخلق أجمعين ﴿ لِمَن شَاةَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿ فَهِ على الحق والإيمان. والمعنى: أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق. وقد بيَّنًا سبيل الاستقامة، فمن شاء أخذ في تلك السبيل. ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا ، وقد بَيَّنًا هذا في سورة [الإنسان: ٣٠] قال أبو هريرة: لما نزلت ﴿ لِمَن شَاءً مِنكُمْ اللهُ يَسْتَقِيمَ ﴾ قالوا: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَا أَن يَشَاةَ اللهُ رَبُ الْمَلْكِيبَ ﴾ وقيل: القائل لذلك أبوجهل. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو المتوكل، وأبو عمران: ووما يشاؤون بالياء.

فصل

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى: ﴿لِمَن شُلَة مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۞﴾ وقوله تعالىٰ في [عبس: ١٦]: ﴿فَنَ شَلَة مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۞﴾، وقوله تعالىٰ في منورة [الإنسان: ٢٩] وفي سورة [المزمل: ١٨]: ﴿فَنَن شَلَة أَنْحَذَ إِلَى رَبِهِ. سَبِيلًا﴾ كله منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاهُونَ إِلَا أَن يَشَلَة اللهُ ﴾ ولا أرى هذا القول صحيحاً؛ لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجَّه النسخ. فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنسخ وجه.

⁽۱) همجاز القرآن، ۲/ ۲۸۸، والطبري ۳۰/ ۷۹، والقرطبي ۲۳٦/۱۹.

سورة الانفطار

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

ينسيد ألمّ الكنِّف التحسيد

﴿ إِذَا السَّنَاءُ السَّلَةِ السَّلَوَ ﴿ وَإِنَا الْكَوْلَاكُ النَّذَتِ ﴿ وَإِنَا الْهِيْرُ ثَلِيَ الْهُورُ بَشِرَتَ ﴿ وَإِنَا النَّهُورُ اللَّهُورُ اللَّهُورُ اللَّهُورُ اللَّهُورُ اللَّهُ اللَّهُورُ اللَّهُ اللَّهُورُ اللَّهُ اللَّهُورُ وَ اللَّهِى خَلَقَافَ مَسْوَقِكَ فَمَدَكَ ﴿ فِي أَنِي سُورَةٍ مَا عَنَهُ رَبُكِكَ ﴿ كَالَمُ كَلَا اللَّهُ ال اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالىٰ: ﴿ إِذَا السَّمَاتُ النَّطَرَتُ ﴿ إِذَا النَّطَارِهَا: انشقاقها. و﴿ اَنْتَرَتْ ﴾ بمعنى تساقطت. و﴿ أَيُورَتُ ﴾ بمعنى فُتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً. وقال الحسن: ذهب ماؤها، و﴿ بُثِوْرَتْ ﴾ بمعنى أثيرت. قال أبن قتيبة: قُلِبَتْ فأُخْرِج ما فيها. يقال: بَغْفُرْتُ المتاع وبَحْفَرْتُه: إذا جعلتَ أسفله أعلاه.

قوله تعالىٰ: ﴿ مَلِمَتَ نَفْشُ مَّا مَدَّمَتَ وَلَخَرَتَ ۞﴾ هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالىٰ: ﴿ بَكُمْ الْإِمْنُ بَيْمَلِمْ يِمَا قَدَّمَ وَلَمُرَّ ۞﴾ [القيام: ١٣].

قوله تعالىٰ: ﴿ كِأَيُّهُا ٱلْإِنْكُ فِيهِ أَربِعَةَ أَقُوالَ: أَحَدُهَا: أَنه عُنِيَ بِهِ أَبُو الأَشْدِينِ (١٠)، وكان كافراً، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المنثر: ٣٠]. والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبيّ بن خلف، قاله عكرمة. والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي (٢).

قوله تعالىٰ: ﴿مَا غَرُّكُ قَالَ الرّجاجِ: أي: ما خَدَعك وسوَّلَ لك حتى أضعتَ ما وجب عليك؟ وقال غيره: المعنى: ما الذي أمَّنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذْ لم يعاقبك عاجلاً؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غرَّك بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرني سُتورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غرَّك بي؟ قلت: بِرُّك مالفاً وآنفاً. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لقن عبده الجواب، ليقول: غَرَّنى كرم الكريم.

قوله تعالى: ﴿ اَلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ ولم تكُ شيئاً ﴿ فَسَوَنكَ ﴾ إنساناً تسمع وتبصر ﴿ فَعَدَلكَ وَا ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر فنعذلك، بالتخفيف. قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه _ والله أعلم _: فصوَّرك إلى أي صورة شاء، إما حَسَن، وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير، وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القرابات تشبيهاً. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد _ والله أعلم _: جعلك معتدلاً، معدًل الخلقة. وقال غيره: عدَّل أعضاءك فلم تفضل يد على يد، ولا رِجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قوله تعالىٰ: ﴿ فِي أَيْ صُورَرَ مَا ذَاتَهُ رَكِّبَكَ ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون (ما) زائدة. ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركِّبك فيها ركِّبك. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: في أي صورة من صور القرابات ركِّبك، وهو معنى قول مجاهد. والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو

⁽١) قد تقدم الكلام عليه في سورة المدثر.

قصر، أو ذَكَر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء. والثالث: إن شاء أن يركّبك في غير صورة الإنسان ركّبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ إِلَاِينَ ﴾ وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَنظِينَ ۞ أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿ يَلْمُونَ مَا تَقَمَّلُونَ ۞ من خير وشر، فيكتبونه عليكم.

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَادَ لَفِي شِيمِ ﴿ وَذَلَكَ فِي الآخرة إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّة ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّادَ ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: الظَّلَمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا لبت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَهِي نَبِيمٍ ﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفَسُّ لِنَفْسِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «يومُ» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزجاج: من رفع «اليوم» فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين». ويجوز أن يكون رفعه (() بإضمار «هو» ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون ﴿ يُمْ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسِ شَيْئًا ﴾ قال المفسّرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحد إلا الله، ولم يملّك أحداً من الخلق شيئاً كما ملّكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.

卷 卷 卷

⁽١) في نسخة الرباط: رفعها، وفي النسخة الإستثبولية: رفعاً.

سورة المطففين

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والضحاك، ويحيى بن سلام. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل، إلّا أن ابن عباس، وقتادة قالا: فيها ثمان آيات مكية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِ اللهِ عَلَيْ اللهِ اللهِ آخرها. وقال مقاتل: فيها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَا اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ اللهِ الله عَلَيْ اللهُ الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ الله عَلَيْ اللهُ ابن سلَّمة (١) المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

ينسد ألَّهِ النَّابِ النَّهَدِ

﴿ وَبَلَّ لِلْمُطَفِيدِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْنَالُوا عَلَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُومُمْ أَو وَزَنُومُمْ بُغْيِمُونَ ۞ الَا يَظُنُ أُولَتِهِكَ أَنَّهُمُ مَا وَزَنُومُمْ بُغْيِمُونَ ۞ الَا يَظُنُ أُولَتِهِكَ أَنَّهُمُ مَثْمُومُونًا ۞ لِينَ عَظِيمٍ ۞ بَرَمَ بَعُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْمَالِمِينَ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّلٌ لِلْمُطَيِّنِينَ ﴿ كَالَ ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَبِّلٌ لِلْمُطَيِّنِينَ ﴿ وَبِلُ الْمُحْمِينَةِ، وبها الكيل بعد ذلك (٢٠). وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية. وقد شرحنا معنى «الويل» في البقرة: ٧١]. وقال ابن قتيبة: المطفّف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طَفّانُ: إذا لم يكن مملوءاً. وقال الزجاج: إنما قيل: مطفّف، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلّا الشيء الطفيف، وإنما أخذ من طَفّ الشيء، وهو جانبه.

قوله تعالى: ﴿ اَلَٰذِينَ إِذَا اَكَالُواْ عَلَ النّاسِ ﴾ أي: من الناس. فـ هعلى المعنى همن عني قول المفسّرين واللغويين. قال الفراء: هعلى المفال وهمن يعتقبان في هذا الموضع الأنك إذا قلت: اكتلت عليك الخالث قلت: أخذت ما عليك [كيلاً] وإذا قلت: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك [كيلاً]. قال الزجاج: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وكذلك إذا اتَّزنوا، ولم يَذْكُر "إذا اتَّزنُوا»، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكال ويُوزَن، عليهما الكيل عليهما الكيل على الآخر ﴿ وَإِذَا كَالُومُ ﴾ أي: كالوا لهم ﴿ أَر زَنَوُهُم ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿ يُغْمِرُونَ ﴾ أي: ينقصون في الكيل والوزن. فعلى هذا لا يجوز أن يقف على «كالوا»، ومِنَ الناس من يجعل هم» توكيداً لما كالوا (٢٠٠)، ويجوز أن يقف على «كالوا» والمدّين إلى على «كالوا» والاختيار الأول. قال الفراء: سمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المدّ والمدّين إلى الموسم المقبل.

قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَشُنُ أَوْلَتِكَ أَنَّمُ مَّبُوثُونٌ ﴿ قَالَ الزجاج: المعنى: لو ظنّوا أنهم يُبْمَثُون ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿ لِنَهُ عَظِيمٍ ﴾ يعني به يوم القيامة ﴿ يَثُومُ النّاسُ ﴾ منصوب بقوله تعالى: ﴿ مَبَّوُثُونٌ ﴾ . قال المفسّرون: والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى: يقوم الناس، أي: من قبورهم ﴿ لِرَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ أي: لأمره، أو لجزائه وحسابه. وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء. وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: في

⁽١) في الأصل: سلام، وهو خطأ.

⁽٢) أخرجه ابن ماجه (٧٤٨/٢)، والطبري (٣٠/ ٩١)، والواحدي (٣٣٣)، وقال الحافظ في "تخريج الكشاف" (١٢٨): رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. وأورده السيوطي في «المد» (٣٢٣/١) وزاد نسبته إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن ابن عباس.

 ⁽٣) قال الألوسي: و هم؛ ضمير مرفوع، تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو، يعني في «كالوا».

هذه الآية: اليقوم أحدهم في رَشَحِهِ^(١) إلى أنصاف أذنيه (^(١). وقال كعب: يقفون ثلاثمائة عام. قال مقاتل: وذلك إذا خرجوا من قبورهم.

قوله تعالى: ﴿كُلّا﴾ ردع وزجر، أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا. وهاهنا تم الكلام عند كثير من العلماء. وكان أبو حاتم يقول: ﴿كُلّا﴾ ابتداء يتصل بما بعده على معنى «حقّاً» ﴿إِنَّ كِنَبُ ٱلْفُبَّارِ﴾ قال مقاتل: إن كتاب أعمالهم ﴿لَنِي سِيِّنِ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الأرض السابعة، وهذا قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل. وروي عن مجاهد قال: ﴿سِيِّينِ﴾ صخرة تحت الأرض السابعة، يجعل كتاب الفجار تحتها، وهذه علامة لخسارتهم، ودلالة على خساسة منزلتهم. والثاني: أن المعنى: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن. والثالث: لغي خسار، قاله عكرمة. والرابع: لغي حبس، فِعِّيل مِنْ السجن، قاله أبو عبيدة (٣).

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَّا أَذَرَكَ مَا سِمِّينٌ ۞﴾ هذا تعظيم لأمرها. وقال الزجاج: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

قوله تعالىٰ: ﴿ كِنَتُ مَرْتُومٌ ﴿ ﴾ أي: ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب مرقوم، أي: مكتوب. قال ابن قتيبة: والرقم: الكتاب. قال أبو ذويب:

عَسرَفْتُ السِدِّيَارَ كَسرَفْسم السِدَّوَا قِيَسْرُبُرُه السَّكَاتِبُ السَّحِيْسِي (٤)

وأنشده الزجاج: «يَلْبِرها» بالذال المعجمة، وكسر الباء. قال الأصمعي: يقال: زبر: كتب، وذبر: قرأ. وروى أبو عمرو عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الصواب: زبرت بالزاي _ كتبت. وذبرت _ بالذال _ أثقنت ما حفظت. قال: والبيت يزبرها، بالزاي والضم. وقال ابن قتيبة: يروى «يزبرُها» وهيذبرُها» وهو مثله، يقال: زبر الكتاب يزبُره، ويزبِره. وذبره يذبُره، وينبِره. وقال قتادة: رقم له بشرً، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر. وقيل: المعنى: إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَلُ يَوْمِلِ لِلْمُكَلِّبِينَ ﴿ هَذَا منتظم بقوله تعالىٰ: ﴿ يَهُم النّاسُ ﴾ وما بينهما كلام معترض. وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالىٰ: ﴿ يَلُ كَانَ عَلَ قُلُومِم ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر "بَل رَّانَ بفتح الراء مدغمة، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ بَل رَّانَ المغمة بكسر الراء، وقرأ حفص عن عاصم ﴿ بَلّ ﴾ بإظهار اللام ﴿ رَانَ الخمرة ترين على عقل السكران. قال الزجاج: قرئت بإدغام اللام في الراء، لقرب ما بين الحرفين، وإظهار اللام جائز، لأنه من كلمة، والرأس من كلمة أخرى. ويقال: ران على قلبه الذّنب يرين ريناً: إذا غشي على قلبه، ويقال: غان يغين غيناً، والغين كالغيم الرقيق، والرين كالصدأ يغشى على

⁽١) أي: عرقه، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء، كما يرشح الإناء المتحلل الأجزاء.

 ⁽٢) رواه مالك في «الموطأ» والبخاري ٨/ ٥٣٥، ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لمسلم.

⁽٤) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، وهو في ديوان الهذليين؛ (١/ ٦٤)، واغريب القرآن؛ (٥١٩) وفيهما: ايزبرها، بدلاً من ايزبرها.

القلب. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: الغين يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿ كُلًا بَلْ رَنَ ﴾ وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي (١)، وكذلك الراية تقال بالراء، وبالغين، والرميصاء تكتب «بالغين»، وبالراء، لأن الرمص يكتب بهما. قال المفسّرون: لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم. قال الحسن: هو الذَّنب على الذَّنب حتى يعمى القلب (٢).

قوله تعالىٰ: ﴿ كُلاّ ﴾ أي: لا يصدِّقون. ثم استأنف ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ بِهَوَهُمِلِنَ ﴾ قال ابن عباس: إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسُّخْطِ دلّ على أن قوماً يَرَوْنه بالرضا(٢٠). وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عَلَى يُرى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسَّت منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم. ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَمُ إِنَّهُمْ لَسَالُوا لَلْمَتِيمُ ﴿ ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمُ هُمَّالُ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار: ﴿ هَلَا﴾ العذاب ﴿ اللَّذِي كُمُمُ بِمِ تَكَلِّكُ أي: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه. ثم أعلم أين محل ﴿ كِنَبُ الْأَبْرَابِ فقال تعالىٰ: ﴿ لَهِى عِلْتِبنَ ﴾ وفيها سبعة أقوال: أحلها: أنها الجنّة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، قاله كعب، وهو مذهب مجاهد، وابن زيد. والرابع: أنها قائمة العرش اليمنى، قاله قتادة. وقال مقاتل: صاق العرش. والخامس: أنه سدرة المنتهى، قاله الضحاك. والسابع: أنه في علم وصعود إلى الله رضية العسن. وقال الفراء: في ارتفاع بعد ارتفاع. والسابع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ رَمَّا أَنْرَنكَ مَا مِلْيُونَ ﴿ مَا مِذَا، تعظيم لشأنها .

قوله تعالى: ﴿ كِنَتُ تَرَقُرُمُ ۞ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلها.

قوله تعالى: ﴿يَلْهَدُهُ الْفَرْقَانَ ﴿ أَي يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صُعِد به إلى عليين. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الانتظار: ١٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَظُرُونَ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: إلى ما أعطاهم الله من الكرامة. والثاني: إلى أعدائهم حين يعلَّبون.

قوله تعالى: ﴿ تَمُونُ فِى رُبُوهِهِ مُ نَعْرَةَ النَّيدِ ﴿ وَ وَرَا أَبُو جعفر، ويعقوب اللّهُ وَلَا النعيم، التاء، وفتح الراء النصرة بالرفع. قال الفراء: بريق النعيم ونداه. قال المفسّرون: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، لما ترى من الحسن والنور. وفي الرحيق؛ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال: أحدها: أجود الخمر، قاله الخفش. والثالث: الخمر البيضاء، أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد. والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش. والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل. والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة. والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن، والثالث: أنه الشراب الذي لا غشّ فيه، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وفي قوله تعالى: ﴿ مَحْتُومٍ كُ ثلاثة أقوال: أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود. والثاني: مختوم على إنائه، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد. والثالث: له ختام، أي: عاقبة ريح، وتلك العاقبة هي قوله تعالى: ﴿ فِتَنَكُمُ مِسْكُ ﴾ أي: عاقبته. هذا قول أبي عبيدة. ﴿ فِتَنَكُمُ مِسْكُ ﴾ قرأ ابن كثير،

⁽١) روى مسلم في (صحيحه؛ ٤/ ٢٧٧٥ عن الأغرّ المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنَّهُ لَيْغَانَ عَلَى قَلْمِي، وَإِنِّي لأَسْتَغَفَّر الله في اليوم ماثة مرةًا.

⁽٣) وقال ابن كثير: قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه الله يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دل عليه منطوق قوله تمالئ: ﴿ وَيُرْهُ ۚ فَيَهُوا ۚ فَي الله الله على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عزّ وجلّ في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي رؤيث الحبان الفاخرة.

وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة ﴿ غِنَنُهُ ﴾ بكسر الخاء، وبفتح الناء، وبألف بعدهما، مرفوعة الميم. وقرأ الكسائي ﴿ خَاتَمه ﴾ بخاء مفتوحة، بعدها ألف، وبعدها (١) تاء مفتوحة. وروى الشيزري ﴿ خَاتِمه ﴾ مثل ذلك، إلّا أنه يكسر الناء. وقرأ أبَيُّ بن كعب، وعروة، وأبو عالية: ﴿ خَتَمَه ﴾ بفتح الخاء والناء و[بضم] الميم من غير ألف. وللمفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿ خِتَنُهُم مِسْكُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: خَلْطُه مسك، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أن خَتْمَه الذي يختم به الإناء مسك، [قاله ابن عباس. والثالث: أن طعمه وريحه مسك، قاله علقمة. والرابع: أن آخر طعمه مسك] (٢) قاله سعيد بن جبير، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتية، والزجاج في آخرين.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَكَافَي الْمُنْكَافِسُونَ ﴾ أي: فليجدُّوا في طلبه، وليحرصوا عليه بطاعة الله. والتنافس: كالتشاخ على الشيء، والتنازع فيه.

قوله تعالىٰ: ﴿ رَمْنَائِمُمُ مِن نَسْنِيمٍ ﴿ فَه قولان: أحدهما: أنه اسم عين في الجنّة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين. والثاني: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك. قال مقاتل: وإنما سمى تسنيماً، لأنه يتسنّم عليه من جنة عدن، فينصبُّ عليهم انصباباً، فيشربون الخمر من ذلك الماء. قال ابن قتيبة: يقال: إن التسنيم أرفع شراب في الجنّة. ويقال: إنه يمتزج بماء ينزل من تسنيم، أي: من علق. وأصل هذا من سنام البعير، ومن تسنيم القبور. وهذا أعجب إليَّ، لقول المسيَّب بن عَلَس في وصف امرأة:

كَانًا بِسِيسَةَ بِهِا لِلْمِزَا جِمِنْ ثَلْجِ تَسْنِيم شِيْبَتْ عُفَارًا(٣)

أراد: كأن بريقتها عُقَاراً شِيْبَتْ للمزاج من ثلج تسنيم، يريد: جَبلاً. قالِ الزَجاج: المعنَى: ومزاجه من تسنيم عيناً تأتيهم من تسنيم، أي: من علق يَتَسَنَّم عليهم من الغرف. فـ «عيناً» في هذا القول منصوبة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ إِلْمُكُرُّ فِي يَوْمِ وَى مَسْفَبَرُ ﴾ وَيَتَسَلُهُ البلد: ١٥]. ويجوز أن تكون «عيناً» منصوبة بقوله: يُسْقُون عيناً، أي: من عين. وقد بيناً معنى ﴿ يَشْرَبُ بِهَا هُ فِي الْمُل أَنِي: ٢٤].

﴿ إِنَّ الَّذِيكَ أَجْرَمُوا كَافُوا مِنَ الَّذِينَ مَامَثُوا يَشْمَكُونَ ﴿ وَإِنَا مَثُوا بِهِمْ يَنَفَامَرُونَ ﴿ وَإِنَا انْفَلَتُوا إِلَٰهِ ٱلْمَلِيمُ الْفَلْبُوا وَكِهِبَ ﴿ وَإِنَا مَرْمُوا مِنْهِمُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُوا عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِمُ عَلَيْهِمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِمُ عَلَيْهِمُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَالِمُونَ عَلَيْهُمُ عَالِمُوا عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمُ عَلِيهُمُ عَلَيْهُمُ عَلْ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الِّذِي اَبْرَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ كَانُوا مِن الَّذِينَ ءَامَثُوا ﴾ يعني أصحاب رسول الله على مثل عمّار، وبلال، وخبّاب وغيرهم ﴿ يَشْمَكُونَ ﴾ على وجه الاستهزاء بهم ﴿ وَإِذَا مَرُوا ﴾ يعني: المؤمنين ﴿ بِيمْ ﴾ أي: بالكفار ﴿ يَنْفَاتُونَ الله أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاء بهم ﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا ﴾ يعني: الكُفّار فإِلَى أَهْلِهِمُ أَنْقَلَبُوا فاكهين ﴾ أي: متعجّبين بما هم فيه يتفكّهون بذكرهم. وقرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم، وعبد الرزاق عن ابن عامر ﴿ وَكِهِينَ ﴾ بغير ألف. وقد شرحنا معنى القراءتين في ايس: ٥٥ ﴿ وَإِذَا رَأَوْمُمْ ﴾ أي: رأوا أصحاب رسول الله على ﴿ وَمَنَا أَرْسِلُوا ﴾ يعني الكفار ﴿ عَلَيْمَ ﴾ أي: على المؤمنين ﴿ حَنفِظِينَ ﴾ يحفظون أعمالهم عليهم، أي: لم يُوكّلوا بحفظ أعمالهم ﴿ فَالْبَرَ ﴾ يعني: في الآخرة ﴿ اللَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ النَّمُوا مِن الخروج، عُلْقت أبوابها وونهم . والمؤمنون ﴿ عَلَيْمِ الله المنار وهم فيها: اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا أقبلوا يريدون الخروج، غُلقت أبوابها دونهم. والمؤمنون ﴿ عَلَ الأَرْبِهِ المنار وهم فيها: اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا أقبلوا يريدون الخروج، غُلقت أبوابها دونهم. والمؤمنون ﴿ عَلَى المَارَبُ الله الله عليه عنها عدوهم. قال مقاتل: لكل رجل من أهل الجنة ثلمة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذّبون، فيحمدون الله على ما أكرمهم به، فهم يكلمون أهل النار ويكلمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها، فتسدّ حينذ الكوى.

قوله تعالىٰ: ﴿ مَلْ ثَوْبَ ٱلكُمَّارُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وهارون عن أبي عمرو ﴿ مَلْ ثُوِبَ﴾ بإدغام اللام. أي: هل جوزوا وأثيبوا على استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير.

⁽١) في الأصل: وبعده.

⁽٢) ما بين المعقوفين سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الإستنبولية.

⁽٣) البيت في اغريب القرآن ٥٢٠٥.

سورة الانشقاق

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بنب الله الكنب العكب ي

﴿إِذَا النَّمَانُهُ اَنْتَفَتْ ۞ وَاَوْتَ لِزُمَا وَخُفَّتْ ۞ وَإِنَّ الْأَرْضُ مُنَّتَ ۞ وَاَلْقَتْ مَا يَهَا وَقَفْتْ ۞ وَاوْتَ لِرَبَّا وَخُفَّتْ ۞ بَتَأَيْمَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَارِجُ إِلَى وَلِكَ كَدْمًا فَشَلُقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُولِّ كِنَبَتُمْ بِيَهِينِيْهِ ۞ فَسَوْقَ بِحَاسَبُ حِسَابًا بَسِيرًا ۞ وَيَقَلِبُ إِلَّهِ أَمْلِهِ سَسْرُورًا ۞ وَيَشَلَى سَمِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِيهُ أَمْلِي مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِيهُ أَلِمِنَا ﴾ مَنْ أُولِ ﴾ مَنْ أُولِ ﴾ أَنْ أُولًا ﴾ أَنْ أُولًا ﴾ أَنْ فِيهُ أَلْمِنْ أَنْ أَنْ أَنْ لَنْ بَحُورًا ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا اَلتَمَانُهُ اَنشَانُهُ اَنشَانُهُ اللهُ قَلَ اللهُ في مواضع من المعلمات الساعة. وقد ذكر ذلك في مواضع من المقرآن: [الفرقان: ٢٥، الرحمٰن: ٣٧، الحاقة: ٢٦]. ﴿وَأَوْنَتَ لِرَبّا﴾ أي: استمعت وأطاعت في الانشقاق، من الأذن، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه، وأنشدوا:

فَ إِنْ ذُكِرْتُ بِسُروع عِنْدَهُ مَ أَذِنُدوا(١)

صُـمٌ إذا سَــمِــعُــوا خــيــراً ذُكِــرْتُ بِــهِ

﴿وَحُقَتْ﴾ أي: حتَّى لها أن تُطيع ربَّها الذي خلقها ﴿وَإِنَا ٱلأَرْضُ مُنَّتْ ۞﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الأديم، ويزاد في سَعَتها. وقال مقاتل: لا يبقى جبل ولا بناءً إلّا دخل فيها.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالْقَتْ مَا فِيهَ﴾ من الموتى والكنوز ﴿وَمَنَكَ ﴾ أي: خَلَتْ من ذلك، فلم يبق في باطنها شيء. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال: أحدها: أنه متروك، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن، والثاني أنه ﴿يَكَانُهُ الْإِسْلُنُ ﴾ ووالثاني أنه ﴿يَكَانُهُ الْإِسْلُنُ ﴾ كقول القائل: إذا كان كذا وكذا، فيا أيها الناس ترون ما عملتم، فيجعل ﴿يَكَانُهُ الْإِسْلُنُ ﴾ هو المجواب، وتضمر فيه الفاء، كأن المعنى: يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت، وذكر القولين الفراء. والثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت قاله المبرد، والرابع: أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالىٰ: ﴿فَلُقِيهِ ﴾. فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَارِحُ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: إنك عامل لربك عملاً، قاله ابن عباس. والثاني: ساع إلى ربّك سَعْياً، قاله مقاتل. قال الزجاج: و«الكدح» في اللغة: السعي، والدأب في العمل في باب الدنيا والأخرة.. قال تميم بن مقبل:

وَمَا السَّهْرُ إِلَّا تَسَارَتُنَانِ فَسَمِنْ هِمَا أُمُوت وأُخرى أَبْتَخِي العَيْشَ أَكْدَرُ (٢)

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: عامل لربك، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: إلى لقاء ربك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَنُلْقِيهِ﴾ قولان: أحدهما: فملاقي عَمَلَك. والثاني: فملاقي ربَّك، كما ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ نَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ ﴾ وهو أن تعرض عليه سيَّناته، ثم يغفرها الله له، وفي «الصحيحين» من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله، فإن الله يقول: ﴿ نَسَوْنَ

⁽۱) البيت لقَعْنَب بن ضمرة ابن أم صاحب أم قعنب، وكان في أيام الوليد، وهو في همجاز القرآن؛ ١٧٧/، و«الطبري» ٣٠/ ١١٢، و«السمط» ٣٦٣، ووالاقتضاب، ٢٩٢، و«الطبري» ٢٤٢، و«القرطبي» ٢٦٧/١٩، و«اللسان»: أذن، وأورد بيتاً قبله، هو:

إِنْ يَسْسَمَعُوا رِيسَبَةً طَارُوا بِهِا فَسَرَحاً مِيسَتِي ومنا عسلسمنوا من صَالَعِ دفسنوا (٢) ديوانه (٢٤)، وسيويه (٣١٨)، والكامل، ٣٠٨/، و(الحيوان، ٤٨/، و(حماسة البحتري، ١٨٣)، والقرطي ١٨٩/٩.

يُعَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ ﴾؟! قال: ذلك العرض، (١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَنَكِبُ إِنَّ آهَلِمِ ﴾ يعني: في الجنّة من الحور العين والآدميات ﴿بَسَرُورًا﴾ بما أُوتي من الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أُونَ كِنَبُمُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ. ﴿ ﴾ قال المفسّزون: تُغَلَّ يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره ﴿نَسَوْفَ يَنَعُوا بُورًا ۞ قال الزجاج: يقول: يا ويلاه، يا ثُبُوراه، وهذا يقوله كلَّ من وقع في هلكة.

قُوله تعالىٰ: ﴿وَيَصْلَىٰ سَمِيرًا ﴿ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ﴿وَيُصَلَّى ابضم الياء، وتشديد اللام. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة ﴿ويصلى المناع خفيفة، إلّا أن حمزة والكسائي يميلانها. وقد شرحناه في سووة [النساء: ١١].

﴿ يَلُ إِذَ رَبَهُ كَانَ بِهِ. بَسِيرًا ۞ فَلاَ أَنْسِمُ بِالشَّفَقِ ۞ وَالْتَبِلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَالْشَمَرِ إِذَا أَشَّقَ ۞ لَتَرَكُبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۞ وَلِذَا مُوعَ عَلَيْهِمُ ٱلْفُرَادُ لَا يَسْبُدُونَ ۗ ۞ كِي ٱلْذِينَ كَنْرُواْ بْكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوغُونَ ۞ تَبْفِرْهُم مِمْ اللَّذِينَ مَامِنُوا وَمُعَلِمُونَ الْفَرَادُ لِللَّهِ مَنْ اللَّهِ عَبْرُ مَنْدُونِ ۞ ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّرُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ قال الفراء: المعنى: بلى ليحورون، ثم استأنف، فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّرُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ قال المفسّرون: بصيراً به على جميع أحواله.

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ أُوسِمُ ﴾ قد سبق بيانه. فأما «الشفق» فقال ابن قتيبة؛ هما شفقان: الأحمر، والأبيض؛ فالأحمر: من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم يغيب، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل. وللمفسّرين في المراد «بالشفق» هاهنا ستّة أقوال: أحدها: الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقد روى ابن عمر عن رسول الله على أنه قال: «الشفق: الحمرة» وأبى وهذا قول عمر، وابنه، وابن مسعود، وعبادة، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، ومالك، والأوزاعي، وأبي يوسف، والمنافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق، وكان أحمر. والثاني: أنه النهار. والثالث: الشمس، روي القولان عن مجاهد. والرابع: ما بقي من النهار، قاله عكرمة. والخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر محمد بن على. والسادم: أنه البياض، قاله عمر بن عبد العزيز.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّيْلِ وَمَا وَسُقَ ۞ أَي: وما جمع وضم. وأنشادوا:

إِنَّ لِـنسا قَـلَايُسِماً حَـقَايُـقَا ﴿ مُسْتَوْسِقَاتِ لِـو يَجِدُنَ سَائِـقَا(اللهُ عَالَيْ اللهُ اللهُ ال

قال أبو عبيدة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما علا فلم يمنع منه شيء، فإذا جلّل الليل الجبال، والأشجار، والبحار، والأرض، فاجتمعت له، فقد وسقها. وقال بعضهم: معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرّفه إلى مأواه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا آتَسَقَ ﴿ قَالَ الفراء: اتساقه: اجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، إلى ست عشرة.

⁽١) رواه البخاري ١٧٦/١ و٨/ ٣٥٥ و٢١/٧٤٦، ومسلم ٤/ ٣٢٠٤، ورواه الطبري ٢٠/ ١٦٦، والترمذي ٢/ ١٦٩ وقال: حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٩/٦ وزاد نسبته لأحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة ﷺ.

۲) (ديوانه) ١٦٩.

إس) أخرجه الدارقطني في اسنده ١٠٠، وصحح البيهقي وقفه، وقال في المعرفة، روي هذا الحديث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، ولا يصح عن النبئ الله في هذي السيوطي في اللذة موقوفاً على ابن عمر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

⁽٤) الرجز في الملحق ديوان العجاج؛ ٨٤، وهو في المجاز القرآن؛ ٢/ ٢٩١، والطبري، ٣٠/ ١٢٠، والقرطبي، ١٩/ ٢٧٥، واللسان، وسق.

إِنِّي أَمْرُوَّ قِيد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَسَاقَيْنِي طَبَقٌ مِنِه إلى طَبَيِّنْ (١)

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: أنه الشدائد، والأهوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الرخاء بعد الشدّة، والشدة بعد الرخاء، والغنى بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة، [قاله الحسن. والثالث: أنه كون الإنسان رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً [٢٠]، قاله عكرمة. والرابع: أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان وضيعاً، ويتضع من كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيد بن جبير. والخامس: أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأوّلين، قاله أبو عبيدة. وكان بعض الحكماء يقول: من كان اليوم على حالة، وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى سواه (٢٠).

قوله تعالىٰ: ﴿ فَنَا لَمُ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ لا يُؤْينُونَ ﴾ أي: لا يؤمنون بمحمّد والقرآن، وهو استفهام إنكار ﴿ وَإِذَا مُرَّعَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرَّانُ لاَ يَسْبُدُونَ ۗ ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يصلُّون، قاله عطاء، وابن السائب. والثاني: لا يخضعون له، ويستكينون، قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى. قال: وقد احتجّ بها قوم على وجوب سجود التلاوة، وليس فيها دلالة على ذلك، وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختصّ بمواضع منه.

قُولُه تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَ اللَّذِينَ كَذَرُواْ يَكُذِبُونَ ﴿ بِالقرآن، والبعث، والجزاء ﴿ وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿ فِي صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب. قال ابن قتيبة: ﴿ يُوعُونَ ﴾: يجمعون في قلوبهم. وقال الزجاج: يقال: أوعيت المعاع في الوعاء، ووعيت العلم.

قوله تعالى: ﴿نَائِيْرَهُم بِهَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ أَي: أخبرهم بذلك. وقال الزجاج: اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنّة والرحمة، العذابَ الأليم. و«الممنون» عند أهل اللغة: المقطوع.

帝 帝 帝

⁽١) أنشده القرطبي في اتفسيره؛ ١٩/ ٢٧٨.

⁽۲) زيادة سقطت من نسخة الرباط، واستدركناها من النسخة الإستنبولية.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك ـ وإن كان الخطاب إلى رسول الله على موجهاً ـ جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.

سورة البروج وهي مكية كلَّها بإجماعهم

يسب ألَّهِ النَّالِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالنَّهُ ذَاتِ ٱلْبُرُمِ ٢٠ قَد ذكرنا البروج في العجر: ١٦ ﴿ وَالِّيْرِ ٱلْوَعُودِ ٢٠ هـ و يوم القيامة بإجماعهم ﴿ رَشَاهِدِ وَيُشْهُودِ ﴾ فيه أربعة وعشرون قولاً: أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (١)، وبه قال عليّ، وابن عباس في رواية، وابن زيد. فعلى هذا سمّي يومُ الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما فيه، وسمّى يومُ عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة. والثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر، قاله ابن عمر. والثالث: أن الشاهد: الله كلف، والمشهود: يوم القيامة، رواه الوالبي عن ابن عباس، والرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن بن على. والسادس: أنَّ الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس، قاله جابر بن عبد الله. والسابع: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة، قاله الضحاك. والثامن: أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيّب. والتاسع: أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم، قاله سعيد بن جبير. والعاشر: أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة، قاله الضحاك. والحادي عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني عشر: أن الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال عكرمة. الثالث عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ وذرّيته، والمشهود: يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار. النحر، والمشهود: يوم عرفة، قاله إبراهيم. والسادس عشر: أن الشاهد: عيسى ﷺ، والمشهود: أمَّته، قاله أبو مالك. ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهُمْ شَهِيدًا﴾ [الماننة: ١١٧]. والسابع عشر: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: أمَّته، قاله عبد العزيز بن يحيى، وبيانه ﴿وَجِقْنَا بِكَ عَلَىٰ مَتَوُلَّاهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. والثامن عشر: أن الشاهد: هذه الأمّة، والمشهود: سائر الناس، قاله الحسين(٢) بن الفضل، ودليله ﴿ لِنَكُونُواْ شُهَدَآهَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والتاسع عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، قاله محمد بن على الترمذي، وحكي عن عكرمة نحوه. والعشرون: أن

⁽١) رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وفي سنده موسى بن عُبيدة الرّبذي، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التقريب، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عُبيدة، وموسى بن عُبيدة: يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقال ابن كثير: وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عُبيدة الربذي، وهو ضعيف، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

⁽٢) في الأصل: الحسن.

الشاهد: الحق، والمشهود: الكون، قاله الجنيد. والحادي والعشرون: أن الشاهد: الحجر الأسود، والمشهود: الحاج. والثاني والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، والمشهود: محمد على، وبيانه فرَإِذَ أَخَذَ الله وييئنَ النِّيتِينَ ... ﴾ الآية الله عمران: ١٨]. والشالث والعشرون: أن الشاهد: الله على، والملائكة، وأولو العلم، والمشهود: لا إله إلّا الله، وبيانه فرشَهدَ الله أنّه أنّه لا إله إلّا الله، وبيانه فرشَهدَ الله أنّه أنّه لا إله إلّا الله وبيانه فرشهد الله الله الله المشهود: الأمم، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله (١١). الله الله المشاهد: الأبياء على المشهود: الأمم، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله (١١). وفي جواب القسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: فإنّ بَلَسُ رَبِّكَ لَسَيدٍ في قاله قتادة، والزجاج. والثاني: أنه قوله تعالى: فراً النّه الله والمألف الله عروك، وهذا اختيار ابن جوير.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَيُلَ أَضَنُ ٱللَّٰذَدُودِ ۞ أَي: لُعِنُوا. والأخدود: شقّ يشقّ في الأرض، والجمع: أخاديد. وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار، وألقَّوا فيها من لم يكفر. واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال: أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلُّمه السحر، وكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِك، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به: اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبني على جذع، وارمني بسهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربُّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنًا برب الغلام، فخدُّ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر الحديث، وفيه طول، وقد ذكرته في االمغني، واالحدائق، بطوله من كيف المخرج؟ فقالت(٣٠ [له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله ﷺ قد أحَلُّ نكاح الأخوات، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسَوه، خطبتَهم فحرَّمته. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السوط، ثم جرَّد السيف، فأبَوًّا، فحدٌّ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، وقذف من أبي قبول ذلك، قاله على بن أبي طالب^(٤). والثالث: أنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يَغْدِر بعضهم ببعض، فغَدَر كفارهم، فأخذوهم، فقال له رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابعكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحتم منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة. والوابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبَّار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبَوًّا، فخدَّ لهم أخدوداً، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس. والخامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى، فخدَّ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ يُلِنَّ أَصَنَهُ ٱلْأُمَّنُّدُورِ ۞ ﴾ وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه، قاله مقاتل. والسادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخذُوا لهم أخدوداً، وقلفوهم فيه، حكاه الزجاج^(ه). واختلفوا في الذين أحرقوا على خمسة أقوال: **أحدها**: أنهم كانوا من الحبشة، قاله

 ⁽١) وقال الطبري بعد أن صرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف: والصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم
يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعني مما يستحق أن يقال: شاهد ومشهود.

 ⁽۲) انظر الحديث بطوله في دمسند أحمد، ١٧/٦، ودصحيح مسلم، رقم ٢٠٠٥، ودسنن الترمذي، ١٦٩/٢.

من هنا وحتى قبيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط، استدركناه من النسخة الإستنبولية، وقد بذلنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف
 كثير، نبهنا إلى بعضه، وأغفلنا أكثره لمقم فائدته.

 ⁽٤) ذكره الطبري ٣٠/٣٠ وفيه أن ذلك الملك كان من المعجوس، وأنهم كانوا أهل كتاب، وذكر في آخره: فلم يزالوا منذ ذلك يستحلّون نكاح الأخوات والبنات والأتهات.

عليّ كرّم الله وجهه. والثاني: من بني إسرائيل، قاله ابن عباس. والثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن. وقال الضحاك: كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله على بأربعين سنة. والرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد. والخامس: من النّبط، قاله عكرمة. وفي عددهم ثلاثة أقوال: أحلها: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: سبعون ألفاً، قاله ابن السائب. والثالث: ثمانون رجلاً، وتسعة نسوة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿ ﴾ هذا بدل من ﴿الْأَنْدُودِ ﴾ كأنه قال: قتل أصحاب النار، و﴿الْوَقُودِ ﴾ مفسّر في [البقرة: ٢٤]. وقرأ أبو رزين العقبلي، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، والحسن، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبلة «الوُقُودة بضم الواو. ﴿إِذَ هُرَ عَلَيْهَا تُمُودُ ﴿ ﴾ أي: عند النار. وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبقى ألفَوْه ﴿وَهُمْ عَنَى مَا يَشَلُونَ بِالنَّرْمِينِينَ شُهُودٌ ﴿ ﴾ أي: حضور، فأخبر الله ﷺ في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار، ولم يرجعوا عن دينهم،

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَنُواْ مِنْهُمْ ﴾ قرأ ابن أبي عبلة: «نَقِموا» بكسر القاف. قال الزجاج: أي: ما أنكروا عليهم إيمانهم، وقد شرحنا معنى نقموا في [المائدة: ٥٥] و[براءة: ٧٤] وشرحنا معنى ﴿اَلْمَزِيزِ ٱلْحَيِيدِ﴾ في [البقرة: ١٢٩، ٢١٧].

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلَقُهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يَخْفَ عليه ما صنعوا، فهو شهيد عليهم بما فعلوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيْنَ فَتُوا اللَّهِينِ وَالْكَوْمِينِ وَالْكُومِينِ وَالْكُومِينِ وَالْكُومِينِ وَالْكُومِينِ وَالْكُومِينِ وَالْكُومِينِ ﴿ وَالله وَمَا الله وَمَنِينَ ﴿ وَلَا الله وَمَنِينَ الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله وَالله وَمَنِينَ وَ وَهُ الله وَمَنِينَ وَهُ الله وَمَنِينَ وَالله وَاله وَالله وَ

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى النَّرُو الكِّيرُ ﴾ لأنهم فازوا بالجنّة. وقال بعض المفسّرين: فازوا من عذاب الكفار، وعذاب الآخرة.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَكُنَ رَبِّكَ ﴾ قال ابن عباس: إن أَخْذَهُ بالعذاب إذا أَخَذَ الظُّلُمَة والجبابرة ﴿لَشَدِيدُ ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مُوَ بُبُرِئُ وَشِيدُ﴾ فيه قولان: أحدهما: يبدئ الخلق ويعيدهم، قاله الجمهور. والثاني: يبدئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد شرحنا في [مود: ٩٠] معنى ﴿الْوَدُودُ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿ ذُو النَّرْشِ النَّجِيدُ ﴿ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم «المجيدِ، بالخفض، وقرأ غيرهم بالرفع، فمن رفع «المجيدُ، جعله من صفات الله الله عنه، ومن كسر جعله من صفة العرش.

قوله تعالى: ﴿ وَمَ لَ اللَّذِن كَدُودُ ﴾ أي: قد أتاك حديث ﴿ الْمَدُودِ ﴾ وهم الذين تجنّدوا على أولياء الله. ثم بَيْن من هم، فقال تعالى: ﴿ وَمَوْنَوْ وَتُكُودُ ﴾ لَي اللَّذِن كَفَرُوا ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ فِي تَكُوبِ ﴾ لك والقرآن، أي: لم يعتبروا بمن كان قبلهم ﴿ وَاللّهُ مِن وَرَاتِهِم مَجِيطًا ﴿ فَهُ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ﴿ بَلْ هُوَ وُمَانً يَجِدُ ﴾ أي: كريم، لأنه كلام الله، وليس كما يقولون بشعر، ولا كهانة، ولا سيحر. وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع "بَلْ هُوَ قُرانُ مَجيده بغير تنوين وبخفض «مجيد» ﴿ فَي تَتِح تَحَقُونِ ﴾ وهو اللّوح المحفوظ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب، فهو محفوظ عند الله، محروس به من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان منه. وقرأ نافع «محفوظ» رفعاً على نعت القرآن. فالمعنى: إنه محفوظ من التحريف والتبديل.

帝 帝 帝

وألقى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار. وذكر نحوه عن أسباط عن السدي، وعن ابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس، والله أعلم.

سورة الطارق

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

ينسب ألَّهِ النَّانِ النَّهَالِ النَّهَالِيَ

﴿ وَاسْتَمْ وَالْمَادِةِ ۞ وَمَا أَدَيْكُ مَا الطَّارِةُ ۞ النَّتُمُ الْقَاتِثُ ۞ إِن كُلُّ غَنِي أَا عَلَيْهَا عَانِظٌ ۞ فَيْتُطِ الْإِنسَانُ بِمَ عُلِقَ ۞ غَلِقَ مِن مُلَوَ دَافِقِ ۞ يَشَيُّ مِنْ بَيْنِ الشَّلْبِ وَالتَّرَامِبِ ۞ إِنَّمُ ظَنْ رَتَبِيهِ. لَقَادِدُ ۞ يَتَمْ ثَبَلَ السَّرَائِيرُ ۞ فَا لَمُ مِن قُوْزُ وَلَا مَاسِرٍ ۞ ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّهُو وَاللَّهِ ﴾ قال ابن قتيبة: الطارق: النجم، سمي بذلك، لأنه يطرق، أي: يطلع ليلاً، وكل من أتاك ليلاً، فقد طرقك. ومنه قول هند ابنة عتبة:

نسمسشي عسلسي السنسمسارق(١)

نـــحــن بـــنــات طـــارق

تريد: إن أبانا نجم في شَرَفه وعلوِّه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَّا أَذَرَكَ مَا اللَّهِ فَ ﴾ قال المفسّرون: ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً ٢٠ ، فلم يكن النبيّ ﷺ يلري ما المراد به حتى تبيّنه بقوله تعالى: ﴿ النَّبُمُ النَّابِيُ ﴾ يعني: المضيء، كما بيّنا في [الصافات: ١٠]. وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال: أحلها: أنه زُحل، قاله على ﷺ: وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس ﷺ قال: هو زحل، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد. والثاني: أنه الثريا، قاله ابن زيد. والثالث: أنه اسم جنس، ذكره على بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَ كُلُّ نَسِ ﴾ قرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو المتوكل [إنَّ] بالتشديد "كلَّ النصب ﴿ اَ عَلَيْ عَلَيْ) وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم الجحدري، وحمزة، وأبو حاتم عن يعقوب المَّا التشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. قال الزجاج: هذه الآية جواب القسم، ومن خفّف فالمعنى: لَعَلَيْها حافظ واما الغو. ومن شدد، فالمعنى: إلَّا " ، قال: فاستعملت الما الله في موضع الله في موضعين. أحدهما: هذا. والآخر (الا في باب القسم. تقول: سألتك لما فعلت، بمعنى: إلّا فعلت. قال المفسّرون: المعنى: ما من نفس إلّا عليها حافظ، وفيه قولان: أحدهما: أنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر. والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلّمه إلى المقادير، قاله الفراء. ثم نبّه على البعث بقوله تعالىٰ: ﴿ وَالْمَانِي مَلَى اللهِ عَلَى المَانِي المَّانِي المَّانِي فَلَى المَانِي المَ

قوله تعالىٰ: ﴿ عُلِنَ مِن مَا وَ وَانِينِ ﴾ قال الفراء: معناه: مدفوق، كقول العرب: سرٌّ^{٥)} كاتم، وهمٌّ ناصب، وليلٌ نائم، وعيشة راضية. وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً. قال الزجاج: ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، والمعنى: من ماءٍ ذي اندفاق^(١).

قوله تعالىٰ: ﴿ يَرْ بُيْنِ ٱلشُّلْبِ ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميفع، وابن أبي عبلة ﴿ الشُّلْبِ ﴾ بضم

 ⁽١) انظر «الأغاني» طبع دار الثقافة ٢١/٣٤٣، والقرطبي ٢٠/٢٠.

 ⁽۲) قال ابن كثير: قال تتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، قال: ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن
يطرق الرجل أهله طروقاً، أي: يأتيهم فجأة بالليل.

⁽٣) في الأصل: إلاط.

⁽٤) في الأصل: والأخرة.

⁽٦) في الأصل: من ماذا اندفاق.

⁽٥) في الأصل: ستر.

الصاد، واللام جميعاً، يعني: يخرج من صلب الرجل وتراثب المرأة. قال الفراء: يريد يخرج من الصلب والتراثب. يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي ﴿وَالتَّرْآبِ﴾ (١) ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موضع القلادة، قاله ابن عباس. قال الزجاج: قال أهل اللغة أجمعون: التراثب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القسر:

مُهَفْهَ فَةٌ بَيْضًاءُ غَيْدُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (٢)

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: السجنجل: المرآة بالرومية. وقيل: هي سبيكة الفضة، وقيل: السجنجل: الزعفران، وقيل: ماء الذهب. ويروى: البيت «بالسجنجل». والثاني: أن الترائب: اليدان والرجلان والعينان، رواه العوفي عن ابن عباس، ويه قال الضحاك. والثالث: أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، حكاه الزجاج.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ الهاء كناية عن الله ﷺ ﴿ ثَنَ يَشِيهُ الرجع: ردِّ الشيء إلى أوّل حاله. وفي هذه الهاء قولان: أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر، قاله الحسن، وقتادة. قال الزجاج: ويدلّ على هذا القول قوله تعالىٰ: ﴿يَمْ بُنُلَ التَرْبَيْرُ ۞ . والثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر، قاله الضحاك (٢٠). والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: ردّ الماء في الإحليل، قاله مجاهد. والثاني: على ردّه في الصلب، قاله عكرمة، والضحاك. والثالث: على حبس الماء فلا يخرج، قاله ابن زيد.

قوله تعالىٰ: ﴿يَرْمُ ثُنِّىَ اَلْتَرَايَرُ ۞﴾ التي بين العبد وبين ربّه حين يظهر خيرها من شرّها، ومؤدِّيها من مضيَّعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا، لا يُدرى أصلّى، أم لا؟ أتوضأ، أم لا؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سِرَّ، فكان زَيْناً في الوجه، أو شَيْناً. وقال ابن قتيبة: تُخْتَبَرُ سرائر القلوب.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَا لَمُ مِن مُوَّةٍ ﴾ أي: فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوّة يمتنع بها من عذاب الله ﴿ وَلَا تَامِرِ ﴾ ينصره.

﴿ وَالنَّذِهِ ذَاتِ النَّبِي ۚ كَا لَأَتِنِ ذَاتِ السَّنَعِ ۞ إِنَّهُ لَقَرًّا نَصَلٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلْمَانِ ۞ إِنَّمْ يَكِدُونَ كَذَا ۞ وَأَكِدُ كَذَا ۞ لَمِتِلِ الكَفْنِينَ أَنْهِائِهُمْ وُرَدًا ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالنَّهِ ذَاتِ النَّجْ ۞ أي: ذات المطر، وسمي المطر رجعاً لأنه يجيء ويرجع ويتكرَّر ﴿ وَالأَثْنِ ذَاتِ السَّمْعِ ۞ أي: ذات الشقّ. وقيل لها هذا، لأنها تتصدَّع وتتشقّق بالنبات، هذا قول المفسّرين وأهل اللغة في الحرفين.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَنَوْلٌ فَصَلٌ ﴿ كَا عَنِي به القرآن، وهذا جواب القسم. والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿رَمَا هُوَ اِلْمَنْ ﴾ أي: باللَّعِب. والمعنى: إنه جِدٌّ، ولم ينزل باللَّعِب. وبعضهم يقول: الهاء في ﴿إِنه كِناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

قُوله تعالىٰ: ﴿أَنَّمُ ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِدُنَ كَيْدًا﴾ [أي: يحتالون] وهذا الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة. ﴿وَأَكِدُ كَنَا ﷺ أي: أُجازيهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون، فأنتقم منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار. ﴿نَهِلِ الكَنْيِنَ ﴾ هذا وعيد من الله لهم. ومَهًل وأمْهِل لغتان جمعتا هاهنا. ومعنى الآية: مهّلهم قليلاً حتى أهلكهم، ففعل الله ذلك بِبَدْر، ونسخ الإمهال بآية السيف. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿نَوَلُوا ﴾ مهلاً،

⁽١) في الأصل: وفي التراب.

 ⁽٢) وديوانه، ١٥، ووإحجاز القرآن، للباقلاني ٢٧٠، والقرطبي ٢٠/٥، والمهفهفة: الخفيفة اللحم ليست برهلة، ولا ضخمة البطن، والمفاضة: المسترخية البطن، والتراثب جمع تربية، وهي موضع القلادة من الصدر.

⁽٣) واختاره ابن جرير الطبري.

ورويدَك بمعنى أمهل. قال تعالى: ﴿ فَهَلَ ٱلكَذِينَ أَيْهَاتُمْ رُثِيًّا ﴿ أَي أَمِيهُمْ أَنْ أَيْهُمُ كَانت بمعنى المهلاً. ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر. قال الشاعر: كسأنسها بسنسلُ مَسنُ يَسمُسشِسي مسلسى رُودِ(١)

أي: على مهل.

Section 1997

A STATE OF THE STA

*

Section 1985 August 1986

كانسها ثمل يسمشي عالبي رود تبكاد لا تستسلم السبسط حاء وطأتها وفي فأساس البلاغة؛ ٢٧٩/١: قال الهذلي:

⁽١) كذا أنشده ابن قتية في «مشكل القرآن» ٤٣٣، وتبعه ابن فارس في «الصاحبي» ١٣٤، و«مقاييس اللغة» ٤٥٨/٢، والصواب ما في «القرطبي» ٢٠/٢٠، و﴿اللسانِ مادة: رود قال الجموح الظفري:

تكادلا تبشله البيطحاء خيطوتها

. .

سورة الأعلى

وهي مكية كلُّها بإجماعهم(١)

ينسب ألمّو النَّانِ الرَّيَانِ الرَّيَانِ

وفي معنى ﴿مَيِّج﴾ خمسة أقوال: أحدها: قل: سبحان ربّي الأعلى، قاله الجمهور. والثاني: عَظَم. والثالث: صَلِّ بأمر ربك، روي القولان عن ابن عباس. والرابع: نَزَّه ربك عن السوء، قاله الزجاج. والخامس: نَزَّه اسم ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت معظم له، خاشع له، ذكره الثعلبي (٢٠). وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَسَدَ رَبِّكَ ﴾ قولان: أحدهما: أن ذكر الاسم صلة، كقول لَبيد بن ربيعة:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كِاملاً فَقَد اعْتَذَرْ (٣)

والثاني: أنه أصلي (١). وقال الفراء [سبح ربك، و](٥) سبح اسم ربك سواء في كلام العرب.

قوله تعالىٰ: ﴿ اللَّذِى خَلَقَ مُسَوَىٰ ﴿ ﴾ أي: فعدًل المخلق. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الانتظار: ٧] ﴿ وَاللَّذِى فَلَّرَ ﴾ قرأ الكسائي وحده «قَدَرَ» بالتخفيف ﴿ فَهَدَىٰ ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: قدَّر الشقاوة والسعادة، وهدى للرشد والضلالة، قاله مجاهد. والثاني: جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها إليه، قاله عطاء. والثالث: قدَّر مدة الجنين في الرجم ثم هداه (٢) للخروج، قاله السدي. والرابع: قدَّرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر لإتيان الأنثى، قاله مقاتل. والمخامس: أن المعنى: قدَّر فهدى وأضل، فحذف (وأضل»، لأن في الكلام دليلاً على ذلك، حكاه الزجاج. والسادس: قدَّر الأرزاق، وهدى إلى طلبها. والسابع: قدَّر الذنوب، وهدى إلى التوبة، حكاهما الثعلبي.

وقوله: «إلى الحول»، أي: إلى أن يحول الحول. والحول: السنة كاملة بأسرها، وقوله: «فقد اعتذرًا هنا، يمعنى أعذر، أي بلغ أقصى الغاية في العذر.

(٥) زيادة ليست في الأصل، ولكنها يقتضيها السياق. (٦) في الأصل: هدى.

⁽١) روى البخاري في اصحيحه ٨٧/٧ عن البراء بن عازب نلى قال: أوّل من قدم علينا من أصحاب النبيّ ﷺ (يعني بالمدينة) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في خشرين، ثم جاء النبيّ ﷺ، فما رأيت إهل المدينة فبرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿ يَتَح الشّر رَبِّكَ الْأَمْل ﴾ في سور مثلها اهـ. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وبسورة الفاشية في صلاة الجمعة والعيدين ووتر العشاء، وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: ﴿ هَلاَ صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يفشى ٤٠٠.

⁽٧) - وفي «الطبري»: نزه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه: أن تذكره إلّا وأنت له خاشع متذلّل، وفي «معالم التنزيل»: نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظّم ولذكره محترم. وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني لما نزلت ﴿مَيَّمَ بِلَتُم رَبِّكَ النَّيْلِي﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت ﴿مَرَّجَ النَّمَ ﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم» وإسناده صحيح.

⁽٤) قال الألوسي في فروح المعاني؛ ٩/٣٤٧: أي نزه أسماء عزّ وجلّ عمّا لا يليق، فلا تؤول مما ورد منها اسماً من غير مقتض، ولا تبقه على ظاهره إذا كان ما وضع له مما لا يصح له تعالىٰ، ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلاً إذا كان مختصاً به كالاسم الجليل، أو على وجه يشعر بأنه تعالىٰ وغيره فيه سواء إذا لم يكن مختصاً، فلا تقل لمن أعطاك شيئاً مثلاً: هذا رازقي على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به في محل لا يليق به...

قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِى أَنْرَجُ ٱلْرَغِنُ ﴿ إِي أَي: أَنبِت الْعِشْبِ، وما ترعاه البهائم ﴿فَجَمَلُمُ ﴾ بعد الخضرة ﴿غُنَاتُ ﴾ قال الزجاج، أي: جفَّفه حتى جعله هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل(). وقد بينا هذا في سورة [المومنين: ١١]. فأما قوله تعالىٰ: ﴿أَمْوَىٰ فَقَالَ الفراء: الأحوى: الذي قد اسود عن القِدَم، والعتق(٢)، ويكون أيضاً: أخرج المرعى أحوى: أسود من الخضرة، فجعله غثاء(٣)؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مُدَمَاتَتَانِ ۞ [الرحلن: ١٤].

قوله تعالىٰ: ﴿ سُنُتِّرُكُ فَلَا تَسَنَّ ۞ قال مقاتل: سنعلُّمك (١٤) القرآن، ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً.

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا شَاتَهُ اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أخدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: إلا ما شاء الله أن تنسى شيئًا، فإنما هو كقوله تعالىٰ: ﴿خَدَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلتَّهَوَتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآةً رَبُّكُ﴾ [مرد: ١٠٧]، فلا يشاء (٥٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَمَّرُ لَلْهَبَرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَّا يَعْفَى﴾ منهما ﴿وَيُلِيَّرُكَ لِلْبُمْرَىٰ ﴿ أَي نُسهًل (٢) عليك عمل الخير ﴿فَلَكُرُهُ أَي: فَسهُ القَلَمُ معنى الكلام الخير ﴿فَلَكُونَ أَي: عَظْ أَهل مكة ﴿إِنْ نَسَتِ الذَّكُرَى ﴾ وفي ﴿إِن كُلاثة أقوال: أحدها: أنها الشرطية، وفي معنى الكلام قولان، أحدهما: إن قُبِلَتُ (١) الذكرى، قاله يحيى بن سلام. والثاني: إن نفعت وإن لم تنفع، قاله علي بن أحمد النيسابوري. والثاني: أنها بمعنى ﴿قَدَّهُ، فتقديره: قد نفعت الذكرى، قاله مقاتل. والثالث: أنها بمعنى ﴿مَا المَّقَدِيرِهُ: فَلَمُ مَنْ الذَّكُرى، قاله مقاتل. والثالث: أنها بمعنى ﴿مَا المَّاكِرِهُ المَّاوِرِي.

قوله تعالىٰ: ﴿سَيَذَرُّكُ سيتّعظ (٨٠ بالقرآن ﴿مَن يَخَنَىٰ وَيَنجَنَبُهُ﴾ ويتجنّب الذكرى ﴿الْأَنْفَى الَّذِى يَسَلَ النَّارَ الكَبُرَىٰ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

﴿ وَ أَلْمَ مَن زَقَى ۞ رَكَرُ اَسْدَ رَبِدِ مَسَلَ ۞ بَل ثُؤيثُرُونَ الْحَيَزَةَ الدُّيَا ۞ وَالْآيِزَةُ خَبُرُ وَاَبْقَى ۞ إِنَّ هَنذَا لَهِي الشُّحُدِ الْأُولَ ۞ مُحُدِ إِرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنْكَ كَا الزجاج: أي: صادف البقاء الدائم، والفوز ﴿ مَن تَرَكَّ ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: من تطهّر (٩) [من] الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس. والثاني: من أعطى صدقة الفطر، قاله أبو سعيد الخدري، وعطاء، وقتادة. والثالث: من كان عمله زاكياً، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنها زكوات الأموال كلها، قاله أبو الأحوص. والخامس: تكثّر بتقوى الله. ومعنى الزاكي: النامي الكثير، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَدَّكُرُ اَسْدَ رَبِّهِ ﴾ قد سبق بيانه [الاحزاب: ٣١]. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَلَى ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: صلاة العيدين، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: صلاة التطوّع، قاله أبو الأحوص. والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عبد.

قوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنِّهَ ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن قتيبة، وزيد عن يعقوب ابل يؤثرون، بالياء،

⁽١) في الأصل: السبيل، وهو تصحيف.

 ⁽٢) في الأصل: والعنق، وهو تصحيف، والتصحيح من «اللسان» نقلاً عن الفراء.

⁽٣) نص عبارة الفراء كما في اللسانه: وقد يكون معناه أيضاً: أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر فجعله غناة بعد خضرته، فيكون مؤخراً معناه التقديم، والأحوى: الأمود من الخضرة.

⁽٤) في الأصل: سيعلمك.

⁽٥) عبّارة الفراء كما في القرطبي؛ ١٨/١٠: إلّا ما شاء الله وهو لَم يشأ أن ينسى شيئاً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿خَيلِدِينَ فِيهَا مَا دَاسَتِ السَّمَوَتُ وَٱلأَرْشُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكُ ﴾ ولا يشاء.

⁽٦) في الأصل: لسهل.

⁽٧) في األصل: قلت، والتصحيح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية.

 ⁽A) في األصل: أسريت يتعظ، والتصحيح من (مجمع البيان) للطبرسي. (٩) في األصل: يظهر.

والباقون بالتاء، واختار الفرّاء والزجاج التاء، لأنها رويت عن أُبِيِّ بن كعب: "بل أنتم تؤثرون". فإن أريد بذلك الكفار، فالمعنى: أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بها. وإن أريد به المسلمون، فالمعنى: يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب. قال ابن مسعود: إن الدنيا عجّلت لنا، وإن الآخرة نُعِتَتُ(١) لنا، وزويت عنّا، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل](٢).

قوله تعالى: ﴿ وَالْآَخِرَةُ خَبُرُ ﴾ لك؛ يعني الجنّة أفضل ﴿ وَالْبَقِيّ ﴾ أي: أدوم من اللنبا. ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الشّحُفِ
الْأُولَى ﴿ فَي المشار إليه أربعة أقوال: أحلها: أنه قوله تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَبُرٌ وَالْبَقِيّ ﴾ قاله قتادة. والثاني: هذه
السورة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أنه لم يرد [أن معني] السورة [في الصحف الأولى]، ولا الألفاظ (المعنه عينه الموارة أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى، في الصحف الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابن قتيبة. والرابع: أنه من قوله تعالى: ﴿ وَمَدُ أَلْلَمَ مَن تَزَكَى وَقَد فَسُرناها في النجم: ٢٦].

帝 帝 帝

⁽١) في الأصل: نُعيت.

٣) في الأصل: لفاظها، والتصويب من اغريب القرآن، ٥٧٤.

⁽٤) واختاره، وقال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره، لأن «هذا» إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قُرْب منها، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره.

سورة الغاشية

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بنسير أقو الكنب التجسير

﴿ مَلْ أَتَنَكَ حَدِيثُ ٱلْغَنْشِيَةِ ۞ وُجُوِّ بَرَمَهِدِ خَنْشِمَةً ۞ عَلِمَةٌ نَاسِبَةٌ ۞ تَشَلَ فَازَ حَايِيَةٌ ۞ تَشَلَ مِنْ عَبَنِ مَايِنَةٍ ۞ لَيْسَ لَمُتُمْ طَمَامُ إِلَا مِن صَرِيعٍ ۞ لَا يُشْيِنُ وَلَا يُمْنِي مِن جُوعٍ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ مَلَ أَتَنكَ ﴾ أي: قد أتاك، قاله قطرب. وقال الزجاج: والمعنى: هذا لم يكن من علمك (١٠)، ولا من علم قومك. وفي ﴿ ٱلْمَنشِيَةِ ﴾ قولان: أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال، قاله ابن عباس، والضحاك، وابن قتيبة. والثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله سعيد بن جبير، والقرظي، ومقاتل.

قوله تعالىٰ: ﴿وُمُجُومٌ يَوَسَهِ خَنْشِمَةً ﴿ ﴾ أي: ذليلة، وفيها قولان: أحدهما: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جميع الكفار، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالىٰ: ﴿ عَالِمَةٌ نَاسِبَةٌ ﴿ عَلَى البعة أقوال: أحلها: أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان، وكفّار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثائي: أنهم الرهبان، وأصحاب الصوامع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم. والثالث: عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، لأنها [لم] (٢) تعمل له في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن. وقال قتادة: تكبّرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب. قال الضحاك: يُكلّفون ارتقاء جبل في النار. وقال ابن السائب: يَخِرُون على وجوههم في النار. وقال مقاتل: عاملة في الدنيا بالمعاصي وجوههم في النار يوم القيامة، قاله عكرمة والسدي. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابها. وقد بينًا معنى ناصبة في قوله تعالىٰ: ﴿ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُّ ﴾ [العجر: ١٤٤].

قوله تعالى: ﴿ مَثَنَ نَازًا حَامِيَةً ﴿ ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم إلّا حفصاً «تُصْلَى» بضم التاء. والباقون بفتحها (٣٠). قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى (٤٠) على أعداء الله، ﴿ تُتَقَىٰ مِنْ عَيْنٍ عَائِيةٍ ﴿ ﴾، أي: متناهية في الحرارة، قال الحسن: وقد [أوقدت] (٥٠) عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها [ورداً] (٢٠) عطاشاً.

قوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ لَمُمْ طَمَامُ إِلَا مِن ضَرِيحٍ ﴿ فَهُ سَتَةً أَقُوالَ: أَحَدُهَا: أَنهُ نَبِتَ ذُو شُوكُ لَاطَيْ بِالأَرْضَ، وتسميه قريش الشَّبْرِق، فإذا هاج سموه: ضريعاً، رواه العوني عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنه شجر من نار، رواه الوالبي عن ابن عباس. والثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير. والرابع: أنه السَّلَم (٧)، قاله أبو الجوزاء. والخامس: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، قاله ابن زيد. والسادس: أنه طعام يضرعون إلى الله تعالىٰ منه، قاله ابن كيسان. قال المفسّرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون:

⁽١) في الأصل: عملك، والتصحيح من القرطبي». (٢) كلمة الم، سقطت من الأصل، واستدركناها من الطبري».

 ⁽٣) قال في البحر، واروح المعاني،: وقرأ خارجة اتُّصَلَّى، بضم التاء، وفتح الصاد مشدد اللام، للمبالغة.

 ⁽٤) في الأصل: تظلى.
 (٥) كلمة (أوقدت) سقطت.

 ⁽٥) كلمة (أوقدت) سقطت من الأصل، واستدركناها من البغوي والخازن والقرطبي.

 ⁽٦) زيادة من البغوي والخازن والقرطبي.

إن إبلنا لتسمن على الضريع، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا يُسْنِنُ وَلَا يُنْنِي مِن جُرِع ﴿ وَكُذَّبُوا، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً، وحيننذ يسمَّى شِبْرِقاً، لا ضريعاً، فإذا يبس يسمى: ضريعاً لم يأكله شيء. فإن قبل: إنه (١٠) قد أخبر في هذه الآية: ﴿ لَيْسَ لَمُمْ طَمَامُ إِلَا مِن مَرِيعٍ ﴾ الحافة: ٣٦] فكيف المجمع الآية: ﴿ لَيْسَ طَمَامُ اللهِ مِن طَعَامُهُ الزَّقُوم، [ومنهم] مَنْ طعامه بينهما؟ فالجواب: أن النار دركات، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طَعَامُهُ الزَّقُوم، [ومنهم] (٢٠) مَنْ طعامه غِشلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم مَنْ شَرَابُهُ الصَّديد، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ رُجُورٌ مِوْمَدِ نَاعِمُ ١٠ أي: في نعمة وكرامة ﴿ لِسَمْيًا ﴾ في الدنيا ﴿ رَاضِينٌ ﴾ والمعنى: رضيت بثواب عملها ﴿ فِي جَنَّوْ عَالِيَهِ ۞ قد فسَّرناه في الحاقة: ٢٢]، ﴿ لَا تَشَمُّ نِهَا لَنِيَةٌ ۞ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس الا يُسْمع بياءٍ مضمومة. الاغيةًا بالرفع. وقرأ نافع كذلك إلّا أنه بتاءٍ مضمومة، والباقون بتاءٍ مفتوحة، ونصب الاغيةً، والمعنى: لا تسمع فيها كلمة [لغو](٤) ﴿ فِنهَا سُرِّهُ مَرَّفُهُمٌّ ١٠٠٠ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكلُّلة بالزبرجد، والدرّ، والياقوت، مرتفعة ما لم يجئ أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها، تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها ﴿ وَأَكُوابُ مُوسُوعَةً ﴿ عندهم. وقد ذكرنا الأكواب، في [الزخرف: ٧١]، ﴿ وَمُمَارِثُ وهي الوسائد، واحدها: نمرقة بضم النون. قال الفراء: وسمعت بعض كلب تقول: نِمْرِقة، بكسر النون والراء ﴿مُصَّدُّونَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض، والزرابي: الطنافس [التي](٥) لها خَمْل(٢) رقيق ﴿بَتُونَةُ﴾ كثيرة. قال ابن قتيبة: كثيرة مفرّقة. قال المفسّرون: لما نعت الله سبحانه ما في الجنّة، عجب من ذلك أهل الكفرة، فذكَّرهم صنعه، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَلَا يَظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ (٧) وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع [سُرُرِ](٨) الجنّة، وفرشها، فقالوا: كيف نصعدها، فنزلت هذه الآية(٩). قال العلماء: وإنما خصّ الإبل من غيرها لأن العرب لم يَرَوْا بهيمة قَطُّ أعظمَ منها، ولم يشاهدوا الفيل إلَّا الشاذِّ منهم، ولأنها كانت أَنْفَسَ أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفاوقونها، فيلأحظون فيها العِبَر الدَّالةَ على قدرة الخالق، من إخراج لبنها من بين فَرْثِ ودَم [و](١٠) من عجيب خَلْقِها، وهي على عِظَمها مُذلَّلة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبى الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها. وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني، والأصمعي عن أبي عمرو «الإبْل» بإسكان الباء، وتخفيف اللام. وقرأ أبَيُّ بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميفع، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو «الإبِلِّ» بكسر الباء، وتشديد اللام. قال هارون: قال أبو عمرو: «الإبِلِّ» بتشديد اللام: السحاب الذي يحمل

قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ غُلِقَتْ﴾ وقرأ عليّ بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبوّ عمران، وابن أبي عَبْلة ﴿خَلَقْتُ، بفتح الخاء، وضم التاء. وكذلك قرؤوا: ﴿زَفَعْتُ، وَ«نَصَبْتُ» و «سَطَحْتُ».

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلنَّاءَ كَيْنَ رُفِعَتْ ﴿ مَنَ الأَرْضَ حَتَى لا ينالها شيء بغير عَمَدٍ ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ و

⁽٢) في الأصل: لا إطعام إلا الضريع.

⁽١) في الأصل: ابن.

٣) زيادة لم ترد في الأصل.

القطت من الأصل، واستدركناها من القرطبي نقلاً عن القراء والأخفش.

⁽٥) زيادة من الطبري والقرطبي. (٦) في الأصل: حل.

 ⁽٧) رواه ابن جرير الطبري ١٣٠/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١/٣٤٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

٨) كلمة فسرر؛ سقطت من الأصل، واستدركناها من البنوي والخازن.

⁽٩) ذكره البغوي والخازن عن قتادة بغير سند. (١٠) زيادة ليست في الأصل.

على الأرض لا تزول ولا تتغير ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿ إِنَّا أَيَ بُسِطَتْ. والسطح: بسط الشيء، وكل ذلك يدلّ عليه على [قدرة] (٢) خَالقه ﴿ وَلَمْ يَكُ أَي: عِظْ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ أي: واعظ، ولم يكن حينفذ أمر بغير التذكير، ويدلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيَّطِرٍ ﴾ أي: بمسلَّط، فتقتلهم وتكرههم على الإيمان (٢). ثم نسختها آية السيف. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمٰن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحلواني عن ابن عامر «بمسيطر» بالسين. وقد سبق بيان «المسيطر» في قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ مُمُ آلْمُهِيَّظِرُونَ ﴾ [الطور: ٢٧].

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَى ﴾ وهذا استثناء منقطع معناه: لكن من تولى ﴿وَكَنَرَ ﴾ بعد التذكّر. وقرأ ابن عباس، وعمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو مجلز، وقتادة، وسعيد بن جبير «ألا من تولَى» بفتح الهمزة وتخفيف اللام ﴿ فَيُدِّبُهُ اللهُ ٱللهُ ٱللهُ ٱللهُ ٱللهُ ٱللهُ اللهُ الل

帝 帝 帝

⁽١) قال القرطبي: وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو رجاء اسطَّحَتْ، بتشديد الطاء وإسكان التاء.

⁽٢) زيادة ليست في الأصل.

سورة الفجر

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

ينسم ألَّو النَّانِ النَّجَلِيدِ

﴿ وَالنَجْرِ ۞ وَلِيَالٍ عَشْرِ ۞ وَالشَّفَعِ وَاتُوثِرِ ۞ وَالَّيْلِ إِنَّا يَشْرِ ۞ مَلْ فِي ذَلِكَ فَسَمٌ لِيَى جِمْرٍ ۞ أَلَمْ رَرُّ كَيْفَ مَلَلَ رَبُّكَ يِمَادٍ ۞ إِنَّ ذَاتِ الْمِمَادِ ۞ الَّذِي لَمْ يُخْلُقُ مِثْلُهَا فِى الْلِمِلَادِ ۞ وَتَسُودَ اللَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْنَادِ ۞ اللَّذِينَ طَغُوا فِى الْلِمَلِدِ ۞ فَآكَثُرُوا فِيهَا الفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطً عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَإِالْمِرْصَادِ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ رَكَالٍ عَشْرِ ﴿ هُ كَالِهِ عَشْرِ ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه عشر ذي الحجة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي ومقاتل (٥٠). والثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: العشر الأول من رمضان، قاله يمان بن رئاب.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالشَّنِعِ وَالْوَرْ ﴿ فَيَ حَمْرَة ، والكسائي ، وخلف قرالوِتْر ، بكسر الواو ، وفتحها الباقون ، وهما لغتان . قال الفزاء: الكسر لقريش وتميم وأسد ، والفتح لأهل الحجاز . وللمفسّرين في «الشفع والوتر» عشرون قولاً : أحدهما: أن الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى ، والوتر: ليلة النحر ، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ ، وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، والشائي: يوم النحر ، والوتر: يوم عرفة ، [رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ ، وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك] () . والشائث أن الشفع والوتر: الصلاة ، منها الشفع ، ومنها الوتر ، رواه عمران بن حصين عن

⁽١) وهو المختار، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والسدي.

⁽٢) في الأصل: أبو نصرة، والتصحيح من الطبري، وكتب الرجال، ولا يعُرف له اسم. أخرج له البخاري في الأدب المفرد،، وقال أبو زرعة: أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة.

⁽٣) وبذلك قال مسروق، ومحمد بن كعب، وهو خاتمة الليالي العشر.(٤) في الأصل: يوم أول.

⁽٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال: الصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. وقال ابن كثير: الليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف، قال: وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحبّ إلى الله فيهن من هله الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

 ⁽١) قال الحافظ الهيشمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٣٧: رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه واصل بن السائب، وهو متروك. وقال الحافظ السيوطي في
 «اللد، ٢/ ٢٤٦ : أخرجه الطبراني وابن مردويه يستد ضعيف عن أبي أبوب الأنصاري .

⁽٧) حبارة الأصل: قرواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله 藝، وبه قال عكرمة والضحاك؛ وهي خطأ، فإن جابراً 由 لم يروه عن رسول الله अ برسول الله عن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله كله برسول الله على برسول الله عن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله على برسول الله على برسول الله عن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله على برسول الله عباس برسول الله برسول

رسول الله ﷺ (١)، وبه قال قتادة. والرابع: [أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالىٰ ٢١)، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية مسروق، وأبو صالح. والخامس: أن الوتر: آدم شفع بزوجته^{٣)}، رواه مجاهد عن ابن عباس. والسادس: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر: اليوم الثالث، وهو النفر الأخير، قاله عبد الله بن الزبير، واستدلّ بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَمَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَكُمّ إِنْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والسابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاه عطية. والثامن: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والتاسع: أن الشفع والوتر: الخلق كلَّه، منه شفع، ومنه وتر، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية. والعاشر: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا والذي قبله مرويّان عن الحسن. والحادي عشر: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام [مني](٤) الثلاثة، قاله الضحاك. والثاني عشر: أن الشفع: هو الله، لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن خَبْوَىٰ ثَلَنَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]، والوتر: هو الله، لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدُ ۞﴾، قاله سفيان بن عيينة. والثالث عشر: أن الشفع: هو آدم وحواء. والوتر: الله تعالىٰ، قاله مقاتل بن سليمان. والرابع عشر: أن الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة [بعده](°)، وهو يوم القيامة، قاله مقاتل بن حياب. والخامس عشِر: الشفع: درجات الجنان، لأنها ثمان، والوتر: دَرَكات النار لأنها سبع، فكأن الله أقسم بالجنّة والنار، قاله الحسين بن الفضل. والسادس عشر: الشفع: تضادّ أوصاف المخلوقين بين عِزَّ وذُلُّ، وقدرة وعجز، وقوة وضعف، وعلم وجهل، وموت وحياة. والوتر: انفراد صفات الله ﷺ: عِزُّ بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت، قاله أبو بكر الورَّاق. والسابع عشر: أن الشفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. والثامن عشر: أن الشفع: مسجد مكة والمدينة، والوتر: بيت المقدس. والتاسع عشر: أن الشفع: القِرَان بين(١٦) الحج والتمتّع، والوتر: الإفراد. والعشرون: الشفع: العبادات المتكرّرة، كالصلاة، والصوم، والمزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرّر، وهو الحجّ، حكى هذه الأقوال الأربعة الثعلبي.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالْتَهِلِ إِذَا يَسَرِ ﴿ ﴾ وقرأ ابن كثير، ويعقوب فيسري، بياءٍ في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ﴿ يَسَرِ ﴾ بغير ياءٍ في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتباع المصحف (٧٠٠. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَالنَّهِ لِنَا يَسَرِ ﴾ قولان: أحدهما: أن الفعل له، ثم فيه قولان: أحدهما: إذا يسري ذاهباً، قاله الجمهور، وهو اختيار الزجاج. والثاني: إذا يسري مقبلاً، قاله قيد؛ كما يقال: ليل نائم، أي: ينام يسري مقبلاً، قاله قتادة. والقول الثاني: أن الفعل لغيره (٨٠)، والمعنى: إذا يسري فيه؛ كما يقال: ليل نائم، أي: ينام

عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي، وهو صدوق من رجال مسلم، إلا أنه يدلس كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». وقال ابن كثير: ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، قال: وهذا إسناد رجاله لا يأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم: وقال الحافظ الهيشي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧؛ رواه البزار، وأحمد، ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عقبة، وهو ثقة، وأما عبد الله بن عباس، فلم يروه مرفوعاً، وإنما روي هذا المعنى موقوفاً، كما في «الطبري» ٣٠/ ١٧٠، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم، قاله (أي هذا المعنى) ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

⁽١) رواه أحمد في «المسندة ٤٤ / ٤٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري، عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين ﴿... ورواه أيضاً الترمذي ٢/ ١٧٠ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، ورواه ابن جرير الطبري ٣٠ / ١٧٧ عن خالد بن قيس عن قتادة به، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢/٣ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفيه نظر؛ لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان. وأورده السيوطي في «الدراء ٢٤٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عمران بن حصين ﴿...

⁽٢) عبارة الأصل: (أن الشفع الوتر وله الخلق كله، والوتر: الله تعالىٰ» والتصحيح من الطبري والقرطبي.

⁽٣) في الأصل: بن وجه، والتصحيح من القرطبي، وقيل: إن الشفع والوتر آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء، فصار شفعاً بعد وتر.

 ⁽³⁾ سقطت من الأصل، واستدركناها من القرطبي.
 (b) سقطت من الأصل، واستدركناها من القرطبي.

⁽٦) في الأصل: في. (٧) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

⁽٨) في الأصل: لعبرة.

فيه، قاله الأخفش، وابن قتيبة. وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام في كل ليلة، وهذا الظاهر. والثاني: أنه ليلة المزدلفة، وهي ليلة جَمْعِ^(۱)، قاله مجاهد وعكرمة. والثالث ليلة القدر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ هَلَ فِي ذَالِكَ ﴾ أي: [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها] (٢) ﴿ مَنَّمٌ لِّذِي جِمِّ ﴾ أي: لذي عقل، وسمى العقل حجراً، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح، وسمّى عقلاً، لأنه يعقل عمّا لا يحسن، وسمّي العقل النُّهي، لأنه ينهي عما لا يحلّ (٣). ومعنى الكلام: أن من كان ذا لبِّ عَلِم أن ما أقسم الله به من هذه الأشباء، فيه دلائل على توجيد الله وقدرته، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته. وجواب القسم قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا رَبُّكَ لِمَالْمِرْصَادِ ۞﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله (٤) تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ رَرَ كَيْفَ نَمْلَ رَبُّكِ بِمَادٍ ۞ فخوَّف أهل مكة بإهلاك من كان أشدَّ منهم. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر "بعادٍ إرمًا بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة. وفي «إرم» أربعة أقوال: أحلها: أنه اسم بلدة، قال الفراء: ولم يُجْرّ (٥) وإرم، لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال، أحدها: أنها دمشق، قاله سعيد بن المسيب، وعكرمة، وحالد الرَّبَعِي. والثاني: الاسكندرية، قاله محمد بن كعب^(١). والثالث: أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب. وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالىٰ. والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة (٧)، قاله مجاهد. والثالث: أنه قبيلة من قوم عاد^(٨)، قاله قتادة ومقاتل. قال الزجاج: وإنما لم تنصرف ﴿ إِرَمَ﴾ لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت، وهي في موضع خفض. والرابع: أنه اسم لجَدِّ عادٍ، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق^(٩). قال الفراء: فإن كان اسماً لرجل على هذا القول، فإنما ترك إجراؤه (١٠٠)، لأنه كالعجمي، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى: هي إرم، وهي التي قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنْتُهُ أَمْلُكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۞﴾ [النجم: ١٥٠، وهل قوم هود عاد الأولى، أم لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في [النجم] (١١١). وفي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَ ذَاتِ ٱلْمِنَادِ ۞﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلا حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يقيمون في موضع، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والفراء (١٢). والثاني: أن معنى ذات العماد: ذات الطول، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل، وأبو عبيدة. قال الزجاج: يقال: رجل مُعْمَدٌ: إذا كان طويلاً. والثالث:

⁽١) في الأصل: جمعة، والتصحيح من الطبري واللمر المنثورة، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى.

 ⁽۲) حبارة الأصل افيما سألوه ولده وقد قومناها كما ترى اعتماداً على كتب التفسير.

 ⁽٣) عبارة البغوي: وسمي العقل حجراً، لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القبائح، ونهى، لأنه ينهى عما لا ينبغى.

 ⁽٤) سقطت من الأصل الباء من ابقوله، والتصحيح من المجمع البيان، للطبرسي.

⁽٥) في الأصل: ولم يجز، وهو تصحيف، والتصويب من الطبري، ومعنى الم يجر، لم يصرف:

⁽٦) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله: ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ كَاتُ الْوَسَاوِ ﴾ مدينة، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب، وعكرمة، أو إسكندرية، كما روي عن القرظي، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتم الكلام على هذا ﴿آلَمَ تَرَ كَدُ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَالِ ﴾ إنّ نات الوساك إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينتذ. ثم المواد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بآسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما نتبت على ذلك لئلا يغتر بكنير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات المماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها ويساتينها، وأن حصباءها لآل وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تنتقل، فتارة تكون بأرض الشام، وتارة بالمراق، وتارة بلمراق، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادتنهم، ليخبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

⁽٧) · يعنى عاداً الأولى.

⁽A) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها، قال: ولو كانت إرم اسم بللة أو اسم جد لعاد، لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة والله أعلم، فلذلك أجمعت القراءة فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء.

الذي في الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

⁽١٠) في الأصل: ترك جاؤه.

⁽١١) في الأصلُّ زيادة فأحدهما؛ بين قوله: فقولان؛ فوقد، وانظر تفسير الآية (٥٠) من صورة النجم.

⁽۱۲) واختاره ابن جرير الطبري.

ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك. والرابع: ذات البناء المحكم بالعماد، قاله ابن زيد. وقيل: إنما سميت ذات العماد لبناء بناه بعضهم (١).

قوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِي لَمْ يُمُلِّنَ يَنْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿ لم تَخْلُقُ بِناءٍ مفتوحة ورفع اللام «مثلَها» بنصب اللام. وقرأ معاذ القارئ، وعمرو بن دينار: الم نَخْلُق، بنون مفتوحة ورفع اللام «مثلَها» بنصب اللام. وفي المشار إليها قولان: أحدهما: لم يَخْلُق مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة، وهذا معنى قول الحسن(٢٠). والثاني: المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد، قاله عكرمة. وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة، وهذه الإشارة إلى ذلك: روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قِلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة. فلما دنا منها ظنّ أن فيها أحداً يسأله(٣) عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته، وعقلها، وسلَّ سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما دخل(١) الحصن إذا هو ببابين(٥) عظيمين [لم يرَ أعظم منهما(١)]، والبابان مُرصَّعان بالياقوت [الأبيض و](١) الأحمر، فلما رأى ذلك دهش^(۸)، ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور، كلُّ قصر فوقه غرف^(۹) وفوق الغرف غرف مبنيَّة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران. فلما عاين ذلك، ولم ير أحداً، هَالَه ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة. فقال الرجل: إن هذه هي الجنَّة، فحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه. وبلغ الأمر إلى معاوية، فأرسل إليه، فقص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أخبرك بها ويمن بناها؟ إنما بناها شداد بن عاد، والمدينة: الرم ذات العماد،، قال: فحدثني حديثها، فقال: إن عاداً (١٠) المنسوب إليهم عاد الأولى، كان له ولدان: شديد، وشداد. فلما مات [عاد](١١)، ثم مات شديد وبقى شداد، ملك الأرض، ودانت له الملوك، وكان مولعاً بقراءة الكتب، فكان إذا مر بذكر الجنّة دعته نفسه إلى بناء مثلها عُتُواً على الله تعالىٰ. فأمر بصنع اإرم ذات العمادة، فأمّر على عملها مائة قهرمان (١٢٠) مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدُّوه بما في بلادهم من الجواهر، فخرج القهارمة(١٣) يسيرون(١٤) في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة، فوقفوا على صحراء(١٥) عظيمة نقية من التلال، وإذا فيها عيون ماء ومروج (١٦) فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها، فوضعوا على أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا منها(١٧) قال: انطلقوا، واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَلَم ليكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ففعلوا ذلك، فأمر الملك الوزراء _ وهم ألف وزير _ أن يتهيِّنوا للنقلة إلى اإرم ذات العماد،، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله

⁽١) في الأصل: لبنائه بعضهم، والتصحيح من الطبري. (٢) وهو الصواب كما قال ابن كثير، وذكره عن ابن جرير.

 ⁽٣) في الأصل: أن فيها أحد سأله، والتصحيح من المجمع البيانة للطيرسي.
 (٤) في الأصل: فناء والتصحيح من المحمم البائنة.

 ⁽٤) في الأصل: دنا، والتصحيح من «مجمع البيان».
 (١) زيادة من «مجمع البيان».

⁽٨) في الأصل: دهن.

 ⁽٩) في الأصل: كل قصر منها فيها غرف، والتصحيح من المجمع البيان».
 (٨) من الله المدرا.

 ⁽١١) في الأصل: ملك ابعدة.
 (١٢) القهرمان: من أمناه الملك وخاصّته، قارسي معرب.
 (١٣) القهرمان: من أمناه الملك وخاصّته، قارسي معرب.

⁽١٤) في الأصل: فتبدّدوا. (١١) م بالأصل: فتبدّدوا.

⁽١٥) في الأصل: لتجدوا ما يوافقه حتى وتعوا على صخرة، والتصحيح من الخازن. (١٦) في الأصل: وإذا هم يعنون مظردة، والتصحيح من الخازن. (١٧) في الأصل: وقد فزعوا منه، والتصحيح من الخازن،

عليه، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحد^(۱). وروى الشعبي عن دَغْفَل^(۲) الشيباني عن علماء حِمْيَر قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، ملَكَ بعده ابنه مَرْثَلا بن شَدَّاد، وقد كان أبوه خلَّفه بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، وأمر [بدفنه]^(۳) فَخُفِرَتُ له حفيرة في (۱) مفازة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حُلَّة منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه:

رورُ بسالسعسمسر السمسديسدِ^(ه) إعتبريا أيها المعغب صاحبُ الحصن المشيدِ(١) أنـــا شَـــدُادُ بـــنُ عـــادِ ساء والملك الحشيد(٧) وأخميسو المستقميرة والمسبينا لىكى مىن خىسوف وعسيسدي(^) دان أهــــــل الأرض طُـــــــرّاً ومسلسكست السشسرق والسغسر دة في بالسعديد ويسفسضل السمسلك والسعسد فسنى ضللال قسبسلل هسود فــــأتــــى هــــود وكـــنّــا ه إلى الأمسر السرشيدي(١) فدعانا لو قبلنا ما لكم همل من من منديد؟(١٠) فعصيناه ونسادي وي مسن الأفسق السبسعسيسد ف استنا(۱۱) صیحة ته وسط بيثاء حصيب ف ت وافی نا ک زرع

قُوله تعالىٰ: ﴿وَتَسُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ ﴾ قطعُوه ونقبوه. قال إسحاق: والوادي: وادي القرى. وقرأ الحسن: فبالوادي، بإثبات الياء في الحالين. ﴿وَوَرْعَوَنَ ذِى اَلْأَرْنَادِ ۞ ﴾ مفسّر في سورة [من: ١٦]، ﴿اللَّذِينَ طَغَوًا فِي الْلِلَّدِ ۞ ﴾ يعني: عاداً، وثمود، وفرعون، عملوا بالمعاصي، وتجبّروا على أنبياء الله ﴿فَآكُثُرُوا فِيهَ الفَسَادَ ۞ ﴾ القتل والمعاصي ﴿فَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطً عَذَابٍ ۞ ﴾، قال ابن قتيبة: وإنما قال: سوط عذاب، لأن التعذيب قد يكون بالسوط. وقال الزجاج:

وقال الشوكاني في افتح القدير؟ عن حديث عبد الله بن قلابة: وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء، وفاقرة عظمى، ورزية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذابين الذين يجترئون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب المالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثره بتصدّر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب المزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وغيروا وبدلوا، قال: ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتابي الذي سعيته «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».

⁽۱) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابة الذي ساقه المولف بطوله: رواه الثملبي من طريق عثمان المدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيمة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فذكره مطولاً. قال ابن حجر: قلت: آثار الوضع عليه لائحة، وقال ابن كثير: فهله الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي، فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير اللعب والفضة، وألوان الجواهر واليواقيت، واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الرصول إليها، والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير ومقاقير ونحو ذلك من الهذيانات، ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية، وكنوزاً كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

⁽٢) في الأصل: وعقل. (٣) زيادة ليست في الأصل.

⁽³⁾ is 1 l'aut. (b) is 1 l'aut. (c) is 1 l'aut. (d) is 1 l'aut. (d) is 1 l'aut. (e) is 1 l'aut. (f) is 1 l'aut. (f) is 1 l'aut. (f) is 1 l'aut. (f) is 1 l'aut.

⁽٨) البيت في الأصل: وإن أهل الأرض لي من خوف وعدي ووعيدي، والتصحيح من امعجم البلدان.

⁽٩) ﴿ فِي الْأَصْلُ: الشَّدَيْدُ، وفي المعجم البَّلْدَانَّةُ: الْجَبَّنَاهُۥ مَكَانَ قُولُهُ: البَّلْنَاهُۥ

⁽١٠) البيت في الأصل: فعصيناه وناديت ألا هل من مجيد؟ (١١) في الأصل: فأتيناه.

[أي جعل سوطِهم الذي ضربهم به العذابَ[^{١٠} ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالْمِرْمَادِ ۞﴾ أي: يرصد مَنْ كفر به بالعذاب، والمرصد: الطريق، وقد شرحناه في قوله تعالى: ﴿كَانَتْ رِرْمَانَا﴾ [النبا: ٢١].

﴿ وَأَنَّ الْإِنسَنُ إِذَا مَا آبَلَكُ رَبُرُ فَأَكْرَمُمْ وَنَمَتُمْ فَيُمُولُ رَبِّ أَكْرَنِ ﴿ وَأَنَّ إِذَا مَا آبَلَكُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْفَمُ فَيَقُولُ رَبِيّ أَكْرَنِ ﴿ وَأَنَّ إِذَا مَا آبَلَكُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْفَمُ فَيَقُولُ رَبِيّ أَخْدَى ﴾ بَمُ لَا فَكُومُونَ الْبَرْتَ الْفَالَ الْمُؤْمِنَ الْبَرْتُ وَلَا مُعْلَى مَنا ﴾ وَيَأْتُكُونَ النّزاتُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ مَنا أَنْ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا لَهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّ

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا آلِانَدُو ﴾ فيمن عنى به أربعة أقوال: أحدها: عتبة بن ربيعة، وأبو حذيفة بن المغيرة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أُبِيّ بن خلف، قاله ابن السائب. والثالث: أُمية بن خلف، قاله مقاتل. والرابع: أنه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث. قال الزجاج: وابتلاه بمعنى اختبره بالغنى (٢) واليسر ﴿ فَأَكْرَدُمُ ﴾ بالمال ﴿ وَفَصَّمُ ﴾ بما وسّع عليه من الإنضال ﴿ فَيَتُولُ رَبِّ وَ أَكْرَمُنِ ﴾ فتح ياء قريتٍ وأكرمني قريبً وأهانني (٢) أهل الحجاز، وأبو عمرو (١) ، أي: فضلني بما أعطاني، ويظن أن ما أعطاه من الدنيا لكرامته عليه ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا أَنْكُنْهُ ﴾ بالفقر ﴿ فَنَدَدُ عَلِيهِ يِزْفَهُ ﴾ وقرأ أبو جعفو، وابن عامر قفقرً وبتشديد الدال، والمعنى: ضيّق عليه بأن جعله على مقدار البُلْغَة ﴿ فَيَثُولُ رَبِّ آهَدَنِ ﴾ أي: هذا الهوان أن من لا يؤمن بالبعث، فالكرامة عنده زيادة الدنيا، والهوان قلّتها (١٠).

قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ ﴾ أي: ليس الأمر كما يظن. قال مقاتل: ما أعطيت [من أغنيت [الله على الله الله على الأمرين المقرت لهوانه على (الفراء المعنى: لم يكن ينبغي له أن يكون هكذا، إنما ينبغي أن يحمد الله على الأمرين: الفقر، والغني (الفراء عن الكفار فقال تعالىٰ: ﴿ لَا تُكُومُونَ الْلِيْمَ ﴾ قرأ أهل البصرة ويُحُرِّمونه وه يَحُفُّونه وه يَأْكُلُونه وه يُجِبُّونه بالياء فيهن، والباقون بالتاء. ومعنى الآية: إني أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، والآية تحتمل معنيين: أحدهما: أنهم كانوا لا يَبَرُّونه. والثاني: لا يعطونه حَقَّه من الميراث، وكذلك كانت عادة الجاهلية لا يورُّثون النساء ولا الصبيان. ويدل على المعنى الأول قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحُضُّونَ عَلى طَعَامِ السِيرينِ عن الكسائي كذلك إلّا أنه ضم اليسكينِ قرأ أبو جعفر، وأهل الكوفة فتحاضون بألف مع فتح التاء. وروى الشيرزي عن الكسائي كذلك إلّا أنه ضم التاء. والمعنى: لا يأمرون بإطعامه لأنهم لا يرجون ثواب الآخرة. ويدلّ على المعنى الثاني قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ النّاني قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ النّابِ قَالُهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَالْحَلُونُ وَلَا اللهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَلَكُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ وَاللّهُ وقل وَاللّهُ اللهُ وقلك الممنّ اللهُ الشيء: إذا جمعتَه وقال الزجاج: هو ميراث التامى.

⁽١) عبارة الأصل: وأحسن من هذا قد جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب، والتصحيح من القرطبي نقلاً عن الزجاج.

⁽٢) في الأصل: في الأصل: أهايني:

⁽٤) قال القرطبي: وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو (ديئ بفتح الياء في الموضعين، وأسكن الباقون، وأثبت البَرِّي وابن محيضن ويعقوب اليام من «أكرمن» و «أهانن في الحالين، لأنها اسم فلا تحذف، وأثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعاً للمصحف، وخير أبو عمرو في إثباتها في الوصل أو حلفها، لأنها دأس آية، وحلفها في الوقف لخط المصحف، والباقون بحلفها، لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء.

 ⁽٥) في الأصل: أهون.

 ⁽٦) قال القرطبي: وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلّت، فأمّا المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه
 الله بطاعته وتوفيقه المؤدّي إلى حظ الآخرة، وإنّ وسع عليه في الدنيا حُجِده وشكره.

⁽٧) زيادة ليست في الأصل.

⁽٨) ونقل الطبري عن قتادة: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنياء ولا أهين من أهنت بقلّتها، ولكن أكرم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت بمعصيتي.

⁽٩) قال القرطبي: وقال الفراء: «كلا» في هذا الموضع بمعنى: لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله عزّ وجلّ على الغنى والفقر. (١٠) في الأصل: نحاه، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة.

 ⁽۱۱) هي الاصل: عجاء، والتصحيح من العريب القرآن، لابن فتيه.
 (۱۱) في الأصل: وقالوا: تحمه والأصل وجد، والتصحيح من الخريب القرآن،.

⁽١٢) في الأصل: عمت، والتصحيح من (غريب القرآن).

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُجْبُونَ ٱلْمَالَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا تنفقونه في خير ﴿كُلَّا﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون [الأمر]'``. ثم أخبر عن تلقفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ذُكَّتِ ٱلأَرْشُ ذُكًّا دُّكَّا﴾ أي: مرَّة بعد مرَّة، فتكسَّر كل شيء عليها، ﴿وَبَهَآءُ رَبُّكَ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالىٰ: ﴿هَلَ يَظُـرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمَلَكُ صَنّا صَفّا ﴾ أي: تأتي [ملائكة](٢) كل سماء صفاً [صفاً](٣) على حدة. قال الضحاك: يكونون سبعة صفوف، ﴿وَجَانَةَ يَوْمَيْزِ بِجَهَنَّدُ ﴾ روى مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتي بجهنم يومنذٍ لها سبعون ألف زمام، مع [كل زمام](٤) سبعون(٥) ألف ملك يجرونها». قال مقاتل: يجاء بها فتقام عن يسار العرش.

قوله تعالىٰ: ﴿ يَوَمَهِ إِنَّ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال خلف ﴿وَأَنَّى لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَتُولُ يَلْيَنَنِي مَّنَّتُ﴾ العمل الصالح في الدنيا ﴿لِيَّاتِهِ﴾ في الآخرة التي لا موت فيها ﴿فَيَوْمَهِذِ لَّا يُمُزِّبُ عَنَائِهُ أَمَدٌ ۞﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، والمفضل الا يعذَّب، بفتح الذال، والباقون بكسرها، فمن فتح، أراد: لا يعذب عذاب الكافر أحد، ومن كسر أراد: لا يعذُّب عذاب الله أحد، أي كعذابه، وهذه القراءة تختص بالدنيا، والأولى تختص بالآخرة ^(١).

قوله تعالى: ﴿ يَاأَبُهُ النَّفُ النَّلَهُ مَن النَّلَهُ مَن النَّلَهُ مَن النَّالِهُ النَّالِمُ النَّالِمُ النَّالِمُ النَّالَةِ النَّالِمُ النَّالُمُ النَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ عبد المطلب لما استشهد يوم أحد، قاله أبو هريرة، وبريدة الأسلمي. والثاني: في عثمان بن عفان حين أوقف بشر رومة (٧)، قاله الضحاك. والثالث: في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة، قاله مقاتل. والرابع: في أبي بكر الصديق ﷺ، حكاه الماوردي. والخامس: [في] (^ جميع المؤمنين، قاله عكرمة (٩). وفي معنى ﴿الْمُلْمَيَّةُ﴾ ثلاثة أقوال: **أحدها**: المؤمنة، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المطمئنة بالإيمان. **والثاني**: الراضية بقضاء الله، قاله مجاهد. والثالث: الموقنة بما وعد الله، قاله قتادة. واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك علَى قولين: أحدهما: عند خروجها من الدنيا، قاله الأكثرون. والثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، رواه العوني عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة والضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿الَّهِينَ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: ارجعي إلى صاحبك الذي كنتِ في جسده، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة والضحاك. والثاني: ﴿أَرْجِينَ إِنَّ رَبِّكِ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح. والثالث: ارجعي إلى ثواب ربك، قاله الحسن. والرابع: يا أيتها النفس المطمئنة [إلى الدنيا](١٠)، ارجعي إلى الله تعالىٰ بتركها، حكاه الماوردي(١١).

⁽٢) زيادة لم ترد في الأصل. زيادة من البغوي. (١)

سقطت من الأصل، واستدركناها من «صحيح مسلم» ٤/٢١٨٤.

في الأصل: صبعين، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧٨/١٧: هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال: رفعه وهم، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفًا. قلت: وحفص (أحد الرواة) ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحقّقين. والحديث رواه الترمذي أيضاً مرفوعاً وموڤوفاً على ابن مسعود، ورواه ابن جرير الطبري ١٨٨/٣٠ موقوفاً على عبد الله بن مسعود ﷺ.

والصحيح أنها عامة في كل كافر.

قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القراء عليه. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والضميران على قراءة الجمهور في «يعذُّب» و«يوثق» مبنيان للفاعل، لله عزّ وجلّ، قال: وقرأ الكسائي على البناء للمفعول فيهما، فيكوق الضميران راجعين إلى الإنسان، أي: لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، والمراد بالإنسان الكافر.

⁽٨) زيادة ليست في الأصل. هي بتر بالمدينة . (V)

قال القرطبي: والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع.

⁽١٠) سقطت من الأصل، واستدركناها من البغوي والخازن.

⁽١١) وقال الألوسي رحمه الله فيُّ الروح البيان؛ ٩/ ٣٧٠: ارجعي، أي: من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالىْ وموقف كرامته عزّ وجلَّ لك أولاً، وهذا لأن للسعداء قبل الحساب كما يقهم من الأخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً يكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجده غيرهم في مواقفهم من النصب، ومنه ينادي الواحد بعد الواحد للحساب، فمتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنن ما ذكر:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَدَنُلِ فِي عِبْدِى ﴿ أَي: في جملة عبادي المصطَفَيْن. قال أبو صالح: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: ﴿ فَآدَنُلِ فِي عِبْدِى ﴾ وقال الفراء: ادخلي مع عبادي. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأُبَي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «في عبدي، على التوحيد (١). قال الزجاج: فعلى هذه القراءة _ والله أعلم _ يكون المعنى: ارجعي إلى ربك، أي: إلى صاحبك الذي خرجتِ منه، فادخلي فيه (١).

* * *

⁽١) في «البحر المحيط»: وقرأ الجمهور ﴿ يَهُنِّكُ ﴿ جمعاً، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وأبو صالح، والكلبي، وأبو شيخ الهنائي، والبحاع والبمائي ﴿ فَي عبدي﴾ على الإقراد. قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك ﴿ فَأَدَّ اللهِ عِنْدِي ﴾ بمعنى: قادخلي في عبادي الصالحين، الإجماع الحجة من القراء على.

 ⁽٢) والظاهر الأول، قال ابن كثير: ﴿ النَّبُ النّنْسُ النَّكَيّئَةُ ﴿ الْجِينَ إِلَى رَبِّيهِ إِلَى جواره وثوابه وما أحد لعباده في جنّته ﴿ وَانْتِكُ أَي في نفسها ﴿ وَتَوْتَكُ كُنِّي ﴾ قال: وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم المقيامة أيضاً، كما أن الملائكة يشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك هاهنا.

سورة البلد

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بنب ألَّهِ النَّانِينَ الرَّيَبُ يِ

﴿ لَا أَشْيِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ بِلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَوَالِدِ وَمَا وَلَدْ ۞ لَقَدْ خَلَقًا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۞ أَجَسَبُ أَن أَن بَشْدِرُ خَلَيْهِ أَمَدُّ ۞ يَعُولُ أَمْنَكُتُ مَالَا لَبُمُا ۞ أَيْصَبُ أَن لَمْ بَرُهُ أَمَدُ ۞ أَلَرْ جَمْلَ لَمُ عَبْتَيْنِ ۞ وَلِسَانَا وَشَفَنَيْنِ ۞ وَمَمَنَيْتُهُ ٱلنَّبْعَتَيْنِ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لاَّ أَنْسِمُ ﴾ قال الزجاج: المعنى: أقسم. و﴿لاَّ ﴾ دخلت توكيداً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لِنَلاّ يَعْلَرُ أَهْلُ ٱلْكِنْبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ عكرمة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو العالية: ﴿لَأَقْسِمُ (١) قال الزجاج: وهذه القراءة بعيدة في العربية، وقد شرحنا هذا في أول «القيامة».

قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ حِلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ فَهِ فَهِ ثَلاثَةَ أَقُوالَ: وَ﴿ ٱلْبَلَيْكِ هَاهِنا: مكة (٢). أحدها: حلَّ لك ما صنعت في هذا البلد من قَتْلِ^(٣) أو غيره، قاله ابن عباس، ومجاهد. قال الزجاج: يقال: رجل حِلٌّ، وحَلَال، ومُحِلٌّ. قال المفسرون: والمعنى: إن الله (٤) تعالى وعد نبيَّه (°) أن يفتح مكة على يديه بأن يُجِلُّها له، فيكون فيها حِلّاً. والثاني: فأنت مُحِلٌّ بهذا البلد غير مُحْرِم في دخوله، يعني: عام الفتح، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أن المشركين بهذا البلد يستحلُّون إخراجك (٦) وقتلك (٧)، ويحرُّمون قتل الصيد، حكاه الثعلْبي.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه آدم وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. والثاني: أولاد إبراهيم، وما ولد: ذرّيته (٨٠)، قاله أبو عمران الجوني. والثالث: أنه عامٌّ في كل والدِّ وما ولد، حكاه الزجاج (٩).

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَ ﴾ هذا جواب القسم. وفيمن عنى بالإنسان خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنه أبو الأشدين الجمحي(١٠)، وقد سبق ذكره، [المدثر: ٢٩، والانفطار: ٥] قاله الحسن. والثالث: أنه الحارث بن عامر بن نوفل، وذلك أنه أذنب ذنبًا، فأمره النبيّ ﷺ بالكفارة، فقال: لقد ذهب مالي

(4)

(0)

⁽١) في الأصل: لا أقسم،

قال القرطبي: أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك على وحبّى لك. وقال ابن كثير: هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبُّ على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

⁽٤) في الأصل: إن شاء الله. في الأصل: قبل.

وعد نينه.

عبارة الأصل: اأنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك. (1)

في الأصل: وقبلك.

في الأصل: وما ولد: محمد ﷺ، والتصويب من الطبري، والقرطبي، وابن كثير. قال الشوكاني والألوسي: وقيل: الوالد: إبراهيم، والولد: (A) إسماعيل ومحمد على .

⁽٩) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحبيل بن سعيد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالىٰ لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

⁽١٠) وجاء في القرطبي: قال الكلبي: إن هذا نزل في رجل من بني جمع كان يقال له: أبو الأشدين. وكان يأخذ الأديم العكاظي فيجعله تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة حتى يتمزَّق ولا تزول قدماه، وكان من أعداء النبيُّ ﷺ وفيه نزل ﴿أَيْسَتُ أَن لَن يَمْبِوَ كَتْبُو أَمَدُّ ۖ ۖ ۖ يعني لقوّته. وفي ﴿الاشتقاق؛ لابن دريد ٢٥١: ومن رجالهم (أي: رجال بغي سعد بن زيد مناة بن تميم) سنان بن خالد الأشد، وسمي الأشد، لشجاعته، وهو كذلك في اشرح القاموس.

في الكفارات، والنفقات منذ^(۱) دخلت في دين محمد، قاله مقاتل. والرابع: آدم ﷺ، قاله ابن زيد. والخامس: الوليد بن المغيرة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ فِي كَبُدٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: في نَصَبِ، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، فإنهم قالوا: في شدة. قال الحسن: يكابد الشكر على السَّرًاء والصبر على الضَّرَّاء، لأنه لا يخلو من أحدهما (٢)، ويكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. قال ابن قتيبة: في شدة غلبة ومكابدة الضَّرَاء، لأنه لا يخلو من أحدهما يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته. والثاني: أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على لأمور الدنيا والآخرة (٢)، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته. والثاني: أن المعنى: خلق منتصباً وعطية، والفراء، رجلين (٤)، وسائر الحيوان غير منتصب، رواه مقسم عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والضحاك، وعطية، والفراء، فعلى هذا يكون معنى الكبد: الاستواء والاستقامة. والثالث: في وسط السماء، قال ابن زيد: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِلاَدُنَ ﴾ يعني: آم

قُوله تعالىٰ: ﴿ أَيْضَتُ أَن لَمْ رَبُّهُ آمَدُ ﴿ ﴾ يعني اللَّهَ ﴿ والمعنى: أيظن أن الله لم يرَ نفقته، ولم يُخصِها؟! وكان قد ادّعى ما لم ينفق.

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ بَخَمَلُ لَمُ عَبَّنَهِنِ ۞﴾ والمعنى: ألم نفعل به ما يدلّ على أن الله قادر على بعثه؟!

قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّبَدَيْنِ ﴿ فَهُ ثَلَاثَهُ أَقُوالَ: أَحَدُهَا: سبيل الخير والشر، قاله علي، والحسن، والفراء. وقال ابن قيبة: يريد طريق الخير والشر. وقال الزجاج: النجدان: الطريقان الواضحان. والنجد: المرتفع من الأرض،

أخاه: يسا عَسيْسنُ هَسلّا بسكسيستِ أَرْبَسدَ إذ في مُستا وقسام السخسمسومُ فسي كُسبِّدِ

نقوله تعالى: ﴿لَنَدْ ظَلْقًا آلْإِنْكُنَ فِي كُلِهِ أَي: في تعب ومشقة، والله سبحانه قد جعل حياة الإنسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة، ومتنهية بهما أيضاً، فهو ما يزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه، ومن استهلاله صارخاً إلى أن يكبر ويعمير رجلاً، وفي هذا العهد تزداد مشقاته، ويكثر عليه الجهد، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب المدر ونوازله، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة، ثم هو بعد ذلك كله يعرض ويموت، ويلاقي في قيره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه، وكأن هذا هو المشار إليه بـ في التي تدل على الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَدَدُ عَلْقًا الْإِنْتُنَ فِي كَيْكُ.

⁽١) في الأصل: منه، والتصحيح من القرطبي». (٢) في الأصل: ولا يخلو فيهما، والتصحيح من القرطبي».

٧) في الأصل: في شدّة عليه ومكايده من أمور الدنيا والآخرة، والتصحيح من فغريب القرِّآن، لابن قنية.

 ⁽٤) في الأصل: على رجله، وما أثبتناه من «الطبري».

أصل الكبّد: الشدّة، ومنه تكبد اللبن: غلظ وخَثْرَ واشتدّ، ومنه الكبد، لأنه دم تغلظ واشتدّ. ويقال: كابدت هذا الأمر: قاسيت شدّته، قال لبيد يرثي أخاه:

⁽٦) زيادة ليست في الأصل. (٧) في الأصل: التلبيد، والتصحيح من المجاز القرآن، لأبي عيدة.

 ⁽A) في األصل: فعل الكثيرة، والتصجيح من افتح القدير، للشوكاني نقلاً عن الزجاج.

 ⁽٩) لقد ذكر المصنف قبل قليل قول مقاتل بلفظ: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد، وهو كذلك في «القرطبي» وغيره. قال
 القرطبي: وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطالة بما أنفق، فيكون طفياناً منه، أو أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.

فالمعنى: ألم نُعرِّفه طريق الخير والشر كَتَبيُّن الطريقين العاليين. والثاني: سبيل الهدى والضلال، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو سبيل الشقاوة والسعادة. والثالث: الثديانِ ليتغذى بلبنهما، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن المسيب، والضحاك، وقادة (١).

﴿ لَلَا الْفَكُمُ الْفَئِدُ ۚ فِي رَمَّا أَذَرَكَ مَا الْفَقَدُ ۚ فَى نَذَ وَقَامَوْا مِالْفَدُ ۚ فِي أَوْ لِطَنَدُ فِي يَوْرِ ذِى مَسْفَبُو ۚ فَي يَشِينَا ذَا مَقْرَبَهُ ۗ فَي أَوْ يَسْكِينَا ذَا مُتَرَّفُو ۚ فَكُ كَانَ مِنَ الَّذِينَ مَامَنُوا وَقَامَوْا بِالفَتْهِ وَقَوَامَوْا بِالْمَرَّمَةِ ۚ فَي أُولِئِكَ أَضَبُ الْجَنَدُةِ ۚ فَي وَالَّذِي كَذَوْا بِاللَّهِ مُمْ أَسْخَبُ الْمُذَفَقَةِ ۚ فِي عَيْضٍ مَارٌ تُؤْمِدُةٌ ۚ فَيْهِ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذَرَكَ مَا اَلْمَقَيَّةُ ﴿ قَالَ سَفَيانَ بِنَ عَيِينَةَ: كُلُّ مَا فَيه ﴿ وَمَا أَدَرَكَ ﴾ فقد أخبره به، وكلُّ ما فيه ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يخبره به. قال المفسرون: المعنى: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ ثم بيننه فقال تعالى: ﴿ فَكُ رَقِبَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، إلا عبد الوارث، والكسائي، والداجوني عن ابن ذكوان «فَكَ، بفتح الكاف «رَقَبَةٌ بالنصب، «أو أطعم» بفتح الهمزة والميم وسكون الطاء من غير ألف. وقرأ عاصم، وابن عامر، ونافع، وحمزة «فَكُ بالرفع «رقبة» بالخفض، «أو إطعامٌ بالألف. ومعنى فك الرقبة: تخليصها من أسر الرقّ، وكل شيء أطلقته فقد فكَ يُكَتُدُ (١). ومن قرأ «فَكَ رقبة على الفعل، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل، واختاره الفراء؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمّ كَانَ مِنَ النّبِنَ هَاللهِ قَال ابن قتيبة: والمسغبة: المجاعة. يقال: سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوباً: إذا جاع ﴿ يَتِما ذَا مَقَرَبة ﴿ كُونَ مَن

⁽١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير. وقال: والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: ﴿إِنَّا عَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن تُطْفَةُ أَشَاجٍ تَتَنَايِهِ فَجَمَلَتُهُ سَيِمًّا بَعِيرًا ۚ ۚ إِنَّا هَمَيْنَهُ النَّبِيلَ﴾ إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَهَمَنْيَتُهُ النَّبَعَيْنُ ۚ ﴾.

 ⁽۲) زيادة من (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، يريد أن (لا) بمعنى (لم».

 ⁽٣) في الأصل: والعرب لا تكاد تقرر (لا) في الكلام حتى يعيدوها، والتصحيح من (القرطبي).

 ⁽٤) الاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وأصله القحم، وهي المهالك والأمور العظام، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه من غير رويّة، والقُحمة: المهلكة والسنة الشديدة، يقال: أصابت الأعراب القحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا الريف.

⁽ه) وفي الطبري وابن كثير: درجة. قال في «اللسان»: قال أبو حبيدة: جهتم دركات، أي منازل وأطباق، وقال غيره: الدَّرَكات: بعضها تحت بعض، قال الأزهري: والدرجات: منازل ومَرَاقِ بعضها قوق بعض، قالدَّركات ضد الدرجات. وقال الزبيدي في «تاح العروس شرح القاموس»: وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في «البصائر»: الذَّرك: اسم في مقابلة الدرج، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبروا عن منازل الجنّة بالدرجات، وعن منازل جهتم بالدركات.

⁽٦) ني الأصل: فكته، وروى مسلم في (صحيحه، ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: امن أعنق رقبة مؤمنة أعنق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعتق فرجه بفرجه، ورواه بمعناه أجمد والبخاري.

قرابة (١) ﴿أَوْ مِسْكِينَا ذَا مُثْرَيْرُ ﴿ أَي: ذَا فَقَر كَأَنَهُ لَصِقَ بالتراب (٢). وقال ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. ثم بيَّن أن هذه القُرَبُ إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّرَ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ واثم، هاهنا بمعنى الواو، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمُّ اللهُ شَهِيدُ﴾ [يونس: 21].

قوله تعالىٰ: ﴿وَنَوَامَوْا بِالْعَبْرِ﴾ على فرائض الله وأمره ﴿وَقَوَامَوًا بِالْتَرْجَدَةِ﴾ أي بالتراحم بينهم. وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشأمة في الوانعة: ٧، ١٨. قال الفراء: و«المؤصدة» المطبقة. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غمّ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. وقال ابن قتيبة: يقال: أوْصَدْتُ الباب وآصدته: إذا أطبقته. وقال الزجاج: المعنى: أن العذاب مطبق عليهم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ومُوصَدَةٌ، بغير همز هاهنا، وفي [الهمزة: ٨] وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين.

* * *

⁽۱) روى الإمام أحمد عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول 庙 ﷺ يقول: الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلة، ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح.

⁽٢) تقول: تَرِبَ الرجل يترَبُّ تَرَبًا ومتربة: إذا انتقر حتى لصق بالتراب، وتقول: أترب فلان، إذا كثر ماله حتى صار كالتراب في الكثرة.

سورة الشمس

وهي مكية كأها بإجماعهم

ينسب ألَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ لِنَّا

﴿وَاشَمْيِنِ وَضَمَنَهَا ۞ وَالفَمْرِ إِذَا لَنَهَا ۞ وَالنَهَارِ إِذَا جَلْهَا ۞ وَالْجَالِ إِذَا بَشَفَانِهَا ۞ وَالنَّمْيْرِ وَمَا بَشَهَا ۞ وَالنَّمْيْرِ وَمَا بَشَهَا ۞ وَالنَّمْيِ وَمَا بَشَهَا ۞﴾ وَتَغْمِنِ وَمَا سَوَّهَا ۞ فَالْمُمْسَمَا لَجُورُهَا وَتَقَوَعُهَا ۞ فَذَ أَنْسَحَ مَن زَكْنَهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَشَنْهَا ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّيْنِ وَضُنّهَا ﴿ فَي المراد فبضحاها الله الله الله الله الله الله مجاهد، والزجاج. والضحى: حين يصفو ضَوْءُ الشمس بعد طلوعها. والثاني: النهار كلّه، قاله قتادة، وابن قتيبة. والثالث: حَرُّها، قاله السدي، ومقاتل (١٠). ﴿ وَالْتَمْرِ إِذَا لَلْهَا ﴿ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذا تَبِمَها، قاله ابن عباس في آخرين. الله في وقت البّاعه لها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه في أول ليلة من الشهر يرى القمر إذا سقطت الشمس، قاله قتادة. والثاني: أنه في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس، حكاه الماوردي. والثالث: أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت تلاها القمر في الإضاءة، وخَلَفها في النور، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: إذا ساواها، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا استدار، قتلا الشمس في الضياء والنور، وذلك في الليالي البيض.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَا لِهَا جُلَّهَا ﴿ فَي الْمَكني عنها قولان: أحدهما: أنها الشمس، قاله مجاهد، فيكون المعنى: والنهار إذا بَيّن الشمس، لأنها تتبيّن إذا انبسط النهار. والثاني: أنها الظلمة، فيكون كناية عن غير مذكور، لأن المعنى معروف، كما تقول: أصبحت باردة، وهبّت شمالاً، وهذا قول الفراء، واللغويين (٢٠٠. ﴿ وَالنَّيْلِ إِذَا يَنْشَنَهَا ﴿ ﴾ أي: يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

توله تعالى: ﴿وَالنَّمَا وَمَا بَنَهَا ﴿ وَمَا بَنَهَا ﴿ وَمَا بَنَهَا ﴿ وَمَا بَنَهَا بَهِ فَي ﴿ وَمَا بَنَهَا بَهِ فَي ﴿ وَمَا بَلَهَا بَهِ فَي اللهِ المعنى المعنى المصدر، تقديره: وبنائها، وهذا مذهب قتادة، والزجاج. وكذلك القول في ﴿ وَمَا خَهَا ﴾ ﴿ وَمَا سَوَّهَا ﴾ وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين (ومن بناها) (ومن طحاها) ومن سوَّاها) كله بالنون. قال أبو عبيدة: ومعنى (طحاها): بسطها يميناً وشمالاً، ومن كل جانب (٢٣). قال ابن قيبة: يقال: خَيْرٌ طَاحِ (٤٤)، أي: كثير متسع. وفي المراد (بالنفس) هاهنا قولان: أحدهما: آدم، قاله الحسن. والثاني: جميع النفوس، قاله عطاء (٥٠). وقد ذكرنا معنى ﴿ سَوَّهَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَمَوْنَكَ فَعَدَلُكَ ﴾ [الانفطار: ٧] ﴿ فَأَلْمَهَا أَجُرَهَا اللهِ على النفوس، قاله عطاء (٥٠).

١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار.

 ⁽٢) وقال ابن كثيير: ولو أن هذا القائل تأوّل ذلك بمعنى ﴿وَالنَّهِم إِنّا جُلْهَا ﴿ إِنَّ البَسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّهِم إِنّا جَلَنَا ﴿ إِنّا اللّه عَلَىٰ الله عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّه عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُولِ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَى

 ⁽٦) قال ابن كثير: وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والترمذي، وأبو صالح، وابن زيد: طحاها: بسطها، وهو أشهر الأقوال، وعليه الأكثر
من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال النجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته، والمعنى بسطها لافتراشها وازدراعها والضرب في
أكنافها.

⁽٤) الذي في «غريب القرآن»: حيُّ طاح. قال في «القاموس»: والطاحي: الذي ملاً كل شيء كثرة.

تال ابن كثير: أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَأَيْدَ وَجَهَكَ لِلنِّينِ حَيِيناً فِلْرَتَ اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى الْفَطرة، فأبواه يهؤدانه أو يمجسانه كما تولد البهيئة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاه ٩٤ أخرجاه من رواية أبي هريرة. وفي «صحبح مسلم» من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عزّ وجلّ: إني خلقت عبادي حنفاه فجاتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم».

وَتَقُونَهُمَا ﴾ الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها(١). وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور(٢).

قوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَنْكَ مَن رَكُّنَها ﴿ قَ) قال الزجاج: هذا جواب القسم. والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها. قال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد أفلحت نفس زكاها الله عَلَىٰ، قاله ابن عباس، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة، وابن قتيبة. ومعنى ﴿ وَكَنَّها ﴾: أصلحها وطهرها من الذنوب. ﴿ وَفَدّ خَابَ مَن دَسَّنها ﴾ فيه قولان كالذي قبله. فإن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى ﴿ وَشَنها ﴾: خذلها، وأخملها، وأخفى محلها، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى ﴿ وَسَنها ﴾: أخفاها بالفجور. قال الفراء: ويروى أن ﴿ وَسَنها ﴾ دَسَستُها لأن البخيل يخفي منزله وماله. وقال ابن قتيبة: المعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية. والأصل من دَسَّستُ نقلبت السين ياءً، كما قالوا: قصَّيت أظفاري، أي: قصصتها. فكأن النَّطِفَ () بالفجور واللنام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها () . وقال الزجاج: معنى ﴿ وَسَلمًا له بعلها قليلة خسيسة .

﴿ كَذَبَتْ نَسُوهُ بِمَلْغُونِهَا ۞ إِذِ ٱلْبَنَتَ أَشْفَتُهَا ۞ فَقَالَ لَمُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَافَقَ اللَّهِ وَشُقِيَهَا ۞ فَكَذَبُوهُ فَمُغَرُوهَا فَدَمْدَمُ عَلَيْهِمْ وَشُونِهَا ۞ وَلَا يَعَانُ عُقْبُهَا ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ كُذَّبَتْ نُبُودُ بِلَغَوْنَهَا ﴿ أَي: كذبت رسولها بطغيانها (١٠). والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكليب. قال الفراء: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك. وقيل: كذبوا العذاب ﴿إِذِ النَّبَثَ﴾ أي: انْتَدَبُ (٧) ﴿ أَشْتَنْهَا ﴾ وهو: عاقر الناقة لعقرها (٨) ﴿ فَقَالَ لَمُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ وهو

 ⁽١) بمعنى أن الله تعالىٰ خلق في المؤمن التقرى، وفي الكافر القجور، فالخلق فل، والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخيّر فيه، وبذلك الاختيار للخير
أو الشريثاب أو يعاقب. قال ابن جرير الطبري: ﴿ كُلْمُتُهَا جُرُكًا رَتُنْزَبُنا ﴿ ﴿ فَلَيْ لَهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَأْتِي أَو تَذْر مِن خير أو شر، أو طاعة أو
معصية. وقال الشوكاني في فقتح القديرة: أي عرفها وأفهمها حالهما وما فيهما من الحسن والقبح.

⁽٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء، ففي طبيته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي الطريقين شاه؛ وقد منحه الله عزّ زجل القدرة على سلوك أيهما شاء ﴿وَتَدَبَّتُهُ النّبِيتِن ﴿ إِنَّا هَدَبْتُهُ النّبِيلِ إِنَّا هَدَبْتُهُ النّبِيلِ عَلَى المناد المندوج لسلوك أي الطريقين شاه؛ وقد منحه الله عزّ زجل القدارة على سلوك أيهما شاء ووقد وعلى السواء، وهذه القدرة كامنة في نفسه، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام ﴿ المُمْتَمَا مُؤْدُكُ اللّبُونِ وَالشر على السواء، وهذه القدرة كامنة في نفسه، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام ﴿ المُمْتَمَا مُؤدُكُ اللّبُونِ وَالشر على السواء، وهذه القرآن القرآنية والرسل الإلهية والترجيهات توقظ هذه الاستعدادات وتوجهها، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً، لأنها مخلوقة فطرة، وكانته المبعاء وكانته الهماء أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة واعية مدركة، فمن المتعداد الشر فقد أفلح وأنجح، ومن ظلم هذه القوة المواجمة المبدوكة وخباها وأضعفها فقد خاب وخسر ﴿ فَذَ أَلْمَ مَن زَكُمُ اللّ وَ وَقَدْ عَلَى مَن مُوجبات الإيمان ودلائل الهدى، وتجلو عنه خواشي الهوى فيظهر له الحق الواعية، بل أعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهدى، وتجلو عنه خواشي الهوى فيظهر له الحق في صورته الصحيحة، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لا شبهة فيه فتنصرف القوة الواعية حينذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاء الذي يختاره ويسير فيه. ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والخير، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو يقوله: والملهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زيد بن أرقم ﷺ.

 ⁽٣) النطف: المتهم كما في «اللسان».

 ⁽٤). في الأصل: نفسها، وفي النسخة الإستنبولية: نفسه، وهو الصواب، وهو كذلك في «مشكل القرآن».

 ⁽٥) في الأصل: إمكانها، وما أثبتناه هو في النسخة الاستنبولية و«مشكل القرآن».

⁽٦) عبارة ابن قتية في اغريب القرآنة: كذبت الرسول إليها بطفيانها .

 ⁽٧) تقول: ندبته إلى كذا، فانتدب، أي أمرته فامتثل، وفي الطبري؛ انبعث: ثار، وفي القرطبي: نهض، والانبعاث هو الإسراع.

⁽A) وهو قدار بن سالف. روى البخاري في اصحيحه (٨/ ٥٤٢) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي 秦 يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله بن المحتفظ المحت

صالح ﴿ الله و الله الله و الل

قوله تعالىٰ: ﴿وَلا يَعْانَى عُتَبُهَا ﴿ ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، افلا يخاف بالفاء، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحف مكة، والكوفة، والبصرة. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله عَلَى، فالمعنى: لا يخاف الله من أحد تبِعة في إهلاكهم، ولا يخشى عقبى ما صنع، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخف عقبى ما صنع، وهذا مذهب الضحاك والسدي، وابن السائب. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها. والثالث: أنه نبى الله صالح لم يخف عقباها، حكاه الزجاج (٤٠).

* * *

⁽١) في الأصل: المورخ، وفي النسخة الاستنبولية: المؤرخ، وهو تصحيف.

⁽٢) ِ في الأصل: إهلاك؛ وما أثبتناه من النسخة الاستنبولية.

 ⁽٣) قال ابن كثير: ﴿فَسَوْسُوالُهَا فَهُ فَعِمْ اللَّهِ عَلَيْهُمْ عَلَى السَّواء، قال تتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنتاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمام الله عليهم بذنبهم فسواها.

٤) والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، كما قال ابن كثير، والله أعلم.

سورة الليل

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بنب ألَّهُ النَّانِ النَّجَدِيد

﴿ رَائِيلِ إِنَا يَعْنَى ۞ رَائِيْدِ إِنَا جَلَقَ ۞ رَمَا عَلَىٰ اللَّذِرَ رَافَعَنَ ۞ إِنَّ سَنِيمٌ لَنَتَى ۞ اثنًا مَنْ أَصَلَى رَافَقَ ۞ رَسَدَدَ إِلَمْتَنَى ۞ وَمَا يَشِي مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ إِنَا اللَّهِ ﴾ مَسْنَيْنِ اللَّهِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ إِنَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ إِنَا اللَّهِ هَا اللَّهُ إِنَّا اللَّهُ ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِلِ إِذَا يَنْفَىٰ ﴿ ﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار. وقال الزجاج: يغشى الأفق، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض، ﴿ وَالنَّهَ إِذَا جَلَلَ ﴿ أَي: بان وظهر من بين الظلمة، ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّكُرُ وَالْأَنْقُ ﴾ في «ما» قولان، وقد ذكرناهما عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا بَنَهَا ﴾ [الشمس: ٥]. وفي ﴿ اللَّكُرُ وَالْأَنْقُ ﴾ قولان: أحدهما: آدم وحواء، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام، ذكره الماوردي (١٠).

⁽١) قال الشوكاني: والظاهر العموم.

 ⁽۲) روى مسلم في «صحيحه ۲۰۳/۱ عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغلُو، فباتع نفسه فمعتقها، أو موبقها، أي: كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتها، أي: يهلكها.

 ⁽٣) رواه المواحدي في أسباب النزول، ٣٣٥، وأورده السيوطي في «الدر، ٣٥٨/٦ من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن عساكر عن عبد الله بن
 مسعود ﷺ. وذكره البغري والخازن بغير سند.

⁽٤) في الأصل: أربعون، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستنبولية وكتب التفسير.

⁽٥) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر المدني عن الحكم بن أبان المدني عن عكرمة عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف، لضعف حفص بن عمر، والحكم بن أبان المدني، صدوق عابد له أوهام، كما قال الحافظ ابن حجر في «العرب». والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التضير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره: وهو حديث غريب جداً. وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٥٧ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف. ومما يدل على ضعف سبب النزول هذا وعدم صحته، أن القصة كانت بالمدينة، وصورة «الليل» نزلت بمكة.

من الرجل أبو الدحداح، أخذها بحائط له، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات إلى قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَيْكُمْ لَنَنَّ ۞﴾ أبو الدحداح، وصاحب النخلة (١).

قوله تعالى: ﴿ قَالًا مَنْ أَعَلَى رَاّتَكَى ﴿ قَالَ ابن مسعود: يعني: أبا بكر الصديق، هذا قول الجمهور (٢٠). وقال عطاء: هو أبو الدحداح. وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى من فضل ماله، قاله ابن عباس. والثاني: أعطى الله الصدق من قلبه، قاله الحسن. والثالث: أعطى حق الله عليه، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿ وَالْقَيْ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقى الله، قاله ابن عباس. والثاني: اتقى البُخُل، قاله مجاهد. والثالث: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة. وفي «الحسن» ستة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلّا الله»، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: الخَلَف (٢٠) رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: الجنّة، قاله مجاهد. والرابع: نِعَم الله عليه، قاله عطاء. والخامس: بوعد الله أن يثيبه، قاله قتادة، ومقاتل. والسادس: الصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿ فَسَنُيْسَرُ لِلْبُرَىٰ ﴿ فَ ضَمّ أبو جعفر سين «اليسرى» وسين «العسرى» وفيه قولان: أحدهما: للخير، قاله ابن عباس. والمعنى: نُيسِّر ذلك عليه. والثاني: للجنّة، قاله زيد بن أسلم. ﴿ وَأَنَّا مَنْ يَبِلَ ﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أميَّة وأبي ابني خلف. وقال عطاء: هو صاحب النخلة. قال المفسّرون: ﴿ وَأَنَّا مَنْ يَبِلَ ﴾ بالنفقة في الخير والصدقة. وقال قتادة: بحق الله عَنْ ، ﴿ وَاسْتَقَنّ ﴾ عن ثواب الله قلم يرغب فيه ﴿ وَلَذَّبَ بِالنَّسِينَ ﴾ وقد سبقت الأقوال فيها. وفي «العسرى» قولان: أحدهما: النار، قاله ابن مسعود. والثاني: الشر، قاله ابن عباس. والمعنى: سنهيّئه للشر فيوديه إلى الأمر العسير، وهو عذاب النار (٤٠). ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لا ينفعه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا يُتَنِى عَنْهُ مَالَهُ ﴾ الذي بخل به عن الخير ﴿ إِنَا تَرَدَّى في قيره، قاله مجاهد.

﴿ إِنْ عَلِيْنَا لَلْهُدَىٰ ۞ وَإِذَ لَنَا لَلْهِزَةَ وَالْأَوْلُ ۞ فَانَدَتْكُمْ فَانَ تَلَظُن ۞ لَا يَشْلَئُهَا ۚ إِلَّا ٱلْأَفْقِ ۞ الَّذِي كُذَّبَ وَتَوَلَّ ۞ وَسَيْجَنَّئِهَا ٱلْأَلْقَى ۞ اللَّذِي بُؤْقِ مَالَمُ يَتَزَلَّنُ ۞ وَمَا لِأَحَدِ عِندَمُ مِن يَشْمَوْ خُرَقَ ۞ إِلَّا آلِينَامَ وَبْدِ وَيْدِ ٱلْأَمْلَ ۞ وَكَسُوفَ يَرْفَقَ ۞﴾

⁽۱) ذكره البغوي في «تفسيره» من رواية على بن حجر عن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء، وإسحاق بن نجيح الملطي قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: كلبوه، وعطاء أرسله، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في «أسباب النزول» حيث قال عن الشخص الذي اشتراها: ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول اله ... إلغ، وهو حديث ضميف كما تقدم. قال الخازن: والصحيح أنها نزلت في أبي بكر المحدين وأمية بن خلف، إذن سياق الآيات يقتضي ذلك.

⁽۲) ونقل القرطبي قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين. وروى الحاكم في «المستدرك» ۲۰/ ۲۰ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحاقة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد، فأنزلت هذه الآيات ﴿قَالُ مَنْ أَصَلُ وَلَقُونُ عَنَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَل

⁽٣) أي: بالخَلَف من الله تعالىٰ على مطانه.

تَسمَنَّى رِجَسالٌ أَنْ أَمُسوتَ وَإِنْ أَمُستُ فَيَلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيها بِأَوْحَدِ(١)

قال الزجاج: وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء (٢) أنه لا يدخل النار إلّا كافر، وليس [الأمر] كما ظنّوا. هذه نار موصوفة بعينها، ولأهل النار منازل. فلو كان [كل] (٢) من لا يشرك لا يعذَّب لم يكن في قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا نُونَ ذَلِكَ كُلاماً لا معنى له] (٤).

قوله تعالىٰ: ﴿ وَسَيْجَنَّهُ ﴾ أي: يُتَعَدُ عنها، فيجعل منها على جانب ﴿ ٱلْأَنْقَى يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين ﴿ اَلَذِى يُؤْفِى مَالَمُ يَتَرَكُّ ﴿ أَي: يطلب أن يكون عنه الله زاكياً، ولا يطلب الرياء، ولا السمعة ﴿ وَمَا لِأَمْدِ عِندُمُ مِن يَمْتَو غَرَى اللهُ يَهُ أَي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أُسْدِيتْ إليه. وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يعذَّب قال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلّا ليدٍ كانت لبلال عنده، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا لِلْحَدِ عِندَهُ مِن يَسْتَو نَجْزَى ﴾ إلا آينِنَهُ وَجَهِ رَبِهِ آلْفَلْ ﴿ أَي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الفراء: و ﴿ إِلَّه بمعنى ولكن ونصب ﴿ آينِنَهُ على إضمار إنفاقه. فالمعنى: وما ينفق إلّا ابتغاء وجه ربه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْمَن ﴿ أَي: بِمَا يُعْطَى فِي الْجَنَّة مِن الثوابِ (٦).

帝 帝 帝

⁽١) هو في همجاز القرآن؛ لأبي عبيدة ٢/ ٣٠١، و«الطبري» ٣٠/ ٢٢٧، و«القرطبي، ٢٠ / ٨٨.

⁽٢) ويسمون المرجئة، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسمّوا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعليبهم هلى المعاصي، أي أخره عنهم. وقيل: المرجئة: فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول، وأرجؤوا العمل، أي أخروه، لأنهم يرون أنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم.

⁽٣) زيادة من القرطبي.

⁽٤) زيادة من القرطبي، وروى البخاري في اصحيحه (٢١٤/١٣) عن أبي مريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الكل أمني يدخلون الجنة إلا من أبيه، قالوا: يا رسول الله ومن يابي؟ قال: فمن أطاعني دخل الجنة، ومن عصائي فقد أبي.

⁽٥) ذكره القرطبي وغيره عن عطاه عن ابن عباس بغير سند.

⁽۱) قال ابن كثير: ﴿ولسوف يرضى﴾ أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. قال: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق على حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ رَسَيْمَتُهُمُ الْأَنْنَى ﴾ أَنْوَى بُوْقِى مَالَمُ يُمَرِّكُ ﴾ ومَا يُلِّيهِ عِندَمُ بِن يَسَتَو جُوكِكُ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولا، ونصرة رسول الله على أنسادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكانته بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عردة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجيتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَسْ عِندَهُ مُنِينَةٍ خُرِينًا فَي الله المؤلفة، وفي فالصحيحين؟ أن رسول الله يُقوقال: فمن أشق زوجين في سبيل الله دعته عزنة الجنة: يا عبد الله هذا خيره فمن كان من أهل الصدة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب المهاء الدع، على المقالة والله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة نهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: فنعم وأرجو أن تكون منهم.

سورة الضحى

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

اتفق المفسّرون: على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله على عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. والثاني: لقِلَّة النظافة في بعض أصحابه، وقد ذكرنا هذين القولين في سورة [مريم: ٢٥]. والثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم (١١). وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في الريم: ٢٦]. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جُنْدُب قال: قالت امرأة من قريش للنبيّ على: «ما أرى شيطانك إلا قد ودَعَكَ»، فنزلت ﴿وَالشَّعَىٰ شَي وَالسَّعَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكُ وَمَا قَلَ هـ ودَعَكَ»، فنزلت ﴿وَالشَّعَىٰ شَي وَالْسَعَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكُ وَمَا قَلَ شَهُ وَاللَّهُ عنه المرأة أبي لهب.

ينسيد المو الكني العبيد

﴿وَالشَّمَىٰ ۞ وَالْتُهِلِ إِذَا سَبَىٰ ۞ مَا وَذَعَكَ رَبُكَ وَمَا قَلَ ۞ وَلَلَآخِرَةُ خَبَرُ لَكَ مِنَ الأُولَ ۞ وَلَسَوْفَ يُمْطِيكَ رَبُكَ مَنْزَخَىٰ ۞ أَلَمْ يَمِدْكَ يَمِيسًا فَنَاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ مَالًا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَابِلا قَافَىٰ ۞ قَأَمَّ النَّابِلَ فَلا تَشَرّ ۞ وَآمًا بِيْعَمَةِ رَبِّكَ نَمْدَنْ ۞﴾

وفي المراد «بالضحى» أربعة أقوال: أحدها: ضوء النهار، قاله مجاهد. والثاني: صدر النهار، قاله قتادة. والثالث: أوّل ساعة من النهار إذا ترحّلت الشمس، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: النهار كلَّه، قاله الفراء. وفي معنى ﴿سَجَيْ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أظلم. والثاني: ذهب، رويا عن ابن عباس. والثالث: أقبل، قاله سعيد بن جبير. والرابع: سكن، قاله عطاء، وعكرمة، وابن زيد. فعلى هذا: في معنى «سكن» قولان: أحدهما: استقر ظلامه، قال الفراء: ﴿سَجَيْ ﴾ بمعنى أظلم وركد في طوله. كما يقال: بَحْرٌ سَاجٍ، ولَيْل سَاجٍ: إذا ركد وأظلم. ومعنى: ركد: سكن، قال أبو عبيدة: يقال: ليلة ساجية، وساكنة، وشاكرة. قال الحادي:

⁽۱) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٥٥٥: وجدت في «الطبري» بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كرنها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في «الصحيح» والله أعلم. وورد لذلك سبب ثالث، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً، فتغير بذلك، فقالوا: ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَدَهَ وَلَا وَمَ اللهِ وَمَ اللهِ وَمَ اللهِ اللهِ وَمَ اللهِ اللهِ وَمَ اللهِ اللهِ وَمَ اللهُ وَاللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ وَاللهُ وَمِ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَمِلهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَمَ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَمَ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ و

يَا حَبَّذَا الفَّهُ مُواء والسليلُ الساج وطُونُ مِنْ لَمُسلاءِ النَّسساجُ (١)

قال ابن قتيبة: ﴿سَجَنُ﴾ بمعنى سكن، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده. والثاني: سكن الخلق فيه، ذكره الماوردي. والخامس: امتذ ظلامه، قاله ابن الأعرابي(٢).

قوله تعالىٰ: ﴿مَا رَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ وقرأ عمر بن الخطاب، وأنس، وعروة، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، وأبو حاتم عن يعقوب قمّا وَدَّعَكَ، بتخفيف الدال. وهذا جواب القسم. قال أبو عبيدة: ﴿مَا وَدَّعَكَ، مِن التوديع كما يردع المفارق، وقمّا وَدَعَكَ، مخفّفة من ودعه يدعه ﴿وَمَا قَلْ﴾ أي: أبغض.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَلْكَخِرُ أَخَيْرُ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى ﴿ قَالَ عطاء: خير لك من الدنيا. وقال غيره: الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُمُطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخير ﴿فَتَرَضَىٰ﴾ بما تُتُعَلَى. قال عليّ والحسن: هو الشفاعة في أمّته حتى يرضى. قال ابن عباس: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما يُفتّح على أُمّته من بعده كَفْراً كَفْراً، فَسُرّ بذلك، فأنزل الله ﷺ فأذل الله ﷺ في: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ فَنْ مِنْ الْأُولُ ﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۖ ﴾ (٣).

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِهِمُا فَتَارَىٰ ۞﴾ فيه قولان: أحدهما: جعل لك مأوى إذا ضَمَّك إلى عمَّك أبي طالب، قاله ابن طالب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا نَهَدَىٰ ۞﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: ضالاً عن معالم النبوّة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك. والثاني: أنه ضَلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة، فردَّه الله إلى جدّه عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى المجبشة، وردّه إلى القافلة، فمنَّ الله عليك بللك، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى المجبشة، وردّه إلى القافلة، فمنَّ الله عليك بللك، قاله سعيد بن المسيّب. والرابع: أن المعنى: ووجلك في قوم ضُلَّال، فهداك للتوحيد والنبوّة، قاله ابن السائب. والخامس: ووجدك نِسْياً، فهداك إلى الذّكر. ومثله: ﴿أَن تَضِلَّ إِخْدَنْهُمَا فَتُنْكِرَ إِمْدَنَهُمَا ٱلأَثْرَانُ الله عبد العزيز بن يحيى، ثعلب. والسادس: ووجدك خاملاً لا تُذْكّر ولا تُعْرَف، فهدى الناس إليك حتى عرفوك، قاله عبد العزيز بن يحيى، ومحمد بن على الترمذي.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَوَجَدَكَ عَايَلًا ﴾ قال أبو عبيدة: أي: ذا فقر. وأنشد:

وَمَسا يَسدُرِي السفسقسيسرُ مَستَسى غِسنَساهُ ومَسا يَسدُرِي السغَسنِسيُّ مستَسَى يَسجِسيسلُ (١)

أي: يفتقر. قال ابن قتيبة: العائل: الفقير، كان له عيال، أو لم يكن. يقال: عال الرجل: إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْنَ﴾ قولان: أحدهما: رَضَّاك بما أعطاك من الرزق، قاله ابن السائب، واختاره الفراء. وقال:

⁽١) الرجز في فمجاز القرآن؛ لأبي عبيدة، وفالكامل؛ ١٦١، وفالطبري، ٣٠/ ٢٣٠، وفالقرطبي، ٢٠/ ٩١، وفاللسان؛: سجى/.

 ⁽٢) قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً.

⁽٣) وواه ابن جرير الطبري ٢٣٠ / ٢٣٢ من رواية الإمام الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس، ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به. قال ابن كثير: وهذا إستاد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال عن توقيف. ورواه الواحدي في «السباب النزول» ٢٣٨، والحاكم ٢٣١/ ٥ ورواه الطبراني في «الكبير». قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٩/ ١٤٧٠: وإستاد الطبراني في «الكبير» حسن. وأورده السيوطي في «اللد» ١٣٦١ وزاد نسبته لعبد بن حميد، والبيهتي وأبي نميم كلاهما في «الدلائل»، وابن مردويه عن ابن عباس را

 ⁽³⁾ البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«معاني المترآن» للفراء ١/ ٢٥٥، و«الجمهرة» ٢/ ١٩٣، و«الطبري» ٧/ .
 ٥٤٩، و«اللسان» عيل، و«مجاز القرآن» ٢/ ٣٠٠، و«القرطبي» ٩/ ٩٠.

لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله رضًاه بما آتاه. والثاني: فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب، قاله جماعة من المفسّرين(١٠).

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَبِهُ فَلَا نَقَهَرٌ ﴿ فَهُ قُولانَ: أحدهما: لا تحقر، قاله مجاهد. والثاني: لا تقهره على ماله، قاله الزجاج (٢٠). ﴿وَأَمَّا النَّآلِكِ فَفِيه قُولانَ: أحدهما: سائل البِر، قاله الجمهور. والمعنى: إذا جاءك السائل، فإما أن تعطيه، وإما أن تردَّه ردَّا لَيْناً. ومعنى ﴿فَلَا نَنْهَرُ ﴾ لا تنهره، يقال: نهره وانتهره: إذا استقبله بكلام يزجره. والثاني: أنه طالب العلم، قاله يحيى بن آدم في آخرين.

قوله تعالى: ﴿رَأَتَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَعَرِّتُ ﴿ فَي النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: النُبُوَّة. والثاني: القرآن، رويا عن مجاهد. والثالث: أنها عامة في جميع الخيرات، وهذا قول مقاتل. وقد روي عن مجاهد قال: قرأت على ابن عباس، فلما بلغت ﴿وَالشَّيْنَ ﴿ قَالَ: كَبُر إِذَا خَتَمَتَ كُل سورة حتى تَخْتَم. وقد قرأتُ على أُبِيِّ بن كعب فأمرني بذلك. قال على بن أحمد النيسابوري: ويقال: إن الأصل في ذلك أن الوحي لما فتر عن رسول الله على فرحاً بنزول الوحي، فاتّخذه هجره شيطانه ووَدَعَهُ، اغتمَّ بذلك، فلما نزل ﴿وَالشَّعَنَ ﴿ كَبُر عند ذلك رسول الله على فرحاً بنزول الوحي، فاتّخذه الناس سُنةً (٣).

* * *

⁽۱) روى البخاري ومسلم في الصحيحيهما؛ عن أبي هريرة ى قال: قال رسول الله 囊: اليس الغنى هن كثرة العرض ولكن الغنى هني النفس،، وروى مسلم في الصحيحه؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص 歲 قال: قال رسول الله 囊: اقد أقلع من أسلم ورزق كفافاً وتفعه الله بما آتاه،

⁽٣) قال عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المفسر: روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي برأة المقرئ، قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت: ﴿زَالشَّئَ وَالا لي: كبر حتى تختم مع كل خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة، المتوفى سنة ١٩٦٠هـ) فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، فهذه سُنةٌ تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث، فقلا ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر المقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في وشرح الشاطبية، هن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. قال ابن كثير: ثم اختلاف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر ﴿زَائِيلٍ إِنَا يَنْنَى وقال آخرون: من آخر ﴿وَالشَّعَن ﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر ويفتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. قال ابن كثير: وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة أن يقول: الله أكبر ويفتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أوحى إليه ﴿وَالشَّعَن ﴿ وَالشَّعَن ﴾ السورة بتمامها، كبر فرحاً وسروراً: قال: ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم.

سورة الانشراح

مكية كلُّها بإجماعهم

بنسيد أمَّو النَّائِبِ النَّجَسِيِّ

﴿ أَنَّهُ نَشَرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَمَعْنَا صَلَكَ بِذَوْكَ ۞ الَّذِي أَلَقَنَ ظَهْرَكَ ۞ وَوَهَنَا لَكَ ذِكْرُكَ ۞ فَإِذَ مَعَ ٱلنَّسْرِ بُشَرًا ۞ إِذَ تَعَ ٱلنَّشْرِ بُشُرًا ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَاضَبْ ۞ وَلِكَ رَبِّكَ فَارْغَب ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ رَرَفَتَا لَكَ ذِكْرُكَ ﴿ رَبُقَا لَكَ ذِكْرُكَ إِنَّهُ فَيه خمسة أقوال أحدها: ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: قال الله ﷺ: إذا ذُكِرْتَ [ذُكِرْتَ] (٢) معي (٣). قال قتادة: فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحب صلاة إلّا يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا قول الجمهور. والثاني: رفعنا لك ذكرك بالنبوّة، قاله يحيى بن سلام. والثالث: رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي. والرابع: رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء. والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان بك، والإقرار بفضلك، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَ ٱلْسُرِ بُسُرًا ﴿ إِنَّ مَ ٱلْسُرِ مُسُرًا ﴿ مَذَكُور في الآيتين اليسر النان. قال ابن مسعود، وابن عباس بلفظ التعريف. واليسر اثنان. قال ابن مسعود، وابن عباس في هذه [الآية] (١٠): لن يغلب عُشر يسرين. قال الفراء: العرب إذا ذكرَتْ نَكِرَةً ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين وكقولك: إذا كسبت درهما فأنفق الثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفة، فهي كقولك: إذا كسبت درهما فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول. ونحو هذا قال الزجاج: ذَكرَ العُشر بالألف واللام، ثم ثَنَّى ذِكْرَه، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. وقال الحسين بن يحيى الجرجاني - ويقال له: صاحب النظم -: معنى الكلام: لا يحزنك ما يُعَيِّرك به

⁽۱) قال ابن كثير: يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَّمَ نَذَتَحَ لَكَ مَنْدَلَةُ ۞﴾ يعني: إنا شرحنا لك صدرك، أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً، كقوله: ﴿فَمَن يُهِو اللّهُ أَن يَهْدِيمُ يَدْتَحُ صَدَّدُو لِلْإِسْلَائِكِ وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

⁽٢) سقطت هذه الكلمة من الأصل، واستدركناها من الطبري وغيره.

⁽٣) رواه ابن جرير الطبري ٣٠ (٣٥ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيشم عن أبي سعيد الخدري، ودراج، وإن كان صدوقاً في حديثه فإنه في روايته عن أبي الهيشم ضعيف، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ومع ذلك فقد صححه ابن حبان. وقال ابن كثير: وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيمة عن دراج. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري رهيه.

⁽٤) زيادة من النسخة الإستنبولية.

حَ مَسغْسَمُ وساً لَسهُ أَرْزَخُ

لَدِي السهم أبيه بَرَّنْ في السهم أبيه بَرْتُ عَلَيْ السهم أبيه بَرْتُ عَلَيْ السَّمْ السَّمُ السَّمْ السَّمُ السَّمْ السَّمِ السَّمُ الْعَلَمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمُ السَّمِ السَّ

أَرَى السمَسؤتَ لِسمَسنُ أَصْبَسَ فلما جنّ الليل سمعت هاتفاً يهتف:

***** * *

⁽١) زيادة من النسخة الإستنبولية,

رواه البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن أبي بَكُرة ﷺ، واللفظ لمسلم ٢٦٦/٣ وهو بتمامه: "شهرا هيد لا ينقصان: ومضان وفو العجة" ولفط البخاري ١٠٨/٤: فشهران لا ينقصان، شهرا هيد: رمضان وفو العجة"، قال الإمام النووي في "شرح مسلم": قوله ﷺ: "شهرا عيد لا ينقصان: رمضان وتو العجة" الأصح أن معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة ولمضان وقول العجة الأصح أن معناه: لا ينقص أجرهما والنواب المرتب عليهما وإن نقص عددهما. وقيل: معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً، وقيل: لا ينقص ثواب ذي الحجة عن ثواب رمضان، لأن فيه المناسك، حكاه الخطابي وهو ضعيف، والأول هو الصواب المعتمد. ومعناه أن قوله ﷺ: «من قام ومضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله ﷺ: «من قام ومضان إيماناً واحتساباً...» وغير ذلك، فكل هذه الفضائل تحصل، سواء تم عدد رمضان أم نقص، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتع؛ ١٠٦/٤ ما ملخصه: وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فمنهم من حمله على ظاهره فقال: لا يكون رمضان ولا ذر الحجة أبداً إلاّ ثلاثين، وهذا قول مردود معاند للموجود المشاهد، ويكفي في رده قوله ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن هُمّ حليكم فأكملوا العدة، فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هلا، قال: ومنهم من تأوّل له معنى لائقاً، قال أبو الحسن: كان إسحاق بن راهويه يقول: لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين، وقال البيهتي في «الممرفة»: إنما خصّهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحجّ بهما. قال ابن حجر: والمعنى أن كل بما ورد هنهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين.

ثم قال: وفي الحديث حجة لمن قال: إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً، بل لله أن يتفضل بإلحاق الناقص بالتام في الثواب، ثم قال: وهذا الحديث يقتضي أن التسوية في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين، إنما هو بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة، لا من حيث تفضيل الأيام. وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد، ونظيره قوله ﷺ: فالمغرب وتر النهار، أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وصلاة المغرب ليلية جهرية، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس.

 ⁽٣) قال ابن كثير: وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَا رَفَتَ فَاَسَتِ ۞ رَلِكَ رَبِّكَ فَارَضَهِ أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطمت علائقها، فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرفية، قال: ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: ولا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخيثان، وقوله ﷺ: (إذا أقيمت الصلاة وحضر النشاء، فابدؤوا بالعشاء».

سورة التين

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور، منهم الحسن، وعطاء^(۱). والثاني: أنها مدنية، حكاه الماوردي عن ابن عباس، وقتادة.

ينسيد ألله الكانب التجسية

﴿ وَالِنِينِ وَالنَّبَوُنِ ۞ وَلُمُو سِينِنَ ۞ وَهَذَا الْهَلَدِ الْأَمِيتِ ۞ لَقَدْ خَلْقًا الْإِنسَنَ فِي الْمَسْنِ تَفْوِيمٍ ۞ أَدُّ رَدَّنَاتُهُ أَسْفَلَ سَغِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ مَاسُوا رَقِمُوا الصَّالِحَتِ فَلَهُمْ أَجْرُ خَيْرُ تَمُونِ ۞ فَنَا يُكَذِّبُكَ بَسْدُ بِاللِّينِ ۞ اَلْتِسَ اللَّهُ بِأَشْكِمِ الْمُتَكِيبِينَ ۞﴾

عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وإبراهيم. وذكر بعض المفسّرين أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مُخَلِّصة من شائب التنغيص، وهو يدلُّ على قدرة من هيَّاه على تلك الصفة. وجعل الواحدة منه على مقدار اللَّقمة، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به. والثاني: أن التين: مسجد نوح ﷺ الذي بني على الجودي. والزيتون: بيت المقدس، رواه عطية عن ابن عباس^(٢). والثالث: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك. والرابع: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، قاله كعب، وقتادة، وابن زيد. والخامس: أنهما جبلان، قاله عكرمة في رواية. وروى عن قتادة قال: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. والسادس: أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، قاله القرظي. والسابع: أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همذان، والزيتون: جبال بالشام، حكاه الفراء^(٣). فأما ﴿رَلْمِرِ سِينِينَ ﴿ فَالطور: جبل، وفيه قولان: أحدهما: أنه الجبل الذي كلّم الله موسى عليه، قاله كعب الأحبار في الأكثرين. والثاني: أنه جبل بالشام، قاله قتادة. فأما ﴿يبِينَ﴾ فهو لغة في سيناء، وقد قرأ على، وسعد بن أبي وقاص، وأبو العالية، وأبو مجلز ﴿وطور سَيناء﴾ ممدودة مهموزة، مفتوحة السين. وقرأ ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو حيوة: «وطور سِيناء» مثلهم إلّا أنهم كسروا السين. وقرأ أبو رجاء، والجحدري (سينين) كما في المضحف، لكنهما فتحا السين. وقال ابن الأنباري: (سينين) هو سيناء. واختلفوا في معناه، فقيل: معناه: الحسن، وقيل: المبارك، وقيل: إنه اسم للشجر الذي حوله. وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين: ٢٠] قال الزجاج: وقد قرئ هاهنا ﴿وطور سَيْناء﴾ وهو أشبه لقوله تعالىٰ: ﴿وَشَجَرَةٌ تَخرُجُ بين لَمُريرِ سَيْنَاءً﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال مقاتل: كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين، وسيناء بلغة النبط^(٤).

قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ٱلِّلَهِ ٱلْأَمِينِ ﴾ يعني: مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية، والإسلام (٥٠). قال الفراء: ومعنى ﴿الْأَمِينِ﴾ الآمن. والعرب تقول للأمين: آمن. قال الشاعر:

⁽۱) وهو الصواب. • (۲) وعطية ضعيف.

 ⁽٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين، هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الذي يعصر منه الزيت، أن ذلك
 هو المعروف عند العرب.

 ⁽٤) قال أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين، جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى
 سينين، تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال: حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علّة تدعو إلى
 ذلك.

⁽٥) قال ابن كثير: وقال بعض الأثمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدم التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ﷺ، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محملاً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء ـ يمني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ـ وأشرق من ساعير ـ يمني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى ـ واستعلن من جبال

حَلَفْتُ يَمِيناً لا أَخُونُ أَمِينِي(١)

الم تَعْلَمي باأسمَ وَيْحَكِ أَنَّذِي

قوله تعالى: ﴿لَنَدَ خَلَتَنَا ٱلْإِنسَنَ﴾ هذا جواب القسم. وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه كَلَدة بن أسيد، قاله ابن عباس. والثاني: الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبو جهل بن هشام. والرابع: عتبة، وشيبة، حكاهما الماوردي. والخامس: أنه اسم جنس، وهذا مذهب كثير من المفسرين(٢٠)، وهو معنى قول مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ وَ أَمَن تَوْيِه ﴾ فيه أربعة أقوال: أحلها: في أعدل خلق. والثاني: منتصب القامة، رويا عن ابن عباس. والثالث: في أحسن صورة، قاله أبو العالية. والرابع: في شباب وقرة، قاله عكرمة (٢٠٠٠). ﴿ مُرْ رَدَتُهُ أَسْلَلُ سَنِلِينَ ﴿ ﴾ فيه قولان: أحلهما: إلى أرذل العُمُر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وإبراهيم، وقنادة (٤٠٠). وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوّة. والسافلون: هم الضعفاء، والرّمني، والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً. قال الفراء: وإنما قال ﴿ مَنْفِينَ ﴾ على الجمع؛ لأن الإنسان في معنى جمع. تقول: هذا أفضل قائم، ولا تقول: قائمين، لأنك تريد واحداً، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالتوحيد وبالجمع. والثاني: إلى النار، قاله الحسن، وأبو العالية، ومجاهد. والمعنى: إنا نفعل هذا بكثير من الناس. تقول العرب: أنفق فلان ماله على فلان، وإنما أنفق بعضه، ومثله قوله تعالى: ﴿ اللّهِ عَلَى يُوَقِ مَالَمُ يَرَكُ ﴿ وَلَلْ اللهِ: ١٨] لم يُردُ كُلُّ ماله. ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى: ﴿ إلّا اللّهِ اللهُ عَلَى اللهُ المؤمن من الكثير. وللمفسّرين في معنى الاستثناء قولان: أحدهما: إلا اللهن آمنوا، فإنهم لا يُردُّون إلى الخَرَف وأَردُّل العُمر وإن عُمروا طويلاً، وهذا على القول الأول. قال ابن عباس: من الكبر غير منقوصين وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوَّة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَلْ الْفَين آمنوا، فإنهم لا يُردُّون إلى النار. وهذا على القول الثاني (٥٠٠). وقد شرحنا معنى «الممنون» في ونّ» (آية: ٣٤).

قوله تعالىٰ: ﴿ نَمَا يُكَذِّبُكَ مَدُ بِالدِّنِ ﴿ فَهِ قُولانَ: أَحَدُهُمَا: فَمَا يَكَذَّبُكُ أَيَّهَا الإنسانُ بعد هذه الحجّة، ﴿ بِالدِّنِ ﴾ أي: ما الذي يجعلك مكذَّباً بالجزاء؟!، وهذا توبيخ للكافر، وهو معنى قول مقاتل. وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة. والثاني: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبيّن له خلقُنا الإنسان على ما وصفنا، قاله الفراء. فأما «الدِّينَ فهو الجزاء. والمشار بذكره إلى البعث، كأنه استدلّ بتقليب الأحوال على البعث.

قوله تعالىٰ: ﴿ أَلْنِسَ اللَّهُ بِأَمْكِمِ ٱلْمَكِمِينَ ۞ ﴾ أي: بأقضى القاضين. قال مقاتل: يحكم بينك وبين مكذّبيك. وذكر بعض المفسّرين: أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم، ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف⁽¹⁾.

فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما.

⁽١) البيت من شواهد الفراء ٣٧١، وهو في الطبري ٣٠/ ٣٤١، والقرطبي ٢٤١٣/٠.

⁽٢) وهو الصواب.

⁽٤) واختار هذا القول ابن جرير الطبري، ورده ابن كثير، فقال: ولو كان هذا هو السراد، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه (يعني القول الثاني: النار)؛ كقوله تعالى: ﴿وَاَلْصَرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَنِي خُسَرٍ ۞ إِلَّا اللَّذِينَ مَاسَلُوا السَّلِيمَةِ ﴾.

⁽٥) وهو الأقرب إلى معنى الآية، كما قال ابن كثير.

٢) قال ابن كثير: وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلْتَكِ اللَّكِيدِينَ ﴿ أَيْ أَيْ اللَّهِ أَعِدَا أَم هو أحكم المحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

سورة العلق(١)

وتسمى: سورة القلم، وسورة العلق، وهي مكية بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنها نزلت عليه في أوّل الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل.

يسبد ألَّو النَّابِ التَّعَيديد

﴿ اَمْرًا بِاسْدِ رَبِكَ الَّذِي عَلَى ۞ عَلَى الْإِسْنَنَ مِنْ عَلَى ۞ الْرَا مَرْتُكَ الْأَكُمُ ۞ الَّذِي عَلَمْ بِالْفَائِ ۞ عَلَمْ الْإِسْنَنَ مَا لَمْ يَتُمْ ۞ ﴿ وَأَنْ وَيَكُ الْأَكُمُ ۞ الَّذِي عَلَمْ بِالْفَائِي ۞ عَلَمْ الْإِسْنَى مَا لَمْ يَتُمْ ۞ ﴾

قوله تعالى: ﴿ آثَرًا ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عبيدة: المعنى: ﴿ آثَرًا بِالتّمِ رَبِّكَ ﴾ والباء زائدة. وقال المفسّرون: المعنى: اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك. وإنما قال تعالى: ﴿ آلَيْنَ عَلَقَ ﴾ لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم. والإنسان هاهنا: ابن آدم. والعلق: جمع علقة، وقد بَيّنًاها في سورة «الحج». قال الفراء: لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة رَوْوس الآيات.

قوله تعالىٰ: ﴿أَوْرَا ﴾ تقرير للتأكيد. ثم استأنف فقال تعالىٰ: ﴿رَبُنُكَ ٱلْأَكْرُمُ ﴾ قال الخطابي: الأكرم: الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، كما جاء الأعَزُّ والأطول بمعنى العزيز والطويل. وقد سبق تفسير الكريم.

قوله تعالىٰ: ﴿اللَّذِي عَلَّرَ بِالْقَلَرِ ﴿ ﴾ أي: علَّم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّرَ الْإِنسَنَ مَا لَرَ يَتُمْ ۞ من الخط، والصنائع، وغير ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمد ﷺ.

﴿ كُلُّ إِذَ الْإِسْنَ لِبَلِينَ كِلَيْنَ كُلُهُ النَّنَى ۚ إِنَّ إِنَّ النِّنَى ۚ كَا أَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّ اللَّذَى ۚ إِنَّ أَثْرِ بِالشَّرِى ۚ فَيْ أَنْ أَنْهُ ۚ فَهُ الرِّيْمَ إِنَّ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّ اللَّذَى ۚ إِنَّ أَنْ بِالشَّمَ ۚ فَى أَنْ أَنْهُ أَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ فَيْ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ فَيْ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْ

قوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّا ﴾ أي: حقاً. وقال مقاتل: ﴿ كُلَّ ﴾ لا يعلم أن الله علمه. ثم استأنف فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الإِنسَنَ لَيَلْهَ ﴾ يعني: أبا جهل. وكان إذا أصاب مالاً أشر وبُطِرَ في ثيابه، ومراكبه، وطعامه، ﴿أَن زُمَاهُ اسْتَنَقَ ﴿ ﴾ قال ابن قتية: أي: أن رأى نفسه استغنى، و﴿ البُّيْنَ ﴾: المرجع.

قوله تعالىٰ: ﴿آرَيْتَ النِّي يَعُنْ ﴿ ﴾ معنى: أرأيت: تعجيبه المخاطب، وإنما كرّرها للتأكيد والتعجيب. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جهل. قال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يعفّر محمَّدُ وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به (٢) لئن رأيتُه لَأظأنُّ على رقبته. فقيل له: ها هو ذاك يصلّي. فانطلق لِيَطَأ على رقبته، فما فجأهم إلّا وهو ينكص على عقبيه (٢)، ويتَّقي بيديه، فأترُه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأَجْنِحَةً. وقال نبيّ الله يحالى الله تعالىٰ: ﴿ آرَيْتَ الله الله عنه الله الله عنه منه الله عنه هذا؟! الله آنهك عن هذا؟!

 ⁽٢) في قصحيح مسلم (الطبري: فقال: واللات والعزى.

⁽١) في الأصل: سورة اقرأ.

⁽٣) في الأصل: عقبه، والتصحيح من مسلم والطبري.

⁽٤) رواه مسلم في الصحيحة ٢١٥٤/٤ وابن جرير الطبري ٣٠/ ٣٥٦، ورواه أحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم. وأورده السيوطي في اللد، ٦٠ ٣٧٠ وزاد نسبته لابن المنلر، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم عن أبي هريرة ،

ورواه البخاري في «صحيحه ٥/٧/ه» دون سبب النزول، ولفظه: عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ عنقه، فبلغ النبيّ ﷺ فقال: «لو فعله لأخلته العلائكة» ورواه ابن جرير بنحو» بلفظ: «لو فعل لأخلته العلائكة عباتاً». ورواه بنحو رواية الطبري: المترمذي في «سننه» ٢/ ١٧٠ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ١/ ٣٦٩ وزاد نسبته لعبد الرزاق،

فانصرف إليه النبي على فرَبَره (١١)، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلْيَتُعُ نَادِيَمُ ۞ مَنْنَعُ الرَّبَائِيدَ ۞﴾ قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله (٢٠). قال المفسّرون: والمراد بالعبد هنا: محمد ﷺ. وقيل: كانت الصلاة صلاة الظهر.

قوله تعالىٰ: ﴿أَرَبِّتَ إِن كَانَ عَلَ ٱلْمُذَكَ ﴿ لَيْ اللَّهِ عَنِي الْمُنْهِي وَهُو النَّبِيِّ ﷺ.

قوله تعالىٰ: ﴿أَرْبَتَ إِن كَنَّبَ رَوَّكَ ﴿ إِن كُنَّ رَوَّكَ ﴿ إِن عَمْنِ النَّامِي وَهُو أَبُو جَهُل ، قال الفراء: والمعنى: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى، وهو كاذب مُتَوَلِّ عن الذُّكُر، فأي شيء أعجب من هذا؟! وقال ابن الأنباري: تقديره: أرأيته مصيباً.

قوله تعالى: ﴿أَلَرْ بَنَمَ﴾ يعني أبا جهل ﴿إِنَّ اللَّهُ بَرَىٰ﴾ ذلك فيجازيه ﴿كَلَآ﴾ أي: لا يعلم ذلك، ﴿ إِنَ لَتَ بَنَهِ﴾ عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه ﴿لَسَنَنَا بِالنَّاسِةِ﴾ السفع: الأخذ، والناصية: مُقَدَّم الرأس. قال أبو عبيدة: يقال: سفعتُ بيده، أي: أخذتُ بها. وقال الزجاج: يقال: سفعتُ الشيءَ: إذا قبضتَ عليه وجذبته جذباً شديداً. والمعنى: لَنَجُرَّنَ ناصيته إلى النار.

قوله تعالى: ﴿ نَاسِيَةٍ ﴾ قال أبو عبيدة: هي بدل، فلذلك جَرَّها. قال الزجاج: والمعنى: بناضية صاحبُها كاذبٌ خاطئ، كما يقال: نهارُه صائم، وليله قائم، أي: هو صائم في نهاره، قائم في ليله. ﴿ فَلَيْتُهُ نَادِيَمُ ﴿ ﴾ أي: أهل ناديه، وهم أهل مجلسه فليستنصرهم ﴿ سَنَةُ الزَّائِيَةُ ﴿ قَالَ عَطَاء: هم الملائكة الغِلاظُ الشِّداد. وقال مقاتل: هم خَزَنَةُ جهنم، وقال قتادة: الزَّبائية في كلام العرب؛ الشُّرَط. قال الفراء: كان الكسائي يقول: لم أسمع للزَّبائية بواحد، ثم قال بأخرة: واحد الزبائية: زِبْنِيَّ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً. وقال أبو عبيدة: واحد الزبائية: زِبْنِيَّة، وهو كل متمرِّد من إنس، أو جان. يقال: فلان زِبْنِيَة عِفْرِيَة. قال ابن قيبة: وهو مَأْخوذٌ من الزَّبْن، وهو الدَّفْع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها. قال ابن دريد: الزَّبْن؛ الدفع. يقال: ناقة زبون: إذا زَبَنَتْ حالبها، ودفعته برجلها، وتَرَابَنَ القوم: تدارؤوا، واشتقاق الزبائية من الزَّبْن، والله أعلم،

قوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّ ﴾ أي: ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿ لاَ نُلِمْهُ ﴾ في ترك الصلاة ﴿ رَاسَمُنُهُ أي: صَلَّ لله ﴿ وَاَنْتَبُ ﴾ إليه بالطاعة، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالىٰ: ﴿ وَاَنْتَبُ ﴾ خطاب للنبيّ ﷺ. وقد قبل: إنه خطاب لأبي جهل، ثم فيه قولان: أحلهما: أن المعنى: اسجد أنت يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النَّار، قاله زيد بن أسلم. والثاني: واقترب يا أبا جهل تَهَدَّداً له، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القُدَماء. وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدَّمناه. وروى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا العام، (٢٠).

命 命 命

⁽١) أي: نهره وأغلظ له.

٢) رواه الترمذي ٢/ ١٧١ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه أحمد في «المسند» رقم ٢٣٢١ و٣٠٤٥، وابن جوير الطبري ٢٥٦/٣٠،
 والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لابن أبي شببة، وابن المبند، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس .

⁽٣) رواه مسلم في اصحيحه، ١/ ٣٥٠.

سورة القدر

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، ومقاتل. قال الماوردي: والأول قول الأكثرين^(١). وقال الثعلبي: الثاني قول الأكثرين.

ينسب ألَّهُ النَّانِ الرَّهِيلِ الرَّهِيلِيدِ

﴿إِنَّا أَنزَلَتُكُ فِي لِبَلَةِ الْفَدْدِ ۞ وَمَا أَدَرَكَ مَا لِبَلَةُ الْفَدْدِ ۞ لِبَلَةُ الْفَدْدِ خَيْرٌ مِنْ أَلْدِ خَيْرٌ مِنْ أَلْدِ ۚ فَهَا أَنزَلُكُ مَا لَبَلَةٍ كَالْمُرْحُ فِيهَا إِذْنِ رَبِيهِم مِن كُنِّ أَنْمِ ۞ سَلَمُ مِن حَقَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ ۞﴾

فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية، أم كانت في زمن النبي بي خاصة؟ والصحيح بقاؤها، وهل هي في جميع السنة، أم في رمضان؟ فيه قولان: أحدهما: في رمضان، قاله الجمهور(٣). والثاني: في جميع السنة، قاله ابن مسعود، واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض؟ على قولين: أحدهما: أنها في العشر الأواخر، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدل عليه. وقد روى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس، عن النبي الله قال: والتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة تبقى، الله على حديث أبي بَكْرَة قال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله الله الله المعلى الأواخر، فإني سمعته يقول: والتمسوها في تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر ليلة (٥). والقول الثاني: أنها في جميع رمضان، قاله الحسن البصري. واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع؟

⁽۱) وهو الصواب. (۲) انظر صفحة (۳۰).

⁽٣) وهو الصواب الذي تؤيَّده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وسيورد المصنف بعضها.

⁽٤) رواه البخاري في «صحيحه؛ ٢٢٦/٤ ولفظه: «المتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى، وقال ابن كثير بعدما ذكر حديث البخاري هذا: فسّره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر.

⁽٥) رواه الترمذي في هسننه ٩٨/١ من حديث عيينة بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي بكرة وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الترمذي في آخر الحديث: وكان أبو بكرة يصلي في المشرين من ومضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر يعني الأخير اجتهد. وقال الحافظ السيوطي في «اللدم ٢٩٣٦: أخرج الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الرحمٰن بن جوشن قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال: أما أنا فلست بملتمسها إلّا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله عقول: «التمسوها في العشر الأواخر، لتاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو ثالثة تبقى، أو آخر ليلة، فكان أبو بكرة هله يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد.

على قولين: أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدلُّ عليه. وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين، من حديث أبي سعيد الخدري عن النبيّ على أنه قال: البتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها»(١). والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن. وروي عن الحسن ومالك بن أنس قالا: هي ليلة ثماني عشرة(٢). واختلف القاتلون بأنها في الأفراد في أخصّ الليالي بها على خمسة أقوال: أخدها: أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين. فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط، واعتكفنا معه، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجم، ورجعنا معه، وأريّ ليلةَ القدر، ثم أنسيها، فقال: اإني رأيتُ ليلة القدر، ثم أنسيتها وأراني أسجد في ماءٍ وطين، فمن اعتكف فليرجع إلى مُغتَكفه، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية، وكان مَنقفُ المسجد عريشاً من جريد، فوكف [المسجد] (٣) فوالذي هو أكرمه، وأنزل عليه الكتاب لَرَأْيتُهُ يصلى، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين (١٤)، وهذا مذهب الشافعي. والثاني: أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين. روى أبو هريرة أن النبيّ ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين: الطلبوها الليلة، وروى ابن عمر عن النبي على أنه قال: امن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين (١٠). وروى مسلم في أفراده من حديث عبد الله بن أنيس، أن رسول الله عليه قال: «أُرِيتُ ليلةَ القدر، ثم أنسيتُها(٧)، وأراني صُبْحَها(٨) أسجد في ماءٍ وطين؟. قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلَّى بنا رسول الله ﷺ فانصرف (٩) وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال: وكان عبد الله بن أنيَّس يقول: ليلة ثلاث وعشرين(١٠٠). والثالث: ليلة خمس وعشرين، روى هذا المعنى أبو بكرة عن النبق ﷺ(١١١). والرابع: ليلة سبع وعشرين، روى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال؛ امن كان متحرِّها فليتحرِّها ليلة سبع وعشرين، يعني: ليلة القدر(١٢)، وهذا مذهب عليّ وأُبَيِّ بن كعب. وكان أُبَيِّ يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع

⁽١) رواه البخاري ٤/ ٢٢٥ وهو جزء من حديث طويل، ولفظه: ٠... فابتفوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر...، وهو في «مسلم» ٢/ ٨٣٤، ٨٢٥ بمعناه.

 ⁽٢) قال الترمذي ٩٨/١: وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. قال ابن كثير: وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابة نص
 هليه مالك، والثوري، وأحمد بن حبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم، قال: وهو محكيّ عن الشاقعي،
 نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

٣) زيادة من البخاري ومسلم، ومعنى وكف: أي: قطر ماه المطر من سقفه.

٤) رواه البخاري ٤/ ٢٣٦، ٣٤٣، ٢٤٤، ومسلم ٢/ ٨٣٤، ٢٢٨.

⁽٥) قال السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٧٣: وأخرج ابن زنجويه، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة 歲 قال: ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كم بقي من الشهر»؟ قلنا: مضت اثنتان وعشرون، وبقي ثمان، فقال رسول الله ﷺ: «مضت اثنتان وعشرن، وبقيت سبعُ، التمسوها الليلة، الشهر تسع وعشرون».

⁾ هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيانه ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمر بغير سند ولم يعزه لأحد، ولفظه عنده بتمامه: عن عبد الله بن عمر بغير سند ولم يعزه لأحد، ولفظه عنده بتمامه: عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبيّ على نقال: يا رسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى، فمن كان منكم يريد أن يجالاً من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين، ولم نره عند غيره بهذا اللفظ، تعم رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبيّ على أروا ليلة القدر في الممنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله على: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحزيها فليتحزها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤/ ٢٢١؛ والظاهر أن المراد به أواخر، ثم قال: ولمسلم من طريق عقبة بن حريث عن ابن عمر: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يغلبن على السبع البواقي»، قال: وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع.

⁽٨) في الأصل: صبيحتها.

⁽٧) ني الأصل: نسيتها.

 ⁽٩) في الأصل: فأبصرته.

⁽١٠) رواه مسلم ٢/ ٨٢٧، وقال الحافظ السيوطي في اللدر، ٣٧٣/٦: أخرج مالك، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن زنجويه، والطحاوي، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول ش 義 يقول: التمسوها الليلة، وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين.

⁽١١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: حكاه ابن العربي في «العارضة»، وعزاه ابن الجوزي في «المشكل» لأبي بكرة.

⁽١٢) لفظ رواية مسلم٢/٨٢٢: ففمن كان متحرِّبها فليتحرَّما في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: ولابن المنذر: فمن كان =

متحريها فليتخرها ليلة سم ومشرين، قال: وعن جابر بن سمرة نحوه، أخرجه الطبراني في «أوسطه»، وعن معاوية نحوه، أخرجه أبو داود. وقال الخافظ السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٧٥: أخرج عبد بن حميد عن ابن همر في قال: قال رسول الله عليه: «التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وميثرين»،

- (١) روى مسلم في المحمده ٨٢٨/٢ من رواية عبدة وعاصم بن أبي النجود صمعا زرّ بن حبيش يقول: سألت أبيّ بن كعب في قلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، ققال رحمه الله: أواد أن لا يتُكل الناس، أما إنه قد علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستني أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالملامة، أو بالأية التي أخيرنا رسول الله عنه أنها تطلع يومئذ لا شماع لها. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٤/٦ وزاد نسبته لابن أبي شية، وأحمد، وابن أبي شية، وأحمد، وابن حميد، والترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن جرير، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي عن زرّ بن حبيش عن أمّ يقيد.
- (١) نصها بعمامها: ﴿ وَلَقَدْ عَلَقَا ٱلْإِسْدَنَ مِن سُلَلَةٍ مِن طِينِ ۞ ثُمَّ جَمَلَتُهُ ثَلْقَةً لِى قَالِم تَكِينِ ۞ ثُرُ عَلَقَا ٱلطُّلَةَ مَلْقَةً المُسْلَمَةً مُسْلَمَةً مَنْدَكُ مُكَافِّكًا ٱلمُسْلَمَةً عَلَيْهِ اللهُ أَحْسَنُ ٱلْفَلِقِينَ ﴾.
- (٣) والآيات بتمامها: ﴿ثِيمْ الْإِسَنُ إِلَا لَمْنِهِ. ﴿ أَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ ﴾ ﴿ نَنَكَ الْأَرْضَ عَنْ ﴿ اللَّهِ إِنَا ﴾ إن يَمْ وَنَا رَقَا وَقَالُ مِنْ وَمَا إِنَّا ﴾
 (٣) والآيات بتمامها: ﴿ثِيمُ إِنْ إِلَيْنَ إِلَا لَمْنِهِ. ﴿ أَنْ مَنْ اللَّهُ مِنْ ﴾ وَلَمْ يَعْلَى مِنْ إِنْ فَيْ إِلَّهُ مِنْ إِلَيْنَ عَلَى ﴾ .
 - (٤) أُ وهي سُورَةَ القاتحة سبع آيات، سميت بالمثاني، لأنها تثنى في كل ركعة، أي تكرّر.
 - (٥) كلمة (وعشرين) سقطت من الأصل، واستدركناها من النسخة الإستنبولية.
 - (٦) انظر الصفحة ١٥٧١، التعليق رقم ٢.
- ٧) روى البخاري ٢/ ٢٤٤، ومسلم ٢/ ٨٥٠ عن أبي هريرة على أن رسول الله المحمدة فقال: الحيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياءة وأشار بيده يقللها. واللفظ للبخاري. وروى مسلم في «صحيحه» ٢/ ٨٥٠ عن أبي هريرة على عن الذي الله قال: فإن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياءة قال: وهي ساعة خفيفة. ورواه أحمد في «المسندة ٢/ ٢٧٧ وزاد فيه: دوهي بعد المحمرة. وروى مسلم في «صحيحه» ٢/ ٨٥٠ عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: قال أي عبد الله بن عمر: أسمعت أباك يخدث عن رسول الله الله في في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله يلا يقول: فهو ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقفي الشعري أن الساعة التي ترجى فيها، بعد الفصر إلى أن تغرب الشمس، قال: وبه يقول أحمد، وإسحاق. قال: وقال أحمد: أكثر الأحاديث في وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها، بعد الفصر إلى أن تغرب الشمس، قال: وبه يقول أحمد، وإسحاق. قال: وقال أحمد: أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر، وترجى بعد زوال الشمس. ومن شاء التفصيل فليرجع إلى «فتح الباري» ٢/ ٢٥٠ وشرح مسلم للنووي ٢/ ١٤٠، وشرح مسلم للنووي ٢/ ١٤٠، وأنظر كلام أحمد شاكر على الترمذي ٢/ ٢٣٠ ـ ٨٣٤، وعلى كل فهي ساعة (أي لحظة) مخفية تعر على الإنسان، سواء أكانت ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة، أم بعد العصر، وقد حقنا رسول الله يلا على التماسها لما فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير.
- ٨) روى مسلم في الصحيحه ١/ ٥٢١ عن جابر على قال: صمعت النبي الله قول: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر اللنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وخلك كل ليلة، ويتضمن الحث على اللحاء في جميع صاعات الليل رجاء مصادفتها.
- (١٠) قال ابن كثير: اختلف السلف والخلف أي صلاة هي، فقيل: إنها الصبح؛ وذكر بعض الأدلة على ذلك. وقيل: إنها الظهر، وذكر أيضاً بعض الأدلة ؛

والموليُّ في الناس(١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَذَرَكَ مَا لَيَلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿ ﴿ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّشْوَقَ إِلَى خيرِهَا.

قوله تعالى: ﴿ لِنَالَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلِفَ شَهْرٍ ﴿ قَالَ مَجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة، واختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي على ذُكِرَ له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله على الذلك، وتمنّى أن يكون ذلك في أمّته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله (٢) وذكر بعض المفسّرين أنه كان الرجل فيما مضى لا يستحقّ أن يقال (٢) له: عابد حتى يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

(١) الولي لا يعرف بعينه، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال: ﴿إِنَّا إِنْ أَرْلِيَآهُ اللَّهِ لَا خَرْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا مُمْ بَشَـرُوْنَ ۚ ۞ الَّذِينَ ءَاسُؤًا
 رَكَانُوا بَـتُمْرَى﴾ فكل من كان مؤمناً ثقياً كان لله ولياً.

قال ابن كثير: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسمين، بدليل ما دواء الإمام أحمد في «مسند» عن عبد الله بن مسعود ظهم عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: «اللّهمة إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، قاصيتي بهدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم المغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وتور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمّه، وأبدله مكانه فرحاً، فقيل: يا وسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى وينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بمثله، قال: وذكر الفقيه الإمام أبو حاتم بن الكتاب والسنة من أسماء الله ألف الممام أبو بكر بن العربي أحد أثمة المالكية في كتابه «الأحوذي في شرح الترمذي» أن بمضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَهُمْ الْمُتَمَّدُ لَلُسُنَىٰ نَادَعُرُهُ بِهُ ﴾ وهمي كثيرة، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم. وقد روى أصحاب «السنز» عن بريدة ﷺ أن وسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللّهمّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سُيْل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»، فالله أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم، وكلّها عظيمة.

(٢) روى هذا الحديث البغوي في انفسيره من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند، وكذلك ذكره القرطبي في انفسيره، وذكره ابن كثير في االتفسيره من رواية ابن أبي حاثم عن مجاهد عن النبي ﷺ، وهو مقطوع، وكذلك ذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٣٧١ وزاد نسبته لابن المنذر، والبيهقي في السنده.

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في ذلك الشهر ليلة القدر، قال: هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد، قال: وقال عمرو بن قيس الملاثي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، قال: وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، لا ما عداه، وهو كقوله ﷺ: فرياط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من الممنازله رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: فقد جاءكم شهر مبارك الترض الله عليك ميامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجنة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إمماناً واحتماباً فقر له ما تقدم من فنهه.

(٣) في الأصل: يقول، والتصحيح من النسخة الإستنبولية.

(٥) حديث أنس هذا، ذكره السيوطي في «الدر» (٢٧٧/١) وعزاه للبيهقي، والكبكبة: الجماعة.

على ذلك. وقيل: إنها العصر، قال: قال الترمذي والبغوي رحمهما الله تعالى: وهو قول أكثر هلماء الصحابة وغيرهم. وقال القاضي المعاوردي: هو قول جمهور التاسي. قول جمهور التاسين، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر، وقال أبو محمد بن عطية في القسيره: وهو قول جمهور الناسي. ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه أحمد ومسلم عن علي على تعلى قال: قال رسول الله يحقي الإحزاب: فشغلونا عن الصلاة الموسطى صلاة العصر، ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارة. قال: وأخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب المسائد، وقال العصر، على الله المعلى المعلى المعلى المعلى المعلى المعلى المعلى المعلى المعلى أصبحت معروفة وليست عقية كما ذكر المؤلف رحمه الله.

⁽٤) قال ابن كثير: أي يكثر تنزُّل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، قال: والملائكة يتنزَّلون مع تنزّل البركة والرحمة، كما يتنزّلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذَّكر، ويضمون أجنحتهم لطالب العلم بصدق، تعظيماً له.

طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب، ومقاتل بن حيان. والثالث: أنه ملَك عظيم يفي بخلق من الملائكة، قاله الواقدي.

قوله تعالى: ﴿ فِيهَ ﴾ أي: في ليلة القدر ﴿ إِنْنِ رَبِّهِ ﴾ أي: بما أمر به وقضاه ﴿ يِن كُلِّ أَتَرِ ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بكل أمر. قال المفسّرون: يتنزَّلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قابل. وقرأ ابن عمر، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني: "من كل أمرئ بكسر الراء وبعدها همزة مكسورة منوَّنة. وبوصل اللام من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: من كل ملك سلام. والثاني: أن تكون "من بمعنى "على" تقديره: على كل أمرئ من المسلمين سلام من الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَنَصَرَّتُهُ مِنَ ٱلنَّوْمِ ٱلنَّيْكِ كَلَّبُكُ الانبياء: ٧٧]. والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب. ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿ مِن كُلِّ آمِ ﴾، ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿ سَلَمُ هِمَ أَي الله المعالمين سلام. وفي معنى السلام قولان: أحدهما: أنه لا يحدث فيها داءٌ ولا يُرْسَل فيها شيطان، قاله مجاهد. والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة، قاله قتادة. وكان بعض العلماء يقول: الوقف على ﴿ سَلَمُ على معنى تنزَّل الملائكة بالسلام.

قوله تعالى: ﴿ حَنَى مَطْلَعِ النَّمِ ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة «مطلّع» بفتح اللام. وقرأ الكسائي بكسرها. قال الفراء: والفتح أقوى في قياس العربية، لأن المطلّع بالفتح: الطلوع، وبالكسر: الموضع الذي يطلع منه، إلّا أن العرب تقول: طلعت الشمس مطلِعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدر؛ كما تقول: أكرمتك كرامة، فتجتزئ بالاسم عن المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في [الكهف: ٩] عند قوله تعالى: ﴿ مَطْلِحَ ٱلشّتير ﴾ شرحاً كافياً، ولله الحمد.



سورة البيّنة(١)

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله الجمهور^(۲). والثاني: مكيّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره يحيى بن سلام.

ينسم أنو الكنب التعسد

قوله تعالى: ﴿ لَذَ يَكُنِ اللَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَمْلِ الْكِتَبِ ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ وَالْمُشْرِكِنَ ﴾ أي: ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان ﴿ مُنكِّينَ ﴾ أي: منفصلين وزائلين _ يقال: فككت الشيء، فانفك، أي: انفصل _ والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم ﴿ عَنَّى تَأْنِيَهُ ﴾ أي: حتى أتنهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي. و﴿ الْبَيْنَةُ ﴾ الرسول، وهو محمد على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم. وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم، وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية: لم يختلفوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى بعث فافترقوا. وقال بعضهم: لم يكونوا ليتركوا منفكين عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البَيّنة. والوجه هو الأول. والرسول هاهنا محمد على ومعنى ﴿ يُنْلُوا مُعَنَى عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البَيّنة. والوجه هو الأول. والرسول هاهنا محمد الله ومعنى ﴿ يُنْلُوا مُعَنَى عن حجج الله حتى المكتوب فيها، وهو القرآن. ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب. ومعنى ﴿ مُنَافِلُ أي: عن الشرك والباطل. ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في الصحف ﴿ كُنُبُّ قَيِّمَةٌ ﴾ أي: عادلة مستقيمة ثُمِينً الحق من الباطل، وهي الآيات. قال مقاتل: وإنما قبل لها: كتب لما جَمَعَتْ من أمور شَتَى.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنْبَ﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ الْلَّيْنَةُ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، والمعنى: لم يزالوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. والثاني: القرآن، قاله أبو العالية. والثالث: ما في كتبهم من بيان نُبُوّتِهِ، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: وما تَفَرَّقُوا في كفرهم بالنبيِّ إلّا من بعد أن تَبَيَّوا أنه الذي وُعِدُوا به في كُتُبِهِم (٣٣).

⁽١) في الأصل: سورة لم يكن. وروى البخاري في «صحيحه» ٩٠/١، ومسلم في «صحيحه» ١٩٩٥/٤ عن أنس بن مالك ﷺ تال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب: فإن الله أموني أن أقرأ عليك ﴿ تَرَبُّنُ اللَّذِينَ كَثَرُا﴾ قال: وسماني؟ قال: فتعم» فبكى. ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وغيرهم. وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتيازها، لما اشتملت عليه من التوحيد، والرسالة، والإخلاص، والصحف والكتب المنزّلة على الأنبياء، وذكر الصلاة، والزكاة، والرعاد، وبيان أهل الجنّة والنار، مع وجازتها.

⁽۱) وهو الصواب.

⁽٣) روى أبو دارد في اسند، رقم ٤٥٩٧ عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله هي قام فينا فقال: فآلا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه العلة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، ورواه أحمد في المسند، ١٠٢/٤ من حديث معاوية، وأبو داود في اسنده رقم ٤٥٩٦ من حديث أبي هريرة، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو حديث صحيح لطرقه. وروى مسلم في اصحيحه رقم ١٣٣٧ من حديث أبي هريرة هي أن رسول الله في قال: فنروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلك بكثرة مؤاهم واختلافهم على أنبياتهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا عنه ما استطعتم، وإذا فهيتكم عن شيء فدعوه.

وروى مسلم في فصحيحه؛ ١٩٧/١٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار 畿 أن رسول الله 露 قال: فإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وهجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب. . . • الحديث، قال النووي: المراد بهذا المقت والنظر: ما قبل بعثة وسول الله 藏، والمراد ببقايا الكتاب: الباقون على النمسك بدينهم الحق من غير تبديل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَاۤ أُرُمُوٓاً﴾ أي: في كتبهم ﴿إِلَّا لِيَمَّبُدُوا اللهُ أَن يَعبدوا اللهُ. قال الفراء: والعرب تجعل اللام في موضع قأن، في الأمر والإرادة كثيراً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُسْبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [انساء: ٢٦]، و﴿يُرِيدُنَ لِيُطْنِئُواْ فُورَ اللهُ﴾ [اللهف: ٨]. وقال في الأمر ﴿وَرُبُرِنَا لِلسَّلِمِ﴾ [الانعام: ١٧].

قوله تعالى: ﴿ عُلِمِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: موحِّدين لا يعبدون سواه ﴿ حُنَفَآيَ ﴾ على دين إبراهيم (١) ﴿ وَيُقِيمُوا السَّلَوَ ﴾ المكتوبة في أوقاتها ﴿ وَيُؤْتُوا الزِّجَاجِ: أي دين الأمة المكتوبة في أوقاتها ﴿ وَيُؤْتُوا الزِّجَاجِ: أي دين الأمة القَيْمة بالحق. ويكون المعنى: ذلك الدِّينُ دِين الملة المستقيمة (١).

قوله تعالى: ﴿ أُولَتِكَ مُرَ خَبُرُ ٱلْرَبِيَةِ ﴾ قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر بالهمز بالكلمتين. وقرأ الباقون بغير همز فيهما. قال ابن قتيبة: البريَّة: الخلق. وأكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الألسنة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. ومن الناس من يزعم أنها مأخوذة من بَرَيْتُ العود، ومنهم من يزعم أنها من البَرَى وهو التراب [أي خلق من التراب، وقالوا: لذلك لا يهمز، وقال الزجاج: لو كان من البَرَى وهو التراب] أنها قرنت بالهمز، وإنما اشتقاقها من بَرَا الله الخلق. وقال الخطابي: أصل البريّة الهمز، إلّا أنهم اصطلحوا على ترك الهمز فيها. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ وَبَنَّى اللهُ عَنْهُ عَنْهُ مَ قال مقاتل: رضي الله عنهم بطاعتهم ﴿ وَرَسُوا عَنْهُ عَنْهُ بثوابه. وكان بعض السلف يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرّضا عنك؟!

قوله تعالى: ﴿ وَالِكَ لِمَنْ خَشِى رَبِّهِ ﴾ أي: خافه في الدنيا، وتناهى عن معاصيه (٤).

* * *

فمن أدرك من أهل الكتاب محمداً ﷺ خاتم النبيين وآمن به، فللك يؤتي أجره مرتين، وقد روى مسلم في اصحيحه وقم 104 عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن ينبيه وأدرك النبي (يعني نفسه ﷺ) فآمن به واتبعه وصدته فله أجران... الحديث. ومن أدرك محمداً ﷺ من أهل الكتاب ولم يؤمن فهو كافر بلا شك ولا ريب، لأن الأنبياء المتقدمين عليه ﷺ كموسى وعيسى عيد أخذوا المهد والميثاق على أقوامهم إن أدركوا محمداً ﷺ أن يؤمنوا به، وبشروا بمجيئه، فمن أدركه ولم يؤمن به فقد كفر بمحمد وعيسى وموسى، لأنه كذب أقوالهم. وقد روى مسلم في الصحيحه وقم ١٥٣ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ووالمدي نفس محمد بيده، لا يسمع يه أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بي إلا كان من أصحاب النارة. ولذلك قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كُثُرُا بِنُ أَمْ المَرْكِنَ فِي اَبْرِ هذه السورة: ﴿إِنَّ الْبُونِةِ أَي الخليقة، لكفرهم وعنادهم. وذكر عن الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب والمشركين فآمنوا به وسلكوا شريعته أنهم خير البرية، لأنهم آمنوا بخاتم الأنياء والمرسلين، وصدقوا الأنياء المتقدمين.

⁽١) .قال القرطبي: أي: ماثلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقد استدل كثير من الأثمة، كالزهري، والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَرْمُوا إِلَّا لِللَّهِ الْكِيهِ اللَّهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْدِينَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْدِينَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُولِ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ ع

⁽٣) زيادة مقطِت من الأصل، واستدركناها من النسخة الاستنبولية.

قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ وَثَلِكَ لِمَنْ خَيْنَ رَثِيرٌ ﴾ يقول تعالىٰ ذِكره: هذا الخير الذي وصفته ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة ﴿ لِيَنْ خَيْنَ رَبُرُ ﴾ يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سرِّه وعلانيته، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وقال ابن كثير: وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِلَىٰ لِمَنْ خَشِى رَبُّرُ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتّقاء حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه براه.

سورة الزلزلة

The state of the s

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن مسعود، وجابر، وعطاء.

ينسب أنو الكنب التجسير

﴿إِذَا وُلِوَلِتِ الْأَرْشُ رِلْوَاكُمَا ۞ وَلَغْرَجُتِ الْأَرْشُ الْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا كَمَا ۞ يَوْمَهِذِ خَفَرْتُ أَخْبَارَكُمَا ۞ إِلَّهُ رَبَّكَ اَوْجَى لَهَا ۞ يَوْمَهِ فِي يَعْمَدُوُ النَّاشُ الْشَاكَ إِلْهُرُواْ أَعْدَدَتُهُمْ ۞ فَهَن يَعْمَلُ مِتْقَسَالَ ذَرَّةٍ خَبُوا بَسَرَمُ ۞ وَمَن يَعْسَمَلُ مِنْفَسَالَ ذَرَّرْ شَسَرًا بَسَرُهُ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُنْزِكِ الْأَرْسُ زِنْزَاكَا ﴾ أي: حُرِّكت حركة شديدة، وذلك عند قيام الساعة. وقال مقاتل: تتزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى يَنْكُسِرَ كلَّ ما عليها من شدة الزّلزلة ولا تسكن حتى تلقيَ ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، ثم تتحرك وتضطرب، فتُحْرِجُ ما في جوفها، وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: تكون في الدنيا، وهي من أشراط الساعة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها زلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد في آخرين. قال الفراء: حدثني محمد بن مروان، قال: قلت للكلبي: أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلِزَلِ الْأَرْسُ زِلْزَلْمَا ﴾؟ فقال: هذه بمنزلة قوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُكُمُ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٨] فأضيف المصدر إلى صاحبه، وأنت قائل في الكلام: لأعطيناك عَطِيناتك، تريد عطية (١٠). والزُلزال بالكسر المصدر، وبالفتح: الاسم. وقد قرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو حيوة الجحدري فزلزالها، بفتح الزاي.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخْرَجَٰتِ ٱلأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﷺ فيه قولان: أحدهما: ما فيها من الموتى، قاله ابن عباس^(۲). والثاني: كنوزها، قاله عطية. وجمع الفراء بين القولين، فقال: لفظت ما فيها من ذهب، أو فضة، أو ميت.

قوله تعالى: ﴿رَمَّالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَمَا ﴿ فَيه قولان: أحدهما: أنه اسم جنس يعمّ الكافر والمؤمن، وهذا قول من جعلها من أشراط الساعة، فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا. والثاني: أنه الكافر خاصّة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة؛ لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها، والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث، فلذلك يسأل.

⁽١) الذي في القرطبي: أي: عطيتي لك.

 ⁽٢) قال ابن كثير: قاله غير واحد من السلف، وهذه كتوله تعالى: ﴿ يَكَأَيْمَا النَّاسُ اَتَـقُوا رَيَحَكُمُ إِنَكَ النَّاسُ اللَّهُ مَلَتَ
 ﴿ وَالْفَتْ مَا يَهُ وَكُلْلَكُ وَروى مسلم في (صحيحه وقم ١٠١٣ هن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الله والفضة، فيجيء القائل فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعتُ يدي، ثم يَدُونُه فلا يأخلون منه شيئاً».

⁽٦) رواه الترمذي في اسننه ٢/ ١٧١ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وفي آخره الفهذه أخبارها، ورواه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد أورده السيوطي في اللار، ٦/ ٣٨٠ وزاد نسبته لعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب الإيمان، عن أبي هريرة عليه. وللحديث شاهد عند الطبرائي من رواية ربيعة الجرشي.

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّنَ رَبَّكَ أَرْسَىٰ لَهَا ﴿ قَالَ الفراء: تحدِّثُ أخبارها بوحي الله وإذنه لها. قال ابن عباس: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها. وقال أبو عبيدة: ﴿ لَمَا ﴾ بمعنى ﴿ إليها، (١٠) قال العجَّاج: وَ عَلَى اللهُ اللهُ

قوله تعالىٰ: ﴿ يُوَمِّهِ فِي يَصّدُرُ النَّاسُ ﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب ﴿ أَشْنَانًا ﴾ أي: فِرَقاً. فأهل الإيمان على حدة، وأهل الكفر على حِدة، ﴿ يُرَرُوا أَعَنَكُهُم ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وعائشة، والجحدري: ﴿ لِيَرُوا ﴾ بفتح الياء. قال ابن عباس: أي ليروا جزاء أعمالهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: تُحدّث أخبارها بأن ربّك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتاً. فعلى هذا: يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف العُرْضِ ﴿ فَنَن يَسْمَلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ قال المفسّرون: من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشريره (٤٠)، وقرأ أبان عن عاصم ﴿ يُرَه ﴾ بضم الياء في الحرفين. وقد بيّنًا معنى «الذّرة في سورة النساء: ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان: أحدهما: أنه يراه في كتابه. والثاني: يرى جزاءه. وذكر مقاتل: أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة، كان أحدهما يستقلُ أن يعطيَ السائل الكِسْرة، أو التمرة. وكان الآخر يتهاون بالذّنب اليسير ، فأنزل الله عَلَى هذا يُرغَبُهم في القليل من الخير، ويُحَدِّهم اليسير من الشر (٥٠).

* * *

⁽١) قال ابن كثير: قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، واحدُّ.

⁽٢)` كذا في القرطُبيُّ واللسان، وروايته في امجاز القرآن، والبحر، واروح المعانيُّ: أوحى، وكلاهما صواب.

 ⁽٣) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٣٠٦، و«القرطبي» ١٤٩/٢٠ و «البحر» ٨/٥٠١، و «روح المعاني» ٣٠/١٠، و «اللسان»: وحى.

⁽٤) روى البخاري في «صحيح» ٨/ ٥٥٥ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل سِتْر، وعلى رجل وِزْر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها أي (حبلها الطويل) ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطمت في طيلها فاستثث (هَلَتُ) شَرَفا أو شرفين (شوطاً أو شوطين) كانت آثارها وأروائها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي: كان ذلك حسنات له، فهي لللك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعفّقاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له سِنْر، ورجل ربطها فخراً ورياة، ونواة (هذاوة لأهل الإسلام) فهي على ذلك وِزْر»، فسئل رسول الله ﷺ عن الحُشر، (أي عن صدتتها)، قال: قما أنزل الله علي فيها إلا هله الآية الفائد (المنفرة) الجامعة: ﴿ فَمَن يَشَمَلُ مِثْقَصَالَ ذَرُوْ صَرَى يَسْمَلُ مِثْقَصَالَ ذَرُوْ سَنَا يَرَهُ »، ورواه مسلم في «صحيحه بأطول منه ٢٠٠٢، ١٨١.

⁽٥) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٠، والبغوي في «التفسير» عن مقاتل بغير سند، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار صدوق، إلا من روايته عن سعيد بن جبير، وابن لهيعة صدوق خلط بمد احتراق كتبه، وعطاء بن دينار صدوق، إلا من روايته عن سعيد بن جبير أرسله.

سورة العاديات

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل.

بنسب ألَّهُ النَّكُنِ الْبَكِيبُ إِلْكِيبُ لِ

﴿ وَالْمَدِينِتِ صَبْمًا ۞ فَالْمُورِيَّتِ فَدْعًا ۞ فَالْمُيرَتِ صُبْعًا ۞ فَاتَرَنَ بِدٍ. نَفَعًا ۞ فَرَسَطَنَ بِدٍ. جَمَّنَا ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِّهِ. لَكُودٌ ۞ وَإِنَّمُ لِحُتِ ٱلْمَتِيدُ ۞ ۞ أَفَلَا بَسْلَمُ إِذَا بُسْتُرَ مَا فِي ٱلشُّبُورِ ۞ وَخُصِّلَ مَا فِي الشَّهُورِ ۞ وَخُصِّلَ مَا فِي الشَّهُورِ ۞ وَخُصِّلَ مَا فِي الشَّمُورِ ۞ إِنَّ مَيْمٍ بِهِ مَيْمِ لِلْنَهِيُورِ ۞ وَخُصِّلَ مَا فِي الشَّمُورِ ۞ إِنَّ مَيْمٍ بِهِ مَيْمِ لِلْنَهِيدُ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمَدِيْتِ ﴾ فيه قولان: أحلهما: أنها الإبل في الحج، قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي. وروي عن علي أنه قال: ﴿وَالْمَدِيْتِ صَبّحًا ﴾ من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. وروي عن علي أنه قال هذا في صفة وقعة بدر. قال: وما كان معنا يومئذ إلّا فرس، وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان. والثاني: أنه الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقادة، وعطية، والربيع، واللغويون(١٠). وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سريَّة، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله على بعث خيلاً، فلم يأته خبرها شهراً، فنزلت ﴿وَالْمَدِيْتِ صَبّمًا ۞ صبحت القوم بغارة ﴿قَائَرَنَ بِدِ، نَفْعا ۞ أثارت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ﴿قَالُمُيرَتِ صُبّمًا ۞ صبحت القوم بغارة ﴿قَائَرَنَ بِدٍ، نَفْعا ۞ أثارت بحوافرها التراب ﴿وَرَمَطْنَ بِدِ جَمّا ۞ قال: صبحت الحي جميعاً ١٠٠ . وقال مقاتل: بعث رسول الله على سريَّة إلى حَيْق من ناحوه المنافقون إذا رأوا رجلاً حَيْن من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله على تناجَوْا، فيظن الرجل أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه، أو عمّه، فيجد من ذلك حزناً، فنزلت: ﴿وَالْمَانِينِ صَبْمًا ۞ فأخبر الله كيف فعل بهم (٢٠). قال الفراء: الضبح: أصوات أنفاس الخيل إذا عَدُقْ. وقال ابن ﴿وَالْمَانِينَ صَبْمًا إذا عَدَق. وقال الزجاج: ضبحها: صوت أجوافها إذا عَدَق.

قوله تعالى: ﴿ فَالْمُوبِكِ مَدْ عَالَى الله فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور (٤٠). قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل، فأصابت بحوافرها الحجارة، انقدحت منها النيران. والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أُوقدت، روي عن ابن عباس. والثالث: مَكُرُ الرجال في الحرب، قاله مجاهد، وزيد بن أسلم (٥٠). والرابع: نيران الحجيج بالمزدلفة، قاله القرظي. والخامس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها اللائل على الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة.

⁽١) قال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرطبي: كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة.

 ⁽۲) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١، وفي سنده حفص بن جميع، وهو ضعيف. قال ابن كثير: وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً غريباً جداً... فذكره وذكره. الهيشمي في «مجمع الزوائد» ١٤٢/٦ من رواية البزار، وقال: فيه حقص بن جميع، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٣/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه عن ابن عباس .

⁽٣) هذا خبر منقطع، ومقاتل توفي سنة ١٥٠هـ. بينه وبين رسول الله 養 مفاوز، والحديث ذكر، الطبرسي في المجمع البيان، مصدراً إياه بقوله: بعث رسول الله 森 بعث سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد. وذكره القرطبي وصدره بقوله: وروي أن رسول الله 森 بعث سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد. وكذلك الألوسي في الروح المعاني، والله أعلم بصحته.

⁽٤) ورجحه الطبري.

 ⁽٥) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله الأورين لك بزند وار، والأقدحن لك.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱلْفِيرَتِ صُبَّما ۞﴾ هي التي تغير على العَدُوَّ عند الصباح، هذا قول الأكثرين. وقال ابن مسعود: فالمغيرات صبحاً حين يُفيضون من جمع.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَنْنَ بِدِ ﴾ قال الفراء: يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك، وهذا جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع. والنقع: الغبار، ويقال: التراب. وقال الزجاج: المعنى: فأثرن بمكان عَدْوِهِنَّ، ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دليل عليه ﴿ فَرَسَلَنَ بِدِ جَمَّا ﴿ فَ قَال المفسّرون: المعنى: توسطن جمعاً من العدو، فأغارت عليهم. وقال ابن مسعود: فوسطن به جمعاً، يعنى مزدلفة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنكُنَ لِرَبِّهِ لَكُودُ ﴿ فَ هذا جواب القسم. والإنسان هاهنا: الكافر. قال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي. وفي «الكُنُود» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي يأكل وحده، ويمنع رِفده (١٠)، ويضرب عبده، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أله والثاني: أنه الكفور، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثالث: لَوَّام لِرَبِّه يَعُدُّ المصيبات (٢٠)، وينسى النَّعَم، قاله الحسن. قال ابن قيبة: والأرض الكنود: التي لا تُنْبِتُ شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّامُ عَنَ ذَلِكَ لَشَهِدٌ ﴿ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحلهما: أنها ترجع إلى الله ﷺ، [تقديره] (١٤): وإن الله على كفره لشهيد. والثاني: أنها ترجع إلى الإنسان، فتقديره: إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ اَلْمَرْ ﴾ يعني: المال ﴿لَشَدِيدُ ﴾. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وإنه من أجل أن حُبّ المال لبخيل، هذا قول الحسن، وابن قتيبة، والزجاج. قال أبو عبيدة: ويقال للبخيل: شديد، ومُتَشَدِّد، قال طوفة:

أَوَى المَوْتَ يَعْشَامُ الكِرَامِ ويَصْطَفي عَقِيلَةً مَالِ البَاخِلِ المُشَشَدِّدِ (1)

والثاني: وإنه للخير لشديد الحبّ، وهذا اختيار الفراء. قال: فكأن الكلمة لمَّا تقدم فيها الحب، وكان موضعه أن يضاف إليه «شديد»، حذف الحبّ من آخره لما جرى ذكره في أوّله، ولرؤوس الآي. ومثله ﴿آشَنَدَّتْ بِدِ ٱلرّبِحُ فِي يَوْمِ عَاصِفِتْ﴾ [ايراميم: ١٨] فلما جرى ذكر الربح قبل اليوم طرحت من آخره.

قوله تعالى: ﴿أَنَلَا يَمَلُمُ عِعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بُمْثِرَ مَا فِي الْتَبُورِ ﴾ أي: أثير وأخرج ﴿وَتُشِلَ مَا فِي الشَّبُورِ ﴾ أي: مُثير واستُخرج، والتحصيل: تميز ما يحصل. وقال ابن عباس: أبرز ما فيها، وقال ابن قتيبة: مُيَّرَ ما فيها من الخير والشر. وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: لو علم الإنسان الكافر ما له في ذلك اليوم لزهد في الكفر، وبادر إلى الإسلام. ثم ابتدا فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّمُ بِمْ يَرْمَيْزِ لَخَيِيرٌ ﴿ وَقَالَ غيره: إنما قرئت وإن بالكسر لأجل اللام، ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها. فإن قيل: أليس الله خبيراً بهم في كل حال، فلم خص ذلك اليوم؟ فالحواب أن المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ، ومثله ﴿أُولَكُوكَ الَذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمُ ﴾ اللساء: ١٦٦، ومعناه: يجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿ يَعْنَ عَلَى اللّهِ مِنْمُ مَنَيَّ ﴾ إغافر: ١٦].

⁽١) الرفد، بكسر الراء: العطاء والصلة.

⁽٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٠/ ٢٧٨ وفي سنده جعفر بن الزبير، وهو متروك الحديث، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير، وهو وقال: هو متروك، فهذا إسناد ضعيف. وقال الحافظ الهيشمي في المجمع الزوائد؟ ١٤٢/ : رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف، وفي الآخر من لا أعرفه. وقال السيوطي في «اللو» ٢٨٤/٦: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وابن حساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة . . . قذكره. ورواه الطبراني ٢٧٥/٣٠ من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفاً عليه.

١) وفي النسخة الاستنبولية، والطبري، والقرطبي: المصائب. ﴿ إِنَّ) زيادة من النسخة الاستنبولية.

 ⁽٥) في الأصل: من أحب، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستنبولية، ومن الطبري.

⁽٦) المختار الشعر الجاهلي، ١٩١/١ من معلقته، والمجاز القرآن، لأبي عبيدة ٢٠٨/٢، والطبري ٢٧٩/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢١، واشواهد الكشاف، ٣٩. ومعنى يعتام الكرام: أي يختارهم، والعقيلة من كل شيء: أكرمه، يقول: أرى الموت يختار كرام الناس وصفوة مال البخلاء، أي: يأخذ النفيس الذي يغنى شيئاً.

سورة القارعة

وهي مكية بإجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول [الحانة].

بنسب ألقر الكنب التحسير

﴿ اَلْفَكَارِعَةٌ ۞ مَا اَلْفَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَنِكَ مَا اَلْفَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ اَلنَّكُ كَالْفَرَاشِ اَلْمَبْتُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَّكَالُ كَالْهِهْنِ الْمَنْفُرشِ ۞ فَأَنَا مَن تَقُلَتْ مَوَزِيئَةٌ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَكَةٍ زَاضِسَيَةٍ ۞ وَأَنَّا مَنْ خَفَتْ مَوَزِيئَةٌ ۞ فَكَأْتُمُ مَكَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَذْرَبُكَ مَا هِمِيَةٍ ۞ نَازُ كَامِينَةٌ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ ﴾ اليوم منصوب على الظرف. المعنى: يكون يوم يكون الناس ﴿ كَالْفَرَشِ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غوغاء الجراد، قاله الفراء. قال ابن قتيبة: غوغاء الجراد: صغاره، ومنه قيل لعامة الناس: غوغاء (١). والثاني: أنه طير ليس ببعوض ولا ذِبّان، قاله أبو عبيدة (٢). والثالث: أنه ما تهافت في النار من البعوض، قاله ابن قتيبة. وكذلك قال الزجاج: ما يُرى كصغار البَقِّ يتهافت في النار. وشَبَّه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض. وذكر الماوردي: أن هذا التشبيه للكفار، فهم يتهافتون في النار يوم القيامة تَهَافُتَ الفراش (٢). فأما ﴿ ٱلْبَنْدُرِثِ فهو المنشر والمنفرَّق.

قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَــَالُ كَٱلْمِهْنِ﴾ وقد شرحناه في [سال سائل: ٩]، و﴿ ٱلْمَنْفُوشِ﴾ الذي قد ندف. قالِ مقاتل: وتصير الجبال كالصوف المندوف. فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل: فإذا مسَشته لم ترَ شيئًا، وذلك من شِدَّة الهَوْل.

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن تَقُلَتْ مَوَزِينَتُمُ ۗ ۞﴾، أي: رجحت بالحسنات، وقد بيَّنًا هذه الآية في أول الامراك: ١٨ وبيِّنًا معنى ﴿ عِيشَكَةِ زَاضِسَكِتِكِ فَي العانة: ٢١].

قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَنْكُمُ هَكَادِيَةٌ ﴿ فَإِنَا ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، والجحدري المهمنة، بكسر الهمزة، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمَّ رأسه هاوية، يعني: أنه يهوي في النار على رأسه، هذا قول عكرمة، وأبي صالح، والثاني: أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: فمسكنه النار. وإنما قبل لمسكنه: أُمُّه، لأن الأصل السكون إلى الأمَّهات. والنَّارُ لهذا كالأمِّ، إذ لا مأوى له غيرها، هذا قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، ويدلُّ على صحة هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: الإأمات العبد تلقى رُوحُه أرواحَ المؤمنين، فتقول له (أنّه: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذُهِبَ به إلى أُمّه الهاوية، فَيِغْسَتِ الأُمُّ،

⁽١) قال في «اللسان»: أصل الغَوْضاء: الجراد حين يخف للطيران، ثم استعير للسَّفلةِ من الناس والمتسرَّعين إلى الشر، ويجوز أن يكون الغوغاء: الصوت والجَلَبة، لكثرة لغطهم وصياحهم.

⁽٢) في المجاز القرآن؛ لأبي عبيدة: طير، لا بعوض ولا ذُباب، بالباء. ويجمع النباب على ذِبّان، قال في الاتاج، والدّباب: معروف، وهو الأصود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام، وقال الدميري في الحياة الحيوانه: سمّي ذُباباً، لكثرة حوكته واضطرابه، أو لأنه كلما ذُبّ آبّ، واللّباب أيضاً: النحل. والواحدة من ذباب الطعام: ذُبابة، بهاء، ولا تقل: ذِبّابة، وقال في ذباب النجل، لا يقال: ذُبابة، والصواب: ذُباب، وهو وإحد. وفي التنزيل: ﴿ وَإِن يَسْلُهُمُ اللّبَابُ شَيّئك فسروه للواحد. وللجمع: أَذِبة، مثل غراب وأفية، وثبًان بالكسر مثل غِربًان..

⁽٤) في «الدر» ٦/ ٣٨٥ من رواية الحاكم: فيقولون له.

وبِسنتِ المربّيّة) (١١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَنكَ مَا هِيَهُ ﴿ هَا لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الأخيرة في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين. قال الزجاج: الهاء في الهه دخلت في الوقف، لتبين فتحة الياء، فالوقف الههه والوصل هي نار. والذي يجب اتباعُ المصحف. والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها، ولا توصل. ﴿ مَا اللهِ عَلَم عَلَم اللهِ عَلَم اللهِ اللهِ عَلَم اللهُ اللهِ عَلَم اللهُ اللهِ عَلَم اللهُ اللهُ عَلَم عَلَم اللهُ اللهُ اللهُ عَلَم عَلَم اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَم عَلَم اللهُ اللهُ

* * *

⁽١) رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرك» ٢٠٣/ عن الحسن مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٥٥ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه، ويأطول منه من رواية ابن مردويه أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً. والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً، ولم يعزه لأحد. ورواه ابن جرير الطبري موقوقاً على الأشعث بن عبد الله الأعمى. وذكره السيوطي أيضاً في «اللد» ٦/ ٣٨٥ من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوقاً عليه بأطول منه.

⁽٢) روى البخاري في «صحيحه» رقم ٢٣٨/١، ومسلم في «صحيحه» رقم ٢٨٤٣ عن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «تاركم هذه التي يُوقِد ابنُ أدم، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «لمإنها تُشَلَت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حزها» واللفظ لمسلم. وروى البخاري ٢٣٨/١، ومسلم رقم ٢١٧ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، ققالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن بها بنفسين: نقس في الفئاء، ونفس في الصيف، قهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهريره، واللفظ لمسلم. وفي «المصحيحين» من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبرهوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»، واللفظ لمسلم. وفيح جهنم، وطلاح حرها وانتشاره وغيانها.

سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وينو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلَّلاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة (١٠). والثاني: أن حيين من قريش: بني عبد مناف، ويني سهم كان بينهما لِحَاءُ (١٠)، فقال هؤلاء: نحن أكثرُ سيِّداً، وأعَزُّ نَفَراً. وقال أولئك مثل هذا؛ فتعادَّوْا السادة والأشراف أيُهم أكثر، فكثَّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدُّ موتانا، فزاروا القبور، فعدُّوا موتاهم، فكثَّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم، قاله ابن السائب، ومقاتل (١٠).

بنسيد القر الكني التصيد

﴿ اَلْهَانَكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَى زُرْتُمُ الْمَقَادِرَ ۞ كَلَا سَوْقَ تَمْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كُلًا سَوْقَ تَمْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلُونَ عِلْمَ الْيَغِينِ ۞ لَنَرُونَكَ الْجَنِيمَ ۞ ثُمَّ لَنَرُونُهَا عَيْنَ الْبَغِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْتَأَنَّ يَوْمَهِذِ عَنِ ٱلنَّبِيمِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلْهَنكُمُ ﴾ وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق، وابن عباس، والشعبي، وأبو العالمية، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: ﴿ أَالهاكم ﴾ بهمزتين مقصورتين على الاستفهام. وقرأ معاوية، وعائشة ﴿ الهاكم ﴾ بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً. ومعنى ألهاكم : شغلكم عن طاعة الله وعبادته. وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال: أحدها: التكاثر بالأموال والأولاد، قاله الحسن. والثاني: التفاخر بالقبائل والعشائر، قاله قتادة. والثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿ حَتَى نُرْتُمُ اللَّمَايِرُ ﴿ فَي قوله تعالى: ﴿ حَتَى نُرْتُمُ اللَّمَايِرُ ﴾ قولان: أحدهما: حتى أدرككم الموت على تلك الحال، حضرتم في المقابر زُوَّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنّة أو النار، كرجوع الزائر إلى منزله، والثاني: حتى زرتم المقابر فعَدَدْتُم من فيها من موتاكم (٤٠).

قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّهُ قال الزجاج: هي ردع وتنبيه. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر.

⁽١) ` ذكر سبب النزول هذا الواحدي في فأسباب النزول، ٣٤١ عن قتادة بغير سند، وكذا ذكره البغوي في التفسير، وذكره القرطبي عن مقاتل وقتادة بغير سند. ورواه الطبري ٣٨٠/٣٠ من طريق معمر عن قتادة ﴿أَلْهَنكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، ولم يذكر أنهم اليهود. ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وأورده السيوطي في فالدر، ٣٨٧/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

 ⁽٢) أي منازعت. قال في «اللسان»: ولاحيثُه ملاحاةٌ ولِحَاءً: إذا نازعته، قال: واللَّحاء ممدود: الملاحاة كالسَّباب، ولاحى الرجل ملاحاةٌ ولِحَاءً: شاتمه،
 وتلاحى الرّجلان: تشاتما. ولاحى فلان فلاناً ملاحاة ولِحَاءً: إذا استقصى عليه. قال: واللَّحاء: اللمن، واللَّحَاء: العذل.

⁽٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي في «التفسير» عن مقاتل والكلبي بغير سند، والكلبي هو محمد بن السائب النسابة المفسّر، متهم بالكذب، وقد ضعفه غير واحد، وكذلك ذكره القرطبي وأبو سيان والألوسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند، وأورده ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان! فلان وفلان؟ وقال الأخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الأخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿ الْهَكُمُ النَّكُاثُرُ الله المُنْكِدُ الله المُنْكِدُ الله وصالح بن حيان القرشي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بقولًا: ﴿ وَنُتُمُ اللّهَائِدُ الله الله على رجل من الأعراب يعوده فقال: «لا بأس طهور إن شاه الله»، فقال: قلت: «طهور» بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، قال: قال: فالدية في كل من الهته دنياه عن آخرته.

⁽٤) روى مسلم في الصحيحه، رقم ٢٩٥٨ عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبيّ هج وهو يقرأ ﴿ الْهَنكُمُ الْكَانُ ﴾، قال: اليقول ابن آدم: مالي، مألي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأننيت، أو ليست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وروى مسلم أيضاً رقم ٢٩٥٩ عن أبي هريرة ﴿ أَن رسول الله على قال: القول العبد: مالي، مالي، الها له من ماله ثلاث: ما أكل فأنني، أو ليس فأبلى، أو أعطى فاقتني (اذخره لآخرته) وما سوى فلك فهو ذاهب وتاركه للناس، وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك على قال: سمعت رسول الله على يقول: المبتع المبت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وهمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

قوله تعالىٰ: ﴿ سَوْفَ تَمْلَمُونَ ﴾ عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَتِينِ ﴿ ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لَشَغَلَكم ما تعلمون عن التكاثر، والتفاخر. وجواب ﴿ لَوَ هُ محذوف: وهو ما ذكرنا. ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال: ﴿ لَنَرَونَ الْمَتِحِيدَ ﴿ لَهُ قُولًا ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة ﴿ لَنَرَونَ ﴾ ﴿ فُتُر لَنَرُونَهَ ﴾ بفتح التاء. وقرأ مجاهد، وعكرمة، وحميد، وابن أبي عبلة «لتُرون» التُرونها بضم التاء فيهما من غير همز ﴿ فُتَر لَنَرُونَهُا عَبْكَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: مشاهدة، فكان المراد بـ ﴿ عَيْنِ اللّهِ عَيْنَ الشّيء: ذاته.

قوله تعالى: ﴿ثُرِّ لَتُسْتُنُ بَوَسِدِ عَي ٱلتَّهِدِ ﴿ ﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عام، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه الأمن خاص للكفار، قاله الحسن. والثاني: عام، قاله قتادة (١٠). وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال: أحدها: أنه الأمن والصحة، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ (٢)، وتارة يأتي موقوفاً عليه (٣)، وبه قال مجاهد والشعبي. والثاني: أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ والثالث: أنه الخبز البُرُّ والماءُ العَذْبُ، قاله أبو أمامة. والوابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله. والخامس: أنه صحة الأبدان (٥)، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباس. وقال قتادة: هو العافية. والسادس: أنه الغذاء والعشاء، قاله الحسن. والسابع: الصحة والفراغ، قاله عكرمة (١). والثامن: كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد (١). والتاسع: أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ، قاله القرظي. والعاشر: أنه صنوف النعم، قاله مقاتل. والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يوحده. والمؤمن يسأل عن شكرها. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: وثلاث

- (۱) والصحيح أن السؤال عام، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ، لأنه ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف، لأنه شكر. قال ابن جرير الطبري: ﴿ثُرُ لَتُسْتَلُونَ وَالصحيح أَن السؤال عام، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ، لأنه ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال وصلتم إليه وفيم أصبتموه وماذا عملتم به وقيل النيب في الدنيا: ماذا عملتم عنه ومن أين وصلتم إليه وفيم أصبتموه وماذا عملتم به وقال ابن كثير: ﴿ثُرُ لَتُسْتَلُنَ يَوْمِهِ مِن الْمَعْمِ ﴿ أَي تُعْمَلُ مَن الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم نعمه من شكره وعبادته. ودوى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي ﴿ قَال: قال رسول الله ﷺ: ولا تزول قلما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أثناه، وهن علمه فيما أمناه، وهن حديث إلى الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهده.
- (۲) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان ابن الأصبهائي عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود. ومحمد بن سليمان الأصبهائي، صدوق الله عن ابن مسعود. ومحمد بن سليمان الأصبهائي، صدوق يخطئ، وابن أبي ليلى، صدوق سيئ الحفظ، وعامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود. فالحديث ضعيف، وذكره السيوطي في «اللد» ٢٨٨/١ وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن مردويه عن ابن مسعود.
- (٣) رواه الطبراني ٣٠/ ٢٨٦ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي
 في «اللد» ٢٨٨/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وهناد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهتي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.
- (٤)). رواه الترمذي ٢/ ١٧١، والطبري ٢٠/ ٢٨٨ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: فإن أول ما يسأل عنه يوم القيامة _ يعني العبد من النعيم ... أن يقال له: ألم نصبح لك جسمك وتروك من العاه البارد؟ وقال: هذا حديث غريب، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبته لأحمد في «زوائد الزهب»، وهبد بن حميد، وابن حبان، وابن مرديه، والبيهني في «شعب الإيمان».
- (1) روى البخاري في قصحيحه، ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس في قال: قال النبي في المحتون فيهما كثير من الناس: المحتو والفراف. قال الحافظ ابن ججر في قالفتح ١٩٢/١١ وقوله في الحديث: قمفيون فيهما كثير من الناس كقوله تعالى: ﴿وَيَلِلْ مِنْ وَاللهُ عَنْ المَكْثِرُ ﴾ ، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية، ونقل عن ابن بطال أن مبنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنهم به عليه، ومن شكره امتثال أوامزه واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون، قلل المنبون. قلله ابن ججر: وأشار يقوله: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متغرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون صحيحاً ولا يكون متغرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون صحيحاً و إلا يكون صحيحاً وقال اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبود، لان الغراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم.

⁽٧) وقول مجاهد هذا يشمل جنيع الأقوال المتقدمة.

لا أسأل حبدي عن شكرهن وأسأله حما سوى ذلك: بيت يُكِنُّه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس، ().

卷 卷 卷

La Carrier Commence

⁽۱) ذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٩١ من رواية عبد الله بن أحمد في فزوائد الزهد»، عن الحسن مرسلاً، وهو ضعيف في المرفوع، ورواه الطبري في التفسيره ١٠٥٠ بنحوه عن الحسن وقنادة من كلامهما، ولم يذكره في العرفوع، وروى مسلم في الصحيحه رقم ٢٠٩٨ بنحوه عن أبي هريرة فله قال: فقال خرج رسول الله يمثل ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: هما أخرجكما من بيوتكما هله المساحة،؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: فوأنا واللي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا؛ فقاموا مهه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيت، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها نصول الله فلا: وأبين فلان؟ قالت: ذهب يستعلب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال فنافل فقال نعال نبيا من الشاق ومن ذلك العذق، وشربوا، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية (السكين) فقال له رسول الله فلا: فإياك والحلوب!؛ فذبح لهم. فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شيموا ورَوَوا، قال رسول الله فلا أبي بكر وعمر: والله ي المناف ال

سورة العصر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، وابن الزبير، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل.

ينسب أقو الكنب التيسير

﴿وَالْمَشْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَنِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيلُواْ الصَّالِحَتِ وَتَوَاصُواْ بِٱلْحَقِّ وَقَوَاصُواْ بِٱلصَّارِ ۞﴾

قوله تعالى: ﴿وَاَلْمَسْرِ ۞﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحلها: أنه الدهر، قاله ابن عباس، وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتيبة. وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم. والثاني: أنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة. والثالث: صلاة العصر، قاله مقاتل (١١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَنِي خُسِرٍ ﴿ قَالَ الزجاج: هو جواب القسم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد الدراهم. والخسر والخسران في معنى واحد. قال أهل المعانى: الخسر: هلاك رأس المال أو نقصه. فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران، لأنه عمل في إهلاك نفسه، وهما أكبر رأس ماله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَاسَنُوا ﴾ أي: صَدَّقُوا الله ورسوله، وعملوا بالطاعة ﴿وَقَواصَوا بِالْحَقِيلِ اللهِ عِلْمَ اللهِ بِالتوحيد، والقرآن، واتباع الرسول ﴿وَقَواصَوا بِالسَّرِ على طاعة الله، والقيام بشريعته. وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة: إن الإنسان إذا عُمَّر في الدنيا لفي نقص وضعف، إلّا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحَّتهم (٢٠).



⁽١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور، لقوله عليه الصلاة والسلام: فشغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة المصر، منفق عليه. ولقوله ﷺ: من فاتته صلاة العصر فكأتما ويّر أهله وماله، رواه مسلم. والأعمّ من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر، قاله ابن كثير.

 ⁽٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبّر الناس هذه السورة لكفتهم. وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها:
 معرفة الحق، والثالية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

سورة الهمزة

وهي مكية بإجماعهم

قال هبة الله المفسر(1): وقد قيل: إنها مدنية. واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه، أم نزلت عامة؟ على قولين: أحدهما: نزلت في حق شخص بعينه. ثم فيه ستة أقوال: أحدها: الأخنس بن شريق، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: العاص بن واثل السهمي، قاله عروة. والثالث: جميل بن عامر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع: الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج، ومقاتل. والخامس: أمية بن خلف، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه، قاله مجاهد(٢).

ينسب ألَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهِ إِنَّ النَّهِ إِنَّ النَّهِ إِنَّ النَّهِ إِنَّ النَّهِ إِنَّا النَّهِ النَّهِ إِنَّا النَّهِ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهِ النَّهِ النَّهِ النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ النَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّالِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

﴿ وَيْلُ لِكُلِّ مُمَنَزِ لَمُنَزِ لَكُنَ ۞ الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَدَمُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥ أَخْلَدَمُ ۞ كُلًّ كِبُلُدَنَّ فِي الْخَلَمَةِ ۞ وَمَا أَذَرَكُ مَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى الأَفْهِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْمَدَةً ۞ فِي عَمْدِ مُمَنَّذَةٍ ۞﴾ أَذَرَكُ مَا الأَفْهَدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْمَدَةً ۞ فِي عَمْدِ مُمَنَّذَةٍ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَيْلُ لِحَكُلِ هُمَزَرَ لَمُزَوَ لَكُنَ ﴿ اختلفوا في الهُمَزَة واللَّمَزَة هل هما بمعنى واحد، أم مختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما مختلفان. ثم فيهما سبعة أقوال: أحدها: أن الهُمَزَة: المُغْتَاب، واللَّمَزَة: العيَّاب، قاله ابن عباس. والثاني: أن الهُمَزَة: الذي يهمز الإنسان في وجهه. واللَّمَزَة: يَلْمِزُه إذا أدبر عنه، قاله الحسن، وعطاء، وأبو العالمية. والثالث: أن الهُمَزَة: الطعَّان في الناس، واللَّمَزَة: الطعَّان في الناس، واللَّمَزَة: الطعَّان في أنساب الناس، قاله مجاهد. والرابع: أن الهُمَزَة: بالعين، واللَّمَزَة: باللسان، قاله قتادة. والخامس: أن الهُمَزَة: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللَّمَزَة: الذي يأمِزهم بلسانه، قاله ابن زيد. والسادس: أن الهُمَزَة: الذي يهمز بلسانه، واللَّمَزَة: الذي يلمز بعينه، قاله سفيان الثوري. والسابع: أن الهُمَزَة: المعتاب، واللَّمَزَة: الطاعن على الإنسان في وجهه، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الهُمَزَة: المُعان، واللَّمَزَة مثله. وأصل الهمز واللمز: الدفع، قاله ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: الهُمَزَة اللّه يغتاب الناس ويغضُهم (٣٠). قال الشاعر:

إذا لَسِقِسِستُسكَ عَنْ كُسرُهِ تُسكَساشِسرُنسي وإن تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللَّمَزَةُ (١)

قوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِى جَمَعَ مَالَا ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح: ﴿جَمَّع﴾ بالتشديد. والباقون بالتخفيف.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَدُوُ﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي، والحسن، وابن يعمر بتخفيفها (٥٠). وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: أحصى عَدَدَه، قاله السدي. والثاني: أعَدَّه لما يكفيه في

 ⁽١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضرير المفسّر، من أهل بغداد، وبها وقاته، كانت له حلقة في جامع المنصور، له مؤلفات، منها
 (الناسخ والمنسوخ في القرآن؛ مطبوع، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠هـ).

 ⁽٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عمّ بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصقة التي وصف هذا الموصوف بها،
 سبيله سبيله كائناً من كان من الناس.

⁽٣) في األصل: ويعضهم، والتصحيح من اللسان؛ والمجاز القرآن، والطبري، والغض: الهمز والعيب.

⁽٤) تقدم البيت ص٥٨٩، ورواية الشطر الأول: إذا لقينك تبدي لي مكاشرة.

 ⁽٥) قال ابن جرير الطبري: وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أنه قرأه ﴿جمع مالاً وعده﴾ بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالاً، وجمع عشيرته
 وعدده، قال: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

السُّنين، قاله عكرمة. قال الزجاج: من قرأ (عَلَّده) بالتشديد، فمعناه: عدَّده للدهور. ومن قرأ (عَدَده) بالتخفيف، فمعناه: جمع مالاً وعَلَداً، أي: وقوماً اتخذهم أنصاراً.

قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُمُ ﴿ إِنَّ الْحَلَمُ الْحَلَمُ الْحَلَمُ والمعنى: يظن ماله مانعاً له من الموت، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت ﴿ كُلُّ أَي: لا يخلم ماله ولا يبقى له ﴿ يُنْبُدُنَّ ﴾ أي: ليُطْرَحَنُ ﴿ فِي الْمُطْلَمَةِ ﴾ وهو اسم من أسماء جهنم. سمّيت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لحُظمة. وقرأ أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمٰن، والحسن، وابن أبي عبلة، وابن محيصن: «لينبذانً» بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله.

قوله تعالى: ﴿ اللَّهِ عَلَى الْأَفِدَةِ ﴿ اللَّهِ عَلَى الْأَفِدَةِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْأَفتدة والطّلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعتَ أرضنا؟ أي: بلغت. وقال ابن قتيبة: تَطَّلع على الأفتدة، أي: توفي عليها وتشرف. وخص الأفتدة، لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسير ﴿ تُؤْمَدَةٌ ﴾ في سورة [البلد: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿ فِي عَمَدِ هُ قرأ حَمزة، وخلف، والكسائي، وعاصم إلّا حفصاً بضم العين، وإسكان الميم. قال المفسّرون: وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل الناؤ. وهني بمعنى الباء. والمعنى: مطبّقة بعُمُدٍ. قال قتادة: وكذلك هو في قراءة عبد الله. وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّت بأوتادٍ من حديد، حتى يرجع عليهم غَمُها وحُرُها. و﴿ مُندَدَنِهُ صِفة العُمُد، أي: أنها ممدودة مطوّلة، وهي أرسخ من القصيرة. وقال قتادة: هي عُمُدٌ يعذّبون بها في النار(١٠). وقال أبو صالح: ﴿ فِي جَدِ مُدَدِ شَلَ عَلَى النار(١٠). وقال أبو صالح: ﴿ فِي جَدِ مُدَدِ شَلَ الله عَلَى الله المؤلل.

⁽١) واختار هذا القول الطبري في اتفسيره؟.

سورة الفيل

مكية بإجماعهم

ينسب ألَّهِ النَّفِيلِ النَّجَدِيدِ

﴿ أَلَدَ ثَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُكَ بِأَصَّنِ الْفِيلِ ۞ أَتَرَ بَجَعَلَ كَيْنَهُمْ فِي تَشْلِيلِ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَبَرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةِ يَن سِجِّيلِ ۞ فَمَلَهُمْ كَنَصْفِ تَأْكُولِ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَدْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحلهما: ألم تُخْبَرْ، قاله الفراء. والثاني: ألم تَعْلَمْ، قاله الزجاج. ومعنى الكلام معنى التعجّب. وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة. وفي سبب قصدهم لذلك قولان: أحدهما: أن أبرهة بنى بيعة (١) وقال: لست منتهياً حتى أضيف إليها حَجَّ العرب، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فخرج، فدخلها ليلاً عناحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة، فحلف ليسيرنَّ إلى الكعبة فيهلِمَها، قاله ابن عباس. والثاني: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بِيعَة، فأوقدوا ناراً، وشَوَوْا لحماً، فلما رَحَلُوا هَبَّت الرِّيح، فاضطرم المكان ناراً، فغضب النجاشي لأجل البِيمة، فقال له كبراء أصحابه منهم حجر بن شراحيل، وأبو يكسوم ين فأوهو . وخِجْر لا تحزن، فنحن نَهْلِم الكعبة، قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أبو يكسوم اسمه أبوهة بن الأشرم. وقيل: وزيره، وحِجْر من قُوادِهِ.

ذكر الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدِمها خرج معه بالفيل، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نَعَم الناس، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب، وبعث بعض جنوده، فقال: سَلْ عن شريف مكة، وأخبره أني لم آتِ لقتال، وإنما جئت لأهدِم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقيّ عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأتِ لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت، ثم ينصرف عنكم، فقال عبد المطلب، ما له عندنا قتال، وما لنا به يد، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم على أبرهة أعظمه، وإن يخل بينه وبين ذلك، فوالله ما لنا به قوّة. قال: فانطلق معي إلى الملك، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه، وكرمه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه، فلم تكلّمني فيه، وكلّمتني لإبل أصبتُها. فقال رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه، فلم تكلّمني فيه، وكلّمتني لإبل أصبتُها. فقال عبد المطلب: أنا ربّ هذه الإبل، ولهذا البيت ربّ سيمنعه. فأمر بإبله فَرُدّت عليه، فخرج، فأخبر قريشاً، وأمرهم أن يتّقرّقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من مَعَرّة الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتي عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يَسا رَبُّ لَا أَرْجُس لسهم سِسوَاكَسا إِنَّ عَسدُوَّ السِسِست مَسنْ عَسادَاكِسا اللَّ عَسدُوَّ السِسِست مَسنْ عَسادَاكِسا

وقال أيضاً:

⁽١) البِيعة بكسر الباء: كنيسة النصارى، وقبل: كنيسة اليهود، والجمع: بِيّع.

خَسعُ رَحْسلَسه فسامسنسع حِسلَالَسكُ(٢) وَمِحَالُهِم خَدْواً مِحَالَكُ (7) والسفيسل كسي يُسسبُ وا عِسيَسالَكُ جهالاً وما رَقَبُوا جَالَاك حَدِينَا فَاأْمُورُ مَا يَدَالَكُ لًا هُــمُّ (١) إِنَّ الــمَــرْءَ يَــمُـــ لَا يَخْلِبَ نَ صَلِيبُهُ مُ إنْ كسنستَ تساركههم وكسغي

ثم إن أبرهة أصبح متهيِّناً للدخول، فبرك الفيل، فبعثوه فأبي، فضربوه، فأبي، فوجَّهوه إلى اليمن راجعاً، فقام يهرول، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجَّهوه إلى الحرم، فأبى، فأرسل الله طيراً من البحر. واختلفوا في صفتها، فقال ابن عباس: كانت لهم خراطيم كخراطيمُ الطير، وأكفّ كأكفّ الكلاب. وقال عكرمة: كانت لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن إسحاق: كانت أمثال الخطاطيف. واختلفوا في ألوانِها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير. والثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير. والثالث: بيضاء، قاله قتادة. قال: وكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حَجَرَانِ في رجليه، وجِعجر في منقاره. واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم: كانت كأمثال الحمص والعدس. وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر كرأس الرجل والجمل، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلَّا هلك. وكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره. وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا الحرم، وبعث الله على أبرهة داءً في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه، فهلك، ورأى أهل مكة المطير وقد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة. ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينج من القوم إلَّا أبو يكسوم، فسار، وطائر يطير من فوقه، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي، فأخبره بما أصاب القوم، فلما أتمّ كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالىٰ النجاشي كيف كان هلاك أصحابه (٤). واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وهو الأصح^(ه). والثاني: كان بينهما ثلاث وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، حكاء مقاتل.

: قوله تعالىن: ﴿أَلَرْ بَجَمَلُ كَيْدُتُرُ﴾ وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ﴿فِي تَشْلِيلِ﴾ أي: في ذهاب. والمعنى: أن كيدهم ضَلَّ عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْمٌ طَيِّرًا أَبَابِيلَ ۞ ﴾. وفي الأبابيل، خمسة أقوال: أحدها: أنها المتفرِّقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود، والأخفش. والثاني: أنها المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً،

⁽١) لاهم: أصلها: اللّهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي، كما تقول: لاءٍ أبوك، وهي تريد: لله أبوك، وكما قالوا أيضاً: أجنك تفعل كذا وكذا، أي: من أجل أنك تفعل كذا وكذا. والجعلال: بكسر الحاء جمع خلة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا: القوم الحلول، والجلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا.

⁽٢) البيت في الأصل: لاهسم إن السمسره يسمسنسع رحس

لمسه وحسلالسه فسامسنسع حسلالسك وهو خطأ، والتصحيح امن سيرة ابن هشام، وكتب التفسير.

غَذُواً، أي غداً، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحذفت لامه، ولم يستعمل تاماً إلَّا في الشعر. والميحال بكسر الميم: القوة والشدة.

ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وفي سنده جهالة، ومن رواية الواقدي،

قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتنّ الله بها على قريش فيما صوف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيّب معيهم وأضلّ عملهم وردّهم بشرّ خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبئ محمّد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء.

 ⁽٥) قال ابن كثير: ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال.

قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: الكثيرة، قاله الحسن، وطاووس. والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح، وكذلك قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: «الأبابيل»: جماعات في تفرقة. والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم. قال الفراء، وأبو عبيدة: «الأبابيل» لا واحد لها.

قوله تعالىٰ: ﴿ تَرَمِيهِم ﴾ قرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي فيرميهم ، بالياء ، وقد بينا معنى ﴿ سِجِيلِ ﴾ في [مود: ٢٦] ، ومعنى «العصف في سورة [الرحمٰن عَلَىٰ: ١٢]. وفي معنى ﴿ مَّأَكُولِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل ، وبقي هو لا حبّ فيه . والثاني: أن يكون أراد أن العصف مأكول البهائم ، كما يقال للحنطة : هذا المأكول ولمَّا يؤكل ويشرب ، ذكرهما ابن قتيبة . والثالث: أن المأكول ولمَّا يؤكل . وللماء : هذا المشروب ولمَّا يشرب ، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب ، ذكرهما ابن قتيبة . والثالث : أن المأكول هاهنا : الذي وقع فيه الأكال . فالمعنى : جعلهم كورَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأكل ، أي : وقع فيه الأكال ، قاله الزجاج .



سورة قريش

ويقال لها: سورة لإيلاف

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، قاله المضحاك، وابن السائب. واختلف القراء في الإيلاف، فقرأ ابن عامر الإلاف، بغير ياءِ بعد الهمزة، مثل: لعلاف, وقرأ أبو جعفر بياءٍ ساكنة من غير همز. وروى حماد بن أحمد عن الشموني بهمزتين مخفّفتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن لعِعْلاف. وقرأ الباقون بعدها ياء ساكنة، مثل لعيلاف(١). وفي لام الإيلاف، ثلاثة أقوال: أحدها: موصولة بما قبلها، المعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف [هذا قول الفراء والجمهور. والثاني: أنها لام التعجُّب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف](٢)، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش، والكسائي. والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين، فإذا عَرَض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يُتَعَرَّض لهم، قال الزجاج: وهذا الوجه قول النحويين الذين ترتضى أقوالهم. وقال ابن قتيبة: بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة، وأكثر الناس على أنهما سورتان، وإن كانتا متصلتي الألفاظ(٣٠). والمعنى: إن قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء. والحرم واد جديب لا زرع فيه ولا شجر، وإنما كانت قريش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة، رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام. ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدروا على التصرّف، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكهم الله لتقيم قريش بالحرم، فذكَّرهم الله نعمته بالسورتين. والمعنى: أنه أهلك أولئك ليؤلُّف قريشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما(٤) معاشهم، ومقامهم بمكة. تقول: ألفت موضع كذا: إذا لزمته، وألفنيه الله، كما تقول: لزمت موضع كذا وكذا، والزمنيه الله، وكرر ﴿ لِإِيلَانِ ﴾ للتوكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس. قال الزجاج: يقال: ألفت المكان إلفاً، وآلفته إيلافاً بمعنى واحد. وأمّا قريش فهم ولد النضر بن كنانة، وكل من لم يلده النضر فليس بقرشي. وقيل: هم من ولد فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي. وإنما سموا قريشاً لتجارتهم وجمعهم المال. والقرش: الكسب. يقال: هو يقرش لعياله، ويقترش، أي: يكتسب. وقد سأل معاوية ابنَ عباس 🐞: لم سميت قريش قريشاً؟ فقال ابن عباس: بدابّة تكون في البحر يقال لها: القريش لا تمرّ بشيء من الغَثِّ (٥) والسمين إلَّا أكلته. وأنشد:

وقريس هي التي تَسْكُنُ البحد يربها سُمِّيَتْ قُريْسُ قُريْسُا(٢)

 ⁽١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه ﴿إِلِيلَانِ شُرَيْنِ ﴿ إِلَيْنِهِم ﴾ بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة من ألفت الشيء أولفه إيلاناً، لإجماع الحجة من القراء عليه.

 ⁽۲) زيادة سقطت من الأصل، واستدركناها من النسخة الإستنبولية. وصوّب ابن جرير هذا القول، وقال: ذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منهملتان مستقلتان.

⁽٣) قال ابن كثير: هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف، كتبوا بينهما سطر قبسم الله الرحمٰن الرحيم، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرّح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش، أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين.

⁽٤) في الأصل: التي بها. (٥) الغَثُّ: الرديء من كل شيء.

⁽٦) البيت في البغوي ٢٤٧/٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمحي، وهو في «الدر المنثور» ٦/٣٩٨، وتروح البيان» ٣٠/٢٣٩، وأورده القرطبي ونسبه إلى تبم.

وقال ابن الأنباري: قال قوم: سُمُّوا قريشاً بالاقتراش، وهو وقوع الرِّماح بعضها على بعض. قال الشاعر: ولسما ذَنَا السرَّايساتُ وافْسَتَوشَ السَفَّينَا وظَّارَ مَعَ السَفَّوْمِ السُّلُوبُ السرَّواجِفُ وطَّارَ مَعَ السَّوْمِ السَّواجِفُ والمَّينَ التَّكِيدِ اللهِ السَّاسِدِ اللهِ الكَيْنَ التَّكِيدِ إِلَيْ التَّكِيدِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ التَّكِيدِ اللهُ ال

﴿ لِإِيلَنِي شُرَيْشٍ ۞ إِلَنِهِمْ رِحْلَةَ الشِّنَاءَ وَالصَّيْفِ ۞ فَلَيْمَبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ اَلَّذِى أَطْعَمَهُم بِن جُوعٍ وَءَامَنَهُم يِّنَ خَوْنِهِ 🕽 🕈

قوله تعالى: ﴿ إِلَانِهِمَ ﴾ قرأ أبو جعفر وابن فليح عن ابن كثير، والوليد بن عتبة عن ابن عامر، والتغلبي عن ابن ذكوان، عنه ﴿الافهم﴾ بهمزة مكسورة من غير ياءٍ بعدها، مثل: علافهم. وروى الخزاعي عن ابن فليح، وأبان بن تغلب عن عاصم اإلفهم» بسكون اللام أيضاً. ورواه الشموني إلّا حماداً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة، ورواه حماد كذلك إلّا أنه حذف الياء. وقرأ الباقون بهترَة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل «عيلافهم». وجمهور العلماء على أن الرُّحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف. قال الفراء: والرحلة منصوبة بإيقاع الفعل عليها.

قوله تعالى: ﴿ مَلْيَمْبُدُوا رَبُّ مَلَا ٱلْبَيْتِ ﴿ ﴾ أي: ليوحِّدوه ﴿ ٱلَّذِي ٱلْمُعَبُّم مِن جُوعٍ ﴾ أي: بعد الجوع، كما تقول: كسوتك من عُرْي، وذلك أن الله تعالى آمَنَهم بالحرم، فلم يُتَعَرَّض لهم في رحلتهم، فكان ذلك سبباً لإطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع. وروى عطاء عن ابن عباس قال: كانوا في ضُرٌّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرّحلتين، فكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى استغْنُوا.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خُونِهِ ﴾ وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حماهم، وإن سافروا قبل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يَعْرِضُ لهم أحد(١).

⁽١) قال ابن كثير: ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ فَيَصْبُدُوا رَبَّ هَذَا ٱلْبَيَّتِ ۞﴾ أي: فليوخدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنْمَا أَرْتُ أَنَّ أَشِّدُ رَبِّ كَمَانِهِ الْبَقَتِ الَّذِي مُرَّمَهَا وَلَمُّرَكُ فَيْتُو وَلْبَرِثُونُ أَنْ أَكُونَ مِنْ السَّلِيمِينَّ ، وقوله تعالىٰ؛ ﴿ اللَّوْتُ أَلْمُمَّامُهُمْ يِّن جُوجٍ﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿ وَيَاسَنَهُم يِّنْ خَوْنِي﴾ أي: تفضّل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يمبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً، قال: ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله بين أمن الدنيا وأمن الأخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كممة قال تعالى: ﴿ وَمَرَنِ اللَّهُ فَكُلُ قَرْيَةً حَكَاتُ مَايِمَةً شُلْمَيِنَةً يُأْتِيهًا رِفْقًا رَضًا بِن كُلِّي شَكَانٍ يَحَدُرُنُ وَأَنْفِي اللَّهُ يَاسَ الْجُع وَالْخَرْبِ بِمَا حَكَانُوا يَصْنَمُونَ ۞ رَلِقَدْ جَآءَمُمْ رَسُولٌ يَتَهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْمَذَابُ رَمُمْ ظَلِمُونَ﴾.

سورة الماعون

ويقال لها: سورة أرأيت

وفيها قولان، أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة. وقال هبة الله المفسّر: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أُبَيّ المنافق.

بنسيد ألله الكني التحسير

﴿ أَرَءَيْتَ اَلَٰذِى يُكَذِّبُ بِاللِّمِنِ ۞ مَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُ الْيَذِيدَ ۞ رَلَا يَحُشُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلُّ لِتَمْمَلِينَ۞ الَّذِينَ مُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ مُمْ بُرَآءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ أَرْءَيْتَ اللَّهِى يُكَذِّبُ إِللَّهِنِ ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ستة أقوال: أحدها: نزلت في رجل من المنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك. والثالث: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي. والرابع في العاص بن واثل، قاله ابن السائب. والمخامس: في أبي سفيان بن حرب، قاله ابن جريج. والسادس: في أبي جهل، حكاه الماوردي. وفي «الدين» أربعة أقوال: أحدها: أنه حكم الله على، قاله ابن عباس. والثاني: الحساب، قاله مجاهد، وعكرمة. والثالث: الجزاء، حكاه الماوردي. والرابع: القرآن، حكاه بعض المفسرين، و ﴿يَدُعُ ﴾ بمعنى يدفع، وقد ذكرناه في قوله تعالىٰ: ﴿يَرْمَ يُدُعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ اللور: ١٣]. والمعنى: أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً ليأخذ ماله. وقد بينًا فيما سبق أنهم كانوا لا يورّثون الصغير، وقيل: يدفع اليتيم إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه ﴿وَلَا يُعْشُ عَلَ طَمَارِ ٱلْسِتَكِينِ ﴿ إُنَ الله علمه، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذّب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿ وَرَبِنُ لِلمُعَلِقَ فَي اللَّيْنَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. فإن كانوا مع النبيّ على صلّوا رياءً، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ اللّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿ وقال ابن مسعود: والله ما تركوها البتّة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها. وقال ابن عباس: يؤخّرونها عن وقتها. ونقل عن أبي العالية أنه قال: هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر. وردَّ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأن رسول الله على قد سها في صلاته، ولأنه قال تعالى: ﴿ عَن صَلاتِهِمُ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذاك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم. قال الشيخ رحمه الله: قلت: ولا أظن أن أبا العالية أراد السهو النادر، وإنما أراد السهو الذائم، وذلك ينبّننا عن التفات القلب عن احترام الصلاة، فيتوجّه الذمُّ إلى ذلك لا إلى السهو (١٠). وفي ﴿ ٱلمَاعُونَ ﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه الإبرة، والماء، والنار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النحو، رواه أبو هريرة عن النبيّ عن النه نحوه ذهب ابن مسعود (١٠).

 ⁽١) قال ابن كثيير: ﴿ وَرَيْلٌ يَلْمُصَلِّقَ ۚ لَ اللَّذِينَ هُمْ مَن صَكَتِيم سَاهُونَ﴾ إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق وأبو الضحى، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور بها، وإما عن الخشوع فيها والتدبّر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كلّه، ولكل من أقصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

⁽٢) قال السيوطي في «الدر» ٦/٤٠٠: أخرج أبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر، عن أبي هريرة ى عن النبيّ 難 في قوله: ﴿وَيَسْتَمُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفاس، والقدر، والدلمو وأشباهه.

⁽٣) قال السيوطي في «الدر» ٢-٤٠٠٪ أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط» وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن ابن مسعود قال: كنّا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريّة الدلم، والقدر، والفاس، والميزان وما تتعاطون بينكم.

وابن عباس في رواية. وروى عنه أبو صالح أنه قال: الماعون: المعروف كلَّه حتى ذَكَرَ القِدر، والقصعة، والفأس. وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن، فراءى في صلاته، وسها عنها^(۱)، ومنع هذا. قال الزجاج: والماعون في الجاهلية: كل ما كان فيه منفعة كالفأس، والقدر، والدلو، والقداحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضاً. والثاني: أنه الزكاة، قاله علي، وابن يعمر، والحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس في رواية. والرابع: المال، قاله سعيد بن المسيب، والزهري. والخامس: المعروف، قاله محمد بن كعب. والسادس: الماء، ذكره الفراء عن بعض العرب (٢) قال: وأنشدني:

ي معنى المساعون صبّاً (٣)

والصبير: السحاب.

帝 帝 帝

⁽١) في الأصل: وسها هذا، والتصحيح من النسخة الإستنبولية.

 ⁽٢) قال ابن كثير: وقال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المتخل، والدلو، والإبرة، رواه ابن أبي حاتم. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله
 عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلّها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو: ترك المعاونة بمال أو بمنفعة.

⁽٣) ذكره القرطبي ٢١٤/٢٠.

سورة الكوثر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله الحسن، وعكرمة، وتتادة.

يند ألَّهُ الْكُنِّ الْعَدَدُ

﴿إِنَّا أَعْطَبُنُكَ ٱلْكُوْثَرُ ۞ فَصَلِّ لِرَكِ وَالْحَدُّ ۞ إِنَّ شَائِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْدُ ۞﴾

وفي ﴿ ٱلْكَوْتُرَ ﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه نهر في الجنّة. روى البخاري في أفراده من حديث أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «بينا أنا أسير في الجنّة(۱) إذا ينهر حافتاه قباب الذّر المجرّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ﷺ، فإذا طِينه ، أو طيبه مسك أذفره (۱۲). وروى مسلم أيضاً في أفراده من حديث أنس قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة (۱۲)، ثم رفع رأسه متبسّماً إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضَحِكْت؟ فقال: «إنه أنزل علمي الأن القوراء فقرا: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ إِنّا أَعْلَيْنَكَ ٱلْكَوْتُر ﴾ حتى ختمها. وقال: «هل تدرون ما الكوثر؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷺ في الجنّة عليه خير كثير تَرِدُ عليه أمّتي يوم القيامة آنيته عدد كواكب السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (۱۰). والثاني: أن الكوثر: المخير الكثير الذي أغطِي نبينًا ﷺ، قاله ابن عباس. والثالث: العلم والقرآن، قاله الحسن. والرابع: النبوة، قاله عكرمة. والخامس: أنه حوض رسول الله ﷺ الذي يكثر الناس عليه، قاله عطاء. والسادس: أنه والرابع: النبوة، قاله أبو بكر بن عباش.

قوله تعالىٰ: ﴿ نَصَلِ لِرَبِكَ ﴾ في هذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: صلاة العيد. وقال قتادة: صلاة الأضحى. والثاني: صلاة الصبح بالمزدلفة، قاله مجاهد. والثالث: الصلوات الخمس، قاله مقاتل. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَاعْمَرُ ﴾ خمسة أقوال: أحدها: اذبح يوم النحر، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور. والثاني: وضع اليمين على اليسرى عند النحر في الصلاة. والثالث: أنه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والرابع: أن المعنى: صلّ شه، وانحر شه، فإن ناساً يصلون لغيره، وينحرون لغيره، قاله القرظي (١٠). والخامس: أنه استقبال القبلة بالنحر، حكاه الفراء (٧٠).

⁽١) أي ليلة الإسراء، كما في رواية البخاري في التفسير، ٨/ ٥٦٢ عن أنس رضي قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: فوأتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثره.

 ⁽۲) رواه البخاري في «صحيحه» بهذا اللفظ في كتاب الرقاق، باب الحرض ٤١٢/١١ وشك الراوي في آخره، وهو (هدبة بن خالد) في رواية: «فإذا طبته
 أو طبيه»، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢١/٤١١: أراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك في روايته، أنه بالنون، وهو المعتمد. قال: وتقدم في تفسير
 صورة الكوثر من طريق شيبان عن قتادة: فأهرى الملك بيده فاستخرج من طبئه مسكاً أذفر. والأذفر: طب الربح.

⁽٣) أي: نام نومة. (٤) أي: قريباً.

 ⁽٥) رواه مسلم في «صحيحه» ١٩٠١، واللفظ الذي أورده المصنف هنا لفظ أحمد في «المسند»، ورواية مسلم تختلف يسيراً عن رواية أحمد. قال ابن
 كثير: وقد استدل به كثير من القرّاء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلة معها.

 ⁽٧) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلّها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد =

قوله تعالى: ﴿إِنَ شَانِتَكَ ﴾ اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله على على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد، وفيه أناس من صناديد قريش، فقالوا له: مَنْ الذي كنتَ تُحَدِّث؟ قال: ذاك الأبتر، يعني النبي على، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله على، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله على هذه السورة. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاص: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه أبو جهل، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أبو لهب، قاله عطاء. والرابع: عقبة بن أبي معيط، قاله شمر بن عطية. والخامس: أنه عنى به جماعة من قريش، قاله عكرمة(١).



والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كف له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر. قال
 ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى، محمد بن كعب القرطي، وعطاء.

⁽۱) قال ابن كثير: قال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا ابن أي عدي، عن داود، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى الصنبر المنبتر من قومه عيزهم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿ كَ اللَّهُ الله عَلَى الله ابن كثير: هكذا رواه البزار، وهو إسناد صحيح. وجاء في «اللسان» مادة (صنبر) أصل الصنبور: سعفة تنبت في جلع النخلة، لا في الأرض، قال أبو حبيدة: الصنبوو: النخلة بقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر، يقال: صنبر أسفل النخلة. ومراد كذار قريش: أنه إذا قلع انقطع ذِكره كما يذهب أصل الصنبور لأنه لا عقب له. وقال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكره أخبر أن مبنض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

 ⁽٢) قال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناه رسول اله ﷺ قالوا: بتر محمد، فانزل الله ﴿إِنَ مَانِينَكَ هُوَ اللَّهِ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

سورة الكافرون(١)

بنسير ألق الكني النجيد

﴿ قُلَ يَكَائِهَا ٱلْكَنِرُونَ ۞ لَا أَعَبُدُ مَا شَبُدُونَ ۞ وَلَا أَنتُمْ عَكِبُدُونَ مَا أَعَبُدُ ۞ وَلَا أَنا عَابِدٌ مَا عَبَدُمُ ۞ وَلَا أَنتُهُ عَكِدُونَ مَا أَعَبُدُ ۞ لَكُوْ دِينَكُو وَلِنَ دِينِ ۞﴾

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور. والثاني: مدنية، روي عن قتادة.

ذكر سبب نزولها. اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل، لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولآمنا بإلهه، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن عتبة بن ربيعة، وأميّة بن خَلف لقيا رسول الله من فقالا: يا محمد، لا ندعك حتى تتبع ديننا، ونتبع دينك، فإن كان أمرنا رشداً كنت قد أخذت بحظك منه، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه، فنزلت هذه السورة، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أن قريشاً قالوا للنبيّ على: إن سَرَّك أن نتبع دينك عاماً، وترجع إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة، قاله وهب. قاله مقاتل في آخرين: نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين، ولم يبق^(٢) من الذين نزلت فيهم أحد^(٣). وأمّا قوله: ﴿لاَ أَعَبُدُ فهو في موضع همنٌ ولكنه جعل مقابلاً لقوله تعالى: ﴿مَا نَمْبُدُونَ وهي الأصنام. وفي تكرار الكلام قولان: أحدهما: لتأكيد الأمر، وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء. وقد أنعمنا عالم همنا أن المعنى: ﴿لاَ أَعَبُدُ مَا نَصْبُدُونَ فَى حالي هذه ﴿وَلاَ أَنتُهُ في حالكم ﴿عَنْهُ وَلَهُ في الحال والاستقبال، وهذا في قوم بأعيانهم، أعلمه الله من أنهم لا يؤمنون، كما ذكرنا عن مقاتل، فلا يكون حينذ تكراراً، هذا قول ثعلب، والزجاج (الحالي بأعيانهم، أعلمه الله من أنهم لا يؤمنون، كما ذكرنا عن مقاتل، فلا يكون حينذ تكراراً، هذا قول ثعلب، والزجاج (الحالي يعقوب. وهذا منسوخ عند المفسّرين بآية السيف (الله عن مقاص، وأبان عن عاصم، وأثبت ياء «ديني» في الحالين يعقوب. وهذا منسوخ عند المفسّرين بآية السيف (اله.)

* * *

 ⁽١) ويقال لها أيضاً: المقشقشة، أي: المبرئة من النفاق.
 (٢) في النسخة الإستنبولية: ولم يؤمن.

⁽٣) قال ابن كثير: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله تعالى: ﴿قُلَ بِكَأَيُّا ٱلكَيْرُونَ ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرّا من دينهم بالكلية.

⁽٤) أي: زدنا، يقال: أنعم أن يحسن أو يسيء، أي: زاد، وأنعم فيه: بالغ وفعل كذا، وأنعم أي: زاد. ويقال: أنعم النظر في الشيء: إذا أطال الفكرة فه.

٦) قال ابن كثير: إن العابد لا بدّ له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ﴿ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﴿ والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول ﴿ وَنَكُم مَن كُمُ الله عَلَى الله عَل عَل الله عَل الله عَل عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل عَل عَن كُمُ مَن كُمُ مَن كُمُ مَن كُمُ الله عَل كُمُ عَلَى الله عَل عَل الله عَل عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل عَل الله عَلَى الله عَلَم الله عَلَم الله عَلَم الله عَل الله عَلَم الله عَل الله الله عَلَم الله عَلَم الله عَلَم الله الله عَل الله عَل الله عَلَم الله عَلَم الله عَلَم الله عَلَم الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَل الله عَلَم الله عَل الله عَل الله عَل الله عَلَم الله عَل الله عَل

وقد ثبت في اصحيح مسلم؛ عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة و﴿قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَــَدُ﴾ في ركعتي الطواف، وفي اصحيح مسلم؛ أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر).

سورة النصر

وهي مدنية بإجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً (١٠). ينسب اللهِ الكَثَرَ التَكَانِ التَكَانِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْدُ اللَّهِ وَٱلْفَـنَّحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوْكِما ۞ فَسَيْحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ إِلَّـكُمُ كَانَ قَرَّابًا ۞﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَمَاءَ نَصْبُرُ اللَّهِ﴾ أي: معونته على الأعداء. ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتنح مكة. قال الحسن: لما فتتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان (٢) فدخلوا في دين الله أفواجاً. قال أبو عبيدة: والأفواج: جماعات في تفرقة.

قوله تعالى: ﴿ فَسَيَّتِم بِمَدِدِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله ابن عباس. والثاني: التسبيح المعروف، قاله جماعة من المفسّرين. قال المفسّرون: نُعِيَتُ إليه نفسُهُ بنزول هذه السورة، وأغلِمَ أنه قد اقترب أجله (٢٠)، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح (٤٠). قال ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح: داعٍ من الله، ورَدَاع من الدنيا. قال قتادة: وعاش بعد نزول هذه السورة ستين.

(۱) روى مسلم في قصصيحه، رقم ٣٠٤ عن عبيد الله بن عبته، قال: قال في ابن عباس: تعلم (وقال هارون: تدري) آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصَّرُ اللّهِ وَالْفَسَعُ﴾ قال: صدقت. قال مسلم: وفي رواية ابن أبي شيبة (أحد الرواة): تعلم أي سورة، ولم يقل: آخر. قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٢٥٤: وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن. قال: وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت، قال: والجمع بينهما أن آخرية سورة النصر، نزولها كاملة، بخلاف براءة)، فالمراد نزول بعضها أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبرية، وأوضع من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل ﴿آيَرُمُ ٱكْمُلُكُ لُكُمْ وِيكُمُ﴾ وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شكّ أن غالها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ.

(٢) اي طاقة.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٨/٥٥، عن ابن عباس ﷺ، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناه مثله؟! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصَرُ اللّهِ وَٱلْفَـتُمُ ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وقتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ علمه له، قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصَرُ اللّهِ وَٱلْفَـتُم ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ يَسَتَهِ رَبِّكَ وَاسْتَفَيْرُ ۚ إِنَّهُ عَالَى مَا تقول؟ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير لإجابة دعوة النبيّ ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا، لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة، وفيه جواز تأويل القرآن ما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قلمه في العلم، ولهذا قال على ﷺ: أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن.

(٤) روى البخاري في اصحيحه ٨/ ٥٦٤، من حديث عائشة رأة قالت: ما صلّى النبيّ ﷺ بعد أن نزلت عليه ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَٱلْفَـتُــُ ۗ إِلَّا يقول فيها: =

سورة تبت

وهي مكيّة بإجماعهم

ينسيد ألله الكلي التعبيد

﴿ نَبَتْ بَدَآ أَبِى لَهَبِ رَنَبٌ ۞ مَاۤ أَغْنَى عَنْـهُ مَالُهُ وَكَا كَسَبَ ۞ سَبَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَمَب ٱلْحَطَبِ ۞ نِي جِيدِهَا حَبْلُ مِن مَسَدِ ۞﴾

وسبب نزولها ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزل فراًندِر عَثِيرَنكَ الْأَفْرِينَ ﴿ الشمراء: ٢١٤ صَعِدَ رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أوأيتكم إن أخبوتكم أن المعدو مصبّحكم، أو ممسّيكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال ففاني نذير لكم بين يدي عذاب شديده. قال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا دَعَوْتَنَا؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ تَبّتُ بَدَا آبِي لَهُ بِ ﴿ وَتَبّ الله عَلَى الله الفراء: الأول: دعاء، والثاني: خبر الهب في الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك. وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن علما عادة العرب يعبّرون ببعض الشيء عن جميعه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكَ بِنَا تَدَّمَتُ يَدَكُ الله المعم عبد العزى، وقرأ ابن كثير وحده أبي لَهُ مِ وقي الكنية نوع تعظيم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه إن صح أن اسمه عبد العزى، وقرأ قبل: كيف كناه الله ﴿ وَلِي النّبِهِ عَلَى الله النّب الله عنه الله الله عمو بن العلاء أسماؤهما كناهما، فإن كان اسم أسماء. قال ابن قتية: في خبّرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما، فإن كان اسم أبي لهب كنيته، فإنما ذكره بما لا يعرف إلا به.

قوله تعالى: ﴿ مَا آَفَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ﴾ قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله ﷺ قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإنسي أفشدي بسالي، وولدي، فقال الله ﷺ ﴿ وَمَا آَفَىٰ عَنْهُ مَالُمُ وَمَا كَانَ مَا لَانِجاج: وَ ﴿ مَا ﴾ في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه ماله وكسبه، أي: ولده. وكذلك قال المفسّرون: المراد بكسبه هاهنا: ولده. و أَفَىٰ بمعنى يغني ﴿ سَيَصَلُ بَارًا ذَاتَ لَمَ سِ أَي تلتهب عليه من غير دخان ﴿ وَآثَرُاتُهُ ﴾ أي: ستصلى امرأته، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان. وفي هذا دلالة على صحة نُبرّة نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر، فكان كذلك. إذ لو قالا بالسنتهما: قد أسلمنا، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ، غير أن الله علم أنهما لا يسلمان باطناً ولا ظاهراً، فأخبره بذلك.

و مبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي.

⁽۱) رواه البخاري ۸/ ۵۶۷، ورواه مسلم ۱۹۶/ بمعناه. وقوله: يا صباحاه: كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتألمبوا له. ورواه ابن جرير الطبري ۳۳۲/۳۰، وأورده السيوطي في اللد؟ ۴۰۸/۱ وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مرهويه، والبيهقي في «المدلائل» عن عبد الله بن عباس في. وإنما كني يأبي لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

⁽٢) في الأصل: كالشمع والسمع، والتصحيح من اللسان».

 ⁽٣) ذكره البغوي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بغير سند، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بغير سند، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها كانت تمشي بالنميمة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والفراء. وقال ابن قتيبة: فشبّهوا النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. والثاني: أنها كانت تحتطب الشوك، فتلقيه في طريق رسول الله عليه ليلاً، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال الضحاك، وابن زيد (١) والثالث: أن المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنها كانت تُعيِّرُ رسول الله علي بالفقر، وكانت تحتطب فعيرًت بذلك، قاله قتادة. وليس بالقوي، لأن الله تعالى وصفه بالمال (٢٠ . وقرأ عاصم وحده «حمالة الحطب، بالنصب. قال الزجاج: من نصب «حمالة فعلى الذَّم. والمعنى: أعني: حمالة الحطب، والجيد: العُنق. والمسَدُ في لغة العرب: الحبُل إذا كان من ليف المُقل. وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الحبال: المسّد. قال الشاعر:

ومَسسَدِ أُمِسرًّ مِسنُ أَيَسانُستِ [صُهبِ عِسَاقِ ذات مُسخٌ زَاهِسَيَ أَسَ

وقال ابن قتيبة: المَسَد عند كثير من الناس: اللّيف دون غيره، وليس كذَّلك، إنما المسد: كُلُّ ما ضُفِر وَفَيلَ من اللّيف وغيره. واختلف المفسرون في المراد بهذا الحبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حبال كانت تكون بمكة، رواه المعوفي عن ابن عباس. وقال الضحاك: حبل من شجر كانت تحتطب به. والثاني: أنه قلادة من وَدَع، قاله قتادة. والثالث: أنه سلسلة من حديد ذَرْعُها سبعون ذراعاً، قاله عروة بن الزبير. وقال غيره: المراد بهذا الحبل: السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار، طولها سبعون ذراعاً. والمعنى: أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكماً، [فهي] في عنقها تعلّي بها في النار، الموله الله عرفة بن الزبير المعنى: أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكماً، [فهي] في عنقها تعلّي بها في النار، الموله الله عرفة بن النار، الموله الله عرفة بن النار، طولها سبعون ذراعاً. والمعنى: أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكماً، [فهي] في عنقها تعليّ بها في النار، المولها سبعون ذراعاً والمعنى: أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكماً، [فهي] في عنقها المؤلّية المؤلّية والمؤلّية المؤلّية النار، المؤلّية المؤلّة المؤلّة المؤلّة الله تعالى في النار، طولها سبعون ذراعاً والمعنى: أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحكّماً وأنه الله تعالى في النار، طولها الله المؤلّة الله تعالى في النار، طولها الله تعالى في النار، المؤلّة المؤلّة الله تعالى في النار، المؤلّة الله تعالى في النار، طولها الله تعالى في النار، طولها الله تعالى في النار، طولها الله المؤلّة المؤلّة الله تعالى في النار، طولها الله المؤلّة المؤلّة الله المؤلّة الله المؤلّة المؤ



⁽١) ورجحه الطبري.

أ) قال ابن كثير: ﴿ وَآمْرَاتُمُ كَمَالَةَ الْحَمَّابِ ﴾ كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿ الْمَمَّالِةُ الْحَمَّابِ ۚ الْمَحْمِ ۚ إِنْ مِيرِهَا خَبْلُ مِنْ مَسَيْحٍ ﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهياة لذلك مستعدة له. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد، وأحمد بن إسحاق، قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ يَتَ يُمَا إِنْ لَهُم ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله خلال ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنظيت لا تؤذيك بشيء ؟ فقال دسول الله إلى الله إلى المستوى عن وقفت على أبي بكر وقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا وربٌ هذه البية، ما ينطق بالشعر ولا يفوّه به، فقالت: إنه لمصدّق، فلما ولّت، قال أبو بكر: ما رأتك، قال: ﴿ هما زال ملك يسترني حتى ولّت الله البزار: لا نعلمه يروي بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر ﴿ عَسْنَ إِسناده أيضاً المحافظ في «الفتح» ١٨ ١٩٧٥.

٣) الرجز لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: لعقبة الهجيمي، وهو في المجاز القرآن، ٢/ ٣١٥، والطبري ٣٠/ ٣٤، والقرطبي ٢٤٢/٢٠، واللسان،: مسد. وقوله أأبرًا أي نتل فتلاً شديداً، والأيانق، جمع ناقة، والصهب، جمع الأصهب، وهو بعير ليس بشديد البياض، والعتاق جمع عتيق، وهو الكريم. وزهق المخ: إذا اكتز (اجتمع) لحمه، فهو زاهق.

⁽٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ بِّن مَسَلِمٍ ﴾ في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

سورة الإخلاص

بنسب أنفر الكنب النجيلية

﴿ ثُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ ١ إِلَّهُ السَّكَمَدُ ١ لَمْ بَالِدْ وَلَمْ يُولَدُ ١ وَلَمْ بَكُن لَمُ حُمُوا أَحَدُ ١٠

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقد روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي على قال: والمها تعدل ووالذي نفسي بيده إنها لتغدل ثلث القرآن (''). وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة أن النبي قي قال: وإنها تعدل ثلث القرآن (''). وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أبيّ بن كعب (''). والثاني: أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله قي: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: إلى الله قي قال: صفه لي، أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، فنزلت هذه السورة، قاله ابن عباس (''). والثالث: أن المؤيد قالوا: من أي جنس هو، وممن ورث المنيا، ولمن يورِّهها؟ فنزلت هذه السورة، قاله قتادة، والضحاك (''). قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي وأحد الله وقرأ أبو السورة، قاله قيد. وقرئت والمعنى: الذي سأئتم تبيين نسبته هو الله. و أحد الله المنه بتنوين على معنى: هو أحد، فالمعنى: هو الله وهو أحد. وقرئت واحد الله الصمد، بتنوين نسبته هو الله. و أحد الله المنورة وقرئت وقرئت بإسكان الدال وأحد الله، وهو أحد. وقرئت وأحد الله الصمد، بتنوين أحد. وقرئت واحد المنورة وقرئت وقرئت وأحد، فالما والمنارة واحد، فالمنا والله ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدا والشكنين أيضاً، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدا وقال أبو السكنين المخابي [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه الميمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه الميمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه الميمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاه، وأحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه الميمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاه، وحد أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشارك

⁽١) رواه البخاري في اصحيحه ٢٠٥/١ باب فضل ﴿فَلْ هُوَ اللّهُ أَحَــُهُ ولفظه بتمامه: عن أبي سعيد الخدري ظله أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿فَلْ هُوَ اللّهُ أَحَــُهُ ﴾ يردُدها، فلما أصبح جاه إلى رسول الله 魏 فلكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالُها، فقال رسول الله 魏: اوالذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآنه.

⁽٢) رواه مسلم في قصحيحه، ٥٧/١ ولفظه بتمامه: عن أبي هريرة فله قال: قال رسول الله ﷺ: قاحشدوا (اجتمعوا) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحكنه فقال بعضنا لبعض: إني أَرَى هذا خَبَرٌ جاء من السماء، فلماك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: وإني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن،

٣) رواه أحمد في «المسند» ٥/٣١، والترمذي ٢/ ١٩٧١، والطبري ٣٤٠ (٣٤٦) والواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٦ من حديث أبي سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب وفي سنده ضعف. ورواه الحاكم في «المستدك» وابن خزيمة» وابن خزيمة» وابن خزيمة» وابن خزيمة» وابن خزيمة» وابن خزيمة» وابن أبي سعد الصغاني به، وصححه» ووافقه الذهبي. وأورده السبوطي في «الله» ٢/ ٤٠٩ وزاد نسبته للبخاري في «تاريخه» وابن خزيمة» وابن المنفر في «المعظمة»، والبيهتي في «الأسعاء والصفات» عن أبيّ بن كعب ﷺ. ورواه الترمذي ٢/ ١٧٦ عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلاً» ولم يذكر فيه عن أبيّ بن كعب، وقال: وهذا أصح من حديث أبي سعد الصغاني. ورواه الطبراتي عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي عن جابر، وذكره ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وأورده المحافظ الهيشمي في «مجمع الزوائد» ١٤٦/ من الربيع ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وأورده المحافظ الهيشمي في «مجمع الزوائد» ١٤٦/ من الربيع عن أبي عاصم عن أبي والل عن ابن مسعود قال: قال تول مرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، غنزلت هذه السورة ﴿ أَلْ هُرَ الله أَلَثُ أَكَدُ ﴾ قال: قال الظرائي وغيره عن أبي سلمة عن أبي عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة، ونسبة الله: قل هو الله أحد اهد. فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبن عشه.

⁽٤) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بغير سند.

 ⁽٥) رواه الطبراني ٣٠/ ٣٤٣ عن قتادة مرسلاً، وذكره السيوطي في «الدر» ١٠/١٠ من رواية الطبراني في «السنة» عن الضحاك مرسلاً.

أحد. وأصل «الأحد» عند النحويين: الوحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة. وفي ﴿ اَلْتَكُمَدُ ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه السيّد الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ (١). وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤُدُوه (٢). قال أبو عبيدة: هو السيد الذي ليس فوقه أحد. والعرب تسمي أشرافها: الصّمد. قال الأسدي:

لَفَذْ بَكُرَ النَّاعِي بِنَحَيْرِيْ بَنِي أَسَدْ بعمرو بن مَسْعودٍ وبالسبِّدِ الصَّمَدْ(")

وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السُّؤدُد، فقد صمد له كل شيء قصد قصده. وتأويل صمود كل شيء له: أن في كل شيء أثر صُنْعه. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. والثاني: أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي. وقال ابن قتية: فكأن الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء، والمصمت من هذا. والثالث: أنه الدائم. والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، حكاهما الخطابي وقال: أصح الوجوه الأول، لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج.

قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ سَكِلِدُ﴾ قال مقاتل: لم يلد فيورَّث ﴿وَلَمْ يُولَـدُ﴾ فيشارَك، وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بناتُ الرحمٰن. وقالت اليهود: عزير ابن إلله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فبرًّا نفسه من ذلك.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمُ كُنُوا أَحَـُدُ ۞﴾ قرأ الأكثرون بالتثقيل والهمز. ورواه حفص بالتثقيل وقلب الهمز واواً. وقرأ حمزة بسكون الفاء. والكفء: المثل المكافئ. وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كُفُواً، فقدَّم وأخَّر لتنفق رؤوس الآيات.



 ⁽١) ذكره الحافظ الهيشمي في المجمع الزوائدة ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن،
 قال الحافظ الهيشمي: رواه الطبراني وفي إسناده جويبر، وهو متروك.

⁽٢) وهو في الطبري ٣٤٦/٣٥ بلفظ: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤدُده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في الواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له.

⁽٣) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي، وهو في همجاز القرآن» ٢/ ٣١٦، وهتهذيب الألفاظ» ٢٧٠، وهالسمط» ٩٣٣، والطبري ٣٠/ ٣٤٧، والقرطبي ٢٠/ ٢٤٥، و«اللسان»: صمد.

سورة الفلق

ينسب ألَّهِ النَّانِ النَّحَيدِ

﴿ اللَّهُ اَعُودُ بِرَتِ الْفَكَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَكَّرِ اَلْفَكَٰتِ فِ اَلْمُقَّـادِ ۞ وَمِن شَكَّرِ الْفَلَكَٰتِ فِ اَلْمُقَـادِ ۞ وَمِن شَكَّرِ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞ ﴾

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين. والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، ويه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدلُّ عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان. فذكر أهل التفسير في نزولهما: أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطة رأس رسول الله ﷺ، وعِدَّة أسنانٍ من مُشْطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها. وكان الذي تولَّى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي. ثم دسُّها في بثر لبني زريق، يقال لها: بثر ذروان. ويقال: ذي أروان (١٠)، فمرض رسول الله ﷺ، وانتشر شعر رأسه، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن، ويخيَّل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، فبينا هو ذات يوم نائم أتاه مَلَكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ قال: طُبُّ، قال: وما طُبُّ؟ قال: سُجِر. قال: ومن سَحَره؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبم طَبُّه؟ قال: بمُشْط ومُشَاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُفُّ طلعةٍ (٢) تحت راعوفة في بئر ذروان ـ والجف: قشر الطلع. والراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت(٣) _ فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقّى عليها، فانتبه رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة أما شعرتِ أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث علياً، والزبير، وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطة رأسه، وأسنان مشطه، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغروزة بالإبرة، فأنزل الله تعالىٰ المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة إنك. ووجد رسول الله ﷺ خِفَّة حين انحلت العُقْدُةُ الأخيرة. وجعل جبريل ﷺ يقول: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن حاسد وعين، والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً لأه). وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ^(٦)، وقد بينًا معنى ﴿أَعُودُ ﴾ في أوّل كتابناً (٧). وفي ﴿ ٱلْفَكِقِ ﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه الصبح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرظي، وابن زيد، واللغويون قالوا: ويقال: هذا أبين من فَلَق الصبح وفَرَق الصبح. والثاني: أنه الخُلْق، رواه الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: الفَلَق: الخَلْق كلُّه. والثالث: سِجْن في جهنم، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال وهب والسدي: جُبُّ في جهنم. وقال ابن السائب: وادٍ في جهنم. والرابع: شجرة في النار، قاله

⁽١) في الأصل: ويقال: أروان، والتصحيح من «القرطي». وهي بثر بالمدينة في بستان بني زريق.

 ⁽٢) الجف ـ بضم الجيم وتشديد الفاء: الغشاء الذي يكون على الطلع.
 (٣) في النسخة الإستنبولية: إذا احتفرت.

 ⁽٤) زيادة سقطت من الأصل، واستدركناها من النسخة الإستنبولية.

 ⁽٥) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في القسيره بلا إسناد، قال: وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد، والله أعلم. ويغني عن هذه
 الرواية رواية الصحيحين التي بعدها.

⁽٦) رواه البخاري في المحيحة ١٩٢/١٠ - ١٩٩١، ومسلم ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، وقد رواه أيضاً أحمد في المسند، عن زيد بن أرقم وعائشة رضيا، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم، وابن ماجه عن عائشة، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس، وغيرهم.

وانظر أقوال العلماء مفصّلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب (صفحة ٩١١ ـ ٩١٢).

⁽V) (صفحة ٣١).

عبد الله بن عمرو^(۱). والخامس: أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبِّ، والنَّوى، وغير ذلك، قاله الحسن. قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق، كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. والسادس: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يزيد الحبلي (۲).

قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿ وَوَا ابن السميفع، وابن يعمر: الحُلِق، بضم الخاء، وكسر اللام. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، وهو الأظهر. والثاني: أن شر ما خُلِق: إبليسُ وذُرّيته، قاله الحسن. والثالث: جهنم، حكاه الماوردي. وفي ﴿ غَاسِقٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه القمر، روت عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: «استعيدي بالله من شرّه فإنه الفاسق إذا وقب، رواه الترمذي، والنسائي في كتابيهما (٢٠). قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودً. ومعنى ﴿ وَقَبَ الكسوف. والثاني: أنه النجم، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (١٠) والثالث: أنه الليل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والقرظي، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والزجاج. قال اللغويون: ومعنى ﴿ وَقَبَ كُلُ شيء فأظلم. و«الغسق» الظلمة. وقال الزجاج: الغاسق: البارد، فقيل لِلّيل: غاسق، لأنّه أبرد من النهار. والرابع: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام، والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد (٥٠). فأما ﴿ ٱلنَّنَاتَ فقال ابن قتيبة: هن السواحر ينفث، أي: يَتْقُلن إذا سحرن، ورَقَيْن. قال الزجاج: يَتْفُلنَ بلا ربق، كأنه نفخ. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نَفَتَ: نَفَخَ نفخاً لبس معه ربق، ومعنى الفر: نفخ نفخاً معه ربق. قال ذو الرُّمَة:

ومن جَـوْفِ مـاءٍ عَـرْمَـضُ الْحَـوْلِ فَـوْقَـهُ مِن مِنه مـائِـحُ القوم يَـتْفُـلِ (1)

وقد روى أبن أبي سُرَيج (٧٧ والنافئات) بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها (٨). وقال بعض المُفسّرين: المواد بالنّفّاثات هاهنا: بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ. ﴿ وَين شَرِّ حَاسِيهُ يعني: اليهود حسدوا رسول الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحسد في البترة: ١٠٩]. والحسد: أخس الطبائع، وأوّلُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء حَسَدُ إبليس لآدم، وفي إلارض حَسَدُ قابيلَ مابيلَ (٩).

* * *

 ⁽١) في النسخة الإستنبولية اعبد الله بن عمرا وهو كذلك في «القرطبي».

⁽٢) قال ابن جرير: والصواب القول الأول: أنه فلق الصبح. وقال ابن كثير: وهذا هو الصحيح، وَهو اختيار البخاري في اصحيحه رحمه الله تعالىٰ.

 ⁽٣) الترمذي ٢/ ١٧٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في «المستدة ٦/ ٦١، وابن جرير الطيري ٣٠/ ٣٥٣، والحاكم في «المستدكة ٢/ ٥٠٠)
 ١٥٥ وصحح، وواققه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ١٨٤ وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن عائشة ها.

⁽٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمدٌ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال ابن كثير: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبق ﷺ.

 ⁽٥) قال الشوكاني في فنتح القديرة: وهذا محتاج إلى نقل عن العرب أنهم يصفون الثريا بالغبوق.

⁽٦) «ديوانه» طبع المنكتب الإسلامي صفحة (٦٠٠). والجوف: المعطمئن من الأرض، والعرمض: الخضرة التي تعلو الماء، وهي الرمض، والعلق، والطحلب، والشباء والمائح: الذي يتزل البتر فيملأ الدلو. والماتح: الذي يجذب الدلو. وفي «الأساس»: وذاق ماه البحر فتفله، أي: مجه كراهةً له.

٧) ابن أبي سريج، هو أحمد بن الضباح، أبو جعفر الرازي، الثقة الثبت، وهو شيخ البخاري، وأحد أصحاب الشافعي، قرأ على الكسائمي.

⁽A) قال القرطبي: وقرأ عبد الله بن عمر، وعبد الرحمٰن بن سابط، وعيسى بن عمر، ورويس عن يعقوب التنافئات، في وزن افاعلات، ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر ﷺ.

⁽٩) وانظر قصتهما في [سورة المائدة: ٢٧].

سورة الناس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها مكية، رواه أبو كريب عن ابن عباس.

ينسب ألَّهُ النَّخِيلِ النَّجَيلِ ﴿

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلنَّامِ ۞ مَلِكِ اَلنَّامِ ۞ إِلَىٰءِ اَلنَّامِ ۞ مِن شَرِّ اَلْوَسُوَامِن اَلْمَنَّامِن ۞ اَلَّذِى بُوَسُوسُ فِى صُدُودِ النَّامِيب ۞ مِنَ الْمِئْسَةِ وَالنَّسَامِن ۞﴾

فإن قيل: لم خصّ الناس هاهنا بأنه ربُّهم، وهو ربُّ كل شيء؟ فعنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظَّمون متميّزون على غيرهم. والثاتي: لأنه لما أمر بالاستعادة من شَرِّهم أعلم أنه ربهم، ليعلم أنه هو الذي يعيد من شرّهم. ولما كان في الناس ملوك قال تعالى: ﴿ إِلَكِ النَّاسِ ﴾ (١٠). في الناس ملوك قال تعالى: ﴿ إِلَكِ النَّاسِ ﴾ ولما كان فيهم من يعبد غيره قال تعالى: ﴿ إِلَكِ النَّاسِ ﴾ ولما كان فيهم من يعبد غيره قال تعالى: وأقصر. قال الزجاج: و﴿ الْوَسُواسِ ﴾ يوسوس في الصدور، فإذا ذُكِرَ اللَّه، خَسَنَ، أي: كفَّ وأقصر. قال الزجاج: الوسواس هنا: ذو الوسواس. وقال ابن قتيبة: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، فإذا ذَكرَ الله، خَنَسَ.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿ الْجِنَّةِ: الجنّ، وفي معنى الآية قولان: أحدهما: يوسوس في صدور الناس جِنَّهم وناسهم، فسمى الجن هاهنا ناساً، كما سمَّاهم رجالاً في قولة تعالى: ﴿يُوَدُونَ بِهَالِ يِنَ ٱلْجِنِّهُ الجن: ١]، هذا قول الفراء. وعلى هذا القول يكون الجن: ١]، هذا قول الفراء. وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن، كما يوسوس للإنس. والثاني: أن الوسواس: الذي يوسوس في صدور الناس، هو من الوسواس موسوساً للجن، والمعنى: من شر الوسواس الذي هو من الجن. ثم عطف قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ على الْجِنَّة، وهم من الجن. والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجنّ والإنس، هذا قول الزجاج (٢).

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقدن من رأى اختصارنا أنّا أقللنا، فإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإنا ضمنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المغني في التفسير». فإن أراد مختصراً، فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب

⁽۱) قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الرّب عز وجلّ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستعيد أن يتمرّد بالمقصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلاّ وله قرين يزين له الفراحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله. وروى مسلم في «صحيحهه ٢١٦٧/٢ عن عبد الله بن مسعود في قال: قال رسول الله ي المنافقة على المنافقة على المنافقة على الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخيرة. وقوله: «فأسلم» برفع المبيم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه: أسلم أنا من شرّه وفتته ومن فتح قال: إلا بخيرة على عصمة النبي الله من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير. قال القاضي عباض: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي الله منافقة المنافقة على عصمة النبي الله منافقة المنافقة المناف

⁽٢) روى مسلم في اصحيحه ١١٦/١ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللهُ تَجَاوِزُ لأَمْنِي مَا حَدَثْتَ بِهُ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا ٩.

العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى أبيه آدم، وذرّيته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

> تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا النفسير القيم وقد قام بمقابلة أصوله الخطية، وتصحيحه وتفصيله وترقيمه، وتخريج نصوصه، والتعليق عليه، والإشراف على طبعه الأسسانلة

محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨هـ الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨م



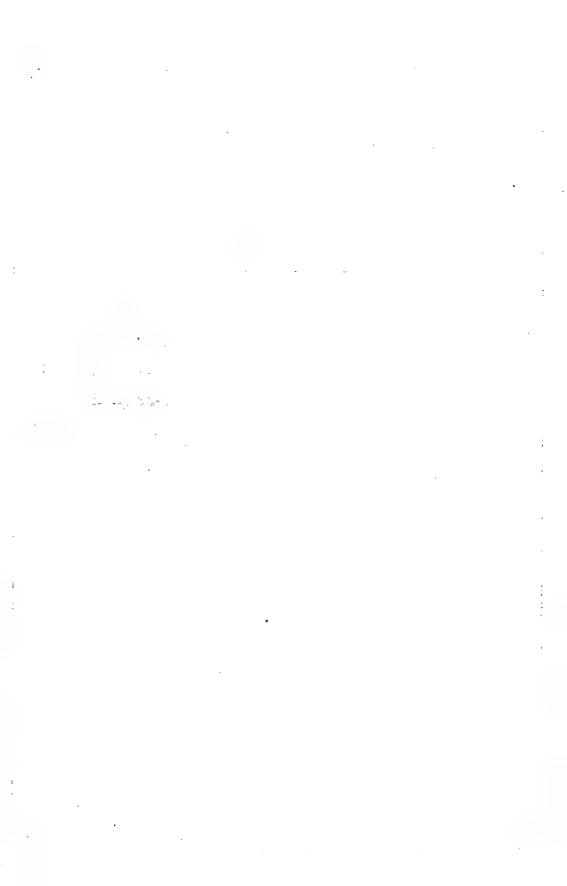


الفهارس

* فهرس الآيات

* فهرس الأحاديث

* فهرس الأشعار



فهرس السور

الصفحة	رقسم	السورة	الصفحة	رقــم	المسورة
1317	٣٣	سورة الأحزاب		r	سورة الفاتحة
1187	737	سورة سيأ	. YV.	Υ'	سورة البقرة
1104	۳ò٠	سورة فاطر	۱۷Ý	٣	سوزة آل عمران
V7/1/	hat.	، سورة يس	707	٤	سورة النساء
1117	44	سورة الصافات	. 40.	΄ φ	سورة المائدة
17.00	۲۸	ِ سَوْرَةٌ صُ	~ 878 ·	7	سورة الأنعام
1777"	44	مورة الزمر	* \$44	٧	سورة الأعراف
1779	٤٠	سورة غافر (المؤمن)	044.	A .	سورة الأنفال
1707	13	سورة فصلت أو السجدة	070	4	سورة التوبة
7771	73	سورة الشورى	· 710 .	1.	سورة يونس
1778	٤٣١	سورة الزخرف	181	11	سورة هود
1444	8.8	سورة الدخان	774	۱۲	سورة يوسف
1797	80	سورة الجاثية	377	14.	سورة الرعد
1747	23	سورة الأحقاف	V8+	31	سورة إبراهيم
17°-A	٤٧	ا سورة محمد ﷺ	V07 -	10	سورة الحجر
1414	٤٨	سورة الفتح	∀∀ €	71	سورة النحل
1447	84	سورة الحجرات	۸+۱	۱۷	سورة الإسراء
ነፕዮ치	٥٠	ا سورة ق	ATV	1.4	سورة الكهف
1451	01	. سورة الذاريات	AVT	19	سورة مريم
1408	۲٥	سورة الطور	۸۹۹	۲۰	سورة طه
141.	۳٥	سورة النجم	378	71	سورة الأنبياء
1779	٤٥	سورة القمر	987	***	سورة الحج
1461	٥٥	سورة الرحمن	979	. **	سورة المؤمنون
١٣٨٥	70	سورة الواقعة	31	3.7	سورة النور
1441	٥٧	سورة الحديد	1.1.	70	سورة الفرقان
18.8	٥٨	سورة المجادلة	1.77	77	سورة الشعراء
1817	09	سورة الحشر	1.5.	**	سورة النمل
1844	7.	سورة الممتحنة	1.00	YA	سورة القصص
184.	17	سورة الصف	1.01	. 79	سورة العنكبوت
1 244	77	سورة الجمعة	١٠٨٩	٣.	سورة الروم.
1847	77	سورة المنافقون	1.99	٣١	سورة لقمان
1331	٦٤	سورة التغابن	11.7	٣٢	سورة السجدة

17.7

17.8

17.7

-						
_	سورة الطلاق	٥٢	333/	سورة البلد	٩.	1001
_	مورة التحريم	٠	120.	سورة الشمس	91	1000
	مورة الملك	٦٧	1.031	سورة الليل	7.9	1001
	سورة القلم (ن)	٦٨.	1804 11	سورة الضحى	97	1501
	سورة الحاقة	79	1531	سورة الانشراح	9.8	1078
	سورة المعارج	٧٠	1841	سورة التين	90	1077
<i>a</i>	سورة نوح	٧Y	1240	سورة العلق	7.9	AF01
ad .	سورة الجن	٧٢	1844	سورة القدر	4٧	104.
	سورة المزمّل	٧٣	1881	سورة البينة	4.4	1040
	سورة المدتّر	٧٤	TA31	سورة الزلزلة	99	1044
4	سورة القيامة	٧٥	1891	صورة العاديات	1 • •	1049
	سورة الإنسان (الدهر)	٧٦	1897	سورة القارعة	1 • 1	1011
	سورة المرسلات	VV	10.7	سورة التكاثر	1 • 7	101
	سورة النبأ	٧٨	10.7	سورة العصر	1.5	1017
	سورة النازعات	V 4	101.	سورة الهمزة	1 * 8	1044
	سورة عبس	٨٠	1010	سورة الفيل	1 • 0	1019
	سورة التكوير	٨١	1019	سورة قريش	1.7	1097
	سورة الانفطار	YX	1077	سورة الماعون	1.4	1098
	سورة المطففين	۸۳	3701	سورة الكوثر	۱۰۸	1097
	سورة الانشقاق	٨٤.	1011	سورة الكافرون	1 • 9	1091
d	سورة المبروج	Ao.	1071	سورة النصر	11.	1099
•	سورة الطارق	AT,	1078	سورة تبت	111	17
				1		

رو. سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس

١٥٣٧

108.

1084

111

115

118

۸٧

۸۸

۸٩

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

فهرس الأحاديث مرتباً على الحروف الهجائية

المنحة	الحنيث	وليث المنحة ا
777	اذهب فناد في الناس	
0.1	أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً	حرف الهمزة ـ همزة الوصل
414	ارجع إليه فادعه	لتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك
۲۲۲	ارجع فأحسن وضوءك	بتعوها في العشر ألا وأحر في الوتر منها
177	استحيوا إن الله لا يستحي من الحق	نرکهم حتی یتوب تاثبهم
17.0	استعيدي بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب	نقوا الشع فإن الشع أهلك من كان قبلكم
099 . 701	استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل	نقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ١٠٣٩
777	استقم ولتحسن خلقك	تقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ٧٦٤
707	استوصوا بالنساء خيراً	تق الله
79 V	الصوصور بالمسام عيرا المالي جارك	تن الله حيثما كنت
VPY, 3FA	ہی جورے اسق یا زبیر، ثم احبس الماء حتی یبلغ الجدر	جُتَمَعُوا إِليَّ في قتيل كان بينهم أُتِمَعُوا إِليَّ في قتيل كان بينهم
٧٨٥	اسقه عسلاً	جتنبوا السبع الموبقات ١٦٩، ٢٧٥٠، ١٩٩٢
1047	اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً	جعلوها في ركوعكم ١٥٣٧، ١٥٩٧
1779	اشهدوا	جعلوها في سجودكم ١٥٣٧و١٣٩٥ حسم علم الركب ٩٣٥
47.	اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال اعتبروا فإنى لم أؤمر بالقتال	, , , , ,
998	اصرف بصرك	
171	استون بشود اصنعوا کل شیء إلا النکاح	حشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ٢٠٠٢ ختر أيتهما شئت
1071	اطلبوها الليلة، أي في ليلة ثلاث وعشرين	ختر منهن أربعة ٢٥٥
708	اعبد الله كأنك تراه	خرجوا إليه واكتموا ٩٤٩
٦٧٦	اعبد الله ولا تشرك به شيئاً	خرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله
۳۸۰	اغزوا باسم الله في سبيل الله	خرج بهذه القصة من صدر براءة ٥٦٦
1607	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	غرج يا أيا بكر فهذا حين دلكت الشمس
۲۸۳	اقرأ عليَّ القرآن	خرج يا فلان من المسجد فإنك منافق ١١٣٩
٣٧	اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران	دعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ١٠٨
* **	اقطعوا يدها	ادعى لى أباك وأخاك
1011	التمسوها في تسع يبقين	ذكرها على ١١٢٧
1011	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	اذهب إلى قريش فأخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال أحد ١٣١٧
104.	التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين	اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل
		الجنة ١٣٣٠
	حرف الهمزة ـ همزة القطع	اذهب فاذكرها علي
444	أبشري فقد أنزل الله براءتك	اذهب فاطرحه في القبض
491	أبطأت على حتى ساء ظني	اذهب فخذ سيفك
170	أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء	اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم:
1607	أ أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة	أحرقكم الله

	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·		
الصفحة	الحليث	المفحة	الحديث
1777	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	113	أبوك حذاقة
408	إذا رميت بالمعراض فخزق فكله	1174	أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
۷۱۸	إذا زنت أمةٍ أحدكم فليجلدها الحد ولا يترب	4.5	احلف
۸۷۳	إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس	١٥٧٧	أتدرون ما أخبارها
1887	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	1.19	أتدرون ماذا قال ربكم
1174	إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه	1770	أتدرون ما الغيبة
179	إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله	971	أتدرون ما المعيشة الضنك
40	إذا قال الإمام ﴿ غَيْرِ الْمُفْشُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلصَّكَالَيْنَ﴾	100	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
۸۳۵	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	17.7	أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
	إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة	1097	أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف
1189	بأجنحتها	944	أجدني مغمومأ
1178	إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما	944	أجدني مكروبأ
TOA	إذا لم تصطحبوا ولم تنتبقوا ولم تحتفئوا بقلاً فشأنكم	MEA.	أجوزهم يدخلهم الجتة
1179	•	1.41	أحبب حبيبك هونأ ما
. 1041	إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	17.0	أحب الصيام إلى الله صيام داود
۷۳۷	إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة	708	أحل لكم ميتنان ودمان
444	إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف	٥٢٧	أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان
707	إذا هُمَّ أُحدكُم بالأمر فليركع ركعتينٌ من غير الفريضة	744	أخرج متاعك فضعه على الطريق
1601	أراه من شرب شربته عند سودة والله لا أشربه	1804	إدبار السجود الركعتان بعد المغرب
17	أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	448	أدَّ الأمانة إلى من التمنك
1011	أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	17.7	أدعوكم إلى الله عز وجل
1108	أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم	1777	إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوّجوه
184.	أربع من كن فيه كأن منافقاً خالصاً	1.41	إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون
*1.	أربعون سنة	VOE	إذا اجتمع أهل النار في النار
794	أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	۸۹۸	إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبوه
1117	أريت دار هجرتكم أرض بين حرتين	414	إذا أخذتم الساحر فاقتلوه
1011	أريت ليلة القدر ثم أنسيتها	177	إذا أسأت فأحسن
183	الأزم دواء والمعدة داء	998	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف
414	أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار	1047	إذا اشتد الحر فأبردوا
***	الإسلام يهدم ما كان قبله	1774	إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت ذنويه
7.4	أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً	1070	إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء فابدؤوا بالعَشاء
1.47	أشد الناس بلاء الأنبياء	1817	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
1777	أصحابي أمنة	1007	إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم
770	أضعفوا على العباس الفداء	1189	إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء
414	أظنه قد أحدث حدثاً .	377	إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن
	أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخّر عمره حتى بلغ ستين	1277	إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين
1178	سنة	1778	إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة
177	أعطِ ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن	1778	إذا حسدت فاستغفر
1101			إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة
٨٨	أعوذ بك من دعاءٍ لا يسمع	18.4	والنار
1870	أعيذكما بكلمات الله التامة	777	إذا دخل أهل الجنة الجنة
1884	أفشوا السلام وأطعموا الطعام	744	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
	•		

الحديث الصفحة	المفحة المفحة
إليَّ عباد الله، أنا رسول الله الله الله الله الله	أفضل الصدقة أن تصَّدَّق وأنت صحيح شحيح المعادة
أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما	أفضل الصدقة جهد المقل 1817
أما إن مَلكاً بينكما يذب عنك	أقبل وأدبر واتَّق الدبر والحيضة
أمًّا أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً ﴿ ﴿ ١٦٠٤	أقتلته بعدما قال: آمنت؟!
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر مع ١١٢٤	أكرمهم عند الله أتقاهم
أما ترضى أن تكون مثل ثبي الله	أكرموا عمتكم النخلة ٢٤٦
أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	الك بينة؟ ٢٠٤
أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله	ألم أعهد إليكم ألَّا تبرحوا
أما ما ظهر فالإسلام وما سوَّى الله من خلقك	ألم أنة عن القتال
أما نقصان العقل ٧٠٢	الم نُصِعُ لك جسمك ونروَّك من الماء البارد ١٥٨٤
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	الـــم يــيـقـــل الله: ﴿ ٱسْتَجِبْرُا يَلْهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله . ١٩٤٢	المُعِيثُمُ ﴾
أمرني خليلي ﷺ بسبع	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
أمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفأ من ذهب	ألا أنبتكم بأكبر الكبائر ١٠٢٤، ٢٧٦
أمسك عليك زوجك	ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف
أمسلمة جثت	ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع والتسع ١٩٨٠
أن تجعل له نداً وهو خلقك ١٠٢٢، ١٠٢٢	ألا أحدثك عن يوم الجمعة؟ لا يتطهر رجل مسلم ثم
أن تزاني حليلة جارك	يمشي إلى المسجد
أن تصدق وأنت صحيح شحيح	ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم ٨٨٤
أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	ألا أخبركم بخير من ذلك
أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى	ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا
إن أرسلت كلبك وسميت فأخذ فقتل فكل	الا أخبركم لِمَ سمَّى الله إبراهيم خليله ﴿ ٱلَّذِى وَفَّ ﴾ ١٣٦٦
إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز	ألا أراكم تضحكون
العكيم	ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكم
إن تقبلوا مني ما جنتكم به فهو حظكم	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه	ألا إن الزمان قد استدار ٥٨٢
إنْ شَتَ أَنْيَاتُكُ بِأَبِوابِ الْخِيرِ الْخِيرِ ١١٠٨	ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين
ره علمه عبداري	وسبعين ملة
و ما الله الله الله الله الله الله الله ا	ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنجو مما أسمع ٢٣٢
إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته الم	ألا إنها تعدل ثلث القرآن 17٠٢ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ٢٩٤
إن كان وسادت إذا تعريض أنا أكرم ولد آدم على ربه V·٤	الا رجل صالح يحرسني الليلة ٢٩٧
أنا أولى الناس بعيسى	الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
أنا بين خيرتين استففر لهم أو لا تستغفر لهم	الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ١٧٥٥
أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ١٣١٨	الا يعج بعد العام مشرك 770
أنا المنذر	الا عل بلغت؟
أنا عند ظن عبدي بي	الا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم
أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب ١١٧٨	الست البلدة؟ ٧٦٥
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	اليس ذا الحجة؟ ٧٢٥
انت أبصر	اليس يوم النحر؟ ٥٦٧
أنت الهادي يا عليُّ بك يهتدى من بعدي	إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسيل الله ٣٥١

الصفحة	العديث	الصفحة	الحليث
	إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبقَيْنَ من الليل ينظر في	111.	أنت يا طلحة ممن قضى نحبه
۷۳۸	الكتاب	108	أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت
1.44	إن الله لم يأمرني بكنز الدُنيا ولا باتباع الشهوات	3771	أنتم خصماء الله
٧٦٠	إن الله لم يمسخ شيئاً فيدع له نسلاً	202	أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى
387	إن الله لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلاً	404	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة	7.0	انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه
۸۰۲	فيحمد الله عليها	1107	أنفق يا بلال ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً
3411	إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة	140	أنفقه على نفسك
097	إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك	1777	إن أبي أدركته فريضة الحج شيخاً كبيراً
	إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا	1784	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
1040	بتايا	1881	3.0
140	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	۲۳۷	إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر
1.41	إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	179	إن أربى الربا عرض الرجل المسلم
1500	إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً		إنّ أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في
701	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	1798	الجئة ٥٥.
18+9	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	1441	إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين
	إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس	900	إن الإسلام لا يقال
٤٨٥	الناس	977	إن الجنة لا يدخلها العجائز
115.	إن الله يسلم على أهل الجنة	170.	إن الدعاء هو العبادة إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض
1.10	إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة إن الله تعالى يطوي السموات بيمينه	07V 17•3	ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
988	إن الله تعلق يعري السموات بيمينه إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين .	1079	إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء
777	إن الله يقبل توية العبد ما لم يغرغر	991	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها
	إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: ياابن آدم مرضت فلم	A77	إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً
1401	تعدنى		إن الكريم بن الكريم بن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن
7.7.7	إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة	741	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
۸۳۰	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	۸۹۸	إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً
113	إن الله لا يقبل إلا الطيب	۱۳۲۸	إن الله أعطاني السبع الطُّوَل مكان التوراة
1101	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ١٣٣٦،	1000	إن الله أمرني أن أقراً عليك ﴿ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
	إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	1177	إن الله بعثني مبلِّغاً ولم يبعثني متعنَّتاً
٨٣٣	🕥 على وجهه يوم القيامة	178	إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها
1874	إن المقسطين عند الله على منابر من نور ٢٥٥، ١٣٣٢،		إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من
	إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح	979	فضة
1404	الطيبة	٤٠٩	إن الله حرَّم مكة فلم تحل لأحد قبلي
313	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه		إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
101	إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين	٥٣	الأرض
1474	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	1717	إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم
179	إن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث	1000	5
٥٧٦	إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي	AVO	إن الله طيب لا يقبل إلا الطّيبُ
1088	إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة ان أول ما يسأل عنه يوم القيامة	1777	
270 79.	إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون	1770	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا إن الله كتب على الح-
14.	إن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	1 811	إن الله كتب عليكم الحج

العنيث العندة	العيث المفحة
إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	إن جبريل كان واعدني أن يلقاني
إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطقة العدم
التكم سترون ربكم عياناً المراجع المستحد المستحد ١٣٤٥	إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا 174
إنكم لا تدعون أصم إلكم لا تدعون أصم	إن زبكم حيي كريم
النكن أكثر أهل النار المناسلات المنا	إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز
إنما البضع ما بين الثلاث إلى النسع الما البضع ما بين الثلاث إلى النسع	إن روخ القدس نفث في روعي
إنما سمي الخضر لأنه جلس على فزوة بيضاء	إن زكريا كان نجاراً ١٨٧٨
إنما سمَّى الله البيت: العتيق، لأن الله أعتقه من الحبابرة ٢٥٦	إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى
إِنْ مُمِا رَجِلُ مِنَ العربِ ﴿ مُعَلَّمُ مُعَالِمُ العَرِبِ العَرْبِ العَرْبِ العَرْبِ العَرْبِ العَرْبِ	
الما ذلكم الله	
إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة 187٨	إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة السمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة السمة المؤمن طائر يعلق في	MYAA
إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ٢٨١	إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
إِنَّمَا هُو شيء دسره البحر ١٠٠٠ ١٠٠٠ ١٠٠٠ ١٣٧١	إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم به من الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم به
إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير	إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب
إسماتين المرتين	إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين المجادي (١٤٤٧
إنما هو الشرك .	
النَّمَا هُو شيء وأيته في مناعين ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا	إن لله مائة وحمة أنزل منها وحمة واحدة
إنماً يفتن يهود ١٧٤٧	إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ١٣٨٤
أَيْنَهُ آتَانِي داعي الجن	إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش
إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أخد على أحد ١٠٧٤ ١٠٧٤	إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أجمد
إنه أنزلُ عليَّ الآن آنفاً سورة	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بني بيتاً ١١٢٩
إنه أول من سن القتل	إن مقعد ملكيك على ثنيتك
إنها شيخال بيني وبينها ١٩٦٠ -	إن ملكاً كان يجيب عنك الله الله الله الله الله الله الله الل
إنه قداً بلغني أنكم تريدون أن تتقلوا قرب المسلجد . ١٩٩٠ - ١١٩٩	إن مِنْ أفضل أيامكم يوم الجمعة 1870
إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة والمراجل (440 / 440	إنْ من البيان سحراً ١١٧٩
إنه ليفان على قلبي المحالة ١٩٣١، ١٥٣١	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ٧٤٥
إِنَّ كَانَ دَمِياً وَفَصَةً ١٩٦٦ اتعا تعدل ثلث الله أن	إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء
إنها تُعَدَّلُ ثلث القرآن () و () () () () () () () () (اد بيبة والسهدة اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً ١٣٨٩
إنها فتت ملكين وللسوسا المنافظة المنافظ	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ٨٥٩
إنها في علم الله قليل المناف الله عليه عليه الله عليه عليه الله عل	إن موسى كان رجلاً حيياً ستبراً الشار المارية ١١٤٠
إنها النخلة المنالة ال	إن هذا الأمر في قريش
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير المستحدد المتعدد المت	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ١٠٥٦
إنى أزيتكن أكثر أهل النار ٧٠٢	إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم
إِنَّي أَمْرُتُ أَنْ أَقْراً على الَّجِنَ ١٣٠٥	إن يأجوج ليحفرون السد كل يوم معدد
إِنَّ حاملك على ولد الناقة ١١٥ ١١٥ ١١٥ ١١٥ ١٩٣٣	إن يَمين الله ملأى لا يغيضها نفقة إن يمين الله ملأى الا يغيضها نفقة
إلى خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين . ١٠٩٤	أن الأولى كانت نسياناً من موسى ٨٦٢
إلى رأيت ليلة القلو ثم أنسيتها من من المناسبة ال	إنا حاملوك على ولد الناقة
إني سأأحدثكم ما حسني عنكم الغتداة ١٢٢١	إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ٢٥٨
إنى قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام ماطلين	إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي
رژوسکم ومقصرین ۱۳۲۴	إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ﴿ وَمَعَمَّ مَنْ مَا مَا مُعَالِمُ اللَّهِ الْعَالِمُ اللَّهِ اللَّهِ

الصفحة	الحديث	المنحة	الحليث
1279	اللهم اشهد	17.7	إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن
444	اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف	1.77	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة
979	اللهم أعنّي على قريش بسنين كسني يوسف	98.	إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه
1440	اللهم اغفر للمحلقين	1174	إني لست بشاعر ولا ينبغي لي
VYA	اللهم اكفنيهما بما شئت	777	إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام
1847 .	اللهم اكفتي جاري السوء	980	إني لم أبعث لعاناً
777	اللهم أنج الوليد بن الوليد	7,83	إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله
730	اللهم أنجز ما وعدتني	11ÀÝ	إني والله ما أنا بشاعر
717	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	1804	إني لا أدري ما بقائي فيكم؟
١٥٧٣	اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله	1577	إني لا أصافح النساء
۸۸	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٥٧٥	انهزموا ورب الكعبة
1740	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى	733	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء
۳۸۲	اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	APY	أو غير ذلك؟ فأعني على نفسك بكثرة السجود
1177	اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	179	أول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب
1897	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	1809	أول ما خلق الله القلم
1884	اللهم رب السموات السبع وما أظللن	789	أوَليس قد بيَّن الله تعالى ذلك
1140	اللهم صل على آل أبي أونى	177,	أوَليس قد ابتعته منك؟
444	اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	1.7438	أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس
۸۱	اللهم لا نبغيها	787	أيا منعد ألم تسمع ما قال أبو حباب
777	اللهم لا يعلون علينا	948	إياكم والجلوس على الطرقات
٥٤٧	اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	1117	
1111	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب		إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ١٣٣٤،
144	اللهم مؤلاء أهلي	1000	إياك والحلوب
,	اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك وا	173	أي شيء تحبون؟
1178 .771	أملك ٢٢٠٠	14.74	
4	اللهم هل بلغت	73.5	أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله عز وجِل
*	: حرف ال ياء	14.	أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة
۲۹۰ و۳۱۶		779	أيما حلف كان في الجاهلية أي مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً
AFV	يش عبد الله	709	اي مستم طنات فوق فاطبع الطبيف معروف أيما رجل أعمر عمرى له ولعقبه
Y+4	. ت . بِنح بِخ ذَاك مال رابح	770	أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل
1814	بي بي الله عن أدى الزكاة برئ من الشح من أدى الزكاة	977	أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
٥٨٠	بشر الكانزين بكي في ظهورهم	۸۳۵	أيها المناس أربعوا على أنفسكم
148	بعثت إلى الأحمر والأسود	113	أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
1711	بعثت أنا والساعة كهاتين	797	الله الله
974	بعني كذا وكذا من الدقيق	750	الله -أخبرني
1711	بل أنت زيد الخير	1817	الله أكبر خربت خيبر ١١٩٩،
140	بل إلى كتاب الله	1007	اللهم آت نفسي تقواها
۸۳۸	يل أنا وارأساه	1.47	اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً
177,	بل قد ابتعته منك	1.47	اللهم اجملها رياحاً ولا تجعلها ريحاً
240	بل هي للمسلمين عامة	377	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
1170	بلى فأنكحيه فإني قد رضيته لك	047	اللهم ارزق ثعلبة

المنعة	المنيث المنحة
ثلاثة لا يكلمهم الله يرم القيامة: المتان بما أعطى . ١٦٢ ١٦٢	بلى والله لأستغفرن لأبي
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ١٥٧٦، ١٤٠٢، ١٥٧٦	يمٌ تشهد؟ ١٧٧:
ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد	بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر ١٥٩٦
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ٨٠١	بينا أنا في الحطيم . ٨٠١
ثم دع الماء يرجع إلى الجدر	بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به
ثم قال له: اكتب	بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
الثيب أحق بنفسها من وليها	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك عند 18
حرف الجيم	البطئة أصل الداء والحمية أصل الدواء 🔑 🕬 😘 ١٩٩١ - ١٩٩١
	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام أرجين المناش المراج المام
<i>y</i>	البكر تُستأمر في نفسها ٢٣٥٠
	حرف التاء
, m 22 & 0 ".	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء
. (3. (3.3)-1.4.	بناج الدابة معها خاتم سليمان وعضا مؤسى
b. c 5 - c	تحب ذلك؟
جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ١٣٨١، ١٣٨١ الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة	تخشرون حفاة عراة غرلاً ١٥١٨
الجنة بالقران كالجامر بالقبدلة	تدرون أي يوم ذلك؟ معادة الله على الله الله الله الله الله الله الله ال
الجنة مائة درجة	تدع الصلاة أيام أقرائها ١٣٦٠ ١٣٠٠
* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *	تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباو بكم محمد محمد عام
حرف الحاء	تسع أعظمهن الإشراك بالله من من ١٠٠٠ ٢٧٦٠
حرم رسول الله 選 لحوم الحمر الأهلية 8٧٤	تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن ١٠٥٥٠٠
حسينا الله ونعم الوكيل	تسوموا فإن الملائكة قد تسومت
حسي من سؤالي علمه بحالي	تشويه النار فتقلص شفته العليا ٩٨١
البعج عرفة	تصدقوا
الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	تصدق به على خادمك
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر	تصدق به علی زوجك
حرف الخاء	تصدق به على نفسك
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ٢٦٥، ٩٨٥	تصدق به على ولدك
خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة	تصدق رجل من ديناره
خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان الكما
حلق الله عز وجل التربة يوم السبت	تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً
خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً ١٤٤١	وعشرين درجة
خلق فرعون في بطن أمه كافراً ١٤٤١	تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان ١٥٧٧
خِلقَتِ الملائكة من نور ٧٦٠ ، ٩٢٧	تكثرن اللعن وتكفرن العشير
خمس صلوات في اليوم والليلة	تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها 179
خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم	تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق ٣٣٧ توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل ٢٧٥
خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ٢٨١	توصا وصوءا حسنا تم قم قصل ۱۷۵۰ التيمم ضربة للوجه والكفين
خير أمتي قرني	السيمم صرية للوجه والحقيق - ١٨٧
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم من المختص الله المحاكم	حرف الثاء
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة المجمعة المجمعة	ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن ١٥٨٥
خيرات الأخلاق حسان الوجوه	ثلاث لازمات لأمتي، الطيرة والحسد وسوء الظن 🕟 🔻 ١٣٣٤
خيزكم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . ٢٥	اللائة حق على الله عونهم ٩٩٦

لحليث	الصنحة	الحليث
لخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر	\ oVA	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله
حرف الدال		سبق المفردون
		ستمنعه صلاته المستمنعة صلاته
رهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية	179	سلاني الم
عوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى	A4 '	سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقام هذا
عوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت الألمال من المرت ندا	139	إلا بينته لكم
نا ألجبار رب العزة فتدل <i>ى</i> تراك المريد شريد المريد	1171	سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم
ية المعاهد نصف دية المسلم	411	سوموا فإن الملائكة قد سومت
حرف الذال		سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي
روني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم 💎 ٤١١ ،	1040	سيتهاه ما تقول
كاة الجنين ذكاة أمه	40.	حرف الشين
كرك أخاك بما يكره	itto	شاهت الوجوه
لك إلى الله عز وجل	٨٣١	شجر بالشام طول الشجرة عشرون وماثة ذراع
لك العرض	1079	شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة
حرف الراء		شغلوظ عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ١٤٦ و
أيت جبريل وله ستمائة جناح	1.01	شهرا عيد لا ينقصان
أيت جهتم يحظم بعضها بعضاً	£17 .	شيبتني هود وأخواتها
أيت ربي عز وجل فقال لي: فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟	1771	الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة
أيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار	113	الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين
أيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني	179	الشفق الحمرة
اجعها فإنها صوامة قوامة	1607	الشمس والقمر نوران مكوران في النار
باط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه	١٥٧٣	حرف الصاد
باط يوم في صبيل الله خير من الدنيا وما عليها	707	صدق الله وكذب بطن أخيك
حم الله أخي يوسف	٧٠٤	صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة
حم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد	777	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً ٢٤٩،
حمة الله على موسى، لقد أوفي بأكثر من هذا فصبر	1881	صليت؟ قال: لا، قال: فصل ركعتين
دوا عليّ الرجل	137	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته
فع القلم عن ثلاثة	YOX	الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان
لربا ثلاثة وسبعون بابأ	179	الصعود: جبل من نار
رحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله	1212	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ٢٨٢،
لويح الجنوب من الجنة	1404	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن
حرف الزاي	, .	الْصُور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخّات
نزاد والراحلة	414	الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة
ر نزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل	777	. حرف الضاد
حرف السين		ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ٤٧٨ ،
	110	ضموا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكفا
مالت ربي درويا الشفاعة لأمتى فأعطانيها بألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتى فأعطانيها	£ 77°	حرف الطاء
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له	1177	طلق إحداهما
_	11173	طلق رسول الله 繼 حفصة ثم راجعها
ببحان مقلب القلوب	1,11,0	April 19 10 10 10 10 10 10 10 10 10 10 10 10 10

خليث المفحة	المنحة اا	الحديث
نبلنا على الناس بثلاث كذلك بحد الله الدتر وتلك آبة فرخلته		الطهور شطر الإيمان
كذلك يحيي الله الموتى وتلك آية في خلقه ما رأيت عبقرياً يفري فري عمر		حرف العين
به رایت عبری بری طور بها منعکم آن تتبعونی؟	1 1172	عجب ربك من شاب ليست له صبوة
نه تشخيم أن ميتوري. من كان متحريها فليتحرها في السيم الأواخر 10V1		عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل
ما استطعتن وأطقتن من المدين المادية ال	4 2 Y Y	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير.
تشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم	1 1174	عجل هذا
بتول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال	1 727	عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفو
فرة فرة و والم	79.	علمي لأمتي:عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل إ
به ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يعني يوم	3 1810	علام تشتمني؟
الجنمة الجنمة	12.2	على رسلكما إنها صفية
	1771	على ما استطعتم 💎 🛒 🖟 كري 💮 🦠 💮
ارماً ومندوا الما ومندوا	AFYE	ع لي وقاطمة وولداهما
رين وسنن		هليكم بالأسود البهيم المساور ا
, , , , , , , , , , , , , , , , , , ,		هليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم
80.0.0.0.0.00		عمداً فعلته يا عمر
		المز إزاره والكبرياء رهاؤه
4. 0.0.5		العيادة فواق ناتة (عيدة العربية
Q . Q . S		العين حق
		حرف الغين
لمت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً د أذنت لك		غداً اخبركم
ر الفلح من أسلم ورزق كفافاً قد بايعتك كلاماً ١٤٢٨ ١٤٢٨		غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تعرض؟ ألست تحرُّن؟
لا جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ١٥٧٣		الغاسق النجم
ل سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك		بريد حرف القاء
د قال أخي يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي		
د قبلتك ۱۹۲۹		فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل
ر کنت أحب أن أراك على غير جوار	1 1601	فاعتني أبا بكر
د كنت وعدتني أن تلقاني البارحة		فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح على بمحامد لا أحصيها الآن
سمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ٧٦٥		بمحامد و الحصيه الان فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام
ل آمنت بالله ثم استقم	4	ون تفادتم والواملم والراضعة عليم حرام فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا
لَ لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ١٠٦٨		والبحة المجنة
لتم كذا وكذا ٩٣	1	است. فانها تذهب حتی تسجد بین یدی ربها
م يًا فلان فإنك منافق	5 VA7	عهد تنسب عنی مسجد بین بنای ربه فإنها لا یُرمی بها لموت أحد ولا لحیاته
رُل عيسى عليه السلام: ﴿ وَجَمَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُهُ ۗ مَا هُدُ	۳۵٤ ق	عرب و يرحى به سوت احداد عياد فأنت الحبر السمين
رموا إلى سيدكم 1٤٠٩		عام المبير المسين فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
بام العبد من الليل		ري علير علم بين يدي عدب عدي فينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء
ولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد الما ١١٣٨		طيف الم السني المستنف طوق من المستاد فدخلوا يزحفون على أستاههم
قبر كقطع الليل المظلم ١٧٤٧	N 1	فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء
حرف الكاف	۸۰۱	فركبته حتى أثبت بيت المقدس فركبته حتى أثبت بيت المقدس
اتب الحسنات على يمين الرجل ١٣٤٠	1	فضلت سورة على مبائر القرآن بسجدتين
اد يصيبنا في خلافك بلاء ٢٥٠		فضلت على الأنبياء بست

مهرس الاسانيت	
العديث الصفحة	العديث المذه
الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ٢٧٦	كان ذو الكفل رجلاً لا ينزع عن ذنب
الكبائر سبع الإشراك بالله أولهن ٢٧٥	کان رَجِل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار ٣١٤
الكبائر الشرك بالله وقتل النفس	كان رسول الله 選إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة
الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده المدي	(ویأتیك بالأخبار من لم تزود) 🚾 😘 ۱۱۷۸
حرف اللام	كان رسول الله على يستعيد من عداب القبر المجال المالك
لأستغفرن لك ما لم أنة عنك	كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل ١٢٨٠
د مسعون عداد من الماد ال	كان ليعقوب أخ مواخ على ١٨٠٠ ١٨٠
لتؤدن الحقوق إلى أهلها 477، ٢٩٤	كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض
لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ٩٣٢	كانت الأولى من موسى نسياناً ٨٥٩
لِسُرَادِقِ النَّادِ أَرْبَعَةُ جُدُر ٨٤٩	كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم
يُسِرُونِ مُنْدُرِ مُرْبِطُ مِنْدُونَ لَا لَمُنْ الرَّبَا وموكله وكاتبه وشاهديه	كاثرا أهل قرية لئاماً ٨٦٤.
لعن العاضهة والمستعضهة ١٩١٢ ، ٧٦٧	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض ٩٦٥
لعن الله الواشمات والمستوشمات	كتافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام
لقد أنزلت على الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت	كذا أنزلت على فاكتبها كذا
عليه الشمس عليه الشمس	كذب إبراهيم ثلاث كذبات ٧٠٩
لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	كلبت يهودية كلبت يودية
لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود ١١٩٥ ، ١١٤٣ ، ١١٩٥	كفي بالإسلام والشيب للمرء ناهياً ١١٧٨
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	كفي بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به المحمد المحم
لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	رسيم المنتاب
لقد خشیت أن یکون صاحبی قلانی ۱۵۲۱	س الله يأتي يعوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من
لقدُ دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر گ	يحيي بن زكريا
لقد ذهبتم فيها عريضة ٢٢٤	کل ذي ناب من السباع حرام
لقريش ١٢٨٠	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس
لكل نبي حرم وحرمي المدينة ١٣٨٨	كل مين زائية
للمملوك طعامه وكسوته	كل من مال يتيمك غير مسرف
لم أومر بذلك	كل مولود يولد على القطرة ١٠٩٤ ١٠٩٤
لم نأت لقتال أحد إنما جثنا لنطوف بهذا البيت ١٣١٧	كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في
لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات 🕟 ١١٩٠، ١١٩٠	سبيل الله ٢٥٢
لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف	كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ١٤٩٦، ١٥٥٨
طير خضر	كلمتان خفيفتان على اللسان كلمتان خفيفتان على اللسان
لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعاً ٣٩٧	کلکم راع وکلکم مسؤول عن رعیته ۲٤٥٤
لما غشيها عن أمر الله ما غشيها تغيرت	كلهم في الجنة
لمن عمل بها من أمتي	كلا إني رأيته في النار في بردة غلها
لكن الله يدري وسيقضي بينهما	كما أيتم على مصافكم
لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	كمل من الرجال كثير ١٤٥٥
لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض ٢٥١	كم بقي من الشهر؟
لو أنكم توكلون على الله حق توكله لوژ قك م كما يرزق	كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح
الطير العام 1860	كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ١١١٥
لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من • قته	كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد ١١١٥
	كيف يأتيك الوحي
او تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ١٣٦٧	كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم كيف يفلح

العنيث العنحة	المفحة المفحة
ما أطعمت تفسك فهو لك صدقة دره ١٠٠٠ الما المعمد الما المعمد المسك	لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف ٢٩٤
ما الذي أثنى الله به عليكم؟	لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم ٢٣٠
ما المشؤول عنها بأعلم من السائل عن الله ١٤٨١ - ١٤٨١	لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة
ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً	لو فعله لأخذته الملائكة ١١٦٨
ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ١٥٦٨ على ١٥٦٨
ما أنزل الله على فيها إلا هذه الآية الفاذة على الله على الم١٥٧٨	لو قالها لجاهدوا في سبيل الله
ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا	لو قلت نعم لوجبت
ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم	لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ١٤٣٠، ١٤٣٣
ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت 🕟 💮 ١٣٣٠	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به معنت وقد أبلغتكم	لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة 🕟 🎂 🚐 ١٢٧٨
ما بين النفختين أربعون ١١٧٥ - ١١٧٥	لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس 🕟 🔑 ١٣٩٥
، ما تجدون في التوراة في شأن الزنا	لو كان على أبيك دين قضيته أما كان ذلك يجزئ عنه؟ ﴿ ﴿ ١١٩٠
ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله مِن جرعة غيظ يكظمها ٢٢٤	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ﴿ ﴿ ﴿ ٢٠١٠٠ ٧
ا مَا تَرَى يا ابن الخطابِ من الله عليه الله الله الله الله الله الله الله ا	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد. ٢٦٢٠
ما توضأ عبد فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له ٢٦٣٠٠	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عنَّد كل صلاة بوضوء 💎 ٣٦١٠٠
ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل	لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته
ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه .	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأموت بقتلها
في اليم	ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل
ما زال جبريل يوصيني بالجار	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة ١٥٦	ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر المسكها على 1888
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم	ليس أحد أحبّ إليه المدح من الله عز وجل
ما ظنك باثنين الله ثالثهما المسلم الم	ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد 💮 ١٠٤٤
ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ٧٥٦	ليس الغنى عن كثرة العرض
مالي أراكم سكوتاً؟	ليس لبني النصير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم ٢٩٠
مالي أواكم عزين! • بهذا الله الله الله الله الله الله الله ا	ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان ١٦٧
ا ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة ٢٧٠٠
	ليلة الضيف واجبة على كل مسلم من المسلم المسل
ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد همّ بخطيئة أو عملها	ليلني منكم أولو الأحلام والنهى
الأيام العمل العماليج فيها الحب إلى الله من المعالم المام ١٥٤٣ ماماد	ليهنك العلم يا أبا المنذر ١٥٦
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة	الآن حمي الوطيس
شجاع آقرع	الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه ١٧٤
ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته	الذي في عينيه بياض
ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك . ٢٩٠٠	الَّذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى ١٣٣
ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به عدد من المداد ١١١٤٠	حرف الميم
ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه 💢 💢 💢 ٣٦٤٪	ما أبقيت لأهلك
ما من مسلم إلا وله في السماء بابان	ما أخرجكما من بيوتكما هذه السّاعة ١٥٨٥
ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم	ما أردت بما أرى
ولا إثم	ما أدري نُبُعاً، نبي أو غير نبي
ما من مسلم يلنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي	ما اسمك؟
ما من مولود إلا يولد على الفطرة ١٠٩٤ ١٠٩٤	ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: الملهم إني عبدك ١٥٧٣
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ١١٥٣.	ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة ٢٢٥ أ

العنيث العنط	المنحة المنحة
من بني مسجداً لله كمفحص قطاة ١٠٠٠	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من
من توضأ فأحسن الوضوء	التار ١٥٥٩
من توضأ وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها 🕟 🕆	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قريته من الجن ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ١٦٠٦
وبين صلاة الصبح ٢٧٦	ما متكم من أحد إلا وله منزلان
من جهز جيش العسرة فله الجنة	ما منكم من أحد يتوضأ فليبلغ الوضوء أو فيسبغ ٢٦٤
من حقر رومة فله الجنة	ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر
من حفظ عشر آيات من أول سورة البقرة	ما نقصت صدقة من مال
من حلف بغير الله فقد أشرك	ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة
من حلف على يمين وهو فيها قاجر	ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب
من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى
من دل على خير فله مثل أجر فاعله	ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الأعين
من رأى منكم الليلة رؤيا	
من رغب عن ستي فليس مني	
من حتل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار ٢٤٧	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت ﴿ ١١٣٠ -
من سره أن يسطر له في ورقه ويتسأ له في أثره ١١٦٠	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار	مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً. ١٠٠٩ ١٠٠٩
من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ١١٢٦ من سدّ قد الاسلام سنة حسنة	مرحباً بمن غائبتي ليه ريني ١٥١٥
من سنّ في الإسلام سنّة حسنة من نبه ١١٦٩ من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ١٥٦٥	كُرّا تِعْلَمْ وَيَقْلَانَ ٢٩٦
من صام رمضان إيمان واحتسابا عمر له ما تقدم من دلب ما الله من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله	مروت بقبر أني فصليت ركمتين مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنبن
ا من خاط بالبيت ثم يرفع فنده وثم يشتع احرى إد النب الله	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين ١٤٤٨	مضت اثنتان وعشرون ويقيت سبع التمسوها الليلة، الشهر
من عقر جواده	تسع وعشرون وبعث شبع المنطوق العبدة السهر
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	مفاتيح النيب خمس لا يعلمهن إلا الله
من غسَّل يوم الجمعة واغتسل ويكو وابتكر ١١٦٩	ملعون من أتى النساء في أدبارهن ١٣٣
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله. ١٥٨٦	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته
من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	مَنْ أَتِي حَالِشاً أَوْ أَمْراَةٌ فِي دِيرِها ١٣٣٠
من قام ليلة القدر إيماناً وأحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ١٥٧٣	من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره ١٣١٢
من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه الآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه	من أحب أن يزحزح عن النار
من ثَتِل تَشِلاً فله كذا وكذا ٣٩٥	مَنْ أَحَبُ أَنْ يَمِثُلُ لَهُ عَبَادَ اللهِ قَيَاماً فَلَيْتَبُواْ مَقْعَدُهُ مَنْ :
من قتل نفسه بحليدةٍ فحليلته بيده	النار ومرسوجها فالماه المالا
من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف ٨٣٧	مَنْ أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إِنَّا النَّيْسُ رَ
من قرأ عشر آيات من آخر الكهف	1019
من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله	مَنْ أَحَب لقاء الله أحبدالله لقامه ٧٠٠٠
ترة ترة	من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ في الجاهلية ٥٥٣
من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله	مَنْ أطاعتي فقد أطاع الله الله الله الله الله الله الله ال
من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبغ وعشرين يعني ليلة القدر ١٥٧١	من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من
من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره ٢٨١	النار سن آیا کی در در در در ۱۹۵۳
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة بدار علما الخد	من أغلق بابه فهو آمن ۱۱۱۰
يدار عليها الخمر من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة	من آتفق زوجين في سبيل الله من آتفق زوجين في سبيل الله من أتفزيق دُمه وعقر جواده مده
	من أتغزيق دّمه وعقر جواده من ابنئي لله مسجداً بيتغي به وجه الله
الرت وتسرين	من اچنی که مسجدا بیمی به وجه دهه

			7. 0 30.
المفخ	الجذيث	المنجة	الحبيث
1897. «	ن د الله و النظام	4 5 Walter	-50 : 1 11:00 : 0 1
10.	نعم يجمع الله هذه العظام	1	من لبس الحرير في اللنيا لم يلبسه في الآخر
107. 10. 10.	نعمُ أي يريد منا القرض	م يؤدد من الله	من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لـ الا منا
	تعم وأرجو أن تكون منهم نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأه	YAA Parani	إلا بعداً
	نعم ومن م پسجدها مر پدرات	189V	من نذر أن يطيع الله فليطعه
	معم يعين الله تم يعيين تم يعالم معمتان مغبون فيهما كثير من الناء	3-1	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها على
NOAT.	النعيم الأمن والصحة	7.7 . 30	س سي حدره الموسية إلىه دعوت المارة ا
10AFara	التميم الماء البارد	YIYA Sar	من وجد الزاد والراحلة
Mo, subjecting	نقاعاً حيثما توجهتُ		موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيه
Y-AY	نهن رسول الله عن الخذف	£1• - ∴	من الكبائر شتم الرجل والديه
	نهني رسول الله ﷺ عن كل ذي ن	1700	من مخاطبة العبد ربه
d table			مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التا
ے بھر	r '		المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملا
וויזי	هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	1777: 41770	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
T9T	هات المفتاح	TAN EM S. M.	النبره مع من أحب
	هذا ما أوحي إليَّ أنه محرم على	PPA	المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما
_	هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعم	11450 Sec. 18 1	المسجد الأقصى
	هَذَا ما اصطلح عليه محمد بن ع	Y1.	المسجد الحرام
	هذا ما قاضى عليه محمد بن عبا	144.4	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
أن هذا الدين معلق بالثريا ١٣٩٥	هذا وقومه والذي نفسي بيده لو	177	المغرب وتر النهار
	لتناوله رجال من فارس	القيامة ٢٥٥	المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم
ort and a second	هذه أمتي بالحق يأخذون	1.44	المرت
TAY was many for a participation of	هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها		حرف النون
13V4	هل أعطاك أحد شيئاً؟	0V8	ناديا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة
	هل أنت إلا أصبع دميت؟ أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	10AY 474	نادی معسر ادانساره یا اصحاب استمره ا
1044 40 10 10 10 10 10 10	اصبح من عبادي مومن بي وقام هل تدرون ما الكوثر؟	byo	ناولني حصيات
1400	هل تدرون ما العوس. هل تدرون مم أضحك؟	080	ناولنى كفاً من حصباء
ن والقطر ليس فوتهما-		4.14	ئىي ضيعه قومه
1848	ا من عبدارون في رويه العدد المحاب؟		تحرنا مع رسول الله ﷺ البدنة عن سبعة والب
کے احد امانا ؟ ۱۳۲۳	هل جئتم في عهد أو هل جعل ا	TAA	تُنخن معاشر الأنبياء إخوة لعلات
	هل مررت بوادي أهلك محلاً	AVV	شحن معاشر الأنبياء لا نورث
MAN HE SEE THE SEE THE			نزل ملك من السماء يكذبه
	هلا صلیت به (سبح اسم	170A -	نزفت في المؤذنين
NOTY.	وضحاها)؟	¥8+	نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة .
عمي موسى وإن زوجي	هلا قلت: إن أبي هارون وإن	700, 0111, 1071	
Milk of the many of the	مبخمال	ATO L. L. L.	ئعم ً
744	محمد هلك المصرون	AVY	
XAY:	هم إخوانكم خولكم	144	نعم أي أنا محمد
	هم ثلاثة أصناف صنف منهم أم	5870	تعنم صلّي أمك
أحداً في داره فرس عتيق 💎 ٥٦٠	هم النجن وإن الشيطان لا يخبل	STEV.	نعم عذاب القبرحق
TE	هم قوم تحايوا بروح الله	137	نعم، أي: نهيت عن القتال في الشهر الحرا

المديث	# Hety: Hate:
والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب إا	هم قوم مذا
من نفسه	هم اليوم أربعة
والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون	هنت يهود بالغدر
حرمات الله إلا .	هرَ أهل أن يتقى ١٤٩١
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة	هو جبل من نار يكلف أن يصعده
والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل و	هو الطهور ماؤه الحل مييته
في الزبور ولا في الفرقان مثلها	هو قرن ينفخ فيه
وما الذي أهلكك	عو مشجدي هذا
وما ينريك لعل الله اطلع على أهل بدر	هو نهر أعطانيه ربي عز وجل
(ومم ذاك) قاله لأسماء بنت عميس	هن حولي كما ترى يسألنني النفقة
ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر	عن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ٢٧٦
ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟	هي النخلة ٧٤٥
ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه	هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة ١٥٧٢
ويل للأعقاب من النار	حرف الواو
ويل: واد في جهنم	
الوَرود: الدَّخول لا يبقى بَرُّ ولا فاجر إلا دخلها	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة أولا وإنَّ القوة الرمي: (٥٠٠)
المولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخلة	والزمهم كلمة التقوى لا إله إلا الله ١٣٧٤
حرف لا	وأنه أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم . ٢٠٣
لا أراك تكلمني في حد من حدود الله	وأنا والذي نفسي بيله لأخرجني الذي أخرجكما ١٥٨٥
لا أجد ما أحملكم عليه	وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي
ا الجداد ما الحديد عليه الا أسأل قد اكتفيت	وتجعلون رزقكم قال: شكركم وجدني في أهل غنيمة بِثِنَّ
ا النان فد الصيب الا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	atte a la trad
لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء	وصلاة الرجل في جوف الليل وقًى صل يوم بأريع ركمات في أول النهار ، ١٣٦٦
لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده	وللكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياء من ذكركم إياء من ذكركم إياء المادي الله المادي المادي المادي المادي المادي
لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب	والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك
لا» إن الله جميل يحب الجمال	والله لأمثلن بسبعين منهم
لا يأس طهور إن شاء الله	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله
لا، بل لكل من عبد من دون الله	والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ١٢٣٢
لا، بل للناس كافة	والله ليتمن الله هذا الأمر والله ليتمن الله هذا الأمر
لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون	والله لو باعني أو أسلفني لقضيته
لا تأتوا النساء في أعجازهن	والله ليهنك العلم أبا المنذر
لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها	رائه ما الدنيا في الأخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه
لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم	هذه ني اليم
لا تجالسوهم ولا تكلموهم	والله ما صليتها ١٢١٢ ١٢١٢
لا تنجعلوا بيوتكم مقابر	والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن
لا تحرم الإملاجة والإملاجتان	والذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ١٦٠٠
لا تحرم الرضعة أو الرضعتان	رالذي نفسي بيله لأقضين بينكم بكتاب الله ٩٨٥، ١٣٥٨
لا تحرم المصة أو المصتان	والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة
لا تحلفوا بآبائكم	والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسار
لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم عليَّ حرام	بكم الوادي ناراً
لا تخبري عائشة	

المئيث الصفحة	الحديث المفحة
لا يتم بعد حلم (من من من ١٥٥) ٥٥٤	لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها . ٤٨٠
لا يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ٢٧١	لا تزول قدمًا عبد حتى يسأل عن عمره فينما أفناه 10٨٤.
لا يعل أن تأتوا النساء في جشوشهن ١٠٠٠ ١١٠٠ ١١٠١ ١٣٣	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها
لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل المسلم المعالم ١٦٥٠	لانتسبخي عنه
لايدخل الجنة قتات من المانا المقد و ١٤٩١ ١	الاكسبوا أصحابي
لا يدخلن هذا عليك الله الله الله الله الله الله ١٩٩٠	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ١٢٩٦
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ٧٩	لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا
لا يزال لسائك رطباً من ذكر ألله تعالى المسائك رطباً من ذكر الله تعالى المسائك رطباً	بالنحق و در داری در داری که ۱۸۳۶ میلود در داری ۱۸۳۶ م
لا يستحيي الله من الحق	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ١٢٧٨
لا يضرك بأيهما بدأت	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم 💮 🗀 🗚 ١٠٨٤٠
لا يَقْرَك مومن مومنة ٢٦٨	لا تقطع بد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً عَلَى السَّارِي ٢٨١ ١٨٠
لا يقبل الله دعاءً من قلب غافل لاهِ	لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسة ثم يجلس فيه ٢٤٠٩	دمها ۲۷۳ ، ۳۷۳
لا يئس القرآن إلا طآهزي المنافقة المناف	لا تقوم الساعة تحتى تبطلغ الشمس من مغربها عن الله الله على المداه
لا يَمُونَنُ أَحَدُكُمُ إِلَا وَهُو يَحْسَنُ الظُّنُّ بِاللَّهُ عَزُّ وَجِلَ ٣ ١٢٥٦ - ١٢٣٤	لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون الم
لا ينحني له، ولا يلتزمه ولا يقبله 🐪 💮 💮 ٧٢٠	لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ١٢٧
لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة من الدبر	٧ تنحن
حرف الياء	لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ٩٨٤
يار أبا ذرُّ إذا طبخت مرقة الله الله الله الله الله الله الله الل	لا حاجة لي فيه) المسلم المسلم المسلم المسلم الاسلام المسلم المس
يا أبا ذر تدري أين ذهبت الشمس؟	لا خلف في الإسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ﴿ ﴿ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ * ١٥٠٥ أَهُ ١٥٠٥
يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا؟	لا صلاة بحضرة طعام من المنافذ الكراب المائد المائد
يا أبا سفيد من رضي إلله رباً وبالإسلام ديناً. ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ٢١٦	لأطلاق تبل النكاح
يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	لا ظلاق لابن آدم فيما لا يملك 11٣١
يا ابن آدم أنفق أنفق عليك	لاً، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ٢٠٥
يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟	لا فضل لعربي على أعجبي المستحدد المستحدد المستحدد
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	لا قطع على الخائن ٢٨١
يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد	لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت الله الله الله الله الله الله الله ال
يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات «	لا نبوح حتى نناجزهم
0-3-3	لا نورث ما تركنا صدقة
يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله خفاة 440 يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	لا هجرة بعد الفتح
يا أيها الناس إنى قد كنت أذنت في الاستمتاع YYY	لا، وإنه قد أوحي إليَّ أنكم تغتنون في قبوركم (١٧٤٧ لا، ولكن لا ببلغ عني إلا رجل مني (١٦٥
يا أيها الناس أي يرم هذا؟	 لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني لا والله لا يلقى حبيبه في النار
ا يا ثوبان ما غير وجهك؟ ١٠٠٠ ﴿ ١٠٠٠ ٢٩٨	لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك
يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا ٣٤٩	لا يأمن حيث وجد
يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا (٨٩١	لا يؤلف تحت الأرض
يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر؟	لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض
يا رب كيف أصنَّع إنما أنا وحدي يجتمع علي الناس	أحد ٢٢٨
یا سلیك قم فارکع رکمتین ۱٤٣٧	لا يبقى على ظهر الأرض مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة
يا صباحاه ١٦٠٠، ١١٥٤	الإسلام ٥٧٩
اً يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه	لا يبولن أحدكم في الماء الدائم

الصفحة	العليث	العليث المفحة
1014	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً 420	يا حائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً ١١٢٣
417	يحمل هذا العلم من كل خطف عدوله	يًا خائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ﴿ ١٥١٨ ، ١٥١٨
	يخلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة	يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي
297	والتار	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
۸۳۰	ينرس الإسلام كما ينرس وشي الثوب	يا يعلني لا تتبع النظرة النظرة ٩٩٤
377	يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه	يا عماه إن الله قد عصمتي من الجن والإنس
1750	يطوي الله عز وجل المسموات يوم القيامة	يا عمر إن أولئك قوم عيملت لهم طيباتهم الم
1100	يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض	يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟
1770	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	يا عمر ضع سيفك
177	يقضي الله في ذلك	يا غلام إني أعلمك كلمات
,7A37	يقال لقارئ الفرآن: اقرأ هدتل	يا فلإن اخرج فإنك منافق
ϔ •۸	يقال للرجل من أهل الثار يوم القيامة	يا فلان يا فلان اشهدوا ١٣٦٩
IOVE	يقول ابن آدم مالي مالي	يا مرثد الزاني لا ينكع إلا زانية أو مشركة
1177	يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي بشفتاه. :	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
YAT	يقول العبد: مالي مالي، إتما له من ماله ثلاث	يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله
W t	يقول الله تعالى: ابن آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك؟	يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم
- ,	يقول الله تعالى: إذا همّ عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها	يا معشر النساء تصلقن ٢٠٢
74.	مليه	يا مقلب القلوب ثبت قلمي على دينك
•	يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين	يا ويح ثعلبة ١٠٠٠ ١٥٠٠ ١٩٦٥
71.V	، در ات	يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال
1000	يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	يأجوج أمة ومأجوج أمة
1.18	ً يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتلٍ بك	يَّالَمُ الله عز وجل إسراقيل بالنفخة الأولى ١٢٤٤
454	يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم فابعث بعث النار	يُؤتَى بالرجل الطويل الأكول الشروب العظيم فيوزن . ٨٧٣ ، ٨٨٥
7.1%	يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ١٠٢٢
£A1 ,	ازید	يؤتى بالموت في صورة كبش أملح
380	يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم	يؤكى يوم القيامة بناس إلى الجنة
1747	. يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر	يقسطها ويمدها مد الأبيم بد به به بالانتجاب ٢٥١
1070	يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	يتبع الميت ثلاثة
3731	يكشف ربنا عن ساقه	
1798	يكون النسيم طبرأ يعلق بالشجر	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ٧٢٨
A33	يلقى إبراهيم أباء آزر يوم القيامة	ينجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح
144	ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال	يبيزنك الثلث
1AY	ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا	يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل
1.14	يوشك أن يأني زمان يغربل فيه الناس غربلة	يهجرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة
		يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا

-	فهرس الشعر	
		1

المقحة	الفَسامر	القانية		صدر البيت
. • ••	الهمزة	حوف		
***	زمیر بن ابن سلمی	السيسننواة	telled	أرؤنسي خسطسة
Y	زمير بن أبي سلمي	الم الم		فنسإن تسدعسسو
11	زهير بن أبي سلمى	<u> </u>		ومُـــــا أدري
Y41 2	. ، زهير بن أبي سلمي	للما نشاء		وقنسد أغسستو
W	و مستنان بن ثابت و	لينس لنه كنفناءً		وجسبسريسل
Va	حسان بن ثابت -	نَسخِسب هسواءُ		الا ابــــــــــــــــــــــــــــــــــ
T • E.	الحارث بن حلزة	لسهسم فسيوفساة		أجسموا أمرهم
0 • 0		مسينيزوهسا	• • • • • • •	ويسشولسست فسسي
1740	قيس بن الخطيم	مسسا ورادهسسا		مسلسكست بسهسا
1/1	عدي بن الرعلاء	ميت الأحياء		السنيسس مسن
EAV		أعسراف السبسساء		ورثنست بستساء
004		إلسنى السسيسواء		فسأخسرب وجسوه
	الياء	۔ حرا		
A01	بشر بن ابي خازم	مسلم والمهلبُ		بــــاي بـــــــــــــــــــــــــــــــ
781 /37	كعب بن سعد الغنوي	ذاك مسجسيب	******	وداغ دعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
1841 . 1 . 7 .	علقمة بن عبدة	النساء طبيب		- ب فهان تبسياليونسي
1770 1744 (10%	علقمة بن عبدة	نصاليب		بها جيف الحسرى
VET	` التأبغة الدييائي	التكتميزه متلعب		حسلسفست فسلسم
14	النابغة الذبيائي	يستستبستب		ألــــم تـــر أن الله
V1.	أأذو الرمة	ولا ئــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	*****	تسريسك مستسة
VOT'	ذو الرمة	منتقنفه		كسأنسه كسوكسب
147	"الكميث	ولا زيست ب	*****	أنسسى ومسسن
1779	الكبيث	ومُستخسري		وجسدنسا لسكسم
£78	الكميت ﴿ ﴿ ﴿ الْحَمِيثِ الْمُعَالَمُ اللَّهُ مِنْ الْحَمِيثِ الْمُعَالَمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ	ومسللنسب	• • • • • • •	فطائيفة قد
YYA * *** ***		وعــــــقــــــربُ	******	وكسائسن تسرى
TO1	مَضَرَّب بن كعب	ذاك لــــبـــــــــبُ	• • • • • • • •	نغالتلها
VYV	الأخش بن شهاب	قسهسو سستاربُ	* * * * * * * *	أرى كسسل قسسوم
		لـــت ارغــبُ	• • • • • • •	وارغب فيسهآ
*	علقمة بن عبدة ^(١)	<u> </u>	• • • • • • • • •	كأنهم صابت
OY" ". ". ". ". ". ". ". ". ". ". ". ". ".		يـــــوبُ(۲)	• • • • • • •	فألست لإنسي

 ⁽۱) وهو في ديوانه، ص٣٤، ودمجاز القرآن، ١/ ٣٣، ودالطبري، ٣٣٣/١.

⁽٢) وهو في «الكتاب» ٢/ ٤٢٠)، و«الطبري» ١/٣٣٧ وه٤٤، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٠. و«القرطبي» ١٨٣/٩، و«شرّح شواهد الشافية» ٢٨٧، و«القبطاح» و«اللسان» و«اللبان» و

الصفحة		الشاصر	القانية		صدر البيت
۳۲۱، ۷۰۰			لـــهـــن ذنـــوبُ		فسإن تسكسن الأيسام
AFY			ومسبوعساتسب		ومسن لسم يستسسطس
777			الندهسر صاحب		ومسن يستستسبسع
۰۸۰		أصابئ بن الحارث	بسها لنغريب		فسمسن يسك
٥٣٥			فستسبص ويسوا		تــمــززتــهــا
. 793			طـــبـــبُ		تسقسول ابسنستسي
793			والخطوب تُشيبُ		تستسابسع أحسداث
٠ ٥٩٥		عبد الله بن قيس الرقيات	إن غــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		ميا تبقيم البنياس
090		عبد الله بن قيس الرقيات	عبليهم النصرب		وأنسهسم سسادة
78A .		. أبو أسماء بن الضريبة	أن يسبغس خسسوا		وليقيد طيعسنيت
74.			دونسك الأسسيساب		طبلبأ لتمرفك
44			ما يقول الكذوبُ		ليىس فىي الىحىق
707		,	فعلنا القليب		لسنسا ذنسوب
784, 4789	· ·	الفرزدق	عسلسي جسوابسهسا		تسيم بن قيس
V04		ذو الرمة .	وأخساط بسه		وقنسفست عسلسى
VOQ .		ذو الرمة	ومسسلامسبئسسه		وأسقينه حشى
AYY			ومسنسه تسوابسهسا		وكسائسن أصسابست
377	,	* * *	وخــــاربُــــه		فسقسلست انسجسوا
£ £		أبو الطحان اليقيني	ثــانــــــــــــــــــــــــــــــــــ		أضسناءت لسنهسم
*1 *		أبو ذؤيب	أدشد طسلابُسهسا		صصيبت إليها
10.4	r	الأعشى	كـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		فسمسدقستسهسا
DAE		'	لسغساريسه دائسيسا		ألبم تسرأن السدمسر
۸۳۸		الأعشى	كفا مخضيا		اری رجـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
017		الأعشى	منها تريبا		فسسسا أذكسير
707	*	أبو خراش الهذلي	مسلسيسا		جيريسمة تساهيض
VAN		أبو الأسود الدؤلي	وامسسسا		لا أبــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
1090		10	السمساعسون صسبسا		يسمسج صسبسيسره
٧٥٧		أوس بن حجر	تسخباليه طبنيبا		فبانبقيض كبالبدريء
1787		أوس بڻ حجر	النفتواد السمعتذب		خمليسلي مبرايسي
7371	:	أوس بن حجر	وإن لسم تسطسيسب		ألىسم تـــر أنـــي
٧٨١ .		النابغة الذبياني	بطيء البكواكيي		كبليني لهم
090		النابغة الذبياني	قسراع السكسسائسي		ولا عيب فيهم
٤٧٥		جرير	أر نقيق العقاربِ		كسأن نسقسيسق
444		أبو الغول الطهوي	أنسك حسائسيسي		أتسانسي كسلام
171	**	*.	ومؤها بالحواجب		فبقبلتنا السيلام
٥٥		مالك بن نويرة	مسرى السنتنب		يا صاح بىلىغ
484			ابسن أبسي كسعسب	• • • • • • •	لعمرابيها
۸۱۵		التابغة الذبياني	وبسالسشسرابِ		أرانا مرصديسن

⁽١) وهو في «الكامل» للمبرد ٤٦، ٤٧، و«أمالي المرتضى» ١/١٨٦، و«اللسان» ٩/ ٢، ونسبه في «الحيوان» ٩٣/٣، و«الشعر والشعراء» للقيط بن زرارة

المبقحة	الشاعر	القانية		صدر البيت
188	امرؤ القيس	بـــالإيــاب	• • • • • • • •	لقندنقبت
۳۱۸ .	النابغة الجعدي	المزاعم والمذاهب		ك ـــطـــو د يـــــلاذ
709 . 170	عمرو بن معد یکرب	وذا نــــــــــــــب		أمرتك المخسس
1178	سلامة بن جندل	إلى الأعداء تأويب		ينسومسان يسسوم
ITAY SECTION	مالك بن نويرة	والياقوت والنذهب		لــن يــــــــــــــــــــــــــــــــــ
YEAE * . *		مبع الـــحابُ		فبلو رفع السماء
1891	- *	عسمسدن لسغسري		احبس حسارك
**11 • • • • • •	· خريد بن الصمة	مواضع القشب		مستسبسذلأ تسبسدو
1707	عدي بن زيد	العبد بالنكوب		امشكشأ تبصفق
Y0Y 34	بشر بن أبي حازم	انقضاض الكواكب		والنغيس يترهقها
17.7	34 41	طهوال السننسب		جئاؤوا بسعسيسد
	والتأء	حرف		
VE•	قیس بن ڈریح	£		إذا خــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
VE•	قیس بن ذریح	ودعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		دعسوت الستسى
£ 77 3	يزيد بن ضبة	يفجؤك البغث		ولكنهم بانوا
1017		إن مسشسيستُ		ومــــا أدع
** V	السموءل	الحساب مقيت		ألبي السفسطسل
ITTV	رؤبة	سراها لسيت		وليلسة ذات
141		واستنقبت		ومستسهسل فسيسه
T.V	أحيحة بن الجلاح	مساءتيه مقيستا		وذي ضــــــــــن
7.4		إذا أتـــــــــا		ابسلسغ امسيسر
TAA	f or an experience of the second seco	فنهيث منيشا		إن الـــعـــراق
7.89		بهالهيتا	• • • • • • •	قــــد رابـــنـــي
	م کثیر	الألسيسة بنسري		قسلسيسل الألايسا
OAA	المحالين المحالية ا	إن تـــقـــــــــــــــــــــــــــــــــ		أنسيستسي بسنسا
1748	٠٠٠ کثی ن ۱۰۰۰ کثین ۱۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰۰ ۲۰۰	السوصسلَ مستلَّستِ		صمقموحماً فسمسا
**		ناقىنىسلىت		أميسن ومسن أعبطباك
V17	· Corre	سنمعي وطاعتي		أتبرجبو بسنبو مسروان
Y78		كسيسرت لسدائسي		مسن السلسواتسي
1774	***	تدأمنيت	• • • • • • • •	حلفت بالسبع
1774		<u>ئا ئ</u>	******	ويــــمـــــانٍ
1779	e variable e e e	نــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		ويسالسحسوامسيسم
	، الجيم	حرف		
1.00	النابغة الجعدي	تهملِجُ		بسأدعسن مسشسل
1.44		ونسارأ تساجسجسا	• • • • • • • •	مستسي تسأتسنسا
181. (181		ونسرجسو يسالمفسرخ		نحن بنو جعدة
7701	u 4,	مبلاء المنسساخ		يا حبذا القمراء
	الحاء	حرف		
ξγ ,	· ذو الرمة	مسيسة يسبسرخ		إذا غير الناي

المفحة	ol ell	القانية .		صدر البيت
	، الثنامر 			
. F3 + FA	فو الرمة	في العبين أملخ		بسدت مستسل قسرن
10TA LTAA	تميم بن مقبل	السعسيسش أكسدخ		وميسا السندهيسر
YOA	نهشل بن حري .	طوحته الطوائخ		لسببك يسزيسد
A01		السعسيسش أرواحُ		وكبلشاهيميا قيد
۸0.	أبو ذؤيب	السعساب مستبسوخ		إنبسي أرقسست
0.7		واسستسريسخ		إنسسي لأرجسسو
Y•A		وذبـــائـــــــــــــــــــــــــــــــــ		وانتضبع جبوانيب
***	التمو بن تولب	عبلني كتشبوخها	, , , , , , , ,	أقسارض أقسوامسأ
1.89	أبو ذؤيب	الـــمــروحــا		على طرق كنحور
1787	مضرس بن ريعي	واجستسز شبيسعها		فقلت لصاحبي
ነፖሊስ ሲኖፕፕ		سيسفأ ورمسحا		ياليت بملك
270	عبيد بن الأبرص	يسعسشسي بسقسرواج،		فسمسن بسننجسوتيه
117.4	بشر بن أبي خازم	كالإبسل السنساح		ونحن على جوانبه
10.7.07	چرپو	بــــطـــنون داح		السستم محيسر
1.47	جرير	فسن جسنساحسي		مسائسكسر إن
1740		وبسنسي رزاح		وأعبسبسد ان
4.4		والسجسناح		أضحه ليلصيدر
1070	•	بــــه بـــــرغ		ألا يسا أيسهسا
1070		لــــــه أروغ		أرى الـــــوت
	الدال			
1871	حسان بن ثابت	السقسدح السفسرة		وأنست زنسيسم
AVE	حسان بن ثابت	نسها بخلد		فهنسان تسسواب الله
TAA	الحطيئة	والسبسمسة		ألا حسسا مستسد
aY• .	الحطيئة	أديستسكسم فبسألوا		فتكسيسف ولسم
۵۳۰		ريـــــرلــــــــــــــــــــــــــــــ		تعز أمير المؤمنين
0.1	عروة	مننك بسعيسة		عسسية لا عنفسراء
477		نـــوف تـعـودُ		أنسا ابسن السذي
477		حولها وقعود		تـــبرى الــــنـــاس
04•	الرام	الله شنب		إمسا السغسقسيسر
TIVA LTET	ال رامي ن ساده	ملويٌ ومحصودُ		بر جــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
7.40		وأذرك المعجلود		
~~~	الأعشى	والأكسباد سبوة		•
IVA TO THE TANK THE T	الطرماح	انسقسفسی اسله		كـــــل حـــــى
778	، الأعشى	ترور محمدا		فاكست لا أرثى
TOT	_	بها بنا		- · · ·
15·A ( 2·4	العرجي	ولا بــــــردا		
17.	العر <i>جي</i> حطائط بن يعفر	رر بـــــرد أو بـخـيـلاً مـخـلـدا		أريسنسي جسواداً
A13	الأحوص	جـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		
<b>*1</b>	، الاستوص	أهدونسنسا وجسدا		رد. کست خرب. فسفساست لسه
77	· ·			
• •	+ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	سباريسحيه جسهسا		المسيس والمسساد

الصفحة	د الشامر	. ن القانية		صدر البيت
<b>T</b> 0		ما بيششا بعدا		تسبساعسد مسنسي
TT1.	ss y New y	أم واحــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		لا تىرتىجىي حىيىن
<b>YY</b> **	٠	م		تــــع نــي
077	ur. 8.	الحلي جيدها		مسن السبسيسض لآ
1271		عـــــواداً		وإن شئتم تعاودونا
173	عدي بن زيد	أو في ضحى الثد		أعاذل ما يندرينك
946	المقنع الكندي	شيشمة البعبيد		وإني ُلعبد الضيفِ
1771 . 80	الأشهب بن رميلة	يسا أم خسالسد		فأن اللذي حيانيت
787	متمم بن نويرة	طسريسف وتسالسد		بسبودي لسبو أنسي
٧٣٠		السماء بألسي		فأصبحت مما كان
4.1	عدي بن زيد	غيبك الستردد		أعساذل إن السلسوم
1.47	طرفة	أنست ميخسلسدي	******	ألا أيبهلا الزاجري
1071.97	طوقة	فيتها باوحد		تسمسنسي رجسال
104.	طرفة	الباخل المتشدد		أرٍى الــــمـــوت
1774	الحطيثة	خسيسر مسوقساي	*****	محتسى تسأتسه
1237	الأشهب بن رميلة	دمىساء الأسساودِ		أسبسسود شسسرى
<b>8V</b>	· Sur	جسرهسم وتسمسود	******	أنحوي هذا العصر
<b>8V</b>	A	مقام جيحود		إذا نسفيت
1077	. ///	عـــــلـــــى رود	******	تكاد لا تشلم
V14	هائئ بن شکیم	مسن أمسر يُسمسردودِ		يبيا مساحبي
17+4	الأسود بن يعقب	ثسابست الأوتساد	******	ولسقسد فسنسوا
AYY	النابغة اللبيائي	مسرورة مستسهستجسل	*****	ولبو أتبهنا عبرضنت
AYV	النابغة الذبياني	وإن لسم يسرشسد		لرنا لبهجتها
777	النابغة الذبياني	جسايسة السبسرة		أبسرت عسلسيسه
4.4		عقوبة المشعمد		شكسلتبك أمسك
<b>***</b>	- N	قسديسم عسهسد	,	تبجبوت مبجبالبلأ
<b>M</b>		مسؤتساب وغسادي		وپــــن پـــــــــق
1.EV	حسان بن ثابت	فسسي رمسساد		عسلسي مسا قسام
107.	امرو القيس	الحرب لانقعد	* * * * * * *	فسيان تسدفسنسوا
01	الفرزدق	ولـــم يـــواد	* * * * * * * *	ومسنسا السذي
V-1	النابغة الذبياني	ار نصفهِ نقدِ مُ		
1084	أبو زبيد الطائي	عُصرة المنجود		صادباً يستغيث اعتبر أيسها
3147	حميد الأرقط	بالعمي المديد		احسنسبسر ایسهسا قبلنسی مین نسمسر
004	حميد ۱۱ رفع	بالشجيح الملحد أمــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		قىنىسى مېن سىسىر ضىسنىت بىسخىسد
1.4	الأعشى	اصبيد عـنــد حــدادهــا		فقمنا ولما يضح
17.7	الاعشي سيرة بن عمرو	وبالسيد الصمذ		معمنا ولما يصح لقيديكر الناعي
177.	سيره بن عمرو الجارث بن دوس	نسزار بسن ميهسد		وشسيساب حسسن
194	منظور الوبري	سرار بس مبهد لیسوا من أصد (۱)		إن بسنسى الأدرد

⁽١) وهو في المجاز الترآنه ٢/٢٣٤، والجريب القرآنه ٣٤٦.

المنعة	الشامر	المتانية	صدر البيت
£19 ~		الـــــاذ	 إلــــى أمــــيـــر
1770	,		
٧٨٣			·
	الراء		•
1797	حاتم الطائي	وضاق بها الصدرُ	 أمــــا ويُّ
1894	* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *	يسوم قسمساطسر	 بنني عنمننا
0 • A	خاتم الطائي	بكأسيهما النعر	 غينيينا زمانا
۸۰۸	حاتم الطّائي	بأحسابنا الفقر	 فسمسا زادنسا
ATA	دُو الرُّمَةُ	يحديمه الحمقادر	 ألا أيهذا الباخع
79.		وتسسلم عسامسر	 فسلا يسدحسنسي
V+1		<u></u>	 فمأ عصمة الأعراب
VIA	أبو صخر الهذلي	يسطسلسع النفسجسر	 إذا قـــــــــــت
48.	أبو صخر الهذلي	ولسك السشكسرُ	 ولا عـــائـــدأ
V£A .		السهسوى لسمسيسور	 وإن فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
'FAY		يُحدك فِيدرُ	 ولسو أن نسفسسسي
<b>FAV</b>	•	السلسسام قسلورً	 ولكنها نفس
٥٥	•	عسامسداً أجسرُ (١)	 وصساحسب صسدق
Y10	أعشى باهلة	السنسونسلُ السزُفسرُ	 أخسسو دفسساليسب
179.	أعشى باهلة	شربسه السغسمسر	 تسكسفسيسه حسزة
1.8 •	Pa - , cs .	لـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	 إن امــــرءاً
<b>Y</b>	أعشى باهلة	شرسوفه الصغر	 لا يسغسمز السساق
175	A Comment of the Comm	إلى جيراننا صُورُ	 الله يستعسلسم
££A		يسنسفخ السمسور	 لبولا ابسن جسعنا
PA1 AF61 A3F	A the serger	تستشسج السقسدور	 تبغيالي البليجيم
PPY 37F	العياس بن مرداس	الإحسن السصدورُ	 فنقبلننا اسلموا
70°		ويسسوم تسسسر	 فسيسوم عسلسيستسا
٤٥ ~ .	النمر بن تولب مسكين الدارمي (٢)	لحبحابحه سخسر	 مــــا ضــــر جــــاراً
٤٥ '	مسكين الدارمي	جسارتسي السخسدرُ	 أعسمسى إذا مسا
£0	مشكين الدارمي	كسائسة وتسرر	 وتسصسم عسمسا
1.14	عبد الله بن الزبعري	إذ أنــا بــررُ	 يا رسول المليك
1884	توبة	ويسسورها	 وقسد رابسنسي
٠٠.	خالد بن زمير	إذا منا نسسورها	 وقساسسمها بسالله
٧٦	الحطيئة	السحسيُّ حساضسرُه	 وششر السميشيايسا
	النابغة الجعدي	قـــد يـــــــــــــــــــــــــــــــــ	 السمسرء يسهسوى
λον	النابغة الجعدي	السعسيسش مسرأة	 ثغنىبشاشته
10A	النابغة الجعدي	شيبنا يسبره	 وتسصسرف الأيسام
1884 -		الـــهـــواجِـــرُ	 يا ابنة عمي لاحني
£0V	أمرؤ القيس	السسسر أحتمرا	 فكأثست أعسالسية
* * * * * * * * * * * * * * * * * * *		*** <u>**</u>	 (۱) الست غير منسوب في

⁽١) البيت غير منسوب في «مجالس ثعلب» ١/ ٨٥، و«اللسان» ٢٦٨/١٥.

⁽٢) الأبيات الثلاثة في الشعر والشعراء؛ ١/ ٥٣٠، والمعجم الأدباء؛ ٢٠٦/٤، واأمالي المرتضى؛ ٢/ ١٢٠ و٢٣٠، والباب الآداب؛ ٢٠٦٠.

الصفحة	الشاعر	القانية	ر البيت	مد
1404	امرؤ القيس	تسملك بيقرا	مل أتاما	זע
79.		جسزاء مسوفسرا	ـــــزی ریـــــه	<b>-</b>
٦٢٨	الفرزدق	كسسان أضسسسرا	ــــا رأى	ولـ
۸۱۱	الفرزدق	يسبخ مسكرا	ـاحـاضــر	ابــ
119.	المخبل السعدي	أذل وأقسسهسسرا	ننی حصین	تــ
77/1	الأبيرد الرياحي	آل أبـــــجــــرا	مسمسري لسشسن	ك
18AY	ليلي الأخيلية	الشعام التمشقيرا	ــــوهــــا	
3471	. ,	الأراك بسه خسفسرا	غاً عبداد الله	
790		أكسبسرن إكسبسارا	أتسي السنسساء	
174.	مجريو مجريو	والسقسمسرا	شمس طالعة	
٥٧٥ - ١٨٠٠	أبو عريف الكليبي	ووقــــارا	لــــبــــر	
1411		الشكات كسيسرا	ف الصفون	
1174	•	إن نــــــــارا	ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
<b>EVA</b>	الراعي	واستستسفسارا	ــــه أشــهــرا	
188	ابن أحمر	السفسرح الإذارا	يـنـــيـنـي	
011	أمية بن أبي الضلت	أمسس كسبسيسرا	سجسدوا الله	
0++	أمية بن أبي الضلت	السسمناه سنريسرا	لبناء الأصلى	
0 • •	أمية بن أبي الصلت	صـــــورا	رجعاً لايناله	
798 , 897		بيننا مستعارا	شسرب الإثسم	
T+8	الأسود بن عامر	مسبسداً كسفسورا	سيست قسولسي	
YV4	أبر دؤاد الأيادي	بالنائيسل تسارا	سُسِل امسسري	
14.4	الأعشى	وخسيسلاً ذكسورا	ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
1899 (770	الأعشى	وأريساً مسسارا	أن السقرنسفيل	
1897	الأعشى	تأيها مستظيرا	بسانست وقسد	
177	-,	النغنى والنفقيرا	ازی الـــمـــوت	
Y.14	•	كسهسرة وزبسرا	ئىلىسىت لىسە	
VA		أم حــــمـــارا	ـولــى غــلامــهــم لت عيب الأكرمين سكرا	
178	**,		لت عيب الا درمين سحرا كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا	
£V0	,	وذا ظُــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		
	. 5 a.1		حــل بـــلاداً	
901	الزاعي السند	أرض عـــاســر	أدبـــــــر	
477	برو <b>ني</b>	حنمام السقادر	منی کستاب	
487		عسلسى عسمسرو	ان حسراماً	
ASV		منتصح الصَّدْرِ	۰ر رب	
	عبيد بن وهب العبسي	فسيسرُ مسنسكسرٍ	ر. مأرض فسضساء	
A10		الأنبام المستحر	ان تساليناًن	
1871		ر في العرف والنكر	ان خير الناس	
111	يرد . <b>دُو .الرمة .</b>	طمت على البحر	ـ كـــم قـــدم	
YEA.	****	نسهسضاً إلى وكسر	ــــأن فــــــــؤادي	
V18	A sept for	بـنـي صـخـر	مانتنت	نـ
		•		

المفحة	الشامر	القائية		صدر البيت
٧٨٠	زيد الخيل	سجداً للحنوافر		بــحــيـش
<b>£</b> £V	الشنفرى	مبسلاً بالجرائر	• • • • • • • •	مسنسالسك لا
<b>{Y0</b>		ولا ظـــــفـــــري		لسغسد كسنست ذا
40	•	المدجنات المواطر		مـــــة الله
To .		حتمنام السمقنادر		أمـــــــن وأدى
89	الراعي	واعشزينا لعامر		فبلبمنا البتيقيت
٨٥	۔ عمران بن حطان	جاحم النجمس		يسرى طساعسة الله
107		وآل أبسي بسكسر	•••••	ولا تسبسك مسيستأ
777	الفرزدق	التسطين مستشود		مستقبلين
<b>£Y</b> p	,	قسيسد إظسفسور	• • • • • • •	مايينلقمته
1.75	تميم بن مقبل	ولا دعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		بساتست حسواطسب
1801	الأخطل	وقسعسة السساري	• • • • • • • •	نازمته طيب
Y08.	تميم بن مقبل	عبتسا عوري	•••••	لإسوامنا التحيياء
908		لا يسترأن بالسور		هببن السحسرائسر
ο <b>Λ•</b>		ر فيسيسر فيسلود	• • • • • • •	إنسي ضسمسنست
Y • Y	الربيع بن زياد	بسوجسه نسهسار		من كان مسروراً
17+A		بتسليم الأمير	• • • • • • •	فلست مُسَلِّماً
1011		سسفسه وعسادٍ	******	أحسسافسسرة
	, \$1, at a	بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	* * * * * * * *	هما استويا
1.4	بقيلة الأشجعي	ثـــــة إزاري	• • • • • • •	الا،ابــــــــــــــــــــــــــــــــــ
VV	الحليئة	بسالسجسلر	• • • • • • •	شهد الحطيشة
۷۷۳ ، ۲۰۲	<b>زهیر</b>	ومسسن شپيپهبسبر	• • • • • • •	لسمسن السليسارُ
9V1 >-VT	ۇھىر دەر	ئــم لا يـــفــري		ولأنست تسفسري
1.40	زید بن عمر بن نقبل	جشتماني بنكر	*****	ســـالـــــــانـــي ويـــــــــــــك أن
1017	زيد بن عير ب <u>ن ن</u> فيل الأعشى	عـــيــش ضـــرً		اليبو أمـــنـــدت النبيو أمـــنـــدت
1017 FO-A	الأعشى	إلىسى قىسابىسر لىلىميىت النباشر		حبيتى يسقسول
1844	، مسى المسيب بن علس	ومسلافة النخسر		مسمسی بسسون فسکسان طسمسم
٥٢	علي بن زيد علي بن زيد	وانتظاري		أبلغ النعسان
V:1	عدي ين زيد	بالماء اعتصاري		لو بغير الماء
TEE	الخرنق بنت هفان	وآنسة السجسزر		لايسبسن
711	الخرنق بنت مفان	مسعساتسد الأزر		السنسازلسيسن
1VA ,	,	نيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		مىن كىمىيىت
1797		العيسن الحيسر		أزمسان عسيسنساء
1070		الكاتب الحميري		حسؤقست السديساد
1018 3101		او ســــرارِهــــا		ننحن صبحنا
£1	ر المبينات المساحد الم	ربيعة أو مضر		تسنى استساي
10TV (7.44)	» <b>لید</b> ».	فسقسد اعستسفر		إلىسى السمحسول
TYY	النمر بن تولب	وســـــاء بِرَرْ		سنسلام الإلسه
<b>4.20</b>		قىسول نىسكىسىر	• • • • • • •	أتستسنسي لسسسان

الصفحة	الثسامر	القانية	صلو البيت
<u> </u>			
VEA . 1VA	امرؤ القيس	ناح انتجار	والمتني بسهم
171	•	نعسل التضجير	أخسلتم عسزة
<b>**</b> ***	عبيئة بن همام	بىشىپى ئىكىڭ	أتبونني فبلتم أرض
۷۷۴		السلسحسم ضسررٌ	يعلفها اللحم
1899	Siz & .	مـــا زهــــز ٠	وليسلمة ظلاممهما
<b>Y.• 1</b>		· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	وإتسمنا النعبينش
•••	الزاي	حرف	
PÁOS YAOL	زياد الأعاجم	البهاميّز البلميزه	إذا لــقــيــــــــــــــــــــــــــــــــ
סדדי אוד	الخنساء	مــــــرُ بــــــرُ	كان لىم يىكونوا
AT4	1,3%	الأجــــراز	قبد جرفسيسن
75	` رؤية	بــالـــرجــــز	حستسي وقسمسنا
•	استوار	حرف ا	,
988	<b>U.</b>	هاهسنسا وأسُ	بستسوب وفيسنسار
<b>A8T</b>	•	أيمانهن الفوارسُ	بسسوب وسيسدو المسي قُلسمسن
AY0 . V1	عدي بن ربيعة	يا كليب المجلسُ	بىسى ئىسبىسىت أن
79		النباء الجلسُ	خيـــر مـــن
	النابغة الجعدي	بالغزاد التباسا	أضساءت لسنسا
1+A	النابغة الجعدي	عليهلياسا	إذا ما النضجيع
17A+	التايغة الجعدي	نبهنحاسا	تسفينىء كسفسوء
0.70	ذو الأصبع العدواني	: أشرأ بسيسا	جبنتأ على
£77	المجاج	وأبسلسسا	يسا صساح مسل
1071	علقمة بن قرطِ	وعــــعـــــا	حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
1740		·	لا تـــخـــــــــــــــــــــــــــــــــ
YA•	. جويو	جلد الجواميس	السواردون وتسيسم
1774	الخساء	لقتلت نفسي	ولبسولا كسشسرة
1774	الخنساء	عنه بالتبأسي	ومسا يسبكمون مسشل
A0 ·		كلون السندس	ولمبيسلسة مسن
AT3	رؤية	صسفسرة وإبسلاس	وحسفسسرت يسوم
To the second	• •	۔ حرف	**
1047	, , , , , , , , , , , , , , , , , , ,	تسريعتا	وُقْسُريسش هسي
	1		وقسريسس مسي
	الصاد	حرف	
17•Y Eqv	امرؤ القيس	وتسسبسوص	أمن ذكر سلمى
	<b>.</b> .	مُن	
٠٤٠ ٥٠٥، ١٣٧٠ ٥٧٢١	** *	زمسن خسمسيسصُ	كــــــــــوا فـــــي
	الضاد	∞ حرف	F 1
<b>17•</b>		وأدت بسعف	دایسنست آروی
AVS	طرفة	أهمون مسن بمعمض	أبسا مسنسذر
141		وانعمي تُبْيَضِضي	إن شــكــــــــــــــــــــــــــــــــــ
:	4	وطويتن عمرضي	طنول السلسيسالسي

الصفحة	الشاعر	القانية	صدر البيت
<b>Y:\Y</b> .	رزية	بالمنعضى	ول <u>ـــــئـيــــــ</u> س
	الطاء	حرف	
101.		وطنوراً واستطا	أمست همومي
* 2·4	العين	حرف	
197	النابغة الذبياني	تبتغيه الأصابعُ	وقسد حسال هسم
<b>£Y</b>	النابغة الذبياني	إلىك نسوازع	خطاطيف حجن
۰	النابغة الذبياني	وذا السعسام مسابسعُ	تسوهسمست آيسات
<b>TEA</b>		لعينك مَـنْمَعْ	فسسانسوا فسلسولا
077		في رحمة الله أطمعُ	فپيسا رب لسيسلسي
٥٢١		السريساحُ السزعسازعُ	مسنسا السذي
<b>EAA</b> '	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	كىلىپ،مجاشـغُ	أرى السخسطسفسى
737	البيد البيد	عليها الأصابعُ	ألسيسس ورائسي
1014.1.40.117	رام <b>لبيد</b> المحاصرية	إذ هـــو ســاطـــع	
V\E	as Fig.	وتـــقـــــــــــــــــــــــــــــــــ	فسما فسنست
777	- قيس بن ڏريخ	مسالسهسنٌ رجسوعُ	
dhh	عبد الله بن-رواحة	من الصبح طالعُ	
arr .	عبد الله بن رواحة	بالكافرين المضاجعُ	
A%*	بيهس العدري-	أفرحتك الودائعُ	
, PYY1	£	والشجوم الطوالعُ	
18A7 - 19 19 19	غيلان بن سلم <del>ة ا</del> لثقفي	فسدرة أنسقسنسخ	<del>"</del>
1871		السدهسر تنابيعُ	
77.5	چرپو ^{۱۱} د د د د	والجبالُ الخشَّعُ	
100	أبو ذؤيب	لاتـــنــــغ	
٣٨٠ ٠	أبو ذريب	الستسي لا تسرَقُسعُ	
1708	أبو ڏڙيپ 🐪 💮	السسوابغ تُسبُّعُ	
440	· • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	ضسربٌ وجُسيسعُ	•
V1A			كأن بياض غرقه صديعُ
91. 1771		وأمسري مسجسسيعُ	
978	الأحوص	إلىك رجوعُها	
Kil.		الكمي المقنعا	
787 (٣٠٣	امرؤ القيس	ليك مندنسيا	-
<b>£££</b>	مسهر بن النعمان	كواكب أشنعا	7
V•A		القصائد مصنعا	•
1484		عرضاً مصنعا	W
	الأعشى	المرءمضطجعا	•
177, 3.01	الأعشى	الشيبُ والصلعا الخليل خدوعا	- <del></del> -
Y•K	+41		
	* *	تتبعه اتباعا	وحسيسر الامسر إليك إليك ضاق بهم ذراعاً
378 /	**	نـديــنـعـا	
£0A	j.	٠٠٠٠٠٠٠ ليسد يستنبعينا	مسي مسبسابٍ .

الصفحة 	الشامر	القانية		صدر البيت
VE4		شيشأ اطمعا		انتغيض نسحسوي
<b>T97</b>	الأضبط بن قريع	۔ تــــد رفـــعــــه		لا تسنذل السفستسر
Y04,		لسيس بسجسائسع		ونسقسفسي ولسيسد
17.	خبيب.	مسصيئرعسي		ولنسست أبسالسي
17.	٠ • • • • • • • • • • • • • • • • • •	شسلسو مسمسزع		وذلـــــك فــــــي
	مالة <b>الشماخ</b> من المالية	عـــن ربـــوع		نصيب
404.	إند الشماخ ، . ، . ،	مسن السقسنسوعُ		المنسسال السمسرو
188	ن العطيئة. من المحلية المناسبة	أنبف البقيصياع	• • • • • • •	ويشحسرم مسبرا
010.	ر عمرو بن معدیکزپ	وأضــــــغ		ياليتشي فيها
<b>81</b> - A - Part - P	ر أسويد بن كاهل. أ	الـــريــــق خــــدغ		أبئسيستض السلسون
٠	سوید بن کاهل	أصم المبستمع		سناجد السمنىخس
7.77	السويد بن كاهل الله	للحسسي رتسع	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	زحئييب لي
74.4		صاعاً بساغ	* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *	لنشبساجسف
	، الغاء	خرف		•
AEV	م <b>ررد</b> ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰۰ ۱۹۰	قــــــي وزائــــفُ		ومسسا زودونسسي
1097		القلوب الرواجف		ولسسمسا دنسسا
4.4	الفرزدق	ار مسجسلسٹ	• • • • • • •	وعسيض زمسان
***	الفرزدق	إيسلسياء مسشرت		وبسيستان بسيست
V1A	ٱلْغَرْدُقَ	قدوم تسقسسنت	*******	ولسيسس صسريسر
V1A "		الشنباء المخلف		ولييس فستيسق
788	e english to	الشمس كاست		وينضبحك عبرفيان
147	,	حسيسن نسزاحسف		ونسحسن أنساس
197	To the	نيناتخالت	• • • • • • • •	جسماجسنا يبوم
17.71		الخروع المتقصف	• • • • • • • •	ألــــم تـــرأن
971	and the second s	ولا طــــــرث		بسنى السمهاسب
178 - (1107 .04.	y	والبرأي منختسلنگ		نحن بما صندنا
44.	en e	تسكساد تسنسفسرت		تـــنـام عـــن
		مسيسرهسن تسزخسف		لـمــن الــظــعــائــن
V.E.Y		عسلسي الأكسفسا	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	يــــردون فــــي
770	; 1	عبلي البوظييفيا زليفياً فيزليفيا	• • • • • • • • •	قـــد أفـــنــــى
777	العجاج العجاج	رسعا فارسعا کی تازجالیا		نـــــاج طـــــواه والــشــمـس قــد
788	- Ferri	تـــي سـزحـــــــــــــــــــــــــــــــــــ		والمستحسس مسد
٤٩٧	es y	إلىـــــى حــــــــــــــــــــــــــــــ		•
۱۳۳۸ ، ۲۳۸	الوليد بن عقبة	الإيــــــــــــاف		قلنالها
	القاف القاف			
VT1 6,197	•	تىسىسىدون		فسلا السظال
ξ <b>Υ</b>	حميد بن ثور دومة الرمة	كسادَ يسبسوق		•
1.41	i aga i	الماديب المادي		• -
17AV '	عدي بن زيد	يمينها إبريقُ		

. الصفحة		. الشنامر 	القانية		صدر البيت
1•YA			دمــوعــهــا شــرق		لنسم انسس
1. YA 1, 1	•	From the second to	•		وقنولها والركباب
11 <b>Y</b> T +		tale per alla series de la companya			بال نطفة
A£9		الفرزدق	_		تمنيتهم حتى
1079		various as as as a			إتالنا
					قىالىت سىلىسىسى
A4A		روحات این سیمان ساع مسام			قسضست أمسوراً
{V\$		والساد الساد الا			سنامنعها
<b>ξΛ</b>		en Like karen era ar ek	م ﴿ كِسَالُ مِسَولُسِنَّ ( أُمَّ		وقسلستسم لسنسا
£A .		and the second	-		فلما كففنا
107.		الأقرع بن حابس	•		إنــــي امــــرو
1897,		، اطرفة ، ، ،			فننفسك فبانع
TSA		me in the	•		وإلا فساعسلسمسوآ
113		و وف بن الأحوص	. بـــدم مـــراتين		وإسسىالسي بسنسي
					جستسى اسستسوى
17-1			. مـــخ زاهـــتِ		ومستسلم
1 • F I	• •		·	• • • • • •	قسد كسنست
		e e e e e e e e e e e e			ضبحبكبوا والبلغير
1.40		parents on the second	. لەبالىمىنى		مــــن شـــاء
1078		and the second s	. عملي المنسماريُّ		نهدسن بسنسات
1878			_		وقيـــامـــت
94.			، تُـــــِـــــــــــــــــــــــــــــــ		چـــان بـــه
94.		لكاف حوال	حرف ا		1.
ŤA		المستقلف بن للبة			أقتول لبه والبرمسيح
41.					يئنا مساذلسي
Y. Francisco and all		har general dans			واله أستسمسناك
LOAG . PAGE		أحجب المطلب و	-		يــــارب لا
STYT		4	. مذحجاً وعمكا		يفة مكة الفاجر
FTA		- ، فو الرمة ، ،	. الــــدوالــــــــــــــــــــــــــــــ		منضابيح ليست
104.		عبد المطلب	. فامنع حبلاليك		لاهـــــم إن
		اللام	حرف		
18.0		أبو خراش	· واستسراحٌ العواذلُ		وعساد السفسنسى
18.0		A Lot water and a lot			ركساب حسيسل
ITAE		ۇ ئىلىدىنى <b>ۋھىر</b> ئ			بنخيسل صليسها
TVÝ	•	Service of the servic			إذا غبضل البواشبون
1.97 .08.		🦠 معن بن أوس	. · ·		لىعىمىرك منا أدري
٠٠		عبدة بن الطبيب	. قسوم مسعسازيسلُ		إذا أشــــرف
<b>VL1</b> ^f · ·		in	. أظلاك كن طنويل		أيسا أثسلاتِ السقساع
		• • •	_		
a. esta.			.٣٦٤، وفأمالي ابن الشجري، ١/١ه.	ي دالطبري؛ ١/	(()، ﴿ البيتان غير منسوبين رَ

المفحة .	الشاعر	التاثية	صدر البيت
744	9 15 5 15 15 15 15 15 15 15 15 15 15 15 1	لملوشاة جمزيل	فيإن مسأل الدواشدون
<b>178</b>	e e e e e e e e e e e e e e e e e e e	بعدما فمطيل	منليم باليالي
444.	Constitution of the constitution of	أنبت للنبينقسل	رأيـــــت ذري
17.0	<b>ڏو الرمة</b> - ڪٽ	النقموم يننتمغمل	ومسنن جسنوف
	الله ورقة بن نوفل ما الله الله الله	السمسيد مستسرل	وجبريل يأتيه
<b>Y</b> Y"		حسو المستنسلُ	تكلائسة أحسباب
		كذاك فسلسسل	أثنائت قبليبلاً
4.4		لها نسغسلٰ(۱)	يستنسون لسلسيا
1 • 17.1	الراعي	تسلقيائسك الأمسلُ	أمَّىناستُ محسرك
1728	القطامي	المستعجل الزَّلَلُ	قىنىد يىسىدرك
1.91		مسبسل مَسطِسلُ	مُـــا روضـــة
	الأعشى المناسبة	إذ دنسسا الأصنسل	يـــُومـــاً بــاطــيـَــب
14V "		ينحفى ويشتجل	نسي نستسيسة
1700	( )	لا ريـث ولا عُـجـلُ	كأن مشيتها
1.98 .014	الفرزدق ألم الفرزدق	أعــــز وأطــــولُ	إنّ الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	"الأحومن (" " " )	التصنفود لأميسل	اصبحت امنحك
0·9 (AA	شمير بن الحارث الفبي	مـــا أقـــولُ	دعـــــوت الله
1017 .077	` أحيحة بن الجلاح	مستني يستسيالُ	ومــا يـــدري
777		لهايستهلُ	تنفيحك النضبعُ
V18		مسا حشمنلبوا	لِنَم يسشسمسر
VYE	· ·	حنيسها الإبل	تساله أنسسسى
00	الفرزدق أأراق	يستبيا	فـــان الـــــني
7+0		صديقكم سالك	لسّانك معسول
۸۳۲	الأعشى الأعشى	a to	نسمسالسحكسم
4•1	ضابئ البرجمي	تبكي جلائله	•
778	e de la completa de La completa de la co	بالعقيق نواصله	وأيسهات أيسهسات
<b>***</b>	توبة بن مضرس	أنسا آجسلسه	وأهسل خسساء
¥07	الرماح	البخلافة كامله	وجيدنا البولييد
841	· pani	تسقه أناملُهُ	وإنسي وإيساكسم
		ند اجله	السيسوم يسبسلو
YAY 1804 . 80 .	No. of the second	حسوامسيا	مېرب
The state of the s	and the second of the second o	السرساب خسيسالا	كىلېتىك مىينىك لىبىيىك مىلىي
	, a many of variety	السلسيسل أرمسلا	_
YAA	الأخطل	اللقاح المطافلا	= '
**************************************	الاخطل	فسوقه جسمسالا	ضبختم تعملت مرابع
	عدي بن زيد	<b>ن</b> ـــد نيـــمـــــــــــــــــــــــــــــــــ	وجاعل الشمس
iin.	بر أمية بن أبي الصلت	بسعسد أبسوالا	تنطيك المحكارم
<b>YY</b>	ما چوپور د استان د استا	وكسذبسوا مسينكسالا	عبدوا الصليب
	enger e e		

(١) البيت في «مجالس ثعلب؛ ١/ ٥١٥، وقد أفسده المحقق فرواه: يذمون لي الدنيا.

الصفحة	الشاعر	القانيـة	صدر البيت
٦٨٥,	Y	مــعـــقـــولا	حــــــــــى إذا
A11	الفرزدق	لتخضب الأبطالا	أخضبت فعلك
79	للفرزدق سي	تنالها الأوعالا	إن الـــــفـــرزدق
٨٧٣	عبد الله بن رواحة	ولا تسحيبويسلا	نسى جسنسان
<b>787</b>	عبر بن أبي ربيعة	اســهنــــــــــــــــــــــــــــــــــ	فنسواعسديسه
717		تلك السبيلا()	فسلا تسبسعسد
AVA	الحطيئة	مسقسالا	تسحسنسن عسلبي
١٣٨٨		الطلح والجيبالا	بسشسرهسا
.378		السلم البطوالا	يسوم عسسيسب
V17	الأعشى	خلفها أطفالها	البواهب البمبائية
718	الأعشى	إليك حبالها	وإذا تسجسوزهسا
7	الخنساء	مسن قسالَسها	وقسبافسيسه
7	الخنساء	اوعسالسهسا	تسقسد السذؤابسة
7**	الخنساء	أمصئالِها	نبطستست
λ/f	الخنساء	نائجة مالِّها	<b>نــانـــــ</b> ـت
A.1 .V.	عامر بن جوين الطائي	أبقالها	فسلا مسزنسة
777	أمرؤ القيس	القلبيفعل	أغسبرك مستنسي
V/7 . TV0	أمرؤ القيس	لىدىك وأوصالىي	فقلت يسين
777	أمرؤ القيس	شىمارىخ مىيًالِ	فلما تنازمنا
1000	أمرؤ القيس	كالسجنجل	مهنهنة
1847	أمرؤ القيس	ثيابك تنسل	فـــان تـــاك
1VA	أمرؤ القيس	وناه بكلكل	<u>ن</u> ــنــلـــت لــه
1144	أمرؤ القيس	كأنياب أغوالٍ	أيسقستسلسنسي
188	أمرؤ القيس	السسر أمشالي	ألا زمــــت
1VA	أمرؤ القيس	تلب مقتل	ومـــا ذرفـــت
777 . 14.	أمرو القيس	أي إذلال	فيصبرنيا إلىي
<b>1V•</b>	أمرؤ القيس	الخواية تنجلي	فقالت يحين
100	أمرو القيس	مسوط مسرځسل	محسوجست بسهسا
1.14	هدية بن خشرم الفارسي	صرفه الستحول	ولسست بسمسفسراح
477 . 477	ڈو الرمة	العين بالمهلِ	فظلوا ومسهم
1.44	***	ارسلتهم پرسول	تمنی کتاب الله
A0Y	كثير عزة	,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,	لـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
AAE .		-	وترمينني بالطرف كـــان بـــلاد الله
V8Y		كىفىة حابلى	حسان بستاده الله جنزيت ك ضعف
771	أبو ذؤيب أبو ذؤيب	نسوب عسوانسل	إذا لـــــعـــــــــــــــــــــــــــــــ
۵۳۸	ابو دریب أبو ذریب	بسوب عسوامسر	إذا تستسعست لــعــمــرى لأنــت
1AY	ابو دویب المتخل	العشيرة والأهل	معتصري لاست فسإن أنسا يسومساً
04.	ليد	كالفقير الأعزل	لـــــا بــومــا
•			

⁽١) البيت في امجاز القرآن؛ ٣١٩/١.

الصفحة	الشامر	القانية		صدر البيت
Vot	أبو كبير الهذلي	لففت بهيضل		أزهـــــر إن
144	عبد قيس	لتقناع محنجل		وإذا لــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
197	عبد قيس	بسفسنك فانسزك		ف_أع_نـهـم
471	ار در الا <b>عترة</b> المحمد الاستان المحمد	بسفسنسك فسانسزل		إن يسلسحسقسوا
V08	* * .	كسحسل السعسقسال		ربنسما تسجسزع
<b>V</b> *• /	الأعشى	شديد التمحال		فنسرع تسبسع
<b>VY</b> •	الأعشى	فبإضه لا ينبنالني		إن يسعساقسب
<b>27</b> ··· · · · · · · · · · · · · · · · · ·	أمية بن أبي الصلت	السجن والأغلال		أيسمسا شساطسن
٥γ	أمية بن أبي الصلت	سموابسغ الأذيسال		إئــــــنــــي زارد
• 4 1	مَّ أَمَية بن أبي الصلت المالت	بسنسي إسسرال		لا أرى مــــــن
1177 (787)	* خرير ` *	مسن السهنسلالِ	,	ر <b>ات</b> مـــــر
17.	الخيل الخيل	بسعسض مسالسي	• • • • • • •	كمنية جابر
<b>E97</b>	s, d	تذهب بالمعقول		شسبربست الإثسم
VOQ	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	مـــن هـــلالِ		سسقسى قسرمسي
A70 '	ليد	بسنسي عسقسيسل		يسريسد السرمسح
170	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	العبدالنليل		ومسسا رمسست
170		قـــيـــــــــــــــــــــــــــــــــ		وأغــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
11%8	علي بن زيد	يسودي بسالسرجسال		السيم أضيحيوا أندن الله
007	عنترة بن عكبرة الطائي	بدم النقنتيل		أنسك والسجسور
78	أبو النجم	مالك وتهشل		تبــقــلــت فــي
198	الجميل بن معمر	من قتلله		<u>نظاننا</u>
98A	أم الأحف	مــن هـَـَـرُلــه	******* ,	والله لـــــولا
VOA	ابن رواحة	عـن خـلـيـلـه		ويــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
ŤV	الطرماح	مستسها وجدائسلُّ غيباياتُ النظيفيلُ		فـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
07	لبيد لبيد	فيايات العمال		وغلام أرسلت
AYŸ .	بيد	السدمسر غسفسل		وچندم ارسنست قسال هیجندنیا
V*1	'لبيد	فالمسحدل		بينما الظل
079 "	ليد	ريشي وعسجسل		ان تسقسوی ریسنسا
,		_	,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,	
ww.	ف الميم			4.
	رالأعشى	وأنفك راغم		فسلا يستجسسط
	الأعشى		• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	إذا الـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	الأعشى الأعشى			يعدون للهيجاء ألا مين لينيفيس
	and the second second			الاحمان للنصاص فلمنتي عملينا
VY		ال المسلم		فسمنسي عنديست أفيساطيسم إنسي
VIE	العرجي	المساء يسيم		انسسی أمسرو
1779.	العوجي	مصي النجدة		و السعي استورو
A97				ولسقسد أبسيست
V1V		والسحستسوم		عـــــادك

منعمة	الشامر	القانية	صلر البيت
VVY ,	•	عبليهس السنالام	ولا يسبسقسى
197	أوسى بن غلقاء	والسنسلام	ومسركسفسة
<b>ξΑ•</b>	and the same	شاعكم السلام	الايانخلة
174	and the state of t	القنن الجمام	تبكي هاشماً
009	And the second	بسي حسكسيسةُ	أطبيبوف فيسبي
	حسان بن ثابت	وكسلهم مسلؤوم	وأقسامسوا حسنسي
VEV .	*	مسن يُسقبيمُ	فــــــأي امـــــرئ
, ATT	الم المعالمة المسا	السلسيس والسرمسم	وكسيف بسظمام
,	عبد البطلب	، وهنسو قبسائسسمُ	مسلت بِسمسا
978"	- "	ببجشنك مبتنأ	معقبم البنسياء
1722	ليد	النفوس جمامُها	تسراك أمسكسنسة
<b>",</b>		مستورة سييسه	بساسم الساي
<b>"1</b>		وقسرضساب سسئسه	وعامنا أعجبنا
• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •		الميناه تسيشها	وهــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
Y0A	-		ومر بسغاف الترب عقيمها
<b>**</b>		زاد وتسمسمسا	يسسرب السسلي
174		بمنطقها ضما	مجبثلها
Y19		أن يستسنسا	لـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
<b>400</b>	حاتم الطائي	البهسم مبهسما	يسرى السخسمات
ATT	المتلمس	العرائين ميسما	ولسمو فسيسسر
4·4 •V4	المتلمس	الشجاعُ لصمما	فسأطسرق إطسراق
EA9	المتلمس	لسهسا ابسنسمسا غسيسلاً مسوشسسا	فسهسل لسي أم فبلسما كنشفس
oV•	حميد بن ثور	ولا ذـــــا	فبلما كشفن إن السوشساة
79	هند بنت عتبة	بالسلام سلاما	طاف المخيسال
17.4	هند بنت عبة	او مسن رآهسسا	مين حسن لي
17.4	هند بنت متبة	موسرواهسبهسا	أمِسديسن فسي
17.4	هند بنت عتبة	جـــاهـــا	المستقسريسان
17.4	هند بنت عنبة	تــــراهــــــا	رمـــحـــيــــن
٥V		يحبون الطعاما	الا ابــــلــــغ
۸٥٣	<u> </u>	تبذريت السنياميا	انا سينف
1197	ام عمير	فسفسد الامسا	شنعسد مسعساذراً
£A9	سورير	زيارتكم الماما	ریساشی مسنسکسم
7.7 · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	النمر بن تولب	تسادنه أيشمنا	المنان المسنسية
1.41	بشر بن أبي خازم	وكسان خسرامسا	ويسوم السفسساد
17.V 6,191	وقياح اليمن	أو أرتبقني سيلسا	ربسة مسحسراب
٠	•	بالسيف النما	كسفساك كسف
<b>٤</b> Y	. خ <b>دُو الرمة</b> ِ	البريساح المتسوامسم	منشسيس كسما
<b>4Y</b>	•	الليالي بمعظمّ	هستنسم وسسسط
171	الأعشى	للهجينِ المذممِ	دعبوت خبليبلي
XXX		او اصر لــمــاتُــمِ	وكسائسن أريسنسا

المفحة	الشاعر	القانية	صدر البيت
YYA		في التكلم	وكسائسين تسبري
VT0	سحيم بن وثيل اليربوعي	فسسارِسَ زهسدمً	أقسول لسهسم
74.7	الأعشى	م السدم	وتسشرق بسالسقسول
A80	زهير	بالحديث المرجم	ومسا السحسرب
39A	زمير	الحاضر المتخيم	فسلسمسا وردن
1.14	رُ مير	كسلٌ مُسجُسَسَمُ	بسهسا السعسيسن
771		التصطني بيشائيم	لغدلستنا
17Ao	الفرزدق	تسسم بسدارم	أولسنسك قسوم
VX.	الحطيئة	نــج ـــ لامُ	قسيسه السرمساح
1.1		بسيسن أقسوام	ابسلسغ ابسا
770	y as a second second second	مستزوا لأقسوام	لا يندرك السميد
YYOU EN EN E.	A STATE OF THE STA	مسنسح احسلامً	ويُسشسسوا
108-	Vertical to the constraint	بالنشوال وأنبعهم	هنزمنت صليبك
T+1 :78	هدي بن الرقاع	أم السغساسيم	لبولا البحبيباء
107	هدي بن الرقاع	جسآنر جساسسم	وكسأنسهسا بسيسن
101	مدي بن الرقاع	ولنيس بستائيم	وسسنسان أقسعسده
VEG. ITE. TPA	مع <b>ترة</b> ومعادة المادية	ابست مسخسرم	شسطست مسزار
18AY. T. B. S. L.	المس <b>عشرة</b> الأستان المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة المستعادة الم	القبلنا سيحرم	فشككت بالرمح
18.8	منترة	الكلام مكلمي	لسو كسان يسدري
/Y:A	عنثرة	لسم تسحسرم	يسائسان سا
W	مترة	بعد أم الهيشم	
ATT	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	أولسنسك الأيسام	ذم السمسسازل
717 . 47	10 mg 1 mg	السروف السرحتيسم	تىرى لىلىمىۋمىنيىن
1101	A.A.	المصطبيّ بستائم	لتدلسننا
110	الفرزدق		تسلات والسنستسان
Y.0	الحطيئة .	جسوف مِسكْسمِ	نسدمست مسلسي
7 £ 7	ليد	أربد بالسهام	وأيسقنت الشفرق
٥٧٠	حمان بن ثابت	رأل السنسعسام	لــــــرك إن
۸٥٨		وليم أسكيليم	لاواءلــــــــــــــــــــــــــــــــــ
A11 (1	The state of the s		كسان فسريسفسة
<b>!!</b>	رزية	، وتنجلني غنمني	حـــارث قـــد
0.4		والأدامــــــم	أوعــــــنــــي
179.		،،،،،، فسي فسمسايسه	السريسح تسبكسي
3.4	الأمشى	اريستسف	يسقسوم عسلسى
770	الأمش	نسند نسرخ	وكسسان دمسسا
477		نسبسل السيسوم	عكم تغشى
ξΥ·	المثقب العبدي		وكسسلام سسسي
701	الحلم	ولا فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	المناء.

⁽۱) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ٥، و«اللسان» ١٨/١٤، وهو في أمالي اليزيدي من أبيات لبعض المتقدمين»، وفي «عيون الأخبار» لأبي القمقام الأسدي ١/ ٩١، وفي «العقد الفريد» لهشام الرقاشي، وفي «البيان والتبين» لهمام الرقاشي ٢٦٦/٣ و٣/ ٢٠٢ ر٥/ ٨٥.

المفحة	الثامر	القانبة		صدر البيت
701	الحطم	لــم يــنـــغ		ولا بــــجــــــزار
701	الحطم	مسسوح البقدم		بات يقاسيها
AT		على إنرهم		مسحسن آل الله
	ب النون	حر ذ		* <b>,</b> #
770		تبنى المساكنُ		ولسلمسوت تسغسلو
190		الخليط المباين		
£A£	کثیر	بسهسا نسيسهسون		إذا مسللست
27	النابغة الذيباني	بسهسا رهسيسنُ		نبات بـــــاد
Nor	النابغة الذيباني	بسي السظنونُ		أتسيتسك مساريساً
1071	قعنب بن ضمرة	عندهم أذنوا	• • • • • • •	مـــــم إذا
٤٨٥		مخاصم ميزائه		قىسد كىسىت
<b>YY</b>	مران بن حطان	صنداله مأمونيا		والسروح جسبسريسل
<b>**</b> **********************************		قسال آمسيسنا		يــــا رب
TE	بيد	بعدسيعينا		باتىت تىشىكىي
0.04	أمية بن أبي الصلت	ربسي ومسسانسا		السحسدة
<b>£4•</b> .	The second secon	المقموم عسريسانسا		إنـــي كـــأنـــي
77V	تميم بن مقبل	الأبطال سبحينا		وزجلة ينضربون
710	تميم بن مقبل	مننهلينا	• • • • • • •	أو كساهستسزاز
770		الناس عحرانا		ولسلمشاينا تنزبني
1770	The second of	المذكار أحيانا	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	إن أجــــزات
173	أبو طالب	السراب دفيسا	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	والله لـــــــن
173	أبو طالب	مسنسك مسيشونسا		فساصدع بسأمسرك
173	أبو طالب	البسريسة ديشنسا	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	وعسرضست ديسنسا
£ <b>71</b>	أبو طالب	بناك مبينا	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	لولا الملامة
718		حبلامتينا	3	فسلسوحسسلا
***	الحطيئة	منك العالمينا		تنحي فاجلسي
er de autoriales.	عمرو بن كلثوم	جهل الجاهلينا	• • • • • • • •	الا لا يسجسهسلسن
£7 7:0	عمر بن كلثوم	بأيدي لاعبينا	• • • • • • • •	كأن سيرونسا
	عمر بن كلثوم	لم تقرأ جنينا	• • • • • • •	ذراعي عيطل
17.1	عمر بن كلثوم	مواليك العيونا		بيوم كريهة
AAT		قطع القرينا		تـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
71	***	الحواجب والعيونا		إذا ما الغانيات
٥٨٠	عدي بن زيد حسان بن ثابت	كسان جسنسونسا		ان شــــرخ
1717	حسان بن أسماء مالك بن أسماء	ما كبان لحينا		منطق صائب
177A . 110	عالث بن الأبرص عبيد بن الأبرص	ايسن ايسنا	1	مللا سالت
AV	O. W	اسماعينا	- 10	قـــال جـــواري
<b>AY</b>				عــجــنت مــن
	ration of the second of the second			يـــقـــول أهــــل
				-

المفحة	الشامر	النائب		صدر البيت
PPY, P3P, 0771	Sensi in the second with	وقدشجهنا		
111	The same to said	بـــارســانِ		مسريست بسهسم
908		والسشبهان		بسواد يسمسان
۸٤٧ و ٤١٧	الأحول الكندي	على طهيان		فليثلنا
NOTY		لا اخون اميني		ألتم تتعيلتمني
178 1.		السطسوي رمسانسي		رمسانسي بسأمسر
1841		السرزء والسحسزن		لا والــــــــــــــــــــــــــــــــــ
18.1		السورى يسكسنٍ		مـا سـرنــي
ITAY	and the second	أقساوز السكسسيان		ومسخسلسدات
١١٠٥ ١٠٨ ر٩٤٦، ١٢١٨	المثقب العبدي	أيهما يليني		ومـــــا أدري
Y14 (100	المثقب العبدي	هويبتغيني		أالسخيسر السذي
7.9	المقب	البرجيل البحيزيين	• • • • • • • • •	إذا ما قسمت
47	الشماخ	كالرجل اللعين		ذعــــرت بـــــه
184.	الشماخ	بسدم السوتسيسن		إذا بسلختني
T11	and the said of	إلا السفرقدان		وكــــــل أخ
1.47	أبو حية النميري	تسخسوفسيسني		أبسا لسمسوت
100 P371	النابغة الذبياني	رجـلــه بـشــنِ		كسأنسك مسن
* <b>&amp;oV</b>	A STATE OF THE STA	الىرمسان والسزيستيون		بسورك السمسيست
A70		يسهم بىالإحسسان		ان دهــــرا
<b>178</b>	to the second	حـــــــانِ	•••••	روجــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
778		تبع القرين	••••••	. قىد جىمىلىت
110	i sydency policy	ومسجسد بسانسي	• • • • • • • •	يـــاوي إلـــي
. 118	الأعشى	ذي شــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	•••4••••	تيممتنيسأ
048	ر الأعشى	نـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		وإن تستضيفوا
188	الأعشى	لــه انـــکـــرن		ومسن شسانسي
<b>{ £ A</b>	الأعشى	غبار النقعين		نبحين نبطيحناهم
7 1 1 2 2 1 and 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1	دلها ر	حرد		
77	رؤية	مسن تسالسهسي		لـــــــــــه در
£4.	رژية	نى سىسىي		ومسخفق مسن
41.	عبد الله بن قيس الرقيات	فسقسلت إنسة		ويسقسلسن شسيسب
1.77		على الجبلة		والسمسوت أعسظهم
1878		الجنة المغلة		قد جاء سيسل
٤٧٥		العظيم الحاوية		أقستسلمهم ولا
<b>**</b> ••	يزيد بن مفرغ	كسنست هسامسة	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	وشسربست بسردا
حرف الياء				
٥٠٨		حرط فتاختكم غنئ	·	الا ابسلسغ
٥٢	العجاج(١)	دواريُّ		اطرباً وانت
V£ <b>T</b>	. ج سوار بن المضرب	والسفسلاة ورائسيسا		اتسرجسو بسنسو

⁽١) وهو في اديوانه ٢٦/٢.

erge through the

1 to Nove - 1

Les la company

العفحة	الشنامر	التانية		صعو البيت
791	الفرزدق	أشدلجاميا		منتنا تنسلانني
YTY: - he seems	عبد الله بن معاوية	حسنسي بسدا لسيسا	*******	رأيست فسفسيسلا
007	التابغة الجمدي	من المال باقيا		تنتى كحملت
<b>5.87</b>	عنترة	السنين الخواليا		الا قسانسل
ner	عنترة .	لــــت ذالــــــا		وقسولسك لسلسسىء
114V	Committee and the	ألىفىي ضياحييا	*******	فأنبت يقطينا
1174	محيم بئي الحسحاس	للمره تناهينا		طنسمسيسسرة ودع
	- B	مسن شسفسالسيسا		لننشد طال
,0T:	the state of the same of	النعر تبنيها		أمتوالسنسا لسلوي
THY.	حسان بن ثابت	والسوك لاقيبها		أوردتنسمرسوهسا
σ <b>λ</b>	طفيل الغنوي	الشجسم جناديتها		أمنسا ابسس طسوق
N.T.		أعناقهم كالأرشيه		إنـــي إذا مـــا
Commence of the second	ب المقصورة	حرف الألة		7
789	Activities of the	بــــه أرخـــــى		ينظنن سعيد
1877	أبو أسيدة الدبيري	يسرت فنماهما		مسا سيدانيا
131, TFA	ليلي الأخيلية	الغنباة سغاها		شخاها مسن
437	and the state of t	مسامستسي		كـــادت وكــــدت
7·1	the section of the property and the section of the	ولا يسخسون إلسى	• • • • • • •	أبــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
TA - Service of the s	pur riegal de la Constantina	الانــــا		نـــادَوهــــم
<b>***</b>	The state of the s	إلا أن تـــــا		ببالنخيبر خيبرات
1.78	in the same	ويا يدي السمني		يا مصمني
1-18	Art of Garage Francisco	في الشري يبلى		لأصسنست وجسهسأ
***	يزيد بن الصعق	خفتها للاما		وإن السلسه
1.44		هــوابــتــنــاهــا		عبلني مطالهم
ATO	the the street of	فكلانا مبتلى		يستسكسو إلسي
ETY.		السماوات العلى		تشم جسزاك
1771 AA71	Mrs. Post	ممالة عيناما		ملغتهاتبنا

-----

فحر المحرة وسيرانهم أالا